

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

- المحاكمة المشروعة « الافتتاحية »
- معارك « العلمين » الدفاعية
- « المتغيرات الدولية » حدود جديدة .. أم أشكال جديدة للصراع ؟
- وثائق : الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية
- تحقيق سياسي : العراق من داخل العراق

ملحق الأدب والفن



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

المحتويات

العدد الاول ــ السنة التاسعة ــ يناير ١٩٧٣

عنوان المراسلات :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ــ ٥٩٠١٠ ــ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. ــ دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

د. محمد الخفيف

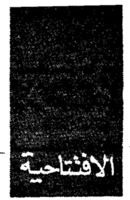
شـارك فى تاسيس « الطليعة »

وأسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

ان « الطليعة » ميـدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقـادنا أن تفـاعل الاراء الحرة على اختـلافها هو وحـده الـذى يستطيع أن يبـلور ويستخلص وحـدة مكرية أصيلة .

من هـذا المفهوم تفتـح « الطليعـة » صفحـاتها لكل رأى لـديه كلمة يقولهـا - مؤمنة بشعار الحـرية المجيـد الذى أطلقـه فولتير فى القـرن الثـامن عشر وقـد اختلف معـك فى الرأى ولـكنى على اسـتعداد لان أدفـع حيـاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ..



المحـــــاكمة المشروعـــة

فى أوائل شهر ديسمبر الماضى ، اقدم نظام حكم الملك حسين فى الاردن على اعدام ستة فدائيين من أبناء الشعب الفلسطينى المقيدين فى سجون عمان منذ مجازر سبتمبر الاسود . وبرر الملك حسـين — **الذى كان يعد العـدة لزيارة الى الولايات المتحـدة الامريكية ولقاء جديد مع نيكسون** — هذا العمل بأنه يدعم الجبهة الداخلية الاردنية فى مواجهتها لاسرائيل .

ولم نقف ، نحن العرب [من غير الفلسطينيين] موقف اللامبالاة . [حاشـا لله !] لقد تسلحنا بشجاعتنا ، ولحنا فى الصـحف الى الخبر . صحيح ، عاودنا الصمت بعد ذلك . ولكن لحكمة بليغة . فنحن قد عقدنا العزم على أن لا نسمح لانفسنا بالوقوع فى أى « استفزاز » — حتى ولو كان دماء الفدائيين الفلسطينيين — يعطى « الملك العربى » الحجة لاخراج الاردن من المعركة ضد اسرائيل !

وتمر أيام صمت ، يشـوبها نوع من الغزل مع الملك حسين ونظـامه . وذلك على طريقة « عفا الله عما سلف » . لكن الملك الذى رتب حساباته على مقدرتنا فى ممارسة العفو الدائم ، عاد فى أواخر نفس الشهر وأعلن — من خلال وكالة أنباء اليونيتد برس الامريكية — عن نقل ٣٦ فدائيـا فلسـطينيا جديدا ، حكمت عليهم المحـاكم الاردنية بالاعدام ، من سجن فى الصحراء الى السجن المركزى فى عمـان ، توطئة لتنفيذ حكم الاعدام فيهم .

ومرة أخرى ، أطللنا برؤوسنا من قوقعة الصمت ، ونشرنا الخبر « **بشـجاعة أكبر** » فى الصفحات الاولى . ثم عقدنا السـواعد فوق الصـدور ، وقبعنا فى دفئنا ، الذاتى والاقليمى ، ننتظر — دون ما حركة — اعلان عمان المنتظر بفصل ٣٦ رأسا عن اجساد أبناء الشعب الفلسطينى . وذلك — أيضا — حتى لا نتورط فى اسـتفزاز ، يمنح الملك ونظامه فرصة الابتعاد بالاردن عن المعركة ضد اسرائيل !

هذه الصورة العبثية ، مع الاسف ، ليست مسرحية من تأليف « يوجين يونسكو » أو رواية من ابداع « صمويل بيكت » ، وانما هى الواقع الراهن لحما ودما . وقبول استمرار هذا الوضع او تغييره ، هو جوهر القضية فى المعركة ضد الصهيونية والاحتلال الاسرائيلى .

ويبدو من تحليل الصورة ، ان اصحابها لا يواجهون نفس الـ « اسرائيل » .

الفدائيون الفلسطينيون ، يواجهون اسرائيل ، محددة فى ذلك الاستعمار الصهيونى الاستيطانى الذى قام على ارض فلسطين وطرد شعبها الى خارجها ، وامتد بتوسعه الاحتلالى الى المرتفعات السورية وسيناء .

والملك حسين ونظامه ، يواجهان اسرائيل اخرى غير « اسرائيل » الفدائيين . من خلال متابعة اتجاهات حركة الملك حسين ونظامه ، يتأكد أن ضرباتهما العسكرية والسياسية تتركز ضد الشعب الفلسطينى وفدائييه . فى حين انهما يوثقان ارتباطاتهما مع الولايات المتحدة الامريكية ، ويتفاوضان — سلميا — مع اسرائيل ، من خلال عدة لقاءات ، لم تتحرج كل من المخابرات الامريكية والمخابرات الاسرائيلية من اعلانها .

وحتى الملك حسين نفسه لم يجد حرجا فى أن يقطع العهد الملكى ، بعدم مهاجمة اسرائيل أو الدخول معها فى أى صدام . ومارس بالفعل « سياسة الجسور المفتوحة » بينها وبين مملكته ، تجاريا وسياحيا واقتصاديا وسياسيا . ووصل الامر الى حد التعاون فى مجال عمليات الاستخبارات والارهاب الدموى ضد « **العدو المشترك** » .. أى الفدائيين الفلسطينيين .

واستحق « **الملك العربى** » عن جدارة ، وقفة « **جولدا مايير** » المنبرية فى الكنيست تتحدث عن « شجاعته » ، وتشيد « بفروسيته » .

من هنا ، فان « اسرائيل » ، فى مفهوم وحركة الملك ، ليست « اسرائيل جولدا مايير » .. وانما هى « فلسطين » الشعب الفلسطينى وطليعته النضالية المسلحة .

والعرب ، عامة ، يتفقون مع الفدائيين فى تحديد اسرائيل . ولكن — عمليا — هل تقف اسرائيل اليوم — بالنسبة اليهم — عند حدود فلسطين والاراضى المحتلة من سوريا ومصر ؟ .. أم أن واقع الحال ، يلحق بها ، استراتيجيا ، الارض التى يحكمها اليوم نظام الملك حسين . وذلك بعد المجازر التى اشعلت ضد الفدائيين ، وتخريب الجبهة الشرقية التى كان يجرى بناؤها فى شرق الاردن ، وسحب طاقات وامكانيات المملكة — فعليا — من حسابات أى معركة تحريرية ضد اسرائيل .. **بل واعادة صياغتها — بقوة الدعم الامريكى الذى يصل طبقا لاحصائيات الاوبزرفر البريطانية الى ٥٠ مليون دولار سنويا فى صورة معونة مباشرة ، وحوالى ١٠٠ مليون دولار فى صورة قروض عسكرية — كى تلعب دور حزام أمن وخط دفاع ، يتحول عند الضرورة الى خط هجوم لصالح اسرائيل والامبريالية الامريكية .**

وهكذا ، فان « اسرائيل » الفدائيين والعرب ، غير « اسرائيل » الملك حسين . **واذا** شئنا التحديد الدقيق ، والموضوعى ، فان « اسرائيل الملك » ؟ تتحدد فى الشعب الفلسطينى وحركته الثورية ، وتمتد — عرضا وعمقا — الى حركة التحرر العربى بأهدافها التحررية والتقدمية ، المعادية للصهيونية والامبريالية ، والتى تهدد بانتصارها على هزيمة سنة ١٩٦٧ والصهيونية ، بل وتحرير الضفة الغربية بالذات ، والتى كانت جزءا من المملكة الاردنية ، خطرا على مستقبل الملك : مصالحا وعرشا ونظاما .

ولالقاء المزيد من الضوء على واقع ومستقبل المصالح والعرش والنظام ، نترك الحديث للصحف الغربية .. تقول « **الهيرالد تريبيون** » في عددها الصادر في ١٧ / ١٢ / ١٩٧٢ : « .. وقد تدفق على الاردن المستثمرون الاجانب ، ومن بينهم خمس عشرة شركة امريكية خلال اسبوع واحد . وقد عرضت مشروعات لعمليات استثمار مشتركة لكي تستفيد من الايدى العاملة الاردنية الرخيصة » . وما لم تذكره الصحيفة ان الملك نفسه وعائلته ، وفي مقدمتها الامير حسن ، ومجموعات محدودة العدد من عائلات الدوائر الحاكمة ، هم « **الوكلاء التجاريون** » للشركات الاجنبية في الاردن .

وتمضي الصحيفة في تحديد أبعاد الاستثمار الامريكي ـ الملكي الاردني في المنطقة ، على ضوء ما سمي بخطة التنمية الثلاثية الجديدة ، فتقول : « ومن المقرر أن تؤدى خطة الملك الى جعل الاردن مركزا لصناعات التصدير الصغيرة الى الدول الغنية بالبترول وهي : الكويت ، والسعودية ، ودول الخليج » .

مخطط كامل يرسم للمنطقة ، يلعب فيه الملك حسين ونظامه دورا متميزا ، وذلك بعد أن « ارتضى الملك ورجاله ـ **على حد تعبير جريدة الاوبزرفر البريطانية في عددها الصادر في ٣ / ١٢ / ١٩٧٢** ـ العيش في ذلك الجزء المتبقى لهم من البلاد بعد الاحتلال الاسرائيلي » ، وقبولهم ـ **كما تؤكد جريدة « التايمز » البريطانية في عددها الصادر في ٤ / ١٢ / ١٩٧٢** ـ الامر الواقع ، وتشكيل سياستهم وفقا لهذا الامر .

باختصار ، يجب ان نكف عن ممارسة أحلام اليقظة ، ذات النخوة العربية في العمل السياسي وحسابات معركة التحرير ، ونفتح أعيننا وعقولنا لرؤية الحقيقة .

والحقيقة الماثلة أمامنا هي ان الملك حسين ونظامه ، أصبحا ، الجزء المرئي من القوى الانهزامية والرجعية العربية التي تقف في خندق واحد مع اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية . ومن هنا ، فان عداء الملك لحركة التحرر العربية ، وخاصة مصر وسوريا ، لا يقل خطورة وشراسة عن عدائه للشعب الفلسطيني وثورته المسلحة .

لن يجد شيئا ، الحرص على عدم الوقوع في استفزاز مع الملك حسين ونظامه ، أو محاولات الترويض والتدليل واثارة نوازع النخوة أو الاخوة العربية . ولكن ما يجدى ويؤثر ، هو أن تصبح الحركة التحررية العربية ، وبالذات مصر وسوريا والثورة الفلسطينية في خندق واحد . خندق مادى ، نضالي ، سياسي ، عسكري . لا خندق وهمي ، ترسمه الكلمات الحماسية في الخطب والبيانات والمقالات الصحفية . خندق لا يكتفي بنشر اخبار اعدام الفدائيين الفلسطينيين ، وانما يطلق النار ، وفي الميدان ، على الخونة وسفاكي دماء المناضلين . خندق تتحرك قواته بمختلف الاساليب والطرق للاشتراك في تحرير الجبهة الشرقية مع جماهيرها الاردنية ـ الفلسطينية من نظام الملك حسين الامريكي ـ الاسرائيلي جوهرا .. والعربي شكلا وخداعا . ان الجماهير الاردنية ـ الفلسطينية في الضفتين الشرقية والغربية لم تكف يوما عن النضال والتعبير المتكرر عن ارادتها في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي والنظام الملكي . وكان آخر ما اخترق أسوار الحصار وعرف عن هذه الارادة ، محاولة الانقلاب التي جرت في نوفمبر الماضي . وبهذا الطريق وحده ـ طريق الجماهير الاردنية ـ الفلسطينية وموقعها من حركة التحرر العربي ، يمكن أن يسلخ الاردن عن التحالف الامريكي ـ الاسرائيلي ـ الرجعي ، ويعود أرضا وقوة استراتيجية في معركة التحرير . وهذا الطريق يستلزم أول ما يستلزم احكام الحصار السياسي والاقتصادي والعسكري من حول النظام الاردني ، وذلك من جانب كل النظم العربية التقدمية .

ولعل القوى الوطنية والتقدمية العربية التي أفرزت — من خلال وعيها بمسئوليات المرحلة — جبهتها المشاركة للثورة الفلسطينية ، مطالبة بأن تشدد من حصارها السياسي للنظام الاردني ، بفضح جرائمه ، وتعرية دوره كطابور خامس ضد حركة التحرير . وذلك على مستوى المواطن العربي العادي .

وفي هذا المجال ، نقترح أن تدرس أمانة الجبهة الامكانيات العملية لعقد محاكمة شعبية — سياسية للملك حسين ونظامه . ان مثل هذه المحاكمة ، لن تفيد فقط النضال ضد هذا النظام ومخططاته والدور التخريبي الذي يقوم به ، بل ان من شأنها أن تعبىء سياسيا أوسع وأعمق القطاعات الشعبية في الوطن العربي من أجل معركة التحرير التي لا بديل لها ، وتسلط الضوء الكاشف على القوى والعناصر الاخرى التي تتحرك في الظلام باتجاه الملك حسين ونظامه .

واذا كان آخر شهداء الثورة الفلسطينية — حتى كتابة هذه السطور — يسقطون من فوق مشانق الملك حسين ونظامه ، فان أول شهداء الثورة التي انطلقت في مطلع عام ١٩٦٥ ، وهو الشهيد « **أحمد موسى** » ، سقط برصاص الملك حسين على الحدود ، وهو عائد من مهمته في الارض المحتلة . وكان هذا تجسيدا عمليا لموقف الملك حسين السياسي . وهو الموقف الذي عبر عنه بوضوح قبل حرب سنة ١٩٦٧ ، وبالدقة في ٢٩ / ١١ / ١٩٦٦ ، عندما أدلى بحديث الى **وكالة « اليونيتد برس » الامريكية** ، عقب الغارة الاسرائيلية على **قرية السموع** ، مستخدما نفس التعبير الاسرائيلي عن الفدائيين الفلسطينيين .. قال فيه : « **اذا كان الارهابيون يتسللون عبر الحدود رغم جميع التدابير التي نتخذها ، فان اسرائيل تتحمل مسئولية مساوية تقضي عليها باغلاق الجانب الخاص بها من خط الحدود** » .

دعوة صريحة ومبكرة للتعاون المشترك مع اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني وحركته التحررية . ومنذ ذلك الوقت تجاوزت اسرائيل مع الملك حسين . وكشفت جريدة « **النيويورك تايمز** » هذه الحقيقة ، عندما نشرت في عددها الصادر في ٧ / ١٢ / ١٩٦٦ ، ان اسرائيل أبلغت الملك حسين ، عن طريق طرف ثالث [أمريكا طبعا] ، أسفها للغارة التي شنتها على قرية السموع .

ان قرار الاتهام ضد الملك حسين ونظامه ، لا يبدأ في الحقيقة منذ مجازر سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وانما قبل ذلك بمدة طويلة . فهناك مئات الوقائع الثابتة ، والتي تقطع بأن الملك ونظامه ضالعان في المخطط الامريكي — الاسرائيلي ضد حركة التحرير العربية عامة ، والشعب الفلسطيني خاصة ، قبل حرب يونيو سنة ١٩٦٧ . بل لعل حرب يونيو سنة ١٩٦٧ كانت جزءا لا يتجزأ من هذا المخطط .

في ٢٥ / ١١ / ١٩٧١ ، أدلى الملك حسين بتصريح لمجلة « **لوى** » الفرنسية ، صفع فيه الشعب العربي كله ، عندما قال انه « **على استعداد للبحث في امكان الوصول الى اتفاق ثنائي مع اسرائيل .. ولست خائفا من معالجة القضية وحدي مع الاسرائيليين** »

اليس مشروعا .. وفي مقدورنا ، نحن المائة مليون «كذا» عربي ، ان نحاصره ، ونميته في جلده — على الاقل — اذا مضى وحده أو مع غيره ، في عقد مساومته مع اسرائيل ؟! سؤال .. جوابه ما زال في طاقتنا أن نصنعه ، وأن نفرضه .

لطفي الخولي

ضد « قيم الغابة »

« لا سلام الا بشروط أمريكا » :

ذلك هو بالتحديد ، الدرس الذى تريد أمريكا أن تعلمه لشعب فيتنام وغيره من شعوب كل المناطق « الساخنة » ، حين أمر نيكسون عشية بدء فترة رئاسته الثانية بتصعيد الحرب الى أعنف حد بلغته فى تاريخ العدوان على فيتنام .

ويثبت الرئيس الامريكى نيكسون بذلك ، اذا كان الامر لا يزال يخفى على أحد ، أنه أكفأ وريث لتراث العنف والعدوان الذى تفيض به صفحات تاريخ الاستعمار الامريكى — على عكس بعض التصورات . بل انه يعمل بدأب من أجل أن يضيف الجديد الى تراث « قيم الغابة وقوانينها » التى تسعى الولايات المتحدة وبكل اصرار لان تسود المجتمع الدولى . تمتهن فيه كل ما هو شريف وغال ، وتبطش فيه بكل ما هو مشرق وواعد .

لقد بات واضحا ، أن ادعاءات ومزاعم نيكسون حول « قرب اقرار السلام فى فيتنام » ، لم تكن سوى مناورة غير نظيفة لكسب انتخابات الرئاسة . لم تكن سوى خداع لحلم الشعب الامريكى ولتخديره ، ثم طعنه — بينما لم تجف بعد مداد الاتفاق الذى توصل اليه مبعوثه « كيسنجر » مع وفد هانوى فى باريس ، وبينما لم تكف بعد عن الرنين أصداء تصريحات المسئولين الامريكيين عن « السلام القريب » فى فيتنام .

وهكذا يثبت واقع التجربة الراهن ، لكل من لم يتأكد بعد ، ان الاستعماريين هم الاستعماريون . فى كل زمان ، وفى كل موقع . وأيا كان الوجه الذى يعبر عنهم . لابديل أمامهم سوى التسليم بشروطهم .. كل شروطهم . من هنا تصبح الثقة فى وعودهم ، مهما بدت مغرية ، ومهما شرعوا فى اتخاذ خطوات نحو تنفيذها ، تصبح أولا واخيرا خداعا للنفس قبل اى شىء آخر . فهم حين يضطرون الى تهدئة الموقف ، فانما يقبلون على ذلك وهم مجبرون وكمجرد « تاكتيك » فى العمل من أجل تحقيق نفس الهدف : السلام بشروطهم .

تلك هى معطيات الموقف فى فيتنام اليوم . وهى هى نفس معطيات الموقف فى الشرق الاوسط . كما فى كل مكان وازاء كل قضية عادلة للشعوب .

واذا كان للاستعماريين كل هذا الحجم من « الاصرار » ، وبغض النظر عن عدم مشروعيته ، فان العقل والمنطق والتاريخ ، يستصرخون الضمائر الثورية والوطنية لكل قوى العالم المعادى للاستعمار .. أن تتحمل مسئولياتها من أجل مساندة ودعم نضال شعب فيتنام وغيره من الشعوب المناضلة .

وللمرة الالف .. والمليون ، لابد من قيام جبهة عالمية ضد الاستعمار ، لها نفس الحجم ويزيد .. من « الاصرار » و « الممارسة » يكتسب صلاحياته من حقيقة أنه مع شرعية العقل وشرعية المنطق وشرعية التاريخ .

تلك مهمة ممكنة . ولا بديل عنها سوى فقدان كل شىء .

ان كل كلمات لغات العالم ، لتضيق عن أن تترجم الى شعب فيتنام العظيم الذى يفتدى شعوب التحرر الوطنى والاشتراكية معا ، كل معانى التأييد التى يفيض بها ضمير ووجدان المناضلين فى كل مكان .

وياشعب فيتنام : لكم نعتز ونفخر مع شعوبنا المناضلة بك وببطولتك التى رفضت — وترفض — أن تنحنى أمام كل ضراوة وعنف ترسانة التكنولوجيا العسكرية للاستعمار الامريكى .

« الطليعة »

« المتغيـرات الدوليـة »

حـدود جـديدة
أم أشكال جديدة
للصــــراع ؟

الحركة : هى القانون الاساسى الذى يسرى على كل شىء . تصدق هذه المقولة على الحياة بمعناها العــام ، مثلما تصدق على الاحـداث السياسية ، باعتبارها جزءا من الحياة .

ومن حول حركة الاحداث الســياسـية ومجرياتها ، تنشأ أو تبرز صراعات جديدة وتختفى أو تهدأ صراعات أخرى . لكن القضية التى تبقى دائما ، هى عدم الاكتفاء بالنظر الى سطح هــذه الاحداث ، وانما أن نفتش عما تحت السطح لنضع أيدينا على القوانين التى تحكم هذه التطــورات وتلك الصراعات .

ولا جدال فى أن العام الماضى ، قد شهد أحداثا هامة بل وبالغة الاهمية . وقد اتخذت هــذه الاحداث ، أشكالا جديدة فى حركتها ومجرياتها . ولعل أبرز حدثين فى هذا المجال ، زيارة الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون لبكين ، ومحادثاته مع الزعيم الصينى ماوتسى تونج والرئيس شواين لاى ، ثم زيارته لموسكو ومحادثاته مع الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف ، والرؤساء : نيكولاى بودجورنى واليكسى كوســيجين . والى جانب هذين الحدثين ، تضاف احداث اللقاءات اليابانية ــ الصينية ، واليابانية ــ السوفيتية .. الخ .

ولقد كان طبيعيا أن تطرح هذه الاحداث نفسها للمناقشة ، على الفكر السياسى فى مصر ، فيما اصبح شائعا باسم « المتغيرات الدولية » . وقد تبلور اتجاه فى الفكر السياسى ، يرى أن هذه « المتغيرات » تشكل أساس عالم جديد تــكتمل عناصر صورته فى هذه الفترة من التطور .

واذا كنا نستخدم هنا مصــطلح « المتغيرات الدولية » ــ باعتباره مصطلحا أصبح شائعا ــ فاننا نطرح السؤال التالى : هل صحيح أن هذه « المتغيرات الدولية » مؤشر لحدود جديدة للعالم؟ أم هى أشكال جديدة للصراع ؟

تزعم الطليعة أن هذا السؤال ينبغى أن يساهم فى الاجابة عليه جهد كبير من الضرورى أن يتسع لكى يضم كل المفكرين والسياسيين والمهتمين ..ومن كل الاتجاهات .

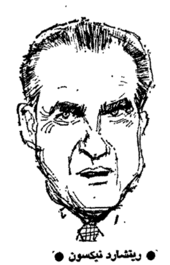
واذ ترى الطليعة أن الدراسة التى تقــدمها اليوم ، ليست سوى محاولة للتشخيص ، فانها تؤمن بضرورة فتح الحوار الديمقراطى من حولها .. وسوف تنشر الطليعة كل رأى أو حوار يصلها حول هذه القضية البالغة الاهمية .



● لئونيد بريجنيف ●



● ماوتسي تونج ●



● ريتشارد نيكسون ●

خريطة احداث « المتغيرات الدولية »

ظهر مصطلح « المتغيرات الدولية » فى أدبيات الكتابة السياسية فى مجتمعنا ، مرتبطا بعدد من الاحداث الدولية الهامة ، ونقدم فيما يلى رصدا لاهم هذه « المتغيرات » أو الاحداث التى يمكن أن تشكل مادة لتحليل الكتاب والمعلقين • ويعنى هذا الرصد ، بكتابة الاحداث كما هى تاركا مهمة تحليلها أو التعليق عليها الى مقالات الدراسة التالية :

■ الاتحاد السوفيتى ـ الولايات المتحدة الامريكية

قام الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون بزيارة الاتحاد السوفيتى فى شهر مايو ١٩٧٢ . وهى أول زيارة يقوم بها رئيس أمريكى لموسكو منذ اشتراك الرئيس روزفلت فى « مؤتمر القرم » عام ١٩٤٥ •

وقد عقدت بعد محادثات نيكسون ــ بريجنيف عدة اتفاقيات بين البلدين • ومن المعروف أنه قد سبق ذلك بعدة سنوات ، توقيع اتفاقية أخرى بين الطرفين : معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية ، وقف التجارب الذرية وتحريم تخزين الاسلحة النووية فى أعماق البحار وفى الفضاء : معاهدة تحريم الاسلحة البيولوجية •

وفى المجال العسكرى : عقدت أثناء محادثات نيكسون ـ بريجنيف ، اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية • وكذلك اتفاقيات لمنع وقوع تحرشات بين أساطيل البلدين وتجنب حوادث البحار وما فوقها من غلاف جوى ، فضلا عن التقدم الهام الذى تحقق بشأن عقد مؤتمر للامن الاوربى وخفض القوات الامريكية والسوفيتية فى أوربا .

وفى المجال العلمى : وقعت اتفاقيات للتعاون فى مجال العلم والتكنولوجيا وأبحاث الفضاء (أهمها ما يحدث فى يونيو ١٩٧٥ بالتحام سفينة فضاء سوفيتية من طراز « ساليوت » بأخرى أمريكية من طراز « ابوللو » يتبادل بعدها الرواد الزيارات واجراء التجارب العلمية المشتركة) ، والتعاون فى مجال الطب (أمراض القلب بشكل خاص) ، والصحة وحماية البيئة وتبادل الخبرات فى مجال التعليم والثقافة •

وفى المجال الاقتصادى : تم الاتفاق على انشاء لجنة سوفيتية ـ أمريكية مشتركة لاعداد شروط العقود التجارية طويلة الامد وتسهيل عمليات الائتمان • وعقد البلدان اتفاقا شاملا لزيادة حجم التجارة بينهما بحيث سيصبح فى عام ١٩٧٧ ،

خمسة آلاف مليون دولار سنويا ، وتسوية ديون « الاعارة والتأجير » المستحقة على الاتحاد السوفيتي منذ الحرب العالمية الثانية • كما اتفقا على التعاون فى مجال انتاج الاسمدة والكيماويات والصناعة التعدينية والمطروقات وتصميم وبناء الفنادق واستخدام العوادم الصلبة فى الاتحاد السوفيتى • وقد أعلنت شركة « هارفستر » الدولية الامريكية فى أغسطس الماضى ، انه تم التعاقد مع الاتحاد السوفيتى على أن تبيعه الشركة جرارات قيمتها ٤٠ مليون دولار يتم تسليمها قبل نهاية عام ١٩٧٣ • ووافقت السلطات السوفيتية على أن يفتح بنك « تشيزما نهاتن » الامريكى فرعا له فى موسكو ويعد بذلك أول بنك أمريكى يفتح له فرعا فى الاتحاد السوفيتى منذ عام ١٩٢٢ • كما اتفقا على أن يقيم البلدان معهدا مشتركا فى فيينا لاجراء الدراسات حول المجتمعات الصناعية باسم « المعهد الدولى للدراسات التطبيقية » لدراسة مشاكل السكان والبيئة وتلوث الطبيعة •

وقد أعلن وزير التجارة الامريكى فى نوفمبر الماضى « ان واشنطن تبحث ابرام صفقة تجارية ضخمة مع موسكو لشراء الغاز الطبيعى السوفيتى والاشتراك فى استغلال موارده الضخمة فى سيبيريا » • وتقول التقديرات الامريكية أن هذه الصفقة — اذا أبرمت — ستصبح « أضخم اتفاق تجارى فى التاريخ » • اذ أن قيمة ذلك الاتفاق وفقا للتقديرات الامريكية ستصل الى ٤٥ الف مليون دولار •

■ الصين — الولايات المتحدة الامريكية

قام الرئيس الامريكى نيكسون بزيارة الصين فى فبراير ١٩٧٢ وأجرى محادثات مع الزعماء الصينيين • وهى أول لقاء قمة أمريكى — صينى منذ قيام جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ ، وبرغم عدم وجود أى تمثيل دبلوماسى متبادل • وقد صدر فى أعقاب الزيارة بيان مشترك •

وفى المجال السياسى : تم الاتفاق — كما جاء فى البيان — على أن تعمل أمريكا والصين من أجل تبادل علاقات طبيعية بينهما وعلى سياسة للتعايش السلمى • وأكدت أمريكا أن هدفها الاخير فى آسيا هو سحب كل القوات الامريكية فى جنوب شرقى آسيا بما فى ذلك تايوان (فرموزا) • ودعا البيان الى تسوية مشكلة تايوان تسوية تامة بواسطة الصينيين انفسهم . واتفقا على اجراء اتصالات دورية بمختلف الوسائل وتوسيع التبادل التجارى بصفة مطردة •

وفى المجال العلمى : تعهد كل من الجانبين بأن يسهل تنمية الاتصالات والمبادلات فى مجالات العلم والتكنولوجيا والثقافة والرياضة والصحافة بما يحقق المنفعة المتبادلة للبلدين •

وفى المجال الاقتصادى : وافقت الحكومة الامريكية فى مارس ١٩٧٢ على عقد أول صفقة تجارية كبيرة بين الولايات المتحدة والصين ، وذلك باصدار اذن تصدير قيمته ٢٢٨ مليون دولار لبيع المحطة الارضية الخاصة بمتابعة الاقمار الصناعية التى أقامتها احدى الشركات الامريكية فى الصين لتغطية زيارة نيكسون لبكين ، كما عقد رجال الاعمال الامريكيين الذين حضروا معرض الربيع التجارى الصينى (مارس ١٩٧٢) ، صفقات عديدة مع الصين لشراء سلع مثل السجاد والادوية والتحف الفنية • كما طلبت الصين من شركة « بوينج » الامريكية شراء طائرات « جامبو ٧٤٧ » الضخمة و١٠ طائرات « بوينج ٧٠٧ » بمبلغ ١٥٠ مليون دولار •

كذلك عقدت وكالة أنباء الصين الجديدة اتفاقيات تبادل مع وكالتى اليونايتدبريس والاسوشيتدبريس الامريكيتين •

■ الاتحاد السوفيتى — اليابان

قام اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتية بزيارة اليابان فى يناير ١٩٧٢ • ومن الجدير بالذكر أن هذه الزيارة كان محددا لها أن تتم فى ١٩٦٨ الا انها لم تتم الا فى يناير ١٩٧٢ • وتم الاتفاق خلال الزيارة على اجراء مفاوضات بين البلدين تؤدى الى توقيع معاهدة صلح بينهما ، وهى المعاهدة التى ظل يتعثر توقيعها منذ الحرب العالمية الثانية بسبب مشكلة الجزر الاربع التى احتلها الاتحاد السوفيتى خلال الحرب •

وفى أواخر اكتوبر ١٩٧٢ ، اتفق الاتحاد السوفيتى مع اليابان على أن تشترك الاخيرة مع أمريكا فى تنمية موارد الغاز الطبيعى فى « ياكوتسك » بشرق سيبيريا • كما تم الاتفاق على مشروعات اقتصادية ستقوم بمقتضاها اليابان بمد أنابيب بترول لنقل وتكرير البترول الخام من الاتحاد السوفيتى •

■ الصين ـ اليابان

بعد نجاح كاكوى تاناكا فى تولى رئاسة الحكومة فى اليابان ، قام بزيارة الصين ، لاعادة العلاقات بين البلدين « الى حالتها الطبيعية » على حد تعبيره . وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٢ اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين على أساس اعتراف اليابان بحكومة بكين باعتبارها الحكومة الوحيدة التى تمثل الشعب الصينى وبتايوان كجزء من أراضى الصين . وقامت اليابان بالغاء معاهدة الصلح بينها وبين فورموزا . وجاء فى البيان المشترك للزيارة أنهما قد اتفقا « على اجراء مفاوضات تستهدف توقيع معاهدة سلام وصداقة بين البلدين » .

وتم الاتفاق ـ خلال الزيارة ـ على اجراء مفاوضات لعقد اتفاقيات فى مجال التجارة والملاحة والطيران والصيد والمواصلات والارصاد . وفى أغسطس ١٩٧٢ ، اقترحت بعثة تجارية يابانية زارت الصين ، مقايضة البترول الخام الصينى الذى يحتوى على نسبة منخفضة من الكبريتات بالبترول اليابانى والكيروسين ، وتقديم تسهيلات فى الدفع من جانب اليابان بالنسبة لصادرات الصلب وعدد آخر من البضائع .

■ ألمانيا الديمقراطية ـ ألمانيا الاتحادية

فى نوفمبر ١٩٧٢ ، وقعت جمهورية ألمانيا الديمقراطية وجمهورية ألمانيا الاتحادية ، معاهدة تنظم أسس العلاقات بينهما . وتقضى المعاهدة بأن تقيم الجمهوريتان علاقات حسن جوار طيبة على أساس تكافؤ حقوق كل منهما ، وعلى هدى مبادىء ميثاق الامم المتحدة وخاصة فيما يتعلق بالمساواة فى السيادة بين الدول واحترام الاستقلال والسلامة الاقليمية وحق تقرير المصير وحماية حقوق الانسان وعدم التمييز ، وتسوية المنازعات بينهما بالوسائل السلمية وحدها ، والامتناع عن التهديد بالقوة أو استخدامها .

وقد أكدت المعاهدة عدم قابلية الحدود القائمة بينهما للانتهاك الان أو مستقبلا ، وتعهدهما بالاحترام الكامل للسلامة الاقليمية لكل منهما ، كما نصت أيضا على أنه « لا يحق لاى من الدولتين تمثيل الاخرى فى الشئون الدولية أو التصرف نيابة عنها » .

والجدير بالذكر أن الدول الاربع (أمريكا ـ بريطانيا ـ فرنسا ـ الاتحاد السوفيتى) ، كانت قد عقدت « اتفاقية برلين الغربية » التى تعد خطوة هامة نحو الاعتراف بالحقائق السياسية التى قامت فى وسط أوربا . فقد أقرت هذه الاتفاقية لاول مرة بان كلا من جمهورية ألمانيا الديمقراطية وجمهورية المانيا الاتحادية شخصيتان خاضعتان للقانون الدولى . كما أقرت أن برلين الغربية ليست جزءا من جمهورية ألمانيا الاتحادية ولا يمكن أن تحكم بواسطتها ، وان « وجود » المانيا الاتحادية فى برلين الغربية يجب تخفيضه .

■ الاتحـــاد السوفيتى

بولندا ـ ألمانيا الاتحادية

تم توقيع معاهدتى عدم الاعتداء بين ألمانيا الاتحادية وبولندا ثم بين المانيا الاتحادية والاتحاد السوفيتى . وفيهما اعترفت المانيا الاتحادية بالحدود القائمة فى أوربا حاليا وبخاصة حدود الاودر ـ نيس التى تفصل بين المانيا الديمقراطية وبولندا .

■ كوريا الديمقراطية ـ كوريا الجنوبية

فى يوليو ١٩٧٢ اصدرت جمهورية كوريا الديمقراطية وجمهورية كوريا الجنوبية ، اعلانا مشتركا ، اتفقا فيه على مبادىء اعادة توحيد البلاد « عن طريق جهود الكوريين أنفسهم ، بمنأى عن أى تأثير خارجى ، وبطرق سلمية ، وليس عن طريق استخدام القوة » . وقررا فيه أيضا « التعاون بطريقة عملية من أجل انجاح المباحثات الثنائية التى تجرى فى اطار الصليب الاحمر » . واتفقا على « اقامة خط تليفونى مباشر بين سيول وبيونج يانج ، من أجل تجنب وقوع أى اشتباك عسكرى ، ولكى يتم بسرعة وفاعلية وبطريق مباشر ، حل كل المشكلات التى قد تنشأ بين الشمال والجنوب » .

■ تايلاند ـ الفيليبين ـ أندونيسيا ـ الصين

قامت تايلاند بارسال مبعوث خاص الى بكين ، وسافر وفد برلمانى فلبينى الى بكين للالتقاء بشوان لاى . وأعلنت اندونيسيا استعدادها

لإعادة العلاقات الدبلوماسية التى قطعت مع الصين فى عام ١٩٦٧ ٠

■ الهند ـ باكستان ـ بنجلاديش

فى اوائل ديسمبر ١٩٧١ قامت الحرب بين الهند وباكستان ، فى أعقاب الاضطرابات التى شهدتها « باكستان الشرقية » على أثر قيام حكومة يحيى خان بحل رابطة عوامى ٠ وقد استسلمت القوات التابعة لحكومة باكستان أمام القوات الهندية ٠ وقد أدى ذلك الى سقوط حكومة يحيى خان وتولى ذو الفقار على بوتو السلطة ، وافرج عن الشيخ مجيب الرحمن ٠ وانتهى الامر باعلان جمهورية بنجالاديش التى اعترفت بها عدد من الدول ٠

وبرغم عدم اعتراف حكومة باكستان بالجمهورية الجديدة ، الا انها وقعت مع حكومة الهند « اتفاق سيملا » فى يوليو ١٩٧٢ ، الذى يعد خطوة هامة فى سبيل تسوية الموقف ككل والتمهيد لعودة العلاقات بين الهند وباكستان الى حالتها الطبيعية ٠

وجدير بالذكر أن حكومة باكستان قد أعلنت مؤخرا انسحاب باكستان من حلف جنوبى شرقى آسيا ٠

■ محادثات فيتنام

فى٢٦اكتوبر ١٩٧٢، اذاعتحكومة هانوىنص الاتفاق الذى توصلت اليه محادثات باريس بين وفد فيتنام الشمالية والوفد الامريكى برئاسة هنرى كسينجر ، وكان من المتفق عليه أن توقع أمريكا الاتفاق رسميا فى ٣١ اكتوبر ٠ الا أنها ماطلت بحجة اعتراض حكومة سايجون على الاتفاق ٠ وبعد انتخابات الرئاسة الامريكية وفوز نيكسون فيها ، عادت أمريكا تطالب بمحادثات جديدة لادخال بعض التغييرات على نص الاتفاق الذى أذيع ٠

وكانت هذه المحادثات قد بدأت فى باريس فى ابريل من عام ١٩٦٨ عندما اقترح الرئيس الامريكى جونسون (فى ٣١ مارس) وقفا جزئيا لقصف فيتنام الشمالية وبدء محادثات سلام تمهيدية مع حكومة هانوى التى قبلت ذلك فى ابريل ٠ وفى ١٥ يناير ١٩٦٩ اتفق على مواصلة المفاوضات بين ٤ أطراف باشتراك حكومة فيتنام الجنوبية ووفد الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية ٠

وقد استمرت هذه المفاوضات بعد تولى نيكسون الحكم (١٩٦٩) وتقدم بعدة مقترحات بينما تقدمت هانوى وحكومة الثوار بعدة مقترحات أخرى ٠

وتفيد الانباء ـ عند كتابة هذا الرصد ـ أن محادثات باريس قد تعثرت أمام ما قدمه الجانب الامريكى من شروط ومعارضة الجانب الفيتنامى ٠ مما دفع أمريكا الى تصعيد الاعمال العسكرية بشكل عنيف ضد فيتنام الشمالية وفى الجنوب ٠

■ تأميم البترول فى العراق

فى أول يونيو ١٩٧٢ قررت حكومة العراق تأميم ممتلكات شركة نفط العراق ٠ وتعتبر هذه الشركة من اكبر الاحتكارات الغربية التى تقوم باستغلال البترول فى الشرق الاوسط ٠ ويشارك فيها رأس المال الانجليزى الهولندى بنسبة ٤٧٫٥ فى المائة من الاسهم ، وتمتلك كل من أمريكا وفرنسا نسبة ٢٣٫٧٥ فى المائة من الاسهم ٠ وقد نص قرار التاميم على استعداد حكومة العراق للتفاوض مع الجانب الفرنسى ، مراعاة لموقف فرنسا من القضايا العربية ٠ وتم التوصل فعلا الى صيغة للتعاون يتعهد بمقتضاها العراق أن يبيع لفرنسا ولمدة ١٠ سنوات كمية تعادل ٢٣٫٧٥ فى المائة من انتاج الشركة المؤممة وتعهدت فرنسا بتقديم معونة اقتصادية للعراق مقابل تشجيع المشروعات الفرنسية على مواصلة عملها فى العراق ٠

وجدير بالذكر أن حكومة سوريا قد اتخذت فى نفس الوقت قرارا بتأميم ممتلكات شركة نفط العراق فى سوريا ، كما قررت المحافظة على نصيب الشركة الفرنسية فى الشركة المؤممة والذى يتمثل فى ثلاث خطوط رئيسية للانابيب وثلاث محطات للضخ بالاراضى السورية وذلك تقديرا لموقف فرنسا من القضايا العربية ٠

■ شيلى : الاشتراكية عن طريق البرلمان

فاز سلفادور الليندى مرشح « جبهة الوحدة الشعبية » فى انتخابات الرئاسة فى

سبتمبر ١٩٧٠ . وقد فسر المراقبون هذه النتيجة بأنها تعبير عن سقوط « الاصلاحية البورجوازية » التى حاولها الرئيس السابق ادوارد فراى . وقد شكل الرئيس الليندى الحكومة على أساس تمثيل أحزاب جبهة الوحدة الشعبية التى تمكنت من حشد وتنظيم الجماهير فى شيلى الى حد انها تمكنت أن تمنع قيام انقلاب عسكرى فى البلاد .
وينظر كثير من المراقبين الى تجربة نجاح الجبهة الشعبية فى تولى السلطة عن طريق الانتخابات ، باعتبار انها تفتح آفاقا رحبة لتجربة الثورة فى أمريكا اللاتينية وغيرها من دول العالم النامى .

■ بريطانيا .. والسوق الاوربية المشتركة

فى ٢٢ يناير وقع زعماء ١٠ دول فى أوروبا الغربية اتفاق انضمام بريطانيا والدنمارك والنرويج وايرلندا « الجنوبية — الى معاهدة السوق الاوربية المشتركة . وهى خطوة وصفتها وكالات الانباء بأنها قفزة كبيرة نحو تحقيق هدف الوحدة الاوربية ونحو قيام عملاق اقتصادى يضم ٢٥٥ مليون نسمة . وسيصبح اتفاق انضمام بريطانيا والدول الثلاث الاخرى الى مجموعة « الدول الست » نافذة المفعول اعتبارا من أول يناير عام ١٩٧٣ .

وفى نيويورك صرحت المصادر الاقتصادية الامريكية بأن انضمام بريطانيا رسميا الى السوق المشتركة ، ستكون له آثار على الولايات المتحدة « اسوأ بكثير » مما كان متوقعا من قبل . فقد كان مقدرا ان التجارة الخارجية الامريكية ستخسر نتيجة لذلك ١٠٠ مليون دولار سنويا ، الا أنه اتضح ان الخسارة ستصل الى مايقرب من ١٠٠٠ مليون دولار سنويا . ويقول المراقبون السياسيون ان بريطانيا بذلك ، تنهى « العلاقة الخاصة » بأمركا لتتجه الى أوربا .

وجدير بالذكر أن مجلس العموم البريطانى قد صدق — بعد مناقشات حادة — على اتفاق الانضمام فى ١٧ فبراير ١٩٧٢ ، بعد أن هدد ادوارد هيث رئيس الوزراء بالاستقالة ما لم يصدق المجلس على الاتفاقية .

ومعروف ان الشعب النرويجى قد اعترض فى الاستفتاء على انضمام بلاده الى السوق .

■ محادثات تمهيدية لمؤتمر الامن الاوربى

بدأت فى ٢٢ نوفمبر ١٩٧٢ وعلى مستوى السفراء ، المحادثات التمهيدية لمؤتمر الامن والتعاون الاوروبى المقترح عقده فى يونيو ١٩٧٣ ، ويشترك فى هذه المحادثات ممثلو ٣٤ دولة من ٣٥ دولة وجهت اليها الدعوة وهى دول أوربا الشرقية والغربية بالاضافة الى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وكندا ، وقد رفضت البانيا الدعوة للحضور .

وقد وافقت الدول المشتركة فى المحادثات ، بالاجماع على أن المشاورات التى تجرى فى هلسنكى ، « تدور خارج نطاق الاحلاف العسكرية » .

■ بيرون يعود من المنفى

وصل الى الارجنتين فى ١٧ نوفمبر ١٩٧٢ الرئيس السابق جوان بيرون ، لاول مرة منذ أن غادر البلاد الى المنفى بعد وقوع انقلاب الجيش ضده فى ١٩٥٥ . وقد استقبل بيرون عند عودته وبعدها استقبالا حماسيا ضخما من الجماهير فى البلاد .

وبرغم كل اعمال الحراسة ، وما أذيع عن تحديد اقامته ، الا انه اقام عدد من الاتصالات السياسية بأنصاره الذين حركوا عددا من المظاهرات تأييدا له ، وبالقوى السياسية الاخرى بهدف « تنسيق الجهود فى الانتخابات العامة المقرر اجراؤها فى مارس ١٩٧٣ لاقامة حكومة مدنية فى البلاد وذلك لاول مرة منذ ٧ سنوات — . وقد أعلن بيرون التوصل الى اتفاق بين الاحزاب السياسية حول هذا الشأن .

وتتجه الاحداث الى قيام أنصار بيرون والاحزاب التى اتمت ذلك الاتفاق ، الى الضغط على الحكومة من أجل الغاء التعديل الدستورى والقانون الانتخابى الجديد الذى يحول دون ترشيح بيرون للرئاسة والغاء حالة الطوارىء .

لغـــة العصـــر الجـــديد

غالى شكرى

ليست هناك « لغة » محايدة ، سوى لغة المعـــادلات الرياضية فى العلوم الطبيعية · أما لغة العلوم الانسانية، وفى مقدمتها الفكر السياسى ، فلا يمكن أيا كانت درجة موضوعيتها ، الا أن تنحاز هذه الناحية أو تلك وفقا لوجهة النظر السياسية التى يتبناها الكاتب أو المفكر · بل ان اللغة فى هذا الميدان على وجه الخصوص قد امست سلاحا ايديولوجيا ، سواء باكساب اللفظ مدلولا جديدا أو باستخدامه فى السياق على نحو مغاير لما درج عليه الاستخدام العام ، أو بترسيخ الاخطـــاء الشائعة واعتبارها قاموسا شعبيا الى غير ذلك من « تحايلات » تختلف درجة المهارة من كاتب الى آخر فى اللجوء اليها · من المفارقات الشائعة مثلا فى بلادنا منذ ثورة ١٩١٩ أن تسمى وحـدة المصريين ـ اقباطا ومسلمين ـ بوحدة « عنصرى » الامة مع اننا نحن المصريين عنصر واحد ، وان تعددت الاديان . فى هذا التعبير الخاطىء تكريس للعنصرية بالرغم من أن الهدف من استعماله هو التوكيد على الوحدة الوطنية · كذلك كان يقال ـ وما زال البعـض يقـــول ـ أن فى المنطقـــة العربية « وجودا سوفيتيا » ، والتعبير على هـــذا النحو مجرد من الوظيفـة السيـاسية لمـا يسمى « بالتواجد » وهى الوظيفة التى تفرض علينا استبدال هذه الكلمة بـأخرى ـ هى « الدعم » السوفيتى . ان الجنوح بالالفاظ نحو « التجريد » هو الذى يفرغها شكلا ـ من المضمون الاجتماعى والسياسى ، ولكنها فى « حقيقتها » تحمل مضمونا واضحا وموقفا محددا من القضية المطروحة ·

وقـد تساوق التطـور اللغـوى الحـديث مع « المتغيرات » المحسوسة فى مجالات الصناعة والاقتصاد والسياسة ، بحيث انعكست هـذه المتغيرات على « لغة » العصر فى أدوات صياغتها وطرق استعمالها حتى يرتفع **الاتصال** بين البشر الى مستوى التطور المادى المحسوس فى حياتهم · وهكذا كانت السينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون من الاشكال الرئيسية التى نقلت اللغة من عصر الى عصر . ولكن الكلمة المكتوبة فى الصحيفة والكتاب تظل أبرز هذه الاشكال من حيث درجة تأثيرها وقدرتها على تعميق المعنى والابقاء عليه فى العقل والوجدان .

وسوف أعرض هنا لمجموعة من التعبيـرات المتداولة فى الكتابات العربية المعاصرة خـلال الفترة الاخيرة ، ومنها نستكشف المعانى السياسية التى ترمى هذه الكتابات الى شيوعها وسـط الجماهير وتسويدها بين الكثرة القارئة بهدف اتخاذ « المواقف » السياسية التى توحى بها رغم التجريد والتعميم والغموض الذى تغلف به الالفاظ أحيانا كثيرة · وسوف أقتصر هنا على التعبيرات التى تجسد مفاهيم بعض الكتاب والصـحفيين عن « العلاقات الدولية » وذلك لعدة أسباب : **أولها** أن هذه العلاقات هى المؤشر الجوهرى لما طرأ على

عالمنا الراهن من متغيرات ، وثانيها أن هـذه العلاقات تنعكس على اوضاعنا العربية والمحلية بصورة أو بأخرى ، وثانيها ان هذه العلاقات قد عثرت على معادلاتها اللغوية فى صحافة الغرب ، ومؤلفات كتابه قبل أن يتم نقلها وتروج بين الاقلام العربية .

لعل تعبير « القوتان الاعظم » أو « الدولتـان الاعظم » من أكثر التعبيرات لمعانا وجذبا للانتباه ، فهى تعطى انطباعا بالتساوى فى النظـرة الى المعسكرين الرئيسيين فى عالم اليوم . وكلنا يذكرانه غداة انتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية دخل المعجم السياسى الدولى فى العـالم الراسمالى تعبير « الدول العظمى » ، ولكن الدولة الوحيدة التى الحقت صفة « العظمة » باسمها الرسمى قبل هذا التاريخ هى « بريطانيا » الامبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس . ولكن الولايات المتحدة الامريكية التى لم تضف الى اسمها الرسمى أية القاب « عظيمة » كانت المصدر الاول لشيوع هذا التعبير The Two Super Powers كما يدلنا على ذلك بحث عنوانه The Dynamics Of International Politics للـكاتبين الامـريكيين « ن بادل فـورد » و « ج . لنكولن » (١٩٦٧ ـ نيويورك) فتاريخ كلمة « العظمى » أو « الكبرى » مقترن سياسيا بحجم « السيطرة » الاستعمارية لاحدى الدول . وحين أضـفت أجهـزة الدعـاية الامـريكية صفة « العظمة » على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، انما كانت تقصد الى تـرسيخ فكرة « التسوية » بينها وبين نقيضها ، وخاصة أمام الشعوب المقهورة التى تحاول فك قيود الاسر الاستعمارى القديم أو الجديد . ولم تكن أجهزة الدعاية الامريكية ، وهى تطلق هذا التعبير تنطلق من فراغ . كان الاتحاد السوفيتى قد انجز بالفعل ما يشبه المعجزات فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية . وكان عنصرا حيـويا خطيرا فى تحرير شرق أوروبا من جحافل النازى والاسس الرأسمالية معا ، كما كان ولا يزال ظهيرا قويا لحركة التحرر الوطنى فيما يسمى بالعالم الثالث . ان حجم الدور السوفيتى فى تاريخ البشرية المعاصرة كبير حقا . ومن هذه « الحقيقة » بدأت الدعاية الامريكية لعبتها اللفظية بتفريغ هذه الحقيقة من محتواها السياسى والاجتمـاعى والايديولوجى ، واضفاء صفة « العظمة » على كل من أمريكا والاتحاد السوفيتى ، وكأن لافرق هناك بين عظمة الدولة الاشتراكية الاولى وعظمة الدولة الاستعمارية الاولى .

غير أن دهاء الاجهزة الامريكية لم يتوقف عند حدود التسوية المفتعلة بين البلدين النقيضين ، وانما كانت « العظمة » بمدلولها التاريخى قـد اكسبت التعبير مع التداول صفة « الوصاية » على الدول غير العظمى . ومن اليسير طبعا البرهنة على أن « تقسيم العالم الى مناطق للنفوذ » قد تم غداة الحرب الثانية ، بالمؤتمرات التى تمت حينذاك بين الاتحاد السوفيتى من جانب وبريطانيا وأمريكا وفرنسا من جانب آخر . ان تقسيم العالم الى مناطق للنفوذ كان منهجا حقيقيا بيـن الدول الاستعمارية وبعضها البعض بعد كل حرب ، لان طبيعة نظامها الاقتصادى يحتم على كل منهـا الاستئثار بالمناطق التى أخضعتها عسكريا والتى حددت أسوار « سوقها » داخلها . أما الاتحـاد السوفيتى ، فبطبيعة بنائه الاشتراكى ، لا علاقة له بمناطق النفوذ فى اطار هذا المعنى ، وانما له علاقة وثيقة بعلاقات القوى الدولية كطرف أصيل فيها . ولانه الطرف النقيض من القوى الاستعمارية ، فهو لا يستأثر اقتصاديا بسوق من الاسواق (والتى تدعى سياسيا بمناطق النفوذ) وانما هو يسهم فى تحرير هذه الاسواق من القبضة الاستعمارية ، وهو بالتالى حين يدعى الى مؤتمرات ما بعد الحرب ، فان الدعوة لا توجه اليه (بمناسبة تقسيم العالم) وانما لصياغة علاقات القوى الجديدة صياغة دولية تعترف بما طرأ على العالم من تغيرات شارك هو فى صنعها بالمال والفكر والدم . والولايات المتحدة نفسها لا تحترم المواثيق الدولية اذا اختلت علاقات القوى لصالحها ، فهى حين رأت نفسها بديلا استعماريا جـديدا يحـل مـكان الامبراطوريات الاوروبية الغاربة ، لم تتوان فى تعديل مناطق النفوذ الاستعمارية تعديلا يتفـق ومصالحها وبالاساليب التى تروق روح العصر كالانقلابات العسكرية الداخلية ، أو ربط الموارد الوطنية باحتكاراتها دون الحاجة الى جيوشها الى غيرذلك من وسائل مخابراتها المركزية واجهزة أمنها القومى ومؤسساتها الديماجوجية . والاتحـاد السوفيتى على النقيض من ذلك ، لان نظـامه الاجتماعى يرفض من داخله فكرة مناطق النفوذ الرأسمالية والاستعمارية ، ولكنه لا يتوانى فى الحفاظ على علاقات القوى وتطويرها لمصـلحة الاشتراكية . هكذا لم تكن حركة تشيكوسلوفاكيا ابقاء على احدى مناطق النفوذ ، وانما كانت دفاعا ـ مهما كان لدينا من تحفظات على أسلوب هذا الدفاع ـ من تحول تشيكوسلوفاكيا الى منطقة للنفوذ . بل ان الاتحاد السوفيتى يشارك عمليا فى تحرير العالم من مناطق النفوذ المتبقية على ظهر

هذا الكوكب بما يقدمه من عرق الشعب السوفيتي ليل نهار للبلدان المستقلة حديثا ، أو الاقطار التى لاتزال تعانى من النفوذ الإستعمارى . وهو لا يتلقى بمشاركته هـذه اى نوع من انواع الربح الشخصى ، الا اذا اعتبرنا التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى للشعوب المقهورة ربحا شخصيا .

والقيادات الوطنية للاقطار التى يساعدها الاتحاد السوفيتى على تحرير نفسها من قبضة النفوذ الاستعمارية تعترف فى كافة البيانات والوثائق الرسمية أن الاتحاد السوفيتى لم يمارس عليها ضغطا سياسيا فى يوم من الايام يمكن أنتشم فيه رائحة الوصايه . والوقائع تكفينا عناء التدليل على صحة ما نراه فىعلاقة هذه القيادات الوطنية بالحركات الاشتراكية العلمية فوق أراضيها ، فبالرغم من ان الماركسية هى المنهج الذى يسير الاتحاد السوفيتى على هداه ، وتشترك معه فى هذا المنهج بعض الحركات الاشتراكية المحلية ، الا أن أشكال الاضطهاد والقهر المروع الذى تعرضت له ، لم يؤثر على طبيعة التحالف بين الاتحاد السوفيتى والقيادات البرجوازية للتحرر الوطنى . ليست هناك وصاية اذن من جانب الاتحاد السوفيتى ، بينما الوصاية الامريكية على الانظمة التابعة لا تحتاج الى براهين أكثر من نظرة عميقة على ما يدور فى بلاد قريبة كتركيا وايرانواليونان ، أو بلاد مزيفة كاسرائيل وروديسيا وجنوب افريقيا ، أو بلاد بعيدة كفيتنام الجنوبية وكمبوديا الراهنة وبعض دول أمريكا اللاتينية . ان أوروبا نفسها تحاول التملص من قبضة النفوذ الامريكى ، وان كانت طبيعة النظام الرأسمالى تفرض على السمك الكبير أن يأكل السمك الصغير مادام منطق العلاقات الاجتماعية بينهما مشتركا واحدا .

اذا كانت **القوتان الاعظم** اكثر التعبيرات لمعانا ابان الفترة الاخيرة فى بعض الكتابات العربية ، فانه أيضا كان **التعبير الام** لبعض الكلمات والالفاظ والشعارات الوافدة على الفكر السياسى العربى الحديث ، ككلمة « التقارب » ثـم « الوفاق » وتعبير « التوازن النووى » ثم « التوازن الدولى» . وربما كان« **التوازن النووى** » هو اكثر هذه التعبيرات براءة واكثرها شيوعا ، فاى معهد للاستراتيجية العسكرية فى الغرب ، يمكن أن يمدك بقائمة الاسلحة النووية فى الشرق الاشتراكى ، ومثيلاتها فى الغرب الرأسمالى ، وسـوف تغمض عينيك بعد قراءتها على هذه « الحقيقة » وهى أن حربا عالمية ثالثة لن تقع لان المعسكرين متوازنان نوويا . وبراءة التعبير تحمل فى تضاعيفها كل امارات الخطر ، لان أصحاب التعبير يقصدون من ورائه امرين ، اولهما الاستقرار على ان القـوة العسكرية ـ التى بلغت ذراها فـى السلاح النووى ـ هى العـامل الحـاسم ، ان لم يـكن الوحيد ، فى توازن أو خلل علاقات القـوى الدولية . والامر الثانى هو تجـريد « القوة النووية » من أية وظيفة غير عسـكرية . وكلا المعنيين خطير . ذلك أن التوازن أصلا غير قائم فى علاقات القوى ، لا على الصعيد الدولى ،ولاعلى الصعيد الوطنى . ان قيام حدود دنيا للتعامل بين البشر لا يعنى توازنا ، فالصراع مهما اختلفت مظاهره وتشكلت هو قانون الحياة الابـدى . والتناقض الرئيسى فى عالمنا لا يزال بين الاشتراكية والرأسمالية ، وبالتالى بين حركات التحرر الوطنى والاستعمار . والعصر الذى بدأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية هو عصر انتصار الاشـتراكية وحركات التحرر الوطنى علـى الرأسـمالية والاستعمار . وبالرغم من كل موجات الجـزر والانتكاس والهزائم ، فاننا نعيش بالفعل التفاصيل المعقدة لانهيار النظام الاستعمارى . ليس هناك من « توازن » حتى بمعناه « النووى » لان القوة العسكرية المجردة ليست هى العامل الحاسم فى علاقات القوى الدولية ، فمسيرة « التقدم » اعقد من أن يكون السلاح العسكرى هو رمز نضالها . ومن هنا كانت قوائم معاهد الاسـتراتيجية العسكرية بالاسلحة التى يملكها كل معسكر مضللة رغم ما يمكن أن تكون عليه من صحة الارقام . ان حيازة السلاح والتفوق والمهارة فى استخدامه من العوامل الهامة بغير شك ، ولكنه ليس العامل الوحيد ولا العامل الحاسم فى علاقات القوى الدولية .. وانما هنـاك « النظام الاقتصـادى والاجتماعى » فى كل من المعسكرين ، وفى بقية بلدان العالم ، معدلات تقدمـه هنـا وهنـاك ، والتفاصيل الدقيقة لمشكلات التنمية التى تواجه هؤلاء وأولئك ، الى غير ذلك مما يجعل **لحركة الشعوب** ، واختياراتها المقام الاول فى عملية الصراع ـ لاالتوازن ـ الدائر اليوم . وهذا يجرنا الى ما دعوته بتجريد اللفظ من محتـواه . او اقتصاره على المعنى العسكرى . ان « القـوة النووية » لا تنتج سلاحا فقط ، وانما هى تشارك فى كثير من عمليات الانتاج . ومن هنا فوظيفة القوة النووية فى أمريكا مختلفة عنها فى الاتحاد السوفيتى ، رغم اشتراكهما فى انتاج السلاح . بل ان هذا الفرع نفسه من فروع الانتاج يختلف محتواه كيفيا بين البلدين ، فاحتكارات تصنيع

وتسويق السلاح الامريكى ، بطبيعة النظام الرأسمالى للولايات المتحدة ، هى كتيبة الصدام الاول ضد الشعوب ، هى لذلك « صاحبة المصلحة الاولى » فى شن الحروب العدوانية . أما السلاح السوفيتى فهو اداة دفاع وتحرير ، دفاع عن الاشتراكية ، وتحرير للأوطان المتهورة ، ذلك أن النظام الاجتماعى للاتحاد السوفيتى لا يعرف أصلا الاحتكارات التى تحتاج الى التسويق ، وانما يعرف التخطيط لبنائه الاجتماعى وتقدم شعوبه والمساهمة فى بناء الاقطار التى تركها الاستعمار أنقاضا وتحرير الشعوب التى لا تزال فى قبضة نفوذه . ولان مهمة السلاح السوفيتى محصورة فى هذه الحدود التى تغاير رأسا على عقب حدود الاحتكارات المجنونة بفتح الاسواق ، فان « القوة النووية » بالاتحاد السوفيتى لا تقتصر على انتاج السلاح ، ولا يتم توظيفها لاشباع احتياجات الصفوة الطبقية ، وأحيانا الصفوة الطفيلية على الانتاج . وانما التخطيط لبناء المجتمع وفق الاحتياجات الموضوعية للتقدم التاريخى الشامل لمجموع الشعب ، هو الذى يتجه بالقوة النووية - وغيرها من القوى - فى الاتحاد السوفيتى اتجاها نقيضا لهذه القوة فى الولايات المتحدة . ومن ثم فنتائج الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لهذه القوة فى الاتحاد السوفيتى تختلف عنها فى أمريكا بحيث لا يمكن ان يقال - موضوعيا - بتوازن نووى بينهما . ذلك أن ما حققته القوة النووية السوفيتية ومعدلات هذا التحقيق ونوعيته تتفوق أهميتها التاريخية بالنسبة للمجتمع السوفيتى والعالم الاشتراكى والانظمة الوطنية ، على أهمية الانجاز النووى الامريكى .

وكما أن « التوازن النووى » مقولة غير صحيحة رغم القوائم الصحيحة لمعاهد الاستراتيجية العسكرية ، فان « التوازن الدولى » هو الاخر تعبير لا يقل خطأ رغم البيانات الاحصائية التى يمكن أن تمدنا بها اليونسكو ، بل وما نشاهده هذه الايام بعيوننا ونسمعه بآذاننا من الاتفاقيات السياسية والاقتصادية التى تبرم بين الشرق والغرب . اذا كانت الحركة الاجتماعية لا تعرف « الجمود » ، فان علاقات الدول بعضها ببعض هى مرآة الحركة الاجتماعية على نطاق العالم . ان الفكرة الخبيثة فى ثنايا تعبير « التوازن الدولى » هى أن « النظام الدولى » الراهن ، أصبح عاملا حاسما فى توجيه الشئون الوطنية للدول « الصغيرة » . أى أن العنصر « المحلى » لم يعد ذا قيمة كبيرة وبخاصة فى أمور الحرب والسلام . بهذه الفكرة نعلق آمالنا على احد طرفى التوازن الدولى من ناحية ، وعلى ضوئها نكاد نصل الى شاطىء اليأس ما دامت الدولتان اللتان يملكان وحدهما مقاليد الامور متوازنتين . وهى دعوة للاستسلام لجمود متوهم فى الحركة الاجتماعية الوطنية . انه جمود متوهم لان الحركة الاجتماعية داخل الوطن لن تتوقف ، وسيظل العنصر الوطنى المحلى عنصرا رئيسيا وحاسما فى توجيه حركة الاحداث . أما القوى الخارجية فستظل دوما فى مكانها الطبيعى : مجرد عامل مساعد . هذا من ناحية الفكرة الخبيثة فى ثنايا التعبير ، أما التعبير ذاته فبالغ الضلال ، لان « المتغيرات » التى طرأت على عصرنا لم تغير جوهر التناقض الرئيسى فى العالم ، وأكاد أقول أن ما يتم اليوم من « اجراءات » سياسية بين الشرق والغرب ليس أكثر من تتويج قانونى لنتائج الحرب العالمية الثانية التى كانت نهايتها هى البداية الحقيقية للعصر الجديد . وما يحدث الان ليس أكثر من تطوير ومرحلة فى بناء العصر . وبالتالى فليس صحيحا أن هناك توازنا بين القوتين المتصارعتين ، وانما هنا تصفية حسابات قديمة لعلاقات القوى الدولية التى لا تعرف التوازن ، بل تعرف التفوق المتزايد لقوى الاشتراكية والتحرر الوطنى . ومن العسير القول بأن هناك « نظاما دوليا » وانما هناك مجتمع دولى تتعدد أنظمته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، يجتمع عند حدود دنيا تمليها علاقات القوى المتغيرة كل لحظة . هكذا نرى فى قرارات الامم المتحدة وشكل « مجلس الامن » تعبيرا عن هذه الحدود من ناحية ، وتجسيدا لتقدم القوى الاشتراكية والوطنية يوما بعد يوم . ويبقى أن قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن ليست فيصلا فيما يجرى من أحداث فوق الارض التى صدرت من أجلها ، بل هى مجرد مؤشر لتطور « العامل المساعد » الدولى . ولهذا من الخطأ اتهام قرارات الامم المتحدةبالسلبية لانها لم توقف الحرب هنا ، ولم تنجز الاستقلال هناك ، لان أصحاب الحرب وقضية الاستقلال هم المسئولون أولا وأخيرا .

ومن كتاب المؤلف الامريكى « ن . سبايكمان » وعنوانه The geography of peace. الذى صدر عام ١٩٤٩ فى نيويورك نتعرف على جذور هذا التعبير « التوازن الدولى » الذى أفرخ فيما بعد عديدا من الالفاظ كالتقارب والوفاق . ولكن المؤلف الامريكى لم يكن قد أضاف الى كتابه ما

استجد من تعبيرات مثل « عصر الثورة التكنولوجيه » و « انتهاء عصر الايديولوجيات » ، ولكنه اكتفى باستخدام مناهج الجغرافيا السياسية فى تحليل العلاقات الدولية ·· ومن هنا أصبح العالم مكونا من دول كبيرة ودول صغيرة ، من دول متقدمة ودول متخلفة ، من دول غنية ودول فقيرة · وللوهلة الاولى يمكن القول بأن مناهج الجغرافيا السياسية لا تكذب ، فلا شك ان هناك دولا متقدمة وغنية وأخرى فقيرة ومتخلفة · ولكن هذه المناهج تكذب فعلا حين تضم تقدم الاتحاد السوفيتى مع تقدم الولايات المتحدة ، أو تضم تقدم شرق اوروبا معتقدم غربها ،وتقول هذه هى الدول المتقدمة الغنية وبقية العالم « الثالث » شىء آخر هو الفقر والتخلف . ومن الطريف أن هذه الفكرة الوافدة من المناهج اليمينية المتطرفة قد لقيت هوى من بعض الاقلام اليسارية المتطرفة · مرة أخرى لا تبدأ أجهزة الدعاية الامريكية من فراغ ، فتقدم الاتحاد السوفيتى وثراءه ليس موضع خلاف · ولكن الهدف من تقسيم العالم على هذا النحو « المبسط » يستهدف محو الخط الفاصل بين الاشتراكية والرأسمالية ، ويشرك النظامين المتضادين فى « نظرة واحدة » الى العالم الفقير المتخلف ·هذا على الرغم من أن طبيعة التقدم والثراء فى المجتمع الاشتراكى مختلف كيفيا عن طبيعة التقدم والثراء فى المجتمع الرأسمالى · واختلاف الطبيعة ـ الذى هو حصيلة أسلوب الانتاج وعلاقاته ـ ينعكس بالضرورة على وظيفة هذا التقدم والثراء . . فبينما يقوم التقدم الامريكى فى جانب من جوانبه على افقار الجماهير الواسعة لمصلحة القلة ، وفى جانب آخر على نهب ثروات الشعوب المتخلفة والفقيرة · يقوم التقدم السوفيتى ، لا على الاثراءوالافقار ، وانما على أساس تغيير العلاقات الاجتماعية نفسها من مستوى الاستغلال الى مستوى التكافؤ ، فالثراء يعم المجتمع بأسره بمعنى التقدم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى لا بمعنى الاثراء الرأسمالى · كذلك ينهض التقدم فى العالم الاشتراكى بدرء التخلف والفقر فيما يسمى بالعالم الثالث · وبالتالى فوظيفة التقدم السوفيتى ـ مثلا ـ تقف على الطرف النقيض من وظيفة التقدم الامريكى ، الاول يناضل الفقر والتخلف فى عقر دارهما،لانطبيعة النظامالاشتراكى ومصلحة الاشتراكية تقتضى ذلك ، أما الاخر فيفاقم التخلف ويغذى الفقر لان طبيعة النظام الاستعمارى ومصلحة الرأسمالية تقتضى ذلك . فهل نستطيع بعدئذ القول بأن الخط الفاصل ـ على ظهر الكرة الارضية ـ يقسم العالم بين دول غنية متقدمة وأخرى فقيرة متخلفة ، أم أن هذا الخط الفاصل هو بين الاشتراكية التى تنشد التقدم الاجتماعى لشعوب الدنيا قاطبة ، والرأسمالية التى تبغى التخلف والفقر لاوسع الجماهير ولحساب الصفوة ؟

ومن هنا نتساءل هل يمكن أن نستخدم ـ موضوعيا ـ لفظ « التقارب » أو « الوفاق » بين هذين الطرفين النقيضين ، تعبيرا عما يجرى بينهما من « اجراءات » سياسية واقتصادية ؟ قبل ان نجيب على هذا السؤال لابد أن نناقش التعبيرين الكبيرين « عصر الثورة التكنولوجية » و « انتهاء عصر الايديولوجيات » ، وكلاهما مقترن بالاخر ·· فلا ريب أن ثورة صناعية ثانية قد تم انجازها فيما يسمى بعلم « السبرنتيك » · وقد كان المفكرون الماركسيون أنفسهم من أوائل الذين اهتموا بانعكاسات هذه الثورة على أسلوب الانتاج وعلاقاته . وربما كانت كتابات « جارودى » الفرنسى من بواكير المحاولات الفكرية الماركسية فى هذا الصدد · وأيا كانت التحفظات التى يرصدها الكثيرون على النتائج التى توصل اليها هذا المفكر فانه لم يقل بأن هذه الثورة الالكترونية من شأنها أن تلغى نظام الاستغلال فى ظل الرأسمالية ، أو أنها تلغى الحاجة الى الاشتراكية كنظام اقتصادى واجتماعى · وانما كان أقصى ما حصل عليه جارودى من نتائج هى ان اسلوب الانتاج ـ توازيا مع هذه الثورة ـ يحتاج الى قدر اكبر من الديموقراطية فى ادارة المؤسسات والمصانع ، وأن علاقات الانتاج سوف يصيبها قدر من التغيير ، اذ عليها ان تستقبل ما يدعوه بالكتلة التاريخية الجديدة التى تضم الى الطبقة العاملة فئات المهندسين والفنيين · على أن هذا التغير الذى يطالب به جارودى ـ حتى تستوعب الاشتراكية منجزات العصر العلمية لمصلحة التقدم ـ لايؤدى مطلقا الى أن الثورة التكنولوجية تعقد قرانا سعيدا بين الاشتراكية والرأسمالية · أن الرأسمالية نفسها لم تغير جلدها ، ولكنها غيرت بالفعل من وسائل التكيف مع المنجزات الجديدة لاطالة عمرها · وعلى الاشتراكية آلا تتوانى عن احتواء هذه المنجزات لمصلحة تقدمها فى الصراع ضد الرأسمالية بالذات · وهكذا فالثورة التكنولوجية لا تنهى عصر الصراع الايديولوجى ، فأسبابه كامنة فى عمق الاعماق ، فى الجذرين النقيضين للنظامين ، وانما تنتقل هذه الثورة بهذا الصراع

الى مستوى جديد . بموجب هذه الثورة تزدهر الاشتراكية بالقطع وتستفيد الرأسمالية بغير شك ، ويحتل الصراع الايديولوجى — على غير ما يتصور البعض تماما — حيزا أكبر وأعمق وأكثر ضراوة ، لانه يحتل أمكنة « أشكال » أخرى للصراع كالحرب · ولان التقدم الذى تحرزه الاشتراكية بمساعدة الثورة التكنولوجية ليس تقدما تكنولوجيا مجردا ، وانما هو تقدم اجتماعى شامل يحمل فى طواياه تقدما ثقافيا · هذا التقدم الثقافى ينعكس بالضرورة على « السؤال والجواب » داخل المجتمع وخارجه · وبينما لا يتناقض البنساء الاشتراكى للمجتمع مع الثورة التكنولوجية بل ان هذه الثورة — على العكس — سوف تدعم هذا البناء وتطوره الى مرحلة أرقى ، فان تناقضات لا حصر لها تتوالد فى احشاء البناء البرجوازى — رغم استفادته من الثورة التكنولوجية — تنعكس بدورها على مرآة الفكر والثقافة البرجوازية التى أمست فى مأزق حقيقى وأزمة ضارية تتجسد فى الحلقة المفرغة من «الاسئلة دون اجوبة» . وهكذا يصبح الصراع الفكرى — مرة أخرى على نقيض ما يتصور البعض — كتيبة الصدام الاولى بين النظامين . انه يعكس بطبيعة الحال تناقضا حادا بين التطور الاقتصادى والاجتماعى على الشاطئين المتقابلين ، ولكن الجبهة الايديولوجية ستظل أسخن الجبهات فى المواجهة الشاملة ·

ان القول بأن الثورة التكنولوجية قد قاربت بين النظامين العالميين ، وأنها تحل تدريجيا مكان الصراع الايديولوجى بينهما هو محاولة للفرار من وطأة هذا الصراع الذى يعلن عن نفسه كل لحظة ، سواء على النطاق المحلى ، أو على الصعيد العالمى . وربما كانت حركات الطلبة والشباب هى العالم الغربى من أكثر الظواهر تدليلا على ضراوة الصراع ، وربما للفكر البرجوازى الذى رأى الحل السحرى فى تمويه الخطوط الفاصلة بين النظامين · ان هذا « الفكر » يعبر عن نفسه أحيانا من داخل البرجوازية نفسها ، ومن أقصى يمينها كما نلاحظ على آراء شرايبر الفرنسى فى كتابه « التحدى الامريكى » ويأتينا أحيانا أخرى من داخل الماركسية بهدف تشويهها ، كما نلاحظ على كتابات مركيوز التى يلغى فيها الدور التاريخى للطبقة العاملة ويحل مكانها الطلبة والشباب · على أية حال ، فالصراع الفكرى يحتدم اليوم أكثر من أى وقت مضى · وبالتالى فان استخدام تعبيرات مثل « التقارب » و « الوفاق » و « التفاهم » — وكلها مترادفات تكاد تهمس بلفظ التواطؤ — انما يراد بها طمس معالم الصراع الضارى فى عالم اليوم · ان الصراع الطبقى فى العالم لا تجمده الاجراءات الاقتصادية والمؤتمرات الدولية واللقاءات الثنائية ، فهذه كلها أشكال للصراع وميادين للقتال ، حتى « معاهدات السلام » هى احدى صيغ هذا الصراع والقتال · ومحاولة « تبرير » أزماتنا الوطنية من جانب احدى القوى بما يتم بين النظامين العالميين من اجراءات لا « يحل » هذه الازمات، بل يفاقم منها لان اضفاء شبهة التحالف بين الاشتراكية والاستعمار هو — فى الجوهر — محاولة لفصم عرى التحالف الحقيقى بين الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى . ان « التعايش السلمى » ليس نظرية جديدة على موقف المعسكر الاشتراكى من قضايا الحرب والسلام ، فقد كان لينين هو أول من نادى بالتعايش — أو التنافس — السلمى بين أنظمة العالم المختلفة ، ولكن الفكر البرجوازى العالمى — ومن ورائه الفكر البرجوازى العربى — هو الذى أعطى التعايش السلمى مدلولا مغايرا لمضمونه الاشتراكى ·

وفى كتاب « ج · ب · واربرج »وعنوانه **The West in Crises.** يعنى بالتعايش السلمى الابقاء على الوضع الراهن بين الرأسمالية والاشتراكية ، أى الحفاظ على الاوضاع الطبقية فى العالم . وهو المعنى النقيض للمفهوم الاشتراكى عن التعايش السلمى · وهو المعنى الذى يستهدف « استبعاد الحرب » كشكل من أشكال الصراع العالمى ، ولكن الصراع فى جوهره باق ما بقيت الرأسمالية على ظهر الارض · ولا يملك الاشتراكيون بأنفسهم ايقاف ، أو تجميد الصراع الطبقى فى العالم ، لانه ليس مرهونا بمشيئتهم ، وانما هو ظاهرة موضوعية لها قوانينها المستقلة عن الرغبات الذاتية · ولو افترضنا نظريا — أو جدلا كما يقال بصيغة أدق — ان المعسكر الاشتراكى « يرغب » فى تجميد الصراع ، فان الرأسمالية من جانبها لن تتوانى لحظة فى الهجوم واحتلال المواقع · ان مجرد تصور الحركة فى حالة سكون ، هو تصور معاد للفكر الماركسى ، وبالتالى فالرغبة فى هذا السكون تعنى التنازل والتراجع ، وأخيرا الاندحار · ولا يخطر ببال الاشتراكيين فى العالم — وهم يجلسون ويجتمعون ويوقعون مع الراسماليين — ان هذه هى

النهاية ٠ وانما هى فى حقيقة الامر نهاية الذين يتصورون ويصورون للاخرين « التعايش السلمى » بمعنى التقارب والوفاق والتواطؤ . وهى الالفاظ التى مهدت لتعبير « عصر التفاوض » ٠ وربما كانت « المفاوضات » من أساليب السياسة الدولية منذ اقدم عصور التاريخ . وبالتالى فهى ابعد ما تكون علامة صالحة على عصر بالذات ٠ ولكن اصحاب التعبير فى العصر الحديث يتجاهلون أشكال الصراع الدموى فى فلسطين وفيتنام — مثلا — ويركزون الضوء على احدى وسائل الصراع وهى « المفاوضة » مستشهدين فى ذلك بما يتم بين شطرى ألمانيا وشطرى كوريا ، وقد نسـوا تماما أنهار الدماء التى سالت هنا وهناك حتى جاء الوقت للتفاوض ٠ بل هم يغضون البصر عـن الحقيقة التى لا تحتاج الى « النظر » فى فيتنام حيث تدور رحى أروع ملاحم البطولة فـى عصرناجنبا الى جنب مع مائدة المفاوضات فى باريس ٠ ان المفاوضة بمعنى « القاء السلاح »هى استسلام حتمى لاحد الجانبين ، وانما المفاوضة هىاحد اشكالالصراع الرامزةالى الوضعالواقعى فى ميدان القتال.ليست هناكمفاوضاتتجريدية او عاطفية ، وانما هى الوجه الاخر لاستخدام السلاح ٠ وعصرنا فى ذلك ليس بدعة بين مختلف عصور التاريخ ، وانما يجيء تركيز أحد وجهى العملة — وهو التفاوض — وتعميم هذا الوجه على نطاق العصر بأكمله يعنى فى خاتمة المطاف أننا لا ينبغى أن نخرج على قوانين هذا العصر وفى مقدمتها التفاوض : هذا المطلق المجرد من سياقه وملابساته .

● ● ●

هذه كلها ليست أكثر من نماذج وعينـات لمجموعة التعبيرات والالفاظ التى شاعت بيننا هذه الايام على ضوء ما يسمى بمتغيـرات العصر الجديد ٠ وهى فى مجملها تشكل معجما جديدا فى فهم العلاقات الدولية من وجهة نظر تعنى بعض الاطراف الوطنية التى ترى فى هذا المعجم ، بالرغم من مصادره الاصلية الغربية ، لغتها الفكريـة والسياسية ٠

واذكر أننى قرأت فى صباى كتابا صـغيرا لستالين عن اللغة ، أبعدها فيه عن البناء الفوقى للمجتمع واعتبرها ظاهرة « قومية » تخص كل الطبقات الاجتماعية فهى « لسان الوطن » وليست اداة طبقية ٠ ولعل اضافة العصر الذى لم يره ستالين ، هى أنه رغم الاصالة القومية للغة ، فان وجهها الاجتماعى لا يقل هو الاخر أصالة ٠ ان منجزات الثورة التكنولوجية فيما يسميهالبعض بثورة المواصلات قد منحت الوظيفة الاجتماعية للغة أبعادا جديدة بحيث لم يعد ممكنا القول بأن هناك « لغة محايدة » ٠٠ بل لقد امست اللغة فى الفكر السيـاسى والاجتمـاعى سـلاحا أيديولوجيا .

نظريـات «نـزع السـلاح الأيديولوجى» وتغـيرات الوضـع الـدولى

سمير كرم

لم يكف الفكر البورجـوازى ـ فى **معركته من أجل البقاء فى مواجهة الايديولوجيه الاشتراكية ـ عن محاولة الغاء الصراع بينهما من الاساس بشتى الطرق . وبذل فى هذا السبيل محاولات عديدة من زوايا مختلفة .**

● فى مواجهة التقدم التكنولوجى الذى تحقق فى العالم قال ان هذا التقدم يمثل ثورة ثانية ـ بعد **الثورة الصناعية** ـ تقضى على الحاجة الى **الثورة الإشتراكية** وتجعل الاختلافات بين النظـامين الراسمالى والاشتراكى تختفى ، وتختفى معهـا مبررات استمرار الصراع الايديولوجى .

● فى مواجهـة الحاجة الملحة للبشرية الى **التعايش السلمى** قال الفكر البورجوازى انه من التناقض الدعوة الى التعايش السـلمى والقوى فى الوقت نفسه باستمرار **الصراع الايديولوجى بين النظامين الاجتماعيين السائدين فى العـالم .**

● فى مواجهة **اتساع قاعدة الطبقة العاملة** فى العالم سواء فى الدول الرأسـمالية أو الاشتراكية أو العالم الثالث ، ذهب الفكر البورجوازى الى أن الطبقة العاملة فى سبيلها الى الذوبان فى غيرها من الطبقات وانها بالتالى تفقد مركزها الطليعى الذى تحتله فى الفكر الاشتراكى ، وان **الصراع الطبقى** بالتالى صار أثرا من آثار المـاضى .

فى كل هذا كان الـفكر البورجوازى يتحدث بلسـان رجـال الاعمال مرة ، وبلسـان رجال علم الاجتماع البورجوازيين مرة اخرى ،ثمبلسـان الفئة « **التكنوقراطية** » التى تعتقد بأن السيطرة على حركة المجتمع وتقدمه وصراعاته ستكون « **لطبقة** » الفنيين والمهندسين ومالكى مفاتيح التكنولوجيا .

ويبدو أن دور رجـال السياسة والاقتصاد البورجوازيين قد جاء يحتل مكانا بارزا فى **التعبير عن الفكر البورجوازى الداعى الى « نزع السلاح الايديولوجى » فى العالم بين النظامين، أو اصدار قوانين بالغاء الصراع الطبقى »** ،والمناسبة لعودة بروز دور رجال السياسة فى الفكر البورجوازى فى التصدى لهذه المهمه المستحيلة هو تصور هذا الفكر بطبيعة **التغيرات التى دخلت على المسرح السياسى العالمى فى الفترة الاخيرة والتى نشأت فى الاساس عن نمو وتطور قوى الاشتراكية فى العالم وتأثيرها على اتجاهات حركة المجتمع الدولى . وهو تطور أجبر العالم الرأسمالى على أن يعيد النظر فى حساباته ووسائله فى محاولة وقف زحف التقدم الاشتراكى على المستوى العالمى وداخل العالم الرأسمالى نفسه .**

ان المفكرين البورجوازيين ينبهان الان لاستغلال مظاهر « **الوفاق الدولى** » والاتفاقات المختلفة التى أسهمت فى تحقيقها بين الدول ذات الانظمة الاجتماعيه المختلفه - سياسة الحرص على السلام والتعايش السلمى التى انتهجتها واخذت عليهـا الدول الاشتراكية - وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى • فلاى غرض تريد الدوائر المعبرة عن الفكر البورجوازى استغلال هذا الوفاق ؟ واى الوسائل تلجأ اليها لتحقيق هذا الغرض ؟

ان الفكر البورجوازى بدلا من أن يضع هذه التطورات الدولية فى اطارها الصحيح باعتبارها نتيجة وتحقيقا للسياسة التى تؤيدهـا جماهير الشعوب المتطلعة الى السلام فى رفع أثقال الفزع من احتمال الحرب النووية ، واعتبارها اعلاء لقيمه العقل الانسانى كوسيلة فى الصراع بدلا من قيمة الحرب والصراعات العنيفة بأشكالها المختلفة •• بدلا من هذا يلجأ **الفكر البورجوازى الى تصوير ظواهر الوفاق الدولى والاتفاقات وخاصة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بوصفهما أكبر ممثلين للنظامين الاجتماعيين المختلفين : الاشتراكية والرأسمالية • على انها بداية النهاية للثورة الاشتراكية والصراع الطبقى** • وهو بهذا يريد أن يحكم على الفكر الاشتراكى كلـه ، بأسسه ونظرياته ونتائجه ، بالفشل والزوال • لان معنى انهاء الصراع الطبقى ونزع السلاح الايديولوجى عند الحدود الراهنة لتقدم المجتمع البشرى وتطور علاقاته الاجتماعية ، وقواه الانتاجية سقوط قوانين التطور والحتمية التاريخية ومراحل التطـور ، وانهاء حلم الاشتراكية وآفاقها المستقبلة .

والواقع ان الفكر البورجوازى - فى كل محاولاته لسلب الصراع الطبقى والايديولوجى انما يرمى الى التغطية على واقع هـام أدت اليه التغيرات الدولية ، وهـو ان الراسمالية - والامبريالية اعلى مراحلها - أصبحت عاجزة عن وقف عملية التطور التى جعلت ميزان القوة فى العالم يتحول نحو الاشتراكية . **فلم يعد باستطاعة الراسمالية الامساك بزمام المبادرة فى حركة التاريخ بعد أن ظل الفكر البورجوازى زمنا طويلا يعيش على التأكيد بان الاشتراكية لن تستطيع أن تعيش طويلا** ، وان النظام الاجتماعى الذى ظهر لاول مرة فى الاتحاد السوفيتى لن يقدر له أن يدوم • فقد كانت الثورة الاشتراكية فى تقدير الفكر البورجوازى مجرد عارض وليست نتيجة طبيعية ومنطقية للتطور التاريخى وتأكيدا لتفوق وحيوية النظام الاشتراكى . والان وقد ترسخ وجود **النظام الاشتراكى عمقا واتساعا ولم يعد بمقدار الفكر البورجوازى تجاهل قوته وقدرته على النمو وانتزاع المبادرة التاريخية • لم يعد يملك الا أن يسقط من اعتباره تفسيراته القديمة عن « المصادفة التاريخية » التى جاءت بالاشتراكية** • ولكن هذا التراجع لم يصل بالفكر البورجوازى بطبيعة الحال الى حد الاعتراف بالحتمية التـاريخية للتحـول الاشتراكى والا كان بمثابة توقيع منه على حكم بالموت على النظام الرأسمالى •• ولهذا لجأ طوال السنوات العشرين الماضية الى تفسير التحولات الاشتراكية والثورات التحررية فى العالم على أنها « اعتداءات شيوعية » او على أنها نتيجة للدعاية الايديولوجية المنظمـة مـن جـانب الاتحـاد السوفيتى •

وعندما وجدت الدول الراسمالية - بمـا فيها أقواها الولايات المتحدة - نفسها مجبرة الى قبول الامر الواقع فى العـالم الراهن وهو قوة وتقدم الاشتراكية متمثلة فى الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية ،وعندما أيقنت أنه لم يعد بامـكانها محاصرة الاشتراكية عسكريا والقضاء عليهـا بالقوة المسلحة ، واستحالة تخريب النظـام الاشتراكى من الداخل بشتى وسـائل التجسس والدعايات الهدامة وأعمال التخريب •. أصبح لزاما عليها قبول الدخول فى **اتفاقات فى عدد من المجالات المتعلقة بالسلام العالمى مثل نزع السلاح، أو المتعلقة بالتعاون بين النظامين ، مثل التجارة والابحاث العلمية والتكنولوجية** •

ورغم ذلك فان الفكر البورجوازى يجد ان مهمته الاساسية فى ظـل هذه المتغـيرات فى الظروف الدولية أن يجد لها أساسا يتفق مع القوى بأبدية النظام الراسمالى ، والقول فى الوقت نفسه بعـدم حتميه التقدم نحو الاشتراكية • وقد أفرز الفكر البورجوازى من أجل أداء هذه المهمة عددا من النظريات . ويستحق الامر **التصدى لهذه النظريات بالتحليل والتفنيد لمجرد أنها تجد رواجا فى بعض الاوساط فى دول العالم النامى الاخذة بالتنمية غير الرأسمالية** • وهذه الدول فى الاساس هـى المقصودة دعائيا بهذه النظريات البورجوازية •

نظرية الطريق الثالث

أو الاقتصـــاد المختلط

تذهب هذه النظـرية الى أن النظـامين الاقتصـاديين فـى العـالم - الراسـمالى والاشتراكية - آخذان فى التقارب ، بل انهمـا بسبيلهما الى الانـدماج معـا فـى نظـام

واحد ٠فالرأسمالية تأخذ بقدر من التخطيط الذى تأخذ به الاشتراكية ، والاشتراكية - فى زعم هذه النظرية البورجوازية - تستعين بعلوم الادارة والتكنولوجيا والحوافز المأخوذ بها فى النظام الرأسمالى ٠ وعلى هذا الاساس فان المستقبل لن يكون للرأسمالية ولن يكون للاشتراكية بالمثل ، بل سيكون شكل ثالث من النظام الاقتصادى ، هو مزيج بينهما ، أو وسط بين الرأسمالية والاشتراكية . او هو « رأسمالية اشتراكية » !

وتعكس هذه النظرية ادراك الفكر البورجوازى - بصورة ذاتية وجزئية - أنه لا فرصة أمام الرأسمالية للبقاء سوى عن طريق استيعاب « بعض » عناصر الاشتراكية ٠ نفس الاشتراكية التى كان الفكر البورجوازى يحاربها ويحارب كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد قبل أن يتأكدأنه لاسبيل للقضاء عليها أو حصر نموها ووقفه . تنطوى النظرية اذن على تخلى عن المفهوم القديم الذى كان يعتبر الرأسمالية النظام الاعلى والافضل والذى لا يمكن تجاوزه ، وتنطوى فى الوقت نفسه على تخلى عن المفهوم البورجوازى القديم الذى كان ينظر الى الاشتراكية على أنها شر كلها وعلى أنها تخلو من أى امكانية لتحقيق أمانى البشر ٠ ولكنها مع ذلك تهدف أساسا الى ايجاد أساس أيديولوجى لمحاولات هدم قانون حتمية تحول الرأسمالية الى الاشتراكية عن طريق القول بأن الرأسمالية لم تعد رأسمالية بحقة ، والاشتراكية لم تعد اشتراكية بحقة ٠ والتركيز هنا بطبيعة الحال على الزعم بأن ما تعلن الاشتراكية أنها تسعى اليه من تحقيق مستويات أعلى للحياة الانسانية قد حققته الرأسمالية بالفعل بما أحرزته من تقدم تكنولوجى ٠

وتغفل هذه النظرية بالدرجة الاولى الحقيقة الاساسية القائلة بأن سبل التوحيد بين العمال ووسائل الانتاج فى ظل الاشتراكية تتعارض تعارضا تاما معها فى ظل الرأسمالية ٠ ففى ظل الاشتراكية يتم ذلك على أساس الملكية العامة ، وفى ظل الرأسمالية يتم على أساس الملكية الخاصة . وكل علاقات الانتاج تعتمد تماما على نوع ملكية وسائل الانتاج ٠ وهو شىء لم تغير منه بأى قدر الاجراءات الاقتصادية الاصلاحية التى أخذ بها بعض الدول الاشتراكية من أجل دفع دور المناهج الاقتصادية فى ظل سيطرة التخطيط المركزى الكامل على الاقتصاد . وعلى الجانب الاخر فان الرأسمالية - أيا ما كانت محاولاتها للاخذ جزئيا بالتخطيط - احتفظت بفصلها الكامل بين العمال والملكية . وبسيطرة الملكية الخاصة ، سيطرة كاملة على الانتاج .

ولعله من المفيد أن نقرر أن من أكثر المتحمسين لنظرية التقارب والتمازج بين الرأسمالية والاشتراكية الكاتب الامريكى زبيجنيو برزيزنسكى - مدير معهد أبحاث الشئون الشيوعية بجامعة كولومبيا -ومن أبرز كتاب مجلة « نيوزويك » الامريكية التى تجد رواجا خاصا بين أوساط المثقفين البورجوازيين فى عدد من دول العالم الثالث . ومنها مصر ، وهو يكرس كثيرا من كتاباته لمحاولات التدليل على أن الرأسمالية الراهنة خرجت بأشياء جديدة تماما وأنها ازدادت اقترابا من الاشتراكية ولكن بتكاليف أقل مما تتكبده الثورة الاشتراكية والنظام الاشتراكى ٠ وهو يدعو الى ادماج دول أوروبا الشرقية فى أشكال التعاون المتعدد الاطراف مع دول الغرب حتى يساعد ذلك على تعزيز عملية التطور - « بشكل تحررى » - فى دول أوروبا الشرقية مما يؤدى بدوره الى نشوء « مواقف سياسية جديدة » ٠ وهو فى هذا الاطار يدعو الى « اقامة الجسور » بين الشرق والغرب لتكون سلاحا أيديولوجيا ضد الاشتراكية والنظم الاشتراكية والفكر الاشتراكى (١) ٠

كذلك فان جون جالبريث الاقتصادى الامريكى الليبرالى (سفير الولايات المتحدة الاسبق لدى الهند) من أبرز دعاة نظرية الاقتصاد المختلط ٠ وهو يذهب الى أن الرأسمالية والاشتراكية ليسا سوى شكلين من أشكال نظام واحد يخلقه المجتمع الصناعى الجديد ، فان الرأسمالية عنده تتحول الى « مجتمع رأسمالى بدون تدخل من الرأسماليين ، والاشتراكية بدأت فى رأيه تتخلص من سيطرة المجتمع عليها (٢) .

ويعبر عن نفس الاراء تقريبا عالم الاجتماع الفرنسى ريمون آرون الذى يؤكد أن كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى « مجتمع صناعى » بالدرجة الاولى ، أى بصرف النظر عن هذا مجتمع رأسمالى والاخر اشتراكى ،فهذا الاختلاف

---

(١) فى مقال بعنوان « اطار الوفاق بين الشرق والغرب » فى عدد الربيع الاول (١٩٦٨) من مجلة Foreign Affairs

(٢) The New Industrial State

ليس هاما ، فهما يتحركان فى اتجاه كل منهما الاخر · أحدهما « يزداد تحررا » والثانى « يزداد اشتراكية » (٣) ·

وبوجه عام فان عشرات بل مئات من المنظرين البورجوازيين قد بذلوا جهودا مضنية لمحاولة البرهنة على أن المستقبل ليس للاشتراكية حتى وان سلموا بأنه ليس أيضا للرأسمالية · متجاهلين حقيقة ان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ينطوى على تغيير جذرى فى نفس طبيعة التطور الاقتصادى للمجتمع · وهذا التطور نفسه يسير وفقا لقوانين محددة ومستقلة عن ارادة الانسان استقلال قوانين الطبيعة عنها .

نظرية [نزع السلاح الايديولوجى]

على الرغم من استمرار كل أشكال حرب الدعاية والحرب الايديولوجية من الدول الرأسمالية ــ وفى مقدمتها الولايات المتحدة ــ ضد الدول الاشتراكية والفكر الاشتراكى ، فان هذا لم يمنع المفكرين البورجواريين من محاولة استغلال ما يفضلون تسميته بالمتغيرات العالمية فى العلاقات بين الكتلتين فى الحديث عن ضرورة وقف الصراع الايديولوجى بين النظامين على أساس أن هذه خطوة ضرورية لتحقيق الاهداف المقصودة من « الوفاق » فى العلاقات الدولية بين النظامين المتعارضين ·

والواقع أن مطلب المفكرين البورجوازيين هنا ينطوى على تصور خاطىء بأن الصراع الايديولوجى بين النظامين العالميين أو الخطين الفكريين السائدين فى العالم الان هما من أوجه النشاط الانسانى التى يمكن التحكم فيها بالزيادة والنقصان ، أو حتى بالالغاء الكامل · وهذا فى الواقع انعكاس للخلط البورجوازى التقليدى بين مفهومين مختلفين تماما ، مفهوم الدعاية ومفهوم الايديولوجية ، وكأن رغبات ومقاصد مخططى الدعاية هى التى تصنع التاريخ وتوجه الاحداث وتؤدى الى المتغيرات ، وكأن مهارة رجال الدعاية هى التى توجه حركة المجتمعات وصراعاتها وتطورها · وهذه النظرية تعتبر التاريخ محكوما بعلاقات بين ايديولوجيتين : الايديولوجية الاشتراكية والايديولوجية البورجوازية ، وليس محكوما بالشروط الاقتصادية والاجتماعية وبتغير الاسس المادية للحياة الاجتماعية · وبهذا المفهوم مثلا نجد سياسيا أمريكيا شغل منصب وزير خارجية الولايات المتحدة لاطول فترة فى الستينات ــ هو دين راسك ــ يقول أن السياسة الامريكية موجهة ضد الافكار ، ضد الاراء « الى أن يتغير الاشتراكيون أنفسهم » ·

وينطوى هذا المفهوم على الغاء للمفهوم الطبقى للصراع بين الاشتراكية والرأسمالية ، فانه ينسب الدور الاساسى فى الصراع الى الايديولوجية ، ولا يأخذ الايديولوجية بوصفها مجرد انعكاس للمواقع الطبقية وانما على أنها اداة لتأكيد أو ضمان سيطرة احد طرفى الصراع على العالم .

بينما المفهوم الحقيقى للصراع الايديولوجى ، وهو المفهوم الذى يلتزمه الفكر الاشتراكى العلمى ــ يعتبر هذا الصراع جزءا عضويا من الصراع الطبقى ، وانعكاسا للتناقض الطاحن بين الطبقة العاملة والبورجوازية ، ووسيلة لاظهار الخصائص الفعلية لكل من الرأسمالية والاشتراكية .

الصراع الايديولوجى ــ فى المفهوم البورجوازى ــ مجرد وسيلة من وسائل السياسة الخارجية للعالم الرأسمالى فى سعيه للسيطرة ولتبرير كل المواقف الامبريالية ضد العالم الاشتراكى وضد حركات التحرر · والصراع الايديولوجى ــ فى المفهوم الاشتراكى العلمى ــ هو أظهار عملى لمزايا النظام الاجتماعى الاشتراكى ، لا مجرد مقارنة مجردة بين خطين فكريين . وبمعنى آخر فان المفكرين البورجوازيين يفصلون فصلا كاملا بين الأيديولوجية والواقع الحى ، على حين ان الفكر الاشتراكى العلمى يفهم الايديولوجية على أنها مجرد انعكاس لهذا الواقع وليس صانعا له ·

ونتيجة لخطأ التفسير البورجوازى للايديولوجية ، ولدور الصراع الايديولوجى ، فان العالم الرأسمالى يتبنى سياسة « التخريب الايديولوجى » داخل الدول الاشتراكية متصورا امكان احداث عملية اعادة الرأسمالية فيها بمجرد العمل الدعائى وتفتيت الاشتراكية فيها بمجرد شن « الحرب النفسية » للقضاء على نجاح « الايديولوجية الاشتراكية » · وينطوى هذا بدوره

(٣) زيمون آرمون · Lectures on Industrial Society P. 44.

على تصور خاطىء بأن نجاح الايديولوجية الاشتراكية يرجع الى مجرد وجود مذهب موحد ومتماسك وجذاب يتمثل في الماركسية والنسق الذي تقوم عليه من « النظريات » و « الاراء » . انما الواقع أن هذه الافكار انعكاس سليم وصادق لصراع فعلي بين طبقتين ، وأن هذه الافكار قد أخذت في اعتبارها الاتجاهات الموضوعية للتطور الاجتماعي ، وهي اتجاهات تتم بدورها مستقلة عن رغبات وارادات أية جماعة ترفع شعارات فكر معين .

ونتيجة لهذا فان الظروف الموضوعية داخل المجتمعات الرأسمالية تظل مهيأة لانتشار وتأثير الفكر والايديولوجية الاشتراكية ، نظرا لوجـود الطبقات والفئات الاجتماعية التي تعكس هـذه الايديولوجية مصالحها وأمانيها داخل هـذه المجتمعات . على حين أن الظروف في المجتمعات الاشـتراكية تلفـظ وتـرفض الايديولوجيـة البورجوازية ومفاهيمها لانها لا تعكس مصالح طبقة أو طبقات تعيش في المجتمعات الاشتراكية .

وقد ذهب بعض المفكرين البورجوازيين الى أن الصراع الايديولوجي بصورته الراهنة ـ حتـى كانعكاس للصراع الطبقي ـ ليس الا ظاهرة مؤقتة مرهونة بالحالة الحاضرة للعلاقات بين الاشتراكية والرأسمالية . فهم يتصورون أن هذا الصراع سيختفي مستقبلا عندما يحدث « توازن بيـن الحاجات والصالح » ، وعندما يختفي انعدام الثقة الراهن ، فعندئذ يقوم « أساس ايـديولوجي مشترك » ويستقر السلام فعلا (٤) . ويعكس هذا المفهوم اخفاقا واضحا في ادراك الصراع الطبقي الكامن وراء صراع الافكار بين الاشـتراكية والرأسمالية ، والناتج عن تناقض المصالح بين طبقتي العمال والبورجوازيين .

ان نظرية نزع السلاح الايديولوجي لتحقيق سلام بين الاشتراكية والرأسمالية في عالم اليوم سواء اتخذت شكل المطالبة بشن الحرب على الايديولوجية الاشتراكية بلا هوادة أو شكل المناداة بنزع شـامل للسـلاح الايـديولوجي « لكلا المعسكرين » حتى يستتب السلام تخفق في ادراك هذه الحقيقة الاساسية وهي أن الايديولوجية تعبير عن مصالح طبقية أساسية وأنه ـ ترتيبا على ذلك ـ أيا كانت التغيرات ـ لا يمكن أن تطرأ على الموقف الدولي وعلى العلاقات بين القوى فـي العالم ، فان الايديولوجية المعبرة عن مصـالح الطبقة العاملة والايديولوجية المعبرة عن مصالح البورجوازية ستظلان متماديتين . ولا يمكن للزمن ولا لمتغيرات الظروف أن تغير شيئا من هذه الحقيقة . لان مصالح المستغلين لا يمكن أن تتفق مع مصالح المستغلين .

ان التاريخ يؤكد أن المجتمع الطبقي قد وجد منذ آلاف السنين وطوال هذه الالاف من السنين لم ينقطع الصراع الطبقي بـأشكاله الاسـاسية الاقتصادية والسيـاسية والايـديولوجية . ان الصراع الطبقي سابق حتى على ظهور الطبقة العاملة والرأسمالية ، وبظهورهما فان الصراع الطبقي قد اشتدت حدته واكتسب بعداجديدا . وصحيح أن الصراع الايديولوجي يتم على مستوى الوعي بين الطبقتين والنظامين ، ومع ذلك فان الحتمية التاريخية والضرورة هي في النهاية التي تلعب الدور الحاسم في الصراع . وأما اعتقاد المفكرين البورجوازيين أن نـزع السـلاح الايديولوجي للاشتراكيين يمكن الرأسمالية من الفوز في الصراع الايديولوجي ، وتغيير مسار التطور الاجتماعي فهو وهم لا يشكل أي امتياز للفكر البورجوازي ولا للنظام الرأسمالي الذي يعبر عنـــه .

نظرية « التعايش السلمي »

البـــورجـــوازية

يتساوى المفكرون البورجوازيون ـ في مواجهة تحول سياسة التعايش السلمي التي تنتهجها الدول الاشتراكية الى مطلب جماهيري على مسـتوى العالم كله : كيف يمكن الدعوة الى التعـايش السلمي بين النظامين الاجتماعيين المختلفين في العالم مع القول في الوقت نفسه بحتمية موت أحد هذين النظامين ؟ .

وانطلاقا من هذا التساؤل تأتي سـلسلة الاتهامات الغربية للعالم الاشتراكي ـ وخـاصة الاتحاد السوفيتي ـ بسوء النية وعدم الايمان

(٤) أ . يوشبولنس : النضال من اجل عالم افضل (عن كتاب مشكلات الحرب والسلام) ـ موسكو ١٩٧٢ م .

بالتعايش السلمي فعلا والاستعداد رغم الدخول في اتفاقات دولية عديدة تحقق مبادىء التعايش السلمي للغدر بالغرب ، والنظام الذى يعيش فيه ٠

وبهذا المفهوم نجد المفكر البورجوازى الفرنسى **ريمون آرون** يقول « **ان التعايش السلمى الكامل لا يمكن ان يتحقق الا في اليوم الذى يكف فيه ساسة الجانب الاخر من الستار الحديدى عن اعتبار الصراع الايديولوجى أمراحتميا ، وانتصار معسكرهم أمرا مؤكدا** » (٥) وكان آرون يريد من العالم الاشتراكى ان يقدم ضمانا باستمرار بقاء النظام الرأسمالى !

ونقطة الضعف الرئيسية ـ او بالاحرى المحور الرئيسى للتناقض في فهم الفكر البورجوازى الغربى لمعنى التعايش السلمى هو عدم ادراكه بأن **التعايش السلمى لا يلغى بأى معنى من المعانى التناقضات التى تقسم العالم الى نظامين أو « معسكرين »** ٠

ومع ذلك فان قبول الدول الرأسمالية مبادىء التعايش السلمى ـ أو بعضها ـ عن طريق الدخول في اتفاقات مع الدول الاشتراكية حول نزع السلاح والحد من التسلح الذرى والتعاون في مجالات مختلفة ، انما يكشف محاولة النظام الرأسمالى العالمى أن « يتكيف » من ضرورات الموقف الجديد في العالم وقبول أشياء لم تكن الامبريالية تقبلها من قبل أبدا ، قبل أن يتأكد لها استحالة القضاء على النظام الاشتراكى او محاصرته ٠ ولاغرابة في أن الرئيس الامريكى الحالى **ريتشارد نيكسون** استخدم هذه الكلمة بالذات ـ « **التكيف** » ـ في مقال كتبه بمجلة « يو اس نيوز آند وورلد ريبورت » ـ الناطقة بآراء وزارة الدفاع الامريكية ـ اذ قال :

« **عندما توليت الرئاسة احسست شعورا قويا بان السياسة الخارجية الامريكية لا يمكن ان تتقدم المصالح الامريكية ما لم تتكيف سريعا مع البيئة الدبلوماسية الجديدة ٠ وهذا التكيف ـ في ابسط اشكاله ـ تطلب منا أن نضع مزيدا من التأكيد على التفاوض مع خصومنا والمشاركة مع حلفائنا** »(٦)

ولا يختلف منطق نيكسون هنا كثيرا عن المنطق الذى يتحدث به مسئول غربى آخر هو **اليك دوجلاس هيوم** وزير خارجية بريطانيا حين يقول « **لا شىء يمكن أن يكون أشد خطرا من تغير ميزان القوة بين الشرق والغرب** » ٠

ويكشف هذا التصور رغبة زعماء العالم الرأسمالى في أن يحولوا سياسة التعايش السلمى الى « **حصان طروادة** » للامبريالية والفكر البورجوازى لمهاجمة النظام الاشتراكى من الداخل تحت شعار « الوفاق » ٠ فانهم في الوقت الذى يوافقون فيه على أنه لا مفر من قبول الحاجة الى التعايش السلمى بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى كبديل وحيد عن الحرب الشاملة ، يحاولون ان يضعوا تفسيرا خاصا محرفا لمعنى التعايش السلمى لخدمة مصالحهم الطبقية ٠ وهو مفهوم يسمح لهم باستمرار استخدام الاعتداءات العسكرية وسياسة القوة ضد النظام الاشتراكى ، تحت الزعم بأن التعايش السلمى ممكن مع بعض الدول الاشتراكية وغير ممكن مع بعضها الاخر ٠ وهو مفهوم ينطوى على تجزئة معنى التعايش السلمى بهدف انتهاكه في الصميم ٠

ان المفاهيم **البورجوازية** للتعايش السلمى هى انعكاس لخوف الامبريالية من شن الحرب الذرية الشاملة على العالم الاشتراكى ، ولهذا فانها تريد أن **تخلق نوعا من « المواءمة المستحيلة » بين التعايش السلمى والحروب المحلية أو المحدودة ، أو على أقل تقدير المواءمة المستحيلة أيضا ـ بين التعايش السلمى واستمرار الحرب الباردة** ٠ ويرى الفكر البورجوازى انه اذا كان النظامان المتعارضان في العالمين مضطرين للتعايش تفاديا لخطر الفناء الذرى فان هذا التعايش لا ينبغى بالضرورة أن يكون « سلميا » وكما نعلم فان الحرب الباردة في سياسة العالم الغربى الرأسمالى تشمل كل مناهج ووسائل الصراع من اجل السيطرة على العالم ـ عدا الحرب الذرية ، تشمل سباق التسلح والحروب المحلية والاعمال السياسية والايديولوجية الهدامة والابتزاز العسكرى والعقوبات الاقتصادية .. وسلسلة طويلة من وسائل وسبل السياسة الخارجية للدول

(٥) الحرب الشاملة ٠

(٦) العدد الصادر في ٢٦ يونيو ١٩٧٢ ـ ص ٣٢ .

الغربية وأحلافها العسكرية وتكتلاتها الاقتصادية العديدة ٠

واذا كنا نرى كثيرين من المفكرين البورجوازيين ومفكرى الطبقة المتوسطة وممثليها يؤيدون التعايش السلمى لاكسياسة تسمح باستمرار الحرب الباردة ، وانما كسياسة « للوفاق الايديولوجى » فذلك لانهم مستعدون لقبول التعايش السلمى بشرط أن يوقف الحرب الباردة والصراع الايديولوجى معا ، أى أن يكون « تعايشا ايديولوجيا » ٠ ولعل من أكثر المعبرين عن هذا المنطق البورجوازى فى رؤية التعايش السلمى الزعيم العمالى البريطانى كريستوفر مايهيو الذى يعلن أن « التعايش الايديولوجى شرط للتعايش السلمى » ٠ وانهاء معركة الدعايات المريرة التى زال عهدها بين ما يسمى بالرأسمالية ومايسمى بالشيوعية » (٧) وهذا كلام يصعد الى المطالبة بوقف الصراع الطبقى ٠

فاذا كان هذا هو المفهوم البورجوازى للتعايش السلمى وتلك هى الاغراض لمحاولة فرضه ، فما هو المفهوم الاشتراكى للتعايش السلمى الذى حقق خطوات « الوفاق » الاخيرة فى العلاقات الدولية بين النظامين ؟ وما هى الاغراض منه ؟ ٠

للاجابة على هذا السؤال ينبغى ان يكون واضحا منذ البداية ان التعايش السلمى ــ كما يفهم الفكر الاشتراكى ــ لا يزيد عن كونه مفهوما فى السياسة الخارجية ٠ فهو ليس أحد المكونات الايديولوجية للاشتراكية ٠ صحيح ان التعايش السلمى كما تفهمه الدول الاشتراكية يضع فى اعتباره القوانين الموضوعية للعلاقات بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ٠ ولكنه لا يغير هذه القوانين التى تقوم أساسا على الصراع الطبقى وتحكم التناقضات الاجتماعية بين الاشتراكية والرأسمالية ٠ ان التعايش السلمى بهذا المفهوم اساس للبحث عن حلول عملية ــ فى السياسة الخارجية للدول ــ للمشاكل الدولية الملحة ٠ ومع ذلك فانه لا يمكن فصله عن العمليات الهامة للتطور فى العالم ٠ وعلى هذا الاساس بنى العالم الاشتراكى وجهة نظره فى سياسة التعايش السلمى على أساس علاقة التداخل بينها وبين الصراع الطبقى ، بما فيه الصراع الايديولوجى كانعكاس له ٠ وفى هذا الصدد تقول الوثيقة الرسمية لمؤتمر الاحزاب الاشتراكية والعمالية فى موسكو عام ١٩٦٩ : « ان سياسة التعايش السلمى لا تتضمن الحفاظ على الوضع الراهن الاجتماعى السياسى ولا أضعاف الصراع الايديولوجى ، انما هى تساعد على دعم الصراع الطبقى ضد الامبريالية على مستوى وطنى ، وعلى نطاق عالمى » ٠

ان الفكر الاشتراكى يؤكد دائما على الخلاف الاساسى بين الحرب الباردة كوسيلة من وسائل محاولة الحفاظ على التوتر الدولى او زيادته ، والصراع الايديولوجى كوسيلة للتعبير عن موقف طبقى ٠ ولهذا يرفض الفكر الاشتراكى الحرب الباردة ويطالب بالعمل من أجل وضع حد نهائى لها ٠ ولكنه يصر ــ فى الوقت نفسه ــ على انه ليس فى الامكان انهاء الصراع الايديولوجى طالما التناقضات الطبقية الاساسية الطاحنة موجودة ٠ ولهذا فان التعايش السلمى ــ بالمفهوم الاشتراكى ــ يتضمن بالضرورة ، شاءت الفلسفات والسياسات البورجوازية او لم تشأ ــ استمرار الصراع الايديولوجى بعيدا عن الصراع الطبقى ٠

واذا كانت السمات المميزة للمرحلة الراهنة فى العلاقات الدولية هى الاتجاه نحو الوفاق والنجاح فى توطيد مبدأ التعايش السلمى ، فانه لا ينبغى اغفال أن كل مظاهر الوفاق هذه تحققت مع وجود واستمرار العمليات العدوانية للامبريالية الامريكية فى جنوب شرق آسيا وفى الشرق الاوسط ٠ مما يجعل من الواضح للجميع أن الطابع لتناقض السياسات الامبريالية، فهى تميل بقبول الامر الواقع الدولى فى نواح منه ، وتقرر تجاهله فى نواح اخرى ــ ويتضح هكذا ان مبدأ التعايش السلمى لا ينطبق الا على العلاقات بين الدول ، ولا يكون له أى معنى فى مجال الصراع الطبقى ٠

ومن المهم للغاية ان نعى أن سياسة التعايش لا تنكر ولا تنفى ــ كما يدعى المفكرون البورجوازيون ــ حق الشعوب المقهورة فى النضال والقتال من أجل استقلالها وحقوقها المشروعة ، وحقها فى ان تختار طريق النضال المسلح او وسائل النضال السلمى ٠ ان سياسة التعايش السلمى تعترف بحق كل امة فى أن تدافع بالقوة المسلحة عن حقوقها الاعتداءات الامبريالية فهى

(٧) مايهيو : التعايش السلمى : والغرب ٠ صحيفة الجارديان البريطانية ـ ٧ نوفمبر ١٩٧١ ـ ص ٧ ٠

تنظر الى هذا الصراع التحررى بالمفهوم الطبقى الصحيح له . وتؤمن السياسة الاشتراكية للتعايش السلمى بأن الدفاع عن السلام نفسه ينبغى أن يشتمل على كل الجهود لاجبار الامبريالية على قبول التعايش السلمى بمفهومه الصحيح ·

ان سياسة التعايش السلمى والوفاق ودعم السلام العالمى ليست بأى حال من الاحوال تعهدا بالحفاظ على الاوضاع الاجتماعية والسياسية الراهنة فى عالم اليوم . ولهذا فلا صحة على الاطلاق لكل ترديد بأن سياسة الوفاق هى بمثابة نزع للسلاح الايديولوجى او بمثابة تخفيف لحدة صراع الاشتراكية ضد الامبريالية أو تحول للعالم الاشتراكى عن تأييد حركة التحرر الوطنى العالمية لصالح أية مكاسب مؤقتة تكتيكية يحققها اتفاق بشأن نزع السلاح او اتفاق للتجارة او التعاون الفنى ·· الخ ·

والحقيقة المؤكدة ان أى تغير يحدث فى علاقات القوى فى العالم يؤثر على مسار الصراع الايديولوجى . اذ يتضح بصورة مطردة ان آمال البورجوازية الامبريالية فى تحقيق نصر بالقوة على الاشتراكية قد تبددت ، ولهذا فان المتطرفين فى معسكر البورجوازية قد انهدمت مواقعهم تماما مما دفع المزيد من البورجوازيين الى تأييد التعايش السلمى الذى تمسك به الاشتراكيون دائما ومنذ البداية · ولكن وجود أرض مشتركة بين الاشتراكيين ، وبعض الايديولوجيين البورجوازيين – هى السعى الى السلام والالتزام به – لا يعنى قيام « سلام ايديولوجى » ذلك ان مصالح وايديولوجية الطبقة التى يدافع عنها الفكر الاشتراكى ويحققها النظام الاشتراكى تظل مختلفة ومتناقضة بصفة قاطعة مع مصالح وايديولوجية البورجوازية ·

ان الخلاف يزداد حدة والهوة تزداد اتساعا بين الاشتراكية والرأسمالية مع تقدم التاريخ ، وكلما تطورت عملية التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية ·

التطـــورات الدوليـــة الجـــديدة

والفـــكر الاشـــتراكى العـــالمى

حمدى عبد الجواد

من اهم النتائج التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية ان الاشتراكية استطاعت ان تتخطى حدود بلد واحد · بل وحققت بالفعل انتصارها فى سلسلة من البلدان ، وبذلك قضت ولاول مرة فى عالمنا المعاصر على تحكم الامبريالية فى العلاقات الدولية · وبدا توازن القوى السابق فى العلاقات الدولية يختل ويخلى مكانه لتوازن جديد للقوى يميل اكثر فأكثر لصالح الاشتراكية · وادى ظهور النظام الاشتراكى العالمى وتدعيم مواقعه الى ان تحولت الاشتراكية العالمية بالتدريج الى العامل الحاسم فى تطور البشرية مما كان له اثره المباشر والملحوظ على الطريقة التى واجهت بها الرأسمالية المشاكل السياسية والاجتماعية فى بلدانها ، كما بدأ أثره المتزايد على العلاقات المتبادلة بين البلدان الاشتراكية والرأسمالية · وخلال السنوات الاخيرة بدأت العلاقات الدولية التى كان يخيم عليها جو التوتر وشبح الحرب الباردة تشهد تغيرات على جانب كبير من الاهمية ، تغيرات تتجه نحو الانفراج والتعاون الدولى وتسوية المشاكل التى اقلقت ضمير البشرية لاكثر من ربع قرن ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تغيرات فى اتجاه ان تصبح سياسة التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة اساسا للعلاقات الدولية بما يتطلبه تحقيق ذلك من تغيرات فى ملامح الاوضاع الدولية الراهنة .

ووجدت التغيرات التى تتكامل ملامحها اليوم فى العلاقات الدولية انعكاسا لها فى الفكر الاشتراكى العالمى منذ منتصف الخمسينات تقريبا حيث كانت الظروف الموضوعية تنضج فى اتجاه تلك التغيرات ، وحيث اصبحت المفهومات القديمة للعلاقات الدولية التى تشكلت فى اعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة — حينما كان الطابع المسيطر على العلاقات الدولية هو المواجهة بين النظامين العالميين ، وجو التوتر الدولى وخطر الحرب ، وفى وقت لم تكن امكانية التعايش السلمى وتجنب الحرب قد اتضحت بعد ، وبشكل واقعى — أصبحت تلك المفهومات قاصرة عن أن تعبر عن احتياجات الظروف الموضوعية ، بل ان التطورات الموضوعية كانت من جانبها تستحث الفكر الاشتراكى العالمى لان يضع يده عليها ويدركها اذا اراد الاستمرار فى الاحتفاظ بدوره المبادر فى تهيئة افضل الظروف لانطلاق الثورة العالمية فى ظل الظروف الموضوعية الجديدة .

وتمثلت الاصداء الاولى للتغيرات الموضوعية التى كان يتزايد تأثيرها على الوضع الدولى ، فى الفكر الاشتراكى العالمى عام ١٩٥٦ فيما توصل اليه المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، وتعتبر المفهومات التى طرحها المؤتمر العشرين على الفكر الاشتراكى العالمى أول محاولة لتلمس التغيرات الجديدة فى الوضع الدولى

وآفاقها المقبلة ، وخاصـــة فيما يتعلق بالتعايش السلمي وامكانية تجنب خطر الحرب وبقضايا حركة التحرر الوطني وبلدان العالم الثالث وآفاق تطورها • ورغم أن المؤتمر العشرين لم يتمكن من تقديم صياغات ناضجة لاتجاهات تطور الوضع الدولي وآفاقه ، الا انه كان على اية حال المبادرة الاولى من جانب الفكر الاشتراكي العالمي لصياغة مفهومات جديدة تعكس التغيرات الدولية الجديدة وافاقها ، ولرسم خط جديد في العلاقات الدولية يحتفظ بزمام المبادرة في ايدى الاشـتراكية العالمية •

ان التغيرات التى طرأت على كثير من المفهومات فى الفكر الاشتراكى فى محاولته ملاحقة التغيرات الجديدة وفهمها بما يسمح لقوى الثورة العالمية بالاستفادة منها الى اقصى حد ، قد جرت خلال صراع وخلافات حادة ما زالت تترك بصماتها على وحدة الحركة الاشتراكية العالمية حتى اليوم • وتركزت الخلافات والصراع داخل الحـركة الاشتراكية العالمية حول فهم طبيعة التغيـرات الجديدة فى الوضع الدولى ، والعلاقات الدولية وتفسيرها فى ضوء الاشتراكية العلمية • وأدت تلك الخلافات الى تصدع وحدة الحركة الاشتراكية والى فترة من البلبلة الفكرية لم تشهدها منذ نجاح ثورة اكتوبر الاشتراكية • وترجع الخـلافات والبلبلة فى تفسير ورؤية التغيرات الجديدة الى عدد من العوامل ، أهمها ان التـراث الفكرى للمـرحلة السـابقة فى الحـركة الاشـتراكية كان يقف عائقا دون تلمس التغيرات الجـديدة وافاقها • وبالتالى كان يقف بعناد ويقاوم كل المبادرات الفكرية الجديدة فى الحركة الاشتراكية ويتهمها بالمراجعة وبالتخلى عن راية الاشتراكية• ويرتبط بذلك ان معظم قادة الحركة الاشتراكية فى العالم كانوا من الرعيل الذى تمرس فى ظروف اشكال الصراع الحادة التى واجهتها الاشتراكية فى وقت لم تكن قد اصبحت فيه بعد العامل الحاسم فى الوضع الدولى وفى عالم لم تكن قضية التعايش السلمى قد فرضت نفسها بمثل هذا الالحاح على العلاقات الدولية كتعبير عن ضرورة موضوعية • ولم يتمكن قسم كبير من هؤلاء القادة من مسايرة التطورات الفكريـة الجـديدة فـى الحـركة الاشتراكية ، بل وحاولوا وضع العراقيل فـى سبيلها •

وما كانت هذه الخلافات والصراع الحاد فى الحركة الاشتراكية العالمية مظهر ضعف بقدر ما كانت مصدر خصوبة واثراء للفكر الاشتراكى العالمي فرضتها ظروف موضوعيـة واستلزمها الدور القيادى والمبادر للحركة الاشتراكية فـى العملية الثورية العالمية •

وعلى مجرى ما يزيد على خمسة عشر عاما من الصراع والخلافات، تمكن الفكر الاشتراكى من أن يبلور مفهومات جديدة ساعدته وبشكل يتزايد بروزا اليوم فى استعادة دوره المبادر والحاسم فى العلاقات الدولية بما يتمشى ومصلحة قوى السلام والتحرر الوطنى والاشتراكية • وتتمثل تلك المفهومات فى التطبيق فى المرحلة الحاضرة فى السياسة الخارجية للبلدان الاشتراكية التى تجد تجسيدها فيما يسمى ببرنامج الســلام السوفيتى الذى يشكل اليوم التعبير العملى عن مفهومات الاشتراكية العالمية فى العلاقات الدولية فى ظروف عالم اليوم •

ولسنا هنا بصدد استعراض كل التطورات التى طرأت على الفكر الاشتراكى خلال الفتـرة الاخيرة • ولكننا سنهتم بالمفهومات الرئيسية التى لها صلة مباشرة بالتغيرات التى طرأت علـى الظروف الموضوعية وساعدت على تشكيل ملامح العلاقات الدولية المعاصرة •

مفهوم التعايش السلمى

لم يكن مبدأ التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة بفكرة جديدة على الفكر الاشتراكى العالمى ، كما قد يتراءى للبعض . ولكنها فكرة قديمة صاغها الفكر الاشتراكى مع مولد الدولة السوفيتية، وظهرت كتعبير عن ضرورة موضوعية لتواجد نظامين اجتماعيين فى عالم بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية فى روسيا • ولقـد أكد « لينين » ، وكان أول من صاغ مفهوم التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمـة الاجتماعيـة المتباينة ، انه مع انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا وقيام الدولة الاشتراكية ، أصبحت هناك حتمية تواجد وتعايش النظامين الاجتمـاعيين الرأسمالى والاشتراكى فـى وقت واحـد • وأوضح « لينين » أن تعايش النظامين الاجتماعيين جنبا الى جنب لم يعد ظاهرة مؤقتة ، وانما سيحتل مرحلة تاريخية كاملة هى مرحلة الانتقال مـن الرأسمالية الى الاشتراكية على نطاق العالم • ولن ينتهى هذا التعايش بين النظامين الا بانتصار الثورة الاشتراكية فى جميع أنحاء العالم . كما أوضح لينين أن هذا التعايش بين النظـامين الاجتماعيين يمكن أن يتخذ أشكالا سـلمية أو حربية ، وأن الشكل السلمى للتعايش (التعايش

السلمى) هو أكثر الاشكال مناسبة من وجهة نظر الاشتراكية ·

ومن الطبيعى أن يتغير مفهوم التعايش السلمى ومضمونه وفقا للتغيرات التى تتم فى توازن القوى على النطاق الدولى منذ ثورة أكتوبر حتى اليوم · ففى الفترة الاولى من وجود الدولة السوفيتية تجسدت فكرة التعايش السلمى فى وقف التدخل المسلح ضد الدولة الاشتراكية الوليدة وتحطيم الحصار الرأسمالى وتدعيم ظروف الحماية والاستقرار للجمهورية السوفيتية الوليدة ضد محاولات الامبريالية للقضاء عليها ، ومن اجل ان تكسب الاعتراف الدولى بها وتحتل مكانها الطبيعى فى العلاقات الدولية . وبفضل السياسة الحكيمه والبعيدة النظر للينين وحزبه تحقق كل ذلك للاتحاد السوفيتى ،وتمكنت الدولة الاشتراكية من ان تدعم وجودها وتحتل مكانها فى العلاقات الدولية بعد عشر سنوات من مولدها ·

وطوال فترة ما بين الحربين العالميتين ، وعلى الرغم من التعايش بين النظامين الاجتماعيين ، الا أن فكرة التعايش السلمى لم يكن لها سوى أثر محدود للغاية ، نتيجة لان توازن القوى الدولى فى تلك المرحلة لم يكن يسمح بلجم قوى الحرب والعدوان أو بفرض على التناقضات القائمة فى العلاقات الدولية بأسلوب آخر غير أسلوب الصدام المسلح · ورغم دفاع الاتحاد السوفيتى عن أهمية التعايش السلمى ودرء خطر اندلاع حرب عالمية بعد وصول الفاشية الى الحكم فى ألمانيا ، الا أن ثقله الدولى لم يتمكن من أن يحول سياسة التعايش السلمى الى حقيقة موضوعية · الا ان ما طرأ على العالم من تغيرات بعد الحرب العالمية الثانية وما أدت اليه من تغيير توازن القوى الدولية لصالح الاشتراكية ، قد يترتب عليه تغير الوزن الدولى لفكرة التعايش السلمى بالتدريج حتى أخذت فى السنوات الاخيرة تتحول الى عامل فعال فى تطور العلاقات الدولية المعاصرة ، وبدأ تحقيقها امكانية موضوعية واقعية .

ان افلاس الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة القائمة على محاصرة وخنق النظام الاشتراكى العالمى ، وتمرد عدد من بلدان أوروبا واليابان على تسلط أمريكا واستراتيجيتها ، وتفكك النظام الاستعمارى وبروز شخصية بلدان العالم الثالث المستقلة فى المجال الدولى ، بالاضافة الى النجاحات التى حققها النظام الاشتراكى العالمى والسياسة الخارجية النشطة للبلدان الاشتراكية والحركات المناضلة من أجل السلام والاستقلال الوطنى ـ كل ذلك قد جعل من التعايش السلمى امكانية موضوعية وواقعية فى العلاقات الدولية فى ظروف عالم اليوم · ان التعايش السلمى يعنى فى الظروف الحاضرة على وجه التحديد رفض استخدام القوة او التهديد بها ورفض الحرب كوسيلة لحل المشاكل القائمة بين الدول ، واستخدام المفاوضات كالوسيلة الرئيسية لحل تلك المشاكل ، واحترام سيادة واستقلال كافة البلدان وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلدان الاخرى ، وضمان التطور الحر لكل البلدان على أساس التعاون المتبادل المنفعة فيما بينها ·

وترى الاشتراكيه ان التعايش السلمى انما ينحصر فقط فى مجال العلاقات بين الدول . لكنه لا علاقة له على الاطلاق بمجال الصراع الطبقى داخل كل دولة . اذ أن الاخير تحكمه قوانين أخرى غير القوانين التى تحكم العلاقات الدولية . وقوانين الصراع الطبقى داخل كلدولة بل وعلى نطاق العالم لا يمكن وقف تأثيرها أو الغائها ، اذ انها هى العامل الحاسم فى التطور الاجتماعى . وأى محاوله لتجاهل هده القوانين او تخطيها محكوم عليها بالفشل . وسياسة التعايش السلمى فى العلاقات الدولية لا تؤثر كما يدعى البعض على الصراع الطبقى والاجتماعى فى اتجاه الترويج لفكرة السلام الطبقى ولكنها على العكس بابعادها شبح الحرب فى العلاقات الدولية ستخلق ظروفا أكثر مواتاة لانطلاق الصراع الاجتماعى داخل كل بلد وعلى نطاق العالم حيث ستقضى على كثير من المبررات والعوامل التى كانت تستغلها الطبقات الحاكمة فى ظروف التوتر الدولى وخطر الحرب لضرب حركة الجماهير وحرياتها الديموقراطية . ان فكرة التعايش السلمى لا تلغى التناقضات الاجتماعية بين الاشتراكية والرأسمالية أو بين حركة التحرر والامبريالية أو غيرها من التناقضات التى تحكم عالم اليوم ولكنها تمهد لايجاد ظروف دولية أكثر ملاءمة لحل هذه التناقضات فى صالح الشعوب وبأقل الالام .

ويروج بعض مفكرى البرجوازية لفكرة تقول بأن التعايش السلمى انما يعنى فى ظروف التوازن النووى،وتحت ضغطه نوعا من الوفاق بين الدولتين الكبيرتين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على تقسيم النفوذ فى العالم وعلى الاحتفاظ بالوضع الراهن للامور وعلىمحاولة تهدئة المشاكل التى قد تؤثر على جو الوفاق القائم بينهما · وأمثال هؤلاء يضعون أنفسهم ضد التعايش السلمى لانهم لا يرون فيه وسيلة ممكنة لحل المشاكل المعقدة فى العلاقات الدولية ويتناسى هؤلاء أن التغير الجوهرى الذى تم فى الوضع الدولى قد ساعد على الانتقال التدريجى نحو أسلوب سلمى فى حل الخلافات ، وأن الامبريالية مجبرة على قبول ذلك

الاسلوب باعتباره الطريق الوحيد الممكن لحماية مصالحها . غير أن تحقيق التعايش السلمي لا يؤثر على الاطلاق في المصالح الطبقية والاجتماعية والسياسية لكل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . فهذه المصالح ستظل على طرفي نقيض ولن تلتقي أو تتقارب كما يروج البعض . ان دفاع الاشتراكية عن التعايش السلمي ايمانا منها بأنه يوفر ظروفا افضل لتقدم الثورة العالمية ، وقبول الراسمالية للتعايش السلمي مضطرة تحت ضغط التوازن الجديد للقوى في العالم وباعتبارها الامكانية الوحيدة أمامها في العلاقات الدولية لحماية مصالحها ، لا يعني تغيير طبيعة الاشتراكية أو تغيير طبيعة الرأسمالية أو تغيير القوانين التي تحكم التناقضات بينهما كما يحاول أن يصور البعض . انه يعني مجرد التسليم بالواقع الموضوعي للعلاقات الدولية ومحاولة البحث عن حلول بعيدا عن أسلوب الحرب وفي حدود ما يسمح به توازن القوى في كل مشكلة على حدة . ويعني من وجهة نظر الاشتراكية محاولة الاستفادة من التغيرات التي طرأت على توازن القوى الدولي لصالحها لايجاد حلول للمشاكل الدولية التي تؤرق العالم دونما حاجة الى استخدام القوة . والتعايش السلمي كسياسة في العلاقات الدولية لن يحدد الحلول التي سيتم التوصل اليها للمشاكل وانما ستتحدد هذه الحلول وفقا لظروف كل مشكلة والتناقضات التي تحكمها وعلاقات القوى فيما يختص بها . ومحاولة الخلط بين التعايش السلمي وبين التناقضات المختلفة التي تحكم عالم اليوم ما هي الا محاولة خبيثة لطمس هذه التناقضات ولتشويه وجه الاشتراكية خدمة لاهداف البرجوازية العالمية .

ومما لا شك فيه أن تحقيق التعايش السلمي سيتيح ظروفا افضل وأكثر مواتاة أمام انطلاق حركة التحرر في صراعها ضد الامبريالية ومن أجل تحقيق أهدافها . فتحقيق التعايش السلمي سوف يسمح بتصفية الاحلاف العسكرية والقواعد العسكرية في العالم ويخفض من الاسلحة ويخفف من سياسة استعراض العضلات . ولا شك أن تلك الظروف تعتبر ظروفا ضاغطه على حركة التحرر الوطني تؤدي تصفيتها .. بل الى خلق ظروف اكثر مواتاة لانطلاقها . كما أن تحقيق ذلك سوف يسد الطريق أمام كثير من مبررات التدخل العسكري للدول الامبريالية تحت دعوى الدفاع عن مصالحها . **ولا يعني مفهوم التعايش السلمي في نظر الاشتراكية حرمان حركات التحرر الوطني من حقها في استخدام ما تراه من وسائل لتحقيق أهدافها . فالتعايش السلمي في نظر الاشتراكية لا يعني تعايشا بين الظالمين والمظلومين ، كما لا يعني طمس التناقضات القائمة في عالمنا ، وحيث أن حركات التحرر هي تعبير عن تناقضات موضوعية في عالمنا ، فلابد وان تجد خلالها ، وقد يكون سبيلها الى ذلك استخدام العنف او القوة ، او الحرب الشعبية أو الكفاح المسلح لتحقيق أهدافها ، وقد يتمكن من تحقيق تلك الاهداف بوسائل سلمية**

ويردد بعض الدعاة في الغرب أنه من المنطقي مع تحقيق التعايش السلمي بين الدول أن يتم تعايش سلمي بين المعتقدات والافكار وأن يزول خط التقسيم العقائدي من على سطح كوكبنا تدريجيا .

واذ تدين الاشتراكية هذا الخط في التفكير تنطلق من أن التعايش السلمي مسألة تتعلق بالعلاقات بين الدول وأنه لا يمتد على الاطلاق الى ميدان الافكار . ففي مجال الفكر والايديولوجية لا يمكن أن يوجد توفيق أو تعايش سلمي بين فكر البرجوازية وفكر الاشتراكية . وأي محاولة للتوفيق بين فكر البرجوازية والفكر الاشتراكي لا تعني الا محاولة طمس معالم الفكر الاشتراكي ولابد أن تنتهي الى الدفاع عن مصالح البرجوازية . ويرفض الفكر الاشتراكي تماما أي اتجاه لازالة خط التقسيم العقائدي ، بل ويؤمن أن الصراع ضد أفكار البرجوازية انما يشكل ميدان الصراع الرئيسي في عالمنا المعاصر ، بل وتزداد أهمية تشديد هذا الصراع يوما بعد آخر .

وفي اطار تلك المفهومات ومع تبدى امكانيات واقعية لتحويل التعايش السلمي الى حقيقة واقعة في عالم اليوم ، شهد الفكر الاشتراكي في حركته الديناميكية للاحتفاظ بدوره المبادر في مجال العلاقات الدولية ، تغييرات هامة في نظرته للامور . ورأت الاشتراكية أن تعقد العلاقات الدولية المعاصرة وتشابكها وارتباطها الوثيق بسياسة الدول والحكومات يجعل من الضروري اعطاء مزيد من الاهتمام للعمل العلوي مع الحكومات والزعماء والشخصيات المسئولة ، وتوسيع الاتصالات الشخصية معهم بهدف أتاحة الفرص لتبادل الاراء على نطاق أوسع وبحرية ، ولتلمس الامكانيات الواقعية للتوصل الى حلول للمشاكل المطروحة ولتوسيع روح التعاون والتفاهم بين الدول والحكومات المختلفة . ولا يعني ذلك تقليل أهمية الدور الذي تلعبه الجماهير في مختلف البلدان في المساعدة على حل تلك المشاكل ، وانما على العكس فان تزايد دور الجماهير يشكل عاملا مساعدا وحاسما كي تحقق الاتصالات العلوية أفضل النتائج نحو انتصار سياسة التعايش السلمي . والاعتراف بدور الجماهير والتأكيد عليه

ليس بالامر الجديد على فكر الاشتراكية • ولكن الجديد هو الاهتمام بتوسيع الاتصالات مع الزعماء والمسئولين والحكومات فى مختلف البلدان كعامل له دوره فى المساعدة على حل وتسوية المشاكل المعلقة فى العلاقات الدولية وتعزيز جو التعاون والتفاهم بين الحكومات كشرط لتحقيق التعايش السلمى • ومع هذا التغير شهدت الاعوام الاخيرة سلسلة واسعة من الاتصالات قام بها زعماء البلدان الاشتراكية مع زعماء ورؤساء حكومات كثير من البلدان على نطاق العالم ساعدت بالفعل فى عزل الاتجاهات العدوانية التى كانت تحول دون تقدم الانفراج الدولى وفى خلق جو للتفاهم المتبادل وفى تلمس المبادرات المختلفة، وفى بلورة الحلول الواقعية التى تم التوصل اليها فيما يتعلق بالعلاقات بين بلدان أوروبا أو بالعلاقات مع الولايات المتحدة .»

المنافسة الاقتصادية بين النظامين

وفى ضوء التقييم الجديد للوضع الدولى بدأت الاشتراكية تبدى اهتماما متزايدا بمجال العلاقات الاقتصادية الدولية • وترى الاشتراكية أن المنافسة الاقتصادية بين النظامين هى التعبير الاقتصادى عن التعايش السلمى أى أنها أحد الاشكال السلمية للصراع العالمى بين الاشتراكية والرأسمالية ، اذ فى ظل المنافسة الاقتصادية يدور الصراع فى المجال الاقتصادى بين الطبقة العاملة المنتصرة فى البلدان الاشتراكية من خلال دولتها ، وبين البورجوازية الحاكمة فى البلدان الرأسمالية من خلال دولتها . وعلى ذلك فان المنافسة الاقتصادية ما هى فى واقع الامر الا صراعا بين النظامين الاجتماعيين ، يحاول كل منهما خلاله اثبات افضليته ،وليس هناك منشك فىنتيجة المنافسة، لانها تعطى فرصا افضل لتدعيم مواقع الاشتراكية فى العلاقات الاقتصادية الدولية بينما تساعد بصورة أكبر على تصفية السيطرة الاقتصادية للامبريالية على السوق الرأسمالى العالمى وتحرير التجارة الدولية من تحكم الدول الامبريالية •

ان سياسة المنافسة الاقتصادية من جانب الدول الاشتراكية التى ترتكز على التعاون ذى المنفعة المتبادلة والتجارة المتكافئة والمعونات الاقتصادية والتكنيكية المنزهة عن الغرض والتى لا ترتبط بأية شروط ستؤدى الى تحرير العلاقات الاقتصادية الدولية من سياسة املاء الشروط والتهديدات السياسية والعلاقات الاقتصادية غير المتكافئة التى تفرضها الدول الامبريالية على بلدان السوق الرأسمالى العالمى • وقد عجل وضع هذه المفهومات موضع التطبيق من اضعاف قبضة السيطرة الاحتكارية الامبريالية على السوق العالمية وفى ميدان الائتمان كما يضيق الفرص أمام المضاربة الاحتكارية للامبريالية ويحد من امكانياتها فى تحقيق الارباح الفاحشة على حساب الشعوب .

وأدى تطبيق هذا المفهوم الى تغييرات هامة فى العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدان الاشتراكية والدول الرأسمالية المتطورة • واتجهت البلدان الاشتراكية الى زيادة توسيع علاقاتها وتعاونها الاقتصادى مع دول العالم الرأسمالى ووقعت اتفاقيات طويلة الامد للتعاون الاقتصادى مع عدد من البلدان الاوروبية الرأسمالية لمدها بالغاز الطبيعى السوفيتى عن طريق خط ضخم لانابيب نقل الغاز يخترق بلدان مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة ، واقامة نظام لنقل البضائع الترانسيت بين أوروبا وآسيا ، واقامة تعاون علمى وتكنيكى فى مختلف المجالات ، وتوسيع العلاقات التجارية مع هذه البلدان . وقد أشار بيان مجلس التعاون الاقتصادى المتبادل فى دورته الاخيرة الى « ان تطوير العلاقات بين البلدان الاوروبية فى المجالات الاقتصادية والعلمية والتكنيكية والثقافية السياحية ، وفى مجال حمايه البيئة باعطائه المحتوى المادى لسعى شعوب أوروبا نحو السلام والامن والازدهار ، سيعمل على تدعيم استقرار نظام الامن والتعاون الذى سيقام فى أوروبا » •

وأعلنت البلدان الاشتراكية عن معارضتها للتكتلات الاقتصادية المغلقة ، على أساس انها تحول دون توسيع التعاون الدولى وتخلق ظروفا غير متكافئة فى العلاقات الاقتصادية الدولية ، وتسد الطريق أمام التعاون المتعدد الاطراف وبأفضل الشروط بين مختلف دول العالم على أساس المنفعة المتبادلة • ودعت البلدان الاشتراكية الى توسيع التعاون مع بلدان السوق الاوروبية المشتركة وأعلنت عن استعداد مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة للتعاون الثنائى والمتعدد الاطراف وعلى أى مستوى مع كافة البلدان التى ترغب فى ذلك وبغض النظر عن أنظمتها الاجتماعية . وقد طلبت بالفعل كل من كوبا وفنلندا والعراق الانضمام الى مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة . كما تجرى مناقشات حول [illegible] تعاون بين مجلس المعونة الاقتصادية والمجلس [illegible]صادى التابع لجامعة الدول العربية •

وبادرت الدول الاشتراكية فى اطار هذا المفهوم الى توسيع علاقاتها وتعاونها الاقتصادى مع

البلدان النامية . واتسعت هذه العلاقات خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة بحيث أصبحت أحد سمات العلاقات الاقتصادية الدولية فى المرحلة الراهنة . واليوم تقدم البلدان الاشتراكية مساعدات اقتصادية وتكنيكية الى أكثر من ٦٠ دولة من الدول النامية . وبفضل هذه المساعدات تم بناء أكثر من ١٢٠٠ مشروع صناعى كما يجرى العمل فى بناء حوالى ٨٠٠ مشروع اخرى . ويدرس حاليا ١٢ الف مواطن من مائة من البلدان النامية فى المعاهد العالية فى البلدان الاشتراكية . ولعبت هذه المساعدات دورا هاما فى تدعيم الاستقلال الاقتصادى والسياسى للدول النامية ، وفى بناء وتطوير اقتصادها الوطنى المستقل كما ساعدتها على مواجهة ضغط الدول الامبريالية ووفرت لها ظروفا أفضل لتطورها . كما خلقت لها ظروفا افضل فى العلاقات الدولية فى ميدان التجارة والائتمان .

فى اتجاه الامن والتعاون الاوروبى

وبدلا من المواجهة والانقسام والتوتر بين بلدان القارة فى أوروبا ، انطلق الفكر الاشتراكى فى اتجاه بلورة مفهوماته حول التعاون والامن الجماعى فى القارة الاوروبية على أساس التلمس الواقعى للامكانيات الموضوعية التى بدأت تبرز فى أوروبا . وذلك من أجل انفراج التوتر والبوادر العملية للتوصل الى اتفاق يساعد على دفع أوروبا فى طريق التعايش السلمى . وتبلور هذا المفهوم شكل خاص بعد تعاظم الاتجاه نحو انفصال بلدان غرب اوروبا عن الاستراتيجية الدولية للولايات المتحدة . واقتناع عدد من حكومات أوروبا بأن سياسة الاطلنطى العدوانية واستراتيجية الحرب الباردة تكلفها ما هو فوق طاقتها ، وما هى ليست فى حاجة اليه وما لا يتفق مع مصالحها المباشرة . وفى ضوء تلك الاوضاع الجديدة والمتنامية بدأ الفكر الاشتراكى يرسم مبادراته العملية نحو الاستفادة العملية من الامكانيات الجديدة . وكانت نقطة انطلاقه هى ضرورة اعتراف دول أوروبا بالتغيرات الاقليمية والسياسية والاجتماعية التى حدثت فى القارة بعد الحرب العالمية الثانية ، وارساء الاسس الضرورية من أجل تسوية المشاكل المعلقة بين بلدان أوربا الاشتراكية والرأسمالية . وجاءت المعاهدة الالمانية مع كل من الاتحاد السوفيتى وبولندا تحقيقا لهذا الاتجاه . كما ارست الاتفاقية الرباعية حول برلين اسس الاعتراف الدولى بجمهورية المانيا الديموقراطية وقضت على أحد بؤر التوتر التى أرقت العالم طوال العشرين سنة الماضية . ولقيت مبادرة الاتحاد السوفيتى لانعقاد مؤتمر شامل للأمن والتعاون بين كل بلدان القارة استجابة واسعة النطاق من قبل الرأى العام وعدد كبير من الحكومات الاوروبية . وبدأت التحضيرات والمشاورات العملية بين الحكومات الاوروبية من أجل التحضير لانعقاد هذا المؤتمر .

بلدان العالم الثالث
والوضع الدولى الجديد

مع تزايد تفكك النظام الاستعمارى للامبريالية وظهور سلسلة من الدول المستقلة فى عالمنا ، ومع انهيار احتكار الامبريالية للسوق الرأسمالى العالمى ، وبروز امكانيات التطور المستقل للدول الوطنية ، ومع تزايد قوة النظام الاشتراكى العالمى وبروز دوره على مسرح العلاقات الدولية تبلورت شخصية بلدان العالم الثالث فى ميدان العلاقات الدولية وبرز دورها فى الجبهة العريضة للنضال ضد الامبريالية ومن أجل تحقيق سياسة التعايش السلمى على النطاق الدولى . وانطلاقا من تلك المعطيات بدأ الفكر الاشتراكى يبلور مفهوماته الجديدة للاوضاع السياسية والاجتماعية داخل بلدان العالم الثالث ولدور هذه البلدان وامكانياتها فى التأثير على تشكيل العلاقات الدولية فى عالمنا المعاصر .

وكان من أهم القضايا التى أعاد الفكر الاشتراكى تقييم موقفه منها هى القضية الخاصة بطبيعة البرجوازية الوطنية فى تلك البلدان ، والدور الذى يمكن أن تلعبه فى النضال الوطنى والاجتماعى فى ضوء المتغيرات الجديدة لعالمنا . وتوصل الفكر الاشتراكى الى الظروف الجديدة تتيح للبرجوازية الوطنية طاقات أوسع فى النضال ضد الاستعمار وفى ثورة التحرر الوطنى أكثر مما كان متصورا من قبل . وأنه أصبح فى الامكان أن تقود تلك الطبقة النضال حتى تحقيق الاستقلال السياسى بل ومن أجل بناء وتطوير الدول المستقلة وفى التعاون من أجل احداث تغييرات اجتماعية بعيدة المدى فى تلك البلدان تفتح آفاقا واسعة نحو سلوكها طريقا للتطور غير الرأسمالى ، وقد أصبح ذلك ممكنا بفضل قوة النظام الاشتراكى العالمى والمساعدات التى يقدمها لتلك البلدان سواء فى الميدان السياسى والاقتصادى لمواجهة ضغط وتحكم الاستعمار ، وفتح ذلك آفاقا جديدة للتعاون مع البورجوازية الوطنية ، سواء على النطاق المحلى

أو الدولي ، سـواء في التطورات السياسـية والاجتماعية داخل بلدانها ، أو في مجال النضال ضد الاستعمار والعلاقات الدولية على النطاق العالمي . وخرج الفكر الاشتراكي بعدد من الفرضيات الهامة والجديدة فيما يتعلق بطرق تطور البلدان المستقلة وامكانية أن تشق طريقها في اتجـاه التطور غير الرأسمالي ، حتى دون توفر قيادة الطبقه العاملة ، وذلك تحت قيادة الديمقراطيين الثوريين فيما اطلق عليه بدولة الديمقراطية الوطنية التي تعتبر دولة تحالف قوى الشعب العاملة تحت قيادة الديمقراطيين الثوريين .

وتوصل الفكر الاشتراكي الى أنه رغم تعدد انماط الدول المستقلة وتباين طبيعتها الاجتماعية حسب الظروف الداخلية لتطور الصراع الاجتماعي في كل منها ، الا أنها بشكل عام تشكل جزءا من الجبهة العريضة المعادية للامبريالية ويجب على البلدان الاشتراكية ان تسعى بكل طاقتها لتدعيم وجود هذه الدول ولتقديم التأييد والمساعدة السياسية والاقتصادية اليها ، والتعاون معها الى أبعد الحدود في سبيل دفع المتغيرات الدولية بما يتفق ومصلحة الاشتراكية العالمية لافاق ابعد . وتجلى هذا المفهوم الجديد في السياسه التي انتهجتها الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي حيال العالم الثالث وفي المساعدات والتعاون الواسع المدى مع هذه البلدان والذى ساعد لدرجة كبيرة على تطوير هذه البلدان وتدعيم مركزها الدولي في وجه محاولات الدولة الامبريالية استعادة المراكز التي فقدتها في تلك البلدان

تزايد حدة الصراع الايديولوجي

كانت أحد النتائج البارزة للاوضاع والعلاقات الدولية الجديدة هو تـزايد حـدة الصراع الايديولوجي على نطاق العالم ، فخلال خمسـة عشر عاما واجهت الاشتراكية في محاولتها تحديد معالم التطورات الجديدة والاستفادة منها لصالح قوى الاشتراكية والسلام واجهت مرحلة من المعاناة وشهدت الخلافات والانقسام والصراع في الميدان الفكرى وأدى ذلك الى تبلور عديد من الاتجاهات داخل صفوف الحركة الاشتراكية ، غير أن الصراع الايديولوجي الذى دار طوال الاعوام الماضية داخل صفوف الحركة الاشتراكية لم يكن تعبيرا عن ضعف أو عجز ، وانما كان تعبيرا عن ضروريات موضوعية فرضتها التغيرات الضخمة في عالمنا ، والحاجة الى صياغة مفهومات جديدة تتلاءم مع الظروف الجديدة ، وليس هناك من شك في أن الفكر الاشتراكي سيتمكن من خلال هذا الصراع من تدعيم وحدته ومن بلورة مفهوماته وزيادتهـا وضوحا ، ومن اعادة توحيد صفوفه على أسس اقوى .

ان عجز البورجوازية العالمية نتيجة لظروف عالم اليوم عن ان تخنق الاشتراكية او تنازلها في الميدان السياسي او الاقتصادى واضطرارها الى التخلي عن أساليب المواجهة الحادة في تلـك الميادين ، قد دفعها الى محاوله تشديد هجومها ضد الاشتراكية في الميدان الفكرى . واستغلت البورجوازية ما تواجهه الحركه الاشتراكيه من خلافات وانقسام لتشديد حملة الهجوم الفكرى ضد الاشتراكية بمختلف الاشكال من الحملات الفكرية الصريحة ضـد الاشتراكيـة الى الحزب المقنعة بمحاولة مساندة وتشجيع الاتجـاهات والافكار المنحرفة والمراجعة ، الى محـاولة « أحتواء » الاشتراكية عن طريق الترويج لنظريات واتجاهات تبدو اشتراكية في مظهرها ولكنها ترمي الى تصفية الاشتراكية في الواقع . وهكذا نشهد مع امكانيات تحقيق التعـايش السلمي زيـادة الصراع الايديولوجي حدة بين الاشتراكية وبين أعدائها . وهذا أمر طبيعي ومفهوم اذ أنه في هذه الظروف بعد أن عجزت الرأسمالية العالمية عن سحق البلدان الاشتراكية أو خنقها لم يعد أمامها سوى محاولة طمس وتشويه معالم الفكر الاشتراكي لاضعاف تأثيره على مستقبل تطور الاحـداث والاستفادة من ذلك ، في الحدود التي تسمح بالدفاع عن مصالح الراسمالية . واخطر مـا تواجهه الاشتراكية في هذا الصراع هو محاولة النيل من طابعها الاممي ، واتخاذ ظاهرة تعدد انماط الاشتراكية حسب ظروف كل بلد على حدة ، ذريعة لتبـرير التنكر للقـوانين الاسـاسية للاشتراكية ، وتبرير تزييف وتهريب مختلف الافكار والنظريات الراجعة تحت عـلم الاشـتراكية . واختلاف ظروف تطبيق الاشتراكية في كل بلد لا يلغي وانما يؤكد وحدة القوانين الاسـاسية للاشتراكية وعالميتها .

ان هذه المحاولات المتعددة التي تقوم بهـا البورجوازية العالمية لطمس معالم الاشـتراكية ومسخها بمختلف اشكال الحرب الايـديولوجية تفرض على الفكر الاشتراكي واجب تشديد النضال الفكرى والايديولوجي ضد تلك المحاولات ، ومن أجل ان تزداد راية الاشتراكية وضوحا حتى يمكن ان تلعب دورها الطليعي على خير وجه فـي اتجاهات تطور عالمنا المعاصر .

عناصر تفكير البورجوازية العربية

« فى المتغـــيرات الدوليـــة »

فيليب جــلاب

من الصعب تحديد عناصر تفكير البورجوازية الوطنية العربية فيما يتعلق بمسألة « المتغيرات فى العالم »اذا كنا نعنى بالبورجوازية طبقة محددة المعالم،واضحة التكوين،متناسقة الفكر، أو حتى فئة معينة من فئاتها يمينا أو يسارا ، أو ما بينهما .

ذلك أن تحديد الفئات والطبقات المختلفة ، أو المعبرين عنها يتم بشكل عفوي بسبب عدم وجود منابر سياسة واضحة . ولعل ذلك يتضح فى المواقف متباينة المنهج والمنطلق للمفكر الواحد فى كثير من القضايا ، بحيث يبدو بعض من نعدهم مفكرين بورجوازيين اقرب فى بعض المواقف لتفكير غير بورجوازى ولمصالح لا تعبر بالدقة عن مصالح البورجوازية ، كما يبدو غالبية الماركسيين (فى غيبة تنظيم سياسى) أكثر تعبيرا عن الجناح اليسارى للبورجوازية الوطنية (القومية) من التعبير عن العمال أو الفلاحين ... رغم مما تراه « أجهزة المتابعة » من رأى مخالف .

اذن فالفروق ليست واضحة تماما بين مختلف المفكرين الوطنيين سواء كانوا من الماركسيين أو الليبراليين او من هم دون ذلك تفتحا ووعيا . لكن هذا لا يمنع أحيانا من ان التضارب الشديد فى المواقف بين مفكرين ينتمون لنفس الفئة ويعبرون عن نفس المصالح راجع فى الاساس لوعي وذكاء البعض فى ادراكهم للمصالح الحيوية التى يعبرون عنها وجهالة او بلاهة البعض الاخر ، وهذه احدى مشاكل كل الطبقات والفئات التى تنكب ببعض المعبرين عنها أكثر مما تنكب بأعدائها ، وذلك يرجع فى الاساس الى عدم توفر الشروط المثلى لافراز الممثلين الحقيقيين ، أو افضل الممثلين للطبقات والفئات المختلفة .

« متغيرات » و [تكنولوجيا]

و « المتغيرات » أحد المصطلحات الجديدة التى وجدت لها مكانا على صفحات الصحف نقلا عن الفكر السياسى الغربى (الغربى بمعنى غير سياسى) مثلها فى ذلك مثل المصطلح (الشهير) : « التكنولوجيا » .. الذى يحتمى الكتاب بذكراه من آن لاخر دون أن يمل أحد من ترديد مآثره المعروفة .

لكن « المتغيرات » لها مشكلة أخرى أكثر تعقيدا فهى نفسها كاصطلاح ليست محددة تماما لدى من يستخدمونها . فهل المتغيرات عناصر ثانوية أو ترتبط بعناصر ثانوية فى العلاقات الدولية قابلة للتغير ومعروفة سلفا ؟ أو هى تغيرات مفاجئة لم يحسب أحد حسابها أو يتوقعها ويمكن أن تتعلق بعناصر ثانوية أو أساسية فى هذا العالم ؟ واذا كان الامر كذلك ، هل هناك « **ثوابت** » فى العلاقات الدولية مقابل « **المتغيرات** » .. والى أى حد يمكن أن يكون هناك « ثبات » لو صح التعبير دون الاخلال بمبدأ أساسى وهو قانون التطور أو التغير ؟

نوعان من المتغيرات

لنضرب مثالين على نوعين من « المتغيرات » أو التغيرات أحدثا ولازالا يحدثان آثارا غير محدودة فى علاقات القوى العالمية ، وكليهما يمكن وصفه بالتغير الاساسى لكن أحدهما لم يكن متوقعا على الاطلاق .

الاول : هو استيلاء الحزب الشيوعى الروسى على السلطة عن طريق الثورة المسلحة عام ١٩١٧ مما أحدث تغييرا أساسيا فى العلاقات الدولية وأدى لاول مرة فى التاريخ الى انقسام العالم الى معسكرين متناقضين تماما . وكان ذلك من المتغيرات الرئيسية المتوقعة ، رغم الخلاف بين الماركسيين حول امكان حدوثها فى روسيا اولا، او فى بلد آخر .

لكن كل ما تلا ذلك « المتغير » من تطورات فى نفس الاتجاه ، لم يعد من الممكن تصنيفه تحت باب المتغيرات الاساسية . حتى ثورة الصين عام ١٩٤٩ بكل آثارها الهائلة داخل وخارج الصين ليست من « المتغيرات » الاساسية . انها « تقسيم » أو تنويع على نفس اللحن وهو انقسام العالم الى معسكرين : رأسمالى واشتراكى ، والانتصار الحتمى للاشتراكية على الرأسمالية .

أما الخلاف الصينى ـ السوفيتى ، والذى أدى الى أن تصنف الصين ، الاتحاد السوفيتى ، نظريا وعمليا ، تحت باب « العدو الاول للصين » فيعد تغييرا أو « متغيرا » أساسيا . فلا أحد من بين غلاة الرأسماليين خطر بباله أن يحدث صدام على هذا المستوى بين دولتين (ان لم تكن ثورتين) تهتديان بالماركسية اللينينية . واذا كان مفكرو الماركسية اللينينية هنا أو هناك يؤكدون فكرة الصراع ليس بين الاحزاب والمجتمعات الاشتراكية فحسب ولكن داخل كل حزب أو مجتمع اشتراكى أيضا ، الا أن هذا الصراع كما يحددونه لا يتجاوز أبدا حدود التناقضات الثانوية غير العدائية .

هناك اذن متغيرات متوقعة كما يبين المثال الاول ، وهناك « ثوابت ـ متغيرات » ، كما يؤكد الخلاف الصينى ـ السوفيتى . وذلك بمعنى أن أحدا لم يتخيل أن يصل العداء بين دولتين أو نظامين اشتراكيين الى هذا الحد . لكن رغم أن المجال ليس مناقشة الخلاف الصينى السوفيتى الا أن هناك خللا بالتأكيد على حساب الاشتراكيه فى هذا الخلاف ، مما يدفع الى الاعتقاد بأنه مسألة عارضة ، ولابد ان تصحح بطريقة أو أخرى عندما تتوفر الظروف الملائمة .

لكن هناك « ثوابت » بالتأكيد فى العلاقات الدولية تقرب فى ثباتها من ثبات « عجلة الجاذبية الارضية » مثلا . ونعنى بها العداء الابدى بين الرأسمالية والاشتراكية حتى تصفى احداهما الاخرى ، مع اختلاف وسائل التصفية من مجتمع لاخر ، ومن عصر لاخر .

المتغيرات والثوابت

وعندما يتبادر الى الذهن أن المتغيرات قد تعنى امكانية ذبول الفروق الجوهرية بين دولة اشتراكية كالاتحاد السوفيتى او الصين وبين دولة رأسمالية كالولايات المتحدة الامريكية ، فلابد ان يكون هناك خطأ جسيم فى التعبير ، أو انها شهادة وفاة رسمية للنظام الاشتراكى وعودة بالنظام العالمى الى ما قبل عام ١٩١٧ مع اضافة أكثر من نصف قرن من التقدم العلمى والتكنولوجى .

ولعل المصدر الحقيقى لمثل هذه الافكار هو فكرة غربية ذات جاذبية خاصة ابتدعها مفكرو « الرأسمالية الجديدة » أو « مجتمع الرفاهية » وهى أن « التكنولوجيا قضت تماما على الايديولوجيا » او أن ثورة العلم والتكنولوجيا حطمت أهم المبادىء الاساسية للصراع الايديولوجى بين العمال والراسماليين . وبالتالى

غيرت من الاطار العام المعروف لصراع الطبقات فدفعت بالرأسمالية خطوات نحو الاشتراكية ، ودفعت بالاشتراكية خطوات نحو الرأسمالية . وكل ما تبقى من صراعات بعد ذلك يدخل فى اطار الصراع بين الدول كدول او مصالح او قوميات ، وان الاعوام القليلة القادمة كفيلة بوضع حد نهائى واعلان انتصار ، او هزيمة الجميع فى مجال الايديولوجية .

عناصر التفكير الوطنى

فما هى عناصر تفكير الفئات الوطنية العربية ،أو بعضها على الاقل بالنسبة للمتغيرات فى العالم ؟ والى أى مدى تقترب من الفكر الغربى أو تبتعد عنه ؟

ان الكتابات المتفرقة تعطى صورة ناقصة وان كانت مجمل هذه الكتابات تقدم تصورا متكاملا أو أقرب الى التكامل . وأول عناصر هذا التفكير بالنسبة « للمتغيرات » فى رأيهم أن الانقسام الفكرى والسياسى الذى كان يفصل العالم الى معسكرين طوال ربع قرن قد انتهى الان تماما ولم تبق منه سوى آثار مندثرة . وآية ذلك أن الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ينتقلان على حد تعبير « الرئيس نيكسون » من مرحلة التصادم الى مرحلة التفاوض الى مرحلة التفاهم . والامر لا يقتصر على موسكو وواشنطن . فهناك جديد فيما يتعلق بموسكو وبكين ، وبكين وواشنطن وطوكيو ، الى جانب ما يجرى فى اوربا الغربية فى اتجاه الوحدة بين دولها وشعوبها وقومياتها ، وعلاقة هذا بمؤتمر الامن الاوروبى بين أقطاب الشرق والغرب .

وقد توحى هذه الافكار الخاصة بانتهاء أو زوال الانقسام الفكرى والسياسى (وهى لابد أن توحى) بأن هناك تغيرا أو « متغيرا » أساسيا هو موقف الاتحاد السوفيتى بالدرجة الاولى والصين ايضا . فاذا اضيف اليها ما نقل عن تصريح للرئيس نيكسون حول الانتقال من مرحلة التصادم الى مرحلة التفاوض الى مرحلة التفاهم ، لم يعد هناك شك فى استخلاص النتيجة المشار اليها آنفا .

لكن نفس هذا التيار الفكرى يقدم جانبا آخرا للصورة بالنسبة للمتغيرات ، مما يسمح بقدر كبير من التوازن ، اذ يؤكد أن الصراع لم ينته فى العالم ولا يمكن أن ينتهى لان الصراع هو قانون الوجود ، وسيتم التعبير عن هذا الصراع بطرق مختلفة . ثم يصبح أكثر تحديدا وتوفيقا فى تصوير العلاقات بين « القوتين الاعظم » فيشير الى أنهما ستحاولان ايجاد حلول لكل المشاكل المتفجرة فى العالم ولكن دون أن يعنى ذلك أنهما سيصلان حتما الى اتفاق كامل بينهما بالنسبة لمختلف المشاكل .

ثم يقترب هذا التفكير من التصوير الى محاولة تفسير الاسباب الموضوعية للتقارب ، ويرجعه الى ضغوط وتكالف ومخاطر التصاعد فى الصواريخ وما تحمله من شحنات نووية رهيبة ، يمكن أن تنطلق من أعماق البحار او الفضاء وبعبارات أكثر تحديدا يصل نفس الفكر الى أن احدا لا يريد ان يساوى بين طبيعة القوتين الاعظم لان لكل منهما طبيعة مختلفة ، مما ادى الى وقوف الولايات المتحدة مؤيدة للعدوان الاسرائيلى ضد الثورة العربية . ووقوف الاتحاد السوفيتى فى الجانب المضاد . ويذهب هذا التيار نفسه خطوة أبعد من مجرد الموقف من العدوان الاسرائيلى فيؤكد ان هناك أرضية مشتركة يمكن ولابد أن نقف عليها مع الاتحاد السوفيتى . فى حين أنه لا توجد على الاطلاق ارضية مشتركة نقف عليها او نقبل بالوقوف عليها مع الولايات المتحدة الامريكية . والى أن هناك تناقض أساسى بيننا وبين الولايات المتحدة رغم ضرورات الحوار أحيانا .

تيار يصعب مناقشته

وقد تكتمل الصورة اذا تعرضنا لتيار آخر يصعب أن تستثنيه من التيارات القومية ويصعب تصنيفه بطريقة منهجية . لان الخروج عن البديهيات يجعل المناقشة « غير ذات موضوع » الا اذا تركنا المشكلة الاساسية ، وتفرغنا للاتفاق من جديد حول أمور تعد من المسلمات . مثلا عندما يقال أن هناك من يتجه الى الدعوة لاتخاذ موقف « الحياد الايجابى »بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة لان الاثنين لهما موقف واحد ، اذ لا يؤيدان الحربفى الشرق الاوسط ... فأى حياد ايجابى هذا الذى يسوى بين موقف دولة استعمارية معادية ، وبين موقف دولة اشتراكية صديقة ... ثم هل يستوى الخبيث والطيب للدرجة التى يصبح فيها لا فرق بين موقف الولايات المتحدة أو اسرائيل من جانب وموقف الاتحاد السوفيتى من جانب آخر ؟ !

أو عندما يقال ببساطة شديدة أنه اذا كان الاتحاد السوفيتى قد أعلن صداقته بأمريكا ، فصديق الصديق صديق . اى أن كل أصدقاء

الاتحاد السوفيتى يجب أن يصبحوا أصدقاء لامريكا .. الخ ».

كيف نناقش مثل هـــذه الاحكام القاطعة التى تتجاهل أبجديات السياسة والواقع . بل والمعنى المتفق عليه لمفردات اللغة ؟!

المتغيرات وماذا غيرت ؟

هذه هى الصورة العامة بقدر الامكانلوجهة نظر تيار أساسى فى الفكر العربى ونعنى به التيار الاول . وهى تمثل موقفا وسطا بين من يقولون فى الغرب بأن « المتغيرات » قضت على احتمـالات الصراع الايديولوجى بين الرأسمالية والاشتراكية ووضعت الجميع تحت راية واحدة هى السعى نحو ما يسمى «بمجتمع الرفاهية »، وبين الذيـن يقولون ان شيئا لم يحدث ، او ان لا جديد تحت الشمس .».

أما أن هناك متغيرات فى العلاقات الدولية فأمر لا يستطيع أحد انكاره أو تجاهله . أما أن هناك ثورة فى العلم والتكنولوجيا فهذا من قبيـل المسلمات .

لكن لم يصل العلم والتكنولوجيـا حتى الان لاختراع يمكن أن يلغى الصراع الطبقى الا بالغاء الاستغلال وتصفية النظام الطبقى . هناك دون شك آثار لا تخفى على احد فى عصر غزو الفضـاء بالنسبة لاشكال الصراع الطبقى . لكن لا يزال الامر قاصر على تغير فى الاشكال دون الجوهر . ولقد فرضت أسلحة الدمار الشامل نوعا مـن استحالة المواجهة المسلحة بين القوى العظمى ،

لـكن من قال بأن صراع الحياة والمـوت بين النظامين ، معالميين بعدم وسائل اخرى كثيرة اذا استبعدت القنبلة الذرية ؟ .

لقد فرضت هذه الاسلحة والتوازن النووى المعروف ، نوعا من الهدنة الطويلة والاعتراف بالامر الواقع فى كثير من المناطق الملتهبة . لكن لم تكن هذه ارادة الاطراف العظمى وحدها (رغم كل ما يقال عن المتغيرات) . ان الاطراف المحلية لها وسيظل لها رغم كل الضوابط الكلمة الاولـى والاخيرة بالنسبة لمشاكلها الخاصة مهمـا بلغ حرص وحذر القوى العظمى على ضبط النفس وتجنب الانفجار . مثلا هل كان من الممكن ان يقبل الغرب الاعترافبالامر الواقع فى وسط أوروبا وفى المانيا الديمقراطية بالتحديد لو كان النظـام الاشتراكى فى برلين عاجزا أو مهلهلا أو معتمدا فى الاساس على حماية سوفيتية ؟ هل من الممكن أن تعترف الولايات المتحدة الان أو مستقبلا بعـدم جدوى الحرب فى فيتنام (ان لم يكن بالهزيمة) ما لم يثبت الفيتناميون أنهم على مستوى مجابهة الولايات المتحدة الامريكية ؟

ونستطيع أن نسوق عشرات الامثلة قبـل « المتغيرات » وبعدها تؤكد أن عصر « الوفاق » أو «التعايش السلمى » لا يمكن أن يلغـى ارادة الاطراف المحلية ، بل على العكس تماما أنه يضاعف من مسئولية الاطراف المحلية ومن دورها . ويجعل لها الكلمة الاولى من موقع القوة فى أى صراع مقبل ، مما يغرى الصديق بالتخلى تدريجيا عن حذره ، ويقنع العدو بمزيد من الحـذر اذا كان التعقل ابعد الامور عن طبائعه .



في العالم العربي ، اتجاهات تحاول أن تقدم التطورات العالمية الاخيرة ، باعتبارها كارثة تحل بالقضية العربية · هي في الحقيقة تتبنى مصلحة الاستعمار الامريكي والصهيونية ، تلك المصلحة التي أصيبت بضربات شديدة بهذه التطورات · وذلك بأن مفاوضات السلام في فيتنام ، ودخول الصين الشعبية هيئة الامم ، وعقد مؤتمر الامن الاوروبي ، وعزل امريكا في حلف الاطلنطي وعن أوروبا الغربية ، كان دليلا على أن موازين القوى في العالم أصبحت لا تميل لمصلحة واشنطن — وبالتالي تل أبيب · وكذلك عقد معاهدة الصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفيتي من جهة ، ومصر والعراق من جهة أخرى ، وتقوية النظام التقدمي في اليمن الجنوبية ، وتأميم البترول في العراق ، واتساع موجة الكراهية ضد الاستعمار الامريكي والدعوة المتعاظمة لضرب المصالح الامريكية في المنطقة العربية ، وافتضاح النظام الملكي الاردني ، ووضوح وقوع السودان في الفخ الامريكي ، وطرد اسرائيل من اوغندا ، وقطع تشاد علاقاته الدبلوماسية معها ، وعزل الدولة اليهودية المتزايد عن الرأي العام العالمي (كما أثبتته القرارات الاخيرة في هيئة الامم) ، هذا كله برهان قاطع على أن موازين القوى في الشرق الاوسط أصبحت أيضا تميل ضد مصلحة واشنطن وتل أبيب · وهو أمر يثبت للرجعية ان الارض التي تقف عليها — أرض الصداقة مع عدو الوطن — أخذت تميد تحتها بفضل تحرك الجماهير ونضوج الوضع العالمي بسبب سياسة التعايش السلمي · وكانت لهذه الاوضاع تأثيرات وانعكاسات عميقة على

السياسة الاسرائيلية سنحاول استخلاص خطوطها الرئيسية رغم ما يغطي سطحها بسبب تلاحق المناورات والالتواءات .

١ ــ الخلفية السياسية

كانت معارك يونية ١٩٦٧ الحرب الثالثة التى خاضتها اسرائيل ضد الدول العربية . وانتهت مثلما انتهت حربا ٤٨ و ٥٦ ، أى بالانتصار العسكرى الاسرائيلى مقرون بهزيمة سياسية كبرى لحكام اسرائيل لانهم لم يستطيعوا فرض ارادتهم على الرفض العربى . وعلى اثر الايام الست انتابت الجماهير الاسرائيلية موجة من الملل من تلك الحرب التى لا تنتهى (١) ، وجعل بعض المراقبين يتساءلون :

« لقد كان مصدر الخطر أمس على المرتفعات السورية وفى الضفة الغربية . ويقع هذا المصدر اليوم فى وسط سوريا وشرقى النهر وغربى القناة . فأين اذن تختفى غدا تلك البؤرة التى تبتعد كلما اقتربوا منها ؟ فى بنى غازى أو بغداد أو الخرطوم ؟ » (٢) .

وفى الوقت نفسه أخذ عدد صغير ــ ولكنه متزايد ــ من الناس يدركون زيف الدعاية الصهيونية عن « تحرير ارض الميعاد » . فنشرت جريدة « **دافار** » فى ٢٠ ــ ١٢ ــ ١٩٧٢ ما كتبه أحد قرائها :

« لن تلفظ شفاهى بتعبير « المناطق المحررة » . ففيها مليون ونصف مليون عربى ، وهم واباؤهم واجدادهم سكان فلسطين ، لم يغتصبوا هذه البلاد من اليهود ولا صلة لهم بتاتا بما جرى هنا منذ أكثر من ألفى عام ...

« ... ثم يدعون الى هجرة اليهود من الولايات المتحدة . ياللعجب ! أولئك الشبان اليهود الذين يسيرون فى مقدمة المظاهرات من أجل مساواة الزنوج فى الحقوق وضد حرب فيتنام ، هل يأتون الى هنا ليقوموا بدور المحتلين ؟ » .

كما أن سياسة التوسع الاسرائيلى بتثبيت الاستيطان فى الاراضى العربية لم تنفذ دون أن تلقى معارضة فى أوساط مختلفة . فهذا أحد زعماء حزب العمل الحاكم (المباى سابقا) واسمه « **دافيد هاكوهين** » يكتب فى جريدة « **دافار** » فى ١٥ ــ ١١ ــ ١٩٦٨ :

« اننا لم ننطلق الى الحرب لكى نوسع حدودنا ونضم مناطق تكمل الخريطة التاريخية المزعومة . فمثل هذا التزييف للوقائع لن يضلل أى شعب بل لن يضللنا نحن أنفسنا .. وانا مستعد للتخلى عن العواطف التاريخية تجاه الخليل وامكنة اخرى مقابل السلام » .

ان الحركة المعارضة للتوسع واحتلال المناطق العربية ، والداعية الى السلام مع العرب ليست حركة ثورية خالصة ومعادية للمذهب الصهيونى الا فى جزء صغير منها ، ونعنى الجزء الشيوعى . غير أنها ــ مع ذلك ــ ذات دلالة على التغيرات الدفينة التى لابد من أن يحسب لها الحكام حسابها . ففى ١٨ ــ ٦ ــ ١٩٦٩ عقد بعض أعضاء حزب مابام (المشترك فى الوزارة) اجتماعا فى تل ابيب قرروا فيه ترك الحزب وانشاء « اليسار المستقل الصهيونى الاشتراكى » . وكتب زعيمهم « **يعقوب ريفتن** » فى جريدة « معاريف » بتاريخ ١٦ ــ ٦ ــ ١٩٦٩ يقول :

« ان القضية الاولى التى تشغلنى اكثر من سواها هى قضية انهاء الحرب والحيلولة دون نشوب حرب جديدة . وأعتقد أن شعار الحكومة بشأن المفاوضات المباشرة .. غير واقعى . وربما يعنى الوضع الراهن حربا جديدة » .

وفى ١١ ــ ٧ ــ ١٩٦٩ عقد مؤتمر سلامى جماهيرى فى تل أبيب اشترك فيه أساتذة وأدباء وشخصيات سياسية واجتماعية نددوا بالاحتلال وطالبوا بتنفيذ قرار مجلس الامن (٣) . وكتب أحد المشتركين فى المؤتمر ــ البروفيسور « **بارهليل** » رئيس قسم التاريخ فى الجامعة العبرية بالقدس ، كتب فى جريدة « معاريف » بتاريخ ٣٠ ــ ٧ ــ ١٩٦٩ يقول :

« هناك خطر من عسكرة النظام ، نتيجة للتطور العام عندنا . ان شوفينيتنا تضرب جذورها . ان ما عملناه حتى الان هو كل شىء ماعدا الشىء الذى يمكن أن تفسره الدول العربية على أنه رغبة فى السلام » .

[١] Nouvel Observateur 14/6/1967

[٢] Ibid. 18/10/1967.

[٣] جريدة « الاتحاد » الاسرائيلية ــ ١٩٦٩/٧/٢٢ .

وبعد أن أعلن « السادات » عدم التزام مصر بوقف اطلاق النار ، أرسل ثلاثون من أساتذة الجامعة العبرية بالقدس برقيه الى « جولدا مائير » فى ٢٥ ــ ١٢ ــ ١٩٧١ طالبين الا تغفل اى فرصة قد تؤدى الى السلام وأن تلتزم بأكبر قدر من الموضوعية فى قراراتها . وفى اليوم التالى دعت سكرتارية « الجيل الصغير » التابعة للمـاباى الحكومة أن ترد بالايجاب على الاسئلة التى وجهها اليها « الدكتور يارنج » منذ سنة ، وذلك للمساعدة على استئناف مهمته . غير أن هذه الدعوة ذهبت طبعا ادراج الرياح ...

وفى ابريل ١٩٧٢ أصدرت « حركة العمل من أجل السلام والامن » منشورا تعلن فيه أن ضم الاراضى وطرد السكان العرب خطر يهدد سلام اسرائيل وأمنها (٤) .

وفى سبتمبر ١٩٧٢ تعرض « الدكتور ناحوم جولدمان » لهجوم حزب حيروت الفاشى والجناح العمالى اليمينى فى المؤتمر اليهودى العالمى لانه اعترض على الحملة الاسرائيلية والصهيونية ضد الاتحاد السوفيتى . غير أن جولدمان ــ رئيس المؤتمر ــ أعرب لوكالة الانباء الفرنسية فى ٩ ــ ١٠ ــ ١٩٧٢ عن نظرته الواقعية فاعلن أمله فى امكان التوصل الى حل سلمى للصراع فى الشرق الاوسط . وقال انه ليس من الممكن أن يخف التوتر فى أوروبا وآسيا وأن يبقى الشرق الاوسط وحده أرضا للمواجهة والصراع مع ما ينطوى عليه ذلك من خطر توريط الدولتين الاعظم فى هذا الصراع .

وفى اكتوبر ١٩٧٢ نشر الملحق الدبلوماسى لجريدة « ليمـوند » الفرنسـية ريبورتاجا عن « المعارضة الصهيونية الجديدة »لسياسة الحكام الاسرائيليين . وذكرت ان دائرة المناقشة للسياسة العربية التى تتبعها تل أبيب أخذت تتسع بصورة عجيبة فى الفترة الاخيرة ، وأن شخصيات كبيرة تشترك فيها بعنف ، منهم « اتزحاق بن اهارون » السكرتير السابق للهستادروت ، و « أريه الياف » السكرتير السابق لحزب العمل ، ومئات من اعضاء الكيبوتزات والطلبة الجامعيين والنقابيين والكتاب، وخاصة من الشباب . ويهاجم هؤلاء تضخم ميزانية الدفاع الاخيرة ، وهو أمر جديد فى المناخ الاسرائيلى الذى كان فيما سبق يقدس الامور العسكرية تقديسا . والنقابيون يثيرون قضية الذين جمعوا الملايين من الاعتمادات الحربية فى جيـوبهم الخاصة . ويشترك فى هذا الموقف البروفيسور «امنون روبنستاين» عميد كلية الحقوق فى جامعة تل أبيب . وفى اجتماع عقد فى كيبوتز « كيريم شالوم » أعلن الكاتب والصحفى « عـاموس كينان » :

« اذا أردنا ايقاف نمو اسرائيل الاستعمارية والعسكرية والحلقية التى تتشكل أمام أعيننا ، فعلينا ان نصرح منذ الان لقادة بلادنا أننا لن نشترك فى الحرب القادمة التـى يعـدونها بأيديهم » .

وذكرت الجريدة أن « موردخاى توب » عضو الماباى القيادى كتب فى جريدة « معاريف » (١٤ ــ ٤ ــ ١٩٧٢) يقول :

« ان وجه اسرائيل القبيح يهاجمنا مـن كل جهة . ويشعر المرء أن جميع القيم الروحيـة لمجتمع الاسرائيلى تنهار وأن المثل تذبح . فهل نعجب بعد ذلك اذا انتصرت العقيدة الوحيدة ، وهى القائلة بأن القوة الغشوم هى منبع جميع الحقوق ؟ » .

واقترنت موجة الملل من الحرب الدائمة بازدياد الصراع الطبقى ، وهو أمر نشعر به باطلاعنا على الاخبار المتتالية عن الاضرابات العمالية ، وحركات المعارضة للاضطهاد العنصرى الموجه ضد اليهود الشرقيين (الفهود السوداء) ، واتساع الحركة الاضرابية المستقلة عـن قيــادة الهستـادروت الرسمية . ففى أول مايو ١٩٦٩ مثلا قـررت السلطات الحكومية وقيادة الهستادروت جمع مبلغ ١٢ مليون ليرة فى «يوم عمل تطوعى » لتمويل صندوق مستوطنات الحدود ، ولكنهم لم يجمعوا سوى ٤٠٠٠ر٤٠ ليرة ، تبرع بها ١٢٠٠٠ عامل من مجموع ٧٠٠٠٠٠ عامل . وكذلك ظهر تصاعد الصراع الطبقى فى تقدم حزب « ركاح » (القائمة الشيوعية الجديدة) فى انتخابـات قيــادة الهستادروت وازدياد نفوذه بين عرب اسرائيل . وكتب زعيمه « مايرفلنر » يقول :

« برنامج الحزب فى المرحلة الراهنة من التطور فى اسرائيل هو برنامج ديمقراطى عام مناهض للامبريالية يقضى تطبيقه اجراء تغيير أساسى فى السياسة الاسرائيلية : لفصم ارتباط اسرائيـل

(٤) جريدة «علىهامشمار » ــ ٧/٤/ ١٩٧٢.

بالامبريالية ، وتحويلها الى دولة غير مرتبطة بالاحتكارات الاجنبية والامبريالية ، لضمان السلام والتعاون مع الدول العربية ، وعلاقات الصداقة والتفاهم على أساس احترام الحقوق المتبادل . . » (٥)

والعنصر الثالث الرئيسى لمكونات الخلفية السياسية الاسرائيلية هو هبوط الهجرة بشكل عام . فقد صرح وزير الاستيطان أمام الكنيست فى ٣٠ ــ ٥ ــ ١٩٧٢ أن مجموع الهجرة منذ حرب الايام الست كان ١٨٥,٠٠٠ مهاجر أى بمعدل ٣٧,٠٠٠ مهاجر سنويا،وهو رقم ضعيف وخاصه اذا قورن بالهجرة التى تلت سنوات انشاء الدولة (١٩٤٨ ــ ١٩٥١)وبعد العدوان الثلاثى .

ويضاف الى ذلك ما صرحت به رئيسة الوزارة مؤخرا أنه يوجد فى خارج اسرائيل ٢٥٠,٠٠٠ مواطن اسرائيلى أى أن ما يقرب من ٨ فى المائة من سكان البلاد يعيشون خارجها ! وكتبت جريدة « هاتسوفيه » فى ٥ ــ ١٠ ــ ١٩٧٢ تعلق على أسباب هبوط الهجرة الى اسرائيل فى الفترة الاخيرة قائلة :

« يمكن أن نقف على خيبة الامل البالغة التى منى بها المشتغلون بالاستيعاب بسبب عدم تحقيق عدد من التوقعات الوردية عن حدوث زيادة ملموسة فى عدد المهاجرين الى بلادنا . . فالواقع الحالى مثالى لاستيعاب الهجرة ، رغم هذا فان توقع زيادة الهجرة لم يتحقق . ولاشك فى أن الجو المتعكر السائد فى بلادنا كان سببا حاسما لتقليل تدفق الهجرة . ولقد بدأ كثيرون من المهاجرين يشعرون بهذا الجو ، وعبروا عن خيبة املهم وانعزالهم ، وبدأوا ينظرون الى شعاراتنا الصهيونية على أنها شعارات جوفاء » .

وهبوط الهجرة الى اسرائيل يؤكد لسكانها ما يلاحظونه كل يوم بالنسبة لانعزالهم المتزايد عن الرأى العام العالمى ، ذلك المحيط الذى كان وديا ازاء الدولة اليهودية ، وعاطفا على موقفها العدائى من العرب . فغداة انتصار الجيش الاسرائيلى عام ١٩٦٧،كان الاسرائيليون «يعرفون أن يهود العالم سوف يجمعون المال لهم فى لحظة الخطر ، ويمارسون ضغطا على حكوماتهم . ومع ذلك فهم لايثقون البتة فى هؤلاء الحماة الاغراب والبعاد . فهم فى اسرائيل لا يمثلون سوى ١٠ فى المائة من اليهودية العالمية ويعتبرون أمرا سهلا ومريحا على سائرهم أن يرسلوا لهم التشجيع من بعيد دون مشاركتهم فى صعابهم . وبدا الاسرائيليون يلاحظون ايضا أن البترول وقناة السويس و ١٣ صوتا فى الامم المتحدة أسلحة فى ايدى العرب اخذ « اصدقاء اسرائيل التقليديون » يحسبون لها حسابا متزايدا .

« ففى اللحظة بعينها التى تنتصر فيها الجيوش الاسرائيلية ، يشعر الاسرائيليون أنهم وحيدون ، ووحيدون تماما فى وجه جميع العرب ، ولا يمكن أن يعتمدوا الا على جيوشهم دون غيرها .. وكأنه ذنب عليهم العدوان » (٦)

وينتابهم الاحساس نفسه بالنسبة لموقف غير اليهود منهم : « يشعر الاسرائيليون أنهم فقدوا أهم عنصر يجعل الاخرين يحبونهم ويفهمونهم ، وهو خطر الموت . فمنذ خمسة عشرة يوما كان الناس يعجبون لوقفتهم فى وضع يصعب الوقوف فيه ، أما اليوم فيلومونهم لانهم ضربوا وكسبوا فى عنف وسرعة أكبر من اللازم . فذلك الذى لم يستطع خطر الفناء تحقيقه ، هو بعينه الذى يسببه النصر ، وأعنى الشعور اليائس والخطر بالوحدة » (٧)

ولم يخفف هذا الشعور ، بل على العكس ازداد باستمرار . وأكدته فرنسا برفضها بيع الاسلحة لاسرائيل مع عدم نقض اتفاقها مع ليبيا ، وبتجميدها محاولة اسرائيل الارتباط بالسوق الاوروبية المشتركة (يولية ١٩٦٩) ؟ وهو أمر كانت البورجوازية الاسرائيلية تعلق عليه آمالا كبارا لموازنة اقتصاد الدولة بعض الشىء . بل أصبح هذا الشعور يظهر بالنسبة لموقف أمريكا من اسرائيل رغم جميع التأكيدات الرسمية من الطرفين . فهذه جريدة « هآرتس » تكتب فى ٩ ــ ٤ ــ ١٩٧٢ :

« ينبغى أن نؤكد وجود الخوف من« بيع اسرائيل » تكرارا لما حدث فى عامى ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ أو أسوأ منه بينما يقوم الروس بدور عسكرى مباشر (فى المنطقة) »

٢ ــ المحاور الثابتة لسياسة الطبقة الحاكمة الاسرائيلية

غير أن الجانب الذى له النفوذ الغالب فى

[٥] حول رؤوس المسائل المعروضة على المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعى الاسرائيلى » ــ الاتحاد ــ ١٩٧٢/٥/٢
[٦] Nouvel Observateur 14/6/1967
[٧] Ibid. 21/6/1967.

السلطه الاسرائيلية حاليا لا يرى ما يجرى تحت اقدامه من تغييرات جوهريه . واذ تسخر الرايه الامريكيه في نوع سعى من العدم . مازال حكام اسرائيل تسحرهم التصريحات المطمئنة عن المصلحة المشتركه الامريكيه الاسرائيليه . من أمثال ما قاله الرئيس نيكسون في التليفزيون يوم ٢٠ ـ ١٢ ـ ١٩٦٧ :

« للولايات المتحدة مصلحة عميقة جدا في اسرائيل .. أن الوضع في الشرق الاوسط خطر للغايه واستطيع القول انه من أخطر اوضاعنا »

بل لقد زادت في السنوات الاخيرة الارتباطات والتبعية الاسرائيلية لواشنطن بصورة كبيرة ، خاصه وان الولايات المتحدة قدمت لمصلحة اسرائيل خدمات عظيمة . ولذلك صرح ابا ايبان وزير الخارجية في ٢ ـ ٦ ـ ١٩٧٢ بأنه :

« يتعين على اسرائيل الاستمرار في سياستها المعتدلة التي تنتهجها بموافقتها على مبادرة السلام الامريكية في الشرق الاوسط ضمانا لاستمرار وقف اطلاق النار المزعزع في المنطقة » . وقال لصحيفة « هآرتس » ان قبول اسرائيل للمبادرة الامريكية اكسب الدولة اليهودية عامين آخرين من القوة العسكرية والراحة الدبلوماسية .

وأبرز موشى ديان وزير الدفاع نفس المعاني ، وان كان بصورة فجة ، قائلا في ٥ ـ ٦ ـ ١٩٧٢ حول احتمال ممارسة ضغط أمريكي على اسرائيل لادخال بعض التعديلات في سياستها :

« على اسرائيل آن تستمع لما تقوله واشنطن .. انني أفضل « خضوعنا » . الذي سيمنحنا بالتالي من الحرية ما يفوق الحرية الوهمية .. علينا أن نصغي الى الولايات المتحدة ، ومن المحتمل ان يحدث العديد من الخلافات في الرأى ، وفي تلك الحالة سنحدد ما نحن مضطرون الى الاذعان له ، وما نتمسك به من وجهات النظر ، مما قد يدفعنا الى الدخول في نزاع مع الولايات المتحدة » .

واذ يبيع حكام اسرائيل « استقلالها » لواشنطن مقابل حماية مصالحهم الطبقية ، انما يفعلون ذلك وهم يحاولون الحصول على أعلى ثمن . ففي يوليه ١٩٧٢ مثلا انتهز ابا ايبان فرصة التعليق على قرار « السادات » بانهاء مهمة الخبراء السوفيت فأكد أن تعزيز الوجود الامريكي مؤخرا في هذه المنطقة اثبت صحة نظرية اسرائيل القائلة بأنه كلما ساندت الولايات المتحدة الدولة اليهودية كلما تدعم موقف واشنطن في الشرق الاوسط .

والمحور الثابت الثاني لسياسة الطبقة الحاكمة الاسرائيلية هو العداء للاتحاد السوفيتي والشيوعية وهو عنصر مشترك لقيادات جميع الاحزاب الصهيونية ، من أقصى اليسار الصهيوني الى اقصى اليمين ،فهذا شموئيل ميكونس ـ زعيم المجموعه المنشقه على الحزب الشيوعي الاسرائيلي ـ يقول في صحيفة « قول هعام » بتاريخ ٤ ـ ٧ ـ ٧٢ :

« ليس لديه كلمة دفاع عن استمرار الاتحاد السوفيتي في مساندة البلاد العربية . وان السياسه السوفيتية قد منيت بهزائم دبلوماسية وادبيه فادحة » .

وفي ٢٤ ـ ٧ ـ ١٩٦٩ اتخذ الكنيست قرارا يتهم فيه الاتحاد السوفيتي باللاسامية ، ويدعو يهود العالم الى عدم السكوت عنه بل يطالب الشعوب جميعا بان تؤيد الصهيونية . وقد أعلن « يورى افنيرى » ـ زعيم حركه « هعولام هزيه » ـ انضمامه الى مقدمي هذا القرار ، كما ايده النواب العرب الاربعة التابعون لحزب المباى وهم سيف الدين الزعبي . والياس نخله ، وجبر معدى ، ودياب عبيد وقد وصلت الحملة المعادية للاتحاد السوفيتي الى قمتها في المؤتمر العالمي الذى عقد بمدينه بروكسيل من ٢٣ الى ٢٥ ـ ٢ ـ ١٩٧١ خصيصا لمناقشة حالة اليهود في الاتحاد السوفيتي ، والذى جمع ٧٥٠ صهيونيا من مختلف بلاد العالم .

وانتهز مناحيم بيجن الفرصة في ١٩ ـ ٧ ـ ١٩٧٢ ليظهر حقده على الاتحاد السوفيتي في الكلمة التي القاها أمام الكنيست قائلا :

« ان فرص السلام في الشرق الاوسط قد تحسنت نتيجة لقرار مصر بابعاد الخبراء السوفيت العسكريين .. ان اسرائيل لديها الفرصة اليوم لكي تنادى من الكنيست على حكام الكرملين وتقول لهم لاتعلموا الدرس أن السياسة المناهضة لاسرائيل قد فشلت تماما » .

وأما المحور الثالث الثابت لسياسة تل ابيب ، فهو العمل الدءوب على اسقاط النظم الوطنية العربية .ويكفي هنا أن نذكر تركيز الهجمات المسلحة الاسرائيلية الاخيرة على سوريا التي دعّمت حكومتها جبهة وطنية تقدمية عريضة وأطلقت يد المقاومة الفلسطينية .

٣ ـ الموقف الاسرائيلي

من التطورات الاخيرة

وعلى هذا الاساس تعارض الطبقة الحاكمة الاسرائيلية بكل قواها اثارة قضية الشرق الاوسط

على النطاق الدولى ، سواء فى الامم المتحدة أو غيرها من المحافل العالمية ، وتعـارض بصورة هيستيرية أن تعالج هذه القضية بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتى لعلمها ان النتيجة لن تكـون لصالح الاستعمار والصهيونية فىهذه الحالة . فهذه **جولدا مائير** تصرح لجـريدة « لاستمبا » الايطالية فى ١١ ــ٥ــ١٩٦٩ فى لهجةاستقلالية زائفة :

« **لن تكون اسرائيل مستعدة حتى للبحث فى** الاقتراحات التى ستقدمها الدول الاربع الكبرى **لحل النزاع فى الشرق الاوسط .. لقد مضى الوقت الذى كان فيه ممثلو الدول الكبرى يستطيعون أن يجتمعوا ويقرروا مصير الدول الاخرى** » .

وسافرت رئيسة الوزارة الاسرائيلية فى يونيه ١٩٦٩ الى لندن وواشنطن لاقناع اصدقاء اسرائيل بالعدول عن المباحثات الرباعية ، خوفا من أن يصدر منها بيان مبدئى يؤكد عدم الاعتراف بحق اسرائيل فى احتلال المناطق العربية . وحاولت السياسة الاسرائيلية وقتئذ تجديد مهمة يارنج كبديل للمباحثات الرباعية أو الثنائية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة كما أوضحه المتحدث الرسمى للحكومة المصرية فى يـوليه ١٩٦٩ . وتتضح حقيقة الهدف للمناورات الاسرائيلية مما كتبته الجريدة العربية الاسرائيلية « الانباء » فى ١٦ ــ٤ ــ١٩٧٢ :

« **لا موسكو ولا واشنطن تقدر على تسكين الوضع فى الشرق الاوسط وقد بقى شرط واحد هام وهو أبعاد التأثيرات الاجنبية نهائيا عـن هذه المنطقة تمهيدا للسير فى طريق آخر** » .

فتلك النخوة « ضد التأثيرات الاجنبية » ماهى الا مقدمة للمطالبة بالمفاوضات المباشرة كبديل عن التدخل الدولى . ولم تكد تثار زيارة نيكسون لموسكو حتى نشطت الدبلوماسية الاسرائيليـة محمومة . فاجرى **اسحق رابين** سفير اسرائيل محادثات تمهيدية مع وزارة الخارجية الامريكية فى أبريل ١٩٧٢ أبلغها فيها طلب حكومته بأن تعمل واشنطن بقدر المستطاع على الا تتناول محادثات نيكسون مع القادة السوفيت ازمـة الشرق الاوسط . وبعدها ــ فى ٢٢ ــ٤ ــ١٩٧٢ ــ زار ابا ايبان واشنطن وبعد اجتماعه **بروجرز** صرح بأن وزير الخارجية الامريكية أكد له ان محادثات **نيكسون فى موسكو ليس من المحتمل أن تسفر عن محاولة مشتركة بين الشرق والغرب لفرض تسوية** لازمة الشرق الاوسط واضاف ايبان :

« **ان اسرائيل لا يسعها الا أن تعرب عـن** ارتياحها الكامل لهذا الموقف .

وفى مايو ذهب نائب رئيسة الوزارة الى لندن حيث قال لمندوب الاذاعة :

« ان نيكسون والقادة السوفيت قد يقررون اتخاذ اجراءات مشتركة ، ولكنها لن « تكـون ملزمة » .

وهكذا، من معارضة القرارات المشتركة ، الى عدم احتمال صدورها ، ثم الى امكان صدورها دون أن تكون ملزمة ، هذا طبقا لمدى اضطرار السيد الامريكى الى التراجع أمام قوى السلام . وعلق « **مايرفلنر** » على هذه المناورات قائلا :

« **بقدر ما يحدث الانفراج فى التوتر الدولى ، وبقدر ما تزداد امكانيات التفاوض بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وتجنب المـواجهة بينهما ــ تزداد شكوك أوساط حكام اسرائيـل والزعماء الصهيونيين بأن المستعمرين لن يحتاجوا اليهم كثيرا** (٨) » .

وعندما بدا أن الاتحاد السوفيتى لن يتنازل عن حقوق العرب ، وأن الولايات المتحدة قد تتراجع أمامه ، أخذ المسئولون الاسرائيليون يظهـرون الغضب . ففى ٤ ــ١٠ ــ١٩٧٢ صرح **أبا ايبان** فى مؤتمر صحفى بمدينة شيكاجو :

« انه لا ينبغى أن تحاول الولايات المتحدة حل نزاع الشرق الاوسط .. نحن دولة ذات سيادة والولايات المتحدة ليست دولة داخل منطقة الشرق الاوسط » .

واقترح ايبان أن تستمر الولايات المتحدة فى ايجاد توازن للقوى ، وتأكيد الحاجة للمفاوضات المباشرة . ووجهت جولدا مائير هى الاخـرى نصيحة بنفس المعنى للـدول العـربية فـى ١٣ ــ١٠ ــ١٩٧٢ قائلة :

« طالما واصل المسئولون العرب الهـروب من الحقائق ، والاعتماد على الدول الكبرى لتسوية مشاكلهم ورفضوا أن يمسكو بزمام مصائرهم بين أيديهم ، فان اسرائيل لن يسعها أن تفعل شيئا كبيرا لصالح السلام » .

(٨) الاتحاد ــ ٢/٥/١٩٧٢ ــ المصدر السابق .

هدف حكام اسرائيل اذن هو عزل الدول العربية عن المساندة السوفيتية حتى ينفردوا بها ويفعلوا ما يشاءون على راحتهم .

وبنفس الطريقة سعت الحكومة الاسرائيلية الى عدم ادراج قضية الشرق الاوسط فى جدول أعمال مؤتمر الامن الاوروبى . غير ان الاستجابة السريعة لطلبها ادهش المعلقين الاسرائيليين الذين لم يستطيعوا تفسيرا الا فى حماس الدول الغربية للحصول على تسوية مع الاتحاد السوفيتى ، الامر الذى يخدم الاستراتيجية السوفيتية فى المنطقة (٩) .

وعلى أثر ضم الصين الشعبية للامم المتحدة تحسرت الصحافة الصهيونية على انه قد اتضح مرة أخرى للامريكيين انه لم يعد لهم شىء فى الجمعية العامة(١٠) .وانتاب السلطة الاسرائيلية الخوف من أن يكون طرد فورموزا سابقة لطرد اسرائيل نفسها . فاعلن يوسف تكوع المندوب الاسرائيلى فى الهيئة الدولية :

« ان اقتراع الوفد الاسرائيلى لم يكن يستهدف تأييد طرد احدى الدول الاعضاء » .

ولكن الامر الذى اهتم بـه المسئولون الاسرائيليون اكبر الاهتمام هو اقتراب الصلح فى فيتنام . فمنذ أن بدأ نيكسون يسحب القوات الامريكية ، وحكام القدس يشعرون بأن الارض التى يقفون عليها تنسحب أيضا . وفى ديسمبر ١٩٧١ زارت جولدا مائير الولايات المتحدة ، وقالت أنها تحاول اقناع نيكسون :

« باننا نعيش فى منطقة لا يكفى فيها السلام المبنى على وثائق طالما لا يوجد الى جانب معاهدة « السلام ضمانات طبيعية ... لا يمكن أن تكتفى اسرائيل بقصاصة ورق فى مقابل استعدادهـا للانسحاب الى حدود آمنه ومعترف بها » (١١) .

اى ان تلك الحدود الامنة ، والمعترف بها لم تعد تكفى اسرائيل . ولا يمكن ان تكون « الضمانات الطبيعية » التى اشارت اليها رئيسة الوزارة سوى وجود انظمة رجعية وعميلة فى البلاد العربية . وفى الوقت نفسه سبقت اسرائيل فيتنام الجنوبية فى الاعداد لاحتمال الانسحاب الامريكى ، اذ أسرعت فى اقامة المستوطنات الجديدة فى رفح وغزة والخليل ، وتزودت بفيض جديد من الاسلحة الامريكية . وقصدت بهذا العمل أن تلقى فى روع الدول العربية والاتحاد السوفيتى انها مستعدة للقتال وحدها اذا لزم الامر : تماما مثلما وقف الرئيس الفيتنامى الجنوبى ثيو فى البرلمان ليعلن أن اتفاق امريكا وفيتنام الشمالية لا يهمه فى شىء وليس ملزما له ، ويعلم العـالم بأسره أن مـا ستضطر الى قبوله امريكا انما سيكون بمثابة أمر لكل من سايجون وتل ابيب على السواء .

هذا فيما يتعلق بالضغوط الخارجية على اسرائيل . أما أهم ضغط داخلى فهو الناتج من وجود أكثر من مليون عربى فلسطينى فى الاراضى المحتلة . فبعد حرب يونيه مباشرة ، كتب « ميرليفين » الكاتب الاسرائيلى المعروف (١٢) :

« ان اسرائيل فى علاقاتها مع السكان العرب الواقعين تحت سيطرتها انما تواجه مهمة نفسية ذات ابعاد هائلة ، ويتوقف عليها أن تجنى النجاح أو الفشل من الحرب التى انتصرت فيهـا .. والنقطة الاولى هنا هى ايجاد القادة العرب الذين يثق بهم السكان المهزومون ، والذين يميلون الى التعاون » .

وبعد ان كانت الحكومة الاسرائيلية تعتبر الاشارة الى الشعب الفلسطينى من قبيل « الدعاية العربيه » ، أخذت ترسم المخططات للاتصـال بالاعيان الفلسطينيين بحثا عن احتمال اقامة اتحاد اسرائيلى عربى (١٣) . وبعد خمس سنوات انتهت تلك الافكار الى اجراء انتخابات البلدية كخطوة اولى لايجاد مؤسسات تتحدث باسم العرب . واذا كان قسم من أعيان العرب الاغنياء « بسبب ضعفهم وانعدام ثقتهم فى امكانية المساعدة من الدول العربية ، فضلوا ان ينفذوا مشيئة الاسرائيليين على أن يدخلوا معهم فى صدام نتائجه خطيرة ومعروفة مسبقا » (١٤) .

فان القوى الوطنية المناضلة داخل الاراضى المحتلة استطاعت أن تشكل جبهة موحدة لمقاومة الاحتلال تضع فى برنامجها اهدافا :

« تصفية عدوان حزيران وتحـرير الارض

---

[٩] جـريدة « هآرتس » ـــ ١٩٧٢/٦/٢٠ .
[١٠] جريدة « يديعوت احرونوت » ـــ ١٩٧١/١٠/٢٦ .
[١١] جريدة « معاريف » ـــ ١٩٧١/١٢/١٧ .
[١٢] The Jewish Advocate. 22/6/1967.
[١٣] Nouvel Observateur. 19/7/1967.
[١٤] صحيفة « على هامشمار » ـــ ١٩٧٢/٣/٢٩ .

العربية وتنفيذ قرار مجلس الامن والتمسك بكل حقوق الشعب الفلسطيني في وطنه بما في ذلك حقه في تقرير مصيره على ارضه المحررة » (١٥) ٠

وقد بذل المجاهدون الفلسطينيون في الارض المحتلة التضحيات وقاموا بكفاح لم تستطع الحكومة الاسرائيلية دحره رغم اعتقالها ٢٠٠٠٠ فلسطيني في السجون الاسرائيلية ٠ ونشرت صحيفة « **يديعوت احرونوت** » في ٤-١٠-١٩٧٢ أن « **تيسحاق شامير** » أحد القادة السابقين لجماعة اشترن - قد صرح أن **اعمال المقاومة هدمت الروح المعنوية ليهود الشتات الذين كانوا يعتبرون اسرائيل بلدا لا يقهر ، فاخذوا يرون أن الاسرائيليين يسقطون ضحايا « للارهابيين »** ٠

وترتب على نضال المقاومة العربية الداخلية اساسا أن الحكومة الاسرائيلية نفسها انقسمت ازاءها . فاثناء اجتماع السكرتارية لحزب العمل الحاكم ، عارض ايجال آلون وبنحاس سابير وابا ايبان سياسة **ديان وبيريز** الداعية الى « الاحتلال بالامر الواقع » ٠ وذلك لان الفريق الاول يرى أن تطبيق هذه السياسة سيترتب عليه بالضرورة الاعتراف بحقوق المواطنية لجميع العرب في الضفة الغربية وغزة مما يعرض الصفة اليهودية لاسرائيل لخطر جسيم ٠ غير ان الاجتماع انتهى الى العجز عن اتخاذ أي قرار (١٦) ٠

فلم تستطع اسرائيل استيعاب (**أو استئناس**) عرب فلسطين ، ولاطردهم من الاراضي التي يقيمون فيها ٠ كما ان مرور الايام مع تراجع الاستعمار على النطاق العالمي يؤكد لها أن احتفاظها باراضي الدولتين المجاورتين - سوريا ومصر - كطعم لجرهما الى المفاوضات المباشرة أمر بعيد المنال ٠ فعاد الحكام الاسرائيليون الى التهديد بالحرب وهم يعلمون أن هذا يعزلهم اكثر فأكثر عن الرأي العام العالمي والداخلي أيضا ٠ ففي ٥ - ٦ - ١٩٧٢ قال موشى ديان :

« انه في حالة تجدد القتال مع مصر فان اسرائيل سوف تعبر قناة السويس اذا كان هذا ضروريا « لكسب الحرب . ولا يعني هذا بالضرورة الوصول الى عاصمة العدو ، بل بلوغ موقف يؤدي **الى هزيمته ، ويجبره « على التسليم »** .

وفي ٢٣ - ١٠ - ١٩٧٢ تحدثت **جولدا مائير** عن السلام في الشرق الاوسط امام وفد جاء لزيارة القدس قائلة : « لا تعتقد ان العمر سيمتد بها الى اليوم الذي ترى فيه السلام يسود العلاقات بين اسرائيل والبلدان العربية »٠٠

وازاء هذه المآزق التي تحيط الطبقة الحاكمة الاسرائيلية ، لم تجد حلا غير اللجوء الى المزيد من العسكرة وتشجيع التحول الى الفاشيه . فاصبح التدريب العسكري يحتل أهمية رئيسيه في جميع المدارس الى جانب التركيز على تدريس النواحي الرجعية في التراث الديني اليهودي ٠ وفي ٣-٤-١٩٧٢ صرح « **دافيد اليعازر** » رئيس اركان الجيش الاسرائيلي بان **الجش يجب أن يشارك في جميع المشاكل ، القومية** ، وفي ١٩٧١ ، عندما قامت مظاهرة نظمها العمال والطلبة والموظفون الاسرائيليون امام الكنيست للاحتجاج على ذبح المدنيين العرب في غزة ،نزلت في الشارع ضد المظاهرة عصابات رابطة الدفاع اليهودية،وكتلة «جورعي زئيف» الفاشية ،وكان اعضاؤها يعلقون على اذرعهم الصليب المعقوف - الشعار النازي . ٠ (١٧) ٠

●●●

ويمكننا أن نستنتج بعض العناصر الهامة من هذا العرض السريع لموقف الطبقة الحاكمة الاسرائيلية من التطورات الاخيرة في العالم وفي المنطقة :

١ - هناك توافق تام في الوقت الحالي بين الرجعية العربية والسلطة الاسرائيلية ٠ فكلاهما يتشكك من أن سياسة التعايش السلمي تلزم الاستعمار الابتعاد عنهما ، وكلاهما يرى طوق النجاةالوحيد فيالتعلقباسنانه بواشنطنوالدفاع عن السيطرة الامريكية على المقدرات العربية ٠

٢ - لقد جاءت تلك التطورات الاخيرة لتضيف عوامل جديدة الى الازمة المصيرية التي بدأت تنضج بوضوح في الدولة اليهودية ، مما يزعزع موقف الطبقة الحاكمة في تلك البلاد ،ويضعف من نفوذها على الطبقات الكادحة الإسرائيلية فضلا عن العربية ٠ ومن هنا تبرز الاهمية القصوى أن تتخذ القوى التقدمية والوطنية العربية موقفا مبدئيا جليا من تلكالطبقات ، مبنية تمايزها عن شوفينية الرجعية العربية ، ومرشدة الى الطريق الصحيح للسلام ، طريق ضرب المصالح الامريكية وممارسة الشعب العربي لحق تقرير مصيره ٠

---

[١٥] **الاتحاد** - ٢\٥/١٩٧٢ ٠

[١٦] Le Monde, 12-13/11/1972.

[١٧] V. Bolchakov : «L'anticommunisme, professio n des sionistes». Moscou. Editions Novosti — 1972 — p. 73.

عـالم المتغـيرات
وبعض ملاحظـات
عـن دور الارادات الوطنيـة

أبو سيف يوسف

يهتم كثير من المفكرين والكتـاب فى بلادنا والبلاد العربية بدراسـة وتقييم ما يسمى « **بالمتغـيرات الجديدة** » التى طرات مؤخرا على الصعيد الدولى . ولما كان بعض الزملاء قـد تعرضوا — فى هذا العدد — بالدراسة والتحليل لهذه المتغيرات ، فان هذا المقال يشكل مجموعة من الملاحظات السريعـة حـول دور الارادات الوطنية فى محيط هذه المتغيرات ، هل يقـوى ويتدعم أم يضعف ويذبل ، وهل تشكل التغييرات الجديدة قيودا على الدول الصغيرة التىتخوض حروب التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى ، أم انها يفتح امامها آفاقا أوسع لتشدد نضالاتهـا على جميع الاصـعدة السياسـية والعسكرية والاجتماعية .

وتنقسم هـذه المـلاحظـات الى قسمين ، **احدهما** : يؤكد أن الارادة الوطنية أو الجبهـة الداخلية لاى شعب،تظل دائما العنصرالاساسى فى حل التناقضات التى يواجههـا الشـعب ومواجهة التحديات التى تفرض عليه . **امـا القسم الاخر** : فيؤكد على الفكرة القائلة بان المتغيرات الطارئة على الوضع الدولى، لاتشكل اى قيد على ارادة اى شعب يناضل من اجـل تحرره الوطنى والاجتماعى ، بل على العكس انها — فى مجموعها — تخلق ظروفا اكثر ملاءمة أمام حركة التحرر الوطنى والاجتماعى .

— ١ —

بعض الوقائع

١ — بعد أن رفض البنك الدولى للانشـاء والتعمير عام ١٩٥٦ أن يمول مشروع السـد العالى ، بتوجيه من حكومة الولايات المتحـدة الامريكية ، بدأت القيادة الوطنية فى مصر توجه أولى ضرباتها الى الاحتكارات الاجنبية العالمية ، فأممت شركة قناة السويس ، وخطت بذلكأولى خطواتها على طريق تحرير الاقتصاد القـومى من التبعية الاجنبية . وكما نعلم ، ردت قـوى الامبريالية بالعـدوان الثلاثى ، فى محـاولة لارهاب ولجم حركـة التحـرر الوطنى التى

انطلقت بكيفية عاصفة فى مصر والبلاد العربية واثرت تأثيرا ايجابيا ، فى ذلك الوقت ، فى مجمل التطورات اللاحقه التى وقعت فى كثير من بلدان العالم الثالث .

ولو قدر لانسان أن يجلس ليجرى حسابات مجردة على ضوء الانذار الذى وجهته بريطانيا وفرنسا الى مصر بقبول احتلال منطقة القناة ؛ لوصل بلا شك الى هذه النتيجة : وهى أن القوى المادية والعسكرية لدول العدوان الثلاثى تتفوق بكيفية ساحقة وحاسمة على قوى مصر المادية والعسكرية ، وأن قبول الانذار شر لابد منه وان رفضه بالتالى كان يمثل كارثة ومعركة خاسرة . وكان هذا هو نمط تفكير بعض الساسة المصريين المحترفين الذين ينتمون الى الطبقة البورجوازية الاقطاعية ، والذين ذهبوا الى **جمال عبد الناصر** ينصحوه بالتنحى . لكن قيادات ثورة ٢٣ يوليو كانت تتبنى الشعار الاساسى للحركة الشعبية الثورية : شعار النضال الحازم من أجل الاستقلال السياسى والاقتصادى ومن ثم فقد رفضت مصر الانذار البريطانى الفرنسى بحزم ، وأعلنت المقاومة ، والتصميم على القتال .

ولقد قيل فى ذلك الوقت عن الانذار السوفيتى ـ أن السفير السوفيتى كان قد طلب ـ بعد اعلان الانذار البريطانى الفرنسى ان يقابل جمال عبد الناصر ليتعرف على حقيقة وابعاد موقف القيادة المصرية من الانذار وهل تقبله أم ترفضه ، وانه نقل الى حكومته أن مصر جادة فى المقاومة . ولم يمض قليل على بدء العدوان الثلاثى ، حتى وجه الاتحاد السوفيتى انذاره الى المعتدين بوقف القتال .

وسواء صحت الرواية المشار اليها عن مقابلة السفير السوفيتى لجمال عبد الناصر ، أو لم تصح ، فان هذا لايغير من الوقائع التالية:

١ ـ ان القيادة المصرية عبرت ـ بالاقوال والافعال ـ عن تصميم الشعب المصرى فى المقاومة وفى القتال .

٢ ـ ان الانذار السوفيتى الى بريطانيا وفرنسا قد احدث اثره فى شل العدوان الثلاثى

٣ ـ ان هذا الانذار جاء مترتبا على موقف سابق ، بل نقول مشروطا بموقف سابق ، هو موقف التصميم على المقاومة والقتال ، كما عبر عنهما الشعب المصرى وقيادته الوطنية .

٤ ـ ان النصر فى معركة تأميم قناة السويس هو محصلة النضال الذى خاضه الشعب المصرى ، واندماج هذا النضال بموقف المساندة من جانب الاتحاد السوفيتى وحركة التحرر الوطنى فى البلاد العربية وبلدان العالم الثالث ، ومواقف كل القوى الديموقراطية والمدافعة عن السلم العالمى .

كوبا ومعركة خليج الخنازير

فى اول يناير ١٩٥٩ فر هاربا من كوبا **الدكتاتور باتيستا** أمام زحف قوات الثوار التى كان يقودها فيدل كاسترو . وذلك على الرغم من أن جيش باتيستا كان يتفوق فى العدد والعتاد على الجيش الثورى المكون من فلاحين بسطاء . وعلى الرغم من أن جيش **باتستا** كانت قد زودته الولايات المتحدة الامريكية بمستشاريها العسكريين .

وفى ١٥ ابريل ١٩٦١ هاجمت كوبا اسرابا من الطائرات الامريكية تتخفى تحت شعارات سلاح الجو الكوبى الثورى ، وقصفت عددا كبيرا من المنشآت . وفى اليوم التالى رد **فيدل كاسترو** على العدوان باعلان **الطابع الاشتراكى لنظام الحكم فى كوبا .**

وفى ١٧ أبريل نزلت قوات المرتزقة على الشاطىء الجنوبى للجزيرة [عملية خليج الخنازير] . غير أن قوات الميليشيا الشعبية وقوات الجيش الثورية تمكنت من دحر الغزاة فى اقل من ٧٢ ساعة . وفى نهاية عام ١٩٦١ نفسه ، احرزت كوبا انتصارا لايقل أهمية عن انتصار خليج الخنازير ، عندما أعلنت نجاح الحملة القومية للقضاء على الامية فى البلاد .

هنا ايضا لا تستطيع الحسابات المجردة والتقليدية أن تشرح حقيقة ما وقع فى كوبا ، لا سيما اذا وضعنا فى الميزان علاقات القوى المادية والعسكرية والبشرية بين الولايات المتحدة الامريكية من ناحية وبين كوبا من ناحية اخرى .. غير أن الوقائع تقول :

١ ـ ان الثورة الكوبية التى قادها **كاسترو** كانت ثورة الاغلبية الساحقة من السكان وهم الفلاحون وكانت تلتف حولها غالبية الشعب .

٢ ـ ان هذه الثورة لم تقف عند حدود الثورة الوطنية التقليدية والاكتفاء من الاستقلال « بعلم

ونشيد » بل رد القادة على الغزو باعلان يؤكد الطابع الاشتراكى للثورة .

٣ — ان الغزو الاجنبى دحرته بالاساس القوى الشعبية المنظمة فى الميليشيا الشعبيــة وفى الجيش الثورى. ولجان وطنية كونها المتطوعون وبلغ عددها عشرة آلاف لجنة تغطى كل متطلبات الدفاع المدنى وتتعدى ذلك الى الاشراف على الشئون الصحية ومكافحة الامية .. الخ .

٤ — ان تصميم كوبا على المقاومة، واستعدادها الجاد لذلك ، قد جعل ممكنا أن تفعل مساعدات الاتحاد السوفيتى فعلها الحاسم خصوصا بعد أن امتنعت امريكا عن شراء السكر ، وفرضت الحصار على شواطىء كوبا .

المثل الفيتنامى

وربما لا نحتاج الى أن نفصل القول تفصيلا فى ملحمة المقاومة الفيتناميــة بعد أن قــدمت « الطليعة » عنها دراستها الرئيسية فى عــدد نوفمبر ١٩٧٢ .

ولكن قد يحسن ان نركز الانظار على ثلاث لحظات أو مراحل فى تاريخ كفاح شعب فيتنام.

١ — فى مرحلة قام الفلاحون الفيتناميــون بانتفاضات ثورية لكن قوى الامبريالية والاستعمار استطاعت أن تقمع تلك الانتفاضات بعنــف . وقد استمرت هذه المرحلة من عام ١٨٣٨ الى بداية الحرب العالمية الثانية . وحتى انتفاضات الفلاحين التى جرت قبــل الحرب الاخيــرة فى شمال آنام تحت اسم « حركة سوفيتات نيجيه آن » ، والتى أقيمت تحت شــعار المطرقــة والمنجل ، ما لبثت أن انهارت عام ١٩٣٧ .

هنا ، وفى تلك المرحلة . نجـد أن الحركة الثورية بقواها الذاتية لم تستطــع أن تحقــق أهدافها ، ولم يكن ذلك راجعا الى أن الوضع الدولى لم يكن ملائما فحسب ، ولا لان الاتحاد السوفيتى كان الدولة الاشتراكية الوحيــدة ، وكان محاصرا من قبل القوى الامبريالية فحسب بل لان القيادة الثورية للحركة الوطنية لم تكن قد وضعت الخط الصائب الذى يوحد كل القوى المعادية للامبريالية فى جبهة واحدة صلبة .

٢ — وفى مرحلة اخرى ، وكان ذلك عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، استطاع شعب فيتنام معتمدا على قواه الذاتية ، وتحت قيادة حزب العمل الفيتنامى وجبهة « فيت منه » أن يعلن الثورة الوطنية فى أغسطس ١٩٤٥ ، وان يعلن قيام الجمهورية الديموقراطية الشعبية فى ٢ سبتمبر ١٩٤٥ . وقد تم ذلك فى ظروف بالغة القســوة : (تهديد المجــاعة ، الغزو الفرنسى ، تدهور الانتاج الزراعى ، التخلف الاقتصــادى الشامل .. الخ وهــذا على الصعيد المحلى) . اما على الصعيد الدولى فلم يكن الوضع ملائما تماما . لانه على الرغم من هزيمــة الفاشيــة اليابانية والفاشية الفرنسية وهما من اشرس اعداء شعب فيتنام . الا أن الذى حدث هو أن جمهورية فيتنام الوليدة خاضت الحرب بمفردها ضد المستعمرين الفرنسيين . وظلت ســنوات محاصرة ومقطوعة الصلة بالخــارج ، وبدون مساعدات مباشرة وفعالة من الاتحاد السوفيتى [طبعا ، لم تكن ثورة الصين قد انتصرت نهائيا بعد] . ولم يكن لهذا الصمود من تفسير غير أن القيادة الثورية لشعب فيتنام استطاعت أن تفجر قواه الكامنة ، وأن توقظ بالاساس عــن طريق التثقيف السياسى ملايين الفلاحين والعمال وان تبنى أوسع جبهة وطنية معادية للامبريالية. الامر الذى مكنها من أن تحل بكيفية صائبة أخطر المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافيــة ، التى واجهتها فى ذلك الوقت .

٣ — وفى المرحلة الراهنة لكفاح شعب فيتنام حيث دلل ببراهين ساطعــة على مقــدرة فى الصمود والانضباط الذاتى ، هى مضرب الامثال فان نضال هذا الشعب يندمج فى عملية ثورية واحدة مع المساعدات الكبيرة والتى لا تنقطــع من قبل الاتحــاد الســوفيتى وســائر البلدان الاشتراكية . ومع تضامن لا يكف عن التصاعد من قبل القوى الوطنية والديموقراطية فى أنحاء العالم الاربع .

هنــا نستطيــع ان نصــل الى عــدد من الاستنتاجات حول دور الارادة الوطنية لشعب فيتنام وعلاقتها بالمساعدات الخارجيــة .

الاول : هو أن صمود فيتنام أمام اداة الحرب الامريكية الرهيبة يلقى الضــوء على اهميــة وحيوية المساعدات المادية والادبية الخارجيــة التى تقدم لشعب فيتنام .

الثانى : هو أن تلك المساعدات تصبح فعالة فقط لان القيادات الثورية لشــعب فيتنام كانت قد أعدته لتقبل حرب طويلة المدى ، وثقفته ثقافة

كاملة بأبعاد التضحيات المطلوبة ، واستطاعت بعد هذا بنظرة علمية ان تطوع لمصلحة البلاد معطيات الوضع الدولى الراهن بكل ما فيه من تعقيدات .

الثالث : ان الصمود الطويل والمستمر لشعب فيتنام يحول المساعدات التى تقدم اليه ويغير من معناها لتصبح مشاركة حتمية وحلفا طبيعيا وواجبا امميا من قبل الدول الاشتراكية ، فى معركة ضد عدو مشترك هو الامبريالية ، يهاجم بالسلاح عضوا فى الاسرة الاشتراكية .

والامثلة التى ذكرناها عن مصر ١٩٥٦ ، وكوبا ١٩٦١ ، وفيتنام فى مراحل مختلفة من كفاحها تؤكد أن دور الارادات الوطنية هو الاساس لان الثورة ، اى ثورة ، تستحق هذا الاسم ، لا تستورد ولا تصدر ، ولكن تنضج عناصرها وقواها — فى كل مرحلة تجتازها — وفقا للحلول التى تقدم لحل تناقضاتها الرئيسية والثانوية ، هذه التناقضات التى تحتدم فى مرحلة بين مجموع الطبقات الشعبية والوطنية ، ومن قوى الامبريالية والطبقات المتعاونة معها . وفى مرحلة اخرى بين الطبقات الثورية وبين القوى والطبقات التى تنفصل عن مجرى الثورة .

— ٢ —

ونعتقد أنه من الخطأ أن نضع قضية « القوة الذاتية » لشعب من الشعوب فى مقابل المتغيرات الجديدة « على الصعيد الدولى » . واذا كان من الصحيح انه — فى أيامنا هذه — لا يمكن أن نفصل كفاح شعب من الشعوب عن الاطار الدولى والعام الذى يجرى فيه هذا الكفاح ، وأن تغييرات الاوضاع الدولية تنعكس سلبا وايجابا على الوضع الداخلى لكل بلد على حدة ، الا أن التناقض بين ما هو عام « دولى » وبين ما هو « داخلى » ، هو تناقض ظاهرى اذا كان من نوع التناقضات الواقعة داخل اطار حركة الثورة العالمية .. وفى النهاية فان فهم العلاقة بين « الخاص » وبين « العام » هنا ، يتطلب أن نطرح هذا السؤال بالدقة : **اين نضع كفاح شعب من الشعوب فى اطار مجمل العملية الثورية التى تجرى فى العالم كله** . ذلك ان هذا السؤال يمثل الحد الفاصل بين وجهتى نظر متعارضتين : احدهما « استاتيكية » « ثابتة » والاخرى « ديناميكية » متحركة .

الاولى : تستعين بالمنطق الصورى فى تحليل الامور . مثال ذلك : الكتاب والمفكرون الغربيون الذين يطرحون « نظرية » المجتمع الصناعى المتقدم لينتهوا الى النتيجة القائلة بانه لما كانت دول الغرب الكبرى مجتمعات صناعية . ولما كان بلد اشتراكى كالاتحاد السوفياتى يسير فى طريق انشاء صناعاته الحديثة ، فان هذين النمطين من المجتمعات الصناعية « الرأسمالية والاشتراكية » سوف يلتقيان ويتقاربان فى منتصف الطريق . وبالتحديد عند نقطة هى : « مجتمع الاستهلاك الترفى » ، ليكونا « كتلة » تقف فى مقابل أو فى تناقض مع المجتمعات غير الصناعية .

وهذه النظرة « الثابتة » والمجردة ، انما تنظر الى معطيات الوضع الدولى فترصد فيه — وبحق — ظواهر جديدة . مثلا :

● زيارة نيكسون للصين ودخول الصين المجتمع الدولى .

● زيارة نيكسون للاتحاد السوفيتى ، والاتفاقات الخاصة بحل المشكلات الساخنة بالمفاوضات ، وبتوسيع العلاقات الثنائية فى مجالات التجارة والتعاون العلمى .. الخ .

● توقيع المعاهدات بين المانيا الغربية من ناحية وبين بولندا والمانيا الديموقراطية من ناحية اخرى ، تلك المعاهدات التى تنهى قضايا معلقة وساخنة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

● الاتجاه العام الى تحويل أوروبا الى منطقة أمن تتدعم فيها العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلدان الغربية الراسمالية ، وبين بلدان أوروبا الاشتراكية .

هذه الظاهرات أو التغييرات فى الوضع الدولى ، جديدة بالفعل ولابد وأن تحظى بأقصى انواع الاهتمام والدراسة . لكن الاكتفاء بالنظر اليها كمجرد « وقائع » أو « أشياء » . ربما قادنا الى طريق مسدود ، أو على الاقل ينعكس بكيفية سلبية على قضيتنا الوطنية .

وهنا نصل الى ضرورة التخلى عن هذه النظرة الاستاتيكية لمعطيات الوضع الدولى ، لنضع فى مقابلها النظرة الجدلية التى تحلل تطور العملية الثورية العالمية فى مجملها ، فى عالمنا المعاصر . ان هذه العملية الثورية تعكس نضال الفصائل الثورية الثلاث فى ترابطها العضوى :

● الشعوب التى تبنى الاشتراكية .

● الشعوب التى تناضل داخل حركة التحرر الوطنى .

● حركة الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية .

● بين مجموع هذه الفصائل [وهى التى تمثل قوى الثورة العالمية] وبين قوى الامبريالية والرجعية العالمية [التى تمثل قوى الثورة المضادة] تناقضات أساسية وحادة وحصيلة الصراع بين هذه المتناقضات هى التى تشكل عالم اليوم بما فيه من تغييرات ، وهذا الصراع ظاهرة موضوعية ترتفع عن اهواء وارادات الافراد والزعماء ولا سبيل الى وقفه ، أو تجميده على اى وضع من الاوضاع .

وان نظرة عامة الى محصلة الصراع بين الفصائل الثلاث لحركة الثورة العالمية من ناحية، وبين قوى الامبريالية العالمية من ناحية اخرى ، وذلك منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى اليوم تبين ان هذه الفصائل الثلاث ، تتفوق وتتقدم بكيفية مضطردة على قوى الردة العالمية وانها هى التى تقرر وتحسم فى النهاية التطورات الراهنة اللاحقة فى عالم اليوم وذلك على الرغم مما يصيب هذه الفصيلة أو تلك من تراجعات او انتكاسات وهزائم مؤقتة .

ولنأخذ مثلا على ذلك شعوب معسكر البلدان التى تبنى الاشتراكية . فهذا المعسكر الذى اقامت شعوبه أنظمة جديدة على انقاض النظم الاقطاعية والراسمالية ، وفى صراع رهيب مع قوى الامبريالية العالمية ، ينتج الآن ثلث الانتاج الصناعى فى العالم [مع أن عدد سكانه يمثل عشر سكان العالم) وان معدلات النمو الاقتصادى فيه تتفوق على معدلات النمو فى اكبر البلدان الراسمالية . وتبنى كثير من بلاده الان مرحلة أعلى ومتطورة من الاشتراكية ، بعد أن اجتازت كل صعوبات مرحلة تأسيس المجتمع الاشتراكى . ويسمح النظام الاشتراكى بطبيعته باستخدام — اكثر ترشيدا — لمنجزات الثورة العلمية والتكنيكية ، وفى ذلك يدخل بلد كالاتحاد السوفيتى منافسا للولايات المتحدة الامريكية .وتملك البلاد الاشتراكية قوة عسكرية رادعة ، يضعها الامبرياليون دائما فى حساباتهم.

ونحن نعلم أن المعسكر الذى يبنى الاشتراكية لم يفعل ذلك فى ظروف تطور هادىء . فان قوى الامبريالية حاولت بأساليب الحصار الاقتصادى ، وسياسة الردع والاحتواء والاحلاف العسكرية ، والتدخل المسلح هنا وهناك ، وأعمال التخريب الايديولوجى أن تقوض اركانه . ولكن جميع محاولاتها قد انتهت الى الفشل ، كما فشلت من قبل كل الدول الامبريالية التى حاولت أن تسقط الحكم السوفيتى عقب انتصار ثورة اكتوبر عن طريق الجيوش التى ارسلتها لغزو الاتحاد السوفيتى . ثم اضطرت أكثر من دولة امبريالية بعد فشل الغزو ، وتحت ضغط التناقضات فيما بينها ، وتحت ضغط أزماتها الاقتصادية ، أن تدخل فى مفاوضات وعلاقات تجارية مع الدولة السوفيتية الوليدة ، وكان من نتائج هذه العلاقات أن تمكن الاتحاد السوفيتى من بناء صناعته الثقيلة .

وفى هذه الايام عندما نرى الدول الامبريالية وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية تتجه الى الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى لتحل مبدأ المفاوضة محل الحرب الباردة فان هذا لا يرجع الى أن الامبريالية العالمية ، تخلت عن اهدافها ، او نبذت طريق القوة ، او انها تراجعت عن مخططها الرامى الى تقويض البلدان الاشتراكية ، عن طريق المغامرات العسكرية ، ولكنها تفعل ذلك — مجبرة — ذلك تحت تأثير العوامل التالية :

١ — عامل ادراكها لقوة النظم الاشتراكية من النواحى المعنوية والمادية والعسكرية .

٢ — عامل الازمات الخانقة والمتزايدة الكامنة فى طبيعة النظام الرأسمالى العالمى نفسه ، هذه الازمات التى تعبر عن نفسها فى العجز الدائم فى ميزانية الدول الامبريالية ، والانجازات الخطيرة للازمات النقدية والمالية وازدياد تكاليف المعيشة ، والتضخم المالى . وهى جميعا أمور اصبحت تشكل امراضا مزمنة فى النظام الرأسمالى .

٣ — عامل التناقضات فى صفوف الدول الامبريالية ذاتها . هذه التناقضات التى تعبر عن نفسها فى الصراع على الاسواق ومناطق النفوذ ، وفى تصدع الاحلاف العسكرية ، على الرغم من كل المحاولات التى تبذل من أجل التكامل الاقتصادى .

ثم ان الدول الامبريالية لا تضعف مواقعها بسبب الانتصارات التى تحرزها الاشتراكية فحسب ، بل انها تزداد ضعفا تحت ضغط النضال الذى لا يهدأ فى صفوف حركة التحرر

الوطنى . ولسنا فى حاجة الى الاسهاب فى رصد المكاسب والانتصارات التى احرزتها هذه الحركة ــ خصوصا ــ منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . وعلى الرغم من الاخفاقات والهزائم المؤقتة التى اصابت ولا تزال تصيب بعض اقسام حركة التحرر الوطنى ، الا ان التناقض بين شعوب العالم الثالث وبين الامبريالية يظل تناقضا رئيسيا لا سبيل الى حله ، الا على حساب الامبريالية . واذا كانت قوى الامبريالية تلجأ اليوم الى التركيز على اساليب الاستعمار الجديد بدلا من الاستخدام السافر للقوة المسلحة فان تغيير الاسلوب فى حد ذاته هو دليل الضعف الذى أصاب مواقع قوى الامبريالية وليس دليل قوة بأى حال من الاحوال .

ثم يأتى النضال الذى تشنه فى داخل البلدان الرأسمالية ذاتها القوى الديموقراطية الواسعة وعلى رأسها الطبقة العاملة . ومن الملاحظ ان نضال الطبقة العاملة ضد راسمالية الدولة الاحتكارية يزداد اتساعه ، ويزداد تنظيمه ، وتتطور فيه الشعارات الاقتصادية عن تحسين ظروف العمل ورفع الاجور .. الخ الى مطالب سياسية تمس النظام الرأسمالى نفسه .

وتدخل هذا الصراع قوى اخرى الى جانب قوى الطبقة العاملة من الموظفين ، والفلاحين والشباب ، واقسام من الطبقة المتوسطة. واذا أخذنا على سبيل المثال ــ الحركات الاضرابية منذ عام ١٩٦١ فى ايطاليا وفرنسا وانجلترا واليابان وامريكا . ومدى اتساع هذه الاضرابات ونوعية الشعارات التى طرحت فيها ، أمكن أن نفهم لماذا نجحت الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية فى أن تنتزع مكاسب جدية اقتصادية وسياسية واجتماعية . بل لقد دللت هذه الحركات الشعبية اكثر من مرة على انها لاتقف عند حدود المطالب الوطنية ، بل تتعدى ذلك الى النضال الحازم ضد الاعمال العدوانية التى تقوم بها حكوماتها ضد شعوب بلدان حركة التحرر الوطنى . وكل هذا ، يؤكد أن قوى الامبريالية ليست مطلقة السراح ، وان وحدة النضال ضد الامبريالية بين البلدان الاشتراكية والطبقة العاملة فى البلدان الراسمالية، وحركة التحرر الوطنى يضع هذه القوى ــ بشكل عام ــ فى وضع من يملك المبادرة ، أو فى وضع الهجوم ، كما يرغم القوى الامبريالية بشكل عام ايضا ــ على التصرف من مواقع الدفاع والتراجع .

وفى ظل وضع عالمى ، هذه سماته الاساسية ، وفى نطاق الحركة الثورية العالمية التى تضم فصائلها الثلاث ، يثبت تماما أن ما نسميه بالتغييرات الجديدة فى السياسة هو فى الاساس ثمرة الصراع الذى لا يهدأ بين قوى الثورة العالمية وبين قوى الامبريالية العالمية . وان كل مافى هذه التغييرات من ايجابيات ، وفى مقدمتها انتصار سياسة التعايش السلمى يفتح امام بلدان العالم الثالث آفاقا اوسع لتشديد نضالاتها ، ولتحقيق المزيد من الانتصارات ، ان هذا راجع الى أسباب كثيرة فى مقدمتها :

١ ــ انه فى ظل انتصار مبادىء التعايش السلمى يتمكن المعسكر الاشتراكى من أن يدعم مواقعه الاقتصادية ، وهو الامر الذى يرتبط ــ لا بتعزيز قدراته الدفاعية فحسب ــ بل وبتقديم مساعدات متزايدة الى حركات التحرر الوطنى .

٢ ــ انه فى ظل انتصار مبادىء التعايش السلمى تتفاقم التناقضات بين الدول الامبريالية وتتاح الفرصة أمام الشعوب المدافعة عن حرياتها لكى تعزل أشد الفئات عدوانية فى صفوف القوى الامبريالية ، وتعمل على شل ، أو تحييد البعض الاخر .

٣ ــ انه فى ظل انتصار مبادىء التعايش السلمى تتفاقم التناقضات الداخلية داخل الدول الامبريالية بين مجموع القوى الشعبية والديموقراطية ، وبين الاحتكارات الدولية والمجموعات العدوانية الصناعية العسكرية ، وفى ظل هذه الصراعات المتزايدة تتسع الفرص اكثر فأكثر أمام القوى الديموقراطية فى البلدان الرأسمالية لمقاومة نزعات العدوان على الشعب فى الداخل ، وعلى الشعوب الاخرى فى الخارج.

فى ظل هذا الوضع الدولى ، بما فيه من متغيرات ، تصبح هذه التغييرات احتياطيا رئيسيا لبلدان العالم الثالث وأرضية ملائمة لحركتها ، ولنضالها على جميع المستويات . ويبقى بعد ذلك أن تبرهن هذه الشعوب على انها فى الوضع الثورى الناضج ، الذى يسمح لها بتحويل هذه التغييرات الى انتصارات .

احتمالات التوافق في العلاقات السوفيتية الأمريكية

ياسر حجازي

منذ **ان قام الرئيس الامريكى نيكسون بزيارته الشهيرة الى موسكو فى ابريل من العام الماضى ، وفريق من المراقبين السياسيين يروج فى الحاح لوجهة نظر مؤداها ، ان اللقاء بين نيكسون والقادة السوفيت — قد تمخض عن دخول العلاقات الامريكية السوفيتية مرحلة جديدة — هى مرحلة التوافق الذى سيؤدى تدريجيا وبصورة متنامية الى التقاء المصالح وتزاوج السياسات .**

وانطلاقا من هذا التقدير الذى يركز هؤلاء المراقبون على اشاعته وتحويله الى احدى المسلمات فى محيط العلاقات الدولية تتوارد توقعاتهم ويعلو بناء استنتاجاتهم على مدى المستقبل القريب والبعيد معا . فيمس كل ما هو مطروح من قضايا ومشاكل تشغل كل المساحة الممتدة بين العملاقين التى يتعاملان على ارضيتها اما بصورة مباشرة او غير مباشرة .

ولا شك ان مثل هذا التقدير او التشخيص للصيغة الجديدة للعلاقات بين امريكا والاتحاد السوفيتى — ان صح واصاب — لكان اخطر ظاهرة سياسية يواجهها المجتمع الدولى فى القرن العشرين ، بل وعلى مدى تاريخ العلاقات الدولية منذ نشأتها .

اذ انه يفرض بالضرورة **والقطع احداث** تغييرات جذرية وشاملة على خريطة العلاقات السياسية للعالم كله ستمحو الى غير رجعة الاسس التى درجت عليها تلك العلاقات حتى الان ، ذلك لان التوافق الذى **يؤكده هذا البعض** من المراقبين — **والذى تصيغه تعليقاتهم وكأنه** نوع من انواع التعاقد على تبادل المصالح وتقسيم النفوذ — انما يجرى بين **اعظم قوتين عالميتين .** توفر لهما اكبر ما عرفه التاريخ البشرى من قدرات اقتصادية وامكانيات عسكرية **وانجازات** علمية .

ومن ثم فان التزاوج بين تلك **الطاقات المهولة** لابد وان يلقى بظله الخانق واخطاره المدمرة على عاتق الدول الاخرى وفى مقدمتها **دول العالم الثالث** التى مازالت تخب مثقلة الخطى باكبال التخلف فى محاولة لاهثة للحاق **بذيل القافلة المتقدمة من** المجتمع الدولى .

نحن اذا والدول المماثلة لنا **اللذين سنجنى** العذاب ونحصد المر من وراء تلك **الصفقة .. اذا انعقدت** .. ونتيجة لهذا التوافق .. **ان تحقق .**

ومن هنا فالتدقيق بحثا عن موطن الصدق أو الخطل فى هذا التقدير واستخراج ما فى جوفه من حقيقة أو باطل .. هو ضرورة تفرضها ماقد نتعرض له فى المستقبل من احتمالات قاتمة ، بدأ اشاعتها بالفعل أصحاب نظرية التوافق ومروجوها .

فغايتنا اذا هو التحقق والتثبت من صحة هذا الذى يروجونه لا الوقوف منه موقف الرفض أو القبول .. فالرفض التلقائى له مستبعد والتسليم بصحته غير وارد .

ما الذى يسوقه هؤلاء المراقبون تدليلا على وجهة نظرهم ؟

انهم يؤسسونها على ثلاثة ركائز :

أولها : ما يمكن اعتباره من قبيل الاستنتاج المنطقى أو ما يبدو انه كذلك .

ثانيها : وهو ما يتخذ شكل المعادلة المتقاربة العناصر والممكنة النتيجة .

ثالثها : ما يستند الى عدد من الدلائل والمؤشرات التى تتوارد تباعا فى تيار الاحداث الدولية .

ففى تقديرهم :

أولا : ان الموقع الذى احتلته كلا الدولتين [الاتحاد السوفيتى وامريكا] فى سباق الثورة التكنولوجية يضعهما بلا منافس على رأس الدول المتقدمة ، وان الامكانيات المتزايدة التى تتيحها تلك الثورة تضاعف من سرعة تفوقهما الكمى والنوعى مما سيؤدى فى النتيجة الى اتساع الشقة التى تفصل بينهما وبين باقى الدول . ويفرض عليهما بالتالى التصدى لنوع جديد من المشاكل ذات الطابع المشترك وهو الامر الذى يستدعى تبعا لذلك أن تنشأ بينهما صيغا وانماطا مختلفة من التعاون والاتفاقات العلوية ينفردان بهما دون باقى اعضاء الاسرة الدولية.

فاحدى الركائز الاساسية التى ينبنى عليها هذا التوافق الحادث أو المحتمل فى رأى هؤلاء المراقبين: **هو المصالح ذات الطابع المشترك المتميز التى يعززها وسيعززها تباعا التقدم التكنولوجى الذى تمسك به كلا الدولتين حاليا باكبر قدر من خيوطه والذى أصبح يحتل بؤرة الاهتمام فى رؤيتهما الداخلية والخارجية .**

ثانيا : يلتقط من هنا وهناك هذا البعض من المراقبين عدد من العوامل والعناصر التى يمكن انشاء علاقة فيما بينهما — وتركيبها فى تكوين متناسق الخطوط لتجسيد الميزات والمكاسب التى يحققها التوافق بين الدولتين .

فمثلا : الاتجاه الناشىء فى الاتحاد السوفيتى نحو تحديث آلة التصنيع الاستهلاكى ، وتعاظم اهتمام المخططين الاقتصاديين والمنظرين الحزبيين بتحقيق مجتمع الرفاهية والوفرة الذى اصبح فى حكم الضرورة ، أما من وجهة نظر عقائدية [لاعداد الظروف الموضوعية والمادية للتحول الشيوعى] ، أو تحت ضغط المطالب المتزايدة من قبل جمهور المستهلكين .

هذا الاتجاه فى الاتحاد السوفيتى يجرى ربطه بالمضاعفات والازمات الناشئة من زيادة حجم الانتاج الاستهلاكى فى الولايات المتحدة — عن القدر الذى يمكن للاسواق التقليدية فى أمريكا وخارجها من استيعابه وابتلاعه .. والذى أصبح يواجه بالاضافة الى ذلك منافسة تزداد حدة من قبل مراكز الانتاج الراسمالى المتقدمة فى اوروبا وفى آسيا (اليابان)

فتزويج حاجة الاتحاد السوفيتى لتحديث صناعته وتوسيع قاعدة انتاجه الاستهلاكى الى قدرات الصناعة الامريكية التى أصبحت تحتاج الى معدة جديدة تقوى على هضم انتاجها ومتنفس ينجيها من خناق المنافسة تبدو وكأنها المعادلة المنطقية التى لابد وان تنتهى بالتوافق بين الدولتين.

وفى اطار هذه الخطوط العريضة للمعادلة يجرى تلوين وتظليل باقى التفاصيل الاخرى مثل ربط فائض انتاج البترول السوفيتى مع نناقص احتياطيات امريكا منه — وانخفاض محصول القمح فى الاتحاد السوفيتى مع ماتفيض به صوامع الغلال الامريكى .. وتقدم تكنولوجية التصنيع الاستهلاكى فى أمريكا مع التخلف الذى تعانى منه فى روسيا ، وافتعال سلسلة اخرى من الابحاث المتماثلة .

ثالثا : اما عن المؤشرات والدلائل التى يسوقها هؤلاء المراقبون تدليلا على صحة ما انتبهوا اليه فيمكن تلخيصها فى أهم الظواهر التالية :

١ — وثيقة المبادىء التى اسفرت عنها اجتماعات موسكو بين نيكسون والقادة السوفيت.

٢ — الاتفاق المبدئى حول الحد من انتاج الاسلحة الاستراتيجية الذى وقع اثناء الزيارة المشار اليها .

٣ — الاتجاه الذى ساد المناخ الدولى عقب الزيارة والذى يستهدف تسوية عدد من المشاكل المثارة وفى مقدمتها الحرب الفيتنامية وبدء الحوار حول اقرار نظام للامن فى أوروبا .

٤ ـ الوصول الى عدد من الاتفاقات الثنائية بين الدولتين فى المجالات العلمية والفنية والثقافية .
٥ ـ الاتصالات الجارية لتوسيع العلاقات التجارية بين البلدين .
٦ ـ ما يثار حول احتمال ابرام اتفاقيات ضخمة فى مجال التعاون الاقتصادى والصناعى على وجه الخصوص .

هذه بصورة عامة ومركزة اهم الدعامات والركائز التى ينبنى عليها تقدير المراقبين السياسيين المعبرين عن [نظرية التوافق] والتى يستخدمونها حاليا كمسلمة يرجع اليها فى تفسير كافة الظواهر الدولية أو الاستطراد منها لتأسيس تنبؤاتهم واستقراءاتهم السياسية المستقبلة .

ونحن فى البداية لاننفى ان هناك تحولا ملحوظا قد طرأ على العلاقات السوفيتية الامريكية وليس محل جدل أو نقاش أن تلك العلاقات قد دخلت مرحلة جديدة **ولكن** ان توصف هذه المرحلة وتشخص بانها مرحلة التوافق فى المصالح والتقارب فى السياسات فهذا ما يستدعى ولاشك وقفة طويلة ونقاش واسع وتساؤل ملح .

ماهى الاعتبارات التى تعترض مجرى التوافق

هناك عدد من الحقائق غير مختلف عليها لابد وان تستوقف كل باحث يتلمس اكتشاف موطن الصدق من الخطأ فى هذا التقدير ..

اولا : ان كلا من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة لا تقتصر صفتهما على كونهما دولتان وانهما اكبر قوتان عالميتان بل ان كلا منهما فوق هذا وذاك قاعدة لنظام له ركائزه الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية ورؤيته الشمولية الخاصة به ، وأن كلا منهما قيادة لتجمع دولى يلتئم معها فكرا ويلتقى هدفا ويرتبط مصيرا .. ولا نخطىء اذا قلنا ان عالمنا الذى نعيش فيه حاليا هو نتاج الصراع الدائر بين هذين النظامين والضارب بجذوره فى كافة انشطة الحياة ومناحيها .

فتعارض السياسات وتضارب المصالح هو نتيجة لهذا التناقض فى التكوين والنشأة ولا يمكن القول بأن العكس صحيح .. فالادعاء بأن الاختلاف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ينبثق من التنافس على المصالح وبسط النفوذ يعتبر تبسيطا ساذجا لحقيقة مترامية الابعاد ومتنوعة المحتوى .

مثل هذا النوع من التفكير يفترض ضمنا وكأن المحتوى الايديولوجى .. والاقتصادى .. والاجتماعى للنظامين هو مجرد تبرير للخلاف الواقع بينهما ، او انه لا يعدو كونه قناعا زائفا يمكن الاستغناء عنه بمجرد التقاء المصالح .

ثانيا : ان الاقتصاد المتطور والتكنولوجيا المتقدمة هما الطاقة التى يواجه بها كل منهما الاخر فى مواقع الاحتكاك المباشر وغير المباشر ، وهو المحور الذى يدور حوله نشاطهما الدولى .

والمرحلة الواقعة فيما وراء الحرب الباردة قد تميزت بصورة خاصة ـ بنوع من التنافس لحمته وسداه ما تقدمه عجلة التصنيع فى كل منهما من انتاج متقدم ومتطور سواء فى ساحة القتال أو فى مواقع البناء السلمى .

فمن جهة : أصبح التأثير الفكرى والدعائى لاى من النظامين [الاشتراكى والراسمالى] وعنصر الجذب الجماهيرى فيه يتأسس فى المقام الاول على مدى ما يقدمه كل منهما من حلول لمشاكل الجماهير الحياتية ، ومعاناتها اليومية .

هذا العامل تتركز حوله جهود القادة السوفيت وينصب عليه اهتمامهم البالغ ثقة منهم فى ان النظام الاشتراكى برؤيته الاجتماعية وتخطيطه الشامل لكل صور النشاط الاقتصادى قد تعدى مرحلة الخطر المهدد له وفى طريقه الان الى تجاوز معطيات النظام الرأسمالى .

ومن جهة اخرى : فان بؤر الازمات والمشاكل المنتشرة على صعيد العالم كله قد كشفت بأن الامكانيات الاقتصادية لكلا القوتين تلعب دورا مؤثرا وفعالا بينهما ، فالوسائل القتالية واداة الحرب فى فيتنام تأتى من ترسانات الاسلحة فى كل من امريكا والاتحاد السوفيتى . والعبء المادى المكلف لتلك الحرب يقع بشكل أو بآخر على عاتق طاقتهما الاقتصادية ، وهذه صورة متكررة بالنسبة لمشاكل اخرى فى مناطق مختلفة من العالم .

نستخلص من هذا الحقائق التالية :

١ ـ ان الاقتصاد وهو ابرز معالم التناقض بين النظامين ـ الاشتراكى والرأسمالى ـ فهو ايضا أهم وسائل الصراع بينهما فى المجالين السلمى والعسكرى فتصور الالتحام أو التوافق بين الدولتين فى هذا المجال انما هو تصور يستند على افتراض واحد وهو امكانية احتواء اقتصاد اى منهما لاقتصاد الدولة الاخرى .

٢ ـ ان الاقتصاد السوفيتى اذا كان قادرا على المنافسة كما أثبتته وتثبته تجارب الموقف الدولى بمشاكله وأزماته . فهذا يعنى انه لبس متخلفا الى القدر الذى يجعله متهافتا على ما قد يسمح به الاقتصاد الامريكى من عطاء .

٣ ـ ان المسافة الواقعة بين الرغبة فى التعاون الاقتصادى وبين مقتضيات المنافسة

والصراع بين النظامين والتى يغذيها الاقتصاد فى المقام الاول — هذه المسافة ليست من الاتساع بحيث تسمح رقعتهـا استيعاب حركة ضـخمة وواسعة من التعامل بين الدولتين .

ثالثا : ان المشاكل والقضايا التى تعكس الخلاف بين القوتين العـالميتين وتضعهما على طرفى التناقض والخصومة ما زالت ضاربة بجذورها فى صميم العلاقات الدولية ولم تخف حدتها بعد كما هو حادث الان بالنسبة لمشكلة فيتنام أو الشرق الاوسط أو حتى مشكلة الامن الاوروبى التى انعقد بشأنها الاجتماع التمهيدى فى هلسنكى — فقد اظهر الحوار الدائر بين الاطراف حتى الان تلك المشكلة مازالت تقف على أرضية مليئة بالشكوك والاشواك .

وهذا يكشف أن الافق الدولى — وان كان قد تحسن الى حد ما — الا أنه مازال يخيم فى سمائه سحب من التوتر مشحونة باحتمالات مهددة للامن الدولى فى اكثر من منطقة جغرافية .

وهذا يعنى فى النهاية أن المشاكل ما زالت موجودة فى حالة تفاعل ، وانها حتى هذه اللحظة ما زالت مسـيرة بقوة دفع الظروف المـاضية والسابقة على اجتماعات موسكو ولم يطرأ عليها بعد تحولات واضحة تجعلنا نسجل بداية معلومة لتأثيرات ذلك الاجتماع .

رابعا : ان زمام الموقف الدولى لم يعد حكرا يتحكم فيه كلا من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، فالصين تتقدم لتشاركهما الامساك به وتصعد حثيثا لتأخذ مكانها بينهما فى موقع القمة . وهذه حقيقة دشنتها زيارة نيكسون لبكين .

فوجود الصين كقوة عالمية كبرى لم يعد محل جدل ، وغيابها أو تجاهلها فى ادارة دفة الشئون الدولية ، والمساهمة فى تشكيل المناخ الدولى هو أمر مستبعد بل وغير وارد أساسا .

ومن ثم يصبح الحديث عن التوافق الامريكى السوفيتى وعن تلاحم المصالح ولقاء السياسات بينهما هو انعكاس لتصور غير متكامل وغير ملم بكل الاعتبارات الدولية الاخرى التى تجعل مثل ذلك الاحتمال أمر بعيد التحقيق حتى لو توفرت لاطرافه رغبة اخراجه الى حيز الوجود .

أين الصين ؟ أين تقف من هذا التوافق : سؤال يفرض نفسه قسرا وعلانية على كل متتبع لجوانب الموقف الدولى .

خامسا : أن عزل مواقف الدولتين فى المشاكل الدولية المثارة ، عن علاقتهما الثنائية — كما يروق للبعض أن يصور أو يتصور — هو نوع من التجريد والتجرد غير المستساغ شـكلا وغير الممكن موضوعا .

فهل من الممكن مثلا أن تسير العـلاقات بين موسكو وواشنطن فى مجرى التحسن والانفتاح بينما السلاح السوفيتى يتصدى للسلاح الامريكى فى فيتنام وفى الشرق الاوسط وفى الهند وفى مناطق أخرى من العـالم ، والموقف السياسى الامريكى يتضاد مع الموقف السياسى السوفيتى فى هذه وغيرها من المشـاكل ، والاقتصـاد السوفيتى يدعم الدول التى تتعرض للضـغط الاقتصادى الامريكى — فى كوبا وشيلى والهند ومصر وسوريا وفيتنام وكوريا .. الخ . وغيرها من دول العالم .

ان هذا التصور الذى يفترض قيام سياستان منفصلتان بين الدولتين ، احداهما تجمعهما فى عش الوفاق والوئام والاخرى تقذف بهما متبارزين فى دروع الفرسان داخل حلبة المشاكل الدولية انما هو تصور يصعب ابتلاعه أو التسليم به .

اذ أن هذا أو ذاك من العلاقات والمواقف انما تنتمى الى كل واحد وخلفية واحدة تفرض نفسها على جميع التفاصيل وتصبغ لونها على كل الصور المنبثقة منها ، فاما أن يلمس الوفاق كافة المشاكل ويمتصها واحدة تلو الاخرى أو أن يظل ذلك الوفاق امنية منطوقة غير مرئية ، او متجسدة طالما كان لهذه المشاكل ذيول تتحرك .

سادسا : ان محاولات التفاهم والوفاق بين الدولتين ليست بدعة انفردت بها زيارة نيكسون للعاصمة السوفيتية فقد سبق هذه الزيارة لقاءات عديدة بين قادة الدولتين أثناء الحرب العالميـة الثانية وبعد انتهائها ، وكانت كلها تستهدف مد المزيد من جسور التفاهم والتعاون فيما بينهما ، نذكر منها على سبيل المثال ثلاث لقاءات كانت وما زالت علامات بارزة فى تاريخ العلاقات بين الدولتين هى :

- زيارة خروشوف لامريكـا سـنة ١٩٥٩ واجتماعه بايزنهاور فى كامب ديفيت .
- لقاء خروشوف مع جون كيندى فى فيينا سنة ١٩٦١ .
- اجتمـاع اليكسى كوسيجين مع ليفـدون جونسون فى جلاسبورو سنة ١٩٦٧ .

وقد أثارت هذه اللقاءات فى حينها سيلا من التكهنات والتنبؤات لا تختلف فى فحواها عما يثار الان حول زيارة نيكسون لموسكو ولو انتقينا ماكتب حول واحد من هذه اللقاءات وهو الذى تم فى جلاسبورو بين كوسيجين سنة ١٩٦٧ لوجدنا أن كثيرا من التعليقات كانت تؤكد بأن ذلك الاجتماع قد تمخض عن اتفاق لتقسيم مناطق النفوذ بين الدولتين .

ونحن لا نسوق هذا المثل فى ابراز خطأ ماقيل للبرهنة على خطأ ما يقال ، وانما من الملفت للنظر بالنسبة لهذه اللقاءات الثلاثة انه فى أعقاب كل منها وقع حدث دولى يكشف بصورة او بأخرى امكانية تنافى أو تقارب العلاقات بين الدولتين .

فمثلا فى أعقاب لقاء كامب ديفيت ورغم كل البيانات الرقراقة التى انسابت على السنة الزعيمين فوجىء العالم بحادثة طائرة التجسس التى سقطت فوق الاراضى السوفيتية والتى كان يقودها باورز مما ترتب عليه نسف مؤتمر باريس الرباعى ، وكذلك بعد لقاء فيينا الذى حمل للعالم بشير سياسة التعايش السلمى ، وقعت أزمة الكاريبى التى انتهت بسحب الصواريخ السوفيتية من كوبا .

وفى العام التالى على اجتماع جلاسبورو نشبت الازمة التشيكية التى ألقى السوفيت تبعتها على محاولات التخريب التى تمارسها دول المعسكر الرأسمالى ضد النظام الاشتراكى العالمى . بل اننا لو نظرنا الى التشنج المفاجىء الذى أصاب الموقف الامريكى فى فيتنام مؤخرا لخرجنا من هذا بحقيقة مؤداها :

أن التفاهم والتوافق حتى وان كان رغبة مشتركة بين العملاقين فيقف دون تحقيقها العديد من العوامل والاعتبارات ، منها مايتصل بحصيلة التجارب المريرة التى خاضتها العلاقات بينهما ورصيد الشكوك الذى يعترض مسالكها ومنها ما يتصل بمواقف الطرفين فى علاقاتهم بحلفائهم داخل الجبهة الواحدة ورفاقهم فى المصير المشترك .

ومنها ما يتصل بالسلوك العام والكلى للمجتمع الدولى الذى لا تملك القوتان العالميتان رغم تأثيرهما العميق فيه — قدرة ضبطه واحكامه بالقدر الذى يتلاءم تماما مع رغبتيهما .

ان بين الرغبة والقدرة مساحة — يملؤها التناقض والصراع والشك والتزامات الاطراف حيال أصدقائهم وحلفائهم . واثقال المشاكل الدولية الاخرى بتعقيداتها وخلفياتها — والحذر المسلط على كل منهما من ان يحقق خطوة واحدة لطرف مكاسب اكبر مما يحققه للطرف الاخر .

سابعا : يبقى بعد ذلك مراجعة الحصاد المباشر الذى أثمرته زيارة الرئيس الامريكى نيكسون ، ولعل أهم النتائج محل التركيز هى وثيقة المبادىء التى وقعها الطرفان .

ولا خلاف فى أن هذه الوثيقة ذات دلالة هامة وبارزة — لا فى تاريخ العلاقات الثنائية بين القوتين فحسب وانما فى تاريخ العلاقات الدولية ككل .

ولكن هل قيمة هذه الوثيقة تصدر من كونها المدخل لمرحلة توافق المصالح والتقاء السياسات أم لانها عنصر بالغ الاهمية لتخفيف حدة التوتر وتوفير فرص السلام الدائم ؟

ومن جانب آخر هل هى فى ثوبها الذى خرجت به والقالب الذى صبت فيه تعتبر أن الوثيقة فى جملتها وتفصيلاتها تعبر عن نوايا ومبادىء عامة يرى كلا من الطرفين اتباعها على الصعيد الدولى وفى علاقاتهما الثنائية ، وهى بالصورة التى دبجت بها تطرق فى الحاح ظاهر على تجنب المواجهة وتلافى الاحتكاك وهذا هو أهم جوانبها وضوحا ولعله الجانب الوحيد القاطع فيها وفيما عدا ذلك فهو هلامى ومطاط ومتروك للاختيارات وللتفسيرات التى قد تتضارب فى شكل دائرى ، والوثيقة مليئة بالصيغ الاحتمالية مثل « انهما سيبذلان كل مافى وسعهما » أو « انهما سيقومان بجهود خاصة » .. أو « أنهما سيعقدان اتفاقات خاصة كلما كان ذلك ممكنا » كثير من المواضيع متروك للاجتهادات والالتزام فى أى من بنودها غير وارد **سوى بالنسبة لتوفير الامن وتأكيد الرغبة فى السلام وتجنب المواجهة .**

ولعل هذه هى قيمة الوثيقة برمتها بل قيمة الاجتماع كله الذى تم فى موسكو بل ومحتوى الخطوة التى اتخذها العملاقان فى المرحلة الحالية .. وهى تجنب المواجهة .. تلافى الاحتكاك .. تأكيد الرغبة فى التعايش السلمى وهذه الثيمة وحدها — فى خضم المشاكل المثارة والمضاعفات المترتبة أو التى قد تترتب عليها هى نتيجة ولاشك ضخمة وخطوة لاشك عملاقة .

بماذا نخلص من هذا كله ؟

كل ما سبق هى اعتبارات لابد وأن تعترض مجرى التصور لاحتمالات الوفاق أو التوافق الذى يشيعه البعض من المراقبين ، وهى تؤدى بنا ولا شك الى أن نتحرس فى الاخذ بهذا التقدير الذى انتهوا اليه .

ولكنا فى الوقت نفسه لا ننكر بأن هناك خطوة كبيرة وهامة تمت فى اطار العلاقات الثنائية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وسيكون لها أثرها الواضح والعميق على مجرى العلاقات الدولية ككل ، ونستطيع أن نقرر — دون ان نجافى الواقع — ان هناك ضرورات فرضت على القوتين اتخاذ هذه الخطوة .

كما فرضت عليهما ضرورات الموقف الدولى فى الماضى والتخلى عن سياسة الحرب الباردة ، ان التطور المخيف فى أسلحة التدمير الشامل ووسائل نقلها قد جعلت من الحرب بينهما ضربا من الجنون الدولى لا يقدم عليه سوى نيرون جديد ، فكان لابد من البحث عن شكل وقالب آخر تصب فيه علاقات الدولتين بكل ما فيهما من تناقض وصراع ، وتحت ضغط هذه الضرورة الملحة كان اللقاء بين نيكيتا خروشوف وجون كينيدى فى فينا ، الذى رسم أولى ملامح سياسة التعايش السلمى .

لم يتم ذلك اللقاء قدرا او وقع صدفة ، ولكنه حتمية ساقتها وفرضتها احتمالات المستقبل المحفوف بالاهوال والاخطار المدمرة .

وحين طار نيكسون الى بكين .. والى موسكو لم يكن ذلك محض رغبة ومجرد مبادرة فردية ولكن لان هناك ظروفا توجب واعتبارات تقضى بأن تتم تلك اللقاءات .

وغير خاف على المتتبع لمجريات السياسة الدولية بأن سياسة التعايش السلمى قد أثبتت خلال الخمس سنوات الماضية بأنها — لا تخلو من ثقوب وفجوات تسمح بأن يلج منها اخطار الحرب واحتمالات المواجهة فكان لابد من البحث عن ضوابط جديدة تقلل من تلك الاحتمالات المهددة للعالم كله .

لقد أثبتت أزمة الكاريبى ...
ووقوع أزمة الشرق الاوسط
والازمة التشيكية
وتصاعد الحرب الفيتنامية
واندلاع الحرب بين الهند وباكستان

كل تلك الازمات — بغض النظر عن دوافعها ومدلولاتها — قد اظهرت بوضوح بأن الصيغة المطاطة لسياسة التعايش السلمى التى اتفق عليها فى أوائل الستينات لم تعد صالحة او كافية للحيلولة دون وقوع عدد من المشاكل الدولية والحروب المحلية ، من الممكن ان يؤدى تفاقمها وانتشارها الى استدراج القوتين مرة اخرى الى حافة الهاوية .

ومن هنا وتحت وقع الاحداث ، ومع علو سحب الدخان وتكاثف أعمدتها من مناطق النزاع المسلح وغير المسلح ، كان لابد من تحرك جديد ، لابد من وضع واتخاذ ترتيبات توقف انزلاق العالم مرة أخرى الى مدارج الحرب الباردة . فكان ذلك اللقاء فى موسكو بعد مرور ما يقرب من عشر سنوات على اللقاء الذى تم فى فينا والذى صاغ سياسة التعايش السلمى وأخرجها الى حيز الوجود .

فهو لقاء يفرضه الاحساس المتزايد بالخطر والذى يستهدف السلامة والسلام . وليس موعدا نتعانق فى دفئه مشاعر الود الباحثة عن الوفاق .

هذا اللقاء قد يفسح فى المستقبل مجالات أوسع للتعاون والتعامل بين الدولتين — قد يكون هناك مزيد من التجارة ومزيد من الاتفاقات الثنائية فى ميادين متنوعة ومختلفة .

ولكن ليس الى الحد الذى يفتح أبواب الوفاق او يستبيح تزاوج السياسات .

ان ما بين أيدينا من حقائق وظواهر ومؤشرات حتى تلك التى ساقها أصحاب نبوءة التوافق — تجعل من الصعب علينا حتى الان وحتى مرحلة غير قصيرة مستقبلا تصور انه بالامكان ان تبحر السياسة الامريكية مع السياسة السوفيتية على سفينة واحدة يشقان بها عباب المشاكل الدولية .

ان الظواهر التى تفرض نفسها وتقف ثابتة على أرض الحقيقة هى التى يجب التعويل عليها والاخذ بها عناصر متكاملة فى نسيج التقدير والرؤيا السياسية .

وما عدا ذلك فهو زحام من التصورات التى يمكن أن تقودنا فى استطرادها الى اللامنتهى ، ونحن لا نناقش منطقية تلك التصورات من عدمه فهى قد تكون صياغة نظرية لمجموعة من الفروض التى تبدو منطقية العلاقة والنتيجة ، ولكن من الممكن معاكسا لها ومضادا لكل مفاهيمها رص مجموعة أخرى من الفروض منسجمة العلاقة تنتهى الى نتيجة متناقضة تماما مع النتيجة السابقة ، وعلى نفس مستوى منطقها لا عن النتيجة السابقة .

ان ما يعنينا هو مدى ملامسة هذه التصورات والصيغ لارض الواقع ، وكذلك فانه يعنينا بنفس القدر تحديد المنطلقات الباعثة على خلق هذا التصور والخلفيات الموحية بها .

من اين جاء ذلك التقدير عن التوافق فى العلاقات بين امريكا والاتحاد السوفيتى ؟ .

ولماذا يروج بهذا الالحاح ؟ ولحساب من ؟ لا شك ان هذه قضية جديرة بالبحث ؟ .

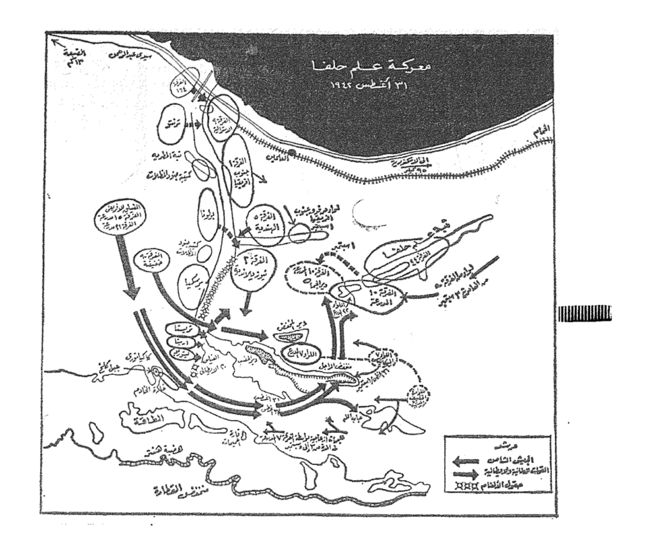
معارك « العلمين » الدفاعية

خبرات عن الدفاع في حرب الصحراء

محمود عزمي

لاشك أن الخبرات التى خطتها فى صفحات التاريخ العسكرى الحديث دماء المحاربين فوق رمال الصحراء الغربية خلال معارك « العلمين » التى دارت منذ ٣٠ عاما فى الفترة الواقعة بين أول يوليو وحتى الخامس من نوفمبر عام ١٩٤٢ مازالت لها قيمتها الجوهرية حتى الان وقدرتها على الافادة العلمية فى مجال دراسة تكتيكات حرب الصحراء سواء فى الدفاع او الهجوم · خاصة فى حالة استخدام الاسلحة التقليدية من مدفعية ومدرعات وطائرات فحسب · لان هذه الاسلحة مازالت فى الاساس ، ورغم التطور التكنولوجى الكبير الذى طرأ على صناعتها خلال الثلاثين عاما الماضية ، تعتمد على البارود ومشتقاته فى قوة نيرانها : ومازالت تستعمل آلات الاحتراق الداخلى التى تستخدم البترول فى حركتها الميكانيكية ، ومن ثم مازالت العقائد التكتيكية التى تشكلت فى حركة جدلية متبادلة التأثير مع هذه الوسائل القتالية لها قيمتها العملية فى مجال تطوير تكتيكات حرب الصحراء ، خاصة وأن الصحراء مازالت هى الصحراء التى وصفها الجنرال « فون رافنشتين » أحد قادة الفرقة الالمانية المدرعة ٢١بقوله: « « ان الصحراءهيجنة رجل التكتيك وجحيم رجل الشئون الادارية » · بمعنى ان طبيعتها الجافة ومناخها القاسى مازال لهما نفس الاثار التى كانت لهما من قبل تقريبا على أساليب القتال واعاشة القوات التى تقاتل فيها حتى يومنا هذا · ومن‌ثم فان خبرات معارك « العلمين » وغيرها من معارك الصحراء خلال الحرب العالمية الثانية التى عمدتها نار القتال العملى ، وتبلورت عقائدها التكتيكية من خلال التعرف على ردود فعل الخصم الواقعية فى حركة متبادلة التأثير والتأثر مازالت خبرات تستحق الدراسة ·

وسنقتصر فى مقالنا هذا على دراسة جانب المعارك الدفاعية التى سبقت معركة العلمين الكبرى التى لم تلق كثيرا من الاهتمام فى الدراسة العسكرية مثلما لقيت معركة العلمين الهجومية الذائعة الصيت اعلاميا ، خاصة وان العدو



الاسرائيلي قد اهتم بدراسة هذه الخبرات الدفاعية وادخلها في اعتباره عند تشكيله لعقيدة الدفاع الايجابي التي ينتهجها عادة كما دلت على ذلك دروس حربي ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ .

الانســحاب البريطاني الى العلمين

في الفترة من ٢٦ مايو الى ٢١ يونيو ١٩٤٢ دارت معركة كبرى بين الجيش البريطاني الثامن بقيادة **الجنرال** « **ريتشي** »**وجيش المحور الالماني** ـ الايطالي بقيادة **الجنرال** « **روميل** » على مقربة من حدود مصر الغربيــة ، عرفت بأسم معركــة « **الغزالة ـ طبرق** » اسـفرت على هزيمـة منكرة للجيش الثـامن وتدمير معظـم قوتــه المدرعــة (بقيت لديه ٧٠ دبابة من أصل ٨٤٩ دبابة كانت لديه تقريبا (*) واسر ٣٣ الفا من جنوده ومعهم غنائم هائلة مختلفة داخل قلعة « طبرق » الشهيرة وأخذت بقايا وحدات هذا الجيش من المشـاة والمدفعية فقط تقريبا تنسحب بسرعة الى داخل مصر لتعيد تنظيم نفسها حول « **مرسى مطروح** » حيث بدأت بعض التعزيزات الجديدة تصلها من « الدلتا » « فلسطين » « سوريا » « العراق » فضلا عن التعزيزات الاخرى التي كانت تجمع مـن بريطانيا وامريكا لارسالها للشرق الاوسط عبر طريق رأس الرجاء الصالح على وجه السرعة . وكان المفروض بعد سقوط « طبرق » **وفقا للخطة** الالمانية ـ الايطالية التي وضعت في شهر ابريل

(*) كان لدى روميل عند بدء هجومه على خط الغزالة ـ بير حكيم قوة مدرعة تضم ٣٣٢ دبابة المانية عاملة ، ٧٧ اخرى احتباطية ، ٢٢٨ دبابة ايطالية عاملة وفرقة ليتوربو الايطـالية المدرعة الجارى وصولها ولكن الدبابات الايطالية كانت سيئة النوعية للغاية . وكان لديه تفوق جوى طفيف للغاية متمثل في ١٢٠ مقاتلة المانية « مسر شميت ١٠٩ » ضمن ٧٠٤ طائرة المانية وايطالية كانت لديه توجد منها ٤٩٧ طائرة صالحة للعمل فورا .

السابق ، ان يتوقف زحف قوات روميل بعض الوقت عند الحدود المصرية لاعادة التنظيم ، وانتظارا لاستيلاء قوة من المظليين الالمان تعاونها البحرية الايطالية والطيران الالمانى المرابط فى جزيرة صقلية على جزيرة « مالطة » الواقعة فى منتصف الممر المائى الواقع بين « صقلية » و « تونس » والتى يتخذها الطيران البريطانى والبحرية البريطانية ايضا قاعدة متقدمة لعملياتها الخطيرة الاثار ضد قوافل الامداد البحرى الايطالى لقوات « روميل » المحاربة فى ليبيا . وبذلك يتم تأمين امدادات هذه القوات من الوقود والذخيرة بشكل أكثر استقرارا وانتظاما خلال زحفها المقبل داخل مصر للاستيلاء على « قناة السويس » وفلسطين وسوريا والعراق بعد ذلك اذا أمكن .

ولكن « روميل » رأى على ضوء ضخامة حجم الهزيمة التى لحقت الجيش البريطانى الثامن وخاصة بالنسبة لشدة خسائره فى المدرعات وسرعة الاستيلاء على « طبرق » تلك القلعة الحصينة التى استعصت عليه عام ١٩٤١ وصمدت للحصار آنذاك مدة ٨ شهور ثم سقطت فى هجوم استمر يوما واحدا هذه المرة فى عام ١٩٤٢ ! الامر الذى وفر له احتياطى كبير من الوقود والمؤن والذخيرة والعربات ، نتيجة وقوع غنائم كبيرة سليمة فى ايدى قواته داخل المدينة قبل ان يلحقها التدمير بسبب سرعة وتلاحق أحداث الهجوم الخاطف المركز (*) . رأى ضرورة الاستمرار فى مطاردة الجيش الثامن داخل مصر والقضاء عليه تماما عند « مرسى مطروح » او « العلمين » قبل ان تصله التعزيزات السريعة القادمة من مختلف مناطق قيادة الشرق الاوسط ومن بريطانيا نفسها والهند والولايات المتحدة الامريكية وتتاح له فرصة اعادة التنظيم والاستعداد لهجوم مضاد عام جديد ، وقد عارضه فى رأيه هذا كل من « موسولينى » والماريشال « كيسلرنج » قائد السلاح الجوى الالمانى فى البحر المتوسط . الا أن « هتلر » الذى كان قد انعم على « روميل » بوسام الصليب الحديدى ورتبة الماريشال أثر سقوط طبرق ـ قد أيده فى رأيه هذا نظرا لانه كان غير ميال لتنفيذ عملية الاستيلاء على « مالطة » بسبب توقعه لوقوع خسائر شديدة فى صفوف المظليين الالمان الذين سيعهد اليهم بالدور الرئيسى فى العملية مثلما حدث فى عملية « كريت » عام ١٩٤١ خاصة فى ظل المساعدة غير الفعالة المتوقعة من



الدبابة الالمانية «مارك ٣» ذات المدفع ٥٠ مم طويل الماسورة وكان يمكنه اختراق دروع الدبابات البريطانية من مسافة تزيد عن ١٠٠٠ ياردة وخارج المرمى المؤثر لمدافع الدبابات البريطانية وهى دبابة تزن حوالى ٢٠ طن وأقصى سرعة لها ٢٥ ميلا فى الساعة .

الاسطول الايطالى الذى كان كثير الشك فى قدرته العملية . وبناء على موافقة « هتلر » وكتابته الى « موسولينى » بذلك عبرت قوات « روميل » الحدود المصرية عند « السلوم » فى ٢٣ يونيو ١٩٤٢ دون ان تتاح لها اية فرصة فعلية للراحة واعادة التنظيم واستكمال خسائرها بعد القتال العنيف الطويل الذى خاضته من قبل فى معركة « الغزالة ـ طبرق » ولذلك كان لدى « روميل » عند مشارف « مرسى مطروح » « يوم ٢٥ يونيو نحو ٦٠ دبابة المانية عاملة ، ٤٤ دبابة ايطالية فقط ، و ٣٥٠٠ جندى مشاة المانى ، ٦٥٠٠ جندى مشاة ايطالى ، تساندهم قوة جوية كانت تتألف يوم ٢٣ يونيو من نحو ١٨٣ طائرة المانية عاملة ، (١) ٢٣٨، طائرة ايطالية ولكن القدرة الفعلية لهذه الطائرات على تقديم المساندة الكافية للقوات البرية المتقدمة كانت محدودة للغاية خلال الايام الاولى الحاسمة لزحف هذه القوات فى عمق مصر بسبب بعد المطارات الاصلية لها عن الجبهة وعدم توفر الوقت اللازم لاعادة تجهيز المطارات البريطانية السابقة القريبة من الحدود المصرية .. مثل مطارات « سيدى رزق » « العضم » « جمبوت » حتى تستخدمها المقاتلات الالمانية ، حتى ان خربت منشآتها بواسطة البريطانيين قبل انسحابهم السريع منها أثر معركة « الغزالة » هذا فضلا عن أن قوة الصحراء الجوية البريطانية كانت قد عززت قواها من الوحدات الجوية الاخرى الموجودة فى منطقة الشرق الاوسط وأصبح لديها قوة تبلغ نحو ٤٦٣ (٢) طائرة عاملة مابين مقاتلة وقاذفة خفيفة تعمل من مطارات أمامية عند

(*) بلغت جملة غنائم « طبرق » نحو ٥٠٠٠ طن مؤن ، ٢٠٠٠ طن بترول ، ٢٠٠٠ عربة صالحة للاستعمال فضلا عن كميات كبيرة من الذخيرة البريطانية والالمانية ايضا والتى كانت القوات البريطانية قد استولت عليها فى الشتاء الماضى نتيجة لمعركة الكروسيدر

(١) Playfair: The Mediterranean And Middle East, Vol. III. London, H.M.S.O., 1960, P. 220.243, 283.

(٢) Macksey, Purnells: History of the Second World War, Afrika Korps, London, Macdonald, 1968, P. 86.

« **مطروح** » « **فوكة** » « **الضبعة** » « **العامرية** » ونتيجة لذلك استطاع الطيران البريطانى أن يقوم بنحو ٧٥ طلعة يوم ٢٣ يونيو ضد قوات « **روميل** » وتزايد النشاط الجوى البريطانى خلال الايام التالية حتى وصل الى ٦١٥ طلعة طيران يوم ٢٦ يونيو أثناء معركة « **مرسى مطروح** » الامر الذى حال دون تحول عملية انسحاب بقايا الجيش البريطانى الثامن الى فرار غير منظم وهزيمة كاملة وأدى الى تخفيف سرعة زحف « **روميل** » الخاطف نحو الاسكندرية مما ساعد الوحدات البريطانية التى كانت مرابطة فى خط « **العلمين** » وقتئذ على تدعيم مواقعها الدفاعية الى حد لا بأس به ٠

هذا وقد طار الى « **مرسى مطروح** » الجنرال « **أوكنلك** » القائد البريطانى العام للشرق الاوسط يوم ٢٥ يونيو حيث عزل الجنرال « **ريتشى** » من قيادة الجيش الثامن وتولى القيادة بنفسه يعاونه فيها الجنرال « **آرك دورمان سميث** » كرئيس أركان (وكان يشغل قبل ذلك منصب مساعد رئيس أركان قيادة الشرق الاوسط العامة) ٠

وقد أجرى « **أوكنلك** » تقديرا سريعا لموقف قواته ومواقعها الدفاعية حول « **مرسى مطروح** » فوجد أن معظمها يتألف من المشاة المترجلة المرابطة فى مواقع غير معدة جيدا ولا تحميها حقول الغام متصلة أو كثيفة بالقدر المطلوب فضلا عن أنها متناثرة تفصلها عن بعضها فراغات غير محمية بفاعلية بنيران المدفعية أو الالغام ٠ وأن القوة المدرعة الموجودة لديه هناك (الفرقة المدرعة الاولى بلواءيها ٤ ، ٢٢ بالاضافة الى اللواء ٧ من المشاة الراكبة كانت تضم كلها فى صباح ٢٦ يونيو نحو ١٥٥ دبابة عادية فضلا عن ١٩ دبابة مارك ١ للمشاة (١) ليست كافية لحماية الجناح الجنوبى الصحراوى المكشوف لمواقع « **مطروح ـ سيدى حمزة** » ٠ الامر الذى يهدد بتطويق هذه المواقع كما حدث فى « الغزالة » من قبل ٠ وبناء على ذلك قرر « **أوكنلك** » أن تنظم القوات بحيث تتوفر لديها ميزة الحركة والمرونة حتى تستطيع أن تخوض معركة لتعطيل زحف « روميل » بعض الوقت فحسب دون التورط فى قتال حاسم قد ينتهى بهزيمتها تماما ٠ ولذلك نظمت فرق المشاة بحيث تنقسم قواتها الى قوة أمامية تقاتل فى شكل مجموعات ألوية مستقلة حول مطروح لديها معظم مدفعية الفرقة وعرباتها ، وقوة مؤخرة أخرى تضم لواء أو أكثر ترابط فى « **العلمين** » حيث تعد مواقع دفاعية أحسن توزيعها بين الشاطىء و « **منخفض القطارة** » ٠ وهكذا جرت معركة « مطروح » فى الفترة من ٢٦ ـ ٢٨



الدبابة الالمانية « مارك ٤ » ذات المدفع ٥ ٧مم طويل الماسورة التى صنعت لتواجه أر ت ٣٤ السوفيتية وكانت تن ٢٣ طنا واقصى سرعة لها ٢٥ ميلا فى الساعة ومدفعها أكثر قوة وابعد مدى من مدفع المارك ٣ ومن أى دبابة بريطانية أو أمريكية مقابلة.

يونيو التى انتهت بتطويق الفرقة الالمانية ٩٠ الميكانيكية لموقع « مطروح » بواسطة قطعها لطريق الساحلى يوم ٢٧ ، واستطاعت غالبية وحدات المشاة والمدفعية والمدرعات البريطانية أن تنسحب الى « خط العلمين » ولم تفقد سوى ٨٠٠٠ أسير تقريبا ونحو ٤٠ دبابة دمرت ٠ وقد استطاعت بعض هذه الوحدات البريطانية ـ مثل الفرقة النيوزيلندية ـ أن تنسحب بنجاح رغم وقوعها داخل حلقة الحصار الالمانية بأن شقت طريقها قتالا ليلا وهى منظمة فى شكل طوابير متحركة ميكانيكية تتقدمها قوة مترجلة اقتحمت قوات حلقة الحصار الضعيفة نسبيا بالسونكى فى ضوء القمر الخافت ٠ وهكذا « **اتضح أنه من الصعب اقامة جبهة طويلة فى حرب الصحراء تستطيع أن تواجه هجوم قوة احتفظت بتماسكها لان هذه القوة ستتمكن بتحميلها الميكانيكى من تركيز قواتها فجأة فى اتجاه معين** » **(٣)** كما يقول « رومبل » فى مذكراته معلقا على نجاح الفرقة النيوزيلندية فى الانسحاب من حصار « مطروح » والواقع أن هذه التجربة البريطانية لم تكن الاولى فقد سبقتها التجربة الناجحة لانسحاب الفرقة ٥٠ من « الغزالة » بنفس الطريقة واللواء ٢٩ مشاة الهندى من موقع « تبة « الحيطان » قرب « طبرق » ليلة ١٧ يونيو حين حاصرته الفرقة ٩٠ الميكانيكية ٠ هذا وقد غنم « روميل » كميات كبيرة من العتاد والسلاح داخل « مرسى مطروح » يكفى لتسليح فرقة كاملة كما قال فى مذكراته ٠ الا أن البريطانيين استطاعوا أن يدمروا منشآت الميناء وآبار المياه وأن يلوثوها أيضا ٠ وقام الطيران البريطانى بغارات مركزة أثناء هذه المعركة ضد قولات التموين وأراضى الهبوط حول « سيدى برانى » وفوق الطريق الساحلى ، كما ساعد فى

---

(٣) مذكرات روميل ـ ترجمة فتحى النمر ـ القاهرة ـ الانجلو المصرية ـ ١٩٦٥ ـ صفحة ٤١٢ ٠

ايقاف زحف الفرقة ٩٠ الميكانيكية أمام موقع « العلمين » الدفاعى يوم ٣٠ يونيو بأن قام بنحو ٩٠ طلعة طيران ضدها كادت أن تدمرها تماما .

معارك العلمين الدفاعية

فى يـــوليـــو ـ ١٩٤٢

أدركت القيادة العسكرية البريطانية فى مصر عند نشوب الحرب أن المنطقة الممتدة من بلدة « العلمين » على شاطىء البحر المتوسط حتـى « منخفض القطارة » المتعذر عبوره على اى جيش ميكانيكى كبير ، والبالغ عرضها نحو ٣٨ ميلا تشكل عنق زجاجة لاى جيش يهاجم دلتا مصر من الغرب اذا ما اقيم فيهاخط دفاعى قوى ،لان البحر سيحمى الجنـــاح الشمالى ، والمنخفض العظيم سيحمى الجناح الجنوبى (اذا ما احتل الخط بالكامل) وبذلك يتعذر على العدو الالتفاف بالقوات الميكانيكية عبر الصحراء المفتوحة حول الدفاعات ويضطر الى محاولة اختراق خطوط الدفاع الثابتة القوية بالمواجهة المباشرة . وهى ستكون محاولة باهظة الخسائر . وقد أقيمت هناك خلال عامى ١٩٤٠ ، ١٩٤١ بعض التجهيزات الاولية فى هذا الخط الدفاعى منها مد ماسورة مياه مـن الاسكندرية حتى « العلمين » ثم من العلمين بعرض الصحراء حتى « نقب أبو دويس » المطل على المنخفض فى الجنوب . كما شرع فى اقامة ثلاثة مواقع دفاعية الاول حول بلدة « العلمين » نفسها والثانى فى منتصف المسافة تقريبا بينها وبين « القطارة » عند تل منخفض يسمى « قارة العبد » والثالث عند نقب «أبو دويس» (٤) . وعندما كان الجيش الثامن يتراجع بعد هزيمة « الغـزالة ـ طبرق » كان موقع العلمين هو الوحيد الذى حفرت خنادقه وأحيطت جزئيا بالاسلاك الشائكة والالغام . اما الموقعان الاخران اللذان كان يفصل بين الواحد منهما والاخر نحو ١٥ ميلا فلم يكونا قد استكملا حفر خنادقهما بالكامل ولم يكن قد أحيطا بعد بالاسلاك الشائكة والالغام . ولذلك كان اصطلاح « خط العلمين » لا يعبر فى الحقيقة عن واقع خط دفاعى بالمعنى المفهوم .

وقد قام « أوكنلك » بتقسيم قواته المدافعة عن هذا الخط الجارى انشاؤه وتدعيمه عملا اثنـاء شهر يوليو ـ الى قسمين : الاول يتكون من وحدات مترجلة من المشاة تدعمها مجموعات قوية من المدفعية ـ التى أصبحت مجمعة تحت الاشراف المباشر لقادة الفرق بدلا من الالوية ـ تحتل النقط الدفاعية الثابتة التى تشكل محاور الدفاع والتى كان عليها واجب امتصاص قوة ضربة هجوم روميل وابطاء تقدمه السريع . والقسم الثانى يتألف من وحدات متحركة من المشاة الراكبـة والمدفعية وبعض الدبابات المتاحة ومهمته مهاجمة أجنحة ومؤخرة قوات العدو واشاعة الاضطراب فيها . لقد كان التكتيك الدفاعى المذكور يقوم على توفير قوة نيران مدفعية مؤثرة وفعالة فى الاماكن التى تتعرض لمحاولات الاختراق من جانب العدو بواسطة المواقع الدفاعية الثابتة والوحـدات المتحركة (٤) . وبذلك تقوم مدفعية الميـدان ـــ بمعاونة الطيران الفعالة ـ بالدور المفتقد مـن المدرعات نظرا لقلة عددها . وقد كلف كل من قائدى الفيلقين ٣٠ فى الشمال ، ١٣ فى الجنوب أن يكفلا ضمان توفير تركيز القوى الى أقصى حد ممكن فى النقاط الحاسمة المتعرضة للخطر حتى ولو كانت تقع خارج المنطقة المخصصة لكل منهما على حدة . لقد هدف « أوكنلك » من وراء هذا التكتيك الدفاعى أن يجعل جبهته مرنة مراوغة تحول دون اعطاء الفرصة المناسبة للعدو القضاء الجزئى المتتالى لمواقعها الثابتة وتطويقها وتدميرها بصورة تدريجية كما حدث فى « الغزالة » (٥) .

ولذلك قام بارسال أى وحدات ليس لها دور فى هذا التكتيك بشكل مباشر فعال الى المؤخرة لاعادة التنظيم حتى لا تشكل عبئا اداريا عليه ، وفسر تصرفه هذا تفسيرا خاطئا من حيث جدية نيته فى الصمود فى خط « العلمين » ، ومما عزز انتشار هذه الشائعات حول نية أوكنلك هذه أنه لم يصدر اية اوامر للجيش للصمود فى معركة فاصلة وحتى النهاية فى « العلمين » وانما قامت خطتـه الاستراتيجية العامة على تجنب التدمير الكامل للجيش الثامن فى معركة من هذا النوع وقتئذ وسحبـه بأنتظـام اذا اضطرتـه الظروف لذلك ليواصل القتال داخل البلاد . ولذلك أقام مواقع دفاعية عند « العامرية » و « الاسكندرية » امتدت حتى « النيل » وتم اغراق كثير من الاراضى غرب الاسكندرية بمياه البحر لتشكل عائقا لزحف قوات العدو ، كما أعدت منطقة وادى النطرون دفاعيا ، وكذلك الاراضى الزراعية والصحراوية الواقعة غرب القاهرة عند الطريق الصحراوى ومنطقة

---

[٦] Playfair, I.S.O., The Mediterranean And Middle East, Vol. III, H.M.S.O., 1960, P. 332, 333.

[٧] شرح الجنرال « اريك دورمان سميث » رئيس اركان او كذاك جوهر هذا التكتيك الدفاعى فى رســالة الى « ليدل هارت » فى اكتوبر ١٩٤٢ نشرت فى :

Hart, B, Liddell Strategy : The Indirect Approach, London, Faber and Faber, 1967, P. 390, 391.

الأهرام حتى « الفيوم » ، وانشأت بعض الجسور الاحتياطية العائمة عبر النيل جنوبى القاهرة على مقربة من المعادى ، وروعى فى اقامة وتوزيع هذه النقاط والمواقع الدفاعية أن تكفل امكان تهديد جناح قوات العدو المتقدمة من اتجاهين فى آن واحد ، وأن تؤمن تراجع الجيش الثامن – فى حالة اضطراره لذلك – بنظام وبشكل سليم يضمن بقاءه كقوة مقاتلة – قادرة على المقاومة المنظمة ، وفى الدلتا وقناة السويس خطوة بخطوة . واستكمالا لهذه الخطط الاحتياطية البديلة لخط العلمين اعدت مجموعة خطط واجراءات واسعة النطاق لنسف وتخريب منشآت ميناء الاسكندرية وكافة مرافق الكهرباء والمواصلات ،والاتصالات السلكية ،ومستودعات البترول ، ومخازن القطن والفحم فى الدلتا كلها ، والقاهرة والاسكندرية ، كما تم نقل كافة مخازن الشئون الادارية منغرب الدلتا حتى لا تقع كغنائم فى ايدى العدو . هذا وقد وزع « أوكنلك » قواته فى أول يوليو ١٩٤٢ – وقت أن بدأ روميل محاولة اختراق خط العلمين – على النحو التالى : اللواء ٣ مشاة جنوب افريقيا فى موقع العلمين ، اللواء ١٨ مشاة هندى فى موقع عرف بدير الشين ، واللواء ٦ النيوزيلندى مشاة فى موقع « قارة العبد » واللواء ٩ الهندى فى « نقب أبو دويس » وبينهما اللواء ٧ الراكب وخلفهما فى العمق بقية الفرقة النيوزيلندية فى « دير المنسب » واللواءان المدرعان ٢٢ ، ٤ التابعان للفرقة الاولى المدرعة بين « تبة الرويسات » وموقع « العلمين » لمنع تطويق الاخير من الجنوب .

وهكذا بدأت معارك يوليو الدفاعية التى أسفرت فى يومها الاول عن فشل الفرقة ٩٠ الميكانيكية فى تطويق موقع « العلمين » وسقوط موقع « دير الشين » فى أيدى الفرقة ٢١ المدرعة الالمانية . ولكن الزحف الالمانى توقف تماما اثر ذلك نتيجة قوة نيران المدفعية البريطانية وشدة القصف الجوى لقوة الصحراء الجوية . وكان أن انخفضت قوة الفرقتين المدرعتين ٢١ ، ١٥ الالمانيتين من ٥٥ دبابة عاملة صباح يوم ١ يوليو الى ٣٧ دبابة فقط عند نهاية اليوم والى ٢٦ دبابة يوم ٣ يوليو . حيث بدأ « أوكنلك » سلسلة من الهجمات المضادة تركزت ضد القوات الايطالية أساسا فى أيام ٣ يوليو ، ١٠ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٦ يوليو فى وسط الجبهة عند تبة « الرويسات » وشمالها عند « تل العيسى » اضطرت « روميل » فى النهاية الى بعثرة قواته الضاربة الالمانية على امتداد الجبهة لسد الثغرات التى نتجت عن انهيار المقاومة الايطالية فى عديد من المرات والنقط أمام الهجمات البريطانية ، ثم تحوله الى الدفاع وحفر الخنادق وبث الالغام ، وبذلك نجح «أوكنلك» رغم خسائره الفادحة فى الرجال والدبابات والفشل التكتيكى لبعض هذه الهجمات فى ايقاف الزحف الالمانى الخاطف تماما (بلغت خسائر « أوكنلك » خلال معارك يوليو كلها نحو ١٣ ألف قتيل وجريح وأسير ومفقود ونحو ١٦٠ دبابة ، ١١٣ طائرة) .

ويعلق « روميل » على معارك هذه الفترة الحاسمة فى مذكراته فيقول « كان الجنرال « أوكنلك » الذى تسلم القيادة يقود قواته بنفسه فى العلمين ببراعته الفائقة ، وكان يفوق «ريتشى» من الناحية التكتيكية . ويبدو انه كان يقدر الموقف بتفكير هادىء لانه لم يسمح لنفسه بالدخول فى أى معركة تحت ظروف مفروضة عليه من جانبنا .. ونظرا للموقف الذى فرضته علينا الظروف السائدة تخلينا عن خططنا الهجومية ، ثم اضطررنا فى النهاية الى التخلى تماما عن محاولة حسم الامر مع القوات البريطانية فى خط العلمين بالرغم من تأثرها بالخسائر الفادحة التى تكبدتها فى معارك الصيف . وأصبح القائد البريطانى فى موقف يسمح له بالانطلاق بأقصى سرعة لاعادة تجميع وتدعيم جيشه المنهزم .. وتجمدت الجبهة وأصبحت القيادة البريطانية تقاتل فى ظروف ملائمة تماما فقد تخصص البريطانيون فى الهجمات المحددة المحلية التى تشن تحت حماية دبابات المشاة والمدفعية .. وقد ركزت محاولاتى كلها فى « العلمين » للخروج من مجال الحرب الثابتة التى يتفوق فيها البريطانيون والتى تدرب عليها مشاتهم وأطقم مدرعاتهم ، للوصول بعد ذلك الى الصحراء المفتوحة أمام الاسكندرية حتى يمكننى استغلال تفوقنا التكتيكى فى حرب الصحراء المفتوحة . ولكنى لم أنجح فى تحقيق غرضى هذا فقد أوقف البريطانيون تشكيلاتى . وقد اظهرت القيادة البريطانية أثناء الايام القليلة السابقة روح المبادأة والجرأة » . ويستطرد قائلا فى موضع آخر « وبالرغم من أن الخسائر البريطانية فى القتال أمام العلمين كانت أكبر من خسائرنا ،الاانالثمن الذىدفعه «اوكنلك» لم يكن كبيرا لان أهم شىء كان يشغله هو ايقاف تقدمنا ، ولسوء الحظ انه حقق غرضه هذا » (٦) .

ومما ساعد أوكنلك » فى زيادة فاعلية دفاعه الايجابى هذا ، ذلك الدور النشط المؤثر الذى لعبه الطيران البريطانى طوال شهر يوليو والذى بلغ حجمه فى الفترة من ١ – ٢٧ يوليو ١٥٫٤٠٠ طلعة جوية للمقاتلات والقاذفات بمعدل ٥٧٠ طلعة يوميا شملت الجبهة نفسها والعمق الاستراتيجى

(٦) مذكرات روميل – المرجع السابق– صفحة ٤٣٥ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦

حتى « طبرق » ، وكان من نتائج هذا النشاط أن دمرت نحو ٨٠ طائرة ألمانية ، ١٨ طائرة ايطاليه فضلا عن الاضرار التى لحقت العربات والمطارات ومستودعات المؤن والوقود ، وبالاضافة الى ذلك فقد عمل « أوكنلك » على استخدام القوات الخاصة على نطاق واسع فى مؤخرة العدو البعيدة فقامت مجموعات فدائية بقيادة ضابط الطيران الشهير سترلنج » تعاونها دوريات الصحراء بعيدة المدى بمهاجمة مطارات العدو حول « مرسى مطروح » مستخدمة عربات الجيب المسلحة بالرشاشات واستطاعت أن تدمر ٢٥ طائرة ايطالية ، ١٥ طائرة ألمانية واعطاب نحو ١٢ طائرة اخرى (٧) .

هذا ويجب أن نلاحظ ايضا أن كلا من الطرفين المتصارعين لم يكن يملك تفوقا جويا على الاخر طوال معارك يوليو هذه ، ذلك لان الطيران الالمانى والايطالى قد أقاما قواعد متقدمة فى « مرسى مطروح » ، «فوكه» ، «الضبعة» . ونشطا فوق الجبهة بعد ايام قليلة من بدء القتال . وكانت قاعدة « الضبعة » تمثل خطرا شديدا على المؤخرة البريطانية اذ أنها كانت تبعد عن الاسكندرية بنحو ٩٠ ميلا فقط وعن قناة السويس بنحو ٢٥٠ ميلا ، ولذلك لم يقصر الطيران الالمانى نشاطه على المستوى التكتيكى فوق خط الجبهة وانما حاول مده الى العمق الاستراتيجى فضرب الاهداف العسكرية البريطانية فى الاسكندرية وبورسعيد والسويس ، خلال الفترات ٣ ــ ٧ يوليو ، ٢٥ ــ ٣٠ يوليو وفقد ٨ قاذفات قنابل خلال هذه الغارات (٨) .

ويعلق الجنرال « اريك دورمان سميث » على شرط التفوق الجوى فى معارك الصحراء فى رسالته سالفة الذكر الى « ليدل هارت » فيقول (لا«روميل» فى «الغزالة» او «اوكوتور» فى « سيدى برانى » كان يمتلك تفوقا جويا . ان التفوق الجوى مهما كان قويا لا يمكن له مطلقا ان يعوض القيادة الرديئة على الارض » (٩) .

وطوال شهر يوليو هذا كان « أوكنلك » و « دورمان سميث » يعملان على تعميق الخط الدفاعى فى « العلمين » وتدعيمه بحيث يصبح قادرا على مواجهة أى هجوم المانى مقبل جيدا لاعداد قوى الحشد بكفاءة ، على ضوء الدروس المستفادة من الخبرات والاخطاء السابقة فى « الغزالة » وغيرها من تجارب الدفاع فى عمليات حرب الصحراء السابقة ، وحتى لا تتكرر مأساة « ريتشى » ، ومن قبله « جرازيانى » فى « سيدى براتى» والتى نتجت عن توزيعهما مواقعهما الدفاعية بصورة خاطئة ــ رغم اختلاف التفاصيل بين كل من الحالتين وزيادة كفاءة خط ريتشى البريطانى فى الغزالة » عن خط جرازيانى فى سيدى برانى عام ١٩٤٠ ــ أدت الى عزلة وتباعد كل موقع عن الاخر ، او ضعف امكانية تبادل المعونة بين المواقع وبعضها والى عدم وجود قدرة فعالة من جانب القوات المدرعة أوالمتحركة بصفة عامة على حماية الجناح الجنوبى المكشوف لهذه المواقع ككل . وعدم توفر أى امكانية قتالية لهذه المواقع وتلك القوات لكى تقاتل فى جبهة معكوسة دون أن تفقد توازنها ونظامها فى حالة اضطراها لذلك نتيجة التفاف العدو حول مؤخرتها . ولما كان الجيش الثامن لا تتوفر له القوات الكافية لاحتلال خط العلمين بعمق كاف على طول المواجهة بين شاطىء البحر و « منخفض القطارة » ، فقد رأى « أوكنلك» أن يركز نظام دفاعه الثابت فى النصف الشمالى فقط من الجبهة الذى يمتد نحو ٢٠ ميلا من البحر حتى « تبة الرويسات » ــ وتبعه مونتجمرى فى نفس التقدير المذكور بعد ذلك مع اختلاف فى بعض التفاصيل أثناء التحضير الدفاعى لمعركة « علم حلفا » كما سير فيما بعد خاصة وأن الارض هناك سهلة منبسطة ويسهل على المدرعات السير عليها بسرعة بخلاف الجزء الجنوبى الذى تتناثر فيه بعض الاراضى المنخفضة والتلال المرتفعة وتوجد فيه مساحات أوسع من الارض غير الصالحة لسير الدبابات أو المركبات . وعلى هذا فقد أقام منطقة دفاعية كبيرة تمتد كمربع ضخم عرضه نحو ٢٠ ميلا وكذلك عمقه تقريبا من البحر حتى « تبة الرويسات » تتناثر فيه نقاط دفاعية قوية ، كتناثر مربعات رقعة الشطرنج السوداء تضم الواحدة منها حامية مؤلفة من كتيبتين مشاة وبطارية مدفعية ميدان عيار «٢٥ رطلا(٩) » القوية والمدفعية المضادة للدبابات اللازمة لها ٦ رطل ، ٢ رطل وتحيط بها الاسلاك الشائكة والالغام بطريقة لا تعوق حركة ومناورة القوات الاحتياطية المتحركة . وكان يفصل كل نقطة دفاعية عن الاخرى مساحات من الصحراء المفتوحة التى تشبه مربعات رقعة الشطرنج البيضاء تبلغ مسافتها من

---

(٧) Swinson, Purnell's History of the Second World War, The Raiders, London, Macdonald, 1969, P. 116.

(٨) Playfair, I.S.O. The Mediterranean And Middle East, Vol. III, London, H.M.S.O., 1960, P. 337.

(٩) Swinson, Punnell's History of the Second World War, The Raiders, London, MacDonald,, 1969, p. 116.

كلا الجانبين والعمق أيضا نحو ٩ كيلو مترات . وقد احتلت كل فرقة مشاة تتألف من ٣ ألوية كاملة (اى ٩ كتائب) ٣ نقط من نقاط هذا المربع الشطرنجي الدفاعي فقط ، وبذلك احتفظت كل فرقة من المشاة بثلث قوتها كأحتياطي متحرك . وقد اعتبرت هذه النقاط الدفاعية فى مجموعها غير المنعزل عن بعضه البعض والقادر على تبادل المعاونة بالنيران مجرد هيكل دفاعي عام تتحرك داخل فراغاته القوات الاخرى غير الثابتة للامام أو الى الاجنحة أو المؤخرة بمرونة انسيابية كاملة ، تحت القيادة المباشرة للجنرال « أوكنلك » نفسه الذى أقام مقر قيادته الميدانى داخل هذا الاطار الدفاعي الكبير . وبالاضافة الى ذلك فقد نشر « أوكنلك » حقول ألغام ونقاط انذار على القطاع الجنوبي من الجبهة وجمع مدرعاته الثقيلة فى مؤخرة مربعه الدفاعي عند الجنوب ووحداته الميكانيكية الخفيفة الى الجنوب الشرقي من مؤخرة المنطقة الدفاعية حتى يستطيع أن يوجه ضربة مضادة قوية على مجنبة ومؤخرة أى قوات مدرعة وميكانيكية للعدو تحاول الالتفاف حول المربع الدفاعي كله ، كما حدث بالنسبة لخط « الغزالة – بيرحكيم » .

وبهذا التنظيم الدفاعي – الذى سانده فى العمق الاستراتيجى النظام الدفاعي الاحتياطي السابق شرحه – كان « دورمان سميث » يرى أن الجيش الثامن يستطيع أن يقاتل على جبهة معكوسة دون أن يفقد توازنه وتصاب قيادته بالارتباك النفسى عند تهديد أجنحته أو مؤخرته بالتطويق ، وذلك على ضوء خبرته بمشكلات الدفاع فى حرب الصحراء التى لخصها فى رسالته الى « ليدل هارت » بقوله أن « **المشكلة الكبرى لحرب الصحراء هى النسبة بين حجم المواجهة والعمق ، وبين القوات الامامية والقوات الاحتياطية . ان الحركة الميكانيكية سهلة للغاية فى الصحراء ، خاصة وأن العوامل الادارية تؤدى الى تخفيض حجم الجيوش الميدانية بشكل كبير ، ولذلك فان الطرف الذى « يثبت نفسه » فى موقف الدفاع ، يتم تطويقه من جانب خصمه بسهولة . ويحاول الجانب المدافع ان يتغلب على هذا ، بأن يزيد امتداد جبهته على حساب العمق ، والقوات الاحتياطية . ولكن الاستسلام لهذا الاتجاه او الحل لم يثبت انه الحل السليم لتلك المشكلة .. ويلاحظ وجود هذا الميل الى زيادة امتداد الجبهة خاصة حين يكون الجيش المدافع لا يمتلك القدر الكافى من القوات المتحركة أو اذا كان يعانى ضعفا فى مدرعاته الهجومية ، وايضا حين تكون القيادة تجهل الطبيعة الاساسية لهذا النوع من الحرب . ان المشكلة التى أدت الى هزيمة « جرازيانى » أولا ثم « ريتشى » بعد ذلك قد تحددت بوضوح فى .. كيف يمكن تجنب الوقوع فى حبائل الاضطراب النفسى الذى ينتج عن قيام العدو بحركة مفاجئة ضد مؤخرة الجيش ، أو كيف يمكن بشكل مضاد ، اعداد الجيش بحيث يستطيع استخدام السلحتة فى اتجاه جديد دون أن يفقد توازنه » (٩) ، وقد اثبتت « علم حلفا » بعد ذلك صحة هذا التنظيم الدفاعي .**

تشرشل يجرى تغييرا فى القيادات

لقد تركت هزيمة « الغزالة » و « سقوط طبرق » شعورا بعدم الثقة الكافية فى القائد البريطاني العام لمنطقة الشرق الاوسط باعتبار أنه المسئول عن اختياره « ريتشى » قائدا للجيش الثامن ، وعن مماطلته فى البدء بالهجوم المضاد قبل قيام « روميل » بهجومه بسبب تمسكه العنيد بضرورة نسبة تفوق ٣–٢ فى الدبابات كشرط لبدء الهجوم بسبب التفوق النوعى للدبابات الالمانية ، وكذلك عن عدم تدخله المباشر بنفسه فى التوقيت المناسب قبل أن تستفحل عوامل الهزيمة الناتجة عن سوء قيادة « ريتشى » . ولذلك أصبح الرأى السائد لدى « تشرشل » والقيادة العسكرية العليا فى « لندن » أن تغيير القيادات فى الصحراء والشرق الاوسط بشكل ضرورة تنظيمية للقوات البريطانية قبل الشروع فى تنفيذ المرحلة الجديدة المقبلة من الخطط الاستراتيجية العامة لادارة الحرب ضد ألمانيا النازية والتى تقضى بغزو شمال افريقيا فى جزئه الغربى « مراكش – الجزائر – تونس » بقوة أمريكية – بريطانية كبديل عن فتح الجبهة الثانية فى عام ١٩٤٢ فى فرنسا ، كما كان الاتحاد السوفيتى يأمل من أجل تخفيف الضغط على جبهته فى « ستالينجراد » ، « القوقاز » وكما كان الرئيس « روزفلت » قد وعد به ستالين من قبل . لقد أصبحت لندن » تعتقد أن « روميل » لن يهزم – وهى ضرورة قبل تنفيذ عملية المشعل » فى شمال افريقيا – الا بقيادة جديدة أكثر تطورا من قيادة « أوكنلك » خاصة وأن تجارب عامى ١٩٤١ ، ١٩٤٢ السابقة الفاشلة كانت تثير شكا قويا فيما اذا كان « **كبار القادة البريطانيين على مستوى التطور الحديث فى أساليب قيادتهم ، خاصة تلك المتعلقة بالحرب الميكانيكية** » (١٠)

---

[١٠] Hart, B, Liddell : Strategy : The Indirect Approach, London, Faber and Faber, 1967, P. 394, 392, 387.

وكذلك بالنسبة لاسلوبهم فى تسيير التعاون بين القوات البرية والجوية فى حرب الصحراء . ولذلك عقد « تشرشل » مؤتمرا للقيادات العسكرية العليا فى دار السفارة البريطانية بالقاهرة يوم ٣ أغسطس ١٩٤٢ لدراسة الموقف الاستراتيجى فى الشرق الاوسط والبحر المتوسط وجبهة « العلمين » على ضوء الظروف والمتطلبات سالفة الذكر وقبل توجهه الى « موسكو » للاجتماع مع « ستالين » ومناقشته فى مشكلة فتح الجبهة الثانية والتطورات المحتملة لمعركتى « القوقاز » و « ستالينجراد » وقد حضر هذا الاجتماع الهام الماريشال « سمسطس » رئيس حكومة جنوب افريقيا ، والجنرال «آلان بروك» رئيس أركان حرب الامبراطورية ، والجنرال « ويفل » القائد العام فى الهند ، والجنرال «أوكنلك» . وقد أسفرت مناقشات هذا المؤتمر عن انشاء قيادة جديدة للقوات البريطانية فى « العراق » و « ايران » وتعيين « أوكنلك » قائدا عاما لها ، وتعيين الجنرال « الكسندر » الذى كان سيقود القوات البريطانية فى شمال افريقيا ـ قائدا عاما لقيادة الشرق الاوسط فى شكلها الجديد مع سلخ العراق وايران منها لتكوين القيادة الجديدة التى رؤى انشاؤها لتحمى مؤخرة قيادة الشرق الاوسط فى حالة انهيار المقاومة السوفيتية فى « القوقاز » (والتى لم تكن لديها فى الواقع أية قوات كافية لمواجهة مثل هذا الاحتمال بفاعلية) . وتعيين الجنرال « جوت » قائد الفيلق ١٣ بالجيش الثامن قائدا لهذا الجيش فى الميدان . الا أن « جوت » قتل يوم ٧ أغسطس فى حادث سقوط طائرة كان يستقلها من الجبهة الى القاهرة اثر تعرضها لهجوم طائرة مقاتلة ألمانية ، فعين تشرشل « الجنرال « مونتجمرى » بدلا منه بناء على ترشيح سابق من الجنرال « بروك » كان « تشرشل » قد تحرج فى قبوله حتى لا يشعر رجال الجيش الثامن بضيق نفسى نتيجة لاختيار كل من القائد العام للشرق الاوسط وقائد الجيش نفسه من ضباط قادمين من انجلترا رأسا ، ولم يسبق لهم الاشتراك فى الحرب بالصحراء . هذا وقد كان « الكسندر » هو الذى قاد القوات البريطانية البرية أثناء انسحابها من « دنكرك » وشاركه مونتجمرى جزءا من مسئوليته هذه كقائد للفرقة الثالثة مشاة فى ذلك الوقت .

معركة علم « حلفا »

تولى « مونتجمرى » قيادة الجيش الثامن فى ١٢ أغسطس ١٩٤٢ عقب وصوله الى القاهرة بالطائرة من انجلترا بيوم واحد وزيارته لمنطقة « العلمين » . وقد قام على الفور مساء نفس اليوم بالغاء كافة أوامر الانسحاب الاحتياطية المعدة من قبل فى قيادة الجيش الثامن بواسطة « أوكنلك » قائلا « اننا سنقاتل فوق الارض التى نقف عليها الان ، واذا لم نستطع البقاء فيها أحياء فسوف نبقى فيها موتى » (١١) ! ولتحويل هذا الامر الى امكانية تنفيذ عملية كان لابد من سحب القوات التى تعد دفاعات المؤخرة البعيدة فى « الدلتا » لتدعيم قوة الجيش الثامن فى خط « العلمين » لان « الدفاع عن مدن مصر يجب أن يجرى خارجها هنا فى « العلمين » » كما يقول « مونتجمرى » . وهكذا تقرر أن تسحب فرقتان مشاة كانتا قد وصلتا حديثا من انجلترا كانتا تقومان بحفر مواقع دفاعية فى الدلتا ، (الفرق ٤٤ ، ٥١) . كما قرر تمشيا مع نفس السياسة زيادة تخزين كميات الذخيرة والمؤن والمياه فى المواقع الامامية لمنحها قدرة أكبر على الاكتفاء الذاتى والصمود فترة أطول دون امداد جديد بلوازم القتال والحياة . وان يجرى القتال باستخدام الفرق كتشكيلات كاملة دون تفتيتها فى شكل ألوية سهلة الحركة والمناورة كما كان يفعل «أوكنلك » وفقا لتكتيكات الجبهة المرنة المراوغة للمحافظة على الجيش وامكان مواصلة القتال به فى داخل البلاد . وأن يتم استخدام المدفعية والدبابات بتركيز شديد سواء فى الدفاع أو الهجمات المضادة لتوفير أكبر قوة نيران ممكنة . كما قام بنقل مقر قيادة الجيش الثامن الى جوار قيادة قوة الصحراء الجوية على مقربة من شاطىء البحر عند « برج العرب » لتسهيل اجراءات تنسيق التعاون بينهما (١٢) . وقرر ايضا ضرورة البدء فى تشكيل فيلق مدرع احتياطى على نمط فيلق البانزر الافريقى يضم فرقتان مدرعتان وفرقة مشاة محمولة أطلق عليه « الفيلق العاشر » وكانت الثلاثمائة دبابة « شيرمان » الامريكية والمائة مدفع ١٠٥ مم ذاتى الحركة المتوقع وصولها جميعا فى أوائل سبتمبر ستشكل العمود الفقرى لهذا الفيلق من زاوية الاسلحة والمعدات . وتمشيا مع سياسته الجديدة هذه أجرى « مونتجمرى » تغييرات فى قيادات الجيش الثامن العليا فعين الجنرال « دى جينجاند » رئيسا لاركانه وأوكل اليه سلطة كاملة

---

(١١) Playfair, The Mediterranean And Middle East, Vol. III, London, H.M.S.O. 1960, P. 334.

(١٢) مونتجمرى ـ من العلمين الى نهر السانجرو ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٥١ ـ صفحة ٢١.

للتصرف فى كافة الامور التفصيلية والادارية معلنا أمام بقية القادة اعتبار أى أوامر صادرة من « جينجاند » كأنها صادرة منه شخصيا • كما عين الجنرال « هوروكس » قائدا للفيلق ١٣ بدلا من قائده الاسبق « جوت » (الذى قتل فى حادث الطائرة) كما استبدل قائد الفيلق « ٣٠ » الجنرال « رامسدن » (الذى تولى قيادة الجيش الثامن مؤقتا بعد مقتل « جوت » وقبل وصول مونتجمرى) بعد معركة « علم حلفا » بالجنرال « ليز » وكلا منهما قدما من انجلترا لقيادة فيالقهم وكان « مونتجمرى » يعرفهما شخصيا . ومن أجل تدعيم الضبط والربط ووحدة القيادة وتوفير مزيد من الثقة فيها أصدر « مونتجمرى » تعليمات توضح أن أوامره يجب أن تفهم أنها لازمة التنفيذ بحرفيتها وليست أساسا للمناقشة من القادة التابعين له بدعوى أنهم أدرى بظروف حرب الصحراء وأكثر التصاقا بالواقع كما جرى عليه العرف فى الفترة الاخيرة بين صفوف الجيش الثامن ! ولما كان « مونتجمرى » و « الكسندر » قد وطدوا العزم على الا يقوم الجيش الثامن بهجوم مضاد عام قبل اعطائه كل « الوقت الضرورى الذى يحتاجه للتدريب ولاستيعاب التعزيزات المرسلة اليه (١٣) » ، فقد تقرر ترك « روميل » يبادر بهجومه المتوقع فى أواخر أغسطس (وفقا لما كانت تشير اليه تقارير المعلومات المستقاة من نشاط المخابرات البريطانية وصور الاستطلاع الجوى الدقيق الذى ثابرت عليه أسراب الاستطلاع التابعة لقوة الصحراء الجوية) • ووضع « مونتجمرى » خطته لصد هذا الهجوم على أساس أن يتم صده بأقل قدر ممكن من الخسائر خاصة من المدرعات حتى لا تعرقل عملية الاستعداد للهجوم المضاد العام المزمع القيام به فى أكتوبر التالى لتدمير جيش « روميل » قبل تنفيذ عملية « المشعل » فى شمال أفريقيا ، وذلك بالاعتماد بشكل أساسى على أسلوب الدفاع الثابت الذى تدعمه نيران المدفعية والطيران ، وعدم التورط فى معارك متحركة تجتذب فيها الدبابات البريطانية نحو فخاخ نيران مدافع الالمان المضادة للدبابات القوية من عيار « ٨٨ مم » أو « ٥٠ مم » أو نيران دباباتهم الجديدة « مارك ٤ » ذات المدفع « ٧٥ مم » طويل الماسورة أو « مارك ٣ » ذات المدفع « ٥٠ مم » طويل الماسورة . ولذلك قام بتعميق دفاعات القطاع الشمالى من شاطىء البحر حتى « تبة الرويسات » وحشد فيها على التوالى من الشمال الى الجنوب الفرقة الاسترالية التاسعة ، الفرقة الاولى جنوب أفريقيا ، الفرقة الهندية الخامسة ويضمها جميعا الفيلق ٣٠ الذى ألحق به أيضا اللواء ٢٣ المدرع كاحتياطى متحرك تمركز قرب الطرف الشرقى لتبة « الرويسات » •

أما القطاع الجنوبى فقد حشد فيه وحدات الفيلق ١٣ المؤلفة من الفرقة النيوزيلندية الثانية جنوب « تبة الرويسات » وحتى تبة « علم نايل » وفى مؤخرتها فى العمق الفرقة ٤٤ البريطانية فوق تبة « علم حلفا » التى اعتبرها مفتاح المنطقة الدفاعية كلهابحكم انها كانت تحمى الجناح الجنوبى للمنطقة كلها (وهى تقع على بعد أميال قليلة الى الجنوب الشرقى من « تبة الرويسات ») وتحول دون قيام العدو بحركة التفاف واسعة النطاق حولها • كما حشد فى الثغرة الواقعة بين مواقع الفرقة النيوزيلندية و « تبة علم حلفا » اللواء المدرع ٢٢ (التابع للفرقة العاشرة المدرعة) داخل خنادق تغطى جسم الدبابات وكذلك مدافع كتيبته الميكانيكية المضادة للدبابات عيار ٦ رطل،وتدعمه فى الخلف مدفعية الميدان التابعة له وبحيث تعمل وحدات اللواء كلها وفقا لخطة نيران دفاعية موحدة مركزة • وحشد اللواء المدرع ٨ (التابع ايضا للفرقة العاشرة المدرعة) الى الشرق من اللواء ٢٢ أمام السفوح الوسطى لعلم حلفا ليمنع أى محاولة من جانب العدو للالتفاف حول الطرف الشرقى للتبة المذكورة فى اتجاه الطريق الساحلى • أما الفرقة السابعة المدرعة والتابعة أيضا لقيادة الفيلق ١٣ (وكانت تتألف من اللواء ٤ المدرع الخفيف واللواء ١٧ الميكانيكى) فقد كلفت بمراقبة وحماية القطاع الواقع الى الجنوب من مواقع الفرقة النيوزيلندية عند « تبة علم نايل » حتى مرتفع « قارة الحيمات » ، قرب منخفض القطارة والذى تحميه حقول ألغام متعددة النطاقات ، وذلك على أن تقوم بالانسحاب الى الشرق فى حالة وقوع هجوم قوى للعدو فى هذا القطاع ثم تزعجه بهجمات على الجناح الجنوبى الشرقى له فى حالة مهاجمته « علم حلفا » أو « الرويسات » • هذا وقد كانت مواقع جميع الفرق المشاة محاطة من جميع الاتجاهات تقريبا بنطاقات من حقول الالغام ، وكذلك كانت الارض المنبسطة الممتدة بين الطرف الشرقى لعلم حلفا وشاطىء المتوسط باستثناء بعض الفتحات المتروكة لحركة المركبات والمدرعات • والواقع أن أهمية « تبة علم حلفا » كمفتاح رئيسى للمنطقة الدفاعية المحصنة فى « العلمين » كانت واضحة من قبل للجنرال «اوكنلك » وقد اكد الجنرال « الكسندر » ـــ القائد العام الجديد لقيادة الشرق الاوسط ــ فى مذكراته هذه الحقيقة موضحا انه كان قد تم تحصينها بالاسلاك الشائكة وحقول الالغام خلال شهر يوليو

---

(١٣) The Memoirs of Field Marshal Montgomery, London, Fontana Books — Collins, 1961, P. 99, 100, 106.

١٩٤٢ كما أشار « مونتجمرى » أيضا ضمنا الى ذلك موضحا أنها لم تكن محتلة بقوات دفاعية في ذلك الوقت بسبب عدم توفر القوات اللازمة لذلك ٠ وهكذا قامت خطة « مونتجومرى » الدفاعية مستندة الى الاطار العام لفكرة المنطقة الدفاعية الكبيرة التى نظمها « أوكنلك » و « دورمان سميث » فى القطاع الشمالى السابق عرضها مع تعديلها وتعميقها بما يتفق وزيادة القوات المتوفرة لديه فى منتصف أغسطس عن تلك التى كانت متاحة لسلفه فى أوائل يوليو ، وكذلك زيادة كمية الاسلحة والمعدات ★ عن تلك التى كانت متوفرة فى أعقاب هزيمة « طبرق » و « الغزالة » ، ومع الاثار المترتبة على الالغاء الكامل لاحتمال اجراء أى انسحاب للجيش الثامن من خط العلمين الدفاعى من حيث العدول عن أسلوب الدفاع الايجابى القائم على الجمع بين الدفاعات الثابتة والوحدات المتحركة وانقاص حجم التشكيلات المقاتلة لزيادة قدرتها على المناورة وسرعة الحركة ، ومع تعديل أساسى آخر ، يكشف عن طابع الحذر الشديد وعدم الرغبة فى الاقدام على أى مخاطرة غير مضمونة النتائج تماما الذى تميز به أسلوب قيادة « مونتجمرى » وكذلك « الكسندر » ، يتمثل فى عدم استخدام المدرعات الثقيلة كاحتياطى متحرك يضرب جناح قوات البانزر عند محاولتها تطويق المنطقة الدفاعية من شرق « الرويسات » أو « علم حلفا » وانما يتم استخدامها كمدفعية مدرعة مضادة للدبابات متخندقة فى مواقع ثابتة ولا يجرى اخراجها منها لتلعب دورها الاصيل كدبابات متحركة الا فى حالة اندفاع مدرعات « روميل » نحو الشرق تجاه الاسكندرية أو « الدلتا » مع تجاهل المنطقة الدفاعية بتبتيها « الرويسات » و « علم حلفا » الواقعة على جناحها الشمالى ففى هذه الحالة كان على الدبابات البريطانية (وكان عددها يتراوح بين ٤٠٠ ـ ٤٨٠ دبابة) أن تقطع طريق امداد القوات المتقدمة وتطوقها من المؤخرة وسيكون فى ذلك نهاية مؤكدة لجيش روميل المدرع الميكانيكى ٠ والواقع أن الاختلاف الاساسى بين خطة « أوكنلك » الدفاعية وخطة « مونتجمرى » ـ التى وضع « الكسندر » اطارها الرئيسى العام فور توليه قيادة الشرق الاوسط وقبل وصول مونتجمرى بأيام قليلة من انجلترا ـ انما يرجع الى اختلاف النظرة الاستراتيجية العامة لاسلوب الدفاع من حيث تبنى أوكنلك لفكرة المحافظة على سلامة الجيش وامكان الانسحاب من خط العلمين عند الضرورة والقتال على مشارف الدلتا ورفض « مونتجمرى » أو « الكسندر » فى واقع الامر لتلك الفكرة التى يصفها فى مذكراته قائلا « لما تسلمت القيادة كان من الواضح لى تماما أن موقع العلمين كان فى الواقع هو آخر خط فى دفاعنا عن قاعدتنا فى الدلتا والتى بدونها يصبح الجيش الثامن عاجزا عن القتال كقوة فعالة ٠٠ وان كل الحديث عن « الدفاع عن الدلتا » والذى كانت قد اتخذت من أجله ترتيبات من قبل بواسطة سلفى كان فى نظرى غير واقعى ٠ لانه متى فقدت « العلمين » ، أصبحت الدلتا لا يمكن الدفاع عنها ، وتصبح كل الاستعدادات التى تمت من أجل الدفاع عنها بشكل مستقل تمثل جهود بذل فى غير محله ، حتى لو كان ذلك مجرد خطوة تمهيدية لانسحاب عام ٠ لان مثل هذا الانسحاب ـ كما جرى التفكير فيه أصلا ـ نحو الشرق داخل فلسطين بواسطة الجزء الاكبر من القوات ، ونحو الجنوب فى أعالى وادى النيل بباقى القوات كان سيكون عملا لا فائدة من ورائه ٠ فباختصار ، فان الجيش الثامن بدون قاعدة مؤمنة كان سيصبح بشكل حتمى فاقدا لقدرته كجيش ٠ وهذا فضلا ، عن الاثار السياسية غير المباشرة لمثل هذا العمل على المصريين وجميع سكان الشرق الاوسط ستكون عميقة ٠٠ ان الجندى الذى يجبر على التراجع بدون ارتكابه خطأ من جانبه يفقد الثقة فى قيادته العليا (١٣) ٠

لقد كان كل من « الكسندر » و « مونتجمرى » اقدر على الرؤية الموضوعية لحقيقة علاقات القوى بين الجيش الثامن وجيش المحور واتجاه ميزانها بسرعة لصالح الجيش الثامن ، وبالتالى ضرورة وضع خطة دفاعية تتفق مع ذلك التطور وبعيدا عن آثار الصدمة النفسية الهائلة التى سببتها هزيمة « الغزالة ـ طبرق » من القادة البريطانيين السابقين المنغمسين فى خضم الاحداث ،وهى الرؤية التى لم يستطع « أوكنلك » ان يتمثلها كما يجب بسبب سرعة وتلاحق الاحداث السابقة غير المتوقعة فى يونيو ١٩٤٢ وشعوره بمسئوليته فى سوء اختياره لريتشى وبطء مبادرته فى تولى الامور بنفسه ، أو التدخل فى الوقت المناسب ، الى جانب أن ضخامة حجم الهزيمة التى لحقت الجيش الثامن دون ما ضرورة فى واقع الامر سوى سوء القيادة أدت به تلقائيا الى المبالغة ولو من الناحية النظرية فى قوة روميل وقدرته وفى التقليل من ثقته

★ وصلت الى قيادة الشرق الاوسط خلال شهرى يوليو ، اغسطس ١٩٤٢ الكميات التالية من العتاد : ٣٦٨ دبابة من بريطانيا ، ١٦٥ دبابة من امريكا الشمالية ، ٨٢٠ مدفعا من مختلف الانواع من بريطانيا ، ٧٨٦٢ عربة من بريطانيا ، ٧٩٨٩ عربة اخرى من امريكا فضلا عن ١٥٦٦٥٣ر١ طن من الذخيرة والمؤن من بريطانيا فضلا عن تشكيلات فرق المشاة ٤٤ ، ٥١ والفرقة المدرعة الثامنة وتعزيزات الفرق الاخرى من الرجال ٠

فـى قدرة الجيش الثـامن علـى الصـمود عند « العلمين » رغم أنه عمليا نجح فى صد الزحف الالمانى فى أشد لحظات خطره وقوته ، وهو الامر الذى أشاد به خلفـه « الكسندر » بوضوح حيث قال فى مذكراته : الحقيقة ان القائد السابق قد قام بعمل مدهش فى ايقاف زحف قوات المحور عند العلمين، ولكن كان لابد من معالجة جـديدة كليـة للمـوقف للتغلـب علـى أسطورة « روميل » ، ومعها الفيلق الافـريقى ايضا (١٣) » أما عن جانب قـوات المحـور الالمانى ـ الايطالى التى حرمتها وقفة « اوكنلك » الفعالة فى معارك يوليو من جنى الثمار الاستراتيجية الكاملة الناتجة عن انتصاراتها الباهرة فى « الغزالة ـ طبرق » ،فقد كان الموقف يختلف كثيرا عن موقف الجيش الثامن الاخذ فى التحسن السريع نحو تغيـر كيفى جديد وشيك الاكتمال . فلقد كان النصر فى « الغزالة » يرجع الى التفوق الكيفى الذى تتمتع به القوة الالمانية المحدودة (فيلق واحد يضم ٣ فرق فقط) نسبيا من حيث القيادة والتنظيم ونوعية السلاح (خاصة بالنسبة للدبابات والمدافع م ـ د ٨٨ مم والطائرات المقاتلة) والى سوء التنظيم والقيادة البريطانيان ، ولكن دون أن يستند ذلك التفوق المحدود الى استراتيجية عامة سليمة التقدير والتخطيط، أوحتى الى تنظيم فعال للشئون الادارية يضمن استمرار امداد آلة الحرب الالمانية ـ الايطالية باحتياجاتها اللازمة لخوض معركة طويلة الامد نسبيا بعد فوات فرصة أو مقامرة الزحف الخاطف فى الاستيلاء على الدلتا والقاهرة والاسـكندرية فى يوليـو ١٩٤٢ . فقد كانت الاستراتيجية العامة للقيادة الالمانية العليا تقوم على اعتبار الميدان الافريقى ميدانا ثانويا للنشاط العسكرى الالمانى قصد به مجرد منع الانهيار الايطالى فى شمال افريقيا وحوض البحر المتوسط (الذى أوشك أن يحدث فعلا عام ١٩٤١ عقب هزيمـة « جرازيانى » أمام « ويفل » فى صحراء مصر وليبيا ، وفشل الهجوم الايطالى على اليونان عام ١٩٤٠) . وذلك لحين الانتهاء من القتال على الجبهـة الرئيسية للحرب فى أوروبا وهى الجبهة السوفيتية . ولذلك لم تزد قوة الفيلق الافريقى الالمانى فى أوج تدعيمها النسبى عشية معركتى « علم حلفا » ، « العلمين الكبرى » عن ٥ر٤ فرقة (الفرق ١٥ ، ٢١ بانزر ، ٩٠ الخفيفة ، ١٦٤ مشاة ، لواء مظلات ، ووحدات استطلاع ومدفعية مختلفة ووحدات مسـاعدة) كانت تمثل نسبة ٥ر١ فى المائة من اجمالى عدد فرق الجيش الالمانى فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٢ ،بينما كانت الجبهة السوفيتية تستوعب وقتئذ ١٩٣ فرقة ألمانية تمثل نسبة ٧٢ فى المائة من جملة الجيش الالمانى (١٤) . ولذلك ايضا كان «روميل» قد بدا هجومه فى ٢٦ مايو ١٩٤٢ على خط الغزالة (وهو الهجوم الذى انتهى به الى الوصول أمام خط العلمين) وليس لديه سوى ٣ فرق ولواء واحد فحسب (الفرقتان ٢١،١٥ المدرعتين ،والفرقة ٩٠ الخفيفة واللواء الخامس مشاه) بينما بدأ « فون بوك » هجومه الـكبير فى جنـوب روسـيا نحو « ستالينجراد » و « القوقاز » فى نفس الفترة تقريبا ومعه ٨٩ فرقة من بينها ٩ فـرق مدرعة (١٥) ، وقد اشار « روميل » فى مذكراته مرارا الى حقيقة النظرة الاستراتيجية للقيادة الالمانية العليا الى مسرح العمليات الحربية فى شمال افريقيا واثر ذلك على تطور ونتائج هذه العمليات فقال مثلا : « لقد كان من الواضح أن رأى القيادة العليا لم يتغير عما كان عليه فى عام ١٩٤١ وهو انميدان افريقيا يعتبر قضية خاسرة . . »،وبستطرد قائلا « وقد ظلت القيادة الالمانية على جهلها بأهمية مسرح العمليات الافريقى ولم تدرك أنه لـو استخدمنا وسائل محدودة نسبيا لامكننا احراز انتصارات فى الشرق تفوق فـى أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية أى انتصارات نحرزها فى منحنى نهر الدون (فى جنوب روسيا) لان أمامنا توجد مناطق تحتوى على ثروة هائلة من المواد الاولية . لقد قاتلنا الجيش الانجليزى فى افريقيا ثمانية عشر شهرا كاملة بثلاث فرق ألمانية فقط ، وكانت أحيانا تصغر لدرجة تدعو للسخرية، ورغم ذلك فقد ألحقنا بهذا الجيش عدة هزائم نكراء الى أن فرغ المصدر الاساسى لقوتنا فى«العلمين». وبعد خسارة افريقيا أخذنا نستخدم عددا متزايدا من الفرق الالمانية ضد الانجليز والامريكيين وفى النهاية ألقينا ضدهم بـ ٧٠ فرقة فى فـرنسا وايطاليا ، بينما لو اعطونى فى صيف ١٩٤٢ ستة فرق ميكانيكية لاستطعت تحطيم الانجليز والقضاء على الخطر الموجه من الجنوب لوقت طويل . وليس من شك فى أن الامداد اللازم لهـذه التشكيلات كان يمكن تنظيمه لو وجدت الرغبة لذلك » (١٦) . وفى الوقت الذى كان « روميل » يتأهب فيه لمعركة « علم حلفا » فى أواخر أغسطس ١٩٤٢ كان الهجوم الالمانى على « ستالينجراد »

---

[١٤] مونتجمـرى من العلمين الى نهر السـانجرو ـ الترجمـة العربية ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٥١ص٢١

(١٥) The Memoirs of Field Marshal Alexander 1940-1945, London, Cassell, 1962, P. 25, 21, 19.

(١٦) مذكرات روميل ـ الترجمة العربية ـ المرجع السابق ـ صفحة ٣٢٧،٣٢٨،٣٣٩ .
Main Front In The Second World War, Moscow, Soviet Military Review, June, 1969, P. 44.

ومناطق آبار البترول فى « القوقاز » فى عنفوانه ويستنزف الجانب الاكبر من موارد المانيا العسكرية البشرية والمادية ، وقد فقدت القوات الالمانية نتيجةلهذا الهجوم فى المعارك التىدارتفى مناطق « الدون» ، « الفولجا » ، «ستالينجراد » خلال شهور يوليو ـ نوفمبر ١٩٤٢اكثر من ألف دبابة ، ألفى مدفع وهاون ، ١٤٠٠ طائرة ، نحو ٦٠٠ ألف رجل ما بين قتيل وجريح وأسير ومفقود (١٧) . ولذلك لم ينلق « روميل » بعد انتصاره فى « طبرق » ووقوفه فى «العلمين» على مبعدة ٦٠ ميلا فقط من« الاسكندرية » ، ٢٥٠ ميلا من « قناة السويس » اى تشكيلات مدرعة ، أو ميكانيكية جديدة لتدعم قواته وتعطيها قدرة حاسمة على اختراق الخط الدفاعى البريطانى الاخير ، بل لم تصله من الدبابات الجديدة اللازمة لتعويض خسائره طوال الفترة من ٢٥ مايو الى ٣١ أغسطس ١٩٤٢ سوى ١١٠ دبابة المانية تقريبا (١٨) . ولذلك كان فيلقه البانزر الافريقى يعانى نقصا فى مرتبه المفترض من الدبابات عشية « علم حلفا » بلغ نحو ٢١٠ دبابة ، ١٧٥ ناقلة جنود مدرعة ، فضلا عن ١٥٠٠ عربة عادية أخرى ! وكانت كافة تشكيلاته الالمانية من مدرعات ومشاة تعانى فى نفس الفترة نقصا فى مرتباتها الاصلية من الافراد يصل الى ١٦ ألف جندى تقريبا (١٩) .

وقد اقتصرت التعزيزات الجديدة التى أرسلتها القيادة الالمانية العليا الى « روميل » خلال شهرى يوليو وأغسطس ١٩٤٢ على الفرقة ١٦٤ مشاة التى أرسلت الى مصر بالطائرات من كريت بدون عربات نقل تقريبا ولواء من المظليين • أما القيادة الايطالية العليا (التى تاهب قائدها الاعلى « موسولينى » لجنى ثمار انتصارات « روميل » المتوقعة فطار الى برقة يوم ٢٩ يونيو حيث أعد حصانا ابيض يمتطيه حين يدخل القاهرة وبقى فيها حتى ٢٠ يوليو ثم عاد الى ايطاليا بعد انيئس من امكان تحقيق النصر المطلوبفى وقت قريب وذلك دون أن يزور الجبهة نفسها ودون أن يزوره « روميل » أيضا !) • فقد أرسلت أيضا فرقة من المظليين تسمى « فولجور »، وفرقتان من المشاة ، واربع وحدات من المدفعية • وبعض الدبابات والعربات المدرعة والمدافع ذاتية الحركة الا أنها كانت ضعيفة الفاعلية بسبب ضعف تدريبها وتسليحها وسوء محركاتها • وبالاضافة الى هذا كله فقد كان « روميل » يعانى من تفاقم مشكلاته الادارية وما ترتب عليها من نقص تموين قواته بحاجاتها الضرورية من الوقود والذخيرة والمؤن ، نظرا لسوء تنظيم القيادة والبحرية الايطالية لعمليات الشحن البحرى ، وقلة السفن الناقلة للبترول لديها والصنادل والسفن الساحلية الصغيرة التى يمكن ان تفرغ حمولاتها فى الموانى الصغيرة الضحلة المياه مثل « مرسى مطروح » والقريبة من الجبهة ، فضلا عن تفضيلها النقل احتياجات القوات الايطالية والادارة المدنية فى ليبيا عن احتياجات الجيش أو الطيران الالمانى . ويضاف الى ذلك أن الميناء الوحيد القريب نسبيا من الجبهة والذى كان يصلح لاستقبال السفن الكبيرة كان ميناء « طبرق » وهو يبعد عن الجبهة بنحو ٣٥٠ ميلا ولا تستطيع منشآته ان تفرغ أكثر من ٦٠٠ طن يوميا من السفن الراسية فيه بسبب تقاعس الادارة الايطالية فى تحسين وزيادة الارصفة القائمة فيه ، الامر الذىكان يؤدى الى زيادة تعريض السفن لغارات الطيرانالبريطانى شبه المستمرة • ونظرا لان الخط الحديدى البريطانى المتدمن « طبرق »الى « العلمين » كان لا يمكن استخدامه بسبب وجود قاطرات أو عربات واختلاف مقاسات قضبانه عن المقاسات الساريةفى ايطاليا ، ولقلة الصنادل والسفن الصغيرة القادرة على الملاحة بين طبرق ومرسى مطروح ، فقد اعتمدت عمليات تموين جيش روميل على عربات النقل التى تقطع الطريق الساحلى (الذى ساءت حالته للغاية لقلة الصيانة وكثرة الغارات الجوية البريطانية) مسافة ٣٥٠ ميلا ذهابا وايابا من طبرق الى الجبهة ، الامر الذى زاد من ارهاقها وتعطل الكثير منها حتى بلغت نسبتها ٣٥فىالمائة خلال شهر أغسطس من اجمالى عدد العربات ،ولما كانت ٨٥ فى المائة من هذه العربات من الغنائم البريطانية التى لم يكن متوفرا لها مخزونا كافيا من قطع الغيار ، فقد تدهورت حالة العربات وضعفت امكانيات النقل وسرعته المطلوبة بشكل خطير • ورغم أن « كيسلرنج » قد بذل مجهودا كبيرا فى نقل كثير من احتياجات « روميل » بطائرات النقل المرابطة فى مطارات « كريت » (قامت طائرات النقل الالمانية بنقل ٦٠٦ر٢٤ جندى من الجيش ، ٦٢٠ر١١ فردا من السلاح الجوى من والى مصر وليبيا واوربا خلال شهرى يوليو وأغسطس ١٩٤٢ فقط) فانه لم

---

(١٧) ج•ك• زوكوف ذكريات وافكار ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ـ دارالتحرير للطبع والنشر ـ صفحة ٣٠٥
(١٨) Jukes, Geoffrey, «Stalingrad», The Turning Point, Purnell's History, London, Macdonald, 196x, P. 21.
(١٩) مذكرات روميل ـ المرجـع السابق صفحة ٤٥٨،٤٦٣،٤٦١، ٤٧٤ .

يصل من احتياجات « روميل » اللازمة لهجوم « علم حلفا » فى الفترة من ٢٢ الى ٣٠ اغسطس ، سوى ١٥٠٠ طن من الوقود من جملة ٦٠٠٠ طن كانت مطلوبة ، ١٢٠٠ طن ذخيرة من اصل ٢٥٠٠ طن كانت لازمة ، ولم يصل للعناصر الالمانية من قوات المحور خلال اغسطس كله سوى ٨٢٠٠ طن من مختلف المؤن كانت تمثل ٣٢ فى المائة فقط من احتياجاتها · كما لم تصل اليها ايضا نتيجة بطء اجراءات الشحن الايطالية نحو ٢٠٠٠ عربة ، ١٠٠ مدفع كانت جاهزة للشحن فى موانى ايطاليا فضلا عن ١٠٠٠ عربة أخرى ، ١٢٠ دبابة كانت مخصصة لها فى المانيا نفسها · هذا وقد ساهم السلاح الجوى البريطانى فى زيادة وتفاقم سوء حالة امداد وتموين قوات « روميل » سواء من قواعد مصر الجوية أو من « مالطة » ، فقد شنت قوة الصحراء الجوية بقاذفاتها الخفيفة ومقاتلاتها القاذفة ٩٧٣ طلعة جوية فوق اهداف فى جبهة القتال نفسها ، وشنت قوة الشرق الاوسط ٢٦٠ طلعة فى المتوسط يوميا وذلك طوال شهر أغسطس . وهذا بخلاف العمليات الجويه التى تمت ضد السفن ومن « مالطة » · وقد أسفرت العمليات الجوية فى مصر وليبيا وفوق المتوسط عموما عن تدمير ٩٢ طائرة المانية ، ٤٦ طائرة ايطالية ، مقابل فقد ١٢٢ طائرة بريطانية خلال نفس الشهر ، ونتيجة للنشاط الجوى والبحرى البريطانيان خلال شهر أغسطس ١٩٤٢ بلغت نسبة ما فقد من حمولات سفن النقل الايطالية من المؤن والذخيرة والمعدات العسكرية فى أثناء الرحلات البحرية ٢٥ فى المائة من جملة ما أرسل الى شمال افريقيا ، ٤١ فى المائة من جملة الوقود المشحون اليها ، وذلك وفقا لما كشفت عنه سجلات البحريه الايطالية التاريخية (١٨) .

وعلى ضوء هذه الحقائق السابقة سواء المتعلقة منها بالاستراتيجية العامة الالمانية فى ادارة الحرب ، أو المتصلة منها بالتناقضات القائمة بين طرفى المحور الفاشى ، والصعوبات الادارية الناجمة عنها وعن النشاط العسكرى البريطانى ، يجب تقييم هجوم « روميل » فى معركة « علم حلفا » وفشله فيها واضطراره للانسحاب ببقايا جيشه بعد ذلك فى أوائل نوفمبر عام ١٩٤٢ أمام هجوم «مونتجمرى» العام الذى بدأ فى ٢٣ اكتوبر واصطلح على تسميته فى التاريخ العسكرى بمعركة « العلمين » ، التى كانت نقطة تحول حاسمة وحتمية النتيجة بالنسبة لميدان شمال افريقيا فحسب . ورغم ذلك كله فلم يكن رجلا ديناميكى الطبع مغامر النزعة مثل « روميل » الا الاقدام على محاولة اختراق خط العلمين للمرة الاخيرة فى ٣١ اغسطس لان «ميزان القوى سيميل نحو الاعداء بقوة لدرجة أن فرصتنا فى القيام بهجوم ناجح ستصبح فى حكم المستحيل » ، على حد قوله فى مذكراته ، وذلك اعتمادا على وعد من الماريشال « كافاليرو » القائد العام الايطالى بارسال ناقلات بترول على وجه السرعة اليه ، دعمه وعد آخر من الماريشال « كيسلرنج » القائد الجوى الالمانى بارسال ٥٠٠ طن من البترول بالطائرات يوميا الى الجبهة فى حالة تعذر وصول السفن الايطالية لاى سبب الى « طبرق » أثناء سير العمليات الحربية (١٩) .

وكانت خطة « روميل » فى الهجوم تتلخص فى القيام بهجمات مخادعة تثبيتية فى القطاع الشمالى يتبعها فورا هجوم قوى مركز خاطف فى القطاع الجنوبى — الذى لاتحميه سوى حقول الالغام والفرقة السابعة المدرعة — وبعد اتباع أساليب تمويه وخداع عديدة فى اخفاء حقيقة الحشد المدرع هناك ، وذلك لاختراق الخط البريطانى بسرعة أثناء الليل والالتفاف حول المنطقة الدفاعية فى وسط وشمال الجبهة عند الطرف الشرقى لتبة علم حلفا للوصول الى المنطقة الواقعة جنوب غرب بلدة « الحمام » قبل الصباح وهى تقع على الطريق الساحلى وعلى بعد يتراوح بين ٢٥ الى ٣٠ ميلا من نقطة الابتداء · وعلى أن يقوم الفيلق المدرع الالمانى (الفرقتان ١٥ ، ٢١ بانزر) ومعه جزء من الفيلق المدرع ٢٠ الايطالى بالاختراق الرئيسى والتطويق المطلوب على أثر تطهير المشاة الالمانية والايطالية لحقول الالغام والمواقع الدفاعية بهجوم ليلى ، وتقوم الفرقة الالمانية ٩٠ الميكانيكية ومعها جزء آخر من الفيلق ٢٠ الايطالى بتأمين الجناح المحاذى للمنطقة الدفاعية البريطانية لصد أى هجمات تهدد مؤخرة الفيلق الافريقى عند الثغرات المفتوحة فى حقول الالغام بالقطاع الجنوبى · على أن يقوم الفيلق الايطالى العاشر مشاة باحتلال وتأمين الارض المحتلة فى هذا القطاع . ويقول « روميل » بصدد خطته هذه « لقد اعتمدنا أساسا فى هذه الخطة على رد الفعل البطىء لدى البريطانيين لان التجربة اثبتت لنا أنه يلزم لهم على الدوام فترة من الوقت للوصول الى قرار ثم يتم بعد ذلك تنفيذه ، وكنا نأمل بناء على هذا الوصول الى موقف نتمكن معه من فرض الامر الواقع على البريطانيين وكانت الاحداث ستتحرك بعد هذا بسرعة · فلم يكن من المرغوب فيه ان تكون المعركة الحاسمة ثابتة · فبعد تثبيت قوات بريطانية كبيرة بهجمات محدودة متكررة بواسطة المشاة الالمانية — الايطالية التى سنتركها فى خط « العلمين » كانت المعركة الحاسمة ستدور خلف الجبهة البريطانية بأسلوب يتلاءم مع استعداد قواتنا الخفيفة الحركة بمهارتها التكتيكية العظيمة وكفاءة قادتنا التى

ستعوض عن نقصنا العددى • وبعد عزل البريطانيين عن مناطقهم الادارية لن يكون أمامهم الا الثبات فى مواقعهم والقتال حتى النهاية هناك او الهروب والانسحاب غربا وبذا يتخلون عن سيطرتهم على مصر » (١٩) . لقد كانت الخطةفى جوهرها تكرارا لتكتيك الالتفاف حول الجناح الجنوبى من الصحراء المكشوفة لطى الدفاعات الثابتة وافقاد قواتها توازنها المادى النفسى الناتج عن هذا الاقتراب غير المباشر منها الذى يهدد مؤخرتها ويجبرها على تحويل أسلحتها الى اتجاه لم تستعد له على جبهة معكوسة • وكانت تعتمد على ثلاثة عناصر أساسية لامكان نجاحهاالمبنى على المقامرة الاستراتيجية فى واقع الامر ــ وهى :

١ ــ تحقيق المفاجأة عن طريق نجاح عمليات الخداع والتمويه التى تخفى عن العدو اتجاه الضربة الرئيسية الحقيقى •

٢ــ السرعة الخاطفة التىتمكن القوةالضاربة من اختراق حقول الالغام والتعمق لمسافة ٣٠ ميلا فى ليلة واحدة فقط •

٣ ــ بطء رد الفعل المتوقع من جانب القيادة البريطانية واضطراب خطواتها المضادة كما جرت العادة من قبل •

هذا وقد كانت القوة المدرعة المتاحة لروميل عند بدء هجومه فى ليلة ٣١ اغسطس تتألف من٢٠٣ دبابةالمانيه ،٢٤٣ دبابةايطالية متوسطة (معظمها مستهلكة الموتور وسائقيها سيئى التدريب) وقوة الدبابات الالمانية كانت تضم ٩٣ دبابة مارك ٣ عادية ، ٧٣ مسلحة بمدفع طويل الماسورة ، ١٠ دبابات مارك ٤ عادية ، ٢٧ مسلحة بمدفع ٧٥مم طويل الماسورة • وهذا فضلا عن ٢٦ دبابة مارك ٢ الخفيفة التى كانت تستعمل كمصفحة استطلاع ، ٣٨ دبابة خفيفة ايطالية • بينما كان لدى « مونتجمرى » فى خط العلمين حوالى ٤٨٠ دبابة من بينها ١٦٤ دبابة « جرانت » مسلحة بمدفع ٧٥ مم قصير الماسورة ، ٣٣٠ عربة مدرعة ، ٣٠٠ مدفع ميدان متوسط ، ٤٠٠ مدفع مضاد للدبابات • هذا وكان يساند الجيش الثامن قوة جوية تضم ٥٦٥ طائرة من بينها ٤٠٠ طائرة تقريبا عاملة تدعمها قوة اخرى من ١٤٠ قاذفة متوسطة ، ٢٥ قاذفة ثقيلة اكثر من نصفها عاملة، فضلا عن قوة صغيرة اخرى من القاذفات الامريكية الثقيلة « ليبراتور » ، « القلاع الطائرة »والمقاتلات « كيتى هوك » والقاذفات المتوسطة « ميتشل » الامريكية ايضا • ولا تتوفر لدينا أرقام مفصلة دقيقة عن القوة الجوية الالمانية ــ الايطالية التى متاحة فوق مسرح المعركة ، وانما كل ما هو معروف بصفة عامة أن قوات المحور الجوية فى شمال افريقيا بصفة عامة كان لديها وقتئذ نحو ٧٢٠ طائرة المانية ، ايطالية من بينها حوالى ٤٥٠ طائرة عاملة دون تحديد واضح لعدد الطائرات الالمانية منها ، او الموجود فوق مسرح العمليات مباشرة ،او عدد القاذفات منها ،او المقاتلاتولكن سير المعركة أثبت أن « مونتجمرى » كان لديه تفوقا جويا فى الطيران خاصة فى قاذفات القنابل بمختلف أنواعها وان ستارة المقاتلات البريطانية كانت من القوة بحيث حالت بين المقاتلات الالمانية والقاذفات البريطانية فى اغلب الحالات •

وقد سار تنفيذ خطة « روميل » على خلاف ما كان يتوقع ،اذ صادفت قوات المشاةصعوباتكبيرة فى تطهير حقول الالغام نتيجة للعمق غير المتوقع لها وللمقاومة العنيفة من جانب وحدات الفرقة السابعة المدرعة ، ولذلك لم تستطع الفرق المدرعة الالمانية ان تقطع حتى فجر اليوم التالى ٣١ اغسطس سوى ١٠ اميال شرقىحقول الالغام بدلا من ٣٠ ميلا كما كانت الخطة تستهدف أصلا • فلقد كانت الخطة متوقعة من القائد البريطانى نتيجة للتخطيط الدفاعى المسبق الذى وضعه « دورمان سميث » وعمقه « مونتجمرى » والذى وضع على ضوء الخبرة السابقة بأساليب « روميل » فى الهجوم ، ونتيجة لدقة اعمال الاستطلاع الجوى المسبقة ، وبذلك فقدت الخطة الالمانية عنصرى المفاجأةوالسرعة اللذين كاناأساسا لنجاح الخطة بأكملها كما يقول « روميل » الذى استمر فى هجومه معتمدا على عنصر بطىء قرارات القيادة البريطانية واقدامها على اجراءات مضادة • ولكن القرارات هذه المرة كانت متخذة من قبل فقد واجهت الوحدات البريطانية الموقف كما كان مرسوما لها من قبل دون أى اضطراب ودون أن تجتذب الى « اللعب على دقات طبول العدو » كما كان يحدث من قبل واخذت المدفعية والطيران تكيل الضربات المميتة المركزة على المدرعات والعربات الالمانية ــ الايطالية مما ادى بروميل الى العدول عن محاولة الالتفاف شرقى « علم حلفا » لانه احس بخطورة هذا العمل فى ظل بقاء ٤٠٠ دبابة بريطانية متخندقة على جناحه الشمالى وتهديد مدرعات الفرقة السابعة لجناحه الجنوبى الشرقى • ولذلك دفع قواته المدرعة الى مواقع اللواء ٢٢ المدرع عند النقطة ١٠٢ الواقعة غربى تبة « علم حلفا » بينها وبين مواقع الفرقة النيوزيلندية لعله يستطيع اجتذابه الى معركة مفتوحة ويخترق الجبهة من هذه النقطة صوب البحر رغم تهديد تبة « علم حلفا » لمجذبته فىهذه الحالة فضلا عن وحدات اللواء ٨ المدرع البريطانى . ولكن نيران مدفعية الميدان ومدافع

الدبابات التى دعمتها غارات الطيران حطمت كافة محاولاته فى هذا الاتجاه طيلة ايام المعركة الستة ، خاصة بعد أن دعمتها وحدات اخرى سحبها « مونتجمرى » من القطاع الشمالى ومن الاحتياطى فى « العامرية » (اللواء ٢٢ المدرع من الفيلق ٣٠ فى الشمال ولواء مشاة من فرقة جنوب افريقيا ولواء مشاة من الفرقة ٥٠ من العامرية) . وكانت غارات الطيران البريطانى المستمرة ليل نهار من الشدة بحيث شلت حركة الدبابات الالمانية تقريبا خاصة مع تدمير عديد من قولات تموينها المحدودة ، ومع عدم وصول الوقود المتوقع من جانب « كافاليرو » أو « كيسلرنج » مما ادى الى ان اصبحت كمية الوقود الموجودة لدى جيش البانزر يوم ٢ سبتمبر تعادل صرفية واحدة من البترول وهى تكفى الوحدات للتحرك ١٠٠ كلم فقط فى الطرق الجيدة ! وكانت النتيجة أن انسحبت القوات المهاجمةوانتهت المعركة تمامايوم ٦ سبتمبر دون أن يحاول « مونتجمرى » الشديد الحذر استغلال الموقف ومطاردة العدو او القيام بهجوم مضاد كبير وانما اكتفى فقط بهجمات محدودة من جانب الفرقة النيوزيلندية لقفل ثغرات حقول الالغام المفتوحة وقطع خط الرجعة على الفرقة ٩٠ الخفيفة ، ولكن هذه الهجمات صدت بنجاح من جانب الالمان . وترك العدو محتفظا ببعض الارض عند الحافة الغربية لحقول الالغام ، وذلك لاعادة تنظيم مراكز الجيش الثامن على الحافة الشرقية منها .

ولقد لعب الطيران البريطانى دورا فعالا للغاية فى هذه المعركة اذ اشتركت نحو ٥٠٠ طائرة منه فى العمليات وقامت بنحو ٢٥٠٠ طلعة جوية لدعم الجيش الثامن فضلا عن ١٨٠ طلعة جوية أخرى قامت بها القاذفات والمقاتلات الامريكية . وقد نتج عن هذه المعركة ان خسر الالمان ١٨٥٩ قتيلا وجريحا ومفقودا » وتدمير ٣٨ دبابة ، ٢٣ مدفعا ، ٢٩٨ عربة ، ٣٦ طائرة . وفقد الايطاليون ١٠٥١ رجلا ، و ١١ دبابة ، و ٢٢ مدفعا ، و٩٧ عربة و٥طائرات بينما فقد الجيش الثامن ١٧٥٠ رجلا ما بين قتيل وجريح ومفقود ، ٦٧ دبابة ، ١٥ مدفعا مضادا للدبابات و ٦٨ طائرة (٢٠).

وقد عاد « روميل » اثر فشله هذا الى المانيا فترة من الوقت للعلاج الصحى ، بينما أخذ « مونتجمرى » يستكمل استعداداته ــ التى اعالنها « علم حلفا » لمدة اسبوع ــ للقيام بالهجوم المضاد العام الذى بدأ فى ٢٣ اكتوبر وانتهى فى ٢٠ نوفمبر ١٩٤٢ وانتهى باجبار « روميل » على التراجع الى خط « العقيلة » داخل ليبيا بعد أن تحطمت قوته الرئيسية فى معركة استنزاف حادة غير متوازنة الموارد بين الجانبين لا يتسع مجال هذه الدراسة المخصصة أصلا للجانب الدفاعى من معارك العلمين ، لعرضها تفصيلا وسوف نخصص لها مستقبلا دراسة أخرى تتعلق بخبرات الهجوم فى حرب الصحراء .

وقد كتب « مونتجمرى » معلقا عن آثار معركة « علم حلفا » فقال : « كان للنصر فى معركة علم حلفا تأثير عميق على الجيش الثامن .. فقد ارتفعت الروح المعنوية للجنود الى الذروة . وفشل روميل فى الحصول على غرضه وتكبد خسائر فادحة .. وعادت الثقة الى نفوس الجنود بالنسبة لانفسهم ولقياداتهم العليا وأخذت تحتل مكانها فأقبل الجميع على الاستعدادات للمعركة الحاسمة بحماسة بالغة . وأظن أن هذه المعركة لم تلق العناية أو الاهمية بقدر ما كانت تستحقه . فقد كانت عملا حيويا ذا قيمة كبرى .. اذ لو قدر لنا أن نخسرها ــ وقد كان هذا محتملا جدا ــ لقدر لنا بسبب ذلك أن نخسر مصر أيضا .. ولكن نجاحنا فى هذه المعركة مهد لنا طريق النجاح فى « العلمين » والى ما تلاها من التقدم الى تونس » (٢١) .

أما « روميل » الذى تأثر هجومه هذه المرة بعنف الهجوم الجوى البريطانى المضاد له بصورة لم يشهدها معارك الصحراء من قبل فقد كتب معلقا على الخبرات المستفادة من المعركة فقال : « ان التفوق البريطانى فى الجو قد أدى الى القضاء على كل المبادىء التكتيكية التى طبقناها حتى هذا الحين بنجاح باهر . ولم يكن هناك أمل فى تفوقنا الجوى الا بوجود قوة جوية كبيرة فى جانبنا . وفى كل معركة قادمة كان التفوق الجوى الامريكى البريطانى يلعب الدور الحاسم فيها جميعا .. ولو حدث توازن للقوى فى الجو لادى الى امكان تطبيق القواعد الاصلية للحرب مرة أخرى بالرغم من وجود قيود تكتيكية معينة على تحركات الطرفين مفروضة عليهما بسبب نشاط الخصوم الجوى الكبير . وأى انسان يضطر للقتال ولو حتى بأحدث الاسلحة ضد عدو يسيطر على الناحية الجوية تماما ، فسوف يقاتل مثل الهمجى فى مواجهة

---

(٢٠) Playfair, I.S.O. The Mediterranean And Middle East, Vol. III, London, H.M.S.O., 1960, P.383, 379, 381, 327.

(٢١) مونتجمرى ــ من العلمين الىنهر السانجرو ــ المرجع السابق صفحة٢٩، ٣٠ .

قوات أوربية حديثة وتحت الظروف نفسها وبنفس فرص النجاح (٢٢) .

ويعلق الكاتب العسكرى البريطانى « دوجلاس أورجيل » على قول « روميل » هذا فيقول : « ومع موافقة « روميل » تماما فيما قاله هذا ، فان ذلك اكثر صدقا فى الهجوم عنه فى الدفاع ، لانه بدون قوة جوية ، يصبح استخدام الهجوم للدبابات حاليا أمرا غير عملى ، رغم أنه يمكن للهجوم فى حالة توفر السيادة الجوية أن ينجح حتى فى حالة اذا ما كانت المدرعات تلعب دورا ثانويا • أما فى الدفاع ، فالوضع يختلف ، فان كيسلرنج .. سوف يوضح بعد ذلك فى ايطاليا انه بواسطة أرض ملائمة ، وبدون طائرة واحدة للسلاح الجوى الالمانى فى السماء تقريبا ، يستطيع جيش مصمم على القتال أن يعيق على نحو غير محدود عدوا يتفوق عليه كثيرا فى عدد الدبابات والطائرات » (٢٣) .

وقد علق « ليدل هارت » على خطة « مونتجمرى » فى معركة « علم حلفا » فقال : « كانت الخطة تعتبر اجراء مضادا غير مباشر ضد خطة « روميل » المعتادة التى تتضمن الانتفاف من الجنوب ، وقد وضعها « دورمان سميث » واتبعها ، وقد قبل « مونتجمرى » هذه الخطة من حيث المبدأ عند تسلمه لقيادة الجيش الثامن بعد موافقة الكسندر على أن يتم تقوية المؤخرة من قطاع هضبة « علم حلفا » عندما يتوفر له المشاة اللازمة لهذا • وكما حدث فيما بعد ، فان هذا الاجراء لم يكن له أى داع لان الفرقة الرابعة والاربعين لم تشتبك فى القتال • وقد اضطر « روميل » عندما هددته المدرعات البريطانية المحشودة فى الجنب الى التحول شمالا للتعامل معها متخليا بذلك عن خطته الاصلية الاوسع نطاقا » • وبذلك يمكن اعتبار أفكار « دورمان سميث » الملخصة لخبرات الدفاع فى حرب الصحراء هى الاساس الحقيقى لثبات الدفاع البريطانى فى خط العلمين سواء فى ظل قيادة « أوكنلك » أو « مونتجمرى » ، ومع أخذ الظروف الاستراتيجية والادارية العامة التى حكمت حركة «روميل » فى الاعتبار كتحفظ لابد منه عند استخلاص الخبرة المستفادة من معارك العلمين الدفاعية •

---

(٢٢) مذكرات روميل – المرجع السابق – صفحة ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٧١ .

(٢٣) Playfair, I.S.O. The Mediterranean And Middle East, Vol. III, London. H.M.S.O. 1960, P.391.

Orgill, Douglas : The Tank, London, Heinemann, 1970, P. 180, 181.

تحقيق سياسي من بغداد

العراق من داخل العراق

قام وفد من « الطليعة » بزيارة العراق ، وذلك للاشتراك في الندوة العالمية « للنفط كسلاح ضد الامبريالية والعدوان الاسرائيلي ، وكوسيلة للتطور المستقل » ، وهي الندوة التي عقدت في بغداد في الفترة من ١١ الى ١٤ نوفمبر ١٩٧٢ .

وكان الوفد يتكون من : **لطفي الخولي ، ومحمد أحمد عجلان ، وأبو سيف يوسف .**

وقدم **د . عجلان** بحثا الى الندوة ، تحت عنوان : « **التحرك الشعبي باعتباره الضمان الوحيد لاستعمال سلاح النفط** » .

وكانت زيارة بغداد فرصة لوفد « الطليعة » ، لكي يتعرف على أهم القضايا التي تشغل الشعب العراقي الشقيق ، وقياداته الوطنية والتقدمية . ومن خلال اللقاءات التي أتيحت لوفد « الطليعة » مع عدد من القيادات البارزة في حزب البعث العربي الاشتراكي ، والحزب الديموقراطي الكردستاني ، والحزب الشيوعي العراقي ، وبعض الشخصيات المستقلة ، تقدم « الطليعة » هذا التحقيق السياسي عن « **العراق من داخل العراق** » ، وتقدم مع التحقيق مقالا للدكتور **جواد هاشم** وزير التخطيط العراقي . وفي الوقت نفسه ، فان « الطليعة » لا تدعي أنها تقدم في التحقيق صورة شاملة للقطر العربي الشقيق تغطي كافة نواحي البناء السياسي والاقتصادي والثقافي فيه . وهي تعد بهذا ضمن البرنامج الذي حددته « الطليعة » لنفسها ، وهو أن تقدم في اعداد قادمة — ومن خلال بعثات لمحرريها الى البلاد العربية — دراسات أكثر شمولا عن الواقع العربي ومشكلاته وآفاق تطوره .



مناخ الجبهة .. والحوار الديمقراطى

لطفى الخولى

● تناقش الجريدة الداخلية لحزب البعث العربى الاشتراكى فى العراق، قضية التعبئة الجماهيرية ، التى يلح عليها الحزب باستمرار ، فتقول :

« ان التعبئة الحقيقية والفعالة للجماهير تستلزم فى المقدمة سياسات صائبة تمارسها الطليعة والاحزاب الثورية عموما . ومناخا ديمقراطيا سليما . فبذلك تستطيع الجماهير الكادحة ان تسهم ايجابيا فى المجتمع ومصير الثورة ومسيرة السلطة الثورية بدلا من الانعزال أوالموافقة السلبية أو التاييد المصلحى السطحى والوقتى » .

وكان حزب البعث ، من خلال تجارب دامية وفادحة الثمن ، قد أعاد تنظيم صفوفه وكوادره وافرز قيادات جديدة أمكن له معها أن يشرع فى الانقضاض على السلطة فى ١٧ يوليو ١٩٦٨ ، وينتهى الى السيطرة الكاملة على السلطة فى الثلاثين من نفس الشهر ، بعد أن أطاح بالقوى اليمينية التى شاركته فى عملية الانقضاض .

ولكن حزب البعث وقيادته الجديدة ، كانا حريصين على الاستفادة من تجارب الثورات العربية عامة وثورة العراق خاصة . وكانا أكثر حرصا على عدم تكرار أخطاء حزب البعث ذاته ، خلال تجارب المعارضة والحكم السابقة ، على السواء .

كيف ؟ ..

ان حزب البعث رغم أنه يعتبر نفسه الحزب الثورى الذى تولى مسئولية العمل على تغيير الاوضاع فى العراق على طريق التقدم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى وبادر — منفردا — الى الاستيلاء على السلطة .. الا أنه — وهو فى السلطة — لا يعتبر نفسه مسئولا فحسب أمام بنائه الحزبى التنظيمى وانما أمام الشعب العراقى كله بجماهيره العربية والكردية وبقية القوميات الاخرى على السواء . والجماهير العراقية ليست كلها بعثية . وانما هناك من ينتمى منها الى أحزاب ذات ثقل ووزن سياسى فى المجتمع العراقى مثل الحزب الشيوعى والحزب الديمقراطى الكردستانى فضلا عن التيارات القومية التقدمية الاخرى . بمعنى ان الواقع الحى للعراق يكشف عن حقيقة موضوعية ، وهى أن ساحة العمل السياسى فى العراق تضم بالفعل عددا من الاحزاب الوطنية الثورية ذات جذور عميقة فى التربة العراقية .

طريقان

وأمام هذه الحقيقة ، واجه حزب البعث منذ

يوليو ١٩٦٨ قضية الاختيار - وهو فى السلطة بين طريقين :

● **طريق تجاهل الواقع وحقيقته الموضوعية والدخول فى صراع عدائى مع بقية الاحزاب والتيارات الثورية والقومية ، وذلك بهدف تصفيتها واحتكار العمل السياسى والانفراد بالسلطة وفرض نظام الحزب الواحد قسرا على البلاد** • ومعنى ذلك اعادة تكرار التجارب التى منيت بالفشل فى الوطن العربى عامة والعراق خاصة وأدى الى قيام تلك الدائرة الدموية من الصدام التى انهكت قوى الجميع لصالح الامبريالية والاستعمار والقوى الرجعية ، ولم تفد حزب البعث فى النهاية كما أنها لم تنجح فى تحقيق أى هدف من أهدافها • بل على العكس أودت بالعراق فى دوامة من عدم الاستقرار والشلل السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، مما أهدر الطاقات الهائلة التى يملكها العراق وحال بينه وبين القيام بدوره التقدمى ازاء الوطن العراقى والوطن العربى على السواء •

● **وطريق احترام الواقع وتقبل حقيقته الموضوعية ، والانطلاق منهما للعمل من أجل تحويل الصراع العدائى بين الاحزاب الثورية والتيارات القومية التقدمية الى صراع غير عدائى** ،يحقق أوسع واعمق تعبئة شعبية من حول برنامج مشترك للحكم والسلطة والعمل الجماهيرى معا •

ومعنى هذا قيام حزب البعث ، من مركز السلطة ، بالاعتراف للاحزاب الثورية والتقدمية الاخرى بحق الوجود والعمل والحركة والمشاركة معه فى السلطة • وذلك من خلال توفير المناخ الديمقراطى والاسس السياسية والاجتماعية اللازمة لبناء جبهة وطنية لها وجود حقيقى وفاعلية متنامية •

ولم تكن عملية الاختيار بين الطريقين داخل حزب البعث سهلة • خاصة بعد أن تمكن الحزب من الاستيلاء الكامل على السلطة •

فمن جانب كان هناك تيار رأسى من القيادة الى القاعدة يعارض كل محاولة لاشراك الاحزاب الاخرى فى السلطة • ويقدم من أجل ذلك حججا وأسبابا متعددة منها : التاريخ الدامى فى العلاقات ، عدم المشاركة فى عملية الاستيلاء على السلطة بل ووقوف البعض منها موقف المعارضة أو على الاقل موقف الحذر السلبى ، اختلاف بل وتناقض المنطلقات الفكرية والاجتماعية والنظرة الى القضايا القومية الخ .• وكان هذا التيار يرتكز أساسا على العناصر التقليدية ، والتى غدت - بحكم حركة الحياة وتطوراتها - تمثل اليمين داخل الحزب ، وتعادى الشيوعية والافكار الماركسية وترفض الاعتراف بالحقوق القومية للاقليات داخل العراق ، وترى فى انفراد الحزب وتفرده - ولو بالقوة - حصانة لما تسميه بالنقاوة القومية والسياسية معا .

ومن جانب آخر كان هناك تيار متعاظم داخل الحزب ، صقلته التجارب ، وتعمقت ثقافته السياسية ، أمكنه أن يعقد زواجا بين القومية بالمفهوم البعثى وبين المضمون الاجتماعى التقدمى للحركة والعمل السياسى ، واكتسب بذلك أفقا واسعا وقدرة ثورية على مواكبة العصر وتطوراته دون عقد أو حساسيات • وجذب اليه - تنظيميا - معظم القواعد والقيادات الشابة فى حركة مكثفة تربط بين التراث الايجابى للحزب ومتطلبات العمل الثورى فى الواقع الجديد محليا وقوميا وعالميا •

ودار صراع حاد ، مكتوم أحيانا ومتفجر على السطح أحيانا أخرى بين التيارين • لم يقف عند الحدود التنظيمية لحزب البعث بل امتد الى المجتمع كله • وأمكن فى النهاية للتيار الثورى الجديد الذى يمثله « **صدام حسين** » و « **عبد الخالق السمرائى** » وغيرهما مع مجموعة من الشباب الثورى - تعرفنا خلال زيارتنا الى نموذج مسئول منهم هو طارق عزيز رئيس تحرير جريدة **الثورة وغانم عبد الجليل** - الذى تولى مسئولية تنفيذ قرار تأميم شركة نفط العراق ان يسود تنظيميا وسياسيا داخل الحزب . وانتصر بذلك خط الجبهة الوطنية وميثاق العمل الوطنى على خط تفرد حزب البعث واحتكاره للسلطة • ودعم من هذا الانتصار وقوف « **احمد حسن البكر** » رئيس الجمهورية ، بوزنه النضالى والتاريخى داخل الحزب ، الى جانب التيار الثورى • وذلك فضلا عن تأييد « **ميشيل عفلق** » المؤسس التاريخى لحزب البعث •

واذا كانت المنشورات الداخلية الحزبية ، المقصور تداولها على اعضاء الحزب ، هى التى تكشف حقيقة موقف الحزب أكثر من التصريحات والبيانات العلنية • فان جريدة حزب البعث الداخلية تركز دائما - فى مجال تثقيف الكادر وتوعيته - على **أهمية التعبئة الوطنية والشعبية من خلال النشاط السياسى الجبهوى** •

تقول الجريدة فى احدى نشراتها :

« **ان مهمات صيانة الثورة وتحقيق أهدافها لا**

يمكن ان ينهض بهاحزب واحد ايا كانت جماهيريته وقوته · هذا واقعتفرضه شروط مجتمعنا وتاريخ حركتنا الثورية ·

ولذلك فان الصيغة المثلى للمرحلة التى تواجهنا هى صيغة الجبهة التقدمية الشعبية ، القائمة على أساس تحالف طبقى ثورى واسع متين وسليم ·

ان طريق الجبهة السياسية المتكاملة كما نعرف تعتوره المشاكل الكثيرة · والمهم أن نبحث عن الاسحل الانتقالية واليومية المناسبه التى تساعدنا على الوصول للهدف المطلوب ·· ولابد من التأكيد على بديهيه كون التعاون الجبهوى لا يلغى بأية حال تبادل النقد ، والتعرية الفكرية العلمية الموضوعيه للمواقف والافكار الخاطئة لهذه الفترة التقدميه أو تلك » ·

روح التفـــاعل

وتفاعل هذا الاتجاه الجبهوى للبعث : حزبا وسلطة ، مع الاتجاهات السياسية الثورية المسئولة فى المجتمع العربى · وتجسد أبرز هذه الاتجاهات فى **الحزب الشيوعى** الذى ظل يركز فى نشاطه الفكرى والسياسى على ضرورة تعبئة جميع القوى الوطنية ذات المصالح المعـادية لـلامبريالية والصهيونية والرجعية والحلول العنصرية للمسألة الكردية فى جبهة وطنية تقدمية تنعكس انعكاسا فى بناء السلطة والحركة الجماهيرية ، واستطاعت قيادة الحزب أن تتغلب على العديد من المصاعب الموضوعية والذاتية ، وتعزل الاتجاهات المتسـمة بالجمود عن الحركة وتقرر من خلال وحدة الحزب ووضوح استراتيجية التعاون الايجابى مع حزب البعث ابتداء من ادارة الحوار الديمقراطى بين قيادتى الحزبين الى العمل الجماهيرى المشترك الى الاشتراك فى الحكم بوزيرين على درجة عالية من النضج السياسى هما عامر عبد الله وزير الدولة ، ومكرم الطلبانى وزير الرى ·

وقد امتدت روح التفاعل الجبهوى الى التيارات القومية التقدمية الاخرى داخل المجتمع العراقى ، التى استجابت هى الاخرى ايجابيا ، الى خطوات البعث على صعيد العمل المشترك من أجل بناء الجبهة · ومثل اشتراك هذه التيارات فى السلطة عن طريق وزيرين هما « الطبقجلى » ، و«الشاوى» ·

ولم يبق ــ بعد ذلك ــ فى المجتمع العراقى الا الحركة الكردية عـامة ، والحزب الديمقـراطى الكردستانى بقيادة **الملا مصطفى البرزانى** والذى يتمتع بوزن خاص داخل الحركة القومية الكردية · ورغم أن الصدام المسلح بين الجيش العراقى والحزب الديمقراطى الكردستانى ظل قائما بعد استيلاء البعث على السلطة فى ١٧ ــ ٣٠ يوليو ١٩٦٨ · الا أن القيادة الواعية للحزب والذى قادته الى السلطة ، بادرت ــ متخطية كل الصعاب والسلبيات ــ الى فتح أبواب الحوار مع قيادة الحزب الكردستانى على أساس الاعتراف بشرعية الحقوق القومية للحركة الكردية وتجسيد ذلك فى اطار الحكم الذاتى ضمن وحدة الشعب العـراقى والوطن العراقى · وأسفر الحوار عن نتـائج ايجابية تاريخية تمثلت فى بيان ١١ مارس (آذار) ١٩٧٠ ، الذى اتفق فيه الطرفان على حل الازمة الكردية بالطريق السلمى الديمقراطى ، واشتراك الحزب الكردستانى بأربعة وزراء فى الحكـم ، وعودة السلام الى ربوع الشمال العراقى .

وفى ١٥ نوفمبر ١٩٧١ خطت قيادة حزب البعث خطوة أخرى على الطريق نحو الجبهة الوطنية وذلك بطرح « **ميثاق للعمل الوطنى** » للمناقشة ، معلنة « **لجميع القوى والعناصر الوطنية والتقدمية عن استعداد مخلص لفتح صفحة جديدة مشرقة فى تاريخ نضالها الطموح من أجل أهدافنا الوطنية والقومية** » ·

وركز الميثاق على تحديد طبيعة مهام المرحلة الراهنة للثورة بقيادة حزب البعث بأنها « **مرحلة اقامة نظام ديمقراطى ثورى وحدوى ، كمرحلة أساسية ومتقدمة من مراحل النضـال المشروع لشعبنا فى القطر العراقى وفى الوطن العربى من أجل اقامة المجتمع العربى الديمقراطى الاشتراكى الموحد** » ·

وانطلق الميثاق من هذه الارضية العامة الى تحديدات أكثر تفصيلا فى المجالات السيـاسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية :

● فهو يرى أن « النظام السياسى الذى أقامته ثورة السابع عشر من تموز (يوليو) بقيادة حزب البعث العربى الاشتراكى والذى يسعى الى تحقيق الائتلاف الواسع بين كل القوى والعناصر الوطنية والقومية والتقدمية هو نظام ديمقراطى شعبى وحدوى » · وأن هذا النظام « يضمن كافة الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب وقواها الوطنيـة والتقدمية ، بما فى ذلك حرية الاحزاب السياسية ،

والجمعيات الاجتماعية والمهنية والنقابات ، وحرية الصحافة والرأى والمعتقد وغيرها من الحريات الاساسية وفقا للقوانين التى تشرعها الدولة » ٠

● ويؤكد الميثاق على ضرورة التنفيذ الكامل ، نصا وروحا لبيان ١١ آذار الخاص بالحل السلمى الديمقراطى للمسألة الكردية ، وذلك على أساس « أن ممارسة الجماهير الكردية لحقوقها القومية المشروعة بما فيها الحكم الذاتى تتم ضمن اطارها الطبيعى الذى تجسده وحدة السيادة الوطنية ووحدة الارض ووحدة النظام السياسى فى الجمهورية العراقية ، كما تتم أيضا على أساس الاقرار والايمان بأن العراق جزء لا يتجزأ من الوطن العربى وبأن امكانات الامة العربية وطاقاتها ونضالها المشروع والعادل من أجل التحرر الكامل من السيطرة الاستعمارية والاغتصاب الصهيونى ، ومن أجل تحقيق الوحدة والاشتراكية .. هى ضمانات تاريخية أكيدة لحرية القوميات والاقليات ولحقوقها المشروعة .

● وفى مجال الاقتصاد الوطنى حدد الميثاق متطلبات المرحلة المقبلة فى انجاز المهمات التالية: تحرير الاقتصاد الوطنى بكل فروعه تحريرا كاملا من قيود التبعية الاجنبية وذلك من خلال خطة علمية مدروسة ، بناء اقتصاد وطنى متنوع ومتكامل ، والحرص على تجنيب البلاد حالة الاقتصاد وحيد الجانب وتحقيق الاكتفاء الذاتى فى كل الفروع الممكنة ، العمل من أجل تحقيق الوحدة الاقتصادية ودعم السوق العربية المشتركة ، وضع المصلحة الوطنية والقومية كأساس فى أى شكل من أشكال التعاون والتعامل الاقتصادى مع الدول الاجنبية ، والعمل على تطوير العلائق الاقتصادية مع الدول الاشتراكية والصديقة على هذا الاساس ، تأمين الرفاهية لجماهير الشعب ، وبصورة خاصة للفلاحين والعمال والفئات الكادحة وتصفية مظاهر وأساليب الاستغلال والقهر الطبقى ، دعم القطاع العام وتوسيعه باعتباره حجر الاساس فى الاقتصاد الوطنى بكافة فروعه ، مع مراعاة أن القطاع الخاص ما يزال قادرا على أن يؤدى مهمات ايجابية فى بناء الاقتصاد الوطنى ، وذلك بدعم وتوجيه من القطاع العام ٠

وتطرق الميثاق ــ فى هذا المجال ــ الى امكانية مساهمة رأس المال العربى فى خطة التنمية العراقية ، فقرر أن المقتضيات العملية تسمح بمشاركة رأس المال العربى العام والخاص فى المشروعات التى تحددها الدولة مع توفير الضمانات الكافية ٠

● ونادى الميثاق بضرورة تحقيق الاصلاح الزراعى الجذرى وصولا الى الثورة الزراعية الشاملة وتوفير الظروف المادية والمعنوية لوقف الهجرة من الريف الى المدينة وتوسيع نطاق الهجرة المعاكسة والاستمرار على تشجيع الشباب المثقف على العمل فى الريف وذلك من خلال ثلاثة اشكال ثورية فى العلاقات الاجتماعية هى مزارع الدولة والمزارع الجماعية والمزارع التعاونية ٠

● واهتم الميثاق باحداث ثورة صناعية فى البلاد باعتبار أن الصناعة من ناحية قاعدة أساسية من قواعد التقدم الحضارى ، ومن ناحية أخرى شرط أساسى من شروط الانتقال الى الاشتراكية ٠ وحدد المهمات الاساسية للتصنيع ــ فى اطار القطاع العام أساسا ــ باقامة وتطوير الصناعات البتروكيمياوية والتعدينية ، وانشاء الصناعات التى تعتمد على المواد الزراعية التى تنتجها البلاد . وشدد على ضرورة الحرص على خلق توازن صائب بين الصناعات الثقيلة والانتاجية وبين الصناعات الاستهلاكية مع الحرص الشديد على زيادة معدلات النمو وعدم الانجراف فى منزلقات الاقتصاد الاستهلاكى ٠ كما شدد على ضرورة توسيع الادارة الديمقراطية فى المنشئات الصناعية والانتاجية عن طريق توسيع مشاركة العمال فى مجلس الادارة ٠

● وفى مجال التجارة والمال ، حدد الخط الواجب اتباعه فى اخضاع التجارتين الداخلية والخارجية لمقتضيات الاستقلال الوطنى والاكتفاء الذاتى وخطة التنمية ، والسير فى طريق تأميم التجارة الخارجية وتجارة الجملة ٠ وطالب الميثاق بضرورة اعادة النظر فى السياسة الضريبية بما يضمن وضع نظام عادل للضرائب وتخفيض الضرائب غير المباشرة على السلع الانتاجية والادوية والمواد الاستهلاكية الاساسية ٠

● وأولى الميثاق اهتماما كبيرا لقضايا الثقافة والفنون والاعلام ،وذلك على أساس أن الثورة فى مواجهتها لهذه القضايا يجب أن تنطلق من النظرة القومية الديمقراطية الاشتراكية المتفاعلة مع الثقافة الانسانية عامة والتقدمية خاصة ، والمنفتحة عليها وهى ترتبط ارتباطا حيا بالجماهير ومصالحها وقضاياها ومشاعرها وتراثها العربى

التقدمي وتطلعاتها ، مع الحرص على احترام حرية اختيار أشكال التعبير وأساليبه والحفاظ على مقومات عملية الخلق والابداع .

● وحدد الميثاق سياسته العربية فى النضال الشامل،وبكل الوسائل ضد الامبريالية والصهيونية ونفوذهما ومصالحهما ومرتكزاتهما وعملائهما فى اى جزء من الوطن العربى ، وذلك من خلال العمل على تحقيق وحدة العمل المشترك بين كافة القوى والفصائل الثورية والوطنية والتقدمية سواء على الصعيد الرسمى أو الصعيد الشعبى ، فى الوطن العربى وداخل كل قطر . وفى العمل بكل الطرق لتحقيق الوحدة العربية الشاملة على أساس تحررى وديمقراطى شعبى ، وفى اعتبار قضية تحرير فلسطين من الاغتصاب الصهيونى قضية مركزية فى النضال العربى ، وأنها مرتبطة جدليا بالنضال من أجل التحرر والوحدة وبناء الاشتراكية ، وعلى اساس حق شعب فلسطين بالعودة الى أرضه المحررة وممارسة حقه الكامل فى تقرير مصيره فيها ، وشجب كل الحلول والمشاريع الاستسلامية الهادفة الى تصفية قضية فلسطين أو تمييعها بحلول جزئية . وفى تأييد ومساندة الكفاح الشعبى المسلح وبصورة خاصة على الجبهة الفلسطينية وحيثما تفرضه الضرورة فى الوطن العربى .

● وأوضح الميثاق الخطوط العريضة للسياسة الخارجية فى معاداته للامبريالية والاستعمار القديم والجديد ودعم حق الامم والشعوب فى تقرير مصيرها وشجب سياسات العدوان والاغتصاب والتميز العنصرى ومقاومة الاحلاف والمشاريع والتكتلات العسكرية والعدوانية التى تهدد أمن الشعوب والسلام العالمى . وفى تدعيم العلاقات مع دول وشعوب المعسكر الاشتراكى بما يضمن المصالح المتبادلة . ويرجح كفة النضال العالمى لدحر الامبريالية ، وكذلك مع حركات التحرر الوطنى والقومى فى أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وجميع حركات التحرر فى العالم بما فيها الحركات العمالية والشعبية التقدمية فى أوربا وامريكا .

ردود الفعل

ورغم أن طرح « الميثاق » للمناقشة الواسعة أثار استجابة ايجابية شعبية لمضمونه الديمقراطى والتقدمى ، ورحبت مختلف القوى بادارة الحوار من حوله . الا انه كان هناك بعض الملاحظات:فقد اتفق كل من الحزب الشيوعى والحزب الديمقراطى الكردستانى على أنهما كانا يفضلان أن يتم اعداد مشروع الميثاق من خلال مناقشات تنظيمية جماعية بين الاحزاب ، قبل طرحه للنقاش الجماهيرى العام ، الامر الذى كان من أجله أن يسهم فى تعميق أواصر الجبهة وبنائها تنظيميا . الا أن ذلك لم يمنع الحزب الشيوعى من الترحيب موضوعيا بالميثاق وادارة حوار تنظيمى وعام حوله . وكما فهمنا من خلال حديث مع كل من صدام حسين نائب امين سر القيادة القطرية لحزب البعث الذى يولى قضية بناء الجبهة اهتماما كبيرا ، وعامر عبد الله وزير الدولة واحد ممثلى الحزب الشيوعى فى الحوار ، ان الحزبين قد انتهيا من الاتفاق حول النقاط الاساسية للميثاق وبرنامج الجبهة ولم يبق مطروحا للنقاش غير نقطتين :

اولهما : تتصل بقيادة حزب البعث للجبهة . والحزب الشيوعى يسلم بدور قيادى لحزب البعث فى الجبهة ولكنه يطالب بضرورة التكافؤ والمساواة فى عضوية الجبهة .

وثانيهما : تتعلق بتقييم وتحليل موقع القضية الفلسطينية من مجمل حركة التحرر الوطنى العربية ، وطبيعة المضمون القومى للقضية ،وما يستتبع ذلك من تجديد للشعارات الخاصة بالمرحلة الراهنة ، وذلك فى ضوء اتفاق الطرفين على اعتبار حركة التحرير الفلسطينية المسلحة جزءا لا يتجزأ من حركة التحرر العربية وحركة التحرر العالمية .

أما الحزب الديمقراطى الكردستانى فقد أصر على موقفه ، وفى رده على اتهامات حزب البعث له بالسلبية فى هذا المجال ، حدد الحزب الكردستانى خطه فى المذكرة التى وجهها الى القيادة القطرية لحزب البعث العربى الاشتراكى فى ٢٨ ــ ١٠ ــ ١٧٩٢ ، بقوله :

« فيما يتعلق بموقفنا السلبى من مسألة الجبهة الوطنية التقدمية والاتفاق على ميثاق العمل الوطنى ، فهو كلام مردود من أساسه لاننا نعتبر موقفكم انتم هو السلبى فى هذا المضمار ، ذلك لانكم تتذكرون جيدا الاتفاق الذى جرى بيننا أكثر من مرة على اصدار مشروع ميثاق العمل الوطنى من قبل حزبينا بصورة مشتركة الا أنكم لم تلتزموا بهذا الاتفاق . وجرى اعداده والاعلان عنه من قبل حزبكم فقط رغم كوننا كنا نفضل اصدار مشروع مسودته من قبل جميع الاحزاب التى يعنيها الامر . ومع ذلك فقد قدمنا لكم مذكرة تضمنت وجهة نظر

حزبنا في مشروع الميثاق الا اننا لم نتسلم منكم جوابا عليها ...» .

والواقع أن العلاقات بين حزبي البعث والكردستاني تتعرض في الوقت الحالي الى أزمة تتجسد في اتهامات متبادلة حول مسئولية كل طرف في عدم تنفيذ بيان ١١ آذار . وقد بادرت جريدة « **الثورة** » المعبرة بلسان حزب البعث والتي يرأس تحريرها « **طارق عزيز** » الى طرح الموضوع كله أمام الشعب للمناقشة العلنية من خلال مجموعةمن المقالات ختمتها بنشر نص مذكرتين متبادلتين بين قيادتي الحزبين . وردت جريدة « **التآخي** » المعبرة بلسان الحزب الكردستاني والتي يرأس تحريرها « **دار توفيق** » عضو **المكتب السياسي للحزب بمجموعة** أخرى من المقالات .

المسئولية والمستقبل

ورغم الصراحة ، الجارحة في بعض الاحيان ، لتبادل الاتهامات ، فان المرء يشعر بتمسكقيادتي الحزبين ببيان ١١ آذار والسير في طريق الحل السلمي الديمقراطي للقضية الكردية في اطار وحدة الشعب والوطن .

ويبدو أن الخلافات الجوهرية بين الطرفين تتركز حول طرق تنفيذ بيان ١١ آذار وضماناتها وحدود الاماكن التي يشملها الحكم الذاتي ، ومفهوم هذا النوع من الحكم الذاتي ، وعلاقته بالسلطة المركزية لدى الطرفين . كما ان البعث يثير من ناحية قضية هامة وهو تعاون بعض قيادات الحزب الكردستاني مع الرجعية الايرانية ضد الحكم الوطني في العراق . كماانالحزب الكردستاني يثير من ناحية اخرى اصرارالبعثبأن العراق في النهاية جزء من الوطن العربي ، ويرى أن عرب العراق وحدهم دون اكراده هم الذين ينتمون للوطن العربي .

وأيا كانت هذه الخلافات ، فالملاحظ هو الحرص العام على عدم الانزلاق الى الصدام المسلح من جديد ، والعمل الدؤوب والصبور على تخطي جميع الصعاب . ويبدى كل طرف استعداده للاعتراف باخطائه من أجل المحافظة على الاخوة العربية ـ الكردية . وتدل على ذلك روح الحوار الديمقراطي الواسع الصدر ، وخاصة من سلطة حاكمة من ناحية ، وحركة قومية متوجسة نتيجة سنوات من القتال والشك الدامي من ناحية أخرى .

والواقع أن المفتاح الرئيسي لحل الخلافات الراهنة يكمن أساسا في تأمين تحالف حقيقي واقعي بين الحزبين ، وفي قيام الحزبالديموقراطي الكردستاني بشل حركة بعض العناصر المنتسبة اليه والتي تتعامل مع الرجعية الايرانية ضد الوطن العراقي ومصالحه الاستراتيجية .

ومعايشة الواقع العراقي ، تشعر المراقب بأن مناخ الجبهة الديمقراطي يزداد تفتحا وعمقا يوما بعد يوم .. واذا كانت مسئولية المحافظة على هذا المناخ هي مسئولية مشتركة لجميع الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في العراق ، الا أن حزب البعث يتحمل ، بوصفه صاحب أكبر ثقل في السلطة ، القسط الاوفى من المسئولية .. ويؤكد صدام حسين طبيعة هذه المسئولية ووعيه بها عندما يقول : ان الجبهة ليست عملا تكتيكيا ، انها بالنسبة الينا قضية استراتيجية ، ويجب علينا قبل غيرنا أن نجسد ذلك بمواقف واعمال موضوعية ونصر على ذلك مهما كانت ردود الفعل من هذا *الجانب أو ذاك سلبية وقتيا* » .

ولقد ساعد على توفير هذا المناخ الجبهوي الديمقراطي اتخاذ البعث بعد استيلائه على السلطة عدة قرارات بناءة منها : اطلاق سراح جميع المساجين والمعتقلين السياسيين من مختلف الاحزاب والاتجاهات وعودتهم الى اعمالهم ،ولم يستثن من ذلك الا ٧٠ معتقلا عسكريا شيوعيا مازال قضيتهم موضع نقاش بين البعث والحزب الشيوعي ، حرية العمل السياسي والفكري والصحافي لجميع القوى والاحزاب ، توسيع قاعدة الحكم باشراك القوى الوطنية التي مازالت بعيدة عن المساهمة في الحكم ، الاكثار من قاعدة تكوين الوفود المشتركة من الاحزاب للمؤتمرات والندوات العالمية الخ ..

ان استمرار هذا المناخ والحوار الديمقراطي الدائر في أجوائه حول جميع القضايا دون عقد أو حساسيات قديمة او حديثة ، من شأنه أن يقود موضوعيا الى بناء الجبهة الوطنية في العراق تنظيميا من حول ميثاق مشترك ، الامر الذي يحقق للشعب العراقي في مجموعه اهدافه في تطوير مجتمعه بالامكانيات الهائلة المتوافرة ، وفي دعم حركة التحرر العربي ضد الامبريالية والصهيونية بقوته المادية والمعنوية والشعبية الموحدة .



[] المسألة الكردية []

المشكلات .. وآفاق الحل

أبو سيف يوسف

تعتبر المسألة الكردية فى العراق احدى القضايا المحورية فى حياة الشعب العراقى، واذا كان من المتعذر فى هذا التحقيق ان نوضح الخلفية التاريخية والسياسية والاجتماعية التى أحاطت بهذه المسألة ، الا أنه يمكن القول ـ بوجه عام ـ أن ميراث السيطرة الامبريالية والاستعمارية والحكم الرجعى فى البلاد العربية ، وفى منطقة الشرق الاوسط بشكل عام ، قد ضاعف من تعقيد هذه المسألة ، وخلف فى نفوس العرب والاكراد معا حساسيات ومرارات كثيرة وان زادت حدتها فى صفوف الشعب الكردى ، باعتباره الاقلية القوميه التى تعرضت لمزيد من القهر من قبل الامبرياليين وعملائهم ، خصوصا فى تلك المرحلة التى تمتد من نهاية الحرب العالمية الاولى حتى ثورة تموز ١٩٥٨ .

وعلى الرغم من أن ثورة ١٤ تموز كانت قد أعلنت العزم ـ فى أيامها الاولى ـ على حل المسألة الكردية ، وضمنت الدستور المؤقت (٢٧ يوليو ١٩٥٨) مادة تنص على أن العرب والاكراد شركاء فى بناء الوطن العراقى ، وان الدستور يضمن الحقوق القومية للاكراد فى اطار الوحدة العراقية ، نقول ، على الرغم من هذا فان انتكاسة هذه الثورة ، سرعان ما أجهضت هذا الاتجاه التقدمى فى حل المسألة الكردية ، حتى أن الفترة التى انقضت من ١٩٦١ ـ ١٩٦٩ كانت ـ بوجه عام ـ فترة اقتتال وحرب أهلية بين العرب والاكراد ، كبدت العراق خسائر فادحة ،واضعفت وحدته الوطنية ،وحدتمن ازدهاره .

وفى ١٧ تموز ١٩٦٨ قام حزب البعث العربى الاشتراكى بالاستيلاء على السلطة واشترك معه فى الحكم انصار عبد الرازق النايف . ولكن هذا الائتلاف لم يدم ، واقصى النايف بعد انتفاضة ٣٠ تموز ١٩٦٨ وانفرد البعث بالسلطة ، وتبع ذلك ان تدهورت العلاقات بين السلطة الجديدة وبين الاكراد ، وعاد الاقتتال مرة اخرى حين اتهمت السلطة الحزب الديموقراطى الكردستانى بالقيام باعمال معادية ترتب عليها تخريب انابيب البترول .

غير أن الصدام توقف منذ النصف الثانى من ١٩٦٩ وبدأت تتبلور فى داخل قيادة حزب البعث فكرة اعادة الحوار مع قيادة الديموقراطى الكردستانى باعتباره القوة الاساسية فى الحركة الوطنية الكردية .

وفى ١٩٧٠ حدث منجانب البعث انعطاف ضخم فى اتجاه تغليب الاسلوب السلمى والديموقراطى فى حل المسألة الكردية ، فبعد حوار طويل بين حزبى البعث والديموقراطى الكردستانى، صدر بيان آذار (مارس) الشهير ليقوم على دعامتين أساسيتين :

الاولى : ضمان الحقوق القومية المشروعة للاكراد .

والثانية : ترسيخ وحدة العراق ، اى وحدة الشعب والوطن والنظام الدستورى ضمن منطق سيادة القانون ومركزية السلطة .

والاهمية التاريخية لبيان آذار ، لا ترجع الى انه ثمرة حوار بين الحزبين فحسب ، ولا ترجع ـ

فقط ـ الى انه يؤكد بقوة على الحقوق القومية للشعب الكردى ، ولكنها ترجع ايضا الى ان حزب البعث فى العراق قد انطلق فى حل المسألة الكردية من منطلقات ديموقراطية تشجب النزعات الشوفينية والاضطهاد القومى الذى أصاب الاكراد ، وتثمن كفاح الاكراد الوطنى القومى التحررى ، وتدين الالام التى تعرض لها هذا الشعب طوال مسيرته التاريخية والوطنية .

وبعد اقرار بيان آذار اتجه الحزب الحاكم ، واتجهت الحركة الكردية والحزب الديموقراطى الكردستانى الى وضعه موضع التنفيذ . غير أنه بعد سنتين ونصف سنة من اعلانه ، عادت العلاقات الى التأزم بين الحزبين • وفى شهر نوفمبر من العام الماضى ، بدأت كل من صحيفة الثورة (حزب البعث) ، وصحيفة التآخى (الكردستانى) تطرحان على الرأى العام العراقى أوجه الخلاف بين الحزبين حول تنفيذ بيان آذار • وكان حزب البعث قد بعث بمذكرة ضافية فى ٢٣ ـ ٩ ـ ١٩٧٢ الى الحزب الديموقراطى الكردستانى ، الذى أجاب عليها برد مطول فى ٢٨ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢ •

وقد عبر الحزبان من خلال المذكرات المتبادلة ـ وشاركهما فى ذلك الحزب الشيوعى العراقى ـ عن القلق العميق من جراء التدهور الذى أصاب العلاقات بين الحزبين الى الدرجة التى تنذر بتعقيدات ربما عرضت الوحدة الوطنية فى العراق لاخطار لا تحمد عقباها .

وجهة نظر حزب البعث

حرصت مذكرة حزب البعث وكذلك سلسلة المقالات المطولة التى نشرتها جريدة « **الثورة** » على ان توضح أن البعث ، وهو الحزب الذى يقود السلطة ، قد نفذ ـ من جانبه ـ عددا ضخما من الانجازات التى نص عليها بيان ١١ آذار • فقد تم تعديل الدستور المؤقت بما يؤكد الوجود القومى للاكراد • وصدرت المراسيم التى تجعل اللغة الكردية لغة رسمية فى المناطق التى تسكنها غالبية من الاكراد • وتم اشراك الاكراد فى الحكم ، وفى الوظائف العامة ، وفى مجالس التخطيط . وسمح للاكراد باصدار الصحف والمجلات باللغة الكردية . واجيزت المنظمات الديموقراطية والثقافية للشعب الكردى (اتحاد العمال ، واتحاد الطلاب ، واتحاد النساء ، واتحاد الكتاب ..الخ • واعيد الى الخدمة العمال والمستخدمون الذين فصلوا اثناء فترة الاقتتال بغض النظر عن الاتهامات التى وجهت اليهم • وخصصت معاشات لعائلات الذين استشهدوا فى ظروف القتال •

واحتسبت فترة الانقطاع عن العمل للمتغيبين • وشرع فى تطبيق قانون الاصلاح الزراعى فى المنطقة الشمالية وتم اعداد خطة اقتصادية قومية تراعى ظروف المنطقة الكردية وما تعرضت له من اضرار وتخريب من جراء الحرب الاهلية • وصرفت مبالغ طائلة كتعويضات ، واقيمت آلاف المساكن للاكراد الذين تهدمت مساكنهم فى فترة القتال ، وتم بناء الكثير من المدارس الابتدائية والثانوية فى المناطق الكردية ، كما تم انشاء جامعة السليمانية ، وعدد من المراكز الصحية • وتحدد مذكرة حزب البعث ، أن مجموع مشروعات التنمية التى وضعت للمنطقة الشمالية ، انما تعنى ، فى التنفيذ ، أن معدلات ما يصيب الفرد الواحد فى تلك المنطقة تفوق المعدل العام للقطر •

وأوضحت مذكرة حزب البعث أن هناك نصوصا قد تضمنها بيان آذار ومع ذلك فانها لم تنفذ بعد . وفى مقدمتها :

١ ـ مساهمة الاكراد فى السلطة التشريعية • وأوضحت المذكرة أن هذه المساهمة متوقفة على قيام المجلس الوطنى (النيابى) ، ولكن المذكرة أضافت انه لكى يقوم مثل هذا المجلس فانه يجب أن يكون مجلسا للوفاق الوطنى ، لا للتناقض السلبى •

٢ ـ تعيين نائب كردى لرئيس الجمهورية ، ويسلم البعث بحق الاكراد فى اختيار من يمثلهم لهذا المنصب • ولكنه يضيف ، أن عدم تنفيذه راجع الى ان الحزب الديموقراطى الكردستانى يتعمد اختيار شخصيات تسبب حرجا للنظام .

٣ ـ تعيين مديرى أمن من الاكراد فى المناطق الشمالية ويوافق البعث على ذلك ، ويرى أن تأخير التنفيذ مرده الى أن العلاقات فى المنطقة الكردية غير مستقرة •

٤ ـ اجراء الاحصاء فى المناطق المختلفة ، حتى يمكن تحديد المنطقة الكردية ، التى يمكن أن يقوم فيها الحكم الذاتى • وقد تأجل هذا ، كما توضح مذكرة حزب البعث بسبب اعلان **الملا مصطفى البارزانى** رئيس الحزب الكردستانى ، بأنه لن يوافق على نتيجة الاحصاء ، اذا كانت تشير الى وجود كثرة عربية فى مناطق الاحصاء وتجنبا لتجدد القتال ، اقترح حزب البعث تأجيل عملية الاحصاء ، ووافق البارزانى •

٥ ـ تطبيق الحكم الذاتى الذى حدد بيان آذار ان يقوم فى مدة اقصاها اربع سنوات • ويرى حزب البعث أن حق القومية الكردية فى الحكم

الذاتي هي مسألة مبدأ واستراتيجية • ولكن المذكرة تضيف الى أن تنفيذ اجراءات الحكم الذاتي تتطلب من الطرف الاخر (الكردستاني) أن ينفذ الالتزامات والتعهدات المطلوبة منه ، والتي تضمنها بيان آذار •

ويرى حزب البعث أن الطرف الاخر لم ينفذ هذه الالتزامات ، بل حدثت منه تعديات وتجاوزات خطيرة تشكل انتهاكا لوحدة العراق وسيادته وأمنه • وعلى سبيل المثال :

١ ــ لا يزال الحزب الديموقراطي الكردستاني يرتبط بروابط قوية مع الرجعية الايرانية • فالاسلحة تتدفق بكميات كبيرة على المنطقة الشمالية من ايران • ويتم تدريب الاكراد ــ في ايران ــ على استخدام الاسلحة الخفيفة والثقيلة • ويلتحق الاكراد العراقيون بالمعاهد العسكرية الايرانية • يضاف الى ذلك تسهيل دخول البضائع المهربة الايرانية والاسرائيلية عبر المنطقة الشمالية •• الخ •

٢ ــ حتى الان ، لم يقم الحزب الكردستاني بتسليم المخافر العراقية الكائنة على الحدود الايرانية الى قوات الجيش النظامي ، كما يتسبب الحزب الكردستاني في وضع العراقيل أمام الجيش العراقي عندما يشرع في القيام بمناوراته في المنطقة الشمالية • ويمنع موظفي الدولة من القيام بواجباتهم ، ويفرض الضرائب على العرب والاكراد . وللحزب الكردستاني سجون خاصة ، وهو يقوم بتوقيع العقوبات على المواطنين ، وبعضها يصل الى حد الاعدام • ويقف كثيرون من اعضاء الحزب الكردستاني ضد تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي ، ويقومون بكثير من عمليات الخطف والقتل والاغتصاب •

٣ ــ موقف قيادة الحزب الديموقراطي الكردستاني من تأميم النفط ، وهو موقف اتسم بالسلبية •

٤ ــ المسلك العام للحزب الديموقراطي المعادية لسلطة البعث ، وتزويدها بالمال والسلاح • واقامة صلات مع البلاد المجاورة ، عربية واجنبية ، للتآمر على الثورة •

٤ ــ المسلك العام للحزب الديموقراطي الكردستاني ليس مسلك حزب مشارك في السلطة ، بل حزب معارض لها (مثال : موقف التحفظ من المعاهدة العراقية السوفيتية) .

٥ ــ عدم تنفيذ ما اتفق على تنفيذه مثل تسليم الاسلحة • وعدم تمكين الوفد النازحين بسبب حوادث الشمال ، من العودة الى ديارهم • وتمكين الاقطاعيين من السيطرة على أراضي ومزارع الفلاحين في بعض المناطق التي يسكنها الاكراد •

وتأسيسا على ما تقدم ، يطالب حزب البعث الحزب الكردستاني بأن يغير من نهجه ويدعوه الى مراجعة مواقفه الخاطئة • ويحدد أن الشروط التي تضمن اقامة علاقات صحية وجديدة بين الحزبين تتطلب جملة من الاجراءات تتعلق في الاساس **باحترام سيادة حكم القانون ومؤسسات الدولة الدستورية والقانونية ، والحفاظ على أمن الدولة وسيادتها بقطع الروابط بالدول والجهات الاجنبية •**

وجهــة نظــر الحــزب الديمقراطي الكردستاني

في الرد على مذكرة حزب البعث أشار الحزب الكردستاني في المقدمة الى انه منذ تأسيسه وهو يسعى الى اقامة الوحدة الوطنية على أساس :

١ ــ الاتحاد الاختياري والمساواة بين القوميتين العربية والكردية في العراق ، ضمن جمهورية عراقية ديموقراطية متحررة •

٢ ــ مساندة الامة العربية في مختلف أقطارها في كفاحها ضد الاستعمار والصهيونية ، ومن أجل تحررها السياسي والاقتصادي ، والتمتع بحقها الطبيعي في تقرير المصير ووحدتها القومية •

وعن بيان آذار يقول الحزب الكردستاني : لقد « **اعتبرناه نصرا تاريخيا لشعبنا الكردي وحركته التحررية الديموقراطية بوجه خاص ، وانتصارا لشعبنا العراقي وقواه الوطنية ، وحزب البعث الاشتراكي على وجه العموم** » • ويضيف :

« انه على أساس التحالف الذي قام بين الحزبين ، فان الشعب الكردي « **يتمتع بالكثير من المكاسب في الجانب الايجابي لهذا التحالف** » •

غير ان جواب الحزب الكردستاني يجادل ان يحمل مسئولية تعطيل عدد كبير من نصوص بيان آذار لحزب البعث بوصفه الحزب القائد للسلطة • فيذكر فيما يذكر :

١ ــ عدم افساح المجال امام الاكراد للمشاركة في الحكم والسلطة التشريعية •

٢ ــ انفراد حزب البعث باتخاذ القرارات

السياسية الخطيرة باسم الشعب العراقى والحكومة ، رغم أن للاكراد أربعة وزراء لا يؤخذ رأيهم ·

٣ ــ اصدار ميثاق العمل الوطنى بعمل منفرد من جانب حزب البعث ، رغم انه قد تم الاتفاق على أن يصدر بأتفاق من جانب كل الاحزاب الوطنية·

٤ ــ ممارسة سياسة التعريب فى كردستان ·

٥ ــ محاولة حزب البعث تقليص حجم ونفوذ الحزب الكردستانى ، وذلك باصرار البعث على أن « الكردستانى » لا يمثل كل الحركة القومية للشعب الكردى ، وبعمله على « خلق » تنظيمات سياسية كردية ليس لها وجود حقيقى ·

٦ ــ عدم معاقبه الاشخاص الذين حاولوا اغتيال البارزانى ، وملاحقة اعضاء الحزب الكردستانى فى الجيش والقوات المسلحة ·

٧ ــ تعليق تمتع الشعب الكردى بحقوقه القومية على بعض الشروط الجديدة التى لم ترد فى اتفاقية آذار : كوجوب ايمان الاكراد بأن العراق جزءمن الوطن العربى ، وان الشعب العراقى بعربه واكراده جزء من الامة العربية ·

٨ ــ عدم اعداد الخطة الاقتصادية بكيفية تؤمن التطور المتكافىء لكل انحاء العراق ، مع مراعاة ظروف التخلف فى المنطقة الكردية ·

ومع ذلك ، فقد تضمن رد الحزب الكردستانى التسليم بان عددا من انجازات بيان آذار قد جرى ولا يزال يجرى تنفيذه بصورة جيدة مثل تطبيق الدراسة باللغة الكردية ، واعادة الطلاب المفصولين ، وبناء المدارس ، وتشكيل اتحاد الادباء الاكراد ، واقامة المجمع العلمى الكردوى ، وصدور الصحف والمجلات باللغة الكردية ، وان كان بعض هذه الانجازات ــ كما تذكر المذكرة ــ لا يزال يشوبه ــ بعض أوجه القصور ·

ولقد ناقشت جريدة « الثورة » فى سلسلة من المقالات الهامة القضايا والافكار الرئيسية التى تضمنها رد الحزب الكردستانى ، وعلقت على بعض مواقفه العملية · وأكدت على المعانى التالية :

١ ــ اذا كان من حق الحزب الديموقراطى الكردستانى ــ وهذا معترف به أن يشارك فى السلطة ، فان من الخطأ أن يتصور أن المشاركة فى السلطة تعنى قسمة السلطة بينه وبين حزب البعث · لانه لما كان حزب البعث هو الذى يقود السلطة ، فان هذا يعنى أن واجباته ومسئولياته قومية تشمل جميع المواطنين عربا وأكرادا ·

٢ ــ تعنى مشاركة الاكراد فى السلطة :

أ ــ المشاركه فى السلطة التشريعيه وفقا لنسبة السكان الاكراد الى سكان البلاد ·

ب ــ المشاركة فى السلطة التنفيذية بنفس النسبة .

جـ ــ المشاركة فى التنظيمات الديموقراطية والاجتماعية ذات الصبغة الوطنية والتمثيلية بنفس النسبة بما يحافظ على الشعب العراقى وحدته ·

وتضيف « الثورة » موضحة ان هذه المبادىء التى يلتزم بها حزب البعث ، اذا كان من الصحيح أن تطبق فى الاجهزة العليا للدولة ، فليس معنى ذلك أن تكون هناك نسب محددة للاكراد فى كل جهاز وفى كل مؤسسة (اذ ليس من الضرورى أن يكون خمس موظفى كل وزارة كبارا وصغارا من الاكراد · وليس من الضرورى أن يطبق هذا فى الجيش . فهناك قوى سياسية واجتماعية اخرى، وهناك عامل الكفاءة والاهلية ·· الخ) .واضافت الثورة انه :

« منذ اعلان آذار ، وحتى اليوم ، اشترك ممثلو الحزب الكردستانى فى السلطة السياسية ، وفى مختلف المناصب المهمة فى الدولة ، واحتل منتسبوه المناصب الادارية الكبيرة والصغيرة فى محافظات السليمانية وأربيل ودهوك ، وفى الاقضية والنواحى الاخرى التى تقطنها أكثرية كردية ، فأصبحوا هم السلطة الادارية فيها » ·

٣ ــ أكدت جريدة الثورة على أنه لا يمكن لاى بلد مستقل فى العالم أن يرضى ويقبل أن تقوم بين أحد أحزابه ، أو فئاته السياسية ، وبين دولة أجنبية علاقات سياسية وعسكرية واقتصادية (مثلا العلاقة مع الرجعية الايرانية) ·

٤ ــ أكدت جريدة الثورة أن قيادة البعث تلتزم بنهج واقعى فى حل المسألة الكردية بدليل أن البعث لم يعترض ــ حتى اليوم ــ « على مظاهر تسلح كثيرة يحتفظ بها الحزب الديموقراطى الكردستانى · اقتناعا من البعث بأن الرواسب السلبية طوال السنوات الماضية لا تزال تثير عوامل الحذر والشكوك قبل السلطة ·

٥ ــ الا أن « الثورة » دعت الحزب الديموقراطى الكردستانى الى أن يقيم علاقاته مع البعث لا على أساس ما يتصور أنه « نيات البعث ومقاصده الخاصة والذاتية » ، بل على أساس

اعماله ومواقفه الموضوعية . وفى هذا أكدت جريدة « الثورة » على أن الحزب الكردستانى مدعو الى أن يقوم الخط العام الذى يسير عليه البعث فى الداخل والخارج . وأشارت الى أهم معالم هذا الخط :

ـ اعلان ميثاق العمل الوطنى وطرحه للمناقشة مع جميع الاحزاب والقوى الوطنية التقدمية .

ـ المعاهدة العراقية السوفيتية .

ـ اشراك التيار القومى والحزب الشيوعى فى الحكم .

ـ توسيع العلاقات مع القوى التقدمية فى الوطن العربى وفى العالم .

ـ تأميم عمليات شركة نفط العراق فى ١٩٧٢/٦/١ .

آفاق حل الازمة الراهنة

واذا كنا قد أشرنا الى أن جميع القوى الوطنية التقدمية فى العراق تنظر بقلق شديد لظاهرة تدهور العلاقة بين حزب البعث العربى الاشتراكى وبين الحزب الديموقراطى الكردستانى، فان هذه القوى ـ مع ذلك ـ ترى أن بعض عناصر حل هذه الازمة قائم بالفعل . أن هذه العناصر تتمثل :

١ ـ فى اعلان كلا الحزبين عن التمسك الحازم بيان آذار ، والنضال من أجل تنفيذه كاملا .

٢ ـ فى اعتراف كلا الحزبين بانه قد وقعت بالفعل منهما اخطاءوتجاوزات ، وفى الاعلان عن استعدادهما لنقد هذه الاخطاء وتصحيحها .

٣ ـ فى المنهج الصحى والديمقراطى المتبع فى مناقشة القضايا الخلافية ،من حيث انها تطرح فى صحافة الحزبين على أوسع قطاعات الرأى العام العراقى ، وتناقش بدون حساسيات الامر الذى يضع المشكلة تحت رقابة الشعب وأحزابه وقواه الوطنية والتقدمية ، بما يسمح للجماهير ولتلك الاحزاب ان تسهم بالرأى ، والجهد الايجابى فى رأب الصدع بين الحزبين .

٤ ـ ان الوضع السياسى الراهن فى العراق يتيح امكانيات اكبر لحل هذه الازمة على اسس سليمة وديمقراطية . وكما لاحظت مجلة «الفكر الجديد » التى يصدرها الحزب الشيوعى العراقى : انه اذا كانت قد نشأت صعوبات حول تنفيذ بيان آذار فأن هذا راجع الى ان البيان

ـ عندما صدر ـ قد طرح فى ظل وضع سياسى كان يتميز بالافتقار الى الحريات الديموقراطية التى تتيح الفرصة امام جماهير الشعب والقوى الوطنية ان تمارس حقها الطبيعى فى تطبيق بنود البيان تطبيقا خلاقا . واضافت المجلة أن من أسباب الازمة ايضا ان بيان آذار جاء عبر مفاوضات ثنائية بين الحزبين ، وفى غياب ائتلاف وطنى استبعد دور الاحزاب الوطنية والتقدمية الاخرى .

٥ ـ وأخيرا فلابد من التأكيد على أن المنطلقات الفكرية التقدمية لقيادة البعث الحالية ، والاسلوب الذى يتبعه فى سبيل تسوية الازمة ، كل هذا يشكل ضمانة هامة وفعالة تفتح الطريق امام تسوية الازمة ، وامام حل سلمى وديموقراطى للمسألة الكردية . ان هذا كله يتضح من الافكار الايجابية التى ما برحت قيادة البعث تؤكدها فى صحافتها وفى عدد من مواقفها العملية :

ـ فمن ناحية ينطلق البعث من هذه الفكرة : وهى أن « **على الحزب الذى يقود السلطة أن يركن دائما الى الصبر والحكمة والنفس الطويل** » .

ـ ومن ناحية اخرى ، تصر قيادة البعث على انها فى حوارها الذى تطرحه على الجماهير تحرص على عدم الوقوع فى الاستفزاز والصدام الكروستانى . فى مقدمتها :

ـ ومن ناحية ثالثة ، تضع صحافة حزب البعث لنفسها ضوابط فى ادارة الحوار مع الحزب الكردستانى . فى مقدمتها : « الايمان المطلق

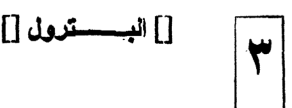
١ ـ « الايمان المطلق بالحقوق المشروعة للشعب الكردى فى اطار الجمهورية العراقية ، والاخوة العربية الكردية » .

٢ ـ الايمان المطلق ببيان آذار نصا وروحاء والتمسك به مهما كانت الظروف والاحوال .

٣ ـ الحرص الشديد على قيام اقصى درجات التفهم والتعاون بين حزب البعث العربى الاشتراكى والحزب الديمقراطى الكردستانى ، سواء فى اطار العلاقات الثنائية ، او فى اطار العمل الجبهوى المشترك الذى دعا اليه وحدد اسسه ميثاق العمل الوطنى .

وأخيرا ، فلقد يحسن بنا أن نتوقف قليلا عند هذه العبارة الاخيرة « **أطار العمل الجمهورى المشترك** » . وهذه فى اعتقادنا الحلقة الرئيسية ، فى الوضع الراهن الان ، فى حل الازمة القائمة بين

الحزبين الشقيقين • فان الاسراع بتحقيق صيغة متكاملة للجبهة الوطنية ، ودعوة جميع اطرافها ، وتعاون واشراك هذه الاطراف فى معالجة اهم قضايا الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى العراق ، كل هذا يشكل النهج الثورى السليم لحماية ودعم الحكم الوطنى التقدمى فى العراق ، ولاحباط كافة مخططات القوى الامبريالية والرجعية التى تضاعف عملها المحموم — هذه الايام — لضرب وحدة الشعب العراقى الشقيق ، والانتكاس بمكتسباته الثورية .



التأميم .. طلقة أم زناد؟

د. محمد أحمد عجلان

● تجاهد كل الشعوب التى استحوذ الإستعمار على ثروتها القومية ممثلة فى البترول فى الخلاص من ذلك النهب والاستغلال الفظيع لها ، والسيطرة على مقدراتها وتوجيهها لصالحها الوطنى بدلا من صالح الشركات الامبريالية ، ومن ورائها حكوماتها .

بدأت المكسيك بتأميم بترولها منذ ١٩٣٧ . ومضى وقت طويل حتى حاول مصدق فى ايران ان يحذو حذوها فى ١٩٥١ ولكن استطاعت الامبريالية ان تحرك انقلابا داخليا ضده أطاح به وعادت حقول ايران الى ذات النهب القديم واكثر .

ولكن تزايد التحرك الثورى لدى الشعوب المستغلة دفع بالاتجاه الى السيطرة على البترول بمعدلات أسرع وشمل العديد من الدول ، فمصر أممت بترولها منذ ١٩٦١ وتبعتها سوريا لتتبنى شعار البترول السورى فى جميع مراحله بأيد سورية ثم جاء دور الجزائر فى أول السبعينات لتفرض سيطرتها كاملة على ما يقرب من ٨٠ فى المائة من ثروتها ، وتبعتها ليبيا بتأميم البريتيش بتروليم فى ١٩٧١ .

وكان الدور على العراق لتؤمم قدرا من بترولها يصل الى ثلثه فى أول يونيو ١٩٧٢ ، ولكن للعراق قصة قد تختلف عن الدول التى سبقتها بحسن أن نأتيها من البداية .

تاريخيا : كانت العراق أول دولة عربية يظهر البترول فى أراضيها وتعرضت منذ أواخر القرن الماضى الى سباق اشتركت فيه كل شركات البترول العالمية مستغلة ضعف الخلافة العثمانية التى كانت تحكم العراق فى ذلك الوقت . وظل السباق دائرا حتى استقر امره فى اتفاق الاحتكارات الكبرى امريكية وهولندية وانجليزية وفرنسية على اقتسام الغنيمة العراقية بصورة متساوية بينها فى ١٩٢٨ . وبدأ بناء امبراطورية بترولية تعتمد على البترول العراقى تتمثل فى معامل للتكرير بالعراق وان بطاقة ضئيلة وخطوط للانابيب الى معمل للتكرير أكبر فى حيفا والى موانىء البحر الابيض لسهولة وسرعة توصيله الى أوربا وناقلات من موانىء الجنوب تنقل بترول العراق الى الشرق الاقصى .

وبدأت فى الثلاثينيات بشائر البترول فى مناطق جديدة فى الخليج العربى فى كل من البحرين والسعودية . ولكن ظلت تلك الدول العربية الثلاث بالاضافة الى ايران وهى مصدر كل بترول الخليج حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

ولان تاريخ العراق تميز منذ الحرب العالمية الاولى باستمرار الثورات الوطنية والانتفاضات الشعبية سعيا الى الخلاص من السيطرة الاستعمارية فقد تميزت سياسة الشركات فيه

بالضغط أكثر من أي منطقة بترولية عربية أخرى ، وتوالت الامثلة على ذلك عديدة • فرغم ان امتياز بترول العراق (عام ١٩٢٥) ينص على حق الحكومة العراقية والعراقيين فى المساهمة فى رأس المال بنسبه ٢٠ فى المائة الا أن الشركات لم تطرح طوال تاريخها اى اسهم للاكتتاب ، وتخلصت من هذا الشرط بمختلف وسائل المناورة حتى ظل حبرا على ورق وطواه النسيان فى زوايا التاريخ • ودابت الشركات على خفض سعر بترول العراق بالذات الى مستوى اقل من مثيله من مصادر اخرى وذلك رغم ما يتميز به من نوعية خاصة صالحة . وبدلا من زيادة طاقة التكرير به دفعا للنهضة الصناعية أوقف على العكس أى تحسين أو تعديل فى الطاقة القائمة بينما تكاتفت على زيادة طاقة معمل تكرير حيفا مثلا الى بضعة أضعاف • وحين ارادت الحكومات العراقية انشاء مجلس للاعمار للنهوض بالبلاد اعتمادا على ايرادات البترول ضغطت الشركات الاستعمارية حتى كان لهما التمثيل فى داخل هذا المجلس بعضوين كان لهما حق الفيتو على اى استثمار يراه المجلس ولا تقبله الشركات • وطبيعى ان يكون موقفهما عندئذ الا ينفق العائد للحكومة العراقية الا فيما يعود على عمل الشركات بالنفع وكأن ليس للشعب العراقى حق فى هذا العائد • وفوق هذا كله فقد اوقفت الشركات اى بحث او تنقيب عن البترول فى العراق بالذات رغم توسعها الضخم فى مختلف البلاد المجاورة الاخرى ، ووصلت نسبة الاراضى التى تحبسها الشركات عن الاستغلال رغم الشواهد العديدة على توفر البترول بها الى ٩٩٫٥ فى المائة من المساحة التى استولت عليها حسب الامتياز القديم •

واندلعت ثورة يوليو ١٩٥٨ ، وأطاحت بالرجعية المحلية المتعاونة مع الاستعمار ، وأقامت حكما وطنيا كان لابد أن يتجه الى استخلاص الثروة القومية من براثن الاستغلال وسارت المفاوضات بين الحكم الجديد والشركات ثلاث سنوات من أجل وضع الامور أوضاعا جديدة • وكان رد الشركات أن خفضت أسعار البترول فى العالم أجمع الامر الذى دفع بالعراق فى اتجاهين كلاهما لا يمكن الا أن نصفه بأنه اتجاه ثورى • بادرت العراق على الصعيد العالمى بالدعوة الى اجتماع الدول المصدرة للبترول لتتخذ موقفا موحدا ازاء الشركات فى أمر الأسعار ، نتج عنه انشاء منظمة الاوبك ، وفى الصعيد الداخلى استعادت بالقانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ كل الاراضى التى شملتها امتيازات الشركات ولم تقم بالبحث عن أو الاستغلال للبترول الموجود بها • وكانت ضربتان موجعتان للشركات خاصة وقد مارست منظمة الاوبك نشاطا واسعا فى شأن الاسعار وتنسيق الموقف بين الدول المصدرة نتج عنه نجاحها فى تحقيق الكثير من المكاسب •

ونظرا للطبيعة المترددة للحكم البرجوازى الذى تعاقب على العراق بعد ذلك الوقت ، ونظرا لعدم الاستقرار السياسى فقد انتهزت الشركات الفرصة للالتفاف حول القانون السابق وافراغه من محتواه بمنع العراق من ممارسة البحث والتنقيب فى المناطق « المحررة » وبناء سياسته البترولية الخاصة ، الا أن الضغط الشعبى من جهة ، **ونجاح ثورة يوليو ١٩٦٨** أتاح للعراق السير بخطوات جريئة فى كسر الاحتكار الذى تفرضه أضخم شركات البترول العالمية عليه وتتابعت خطواته على درب الخروج من أسرها •

تعاقد العراق مع شركة ألف ايراب الفرنسية ومع شركة بتروبراس البرازيلية على اتفاقيات مقاولة وصفها أحد الخبراء العرب فى العقود البترولية بقوله : « **يعد عقد المقاولة من أفضل أنماط استغلال الثروات النفطية مناسبة للبلاد العربية** ، .. كما نفذ تغييرا جذريا فى طابع العلاقات بين الدول المنتجة والشركات البترولية الاجنبية ، وقد أتاح أسلوبا لاستغلال الثروة النفطية فى اطار يحقق مصلحة الجانب الوطنى » (١) ونجح فى استثمار الكبريت مع بولندا • وقام بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى باستثمار حقل شمال الرميله ، وبدأ الانتاج منه فى ابريل ١٩٧٢ بمعدل خمسة ملايين طن سنويا سوف تزيد الى اربعين ، كما تعاقد مع تشيكوسلوفاكيا على انشاء معمل جديد حديث وكبير لتكرير البترول .

أما فى الجانب السياسى فقد انتهج العراق سياسة ذات شعب ثلاث : استفاد من خبرة السنين الطويلة الماضية بأن التمزق الداخلى لا يخدم الا الدوائر الرجعية المحلية والاستعمار ومن ثم تبنى صيغة الجبهة الوطنية من أحزابه الرئيسية بميثاق وطنى يمثل ما تتفق عليه جميعها ، وتصدى لحل المشكلة الكردية بصورة ديمقراطية تحفظ حق هذه الاقلية القومية ولا تمزق الوطنى كذلك • وفى المجال العربى تبنى سياسة الانفتاح على النظم

---

(١) أحمد عشوش ـ عقد مقاولة العراق نمط جديد بالتكرار . مجلة البترول المجلد التاسع ـ العدد الرابع ـ اكتوبر ٧٢

القومية العربية ساعيا في اخلاص الى التعاون والتنسيق ـ بل حتى الوحدة ـ معها • وفي المجال الخارجي عقد معاهدة صداقة وتحالف مع الاتحاد السوفيتي . واتسعت علاقاته الاقتصادية والثقافية مع دول المنظومة الاشتراكية •

وكانت تلك التطورات سواء في المجال البترولي أو السياسي مما لا يمكن أن يسكت عليه الاستعمار او يقبله،وبدأ على الفور التحدى الاستعماري متمثلا في احداث اكبر ضغط اقتصادي على العراق في محاوله لاسقاط النظام الحاكم عن طريق التآكل الداخلي وزرع المشاكل في طريقه • فالمعروف أن نصف قيمة ما ينتج من العراق يأتي من انتاج النفط كما تبلغ نسبة الموارد المتأتية عن انتاج النفط وتصديره حوالي ٢٧ في المائة من اجمالي الدخل القومي . وبلغت نســـبة مساهمة عوائد النفط المقررة في تمويل الميزانية العامة ١ر٥٣ في المائة للسنة المالية ٧١ـ٧٢ ، ٦ر٥١ في المائة للسنة المالية ٧٢/٧٣ • وهي تؤلف ٩ر٨٩ في المائة من الايرادات المقررة لخطة التنمية القومية ٧٠ـ٧٤ ، بينما تبلغ مساهمتها في ايرادات الخطة المذكورة ٩٤ في المائة اذا استثنينا القروض والمنح الاجنبية» (٢)

لجأت الشركات في محاولتها لتحطيم هـــذه الاتجاهات الوطنية الى خفض الاســتثمارات السنوية في العراق الى مستويات لا يمكن أن يتصورها العقل بعد أن كانت قد رفعتها خلال الثلاث سنوات الاولى بعد ثورة ٥٨ كمحاولة فيما يبدو لايقاف اي اتجاه ثوري ضدها . ويكشف الجدول التالي النسبة بين الاستثمارات والارباح خلال السنوات ١٩٥٧ الى ١٩٦٩ (٣) •

السنة	الاستثمارات ٪ الى الارباح الـكلية	 الى الارباح بعد دفع حصة الحكومة
٥٧	٣ر٤	—
٥٨	٣ر٣	٦ر٦
٥٩	٢ر٨	١٦ر٣
٦٠	١١ر٥	٢٢ر٩
٦١	١١ر٢	٢٢ر٥
٦٢	٢ر٣	٤ر٧
٦٤	٠ر١٩	٠ر٢٨
٦٦	٠ر٢	٠ر٤
٦٨	٠ر٢١	٠ر٤٢
٦٩	٠ر١٦	٠ر٣١

والواضح أن نسبة الاستثمارات هذه لا تغطي حتى الاحتياجات الضرورية لعمليات الاحلال لما يستهلك من معدات وآلات في الاصول الثابتة الموجودة ذاتها ضمانا لحسن سيرها . أي أنها لا تكفي حتى لمجرد المحافظة على رأس المال سليما في هذا القطاع الهام من حياة البلاد . ذلك رغم أن الارباح وصلت في نسبتها الى الاستثمارات الى قيمة الصاروخية ١٠٠ في المائة . وبهذا السبب ومع الزيادة العالمية المطلوبة في انتاج البترول كان يعني انقاص الاستثمارات ان تظل طاقة النقل وهي المنفذ للانتاج عند مستوياتها السابقة والتي لا تتجاوز حوالي ٩٠ مليون طن ، منها ٥٦ مليونا في المنطقة الشمالية ، ٣٤ مليونا في المنطقة الجنوبية ، مما يعني اتجاه شركات البترول هذه الى الحد من التصدير . وتوقفت الشركات عن توسيع ميناء خور العمية (٤) بحيث يمكنه استقبال الناقلات حمولة اكثر من ١٢٠ الف طن باستثمارات لا تتجاوز ستة ملايين دينار ونصف بحيث يكون الميناء قادرا على استقبال بواخر ضخمة حمولة ٣٢٠ الف طن . وذلك ما دفع الى الاقلال من انتاج بترول الجنوب وزيادة تكاليف النقل الامر الذي يعني اضرارا بالعراق تفوق بمراحل أي استثمار كان يلزم لتوسيع هذا الميناء .

وتمشيا مع سياسة الضغط المستمر على العراق اتخذت الشركات سياسة زيادة معدلات الانتاج في كل البلاد المجاورة بنسب وصلت الى ثلاثة اضعاف الزيادة في العراق . واعقبت ذلك بخفض الانتاج بنسبة ١٤ في المائة في عام ١٩٧١ بينما رفعته في السعودية بطريقة غير طبيعية بنسبة ٢٥ في المائة ووضعت موضع التنفيذ اتفاقية شركة أرامكو مع السعودية لرفع استخراج النفط الى ثلاثة أمثاله خلال ثلاث سنوات . كما زادت الاحتكارات من انتاج أندونيسيا بنسبة ٢٤ في المائة في النصف الاول من العام الحالي (٥) •

وكان ذلك كله تحضيرا لما قدرت الشركات أن يكون الضربة القاضية لكل سياسات المروق على ما تريده ، اذ قامت في الفترة الاخيرة من عمرها الاستغلالي الطويل بخفض الانتاج في المنطقـة

---

(٢) عزيز سباهي ـ عوامل النجاح في تجربة التأميم العراقية ـ ندوة النفط بغداد ١١ ـ ١٤ نوفمبر ٧٢
(٣) د • جواد هاشم ـ تطور هيكل الاستثمارات الثابتة في شركات النفط الاجنبية ـ مؤتمر البترول العربي الثامن
(٤) سيف الدين الحديثي ـ لماذا أمم العراق بتروله ـ مجـلة البترول اكتوبر ٧٢
(٥) د• ر• أندرسان ـ دروس وآثار تأميم نفط العراق ـ ندوة النفط بغداد ١١ ـ ١٤/١١/٧٢

الشمالية من معدل الـ ٥٧ مليون طن ـ وهى الطاقة التى تسمح بها انابيب نقل البترول التى حرصت على عدم زيادتها ـ الى ٣٠ مليون طن فقط مما يوقع بالعراق خسارة تصل الى ١٢٠ مليون جنيه استرليني ، مبررة ذلك بعدد من المعاذير الواهية التى ابتت المفاوضات فيما بعد أنها اوهى من خيط العنكبوت . وكان رد حكومة العرق على هذا الاجراء التعسفى أن خيرت الشركة بين أمور ثلاث :

١ ـ أن تقوم الشركة بانتاج الحد الاقصى للانابيب وهو ٥٧ مليون طن ، واستلام ٣٠ مليون طن التى تدعى انهـا هى الكمية القادرة على تسويقها ، ويستلم العراق الكمية الباقية مع دفع تكاليف الانتاج والنقل ليتصرف فيها بمعرفته .

٢ ـ أن تقوم الشركة بانتاج ٣٠ مليون طن على أن يقوم العراق باستغلال الطاقة الفائضة فى الانابيب حيث له ٥٥ فى المائة من تكلفتها ، وبذلك يضمن تخفيض تكاليف الانتاج .

٣ ـ تسليم الحقول الى الحكومة والتعويض عن نسبة الزيادة فى حقول الشمال بزيادة الانتاج فى حقول الجنوب .

وكانت كلها حلول منطقية تبطل حجـج الشركات . ومع رفضها لكل هذا ومماطلتها ظهر واضحا أن قرارها بتخفيض الانتاج كان قرارا سياسيا بهدف الضغط على العراق فحسب .

ويزيد موقف الشركات الاستعمارية افتضاحا الاقتراح الذى قدمته بقبول زيادة الانتاج ووضع منهج ثابت للزيادة حتى عام ١٩٧٧ وغيرها من مطالب الحكومة ، ولكن بشرط تعويض الشركة عن استعادة الاراضى التى لم تستثمرها حسب القانون ٨٠ لسنة ١٩٦١ يساوى ٧ فى المائة من انتاج هذه المناطق ، اذ تم الانتاج منها ،الامر الذى لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه « بلطجة بترولية » اذ تدعى ملكية البترول فى أراضى لا تملكها وانتاج لا تقوم به ولا تشترك فيه تتقاضى هذه النسبة المطلوبة . بل وتضيف الى ذلك مطلب آخر لا يقل وقاحة عنه بأن تشترى ٤٠٠٠ مليون برميل من زيت شمال الرميلة ـ الذى أنتجه العراق بالتعاون مع الاتحـاد السوفيتى ولا دخل للشركة فيه ـ بسعر بخس قدره ٦٥ر١ دولارا للبرميل .

ولم يكن لهذا أمام العراق الا أن يؤمم ثروته وأن يخلصها من يد الاستعمار ، وأية خطوة أقل من ذلك كان لا يمكن أن تكون الا تفريطا فى السيادة الوطنية وحق الشعب المنهوب .

مـاذا بعـد التأميم ؟

انه لا يمكن اعتبار التأميم بداية لمعركة بين العراق والشركات الاحتكاريه الكبرى . فالمعركه ـ كما أوضحنا فيما سبق ـ مستعرة منذ ظهور البترول على أرضه . ولكن التأميم فيما نرجو يمثل بدايه النهايه لمعركة طال مداها . فالشركات لا يمكن أن تسكت على قرار كهذا يعتبر مثالا يهدد كل كيانها الامبريالى ، كما أن العراق لا يمكن ـ ولا يجوز ـ أن يفرط فى حق اكتسبه بعد طـول المعاناة . ولكن يتوقف الكثير عند هذه الجولة الاخيرة ، التى نهيب بكل مواطن عربى أن يدرس ابعادها وأن يحدد موقفا ايجابيا منها ، اذ المعركة لا تقف عند حدود العراق أو صورة نزاع بين شركة وحكومة ، بل تتعدى ذلك الى انعكاساتها على حركة الثورة العربية كلها ، وعلى الصدام العربى الصهيونى . وعلى آمال الشعوب العربية فـى الحياة التى يمكن أن تتيحها لها ثـرواتها . وستكون المعركة شاقة ولكنها يمكن ـ ولابد ـ أن تنتهى الى نصر مؤزر .

من جانب العراق كان التأميم وسيظل مقياسا لمدى السياسة الثابتة فى معاداة الامبـريالية، واستخدام الثروة الوطنية لبناء قاعدة صناعية واقتصادية قوية هى الاساس الفعلى لكل مـا نتصدى له فى بلادنا العربية من تحديات .

وانه لمما يسعد كل ثورى أن يجد العديد من الظواهر والممارسات التى تشير الى ذلك الاتجاه .

فعلى الصعيد السياسى الداخلى ، يجرى العمل قدما فى سبيل تدعيم الجبهة الوطنية ، وتتجه الامور الى أن تشمل كل القوى الوطنية خـارج الاحزاب الثلاثة الرئيسية حتى تفوت الفرصة على الاستعمار فى استغلال أى نزاع داخلى للنفاذ منه . وبفضل ثورية قيادة السلطة وتعـاون الاحزاب الثلاثة اتخذ العراق قرارا منذ التأميم بمنع الاستيراد تماما من الخارج الا فيما يتصل بعمليات البناء والتصنيع ، وجندت الاحزاب كل كوادرها لاقناع الجماهير وكسب تأييدها الى أنه ان كان علينا أن نقبل نقصا مؤقتا فى بعض الكماليات فانما ذلك من أجل مستقبل مشرق لكل الاجيال ، وانه اذا كانت تلك الجماهير قد قبلت النقص مرغمة فى أوقات ضـغوط الشركات الاحتكارية فان عليها أن تقبله طواعية واختيارا فى أوقات النضال ضدها حتى يتحقق النصر عليها . ولا يمكن لمراقب الا أن يشعر بشمول هذه القناعات وعدم وجود أى مظاهر للضيق أو الضجر منها . بل وتعدى الامر ذلك الى أن تمسك الجماهير ذاتها

بزمام المبادرة فى عملية البناء والتعمير فيتسع العمل الشعبى القائم على اندفاع الجماهير وتطوعها دون لقاء أو أجر للقيام بعديد من المشروعات الانتاجية والاسكان وتحسين مستوى الخدمات واصلاح الاراضى وغيرها بصورة يتحقق معها ألا يكون التأميم نهاية لنزاع مع الشركات الاحتكارية فحسب ، بل بداية لعملية ثورية واسعة فى الداخل .

ويرتبط بعملية الثورة فى الداخل أن يوجه البترول لخدمة بناء الاقتصاد الوطنى ، فمما يؤسف له أن جميع البلدان المصدرة للبترول فى الوطن العربى لا تعطى هذه الحقيقة قيمتها الواجبة • فالبترول مهما عظمت مصادره ومخزونه الا أنه ثروة لها نهاية فى يوم من الايام يجب أن تستغل ليقوم مقامها ما يحفظ للبلد امكانياته ويبنى اقتصادا ناضجا يتيح للحياة الاستمرار ، خاصة فى تلك البلاد التى لا تمتلك حتى الان غيره . وحقيقة أن هذا النمط من الاستثمار فى معظم البلاد النامية يصطدم بالعقبات التقليدية وهى شحة رؤوس الاموال وندرة الخبرات الفنيه . ولكن العراق استطاع أن يتغلب على هده العقبات عن طريق الاستعانة بالدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى لمده بالقروض والخبرات الفنية اللازمة حيث عقد اتفاقيتين يلتزم الاتحاد السوفيتى فى الاولى بتقديم قروض قيمتها ٧٢ مليون دولار لتجهيز شركة النفط الوطنية بالمعدات والالات وتقديم المساعدة الفنية فى تشغيل عشرة حفارات مع مجموعة كاملة لخمس فرق جيولوجية وجيوفيزيائية . كما قدم فى الاتفاقيه الثانية ٦٠ مليون روبل لتطوير الصناعة النفطية وتهيئة وتشغيل حقل شمالى الرميلة . وتقدمت المجر كذلك باتفاقية لشراء المعدات اللازمة لتطوير الصناعة الانتاجية النفطية وتنمية حقول جمبور . وتعاقدت مع شركة كوفى الاسبانية لتجهيز العراق بمعمل لصنع الانابيب وأسلاك الصلب اللازمة . تلك أمثله فحسب على امتداد النشاط نحو بناء القدرة الذاتية ، يمكن أن نضيف اليها فيما يتعلق بالبترول انشاء ميناء عميق فى المياه الاقليمية بالخليج العربى ليمكنه استقبال الناقلات العملاقة ، وانشاء خط أنابيب جديدة من حقل شمالى الرميلة الى شاطىء البحر الابيض المتوسط ، كما تدخل العراق مجال نقل البترول بمجموعة أولى من ست ناقلات بالاتفاق مع أسبانيا . وانه مما تجدر ملاحظته ادخال البترول الخام كسلعة مقايضة فى أغلب الاتفاقيات التى تعقدها الحكومة مع الجهات الاجنبية فى مقابل القروض والمعدات والخبراء ، ومن ثم يتحول البترول بصورة مباشرة الى سلاح فعلى فى التنمية الداخلية الاقتصادية للبلاد .

هذا وقد اتجه العراق فى خطته الاقتصادية الى اقامة الصناعات الانتاجية ادراكا لاهميتها لنمو الصناعات الاستهلاكية وتحقيقا لتوازن نمو القطاع الصناعى . وكان من نتيجة ذلك نمو صناعات مواد البناء والانشاء والاسمنت ومنتجات البلاستيك والمطاط وبعض الصناعات الكيماوية وصناعة الجرارات والالات الزراعية وصناعة العدد والادوات الكهربائية وبعض الصناعات التجميعية الاخرى .

وحتى يتحقق كسر حلقة الاحتكارات البترولية وهو اتجاه أساسى فى نضال الشعوب المصدرة للبترول • ووسيلة أساسية لهزيمتها يجب السعى الى تحقيق الصلة المباشرة بين المنتج والمستهلك عن طريقين : الاول مع شعوب الغرب التى ارتفع سخطها ضد الاحتكارات البترولية الكبرى اذ جعلتها تتحمل كل النفقات التى نجمت عن رفع الاسعار المعلنة للبترول بينما ارتفعت أرباح الشركات السبع الكبرى فى نفس عام رفع أسعار الخام عن غيرها من السنوات . والثانى مع شعوب العالم الثالث التى تقع هى الاخرى تحت الاستغلال الاستعمارى حين يورد لها البترول وحين تشترى منها منتجاتها •

وفى هذا الصدد استطاع العراق بعدم تأميم النصيب الفرنسى فى الشركة المؤممة أن يصل الى تعهد شركة البترول الفرنسية بأن تأخذ نصيبها من النفط العراقى بنفس الشروط السابقة على التأميم ، وبالتالى يحصل العراق على سوق ضخمة ومستمرة بينما تحصل فرنسا على مصدر كبير ودائم من النفط الرخيص نسبيا . وتعاقدت مع مؤسسة « اينى » الايطالية - وهى احدى المؤسسات العالمية العاملة فى البترول خارج احتكار الشركات السبع الكبرى - على مقايضة كل ما يقدم من آلات ومعدات لصناعة النفط العراقية بالبترول الخام من انتاجها .

أما بالنسبة للعالم الثالث ، والتى سيصل استهلاكها فى عام ١٩٨٠ الى ما يعادل استهلاك أوروبا الان والتى من بينها دول استطاعت أن تقطع شوطا فى تحقيق انتاج بالمستوى العالمى من مختلف المنتجات بحيث يمكن أن يتحقق بالتكامل فيما بينها سوق للتبادل يخرج بها من دائرة النفوذ الاقتصادى الاستعمارى ، فان العراق يبذل الجهد لايجاد العلاقة المباشرة بينه وبين مختلف الدول النامية فى مقايضة للبترول انتاجه بالمصنوعات أو المنتجات اللازمة له من هذه البلدان . وقد تحقق أن تصدر اول شحنة من البترول المستثمر وطنيا الى البرازيل ، كما تجرى مفاوضات دورية مع كل

من الهند ، وسيرلانكا (سيلان) لقيام معامل للتكرير للبترول بتلك البلاد تعتمد على البترول العراقى الذى يبادل عندئذ بمنتجات منها .

ومن جانب الشركات والاستعمار لا يسع المرء الا أن يتذكر أنه عقب ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ فى العراق نزلت القوات البريطانية فى الاردن والامريكية فى لبنان بهدف واضح كان مواصلة الزحف حتى العراق لو جرؤت الحكومة الثورية الجديدة على اتخاذ اجراءات ضد شركة نفط العراق .

وكانت تلك البلطجة الاستعمارية هى التى تقف وراء حديث هريج رئيس وفد الشركات المفاوض لرئيس الوزراء العراقى فى مفاوضات ١٩٦٠ حين قال ساخرا أمموا النفط ان شئتم » .

ولكن الظروف قد تغيرت ، والارض العربية ـ وعلى الاخص منذ ١٩٦٧ ـ حبلى بالثورة ، ولم يعد ممكنا التجاسر على اللجوء الى الاجراءات السافرة . ولذلك فانه عندما دعا أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى من المحافظين فور تأميم « شركة نفط العراق » الى ارسال « زورق مسلح » لم يستجب أحد الى دعوته . والاكثر من ذلك أن دول الغرب تخشى من تأزيم الموقف ، وتخلت على الفور عن توجيه التهديدات شديدة الوقاحة الى العراق . لقد حدث أن هددت بعض الدوائر الامبريالية بممارسة قرصنة عصرية تتمثل فى مصادرة الناقلات التى تحمل بترول العراق ، ولكنها سرعان ما عادت عن هذا الانذار .

ولا يعنى ذلك أن الشركات أو أن الاستعمار يسلم ، بل انه يختار أسلحته وفقا للظروف ، ولذلك فانه وان لم يلجأ الى الاحتكاك المباشر فان جعبته مليئة يختار منها الكثير .

فى شأن التعويض وحيث عرض العراق أن يكون ذلك على أساس المبادىء التى وضعتها الدول الاعضاء فى منظمة الاوبك بأن يكون التعويض على اساس القيمة الدفترية لممتلكات الشركة المؤممة اذ يصل المبلغ عندئذ الى ١٠٤ مليون دولار ، نصر الاحتكارات على أن يكون التعويض على أساس قيمة النفط الموجود فى آبار منطقة الامتياز والذى يمكن استخراجه على مدى فترة الامتياز طبقا للاسعار الحالية ، وهو ما يعنى أن يصل المبلغ الى آلاف الملايين من الدولارات فضلا عن مغزاه فى أن الشركة قد صارت هى المالكة للنفط الذى لم يستخرج بعد من الابار أى انها صاحبة الثروة وليس شعب العراق .

وفى محاولة لاغلاق الاسواق أمام بترول العراق عملت الشركات ـ وهى التى تتحكم فى كل بترول الخليج ـ الى رفع الانتاج فى كل من ايران والسعودية حتى يوجد الفائض الذى يعوض كميات البترول العراقى ويزيد . ومن المعروف أن ايران قد رفعت انتاجها على الفور بمقدار ٢٠ فى المائة ، كما ارتفع انتاج أندونيسيا بنفس القدر تقريبا . وتذيع شركة الاذاعة البريطانية مهللة فى ٢٧ـ١١ـ٧٢ بيانا لمؤسسة النفط السعودية أن البلاد قد رفعت انتاجها خلال عام ٧٢ بمقدار ٢٦ فى المائة لتصبح ثالث دولة فى انتاج النفط فى العالم بعد الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وأنها بهذا صارت تنتج ١٠ فى المائة من اجمالى انتاج النفط العالمى .

ولان الشركات تسيطر بالفعل على معظم معامل التكرير فى العالم كما تتحكم فى نصف قدرات النقل البحرى على الاقل فانها من هذا الموقع تمارس أقصى الضغوط على كل البلاد المستهلكة حتى لا تشترى بترول العراق .

والحقيقة التى لا يجوز انكارها هنا أن موقف دول المنظمة الاشتراكية كان من التأييد بحيث عرضت على الفور شراء كميات كبيرة من البترول العراقى رغم أنها تعتبر فى مجملها مصدرة للبترول الى السوق العالمى .

وفى شأن المشاركة فى رؤوس أموال الشركات المنتجة للبترول ورغم أن ذلك مطلب رفعته الدول المصدرة للبترول منذ ١٩٦٨ وظلت الشركات تسوف وتماطل تارة وترفض تارة أخرى . ولكنها فجأة وبعد تأميم العراق للبترول توافق على المبدأ وتسير المفاوضات حثيثة حتى تصل الى نهاية باعلان الاتفاق على تطبيق مبدأ المشاركة لدول الخليج ـ ومن بينها العراق طبعا ـ بنسبة مزيلة تبدأ من ٢٠ فى المائة من رأسمال الشركات لتصل بعد عشر سنوات الى ٥٠ فى المائة وعلى أساس أربع أمثال القيمة الدفترية الفعلية لاصول الشركات . وعلى الفور تعلن الدول الاربع بمنطقة الخليج موافقتها على الاتفاق الذى صاحبته حملة اعلامية ضخمة عن مزاياه وفضائله وكيف أنه أفضل من التأميم .

ولعل العراق بالذات ، وقد تضمن الامتياز الممنوح للشركات منذ حوالى خمسين عاما حق المشاركة للعراقيين الذى لم يتح له أن يرى النور طوالها قادر على رؤية المناورة الخطرة التى تشارك فيها مع الاسف حكومات عربية للضغط عليه وابرازه فى مظهر المتعنت فى محاولة للعودة

به عن التأميم الى قبول مبدأ المشاركة المشار اليه ليعود العراق خمسين عاما الى الوراء .

والواقع أن كثيرا من الخبراء العرب يرى أن هذه النسبة قد جاءت فى حقيقة الامر من وحى الشركات نفسها ، فهى التى أوعزت بها ورعتها وعملت على اشعال شعلة المطالبة بها وذلك بهدف منع البلاد المنتجة من المساهمة الفعلية فى الإدارة والعمليات وبهدف تحويل المشاركة الى مجرد ستار لتأمين نظام الامتيازات القائم فى مواجهة التأميم . ولا يخفون دهشتهم من المطالبة بهذه النسبة بعد سنوات مريرة وطويلة من الصراع والنضال مع شركات الاحتكار رغم تزايد قوة البلاد المضيفه واكتسابهـــا مركزا تفاوضـــيا ممتازا عن ذى قبل (٦) .

وأخيرا وليس آخرا يأتى **دور المؤامرات من الخارج والداخل** ، فلم يعد سرا يذاع ما تقوم به **ايران** على حدود العراق الشرقية من استمرار حشد القوى العسكرية وممارسة الاستفزازات ، مما يلزم العراق بالاحتفاظ بقوى وحشود دائمة على تلك الحدود . ولم يعد سرا كذلك ما تبذله كل دوائر المخابرات الغربية من محاولات تأليب بعض الاتجاهات المشبوهة داخل الاقليات القومية فى البلاد وتهريب السلاح وتدريب العناصر المرتزقة وتمويل عمليات للتخريب عديدة وواسعة فى بعض الاحيان . كل ذلك بهدف اثارة الموقف حتى يمكن اسقاط النظام الحاكم باعتبار ذلك أكثر الطرق ضمانا لعودة سيطرتها السابقة .

التأميم والموقف الحالى

لقد أمم العراق معظم بتروله ، ويتخذ لتأمين قراره واجراءاته سياسة مضمونها **فى الداخل** جبهة وطنية وتعبئة شعبية وبناء اقتصادى . **وفى الخارج** صلة قوية بالدول الاشتراكية والنامية ، وانفتاح على الدول العــربية ، وكسر لاحتكار شركات البترول بتحقيق الصلة المباشرة بين المنتج والمستهلك . وهى سياسات كفيلة بأن تحقق له النصر ، وأن تخلص لصالح شعبه ثروته .

ولكنها ــ ودون تقليل من قيمتها ــ اذا بقيت فى هذه الحدود فلن تعدو أن تكون مجرد طلقة وجهت الى الامبريالية والصهيونية ، ولم تصب منهـــا مقتلا .

فهل يقبل ضمير الثورة العربية أن يظل هذا التاميم مجرد طلقة . وألا يجعل منها انطـلاقة ليصيب المقتل ؟

لقد تم اجراء التأميم فى العراق فى ظروف من المد الثورى قل أن تكون الشعوب العربية قد شهدت مثلها فى تاريخها الطويل . وكانت بهذا شعاع الفجر فى دياجير الظلام ، بحيث حركت المشاعر ، وقابلها الشعب العربى بكل تـرحيب وتأييد . وتعالت الاصوات على صعيد البــلاد العربية كافة تحيى هذه الخطوة المباركة ، وتطلب منها المزيد . وتنافس الكثيرون فى مـزايدات التاييد . واجتمعت منظمة الدول العربية المصدرة للبترول وقررت الدعم المادى ــ قرضا بالطبع ــ للعراق وسوريا حتى تصمدا فى وجه الطغيان الاستعمارى .

ولكن تمضى شهور قليلة .

ويتحرك الاستعمار فى خبثه .

وقد نقع أحيانا ــ من حيث لا ندرى ــ فى اطار تخطيطه .

فنرى بعض الحكومات العربية ترفع انتاجها من البترول مما يساعد بالفعل ــ فالنوايا لاصحابها فحسب ــ على تنفيذ المخطط الاستعمارى بسـد الطريق على تصريف بترول العراق .

ونجد تراخيا وتأخرا ــ ونرجو أن يكون تأخرا فحسب ــ عن سداد اقساط الدعم الذى أقرته الدول المصدرة ذاتها .

ونجد مشاكل بين بعض البلاد ــ وفى حقل البترول بالذات ــ تثار الان وبمـلا ضجيجهـــا الاسماع .

ونجد فتورا عاما عن أن ندفع بهذه الخطوة حتى تكون بداية وليست مجرد طلقة .

ان الموقف الثورى الصحيح ، والاخلاص لقضية تحرر الشعوب العربية كافة ، وازالة آثار العدوان الامبريالى الصهيونى ، وتحقيق أمل شعب فلسطين فى استعادة أرضه يستلزم سياسة تختلف جذريا عن الموقف الحالى . ان الاخطبوط الامبريالى كبير وقوى . وما تأمم من البترول فى العالم لا يعدو نسبة ضئيلة (٥ ــ ١٠ فى المائة باعتبار اساس الحساب) بينما مازال الاستعمار يتحكم فى الباقى

---

(٦) الاتجاهات الرئيسية فى مؤتمر البترول العربى الثامن ــ مجلة البترول ــ اكتوبر ٧٢ ص ١٧

كله ، ويحول الارباح منه الى رصاصات فى صدور ابنائنا على جبهة المواجهة او خلفها بعيدا عن ميدان القتال ، ونظنه صار واضحا ان البترول هو محور كل سياسة الامبريالية فى المنطقة ، وان عين اسرائيل على منابع البترول العربى .

فى ضوء هذا وغيره الكثير من الاعتبارات نأمل ويجب ان نعمل على اكتساب سياسات اخرى تستهدف تشديد الهجوم على الامبرياليه والصهيونية .

مطلوب من المنظمات السياسية والشعبية العربية ان تكتل الشعوب العربية وراء خطوة التأميم ، وان تطلب باسمها ومساندتها بالمزيد من التأميم .

ومطلوب من منظمة الدول العربية المصدرة للبترول أن تتابع تنفيذ ما اتخذ من قرارات بالدعم ، بل وأن تذهب أبعد من ذلك بتنسيق الانتاج بين الدول المصدرة جميعا حتى لا يضرب الاستعمار الاخ بأخيه .

ويرجى من الدول التقدمية العربية ـ ولها وزنها فى انتاج البترول والغاز ـ أن تتميز فى تساندها باعتبارها طليعة للكفاح الوطنى العربى . وأن تدرس سويا وتهدد باجراءات لردع الباقين ان خرجوا على صف التحرير ، وأن تنسق سويا انتاج البترول واستغلاله فى التكرير والنقل وتصنيع البتروكيماويات ، وبناء القواعد الصناعية المتكاملة فهنا تكمن قوتها الحقيقية ، وان تتضاءل كل الخلافات فيما بينها مقارنة بهجوم الاستعمار بالذات عليها قبل غيرها .

ويرجى أن تتحول آمال مجلس الشعب المصرى بضرب المصالح الامريكية فى دولة اتحاد الجمهوريات العربية الى حقيقة واقعة فى أقرب الاوقات .

يرجى كل هذا وغيره .

وهو ان حدث ـ ويرجى أن يحدث ـ فلن يكون تأميم بترول العراق مجرد طلقة ، بل سيكون زنادا يدفع بعديد من الطلقات الى صدر الامبريالية والصهيونية .

٤ [] الموقف الاقتصادى []

أهداف السياسة الاقتصادية فى معركة الصمود

د. جواد هاشم

● لقد بات من الضرورى رسم السياسة الاقتصادية التى تنسجم مع الاوضاع الراهنة لاقتصادنا الوطنى ، وتتطلبها معركة الصمود التى يمر بها القطر بعد الاعلان التاريخى لتأميم شركة نفط العراق فى الاول من حزيران ١٩٧٢ .

وقبل أن أحاول ابراز الملامح الاساسية لاهداف هذه السياسة الاقتصادية ، فاننى أجد من المناسب فى هذا المجال أن أبرز بعض الحقائق الهامة التى يتوضح معها أن رسم مثل هذه السياسة لم يكن وليد الساعة ، وتحت ضغط متطلبات معركة الصمود ، بل أملته ودفعت اليه ظروف البلد فى الماضى القريب ، فجاءت معركة الصمود لتؤكد أهمية الطريق الذى توخينا السير فيه وضرورة زيادة فاعلية الاجراءات الكفيلة بوضع هذه السياسة موضع التنفيذ :

ـ كانت القيادة السياسية قد قررت ، منذ ان

بدائل في رسم الاطار العام والاطار التفصيلي لخطة التنمية القومية الحالية للسنوات ٧٠ ـ ١٩٧٤ المالية ، تقليل الاعتماد الفعلي على الموارد النفطية في صدد تنفيذ السياسة التنموية التي انتهجتها الثورة • اذ ورد بالمذكرة التفسيرية لقانون خطة التنمية القومية الحالية رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٠ أن « استغلال الموارد المعدنية غير المستغلة ، استغلالا وطنيا ، تحقيقا لتنويع الانتاج ، وتقليلا من الاعتماد على الموارد النفطية الحالية » كان أحد الاهداف الاقتصادية الرئيسية لهذه الخطة • ومن أجل ذلك وضع معدل لنمو الموارد النفطية بما لا يجاوز ٤ر١ في المائة سنويا ، مع انه كانت قد اقترحت بدائل أخرى عديدة لمعدل نمو هذه الموارد ، ولم يؤخذ بهذه المقترحات ، تمشيا مع سياسة تقليص الاعتماد على موارد النفط •

حاول المخطط عند وضع خطة التنمية القومية التركيز على الموارد غير النفطية في تمويل ميزانية الاستثمار الحكومي المركزي ، ومن ذلك على سبيل المثال :

● حصة الخطة من مصادر الثروة المعدنية الاخرى •

● ٥٠ في المائة من احتياطي (التخصيصات) الاندثارات السنوية للمصالح والمؤسسات والمنشآت التابعة لها •

● الموارد الذاتية للمصالح والمؤسسات الحكومية والمنشآت التابعة لها ، اذ نص قانون الخطة على أن تؤول اليها ما يمكن تسميته بضريبة التنمية ومقدارها ١٠ في المائة من أرباح المصالح والمؤسسات والمنشآت التابعة •

وبذلك فقد بلغ مجموع الايرادات غير النفطية المخمنة في ميزانية الاستثمار الحكومي المركزي بخطة التنمية القومية الحالية ، بموجب القانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٠ ، نحو (٩ر١١١) مليون دينار أي بنسبة تبلغ حوالي ٠ر٢٠ في المائة من مجموع الايرادات المخمنة لهذه الميزانية والبالغ قدرها (٩ر٥٣٦) مليون دينار •

ـ ان الاجراء الذي اتخذه مجلس التخطيط بتاريخ ١٢ ـ ٦ ـ ١٩٧٢ بتقليص اعتمادات المنهاج الاستثماري للسنة ٧٢ ـ ١٩٧٣ المالية بما يؤمن تخفيضها بما لا يقل عن مائة مليون دينار ، استعدادا لمعركة الصمود ، وذلك بناء على قرار مجلس قيادة الثورة بتاريخ ٤ ـ ٦ ـ ١٩٧٢ ، لم يكن اجراء مباغتا اسقطه المخطط من حساباته لدى تخطيط السياسة التنموية للسنوات الخمس للخطة الحالية • بل ان واقع الامر هو ان المخطط قد وضع في اعتباره أساسا احتمالات انقطاع الموارد النفطية ، سواء لدى اعداد خطة التنمية القومية الحالية ، أو عند اعداد المنهاج الاستثماري للسنة ٧٢ ـ ١٩٧٣ المالية •

ـ ان هناك مؤشرات عديدة تبرهن على أن وقف العمل بالمنهاج الاستثماري الثالث ، فيما يخص المشروعات الجديدة ، كان في اعتبار المخطط لدى اعداد المنهاج الاستثماري الحالي • ولا أدل على ذلك من أن قرار مجلس التخطيط ، الصادر بشأن هذا المنهاج ، قد نص في البند (١) على ما يلي :

« تستحصل موافقة رئيس الهيئة التوجيهية قبل الدخول بأي التزام أو توقيع أي عقد لاعمال ومشاريع الخطة المدرجة في المنهاج الاستثماري لعام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ • اما بالنسبة للاعمال والمشاريع التي تنفذ امانة فيتم استحصال موافقة رئيس الهيئة التوجيهية قبل المباشرة بها » •

وهذا يعني بوضوح أن القرار المذكور قد جاء على النحو الذي يحدد أو يقلص من صلاحيات الاحالة والتنفيذ ، حتى يمكن مواجهة أي موقف ينشأ عن انقطاع الموارد النفطية •

ـ وقد يكون لوقف العمل بالمنهاج الاستثماري الحالي نتائج سلبية على الانشطة الاقتصادية الاخرى ، اذا أخذنا بنظر الاعتبار ان الاستثمار يتمثل في زيادة الطاقة الانتاجية للبلد ، وبالتالي يسهم في زيادة الانتاج وفي زيادة الدخول المتحققة من الزيادة في الانتاج ، وهو ما تنبني عليه فكرة معامل رأس المال ـ الدخل • ومع ذلك فأننا ، اذ ندرك جميعا ان تأميم القطاع النفطي وتقليل الاعتماد على الموارد النفطية • يعتبر بحق نقطة تحول جذرية في تطور الاقتصاد العراقي في المستقبل القريب والبعيد ، فاننا لابد أن نتساءل عما يجب اتخاذه من خطوات واتباعه من اجراءات ، لمعالجة الموقف الراهن . أو بتعبير آخر : ما هي المعالم الاساسية لاهداف السياسة الاقتصادية التي تواكب متطلبات معركة الصمود الحالية ؟

الواقع ان الاجراءات التي اتخذت مؤخرا ، والتي صدرت بشأنها قرارات من مجلس قيادة الثورة هي من ضمن الاجراءات التي سبق أن درست ووضعت وهيئت تحسبا لكافة الظروف والاحتمالات والطوارىء • وبعبارة أخرى فان هذه الاجراءات هي التجسيد العلمي للسياسة الاقتصادية التي سبق أن انتهجتها الثورة منذ اعداد الخطة الحالية :

أولا ـ التركيز على تنويع الانتاج

ان تقليل الاعتماد على الموارد النفطية يعني التركيز على الارتفاع بمستوى الانتاج بالقطاعات الاقتصادية الاخرى ، وعلى الاخص القطاعات السلعية • وفي هذا الصدد فقد ورد بالمذكرة التفسيرية (ص ١٢٧) للقانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٠ ، ان من أهم الاهداف الاقتصادية للخطة :

« التركيز على تنمية القطاعات السلعية ، وخاصة على قطاعى الزراعة والصناعة ، اذ أن قطاع الزراعة . بما يتوفر له من امكانيات واسعة ، يمكن أن يسد حاجة الصناعة الى المواد الاولية وحاجة السكان الى المواد الغذائية ، كما يلعب دورا هاما فى التجارة الخارجية بتصدير كثير من السلع الزراعية ، والاستعاضة بالانتاج الزراعى المحلى عن الاستيرادات . اما قطاع الصناعة فهو القاعدة الاساسية لتطوير البلاد ، وتحقيق الاكتفاء الذاتى ، وتنوع المنتجات ، كما أن الصناعة هى المجال العريض للتجديد والابتكار والتقدم العلمى » .

ثانيا ـ التركيز على الانتاجية

قد يكون التركيز على حجم الانتاج فحسب أمرا مقبولا فى اولى مراحل التنمية الاقتصادية التى تتطلب تغيرا هيكليا واسع المدى فى الاقتصاد القومى ، مما يعتبر المرحلة التجريبية الاولى لتخطيط عملية التنمية . اما فى المراحل التالية فأنه من الضرورى التركيز على الارتفاع بمستوى الانتاجية فى مختلف فروع النشاط الاقتصادى ، مع العمل على تحسين نوعية الانتاج وأساليبه . ويتحقق ذلك بالارتفاع بمستوى مهارة الافراد العاملين والفنيين بمختلف الوحدات الانتاجية عن طريق التدريب المهنى قبل الخدمة ، وأثناء الخدمة . هذا فضلا عن التقليل من الضياعات الاقتصادية ، كالتقليل من الضياع المترتب على النقص فى ساعات العمل بالوحدة الانتاجية نتيجة لكثرة تغيب العاملين ، أو كثرة العادم من مستلزمات الانتاج ، او من المنتج النهائى ، او التعطل المتكرر لخط أو أكثر من خطوط الانتاج بسبب القصور فى صيانة الالات والمكائن وغيرها من الاصول الثابتة .

واذا كان الارتفاع بمستوى الانتاجية عن طريق التدريب وملاقاة الضياعات الاقتصادية يؤدى بطبيعة الحال الى زيادة الانتاج فهناك سبيل آخر لتحقيق هذه الزيادة فى الانتاج وهو استغلال الطاقات العاطلة . وفى هذا الصدد فقد ورد بالمذكرة التفسيرية (ص ١٣٣) انه من الضرورى « استغلال الطاقات العاطلة والمتاحة فى ضوء الظروف السائدة للطلب المحلى والخارجى على المنتجات الصناعية ، اسهاما فى زيادة الانتاج ، بدلا من اللجوء الى المزيد من الاستثمارات الجديدة فى فروع النشاط الصناعى التى توجد بها طاقات انتاجية ، متاحة أو عاطلة ، مع تأمين كافة الامكانيات الفنية اللازمة لتحقيق ذلك » . ومن الواضح ان تأمين هذه الامكانيات الفنية يتمثل أساسا فى توفر الطاقة المحركة ومستلزمات الانتاج والقوى العاملة بالقدر الذى يكفل تشغيل هذه الطاقة العاطلة .

ثالثا ـ تقليص الانفاق الاستهلاكى

لقد وضح من خلال تحليل تطور الموارد والاستخدامات خلال سنوات الخطة الاقتصادية الخمسية السابقة ١٩٦٥ـ١٩٦٩ ان الانفاق الاستهلاكى الخاص كان يستأثر بنحو ٣٩ فى المائة من مجموع الموارد المتاحة عام ١٩٦٩ ، كما ان الانفاق الاستهلاكى الحكومى كان يستأثر هو الاخر بنحو ١٩ فى المائة من مجموع الموارد المتاحة فى نفس العام . وبذلك ارتفعت نسبة الانفاق الاستهلاكى النهائى (الانفاق الاستهلاكى الخاص زائدا الانفاق الاستهلاكى الحكومى) الى مجموع الموارد المتاحة من ٥٢٫٤ فى المائة ، عام ١٩٦٤، الى ٥٨ فى المائة عام ١٩٦٩ .

ولا حاجة الى القول بأن مثل هذا التوسع فى الانفاق الاستهلاكى النهائى هو انعكاس للميل الى الاستهلاك بمعدلات مرتفعة . وهذا الميل المرتفع للاستهلاك هو بطبيعة الحال على حساب الادخار ، بما يكون له من اثر انكماش على الاستثمار ، وبالتالى على معدلات النمو فى القطاعات الاقتصادية المختلفة .

ولهذا كان من اهداف السياسة المالية فى خطة التنمية القومية الحالية ، كما اوضحت المذكرة التفسيرية للقانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٠ (ص ١٢٩) ، ما يلى :

أ ـ « الحد من التوسع فى الانفاق الاستهلاكى الحكومى من أجل ضمان توفر الموارد الكافية للاستثمار ، وتخطيط هذا الانفاق ، بحيث لا يتجاوز معدل زيادته السنوية الحدود التى ترسمها الخطة » .

ب ـ « تعديل تركيب الانفاق الاستهلاكى الحكومى ، بشكل يضمن أعلى عائدا اجتماعيا منه ، وذلك عن طريق التوسع فى الانفاق على الخدمات التى تؤدى الى الارتفاع بانتاجية الافراد العاملين ، او فى الانفاق على الخدمات ذات الارتباط الوثيق بالانتاج السلعى » .

جـ ـ « ربط سياسة الاستيراد بمتطلبات التنمية الاقتصادية ، وذلك باعطاء الاولوية لاستيراد السلع الاستثمارية ومستلزمات الانتاج ، مع تقليل الاستيرادات من السلع الاستهلاكية التى يمكن ان تتوفر لها بدائل محلية » .

ومن الواضح ان الاجراءات التى اتخذتها الثورة مؤخرا فيما يتعلق بتقليص نفقات الميزانية الاعتيادية بالشكل الذى لا يؤثر على كفاءة اجهزة الدولة فى اداء الخدمات الحكومية للمواطنين ، والقرارات التى اصدرتها اللجنة العليا للصمود بخصوص منع استيرادات السلع الاستهلاكية التى توجد لها بدائل محلية ، والتقليل من استيرادات

السلع الاستهلاكية الاخرى » هي في الواقع التطبيق العملي للسياسة الاقتصادية التي استهدفتها الخطة الحالية • واذا كانت الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذه السياسة ضرورية في الاوضاع العادية ، فانها اكثر ضرورة في معركة الصمود الحالية » بما يتطلبه ذلك من ان تكون هذه الاجراءات اكثر فاعلية واكثر ايجابية في نتائجها ».

رابعا ـ الادخار الاجباري

اتجهت خطة التنمية القومية الحالية الى تشجيع الادخار الاختياري بغية زيادة حجم مدخرات القطاع العائلي ، كمصدر هام من مصادر تمويل الخطة • وقد تمثل ذلك في زيادة الرصيد السائل عن طريق شراء الافراد والهيئات للاوراق المالية الحكومية في شكل « سندات قرض الانتاج » • وقد قدر لهذه السندات بميزانية الاستثمار الحكومي المركزي بالخطة الحالية مبلغ عشرة ملايين من الدنانير كأحد بنود ايرادات هذه الميزانية •

اما الصورة الاخرى للادخار فهي التي تتمثل في استقطاع نسبة معينة من الرواتب الاسمية والاجور المستحقة للموظفين والمستخدمين والعمال ، لتكون مصدرا آخر من مصادر تمويل خطة التنمية • ولماكان هذا النوع من الادخار يتحقق عادة بصورة الزامية وفقا لاحكام القانون ، فانه يعرف « بالادخار الاجباري » . ولقد صدر مؤخراً قرار مجلس قيادة الثورة بتاريخ ٢٦ـ٦ـ١٩٧٢ باستقطاع نسبة معينة من رواتب واجور كافة العاملين بدوائر الدولة ، الرسمية وشبه الرسمية ، تتراوح بين ٧ في المائة و ٢٥ في المائة من الراتب او الاجر •

وهنا يتضح وجه الخلاف بين هاتين الصورتين من الادخار ، فبينما يقبل الافراد والهيئات في حالة الادخار الاختياري على شراء سندات قرض الانتاج بمحض ارادتهم دون الزام ، فان الدولة تستقطع الحصة المقررة من الرواتب الاسمية والاجور « عند المنبع » بصورة الزامية وبالنسبة لجميع الموظفين والمستخدمين والعمال دون استثناء •

ومع هذا الفارق بين صورتي الادخار الاختياري والاجباري ، فان النتائج الاقتصادية المتحققة من وراء الاخذ بهاتين الصورتين من صور الادخار واحدة ، اذ ان :

● ان حصيلة سندات قرض الانتاج وحصيلة المدخرات الاجبارية تدفع ثانية الى المكتتبين والمدخرين بعد انقضاء فترة معينة •

● ان هذه الحصيلة توجه للادخار ، بدلا من توجيهها للاستهلاك ، وبذلك فان اقتضاء الدولة لها بصورة اختيارية او الزامية يؤدي الى الحد من الافراط في الاستهلاك الذي يتعارض مع مقتضيات التنمية الحقيقية ، مما يؤدي بدوره الى الحد من ارتفاع الاسعار بامتصاص جزء من القوة الشرائية •

● ان التجاء الدولة الى هذا النوع من الادخار يؤدي الى تجميع المزيد من المدخرات الوطنية التي يمكن ان توجه نحو تمويل استثمارات الخطة القومية •

هذه في رأينا هي اهم اهداف السياسة الاقتصادية التي ينبغي انتهاجها في معركة الصمود ، والتي انتهجتها الثورة فعلا في ضوء ما اجرى من دراسات مستفيضة مسبقة • اننا لم نؤخذ على غرة ونحن على ابواب هذه المعركة • بل ان سياستنا الاقتصادية ، كما اوضحنا ، كانت تنبني منذ بداية العمل بالخطة الحالية على توقيع نشوبها ، فكنا اذن نسير على الطريق الصحيح في رسم السياسة ، وعندما صح ما توقعناه ، كان لزاما ان نعطي قوة دفع لهذه السياسة بما اتخذ من اجراءات لازمة وضرورية لنجاحها .

غير انه تجدر الاشارة ، في ختام هذه الكلمة ، الى ابراز حقيقة اساسية لابد ان نركز عليها في تخطيط التنمية ، وهي ان اعداد الخطة لا تحكمه الموارد المتاحة بقدر ما تحكمه الطاقة التنفيذية لاجهزة الدولة ، فمهما بلغت الموارد من الوفرة فان نتائج التنفيذ تتوقف في النهاية على الطاقة التنفيذية لهذه الاجهزة • وفي وضع العراق بالذات ، فان نتائج تنفيذ المناهج والخطط الاقتصادية المتتابعة ، طوال السنوات العشرين الماضية ، تدل على ان اقصى ما امكن لاجهزة الدولة ان تقوم بتنفيذه من استثمارات مقررة ، في اية سنة من سنوات هذه الفترة ، لا يتجاوز (١٠٤ر٠) ملايين دينار . فاذا سلمنا بذلك ، فلا يهولنا ان تنخفض تخصيصات المنهاج الاستثماري للسنة المالية الحالية من (٢٤٢ر٥) مليون دينار الى (١١٩ر٠) مليون دينار • ان تقليص هذه التخصيصات لا يعني ايقاف عملية التنمية ، او الانخفاض الذريع في معدل النمو . بل ان تعديل المنهاج الاستثماري الحالي لا ينسجم مع متطلبات معركة الصمود فحسب ، بل يواكب كذلك الطاقة التنفيذية لاجهزة الدولة ، ويتمشى مع تخصيصات الخطة الحالية لسنواتها الخمس (قبل تعديلها) وما تستهدفه من معدلات للنمو ».

والخلاصة أن خطتنا القومية للتنمية لا تتسم بطابع المرونة فقط ، بل انها ، في الصورة المعدلة التي يعكسها المنهاج الاستثماري الثالث ، تتسم ايضا بطابع الواقعية ».



• جمهورية مصر العربية •

مناقشات مجلس الشعب
لبيان الحكومة

• سوريا •

زيارة وزير الدفاع
للاتحاد السوفيتي

• المغرب •

ثلاث ظواهر تحدد
التطور اللاحق للاحداث

• فيتنام •

اسباب المماطلة الامريكية
فى توقيع اتفاق السلام

■ تقرير خاص ■

الجبهة العربية للمشاركة
فى الثورة الفلسطينية

رسالة من الارض المحتلة

رسالة من فلورنسا

■ جمهورية مصر العربية

منـــاقشات مجلس الشعب لبيـــــان الحكـومـة

استطاعت اللجنة الخاصة التى شكلها مجلس الشعب برئاســـة الدكتور **جمال العطيفى** وكيل المجلس لاعداد مشروع الرد على بيان الحكومة ـــ استطاعت اللجنة أن تبلور فى تقريرها مايتردد فى صفوف الشعب من تساؤلات وانتقادات ، وان تطرح ما بلورته للنقاش والحوار بين المجلس والحكومة .

وعلى أساس أن السلطة التى تكون بعيدة عن الحساب والمراجعة تصبح تهديدا للديمقراطيـــة السليمة » ـــ ومن على أرضية الحـرص على المشاركة فى تحمل المسئولية والتضـامن فى المواجهة الشاملة مع العدو وبعيدا عن محاولات القوى المضادة لاستغلال السـلبيات فى اذكاء حملات التشكيك واشـــاعة اليـأس وبث روح الهزيمة والاستسلام ـــ جاء تقرير اللجنة ليكون أساس مناقشة على أكبر قدر من الاهميـــة ـــ أجمع المراقبون على أنها تحدث للمرة الاولى فى حياتنا النيابية خلال العشرين عاما الاخيرة .

لقد عبرت اللجنة عن اتفاق المجلس أساسا مع الحكومة فى تأكيدها لمبادىء معينة أهمهـــا عدم التفريط فى الارض واســـتخدام القوة لاسترجاع حقوقنا واختيار الاشتراكية طريقـــا وفى ان قضية التنميـــة وقضية حل مشـــاكل الجماهير لايمكن فصلهما عن قضية المواجهـــة الشاملة مع العدو .

ومع حرص اللجنة على ابراز جوانب الاتفاق فى هذه النقاط الاساسية فقد ضمنت ردها على بيان الحكومة ـــ ملاحظات أساسية وبشكل خاص بالنسبة للجهود المبذولة لاعداد البلاد لمعـــركة التحرير وحول خطة التنمية .

فبعد أن أكدت اللجنة على أن القوة النضالية هى التى تفرض على قرار مجلس الامن الحركة فى الاتجـــاه الصحيح ـــ وأعلنت اللجنـــة أنه لا مصلحة لنا فيما يحـــاوله البعض من صرف المعركة من اتجاه ضرب العدو الى اتجاه تحطيم التحالف مع الصديق ودعت اللجنة الى ضرورة ضرب المصالح الامريكية المتزايدة فى العـــالم العربى ردا على الدعم الامريكى المتصـــاعد لاسرائيل على ان يبدأ ذلك فى دولة اتحـــاد الجمهوريات .

وأبرزت اللجنة ضرورة تهيئة الشعب بجدية لمعركة طويلة الامد مؤكدة على ان اعداد الشعب لا يجوز أن يقتصر على مجرد نبرة حماســـية ـــ وعددت اللجنة جوانب القصور والتراخى فى اتجاه الحركة الصحيحة لبناء المخابىء واجراءات الوقاية واعـــداد الطـــرق والموانى والمرافق والخدمات البديلة .

ولم تقلل اللجنـــة من الجهـــود التى بذلت فى اتجاه اعداد البلاد ـــ ولكنها عبرت عن قلقهـــا وشكها فى كفاءة المرافق والاجهزة على ضـــوء ما سببته الامطار من شلل واضطراب فى هذه الاجهزة .

وفى تناولها لخطة التنمية أكدت اللجنـــة أن التنمية التى تقتضيها المواجهة الشاملة يجـــب أن تأخذ فى حسابها المبادىء الاساسية لاقتصاد الحـــرب .

وأوضحت اللجنـــة أنه مازال هنـــاك دخول طفيلية مصدرها الاتجار فى السوق السوداء ، وأعمال الوساطة والمقاولات من البـــاطن التى لا يمتد اليها القانون الضرائبى ولا تتحمل عبئـــا فى المعركة .

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

■ ينـــاير ■

محـــلى

٢ ـــ افتتح الرئيس نميرى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى السودانى .

٤ ـــ عقـــد مجلس وزراء اتحاد الجمهوريات العربية اول اجتماع له برئاسة الرئيس انور السادات .

١٠ ـــ هجوم اسرائيلى على قواعد المقاومة الفلسطينية فى جنوب لبنان فى بنت جبيل وكفر حمام .

١٠ ـــ ١٣ ـــ انعقد المؤتمر الخامس لتضامن الشعوب الافروآسيوية فى القاهرة .

١٣ ـــ حديث الرئيس انور السادات الى الامة ، اعلن فيـــه تفاصـــيل القرارات والدراسات التى جرت بعد قراره اعتبار ١٩٧١ عام الحسم . واعلن انه سيبدأ فورا فى اتخاذ اجراءات اعداد الجبهـــة الداخليـــة للمواجهة .

١٦ ـــ اصدر الرئيس الســـادات تكليفا الى الدكتور عـــزيز صـــدقى بتشكيل الوزارة الجديدة . ووافقت اللجنة المركزية للاتحـــاد الاشتراكى على اقتراح السادات باختيار سيد مرعى سكرتيرا عاما للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، بعد ان تقرر اسناد منصب نائب رئيس الوزراء الى

وأكدت اللجنة انه لا ينبغى أن تسمح بنمو أنماط من الاستهلاك فى السلع الكمالية وتصنف الكمالية خصوصا وان هناك فئات محرومة ـ استهلاكها لايزال دون حدود الاستهلاك .

وطالبت اللجنة بضرورة عرض خطة التنمية على أوسع القواعد الشعبية لمناقشتها قبل اقرارها .

وأجمع المراقبون الذين تابعوا مناقشات المجلس ـ أن تقرير اللجنة قد نجح فى استقطاب أغلبية الاعضاء الذين اشتركوا فى المناقشة وأنه فيما عدا كلمات خمسة أو ستة أعضاء من ٩٢ عضوا اشتركوا فى المناقشة كانت الكلمات تحمل تأييدا للاتجاه العام لتقرير اللجنة ، وقدم الاعضاء العديد من الاقتراحات البناءة لحل مختلف المشكلات وبشكل خاص فى مجال اعداد الدولة للحرب ومشكلات الفلاحين والعمال والحرفيين والتعليم والمواصفات وكذلك حرية الصحافة .

لقد طالب الاعضاء بعمل سياسى على أسس جديدة لكسب الرأى العام العالمى وعمل فدائى على كل الجبهات وتصفية المصالح الامريكية والبدء بمصر ثم بدول الاتحاد وطالبوا بانشاء صناعات حربية واقامة فرق الدفاع الشعبى المسلحة فى الاحياء والقرى وفتح مراكز التطوع والتدريب على السلاح .

وكان هناك اتجاه قوى فى المناقشة لضرورة أن يتحقق مبدأ المساواة فى التضحية من أجل المعركة وان يكون تمويل الدخول الكبيرة للمعركة بنفس نسبة تمويل الدخول الصغيرة لها ، والمطالبة بفرض ضرائب اضافية خاصة على ذوى الدخول غير المنظورة كمقاولى الباطن وأصحاب السيارات الاجرة والنقل واعادة النظر فى مقررات التموين لزيادتها على أسس مدروسة ـ وادخال بعض السلع وبشكل خاص الاقمشة الشعبية فى بطاقات التموين .

وطالب أعضاء المجلس بضرورة الوقوف بحزم فى وجه حالات التسيب والانحراف [التى ارجعها بعضهم الى استمرار حالة اللاسلم واللاحرب] .

وطالب عدد كبير من المشتركين فى المناقشة بضرورة تنحية المنحرفين وتطهير الحكومة والقطاع العام ملفتين النظر الى الارتباط بين انحراف القطاع الخاص والمنحرفين فى القطاع العام وطالبوا بتطبيق قانون « **من أين لك هذا** » على كل مواطن وفى كل القطاعات لمطاردة مظاهر الكسب غير المشروع . وادخال عقوبة الاعدام لمواجهة المساس بمال الشعب .

وفى مجال الزراعة والنهوض بالقرية المصرية أوضح بعض المتحدثين أن الزراعة فى حاجة الى ثورة زراعية ـ وكان هناك اجماع على ضرورة اعفاء صغار الفلاحين من اقساط الارض وامتداد التيسيرات الزراعية الى من يملكون فدانين فأقل ـ واعفاء صغار الفلاحين من تكاليف مقاومة الدودة ـ وطالب الاعضاء بضرورة تطبيق نظام الدورة الثلاثية واستكمال مشروعات الصرف المغطى .

وكانت الجمعيات التعاونية الزراعية محور اهتمام العديد من أعضاء المجلس حيث طالبوا بدعم أجهزة الجمعيات واعادة النظر فى هيكلها وتزويدها بالمشرفين الزراعيين وبناء مخازن فى القرى لتخزين الاقطان ورسم برنامج زمنى لبناء مقرات الجمعيات وتنفيذ مشروع كهربة الريف فى موعده وتوفير قطع الغيار اللازمة للالات الزراعية وتوفير الاعلاف اللازمة لزيادة اللبن واللحوم ـ وطالب عضو واحد باعادة

محمد عبد السلام الزيات الذى كان قد انتخب سكرتيرا اول للجنة المركزية عند اول انعقاد لها فى اواخر عام ١٩٧١ .

٢٥ ـ تحدث الرئيس السادات امام مؤتمر كل المؤسسات السياسية والنقابية فى مصر عن الوضع الداخلى وخاصة عن موقف طلاب الجامعات والقضايا التى اثاروها فى الفترة الاخيرة .

عربى

٢٣ ـ تلقت الاردن من الولايات المتحدة الامريكية مبلغ ١٥ مليون دولار فى اطار المعونة التى تقدمها امريكا سنويا للاردن .

٢٥ ـ تم التوقيع رسميا على انهاء معاهدة الصداقة والتحالف والاتفاقات العسكرية والمالية التى كانت قائمة قبل ثورة سبتمبر بين ليبيا وبريطانيا .

عالمى

٥ ـ ٧ ـ قام ايزاكو ساتو رئيس وزراء اليابان بزيارة للولايات المتحدة اتفق فيها على تسليم اوكيناوا لليابان فى ١٥ مايو ١٩٧٢ .

٧ ـ أعلن الرئيس نيكسون ترشيح نفسه فى انتخابات الرئاسة الامريكية .

١٢ ـ قرر الشيخ مجيب الرحمن ان يتولى بنفسه رئاسة وزارة بنجلاديش وعين ابو سعيد شودرى رئيسا للجمهورية ، واصدر مجيب الرحمن دستورا مؤقتا يركز سلطات الحكم فى ايدى رئيس الوزراء ويجعل من رئيس الجمهورية منصبا شرفيا .

١٣ ـ وقع انقلاب عسكرى فى غانا بقيادة الكولونيل اشيامبونج اطاح برئيس الجمهورية ادوارد اكوفو أدو ورئيس وزرائه كوفى بوزيا . واعلن

الملكيات الصغيرة المؤممة الى أصحابها ليزرعوها بأنفسهم .

وشغلت قضية التعليم الابتدائى ومحو الامية أكثر الذين تحدثوا فى قضية التعليم ــ مؤكدين على أن مرحلة الابتدائى لا تستوعب الا ٧٨٪ من الملزمين ويبقى ٣٧٪ كل سنة يدخلون فى موكب الامية وطالبوا بجعل التعليم الابتدائى والاعدادى الزاميا ــ وطالبوا بالعناية بالمدارس الابتدائية وتوفير الاستقرار لهم وطالبوا بتشكيل المجالس القومية المتخصصة وفى مقدمتها المجلس القومى للتعليم الابتدائى ومحو الامية ــ كما طالبت أغلب لتعليم الابتدائى ومحو الامية ــ مكا طالبأغلب المتحدثين بالتوسع فى التعليم الفنى الصناعى والزراعى .

وحول الاجور والاسعار ، ابرز المتحدثون أن هناك ارتفاعا متزايدا فى الاسعار ونقصا متزايدا فى السلع والخدمات وأن هناك تفاوت فى الحد الادنى للاجور والحد الاعلى بنسبة ١ : ٣٣ والمقارنة هنا بين مرتب عامل فى الدرجة العاشرة ومرتب نائب الوزير .

وطالب الاعضاء باعادة النظر فى سياسة الاجور وتسعير الشهادات وضرورة رفع الحد الادنى لاجور جميع العاملين بالدولة وطالبوا بسرعة اصدار قانون العمل الموحد ومساواة عمال القطاع الخاص بالقطاع العام فيما يختص بأجر يوم الجمعة ــ واعفاء من يتقاضى خمسين جنيها فأقل من ضرائب كسب العمل واعادة اعانة الغلاء والعلاوة الاجتماعية التى كان معمولا بها خلال الحرب الماضية .

وانتقد أعضاء المجلس برامج التليفزيون والاذاعة والافلام الخليعة وطالبوا بمواجهة حازمة لعمليات الافساد فى الاذاعة والتيفزيون والسينما ، وطالبوا ايضا بالغاء الاقطاع الصحفى واطلاق حرية الصحافة بالغاء الرقابة على الصحف .

أما الذين اتخذوا موقفا متميزا عن الاتجاه العام لاغلبية المتحدثين وهم السادة **محمود القاضى وحلمى الغندور وجبريل محمد ومصطفى كامل مراد ومحمود نافع** فقد تراوحت مواقفهم بين رفض بيان الحكومة وبين وصفه بأنه « ليس الا خطبة من تلك الخطب التى عودنا عليها رئيس الوزراء فى التليفزيون كل شهر » ــ أو تقديمه صورة قاتمة لعمل الوزارة على أساس « أن اى شىء لم يعد يؤدى الان على الوجه الصحيح وأن كل شىء أصبح يؤدى على أسوأ وجه » بالاضافة الى نقد الوزارة والوزراء انتقادات حادة على مسائل جزئية .

وفى ختام مناقشات مجلس الشعب للبيان الذى تقدمت به الحكومة فى مستهل الدوة النيابية :

ــ أعلن الدكتور عزيز صدقى رئيس مجلس الوزراء اننا « طرقنا كل السبل لكى نعيد حقوقنا بحل عادل لقضيتنا وقد أصبح العالم كله يؤيدنا ــ ولكن اسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة الامريكية تتحدى العالم كله وتستمر فى احتلالها لاراضينا بل توالى العدوان علينا يوما بعد يوم . ولذلك فليس هناك بديل للمعركة اذا أردنا أن نسترد حقوقنا .

وأكد الدكتور عزيز صدقى فى بيانه على أننا ونحن على أبواب معركة مصيرية لا تتصل بمصر وحدها بل بالامة العربية كلها ــ لايجوز أن تترك المصالح الحيوية لعدونا آمنة مطمئنة عن آثار المعركة التى يقدم لها وقودها وسلاحها وأن جزءا أساسيا من تحركنا العربى سوف يتجه الى وضع كل الدول العربية أمام مسئولياتها فى تنفيذ خطة شاملة تجبر الولايات المتحدة على أن تعيد النظر بشكل عملى فى سياستها التى تقوم على الدعم

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

الانقلاب الغاء الاحزاب السياسية وحل البرلمان وتشكيل حكومة من عدد من كبار الضباط والزعماء المدنيين .

٢٢ ــ وقع زعماء ١٠ دول اوربية غربية اتفاق انضمام بريطانيا والدانمرك والنرويج وايرلندا الجنوبية الى السوق الاوربية المشتركة .

٢٦ ــ رفضت فيتنام الشمالية مشروع نيكسون لانهاء الحرب ورفضته ايضا الحكومة الثورية المؤقتة فى فيتنام الجنوبية ووصفاه بانه مناورة فى حملة الانتخابات الامريكية .

فبراير

محلى

٢ ــ وصل الرئيس السادات الى موسكو لاجراء مباحثات رسمية مع الزعماء السوفيت . واكد البيان المشترك على تعزيز قدرة مصر لرد العدوان الاسرائيلى ، وخاصة المساعدات التى تكفل التعزيز المطرد فى مجال قدرة مصر الدفاعية .

٣ ــ ٤ ــ قام الرئيس السادات بزيارة يوغوسلافيا وبحث مع الرئيس تيتو قضية الشرق الاوسط .

٦ ــ محادثات بين السادات والقذافى فى ليبيا حول نتائج رحلة موسكو .

١٠ ــ ١٤ ــ زيارة جيفكوف رئيس جمهورية بلغاريا لمصر واجرائه محادثات مع السادات .

١٨ ــ ٢١ ــ زيارة المارشال اندريه جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى للقاهرة حيث اجرى محادثات مكملة لمحادثات السادات فى موسكو تم

الكامل غير المحدود لاسرائيل ، أو أن تدفع ثمن اصرارها على تلك السياسة غاليا من مصالحها الحيوية فى الدول العربية .

واعلن الدكتور عزيز صدقى امام المجلس بعض التفاصيل فى مجال اعداد الدولة للحرب مؤكدا ان قيمة الانشاءات والمعدات التى نفذت فعلا بلغت أكثر من ٩٢ مليون جنيه يضاف اليها عشرات الملايين انفقت داخل المصانع والمنشآت من ميزانياتها استكمالا لخطط الدفاع والامن فيها وبالاضافة الى ذلك فقد تم اعداد ميزانية خاصة مختلفة عن الميزانية الحالية وكذلك ميزانية نقدية تعبأ فيها جميع امكانيات الدولة لصالح المعركة وتم اعداد سلسلة من الاجراءات التى يصير تطبيقها فى ظروف المعركة .

وركز رئيس الوزراء فى بيانه الختامى تركيزا خاصا على اهمية معالجة مظاهر التسيب والانحراف وضرورة اقصاء العناصر المنحرفة ومحاسبتها والحاجة الماسة الى اشاعة معنى الانضباط واحترام القانون والشعور بالمسئولية واعلن ان الحكومة ستبعث للمجلس بالتشريعات اللازمة الكفيلة بكشف المنحرفين ومحاسبتهم بشكل سريع وحاسم .. كما دعا لاعادة النظر فى النظام الضريبى على اساس المساواة أمام الضريبة بين كل المواطنين وكل الانشطة وضرورة عدم السماح بنمو العلاقات الراسمالية الطفيلية ونمو أنماط الاستهلاك فى الكماليات لانها تبدو موارد كان يجب أن تأخذ طريقها الى الاستثمار وزيادة الانتاج — كما أنها فى ظروف المعركة الراهنة تزيد من حدة التناقضات الاجتماعية .

ووافق رئيس الوزراء على اعتبار بيان لجنة مجلس الشعب ومناقشات اعضائه جزءا من بيانها وبرنامجها .

■ سوريا

زيارة وزير الدفاع للاتحاد السوفيتى

قام اللواء **مصطفى طلاس** وزير الدفاع السورى ونائب القائد العام للقوات المسلحة بزيارة رسمية للاتحاد السوفيتى على رأس وفد عسكرى يضم اللواء **ناجى جميل** قائد القوى الجويه والدفاع الجوى ، وذلك فى الفترة من ٦—٩ ديسمبر الماضى تلبية لدعوة من الماريشال « **أندريه جريتشكو** » وزير الدفاع السوفيتى .

وقد اجتمع اللواء مصطفى طلاس بالماريشال جريتشكو وحضر الاجتماع اللواء ناجى جميل والسفير السورى فى موسكو ، كما اجتمع اللواء مصطفى طلاس واللواء ناجى جميل بالكسى كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى . وتمت خلال المحادثات بين الوفد السورى والزعماء السوفييت مناقشة المسائل الخاصة بتدعيم النضال المشترك ضد الامبريالية ، وتقوية علاقات الصداقة بين الاتحاد السوفيتى وسوريا .

وقد قام الوفد العسكرى السورى بزيارة بعض الوحدات العسكرية والقواعد الجوية للجيش السوفيتى ، وزيارة أكاديمية العلوم الهندسية للقوات الجوية السوفيتية ، وأبدى اهتماما بدراسة تاريخ تطوير الاكاديمية ودورها فى اعداد كوادر القوات الجوية السوفيتية ، وبرامج التدريس فى الاكاديمية .

وكان اللواء مصطفى طلاس قد عقد مؤتمرا صحفيا فى ٩—١٢ فى السفارة السورية بموسكو تحدث فيه عن نتائج زيارته للاتحاد السوفيتى

خلالها تبادل وجهات النظر بشأن تعزيز التعاون بين البلدين لزيادة القدرات القتالية لمصر .

عربى

٥ — وصل موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى زيارة للولايات المتحدة الامريكية فى اطار تدعيم التحالف الامريكى — الاسرائيلى ضد الشعوب العربية .

١٠ — اعلن انور نسيبة وزير الدفاع الاردنى السابق انه اجتمع بالفعل بكل من جولدا مائير وموشى ديان منذ عدة اسابيع لتبادل الاراء حول الموقف بين الاردن واسرائيل .

١٠ — انضمت امارة رأس الخيمة الى اتحادات الامارات العربية واصبحت الامارة السابعة .

١٠ — ١١ — محادثات فيلى برانت مع بومبيدو بشأن العلاقات بين الولايات المتحدة ومنظمة السوق المشتركة بعد توسيعها ، وبشأن اقامة اتحاد مالى واقتصادى لاوربا .

١٩ — ٢٢ — اول اجتماع للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

بكامل عددها لاول مرة منذ الاشتباكات الاردنية الفلسطينية فى يوليو ١٩٧١ بحثت فيه ميثاق لتوحيد حركة المقاومة .

٢٠ — بدأت زيارة الرئيس نيكسون للصين الشعبية اعلنت خلالها امريكا ان هدفها الاخير فى آسيا هو سحب كل القوات الامريكية فى جنوب شرقى آسيا بما فى ذلك فورموزا . كما اعترفت بان تايوان جزءا من الاراضى الصينية وتم الاتفاق على العمل لاقامة علاقات طبيعية على سياسة واسعة للتعايش السلمى بينهما .

٢١ — بدء محادثات اقتصادية واسعة النطاق بين الاتحاد السوفيتى

وقال : لقد لقي موقفنا تفهما عميقا من جانب القادة السوفييت بالنسبة للمشاكل التي يواجهها الشعب العربي اليوم وخاصة مشكلة احتلال اسرائيل للاراضي العربية وتأييد الامبريالية لها ، وأن شعبنا وقواته المسلحة معتمدين على تأييد الجماهير العربية في البلدان الاخرى ، وعلى مساندة وتعاون البلدان الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي ، سيحققون النصر على المعتدين والمحتلين ، وقد برهنت المعارك الاخيرة أن قواتنا المسلحة على استعداد لردع المعتدين وتحرير الارض المحتلة . ولقد برهنت هذه الاحداث على عمق العلاقات الاخوية التي تربط الاتحاد السوفيتي وسوريا ، وعلى وجود تعاون وثيق مع الاتحاد السوفيتي الذي يقدم مساعدة عظيمة في رفع مستوى القدرة القتالية لقواتنا المسلحة التي تواجه المعتدين الاسرائيليين » .

وقد اعلن اللواء عبد الرحمن خليفاوي رئيس الوزراء السوري ردا على سؤال وجهته اليه احدى الصحف البيروتية المعروفة باتجاهاتها اليمينية في أوائل الشهر الماضي حول ما اذا كان يعتبر السوفييت مقصرين تجاه القضية .

فأجاب بقوله : اننا نعتبر أن المصلحة العربية تحتم سلامة علاقاتنا بالاتحاد السوفيتي . ولكن علينا ان ننظر الى السوفييت كسوفييت لا كعرب ، انهم أصدقاء ولهم استراتيجية خاصة بهم . فمن غير الجائز أن نطالبهم بأن يخوضوا باسمنا معركة التحرير وأن يحضروا جنودهم للحرب بدلا عنا . فالسوفييت ليسوا مسئولين عن احتلال الارض ولا يجوز بالتالي أن يتحملوا تبعة عدم استعادتها ونحن نتعامل واياهم كأصدقاء يقدمون لنا الدعم الصادق ويجب أن يفهم العرب أن هناك دائما مواقف نلتقي فيها مع السوفييت وهي نصرة الشعوب المستضعفة ومحاربة الاستعمار ودعم الشعوب في التحرير ، وان السوفييت يساعدون العرب دائما بعيدا عن الرغبة في التدخل بالامور الداخلية .

■ ■

■ بغداد

المجلس المركزي لاتحاد نقابات العمال العرب والحريات النقابية

عقد المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب اجتماعه الدوري العادي ببغداد في الفترة بين ٢٨ — ١٩٧٢/١١/٣٠ .

وقد اتخذ المجلس في اجتماعه هذا مجموعة من القرارات الهامة ، فقرر : رفض كل الممارسات التي تقوم بها بعض الانظمة العربية بهدف الوصول الى تسوية سلمية مع أعدائنا المتمثلين بالكيان الصهيوني والولايات المتحدة الامريكية ، لان ذلك يشكل في الواقع استسلاما ورضوخا امام أعدائنا . ودعوة كافة الحكومات العربية الى اعلان المقاطعة السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية وتأميم كافة مصالحهما ، خصوصا البترولية في المنطقة العربية ، وسحب كافة الودائع من مصارفها ، على أن يتم كل ذلك خلال مدة لا تتعدى الاول من مارس ١٩٧٣ . ويلتزم الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، وكافة المنظمات المنتمية اليه ، بادانة كل دولة عربية لا تنفذ هذه القرارات . ومباشرة تدمير وتوجيه

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

واليابان للاسهام في مشروعات بترول شرق سيبيريا .

٢٢ — تم احباط محاولة انقلاب عسكري في الكونجو برازافيل قام به الميجر جواكان يومبي وتم اعتقال عدد من اعضاء المكتب السياسي .

٢٢ — وصل الى موسكو الرائد عبد السلام جلود في اول زيارة ليبية على مستوى عال للاتحاد السوفيتي اجتمع بكوسيجين . وتناول القضايا العربية والدولية ، وخاصة فلسطين والتحرير الوطني والتعاون الاقتصادي والتكنولوجي والصناعي والعسكري .

٢٣ — هجوم اسرائيلي جنوب لبنان على عشر قرى في القطاعين الاوسط والشرقي بجنوب لبنان .

٢٤ — انسحاب وفد فيتنام الديمقراطية وحكومة الثوار المؤقتة رقم ١٤٥ لاول مرة في تاريخ المحادثات احتجاجا على تصعيد الغارات .

٢٧ — الاتفاق على تسوية مشكلة جنوب السودان على اساس منح مديريات الجنوب الثلاث الحكم الذاتي في اطار السودان الموحد .

٢٨ — حل البرلمان الايطالي بقرار من الرئيس جيوفاني ليوني لاجراء انتخابات عامة في مايو لمواجهة الازمة السياسية الناجمة عن العجز في تشكيل ائتلاف وزاري مستقر .

■ مارس ■

محلي

١٢ — اقسم الرؤساء السادات والقذافي والاسد اليمين الدستوري امام مجلس الامة الاتحادي بوصفهم اعضاء مجلس رئاسة الاتحاد .

١٨ — اعلن اتحاد الجمهوريات

الضربات لكل المؤسسات والمصالح الامريكية والالمانية الغربية على طول الساحة العربية . واتخاذ الاجراءات اللازمة ازاء الحكومة الرجعية التى تؤازر الاستعمار والصهيونية » .

وادان الاجتماع النظام العميل فى الاردن ـ باعتباره « نظاما » معاديا للشعب الاردنى والجماهير العربية مما يحتم على كل القوى الوطنية العمل على اسقاط هذا النظام الذى يقف عثرة فى سبيل تحرير فلسطين » .

وفى مجال الحريات النقابية ـ اكد المجلس المركزى رفض العمال العرب لمشروع المملكة المتحدة وكافة المشاريع التصفوية وادان الممارسة الفاشية التى يمارسها النظام الاردنى تجاه المعتقلين النقابيين والتى وصلت الى حد تشريد النقابيين ومطاردتهم وزج العديد منهم داخل سجون النظام الهاشمى . وحيت قرارات المجلس النضالات العمالية الوطنية فى الضفتين الشرقية والغربية .

وناقش المجلس الوضع النقابى الراهن فى السودان وشجب الاجراءات التعسفية التى يستخدمها النظام الحاكم من اعتقال وتعذيب للقادة النقابيين وعدم السماح للمرضى منهم بالسفر للعلاج خارج البلاد . كما يطالب الحكومة بتأمين الحريات النقابية وتحقيق الديمقراطية للطبقة العاملة فى اختيار ممثليها واجراء انتخابات تحت اشراف الامانة العامة لنقابات العمال العرب .

واكد المجلس المركزى تأييده المطلق لعمال وشعب الخليج العربى ، وشجب بشدة الاضطهادات وكبت الحريات النقابية التى يتعرض لها ، كما ندد بالمؤامرات والاطماع الاستعمارية التى تهدف الى طمس عروبته ، واستنكر الحملات التى تشنها الرجعية الايرانية والاستعمار لاحتلال الجزر العربية والتحرشات التى تقوم بها السلطات الرجعية الايرانية على الحكم التقدمى فى العراق .

وحيا المجلس قرارات حكومة العراق بتأميم شركة النفط العراقية الاحتكارية ، وكذلك قرار سوريا بتأميم ممتلكات هذه الشركة . وحيا كذلك صمود القوات المصرية المسلحة ووقوفها مستعدة للتحرير والنصر .

لقد كان اجتماع المجلس المركزى للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ببغداد خطوة هامة من اهم الخطوات على طريق العمل الجاد منذ انتهاء المؤتمر الخامس للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب .

■ ■

■ اليمن

يمن ديمقراطى موحد

اعلنت كافة القوى الوطنية والتقدمية فى البلدان العربية عن ارتياحها وتأييدها لاتفاق الوحدة بين اليمن الشمالية والجنوبية ، الذى تم التوصل اليه بين الرئيسين **عبد الرحمن الايريانى وسالم ربيع** فى ليبيا فى ٢٨ نوفمبر الماضى . واعتبرت هذا الاتفاق ضربة موجهة للقوى الاستعمارية والرجعية فى شبه الجزيرة العربية ، التى تحيك المؤامرات ضد الدولتين ، ووضع العراقيل فى طريق الثورة فى اليمن الشمالية ومحاولة اجهاضها وافراغها من محتواها الديمقراطى التقدمى المعادى للاستعمار والرجعية .

وقد تضمن الاتفاق الاسس العشر التالية : اقامة دولة واحدة فى اليمن باسم الجمهورية اليمنية ، وعاصمتها صنعاء ، ولها علم واحد ، والاسلام هو دين الدولة الرسمى والمصدر الرئيسى للتشريع ،

العربية رفضه الكامل لمشروع الملك حسين ، ودعا الملوك والرؤساء العرب وجميع القوى الوطنية العربية الى التصدى لهذا المشروع .

١٩ ـ اعلن مجلس الشعب المصرى رفضه لمشروع الملك حسين على اساس انه استمرار فى التآمر على تصفية قضية فلسطين .

٢٦ـ٢٧ ـ بدأت فى القاهرة محادثات بين مصر والعراق لبحث المشروع العراقى بانشاء اتحاد ثلاثى يضم مصر وسوريا والعراق .

عربى

٧ ـ شكلت جبهة وطنية فى سوريا تضم حزب البعث العربى الاشتراكى والاتحاد الاشتراكى والحزب الشيوعى والوحدويين الاشتراكيين وحركة الاشتراكيين العرب .

٨ ـ اجتماع فيصل ملك السعودية بالسادات لتبادل وجهات النظر بشأن ازمة الشرق الاوسط .

١٥ ـ اعلن الملك حسين مشروعه الذى يقضى بأن تصبح المملكة الاردنية الهاشمية « مملكة عربية متحدة » تتكون من قطر فلسطينى عاصمته القدس واردنى « يشمل الضفة الشرقية » ويتولى الحكم فى كل قطر حاكم ومجلس وزراء ، ويتولى الملك السلطة التنفيذية المركزية ، ومجلس الوزراء المركزى فى الشئون المتعلقة بالدفاع والعلاقات الدولية .

١٦ـ١٧ ـ اصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا رفضت فيه مشروع الملك حسين .

١٧ ـ اعلنت فتح ان الاطاحة بالنظام الملكى الاردنى هو هدفها فى المرحلة الحالية .

٢٨ ـ افتتح القذافى المؤتمر الوطنى الاول للاتحاد الاشتراكى الليبى .

واللغة العربية هى اللغة الرسمية ، وتهدف الدولة الى تحقيق الاشتراكية مستلهمة التراث العربى الاسلامى ، وأن الملكية العامة للشعب هى أساس تطوير المجتمع وتنميته ، والملكية الخاصة غير المستغلة مصونة ولا تنزع الا وفقا للقانون وبتعويض عادل ، ونظام الحكم وطنى ديمقراطى ، واقامة تنظيم سياسى موحد يضم فئات الشعب المنتجة صاحبة المصلحة فى الثورة للعمل ضد التخلف ومخلفات العهدين الامامى والاستعمارى ، وضد الاستعمار القديم والجديد والصهيونية ، وتشكل لجنة مشتركة لوضع النظام الاساسى للتنظيم السياسى ولوائحه مستهدية بالنظام الخاص باقامة الاتحاد الاشتراكى العربى فى ليبيا وعلى ضوء مناقشة من قبل فئات الشعب ، ويعين دستور الجمهورية اليمنية حدودها ».

وقد اتفق الرئيسان على دعم نضال الشعب الفلسطينى من أجل استعادة أراضيه ، وفى مواجهة القوى الصهيونية والاستعمارية والرجعية ، وتدعيم البلدان العربية فى تحرير أراضيها المحتلة ، وتأييد شعب الخليج العربى وكفاحه من أجل حريته ووحدة أراضيه ، ومحاربة النشاط الاسرائيلى المحموم فى البحر الاحمر وحماية الجزر اليمنية فى هذا البحر ، كما عبرا عن ايمانهما بضرورة قيام الحركة العربية التقدمية الواحدة كأساس لتحقيق الوحدة العربية التقدمية الشاملة •

وطلب الرئيسان اليمنيان من الرئيس القذافى تعيين ممثل شخصى له لمتابعة تنفيذ الاتفاق ، كما طلبا من الامين العام للجامعة العربية تعيين مندوب عن الجامعة فى كل لجنة من اللجان الثمانى الفنية المشتركة لتنفيذ اتفاقية الوحدة ، ومن المقرر أن تنتهى هذه اللجان من أعمالها فى مدة أقصاها عام من التوقيع على الاتفاقية •

وقد أكد المقدم عبد الله الراعى الممثل العسكرى للرئيس عبد الرحمن الايريانى فى لجنة تنفيذ اتفاقية الوحدة أن اليمن الشمالية حريصة على وحدة اليمن ومقاومة أى عمل مضاد للوحدة ، وان حكومة صنعاء قد فرضت حظرا على نشاط « الجبهة الوطنية » ـ وهى التنظيم الذى يضم قوى الثورة المضادة من السلاطين والحكام السابقين المطرودين من اليمن الجنوبية بقيادة عبد القوى مكاوى ـ ومنعها من مزاولة أى عمل ضد اليمن الجنوبية ، وأن الجيش اليمنى قد استولى على أسلحتها ، وأن بعض قادتها قد غادروا اليمن الشمالية •

ويتوقع المراقبون أن يقوم محسن العينى رئيس الوزراء ووزير خارجية اليمن الشمالية بتشكيل وزارة جديدة تتولى مهام المرحلة الانتقالية المقبلة وتنفيذ اتفاقية الوحدة ، وكان القاضى عبد الرحمن الايريانى رئيس المجلس الجمهورى فى اليمن الشمالية قد أصدر قرارات تتضمن تغييرات وتعيينات جديدة واسعة فى قيادة الجيش اليمنى •

ومن المنتظر أن تبدأ المشاورات بين القوى الوطنية فى شطرى اليمن لعقد اجتماع للبحث عن وسائل توحيدها فى جبهة واحدة والاتفاق على برنامج عمل وطنى ، وتلتزم بالنضال من أجله •

■ ■

■ المغرب

ثلاث ظواهر تحدد التطور اللاحق للاحداث

فى نفس اليوم الذى برأت فيه المحكمة المغربية الخاصة ، معظم المتهمين فى قضية الرشوة والفساد المتهم فيها ٦ من الوزراء السابقين ورئيس الجالية

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

عالمى

١٣ ـ قطعت بريطانيا علاقاتها الدبلوماسية مع الصين الوطنية ورفعت تمثيلها مع الصين الشعبية الى درجة سفارة ».

٢٧ ـ قرر الشيخ مجيب الرحمن تأميم ٤٠٠ من مصانع الجوت والسكر والنسيج و ١٤ بنكا و ١٢ شركة تأمين وفرض سيطرة الدولة على جميع المؤسسات والشركات التى تزيد قيمة ممتلكاتها على ٨٠ الف جنيه ».

٢٤ ـ اعلنت بريطانيا فرض الحكم المباشر على ايرلندا الشمالية لمدة عام واستقالة حكومة بلفاست ، ونقل السلطات التنفيذية والتشريعية من برلمان ايرلندا الشمالية الى البرلمان البريطانى •

١٩ ـ وقعت الهند وبنجلاديش « معاهدة سلام وصداقة وتعاون •

٢٦ ـ وقع دوم مينتوف رئيس وزراء مالطة ولورد كارينجتون وزير الدفاع البريطانى اتفاقية جديدة مدتها ٧ سنوات تدفع بريطانيا بموجبها ١٤ مليون جنيه استرلينى ايجارا للقواعد العسكرية فى مالطة ».

■ أبريل ■

محلى

٢ ـ ٦ ـ زيارة شاوشيسكو زعيم الحزب الشيوعى الرومانى لمصر ، اعلن خلالها ان رومانيا تعارض سياسة تزويد اسرائيل بالاسلحة واشاد بالمبادرة المصرية لحل ازمة الشرق الاوسط •

٦ ـ الرئيس السادات يعلن فى افتتاح مؤتمر المجلس الوطنى الفلسطينى ان مصر قررت قطع كل علاقاتها مع النظام الاردنى كبداية

اليهودية وكبار رجال الدولة والبوليس ، اعتقلت السلطات ١٠٠ طالب ممن تظاهروا احتجاجا على اعتقال ٤٨ من زملائهم فى أواخر نوفمبر الماضى ، كما أعلنت عزمها على محاكمة ٥٠ من المهندسين والمعماريين والمدرسين ، بتهمة صناعة متفجرات وحيازة أسلحة ، من بينهم ابن أحمد بلا فريج رئيس الوزراء السابق .

ويبدو أن المحكمة لم تعول كثيرا على ثبوت وتعدد وقائع الرشوة فى قضية الفساد . فقد تأكد أن « بن مسعود » قـد تقاضى من شركة أجنبيـة مليار فرنك مقابل منحها قطعة أرض واسعة ، وقالت المعارضة أن نصف هذا المبلغ ذهب للحسن ، كما تبين أن حساب بن مسعود هذا فى الخارج وصل الى ٤٧ مليار فرنك للحسن أيضا الجزء الاكبر منه .

والواقع ان الفساد كما تقول «لموند دبلوماتيك» عدد ديسمبر ١٩٧٢ ، أصبح سمة مميزة للحياة المغربية ، فقد استولى رجال النظام وأقرباء الملك مثلا على ٨٠٠ الف هكتار من أراضى الدولة لانفسهم ، كما سخروا ميزانيتها لتنفيذ مشروعات زراعية تؤدى الى رفع قيمة أراضيهم ، فضلا عن أن كل الموظفين تعودوا على فرض الاتاوة مقابل قيامهم بعملهم ، فموظف الصحة كما تقول الجريدة الفرنسية لايحرر شهادة الميلادالمجانيةالا مقابل ٢٠ درهما ، والقضاة لا يدفعون أجور الاطباء وغيرها من الخدمات التى يحتاجونها .

والواقع أن كل الاحداث فى المغرب تحكمها فى التحليل الاخير ظواهر ثلاث رئيسية هى التى ستحدد التطور اللاحق لها :

● اصرار الحسن على الانفراد بكل شىء ، واعلانه استعداده للتضحية بثلث الشعب ليحافظ على الملكية ، واعلانه أن تعاونه مع المعارضة لن يتجاوز منحها بعض الوزارات مع حقه فى الاستغناء عن خدماتها عندما يرى ، فالوزير كما يقول ليس سوى مساعد له وصلاحيته لا تتجاوز صلاحيات سائق سيارته . والحق أن الحسن لا يتورع عن « تسمين ثم ذبح » أعز خلصائه كما فعل مع رضى جديرة وأوفقير وغدا الدليمى فما بالك بالمعارضة ، وهو فعلا أكثر اهتماما باستيراد حراس من فرنسا وبلجيكا ، مثل رايمون صاصا الفرنسى الذى أعدته وكالة المخابرات الامريكية .

● ان المعارضة ما زالت عاجزة بسبب تناحر فرقها بسبب المطامع الشخصية لعدد من قادتها، وعدم مبدئية الوحدة التى قامت فيما بينها من قبل . فحزب الاستقلال الذى يرجع الى ١٩٤٤، وتقوده البورجوازية وتربطه صلات طيبة بالنظام الملكى الاقطاعى ، اضطر تحت ضغـط جماهير الشباب فيه وبسبب طرده من الحكم رغم تعاونه الى تبنى برنامج وطنى واجتماعى . ولكن هذا الحزب تمزقه التناقضات . فعلال الفاسى رئيسه، يحن فى قرارة نفسه الى التعاون مع النظام الملكى وابقاء الاوضاع على ما هى عليه ، وذلك على الرغم من أن الحزب ينادى رسميا بـالتجميع الزراعى والتصنيع والمغربة والديمقراطية ، فى حين يؤمن قادة آخرون فى الحزب مثل دويرى . بأن النظام الملكى استنفد أغراضه وأنه لابد من تغيير جذرى للاوضاع فى المغرب .

أما الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية الذى تكون فى ١٩٥٩ بانقسام عن حزب الاستقلال لمقاومة الاتجاهات البورجوازية لقيادته ، وشكل فـى ١٩٦٧ وحدة مع الاتحاد المغربى للشغل وقيادة ثلاثية ضمت بوعبيد وعبد الله ابراهيم ، ومحجوب بن صديق ، رئيس اتحاد الشغل المغربى ، فقد أنهى هذه الوحدة فى ٣٠ يوليو ١٩٧٢ ، عندما اجتمعت اللجنة الادارية للحزب وقررت حل الامانة العامة والمكتب السياسى للاتحاد ، والتخلص من عبد الله ابراهيم ومحجوب بن صديق ، وجعل القيادة للجنة الادارية بقيادة بوعبيد .

لعمل عربى ضـد مشروع حسـين الخاص بالمملكة العربية المتحدة .

٢٧ ـــ ٢٩ ـــ وصـــل الـرئيس السادات الى الاتحاد السوفيتى لبحث استراتيجية ازمة الشرق الاوسـط قبل زيارة نيكسون لموسكو . ونص البيان المشترك على ان ظروف الازمة تعطى للدول العربية حق استخدام مختلف الوسائل لاسـترداد الاراضى العربية التى اغتصبتها اسرائيل .

٢٨ ـــ اعلن عزيز صـدقى رئيس وزراء مصر ان استعدادات القوات المسلحة تشير الى ان العام القادم سيكون عام النصر .

عـــربى

١ ـــ اعلن الملك حسين فى واشنطن انه ليس على استعداد لدخول حرب اخرى ضد اسرائيل وانه يسعى الى تسوية مع اسرائيل يقوم عليها سلام دائم يؤدى الى خروج اسرائيل من عزلتها ، واعلن ان الاتصالات بين الاردن واسرائيل تتزايد .

٥ ـــ اصدر نميرى مرسوما بانشاء القيادة الجنوبية فى السـودان من ١٢٠٠٠ جندى وضابط ، على ان يكون نصفهم من ابناء الجنوب تنفيذا لاتفاق الحكم الذاتى الاقليمى .

٥ ـــ وقع انشقاق داخل الحـزب الشيوعى السورى .

٧ ـــ ١٠ ـــ وصل كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى الى العراق لحضور احتفال بدء انتاج حقل الرميلة ، ووقع اتفاقية صداقة بين العراق والاتحاد السوفيتى مدتها ١٥ عاما .

٦ ـــ ١١ ـــ اجتمع المجلس الوطنى الفلسطينى فى دورة طارئة بالقاهرة لمناقشة وسائل احباط مشروع الملك حسين .

١٣ ـــ اعلنت ليبيا سحب سفيرها لدى العراق بسبب المعاهد السوفيتية العراقية ، كما طلبت من العـراق

والسبب فى هذا يرجع مباشرة الى دعوة الملك لزعماء المعارضة ، عقب محاولة اسقاط طائرته ، لاجراء حوار حول المشاركة معه فى الحكم وفورا تبدى التناحر وتبددت الوحدة الشكلية . فقد طالب بوعبيد بجمعية تشريعية وانتخابات حرة ، فى حين رأى فريق عبد الله ـ بن صديق تكوين حكومه ذات صلاحيات واسعة ، واعلن عدم ايمانه بوعى الجماهير وقدرتها على اختيار الاصلح .

وقد اعلن بيان اللجنة الادارية فى تبرير قرارات يوليو ، ان قادة الحركة النقابية ـ وأساسا بن صديق الذين أبقوا على اتحاد الشغل المغربى بعيدا عن سيطرة الحزب ـ قد سيطروا على هذا الاخير « وحولوه الى واجهة سياسية لنشاطهم النقابى الانتهازى ، الذى لا يتخذ أى مواقف حاسمة فى مواجهة السلطة ، بالعكس يسعى الى التعاون معها » .

وتؤكد بيانات اللجنة الوطنية ان اى مساندة للحكم المنهار ، تعتبر عملا موجها ضد الشعب وضد ارادة الجماهير فى التغيير الجذرى ، وأن الحركة الوطنية ارتكبت عدة اخطاء تمثلت فى عدم الالتزام بتقاليد الجماهير فى النضال وبتجارب الشعب المغربى الثورية ، وانصرفت الى الحركات الاصلاحية والمهادنة مع الاقطاع والتسليم له بالقيادة ، بحجة أنه « وطنى » والرضاء بأنصاف الحلول والمتاجرة السياسية وتقول أنها استقدمت أمير الاقطاع المنفى فى مدغشقر ، محمد الخامس ، لتوليه القيادة ، وتركت الزعيم الثورى عبد الكريم الخطابى ليموت منفيا فى القاهرة . ولكن فى حين تعلن اللجنة الادارية مطالبتها بالجمعية التشريعية مما يعنى الرضا بالتعاون مع الملك اذا قبل هو ذلك ، تؤكد بياناتها أن ما يحدد الانتماء الوطنى لاى جماعة ، هو موقفها من الاقطاع الملكى ،وتدين التحالف مع الاقطاع عميل الاستعمار وكل التجربة الماضية ،وتؤكد ان الاطاحة به هو المهمة العاجلة والملحة .

أما محجوب ففى حين يحرض عبد الله ابراهيم على التشدد ازاء الملك ، فقد دأب كما تتهمه اللجنة الادارية على تحطيم كافة أعمال التضامن مع المعتقلين حتى مع قادة الاتحاد الوطنى ومعارضة أى مقاومة جدية للنظام بل والوقوف ضد تنظيم الفلاحين ، وتجميد الحزب وتخريب نشاطه . أما الظاهرة الثالثة والاساسية فى المغرب فهى أن الشباب ، بحكم عدده وخصائصه العمرية ، قد برز الى المقدمة فى العمل السياسى فى المغرب ، وانه يريد تجاوز الاحزاب والتنظيمات الموجودة لعجزها عن تقديم خط سياسى واضح يكفل توحيد وتعبئة كل قوى التقدم فى المغرب . فاتحاد الطلاب مثلا ، تقلصت فيه سلطات الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية بجناحيه على حد سواء . والمهنيين بدأوا فى التجمع والتحرك الذى يتجاوز كثيرا المطالب الفئوية ليطرح قضية النظام كله . والجيش ـ فيما عدا الضباط القدامى الكبار الذين احتواهم النظام ـ يضطرم بثورة صغار الضباط من الجيل الجديد الذى التحق بالقوات المسلحة وتعلم فى فرنسا وأمريكا وتدرب على الاسلحة العصرية ، وتعرض للقمع والملاحقة واثارة الفساد والعجز ، مما جعله أقرب الى الجماهير منه الى مؤسسات النظام .

ولكن الحركة التلقائية للشباب لاتكفى ابدا لتغيير الاوضاع جذريا ، وعجز المعارضة وتناحرها ، يفسح المجال واسعا لمغامرات عسكرية من نوع الحكم اليونانى ، أو الحكومات العسكرية فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، كما يؤكد على يعطا سكرتير الحزب الشيوعى المغربى (حزب التحرر والاشتراكية) الذى يرى هو ايضا ان الطريق هو ارغام الملك على اقرار الديمقراطية .

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

سحب سفيرها المعتمد لديها .

٣٠ ـ ٤ ـ نميرى يزور السعودية لبحث مساعدة السودان على تنمية الجنوب واعادة توطين ابنائه .

عالمى

٣ ـ اعلن نميرى انه تم الاتفاق مع زعماء الجنوب على منحه الحكم الذاتى الاقليمى عن طريق مجلس شعبى ومجلس تنفيذى عالى .

٤ ـ اعترفت الولايات المتحدة الامريكية بدولة بنجلاديش .

٦ ـ بدات طائرات سلاح الجو الامريكى ووحدات الاسطول السابع اضخم هجوم بحرى وجوى ضد فيتنام الديمقراطية فى محاولة لوقف تدهور الموقف الذى يهدد خطة « فتنمة » الحرب بعد اكتساح قوات جبهة التحرير الفيتنامية لشمال فيتنام الجنوبية .

٨ ـ اغتيل عبيد كرومى رئيس مجلس الثورة فى زنزبار ونائب رئيس جمهورية تانزانيا .

١٠ ـ وقع ممثلو ٤٧ دولة فى موسكو من بينها الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا ومصر اتفاقا دوليا يقضى بحظر انتاج وحيازة الاسلحة البيولوجية واسلحة الجراثيم والسموم بمختلف انواعها وتدمير المخزون منها .

٢٧ ـ اعلن ياسر عرفات فى بلجراد ان الاتحاد السوفيتى ابلغ منظمة التحرير الفلسطينية رسميا انه يرفض مشروع حسين .

٢٨ ـ اجتماع بين الرئيس نيكسون والملك حسين دار البحث فيه حول مشروع الملك والمساعدات الامريكية للاردن .

٢٨ ـ صرح كيم ايل سونج رئيس وزراء كوريا الديمقراطية بأن بلاده

■ افريقيا

تنازل فى أوجادوجو ..
ورفض فى لومى .
والمشكلة باقية !

لم تسفر الزيارة التى قام بها الرئيس الفرنسى **جورج بومبيدو أخيرا الى أوجادوجو (عاصمة فولتا العليا) ولومى (عاصمة توجو)** ، عن نتائج ايجابية تهدىء من روح « التمرد » التى تسود عواصم الدول الافريقية التى كانت تخضع لفرنسا من قبل .. بسبب المشاكل المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية . ويرى المراقبون أن ما أثير حولها ، ربما يخلق مشاكل لبومبيدو داخل فرنسا نفسها .

فللمرة الثالثة منذ توليه الرئاسة ، يقوم بومبيدو بزيارة افريقيا . حيث قام فى عام ١٩٧١ بزيارة موريتانيا والسنغال وساحل العاج والكاميرون وجابون . وفى عام ١٩٧٢ ، كان قد زار كل من النيجر وتشاد . وخلال زيارته الاخيرة ، الغى برنامجه للذهاب الى داهومى بعد وقوع الانقلاب الاخير فيها (٢٦ أكتوبر) . وتفيد التقارير الواردة من افريقيا ، ان بومبيدو سوف يزور اثيوبيا خلال يناير الحالى ، ليقوم بعدها بزيارة عدد آخر من دول القارة .

وكانت آراء معظم رؤساء دول افريقيا التى كانت تخضع لفرنسا من قبل ، تتجه الى ضرورة اعادة النظر فى القواعد التى تحكم ما يعرف « بمنطقة الفرنك » . فقد اقترح رئيس **النيجر**، عقد مؤتمر قمة لمنطقة الفرنك . أما رئيس **موريتانيا** ، فقد أعلن أن فى نية بلاده انشاء عملة قومية خاصة بها . وكانت **الكونجو برازافيل ومدغشقر والكاميرون وتشاد** ، قد طالبت منذ عهد قريب باعادة النظر فى اتفاقية التعاون مع فرنسا .

وترجع اتفاقيات التعاون بين فرنسا ودول المستعمرات الفرنسية السابقة فى افريقيا ، الى عام ١٩٦٠ التى استقلت فيه هذه الدول ، عندما وقع **شارل ديجول** معها اتفاقيات للتعاون الاقتصادى بهدف استمرار ربط هذه الدول بفرنسا . وأساس هذه الاتفاقيات قيام نظام نقدى (منطقة الفرنك) انشىء بدوره عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة . وبمقتضاه تمارس فرنسا رقابتها على اصدار الفرنكات الافريقية فى هذه الدول ، فضلا عن اشراف بنك فرنسا على ما تقتنيه بنوك هذه الدول من عملات اجنبية أخرى . ويؤدى ذلك بالطبع الى أن تعتنق الدول الافريقية مواقف فرنسا فى أية مفاوضات متعلقة بالنقد الدولى . ونظرا لان أسواق هذه الدول تستوعب ١٠ فى المائة من صادرات فرنسا ، فان علاقاتها الاقتصادية بفرنسا تمثل أحد أسس دعم مركز الفرنك الفرنسى وخاصة فى مواجهة أية اضطرابات تواجهه . وقد زادت تأثيرات هذه المشكلة ، بعد أن تعرض الفرنك الفرنسى فى السنوات الاخيرة لهزات عنيفة أدت الى تخفيض قيمته . والمعروف أن دول (منطقة الفرنك) هذه تعتمد فى اقتصادياتها على نظام « **المحصول الواحد** » حيث أن سوقه الرئيسى فرنسا نفسها . ونتيجة لان فرنسا تستورد هذه المحصولات بأسعار مطردة الانخفاض ، وجدت هذه الدول نفسها مضطرة لان تطالب بتعديل سعر التبادل بينها وبين فرنسا .

ولهذا بادر بومبيدو فى زيارته لفولتا العليا ، بان وعد بتقديم اعتمادات فرنسية جديدة عام ١٩٧٣ لمتابعة دراسة مشروعات تنمية أودية نهر الفولتا ، والتعليم العالى والخطوط الحديدية . واضطر الى اعلان الغاء « ديون ما قبل

مستعدة لاجراء محادثات فورية مع كوريا الجنوبية بهدف اعادة توحيد كوريا .

٧ — وقعت المانيا الاتحادية اتفاقا رسميا لاول مرة مع الاتحاد السوفيتى يهدف الى تنظيم وزيادة حجم التبادل التجارى بين الدولتين .

٢٧ — توفى الدكتور كوامى نكروما رئيس وزراء غانا السابق فى رومانيا .

٨ — سقطت ثلاث قواعد عسكرية امريكية شمال سايجون فى ايدى قوات الثوار الفيتناميين وفى ١٥ استولى الثوار على مدينة آن لوك .

٢٦ — اعلنت الولايات المتحدة موافقتها على العودة الى محادثات السلام الخاصة بفيتنام فى باريس .

مايو

محلى

١٣ — ٢٧ — وصل المارشال اندريه جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى الى مصر لاجراء محادثات عسكرية .

١٧ — طلبت وزارة الخارجية المصرية من الحكومة الامريكية تخفيض عدد اعضاء البعثة الامريكية التى تشرف على الرعايا الى النصف . وخفض اعضاء البعثة المصرية فى الولايات المتحدة بسبب السياسة السافرة التى تتبعها الولايات المتحدة فى دعم العدوان الاسرائيلى .

عربى

٤ — بدأت فى العاصمة الجزائر مباحثات بين السادات والقذافى وبومدين لتعبئة الامكانيات العربية لمعركة تحرير الارض المحتلة .

٤ — كلف الملك الحسن محمد كريم العمرانى بتشكيل حكومة انتقالية للاشراف على اجراء الانتخابات التشريعية .

الاستقلال » عن المستعمرات الفرنسية السابقة فى افريقيا ومجموعها ٥٠٠٠٠ مليون فرنك (٨٥ مليون جنيه استرلينى) .

لكن هذا الاعلان ، أثار المستوطنين الفرنسيين الذين كانوا يقيمون فى هذه البلاد ثم غادروها الى فرنسا ، والذين كانوا ينتظرون تعويضـــا عن ممتلكاتهم التى تركوها . كما أنه أثار فى فرنسا مسألة هل من صلاحيات بومبيدو الدستورية أن يتخذ مثل هذه الخطوة أم لا ؟

على أن المشكلة قد انفجرت بحدة أثناء زيارته الى توجو ، عندما كان رئيسها يقيم مأدبة لتكريم بومبيدو ثم فاجأ الحاضرين (٦٠٠ شخص) بقوله فى كلمته الرسمية بضرورة « اعادة النظر فى سعر التبادل ». وقد أثار ذلك غضب بومبيدو الذى ألقى كلمة عقب فيها بقوله « ان رئيس الدولة الذى يدرك مسئولياته يتحاشى مثل هذه الفورات العلنية » . ثم أضاف بان استقلال المجموعة الافريقية الفرنسية يمكن أن ينهار بدون الضمانات الفرنسية . وينظر المراقبون الى كلمة بومبيدو هذه باعتبارها تهديدا مستترا للدول الافريقية اذا مضت بانتهاج سياسة اقتصادية دونما ارتباط بفرنسا .

والمشكلة التى تواجه دول « منطقة الفرنك» الافريقية الان ، أنها تواجه انقساما بسبب موقف السنغال وساحل العاج اللتين تفضلان الابقاء على الوضع كما هو .

وقد بادر وزير مالية فرنسا الى عقد مؤتمر مع وزراء مالية دول منطقة الفرنك قبل تدهور الموقف ، لبحث تطوير القواعد المالية فى المنطقة « بما يكفل للدول الافريقية الاحتفاظ بجزء من أرصدتها الاجنبية » .

وترى بعض الدوائر الاقتصادية الفرنسية أن ما حدث فى توجو يهدد بانهيار النظام النقدى لمنطقة الفرنك كله ، على أنها تعتقد أن رفض بومبيدو لطلبات التعديل فى لومى ، وتنازله عن الديون ، فى أوجادوجو ، لن يحل المشكلة .

■ ■

■ الامم المتحدة :

الامم المتحدة تصدر القرارات واسرائيل تستمر فى تحديها

وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٨ ديسمبر الماضى على مشروع القرار الذى تقدمت به الدول غير المنحازة بشأن مشكلة الشرق الاوسط . ويقضى بانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة ، وعدم الاعتراف بالتغييرات التى تقوم بها اسرائيل فى الاراضى المحتلة واحترام حقوق شعب فلسطين .

وينص القرار على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ بالكامل وقرار الجمعية العامة الصادر فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٧١ .

وقد اعربت الجمعية العامة عن استنكارها لعدم امتثال اسرائيل لقرار الجمعية رقم ٢٧٩٩ بالاستجابة لمبادرة السلام من جانب مبعوث السكرتير العام للامم المتحدة الى الشرق الاوسط كما اعلنت فيه ان الاستيلاء على الارض بالقوة أمر غير مسموح به ويجب اعادة الاراضى التى احتلت الى أصحابها ، وان تعلن اسرائيل تمسكها بمبدأ عدم ضم اراض عن طريق استخدام القوة وانسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها **وانهاء كافة الدعاوى وحالات الحرب واحترام الاعتراف بسيادة كل دولة من دول المنطقة ووحدة ترابها واستقلالها السياسى وحقها فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها بمنأى عن**

حركة الاحداث لعـام ١٩٧٢

٦ — ٨ — قام السادات بزيارة تونس . اكد البيان المشترك ضرورة تدخل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لتفادى حدوث مؤثرات لايمكن التكهن بمدى خطورتها فى منطقة الشرق الاوسط .

٨ — ١٧ — وصل كاسترو رئيس وزراء كوبا الى الجزائر . وندد البيان المشترك سياسة اسرائيل العدوانية وبمساعدة الولايات المتحدة لها .

واكد حتى الدول العربية فى استخدام جميع الوسائل بما فيها الثورة المسلحة لاستعادة اراضيها .

٨ — ٩ — قام السادات بزيارة ليبيا لاستكمال المحادثات حول قومية المعركة وتعزيز الوحدة بين البلدين .

٢٢ — تعهدت السعودية بتقديم ٧٦ر٤ مليون جنيه سودانى اسهاما منها فى اعادة توطين اللاجئين فى جنوب السودان .

٢٧ — تشكلت حكومة جديدة فى لبنان برئاسة صائب سلام عقب ظهور نتائج الانتخابات البرلمانية .

٣٠ — قام ثلاثة من اليابانيين العاملين فى صنوف المقاومة الفلسطينية بعملية هجومية فى مطار اللد الاسرائيلى اسفرت عن مقتل واصابة حوالى ١٠٧ افراد بينهم كبير علماء الجيش الاسرائيلى .

عـالمى

٣ — وافقت الحكومة البريطانية على افتتاح مكتب للاعلام فى لندن تابع لمنظمة التحرير الفلسطينية .

٣—٩ — قامت الولايات المتحدة بفرض حصار بحرى على جميع موانىء فيتنام الديمقراطية عن طريق بث الالغام فى مداخلها ، وضرب كل خطوط الاتصالات البرية والحديدية لمنع الوصول .

التهديد بالقوة او أعمال العنف ، وان التغييرات التى أجرتها اسرائيل فى الاراضى العربية المحتلة لاغية وباطلة ، وان تمتنع اسرائيل عن السياسات والاعمال التى تمس الشخصية المادية أو التكوين السكانى للاراضى العربية المحتلة ، وعدم الاعتراف بهذه التغييرات التى قامت بها اسرائيل وتدعو الجمعية كافة الدول لتجنب اتخاذ اية أعمال أو مساعدات من شأنها ان تشكل اعترافا بذلك الاحتلال ، وان احترام حقوق الفلسطينيين عنصر أساسى فى قيام سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط ، طالب القرار مجلس الامن والسكرتير العام باتخاذ كافة الخطوات المناسبة لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ تنفيذا تاما وعاجلا •

وقد تمت موافقة الجمعية العامة على المشروع بأغلبية ٨٥ صوتا ومعارضة ٧ دول وامتناع ٣٢ دولة عن التصويت •• وكانت قد جرت ثلاثة تعديلات على مشروع قرار الدول غير المنحازة ، تدمتها **بريطانيا** بالاشتراك مع فرنسا وايطاليا ولوكسمبورج تناولت تعديل مقدمة المشروع التى تطلب تنفيذ جميع القرارات التى أصدرها المجلس حول قضية الشرق الاوسط • والجزء التنفيذى من القرار الخاص بمطالبة اسرائيل بالانسحاب الفورى غير المشروط من الاراضى العربية المحتلة ، وادماج الفقرتين ٨ ــ ٩ من المشروع الاصلى والخاصة بدعوة الدول الى عدم مد اسرائيل بالمساعدات الاقتصادية والمالية التى تمكنها من استغلال الموارد الطبيعية للاراضى المحتلة • وعدم امدادها بالمساعدات العسكرية التى تمكنها من الاستمرار فى احتلال الاراضى العربية ••

وقد فشلت جهود الولايات المتحدة للضغط على الدول الاعضاء فى الامم المتحدة لحمل الجمعية على قبول التصويت على كل بند من بنود القرار على حدة ، وفصل المادة الثامنة من المشروع فى محاولة يائسة لاضعاف قرار الجمعية وانقاذ اسرائيل ، كذلك امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت على البند الذى يدعو الدول الى عدم الاعتراف بالتغييرات التى أجرتها اسرائيل فى الاراضى المحتلة وعدم تقديم أى عون من شأنه الاعتراف بهذه التغييرات •

وكشفت عملية التصويت عن حدوث تغيير فى المواقف السابقة لبعض الدول سواء موقف المعارضة او الامتناع الى التأييد اخيرا • وتغيبت عن جلسة الاقتراع ثمانى دول منها خمس دول عربية هى : الجزائر واليمن الديمقراطية والعراق وليبيا وسوريا وقد وصف الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية موقف الدول العربية الخمس : « بأنه تعبير عن نفاذ الصبر » •

وقد شن مندوب اسرائيل هجوما شديدا على قرار الجمعية العامة للامم المتحدة ووصفه بأنه « وثيقة كاذبة » كما عبر المسئولون الاسرائيليون عن عدم اكتراثهم بقرار الامم المتحدة اذ أعلن « **أبا ايبان** » وزير خارجية اسرائيل : « ان القرار لن يكون له تأثير على وجود القوات الاسرائيلية على خطوط وقف اطلاق النار ، وان الموقف مازال على ما كان عليه قبل صدور القرار » وقال موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى « ان القرار لن يمنع اسرائيل من الحصول على الاسلحة ، وانه يجرى حاليا تزويد الجيش الاسرائيلى بأسلحة جديدة » •

كذلك وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٤ ديسمبر الماضى بأغلبية كبيرة على أربعة قرارات اخرى خاصة بالشعب الفلسطينى ، وتؤكد فيها من جديد ان احترام حقوق الشعب الفلسطينى لا غنى عنه لاقرار السلام فى الشرق الاوسط ، ومطالبة اسرائيل باعادة الفلسطينيين الذين شردوا من أراضيهم بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، وأن توقف اسرائيل فورا الاجراءات التى تؤثر فى طبيعة الاراضى المحتلة ، كما أعربت الجمعية العامة عن

اية امدادات حربية من الوصول اليها والى جنوب فيتنام •

٣ ــ اعلنت وزارة الدفاع الامريكية ان الموقف فى فيتنام الجنوبية خطير جدا وان جيش سايجون يواجه موقفا بالغ الخطورة بعد الهزائم التى منى بها فى الجبهة الشمالية •

٣ ــ ٧ ــ قامت جولدا مائير بزيارة رومانيا ودعا رئيس وزراء رومانيا فى خطاب القاه الى الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة والى تسوية وفقا لقرار مجلس الامن •

٥ ــ تم نقل السيادة على جزر اوكيناوا من الولايات المتحدة الى اليابان بعد ٢٧ عاما من الاحتلال الامريكى ظلت الجزيرة خلالها تحت الادارة الامريكية •

٩ ــ حققت نتائج الانتخابات الايطالية نصرا واضحا لقوى الوسط واليمين الايطالى • الحزب الشيوعى والاشتراكى لوحدة البروليتاريا حصلا على ٢٧٫٦٪ من الاصوات مقابل ٣٠٪ فى ١٩٦٨ والاشتراكى ١٠٪ مقابل ١٥٪ والليبرالى ٤٪ مقابل ٦٪ والفاشيين ٩٪ مقابل ٤٪ اما فى مجلس النواب فحصل الديمقراطى المسيحى على ٣٨٪ بدلا من ٣٩٪ سابقا ــ اما الحزب الشيوعى فازدادت مقاعده بشكل ملحوظ فحصل على ٧٢٪ مقابل ٢٦ ٪ والاشتراكى ٩٪ مقابل ١٤٪ •

١٦ ــ رفضت الولايات المتحدة أستئناف محادثات باريس حول فيتنام كما طالب بذلك رسميا وفد فيتنام الديمقراطية وحكومة الثوار •

١٦ــ١٨ ــ قام وزير خارجية مصر بزيارة فرنسا اكد فيها بومبيدو ان سياسة بلاده ازاء الشرق الاوسط

اسفها وقلقها لنسف اسرائيل مساكن ١٠٨٥٥ لاجئا فى قطاع غزة ، ودعت العالم للاسهام بسخاء فى اغاثة اللاجئين .

■ ■

■ فيتنام :

أسباب المماطلة الامريكية فى توقيع اتفاق السلام

أصدر وفد هانوى فى مباحثات السلام فى باريس ، تكذيبا لادعاءات كيسنجر بأن الوفد الفيتنامى الشمالى طلب ادخال تعديلات جديدة على اتفاق السلام الذى تم التوصل اليه ، وكان العالم كله يتوقع اقراره بين لحظة وأخرى . وأكد أن الجانب الأمريكى هو الذى طرح اقتراحات بالتعديل متعللا بالاعتراضات التى أبداها ثيو رئيس حكومة الجنوب .

والواقع أن التسويف الامريكى يستهدف غايات خاصة ولا يرمى أبدا الى ارضاء ثيو ، فقد أعلنت واشنطن مرارا وتكرارا أنها ماضية فى خططها رضيت سايجون أم لم ترض ، بل أن ثيو نفسه أعلن فى برلمانه عند ما راجت أنباء قرب توقيع الاتفاق ، ان واشنطن تتصرف كما لو كانت حكومة سايجون غير موجودة أصلا ولا تضع لها أى اعتبار .

والادهى منذلك انواضعى السياسةالامريكية يؤمنون بأنهم موقعون على الاتفاق لا محالة ان لم يكن اليوم فغدا ، باعتبار ذلك هو التعبير الوحيد عن واقع الامور فى ميدان القتال نفسه ، والذى أوضح أن الحاق الهزيمة بالثوار مستحيل مهما حشدت له أمريكا من قوات ومعدات ، وقد عبر ثيو نفسه عن ذلك بقوله أن توقيع الاتفاق بصورته الراهنة سيدمر النظام فى الجنوب ، أما توقيعه بعد التعديلات التى تطلبها حكومة سايجون ، فسيؤدى أيضا الى دمار النظام فى الجنوب ولكن بعد شهر .

والمماطلة الامريكية تهدف فى واقع الامر الى تحقيق عدة اهداف منها :

● استكمال تحويل الجنوب الى ترسانة عسكرية مجهزة بأحدث المعدات ، تماما كما تفعل واشنطن مع اسرائيل ، لاستخدامها عند اللزوم فى مغامرات عسكرية جديدة . ولكن الثوار يدمرون هذه الامدادات أولا بأول ، فقد نسفوا منذ أيام ـ وبعملية انتحارية قدرها الامريكيون انفسهم ـ مستودعا هائلا للذخيرة على مقربة من سايجون .

● محاولة اثارة التناقضات بين قوى الثورة ، باختلاق الافتراءات عن اختلاف قادة الجبهة حول استمرار النضال المسلح . فقد نشرت الصحف الغربية سيناريو محبوك لقصة سينمائية ، « هوليودية » توضح أن محاولة انقلاب قام بها الجزء المتشدد من قادة الجبهة ضد زملائهم من أنصار التفاوض ، ولكن المحاولة فشلت . وقد كذب وفد هانوى وممثلو حكومة الجنوب الثورية هذه القصة وادانوها .

● اعداد خطط التدخل والسيطرة بوسائل أخرى فى فترة ما بعد الحرب . فقد شكلت أمريكا فى ١٩٦٨ ، ما يسمى « مجموعة التخطيط لما بعد الحرب » لتنظيم تسلل رأس المال الامريكى وسيطرته على البلاد ، وذلك بعدما تبدى واضحا جليا فشل الاساليب العسكرية فى ضمان السيطرة على الجنوب . وبالفعل قدمت هذه المجموعة فى مارس ١٩٦٩ ، خطة تنمية لكل من الرئيسين الامريكى والفيتنامى الجنوبى . ومؤدى هذه الخطة هو قيام رأس المال الامريكى ، الخاص أساسا ، باقامة مشروعات التعمير والتشغيل فيما بعد الحرب .

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

لن تتغير بوانها تتمثل فى تاييد الحق العربى بالنسبة للاراضى المحتلة وحق الشعب الفلسطينى فى استعادة اراضيه .

١٧ ــ ٢٣ ــ صدق البوند ستاج الالمانى الغربى على الاتفاقية الالمانية ــ السوفيتية والاتفاقية الالمانية ــ البولندية .

٢٢ــ٢٦ ــ قام وزير خارجية مصر بزيارة يوجوسلافيا وسلم الرئيستيتو رسالة من السادات بتطورات ازمة الشرق الاوسط .

٢٢ ــ اعلنت الجمهورية فى سيلان باسم « جمهورية سيريلانكا » واصبح الحاكم العام وليم جوبلاو اول رئيس للجمهورية .

٢٣ ــ ٣٠ ــ قام الرئيس الامريكى نيكسون بزيارة الاتحاد السوفيتى ووقع هناك عدة اتفاقيات اهمها اتفاقية الحد من الاسلحةالاستراتيجية واتفاقيات اخرى للتعاون فى مجال الطب والفضاء والعلم والتكنولوجيا واكد البيان المشترك انه لا بديل فى العصر الذرى لادارةعلاقاتهما المشتركة على اساس التعايش السلمى وتجنب المجابهات العسكرية ، ومنع نشوب حرب ذرية .

٢٦ ــ وقعت اتفاقية بين المانيا الديمقراطية ، والمانيا الاتحادية تتعلق بالمشكلات العامة للمرور بين الدولتين .

٣٠ ــ ٣١ ــ قام الرئيس نيكسون بزيارة ايران واجرى مباحثات مع الامبراطور حول الموقف فى الخليج العربى وازمة الصراع العربى الاسرائيلى ونتائج الحرب الهندية ــ الباكستانية .

[البقية العدد القادم]

والواقع أن الاحوال الاقتصادية فى الجنوب تحتاج الى كميات هائلة من رؤوس الاموال لاصلاح ما افسدته الحرب التى استمرت ثلاثين عاما ، حقق الامريكيون فى السنوات السبع الاخيرة منها كميات من الدمار فاقت ما احدثته أى قوى عدوانية عبر التاريخ • فالسدود مهدمة والطرق والكبارى محطمة • وعشرات المدن وآلاف القرى تمت ازالتها ، واحرقت غابات بأكملها ، ودمرت مزارع الارز ، وهدمت المصانع خاصة ابان قصف ضواحى سايجون فى ١٩٦٨ ، وتم اجلاء الفلاحين وسكان الجبال الى اطراف المدن حيث يعيشون بلا عمل أو مأوى • والواقع أن النشاط الوحيد المزدهر هو التجارة • وتتم أساسا فى السلع الكمالية وفى المواد المسروقة من المعونة الامريكية • اما الزراعة ، وتشمل أساسا الارز والمطاط والشاى والبن ، فكانت الحرب عليها وبالا وانخفضت انتاجيتها ، ولم تخصص لها أى استثمارات فى الفترة الماضية • وتراكم رؤوس الاموال ، من جراء اعمال المضاربة والتجارة المشروعة وغير المشروعة ، وتنفيذ العقود والمقاولات لحساب الجيش الامريكى وميزانية حكومة سايجون ، هذا التراكم لا يستغل محليا • فقد بدأت الشركات الامريكية العاملة فى الجنوب الفيتنامى ، ترحل كل اموالها فى عامى ٦٩ و ١٩٧٠ •

ومساهمة أمريكا فى التعمير ، لا تتم أبدا استجابة لمطالبة الجبهة لها بأن تعوض الجنوب عما سببته له من دمار وكوارث ، وان ترد له القليل مما نهبته من ثرواته ، وانما تتم ابتغاء تحقيق الارباح الهائلة والسيطرة على المواقع الاقتصادية الاساسية فى الجنوب عن طريق تصدير رأس المال واستخدامه فى اخضاع الجنوب ، بعد فشل تصدير الثورة المضادة بالتدخل العسكرى المباشر.

ولم يفت رجال الاعمال اليابانيين الفرصة ، فقد بادر الدبلوماسيون اليابانيون بتقديم عدة مشروعات اقتصادية لكل من حكومة سايجون وحكومة الثوار ، لاتاحة الفرصة لرأس المال اليابانى للسيطرة •

وهناك هدف آخر للتسويف الامريكى أوضحته جريدة « **وركرز ورلد** » الامريكية فى عدد ١٧ يوليو ١٩٧٢ ، وهو أن انشغال الرأى العام العالمى بالقضية الفيتنامية طالما بقيت مشتعلة ، يكفل لامريكا انصراف اهتمامه عن اعتداءاتها الاخرى ، فى الشرق الاوسط ضد الشعوب العربية عن طريق دولة اسرائيل العميلة ، كتعبير الصحيفة الامريكية ، وفى كوبا التى تحتفظ أمريكا بجزء من أرضها فى جوانتانامو ، وفى كوريا ، وفى تايلاند التى ما زالت محتلة • ومن ثم فمصلحة أمريكا محققة فى التسويف ، رغم أنها تؤمن بأن ذلك لن **يستمر طويلا ، وانه لابد لها من التوقيع** •

تعليق

الفشل الاسرائيلى •• هل يتحول الى نجاح عربى ؟

قام الرئيس فرانسوا تومبالباى ، رئيس جمهورية تشاد ، بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، فى الاسابيع القليلة الماضية . ويكتسب هذا القرار ، أهميته الخاصة من واقع انه :

- الموقف « الرابع » الذى تتخذه دولة افريقية من اسرائيل ، بعد مواقف ثلاثة سابقة لدول : غينيا — الكونجو برازافيل — اوغندا . ويعنى ذلك أن دائرة اكتشاف حقيقة دور اسرائيل فى افريقيا ، تتسع بمضى الوقت وان اتخذت فى السنوات الاخيرة « ايقاعا » أسرع عن ذى قبل .

- موقف عملى ضد اسرائيل ، يتصادف وقوعه فى فترة اثارة « أزمة الشرق الاوسط » فى المجتمع الدولى ، حيث تصبح احتمالات أن تترجم « احدى » أو « بعض » الدول مواقفها السياسية فى الامم المتحدة من الازمة » الى موقف عملى ، أقول تصبح هذه الاحتمالات حقيقة واردة .

- يحمل فى مضمونه تحولا هاما فى ادراك الموقف فى الشرق الاوسط ككل . اذ يربط الرئيس تومبالباى هذا القرار بقوله « ان وجود اسرائيل يهدد أمن الدول الافريقية » .. وهو بذلك يعيد طرح عناصر المشكلة حتى الجذور . و « الدفاع » الاسرائيلى — ازاء هذا — يمكن أن يصبح مطالبا بتبرير « الوجود » لا مجرد تبرير « الحدود الامنة » .

وذلك كله مكسب هام ، لا للقضية العربية فحسب ، وانما لحركة التحرر الافريقية بنفس الدرجة . لانه « اصابة مقتل » لاحد الجسور الاساسية للاستعمار الجديد ومخافره الامامية فى افريقيا .

وربما يكون من قبيل البديهيات ، القول بضرورة موقف عربى يجد الحلول والصيغ الواجبة والملائمة لمساندة ودعم الدول التى تقف فى وجه المد الصهيونى — الاستعمارى . خاصة وأن اسرائيل لن تستسلم بسهولة أمام هذه التطورات .

لكن الامر الضرورى ، هو اهمية وضع مخطط عام لتحويل كل فشل اسرائيلى الى نجاح عربى . فحين يلقى حجر فى الماء ، يصبح مهما تحويل الدوامات الى بؤرة أو مركز جديد للحركة . وأثير هذه النقطة بمناسبة انه لم يحدث بعد ان « استثمرت » الدبلوماسية أو السياسة العربية الخطوات السابقة المماثلة . أو على الاقل ، لم يحدث أن اجيد استثمارها . فعندما اقدمت اوغندا — مثلا — على نفس الخطوة ، تناولت الصحافة الافريقية — حتى فى الدول التى تتعاطف أو لها ارتباطات كبيرة مع اسرائيل — أسباب موقف اوغندا . مما خلق مناخا عاما لدى الرأى العام الافريقى ، كان يمكن معه بجهد مدروس ومخطط أن نستفيد كثيرا من الفشل الاسرائيلى ، ونحقق فى نفس الوقت .. نجاحا عربيا بديلا . وهذا هو المطلوب بالتحديد .

حسين شعلان

■ شيلى

جولة الليندى . . ومكاسب للاشتراكية فى شيلى

قبل أيام من قيام الرئيس سلفادور الليندى رئيس جمهورية شيلى بجولته العالمية الناجحة التى زار خلالها المكسيك والجزائر والامم المتحدة والاتحاد السوفيتى وكوبا ــ نشر أحد اساتذة الاجتماع الامريكيين بحثا عن الموقف الحالى فى شيلى قال فيه بالحرف الواحد ما يلى :

« لو أن المرء اعتمد على التغطية الامريكية وحدها لانباء شيلى لكى يفهم التطورات الحالية فى ذلك البلد ، فانه سيكون من الطبيعى ان يستنتج أن حكومة سلفادور الليندى حكومة غير شعبية الى ابعد حد ، وغير شرعية وعاجزة وتقوم على القمع . ويستطيع المرء أن يستنتج ايضا ان اليسار الشيلى لا يبقى فى السلطة ، لا بقوة الجيش وليس بالتزام بالديمقراطية .

« **وهذه الاستنتاجات خاطئة من أساسها وتقوم على فهم سطحى للصراعات الاقتصادية والسياسية التى تخوضها القوى المؤيدة للحكومة والمناهضة لها فى شيلى** » .

ويمضى الباحث الامريكى ليؤكد تفصيلا **زيف المزاعم الصحفية الامريكية عن الموقف فى شيلى ومركز حكومة دكتور الليندى الاشتراكية** .
[الباحث هو لويز وولف جود مان] .

والواقع ان رحلة دكتور الليندى بعد ذلك قد جاءت فرصة ممتازة ليعرف العالم بشكل مباشر حقائق كثيرة عن النضال الاقتصادى والسياسى الذى تخوضه الحكومة الاشتراكية ضد الاعتداءات وانواع الحصار الاقتصادى التى تفرضها عليها الامبريالية الامريكية ــ وتساعدها فيها بعض الدوائر الرأسمالية فى العالم الغربى . . **وقد نجحت رحلة الرئيس الشيلى فى تحقيق هذا الغرض نجاحا تجاوز كل توقعات اصدقاء شيلى وأعدائها على السواء** .

وبصفة خاصة فان زيارة دكتور الليندى للامم المتحدة **وخطابه امام الجمعية العامة** كانا مناسبة اظهرت مدى التقدير الذى يتمتع به الزعيم الاشتراكى الشيلى ومدى التأييد الذى يناله نضال حكومته الشعبية ضد كل أشكال الضغط والحصار . حتى أن الصحافة الامريكية نفسها رددت ــ فيما يشبه الذهول ــ مظاهر الحفاوة والتقدير التى قوبل بها الليندى فى الجمعية العامة . وخاصة الهتاف الحماسى الرائع الذى قوبل به فى نهاية خطابه . فقد ترددت فى قاعة الجمعية العامة التى لم يغب أحد من اعضائها واكتظت عن آخرها ، عبارة « **فيفا الليندى** » ــ «**فيفا شيلى**» فيما يشبه مظاهرة تأييد جماهيرية ، ولكن على مستوى دولى ، وفى قلب الولايات المتحدة ــ فى نيويورك .

لقد كشف الرئيس الشيلى بوضوح للمجتمع الدولى حقيقة العدوان الخطير الذى تمارسه المؤسسات الامريكية ــ والمصالح المالية الامريكية وكذلك حكومة الولايات المتحدة ضد شيلى .
وقال « **منذ اليوم الاول لانتصارنا فى انتخابات يوم ٤ سبتمبر عام ١٩٧٠ ، شعرنا بآثار الضغط الخارجى الواسع النطاق ضدنا ، الذى حاول أن يمنع تنصيب حكومة انتخبها الشعب انتخابا حرا ، وحاول اسقاطها منذ ذلك الحين . وهو عمل حاول ان يقطع الصلة بيننا وبين العالم وأن يخنق اقتصادنا ويشل تجارتنا فى صادراتنا الاساسية ــ النحاس ــ وأن يحرمنا من بلوغ مصادر التمويل الدولية** » .

وقال الليندى أيضا فى خطابه الهام الذى استغرق ساعة ونصف الساعة « ها نحن نعبر السبعينات ، ولانزال نعانى من مظهر آخر من مظاهر الامبريالية ، أشد خبثا وأكثر دهاء وتأثيرا بطريقة بشعة فى منعنا من ممارسة حقوقنا كدولة ذات سيادة » . ولم يخف الليندى شيئا من حقائق المعاناة فى شيلى فى آثار الضغط والحصار الامريكى ضد بلاده ، بل قال صراحة « **ان كل فرد فى شيلى يعانى من نتائج هذه**

الاجراءات . لانها تؤثر على الحياة اليومية لكل مواطن وطبعا على الحياة السياسية الداخلية » .. ولكن الليندى لم يقف عند هذا الحد فرد هذه المعاناة الى أسبابها الحقيقية اذ أكد أن الامبريالية **تحاول أن تنزل العقاب بأمة بأكملها لمجرد أنهـا قررت أن تستعيد مصادرها الاساسية** . وقال **بكل وضوح** « اننى امام الضمير العالمى أتهم شركة التلغراف والتليفون الامريكية بمحاولة اشـعال حرب اهلية فى بلادى . » واتهم أيضـا شركة كينكوت الامريكية للنحاس التى أممتها حكومتـه بأنها تسببت باجراءاتها القضائية فى العـالم فى خسارة عـدة **مئـات من ملايين الدولارات** لشيلى ، وتعويق عمليات **شيلى المالية مع بنوك** أوروبا الغربية .

وفى وجه كل هذه الاجراءات وجه الليندى فى ختام خطابه نداء الى كل الامم الناميـة أن تعمل لحماية اقتصادياتها بالسيطرة على انتاجها وتسويقه . وأكد صمود شيلى رغم الضـغط والحصار واصرار حكومته على المضى فى تنفيـذ برنامجها لبناء الاشتراكية وتحقيق سيادة شيلى وسيطرتها الكاملة على مصادرها .

وبعد هذا **فان الغرب كله ـ وخاصة الولايات المتحدة ـ كان يضع عينه بقلق شديد على زيارة الليندى الاولى للاتحاد السوفيتى** : خاصة بعد أن ادرك أن الليندى أصبح فى نظر جماهير أمريكا اللاتينية زعيما قوميا من زعماء حركة التحرر فى القارة [وهو ما أكده الاستقبال الهائل الذى لقيه فى المكسيك فى بداية الجولة] . ومن الطبيعى أن قلق الغرب من زيارة الليندى للاتحـاد السوفيتى يرجع الى ادراك بأن الليندى سيجد دعما وتأييدا ماديا وسياسيا فى موسكو من شأنه أن يسهم بدور كبير فى احباط اجراءات الضغط والحصاد التى تمارسها المؤسسات الرأسمالية الاحتكارية الكبرى ضد اقتصاد شيلى وتجارتها .

وبالفعل فان ظن العالم الغربى قد تحقق فى **نتائج زيارة الرئيس الشيلى للاتحاد السوفيتى . فقد أكدت المحادثات التى جرت بين الطرفين أن الاتحاد السوفيتى سيقدم لشيلى المزيد مـن المساعدات الاقتصادية والمالية والفنية** .

ووقع الجانبان اتفاقيات اقتصادية وتجارية جديدة يقدم الاتحاد السوفيتى بمقتضاها مزيدا من المساعدات لشيلى لتنمية نحاسها ولتنمية عدد من الصناعات الاخرى ولبناء المصانع .

ولقد كان بعض دوائر الغرب يعتقد أن الاتحاد السوفيتى « مرهق » بما يقدمه من مساعدات ضخمة لكوبا وأنه لهـذا قد يتوانى فى الالتزام بزيادة مساعداته لشيلى ، ولكن نتـائج زيارة الليندى لموسكو أكدت وقوف الاتحاد السوفيتى الى جانب شعب شيلى فى نضاله ضد الامبريالية ومن أجل بناء الاشتراكية .

وكذلك ادارك الاتحاد السوفيتى الدور الذى تلعبه تجربة شيلى الاشتراكية فى نضال شعوب أمريكا اللاتينية من أجل تحقيق الاستقلال الفعلى والتقدم الاجتماعى . وادراكه ايضا ان مساندته لنضال شيلى لا ينفصل ولا يتجزأ عن مساندته لكوبا الاشتراكية فى صمودها العظيم عند تخوم الدولة الامبريالية الاولى : الولايات المتحدة .

ولعل زيارة الليندى لكوبا بعد ذلك قد أكدت معنى وحدة النضال السياسى والاجتماعى بينهما . وهو ما عبر عنه **فيديل كاسترو** زعيم الثورة الكوبية فى لقائه الجماهيرى مع الليندى أمام مئات من آلاف المواطنين الكوبيين حين وصـف الليندى بأنه « **المناضل الثورى الذى يخوض على رأس بلاده معركة قاسية شاقة من أجل تدعيم استقلالها والتقدم رغم مقاومة الاقلية والرجعية** » .. ولقد كان اعظم مشاهد التضامن الثورى بين كوبا وشيلى حين اعلن كاسترو أمام الجماهير الكوبية وبجوار الليندى « **اننا نحن الكوبيين لن نقف مكتوفى الايدى** » . وعلى الفور تقدم اقتراحا باجراء تخفيض اختيارى لـما يستهلكه كل كوبى من السكر حتى يمكن تقديم ما يقرب من ٤٠٠ ألف **طن من السكر سنويا مجانا الى شعب شيلى** .



عن الجبهـــة العربيـــة المشـــاركة في الثـــــورة الفلســـــــطينية

في الفترة من ٢٧ نوفمبر الى ٢٩ نوفمبر ١٩٧٢ انعقد في بيروت المؤتمر الشعبي العربي لنصرة الاحزاب الوطنية والتقدمية واتحـادات العمـال والفلاحين والمنظمات المهنية الدوليـة العـربيـة ، وعدد من الشخصيات التقدمية من أكثر من ١٤ بلدا عربيا . واشترك في المؤتمر بصفة مراقبين ٨ منظمات ديمقراطية عالمية ، ـ مجلس السـلم العالمي ـ ندوة فلسطين العالميـة للمسيحييـن ـ منظمة التضامن الاسيوي الافريقي ـ منظمـة تضامن القارات الثلاث ـ اتحاد النقابات العالمي ـ اتحاد الطلاب العالمي ـ اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي ـ رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية ٠

كما اشترك أكثر من ٤٠ حزبا وهيئة من أحزاب البلدان الاشتراكيـة والاوربية وحركات التحرر الوطني ٠

وقد تكللت اعمال المؤتمر بالنجـاح في اقامة جبهة للمشاركة في كفاح الشعب العـربي الفلسطيني ، من الاحزاب والقوى والشخصيـات الوطنية والتقدمية العربية على اختلاف منطلقاتها الفكرية والاجتماعية ٠ لقد اقتنعت هذه القوى بأن ما يوحد بينها هو الاهم والاكبروالاسمى ، وغلبوا التناقض الرئيسي ـ أي التناقض مع القوى المعادية للامبريالية والصهيونية ـ على التناقضات الثانوية القائمة فيما بينها ٠ وهكذا تمكنت هذه القوى ـ لاول مرة في تـاريخ النضـال العربي ـ ان تقيم تنظيما جبهويا فيما بينها حول قضية من أهـم قضايا الثورة العربية ـ قضية الثورة الفلسطينية ، والتي تتعرض هي وحركة التحرر العربي لاشرس هجمة تستهدف تصفية الحقوق القوميـة لشعب فلسطين في تحرير ترابه الوطني ، وضرب ارادة الصمود وتكريس الامر الواقع الصهيوني ، وفرض التراجع على حركة التحرر العربي ، واعادة بسط السيطرة الامبـريالية الكاملـة ـ ولا سيمـا الامريكية ـ على مجمل الوطن العربي .

وشهد المؤتمر حوارا خصبا وحيا ،ودار صراع بالغ الصراحة داخل قاعة المؤتمر وفي لجانه ، حول مجموعة من القضايا ـ من بينها الموقف من قرار مجلس الامن ، تحديد الرجعية العربية ، الحد الادنى الذي يجب توحيد القوى للنضال من أجله .

تعــليق

مغــزى التعـديلات الغــربية لمشـــروع عـــدم الانحيــاز

من أبرز الايحاءات التي خلفها في الذهن العربي القرار الاخير للجمعية العامة للامم المتحدة بشأن ازمة الشرق الاوسط ذلك الايحاء بأن هناك تغييرا ملحوظا لصالح العرب في مواقف دول اوربا الغربية .

ولقد ساعد على وجود هذا الايحاء عوامل عديدة ، في مقدمتها موقف التأييد شبه الاجماعي الذي وقفته هذه الدول الى جانب القرار مما سبب حالة من « العزلة » الدوليـة لاسرائيل على حد وصف كثير من صحف العالم بل والصحف الاسرائيلية نفسها .

والايحـاء في حـد ذاته لاضرر منه ، بل انه يفتح أمام النضال العربي آفاقا رحيبة ظلت طويلا مغلقة دونه

لكن ما ينبغي التنبيه الى خطورته هو محاولة اسـتغلال بعض الفئات والقوى لهذا الايحاء في الترويج لافكار مغرضة ـ أو على الاقل غير واعية ـ تحاول أن تصور أن أوروبا الغربية يمكن أن تكون بديلا لنا عن مساندة الاتحاد السوفيتي والقوى الاشتراكية ، سواء في حل نزاعنـا مع اسرائيل سياسيا أو عسكريا ، أو في جهودنا من أجل التنميـة الاقتصادية والاجتماعية .

وابتداء نقرر أن موقف أوروبا الغربية من القرار الاخير للجمعية العامة ليس فيه جديد يذكر ، فهو ـ تقريبا ـ تكرار لموقفها الذي وقفته مع مجموعة الدول خلال مراحل بحث المشكلة أمام المنظمة الدولية بدءا من قرار مجلس الامن عام ١٩٦٧ الى قرار الجمعية العامة في ١٤ ديسمبر ١٩٧١

أما التعديلات التي أدخلتها بريطانيا وفرنسا وايطاليـا ولوكسمبورج على مشروع قرار دول عدم الانحياز فيكفي ان « يوسف تكواه » مندوب اسرائيل في الامم المتحدة وصفها بأنها محاولات « لتنظيف » القرار . فهي في الحقيقة تعديلات تعبر عن « وسطية » دول أوروبا الغربية ، اذ تحذف فقرة المطالبة « بانسحاب اسرائيل الفوري وغـير المشروط من الاراضي العربية المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧ ، وتستبدلها « بدعوة اسرائيل الى اعلان تمسكها بمبدأ عدم ضم أراض عن طريق استخدام القوة » كما انها تلف وتدور من حول فقرة المطالبة بالامتناع عن تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية والمالية لاسرائيل التي تمكنها من استمرار احتلال الاراضي العربية واستغلال الموارد الطبيعية ، وتستبدلها بصيغة هلاميـة

والاهم من كل ذلك ، أنه حتى هذا الموقف « الوسطي » لا يتعدى أروقة الامم المتحدة ولا يجاوز سطور الاوراق . وباستثناء الحظر الذي فرضه ديجول على توريد السـلاح لاسرائيل ، لا نجد مواقف عملية تذكر من أي من الدول الغربية

ولقد تبلور حول هذه القضايا اتجاهان رئيسيان داخل المؤتمر ، حول مفهوم **الحد الادنى – فاعتبر الاتجاه الاول** أن أهداف الجبهة يجب أن تنحصر فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، وألا يكون التعرض للقضايا الوطنية العربية الاخرى الا من خلال القضية الفلسطينية أو بشكل عام – لان تعدد هذه القضايا واثارتها يعني عدم امكانية الاتفاق حولها بسبب تباين المواقف والسياسات التى تعبر عنها مختلف القوى الوطنية والتقدمية والعربية .

والاتجاه الثاني ، اى أنه لا يمكن حصر المواقف السياسية فى القضية الفلسطينية – فان ما يجرى فى مناطق عربية أخرى هو جزء لا يتجزأ من مخطط تصفية القضية الفلسطينية · ان ما يجرى فى الخليج العربى مرتبط بالمخطط الصهيونى للسيطرة على البحر الاحمر – وارتباط ذلك بالمصالح النفطية فى المنطقة ودور السعودية فيها وكذلك أثيوبيا (اجتماع دول البحر الاحمر) ، وان تعرض القوى التقدمية والديمقراطية والوطنية للاضطهاد والبطش والتصفية كما حدث للحزب الشيوعى السودانى يرتبط بالقضية الفلسطينية .

وعن قرار مجلس الامن ، ومن خلال النقاش الحاد حول هذه القضية – تبلور اتجاهان كذلك – ذهب الاول منهما الى اعتبار قرار مجلس الامن هو الاساس الذى ترتكز عليه مخططات تصفية القضية الفلسطينية وضرب المقاومة · وان تحديد موقف واضح من هذا القرار هو اساس كل مقاومة فعلية لمشاريع التصفية والاستسلام .

وذهب الاتجاه الثانى الذى رأى عدم تحديد موقف من قرار مجلس الامن الى القول – بأن قرار مجلس الامن يعكس التوازن بين حركة التحرر الوطنى العربية وقوى الصهيونية والامبريالية · والمهم هو تغيير موازين القوى لصالح حركة التحرر الوطنى العربية وليس مجرد الرفض اللفظى لقرار مجلس الامن · ورأى البعض انه يجب الا يكون الخلاف حول هذا القرار عائقا فى وجه تشكيل وقيام الجبهة ·

ومن خلال نقاش سياسى حاد توصل المؤتمر الى صيغة سياسية واحدة نصها : « **مقاومة كل المشاريع التصفوية التى تقوم على تكريس الكيان الصهيونى والاعتراف بدولة اسرائيل ضمن ما يسمى بالحدود الامنة ، وتحول القضية الفلسطينية من قضية تحرر قومية الى قضية لاجئين ، وتجعل من تجريد الشعب الفلسطينى من السلاح وتصفية حركته الوطنية ثمنا لمختلف التسويات والحلول الكلية والجزئية المطروحة لقضية الاراضى العربية المحتلة خلال عدوان ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وتؤكد القوى الوطنية والتقدمية العربية تأييدها ومشاركتها للمقاومة الفلسطينية فى تنفيذ استراتيجيتها فى هذا المجال** » ·

وبعد حوار حاد حول قضايا الخليج العربى

تأييدا للعرب أو حتى حيادا بين الطرفين ، بل الاصح أن نقول اننا نجد اوروبا الغربية ساحة رحبة تصول فيها اسرائيل وتجول اقتصاديا وسياسيا واعلاميا .

ان التصور الحقيقى السليم لموقف دول غرب أوروبا لابد أن يضع فى اعتباره انها دول المعسكر الغربى الذى تقوده الولايات المتحدة الامريكية وتسيطر على حركته ، معسكر حلف الاطلنطى الذى يعتبر اسرائيل العضو السادس عشر فيه والقاعدة المتقدمة له ، معسكر الاستعمار القديم والجديد الذى يضم الدول الصناعية المتقدمة الفنية التى اقامت تقدمها ورخائها على اشلاء وعذابات الشعوب الفقيرة فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية : والتى تأمل فى استمرار تقدمها ورخائها على حساب هذه الشعوب بأساليب مختلفة ،أساليب تتنازل عن « المهم » من أجل « الاهم » أو بتعبير مبدأ ديجول « نتنازل عما هو غير جوهرى لنحتفظ بكل ما هو جوهرى » .

والخلاصة إن أوروبا الغربية لا تريد ولا تستطيع أن تنحاز الى جانب الحق العربى بحيث تكون بديلا لنا عن مساندة الكتلة الاشتراكية فتمدنا بالسلاح المتقدم وتبنى معنا سدا عاليا ومجمعا للحديد والصلب وصروحا للصناعات الثقيلة .. هى لا تريد بحكم طبيعتها الرأسمالية وأطماعها الاستعمارية ، وهى لا تستطيع بحكم السيطرة الامريكية على ارادتها .

ولكن ...

هل معنى ذلك انه لا أمل فى اى موقف عادل من أوروبا الغربية ؟

ان الجواب هو اننا نملك بالفعل مقومات دفع أوروبا الغربية الى موقف عادل وضاغط ومؤثر لحل الازمة ، فضلا عن المصالح الاقتصادية والاستراتيجية الهائلة لاوروبا الغربية فى وطننا العربى من أرصدة عربية فى بنوكها ، الى بترول ومواد أولية تستوردها الى سوق ضخمة تصدر اليها .. وفضلا عن القوى والاحزاب التقدمية والانسانية فى المجتمعات الاوروبية ، والمتعاطفة معنا والتى يمكن رفع درجة تأييدها لنا .. فضلا عن كل ذلك فان ظروف اوروبا الغربية الان مهيأة لاعادة صياغة مواقفها وعلاقاتها .. فهى تعانى حاليا من انحسارها الشديد الى حجمها الطبيعى ومواردها المحدودة بعد العصور الزاهرة للاستعمار والامبراطوريات التى لا تغيب عنها الشمس ، وهى تعانى من اغلاق قناة السويس ، وهى تحاول البحث عن خلاص من أزماتها بمحاولات التحرر من القبضة الامريكية ورفع رايات الامن الاوروبى والوفاق مع الاعداء ومحاولات التجمع والوحدة فى السوق الاوروبية المشتركة .. وكل هذه الظروف تقدم المناخ الملائم لتأثير عربى فعال يستخدم كافة المقدرات العربية ، على جبهات القتال وعلى امتداد أرض الوطن العربى كله ، وبضع أوروبا الغربية أمام اختيار صعب : بين العدل مع الصداقة والامن والمصلحة المتبادلة ، وبين الظلم مع العداء وتهديد الامن وضرب المصلحة

عبد الوهاب قتاية

وشبه الجزيرة العربية ـ توصل المؤتمر الى صيغة تضمنها البرنامج السياسى الذى أقره المؤتمر حددت موقف مما يجرى فى الخليج وشبه الجزيرة العربيه .. البند (١٢) من الفقرة العاشرة من البرنامج السياسى للجبهة (راجع باب الوثائق فى هذا العدد) .

وفى مجال الحريات الديمقراطية اضيف الى أهداف الجبهة النص على : « مقاومة كل اشكال القمع الموجهة الى الحركة الشعبية فى الوطن العربى ، والتأكيد على الحريات الديمقراطيه للجماهير العربية فى التعبير عن ارادتها الوطنية المستقله فى التحرير الشامل ، وعلى الحقوق الديمقراطيه للتنظيمات السياسية والنقابية الشعبية » .

ومن خلال الحوار المثمر والشاق والعنيف خرجت الجبهة العربية للمشاركة فى الثورة الفلسطينية ، بعد نضال استمر أكثر من عامين منذ دعوة المجلس الوطنى الفلسطينى قبل مذابح سبتمبر ١٩٧٠ الى تشكيل مثل هذه الجبهة . وقد وصف ياسر عرفات قيام الجبهة فى كلمته الختامية بأنه « الحدث العربى بعد هزيمة ٥ حزيران « يونيو » . ولقد أعلن المؤتمر قيام جميع مؤسسات الجبهة التنظيمية ـ واقرت لائحتها وبرنامجها السياسى وانتخبت الهيئات التنظيمية فيها .

وتحددت البنية التنظيمية للجبهة :

أولا : « من المجلس العام » الذى يضم جميع الاحزاب والتنظيمات التى شاركت فى المؤتمر، أو تلك التى تنضم الى الجبهة فى المستقبل . وقد اتخذ المجلس فى أول اجتماع له ضم الزميل لطفى الخولى رئيس تحرير الطليعة الى عضويته بصفة شخصية .

ثانيا : الامانة العامة للجبهه والتى تمارس العمل اليومى وينتخبها المجلس العام . وقد انتخب المجلس العام فى اجتماعه الاول الذى عقد يوم ٢٩ نوفمبر برئاسة جلال الملايكه ممثل حزب جبهة التحرير الجزائرى كمال جنبلاط أمينا عاما . كما انتخب لعضوية الامانة الاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر ، حزب البعث العربى الاشتراكى (سوريا) حزب البعث العربى الاشتراكى (العراق) ، حزب جبهة التحرير الجزائرية ، الجبهة القومية فى اليمن الديمقراطى مجموعة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية فى لبنان ، مجموعة القوى الوطنية والتقدمية فى الخليج العربى ، الحزب الشيوعى السودانى ، منظمة تحرير فلسطين ؛ كما ترك مقعد شاغر للاتحاد الاشتراكى العربى فى ليبيا ،كما انتخب كل من نديم عبد الصمد رئيسا وهانى فاخورى أمينا للصندوق .

ويرى المراقبون أن بناء الجبهة ، سياسيا وتنظيميا ، يعتبر انجازا ضخما لنضال الاحزاب والتنظيمات والقوى الوطنية والتقدمية من أجل وحدة العمل العربى الشعبى واسترداده لزمام المبادرة . وانه بعد هذه الخطوة الاولى اصبح من الضرورى متابعة الخطى على الطريق من اجل ان تكسب الجبهة بالعمل والمضمون النضالى قوتها ووزنها المؤثرين ايجابيا فى صنع واتجاه الاحداث .

عبد المنعم الغزالى



صورة عن الوضع فى الضفة الغربية

ان أهم ظاهرة تلفت الانتباه فى نشاط المحتلين الصهاينة فى الشهور الاخيرة هو الامعان فى تطبيق مخططاتهم التوسعية فى الارض العربية المحتلة، والعمل على تهويدها ، وضمها نهائيا لاسرائيل ، مستغلين مجموع السلبيات فى البلاد العربية ، والصعوبات التى تواجهها حركة التحرر العربى بوجه عام ، والمشاكل والتعقيدات التى نشأت فى مصر بوجه خاص ، وكذلك أزمة حركة المقاومة الفلسطينية وما تتعرض له من اعتداءات صهيونية وحشية ومؤامرات استعمارية رجعية .

وبرز أثناء المناقشة اتجاهان يتفقان على ضرورة ضم الاراضى العربية المحتلة ، ولكنهما يختلفان حول مصير السكان العرب . فالاتجاه الاول الذى يتبناه سابير وزير الصناعة الاسرائيلى والياب السكرتير السابق لحزب العمل الاسرائيلى يتحفظ من وجود السكان العرب فى حالة

انضمامهم لاسرائيل وازدياد نسبتهم ، لان عددهم الحالى فى الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس العربية واسرائيل يقارب المليون ونصف المليون . وسيزداد هذا العدد بعد عشر سنوات بسبب ارتفاع نسبة المواليد عند العرب مما يهدد الضفة اليهودية لدولة اسرائيل التى يحرص عليها الصهاينة ، **والاتجاه الثانى** الذى يتزعمه دايان وشيمون بيريس وزير المواصلات الاسرائيلى يعارض هذه التحفظات ، ويؤكد على ضرورة ضم الارض العربية بما عليها من السكان العرب الذين يمكن حل قضيتهم ، حسب رأى دايان ، بمعاملتهم على اعتبار أنهم مواطنون أردنيون يقيمون على أرض اسرائيل ٠ ان الطرفين متفقان على ضم الاراضى العربية المحتلة ، والاستيطان اليهودى فيها استنادا الى حقهم التاريخى المزعوم فيها ٠

وفى هذه الاثناء يمضى المحتلون الصهاينةفى مصادرة مساحات واسعة من الارض العربية واقامة المستوطنات اليهودية عليها . وقد بلغ عدد هذه المستوطنات ٤٣ مستوطنة منها ١٤ مستوطنة فى منطقة الغور على الضفة الغربية لنهر الاردن ، و ٤ مستوطنات فى قطاع غزة حيث صادروا عشرات الالاف من الدونمات فى أرض القطاع ، وفى بداية هذا العام سنة ١٩٧٢ استولوا على عشرة آلاف دونم فى مشارف رفح وطردوا أصحابها من البدو الذين يبلغ عددهم ستة آلاف شخص بعد أن دمروا مساكنهم ونسفوا آبار المياه التى كانوا يسقون منها أراضيهم ٠ كما صادروا آلاف الدونمات فى منطقة نابلس من أرض تسمى الحمراء بسبب خصوبتها ، حيث أقيمت عليها مستوطنة جديدة ، وفى أراضى قريتى عقربا وطوباس .

تهويد القدس :

ان رأس الحربة فى مشاريع التهويد والاستيطان موجه نحو القدس العربية ، اذ أعلنت اسرائيل ضمها مباشرة بعد الاحتلال فى أواخر حزيران سنة ١٩٦٧ واعتبارها عاصمة لها ٠ ومنذ ذلك الوقت والصهاينة ماضون بشكل محموم فى تهويدها ونزع عروبتها ٠ فصادروا مساحة عشرين ألف دونم من الارض العربية المحيطة بالقدس ، وبنوا عليها حيا يهوديا ضخما أسموه حى اشكول ويقع فى الشيخ جراح ، وأحياء اخرىيجرى بناؤها حاليا فى النبى صمويل وسواحرة الواد وشرفات ٠ وامتدت يد التهويد الى البلدة القديمة داخل السور ٠ فبعد نسف حى المغاربة المجاور للحرم الشريف بحجة توسيع ساحة حائط المبكى استولى الصهاينة على عدد من الابنية والاماكن الاثرية التاريخية المحاذية لساحة المسجد الاقصى مثل وقف « بومدين » ٠ وفى الاونة الاخيرة أخذوا يقومون بأعمال الحفريات تحت الحرم فى الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية بحجة التنقيب عن الاثار اليهوديةالقديمة، ولاسيما هيكل سليمان الذى يدعون أنه يقع تحت ساحة المسجد الاقصى ، مما يهدد المسجد والاماكن التاريخية المحيطة به لخطر حقيقى ٠ ويواجه المتحف الاسلامى أشد الاخطار لان الحفر يجرى تحته مباشرة ٠ هذا الى جانب انتهاك حرمة المسجد فى حالات كثيرة ٠

والى جانب وسائل النهب والسلب بالاستناد الى القوة الغاشمة يستخدم الصهاينة أساليب الاغراء والرشوة فيعرضون أثمانا عالية مقابل الفنادق والبيوت والحوانيت العربية ، ويجندون عددا من السماسرة العرب لهذه الغاية . واذا عجزوا عن اغراء صاحب العقار على البيع . فانهم يعقدون صفقة البيع والشراء مع المستأجر اذا وافق معهم ٠ وبهذا الاسلوب الذى لا يعدو كونه اختلاسا اشتروا بيت القائد الفلسطينى **الشهيد عبد القادر الحسينى** من امرأة يونانية كانت تستأجره وحولوه الى نادٍ للشباب تابع لبلدية القدس الاسرائيلية ٠

ويثقل الصهاينة كاهل أهل القدس العربية ولاسيما التجار وأصحاب الدور والابنية بسلسلة من الضرائب الباهظة مثل ضريبة الدخل ، وضريبة الامن ، وضريبة الممتلكات ، وضريبة الدفاع بقصد ارغامهم على بيع دورهم ومتاجرهم والتحول الى أجراء يعملون فى خدمة الاسياد الصهاينة ٠

وقد وجه الصهاينة ضربة قاسية لمكانة القدس فى ميدان الثقافة والتعليم ٠ فمن المعروف أن القدس كانت قبل الاحتلال وخاصة قبل نكبة سنة ١٩٤٨ المركز الثقافى الرئيسى فى فلسطين يؤم معاهدها الطلاب من جميع أرجاء البلاد ٠ وأما بعد الاحتلال الاسرائيلى فقد طبق الصهاينة البرامج الاسرائيلية فى المدارس الحكومية مما دفع الطلاب العرب الى ترك هذه المدارس لرفضهم دراسة هذه البرامج المشبعة بالافكار الصهيونية وروح التعصب الاعمى وتشويه التاريخ العربى . وحدثت هجرة واسعة بين الطلاب من المدارس الحكومية الى المدارس الخاصة ومدارس المدن القريبة فى رام الله وبيت لحم لانها أبقت على تدريس المناهج الاردنية ، حتى لم يبق فى المدرسة الرشيدية الثانوية التى كانت تضم قبل الاحتلال قرابة ألف طالب سوى تسعة طلاب ومعهم ثلاثة عشر معلما ، وبقى مثل هذا العدد فى المدرسة المأمونية الثانوية للبنات ٠

تهويد الخليل :

وضع الصهاينة مدينة الخليل فى المرتبة الثانية بعد القدس ضمن مخططهم فى الاستيطان والتهويد

فوق أرضنا المحتلة ، فصادروا أكثر من سبعة آلاف دونم من أجود الاراضى المزروعة بكروم العنب وأشجار الفواكه • وعلى هذه الارض التى تقع على مرتفع يطل على مدينة الخليل فى جهة الشرق أعلنوا أنهم سيشيدون مدينة يهودية باسم « الخليل العليا » على غرار « الناصرة العليا » المدينة اليهودية التى بنيت بجوار مدينة الناصرة العربية فى الجليل • وكبداية أقاموا مستوطنة اسمها « قريات أربع » واحتفلوا قبل شهرين باسكان ٢٥٠ عائلة يهودية فيها •

وامتدت أطماعهم الى قلب مدينة الخليل بحجة العودة الى الحى اليهودى القديم الذى هجره اليهود منذ ثورة سنة ١٩٢٩ ، وشرعوا فى تدبير سلسلة من الاعتداءات والمظاهرات الاستفزازية بقيادة الحاخام كاهانى ، زعيم منظمة رابطة الدفاع عن اليهود فى أمريكا وهى منظمة فاشية تتعاون مع عصابات ألمانيا الامريكية •

وبلغت بهم الوقاحة الى حد أنهم فرضوا لانفسهم حق مشاركة المسلمين فى اقامة الشعائر الدينية فى المسجد الابراهيمى ، ووضع الحاكم العسكرى الاسرائيلى ترتيبا خاصا يحظر فيه على المسلمين اقامة الشعائر الدينية فى المسجد الا فى أوقات الصلوات الخمس ، وفيما تبقى من الوقت يظل المسجد تحت تصرف اليهود يقيمون فيه طقوسهم الدينية • وفى الاونة الاخيرة تكررت اعتداءاتهم على المصلين ، وحاولوا منعهم من أداء صلاة الميت • كل ذلك بقصد خلق جو ارهابى تمهيدا للتغلغل الى قلب المدينة واقامة حى يهودى داخلها •

مقاومة جماهير القدس والخليل

ان جماهيرنا فى القدس العربية لم تقف مكتوفة الايدى فى وجه مخططات واجراءات الصهاينة لتهويد مدينة القدس ومحو عروبتها ، بل ردت عليها بنضال باسل متواصل ، وشهدت مدينة القدس خلال السنوات الخمس والنصف بعد الاحتلال سلسلة من الاضرابات والمسيرات والاعتصامات دفاعا عن عروبة القدس واحتجاجا على الضرائب اللصوصية واستنكارا لاعتداءات الصهاينة على المواطنين العرب وخرق حرمة المقدسات •

وفى الصيف الماضى عندما أقدم الاشقياء الصهاينة على قتل السائق العربى وديع شيعته المدينة فى جنازة ضخمة ضمت خمسة آلاف من المسلمين والمسيحيين ، وسار خلف الجنازة موكب من السيارات ضم أكثر من ٦٠٠ سيارة ، وأعلن السواقون وأصحاب السيارات العرب اضرابا رمزيا احتجاجا على هذه الجريمة •

كما ردت جماهيرنا فى الخليل على المخطط الصهيونى لتهويد المدينة ، وطمس عروبتها بمقاومة عنيفة ، وشهدت ساحة المسجد الابراهيمى والطرقات المؤدية اليه عدة اشتباكات مسلحة وهجمات جريئة سقط خلالها العديد من الصهاينة بين قتيل وجريح ، ونشأت فى جبال الخليل أقوى حركة للمقاومة المسلحة فى الضفة الغربية كلها ، ولا يزال العشرات من الشباب المسلح يعتصمون فى هذه الجبال ويشنون بين الحين والاخر هجمات خاطفة ضد دوريات ومواقع المحتلين •

الاستمرار فى سياسة الدمج الاقتصادى

وفى الميدان الاقتصادى يمضى الصهاينة فى احكام قبضتهم على الاقتصاد العربى فى الارض المحتلة واحكام ربطه بعجلة الاقتصاد الاسرائيلى ، وفى الصيف الماضى كشفوا عن نواياهم للسيطرة على مشاريع الكهرباء العربية وربطها بشبكة الكهرباء الاسرائيلية القطرية • فبعد أن ربطوا بالقوة مشروع الكهرباء فى غزة بالشبكة الاسرائيلية يسعون للسيطرة على مشروع الكهرباء فى القدس العربية وهو أكبر مشروع عربى للكهرباء ، وكذلك على مشاريع الكهرباء فى الخليل وطولكرم وقلقيليه •

وتشرف البنوك الاسرائيلية بنك اسرائيل لئومى ، وبنك ديسكونت على المعاملات المصرفية • وفى الشهرين الاخيرين أقدم المحتلون على خطوة جديدة خطيرة فى مجال الدمج الاقتصادى ، اذ أعلنت حكومة مائير السماح للشركات الاسرائيلية باقامة المشاريع المختلفة فوق الارض المحتلة •

اهمال الصحة فى ظل الاحتلال

لا يعير المحتلون أى اهتمام للشئون الصحية والخدمات الطبية فى الارض المحتلة ، فالمستشفيات ما زالت معظم أبنيتها قديمة خصوصا فى القدس ونابلس ، ومع أن الحكومة الاردنية كانت قد بنت مستشفى جديدا فى كل من المدينتين ، الا أن المحتلين أهملوا مستشفى نابلس ولم يهتموا باكماله وتجهيزه بالمعدات الطبية ، ووضعوا أيديهم على مستشفى القدس وحولوه الى مقر لوزارة الشرطة الاسرائيلية ! وتشكو جميع المستشفيات والعيادات من قلة الادوية والمعدات الطبية ، بل انها تخلو فى حالات كثيرة من العديد من العلاجات مثل مصل شلل الاطفال والمصل

المضاد لسم الافاعى . وقد افتضح اهمال المحتلين للمستشفيات فى الصيف الماضى عندما أدخل الى مستشفى الخليل شاب مصاب بحروق ، فلم يجد الاطباء المرهم المعد لشفاء الحروق ولم يجدوا أيضا القطن والشاش وحتى الاسبرو ، مما اضطر رئيس البلدية الشيخ الجعبرى المعروف بطواعيته للمحتلين أن يقدم هو والمجلس البلدى احتجاجا على هذا الاهمال المزرى .

واضطر كثير من المستخدمين فى المستشفيات من ممرضين وفنيين وأخصائيين الى ترك عملهم ، وترتب على ذلك اغلاق بعض الاقسام فى مستشفيات نابلس ورام الله وبيت لحم .

ويكفى للدلالة على مدى اهمال المحتلين المزرى للشئون الصحية فى الضفة الغربية أن الميزانية السنوية التى يخصصها الحكم العسكرى الاسرائيلى للخدمات الصحية كلها فى المستشفيات والعيادات تبلغ ٩ ملايين ليرة اسرائيلية ، بينماتبلغ الميزانية السنوية لمستشفى واحد فى اسرائيل هو مستشفى صرفند مبلغ ١٥ مليون ليرة اسرائيلية .

تعاون الحكم الرجعى

فى الاردن مع الاحتلال

يقدم الحكم الملكى الرجعى فى الاردن خدمة كبرى للاحتلال الاسرائيلى . فالمجازر الوحشية التى ارتكبها ضد المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطينى وجهت طعنة فى الظهر لنضال شعبنا فى الارض المحتلة الذى وجد نفسه بين نارين : نار الاحتلال الاسرائيلى من جهة ونار الحكم الرجعى من جهة أخرى .

ثم انتقل هذا الحكم الاسود الى توثيق صلات التعاون فى السر والعلن مع الاحتلال الاسرائيلى . وبعد طرح مشروع الملك حسين الاستسلامى المشبوه تضاعفت هذه الصلات عبر الجسور المفتوحة ، فتدفقت البضائع الاسرائيلية الى عمان لتعبر منها الى بقية البلدان العربية ، وضعفت الرقابة الشكلية عند مداخل الجسور حتى صارت البضائع الاسرائيلية تباع علنا فى الاسواق .

ولم تقتصر الزيارات الصيفية على المائة وخمسين ألف مواطن عربى الذين دخلوا الارض المحتلة ، وارتادوا أماكن الاصطياف والمنتزهات الاسرائيلية ، انما شملت عددا من النواب والاعيان والوزراء السابقين وبعض ضباط المخابرات الاردنيين الذين عقدوا محادثات سرية مع المخابرات الاسرائيلية وسلطات الاحتلال .

وامتد التعاون الى ميدان الاعلام . فحضر نقيب الصحفيين فى الاردن حفلة شاى أقامتها على شرفة بلدية حيفا الصهيونية تبودلت خلالها الكلمات الودية ، كما أحيا ثلاثة من مغنى الاذاعة والتليفزيون الاردنى عدة حفلات فى الضفة والقطاع واسرائيل . واتخذت اجراءات مشتركة فى الجانبين الاردنى والاسرائيلى لتسهيل حركة المرور عبر الجسور ، مما يقوى سير الاردن على طريق الاعتراف الواقعى بالاحتلال الصهيونى والتعاون معه .

فشل التحركات الاستسلامية

خيل للممثلين الصهاينة أن الجو الغربى غير الملائم وما يتجمع فيه من سلبيات وثغرات ولاسيما نزعات الاستسلام لدى حكام الاردن ، ستؤدى الى اضعاف معنويات شعبنا فى الارض المحتلة بحيث يسهل خداعه وجره الى طريق الخضوع والاستسلام . ودفعوا للعمل من أجل تحقيق هذا الهدف اتجاهين ، فمن ناحية شجعوا تحركات أعوان الملك حسين التى تمثلت فى زيارات رشاد الشوا وأنور الخطيب لعمان ، وأفسحوا المجال لمظاهرة التأييد والولاء للملك التى اتخذت شكل ومن جهة أخرى يغذى الصهاينة تحركا آخر يمثله حفنة من المثقفين التافهين المغرورين الذين افسح لهم الاحتلال صدر صحفه ، ويعتمد هؤلاء فى نشاطهم على التشهير بالحكم الملكى الرجعى فى الاردن ونبش مفاسده ، ويختبئون وراء دعوات براقة مثل حق تقرير المصير . وتغير القيادة التقليدية بقيادة مثقفة شابة ، ويقف فى رأس هذا التيار محمد أبو شلباية .

وكلا الاتجاهان يتفقان على هدف واحد هو الترويج للاستسلام رغم تعارضهما فى الاسلوب . ولكن شعبنا لم تنطل عليه هذه التحركات ، بل واجهها بحملة من السخط والاستنكار اضطرت رشاد الشوا الى الاستقالة ، وحملت أنور الخطيب على التنصل على صفحات الجرائد من قيامه بأى نشاط سياسى خلال زيارته لعمان . كما أن أبو شلباية وزمرته لا يتعدون كونهم حفنة معزولة لا تتمتع بأى وزن أو نفوذ فى أرضنا المحتلة .

موقف شعبنا فى الضفة الغربية

اذا كانت الفترة الاخيرة التى أعقبت مجازر أيلول سنة ١٩٧٠ تتميز بالهدوء النسبى فى النضال الوطنى ضد الاحتلال الاسرائيلى بانتقاس الى موجة النضالات الجماهيرية المتنوعة من

مظاهرات واضرابات ومسيرات واعتصامات التى اجتاحت البلاد فى سنوات الاحتلال الاولى ، فليس مرجع ذلك الى استكانة شعبنا وخور عزيمته بفعل ارهاب المحتلين واغراءاتهم ، انما مرجعه ، فى الدرجة الاولى الى مجموع السلبيات فى الوضع العربى ، والصعوبات التى تواجهها حركة المقاومة الفلسطينية وعدم توصلها الى وحدة متينة ٠

ان شعبنا فى الضفة الغربية والارض المحتلة كلها يتمتع بوعى سياسى رفيع اكتسبه من خلال تمرسه فى الكفاح المجيد طوال أكثر من نصف قرن ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية ٠ وهو يدرك الخطر الصهيونى على حقيقته كما يدرك روابط التحالف والتشابك الوثيقة بين الصهيونية والامبريالية ، ويعى حقيقة الترابط الموضوعى بين نضاله وبين حركة التحرر العربى وفى مقدمتها الانظمة التقدمية خاصة فى مصر ، ويتابع باهتمام كبير ما يجرى فيها من تطورات ويؤيد كل خطوة تؤدى الى تدعيم هذه الانظمة وتوطيد وحدة القوى الثورية والتقدمية فيها ، ويعى أيضا أهمية توثيق صلات التعاون والتحالف مع الحركات الثورية فى العالم ، ولاسيما بلدان المنظومة الاشتراكية وطليعتها الاتحاد السوفياتى ٠

وفى نفس الوقت الذى يرفض فيه كل مشاريع الاستسلام ، فانه بحكم تجربة الواقعية تحت كابوس الاحتلال الصهيونى يرفض الانسياق وراء المزايدات والمواقف الانفعالية ، ولذلك فانه مع تمسكه بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى وطنه ٠ يرى أن تنفيذ المهمة التى تطرحها حركة التحرر العربى ومعها قوى الثورة العالمية فى انهاء الاحتلال الاسرائيلى وتحرير الارض العربية المحتلة يشكل كسبا كبيرا للشعب الفلسطينى ويهيىء له مجالا أفضل لمواصلة نضاله فى سبيل نيل حقوقه الكاملة ٠

نحو جبهة واسعة فى الارض المحتلة

ان من أهم العوامل لدفع تيار المقاومة فى الارض المحتلة هو قيام جبهة واسعة تضم كل القوى والاحزاب والهيئات والمنظمات ٠ وقيام مثل هذه الجبهة من شأنه أن يساعد على تعبئة طاقات شعبنا كله ويثير حماسته ويشكل نقطة تحول فى الوضع فى أرضنا المحتلة ٠ وقد وزعت جبهة المقاومة الشعبية فى الضفة الغربية والجبهة الوطنية المتحدة فى قطاع غزة منشورا فى مطلع شهر نوفمبر تضمن الدعوة الى تشكيل مثل هذه الجبهة الواسعة ٠ ومعروف أن جبهة المقاومة الشعبية فى الضفة الغربية تضم ممثلين عن النقابات والهيئات والشخصيات الوطنية ومن ضمنها الحزب الشيوعى الاردنى فى الضفة الغربية ويصدر نشرة منتظمة ،وله جريدة سياسية شهرية اسمها « الوطن » تفضح جرائم الاحتلال وتبرز نضالات شعبنا ضده ، وله أيضا مجلة نظرية سياسية اسمها « الحقيقة » تعالج قضايا الارض المحتلة بشكل مفصل مثل الوضع الاقتصادى والتعليمى والصحى ،وترد على مشاريع الاحتلال ودعاته فى مقالات مسهبة لا يتسع لها المجال فى الجريدة ، وتتناول قضايا حركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربى وتعالج شئونها بروح انتقادية ايجابية بناءة ، ويصدر مجموعة من الكراسات النظرية حول قضايا الماركسية اللينينية ، كما يصدر المنشورات الداعية لمقاومة الاحتلال والتصدى لمشاريعه ومخططاته واعتداءاته ٠ ويدعو الحزب باستمرار كافة القوى الوطنية الى توحيد جهودها فى أوسع جبهة مناوئة للاحتلال ٠



التقاء ثقافات البحر المتوسط

فى مدينة فلورنسا بايطاليا ، تلك المدينة التى شهدت بدايات عصر النهضة الاوروبية ، انعقد فى المدة من ١٤ حتى ١٦ ديسمبر الماضى مؤتمر ثقافى دارت ابحاثه ومناقشاته حول (التقاء الثقافة العربية بثقافة أوربا البحر المتوسط)

ولقد قام بتنظيم هذا اللقاء والاعداد له والدعوة اليه (معهد العلاقات بين ايطاليا وبين افريقيا وامركا اللاتينية والشرق الاوسط) (ابالمو) ٠٠ الذى انشىء فى روما فى يوليو سنة ١٩٧١ لتنمية علاقات متكافئة بين ايطاليا خاصة واوربا البحر المتوسط عموما وبين هذا الجزء من العالم الثالث ، وذلك بعد أن اتسمت هذه العلاقات فى ظل العهود الاستعمارية بطابع التبعية من جانب البلاد المستعمرة والتابعة لاوروبا ٠ ويعد مؤتمر فلورنسا هذا باكورة اعمال (ابالمو) فى هذا الميدان ٠٠

ولقد لبى دعوة (ابالمو) اكثر من خمسين مفكرا وباحثا ومثقفا من البلاد العربية والاوروبية ، كان من بينهم عدد من المستشرقين الايطاليين مثل امبرتوريزيتانو (Umberto Rizzitano)من « بليرمو » بجزيرة صقلية . ومن بولندا حضر المستشرق جوزيف بلاسكى Jozef Biclawaske ومن انجلترا حضر المستشرق مونتجمرى وات (Montgomery Watt) وآخرون من فرنسا ، بل وأمريكا واليابان . وذلك الى جانب عدد كبير من المفكرين والباحثين والمثقفين العرب من المغرب حتى العراق .

ولقد زادت الابحاث التى قدمت الى هذا المؤتمر على الاربعين ، ساهم فيها الباحثون العرب بأكبر نصيب ، وكان عدد الابحاث التى قدمت من مصر ستة ابحاث قدمها : د . لويس عوض ، ومحمد عمارة ، وميشيل كامل ، والسيد يس ، وأنور عبد الملك ، وحسام عيسى .

وبعد حفل الافتتاح الذى حضره وتحدث فيه وزير الخارجية الايطالى ، وعدد من السفراء العرب بروما ، بدأت أعمال المؤتمر فى قصر البلدية بفلورنسا حيث عقدت اربع جلسات ، صباحا ومساء ، فى يومى ١٥ و ١٦ ديسمبر وفى كل جلسة كانت تعرض الابحاث بواسطة مقدميها ، ثم تبدأ المناقشات وتقدم الملاحظات حول ما تضمنته هذه الابحاث .. وعلى الرغم من ضيق الوقت وكثرة عدد الابحاث المقدمة للمؤتمر ، الا أن النظام الذى طبقته لجنة رئاسة المؤتمر قد جعله مثمرا ووافيا بغرضه الى حد كبير » .

وبالطبع فان اعطاء القارىء العربى صورة محددة ووافية عن الجهد الفكرى الغنى الذى شهده هذا المؤتمر لا يمكن ان يتأتى دون عرض تفصيلى للابحاث التى قدمت فيه ، ونحن نعتقد ان ترجمة اعمال هذا المؤتمر وابحاثه ونشرها بالعربية هو الاقدر على تصوير حقيقة ابعاده ودوره ، والانتقال بثماره الفكرية من حلقة باحثيه الضيقة الى القارىء العربى فى كل مكان . وهو ما ينوى (ابالمو) النهوض به بالفعل ـ أما هنا ، وفى هذا الحيز ، فاننا نكتفى بالاشارة الى بعض الافكار الهامة التى تضمنتها الابحاث وعرضت لها المناقشات ومنها على سبيل المثال :

● ما قاله الصحفى الفرنسى (Paul Balta) نقلا عن الجنرال ديجول فى حديث دار معه : ان وراء البحر المتوسط بلادا نامية ، وايضا حضارة لها سمات خاصة تفتقدها البلاد الصناعية المتقدمة .. ويقول الصحفى الفرنسى ان ديجول قال له : لقد خفت اعلان هذا الرأى واخشى أن لا يفهمه الاوروبيون قبل فوات الاوان !

كما تحدث تقرير (Paul Balta) عن العوائق التى تحول دون التقاء الحضارة والثقافة العربية بحضارة اوروبا المتوسطة ، فأشار الى العائق التاريخى الذى تمثل فى الحروب الصليبية ، والذى مازال حتى الان يطبع نظرة أوربا للعرب ، وكيف لا تعطى الكتب المدرسية فى اوروبا للتلميذ الصورة الصادقة للانسان العربى والعالم العربى .. وحقيقة النزاع العربى الاسرائيلى ويحول دون عرض حقائق الواقع العربى على الانسان الاوروبى .. كما تحدث عن الدور الذى تلعبه الصحافة الاوروبية فى هذا الصدد ، وكيف أنها لا تشير الى الانسان العربى الا اذا عرضت للنزاع العربى الاسرائيلى ، وكأنه لا وجود له لهذا الانسان فى ميادين الحضارة والثقافة يستحق الاهتمام .. تحدث عن هذه العوائق وطرح مشكلاتها للتفكير والبحث عن الحلول ..

● كما تحدث المستشرق الانجليزى « مونتجمرى وات »(Montgomery Watt) عن صورة العربى لدى الاوروبى ، وكيف ينظر الاوروبى الى الانسان العربى نظرة ظالمة ، وكيف ينكر استفادته الحضارية والفكريه من العربى ، ودور هذه الاستفادة فى قيام عصر النهضة عند الاوروبيين

● كما تحدث الدكتور « سهيل ادريس » لبنان ـ عن ذلك التأييد الذى تمنحه اوربا لاسرائيل فى عدوانها على العالم العربى وكيف أن هذا التأييد هو عقبة حقيقية تحول دون لقاء عربى اوربى صحيح وسليم .

● وفى البحث الذى قدمه الدكتور لويس عوض تحدث عن خصائص ثقافة البحر المتوسط ، عربية واوروبية ، وتناولها من الجوانب الفلسفية والميتافيزيقية وقارن بين الاديان التى شهدتها هذه المنطقة من العالم ..

● ولقد تحدث فى المؤتمر « بايتا » (Giancarlo Pajetta) عضو السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى الايطالى ، فعرض لعدد من النقاط التى تناولها فى أحد تقاريره والتى تساءل فيها : لماذا لم تنتشر الماركسية جماهيريا فى العالم العربى ؟؟

وواجبات المفكرين والمثقفين العرب فى دراســـة الواقع المتميز لبلادهم ـ ودور الفكر الاسلامى فى التقدم الاجتماعى ، والمدى الذى بلغه فى ميدان الفكر الاشتراكى .. وأشار الى امكانية تميز الاشتراكية عند العرب عنها عند الاوروبيين . ثم تحدث عن وحدة الحضارة الإنسانية ودور الاديان فى تكوين هذه الحضارة الانسانية .. ونبه الى أن واجب الانسان الاوروبى هو أن ينظر الى مستقبل العرب لا حاضرهم فقط .

● وفى البحث الذى قدمه الدكتور **صلاح خاطر** ـ العراق ـ تحدث عن الموقف الاستعمارى الذى تقفه اوربا من حركة التحرر الوطنى العربية ومن سعى العرب لتحرير ثرواتهم البترولية من الاحتكارات وكيف يقف هذا الاستعمار وتأييده عقبة رئيسية امام التقاء الحضارات وتفاعلها ..

● وكان البحث الذى قدمه محمد عمارة عن تأثير التراث الاسلامى فى الفكر العربى فى القرن التاسع عشر ، وفيــه عرض لاثر تراثنــا العربى الإسلامى فى فكر رفاعه الطهطاوى وجمال الدين الافغانى ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى فيما يتعلق بقضيتى « العقلانية » و « الديمقــراطية » والدور الذى أسهم به التراث ، وكذلك الدور الذى أسهم به التفتح والانفتاح على الحضارة الاوروبية فى تشكيل نظرة العرب الى هذه القضايا فى عصرهم الحديث .

● كما عرض بحث السيد يس للمثقفين العرب من زاوية علاقاتهم بالغرب ، وتحدث عن المراحل التى مرت بها هذه العلاقة من الاحتكاك والتشكيل الى مرحلة النقد الجذرى فى الفكر الغربى .

● أما بحث ميشيل كامل فلقد دار حول التيارات الفكرية التى تتنازع الحقل الثقـــافى العربى ، وأشار الى علاقات هذه التيارات بكل من مصادر التراث والتأثيرات المعاصرة فى عالمنا الراهن .

● وطرح البحث الذى قدمه الكاتب المغربى عبد الله العروى عددا من القضايا والمشكلات : لماذا لم تستطع الليبرالية أن تنتشر فى الجماهير العربية ، مثلا ؟ وما هو دور الهيمنة الغربية فى دفع العرب الى المحافظة ؟ وما هو دور الموروثات فى الموقف العربى المحافظ ؟

وإذا كانت هذه مجرد اشارات الى بعض النقاط التى تضمنتها بعض الابحاث والتقارير ، فاننا نستطيع أن نلمس أهمية هذا المؤتمر الثقافى الذى نظمه « ايالمو » والذى هيأ فيه تلك الفرصه لاجتماع هذه الكوكبه من المثقفين والمفكرين والبــاحثين العرب والاوروبيين .

تبقى لنا ملاحظات على هذا اللقاء ، نعتقد أن تلافيها مستقبلا يمــكن ان يحقق الأهداف مثل هذه والمؤتمرات قدرا أكبر من النجاح .. منهما :

● أن كثرة الإبحاث الجادة التى قدمت كانت تستدعى وقتا أوسع لاعطائها حقها من البحث والمناقشة ، وهذا ما لم يتحقق باالقدر المطلوب فى هــذا اللقاء .

● ان الوفود العربية قد ذهبت الى فلورنسا دون تخطيط ، فكل مثقف قد كتب تقريره وحدد موضوعه بالاتفاق مع المعهد ، ودون أن يتشاور المدعوون العرب بعضهم مع بعض ، ولو فى اطار كل قطر عربى ، وهذا يعكس الفراغ فى حقل التنظيم الثقافى الذى يضيع علينا الكثير مــن الثمار .

● ان ازدحام الايام التى قضتها الوفود فى فلورنسا بالاجتماعات قد حرمت هذه الوفود من اللقاءات اللازمــة للتعــارف وتبــادل الاراء والخبرات .

ونحن نعتقد أن تلافى هذه العيوب ، مستقبلا ، كفيل بتحقيق ثمار أهم من تلك الثمار التى حققها هذا اللقاء الهام ، كما نعتقد بأهمية وضرورة أن تنهض اجهزة الفكر والسياسة والثقافة فى الوطن العربى بتنظيم مثل هذه اللقاءات ، وبشرط أن يدعى اليها أولئك الباحثون الذين شهدناهم فى فلورنسا وأمثالهم ، والذين يمتلئون بمشاعر الجد والصدق ويعيشون قلق العالم العربى ، ويعكسون آلام هذه الامة وآمالها ، لا أن يدعى الى هذه اللقاءات موظفون يحصلون على بدلات للسفر ، وترشحهم لهذه البدلات علاقات خــاصة أو اقدمياتهم المحفوظة فى ملفات المستخدمين .

تحية لهذا الجهد الطيب الذى بذله المفكرون والمثقفون الايطاليون فى تنظيم هذا المؤتمر .. وتحية للمفكرين والباحثين الذين اســـهموا فيه ، بقدر اخلاص كل منهم لاهدافه النبيلة ، وهى : تحقيق التقاء بين حضارات البحر المتوسط يقوم على أساس من الاحترام والمساواة ، وتحــديد العقبات التى تحول دون هذا الالقاء ، والعمل على ازاحة هذه العقبات من الطريق .

محمد عمارة

مكتبة الطليعة

دراسة فى العنف السياسى

التجربة الاندونيسية

■ تاليف :

ستيفن سلون

استاذ بجامعة اوكلاهوما

■ عرض :

كمال السيد

■ الناشر :

رائد ماكنيللى

آند كومبانى
شيكاجو ــ ١٩٧١

قد تكون قراءة كتاب يختلف معك فى الرأى « أكثر فائدة من قراءة عدة كتب تتفق معك فيه »، وينطبق هذا القول كثيرا على تلك السلسلة التى تصدرها دار «رائد ماكنيللى » ، والتى تهدف ، كما تقول الدار ، الى معالجة مشاكل محددة فى مجال التغير السياسى فى البلدان النامية . والمؤلفون « كما تقول الدار ايضا ، جيل جديد من علماء السياسة ، الذين قضوا فى الخارج عدة سنوات يبحثون وينقبون فى المشاكل التى يكتبون عنها »، والدراسات المنشورة « كما تستطرد الدار ، تقدم نماذج محددة للتغير ، وفهما نظريا لمسيرته ، وهو امر لا يهم علماء الاجتماع فحسب « بل يهم الرأى العام عامة . وقد حملت الدراسات التى صدرت حتى الان العناوين التالية : « التعدد الثقافى والسياسة القومية فى غيانا البريطانية ، صفوة الشباب فى بنما وكوستاريكا فى الدول الحزبية فى غرب أفريقيا » .

ومؤلف الكتاب الحالى ، « **دراسة فى العنف السياسى** » ، استاذ مساعد للعلوم السياسية فى جامعة أوكلاهوما ، قام ببحث ميدانى فى عامى ٦٥ ــ ١٩٦٦ ، فى اندونيسيا ، قبل وأثناء وبعد الانقلاب الذى حدث فيها فى أول اكتوبر عام ١٩٦٥ .. وكتابه ، كما يقول هو نفسه « دراسة لازمة التغيير السياسى « وبحث لشكل خاص من الازمة « هو انفجار العنف السياسى الجماعى . وقد استخدم المؤلف الازمة التى تعرضت لها اندونيسيا فى عام ١٩٦٥ « كحالة دراسية » « لدراسة دور العنف السياسى فى عملية التغيير .

وفى الفصل الاول يقول المؤلف : **ان الانتقال من « الامبراطورية الى الامة » لم يهدد فقط قدرة الدول الجديدة على ان تعمل بصورة فعالة ، بل اضطر علماء السياسة الى المقارنة بين تكوين مفاهيم جديدة لفهم طبيعة القوى الثورية الموجودة فى منطقة تضم ثلاثة أرباع العالم ، والى ابراز مفهومين أساسيين ، أولهما : انه على الرغم من اختلاف النظم الاجتماعية ، فان هناك وظائف مشتركة تقوم بها كل هذه المجتمعات ، وثانيهما : ان العنف هو أحد المكونات الاساسية للعملية السياسة ، والتأييد الشعبى أو المشاركة فى نظام الحكم ، لا تقلل أبدا من أهمية العنف والقوة .**

وبسبب تعدد انفجار العنف داخليا وخارجيا ، بدأ عدد من علماء السياسة والاجتماع يركزون اهتمامهم على دراسته ، وبهذا امتد نطاق الدراسات القديمة التى كانت تشمل الحروب والثورات ، لتضم دراسات جديدة عن « الحرب الاهلية » و « الاضطرابات المدنية » . ونشأ تخصص جديد فى مجال العلوم السياسية ، يبحث فى دور العنف فى السياسة . وكنموذج لهذه الدراسة ، تجىء تجربة اندونيسيا لتؤكد دور العنف ، وهى تشمل :

١ ــ مناقشة للتوتر الاجتماعى والثقافى الذى خلق مناخا ملائما للعنف .

٢ ــ دراسة للتنافس بين القوى السياسية الذى أدى الى محاولة الانقلاب .

٣ ــ بحث فترة العنف السياسى نفسها .

وفى الفصل الثانى عن « **العنف ودولة الامة** » ، يؤكد الكاتب انه فى حين تسود علامات العنف كل مستويات السلوك الفردى والجماعى ، وان كانت تقابل بالاستنكار ، فانه يصبح فى الحياة السياسية فحسب أمرا مشروعا ومقبولا . ففى مجال السياسة فقط يعترف بالعنف كوظيفة أساسية من وظائف النظام الاجتماعى يتعين عليه القيام بها .

وفى حين كانت « **الوحدة متحققة من الناحية المظهرية فى اندونيسيا ، فان الانقسام كان هو الامر الشائع فى واقع حياتها** » ، **مما أدى الى قتل حوالى ٣٠٠ ألف فى أحداث عام ١٩٦٥** . ويرجع ذلك عند الكاتب الى ان اندونيسيا ، وان كانت دولة من الناحية الرسمية ، فانها تفتقد مقومات الامة تماما .. فامبراطوريات ماجاباهيت ، وسريويجاجا ، وماتارام القديم ، قد تصلح اساسا لايجاد « عناصر للميراث المشترك » ، ولكن هذه الممالك القديمة لا توفر أبدا مقومات الامة الحديثة . وهناك الكثير مما يعوق فكرة تكوين « مجتمع واحد متكامل » ، مثل الانتماءات القبلية ، واختلاف الثقافات واللغات والتقاليد ، الامر الذى يتحكم فى موقف هذه المجموعات من الأحزاب السياسية . وفى اندونيسيا ، هناك ما يزيد عن ٣٠٠ مجموعة عرقية ، لكل منها شخصيتها الثقافية ، وما يزيد عن ١٠٠ لغة . ومما يفاقم من الفرقة تباين التوزيع المكانى للسكان والموارد . فجزر جاوا ومادورا تشمل ٧ ٪ من مساحة البلاد ، و ٦٥ ٪ من السكان .

وحتى الوحدة الدينية ، حيث يعتنق ٩٠ ٪ **الديانة الاسلامية ، ليست سوى امرا ظاهريا ، فهناك انقسام بين دعاة ملاءمة الدين الاسلامى لكثير من الخصائص الاندونيسية ، بما فيها حتى من عادات وثنية ، وبين دعاة تخليص الاسلام من هذه العادات . هذا علاوة على وجود اقلية مسيحية منعزلة . وعلاوة على ذلك هناك الانقسام بين الريف والمدينة . وكل تلك الانقسامات كانت هى « المادة الخام للازمة » ، كما يقول المؤلف ، فهذه الانقسامات فى الموارد البشرية والطبيعية ، مدعومة بالانقسامات الجغرافية ، لا تتبدد بمجرد وجود ايديولوجية قومية أو رموز للعصرية والحداثة فى العاصمة .**

ويوضح المؤلف ان النظام السياسى الاندونيسى كان منبت الصلة تماما مع بيئته ، وان السياسة الاندونيسية ، على الرغم من افتقاد التكامل بين الحياة السياسية والاجتماعية ، اتجهت الى تعميق الانقسام لا الى تقليله . وهكذا تبددت الوحدة التى تحققت أبان النضال الوطنى ، بعد ان تحقق الاستقلال . **وتحولت السياسة بدلا من تدعيم الوحدة الوطنية ، الى نضال فى سبيل السلطة داخل الصفوة التى اضطرد انفصالها عن الجماهير . ولم يكن الانضمام الى الاحزاب يتم وفقا لتمثيلها الاجتماعى ، بل اعتمادا على الشخصيات التى تقودها . وارتبط الانتماء الحزبى بالمشاعر الاقليمية والاسرية وبالولاء والقرابة ... الخ .**

وفى مواجهة هذا الانقسام ، دعا سوكارنو فى عام ١٩٥٨ الى « **الديمقراطية الموجهة** » ، كمحاولة لاحياء الوحدة الوطنية ، واعتبر الاحزاب التى تعاديها أحزابا خارجة على القانون . ومع ذلك ظلت السياسة الاندونيسية صراعا بين الصفوة الحضرية من أجل السلطة ، يجرى فى العاصمة . ولم تكن هذه الصفوة تمثل الامة ، بل تمثل الدولة التى لا تتعدى حدودها « **جاكارتا الكبرى** » . فالقائد السياسى الذى يستخدم مفاهيم وأساليب القرن العشرين ،لم يكن هناك ما يربطه بالفلاح الذى يجاهد للحصول على قوت يومه ، ومأساة التجربة الاندونيسية تكمن فى ان السياسة الحضرية لم تتحول الى سياسة اندونيسية ، ولم تستجب للنظام الاجتماعى الا عندما أدى التمرد والحرب الاهلية الى تجاوز الصفوة الحضرية والانتقال الى الجماهير . وعلاوة على ان ادعاء الصفوة تمثيل الامة جمعاء كان نوعا من خداع النفس ، فان اكتسابها للمهارات الحديثة فى

العمل السياسي قد دعم هذا الادعاء لديها . كذلك فقد أدركت « الصفوة السياسية » و « مجموعات ثراء الصحف » ، ان العمل السياسي هو الطريق الى تحقيق مكاسب اجتماعية . ومن ثم فان القيادات السياسية والقيادات السياسية المحتملة قد وسعت الانقسام فى المجتمع لضمان مكانها فى قمة الهرم الاجتماعى .

وبعد الحديث عن عوامل الفرقة والانقسام ، يتعرض المؤلف للاحزاب الاساسية التى شكلت الجبهة الوطنية المتحدة تحت قيادة سوكارنو ، الذى كان يبذل كل جهده لايجاد نوع من التوازن بين هذه القوى ، بما يضمن له الاستمرار . ومما ساعد على الانهيار — علاوة على عقم محاولة جمع الاضداد — تجاهل الرئيس سوكارنو فى هذه الوحدة للجيش واقصائه عن الميدان ، فضلا عن انتهازية الهدف الذى توخاه ، وهو الابقاء على انقسام هذه القوى ، بما يكفل له دورا راجحا فى السياسة الاندونيسية . والقوى الثلاث الذى ضمها التحالف هى :

الحزب الوطنى الاندونيسى : تأسس فى عام ١٩٢٧ ، من « **نادى باندونج للدراسات** » ، الذى كان يقوده سوكارنو وهو طالب فى المعهد التكنيكى فى هذه المدينة . وقد جعلت مهارة سوكارنو فى تعبئة الجماهير من الحزب الوطنى « أقوى تنظيم فى البلاد » ، مما جعل الهولنديون يصدرون قرارا بحله فى عام ١٩٢٩ . ثم عاد الحزب بعد الاحتلال اليابانى ، محاولا عن طريق سوكارنو ، كسب ثقة الجماهير وتأييدها . وقد تميز بسياسة خارجية معادية للامبريالية الهولندية فى ايريان والامريكية فى فيتنام . ولكنه أصبح اداة تابعة للرئيس حتى بعد اعلان هذا انه فوق الاحزاب . وقد حل الحزب الشيوعى الاندونيسى محل الحزب الوطنى فى مجال المبادرة فى السياسة المحلية والخارجية « التقدمية » التى تحظى بمساندة الرئيس . وقبل الانقلاب بشهور ، تولى الجناح اليسارى القيادة فى الحزب لمنافسة الشيوعيين الذين كانوا يعبئون الفلاحين بكفاءة . وفى أغسطس عام ١٩٦٥ ، تحول لون شعار الحزب من الاسود الى الاحمر . وقد نجحت التبعية للرئيس ، وفقد المبادرة من العجز عن التسلل الى الريف وتنظيمه . فلم تكن لقيادته الحضرية صلات بالجماهير .

الاحزاب الدينية : تمثل الاحزاب الاسلامية بصورة نموذجية وجهة النظر التقليدية ، وقد استخدمت هذه الاحزاب الدين كأداة للارتباط بالجماهير . ولكن نظرا لان السياسة الاندونيسية بكل اتجاهاتها ، كانت حكرا على الصفوة ، وايضا بسبب تناقض التيارات الاسلامية ، فقد فشل الحزب فى الحصول على تأييد من يقطنون بعيدا عن العاصمة . وقد نجح الاسلام ابان الاحتلال اليابانى فى تعبئة سكان الريف . وفى عام ١٩٤٣، انشىء حزب ماسجوفى [مجلس الجمعيات الاسلامية الاندونيسية] ، لدعم التعاون الاجتماعى والسياسى فى المجتمع الاسلامى ، وتحرك كوحدة ابان النضال من أجل الاستقلال ، ولكن عندما تحقق هذا ، تحطم الحزب بخروج حزب نهضة العلماء من حزب ماسجوفى فى عام ١٩٥٣ . ويعكس هذا الانقسام وجود تياران فى الفكر الاسلامى . ويقدم ماسجوفى نفسه ، باعتباره حزب المجددين ، ويضم فى الحضر صغار رجال الاعمال ومتوسطيهم ، وينادى بسياسة اقتصادية لا تعوق التعاون مع الغرب . وفى عام ١٩٥٨ ، اشترك الحزب فى تمرد اقليمى ، فأعلنه سوكارنو حزبا غير شرعي . أما حزب نهضة العلماء فكان يساند السياسة الخارجية المستقلة لسوكارنو ، وانضم للجبهة الوطنية . ومعظم اعضائه من المدرسين الذين لعبوا دورا كبيرا فى تعبئة سكان القرى ضد الشيوعيين . وابان هذه الحملة توحد الحزبان من جديد .

وعلاوة على الاحزاب الاسلامية ، هناك الحزب البروتستنتى الاندونيسى ، والحزب الكاثوليكى . ورغم خوفهما من الشيوعيين ، فقد ساند هذان الحزبان سياسة سوكارنو ، خوفا من الاحزاب الاسلامية ، والحزبان بدورهما حزبان حضريان .

الحزب الشيوعى : اهتم الحزب كثيرا بتدعيم صلاته بالفلاحين ، واقامة قواعد له بينهم ، على النقيض من الاحزاب الاخرى . وقد نشأ الحزب فى عام ١٩٢١ ، ابان النضال الوطنى ، وحاول تسلم قيادته ، مما جلب عليه سخط المجموعات الاسلامية . وعلى الرغم من ايمانه بسياسة التعاون ، فقد أنشأ ودعم قواعده الخاصة . واتهم قبل أحداث عام ١٩٦٥ ، بأنه حاول الاستيلاء على السلطة مرتين . ويتساءل الكاتب عن السبب فى ان الحزب الشيوعى الذى أصبح القوة السياسية الاولى قبل عام ١٩٦٥ ، وأصبح فى مقدوره الاستيلاء على السلطة بالوسائل الشرعية ، أيد انقلاب صغار الضباط فى عام ١٩٦٥ ، وعما اذا كان فى مقدور هذا الحزب الذى نهض من الدمار مرتين ، ان يحيى نفسه للمرة الثالثة . ويقول المؤلف ان صعود الحزب وازدهاره يعكس مزايا الايديولوجية والممارسة الشيوعية فى المجتمعات الانتقالية . فهى ايديولوجية قابلة للتحول الى برنامج للعمل . فقد قدم الحزب برنامجا متسقا يعالج الواقع الفظ للحياة فى قرى اندونيسيا . وطالب الحزب للفلاحين ، البعيدين عن سياسة الصفوة فى العاصمة ، بالاصلاح الزراعى ، وادان البيروقراطية الطاغية والفاسدة ، وكذلك العسكرية . كذلك فان مهاجمة الحزب للكبراء فى المدن [الراسماليين والبيروقراطيين] ، وجدت استجابة من سكانها . كذلك امتاز الحزب الشيوعى بقيادة موحدة ومنظمة .

القوات المسلحة : استبعدت الوحدة الوطنية اكبر سند للدولة ، وهي قوة العسكر المنظم ، او الجيش . والجيش الاندونيسي عانى بدوره من الانقسامات التي عانى منها المجتمع . وابان العهد الاستعماري كان الجيش مجرد اداة للادارة المركزية ، ولكن الرتب الكبيرة ظلت اساسا وقفا على الاجانب واعوانهم من المجموعات العرقية الداخلية . ولكن اليابانيين اقاموا جيشا اندونيسيا كبيرا ليقاوم هجمات الحلفاء ، ووصل عدده في عام ١٩٤٥ الى ... ١٠٠ مقاتل . وقد ادت التجربة المشتركة بين الضباط في نضالهم ضد عودة الهولنديين الى تدعيم الروابط الشخصية والمهنية القوية فيما بينهم ، وهم الذين تولوا القيادة العليا فيما بعد ، من أمثال ناسونيون وسوهارتو . ولا ينفى هذا وجود الانشقاقات على اسس قبلية ودينية ، فضلا عن ان نقص الاتصالات ابان النضال ضد هولندا ، قد جعل من الوحدات الاقليمية كيانات قائمة بذاتها . كذلك انفجر الصراع بين أنصار التجديد في الجيش والتقليديين وترتب على ذلك تمرد عام ١٩٥٢ ، الذي استخلص منه القادة ، رغم فشله ، درسا مؤداه الا يهاجموا سوكارنو مباشرة . وكان من دعاة التجديد نائب المارشال عمر داني قائد القوات الجوية ، والذي كان يؤيد الحزب الشيوعي بسبب برنامجه « التقدمي » ، في حين كان القادة الاخرون للجيش يخشون على مناصبهم اذا ما استولى الشيوعيون على الحكم ، خاصة وان هؤلاء كانوا ينادون بتكوين « قوة خامسة » من الميليشيا الشعبية .

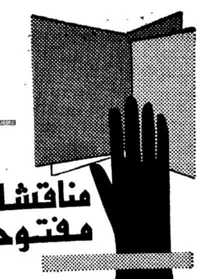
الرئيس سوكارنو : كان سوكارنو هو الرمز الذي يجسد الوحدة الشكلية ، وتدور حوله القوى السياسية . وقد اكتسب مكانته الشرعية بفضل ارتباطه الطويل بالحركة الوطنية ، وكان يؤكد دوما انه بعثها من الماضي الاستعماري ، وانه يحميها من الاستعمار الجديد . وكان على سوكارنو ان يقدم نوعا من الايديولوجية ، وبالفعل طرح نوعا من الحكم خاصا باندونيسيا ، حاول فيه التوفيق بين التقليدي والجديد ، وان يقدم للامة دليلا لتطورها المقبل . وتعكس مأساة سوكارنو أخطار القيادات الفردية . فبعد ان احتل مركز القوة لمدى طويل ، بدأ يصدق ما اخترعه ، وهو انه لا غناء عنه للامة ، وفي حين كان يتحدث كثيرا عن الوحدة ، كان يبذل كل جهده لتعميق الانقسام بين القوى السياسية ، ليبقى في مركز الحكم . وقد قدم سوكارنو للحزب الوطني سياسة محلية وخارجية تعظم شعارات الوطنية ، واخضع الحزب لسطوته بسبب قدرته على تعبئة الجماهير .. وقدم للحزب الشيوعي برنامجا يدعم موقفه الايديولوجي ، وجعله يدرك انه حاميه الوحيد من خطر العسكرية . واتاح للقوات المسلحة وسيلة التجديد خلال التمويل الذي اتاحه لها ، والهم القادة ان الحزب الشيوعي هو البديل لهم ، وكذلك فعل بالنسبة للمجموعات الاسلامية والمسيحية الاخرى .

وفي فصل بعنوان : « **الانقلاب ورد الفعل** » ، يروي المؤلف تفاصيل الاحداث ، فقد شاهد سكان العاصمة قوات الجيش صبيحة اول اكتوبر تحتل العاصمة ، وفي ظهر اليوم نفسه أذيع بيان باسم **حركة ٣٠ نوفمبر** ، يتهم كبار الضباط بالعمل على تدبير انقلاب يوم **٥ أكتوبر** ، يوم عيد الجيش ، وان صغار الضباط تحركوا لمنعهم من هذا ، وقاموا باعتقالهم ، وان رئيس الجمهورية في امان . ثم اعلن صغار الضباط القائمين بالانقلاب ، بقيادة المقدم **اونتونج** ، تكوين مجلس ثوري من كل الاحزاب ، والغاء الرتب الكبيرة في الجيش ، وترقية الجنود والضباط الصغار . وسرعان ما أعلن **عمر داني** قائد القوات الجوية المعروف بارتباطه بالشيوعيين ، تأييد الانقلاب ، ونشرت صحف الحزب الشيوعي هذا التأييد ، في حين امتنعت الصحف الاخرى عن ذلك .

وتختلف الاراء في تفسير الانقلاب ، فمن قائل انه نوع من الدفاع المضاد ضد انقلاب اكيد كان كبار الضباط ينوون القيام به ، وان الحزب الشيوعي أيد هذا الانقلاب عندما وقع ، خوفا من حركات القيادة العليا . أما الرأي الآخر فيرى أن الحزب الشيوعي خطط للانقلاب . المهم ان العسكريين الكبار سرعان ما استعادوا السلطة ، وقاموا بحملة تهييج واسعة للمشاعر الوطنية ، بحجة قتل بعض الضباط ، وجمعوا صفوف كل القوى السياسية في حملة ابادة ضد الحزب الشيوعي ، وصلت في بعض التقديرات الى قتل حوالي ٥٠٠ ألف نسمة .

وفي نهاية كتابه ، يؤكد المؤلف ان الهوة ما زالت قائمة بين سياسات المدن والريف . وان الشيوعيين الذين نهضوا من عثارهم في عام ١٩٢٧ ، وفي عام ١٩٤٨ ، يمكن ان يعودوا مرة اخرى ، وان « لابسي الكاكي » ، ما لم يتمكنوا من اقامة روابط وثيقة مع الفلاحين والطلاب ، فسوف تتكرر أحداث عام ١٩٦٥ . فالمؤسسة العسكرية تستطيع ، في رأيه ، استخدام تكنيكها ومهاراتها وتنظيماتها الواسعة في تنفيذ عدد من البرامج تلبي حاجات الفلاحين وتقوية صلاتها بها ، حتى لا تبقى السياسة حكرا على العاصمة .

ويبذل المؤلف كل جهده لنفي صلة الانقلاب بالمخابرات الامريكية وبالولايات المتحدة ، ويحاول ابراز التحول الذي طرأ على السياسة الخارجية لاندونيسيا ، على انه أمر منطقي وطبيعي تماما تقتضيه احتياجاتها لا ارتباطاتها الجديدة ..



هل اختفى انقسـام العـالم ؟

حول الرأى القائل بأن انقسام العـالم الى معسكرين بدأ يتلاشى ، ليحل محله تواجد الكيانات ، أو المجموعات الكبيرة ـ كتب رفعت الشعرانى من سوريا ـ السلمية ، يقول :

يجمع الوطنيون التقدميون على اختـلاف اتجاهاتهم ان انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا ١٩١٧ كانت بداية انعطاف تاريخى كبير . فمعهـا تصـاعد الصراع الطبقى على المسـتوى العالمى . وبدأ واضحا انقسـام العـالم الى معسكرين :

● الدولة الاشتراكية التى تشكل ـ مع غيرها من الدول الاشتراكية بعد ذلك ـ المعسكر الذى يسير مع منطق التاريخ .

● الدول الامبريالية والرأسمالية التى تشكل المعسكر الذى يسير ضد منطق التاريخ .

وهكذا انقسم العالم الى معسكرين على أساس طبيعة **النظام الاجتماعى** لكل منهما . وهو انقسام موضوعى جاء تلبية لسير قوانين التطـور الاجتماعى .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، ونتيجة لخروج معسكر كبير للاشتراكية ، احتدمت المعركة بين الاشتراكية العالمية والرأسمالية العالمية وفى نفس الوقت تمكنت عشرات الدول الصغيرة من خلع النير الاستعمارى وقطع العديد منها أشواطا بعيدة فى طريق التحرر والتقدم الاجتماعى .

ومرة أخرى يجمع الوطنيون التقدميون ، على أن سمة هذا العصر ، هو انتقال البشرية من النظام الرأسمالى الى الاشـتراكية . لكن منظـروا الرأسمالية العالمية ، يحاولون اليوم ـ كما حاولوا فى الماضى ـ طمس سمة العصر الرئيسية بغية حرف نضال القوى الوطنية التقدمية هنا أو هناك ، من النضال فى سبيل القضية المشتركة لفصـائل العملية الثورية العالمية .

ان الساسة البورجوازيون يدورون ويلفون حول فكرة مفادها أن العالم ينقسم الى دول فقيرة ودول غنية أو دول كبيرة ودول صغيرة . ولا شك أن هذا التقسيم ينطوى على محاولة خبيثة تهدف الى وضع الاتحاد السوفيتى فى صف واحد مع الولايات المتحدة الامريكية . يحدث هذا فى الوقت الذى دلت فيه التجربة أن الاتحاد السوفيتى صديقا أمينا ثابتا لكل الشعوب المناضلة فى سـبيل حريتها واستقلالها وتقدمها الاجتماعى . بينما دلت فيه أيضا ، على أن الولايات المتحدة الامريكية ، هى العدو الرئيسى للشعوب .

لقد بدأت البشرية منذ ثورة اكتوبر تسير فى طريق القضاء العـام على نظام الاستغلال العالمى • وستظل كذلك حتى تنجز مهمتها التاريخية فى قهر الامبريالية نهائيا • لذلك فان العالم لا يمكنه بحال من الاحوال ، السير فى اتجاه تلاشى انقسـامه الى معسكرين الا على أساس زوال المعسكر الامبريالى الراسمالى العالمى • وعند ذلك يصبح العـالم معسكرا واحدا ، فتفقد كلمة معسكر دلالتها • أقول عندها تنتصر الاشتراكية عالميا •

ولا شك أن غياب النظرة الطبقية يفتح الطريق لاخطاء كبيرة وخطيرة ، منها وضـع الاتحـاد السوفيتى وأمريكا فى « سلة واحدة » • وعندما يدور الكلام عنهما« ككيانين كبيرين »فقط . فالواقع أن الاتحاد السوفيتى « كيان كبير » ولكن لابد أن نضيف أنه الهم وقدم بانجازاته الكبيرة جميع الشعوب المناضلة واضعا تلك المنجزات فى خدمة القضية المشتركة للبشرية جمعاء • وصحيح أن الولايات المتحدة « كيان كبير » • ولكن علينا أن نضيف أنه كيان من نوع آخر • كيان معاد كلية لتطلعات البشرية فى السلام والتقدم الاجتماعى •

●

رأى للبـــــــــاحثين ..

فى المـركز القـومى للبحـوث

وجاءنا من أعضـاء هيئة البحوث ومساعدى البحاث فى المركز القومى للبحوث بالدقى :

منذ أكثر من خمسة عشر عاما عندما أنشىء المركز القومى للبحوث ، أصدرت أجهزة الدولة المعنية قانونا يسوى بين أعضاء هيئة البحوث والباحثين المساعدين وبين أعضاء هيئة التدريس والمعيدين بالجامعات فى الاجور والمـرتبات ، واستمر هذا الوضع الى عام ١٩٦٢ حين تعددت مراكز البحوث ولكل منها أوضاعها الخاصة . ورأت الدولة من جانبها أن توحد المعاملة المالية وقواعد التعيين والترقيات بين الباحثين بهـذه المراكز وبين أعضاء هيئة التدريس والمعيدين بالجامعات ، فأصدرت القانون ٧٩ـ١٩٦٢ والذى ينص فى مادته الاولى على أنه يسرى فى شأن أعضاء هيئة البحوث والباحثين المساعدين أحكام المواد الخاصة بالتعيين والترقية وجدول المرتبات بالقانون ١٨٤ـ١٩٥٨ . وعندما صدر قـانون الجامعات الجديدة (٤٩ ـ ١٩٧٢) نص على الغاء القانون ١٨٤ـ١٩٥٨ ، وبالتالى وجد أعضاء هيئة البحوث والباحثين المساعدين أنفسهم ازاء هذا الفراغ التشريعى بدون قانون يحدد قواعد التعيين والترقية والمرتبات • ولذلك قاموا بتنبيه المسئولين تنفيذيا وسياسيا عن هذا الخطأ . وطلبوا تصحيحه بتعديل القانون ٧٩ ـ ١٩٦٢ ، بحيث تستبدل المواد الخاصة بالقانون رقم ١٨٤ـ١٩٥٨ بمثيلاتها فى القانون ٤٩ـ١٩٧٢ .

ومرت الايام وفوجئنا بقضية البحث العلمى تأخذ مزيدا من مساحات الصحف ، وعديدا من جلسات الرأى والاستماع • وصدرت بعض الصـحف بعناوين رئيسية « البحث العلمى لم يؤدى دوره » • ونحن حقيقة نود لو أن هذا الموضوع طرح على الرأى العام بطريقة علمية وديموقراطية توخيا لمعرفة كل الحقيقة وليس جزءا صغيرا منها ، كل ما

أسلوب فى الصحافة يجب أن يختفى

كتب حامد شاكر عباس ـ محاسب :

فى منتصف الشهر الماضى ، تابع الرأى العام فى بلادنا باهتمام كبير مجريات المناقشات التى دارت فى مجلس الشعب حول بيان الحكومة •

وفى تلك الايام ، وبعنوان « تحت القبة » طالعتنا احدى الصحف اليومية ، بعدد من التعليقات لاحـد كتابها عما دار فى مجلس الشعب وكم كان احساس المرء بالمرارة والتقزز من تجاهل الكاتب لكل ماهو جاد وصادق فى مناقشات المجلس : حيث افرغ هـذه المناقشات من مضمونها البناء وراح يستخلص ويفتعل مواقف ولمسـات هزليـة تذكرنا بأسلوب فى العمل الصحفى حكم على نفسه ـ وبالتجربة العملية ـ بعدم المواءمة مع كل ما هو شريف ومضىء فى حياة شعبنا العظيم •

فبينما تحتدم الاراء لمناقشة مشكلات الانتاج الزراعى والفوارق الاجتماعية ومشكلات الصحة والتعليم والمواصلات والانحراف والاختلاس وضرورة الاعداد الجوى للمعركة : لا يلتقط الكاتب من كل ذلك سوى « قفشة ! أو « نكتة » عن « عماشة » وعن « العازل الطبى » واغنية « دوس ع الدبا » الخ ..

وفضلا عما فى ذلك من « سطحية » فان الخطورة الحقيقية تكمن فى ظاهرة ان كثيرا من قراء الصحف لا يتمكنون من قراءة تفصيلات الجلسات والمناقشات • ويكتفون بقراءة تعليق ..كذلك الذى «تحت القبة » ظنا منهم انه يقدملهم رؤية أمينة لاهم ما دار فى الجلسة من احداث وآراء • والنتيجة المؤسفة لذلك ان مثل هذه الكتابات تصرفهم عن حقيقة ما يدور وتشغلهم بقضايا لا يهتم بها سوى السيد الكاتب وحده • وهى بالتاكيد قضايا غير جادة •

وانا اتساءل : أين يقع مثل هذا من ميثاق الشرف الصحفى ، واين ذلك من مسئوليات « الضمير الوطنى » ؟ .

بدئ منه أنه اتهام للباحثين بالتقصير». نحن لا ندعى ان البحث العلمى قد اعطى كل ما فى جعبته من اجل خدمة وتنمية هذا الوطن ، ولكننا نعمل قدر ما فى طاقاتنا وفى حدود الامكانيات والظروف المحيطة بنا ، وفى نفس الوقت نعتقد بانه لا زال هناك أمامنا كشعب طريق طويل يجب أن نقطعه اذا كنا حقيقة نرغب فى أن يقوم البحث العلمى بدوره الكامل فى خدمة المجتمع ، اذ ان البحث العلمى مثله مثل باقى قطاعات العمل والانتاج فى الدولة ، يتأثر ويتفاعل مع الظروف الاجتماعية والسياسية للمجتمع ، ولا يمكن بحال عزل تأثير هذه الظروف عن فاعلية واستخدام البحث العلمى . يكفى أن نعرف مثلا ، أن ما يصرف من العملة الاجنبية على هواة العلوم أكثر مما ينفق على أكثر من ألف من الباحثين والباحثين المساعدين بتجمع علمى كبير مثل المركز القومى للبحوث .

أخيرا نود أن نوضح أن قضية البحث العلمى ودوره فى المجتمع لابد وأن تأخذ وقتا ليس بالقليل ، من أجل تحديد أوجه القصور ومجالات الاستفادة وأسلوب العمل فى قطاع البحث العلمى على مستوى الدولة ككل ، ولا يجب اطلاقا أن يبقى الوضع الحالى للباحثين فى ظل لا قانون رهن أن تحسم قضية البحث العلمى .

طلبة المغرب والمحامون العرب ضد القمع

بعث الينا « الاتحاد الوطنى لطلبة المغرب - فيدرالية الشرق العربى - فرع القاهرة » بيانا بمناسبة أعمال الارهاب والاضطهاد الجارية فى المغرب وقد جاء فى البيان :

« ... ان المعركة واحدة ضد القوى الرجعية المتحالفة مع الاستعمار على امتداد الوطن العربى . فمعتقلو الدار البيضاء هم رفاق كفاح للمعتقلين الفلسطينيين فى سجون اسرائيل ، وللمعتقلين التقدميين سواء فى سجون المملكة السعودية أو الحكم الهاشمى العميل فى الاردن . فالعدو واحد وان تعددت صوره . لقد بات جليا التحالف الصهيونى الرجعى فى علاقات الحكم الهاشمى باسرائيل ، أو فى صفقة الاسلحة (الخردة) التى باعتها اسرائيل للحكم المغربى » .

رسالة أفريقيا :

تخلو حياتنا السياسية والثقافية ، من وجود « منبر » متخصص فى شئون افريقيا وقضاياها . ولذلك فان صدور « **رسالة افريقيا** » يملأ الى حد ما جزءا من هذا الفراغ الملموس .

وقد جاءنا من « **الجمعية الافريقية بالقاهرة** » ، العدد الاول من « **رسالة افريقيا** » (ديسمبر ١٩٧٢) التى تصدر مرة كل شهر . وتعرف الجمعية نفسها فى النشرة ، على أنها « تضم المهتمين بالقضايا والدراسات الإفريقية من أبناء القارة » . وتحدد هدف النشرة فى « تفهم حقيقة الواقع الافريقى » و « تنمية التفاهم وتدعيم التعاون بين شعوب القارة » .

ويضم العدد الاول من « **رسالة افريقيا** » (١٦ صفحه) عددا من الموضوعات التى تتعلق بمجريات الاحداث فى افريقيا . ففى ص ٣ تجرى المجلة « حديثا خاصا مع السكرتير العام لمنظمة الوحدة الافريقية » يتناول فيه التحديات التى تواجه القارة وقضايا حركات التحرير . وتفرد المجلة صفحتها السادسة لمناقشة قضية « القومية » فى افريقيا . ثم تخصص ص ٧ - ٨ - ٩ للتعليق على تطور الاحداث فى أوغندا والمغرب وداهومى ومالاجاش . وفى ص ١٠ - ١١ تقدم المجلة التجربة المصرية فى مجال « الخدمات الصحية فى خدمة التنمية » . ثم تقدم للقارىء بعد ذلك « وجه افريقى » هو عمر عرته وزير خارجية الصومال ، وفى صفحة الادب والفن تقدم المجلة الفنان السنغالى « **عثمان سمبين** » الذى يعد من أهم الادباء والسينمائيين فى افريقيا . **وبعد ذلك** تعرض المجلة شريطا تسجيليا لاحداث القارة . وفى صفحتها الاخيرة تقدم عملا فنيا من « كنوز الفن الافريقى » .

واذ تحيى « **الطليعة** » هذا الجهد الجاد ، فانها تأمل أن تجد القضايا الحالة فى نضال حركة التحرر الافريقى المعادى للاستعمار وللتخلف ، ومن أجل بناء تقدمها الاجتماعى والاقتصادى ، الاهتمام العميق الذى يكفل للمجلة أن تكون « همزة اتصال » فعالة بين الدوائر العلمية الافريقية وشعوب القارة نفسها .

« يا جماهيرنا الطلابية ! »

« اننا نطالب القوى التقدمية العربية والعالمية بالوقوف الى جانب المعتقلين وفضح أساليب الحكم الفاشيستية ـ وندين بشدة التصرفات اللامسئولة للحكم الاقطاعى تجاه القوات التقدمية فى المغرب » .

« كما نطالب باطلاق سراح المعتقلين التقدميين فى سجون المغرب . ونحن واثقون من أن انتصار ارادة الجماهير المغربية ستكون علىدربسجون الحكم الاقطاعى التى يخرج منها المناضلونأصلد وأقوى لمقارعته وخوض الكفاح من جديد » .

وجـــاءنا فى نفس الوقت بيانا من الامانة العامة لاتحاد المحامين العرب حول الارهاب فى المغرب ، هذا نصه :

منذ الصيف الماضى والامانة العامة لاتحاد المحامين العرب تتلقى أنباء مقلقة تتعلق بالحــالة السيئة التى وصل اليــها المعتقلون السياسيون المغاربة بسجن الدار البيضاء . وقد ازدادت حالة هؤلاء المعتقلين سوءا بعد أن أضربوا عن الطعام منذ يوم٢٨ نوفمبر الماضى، احتجاجا علىالمعاملة القاسية التى يتعرضون لها ، وعلى حرمانهم من مقابلة أقاربهم ومحاميهم ولعدم تقديمهم للمحاكمة رغم انتهاء التحقيق معهم منذ اشــهر عديدة . وقد تدهورت الحالة الصحية لهؤلاء المعتقلين ، ونقل بعضهم للمستشفى فى حالة سيئة جدا .

ونظرا لخطورة الحالة ، قام أساتذة جامعة الرباط وطلاب الاتحاد الوطنى لطلبة المغرب باضراب كامل عن الطعام لمدة يوم واحد ، ونظموا مظاهرة ضخمة يوم ٨ ديسمبر تضامنا مع المطالب العادلة للمعتقلين السياسيين .

لكن قوات الجيش والبوليس تدخلت بالقوة لفض الاضراب وتفريق المظاهرة ، مما أسفر عن اصابة ٨٠ أستاذا وطالبا جامعيا باصابات خطيرة .

والامانة العامة لاتحاد المحــامين العرب ، ادراكا منــها لخطورة الحــالة ، تستنكر موقف المســئولين من المعتقلين السياسيين المغاربة ، وتشجب تدخل قوى الجيش والبوليس لقمع حركة الاساتذة والطــلاب المتضــامنين مع اخــوانهم المعتقلين ، وتعتبر ذلــك ظلمــا وعــدوانا وانتهاكا للحــق والعدالة واخلالا بالمبادىء الاساسية للاعلان العــالمى لحقوق الانسان .

والامانة العامة لاتحاد المحامين العرب توجه النداء الحار الى نقابات المحامين العــرب والى الجمعيــات والمنظمــات السياسية والمهنية العربية والى الهيئات العالميــة للدفاع عن حقوق الانسان ، من أجل اتخاذ اجراءات عاجلة لمصلحــة المعتقلين السياسيين المغاربة ، وتأييد الاســاتذة وطــلاب الاتحاد الوطنى لطلبة المغرب فى موقفهم العادل الشريف تجاه اخوانهم المعتقلين ، والتضامن مع القوى التقدمية والوطنية المغربية فى كفاحها من اجل اقامة مجتمع آمن تسوده الطمأنينة والعدالة ومبادىء حقوق الانسان .

الامانة العامة لاتحاد المحامين العرب

ملاحظات حول مقال

مصر بين معاهدة ١٩٣٦ وانتفاضـــــة ١٩٤٦

كتب الزميل عبد المنعم الغزالى :

أود فى هذه السطور ان أبدى بعض الملاحظات حول ما جاء فى مقال د . رفعت السعيد « مصر بين معاهدة ١٩٣٦ وانتفاضة ١٩٤٦ » . والمنشور فى « الطليعة » عدد ديسمبر ١٩٧٢ .

● **يقول رفعت** عن حزب الوفد : « وردا على هذه الهجمات قرر الوفد ـ وربما للمرة الاولى منذ نشأته ـ اللجوء الى جماهيره الحزبية وحشدها وتعبئتها . استعدادا للمعركة ، واظهارا لقــوته وجماهيريته . ونظم الوفد المؤتمر الوطنى الوفــدى الكبير » . وكنا نود أن يدلل لنا الدكتور رفعت على أن هذه هى أول مرة يلجأ فيها الوفد الى جماهيره ـ فلا شك أن أحداث الثلاثينيات كانت قريبة جدا من مؤتمر ١٩٣٥ . وخلال هذه الاحداث لم تقتصر عملية الحشد والتعبئة على مجرد عقد مؤتمر فى العاصمة ، بل ان مصطفى النحاس ومعه أعضاء القيادة العليا للوفد والهيئة الوفدية جابوا الاقاليم فى جولات جماهيرية عنيفة ضد حكومة صدقى باشا .

● **ويقول** فى موضع آخر « وكانت الجامعة فى هذه الاثناء تشهد تجمعات جديدة غير وفدية ، ولكنها معارضة للانجليز . فان فترة تخاذل حزب الوفد فى مطلع الثلاثينيات ، وخمود كفاحيته ، قد مكنت قوى سياسية جديدة من البروز « مصر الفتاة » ، « الحزب الوطنى » .. الخ ، ويبدو أن الدكتور رفعت قد أسس استنتاجته تلك علــى مصادر ممثلى الحزب الاقلية ، وعليه أن يراجــع أحداث تلك الفترة بتفصيل وتدقيق أكثر . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان الدكتور رفعت يرى أن حزب الوفد قد تخاذل فى مطلع الثلاثينيات ، وهذه الرؤية لا يسندها أى دليل ، فمطلع الثلاثينيات يتميز بأن الوفد كان الهيئة القائدة فعلا للنضال الوطنى والديمقراطى ضد حكم الانجليز والسراى والاقليات ـ والقيادة صاحبة النفوذ الاكبــر لاضرابات العنابر ، وما يمكن ان نسميت هبــة « بولاق » كانت للعناصر الوفدية وفى مقدمتها « محمد حسنين » عضو الهيئة الوفدية . وكذلك فان تفسير الدكتور رفعت لظهور جماعات مثل جماعة مصر الفتاة بأنه جاء نتيجة تخاذل حزب الوفد وخمود كفاحيته ، هو تفسير سطحى لظهور

مثل هذه الجماعات ، والتى تشكلت كتعبير عن تجمعات للبورجوازية الصغيرة خلال الازمة الاقتصادية الكبرى ، ولم تكن تمثل غير أقليات محدودة داخل حركة المجتمع المصرى حينئذ ، بل ان نشاط أغلبها كان قاصرا على العاصمة والاسكندرية وبعض المدن .

● **يذكر الدكتور رفعت** وهو يتحدث عن التنظيمات الفاشية .. « ثم تأسيس أحمد حسين تنظيمات « القمصان الخضر » ، وهو تنظيم فاشيستى أيضا ، لكن الخطير فى الامر هو أن الوفد قد انجرف هو أيضا فى هذا التيار ، فأسس تنظيم « القمصان الزرق » الذى ضم حوالى ١٠٠٠٠ عضو » . واعتقد أن تأسيس الوفد للقمصان الزرق كان هو الرد الشعبى حينئذ من قبل حزب الاغلبية على التكوينات شبه العسكرية التى تكونت من قبل جماعات وهيئات عديدة . ولم يكن فى أستطاعة الوفد أن يقف مكتوفى الايدى حيال هذه الظاهرة الخطيرة . وحركة « القمصان الزرق » فى حاجة الى دراسة أكثر دقة ، دراسة موضوعية تعطيها حقها كأول تحرك شعبى منظم ضد الحركات الفاشية ــ وذلك رغم كل ما شابها من سلبيات ..

● **ويقول د . رفعت** : « والذى نود أن نشير اليه فى هذا الصدد ، أن تجمعات اليسار والعناصر الماركسية المصرية ، قد حملت طوال فترة الثلاثينيات عبء مقاومة النشاط الفاشى وكشفه » .

وأعتقد أن د. رفعت يبالغ فى استنتاجه هذا ، الامر الذى لا يتفق مع علمية النظرة للتاريخ ، فمنذ ١٩٢٤ وتجمعات اليسار لم تكن قوية الى الدرجة التى تتحمل وحدها عبء مقاومة النشاط الفاشى ــ ولقد قاومت النشاط الفاشى قوى عديدة ــ من بينها قوى بورجوازية ومن ملاك الارض بحكم مصالحها وارتباطاتها ــ مثل صدقى باشا ــ وعناصر وطنية وديمقراطية كثيرة ــ وفى مقدمة كل هؤلاء كان الوفد، وقمصانه الزرق . وأنا لا أنكر وجود عناصر ماركسية متفرقة اشتركت فى مقاومة النشاط الفاشى أو جماعات ذات طابع يسارى ، أو سمة يسارية ــ ولكنها ليست كما يرى الدكتور رفعت تحملت عبء مقاومة النشاط الفاشى وحدها حينئذ .

● **وفى ختام مقاله** يتناول الحديث فى عجالة عن كثير من الهيئات وشعاراتها دون تحديد الامر الذى يجعل قارئه فى حيرة عندما يريد أن يناقش الحقائق التاريخية .

فمثلا يقول : « اقترب موعد افتتاح الجامعة فى اكتوبر سنة ١٩٤٥ ، وامتلات شوارع القاهرة بكتابات على الجدران تدعو طلاب الجامعة للثورة ضد الاحتلال ، وتهيأ الجميع لانتظار الحدث الكبير الى حد أن التنظيم الماركسى « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » قد وزع منشورا موجها الى « ضباط وجنود الجيش والبوليس » فى يوم ٥ اكتوبر ١٩٤٥ .. الخ ويكفى للتدليل على جملة الدكتور رفعت فى تأريخه لاحداث هامة فى حياتنا أن نقول أن « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » لم تؤسس الا فى صيف ١٩٤٧ .

ان مقال الدكتور رفعت السعيد ملىء بالاحكام المتعجلة ، الامر الذى يضعف من القيمة العلمية لتحليله التاريخى ــ فمثلا الحكم الذى أصدره على الدكتور طه حسين عندما اعتبره من مفكرى كبار الملاك والبورجوازية ــ هو ليس مجرد حكم قاس ورهيب ، ولكنه كذلك يستهين بكل تراثنا الوطنى والديمقراطى ــ ان استاذنا الدكتور طه حسين سيظل علامة بارزة من علامات الفكر الوطنى والديمقراطى ــ وما قدمه الدكتور طه حسين من دراسات اسلامية انما كانت جهدا شاقا وعميقا لاحياء الكثير من القيم الانسانية التقدمية لدى السلف .

هذه بعض الملاحظات حول مقال الزميل رفعت السعيد ــ أرجو أن تكون دعوة لحوار بين مؤرخينا لنقدم لاجيال الشباب الحقيقة عن تاريخنا الوطنى المعاصر .

وثائق

الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية

نجح المؤتمر الشعبى العربى لنصرة الثورة الفلسطينية ، والذى عقد جلساته فى بيروت فى الاسبوع الاخير من نوفمبر الماضى من تشكيل « الجبهة العربية المشاركة فى الثورة الفلسطينية » أول تنظيم جبهوى للقوى الوطنية والتقدمية العربية .

وتقدم الطليعة الوثائق الاساسية لهذه الجبهة :

نص بيان اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشعبي لنصرة الثورة الفلسطينية الذى تلى فى المؤتمر الصحفي بتاريخ ٢٥/١١/١٩٧٢ ٠

أيها السادة :

أرحب بكم أطيب ترحيب رجال الاعلام اللبناني والعربي والاجنبي باسم اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية الذى سيعقد فى هذا المكان بين ٢٧ و ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) الجارى ٠

ان المبادرة الى عقد هذا المؤتمر الشعبي قد صدرت عن ممثلى الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية الذين التقوا فى القاهرة فى نيسان (ابريل) من العام الجارى اثناء انعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني ٠ وقد تشكلت اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر من الاحزاب والتنظيمات التقدمية العربية الاتية : الاتحاد الاشتراكي العربي فى مصر ـ حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ الجبهة القومية في اليمن الديمقراطية ـ الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان ـ منظمة التحرير الفلسطينية ٠ وعقدت اللجنة التحضيرية اجتماعين لها فى بيروت ، الاول فى آيار (مايو) المنصرم ، والثاني فى أيلول (سبتمبر) الماضى ٠ وانبثقت عن هذه اللجنة التحضيرية أمانة دائمة مركزها بيروت تولت متابعة تنفيذ مقررات اللجنة التحضيرية وصياغة الوثائق التى كلفتها بها اللجنة ٠ وسوف تعقد اللجنة التحضيرية اجتماعها الاخير قبل انعقاد المؤتمر للنظر فى الاعمال التى انجزتها الامانة الدائمة والترتيبات المتخذة لضمان انجاح المؤتمر ٠

وقد وجهت الدعوة للمشاركة فى اعمال المؤتمر الى الاحزاب التقدمية ، واتحادات العمال والفلاحين ، والمنظمات المهنية الدولية العربية ، والى عدد من الشخصيات التقدمية المرموقة ، فى اكثر من ١٤ قطر عربي ، كما وجهت الدعوة لحضور المؤتمر بصفة مراقبين الى ٨ منظمات ديمقراطية عالمية (مجلس السلم العالمي ـ ندوة فلسطين العالمية للمسيحيين ـ منظمة التضامن الاسيوى الافريقي ـ منظمة تضامن القارات الثلاث ـ اتحاد النقابات العالمي ـ اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي ـ اتحاد الطلاب العالمي ـ رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية . والى اكثر من ٤٠ حزبا وهيئة من احزاب البلدان الاشتراكية وحركات التحرير الوطني وسائر بلدان العالم الاخرى ٠ وقد أخذت الوفود بالوصول تباعا ، وينتظر وصول بقية الوفود خلال هذين اليومين ٠

ويهدف هذا المؤتمر الشعبي الى اقامة جبهة من الاحزاب والقوى والشخصيات الوطنية والتقدمية العربية ، على اختلاف منطلقاتها الفكرية والاجتماعية ، للمشاركة فى كفاح الشعب العربي الفلسطيني ، ادراكا من جميع هذه الاطراف للاهمية الفائقة التى تحتلها الثورة الفلسطينية فى كفاح العرب التحررى والتقدمي ، واقتناعا منها بان ما يوحد بينها هو الاهم والاكبر والاسمى . وبان ضرورة تغليب التناقض الرئيسي (اى التناقض مع القوى المعادية) على التناقضات الثانوية القائمة فيما بينها ، قد باتت ضرورة ملحة لا تحتمل التسويف ، وبان المطلوب هو تشديد الكفاح ضد العدو ،وليس الالتهاء بالنزاعات الجانبية ٠

ولقد تاكد تصميم القوى المشاركة فى هذا المؤتمر على اقامة علاقات جبهوية فيما بينها حول هذه القضية الهامة ازاء ما تتعرض له الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي عامة من هجمة شرسة لا تستهدف فقط تصفية الحقوق القومية لشعب فلسطين في تحرير كامل ترابه الوطني ،بل تستهدف أيضا ضرب ارادة الصمود وتكريس الامر الواقع الصهيوني ، وفرض التراجع على حركة التحرر العربي ، واعادة بسط السيطرة الامبريالية الكاملة ـ ولا سيما الامريكية ـ على مجمل الوطن العربي ٠ وتدرك هذه القوى بان القوى المعادية ـ ومن ضمنها الرجعية العربية ـ تعمل بالتنسيق الكامل فيما بينها ، مشكلة معسكرا واحدا يجمعه وحدة الغرض والهدف ، وان من الضرورى بالتالي مجابهة الاعداء بجبهة تقدمية عربية واسعة تتحالف مع القوى الصديقة ، قوى الاشتراكية والتحرر والديمقراطية فى العالم ٠

ولقد بحثت الامانة الدائمة واقرت الوثائق الاربع التى كلفتها اللجنة التحضيرية باعدادها وهى تضعها اليوم بين يدى اللجنة التحضيرية التى ستتولى بدورها عرضها على المؤتمر ٠ اما هذه الوثائق الاربع فهى : مشروع البرنامج السياسى للجبهة ـ مشروع اللائحة الداخلية للجبهة ـ مشروع سير اعمال المؤتمر ـ مشروع نظام المؤتمر ٠

ولقد ساد اعمال الامانة الدائمة واللجنة التحضيرية جو من النقاش المثمر ، والتعاون الصادق ، والبعد عن الشكليات والحساسيات ، مما دلل على مدى تحسس سائر الاطراف التى شاركت فى أعمال التحضير بالمسئولية ، ومما يبشر بأن المؤتمر سوف يركز اهتمامه بدوره على مناقشة افضل السبل والوسائل لتوطيد التضامن بين القوى التقدمية العربية ولتشديد كفاحها التحررى والتقدمي ٠

وسوف يفتتح المؤتمر فى جلسة عامة تعقد فى الساعة العاشرة من صباح الاثنين ٢٧ تشرين الثاني فى هذا الفندق بكلمة اللجنة التحضيرية ثم كلمة منظمة التحرير الفلسطينية واخيرا تحيات الوفود الصديقة ٠

وبعد الجلسة العامة ستجرى أعمال المؤتمر داخل لجنتين : اللجنة السياسية التى ستبحث مشروع البرنامج السياسى للجبهة ، واللجنة التنظيمية التى ستبحث اللائحة الداخلية للجبهة ،ويتضمن مشروع البرنامج السياسى أسس عمل الجبهة ، فى حين تنص اللائحة الداخلية على الاجهزة التى ستنبثق عن الجبهة وهى بحسب المشروع : مؤتمر دورى يعقد كل سنتين ، ولجنة تنفيذية مقرها بيروت تجتمع كل ستة اشهر ، وأمانة عامة تتولى متابعة العمل اليومى ٠

أيها السادة :

ان المؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية سيكون حدثا بالغ الاهمية فى مسيرة حركة التحرر العربي ٠ فلاول مرة سيلتقى مثل هذا العدد من الاحزاب والتنظيمات التقدمية العربية لا من أجل الاعلان عن موقف موحد ، على ما لذلك من أهمية ، بل لاقرار برنامج عمل سياسى ولاقامة جبهة بين هذه القوى لنصرة ثورة الشعب العربي الفلسطيني والمشاركة فيها ٠

ولا شك بأن اى وطني أو تقدمي عربي يتطلع بامل الى اليوم الذى سيصبح فيه بامكان كافة القوى التقدمية العربية اللقاء والعمل المشترك حول كافة القضايا المصيرية التى تجابهها الجماهير العربية ، قضاياها القومية التحررية والاجتماعية التقدمية ، قضايا التحرر الوطني الكامل والوحدة الديمقراطية والاشتراكية ٠

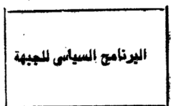
غير ان أهمية هذا المؤتمر صادرة فى آن واحد عن اهمية القضية المصيرية التى يدور حولها ، وعن واقع أن هذا اللقاء ـ بالتعاون الذى ساد بين الاطراف التى عملت من اجل انجاحه ، بل وبحد ذاته ـ يشكل سابقة فى مسيرة حركة التحرر العربي ، ونوعا من الممارسة الجديدة الايجابية نود لها جميعا ان تستمر وان تتعزز ٠

كما ان اهمية هذا اللقاء صادرة ايضا من طبيعة هذا التجمع بوصفه تجمعا شعبيا يتجاوز الاطر الرسمية ، على اهميتها ، ويتوجه الى اوسع الجماهير يدعوها الى الكفاح ، ويدعو الى اطلاق مبادرتها وبالاستناد الى طاقاتها الخلاقة .

واني اذ أشكر لكم في الختام انتباهكم ، آمل في أن تعطوا القراء والمستمعين الفكرة الواضحة عن هذا المؤتمر الشعبي الذي سيشكل نجاحه نجاحا لقضية الشعب العربي الفلسطيني ولقضية الجماهير العربية كافة .

المؤتمر الشعبي العربي

الوثيقة رقم (١) .



ـ ١ ـ

● تتعرض الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي عامة لحملة شرسة امبريالية ـ صهيونية رجعية ، تستهدف وجود الثورة الفلسطينية والحقوق القومية لشعب فلسطين في تحرير كامل ترابه الوطني ، وفرض الامر الواقع الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي وضرب منجزات حركة التحرر العربي وتحطيم ارادة الصمود وفرض التراجع ، واعادة بسط السيطرة الامبريالية الكاملة ـ ولاسيما الامريكية ـ على مجمل الوطن العربي ، والحفاظ على مصالح الامبريالية الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، ولا سيما النفطية ـ في المنطقة .

ـ ٢ ـ

● وتعمل قوى الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية وقوى الرجعية العربية المتحالفة معها ، بالتنسيق الكامل فيما بينها ، مشكلة معسكرا واحدا يجمعه وحدة الغرض والهدف لايقاف مسيرة الثورة العربية التي تتداخل فيها مهمات التحرر الوطني والاجتماعي والوحدة القومية .

ـ ٣ ـ

● ان الوجود الصهيوني الغاصب لا يهدد وجود الشعب الفلسطيني وحقوقه القومية وحسب ، وانما يستهدف نضال الامة العربية من أجل الوحدة والتحرر والتقدم ، ويلعب دور المخفر الامامي للامبريالية من أجل الحفاظ على وجودها ومصالحها في المنطقة .

ـ ٤ ـ

● ويشكل نضال الشعب الفلسطيني من أجل تحرير ارضه واستعادة حقوقه القومية كاملة جزءا لا يتجزأ من النضال التحرري التقدمي لحركة الثورة العربية ومن نضال الحركة الثورية العالمية المعادية للامبريالية . كما تشكل قضية الشعب الفلسطيني بكفاحه المسلح ، ساحة اساسية ومتقدمة من ساحات الصدام بين حركة التحرر العربي وقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية .

وان حركة التحرر الوطني الفلسطينية التي ترفض كافة الحلول الشوفينية ، تناضل بكافة اشكال النضال المسلحة والجماهيرية من اجل تحرير كامل التراب الوطني وتصفية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ، واقامة مجتمع ديمقراطي على أرض فلسطين يتعايش فيها مجموع السكان بغض النظر عن الجنس والدين بحقوق وواجبات متساوية ، ويرتبط هذا المجتمع بنضال الامة العربية من اجل دولة قومية ديمقراطية موحدة .

ـ ٥ ـ

● ولقد كان عدوان الخامس من حزيران (يونيو) ومحاولات تصفية المقاومة الفلسطينية ولاسيما مجازر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ـ من اهم مظاهر الهجمة الامبريالية والصهيونية والرجعية الشرسة التي استهدفت حركة التحرر العربي للثورة الفلسطينية بصورة سريعة ومباشرة .

ـ ٦ ـ

● غير ان هذه الهجمة تتخذ اشكالا اخرى متنوعة ، فان الضغوط الامبريالية المستمرة ، والاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ، والمشاريع التصفوية المتلاحقة ، تشكل كلها حلقات في هذه الهجمة مستهدفة شل ارادة الصمود وفرض الاستسلام والخضوع .

ـ ٧ ـ

● وتراهن القوى المعادية في تنفيذ مخططاتها على ضرب التلاحم بين المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربي ، وعلى ضرب وحدة القوى الوطنية والتقدمية العربية وعلى عزل هذه القوى عن القوى الحليفة والصديقة المعادية للامبريالية والصهيونية ، وهي تعمل بنوع خاص :

ـ على النيل من المقاومة الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الحقيقي لاماني الشعب الفلسطيني الذي يترجم هذه الاماني عبر الكفاح المسلح ضد العدو الغاصب ، ومحاولة اصطناع كيانات مشبوهة وناطقين هزيلين باسمه .

ـ على عزل المقاومة الفلسطينية عن الجماهير والحركة الشعبية في كل قطر عربي ، ولا سيما في الساحة الاردنية ـ الفلسطينية ، وضرب التلاحم بينها وبين القوى الوطنية والتقدمية في كل قطر عربي وعلى الصعيد القومي .

ـ على تعميق الخلافات داخل صفوف حركة التحرر العربي ، وتغليب التناقضات الثانوية على التناقض الرئيسي ، واستخدام سلاحي الترهيب والترغيب لحمل بعض القوى على القبول بالمساومة وانصاف الحلول .

ـ على اثارة مشاعر الحذر تجاه القوى التقدمية العالمية المعادية للامبريالية والصهيونية وعزل نضال الشعب الفلسطيني وحركة التحرر الوطني العربية عن هذه القوى الحليفة والصديقة .

ـ ٨ ـ

● ويتعزز لدى الثورة الفلسطينية ، ولدى حركة التحرر العربي الادراك المشترك بأن هذه الثورة ليست ولا يمكن أن تكون قضية الشعب الفلسطيني وحده ، وبأن القوى الوطنية والتقدمية العربية ليست مدعوة فقط لدعم هذه الثورة والتضامن معها ، بل ان الثورة الفلسطينية هي جزء من حركة التحرر العربي ، وأن للقوى الوطنية والتقدمية العربية نفس الحق وعليها نفس الواجب للمشاركة فيها جنبا الى جنب مع الشعب الفلسطيني .

ـ ٩ ـ

● من هنا ضرورة اقامة جبهة عربية مشاركة في الثورة الفلسطينية تنطلق من المعطيات الآتية :

ـ وحدة النضال والمصير بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي ضد الامبريالية والصهيونية وقواعدها السياسية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي .

ـ اقامة علاقات جبهوية سليمة بين أطراف الجبهة تستند الى الثقة المتبادلة والنضال المشترك وعدم تغليب التناقضات الثانوية على التناقض الرئيسي .

ـ ١٠ ـ

● اما اهداف هذه الجبهة فهي :

١ ـ مقاومة كل المشاريع التصفوية التي تقوم على تكريس الكيان الصهيوني والاعتراف بدولة اسرائيل ضمن ما يسمى الحدود الامنة وتحول القضية الفلسطينية

من قضية تحرير قومية الى قضية لاجئين ، وتجعل من تجريد الشعب الفلسطيني من السلاح وتصفية حركته الوطنية ثمنا لمختلف التسويات والحلول الكلية والجزئية المطروحة لقضية الاراضى العربية المحتلة خلال عدوان حزيران ١٩٦٧ · وتؤكد القوى الوطنية والتقدمية العربية تأييدها ومشاركتها للمقاومة الفلسطينية فى تنفيذ استراتيجيتها فى هذا المجال ·

٢ ـ المشاركة المباشرة فى كفاح الشعب الفلسطيني بمختلف أشكاله ·

٣ ـ ضمان حرية المقاومة والوجود العسكرى والسياسى والتنظيمى للثورة الفلسطينية فى جميع الاقطار العربية ، ولا سيما اقطار المواجهة ·

٤ ـ مقاومة وفضح كل المحاولات الرامية الى عزل المقاومة عن الحركة الشعبية وتمتين التلاحم بينها وبين حركة التحرر العربى ·

٥ ـ دعم الجهود الرامية الى بناء الجبهة الوطنية الاردنية ـ الفلسطينية ونضالها الوطنى الديمقراطى لاسقاط نظام الحكم العميل فى الاردن وفى سبيل محاصرة هذا النظام والتضييق عليه من الخارج وتأمين الدعم المادى للجبهة الوطنية الاردنية ـ الفلسطينية ·

اعتبار الساحة الاردنية قاعدة الانطلاق الطبيعية والاساسية للثورة الفلسطينية بحكم وحدة الشعبين الفلسطيني والاردنى ووحدة الارض الفلسطينية ـ الاردنية ، ووحدة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ·

٦ ـ تأمين الدعم المادى للثورة الفلسطينية ·

٧ ـ تامين الدعم السياسى والاعلامى على الصعيدين القطرى والقومى ·

٨ ـ تعزيز التعاون ووحدة العمل بين منظمات المقاومة الفلسطينية وصولا الى اقامة جبهة تحرير وطنية متحدة على أسس سياسية وفكرية ونضالية وتنظيمية ديمقراطية وطيدة ·

٩ ـ دعم قضية الثورة الفلسطينية لدى الاوساط التقدمية العالمية المعادية للامبريالية والصهيونية وضمان المزيد من التضامن معها على الصعيد العالمى ·

١٠ ـ تعزيز التعاون ووحدة العمل بين فصائل حركة التحرر العربى وصولا الى اقامة جبهة موحدة لكافة القوى الوطنية والتقدمية العربية على أسس ديمقراطية ·

١١ ـ تصفية الوجود الامبريالى والمصالح الامبريالية الاستراتيجية والاقتصادية ـ ولا سيما النفطية ـ فى الوطن العربى · وتعزيز النهج المعادى للامبريالية فى السياسة الخارجية للاقطار العربية ·

١٢ ـ التصدى بحزم للقوى الامبريالية والرجعية فى شبه الجزيرة العربية والخليج العربى التى تشكل كتلة أخرى معادية للثورة العربية عن طريق القواعد العسكرية الاجنبية ، ونهب الثروة النفطية ، وفتح الباب واسعا أمام التغلغل الصهيونى المباشر وغير المباشر ، والتفريط بالسيادة العربية على جزر واراضى المنطقة ، ومحاصرة حركة الجماهير الوطنية والديمقراطية والانظمة التقدمية بقوة السلاح ·

دعم وتأييد الحركة الوطنية والتقدمية فى تلك المنطقة ونضالاتها الجماهيرية والديمقراطية المسلحة · والتصدى بحزم لسياسة القوى الصهيونية والرجعية فى منطقة البحر الاحمر ، هذه السياسة التى فتحت الطريق للقواعد والنفوذ الصهيونى من اجل السيطرة على مداخل هذا البحر ضمانا لمصالح العدو الصهيونى وللمصالح الامبريالية البترولية ·

١٣ ـ مقاومة كل اشكال القمع الموجهة الى الحركة الشعبية فى الوطن العربى والتاكيد على الحريات الديمقراطية للجماهير العربية فى التعبير عن ارادتها الوطنية المستقلة فى التحرير الشامل ، وعلى الحقوق الديمقراطية للتنظيمات السياسية والنقابية الشعبية ·

ـ ١١ ـ

● اما الاسس التنظيمية لهذه الجبهة فهى محددة فى اللائحة الداخلية ·

المؤتمر الشعبى العربى

الوثيقة رقم (٢)

اللائحة الداخلية للجبهة

المادة الاولى : تتكون الجبهة من:

الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى والمقاومة الفلسطينية ·

الاتحادات والنقابات العمالية والفلاحية والمنظمات الطلابية والنسائية والمهنية وسائر الهيئات الجماهيرية والتقدمية العربية المؤيدة للثورة الفلسطينية ·

المادة الثانية :

تتألف الجبهة من الهيئات التالية :
١ ـ المؤتمر ·
٢ ـ المجلس العام ·
٣ ـ الامانة العامة ·
٤ ـ اللجان الوطنية ·

المادة الثالثة :

المؤتمر هو الهيئة العليا للجبهة · يعقد المؤتمر مرة كل سنتين لمناقشة مهمات العمل وطرح صيغة العلاقات بين القوى التى تتألف منها الجبهة واقرار الميزانية العامة ·

وفى الحالات الطارئة ينعقد المؤتمر بناء على دعوة من المجلس العام أو بطلب من ثلث اللجان الوطنية ·

المادة الرابعة :

للمؤتمر وحده حق تعديل اللائحة الداخلية وبرنامج العمل السياسى وذلك بناء على طلب المجلس العام أو ثلث اللجان الوطنية وبموافقة ثلثى اللجان الوطنية الممثلة فى المؤتمر ·

المادة الخامسة :

ينتخب المؤتمر مجلسا عاما يتكون من ممثل عن كل من القوى والاحزاب المدعوة والتى توافق على البرنامج السياسى للجبهة ولائحتها الداخلية ·

يجتمع المجلس العام مرة كل ستة اشهر · وفى الحالات الاستثنائية يجتمع المجلس العام بطلب من ثلث اعضائه أو بدعوة من الامانة العامة على أن يحدد جدول أعماله ويبلغ مسبقا ·

يقوم المجلس العام فى تنفيذ قرارات المؤتمر ويحدد سياسة الجبهة العامة بين مؤتمرين ·

المادة السادسة :

ينتخب المجلس العام من بين أعضائه أمانة عامة بعد أن يحدد عدد أعضائه ·

تختار الامانة العامة من بين أعضائها أمينا عاما وامينا عاما مساعدا ·

تتولى الامانة العامة متابعة العمل اليومى وتوزع المهمات بين أعضائها وتنشىء الاجهزة اللازمة لذلك · تبدى الامانة العامة ملاحظاتها وارائها على نشاط المؤتمرات الوطنية على ضوء البرنامج السياسى والنظام الداخلى والقرارات الصادرة عن المؤتمر الشعبى العام ·

المادة السابعة :

يشكل كل قطر عربى مؤتمرا وطنيا من القوى السياسية والمنظمات الجماهيرية والنقابية والافراد الوطنيين والتقدميين ·

ينتخب المؤتمر من بين أعضائه لجنة وطنية يحدد المؤتمر عددها ويقر اللائحة الداخلية للجنة الوطنية فى القطر ·

المادة الثامنة :

توضع لوائح داخلية لكل هيئة من هيئات الجبهة ·

لهيئات الجبهة أن تستعين بلجان فرعية توكل اليها بعض المهام التفصيلية ·

المادة التاسعة :

فى جميع هيئات الجبهة ، يسعى لاتخاذ القرارات بالاجماع ·

وفى حال تعذر الاجماع ، تتخذ القرارات بالاكثرية العادية · ما خلا الحالة المنصوص عنها فى المادة الرابعة فى هذه اللائحة ·

كلمة الثورة الفلسطينية الصادرة عن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التى القاها كمال ناصر فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الشعبى العربى لنصرة الثورة الفلسطينية

أيها الرفاق .. حضرات الضيوف :

باسم الشعب الفلسطيني الذى يتحمل أعباء النضال منذ خمسين عاما ضد ابشع أنواع الغزو الاستيطانى ، وباسم حركة المقاومة الفلسطينية التى تتولى قيادة النضال الفلسطينى ضد الاحتلال والغزو ، نقدم لكم أحر التمنيات الرفاقية بصفتكم تمثلون شعوبا شقيقة تشاركنا الايمان بوجوب تحرير فلسطين وتحرير المجتمع العربى ، وتتحمل معنا مسئولية النضال كما تمثلون شعوبا صديقة تقف معنا فى خندق واحد للنضال ضد معاقل الامبريالية والصهيونية والرجعية على امتداد العالم .

ارتباط الثورة الفلسطينية بحركة التحرر العربى :

ان الارتباط القائم بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطنى العربية هو أعمق من مجرد ارتباط تحالفى أو رفقة ثورية لتيارين متوازيين ، وانه تفاعل عضوى ضمن جسم الثورة العربية الواحد ، والارتباط بهذا المعنى ليس وليد عاطفة عابرة او مصلحة مؤقتة وسطحية ، بل انه نتيجة طبيعية لتطابق الرؤيا الفلسطينية من جهة والرؤيا العربية التحررية من جهة أخرى لحقيقة الغزو الصهيونى وابعاده ودلالاته للشعوب العربية ولمنطق ما يترتب على هذا الغزو من نضال وكفاح حتى التحرير . فالغزو الصهيونى المنطلق من رحم الامبريالية يستهدف الوطن العربى باكمله ولو تمرحل وامتد شبرا شبرا وعاصمة عاصمة . بل انه يستهدف أخضاع المنطقة العربية باكملها من الخليج الى المحيط ، وكما عبر عنه أحد رفاقنا الفلسطينيين المناضلين بأنه يستهدف اقامة [السلم العبرى] ليحل محل «السلم الرومانى» ثم « السلم البريطانى » و « الامريكى» فى المنطقة ، بحيث يسيطر على مواردنا ومقدراتنا ويقرر مصائرنا السياسية والاقتصادية بلوالثقافية الحضارية أيضا الى أجيال عديدة مقبلة .

ولذلك فانه متى تم الادراك العميق لطبيعة هذا الخطر وفحواه وأبعاده ،ثم أيضا الادراك العميق لحتمية وحدة النضال العربى ضد الامبريالية واسرائيل والرجعية التى تشكل جبهات الغزو الواحد والتى لها فى الحقيقة نفس الاهداف ونفس الاستراتيجية وان تعددت وسائلها التكتيكية وتمايز تشديدها على هذه الوسيلة أو تلك فى هجمتها ومناوراتها .

ومن الواجب أن نؤكد هنا ان الاحتلال والاقتلاع الصهيونى والدعم القوى الذى يناله من الامبريالية والتواطؤ الذى يتمتع به من الرجعية يهدف لا الى اضطهاد الشعب الفلسطيني ولا الى الغاء مقدرته على ممارسة حقه القومى والسياسى فى كامل أرضه فحسب ، ولا الى جعل الارادة القومية والسياسية العربية خارج فلسطين رهينة السيطرة وبالتالى مشلولة ومعطلة فقط ، وانما كذلك الى اعاقة النمو والتقدم الاجتماعى والاقتصادى العميق والشامل لمجموع الامة العربية لكى تضعف القدرة الذاتية العربية وتتأقزم حقيقتها بالنسبة الى طاقتها فتعجز عن توفير الاساس المادى للقدرة السياسية والقومية وللكفاح المسلح الذى لابد من تطويره وتصعيده لدحر قوى الامبريالية والصهيونية والرجعية .

وليس أدل على هذا المنحى من الشكل والاسلوب الذى تتخذه السيطرة على مواردنا الرئيسية وأهمها النفط ، ومن غسل الدماغ الذى تمارسه القوى السياسية الامبريالية ، لتحويل النفط من سلاح رادع « ان لم يكن حاسما » فى اليد العربية الى سلاح رادع فى يد الامبريالية ذاتها يكتمل من خلال استعماله ضد المصلحة العربية باحكام الحلقة حول الارادة العربية والقدرة على التحرك والنضال للحد من هذه الارادة ان لم يكن لخنقها تماما .

اذا فحركة التحرر العربى ليست مجرد حليفة أو مسند للثورة الفلسطينية وليس الاثنان مجرد شريكين تلتقى مصالحهما هنا وهناك ضمن أفق زمنى ما . بل انهما ذات واحدة . فالثورة الفلسطينية هى الوجه الفلسطينى لحركة التحرر الوطنى العربية كما ان حركة التحرر الوطنى هى الوجه العربى للثورة الفلسطينية . انهما فى خندق واحد امام عدو واحد ذو جوانب ووجوه متعددة لهما نفس المصير ، قدرهما المستقبلى واحد ومسئوليتهما واحدة وان تمايزت تفاصيل مرحلية او مواقع عملهما فتطلبت طبيعة المعركة أن تكون الثورة الفلسطينية رأس الحربة والموقع الامامى ، وان تكون حركة التحرر الوطنى العربية بجماهيرها العربية العمق العربى الاستراتيجى للثورة الفلسطينية ومعينها المعنوى والبشرى والمادى الذى يكفل للثورة ديمومتها واستمرارها وتصعيدها حتى النصر . ومن هنا فان اى تصور لقطرية الثورة الفلسطينية وقطريتها يسقط الى الارض مرة واحدة ونهائية .

الحقيقة والوهم فى مجابهة العدو

انطلاقا من موقف التحرير والتحرر :

ولابد من أن نشدد فى الظرف العصيب الذى تعيشه الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية ان وضوح الرؤيا لحقيقة الخطر الذى نجابهه معا تتطلب وضوح الرؤيا لطبيعة المجابهة الواحدة . كما ان وضوح الرؤيا لحقيقة الخطر تفضح الاوهام وصيغ خداع النفس التى تتيح للبعض أن يتصوروا ان بأمكانهم من خلال هذه الصيغ مجابهة الخطر الشامل الذى تتعرض الامة العربية بأسرها له .

وببساطة : ان ما نعانى منه هو عملية استعمار واحتلال واقتلاع توسعية ديناميكية ستظل تمتد وان اتخذت فيما بعد أشكالا أخرى غير الاحتلال الجغرافى كبسط النفوذ السياسى والاستغلال الاقتصادى والسيطرة الحضارية الممتدة على الرقعة العربية بأكملها. اذا وببساطة ايضا فان الجواب على الاستعمار والاحتلال والاقتلاع وسائر صيغ امتدادها هو التحرير عبر الكفاح المسلح المنبثق عن التبدل الجذرى فى المجتمع العربى والقادر على تحويل الطاقات العربية الى واقع فاعل ومتحرك .

واذا كان الرد الذى لانملك أن نعتمد على سواه ولا خيار لنا فى الاخذ به هو الكفاح المسلح من أجل التحرير الشامل لكل شبر من أرض فلسطين وتحرر الارادة العربية من القوى التى تغلها ، تسقط عندئذ الى الارض كل الحلول التصفوية الاستسلامية شاملة كانت أم جزئية ويسقط منطقها وتنفضح النوايا الكامنة خلفها والاهداف الهزيلة المطروحة لها ، كما تسقط بجميع القوى القابلة بها مباشرة أو مداورة، ويسقط منطقها ويسقط قناعها وتنفضح مصالحها اللا قومية . ومن ضمن هذا الوضوح للرؤيا العربية السليمة والمنطقة والنظيفة تسقط الاوهام العربية . فمتى انبثقت الرؤيا الواضحة تداعت الاوهام ، هذه الاوهام ذات الاسماء المختلفة لكنها ذات طبيعة واحدة ، وسواء أكان الحل التصفوى المطروح هو قرار مجلس الامن ٢٤٢ ام مشروع حسين ــ آلون ، المسمى بمشروع المملكة العربية المتحدة مرورا بمشروع روجرز وسلسلة التراجعات والحلول ، فان الحقيقة تظل واحدة ، وهى ان هذه المشاريع انما تهدف بالنتيجة الى الاستسلام وتصفية الثورة الفلسطينية

والى لجم حركة التحرر الوطني العربية من خلال اشعارها بضعفها وعجزها - كما ان التبصر في جميع الصيغ الاستسلاميه التصفوية الخارجة عن نطاق الكفاح المسلح من اجل التحرير ومضمونه والاخذ بمنطق وادوات خلاف منطقه وادواته يوضح انها جميعا ليس لها في التحليل النهائي من مضمون سوى الاستسلام والخضوع الكامل لارادة العدو الصهيوني والامبريالي والتصفية التامة النهائية لقضية فلسطين .

كذلك فقد اثبت الواقع خلال السنوات الماضية الحافلة بالتنازلات العربية المتساوية ان جميع هذه التنازلات لصالح العدو قد فشلت في حمله على ارجاع شيء من مكاسبه فكانت التنازلات تماما كسعي المرء للقبض على ظله كلما اقترب من هذا الظل ابتعد الظل عنه وعجز هو عن القبض على الظل مهما لهث وراءه . بل ان جدلية هذه العملية العقيمة تظهر ان التنازلات لا تولد لدى العدو القوي سوى الاصرار على المزيد من التنازلات .

ان قناعة حركة المقاومة الفلسطينية ووعيها الكامل لهذه الحقيقة ومن ورائها اصرار الشعب الفلسطيني على وضوح الرؤيا لحقيقة القضية يحمل المقاومة والشعب الفلسطيني حيث يقدر هذا الشعب أن يعبر عن نفسه على التأكد بأنه يرفض جميع المشاريع التصفوية والاستسلامية جملة وتفصيلا مهما كان مصدرها ومهما كانت ابعادها ، وان يؤكد اصراره على التحرير الكامل لكل التراب الفلسطيني عن طريق حرب الشعب وعلى التحرر الكامل للمجتمع العربي ضمن نضال طويل الامدمهماعظمت التضحيات وازدادت مناورات العدو المثلث الرؤوس خبثا وشراسة .

●

واجب الشعوب العربية والقوى الوطنية :

تترتب على طبيعة النضال الذي يخوضه الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب العربية والذي تتمثل طلائعه في المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية كما تترتب على طبيعة المرحلة الراهنة لطبيعة هذا النضال سلسلة من المواقف وانماط التصرف تجيز الثورة الفلسطينية لنفسها ان تطرحها عليكم طرحا سريعا للبحث والتداول .

يترتب اولا تعميق وتوضيح الرؤيا العربية لحقيقة خطر الغزو الاسرائيلي الذي تمارسه الشركة الثلاثية المؤلفة من الامبريالية والصهيونية واسرائيل والرجعية المحلية ، وحقيقة الطريق المستهدف من هذا الغزو وهو ليس فلسطين والفلسطينيين فحسب ، بل كذلك بقية الوطن العربي بشعوبه ومعالمه وارادته وقدرته على التصرف بحرية وكرامة ضمن سيادته . وفي رأينا انه متى اتضحت ابعاد هذا الخطر تتكون انماط من التصرف والنضال العربي منسجمة مع منطق الوضع القائم وتصبح الجماهير العربية بشكل حقيقي وفعال وملموس حزام امن للثورة الفلسطينية ضد دعاة التصفية والاستسلام وبالتالي تصبح هذه الجماهير قوة ديناميكية فاعلة لا مجرد طاقة كامنة غافلة .

يترتب ثانيا الضغط الفعال ضمن شتى اشكال النضال والتنظيم والتحرك لافشال المشاريع التصفوية الاستسلامية مرة واحدة والى الابد كما يترتب ابراز الجواب الواحد والوحيد للغزو الثلاثي الرؤوس وهو تحرير كامل التراب الفلسطيني بالكفاح المسلح ، وتحرير الارادة العربية كاملة ، كما يترتب اخيرا فضح جميع منظري الحلول التصفوية والاستسلامية ، والمدافعين عنها مهما اتسعت هالاتهم الفكرية وقدراتهم السياسية أو عظمت طلقاتهم البطشية والتعسفية .

يترتب ثالثا وضوح الادراك الكامل لضرورة القبول العربي بتضحيات باهظة ضمن افق زمني طويل لان صراعنا بطبيعته طويل وشاق ولان احراز النصر فيه يتطلب تبدلا جذريا في انماط التفكير والتصرف العربي وفي اولويات الحياة العربية . ومن هنا ينبغي الادراك كذلك بوجوب تأكيد ديمومة العمل واستمراريته لا تحركه ضمن تموجات تنفجر في هبات عاطفية آنية ثم تركد في فترات من السكون الطويل العقيم .

يترتب رابعا خلق التنظيمات والاطر المؤسسة من أجل تعبئة الطاقات العربية ووضعها في اقنية تؤمن تنظيم هذه التعبئة وسلامة انطلاق الطاقات وحسن تصويبها الى اهدافها ، فالتنظيم يضمن عدم تبعثر الطاقات والقدرات العربية وعدم تفتتها بيسر وسهولة امام الازمات الذاتية واختلاف الظروف .

يترتب خامسا واخيرا ان ناخذ جميعا عبرة من معسكر الخصم ،فالقوى الرجعية على اختلاف تكتيكاتها وعلى تعدد مواقعها تتفق على حد ادنى للعمل وعلى ارض فكرية مشتركة تنطلق منها اضرب الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية على السواء . فاليمين الرجعي غيه وذكيه لا يجد صعوبة في الالتقاء على ارض مشتركة مقبولة لجميع فرقائه للتحرك والبطش ، أما القوى الوطنية التقدمية ، ونقولها بصراحة وأسف معا : نادرا ما تلتقي طويلا على الارض الفكرية المشتركة وتعززها بالعمل المشترك الدؤوب الى جانب محاولة تقليص المواقف المختلف عليها ، وبالتالي فانها تسمح لاختلاف تكتيكاتها وتباين وسائلها وسلبها واهدافها المرحلية بان يعطل لقاءها وانطلاقها بتماسك وثبات وبتركيز نضالها باتجاه القضايا الجوهرية مهما كانت التناقضات الداخلية الثانوية بين رفاق النضال .

اننا أيها الرفاق متى التقينا على الارض النضالية المشتركة وركزنا اقدامنا فيها ننطلق في ثبات صوب المهام النضالية الشاقة التى تنتظرنا ونحن مليئون بالرجاء ان يبرهن هذا المؤتمر ان القوى الوطنيه مهما تباينت جزئيات رؤيتها للقضايا المطروحة للمجابهة لا تظل قادرة على التمييز بين الكل والجزء وبين الجوهري والعارض من الامور .

●

أيها الرفاق..حضرات الضيوف :

يحقق هذا اللقاء الذي يفتتح اليوم تجسيد الرغبة المشتركة لدى الثورة الفلسطينية وقوى التحرر العربي في توضيح الرؤيا العربية الشاملة لحقيقة القضية الفلسطينية التي هي قضية مجابهة الاستعمار والاحتلال والاقتلاع والامتداد ضمن صيغ عسكرية وسياسية واقتصادية وحضارية ، وباختصار ، فالغزوة الصهيونيه هي قضية غزو للمصير العربي بأكمله وقضية تحد للحضارة العربية منذ كانت - ولقاؤنا هذا يجسد كذلك الرؤيا الواضحة لوجوب تحرير فلسطين باكملها عبر الكفاح المسلح ،وجوب تحقيق التحرر الكامل للارادة العربية وحتمية قيام حركة التغير العربية الحضارية الشاملة .

فلنعمل اذا معا تحت حكم العقلانية والوضوح والالتزام الثوري من اجل خلق الصيغ الفاعلة التي بدورها تجسد وضوح رؤيتنا لقضيتنا وضمن لهذه الرؤيا الانتقال من نطاق الادراك الذهني الى نطاق العمل الملموس .

ان ارادتنا المشتركة هي ان ننتصر وأن نسترد كرامتنا كاملة ، وأن تحقق التقدم والعدالة الاقتصادية والاجتماعية في ظل السيادة السياسية والقومية الكاملة على امتداد الارض العربية -

كلمة اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية ألقاها الاستاذ كمال جنبلاط

أيها الاخوان ، أيها الاصدقاء :

باسم اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية ..

باسم الالوف من شهداء النضال العربي ، الذين سقطوا في ساحة الجهاد والشرف ، والذين عمدوا بالدم وحدة النضال التقدمي العربي .

أعلن افتتاح المؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية وارحب أطيب الترحيب بوفود الاحزاب التقدمية الصديقة ، والمنظمات الديمقراطية العالمية ، التي حملت الينا معها من أرجاء المعمورة الاربع ، رسالة التضامن والصداقة والدعم .

وارحب بوفود الاحزاب والمنظمات والقوى الوطنية والتقدمية العربية التي لبت نداء المؤتمر مدركة بأن مايجمع بينها ويوحد هو الاكبر والاهم والاسمى ، وبأن تكوين جبهة منها لدعم الثورة الفلسطينية والمشاركة في نضالها : هو واحدة من اجل المهمات القومية التي تقع على عاتقها ، والتي لا يجوز التقاعس عنها تحت أي اعتبار .

واعلن باسم الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان شكرنا العميق للاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية التي شرفتنا بقبول دعوتنا الى عقد هذا المؤتمر التاريخي في بيروت — عاصمة لبنان ، هذا القطر العربي الذي تربطه وحدة المصير ووحدة النضال بالشعب الفلسطيني الشقيق وبكافة الشعوب العربية الشقيقة ، والذي لن يتخلى شعبه ولن تتخلى قواه الوطنية والتقدمية يوما عن اداء قسطها في معارك التحرر العربية الكبرى ، وفي أية معركة من معارك الانسانية التقدمية ضد قوى العدوان والتسلط .

أيها الاخوان .. أيها الاصدقاء :

ان الدعوة الى عقد مؤتمر شعبي لنصرة الثورة الفلسطينية الهادفة الى تحرير كامل التراب الوطني وتصفية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني واقامة مجتمع ديمقراطي على أرض فلسطين — ان الدعوة لهذا المؤتمر قد انطلقت من ادراكنا جميعا لحقيقة اساسية هي أن نضال الشعب الفلسطيني من أجل تحرير أرضه واستعادة حقوقه القومية كاملة يندمج اندماجا عضويا بمجمل النضال التحرري والتقدمي لحركة التحرر العربية ، والواقع أن قضية الشعب الفلسطيني تشكل بكفاحه المسلح ، ساحة أساسية من ساحات الصدام ، بل نقطة صدام ملتهبة ، بين حركة التحرر العربي وقوى الامبريالية والصهيونية .

ويتعزز هذا الادراك ازاء ما تتعرض له الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي عامة من هجمة شرسة لا تستهدف وجود الثورة الفلسطينية والحقوق القومية لشعب فلسطين في تحرير كامل ترابه الوطني فقط بل تستهدف ايضا ضرب ارادة الصمود والتحرر لدى كافة الشعوب العربية وفرض التراجع على حركة التحرر العربي عامة وتعزيز المواقع الامبريالية الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والنفطية ولا سيما في الجزيرة العربية التي باتت تشكل مركز ثقل تتزايد في معركة المصير العربي .

ولقد كان عدوان الخامس من حزيران (يونيو ١٩٦١) ومحاولات تصفية المقاومة الفلسطينية ولا سيما مجازر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ من أهم مظاهر هذه الهجمة الشرسة .

وكانت الضغوط الامبريالية المستمرة ، والاعتداءات الاسرائيلية والمشاريع المتلاحقة من مشاريع روجرز والحلول الجزئية الى مشروع ألون الى مشروع الملك حسين ، حلقات هذه الهجمة ، ومظاهر لها ، تستهدف كلها شل ارادة الصمود وفرض الاستسلام والخضوع .

ومن أجل انجاح مخططاتها تراهن القوى المعادية على ضرب التلاحم بين المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربي ، وعلى ضرب وحدة القوى الوطنية والتقدمية العربية وعلى عزلها عن القوى الحليفة والصديقة وهي تعمل بنوع خاص :

■ على النيل من المقاومة الفلسطينية بوصمها الممثل الشرعي الحقيقي لاماني الشعب الفلسطيني ومحاولة اصطناع كيانات مشبوهة وناطقين هزيلين باسمه .

■ على عزل المقاومة الفلسطينية عن الحركة الشعبية في كل قطر عربي ، ولا سيما في الساحة الاردنية الفلسطينية التي هي قاعدة الانطلاق الطبيعية والاساسية للثورة الفلسطينية .

■ على تعميق الخلافات داخل صفوف حركة التحرر العربي ، وتغليب التناقضات الثانوية على التناقض الرئيسي ، واستخدام سلاحي الترهيب والترغيب لحمل بعض القوى على القبول بالمساومة وانصاف الحلول

■ على اثارة مشاعر الحذر تجاه القوى التقدمية العالمية المعادية للامبريالية والصهيونية وعزل نضال الشعب الفلسطيني وحركة التحرر الوطني العربية عن هذه القوى الحليفة والصديقة .

وقد لاحظت سائر فصائل حركة التحرر العربي دوما بان القوى الامبريالية والصهيونية وقوى الرجعية العربية تعمل بالتنسيق الكامل فيما بينها ، مشكلة معسكرا واحدا تجمعه وحدة الفرض والهدف لايقاف مسيرة الثورة العربية التي تتداخل فيها مهمات التحرر القومي والتقدم الاجتماعي .

كما أن هذه الفصائل تدرك من خلال النضال ان الوجود الصهيوني الغاصب الذي يشكل استعمارا عنصريا استيطانيا توسعيا ، يلعب ايضا دور المخفر الامامي للامبريالية العالمية — ولا سيما الامريكية — في المنطقة ويشكل راس حربة موجهة ضد حركة التحرر العربي عامة . وسائر مكاسبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتطلعاتها التحررية والتقدمية .

ازاء كل ذلك وانطلاقا من وحدة المصير والكفاح ، يتعزز الادراك المشترك بان الثورة الفلسطينية ليست ولا يمكن ان تكون قضية الشعب الفلسطيني وحده ، وبان القوى الوطنية والتقدمية العربية ليست مدعوة فقط لدعم هذه الثورة والتضامن معها ، بل ان الثورة الفلسطينية هي جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العربي ، وان للقوى الوطنية والتقدمية العربية نفس الحق وعليها نفس الواجب للمشاركة فيها جنبا الى جنب مع الشعب الفلسطيني ، مثلما للشعب الفلسطيني نفس الحق وعليه نفس الواجب للمشاركة في سائر النضالات القومية والتقدمية لحركة التحرر العربي .

من هنا ، ومن كل ذلك ، كانت ضرورة هذا المؤتمر الشعبي العربي الذي يهدف الى اقامة جبهة عربية تضم سائر الاطراف الوطنية والتقدمية العربية ، لكي تعمل هذه القوى متحدة متضامنة في هذا المجال ولكي يصبح هذا اللقاء منطلقا الى لقاء اوسع يشمل كافة مجالات النضال التحرري والتقدمي العربي .

أيها الاخوان . ايها الاصدقاء :

ان الصعوبات التي كانت ولا تزال تعترض قيام علاقات جبهوية ، او حتى مجرد اللقاء ، بين كافة القوى الوطنية

والتقدمية العربية الا لم تكن خافية على الاطراف العربية التي بادرت الى الدعوة لهذا المؤتمر .

غير ان اية نظرة صحيحة الى الواقع ، تدرك الطابع الموضوعي لتناقضات الواقع العربي الراهن وكونها نتيجة طبيعية لتعدد المنطلقات الفكرية والمواقع الاجتماعية والتقدمية . الا ان من الضروري النظر الى هذه التناقضات من منظار ضرورة تغليب التناقض الرئيسي (اي التناقض مع القوى المعادية) والتاكيد على العمل المشترك والاقتناع بان التجارب هي خير معيار لصحة هذا الموقف .

من هنا كان تاكيد اللجنة التحضيرية في عملها السابق على ضرورة التوقف عند طرح برنامج عمل سياسي مشترك لصالح حركة التحرر الوطني العربية ينطلق من الحد الادنى المتفق عليه .

وبالتالي التوجه نحو مهمات النضال العملية ، مهمات دعم الثورة الفلسطينية والتضامن معها والمشاركة فيها .

وعلى صعيد آخر فقد انطلقت اللجنة التحضيرية في عملها من الادراك بان وجود خلافات حول قضية ما ، يجب الا يمنع اللقاء حول قضية أخرى .

أيها الأخوان أيها الاصدقاء :

على الرغم من الصفة التمثيلية الواسعة لهذا اللقاء العربي ، فانه لم يكن في ذهن القوى المبادرة للدعوة الى هذا اللقاء ، ولا سيما القوى الممثلة في اللجنة التحضيرية ، ان تستبعد منه اية قوة وطنية او تقدمية عربية غابت عن هذا اللقاء ، وانني اعلن باسم اللجنة التحضيرية ان ابواب المؤتمر والجبهة ستبقى مفتوحة لكل طرف وطني او تقدمي عربي راغب في العمل المشترك وفي الاسهام معنا في واجب دعم الثورة الفلسطينية والمشاركة في نضالها .

أيها الاخوان والاصدقاء :

لقد عملت اللجنة التحضيرية بروح التعاون والمسئولية لانجاح هذا اللقاء ، وقد ضمت اللجنة التحضيرية الاطراف التالية : الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر — حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية — حزب البعث العربي الاشتراكي — حزب البعث العربي الاشتراكي — الجبهة القومية في اليمن الديمقراطية — حزب العمل الاشتراكي العربي — منظمة التحرير الفلسطينية — الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان .

وان اللجنة التحضيرية التي جرى الاتفاق على تكوينها اثناء انعقاد المؤتمر الشعبي الفلسطيني في نيسان [ابريل] ١٩٧١ في القاهرة قد عقدت اجتماعين لها في بيروت ، الاول في ايار [مايو] ١٩٧٢ والثاني في ايلول [سبتمبر] ١٩٧٢ . كما عقدت الامانة العامة التي انبثقت عن اللجنة التحضيرية العديد من الاجتماعات والاتصالات في الفترات التي تخللت اجتماعات اللجنة ، وعشية هذا المؤتمر عقدت اللجنة التحضيرية اجتماعها الثالث والاخير في بيروت واقرت بالاجماع صيغة الوثائق التي قدمت اليكم .

ولابد لي من أن انوه هنا ، بالجو الذي ساد اعمال اللجنة التحضيرية والامانة الدائمة ، جو التعاون والنقاش المثمر ، وروح المسئولية التي تحلت بها جميع الاطراف .

ان مثل ذلك الجو وتلك الروح ضروريان لاستمرار عملنا ولانجاح المؤتمر .

ولا شك بان العمل المشترك الذي سيتلو هذا اللقاء من شانه ان يعجل مسيرة نضال حركة التحرر العربي نحو المزيد من التعاون .

فلنعمل معا على انجاح المؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية ولاقامة جبهة تقدمية عربية للمشاركة في نضالها .

واهلا بكم

●

لائحة الدعوات

أ — المنظمات العالمية

- مجلس السلم العالمي
- ندوة فلسطين العالمية للمسيحيين .
- منظمة التضامن الاسيوي الافريقي .
- منظمة تضامن القارات الثلاث .
- اتحاد النقابات العالمي .
- اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي .
- اتحاد الطلاب العالمي .
- رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية .

ب — الاتحادات العربية

- الاتحاد الدولي للعمال العرب .
- اتحاد الصحفيين العرب .
- الاتحاد الدولي للمحامين العرب .

ج — الوفود الصديقة

- الاتحاد السوفياتي .
- الصين الشعبية .
- هنغاريا .
- منغوليا .
- كوريا الديموقراطية .
- فيتنام الجنوبية .
- فيتنام الديموقراطية .
- لاوس .
- كمبوديا .
- المانيا الديمقراطية .
- كوبا .
- يوغوسلافيا .
- بولونيا .
- بلغاريا .
- تشيكوسلوفاكيا .
- رومانيا .
- البانيا .
- الحزب الشيوعي الفرنسي .
- الحزب الاشتراكي الفرنسي .
- الشبيبة الديغولية .
- الحزب الشيوعي الايطالي .
- الحزب الاشتراكي الايطالي .
- حزب المؤتمر الهندي .
- الحزب الشيوعي الهندي .
- الحزب الاشتراكي الياباني .
- الحزب الشيوعي الياباني .
- الحزب الشيوعي البريطاني .
- الجمعية القبرصية للتضامن مع الشعوب العربية .
- حزب اكيل القبرصي .
- اتحاد الوسط في قبرص .
- التوباماروس .
- الحزب الشيوعي في اوروغواي .
- الوحدة الشعبية في شيلي .
- جبهة تحرير ارتيريا (القوات الشعبية) .
- جبهة تحرير ارتيريا (المجلس الوطني) .
- الحركة الاشتراكية العلمية في الصومال .
- جبهة تحرير انغولا .
- جبهه تحرير موزمبيق .
- جبهة تحرير عربستان .

الوفود العربية

١ — مصر

- الاتحاد الاشتراكي العربي .
- اتحاد النقابات .
- الاتحاد التعاوني .
- مجله الطليعة

٢ — سوريا

- القيادة القومية لحزب البعث *
- القيادة القطريه لحزب البعث *
- الحزب الشيوعى السورى *
- الاتحاد الاشتراكى *
- الوحدويون الاشتراكيون *
- اتحاد النقابات *
- اتحاد الفلاحين *

٣ — العراق

- القيادة القومية لحزب البعث *
- القيادة القطرية لحزب البعث *
- الحزب الشيوعى العراقى *
- الحزب الديمقراطى الكردستانى *
- اتحاد العمال *
- اتحاد الفلاحين *

٤ — الجزائر

- حزب جبهة التحرير الوطنى *
- اتحاد العمال *
- اتحاد الفلاحين *

٥ — اليمن الديمقراطية

- الجبهة القومية *
- اتحاد العمال *

٦ — الاردن

- الجبهة الوطنية *
- الحزب الشيوعى الاردنى *
- حزب البعث العربى الاشتراكى *
- حزب العمل الاشتراكى العربى *
- اتحاد العمال *

٧ — تونس

- الحزب الدستورى الاشتراكى *
- اتحاد العمال *

٨ — المغرب

- الكتلة الوطنية *
- الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية *
- حزب الاستقلال *
- حزب التحرر والاشتراكية *
- الاتحاد المغربى المشغل *
- اتحاد الشغالين فى المغرب *
- الجمعية المغربية لمساندة الثورة الفلسطينية *

٩ — اليمن الشمالية

- المقاومون الثوريون *
- حزب البعث *
- الحزب الثورى الديمقراطى *
- منظمات الشبيبة *

١٠ — السودان

- الحزب الشيوعى السودانى *
- اتحاد العمال *
- الاتحاد الاشتراكى العربى *
- منظمات الاشتراكيين العرب *

١١ — السعودية

- جبهة التحرير الوطنى *
- رابطة ابناء الجزيرة *
- الحزب الديمقراطى الشعبى *

١٢ — الكويت

- حركة الديمقراطيين التقدميين *
- اتحاد العمال

١٣ — الخليج

- الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج *
- جبهة تحرير البحرين *

١٤ — لبنان

- الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية *

١٥ — حزب العمل الاشتراكى العربى

هـ — الشخصيات

- عبد الله الطريقى
- محمد مهدى الجواهرى
- عبد الله باذيب
- عبد الله البصرى
- محمد سلمان حسن
- محمد سعيد العطار
- خالد محيى الدين
- مجلة الطليعة
- حسين فهمى
- على حمدى الجمال
- عبد الرحمن الشرقاوى
- مصطفى بهجت بدوى
- ٣ شخصيات جزائرية
- الشخصيات الاردنية
- الشخصيات اللبنانية



ملحق الأدب والفن

□ حوار الأجيال : حول القصة المصرية بين نجيب محفوظ ويوسف الشاروني

□ المسرح التجارى : الموضوع والجمهور

□ زكريا تامر .. شاعر الرعب والجمال

يشرف على التحرير :

د. لطيفة الزيات
غالى شكرى
سمير فريد
صبرى حافظ




نجيب محفوظ



يوسف الشــارونى



قسطنطين سيمونوف

هذا العــدد :

المسرح التجارى

الموضـــــــوع والجمهـــــــور

فاروق عبد القادر

يكاد المسرح التجارى ـ أو ما اصطلحنا على تسميته بالمسرح الخاص ـ أن يكون الوجه اللافت للنظر ، والجدير بالاهتمام من وجوه حياتنا المسرحية . ولن يجدينا ـ فى الحقيقـة ـ أن نصرف النظر عن نشاط هـذا المسرح ، تاركين المسرحيين لجمهورهم (دون أسى على أى منهم منهم) . هذا موقف مبرر اذا كان ثمة لون آخر من النشاط المسرحي يستطيع أن يصمد لمنافسته وان ينتزع بعض جمهوره ، أما الان فالكفة تميل نحو هذا النشاط دون غيره (ودون رجعة فيما يبدو) ، وكل خطوة يتقدمها يتراجع عنها المسرح الاخر ، مسرح الدولة . والنتيجة واضحـة لـكل ذى عينين : مسارح الدولة فارغة المقاعد ، دائرة فى أسر المقتبســـــات والممصرات وواردات البوليفار ، والمسارح التجـــارية غاصـة بروادها ، تحقق ايرادات لم تعرفها مسارح الدولة على الاطلاق ، ولا يمكن ـ بعد ذلك ـ الحديث عن اشاعة المسرح الجاد أو نشر الثقافة المسرحية أو العمل على وعى الواقع وتجاوزه ـ مما يمكن أن يطاق تبريرا لما برودة والمقاعد الخالية .





عبد المنعم مدبولى

الامر قد اصبح على النحو التالى : فرق المسرح التجارى هى الاقوى والاقدر تستطيع أن تمد يدها الى أى فنـــان مسرحى ، كائنا كان أو مخرجا أو ممثلا أو حرفيا ، لان لديها الاسم اللامع والمال الوفير ، ولان الجانب الاخر لا يعـــد بشىء — الى جانب المقاعد الخالية — غير احتمال نزوات المسئولين وانصاف الفنانين ، ثم ان نجوم المسرح التجارى هم الذين يكرسون نجوما للذوق العام ، وسائل الاعلام ميسرة لهم . وساعات الارسال مباحة يملاونها كيف يشاءون ، وهم لا يزعمون المزاعم ثم ينكصون عن تحقيقها ، انما هم يعرفون الذوق السائد ثم يسيرون فى ركابه ، لا يصـــدمون شيئا أو يواجهون شيئا أو يثورون على شىء ، بل على العكس ، يرتبون مشاعر جمهورهم ، ويقدمون كل الفضائل منسوبة اليه ، يداعبون أحلام يقظته ويدعمون عاداته — حتى السقيمة — فى الحياة والفكر ، من أجل أن يرجع اليهـم مرة ومرة . انهم يستهدفون الربح بحـــكم قيامهم ، والفرقة التى تقدم عرضـــا لا يقبل عليه الجمهور اما أن تختفى أو تنضم — شريكا صغيرا — لفرقة أكبر .

ازدهر هذا المسرح منـــذ ١٩٦٧ . فالمناخ الذى أعقب الهزيمة — بكل ما شاع فيه من يأس وسخط وتعرف على وجه الحقيقة القبيح ، وتهاوى الامـــال التى كانت معلقة على عمـــلاق خرافى قدماه من رمل ، ورغبة حارقة فى التماس وسائل الهروب من واقع بدا أنه قـــد تقوض ، والبحث عن الخلاص الفردى ، والغوص فى اللحظة المعزولة عن سياقها وامتدادها فى المستقبل — اقول ان هذا المناخ كان فرصة مواتية اســـتطاع أن يزدهر فى ظلها المسرح التجارى :

● **لانه ابتعد فى كل ما يقـــدمه عن الواقع بما فيه ومن فيه ، لاذ بالحكاية الخرافية والجو الوهمى ، وعمد الى عرب أى منطق على رأسه من اللحظة الاولى .**

● **ولانه داعب الذات الجريحـــة لجمهوره — القطاع الاكبر من الطبقـــة الوسطى فى العاصمة — بان قـــدم اليهم صورة خـــادعة لهذه الـــذات ، وبان رفع عنهم كل عبء يمكن أن يكدر صفوهم .**

ويجب أن نضيف — على الفـــور — أن اللون الاخر من المسرح لجـــأ الى أسلوب ليس بعيدا كل البعد عن هذا الاسلوب : انه الاســـقاط السياسى المباشر وحك الجراح الملتهبة ثم ازاحة مركز الثقل بعيدا عن التشخيص الحقيقى لامراض الواقع ، وتخدير الحس الوطنى على حساب القضية السياسية المتمثلة فى ضرورة الصمود للهزيمة والعمـــل الشاق لتجاوزها .

هكذا احتفظ موســـم ٦٨—٦٩ بأول قائمة من الاسماء التى بدأت هجرتهـــا الى المسرح التجارى ، بعض هذه الاسماء قنع بتجربة أو تجربتين ، وبعضها ظـــل مينا هنا وأخرى هناك ، وبعضهم انحاز الى هذا المسرح انحيازا كاملا . واحتفظ هذا الموسم كذلك بتجربة نموذجية هى عودة « المسرح الحر » . ان هذه الفرقة التى كانت أول فرقة مسرحية تستجيب لخطو التطور فى مصر بعـــد ١٩٥٢ وتقف الى جانب الجديد فيـــه ، عادت **الى الواقع المتغير واحدى قدميهـــا مشدودة الى ماضيها والاخرى تريـــد الانطلاق نحو شباك التذاكر ومداعبـــة** جمهور الطبقة الجديدة . فتعثرت وانفض سامرها بعد ان قدمت عملين فقط . وكان فى قيامها وسقوطهـــا درس للمسرح التجارى والعاملين على ترويجه .

وظل هـــذا المسرح يجرب ويجرب : حاول بعث الحياة فى نجوم الماضى ، وظهر بعضها على المسرح لا يسترهـــا غير ماضيها ، لجـــأ الى الموضوعات المطروقة من جانب فرق أخرى حققت نجاحا فى واقع مختلف ، استعان بفنانى المسرح الجاد من أجل أن يرفدوه بالتكنيك المتطور وبرصيد أسمائهم ، وبدا أنـــه وجد بداية الطريق الذى يريده حين قدم عرض « سيدتى الجميلة » فى الايـــام الاولى من ١٩٦٩ . استطاعت هـــذه المسرحية — بما حققته من ايراد — أن تصبح نموذجا ما تسعى لتقديمه فـــرق المسرح التجارى . كان فى هذا العرض :

اولا : الموضوع البعيد كل البعـــد من الواقع ، المأخوذ عن فيلم أمريكى حقق نجاحا تجاريا واسعا ، والـــذى يوحى — مع ذلك — بأنه مأخوذ عن أصل مسرحى معتمد هو « بيجماليون » شو ، رغم المسافة الواسعة بين هذا الاصل من جانب والعرض الذى قدمه المسرح التجارى فى القاهرة من الجانب الاخر .

ثانيـــا : أنه استعان بنجوم الكوميديا ذوى الرصيد عند الجمهور . هنا نذكر ملاحظة هامة : ان هؤلاء النجوم الذين حققوا رصيدهم عند الجمهور هم أعمدة « المسرح الكوميدى » القديم ، وهـــم الذين قامت على أكتافهم تلك « النهضة المسرحية » منذ ١٩٦٣ ، وبشكل عام ، فان المسرح التجارى اليوم هو الوريث الشرعى لهذا المسرح ، فالنجوم نفسها ،



فؤاد المهندس



سهير البابلى

والموضوعات متقاربة ، والهدف واحد فى نهاية الامر .

ثالثــا : كانت اول مسرحية تضــع فى اعتبارها تقديم « الحرفة » على نحو اكثر تطورا مما عرفه المسرح التجارى من قبل ، واتخذت هنا شكل الابهار بالحركه المسرحية الواسعة ، وتنسيق الديكور والاضاءة والوان الستائر والثيــاب ، وتحريك المجموعات والاستعانة بالموسيقى والاغانى لخدمة الحكاية . بعبارة أخرى ان هذه المسرحية هى التى أكدت للمسرح التجارى اهمية دور المخرج فى توليف العناصر المختلفة والتنسيق بينها .

ولا زالت هــــذه الاعتبارات الثلاثة تراعى عند تقديم اعمال المسرح التجارى لابد من الموضوع البعيد عن هموم الواقع ولا بد من نجوم الكوميديا ذوى الرصيد عند جمهور الذوق العام ، ولا بــد من المخرج الذى يجيد خلط هذه العنــاصر فى كل واحد . وعن هـــذه العناصر الثلاثة الرئيسية تتفرع عناصر أخرى . المهم أن نقول الان ان أعمالا عديدة سقطت دون تحقيق هذا النموذج ، وان الموسم الذى قدمت فيه « سيدتى الجميــلة » شهد مسارعة فرق عديدة الى تقــديم اعمال لاستثمار هذا النجاح ، والمهــم أن نقول بعد ذلك ان هذا النجاح أدار رؤوس الجميع بما فيها رؤوس القائمين على المسرح « الجاد » أو مسرح الدوله فسارعوا يقطعون خطى واســـعة فى اتجاه كان قائما من قبل نحـــو تملق مشاعر الجمهور باســتخدام الوســائل « الجماهيرية » لتحقيق « النجاح منقطع النظير » الذى عرفه المسرح الكوميدى ومسرح الحكيم قبل ٦٧ . وشهد الموسم التالى مسرح الدولة يخوض معركة حامية مع المسرح التجارى حـــول الاستئثار بعبد المنعم مدبولى ، وتقرر نقل ساحة نضـــال هيئـــة المسرح كل عام الى الاسكندرية . ونتيجة المعركة معروفة : سلم مسرح الدولة اســلحته للمسرح التجارى ، وقنع هو — بعد مؤتمــرات وندوات قيلت فيها كلمــــات كثيرة عن « ترشيد المسرح الكوميدى » وضرورة أن يخوض الانسان العربى معركته وهو يتهته — بتقديم أعمال البوليفار وقليل من « الفارس » فى أفضل الاحوال ، ثم قنع المسرح كله بالتمصير والاعــداد والاقتباس ، وكان هذا كله دعما للمسرح التجارى واكسابه مزيدا من مبررات الوجود والقدرة على اجتذاب الجمهور.

● **والان كيف يعمل « عقل » هــذا المسرح ؟ ماذا يقول لجمهوره ؟ وكيف يقول ؟**

سنتخذ — كنماذج — هذه الاعمــال الثلاثة التى تشغل مساحة واسعة من اهتمام الجمهور . ان لم يكن اهتمامه كلـــه : « قصـــة الحى الغربى » (للفنانين المتحدين من اخراج جــــلال الشرقاوى) ، « العيــال الطيبين » (للفنانين المتحــــدين من اخراج حسن عبد الســـلام) ثم « هاللو دوللى » (فرقة الكوميدى المصرية من اخــــراج جلال الشرقاوى) . والاعمــال الثلاثه يتوفر لها عدد من النجوم لا يســــتطيع مسرح الدولة أن يوفره لاعمــاله على الاطلاق ، الذين يلعبون الادوار الاولى هم نجوم المسرح الكوميدى القديم الذى اشرت اليــه : مدبولى والمهندس وعوض وشويكار ، الى جانبهم عدد من النجوم كونوا رصيدهم فى مختلف المســـارح أو فى أعمال التليفزيون : سهير البابلى صلاح السعدنى ، عادل امام ، سعيد صالح ، نور الشريف، وعدد من نجمات الاغـراء فى السينمـا أو الاذاعـة : نيللى ، لبلبة ، ومن حولهم تمتد أيدى هذا المسرح الى المسرح الى كل نجــم يلمع فى اى مكان ، وسأضرب مثالين : سناء يونس ، ممثـــلة ذات امكانيات جيدة ، قامت بدور صغير لفت اليهـــا الانظار بوضوح فى مسرحية « الغول » التى قدمها مسرح الجيب فى العام قبل الماضى ، ومحمد صبحى ، أحد خريجى الدفعة الاخيرة فى معهد الفنون المسرحية استطاع — بمبادرة خاصـــــة — أن يخرج « هاملت » ويؤدى الــدور أداء جيدا فى ساحة معهده العام الماضى ، هذان الممثلان يقومان بدورين ثانويين فى « هاللو دوللى » . لا ألوم أيا منهما ، فلماذا لا يسعى الى مزيد من الشهرة والمال ؟ ، وماذا يبقى لينتظر فى حفنة المقاعد الخالية ؟ حين تعرف هيئة المسرح رسالتها فى احتضــــــان الفن المسرحى الجاد واشاعته يمكننا أن نلقى اللوم على الذين يتخلون عن الرسالة فى ســـبيل الاسم اللامع والمال الوفير .

والنصوص التى أخذت منها هــذه الاعمال — النصوص القريبة أو البعيدة — ليست لها الاهمية الاولى ، أكاد اقول انها بلا أهمية كبيرة ، المهم أن يتيــح الاعـــداد عـــددا من المواقف الكوميدية يناسب ابطال العمل ويتفق مع توقعات جمهورهم ، لهذا لا يســــتطيع المسرح التجارى أن يعيد أحد عروضه بنجــوم آخرين ، لان الاعداد مفصل تفصيلا على قد النجوم وتوقعات جمهورهم ، هكذا نجد مسرحية مثل « العيال الطيبين » لايمكن عرضها دون عبد المنعم مدبولى، الا أن اختصر العمل كله واعيدت صياغته من جديد ، ولعل المشكلة الرئيسيه التى واجهت المخــرج فى « هاللو دوللى » ليست مضمون العمل أو مدى اقترابه من النص المأخوذ عنه (الفيلم الامريكى بهذا العنوان ، المأخوذ عن مسرحيـــة «الخاطبة» لثورنتون وايلدر ، المأخوذه بدورهـــــا — فى كثير من شــخصياتها ومشاهدها عن « بخيــل » موليير) ، لكن المشكلة كانت توفير عدد من المواقف المتكافئة فى المساحة والاهميه لثــلاثة نجوم العرض (شويكار — المهندس — عوض) ، وتوجيه الاحداث نحو خلق مواقف ثنائية بينهــم ، ومواقف ينفــرد بالاداء فيها كل منهم ، ولابد أن المخرج قد احتاج كثيرا من شعر معــاوية كى يقيم هذا التوازن ، فهو أول من يعرف أن اخفاق هذا التوازن نهــاية العمل كله . هو اذن مسرح النجم — الممثل، عليه أن يضع امكانيات هذا النجم ومدى اهميته عند الجمهور قبل اى اعتبـــار آخر ، ولابأس — بعد ذلك — ان ارتفعت على الاعداد — أو لم ترتفع — لافتـــة باسم عمل مسرحى ما .

يأتى فى المرتبة الثانية اســـتخدام الجنس فى العــرض المسرحى . وأود أن أقول من البـــداية اننى لست من المتطهرين أو ممن ينقض وضوءهم ظل الكلب ، وأعرف أن الجنس — مثل اى نشاط انسانى آخر — قد يكون موضوع



شويكار

العمل المسرحى ، وكثير من الاعمال المسرحية العالمية تقوم على الاشتهاء الجنسى او الاحباط الجنسى ، او مختلف العقد الجنسية ، لكن فى هذه الاعمال نشاط انسانى فى المقام الاول ، لايهدف تقديمه لاثارة المتفرج قدر ما يدفع الى التأسى لمصير أبطاله ، والنفاذ من خلالهم الى مزيد من فهمه لنفسه او الشرط الانسانى الوجود الانسانى او الشرط الانسانى ذاته . انه جنس « موظف » فى العمل المسرحى ، وليس عبادة جسد الانثى على المسرح . اما المسرح التجارى فلا يعنيه غير أن يقدم الجسد المشتهى ، اكبر مساحة يمكن أن توافق الرقابة على السماح بها من جسد نجمة الاغراء ، وأكبر قدر ممكن من الاجساد المحيطة بها فى « الاستعراضات » التى تقدمها ، بل أحسب هذه الاستعراضات لا هدف لها الا تقديم اكبر عدد ممكن من الاجساد ، وفى « الحى الغـــربى » و « العيال الطيبين » نوع من استخدام الموسيقى والاضاءة فى ابراز جسد نجمة الاغراء على طريقة الملاهى الليلية . لكن هذا جانب أساسى من خلطة العناصر .. والا فما حجم موهبة الاداء التمثيلى الذى وهبه الله للسيدتين نيللى ولبلبة نجمتى الاغراء فى المسرحيتين !

ولا يقتصر استخدام الجنس على جسد النجمة ومن حولها ، بل يتدخل فى نسيج الاعداد نفسه ، فلابد أن يتيح الاعداد من المواقف ما يسمح بتبادل حوار حول الفعل الجنسى والاعضـــاء الجنسية يستخدم كثيرا من القفشات والكلمات التى لاتردد علنا فى الملاهى الليلية . والتى لا تسمح الرقابة بنشرهـا على الناس مهما كان السياق الذى ترد فيه . يسرف المسرح التجارى فى استخـدام هذه القفشات والكلمات ، ترتفع لهـا قهقهات معربدة حينا ، ويدارى بعض الجمهور وجوههم حينا ، ويرهف الصغار آذانهم حينا ، وتظلل المسرح بذاءة فجة معظم الاحيان . [فى هاللو دوللى تضع احدى الممثلات ردفين صناعيين وتتخلع بهما كى تخلق مبرر قفشـات جنسيـة لاتنتهى ، وفى « العيـــال الطيبين » تستخدم العلاقة بين الابن وعشيقته ، والليلة التى قضاها فى الاسكندرية مع حبيبته مبررين لهذه القفشـــات ؟ وفى « الحى الغربى » يستخدم الفتى الشاذ جنسيا وتحريض الاخت لاخيها مبررين »

حول النجم والجنس لابد أن تنسج حكاية ما . هنا يتقدم الاصل الاجنبى بتقديم مادة توفر — فى المقام الاول — البعد عن الواقع بما فيه ومن فيه ، وسنرى كيف تطوع هذه الموضوعات لعروض المسرح التجـارى ، وكيف تشى بتملق هـذا الجمهور الذى تتوجه اليه .

الموضوع فى « الحى الغربى » ، و « العيال الطيبين » يدور حول الصراع الاجتماعى ، أو الصراع الطبقى — اذا لم يزعج احـدا هـذا التعبير . فى المسرحية الاولى يدور بين جماعتين من الفتيان احداهما من بولاق والاخرى من الزمالك ، يقود الجماعة الاولى فتى كان أبوه بواب عمارة يملكها أبو الفتى الذى يقود الجماعة الاخرى (لكن هذا لا يضير احدا — يقول واحد من أهل الزمالك مرة) ، وللفتى البولاقى اخت وخطيبة واخته بدورها مخطوبة لواحد من رفاقه وخطيبته خياطة تبيح اللقاء فى بيتهـا للعاشقين ، يرى واحد من شبان الزمالك أخت الفتى البولاقى فيقع فى حبهـــا ويدور لاثبا حول شباكها [ألسنا نقول ان الاصل البعيد للعمل هو روميـو وجولييت ؟] ، لكن الجماعتين تتحرشان احداهما بالاخرى ، وتدور معركة يقتل فيها قائدا الجماعتين ، ويكون قتل الفتى البولاقى على يد حبيب اخته ، فيحمل خطيب هذه الاخت مسدسا ويظل يطارد القاتل حتى يقتله . وبعـد ان يمتلىء المسرح بجثث هؤلاء يتحلق الباقون حول دعوة للتفاهم ونسيان الدم المسفوك ونزع السلاح .

فى العـرض كله يتردد هذا المعنى : لا ضرورة للعنف ولا مبرر له ولا جدوى منه ، فلماذا لايقلم الجميع أظـافرهم ويعيشون فى أمن ودعة .. ابن البواب وابن صـــاحب العمـــارة معا ! ويميل العرض كله نحو هؤلاء الذين يسكنون الزمالك ، فينقيهم من كل الشـوائب [/عدا هذا الفتى المخنث الذى فرضته ضرورة استخدام الجنس] ، ويجعل معهم تعاطف الجمهور واهتمامه ، وفى المقابل تبدأ المشاكل دائما من الجانب الاخـــر ، يبدأها هـــؤلاء المتحرشـون المتوفزون المسارعون لحمـل السـلاح دون ضرورة ، حتى توزيع الجثث جاء يحتفظ بموقف الجمهور عدائيا نحوهم ، فمات البطل الشهم [والنجم أيضا] قتيلا بأيديهم ، وماتت صلاتة الحب الجميلة التى اجتهد الاخراج فى ابرازها .

تصل المسرحية الثانية لهدفهـا من طريق آخر . يدور الصراع هنا بين اب وابنته ينتميان للطبقة الوسطى الصغيرة ، وأب وابنته ينتميان للراسمالية الكبيرة . الكبيرة جدا فى الحقيقـة . الاب مـوظف فى احدى الشركات التى يملكها الرأسمالى وهو يطرد من عمله لان الشركة قد استوردت عقلا الكترونيا يقوم بعمل عدد كبير من الموظفين ، والابن عازف على الجيتار يلتقط رزقه من الحفلات التى يقيمها مع أصدقائه ، ويوم طرد الاب يلتقى الابن بابنة الرأسمالى فى احدى الحفلات فتغريه الفتاة حتى يستسلم لها ويقضيان الليل فى بنسيون بالاسكندرية ثم يعود الفتى وحده وبعده تعود الفتاة ويضطر الرأسمالى للتدخل لان ابنته قد تركت خطيبها ..... الخ .

ليس مهما بعد ذلك تعقيد الحـدث بعديد من المواقف المفاجئة لشخصياته ، المهم ما سينتهى اليه هذا الصراع . الاب المشغول القاسى يعد ابنته بمزيد من الاهتمام بها ، والفتى يوافق على الزواج منها بعد أن أيقن أنها تحبه لانها حاولت ان تغرق بسيارتها فى النيل ، ويعد بأن يروض جموحهـا بالضرب وابداء مظاهر الرجولة ، ويعود الاب الطيب لعمله وينتهى الامر على ما تحب كل الاطراف وترضى .

الموقف هـو نفســه ، دعـوة لحل الصراعات والتناقضات الاجتماعية عن طريق عقد الزواج بين « العيال الطيبين » وقد كان الاعداد [الذى قام به على سالم عن مسرحية لم يذكرها أحد هى « تشاد » لكاتب فرنسى معاصر اسمه مارك سوفاجون] كان الاعداد حـذرا فى أن يتلافى كل ما من شأنه أن يضع فى المسرحية « مضمونا ما » ، هكذا استبعد الصراع بين جيلى الابناء والاباء



محمد عوض

فى المجتمع الاوربى المعاصر ؟ وقراءة النص الاصلى توضح ملامح هذا الصراع وتجعله فى المقام الاول وتكسب المسرحية ـ **بالتالى** ـ مضمونها المعاصر . **ان الفتى والفتاة معا ينتميان لجيل يختلف كل الاختلاف عن جيل الاباء من البورجوازية الفرنسية المحافظة . يختلف عنه فى الحياة والفكر وفهم معنى العمل والفن والحب والجنس ... الخ] لكن الاعداد استبعد هذا الصراع** فبدا الفتى باهت الملامح ، **غريبا بين أمه وأبيه** وعشيقته [التى تلعب دورا مختلفا عن **دورها الاصلى مما يخدم غرضا آخر] وبدت الفتاة لعوبا ، لا متمسكة بحريتها مارقة لحدودها ، [لان هذا يتيح ابراز جسدها وانوثتها فى تزايد واسراف واضحين] ، ثم هى تقبل فى النهاية أن يضربها حبيبها ـ تملقا لمشاعر** الرجال من ناحية ، وخشية الخروج على التقليد من الناحية الاخرى .

وتبقى دلالة العمل هى خلط الاوراق وتمييع الصراع الاجتماعى لصالح بعض أطرافه دون بعض ، وتقديم حلم اليقظة الخلاب فى امتلاك الثراء والجمال والشرف ومباركة الجميع ، دون جهد ، **الا ان تحدث صدفة ساحرة تنقلك لصفوف أصحاب الملايين** فى غمضة عين ، وازاحة مركز الاهتمام عن العدو الحقيقى بخلق عدو وهمى ، فهذا **الرأسمالى لم يعرفه واقعنا ولا أظنه سيعرفه فى وقت قريب .**

وللوهلة الاولى يبدو الموضوع فى « **هاللو دوللى** » بعيدا كل البعد عن **الواقع بصراعاته المختلفة** ، فدوللى يغلبها ـ **من أول الامر لاخره ـ سوى أن تتزوج عزت بك صاحب العزبة فى طوخ الثرى البخيل ، والمسرحية كلها هى مقالبها التى تدبرها ـ واحدا بعد الاخر ـ حتى تتزوجه فى النهاية . تلك هى العلاقة بينها وبين النص الاصلى المأخوذة عنه ، اما الملامح ـ بعد ـ ذلك فمختلفة كل الاختلاف ، وقليل من الاحداث والمواقف توحى بتشابه شكلى للعمل الاصلى . ودوللى لعوب ، لعوب ذات سطوة مثل غانيات التاريخ ، توحى مرة بالسذاجة ومرة بالخبرة الانثوية الناضجة**

ذات الغنج والدلال ، تدير الاحداث منذ منتصف الفصل الاول حولها ، فهى ناسجة كل الخيوط والمتحكمة فيها ، هى التى قررت ان تتزوج هذا الرجل ، ونحن نعرف، من البداية أنها لابد ستتزوجه، **وكل منا يقول : ولماذا حقا لا يتزوجها؟ انه يعبد جسدها أمامنا فيتحسس قدميها وساقيها فى شبق واضح ، وهو لا يكف عن التحكك بها ولا تكف هى عن مطاردته .**

الى جانب دوللى وعزت لابد من شخصية ثالثة ذات أهمية ، هنا تدخل الاعداد **نجمل من شخصية كورنيليوس** فى « الخاطبة » نبوى البلقيسى الذى يعمل **فى عزبة عزت بك، واعطاه أهمية كبرى توازى أهمية البطلين الرئيسيين** [ألم اقل لك ان العمل يقوم على نجوم ثلاثة **هم شويكار** والمهندس وعوض ؟] ، خلق منه الاعداد [**قام به عبد الرحمن شوقى الذى كتب الحرافيش من قبل ، وهو الان يدور ببطله عماشة فى كل مكان**] فلاحا ملائما للسخرية به ، وبعمله ، ومدينته طوخ وآثارها وانبهاره بالقاهرة ، وانقضاضه على نسائها ـ مع تابعه ـ **يشبعانهن** تقبيلا ، حتى المانيكانات الجصية لم تسلم من التقبيل والتشليح ، ثم حيرته وانبهاره بين جدران القصر الذى تقيم فيه دوللى حفلتها ، وتقدم له فيه الشمبانيا .. الخ . هل هناك ضرورة لقول شىء عن السخرية بالفلاح وبلده وعمله وعقله على هذا النحو ؟ .. لكن الرد جاهز : ان الكوميديا فى العمل كله نابعة عن مخزون المواقف التقليدية : الاختباء فى الدواليب وتحت الموائد ، والتنكر ، والخلط المستمر القائم على سوء الفهم ، ومن بين مخزون الاعداد ضرورة السخرية بالفلاح وانبهاره بالمدينة وشغفه بنسائها ، خلق هذا التقابل بين الفلاح والمدينة ، تدعيما للفروق بين الجانبين وحتمية استمرارها .

هو الموقف نفسه من المجتمع والحياة فى النماذج الثلاثة يمكننا أن نجمل ملامحه : انتقاد العلاقة بقضايا الواقع والدوران حول قضية الصراع الاجتماعى ومحاولة الخلط بين أطرافه ، وازاحة العدو الحقيقى . لحساب طرف من الاطراف فقط هو جمهور الطبقة الوسطى فى القاهرة قطاعها الكبير أولا ،

واعتماد الصدفة وسيلة لحل مشاكل الحياة ، ومشروعية كل الوسائل لتحقيق هدف الصعود ، وذر نقدات جزئية حول بعض مظاهر الفساد **فى الواقع** ، خاصة تلك التى تعنى **هذا الجمهور أكثر** من غيرها ، غمز القطاع العام ، الضرائب التليفونات ، طوابير الجمعية ... الخ

حول هذه النواة الصلبة تقدم أطباق المشهيات : كوميديا النجم المشهود .. جسد نجمة الاغراء ، التلميح بالجنس ثقيلة وخفيفة ، محاولة تجسيد حلم الحصول على لوليتا ، حرارة الالوان واستخدام الاضواء اطارات تبرز الممثلين ، الموسيقى الصاخبة، واشتراك الجميع فى الرقص والغناء .

فى المناخ الذى أعقب ١٩٦٧ على نحو خاص ، ومن خلال التجربة والخطأ وبجهد فنانى المسرح الجاد انفسهم ، استطاع المسرح التجارى **أن** يصل لصياغة ترضى جمهوره ، بنوعياته المختلفة والمتقاربة وتضمن منه دوام الاقبال . ولم يخيب الجمهور توقعات أصحاب هذا المسرح، فهو مقبل بالفعل ، يتزاحم كى يدفع أثمان التذاكر المرتفعة [**أربعة أمثال ثمن التذاكر فى هيئة المقاعد الفارغة**] ، وهو كذلك يضحك . نبعضه يضحك لانه دفع ثمن الضحك ولا ينوى التنازل عن شىء من حقه ، وبعضه واقع فى دائرة جذب ممثل معين . ما أن يفتح فمه حتى يغرق فى الضحك ، وبعضه يضحك لانه ينفر أن يكون وحده ـ دون القطيع ـ غير الضاحك ، وبعضه الاخير ـ وهذا ليس قليلا ، وله أهميته عند أصحاب هذا المسرح ـ يضحك لانماط يتوقعها وينتظر منها أن تضحكه . انما لهؤلاء تقدم بنت البلد « الرداحة » والخادمة الخليعة ، والنشال وابن البلد الغبى المتظاهر بالفهلوة . هؤلاء هم الاشقاء العرب ، لا تخلو منهم الصفوف الاولى فى عروض المسرح التجارى .

فليكن لكل هؤلاء مسرحهم . لكن .. أين مسرح بقية الشعب فى العاصمة وخارجها ؟ واين مسرح هؤلاء المهمومين بواقع الحياة فى الزمان والمكان ، واين مسرح الباحثين عن متعة فنية وفكرية تضىء القلب والعقل ؟ ■

حول القصة المصرية

بين نجيب محفوظ ويوسف الشارونى

فى مقدمة مقال بالفرنسية عن احدى المجموعات القصصية ليوسف الشارونى قال كاتبه الدكتور ريمون فرنسيس أنه بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٤٥ اى بفرق قدره تسع سنوات [وصحتها بين عامى ١٩٣٤ و ١٩٤٥ اى بفرق احدى عشر سنة] قدم قسم الفلسفة بكلية آداب القاهرة الى الادب العربى كاتبين لهما مكانة كبيرة هما نجيب محفوظ ويوسف الشارونى . واستطرد الكاتب قائلا : « .. وعلى الرغم من أننا لا ندعى أننا نستطيع اصدار احكام على الادب العربى ، فاننا لا نخطىء عندما نؤكد ان يوسف الشارونى هو غالبا وسيظل ، اذا استمر على حبه للتأليف ، بالنسبة للقصة القصيرة ، ما هو نجيب محفوظ بالنسبة للرواية . فالاثنان يتميزان بصفة واحدة ، هى الدقة فى التعبير والوصف».

وفى هذه الحلقة الجديدة من « حوار الاجيال » يلتقى الاثنان بعد رحلة طويلة مع الفن والحياة ، قطع فيها نجيب محفوظ اشواطا فى الخلق الروائى والقصة القصيرة ، وثابر خلالها



نجيب محفوظ

يوسف الشــــاروني على تطوير فنه الاثير وهو القصة القصيرة . ولكم تغيرت ملامح الفن والمجتمع على طول هذه المسيرة . وقد اختار كلاهما فى هذا اللقاء ان يتناولا بالنقاش بعضا من هذه الملامح التى تغيرت ، كالاوضاع الاجتماعية لكل جيل ، ومشكلة اللغــــة ، وقضـــايا التكنيك ، وعلاقة التعلم بالادب فى عصرنا الحاضر .

ومن الطبيعى ان تختلف رؤية كل منهما للفن والواقع ، ليس بسبب اختلاف جيل آخر فحسب ، ولاختلاف التكوين الذاتى المتفرد لكليهمــــا . ولكن تبقى مصر ـ مجتمعا وتاريخا وحضارة ـ هى الرافــــد الرئيسى الذى امدهما بالعديد من العناصر المشتركة . ومن خــــلال الاتفاق والاختلاف يقـــدم حوار الاجيال فى الادب العربى الحديث شـــهادة الفن على عصر زاخر بالتناقضـــات مضطرم بالصراع من اجل التقدم .



يوسف الشاروني

الأوضاع الاجتماعية

■ يوسف الشاروني:

كانت البيئة فى الثلاثينات عموما شديدة المحافظة فيما يتعلق بالاخلاق والمعاملات بقدر ما كانت متقدمة فيما يتعلق بالسياسه .. طبعا أنا اتكلم عن الطبقة المتوسطه الصغيرة التى نشأت فيها . وبالنسبة للفن والادب لم تكن تهتم بهما اهتماما جوهريا وتجعلها فى منزلة ثانوية بالنسبة للاعمال الاخرى كالطب والهندسة والسياسة وضباط الجيش . حتى وان اعجبت ببعض المشتغلين بالفن والادب فهو اعجاب ربما كان أعلى درجة أو درجتين من اعجابها بلاعب سيرك ، لدرجة أنه يمكن القول أنها كانت بيئة تحب الفن لكنها لاتحترمه .. لهذا تعودت لمدة كبيرة وأنا فى هذه البيئة أن اتستر على عملى الادبى ، حتى وأنا موظف — فقد تخرجت من كلية الاداب قسم الفلسفة عام ١٩٣٤ — حتى لا اعرض نفسى للسخرية ، فلا استطيع أن اقول لزملائى الموظفين اننى كاتب تلك القصص التى تنشر لى فى مجلتى الرواية والرساله خوفا على سمعتى .. ورأيت كامل كيلانى فى وزارة الاوقاف معى مضطهدا وغير محترم لهذا السبب . كانوا يعتبرون انفسهم الموظفين الاصلاء وأن هذا دخيل عليهم لا يستحق الترقية بسبب انشغاله بالكتابة . والغريب أن مدير احدى الادارات كان شاعرا ولكن شعره كان امتدادا لوظيفته ، أى أنه ، كان مدحا للوزير أو الوكيل ، أى بدلا من ان يتملقه نثرا أو شفهيا ليصل الى مايريد بمدحه شعرا .

هذا عن الادب والفن كوظيفة ، أما كتذوق فلم أعثر على قارىء واحد فى اسرتى ، ولا يذهب أحد الى المسرح الا فى مناسبة مثل زواج أحد أفراد الاسرة . وكنت أنا أول شخص من أسرتى يذهب الى السينما ، فمنزلنا كان فى الجمالية وكانت بجوارنا سينما الكلوب المصرى وأجر الدخول فيها قرش ، ومن يوم ما رأيتها لم اتركها كأنما اعيش فيها . ولم يكن فى منزلنا مكتبة ولا عند الجيران .. القراءة الوحيدة فى بيتنا كانت القراءة الدينية .

أما الصحف السياسية والمقالات السياسية فكانت قراءتها « كالافيونة »، وبينما كان الوالد محافظا فى جميع مظاهر الحياة ، كان من أنصار الدستور والحكم الديموقراطى ، كأنما لا علاقة بين السياسة والسلوك الاجتماعى ،بل هناك تناقض ، وأعتقد أن ذلك كان نتيجة ثورة ١٩١٩ التى أدخلت الافكار السياسيه المتقدمة بحيث أزالت هيبة الملك ، بينما ظل الحال على ما هو عليه فى بقية جوانب سلوك الحياة . ومن ظواهر التقدم التى أوجدتها ثورة ١٩١٩ التسامح مع المسيحيين واعتبار شخص مثل مكرم عبيد بطلا رغم شدة محافظة هذه الطبقات الاجتماعية وتدينهم ، فلم تكن لها حياه اجتماعية غير الزواج والصلات الخاصه الا التدين ، وثورة ١٩١٩ هى التى جعلتها تنقلب على الملك وتملأ قلوبها بالتسامح مع عناصر الامة — وكان هذا التغير سريعا فى أسابيع .

أما المرأة فوضعها معروف فى هذه الطبقة وتلك الفترة ، المنزل والحجاب خارج المنزل . واذا كان هناك نساء تحررن فهن من طبقة أخرى .واذا تعلمت البنت فلغاية العاشرة . وكان لهذا اثره فيما نكتب . فالحب فى أغلب رواياتى فوق السطح ومن النوافذ ويندر أن يكون علاقة طبيعية صريحة ، ولهذا فان الحب فى رواياتى كان عبئا عليها وليس العكس لانى لا أعرف كيف أتخلص منه كأنه مصيبة ولهذا كان أغلبه عواطف ذاتية .

واذا كان الحب الطاهر مما يؤخذ عليك ، فقد كان الاقتراب من الجنس مكروها جدا . كان تعدد الزوجات هو وسيلة التنفيس عن هذه الرغبات بطريقة شرعية . أما الجنس على المستويين الادبى والاجتماعى فقد كان مرفوضا . وانا أعتبر اننى جازفت مجازفة كبيرة جدا جدا جدا عندما تجاوزت الحب الى الجنس ، ومن الجنس الى الشذوذ الجنسى فى زقاق المدق عام ١٩٤٦ ، ولعله أول شذوذ جنسى فى رواية من أدبنا العربى الحديث . فاذا رجعنا الى معالجة الجنس فى هذه الرواية نجدها مكتوبة بطريقة متحفظة بالنسبة لغيرها من الروايات الاجنبية ، لانها لم تتعمق العلاقة كما يحدث فيما يسمونه الادب المكشوف ، ومع ذلك فقد كانت هذه المعالجة المتحفظة مستنكرة بدليل أن رواياتى القاهرة الجديدة وخان الخليلى وزقاق المدق دخلت مسابقة المجمع اللغوى عام ١٩٤٤ ،وعندما رأى المرحوم الشاعر على الجارم [وعضو المجمع] ان اتجاه المازنى والعقاد نحو اعطاء الجائزة لزقاق المدق هدد بتقديم استقالته من المجمع ، فراوا أن تعطى الجائزة عن خان الخليلى ولو أنها ليست فى نفس مستوى زقاق المدق ، كما رفضت القاهره الجديدة لما فيها من علاقات جنسية شاذة .

ويمكن مقارنة ذلك بما نشر فى مصر نفسها بعد ذلك من روايات جنسية صريحة .. والواقع أنه مامن زميل من زملاء جيلى قرأ ما كتبته فى هذا المجال الا وعاتبنى عتابا شديدا على أساس ان مثل هذه الموضوعات لايجوز لقارىء أن يقرأها فى كتاب اطلاقا .

ويقودنا الجنس الى مناقشة الى أى درجة يعالج الجنس فى العمل الادبى ؟ الحقيقة أن معالجة الجنس أمر دقيق جدا لان خيطا رفيعا جدا هو الذى يفرق بين الفن والتجارة هنا ، وأنا أعتقد أن معالجة الجنس يجب أن تقدم لمعنى معين من خلال هدف معين ، تماما كما تقدم جريمة قتل لهدف معين . فليس قصد الاديب من تقديم جريمة قتل الاثارة ، لان هذا خارج عن الادب . كذلك الجنس ليس الغرض من معالجته تقديم وجبة جنسية لان هذا خارج عن مجال الاديب ، فاذا كان الموضوع جذابا للقارىء لغير سبب أدبى فما القيمة الادبية للعمل الفنى .. فليس مهمة الفنان تهييج غرائز القتل ولا الجنس ، انما وهو يعالج مشكلاته الانسانية قد لا يصل الى غرضه الا من خلال جريمة أو علاقة جنسية دون اثارة ولذلك أنا شخصيا أشك فى أدب المراحة الجنسية أيا كان فى أية لغة ولا أعفيه من تهمة التجارة .

مثلا د. هـ. لورنس — هو فى نظرى اشرف الادباء الجنسيين لانه صاحب رسالة واضحة — كان يمكنه أن يعبر عن رسالته دون تجاوز حدود الحياة الانسانى العادى . والكتب الدينية فيها صراحة جنسية لا نظير لها ومع ذلك فان أحدا لا يقرأها للاثارة .فوجهة نظرى الشخصية هو انى أومن بأن الجنس يجب أن يكون مقدسا وشبه الهى ويجب الا يبتذل .

■ يوسف الشارونى :

هذا يقودنا الى مناقشة علاقة الفن والاخلاق . وأنا اعتقد أن وجهة نظر الحضارة الاوربية — من خلال ما تقدمه لنا من أدب معاصر — هو أن يكون الجنس أمرا عاديا يلبى حاجة حيوية للانسان شأنه فى ذلك شأن الطعام . فهو فهم كما أفهم هو القضاء على النظر اليه نظرتنا الى المحرمات وما يحيط بالمحرمات من هالات .

■ نجيب محفوظ :

اننى أعتبر العملية الجنسية شبه عملية دينية لانها تتصل بالخلق ، والانسان لا يقوم بعمل أعظم منها .

■ يوسف الشارونى :

لقد توصل عن طريقها بطل قصتى

« نظرية فى الجلدة الفاسدة » الى نظرية فى الخير المطلق .. فالخير المطلق هو ما تقوم به من عمل بسعادة تساوى تماما سعادة من يتلقى هذا العمل ، هو العمل الذى تؤكد فيه ذاتك وتؤكد غيرك فى الوقت نفسه ، فتصبح سعادتك وسعادة غيرك فعلا واحدا ، بحيث لاتدرى ، هل أنت تحقق رغبتك أم رغبة غيرك فلا تكون هناك سوى رغبة واحدة تتحقق.

وأعتقد ان احترامنا للجنس شيء طبيعى فينا يرجع الى شرقيتنا مع تغير المعتقدات والاديان على منطقتنا . ونلاحظ هذا بوضوح اذا قصدنا أى متحف عالمى وقارنا بين التماثيل الفرعونية والتماثيل الاغريقية . فتماثيل الفراعنة فى غاية الاحتشام والفنان الفرعونى يحرص — كقاعدة عامة — على اخفاء الاعضاء الجنسية لشخصياته ، بينما نجد العكس تماما فى الفن الاغريقى حيث الجسد العارى هو الاساس .

■ **نجيب محفـــوظ :**

اذن العملية الجنسية لا يجوز أن تبتذل أو تكون عادية .

■ **يوسف الشارونى :**

بالنسبة لجيلنا — وفترة تكوينه الحقيقية فى الاربعينات — فانه فتح عينيه ليواجه الحرب العالمية الثانية التى اندلعت عام ١٩٣٩ واستمرت ست سنوات حتى عام ١٩٤٥ ، وان كانت الحرب بالنسبة لمنطقتنا لم تنقطع ، فقد انشئت اسرائيل ووقعت حرب عام ١٩٤٨ ، وما تلاها من حروب معروف ، وكان لهذا أثره على الفكر فى مصر ، حيث كانت الحرب تتطلب اصدار الاحكام العرفية — وحتى فى غير وقت الحرب — وما يترتب على ذلك من رقابة على مايكتب ، وشيئا فشيئا تحول الامر من رقابة خارجية الى رقابة داخلية أعنى أن كل من مارس الكتابة وجد فى داخله تلقائيا رقيبا يعفيه من الصدام مع أى رقابة خارجية .

وقد أوضحت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ مدى فساد النظام السياسى والاجتماعى فى مصر ، مما نتج عنه انفضاض الشباب عن أحزاب ثورة ١٩١٩ لينضم معظمهم الى جماعات يسارية أو يمينية بحثا عن حلول جديدة ، أو ليرفضوا الانتماء الى اية جماعة سياسية ، بينما كان ارهاب السلطة الحاكمة يجثم على الجميع أملا فى أن يستمر النظام السياسى والاجتماعى أطول فترة ممكنة .

أما بالنسبة لوضع المرأة ، فكانت قد بدأت تغزو الجامعة بأعداد أكبر مما فى الثلاثينات وان ظلت الطالبات أقلية بالنسبة للطلبة ، كما أن تعليمهن كان مقيدا بتحذيرات من الاسر وأولياء الامور . أذكر ان احدى الزميلتين الوحيدتين فى دفعتنا بقسم الفلسفة كان والدها يحذرها من أن تتحدث الى أى زميل لها ، وقد اكتشفت هذا حين قمت بزيارة أحد زملائنا ذات يوم فوجدت عنده ضيفا لم يشأ أن يقدمه لى ، فلما انصرف ذكر لى أنه والد زميلتنا وأنه جاره ويأتى من حين لاخر ليأخذ منه مذكرات احدى المحاضرات التى تغيبت عنها ابنته لتنقلها ، وأنه ذكر له أنه هو الذى اشترط عليها الا تحدث زميلا اذا أرادت أن تلتحق بالكلية . هذا مثل على وضع الفتاة المذبذب فى ذلك الوقت .

وأذكر أنى شاهدت مسرحية من ثلاثة فصول قصيرة قام طلبة الجامعة الامريكية بتمثيلها فى حفل الخريجين عام ١٩٤٢ ، وهو العام الذى حصلت فيه على الثانوية العامة من هذه الجامعة . وتدور أحداث المسرحة حول علاقة الطلبة بالطالبات . ففى عام ١٩٤٢ نرى طالبة واحدة منهمكة فى المذاكرة فى فناء الجامعة بينما يرقبها بتلهف عدد من زملائها دون أن يبادلوها الحديث ، ثم يقع منها منديلها أو هى تسقطه عمدا ، فيهرع الكل محاولا التقاطه ، غير أن واحدا هو الذى يستطيع أن يفوز به ليقدمه لها ويفوز منها بابتسامة شاكرة ثم يعود الى زملائه يقص عليهم ما فاز به . فاذا كنا بعد عشر سنوات أى عام ١٩٥٢ فان المسرحية تتنبأ بأن عدد الطالبات سيكون مساويا لعدد الطلبة ، وأن هؤلاء وأولئك منشغلون بما يدرسونه وبما يدور بينهم من أحاديث ، حتى اذا سقط منديل احدى الطالبات ، فان أحد الطلبة ينبهها بصفيره الى ما سقط منها فتنحنى لتلتقطه ببساطة . فاذا كنا بعد عشر سنوات أخرى أى عام ١٩٦٢ فان المسرحية تتنبأ بأن عدد الطالبات سيزداد بينما يتضاءل عدد الطلبة ليصبح واحدا ، ويصبح هذا الطالب الوحيد موضع اهتمام الطالبات ، فاذا سقط منديله ، فانهن يسرعن لالتقاطه ، وتفوز به احداهن لتنال منه ابتسامة شاكرة تتحدث عنها لزميلاتها .

وكانت هذه الفترة فترة خصبة بالنسبة لتاريخ الرواية المصرية ، فكنا نقرأ ما تنشره لجنة النشر للجامعيين من أعمال جيلكم ، فبدأنا نقرأ لك ولعبد الحميد جوده السحار وعلى أحمد باكثير وعادل كامل ومحمد عبد الحليم عبد الله فيما بعد . أما بالنسبة للشعر فقد شهدنا تبلور حركات التمرد على عمود الشعر العربى سواء فى مصر أو العالم العربى لا سيما العراق حين بدأنا نقرأ لنازك الملائكة وبدر شاكر السياب وهما من جيلنا ، وأقول تبلور حركات التمرد لانه كانت هناك تمهيدات لذلك أهمها ترجمة باكثير لروميو وجوليت لشكسبير عام ١٩٣٨ وأن نشرت عام ١٩٤٦ ، ومسرحيته « نفرتيتى واخناتون » التى نشرها عام ١٩٣٩ وفى مقدمتها أشار المازنى الى محاولة باكثير لترجمته — غير المنشورة وقتئذ — لروميو وجوليت . وكذلك محاولات فريد أبو حديد وغيرهما .

ومن ناحية الدراسات الادبية كان هناك الدكتور طه حسين ومجلة الكاتب المصرى التى صدرت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة وكان يرأس تحريرها حيث قام بمهمة تعريفنا بما كان قد تخمر من الادب الاوروبى الجديد أثناء الحرب العالمية الثانية ولم يصلنا بسبب هذه الحرب وانقطاع الاتصال الثقافى بيننا وبينهم . فقدم لنا جان بول سارتر والبير كامى وفرانز كافكا والكاتب الزنجى الامريكى ريتشارد رايت وغيرهم . كما قدم لويس عوض على صفحات هذه المجلة جيمس جويس و ت.س. اليوت وغيرهما من كتاب الادب الانجليزى الحديث . هذا عدا سلسلة الكتب المترجمة من عيون الادب الغربى الحديث التى صدرت عن هذه الدار وباشراف الدكتور طه حسين .

اللغـــــة

■ **نجيب محفـــوظ :**

انما — وربما جيلى — وجد فى اللغة من المتاعب بحيث أنها كانت مشكلته الاولى . فالجيل السابق علينا لم يجد مشكلة فى اللغة مثلنا . كان هناك مسرحيون ، ولكن المسرح لم يكن فى عداد الادب . لم يصبح من الادب الا على يدى توفيق الحكيم . فتوفيق الحكيم قدم أدبه المسرحى الاول أدبا نكريا ، فلم تكن هناك مشكلة لغوية بالنسبة له لانه كتبه باللغة العربية البسيطة . أما الرواية فكان حوارها بالعامية مثل عودة الروح وزينب ، ولم يكن أحد قبل جيلى قد تخصص فى الرواية ، فضلا عن ذلك اننا كتبنا ما يسمى بالادب الواقعى لاول مرة ، مما زاد المشكلة تأزما . كانت المشكلة كيف نكتب قصة واقعية وشعبية باللغة الفصحى . لم يكن فى تفكيرنا هجر الفصحى الى لغة أخرى لان تربيتنا كانت على اللغة الكلاسيكية ، فكنا من جيل اذا كتب « درج » بدلا من « قمطر »

نكأته كثر . يضاف الى ذلك أن كل ثقافتنا الروائية كانت محصورة فى الرواية العربية والترجمات البسيطة . ولم أقرأ رواية فى لغتها الاصلية وقتئذ لان دراستى كانت فلسفية ، واكتفى بقراءة الادب الاجنبى مترجما . والمشكلة كانت كيف تطوع اللغة العربية المجردة المقدسة لتعبر عن الحياة اليومية خصوصا فى الحوارى . وهذه المشكلة لم تصادف طه حسين أو المازنى لانهما لم يقدما بيئة كان المازنى يقدم شخصية ويحللها ، وهذا يمكن تقديمه بالفصحى . أما حين تدخل حارة او تجلس على قهوة فان مشكلة اللغة تعترضك ليس فى الحوار فقط بل فى السرد أيضا اى انها مشكلة الكاتب عندما يستعمل لغته فى مجالات جديدة لاول مرة . لهذا أعتقد أننا تعبنا فى مسألة اللغة تعبا لم تصادفه الاجيال التالية التى انطلقت لغتها من منطلق أكثر عصرية وتسامحا .

مثلا انتم بدأتم تكتبون بعد أن قرأتم بالافرنجى ، وأدباء جيلكم اكتسبوا لغتهم من الصحف ، فلم تكن هناك معاناة حقيقية فى مشكلة اللغة ، ولهذا فلم يكن هناك اضطراب فى لغتكم مثلما فى لغتنا . ليس مثلا فى لغتكم ما تجدونه فى لغتنا من كلمات كلاسيكية جدا بجوار كلمات أكثر تخففا ، فنحن أشبه بمن يبحث عن قاعدة وتتكون القاعدة من خلال تجاربه ، فلسنا نبدأ من قاعدة جاهزة ، ففى رواية استخدم كلمة النادل ولا أجرؤ على استخدام الجرسون ، وفى أخرى استخدم الجرسون فهذه معاناة شخص يحاول أن يشق طريقه .

■ **يوسف الشارونى :**

هذا قد يكون صحيحا الى حد ما بالنسبة للغة السرد بالنسبة لجيلنا ، لكننا كنا ما نزال حائرين بالنسبة للغة الحوار ايكتب بالفصحى أم بالعامية . وفى سبيل الوصول الى حل لهذه المشكلة قمت ببحث مطول عن لغة الحوار بين الفصحى والعامية فى كتابى « دراسات أدبية » وانتهيت فيه الى أن المشكلة ستظل تؤرق الادباء طالما كانت هناك تلك النسبة الكبيرة من الاميين فى مجتمعنا الى جانب قلة المتعلمين ، وان الحل يكمن فى المستقبل حين يتم محو الامية فتضيق الهوة بين لغة الحديث فى الحياة اليومية ولغة الكتابة ، كما أن تيسير النحو من جانب وانتشار الصحافة من جانب آخر سيساعدان على تخفيف حدة هذه المشكلة .

أما من الناحية العملية بالنسبة لى فقد كتبت معظم حوارى بالفصحى لانى نشرت أولّ قصصى فى مجلة الاديب البيروتية وهى تقرأ على مستوى الدول العربية ، وكنت اقرأ فيها قصصا لكتاب عراقيين يكتبون حوارهم بالعامية العراقية فلا أفهمه ، فاضطر الى تجاوزه والاكتفاء بقراءة السرد ، مما يجعل الانطباع الذى يريد أن يتركه صاحب القصة فى قارئها غير كامل . وقد تعلمت درسا من ذلك ، فحرصت على كتابة حوارى بالفصحى حتى يفهمنى كل من يقرأنى فى أى بلد عربى كان .

التكنيك

■ **نجيب محفوظ :**

أما من ناحية التكنيك فمن رأيى انه اذا كانت الواقعية هى معالجة الفن للعلاقات الواقعية فى المجتمع ، باعتبار ما يجرى — أى كيف تتكون وتتطور وتبلغ غايتها فى مجتمع ما ، فكل أدب من هذه الناحية واقعى ، حتى أحلام ألف ليلة وليلة كانت واقعا فى نفوس من يحلمون بها ، مثلا قصص الفراعنة كانت تعبر عن واقع فكرى لانهم كانوا يؤمنون فعلا بهذه المعتقدات . والسريالية أو التعبيرية واقع من غير تدخل العقل وفى نظرى انه ليس هناك ادب أشد واقعية من أدب اللامعقول ، فمثلا « انتظار جودو » نجدها حالة واقعية لانتظار خير لايأتى ، أو قصة يونسكو « الرجل الذى كان يعزل » نجد المسرح مليئا بالاثاث حتى يختفى تحته صاحب المزال ، فهذه صورة أكثر واقعية عند الحديث عن أزمة الاستهلاك . لكن مما لا شك فيه أن التكنيك يختلف من حيث درجة تدخل العقل للتنظيم أو عدم تدخله . فتدخل العقل فيما اصطلحنا على تسميته بالادب الواقعى أكثر من تدخله فى الاشكال الادبية الاخرى ، أى أن الفرق هو مدى تدخل العقل البشرى فى العمل الفنى أو خروجه كله . ويكون الادب واقعيا بقدر ما فيه من موضوعية وفى صورته المتطرفة المدرسة الطبيعية كما هو عند اميل زولا ، ويبعد عنها بقدر ما فيه من الذاتية كالرومانسية ، وفى صورته المتطرفة التعبيرية والسريالية واللاروائية .

■ **يوسف الشارونى :**

انا اعتقد ان الفنان يستخدم عقله دائما ، وان المسألة ليست مسألة استخدام العقل او عدم استخدامه ، بل هى فى نوع المجتمع او القضية التى يتناولها الكاتب . فالمجتمع المتماسك ذو القيم المتفق عليها من الجميع ينتج ادبا يحترم قواعد المنظور ، اى يحترم نسب العلاقات الموجودة فى العالم الخارجى فلا يشوهها او يقدمها اضخم او اضأل مما هى فى هذا العالم ، وهذا ما نطلق عليه اسم الادب الواقعى . فاذا اضطربت العلاقات والقيم الاجتماعية اضطربت نفسية الفنان ، وانعكس ذلك باتساع على انتاجه فتحطم قواعد المنظور ونشأت اشكال ومدارس تثور على الواقعية التى تحترم اساسا التسلسل الزمنى والروابط المنطقية .

■ **نجيب محفوظ :**

انا ارى انهم يحاولون تعطيل العقل واطلاق القوى الحيوية الاخرى ، الى درجة انهم يصلون احيانا الى درجة تعطيل العقل بالمخدرات .

■ **يوسف الشارونى :**

الذى اعرفه ان الفن المعاصر فى اوربا مثلا استفاد بانتاج ثلاث فئات : فنون الاطفال وفنون الشعوب البدائية او عندما كانت فى مرحلتها البدائية ، وفنون المجانين وربما كانت السيطرة العقلية فى فن هذه الفئات الثلاث سيطرة ضعيفة ، ولكن عندما يستفيد منها الفنان المعاصر ويطورها فانما يستفيد بها واعيا لما يفعل وان كان قد اعتمد على فن توارت فيه السيطرة العقلية .

■ **نجيب محفوظ :**

فى مهدنا كانت المفاضلة بين الاسلوب الواقعى او الرومانسى او النفسى الذى كان سائدا فى اوربا ، اى رؤية الخارج من خلال الذات او الخارج من خلال الخارج او موقف وسط . ولم يكن هناك اختيار بالمعنى الحقيقى لانه ليس هناك اختيار حر فى الفن ، اى كونى شعرت بأنى اريد ان اقدم قطاعات من مصر لم يكن فى ذلك اختيار ، فقد فرضت نفسها على اماكن معينة يجب التخلص منها بالتعبير الفنى كما يقولون . كان اسلوب تقديمها هو الاسلوب الذى يعبر عنها من خلال خلق جديد لا يشوه كينونتها والا فانك لم تقدمها . ولذلك وجدت أن الصورة التى قدمتها بها هى انسب شىء للموضوع الذى حركها ، وليس اى اسلوب فنى آخر . بينما فى سن متأخرة عندما وجدت نفسى فى شبه حصار وغير متوافق مع العالم الخارجى وجدت نفسى ارجع الى ما نسميه باختصار التعبير الذاتى ، وانى انتج انواعا تختلف من الانتاج الاول فى الدرجة ان لم يكن فى النوع ، كما حدث فى اللص والكلاب . وفى زمن اكثر تأخرا عندما وجدت ان

العالم الخارجي فقد كل معقولية ، وجدت نفسي اكتب قصصا من نوع «تحت المظلة» وما تلاها .واذا فما يسمونه بالتكنيك او مايسمونه بالاسلوب الفنى ما هو الا الصورة الحتمية الوحيدة التى تبرز ما فى نفسك وتعيد خلقه . وهذه هى اصالة الفنان ، وأى خروج عنها تعلقا بجمال اسلوب مضى او رشاقة اسلوب جديد انما هو بعد عن الاصالة والفن معا ، اى ان الفنان ينطبق عليه هنا المثل القائل ، كل واحد ينام على الجنب اللى يريحه . ولذلك تستطيع ان تحكم على شخصى بالتكنيك الذى أمارسه . فمثلا الفرق بين «تحت المظلة» و «المرايا» انك تحس فى المرايا ان هنا شخصا بدأ يستعيد توازنه ويتعود الواقع الجديد ويصدر عليه احكامه . ولذلك ايضا فانى اثور على النقد الذى يمدح كاتبا لان اسلوبه مودرن . أو يذم كاتبا لان اسلوبه كلاسيك لان العبرة اساسا بالمناسب وغير المناسب .

■ **يوسف الشارونى :**

فى الادب الاوروبى الان ظاهرة انتشار العودة الى الاسلوب البسيط فى الكتابة.

■ **نجيب محفـــوظ :**

هذا معناه العودة الى موقف جديد ، وفيما يتعلق برواياتى التاريخية قد اعتديت على التاريخ بقدر ما أدخلت عليها من الواقع . لهذا فان هذه الروايات هى التمهيد الطبيعى لما تلاها من الروايات التى بدات بالقاهرة الجديدة . ولهذا فان هـذه الروايات فرضت على التاريخ فرضا . مثال ذلك اننا نجد فيها احمس يوزع الاراضى على الفلاحين .

واستخدام التيارات الحديثة مشروع فى بعض الحالات ، ولكنى اشك فى فائدتها كمنهج عام . فمثلا يكون احد الابطال فى حالة سيريالية او مونولوج داخلى ، هذا سليم . اما ان تكون كل الشخصيات سيريالية او فى حالة مونولوج داخلى فهذا ما لا اسلم به . وانا اعتبر جيمس جويس وامثاله فى حالة مرضية غير طبيعية .

النقطة الثانية تتعلق باستعمال الزمان فى الرواية الحديثة والخروج على الزمن الميكانيكى او العقلى . أنا ارى ان التنقل فى الزمن الحر قد يكون حالة مؤقتة ، شأنه فى ذلك شان السيريالية او المونولوج الداخلى .

اما انه اصدق من الزمن العادى فهذا ما لا اسلم به .

انا افهم ان العمل الفنى يبدأ معك كذكريات محررة من الزمن الميكانيكى ، لكن عندما تكتبها يجب ان ترتبها كما حدثت فى الزمان ، وليس هذا لانه شىء طبيعى بل لان اى تجربة ايضا تتأثر بما سلف من تجارب . فأنا اومن ان الرواية يجب ان تسير طبقا للزمن العلمى فهـو الزمن الذى نصل عن طريقه الى القمر مع استثناء الحالات الشاذة ، فيصح ان تقدم الزمن الداخلى فى قصة قصيرة ، اما فى الرواية كعالم متكامل فلست ارى ذلك، وأنا أشك أن بعض العباقرة بسبب عبقريتهم فرضوا امراضهم على الفن . فمثلا دستيوفسكى كاتب متدفق كالشلال نجد ان لديه زوائد فى رواياته الامر الذى لو فعله غيره لحكموا عليه بالاعدام.لكن عبقرية دستيوفسكى اخجلت النقاد عن نقده ، كالعظيم الذى لايعرف كيف يربط كرافتته فتخجل أن تنبهه الى ذلك ، فجاءت اجيال رأت هذه العيوب فظنتها مزايا . وهذا ما حدث مع بروست ـ مريض وسجين فى غرفة يكتب وهو فى حالة من اليأس وتريب من الموت ، او مثل جويس نصف مجنون .

كل هؤلاء كتبوا تكنيكا خاصا بهم اى ان ماكتبوه لم يتكرر مرة ثانية .

■ **يوسف الشارونى :**

ولكن كون هذه الاساليب لقيت قبولا عاما معناه انها ليست حالات فردية ، وكونها وجدت صدى لدى كثير من الكتاب معناه انها ليست مجرد حالات مرضية. وانا دائما فى هذا المجال اقارن بين تجربة ادجار الن بو الفنية والتيارات الفنية المعاصرة . فقد ثار بو فى قصصه على معقولية الحياه ولكنه ـ وهو ابن القرن التاسع عشر المتماسك اجتماعيا ـ حرص على أن تكون ثورته مبرره ، وحقق ذلك بأكثر من وسيلة .

فرواة قصصه او ابطالها يعترفون بما فى قصصهم من غرابه . ومعظم شخصياته شاذة، كان تكون على حافة الجنون مما يجعل من الطبيعى أن تكون رؤاها أقرب الى الهذيان . ثم هنالك الجو الاسطورى للامكنة الموحشه التى يختارهـا المؤلف مسرحا لاحداثه ، مما يوقظ فى نفوس سكانها وقرائها على السواء ماترسب فى أعماقهم من مخاوف وخرافات . الى جانب ذلك فان ظروف الشخصيات تهيىء لهم تلك الرؤى المفزعه وهذا العالم اللاواقعى كأن يكون هناك وباء يجتاح المدينة أو شخص حبيب الى البطل يعانى من مرض مزمن حاد يجعله على وشك الموت ، كما أن نوع الكتب التى تقرأها هذه الشخصيات تدل من ناحية على نفسيتها فى اختيار هذا النوع من الكتب دون غيره لقراءته ، ومن ناحية اخرى تعود فتعاون على تضخيم اوهامهم . وهكذا تختلط الحقيقة بالوهـم ، وتنتهى الى عالم لاهو بالحلم ولا هو باليقظة .

أما أدب اللا معقول المعاصر فقد انقلبت الاية فيه ، اذ أصبح الانسـان العادى هو الذى يعيش فى عالم غير عادى . وبدلا من ان يكون تجاوز الواقع انعكاسا لرؤيا انسان شاذ او مريض لعالم متكامل متماسك ، اصبح اللامعقول انعكاسا للعالم الشاذ فى رؤيا الانسان السليم فى حضارتنا . وبعد ان كان التمرد على المعقول نابعـا من ذات انسانية مريضة او شاذة اصبح اللامعقول واقعا شاذا خارج الانسان . فالكتاب التقليديون بكل ما وصلوا اليه من تحرر يلقون عبء الشذوذ على شخصياتهم وما يحيط بها من ظروف خاصة دليلا على استمرار ايمانهم بسلامة العالم الخارجى، وبأن هذا الشذوذ لا يزال محصورا فى نطاق فردى . اما ادباء اللامعقول اليوم فيلقون بعبء الشذوذ على عالم تعيش فى شخصياتهم ، وهى شخصيات مهمتها الاساسية ان تدرك هذا الشذوذ وتفضحه.

■ **نجيب محفـــوظ :**

بالنسبة لى كان أبريل سنة ١٩٥٢ يمثل نهاية مرحلة ، فهو التاريخ الذى أتممت فيه كتابة الثلاثية . ثم قامت ثورة يوليو ، وبقيام الثورة حدثت لى وقفة ظننتها وقفة الموت ، حتى انى صارحت اصدقائى بذلك ، وسجلت نفسى فى نقابة السينمائيين على أنى سيناريست باعتبار ان الادب بالنسبة لى انتهى . وكانت لدى موضوعات ولكنى اعتبرتها غير ذات موضوع . واذكر ان عبدالرحمن الشرقاوى كان يزورنى وقلت له ان عندى موضوعات من بينها موضوع رواية بعنوان « العتبة الخضراء » فتحمس للموضوع وشجعنى على ان اكتبه . ولكن التوقف امتد خمس سنوات كاملة . وكنت اعلل ذلك بقولى انه حدث استقرار فى المجتمع يمنع من التأليف . وكانت كل الروايات الموجودة عندى ماهى الا استمرار لنقد المجتمع القديم . فلم اجد مبررا لنقـد شىء اصبح جثة ، وقد تبع الملل من الموضوع ملل من الشكل ، فشعرت بالخوف من التكرار .

ثم دبت الروح الادبية فى نفسى مرة اخرى عام ٥٧ ـ ٥٨ ولكن كان الوضع قد تغير بالنسبة لى . فقد كنت اكتب من قبل عن مجتمع واضح المعالم اسيطر سيطرة كبيرة على تفاصيله ، بينما انا الان فى مجتمع جديد ما يزال يتشكل . فهنا عدم المعرفة والغربة ، واذا شعر الفنان بهذين الامرين يصبح الشىء الوحيد الثابت هو الذات . بمعنى آخر لو انك

رجعت الى عصر بروست وجويس وتساءلت : لماذا كان ادبهما أدبا نفسيا او ذاتيا وجدت السبب انهما كانا يشعران بغربة بالنسبة للواقع الذى كان يتشكل بعد الحرب العالمية الاولى . ومن هنا كان تحولى للكتابة الواقعية ، لكن تغلب عليها الذاتية . لهذا ظهرت فى كتاباتى اساليب مثل مناجاة الذات واتجاهات مثل ادب الفكر . اى ان العناصر مأخوذة من داخل الفنان وليس منخارجه ،الى أن بلغت ذروتها بعد عام ٦٧ فى مجموعتى القصصية « تحت المظلة » .

■ **يوسف الشارونى :**

لكن ألم يكن لاطلاعك على الاساليب الجديدة فى الغرب اى دور . صحيح انك كنت قد اطلعت على هذه الاساليب قبل ذلك بعشر سنوات على الاقل لكن ربما كان الامر يحتاج الى فترة اختمار لديك، أو أنك كان لابد لك ان تكتب الرواية الواقعية اولا من اجل ان تصل الى كتابة ماتسميه بالرواية الذاتية او الفكرية ، وانه عندما اصبحت الظروف الاجتماعية مهيأة لمثل هذه الاساليب وجدت الفرصة فى الاستفادة بها .

■ **نجيب محفوظ :**

فى الواقع انى كنت ارفض مدرسة المونولوج الداخلى ، وعندما كنت اكتب رواياتى الاجتماعية كنت ارفض مدرسة اللا رواية .

■ **يوسف الشارونى :**

لكن ارهاصات هذه الاساليب موجودة فعلا فىرواياتك السابقة، مثلا استخدمت المونولوج الداخلى فى روايتك « بداية ونهاية » عندما اقدم الضابط حسنين على الانتحار بعد اكتشافه فضيحة اخته نفيسه .

■ **نجيب محفوظ :**

لقد رفضت هذه الاساليب كمنهج ، ولكن ان تستفيد منها فيما يتطلبه استعمالها ، فهذه فرصة للكتاب الذين جاءوا بعد بروست وجويس لم يحظ بها الكتاب الواقعيون والطبيعيون السابقون عليهما ، ولو اطلعوا على هذين الكاتبين لاستفادوا منهما فى اعطاء التلوين المطلوب .

■ **يوسف الشارونى :**

بالنسبة لجيلنا سادتالمدرسةالواقعية الاجتماعية — على الاقل فى القصة القصيرة — وركزا النقاد فى ذلك الوقت الضوء عليها فأصبح لها جمهورها ، ربما لانها كانت اكثر تلبية لحاجة المجتمع الذى كان يعانى وتتخذ ملعرف باسم ثالوث الفقر والمرض والجهل . أما أنا فقد أدركت أن أزمتنا حضارية أى انها اوسع من مجرد ازمة اجتماعية . من هنا كان اسلوبى المغاير الذى تجاوز المدرسة الواقعية الى ماعرف باسم المدرسة التعبيرية ، والذى اهتم بالشكل وان لم يهمل المشاكل الاجتماعية .وانت تذكر اننى تناولت شخصيتين من شخصيات روايتك « زقاق المدق » ، وجعلت كلا منهما محور قصة من قصصى القصيرة ، هما عباس الحلو حلاق الزقاق ، وزبيطه صانع العاهات ، ولكن ربطت بين مأساة كل منهما وازمتنا الحضارية ، فأصبح العصر كله هو المسئول — مثلا — عن مصرع عباس الحلو فى احدى حانات القاهرة : هتلر الذى لولاه لما انتشر الجنود الانجليز الذين قتلوا الحلو — فى القاهرة ، والذين صنعوا زجاجات الخمر التى قتل بها — فى فرنسا والذين تاجروا بها ونقلوها عبر البحار وهكذا ..

العلم والأدب

■ **نجيب محفوظ :**

العلم موجود من قديم الزمن لكن ليس هناك عصر نستطيع ان نسميه عصر العلم الا العصر الحديث ، فقد اصبحت له مؤسساته كما انه وصل الى الرجل العادى ، واصبح العاملون به جماعات . فى الزمن القديم كان دور الادب دورا خطيرا . كانت وظيفة الشعر والنثر وظيفة قيادية فى المجتمع وفى التعبير عن العصر . فالتراجيديون اليونانيون مثلا والدور الذى لعبوه فى اثينا كان دورا خطيرا ، وكذلك شكسبير وجوته . اما فى هذا العصر الذى نحن فيه فلا تجد قيادة ادبية .

وتجد ان هناك منافسة شديدة بين العلم والادب فى صميمه . تتجلى هذه المنافسة حين يحاول الادب ان يبهرك بالخيال وبالكشف عن ذات الانسان ، لكن انتشار العلم وتعاظمه فى النظر والتطبيق فاق الخيال وفاق اى ابهار . وثانيا فان العلوم الانسانية لاسيما علم الاجتماع وعلم النفس كشفت عن النفس الانسانية ابعد بكثير مما كشف الادب .

اى ان العلم نافس الادب فى صميم رسالته،واصبحت القيادة للعلماء وليست للادباء : فى الزراعة والتجارة تماما كما هو الامر فى الحب والجنس ، فكل شىء عند الطبيب او العالم النفسانى .. فما تبقى للادب ضئيل وهو الانطباع الذاتى للاديب بالعالم الذى حوله . وهذا بصفة تسلية ونصفه بصيرة ، وهو أمر يمكن الاستغناء عنه ، وقد عالجت هذا فى روايتى «الشحاذ» . مثلا انظر فيلما تسجيليا عن عالم النبات او الحيوان — وهو مالم يكن موجودا من قبل او متاحا على مستوى شعبى — ففيه ابهار للانسان اكثر مما فى اى ادب . وثالثا انه فى كل عصر يوجد محور اهتمام وهامش اهتمام . فمثلا فى العصور الوسطى كان المحور الدين فكل عبقرية تتجه للدين ، ولهذا كان اكبر العقول البابوات والاساقفة لان العصر دينى يجذب كل عبقرية للدين . فى عصر الكشف والاستعمار كانت كل عبقرية تتجه نحو العسكرية وما عداها ثانوى. وجاء عصر كانت اكبر العقول تتجه للادب والفلسفة .طبقهذا منعصرنا الحاضر ، تجد ان كلعبقريةتتجه نحو العلمولا يبقى للادب الا شر الدواب . مثلا فى بلادنا نجد ان اعلى مجاميع الطلبة فى الثانوية العامة يلتحقون بكليات الطب والهندسة وحتى فى اوروبا لايبقى للادب الا العاجزون عن العلم . فالعلم اصاب الادب فى كل شىء حتى فى المواهب . ولهذا كان الادب المقدم فى عصرنا كله غرابة وغموض لانه خلا من العبقريات مثل شكسبير وجوته ، تلك العبقريات التى تعطيك الانتاج الجيد . بل هناك الان بعض الشخصيات التى تعطيك بعض الالاعيب الطريفة ممن يعبرون عبورا بعد ان يقدموا موضوعات لطيفة تعيش خمس أو ست سنوات ثم تنطفىء .

■ **يوسف الشارونى :**

كيف تكون مؤمنا بهذا الرأى وتحترف الادب ؟ ما الذى يدفعك اذن الى الكتابة ..ام انك اكتشفت هذا اخيرا بعد ان أصبح الادب بالنسبة لك عادة ؟

■ **نجيب محفوظ :**

انا مؤمن بهذا الرأى من قديم ومع ذلك لم افقد حماسى .

■ **يوسف الشارونى :**

اذا نظرنا عبر التاريخ وجدنا ان الادباء لم يصلوا الى الجمهور الا منذ عصر النهضة بعداختراعالطباعة ، أما ماقبل ذلك فلم يكونوا معروفين الا فى دائرة ضيقة هى المراكز الثقافية كالاديرة والجامعات فىالعصور الوسطى، ومعنى هذا ان العلم خدم الادب ، ثم عاد الادب فخدم العلم حين نشر الادباء أحلامهم العلمية مثل جول فيرن وه . ج ويلز وغيرهما ، ويمكن القول ان العلم اليوم يخدم الادب من ناحية وان كان يبدو انه يطارده ،أو يضيقالخناق عليه من ناحية اخرى . فاختراع الوسائل الاعلامية

قصـــيدتان

شــــعر : عبد الرحمن الخميسى



« حـــــالة » • • • !

« مهداة الى لويس عوض »

حين فتحت خزائن قلبى
هبت منها عاصفة فى جسمى
تتقصف فى لحمى • !
تجعل فى حلقى
كالعلقم طعمى
صرخت بى الرغبة
ان اجرى .. اجرى ..
اطوى كل شوارع بيروت
واغادر ألوان الاضواء الزاهية
الى الجبل الاخضر •
اصعد فيه ، عدوا ، عدوا ••
وورائى امتد المنحدر
كما كهف الاحزان ••
اصعد جريا جريا
حتى أبلغ قمة صنين
وهناك •.•
أمد ذراعى الى الليل ،
وأطلق فى الريح ندائى :
يامصر •• !
عندئذ . أتدفق لهبا مكظوما • !
تندلع دموعى ••
أتفجر ينبوعا مختوما ••
يامصر ••

« ذكـــــرى » • • •

رفت ذكرى الراحة بشعورى
كجناحى عصفور
لمعت فى عمر اللحظة
كوميض النور
ثم خبت فى ديجورى • !
خطفت ذكرى الراحة فى وهمى
كالبحر الازرق يسجو
فى أحضان ربيع
خطفت كالبرهة • ثم مضت عنى
وأنا جراح ودموع • !
انفتح أمامى فى الماضى بابى
فمشيت أمزق حلكته
بقناديل عذابى
ويمزقنى ذاك الماضى •
حين يقلب فى احساسى
كالجمرات سنين حياتى !
كان لنا بيت وغرام ••
نتساقى فيه الاحلام
كم غنينا
وتقاسمنا
حتى همس الروح • !
وغدونا •• قلبا ينبض فى جسدينا
كان لنا ••
ياويلى من « كان » . !
ماذا حولى الان ؟
تمشى الوحشة فى عمرى
كخطى الموت
أهتف لا أسمع فى ليلى هذا ،
حتى رجع الصوت !!

مســـــابقة التليفـــــزيون في مهرجـــــان ليبزيـــــج

ســمير فريد

انعقـد في الفـترة من ١٨ الى ٢٥ نوفمبر الماضي مهـرجان ليبزج الخامس عشر للافلام التسجيلية والقصيرة للسينما والتليفزيون الذى يقام سنويا فى ألمانيا الديموقراطية .

ولا شك أن الفيلم السوفيتى الطويل « **لا يوجد حزن غريب عنا** » هو أهم أفلام ليبزج ١٩٧٢ ، بل انه واحد من اهم الافلام التسجيلية فى العالم منذ « فاشية عادية » اخراج ميخائيل روم عام ١٩٦٦ ، و « غرناطة .. غرناطة .. يا غرناطتى » اخراج رومان كارمن عام ١٩٦٨ ، وقد كتب الفيلم وعلق عليه بصوته من واقع تأملاته فى اللقطات الوثائقية الكاتب السوفيتى الكبير قنسطنطين سيمونوف ، وهو رابع فيلم يكتبه بعد أفلامه « هنـا عاشـت هيمنجواى » و « لو كان بيتك عزيزا عليك » و « غرناطة » واخرجته ماريا باباك التى عملت فى المونتاج منذ أواخر الخمسينات ، وكانت مونتيرة « غرناطة » وتخرجت من قسم الاخراج فى معهـــد السينما بموسكو عام ١٩٧٠ ويتناول فيلم « لا يوجد حزن غريب عنا » العدوان الامريكى على فيتنام ، ويربط بينه وبين الحــرب العــالمية الثانيـــة ، ومن قبلها الحرب الاسبانية بأسلوب يصل أحيانا الى مستوى الشعر العظيم بالصورة والكلمة . واذا كان روم قد أخرج « فاشـية عادية » فان فيلم سيمونوف وباباك هو حقا « فاشية غير عادية » . وقد بدأ عرض الفيلم فى موسكو يوم ١٥ نوفمبر الماضى ، وسيصدر سيمونوف نص التعليق فى كتاب بعد أسابيع قليلة .

وقد قدم مهرجان ليبزج هذا العام دليلا جديدا على نمو الانتـــاج التلفزيونى السينمائى المتزايد فى العالم كله ، اذ تساوت أفلام السينما مع افلام التلفزيون للمرة الاولى من حيث الوقت المخصص لكل منهما .. بل وعرضت أفلام مسابقة التلفزيون للمرة الاولى أيضا على نفس شاشة مسابقة السينما مع احاطة آلة العرض باطار يعكس على الشاشة اطار جهاز التلفزيون .

اشتركت فى مسابقة التلفزيون ٢٦ دولة بـ ٥٩ فيلما هى الاتحاد السوفيتى و ٦ دول من شرق أوربا هى بولنـــدا وتشيكوسـلوفاكيا وبلغـــاريا والمانيـــا الديموقراطية والمجر ورومانيا ، والولايات المتحدة و ٨ دول من غـــرب أوربا هى السويد وايطاليـــا وبريطانيـــا والمانيـــا الاتحادية وفرنسا واســبانيا وفنلنـــدا والدانمرك ، واليابان ودولتان من آسيا هما فيتنام الديموقراطية والبنجلاديش الى جانب الحكومة الثورية لجنوب فيتنام ، و ٣ دول من أمريكا اللاتينية هى كوبا وشيلى وأورجواى ، ودولتان من العالم العربى هما مصر والعراق ، ودولة واحدة من أفريقيا هى الكونجو .

وقد اشتركت بولندا بستة أفلام اهمها فيلم « **تورن** » اخراج ليودمير موتليسكى عن المدينة التى ولد فيها العالم كوبرنيكوس . والاتحاد السوفيتى بخمسة أفلام اهمها « **امريكا ٧١** » (٥٦ ق) اخراج فيكتور بساكوفيتش عن تناقضـــات المجتمع الامريكى كما تبدو فى نيويورك وواشنطن ، و « **ضباب بريطانيا** » [٦٤ ق] لنفس المخرج عن الواقع البريطانى المعاصر ، وآثار الاضرابات المتوالية على الحياة اليوميـــة فى لندن وغيرها من المدن البريطانية الكبرى ، ولعل هذه هى المرة الاولى التى تخرج فيها كاميرا التلفزيون السوفيتى الى الدول الراسمالية لتنقل الى المشاهد واقع الحياة فى هذه الدول .. وتشيكوسلوفاكيا بأربعة افلام اهمها « **ليدتسه** » اخراج ايفا بين جيرونا عن القرية التشيكوسلوفاكية التى دمرتهـا قوات النازى ، وقتلت جميع رجالهـا . وبلغاريا بأربعة أفلام أهمها « **جورجى ديمتروف** » اخراج فاسيلا ساروا بمناسبة مرور ٩٠ عاما على مولد الزعيم البلغارى و « **أمريكا اللاتينية** » اخراج ابلنيـا باناجوتو الذى يعبر عن كفاح شــعوب أمريكا اللاتينية ضد الامبريالية الامريكية من خلال وثائق الارشيف . والمانيـــا الديموقراطية بأربعة أفلام كانت من اهم أفلام مسابقة التلفزيون هى « **رمينجتون كال ١٢** » ، أحـدث أفـلام هاينوفسكى وشومان الثنائى الالمانى الذى هز العالم بأفلامهما الطويلة مثل « **طيارين بالبيجاما** » .. وهما فى هذا الفيلم يبرزان وحشية العدوان الامريكى على فيتنام من خـلال تحليل أحداث أنواع الرصاص الامريكى المستخدم فى هذا العدوان . و « **جنوب افريقيا** » اخراج د. سابينى كاتينس الذى يدين الحكم العنصرى فى جنوب أفريقيا من خلال الوثائق . و « **قلب الاطفال** » اخراج أوتو شار عن رسوم الاطفال فى المانيا الديموقراطية . و « **جسر الى بولندا** » اخراج ولفجانج ستيلروهورست بيرجر وبيرند فيلجنتريف عن الصداقة بين الشعبين الالمانى والبولندى كما تبدو من خلال الجسر المقام بين البلدين ، ورغم التناقضات الكبيرة فى الطباع والروح بين البولنديين والالمان . واشتركت المجر بثلاثة أفلام اهمها . « **كوبا عن قرب** » [٥٧ ق] اخراج يانوش هورفات عن الحياة فى كوبا بعد ١٣ عاما من الثورة .. ورومانيا] بفيلم واحد هو « **الخطر** » اخراج الكسندرو بوانجو الذى يعيد عملية من عمليات الانقاذ الخطـيرة فى بوخارست .

أما أفلام الولايات المتحدة الامريكية وعددها اربعة فقد كانت كلها لا تمثـل الحكومة الامريكية ، فالفيـلم الاول « اعترافات جندى » من انتاج جامعة كاليفورنيا واخراج زيزا مينو عن الجندى الامريكى جيمس هنرى العائد من حرب فيتنام ، والذى لا يسـتطيع أن يلتزم الصمت تجاه جرائم القوات الامريكية

هناك . والثانى « **الثورى كان عميلا** » انتاج واخراج مارك وايز عن الاساليب التى تتبعها المباحث الفيدرالية لتجنيد عملاء لها فى الجامعـــات والاوساط الطلابية . والثالث «**بيت اللبن : كوميديا بيضاء**» [**٩١ ق**] **انتاج واخراج اميل** دى انتونيو عن حاضر وماضى الرئيس الامريكى نيكسون من خلال وثائق الارشيف وعدة أحاديث مع أقرب معاونيةوالعاملين فى خدمته ، وهو بلا شك واحد من أعظم الافلام التسجيلية التى استخدمت المونتاج لتعبر من خلال الوثائق والاحاديث عن موقف سياسى واضح ومتكامل . أما **الفيلم الرابع فهو** من انتاج منظمة سريا ويتناول كفاح الامريكيين **ذوى الاصل** المكسيكى ضد الخدمة العسكريةالاجبارية، ومقاومتهم الحرب الامريكية فى فيتنام .

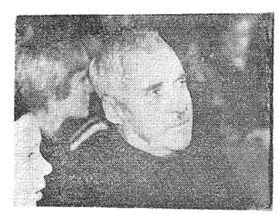
ومن بين الافلام الســويدية وعددها أربعة هناك فيلمان للتلفزيون السويدى عن حرب فيتنام أيضا هما « **أمريكى فى هانوى** » و «**فيتنام فى أغسطس ١٩٧٢**» وكلاهما من اخراج لينارت مالمر وانجيلا رومارى . أما الفيلمين الاخرين فأحدهما « **عمال فرجينيا** » من انتاج واخراج جون سونى كارلسون عن مشاكل العمال فى غرب ولاية فرجينيا الامريكية ، والثانى « **آلارم** » **من انتاج واخراج بيـــاهو** لمكويست عن بناء العمارات والاسواق الكبيرة على حساب مساحات الخضرة والحدائق فى المدن .

وعن كفاح العمال الايطاليين من أجل شروط أفضل للعمل ، وضمانات أكثر من أصحاب رؤوس الاموال يدور أحدالفيلمين الايطاليين « **الموت من العمل** » انتـــاج يونيتلفيلم واخــــراج أوجو جريجوريتى وفلاديمير تشيرتكوف ، ويدور الفيلمالاخر « **النظام لا يأتى من لاشىء** » الذىأنتجته احدى الجماعات السريه عن النضـال ضد الفاشية الجديدة فى ايطاليا المعاصرة .. **ومن بريطانيا** عرض فيلمان أيضـا أحدهما من انتاج ب.ب.س وهو «**قارب الحياة** » اخراج ستيفن بيت عن بطولة فرقة صغيرة أثناء الحرب ضد النازية عام ١٩٤١ ، والثانى « **الجنرالات فى المقاعد الخلفية** » انتاج جيرنارا تيلفجن أنترناشيونال واخراج ليزل وود وستيفن كلارك عن نشاط وكالةالمخابرات الامريكية المركزية وعدم تورعها عن تجنيد صبية فى سن الخامسة عشرة للعمل لحسابها فى بلاد العالمالمختلفة . **ومن المانيا الاتحادية** عرض فيلمان أيضا أحدهما من انتـاج تلفزيون بافاريا وهو «**الصراع العمالى**» [**٨٧ ق**] اخراج ثيوجالر وورلف شوبل الذى يتناول المشاكل العمالية التى اثيرت فى هامبورج خريف عام ١٩٧١ بجراة لم يستطع معها تلفزيون بافاريا أن يعـرض الفيلم غير مرة واحـدة ، والثـــانى « **الاحتكارات تبتلع مدينتنا** » من انتاج الحزب الشيوعى فى ألمانيا الاتحـادية واخراج جماعة داس تيما عن مشاكل مدينة ميونيخ فى يونيو عام ١٩٧٢ ، وهى ذاتها مساكل كل مدن ألمانيا الاتحادية فى كل وقت ، وليس فى هذا الشهرفقط .

أما فرنسا فقد مثلها فيلم «جياب ٧٢» من انتاج يونى – سيتى واخراج ج جيلامى ، وفيه يجرى المخرج حديثـا طويلا مع الجنرال جياب فى أحـراش فيتنام . ومثل **أسبانيا** فيلم « **الجامعة ٧١ – ١٩٧٢** » الذى أنتجته احـدى الجماعات السرية عن النشاط السياسى المعادى للفاشية فى أكبر جامعات مدريد .. **وفنلندا** فيلم « **محاكمة أنجيلا دافيز** » اخراج دافى ليبكيند عن محاكمة المناضلة الزنجية ، **والدانمرك** فيلم « **لماذا البحر أحمر** » اخراج تومى راسيوسين عن أخطار تلوث البيئة فى اليابان .

ومن انتاج الحزب الشيوعى اليابانى عرض « **العدو ١١٢ من جريدة أكاتا** » ويتضمن تقريرا عن كفاح الشعب اليابانى ضد القواعد الامريكية فى اليابان التى تستخدم فى العدوان على فيتنام . **ومن** انتاج اتحاد عمال السكك الحديدية فى اليابان عرض فيلم « **شعلة النضال لن تنطفىء** » اخراج شيجو سـايتو عن كفاحهم من أجل رفع أجورهم ، والحصول على حقوقهم .

أما فيتنام الديموقراطية فقد مثلها فيلم «**منذ ابريل ١٩٧٢**» اخراج لام موكون الذى يصور أحداث فيتنام منذ ان أصدر الرئيس الامريكى نيكسون أوامره بتلغيم ميناء هايفونج . ومثل البنجلاديش فيلم « **دولة تولد** » اخراج زاهير راهان عن بناء دولة البنجلاديش بعد حرب الاستقلال ومثل **الحكومة الثورية لجنوب فيتنام** فيلم « نصر على الطريق رقم ٩ » [٥٥ق] اخراج نجوين فان ونجو شاو ولى توان الذى يصور انتصار قوات الثوار على القوات الامريكية فى معركة هامة عرفت باسم معركة الطريق رقم ٩

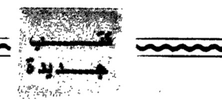


الكاتب السـوفيتى
قسطنطين سيمونوف

ومن كوبا عرض فيلمين الاول «**المزارع الجماعية** » اخراج روجيليوباريز عن السياسة الزراعية للحكومة الكوبية ، والثانى « **أنا ابن أمريكا** » [١٣٥ ق] اخراج سانتاجو ايفاريس عن رحلـة كاسترو الى شيللى ، وقد حاول فيـه المخرج الكوبى الكبير أن يربط بين الكفاح ضـد الامبرياليـــة الامريكيةفى أمريكا اللاتينية فى عصرنا الحاضر ، والكفاح ضد الاستعمار الاسبانى فى القـارة الثائرة فى القرن الماضى ، وكان هدفه كما قال فى حديث صحفى أن يثبت صحة تول جيفارا « **لا يجب أن نثق فىالامبريالية** ساعة واحدة ، بل ولا حتى دقيقة واحدة»

وبينما مثل **شيللى** فيلم « **نعم ولا** » اخراج هيكتور ريوس عن الحرب ضـد الخمور فى شيللى اليوم ، مثل **أورجواى** فيلم « **الصياد** » اخراج دولى بوسى عن حياة ومشاكل الصيادين فى أورجواى .

أما **مصـــر** فقد مثلهـا فيلمين هما « **أبو زعبل** » اخراج صلاح التهامى عن عمال مصنع ابو زعبل بعـــد غارة ١٢ فبراير عام ١٩٧٠ ، و « **بور سعيد ٧١** » اخراج احمد راشد عن المدينة الغالية التى تنتظر تحريرها ، وعودة سكانهـا اليها . ومثل **العراق** فيلم « **اول يونيو** » الذى يصور خطاب الرئيس البكر الذى أعلن فيه تأمين البترول ، وفرحة الشعب العراقى بهذا القرار التاريخى الذى أعاد اليه بعض حقوقه . ومثل **الكونجو** ، او بالاحرى كل افريقيا السوداء فيلم « **أسرار الغابة** » اخراج آلان كوديا الذى يدور حول احياء الثقافة الوطنيـة فى الكونجو الديموقراطية فى اطار اتجاهها الوطنى الاشتراكى ■



روايتـــان .. ورؤيتـــان لواقـــع واحـــد

عبد الحكيم قاسم

هذان كتابان صدرا فىوقتواحدتقريبا، روايتان ، كل منهما كتبها صديق يعيش فى القاهرة وقلبه موصول بريف مصر .

الرواية الاولى هى « **الخوف** » **لعبد الفتاح الجمل** ، تحدثنا برقة وعذوبة عن قرية « شط محب » ومن ميدانها الذى تتصدره « قهوة يوسف » ومن الحياة الريفية التى تنبض فى ذلك الميـــدان ، وايقاعها الخاص الوئيد ، ورموزهـــا الخشنة المتربة التى تلمس أوتار القلب اذا تكلمت أو نادت أو غنت .. ، بائع الحلاوة ، سنان السكاكين ، ســـمام الكلاب ، التاجر ، مجذوم القرية .. ، نقرأ كلماتهم ومنفرط صدقها يكاد جرسها يرن فى آذاننا ، بل نكاد نجد طعـــم حلوى البائع ، ونشم رائحـــة تراب السكك ، ونسمع خنق تلصص الكلاب فى الحوارى وعلى الابواب ، والرسوم على صفحات الكتاب ليست ــ كما هى العادة ــ زينة سمجة ، بل انها قوة تعبير مضافة الى الكلمات .

ونمضى فى القراءة نتابع عبد الفتاح الجمل وهو يتأمل صور طفولته ، يحاور الرجال ، ويداعب النساء ، يحنو على مواجعهم بحب ، أو يبدىسوءاتهم برفق، لا تفوته أدق التفاصيل حتى ذلك الجرح الغائر عند أنف « كلب الشيخ متولى » الذى كان يأتى عند بابهم كل مســـاء فيلقمونه رغيفا .

وما نكاد نمضى فى القراءة هكذا حتى نفاجأ بأنه نتيجة [لما جرى] بين الشيخ متولى وكلبه [الرواية ص ٤٥] « تألفت فى محب جبهتان : الناس حول الشيخ متولى ، والكلابحول كلب الشيخمتولى، جبهة تستولى على السلطة بالليل هى سلطنة الظلام ، والاخرى تسترد السلطة بالنهار هى سلطنة النور ، دولتان لهما حدود وهمية لخطوط الطول والعـــرض الوهمية فوقالكرة الارضية ، ككلالحدود التى لها كل الاعتبار فى رأسأمنا الارض .. وعن محب رحل السلام » .

ومن محب رحلت الرواية كلهـــا ، وتمسكت عبد الفتاح الجمل الطفل المفعم القلب بحب قريته البعيدة ، وبدأنا ننصت لعبد الفتاح الجمل المثقف المهموم بأشياء كثيرة ، يقول لنا من عالم أكثر اتساعا وعن هموم أكثر تعقيدا وأكبر حجما من القرية وناسها ، وهو من أجل هذهالهموم يمسخ القرية ، ويجعل من كلابها جندا لهم نظام وتدبير ، يشنون طربا ضـــد الانسان ، يستوردون من أجلها « كلابـــا مرتزقة » تغير على الناس وتتربص بهم ، حتى تفترس « عوض شتا » المسكينالذى يمشى نائما يحلم ، فتمزق ثوبه ومعطفه.

ثم تعقد محكمة فى قهـــوة يوسف ، يرأسها سمام الكلاب الذى تجرد من سلته وهراوته ، واتخذ سمت القضاء .

ــ بسم الله نفتتح .. القضية ليست عوض شتا ، ولكنها الكلاب التى اغارت على حدودنا ، الخناق يضيق علينا وعلى معاشنا .. كثيرون أضيروا وظلموا .

الرواية اذن فيها تلك الرؤى الطفلية العذبة ، وفيها هموم المثقف المثقل القلب، والنقلة بينهما تفاجئنا وتربكنا ، خاصة انها اقترنت بانتقال من أسلوب الحكى العـــادى ، الى اصطناع مسرح ــ فى مقهى يوسف والساحة التى أمامها ــ تجرى على خشبته الاحداث الصهيونية التى اقتصعت جزءا من تراب وطننا !؟

.. ربما ثمة مشابهات كثيرة ، لكـــن المحكمة بعد انعقادها لم تحاكم الكلاب ــ كما أعلن رئيسها ــ انما سيق الى ساحتها ناس مساكين : عبد العظيم بياع البلح ، مبيض النحاس ، بائع الحصر ، عم أحمد قويز ، ياسين الفران . يكيل لهم التهم عضو اليمين النبوى التاجـــر الثرى ، ويدافع عنهم العسراوى مجذوم القرية ، والشيخ متولى يقود شعب محب الجالس فى الساحة ، ومن يمينه ويساره أعمى القرية وأخرسها . والشعب يعلق على الاحداث فى مقاطع تكاد تكون غناء بالغ التأثير .

المحاكمة كلها شيء جميل ، تنسى وانت تقرأها تمحيص رموزها ، ولا تذكر غير أن الدنيا فيها ناس مساكين ، وانهم متهمون دائما ، تقتحم عليهم دنياهم ، وتقلب جيوبهم ، يســـتجوبون ويساقون الى المحاكمة ، لا لشيء الا لانهم مساكين .

ونحن بعد ثقيلوا القلب بما جـــرى فى المحاكمة ، اذ يقحم علينا شاعر ربابة ، يحكى لنا ما جرى بين الكلب والشـــيخ متولى ، وكيف أن هذا الكلب رحل الى القاهرة « بعد ما داق الشقا من الشيخ سعران ضرب بلطة فى شوارع مصر » هكذا يدور يتسكع « جعان كحيان هفتان تلسان » .

وكم برمت بشاعر الربابه هذا وضجرت منه ، وكم برمت بكلب الشيخ متولى حتى بعد أن كف عن ان يكون كلبالشيخ متولى ، وأصبح صعلوك ثقافة « يتلطع على المقاهى ، يجترهمومه واحزانه » ، ويربكنا بتفسيراته لما « جرى » فى محب، فقد كنا رتبنا أمورنا على أن نأخذ جانب البشر ضد الكلاب فى محب ، فاذا بهذا الكلب يفاجئنا بصيحته « محب بتحارب محب يا اخوانى » .

وانصت له ضجرا وهو يسأل قاضى الغرام :

ــ هل يحق لابن آدم يبقى كلب ؟

ويرد عليه قاضى الغرام :

ــ وهل يحق للكلب يعمل قاطع طريق؟

.. هل يحق للكلب زرع الخوف جـــوه بنى آدم ؟

وآخر كلمة فى الرواية يقولها شـــاعر الربابة :

« اللى يزرع الخوف من كيمانه يشرب الخوف » .

وأتذكر ما قرأت فى الرواية ، اتذكر الخائفين ، الناس الذين قدموا للمحاكمة، واكتشف أن مأساتهم لم تكن هجمة الكلاب على شط محب ، بل كانت مأساة متغلغلة فى نسيج حياة هذه القرية التى يعمـــل ناسها « كالنمل الدؤوب .. كالثيران المغماة فى سواقى الرز » ثم يعصرون « حتى لاتبقى فيهم ندمة » .

اما الكتابالثانى فهو رواية [أصوات] للصديق **سليمان فياض** ، وهو يقدم لنا حكاية غريبة دامية لاهثة ، ترويهـــا الشخصيات التى كانلها دور فى الاحداث،

يحكون مسرعين متوترين كل فى دوره ، تسيطر على نبرات أصواتهم رنة الكارثة الوشيكة حتى تجتمع ثلة العجائز من قرية « الدراويش » على « سيمون الفرنسية » زوجة ابن البلدة المهاجر « حامد البحيرى » ، فيقتلونها ويسرع المأمور والطبيب الى مكان الجريمة ، ويأمران بدفن الجثة والحقيقة معها .

ولكنك بعد أن تطوى دفتى الكتاب ، تكتشف أن هذه الحادثة الغريبة ، كانت لها على الكاتب سطوة الغت احساسه بالقرية كلية ، فاصطنع للاحداث بيتا خاصا « مبيضا » ، ذلك هو البيت الذى أعده « مصطفى البحيرى » لضيافة أخيه حامد البحيرى القادم من باريس مع زوجته الفرنسية « سيمون » ، لزيارة مسقط رأسه وموطن طفولته .

عاشت الاحداث فى هذا المنزل بمعزل عن قرية الدراويش ، التى حاولت أن يبدو لنا ، فبدت فى أسوأ وصف قدمه كاتب لقرية ، قال : « مياه الغسيل والاستحمام تسكب فى الازقة والحارات ، محملة بذوب الصابون والعرق ، جالبة فى اثرها الذباب ومناقير البط والاوز والدجاج ، الحمير تنهق ، والكلاب تنبح والبهائم تزعق طلبا للطعام » .

هكذا .. ! وصف انشائى خال من الروح ، والجملة الاخيرة على وجه الخصوص يتصور الانسان ان قائلها « خواجة » سمع خوار البهائم فقال :

— دى بتزعق .. لازم عاوز ياكل .

المأمور يحدث نفسه قائلا :

— مسكين أنت يا حامد ، النداهة نادتك فقطعت بحارا وبلادا لتفقد اعز ما تحرص عليه هنا فى بلدك ..

ولا تقول لنا الرواية شيئا غير ذلك يجيب على تساؤلنا الحار : لماذا اتى الفتى المهاجر حامد البحيرى من باريس ، لا تقول لنا شيئا عن ارهاصات ذلك القدر الفاجع ، وميلادها فى نفس حامد البحيرى ، واذا يحدثنا عن نفسه — وفى دوره — فانه يبدأ بعد اللحظة التى تبددت فيها « الفرحة بالعودة الى الوطن كما يتبدد الحلم » ويبدأ فى ملاحظة الاشياء وعقد المقارنات بطريقة باردة مشمئزة « ازعجنى الفلاحون وهم مازالوا يعملون بأيديهم مع الحمير والجواميس والبقر ، وازعجنى مشهد القرى الطينيه الواطئة المتلاحقة ، والوجوه الذابلة السمراء المصفرة الممصوصة معلنة عن الانيميا والدوسنطاريا ونقص الهيموجلوبين وقلت لنفسى هذا هو الوطن » .

لماذا جاء اذن ؟ ، ماذا كان يتوقع أن يرى ؟ الم يرتجف لمرأى طفل رأى فيه صورة من صور طفولته ؟! لا تقول لنا الرواية شيئا من هذا ، انما هى — بشكل انشائى بحت — تقرر أن حامد البحيرى جاء من فرنسا ، وهو والحالة هذه لابد أن يكون مشمئزا من مشاهد ريف مصر ، ونحن أيضا ننصت له وهو يتحدث بنصف انتباه ، حتى اذا ماصمت نسيناه تماما ، ولم نجد له فى نفوسنا اى اثر .

وكذلك كل اشخاص الرواية تقريبا ، يأتى دور الواحد منهم فيصعد الى خشبة المسرح لينهى اليك ما حدث فى القاء سريع خال من الروح أو الخصوصية أو النكهة ، حتى اذا ما انتهيت من الرواية كنت قد ظفرت بقصة من قصص الجرائم ، غريبة ومثيرة ، قتلت فيها نسوة فقيرات امرأة تزهو عليهن بجمالها ومالها ورفاهيتها ، لا يختلف الامر اذا ما كان القتلة ريفيات مصريات فقيرات ، أو شئ آخر .

فالقصة مثيرة ، لكن التجربة الانسانية — تجربة القرية المصرية القديمة وناسها ، الفلاحون الفقراء البالغو البساطة ، والبالغو التعقيد فى نفس الوقت — هذه التجربة الانسانية الضخمه برائحتها وطعمها وسماتها وخصائصها ، ظلت شيئا فى ضمير الواقع لم تنقلها الرواية الينا ، وهى لذلك لم تحرك فينا الا لهفة المتابعة ، لهفة متابعة الاحداث ، ثم مصمصة الشفاه ، ولا شئ غير ذلك .

وكأنما أحس الصديق سليمان فياض بكل هذا فى عمله — وهو فنان رائع وكاتب كبير — فحاول فى الصفحات الاخيرة أن يعطى المسألة ابعادا ، فجعل المأمور يصرخ بينه وبين نفسه ..

— أى بربرية هذه التى احكمها وعلى أن أعيش فيها ، حتى مع الاجانب يا عالم ، ومع النساء ، هه .. عصفور من الشرق .. قنديل أم هاشم .. كيف وصلنا الى هذا الدرك الاسفل .

وانساءل ما جدوى هذا التعليق من جانب المأمور ، وأى علاقة لهذه الحادثة التى بين أيدينا بالكتابين المذكورين . ان توفيق الحكيم حينما ذهب الى باريس لم يقتل احدا ولم يقتله احد ، لقد عاش هناك واحب الموسيقى والكتب والفتيات ، وكره الظلم والعذاب والحيرة التى يعيشها بعض المسحوقين هناك ، وعلى الجملة كان للحضارة الغربية فى قلبه مكان رائع .

وطبيب يحيى حقى فى قنديل ام هاشم ، عاد ومعه علما عصريا بطب العيون ، حاول أن يفيد به أهله فعجز عن ذلك لشدة ايمانهم بطبهم القديم القائم على الوصفات وأسرار الاشياء .

هل يريد سليمان فياض ان يقول أن سيمون الفرنسية لاقت فى الدراويش نفس المصير الذى لقيه علم الدكتور فى قنديل أم هاشم ؟! يا لها من علاقة بعيدة .

فى آخر سطور الرواية يسأل الطبيب المأمور هامسا :

— ما سبب الموت الحقيقى ؟

— نعم .. آه .. موتنا .. أم موتها !!

وهذا الطبيب ليس من أهل قرية الدراويش ، وليس من الذين شاركوا فى صنع الحادثة أبدا ، انما هو شخصية دخلت فى اللحظة الاخيرة على مسرح الاحداث ، او ادخلت على هذا المسرح لتقول لنا ان موت سيمون الفرنسة زوجة حامد البحيرى بيد حماتها وسلفتها وقابلة القرية وعجائزها انما هو موت لنا .

لماذا ؟! أى شئ يجعل موت سيمون جريمة قومية ؟! هل تسأل الامة كلها الان امرأة ريفية فقيرة غير مرغوبة حاولت تحقير سلفتها الحلوة الثرية المرغوبة فشرعت فى ختانها فأدى هذا العمل الى موتها ؟!

لكن شيئا رائعا يبقى موجودا فى هذه القصة وكاتبها الذى يضع ريف مصر فى قلبه ، لكنه أبدا لا يحبه حبا زائفا — يجرد الناس من انسانيتهم ، ويحولهم الى كائنات طيبة دمثة مسالمة ، تصلح نماذج لكتب المطالعة المدرسية .

انه يعرفهم كبشر ، ويحبهم كبشر يتألمون ويحقدون ، لانهم محقرون مهانون ، ينطوون على احقادهم ، واللحظات المتفجرة تولد فتسبق الايدى الى القتل .

هاتان روايتان ، رؤيتان لواقع واحد ، وجيعة واحدة ، هى ريف مصر ، ذلك الريف القديم ، قدم الدنيا ذاتها .

تلح على الاول فيه صور طفولته فيحكيها فى محبة تكاد تكون شيقة ، ثم ما تلبث أن تتغلب عليه هموم كهولته ، فيتحمها على روايته ، فيضطرب المضمون بين وجيعة الوطن ووجيعة الذات ، ويضطرب الشكل بين حكى ساذج رقيق ، ومسرح مهول ، وقص سجع على لسان شاعر الربابة .

أما عند الثانى ، فالقضية فوق الواقع ، والرؤية فوق المرئى ، وهو اذا أراد ان يقول لك أن أهلنا فى الريف فقراء اذلاء مهانون ، يدفعهم الفقر والذلة والمهانة الى قتل الجميل والطيب فى حياتهم اندفع فى القول ناسيا أشياء كثيرة كان أجدى به ألا ينساها .

زكريا تامر
شاعر الرعب والجمال

صبري حافظ

هذا قصاص تفيض أقاصيصه بطاقة شعرية كثيفة لم تعرفها الاقصوصة العربية من قبل . ويتميز عالمه بالجدة والاصالة والتفرد . لانه آثر منذ وقت مبكر أن يسبح ضد التيار وحده ، وأن يغامر ويجوب الاصقاع المجهولة ، فى محاولة لاقتناص ذلك الصوت الذى لم يعثر عليه فى قراءاته . وما أن قطع شوطا طويلا فى هذا الطريق المحفوف بالمزالق حتى أبصر جيلا بأكمله يحث الخطى خلف خطوه العنيد . ويغترف من كشوفه وانجازاته الفنية والمضمونية . ويساهم فى توسيع الرقعة التى استشرفتها أعماله الجديدة . فقد كانت اعمال زكريا تامر هى البداية الحقيقية للصوت الجديد وللرؤى الجديدة التى أطلت على أفق الاقصوصة العربية معه ، ثم اتسعت رقعتها على أيدى جيل الستينات فى مصر والعراق من بعده . لانه استطاع — بعد منتصف الخمسينات بقليل — أن يلتمس اطلالات الحساسية الجديدة ، أو بالاحرى الحساسية الممزقة ، وهى تتخلق تحت قشرة الحساسية القديمة السائدة . وأن فى وعاء فنى يتوائم معها وينطوى فى ستوعب ملامح هذه الحساسية الوليدة نفس الوقت على تمزقاتها التى تعبر عن مرحلة تاريخية وحضارية من حياة أمتنا العربية .

البدايات والمكونات

فى هذه الفترة ظهر زكريا تامر .. عامل طالع من بين الطبقات الفقيرة التى كان يتحدث عنها سعيد حورانية فى اقاصيصه . لا يحمل معه سوى احلامه الغزيرة وأشواقه المستحيلة معا ، ونهمه الدائم الى عالم الكلمات الذى يلتهم كل ما يقع منها بين يديه . ووجدانه المثقل بذكريات الفقر والجوع وصور العنف والاضطهاد وكل الهموم التى عانى منها الشعب السورى فى سنوات التشوق الى الاستقلال . وخياله الشاعرى الخصيب الجامح العامر بالرؤى الجديدة والصور المدهشة .. ووجد لزاما عليه اذا أراد الاستمرار والقيام بدور فعال فى واقع الاقصوصة السورية أن يجمع الى التصاق سعيد حورانية بهموم الشخصية السورية واحتضانه لرؤاها ، بعض استقصاءات مطاع صفدى العقلية للابعاد النفسية لهذه الشخصية فى لحظات اصطدام احلام الاستقلال المريضة بواقع التحقق الشائه والرامى لهذه الاحلام المسفوحة . وأن يتجاوز انجازات الاثنين معا على صعيد الشكل الفنى حتى يستشرف برؤاه الحساسية الجديدة وهى لما تزل نذرا مبهمة تلوح فى الافق البعيد . لانه ان لم يفعل ذلك فسوف يسقط فى ظل سعيد حورانية كما حدث للكثيرين .. ولن يضيف شيئا الى التجربة الفاضبة الشائقة معا لمطاع صفدى .

لذلك كان لزاما عليه أن يسبح ضد التيار ، وقد سبح ضده بالفعل من البداية حينما ثقف نفسه بمجهود بطولى وتعهد أجنة الموهبة الدفينة فيه فى واقع لا يأبه بالمواهب . سبح ضده وانفصل عن الطبقة العمالية التى ظهر فيها ، واشتبكت أقدامه بالرمال المتحركة التى تعيش فوقها البرجوازية الصغيرة بطابعها المأساوى . **ووجد نفسه غريبا وسط هذه الطبقة الجديدة** ، يبصر حياتها بعينين مندهشتين غريبتين تريان **ما لا** تبصره العيون الاخرى . وتعريان انسان هذه الطبقة المأساوى حتى النخاع . **ولم يندمج زكريا تامر كفنان فى هذه الطبقة ولاتبنى صبواتها** ، بل ظل عينا غريبة عليها **تهتك أسرارها وتكشف ضعفها** وتأسو جراحها وتبلور معاناتها المضنية فى البحث عن الحرية ونشدان الامن المادى والمعنوى . لاتنسى الطبقة التى انبثقت منها ، الطبقة المضطهدة ابدا الحالمة دوما بغد أفضل وواقع جديد . وحتى يهتك زكريا تامر اسرار البرجوازى المأسوى الدمشقى الصغير دون أن يتخلى عن أحداق العامل السورى المضطهد كان عليه على الصعيد الفنى أن يسبح مرة أخرى ضد التيار . لكى يقدم هموم البرجوازى الصغير الروحية بمصطلح العامل ولغته البدائية التى تنأى عن التجريدات والتصورات ولا تفهم غير المحسوسات والصور . **فطبيعة التكوين الثقافى والحضارى لهذا النمط الانسانى الذى حرم منذ البداية من التعليم والضحك ، واكتسب كل خبراته بالملامسة الحسية المباشرة ، تدفعه الى الالتصاق بالصور والجزئيات الحسية والى ترجمة كل تصوراته الى صور بدائية وبالتالى شعرية وشفيفة . وتدفعه الى الاستعاضة عن التفكير العقلى بالانفعال والخيال والحلم .. وهو انفعال وخيال وحلم لايعى نفسه كانفعال**



مطاع صفدى

او خيال أو حلم ولكن كواقع مادى محسوس ومن ثم متجسد ومتشخص فى صور تضج بالحياة والحركة .

وظل زكريا تامر محتفظا بأحداق هذا الطفل المندهش بالرغم من أنه كون له عقلا مثقفا تضنيه المعرفة ويؤرقه الاهتمام بالمصير الانسانى التعس فى هذا العالم المضطرب . ولذلك فقد مكنه هذا التزاوج الخلاق بين حس الدهشة وثقل المعرفة أن يستشرف الحساسية المزقة الجديدة التى تبلورت فى الستينات وهو لما يزل فى الخمسينات . ولقد كان لهذه الحساسية جذور جنينية فى مغامرة الاقصوصة المصرية مع التجديد فى الثانى من الاربعينات على أيدى يوسف الشارونى وفتحى غانم وعباس احمد وبدر الديب وغيرهم . كما كان لاسلوبه الشاعرى المثقل بالصور والذى مكنه بفاعلية من اقتناص هذه الحساسية جذور واضحة فى بحث يحيى حقى المضنى من اللغة الشعرية والصور الشفيفة الملائمة للعمل القصصى فى مجموعتيه [قنديل ام هاشم] و [دماء وطين] .
وقد تعهد زكريا تامر كل هذه البذور الجنينية وجمعها وحدب عليها وأضاف اليها من معاناته ورؤاه الكثير ، حتى أصبحت تيارا متميزا مالبث أن فرض نفسه على الاقصوصة العربية وأثراها .
وقد فعل زكريا تامر ذلك دون تقصد أو افتعال . لان تكوينه المزدوج الذى أشرت اليه قبل سطور ، والنموذج الانسانى المعقد الذى يرى بأحداق طفل ويفكر بذهن مثقف ويحلم بخيال بدائى ، والذى حاول أن يستوعب همومه . هما اللذان فرضا أغلب هذه الانجازات الفنية ، واستلزما منه هذه الادوات التعبيرية اللصيقة بجوهر رؤيته ومحتواها .

وهو يؤكد هذه الحقيقة بشكل ضمنى عندما يقول « لقد حاولت أن أكتب ما أومن به ، وأن اقدم رؤيتى للانسان والحياة فى أشكال فنية تحاول أن تنطلق الى الامام . معتبرا ما سبق ان حقق من تطور فى مجال القصة العربية بداية لى ؟ دون أن تسيطر على الغبة فى التجديد أو التطوير . بل انى عندما كنت اكتب كنت اعتبر نفسى خبيرا فى الحياة وما يعوزنى هو اللغة والاسلوب. ولكنى لما نشرت قصصى الاولى فوجئت بالسب ينهال على خبرتى فى الحياة .

كما فوجئت ايضا بالمديح يكال للغتى وأسلوبى » [٢] .. فهل تنم أقاصيصه فعلا عن ضحالة خبرته بالحياة ؟! ..
هذا سؤال لن نستطيع الاجابة عليه قبل التعرف على ملامح العالم الذى قدمه زكريا تامر فى مجموعاته القصصيه الثلاث . وفى أقاصيصه العديدة التى لم يجمعها بعد فى مجموعات . وقبل أن نتعرف أيضا على الاسلوب الشعرى الذى عقد عبره تزاوجا بين مجموعة كبيرة من الصفات الكيفية المتضادة . بالصورة التى أصبح معها بحق شاعر الرعب والجمال . لانه استطاع أن يضفى من شاعريته الجميلة على هذا العالم المرعب القبيح بعدا جماليا أو بالاحرى استاطيقيا خاصا .. وهذا ما فشل فيه من قبل عبد السلام العجيلى الذى كان شاعرا ، وأصدر بالفعل ديوانا من الشعر هو [الليالى والنجوم] عام ١٩٥١ ، لكنه ترك القصاص فيه بعيدا عن الشاعر ولم يزاوج بينهما فى أقاصيصه .

ومن البداية سنجد أن لزكريا تامر ثلاث مجموعات من الاقاصيص هى (صهيل الجواد الابيض) ١٩٦٠ ، [ربيع فى الرماد] ١٩٦٣ و [الرعد] ١٩٧٠ . وان لديه عددا كبيرا من القصص التى لم يضمها الى أى من هذه المجموعات مع أن بعضها مكتوب ومنشور قبل صدور المجموعة الثانية ، ومعظمها منشور أيضا قبل صدور المجموعة الثالثة .. وأن عددها وفير أيضا لدرجة انها تكفى لاصدار مجموعتين فى حجم أى من المجموعات التى سبق له أن أصدرها .. هذه الحقيقة تقودنا الى أول ملامح عالم زكريا تامر الاقصوصى ..

وهى حرصه على خلق نوع من التكامل الفنى والمضمونى لكل مجموعة على حدة. بحيث تبدو المجموعة وكانها تجربة قصصية عريضة متنوعة الاصوات متكاملة الرؤى . تتعدد فيها الثيمات دون تنافر ، وتتشابه الشخصيات دون تكرار ، وتختلف المواقف دون التضحية بالوحدة البنائيه والفكرية الشاملة التى تجمع كل هذه الثيمات المتعددة والشخصيات المتشابهة والمواقف المختلفة . وهذا ما يدفع الفنان — فى اعتقادى — الى تنحية بعض أقاصيصه الجيدة عن المجموعات التى أصدرها .. خاصة وأن بعض هذه الاقاصيص يقدم تجارب تستطيع أن تكون عالما بأكمله مثل [موت الياسمين] أو [رحيل الى البحر] أو [أرض صلبة صغيرة] بينما يشارك بعضها الاخر فى بلورة سياق بنائى مغاير لما بلورته المجموعات مثل [البدوى] و [الرغيف اليابس] و [وجه القمر] و [الطفل نائم] وغيرها .. وسوف نتناول كل هذه الاقاصيص المفردة بشىء من التفصيل بعد قليل .
لكن ما يهمنا هنا هو الاشارة الى أن تنحية هذه الاقاصيص تكشف عن وعى زكريا تامر الحاد بطبيعة عمله على صعيدى الرؤية والبناء ، وفهمه الخاص لمعنى التجربة القصصية والعالم الفنى ، والذى يمتاح به حدود العرف السائد الذى يتصور المجموعة عددا من الاقاصيص التى تراكمت لدى الكاتب حتى بلغت كمية تكفى لاصدار كتاب ، دون النظر الى طبيعة التجارب التى تحتويها أو الى نوعية العلاقات التى يمكن أن تنهض بين هذه التجارب اذا ما جمعت معا بين دفتى كتاب .

صهيل الجواد المغترب

واذا بدأنا بمجموعته الاولى [صهيل الجواد الابيض] [٣] فسنجد أنفسنا فجأة وسط عالم غريب مدهش ، يبدو لاول وهلة غارقا فى الكآبة عاطلا من

[٢] المرجع السابق .
[٣] صدرت عن دار مجلة شعر ببيروت عام ١٩٦٠ فى ١١٢ ص.



سعيد هورانية

البهجة مثقلا بالاحاسيس القائمة والمرورة . تتخلق ملامحه عبر هذيان اللحظات الاخيرة لانسان يحتضر فى [صهيل الجواد الابيض] ، وخلال سمادير مخمور غارق فى احلامه ألتعويضية فى قصة [القبو] أو خيالات شخص صدمته سيارة عابرة فى قصة (الكنز) او عبر احداق انسان جائع وعاطل عن العمل يذرع المدينة بغضب فى [الاغنية الزرقاء الخشنة) او مع اشواق شخص يعانى من عملية القهر الذاتى لنوازع الانطلاق فى اغواره فى قصة [الرجل الزنجى] أو عبر خواطر انسان ميت ارتد الى عالم الاحياء فوجده أكثر برودة ووحشية من عالم الموتى فى قصة [ابتسم يا وجهها المتعب] .. أو من قسمات رجل دمشقى ضائع مبدد مستسلم لاحلامه المهدرة وصبواته المحبطة فى قصة [رجل من دمشق] أو مع خطوات شاب مراهق يتدفق حزنا فى عروق نهر المدينة الميتة بعد أن قتلت أخته واحترقت معها السفائن التى كانت سترحل به الى المستقبل فى [النهر ميت] أو عبر صبوات فتاة محرومة شبقة وقد امتزجت بالموت والحزن فى [قرنفلة للاسفلت المتعب]. عبر كل هذه الجزئيات تتخلق ملامح العالم القصصى فى هذه المجموعة وتتضح قسماته .

لكن خلف قناع هذه الصورة الكابية وهذا العالم الموبوء الغارق فى القتامة نلمس شهوة عارمة للحياة تضج بها الابدان المهزولة والنفوس المحبطة . وتسفر هذه الشهوة عن نفسها عبر دروب عديدة . عبر الاحلام المستحيلة التى تجسد بها الشخصيات حنينها الى يوتوبيا خاصة ، مفارقة لعالم الواقع ، مصاغة من جوع ابطال هذا العالم الى الطمأنينة المادية والروحية ، والى الدفء النفسى للقلوب المقرورة التىأدمتها الوحدة . وعبر الشهوة الجنسية العارمة ذات الطبيعة الحسية والبدائية والتى ترتبط بهذه اليوتوبيا المبتغاة بأكثر من وشيجة واحدة . وعبر القتل كوجه مضاد لعملية الخلق ، أو كسبيل للتنفيس عن العجز عن القيام بهاالاسباب لا دخل للعنة فيها . ولابد لنا أن نتريث قليلا عند كل درب من هذه الدروب الثلاثة .. الحلم والجنس والقتل . لنتعرف من خلالها على بعض قسمات هذا العالم وبعض الملامح المميزةلنموذجه الانسانى الفريد .

واذا بدأنا بالحلم فاننا سنجد أن الحلم عنده ليس نوعا من الانفصال عن الواقع ولا هو سبيل الى الهروب منه ، بالرغم من انه يبدو كذلك للوهلة الاولى. ولكنه سبيله الى توثيق عرى الارتباط بهذا الواقع بشكل فعال . لانه نوع من الخيال التعويضى ذى الصبغة العقلية . يرتق به البطل واقعه المهلهل ويحقق عبره ذلك التوازن المفقود فى الواقع . ليتمكن من احتمال هذا الواقع وليسعى الى تغييره . « فالادب لا يشعل الحرائق فى العالم العفن ، ولكنه يخلق فى نفس الانسان ضرورة الخلاص من ذلك العالم العفن » [٤] واذا ما أخذنا حلم بطل قصة [الاغنية الزرقاء الخشنة] مدخلا تطبيقيا الى تحليل طبيعة الحلم عنده ، فاننا سنجد انه يسفر لنا من البداية من طبيعته الخادعة . اذ يبدو وكأنهتكرار لذلك الحلمالرومانسى القديم بيوتوبيا تعود بانسان المدينة الى احضان الريف . لكن وثاقة ارتباط هذا الحلم بعالم القصة هى التى تمنحه مجموعة أخرى من الدلالات بالاضافة الى تلك الدلالة التقليدية الدارجة . فبطل القصة عامل مفصول من عمله لانه ارتكب خطأ اتلف احدى الالات . مملوء بالمرارة من الحياة القاسية التى عاشها ويعيشها كل يوم ، ومن الاحلام المهدرة التى يجترها كل يوم ولكن الفقر والبؤس يمنعانه من تحقيقها . ومن هنا فان حلمه لابد أن يفهم فوق هذه الارضية من معاناته الدائمة للقهر والاحباط حين يقول « ساهدم المعامل وساجمع الالات فى مكان واحد .. ثم أقول بصوت كله مهابة وجلال : أنت ايتها الالات مخلوقات مجرمة جئت من بلاد غريبه .. حاملة لنا الشقاء .. انى آمر بتحطيمك باسم الانسان الذى يريد أن يحيا ويحيا نقيا طيبا .. ثم ساصيح فى وجوه الناس المجتمعين حولى : هيا يا بلهاء ارجعوا الى الارض .. انها الام الوحيدة التى تعطيكم خبزا وفرحا دون أن تلوث قلوبكم بالكراهية .. البشر تعساء .. ساحول المدينة الى قرية كبيرة محاطة من كل جانب بحقول خضراء ممتدة الى ما لا نهاية .. وسيكون لهذه القرية ساحة فسيحة جدا .. سيجتمع فيها كل مساء جميع السكان .. آلاف الرجال والنساء سيشتركون فى أغنية تتحدث عن الارض والانسان والحب .. ستتعانق فى تلك الاغنية كل الاصوات وسيشعر أصحابها اثناء الغناء بأنهم أخوة وبان الحياة مليئة بالمسرات المختبئة .. وشيئا فشيئا سيتحولون الى أطفال كبار يعيشون بسعادة وسلام » [٥] هذا هو الحلم العريض الذى يحلم به بطل القصة حينما يتصور نفسه وقد أصبح ملكا ، أو بمعنى آخر وقد سيطر على مقدرات العالم الذى طالما راح ضحية لمواصفاته الجائرة ، وهو حلم يصوغ فيه البطل صورة العالم الذى يبتغيه بعد أن اشبع أولا شهوته بالزواج من المرأة التى يشتهيها والتى سيغرق فى صدرها المكتنز وردفيها الكبيرين جوعه ووحدته وأحزانه معا . بعد ذلك يخرج من حدود ذاته الى رحابة العالم ويحلم بهذا الحلم الكبير .. وهو حلم أقرب الى الخيال التعويضىمنه الى اليوتوبيابمعناها الفلسفى الشامل وان كانت فيه بعض ملامحها . لان فيه كل الاشياء التى يفتقدها البطل فى واقعه .. الامنوالفرح والتحقق والسعادة والسلام ..

وأغلب أبطال المجموعة يحلمون حلما مشابها .. فيه ضيق بالالات لا باعتبارها قوة انتاج ولكن لانها فى هذا الواقع جزء من علاقات الانتاج الراسمالية

---

[٤] راجع مقابلة مع زكريا تامر ، مجلة « المعرفة » السورية ، اغسطس ١٩٧٢ .

[٥] من مجموعة « صهيل الجواد الابيض » ص ١٤ .

الشرقية . نفى قصة [صهيل الجواد الابيض] يندلق الحديد المصهور على عامل فيحرقه ، وتظل رائحة اللحم المحترق ذكرى تدفع انسان المجموعة الى الضيق بعلاقات الانتاج التى صحبتها معها هذه الالات القاسية القادمة من بلاد غريبة . فهو الاخر مهدد بأن يحترق مثله فى عالم لا أمن فيه ولا ضمان . وفى احلام بقية الابطال أيضا نزوع الى خلق عالم جديد تلعب فيه الطبيعة دورا رئيسيا كما فى حلم بطل قصة [**القبو**] الذى ينبثق مفاجئا وسط القهر كومضة ضوء فى الظلمة الحالكة « **وقبل ان اطلق صرخة هلع مدوية أشرقت شمس كبيرة وغدت السماء زرقاء رائعة وتلاشى الثلج الاسود واكتست الارض بخضرة ناعمة ، وهدر غناء شجى مهيب تلاقتفيه واتحدتالسماء والارض الخضراءوالشمس وندفقت فبطتى كسيل منحدر من قمه جبل** » [٦] .. فى هذا الحلم يتكرر العناق بين الطبيعة والموسيقى فى صياغة حلمية للفرح المرتجى . ويكتسب الطابع التعويضى للحلم بعدا جديدا اذا ما تعرفنا على فداحة الصمت وقسوة الاستجابات المبهمة والمخاوف الغامضة وقد امتزجت بايماء الى دلالات قتل الاب فى التحليل الفرويدى للملاقة بينه وبين الابن المقهور اجتماعيا وسياسيا فى هذه القصة . ولان بطل هذه الاقاصيص يعانى من ويلات الفقر ، فان الذأود تلعب دورا رئيسيا فى احلامه المضنية . فبطل [**الكنز**] ينشطر فى غيبوبة الحلم الى شخصيتين ، تبحث احداهما عن الكنز وتنطلق الاخرى مع احلام التحقق بعد العثور عليه . وهما شخصيتان لان البحث عن الكنز بما له من دلالات ماديه ومعنوية ، لا يعانق التحقق ابدا ولا يلتقى معه . ومن ثم كان لابد من هذا الانشطار المؤلم على صعيد البناء الفنى لتتأكد استحالة اللقاء وصعوبة التحقق.

وحتى تكتمل بقية قسمات هذا الحلم فلابد لنا من عودة ثانية الى الواقع .. حيث نجد أن الحلم بتحقيق التواصل المفقود بين البشر يستحيل على الصعيد المادى الى تواصلبينهم وبين الحيوانات. فبطل قصة [**الليل فى المدينة**] الذى يتمنى أن يصبح كلبا فى بيت موسر بعد أن هده الجوع والفقر يقيم علاقة حميمة مع قطة . وبطل قصة [**النجوم فى الغابة**] يقيم علاقة مع قرد محنطويجرى حوارا مع وردة ومع شجرة تفاح . وبطل [**المسرات الصغيرة**] يقيم علاقة مع تمثال جصى فى واجهة محل لبيع الازياء . غير أن كل هذه التواصلات مجهضة ولا تحقق شيئا ذا بال . انها تعمق احساسنا بهذا التواصل المفقود ولا تعوضنا عنه . واذا ما أضفنا لذلك أن البطل فى اغلب هذه الاقاصيص — ونحن نسميه بطلا تجاوزا لانه فىالحقيقة بطل مضاد — لايعرف بالايجاب ولكن بالنفى الدائم .. بما يفتقد اليه أكثر مما يعرف بما يملكه — راجع الصفحات الاولى من قصة [صهيل الجواد الابيض] على سبيل المثال — وحينما يعرف بالايجاب أحيانا فان ذلك يكون بنوعسلبى من الايجاب .. وهاتان الخاصيتان المتشابهتان تشيران على الصعيدالواقعى الى طبيعة هذا البطل والى نوعيةالحياة التى يعيشها . وتمنحان غرق أبطاله الدائم فى الخمر دلالات حلمية عديدة .

بعد الحلم يجىء **دور الجنس** كواحد من الدروب الثلاثة الرئيسيه التى تسفر عبرها شهوة انسان هذه المجموعة للحياة . **والجنس عند زكريا تامر شهوة عارمة تمتزج فيها النشوة بالعنف . وتذكرنا بفكرة لورانس التى ترى أن الجنس أعظم صلوات الانسان فى محراب الحياة .** وأن الانسان قد فقد جزءا كبيرا من حيويته وانسانيته منذ أن خضع للعقل ووأد مطالب الحس والغريزة . والتى تدعو تبعا لذلك الى تحرير الشهوات والغرائز البشرية من سيطرة العقل .. شهوة الجنس وشهوة التمرد وشهوة الغضب ، وكل الاشياء التى ارتفعت فى وجهها كوابح العقل الباردة وهواجس الحضارة المريضة . ومن هنا كان فى تصويرزكريا تامر لذلك العناق الدائم بين الجنس والعنف **لمسة لورانسية واضحة .** يؤكدها ذلك الربط الدائم بين الجنس وصور الخلق وجزئيات الطبيعة . وذلك الاستعمال العفوى للرموز ذات الدلالة الفرويدية كالمدية والغرق والخيول .. استمع الى صوت بطله فى منولوج له عن المرأة « **أريد امرأة تنام فى الليل لصقى.سيسكرنى صوتانفاسها . سالمس لحمها الناعم بخشوع وانا ارتجف كان حد مدية يضغط علىحنجرتى .. سيغرقوجهى فى ربيع شعرها الاسود** »(٧) .

وها هو بطل قصة أخرى يكمل له المنولوج « **تخيلت باستمرار الفتاة مغمضة العينين نصف اغماضة .. تلهث مفتوحة الفم وتتاوه بحرارة بينما جسدها العارى يتلوى تحت ثقل جسدى المنتصر المغتبط بولادة أفراحه المتوحشة** » [٨]. وليس هذا حال الرجال وحدهم .. بل حال النساء كذلك ، فبطلة قصة [ترنفلة للاسفلت المتعب] تتوق بنفس هذا العنف الوحشى الى الرجل فقد « **كان جسدها المسترخى فوق اغطية السرير ناضجا كنبيذ هرم . نسى يوم ولادته . كان جسدها آنئذ بلا رجل .. بحرا نائمة ، أمواجه السمراء .. وها قد بدأ يبزغ أساه المفع ببكاء صامت ذليل .. المتلهف الى ضجيج القوارب وضربات المجاديف الرتيبة الخاضعة لسواعدبحارة يملكون أجسادا مغطاة بطبقة من الشعر الخشن ومبللة بعطور ليست أرضية .. ولا يملكون وجوها** »(٩) .. وليست هذه النماذج الثلاثة التى استشهدت بها غير تلخيص لحنين بطل معظم هذه الاقاصيص الى التحقق الجسدى ،وتعبير عن جوع انسان هذه المجموعة الى الرى والعطاء .

وكما شطر الفنان بطل قصة [**الكنز**] الى شخصيتين ليعبر عن استحالة اللقاء بين الواقع والاحلام العصية المهدرة . يفعل نفس الشىء فى قصة [**الرجل الزنجى**] ليؤكد لنا استحالة الوفاق بين كوابح العقل وانطلاقات الغريزة الجامحة وتنطوى القصة على تمجيد لهذا القرين الزنجى الذى يمثل الشهوة والغرائز الجامحة ، وهو تمجيد يرتفع به عن التردى فى مهاوى المحاكمات العقلية والاخلاقية لانه يرتفع بها الى آفاق شعرية يمتزج فيها توقه للمرأة بحبه للارض . وتؤكد القصة استحالة اللقاء الكامل بين الشخصيتين عندما تختفى الشخصية الواقعية عند تحقق الشخصية الشهوية « **وعندما امتدت يداى وعرتا النهدين تلاشيت ، وبقى الرجل الزنجى وحده متوحشا ضائعا عبر سهولخاضعة لشمس صيف مجنون ، ولاغنية خشنة ،**

---

[٦] مجموعة « صهيل الجواد الابيض » ص ٣٤ .
[٧] مجموعة « صهيل الجواد الابيض » ص ١١ .
[٨] مجموعة « صهيل الجواد الابيض » ص ٣٠ .
[٩] مجموعة « صهيل الجواد الابيض » ص ١٠٤ .

ولقبر من الشمع الطرى » [١٠] هنـا يمتزج التحقق ببعض المفردات التى صاغ منها الفنان من قبل مادة الحــلم .. الطبيعة والاغنية الخشنة والموسـيقى وقد اندغمت هنا فى دفء اللقاء المرهص بالخلق والعطاء . وهى مفردات تتواءم مع الطبيعة البدائية النافرة منمواضعات المدينة لهذا القرين الزنجى الذى يحب الارض ويتمنى الذوبان فى عروقها . والذى يؤدى موته فى اغوار الشخصية الى تدهورها ماديا وروحيا . لانه يمثل روح الرفض وشهوة الحياة فى طزاجتها الاولى وهمـا يحـاولان التغلب على برودة العقل وجفاف المدينة .

لايبقى من السبل الثلاثة التى تحدثنا عنها من قبل سوى **القتل** . وقد أخرنا الحديث عنه لانه اوهن هذه السبل الثلاثة فى هذه المجموعة من ناحية ولانه المدخل الحقيقى الى عالم المجمـوعة الثانيـة « **ربيع فى الرماد** » من ناحية اخرى . وهو اوهن هذه السبل لانه لايترد الا فى قصتين او ثلاثة ، بينما يتغلل الموضوعان الاخران فى اغلب الاقاصيص . لان طبيعة بطله الاثير ، وهو عامل او موظف صغير ملىء بأشواق غير متحققة ويعانى من مجموعة من الضغوط المـادية والمعنوية يقف الفقر والحرمان والجوع فى مقدمتها ، اقرب الى التحقق من خلال الحلم والجنس غير ان الموت يلوح دائما لعينى هذا البطل فى صور عديدة يبدو فى بعضها « **شهيا كامرأة ناضجة** » [١١] .. كما يبدو القتل امامه فى بعض الاحيان سبيلا الى التحقق والى الاجهاز على العناصر التى تهدر انسانيته. ففى قصة « **ابتسم ياوجهها المتعب** » وهى قصة فريدة فى اسلوبها ، حيث تبدأ وكأنها شىء موصول بواو عطف تعطف عالمها على شىء له كينونته وحضوره . فى الماضى او فى الحاضر او فى اغوار المستقبل .. كما يحمل ايقاع الجمل فيها لهجة شخص يحكى حكاية مستمرة فى الزمن .. هذه القصة المشخصنة هنا ليست سوى فقرة واحدة فى سيالها المستمر . فى هــذه القصة التى لانعرف ان كانت تدور فى الواقع ام فى الحلم نجد انالقتلهو سبيل بطلها الوحيد الى التخلص من اثقـال المعاناة النفسية التى تبهظ كاهله ، والى تلبية مطالب معدته الجائعة فى نفس الوقت . فالجوع يحوله الى قاتل اجير حتى يسد رمقه ، لكنه يحوله الى سبيل للخلاص من آلامه النفسية عندما يوحد بين المرأة التى كلف بقتلها وبين امه المنحرفة التى يريد الخلاص منها . اما فى قصة « **صهيل الجواد الابيض** » فان قتل الذات فيها يصبح هو الاخر سبيل بطلهـا العـامل المقهور الى الخـلاص من حياته المليئة بالاحباط . وقد جسدته لنا جمل القصة الطويلة بايقاعها المطوط الذى يحمل فى تضاعيفه تفاصيل هـذه الحياة الملولة غير الانسانية .

وقبل أن ننتقل الى المجموعة الثانية علينا أن نلمس بعض الملامح البنائية فى هذه المجموعة باعتبارها وجها أساسيا من وجوه المعنى فيها ، لاوعاء منفصلا عنه ، **وأول هذه الملامح أن أغلبالقصص مروية بالضمير الاول ، وأقلها مروى بضمير الغائب** . ولكن أسلوب الرواية بالضمير الاول يعبر فيها عن نوع من الغياب الخاص .. أو بعمق مناحساسنا به ، ويتيح لنا الغوص الى اعماق هذا الانسان المحبط التواق الى التعبير عن نفسه فى عالم يحاصره من كل صوب . والانصات الى هدير صوته الصـامت وقد انطلق مع خيالاته الجامحة وشـديد منها فانتازيا شائقة الى اقصى حـد . يسافر معها بعد أن عجز فى الواقـع عن الارتحال من هذه المدينة الى مدينـة أخرى شنقت الجوع والكآبة والضجر . ويبدو هذا البطل الحالم فى بعضالاحيان عصابيا تفجره سعادات الاخرين أو ساديا يبهجه تعذيبهم . كما يتدنى فى بعض القصص الضـعيفة مثل قصـة [**الصيف**] الى مستوى شخصية المراهق الجاهزة التى تتصرف وفقا للكليشيهات المحفوظة عنها . وان حاولت فيها أن تحمل القبط الخانق المسئولية عن قيظ الشهوة وقيظ هـذا العالم التجـارى المبتذل . لكنه برق فى قصص اخـرى ويشف حينما يرى العالم عبر أحـداق طفل فى قصة [**النجوم فوق الغابة**]. وهى تربط البعـد الميتافيزيقى بالبعـد الواقعى . ومن ملامح هذه المجموعـة البنائية لجوءها الى عزف مجموعة من التنويعات على اللحن الرئيسى للقصـة حتى تثريه وتعمق أبعاده .

ربيع فى الرماد

نعود مرة ثانية الى **القتل** باعتبـاره المدخل الملائم لمجموعة زكريا تامر الثانية « **ربيع فى الرماد** » [١٢] لان القتـل يكتسب ابعاده الشاملة فى هذه المجموعة باعتباره فعل اضافة وليس فعل حذف .. قد يحذف الاخرين وقد يجهز على الكوابح والعوائق ، ولكنه يضيف شيئا الى ذات البطل ووجدانه . انه نوع من فعـل الخلق المعكوس . يهب التحقق والنشوة ، ويتم وفقا لطقوس ومراسيم تكاد تقترب من مرتبة القداسة . وهو لذلك قتل حسى بدائى ، اداته السيف او الخنجر ووسـيلته الطعنـات السريعـة المنتشية المتوالية . انظر الى وصفه للقتل فى قصة « **ربيع فى الرماد** » وكأنه نوع من الايلاج الجنسى المثير للحبور .. او صورة من صور عملية الخلق المعكوسة «**وتناول سيفه المعلق على الحـائط ، وانحدر الى الطرقات حيث كان الرجـال يتقاتلون فى عتمة المساء ، واندفع الرجل الى قلب المعركة ، وشرع يسدد سيفه نحو اى صدر يجده امامه . وكان يبتهج كلما انزلق النصل الطويل الصلب مخترقا اللحم اللين بحركة شرسة ضارية**» [١٣] لا نستطيع أن ندرك ما فى هـذه الصورة من حنين كامن للخلق الا اذا علمنا ان التوجه الى هذا القتل جاء وبطل القصة يوشك ان يحقق التواصل مع حبيبتـه فانتزعه من حضنها الدافىء ، ورمى به فى ساحة القتال ليواصل هناك الخلق الذى حرم من ممارسته قبل قليل .

ولا تخلو قصة من قصص « **ربيع فى الرماد** » من هذا القتل الخلق وقد اكتسب صورا متعـددة او تخفى خلف اقنعـة مختلفة . يسفر عن وجهه الدامى فى « **الجريمة** » و « **شمس صغيرة** » ، و «**الباب القديم**» و «**تلج آخر الليل**» . وقد امتزج بالعنف والقسوة . بينما يرهص به الجو المنذر بالخطر فى « **النهر** » و « **جنكيز خان** » و « **القرصان** » **وغيرها** .. لكنه يتم فى اغلب الاحيان بهدوء مثير للاعصـاب وكأنه نوع مـن المراسـيم

---

[١٠] مجموعة « صهيل الجـواد الابيض » ص ٢٢ .
[١١] مجموعة « صهيل الجـواد الابيض » ص ١٠١ .
[١٢] صدرت عن وزارة الثقـافة والارشاد القومى ، دمشق ، ١٩٦٣ .
[١٣] من مجموعة «ربيع فىالرماد» ص ٨٣ .

المستفتية تقسم لاله قيسر ملطور ، او كانه نوع من الطقوس العشائرية تمارسها جماعات بدائية تضج فى عروقها شهوة عارمة للدم . ولذلك فانه يصف طقوسه الاجرائية بنوع من القداسة الولهة الهادئة الايقاع — فقتل سليمان الحلبى فى « **الجريمة** » يتم بتقطيع جسده قطعة اثر قطعة خلال مونتاج دال ، يؤكد ان الحياة تمضى بثرثرتها وتفاهاتها واحداثه المالوفة برغم هذا الحدث الضارى الذى لايتوقف اى شىء من اجله . فقد اصبح جزءا من الواقع الكابوسى الدارج والمكرور . وقتل ابو فهد فى « **شمس صغيرة** » يتم بعنف وضراوة فى اللحظة التى توهم ابو فهد ان باستطاعته ان يتجاوز هذا الواقع الذى دفعه الى شرب الخمر والتى تمبالاغنية المشهورة «**مسكين وحالى عدم**» . ولكنه يقدم لنا وكانه مبارزة رشيقة هادئة ، او لعبة فى حلم غامض لاتثير سوى الدهشة والاعجاب .

وهذا الاسلوب يدلف بنا الى الخاصية التى تمنح مجموعة « **ربيع فى الرماد** » مذاقها المتميز وتجعلها عالما متكاملا له استقلاله الخاص بالرغم من اندراجه تحت الاطار العام للعالم التامرى . فكل مجموعة من مجموعات زكريا تامر لها نوع من التكامل والاستقلال كما اشرت من قبل وهذه المجموعة برغم استقلالها تنهض فوض انجازات المجموعة السابقة وتسير خطوة اخرى برؤاها ومكوناتها . فجنوح ابطال المجموعة السابقة الى اقامة علاقات حميمة بالحيوانات والاشياء تقترب فى بعض الاحيان من مرتبة العصاب المرضى . وتسفر فى جميع الاحيان عن طاقة كبيرة من العواطف المهدرة فى هذا العالم الملىء بعوائل كثيرة تمنع انسانه من التحقيق . وعن رغبة فى تعويض التواصل المفقود مع الاخرين .. هذا الجنوح التعويضى يتحول فى هذه المجموعة الى نوع من التمرد على مواضعات عالم تعارف على الضياع والفقدان والقهما . وترتفع النظرة الى هذا التمرد فى بعض الاحيان الي مستوى الجريمة . فمحاولة بطل « **الباب القديم** » لرؤية وجه امراة فتن بها تؤدى الى قتله بطريقة وحشية. ومحاولة بطل « **الوجه الاول** » للتمرد على اوامر امه ونواهيها ، بالخروج الى العالم والاستمتاع بمشاهدته تنتهى هى الاخرى بماساة دامية . ومحاولة بطل « **النهر** » للتمرد حتى فى حلمه ماتلبث ان تودى به . ومحاولة « **جنكيز خان** » للتمرد على الحياة المليئة بالحروب والكراهية ماتلبث هى الاخرى ان تجهض أمام وحشية الاسلوب الذى قتل به هذا الطفل البرىء ... وكل هذه الصور من التمرد المجهض تكرر لنا فشل التواصل التعويضى باقامة علاقات بديلةمع الحيوانات والاشياء فى المجموعة السابقة . وتكشف لنا عن وحدة الرؤية خلف تعدد الطرائق والاساليب .

الاسطورة الجديدة

اما الخاصية التى كان علينا ان ندلف اليها من خلال الطريقة التى عبر بهما الفنان عن مراسيم القتل والتعذيبالوحشى فهى تحويل كل الاشياء القيمية والتصورية الى وقائع واحداث حسية . واكساب الواقع بعد تاريخى واسطورى وخلق توازن شفيف بين البعدين دون التضحية بأى منهما لحساب الاخر ويعمد فى ذلك الى عدة اساليب .. احدها المزج بين الحدث الواقعى والاسطورة الشعبية وخلق عالم حلمى يقترب من عالم الاسطورة بمواضعاتها المالوفة .. وثانيها الاعتماد على الصياغات الشعرية وعلى التعبير بالصورة والابتعاد عن السرد السقيم او المالوف ، وعقد علاقات تشابه وتنافر بين جزئيات لا علاقة بينها فى الواقع . وثالثها اللجوء الى الفنتازيا التى تزيل الحدود والحواجز بين الواقعى والحلمى وبين التاريخى والخيالى وبين الوهم والحقيقة . ورابعها هو رواية الحدث بفعل المستقبل فى محاولة لهتك الفواصل بين الاشياء والازمنة ولتجسيد الحلم فى حضور مستمر له قوة الواقع والتاريخ — وخامسها هو تجهيل الشخصيات من الخارج والتعبير الشاعرى عن ادق مكوناتها من الداخل .

وحتى لا نفقد صلتنا بهذا العالم الغريب الذى تختلط فيه الازمنة وتتعدد مستويات الحقيقة وتتباين اساليب التعبير عنها فان الكاتب يلجأ الى ثلاثة طرق ليوثق علاقتنا به وليدفعنا لان نبصر فى اغواره واقعنا نحن .. اولها انه يدس بين كل حين وآخر جزئية من الاشياء المالوفة المتعارف عليها من تقاليد واقعنا او ماثوراته او شخصياته او احداثه او عرفه او بعض طقوسه . وثانيها انه ما ينفك يومىء للقارىء بين فينة وأخرى بلهجة ذات ايقاع خاص يستخدم فيها ضمير المخاطب ، ببعض الجزئيات التى تعتمد علىموروثة من الحكايات والخرافات وكأنه يشركه فى عمله الفنى ، او كأنه يدس هذه الخرافة الجديدة القديمة وسط الموروث المتراكم لديه من الحكايا ليضىء بها بعض الزوايا فى نفسه وواقعة معا .. وثالثها انه يجعل بعض الشخصيات تتحرك وفق المنطق المالوف والمتوارث حتى وان بدت بسبب ذلك غريبةونشازا بهذه الطرق الثلاثة يوثق زكريا تامر صلة عالمه الاسطورى والكابوسىبعالمنا دون ان يضحى بأبعاده الشاعرية والاسطورية دون ان يضطر الى اللجوء للمجازات والسكتابات الساذجة او المفضوحة . والتى قد تجهز على البعد الشاعرى لايماءاته الاسطورية . لانه يدرك « ان عالم الاسطورة عالم درامى .. **عالم اعمال وقدرات وقوى متصارعة والاسطورة ترى الاصطدام بين تلك القوى فى كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة والادراك الاسطورى مفعمبهذه الخصائص العاطفية . فكل ما يرى او يحس محاط بجو خاص . جو من الفرح او الحزن او العذاب او الهياج او الاستبشار او الغم . وفى عالم الاسطورة لا نستطيع ان نتحدث عن الاشياء باعتبارها مادة ميته او هامدة . فكل شىء هناك خير او شرير . صديق او عدو . مالوف او غريب جذاب معجب او منفر متوعد (١٤) هذا التحديد الذى يقدمه كاسير لعالم الاسطورة متوفر بجوهره الاصيل لا بملامحه الخارجية فى عدد كبير من اقاصيص المجموعة .**

ففى قصة [**ثلج آخر الليل**] **نلتقى** بيوسف الميثولوجيا الدينية مقلوبا . لا يشهد فى الرؤيا ضحوى الابقار العجاف وحصدها ، والمراعى الجدبية الجرداء ، والنصل المشوق للدم المهرق فالذى يعذبه هنا هو ابوه وليس اخوته وهى تلك الافعى التى تشير الى البعد الاوديبى فى علاقته بأبيه والى الكترا المقلوبة على صعيد العلاقة الثلاثية الاطراف بينه هو واخته وابيه . واذا كانت بصيرة يوسف الاسطورة قد ارهفتها النبوءة فان بصيرة يوسف الواقعى وقد ارهفتها الحمى تسقط امامها حجب المستقبل فيبصره وكانه واقع عيانى متحقق مصاغ بالجمل الفعلية المضارعة المسبوقة افعالها بسين المستقبل . والتى تمنح الرؤيا صلابتها وكينونتها برغم تسين المستقبل والتسويف . ولا تعزف عناصر الطبيعة فى هذه القصة نغمة موازية بل نغمة مضادة . اذ تغرق العالم فى قناع من الثلج الابيض حتى تكسر من حدة توهجه الانفعالى .. وحتى يتوافق هذا الاسلوب مع اغراق الكاتب الرؤيا فى صياغة تسويفية تخفف من حدتها العنيفة والدموية .

اما قصة [**شمس صغيرة**] وهى من اجمل قصص المجموعة فانها تقدم ذروة

---

[١٤] راجع كاسيرر « مدخل الى فلسفة الحضارة الانسانية » ترجمة احسان عباس ص ١٤٧ - ١٤٨ .

الالتحام بين الاسطورة الشعبية والواقع المعاش ، فيكسب كل منهما الاخر بعدا جديدا . ويقترب الاثنـان من جوهر اللحظة والوجدان الجمعي . بينما تقدم [**ربيع فى الرماد**] ذروة محاولةتجميل الواقعلاكسابه بعدا اسطوريا ٠اذ يتحدث فيها عن الواقعالراهن وكأنه يتناولزمنا سحيقا موغلا فى القدم . كل ما فيهمنكر لا تسبقه اى من ادوات التعريف حتى يظل غريبا عنا . بالرغم من انه يدور تحت اعيننا وبالقرب منا ، وما عالم الجـوارى وشهر زاد وشـهريار وآدم وحواء والتفاحة سوى الرموز الاسطورية التى يعالج عبرها الفنان قصة عالمنا الجديد . اما فى قصة [**القرصان**] فأننا سنلتقى بأسطورة مقلوبة . نقابل فيها القرصان الذى سمعنا عنهالاساطير وقد روضته المدينة بل قل هدته ودمرتـه والقرصان هنا هو الانسان الاولالبدائى المنطلق الذى سحقته المدينةوهى تتوهم انها حضرته ٠٠احالته الى مهرج ممسوخ وهى تتوهم انها ارتقت به الى ارفع المنازل . اما فى قصة [**جنكيز خان**] فاننا لا نبصر من التترى القديم المتعطش للدم سوى لحظات تحوله الجذرية . والتحول واحد من العناصر الهامة فى عالم زكريا تامر الاقصوصى . ويدور الحـديث فى القصـة بضمير الغـائب المصحوب بحذف ادوات التعريف مما يـكسب الواقع فيها بعدا اسـطوريا بالاضـافة الى البعد التاريخى . ويخلق نوعا من الغربة بين القارىء وهذاالعالم فيظل يتابعه بشغف لكنه ما يلبث ان يبصر عالمه هو من خلفه فيكاد يصعق .

بهذه الطريقة يحقق هذا النوع من الاقاصيص صدمته . ويبنى اسـاطيره الجديدة التى يريد ان يقول عبرها .. ان هؤلاء التعسـاء والمحزونين هم الذين يستحقون الان ان تحكى حكاياتهم . وان فيها برغم مظهرها العاطل من الخوارق والبطولات اكثر مما فى تلك الحكايات القديمة من معانى . فانتسان هذا العالم مطارد بلعنة قدر اعتى من قدرالاساطير الاغريقية الطائش .. مدان بلا جريرة ومحكوم عليه بالموت منذ لحظة الميلاد . وقدره الجديد هنا قدر اجتماعىوسياسى اكثر شراسة وضراوة من قدر الاغريق الميتافيزيقى . يطارد سليمان الحلبى حتى يدفعه الى انكار بطولته والتنصل منها .. فأين ياترى بريخت ليعلن لنا كما فعل مع [جاليليو جاليلى]٠٠ لم يكن سليمان الحلبى هو المخطىء ؟ ولكنه المجتمع الذى اضطره الى الانكار .. والذى يقذف فى وجهه بمقولته الصاعقة «لماذا ولدت ما دمت بريئا ، جئت الى هذا العالم كى تهلك وستهلك دون احتجاج . انت مجرم وكنا نراقبك منذ أمد طويل ، فالناس المشبوهون نعرفهم بسرعة ولا يستطيعون خداعنا ، (١٥) بهذه المقولة الموجزة كالحكمة ندركطبيعة هذا القدر الغاشم الذى يدفع الابطـال الى التخلى عن بطولاتهم ويدفع العلماء الى انكار الحقيقة والسجود للضـلال ويحول القراصنة الى مهرجين والبسطاء الى سـفاحين والمتطلعين للحيـاة الى ضحايا .

وهذا التحول الدامى هوالسمة الغالبة على تحـولات هذا العـالم الاقصوصى الغريب . والذى يمنح هذا التحـول مذاقه المرير تأكيد الفنان على اننا نحن الـذين ندين انفسـنا قبل الاخرين . فالشهود ضد سليمان الحلبى هم امه واخته وابوه .والذين يدفعون جنكيزخان الى التحـول من الخـير الى الشر هم المضطهدين انفسهم . والمدينة التىتريد ان تروض [القرصان]هى نفسها التى تفقده الثقة فى كل شىء ، عندما يجد ان الفتاة الصغيرة التى لا يتجاوز عمرها تسعة اعوام قد « **امسكت الفتاةالصغيرة بطرف ثوبها ، ورفعته قليلا عن فخذيها بينما كانت تطل من عينيها نظرة عاهرة عجوز** » [١٦] . اما السمة الاخـرى التى تكسب هذاالتحول طعمه الفاجع فهى انه يتم فى بعض الاحيان فجاة وبأسلوب غير مفهوم . فما ان اتكأ عمر السعدى على سور [**النهر**] واخذ يتأمل منتشيا مياهه المنسابة تحت ضياء الشمس، حتى اقبلت سيارة البوليس ، ونزل منها رجال اربعة ينتشر الفزع من هسيس خطواتهم الكريهة . وقبضوا عليه واودعوه بطن زنزانة مظلمة دون سؤال او تهمة او محاكمة .. وهل يستطيع ان يقول لهم انه **برىء .. سيرتفع فى وجهه المنطق المقلوب « لمـاذا ولدت اذن ما دمت برئيا » ولن يستطيع عمر السعدى ولا** اى انسان سواه ان يقدم اجابة مقنعة على هذا السؤال الغريب . لان المحاكمة فيه لا تتناول واقعة محدودة ولكنها تدين الحيـاة نفسـها .. ومن الغريب ان اصحابها يفعلون ذلك وهم يمارسـون مسراتهم الصغيرة ويهيئون لذاذاتهم التى تنبىء عن احتفاء ضمنى بقيمة الحياة .. لكن هذه ليست الا صورة من صور التأليف بين المتناقضات فى هذا العالم الفنى الرحيب .

الرعد والشعر

تبقى بعد ذلك مجموعةقليلة من ملامح عالم هذه المجموعة ، كانت الارهاص بأسلوب وعالم المجموعة التالية او كانت المقدمة او المدخل التمهيدى اليه .. ولما كانت هذه الملامح قد تبلورت بشـكل كامل فى المجموعة التالية فأننا سنتجنب الحديث عنها تلافيا للتكرار . وخاصة تلك التى تطرحها قصة [**الوجه الاول**] برؤيتها للعالم عبر حدقتى طفل ، وقصة [**العصافير**] بشاعريتهـا وبساطتها . **والمجمـوعة الثـالثة لزكـريا تامر هى [الرعـد]** [١٧]واحـدة من اهـم مجموعات القصص العربية القصيرة ومن اكثرها شاعرية وتفردا . فقد قدمالكاتب فيها عصارة موهبته وخبرته على صعيدى الفن والحياة وزواج فيهـا بين الحس المأسوى والبعد الاسطورى للحدثالواحد وتدغمرهما معا فى سبل من التهكم الشفيف . وخلص القصة فيها من كل تزيد غير ضرورى ومن كل جزئية لاتوحى بعدد كبير من الـدلالات . حتى غـدت اقاصـاصيص هذه المرحلة اقرب الى تماثيل جيـاكوميتى النحيلـة الرشـيقة المتساوقة وهى تشـق كالقنا اجـواز الفضاء . وحتى بدا للبعض أن زكريا تامر وهو يخلص اقاصيصه من التزيدات قد خلصها ايضا من الطـابع القـومى فى اغلب الاحيان ومن الطابع القصصى فى بعض الاحيان . لكن الذىحـدث شىء غير ذلك الذى يبدو للنظرة المتسرعة وهو ان هذه المجموعة حتى وان نوقشت بمعزل عن اعمال زكريا تامر الاخرى ، تستطيع ان تشير ألى الكثير منالقضايا التى تتردد فى مجموعتيه السابقتين وان تبلورهوية الانسان الذى رأيناه فيهما . فهو لا يتحدث فيها عن انسان مجرد ، وانما عن الانسان العربى . الدمشقى غالبا ، وهو يعانى من الفقر المادى والمعنوى ، وتعذبه اشواقه الى عـالم نظيف وهادىء ومليىء بالمنطق والعدالة٠ هذا الانسانالفقر المحبط المحدد الجنسية والهوية هو بطل زكريا تامر ٠انه يتوق الى ان يتخفف من اثقال هذا الركض اليائس وراء رغيف الخبز اليابس الذى لا يكاد يسد رمقه ، ويريد ان ينفلت من

---

[١٥] من مجموعة «ربيع فى الرماد» ص ٣١ .
[١٦] من مجموعة «ربيع فى الرماد» ص ٩٢ .
[١٧] صدرت عن اتحاد الكتاب العرب ، بدمشق ١٩٧٠ .

شرائع الموتى وان يطرح خلف ظهره كل المواريث القديمة ولكن دونما جدوى .. فالجميع يطاردونه وقد تعالت اصوات الموتى وكأننا فى يوم النشور .. ويعيش هذا البطل ، وهو بطل مضاد بالطبع ، فى عالم يسود فيه منطق مقلوب يحاكم بمقتضاه رجاله ويسامون العذاب . وتقطع اوصالهم وتدنس تواريخهم المجيدة وتشوه بطولاتهم . وحتى لايترك الفنان ثغرة لمتشكك فانه يشير على الصعيد الجغرافى كثيرا الى نهرهوبردى والى انهار سبعة هى منابع بردىالسبعة

ولا تقدم هذه المجموعة الجديدة نفس النموذج الانسانى الذى بلورته المجموعات السابقة فحسب ولكنها تكرر بعض القضايا التى تناولتها وتكسبها هنا بعدا اجتماعيا واضحا يرد على الذين يدعون انها تتحدث عن انسان مجرد وتدور فى واقع لا هوية له . حيث يصرخ فيها البطل المعذب الفقير « **يجب أن يزول التفاوت بين الغنى والفقير** » (١٨) وهو يعلم أن صرخته هذه قد تودى بحياته ولكنه يعلنها **مدوية دون خوف . لا يستسلم في صمت وخنوع كبطل [النهر]** فى المجموعة السابقة ،وقد تركناه وهو ينتظر بشغف ركلة الشرطى . ولكنه يصرخ باعلى صوته ضد صانعى مأساته ولا يهاب . اما قصة [**عباد الله**] فانها تقدم لنا نفس القتل الطقوسى الهادىء الذى عرفناه فى المجموعة الثانية . كما تشير قصة [**الشرطى والحصان**] الى العلاقة بين القتل والشهوات الحبيسة التى تنطلق من عقالها بعده فقد تجمع الناس بعد القتل « **وتحلقوا حول العربة ، يتألق فى اعينهم الخوف الممتزج بالشهوة الخفية ، وكان الشرطى المسحوق ليس الا جسد امراة جميلة** » (١٩) وثمة وشائج عديدة اخرى تشد هذه المجموعة الى عالم المجموعتين السابقتين وتجعلها زروة فنية ومضمونة لهما .

واقاصيص هذه المجموعة الجديدة اقرب الى خرافات ايسوب ولافونتين ولكنها متمايزة عنها . **لانها خرافات** تنطوى على رؤية واقعية للعالم الذى تصدر عنه . وتحاول ان تمارس دورا فعالا فيه . انها خرافات ولكنها لا تقدم حلما تعويضيا يقوم بتفريغ السخط . ولاتنتمى لعالم الحكايا البراقة التى يتزوج فيها الشاطر حسن الاميرة ذات الحسن والجمال . بل انها تنزع الى اتجاه مضاد حيث نجد ان الانسان الفقير فى [**آخر الريات**] يذبح لانه تجرأ وحاول ان يخطب الفتاة الغنية . كما تجرأ وطالب بأن تتهدم الجدران التى تفصل الانسان عن الانسان . ويتم هذا الذبح بطريقة بشعة وهادئة معا . يؤتى بحلاق يذبحه بموسى حادة النصل وبهدوء مطقوس وكانه يؤدى عملا جليلا .. وهو بالفعل يؤدى عملا جليلا لانه يجهز على صيحة التمرد على نواميس هذا العالم الصلب .

وتختلف هذه الاقاصيص عن خرافات ايسوب ولافونتين بأنها لا تبغى الموعظة ولكنها تنشد **أحداث صدمة .. والصدمة عنصر هام فى هذه المجموعة** ، فربما استطاع الفنان بها ان يهز هذا العالم السادر فى النوم وان يوقظه على مافيه من بشاعات واخطاء .. وحتى تكتسب هذه الصدمات حدتها وفاعليتها فانها تعتمد على مجموعة من الحقائق وفاعليتها فانها تعتمد على مجموعة من الحقائق البالغة البساطة التى تبدولاول وهلة بديهية ولكنها مفتقدة وعصية فى هذا العالم الكابوسى الغريب . أن هذه القصص ترد مجموعة من البديهيات الاولية البالغة البساطة مثل ،أن القبر مكان لا يصلح للانسان [**السجن**] وان من حق الانسان ان ينتعل حذاء [**عبادالله**] وان الكذب ممقوت [**الكذب**] وان من حق الرجل ان يطلق لحيته [**اللحى**] وأن يتثاءب عندما يريد (**الصقر**) وان يتزوج الفتاة التى يحبها (آخر الريات) وأن أى محاولة للايمان بها قد تودى له [**الاطفال**] وغير ذلك من البديهيات ..وتتحقق الصدمة عندما نعرف ان هذه البديهيات البسيطة مستحيلة التحقيق . وان اى محاولة للايمان بها قد تؤدى بصاحبها . فحينما تصور بطل [**السجن**] ان القبر لا يصلح للانسان وان عليه ان يعود الى بيته عوقب عقابا قاسيا . وحينما تصور بطل [**عباد الله**] ان من حقه أن ينتعل حذاء قتل . وعندما تصور بطل [**الصقر**] ان من الطبيعى ان يفتح فمه ويتثاءب عندما يحس بحاجة الى ذلك اقتيد الى السجن .. وهكذا تتخلق من المقابلة بين بساطة البديهية وقسوة المصير الصدمة فى هذه الاقاصيص .

وتعمد القصص **من خلال هذه الصدمات الى تعرية الواقع والى الكشف عن مسالبه وعن مواضعاته الجائرة . لانها تشير فى كل هذه الاقاصيص بوضوح الى البعدين الاجتماعى والسياسى وتركز على الصراع الدائم بين الانسان المشوق** للحرية وقوى الارهاب والتسلط التى ترمه منها **وتدينه دونما جريرة** . وتعقد له محاكمات خالية من العدل او المنطق وتتعقبه بأجراءات تبث الرعب فى النفوس وتلجأ الى منطق يصبح بمقتضاه طارق بن زياد مبددا لاموال الدولة الرسمية ، وعمر الخيام داعية للخمر واستيراد البضائع الاجنبية ومثيرا للشغب ومتعاونا مع الطابور الخامس الذى يحقق مصالح الاعداء [**المتهم**] هذا المنطق المقلوب هو الذى يتحكم فى الاشياء فيثير الرعب فى نفوس الجميع . لكن الكاتب وهو يصوغ لنا عشرات التنويعات على هذا الكابوس يضع نصب عينيه حقيقة اساسية وهى عرضية هذا الكابوس ولا طبيعيته ، ولا تتحقق هذه العرضية من خلال الموضوع بقدر ما تتبدى من خلال الاسلوب الفنى الذى يتحول الى منطلق شديد الدلالة على موقف الفنان ورؤيته . حيث يمتزج الشعر بالفعل ، وتنوب الصورة المكثفة عن السرد فى الافصاح ، وتختفى الاحاسيس المبهمة الغامضة ليحل مكانها الاحساس الساطع القوى .. احساس الفعل والرؤية والصورة . بصورة يصبح معها هذا الاسلوب الفنى جزءا لا ينفصم من فهمه للعالم والانسان . حيث يصبح الفعل البشرى فى قداسة الظاهرة الطبيعية وقوتها . وحيث تخفى الهشاشة البادية على السطح نوعا فريدا من الصلابة والحيوية .

فبينما يبدو فى هذا المقطع من قصة [**الذى احرق السفن**] اننا بازاء اسطورة معكوسة للخليقة ،وان عالم المحققين شديد الصلابة والتماسك وكأن الها شريرا قد خلقه ، حيث يقول « **فى اليوم الاول خلق الجوع . فى اليوم الثانى خلقت الموسيقى ، فى اليوم الثالث خلقت الكتب والقطط ، فى اليوم الرابع خلقت السجائر ، فى اليوم الخامس خلقت المقاهى ، فى اليوم السادس خلق الغضب ، فى اليوم السابع خلقت العصافير واعشاشها المخباة فى الاشجار فى اليوم الثامن خلق المحققون فانحدروا توا الى المدن وبرفقتهم رجال الشرطة والسجون والقيود الحديدية** »(٢٠) ..واسطورة الخليقة المعكوسة هذه والتى تحتاج الى ثمانية ايام لان بها الكثير من الاشياء غير المنطقية والزائدة عن الحاجة ، تنطوى على سخرية شفيفة بهذا العالم المصاغ من جزئيات تشارك كلها فى عمليات الادانة .. الكتب والمقاهى والموسيقى وعمليات الاختباء والتسلل القططية واللفائف والانفعالات .. وقبل ذلك كله الجوع محرك كل شىء والحرف الاول فى ابجدية هذه الخليقة الشائهة . وتنطوى ايضا

---

[١٨] من مجموعة « الرعد » ص ٧٥ .
[١٩] من مجموعة « الرعد » ص ٥٤ .
[٢٠] من مجموعة « الرعد » ص ١٨ .

صلابة هذا العالم الشديدة على تركيبه وخاصة اذا ما وضعت هذه الصلابة الزاعقة بمواجهة هشاشة العالم الاخر المحبط والممزق والتى تخفى فى اغوارها نزوعا حيويا وقوة فريدة .. يذكرنا بدأب الكائنات الهلامية الدقيقة وهى تواصل الحيـاة والنمو امام قسـوة الظروف وبشـاعتها . وتقهر بضعفها البـادى وصلابتها الخفية ، هذه الظروف بصورة لم تستطعها الكائنات الكبيرة الضخمة فلقد انقرضت الديناصـورات المهولة والكائنات الخرافية الهائلة ، بينما عاشت الهلاميات الوحيدة الخلية حتى اليوم . فليونتها تحمل فى داخلها قدرا كبيرا من الحياة يفوق ذلك القدر الذى يتضمنه الجسد الصلب المهول .

هل قادنا منهج الفنان الى الاستشهاد بحقيقة طبيعية والى الوقوف على حافة الوقائع التاريخية والانثروبولوجية ؟!.. نعم .. ان الفنان يفعل ذلك بوعى شديد لانه يريد ان يبدع لنا عالما مفارقا للواقع ولكنه على درجة كبيرة من الصلابة التى تقترب من صلابة الحقائق الطبيعية . انه يدرك ان الكائنات الهشة الصغيرة هى التى استمرت وهى التى كانت جديرة بالحياة .. ومن هنا فانه يكشف خلف هشاشة ابطاله الفقراء الحالمين جدارتهم بالاستمرار وشهوتهم العارمة للحيـاة ».. وهى شهوة أكدها بطرق عديدة فى مجموعتيه السابقتين . ويعود فيؤكدها هنا بالاعتماد كليا على العناصر الشعرية فى الصياغة ، وعلى التركيز والتكثيف الشديدين. ويلائم هذا الاسلوب الشاعرى تلك المأساة غير المنطقية التى يصورها الفنان فى مجموعته تلك . حيث يتناول عبره المأسـاة بحس غير مأسـوى ، وبشـاعرية تجعل منهـا نزعة مضـادة للمأساة . فهو لا يكره الحس الميلودرامى فحسب ، ولكنه ينزع الى اغراق كل صوت مأساوى خافت فى شاعرية فياضة حتى لا نحس بأى نوع من السينتمنتالية او الزعيق ». ويدور الحوار الدائم بين عناصر المأساة فى مجموعته تلك باسلوب غاية فى البراعة والتأثير . حيث لا يتم الحـوار بين الافراد فى هذا العـالم المأسوى فقد كفوا عن التواصل وانعدمت اللغة المشتركة بينهم . بل بين الصور والجزئيات . اذ يصبح هذا الحوار نوعا من الجدل الخلاق بين مجموعة من العناصر المتناقضة كيفيا . ويثرى الكاتب هـذا الجدل من خلال الالحاح على مجموعة من الصور التى تتكرر باستمرار .. صور الاقفاص والمذابح وساحات الاعدام الحافلة بالتمثيل والمزح والانقشاشات البافعة والادانات بلا جريرة والاشياء عبره المأسـاة بحس غير ماساوى ، والحرمان والقهر والاحـلام المستحيلة البسيطة معا .. وهذا التكرار فى الصور اكثر شفافية وشاعرية من تكرار الثيمات فى المجموعة الاولى ».

وعبر هذه الصور المتشابكة يمضى انسان هذه المجموعة مسافرا فى عالم مضطرب . يحس بنوع من الغربة الدائمة حيال هذا العالم الغريب ». وتحترق حدقتاه بالدهشة فى كل لحظة .الدهشة من مواضعات هذا العالم الملىء بالرعب والوحشة . الدهشة من منطقه الغريب واحداثه الكابوسية . الدهشة من الناسه الطافحين بالشر والقسوة . وهو انسـان فقير ومسحوق ومملىء بنوع من الحقد المقدس على صانعى مأساته من الاغنياء واذنابهم من قامعى الحـريات وادوات القهر والارهاب . ويملؤه هذا الحقـد بطاقة تدميرية هائلة لا تجد متنفسها فى التدمير المباشر بقدر ما تجده فى المسارب الجانبية وفى الخيال التعويضى ». وهو حقد مبرر ازاء مواضعات هذا العـالم الكابوسى الذى افتقد فيه الانسان البراءة حتى اليتم . ويعمد الفنان ازاء فداحة هذا العالم الكابوسى الى اغراق كابوسيته فى طوفان من العناصر الشـاعرية . حتى ترهف استاطيقا التجربة الابداعية عنده حـدة هذا الكابوس وتكسبه بعدا شاعريا وهى لا توقعنا فى احبولتها الجميلة ، بقدر ما تتيح لنا التغلغل الى مختلف ابعادها ، والى زواياها النائية عن مرمى العين العادية والمألوفة، انها تجعلنا نحدس وراء هذه الغـلالة الشـعرية الشفيفة والبالغة العذوبة والجمال ، الى اى مدى تغلغل الشر فى عالمنـا واستولى على آخر قلاع البراءة والنقاء فيه .

وتجسد لنا [موت الياسمين] [٢١] وهى من مجموعة القصص التى لا تضمها المجموعات الثلاث ، هذا الافتقاد المرير للبراءة وقد امتزج بعنف دموى وبتوهج لورانسى شفيف . فبعد أن نامت بطلتها سلمى مع ٩٢٧ رجلا تحقق حلمها فى ان « تحيا مع اطفال لم يعرفوا بعد المرارة والهزيمة» ، وتتصاعد القصة فى كريشندو عاصف لا يلوى على شىء .. كلمة من هنا تجاوبها اخرى من هناك ويكشف اطفال السابعة عن ذروة المرارة والهزيمة ويندغم الجنس فى الدم وتلتحم النشوة بالهلع ولانعرف اين المفر من هذا الكابوس المرعب الجميل الذى تشوكه لنا واحدة من اجمل الاقـاصيص العربية ، اما

[الرغيف اليابس] [٢٢] فانها تدفع بالبعد الاجتماعى الذى بدا واضحا فى بعض الاحيان الى ذروته . حيث نجد ان جوع الفقراء الشديد يحول دون تمتعهم بلذاذات الحياة المتاحة لهم . فعباس المشوق الى ان يتحول الى هواء تتنفسه ليلى ويستقر فى كل خلية من خلاياها « ما يلبث عندما يسرق رغيفا يابسا وتبصره

ليلى وتقدم له نفسها لقاء الرغيف .. وعندما يتجاوز اللقاء حدود البيع والشراء ويصبح تعبيرا عن شهوة جنسية عارمة للاخر،ما يلبث أن يسوخ فى رمال الواقع

الناعمة . ويلوح الرغيف حـائلا دون التلاقى ، او مفتاحا لتلك العنة الغريبة التى تتناسب مع ذلك الجوع الجنسى الشديد باى حال من الاحوال . ويكتسب ذلك الحرمان بعدا شاعريا جديدا فى (وجه القمـر) (٢٣) الغاصة بالرموز ذات الطابع الفرويدى .. الشجرة التى تجتث ، والقمر والجسد الوحشى والبلطة والقتل المتربص والدم الناجم عن قذفة

حجر والمنبثق بعده ، وكل هذه الرموز المتصلة بالجنس . والتى تتكشف عبرها هذه القصـة عن مقدرة واضحـة على التحليل النفسى . تبلغ ذروتها فى اطول

اقاصيص زكريا تامر قاطبة واكثرها ميلا الى الروائية وهى (البدوى)[٢٤] حيث يقدم الكاتب فيها تحليلا نفسيا دقيقا لشخصية بطلهـا يوسف الملىء بالحب والشهوة ، ويستخدم فيه جزازات من الحكايا الشعبية والاساطير الدينية . ويكشف لنا الكاتب اغوار هذا البطل وهو يتتبع تذبذبه المحيربين كل من فاطمة ــ الغواية وسميحه النقاء وهو يحاول ان يدير لعبة تبادل للمراكز بينهما ولكن الكوابح الاجتماعية والاقتصادية تارة ثم الاخلاقية اخرى ما تلبث ان تحبطه لترده الى معرض الشخصيات المحبطة التى

يضمهـا هذا العـالم والتى تبلغ ذروة الهزيمة والقهر فى قصة [ارض صلبة صغيرة] [٢٥] ..وهى تدرك انهـا تقدم ذروة الهزيمة والقهر ومن ثم فانهـا تعمد الى نوع من الافراط فى البساطة والهدوء حتى تخلق توازنا بين هذا الاحباط الجانح الى ذروى القهر والشذوذ، وذلك الهدوء الظاهرى الخادع . كمـا تعمد الى التمهيد بخضوع عصـام لاحمد فى الحوار تمهيدا للخضوع الاكبر فى الفراش عند نهاية القصة ».

---

[٢١] نشرت بمجلة « حـوار » عدد مارس وابريل ١٩٦٣ .
[٢٢] نشرت بمجلة « ادب » عدد ربيع ١٩٦٢ .
[٢٣ ، ٢٤] نشرتا بمجلة «الاداب» عددى اغسطس واكتوبر ١٩٦٢ على الترتيب .
[٢٥] نشرت بمجلة « حـوار » عدد سبتمبر واكتوبر ١٩٦٣ .

عيد الســـــينما المصـــــرية

اصبح العيد فى كل موسم مناسبة خاصه يمكن للمرء فيها ان يستعرض احوال السينما المصريه من خلال مجموعه من الافلام يفترض فيها القوة والجماهيريه وتجمع بين جوانبها اكبر عدد من الفنيين والممثلين والمخرجين الذين لهم شأنهم الكبير فى دنيا السينما العربية .

ولكننا اذا طبقنا هذه القاعدة على « عيد » هذا العام لخرجنا بنتيجة لااظن انها ستكون فى صالح السينما المصرية عموما .. رغم القيم الكبيرة والجديرة بالاحترام التى ساهمت فى صنع الافلام المعروضة .

● صلاح جاهين شاعر وفنان ، ورجل رؤية .. يعرف دائما كيف يضع كلمه . ويعرف احيانا كثيرة كيف يزركشها ، ويجعلها حادة النصل ، مصيبة الهدف . ولكن دنيا صلاح جاهين كانت فى اغلب الاوقات دنيا الهمس والصوت الخافت والابتسامة الطفلة الصادرة من القلب .

● اما حسن الامام فمخرج تجارى ممتاز .. يعرف كيف يستعمل الخيوط الغليظة وكيف يصرخ وكيف يؤثر فى الجماهير العريضة وكيف يقفز درجات السلم اربعة اربعة ..

لذلك كان من المثير حقا ان نرى ماذا سيحل بزوزو الطالبة الحلوة التى تدرس الادب فى النهار وتحاول ان تنساه فى الليل بين اضواء الكباريهات الصاعقة وجو عوالم محمد على ! !

والحقيقة التى لا مفر منها ان ضجة حسن الامام قد قتلت تماما همس صلاح جاهين ... ولم يبق من زوزو الا حركات كثيرة وبالونات منتفخة واجساد حلوة تتلوى ..

لقد اراد صلاح جاهين ان يصور التناقض فى نفس شابة من عصرنا .. تريد أن تحقق ذاتهـــا وأن تنمى كل ملكاتها وأن تنظر لعالم المستقبل بنقاء .. لذلك رسم توازنا دقيقا بين حياتها الجادة وحياتها اللاهية .. بين جو اسرتها وجو جامعتها ، ولكن هذا التوازن اصبح عسير التحقيق فى الفيلم كما أخرجه حسن الامام لان كفة الميزان مالت كلها الى جانب الحيـــاة اللاهيـــة .. بل ان آثارها امتدت حتى الى الحيــاة الجامعية التى ظهرت لنا وكأنها تكملة طبيعية للحياة فى شارع محمد على .

لقد كنا نطمع أن نرى فى « زوزو » فيلما لصلاح جاهين .. وكنا نخشى ان نرى فيلما لحسن الامام ولكننا لم نتوقع أبدا أن نرى فيلما ممهورا تماما بطابع السيدة « سعاد حسنى » التى استطاعت بموهبتها الفذة أن تنسينا ضجة الامام وهمس جاهين وان تجعلنا منذ بداية الفيلم وحتى نهايته لانرى الا هى .. وما فعلته بزوزو وما فعلته زوزو بها .

وهذا بالضبط ماكنا نتوقع ان تفعله « فاتن حمامة » فى « امبراطورية ميم » فيلمها الاخير الذى أخرجه حسين كمال من قصة معروفة لاحسان عبدالقدوس .. كنا نتوقع ان نرى فيلما تسيطر عليه الممثلة الكبيرة بكل دقائقه وكل لقطاته خصوصا وان السيناريو قد أعد منـــذ زمن بعيد لها خصيصا ورسم على مقاسها تماما .. بحيث ابدلت شخصية الرجل فى قصة احسان لتصبح شخصية امراة وبالذات شخصية تتناسب مع طاقة ومواهب ممثلتنا الكبيرة ..

ولكن رغم الاداء المتزن الهادىء الملىء بالصنعة والحساسية الذى قدمته فاتن فى « ميم » فان أبطال الفيلم الحقيقيين كانوا هذه الحفنة من الاطفال الذين قلبوا أركان الامبراطورية وزعزعوا بنيانها واستأثروا بمشاكلهم ووجودهم بانتباهنا كله

« امبراطورية ميم » تروى قصة ام فقدت زوجها وهى فى شرخ الصبا .. ووجدت نفسها أمام أعباء ستة من الاولاد كل منهم له اتجاهه وميوله وأفكاره .. وأن عليها أن توازن بين تربية هؤلاء الاولاد .. وبين واجبها الوظيفى ومتطلبات قلبها واعصابها وحياتها الخاصة .



فاتن حمامه

الفيلم يدور فى جو بورجوازى معتدل .. ويطرح قضايا شباب وشابات لايعرفوا تماما معنى الكفاح والبطالة قدر مايعانون من مشاكل الجنس والكرة والاختلاط والتمرد العائلى وضرب الجاز .

والحق أن الفيلم لا يرغب أن يكون غير ما هو . فهو يعرض بشجاعة الكثير من خفة الدم مشاكل طبقة محدودة .. ويحاول أن يعمم هذه المشـــاكل وأن يعطيها أبعادا بعيدة وجذورا اجتماعية معينة .

ولقد نجح حسين كمال فى ان يقـــدم من خلال هذا الاطار فيلما خفيفا وأنيقا .. يعتمد اعتمادا واضحا على ثقل النجمة الكبيرة التى تمثله .. وعلى الحيـــوية المدهشة التى خلقها الاولاد الستة وطريقة عرضهم لمشاكلهم ومواجهتهم لها .

لاشك أن الربع ساعة الاخيرة قـــد افسدت الكثير مما بداه المخرج .. وان الامور تميعت فجأة واختلطت فجأة ثم وجدت حلها بطريقة معجزة أيضا . . وان هذه النهاية المرتجلة والمرتبكة قد جعلتنا نخرج بانطباع فاتر عن الفيلم .. ولكن هذا لا يمنعنا اذا أعدنا التفكير فيه مرة أخرى من أن نجده فيلما ناجحا يقول مايريد ان يقوله ولا يخفى هويته ولا نوعية الجمهور الذى يتوجه اليه .. وهذا لعمرى أمر غير شائع كثيرا فى أفلامنا المصرية الاخيرة .

أما خيبة الامل القابعة التى رأيناها اى زحمة أفلام العيد فقد قدمها لنا محرج اعتدنا ان نرى افلامه بمتعة حتى لو كانت على درجة كبيرة من الضعف.. نظرا للجدية التى يقدمها بها .. وللحد الادنى من الصنعة السينمائية الذى وجعلنا نغفر الكثير من الاخطاء .

ولكن « بركات » هذه المرة .. قد أخطأ هدفه تماما أخطأ أول الامر حين اختار قصة اوروبية ليس لها مذاق ولا معنى ليقتبسها .. واخطأ بعد ذلك حين أخرج الفيلم باهمال ملحوظ جعله يقع فى أخطاء فاضحة فى الاخراج لايسمح لنفسه بها مخرج مبتدىء ..

واخطأ أخيرا حين اعتقد أن مثل هذه الافلام الوردية الفارغة .. الانيقة الديكور .. المسطحة الشخصيات .. التافهة المعانى بمكنها ان تثير فى اعوام السبعينات جمهورا سينمائيا بدا يفتح عينيه ويحكم أحكاما قاسية وغير متوقعة على الافلام التى تعرض عليه .

ان [زائرة] بركات ليست الا جسدا مليئا بالمساحيق .. غادرت الحياة منذ أمد طويل .. ولم يحاول المخرج الرومانتيكى الكبير محاولة بسيطة فى هندسة الانوار التى يمكنها ان تخدعنا نتجملنا نعتقد أن هذهالزائرة تنام فحسب .. بل ترك أنواره المهملة بقوة تفضح كل النقائض والعيوب وتجعلنا نغمض العين بحزن .. ونتساءل بمرارة .. مادا أصاب بركات .. وماذا أصاب السينما المصرية ؟؟؟

■■■

المؤتمر الثانى للسينمائيين التسجيليين العرب

عقد فى الثالث والعشرين من نوفمبر الماضى فى اطار مهرجان ليبزج الخامس عشر للافلام التسجيلية والقصيرة المؤتمر الثانى للسينمائيين التسجيليين العرب . وقد حضر المؤتمر الذى عقد بمبادرة من جماعة السينمائيين التسجيليين المصريين عدد كبير من السينمائيين التسجيليين والنقاد العرب من مصر وسوريا ولبنان والعراق واليمن الديموقراطية وتونس والجزائر وفلسطين .

وكان المؤتمرالاول قد عقد فى اطار مهرجان ليبزج الثانى عشر عام ١٩٦٦ ، وأصدر بيانا يدعو فيه مخرجى العالم الثوريين لاخراج الافلام عنقضيةفلسطين، وقد استجاب للنداء بالفعل بعضالمخرجين منهم مانفريد فوس من المانيا الاتحادية . كما دعا المؤتمر الاول الى اقامة مهرجان دولى لافلام وبرامج فلسطين ، وتقرر بالفعل ان يقام المهرجان فى بغداد فى الفترة من ١٩ الى ٢٤ مارس القادم . وذلك بعد ان كان مقررا اقامته فى القاهرة عام ١٩٧٠

وقد تضمن جدول أعمال المؤتمر الثانى عرضا للظروف الراهنة للسينما التسجيلية فى مختلف البلدان الممثلة فى المؤتمر ، ومناقشة لاهم الموضوعاتالتى يجب تناولها فى العام القادم ، ثم بحث كيفية توثيق الصلات بين السينمائيين التسجيليين العرب . وانتهى المؤتمر الى تكوين لجنة اتصالعربية تمهدلاقامة اتحاد عام للسينمائيين التسجيليين العرب ، كما أصدر بيانا تضمن توصيات المؤتمر ، وفيما يلى نص البيان :

١ ـ العمل على خلق صلات وثيقة بين السينمائيين التسجيليين العرب ، ومحاولة تنسيق جهودهم المشتركة ، وضرورة التضامن من أجل حرية عمل الفنان التسجيلى العربى للتعبير عن الواقع العربى وقضايا التحرر .

٢ ـ على السينمائيين التسجيليين العرب الاهتمام برصد وتسجيل كل الحركات النضالية والثورية فى العالم العربى ، والعمل على ترويجها فى العالم بكافة الوسائل الممكنة .

٣ ـ ضرورة التزام كافة السينمائيين التسجيليين العرببتنفيذ افلام عنالقضية الفلسطينية خلال العام القادم ، وذلك بمناسبة مرور ٢٥ عاما على قيام الوجود الصهيونى فى فلسطين ، ولمواجهة الحملة الدعائية الصهيونية ـ الامبريالية لهذه المناسبة .

٤ ـ دعم وتأييد المهرجان الدولى لافلام وبرامج فلسطين الذى سيقام فى بغداد من ١٩ الى ٢٤ مارس القادم ، وحث المخرجين التقدميين العرب على المشاركة الفعلية فى هذا المهرجان .

٥ ـ تقديم توصية الى ادارة مهرجان دمشق لسينما الشباب لتأكيد الدور الاساسى للسينما التسجيلية فى هذا المهرجان .

٦ ـ تقديم توصية الى مهرجان ليبزج لتوصية نداء الى السينمائيين التسجيليين فى العالم لتنفيذ أفلام عن قضايا التحرر العربى ، وبشكل خاص القضية الفلسطينية بمناسبة مرور ٢٥ عاما على الوجود الصهيونى فى فلسطين الذى جاء تنفيذا لمخطط الامبريالية العالمية لضرب حركة التحرر العربية وخلق قاعدة للامبريالية فى العالم العربى ، ولكى يخصص المهرجان برنامجا خاصا عام ١٩٧٣ عن الكفاح العربى ضد الامبريالية العالمية ، وصنيعتها اسرائيل .

وقد وافق مهرجان ليبزج على توجيه النداء المقترح من المؤتمر ، كما وافق على تخصيص برنامجلفلسطين عام١٩٧٣. ■

المؤتمر الأول للفن القومى التشكيلى تحت شعار الفن التشكيلى فى معركة التحرير .. وكفى ثرثرة !

• انطلاقا من الاقتناع بان المواجهة هى الخيار الوحيد المتاح للامة العربية فى المرحلة الحاضرة ، وانطلاقا من الايمان بالدور القومى للفن التشكيلى العربى ، فان المهرجان العربى الاول للفن القومى التشكيلى يدعو الفن العربى الى التزام غرس مفهوم المواجهة الشاملة لدى الجماهير وتثبيت روح الصمود وتهيئة النفوس لخوض معركة التحرير الشعبية الشاملة وابراز الواقع العربى من خلال الالتزام بقضايا الانسان العربى المعاصر • •

تصدرت هذه الكلمات البيان الذى صدر بمناسبة انتهاء المؤتمر • والكلمات رائعة لا غبار عليها ، بالضبط كل كلمات تصاغ بمناسبة انتهاء مثل هذا المؤتمر ... لكن انطلاقا من اى شيء؟؟؟ فالواقع مر موكيف يتاتى تحقيق هذه الكلمات ، ان كانت الاعمال التى عرضت أغلبها ينبيء أن اصحابها ينقصهم التمكن من الصنعة ؟؟ وهم عجزة حتى على محاكاة الواقع المرئى ،او نقل اثاث فشارى يوضع امامهم .. أضف الى هذا ان الاعمال بوجه عام تنقصها حرارة الانفعال او الايمان بما يحاولون التعبير عنه ..

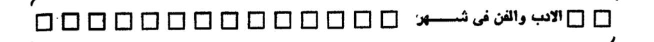
ولسنا هنا بصدد مناقشة جدوى أو ضرورة او حتمية ارتباط الفن بالقضية السياسية مع مثل هذه الظروف التى نعيشها ... لكننا نعلم انه عندما استخدم الفن مثل هذا الا تخدام ، كانت مقدرة الفنان الاكاديمية وتمكنه من صنعة محاكاة الواقع فى المرتبة الاولى ... أما ونحن الان أمام كلمات منمقة وصور لا يخرج جلها عن كونه محاولات ساذجة لبعض تيارات الفن الحديث التى هى نتاج لفردية الفنان وتازمه وسط تفسخ وانهيار المجتمع الراسمالى .. ونحن أمام هذه الظاهرة المتناقضة نبتلع المرارة فى صمت ؟؟ !!! •

واذا استبعدنا ايماننا باهمية المؤتمرات وأن تحقيق مؤتمر كهذا شيء رائع ، واذا استثنينا كرم الضيافة الحاتمى والمجهود المضنى الذى قام به الاستاذ قشلان والاستاذ غازى الخالدى ، وان اقامة مؤتمر مثل هذا فى حد ذاته شيء لابد الاشادة به ، اذا استثنينا كل ذلك ، فسنجد أن هنالك بعض النقاط يجب التوقف عندها بل يجب التوقف طويلا — ولن نضيف كثيرا ان قلنا أن المعرض دون المستوى وأن معظم الاعمال لا تخرج عن المستوى المدرسى الميء • فالظروف والتجارب العديدة التى مررنا بها خلال الاعوام الماضية اثبتت لنا ان مثل هذه المعارض دائما سيئة .. لكن المحزن حقا أن الكلمات التى قيلت والقضايا التى طرحت شيء والاعمال شيء اخر — ومع وجود التناقض أى أن — يكون سلوك الفنان ومنهجه فى الحياة شيء ، والكلمات التى يتشدق بها شيء والعمل الذى يبدعه شيء اخر ، مع وجود هذا الفصل لن يكون للفنان موقف ايجابى أو وضع قيادى وهو فى هذه الحالة ليس اكثر من تاجر يروج لبضاعة لا قيمة لها ولا مبرر حتى لوجودها • وان تغاضينا عن أمثال الفنانين لا يستطيعون بحكم تكوينهم الفنى والثقافى أن يحددوا كتابة مفهوم ثابت لمنطلقهم الفكرى ، فيوجد من لا يمكن التغاضى عما يصرحون به ، بل قد ناخذه متشائمين على انه تخريب فى الحقل الفنى بالمنطقة •

● ● ●

.... ونجد الدكتور الشما وكنا نتوقع منه الكثير يضيع حدود الفن القومى بوضعه داخل نطاق قضايا الفن عامة ، فيقول « وبهذا الخصوص تجدر الاشارة الى أن المضمون القومى فى الانتاج العربى المعاصر فى مجالات الثقافة والفنون التشكيلية يجب أن يتم عن طريق التعايش مع الاحداث التاريخية الهامة التى تحياها امتنا العربية اولا وفى مختلف عصورها ، وكذلك مع احداث العالم باسره ثانية لتفهم روح العصر • هذا التعايش الذى يتم بواسطة العين البصيرة والفكر الواعى السليم • والقلب الخافق ابدا من اجل بناء حضارة مجتمعنا العربى التقدمى الاشتراكى الجديد ، ومن أجل المساهمة فى الحضارة الانسانية المعاصرة • » بالله كل هذا ؟؟؟ وما الذى [illegible] ، وبعد أن جمع كل هذه الاغراض والدوافع فى صعيد واحد كيف يتاتى لنا أن نحدد ماهية « للفن القومى العربى الان تحت شعار الفن التشكيلى فى معركة التحرير » وهو المطلوب منا ..

وان كنا الان قد انتهينا من التفرقة بين الشكل والمضمون كل على حدة ، الا أننا نجد الدكتور الشما قد اتى لنا



بتقسيم جديد لبناء العمل الفنى وهو توازى الشكل الفنى والمضمون القومى . بينما لا يغيب عن أى فرد يعمل فى هذا الحقل ، لا يغيب عنه ، انه ربما وجدت أشكال قومية للفن مع اختلاف العصور والاماكن ، لكن ليس هنالك مضمون سوى مضمون واحد للفنون جميعها مهما اختلفت وتنوعت ، الا وهوالمضمون الانسانى مرتبطا بمأساة وجود الانسان وصراعه •

● ● ●

ونجد الاستاذ على عقلة دقان قد وقع فى مثل هذا اللبس فاذا به يصر طيلة اسطره على آن الفن القومى هو الفن الذى يخدم القضية القومية والتى يعبر عن مشاكلها ويخلد ماثر الشعب ويقوده الى ابداع المآثر الخالدة ، وينتهى به المطاف ليختتم كلمته قائلا بانه فى طرحه تلك النقاط بلورة لفكرة او مفهوم يتعلق بدور الفن فى خدمة القومية، واذ بى لا افهم شيئا فهو يبدأ بان الفن القومى هو الذى يعكس حياة شعب وآماله وأفكاره ، وينتهى بان الفن القومى هو الذى يخدم قضية القومية اذن ، لقد افترض وجود فن قومى دون وجود للقومية •

أما السيد قمش مندوب تونس فبجرأة ساذجة يحدد وينهى الاشكال بطريقة تشيخية فليس أمامنا سوى سبيل واحد من سبيلين لاقامة فن قومى : الاول هو مواصلة النشاط فى ظل اتحاد الفنانين العرب ،والسبيل الاخر لا يخرج عن اقامة التجارب ، أية تجارب ؟؟ وأعماله لا تخرج عن تقليد باهت لاعلانات فى بلدان أمريكا اللاتينية •

والاستاذ شموط مندوبفلسطين ورئيس اتحاد الفنانين العرب ، ينهج النهج التقليدى لفرسان المؤتمرات بالمنطقة فيعلق ان التفاعل يمكن أن يحدث عن طريق «الندوات والمحاضرات والمناقشات» وهى كلمات الافضل الا نرد عليها ملكننا نذكره ان مثل هذه المؤتمرات مهما كانت فهى لا ترتبط بأية قاعدة بالمنطقة ولن ترتبط • وان ـ كان الاستاذ شموط قد اختتم كلمته مؤمنا انه لابد من استعمال البندقية وركن الفرشاة جانبا فلما لم يحاول اتخاذ مكانه دوما مابين الفدائيين بدلا من مناوراته وراء الكواليس حتى يحصل على رئاسة اتحاد الفنانين العرب •



انها ليست اعلانا امريكيا لفيلم « فيفازاباتا » بل صورة للفنان التونسى عن الفدائين . ولم يكلف الرسام خاطره ويغير القبعة السمبريرو المكسيكية باعقال العربى

وأمام الدكتور حسام الخطيب تأخذ الدهشة بتلابيبنا • ونعجب اذ كيف لاستاذ جامعى يرتبط بقضايا الشعر والادب ان يطلب من الفنان التشكيلى ، أن يركز فى عمله الفنى مثلا على شخصية الجندى الصلب المنضبط وأن يصنع منه النموذج البطولى أو تركز على البطولة الجماهيرية ، وعلى صمود مدينة أو حى ، وعلى بسالة مجموعة فدائية وعلى تحمل والدين عجوزين لالام البرد والجوع وفقد البنين ـ وكذلك ان كانت المعركة المنتظرة سريعة وحاسمة فعلينا أن نقوى من توتر الشحنة العاطفية فى العمل الفنى ••• « الى آخره من نصائح غالية وتعليمات مقيدة • شىء جميل والله ان يقول « يجب أن ••• » وعلينا أن ••• « ومثل هذه الصيغ نسيناها من زمن فهى تذكرنا بتوصيات مؤتمرات الادباء فى زمن ستالين ••• لكن أننسى أن بسترناك لا زال يقرأ ، ولا أحد حتى يتذكر ايليا اهرنبرج وأعمال كاندنسكى تملأ متاحف العالم ، لكن أين الملصقات الفاشية التى كانت تلطخ جدران أوربا وقت النازى ؟؟ على كل كنت أخشى أن ينتهى المطاف بسيدى الدكتور الى كتابة « روشتة » لنيل النصر وكسب الحرب •

ما هو المطلوب منا ؟؟ ايراد منا تطبيق مثل هذه التعليمات حتى نخلق ارادة ـ المواجهة؟؟ •••ارادة المواجهة؟؟ اى مواجهة ايها السادة ، انه لم يعد لدينا وقت ، حتى كى نختبر سلاحنا • انها ليست المواجهة ، بل أن يعيش الفنان العربى التجربة ، كما عاشها زملاء له شرفاء طيلة العصور ومع كل محنة • المواجهة ليست أكثر من نفى خارج حدود التجربة • اى ان التجربة شىء وتصبح أنت شيئا أخرا • وان كان الفنان قد فقد اصلا القدرة على مواجهة نفسه ، فهل هناك وجود مواجهة •

وختاما اكرر ما قلت على المنصة ومغضبا البعض ، « هل الفنان على استعداد سنة ١٩٧٢ كى يتخذ موقفه الايجابى ومكانه القيادى ام لا ؟؟» واحتقر نفسى أن أكتب هذه الاسطر فكلها قضايا ومشاكل انتهينا منها من زمن ومن العار الخوض فيها • فاى مؤتمر أو تجمع يجب ان يبدأ من هذه النقطة : هل الفنان الان على استعداد كى يحمل عاره ونتيجة تخاذله وتهاونه وتركه السياسيين يقودون بمفردهم ••• هل هو على استعداد حقا كى يصحح هذا الخطأ بالضبط كما فعل فنانى وشعراء ومفكرى فرنسا خلال وبعد الحرب العالمية الثانية أم لا ••• ؟؟؟ •

ســـــينما ٧٢

على الصـــــعيدين العـــربى والـــدولى

كان مهرجان دمشق الدولى الاول لسينما الشباب هو أهم حدث سينمائى عام ١٩٧٢ على الصعيد العربى ، فقد عرض المهرجان أهم الافلام العربيـــة الطـــويلة والقصيرة التى أخرجهـــا السينمائيون الشباب فى مختلف الدول العربية ، وعرض لاول مرة برنامجـــا خاصا عن قضية فلسطين ، واسبوعا أقيم بالتعاون مع أرشيف الفيلم القومى بالقاهرة عن الواقعيـــة فى السينما المصرية ، كما عقد فى اطاره المـــؤتمر الاول لنقاد السينما العرب .

وقد تكونت لجنة التحكيم الدوليـــة من المخرج السوفيتى يـــورى أوزيروف رئيسا وعضوية كل من التشيكوسلوفاكى انتونين بروسيل والفرنسيين مارســـيل مارتان وجى انييل والتونسى طـــاهـــر الشريعة والعراقى يوسف العانى والمصرى سمير فريد والسورى عبد الحميـــد مرعى .

فاز بجائزة الفيلم الروائى الطويـــل كل من الفيلم المصرى «أغنية على الممر» اخراج على عبد الخالق والفيلم الكويتى «بس يابحر» اخراج خالد الصديق ، وفاز بجائزة الفيلم الروائى القصير الفيلم السورى «طائر القرية» اخراج جان لطفى، وبجائزة الفيلم الروائى القصير الفيلم السورى «طائر القرية» اخراج جان لطفى، وعلى حين حجبت جائزة الفيلم التسجيلى الطويل لعدم وجود أفلام ، ولم يفز أحد بجائزة أفلام التحريك ، وبجائزة الافلام العلمية فاز بجائزة الفيلم التســـجيلى المتوسط الطول الفيـــلم الفلســـطينى « بالروح بالدم » اخراج مصطفى أبوعلى وفاز بجائزة الفيلم التسجيلى القصـــير كل من الفيلم المصرى « حصـــــان الطين » اخراج عطيات الابنـــودى ، والفيلم السورى « وادى الفـــرات » اخراج عمر أميرالاى . وفاز بجـــائزة لجنة التحكيم الخاصة كل من الفيـــلم السورى « الفهد » اخراج نبيل المالح والفيلم المغربى « وشـــمة » اخراج حميد بنانى ، وكلاهما فيلمين روائيين طويلين ، وفاز بشهادة التقدير الوحيدة الفيلم السورى التســـجيلى القصـــير « بعيدا عن الوطن » اخـــراج قيس الزبيدى ، وفاز بجائزة النقاد الفيلم السورى « مائة وجه ليـــوم واحـــد » اخراج اللبنانى كريستيان غـــازى . وبجائزة جماعة السينما الجديدة الفيلم الكويتى « بس يابحـــر » . وبجائزة منظمة فتح كل مـــن الفيـــلم المصرى « أغنية على الممر » والفيلم السورى « حتى الرجل الاخير » اخـــراج أمين البنى .

وعلى الصعيد العربى أيضـــا كان انشاء اتحاد نقاد السينما العرب الذى تمخض عن المؤتمر الاول لنقاد السينما العرب حدثا من أهم الاحداث السينمائية وقد عقد الاتحاد مؤتمره الاول فى اطار مهرجان قرطاج الرابع بتونس فى نفس العام ، وأقر المؤتمر اللائحة النهائيـــة للاتحاد ، وأجرى تعديلا واحـــدا فى الامانة العامة التى انتخبت فى دمشق ، وأضيف اليهـــا منـــدوبين من تونس والجزائر .

والحدث الثالث والاخير الجـــدير بالتسجيل على الصعيد العربى هـــو المهرجان الدولى الرابع للايام السينمائية بقرطاج الذى يعقد كل عامين ، والذى يخصص مسابقته للافلام العربيـــة والافريقية الطويلة والقصيرة .

الاوســـكار :

وعلى الصعيد الدولى كانت فضيحة الاوسكار من أهم أحداث سينما ٧٢ ، ولا تتمثل هذه الفضيحة فى فوز فيـــلم « علاقة فرنسية » اخراج وليم فريـــد كين بجائزة أحسن فيلم ، أو فوز الفيلم الصهيونى « حـــديقة فينزى كونتينى » اخراج فيتوريو دى سيكا بجائزة أحسن فيلم أجنبى، أو ترشيح الفيلم الاسرائيلى «رجل البوليس » لهذه الجـــائزة ، أو منح شابلن جائزة خاصة بعد أن كرمه مهرجان كان عام ١٩٧١ باللبجون دونير ، وانما تتمثل الفضيحة أساسا فى الحقيقة التى كشف عنهـــا بعض السينمائيين الشباب فى هوليود وهى أن هنـــاك من بين الـــ ٢٩٧٠ الذين يصـــوتون لجوائز الاوسكار ممثلين لشركات دور العرض والتوزيع والانتاج نســـبة كبيرة لم تعمل فى السينما قط منـــذ عام ١٩٣٧ .

مهرجان طهران :

أقيم فى طهران للمرة الاولى مهرجان طهـــران السينمائى الدولى الذى تنص لائحته على عرض ٢٠ فيلما طويلا و ٢٠ فيلما قصيرا فقط كلهـــا تعرض للمرة الاولى وبحد أقصى فيلمان طويـــلان وفيلمان قصيران لكل دولة ، كما تنص على عدم اقتسام الجوائز ، وعدم قبول الافلام التى لا تمثل الحكومات ، وهـــو البند الوحيـــد الذى يضـــم المهرجـــان بالرجعية والتخلف !

وقد عرض المهرجان فى دورته الاولى ١٩ فيلما طويلا من ١٥ دولة و١٠ أفلام قصـــيرة من ١٠ دول فى مسابقتيه ، وعرض خارج المسابقة ١٨ فيلما طويلا من ١٢ دولة و١٦ فيلما قصيرا من ١١ دولة . وكان من بين أعضاء لجنـــة التحكيم الهندى راى والسوفيتى شوفراى والايطالى لاتووادا والبرازيلى سالس جوميز ، والمصرى صلاح ابو سيف، وقد فاز الفيلم السوفيتى « المـــلك لير » اخراج جريجورى كوزنتسيف بالجائزة الكبرى فى مسابقة الافلام الطـــويلة ، وفاز الايطالى داميانو بجائزة الاخراج عن فيلم « التحقيق انتهى . . انس الموضوع » والســـوفيتى يورى يارفت بجائزة أحســـن ممثـــل عن دوره فى « الملك لير » ، والامريكية جين فوندا بجائزة أحسن ممثلة عن دورها فى فيلم « كلوت » الذى فازت عنه بالاوسكار أيضا . وفاز الايرانى باهـــرام بيازى بجائزة لجنة التحكيم عن فيلمـــه الاول « عاصفة المطر » . ومنحت اللجنـــة ثلاث شهدات تقديرية للفيـــلم الكويتى « بس يابحر » ، والمخرجة الفرنسية نينا كومباينز عن فيلمها الاول «فوستين والصيف الجميل » ، والممثلة المصرية فاتن حمامة من دورها فى فيلم « الخيط الرفيع » .

وفى اطار المهرجان عرضت لاول مرة كل أفلام المخرج الايطـــالى بيير باولو بازولين .

مهرجان كان :

كانت نتائج مهرجـــان كان السينمائى الدولى الخامس والعشرين تمثل انتصارا كبيرا للسينما السياسية الايطاليـــة

اذ تقاسم الجائزة الكبرى الفيلمين الايطاليين « قضية ماتيه » اخراج فرانشسكوروس ، و « الطبقة العاملة تذهب الى الجنة » اخراج اليوبيترى.

وفاز بجائزة كبرى خاصة فى نفس المهرجان الفيلم السوفيتى « سولاريس » اخراج أندريه تاركوفسكى ، وبجائزة الاخراج المجرى ميكلوش يانتشو عن فيلمه « تراتيل حمراء » وكانت هذه الافلام بحق أهم أفلام المهرجان الذى احتفل بجروشو ماركس آخر الاخوة ماركس ، وقلده وسام الليجون ردتير الذى حصل عليه شابلن عام ١٩٧١

مهرجان برلين :

أما مهرجان برلين الثانى والعشرين فقد فاز بجائزته الكبرى الذهبية الفيلم الايطالى « حكايات كانتر برى » اخراج بازولين ، وفاز بالجائزة الفضية للاخراج الفرنسى جان بيير بلان عن فيلم « العانس » ، وبجائزة خاصة فضية كل من الامريكيين أرثر هيللر عن فيلم « المستشفى » وبيتر استينوف عن مجموع أعماله .

مهرجان كارلو فيفارى :

وفاز بالجائزة الكبرى فى مهرجان كارلو فيفارى الثامن عشر الفيلم السوفيتى « ترويض النار » اخراج دانيل خراوبرتسكى ، وبالجوائز الاربعة الاخرى للمهرجان الفيلم الالمانى من ألمانيا الديمقراطية « الثالث » اخراج ايجون جونتر ، والفيلم البولندى « انحراف السيارة » اخراج يان لونبسكى ، والفيلم التشيكوسلوفاكى « فريق جيد بالتأكيد » اخراج جوزيف ريوشا ، والفيلم الايطالى « مثل هذا الحب الغريب » اخراج البرتو بيفيلاكو ، كما فاز بجائزة لجنة التحكيم الخاصة الفيلم البلغارى « قرون الماعز » اخراج ميتودى اندونوف .

وفاز بالجائزة الاولى لاحسن أفلام العالم الثالث الفيلم الفيتنامى « أرض الوطن » اخراج بى دين هاس ، وبالجائزة الثانية كل من الفيلم المصرى « أغنية على الممر » والفيلم السورى « الفهد » والفيلم التونسى « وغدا » ، وفاز بجائزة السيدالك لاحسن فيلم طويل الفيلم الكوبى « صراع كوبا مع الشياطين » اخراج توماس اليا ، ولاحسن فيلم قصير كل من الفيلم اللبنانى « مبعثرون فى الهواء » اخراج جاك مدفو والفيلم الارجنتينى « احتجاج الناس » اخراج امبرتو ريوس .

وللمرة الرابعة على التوالى الغيت



شارلى شابلن



جين فوندا

مهرجان فينيسيا :

مسابقة مهرجان فينيسيا الثالث والثلاثين ولكن النقاد اقاموا مسابقة خاصة باسم فينيسيا النقاد حيث فاز بجائزة أحسن فيلم الفيلم السويدى « الاجانب » اخراج يوهان برجنسترال وفاز بجائزة العمل الاول الفيلم البريطانى «طفولتى» اخراج بيل دوجلاس ، وبجائزة أحسن تمثيل كل من الامريكية تيوز داى ولد والالمانية من ألمانيا الديمقراطية جوها هوفمان .

وفاز بجائزة الاتحاد الدولى للصحفيين السينمائيين كل من الفيلم الهندى « سيما بارو » اخراج ساتيا جيراى ، والفيلم الكويتى « بس يابحر » ، وبجائزة السيدالك كل من الفيلم اليوغسلافى « الاستاذ والمرجريت » اخراج الكسندر بيتروفيتش والفيلم البرازيلى « المؤامرة » .

وللمرة الثالثة بعد كان ١٩٧١ والاوسكار ٧٢ احتفل فينسيا ٧٢ أيضا بشارلى شابلن حيث عرض كل أفلامه، وأهداه أسد سان مارك الذهبى .

مهرجان ليبزج :

أما مهرجان ليبزج الخامس عشر للافلام التسجيلية والقصيرة للسينما والتليفزيون فقد أجرى تعديلات هامة فى لائحته اهمها الغاء تقسيم الافلام حسب أطوالها ، والاكتفاء بجائزتين ذهبيتين وثلاث جوائز فضية لكل من أفلام السينما وأفلام التليفزيون .

أما الجائزة الذهبية الاولى فى مسابقة السينما فقد فاز بها الفيلم السوفيتى « لا يوجد حزن قريب عنا » اخراج قسطنطين سيمونوف وماريا باباك ، وفاز بالجائزة الذهبية الثانية الفيلمين الكولومبيين « عمال البناء » و « شهادة الاجرام فى حق الشعوب » اخراج مارتا رودرجيز ويوريس سيلفا ، وبالجائزة الفضية الاولى الفيلمين الهنديين « ٩ شهور الى الحرية » و « بائع الشمى » اخراج س. خوسديف ، وبالجائزة الثانية فيلم ألمانيا الديمقراطية « خريف المشب » اخراج جورجى نيكل ، وبالجائزة الثالثة الفيلم السوفيتى « بريد » اخراج دانيل أدولايتش .

وفى مسابقة التليفزيون فاز بالجائزة الذهبية الاولى الفيلم الفيتنامى « نصر على الطريق رقم ٩ » اخراج نوين فان ونجو ساو ولى نونا ، وفاز بالجائزة الذهبية الثانية الفيلم البريطانى «الجنرالات فى الخلفية » اخراج ل. وود وستيفان كلارك ،وبالجائزة الفضية الاولى الفيلمين السويديين « فيتنام فى أغسطس ٧٢ » و « أمريكى فى هانوى » اخراج لينارت مالر وانجيلا رومارى ، وبالجائزة الثانية فيلم ألمانيا الاتحادية « الاحتكارات تبتلع مدينتنا » اخراج مجموعة داس تيما ، وبالجائزة الثالثة الفيلمين السوفيتيين « عمال المناجم » اخراج ايجور بيلاو ، و « شباب بريطانيا » اخراج و. ليسكوفيتش . كما فاز الفيلم السورى « شهادة الاطفال الفلسطينيين فى زمن الحرب » اخراج قيس الزبيدى بجائزة الاتحاد الدولى للشباب الديمقراطى .

جين فوندا :

ولا نستطيع أن نتحدث عن سينما ٧٢ على الصعيد الدولى دون أن نذكر الزيارة التاريخية التى قامت بها الممثلة الامريكية المناضلة جين فوندا الى فيتنام الديمقراطية متحدية السلطات الامريكية ، والرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون شخصيا فى تصريحاتها بالمطارات ، والنداء الذى وجهته الى القوات الامريكية فى فيتنام لوقف الحرب .

لقد قدمت جين فوندا مثالا نموذجيا للفنان الواعى الملتزم الذى يجعل من فنه سلاحا فى خدمة الكفاح الانسانى ضد الاستعمار والامبريالية .

الفهرس التحليلي لعـــام ١٩٧٢



— ١ —

اعـــداد :
محمد ابراهيم سليمان
عـــز الدين شوكت
قسم المعلومات — الأهرام

مطابع الأهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة التاسعة - فبراير ١٩٧٣

الطليعة

٢

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر



برال :

الثورى لا يكفيه
مرا واحدا »

الثورة الفلسطينية والثورة العربية

خمس قضايا مصرية

تقرير من اسرائيل

السياسة الأمريكية المعاصرة فى ضوء التطورات الجديدة

تحقيق سياسى : اليمن الديمقراطية من داخل اليمن الديمقراطية

ملحق
الأدب



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

الفهرس

العدد الثانى ـ السنة الثامنة ـ فبراير ١٩٧٣

● ●

عنوان المراسلات :
مبنى مؤسسة الأهرام شارع الجلاء القاهرة تلفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. ـ دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

د. محمد الخفيف

شــارك في تاسيس « الطليعة »

واسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ - يارس ١٩٧٢

ان « الطليعة » ميــدان مفتوح لكل راى حر ، وفي اعتقــادنا أن تفـاعل الآراء الحرة على اختــلافها هو وحــده الــذى يستطيع ان يبــلور ويستخلص وحـــدة فكرية أصيلة .

من هــذا المفهوم تفتــح « الطليعــة » صفحــاتها لكل راى لــديه كلمة يقولهــا — مؤمنة بشعار الحـرية المجيــد الذى اطلقــه فولتير فى القــرن الثــامن عشر « قــد اختلف معــك فى الراى ولـــكنى على اســـتعداد لان ادفــع حيــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ..



تفسح الافتتاحية مكانها ، بترحاب ، لنص كلمة الجبهة الشعبية العربية المشاركة للثورة الفلسطينية ، امام المؤتمر الوطني الفلسطيني ، الذي انعقد بالقاهرة في الفترة من ٦ — ١٢ يناير الماضي .

وكان المؤتمر قد قرر دعوة وفد من الامانة العامة للجبهة للمشاركة في اعماله لاول مرة . وتكون الوفد من جلول الملايكة [الجزائر] ونديم عبد الصمد وتوفيق سلطان وهاني فاخوري [القوى الوطنية والتقدمية في لبنان] ورغيد الصلح [حزب البعث العربي الاشتراكي] ولطفي الخولي [الطليعة — مصر] .

والقى نديم عبد الصمد رئيس المكتب التنفيذي بالامانة العامة ، كلمة الجبهة في المؤتمر .

الثـــــورة الفلســـــطينية والثـــــورة العربيـــــة

يشرفني باسم الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية ، أن اقف من فوق منبر مجلسكم الوطني لاعيد تأكيد ما أقره المؤتمر التأسيسي لجبهتنا العربية ، من أن الثورة الفلسطينية : شعبا وقضية وطريقا ونضالا ، هي ساحة اساسية من ساحات الكفاح العربي . وهي الارض التي تتجمع فيها اليوم كل القوى الوطنية والتقدمية العربية على اختلاف منابعها الاجتماعية والفكرية ، لاول مرة في تاريخنا المعاصر .

ولقد كان شرفا لنا وتجسيدا واقعيا للمفهوم المشترك للنضال ، أن يتخذ مجلسكم قراره بأن نشارك كممثلين للجبهة في أعمالكم ومناقشاتكم .

واتاح لنا هذا القرار أن نعمق من اتصالنا التنظيمي والسياسي بالثورة الفلسطينية الذي سينعكس بدوره على تعميق العمل اليومي المشترك للجبهة ، من خلال وحدة الطريق والهدف ، سواء في المجالات المحلية او القومية أو العالمية .

ان محورا ثابتا منمحاور العمل المناهضفي جوهرهللثورةالفلسطينية، كانيقوم على عزلها عن حركة الثورة العربية انطلاقا من تشويه معنى بلورة الشخصية الفلسطينية واكسابها مفهومها النضالي والوطني .

وفيما كانت الثورة الفلسطينية تحاول ايقاظ المشاعر الوطنية الفلسطينية في خط مضاد لمشاريع التوطين والدمج والقبول بواقع اللجوء ، كانت القوى المعادية تحاول حرف هذا الاتجاه واستدراج الثورة الفلسطينية الى شرك الاقليمية المعزولة عن اى افق عربي او عالمي ، التي تقلل دوما من اهمية او جدوى او ضرورة زج كامل طاقات الامة العربية في الصراع مع العدو .

ولقد كان من الضرورى فى مواجهة هذا الاتجاه ، تعميق الخصوصية الكفاحية للثورة الفلسطينية التى تحافظ عليها من الذوبان فى خضم قضايا النضال العربى الاخرى ، مع المحافظة على العلاقة الجدلية بين الاطار العربى العام والفلسطينى الخاص لنضـال الثورة .

وتأكد فى أكثر من معركة وتجربة ان الاخلاص للثورة الفلسطينية ، بشكل من خصوصيتها وعموميتها ، هو فى الحقيقة اخلاص لاخطر واهم قضايا النضال العربى.

ومن هنا تبلور اتفاق عام بين القوى الوطنية العربية على ضرورة صياغة نمط جديد من العلاقة بينها وبين الثورة الفلسطينية ، يعبر عن الموقع الذى تحتله فى النضـال العربى .

ان قضية واحدة اخرى ، وهى متصلة اتصـالا مباشرا بالثـورة الفلسطينيـة ، تحظى بتأييد اجماعي واتفاق على تقدير اهميتها هى قضية استخدام سلاح البترول فى المعركة ، ولكن الهـدف يبقى واحدا ومحـوريا ، وهو هدف التحرير والتقـدم الاجتمـاعى .

والعدو ـــ بهذا المفهوم ـــ لا ينحصر فقط فى الكيان الاسرائيلى العدوانى ،وانما يمتد الى أعماق أساسية هى الصهيونية العالمية والامبريالية وخاصة الامريكية . ولكى تكون بالتالى مواجهتنا لهذا العدو على نفس المستوى ، يستلزم الامر وحدة نضالية بين الثورة الفلسطينية وعمقها الاساسى ،بقوى الثورة العربية وحلفائها من قوى التقدم والتحرر والاشتراكية فى العالم .

ان قوى الثورة العربية المتجسدة فى تنظيماتها وأحزابها وحركاتها الوطنية والتقدمية، وهى تتفاعلُ اليوم تفاعل المشاركة المباشرة وليس مجرد التأييد ، انما تنطلق من مفهوم ان قومية المعركة تتبلور فى الواقع من الطاقات المنظمة للجماهير العربية فى مختلف مواقعها النضالية واقطارها ، وذلك هو الطريق الاكثر فاعلية لتجنيد الامكانيات العربية الشاملة فى المعركة .

منذ أن تفجرت حركة المقاومة الفلسطينية ، وفى كل مرحلة من المراحل التى دخلتها، كان الشعور يتزايد بأهمية تعميق تفاعلها مع الجماهير العربية عبر تكوين جبهة شعبية موحدة تضم كافة القوى والهيئات والشخصيات الوطنية العربية المتفاعلة مع المقاومة والتى تقف معها فى مواقع نضالية مشتركة ضد القوى المعادية لها .

ولقد تبلور هذا الشعور فى المؤتمر الشعبى الفلسطينى المنعقد فى القـاهرة فى نيسـان [أبريل] من العام الماضى فى قرار بالدعوة الى مؤتمر شعبى عربى لنصرة الثورة الفلسطينية وفى سلسلة من الخطوات التحضيرية لهذا المؤتمر .

وهكذا انتقل الشعور باهمية العمق العربى للثورة الفلسطينية ، من حيز القنـاعة الذهنية والفكرية ، الى حيز العملْ والفعل السياسى بانعقاد المؤتمر الشعبى العربى فى بيروت فى تشرين الثانى [نوفمبر] من العام الفائت .

لقد بين انعقاد المؤتمر والحضور الواسع ، عربيا وعالميا ، المكانة المتقدمة التى تحظى بها المقاومة الفلسطينية لدى الجماهير العربية ، وبين فصائل حركة التحـرر العربى والشعوب المناضلة ضد الاستعمار فى العالم .

ذلك ان عقد مثل هذا المؤتمر كان ، كما أشار الاخ أبو عمار فيما قاله أمس فى هذا المجلس ، أملا وأمنية تراود أكثر القادة الوطنيين فى الوطن العربى ، فأمكن تحقيق هذه الامنية بفضل الرصيد المعنوى الكبير الذى تحتله المقاومة عربيا وعالميا .

كذلك كان تأييد واشتراك مختلف فصائل الحركة الوطنية العربية فى هذا المؤتمر دليلا على تحسسها بالخطر وشعورها بالمسئولية ازاء تصاعد الحملة الامبريالية — الصهيونية الشرسة ضد الثورة الفلسطينية وضد مجمل حركة التحرر العربية ، كما جاء فى مطلع البرنامج الساسى للجبهة ، وكما برز من خلال مناقشات مجلسكم .

ولقد شملت المشاركة فى المؤتمر احزابا وقوى عربية حاكمة وغير حاكمة ، وفى جميع الاحوال كان الحرص على الطابع الشعبى للمؤتمر وللجبهة التى تنبثق عنه ، يتأكد من خلال اشراك القوى ذات الثقل والتأثير الجماهيرى فى الساحة العربية .

وكما حملت مسألة انعقاد المؤتمر والمشاركة فيه دلالات هامة بالنسبة لحركة المقاومة ، فقد شدد البرنامج السياسى على الطابع الشعبى للجبهة فى الاشارة الى أن هدفا رئيسيا من اهداف الجبهة هو « ضمان حرية المقاومة والوجود العسكرى والسياسى والتنظيمى للثورة الفلسطينية ، وفى جميع الاقطار العربية.. « وعلى المقاومة فضح كل المحاولات الرامية الى عزل المقاومة عن الحركة الشعبية وتمتين التلاحم بينها وبين حركة التحرر العربى » .

وتبنى البرنامج بوضوح مقاومة كل المشاريع التصفوية التى تقوم على تكريس الكيان الصهيونى والاعتراف بدولة اسرائيل ضمن ما يسمى الحدود الامنة ، واكد على تأييد القوى الوطنية والتقدمية العربية للمقاومة الفلسطينية فى استراتيجيتها فى هذا المجال . كذلك حدد البرنامج ، المشاركة المباشرة فى كفاح الشعب الفلسطينى بمختلف أشكاله ، كهدف من أهداف الجبهة .

وتميز البرنامج بالوضوح فى الموقف من الرجعية ، الاردنية العميلة من خلال تأكيده على « دعم الجهود الرامية الى بناء الجبهة الوطنية الاردنية — الفلسطينية ونضالها الوطنى الديمقراطى لاسقاط نظام الحكم العميل فى الاردن ، وفى سبيل محاصرة هذا النظام ، والتضييق عليه من الخارج ، وتأمين الدعم المادى للجبهة الوطنية الاردنية — الفلسطينية .

وكذلك اكتسب البرنامج نفس الوضوح فى الموقف من النشاط التآمرى الذى تمارسه الرجعية العربية وايران فى منطقة الخليج العربى ، وذلك من خلال اعتبار « التصدى بحزم للقوى الامبريالية والرجعية فى الخليج العربى » هدفا رئيسيا من أهداف الجبهة .

ولقد أرفق البرنامج السياسى للجبهة ، بلائحة داخلية تحدد طبيعة القوى المشاركة فيها وهيئاتها والمهمات المختلفة المناطة بها . وتضمنت اللائحة الداخلية أيضا قرارا بتشكيل لجان وطنية فى كل قطر لمشاركة الثورة الفلسطينية مما يمكن اعتباره مهمة مركزية ومباشرة مطروحة أمام الجبهة وقواها الفاعلة .

وهكذا فى ضوء اتساع المشاركة فى المؤتمر ووضوح برنامجه السياسى وبلورة بعض النقاط المركزية فى لائحته الداخلية ، وثراء المناقشات التى جرت فى جلساته العامة

ولجانه الفرعية، اجمعت التقديرات على ان المقاومة الفلسطينية والحسركات الوطنية العربية حققت انجازا هاما بضم الاساس المتقدم لوحدة النضال العربي . اذ أن من يتوصل الى رؤية الموقف الموحد بصدد القضية الفلسطينية وتفاعلاتها على الساحة العربية ، يستطيع أن يتقدم بخطة ثابتة نحو توحيد مواقفه وتوجيهاته في أكثر قضايا الثورة العربية .

ولا شك عندنا ان القوى التي شاركت في المؤتمر تدرك ادراكا عميقا اهمية اللحظة التاريخية التي ولدت فيها الجبهة العربية المشاركة وجسامة المسئوليات والمهمات التى اضطلعت بها والامال المعلقة عليها .

ولكي تكون هذه المهمات أكثر تحديدا ووضوحا فقد تكفل المكتب التنفيذي للامانة العامة باعداد مشروع برنامج سياسي مفصل في اطار البرنـامج السـياسي الشـامل تمهيدا لعرضه على الامانة العامة في شهر شباط [فبراير] القادم ، كما تكفل المكتب التنفيذي أيضا ببلورة طرق وقواعد العمل داخل الجبهة .

ان المؤتمر التأسيسي للجبهة المشاركة ، يمثل انجـازا سـياسيا ، من النـاحيتين النظرية والعملية ، كان من شأنه ان خطى بالحركة الثورية العربية بجميع فصـائلها خطوة نوعية الى الامام . وبالتالي فهو يطرح أمامها بالضرورة مهام نوعية جديدة ، بمستوى ضراوة المعركة وضراوة العدو معا .

ويمكن أن نحدد بعض هذه المهام النوعية الجديدة في صورة مجملة فيما يلي :

أولا : تعبئة وتجنيد الجماهير الشعبية على مستوى تنظيمي مؤثر وفعال ، وذلك من خلال لجان الجبهة الشعبية العربية في كافة اقطار الوطن العربي ، وفي البلدان الاجنبية التي تضم مواطنين عربا .

ثانيا : العمل على ان تكون اللجان الوطنية والابنية التنظيمية المختلفة للجبهة هي ساحة اللقاء النضالي وتبادل الخبرات والمعلومات التي تؤدي الى وحدة الرؤية في كل ما يتعلق بالنضال العربي ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية ، بين مختلف فصائل حركة التحرر العربي والثورة الفلسطينية . وذلك على أساس منهج استقلالي موحد .

ثالثا : حماية الوجود الفلسطيني : شعبا وثورة ، في جميع الاقطار العربية ، واحباط كل المخططات الرامية الى ضرب الثورة الفلسطينية من الظهر . وتمكين الثورة من ممارسة كافة اشكال نشاطها التحريري بحرية .

رابعا : مواجهة الحرب الصهيونية على المستوى العالمي ضد الثورة الفلسطينية ، بخطة عربية وعالمية واسعة وفعالة .

في نفس الوقت الذي ينعقد فيه مؤتمركم دارت وما تزال تدور معارك ضارية بين الجيش السوري وبين قوى العدوان الاسرائيلي . وقد أكدت سوريا في هذه المعارك جنود شعبها وجيشها وقيادتها في وجه العدوان ، وتصاعد قدرتها القتالية وتصميمها

الكفاحى على مواصلة المعركة أيا كان الثمن . واننا من فوق هذا المنبر نحيى المقاتلين السوريين البواسل ، ونحيى شهداء اليوم والمستقبل ، من كل المقاتلين العرب وعلى كل الجبهـــات .

ولا شك أن هذه المعارك التى كشفت عن بسالة المقاتلين العرب وروحهم القتالية العالية ، من شأنها أن تخلق مناخا نضاليا أكثر صحة وقدرة على العطاء ، ليس فقط فى سوريا ، بل على الصعيد العربى بأكمله .

ان كلا من المعارك فى الجبهة السورية والتصعيـــد لعمليـــات الثورة الفلسطينية المحتلة ، وضد المؤسسات الصهيونية فى العالم ، لا يمثل فقط تواصلا فى خط النضال وتكثيفا له ، وانما يشكلان بالاضافة الى ذلك عاملا هاما من العوامل الايجابيـــة فى احباط ما يخطط من قبل الرجعية العربية لضرب المقاومة الفلسطينية .

واذا كنا نولى اهمية كبرى لاستمرار الاخوة اللبنانية الفلسطينية، واحتضان الشعب اللبنانى بجميع قواه للمقاومة الفلسطينية ، وذلك على أساس اتفاق القاهرة ، فاننـــا نصبح أكثر اقتناعا بأن المصلحة المشتركة : لبنانيا وفلسطينيا وعربيا تتطلب دعم هذه الاتفاقية وتثبيتها كقاعدة للعلاقات الاخوية . خاصة فى الوقت الذى تبذل فيـــه قوى الامبريالية واسرائيل والرجعية العربية ضغوطا متزايدة ضد اتفاق القاهرة من أجـــل افتعال أجواء غير صحية فى العلاقات بين المقاومة الفلسطينية والسلطات اللبنانية .

اننا على يقين من أننا سوف نبذل جهدا مشتركا حثيثا من أجل تحريك الجبهة وتعميق التلاحم بين أطرافها ، وتكثيف خيوط النضال الجماهيرى العـــربى الموحد فى اطارها ، فقد نجح المؤتمر ، ويبقى أن تنجح الجبهة ، فتكون الثورة الفلسطينية قد اسهمت افضل اسهام فى دفع الحركة الثورية على طريق وحدة العمل النضالى .



كابــرال :
« الثــورى لايكفيــه عمـــرا واحــدا »

قليل هم الرجال الذين اذا توقفت قلوبهم عن النبض ، يصعقك « النبأ » ، وتتوقف قلوب شعوب بأسرها : حزنا عليهم واجلالا لدورهم ٠

٠٠ ونادر هم قـادة التحرر الوطنى الـذين تجاوز « حجمهم التاريخى » ، حدود « وجودهم القومى » ٠ ويصبح صعبا علينا جميعا أن نميز بوضوح بين دورهم ومنجزاتهم ، وبيـن دور ومنجزات شعوبهم أو أحزابهم ٠ اسم الواحـد منهم ـ هنا ـ يرتبط باسم شعب بلاده ، ويصبحان وجهين لظاهرة واحدة : نضال « انسان » البلاد النامية من أجل الاستقلال الوطنى والتقـدم الاجتماعى ٠

٠٠ لكن هؤلاء القلة النادرة وحدهم ، عندما تتوقف قلوبهم ، تجد دماؤهم قلوبا جديدة ٠
من هؤلاء ، كان فرانز فـانون ٠٠ وتشى جيفارا ٠٠ وهوتشى منه ٠

من هؤلاء ، كان جمال عبد الناصر .. وقوامى نكروما ٠٠ وبـاتريس لـومومبا ٠٠ وادواردو موندلان .. وفيليكس موميه ، فى افريقيا ..

٠٠٠ وفى ٢١ ينـاير ١٩٧٣ ، كان اميلكار كابرال ٠

عندما يذكر اسـم « غينيا وجـزر الرأس الاخضر » ، يرادفه اسم اميلكار كابرال سكرتير عام حزب الاستقلال الافريقى ٠

٠٠ وعندما يذكر اسم « اميلكار كابــرال » ،يرادفه اسم حركة التحرر الوطنى الافـريقية والعالمية ٠

بهذا الحجم ، كان الرجل الذى ولد عام ١٩٢١ فى جزر الرأس الاخضر ، وأفلت من المصير الذى رسمه الاستعمار البرتغالـى للغالبية العظمى من شعب بلاده ، وتمكن من أن يتعلم حتى تخرج فى احدى كليات البرتغال نفسها : مهندسا زراعيا ٠

٠٠ وتقول الرواية أن كابرال لم يدرس كيف يزرع أرض وطنه فحسب ، وانما علمته « الارض » كيف يزرع عليها الحياة ٠ ومن خلال عمله فى الارض ، ارتبط بالفلاحين وعبأهم وأعدهم للنضال السياسى ٠ وما أن فشل سـلاح « الاحزاب » و « المظاهرة » فى تحقيق الاستقلال الوطنى ، حتى أسس وسط صفوف الفلاحين القواعد الاولـى للكفاح المسلح الذى بدأ فى أواخر عام ١٩٦٢ واتسعت حركته بعد عام ليحرز بعد ذلك ثلثى أراضى البلاد تحت قيادة الحزب الذى أسسه وبناه ٠ وفى هذه الاراضى المحررة الان آلاف من أبناء الارض يتعلمون فى المدارس التى أقامها الحزب ، ويعالج آلاف أخرى فى مستشفياته ،ويعمل آلاف ثالثة فى المـزارع التعـاونية ومزارع « الدولة الجـديدة » ٠ وهـم جميعـا يتعاملون مع محلات القطاع العام الذى يدير اقتصاديات الاراضى المحررة ، ومن خلال ذلك كله « زرع » الحزب فى الارض ليورق مناضلين ملأ سمع الفلاحين وكل الكادحين ٠٠ وأبصارهم ٠

٠٠ « وكابرال » الذى ارتبط اسمه بذلك كله ،كان هو « عقل » الثورة : مفكرا وسياسيا ٠ كان واحدا عظيما من أولئك القادة الوطنيين الذين جمعوا بين قدرات المناضل وامكانيـات المفكر ومهارة السياسى ٠ ولا يختلف اثنان مهتمـان بالقضايا الافريقية ، على أن رسائله وخطبـه وتقاريره ، تشغل حيزا هاما فى « علم الثورة »الافريقية ٠

وبقدر ما كان كابرال مناضلا « غينيا » بقدر ماكان أيضا مناضلا « افريقيا » و « آسيا » ٠ لقد وقف بكل ثقله السياسى ضد العدوان الامريكى فى فيتنام والعدوان الاسرائيلى فى الشرق الاوسط ٠

ليس مبالغة أن نقول أن استشهاد كابرال ، كان فى حجم الخسائر التى يسببها الغزو الاستعمارى حين يدك اراضى بلدا ما .

ولماذا يكون في ذلك التشبيه أية مبالغة ؟ .

ألم يكن هدف الغـزو الاستعماري البرتغالي ـ ومن ورائه حلف الاطلنطي ـ ضد جمهورية غينيا في نوفمبر من عام ١٩٧٠ ، اسقاط حكم سيكوتوري من جهة وتحطيم مكتب حزب الاستقلال الافريقي في كوناكري واغتيال زعمائه من جهة أخرى ٠٠ وكما أكدت ذلك بعثة الامم المتحدة الى غينيا في أعقاب الغزو الفاشل ؟ .

لكن فشل الغزو لم يثن الامبريالية عن أهدافها ٠ وذلك ما نعنيه بتماثل حجم « الاغتيال » مع حجم « الغزو » ٠

الى هذا الحد كانت تساوى المؤامرة من وجهة نظر الامبريالية العالمية ٠

٠٠ والى هذا الحد أيضا تساوى خسارة حركة التحرر الوطني الافريقية باستشهاد كابرال ٠

ان استشهاد « **اميلكار كابرال** » ، لا يمكن أن يقودنا الا الى نتيجة أكيدة وبارزة :

ان العدو الاستعماري مهما أجل تنفيذ أهدافه ، فهو لا يظل ساكنا مهما بدى كذلك ٠ وهو لن يهدأ ٠٠ ولن يساوم ٠٠ ولن يتنازل عن تحقيق أهدافه العدوانية ٠ وان استكان ، فهو يستجمع قوته الباقية ليوجه ضربته في الوقت المناسب له ٠

على أن استشهاد اميلكار كابرال على أرض جمهورية غينيا ، لابد وأن يقودنا الى حقيقة أخرى أكيدة وبارزة :

ان مواقع الثورة الافريقية واحدة ومترابطة في نظـر العـدو الاستعماري ، وبقدر ربما يفوق ادراك مواقع وفصائل الثورة الافريقية نفسها ٠

وهل من شاهد أو دليل أبلغ من قول الجنرال البرتغالي **كاووزا** الذي قاد القوات الاستعمارية : « ان كل جندي برتغالي يموت في غينيا ، انما يدافع في الواقع عن أنجولا وموزمبيق » ٠

٠٠ هل حركة التحرر الافريقية ـ بمواقعها ـ في حاجة لان تدرك حقيقة أن الرصاصة التي تملكها ولا تسكنها قلب الاستعمار العالمي ، انما تسكنها قلوب أطفالها ؟

ولعل الرئيس احمد سيكوتوري قد المح الى شيء من هذا المعنى عندما طالب ـ بحق ـ باجتماع الدول التقدمية الافريقية لدعم الثورة في « غينيا بيساو » ٠

والحق أن الدول التقدمية الافريقية وكل القوى التقدمية في القارة مطالبة اليوم بأن تـوحد صفوفها ٠ بل ان كل المناضلين الافريقيين يتحملون مسئولية هذه المهمة التي لا بديل عنها ٠

ان كابرال ـ آخر الامر ـ واحد عظيم من أولئك الذين يؤمنون بأن عمرا واحدا للثوري ، لا يكفي للتضحية كي تتحرر الارض ويتقدم انسانها ٠

ولسوف يلعن الانسان الافريقي الحرية ، اذا لم نقتل الاستعمار ونجهز عليه في بلادنا الافريقية ٠٠ واذا لم نجهز كذلك على معاقله الرجعية التي تسانده ٠

ان « الطليعة » وهي تنعى مناضلا عظيما من أبرز قادة حركة التحـرر الوطني الافريقيـة : هـو اميلكار كابرال ، تنعيه لشعبه ، ولشعبنا ولكل شعوب افريقيا وحركة التحرر العالمية ، انما تؤمن بأن الحزب الذي أسسه كابرال ودق مع رفاقه جذوره في أعمق أعماق بلاده وصانه كحبات عينيه ، قادر على أن يحمي الهدف ، وأن يحققه ، قادر على أن يواصل الزحف بالشعلة ٠ لقد استشهد كابرال ، وبقيت فصائل الكفاح المسلح التي يقودها حزب كابرال العظيم ٠

ولكم تعتز « الطليعة » بأنها قد فتحت صفحاتها الان يسطر عليها اميلكار كابرال بعضا من « علم الثورة » الافريقية ٠

ان شعبنا الذي يعرف المعنى الحقيقي لفقدان « الرجال » وخاصة عند الشدائد ، يعرف كذلك كيف ينبغي ان يكون الحزن لفقدان كـابرال ٠ والحزن هنا ـ وبالضرورة ـ حزنا ثوريا يتجاوز كل الالام من أجل استمرار الثورة ٠



خمس قضايا مصرية

في هذا العدد ، تخصص « الطليعة » دراستها الرئيسية لمناقشة خمسة من القضايا الداخليــــة .

وكما يلاحظ القارىء ، فقد أختارت «الطليعة » منهجاًلها في مثل هذه المناقشات ، أن تطرح القضايا التي تقدمها اجهزة ومؤسسات مسئولة . وعلى سبيل المثال ، اولت « الطليعة » .. في العام الماضي ــ اهتماما خاصا لقضايا الاتحاد الاشتراكي العربي ، على الصعيدين الفكري والتنظيمي .

وفي هذا العدد ، تطرح « الطليعة » عددا من الخطوط والبرامج التي وضعتها وتبنتها حكومة الدكتور عزيزا صدقي . وهي الخطوط والبرامج ، التي سبق أن طرحت على الرأى العام ، أو على مجلس الشعب ، أو تضمنتها تصريحات الوزراء ، أو تحدثت عنها الصحافة المحلية .

ولمـا كان من المعلوم ، ان حكومة الدكتور عزيز صدقي قد اكدت انها انها تلتزم بمنهج الدراسة العلمية والجادة للقضــايا الكبرى والحيوية [مشـــكلات الزراعة والتعليم والتموين وتطوير القرية .. الخ] ، وأن اللجان الوزارية المختلفة قد بذلت ــ بالفعل ــ جهودا كبيرة في سبيل وضع هذه البرامج والخطوط ، فان هذه القضايا الحيوية تتصل بحياة أوسع الجماهير الشعبية في بلادنا ، ومن ثم يتعين ان تعرض ، وأن يدار مـــن حولها نقاش بناء .

وفي الوقت نفسه ، فان هذه القضايا ــ بطبيعتها ولانها قضايا حيوية ــ تحتمل ان تتعدد وجهات النظر حول الحلول المقدمة لها ، وذلك وصولا الى الصيغة المثلى التي تخدم قضايا التحرر والتقدم الاجتماعي .

وقد اختارت الطليعة ان تخصص دراستها لمناقشة خط الحكومة وبرامجهـــا في المجالات الخمس التالية :

- السياسة الزراعية .
- السياسة التموينية .
- السياسة التعليمية .
- السياسة الصحية .
- الخطة الاقتصادية لعام ١٩٧٣ .

واذا كان المجال ــ كما هو واضح ــ لا يتسع لدراسة ومناقشة المزيد من القضايا الداخلية الملحة ، والتي لا تقل أهمية [مثل قضية تطور وفعالية العلاقات القائمـة والمتبادلة بين الحكومة والاتحاد الاشتراكي ومجلس الشعب ، واثر هذه العلاقات على السياسة العامة للبلاد ، فان هذا وغيره من القضايا ربما يكون موضوعا لدراســة اخرى في فرصة مناسبة .

وفي الوقت نفسه ، تؤكد « الطليعة » ان مناقشاتها للبرامج والخطوط تدخل في باب الاجتهاد ، ومن ثم فهي ترحب بكل وجهة نظر او رأى يختلف مع رأى كتابهـــا ، القراء للمناقشة ، وخدمة الصالح العام .



الخطوط العامة لسياسة الحكومة

مشاكل الفلاح .. وقضية تطوير الزراعة

تناولت السياسة الزراعية جانبان :

١ — حل مشاكل الفلاحين .
٢ — تطوير الزراعة فى مصر .

حل مشاكل الفلاحين

وقد تناولت الدراسة لحل مشكلات الفلاحين الجوانب التالية :

— الجمعيات التعاونية الزراعية وأسلوب تطويرها وتدعيمها .
— التسويق التعاونى للقطن ومشاكله ومقترحات علاجها .
— الديون المتراكمة وكيفية القضاء على تلك الظاهرة مستقبلا .
— رفع أسعار أهم محصولين وهما القطن والبصل وكذلك القصب .

وعلى ضوء المناقشات تمت الموافقة على المقترحات الآتية :

الجمعيات التعاونية الزراعية وأسلوب تطويرها وتدعيمها :

١ — قيام الجمعيات التعاونية بالاقراض من بنك التسليف ، ثم اقراض تلك القروض للفلاحين ، وذلك للقضاء على الاخطاء فى المديونيات .

٢ — تقرر توحيد جهة الاشراف على جميع العاملين بالجمعيات التعاونية بما فيهم الصراف .

٣ — تحويل مدير الجمعية والموظفين الاداريين من موظفين حكوميين الى موظفين بالجمعية فى نهاية المرحلة الانتقالية وذلك يؤدى الى حل مشاكل العاملين وضمان استقرارهم ووضع نظام للترقيات والحوافز .

٤ — تقرر أن تكون البطاقة الزراعية هى المستند الرسمى لمحاسبة الزراع وذلك من يوليو ١٩٧٢ .

٥ — تمت الموافقة على اعطاء أسبقية لبناء ١٠١ جمعية تعاونية فى القرى التى لا يوجد بها مقار للجمعيات التعاونية على أن يتم ذلك خلال عام ١٩٧٢ ويتكلف ذلك ٧٠٠ الف جنيه . كما تقرر انشاء ٨٥٧ مقر جمعية تعاونية فى برنامج الخمس سنوات تكلفتها ٨ ملايين جنيه .

٦ — اعادة النظر فى مديونيات الفلاحين وعمل تنقية لكل المديونيات غير الثابتة بمستندات ورفع ما يمكن رفعه من حساب الزراع وقد ووفق فى هذا الصدد على الاتى :

● اقرار قواعد معينة تراجع على اساسها المديونيات القائمة وتقرر لاسقاط البنود التى تبين أن تحميلها على غير أساس .

● الفصل بين الحسابات الجديدة والقديمة وتتم المحاسبة على اساس سداد المديونيات الجديدة ويوضع نظام تقسيط للمديونيات القديمة موضع حوافز للسداد .

● وجود قدر من الضوابط لسداد المديونيات بربطها مديونية كل محصول به للتخفيف عن محصول القطن .

● الالتزام بالتعريف القائم للفلاح .

التسويق التعاوني للقطن ومشاكله ومقترحات علاجها :

١ ـ زيادة عدد مراكز التوزيع من ١٨٠٠ مركز الى ٢٢٠٠ مركز ، وذلك بانشاء مركز لكل قرية زمامها ٣٠٠ فدان فأكثر من القطن وفى حدود الاعداد المتاحة من القزازين المدربين .

٢ ـ خفض سعة المخازن الخاصة من ٣٠ قنطارا الى ١٥ قنطارا .

٣ ـ حساب تصافى القطن على أساس متوسط القرية وعلى أساس سنة واحدة وذلك بدلا مما يجرى عليه العمل من حساب التصافى على أساس المركز الادارى وعلى أساس متوسط السنوات الثلاث الماضية .

٤ ـ اعادة النظر فى أسلوب تقرير الرتبة .

٥ ـ تخفيض المدة المقررة لاستلام الفلاحين مستحقاتهم الى ستة أيام بالنسبة للموردين لمراكز التجميع ، وخمسة عشر يوميا للمخازن الخاصة على أن يتم التسليم الفعلى وفقا للبرنامج الزمنى المقرر .

٦ ـ أن يتم تحديد مراكز الفلاحين ومديونياتهم بمعرفة بنك التسليف قبل ١٥ أغسطس من كل عام .

٧ ـ تخفيض العمولات التى تحصل على محصول القطن والتى بلغت جملتها ٤٠٠ مليم للقنطار الى ٢٢٥ مليما للقنطار .

٨ ـ تقرير حوافز لتنظيم تدفق المحصول والتخفيف على المحالج والتسليم .

٩ ـ تخصيص نسبة من عائد تحسين القطن للمحالج .

١٠ ـ الزام الشركات المشترية بتسليم كل مزارع فاتورة بثمن كمية الاقطان الخاصة به ورتبتها وسعر القنطار والثمن الكلى .

١١ ـ تقرر تحميل القطن بما يخصم من قروض عينية ونقدية .

١٢ ـ خفض تكاليف المقاومة وعدم تحميل محصول القطن بأكثر من التكلفة الطبيعية لانتاجه .

١٣ ـ تحديد فترة زمنية تلتزم الشركات خلالها بفرز القطن .

١٤ ـ لا يجوز فرض اى ضرائب أو رسوم جديدة وتحميل محصول القطن بها الا بعد عرضها على مجلس الوزراء .

١٥ ـ عمل الاجراءات الكفيلة لتوعية الفلاحين بطرق تحسين الاقطان وزيادة انتاجه .

الديون المتراكمة وكيفية القضاء على تلك الظاهرة مستقبلا :

١ ـ تقرر اسقاط المديونيات المتراكمة التي على الفلاحين حتى ٣٠ـ٦ـ١٩٧١ بالنسبة لصغار الفلاحين الحائزين لفدان فاقل ، وتبلغ تكلفة ذلك ٩ ملايين جنيه .

٢ ـ تقرر اسقاط الفائدةعلى الديونالمتراكمة التى على الفلاحين حتى ٣٠ـ٦ـ١٩٧١ للحائزين على اقل من ٥ افدنة ، وتبلغ تكلفة ذلك ٦ ملايين جنيه .

٣ ـ تقرر تخفيض سعر الفائدة على الديون للفلاحين الحائزين على أكثر من ٥ افدنة من ٧٪ الى ٣٪ وتبلغ تكلفة ذلك ٢٠٠ الف جنيه .

٤ ـ تقرر تخفيض سعر الفائدة لسلفيات بنك التسليف من ٦٪ الى ٣٪ ، وتبلغ تكلفة ذلك ٥ر١ مليون جنيه .

٥ ـ تقرر سداد المديونيات المتراكمة بواقع ٥ جنيهات عن كل فدان سنويا حتى يتم الانتهاء من سدادها .

٦ ـ هذه التخفيضات والتيسيرات لا تسرى على الحدائق لان الحدائق ذات ايراد مرتفع .

السياسة السعرية ورفع اسعار اهم المحاصيل :

١ ـ تقرر رفع سعر القطن بمعدل جنيه للقنطار فى المتوسط ، ومعنى ذلك ان الزيادة تتفاوت من صنف لاخر . وتتكلف تلك الزيادة ٩ ملايين و١٦٦ الف جنيه عنالمحصول القادم .

٢ ـ تقرر اعطاء حافز ٥ جنيهات عن كل فدان يقوم الفلاح بزراعته قطنا زيادة عن المساحة المقررة له .

٣ ـ تقرر رفع سعر الطن من القصب ابتداء من محصول العام القادم ٣٠ قرشا بدلا من عشرة قروش . ويبلغ تكلفة ذلك ٥ر٢ مليون جنيه .

٤ ـ تقرر رفع أسعار البصل حسب

الرتبة : الرتبة الاولى يزيد سعرها من ١٩ جنيها الى ٢٠ جنيها ، الرتبة الثانية يظل سعرها ثابتا وهو ١٨ جنيها ، الرتبة الثالثة يرتفع سعرها من ١٤ جنيها الى ١٥ جنيها ، الرتبة الرابعة يظل سعرها ثابتا وهو ١١ جنيها — وتبلغ تكاليف تلك الزيادات من ٣٠٠ — ٤٠٠ الف جنيه .

٥ — هذا بالاضافة الى تحمل الدولة تكاليف نصف المقاومة والذى يمثل اعباء على الدولة تصل الى ٢٣ مليون جنيه .

الاسمدة :

تقرر اعتبارا من العام القادم زيادة مقررات السماد مع دراسة تخفيض أسعاره وتوفير الكميات المطلوبة .

تطوير الزراعة فى مصر

وقد تناولت الدراسة مشاكل الزراعة القائمة والملامح غير التقليدية التى يمكن أن يساعد العلم والتكنولوجيا الحديثة فى تغييرها والوصول بالزراعة المصرية الى زراعة الكفاية بدلا من زراعة الكفاف ، وتحويلها من زراعة تقليدية الى زراعة متطورة مع الاشارة الى ضرورة دراسة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية المصاحبة لذلك واخذها فى الحسبان .

وقد بنيت السياسة الزراعية الجديدة على الاسس الاتية :

— تركيز وتجميع وحدات الانتاج .
— التخصص المحصولى فى الانتاج .
— الميكنة وخصوصا تلك التى تمثل مجال الحيوان اولا ثم الانسان ثانيا .
— التصنيع الزراعى للمنتجات وضمان تسويقها حتى يمكن تخطيط الاسعار والعائد والمحصول .
— تطوير وتقوية المؤسسات الريفية كالجمعيات التعاونية وبنوك الائتمان .

أسلوب التصرف فى الاراضى المستصلحة

ستتولى ٣ شركات استزراع هذه الاراضى . اما بالنسبة للاراضى الصغيرة المبعثرة فان الاتجاه الى تأجيرها لصغار المزارعين مع خضوع المستأجر لنظام تعاونى موجه تلافيا للبعثرة المحصولية وتطبيق نظام يقارب نظام الاصلاح الزراعى .

التعليقات

قضية الأرض والفلاح

فتحى عبد الفتاح

قضية الارض والفلاح فى مصر كانت ومازالت من أهم القضايا التى تطرح نفسها على كل من يتصدى لدراسة الواقع المصرى فى اتجاه تطوير هذا الواقع ، واقامة علاقات انتاجية جديدة ، تدفع بالانتاج الزراعى وبالمنتجين الزراعيين خطوات الى الامام .

وفى بلد كبلدنا ، يعمل ويرتبط بالانتاج الزراعى اكثر من ثلثى السكان ، وتمثل الزراعة فيه حتى الان المصدر الاساسى للدخل القومى . من الطبيعى ان تبرز المشكلة الزراعية ، بل وأن يرتبط التطور الصناعى والاقتصادى والثقافى بمدى القدرة على تنظيم وتطوير علاقات الانتاج ووسائله فى المجال الزراعى .

فاذا كان هذا الواقع المصرى هو نموذج لاقتصاد غالبية الدول النامية . الا ان هذا الواقع يحمل — فى الوقت نفسه — عددا كبيرا من السمات الخاصة . كما أن الحلول التى قدمت حتى الان اتخذت أيضا اتجاهات ومسالك متنوعة .

ولذلك فانه من المهم ونحن بصدد تقييم الحلول والاجراءات التى اتخذتها حكومة الدكتور عزيز

صدقى وقد مضى عليها عام حتى الان ، ان نحاول الحكم على مدى فاعليـــة هذه الاجراءات وان نراها ٠

اولا ــ فى ارتباطها بالخط العام للسيـاسة الزراعية منذ سنة ١٩٥٢ حتى الان ٠

ثم ان **نراها ثانيا** : على ارضية المشـاكل الحقيقية التى مازال يعانى منها الانتاج الزراعى والمنتجون الزراعيون انفسهم ٠

واذا كان لنا ان نجمل النقاط الرئيسية لما تدمته الحكومة خلال هذا العام فهو يتمثل فى :

● **اجراءات لدفع الانتاج الزراعى** ، وهنا سنجد اساسا ، تلك الخطوات التى اتخذت لـدعم الجمعيات التعاونية الزراعية وتطويرها ، مثـل توحيد هيئة الاشراف على الجمعيات وبناء مقار لعدد من الجمعيات التعاونية (١٠١) وتنـسظيم العلاقة بين بنك التسليف والجمعية التعاونية ، ووضع أساس ثابت للموظفين فى هذه الجمعيات، وزيادة مراكز التوزيع وتجميع المحاصيل ٠

● **اجراءات قصد بهـا تحسين اوضاع ودخول الفلاحين** ، مثل تخفيض العمـولات التى تحصل على محصول القطن ، وتخفيض المـدة المقررة لاستلام الفلاحين مسـتحقاتهم ، وخفض تكاليف المقاومة ، وعدم فرض أية ضرائب او رسوم جديدة على محصول القطن ، الا بعد عرضها على مجلس الوزراء ٠

كذلك يدخل ضمن هذه الاجراءات رفع أسعار بعض المحاصيل مثل ــ رفع سعر القطن بمعـدل جنيه للقنطار ورفع سعر القصب والبصل ٠

ثم هناك ايضا وضع اسس جديدة لتصـــفية الديون المتراكمة ، على اساس اسقاط الديون عن صغار الفلاحين الذين يملكون فدانا فاقل ، واسقاط الفائدة على الديون التى على الفلاحين الـــذين يملكون خمسة افدنة فاقل ــ وتخفيض سعر الفائدة على الديون للفلاحين الحائزين على أكثر من خمسة افدنة من ٧ فى المائة الى ٣ فى المائة، وارتبط بكل هذا تخفيض سعر الفائدة على سلفيات بنك التسليف من ٦ فى المائة الى ٣ فى المائة ٠

● **اجراءات خاصة تضع خطوطا عـامة لاسلوب التصرف فى الاراضى المستصلحة** ، على اساس ان تتولى ثلاث شركات عامة استزراع هذه الاراضى والاتجاه الى تاجير الاراضى الصغيرة المبعثرة ٠

مؤشرات عامة

وهنا نجد بعض المؤشرات العامة بالنسبة لهذه الاجراءات قبل ان ندخل فى تقييم مدى فاعليتها الحقيقية ٠

هناك مثلا الربط بين زيادة الانتاج وبين تخفيف العبء عن الفلاحين وهو ربط هام وضرورى ، فلا يمكن كما يتصور البعض ،ان نوضع خططا لزيادة الانتاج الزراعى فى تجاهل تام لاحوال المنتجين الزراعيين انفسهم ٠ فالعامل البشرى فى الانتاج كان وسيظل ــ حتى فى ظل اعلى تطور علمى وتكنولوجى هو اهم عامل من عوامل الانتاج،ليس فى الزراعة فقط ، بل وفى جميع أوجه النشاط الاقتصادى ٠

ثم عند اتخاذ اجراءات تخفيف الديون وضعت اعتبارات خاصة بحجم الملكية ، فألغيت الديون على فقراء الفلاحين ، والغيت الفائدة على صغار الملاك ، وخفضت الفائدة على ديون متوسطى الملاك وكبارهم ، وهنا نلاحظ انه كثيرا ما كانت تتخذ اجراءات شـبيهة وتحت دعـــوى التخفيف عـن الفلاحين لكن هذه الاجراءات لم تكن تميز بين الكبار وبين الصغار ، ولا بين الفقراء وبيـن الاغنياء ، الامر الذى كان يؤدى وبشكل مطلق الى استفادة اغنياء الفلاحين ، ويكفى ان نعرف فى هذا الصدد أن كمية الديون المتبقية على الفلاحين بلغت حوالى ٨٠ مليون جنيه بلغ نصيب اغنياء الفلاحين منها حوالى ٦٠ مليون جنيه ٠ فبالرغم من الزيادة الحقيقية طوال العشرين عاما الماضية للسلفيات العينية والمادية التى قدمت للفلاحين ، الا ان الواقع يؤكد ان أغنياء الفلاحين (الذين يملكون أكثر من خمسة افدنة) استحوذوا دائمـــا على نصـــيب الاسد ٠

ولذلك فلا يملك الانسان الا ان يحبذ هذا المنهج الجديد الذى اتخذ فى وضع أسس طبقية فى صالح الفئات الفقيرة من المنتجين الزراعيين ٠ ولسوف نرى اننا بحاجة شديدة الى اتباع هذا المنهج فى المستقبل ، والى اعادة النظر ــ وفق هذا المنهج فى كثير من الاجراءات التى اتخذت سلفا ٠

الخط الاصلاحى

على اننا لابد ان نقر حقيقة فى البداية ،وهى ان تلك الاجراءات التى اتخذتها الحكومية هى استمرار

للخط الاصلاحي الذى اتخذفى مجال الزراعة خلال العشرين عاما الماضية ٠

ذلك الخط الذى تلخص فى وضع حد أقصى لسقف الملكية بلغ خمسين فدانا ، وعمل على توسيع قاعدة الملكية الصغيرة مع تطوير العمل التعاونى فى مجال الزراعة ٠

ولسنا هنا بالطبع بصدد استعراض لتفاصيل هذا الخط الذى استمر أكثر من عشرين عاما ، ولكننا نكتفى هنا بماجاء فى برنامج العمل الوطنى الذى صدر سنة ١٩٧١ والذى قرر أنه بالرغم من كل الاجراءات التى اتخذت فان علينا أن نرى أن علاقات الانتاج ووسائله فى القرية المصرية مازالت متخلفة ٠٠ وان اسلوب الحياة اليومية لفلاحينا الذين يكونون غالبية الشعب لم يلحقه تغيير حقيقى لافى وسائل واسلوب الانتاج ،ولافى السكن والغذاء والصحة ولا فى تحصيل العلم والثقافة ٠

ويضع برنامج العمل الوطنى أساس بناء القرية الجديدة فى ميكنه الزراعة على اساس من التعاون الانتاجى المتطور وفى ارساء علاقات اجتماعية انسانية جديدة ٠

ان هذا يدفعنا الى تحديد العقبات الحقيقية التى تقف أمام التطوير الفعلى لعلاقات ووسائل الانتاج فى المجال الزراعى ٠٠

فاذا كان هناك اصرار من الحكومة على ضرورة الملكيات القزمية للغاية التى لايمكن ان تمثل حقيقية ما زالت تشل من امكانية تحقيق هذه الضرورات وهى مشكلة تفتت الملكية ـ أى انتشار الملكيات القزمية للغاية التى لا يمكن ان تمثل وحدات انتاجية متكاملة ـ وهو يشكل أخطر آفة تواجه الزراعة المصرية ٠ ونظرة على خريطة الملكية ـ بوضعها الحالى ـ توضح أن لدينا ٠٠٠ر٦٩٣ر٣ مليون فدان تمثل قاعدة واسعة للاراضى المفتتة ، وهناك من بين ٠٠ر٢١١ر٣ مليون مالك للاراضى الزراعية فى مصر ، وحوالى ٠٠٠ر٢٥٠ر٢ يملكون فدانا فأقل ٠

والتفتيت لايعنى فقط الملكيات الصغيرة التى تقع تحت الحد الادنى للاستغلال السليم،بل ويعنى أيضا تناثر الحيازات فى قطع صغيرة فهناك ٢٤٥ر٨١١ر١ مليون حيازة متناثرة ، تتراوح مساحة القطعة الواحدة من فدان وثمانية قراريط ، وهناك حوالى ٥٨١ر٥١٩ حيازة متناثرة لمن يملكون أكثر من خمسة افدنة ٠

والاثار المؤكدة والمترتبة على مشكلة التفتيت هى :

١ ـ فقدان حوالى ٢٠ فى المائة من مساحة الاراضى الزراعية فى التقاسيم والعيون والجسور والقنوات التى تفصل بين الملكيات وبعضها ٠

٢ ـ استحالة استخدام الميكنة والوسائل العلمية على نطاق واسع وبشكل اقتصادى،وحتى مع فرض توفر الميكنة فان استخدامها فى حالة التفتيت لا يحقق الغرض المطلوب من الناحية الاقتصادية والانتاجية . (هناك حوالى ١٧ الف جرار مستخدم حاليا فى الزراعة المصرية وهو ما يوازى ١٠ فى المائة من الاحتياج الحقيقى للزراعة فى مصر) ٠

٣ ـ الفوضى الشديدة فى تخطيط المحاصيل ، ولعل هذا واضح بشكل عملى فى تطبيق الدورات الزراعية ذلك أنه كثيرا ما يخرج الواقع مختلفا عن المخططات الخاصة بتقسيم المحاصيل ، الامر الذى يؤدى بشكل مباشر الى خفض الانتاج ٠

٤ ـ استمرار الاعتماد على وسائل متخلفة للغاية يرجع تاريخ بعضها الى اكثر من الفى عام فمثلا ، ما زال الاعتماد الرئيسى فى الحرث على المحراث الخشبى ، وفى الرى الساقية والشادوف والحصاد المنجل والنورج فى الدرس ٠ وكل هذه الوسائل كما ثبت علميا تأخذ وقتا أطول وتاتى بنتائج اقل ٠ فالفدان الذى يحرثه المحراث الخشبى يأخذ يوما ونصف يوم عمل ، فى حين لايستغرق باستخدام الجرار سوى ثلاث ساعات ٠

أما فى الانتاج فالثابت أن هناك زيادة محققة فى استخدام الالات تصل الى حد ٣٠ فى المائة ٠

٤ ـ استهلاك الثروة الحيوانية فى العمل مما يؤدى الى اضعاف شديد للانتاج فى هذا المجال سواء فى اللحوم ، او فى منتجات الالبان ٠

ومن المعروف أن الثروة الحيوانية تمثل فى كثير من البلدان المتقدمة فى المجال الزراعى نسبة تصل الى ٣٠ فى المائة من الانتاج الزراعى الكلى ٠ وهذا مايكاد يكون مفقودا فى الزراعة المصرية ، فاعتماد العمل الزراعى على الجهد الحيوانى يستنزف طاقته الانتاجية بل ويستنزف مساحات زراعية واسعة تخصص لزرع محاصيل غذائية للحيوان كالبرسيم ٠٠٠

محاولات جزئية

وبالرغم من أن هناك قناعة عامة بخطورة مشكلة التفتيت ، الا أن الحلول التى قدمت لها حتى

الان مازالت قاصرة وعاجزة ... وقد تلخصت هذه الحلول الجزئية فى اتجاهين :

اولا : محاولة تنظيم الاستغلال الزراعى ، أو تنظيم الدورة الزراعية الذى طبق بشكل تجريبى فى قرية نواج سنة ١٩٥٧ ، ثم عمم بعد ذلك فى السنوات التالية • وقد استهدف هذا التنظيم وضع اسس للدورات الزراعية التى يتبعها الفلاحون،كأن تقسم أراضى القرية الى ثلاثة أقسام (فى حالة الدورة الثلاثية) أو قسمين (اذا كانت ثنائية) ويزرع كل قسم منها محصول واحد •

ولكن تنظيم الدورة الزراعية بهذا الشكل وبالرغم من بعض نتائجه الايجابية لم يقدم ولا يمكن أن يقدم حلا حقيقيا لمشكلة التفتيت فهو فى أحسن أحواله ساعد جزئيا على تنظيم المحاصيل ، ولكنه ونتيجة لواقع التفتيت واجه ويواجه عقبات حادة ، تحول ليس فقط دون تطوره ، بل ودون تطبيقه بشكل سليم ومن أهم العقبات التى يواجهها هذا التنظيم هى معارضة صغار الملاك الذين وجدوا أنفسهم ونتيجة ملكياتهم الصغيرة ، فى وضع يجعلهم يعتمدون بشكل أكبر على أغنياء ومتوسطى الملاك وخاصة فى المسائل المتعلقة بالمحاصيل الغذائية وعلف الحيوان •

كذلك لم يتح هذا النظام الفرصة الواسعة لاستخدام الالات والوسائل العلمية فى الزراعة •

وهكذا بقيت مشكلة التفتيت حتى الان ، دونحل حقيقى ، كما ان سياسة توزيع الاراضى قطعا صغيرة تتراوح بين فدانين وخمسة أفدنة وفقا لقانون الاصلاح الزراعى ، دون وجود تخطيط انتاجى لاتاحة الفرصة للزراعة الواسعة أدى وسيؤدى من الناحية الموضوعية الى تفاقم مشكلة التفتيت بكل مضارها المتعلقة بالانتاج ووسائله وعلاقاته فى القرية •

ثانيا : ودرءا لخطر التفتيت حاولت السياسة الزراعية طوال الاعوام الماضية تطوير العمل التعاونى بحيث يمتد الى آفاق أوسع من مجرد العمل الائتمانى التقليدى ، فبالاضافة الى التجميع والتسويق وهما اضافتان هامتان فى المجال التعاونى • ألقيت مهام انتاجية أخرى على الجمعيات التعاونية خاصة بشراء الالات والتوسع فى استخدامها •

ولكن واقع العمل التعاونى يؤكد أنه لم يتمكن حتى الان من تحقيق هذه الاهداف ، وظل التعاون فى مجمله داخل الاشكال الاولية للتعاون الائتمانى البسيط ، الذى لا يلعب دورا حقيقيا فى تنظيم وتخطيط الانتاج الزراعى • ويكفىأن نعرف أن الالات المملوكة للجمعيات التعاونية تساوى ١٠ فى المائة فقط من مجموع الالات المستخدمة فى الزراعة ويرجع ذلك لعدة أسباب على رأسها التردد الشديد ازاء تخطيط التعاون على أساس انتاجى ، كذلك سيطرة أغنياء الفلاحين على العمل التعاونى وعداءهم المصلحى لتطوير هذا العمل • ولقد ثبت بشكل قاطع موقف أغنياء الفلاحين من تطوير العمل التعاونى فى هجومهم المتواصل على سياسة التسويق التعاونى مستغلين بعض الاخطاء الادارية ، كذلك معارضتهم المستمرة لفكرة الملكية التعاونية فى الارض واقامة قطاع عام فى الزراعة •

الحلقة الرئيسية

لقد أضرت مشكلة التفتيت باعتبارها تمثل الحلقة الرئيسية فى حل المشكلة الزراعية ، فهى كما رأينا الحائل الاساسى أمام استخدام الالات ، وأمام تصنيع العمل الزراعى ، وأمام تطوير ظروف وعلاقات الانتاج فى القرية •

ولذلك فان تقييما حقيقيا لاى اجراء يتخذ فى مجال القرية المصرية لابد وأن يقيم من خلال اقترابه أو ابتعاده عن حل هذه المشكلة •

ولقد قدمت الحكومة ولا شك بعض الاجراءات على هذا الطريق ، بل انه ليلاحظ ولاول مرة أن تجمع للحكومة ـ مثلما جاء فى بيانها وكذلك الرد الذى أعده مجلس الشعب على بيان الحكومة على ضرورة البدء فى تطوير العمل التعاونى على أساس انتاجى •

وفى تصورى ، وعلى اساس واقع الزراعة المصرية ، فان علاج هذه المشكلة يمكن أن يتم من خلال ثلاث خطوات اساسية :

اولا : اقامة مزارع دولة ، ومزارع تعاونيةفى الاراضى المستصلحة وعدم توزيعها او تفتيتها تحت أىظرف .ويذكر للحكومة هنا،انها اقرت هذا الخط بشكل عام ، وان كان يؤخذ عليها استثناء مساحات من هذه الارض ، والبدء فى توزيعها بالفعل تحت دعوى أنها اراض متخلفة ، رغم أن بعض هذه القطع الصغيرة يصل الىخمسةآلاففدان قطعة واحدة •

ان الدعاوى التى تردد بين الحين والاخر مطالبة بتوزيع هذه الارض تحت شعار الشفقة

بصغار الفلاحين — هى فى الواقع تسد الطريق أمام أى تطور انتاجى واجتماعى حقيقى للقرية المصرية وللفلاح المصرى ·

ثانيا : دفع العمل فى تعاونيات الاصلاح الزراعى ووضع الاسس الكفيلة بتحويلها الى تعاونيات انتاجية · ان المنتفعين الجدد هم ولا شك اكثر الناس استعدادا للعمل التعاونى ، واقلهم تمسكا بمفهوم الملكية بشكله التقليدى المعوق للانتاج · والتعاون الانتاجى لا يعنى كما يصور البعض الغاء الملكية ولكنه يعنى فى الاساس تنظيم استغلال الملكية بمعنى أن تخضع ارض القرية كلها لتخطيط وعمل التعاونية التى تضم كل فلاحى القريه ، سواء فى مرحلة الحرث والتحضير حتى مرحلة الحصاد والتسويق ·

ثالثا : بالنسبة للاراضى التقليدية فمن الضرورى تطوير المهام الائتمانية الحالية للجمعيات التعاونية ، ولا شك ان هناك ۲٫۲٥۰۰۰۰ مالك يملكون فدانا فأقل من مجموع الملاك البالغ عددهم ۳٫۲٥۰ مليون متحمسون بالطبيعة ، والمصلحة للتعاونيات الانتاجيه ، والملكيه التعاونيه مع مراعاة التطبيق السليم والانضمام الاختيارى من جانب الفلاحين ·

ويمكن فى هذه الحالة البدء ببعض المراكز أو القرى الراغبة فى اقامة مزارع تعاونية مع تقديم كل المعونه الماديه والفنيه اللازمة ، ثم التوسع بعد ذلك ، على اساس النتائج الايجابية ·

ان اى حديث عن زياده الانتاج الزراعى وتحسين حقيقى لاحوال الفلاحين ، واعادة صياغة علاقات الانتاج وتطوير وسائل الانتاج الزراعى ، واستخدام الالات والماكينات وتصنيع الريف ، لايمكن ان يكون له مضمون حقيقى اذا ما ابتعد عن محاولة حل المشكلة الرئيسية التى تواجه الزراعة المصرية ·

ولا حل لمشكلة التفتيت الا بوضع الاسس الكفيلة بتوفير الزراعة الواسعة ··

وهذه الاسس لا يمكن أن تقوم الا على ركيزتين هما التعاون الانتاجى والملكية التعاونية للارض ·

من أجل برنامج زراعى لتأمين متطلبات المعركة

حسين طلعت

تتحدد السياسة الزراعية فى الظروف التى تجتازها بلادنا بعاملين أساسيين : **الاول** دور الزراعة فى مواجهة متطلبات معركة التحرر الوطنى ، **والثانى** دورها فى التنمية الاقتصادية لمواجهة اعباء المعركة وضرورات التعمير بعد النصر ·

ان جوهر المعركة بين حركة التحرر الوطنى العربية وبين الاستعمار والصهيونية يتمثل — اساسا — فى محاولات الاستعمار التى لا تكل للاطاحة بالنظم الوطنية والتقدمية فى المنطقة ، واعادة البلدان العربية المتحررة الى مواقع التخلف الاقتصادى وبالتالى التبعية للامبريالية العالمية ·

ولما كان التخلف الاقتصادى للدول النامية رجع اساسا الى تكوينها الاقتصادى الذى تغلب عليه الطابع الزراعى المتخلف ، فقد اخذت القيادات الوطنية والتقدمية على عاتقها كسر طوق الحصار ، وشق طريق التطور الاقتصادى والاجتماعى الذى ما كان يمكنها ان تبدأ فيه دون أن تخطو خطوات جادة فى اتجاه حل المشكلة الزراعية وذلك بتصفية طبقات الاقطاعيين وكبار ملاك الارض ، ووضع حد أقصى للملكية الزراعية ، والنهوض بالزراعة من اوضاعها المتخلفة الى اوضاع أكثر تقدما ، لتحقيق فائض من الانتاج الزراعى يستخدم فى اقامة وارساء أسس الصناعة الثقيلة والصناعات الاخرى المكتملة ، وكل ذلك للتخلص بصورة نهائية من التبعية الاقتصادية للاستعمار فى شكليه القديم والجديد .

وقد ترتب على العدوان الاسرائيلى عام ٦٧ ان القى على كاهل الزراعة فى بلادنا أعباء جديدة — بالاضافة الى الاعباء الملقاة عليها فى مواجهة خطة التنمية الاقتصادية — **العبء الاول** : ضرورة انتاج وتوفير الاقوات الضرورية للشعب والقوات المسلحة لمواجهة معركة طويلة الامد . **والعبء الثانى** : ضرورة الارتفاع بالطاقة الانتاجية للاراضى الزراعية الى أقصى حد ممكن سواء فى المحاصيل التقليدية أو غير التقليدية . وكلا الامرين يهدف الى الحد من الاعتماد على الاستيراد ، وزيادة الطاقة التصديرية لتوفير العملات الحرة اللازمة لمواجهة متطلبات معركة التحرير ، ومعركة التنمية فى نفس الوقت .

ولا شك ان تحقيق هذه الاهداف يتطلب تخطيط وتنفيذ سياسة زراعية متطورة تضمن التفاف جماهير الفلاحين حولها وتلهب حماسهم لتحقيقها . ولابد لهذه السياسة أن تضع فى اعتبارها الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى الريف ، وأن تذلل العقبات المتعلقة بهذه الظروف التى يمكن ان تعيق الانطلاق المطلوب .

فمن الناحية الاجتماعية :

اولا : ضرورة رسم سياسة مستمرة فى اتجاه تطوير الريف نحو مزيد من التوزيع العادل للملكية الزراعية — خاصة فى ظروف بلادنا التى تعانى من ضيق الرقعة الزراعية مع زيادة المعدل السنوى للسكان — ولابد من اعادة النظر فى الحد الاقصى للملكية الزراعية .

ثانيا : مواجهة ظاهرة تفتيت الملكية بشكل حاسم لتلافى الثغرات الناجمة عن توزيع الاراضى وآثارها الضارة بالنسبة لانخفاض الانتاجية .

ثالثا : القضاء على الامية بصورة جادة فى فترة زمنية قصيرة .

رابعا : اعادة النظر فى بناء القرية المصرية كى تتلاءم مع مقتضيات التطور المطلوب .

ومن الناحية السياسية :

١ — جذب القاعدة العريضة من صغار وفقراء الفلاحين الى دائرة الاهتمام بالعمل السياسى .

٢ — الاشراف الشعبى الحقيقى على الاجهزة التنفيذية فى الريف بحيث تخضع لمحاسبة الجماهير عن طريق المجالس الشعبية المنتخبة .

٣ — تطهير الجهاز السياسى من العناصر المعادية لاستمرار التطور الاجتماعى وكذا العناصر الانتهازية والطفيلية بحيث يخضع أعضاء لجان الاتحاد الاشتراكى المنتخبة فى القرى للعزل فى حالة تخلفهم عن القيام بواجباتهم الاساسية .

٤ — مواجهة بيروقراطية الاجهزة التنفيذية فى الريف بحيث تكف هذه الاجهزة عن أن تكون عبئا على كاهل الجماهير .

ومن الناحية الاقتصادية :

١ — تخفيف الاعباء عن كاهل صغار وفقراء الفلاحين بالغاء مديونياتهم وتخفيض نفقات انتاج المحاصيل .

٢ — اعادة النظر فى فرض الضرائب على اشكال الاستغلال الزراعى المختلفة وتحقيق توزيع عادل للاعباء الاقتصادية بالنسبة للشرائح المختلفة فى الريف .

٣ — رسم سياسة محددة لرفع مستوى عمال الزراعة والقضاء فى فترة زمنية محددة على ظاهرة عمال التراحيل .

٤ — توفير السلع التموينية الاساسية فى الريف بأسعارها المحددة ومكافحة السوق السوداء .

ومن الناحية الفنية والتكنيكية :

١ ــ توسيع وتطوير صناعة الاسمدة كى تفى باحتياجات الزراعة المصرية .

٢ ــ الربط بين خطة كهربة الريف وخطة التصنيع بشكل عام لامكان تحقيق توزيع الصناعة بصورة متوازنة على نطاق الجمهورية

٣ ــ توسيع وتطوير صناعة الالات الزراعية بحيث تمد النشاط الزراعى باحتياجاته الكاملة

٤ ــ زيادة الاهتمام بالتوسع الرأسى فى الزراعة عن طريق حل مشاكل الرى والصرف وتعميم زراعة التقاوى المنتقاة ، وتقاوى الهجن ومراعاة التخصص المحصولى فى الانتاج .

٥ ــ تقييم سياسه التوسع الافقى فى الزراعة وتطوير اشكال ادارة واستغلال القطاع العام الزراعى ليقوم بدوره فى التنمية الزراعية بدلا من أن يكون عبئا عليها .

هذه باختصار الاسس العامة التى تمكن الزراعة المصرية من مواجهة متطلبات معركة طويلة الامد . ولا يجب أن نكتفى هنا بالاشارة الى الاسس العامة فقط بل لابد أن يستكمل الاطار بالقاء نظرة على الصورة الحالية لواقع الريف المصرى بشكل عام ليمكن الربط بين الخطوط العريضة فى التخطيط والتنفيذ . وذلك بالاضافة الى تحديد دور والتزامات الشرائح الاجتماعية المختلفة .

وتندرج الشرائح الاجتماعية والاقتصادية فى الريف المصرى ــ بصورة عامة ــ للتقسيم التالى :

اولا : الراسمالية الريفية : وهى الشريحة التى تمارس نشاطها الاقتصادى فى الريف اعتمادا على استخدام عمال الزراعة المأجورين وتنقسم الى :

١ ــ راسمالية كبيرة تتراوح حيازاتها من ٢٠ الى ٥٠ فدانا .

٢ ــ راسمالية متوسطة تتراوح حيازاتها من ١٠ الى ٢٠ فدانا .

٣ ــ راسمالية صغير تتراوح حيازاتها من ٥ الى ١٠ أفدنة .

وتزاول هده الشرائح بدرجات متفاوتة الوانا مختلفة من النشاط الاقتصادى : مجال الزراعة سواء فى صورتها التقليدية ــ زراعة المحاصيل ، أو غير التقليدية ، زراعة المحاصيل الكثيفة وتربية الحيوان ، بالاضافة الى استثماراتها الراسمالية فى مجال الالات الزراعية ــ الجرارات ــ آلات الدراس ــ آلات الرى . وقد ساعد على نمو هذه الشريحة بأتساعها حق تجنيب المالك للمستأجرين فى نصف مساحة أرضه وقيامه بزراعة النصف الثانى بنفسه بمقتضى قوانين الاصلاح الزراعى

ثانيا :ملاك الاراضى الذين يقومون بأستغلال ملكياتهم عن طريق التأجير ــ وهم لا يمارسون زراعة اراضيهم عن طريق الاعتماد على العمل المأجور وانما يؤجرونها طبقا لقوانين الاصلاح الزراعى وبقيمة سنوية للفدان تبلغ سبعة امثال الضريبة ــ وهم ينقسمون بدورهم الى :

١ ــ شريحة عليا تمتلك من ٢ الى ٥٠ فدانا

٢ ــ شريحة متوسطة تمتلك من ١٠ الى ٢٠ فدانا .

٣ ــ شريحة صغيرة تمتلك من ٥ الى ١٠ افدنة .

وفى كثير من الاحيان يجمع المالك بين نوعى الاستغلال بحيث يمارس النشاط الراسمالى فى جزء من المساحة ليقوم بتأجير الجزء الاخر .

ويبلغ عدد الملاك الذين تتراوح ملكياتهم من ٢٠ ــ ٥٠فدانا ، ٣٩ الف مالك يمثلون ٢ر١٪ من اجمالى عدد ملاك الاراضى الزراعية فى الجمهورية ، وتبلغ مساحة ملكياتهم ٠٠٠ر٦٢٨ر١ فدان تمثل ٢٥٪ من اجمالى مساحة الاراضى الزراعية .

ثالثا : صغار الملاك ــ وهم من تتراوح ملكياتهم من ١ ــ ٥ أفدنة ويقومون بزراعة حيازاتهم اعتمادا على عمل اسرتهم، ويستخدمون العمل المأجور فى مواسم محددة من العام فى التجهيز للزراعة أو جمع المحصول . هذا ويبلغ عدد صغار الملاك ممن تتراوح ملكياتهم من فدان الى اقل من خمسة أفدنة ٦٤٨ر٧٢٠ مالكا يمثلون ٩ر٤٦٪ من مجموع ملاك الاراضى بينما تبلغ مساحة الاراضى التى يملكونها ٥٧٠ر٥٦١ر١ فدانا بنسبة ٤ر٢٩٪ من مساحة الاراضى الزراعية .

رابعا : صغار مستأجرى الارض — وهم من يقومون باستئجار مساحات تتراوح بين فدان واحد وخمسة افدنة ويعتبرون فى مستوى اقتصادى أرقى من صغار الملاك الذين يقومون بزراعة ملكياتهم نظرا لتحملهم قيمة الايجار السنوى .

خامسا : فقراء الفلاحين : وهم من تبلغ حيازاتهم عن طريق التملك أو الايجار اقل من فدان . ولا تكفى هذه المساحة للقيام بأود معيشتهم واسرتهم ولذا يلجأون الى بيع قوة عملهم . هذا ويبلغ تعداد من يمتلكون اقل من فدان ٥٩٣ر٩٣٠ بنسبة ٣٨ر٧٪ من اجمالى عدد الملاك واجمالى مساحة ملكياتهم ٣٢٢ر٢٠٢ فدان تمثل ٥ر٩٪ من اجمالى مساحة الاراضى الزراعية .

سادسا : العمال الزراعيون — وهم من يعتمدون على تأجير عملهم اليومى فقط ولايملكون أو يستأجرون أية مساحة ويعتبر هؤلاء أكثر الشرائح الاجتماعية فى الريف فقرا وتعرضا للاستغلال .

وفى اطار هذا التقسيم العام سوف نستعرض اثر الاجراءات التى اتخذتها الدولة تجاه كل شريحة منها :

بالنسبة لفقراء الفلاحين فقد اسقطت الدولة عنهم المديونيات بصورة كاملة حتى ٧١/٦/٣٠ بتكاليف قدرها ٩ ملايين من الجنيهات .

أما بالنسبة لصغار الملاك والمستأجرين [الحائزين على اقل من ٥ افدنة] فقد اسقطت عنهم الدولة فوائد الديون المتراكمة بتكاليف تبلغ ٦ ملايين من الجنيهات .

واستفادت هاتان الشريحتان من تخفيض سعر الفائدة لسلفيات بنك التسليف الزراعى من ٦ الى ٣٪ ولا شك ان هذه التيسيرات قد صححت أوضاعا خاطئة تعرض لها الفلاحون لسنوات طويلة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر — الاخطاء من المحاسبة — تحميلهم تكاليف مرتفعة بالنسبة للمبيدات الحشرية — الفوائد المرتفعة والمتراكمة للديون — المغالطات فى وزن ورتبة المحصول عند استلامه — المصروفات الغير مباشرة التى يتحملها الفلاحون عند تسليمهم للمحاصيل ... الخ .

اما بالنسبة لمتوسطى وكبار الفلاحين والراسمالية الريفية فقد أعطت تنازلات لامبرر لها كتخفيض سعر فوائد الديون من ٧ الى ٣٪ وتخفيض سعر الفائدة على التسليف من ٦ الى ٣٪ .

وقد استثنيت اراضى الحدائق من هذه التيسيرات لارتفاع ايرادها ، وكان من الضرورى ان يشمل هذا الاستثناء لا اراضى الحدائق فحسب بل كافة الاراضى المنزرعة على الذمة بالنسبة لشريحة الراسمالية الريفية الكبيرة التى نمت نموا ملحوظا خلال السنوات الماضية .

وتتمثل مظاهر هذا النمو فيما يلى :

١ — التأجير النقدى الفورى للزرعة الواحدة — ويتبع هذا الاسلوب مع صغار الفلاحين دون كتابة أى عقود ايجار . ويقوم المالك بتجهيز الارض وزراعة التقاوى ، ويتحمل المستأجر بعد ذلك كافة مصروفات الزراعة — وقد بلغ ايجار فدان البرسيم أسعارا تتراوح بين ٥٠ ، ٧٠ جنيها .

٢ — الاقبال على شراء الاراضى الزراعية ، واخلائها من المستأجرين الصغار عن طريق دفع خلو رجل للمستأجر بلغ من ٨٠٠ — ١٠٠٠ جنيه للفدان الواحد .

٣ — الارتفاع الجنونى فى اسعار الاراضى الخالية من المستأجرين ، اذ تضاعف ثمنها فى فترة لا تزيد عن خمس سنوات بواقع زيادة قدرها ٢٠٪ سنويا . وقد لا يرجع هذا الارتفاع اساسا الى ضيق الرقعة الزراعية وانما يرجع الى تراكم ارباح الراسمالية الزراعية وتركيزها على استغلال هذا الفائض فى شراء الاراضى .

٤ — تهريب نسبة من المحاصيل التى تحتكر شراءها الدولة الى تجار القطاع الخاص باسعار تفوق الاسعار الرسمية المحددة .

٥ — التهرب من دفع المديونيات وتأجيلها اعتمادا على قصور القوانين التى تواجه المتهربين .

٦ — ازدياد الاستثمارات فى شراء الالات الزراعية — آلات الرى — الدراس — الجرارات — سيارات النقل — وتحقيق ارباح عالية فى هذا المجال .

٧ — الانصراف عن الزراعات التقليدية ، الى الزراعات الغير تقليدية . ويوضح ذلك زيادة المساحة المنزرعة حدائق من ٩٤ الف فدان عام ٥٢ الى ١٨١ الف فدان عام ٦٦ بزيادة قدرها ٨٧ الف فدان اى بنسبة ٩٢٪ — زادت مساحة الحدائق المنزرعة برتقال من ٢٦ الف فدان سنة ٥٢ الى ٨٦ الف فدان سنة ٦٦ بفارق ٦٠ الف فدان بنسبة قدرها ٢٣١٪ .

من هنا نتطرق الى ضرورة اعادة النظر فى السياسة الزراعية بالنسبة لاشكال الاستغلال المختلفة وذلك على ضوء الاسس التالية :

اولا : بالنسبة للراسمالية الريفية :

١ — فرض ضريبة تصاعدية على الاستغلال الزراعى للاراضى الغير مؤجرة سواء اكانت منزرعة حدائق أو محاصيل أخرى ، وتطبق على الملكيات التى تزيد عن العشرة أفدنة . ويمكن أن تاخذ هذه الضريبة شكل الادخار الاجبارى — سندات الجهاد .

٢ — فرض ضريبة على رؤوس الاموال المستثمرة فى الالات الزراعية ، وتحديد أسعار استئجارها .

٣ — سن تشريعات تمنع شراء الاراضى الزراعية لمن يملك اكثر من ٥ افدنة — دون المساس بمساحة ملكيته الحالية .

٤ — تحديد سعر فوائد سلفيات بنك التسليف بـ ٧٪ بالنسبة لمن يملكون أكثر من ٢٠ فدانا

٥ — سن وتنفيذ التشريعات التى تكفل ضمان تسديد المديونيات بالنسبة لمن يملكون اكثر من ٢٠ فدانا بما فيها نزع الملكية ضمانا لهذا التسديد ، طالما ان هذه المديونيات لم تكن نتيجة لكوارث طبيعية غير متوقعة .

ثانيا : بالنسبة لملاك الاراضى المؤجرة :

١ — نقل ملكية الاراضى التى لا يقوم اصحابها بزراعتها الى ملكية زارعيها على أساس ثمن الفدان ٧٠ مثل الضريبة السنوية ، ويحدد القسط السنوى بما لا يزيد عن الايجار مع احتساب فوائد مخفضة .

ثالثا : بالنسبة لصغار ومتوسطى الفلاحين :

١ — تزويدهم بمستلزمات الانتاج اللازمة بالاسعار المحددة .

٢ — اعادة النظر فى نظام التجميع الزراعى بما يضمن للفلاح دخلا زراعيا متوازيا سنويا .

٣ — تفضيلهم فى الحصول على التقاوى المنتقاة والعالية الغلة الانتاجية .

٤ — أولوية تنفيذ مشروعات تحسين التربة فى المناطق التى تسود فيها الملكيات الصغيرة والمتوسطة .

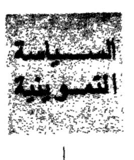
رابعا : بالنسبة لفقراء الفلاحين :

١ — البدء فى تجربة سياسة التعاون الانتاجى فى المساحات الصغيرة واقامة المزارع التعاونية المتطورة .

٢ — تشجيع الدولة لهذا الشكل من الملكية عن طريق التسهيلات فى الاقراض والامداد بالالات الزراعية .

٣ — تشجيع ومساهمة الدولة فى انشاء الجمعيات التعاونية المتخصصة فى انتاج المحاصيل الغير تقليدية والانتاج الحيوانى .

٤ — وضع نظام تسويقى يضمن لهم التصرف فى منتجاتهم بالاسعار المناسبة ، وبعيدا عن الوقوع فى قبضة السماسرة وتجار السوق السوداء .



الخطوط العامة لسياسة الحكومة

٤ أهـــداف حيـــوية

قدم وزير التموين سياسة وزارته محددة فى النقاط التالية :

١ ـ توفير وتأمين السلع الضرورية لتلبية احتياجات الجماهير تحت كافة الظروف .

٢ ـ ضمان وصول السلع الضرورية ـ بالاسعار المحددة التى تتحمل الدولة أعباء كثيرة من أجلها ـ الى أصحابها الحقيقيين من المستهلكين .

٣ ـ تلبية مطالب قواتنا المسلحة من المواد والسلع الغذائية .

٤ ـ مكافحة السوق السوداء وكافة محاولات المضاربة على أقوات الشعب وذلك بالتصدى لنشاط السماسرة والدخلاء والتجار الوهميين .

٥ ـ العمل على ثبات أسعار السلع الضرورية وعدم اضافة أعباء من شأنها المساس بمستوى معيشة الطبقات محدودة الدخل .

٦ ـ السعى كلما أمكن **لتخفيض أسعار السلع الضرورية** التى تحتاجها الجماهير فى حياتها اليومية .

٧ ـ تحسين الخدمة فى المجمعات الاستهلاكية والتوسع فى اقامتها مع مراعاة كثافة المناطق السكانية والقدرة الشرائية ، ونشرها فى الاحياء الشعبية ، ومدها الى خارج القاهرة والاسكندرية .

٨ ـ وصول خدمات التموين الى القرية خدمة لجماهير الفلاحين فى محاولة لتقريب الفوارق هنا بين الريف والمدينة .

٩ ـ تدعيم المحليات وذلك بتفويض السادة المحافظين بعض اختصاصات وزير التموين ضمانا لحسن أداء الخدمة التموينية وتشديد الرقابة عليها .

واوضح فى بيانه لمجلس الشعب فى ديسمبر ١٩٧٢ أن هذه السياسة تترخى تحقيق **الاهداف الحيوية التالية :**

١ ـ تحسين ، أو على الاقل ، حماية مستوى معيشة الطبقات الشعبية .

٢ ـ تضييق الخناق على السوق السوداء وعلى المضاربة على أقوات الشعب .

٣ ـ تفتيت الاحتكار **وتوسيع قاعدة التوزيع لصالح صغار التجار المنتجين والحرفيين** .

٤ ـ تدعيم مكانة القطاع العام نشاطا واداء بحيث يعود ليكون القدوة والمثل .

وابرز ان هذه الاهداف قد تحددت على ضوء الاعتبارات التالية والتى تحد من فاعلية تنفيذها وهى :

أ ـ اننا على الرغم من كوننا بلدا زراعيا ، فنحن نستورد من الخارج لكى ناكل ، أى لكى نحصل على أهم السلع الزراعية مثل القمح واللحوم والدواجن والاسماك وأنواع الجبن والشاى والبن ـ ناهيكم عن الزيت والمسلى .

ب ـ اننا نستورد السلع التموينية طبقا لحصة نقديه تقدرها الدولة وتخصص لذلك مبلغا لايقل عن ١٤٠ مليون جنيه سنويا لاستيراد السلع التموينيه فى اطار الميزانية النقدية ، وهى حصة لا تستطيع الدولة أن تتجاوزها والا أخلت بأهداف التنمية والتزامات المعركة . ومع ان للسلع التموينية أولوية فى الاستيراد ، الا أن على الاستهلاك المحلى ان يجرى بالضرورة فى حدود الحصة النقدية المخصصة .

اننا نصدر عديدا من المنتجات الصناعيه لكى نحصل فى مقابلها على احتياجاتنا من الواردات . وبالطبع . فان السوق المحليه تحرم منها فى صورة سلع صالحه للاستهلاك مقابل ان تنتفع بها فى صوره سلع مستوردة وسيطه أو استثماريه صالحه للانتاج .

د : ان قطاع التموين ليس سوى قطاع للتوزيع ، **لا ينتج ، لا يزرع ولا يصنع ، ولا هو يستورد . بل يعتمد على الاستيراد على اجهزه التجاره الخارجيه والنقل البحرى . وهو فى النهاية واجهة للعرض ومخازن تسمع ومرور للتوزيع .**

هـ : **ان اجهزه التوزيع ليست كلها ملكا للدولة ، بل ان اغلبية هذه الاجهزة بايدى القطاع الخاص . ويتحمل القطاع العام دائما مسئوليه أى قصور أو تقصير يقع من جانب القطاع الخاص ، وتحمله الجماهير المسئوليه كلها قبل ان تضعها على عاتق القطاع الخاص .**

و : ان الاستهلاك غير مخطط على الاطلاق ، فليس هناك تخطيط مركزى للاستهلاك . وليس هناك توجيه لانماط الاستهلاك لدى الافراد .

التعليقـــات

سياســـة التمـــوين والتجـــارة الداخليـــة

عادل سيف النصر

لعلّ من أبرز القضايا التى تصدت لها وزارة **الدكتور عزيز صدقى** باعتبارها **وزارة الاعداد** للمواجهة الشاملة مع العدو ، هى السياسة التموينية المحددة التى طرحها **الدكتور فؤاد مرسى** وزير التموين والتجارة الداخلية ، فى بيانه أمام مجلس الشعب فى ابريل ١٩٧٢ .

ـ ولسوف نلتزم فى تقديم هذه السياسة ومناقشتها بما جاء فى البيان السالف الذكر وبما تضمنه رد **وزير التموين** على الاستجواب المقدم بجلسة مجلس الشعب فى ٢٢ ديسمبر ١٩٧٢ ، باعتبار ان الاستجواب والمناقشة **والرد جسدت** بالفعل آراء واضحة فى اسس سياسة وزارة التموين ونتائج تطبيقها .

اولا : معالم الرؤيه السياسية واثرها فى رسم السياسة التموينية للوزارة

١ ـ التموين كسلاح لتماسك الجبهة الداخلية:

حرص **وزير التموين** فى مستهل بيانه المقدم لمجلس الشعب فى أبريل ١٩٧٢ أن يبرز معالم

الرؤية السياسية للوزارة من قضايا التموين ومشكلاته وأسس حلها ، وعلاقة كل ذلك بالمرحلة الراهنة من نضال الشعب المصرى لخوض معركة تحرير ارضه المحتلة ، واستكمال بناء اقتصاده الوطنى المستقل والمتطور .

يقول وزير التموين :

« على الرغم من قصر الفترة التى مرت على تشكيل الوزارة الجديدة ، فانه يسعدنى ان التقى بكم اليوم لانقل اليكم – فى مستهل هذا البيان – حقيقة أن الدولة تحرص على توفير السلع التموينية للشعب ، مثل ما تحرص على توفير الاسلحة للجيش ، فالتموين فى شتى صوره ، أحد أسلحتها الرئيسية لتماسك الجبهة الداخلية » .

اذن فالدولة ووزارة التموين تضعان فى اعتبارهما وهما يطرحان سياستهما أمام مجلس الشعب الاهميه السياسيه لتوفير السلع التموينية .

وفى الحقيقة اذا كان لهذا الوضوح من أهمية تبرزها ، فهى تلك المسئولية الكبرى التى تقع على عاتق الوزارة ، ككل ، وعلى وزارة التموين بشكل خاص فى معالجة المشكلات اليومية لمعيشة جيش الجبهة الداخلية ، وهو جيش مكون من الملايين ، ومتواجد على جبهة قتال هى أرض مصر كلها .

ان الشعب المصرى ، منذ عدوان ١٩٦٧ يناضل ويضحى بتوجيه جانب أساسى من الموارد والامكانيات لاعادة بناء القوات المسلحة واستمرار خطة التنمية .

والوزارة التى تدرك ذلك تلتزم بتوفير السلع الغذائية والكسائية الضرورية لحياة الجماهير بل وتقدم فى نفس الوقت جانبا ليس بالقليل من السلع شبه الضرورية ، بل وبعض السلع الكمالية اسهاما منها فى اشباع جانب من المتطلبات المتزايدة لجميع الفئات الاجتماعية بالبلاد .

اننا نتفق مع الوزارة فى أن التموين يمكن أن يكون بالفعل سلاح فعال لتماسك الجبهة الداخلية شريطة أن يخطط استخدامه علميا واجتماعيا .

٢ – الثقة بالشعب ووعيه وصموده ركن هام لوضع سياسة التموين فى التطبيق :

ان أى سياسة لا تنبع من الثقة فى الشعب ، وتقدير قدراته الهائلة على الصمود والتضحية لا يمكن مهما بلغ ذكاء واضعيها أو حامليها أن ينجحوا فى تحقيق أهدافهم . وحينما تكون هذه السياسة تتعلق بضرورات الحياة اليومية ، فان ذلك يتطلب درجة كبيرة من تعميق فهم ووعى الجماهير ، وتعبئتها حول هذه السياسة بالاقناع والمشاركة الديمقراطية ، واخيرا بتامين سبل اشرافها ورقابتها المباشرة على وضع هذه السياسة فى التطبيق .

والبيان يتناول بقدر هذه المعانى ، حينما يرجع « لوعى شعبنا الاصيل وقدراته الواسعة على التحمل » السبب فى « التماسك والصمود والاصرار على خوض معركة التحرير » . ومن جانبنا نؤيد ونؤكد على أهمية هذه الرؤية السياسية .

ولكننا لا نلمس لها تعبيرا واضحا محددا فى بيان السيد الوزير ، او حتى فى رده على الاستجواب المقدم له .

ونود أن نقول أن بلادنا التى تصر على خوض معركة التحرير ، واستكمال عمليات التنمية يعرف شعبها الاصيل مقدار تضحياته اليومية التى يقدمها لتحقيق أهدافه الوطنية والاجتماعية . ولكن نظرا لقصور وعى ، وانانية بعض فئات التحالف الوطنية يسهل استدراجها الى مفهومات ومواقف من قضايا التموين والتجارة الداخلية تضر موضوعيا بتماسك الجبهة الداخلية ، وتحد عمليا من الامكانيات الكامنة لدى جماهير الشعب لمزيد من التضحية والصمود .

ذلك أن قضايا التضحية ، والتماسك ، والصمود ، هى فى نهاية الامر قضايا موضوعية تتحقق وتتأكد من خلال عمليات الفهم والوعى والتعبئة الديمقراطية المستندة على الممارسة والسلوك اليومى للقيادات السياسية والتنفيذية وان المثل الذى يقدم فى هذه القضايا أجدى الف مرة فى اقناع الجماهير ، وتعبئتها من مجرد كثير من المقالات والخطب . ان أجهزة التنظيم السياسى والمجموعات الاقليمية لمجلس الشعب ، ومجالس الحكم المحلى ، والمنظمات المهنية والجماهيرية كلها ، مؤسسات يجب أن يكون لها ولاعضائها رأى ودور واع ، وسلوك يحتذى بين جماهير الشعب العامل . وعندئذ يكون للرأى وللدور والسلوك وزن فعال ومثل يقدم تحتذى به

الجماهير ، فيرتفع درجة وعيها ويزداد تماسكها وتعظم تضحياتها .

ان الممارسة ، والسلوك معيار بسيط لصحة وجدية الافكار والمبادىء والسياسات وهى أقصر طريق للتصحيح والتقويم .

٣ ــ قوى الثورة المضادة وقضايا التمــوين والتجارة الداخليــة :

فى الحقيقة ، فان البيان تناول هذه النقطة السياسية بالاشارة العابرة الى تصور العــدو بقوله : « وكان من المتصور فى نظر العدو أن يشعر الشعب المصرى خلال هذه الحقبة بشىء مــن الحرمان ، أو ببعض الاختناقات الحادة فى مجال السلع والمواد التموينية » .

والامر من وجهة نظرنا يحتاج فى هذا المجال الى رؤية اشمل وتوضيح سياسى أعمق نعتقد أنه من المهم التذكير به ، ونخشى أن يكون قد نسى فى غمرة الحوار المحتدم حول « مشكلات شــارع الشــواربى » ، « وازمة الفراخ » و « الفلفل الاسود » وهى مسائل رغم تقديرنا لمدى أهميتها لا نعتقد أن لها وزنا يذكر لدى ملايين الفلاحين والعمال ببلادنا .

ذلك ان القوى الاستعمارية والصهيونية بزعامة الولايات المتحدة الامريكية لها تاريخ أســود مع شعبنا فى هذا المجال ، تاريخ يبــدأ مــن فرض الحصار الاقتصادى ، والامتناع عن مدنا بالقمح ، وتمويل السد العالى ، الى محاولات السيطرة والتحكم فى عمليات التجارة الخارجية وذلــك بهدف :

أ ــ شل وعرقلة ومحاولة افشال كافة محاولاتنا الوطنية الرامية لبناء اقتصاد وطنى متطور يرتكز على التخطيط الشامل ويستند فى الاساس على قطاع عام قائد ومهيمن .

ب ــ السعى الواعى والدءوب لايجاد نقط ارتكاز داخلية يمكن بواسطتها التسرب الى مجال أو أكثر من مجالات نشاطنا الاقتصادى بغية أن تظل بلادنا واقتصادها جزءا من اقتصاد النظام الرأسمالى العالمى .

ومن حول هذه الاهداف ، تعددت أساليب قوى الثورة المضادة ، وتنوعت مخططاتها وفقا لمراحل التقدم والتطور أو لحظات التعثر والتوقف التى واكبت مراحل بناء اقتصادنا الوطنى المســـتقل المتطور .

ــ ومن المسلم به سياسيا أن قوى الاستعمار والصهيونية ترتكز موضوعيا وتاريخيا على قوى الرجعية المحلية ، وهى تلك القوى التى قاومت وعارضت بشتى الحجج قوانين الاصلاح الزراعى والتأميم ومشروعات التنمية الصناعية واخذت من النواقص واخطاء التطبيق العديدة أسلحة أحسنت توجيهها للتشهير والتشكيك فى جدوى ما تــم اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا . بل وقومبا طوال العشرين سنة الماضية .

ولقد ساعد هذه القوى الرجعية على توسيع هجومها السياسة الخاطئة فى توزيع عــائد التنمية ، هذا العائد الذى تعذر لاسباب عديدة أن تشارك فى الاشراف والرقابة عليه قوى الشعب العاملة .

ــ ومن حول هذه الاهداف ومخططات قوى الرجعية المحلية ، تتم محاولات ذكية لاستدراج فئات اجتماعية وطنية ومخلصة الى مواقف تلك القوى الرجعية كى تنتهى الى نفس مواقعها .

ــ وقطاع التموين والتجارة الداخلية بحكم طبيعة نشاطه ، والتكوين الاجتماعى للقوى التى تزاول مهامه يعتبر أحد الميادين الهامة التى تجيد وتعرف قوى الرجعية المحلية كيف تلتف حــوله لتهاجم وتراجع وتستدرج .

وعلينا ان نحذر بعض الاصوات التــى سمعناها . وسوف نسمعها تتباكى على مصــير ومصالح الفئات الاجتماعية المشتغلة بنشــاط القطاع الخاص والمهاجمة للقطاع العام . فهى فى حقيقتها أصوات اليمين الرجعى المخرب للقطاع الخاص والعام فى آن واحد لصالــح رغبتهــا المحمومة فى الربح العاجل أو آمالها التى لا تتبدد فى تصفية كل ما هو وطنى وتقدمى نجحت ان تقدمه ثورة ٢٣ يوليو لبلادنا .

ــ ان قطاع التموين والتجارة الداخلية فى ظل المرحلة الراهنة من نضالنا الوطنى ، على الرغم من وضوح الرؤية السياسية التى تحكم سياسة الوزارة واهدافها ، يتطلب من الوزارة الحالية ومؤسسات الدولة جهدا سياسيا اكبر من تفسير مشكلاته ، واســس حملها الحازمــة لصالح تحـــالف قوى

الشعب العامل بما لا يؤثر على مستلزمات معركة التحرير ونجاح خطة التنمية .

كذلك يجب أن يزداد الوضوح السياسي في رسم وتطبيق سياسة وزارة التموين فى المرحلة الراهنة من أجل :

ا ـ كسب صغار ومتوسطى التجار بالمدن والريف الى اهداف السياسةالتموينيه الموضوعه وهى صحيحة بالاساس وذلك بالاقناع القائم على الحوار الديمقراطى وبحل واقعى عاجل للمشكلات الاساسية التى تصادفهم ، فتحد ، أو تعرقل ، من قيامهم بدورهم المحدود والمخطط لعمليات التوزيع ، وخلق اشكال تنظيميه تضمن لهم المشاركة فى رسم السيسة المتعلقة بنشاطهم ، والرقابة على وضعها فى التطبيق .

ب ـ دعم وتطوير وحدات صغار ومتوسطى المنتجين الحرفيين الذين يسهمون بالفعل بدور هام فى الانتاج الوسيط والخدمات اليومية الضرورية لسكان المدن والريف .

جـ ـ التصفية الحاسمة لكافة اوجه النشاط الطفيلى الذى تمارسه عناصر محدودة فى هذا القطاع باسم التجار والحرفين .

ان صغار ومتوسطى التجار والصناع بمدن وريف بلادنا قوى وطنيه لهـا تاريـخ عريق فى نضالنا الوطنى ، وقدمت ويمكن ان تقدم ، الكثير شرط أن يخطط ويحدد لها دور تشارك وتراقب فى وضعه وتطبيقه بعيدا عن مخططات قوى اليمين الرجعىووصاية الوسطاء الطفيليين المستغلين .

د ـ دعم وترشيد وحدات القطاع العام القائمة بعمليات تجارة الجملة .. والتوزيع ، وأذكاء روح المنافسة بينها وبين وحدات التوزيع بالقطاع الخاص حول توفير أحتياجات الجماهير والخدمة الافضل .

ثانيا : الخطوط الاساسية لسياسة الوزارة فى التطبيق :

لقد انعكست الرؤية السياسية للوزارة فى رسم الخطوط الاساسية لسياسة وزارة التموين واهدافها وسبل تطبيقها فى عدد من النقاط التى وردت تحت عنوان «السياسة التموينية الاهداف الرئيسية لسياسة التموين »فى صدر هذا المقال، وعلى الرغم من المعوقات التى أوضحتها الوزارة فان البيانات الرسمية توضح ان ماتحقق منجانب السياسة المقدمة لقطاع التموين خلال عام ١٩٧٢ ما نورد له الامثلة التالية :

أـ فى مجال توفير السلع الضرورية :

قامت الوزارة ليس فقط بتوفير الاحتياجات الجارية ، وانما أيضا ، مواجهة الزيادات الغير متوقعة فى بعض السلع الضرورية . فمثلا تشير بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء الى زيادة الانفاق على استهلاك السلع الغذائية بأكثر من ١٠ فى المائة سنويا فى حين ان معدل تزايد السكان أصبح لا يتجاوز فى السنوات الاخيرة ٥ر٢ فى المائة سنويا . وفيما يلى بيان عن زيادة الاستهلاك من بعض السلع الاساسية خلال الثلاثة أشهر الاخيرة والتى توفرت بياناتها عن عام ١٩٧٢ مقارنة بمثيلاتها فى عام ١٩٧١ :

زيادة الاستهلاك فى السلع الغذائية (بالطن)

الفرق	يوليو اغسطس سبتمبر ١٩٧٢	١٩٧١	
القمح	٨٤٥ر٦٣٠	٥٠١ر٥٤٥	٣٤٤ر٨٥
الذرة	٥٤٠ر٣٨	٥٠٧ر٢٢	٠٣٣ر١٦
الارز	٤١٧ر٩٢	٩٤٢ر٥٥	٤٧٥ر٣٦
السكر	٧٦٣ر١٥٣	٥٩١ر١٣٨	١٧٢ر١٥
الشاى	٥٥٦ر٦	٨٧٢ر٥	٦٧٤
البن	٤٤٨ر١	١٥٨ر١	٢٩٠
الزيت	٠١٦ر٧٠	٦٢٧ر٥٧	٣٨٩ر١٢
الاسماك المجمدة	٢٩٢ر٧	٤٤٣ر٦	٨٤٩

بـ ـ فىمجال تثبيت اسعار السلع الضرورية:

كشف التطبيق ، وعلى الرغم من المعوقات المشار اليها سابقا ، أن الوزارة حرصت من جانبها ، على تثبيت أسعار السلع الضرورية . ومثال ذلك ، سعر رغيف الخبز والدقيق المتاح للاستهلاك الخاص على الرغم من ارتفاع أسعاره العالمية من٦٤ دولارا للطنالى نحو١١٢ دولارا فى الفترة الاخيرة وبالرغم من احتياجاتنا السنوية منه قد وصلت الى ٢٥ مليون جنيه من النقد الاجنبى ، ولكن الملاحظ ان محاولات التثبيت لم تشمل كثيرا من السلع .

جـ ـ فى مجال التوزيع وتحسين الخدمة :

من النقط الجديرة بالملاحظة أن الشكوى والنقد الخاص بسوء أساليب التوزيع والخدمة والتى هى بالفعل مشكلة تقابلها الجماهير يوميا ، ويستند اليها البعض فى تشديد حملة النقد على قطاع التوزيع العام ، أن الدور الفعلى الذى يقوم به هذا القطاع حتى الان يتحدد بمقدار الحصص المسموح له بتوزيعها (ولا تزيد عن ١٠ فى المائة فى مجموعها) بالقياس الى الحصص الممنوحة لوحدات القطاع الخاص (حوالى ٩٠ فى المائة من مجموعها . والتى تقوم مؤسسات الدولة المنتجة والمستوردة بتسليمها اليها باعتبارها الوسائل المباشرة للتوزيع بين الجماهير .

وتتأكد هذه الحقائق من واقع البيانات الرسمية لمتوسط التوزيع الشهرى لاهم سلع الاستهلاك النهائى على كل من وحدات القطاع العام والخاص كما يتضح من الجدول الاتى :

السلعة	الوحدة	متوسط الموزع شهريا	حصة القطاع الخاص		حصة القطاع العام	
			الكمية	(٪)	الكمية	(٪)
الشاى التموينى ...	بالطن	١١٩٣	١١٨١	٩٩,٠	١٢	١,٠
الشاى الحر ...	بالطن	١٠٨٦	١٠٠٢	٩٢,٣	٨٤	٧,٧
السكر التموينى ...	بالطن	١٣٥٠٠	١٣٣٦٥	٩٩,٠	١٣٥	١,٠
السكر الحر ...	بالطن	٢٤٠٠٠	٢٢٩٠٠	٩٥,٥	١١٠٠	٤,٥
البن	بالطن	٤٥٠	٤٢٠	٩٣,٤	٣٠	٦,٦
الزيت التموينى ...	بالطن	٧٠٠٠	٦٩٣٠	٩٩,٠	٧٠	١,٠
الزيت الحر ...	بالطن	٤٣٠٠	٣٣٠٠	٧٦,٨	١٠٠٠	٢٣,٢
المسلى الصناعى ..	بالطن	٥٠٠٠	٤٣٠٠	٨٦,٠	٧٠٠	١٤,٠
الدقيق الفاخر ...	بالطن	٤٥٠٠٠	٤٤٧٠٠	٩٩,٤	٣٠٠	٠,٦
الأرز	بالطن	١٥٠٠٠	١٣٤٠٠	٨٩,٤	١٦٠٠	١٠,٦
العدس المجروش...	بالطن	١٢٠٠	٩٠٠	٧٥,٠	٣٠٠	٢٥,٠
الفول	بالطن	٢٥٠٠٠	٢٤٢٠٠	٩٦,٨	٨٠٠	٣,٢
التوابل المتنوعة	متنوعة	متنوعة	—	٧٥,٠	—	٢٥,٠
الفلفل الأسود ...	بالطن	٦٠	٤٥	٧٥,٠	١٥	٢٥,٠
صابون الغسيل ...	بالطن	٩٠٠٠	٨٥٠٠	٩٤,٥	٥٠٠	٥,٥
صابون التواليت	بالطن	١٢٠٠	١١٢٠	٩٣,٤	٨٠	٦,٦
كبريت العلب ...	كرتونة	١٦٠٠٠	١٤٢٠٠	٨٨,٨	١٨٠٠	١١,٢
كبريت المشط ...	كرتونة	١٦٠٠٠	١٤٥٠٠	٩٠,٧	١٥٠٠	٩,٣
الأسماك المحفوظة	كرتونة	٢٠٠٠٠	١١٠٠٠	٥٥,٠	٩٠٠٠	٤٥,٠
اللحوم المحفوظة	كرتونة	٣٠٠٠٠	١٥٠٠٠	٥٠,٠	١٥٠٠٠	٥٠,٠
الأسماك المجمدة ...	بالطن	٢٥٠٠	١٢٥٠	٥٠,٠	١٢٥٠	٥٠,٠
الأسماك الطازجة	بالطن	٥٠٠٠	٤٧٠٠	٩٤,٠	٣٠٠	٦,٠
اللحوم	بالطن	١٨٠٠٠	١٦٥٠٠	٩١,٧	١٥٠٠	٨,٣
الدواجن	بالطن	٥٨٣٠	٥٠٠٠	٨٥,٨	٨٣٠	١٤,٢

ومنها يتبين أن الهجمة الموجهة الى مصدر وحدات التوزيع للقطاع العام تدور حول ١ الى ١٠ فى المائة فى المتوسط وهى كل حصة المجمعات الاستهلاكية بينما لا يثور التساؤل عن مصير الـ ٩٠ فى المائة الباقية وهى حصة قطاع التوزيع الخاص ٠

ثالثا: التخطيط المركزى للاستهلاك وخطة التموين:

من المعلوم أنه فى المراحل الاولى للتنمية الشاملة لابد وأن يكون التخطيط مركزيا ، بمعنى أن تحدد مركزيا أهداف الاستثمار ، وأهداف الانتاج ، وأهداف الصادرات ، والواردات ، وأهداف للدخل . كذلك يجب أن يكون تخطيط الاستهلاك مركزيا ، بمعنى أن يراعى التخطيط التوازن الاجمالى بين قيمة السلع والخدمات المطروحة للاستهلاك النهائى فى الاسواق واجمالى ما يخصص من دخول السكان للانفاق على حاجيات المعيشة ٠

ووزارة التموين تحدد أهداف وتطبق سياسة تدرك - كما أعلن وزيرها - فى رده على الاستجواب المقدم له فى ظل واقع موضوعى هو **« ان الاستهلاك غير مخطط على الاطلاق ، فليس هناك تخطيط مركزى للاستهلاك ، وليس هناك توجيه لانماط الاستهلاك لدى الافراد »** ٠

وفى ظل هذا الواقع المعترف به ، والجارى تلافيه مستقبلا ، يكون من المناسب بعد عرض الرؤية السياسية وأهداف وسياسة وزارة التموين أن نستعرض بعض وجهات نظر فى دراسات ومشاكل الاستهلاك ٠

أ - قضايا الاستهلاك فى الاقتصاديات المختلفة :

من المعروف ان الاقتصاد التقليدى يتميز بحرية قوى السوق التقليدية فى تنظيم العلاقة بين الطلب النهائى وبين العرض الكلى على أساس ينبع من تفاعل العلاقات بين كل من علاقات وقوى الانتاج ٠ ويتحدد الطلب الفعال **تبعا لاثار** كل من الفائدة والربح والريع والاجور والضرائب على **أسعار مختلف السلع والخدمات والمعروض من كل منها والقوة الشرائية المتاحة لدى مختلف فئات السكان والتفضيل النقدى لكل منها ومستويات المعيشة السائدة** وسلم التفضيل لكل فئة اجتماعية ومدى المتاح من السلع البديلة بكل مجموعة سلعية والمجاميع الاخرى المنافسة ٠٠٠٠ الخ ٠

وتقوم حجة المؤمنين بهذا النظام على أن اشباع احتياجات أفراد المجتمع يتحقق من خلال سعى المنتجين الى تلبية الطلب المتزايد على سلعة ما بما يحقق لهم المزيد من الارباح والانصراف عما يقل الطلب عنه ، وبالتالى تتناقص فرص الربح منه ، وانهم بذلك يحققون التوازن الاقتصادى المرغوب ٠

ولكن كما أثبتت تجارب التاريخ وخاصة فى **الدول النامية المختلفة حيث التباين الشديد فى مستويات المعيشة** ٠ وحتى لو تحقق التوازن المشار اليه (بين العرض والطلب) فان ذلك يكون لفئة **ضئيلة من السكان** ، بينما تعيش الغالبية فى مستويات دون حد الكفاف وبالتالى **لا يمثل طلبها اى قيمة** وبالتالى فان مشاكل العرض يمكن تفاديها بسهولة - ومهما كان العرض محدودا ٠

اما فى الاقتصاديات المتقدمة ، وايا كان النظام الذى يسير به الاقتصاد ، فان التقدم بطبيعته يساعد على تحقيق الوفرة ، اما بسبب ثراء الموارد وارتفاع مستوى المعيشة ، واما لقلة التباين بين مستويات معيشة مختلف الفئات الاجتماعية وعدالة توزيع الدخول ٠ وتكون مشكلة تحديد العلاقة بين الطلب والعرض قد تم حلها تاريخيا ، وخلال مرحلة التقدم التى يكون المجتمع قد اجتاز فيها تجارب النمو والتوسع سواء بالاسلوب الرأسمالى ، (الذى تحقق بامكانيات المستعمرات أو الاراضى المستكشفة حديثا) أو بالاسلوب الاشتراكى الذى مر بفترة معقولة من التخطيط المحكم الصارم حتى أمكن التعرف على الاحتياجات الحقيقية لمجموع السكان وامكن بالتالى تلبيتها بالكميات والاسعار المناسبة حتى اختفت أو كادت - أمثال تلك المشاكل التى تعانى منها المجتمعات النامية عموما ٠

ب - قضية الاستهلاك فى مجتمعنا :

أما فى مثل مجتمع - كمجتمعنا - وهو فريد فى ظروفه وتجربته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية (وايا كانت وجهات النظر الاقتصادية أو السياسية فى تقييم ما تم فى تاريخ ثورة ٢٣ يوليو حتى اليوم) فان الامر الذى لا خلاف عليه ، أن انجازات الثورة الوطنية والاقتصادية والاجتماعية قد أسفرت عن تغيرات كمية لا تتوقف فى حجم ونوع الطلب الاستهلاكى للجماهير تبعا للتغيرات التى أدخلت على البنيان الاجتماعى والاقتصادى لمختلف الفئات الاجتماعية والتى تبدو آثارها واضحة فى المناطق الصناعية التى استجدت بالكامل ، والعمران الذى انتشر فى مختلف

انحاء البلاد والذىكان من مظاهره زيادة السكان **فى القاهرة من حوالى ٣ر٣ مليون نسمة سنه ١٩٦٠** الى مايزيد عن ٥ ملايين نسمه الان . أىان الزيادة بلغت حوالى ٣فى المائة فىعشر سنوات ، **بينما أن الزيادة الصافية فى السكان يبلغ معدلها حوالى ٥ر٢ فى المائة فى السنة أى فى حدود ٢٥ فى المائة فى العشر سنوات** . ومعنى ذلك أن الغالبية العظمى للزيادة فى سكان القاهرة واردة من خارجها . فاذا ربطنا ذلك بظاهرةالزيادة ، عموما ، فى سكان عواصم المحافظات وباقى المدن الحضرية ، لامكننا أن نقطع بأن الزيادة فى سكان الحضر انما تأتى من سكان الريف ، **وهذا يعنى زيادة المطالب الاستهلاكية بمقدار ما يمثله الفرق بين حياة الحضر وحياة الريف فى كلبند من بنود الاحتياجات الاستهلاكية سواء فى المأكل أو الملبس أو المسكن أو حتى فى شغل أوقات الفراغ .**

وهنا قد يثور التساؤل ، وما فائدةالتخطيط اذن . اذا لم يمكنه التنبؤ بما كانسيحدث نتيجة اتباع تلك السياسات الاقتصادية التى ترب اعادة توزيع الثروة القومية والدخل القومى بل واعادة توزيع السكان بين الريف والمدينة وأثر ذلك على الزيادات الهائلة فى الطلب على مختلف أنواع السلع والمجموعات السلعية ،بلوالمرافق المختلفة كالاسكان والنقل والمواصلات والخدمات الضرورية كالتعليم والرعاية الصحية ..... الخ

والرد فى حالتنا بسيط وواضح ، وهو « أن كل هذه التحولات الاجتماعية والاقتصادية **قد تمت فعلا فى غيبة التخطيط** لان أخطرها اثارا بدأ بقيام الثورة وهو الاصلاح الزراعى والتصنيع ، بينما لم يبدأ التخطيط رسميا الا سنة ١٩٦٠ . بل ان ذلك ينسحب على عمليه التأميم الشامل ذاتها (والتى استلزمتها ضرورة تعبئة الموارد المحلية وتجنيدها لتحقيق خطة التنمية وحل مشاكل تمويلها) تمت **دون أن يكون للتخطيط دور فيها** . ومن هنا لم يتح للتخطيط حينما تم الاخذ به **فرصة الدراسة المسبقة للمشروعات الاقتصادية والاجتماعية للثورة والتى كان لها كل هذه الاثار الاجتماعية التى لم يخطط لها فى حينها .**

١ - **ان تخطيط الاستهلاك عموما من أصعب عمليات التخطيط** كافة وذلك لخضوعها للعوامل الانسانية التى لا يمكن التكهن بها كتغير الاذواق والعادات والرغبات الانسانية التى لا حصر لها والتى تطور باستمرار مع تطور العلوم والمعارف والخبرات والاختراعات والتقدم الحضارى المستمر وذلك مع التباين والاختلاف فى مستويات المعيشة والثقافة والدخل ونوع العمل ومكان الاقامة وحجم الاسرة وتركيبها وأعمار أفرادها .... الخ .

٢ - ان جهاز التخطيط خضع للامر الواقع فى مجابهة آثار التحولات الاجتماعية التى تراكمت منذ بدء الثورة ، والى حين الاخذ به سنة ١٩٦٠، وعالج مشكلة تخطيط الاستهلاك علاجا واقعيا **وذلك بعدم محاولة تخطيطه اطلاقا ربما تسليما بانه لم يكن لجهاز التخطيط دور فى رسم السياسات الاقتصادية والاجتماعية** التى أدت الى تشكيل أحجام وأنواع سلع الاستهلاك الحالى ، وبالتالى ، فكيف يكون لهدور فى تحديد اتجاهاتها ومساراتها ومعدلات نموها . اذن فلتؤخذ على علاتها كما وجدها التخطيط حين قيامه **ومحاولة التنبؤ باتجاهاتها المستقبلة على ضوء مساراتها السابقة .**

٣ - ان التخطيط منذ قيامه بمصر اهتم فى المقام **الاول بتنمية الانتاج القومى بمعدلات محددة فى** فترات زمنيه محدده اعتمادا على استثمارات **محددة تقتطع من الدخل القومى المتولد على أن** يترك الباقى Residual لمواجهة الاستهلاك النهائى المتوقع **بشعبيه الجماعى** (الذى تقوم به الدولة لتوفير خدمات الامن والعدالة والتعليم والصحة وكل ما هى مسئولة عنه بحكم ما لها من سلطة سيادة) **والعائلى** (الذى يوفر احتياجات أفراد المجتمع المعيشيه) ولما كان ذلك الشق المخصص للاستهلاك الجماعى يخضع بطبيعته لتخطيط محكم لكونه يمثل الانشطة المتوقعة لاجهزة الدولة طبقا لما تحدده الميزانية العامة للدولة — لذلك فان الشق الاخر المخصص للاستهلاك العائلى هو الذى يخضع وحده لمدى كبر أو صغر ذلك المتبقى Residual من الدخل القومى بعد استبعاد الاستثمارات المستهدفة ، **ويكون بالطبع قدرا غير واقعى مع احتياجات الجماهير التى تحددها احتياجاتهم اليومية والانسانية على ضوء السن والعمل والدخل ومحل الاقامة ومستوى الثقافة والاستعداد الفطرى للادخار أو للاستهلاك** (وهى ما تعرف بالميول الحدية **(وآثار التغير فىالاسعار والعرض المتاح من السلع والبدائل على مستوى الدخل الممكن التصرف فيه وبالعكس آثار التغير فى الدخل على التغير فى الطلب والانفاق الاستهلاكى** (وهى ما تسمى بالمرونات السعرية والدخلية والاستهلاكية) .. الخ .

٤ ــ أن انعدام الاساس والمناخ لتخطيط الاستهلاك أصلا ومنذ البداية لعدم توفر الدراسات الفنية المشار اليها سابقا والتى تسمح بالتنبؤ العلمى باتجاهات وحجم وتركيب الاستهلاك وخاصة العائلى ، قد صاحبته ظروف متغيرة ودائمة التغير كـ عاصرناه من تغيرات عميقة فى البنيان الاجتماعى والاقتصادى • وقد تمت فى فترة وجيزة نسبيا مما ترتب عليه أن اثارها الاجتماعيه والاقتصاديه ظلت تتراكم كميا فى الفترة الماضيه . واخيرا بدا التراكم ياخذ شكلا نوعيا بزيادة الطلب على سلع جديدة (وخاصة بعد وصول الكهرباء للريف) وذلك كما يتبين من مقارنات بحث ميزانيه الاسرة بالعينة سنة ٥٨ ــ ٥٩ والتغير فى الاهميات النسبية للمجموعات السلعية سنة ٦٤ــ٦٥ بكل من الريف والحضر .

٥ ــ ان الاجهزة المختصة فضلا عن اغفالها توفير مقومات تخطيط الاستهلاك الفنية والاحصائية خلال العشر سنوات الماضية ، للاسباب المبينة فى ٣ فانها لم تبين الا مؤخرا أهمية تنسيق سياسات وخطط العمالة والتدريب والاسعار والاجور والضرائب ، واثر كل منها فى بعضها البعض من جهة ، وعلى تحديد حجم ونوع وهيكل وتركيب الطلب النهائى على مختلف السلع والمجموعات السلعيه ــ واغلب هذه السياسات لازالت فى بداية الدراسة ولم تؤت ثمرتها المرغوبة بعد •

٦ ــ ان التخطيط فى اهتمامه بالانتاج ، لم يعط الاهتمام الملائم للتوزيع ، وفى غيبة سياسات أجرية وسعرية وضرائبية منسقة مع الخطة القومية الشاملة للتنمية يكون من العسير توفير مختلف الاحتياجات الاستهلاكية بالقدر والنوع والتوقيت والمكان المناسبين . سواء كانت تلك الاحتياجات منتجة محليا أو تخضع فى انتاجها لخامات ومعدات مستوردة أو كانت مستوردة بالكامل •

٧ ــ يضاف الى ما سبق أن ما يزيد عن ٩٠ فى المائة من تجارة التجزئة تتبع القطاع الخاص الصغير وبالتالى فهى تخضع لسيطرة تجارة الجملة سواء فى التوزيع او التمويل واغلب تجارة الجملة لا يزال فى يد القطاع الخاص ، وتخضع للقرارات الفردية الحرة لتجار الجملة وهم فى رصهم على جنى الارباح انما يعيشون بمفاهيم اقتصاديات السوق دون أن يكون لهم سيطرة على موارد الانتاج التى تخضع فى الغالب لسيطرة الدولة وتوجيهات الخطة وبالتالى فهم لا يستطيعون التحكم فى الانتاج تبعا لاحتياجات السوق ولذلك يقتصر تحكمهم على التوزيع لسيطرتهم الضمنة على تجارة التجزئة •

ومحصله هذا الوضع ان من بيده الانتاج (الدوله) لا يتحكم فى التوزيع لصالح المستهلكين ــ بينما ان من يتحكم فى التوزيع (تجارة الجمله) لا تهمه مشاكل المستهلكين بل ويحرص على استغلالها لصالحه •

٨ ــ أن التكامل بين القطاعات لم يتحقق بعد فى ظل التخطيط وذلك لعدم توفر المناخ العام الذى يسمح بسريان توجيهات الخطة من أعلى المستويات وفى كل القطاعات والانشطة والمجالات على أسس موحدة تعمل عليها مختلف الوحدات الانتاجية وبالعكس ، لم يتحقق ربط مستوى الوحدة الانتاجية بالاهداف التخطيطيه المركزية سواء بالنسبة لمختلف الانشطة والقطاعات او بالنسبة للقطاع الواحد ــ الامر الذى ترتب عليه وجود اختناقات فى بعض القطاعات تقابلها وفره فى قطاعات اخرى بل وربما فى نفس القطاع ، وانما فى سلع مكملة او بديلة او وسيطة او حتى مواد خام ــ وذلك كما كشفت بعض الدراسات الميدانية التى تمت بأمر لجنة الخطة والاقتصاد « عن الطاقات العاطلة والمخزون السلعى » احداهما فى أعقاب نكسة سنة ١٩٦٧ والاخرى فى نهاية سنة ١٩٦٩ وبداية سنة ١٩٧٠ •

٩ ــ يستتبع مما سبق انعدام التنسيق بين مراحل الانتاج والتوزيع والاستيراد والتصدير المختلفة سواء بين القطاعات المختلفة أو داخل القطاع الواحد ، واذا شئنا مثلا فيمكن أن نتصور أهمية التنسيق والتوقيت فى استيراد سلعة ما كالزيت الذى يعتبر سلعة استهلاكية من جهة وسلعة وسيطة من جهة اخرى ، اذ قد تقوم جهة الاختصاص المسئولة عن توفيره بالتعاقد على استيراد ما لا تفى به امكانيات الانتاج المحلى • ويحدث أن تكون الحصة المخصصة بالميزانية النقدية قد خضعت لظروف النقد الاجنبى ، فيصير العمل على تدبير الاعتماد اللازم خلال سلسلة من الاجراءات • واذا تيسر اللحاق بالاسواق الدولية حينما تكون اسعارها مناسبة ، يتوقف وصوله على تيسيرات النقل البحرى والنولون والتأمين والتفريغ بميناء الوصول والتخليص والتخزين أو النقل الى داخل البلاد . وهو ما يستدعى توفر ــ ليس فقط أسطول جاهز للنقل الداخلى ــ وانما ايضا تبسيطا فى اجراءات التعبئة والتنسيق مع الانتاج المحلى والتوزيع بين المصانع (مثلا لصناعة الصابون) وبين احتياجات المستهلكين

المباشرة بمختلف أنحاء البلاد (مثلا حصص التموين) .

وهذا المثل المبسط يوضح لنا ليس فقط **أهمية التخطيط الشامل لمختلف فروع وأنشطة الاقتصاد وانما ضرورة احكام الربط والتنسيق بين مختلف مراحل وجوانب عملية تكرار الانتاج سواء في الانتاج او الاستيراد أو التجهيز والتعبئة او النقل والتخزين أو التوزيع في الوقت والمكان المناسبين** - وهو ما يؤكد بالتالي ان **فعالية نجاح التخطيط لا تقتصر على قطاع دون الاخر . وانما ذلك يستلزم حتما ضرورة توفير التناسب في نمو مختلف قطاعات الاقتصاد** حتى لا يؤدى نمو احدها اسرع من بقيتها الى ما يشبه العرج حينما تعرقل الساق المريضة زميلتها السليمة مهما كانت قوتها .

١٠ - ويرتبط بما سبق أيضا ان النهوض بالتخطيط وحده ومهما كان مركزيا وشاملا لا يكفي أيضا اذ لابد من ادخال التطور المناسب وفي الوقت المناسب على أجهزة التنفيذ - حيث أن **المخططين بعيدين عن مشاكل التنفيذ - وتلك هي التي تمس مباشرة مصالح الجماهير ، ولا يمكن لاجهزة التنفيذ المتخلفة ان توفر النجاح للخطط مهما كانت متقدمة .**

١١ - ان جهاز تخطيط الاسعار الذى انشىء حديثا لم يتح له بعد أن يؤدى رسالته في وضع السياسات السعرية المتناسقة مع مستويات الاجور ، وتوزيعات الدخول وهي السياسات التي تخدم أهداف الخطة في الانتاج والتوزيع والاستهلاك . والمشاهد حتى الان ، أن أسعار مختلف السلع تخضع لقرارات تسعير غير متكاملة أو متناسقة حيث تقوم بها جهات مختلفة تتبع قطاعات مختلفة كالزراعة والصناعة والتجارة الخارجية والتجارة الداخلية .. الخ - وقد نشأ عن ذلك أن أغلب السلع يتم تسعيرها دون توفير الدراسات الكافية لمعرفة مدى كفاية العرض المتاح منها مع الطلب عليها ، ودون معرفة كافية بمدى تيسر البدائل المناسبة لاستكمال العجز في كل منها ، وتكون نتيجة ذلك حدوث الاختناقات لعدم امكانية تلبية « الطلب الفعال » عند هذه الاسعار وبالتالي حدوث السوق السوداء .

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن **الخلط بين أساليب الاقتصاد المخطط وبين تلقائية السوق التقليدية - العرض والطلب ، لا يتفقان** حيث أن **الطلب في الاقتصاد المخطط** يجب أن **يكون مدروسا ومتعارفا عليه في ظل حرية المستهلك الكاملة** في الاختيار . وأن العرض المقابل له يجب أن يكون مخططا ليلبي احتياجات هذا الطلب بالكامل وبالاسعار المحددة طبقا للسياسات العامة للقيم والاجور والتكاليف الاجتماعية التي تسمح بتعبئة فائض اجتماعي مناسب لتوفير التراكم اللازم لاستمرار التنمية ودعم معركة التحرير ، وفي نفس الوقت لكفالة المستوى المرغوب لمعيشة السكان والارتقاء به باستمرار . **وكلها سياسات تتم في ظل سلطة الدولة الكاملة** وسيطرتها التامة على وسائل الانتاج ولصالح مجموع المواطنين ومن خلال التخطيط المركزى الشامل في اتخاذ القرارات والمبادرات الفردية الخلاقة للتنفيذ اللامركزى الذى يحفظ للانسان حيويته واخلاصه .

وغنى عن البيان ان منطق « الطلب الفعال » في اقتصاد السوق حيث تلعب القوى التقليدية للطلب والعرض « استغماية » التوازن - انما لا يمثل في الغالب جمهورا عريضا للمستهلكين ولا يغطى سوى احتياجات الفئات الاجتماعية الاقل عددا والاكثر مزايا والاقدر بالتالي على اشباع احتياجاتهم بالكامل .

١٢ - انه بالرغم من توفر بعض الدراسات التي كان يمكن لو استمرت ، ترشيد الاستهلاك الا أن تباعد المدد الزمنية بينها وبين البعض ، وتقدمها جميعا بالنسبة لمشاكل الطفرة الاستهلاكية الحالية ، نتيجة تفاعل قوى التطور على مدى سنوات الثورة الماضية ، ضاعف من مشكلة وفاعلية تخطيط الاستهلاك في الاجل القريب - الامر **الذى يستلزم تطويرا جذريا في أجهزة البحث العلمي وتوفير البيانات الاحصائية الحديثة عن مسارات توزيع التجارة الداخلية وتوزيعات الدخول على مختلف الفئات الاجتماعية ومستويات الانفاق الاستهلاكي للاسرة المصرية - وجدير بالذكر أنه لم يتوفر عنها** سوى بحثي ميزانية الاسرة بالعينة سنة ٥٨ - ٥٩ ، سنة ٦٤ - ٦٥ وكلها أصبحت لا تصلح **الان لاستكمال الدراسات الفنية عن المرونات الدخلية والسعرية والانفاقية والتطور في الانماط والعادات وتركيب ووزن المجموعات السلعية المختلفة في استهلاك الافراد** وآثار الاحلال والاستكمال والاستحداث والاضمحلال في استهلاك مختلف السلع والاتجاهات المتوقعة لمسارات استهلاك كل منها في المستقبل .

والخلاصة المنطقية لكل ما سبق ، أن مشاكل تخطيط الاستهلاك في بلادنا والتي تنعكس في مشاكل التوزيع والاختناقات الدورية في مختلف السلع انما تكمن أساسا في عدم كفاية الاجراءات التي تكفل سلامة التوزيع تخطيطا وتنفيذا على مختلف المستويات والقطاعات المنتجة والمستوردة

بسبب عدم حدم السيطرة على قنوات التوزيع وخاصة فى تجارة الجملة والسيطرة على تجارة التجرئة فى القطاع الخاص والتى تمر حلالها ما يزيد عن ٩٠ فى المائة من مجموع السلع الاستهلاكية الاساسيه طبقا الاحصاءات التفصيليه (أنظر مضبطة مجلس الشعب عن استجواب التموين بتاريخ ٢٢ ـ ١٢ ـ ١٩٧٢) .

هذا فى الوقت الدى يتزايد فيه السكان باستمرار ، وتتزايد مطالبهم الاستهلاكية بأكثر من تزايد عددهم ، حيث كشفت بعض الدراسات الخاصة عن أن **الاستهلاك الكمى** من أغلب السلع الاساسيه الى ندحل فى الاستهلاك النهائى قد زاد بمعدل حوالى ٤ فى المائة سنة ٦٨ـ٦٩ وبمقدار حوالى ٢٥ فى المائة سنة ٧٠ ـ ٧١ والسنتان مقارنتان بسنة ٦٤ ـ ٦٥ بعد استبعاد اثر الاسعار على الكميات المستهلكة فعلا .

وقد تبين أن الزيادة فى استهلاك اللحوم والاسماك وحدها بلغت قيمتها حوالى ١٠ فى المائة سنة ٦٨ـ٦٩ و ٦٥ فى المائة سنة ٧٠ـ٧١ والسنتان مقارنتان بسنة ٦٤ ـ ٦٥ ايضا .

وهذا المثال وحده كاف للدلالة على الطفرة التى شاهدها الاستهلاك النهائى لافراد المجتمع خلال سنة ٧٠ ـ ٧١ ، حتى بالنسبة للسنة السابقة مباشرة . وسواء كان القياس بالكمية أو بالقيمة ، الامر الذى أصبح ينذر بضرورة الاسراع فى اتخاذ الاجراءات الكفيله لتفادى خطر هذا الاتجاه الحاد على ضوء الاعتبارات السابقة وما تأكد عن انه اتجاه مستمر حتى الان .

رابعا : التقييم الموضوعى لاهداف وسياسة وزارة التموين والتجارة الداخلية :

ـ اذا كان لنا ان نقيم الاهداف والسياسات والانجازات التى سعت لتحقيقها أجهزة الدولة المعنيه ووزارة التموين على ضوء النقاط السالفة العرض . واذا كان لنا أن نقيم اسباب المشكلات والمعوقات العامة التى تصادف هذا القطاع على ضوء وجهات النظر المتدمة عن قضية تخطيط الاستهلاك ، امكن القول :

ان السياسة التى الزمت نفسها بها وزارة التموين أنما تعد سياسة طموحة ، لان تنفيذها فى ظل ظروفنا الاجتماعيه وواقعنا الاقتصادى والتحديات التى تتصاعد باستمرار حول مصير قضية التحرر والتنمية انما يقتضى **تخطيطا شاملا** ومشاركة كاملة من كافة القطاعات الانتاجية والخدمية ، وفى ظل خطة : طويلة الاجل تترجم الى أهداف مرحلية قصيرة الاجل يشارك فى رسمها وتنفيذها والرقابة الفعالة عليها المؤسسات التنفيذية والسياسية والتشريعية والجماهيرية لفئات قوى الشعب العامل ، كذلك نرى ان تبذل الحكومة جهدا خاصا للتصدى لظاهرة الارتفاع المستمر لاسعار بعض السلع ، وهذا الارتفاع الذى يسبب اكثر من مشكلة للطبقات محدودة الدخل .

ان هذا كله يقتضى توفير البيانات الاحصائية والدراسات المتخصصة التى توفر التنبؤات السليمة بهيكل وحجم واتجاهات الاستهلاك فى المستقبل على ضوء التطورات الاقتصادية والاجتماعية التى تمر بها ، وبما يسمح بتوفير تخطيط فعال للاستهلاك فى ظل الخطة العامة للتنمية .

ولعل هذه المحاولة تفتح الباب لدى كافة المعنيين من المتخصصين كى يساهموا فى مثل هذه الدراسات .



الخطوط العامة لسياسة الحكومة

مرحـــلة انتقـــالية نحو تطـــوير التعـــليم

البرنامج الذى اعلنته الحكومة عن التعـــليم والتعلم لم يكن الهـــدف منه ان **يشـــكل برنامج التطوير ولكنه مرحلة اولى انتقالية نحو التطوير .** وقد حكمت هذا البرنامج المبادىء التالية :

اولا : **مبدأ ديموقراطية التعـــليم ..** ويترتب عـــلى هـــذا :

ـ التزام المجتمع بتوفير القـــدر الاساسى من التعليم الذى يزيل الامية عن الفرد .

ـ نتيجة هذا المبدأ تتحمل الدولة مســـئولية التعليم [المجانية] .

ـ من حق المجتمع ان يحصل على افضل عائد من الانفاق على التعليم .

ـ يتطلب الامر تنظيم وتخطيط التعليم لاعداد النوعيات المختلفة من الخريجين .

ثانيا : التزام الدولة بتوفير فرص العمـــل للخريجين .

ثالثا : وضع تصور لتحديد احتياجات العمل . وضرورة توجيه دور التعليم العالى نحو نوعيات العمل المطلوبة حسب مسح شامل للقوى العاملة

الاوضاع الحـــالية

١ ـ اسباب تخلف الخريجين :

ـ عجز دور التعليم الحالى عن تأدية وظائفها بسبب الزيادة الهائلة فى عدد المقبولين مقـــابل الامكانيات المحدودة ، المادية والبشرية التى تكاد تكون معدومة فى بعض الاحيان .

ـ ان بعض انواع التعليم لاتزال تقليدية ولم يحدث فيها اى تطوير .

ولعـــلاج ذلك :

فى تصور الحكومة ان هنـــاك ضرورة للربط الشامل والمتكامل بين مراحل التعليم المختلفة ، وفى ذلك يلاحظ :

● التوسع فى التعليم الجامعى جاء **توســـعا** نمطيا فاختار السريع الاســـهل **دون البحث عن** الطريق الاجـــدى .

● ينبغى النظر فى سياسة **تسعير الشهادات** واعاده النظر فى هيكل الاجور .

● من هنا الاحساس بضرورة وضع سياسة تعليمية . ومن هنا كانت الفكرة فى انشاء مجلس اعلى قومى للتعليم تشمل اختصاصاته التعليم العام والعالى والفنى .

التطبيــق

فى مجال التربية والتعليم :

١ ـ ركزت الحكومة ـ بالنسبة للتربية والتعليم ـ على انشاء مركز قومى للبحوث التربوية وصدر القرار رقم ٨٨١ لسنة ١٩٧٢ : اهم اهداف هذا المركز :

● تطوير المناهج واساليب التعليم .

● تتولى لجان هذا المجلس دراسة الطريقة الكلية فى التعليم الابتدائى ، واقتراح الطريقة المثلى .

● دراسة تطوير الكتب والمناهج مع صياغة مناهج المدارس الابتدائية بمايتفق وظروف البيئة .

٢ ـ بالاضافة الى الاستثمارات السابقة المخصصة للوزارة .. تمت الموافقة على اعتمادات سريعة لوزارة التربية والتعليم فاعطيت ١٫٨٠٠٫٠٠٠ جنيه من موازنة نصف السنة الثانى من ١٩٧٢ . والغرض من هذه الاعتمادات مواجهة متطلبات التوسع فى فصول العام الدراسى ١٩٧٣ ، مع اعطاء اولوية للمحافظات مثل كفر الشيخ واسوان .

٣ ـ اعتمد مبلغ ٩٫٩٠٠٫٠٠٠ مليون لصيانة المبانى وللتجديدات لعام ٧٢ ـ ٧٣ .

٤ ـ اعتمدت استثمارات اخرى لمراحل التعليم الاعدادى والثانوى ولدور المعلمين والمعلمات ، وهذه تدخل ضمن الخطة الخمسية الاولى .

٥ ـ وضع حوافز للمدرسين ومكافآت تشجيعية تمنح لمدارس دور المعلمين والمعلمات ، ولجذب الشباب الى هذه المدارس .

٦ ـ العودة الى نظام اليوم المدرسى الكامل . لكن تنفيذ هذا النظام لن يتم تعميمه هذا العام .

٧ ـ تقليل كثافة الفصل بحيث لاتزيد عن ٤٠ طالبا .

٨ ـ الموافقة على اجراء امتحانات نقل بالفرقة الثانية اسوة بالفرقة الرابعة فى المرحلة الابتدائية

٩ ـ تيسير التقدم لامتحان الشهادة الابتدائية من الخارج دون اشتراط سن معين .

١٠ ـ التوسع فى انشاء فرق تحفيظ القرآن الكريم التى تلحق بالمدارس خصوصا فى الريف .

١١ ـ تخصيص كاتب فى كل مدرسة بدلا من تبديد وقت الفنيين فى الاعمال الادارية .

١٢ ـ صدرت قرارات اخرى لمواجهة النقص فى المدرسين ، ومن ذلك مثلا : الاستفادة من العمالة الزائدة بالوزارات والمؤسسات للعمل بالتدريس فى مؤسسات الوزارة ـ تفويض وزير التربية والتعليم اعتبارا من اول سبتمبر ١٩٧٢ . الوزارة الذين يبلغون سن المعاش خلال العام الدراسى الحالى .

١٣ ـ الموافقة على تكليف وزارة القوى العاملة على تعيين خريجى الجامعات والمعاهد العليا [٧١ ـ ٧٢] الذين تحتاج اليهم وزارة التربية والتعليم اعتبارا من اول سبتمبر ١٩٧٢ .

١٤ ـ تكليف الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء بتعيين المطلوبين لوزارة التربية والتعليم من خريجى كليات الهندسة والمعاهد العليا الصناعية اعتبارا من اول سبتمبر ١٩٧٢ .

١٥ ـ المبادرة بالاسراع فى تعيين خريجى دور المعلمين والمعلمات من دفعة ١٩٧٢ .

١٦ ـ تمت الموافقة على اعفاء العاملات بوزارة التربية والتعليم من دفع القيمة الايجارية لمساكنهن فى الحجرات الملحقة بمبانى المدارس . وهذا القرار يقتصر تطبيقه على المغتربات اللواتى يعملن فى القرى .

التعليم الجامعى

اوضاع التدريس فى الجامعات :

ترى الوزارة انه لابد من وضع الجامعات فى اطار عام للتخطيط والتنظيم ، وبالطبع يتعين المبادرة بحل مشكلات اوضاع هيئة التدريس مع ملاحظة ان سياسة التعليم لايرسمها مجلس

الوزراء وانما يتولى ذلك « المجلس الاعلى القومي للتعليم » لما يتطلبه الامر من دراسات فنية متخصصة ومسح للقوى العاملة .

المشكلات المتعلقة باوضاع هيئة التدريس : والاسباب التى ادت الى الوضع الراهن :

ــ التزايد الهائل فى عدد الطلاب .

ــ ترك اعضاء هيئة التدريس للعمل فى الجامعات وقطاعات اخرى قد تكون افيد ماديا .

ــ تسرب نسبة من الكفاءات عن طريق العمل فى الخارج بسبب الاغراء العلمى والمادى .

ــ عدم كفاية البعثات المخصصة للمعيدين .

ــ تراكم اعداد المدرسين دون حصولهم على شهادة الدكتوراه .

ــ التزام مصر العربى والافريقى باعارة بعض هيئات التدريس .

وقد بدأ بحث كل مشكلة لوضع الحلول اللازمة ... فمثلا :

ــ بالنسبة للمعيدين ، تقرر زيادة عدد البعثات وعدم الاعتماد كلية على المنح .

ــ بالنسبة للاساتذة صدر الكادر الجامعى .

ــ بالنسبة للمشكلات القائمة تقرر انشاء مجالس متنوعة للدراسات العليا فى كل جامعة .

ــ ان تأخذ الخطة القومية بعين الاعتبار التكاليف والاستثمارات اللازمة لتطوير التعليم فى الجامعات والمعاهد .

ــ بالنسبة لمشكلة نقص الاساتذة فقد تقرر ان يستعان بالاساتذة والخبراء من الخارج حتى يتم استكمال النقص .

ــ بالنسبة للجامعات الاقليمية تقرر انشاء جامعات اقليمية تخدم اكثر من محافظة ، تكون فى البداية فروع لجامعات لم تستقل .

ــ تحقيق التعاون والارتباط بين الجامعات وبين اكاديمية البحث العلمى ومراكز البحث العلمى الاخرى .

ــ اختيار العمداء بالانتخاب .

ــ تعيين رؤساء الاقسام من بين اقدم الاساتذة .

ــ الموافقة على اشراك بعض رؤساء واعضاء الهيئات والمؤسسات العامة والشركات فى عضوية مجالس الكليات والمعاهد .

الرعاية الاجتماعية للطلاب

ــ تمت الموافقة على اعتمادات لمواجهة احتياجات الطلاب من الجامعات والمعاهد العليا
ــ وفيما يتعلق بالرعاية الصحية تقرر ان يكون لكل جامعة مستشفاها ، مع رفع مستوى الاداء والخدمة .

ــ ويلاحظ ان انجاز هذه الخطوات يتطلب وقتا .. وقد تم الان انشاء مستشفى للطلبة لكل من جامعة عين شمس والازهر . اما جامعة اسيوط فسوف يخصص جناح فى كلية الطب لها . وفى جامعة عين شمس يخصص عدد من الاسرة بمستشفى كلية طب عين شمس للطلاب .

ــ بالنسبة للاسكان الطلابى : انشاء ٥٠٠٠ وحدة تتوزع على الجامعات مع اخذ احتياجات الجامعات الاقليمية بعين الاعتبار .

ــ تم وضع مواصفات وتصميمات وموقع المدن الجامعية . مع الاخذ بعين الاعتبار معالجة مشكلة المواصلات بالنسبة للطلاب ، والاهتمام بأن يساعد نظامها على خلق حياة جامعية للطلاب

ــ تتم الان دراسة اعداد لائحة لطلاب الجامعات والموافقة على المنح الخاصة بالمتفوقين

ــ منح طلاب الجامعات تخفيضا قدره ٥٠٪ لدخول مسارح الدولة .

ــ انشاء مراقبة للثقافة الطلابية بمعاونة الفرق الفنية للجامعات والمعاهد العليا وذلك بتوفير المخرجين والنصوص المناسبة وتنظيم العروض المسرحية والسينمائية .

ــ بالنسبة للمواصلات تقرر اجراء تخفيضات سواء بالنسبة للفرد او للرحلات الجماعية .

ــ بالنسبة لمؤسسة نقل الركاب فقد قامت المؤسسة باجراء خفض للافراد والجماعات بالاضافة الى تخفيض اجر السفر فى السكة الحديدية .

— الموافقة من حيث المبدأ على تخصيص مقر لاتحاد طلاب جامعة القاهرة مستقل عن الكليات مع تطوير ودعم الملاعب الرياضية والتنسيق ما بين الجامعات والكليات .

— انشاء المطاعم لتغذية الطلبة غير المقيمين فى المدن الجامعية ، ويجرى الان انشاء مطعم لطلاب جامعة عين شمس .

بالنسبة للكتاب الجامعى :

— الموافقة على مبدأ الحصول مع حق طبع الكتب الاجنبية التى تحتاج اليها الدراسات الجامعية على ان يراعى ان يقتصر هذا الحق على الدولة منعا لاستغلاله فى اغراض الكسب التجارى .

— وبالنسبة للكتاب الجامعى المحلى فقد تم وضع اسس بحيث تقوم كل جامعة وكلية بتحديد الكتب والمراجع الاساسية المقررة للطلبة فى كل كلية وفى كل مادة قبل انتهاء العام الدراسى بحيث يتوفر الكتاب للطلاب فى وقت مناسب ومبكر .

— تم اعفاء المرجع الاساسى المقرر من الضرائب

— تم تكليف الجامعات بوضع لائحة منظمة تحدد تكاليف الكتاب ومكافأة الاستاذ المؤلف وذلك الى ان يتم انشاء الهيئة العامة للكتاب الجامعى والمدرسى على اسس سليمة لتحقيق الاهداف المنشودة . والى ان يتحقق ذلك اعتبر ان المحاضرات هى الاساس ، وان المراجع هى لمجرد الرجوع اليها . وان يكون المرجع المقرر هو الاساس حتى لو تغير الاستاذ . كما تقرر الموافقة على اعتماد مبلغ ١٥٠ الف جنيه لدعم مكتبات الكليات الجامعية والمعاهد العليا .

التعليقـــات

المطــلوب :

تجــاوز الأمــر الواقــع

د. مراد وهبه

أعلنت الحكومة عن برنامج لسياسة التعليم حددته سلبا بانه « ليس » برنامجا لتطوير التعليم، ولكنه برنامج « يومىء » الى التطوير ، والايماءة تركز على « الشكل » وتتحسس « المضمون » تبرز « الكم » وترمز الى « الكيف » .

وتأسيسا على ذلك تتخذ الحكومة من ديمقراطية التعليم مبدءا لسياستها التعليمية ، وتخلص منه الى نتائج محددة تلتزم بها . من بينها ازالة الامية وتوظيف المتعلمين . ثم هى تتخذ من التخطيط «منهجا» عمليا لاعداد النوعيات المختلفة من الخريجين طبقا لمسح شامل للقوى العاملة فيحصل المجتمع بعد ذلك على افضل عائد من الانفاق على التعليم .

والاخذ بهذا المبدأ وذلك المنهج — يعنى أن ثمة سلبيات من اللازم الكشف عنها حتى يعود الطريق الى استقامته او بالادق الى مساره المطلوب . وبرنامج الحكومة يستقطب السلبيات فى اثنتين .

الاولى مردودة الى عجز دور التعليم الحالى عن تأدية وظائفها بسبب الزيادة الهائلة فى عدد المقبولين مقابل « الامكانيات المحدودة » — المادية والبشرية — التى تكاد تكون معدومة فى بعض الاحيان .

والثانية مرجعها الى ان بعض أنواع التعليم لا يزال « تقليديا » ولم يتطور .

والملاحظ على هاتين السلبيتين أنهما من نتاج اسلوب فى التفكير لم يعد مواكبا لثورة تلتزم بالاشتراكية العلمية فكرا وتطبيقا .

فماذا تعنى الثورة ؟

تعنى الثورة تغييرا جذريا للواقع ، والتغيير الجذرى يعنى مجاوزة الواقع ، والمجاوزة تتناول الواقع بشقيه المادى والمعنوى ونقصد بالواقع المادى الاساس الاقتصادى ، وبالواقع المعنوى : الايديولوجيا .

والفكر الثورى وحده قادر على تحقيق هذه المجاوزة ، أما الفكر غير الثورى أو بمعنى أدق الفكر التقليدى فليس كذلك ، اذ هو مصاب بعادة ذهنية محددة قوامها « محدودية الامكانيات » . والسكون عند هذه المحدودية خضوع للامر الواقع . وليس من مقومات الفكر الثورى هذا الخضوع ، بل من مقوماته الاساسية المجاوزة وذلك بابداع وسائل يكون من شأنها أن تتحول الامكانيات المحدودة الى امكانيات لا حد لها . ودليلنا على هذا امكانية هذا التحول مثالان : بناء السد العالى وبناء المصانع . وقبل هذا وذاك كانت النغمة السائدة أن مصر بلد زراعى .

وتومىء الحكومة الى علاج هاتين السلبيتين بالنص على اعادة النظر فى سياسة تسعير الشهادات وهيكل الاجور ، وبانشاء مجلس أعلى قومى للتعليم اختصاصاته التعليم فى جميع مراحله وذلك بهدف تحقيق « التكامل بين هذه المراحل التعليمية » .

من حيث «الشكل» ليس من اعتراض ، ولكن يبقى الوصول بهذين المطلبين الى الغاية المنشودة مستندا الى نوع العقلية المهيمنة على المجلس القومى ، أى مستندا الى نوعية « المضمون » .

وقد جاء فى القرار الخاص بانشاء مجلس أعلى قومى للتعليم أن من أهدافه :

- تطوير المناهج وأساليب التعليم .
- اقتراح الطريقة المثلى فى التعليم الابتدائى .
- دراسة تطوير الكتب والمناهج مع صياغة مناهج المدارس الابتدائية بما يتفق وظروف البيئة .

ومع ذلك يبقى سؤال لابد أن يثار :

فى ضوء ماذا يتم كل هذا ؟ ..

فالتطوير واقتراح التطوير ودراسة التطوير ألفاظ ارتقت لدينا الى مستوى « التعويذة » أو « التميمة »

فما أكثر ما أحدثنا من تغيير فى المناهج والكتب ، ومع ذلك لم يرق الى مستوى التطوير . وما اكثر ما تحتويه الكتب المقررة من تدريب للطلاب على أساليب تعطى مناعة ضد الاسلوب العلمى ، وضد الاسلوب الثورى . وليس من علاج لهذه الازمة سوى أن يحدد المجلس الاعلى القومى للتعليم جوابا عن السؤال المثار :

فى ضوء ماذا يتم التطوير ؟

او بمعنى أدق :

ماهو مضمون هذا التطوير ؟

وليس عندى من جواب سوى ضرورة تفجير « ثورة ثقافية » تواكب الثورة السياسية والاجتماعية . . والثورة الثقافية تقوم على سندين :

السند الاول **سلطان العقل** ، أى لا سلطان على العقل إلا العقل ذاته .

والسند الثانى **التزام العقل بقضايا المجتمع والانسان** .

سلطان العقل من ابداع الثورة البرجوازية فى القرن الثامن عشر .

والتزام العقل من ابداع الثورة الاشتراكية فى القرن العشرين .

والغريب فى أمر الثورة الثقافية المطلوبة أنها ليست مرتبطة بنغمة « الامكانيات المحدودة » كما أنها ليست فى حاجة الى اعتماد مالى من وزارة الخزانة . ومع ذلك فهى ليست واردة ولا مطروحة للبحث والنقاش .

والذى يدفعنى الى هذا الجواب هو الرؤية الثورية للحركة الطلابية فى العالم « فالرؤية التقليدية » تدور على أن الطلاب هم حملة التراث وناقلوه الى الاجيال القادمة . أما الرؤية الثورية فتشير الى أن الطلاب الان عنصر جوهرى من عناصر « قوى الانتاج » مواكب فى تطوره لقوى الانتاج . ولهذا فهم يتمثلون شخصيات رواد حركات التحرير فى العالم .

وتأسيسا على ذلك مطلوب من المجلس الاعلى القومى للتعليم تحديد وظيفة المدرسة قبل أن يقدم على تغيير المناهج والكتب .

هل وظيفتها المحافظة على الوضع الراهن ، أم وظيفتها تطوير هذا الوضع الراهن لمجاوزته ؟

وفى نظام ثورى مثل نظامنا ينبغى رفض الوظيفة الاولى والتزام الوظيفة الثانية .

ومعنى ذلك أن وظيفة المدرسة « **تقدمية** »

ومن شان التقدمية أن تكون « **ابداعية** »

وتوفير المناخ للابداعيه يتطلب تعويد الطلاب على منهج للتفكير يكون من شأنه تفجير القدرات الخلاقة الكامنه فى العقل وفى الواقع ، ومن ثم فليست المسألة فى نهاية المطاف اختيارا لما **اختزنه** الطالب من معلومات ولكن لما **اكتسبه** من منهج يتسم بالعلمية والثورية .

والمنهج العلمى الثورى هو اجتماعى بالضرورة . لان العلم - فى مستوى النظر والتطبيق - ليس بمعزل عن المجتمع وتطوره . ومن شأن هذه النظرة ازالة « الانفصام » بين العلوم الطبيعية والرياضية من جهة والعلوم الاجتماعية والانسانية من جهة أخرى . ومن غير هذه الازالة ليس فى الامكان مناقشة ما تنص عليه سياسة الحكومة التعليمية .

فمن شأن هذا الانفصام التقليل من شأن ماهو اجتماعى وما هو انسانى . وهذا هو نمط المثقف البرجوازى فى العصور الوسطى ، يحيا على « المجردات » فتأتى تحليلاته بمعزل عن الواقع وعن اتجاه تطوره . ذلك أنه يستمتع بالاستقلال الاقتصادى ومن ثم بالاستقلال الفكرى .

ومن شأن هذا الانفصام كذلك أن يكون مانعا من مناقشة هيكل الاجور وسياسة تسعير الشهادات التى ينص عليها برنامج الحكومة . ذلك ان من شأن هذه المناقشة ربط الاجر بالقيمة الاجتماعية للعمل ، بل ربط الانسان بالمجتمع .

ومن ثم فقضية اعداد المعلم ليست قضية كم فحسب وانما هى قضية كيف فى المقام الاول . ومع ذلك فلم يشر برنامج الحكومة الا الى الكم فقد اشار الى القرارات التى اتخذتها الحكومة لمواجهة النقص فى المدرسين . من ذلك مثلا الاستفادة من العمالة « الزائدة » بالوزارات والمؤسسات للعمل بالتدريس ، وتكليف الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء بتعيين المطلوبين لوزارة التربية والتعليم من خريجى « كليات الهندسة والمعاهد العليا الصناعية » .

وهذه كلها اجراءات « يحتمها » التطور الاجتماعى ، ولكن ينبغى ان تكون هذه « الحتمية مؤقتة » أن صح استخدام هذا التناقض فى الحدود . والا فما معنى وجود كليات متخصصة فى اعداد المعلم اسمها « كليات التربية » .

والسؤال الان :

ما مكانة كليات التربية فى مجال التعليم ؟

المفروض أنها المصدر الوحيد لاعداد المعلم . واذا كان هذا ما ينبغى أن يكون فيترتب عليه أن تكون هى نقطة البداية فى تفجير الثورة الثقافية بالمعنى الذى أوردناه فى هذا المقال بحيث يمكن تشكيل أى معلم ثورى .

والحديث عن كليات التربية يدفعنا الى الحديث عن التعليم الجامعى وقد تناول برنامج الحكومة هذا النوع من التعليم مركزا على الجانب الكمى فالمسألة كلها مجرد نقص فى الاساتذة بالنسبة الى التزايد الهائل فى عدد الطلاب .. ويرد البرنامج هذا النقص الى سببين :

● ترك أعضاء هيئة التدريس العمل فى الجامعات الى العمل فى مجالات أخرى قد تكون أفيد ماديا .

● عدم كفاية البعثات المخصصة للمعيدين

وعلاج هذين السببين ، فى نظر البرنامج ، هو على النحو التالى :

● صدور الكادر الجامعى والاستعانة بالخبراء من الخارج .

● زيادة عدد البعثات .

● انشاء جامعات اقليمية ورعاية الطلاب اجتماعيا ..

وهذه كلها اجراءات تربط التعليم بالبناء التحتى للمجتمع فى مرحلة التحول الاشتراكى . ولكننا فى حاجة الى اجراءات اخرى تربط التعليم بالبناء الفوقى ، أى بالفكريات المطلوب تمثلها فى هذه المرحلة ومن غير هذه الاجراءات ينفصل البناء التحتى عن البناء الفوقى ، ثم يعقب هذا الانفصال انهيار البناء التحتى .

ومن بين الاجراءات المطلوبة التزام الجامعة بقضايا المجتمع ومن هذه الزاوية فليس ثمة مبرر لرفع شعار « استقلال الجامعة » فهذا الشعار وهم .

فماذا يعنى استقلال الجامعة ؟

يعنى أن الجامعة تقنع بلغة الوصف دون لغة الفعل ، بدعوى أن لغة الوصف هى لغة العلم . وقد روج لهذا المفهوم عن لغة العلم تيار « الوضعية المنطقية » ففى رأى أصحاب هذا التيار أن ثمة فارقا جوهريا بين « الواقعة » و « القيمة » . الواقعة موضوع علم أما القيمة فليست كذلك . وحقيقة الامر ليست كذلك فأية واقعة انما تنطوى على قيمة بحكم ان الواقعة موضوع الادراك تتصف بالطابع الانسانى . ومن ثم فالواقعة ليست متمايزة من القيمة فكل منهما مطبوع بالطابع الانسانى ولهذا فالموضوعية الخالصة وهم .. فثمة تداخل بين الموضوعية والذاتية أو بين لغة الوصف ولغة الفعل ، بل ثمة علاقة ديالكتيكية .

وانتفاء هذه العلاقة الديالكتيكية من شأنه ان يفضى الى الاكتفاء باحد الطرفين : اما الموضوعية واما الذاتية .

الاكتفاء بالموضوعية يفضى الى اغتراب الجامعة عن الانسان

والاكتفاء بالذاتية يفضى الى اغتراب الجامعة عن المجتمع .

والثورة ليس لها من مدلول فى نهاية المطاف سوى رفع الاغتراب واستكمال انسانية الانسان .

والسياسة التعليمية فى مجتمع ثورى ينبغى أن تكون محكومة بهذا المدلول .



الخطوط العامة لسياسة الحكومة

العلاج والدواء بين الريف والمدينة

اهداف الخطة الصحية بوجه عام :

ا ــ تحسين نوعية الخدمة الطبية واعتبار خطة الطوارىء ــ بالنسبة للاجهزة عاملا معاونا وتأجيل التوسع الافقى حتى يتوفر الاداء والامكانيات وتحسين النوعية مع ملاحظة ان ذلك لا يعنى التوسع الافقى نهائيا بقدر ما يهتم بالاستخدام الامثل كما هو متاح .

ب ــ حل مشكلة التمريض مع البدء مباشرة اعتبارا من اكتوبر سنة ١٩٧٢ بالتركيز على توفير ٦٠٠٠ ممرضة وعلاج سوء الخدمة بالمستشفيات ورفع مستوى الادارة .

جـ ــ التركيز على الناحية الوقائية دون المساس بالناحية العلاجية وبحيث تخصص مثلا ٧٠٪ من كل دعم اضافى للناحية الوقائية .

د ــ الاعتماد على التجارب قبل التعميم .

هـ ــ ضرورة الاهتمام بتنفيذ البطاقة الصحية وما يتطلبه ذلك من ايجاد نظام ادارى سليم والاهتمام بالاحصاء وانشاء مركز طبى علمى لتدعيم قدرة الوزارة **على توصيل العلم الى الطبيب فى اعماق الريف** وتسهيل امداده بالجزء النظرى فى **اى دراسات عليا** او تدريب ويقتصر فترة استدعائه على التدريب العملى والاختبارات

و ــ **اعادة النظر فى المعامل وتدعيمها بحيث** يتوفر لدى المستشفى المركزى احتياجاتها الحقيقية والتى تختلف عن احتياجات الوحدة الصحية .

ز ــ مضاعفة حجم ما يخصص من الادوية حاليا لوحدات **القطاع الريفى واتخاذ الاجراءات** اللازمة لضبط صرف الدواء وتنظيمه مع عمل بطاقات صحية ووقائية بما يحقق احكام صرف الدواء وتوزيعه على المترددين وفقا لنوعيات الامراض .

ان دراسة السياسة الصحية يعنى دراسة سياسة متكاملة وبعيدة المدى اذ انها اعتمدت على العرض الشامل اخذا بالاسلوب العلمى للعلاج ومراعاة الامكانيات المتاحة معتمدة على الاحصائيات، كما اهتمت السياسة بابراز الحقائق الفنية والعملية دون تعرض للنواحى السياسية او المالية ، اى ان هذه السياسة قد تحللت من قيود الواقع باحثة عما يجب ان يكون ، ويبدو ذلك فيما يأتى :

١ ــ ترك اولويات التنفيذ للقرارات السياسة على ضوء الامكانيات وتحديد الاولويات

٢ ــ استجابة السياسة لبرنامج العمل الوطنى الذى يركز على الاهتمام بالفلاحين والعمال والعناية بالطب الوقائى .

٣ ــ كما ابرزت فكرة تجميع الموارد المتاحة وحسن استخدامها والاعتماد فى الخدمة الوقائية والعلاجية على المدارس العام .

٤ ــ الاهتمام بالصحة الوقائية دون الاخلال بالخدمة العلاجية ، ومع ضرورة الاستمرار بهـا وتدعيمها الى ان تظهر الجوانب الوقائية فقط ، وقد قسمت السياسة الصحية دراستها الى الاتى :

ــ السياسة الوقائية والعلاجية .

ــ السياسة الدوائيـة .

السياسة الصحية والوقائية

الصحة الوقائية :

١ ــ ضرورة التركيز فى المرحلة القادمة على الجوانب الوقائية دون اخلال بالخدمة العـلاجية وعدم القصور فيهـا .

٢ ــ زيارة مخصصات العـلاج الوقائى فى الميزانية على ضوء النتائج العلمية بالنسبة لعائد الوقاية وانعكاسه على الانتاج القومى .

٣ ــ حسن الاستفادة من الامكانيات المتـاحة لتشغيلها فى الاجراءات الوقائية وتلافى تفتيتها .

٤ ــ ان الخدمة الوقائية ركيزتها **المرافق** الى جانب **الامصال** ، ومن الضرورى ان تتـكامل الخدمـات .

التوسـع الراسى :

١ ــ الاتجاه الى التركيز على التوسع الراسى نظرا لما يتطلبه التوسع الافقى من امكانيات تفوق المتاح حاليا ولا يعنى ذلك ايقاف انشـاء وحدات جديدة وان المبدأ رفع كفاءة الاداء .

٢ ــ الخدمة العـلاجية الحالية لم تسـتغل طاقتها الكاملة ويتطلب الامر بجـانب التوسـع الراسى تطوير الخدمة العلاجية ورفع كفاءة ادائها

٣ ــ ضرورة **حصر المنـاطق المحـرومة** من الخدمات الصحية والتى تحتـاج الى مزيد منها وتزويدها باحتياجاتها .

الصحة المدرسية :

ليس هناك اختلاف على الاهتمام بـالناحيـة الوقائية اذ يشمل ذلك صحة الطفل والتلميذ :

١ ــ يمثل هذا القطاع الرعاية الصحية المطلوبة لثلث اجمالى المواطنين ، كما يمثل الاستثمار الذى يسهل تحديد العائد منه بمراعاة امكانية تسجيل هؤلاء الطلبة ومتابعة نتائج الرعاية الصحية لهم . **باعتبار أن الصحة المدرسية من المشاكل الرئيسية للتعليم .**

٢ ــ ضرورة حسن استخدام المدارس العـام بحيث تصبح الرعاية الصحية والوقائية لكـافة اسات بما فيها قطاع الطلبة من واجباته الاساسية على أن يعاد النظر لدى توفر العدد الكافى من الامكانيات والاطباء .

٣ ــ ايجاد زائرة صحية او ممرضة او مساعد فنى فى كل مدرسة أو لعدد من المدارس مع قيام طبيب الصحة المدرسية بالمرور عليها دوريا بحيث يتم اشرافه على عدد من القرى لعدم استطاعـة المدارس العام تحمل المزيد من الاعباء وفى الحالات الاخرى يمكن الاحـالة علـى الاخصـائيين بالمستشفيات العامة ، مع تخصيص عدد من الاسرة فيها للطلبة ، وأن يكون جهاز الصـحة المدرسية المقترح فى هذا النظام على مسـتوى المـدارس العام .

٤ ــ اقتراح ايجاد ادارة الصحة المدرسية على مستوى المحافظة وممثل للصحة المدرسيـة فـى مراقبة التعليم على مستوى مجلس المدينة وايجاد زائرة صحية للقيام بالاسعافات والمـلاحظات الصحية العامة فى كل مدرسة وتحقيق الربط بين الادارة الصحية بمستوياتها والمدارس العام .

الربط بين الاجهزة المختلفة فى مجال الخدمات الصحية وغيرها من المجالات الاخرى :

ــ دراسة نظم واسـاليب الربط بين الرعـاية الصحية والجمعيات التعاونية الزراعية لخدمة قطاع الفلاحين ، وكذا غيرها من قطاعات الخدمات الاخرى .

ــ تحديد السياسة الواجب اتباعها تجـاه الوحدات الريفية والوحدات المجمعة والتوسع فيها بمراعاة الاستفادة من المجموعات الصحية تخفيفا للضغط على المستشفيات المركزية مع رفع مستوى العيادات الخارجية والمدارس العام .

ــ دراسة اسلوب العمل بالنسبـة للـوحدات الريفية والصحة المدرسية .

ــ رفع كفاءة المواصلات وتـوفير وسـائل نقل المرضى من الوحدات الصغيرة الى المستشفيات باعتبارها من الاسس التى يعتمد عليها تحسين المستوى الرأسى للخدمة .

التأمين الصحى :

ــ ضرورة الاعداد السليم بعد الدراسـة والتحضير لتوسيع قاعدة التأمين الصحى ليتسنى تقديم الخدمة المناسبة حتى لا يكون هناك مجال للمقارنة بين نظام التأمين الصحى وما سبقه من انظة علاجية .

ــ اهمية تحميل المريض بجزء من ثمن الدواء يمنع من اساءة استخدام الدواء وبالتالى فان الامر يحتاج الى تقييم وترشيد الاوضاع القائمة بالنسبة للتأمين الصحى والمؤسسات العلاجية ويتطلـب الامر دفعة ايجابية لحسم هذه العمليات .

الاطباء واعدادهم :

تبحث السياسة الصحية كيفية التغلب على مشكلة نقص الاطباء فى فترة زمنية محددة وتوفيرهم ورفع مستواهم ، لذا فانه ينبغى :

١ ـ تمكين الاطباء من الاتصال بالعالم الخارجى فى مجال الابحاث العلمية المتطورة ٠

٢ ـ كما يلزم تدريبهم وتزويدهم بالخبرات فى مجالات العلوم الانسانية والادارة والاحصاء لما بين هذه المجالات من ارتباط ٠

٣ ـ ضرورة تدعيم كليات الطب بما يتيح لهـا رفع مستوى الخريجين ازاء الاعداد الطلابية الضخمة فيها وانشاء كليات طب جديدة لتخريج الاعداد المطلوبة

التمريض :

يجب المبادرة الى تنمية قطاع التمريض بما يخفف العبء على الاطباء من ناحية ويرفع مستوى الخدمة من ناحية اخرى ـ ولا تتمثل المشكلة القائمة فى نقص الاعداد فقط ، وانما تتمثل فى نقص مستوى الممرضة ولذلك يجب أن تضمن ـ وفق برنامج يوضع لذلك ـ توفير الاعداد الكافية من الممرضات بمستوى ثقافى وانسانى معين ـ ولذلك فان الامر يتطلب :

١ ـ زيادة اعداد خريجى معاهد ومدارس التمريض ٠

٢ ـ ضرورة معادلة شهادات التمريض بغيرها من الشهادات المماثلة بما يدفع الى تغيير النظرة الى هذه الخدمة ٠

٣ ـ النظر فى شمول برامج المدارس الثانوية للتمريض لمختلف جوانب العمل الصحى والتنظيم والادارة بحيث تضم شعبا للسكرتارية الصحية والدراسات الصحية الى جانب التمريض .

السياسة الدوائية

الـدواء :

١ ـ ضرورة الحد من الاستهلاك وذلك عن طريق التشخيص السليم للامراض ٠

٢ ـ اعادة النظر فى سياسة تصنيع الدواء وانتاجه واستهلاكه ٠

٣ ـ دراسة المعدلات المقترحة لاستهلاك الفرد للادوية على ضوء معدلات التزايد السكانى والنمو والوعى الصحى ٠

٤ ـ ضرورة العمل على وضع برامج لمقاومة واستئصال الامراض المتوطنة ولا سيما البلهارسيا والانكلستوما باعتبارهما من المشروعات الاستراتيجية ، وتلافيا للفاقد السنوى الحالى .

٥ ـ وجوب تطوير وسائل الترشيد الصحى وربطه بوسائل الاعلام وخاصة بالترشيد الدينى ٠

٦ ـ توجيه العناية الكافية لبحوث الامراض المتوطنة وسبل مقاومتها ٠

موضوعات اخرى تم دراستها متعلقة بالسياسة الصحية :

١ ـ الاهتمام بالتنظيم والتدعيم العاجل للمحليات ليتسنى تحقيق المستهدف فى مجال الصحة الوقائية والعلاجية مع ضرورة توفير الاحتياجات من الصحة الريفية ٠

٢ ـ وضع تخطيط سليم لتوزيع الاجهزة الطبية والمعملية واستخدام المستهدف منها رفعا لكفاءة ومستوى الخدمة وتحقيقا للمستوى اللازم للعلاج ٠

٣ ـ ضرورة وضع النظم الادارية السليمة التى تناسب ظروفنا الواقعية بما يحقق توفير الاحصاء اللازم لانجاح الخدمة الصحية .

٤ ـ رفع مستوى العيادات الخارجية بما يحقق حسن اللقاء والاداء ٠

٥ ـ بالنسبة لخدمة الطوارىء فانه لا يسمح باستهلاك احتياطى الادوية وان كان لا مانع من استخدام الاجهزة للاغراض العادية بما لا يؤثر على استعدادها للعمل فى ظروف الطوارىء ٠

ولتحقيق أهداف السياسة الصحية بالاضافة الى ما جاء فى رأى المجلس الاتى :

علاج المواطنين بالجهاز الادارى للدولة :

ـ يتضمن علاج العاملين على أساس تحمل المنتفع ١ فى المائة من المرتب ، ٢٥ فى المائة من الدواء ، والفحوص المعملية ٥ قروش بالنسبة للممارس العام ، ١٠ قروش للاخصائى ـ تتحمل وزارة الخزانة جنيها عن المنتفع سنويا .

ـ يطبق المشروع على محافظتى قنا ودمياط للتجربة وتمهيدا لتعميمه ٠

ـ على ان يطبق هذا الاجراء اختباريا .

ـ الربط بين تنفيذ المشروع واستكمال تطوير المستشفيات .

ـ يعمم المشروع خلال ٥ سنوات على كل الجمهورية ٠

ـ مراعاة ما تسفر عنه نتائج التطبيق خلال مراحل التنفيذ ٠

ـ المشروع يخدم المنتفع فقط دون أسرته مع النظر الى علاج الاسرة مستقبلا ٠

ـ الاستمرار فى العمل بنظام صناديق العلاج القائمة ، حتى يعمم النظام ، مع العمل على رفع مستوى الاداء فى التأمين الصحى ٠

ـ مع مراعاة أن علاج العاملين بنظام التأمين الصحى لا ينبغى تطبيقه باستخدام المستشفيات العامة بل يجب أن يطبق بمستشفيات المؤسسة العلاجية •

ثانيا : بالنسبة للسياسة الوقائية والعلاجيــة :

تم اعطاء أولوية للمشروعات الاتية :

ـ مشروع التمريض :

من أهم مشاكل الخدمة الصحية مشكلــة التمريض ، فالعدد لا يتناسب مطلقا مع عدد المرضى بالاضافة الى المستوى الضعيف للعاملين فى حقل التمريض • لهذا وضعت الحلول المناسبة لحل تلك المشكلات ••

١ ـ فى مواجهة نقص العدد :

انشاء مدارس تمريض فنية على المســـتوى الثانوى، ثميلتحق المتفوقون منهم فىالمعاهدالعليا للتمريض وتقوم وزارة التربية والتعليم بمعادلة الشهادات مسبقا ،كما وضعت خطة لتخريج عدد ٦٠٠ ممرضة سنويا بدلا من ٧٠٠ .

٢ ـ فى مواجهة المستوى الضعيف :

ـ رفع نوعية الخدمة العلاجية بتوفير خدمــة الممارس العام والعيادات الشاملة للاخصــاء •

ـ تعميم نظام البطاقة الصحية .

ـ توفير معامل وفحوص الاشعة وخــدمــات الاخصاء •

ـ وضع مستشفى أحمد ماهر كتجــربــة للدراسة •

مشروع ربط الخدمة الصحيــة والعلاجيــة فى الريف :

ـ دمج كل هذه الخدمات فى تنظيــم واحد متناسق •

ـ ابراز اهمية الخدمات الصحية لطلبة المدارس باعتبارهم اهم مراحل العلاج الى الحالة والوقاية المستقبلة والتوسع فى الخدمات الوقائية بحيث تشمل كل قطاعات الشعب .

مشروع اقتصاديات العلاج والاحصاء :

رأى المجلس أن أى دراســات تجرى تعــتبــر الرعاية الصحية هى استثمار فى المقــام الاول وبالتالى لابد من حساب التكلفة وتقييم العائد •

الصحة المدرسية :

ـ تنظيم عملية زيارة طبيب لكل مدرسة مرة كل أسبوع •

ـ ايجاد غرفة للطبيب بكل مدرسة بها أرشيف صحى للتلاميذ •

ـ توفير زائرة صحية بالمدرسة ـ مع الأسراع بتدريب العدد اللازم لتحقيق ذلك .

ـ يتولى السيد مدير الصحة اعداد برنامج للمرور على المدارس ومراجعتها •

ـ ربط العلاج فى المستويات الاقل فى اطــار النظام العام للعلاج •

ـ توفير قسم خاص يكون من مسئــولين متخصصين فى الصحة المدرسية (دكتور صحة عامة) فى كل عيادة خارجية شاملة لاستقبال حالات الطلبة المحولة من المدارس وتوفير العلاج اللازم لهم •

ـ تخصيص ٣٠ فى المائة من الاسرة فــى الامراض الباطنية فى كل مستشفــى تعالج بــه الحالات التى تستدعى شغل الاسرة .

الصحة الوقــائية :

ـ التركيز على الصحة الوقائية دون الاخلال بالخدمة العلاجية •

ـ زيادة مخصصات العلاج الوقائى .

ـ حسن الاستفادة من الامكانيات المتاحــة فى الاجراءات الوقائية بكفاءة •

ـ الخدمات الوقائية ركيزتها المرافق بجانب الامصال ومن الضرورى أن تتكامل الخدمات •

ـ التركيز على مكافحة البلهارسيا وما يتطلبه من توعية الجماهير مع وضع برنــامج لانتــاج الكيماويات للقضاء على القواقع •

ـ ضرورة حصر المناطق المحرومة من الخدمات الصحية وتزويدها باحتياجها منها •

ـ دراسة المعدلات المقترحة لاستهلاك الفرد من الادوية على ضوء معدلات التزايد السكانى والنمو والوعى الصحى .

ـ توجيه العناية الكافية لبحوث الامــراض المتوطنة وسبل مقاومتها •

تكامل الخدمات :

بالنظر الى العيادات الخارجية نجد أن هناك اعدادا كبيرة تتردد على هذه المستشفيات ، وكثير منهم يحول مباشرة الى المستشفى .

وفى مواجهة ذلك سوف يتم انشاء عيادة تسمى عيادة الحى بحيث يكشف الشخص فى عيادة الحى الذى يسكنه وفى هذه العيادة ممارس عــام وممرضات وبعد ذلك يحول الطبيب المريض الذى يراه محتاجا لدخــول المستشفى ، كمــا يحوله للمستشفى التى بها الاخصائى وبــذلك يمكن التخفيف من الضغط على دخول المستشفيات .

كما تم الاتفاق على انشاء ما يسمى بالعيادة الشاملة وفى هذه العيادة يتم الكشف وعمــل الاشعة والتحاليل قبل دخول المريض الى المستشفى وبالتالى يمكن رفع كفاءة السرير •

السياسة الدوائية :

ـ وضع خطة للتصنيع تــعتمد على التخصص ومنع تصنيع البدائل •

— توفير الاحتياجات من الخامات اللازمة لتصنيع الدواء ، بالاعتماد على الاستيراد الى ان نتمكن من التصنيع المحلى ٠

— اعادة النظر فى اتفاقات التصنيع مقابل اتاوة باستبعاد الادوية غير الملحة ٠

— تركيز البحوث الدوائية فى وزارة الصحة مع تحصيل قدر معين من أرباح شركات الادوية ، وهناك معاهد بحوث تابعة للوزارة ، منها معهد دراسات امراض المناطق الحارة ، وسينال فورا قسطا ضخما من التطوير ٠

التعليقــــات

السيـــاسة الصـــحية كأداة لبنـــاء الانســـان الجـــديد

د٠ وفيق أشرف حسونة

خبير اول التخطيط الصحى
بمعهد التخطيط القومى

ان تفهم السياسة الصحية لجمهورية مصر العربية كما اقترحها السيد الاستاذ **الدكتور محمود محفوظ** وزير الصحة والتى أقرها مجلس الوزراء فى يوليو سنة ١٩٧٢ لا يمكن أن يتم الا فى اطار الاهداف الصحية التنموية التى جاءت بالميثاق والتحديد المرحلى لهاالذى جاء فى برنامج العمل الوطنى الذى تقدم به الرئيس محمد أنور السادات الى المؤتمر القومى العام الثانى فى دور انعقاده الاول فى ٢٣ يوليه سنة ١٩٧١ ٠ ذلك لان السياسة الصحية ما هى الا ترجمة امينة لامال الشعب التى عبر عنها الميثاق وحدد اتجاهها برنامج العمل الوطنى ٠

لقد عبر الميثاق عن هذه الامال بأنْ أكد « حق كل مواطن فى الرعاية الصحية بحيث لا تصبح هذه الرعاية علاجا ودواء مجرد سلعة تباع وتشترى وانما تصبح حقا مكفولا غير مشروط بثمن مادى ، ولابد أن تكون هذه الرعاية فى متناول كل مواطن فى كل ركن من الوطن ٠٠٠٠٠ فى ظروف ميسرة وقادرة على الخدمة ،ولابد من التوسع فى التأمين الصحى حتى يظل بحمايته كل جموع المواطنين » ٠

وبذلك فقد أكد الميثاق أن الرعاية الصحية ، يجب أن تكون حقا ميسرا لكل مواطن لا يحد بقدرته المادية على شراء الخدمات الصحية التى يحتاجها بل تكون فى متناول يده كما احتاج اليها بغض النظر عن قدرته الشرائية للـــخدمة الصحية المطلوبة ٠

ولا شك فى أن الوصول الى تحقيق هذا الهدف لن يحدث فى يوم وليلة وانما تسعى الى تحقيقه الدولة تدريجيا حسب حجم مواردها التى يمكن أن تخصصها لقطاع الخدمات الصحية على مر الاعوام ٠

واذا كان الميثاق قد أكد هذا الحق ، فقد جاء برنامج العمل الوطنى محددا للركيزتين الاساسيتين لتقريب هذا الهدف التنموى طويل الاجل الى غرض تخطيطى يمكن تحقيقه فى اطار الغرض التخطيطى القومى ألا وهو « مضاعفة الدخل القومى فى العشر سنوات المقبلة » ٠

وأول هاتين الركيزتين هى تحديد أسلوب تحقيق الهدف التنموى وذلك بالتركيز على الوقاية قائلا : « ان الوقاية خير من العلاج » لابد ان يكون شعارنا وأعنى بالوقاية تهيئة الظروف التى تحد من فرص التعرض للمرض ٠ الوبائى منه وغير الوبائى ٠ على مستوى الفرد ومستوى الجماعة ٠

وأما الركيزة الثانية فهى التأكيد على « أن يكون الاهتمام الاول بالفلاحين والعمال فهم أكثر تعرضا للمرض بحكم البيئة وظروف العمل ، وأعجز عن مواجهة المرض بحكم دخولهم المحدودة » ٠

ثم أوضح برنامج العمل الوطنى ، اننا لا نزل

بعيدين عن أن يصبح حق كل مواطن فى الرعاية الصحية حقا مكفولا غير مشروط بثمن مادى وذلك بالرغم من ضخامة الجهود التى بذلت خلال سنوات الثورة وربما كان السبب الرئيسى افتقارنا الى سياسة مفصلة .. تحدد الاحتياجات الحقيقية وتضع نظاما شاملا للرعاية الصحية تغطى مظلته جميع العاملين فى الدولة دون استثناء أو تفرقة فى المعاملة وتضع برنامجا لمسح الريف صحيا بهدف الوصول الى نظام للوقاية والعلاج يخلص الفلاح من مختلف أنواع الاستغلال التى يتعرض لها بسبب مرضه .

ويمكننا أن نخلص من المناقشة السابقة للاهداف التنموية والاغراض التخطيطية لقطاع الصحة كما جاء فى الميثاق وبرنامج العمل الوطنى **بأن السياسة الصحية التى توضع فى مثل هذا الاطار الفكرى يجب أن توجه استخدام الموارد المتاحة لقطاع الرعاية الصحية بطريقة تساعد على تحقيق الاهداف الاجتماعية والاقتصادية القومية من خلال تقديمها لخدمات الرعاية الصحية للمواطنين بتنفيذ برنامج يتكامل فيه نظام للوقاية والعلاج يخلص السواد الاعظم من الشعب من مختلف أنواع الاستغلال التى يتعرضون لها بسبب المرض .**

اذن فالمسألة التى تحاول السياسة الصحية حلها لا تخرج فى الواقع عن كونها مسألة **ترشيد انفاق الموارد المخصصة لقطاع الرعاية الصحية لرفع المستوى الصحى لافراد الشعب لتحقيق الاهداف الاجتماعية والاقتصادية للتنمية القومية بأعلى درجة ممكنة .**

والسؤال الذى يطرح نفسه فورا هو : كيف نرشد انفاق الموارد المخصصة لقطاع الرعاية الصحية ؟

وتستدعى الاجابة عن هذا السؤال أن نعرف شيئا مبسطا عن الاوجه أو الانشطة التى يمكن أن تنفق فيها هذه الموارد حتى يمكن أن نفاضل بينها من حيث درجة اسهامها فى تحقيق الهدف من انفاقها وهو رفع المستوى الصحى للمواطنين .

وفى رأيى أن أبسط الطرق لذلك هو تحديد خمسة أوجه أو أنشطة لانفاق الموارد المخصصة لقطاع الرعاية الصحية سأشير لها باسم أوعية انفاق الموارد المخصصة لقطاع الرعاية الصحية **وفيما يلى تحديدها :**

ـ وعاء تكشف وجود المرض :

ويهدف الانفاق فيه الى اكتشاف وجود الحالات المرضية فى جموع المواطنين ، حتى يمكن توجيههم لخدمات الرعاية الصحية اللازمة لهم .

والواقع أن هذه العملية لا تزيد عن كونها **« فرز » المريض من غير المريض من بين المواطنين المترددين على أى من وحدات الرعاية الصحية .**

وفى أغلب الاحيان لا يتطلب أداء هذه العملية استخدام أساليب فنية معقدة وبالتالى فلا يشترط فى القائمين بها مستوى عال من المهارات أو القدرات الطبية .

ولتوضيح ذلك ، فان التعرف على الاطفال المصابين بضعف الابصار من بين مجموع الاطفال فى مدرسة ما لا يتطلب أكثر من قيام ممرضة أو مدرسة باجلاس الطفل على بعد ستة امتار من لوحة اختبار النظر وتغطية أحد العينين وتوجيه الطفل لقراءة علامات النظر المختلفة وتسجيل نتيجة اختبار كل عين .

وهناك امثلة كثيرة لحالات مرضية أخرى ولكننى سأقتصر على هذا المثال لانه يعبر عن الفكرة المطلوب توضيحها .

٢ ـ وعاء التشخيص :

والهدف من الانفاق فى هذا الوعاء هو التأكد من أن الحالات المرضية التى اكتشفت نتيجة الانفاق فى الوعاء الاول هى :

اولا : مريضة بالفعل

ثانيا : تحديد نوعية المرض على وجه الدقة حسب المستوى التكنولوجى المتاح لتشخيص نوعية المرض وحسب الامكانيات الميسرة للطبيب القائم بعملية التشخيص .

ويعنى ذلك أن العنصر البشرى اللازم للقيام بهذه العملية يجب أن يكون له من المعرفة والقدرات والمهارات الطبية ما يمكنه من التأكد من وجود الحالة المرضية من عدمه ومن تحديد نوعية المرض ولايقوم بذلك عادة الاالطبيب .وقد يحتاج الطبيب لتحديد نوعية المرض الى مجموعة من الفحوص والاختبارات المعملية التى تستلزم توظيف فئات متفاوتة المهارة من العاملين فى المجال الصحى .

وفى بعض الاحيان قد يستلزم ذلك ادخال المريض فى المستشفى لبضعة ايام .

وبذلك فالتشخيص عملية أكثر تكلفة من عملية التكشف للتباين الواضح بين نوعية الافراد وعددهم ، والمعدات وكمياتها ودرجة تعقيدها .

وقبل أن ننتقل الى مناقشة الاوعية الثلاثة الباقية ، يجب ان نوضح **أن الانفاق فى كلا الوعاءين السابقين هو انفاق لازم لتوجيه طالب الخدمة الصحية الى أحد الاوعية الثلاثة الباقية ، وهى أوعية التدخل الصحى لوقاية الفرد من حدوث المرض أو لعلاجه منه أو لمعاونته على**

الاستفادة من طاقته الصحية المتبقية فى حالة قصور الوقاية او العلاج عن منع حدوث المرض او شفاء المريض شفاء تاما .

٣ ـ وعاء الوقاية :

والهدف من الانفاق فى هذا الوعاء هو منع حدوث المرض فى الافراد ســواء بتحصينهم او تطعيمهم ضده ، أو بمقاومة مسببات المرض فى البيئة للتحكم فيها او القضاء عليها نهائيا ، أو بتوعية الفرد بطرق تجنب الاصابة بـالامراض المختلفة وتوجيهه للاستفادة من خدمات الرعاية الطبية بمجرد احساسه بأعراض المرض .

ويقوم بتوجيه أنشطة الوقاية فئات مختلفة من العاملين بالمهن الطبية وغيرها من المهن ، وتختلف تكلفتها باختلاف التكنولوجيا المتاحة للقيام بهذا النشاط ، وبالادوات والالات والمعدات اللازمة لاستخدام التكنولوجيا الوقائية المتاحة ، اذ أن ذلك يحدد نوعية القوى البشرية اللازمة للقيام بهذه الانشطة .

٤ ـ وعاء العلاج :

ويهدف الانفاق فيه الى تخليص الفرد من المرض أو آثاره بعد اصابته به ، ويشترك فى القيام بهذا النشاط افراد عديدون من المهنة الطبيه على رأسهم الطبيب ، وقد يحتاج القيام بهذا النشاط الى دخول المريض المستشفى لمدد قد تقصر وقد تطول حسب الحاجة ، وقد يحتاج ذلك ايضا استخدام عقاقير وادوية ومستحضرات ومعدات وآلات بعضها مكلف للغاية .

وعلى وجه العموم ، فان تكلفة وقاية فرد من المرض اقل كثيرا من تكلفة علاجه ، ليس ذلك فقط للتكلفة العالية للقوى العاملة والادوات والمعدات ودخول المستشفى والادوية وغيره فى حـالة العلاج ، بل أيضا الخسارة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التى تنجم عن انقطاع الفرد عن ممارسة نشاطه فى الحياة العامة والخاصة أو تقليل هذا النشاط بدرجة كبيرة .

٥ ـ وعاء التأهيل :

والهدف من الانفاق فى هذا الوعاء هو مساعدة المـريض علـى الاسـتفادة مــن طــاقته الصـحية (الجسمانية والنفسيـة والعـاطفية) المتبقية نتيجة قصور العلاج عن شفائه تماما ، أو انعدام وجود تكنولوجيا علاجية للمرض .

والى جانب التكلفة المرتفعة للغاية فى القيام بهذه الانشطة ، فان الخسارة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية الناجمة عن دخول المريض فى هذه المرحلة قد تفوق كثيرا جدا الخسارة الناتجة عن انقطاع الفرد عن ممارسة حياته العادية . وكثيرا ما يقضى المريض بقية حياته فى هذه المرحلة التى قد تستغرق عديدا من السنوات .

وبعد هذا الشرح الموجز لاوعية انفاق الموارد المخصصة لقطاع الخدمات الصحية احب أن أوضح الاهمية التخطيطية لهذه الاوعية فى النقاط التاليه :

أولا :

انه يمكن حساب تكلفة وعائد لكل حالة مرضية فى كل وعاء من الاوعية الخمسة على الوجه الاتى :

التكلفة : قيمة الانفاق على الحالة فى الوعاء زائد قيمة الخسارة الاجتماعية والاقتصادية والنفسيه الناتجة عن الحالة المرضية (انقطاع عن العمل أو المدرسة أو تخفيض الانتاج أو الوفاة المبكرة أو تعريض أفراد آخرين من المجتمع للمرض) .

العائد : أ ـ قيمة الوفر الناتج عن عدم اصابة الفرد بالمرض (عدم الانقطاع عن العمل أو المدرسة أو عدم تخفيض الانتاج) .

ب ـ القيمه الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن عدم الوفاة المبكرة أى قيمة الفرق بين العمل المتوقع للوفاة والعمر عند حدوث الوفاة المبكرة .

ثـانيا :

أن جملة تكلفة أى حالة مرضية تساوى مجموع قيمة الانفاق على الفرد فى الاوعية الخمسة .

ثالثا :

أن الانفاق فى وعائى تكشف وجود المرض والتشخيص ليس له عائد ما لم يتبعه انفاق فى احدى أوعية التدخل الصحى .

رابعا :

أن الانفاق فى أى من الاوعية الخمسة يتوقف أساسا على تواجد التكنولوجى والافراد والالات والمعدات .. الخ ، اللازمة للقيام بالنشاط فى الوعاء .

واوضح مثل على ذلك هو**مرض شلل الاطفال** الذى كان كل الانفاق فيه موجها الى وعاء التأهيل

حتى اخترع المصل الواقى فاصبح معظم الانفاق موجها الى وعاء الوقاية •

خامسا :

أن الانفاق فى وعاء الوقاية فى حالة وجود التكنولوجيا المناسبة والافراد والمعدات اللازمة يعطى اكبر عائد بالنسبة للانفاق فى وعائى العلاج والتاهيل وذلك لانه يمنع أساسا حدوث المرض ويوفر قيمة التكلفة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية الناتجه عن المرض او آثاره .

وبالتالى فقد يبدو لغير المتفحص للامور انه مادام الامر كذلك **فلماذا لا تنفق الدولة الجزء الاكبر من الموارد المخصصة لقطاع الرعاية الصحية فى وعاء الوقاية لتجنى أعظم عائد ممكن** بدلا مما حدث ويحدث الان فى كثير من الدول النامية التى سيستأثر فيها وعاء العلاج بنصيب الاسد من الموارد المخصصة لقطاع الرعاية الصحية بينما يشكو وعاء الوقاية من قلة ما فيه حتى كاد يقل عما فى وعاء التأهيل .

الواقع أن الامر ليس بهذه البساطة والتى يعللها كثير من المخططين الصحيين بأن الانفاق فى وعاء العلاج يغرى الساسة والحكام ، لان عائده ظاهر وسريع ويسهل استخدامه للتسكين السياسى السريع •

وفى رايى أن هذا التعليل ضيق فى نظرته متحيز فى تفكيره نابع من البيئات التى تتصارع فيها الاحزاب على الوصول الى الحكم وابقاء مقاليد الامور فى يدها أطول مدة ممكنة مهما كلفها الامر ومهما كان الثمن « **مخدر يخفف مؤقتا الالام التى يعانى منها مريض السرطان** » دون محاولة لعلاجه • المسألة هى سرعة العائد أو وضوحه أو تأثيره السياسى فقط وانما المشكلة تكمن فى طبيعة التكنولوجيا الوقائية المتاحة **والتى يمكن تقسيمها الى الانواع التالية :**

١ ــ **تكنولوجيا وقائية** : يتوقف نجاحها أو فعاليتها بدرجة كبيرة على المستوى الثقافى والحضارى والوعى الصحى لافراد المجتمع لانها تعتمد على تحصين الافراد أو تطعيمهم او عزلهم كالجدرى ، والدفتريا ، والسعال الديكى ، والكوليرا ، والحصبة ، والتيفود وذلك يعطى درجة من الحصانة لا تتوقف كثيرا على السلوك الصحى للفرد فى حياته العادية ، بل على فعاليه التحصين ذاته • **وطبيعى يمكن تصور علاقة سلبية بين فعالية التحصين ، ودرجة انضباط السلوك الصحى للفرد لتجنب الاصابة بالمرض • بمعنى أنه كلما زادت فعالية التحصين كلما قلت درجة الانضباط المطلوبة فى الشخص فى السلوك الصحى • ويقوم الجهاز الصحى بالدور الاساسى فى هذه التكنولوجيا الوقائية •**

ب ــ **تكنولوجيا وقائية** يتوقف نجاحها وفعاليتها كلية على المستوى الثقافى والحضارى والسلوك الصحى لافراد المجتمع • ويمثل هذا النوع من التكنولوجيا الوقائية الجزء الاعظم من كل التكنولوجيا الوقائية المتاحة وهو بالتالى يدخل جزئيا فى نطاق نشاط الرعاية الصحية ، ولكنه يعتمد اعتمادا كبيرا جدا فى نجاحه على انضباط السلوك الصحى للجماهير •

ومن أمثلة ذلك الامراض الطفيلية وعلى رأسها البلهارسيا وقائمة طويلة من الامراض التى تقف وراء المعدلات المخيفة لوفيات الاطفال الرضع ، والاطفال فى السن قبل المدرسى ، والمعدلات المرتفعة بالنسبة للدول المتقدمة فى وفيات فئات الاعمار الاخر كما يوضحها الجدول التالى .

واذ أصل الى هذه النقطة فى التحليل تتزاحم الاسئلة فى رأسى وانا اقرأ السياسة الصحية لجمهوريتنا التى رفعت شعار : « الوقاية بديل العلاج »

فاتساءل :

هل يمكن لوزارة الصحة أن تحقق ذلك بمفردها مهما ارتفعت كفاية أجهزتها بصورتها الراهنة التى تبرز العلاج فى مكان الصدارة وتضن على الوقاية أن تأخذ مكانها الصحيح ؟؟

ان الاجابة الواقعية والمنطقية على هذا السؤال لا يمكن الا أن تكون بصيغة النفى القاطع •

وعلى هذا الاساس واقتناعا من السيد وزير الصحة بأن نجاح الوزارة فى القيام بدورها الوقائى يتطلب قبل كل شىء تكامل الوقاية والعلاج **مفهوما** فى سلوك العاملين بالجهاز الصحى ، وبناء فى وحدات الخدمة الصحية بمستوياتها الوظيفية المختلفة جاء **مشروع تكامل الخدمات الصحية** بمثابة حجر الزاوية لاعادة تنظيم الجهاز القائم بطريقة تحقق التكامل أفقيا ــ ورأسيا لزيادة فعالية استخدام الموارد المتاحة لقطاع الرعاية الصحية • **وفيما يلى شرح موجز للمشروع :**

أولا : تنظيم جهاز الخدمة الصحية بحيث يتكامل :

أ ــ **أفقيا** : بتقديم الخدمات الوقائية والعلاجية من خلال الوحدات الصحية على كل المستويات •

مقارنة لمعدل الوفيات فى جمهورية مصر العربيةوبعض الدول الغربية

العمـــــر	معدلات الوفيـات فى جمهورية مصر العربية فى الالف (١)	المتوسط فى هولنداوالسويد والولايات المتحدة (٢)	(١) ÷ (٢)
جميع الاعمار	١٦ر٠٧	١٠ر٦٥	١ر٥١
اقل من ١	١٧٢ر١٥	١٦ر٢٨	١٠ر٥٧
١ ـ ٢	١٠٢ر٥١	٨ر٥٣	١٢ر١٣
٢ ـ ٣	٣٤ر٨٧	٠ر٧٨	٤٤ر٧١
٣ ـ ٤	٢٧ر٥٨	٠ر٧١	٣٨ر٨٤
٤ ـ ٥	٢٠ر٢٩	٠ر٦٤	٣١ر٧٠
٥ ـ ٦	١٣ر٠٠	٠ر٥٦	٢٣ر٢١
٦ ـ ٧	٥ر٧١	٠ر٤٩	١١ر٦٥
٧ ـ ٨	١ر٩٧	٠ر٤١	٤ر٨٠
٨ ـ ٩	١ر٩٠	٠ر٣٩	٤ر٨٧
٩ ـ ١٠	١ر٨٢	٠ر٣٧	٤ر٩١
١٠ ـ ١١	١ر٧٥	٠ر٣٦	٤ر٨٦
١١ ـ ١٢	١ر٦٧	٠ر٣٧	٤ر٥٠
١٢ ـ ١٣	١ر٨١	٠ر٤٤	٤ر١١
١٣ ـ ١٤	١ر٩٥	٠ر٥٣	٣ر٦٨
١٤ ـ ١٥	٢ر٠٩	٠ر٦٢	٣ر٣٧
١٥ ـ ١٦	٢ر٢٣	٠ر٧١	٣ر١٤
١٦ ـ ١٧	٢ر٣٧	٠ر٨٠	٢ر٩٦
١٧ ـ ١٨	٢ر٣٧	٠ر٨٩	٢ر٦٦

المصدر : الكتب السنوية للاحصــاءات الســكانيه لهيئة الامم المتحده Planning for Health of Infants and Children in Egypt Correa-Hassouna UNICEF Cairo Nov. 1973

ويتضح من الجدول السابق انه بينما الفرق بين معـدل الوفاة العام للسـكان بين جمهورية مصر العربيـه والدول المقارنة بها لا يزيد عن مرة ونصف ١ر٥١ فى مصر عنها فى الدول الاخرى فان الفرق بين معدلات الوفاه فى سن ٢ ـ ٣ بين اطفال جمهورية مصر العربية واطفال الدول المقارنة بها يزيد عن اربعة واربعين مرة ونصف ٤٤ر٧١ وهو امر مروع للغاية

المستشفى العام المركزى

ب ـ راسيا : بتحديد مستويات وظيفية للخدمة تترابط فى شكل جهاز خدمة متكامل يؤدى الى :

العيادة الشاملة

١ ـ اقصى استخدام ممكن للموارد البشرية وغير البشرية المتاحة فى كل مستوى ·

٢ ـ تقديم أعلى مستوى ممكن للخدمة للجمهور فى كل من هذه المستويات ·

المركز الصحى العام

٣ ـ تحديد اطار تتم فيه تنمية القوى العاملة فى جهاز الخدمة الصحيه ·

ويقتضى تنفيذ ذلك :

أولا ـ تحديد مستويات الخدمة الصحية والدور

الوظيفى الذى يجب أن يؤدى فى كل منها (نوعية الخدمة التى تقدم للجمهور) ٠

ثانيا ـ **ربط هذه المستويات فنيا واداريا بحيث تؤدى الخدمة فى كل مستوى لمن يحتاجها من المواطنين بأعلى درجة ممكنة فى حدود المتاح من الموارد فى كل مستوى ٠**

وذلك بانشاء نظام :

أ ـ يربط المواطن بمجموعة متكاملة من وحدات الخدمة الصحية ٠

ب ـ يساعد العاملين فى الخدمة الصحية على تقديم خدماتهم للمواطنين بالسرعة والكفاية المطلوبتين سواء فى المجموعة المتكاملة من الوحدات الصحية المرتبط بها المواطن أو فى غيرها من الوحدات فى حالات الطوارىء أو عدم التواجد بالقرب من مجموعة الوحدات المرتبط بها ٠

ويقضى ذلك انشاء :

ا ـ بطاقة تعريف يحملها المواطن الغرض منها :

١ ـ تحديد مجموعة الوحدات الصحية المرتبط بها المواطن وتسهل التعرف على سجله الطبى ٠

٢ ـ اثبات الاجراءات الصحية الهامة التى تؤدى للمواطن سواء منها الوقائية او العلاجية (كالتحصينات والتطعيمات والعمليات الجراحية الهامة ٠٠٠ الخ) ٠

« **البطاقة الصحية** » ٣ ـ اثبات المتغيرات الصحية الهامة التى تساعد القائمين بالخدمة الصحية على تقديم العلاج السريع للمواطن او تفادى اعطاء الادوية والمستحضرات الطبية التى لا تتفق وحالته الصحية (مجموعة الدم ـ الحساسية ـ الصرع ٠٠٠ الخ) ٠

ب ـ سجل طبى يحفظ فى الوحدة الصحية الاساسية المرتبط بها المواطن (أقربها الى مكان اقامته) **والغرض منها :**

« **السجل الصحى** » ١ ـ تسجيل الحالة الصحية للمواطن فى اول زيارة يقوم بها للوحدة الصحية (الفحص الشامل) ٠

٢ ـ اثبات ما يطرأ عليه من حالات مرضية هامة وما يوصف له من علاج ٠

٣ ـ اثبات الاجراءات الصحية الوقائية التى تؤدى للمواطن ٠

٤ ـ اثبات المتغيرات الصحية الهامة التى تساعد القائمين بالخدمة على تقديمها فى الوقت المناسب بأعلى درجة ممكنة من الكفاية فى كل مستويات المجموعة المتكاملة من الوحدات الصحية المرتبط بها المواطن او غيرها من الوحدات ٠

واهم ما يعنينا فى هذا المقال هو المستوى الاول للخدمة الصحية فى مشروع تكامل الخدمات الصحية والذى يؤدى فى شبكة افقية فى الوحدات الصحية التى تتغلغل فى أعماق الريف وتنتشر فى كل نواحى الحضر ويطلق على هذه الوحدة اسم « المركز الصحى العام » ٠ ويؤدى هذا المركز الخدمات الوقائية والعلاجية لخمسة او عشرة آلاف من المواطنين وتركز فيه العناية على الطفولة صانعة المستقبل والامومة مرآة مستوى حضارة الامة وذلك بتقديم خدمات رعاية الطفولة فى سنى ما قبل المدرسة وفى سن المدرسة ومجموعهم ١١ مليون طفل ، وخدمات رعاية الامومة فى الحمل والولادة وضبط النسل ٠ كل هذه الخدمات تؤدى من خلال مجموعة من العاملين فى المجال الصحى يرأسهم طبيب ويحتويهم بناء واحد ٠

ويتم على هذا المستوى :

اـ تقديم كل الخدمات الوقائية الصحية اللازمة للافراد والمجتمع ٠

ب ـ تقديم خدمات تحسين البيئة فى نطاق خدمة المركز الصحى العام ٠

جـ ـ تكشف وجود المرضى فى المترددين على المركز لفرز السليم من المريض ٠

د ـ القيام بتشخيص الحالات المرضية لعلاجها بالمركز أو لتحويلها للتشخيص أو الفحوص والابحاث أو العلاج أو التأهيل فى مستويات الخدمة الاعلى أى العيادة التخصصية الشاملة أو المستشفيات العامة أو النوعية محلية كانت أو قومية ٠

هـ ـ متابعة الحالات المرضية أثناء علاجها أو تأهيلها ٠

ونعود الان بعد هذا الشرح الموجز لمشروع تكامل الخدمات لنتساءل كيف سيسهم هذا التنظيم الجديد لجهاز الرعاية الصحية فى تحقيق أهداف السياسة الصحية « لوقاية بدل العلاج » ٠

أولا : يقلل من الضغط غير اللازم الواقع حاليا على المستشفيات وهى أعلى وحدات جهاز الرعاية الصحية تكلفة للدولة وذلك بانشاء مصفتين أساسيتين فى هذا الجهاز :

المصفاة الاولى هى المركز الصحى العام حيث تتم عملية الفرز والتوجيه للخدمة والقيام بها على مستوى المركز أو تحويلها للعيادة التخصصية الشاملة أو المستشفيات بأنواعها ٠

والمصفاة الثانية هى العيادة التخصصية الشاملة التى يتم فيها تشخيص لحالات التى تتطلب فحوصا أو معرفة متخصصة غير متواجدة

بالمركز الصحى العام أو علاج ما يحول من الحالات التى لا يتطلب اجراء العلاج لها دخول المستشفى ٠

ومن خلال هاتين المصفتين ينتظر ان يقل الضغط المفتعل على اسرة المستشفيات العامة ويمكن استخدام الوفر الناتج عن ذلك فى خدمة اعداد أكبر من المرضى الذين يجب أن يدخلوا المستشفى ويمنعهم من الدخول حاليا ادخال حالات لاداعى لدخولها الا لضعف مستويات الخدمة فى الوحدات الصحية الحالية بما فيها العيادات الخارجية للمستشفيات ويمكن أيضا توجيه الوفر الى تحسين مستوى الخدمة فى مستويات الوقاية والعلاج فى كل من المركز الصحى العام والعيادة التخصصية الشاملة ٠

ثانيا : يتيح تنفيذ مشروع تكامل الخدمات للاطباء العاملين فى مجال الصحة الوقائية نفس الفرص الفنية والوظيفية المتاحة للاطباء والعاملين فى الاجهزة العلاجية ،اذيساوى هذا المشروع بين التخصص فى الصحة الوقائية والتخصصات الطبية الاخرى الامر الذى يفتقده حاليا المشتغلون بأعمال الصحة الوقائية ويؤثر تأثيرا ضخما فى مركزهم المهنى وبالتالى فى أداء دورهم الوقائى ٠

ثالثا : يتيح مشروع التكامل للانشطة الوقائية أن تؤدى من خلال الاجهزة الصحية العلاجية الضخمة التى تجتذب الجمهور أكثر مما تجتذبه الاجهزة الصحية الوقائية لاسباب من بينها تقديم خدمة يشعر المواطن بالحاجة اليها لتخفيف آثار المرض وانعكاسه عليه وهو يذهب اليها طواعية بمحض ارادته لا يدفعه الخوف من عقوبة التأخير عن تنفيذ الاجراءات الوقائية التى يقوم بها مكتب الصحة فى كثير من الاحيان من خلال تمتعه بسلطة الضبطية القضائية لا من خلال اقناعه للمواطنين بفائدة ما يقدمه من خدمات ٠ ولا أعنى بذلك أن ألقى باللوم على السادة العاملين فى هذا المجال والدين أرى فيهم الجنود المجهولين فى رفع المستوى الصحى للشعب ولكنها مسألة الصورة التى ما زالت عالقة فى أذهان الجماهير بالرغم من التطور الضخم فى مفهوم العمل الوقائى الا أنه من الصعب جدا أن يتقبل الناس الذهاب الى « جراح يعمل فى عيادة كانت لفترة طويلة من الزمن محلا للجزارة » ولذلك فالمشروع يدمج المفهوم كما يدمج البناء لان كلاهما لازم وضرورى لتكامل الخدمة الصحية ٠

فالطبيب المتخصص فى الصحة الوقائية يعمل من خلال الاجهزة العلاجية ـ يقوم بانشطة الوقاية والعلاج على مستوى المركز الصحى العام ، وله عيادته التخصصية فى المستوى الثانى للخدمة (العيادة التخصصية الشاملة) وله أسرته فى المستوى الثالث للخدمة المتكاملة أى فى المستشفى العام ٠

ونخلص من هذا التحليل لاهمية تكامل الخدمات الصحية فى مجال الوقاية من أن المشروع يهدف الى زيادة كمية فعالية الانفاق فى وعاء الوقاية بتخفيف الطلب « الزائف » على مستويات الخدمة العلاجية المخففة من خلال (أ) ترابط مستويات الخدمة (ب) تمكين العاملين فى الخدمات الوقائية من التعامل مع جمهور يأتى اليهم بمحض رغبته لا خوفا من القانون (جـ) اعطاء العاملين فى مجال الخدمات الوقائية مركزا متساويا مع العاملين فى مجال الخدمات العلاجية (د) وأخيرا تغيير الصورة الراسخة فى عقول الجماهير عن مكتب الصحة بادماجه فى بناء الجهاز العلاجى ٠

ومن المنتظر ان يساعد كل ذلك على ان يقوم العاملون بدورهم كمغيرين اجتماعيين لاكضابطين لسلوك الافراد بسلطة القانون وهو امر بدأت الدولة الاهتمام به واتخذت فيه خطوات فعالة فى مجال خدمة رجال الشرطة فما بالك بالاباء اليس ذلك اوجب ٠

ومرة اخرى اجدنى اكرر سؤالى الاول هل يكفى ذلك لان تقوم وزارة الصحة بدور فعال فى تنفيذ هدفها الاسمى « الوقاية بديل العلاج » ؟ والاجابة على ذلكهى ان ما من شك فى ان تحقيق مشروع التكامل لاهدافه الوقائية بتغيير المضمون والشكل الذى تؤدى فيه الخدمة ضرورى ولازم ولكنه غير كاف لطبيعة التكنولوجيا المتاحة للعمل الوقائى وهى مزيج قليله جدا خدمة صحية وكثيره من غير الخدمة الصحية مركب من خدمات ثقافية وتعليمية واجتماعية واقتصادية الخ ، وبالتالى فدور وزارة الصحة فى المجال العمل الوقائى قليل ولكنه هام لازم ولكنه غير كاف ولا يمكن ان يحدد اهدافه الا بتكامل افقى فى مجال الوقاية بين الخدمات المجتمعية الاخرى وعلى رأسها التعليم والثقافة والاسكان والخدمة الاجتماعية والخدمات الاعلامية والخدمات الدينية ٠٠ الخ ٠

وقد يعنى الان سؤال اذا فلما كل هذا الجهد الذى تقوم به وزارة الصحة فى تنفيذ سياستها ولبها التكامل اذا لم يحدث هذا التكامل الافقى وتأتى الاجابة على لسان الوزير ٠٠ ان التكامل الافقى بين الخدمات لن يحدث بالتكلم عنه بل يجب

ان تبنىنواة على اسس علمية صحيحة لتتيح للخدمات الاخرى ان تتكامل مع شىء ملموس لا مع تصورات لم تتحقق بعد .

ويأتى سؤال اخير هل تنجح هذه النواة فى اداء دورها برجالها دون تعاون من الجمهور والاجابة على ذلكبالنفى قطعا وسبب ذلك ايضا هىطبيعة التكنولوجيا المتاحة للعمل الوقائى واعتماد اغلبها على السلوك الصحى للافراد والمجتمعات الامر الذى يمكن ان يلعب فيه اجهزة الاتحاد الاشتراكى العربى دورا فعالا من خلال كونها تحالف لقوى الشعب العاملة عملها الاساسى هو بناء الجبهة الداخلية بتعضيد كل ما يسهم فى بناء الانسان المصرى الجديد فى المجتمع الاشتراكى • ان الاتحاد الاشتراكى لم يلعب بعد هذا الدور بالصورة المطلوبة الا فى بعض الاعمال الوقائيه العاجله والمؤقتة فى نفس الوقت ، واقرب هذه الاعمال الى الذهن هى معاونة الجهاز الصحى فى تنفيذ الاجراءات الصحية اللازمة للحجاج فى منازلهم بدلا من اجراءات الحجر الصحى القديمة التى كانت تحتم عزل كل العائدين فى اماكن مخصصة لذلك • ان دور لجان الاتحاد الاشتراكى فى نجاح هذه التجربة لا يمكن التقليل منه ولكن المهم ان توجه هذه اللجان نشاطها الى مساندة الخدمات الوقائية العادية التى لها صفة الاستمرار وذلك بتوعية الجماهير من خلال اجهزتها المختلفة • ان اعلى اساليب التغيير الاجتماعى هى الكلمة المباشرة من انسان الى انسان وهو ما يمكن للجان الاتحاد الاشتراكى العربى ان تقوم به بسهولة كبيرة اذا قصدت ذلك لان التغيير الاجتماعى عن طريق الاعلام والوسائل السمعية والبصرية الاخرى ما هو الا معضد للكلمة المباشرة خصوصا اذا صدرت من انسان يعمل بما يقول •

لقد اثبتت مجموعة الاخصائيين الاجتماعيين الذين صاحبوا البعثة الطبية المصرية لخدمة لحجاج هذا العام ان ما يقال عن الكلمة المباشرة حقيقة لا جدال فيها فقد قاموا بدور فعال فى تمكين البعثة الطبية المصرية من اداء دورها باعلى مستوى ممكن يجعلنا نفكر بامعان فى تحديد دور الاخصائى الاجتماعى فى مشروع تكامل الخدمات على جميع مستويات التكامل بالطريقة التى تزيد من فعالية الخدمة •

كلمة اخيرة •• لقد رسمت السياسة الصحية طريقا واضحا لجعلها اداة فعالة فى بناء الانسان المصرى الجديد ، ولكن نجاحها يعتمد على تكامل الخدمات افقيا وعلى مستوى وعى الجماهير وهو امر لا يتأتى من نفسه بالسرعة المطلوبة ولكنه يتطلب العمل الجاد المستمر فى كل المجالات وعلى راسها الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يجسم تحالف قوى الشعب العاملة •

المشكلة :

كيف يتم التنفيذ ؟

د• شكرى عازر

تتلخص السياسة الصحية للبلاد فى الفترة القادمة فى محاولة تدعيم ورفع كفاءة الخدمة الطبية سواء فى المدينة او القرية دون التوسع فى انشاءات جديدة ، بل بمحاولة الاستفادة بشكل اكبر من المؤسسات الموجودة حاليا مع التركيز على الجانب الوقائى بالاهتمام بالصحة المدرسية وتنظيمها وتطويرها .

وتضع الخطة امامها بعض الاهداف

لتحقيقها ، وبدأت بالفعل العمل على تنفيذها مثل توفير ٦٠٠٠ ممرضة سنويا ، ورفع كفاءة الطبيب الممارس علميا ، ورفع مستوى الخدمة فى المستشفيات العامة ، وعمل بطاقة صحية للتلاميذ والطلبة ، ومحاولة السيطرة على مرض البلهارسيا وغيرها من الاهداف الاخرى .

ولا احد يستطيع أن ينكر اهمية هذه الاهداف اذا ماتحققت بالفعل ، ولكن يبقى سؤال هام عن كيفية تنفيذ هذه الاهداف . فكل هدف من هذه الاهداف مرتبط بكثير من المشكلات العامة فى الدولة ، ويحتاج تحقيق كل هدف من هذه الاهداف تنظيم العمل مع قطاعات اخرى فى الدولة والعمل بصفة منتظمة مع هذه القطاعات لتحقيق هذا الهدف الصحى . ولنأخذ عدة امثلة توضح هذه الفكرة :

فمما لا شك فيه ان الخطة الصحية تعتمد فى تحقيقها على عدة عناصر متجاوبة ، مثل الطبيب ، والممرضة والادارى، والمساعد الفنى، والشغال علاوة على جهاز متكامل للاحصاء والتخطيط .

فالعنصر البشرى ، هو جوهر وقلب الخطة الناجحة فى المستشفى العام ، وفى الوحدة الريفية وفى الصحة المدرسية ، وفى خطة القضاء على البلهارسيا وفى غيرها من الخطط العلاجية والوقائية .

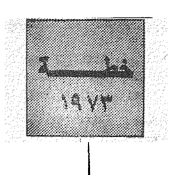
ولنبدأ مثلا بالطبيب ، هناك عدة مشاكل تدور فى رأس الطبيب ويجب حلها جميعا حتى يقوم بدوره كاملا ، منها مشكلة الاجور . فعندمايقارن الطبيب اجره بأجور زملائه فى البلاد العربية جميعا ، أو بأجور زملائه فى البلاد الاوروبية أو أمريكا يجد فارقا ضخما يجعله يفكر فى محاولة السفر الى الخارج وعدم الاندماج فى مشاكل بلاده ، والتصدى لحلها . وهذه مشكلة تحتاج الى حل ، وهناك مشكلة اخرى وهى مشكلة الدراسات العليا ، فكل طبيب طموح يسعى لرفع مستواه العلمى ، فيجد الباب أمامه موصدا فاذا نجح فى الحصول على أحد الدبلومات سواء بالطريق الرسمى عن طريق الوزارة ، أو عن طريق التحايل ، وجد الباب بعده موصدا مرة اخرى ويجب ان يقدم الطبيب دليلا للجامعة على انه لايعمل بوزارة الصحة حتى يكمل دراسته العليا ، وهذه مشكلة يجب ان تحل بكافة الطرق بحيث يصبح الباب مفتوحا على مصراعيه أمام اى طبيب يريد وفى اى وقت المزيد من الدراسة ان تساعده الوزارة والجامعة على ذلك مهما تكلف ذلك من جهد ومال للحفاظ على ثروة قومية تبدو عن طريق الهجرة والسفر للخارج وفقدان البلاد لمئات بل الالوف من خيرة ابنائها ، وبالتالى للاعتماد عليهم فى خدمة سياستها الصحية ، فهذه مشكلة لا تحل بالقوانين أو بالاوامر ، بل بالقضاء على اسباب وجودها .

ومثال آخر عن الناحية الوقائية ، صحيح أن هذا الجانب قد اهتمت به الخطة الصحية ، وهذا مايجب ان يكون ، ولكن لا يمكن فصل الخطة الوقائية عن جوانب أخرى من الخدمات فى الدولة فالوقاية من الامراض ليست فقط باعطاء الامصال فى مواعيدها ولا حتى بتقديم وجبة للتلاميذ الصغار ، او كوب من اللبن ، فالوقاية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنظافة فى المدن والقرى وبالقضاء على الذباب ، والسيطرة على شبكة المجارى والناموس والباعة المتجولين ، وهذه مشاكل لا تنفرد بالتحكم فيها وزارة الصحة ولكن يدخل فيها نظام الحكم المحلى ورؤساء مجالس الاحياء ووزارة الاسكان ووزارة التخطيط وبذلك لا يمكن لوزارة الصحة منفردة القيام بهذا العبء دون مشاركة جدية من كافة مؤسسات الخدمات فى البلاد .

وهناك على سبيل المثال مشكلة البلهارسيا وهى مشكلة كذلك تحتاج لتضافر جهود اكثر من جهة حكومية مسئولة فالى جانب الهيئة الصحية بالقرية ، لابد من مشاركة وزارة الزراعة ، والهيئات الادارية بالقرية والتنظيم السياسى ، وهذه المشكلة مرتبطة كذلك ارتباطا وثيقابالجهود المبذولة من اجل محو الامية فى البلاد .

من ذلك يتضح ان الخطة الصحية ، لا غبار عليها من ناحية الاهداف واسلوب العمل ولكن فى التنفيذ لابد وان تدرس الخطة على نطاق واسع مع كل الهيئات والمؤسسات الحكومية التى ترتبط بها أهداف الخطة حتى تستطيع فعلا انتصل الى اهدافها النهائية .

وهناك فكرة أخرى لابد من مناقشتها ، وهى تغيير النظرة الى خدمات وزارة الصحة باعتبارها وزارة خدمات وليست وزارة انتاج ،وهذه نظرة خاطئة تماما وقاصرة . فالانتاج وزيادته يعتمد على العنصر البشرى . فالعامل والفلاح والموظف والجندى عندما يتمتع بالصحة والعافية لابد ان يزداد انتاجه وتستطيع فعلا أن تتحقق خطط التنمية بل وتزيد . ان زيادة اعتمادات الخدمات والصحة ليست اموالا ضائعة ، بل هى اموالا مستثمرة فى اغلى ما تملكه البلاد وهو العنصر البشرى الذى يلعب دورا هائلا فى اثراء وزيادة دخلها ومضاعفة انتاجها ، فالاموال المنصرفة على المحافظة على الصحة اموال مستثمرة لها عائد يعود بالنفع والخير على البلاد فى كافة نواحى حياتها ومصالحها .



الخطوط العامة لسياسة الحكومة

المؤشـــــرات العـــــامة للخطـــــه

ينص التقديم للبيـان على أنه انطـلاقا من الخطوط العريضة التى رسمها برنامج العمل الوطنى فقد « وضعت السياسة العـامة لخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للسنوات العشر القادمة [١٩٧٣ — ١٩٨٢] مستهدفة ما نص عليه البرنامج من مضاعفة الدخل وتعديل هيكل الانتاج باعطاء دفعة قوية للصناعة وتعزيز نمو الانتاج الزراعى ، ورفع مستوى الاســتهلاك الفردى والاستمرار فى رفع نسبة الاستثمار الى الدخل ».

كما يضيف ان السمات الاساسية للخطـة العشرية تتركز فى أن يتحقق تحول الاقتصــاد المصرى جذريا الى اقتصاد صـناعى زراعى ، ودخوله مرحلة الاعتمــاد على الذات كلية فى انطلاقه فى عملية التنمية وتحـــديد أولويات مشروعات الخدمات فى ضوء مطالب الجماهير، ورفع المستوى الاقتصـــادى والاجتماعى للريف وتيسير مشكلة الاسكان وخاصة فى الاســكان الاقتصادى والمتوسط .

ويمكن تلخيص الاهداف التى ترسمها الخطة العشرية من واقع البيان فى الجداول التالية :

أ ـ الانتاج والناتج وما يخص الفرد

السنة	قيمة الانتاج مليون جنيه	الناتج القومى مليون جنيه	القيمة	الزيادة من سنة الاساس	معدلات النمو المقدرة: صناعة	زراعة	اسكان	مرافق	تنمية اجتماعية	مايخص الفرد بالجنيه سنويا
١٩٧٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٨٠
١٩٧٧	—	٤٠٦٨	—	٤١ر٥	٨ر٩	٣ر٧	٣ر٧	٨ر١	٦ر٧	١٠٠ر٥
١٩٨٢	١١٠٨٠	٥٧٣٥	٢٨٦٠	٩٩ر٥	—	—	—	—	—	١٢٥ر٢

ب ـ الاستثمارات وتوزيعها

قطاعات سلعية

السنة	الاستثمار بالمليون جنيه	صناعة	زراعة	كهرباء	نقل ومواصلات	اسكان	خدمات اخرى	الاستثمار الى الدخل ٪	المدخرات بالمليون
١٩٧٢	—	—	—	—	—	—	—	١٣ر٦	٣٠٥
١٩٧٧	٣٢٢١	٢٦٠	—	—	—	—	—	—	٧٩٨
١٩٨٢	٨٤٠٠	٢٦٨٥	٩٨٥	٦٠٠	١٧١٠	١٠٦٠	٨٤٠	٢٠ر٩	١٣٧٠

جـ ـ الاستهلاك النهائى وفرص العمالة والدخول

	زيادة الاستهلاك ٪	فرص العمل بالمليون	حجم الاجور بالمليون	زيادة المتوسط السنوى لاجر المشتغل ٪
١٩٧٢	—	—	١٣٤٧ر٤	—
١٩٧٧	٤ر٨	١ر٢	١٧٥٦ر٣	١٣ر٦
١٩٨٢	٣ر٥	٣	٢٣٤٨ر٥	٣١ر٣

السمات الاساسية لخطة ١٩٧٣

يوضح البيان أن السمات الاساسية لخطة ١٩٧٣ تتركز فى نمو الناتج المحلى بنسبة ٦ر٢٪ عن السنة السابقة ، وزيادة الاستهلاك العائلى بنسبة ٤ر١٪ والجماعى بحوالى ١٠٪ ، مع توفير ١٩٢ الف فرصة عمل جديدة معظمها فى القطاعات السلعية ، واستثمار قدره ٥٠٠ مليون جنيه بنسبة ٤٨٪ للقطاعات السلعية ، ٢٩٪ لقطاعات التوزيع ، ٢٣٪ لقطاعات الخدمات .

ويتم تمويل الاستثمارات المطلوبة على أساس ٢٤٢ مليونا من فائض ومدخرات القطاع العام ، ٥٣ مليون من أوعية ادخار أخرى ، ٥٠ مليونا من القطاع الخاص والمال العربى ، ١٤١ من ميزان التعامل مع الخارج .

وتتلخص الصورة التى يرجى أن تحققها الخطة فى نهاية العام فى مجموعة من الجداول احتواها البيان ، ويمكن تركيز ملامحها الرئيسية فى الجدول التـالى :

	الانتاج بالمليون جنيه	الناتج مليون جنيه	نسبة زيادة الناتج	جملة المشتغلين بالالف	نسبة الزيادة للمشتغلين	جملة الاجور	الاستثمارات بالمليون جنيه	٪
الزراعة والرى	١٢٤١ر٢	٨٧٣ر٦	٢ر٢	٤١٧٩ر٠	١ر٦	٢٤٤ر١	٦٠ر٧	١٤
الصناعة	٢٧١٥ر٧	٦٦٥ر٢	٦ر٨	١٠٩١ر٦	٢ر٨	٢١٥ر٨	١١٦ر٥	٢٧ر٢
التشييد	٢٩٤ر٧	١٢٥ر٠	٩ر٦	٣٥ر٠	١١ر١	١١ر٩	٣ر٨	٠ر٩
الكهرباء	٦١ر٦	٤٥ر٤	٠ر٩	٣٦٢ر٤	٤ر٦	٧١ر٨	٢٣ر٥	٥ر٥
اجمالى القطاعات السلعية	٤٣١٨ر٢	١٧٠٩ر٢	٤ر٤	٥٦٦٨ر٠	٢ر١	٥٤٣ر٦	٢٠٤ر٥	٤٧ر٨
نقل وتخزين	٢٨٢ر٣	١٧٥ر٢	٦ر٨	٣٩٤ر٨	٤ر٢	١١١ر٥	١١٩ر٩	٢٨ر٠
تجارة ومال	٣٩١ر٤	٢٧٧ر١	٥ر٨	٨٦٠ر٩	١ر٤	١٤٩ر١	٣ر٢	٠ر٧
اجمالى قطاعات التوزيع	٦٧٣ر٧	٤٥٢ر٣	٦ر٢	١٢٥٥ر٧	٢ر٣	٢٦٠ر٦	١٢٣ر١	٢٨ر٧
اسكان	١٣١ر٤	١٢٤ر٦	٢ر١	١٣٨ر١	٠ر١	١٠ر٩	٤٦ر٩	١١ر٠
مرافق عامة	٢٣ر٦	١٣ر٥	١٢ر٥	٤٠ر٦	—	١٠ر٨	١٦ر٨	٣ر٩
تنمية اجتماعية	١٠٥٩ر٣	٧٧٩ر٢	١١ر٢	١٧٦٢ر٦	٢ر٩	٦٤٠ر٥	٣٦ر٨	٨ر٦
اجمالى قطاعات خدمة	١٢١٤ر٣	٩١٧ر٣	٩ر٩	١٩٠١ر٣	٢ر٦	٦٦٢ر٢	١٠٠ر٥	٢٣ر٥
اجمالى عام	٦٢٠٦ر٢	٣٠٧٨ر٨	٦ر٢	٨٨٦٥ر٠	٢ر٢	١٤٦٦ر٤	٤٢٨ر١	١٠٠

هذا ويورد البيان فى عرضه للاستخدامات الاستثمارية والاهداف القطاعية الخطوط العامة لاوجه الاستثمار فى القطاعات المختلفة على الصوره الموجزة الاتية :

● **فى الزراعة** : استزراع مساحة ١٤٥ الف فدان، وبدء الاستزراع فى مساحة ٩٩ الف فدان مع استكمال استصلاح المساحات السابق البدء فى استصلاحها ، وتدعيم طاقات البحوث فى وزارة الزراعة . وتحسين التربة فى مساحة ١٢٠ الف فدان وتوسيع الصرف فى ٣٥٥ الف فدان ، وتوفير الصرف المغطى فى ١٥٠ الف فدان اخرى واتمام مشروع وادى الريان وزيادة انتاج الدواجن الى ١٢٠ الف طن .

أما فى الصناعة فتتجه الاستثمارات الى توفير السلع التى يعجز الانتاج عن توفية الطلب منها مثل حديد التسليح والاسمدة والاسمنت والسكر وتجديد الالات لا سيما فى الغزل والنسيج ؛ واعطاء دفعة قوية لمجمع الحديد والصلب والالمنيوم والمجمع الفوسفورى ، وعناية كبيرة بقطاع البترول .

● **فى الكهرباء**: يتم انارة ٢٠٠ قرية ودفع التنفيذ فى محطة كفر الدوار وبدء انشاء محطات جديدة وتوسيع شبكات الضغط بما فى ذلك اللازم للمناطق والمشروعات الجديدة .

● **فى الاسكان** : يستهدف انشاء ٨ر٥ الف مسكن بالريف ، ٢ر٤٩ الف مسكن بالحضر منها ٢ر٣٩ الف للنوع الاقتصادى ، ٨ر٨ الف للمتوسط ، ١ر١ الف للاسكان فوق المتوسط ، والتوسع فى مشروعات مياه الشرب بالحضر والريف .

وتتوزع مشروعات قطاع النقل بين السكك الحديدية لشراء ١٨ قاطرة ديزل جديدة وتجديد ٢١٦ كيلو مترا من الخطوط الحديدية ، والطرق والكبارى لانشاء ورصف وصيانة الطرق وتجديد وتقوية الكبارى ، والنقل النهر باستكمال مشروعات النوبارية لتيسير نقل الفحم من الاسكندرية الى حلوان ، وشراء ١١٥ أتوبيس النقل الركاب بالاقاليم ذلك عدا تحسين وسائل النقل بالقاهرة والاسكندرية وشراء ٨ طائرات جديدة لاسطول النقل الجوى ، وسفينة بضاعة وتعديل الارصفة بميناء الاسكندرية ، وانشاء سنترالات تسعها ٤٢ الف خط جديد وغيرها .

أما فى خدمات التنمية الاجتماعية فيستهدف الارتفاع بنسبة الالزام الى ٩ر٧٩ وبنسبة القبول فى الاعدادى الى ٩٥٪ واقامة مدارس جديدة لمواجهة هذه الزيادات ، مع التوسع فى مبانى الكليات الجامعية ، وانشاء سبع مستشفيات جديدة بسعة قدرها ١٦٧٠ سريرا والتوسع فى تطبيق التأمين الصحى والبدء فى انشاء دار أوبرا جديدة وزيادة الطاقة الفندقية الى ٢٠٠٠ سرير .

التعليقات

الخطة وقضايا الحرب والتنمية والتطور الاجتماعى

د. محمد أحمد عجلان

يتحدد المنهج السليم فى مناقشة الخطة ، بأن يوضع فى الاعتبار دائما المنطلقات الرئيسية التى لابد أن تنبع منها ، وأن تكون تفاصيلها انعكاسا لهذه المنطلقات .

وعلى الرغم من أننا قد أخذنا بالتخطيط منذ ما يزيد على عشر سنوات ، فمازال هذا هو المنهج الصحيح الوحيد ، مادامت تلك السنوات قد مضت دون أن يصبح التخطيط القومى الشامل كفلسفة وسياسة ـ حسب ما يراه برنامج العمل الوطنى ـ مثار الاهتمام الكافى الذى يرفع من كفاءة أجهزته ، وينشر الوعى به بين المواطنين فهما

ومعارسة • انه عندئذ فقط يمكن أن تنحصر المناقشة فى هذه الاولوية أو تلك ، فى هذا المشروع او ذاك ، وهى فى الاغلب عندئذ سوف تتحدد الاجابات والاختيارات فى ضوء ما تبرزه معالجة الارقام التى تبنى على مختلف الافتراضات •

من هنا كانت الضرورة فى أن نتذاكر - وسيظل كذلك لفترة - الاعتبارات الرئيسية التى تحكم الخط ، وبالتالى يجب أن تحكم عمل المخططين •

فالخطة عمل سياسى فى الاساس، ينطبق ذلك عليها سواء كانت خطة طويلة المدى ، أو متوسطة ، او قصيرة او سنوية ، لانها فى اى صورة من تلك الصور - واذا ما كانت بمفهوم التخطيط القومى الشامل - ليست الاعملية واعية تمثل اكبر استفادة بالتفكير المنطقى فى توجيه النشاط الاقتصادى للمجتمع الذى لا يمكن أن يتم فى تصور فرد بذاته ، أو مجموعة بذاتها بل هو حق المجتمع كله . ان الخطة وهى جماع الاجراءات التنفيذية للتنمية التى تستهدف الوصول بالمجتمع الى صورة معينة لتركيبه الاقتصادى والاجتماعى لا يمكن الا أن تكون انعكاسا لفكر سياسى محدد ورؤية اجتماعية معينة ، وبالتالى صار حقا للشعب ان يعرف الى اين يتجه ، وصار حقا اكثر له أن يناقش وأن يعدل ، بل وفى النهاية أن يفرض•

ومناقشة الخطة شعبيا لا تعنى مجرد الاستماع الى المطالب التى تتقدم بها جماهير هذه المنطقة أو تلك (وهذا أمر حيوى ومفيد قد يضىء طريق واضع الخطة) لكن مجرد الاستماع قد يوقع التخطيط والخطة فى النهاية فى عفوية وتلقائية وانعدام النظرة الكلية ، المترابطة ، الامر الذى يتعارض تماما عندئذ مع كونها عملية تحليلية علمية يفترض لها الاكتمال فى النظرة والمعالجة الى أبعد الحدود • وبالاضافة فان أسلوب الاستماع ليس بديلا عن مشاركة الجماهير مشاركة فعلية فى توجيه دفة الامور .

فقد أكد الميثاق ضرورة المناقشة العامة للخطة سواء على المستوى القومى العام أو على مستوى الموقع ، لانه يرى أن ذلك هو السبيل الامثل للتصدى لعديد من المشاكل الخاصة بمجتمعنا ، والتى لا يرجى لها حل الا بالمشاركة الواسعة من الجماهير • ان هذه المناقشة الواسعة ضمان لاتاحة الفرصة لحل الصراع الطبقى حلا سلميا - وهو أمر نحتاجه بالضرورة الملحة ، طالما كنا تحت ضغط الاحتلال وفى ظل معركة كبيرة - وتحديد وموازنة الاعباء التى تتحملها الطبقات المختلفة سواء فى الحرب أو فى التنمية ، وضمان لايجاد مدخل لوضع برامج متوازنة بين القطاعين العام والخاص تحدد لكل منهم دوره دون تعسف ، وضمان لاتضاح مدى الجهد الذى يجب أن يتحمله العمل الوطنى ، وضمان كذلك لارتباط القيادات فى المواقع أمام جماهيرها بأهداف محددة ، وامكان محاسبتها على ذلك الاساس •

ان مناقشة الجماهير للخطة والتخطيط فضلا عن أنه اثراء ضخم للمفاهيم السياسية عامة فى المجتمع لا تكون - فى المحل الاول - منافسة لما سوف يناله كل مواطن أو كل جماعة ، ولكنه مناقشة لما يستطيع أن يعطيه كل مواطن تجاه العمل الوطنى ، ولما يستطيع أن يحققه للمستوى القومى ككل ، ثم يأتى بعد ذلك ما يمكن ان يحصل عليه من الخطة القومية المتوازنة •

لقد ترسب من مسيرتنا منذ يوليو ٥٢ عديد من المفاهيم قد نكون الان فى حاجة - بعد التجربة - الى مراجعتها محافظة على المسيرة ودفعها الى الامام . لقد تبنينا وقتاما شعار أن نصنع من الاستهلاكية ، فطرحنا مثلا الفيلا والسيارة فى بلد تعانى من الامية ، وشجعنا الهجرة اندفاعا وراء المكسب الذاتى الفردى وكأن بلادنا ليست بحاجة لبنيها ، واعتقدنا انه لا يجوز أن نضحى ونشد الاحزمة على البطون من أجل أجيال لم تولد بعد . وليس أقدر ولا اكثر ضمانا فى مراجعة أى من هذه الصيغ - بعد التجربة - الا المناقشة الشعبية الواسعة • ونحسب أن قدرا منها لابد من مراجعته• ونرجو أن نحذر فى شأن أى منها القرارات الفوقية ، فلا نتيجة لذلك الا انفصال القاعدة عن القيادة •

ونحسب بعد هذا أن تقديم الخطة الى مجلس الشعب ، دون أن يسبقه احتضان الجهاز السياسى لها ، وازكاء المناقشة حولها ، وتجميع الاراء لها او عليها ، والاقتناع بها ، لن يذهب بنا بعيدا .

ومصر دولة تحارب • وستظل كذلك لفترة قد تكون طويلة • هناك مواجهة مع عدو يحتل أرضا من بلادنا ، ولا يتورع عن طلب المزيد • ووراءه الامبريالية العالمية لا تخفى أهدافها ، ولا تضع قناعا لمؤامراتها • تخطط وتعمل لهدم أى نظام تقدمى نقيمه ، ولاى مسيرة نحو الاشتراكية نحققها . ذلك ما يجب ان يزيح الغشاوة من اعين البعض انه حتى وان تم حل ما يسمى أزمة الشرق الاوسط فهناك معركة نعيشها بصورة أو أخرى ، طالما كان هناك استعمار ، وطالما اتجهنا نحو الاشتراكية . واذا كانت الاولى مما لا تبدو نهايته قريبة ، وكانت الثانية حتمية لا نستطيع أن نتخلى عنها ، فالمعركة اذن طويلة وان تغيرت صورها من عسكرية أو سياسية او اقتصادية او تآمرية تخريبية •

والتخطيط والخطة فى ظروف معركة لابد أن يتصدى بأدواته العلمية لضرورات اساسية مثل :

التحكم فى الاسعار وتلافى التضخم وظهور طبقة اثرياء الحرب ، والتحكم فى عمليات الادخار والاستثمار وتوجيهها الوجهة الصحيحة باستخدام البدائل المختلفة ، والتحكم فى الاستهلاك بالطريقة التى تمنع الاختناقات ، وتحديد أهداف للانتاج على الاقل فى السلع الاساسية استراتيجية كانت أو استهلاكية ، والتحكم فى سياسة المخزون وادارته وتحويله من طاقة عاطلة الى أخرى منتجة ، وازالة الاختناقات فى الكيان الانتاجى بما يسمح باطلاق كل الطاقات المتاحة فى البلاد ودفعها كضرورة حاسمة للنصر .

ونحسب اننا نشعر من واقع المعايشة بضرورة كل هذا • ونحسب أنه يؤكد المحتوى السياسى الاصيل للخطة كما بينا •

ونحسب فوق ذلك ان متابعة الخطة المعروضة لا يكشف فى سطورها المقروءة عن شىء منه ، ولقد يصعب على غير المتخصص أن يستكشفه •

والخطه خطوة ضمن استراتيجية للتنمية • فالدول الرأسمالية قد تأخذ بالتخطيط ، وبمركزية شديدة لمقابلة طارىء عاجل أو ازمة قومية • تلك كان شأنها على سبيل المثال خلال الحرب العالمية الثانية • ولكن الدول الاشتراكية ــ أو التى تتجه كذلك ــ تتخذ من الخطة والتخطيط دعامة أساسية للتنمية وضبط حركة المجتمع وتوجيهها .

وتحديد استراتيجية للتنمية قضية أساسية ان كنا لا نريد أن تذهب عمليات التنمية بنا مذاهب شتى ، بل وقد ينفرط عقدها فى بعض الاوقات أو المراحل فتتجه بعض جهودها فى غير ما يفترض أن تتجه فيه •

والاستراتيجية بحكم تعريفها هى تحديد الهدف النهائى البعيد الذى نرجو الوصول بالمجتمع اليه • وليس البعيد هنا خمس سنوات أو عشر بل الى أقصى ما تتيحه الرؤية ــ وقد صارت ممكنة الى حدود عشرين او خمسة وعشرين عاما • وتصبح الخطة الخمسية عندئذ لا أكثر من خطوات على الطريق ، وتصبح خطة العام الواحد جزءا أو خطوة واحدة على الطريق الطويل نحو الهدف البعيد

ان صياغة استراتيجيةللتنمية قضية لايحسمها التمنى أو المزاج الشخصى • انها تعالج قضايا جوهرية وأساسية ، وتضع اجابات لاسئله مثل هل نستطيع خلال تلك الحقبة من الزمن أن ننتقل من مجتمع نام الى مجتمع متطور؟ هل سيكون متيسرا أن نصل الى ما يسمى مجتمع الاستهلاك ؟، هل نستطيع ماهو أبعد من ذلك أم أن ظروفنا تقصر عن هذا وذلك ؟ والاجابة ليست عفوية أو حصيلة التفكير المجرد • انها عملية معقدة متشابكة ولكنها ضرورية • ان تحديد الاستراتيجية تبدا بتقييم دقيق للامكانيات القومية المتاحة وما يمكن ان يكشف منها فى كل مجالات الثروة طبيعيه وصناعية وجغرافيه وبشرية ، وتقييم دقيق آخر للتقسيم العالمى للنشاط الاقتصادى وما تسمح قدراتنا ان نتميز به داخل هذا الاطار الذى لا مفر منه . وتقييم اكثر تفصيلا للمنطقة من العالم الذى نرتبط بها اكثر ، والدور الذى نستطيع ان نلعبه فيها • وتتم عمليات التقييم هذه ليس فى ضوء الواقع القائم فحسب بل برؤيا عميقة لاحتمالات المستقبل واتجاهات تطوره فى كل هــذه المجالات وفى ضوء العوامل العالمية المحتملة ، من ثورة تكنولوجية ، أو تكتلات اقتصادية ، أو وحدة محتملة وهكذا • ويمكن عندئذ وفىضوء هذه العوامل منعكسة على الظروف الذاتيه من ثروة، ومعدلات نمو سكانى ، وامكانيات استثمار •• وهكذا أن تتحدد صورة المجتمع الذى نستهدف الوصول اليه فى خطوطه العريضة • ان هذا التصور هو الاطار الذى سوف يحكم كل الخطوات التكتيكية على طريق التنمية الطويل •

واذا كان برنامج العمل الوطنى قد وقف عند رسم صورة لعشر سنوات وان شابها القصور فى بعض النواحى ، الا انها كانت ومازالت خطوة الى الامام على طريق ترشيد عملية التخطيط •

ونحسب أن عدم صدور الخطة العشرية قبل الخطة السنوية انما يفقدنا المنظار الذى يمكن به التدقيق فى تلك الخطة ، ورؤية الابعاد التى ترسمها ملامحها التفصيلية ، بل يجعل المناقشة ضربا فى بيداءواسعة ، بدلا من قياس علمى لما سيحدثه هذا الاستثمار أو ذاك ، وللاثر الذى يأتى به هذا الاجراء أو ذاك •

وبهذه الخلفية التى قصرناها على نقاط ثلاث رئيسية يمكن ان تفصل الى عديد من النقاط الاخرى نستطيع أن نرى أن الخطة الحالية امتداد للاسلوب الذى اتبعناه ــ قهرا عنا او بالرضا ــ منذ السنوات الاخيرة للخطة الخمسية الاولى حيث ظهر تعثرها فى بعض الانجازات ، فدرجنا على وضع خطط عاجلة وسريعة ، وقصيرة افتقدت الرؤيا البعيدة ، وتأثرت بالاتجاهات الفكرية المتغايرة •

ومع ذلك فلابد من نظرة الى الخطة الحالية من بعض الزوايا المحددة لنرى ماذا نقدمه فى شأنها، آخذين فى الاعتبار أن الخطة المعروضة وان اختصت بسنة واحدة الا انها ترسم بعض الملامح للخطة العشرية •

الخطة والهيكل الاقتصادى، اقتصر حديث الخطة فى هذا الشأن على انه سوف يتحول « الاقتصاد المصرى جذريا الى اقتصاد صناعى زراعى » فى نهاية الخطة العشرية • ويوضح ذلك بأن « أكثر من نصف الزيادة المستهدفة فى الناتج المحلى الاجمالى تتولد فى القطاعات السلعية والتى يسهم فيها قطاع الصناعة والبترول بالجانب الاعظم .. حيث يزيد الناتج الصناعى عن حجم الناتج الزراعى ابتداء من السنة الخامسة للخطة • »

ولا نظن ان تلك صورة كافية للتعبير عن الهيكل الاقتصادى ، ومدى التغير فيه. ان كل دول العالم الثالث على الاقل تتجه نفس الاتجاه بمحاولة التصنيع ورفع قدراتها فى مجال الصناعة • ولكن تغيير الهيكل الاقتصادى فى اتجاه زيادة الانتاج الصناعى يمكن أن يتم عن اكثر من طريق ، بالصناعة الثقيلة أو الاستهلاكية ، أو باستغلال كهربة الريف لانشاء صناعات حرفية عديدة متناثرة أو بيئية تقوم على منتجات محلية ، وغيرها العديد من الطرق ، ويمكن فى كل الحالات أن تتحقق زيادة الناتج من الصناعة عنه من الزراعة •

ونحسب أن المعالجة ـ لانقول السليمة بل الاكثر وضوحا على الاقل ـ كانت تستلزم فى البداية تصوير الهيكل الاقتصادى الحالى بكل جوانبه وبنقاط قوته وضعفه ، ثم المفاضلة بين هذه البدائل للنمو فى ضوء عديد من القيم التى تتضمنها الوثائق السياسية للمجتمع وبيان أثر كل منها على الهيكل ، والجهد القومى المطلوب لها حتى يصبح الاختيار فى النهاية واضحا ومحددا والطريق ــ فى خطوطه العريضة على الاقل ــ مرسوما وواضحا •

ان كل ما تحتويه وثائقنا السياسية من آمال للجماهير الشعبية يمكن أن تظل شعارات جوفاء ، ان لم تنطلق منها خطط التنمية . وحسبنا اننا لا نستطيع من بيان الخطة المعروض أن نستشف ما يدل على وضعها موضع التنفيذ .

الخطة ومستوى المعيشة هى احد المعايير الرئيسية لتقييم العمل الوطنى المفروض تبعا لها ، فلا قيمة لاى جهد ما لم ينعكس اثره على الحياة اليومية لاوسع الجماهير فى المجتمع .

هذا ويتحدد مستوى المعيشة ارتفاعا او انخفاضا بمدى ما تتيحه الخطة فى نواح ثلاث على الاقل ، هى فرص العمل المتاحة ، ومستوى الاجور المدفوعة مقارنا مع مستوى الاسعار السائدة ومدى توفر السلع .

وفى هذا الصدد تقدم الخطة من فرص العمل فى عام ١٩٧٣ ما يصل الى ١٩٢ الف فرصة عمل بنسبة ٢ر٢ فى المائة من المشتغلين ، وهى نسبة جد منخفضة عما يجب توفره اذا ما أخذنا فى الاعتبار نسبة الزيادة السكانية التى ما زالت حول ٧ر٢ فى المائة سنويا ، وحقيقة أن نسبة كبيرة من العمالة حاليا تعيش بطالة مقنعة امتدت من الريف الى قطاعات عديدة أخرى مما يؤثر على دخولها وعلى الكفاءة الانتاجية فى المجتمع . ولا تقدم الارقام الخاصة بعام ١٩٧٧ (٢ر١ مليون فرصة عمل) أو عام ١٩٨٢ (٣ مليون) صورة أفضل من عام ١٩٧٣ ، اذ ستظل العمالة فى حدود أو قريبا من ٢٥ فى المائة من السكان بينما تتراوح فى البلاد المتقدمة بين ٤٢ فى المائة فى فرنسا ، ٥١ فى المائة فى اليابان ، ٣٧ فى المائة فى ايطاليا ، ٤٠ فى المائة فى بلجيكا ناهيك بالدول الاشتراكية .

اما من ناحية الاجور فيقرر بيان الخطة أنه سوف تتحقق زيادة فى أجر المشتغل تبلغ ٦ر١٢ فى المائة فى عام ١٩٧٧ ، وأخرى تدرها ٣ر٣١ فى المائة فى عام ١٩٨٢ ، ولكن العبرة دائما ليست بزيادة الاجور ولكن بمستوى الاسعار وتحركها ، وهو أمر لا تقدم فيه الخطة رؤية محققة ، أو توضح اجراءات تحفظ لهذه الزيادة فى الاجر أثرها على صاحبها ، وليس أن تتسرب الى جيوب قليلة معدودة ، فتلك القاعدة التى درجت عليها الامور مدى ثلاثين عاما فى مصر . ان أى خطة لا تتضمن الوسائل التى تتيح التحكم فى الاسعار وموازنتها مع الدخول ، انما تترك الحبل على الغارب ــ عمليا ــ لتلك القلة فى المجتمع التى تمارس النشاط الطفيلى فى تجارة التوزيع والسوق السوداء ، بينما لا تكاد اى زيادة فى الاجور تلاحقها وتكون النتيجة انخفاضا فى مستوى المعيشة بدلا من زيادته •

الخطة والفوارق بين الطبقات : تدعو جميع الوثائق السياسية التى ارتضاها شعبنا الى ضرورة اذابة الفوارق بين الطبقات حتى نضمن بهذا سلمية الصراع الطبقى لا احتدامه أو دمويته فى الوقت الذى نحن حريصون كل الحرص على وحدة وطنية نقابل بها الاعداء ، ولا يجوز لهذا ان تغفل الخطة معالجة هذا الامر لخطورته على الكيان السياسى للبلاد •

واذا حاولنا أن نستشف من البيانات الموجودة ما يمكن أن ينبىء بشىء فى هذا الاتجاه لوجدنا بعض الحقائق التى وان لم تقطع بالموقف من هذا الشعار الهام الا أنها تثير القلق فى شأنه ان لم تكن تشير الى عكسه •

يقدم البيان عددا من الارقام فيما يتعلق بالاجور والانتاج والناتج يمكن أن نجمعها فى الجدولين الاتيين :

جدول رقم ١

متوسط اجر العامل فى القطاعات عام ١٩٧٣

القطاع	الاجور المنتظر صرفها بالمليون جنيه	حجم العمالة بالالف	متوسط اجر العامل بالجنيه سنويا
الزراعة	٢٤٤ر١	١٧٩ر٤	٥٨ر٤
الصناعة	٢١٥ر٨	١٠٩١ر٦ر١	١٩٧
الكهرباء	١١ر٩	٣٥	٣٤٠
التشييد	٧١ر٨	٣٦٢ر٤	١٩٧
الاسكان والمرافق	٢١ر٧	١٧٨ر٧	١٢١
نقل ومواصلات وتخزين	١١١ر٥	٣٩٤ر٨	٢٨٥
التنمية الاجتماعية	٦٤٠ر٥	١٧٦٢ر٦	٣٦٣
التجارة والمال	١٤٩ر١	٨٦٠ر٩	١٧٣
اجمالى	١٣٤٧ر٤	٨٨٦٥ر٠	

جدول رقم ٢

السنة	الانتاج مليون جنيه	الناتج مليون جنيه	عائد العمل [الاجور] مليون جنيه	عائد العمل / الناتج	الانتاج / الناتج
١٩٧٣	٦٣٠٦ر٢	٣٠٧٨ر٨	١٤٤٦ *	٤٦ر٩٨	٢ر٠١٦
١٩٧٧	(لم يذكر)	٤٠٦٨	١٧٥٦	٤٣ر١١	.....
١٩٨٢	١١٠٨٠	٥٧٣٥	٢٣٤٨ر٥	٤٠ر٩٤	١ر٩٣

* ورد فى موقع آخر من البيان ان عائد العمل هو ١٣٤٧ر٤ مليون جنيه كما ذكر فى جدول ١ السابق مما يعنى نسبة لعائد العمل قدرها ٤٣ر٨ ٠

ويمكن أن تدلنا أرقام هذه الجداول على أن نصف القوى العاملة تقريبا (وهى تلك التى تعيش فى الريف) تعيش على متوسط دخل يجب أن ناخذه للاسرة التى يعولها العامل بمتوسط ٤ أشخاص فذلك ما تعطيه نسبة العمالة الى السكان هو ٥٨ر٤ جنيه سنويا وهو رقم غنى عن أى تعليق ٠ هذا ولن تفضل أحوال القوى العاملة فى باقى القطاعات العاملين فى هذا القطاع اذا ما تذكرنا دائما أن الارقام المعطاة هى نصيب أسرة كما أنها تعطى متوسطا للعاملين فى تلك القطاعات أى من الدرجة العاشرة والحادية عشرة الى الدرجة الممتازة مما يعنى أن نسبة كبيرة من أسر العاملين سوف تعيش فى مستوى أقل من المتوسط الذى يورده البيان ،ويبتعد كثيرا عن متوسط دخل الفرد الذى يعطى على أنه ٨٠ر٥ جنيه فى ١٩٧٣ ١٠٠ جنيه فى ١٩٧٧ ، ١٢١ جنيها فى ١٩٨٣ ٠

وإذا نظرنا كذلك الى عائد العمل ونسبته الى الناتج القومى العام وجدناه على الصورة المعطاة فى جدول رقم ٢ وهو ما يعنى ان النسبة الغالبة تعود الى عائد التملك ٠ وحقيقى أن عائد التملك سوف يعود قدر منه الى الدولة باعتبار ملكيتها لقدر من وسائل الانتاج،والاخر الى الملاك الافراد، ولا يقدم البيان أو ما ذكر فيه عن الخطة العشرية صورة واضحة للهيكل الاقتصادى يمكن أن تنبىء ما اذا كان هذا العائد المتناقص للعمل سوف يؤدى الى زيادة نصيب الدولة ومن ثم يعود خدمات الى الجماهير العاملة ، أو أن أغلبه كما هو الحال حاليا سوف يعود الى الملاك الافراد مما يعنى اتساعا فى الفوارق بين الطبقات لا سيرا فى الاتجاه نحو اذابتها ٠

ان توضيح هذا الجانب فى الخطة أمر أساسى ، خاصة وان البلاد سوف تمر خلال العشر سنوات القادمة فى فترة من أخطر فترات تطورها ننتظر فيها أن تزيد الامبريالية من هجومها وان اختلفت صور الهجوم ٠

الخطة ونقاط أخرى عديدة

لا يمكن أن نصف ما جاء بالخطة نحو الامية وازالتها الا أنه تراجع عن ما جاء فى برنامج العمل الوطنى . فالتحرك الضئيل من اتاحة الاماكن بالمدارس فى المرحلة الاولى من ١ر٧٨ فى المائة من عدد الاطفال فى سن الالزام الى ٨ر٧٩ فى المائة يعنى أنه سوف تمضى سنوات الخطة العشرية دون أن يتاح اعطاء أطفالنا حق التعليم فى المرحلة الاولى فحسب ، ناهيك بالملايين التى تركتهم السنوات الماضية من أطفال سوف يعيشون فى هذا المجتمع الى ما بعد نهاية القرن الحالى ، اى أن يأتى بنا القرن الحادى والعشرين والامية مازالت تنتشر بنسبة لا بأس بها فى مجتمعنا . لقد جعل برنامج العمل الوطنى من قضية محو الامية قضية محورية لما تعنيه فى عديد من الاتجاهات ومع ذلك لا يقدم الواقع المعروض املا فى نقل آمال هذا البرنامج الى الواقع وهى الرسالة الاولى للتخطيط .

وحين يشير البيان او الخطة الى تخصيص مليونين لايفاد المبعوثين الى الخارج ،فانه ليس فى هذا ما يمكن أن يؤدى الى طمأنة على حسن استغلال الموارد طالما لم يكن ضمن اطار خطة خاصة لتوفير القوى العاملة التى تستلزمها خطة التطوير كلها . ان الايفاد الى الخارج ليس هدف فى حد ذاته ، والا صار تبذيرا ما لم يرتبط باحتياجات فعلية ليعود المبعوثون حيث يمكن ان يستفاد بما استثمر فيهم من ثروة البلاد بدلا من الوضع الحالى الذى يؤدى الى عدم الاستفادة الفعلية بالكثير منهم أو بدفعهم الى الهجرة حيث نفقد بهذا ثروة كبيرة تتمناها الدول الكبرى ذاتها .

وفى عصر وموقف وطنى نرى فيه من الضرورة الانفتاح ما أمكن على المجتمع العربى ، ونسير خطوات فى اتجاه الاتحاد والوحدة لا تفرد الخطة مجالا يمكن أن نستشف منه امكان التنسيق الاقتصادى مع دول الاتحاد او مع دول عربيه اخرى . والخطير فى اغفال هذا الجانب اننا قد نسير فى اتجاهات تتعارض مع ما يمكن ان يوجد من ارتباطات اقتصادية مستقبلا هى الاساس الفعلى لاى اتحاد او وحدة لن تعيها الشعارات والعواطف قدر ما يوجد الاساس المادى لها وهو التكامل الاقتصادى .

وبالاضافة الى ما سبق ، نجد اننا نفتقد فى الخطة عديدا آخر من مقوماتها الاساسية مثل الموقف من الادخار العائلى ، ونصيبه من حجم الادخار الضخم الذى تستلزم الخطة العشرية توفره ، ومثل الادخار الذى يكونه القطاع العام خاصة ، وتدل ارقام ١٩٧٣ على تواضعه الشديد بالنسبة للرأسمال المستثمر فيه ، ولا تقدم الخطة اى دراسة أو وضوح عن الانتاجية وكفاءتها . والتقدم الفنى ومدى ما يمكن أن يعول به عليه ، خاصة وقد أثبتت الدراسات فى عديد من الدول المتقدمة والنامية ان الكفاءة الانتاجية والتقدم الفنى يمكن أن يقدم عائدا للناتج القومى أكثر مما يقدمه الاستثمار المالى وحده .

واخيرا فانا نرى ان الخطة المعروضة ينقصها الكثير مما يجب أن تقدمه واضحا ومحددا . ويقيننا أن جهاز وزارة التخطيط وهو الذى يصل الى بضع مئات عديدة من الخبراء ، قادر على أن يحقق كل الامال المعقودة على التخطيط كوسيلة اساسيه لبناء المجتمع الذى نريد ،لا ان تكون حصيلة عمله شيء أشبه منه بالموازنة من الخطة ، خاصة اذا ما ارتبط عمله بنشاط واسع من الجهاز السياسى سواء فى تحديد الاسس التى يجب أن نحققها الخطة والتخطيط أو فى نشرها جماهيريا اخذا وعطاء ، اخذا من الجماهير آراءها واندفاعها وعطاء لها فى اقناعها وتوضيح المستقبل امامها ، حتى يصبح التخطيط فى حياة المجتمع فلسفة يتسع الايمان بها كل يوم ،وسياسة تتبع فى كل المجالات .

اليمن الديمقراطية من داخل اليمن الديمقراطية

د. محمد حسن

اهتمت ((الطليعة)) فى أعـداد سـابقة ، بتقـديم أكثر من ((تحقيق سياسى)) عن بعض الدول العربية .. ففى عدد أغسطس ١٩٦٩ : قدمت ((السودان من داخل السودان)) ، وفى عـدد يناير ١٩٧٣ ، قـدمت ((العراق من داخل العراق)) . وتعتز ((الطليعة)) بالتحقيق الذى قدمته من مواقع المقاومة الفلسطينية ومعايشة كوادرها فى قواعدها التى شغلتها بالاردن ، وذلك فى عدد مارس ١٩٧٠ بعنوان ((انسان الثورة الفلسطينية : الواقع الجديد والمواجهة المسلحة ــ تحقيق سياسى من واقع المقاتلين)) .

كان ذلك ، فى اطـار ماوعدت به ((الطليعـة)) من تقـديم دراسات عن الواقع العربى ومشكلاته وآفاق تطوره ، من خلال بعثات لمحرريهـا الى البـلاد العربية .

وفى هـذا العـدد ، يكتب الدكتور محمد حسن : ((تحقيقا سياسيا)) من داخل اليمن الديمقراطية ، حيث شغلت بأحداثها وتطوراتهـا الداخلية من جهة ، ثم بأحداث الحدود ومحادثات الوحـدة مع الجمهورية العربية اليمنية ، شغلت اهتمام الرأى العام فى مصر كما فى سـائر أنحاء الوطن العربى .

١ الموقع السياسى

الباب الخلفى للشرق الأوسط

تقع اليمن الديمقراطية فى الركن الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية ، وتمتد من جزيرة ميون (بريم) فى باب المندب عند المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ، وتمتد بطول ١٢٠٠ كيلو متر على خليج عدن والمحيط الهندى ، وتضم مجموعة من الجزر تمتد الى مساحة طويلة فى البحر الاحمر ، ويقع بعضها على ساحل عمان أو قرب القرن الافريقى الى الجنوب . ويجاورها الجمهورية العربية اليمنية ، والمملكة العربية السعودية ، وسلطنة مسقط وعمان فى حدود غير ثابتة ، أو واضحة المعالم ، ويواجهها من الجانب الافريقى ، الحبشة واريتريا والصومال ٠

وهى جزء من اليمن الكبير الذى يحدده البعض بأنه يمتد من جنوب الحجاز ، ويمتد الى عمان فى الجنوب الشرقى من الجزيرة العربية ، ويعتمد هؤلاء فى تحديدهم على نوع الحكم ، واللهجة ، والحضارة التى سادت هذه المنطقة منذ ألف سنة قبل المسيح ٠

ولم يخضع هذا الجزء من اليمن الكبير للحكم المركزى الا لفترات قليلة ، سواء خلال حكم العباسيين ، أو سيطرة الامامة أو الحكم التركى ، ويرجع ذلك الى طبيعة الحكم القبلى من ناحية والى بعد المنطقة عن مركز الحكم فى صنعاء ، والمذهب الذى تدين به القبائل من ناحية أخرى (قبائل الجنوب شافعية ، وتسود الزيدية فى الشمال) هذا بالاضافة الى قرب الجنوب من الساحل وما أدى اليه ذلك من زيادة ارتباطه بالعالم الخارجى كالصومال والحبشة ، والهند وماليزيا واندونيسيا ٠

وحتى قبل السيطرة البريطانية على المنطقة لسنوات طويلة ، كانت مناطق لحج ، وحضرموت والمهرة يسودها حكم قبلى محلى ، ولم تكن سيطرة الائمة تتجاوز كثيرا المناطق المحيطة بصنعاء ، وتمتد غربا الى ميناء الحديدة ومخا الى الجنوب منها ٠

لقد كانت منطقة اليمن ، وبالاخص القسم الجنوبى منها ، موضع اهتمام خاص لكل من كان يحاول السيطرة على التجارة بين الشرق والغرب ، او يرى ضرورة تحريرها ٠ وحتى وقت قريب كان الاهتمام مركز على عدن ، باعتبارها احدى القلاع التى تحمى الطريق البحرى لشريان الامبراطورية البريطانية ، والتى كانت تمتد من جبل طارق الى مالطة فقبرص فقناة السويس فعدن ٠ ولم تكن بريطانيا هى أول من اكتشف أهمية الجنوب اليمنى ، فسلسلة محاولات السيطرة على المنطقة أو تحييدها تمتد فى الماضى الى عهدالفراعنة ، ويذكر بعض الكتاب أن المصريين القدماء كانوا يحتفظون فى البحر الاحمر باسطول لضمان حرية التجارة مع الشرق الاقصى ، الذى برزت أهميته بوصل البحرين الاحمر والابيض عن طريق النيل فى عهد الاسرة الثانية عشرة ، وبعد ذلك فى عهد سيزوستريس ، وان كان من المؤكد أن الاسطول البحرى المصرى كان يجوب البحر الاحمر فى القرن الثالث قبل الميلاد أيام بطليموس فيلارلغوس لضمان حرية التجارة ، ويشير التاريخ الى محاولة السيطرة على مراكز المر والبخور واللبان فى اليمن بقيادة أوليوس جالوس فى عهد أغسطس ، وتوقفها عند مأرب ، وتشير القصص الى جاليات مصرية ، ويونانية وفينيقية أسكنت جزيرة سوقطرة للحيلولة دون لجوء القراصنة اليها ، ولاتخاذها محطة لتموين السفن فى الطريق الى الهند ٠ وكانت اليمن ، وبالذات قسمها الجنوبى فى برنامج التوسع الحبشى والفارسى قبيل الاسلام كجزء من مخطط السيطرة على تجارة الشرق الاوسط ٠

وفى التاريخ المعاصر حينما قام التسابق بين العثمانيين والبرتغاليين على المراكز البحرية ، استولى البوكريك البرتغالى على سقطرة سنة ١٥٠٧ ، وحاول السيطرة على عدن فى محاولتين فاشلتين فى سنة ١٥١٣ ، سنة ١٥١٦ ، فى الوقت الذى كانت تركيا تدق أبواب الشام وتهدد مصر ، ونجح الاتراك فى احتلال عدن سنة ١٥٣٨ ، واقفلوا البحر الاحمر لحوالى قرنين فى وجه قوافل

الغرب • وبدأ التسلل البريطاني للمنطقة عن طريق ارسال سفن شركة الهند الشرقية فى رحلات قصيرة الى عدن •

ومنذ سنة ١٦٠٩ ، نجح بعضها ، وفشل البعض وتمكنت بريطانيا عن طريق نفوذها على تركيا استصدار فرمان يسمح لها بالتجارة الحرة مع الامبراطورية العثمانية فى سنة ١٦١٨ ،وقد مكنها ذلك من اقامة أول مركز تجارى فى تلك السنة فى مخا ميناء البن اليمنى ، التى أصبح لبريطانيا النصيب الاكبر فى تجارته فى سنة ١٧٧٠ ، وقد تدخلت بريطانيا بعد ذلك فى النزاعات القبلية التى كانت تضطرب بها اليمن . فكانت من جهة تناصر الامام ، ومن جهة تناصر بعض زعماء القبائل ، وفى المظهر العام تحاول استرضاء تركيا • فقد عاونت الامام سنة ١٧٧٢ للقضاء على بعض الاضطرابات فى صنعاء ، وأيدت سلطان لحج فى حركته الانفصالية ، واظهرت عداوتها لمحمد على لخروجه على تركيا •

لقد وضع احتلال نابليون لمصر سنة ١٧٩٨ بريطانيا فى مركز المواجهة والتحدى ، فأسرعت بتأمين مدخل البحر الاحمر لمنع وصول الفرنسيين الى المحيط الهندي ، فأحتلت جزيرة ميون فى باب المندب سنة ١٧٩٩ ولكنها اضطرت الى تركها بعد شهور قليلة لصعوبة الحصول على الماء ، فاتجهت الى مخا وحصلت من الامام على وجود مقيم لها فيها سنة ١٨٠١ ، وحاولت عقد معاهدة تجارية مع الامام لضمان عدم تسلل الفرنسيين ، ولكن الامام رفض ووعد بمنع السفن الفرنسية من استخدام الشواطىء اليمنية • فأتجهت الى سلطان لحج الذى أعلن فى سنة ١٨٠٢ أن لبريطانيا حرية استخدام ميناء عدن ، واعلن حمايته لرعايا بريطانيا فيها •

وحينما اتجه محمد على لتوسيع نفوذه من الحجاز جنوبا الى اليمن فى سنة ١٨١٨ أحست بريطانيا بما يمكن أن يهددها من وجود قوة لها وزنها فى المنطقة ، فأسرعت بعقد اتفاقية مع الامام سنة ١٨٢١ لتسهيل التجارة ومعاملة الرعايا والمصانع الانجلزية فى مخا ، واتفقت مع سلطان القعيطى على اقامة مركز لتموين السفن فى المكلا (ميناء حضر موت) سنة ١٨٢٩ • وطرد ابراهيم باشا البريطانيين من مخا بعد استيلائه عليها فى سنة ١٨٣٣ فحرضوا عليه تركيا ولكنهم لم ينجحوا ، وحينما زاد نفوذ محمد على اتجهت بريطانيا الى احتلال سقطرة سنة ١٨٣٤ ، ولكنها اضطرت لتركها لاجتياح الوباء لحاميتها فتحولت الى عدن سنة ١٨٣٧ ولكنها فشلت فى الاستيلاء عليها ، وان كانت قد نجحت بعد ذلك بسنتين تحت المعاذير المعروفة ، وهى اساءة معاملة بحارة السفن الذين نزلوا الى الميناء والاستيلاء على حمولتها •

وقد كان استيلاء بريطانيا على المنطقة حافزا لفرنسا وايطاليا بعد ذلك لاستعمار بعض المناطق المواجهة فيما عرف باريتريا ، والصومال على الجانب الافريقى المقابل وذلك فى الفترة من ١٨٥٦ الى ١٨٨٩ •

وقد تمكنت بريطانيا من السيطرة على جنوب اليمن بضربها القبائل والسلطنات ببعضها ببعض ، والحصول على اتفاقات تعاون أو حماية فى الوقت الذى تدهور فيه مركز تركيا وانشغل الائمة بالصراعات الداخلية • وزادت قبضتها بعد نمو الفاشية الايطالية فى المنطقة وامضاؤها معاهدة صداقة مع الامام سنة ١٩٢٦ ، واستيلائها على الحبشة سنه ١٩٣٥ ، وبعد تحرك الهند نحو الاستقلال ، عملت بريطانيا على عقد المعاهدة المعروفة مع مصر سنة ١٩٣٦ ، وفصلت ادارة عدن عن حاكم الهند ولكنها ضمتها لمنطقة نقد شرق افريقيا سنة ١٩٥١ ، ودعمت معاهدات الاستشارة مع سلاطين القعيطى والكثيرى (حضر موت) فى سنتى ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ بما يعطيها الحق فى التدخل فى جميع شئون السلطنتين عدا الدينية منها والقضائية • وفى هذه الفترة فقط أدركت بريطانيا انه لامفر من أن تحكم المنطقة محليا ، وتحظى بنظام مستقر يمكنها من التطور ، وأكدت ذلك ظروف الحرب العالمية الثانية ، واضطرار بريطانيا للجلاء عن مصر ، واخراج قواتها من كينيا بعد نجاح ثورتها ، فتركزت القوات البريطانية فى عدن ، ووضعت مشروعات اعادة تنظيم المنطقة بما يسمح باقامة دولة اتحادية فى اطار الكومنولث البريطانى ، وانشاء وحدة نقد مستقلة تتبع الاسترلينى كانت متأخرة ، وعصفت رياح الثورة باليمن ، ونجحت فى الاطاحة بنظام الامامة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، واستقلت ثورة الجنوب فى ١٤ أكتوبر من العام الثانى واستمرت متأججه حتى جلت بريطانيا نهائيا عنه فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، ولم يكن خروجها بالامر الهين ،ففى الوقت الذى كانت تعد فيه العدة للخروج كانت ترقب الجيش المصرى فى الشمال ، ووضعت الخطة بحيث تحتفظ بريطانيا قرب الميناء بحاملة جنود، او بوحدات من القاذفات المقاتلة لمواجهة أى تدخل من الخارج عند خروج قواتها ، ويتنفس « ترفليان » الحاكم العام الصعداء حينما يجد الوحدات المصرية تنسحب الى مصر ، كما يشير فى كتابه عن «الشرق الاوسط فى ثورة » ويذكر ترفليان على لسان بعض الانجليز انهم كانوا مواجهون بكارثة ، وكاد الموقف أن يتحول الى فيتنام أخرى ، يشتد فيه القتال وينتهى بالانسحاب

وتدمير عدن ؟ وان الموقف ازداد حرجاً بعد الحرب العربية الاسرائيلية •

غير أن القضية لم تنته بعد ، ولم تترك الحكومة الوطنية لتعيد بناء ماخربه الاستعمار ، فالبلاد فى مركز استراتيجى حساس ، ولهذا اخذت تواجه منذ اللحظة الاولى بحصار من قوى الاستعمار والرجعية ، لقد حاولت بريطانيا أن تخفف من اثر تحكم اليمن الديمقراطية فى مداخل البحر الاحمر ، فسلمت جزر كوريا موريا لسلطنة مسقط وعمان ، وسلمت مجموعة جزر حانش وزقر وأبو زعبل والزبيد والطير للحبشة ، وتتردد الانباء عن تأجير بعضها للولايات المتحدة واسرائيل • ويشير ترفليان ان اتجاه بريطانيا قبل الجلاء كان تحويل « ميون » الى جزيرة دولية حتى لاتستخدم فى اقفال البحر الاحمر ، وعدل عن ذلك ، ويبدو أن ذلك كان على أمل امكان السيطرة على البلاد فى المستقبل • والان تدخل اليمن الديمقراطية بصورة أكثر وضوحا فى مجال الصراع للسيطرة الاستعمارية على الشرق الاوسط ، أو على الاقل تأمين المواقع البترولية واستمرار الحكم الرجعى فى بعض المناطق ، وتشير الاتجاهات العامة إلى ان الخطة الاستعمارية الجديدة للاحاطة بالشرق الاوسط ترمى الى ربط اليونان بتركيا وايران من جهة ، وربط ايران بمنطقة الخليج بالسعودية ، بالاردن ، بالسودان ، بالحبشة ، بالمغرب منجهة اخرى ، بما يضع دولة الاتحاد العربى والجزائر بين فكى كماشة ، وهناك محاولة أخيرة لربط اليمن شماله وجنوبه بهذا المخطط ، ويشير لمعلقون الى أن زيارة روجرز للمنطقة خلال لصيف كانت لهذا الهدف .ولهذا كانت المناوشات على الحدود بين شطرى اليمن متوقعة مما ادى الى مواجهتها بحزم وفشلها حتى الان •

٢ صراعات مابعد الاستقلال

الاشتراكية العلمية:

طريق الخلاص من التخلف والقبلية والامبريالية

لم تكن ظروف اليمن الديمقراطية سهلة بعد الاستقلال ، فقد كان على الحكومة الوطنية أن تواجه بمشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية ضخمة ، حقيقة لقد فر السلاطين والامراء وكبار المشايخ فور الاستقلال ، وتبعتهم القوى المناوئة للجبهة القومية التى سيطرت على مقاليد الامور ، غير أن ذلك لم يكن يعنى انتهاء النظام القبلى ، الذى حرصت بريطانيا على الابقاء عليه تحت شعار عدم التدخل فى الشئون الداخلية ، لانه كان يضمن لها حالة التوازن التى تريدها ، ولم يكن هذا النظام بتقاليده وعاداته ، ونظمه وقوانينه الا معرقلا لكل محاولة نحو اقامة مجتمع عصرى ، يعتمد على وجود حكومة مركزية ، وأسلوب موحد للحكم ، وكانت سلطنة القعيطى والكثيرى (حضرموت) تتمتع بنظام مالى وادارى مستقل ويخضع المواطن فى الذهاب اليها الى اجراءات جمركية ، كما لو كان آتمن بلد أجنبى ،وكان المقيم يدفع الرسوم والضرائب ما لا يدفعها المواطن فى مختلف أجزاء البلاد •

وكانت فصائل **الجيش** والامن يدعو موقفها الى كثير من التساؤل فقد رجحت فى المراحل الاخيرة للثورة كفة **الجبهة القومية على جبهة التحرير** ، غير أن تكوينها القبلى ، والطريقة التى تحولت فيها من الولاء للانجليز ثم للقوى الغالبة ما يدعو الى الشك فى الاطمئنان اليها ، وقد تكشف موقفها فعلا خلال أزمة مارس سنة ١٩٦٨ حينما اتخذ المؤتمر الرابع للجبهة القومية قرارات تنحو نحو الاشتراكية العلمية ، اذ تدخلت بعض وحدات الجيش ، وانقضت على من اعتبرتهم الجانب اليسارى فى الحكم ، واعتقلتهم ، وفرضت اخراجهم من السلطة ،واتخذت موقف الانتظار فى

ازمة يونيو سنة ٦٩ حينما اشتد الصراع بين شطرى التنظيم السياسى ،ولعل ذلككان بهدفأن يؤدى الصراع الى أضعاف الجميع وامكانية سيطرته على الحكم.

وواجه الحكم بالتناقضات الحادة فى التركيب الاجتماعى ، والتباين الكبير فى المستوى الحضارى بين فئات الشعب وبين المناطق وبعضها . واذا استثنينا العاصمة ، نجد أن العلاقات الاجتماعية خارجها لم تكن لتختلف كثيرا عما نعرفه عن النظم الاقطاعية أو حتى السابقة على الاقطاع ، وفى الوقت الذى كان يسمح لمواليد عدن بالحصول على قسط طيب من التعليم وعلى حساب الدولة ، كان عدد المدارس فى مختلف انحاء البلاد محدود ، وذو أثر باهت على المستوى الثقافى فيها وتتراوح نسبة الامية فى هذه المناطق بين ٨٥ فى المائة و ٩٠ فى المائة . وكان المستوى الصحى فى الريف على درجة عالية من التخلف ، ولا تعرف كثير من المناطق المستحضرات الطبية الحديثة ، بل ولم تر أى نوع من الاطباء .

أما التركيب الاقتصادى فقد كان غريب الشأن فكيان البلاد كأن يقوم على حرية التجارة ، وتسهيلات الميناء ، وخدمات القاعدة البريطانية ، وكانت التجارة ، والبنوك ، ومختلف الخدمات الاخرى مركزة فى فئة قليلة من الاجانب ، ومع الاستقلال واجهت الحكومة بحالة تشبه الانهيار فى الكيان الاقتصادى ، فقد اغلقت قناة السويس نتيجة الحرب العربية الاسرائيلية وتقلص عدد السفن العابرة الى حوالى الخمس ، وذاب مصدر التمويل الذى كان يرد نتيجة وجود القاعدة ، واتجه الاجانب وكبار أصحاب الاموال الى تهريب مايمكنهم تهريبه من أموال الى الخارج ، وواجهت الحكومة انخفاضا فى الدخل القومى بلغ حوالى الثلث . وعجزا فى الميزانية العامة للدولة بلغت نسبته حوالى ٥٨ فى المائة من قيمة المصروفات ، وعجزا فى ميزان المدفوعات مع الخارج قدره حوالى الخمس . وارتفعت معدلات البطالة فى العاصمة الى حوالى ربع القوى العاملة وأكثر من نصف تلك القوى فى الريف .

وكانت الجبهة القومية التى قاومت الاستعمار ، وطردته من البلاد تضم بين جوانبها تناقضات التكوين الطبيعى لحركات التحرير ، وقد أخذت تلك التناقضات تطفو على السطح حينما أصبحت الجبهة فى الحكم . فقد كان يدور فيها صراع بين أسلوبين للعمل ، الاول يرمى الى التطور الاجتماعى والاقتصادى بالشكل التقليدى المتعارف عليه من تشجيع الاستثمار الخاص وتحويل اقتصاد الخدمات الى اقتصاد انتاج ،والعمل على بهيمنة المشروعات الاساسية ، اما الثانى فكان يرى انه لا مفر من أحداث تغيير جذرى فى العلاقات الاجتماعية ، وذلك بتأميم المشروعات الكبيرة والمتوسطة والاعتماد على القطاع العام فى تطوير الاقتصاد القومى وتصفية جهاز الدولة والامن من العناصر المضادة . وفوق هذه المشاكل كلها كان على الحكومة الوطنية أن تواجه بالحركات المضادة عبر الحدود والتى كانت تعمل من ناحية على اشغاله عن السير فى تحقيق ما يرجوه من تطبيق نظام ديمقراطى حتى لا يزعجها وتدرك من ناحية اخرى أن هناك احتمالات بترولية فى بعض اطراف البلد ، ويهمها فصلها لضمها اليها ، أو على الاقل ايقاف أى تفكير فى التنقيب فيها ، وكانت غارات الحدود تشن على فترات متقاربة على طول حدود البلاد المترامية .

وفى نفس الوقت كان النظام لا يفتأ مصرا على الدعوة لوحدة التراب اليمنى ، بالرغم من ادراكه لطول أمد الانفصال ، وما أدى اليه من تباين فى الاوضاع العامة ، بل ومن وجود اختلاف فى مسار الاهداف الاجتماعية بين الشطرين .

وقد مر نظام الحكم منذ الاستقلال حتى اليوم بمرحلتين متميزتين ، استمرت الاولى لمدة تقل عن سبعة اشهر ، وبدأت الثانية من ٢٢ يونية سنة ١٩٦٩ .

وتميزت المرحلة الاولى من الحكم بعد الاستقلال باعادة تنظيم جهاز الدولة وترتيب أوضاعه بعد ترك الانجليز له وتقسيم البلاد اداريا الى محافظات ست كخطوة نحو القضاء على أسلوب الحكم القبلى والعشائرى .. وتطعيم قوات الجيش والامن بعناصر جديدة من تلك التى اشتركت فى الثورة ، بالاضافة الى انشاء ما يسمى بالجيش الشعبى من فصائل قوات الثورة ، والعمل على الارتفاع بالمستوى الصحى والتعليمى ، وعقد الاتفاقات الاقتصادية مع عدد من الدول الاشتراكية بهدف تنمية موارد البلاد الاقتصادية ، ومحاولة ايجاد نوع من الموازنة عن طريق خفض مرتبات العاملين فى الدولة وكانت قد رفعت قبل الاستقلال بدرجة كبيرة (بلغت نسبة الارتفاع فى فئات المرتبات المختلفة بين ٣٠ فى المائة ، ٦٠ فى المائة بين سنتى ٥٨ ، ٦٥) وقد خفضت فى فبراير ٦٨ بنسب متصاعدة تتراوح بين ٦فى المائة ، ٦٠ فى المائة بما يؤدى الى عدم زيادة الحد الاعلى للمرتب عن ١٠٠ دينار فى الشهر) .

وخفضت الدولة المصروفات الادارية بشكل واضح ، ولم تلزم نفسها بمعاشات من كانوا يعملون مع أجهزة الحكم السابقة (تولت بريطانيا مسئولية دفع معاشات هؤلاء الافراد) وزادت

الضرائب على السلع الايرادية التقليدية وهي القات والخمور والسجائر (خفضت المصروفات في ٦٨ ـ ٦٩ بحوالي ٢٥ في المائة عنها في سنة ٦٦ ـ ٦٧ ، وزادت ايرادات الدولة في نفس الفترة بحوالي ١٠ في المائة) واتجهت الى تحديد أسعار السلع الضرورية ، وانشأت شركة مختلطة للتعامل في تلك السلع .

واصدرت قانون الاصلاح الزراعي لتزيد فئات المنتفعين بالارض ، وتعوض من سبق تضررهم من حرب التحرير ، ولكسب فئة من المزارعين عاشت طويلا تحت سطوة كبار الملاك والاقطاعيين ،وفي نفس الوقت عملت على التفاهم مع عدد من البلدان الاشتراكية لتنمية موارد البلاد الانتاجية . وقد وصل البلاد العديد من البعثات الاستكشافية لدراسة امكانيات البلاد • كما أخذت تعد العدة لاستصدار تشريع بتشجيع الاستثمار الصناعي ، واجتذاب رأس المال المهاجر والاجنبي • ولم يغب عن بالها في نفس الوقت ان تدرس امكانية بيمنة المشروعات الاساسية أو تأميمها • وأخذت تعد العدة لوضع دستور دائم للبلاد يتحدد فيه شكل علاقات القوى في المجتمع . غير أن الحكومة لم تلبث أن اصطدمت بالجناح اليساري في التنظيم الذي كان يرى أن عمليات التغير الاجتماعي والاقتصادي لا تسير بسرعة وان استمرار الحكومة في سياسة المهادنة قد يؤدي الى تمكين طبقة البورجوازية المتوسطة والصغيرة من السيطرة على مقاليد الامور كما حدث في بعض بلدان العالم النامي •• كما خشى هذا الجناح أيضا من أن يؤدي الاخذ بمشروع الدستور الذي كادت الحكومة أن تفرغ من اعداده الى تعقيد الامور في البلاد ، واضعاف الديمقراطية •. وكان يشير هذا الجناح باستمرار الى سلسلة من التصرفات التي تثير الشك حول هدف الجهاز الحاكم الى تدعيم مركزه، واقصاء الاخرين عن السلطة ، منها الخضوع لبعض تيارات الجيش ذات العلاقات المشبوهة والتي فرضت اخراج مجموعة من الوزراء باعتبارهم يساريين ، ومنها ايقاف عقد اجتماعات اللجنة التنفيذية للتنظيم ، واصدار بعض المؤيدين للوزارة لمنشورات مضادة لزملائهم وتحرض بهم •• ومنها أيضا انشاء جهاز للمخابرات يتبع رئيس الدولة مباشرة واتجاه رئيس الجمهورية الى تجميع السلطة في يده بالقيام بجولات في بعض الوزارات ومعسكرات الجيش دون اخطار الوزراء المسئولين ، وكانت النقطة الحاسمة التي فاض بها الكيل ، واعقبت اخراج بعض الوزراء الذين اختلفوا مع رئيس الجمهورية ، اقالة وزير الداخلية بشكل مثير ، كل ذلك دون الرجوع للتنظيم باعتباره السلطة الدستورية العليا المؤقتة ، فأصرت اللجنة التنفيذية العليا على عقد اجتماع للتنظيم الذي طلب الوزير المقال الاحتكام اليه ، وتمخض الاجتماع الذي استمر ثمان وأربعين ساعة متصلة عن قبول استقالة رئيس الجمهورية . وكذلك الوزارة ، والغاء منصب رئيس الجمهورية وتشكيل مجلس رئاسة من سبعة ، خفض بعد ذلك الى ثلاثة ويضم رئيس مجلس الرئاسة ، وسكرتير عام التنظيم ورئيس الوزراء •

وقد اعتبرت عملية التغيير هذه خطوة تصحيحية لمسار الثورة اندفعت الامور بعدها في مسار اشتراكي متكامل الملامح ، وان كان يبدو للبعض أنه سابق لاوانه في بعض خطواته •

ومن السمات البارزة لهذه المرحلة :

١ ـ اعادة تنظيم اجهزة الدولة ، وبالاخص الجيش والامن والتخلص من العناصر المشتبه في ولائها •

٢ ـ اعادة النظر في قانون الاصلاح الزراعي حتى لا يكون توزيع الارض وسيلة لخلق طبقة جديدة من الملاك .

٣ ـ تأميم المشروعات الانتاجية والمساكن وتشجيع العاملين في بعض القطاعات على الانتفاض على أصحابها والاستيلاء عليها لحساب الدولة او لحساب التنظيمات التعاونية •

٤ ـ اقامة المؤسسة الاقتصادية كركيزة للقطاع العام •

٥ ـ وضع خطة شاملة للتنمية واضعاف نظام اقتصاد الخدمات •

٦ ـ اصدار الدستور وتكوين أول مجلس نيابي •

٧ ـ مواجهة عجز الميزانية باحداث خفض جذري في المرتبات وفي المصروفات الادارية .

٨ ـ اتخاذ سياسة واضحة تجاه التوسع في التعليم بمختلف مراحله والاهتمام بالصحة العامة •

٩ ـ تدعيم العلاقات الاقتصادية والسياسية مع المجتمع الاشتراكي والدول العربية التقدمية •

١٠ ـ دفع المواطنين للاهتمام بالمشروعات العامة وتعبئتهم للمساهمة فيها .

١١ ـ العمل بقوة وحزم لمواجهة الصراعات الخارجية ، وتأكيد الوحدة اليمنية •

ولضيق المجال سنجتزىء ببعض الانجازات فى هذه المجالات حتى تكون الصورة أكثر وضوحا لنا :

● ●

لن نحاول أن نرتب هذه الانجازات ترتيبا زمنيا وانما فى ثلاث اطارات : التركيب الاجتماعى والتنظيم الاقتصادى ، والعلاقات الخارجية .

التركيب الاجتماعى :

حتى يمكننا ان ندرك معالم الصورة التى يرسمها نظام الحكم فى اليمن الديمقراطية علينا أن نعود الى برامج التنظيم السياسى وقرارات المؤتمرات التى عقدتها الجبهة القومية ، وندرس الدستور ونحلل الاتجاهات العامة فى التشريع .

فمنذ المؤتمر الرابع الذى عقد بعد الاستقلال بهدف تحديد اطار العمل بعد نجاح الثورة ، يتبين أن هناك اصرار من الغالبية العظمى لتنظيم الجبهة القومية على الاخذ **بالاشتراكية العلمية** كأسلوب عمل يمكن الانطلاق منه لتطوير المجتمع اليمنى وتنميته ، وبالشكل الذى يناسب ظروفه وأوضاعه العامة . ويشير برنامج التنظيم السياسى لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية الى أنه على ثورة اليمن « أن تناضل من أجل تطبيق الفكر الاشتراكى العلمى بصورة صحيحة وخلاقة » على واقع اليمن للتمكن من اعادة بناء المجتمع اليمنى الجديد ، ومن أجل خلق أفضل العلاقات الايجابية مع حركة الثورة العربية والعالمية « والتجربة هنا مسألة لها أهميتها لان الفكر الاشتراكى العلمى لا يمكن أن يؤخذ بشكل مجرد عن الواقع والتجارب الاشتراكية ، ولا يمكن النظر الى التجارب كقوالب آلية يمكن استيرادها ، فأسلوب الاشتراكية يجب أن يستمد من الواقع ، ونتيجة تفاعل عناصر المجتمع ، وبهذا الاسلوب وحده يمكن أن ينجح التطبيق ويرى الفكر الاشتراكى نفسه .

والاشتراكية بالمفهوم السابق هى تلك التى تعمل على تحقيق « الملكية العامة لوسائل الانتاج لكل المستغلين والمضطهدين ، وتكسر كل القيود التى تكبلهم لينطلقوا فى عملية الخلق والابداع » ولتحقيق التطور والرخاء للمجتمع .

وتتم الاشتراكية عن طريق تثبيتها « لسلطة جماهير الكادحين وتمكينها اياهم من ممارسة الديمقراطية السياسية والاجتماعية » ولكن تحقيق هذا الهدف يعنى أن « تحويل النشاط والعلاقات الكبيرالدورية الى نشاط وعلاقات اقتصادية انتاجية وطنية ، ضرورة اساسية » .

وتستفيد الجبهة القومية فى عملها من تجارب البلدان النامية وتدرك أنه من العبث اجراء تجارب ظهر خطؤها وخطرها . فتجد أن مرحلة الثورة الوطنية تشير الى ان تجارب البلدان النامية التى قامت فيها تحالفات وطنية ديمقراطية تحت قيادة البورجوازية الصغيرة فى كل برامجها الاقتصادية والسياسية تثبت بالملموس ان هذه البوجوازية الصغيرةقد قادت ثورتها الوطنية الى طريق مسدود ، والى عجز واضح لها عن تقديم المعالجات الجذرية للمشاكل، فضلا عن تذبذبها ، واخذها بأساليب العسف والاضطهاد ضد الطبقة العاملة وحلفائها .

والقاعدة العريضة التى يعتمد عليها التنظيم فى تحريكها هى « الفلاحين المعدمين والفقراء والمتوسطين » باعتبارهم « أكثر الحلفاء صدقا واخلاصافى تحالفهم مع العمال » ويتم ذلك عن طريق قيادة الحزب الطليعى وديكتاتورية الديمقراطية الشعبية المنظمة ، باعتبارها التحقيق الفعلى لديمقراطية العمال والفلاحين وفى ظل تقدم اشتراكى عام لا يمكن الفصل بين السلطات فى جهاز الدولة كما هو الحال فى النظم الرأسمالية القائمة على الصراع الطبقى ، ويؤكد البرنامج أن سلطات الدولة كل لا يتجزأ على الاطلاق وتشكل بمجموعها وحدة متكاملة عضوية الترابط » .

من هذه المفاهيم صدر الدستور فى ١٧ نوفمبر ١٩٧٠ م الذى قد لا يخرج فى كثر من عناصره عن الاسس المأخوذة بها فى دساتير المجتمعات العربية التقدمية ، وان اختلفت عنها فى تأكيد الاخذ بالاشتراكية العلمية ، وتحديد أسلوبها .

يشير الدستور الى أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد وأن دينها الرسمى هو الاسلام وان لم يمنع ذلك من حرية الاعتقاد بأديان أخرى . وان قوى التحالف الوطنى هى « الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين والبورجوازية الصغيرة » .

ويشير الدستور الى أن الثورة الوطنية الديمقراطية تستكمل على أساس الاشتراكية العلمية لكى تمهد السبيل للقضاء على استغلال الانسان للانسان كلية » .

ويقضى الدستور بقيام مجالس شعبية فى الاقاليم ، وكمجلس شعب اعلى ، يتمتشكيلها جميعا بالانتخاب الحر . ويعطى الدستور الموظف الحق فى الترشيح للانتخابات وأن ينتخب دون أن تفرض عليه الاستقالة باعتبار أنه فى ذلك يمارس حقا من

حقوقه • وفى المجال الاقتصادى يشير الدستور الى أهمية تطوير الدولة للاقتصاد الوطنى وتحويله الى اقتصاد انتاجى •• والعمل على تحقيق توزيع عادل لثمرات المجتمع بين المواطنين ، وكل ذلك يتم فى اطار يكون لكل مواطن فيه حق العمل ، الذى اعتبره الدستور« واجب على كل قادر » ويتساوى فى حق العمل والاجر الرجال والنساء مع اعطاء العاملات رعاية خاصة وتأمين الظروف المناسبة للحوامل منهن • ولتحقيق المساواة تأكيد حق المواطنين فى التعليم والرعاية » أولئك الذين حرموا منه بحكم ظروفهم الاجتماعية « وفى مواجهة جهات القضاء ينص الدستور على أنه « على القاضى أن يحكم وفقا للمبادىء الوطنية الديمقراطية المتمثلة بروح الدستور وذلك فى الحالات التى لم يصادق فيها على قوانين وانظمة بعد ، أو فى حالة وجود قوانين سارية منافية لمبادىء الدستور •

وفى فصل الاسس الاقتصادية يشير الدستور الى تطوير الدولة للاقتصاد الوطنى وتحويله الى اقتصاد انتاج ، وضرورة توزيع ثروات المجتمع بشكل عادل بين المواطنين • كما يشير الى أن الدعائم الحيوية للاقتصاد الوطنى تقوم على ما اتخذ من تأميم للمشروعات الاجنبية ، وما تقيمه الدولة من مشروعات انتاجية او تعاونية ، غيرأن ضمان تحقيق الاهداف العامة يتطلب توجيه الاقتصاد القومى ومعه خطة عامة تعدها الدولة •

ولا ينفى الدستور الملكية الخاصة بل يعتبر أنها مسئولية اجتماعية « يجب أن لا يتعارض استعمالها مع الرفاهية العامة ، كما تنظم الدولة وتحمى حق الارث وتدعم القطاع الوطنى الخاص الانتاجى . وتعنى بصغار التجار والحرفيين والصيادين كما تشجع انشاء التعاونيات ولكن الدستور لا يسمح باستقلال الافراد للثروات الطبيعية ومصادر الطاقة •

ويؤكد الدستور أخذ الدولة « بمبادىء الامم المتحدة ، والاعلان العالمى لحقوق الانسان ويشير الى أن الدولة تساند حركات التحرر ضد الاستعمار والامبريالية • ولم يغفل علاقة اليمن بالمجتمع العربى فهو يؤكد ابتداء أن الشعب اليمنى شعب واحد وهو جزء من الامة العربية وان الدولة تؤكد توطيد علاقتها بالدول العربية التقدمية والشعوب والدول الاشتراكية والتقدمية والمحبة للسلام •• » •

وبشكل عام يعطى الدستور صورة مشرقة لمفهوم تشكيل العلاقات الاجتماعية فى دولة نامية لم تستقل الا حديثا ، وفى جو يثير حولها التوتر •

وتطبيقا للدستور صدر قانون بتشكيل مجلس مؤقت لمجلس الشعب الاعلى يتكون من ١٠١ عضوا منهم ١٥ من العمال وتنتخبهم منظماتهم • وقد عقد أول جلسة له فى منتصف مايو ٧١ ويضم المجلس قيادات تنظيم الجبهة القومية ومنهم ست سيدات ، وفى كلمة السيد سالم ربيع على رئيس مجلس الرئاسة فى الجلسة الافتتاحية للمجلس يؤكد « ان علينا جميعا أن نبنى مواقفنا على أسس الاشتراكية العملية والممارسة الديمقراطية المتماسكة » •

كانت اعادةتنظيم الجهاز الاقتصادى فى الدولة هو المدخل الاساسى لتطور علاقات الانتاج بعد الخطوة التصحيحية ، فبعد خمسة أشهر من تلك الخطوة وفى عيد الثورة الثانى صدر القانون المؤلم لاهم قطاعات الاقتصاد القومى والمنشىء للمؤسسة الاقتصادية كأساس لاقامة القطاع العام ، وربط هيئة التخطيط بالمؤسسة ،والحقبها مكتب الاحصاء المركزى • وكما جاء فى مقدمة القانون انه « يهدف تطوير الاقتصاد وتحريره من رأس المال الاستعمارى وانعاش رأس المال الوطنى وتحقيق الاستقلال الاقتصادى •• ولاحكام هيمنة الدولة على المرتفعات المسيطرة على الاقتصاد الوطنى والبدء فى بناء القاعدة الانتاجية الزراعية والصناعية البديلة الضرورية لتحقيق الاستقلال الاقتصادى »،وقدتضمنت اجراءات التأميم:

١ ـ تأميم البنوك وفروع البنوك القائمة فى البلاد وكان عددها ثمانية (٤ انجليزية ، واحد هندى ، وواحد باكستانى ، وواحد اردنى ،وواحد انجليزى يمنى) وقد أدمجت جميعها فى بنك واحد هو البنك الاهلى اليمنى برأسمال قدره ٥ ملايين دينار (المدفوع النصف) وأوكل اليه ليس تشجيع النشاط التجارى فحسب ، وانما تنمية الانتاج والاستثمار فى القطاعات الاقتصادية زراعية وصناعية •

٢ ـ تأميم الشركات التجارية الاجنبية وكان عددها خمسة وهى بين انجليزية وفرنسية وهندية وكانت هذه الشركات تحتكر التجارة مع الخارج وتمارس ضغوطا على البلاد فى فترة ما بعد الاستقلال ، سواء برفع أسعار السلع أو بالاستغناء عن العمال أو خفض أجورهم •• وكانت هذه الشركات تتاجر فى مختلف المواد من سلع غذائية ، الى سيارات ، وتكاد تنفرد باعادة تصدير الجلود والبن وغيرها من المواد •• وقد لوحظ بعد التأميم أن أغلبها فىحالة شبه افلاس نتيجة توزيعها لرأسمالها أو ترحيل جزء كبير منه الى الخارج ، وقد اعتمدت فى التشغيل على ما

تقترضه من البنوك . وقد حلت محل الشركات المؤممة شركتان واحدة للتجارة الداخلية والاخرى للتجارة الخارجية .. وهدفهما تطوير القطاع العام وضمان عدم احتكار السلع وتوجيه رأس المال الخاص الى الاستثمار الصناعى ، وقد حصر بشركتى التجارة استيراد المواد الاساسية كالدقيق والقمح والارز والمسلى والزيوت النباتية والسكر والشاى والسجائر والسيارات والادوية ، وطلبات الحكومة المختلفة .

٣ ـ تأميم شركات ووكالات التأمين وكان عددها ١٢ شركة كلها عدا واحدة كانت ضمن مجموعة الشركات التجارية الاجنبية المؤممة ، والشركة الباقية كانت فرع لشركة تأمين أمريكية . وقد أدمجت جميع تلك الشركات فى شركة واحدة هى الشركة الوطنية للتأمين واعادة التأمين برأسمال تدره ١٠٠٠٠٠ دينار ، وقد تم بموجب القانون أيضا تصفية ما لم يؤمم من وكالات التأمين .

٤ ـ تأميم شركات خدمات الموانىء ، وكانت ست شركات خمس منها تتبع مجموعات الشركات التجارية السابق الاشارة اليها والسادسة أجنبية ايضا . وقد ادمجت هذه الشركات فى شركة واحدة ومهمتها تنظيم وتخطيط قطاع الموانىء وخدماتها وهى شركة الملاحة الوطنية وتعمل فى مجال الملاحة مع عدد من الشركات الملاحية الصغيرة ، وتقوم الى جانبها شركة احواض السفن الوطنية وتمارس ترميم السفن والبواخر .

٥ ـ تأميم فروع شركات النفط الوطنية وكانت ٣ انجليزية و ٣ أمريكية . ودمج هذه الشركات فى شركة واحدة هى شركة النفط الوطنية التى تقوم بالاضافة الى مهام الشركات التجارية السابقة بانشاء شركة لاعمال استكشاف واستثمار النفط وفق البروتوكول المعقود بين اليمن الديمقراطية والجزائر (شركة صونا تراك) ولم يتضمن التأميم وقود البواخر والطيران ، وزيوتها باعتباره ذو طبيعة خاصة والتعامل فيه يتم مع الشركات الملاحية الخارجية .

ولم ينج من التأميم من الشركات الاجنبية حتى الان الا شركة البترول البريطانية التى تدير مصنع التكرير الضخم فى عدن وتقدر طاقته بحوالى ٨ر٥ مليون طن ، وشركة البرق واللاسلكى وهى شركة بريطانية أيضا وتربط البلاد ببعضها وبالعالم الخارجى .

ومن تقرير المؤسسة الاقتصادية عن الشركات المؤممة تبين عجز رأسمال تلك الشركات، وبلغ حسب تقدير المحاسبين حوالى ٣ر٥ مليون دينار ، مما اضطر الحكومة الى أن تغطى رؤوس أموال الشركات الجديدة . وقد قدرت الاستثمارات الثابتة فى نهاية مارس ٧١ فى مجموع الشركات السابقة ٢ر٤ مليون دينار ، وقد حققت ربحا عن مدة ١٦ شهرا مبلغ يقرب من مليون دينار اى بمعدل حوالى ٢١ فى المائة فى السنة وهو معدل مرتفع يوحى بكثير من التفاؤل ، ومن المقرر أن تصل أرباح تلك الشركات المؤممة عن السنة المالية ٧١ ـ ٧٢ الى حوالى ١ر٥ مليون دينار اى ضعف معدل العام الاول للتأميم ، وقد تبع توحيد البنوك تحويل مؤسسة النقد الى بنك مركزى باسم مصرف اليمن يهيمن ويوجه السياسة النقدية للبلاد .

وفى العام الثانى للتأميم عدل قانون الاصلاح الزراعى بما يؤدى الى مصادرة أراضى وممتلكات السلاطين والامراء والمشايخ وحكام وعملاء العهد الماضى وعائلاتهم وكذلك الاراضى التى منحت من قبل هؤلاء جميعا فى الفترة بين قيام الثورة (١٤ اكتوبر٦٣) وصدور قانون الاصلاح الزراعى الاول وكذلك اراضى الاوقاف كل ذلك بدون عوض وكذلك مصادرة الاراضى التى وضع اليد عليها بحكم السلطة والنفوذ ، والاراضى المهجورة لخمس سنوات قبل القانون ، وحددت ملكية الارض بعد ذلك على اساس ٢٠ فدانا فى الارض المروية، ٤٠ فدانا فى الارض البعلية وذلك للفرد أو الاسرة المكونة من الزوج والزوجة والاولاد القصر ، ووضع الحد ضعف ذلك للعائلة التى تضم أبو الزوج والاحفاد ويتم الاستيلاء على الجزء الزائد عن الحد خلال ثلاث سنوات ويدفع تعويضا لمن تم الاستيلاء عن أراضيهم زيادة عن الحد بسندات اسمية على الدولة ، قابلة للتداول والخصم فى البنوك ، وذلك للمتمتعين بالجنسية اليمنية فقط . ويبدأ سداد التعويض بعد ٥ سنوات ، ولمدة ٢٥ سنة .

ويقضى القانون بأن تنظم الاراضى المصادرة والمستولى عليها فى مزارع الدولة أو التعاونيات وينتفع بالاراضى المصادرة عمال الزراعة المعدمون والفلاحون المالكون لحدود أقل من المسموح به ، والمواطنون المهاجرون من المدينة والصحارى ويكون نصيب المنتفع من ٣ الى ٥ أفدنة فى الارض المروية وضعف هذه المساحة فى الارض البعلية . وتنظم الاراضى فى شكل جمعيات تعاونية للمنتفعين . ويقدر ثمن الارض الموزعة بمبلغ التعويض الذى دفعته الدولة للاستيلاء عليها يضاف اليه فائدة ١ر٥ سنويا ويؤدى المبلغ على أقساط بعد ٥ سنوات من التوزيع ولمدة ٢٥ سنة .

وعضوية الجمعيات التعاونية الزامية للمنتفعين الذين لا يجوز لهم بيع أرض الانتفاع او التنازل عنها او رهنها الا بموافقة الجهات المختصة على ذلك . وينص القانون على الغاء الرهون على الارض التى مر عليها أكثر من خمس سنوات كما

يصبح على أعتبار مصادر المياه الرئيسية ومنشئات الرى المقامة عليها ملكا عاما للدولة ٠

ويبدو أن ميكانيكية تطبيق وتنفيذ الاصلاح الزراعى لم تكن لترضى ثورية التنظيم الذى أحس أن بعض لجان الاصلاح الزراعى كانت تتصور ان مهمتها تنتهى بتوزيع الارض أو تحريم العمل المأجور او ممارسة السلطة الابوية على الفلاحين ، ولهذا قامت تحركات او انتفاضات بالاستيلاءعلى الارض قسرا ، وبدأت الحركة فى ٧ اكتوبر ١٩٧١ حينما استولى الفلاحون على الارض وماعليهافى باتيس بدلتا أبين ، ومنطقة الحصن وتبعتها حركات اخرى فى جعار وزنجبار وبرامس وأحور وغيرها ٠ وبعد الانتفاضات تم تشكيل التعاونيات الزراعية التى عملت على تقديم احتياجات الفلاحين من مواد غذائية الى قروض ، الى تسويق المنتجات ٠

وقد تبين أن عدد المستفيدين من الاصلاح الزراعى حتى آخر يونيو ٧٢ فى أربع محافظات بلغوا ١٠٠ر١٩ اسرة ، وزع عليها ٦٧٥ر٦١ فدانا بمتوسط ٢ر٣ فدان للاسرة ، وكان ٩٢ فى المائة من هذه الارض فى المحافظتين الثانية والثالثة التى تقع فيها افضل الاراضى الزراعية ، ويقدر عدد التعاونيات التىاقيمت لخدمة الزراعة ٤٧ جمعية، خمسة ، وعدد اعضائها ٩٣٤ عضوا ٠

ولم تقتصر الانتفاضات على الزراعة بل تعدتها الى قوارب الصيد التى استولى عليها الصيادون وانشئت جمعيات تعاونية لتنظيم عملهم من خلالها ولتضمن له احتياجاتهم ٠ وبلغ عدد تلك الجمعيات خمسة واعضائها ٩٣٤ عضوا ٠
وسارت الانتفاضات خطوة أبعد باستيلاء العمال على مجموعة من الصيدليات تكونت بعد ذلك شركة للادوية لادارتها ، ولتكون نواة القطاع العام فى تجارة الادوية وتصنيعها ٠

كما استولى العمال على بعض الفنادق التى اتبعت بعد ذلك لهيئة الفنادق لادارتها ، ويثور الكثير من الجدل حول المضمون السياسى والاجتماعى للانتفاضات وردود فعلها سنحاول ان نلمسه فى الجزء الاخير من دراستنا ٠

ولعل من اخطر قرارات التأميم التى اتخذت قرار تأميم المبانى فى اوائل اغسطس ٧٢ ويقضى القانون بتأميم جميع المبانى السكنية والتجاريه المملوكة للافراد أو الموقوفة باستثناء المنازل المعدة لسكن الافراد واسرهم ومبانى السفارات المملوكة لدول أجنبية ،وكذلك المبانى التابعة لشركاتالبترول الاجنبية الاربعة العاملة فى البلاد ، وشركة البرق واللاسلكى ، ولايعوض الملاك الا اذا لم يكن لهم مصدر كسب اخر ، أو كان دخلهم الشهرى من تأجير المساكن لايتعدى خمسون دينارا ، ويكون التعويض فى شكل اعانة شهرية وشخصية ٠ وفى نفس الوقت خفضت ايجارات المساكن بنسبة ٢٥ فى المائة ولا يسرى على الاجانب الذين عليهم دفع الايجار بالكامل ٠

وكانت المشكلة الاقتصادية التى تعانيها البلاد هى الشاغل الاساسى للدولة منذ الاستقلال حتى وهى تعالج مشاكل العلاقات الاجتماعية أو تنظيم جهاز الدولة وقد حاولت علاج المشكلة من ناحيتين الاولى وضعخطة عامةللتنمية الاقتصادية ،والثانية اعادة النظر فى ميزانية الدولة وفى ميزان المدفوعات مع الخارج ٠ وقد وضعت خطة ثلاثية تتكلف الاستثمارات فيها ٣ر٤٠ مليون دينار للسنوات ٧١ــ٧٢ ، ٧٣ــ٧٤ تنفق كالاتى : ٨ر١٢ مليون على المواصلات ، ٥ر١٠ مليون على الزراعة ، ٧ر٩ مليون على الصناعة ، ٦ر٢ مليون على البحث الجيولوجى والبترولى ، ٥ر٣ مليون على الخدمات التعليمية والصحية والثقافية والعمل ، ٣ر١ مليون على المشروعات العامة ويتم تمويلها بنسب ٢ر٥٤ فى المائة تمويل قطاع عام او خاص، ٨ر٤٥ فى المائة تمويل خارجى٠غيرأنهذا المشروع كان يتسم بكثير من التفاؤل لضعف جهاز الدولة عن امكانية الوفاء بمطالب الخطة ، هذا بالاضافة الى قصور الموارد المتحققة سواء فى الداخل او فى الخارج عن تحقيق الهدف ، ففائض الميزانية محدد ، والقطاع الخاص عازف عن المساهمة الا بقدر طفيف ولم يتم التعاقد الا على ربع القروض المتفق عليها مع الخارج (بلغت قيمة القروض المتفق عليها ٦ر٤٦ مليون دينار) ومع ذلك فان نسبة المستلم مما اتفق عليه لم يتعد ٥٦ فى المائة وبالرغم من أن الاستثمارات المستهدفة قدرت فى أول عام للخطة بحوالى ٥ر١٣ مليون دينار الا ان ما تم انجازه خلال العام لم يتعد ٢٣ فى المائة من ذلك الرقم ٠ ومع ذلك فالملاحظبشكل عام التزايد النسبى لقطاعات الانتاج بالنسبة للخدمات فى الانتاج القومى مما يعنى وجود تغيرفى التركيب الاقتصادى العام وهو احد أهداف الدولة (قدر نصيب الزراعة والصناعة أخيرا بحوالى ٤٥ فى المائة من الانتاج القومى) ٠

اما عن ميزانية الدولة فقد انخفضت المصروفات فى السنة المالية ٧١ــ٧٢ الى ٣ر١٩ مليون دينار فى سنة ٦٧ــ٦٨ أى بنسبة ١٩ فى المائة تقريبا ، وقد كان القدر الاكبر فى الانخفاض فى مصروفات الدفاع والامن والمعاشات ويقدر ان يزيد الانخفاض عن ذلك فى السنة المالية ٧٢ــ٧٣ كنتيجة لخفض المرتبات والاجور والغاء كل البدلات والميزات النقدية وكذلك انخفاض المصروفات الجارية بعد ان احكمت الرقابة على الانفاق ٠ أما الايرادات فقد

كانت الزيادة فيها واضحة ، اذ ارتفعت في٧١ـ٧٢ الى ٥ر١٥ مليون دينار مقابل ٩ر٨ مليون دينار فقط في ٦٧ـ٦٨ أي بزيادة نسبتها حوالي٤٣ في المائة ، وان كان من غير المقدر أن تزيد عن ذلك لسنوات قادمة بالرغم من زيادة معدلات الضرائب كنتيجة مباشرة لخفض الدخول والاجور ، التي ترتبت على الاجراءات المالية والاشتراكية (تراوحت نسبة خفض مرتبات الموظفين الاخيرين ١٠ في المائة و ٣٠ في المائة واعفى منه اصحاب الكفايات الفنية والعالية ، واصبح الحد الاقصى للمرتب في الدولة ٧٥ دينارا في الشهر ، وبالتالي اصبحت النسبة بين الحدود الدنيا والعليا للمرتبات هي ١ الى ٥) • ولبيان كفاءة الصرف تشير الاحصاءات الى عدم تغير المنفق مثلا على بند التربية والاعلام في سنتي ٦٧ـ٦٨ ، ٧١ـ٧٢ ولو ان عدد طلبة المدارس الابتدائية زاد بين سنتي المقارنة بنسبة ١٥٥ في المائة والاعداديةوالثانوية بنسبة ١٥ في المائة وزاد عدد المدرسينفي مختلف المراحل عدا المعارين بنسبة ١١٠ في المائة وذلك عدا انشاء معهد زراعي عال والتوسع في كلية التربية والمعهد الفني •

اما عن ميزان المدفوعات فقد لوحظ انخفاض كل من ارقام الصادرات والواردات وقدر العجز في ميزان السلع والخدمات في سنة ٧١ بحوالي ٢٣ مليون دينار • وبالرغم انه يقل قليلا عنه في السنوات الثلاث السابقة الا انه يمثل حوالي نصف قيمة الصادرات •

٣ السياسة الخارجية والمسألة القومية

وحدة اليمن :

اتجاه ضد الاستعمار والرجعية

اهتمت اليمن الديمقراطية أو اليمن الجنوبية كما كانت تسمى منذ اللحظة الاولى لتمتعها بالاستقلال بايجاد علاقة طيبة لها مع جيرانها والانفتاح على العالم الخارجي شرقه وغربه ، فقد كانت البلاد في حاجة الى عون الكل اقتصاديا وسياسيا ، لاعادة بناء كيانها المهلهل المتخلف ، لا سيما وقناة السويس ـ وتعتبر بمثابة شريان الحياة بالنسبة لها كمركز تجاري عالمي قد أغلقت قبيل الاستقلال • وكانت في حاجة لان يعرف الناس عنها أنها ليست مجرد محطة للبواخر العابرة ، او قاعدة عسكرية منيعة ، كان يهم الحكومة الا تنحاز في مجال الصراعات الدولية لجانب دون آخر ، حتى تتبين لها طبيعة القضايا وحتى تدرك مدى ارتباط مصالحها بجانب دون آخر ، وان كان الامر الذي لم يكن في حاجة الى نقاش هو ارتباطها بالاسرة العربية والاتصال بالمجتمع الاشتراكي وكانت بريطانيا قد حرصت طيلة حكمها على أبعادها عن كلاهما ولهذا اقيم تمثيل سياسي او قنصلي مع بريطانيا والولايات المتحدة ، وفرنسا، والمانيا الاتحادية ، والاتحاد السوفيتي ، والصين ، والهند ، ومصر ، والجزائر الخ •• غير أن فترة التفاؤل التي عاشتها اليمن الديمقراطية لم تطل ، وكان عليها أن تواجه واقع المجتمع الدولي بما فيه من مصالح وحركات شد وجذب ، فقد ووجهت البلاد منذ اللحظة الاولى باحدى الدول العربية المجاورة ـ السعودية ـ لاتعترف بها،ولا تحضر اجتماع الجامعة العربية الذي عرض تمثيلها فيها ، وحينما قامت حركة مارس سنة ٦٨ أشارت الاصابع الى لقاء الملحق العسكري الامريكي لبعض الضباط في منتداهم في خورمكسر ليلة تلك الحركة ، وحينما بدأت المفاوضات مع بريطانيا بوعدها وتقدم للبلاد ٦٠ مليون دينار ، تهربت وعرض سفيرها ٥ر١ مليون دينار فقط ، وحينما عملت على انشاء علاقات دبلوماسية مع المانيا الديمقراطية اعلنت المانيا الاتحادية ـ أخذا بمبدأ هولشتين ـ تجميد علاقتها بها ، واستدعاء قنصلها من البلاد • وعرضت اثيوبيا اقامة تمثيل دبلوماسي معها ولكنها رفضت في نفس الوقت انشاء قنصلية لليمن الديمقراطية في أسمرة •

لم يكن من السهل تحقيق سياسة اليمن الديمقراطية تجاه العالم الخارجي حتى يونية سنة ١٩٦٩ الا الرغبة فى اقامة علاقة طيبة مع العالم ككل ، غير أن الحركة التصحيحية كانت أكثر واقعية وادراكا لما يجب ان تقوم عليه العلاقة مع الخارج ، ولهذا ربطت بين علاقات بلادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية واهدافها العامة ، وبين علاقاتها بالعالم الخارجي ، وعلى هذا الاساس صنف العالم فى ثلاث مجموعات تبعا لفلسفتها واتجاهاتها العامة ، **الاولى** : وتضم البلدان التى تأخذ بالفلسفة الاشتراكية ، وهذه يتم العمل على تدعيم الارتباط الاقتصادى والسياسى بها ، وهى مصر والعراق وسوريا والجزائر من الدول العربية ، والاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وكوريا الديمقراطية ودول أوربا الشرقية وكوبا ، او مجموعة الدول الاشتراكية مع عدم التدخل فيما قد يثور داخل هذه البلدان من تيارات فكرية واختلافات ايديولوجية ، وان لم يمنع ذلك من فقد بعض السياسات ، فقد رفضت مثلا مبادرة روجرز ، وافتقدت تصرف الصين في موقفهامن السودان وتأييدها اياها خلال احداث يوليوسنة ١٩٧١ ، وكذلك انحيازها لجانب باكستان ازاء بانجلاديش • **والثانية** : وتضم البلدان الصديقة أو الرأسمالية غير ذات المطامع الاستعمارية ، وهذه تدعم العلاقات الاقتصادية معها ، كالكويت ولبنان وليبيا والسودان من الدول العربية ، والهند وباكستان واليابان من الدول الاسيوية ، وفرنسا ، وايطاليا ، وسويسرا ، والدول الاسكندناوية من مجموعة اوروبا الغربية ، اما **الثالثة** : فتضم مجموعة الدول ذات الاتجاهات الاستعمارية ، أو التى تسير في ركاب هذه الدول وتتخذ من بلادها قواعد لها ، وهذه لايتم التعامل معها الا بقدر كبير من الحذر ، ولوسائل الاعلام حرية نقدها وكشف مواقفها ، ومن هذه البلدان السعودية والاردن وامارات الخليج والمغرب من مجموعة الدول العربية ، وايران وتايوان والفلبين وغيرها من الدول الاسيوية الخاضعة للنفوذ الامريكى ، وبريطانيا والمانيا الاتحادية والولايات المتحدة باعتبارها اعمدة النظام الامبريالى •

وبشكل عام فان التنظيم السياسى أصبح هو المحرك لاتجاهات العلاقات مع الخارج منذ الحركة التصحيحية وليست جهاز الدولة ، وبالتالى يمكن ادراك السياسة الخارجية للبلاد من متابعة قرارات مؤتمرات التنظيم ولجنته المركزية •

وقد كانت علاقة اليمن الديمقراطية بجيرانها ذات طبيعة خاصة ، نتيجة للظروف المعاشة ، والصراعات فى المنطقة فقد قام التيار الثورى على المبادىء التى لم يخفها الحكم فى اليمن الديمقراطية مثار مشاكل له • فوجدنا محاولات العدوان عبر الحدود بعد شهرين فقط من الاستقلال ، ومازالت المناوشات مستمرة ولم تتوقف الا لفترات تجميع القوى ، او تغيير مكان العدوان ــ حينما يفشل ، فمن معركة مسورة فى فبراير سنة ١٩٦٨ الى الوديعة فى نوفمبر سنة ١٩٦٩ الى كرش وبيحان وقمران فى اكتوبر ١٩٧٢ ، والهدف من كل المصادمات استنزاف النظام القائم والقضاء على حيويته ان لم يمكن احتوائه • والنظام لا يفتأ من جانبه يذكر بأن السعودية قد احتلت جيزان ونجران فى سنة ١٩٣٤ بعد هزيمتها للامام ، واستولت على شروة التى سلمتها لها بريطانيا فى سنة ١٩٥٥ وحولتها الى قاعدة تهدد المحافظتين الرابعة والخامسة • وان سلطنة مسقط وعمان تتحكم فى جزر كوريا موريا التى سلمتها بريطانيا لسلطان مسقط وعمان قبيل الاستقلال ، ويشير المسئولون فى اليمن الديمقراطية الى تهديد السعودية لهم من قاعدتى الشروة وخميس مشيط ، ومعاونتها لمايسمى جيش الانقاذ الوطنى بقيادة الجيلانى ، وانشاء محطة اذاعة باسم « صوت الجنوب الحر » بهدف فصل المحافظتين الخامسة والسادسة (حضر موت والمهرة) لاقامة حكم يتفق مع مصالحها ويرتبط بها ، ويشيرون فى ذلك الى الاكتشافات البترولية فى الربع الخالى ، واحتمالاتها فى المناطق المجاورة (تبحث فيها الشركة اليمنية الجزائرية الان) ورغبة السعودية فى وجود مرفأ لها على بحر العرب • كما يشيرون الى تهديد آخر بمحاولة اقامة احلاف أو قواعد مضادة للاحاطة بهم ، فيذكرون مجموعة جزر حانش وزقر التى سلمت لاثيوبيا قبل الاستقلال ووجود مراكز بحرية اسرائيلية فيها الى تسلل ايران من الخليج العربى الى بعض الجزر على ساحل عمان ، الى محاولة تدويل جزيرة ميون فى باب المندب ثبت يقظة القوات الحكومية فيها (عقب حادثتى التعرض لاحدى ناقلات البترول الاسرائيلية ، ولاحدى السفن الحربية الفرنسية التى كانت تدور حول الجزيرة دون اذن) وزيارة روجرز الى اليمن الشمالى ومؤتمر دول البحر الاحمر الذى عقد تحت اسم استغلال موارد البحر ولم تدع اليه اليمن الديمقراطية هى أو الصومال ، وما تلا ذلك المؤتمر من عقد لمؤتمر امارات الخليج والذى اشتركت فيه ايران (يبدو أن الجامعة العربية تنبهت لما يحاك من مؤامرات فقررت أن يعقد مؤتمر دول البحر الاحمر العربية فقط لدراسة مصالحهم المشتركة) •

قضية الوحدة اليمنية

واذا تركنا هذه المشاكل المحيطة باليمن الديمقراطية ، نجد ان اكثرها اهمية بالنسبة لها هى علاقتها باليمن العربية ، أو بمعنى آخر وحدتها

وإياها • فقد كانت مؤتمرات الجبهة القومية التى قادت معركة الاستقلال تؤكد على الوحدة اليمنية ، أولا باعتبار المنطقة كل متكامل ، وأن انقسام البلاد لا يخدم الا الاوضاع القبلية والرجعية والاستعمار فى النهاية ، ويؤدى بالتالى الى تعميق المشاكل الاقتصادية والسياسية لكلا الشطرين،وانه قد آن الاوان لتوحيد اليمن بعد أن قضى على الامامة فى الشمال والاستعمار فى الجنوب وحتى يمكن وضع تخطيط اقتصادى واجتماعى شامل للبلاد ، وحتى لا يؤدى الانفصال الى زيادة التوتر ، واستنزاف مواردهما العامة واستمرار حالة التخلف •

فميناء عدن أو عين اليمن ، أصلح ميناء لليمن ككل وقد استمر كذلك لحوالى قرن ونصف متصلة ومقاطعتها والانفاق على اعداد مراكز أخرى أقل كفاية لا يعنى الا اهدارا للاموال العامة ، وهى شحيحة • والبلد ككل يمكن أن تكون وحدة اقتصادية اقرب الى التكامل وذات سوق مناسبة ، لامكان اقامة المشروعات على اسس اقتصادية ،لانه نتيجة لان كلا من البلدين فى مرحلة اقتصادية متشابهة مما قد يتطلب اقامة مشروعات متماثلة باحجام صغيرة كالنسيج ، والاسمنت ، والادوات الهندسية ، وتجميع الالات الخ •• ويؤدى الى زيادة التكلفة والصراع بين البلدين على سوق كل منهما لضمان التشغيل الكامل مما يترتب عليه فى النهاية زيادة التوتر بينهما ، وبدأ كل شطر من اليمن باتخاذ اسلوب مختلف فى الحكم سيؤدى الى تعقد العلاقة بينهما ، وسيكون كلاهما معرضا لحركات انتقال فى الاموال والافراد بشكل يخل بالتوازن الواجب لا يمكن ضبطه •

ويتضح من برنامج الجبهة القومية الاصرار على الوحدة واعتبار ثورة ٢٦ سبتمبر فى الشمال هى الثورة الام التى ساعدت على اشتعال ثورة الجنوب • وتشير آخر فقرة فى برنامج مرحلة الثورة الوطنية الى أن النضال من أجل انجاز مهام هذا البرنامج ، لن يمكن من تحقيق اهداف الثورة الوطنية الديمقراطية فحسب ، ولكن سيمكن من التطور المضطرد لتحقيق استراتيجية الثورة اليمنية كاملة • ويشير فى الباب الاول عن الخلفية التاريخية بقوله « لقد خاض شعبنا اليمنى فى الاقليم كله نضالا شاقا وعنيدا ودون بأس ضد كل الغزاة والطامعين الذين توالت حملاتهم للسيطرة عليه » كما يشير الى « ان وحدة الارض ووحدة الشعب اليمنى ظلت عبر التاريخ على الرغم من حالات التمزق والتجزئة الانية ، ظلت وحدة متماسكة على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية » وأن ذلك يعنى بوضوح أن الوضعية الراهنة لوجود كيانين فى الاقليم وضعية لا يمكن أن تستمر» ،ويشير الدستور فى مادته الاولى الى أن جمهورية اليمن الديمقراطية « تسعى لتحقيق اليمن الديمقراطى الموحد » ويؤكد فى المادة الثانية على أن « الشعب اليمنى شعب واحد » ويشير رئيس مجلس الرئاسة فى الجلسة الافتتاحية لمجلس الشعب فى ١٤ مايو سنة ١٩٧١ الى اهمية « دعم ثورة ٢٦ سبتمبر ، والسعى الجاد لتحقيق وحدة الاقليم اليمنى » •

والملاحظ أن الاتجاهات الديمقراطية هى التى تنادى بوحدة الشعوب ، وتناوىء الاتجاهات المضادة ، لانه من خلال الوحدة يستفيد مجموع الشعب ، اذ يمكن استقلال مختلف الطاقات بشكل أفضل ، ويزيد الانتاج وتنخفض التكاليف الاجتماعية ، وتبرز الكفايات ، ومن خلال التفرقة لا يستفيد الا العناصر الفردية التى تسعى للسيطرة والتحكم •

ولهذا وجدنا حكومة اليمن الديمقراطية لم تضع منذ البداية قيودا على حركة المواطنين والتجارة بين قطاعى اليمن ، ولم تضع قيودا على تشغيل الوافدين من الشمال بالرغم من مشاكل البطالة فيها ، وحينما وضعت قانون الجنسية لم تفرق فيه بين من هم من شمال اليمن أو جنوبه ، ولما خشيت الحركة التصحيحة أن يساء فهم اطلاقة جنوب اليمن على منطقتها ، استخدمت تعبير اليمن الديمقراطية الذى أثار بعض القبليين ،ومع ذلك فالملاحظ أن هناك بعض العناصر فى الشمال التى سبق أن وقفت ضد النظام الجمهورى ، تقوم بمناوشات على الحدود المصطنعة ،وتثير المتاعب من خلال تحرشات وتسلل من الجنوب ، مما يذكرنا بقصة الذئب والحمل ، اذ من غير المتصور أن يثير المشاكل من يسعى للتنمية ، ويخفض من ميزانية الدفاع ، ويشير السيد على ناصر رئيس وزراء اليمن الديمقراطية فى حديث لاحدى المجلات المصرية الى ما يتردد من ان المناوشات الاخيرة على الحدود ، قد تمت بمخطط دفع فيه مبلغ ٤ ملايين دولار لبعض الشخصيات المشبوهة لاثارة القلاقل ، وذلك فى وقت كانت تحتفل فيه اليمن الديمقرطاية بشكل رائع بثورة ٢٦ سبتمبر •

وقد ادى الصدام غير المستساغ فى هذه الظروف التى يمر بها العالم العربى ، الى تكوين الجامعة العربية لجنة للمصالحة ، وارسل قادة العرب الذين اثارهم الصدام مندوبين عنهم لكلا الطرفين وهم مصر والعراق والكويت لضمان نجاح مهمة اللجنة ، وقد كان من الملاحظ أن كلا الطرفين المسئولين كان يشعر أنه مسئول عن افشال مخطط الاثارة ، وانتهاز الفرصة لوضع مشروع الوحدة كأساس لحل كل المشاكل الحالية والمستقبلة •

كانت لجنة المصالحة أو التوفيق العربية متواضعة فى أهدافها الاولى ، اذ كان يهمها بالدرجة الاولى ايقاف القتال وانسحاب قوات كلا الجانبين لمسافة ، ودراسة المسائل التى تثيرها

الشمال باعتبارها سبب التوتر، كعودة مواطنى الجنوب الى اماكنهم ، وايجاد تسوية للقبائل التى قتل ٦٥ من مشايخها من اتباع الغادر على الحدود وتعويض من أممت ممتلكاتهم ، أو صودرت من الشماليين ، وتسوية مشاكل الارض المتنازع عليها وأهمها جزيرة قمران • ولم تعترض اليمن الديمقراطية على كل ما عرضته لجنة التوفيق ، اذ لم يكن فى اعتبارها ان تلك المسائل هى صلب المشكلة ، بل انها تكمن فى الوحدة ولهذا واجهت الكل بمشروعها فى هذا الشأن واصرارها عليه ، ونجحت فى هدفها اذ وقع رئيسا حكومتا الدولتين على مشروع الوحدة بعد ثمانية أيام من تقديم اليمن الديمقراطية لمشروعها •

ويقضى المشروع باقامة دولة موحدة ذات نظام جمهورى وطنى ديمقراطى ، له عاصمة واحدة ورئاسة واحدة ، وسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة ، ولعل أهم ما أشار اليه المشروع ضمان الدولة الموحدة مكاسب ثورتى سبتمبر واكتوبر ،وبالتالى قطع السبل على من كان يتشكك فى امكان قبول الجنوب مما يتصور انه تنازل عن خطه الاشتراكى ، وامكان قبول الشمال لهذا الخط ، واشار المشروع الى تشكيل ثمانى لجان فنية مشتركة لوضع مشروع الدستور ، واقتراح الانظمة والتشريعات اللازمة للوحدة فى مجالات السياسة الخارجية ، الاقتصاد والمال والنقد ، والثقافة والاعلام ، والصحة ، والقضاء والدفاع ، وعلى ان يطرح الدستور للاستفتاء الشعبى ، كما يقضى بعقد مؤتمر قمة بين رئيس الدولتين فى ٢٥ نوفمبر لتصفية جميع المشاكل المعلقة وقد اتفق على أن يتم المؤتمر فى طرابلس ـ ليبيا •

وقد كان استهلال البيان طيبا اذ تصدر بأسم شعب اليمن الواحد وبأسم الامة العربية « وايمانا بأن شعب اليمن وارضه وحدة واحدة لا تقبل التجزئة والانقسام » وهى ومضة تفاؤل نحو الوحدة فى ظلام التفكك العربى ويتضح المضمون الديمقراطى من ذكر البيان انه « حرصا على تعزيز وتدعيم النضال الوطنى التقدمى فى اليمن ، وتأكيدا بأن الوحدة اليمنية هى الاساس فى بناء مجتمع يمنى حديث يضمن الحريات الديمقراطية لكافة القوى الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية وهى الأساس لبناء اقتصاد وطنى مستقل » •

أما عن تسوية المشاكل السريعة فقد حددت فى البرنامج واستبعدت فكرة تعويض مشايخ القبائل لانه ليس هناك اثبات عن مسئولية الدولة عن قتل من قتل ، كما استبعد الكلام عن تعويض الشماليين المتضررين من التأميم بعد أن اتضح أن مديونيهم للدولة تفوق دائنيهم ،فضلا عن أنه يناقض مبدأ الاحتفاظ بالمكاسب الاجتماعية المتحققة •

٤ الموقف الاقتصادى

قضايا التنمية ..

ومشكلات التقدم الاقتصادى

ليس من المبالغة القول انه لم تواجه بلد من تلك التى استقلت حديثا مصاعب بمثل القدر الذى ووجهت به اليمن الديمقراطية ، فلم تكن بها دولة بالمعنى العلمى ، وانما مشروع دولة فى مرحلة التكوين ، وكان التركيب الاجتماعى يتسم بقدر كبير من التناقض ، ففى العاصمة تسود نظم حضارية لدرجة مقبولة من التقدم ، وفى الريف نظم قبلية وعشائرية ممعنة فى التخلف •

والاقتصاد ـ كما ذكرنا ـ كان يعتمد على الخدمات ، ولم يكن به من مقومات الانتاج الحديث الا زراعة محدودة للقطن والخضر والفاكهة وتكرير للبترول المستورد وكلها فى مناطق قرب العاصمة ، ولخدمتها وخدمة التجارة الخارجية (كونت الزراعة والصناعة والتكرير اقل من ثلث الناتج القومى) • ولم يكن هناك مسح جيولوجى للبلاد ، أو دراسة لتركيب التربة ، أو رصد لمعدلات المطر والفيضان ، أو لمجالات التنمية والثروة الحيوانية

السمكية ، اونظام لتربية الكوادن • ولهذا كان من الطبيعى ان يواجه نظام الحكم ذو الفكر المتقدم، المتعجل للتغير السريع ، المصر على رفض الاخذ بأسلوب التنمية الراسمالية او الدخول فى مساومات مع الاستعمار ، كان من الطبيعى ان يواجه بمصاعب العمل فى تربة غير مهنية ، وفى ظل مقاومة شديدة ممن تعودوا على الحرية الفردية بمفهومها البدائى ، وفى مناخ معاد يتلمس الاخطاء للارتداد بالمجتمع • وكانت العقبات بالتالى ، اما نتيجة النظام الاستعمارى الموروث ، أو نتيجة ردود فعل التغيرات السريعة فى علاقات المجتمع ، أو التطبيق الاشتراكى وما تبعه من اجراءات •

والمشكلة الاقتصادية هى العقبة الكئود التى تحد من سرعة التطور ، وتتبلور من ناحية فى عجز ايرادات الدولة عن مواجهة مصروفاتها الجارية حتى مع كل الاجراءات القاسية التى اتبعت من خفض للاجور ، ورفع لمعدلات الضرائب المباشرة منها وغير المباشرة ، والضغط على المصروفات بكل الوسائل وتظهر من ناحية أخرى فى شكل عجز فى ميزان المدفوعات مع الخارج بالرغم من فرض نظام الرقابة على النقد ، والحد من استيراد الكماليات، وما يعنيه ذلك العجز من استنزاف الاحتياطى المتكون من سنوات طويلة ، ويحد من القدرة على استخدامه فى التنمية • والاخذ بالتخطيط لم يحل المشكلة الاقتصادية ، لان الموارد من الاصل كما قلنا محدودة والبيانات الاقتصادية والاجتماعية الاساسية ضعيفة والامكانيات البشرية ليست معدة الاعداد الكافى لمهمة تحتاج الى قدر كبير من العلم والخبرة •

لقد ادى خفض الاجور والمرتبات على مرتين منذ الاستقلال فى الوقت الذى كانت تتجه فيه الاسعار للارتفاع بشكل واضح (انخفضت المرتبات العليا الى ما يتراوح بين ٣٠ فى المائة ، ٤٠ فى المائة من قيمتها بين سنة ٦٨ ، ٧٢ ، وللمرتبات المتوسطة الى حوالى ٥٠ فى المائة ، ٦٠ فى المائة ،ذلك دون حساب ارتفاع الاسعار) الى تثبيط همة الكثيرين ، وعدم اقبالهم على العمل بالدرجة المرجوة، واتجه بعض الفنيين للهجرة والعمل فى البلدان المجاورة ، وواجهت البلاد ماسبقتها اليه بعض البلدان النامية كتهرب المبعوثين من العودة من الخارج بعد انتهاء دراساتهم • وهى أمور بدات الدولة تدرك أثرها وخطورتها •

وقد أدت الرغبة الجارفة للتخطيط والتنمية الى أعداد خطة اقتصادية ممعنة فى التفاؤل اشترك فى اعدادها مجموعة طيبة من الخبراء الاجانب ولكنها غفلت عن كثير من المشاكل المادية والبشرية للبلاد ، فقدرت امكانيات للتمويل داخلية وخارجية غير ممكنة ، وقدرة الاقتصاد القومى على امتصاصها غير واقعية ،وطرحت شعارات ان تكون التضحية بالحاضر لحساب المستقبل بمعدل كبير مسألة مفروغ منها — ولكن دون ادراك تام للظروف النفسية للناس •

وقد تأثرت الايرادات المقدرة للتمويل بضعف قدرة المشروعات على الانتاج ، وضعف استجابة المغتربين للاستثمار بعد اجراءات التأميم المختلفة، هذا بالاضافة الى أن بعض الدول التى قدر أن تقدم قروضا ومعونات دون مقابل لم تفعل ، وبعضها كان يؤدى استخدام قروضة الى زيادة الاعباء العامة اما لتكلفة هذه القروض مقارنة بالعائد المقدر من المشروعات ، او باشتراطها ان تهيء الدولة نسبة من التمويل الداخلى ، وهذا أمر ليس يسيرا ، وقد تنبهت الحكومة لهذه المشكلة اخيرا وبدأت فى تنظيم الاقتراض وقبول المعونات بشكل لا يسبب مشاكل اقتصادية لا داعى لها •

وقد يخفف من أثر بعض المشاكل الاقتصادية الدور السياسى للتنظيم،فاذا كان المطلوب التضحية بالحاضر ، فان الامر يتطلب نوعية خاصة من الناس، واذا كانت هناك استجابة محدودة فقد يكون اتخاذ خطوات وئيدة افضل فى مضمار التنمية والتحول الاجتماعى •

وقد أثارت الجرعة الكبيرة للتأميم وخفض المرتبات بعض المشاكل ، فجهاز الدولة مازالت تنقصه الكثير من المقومات والخبرات ، وذلك فضلا عن غيبة الايمان العميق بالفلسفة الجديدة للدولة وهذه الظاهرة لم تنفرد بها اليمن الديمقراطية ، وانما لمسناها فى كثير من البلدان فى المراحل الاولى لاتخاذها الاشتراكية أسلوبا للحياة ، ولكن حدة المشكلة تظهر فى اليمن الديمقراطية لتأميمها قطاعا من المشروعات ، يلعب فيه العنصر الفردى دورا كبيرا كالمساكن والفنادق والصيدليات ، فبالرغم من أن ادارتها لا تحتاج الى كفاية خاصة كالمصانع والبنوك وعمليات التأمين مثلا ، والتى يمكن ان ينكشف العجز فيها او العبث اسرع منه بالنسبة لقطاع الخدمات ذات الطبيعة الفردية ، التى تتطلب رقابة خاصة لمنع استغلال النفوذ فيها ، ولهذا نجد أن الدول الاشتراكية لا تلجأ الى تأميم هذا القطاع الا فى المراحل المتأخرة للتطور وحينما يصبح عائقا للتقدم ، وفى المراحل الاولى تكتفى بوضع قيود سعرية ورقابية على المرفق لضمان حسن الخدمة والحيلولة دون سوء الاستغلال •

وقد أثار التأميم على نطاق واسع أيضا مشكلة الادخار الفردى ، وتشجيع رأس المال المهاجر للاستثمار فى المشروعات ، فالخوف من التأميم يساعد على اكتناز المدخرات ، وان كانت فى الاصل قد تضاءلت نتيجة تلك الاجراءات ، كما أنه سيحرم البلاد من أموال ضخمة قد كونها المواطنون فى المهجر ، وكانت تبذل الجهود لاجتذابهم لاستثمارها فى البلاد • ويعنى ذلك فى النهاية زيادة عبء التنمية على الدولة • وأدى التأميم من ناحية أخرى الى عدم وجود الضمانات التى كان يعتمد عليها نسبة كبيرة من اصحاب المشروعات للاقتراض من البنوك ، مما سيؤدى الى قلة مساهمة القطاع الخاص فى الانتاج القومى ، وقد يكون ذلك مقصودا ، ولكنه فى المرحلة الحالية للتنمية التى لا تستطيع فيها الدولة ان تقيم كل المشروعات فى مختلف مجالات النشاط ليس هناك مفر من المحافظة على مبادرات القطاع الخاص الذى لا يشوب تصرفاته بوادر الاستغلال . وقد اثار موضوع الانتفاضات كما سبق أن ذكرنا الكثير من التساؤل • فاذا كانت الدولة تملك فعالية الامور ، فما الداعى لترك الافراد يقومون بالتنفيذ ويأخذون القانون فى يدهم ؟ وهناك رأى يعتقد أن ذلك نوع من اشراك الجماهير فى تحديد مصيرها • ويرى السيد عبد الفتاح اسماعيل أمين عام التنظيم فى حديث له مع مجلة البلاغ اللبنانية فى ١٥ مايو سنة ١٩٧٢ أن « أخذ الارض عن طريق الفلاحين هو السبيل لضمان دفاع الفلاحين عن الارض » . ولكن يرد على ذلك أن الاستيلاء على المرفق ليس هو كل شىء فاذا لم يكن المستولى على المرفق ذو دراية بادارته ومتطلبات هذه الادارة ، فقد يسبب تصرفه الكثير من المشاكل ، وبالاضافة الى ذلك فانه يخشى من ان يسىء البعض السلطة ، ويقوم بخطوة قد لاتكون البلد على استعداد لها • واذا كان الانتفاض يمكن قبوله بالنسبة لقطاعات انتاجية كالمزارع والمصانع ، وباعتبارها مظهر من مظاهر الاستغلال للعاملين فيها ، فان الامر لا يبدو بهذا الشكل بالنسبة للفنادق والصيدليات والمحال التجارية مثلا .وكان يخشى عقب المسيرات الجماهيرية فى أوائل أغسطس ٧٢ م للمطالبة بخفض المرتبات وتأميم المساكن ان يمتد التأميم او الانتفاضات للدكاكين وسيارات الاجرة التى كان يهتف بعض المتظاهرين مطالبين بالاستيلاء عليها ، وهو حماس يتخطى المرحلة القائمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لان الدولة لم تتهيأ بعد لضمان العمل لكل المواطنين فضلا عن أن أصحاب الدكاكين وسيارات الاجرة ليسوا الا جزءا من تحالف قوى الشعب العامل وفقا لدستور البلاد وهم بطبيعة تكوينهم الطبقى ، ومستوى دخولهم ، أقرب الى العمال ولا يتميزون عنهم فى كثير •

وقد ادى الحماس للتغيير والمحافظة على الثورة الى تشكيل لجان للرقابة العمالية ، وهى لجان تنظيمية وليست نقابية ، تمارس من الاختصاصات ما يجعلها سلطة فوق ادارة مختلف المصالح والمشروعات العامة ويمتد نشاطها من العمل على تحسين ومضاعفة الانتاج ، الى تنظيم وبرمجة الاجهزة المالية والادارية للانتاج والتوزيع والخدمات ، واشاعة جو ثورى فيها ، وتحطيم العلاقات الاستغلالية القديمة المعرقلة للتطور ، واستبدالها بعلاقات جديدة ، وكذلك تنظيم مشاركة العمال فى حل مشاكل الانتاج ، ومتابعة وكشف عمليات التخريب والتهريب ، ومراقبة الادارات فى أدائها لمهامها المرسومة فى الخطة وتنظيم جرد المخازن ومراقبة أسباب الصرف ومحاربة المحسوبية والنزعات البيروقراطية والاشراف على شئون العاملين والمشتريات ، وبالتالى كل ما يخطر بالبال من وسائل الرقابة فنية وغير فنية • وهى اختصاصات كما يبدو ليس من السهل أن تحيط بها فئة قليلة لا تتميز بمستوى خاص فى النواحى التى تشرف عليها ، مما يثير الخوف فى ادارات العمل ، ويضعف سلطة المسئولين عن ادارة الاعمال ، وضمان حسن سيرها • ومهمة اللجان الحزبية كما نتصور هو ابداء الملاحظات وتقديم الهام منها للجنة المركزية ، التى تقوم بدراستها وتناقشها عن طريق لجانها المختصة مع المسئولين عن العمل ، مادام الهدف هو المصلحة العامة وليس تصيد الاخطاء • وقد أدى وجود لجان الرقابة بسلطاتها تلك غير المحدودة الى تهرب الكثيرين من تولى الاعمال ذات المسئولية ، أو تلك التى تتطلب اتخاذ القرارات ، مما يزيد من المشاكل الادارية ويحمل الدولة بأعباء لا قبل لها بها فى المرحلة الحالية •

ومهما يكن من شىء ، فلا مفر فى مرحلة التنمية الحالية للمجتمع من تهيئة الجو لقدر كبير من الاستقرار الاجتماعى والسياسى حتى يتفرغ الكل للانتاج والبحث عن الوسائل التى تزيد من تكوين الفائض ، الذى يلعب الدور الاساسى فى رفاهة المجتمع مع ادراك لبديهيته ، وهى ان نشر الاشتراكية لايكون بمعاقبة غير الاشتراكيين ،وانما جذبهم الى حلبتها ، وذلك يتم بالاقناع واعطاء أحسن المثل فنيا وخلقيا • والفلسفة الاشتراكية تقوم أساسا على زيادة الرفاهة الاجتماعية والقضاء على الصراعات وبناء مجتمع متحرر من الخوف •

ولعل المشكلة الكبرى التي يمكن أن تحل الكثير من المشاكل وتزيل التوتر العام وتوجه الانتاج الى مجالات أكثر انتاجية هي وحدة شطرى اليمن ، ففى ظلها يمكن أن يعيش الشعب اليمنى حياة أكثر رخاء وأمنا ، ويمكن أن يعمل بأكبر قدر من الثقة بالمستقبل ، ويمكن أن يخفض الانفاق على القوات المسلحة ، وتقل تكلفة ادارة جهاز الدولة ، وتكون الدولة الموحدة اكثر قدرة فى اقامة جامعة علمية · والتوسع فى الطرق ، وربط بعض أجزائها بشبكة من السكك الحديدية ، وانشاء اسطول بحرى وجوى يتناسب مع الموقع الاستراتيجى لليمن · ولكن ليس معنى ذلك ان الوحدة ستكون العصا السحرية التى تحل كل مشاكل اليمن بشطريه ، وتحوله من مجتمع يثقله التخلف الى مجتمع عصرى ، لان ذلك يتطلب جهدا وأمدا يجب علينا أن ندرك وزنه ، وامكانيات اليمن الحالية · بشطريها قاصرة عن تقديم ذلك كله ، ولبضع سنوات قادمة على الاقل ، وليس من الطبيعى أن يترك اليمن ليتحمل وحده هذا العبء الضخم ، وليس من المقبول أن يعيش اليمن فى حاجة وحوله اخوة تتفجر الثروة فيه ، وتودع فى بنوك الدول الاستعمارية · وعلينا أن نتذكر ماذكره رئيس وزراء اليمن الشمالى مسببا اعادة علاقته بالولايات المتحدة فى الصيف الماضى الى حاجة البلاد الى معونات قصرت الدول العربية عن تقديمها · وفى ظل الوحدة اذا كان هذا المبدأ لن يلقى القبول فقد لا تكون هناك وسيلة الا اتباع نفس الاجراءات التى اتبعها الشطر الجنوبى ، وفيها الكثير من القسوة الا اذا ادركت الدول العربية أن من الواجب مساعدة الدولة الموحدة بمعونات تمكنها اولا من تغطية عجز ميزانيتها ، وثانيا الحصول على التمويل الكافى للانفاق على المشروعات الانتاجية ، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق تكوين رصيد تساهم فيه الدول العربية · جزء فى شكل قروض بفائدة رمزية لاتتعدى مصاريف ادارة الرصيد ، لمدة طويلة ، ويبدأ السداد بعد خمس سنوات على الاقل · أن المحافظة على اليمن حتى لا يقع فى براثن الاستعمار مسألة يجب ان نعطيها اهمية اجلاء اسرائيل عن الاراضى المحتلة ، لان هذا الوقوع سيكلفنا هذه المرة الكثير فى المستقبل ، واذا كانت عدن هى عين اليمن فان اليمن هى عين المجتمع العربى ، وبابه الخلفى الذى علينا أن نحكم تأمينه وحراسته ·

فرنسا أمام اختيار السبعينات الحاسم

بين الديجولية والاشتراكية

سمير كرم

ستشهد فرنسا خلال الايام الاولى من شهر مارس القادم حدثا من أهم أحداث الصراع السياسى والاجتماعى فى تاريخها الحديث ،ربما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ،ويتمثل هذا الحدث الهام فى الانتخابات العامة للجمعية الوطنية الفرنسية• ولايمكن فهم دلالات هذا الحدث والنتائج التى يمكن ان تترتب عليه أياكانت القوى التى سينتهى لصالحها هذا الموقف من مواقف الصراع السياسى والاجتماعى دون أن نضع حدث الانتخابات العامة الفرنسية فى اطاره السياسى والاجتماعى ، أى دون أن نعمد الى تحليل الصراع وقواه المختلفة تحليلا ماركسيا صحيحا •

ان مقالات وتحليلات كثيرة قد كتبت وستكتب فى مصر عن أهمية الانتخابات العامة الفرنسية الجديدة ، ولكنها فى معظمها ـ وفى الاغلب ـ ستقع فى شرك التحليلات السطحية التى لاترى الا تعاقب الاحداث وتضاهى بين التصريحات والارقام والبرامج والتوقعات ، أو فانها ستقع فى شرك آخر هو معالجة الانتخابات العامة الفرنسية ليس باعتبارها حدثا فرنسيا بالدرجة الاولى وانما باعتبارها مشكلة تخص الشرق الاوسط او تتصل اساسا بالصراع العربى الاسرائيلى ، وذلك تحت وطاة شعور القلق من حدوث أى تغير يذهب بالسلطة الديجولية خشية ان يذهب معها بالتاييد الفرنسى للقضية العربية • وكأن لا أهمية على الاطلاق لمصالح الشعب الفرنسى وتطلعاته السياسية والاجتماعية ، وكأن لا تأييد للقضية العربية الا اذا بقى الديجوليون ، وكأننا نريد ان تبقى السلطة الديجولية حتى ولو ضد ارادة الشعب الفرنسى وفوق مصالحه وآماله •

وبطبيعة الحال فليس القصد من بذل جهد من أجل تحليل موضوعى لهذا الحدث الهام اغفال آثاره على موقف فرنسا من قضية التحرير

العربية ، وانما احد مقاصده بالتاكيد رؤية هذه الآثار في موضوعيتها منفصلة عن أمانينا الخاصة ومتحررة ايضا مما لدينا من أوهام ومن معلومات خاطئة أو غير دقيقة عن مواقف القوى الفرنسية المختلفة من الصراع العربي الاسرائيلي ، ولن نستطيع تحقيق هذا القصد ــ أو غيره ــ بطريقة سليمة الا اذا نظرنا الى الانتخابات الفرنسية على خلفية من الاوضاع الفرنسية في الاساس ، أي على انها عملية تهم فرنسا بالدرجة الاولى .

القوى الاساسية للصراع

أما القوى الاساسية المشتركة في هذا الصراع فتتمثل في **ثلاث مجموعات من التشكيلات السياسية** تحاول كل منها الفوز باصوات الناخبين الفرنسيين ــ الذين يبلغ عددهم حوالى ٣٠ مليون نسمة • وهذه المجموعات الثلاث هي :

اولا : **مجموعة التحالف الشيوعي الاشتراكي** المكونة من حزبي اليسار الرئيسيين : الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي • الاولى بزعامة جورج مارشيه والثاني بزعامة فرانسوا ميتران

ثانيا : **مجموعة الائتلاف الحاكم من الديجوليين والجمهوريين المستقلين** (من أنصار فاليرى جيكار ديستان وزير المالية والاقتصاد في الحكومة الحالية) وأعضاء حزب الوسط .

ثالثا : **مجموعة الاصلاحيين وهي ذات اتجاهات يمينية وسطية** تضم بعض الراديكاليين (بزعامة جان جاك سيرفان شرايبر رئيس تحرير مجلة اكسبريس) وبعض الديمقراطيين المسيحيين القدامى ، بزعامة جان لوكانويه •

على أن محوري الصراع الرئيسيين يتمثلان في **التحالف اليساري من ناحية ، والائتلاف الديجولي من ناحية اخرى،ولهذا فان انتخابات مارس القادم تشكل مواجهة بين كتلتين تختلف مفهوماتهما عن المجتمع والديمقراطية اختلافا جوهريا • وعلى نتيجة الصراع بين هذين الخطين المتعارضين تتوقف ظروف الفترة القادمة في فرنسا • فاما ان تبقى في السلطة اغلبية ديجولية مماثلة لتلك التي قامت في الجمعية الوطنية الفرنسية الحالية نتيجة** للانتخابات الماضية التي فرضتها ظروف احداث **ثورة** مايو عام ١٩٦٨ (٢٨٨ نائبا من ٤٨٧) • واما ان تصعد الى السلطة « **جبهة شعبية » تضم الشيوعيين والاشتراكيين الذين يوحدهم البرنامج المشترك الذي اعلنه الحزبان في ٢٧ يونيو ١٩٧٢** • وهذا التحالف ــ كما وصفه **جورج مارشيه** السكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي « **ليس مجرد اتحاد لليسار ، وانما هو اتحاد شعبي وكل الديمقراطيين الطيبين مدعوون للاشتراك فيه** » .

وفيما عدا ذلك فانه توجد بعض التشكيلات الهامشية من اقصى اليسار المنتمى الى التروتسكية الى اقصى اليمين المنادي بشعار « القومية الفعالة» •

ولعل من المفيد أن نفرغ من البداية من تقرير تلك الجوانب من ظروف الانتخابات الفرنسية المقبلة التي تجعلها تنفرد بسمات خاصة عن الانتخابات الفرنسية السابقة :

● **هي أول انتخابات عامة تجرى في ظل الجمهورية الفرنسية الخامسة ودستورها (التي تأسست عام ١٩٥٩) بعد رحيل الجنرال ديجول نفسه** • وهي بهذا المعنى أول اختبار حقيقي للديجولية بدون ديجول •

● **هي أول انتخابات يخوضها حزبا اليسار الرئيسيان (الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي) وقد أقاما تحالفا بينهما على أساس برنامج حكومي مشترك لتشكيل حكومة اتحاد شعبي • وهو تحالف لم يقم بينهما منذ عام ١٩٣٦** •

● انها تجري وسط مؤشرات من عمليات استطلاع رأى الناخبين تفيد ان **التحالف الشيوعي الاشتراكي يحظى بتأييد ٤٥ في المائة من الناخبين** بينما تحظى أحزاب الائتلاف **الحكومي بزعامة الديجوليين بتأييد ٣٨ في المائة منهم** •

● انها تجري في ظروف وصفتها وكالة الانباء الفرنسية بأنها « **أول مرة تواجه فيها الاغلبية البرلمانيه (الديجوليه) جموع الناخبين متحمله آثار الإرهاق الناتج عن ١٤ عاما من الحكم المتواصل** » •

الواقع الفرنسي
السياسي الاجتماعي

ومن الضروري قبل التعرض لتقييم قوة هاتين المجموعتين الرئيسيتين في الانتخابات العامة الفرنسية من القاء نظرة على « الواقع الفرنسي » السياسي والاجتماعي الراهن ، لان قوة كل من المجموعتين لابد أن تنتسب الى هذا الواقع وامكانياته واتجاهات التطور فيه •

ان أول معطيات الواقع الفرنسي بالنسبة للرؤية الماركسية العلمية لهذا الواقع ــ هي ان **رأسمالية الدولة الاحتكارية** تتمثل في فرنسا في شكلها الاكثر وضوحا ، حيث ادت رأسمالية الدولة الاحتكارية هذه الى **تمركز مالي وفني شديد للاقتصاد** • وفي ظل هذا الوضع تسود دعوى

النظريين الرأسماليين القائلة بأنه لا يمكن ان تقوم فى الدول الرأسمالية المتطورة ثورة ، لان التناقضات الطبقية تنطمس ، وهى دعوى تقوم على اغفال حقيقة بالغة الاهمية هى ان التناقضات التى تحملها رأسمالية الدولة الاحتكارية فى كيانها تتفاقم وتتضاعف ، ولا تتضاءل على الاطلاق كما توحى النظرة السطحية .

والواقع أن أداء النظام الديجولى هو ترجمة سياسية حاسمة لمتطلبات السيطرة الاقتصادية لرأسمالية الدولة الاحتكارية . حيث النظام البرلمانى يتفق مع متطلبات الرأسمالية : تحديد امتيازات البرلمان ، تقوية سلطة رئيس الجمهورية ، حق السلطة التنفيذية فى حل البرلمان ، استخدام الاستفتاء الشعبى ضد البرلمان ، رئيس الجمهورية هو مفتاح النظام كله . فى هذا النظام يرى الرأسماليون أنه من الضرورى لاقصى درجة الافلات من رقابة البرلمان واقامة علاقات بين قيادة الدولة والتمثيل البرلمانى « مماثلة للعلاقات القائمة بين رئيس مجلس الادارة وصغار المساهمين » ، اى علاقة لا يستطيع فيها هؤلاء المساهمون ان يمارسوا اى تأثير فعال نتيجة لتدخلهم فى أى مناقشة . وهكذا فان رئيس الجمهورية فى النظام الديجولى ليس مسئولا تجاه البرلمان ،ولا تجاه الشعب ، وانما هو «مسئول فحسب تجاه التاريخ». وفيما عدا ذلك فان السلطة الفعلية التى تمارس التوجيه السياسى والاقتصادى عمليا ، هى بيد الفئة البيروقراطية التى تضع نفسها فى خدمة اقتصاد رأسمالية الدولة الاحتكارية .

وبطبيعة الحال فان هدف الائتلاف الديجولى فى انتخابات مارس القادم هو استمرار هذا الوضع ودعم هذه السيطرة تحت شعار الحفاظ على « مؤسسات الجمهورية الخامسة التى أسسها جنرال ديجول وعلى بقاء المجتمع الليبرالى » . وقد عبرت وكالة الانباء الفرنسية أيضا عن حقيقة هدف الائتلاف الديجولى فى الانتخابات بقولها: « يستطيع كل من يرغب فى ان يقام فى فرنسا جنرال ديجول وعلى بقاء المجتمع الليبرالى » . ابتداء من الديجوليين الى دعاة الاصلاح وكل من يحترف العداء للشيوعية ـ أن يؤيد السياسة الداخلية والخارجية التى اتبعتها مختلف حكومات الجمهورية الخامسة منذ ١٤ عاما » .

خطوة الاشتراكية

برنامج التحالف اليسارى

وعلى الجانب الاخر فان برنامج التحالف اليسارى للشيوعيين والاشتراكيين يهدف الى ان يكون نجاحه فى الحصول على أغلبية برلمانية « خطوة نحو الاشتراكية » فحسب . ذلك أن مجرد التغيير البرلمانى فى حد ذاته لا يكفى لاحداث تحويل عميق من الديمقراطية الصورية الى الديمقراطية الفعلية . ولان المقصود بالاشتراكية ليس الاستيلاء على آلة الدولة بل تعبئة القوى الجماهيرية من أجل فرض احترام قرارات أغلبية الشعب .

ويقضى البرنامج المشترك للتحالف اليسارى بتأميم القطاعات الرئيسية للاقتصاد ، وخاصة البنوك وشركات التأمين وصناعة التعدين (المناجم) والمشروعات الدفاعية والفضائية والبترولية وصناعة الطائرات . ولا يغفل البرنامج حماية مصالح صغار المساهمين ، ويؤكد الحاجة الى تخطيط ديمقراطى للتنمية الاقتصادية . وينص البرنامج على صبغ الاقتصاد بالصبغة الاشتراكية باطراد .

وفى المجال الاجتماعى يرمى البرنامج اليسارى الى اتخاذ خطوات نحو تحسين مستوى المعيشة وخفض ساعات العمل الاسبوعية ، وتحقيق استقرار للاسعار ، والقضاء على البطالة واصدار تشريعات عمالية جديدة عادلة . ويقضى فى الوقت نفسه بضمان حق التعليم للجميع والمجانية فى جميع المؤسسات التعليمية بتأميم المعاهد التعليمية المملوكة ملكية خاصة .

وفى مجال السياسة الخارجية يهدف البرنامج اليسارى المشترك الى الدعوة الى حل حلف الاطلنطى وحلف وارسو فى وقت واحد ، والى أن تلعب فرنسا دورا ايجابيا فى الاستعدادات لمؤتمر الامن الاوروبى . وتجميد القوة النووية الفرنسية وخفض الاعتمادات العسكرية .

وعلى وجه الاجمال فان برنامج التحالف اليسارى يمهد الطريق لوحدة الطبقة العاملة الفرنسية مع تحالف القوى الديمقراطية ، ويخلق من خلال هذا التحالف قوة كبيرة قادرة ـ من خلال برنامج حكومى محدد ـ على التصدى لقوى السيطرة الرأسمالية الاحتكارية . فهو يخلق أفضل الظروف الواقعية للقوى التقدمية فى فرنسا كلها للاتحاد على نطاق واسع .

وقد أصبح من الواضح ـ خلال الحملة الانتخابية للتحالف اليسارى ـ أنه يرمى الى تقييد سلطات رئيس الجمهورية ولاسيما حقه فى حل الجمعية الوطنية . كذلك فان زعماء التحالف قد حرصوا خلال الحملة على تفنيد الرأى القائل بأن الغرض منه « اقامة جمهورية سادسة » .

ويرتكز التحالف اليسارى الفرنسى على تأييد ايجابى مؤكد من جانب الاتحاد العام للعمل

لبرنامجة المشترك • وبالفعل فقد أعلن الاتحاد انه ستتم تعبئة المناضلين فيهلنصرة هذا البرنامج،رغم اتهامات المخصوصات بأن هذا سيشكل تدخلا فى السياسة • وأعلن الاتحاد انه يعرف ان تأييد التحالف اليسارى هو « واجب نقابى طبقى من الدرجة الاولى » • ووصف البرنامج بانه « الوسيلة الوحيدة لفتح طريق أمام أكثر المطالب الحاحا » •

وقد اعترفت كل الدوائر فى فرنسا ـ بما فيها الصحف اليمينية الديجولية وغير الديجولية على السواء بأن تحالف اليسار قد بلغ فى الاسابيع السابقة على الانتخابات « ذروة من الشعبية لم يسبق لها مثيل » • فقد اتضح أنه حقق بعد أقل من ثمانية أشهر من توقيع اتفاق البرنامج الحكومى المشترك أن اليسار أصبح فى مركز أقوى مما كان فى أى وقت منذ تولى جنرال ديجول السلطةعام ١٩٥٨ • وهو أمر انعكس فى نتائج عمليات استطلاع الرأى ، وخاصة تلك التى أجرتها صحف يمينية مثل « أورور » و « الفيجارو » •

ومع ذلك فان هذه الدوائر اليمينية لم تشأ ان تعترف هكذا ببساطة بتفوق التحالف اليسارى وقوة وشعبية برنامجه الحكومى المشترك ، فراحت تفسر هذه النتائج بأنها ترجع « الى عدم شعبية الديجوليين أكثر منها الى حماس كبير لبرنامج تحالف اليسار » • وذهبت فى هذا التفسير الى حد فضح أسباب تضاؤل شعبية الديجوليين، وخاصة الفضائح المالية لعدد من المسئولين والنواب الديجوليين خلال السنوات الاخيرة •

وتنقلنا هذه النقطة مباشرة الى التساؤل عن برنامج الائتلاف الديجولى فى انتخابات مارس المقبلة •

الديجوليون بلا فلسفة

وبـدون بـرامـج

الواقع أن غموض مفهوم الديجولية نفسه منذ أن نشأمع عودة ديجول إلى السلطة فى فرنسا عام ١٩٥٨ لا يزال يطبع بطابعه كل فكر السلطة الديجولية وبرامجها حتى الان • بل أن تضارب الديجوليين أنفسهم فى تفسير معنى الديجولية قد كشف على مدى السنوات الماضية انعدام فلسفة محددة وراءها . وأوقع الديجوليون أنفسهم فى خطا الخلط بين القول بامكان استمرار « اليجولية خطا الخلط بين القول بامكان استمرار « الديجولية بدون ديجول » والقولباستحالة « فرنسا بدون الديجولية » ! الاولى مسألة تخص الديجوليين وحدهم دون غيرهم ، والثانية هى مسألة فرنسا كلها . وقد ساعد على هذا الخلط وعدم التحدد أن النظام الديجولى ـ فى التطبيق ـ كما قلنا من قبل ـ اوجد رئيسا للجمهورية يتمتع بكل السلطات وحكومة ورئيسا لها وبرلمانا تبدو كلها كمؤسسات تابعة لسلطة رئيس الدولة وتحتل مواقع ثانوية بالنسبة الى اختصاصاته وسلطاته •

ويتحدث الديجوليون باستمرار فى وصف سياستهم عن « الدفاع عن القانون والنظام ، والدفاع عن مؤسسات الجمهورية الخامسة ، والإستقلال الوطنى ، والمعدل المرتفع للتنمية الاقتصادية » • وهذه كلها عموميات لا تكفى فى ذاتها لاقناع الجماهير بأنها تلبى حاجاتها الى التطور • فكل هذه الاشياء التى يرددها الديجوليون أصبحت فى النهاية أمورا مسلما بها وليست برنامجا للمستقبل الاقتصادى والاجتماعى والسياسى لفرنسا وللشعب الفرنسى وجماهيره العاملة ، وخاصة فى وقت ارتبطت فيه السلطة الديجولية « بالراسمالية الكبيرة » ، وحيث يبدو لاغلبية الشعب ان « الشيوعيين أكثر استعدادا لتقبل قواعد الديمقراطية من الديجوليين » على حد تعبير مجلة « ايكو نوميست ـ البريطانية •

والنتيجة الرئيسية لانعدام البرنامج المحدد للائتلاف الديجولى فى الانتخابات المقبلة هى ان برنامجه الوحيد هى الهجوم على البرنامج اليسارى ومحاولة احداث انشقاق فى التحالف الشيوعى الاشتراكى • ويجد الديجوليون وسيلتهم الرئيسية الى محاولة النيل من الحزب الشيوعى بحملة تخويف مما يمكن ان تكون عليه عواقب نشوب احداث مثل احداث ثورة مايو ١٩٦٨ العمالية والطلابية فى فرنسا ، أو وقوع أحداثفى فرنسا شبيهة بأحداث براج عام ١٩٤٨ اذا ما صعد الشيوعيون الى السلطة •

وتمضى محاولة الديجوليين لتخويف الجماهير من عواقب نجاح التحالف اليسارى الى تصوير الموقف السياسى الذىيمكن ان يحدث عندئذ •وهو موقف يتلخص فى ان يحد الرئيس الديجولى جورج بومبيدو نفسه ـ وهو الذى سيستمر فى الرئاسة حتى عام ١٩٧٦ ـ أمام جمعية وطنية أغلبيتها من الشيوعيين والاشتراكيين • ويرى الديجوليون أن نظامهم قد نجح على مدى السنوات الماضية بسبب وجود تجانس بين رئيس الجمهورية الديجولى ، ورئيس الوزراء الديجولى والجمعية الوطنية بأغلبيتها الدجولية ايضا • فماذا يحدث لو أن انتخابات مارس أفضت الى عدم توافق بين أغلبية الجمعية الوطنية وفكر رئيس الجمهورية ! ان أغلبية يسارية فى البرلمان تتطلب رئيس حكومة يسارى وحكومة ذات برنامج يختلف عن برنامج القطاعات الرئيسية من الاقتصاد أو خفض نفقات القوة الذرية الفرنسية • فهل يخضع الرئيس

الديجولى لرأى جماهير الناخبين لو نجح التحالف اليسارى فيعين حكومة تعكس برنامج هذاالتحالف ام يتحدى اليسار ورغبة الغالبية الشعبية ويعين حكومة اقلية ، أم يلجأ الى اقصى أسلحته الدستورية أى حقه فى أن يحكم بصورة مطلقة طبقا للمادة السادسة عشرة من الدستور ، أم يستقيل قبل أن تنتهى فترة رئاسته ؟

تتردد كل هذه الاسئلة من جانب الديجوليين لتصوير مدى « جسامة » التغيير الذى يمكن أن يؤدى اليه نجاح التحالف اليسارى فى الحصول على أغلبية فى الانتخابات العامة .

وخلال الاسابيع الاخيرة فان حالة اليأس التى استبدت بالديجوليين وحلفائهم من الاحـزاب اليمينية والليبرالية والوسـطية أوصلتهم الى **تعليق الامال على نجـاح مجموعـة الاحـزاب الاصلاحية بزعامة سيرفان شرايبر ولوكانويه فى أن تمسك بميزان الاغلبية** ، أى أن تحصل على عدد من المقاعد فى الجمعية الوطنية يمكن الديجوليين بالتحالف مع هذه المجموعة من أن يستمروا فى السلطة فى حالة ما اذا ضاقت الهوة بين عدد مقاعد الديجوليين ومقاعد اليساريين . وقد اتضح بالفعل أن مؤيدى « الاصلاحيين » سوف يقترعون لصالح الديجوليين ضد اليسار فى حـالات انتخابات الاعادة . كما اتضح أن « الاصلاحيين » **الذين سينتخبون أعضاء فى الجمعية الوطنية سيقفون فى صف الديجوليين ضد اليسار على أى الاحوال .**

سـلاح البورصـة

وقد عمدت السلطات الديجولية فى غيبة برنامج شعبى لحزبها وفى حالة من الشعوربفقد الثقـة الجماهيرية الى **اشاعة الخوف من حدوث تدهور لمركز الفرنك فى حالة فوز اليسار فى الانتخابات . فبعد اذاعة أرقام نتائج عمليات استطلاع الرأى التى أكدت اتجـاه جماهير الناخبين الى تاييد التحالف الاشتراكى عمد المضاربون الى ممارسة لعبهم التقليدية فى أسواق الاوراق المالية والنقد الاجنبى ،بحيث هبط سـعر الفرنك ،وارتفع سعر الذهب** . وراحت الدوائر الديجولية تؤكد أن هذه الظاهرة نتيجة مباشرة للخوف من نتائج استطلاع الرأى !

والغريب أن السلطات أصدرت بعد ذلك بوقت قصير أمرا بحظر نشر نتائج عمليات استطلاع الرأى أثناء فترة الحملة الانتخابية .

على أن زعماء الحزبين الشيوعى والاشتراكى قد نشطوا حتى قبل بداية الحملة الانتخابية فى الرد على حملات التخويف من نجاح اليسار فى الحصول على الاغلبية . لقد أوضح **جورج مارشيه** السكرتير العام للحزب الشـيوعى الفرنسى أن **صعود حكومة يسارية الى السلطة لن يكون معناه قيام نظام اشتراكى على غرار النـظم الاشتراكية القائمة فى أوروبا الشرقية فورا** . وانما سيكون مجرد « خطوة نحو الاشتراكية » . كماأوضح أن الحزب الشيوعى لاينوى بأىحال ان ينفرد باتخاذ القرارات ولن يعمد الى فرض وجهات نظره على حلفائهالاشتراكيين .

واوضح زعماء الحزب الاشتراكى ، وخاصة فرانسوا ميتران نفسه ــ انه فى انتخابات الاعادة سيؤيد التحالف اليسارى المرشح الشيوعى او الاشتراكى الحاصل على العدد الاكبر مناصوات الناخبين فى انتخابات المرحلة الاولى . وقـد أوضح هذا أن الحكم على صلاحية المرشح ــ شيوعيا كان او اشتراكيا ــ قد اتفق على ان يترك لرأى جماهير الناخبين انفسهم .

وقد نجح اليسـار الفرنسى فى احباط حملـة الديجوليين ضده الى حد كبير ، حتـى ان صـحيفة « **الاوبزرفر** » البريطانية قالت « **أن الصورة التقليدية للشيوعى الذى يمسك بسكين بين أسنانه مستعدا لتفتيت الحرية الفردية واقامة حكم ارهاب** ستالينى قد فقدت كل تصديق لها » وقالت أيضـا أن التقـارير الواردة مـن أقـاليم فرنسا (المناطق الريفية) تؤكد أيضا أن مارشيه سكرتير الحزب الشيوعى قد نجح الى حد بعيد فى الاجتماعات السياسية التى عقدها هناك أخيرا .

تركيز على الديمقراطية

وبالاضافة الى هذا فان المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى الفرنسى الذى عقد فى مارسيليا فى شهر ديسمبر الماضى كان مناسبة هامة أعلن الحزب فيها سياسته الجماهيرية ومسئوليته امام مشـاكل الجماهير الشعبية . **وكان تركيز الحزب خلال المؤتمر واضحا على قضية الديمقراطية** حتى أن صحف فرنسا خرجت تردد ماقاله جورج مارشيه السكرتير العام للحزب فى ختام خطابه أمـام المؤتمر « **لتعش فرنسا فى ربيع الديمقراطية** » . وقد وجه مارشيه فى المؤتمر **لطمة قاتلة للحجـج التقليدية للاحزاب اليمينية الفرنسية عن « الافكار المستوردة »** للحزب الشيوعى الفرنسى حيـن أعلن « **أننا نقرأ برنامج العمل المشترك (للتحالف اليسارى) لا فى ضوء أجنبى وانما فى ضوء فرنسى ، بعيون العمال الفرنسيين** » .

ان الشىء المعترف به الان من جميع القوىفى فرنسا أن شعبية الحزبين الشيوعى والاشتراكى ــ

فى وحدتها الجديدة ـ قد سجلت صعودا هائلا ، وانه اذا استمرت مؤشرات نتائج عمليات استطلاع الراى فى اتجاهها الحالى حتى موعد الانتخابات العامة الفرنسية فان اتحاد الشيوعيين والاشتراكيين سيصبح أكبر قوة فى السياسة الفرنسية لاول مرة منذ أيام الجبهة الشعبية بزعامة ليون بلوم التى حكمت فرنسا منذ حوالى ٣٥ عاما . وفى الوقت نفسه فان الشعور المتزايد بين الفرنسيين أن الديجوليين قد ازدادت صفوفهم فسادا وان الزمن قد تجاوز أفكارهم وانهم هم أنفسهم قد أصبحوا فى موقف اللامبالاة تجاه مطالب الشعب . وبمعنى اجمالى فان فرنسا بدأت تتهيأ لحكومة يسارية يشترك فيها الحزب الشيوعى الذى ازدادت شعبيته واقترابه من مشاكل الجماهير ومطالبها أكثر من أى وقت مضى .

واذا سمحنا لانفسنا بأن نستعرض الارقام التى تكشف توقعات الدوائر الفرنسية عن حجم الهزيمة التى ينتظر أن يمنى بها الديجوليون فى انتخابات مارس ، وجدنا أنها تشير الى أن الديجوليين سيفقدون عددا من مقاعد الجمعية الوطنية (٤٩٠ مقعدا) يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ مقعد . وفى مثل هذه الحالة فان الرئيس جورج بومبيدو سيضطر للتخلص من رئيس وزرائه « الديجولى الصلب » بيير ميسمير الذى أتى به الى رئاسة الحكومة ، خلفا لجاك شابان ديلماس فى يوليو الماضى بعد أن تجاوزت الفضائح المالية والشخصية لحكومة شابان ديلماس الحدود التى يمكن احتمالها . وكان تعيين بيير ميسمير رئيسا للوزارة قد تم بعد أسبوع واحد من الاتفاق بين الحزبين الشيوعى والاشتراكى على برنامجهما الحكومى المشترك . وكان بومبيدو قد أعلن بعد تشكيل حكومة ميسمير بيومين اثنين أن الانتخابات العامة المقبلة ستكون ذات أهمية بالغة للحفاظ على المؤسسات ، والمحالى أن فوز التحالف الشيوعى الاشتراكى سيعنى « نهاية المؤسسات التى أقامها الجنرال ديجول » .

وكان من الواضح من وقتها أن تشكيل حكومة جديدة برئاسة ميسمير بدلا من شابان ديلماس واحتفاظ الديجوليين فيها بثلثى المناصب (بدلا من ثلاثة ارباعها فى الحكومة السابقة) أن المهمة الرئيسية للحكومة الجديدة لا تتركز على حل مشكلات الشعب العامل فى فرنسا ، وخاصة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية ـ وانما على كسب المعركة الانتخابية القادمة بأى شكل والتصدى للتحالف اليسارى . وربما كان ادراك الرأى العام بين الجماهير الفرنسية لهذا الاهتمام الانتخابى الاساسى لدى الديجوليين أحد العوامل التى أسهمت فى اضعاف موقفهم منذ ذلك الوقت بصورة أكثر حدة .

العيون على شيلى

.. وايطاليا ايضا !

والان فانه ليست فرنسا وحدها التى تتهيأ لتغيير هام تسفر عنه انتخابات مارس القادم ، بل ان اوروبا الغربية كلها ترقب الموقف عن كثب ادراكا منها بأن صعود اليسار الى الحكم فى فرنسا يخلق أوضاعا جديدة تؤثر فى دول أوروبا الغربية . ولعله ليس من قبيل المصادفة ان أخذت الدوائر الاوروبية الغربية ـ وكذلك الدوائر الامريكية ـ تشير الى صعود اليسار الاشتراكى الى الحكم فى شيلى على انه نموذج يمكن استخلاص الدروس منه بالنسبة لما سيحدث فى فرنسا غدا وما قد يحدث بعدها فى ايطاليا بعد غد . وقد تحاول الطبقات البورجوازية المسيطرة فى اوروبا الغربية ان تستخلص دروسا سلبية عديدة من تجربة شيلى للحكم على النتائج التى يمكن أن تترتب على حكم اليسار اذا جاء الى فرنسا ، ولكن الجماهير العاملة الفرنسية تتمتع بالوعى بما يكفى لتمكينها من استخلاص الدروس الايجابية لهذه التجربة ومعرفة اختلافات الظروف الموضوعية بين الاوضاع فى فرنسا حيث يسود شكل كلاسيكى من الاقتصاد الراسمالى المتقدم الذى تحقق فيه رأسمالية الدولة الاحتكارية ، والاوضاع فى شيلى حيث كان يسود اقتصاد نام خاضع لضغوط استعمارية متعددة الجوانب .

وتدرك دوائر أوربا الغربية ـ وبالتحديد دوائر السوق الاوروبية المشتركة ـ أن برنامج التحالف اليسارى الفرنسى يدعو الى انتخاب برلمان أوروبى عن طريق الاقتراع العام . وهو مطلب لا تحققه الاوضاع الراهنة فى السوق المشتركة لانه يقابل بمقاومة شديدة من جانب القوى غير الديمقراطية للحكومات التى تتكون منها السوق والتى تمثل فى النهاية مصالح الاحتكارات الراسمالية الضخمة ، ومصالح الشركات العملاقة المتعددة القوميات Multinational أى تلك التى تتجمع فيها رؤوس أموال من دول مختلفة فى عمليات استثمار احتكارية متعددة الجوانب .

.. والشرق الاوسط ؟

بقى السؤال الذى يعنينا ـ نحن العرب ـ بالدرجة الاولى من وراء التغيير المرتقب فى فرنسا . والسؤال هو الى أين تتجه سياسة فرنسا ـ فى حالة تكوين حكومة اتحاد شعبى يسارية فيها ـ فيما يتعلق بالصراع العربى

الاسرائيلي . او ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط؟

ان لفرنسا الديجولية مواقفها وسياستها الخاصة تجاه أزمة الشرق الاوسط التى أسهمنا نحن بدور كبير فى تصويرها على أساس تصورات بأنها سياسة مبنية على « المبادىء » و « الاخلاق » و « العدالة » و « النزاهة » و « الحياد » وعزونا هذه السياسة فى معظم الاحيان الى الخصال الشخصية لجنرال ديجول . وعندما غادر ديجول ساحة السياسة الفرنسية اصابتنا هزة عنيفة خوفا من أن تتجه فرنسا بلا ديجول وجهة أخرى . وكان علينا فى الواقع أن ندرك أن فرنسا وجدت مصالحها المالية والبترولية والابواب المفتوحة أمام النفوذ السياسى والثقافى الفرنسى كلها موجودةفى العالم العربى ، ولم يكن من الممكن ان تغفل عن هذا بين يوم وليلة .

والان فاننا نوشك ان نقع فى اوهام من نفس النوع وربما تكون أشد خطرا . ننسى أن التحالف الشيوعى الاشتراكى لا يعنى اطلاقا زوال الكيانين المكونين لهذا التحالف ، أو ذوبانهما معا فى كيان واحد . وان الحزب الشيوعى الفرنسى الذى يعد اصلب الاحزاب الفرنسية تأييدا لحركة التحرر العربى وللقضية الفلسطينية ولحقوق العرب فى استرداد الارض العربية المحتلة لن يلغى مواقفه بمجرد الدخول فى برنامج حكومى موحد مع الحزب الاشتراكى ، برغم كل مايمكن ان يقال عن صداقة شخصية تربط فرانسوا ميتران زعيم الحزب الاشتراكى الفرنسى وجولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية .

الادهى من كل هذا ان مجلة اسبوعية عربية كتبت فى منتصف الشهر الماضى (يناير) ـ فىتحليل عن محاولات اسرائيل لدعم علاقاتها مع اليسار الفرنسى تقول أن اسرائيل هى التى اوحت بقيام التحالف الشيوعى الاشتراكى (!) لانها ادركت ان موجة اليسارفى صعود فىفرنسا وفىغيرهامندول اوروبا . وتتصور المجلة العربية أن اليهود الفرنسيين ـ بايعاز من اسرائيل ـ ضغطوا على الاشتراكيين للائتلاف فى جبهة واحدة مع الحزب الشيوعى الفرنسى بهدف ان تحتوى اسرائيل فيما بعد اليسار الفرنسى عندما يصبح فى السلطة . وليس أكثر من هذا ايغال فى الخطأ فى معرفة ما هو الحزب الشيوعى الفرنسى وما هو تاريخه وما هى الفلسفة التى يستند اليها فى سياسته ،بل وفى نضاله على النطاق الفرنسى والعالمى . فهكذا يتصور بعضنا الحزب الشيوعى الفرنسى ـ الذى قدم لقضية تحرير فرنسا من النازية أفدح ضريبة من البطولة والتضحية ـ والذى تنتظم صفوفه جماهير الملايين من عمال فرنسا ومثقفيها ، والذى ناضل دون وهن وباستمرار كما لم تناضل اىقوى فرنسية اخرى ضد الحروب الاستعمارية فى الجزائر وفيتنام ، ويناضل الان فى مقدمةالقوى الديمقراطية فى فرنسا كلها ضد السلطة الشخصية .. هكذا يتصور بعضنا هذا الحزب مجرد ألعوبة فى أيدى اسرائيل تحركها وتحرك معها الحزب الاشتراكى الفرنسى ايضا من خلال خيوط « اليهود الفرنسيين » وان كانت المجلة العربية نفسها تعترف فى تحليلها ذاته بأنه لا وجود فى فرنسا لا يسمى بالصوت اليهودى فى الانتخابات على غرار الصوت اليهودى فى الانتخابات الامريكية .

ان الحزب الشيوعى الفرنسى لم يتخل فى أى لحظة عن تأييده الايجابى للقضية العربية ولشعب فلسطين على نحو تجاوز فى كثير من الاحيان كل الحدود التى يبلغها احيانا التأييد العربى نفسه لشعب فلسطين ولقضية تحرير الارضالمحتلة ! لقد وقف ضد الارهاب الصهيونى ونظم المظاهرات والمسيرات والاحتجاجات ضد اسرائيل ومع فلسطين والعرب فى كل وقت ومناسبة . وحتى مؤتمره العشرين الاخير فى مارسيليا فى ديسمبر الماضى لم تخل قراراته النهائية من تأييد للقضية العربية وللنضال الفلسطينى وحقوق شعب فلسطين ضد اسرائيل والعسكرية التوسعية الصهيونية .

ان اليسار الفرنسى متحدا وحائزا لتأييد أغلبية الشعب الفرنسى يستطيع أن يقف بطريقة أكثر ايجابية وتأثيرا فى صف القضية العربية ـ التى يؤمن بأنها جزء من النضال التحررى العالمى لا ينفصل عنه ـ ويستطيع فى الوقت نفسه ان يشارك بطريقة أكثر فعالية فى النضال ضد اسرائيل والتوسعية الصهيونية التى يؤمن بأنها جزء من الامبريالية العالمية وقاعدة للامبريالية الامريكية بوجه خاص التى يوجه اليسار الفرنسى طاقة كبيرة من نضاله للتصدى لها داخل وطنه وخارجه .

ولكن علينا من جانبنا ان ندرك ان نضالنا من أجل التحرر ونضالنا من أجل الاشتراكية فى بلادنا يقربان قضيتنا الى أذهان الجماهير الفرنسية التى تعطى اصواتها الان لليسار الفرنسى ، اى لمفاهيم التحرر الوطنى ، ولمفاهيم الاشتراكية ، ولمفاهيم التقدم والديمقراطية . أما أى نجاح تسجله اسرائيل فى « تصوير نفسها بصورة المجتمع الاشتراكى والديمقراطى والمتقدم » فاللوم فى تحقيقه يقع بالدرجة الاولى علينا نحن العرب وعلى الصور التى تبدو بها مجتمعاتنا ومدى ما يبدو فيها من اشتراكية وديمقراطية وتقدم .

السياسة الأمريكية المعاصرة

فى ضوء التطورات الجديدة للسياسة العالمية

■ يكتب هذا المقال « للطليعة »
د. روجر هيكوك الاستاذ المساعد للتاريخ والعلوم السياسية بالجامعة الامريكية. وهومن المثقفين الامريكيين الشبان الذين ينتمون الى الحركة الديمقراطية الامريكية المعادية للامبريالية والعدوان ، والمتعاطفة مع حركات التحرر الوطنى العالمية.

د. روجر هيكوك

إن المشكلة الاساسية للوصول الى نظرية سياسية واجتماعية فى أواخر القرن العشرين ، هي مشكلة تحديد المقومات لصيغة العمل التى تتفق وملامح العصر . وعلى وجه الخصوص فانه يبدو واضحا وبصورة متزايدة ،ان الصيغة التى تحكمنا الان والتى سادت فى القرنين الثامن والتاسع عشر ، قد وضعت لتتناسب مع ظروف، قد ولى . ان اطار النظرية الاجتماعية فى أواخر القرن العشرين ينبغى أن تكون أكثر تحديدا مما يان عليه فى عصر ما بعد التنوير ، لو سلمنا بعد «هيجل» و «ماركس» . فانه حتى ، لو سلمنا بصحة الغايات السياسية التى اتجه هؤلاء اليها وبامكانية تحقيقها ، فانه يبقى علينا رغم ذلك أن نبذل جهدا ضخما لتحديد ملامح هذه النظرية متجاوزين تلك السمات المميزة لعصر التنوير وهيجل وماركس . ان النقطة الاساسية هنا ليس فى أن تكون صادقا ومخلصا لاى من هؤلاء المعلمين ، ولكن ان تعمل نظريا أو عمليا على تطوير المعطيات التى وصلتنا عنهم .

وفى ظروف متعددة يتطلب هذا منا أن تكون محاولاتنا لكى نكون ماركسيين او هيجليين أن نتخذ اساليب غير هيجلية أو غير ماركسية . لان ما يهم فى هذا المقام ليس فى أن نكون موالين لاحد من هؤلاء الرواد بقدر ما يجب أن تتفق فيه أعمالنا النظرية والواقعية مع وقائع العصر لكى يمكننا تغييره .

عصر مابعد الصناعة

ولكى نكون اكثر تحديدا ودقة ، فان العصر المعروف بعصر ما بعد الصناعة ، هو العصر الذى تم فيه ولاول مرة حل جميع المشاكل الرئيسية للانتاج . ان الاقتصاديات الاساسية فى دول الغرب هى فى وضع يمكنها ، ومن خلال العملية الانتاجية والخدمات والتجارة ، أن توفر وبطريقة دائمة الرفاهية لجميع الشعوب . ولكن الحقيقة بالطبع لا تغفل ذلك (1) فان جماعات ضخمة

[1] انظر Karl Deutsch, Politics and Government, N.Y. 1970, pp. 89 — 95

داخل هذه المجتمعات ؟ لا يتم اعالتها (ان ٢٠ مليون فرد يقعون تحت ما يطلق عليه « بخط الفقر » فى الولايات المتحدة ، وهذا طبقا لاحصائيات حكومة الولايات المتحدة) • ان أسباب التناقض بين الاحتمال والحقيقة ، لا يتم البحث عنها فى نقص الموارد والتكنولوجيا ، ولهذا السبب فان المشاكل لا تختلف جوهريا عما كانت عليه فى الماضى ، وانما تختلف ايضا عن مشاكل الكثير فى مناطق العالم الاخرى ، وتكمن الاسباب فى المنتجات الثانوية للانتاج ، مثل الفضلات الصناعية الملوثة (التى سوف يكون لها بالطبع وعلى المدى البعيد نتائج تظهر على العملية الانتاجية نفسها ، وفى المستقبل ايضا) وايضا فى التمدن او فى التناقضات الاجتماعية كالتمييز العنصرى والبطالة والفقر .

ان أى نقد نظرى صحيح يوجه للمجتمع الغربى يجب ان يرتكز على هذه المقدمة الاساسية من أجل التوصل للاستنتاجات الصحيحة، وسنحاول هنا تقصى بعض هذه الاستنتاجات •

البيئــة الجـــديدة

حاولت حكومات الغرب ، خلال القرن العشرين ، أن تكيف الراسمالية مع مطالب المجتمع المتحضر والذى بلغ من التقدم الصناعى أقصى الدرجات • وهذا فى حد ذاته ، قد خلق العناصر الاجتماعية . لان الرأسمالية نمت أساسا فى البيئات التى يغلب عليها الطابع الريفى او بيئات ماقبل ظهور الصناعة • ان من المعروف جيدا ، أن المنافسة التى تكمن فىجوهر المشاريع الحرة ،قد استطاعت ان تزدهر فى القرن الثامن عشر فى انجلترا وهولندا . ولكنها استبدلت الان بما يسمى « بالراسمالية الاحتكارية » أو السيطرة المشتركة على الاقتصاد فى قلة من الاتحادات الاحتكارية الضخمة . ان نظرية الراسمالية الاحتكارية (كما طورها على سبيل المثال لينين فى دراسته عن الامبريالية) ، ما هى فى الحقيقة الا نظرية متناقضة ، ما دامت تقضى الى حد بعيد على المنافسة ، على الاقل فى اقتصاد معين • وتبقى هناك المنافسة بين الاقتصاديات المختلفة (والتى يجسدها تمثيل الحكومة فى المنافسة بين الدول) ، والذى يعمل بطريقة مختلفة كليا ما دام لا يوجد اقتصاد عالمى مستقل ، ولا توجد مجموعة من القواعد الاجرائية لاستثمارها • وهذا يعرفنا على احدى النتائج الاولية للسياسات الجديدة التى تنتهجها الحكومات الغربية واليابان التى امتطت بنجاح الحصان الامريكى والتى أصبحت تهدد الان بعكس علاقاتهما .ثم اقامة البيئة العالمية الحديثة للراسمالية لتحل محل البيئة القديمة السابقة . وعلى ضوء ذلك ، يمكننا تفهم بعض الاتجاهات الحديثة للسياسة الغربية وساستها ، وعلى الاخص التوتر المتزايد بين الوحدات الاجتماعية الاقتصادية للرأسمالية مثل الولايات المتحدة ودول السوق المشتركة واليابان • وهذا التوتر ناشىء عن المساومة المستمرة بينهم حول كيفية عمل الاقتصاد العالمى ، ومن الذى يمكن ان يكون له دور فيه. ان الموقف الصارم لحكومة نيكسون بشأن المفاوضات ، والتى عبر عنها فى العام الماضى وزير الخزانة « كسونااللى » ما هى الا احدى علامات هذه العملية • وتبدو الاهمية المتزايدة للمشكلة واضحة فى السياسات الجديدة والموظفين الجدد فى الادارات المختلفة • حيث أن حكومة نيكسون دخلت مدتها الثانية . كما أنها تبدو واضحة أيضا فى موقفالسوق الاوروبية المشتركة ، خاصةوان عضويتها تشمل الان بريطانيا العظمى ، وأصبحت تشعر فى النهاية بأنها على استعداد لمواجهة الولايات المتحدة ككيان (وقد عهد رمزيا بمسئولية الشئون الخارجية الى بريطانى هو مستر كريستوفر سوميز ، ليبرهن على العزم والوحدة الفورية • كما أنها واضحة أيضا عند سياسيى الدول الاوروبية مثل فرنسا ، حيث أن النقد الرئيسى الذى يوجه للديجوليين من المعتدلين وزعمائهم جان لوكانيه ، وبوجان جاك سيرفان شرايبر . وقد عالج هذا الاخير هذه المسألة نظريا منذسنواتقليلة (٢) حيث نظر للديجوليين بانهملم يغدو أوربيين بالقدر الكافى • ولقد عنى هذا النقد بالعديد من الاشياء ، وأهمها أن نظام بومبيدو مثله فى ذلك مثل النظام الديجولى قد فشل بنظرته القومية الضيقة فىتحقيق الشىءالوحيدالذىيمكنه ان يحد من التأثير الدولى للولايات المتحدة ، وانه فشل فى أن يعمل بتنسيق مع الحكومات الاوروبية الاخرى (٣)• ويمكن مشاهدة هذا ايضا فى الصراع الاقتصادى المتطور بين الولايات المتحدة واليابان . هذا الصراع الذى يبعد عن النظرة القومية المتزايدة للرأى العام اليابانى وحكومته •

---

(٢) Le Défi Américain in

(٣) انظر مثلا مقال : Jean Lacanuet, in Nes Week, February 1, 1937 pp. 10—11.

اذن ، هناك بيئتان تحاول الرأسمالية الغربية أن تخلقهما ، أو أن تتكيف معهما ، وهما **البيئة القومية** فى الوطن والتى هى فى حاجة لان يتم اطفاوها ويعاد تنسيقها ، **والبيئة العالمية** التى يجب خلقها ، وظهورها • هذه هى الصفة العصرية للراسمالية ، ومن هذه الصفة تنشا السياسات ونقدها .

الجهاز الايدلوجى الامريكى

ان خلق الظروف المرضية لهذه البيئة المحلية والعالمية المطلوبة ، هى دائما وظيفة الجهاز الايديولوجى للدول الغربية (٤) ، ولا يتكون هذا الجهاز الايديولوجى فى الولايات المتحدة من الحكومة وأجهزتها ،انما يشمل ايضا الجزء الرئيسى والاكبر من وسائل الاعلام : كنشرات الاخبار والروايات والرسائل الاعلانية . فالفرد فى دولة مثل الولايات المتحدة يطوقه هذا الجهاز الايديولوجى • فمنذ ولادته (ومن خلال المعاملة المميزة التى يتلقاها من والديه ، ثم هو بدوره يكون فكرته عن البيداجوجيا (علم اصول التدريس) وذلك خلال سنوات دراسته) مما يدل على سيطرة الدولة فى الولايات المتحدة على التعليم الحكومى والتعليم الخاص ، سيطرة مباشرة ، وقد حققت نجاحا ملحوظا من خلال أساليب تأهيل المدرسين ومن خلال الدعم المادى للمدارس نفسها ثم من خلال سنوات مراهقة الفرد الامريكى حيث يكون معرضا ولساعات عديدة فى اليوم لرسالة التليفزيون والصحافة . ان الجهاز الايديولوجى الامريكى ، يدفع الفرد لان يرغب ويناضل من اجل أهداف مهنية شخصية ، وايضا لكى يضع ميزانية معينة لماله ووقته وبالطرق المحددة ،ثم لكى يتسنى وبأشكال معينة من العلاقات مع الاخرين •

هذا الجهاز الايديولوجى ، وبمرور الزمن ، يلقن الامريكيين الكوزموبوليتانية الغير مألوفة ، من حيث أنه يشجع أيضا تعليم اللغات الاجنبية وقبول الافراد الاجانب والمنتجات الاجنبية ، بالاضافة الى الاستعداد لقضاء عامين او اكثر خارج الوطن • كما أنها تشجع أيضا قضاء أوقات الفراغ المتزايدة باستمرار بطرق يمكن عن طريقها التناسى المؤقت للواقع الذى يحيا فيه غالبية الناس . ومن هنا مثلا التوكيد الكبير على لعبة التزحلق على الجليد فى الولايات المتحده . حيث انها توفر أحسن الوسائل للفرار من التلوث ، وقد خصصت مجلة التايم فى عدد اخير لها قصة الغلاف لهذه اللعبة) •

العمال المهاجرون

من اهم القضايا الرئيسية الاخرى التى تشغل الجهاز الايديولوجى فى الولايات المتحدة ، هو قيامه بتبرير الاستخدام المتزايد للعمال المهاجرين لكى يقوموا بالاعمال الحقيرة .

فلو قمنا بدراسة تاريخ السنوات العشرين الاخيرة ، نجد أنه تم استخدام العرب والافريقيين السود بالاضافة الى استخدام الاوروبيين القادمين من شمال غرب أوربا ، ليعملوا فى الوظائف التى تتطلب اقل قدر من المهارة • لذلك فان هجرة الامريكيين السود من الجنوب الريفى الى الشمال الصناعى ، والهنود الحمر الى الجزء الرئيسى من البلاد ، قد أدت وظيفة مشابهة فى الولايات المتحدة • وفى نفس الوقت ، قامت الولايات المتحدة بتغيير قوانين الهجرة فيها لتتيح الفرصة لمزيد من الاشخاص فى اماكن غير أوروبا الشمالية للهجرة اليها . ان التأثير المتراكم لهذه الهجرات بالاضافة الى الاستخدام الآلى المتزايد فى الاقتصاد ، قد كان من أجل ترك اكثرية العمال فى الولايات المتحدة فى الوظائف التى تلائم النقص فى قدرتهم الجسمانية • كما أن العائدات ذات الاجور العالية نسبيا قد ساعدت على ايجاد وعى يختلف الى حد كبير عن الوعى الموجود عند الطبقة العامة التقليدية • وبهذه الطريقة فان التمييز الطبقى والعنصرى قد استطاع أن يتوافق باحكام أكثر فى الغرب ، كما أن الجهاز الايديولوجى استغل هذه الظاهرة لكى ينجح فى أن يربط بين مطالب الفقراء المعدمين مع أولئك من غير البيض . وبالتالى من اشعال العداء ضد الاثنين معا وعلى نحو لا يمكن انكاره •

---

[٤] للمزيد من التحليل للوظائف المعقدة للجهاز الايديولوجى فى الغرب انظر :

Louis Althusser, «Idéologie et Appareils Idéologique, d'Etat», in LA PENSEE, No. 151, June 1970 pp. 3—38.

December 25, 1972. [٥]

وبفضل الالة ، ولتوفر العمال المهاجرين ، ولزيادة اوقات الفراغ ، أصبح الوعى الطبقى فى الولايات المتحدة غير واضح فى تلك الفترة • لذلك فان تطبيق الديمقراطية الدستورية بالطرق التى تلائم النظام القائم قد اصبح أكثر سهولة ما دامت الاصوات ذات الاغلبية العددية لن تتجه الى تهديد الوضع الراهن . ويتأكد هذا التطابق بين أهداف الاكثرية العاملة مع الاقلية الحاكمة ، من خلال الفزع والتعصب ، ولذلك فهى ظاهرة زمنيـة قصيرة • ان المشاكل الكامنة للقانون الطبقى سوف تظل تطفو على السطح مرة أخرى • ويكفى أن يتطلع المرء الى فرنسا ليراقب الصعود المذهل لليسار ، حيث اقتربت انتخابات مـارس التشريعية . ولفهم ذلك ، يمكن للفرد أن يشير الى الفوز المشرف لويلى برانت وللـديمقراطيين الاشتراكيين فى ألمانيا الغربية فى نوفمبر الماضى ، على الرغم من الاتهامات التى وجهها عدد من السياسيين البارزين ، ومنـهم الوزير السـابق والتر شيل ، من ان حكومة برانت تتجه وبشكل يدعو للخطر نحو اليسار • كما يمكن للفرد بالطبع أن يشير الى جورج ماكجفرن وانتخابات الرئاسة الاخيرة فى الولايات المتحدة ، حيث حصل على ٤٠ فى المائة من مجموع الاصوات ، ومن الصحيح ان هذا يعتبر نصرا لنيكسون ، الا أن ماكجفرن مع هذا قد حصل على هذه النسبة بالرغم من عداء الصحافة له ، والاخطاء العديدة التى وقع فيها معسكره وسيطرة الرئيس نيكسون على صناعة الاخبار) وخاصة الادعاء يوم ٢٦ أكتوبر من ان السلام قد أصبح وشيكا فى فيتنام) . وهذا يعنى أن مرشحا غير مؤثر ، يحارب ضد داعية للسلام • ويبدو ناجحا ظاهريا فى البيت الابيض ، واقتصاد يبدو منظما فى عملية جنى الارباح الطائلة ، كان قادرا على اجتذاب ٤٠ فى المائة من مجموع الاصوات ، على الرغم من اتهامه بأنه كان يعمل من أجل اصدار قانون العفو العام (وهو أحد أشكال الخيانة العظمى لحاشية الرئيس) والسـماح بالماريجوانا ، والاجهاض (التى تدعو لها الحركة النسائية) •

سياسة الولايات المتحدة الخارجية

فى السياسة الخارجية ، كان هناك خط متواز للاستخدام الاقتصادى والايديولوجى للعمال المهاجرين ووفقا لمذهب نيكسون . كما انها تتضمن استمرارا للحرب ضد القوى الثورية المنتشرة فى جميع أرجاء العالم ، ولكن باستخدام قوات غير أمريكية لاداء هذه المهمة ، وخاصة حيث يكمن خطر احتمال تعرضهم للموت • وهذا هو المرادف العسكرى لاستخدام العمال المهاجرين من غير البيض وغير المهرة ، والذى ينفذ بأشكال عديدة ، أبرزها ما يسمى بسياسة « الفتنمة » ، وأيضا فى تطبيق مبدأ « مارشال » فى الفلبين وكوريـا الجنوبية أخيرا • وفى نفس الوقت فان استخدام الحرب المتقدمة آليا يتم التوكيد عليها (من خلال دعم القوات البحرية والجوية المنتشرة فى أرجاء العالم مع ميكنة الصناعة فى الوطن) . ان لعبة التخفيف من التناقضات الدولية ، وخاصة مع الاتحاد السوفييتى والصين ، قد تم ممارستها من خلال الدبلوماسية ومن خلال وعدهم باحتمالات التقدم الاقتصادى (٦)

الخلاصـــة

ان الظروف العالمية الحديثة والمعاصرة تجد انعكاساتها لدى سياسيى وسياسات الولايـات المتحدة ، وعلى الاخص فان اعادة بناء النـظام العالمى ، قد نتج عنه تقليل التوتر بين الولايات المتحدة ومنافسيها الدوليين السابقين مثل الاتحاد السوفييتى وجمهورية الصين الشعبية ، وايضا زيادة المنافسة بين الولايات المتحدة وحلفـائها السابقين فى أوروبا الغربية واليابان . وفى نفس الوقت فان التحديد الاجتماعى للقطاع العريض من الطبقة العاملة مع الطبقة الحاكمة ، قد ساعد على ذلك هجرة غير البيض الى مراكز الصـناعة الامريكية • وهناك دلائل على بروز هذا الاتجاه الاخير ، كما يشهد على ذلك فوز ائتلاف ماكجفرن مع الحزب الديمقراطى فى الصيف الماضى وكسبه لـ ٤٠ فى المائة من الاصوات فى الانتخابات القومية لنوفمبر عام ١٩٧٢ ، على الرغم من أنه خاض حملة « شعبية » شدد فيها على التكاتف مع الفقراء المعدمين ضد فسـاد حكم النخبـة الحكومية . ان مزيدا من التحليل للاتجاه الاخير للسياسات الامريكية ، سوف يكون ضروريا من أجل صورة واضحة للاتجاهات ذات الامـد البعيد .

---

(٦) بالرغم من ان ماكتب عن مذهب نيكسون ضئيل فانه بوضح بعمق اتجاهاته. انظر مثلا :
I.F. Stone in THE NEu YORK Review of Books, Vol. 18, No. 10, 1972 and 11, 1972.



• سوريا •

دمشق تحرد
ضربات المعتدين

• لبنان •

ظاهرة « الفندور »
فى المجتمع اللبناني

• فلسطين •

الدورة الحادية عشرة
وعام الانتفاضة الجماهيرية
والتحديات الكبرى

• الاتحاد السوفيتى •

الامن الاوربى القضية الرئيسية
فى محادثات بريجنيف وبومبيدو

■■

اسرائيل من الداخل:

الاضرابات والسوق
اليهودية وانقسام الحزب
الدينى ومصير الارض المحتلة

■ جمهورية مصر العربية

زيادة الاجور وارتفاع الاسعار والاستثمار وظاهرة التسيب

وافق مجلس الشعب على موازنة عام ١٩٧٣ التى تقدمت بها الحكومة والتى بلغت ايراداتها المقدرة بنحو ٣ر٢٢٩٧ مليون جنيه وصافى الانفاق نحو ٢٤٥٩ مليونا بزيادة نحو ١٥ ٪ تقريبا عن عام ١٩٧٢ .

وبالرغم من أن الخطة العشرية للتنمية والتى تبدأ من أول يناير ١٩٧٣ ــ لم تعرض على المجلس قبل مناقشة أعضائه لموازنة العام الاول من أعوام الخطة ــ الامر الذى لم يجعل الرؤية الشاملة على امتداد سنوات الخطة كلها ــ متاحة ــ وما أثاره ذلك من نقد وخلط ، فقد اتسمت المناقشة بالحيوية وبشكل خاص حول القضايا والمشكلات التى طرحتها لجنة الخطة والميزانية فى تقريرها حول موازنة عام ١٩٧٣ .

وكانت زيادة أجور العاملين وارتفاع الاسعار ونقص الاستثمارات الجديدة المخصصة لكهربة الريف وقطاع التشييد والتنمية الزراعية وظاهرة التسيب فى القطاع العام ــ وصغر الدور المحدد للقطاع الخاص ــ كانت أهم القضايا التى شدت اهتمامات الاعضاء وفيما عدا عدد قليل جدا من الاعضاء كانت كلماتهم حول المشكلات المحلية لمحافظاتهم فان الاغلبية الساحقة من المتحدثين اسهموا فى المناقشة العامة .

الاجـور والاسـعار :

قدرت الاجور فى موازنة عام ٧٣ بمبلغ ٢ر٥٤٠ مليون جنيه بزيادة قدرها ٩٤ مليونا عن العام الماضى .

وقد أعلنت لجنة الخطة فى تقريرها عن الموازنة انها « وان كانت تساند الاجراء الذى اتخذته الحكومة لتحسين اجور صغار الموظفين وبعض الطوائف الخاصة ــ الا أن اللجنة ترى أن زيادة الاجور بالصورة التى تمت ودون أن يصاحب ذلك زيادة فى الانتاج وانتاجية الفرد بنفس النسبة على الاقل ــ سيؤدى حتما الى زيادة استهلاك الطبقة العاملة للسلع والخدمات المتاحة مما سيكون له أثره على الاسعار ــ بالاضافة الى أن الزيادة فى الاستهلاك سوف تؤدى الى نقص فى زيادة المدخرات بما يقرب من ٢٤ مليونا .

وترى اللجنة أنه كان واجبا على الحكومة حينما قررت زيادة الاجور **تدبير موارد مالية جديدة يقع عبؤها على الطبقات المرتفعة الدخل وصاحبة الدخول الطفيلية والطبقات التى لم تخضع بعد للضرائب** . بحيث تؤدى هذه الضرائب الاضافية الى تقليل الاستهلاك العائلى لهذه الطبقات بنفس القدر الذى سيزيد به استهلاك أصحاب الدخول التى سيتم رفعها .

ودعت اللجنة فى تقريرها الى ضرورة وضع تخطيط للانفاق العام وتخطيط للاستهلاك مما يجعل هناك توازنا مستمرا بين القوة الشرائية المتاحة وبين كميات السلع المتوفرة فى السوق وهذا ما يحقق استقرار الاسعار بحيث تستطيع الطبقة العاملة أن تنعم بكل زيادة فى أجورها ».

وتركزت كلمات عدد كبير من اعضاء المجلس حول مشكلة زيادة الاجور وارتفاع الاسعار ــ مؤكدين على أن قرارات الحكومة بحل مشكلات رجال القضاء ورفع أول مربوط الخريجين وحملة المؤهلات المتوسطة ــ تركت اعداد كبيرة من العاملين دون أن تنظر الى مشاكلهم ــ وطالبوا بتحسين حالة مرتبات صغار الموظفين أولا ثم

حركة الأحداث لعام ١٩٧٢

نواصل فى هذا العدد نشر أهم أحداث عام ١٩٧٢ سواء على النطاق المحلى أو العربى أو العالمى وذلك استكمالا لما نشر بالعدد السابق من الطليعة .

■ يونيو ■

محـلى

٣ ــ أعلن الرئيس السادات أن جمهورية مصر العربية تؤيد موقف العراق وسوريا من تأميم ممتلكات شركة نفط العراق ، وتضع كل امكانياتها وخبراتها تحت تصرفهما من أجل الحفاظ على حقوقهما المشروعة .

٢١ ــ ٢٣ ــ عقد مجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية اجتماعاتى مرسى مطروح وتم الاتفاق على توحيد وكالات الانباء ، وانشاء اذاعة اتحادية وجريدة سينمائية اتحادية وتوحيد النقابات المهنية وانشاء شركة اتحادية للنقل البحرى

عـربى

٢ ــ صرح رئيس الاركان السودانى بان الصين الشعبية تدبت للسودان أسلحة تشمل دبابات وطائرات ميج ١٧ الصينية .

١ ــ قامت الحكومة العراقية بتأميم منشآت شركة نفط العراق

المتوسطين منهم — وتسوية حالة العاملين على اختلاف فئاتهم القديم منهم والجديد — والغاء نظام تسعير الشهادات — وايجاد سياسة عادلة للاجور على أساس ربط الاجر بالانتاج ووضع معدلات للاداء وترشيد الانفاق العام .

ونبه الاعضاء الى أن مظاهر التضخم وأسبابه موجودة فى مجتمعنا . وانه لابد من تقييد الاستهلاك وتنظيمه حتى يمكن السيطرة على الاسعار . وطالب غالبية المتحدثين بضرورة احكام تنظيم توزيع السلع الاساسية « النصف أساسية بالبطاقات » حتى يحصل كل فرد على قدر مناسب .

السياسة الضريبية :

واذا كانت لجنة الخطة وبعض الاعضاء قد طالبوا بفرض ضرائب على الدخول العالية والطفيلية لمواجهة اعباء الزيادة الضرورية فى الاجور ، فان عددا كبيرا من الاعضاء قد انتقدوا ازدياد عدم العدالة فى توزيع عبء الضرائب — مؤكدين أن زيادة الضرائب الجمركية وفروق الاسعار وضريبة الدمغة كلها تقع على الطبقات الشعبية وتبلغ ٤١٨ مليونا بزيادة ٤٠ مليونا عن العام السابق — بينما هناك طبقة جديدة تقوى كما انها لا تتحمل بل ولاتشارك فى أعباء التنمية .

والى جانب المطالبة بفرض ضرائب اضافية على اصحاب الدخول الكبيرة والطفيلية والمهنى الحرة والعقارات — طالب الاعضاء باعادة النظر فى النظام الضريبى لتخفيف عبء الضرائب على الطبقات الشعبية وأصحاب الدخول الصغيرة بشكل عام وذلك بعدم التوسع فى فرض الضرائب غير المباشرة — فى مجتمع تتفاوت فيه الدخول بقدر كبير بسبب الملكية الخاصة بلا حدود فى رأس المال فيما عدا قطاع الاراضى الزراعية — وبتفاوت تقدير المجتمع لاجر الخدمات وانخفاض الحد الادنى للاجور — وطالبوا أيضا برفع حد الاعفاء من الضرائب من ٢٥٠ جنيها الى ٤٠٠ أو ٥٠٠ جنيه .

ولم يختلف مع هذا الاتجاه العام لاعضاء المجلس سوى ثلاثة من المشتركين فى المناقشة [ابراهيم القاضى — محمد عز الدين كشك — وعبد المنعم خزبك] . فقد عارض الثلاثة ماطالبت به لجنة الخطة والاعضاء من زيادة الضرائب على أصحاب الدخول الكبيرة او الطفيلية على أساس « انه لم يعد هناك أصحاب دخول كبيرة — وان الضرائب فى مصر تعد من أعلى مستويات الضرائب فى أغلب دول العالم — وان ضريبة الزكاة تتوفر فيها كل العدالة والملاءمة الاقتصادية » .

كهربة الريف :

وحظت قضية كهربة الريف باهتمام عدد كبير من أعضاء المجلس فقد أوضحت لجنة الخطة فى تقريرها عن موازنة عام ٧٣ — ان نصيب قطاع الكهرباء عام ٧٣ انخفض الى ٢٢ر٦ مليون بدلا من ٢٤ر٦ مليون عام ٧١—٧٢ — وحذرت اللجنة من أن هذا الخفض قد يبطيء قليلا فى تنفيذ مشروع كهربة الريف والاستفادة من الطاقة الكهربائية فى الزراعة .

وتركزت كلمات الاعضاء على أن كهربة الريف لم تحظ بما يجب أن تحظى به من اعتمادات — وأنه فى حين التزمت الحكومة باستكمال المشروع خلال خمس سنوات — فان الاعتمادات خلال العامين الاخيرين لن تمكن من تنفيذ خطة كهربة الريف كاملة قبل عشرين أو خمسة وعشرين عاما .

وتناول الاعضاء مشروع كهربة الريف على أساس انه مشروع اقتصادى لتصنيع الريف قبل ان يكون شروعا حضاريا لانارة الريف ، وطالبوا

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

فى حقول كركوك ومعامل الشركة .

١ — قامت الحكومة السورية بتأميم منشآت شركة نفط العراق

١٣ — اتفقت ليبيا والعراق على اعادة سفيرى البلدين فى طرابلس وبغداد الى منصبيهما .

٥ — تقرر اعلان الوحدة الوطنية بين جميع منظمات المقاومة الفلسطينية عسكريا واعلاميا وماليا وتوحيد كافة القوات المسلحة لفصائل المقاومة .

٢١ — ٢٤ — انعقد فى تل أبيب المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعى الاسرائيلى [راكاح] تحت شعار « مناهضة احتلال الاراضى العربية من أجل السلام » .

٢٨ — أعلنت قيادة المقاومة الفلسطينية انه تم التوصل الى اتفاق كامل لحل الازمة بين السلطات اللبنانية والفدائيين تقرر بمقتضاه تجميد نشاط الفدائيين فى لبنان .

١١ — ١٥ — انعقد فى الرباط المؤتمر التاسع لرؤساء دول منظمة الوحدة الافريقية . أكد فيه مساندته لمصر فى نضالها المشروع لاستعادة وحدة أراضيها . وطالب بأن تقدم الدول الافريقية كل عونها لمصر .

عالمى

٣ — تم فى برلين الغربية التوقيع على معاهدة برلين بين الدول الاربع الكبرى . وتقضى بتسهيل الانتقال وتبادل الزيارات بين سكان شطرى المدينة .

٢٦ — شكلت حكومة ايطالية جديدة برئاسة جيوليو اندريوتى تضم ممثلين عن الحزب الديمقراطى المسيحى والاشتراكى الديموقراطى والاحرار بعد استبعاد الحزب الاشتراكى الايطالى .

١٤ — ١٦ — قام جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى بزيارة لفرنسا

باستخدام الكهرباء فى الريف كطاقة أولا ثم للانارة ثانيا بحيث يمكن تشغيل آلات الرى والصرف واقامة ورش المخارط الصغيرة . وانتاج قطع الغيار اللازمة للجرارات والماكينات الزراعية والتوسع فى الصناعات الزراعية .

وفى مناقشة ما تم تنفيذه من المشروع انتقد الاعضاء ان ادخال الكهرباء تم على اساس الخرائط المساحية الموضوعة عام ١٩٠٥ ، ولم تضع فى حسابها التوسع العمرانى والنمو السكانى فى القرى وما حولها من عزب وكفور — كما أن هناك قرى أقامت الاعمدة والتوصيلات اللازمة بالجهود الذاتى ولم يصلها التيار — ولا يوجد فى بعض القرى عمال كهربائيون لمراقبة التشغيل واصلاح الاعطال وانقطاع التيار .

القطاع العام :

وكشفت أرقام موازنة عام ٧٣ — وتقرير لجنة الخطة والميزانية ومناقشات الاعضاء عن بعض جوانب التسيب والقصور فى شركات القطاع العام .

فمع أن اجمالى الفائض الذى حققه القطاع العام بلغ ٧٤٫٨ مليون جنيه فان صافى المحول من القطاع للحكومة لم يزد عن ٣٩٫٧ مليون بسبب تسديد خسارة بعض الوحدات . وقد عبرت اللجنة فى تقريرها عن أن هذا المبلغ قليل بالنسبة لاستثمارات بلغت نحو الفى مليون جنيه.

ومع ذلك فقد حرصت اللجنة على ان تؤكد على « انه لا يبدو من الارقام المتاحة للجنة — ان العمال مسئولون عن ارتفاع التكاليف ونقص الفائض الذى يقدمه القطاع العام نتيجة للزيادات فى اجورهم — ذلك لان هناك زيادة فى انتاجيتهم تحققت بعد هذه الزيادات وعوضتها وتركت فائضا — اذ بينما زاد متوسط الاجر الشهرى للعامل عام ٧١—٧٢ عن عام ٧٠—٧١ مبلغ جنيه واحد و ٨٤ مليما فان الزيادة فى متوسط انتاجية العامل خلال نفس الفترة بلغ ٤ جنيهات و ٣٩٥ مليما .

وارجع الاعضاء مظاهر التسيب فى القطاع العام الى مدير جاهل ، أو الى مدير فى غير موضعه ، أو انحرافات ، أو لوائح معطلة الى جانب الاسراف والفساد واستغلال القطاع العام من خلال الشركات الخاصة وبالذات فى قطاع المقاولات حيث تعطى شركات القطاع العام المشاريع من باطنها لمقاولى القطاع الخاص وبذلك يتسرب جزء كبير من الدخل الذى كان يجب أن يؤول للقطاع العام خاصة اذا أحسن تنظيمه .

وانتقدت اللجنة والاعضاء **عدم اعطاء الاهتمام الكافى بقطاع التشييد** سواء فى الخطة او فى موازنة عام ٧٣ حيث خصصت ٤ ملايين فقط للاستثمارات الجديدة فى هذا القطاع وكان هناك اتفاق على أن القطاع لن يستطيع بامكانياته الحالية وما رصد له من اعتمادات أن يكون قادرا على تنفيذ العمليات المقررة لعام ٧٣ والتى تبلغ قيمتها ٢٩٤٫٧ مليون جنيه .

القطاع الخاص :

واعطى عدد من الاعضاء اهتماما للقطاع الخاص — منتقدين ان ما خصص له من جملة الاستثمارات الجديدة لا يتعدى ١٠٪ من جملة الاستثمارات بالرغم من أن أكثر من ٦٠٪ من الدخل القومى يتولد من القطاع الخاص .

وطالب الاعضاء بزيادة النسبة المخصصة للقطاع الخاص فى الاستثمارات الجديدة . وطالب الاعضاء بالاتجاه الى سياسة تطمئن راس المال الخاص وعدم فرض ضرائب كثيرة ، أو عديدة تسبب هروبه من مجالات الاستثمار وتخفيض

ونص البيان المشترك على ضرورة فصل مؤتمر الامن الاوروبى عن المفاوضات المقترحة من اجل تخفيض قوات حلف وارسو والاطلنطى بشكل متوازن مشترك .

١٤ — ١٨ — قام صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقى بزيارة رسمية لفرنسا لاجراء مباحثات تتعلق بالبترول العراقى ، وصدر بيان مشترك تضمن موافقة العراق على أن يبيع لفرنسا ٢٣٪ من انتاجه من بترول كركوك فى السنوات العشر القادمة .

٢٧ — توصل الحزبان الشيوعى والاشتراكى الفرنسى الى اتفاق حول برنامج حكومى مشترك يحدد المبادىء الاساسية للتعاون بين الحزبين فى أى حكومة ائتلافية بينهما مستقبلا .

١٧ — ١٩ قام الرئيس السوفيتى بودجورنى بزيارة فيتنام الديمقراطية وطالب البيان المشترك بوقف الغارات الامريكية فورا ، ورفع حصار الالغام المفروض على موانيها البحرية والغاء برنامج الفتنمة فى الجنوب . واعلن أن الاتحاد السوفيتى سيواصل تقديم مساعدته اللازمة .

٦ — فاز المارشال لون نول فى انتخابات رئاسة الجمهورية بأقل قليلا من ٥٪ من أصوات الناخبين .

٣٠ — اتخذ مجلس أوربا فى لوكسمبرج قرارا يطلب فيه من الدول السبعة عشرة الاعضاء فيه أن تغلق المكاتب المحلية لمنظمة التحرير الفلسطينية على أساس انها قواعد للنشاط التخريبى واختطاف الطائرات

١٩ — ٢٠ — قامت انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند بزيارة رسمية

الضرائب المتأخرة بنسبة ٢٥٪ ورفع الغرامة التي تصل الى ٥٠٪ عن كاهل أرباب العمل المتأخرين في سداد ما عليهم من قيمة التأمينات خلال سنتين .

وطالب الاعضاء بتشجيع القطاع الخاص في المباني بتيسير الحصول على مواد البناء بالتسعيرة الجبرية والموافقة على السماح باستيراد مواد البناء واهمها الحديد دون تحويل عملة ، وتعديل قانون العلاقة بين المالك والمستأجرين بما يسمح بهدم الفيلات وبناء حدائقها . وتوفير الاعتمادات اللازمة لشراء الخامات للحرفيين وقطاع الخدمات والسماح للورش والمصانع الخاصة بالاستيراد دون تحويل عملة .

وربط معظم المتحدثين عن القطاع الخاص بين المطالبة بزيادة الاعتمادات المخصصة للقطاع الخاص وبين المطالبة بزيادة الاعتمادات المخصصة لمساهمة راس المال العربي .

■

■ سوريا

دمشق ترد الضربات للمعتدين

منذ قيام **الجبهة الوطنية** في سوريا ، والتي تشكلت من كافة الاحزاب الوطنية والتقدمية السورية ، والغارات الاسرائيلية العنيفة تتوالى على سوريا في استمرار متقطع . وان كانت اسرائيل تتخذ من هجمات الفدائيين الفلسطينيين عليها مبررا لغاراتها ، متذرعة بانطلاق الفدائيين من الاراضي السورية .

وكان أعنف تلك الغارات وأشدها شراسة ، تلك التي شنتها الطائرات والدبابات الاسرائيلية على الاراضي السورية ، يوم ٨ يناير الماضي ، والتي استمرت نحو ٨ ساعات . وكانت قد بدأت بغارة جوية للطائرات الاسرائيلية على الاراضي السورية .

وحسب البيانات الرسمية السورية ، فقد تم في هذه الاشتباكات اسقاط ٤ طائرات وتدمير ١٥ دبابة و ١٢ بطارية مدفعية للجانب الاسرائيلي . في حين اعترفت نفس البيانات باصابة ٣ طائرات ودبابتين ومحطتا رادار سوريتين .

وكانت الطائرات الاسرائيلية قد قصفت ، في تلك الغارة ، قرى **نوى والوزيرى وداعلى** السورية ، مما أسفر على سقوط نحو ٥٠ شهيد من المدنيين السوريين . وتطبيقا للسياسة السورية القائمة على الرد الفوري على كل اعتداء اسرائيلي وبأقصى طاقة ممكنة ، فقد دمرت المدفعية السورية بعض مباني مستعمرة مبروم جولان الاسرائيلية وقتلت سبعة من سكانها .

وقد أثبتت المعارك الجوية الاخيرة كفاءة الطيران السوري ، وقدرته الواضحة على القتال الليلي ، وسرعته في التصدي للطائرات المعادية . وقد أكدت صحيفة **النجم الاحمر** الناطقة بلسان الجيش السوفيتي « أن طلب الحكومة الاسرائيلية الحصول على أسلحة أمريكية جديدة ، **يرتبط بخسائرها من طائرات الفانتوم** أثناء غاراتها الاخيرة على سوريا » .

وقد اتسعت التحركات العربية السياسية في أعقاب هذه الغارات . فعقد الرئيسان **أنور السادات ومعمر القذافي** اجتماعا في اليوم التالي بطرابلس خصصوه لمناقشة تلك الغارات . وقد حضر هذا الاجتماع **اللواء حسني مبارك** ، قائد القوات الجوية المصرية . ثم انضم لاجتماع اليوم التالي ، **المقدم صالح الفرجاني** ، قائد القوات الجوية الليبية . حيث واصل المجتمعون البحث في « ظروف مجابهة العدوان الاسرائيلي وطبيعة المعركة القادمة » .

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

لتشيكوسلوفاكيا ، وطالب البيان المشترك بجلاء القوات الاجنبية من منطقة الهند الصينية ، وأن يكون قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ أساس السلام الوطيد في الشرق الاوسط .

٢٨ — بدء محادثات قمة في سيملا بالهند بين الرئيس الباكستاني بوتو وانديرا غاندى .

■ يوليو ■

محلى

٩ — ١٠ — قام الرئيس السوري حافظ الاسد بزيارة مصر لاجراء محادثات مع الرئيس السادات ومناقشة نتائج زيارة الرئيس السوري للاتحاد السوفيتي .

١٨ — أعلن الرئيس السادات في اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي أنه قرر انهاء مهمة المستشارين والخبراء السوفيت العسكريين في مصر ابتداء من ١٧ يوليو ، وان تكون كافة المعدات والمنشآت التي أقيمت في مصر بعد حرب يونيو ملكا خالصا لها وتحت ادارة قواتها المسلحة ، ودعا في اطار معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية الى اجتماع على مستوى يتفق عليه لاجراء مشاورات مصرية سوفيتية بالنسبة للمرحلة القادمة .

٥ — قرر اتحاد الجمهوريات العربية انشاء مؤسسة اتحادية للنقل البحري برأسمال قدره ٤٠ مليون جنيه استرليني .

عربى

٤ — أعلن الملك حسين انه سيرسل بعثة عسكرية اردنية قريبا تضم قطاعات من الجيش والطيران الى سلطنة عمان لمقاتلة الثوار الذين

وفي اليوم التالي للعدوان ، أعلن الفريق أول أحمد اسماعيل ، وزير الحربية المصرية والقائد العام للقوات المسلحة الاتحادية ، بانه قد تمت دراسة تفصيلية للجبهتين الشمالية والغربية (مصر وسوريا) لاحكام تنسيق العمل بينهما ». واضاف انه قد تم اتخاذ قرارات لتعزيز التعاون الفعال بين الجبهتين .

ومن المعروف ان الفريق احمد اسماعيل كان قد أمضى ثلاثة أيام في الجبهة السورية (من ٣ ــ ٥ يناير) التقى خلالها بالفريق حافظ الاسد وكبار قادة الجيش السوري ، كما تفقد خلالها بعض القواعد الحربية والجوية السورية .

وخلال الاسبوع الثالث من يناير الماضي ، زار عبد الحليم خدام ، وزير الخارجية السورية ، كلا من ليبيا وتونس والمغرب والجزائر ، حيث سلم الى رؤسائها خطابات شخصية من الفريق حافظ الاسد ، والتي يرجح أنها تتعلق بالاعتداءات الاسرائيلية على سوريا .

والى اجتماع رؤساء أركان الحرب العرب ، المنعقد في ٢٥ يناير الماضي ، والى مجلس الدفاع العربي ، الذي انعقد بعده بيومين ، وبناء على توجيه من الرؤساء الثلاثة السادات والاسد والقذافي ، تقدمت دول الاتحاد بخطة عربية لتحرير الارض العربية . كما تقدمت منظمة التحرير الفلسطينية الى مجلس الدفاع بخطة مماثلة .

ويظل الصمود السوري والمقاومة الفلسطينية المتعاظمة ، أبرز ايجابيات الموقف العربي الراهن ، واللذان يزدادان صلابة بمؤازرة البلدان الاشتراكية لهما ، حيث جاءت في أجلى صورها عندما سارعت تلك البلدان الى اقامة جسر جوي بين بودابست ودمشق لنقل المعدات والذخيرة الى سوريا .

ويبقى على الجبهات العربية الاخرى أن تتضامن مع الجبهة السورية ، حيث تفوت الفرصة على اسرائيل ، التي ترمي الى الانفراد بالجبهات العربية كل على حدة ، لتدمرها الواحدة تلو الاخرى . وقد عبرت جريدة الثورة الناطقة بلسان الحكومة السورية عما يرادف هذا المعنى ، حين قالت « أن أكثر ما يعود على العدو بالفائدة هو أن تبقى الاوضاع الحالية بمثل ما هي عليه من الجمود ... وليس ثمة ما يوقف مؤامرة التصفية الكبرى التي تتعرض لها القضية الفلسطينية الا القتال والمعارك » .

وقد جاءت النتيجة على عكس ما توقع الاسرائيليون ، اذ أنهم « وقعوا في خطأ كبير عندما اعتقدوا أن عملياتهم العدوانية على سوريا ستمر بدون عقاب » على حد تعبير صحيفة البرافدا السوفيتية ، غداة الاعتداء الاخير على سوريا ». كما أعلنت سوريا اصرارها ليس على الاستمرار في دعم العمل الفدائي الفلسطيني فحسب ، بل على المضي في الاعداد للمعركة الفاصلة مع العدو على كل الجبهات .

■

■ لبنان

ظاهرة « الفندور » في المجتمع اللبناني

ما زالت تطورات قضية عمال مصانع الغندور تسيطر على الجو السياسي العام في لبنان ، وتثير التناقضات والخلافات .

وترجع بداية هذه الاحداث الى يوم ١١ نوفمبر الماضي عندما تجمع حوالي ٣٠٠ من عمال مصانع

يشتبكون في معارك منذ سنوات السلطان قابوس .

٢٠ ــ قررت السودان استئناف العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة .

١٦ ــ اصدر مجلس قيادة الثورة الليبي قرارا بتشكيل وزارة جديدة برئاسة الرائد عبد السلام جلود .

١ ــ قررت الجمهورية العربية اليمنية والولايات المتحدة الامريكية ، استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما .

عالمي

٣ ــ ٤ ــ قام الرئيس بومبيدو بزيارة المانيا الاتحادية اجرى فيها محادثات مع برانت حول السوق الاوربية المشتركة والسياسة النقدية الاوربية .

١٨ ــ ٢٨ ــ قام وفد من منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات بزيارة للاتحاد السوفيتي حيث اجرى مباحثات مع اللجنة السوفيتية للتضامن الافريقي الاسيوي ، وقال البيان المشترك أن الشعب السوفيتي سيواصل تقديم المساعدة الى حركة المقاومة الفلسطينية في نضالها العادل .

١٣ ــ استؤنفت محادثات السلام في باريس بين ممثلي فيتنام والولايات المتحدة الامريكية .

٤ ــ صدر في كل من سيول « كوريا الجنوبية » وبيونج يانج « كوريا الشمالية » اعلان مشترك باتفاق الدولتين على انهاء الاعمال العدائية بينهما كخطوة نحو اعادة توحيد الجزيرة الكورية . واتفقوا على خط تليفوني مباشر لمنع وقوع حوادث

الغندور المضربين امام باب المصنع فى مظاهرة سلمية ، وذلك بعد مرور ثمانية أيام على بدء الاضراب من اجل حقوقهم المشروعة والتى تتلخص فى المطالبة بزيادة فى الاجور قدرها ٥ فى المائة، وكانت قد أقرتها الحكومة من قبل ، واحتساب أجر وكانت قد أقرتها الحكومة من قبل ، واحتساب أجر ساعات العمل الاضافية ، والانتساب الى النقابة ، ومنع فصل العمال من العمل ، واحتساب الاجر عن ايام الاضراب .

وحضرت على الفور قوة من رجال الامن تعززها بعض الدبابات ، وأخذت تطلق القنابل المسيلة للدموع على العمال لارهابهم وتفريقهم ، مما أدى الى زيادة التوتر وهياج العمال . وتطور الموقف الى اشتباك استخدم فيه العمال الحجارة ، ورجال البوليس رصاص البنادق ، وأسفر الاشتباك عن مقتل عامل وعاملة برصاص البوليس . وأصابة نحو ٣٠ شخصا بجراح . واعتقال ٢٣ عامل وعاملة . وأدى الحادث الى ردود فعل وأثار موجات استنكار شاملة وعنيفة فى اوساط الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية والهيئات الشعبية والاتحادات العمالية فى لبنان .

وعقدت الاحزاب الوطنية والتقدمية اجتماعا ، وأصدرت بيانا استنكرت فيه المجزرة الوحشية ، وحملت فيه السلطة المسئولية كاملة وطالبت بضرورة محاكمة المسئولين والمحرضين عليها واطلاق سراح العمال والعاملات المعتقلين فورا ،واعتبار هذه الاحداث تصعيدا خطيرا لممارسات معادية للحقوق والحريات الديمقراطية والنقابية يستدعي وقوف كافة القوى الديمقراطية والفئات الشعبية ضده .

وقامت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بمظاهرة شعبية كبيرة فى بيروت والمدن الكبرى ، اشترك فيها عدد من النواب التقدميين والمعلمين وطلاب الجامعات والمدارس الثانوية ، وصفت بأنه لم يشهدها لبنان من قبل ، دفاعا عن الحريات الديمقراطية والنقابية ومشاركة للطبقة العاملة فى نضالها ضد الاستغلال والقمع .

ودعا بيان الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية فى مدينة طرابلس الى « شجب سياسة الارهاب والقتل التى تمارسها العائلات الاقطاعية والراسمالية ، الذين يوجهون رصاصهم تجاه ابناء الشعب ويتخاذلون أمام العدو . وطالب البيان بالكف عن اراقة دماء العمال وتهجير الشعب الى الخارج ، وتوجيه الرصاص الى العدو والاستعمار والرجعية .

كما دعا الاتحاد العمالى الى اعلان الاضراب العام فى لبنان استنكارا لاطلاق النار على العمال والعاملات ، وحدادا على ارواح العمال الشهداء ، وبلغ عدد العمال والمستخدمين المضربين اكثر من ٢٥٠ الف عامل ومستخدم ، وشل الاضراب معظم المرافق العامة فى البلاد .

وقد هاجمت الصحف الوطنية بيانات الحكومة التى تبرر فيها الاعتداء على العمال . فقالت صحيفة **المحرر** بتاريخ ١٣-١١-١٩٧٢ : ان وزارة الداخلية هى التى تسببت فى سفك دماء الابرياء من المواطنين الذين يمارسون - فى التظاهر كما فى الاضراب - أبسط حق من حقوقهم المشروعة للدفاع عن مصالحهم ، وطنية كانت ام اجتماعية . ان «العناصر المدسوسة» هى الفوطة القذرة التى تلجأ اليها السلطة فى كل مرة الى العنف ضد المواطنين ، لتمسح يديها الملوثتين من مسئولية الدم المسفوك والارواح المزهقة » .

وقالت صحيفة **الانوار** بتاريخ ١٤-١١-١٩٧٢ : « ان قتل العامل مثل قتل الطفل ، جريمة ليس لها مبرر ، خصوصا القول الدائم الجاهز بأن « عناصر مخربة اندست فى صفوف المتظاهرين » . والدليل ان تلك العناصر لم تفعل شيئا فى المظاهرة الضخمة أمس ، ومع ذلك فان السلطة تحاول ان تنسحب من المأساة ، تاركة

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

عسكرية والتعاون لانجاح محادثات الصليب الاحمر بينهما .

٣ - توصل الرئيس الباكستانى على بوتو الى اتفاق مع انديرا غاندى تستعيد بموجبه باكستان الاراضى التى فقدتها فى حرب ديسمبر ١٩٧١ مع الهند واتفق الطرفان على تسوية جزئية للنزاع حول كشمير، واستئناف الاتصالات السلكية واللاسلكية والبريدية والبحرية والبرية بينهما .

١٣ - اعلن مؤتمر الحزب الديمقراطى الامريكى اختيار المتناور

جورج ماكجفرن مرشحا للحزب لانتخابات الرئاسة الجمهورية الامريكية .

■ أغسطس ■

محلى

١ - ٣ - قام الرئيس السادات بزيارة لليبيا وأجرى محادثات مع القذافى واتفق على تشكيل قيادة سياسية موحدة بين البلدين لوضع اسس الوحدة بينهما .

٢٩ - قررت الحكومة البريطانية تقديم ١٫٥ مليون جنيه استرلينى

كتسهيلات ائتمانية لمصر ، عن طريق هيئة ضمان الصادرات البريطانية .

عربى

١ - اعلن السودان استئناف العلاقات الدبلوماسية مع العراق .

١٠ - صرح الرئيس السورى حافظ الاسد بانه سيحتفظ بوجود المستشارين العسكريين السوفيت فى بلاده ، وان قرار مصر بانهاء خدمات المستشارين السوفيت العاملين فيها هو مسألة داخلية مصرية بحتة .

١٦ - وتمت محاولة انقلابية فاشلة ضد الملك الحسن الثانى تبين ان

الشعب فى وهم « عناصر التخريب » التى تلقى عليها المسئولية منذ أول جريمة وقعت فى ساحة الدفاع عن حرية الرأى وحق العيش ·

وجاء فى البيان الذى أصدره عمال وعاملات مصنع الغندور ردا على بيان ادارة المصنع ، ونشرته الصحف اللبنانية : « تدعى الادارة أيضا ان هناك أيد غريبة تحرض العمال على الاضراب ، وهذا الادعاء بما يتضمنه من احتقار للعمال لجهة اعتبارهم صغار العقول يلعب بها أى طرف خارجى هو ادعاء كاذب مائة بالمائة · وان الاضراب محض عمالى ونابع من ارادة عمال وعاملات معمل غندور ومن رغبتهم فى تحقيق مطالبهم المشروعة » ·

وقد نتج من هذا التحرك الجماهيرى الواسع ونجاح المظاهرة السياسية والاضراب العمالى فى تراجع فى مواقف المسئولين وأصحاب المصنع ، وتم التوصل بين وزير العمل وممثلى الاتحاد العمالى واصحاب المصنع الى تسوية تقضى بانهاء الاضراب ، وعودة جميع العمال المضربين الى العمل ، وزيادة الاجور ، وعدم طرد أى عامل ، وخصم اجور أيام الاضراب من الاجازات السنوية · على ان تنظر اللجنة التى تضم ممثلين عن الجهات الثلاث فى بقية المطالب المؤجلة ·

ولكن سرعان ما اكتشف العمال بعد ذلك ، ان هذا الاتفاق لم يكن سوى خدعة ، من قبل اصحاب المصانع استهدفت حل الاضراب وعودة العمال الى العمل ، ومحاولة التأثير والضغط على بعض قادة الاتحاد العمالى ، ومواصلة الاضطهاد للعمال داخل المصنع ، واستمرار اصحاب المصنع فى طرد العمال والعاملات ، وذلك بالاستناد الى المادة ٥٠ من قانون العمل التى تعطى اصحاب العمل الحق فى طرد العامل فى أى وقت ·

وعلى المستوى الرسمى فقد تم تقديم العمال المعتقلين وعددهم عشرة الى القضاء ، حيث حكم على تسعة عمال بالحبس لمدة شهرين خفض بعدها الى عشرة أيام ، وعلى عامل آخر بالحبس لمدة اربعة أيام لصغر سنه · كذلك رفض وزير العمل بحث موضوع العمال قبل ان يصدر الاتحاد العمالى بيانا يعلن فيه عدم علاقة الاتحاد بأى نشاط حزبى أو سياسى يستهدف ارجاع عمال مصنع الغندور الموقوفين عن العمل ·

وقد تولى النواب الوطنيون والتقدميون اثارة قضية عمال الغندور داخل مجلس النواب ، كما حذر النائب **على الخليل** العمال من خداع السلطة وقال : « ان على العمال ان يوحدو جهودهم وان على الحركة العمالية ان تتدارك هذه الازمة والا فان ضربة قاسية ستوجه الى الحركة العمالية فى لبنان ، وان الحكومة تواطأت مع أصحاب المصانع ضد مصلحة العمال ، وقامت باعتماد أساليب القمع ومنع التظاهر والتجمع · وان الحكومة تخطىء فى ظنها بأن الفئات التقدمية والشعبية ستستكين وتستسلم ازاء هذه الاساليب القمعية التى تتبعها الحكومة » · ووصف النائب **زاهر الخطيب** طلب وزير العمل من الاتحاد العمالى استنكار تدخل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية فى قضية عمال الغندور بقوله : بأنها محاولة لعزل الحركة الوطنية عن القضية العمالية وتجريد العمال من امكانية استمرارهم بالمطالبة بحقوقهم المشروعة » ·

هذا وتتولى الاحزاب التقدمية فى الوقت الحاضر جمع التبرعات لمساعدة العمال والعاملات الموقوفين عن العمل · وقد قام عمال مصنع الغندور باصدار بيان يستنكرون فيه موقف الاتحاد العمالى والضغوط التى يمارسها على العمال والتى تتنافى مع الحقوق النقابية ·

وتبذل السلطات جهودا كبيرة لتحول دون تسييس قضية عمال الغندور ، التى بدأت تأخذ شكل الصراع الطبقى بين الاقطاعيين

قائدها هو الجنرال محمد اوفقير المقرب الى الملك ·

عالمى

٢ ــ انعقد فى القرم مؤتمر سرى لزعماء دول اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى ·

٢٠ ــ اصدر المؤتمر الخامس للقساوسة الكاثوليك الليبراليين الذى يضم اكثر من ١٤٠ من رجال الكنائس الكاثوليكية فى دول امريكا اللاتينية والمنعقد تحت اشراف « حركة قساوسة العالم الثالث » بيانا ختاميا دعا فيه الى استيلاء الشعب على السلطة لفتح الطريق امام اقامة الاشتراكية فى امريكا اللاتينية للقضاء على خضوع غالبيات شعوب القارة للاقليات المميزة ، وللسيطرة الاجنبية ·

٥ ــ اعلن الرئيس الاوغندى عيدى امين انه قرر اخراج جميع الاسيويين المقيمين فى اوغندا خلال نفس المهلة المحددة لخروج الاسيويين حاملى الجنسية البريطانية ·

٢٠ ــ قررت جمهورية الكونجو الشعبية وجمهورية زائيرى استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما على مستوى السفراء ·

٩ ــ ١٣ ــ انعقد فى جورجتاون عاصمة جيانا مؤتمر وزراء خارجية الدول غير المنحازة وحضره ممثلو ٦٤ دولة غير منحازة لبحث دور دول العالم الثالث فى الشئون العالمية ومحاولة تنسيق استراتيجيتها فى الجمعية العامة ·

١١ ــ أعلن دوم مينتوف رئيس وزراء مالطة انه لن يمكن استخدام القواعد العسكرية الاجنبية فى مالطة ضد الدول العربية ·

والرأسماليين والتجار الكبار من جهة ؟ وبين الطبقات الشعبية .

وقد اصدر الحزب التقدمى الاشتراكى الذى يتزعمه « كمال جنبلاط » بيانا اكد فيه : ان شعار عدم تسييس المطالب العمالية فارغ من اى محتوى ، وما هو الا محاولة ديماجوجية بلتضليل فهل الحكومة خارج الاطار السياسى ؟ وهل الصراع الاجتماعى يدور خارج صراع القوى السياسية اليمينية والتقدمية فى لبنان ؟ . ان الحزب سيستمر فى مواقفه جنبا الى جنب مع العمال والفلاحين والطلاب وجميع القوى الاجتماعية الكادحةلاجل تقدمالوطن ورفاهةشعبه وحرية أبنائه ، وسيواصل دعمه الكامل لعمال الغندور حتى تتحقق كافة مطالبهم » .

■ ■

■ فلسطين

الدورة العادية عشرة وعام الانتفاضة الجماهيرية والتحديات الكبرى

قرر المجلس الوطنى الفلسطينى فى ختام دورته فى ١٢ يناير الماضى تشكيل مجلس عسكرى فلسطينى أعلى يمثل جميع فصائل حركة المقاومة ، والكفاءات العسكرية الفلسطينية ، وتشكيل قيادات عسكرية فلسطينية واحدة فى مختلف ساحات العمل الفلسطينى واتخاذ الخطوات اللازمة لتشكيل جبهة اتحاد وطنى تضم كل القوى والهيئات والشخصيات الوطنية داخل فلسطين المحتلة ، هدفها مقاومة الاحتلال الاسرائيلى ، ومشروعات التصفية ، وتنشيط النضال الفلسطينى فى الداخل بكافة اشكاله .

كما تقرر فى نفس الدورة تشكيل مجلس مركزى يضم ما بين ١٩ و ٢١ عضوا من أعضاء المجلس الوطنى ، بالاضافة الى أعضاء قيادة منظمة التحرير الفلسطينية مهمته المتابعة والمراقبة والمساهمة فى تنفيذ قرارات المجلس وذلك برئاسة خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطنى ، وتقرر اختيار أعضائه مناصفة تقريبا بين منظمات المقاومة ، والكفاءات الفلسطينية المستقلة ، والاتحادات الشعبية .

وقد انتخب المجلس الوطنى الفلسطينى القيادة الجديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية التى تتألف من ياسر عرفات رئيسا وعضوية كل من : محمد يوسف النجار (أبو يوسف) من قادة فتح مسئولا عن الشئون السياسية ، وزهير محسن عن منظمة الصاعقة مسئولا عن الشئون العسكرية ، وكمال ناصر متحدثا رسميا باسم المقاومة ، والدكتور يوسف صايغ رئيسا لمجلس ادارة الصندوق القومى ، والدكتور عبد الوهاب الكيالى عن جبهة التحرير العربية ، واحمد اليمانى (أبو ماهر) عن « الجبهة الشعبية » ، وأديب عبد ربه عن « الجبهة الديموقراطية » ، وحامد أبو ستة وزهدى النشاشيبى عن المستقلين . وقد أشار المراقبون الى أن القيادة الجديدة لمنظمة التحرير تقوم على أساس جبهة من فصائل حركة المقاومة والكفاءات الوطنية المستقلة . وقد خرج من عضوية اللجنة التنفيذية الجديدة « خالد الحسن » « وفاروق قدومى » من قادةفتحللتفرغ لمهامهما داخل حركة فتح .

وقد لاحظ المراقبون الدور البناء الذى قام به سامى العطار وزهير محسن (الصاعقة)

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

٢٧ — وافق البرلمان الهندى على قرار الحكومة بوضع شركة الحديد والصلب تحت اشراف الدولة .

٢٣ — فاز الرئيس الامريكىنيكسون بترشيح المؤتمر القومى للحزب الجمهورى لدورة ثانية فى الرئاسة الامريكية .

■ سبتمبر ■

محلى

٤ — عاد الدكتور مراد غالب وزير الخارجية المصرية الى القاهرة فى نهاية جولته بأمريكا اللاتينية التى استغرقت شهرا .

١٤ — غادر الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية المصريةالقاهرة الذى حل محل الدكتور غالب بعد استقالته مبتدئا جولة فى اوربا يزور خلالها روما ولندن وبروكسل لاجراء محادثات حول آخر تطورات الموقف فى ازمة الشرق الاوسط .

٢٢ — قرر الرئيس السادات ايفاد مبعوث خاص الى عيدى أمين ونيريرى لمنع تدهور الموقف على حدود بلديهما بسبب الاحداث التى وقعت على حدود اوغندا .

٣٠ — غادر القاهرةالرئيسالسورى الاسد ، وكان قد وصل اليها منذ يومين قادما من موسكو بعد زيارة خاصة قام بها للعاصمة السوفيتية لم يعلن عنها فى حينها ، عقد خلالها عدة اجتماعات مطولة مع القادة السوفيت ، وكان الاسد قد وصل لاطلاع السادات على نتائج مباحثاته مع السوفيت . وتقرر بعد ذلك ان يقوم عزيز صدقى رئيس وزراء مصر بزيارة الاتحاد السوفيتى فى ١٦ اكتوبر .

فى سبيل الوصول الى الصيغة الجديدة للجنة التنفيذية .

وقدم **خالد الفاهوم** رئيس لجنة المتابعة تقريرا الى المجلس عن نواحى القصور والمنجزات التى تحققت على طريق الوحدة الوطنية ، أوضح فيه « انه على امتداد دورات المجلس الوطنى بما فيها الدورة الاخيرة لم ينجز ولا برنامج محدد واحد لاى جانب من جوانب الوحدة الوطنية ، ولم توضع قواعد برنامج مرحلى عملى ذى جداول زمنية قابلة للتنفيذ » . وانما « كان المؤتمرون يخرجون بخطوط عريضة عامة قريبة من المناشدات العاطفية ، تظل معلقة فى الهواء بين مؤتمر وآخر وأشار التقرير الى أن ذلك قد يرجع الى « طبيعة الحالة السائدة فى قيادات فصائل حركة المقاومة وفيما بينها ، وغياب الثقة بين الاطراف ، وتغليب التكتيكات الجزئية ذات الطابع التنظيمى الضيق » ومع ذلك أوضح التقرير أن جهد لجنة المتابعة لم يكن ضائعا لانه أثبت « أن تحقيق الوحدة الوطنية لا يمكن أن يكون فعالا ومثمرا الا على أساس برامج عملية تسير نحو الوحدة خطوة وراء خطوة ويوما بعد يوم » .

وأشار تقرير لجنة المتابعة الى المنجزات التى تحققت برغم ذلك فى المجال السياسى منذ الدورة الاستثنائية الماضية للمجلس الوطنى فى ابريل ١٩٧٢ ، اذ أقرت اللجنة التنفيذية البرنامج السياسى بالاجماع ، واتفق عليه كدليل عمل موحد وضابط لفصائل حركة المقاومة ، وفى المجال الاعلامى تم تشكيل **مجلس الاعلام المركزى** كجهاز أعلى للاشراف على كافة أجهزة الاعلام الموحدة للثورة ، كذلك فقد صدرت فى ٢٧ — ٦ — ١٩٧٢ **مجلة « فلسطين الثورة »** كالمجلة الموحدة للثورة ، وصدرت ابتداء من ٥ ـ ٦ ـ ١٩٧٢ نشرة يومية باسم « **الوكالة الفلسطينية للانباء** » « وفا » كذلك تم فى المجال العسكرى ، **تشكيل مجلس عسكرى أعلى** يمثل فصائل حركة المقاومة ، والكفاءات العسكرية الفلسطينية ، وجيش التحرير الفلسطينى ، واتخذ المجلس العسكرى قرارا بتوحيد قوات الثورة فى تشكيلات عسكرية موحدة ، على أن تبقى قوات كل فصيلة محتفظة بحجمها وشكلها ضمن التشكيل الواحد . كما تم فى المجال المالى تشكيل لجنة مالية متفرعة من اللجنة التنفيذية ، وضعت مشروعا للوحدة المالية .

كذلك فقد أوضح مشروع **الخطة المرحلية لمنظمة التحرير** المنبثقة عن هذه الدورة الحادية عشرة للمجلس الوطنى الفلسطينى « ان ارادة القتال والتحدى فى صفوف شعبنا الفلسطينى وأمتنا العربية ، مستهدفة فى هذه المرحلة ، وأن توجهنا الاساسى يجب أن يكون باتجاه تطوير ارادة الصمود والتحدى ، وخلق الارضية الجماهيرية الثورية القادرة على تجسيد هذه الارادة فى كافة ساحات نضالنا ، من خلال بذل اقصى الجهد **والاهتمام بالنشاط التنظيمى كسبيل الى التعبئة القومية** ، ومن خلال طرح مهمات نضالية يومية على كوادر الثورة وجماهيرها لمواجهة مخططات العدو الصهيونى فى **التهويد والتهجير والتصفية** » .

وقد تضمن المشروع خطة عمل فى الارض المحتلة ، والاردن ، ولبنان ، وعلى الصعيد الدولى وفى الواقع العربى . ونص فيما يتعلق **بالارض المحتلة** على وجوب أن تكون دائرة الارض المحتلة فى اللجنة التنفيذية عبارة عن لجنة عمل من كافة التنظيمات المتواجدة بالارض المحتلة ، وعلى أساس أن **تعطى اللجنة التنفيذية الاولوية للداخل**. وأن تقوم الدائرة المذكورة باجراء الاتصالات

عربى

٢٩ — محسن العينى رئيس وزراء اليمن الشمالية اعلن ان قطعة تتعرض للقصف من اليمن الديمقراطية ، واتهمت حكومة اليمن الجنوبية من ناحيتها جماعة من المرتزقة يعززهم جيش اليمن الشمالية بشن هجوم على منطقة مدينة دالى بالقرب من الحدود واحتلال قريتين فى المنطقة .

١ — اصدر نميرى مرسوما باعادة شركتين مؤممتين فى عام ١٩٧٠ الى اصحابها الاصليين وهما شركة ترست التجارية وكولدير .

٢٠ — رفضت السلطات السودانية السماح لخمس طائرات حربية ليبية محملة بالقوات والعتاد العسكرى كانت فى طريقها لمساعدة اوغندا ضد الغزو الاجنبى ، العبور فى اجوائها واجبرتها على الهبوط فى الخرطوم.

٢٠ — اصدرت حكومة السودان قرارا بتصفية عمل شركتين مصريتين فى الخرطوم .

٢٩ — اعلنت السلطات السودانية من خطوات جديدة مع مصر اخرها طلب عودة بعض الوحدات العسكرية السودانية من مصر .

٢٧ — اصدر الرئيس السورى حافظ الاسد مرسوما بالعفو عن الفريق امين الحافظ رئيس جمهورية سوريا الاسبق و ٧٥ من الشخصيات البعثية الاخرى ممن غادروا سوريا الى بغداد وبيروت .

١٤ — وصل الفريق احمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية الى موسكو فى زيارة رسمية للاتحاد السوفيتى .

١٦ — قامت القوات الاسرائيلية باوسع هجوم لها ضد لبنان منذ حرب ١٩٤٨ شمل جميع قطاعات جنوب

والاجراءات التحضيرية لتشكيل **الجبهة الوطنية المتحدة** ، والاهتمام بتعبئة أبناء الشعب فى الجزء المحتل من١٩٤٨ ،وكشف وفضح وتطويق العناصر والمؤسسات المتعاونةمع الاحتلالالصهيوني والنظام الاردني والمنادين بمشاريع الاستسلام واعداد قائمة تنشر بمختلف وسائل الاعلام ، **واعطاء قطاع غزة اهتمام خاص** لنواحى الدعم الاقتصادى والسياسى والعسكرى ، على أن تقوم منظمة التحرير**بدراسة موضوع الجسور المفتوحة** ، ودراسة **خطة اقتصادية تستوعب العدد الكبير من الايدى العاملة وجموع** الفلاحين ، وامكانية **فتح جامعة عربية فى الارض المحتلة** •

ونص المشروع فيما يتعلق **بالاردن** على اتخاذ كافة الخطوات اللازمة **لانشاء جبهة وطنية اردنية فلسطينية لاسقاط النظام الحالى** ، واجراء اتصالات بالقوى الفاعلة فى الاردن ، **واعداد برنامج سياسى واعلامى من أجل الاهتمام بالجيش الاردنى** ، ونزع كافة العصبيات والصور التى حاول النظام ترسيخها فى أذهان الجيش ، واعتبار **النضاللاسقاط النظام الاردنى منالمهمات المركزية للحركة الوطنية العربية** ، ولذا طالب المشروع بالقيام بعمل جدى لمحاصرة هذا النظام ، واتخاذ الخطوات الجدية لمساندة للقوى الوطنية الاردنية المناضلة ضده •

وفيما يتعلق **بلبنان** ، طالب المشروع **برفع مستوى اللقاء والتنسيق الحالى مع الحركة الوطنية اللبنانية** ، مع علاقات محددة ومنتظمة بتشكيل برنامج لمنع القوى الرجعية اللبنانية من استفراد أحدهما على حساب الاخر ، واتباع خطة سياسية واسعة تستهدف **تحييد القوى المعادية للمقاومة ، وتحويل القوى المحايدة الى قوى صديقة ، وتعميق الصلة مع القوى الصديقة ومعاملتها كقوى المقاومة** ، واعتبار منطقة جنوب **لبنان منطقة حيوية وأساسية بالنسبة للثورة ، واتباع خطة تستهدف ربط جماهيره بأرضهم وتعميق صلاتهم بالحركة الوطنية ، وحركة المقاومة ، عن طريق برنامج سياسى دفاعى اجتماعى اقتصادى متكامل كما ينص المشروع على الدعم الكامل للمؤتمر الوطنى لدعم الجنوب الذى يشكل اطار عمل لبعض الاحزاب** والشخصيات التقدمية والوطنية فى لبنان والعمل على الاتصال بالاحزاب الخارجة عن المؤتمر واقناعها بالعمل من خلال المؤتمر •

وعلى الصعيد الدولى ، طالب المشروع بتطوير العلاقات مع البلدان الاشتراكية وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية على أن لا يكتفى بهذا المجال بالاتصالات على المستوى الرسمى بل بالاهتمام بتعبئة الجماهير فى تلك البلدان باتجاه جذرى وشامل للقضايا عن طريق : **ادانة كل الاتجاهات المشبوهة التى تحاول ان تسوى بين الامبريالية الامريكية والمعسكر الاشتراكى** ،وفتح مكاتب للمنظمة فى عواصم تلك البلدان ومدنها الرئيسية وترجمة كافة المطبوعات ذات الصلة بالقضية الفلسطينية باللغات الروسية والصينية وبالاهتمام الجدى بالحركات الثورية والانظمة الوطنية فى كافة بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بفتح مكاتب هناك ، وبالاهتمام بالجاليات الفلسطينية وارسال طلبة فلسطينيين وعرب مرتبطين بالثورة للدراسة هناك الخ . وفضلا عن ذلك الاهتمام الجدى بالحركات الشيوعية والاشتراكية الديموقراطية فى اوربا الغربية لتعميق الصلة مع الصديق ، وتحويل المحايد الى صديق ، وتحويل المعادى منها الى محايد ، وكذلك العمل لعقد مؤتمر عالمى لنصرة الثورة الفلسطينية يحضره ممثلون عن كافة الاحزاب والحركات والهيئات الشعبية ، والتقدمية ، والديموقراطية فى العالم •

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

لبنان اشتركت فيه قوات ضخمة .

١٧ — اعلنت حالة الطوارىء فى لبنان وتسلم الجيش السلطات وفرضت الرقابة على الصحف وعلى البرقيات واصدر الجيش اللبنانى انذارا الى المقاومة بالخروج من جميع مناطق الحدود ويفرض قيود على تحركات الفدائيين .

١٨ — وقع السادات والقذافى فى ختام محادثاتهما التى بدأت فى ١٥ سبتمبر ٣ وثائق اساسية خاصة بالوحدة الشاملة الجديدة بين مصر وليبيا ، تحدد الاولى الاسس التى تقوم عليها دولة الوحدة والثانية تشكيل القيادة السياسية الموحدة والثالثة خاصة بلجان الوحدة .

عالمى

١٠ — ١٢ — قام هنرى كيسنجر بزيارة للاتحاد السوفيتى اجرى فيها محادثات مع المسئولين السوفيت حول المسائل الثنائية .

١٩ — صدر بيان مشترك سوفيتى عراقى فى ختام زيارة الرئيس البكر جاء فيه انه اتفق مع الزعماء السوفيت على اجراءات محددة تستهدف دعم القدرة القتالية لقوات العراق المسلحة .

١٥ — وقع أول اتفاق تجارى بين اسبانيا والاتحاد السوفيتى منذ الحرب الاهلية الاسبانية فى الثلاثينيات، ويقضى الاتفاق بزيادة حجم التجارة بين البلدين زيادة كبيرة .

٥ — قامت مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين المنتمين الى « منظمة ايلول الاسود » الدولية بعملية مفاجئة فى القرية الاوليمبية فى ميونيخ قتل فيها ١١ من اعضاء البعثة الاسرائيلية الرياضية .وكان الفدائيون

وفيما يتعلق **بالوضع العربي** طالب **المشروع بالاسراع في تشكيل اللجان الوطنية المنبثقة عن الجبهة العربية المشاركة في كل قطر عربي** . وبالتفاعل الحقيقي والخلاق مع نضال الجماهير العربية في اقطارها ضد الاستعمار والرجعية وكافة اشكال الارهاب والقمع ، **واتخاذ مواقف واضحة الى جانب النضالات والانتفاضات الشعبية والديموقراطية في تلك الاقطار** . كذلك أشار الى أن التنسيق الفعال مع القوى والانظمة التحررية في منطقة الخليج يعتبر سلاحا جديا لمواجهة التآمر الامريكي الرجعي على المنطقة عن طريق تهديد المصالح الاستعمارية في تلك المنطقة .

كذلك قدمت اللجنة التنفيذية الى المجلس الوطني تقريرا تفصيليا يتضمن ثلاثة اقسام : تقرير سياسي ، وتقرير عن اجتماعات لجنة الوحدة ، والبرنامج السياسي ومن أهم ما جاء في التقرير السياسي **ان غالبية البلدان العربية الموقعة على اتفاقية القاهرة ، لم تمارس مقاطعة كافية للنظام في عمان** ، رغم النص الصريح الوارد في هذه الاتفاقية ، ورغم ان هذا النظام لم يعد معاديا للمقاومة وحدها ، بل لكل جماهير الامة العربية ، وامانيها في التحرر والتقدم **وان هذا الوضع قد ساعد النظام الاردني على متابعة نهجه من خلال محاولته لاقامة صلات وثيقة مع حفنة من العملاء التابعين له داخل الضفة الغربية ، وقطاع غزة** ، لكي يروج لمشروع المملكة العربية المتحدة .

وفيما يتعلق **بلبنان** أشار التقرير السياسي الى **ان الساحة اللبنانية** التي تمثل نقطة انطلاق أساسية في الظرف الراهن لنشاط المقاومة **تنتظر من المرحلة المقبلة ازديادا في المؤامرات الصهيونية والامبريالية والرجعية .وان تطور علاقات الثورة بالنظام اللبناني ، وتطور كافة نشاطات الثورة من الاراضي اللبنانية ، وخاصة النشاط العسكري مرهونان بالتطورات العامة التي ينتظر ان تشهدها المنطقة العربية في المرحلة المقبلة ، وان تقلص** النشاطات العسكرية للثورة من الاراضي اللبنانية **في الفترة الاخيرة انما كان نتيجة للركود العام الذي يسود كافة جبهات المواجهة مع العدو . وان** اية تطورات جديدة تشهدها الساحات العربية الاخرى نحو تحريك الصراع المسلح على العدو سوف يعكس نفسه مباشرة على الروح المعنوية لشعبينا ومقاتلينا في لبنان ، وعلى فعالية كوادرنا وأجهزتنا هناك .كذلك أشار التقرير الى «**ان حالة وقف اطلاق النار واستمرارها على الحدود العربية تخلق أسوأ الانعكاسات بالنسبة لنضال جماهيرنا ، وان انتهاء هذه الحالة بشكل عاملا رئيسيا في تطور نضال هذا الشعب** » .

وفيما يتعلق **بالوضع العربي** أشار التقرير السياسي اشارة لها أهميتها وهي « **ان حالة وقف اطلاق النار التي جاءت نتيجة للمبادرات الامريكية تخدم في نهاية المطاف سياسة العدو الصهيوني** والامبريالية في فرض الامر الواقع والاستسلام على الامة العربية . فخلال سنتين من وقف اطلاق النار ،تم اعداد المذابح للمقاومة الفلسطينية ،وصنع المؤامرات لضرب القوى الوطنية العربية في أكثر من موقع » . واشار الى « ان هذه المؤامرات **لا يمكن احباطها بدون تجنيد طاقات الجماهير ضمن كل بلد عربي واعطائها كامل الفرص من أجل المساهمة في المعركة** . وفي الاونة الاخيرة ازداد التركيز والتلويح من قبل الدوائر الامبريالية بمبادرات جديدة تقوم على أساس تحقيق حلول جزئية منفردة لكل بلد عربي على حدة مع العدو الصهيوني مما يساعد هذه الدوائر على الاستفراد بالقوى الوطنية العربية » .

واوضح التقرير السياسي « **ان استمرار تعليق الاوهام على المبادرات الامريكية له أثر كبير في**

قد احتجزوهم كرهائن لحين الافراج من ٢٣٠ من الفدائيين الفلسطينيين المعتقلين في سجون اسرائيل .

١٠ ـ تمت محادثات رسمية في ميونيخ بين برانت وبومبيدو تناولا فيه مسألة تحييد اوربا وتطور العلاقات بين البلدين ووجهات نظرهما بالنسبة لمؤتمر القمة لدول السوق الاوربية المشتركة .

٢٢ ـ سحب البوند ستاج في المانيا الغربية الثقة من حكومة فيلي برانت فصدر مرسوم بحل البرلمان لاول مرة في تاريخ المانيا الغربية من اجل اجراء انتخابات جديدة في ١٩ نوفمبر المقبل .

١ ـ اعلن في بيان رسمي في اورجواي ان راؤول سنديك « ٤٧ سنة» زعيم ومؤسس حركة توباماروس قد اعتقل بعد معركة جرت بين الثوار من اعضاء الحركة وقوات الامن .

١٧ ـ اعلنت اوغندا انها تتعرض لعملية غزو مفاجئة من اراضي تانزانيا واتهمت بريطانيا بتدبير هذا الغزو .

١١ ـ حذر الرئيس الشيلي اللندي من ان شيلي تواجه خطر الانزلاق في حرب اهلية ودعا الى اجراء حوار سياسي شامل لحل الازمة ودعا الحزب الديمقراطي المسيحي المعارض لاجراء محادثات مع الحكومة لتخفيف وقوع صدام مسلح .

١٤ ـ اتحدت الاحزاب السياسية كلها في شيلي على اختلاف اتجاهاتها لتأييد حكومة اللندي في معركتها ضد شركة كينكوت الامريكية للنحاس .

٢٥ ـ وصل كاكوي تاناكا رئيس وزراء اليابان الى الصين في زيارة رسمية تعد نقطة تحول في علاقات البلدين .

٢٩ ـ اعلنت الصين واليابان اقامة

استمرار حالة وقف اطلاق النار وسيادة طريقة التفكير والممارسة الراهنة فى المنطقة العربية، وهذا ماكشفت عنه حقائق السنوات الخمس الماضية منذ قبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ وحتى المقترحات الامريكية الاخيرة • ان هذه كلها تؤكد بأن هذا الطريق القائم على استجداء الحلول السياسية التصفوية لا يؤدى الا الى مزيد من تحذير الامة العربية واجهاض طاقاتها • ومن التجربة ايضا يتضح بأن **التكتيك الامريكى قد اعتمد على تقديم مبادرات مضللة** من أجل انتزاع بعض التنازلات ثم يقوم الامريكيون فيما بعد بتقديم مبادرة جديدة ساحبين مبادرتهم القديمة من أجل انتزاع تنازلات جديدة أكثر • وكل هذا كان طابع السياسة الامبريالية منذ قيام الاحتلال الصهيونى الجديد عام ١٩٦٧ ،ولا يهدف هذا الا الى زعزعة ثقة الجماهير العربية وقواها الوطنية **بالطريق الثورى الصحيح لدحر الاحتلال** القائم على الكفاح الشعبى المسلح المترافق مع **نضال الجيوش الوطنية لهزيمة العدو** » •

الا ان التقرير السياسى اشار فى الحقيقة اشارة لها أهميتها حين قال : «**أن الوضع العربى الراهن رغم كل هذه الظروف يمتاز ببدء نمو حالة التململ الجماهيرى تجاه وقف اطلاق النار ، والمطالبة الشاملة برفض الحلول التصفوية** والتأكيد على أن الكفاح الشعبى المسلح الذى يعتمد على تجنيد طاقات الجماهير وتعبئتها هو المخرج الوحيد لهذه الازمة وكان المؤتمر الشعبى العربى الذى عقد فى بيروت احدى الدلائل البارزة على موقف القوى الوطنية العربية وتضامنها الكامل مع الثورة الفلسطينية •

وفيما يتعلق بالموقف الدولى أشار التقرير السياسى الى أن الامريكيين لا يكتفون بمحاولة فرض الحل السلمى القائم على سياسة الامر الواقع ، وانما يعمدون كذلك الى **محاولة عزل الامة العربية وقواها الوطنية عن حلفائها فى العالم من القوى الثورية والتقدمية الصديقة** ، حتى يمكن الاستفراد بالنضال العربى وضربه ،ثم أشار من ناحية أخرى الى أنه تد « **تطور ونما التعاون والدعم من قبل دول المنظومة الاشتراكية** ، وخاصة **الاتحاد السوفيتى** للثورة الفلسطينية »، كما تجلى ذلك فى زيارتى وفد المنظمة الى موسكو عام ١٩٧١ و ١٩٧٢ ، واستمر الوقف الثابت من قبل **جمهورية الصين الشعبية** الى جانب أهداف نضال شعبنافى كافة المجالات وعلى مختلف الاصعدة ، كذلك فقد شهد العام الماضى تحولا واسعا لدى الرأى العام الاوربى لصالح حقوق الشعب الفلسطينى من خلال المواقف المدعمة لنضال شعبنا » •

وفيما يتعلق بمشكلة الوحدة أشار التقرير الخاص باجتماعات لجنة الوحدة الوطنية الى أنه « **لابد من التذكر بأننا لا نبدأ من نقطة الصفر** ، اذ أن الوحدة الوطنية متحققة بدرجات متفاوتة فى كثيرمن مؤسسات المقاومة والشعب الفلسطينى ، **فى المجلس الوطنى وفى اللجنة التنفيذية ، وفى البرنامج السياسى ، وفى مجلس الاعلام الموحد وفى الخدمات الشعبية** •

كذلك أشار تقرير لجنة الوحدة الى أن «فتح» و « الصاعقة » **تتحملان مسئولية أساسيةفى مجال** تمتين وترسيخ الوحده الوطنية ، وبالتالى طالب أعضاء اللجنة كلا منهما بتحديد موقفه مع التأكيد على ضرورة وصولهما الى الوفاق فيما بينهما ، وأثارت منظمة « فتح » **موضوع جيش التحرير** على أنه يشكل عقبة فى طريق الوحدة لانه غير خاضع لارادة قيادته السياسية (اللجنة التنفيذية) ولانه غير منضبط • وقد كان موقف الفصائل الاخرى متعاطفا مع ضرورة انضباط جيش التحرير وخضوعه لارادة قيادته السياسية ، على أساس أن

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

العلاقات الدبلوماسية بينهما • وانهاء حالة الحرب التى دامت ٣٥ عاما •

١١ — تقدمت الحكومة الثورية المؤقتة فى فيتنام الجنوبية باقتراح اقامة حكومة ائتلافية من ثلاث اطراف الى ان يتم تنظيم انتخابات حرة ديموقراطية •

١٤ — رفضت الولايات المتحدة وفيتنام الجنوبية اقتراح الثوار بتشكيل حكومة ائتلافية من ثلاث اطراف •

١٦ — وصل ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا الى طوكيو لبحث الموقف التجارى بين البلدين والموضوعات السياسية والاقتصادية •

١ — اعلن المتحدث الصحفى باسم البيت الابيض ان تاناكا رئيس وزراء اليابان وافق خلال محادثات القمة مع الرئيس نيكسون على شراء سلع امريكية قيمتها ١ر١ مليار دولار لتخفيض العجز فى الميزان التجارى الامريكى مع اليابان وقيمته ٤ر٣ مليار دولار •

٦ — اصدر وليم روجرز وزير خارجية امريكا بيانا عاجلا طالب فيه دول العالم باتخاذ اجراءات جماعية حازمة ضد ما اسماه « الارهاب والقرصنة الجوية » •

٩ — سافر هنرى كيسنجر مستشار نيكسون لاجراء محادثات مع الزعماء السوفيت حول العلاقات الثنائية وحرب فيتنام والشرق الاوسط ومؤتمر الأمن الاوربى •

١٥ — اجتمع كيسنجر فى باريس بالرئيس بومبيدو استعرض مع المشاكل العالميه — والمحادثات التى اجراها مع الزعماء السوفيت •

١٥ — وافق مجلس النواب الامريكي علي اعتماد مبلغ ٧٤٦٦٧،٠

وحدة الفصائل تقوى من هيبة القيادة وقدرتها على فرض هيبة المقاومة على الجيش ، وعلى جميع المؤسسات والافراد والقوى . أما مندوب « الصاعقة » فأشار الى أن اتفاق التنظيمات اتفاقا جادا يجعل قضية جيش التحرير غير قائمة .

أما البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية فقد أشار اشارة لها قيمتها فيما يتعلق بالاردن الى ان المخططات الامريكية تستهدف **اعادة بناء الجيش الاردني لكي يوجه ضد سوريا والعراق ايضا** . كما اوضح ان الضربة التى وجهت للثورة الفلسطينية فى الاردن فى أواسط عام ١٩٧١ ، واشتداد الهجمة الامبريالية الامريكية والصهيونية على الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية داخل المناطق المحتلة ، وخارجها وزيادة تدهور الوضع العربى الرسمى باتجاه الاستسلام ، تجعل الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية والعربية ، تواجه ازمة عامة تأخذ بخناق الامة العربية كلها فى الوطن العربى الكبير من جهة وتأخذ من جهة ثانية ، بدفع المؤامرات تلو المؤامرات من أجل تصفية الثورة الفلسطينية وتصفية الوجود الوطنى الموحد للشعب الفلسطينى ، ولقضيته الوطنية بمد مشروعات تآمرية مثل مشروع **آلون** ، ومشروع **الدويلة الفلسطينية** فى الضفة الغربية والقطاع والضم والتهويد ومحاولات الاستيعاب والتذويب للشعب الفلسطينى فى المجتمعات التى يعيش فيها فى الشتات » بيد أن التقرير أشار الى أنه « فى جو الازمة فان **شعبنا العربى الفلسطينى يتحرك بتصميم وثبات دفاعا عن ثورته المسلحة** ووجوده الوطنى الموحد وعنحقه فى تحرير وطنه كاملا ، ولن يسمح بتصفية قضيته العادلة وثورته اللتين تشكلان مركزالاشعاع النضالى والثورى فى منطقة يريد الامبرياليون ، والصهاينة أن يفرضوا عليها سيطرتهم الكاملة وأوضح « ان التوجه القوى **نحو الوحدة الوطنية فى صفوف الثورة الفلسطينية** لا يشكل بحد ذاته كسرا لطوق الازمة ولكنه يوفر شرطا ضروريا على طريق كسرذلك الطوق » كما أشار التقرير الى ان الساحة الاردنية تتميز عن أية ساحة عربية أخرى بالنسبة للثورة الفلسطينية ، وقضية تحرير فلسطين ، فهى تتشكل من أغلبية فلسطينية لها حقوق وطنية ، كذلك **فليس هناك مجال للحديث عن كفاح مسلح ضد العدو الصهيونى بدونها** ... الامر الذى يجعل مسألة تحرير الاردن « **اسقاط الحكم العميل ، يلعب دورا حاسما فى كسر طوق الازمة** ويشكل ضرورة استراتيجية فى تحرير فلسطين » . وفى النهاية أشار التقرير الى « ان بناء جبهة عربية مشاركة للثورة الفلسطينية يرتكز أساسا على الايمان بأنه **لا نجاح لقضيتنا الا فى اطار الانتصار العام لنضال أمتنا العربية الوطنى والقومى والتحررى** ، وسوف يسهم فى حماية الثورة الفلسطينية وفى ضمان استمرارية الكفاح المسلح وتصعيده ، ويساعد الكفاح لاسقاط الحكم العميل فى الاردن فضلا عن اسهامه العام فى كسر طوق الازمة » .

هذا وقد كشف التقرير المالى المقدم الى المجلس الوطنى الفلسطينى ، عن الازمة المالية التى تعانى منها منظمة التحرير الفلسطينية وقد أشار التقرير الى أنه « فى الوقت الذى تزداد فيه حاجة منظمة التحرير الملحة لتغطية النفقات التى تستدعيها معركتنا المستمرة مع العدو من جهة ، وضرورة التصدى للمخططات التآمرية وافشالها من جهة أخرى ، **توقفت جميع الحكومات العربية بلا استثناء عن تسديد أرصدة التزاماتها فى ميزانية منظمة التحرير الفلسطينية** ، وتخلفت جميعها عن الوفاء برصيد مساهماتها فى نفقات ادامة جيش التحرير الفلسطينى ، بل أن بعض هذه الحكومات ما يزال مدينا بكامل التزاماته ومساهماته منذ السنة الاولى لقيام منظمة التحرير الفلسطينية حتى

مليون دولار للنفقات الدفاعية وهو اعلى رقم لتلك الاعتمادات منذ الحرب العالمية الثانية .

٣٠ — وقع نيكسون قرارا مشتركا لمجلس الشيوخ والنواب بالموافقة على اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية وبذا تكون الموافقة قد تمت على هذه الاتفاقية .

اكتوبر

محلى

١٨ — صدر بيان مشترك فى القاهرة وموسكو عن محادثات عزيز صدقى مع الزعماء السوفيت فى موسكو . واكد الاتحاد السوفيتى ان للدول العربية كل الحق فى تحرير اراضيها بمختلف الوسائل كما جاء فى البيان ان الزعماء السوفيت الثلاثة قبلوا الدعوة لزيارة مصر .

عربى

٩ — صرح متحدث باسم حكومة اليمن الديمقراطية ان قوات اليمن الشمالية احتلت جزيرة قمران بعد هجوم جوى وبحرى ، واعلنت صنعاء ان هذه الجزيرة جزء لايتجزأ من الجمهورية العربية اليمنية .

٢٣ — توصل الجانبان اليمنيان فى مباحثات المصالحة بالقاهرة الى اتفاق حول الاسس العامة لقيام الوحدة بينهما بعد ان كانت الدولتان قد اوقفتا اطلاق النار فى ١٣ اكتوبر .

٢٨ — تم الاتفاق بين اليمن الشمالية والجنوبية على مشروع بقيام دولة موحدة تجمع شطرى اليمن يكون لها علم واحد وشعار واحد وعاصمة واحدة ورئاسة واحدة وسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة .

٢٨ — اعلن رسميا ان السودان والاتحاد السوفيتى اتفقا على تبادل

الان : **وبلغ مجموع الالتزامات التى لم تسدد ٢٢ مليون جنيه استرليني** ، وان كانت مصر قد استمرت فى الانفاق على ادامة قوات عين جالوت وذلك فى حدود ثلاثين ألف جنيه مصرى شهريا على حساب التزاماتها فى نفقات ادامة جيش التحرير الفلسطينى ، وكذلك فان الجمهورية العراقية قد استمرت فى الانفاق على ادامة قوات القادسية فى حدود ثلاثين ألف دينار عراقى على حساب التزاماتها فى نفقات ادامة جيش التحرير الفلسطينى . وأوضح التقرير انه فى الوقت الذى يتوقع فيه زيادة ايرادات البترول فى العالم العربى من ٦٩٨٠ مليون دولار امريكي الى ٨٥٠٠ مليون دولار امريكي فى ١٩٧٢ فان الحكومات العربية تخلفت عن سداد التزاماتها العادية .

وأشار التقرير الى أن جملة الالتزامات السنوية لمنظمة التحرير الفلسطينية ولادامة جيش التحرير الفلسطينى معا لا **تبلغ سوى ربع من واحد بالالف من مجموع الدخل القومي للبلاد العربية أو نحو واحد وربع بالالف من الميزانيات العادية العربية مجتمعة** . وفى ضآلة هذه النسب ما يكفي للتدليل على خطورة القصور العربى فى مساندة الصندوق القومى الفلسطينى ، وما يفضح ازدواجية المواقف العربية بين القول والفعل ، بين الكلام عن دعم العمل الفلسطينى ، وتوفير هذا الدعم بشكل ملموس فى النطاق المالى .

وسجل التقرير بالاعتزاز **دور الفلسطينيين فى تمويل الصندوق القومي** ، فقد مثلت ضريبة التحرير المفروضة على الفلسطينيين العاملين فى كل الاقطار العربية ٦٤ فى المائة من ايرادات الصندوق عام ٧١ ، ١٩٧٢ .

كذلك فمما تجدر الاشارة اليه أن **جبهة التحرير العربية** قدمت مذكرة الى المجلس الوطنى بتاريخ ٦ــ١ــ١٩٧٢ أشارت فيها الى أن الاطار الصالح لمسألة الوحدة يكمن فى ضرورة **التركيز على قيام جبهة تحرر وطني** تضم الفصائل المقاتلة حاليا ، وتخطط لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها . **وان صيغة القيادة الجبهوية هى الاقدر على ان تحتفظ بكل ايجابيات المنظمة دون سلبياتها** . كما اشارت الى ان المقاومة لا يمكنها ان تخرج من دائرة التأثر بالضغوط النظامية العربية فى نهجها وممارساتها ومواقفها ما لم توحد نفسها وتصبح قوة شعبية هامة على الساحة العربية ، كما انه بالمقابل يصعب على المقاومة ان توحد نفسها بدون الخروج من دائرة التأثر بهذه الضغوط ، لان الانظمة العاجزة لا تريد للمقاومة أن تصبح قوة شعبيةفعالة ومؤثرة فى الاحداثبما يعنى ذلك من تأثير على اوضاعها ومخططاتها وحساباتها ، ومن هنا فهى لا تريد لها ان تتوحد لان وحدتها طريق قوتها » وأوضحت جبهة التحرير العربية «ان القواعد هى المجال الارحب والاسلم لممارسة النضال الموحد ، **ففى ظروف ارتفاع حرارة النضال ينصهر الذاتى والثانوى لصالح الموضوعي والرئيسى** » وطالبت الجبهة بمواصلة العمليات القتالية من وداخل الارض المحتلة وعبر الحدود العربية ، وتعبئة جماهير الشعب الفلسطينى ورفع شعار **فتح جميع الحدود العربية امام ثوارنا ، وشعار ادانة صمت المدافع العربية »** .

كذلك قدم العميد الركن **محمد الشاعر** اقتراحا للمجلس الوطنى بتشكيل **لجنة اركان عسكرية استشارية** فى قيادة الثورة الفلسطينية تضم من ١١ الى ١٣ عضوا منتخبين من بين الضباط الفلسطينيين الحائزين على الاختصاصات الملائمة معالاستعانة عندالاقتضاء بـ ٢ــ٣ ضباط كبارمن الجيوش العربية وتكون مهمتها تطوير العمل

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

السفراء وكانت العلاقات الدبلوماسية بينهما قد قطعت فى يوليو ١٩٧١ بعد انقلاب ١٩ يوليو اليسارى .

١٣ ــ طلبت حكومة العراق رسميا الانتساب فى اقرب وقت الى منظمة الكوميكون .

١٥ ــ قام السلاح الجوى الاسرائيلى بهجوم جوى مفاجىء على منطقتى جنوب لبنان وشمال سوريا فى وقت واحد .

مالى

٢٩ ــ نجحت منظمة ايلول الاسود فى القيام بعملية مفاجئة للافراج عن الفدائيين الفلسطينيين الثلاثة المعتقلين فى ميونيخ منذ سبتمبر . وذلك باختطاف طائرة لوفتهانزا الى مطار زغرب حيث تسلما هناك زملاءهم الثلاثة .

٢١ ــ وصل الى موسكوماسويوشى اوهيرا وزير الخارجية اليابانية لاجراء محادثات تتناول مسائل عقد صلح بين اليابان والاتحاد السوفيتى ولتنمية مصادر الغاز الطبيعى فى سيبيريا .

٢٨ ــ اتفق الاتحاد السوفيتى مع اليابان على ان تشترك الاخيرة مع الولايات المتحدة فى تنمية موارد الغاز الطبيعى فى شرق سيبريا .

٥ ــ قام بوليس المانيا الغربية بحملة اعتقالات واسعة فى جميع الولايات الالمانية . واصدر اوامر بطرد ٤٦ عربيا وحظر نشاط الاتحاد العام للعمال الفلسطينيين وللطلاب الفلسطينيين .

١٢ ــ اعلنت المانيا الديمقراطية استعدادها لتمكين الطلبة العرب والفلسطينيين الذين تطردهم المانيا الغربية من مواصلة تعليمهم فى المانيا الديمقراطية .

٦ ــ وقع وزيرا خارجية اوغندا وتانزانيا اتفاقية سلام تنهى حالة الحرب بين بلديهما .

العسكرى لفصائل الثورة ورفع مستوى عملياتها العسكرية فى التمركز أو الحركة ، وتخفيض الخسائر فى الارواح والاسلحة والمعدات خاصة وقد اثبتت الاحصاءات أنه من بين كل ١٠ فدائيين يستشهدون ، فى القواعد ، أو فى العمليات القتاليةفان ٥ الى ٦ منهم يعتبر استشهادهم طبيعيا تتطلبه ظروف الغارة أو الاشتباك ، بينما **تخسر المقاومة من ٣ الى ٤ شهداء نتيجة للجهل العسكرى** وعدم تطبيق انظمة القتال بالطرق الصحيحة ٠

ومن الجدير بالذكر ان الرئيس **انور السادات** بعث الى المجلس الوطنى برسالة أكد فيها « ان مصر قد آلت على نفسها الا تسمح لاحد بالتفريط فى حق شعب فلسطين ، ولن يكون حق شعب فلسطين فى تقرير مصيره موضع مساومة فى أى وقت من الاوقات » كما اشار أيضا الى ان الموقف الحالى يقتضى أكثر من أى وقت مضى مزيدا من وحدة الصف بين الفلسطينيين وصلة أعمق وأعرض مع أهلهم فى الارض المحتلة ٠

وقد أوضح السيد **جلول الملايكة** مندوب حزب جبهة التحرير الوطنى الجزائرى فى كلمة موقف بلاده من المعركة العربية الاسرائيلية بقوله « ان الجزائر نادت منذ البداية بضرورة اشراك الجماهير العربية فى المعركة ايمانا منها بأن بعد جماهيرنا عن المعركة لا يحقق للامة العربية الا الهزائم والنكسات ، كما أكدت بان الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد لاسترجاع الحق العربى والارض المغتصبة وذلك عن تجربة خاضها الشعب الجزائرى ضد احدى القوى العالمية المعززة بكل الامكانيات المادية والمعنوية ٠ ورغم هذا فقد حقق الشعب الجزائرى الانتصار لانه اتخذ السبيل الاقوم وهو الكفاح المسلح ، واعتمد على الجماهير ، ولم يؤمن الشعب الجزائرى فى يوم من الايام بالحلول السلمية أو ايقاف القتال ، دون الحصول على حقوقه.لان ذلك ماهو سوى مراحل يصطنعها الاستعمار يسترجع فيها ويلتقط انفاسه ليستأنف معركة بعد ذلك اشد مما كانت » ٠

وجدير بالذكر أيضا ان المجلس الوطنى قد ركز بحثه فى اجتماعاته على اوضاع جيش التحرير الفلسطينى ، ودارت مناقشات واسعة لتحديد طبيعة مهمة الجيش الفلسطينى وعلاقته باللجنة التنفيذية٠ وقد ركز **محمد يوسف النجار (ابو يوسف)** احد قادة فتح حديثه حول قضية جيش التحرير الفلسطينى « الذى مازال يتصرف ويمارس كأنه تنظيم مستقل فى الساحة الفلسطينية » وطالب ابو يوسف بضرورة سحب البقية الباقية من جيش التحرير الفلسطينى والتى لا تزال فى الاردن (٨٠٠ مقاتل) لانه ليس من المتوقع ان يقوم الجيش هناك بأية مهام نضالية ، بل ان المخاوف تحيط بمهمته هناك ٠

وقد اتاح وفد**الجبهة الشعبية العربية المشاركة للثورة الفلسطينية** ـ بالاسهام فى أعمال المجلس لاول مرة ـ (**راجع الافتتاحية**)

وعلى أية حال فقد اشار « **ياسر عرفات** » قبل بدء هذه الدورة الحادية عشرة للمجلس الوطنى الفلسطينى اشارة لها مغزاها حين قال للصحفيين « ان حركة المقاومة تعلم ان عام ١٩٧٣ **هو عام التحديات الكبرى** ، وانه سيكون خطيرا ليس بالنسبة للنضال الفلسطينى فقط ، وانما بالنسبة للنضال العربى كله ٠ وأكد على هذا المعنى ايضا فى رسالته الى الجماهير الفلسطينية حين أوضح ان عام ١٩٧٣ « لن يكون فحسب عام التحدى الكبير ، وانما كذلك عام الانتفاضة الجماهيرية » وطالب قيادات المقاومة بان تترجم هذه الشعارات الى برامج عمل متصلة لكل الجماهير ٠

■

---

٢٦ ـ قام جيش داهومى بانقلاب عسكرى واستولى على السلطة فى البلاد وحل مجلس الرئاسة الحاكم والمجلس الاستشارى الوطنى وشكل الميجور ماثيو كيريكو قائد الانقلاب حكومة عسكرية من ١١ عضوا ٠

٣١ ـ استقالت حكومة الرئيس سلفادور اللندى فى شيلى بصفة جماعية لاتاحة الفرصة امام رئيس الدولة للعمل بحرية تامة من اجل تشكيل حكومة جديدة ٠

١١ ـ وقع وزير خارجية الصين الشعبيةووزير خارجية المانيا الغربية فى بكين البيان المشترك الذى اعلن رسميا اقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ٠

١٨ ـ استأنفت الصين والاتحاد السوفيتى محادثاتهما لتسوية مشاكل الحدود بينهما ، وهى المحادثات التى بدأت منذ ٣ سنوات ٠

١٩ ـ بدأتمفى سايجون محادثات كيسنجر ـ ونيوين فان ثيو أعلن بعدها أن ثيو لا يقبل تشكيل حكومة ائتلافية من ثلاثة أطراف ٠

٢٦ ـ صدر بيان من هانوى يعلن انه قد تم الاتفاق بصفة نهائية على تفاصيل اتفاق سلام فى فيتنام والجدول الزمنى لتنفيذه الا أن الولايات المتحدة الامريكية ارجأت التوقيع عليه ثلاث مرات بسبب اعتراضات حكومة فيتنام الجنوبية ٠

١٢ ـ بدأت محادثات سياسية رسمية بين الدولتين الكوريتين بهدف السعى الى اعادة توحيد كوريا ٠

٢ ـ ٤ ـ طالب حزب العمال البريطانى المعارض فى مؤتمره السنوى فى بلاكبول بانجلترا بأن تصفى الولايات المتحدة قواعدها الذرية فى الاراضى البريطانية ،لانها تجعل من بريطانيا هدفا ثابتا للهجوم الذرى ٠

٢٩ ـ وصل سيراليك دوجلاس

أبو أياد :

« ستكون الخدعة الثانية على حساب القاهرة ودمشق والجنوب اللبناني »

عقدت اللجنة التحضيرية للاتحاد العام لطلاب فلسطين بالقاهرة ندوة سياسية فى ذكرى مرور ثمانى أعوام على انطلاق الثورة الفلسطينية ، تحدث فيها **ممثل اللجنة التحضيرية** للطلاب ، مركزا على دور الجماهير الطلابية العربية فى كشف التيار الانهزامي ودحره • وأعقبه « **ريحى عوض** » ممثل فتح بالقاهرة ، الذى أعرب عن فخره كفلسطينى وعربى بأنه بعد ثمانى أعوام من نضال قاس صعب ، ومؤامرات « فان بنادق الثورة الفلسطينية ما تزال مشرعة ، ومناضليها على ارادتهم الصلبة وعزائمهم لا تلين » وأكد « انه مع اطلالة كل عام تزداد قناعتنا بأن ثورتنا المسلحة لابد يوما وحتما سوف تنتصر » •

وأشار « **أبو لطف** » عضو اللجنة المركزية لحركة التحرر الوطنى الفلسطينى ـ فتح ـ الى حقيقة اختلاف الثورة الفلسطينية فى واقعها الاجتماعى والسياسى والاقتصادى عن كثير من الثورات فى العالم ، من ناحية أنها **تعيش بكيانها الاجتماعى فى عدد من البلدان العربية ، وتناضل فى جبهات متعددة ، تكاد تكون كل منها مستقلة** ، وتحتاج الى عوامل التأييد والدعم التى تحتاجها أى ثورة فى العالم •

وترك « **أبو لطف** »مهمة شرح الظروف الموضوعية التى تحيط بالثورة الفلسطينية والمكاسب والمنجزات التى استطاعت الثورة أن تقدمها ، وكذلك الاخطاء التى وقعت فيها فى الاعوام الماضية **لابو اياد** عضو اللجنة المركزية **لحركة التحرر الوطنى الفلسطينى ـ فتح ـ** •

وقدم « **أبو اياد** » صورة للوضع العربى العام ولحالة الشباب الفلسطينى فى الفترة السابقة على بدء الثورة فى ١٩٦٥ فقال : « كنا نحن شباب فلسطين ضائعون فى وسط الدوامة التى كانت تعج بالشعارات الكبيرة ، والاحزاب ، والمنطلقات الفكرية ، وتتحدث عن التحرير بوسائل مختلفة ، وكان خيالنا فى تلك الفترة يتجه أحيانا الى الاحزاب العربية لعل فيها الطريق • الا أنه من خلال هذه الانظمة ، وهذه الاحزاب لم نجد سبيلا • فقررت فئة من شعب فلسطين أنه لابد من كسر الجدار . كان الثوار لا يحسبون حساب الربح والخسارة • **حفنة من الرجال قررت أن تنطلق بالنضال ضد اسرائيل ، وبأعلى أشكال هذا النضال ،أى الكفاح المسلح والبندقية**.وفى وسط أنظمة عربية لم تتعود أن ترى الفلسطينى الا فى صورة من يحمل كارت المؤن يتجه به الى هذا المجمع أو ذاك من مجمعات التموين ، أو فى صورة من يبحث عن وظيفة ، أو لقمة عيش يتعيش منها، فى وسط ذلك ، فوجئت أجهزة المخابرات العربية بشباب ينطلقون فى جو حصار اعلامى ومادى ، انطلقت هذه الفئة ، وسط حرب نفسية شرسة ، وسط اتهام بانهم عملاء « للسنتو » ، والمخابرات الامريكية ، فضلا عن الذين يقولون بالتوقيت والتوريط » •

وأضاف « **أبو اياد** » قائلا « وجاء عام ١٩٦٧ ، وقرت نفس الطلائع أن تنطلق الى الارض المحتلة • بينما كان جو اليأس يخيم على الارض العربية • كان الشعب الفلسطينى مصر على القتال

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

هيوم زير خارجية بريطانيا الى بكين فى أول زيارة رسمية يقوم بها وزير خارجية بريطانيا للصين الشعبية •

٩ ـ وافق مجلس الدفاع الوطنى اليابانى على برنامج جديد للتسلح يتيح لليابان مضاعفة انفاقها العسكرى لتمتلك انواعا من الاسلحة المتطورة خلال السنوات الخمس القادمة •

■ نوفمبر ■

محلى

١٩ ـ بعث الرئيس انور السادات برسائل شخصية الى رؤساء ٣٥ دولة من آخر التطورات فى ازمة الشرق الاوسط والاخطار الناجمة من استمرار تلك الازمة •

١٦ ـ وصل الى موسكو وفد عسكرى مصرى برئاسة اللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية المصرية لاجراء محادثات المسئولين العسكريين السوفيت •

عربى

٢٦ ـ اعتقلت السلطات الاردنية ٣٠٠ من افراد الجيش الاردنى وهددت اقامة عدد من السياسيين بعد احباط محاولة انقلاب ضد الملك حسين فى الاردن.. وكانت المحاولة قد استهدفت اغتيال الملك حسين ، وقلب نظام الحكم الملكى وهو من تدبير منظمة سرية شكلت داخل الجيش الاردنى منذ ٦ اشهر بعد اعلان الملك لمشروعه الخاص بالمملكة العربية المتحدة •

٢٨ ـ تم فى طرابلس بليبيا توقيع الاتفاق النهائى لتوحيد دولتى اليمن الشمالية والجنوبية بعد محادثات بين الايريانى رئيس المجلس الجمهورى فى اليمن الشمالية وسالم ربيع رئيس

والموت • وعلى الموت وحتى الموت قامت بعض الانظمة تحسدنا عليه • فقامت عملية النفخ الاعلامي بحيث أصبح الانسان العربي يحس كان الثورة الفلسطينية مطالبة لا بتحرير ارض فلسطين فقط ، وانما جميع الاراضي العربية ايضا . هذا النفخ رسمته بعض الجهات من خلال الاعلام العربي ، حتى يأتي اليوم الذي يحس فيه المواطن العربي بخيبة الامل من هذه الانطلاقة » •

واشار « ابو اياد » اشارة لها اهميتها الى موقفهم من نظام الملك حسين قبل مذابح « أيلول الاسود » جاء فيها « وأقول بمرارة انه لم يكن هناك نية عند الفدائيين أن يأخذوا من الملك حسين نظامه ، وهذا خطأ قاتل • ولم يفكروا – للاسف – بمناوشة هذا العرش • ولكن كانوا كالملائكة مخلصين لشعاراتهم حتى المأساة • وكان النظام الاردني يعرف هذم البراءة والاخلاص لهذه الشعارات وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية ، حتى حق الدفاع عن النفس ، نحيناه جانبا ، وقلنا لعل وعسى ، رغم معرفتنا بالتاريخ الاسود للاسرة الهاشمية • كان الشعار الذي غذينا به شبابنا ، هو اننا نريد القتال فوق الارض المحتلة . وذلك في الوقت الذي كانت تطلق فيه المدافع والبنادق في عمان ، ووسط المذابح في جرش ، وعجلون . هذا الشعار رفعناه بغباء . بينما كان لازم نكشف هذا النظام من أول يوم حتى لا يستطيع أحد أن يقول انه مكن التعايش معه » •

واستطرد قائلا : « قد نكون تلقينا الضربة القوية من هذا النظام ، لكننا كمخلصين لفلسطين وامتنا العربية ، نقول لكل الذين يتفاءلون بالملك حسين ، انهم لن يخرجوا بشيء • لقد عشنا في الاردن من ١٩٦٧ حتى مذابح جرش وعجلون ، وبذلنا كل مجهود للتعايش • ولكن النظام كان لا يرفض فكرة القتال فحسب ، وانما مجرد أي صوت يرتفع وينادي به • هذا النظام لا هم له الا توسيع السجون ، وسجن المناضلين وتعذيبهم واعدامهم • ومع ذلك يحدث تشجيع لامكانية أنه يعود الى الصف العربي . هل نسينا تاريخ هذا الانسان وسجله الحافل بالمؤامرات ؟ • ويقال ان هذه الاسلحة الامريكية التي ترسل له ، سوف تقاتل اسرائيل • هل ألغى الناس عقولهم ؟ كيف يمكن لامريكا أن تعطيه سلاحا يحارب به اسرائيل ؟ • كيف يمكن الاعتقاد أنه يمكن أن يعود ثانية للصف العربي ؟ وتعرض عليه خطة محاربة اسرائيل ؟ حرام على شبابنا على الجبهة المصرية ، وحرام على شبابنا على الجبهة السورية ، وباقي شبابنا من الفدائيين ، حرام علينا أن نقول لهم أن الملك حسين يمكن أن يخرج بشيء . أقول لكل الذين يريدون من العرب أن يقاتلوا ، انه اذا كانت المعركة كلامية ، فستجد الكثيرين الذين سوف يزاودون بالكلام ، والاخرون الذين يتنصلون • بالنسبة للقاهرة وسوريا لا اعتقد ان شيخا منهم سوفياتي من وراء المذياع ليعطينا الاموال للمعركة ولكن عندما تنطلق المدفعية في سيناء والجولان ، ساعتها يستطيع أصغر انسان في القاهرة ، وفي سوريا ان ينادي عليهم ليدفعوا ضريبة التحرير جبرا عنهم • بالقتال نستطيع أن نجبرهم • بدلا من أن نستدر عطفهم • بالدين ، لا دين لهم ، والقومية ، لا قومية لهم ، والوطنية ، لا وطنية لهم . لماذا يتحمل الشعب المصري وحده عبء المعركة ؟ لماذا يتحمل الشعب السوري وحده عبء المعركة ؟ من واجب الحكام المطالبين بقرار المعركة أن يحددوا من هي الدول العربية التي لا تريد أن تسهم بالمال ، أبخس الاشياء ، في المعركة ، لم تعد جماهيرنا تكتفي بالكلمات المجردة • لا تخدعوا مرة ثانية ، لقد خدعنا الحسين الاول ، عندما قال سأحرر فلسطين وأقيم الدولة العربية الواحدة ،

مجلس رئاسة اليمن الديمقراطية الشعبية واشترك فيها القذافي .

٢١ – اشتعلت الجبهة السورية في قتال عنيف مع القوات الاسرائيلية عقب عدوان اسرائيلي جديد على المواقع السورية الامامية وبعض المناطق السكنية .

١٢ – وصل نيويورك موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي لاجراء محادثات سياسية مع روجرز وزير الخارجية وملفين ليرد وزير الدفاع الامريكي .

٢٩ – سافر ايجال الون نائب رئيسة وزراء اسرائيل الى واشنطن في زيارة للولايات المتحدة اجرى خلالها محادثات مع روجرز وزير الخارجية الامريكية حول الموقف في الشرق الاوسط .

٢٩ – قرر مؤتمر الاحزاب التقدمية العربية لنصرة المقاومة الفلسطينية في ختام اعماله ببيروت انشاء جبهة من الاحزاب والمنظمات التقدمية العربية لمساندة المقاومة الفلسطينية ، وطالب بالوجود السياسي والعسكري للمقاومة في كل البلاد العربية ، وخاصة الدول ذات الارتباط المباشر بالصراع مع الصهيونية وانتخب كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان امينا للجبهة .

عالمي

٩ – اذيع اعلان رباعي في وقت واحد في موسكو وباريس ولندن وواشنطن جاء فيه ان حكومات الدول الاربع اتفقت على تأييد ترشيح كل من جمهورية المانيا الاتحادية ، وجمهورية المانيا الديمقراطية لعضوية الامم المتحدة .

٢٧ – وصل ليونيد بريجنيف زعيم الحزب الشيوعي السوفيتي الى بودابست في زيارة رسمية للمجر يصحبه وفد من الحكومة والحزب لبحث مسائل التعاون بين البلدين

ولا ينبغي أن يخدعنا الحسين الثاني . ستكون الخدعة الثانية على حساب القاهرة ودمشق والجنوب اللبناني . كان حسين يجلس معنا ساعات طويلة ، وتكاد عيناه تطفر بالدموع ، وهو يتحدث عن فلسطين والقدس الحبيبة . ولكننا دفعنا ثمن هذه الدموع غاليا ، من الدماء ، وحصارا لا يزال يفرض علينا وان كنا قادرين على تجاوز مراحل الحصار » .

واستطرد « أبو أياد » شارحا الظروف التي تجابه الثورة الفلسطينية الان بقوله : « الطريق حولنا كلها أشواك . نحن نواجه تحديات كثيرة ونعرف حجمها وأبعادها الحقيقية . نواجه تحديا ذاتيا عن طريق بعض الوجوه الفلسطينية التي تحاول أن تلعب بالمسيرة الثورية ، أو تعرقلها . ونعرف أن هناك بعض النفوس الضعيفة التي تشتريها بعض هذه الانظمة أو تلك . ثم الحرب النفسية التي تشن بدعوى أن شعبنا تعب ، ومحاولة ابراز أكثر من قيادة فلسطينية . والكلام حول وجود خلافات داخل فتح والعمل الفلسطيني ككل . ومحاولات تصوير العمل الفلسطيني كأنه في طريق مسدود للنهاية . ليس صحيحا أننا متفرقون ، نحن نختلف حول كيفية استمرار الثورة الى الامام واجتهاداتنا هي حول كيف نستمر بالثورة بمختلف السبل . شعبنا لم يتعب ، يمكن أن تجد بعض المتعاونين ، وفي ظل الواقع العربي العام ، وخيانة حسين ، تجد بعض المتشائمين ، والمتعاونين ، والمخربين . ولكن الصورة الحقيقية لا نراها في الوجوه الانهزامية ، وانما في الفدائي الذي يقف على جبل الشيخ في درجة حرارة ٦ تحت الصفر ، وتسأله هل تعب ؟ فيقول : انتظر اليوم الذي أستطيع فيه تحريك بندقيتي .

« صورة الواقع تظهر من الشباب الذين يتقدمون لدينا ، مجموعات ، للاعمال التي توصف بأنها « انتحارية » الذين لم يروا وجه فدائي لا يعرفون الوجه الحقيقي للثورة والصورة المشرقة للانسان ، اليائسين والمهزومين في داخلهم ، لا تسمعوا منهم حديثا عن المعركة أو النصر أو القتال » .

واستطرد المناضل ابو اياد قائلا : « يأتي بعض الحكام العرب ، ويقولون الثورة الفلسطينية لا تقاتل ، والبعض يسحبون متطوعيهم لان الثورة لا تقاتل . هذا الحاكم يعرف كل شيء . لماذا يقول لمواطنيه ان الثورة لا تقاتل ؟ لماذا يقدم بذرة التشكيك وسط هذا الشعب الذي يقدم بعض المال ؟ لماذا لا يفسر الحقيقة لان في الاردن الملك حسين موجود . وفي لبنان تبكي الدول العربية كلها لكي لا نقاتل من جنوب البنان . ونراعي ظروف لبنان . انتم الذين تطلبون منا الا نقاتل . وبعد ذلك يقولون ان الثورة الفلسطينية لا تقاتل في لبنان » .

«ونحن مطالبون في قطر عربي آخر ، سوريا ، أن ننسق مع سوريا ، قد تكون الدولة في حالة استعداد ولابد من التنسيق معها ، فيقولون أنتم لا تقاتلون في الجبهة السورية ، يطالبوننا بالتنسيق ثم يهاجموننا باننا لا نقاتل في سوريا ، يخلقون أشباح تنظيمات ، ويحيون منظمات جديدة ، ويقولون اين هي الوحدة ؟ ولكن من الذي نبش هذه القبور ، وغيرها . ومن أعطاهم الاموال ، ثم يثيرون قضية الوحدة الفلسطينية . أفضل صيغة جبهوية قد تمت سواء في الماضي ، أو في الحاضر ، نحن قائمون على أساس أن كل من يقاتل يمشي معنا » .

وقال ابو اياد : « وحتى على نطاق المنظمة الواحدة ، يحاولوا أن يشتروا احد القادة لتحريضه على عمل منظمة ، ولتحطيم هذه الوحدة ، الحقيقة الاكيدة أن الثائر الفلسطيني ليس مشتتا في قواعدنا اللبنانية وغيرها عندنا

حركة الاحداث لعام ١٩٧٢

والمسائل الدولية واهمها موضوعات الامن الاوربي .

١٧ ــ وصل الى الارجنتين الرئيس السابق جوان بيرون وسط اجراءات امن مشددة .

٨ ــ تم التوقيع على اول معاهدة لاقامة علاقات طبيعية رسمية بين دولتي المانيا .

١٩ ــ احرز الائتلاف الحاكم في المانيا الغربية برئاسة فيلي برانت فوزا حاسما في الانتخابات العامة مما يعد انتصارا لبرانت وسياسة في الانفتاح على الشرق .

٨ ــ اعلنت باكستان رسميا انسحابها من حلف جنوب شرقي آسيا على اساس التزام الرئيس بوتو للناخبين عند انتخابه بتنفيذ ذلك

٣ ــ شكل الرئيس الشيلي سلفادور الليندي الحكومة الجديدة في بلاده اصبح للحزب الاشتراكي فيها ٤ وزراء و٣ للشيوعيين و ٣ للعسكريين واثنان للراديكاليين ووزارة لحركة العمل الوطني الموحد ووزيران مستقلان .

٢٢ ــ قرر الرئيس الامريكي نيكسون لاول مرة السماح للسفن الامريكي بالرسو في موانىء الصين الشعبية والسماح للطائرات الامريكية بتنظيم رحلات الي الاراضي الصينية .

٨ ــ فاز نيكسون في معركة انتخابات رئاسة الجمهورية على منافسة جورج ماكجفرن وحصل على ٦١٪ من اصوات المقترعين مقابل ٣٨٪ حصل عليها ماكجفرن .

ديسمبر

محلي

٢ ــ بدا الدكتور عزيز صدقي رئيس وزراء مصر جولته في دول الخليج بداها بزيارة ابو ظبي ثم قطر فالبحرين والكويت ــ من اجل دعم العلاقات بين مصر وجميع هذه الدول . وقد اجرى عزيز صدقي حوارا طويلا

برنامج سياسي جامع يدرس في كل قواعد الثورة من كافة المنظمات . نحن لا يمر علينا يوم بدون أن يموت شهيد أو شهيدين ، لا بالقتال فحسب ، وانما بالبرد أيضا . بعض الحكام العرب يوجه نصائح ، وما لم تسمع سيقطع عنا الاموال والارزاق والاعناق ، نحن ثورة فلسطينية لم تحتضنها الانظمة العربية ، وانما الجماهير العربية ، وهي التي استطاعت ان تجبرنا على قبول حقيقتها . كانت الثورة الفلسطينية تعطي صكوك براءة . اذا انحسرنا شوية ، فلا يعني ذلك اننا انتهينا ، اذا كان حسين مرر مجزرته على كثير من الحكام العرب ، فلم يمررها على الشعب العربي ، ونحن اقوياء وسنظل برغم الانفتاح من بعض الانظمة على حسين . وكلما ازداد الضغط علينا ، كلما ازدادت ثوريتنا » .

واضاف قائلا : « في الاشهر الماضية ، بعض الدول العربية كانت تحول الاموال ، وفكرت في استغلال ذلك من أجل ان تضغط علينا ماليا ، وتحاصرنا ماليا ، فبطلت تحول . وذهبنا الى قواعد الفدائيين . وشرحنا ان فيه حصار مالي . فالشباب لم يكتفوا بقبول قطع الاضافي على المخصصات . وانما هم طالبوا بقطع بين ١٠ في المائة و ٢٠ في المائة من مخصصاتهم المحدودة . حصيلة التبرع من ذلك لم تكن كبيرة . ولكن هذا القليل اشرف من أي مبلغ من أي زعيم ، لانه يعني ان الثائر الفلسطيني لا يمكن ان يضحي بثورته من أجل المال » .

وأشار ابو اياد : « الى الحصار الاعلامي الذي تعاني منه الثورة الان في بعض الصحف العربية . وعدم النشر حتى عن حوادث هامة تقع في قلب تل أبيب . ولكن لا الحصار المالي ، أو الاعلامي ، أو النفسي ، يمكن ان يقضي علينا . لقد رسمنا لانفسنا استراتيجية لن نتنازل عنها ، أو نقبل بها بديلا . وهذا لا يعني انها لا يمكن ان تنحسر احيانا ، وهي نعتمد على الكفاح المسلح الذي كان وسيكون وسيظل وسيلة تحرير أرضنا . وحرب التحرير الشعبية طويلة المدى » .

وأضاف قائلا : « وهذه المعركة لا يمكن كسبها بمعركة نظامية فقط . طبعا نحن بحاجة الى جيوش كلاسيكية ونظامية . وتجربة فيتنام أثبتت الحاجة الى القوات النظامية . لكن ذلك وحده لا يكفي . فعندما نقول الاستعداد فينبغي أن يبدأ ذلك من وجود الجيش القوي ، حتى الانسان العادي في بيته الذي يجب أن يعيش ظروف معركة بلاده ، ويستعد للتضحية في سبيلها ينبغي أن تكون في عقلية الجيش والقادة فكرة حرب التحرير الشعبية » .

واستطرد المناضل الفلسطيني أبو اياد قائلا : « علينا ان نوسع من دائرة العمل السري ، على شبابنا أن يحموا استراتيجية الكفاح المسلح بأن يقيموا تنظيمهم السري ، حتى على أنفسهم . وان تتوسع دائرته ليشمل العالم . هذا التنظيم هو احدى مهمات المرحلة المقبلة لنحمي استراتيجية العمل المسلح . من مهماتنا أن نواجه الحرب النفسية والحصار المالي والاعلامي ، بنفسية تستطيع تحمل أعباء الحرب النفسية ، واعباء الحصار المالي ، واعباء الحصار الاعلامي ، وان تتحمل اعباء حتى « أيلول جديدة » في أي مكان آخر علينا أن نصمد فيه ولا نتخاذل » .

« لقد جربت كل الحلول السياسية . ومن هنا خطأ كبير يقع فيه بعض اخواننا المسئولين ، باعتقادهم أنه يمكن عن طريق أمريكا ، أو هذه الدولة أو تلك ، تحرير اراضينا . اذا كنا نحلم بأن الولايات المتحدة سوف تعطينا أي حل أو بريق لحل ، فنحن نخدع انفسنا ، وشعوبنا . الولايات المتحدة مهمتها حماية مصالحها ، وهي مرتبطة

مع كل حكام الدول الاربع بشأن قضية الشرق الاوسط .

١٠ — ركز مجلس الشعب المصري في رده على بيان الحكومة المصرية حول جدية الاعداد للمعركة على ان السلطة البعيدة عن النقد والمراجعة تهديد خطير للديمقراطية ، وضرورة ضرب المصالح الامريكية ردا على دعم اسرائيل ، وان قوتنا هي التي تفرض على قرار مجلس الامن الحركة الصحيحة .

عربي

٤ — اكدت مصادر عليمة في لندن ان الون نائب رئيسة وزراء اسرائيل قام بزيارة سرية للندن اجرى فيها محادثات مع عدد من كبار المسئولين الاردنيين حول عقد اتفاق سلام .

٨ — شن الجيش اللبناني اليوم هجوما واسع النطاق على قواعد الفدائيين الفلسطينيين في مناطق جبيل والطيرة وراشيا الوادي بالقطاعين الاوسط والشرقي من جنوب لبنان . واستخدم الجيش اللبناني الدبابات والمدفعية .

١٥ — اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة ٤ قرارات عن حقوق شعب فلسطين اعلنت فيها : احترام حقوق الشعب الفلسطيني لاغنى عنه للسلام والمطالبة باعادة الذين شردوا بعد معارك ١٩٦٧ ، ووقف الاجراءات التي تؤثر في طبيعة الارض المحتلة والقلق العميق لنسف مساكن ١٥٨٠٠ لاجيء في غزة ودعوة العالم للاسهام بسخاء في اغاثة اللاجئين .

١٧ — بدات المقاومة بعد توقف دام ١٦ شهرا تجدد عملياتها في النقب والضفة الغربية .

١٧ — الجيش الاسرائيلي يقوم بحملة اعتقالات كبيرة في الضفة الغربية المعتقلون بالعشرات في نابلس وجنين . وفي القرى الصغيرة حول قلقيلية .

انتهت حركة الاحداث

باسرائيل والنظام الاردني ، ولن تسمح لاحد أن يقترب منهما • الشعب الفلسطيني قدره أن يكون رأس الحربة وكبش الفداء ، وهو مازال يقول بالقتال ، في حين أنه الاحق بالراحة • هل يمكن ان يصدق عاقل ان انظمة حاقدة على دول المواجهة ، يمكن أن تساندها في المعركة ضد اسرائيل ؟ انكل من يحاول اغراء حكامنا بأن هذا النظام أو ذاك ، يمكن أن يساعدهم ، انما يخدع هؤلاء الحكام • الانظمة العربية معرضة للخطر من حلف اردني ، هذا الحلف يعمل منذ مدة طويلة لتطويق هذه الانظمة • فعليها أن تعرف أن ليس لها حليف سوى الشعب . ان اى رئيس عربى يقود شعبه في القتال ، سوف يدفع كل الحكام العرب ، ومشايخ البترول ، أن يأتوا له راكعين » •

وأشار ابو اياد في النهاية الى أنه « بالاضافة الى الوحدة الوطنية والتنظيم الحديدي ، لابد يكون لنا خط سياسي واضح • لم يعد الوقت يحتمل أن نخلط بين الاصدقاء والاعداء • يتقزز الانسان عندما يسمع بعض الناس يساوون بين الدول الاشتراكية وامريكا • الذى يحجب السلاح عن خصمي ، لا يمكن أن أساويه بمن يعطى خصمى السلاح • فما بالك اذا كان هذا الصديق يعطيني السلاح. لايمكن ان استطيع ان اخدع مقاتلي واقول له هذه الدول نصف صديقة بينما هو يحمل بندقية من الصين أو الاتحاد السوفيتي ، بل وقد تقدم له هذه الدول التموين الذى ياكله ، والذخائر التي يستخدمها ، اننا مع اصدقاء سيكونوا ليفننا الطبيعي • ومن هنا يتعين علينا أن نحدد الخط السياسي الواضح ، الذى لا يخلط بين الاصدقاء والاعداء ، ويحدد بوضوح من هم الاصدقاء ومن هم الاعداء .

■

■ فرنســا :

مؤتمر الدولية الاشتراكية ..
لمــاذا احترق من بدايتــه ؟

توفرت كل الظروف الموضوعية التي كان من الممكن أن تجعل من مؤتمر الدولية الاشتراكية الذى عقد في باريس يومى ١٣ و١٤ يناير الماضي مؤتمرا ناجحا وجماهيريا ، وكان يمكن بكل المقاييس أن تسفر عن قرارات ايجابية محددة • فقد اشترك في المؤتمر ممثلو ١٨ حزبا اشتراكيا ديمقراطيا من أنحاء العالم ، وكان بينهم خمسة من رؤساء الحكومات . هم: برونو كرايسكي مستشار النمسا وانكر جورجنسن رئيس وزراء الدنمارك ، وكاليفي سورسا رئيس وزراء فنلندا ، واولوف بالم رئيس وزراء السويد ، وجولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل •

وقد أعلنت سكرتارية الدولية الاشتراكية في اليوم الاول للمؤتمر ان الدولية تضم ١٨ مليون عضو ، وان مجموع مؤيدى الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في العالم يتراوح بين ٧٥ مليونا و٨٠ مليون شخص يعطون أصواتهم لهذه الاحزاب اثناء الانتخابات •

وبالاضافة الى هذه العوامل لاهمية المؤتمر ان جدول أعماله قد اشتمل على تقرير لجيمس كالاهان ، نائب رئيس حزب العمال البريطاني عن « الموقف الدولي » وتقرير من برونو كرايسكي مستشار النمسا حول « المشكلات الاوروبية » وكلمة من جوب دين اويل ، زعيم الحزب الاشتراكي الهولندى حول « حرب فيتنام » فهو جدول أعمال يتعرض لاخطر المشكلات والقضايا الدولية في الوقت الراهن •

ورغم كل هذا فان مؤتمر الدولية الاشتراكية قد احترق بصورة شبه كاملة ، واخفق في أن يكون اجتماعا على المستوى الذى يمكن أن تتوقعه جماهير مؤيدى الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا الغربيةوغيرها •

وكان العامل الذى أسهم بالدور الاكبر في احراق المؤتمر هو اشتراك جولدا مائير فيه ، وجو الازمة الذى أحاط باشتراكها ، واصرار اسرائيل على استغلال هذ الحضور دعائيا بكافة الصور حتى ولو كان ذلك على حساب المؤتمر نفسه • وعلى الرغم من أن مسألة الشرق الاوسط لم تكن معروضة بصورة او بأخرى على المؤتمر فأن جولدا مائير أصرت على أن تجعل من مؤتمر الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية منبرا ليس للدفاع عن اسرائيل ، أو تبرير سياساتها فحسب ، بل لمهاجمة كل القوى التي لا تؤيد اسرائيل أو التي تعطف على النضال العربي وتناصر القضية الفلسطينية .

وقد جاء هذا التحدى من مائير لمشاعر القوى العربية والمؤيدة للعرب في أعقاب وفاة محمود الهمشرى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس متأثرا بالجراح التي أصابته في حادث انفجار قنبلة تبين أنها ركبت في جهاز التليفون بمسكنه •

وهكذا احاطت بالمؤتمر المظاهرات ضد جولدا مائير والخلافات حول موقف الرئيس الفرنسى جورج بومبيدو الذى أراد أن يعرب عن استيائه لاصرار جولدا مائير على الحضور في هذه الظروف البالغة الحساسية فاتخذ موقفا ضد الدولية الاشتراكية كلها وضد كل المدعوين لمؤتمرها بما فيهم رؤساء الحكومات . وادى هذا بدوره الى تحول مؤتمر الدولية الاشتراكية الى

جزء من الحملة الانتخابية الفرنسية نظراً لان الداعي الى المؤتمر هو فرانسوا ميتران زعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي يخوض المعركة الانتخابية القادمة فى فرنسا متحالفا مع الحزب الشيوعي الفرنسي ضد الائتلاف الديجولي الحاكم ٠

والنتيجة انه بدلا من أن تتركز الاهتمامات على المناقشات التى دارت داخل مؤتمر الدولية الاشتراكية تركزت — وتركزت معها اهتمامات الصحف وكل الاجهزة الاعلامية الغربية — على ما كان يدور خارج المؤتمر من مظاهرات ومشاحنات جانبية ٠

ومع ذلك فانه ينبغى أن يكون واضحا ان الفلسفة الاصلاحية والسياسة الوسطية للاحزاب الاشتراكية الديمقراطة المشتركة فى المؤتمر قد اسهمت هى الاخرى بنصيب كبير فى الصورة الباهتة التى بدا عليها منذ بداية انعقاده حتى الان ٠ ولقد كانت مناقشته للموقف فى فيتنام نموذجا للاختلاف بين مواقف زعماء هذه الاحزاب والتردد فى ادانة الولايات المتحدة حتى فى وقت كانت فيه الجماهير الاوروبية تتخذ موقفا حاسما بادانة السياسة الامريكية ضد جمهور فيتنام الديمقراطية .وقد اتضح ان اسرائيل — على وجه التحديد — ترددت فى أن تعرب عن أى تنديد واضح ومباشر بالغارات الجوية الامريكية الوحشية ضد شعب فيتنام ٠

وكل ما أسفرت عنه مناقشة الحرب الفيتنامية داخل المؤتمر هو ما أعلنه فرانسوا ميتران فى مؤتمر صحفى فى ختام المؤتمر من أن المشتركين فى المؤتمر يشعرون بان السلام آت فى المستقبل القريب الى فيتنام ، ولكنهم يرون انه لا ينبغى أن يحدث تصف جديد بالقنابل ضد منطقة هانوى — هايفونج . وهكذا كان من الواضح ان الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية تتخذ مواقف تحكمها اعتبارات مصالحها الخاصة مع الولايات المتحدة أكثر مما تحكمها اعتبارات مواقف الجماهير العريضة فى دولها . فكان الحرج من اغضاب الولايات المتحدة دافعا أقوى لديها من دافع اتخاذ موقف واضح ضد عدوان تستنكره جماهير شعوب العالم ٠

وهكذا فان احزاب الدولية الاشتراكية لم تستطع فى هذا المؤتمر أن ترتفع عن مستوى الاحزاب المحافظة والتقليدية الاخرى الموجودة فى الحكم فى كثير من دول اوروبا لانها لم تقترب من موقف اشتراكى حقيقى يجعل سياستها وفلسفتها انعكاسا حقيقيا لمصالح الطبقة العاملة التى تنصب نفسها ممثلة لها سواء كانت هذه الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى الحكم أو خارجه ٠

السوق الاوربية المشتركة

الطبقة العاملة الاوروبية تؤكد حضورها داخل السوق

لم يمض وقت طويل على « احتفالات » السوق الاوروبية المشتركة الموسعة بانضمام اعضائها الجدد رسميا [بريطانيا والدنمارك وايرلندا] حتى بدأ الحديث عن مشاكل السوق الموسعة وبدأت الاجتماعات الرسمية لمجموعة الدول التسع تطرق ابواب البحث عن حلول لمشكلات عديدة أهمها التضخم والعلاقات المعقدة مع الولايات المتحدة . وعلى جانب آخر بدأت تنظيمات الطبقة العاملة فى دول اوروبا الغربية تبحث موقفها من الاوضاع الجديدة فى السوق وانعكاساتها على مصالحها وتأثيراتها على حياة الطبقة العاملة الاوروبية .

ولم يكن من قبيل الصدفة ان اصدرت حكومة المحافظين البريطانية برئاسة **ادوارد هيث** قرارات مكافحة التضخم [تجميد الاجور والاسعار والاسهم والايجارات لمدة ٩٠ يوما] بعد أسبوعين فقط من بداية عضوية بريطانيا فى السوق المشتركة . وعلى الرغم من أن هذه الاجراءات اتخذت ارضاء لدول السوق التى تشعر ان اقتصاد بريطانيا يحتاج الى « تحسينات » كثيرة قبل أن يصبح فى امكانه القيام بدور فعال فى اطار السوق. الا ان تماثل اجراءات هيث ضد التضخم مع الاجراءات التى سبق أن اتخذها الرئيس الامريكى نيكسون لمكافحة التضخم ، ودعم مركز الدولار الامريكى فى الخارج ، قد أعاد الى اذهان الكثيرين تلك الصورة التى كان ديجول قد رسمها من قبل لبريطانيا على أنها ستكون « حصان طروادة الامريكى » داخل السوق .

ومع ذلك فان لجوء حكومة المحافظين البريطانية الى هذه الاجراءات يتمشى بطبيعة الحال مع السياسة الراسمالية التقليدية فى مواجهة مشكلات التضخم ، وهى سياسة تحميل الطبقة العاملة اعباء وتضحيات حل هذه المشكلات . ولعل هذا هو المنطلق الذى بدأ منه ممثلو الطبقة العاملة أول تحرك لهم تجاه السوق الاوروبية المشتركة الموسعة . وهو تحرك تمثل فى تكوين « لجنة دائمة » للاتحاد العام للعمال الفرنسيين والاتحاد العام للعمال الايطاليين . وقد اتخذت هذه اللجنة مقرا لها فى بروكسل [حيث يوجد مقر اللجنة التنفيذية للسوق الاوروبية] ومهمة هذه اللجنة مراقبة عمل اللجنة التنفيذية ، وفى الوقت نفسه تمثيل الاتحادين الكبيرين اللذين يمثلان اكبر اتحادات نقابات العمال فى أوروبا الغربية — فى « اللجنة الاقتصادية والاجتماعية»

للسوق المشتركة . وتقم هذه اللجنة الاخيرة ١٤٤ عضوا من دول السوق التسع بعضهم يمثل رجال الاعمال ، وبعضهم يمثل المهنيين وبعضهم الاخر يمثل نقابات العمال .

وقد بدأ ممثلو الطبقة العاملة فى أوروبا الغربية يشعرون بأن هذه اللجنة ــ وهى الوحيدة التى يمثل فيها العمال بين جميع أجهزة السوق المشتركة ولجانها ــ تسيطر عليها فئة البيروقراطيين فى السوق لمصلحة اصحاب الاعمال الراسماليين. ومن هنا تردد الدعوة فى اوساط الطبقة العاملة فى اوروبا الغربية الى ضرورة أن تمارس الطبقة العاملة نضالها الان « على نطاق اوروبى » ما دامت طبقة الراسماليين واصحاب الاعمال تمارس سيطرتها ، وتنسق مصالحها على نطاق أوروبى فى نطاق السوق الاوروبية المشتركة الموسعة .

وترى دوائر الطبقة العاملة ــ كما تعبر عنها صحف اتحاداتها النقابية وصحف اليسار ــ الاوروبى ــ أن المعارضات الوطنية المحلية للسوق المشتركة لم تفعل شيئا سوى انها اتاحت للراسمالية الدولية وللمؤسسات متعددة القوميات لكى تمارس نشاطها وتدعم مراكزها ومصالحها على نطاق القارة كلها . واصبح من الضرورى أن تجد الطبقة العاملة الصيغة الملائمة داخل مؤسسات السوق المشتركة نفسها لتصبح لها كلمتها ولحماية وتنظيم الحركة العمالية

وقد تبين لممثلى اتحادى العمال الفرنسى والايطالى أن « اللجنة الاقتصادية والاجتماعية » للسوق التى يمثلان فيها هى مجرد لجنة « استشارية » ليس لقراراتها اى قوة ملزمة ، كما لا يحق لها أن تناقش من الموضوعات الا ما يعرضه عليها المجلس الوزارى للسوق أو اللجنة التنفيذية .

وقد أعلن م. كالديريرا ممثل الاتحاد العام للعمال الفرنسيين فى بروكسل أن السنوات الثلاث الماضية [منذ انضمام الاتحاد الى اللجنة الاقتصادية والاجتماعية للسوق] قد أكدت « أن السوق الاوروبية المشتركة لم تقم من اجل العمال .. انما الطبقات الحاكمة تريد تطبيق سياسة تأمين لانشطتها » . وكشف كالديريرا أن حكام الدول الاوروبية الاعضاء ــ التى تواجه معظمها أزمات عمالية ــ قد اعتادوا أن يلجأوا لوضع ما يسمونه بسياسة اجتماعية فى محاولة منهم لكسب تأييد الطبقة العاملة لفكرة أوروبا الموحدة .. ولكن اللجنة لا تمارس بالفعل سياسة اجتماعية ، وانما هى مجرد حيلة للتغلب على التناقضات بين الدول الاعضاء

وقد أصبح فى حكم المؤكد أن يطرح الاتحاد العام للعمال الفرنسيين للمناقشة عددا من المسائل الرئيسية التى تهم الطبقة العاملة فى مؤسسات السوق المشتركة ، وخاصة مسائل ساعات العمل الاسبوعية وتحديد الاجور وتوفير العمال الزائدين . ويعلق الاتحاد أملا كبيرا على فوز التحالف اليسارى الفرنسى ــ بين الحزبين الشيوعى والاشتراكى ــ فى الانتخابات الفرنسية التى ستجرى فى مارس القادم . لان برنامج التحالف يدعو لتمثيل نقابات العمال بنصف مقاعد اللجنة الاقتصادية والاجتماعية للسوق المشتركة .

واذا كانت محاولة تحويل هذه اللجنة الى لجنة تعبر سياسيا داخل السوق المشتركة عن مصالح الطبقة العاملة يبدو هدفا بعيدا نظرا لمناقضة هذا الهدف مع سياسة المجلس الوزارى واللجنة التنفيذية للسوق ، الا أن ممثلى العمال قد أعلنوا انهم لا يريدون تعليق مصالحهم بمشكلات السياسة النقدية لدول أوروبا أو بالمشكلات الصناعية . « ان للعمال مطالبهم وليس باستطاعتهم أن ينتظروا أن يجد وزراء مالية السوق المشتركة حلا لمشكلة التضخم » .

■

■ الاتحـــاد السوفيتى

الامن الاوربى .. القضية الرئيسية فى محادثات بريجنيف ــ بومبيدو

قام الرئيس الفرنسى **جورج بومبيدو** فى الحادى عشر من يناير الماضى بزيارة غير رسمية للاتحاد السوفيتى استمرت يومين ، ويقول المراقبون ان وقت الزيارة كله قد خصص لجلسات عمل متصلة مع الزعيم السوفيتى **ليونيد بريجنيف** عقدت فى ضاحية « زاسلافل » بالقرب من مدينة « منسك » جنوب الاتحاد السوفيتى . وتأتى هذه الزيارة بعد خمسة عشر شهرا من الزيارة التى قام بها ليونيد بريجنيف للعاصمة الفرنسية باريس فى اكتوبر عام ١٩٧١ والتى تم أثناءها توقيع اتفاق شامل للتعاون الاقتصادى والتجارى والعلمى والثقافى مدته عشر سنوات أعطى للعلاقات بين البلدين دفعة قوية الى الامام . كما أنها تأتى فى أعقاب عام حافل بالزيارات والبعثات الودية المتبادلة بين كبار المسئولين فى كل من موسكو وباريس وبعد تقدم مطرد فى جميع مجالات التعاون المتفق عليها وزيادة فى حجم التبادل التجارى بلغت ثلاثة ملايين فرنك عن العام السابق ولهذا فان وصف صحيفة « **ازفستيا** » السوفيتية لهذه الزيارة فى عددها الصادر يوم ٩ يناير ١٩٧٣ بأنها استمرار منطقى للاتصالات السوفيتية ــ الفرنسية على

اعلى المستويات وبانها مساهمة ايجابية فى دعم الصداقه والتعاون بين البـلدين ، ولعـله من المهـم أن نشـيـر هنــا الى أن علاقات الصداقة القـائمة الان بين الاتحـاد السوفيتى وفرنسا هى ترجمة عملية لسياسة التعايش السلمىبينالدولذات الانظمةالاجتماعية المختلفة . ويجمع المراقبون على أن توقيت زيارة بومبيدو للاتحادالسوفيتى الان،بينما تحتل القضايا المختلفـة للامن الاوروبى صدر المناقشـات السياسة الدائرة على قدم وسـاق بين مختلف دول القارة شرقا وغربا ، يعنى أن هذه القضايا كانت هى محور المباحثـات التى دارت بين بريجنيف وبومبيدو فى ضاحية « زاسلافل » . وقد اكد البيان الصادر فى نهاية الزيارة هـذا الامر حينما اشار الى أن بريجنيف ، وبومبيـدو قد أعطيا أولوية فى الاهتمام للتطورات الجارية فى اوروبا ، وأن الاتحاد السوفيتى وفرنسـا سيعملان باخلاص على تسهيل استمرار وتطوير سياسة التهدئة فى أوروبا ، وانهما يعلقان اهمية عظمى على مؤتمر لكل اوروبا من أجل الامـن والتعاون وسيوجهان جهودهما للعمل الفعـال من أجل اقامة هذا المؤتمر .

وهنا يشير المراقبون الى خلاف فى وجهات النظر بين موسكو ــ وباريس حول بعض قضايا الامن الاوروبى . ويذكرون بهذا الصـدد تحفظ فرنسا ازاء دعوة الاتحاد السوفيتى الى الخفض المتبادل والمتوازن للقوات المسلحة فى اوروبا وانشاء منطقة محايدة فى وسط القارة تشـمل دولتى المانيا . ويقول بعض المراقبين ان فرنسا تخشى ان يؤدى هذا الامر الى آثار تتعارض مع السياسة الاوروبية التى تنتهجهـا . وقد علقت احدى الصحف الفرنسية على هذا الموقف قائلة أنه قد حان الوقت « لكى يعترف بومبيدو بأن اية سياسة أوروبية ستكون غير مجدية فى غياب سلطة سياسية موحدة لاوروبا » ومن الاموزذات المغزى ان الرئيس الفرنسى نفسه قد صرح فى مؤتمر صحفى عقده فى اعقاب هذه الزيارة بأن موقف فرنسا من هذه القضايا ليس متجمدا وقال أيضا « انه لا تفكير فى أن تغير فرنسا موقفها فى يوم وليلة ولكن لنا عودة الى الحديث فى هذا الموضوع » .

ومع ذلك فان كثيرا من المراقبين يرون انزيارة بومبيدو وما دار فيها من مناقشات قد اسهمت فى تفهم كل من الطرفين لوجهة نظر الطـرف الاخر ، ولم تستطعصحيفةيمينية مثل «لوفيجارو» الفرنسية أن تخفى ذلك فى تعليقها الذى كتبته على نتائج الزيارة بعد انتهائها بيوم واحد حيث قالت « انه توجد بين باريس وموسكو خلافات لم تؤد المحادثات بالتاكيد الى تسويتها ، واذا كان يحق للمرء ان يقول ان نتيجة هذا اللقـاء كانت متواضعة فان من الواجب أيضا أن تحدد أنها حتى فى تواضعها كانت ايجابية » .

وجدير بالذكر أن هناك من المراقبين من يرى أن بومبيدو كان يناقش قضايا الامن الاوروبى فى « زاسلافل » وعينه على انتخابات الجمعيـة الوطنية التى ستجرى فى بلاده فى مارس القادم فيقول البعض ان توقيت الزيارة قرب الانتخابات هو محاولة لاستعراض قدرة الحـكم الديجولى على الاستمرار فى بناء جسور التفاهم مع دول المعسكرالاشتراكى بأمل انيساعد ذلكالديجوليين على اعاقة اليسار الفرنسى المؤتلف عن الاستفادة من حالة الاستقطاب السياسى التى تتزايد حدتها داخل المجتمع الفرنسى ، ويقول البعض الاخـر ان بومبيدو يقصد ايضا تذكير الناخب الفرنسى بالمكانة الدولية التى اكتسبتهـا فرنسا نتيجـة للسياسة الديجولية بعد الوضع الذى كانت قد وصلت اليه فى عهد « جى موليه » .

ويرصد المراقبون ايضا من نتائج هذه الزيارة ذلك الاتفاق الثابت بين الجانبين على ادانةالحرب الامريكية فى فيتنام فقد نص البيان المشترك على أن بريجنيف وبومبيدو قد عبرا عن اهتمامهمـا العميق فيما يتعلق باستمرار الحرب والتدخـل الاجنبى فى الهند الصينية وتعـثر التسـوية السياسية للصراع القائم واعربا عن الامل فىأن تؤدى المحادثات الدائرة الى تسوية عاجـلة . وبالنسبة للشرق الاوسط كذلك كان الاتفاق بين الطـرفين كاملا على أن الموقف هنـاك ما يزال خطيرا ، وقد أكدا من جديدا فى بيانهما أن قرار مجلس الامن الصادر يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ يجب أن يعود الى الحياة واعربا ايضا عن أملهما فى استمرار مهمة السفير جونار يارنج . ■

■ **فيتنام**

وقف اطـلاق النـار مرحلة جـديدة من النضـال

أعلن رئيس وزراء فيتنام الديمقراطية ، عقب قرار وقف اطـلاق النيران ان بلاده ستواصل النضال ورفع راية السلام والصداقة والديمقراطية عالية ، للمضى فى طريق تحرير فيتنام الجنوبية واعادة توحيد الوطن .

ومن جانب آخر اعلن ممثلو كل من حكومة الثوار وحكومة سايجون وحكومة الولاياتالمتحدة ان الاتفاق ليس الا خطوة يتوقف نجاحها على حركة الاطراف المختلفة فيما بعدها .

والواقعان الولايات المتحدة اسفرت عن نواياها

عندما اكد نيكسون وهو يعلن قرار وقف اطلاق النيران ، انبلاده ستواصل دعمها لحكومة سايجون عسكريا وسياسيا • فى حين أكد ممثلو الثوار ان النضال لن يتوقف ، وان حقدهم من الامريكيين لن تخف حدته •

ويرى عديد من المراقبين التقدميين الحذر الفيتنامى لا يرجع الى نوع من التعنت والرغبة فى استمرار الحرب ، وانما يرجع الى السلوك الغادر للولايات المتحدة ، ولرئيسها نيكسون شخصيا . فقد اعلن نيكسون فى أكتوبر الماضى ان اتفاق السلام سيوقع قبل نهاية ذلك الشهر ، ولكنه عاد ليستأنف « اعنف الغارات فى تاريخ الحرب » على حد تعبير الاسوشيتدبرس . ورغم الايقاف الجديد للغارات وتباكى نيكسون فى حفل تنصيبه رئيسا للولايات المتحدة للمدة الثانية على « اقسى حرب فى التاريخ الامريكى » وتقديمه وعدا جديدا بسلام يعمر طويلا ،فان وزير دفاعه **ملفين ليرد** يعلن قبل تخليه عن منصبه انبلاده ستبحث استئناف دعمها الجوى والبحرى لحكومة سايجون ، اذا قدم الاتحاد السوفيتى أو الصين مساعدات عسكرية لهانوى تمكنها من السيطرة على الجنوب . وواضح ان هذه مسألة تقديرية .كما **اكدكليمنتس** المساعد الجديد لوزير الدفاع الامريكى ، ان البنتاجون وضع خطة مازالت صالحة لاستخدام الاسلحة الذرية فى فيتنام . وكشف وزير دفاع حكومة **تايلاند** العميلة ، عن أن القوات الامريكية ستنتقل من فيتنام الى بلاده للحفاظ على السلام فى الهند الصينية ، وللتدخل عند الضرورة . وعلاوة على ذلك فان توقيع اتفاق السلام ، وسحب القوات الامريكية لا يعنى تسليم الحكومة الامريكية بحق الشعب الفيتنامى فى الجنوب فى تقرير مصيره ، ذلك ان الخطة الامريكية الجديدة تقوم على دفع ثيو الى عرقلة جهود توحيد البلاد وتطويرها ، بدعم قواته المسلحة وزيادة عددها وتحويل الجنوب الى ترسانة عسكرية ، ووضع خطط التسلل الاقتصادى فيما بعد استتباب السلام . (وضعت خطة فى ١٩٦٩) كما ذكرت « لومانتيه » ان الولايات المتحدة نصحت حكومة سايجون بالاستعانة **بمستشارين عسكريين من اسرائيل** خاصة فيما يسمى « بنظام المستعمرات الزراعية العسكرية » لمواجهة الثوار بهم حتى بعد عودة السلام .

ولكن عديد من المتابعين لشئون الحرب الفيتنامية يرون ان الخطة الامريكية الجديدة لن تكون أسعد حظا من سابقتها . فالحرب فى فيتنام فى كافة مراحلها ، كانت نموذجا للمواجهة بين دولة امبريالية وبين قوات ثورية تطبق مفهوم حرب الشعب . وتطورات هذه الحرب تؤكد بجلاء أن نجاح جبهة التحرير فيتعبئة سكان المدن والقرى ، كان هو الضمان الوحيد لافشال كل مؤامرات الولايات المتحدة وخططها العدوانية التى مرت بمراحل ثلاثة امتدت الاولى من ١٩٦٠ الى ١٩٦٥ فيما يسمى « **حرب المستشارين** » وشملت الثانية الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٦٩ ، وفيها تضخمت القوات الامريكية واتبعت سياسة « **التطهير** » فى الجنوب ، واستمرت المرحلة الثالثة من ١٩٦٩ الى ١٩٧٢ وتميزت باللجوء الى الحرب الجوية وسياسة « **الفتنمة** » . ولكن هذه المراحل انتهت جميعا بالفشل ، لان البنتاجون لم يستطع الوصول الى جواب فعال عن السؤالين التاليين : كيف يمكن هزيمة ثوار يحظون بمساندة حقيقية فعالة من مجموع السكان وينشطون بينهم كما تنشط « السمكة فى الماء » ؟ وكيف تجعل الحكومة الامريكية شعب فيتنام والشعب الامريكى والرأى العام العالمى ، يقبلون هذه الحرب العدوانية ، وهما سؤالان لا رد لهما فى نظر عديد من المراقبين السياسيين .

وبعد فشل « الفتنمة » رات أمريكا اللجوء الى خطة « **تجفيف البحيرة التى تنشط بداخلها السمكة** » أى تدمير البلاد بأكملها ، واستخدمت فى ذلك القاذفات ب ـ ٥٢ والفانتوم ف ٤ وطائرات ثندرتشيف ف ١٠٥ . وفى ١٩٧٢ كان للولايات المتحدة أقوى اسطول أو اقوى « ارمادا » فى المنطقة ، اذ كان يضم ٧ حاملات طائرات عملاقه، و ٧٠ سفينة حربية (عليها ٤١الف جندى)ومايزيد عن الف طائرة (٥٢ قاذفة مقاتلة و ٢٠٠ طائرة ب ٥٢) . وبالفعل حققت الحرب الالكترونية الجوية نتائج جيدة فيما يتعلق بهدف تدمير البلاد وبأقل تكاليف (والى ٤٠٠٠ طائرة وعشرات الطيارين قتلوا ، وأسروا ، والقاء ٣ ملايين طن قنابل فيرئاسة نيكسون الاولى). وفى هذه الفترة لجأت أمريكا الى « سياسة التهجير الاجبارى للسكان الى المدن » مما أدى الى تكدس اللاجئين (٦ ملايين فى الفترة من ٦٤ الى ١٩٧١) فى معسكرات تشرف عليها القوات الامريكية وتتحكم فيها اقتصاديا . ثم مدت امريكا عدوانها الى كمبوديا بحجة عزل الثوار . واستمر نيكسون فى أعلان التوقف عن قصف الشمال ، ثم العودة اليها بصورة اعنف وأقسى . ولكن قدرة الثوار زادت وضاعفت ، وفوجئت القوات الامريكية فى آخر عدوان لها على الشمال (بعد قرب توقيع الاتفاق فى اكتوبر ١٩٧٢) ، بأقوى شبكة دفاع جوى جعلت طائراتها تتهاوى ، كما شدد المقاتلون فى الجنوب هجماتهم ، الامر الذى أجبر نيكسون على العودة مرة أخرى للتفاوض .

ورغم عدم ثقة ثوار فيتنام فى وعود المسئولين الامريكيين فانهم كانوا يسارعون باعلان كل تقدم

يتحقق فى محادثات السلام وذلك بهدف فرض نوع من « الالزام » على الطرف الامريكي وتعبئة الرأى العام العالمى ، الامر الذى يكفل قوة هائلة للنضال الفيتنامى فى مواجهة المعتدين ، ويكشف عن مهارة غير عادية فى الربط بين العمل السياسى والعسكرى والدبلوماسى .

وقد تواترت بالفعل وفى الساعات الاولى من الانباء عن ان الثوار يعدون عدتهم للعمل فى ظل الظروف الجديدة ، من أجل التحقيق النهائى لاهدافهم فى التحرر والتقدم الاجتماعى .

● ● ●

نداء من أجل الفلسطينيين

باسم حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، على أرضها الوطنية ، نؤكد انه لا يمكن السماح بأن يحكم على ثلاثة ملايين فلسطيني بالشتات خارج بلادهم ، أو بالتكدس فى مخيمات [وأحيانا فى عرض الصحراء] والتعرض — بين فترة وأخرى — للقمع الدموى .

اننا جميعا ، سواء كنا من أصل يهودى أم لا ، وبغض النظر عن عقائدنا ومعتقداتنا ، نستنكر دجل وخداع اولئك الذين يتهمون اى صوت يرتفع ضد سياسة حكومة تل ابيب ، بتهمة معاداة السامية .

ونرى من الضرورى ان نذكر [كما فعلت لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة] ، ان عمليات ترحيل السكان المدنيين وقصفهم بالقنابل ، قد أدانتها محكمة نورمبرج ، باعتبارها جرائم حرب .

اننا نطالب بتحقيق سلام يسمح للفلسطينيين الذين طردوا من وطنهم ، بأن يعودوا اليه ، ويعيشوا فيه ، مع السكان الحاليين ، فى ظل قوانين واحدة تحكم الجميع .

وننتظر من الحكومة الفرنسية ان تضمن للمواطنين الفلسطينيين بالفعل ، كافة الحقوق التى تكفلها لكل الاجانب .

أول الموقعين

جيرار الثاب ، أحمد بابا مسكة ، ايتين باليبار ، القس جاك بومون ، جان بوبيرو ، ميشيل بوفيار ، ابراهام بيهار ، كارلو بينيستى ، دانييل بن سعيد ، بيير برنار ، كلود بيتورن ، شارل بتلهايم ، فرانسواز بيرو ، لوسيان بيترلان ، بول بلانكار ، محمد بوضيا ، فرانسواز بورجوا ، سوزان دى برونهوف ، موريس بيتان ، جورج كازاليس ، فرانسوا شاتليه ، جان شسنو ، هيلين سيكسو ، جنفييف كلانسى ، ايتين كريميو الكان ، جان بيير دامون ، جان دوبين ، جاك دوبى بريدل ، دانييل ديلا ، جيى ديلوز ، فرانسوا ديلا سودا ، ميشيل ديفرين ، ميشيل فوكو ، جيرار فرومنجيه ، دومينيك جاليه ، الان جيسمار ، جان جينيه ، الان جلاسز ، فليكس جاترى ، دانييل جيران ، ريمون جوجليمو ، جان ايدرن هالييه ، جاك وبسكال حسون ، جان لوى هودبين ، الان جوبير ، بازيل كارلينسكى ، اندريه كارتشيفسكى بولبور ، فرانسواز كيرليرو ، ريمى كولبتا كوبول ، جوليا كريستيفا ، الان

(Publicité)

Appel
pour les Palestiniens

AU NOM DU DROIT DES PEUPLES à disposer d'eux-mêmes et de leur territoire national, nous affirmons qu'il est intolérable que trois millions de Palestiniens soient condamnés à l'exode, entassés dans les camps (parfois en plein désert), et soumis périodiquement à une répression sanglante.

QUE NOUS SOYONS OU NON D'ORIGINE JUIVE, et quelles que soient nos convictions ou nos croyances, nous dénonçons tous l'imposture de ceux qui accusent d'antisémitisme quiconque s'élève contre la politique du gouvernement de Tel-Aviv.

Nous jugeons nécessaire de rappeler (comme l'a fait la Commission des Droits de l'Homme de l'O.N.U.) que les déportations et les bombardements de populations civiles ont été condamnés comme crimes de guerre par le Tribunal de Nuremberg.

NOUS SOMMES POUR UNE PAIX permettant aux Palestiniens qui ont été chassés de leur patrie de la retrouver et d'y vivre avec les habitants actuels sous des lois égales pour tous.

Nous attendons du gouvernement français qu'il garantisse réellement aux ressortissants palestiniens les mêmes droits qu'à tous les étrangers.

LES PREMIERS SIGNATAIRES :

ALTHAR Gérard, BABA-MISKE Ahmed, BALIBAR Étienne, BEAUMONT Jacques (pasteur), BEAUBEROT Jean, BEAUVILLARD Michele, BEHAR Abraham, BENETTI Carlo, BEN SAID Daniel, BERNARD Pierre, BETOURNE Claude, BETTELHEIM Charles, BIRD Françoise, BITTERLIN Lucien, BLANQUART Paul (R.P.), BOUDIA Mohamed, BOURGEOIS Françoise, BRUNHOFF Suzanne (de), BUTTIN Maurice (Me), CASALIS Georges, CHATELET François, CHESNEAUX Jean, CIXOUS Hélène, CLANCY Geneviève, CREMIEU-ALCAN Etienne, DAMON Jean-Pierre, DAUDIER Jean, DEBU-BRIDEL Jacques, DELAS Daniel, DELEUZE Gilles, DELLA-SOUDA François, DUFRENNE Michel, FOUCAULT Michel, FROMENGER Gérard, GALLET Dominique, GEISMAR Alain, GENET Jean, GLASZ Alain, GUATTARI Felix, GUERIN Daniel, GUGLIELMO Raymond, HALLIER Jean-Edern, HASSOUN Jacques et Pascale, HOUDEBINE Jean-Louis, JAUBERT Alain, KARLINSKI Basile, KARTCHEVSKY-BULPORT Andrée, KERLEROU Françoise, KOLPA-KOPOUL Rémy, KRISTEVA Julia, KRIVINE Alain, LACOSTE Yves, LENTIN Albert Paul, LYOTARD Jean-François, MARRECK Marcel et Gerard, MALLET Serge, MANICOM Jacqueline, MARCHUIO Joseph et Hélène, MASPERO François, MATHIEU Ghislaine, MEDINE Lup et Ismar, MONOD Ambroise (pasteur), MONTARON Georges, MONTEIL Vincent, MURY Gilbert, NOIROT Paul, ORAISON Marc, PARMENTIER Roger (pasteur), RAINGOST René, REBOUL Émile, ROQUEPLO Philippe (R.P.), SAINT BLANQUART Brennou, SOLLERS Philippe, SOUCHAL Gilbert, STIBE René (Me), STRICK Robert, TERRAY Emmanuel, VERNIER Kyrieh, VIGIER Jean Pierre, VINCENT-VIDAL Serge, WEIL Brigitte, WEIL Françoise, WEBER Henri, WEINSTEIN Madeleine,

● Peu avant l'assassinat de Mamoud HAMCHARI,

cet appel lui avait été communiqué. Il en avait approuvé le texte et soutenu l'initiative.

Compte tenu des nombreuses signatures déjà recueillies, nous ne pouvons pas, au dernier moment, en modifier la teneur, bien que notre volonté soit de clamer notre indignation et de condamner ce nouveau crime, ceux qui l'ont commis et ceux qui, consciemment ou non, l'ont laissé se perpétrer, au mépris du droit d'asile.

le collectif

Pour soutenir la campagne nationale en faveur de l'Appel pour les Palestiniens, envoyez fonds et signatures à :

Marie-France HUGOT
67, bd Beaumarchais
75003 PARIS

Nom ....

Adresse ....

Profession ....

Signature ....

(Cette annonce a été payée par souscription des premiers signataires.)

صورة للنداء من أجل الفلسطينيين الذى نشرته صحيفة « لوموند » الفرنسية

كريفين ، ايف لاكوست ، البير بول لانتان ، جان فرانسوا ليوتار ، مارسيل وجيرار ماريك ، سيرج ماليه ، جاكلين مانيكوم ، جوزيف وهيلين مارشيزيو ، فرانسوا ماسبيرو ، جيلين ماثيو ، ليز واستر مدينى ، الفس امبرواز مونود ، جورج مونتارون ، فينسان موننى ، رينيه ، جيلبير مورى ، بول نوارو ، مارك اوريزون ، الفس روجيه بارمنتييه ، رينيه ريندورف ، جيلبير سوشال ، رينيه ستيب ، ستريك روبير ، تيرى اماتويل ، فرنييه كيفيلى ، جان بيير فيجييه ، سيرج فينسان فيدال ، بريجيت فايل ، فرانسواز فايل ، هنرى فيير ، ميشلين فاينشتاين .

قبل اغتيال الهمشرى بقليل

وصل هذا النداء ، وتمت الموافقة على نصه ،وحظت مبادرته بالتاييد .

ونظرا لان عديدا من التوقيعات قد وصلت ، لم نتمكن فى آخر لحظة ، من تغيير محتوى النداء ، على الرغم من اننا كنا نرغب فى تهدئة سخطنا ،وادانة هذه الجريمة الجديدة ، وأولئك الذين ارتكبوها ، وأولئك الذين جعلوها ترتكب — سواء عن وعى أو غير وعى — فى ازدراء تام لحق اللجوء .

لجنة الموقعين

تعليق للطليعة :

يعكس هذا النداء الذى صدر فى باريس ،ونشرته صحيفة « لوموند » الفرنسية فى ١٤ يناير ١٩٧٣ ، الادراك المتزايد الذى تحظى به قضية الشعب الفلسطينى ، بين ذوى الضمائر الحية فى العالم ، حتى من بين اليهود انفسهم ،وفى العالم الغربى نفسه ، كذلك فهو يعكس الفهم المتزايد للقضية الفلسطينية ، كقضية تحرر وطنى ، لا شأن لها بالتعصب الدينى او بمعاداة السامية ، وانما بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره على أرضه الوطنية . كذلك فان هذا النداء ليس سوى الخطوة الاولى من حملة عامة اثيرت على النطاق القومى فى فرنسا لجمع التوقيعات على هذا النداء ، الذى ارفقت به بطاقة للتوقيع .



وردت الى ((الطليعة)) عدة تقارير عن آخر التطورات داخل اسرائيل ، نستند اليها فى رسم الصورة العامة لابرز الظواهر التى سادتها اخيرا .

□ اتساع حركة الاضراب
□ انقسام داخل الحزب الدينى القومى
□ مشروع السوق اليهودية
□ خلافات على مصير الأراضى المحتلة

تتركز ابرز الظواهر التى سادت اسرائيل فى الفترة الاخيرة فى أربع ظواهر تقريبا ، اثنتان منها ذات طابع سياسى،والاخريان ذات طابع اقتصادى . والظاهرتان السياسيتان هما : ازدياد الانقسام والتفتت داخل الحزب الدينى القومى ، والخلافات فى وجهات النظر بشأن مصير الاراضى المحتلة . أما الظاهرتان الاقتصاديتان فتتمثلان فى اتساع حركة الاضرابات ، والامتناع عن العمل ، واتساع النقاش حول مشروع وفكرة السوق اليهودية .

أتساع حركة الاضراب

ليس ثمة شك ان هذه الظاهرة أخذت ابعادا

مكثفة فى اسرائيل فى الفترة الاخيرة ، وليس أدل على ذلك من الاتساع الفعلى الذى بلغته هذه الحركة والذى يتضح من مجرد رصد الحركات التى تمت ، والفئات التى تحركت فى الفترة الاخيرة ؟ فقد أضرب عمال الجمارك بمطار اللد مطالبين بعلاوة بدل جهد نظير الظروف الصعبة التى يواجهونها فى العمل داخل المخازن ٠ وأدى اضرابهم الى توقف الخدمات المقدمة للجماهير ٠ ثم قام عشرات من المهاجرين الجدد بالاعتصام فى مطار اللد تعبيرا عن رفضهم للاقتراحات الخاصه بالشقق السكنية التى تقدمت بها وزارة الاستيعاب ، وقام عمال شركات الطيران المدنى باضراب خاص بهم ، وكذلك عمال هندسة البريد بوزارة المواصلات بشأن اتفاقية العمل ، وأدى اضرابهم الى توقف البرامج التليفزيونية ، فيما عدا نشرات الاخبار ٠ وقررت اللجنة القطرية لعمال ضريبة الدخل الاستمرار فى فرض عقوبات حتى يتم تسوية النزاع بينهم وبين الخزانة وادارة ضريبة الدخل ٠ واضرب المهندسون والفنيون والمساعدون ، واضرب أيضا ٥٥٠ من عمال البريد بسبب رفض وزارة المواصلات مناقشة المطالب الخاصة بهم ، وأضرب عمال الهندسة بوزارة المواصلات ، بحيث أصبح ارسال راديو اسرائيل جزئيا ، وتعطلت شبكة الارسال على الموجة « ب » وخاصة الارسال الموجه للقدس ، وحيفا ، وصفد ، فى الوقت الذى كان الاضراب فيه فى التليفزيون تاما ، كما نشبت خلافات عمل بسبب مطالبة أصحاب المهن الاكاديمية باعادة النظر فى الاجور الخاصة بهم ، كذلك قام عمال الصيانة بشركة « العال » باضراب بطىء عطلوا فيه عمليات اقلاع الطائرات وذلك دعما لمطالبهم الخاصة ببحث بعض ما ورد فى اتفاقية العمل من جديد ٠ كذلك قام ٦٠٠٠ من العاملين فى ادارة ٢٢ مستشفى باضراب شامل احتجاجا على عدم تحديد نظام أجور موحد فى كافة المرافق الصحية فى البلاد ، وقررت منظمة العاملين فى مؤسسة « كوبات حوليم » ، التعاون مع منظمة العاملين فى المستشفيات الحكومية لخوض نضال مشترك لصالح العاملين فى المنظمتين ٠ وردا على موجة الاضرابات هذه ، اقترح « بنحاس سابير » وزير الخزانة الاسرائيلى ألا تدفع رسوم الاضراب للعمال ، سواء عن الاضرابات المتعمدة ، أو غير المتعمدة ، وذكر أن ما يحدث الان فى مجال علاقات العمل هو ثمرة أسلوب جديد ينتهج فى الهستدروت وعلى أية حال فان موجة الاضراب المتسعة هذه تعكس ازدياد قوة حركة المطالب العمالية والمهنية الخاصة بزيادة الاجور وتحسين ظروف العمل ، ونصوص العقود ، كما يكشف اتساعها فى الفترة الاخيرة بالذات ، عن ظروف التطور الاقتصادى العامة هناك فى تلك الفترة .

أنقسام داخل الحزب الدينى القومى

شملت موجة الصراع والخلافات التى شهدتها اسرائيل فى الفترة الاخيرة أيضا ، الحزب الدينى القومى ، حيث برز الصراع بين كتل الحزب المختلفه على السلطة والرغبة فى التحكم فى الحزب وفى اداراته المختلفة ، والوصول الى المناصب فى الحكومة ٠

وكانت الازمة الحالية قد نشبت بعد أن عقدت كتله رفائيل وهى الكتلة التى تألفت حول عضو الكنيست اسحق رفائيل رئيس اللجنة التنفيذية للحركة الدينية القومية ، اتفاقية سرية مع كتلة اخرى هى كتلة التحول التى يرأسها يوسف بورج ، وميخائيل حزانى تقضى بسيطرة الكتلتين على المناصب الهامة والاساسية فى الحزب ، وبالفعل تم طبقا لها توزيع جميع المراكز الهامة فى الحزب بينهما ، ولذلك ، وردا على هذه الاتفاقية شكلت دوائر الشباب فى الحزب - وكتلة الوزير زيرح فيرهافتيج ، كتلة واحدة هى الكتلة المركزيه لتغيير وجه الحزب ، وتضم هذه الكتلة الجديدة ٣٤ فى المائة من مجموع مندوبى مؤتمر الحزب الدينى القومى ، وتعتبر اكبر كتلة مفردة فى الحزب ٠ وقد أوضحت صحيفة « ها آرتس » فى ٥ ديسمبر الماضى أن هذه الكتلة سوف تتحول فى القريب ، فيما يبدو ، الى نواة معارضة ضد الكتلتين الكبيرتين (وهما كتلة التحول وكتلة رفائيل) اللتين تسيطران على ٥١ فى المائة من مجموع مندوبى المؤتمر ٠

وقد أدت الاتفاقية التى وقعت بين كتلة التحول وكتلة رفائيل الى اثارة الغضب فى أوساط المثقفين الدينيين حتى الذين ينتمون منهم الى كتلة التحول ، والى رد فعل عنيف ، لدرجة أعلن معها بعضهم أنه يبحث مسألة الانسحاب من هذه الكتلة ، والانضمام الى الكتلة الجديدة ٠ وقد قامت هذه الكتلة الجديدة باجراء اتصالات عاجلة مع « الكيبوتس الدينى » الذى يرأسه عضو الكنيست سمحا فريدمان ، والكتل الاخرى لتدعيم قوتها فى الحزب ، وقد أعلن الكيبوتس الدينى عقب الاتفاقية السرية بين كتلة رفائيل وكتلة التحول عدوله عن قراره بالانضمام الى كتلة التحول ٠ كذلك أجرت الكتلة الجديدة اتصالات مع كتلتى الموشافيم والسفارديم ، لتوثيق صلاتها بهما ٠

وقد اصدرت الكتلة الجديدة بيانا أعلنت فيه أن اقامة الكتلة جاء بعد التدهور الذى حدث نتيجة لتوقيع الاتفاقية السرية بين كتلة التحول وكتلة رفائيل التى تهدف الى استمرار الوضع القائم الذى يسيطر فيه جهاز الحزب على تشكيلاته ، وأعلنت أنها ستعقد مؤتمر الحزب فى القريب لتحديد خطواتها القادمة • وقد أعربت صحيفة « ها آرتس » عن اعتقادها بحتمية حدوث انقسام فى الحزب الدينى القومى فى حين أشارت « عل همشمار » الى أن هذا الصراع هو تكرار لما هو معتاد من وقوع صراع داخل الحزب الدينى القومى على السلطة والمناصب •

وقد اسفرت النتائج النهائية لانتخابات الحزب الدينى عن حصول كتلة رفائيل على المرتبة الثانية بعد كتلة التحول ، اذ حصلت كتلة رفائيل على ١٧١ مندوبا أى بنسبة ٢٣ر٤ فى المائة ، وحصلت كتلة التحول على١٩٨ مندوبا اى بنسبة ٢٧ر١ فى المائة وحصلت كتلة زيرح فيرهافيتج على ٩٨ مندوبا اى بنسبة ١٣ر٤ فى المائة والموشافيم على ٦٦ مندوبا أىبنسبة٩فى المائة والكيبوتس الدينى على ٢٠مندوبااى بنسبة ٢ر٧ فىالمائةوالسفارديم على ١٤ مندوبا بنسبة ١ر١ فى المائة ، ووصف ١٦٦ مندوبا بأنهم مستقلون ولا ينتمون الى أى كتل •

ويحاول كل طرف من هذه الاطراف أن يضم اليه جزءا من الاعضاء الذين لا ينتمون الى طرف معين • وقد كان الفشل الكبير فى الانتخابات من نصيب الكتلة المركزية التى يرأسها زيرح فيرهافيتج ، وطوفى سنهدراى ، وبنيامين شامور ، ودكتور يوسف جولد شميدث ، فقد أصبحت هذه الكتلة أصغر من الكتلة الاخرى • وكان أكبر انتصار هو الذى أحرزته كتلة التحول ، التى يترأسها الى جانب يوسف بورج ، وميخائيل حزانى ، ابراهام ميلاميد • أما كتلة رفائيل وهى كتلة « الوحدة والتغيير » ، فقد حصلت على المركز الثانى ، الذى سيمكنها أن تقيمع كتلة التحول كتلة ائتلافية تصبح لها الاغلبية فى الحزب • وقد منى الشباب الذين يرأس كتلتهم زبولون هيمر ودكتور ى • بن مائير بخيبة أمل لانهم كانوا يأملون فى زيادة قوتهم ، ولكنهم حصلوا على أصوات تقل بأكثر من ٢ فى المائة عن تمثيلهم فى المؤسسات المالية • كذلك فقد زادت كتلة الموشافيم من قوتها حيث حصلت على ٩ فى المائة من الاصوات وذلك على حساب السفارديم ومهاجرى شمال افريقيا الذين يشكلون كتلة « الوحدة والتحقيق » برئاسة عضو الكنيست دانيل ليفى . والحقيقة أن الانتخابات فى الحزب لم تجر على أساس الخلافات فى الراى بشأن العديد من القضايا العامة ، خاصة وانه توجد فى كافه الكتل أراء مختلفة بالنسبة للسلام وحدود اسرائيل ، وانما جرت على أساس العمل من أجل تولى السلطة فى جهاز الحزب • وحاول الشباب على هذاالاساس العمل على توحيد جميع الكتل ضد كتلة رفائيل فى الوقت الذى أعلن فيه الكيبوتس الدينى بعد الاتفاقية السرية بين كتلة التحول وكتلة رفائيل عدوله عن الانضمام الى كتلة التحول ، واتجاهه نحو الكتلة المركزية التى سيدعم صفوفها بنسبة ٧ فى المائة اضافية • فى الوقت الذى يتوقع فيه انضمام الموشافيم الىقوه الائتلاف السرى فتصبح ٦٠ فى المائة بالاضافة الى احتمال انضمام السفارديم اليه أيضا •

وكان البند الهام فى الاتفاقية السرية هو أن يتم توزيع المقاعد فى الكنيست طبقا لعلاقات القوى • ومعنى هذا ، أنه اذا حصل الحزب الدينى القومى على ١٢ مقعدا فى الكنيست الثانى كما هو الحال فى الكنيست الحالى ، تحصل كتلة التحول على ثلاثة مقاعد يتولاها بورج ، وحزانى ، وميلاميد ، وتحصل كتلة رفائيل على ثلاثة مقاعد يتولاها هيمر وبن مائير ، فى حين تحصل كتلة فيرهافيتج على مقعد واحد او متعدين يحتله فيرهافيتج وربما أيضا جولد شميدت ، بينما يحتفظ كل من دانيل ليفى (السفارديم) وسمحا دينيس (الكيبوتس الدينى) بمقعديهما ، بينما يتبقى مقعد واحد للموشافيم •

وقد ذكرت صحيفة ها ارتس فى ٦-١٢ الماضى بأن الازمة الحالية فىالحزب الدينى القومى تعتبر استمرارا أو امتدادا للازمة التى اجتاحت الحركة الدينية القومية بعد وفاة الزعيم موشى حاييم شابيرا • وقالت ان السبب فى الازمة كان وما زال هو رغبة دوائر واسعة فى الحزب الدينى القومى ، وخاصة دوائر الشباب والمثقفين فيه ، فى سد الطريق أمام اسحق رفائيل لكيلا يسيطر على الحركة ولكيلا يصل الى تولى منصب وزير فى الحكومة • وكانت الازمة الاولى قد نشبت عندما نجح رفائيل فى تجميع اغلبية حوله اختارته رئيسا للجنة التنفيذية للحركة ، • وقد نشبت الازمة الحالية ، بعد الاتفاقية السرية بين كتلة التحول وكتلة رفائيل التى تضمن لرفائيل مركزاقويا فى داخل الحركة ، وربما تضمن له منصب وزير الحزب الدينى فى الحكومة القادمة • وقد اشارت « هاارتس » الى ان هذه الحرب الشاملة التى بدأت داخل الحزب الدينى ستكون نتيجتها فى أحسن

الاحوال شل حركة الحزب فى السنوات القادمة ، او انقسامه انقساما فعليا وتنظيميا . فى حين اشارت صحيفة « معاريف » فى ٧ـ١٢ الماضى الى ان نموذج وشكل الحزب الدينى القومى قد تغير بصورة كبيرة الى درجة انه لا يمكن التعرف عليه بالنسبة للصيغة القديمة ، وابرزت حقيقة أن الحياة الحزبية تجرى فيه لا طبقا للتشريع اليهودى بل طبقا لاسس علمانية .

مناقشة مشروع [السوق اليهودية]

وثارت فى الفترة الاخيرة كذلك مناقشات اقتصادية بشأن انشاء السوق اليهودية التى تستهدف اشراك اليهود كلهم ـ لا الاغنياء منهم فقط ـ فى المساعدة على تدعيم اقتصاد اسرائيل . وقد حرك هذا المشروع المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين(١٩٦٨) عن طريق لجنة الغذاء التابعة للمؤتمر الاقتصادى لعام ١٩٦٩ ، وعن طريق المنظمات اليهودية فى اسرائيل وفى الخارج . وقد قصد به كل يهودى فى العالم ، وليس فقط يهود الولايات المتحدة .

ويرى الداعون لمشروع « السوق اليهودية » ان المليونى اسرة يهودية التى يبلغ عدد افرادها نحو ٨ ملايين نسمة فى الدول الغنية . تنفق على المواد الاستهلاكية فقط حوالى من ٥ الى ١٠ مليار دولار فى العام . ويستهدف مشروع السوق ان يحصل للمنتجات الاسرائيلية على حوالى ١٠ فى المائة من قوة الشراء الكبيرة المذكورة . اما المعارضون للسوق فيرون ان المطلوب اكثر هو توجيه الجهود لزيادة البيع لكل جماهير المستهلكين فى الولايات المتحدة لا اليهود فقط .

ويقدم الداعون للمشروع عدة ارقام تدعيما لوجهة نظرهم ويقولون : أن تصدير النبيذ الى امريكا بلغ ٢ مليون زجاجة ، فاذا كان استهلاك النبيذ فى امريكا مقصورا على اليهود وحدهم وهذا امر غير معقول على الاطلاق ـ لكان معنى ذلك ان كل يهودى فى الولايات المتحدة يستهلك ثلث زجاجة نبيذ اسرائيلى فى العام ، كذلك فقد بلغ حجم التصدير الى الولايات المتحدة فى عام ١٩٧١ ١١٠ مليون دولار (باستثناء الماس) اى بمعدل نصف دولار لكل امريكى . وفى نفس العام ، قدر تصدير الغذاء للولايات المتحدة بمبلغ ٩ مليون دولار اى بمعدل ١ر٥ دولار لكل يهودى فى امريكا ، وذلك اذا افترضنا ان كل المنتجات الغذائية بيعت لليهود فقط .

ويقول انصار السوق « يجب الا عجاهل ، ايضا حقيقة أن استيراد اسرائيل من الولايات المتحدة اكبر بنحو الضعفين . واكثر من تصديرنا لهذه الدولة ، وان العجز الخاص بنا الذى يتراكم فى تجارتنا العادية المتبادلة يصل منذ قيام الدولة الى ٣مليارات دولار ،افلا يكون من الافضل لنا ان نطلب من يهود الولايات المتحدة ان يساعدونا فى تخفيض وتقليص هذه الهوة ؟ » .

ويضيف هؤلاء الانصار ، ان اسرائيل لن تستطيع ان تحقق مكاسب لها الا اذا بذلت جهودها المتعلقة بالبيع اولا بين الستة ملايين يهودى الذين يشكلون عنصرا فعالا فى شراء السلع الاسرائيلية والدعاية لها . وذلك قبل ان تبذل هذه الجهود بين المائتى مليون مواطن امريكى . ويقولون أنه « اذا سمح لنا ، باسم المشاعر ، أن نطالب اصحاب الملايين اليهود (فى المؤتمرات الاقتصادية) بان يستثمروا جزءا من رأسمالهم فى صناعتنا ، فلماذا لا نقوم بمطالبة يهود العالم باسم نفس المشاعر ، بأن يشتروا منتجات هذه الصناعة ؟ » .

وجدير بالذكر انه جرت حملة تجريبية بشأن السوق اليهودية فى احدى مدن الولايات المتحدة اثبتت ان المشروع عملى فى نظر الداعين اليه ، الذين يطالبون بمنح المشروع فرصة بعد ان حظى بتأييد اللجنة الاقتصادية التابعة للكنيست ، وتأييد وزير التجارة والصناعة الاسرائيلى .

[خلافات] على مصير الاراضى المحتلة

ومن ناحية اخرى فقد دارت مناقشات داخل حزب العمل الاسرائيلى ، بشأن مستقبل المناطق المحتلة ، أظهر فيها قادة الحزب من خلال تصريحاتهم نوايا حكومتهم التوسعية ، سواء كان ذلك عن طريق « الضم » او « الامر الواقع » ، كذلك فقد اظهرت احزاب المعارضة المتطرفة ـ باستثناء الحزب الشيوعى الاسرائيلى راكاح الذى يطالب بالجلاء عن الاراضى العربية المحتلة ـ مدى تمسكها ببرامجها التى تقوم على عدم التخلى عن الاراضى التى يجرى الاستيلاء عليها .

وقد حرصت جولدا مائير رئيسة الوزراء اثناء المناقشات ـ حسبما اوضحت وكالة الانباء الفرنسية فى ٩ـ١١ الماضى « انها تعارض اى مناقشة حول مسألة ادماج الضفة الغربية فى

اسرائيل اقتصاديا » . وقالت انه لا يجب علينا أن نتخذ اى قرار او اى موقف ايديولوجى ازاء هذا الموضوع • فكل شىء يتوقف فى نهاية الامر على القرار السياسى الذى سيتخذ نتيجة مفاوضات السلام المحتملة • وقالت مائير : بانه على الرغم من ان الحكومة لم تعين حتى الان الحدود التى تزيدها فى حالة اقرار السلام ، **فان اسرائيل تقيم القرى فى بعض المناطق المحتلة التى ابدت غالبية اعضاء الحكومة رغبتها فى ان تكون خاضعة للسيادة الاسرائيلية** • اما ابا ايبان فيرى ان تقرير المصير الذى يتطلع اليه سكان الضفة الغربية لا يمكن ان يتحقق الا فى اطار مفاوضات السلام التى سوف تقرر الحدود النهائية لاسرائيل • على أن صحيفة « التايمز » البريطانية قد أشارت فى خضم هذه المناقشات فى ٢ــ١١ الماضى الى المقال الذى كتبه البروفسور ج•**تالون**، وهو مؤرخ كبير فى الجامعة العبرية ، فى صحيفة « **ها ارتس** » والذى عارض فيه عملية الضم من جانب اسرائيل • ويرى تالون « **انه بدون أن نتصور وجود اخلاق ومجتمع يقوم على العدوان ، فان اسرائيل ليست سوى معتد امبريالى آخر** » • أما موشى ديان فيدعو الى سياسة ضم بطىء ، والى استمرار السيطرة الفعلية على الضفة الغربية وقطاع غزة • وهو يضغط فى اتجاه تقدم الدمج ، على اساس اقامة وضع دائم فى المناطق ، واليأس من احتمالات السلام • ويرفض **ايجال الون وبنحاس سابير** نظرية موشى ديان • وقد قالت صحيفة « عل همشمار فى ١٢ــ١١ ــ ١٩٧٢ ، ان الون تمسك بالحوار مع الملك حسين ومع الفلسطينيين » وان بنحاس سابير رفض نظرية ديان بشأن ضم مليون عربى أخرين ، وطرح تساؤلا « عن شكل الحياة الديموقراطية فى اسرائيل اذا ضمت مليون عربى ولم تمنحهم حقوقا » مدنية متساوية ، كذلك فاذا منحتهم اسرائيل الحقوق المدنية واعطتهم حق الانتخاب ، فأية دولة يهودية تكون هذه ؟ » • وقد ادلى ممثلو حزب المابام كذلك بمبررات مماثلة تعارض خطة ديان • كذلك ففى الوقت الذى يرى فيه ديان ان الاحتفاظ بالمناطق لا يكاد يشكل عبئا ماديا على الدولة ، اوضح كرجمان رئيس لجنة الشئون المالية فى الكنيست أن العبء المالى للمناطق يقدر بـ ١٥٨ مليون ليرة فى العام • ويرى بنحاس سابير ان العبء المالى حتى اكبر من ذلك وهو يستند الى هذا الرأى فى تدعيم وجهة نظره العامة بشأن المناطق .

حقـــائق وراء الأخبـــار

●● تقــدر ميزانيــة الدفاع الاسرائيلية هذا العام بمايزيد على ٦ مليارات لــيرة مقابل ٦ر٥ مليار خلال العام الماضى•

●● زار اسرائيـــل منذ قيامها سنة ١٩٤٨ ٥ ملايين سائح منهم ٣ ملايين بعد حربيونيو ١٩٦٧ • الامريكيون يشكلون ٣٧٪ من حركة السياحة فى اسرائيل •

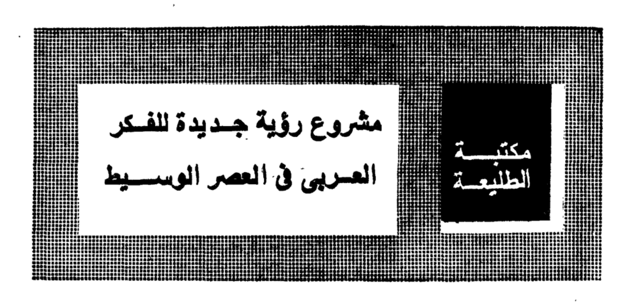
●● اعلن موشى ديان امـام الكنيست انه تمت اقامة ٤٢ مسـتوطنة فى الاراضى التى احتلها الجيش الاسرائيلى منها ١٤ فى الجولان ، و ١٦ فى « يهودا » و « الشمرون » [الضفة الغربية] و ٧ فى قطاع غزة وشمال سيناء • و ٥ فى خليج « شلومو » •

●● أعلـن موشى كول وزير السـياحة الاسرائيلى ، أن السياحة أصبحت هى المصدر الرئيسى للعملات الاجنبية فى الاقتصاد الاسرائيلى متقـدمة على الصـادرات من المـاس والموالـح • اذ بلغ دخـل اسرائيل منها عام ١٩٧٣ وحده ٢٢٥ مليون دولار •

●● اعلن موشى ديان أن بترول سيناء در فى سنة ١٩٧١ دخلا قـدره ٨٧٫٥ مليـون لـيرة اسرائيلية •

●● الـقى مائـير شـــازار المستشار القانونى للحـكومة الاسرائيلية ، محـاضرة أمام اعضاء مكتب شئون الشبيبة فى القدس أعلن فيها أن ٥٪ من تلاميذ المدارس الثـانوية فى اسرائيـل يتعـــاطون المخدرات •

●● زاد الانتاج الصناعى فى اسرائيل فى الشهور التسعة الاولى من هذا العام بنســبة ١١٪ مقابل نفس الفترة فى العام المـاضى ــ ذكرت ذلك الاذاعـة الاسرائيليـــة فى ١٩٧٢/١٢/٣١ • □



تأليف :

الدكتور طيب تيزينى

عرض وتحليل :

غالى شكرى

الناشر :

دار دمشق للطباعة
والنشر ـ ١٩٧١

لعل كتاب الدكتور طيب تيزيني « مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط » هو أكثر الشواهد تمثيلا لوجهة النظر الثورية الى التراث العربي الاسلامي ، وخصوصا جانبه الفلسفي . والدكتور تيزيني في كتابه الهام لا يحيي وجها معينا للتراث ، وانما هو يتحمل أعباء المهمة الجليلة السابقة على الاحياء ، مهمة التحليل العلمي الدقيق للسياق التاريخي الذى أثمر التراث الفلسفي للاسلام . وهي مقدمة ضرورية تهدينا من ناحية الى القوانين العامة لهذا التراث وذاك السياق ، ومن ناحية أخرى الى العلامات البارزة والجديرة بالاحياء في عصرنا . وربما كان « المنهج » هو أجدر العناصر بالتأمل في عمل الدكتور تيزيني . ولست أقصد بالمنهج رؤياه الفكرية الواضحة من السطر الاول الى السطر الاخير ، وانما قصدت « بناء البحث » . وقد يرى الكثيرون أن هذا العنصر « شكلي محض » أقرب الى المحاجاة الاكاديمية منه الى الولوج في «الموضوع » مباشرة . وسوف نكتشف فسادهذا التصور باكتشافنا أن « الشكل » العلمي للدراسة كان انعكاسا للرؤية العلمية التى سادت موضوعها .

والنقطة الاولى فى البناء المنهجي للبحث عند الدكتور تيزيني هي « المادة » التى توفر على دراستها ، فقد اتجه الى الاصول المتاحة ولم يلجأ

الى ما قيل « عنها » الا فى القليل النادر حين كان يضطر لمناقشة فكرة بعينها مستنيرا بالاراء المختلفة التى شاعت حولها ، خاصة اذا كان شيوع بعض هذه الاراء يسبب ضررا بالغا للفكرة الاصلية · لقد اكب الباحث على المادة الاولية لبحثه بوجهيها : « **الاصول والخصوم** » من ناحية ، وتطور النظر اليها بالاتفاق والاختلاف عبر العصور من ناحية أخرى · وقد كان « **حجم** » هذه المادة كافيا للتعرف على أكبر قدر من « **الحقيقة** » المجردة المباشرة ·

والنقطه الثانية هى أن **الدكتور تيزيني** قد تجنب منذ البداية الذاتية والحدس والتخمين فى رفقته الصبورة المتأنية للمادة الاولية ، كانت الموضوعية القريبة من روح العلم الطبيعى هى أداته الرئيسية الاولى فى الفرز والتبويب ، فلم يهمل جزئية من الجزئيات تتنافى مع تصوره المسبق عنها أو رغبته فيما كان يجب ان تكون عليه ، أو لضآلة قيمتها فى السياق العام ، وانما هو آثر ان يتحرى الدقة المرهقة فى التعامل مع مادته الاولية ، رغم كل ما صادفه من تناقضات وتعقيدات تغرى بالهروب نشدانا للسلامة · ان « الاكتشاف » هو الهم الذى كان يؤرقه ، وليس تقديم الرأى أو التحليل لمادة جاهزة تعرف عليها الباحثون من قبل جيلا بعد جيل · حتى أنها اتخذت لطول الاستعمال « **وضعا** » ـ هذه الناحية أو تلك ـ تصعب الاضافة الخلاقة اليه بتقويمه تقويما سديدا ·

والنقطة الثالثة هى أن المؤلف قد تابع العلاقة بين الفكر والواقع متابعة ميكروسكوبية مذهلة · واضطر هنا للقول مرة أخرى أن النظرة المحايدة الفاحصة كانت رايته فى الامساك بالفعل ورد الفعل بالصوت والصدى ، فلم يكن ييسر على نفسه الامر « **بالتنبؤ** » و « **الحسم** » بأن العلاقة بين هذه الفكرة أو تلك ، والواقع من حولها لابد أن يتخذ هذا الشكل أو ذاك ، وانما هو قد رصد وأحصى مجموع التفاعلات المعقدة المتشابكة بين الفكر والواقع : دخل دهاليز التاريخ وسراديب المجتمع ومنعطفات الانظمة السياسية وحنايا النفس الانسانية وخبايا العصبيات والقبائل والعشائر ، ثم راكب مراحل تطور الفكرة من الارض التى أنبتتها الى العقل الذى حمل بها وولدها الى القوى البشرية التى استثمرتها الى النتائج الواقعية التى حققتها ·

هذه ، بايجاز شديد ، الاسس « **الشكلية** » للمنهج الذى آثره الدكتور تيزيني . وقد شيد عليها بناءه الفريد فى باب البحث الفلسفى العربى عامة ، وباب الفكر العربى الاسلامى على وجه الخصوص ، وباب « **الموقف اليسارى** » المعاصر من التراث بصورة أكثر خصوصية · ان هذا « **الشكل** » العلمى الدقيق هو الذى أثمر النتائج العلمية الدقيقة التى أتت بدورها برهانا ساطعا على صحة القوانين الاساسية للفكر المادى التاريخى الجدلى · وهو الفكر الذى اعتمد عليه الباحث فى انجاز الاعباء التالية بالشكل الاكاديمى : عبء التحليل والتقييم والاختيار · أى ان **الدكتور تيزيني** فى كتابه كان «تراثيا » بالمعنى العميق المسئول لهذا التعبير ، اذ كانت له نظرته القادمة « **من داخل** » التراث ، كما كان فى الوقت عينه « **معاصرا** » غاية المعاصرة باستخدامه المنهج الثورى فى التفكير · وقد ظلت المشكلة زمنا هى أسلوب استخدام هذا المنهج ، حتى أن الاسلوب السيىء كان يلقى بظلال نتائجه الباهتة السطحية على المنهج نفسه عند معظم القارئين · كانت غالبيتهم ترى فى بعض الابحاث « **الماركسية** » مجموعة من المعادلات التى يتم تصويرها على نحو ميكانيكى مبتذل ، يكشف فى الحقيقة عن جهل بالقضية المطروحة ، يوازيه الجهل بالماركسية ذاتها · ان الدكتور تيزيني قلب هذه الفكرة رأسا على عقب حين « **عانى** » معايشة التراث معاناة مضنية ، وحين لم يتنكر لتقاليد البحث العلمى العريقة ، بما فيها مساهمات المناهج الاكاديمية البرجوازية ، وحين اكتشف فى خاتمة المطاف مجموعة من القوانين الاساسية فى علاقة الفكر بالواقع تطابق جوهر التحليل الماركسى للمجتمع والطبيعة ، وتغنى هذا التحليل بما استخلصه من قوانين نوعية خاصة بهذه المرحلة العظيمة من مراحل التراث الانسانى ، مرحلة الفكر العربى الاسلامى فى العصر الوسيط · ولعل أهم هذه القوانين هى أن التراث الاسلامى لا يختلف عن أى تراث آخر فى أنه « **البناء العلوى** » للتركيب الاقتصادى والاجتماعى ، ومن هنا تنبع أصالته التى لا تتناقض مع « **حواره الحى** » مع التراث الانسانى عامة ، فمن أعظم تقاليد الفكر الاسلامى فى ذلك العصر ، الانفتاح على العالم ، وتلك هى معاصرته · وكذلك فان الافكار التقدمية بمعيار عصرها ، كانت تجسيدا لطموحات وأحلام وأشواق الطبقات الثورية ، بينما كانت الافكار المتخلفة بنفس المعيار سلاحا فى أيدى الطبقات الرجعية القاهرة . على أن العلاقة الجدلية بين البناء الفوقى وقاعدته الاقتصادية والاجتماعية أبعد ما تكون عن الالية والسكون ، فليس الفكر مرآة صماء لما يجرى على أرض المجتمع ، ليس عدسة فوتوغرافية ، والفكر أيضا ليس ظاهرة متكاملة بذاتها تعلو القمة الباردة تطل من عليائها كآلهة الاولمب · وانما الفكر حركة حية ديناميكية متفاعلة دوما مع الواقع الاجتماعى ، تأخذ منه وتعطيه ، على نحو بالغ التشابك والتعقيد · هذا من اليسر والتبسيط والتسطيح والتطبيق الاعمى لمقولات جامدة تطبيقا ميكانيكيا ساذجا · وقد حرم التصور لعلاقة الفكر بالمجتمع يحرم الباحث العلمى الدكتور تيزيني نفسه من هذه النعمة لانه اعتبرها

نقمة على المنهج الثورى من جانب الادعياء والكسالى .

على ذلك ، فسوف أعمد الى مصاحبة الكاتب من « **كلماته الاخيرة** » التى جاءت فى خاتمة الكتاب ، وأتدرج معه بما يسمونه فى لغة السينما بالفلاش باك . لقد اكتشف أن الفكر البرجوازى فى أوروبا يؤرخ للحضارة « **الانسانية** » وكأنها الحضارة الاوروبية وحدها فهى تبدأ باليونان وتنتهى بالغرب المعاصر مرورا بعصر النهضة وعصر التنوير والانقلاب الصناعى الى غير ذلك من العلامات الاوروبية فى تاريخ الحضارة . هذا المنهج العنصرى فى الفكر التاريخى الاوروبى يبتعد عن « العلم » خطوات عديدة حين يتجاهل مساهمة الحضارات الاخرى وفعاليتها لا بالنسبة للبشرية كلها فحسب ، بل بالنسبة للحضارة الاوروبية ذاتها . والتراث العربى الاسلامى فى العصر الوسيط من أعظم الحلقات الحضارية ، لا فى تاريخ العرب والمسلمين وحدهم ، وانما فى التاريخ الانسانى بأكمله وخاصة التاريخ الاوروبى فى العصر الوسيط . ان دور العرب والمسلمين لم يكن مجرد « **الحفاظ** » على التراث اليونانى ، وانما كانت التجربة الفكرية الاصيلة ضمن المؤثرات الايجابية الهامة على سياق الحضارةالاوروبية . والحق أن الدكتور تيزينى قد أصاب بهذه الملاحظة عصفورين بحجر واحد ، فهو لايدين مناهج الفكر التاريخى البرجوازى وحدها ، وانما هو يدين الصورة المقابلة فى الفكر العربى التى ترى اننا الالف والياء ، البداية والنهاية . ان « **تاريخية** » التراث تعنى فى المقام الاول أن التراث العربى الاسلامى «**حلقة**» فى سلسلة طويلة ، وان منجزات هذا التراث فى العصر الوسيط « **حلقة هامة وتغير كيفى** » يعكس واقعا أصيلا منفتحا على معظم التيارات الرئيسية فى الثقافة الانسانية حينذاك . ان هذه الحلقة لم تسهم فى بناء الحضارة العالمية الا لكونها اشتملت فى أساساتها الفكرية والاجتماعية على « الحوار » مع التراث البشرى أينما كان . على هذا النحو يصبح التراث العربى الاسلامى فى « منظور » الدكتور تيزينى ، تراثا انسانيا بمعنيين : الاول انه ثمرة العمل والعقل والوجدان الانسانى ، وليس مطلقا ميتافيزيقيا مجردا خارج الزمان والمكان ،وانما هو على النقيض من ذلك ، تجسيد عميق للسياق التاريخى والتجربة الاجتماعية .. وفىهذا المعنى تتبلور أصالته الواقعية . والمعنى الثانى انه برغم خصوصيته وارتباطه العميق بنا ، هو احدى حلقات التراث العام للانسانية كلها ، شارك بنصيب موفور فىالانتقال بهذا التراث الى مرحلة أرقى ، وكما أنه أخذ فقد أعطى ، ولولا انه كان « على صلة » بلغة التراث الانسانى منذ البداية ، لما استطاع أن يكتشف « همزة الوصل » لحظة أن أضحى قادرا على الاضافة . واللغة المشتركة هى الحوار مع العالم من ناحية والحوار مع المشكلات الحية فى الواقع المباشر من ناحية أخرى . وقد انفتح الفكر الاسلامى فى بدايته على الفلسفات السابقة والمعاصرة له ، ولكنه فى العصر الوسيط بالذات استطاع أن يطرح « قضايا المجتمع والانسان ، بما فى ذلك مفاهيم الحرية والحتمية والتطور والديمقراطية والعمل والمعرفة » (ص ٤٠٨) . وقد اقترن طرح هذه المشكلات للحوار مع الواقع والتراث العالمى بالطموح لاقامة « **عالم انسانى والكفاح** فى سبيل ذلك » كما يتضح على نحو خاص فى أعمال **ابن طفيل وابن رشد** « من خلال الدفاع عن (وحدة الوجود) أو عن (**الوجود الواحد**) حيث يصبح الانسان جزءا مكملا للوجود المادى » . ويبرز هذا الاتجاه بالحاح لدى ابن رشد فيما اسماه بالعقل الفعال « حيث تعلن عن نفسها ملامح واضحة لفكرة المساواة والديموقراطية والحرية فى عالم تحاول فيه الادمغة والحراب الاقطاعية سحق الجديد الايجابى اينما وجد » (نفس الصفحة) . وقد اتضح فيما بعد تأثير هذه الافكار على الانتفاضات الفلاحية فى أوروبا الاقطاعية ، وعلى الاخص فىحرب الفلاحين فى ألمانيا فى العصر الوسيط التى قادها Thomas Muenze . ولم تكن هذهالافكار المتقدمة بمعزل عن الحركات الثورية المنظمة فى العالم الاسلامى . لقد تجاورت هذه الافكار وتلك المنظمات فى النضال ضد العبودية والاقطاع وأيديولوجياتهما ، وكان التطور الاقتصادى فى مجالات الانتاج السلعى والتجارة موازيا لتطور العلوم الطبيعية كالكيمياء والفلك والطب والحساب ، وقد تآزر هذا التطور المزدوج فى اندلاع الحركات الفكرية التى قادها الفلاسفة والعلماء . وكان مذهب « **وحدة الوجود** » هو الطابع الغالب على هذه الحركات ، وكان واضحا أن نوعا من التفكير المادى هو السمة البارزة على هذا المذهب . وفى ظل هذا المناخ كان من الطبيعى أن يتوصل **ابن خلدون** الى نظريته الاجتماعية فى التاريخ ذات الافاق الواسعة ، دافعا بذلك التطور العلمى والاجتماعى الى أمام . كان مفكرو مذهب « **وحدة الوجود** » المادى يرون أن العالم الطبيعى خالد تماما كالاله ، وأن الله هو « **عقل** » العالم ، أى أنهم أدخلوا فكرة الاله فى نطاق العالم المادى . ولم تمتد هذه النظرة الى العالم الاجتماعى ، فاذا استثنينا الفارابى وابن خلدون والمقريزى ، سوف نلاحظ أن هذا التصور المادى للكون كان مقصورا على الطبيعة (وهو الامر الذى أفاد بغير شك تقدم العلوم) أما التاريخ والمجتمع فقد فسره معظمهم تفسيرا مثاليا غيبيا قائما على فكرة الدين او الملك او الفيلسوف او الشخصية المصلحة بوجه عام . ومن الغريب حقا أن ابن

خلدون وقد أنجز هذا الوجه الاخر باتجاه مباشرة الى « العمل الانسانى » كمصدر وحيد للابداع التاريخى والتطور الاجتماعى ، كان هو الاخر — **كالمقريزى** — بعيدا عن تطبيق هذا المنهج على الطبيعة ٠

غير أنه فى مواجهة هذا التقدم الاجتماعى والعلمى والفكرى الهائل ، كانت هناك « **الفلسفة المقابلة** » ممثلة من زاوية رئيسية فى **أبى الحسن الاشعرى والغزالى** ٠ وهى فلسفة الاعتماد المطلق على النص الالهى المجرد عن عمل الانسان وفكره والمغلق على ذاته دون رياح الحضارات الاخرى ٠ وهى الفلسفة التى شكلت « **الوعاء النظرى الكبير الذى احتوى مطامح الاتجاه الاجتماعى الاقطاعى القائمة على تأطير الواقع والفكر ضمن أغلفة الاستسلامية والنصية واللاسببية فى الطبيعة والمجتمع واللاتطور** » (ص ٤٠٩) ٠ ليس هناك من حرية بل جبرية قبلية وغائية تقودها ارادة واحدة مطلقة فى تسيير امور الوجود ٠ وقد كان هذا التصور للمجتمع والطبيعة هو أقصى امنيات السلطات الرجعية الحاكمة التى تمكنت بالقهر والملكية الاقطاعية والنظام العبودى من أن تذبح الطبقات الوليدة ومنظماتها السرية وأفكارها الثورية ٠ هذه الطبقات والمنظمات والافكار التى كانت الهاما غنيا للثورات الاوروبية و « **نهضة** » اوربا ٠ ولم يكن **الدكتور تيزينى** حين ألف كتابه قد طالع مثلا النبأ القائل بأن **رويرت راسل نيتون** — عالم الطبيعة الامريكى بجامعة هوبكنز — قد استعان بالنتائج التى توصل اليها العالم الاسلامى **البيرونى** منذ تسعة قرون فى قياس حركة الشمس ومعدل انخفاضها على مدى الزمن ٠ وكان البيرونى قد تمكن من أن يقيس بدقة زوايا ارتفاع الشمس وذلك تحديدا لموقع مكة — وكان يسكن شرق افغانستان — قبلة المسلمين طوال العام ٠ وقد تمكن العلماء بالوسائل الحديثة ، واستنادا الى النتائج التى توصل اليها البيرونى ، من قياس التغيرات فى معدل دوران الارض بدقة (١) . ان هذا الخبر الصغير قد يعنى لدى البعض « **انتصارا للاسلام** » ولكنه يجب أن يعنى أشياء أخرى ، هى أن العالم الامريكى يرى فى تراث هذا العالم المسلم تراثا انسانيا من حقه ان يستفيد منه لتستكمل الحضارة مسيرتها بغض النظر عن جنسية هذه الخطوة او تلك ٠ ويعنى ثانيا أن استلهام التراث لا يتأتى الا فى غمرة التطور والتقدم وأن الاكتفاء بتمجيد هذا التراث لا يسهم بشىء فى درء التخلف ٠ ان اقامة تمثال **للبيرونى** واجبة ، ولكن الاستفادة العميقة من تراثه وتراث غيره من اجدادنا وأجداد غيرنا هى أقدس الواجبات ٠ العبرة اذن بمنهج الاستفادة ، وليست بالتغنى أن ماضينا كان عظيما ٠ بل أكثر من ذلك يدل هذا الخبر الصغير على أن الافادة من التراث ليست أمرا ميسورا بناء على الطلب او الرغبة ، فان المستوى الحضارى نفسه هو الذى يحدد قدرتنا وامكانياتنا وقابليتنا الموضوعية للاستفادة او عدم الاستفادة ٠٠ فبالرغم من أن **البيرونى** أحد نجوم التراث الاسلامى اللامعة فى سماء العلم ، الا أن المستوى الحضارى الذى بلغته اوروبا وامريكا هو الذى تمكن من الاستفادة بالنتائج التى توصل اليها — دون عقد ومركبات نقص — اما نحن فلا نستطيع ذلك حتى ولو رغبناه ، لاننا نحتاج الى الكثير قبله بدلا من التباهى الاجوف ٠

هذا « **الكثير** » يركز عليه الكاتب تركيزا منهجيا فى القسمين الاول والثانى من الكتاب ، حيث يدرس « **الجذور التاريخية والمعرفية للفكر الفلسفى المادى والمثالى** » و « **معالم المشكلة الفلسفية فى شكلها المبكر اليونانى** » ٠ فى هذين القسمين يتابع الباحث مجموعة الروافد التى تبادلت التأثير والتأثر مع الفكر الاسلامى ٠ ثم يصاحبنا فى رحلته من المجتمع الجاهلى الى المجتمع العربى فى العصر الوسيط ، فيدعو المجتمع الاول « **قبليا بطريركيا** » ٠ على أن المجتمع الجديد لم يتخل نهائيا عن ظلال القبلية البطريركية بالرغم من تطوره الى مرحلة الاقطاع دون المرور بالمرحلة العبودية ٠ لقد اكتسب الاسلام ملامحه الاولى الاساسية « من حيث هو تعبير عن الحاجات والمصالح المتنامية للحركة التجارية الواسعة ، التى كان يكبح من نموها الاقتتال العنيف بين المجموعات القبلية المختلفة (ص ١٩٢) وهكذا بدأت العلاقات الاجتماعية فى التغير الذى عبر عن نفسه فى النهوض بالمستوى الاجتماعى والاقتصادى والثقافى للرقيق والعوام والاحرار وأنصاف الاحرار ٠ وبالرغم من التكوينات الرأسمالية الوليدة لم يتخلص المجتمع العربى الاسلامى من بعض الاشكال العبودية والعلاقات الاقطاعية ،بل ان هذه العلاقات الاخيرة قد أخذت فى التعاظم ابتداء من العصر الاموى وامست الشكل الرئيسى فى الانتاج فى العصر العباسى ٠ ومعنى هذا انه ليس هناك خط مستقيم للتطور الاجتماعى الاسلامى ، وانما كانت هناك منعطفات ومنحنيات ومتعرجات كثيرة انعكست بدورها على الخريطة الفكرية الفلسفية « **وقد تم هذا ليس فقط انطلاقا من قانونية التطور الداخلية ، مع أن هذه قد مارست فى ذلك التأثير الحاسم ، بل أيضا تحت تأثير الحضارات القديمة الشهيرة فى بيزنطة وما بين النهرين ، هذه الحضارات التى تجاوزت فى الحقل الاجتماعى — الاقتصادى ، التشكيلة الاجتماعية**

---

(١) راجع جريدة الاهرام ٨-١٢-١٩٧٢ (ص ٢)

الاقتصادية القائمة على العبودية من خلال اقامتها للاقطاعيه كأساس حاسم لبنائها . ان احتكاك المجتمع العربى الاسلامى الوسيط بهاتين الحضارتين العريقتين في مجموع الحقول كان له أثره العميق في اتجاهات التحرك الاجتماعى والثقافى » (ص ١٩٣) .

وقد أفرد الباحث جزءا هاما من كتابه حول الشخصيات الهامة التى عبرت عن هذا « **التحرك** » الاجتماعى والثقافى ، سواء فى اتجاه التقدم او اتجاه التخلف . وسوف نلاحظ أن العصر الوسيط ـ لاسباب عديدة أوردها المؤلف ـ قد اشتمل اساسا على « **منعطف تقدمى** » ، بينما لم يكن التخلف الا تجسيدا للردة اللاعقلية التى واجبت تدهور الدولة الاسلامية وانحطاطها . والكاتب يلتفت الى **ابن خلدون** التفاتا بارزا على طول الكتاب لانه من ناحية حقق خطوة رائدة في علم الاجتماع التاريخى على صعيد الفكر البشرى عامة لا على صعيد الفكر الاسلامى فحسب . ومن ناحية اخرى فهو قد « **أتى بفتحه الكبير في عصر لم يكن اصلا قادرا على الاحاطه بهذا الفتح وتطويره الى أمام من قبل ممثلين آخرين له** » (ص ٢٣٣) ذلك أن صياغة الفعل التاريخى لم تستكمل أبعادها فى قانون اجتماعى الا بدخول المجتمع العربى الاسلامى الوسيط مرحلة الانحطاط ، وهكذا يصبح ابن خلدون « **هو الحصيلة الحقيقية لفترة ازدهار المجتمع العربى الاسلامى الوسيط فى ازدهاره وفى انحطاطه فى ان واحد** » . ولان ابن خلدون يمثل بانجازه العلمى حلقة جوهريه فى تاريخ الفكر الاجتماعى ، فان بعث تراثه يقتضى « **توحيد الجوانب العلميه الثوريه فيه مع الشكل الاكثر تطورا وتقدما من أشكال علم الاجتماع والتاريخ المعاصر** » (ص ٢٩٧) . وقد كان المقريزى **هو** الاستثناء المجاور لابن خلدون ابان ذلك العصر فى محاولة تفسير الظواهر التاريخية تفسيرا اقتصاديا اجتماعيا مضادا للجبرية الطبيعية والجبرية الغيبية القائلة بأن الازمات الاجتماعية سببها « **غضب قدرة غيبية ما** » . لقد وقف المقريزى ضد الشكلين من أشكال الجبرية لانه رأى فى نشوء وتطور واضمحلال المجتمع قانونا تاريخيا يمكن اكتشاف تفاصيله . ولكنه مع هذا لم يستطع التعرف على البناء الفوقى للمجتمع الذى يتبادل التأثير والتأثر مع قاعدته المادية ، كذلك لم يستطع أن يشمل الطبيعة بفهمه المادى لحركة المجتمع ، فلم تكن معطيات عصره فى المستوى الذى يؤهله للانفلات من أسر التصورات الميتافيزيقيه للكون (ص ٤٠٣ ، ٤٠٤) . ومن هنا فاننا حين نطلق على **ابن خلدون أو المقريزى** صفة المادية يجب أن نحاذر ـ كما حاذر الدكتور تيزيني ـ التقريب بين ماديتهما والمادية المعاصرة ، انهما رائدان بحق على طريق الفلسفة المادية العلمية ، ولكنهما لم يتجاوزا مقتضيات التاريخ . ولذلك فان الاستفادة الحقيقية منهما هو توحيدهما بما استحدثه المنهج العلمى فى دراسة المجتمع والتاريخ من أدوات أكثر تقدما .

لقد تمكن **ابن رشد** فى ذلك الوقت البعيد من أن يعمق الفهم الفلسفى للعالم بتاكيده على وحدة الوجود المادى من ناحية واستبعاده مفهوم « **الاله** » كقوة مفارقة للطبيعة من ناحية اخرى ، بل اصبح الله « **عقل العالم** » غير المنفصل عن الطبيعة . غير أن هذا التصور الذى ينجز خطوة « **مادية** » فى نظرية المعرفة ، أبعد كثيرا عن تصور سبينوزا مثلا (ص ٣٨٨) وبالتالى فهو أبعد من حدود الفهم المادى المعاصر بما لا يقاس . ان انجاز **ابن رشد هو** فى تجاوزه « **الثنائية** » التقليدية بين الاله والعالم ، بين المادة والصورة . وحين نبعث **ابن رشد** الى وجودنا المعاصر ، فنحن نضيف اليه منجزات كثيرة للعلم الطبيعى والعلم الاجتماعى لم تتوفر لعصره ، كما نضيف اليه « مناخا سياسيا » مغايرا للمناخ الذى شكل احباطا حقيقيا لروح الاكتشاف التى كانت تملأ كيانه الفلسفى . وهو الامر الذى يمكن أن نصف به على نحو مختلف محاولة الكندى فى طرح مشكلات الوجود بعيدا عن النص الايمانى ، ولكن وجهة نظره الاساسية حول « **الخلق من عدم مطلق** » (ص ٢٨٢) قد حالت دون الانطلاق بالمحاوله من قيود التماسك النظرى الذى ابتغاه .. كذلك المحاوله التى ارادها الفارابى فى التوحيد بين أفلاطون وأرسطو ، فانه على الرغم من فسادها منذ البداية ، الا أن هذا لا ينفى ان الفارابى قد « **انقذ على نحو أولى فكرة تقدم المادة او بشكل ادق رفض فكرة خلق المادة** » (ص ٣٠٠) وهى الفكرة التى اغتنت عند ابن سينا قبل أن تصل الى حدها الاقصى على يدى ابن رشد . وقد كان ابن سينا طرفا أساسيا فى الصراع الفكرى لعصره ، وكان يقف فى مواجهة الجبهة الايمانية النصية الغيبية . وهو قد تابع انجاز الفارابى متابعة أكثر تطورا تناولت العالم المادى على ضوء أرسطو ، كما تناولت الموقف من « **الحركة** » و « **العناية** » و « **العلوية** » ، و « **المفارقة** » فى مواجهة فكرة الخلق من عدم محض (ص ٣٠٢) . ولقد رفض ابن سينا التصور الميتافيزيقى القائم على التسلسل فى الموجودات الذى ينتهى أخيرا بموجود أعلى « **ان التسلسل مطلق ، بمعنى أنه لا يوجد سبب واحد للوجود ، بل أسباب لا تحصى ، ذلك لان كل حلقة من حلقات الوجود هى فى نفس الوقت سبب ومسبب** » (ص ٣٢٨) .

اذا كانت هذه النماذج العظيمة للتراث الاسلامى التقدمى فى العصر الوسيط قد استطاعت أن تحقق نجاحا لهذا التراث على صعيد العالم ، فان ذلك كان مصدره الاول هو انطلاقها الاصيل من

أرضها الاجتماعية ومعاصرتها بالحوار مع التراث البشرى عامة واليونانى خاصة · غير أن الوجه الاخر للصورة هو تفكير الامام الغزالى الذى يراه المؤلف « قمة الاتجاه الايمانى »(ص ٣٣١) وقد نصب الغزالى من نفسه العدو الاول للفلسفة والعلم من حيث المبدأ فى كتابيه الاساسيين « تهافت الفلاسفة » و « المنقذ من الضلال » وكلاهما حملة ضارية على الفلسفة والفكر العقلانى عموما · والمادى خصوصا ·· بحيث أنه تطوع بتكفير الفلاسفة السابقين واللاحقين ، فالمعرفة فى ذاتها هى عدو الغزالى مستكملا تجارب الاتجاهات السابقة فى معاداة الحركات العقلية فى الاسلام ·

والدكتور تيزيني على طول كتابه يؤكد على نقطتين : أولاهما أن الفكر الاسلامي في العصر الوسيط كان تعبيرا موضوعيا عن المجتمع العربي في ذلك الوقت ، والثانية هي أن هذا الفكر ـ في أبقى نماذجه وأكثرها أصالة ـ كان منفتحا على رياح الفكر الانساني لا من قبيل الترف وشهوة المحاجاة وانما تجسيدا لاحتياجات فكرية أصيلة في تكوين المجتمع « اننا في الوقت الذي نرى فيه أن الثقافة العربية الاسلامية الوسيطة والفلسفة والعلوم الطبيعية منها خصوصا ، قد تكونت الى حد كبير تحت تأثير الثقافات الاجنبية ،فانها ظلت محتفظة بكونها ثقافة المجتمع العربي الاسلامي الوسيط · انها لم تكن هجينة · كما يؤكد البعض من المثقفين العرب المعاصرين · ذلك لان التأثر بعوامل اجنبية لا يعنى اطلاقا الوقوع في واقع (هجين) اذا استطاع ممثلو هذه الثقافة استيعاب هذه المسألة بعمق · ان واصل بن عطاء والنظام والجاحظ والكندي والفارابي وابن سينا والحلاج وأبا العلاء المعرى وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون هم جزء جوهرى من تراثنا الثقافي · وهؤلاء لم يكونوا أبدا نسخة عن الثقافة اليونانية أو الهندية أو الفارسية ، بل هم بالضبط ، مفكرو المجتمع العربي الاسلامي الوسيط » (ص ٢٢٣) ·

●●●

ربما كان المنهج هو أهم عناصر كتاب الدكتور طيب تيزيني ، فليس من شك أنه سيعود مرة ومرات الى تفصيل ما أوجزه ، وتوضيح ما غمض عليه وترك أثرا على بناء المصطلح الفلسفى الى غير ذلك من ملاحظات الرفقة الصبورة للكاتب والكتاب ··

غير أنه يتبقى « المنهج » بمقدماته ونتائجه ونسيجه العام هو أثمن الكنوز فى هذه الدراسة الرائدة بحق · لقد استطاع الكاتب بهذا المنهج أن يبتعد عن التعميم والتجريد والوقوف على السطح السياسى المباشر ، ونجح في أن يحاور الفلسفة الاسلامية حوارا فلسفيا ، وقد عانينا فيما مضى كثيرا من بعض الدراسات « التقدمية » التى تتصور أنها قادرة ببضع مفاهيم مجردة عن التاريخ والمجتمع على مناقشة كافة مستويات المعرفة ، متجاهلة بذلك قانونا ماركسيا أساسيا هو « العام والخاص » ·· فالمعرفة الفلسفية مثلا لها خصائصها النوعية المستقلة والتى تحتاج ـ حتى نكون على الخط معها ولا نخلط ـ الى المستوى الفلسفى فى الحوار · هذا لا يعنى فحسب أن يحتشد الكاتب لبحثه بركام مخزون من « المعلومات » الفلسفية ، وانما يعنى فى المقام الاول ألا يخلط بين المستوى الفلسفى والمستوى السياسى والمستوى الاجتماعى والمستوى الاقتصادى · ان هذه المستويات جميعها تظل فى خلفية الصورة تشارك منهجيا فى عملية التحليل دون أن تطفو على السطح ، دون أن تتحول بالبحث الفلسفى أو النقد الفنى الى مقال سياسى مرصع ببعض الاسماء والتعبيرات الفلسفية · كان الدكتور تيزينى فى كتابه باحثا فلسفيا أولا دون أن ينسال ذلك لحظة واحدة من رؤياه الفكرية التى صاغتها علوم أخرى كثيرة غير الفلسفة ·

والنقطة الثانية في منهج هذا الكتاب الهام أن تحليله اليسارى للتراث الاسلامي لم يكن يستبق النتائج بمصادرات عقائدية ، وانما كان يتابع التفاصيل في تفاعلاتها المعقدة المتشابكة ·· بحيث أن الدراسة في جوهرها تعد « خريطة فكرية » دقيقة للمجتمع العربي الاسلامي الوسيط · وقد اهتدت الخريطة برؤية ثورية في التفكير ، ولكنها أضافت الى هذه الرؤية رصيدا غنيا من الشواهد « الخاصة » على صحة قوانينها العامة · لقد تجنب الدكتور طيب تيزيني ـ بثقافته وتكوينه ـ منزلقات التسطيح والفهم المبتذل للمادية التاريخية والمنهج الجدلي · فقدم وثيقة تقدمية باهرة في مجال العلوم الانسانية ، وشارك في الحوار الدائر حول قضية التراث والعصر ، من موقع الثورة ·

■ افكار حول مؤتمر فلورنسا

■ ٤ طلبات .. من ٥ طالبات

■ اقتراح من حلب

■ سؤال الى « الطليعة »

مناقشات مفتوحة

أفكار حول « مؤتمر فلورنسا »

يعقب عمرو عبد المنعم حمودة — برما ، مركز طنطا — على « رسالة فلورنسا » التى كتبها **محمد عمارة** فى العدد الماضى من الطليعة ، حول « **التقاء ثقافات البحر المتوسط** » فيقول :

... أول القضايا التى يثيرها التقرير هو أننا فى مصر والعالم العربى نفتقد الى معهد مناظر لمعهد العلاقات بين ايطاليا وبين افريقيا وامريكا اللاتينية والشرق الاوسط [**ابالمو**] . حقيقة اليمة يشعر بها المثقفون العرب ورجال الفكر عندنا فى الوقت الذى تتوافر فيه لمصر من الامكانيات والضرورات ما يجعل مثل هذا المعهد ضرورة فى حياتنا الثقافية والفكرية . فمصر تحتل موقعا استراتيجيا وجغرافيا فى قلب العالم العربى والاسلامى ومركزا خطيرا وحيويا بالنسبة لدول العالم الثالث . تفرض ضرورة وجود هذا المعهد ايضا ضرورة اتمام دورات من الحوار الحر والخلاق بيننا وبين العالم كله ثقافيا وحضاريا ليسمع العالم ، شرقه وغربه صوت الفكر العربى المعاصر بقضاياه ومشكلاته وتحدياته الحضارية فى وقت نخرج فيها من عزلتنا وتقوقعنا بعد هزيمة ٥ يونيو .

والذى لاشك فيه ان مثل هذا المؤتمر ينبغى المشاركة فى أعماله بجدية وايجابية من جانبنا لوجود جماعات من المستشرقين على اختلاف أجناسهم تشارك فيه على اختلاف اتجاهاتهم السياسية والاجتماعية . ومن ثم فان عرض قضايانا ومشكلاتنا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية تعطى لمثقفى العالم ورجال فكره صورة واضحة ومتكاملة لما يجرى عندنا من تحولات وتطورات عن طريقها يمكن بطريق مباشر وغير مباشر خدمة القضية العربية وايجاد دعاة من المفكرين العالميين يحملون عبء توعية وتبصير قطاعات واسعة من الرأى العام العالمى بحقنا المغتصب .

علينا اذن الا نكف عن التحدث والحوار مع العالم كله ، شرقه وغربه ، فى موضوعية تامة لا تعرف التعصب حتى يعرف من نحن وأين نحن وموقعنا من الفكر الانسانى وثقافة العصر وماهو دورنا الحضارى واسهامنا فى الحضارة الانسانية بوجه عام .

أما المقتطفات التى اوردها الاستاذ **محمد عمارة** من أبحاث المؤتمر ومناقشاته مثل اقوال الصحفى الفرنسى « **بول بالتا** » والمستشرق الانجليزى « **مونتجمرى وات** » فانها تكشف بجلاء عن عدم معرفة مثقفى العالم الكبار بقضايانا ومشكلاتنا والتطورات الثقافية والفكرية التى طرأت فى مصر بالذات بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . كذلك فان النظرة الظالمة للاوروبى للانسان العربى المعاصر وانكار الاوروبى لدور العربى فى الحضارة الانسانية ، كل هذه الحقائق تشكل مؤشرات

خطر لموقفنا الثقافى والعالمى — مما يفرض علينا التحرك السريع والمنظم والواعى لشرح انجازاتنا الحضارية والفكرية والثقافية للعالم ، حتى يعرف الجميع اننا منذ قيام الثورة سنة ١٩٥٢ نمارس وجودنا الحضارى والثقافى وان كنا قد أصبنا بنكسة فى سنة ١٩٦٧ ، فان هذا الحدث الخطير يضاعف من مسئوليتنا فى الحديث والحوار مع العالم فى جميع قطاعاته .

والذى يؤخذ على الابحاث التى تقدم بها الوفد المصرى الى المؤتمر — على ضوء ما ورد بالتقرير — يتضح أنه ليس من بينها أى بحث أو دراسة تناقش قضايا التطور الاقتصادى والاجتماعى والخط الاشتراكى الثورى فى مصر بعد ثورة ١٩٥٢ . او أى دراسة او بحث تضع أمام مفكرى البحر المتوسط نماذج من الادب العربى المعاصر فى تياراته المختلفة . فى حين أن الاستاذ **محمد عمارة** تقدم للمؤتمر بحثه عن أثر التراث الاسلامى فى الفكر العربى فى القرن التاسع عشر وعرض فى بحثه لقضيتى العقلانية والديمقراطية من خلال ذكر **رفاعه الطهطاوى وجمال الدين الافغانى وعبد الرحمن الكواكبى ومحمد عبده** .

وأيا كان الامر ، فان من المطلوب فى هذه الفترة مزيد من الحوار والتواصل مع العالم فى غير انقطاع . فقضيتنا ليست قضية سياسية فحسب ، ولكنها قضية تحد حضارى .

٤ طلبــات .. من ٥ طالبـات

بتوقيع « **خمس طالبات بكلية طب جامعة الاسكندرية** » ، كتبن رسالة جاء فيها :

« .. فالطليعة التى نداوم على اقتنائها ونتناقش حول مواضيعها ، جعلتنا نرى بعض النقاط الهامة على حقيقتها والتى كانت غائبة علينا » .

« ونتقدم بأربعة طلبات [ليست طلبات ولكنها رجاءات] كم تمنينا من زمن طويل تحقيقها .

① تخصيص احدى المقالات [ونعتقد أن مقالا واحدا لا يكفى ؟ وعسى أن تكون سلسلة مقالات] ، من الفكر الماركسى تتضمن مزاياه وعيوبه .

② تخصيص باب بالمجلة حول قضية وضعنا الراهن السياسى والاجتماعى .

③ تخصيص باب بالمجلة للرد على أسئلة القراء .

④ الا تكون مصير هذه الرسالة سلة المهملات أو الاهمال » .

الطليعة :

اولا نشكر لكن اهتمامكن ومجاملتكن .

وطبيعى ان نقول ان المطلب الرابع قد تحقق . ونضيف ان رسائل القراء تلقى دائما كل اهتمام « الطليعة » ونشر . ومن الطبيعى ان نقول ان المطلب الثالث ، متحقق بالفعل . فتلك هى مهمة « مناقشات مفتوحة » على انها لا تاخذ طابع نشر الرسائل ، بقدر ماتسعى لان تاخذ طابع الحوار الحر .

واذا كانت « الطليعة » قد قدمت طوال اعدادها السابقة ما نزعم انه مفيد فى مجال المطلبين الاولين ، فانها لا تنكر فى نفس الوقت اهمية متابعة ذلك . ولعلنا نذكر الصديقات الخمس بان العدد الرابع [ابريل] من عام ١٩٧٠ ، كان قد خصص كله كمساهمة فى احتفالات البشرية التقدمية كلها بمرور ١٠٠ عام على ميلاد لينين القائد الفكرى والتنظيمى لبناء اول دولة اشتراكية فى التاريخ . وقد تناول العدد بتفصيل كبير فكر لينين واضافاته للماركسية وتطبيقاته لها . كذلك نذكر الصديقات بان العدد يوليو من عام ١٩٦٧ قد تضمن « كراس للطليعة » بعنوان « نظرات فى الوضع الراهن : عالميا وداخليا » . وفى العدد السابع [يوليو] ١٩٦٨ تضمن « دوسيه » أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى » نشرته « الطليعة » كمساهمة منها فى اجراء النقاش حول ملامح الوضع الراهن وطرق تجاوز سلبياته وتاكيد ودعم ايجابياته وتطويرها .

على ان ذلك كله ، لا يلغى اعطاء المزيد من الاهتمام ، لمثل هذه القضايا التى تحاول « الطليعة » تغطيتها بنفس القدر الذى تحاول به تغطية غيرها من القضايا الهامة .



« أرجو اعطائي فكرة أو صورة عن العلاقات الاقتصـــادية بين الوطن العربي والاتحـــاد السـوفيتي ، وعدد المنشآت الاقتصـــادية التي قامها الاتحاد السوفيتي في الوطن العربي » .

رفعت الشعراني
سوريا ـ مسلمية

الطليعة :

قام الاتحـــاد الســوفيتي ببنـــاء الكثير من المشروعـــات الاقتصـــادية في الوطن العربي ، يمكن رصدها بشكل عام في :

■ الجـــزائر ■

يقدم الاتحاد السوفيتي المساعدة للجزائر في مجال انشاء ٨٧ مشروعا أنجز منها ٢٩ .

ومن أكبر المشاريع بناء ورشة لصهر الفولاذ في مصنع الحديد والصلب بعنابة ومواصلة توسيع طاقة هذا المصنع بمقدار ثلاثة أضعاف تقريبا .

كما شيد بمساعدة الاتحاد السوفيتي معمل لتركيز خامات القصدير والزنك في منجم أشمول ومحطة كهروحرارية في عنابة ومؤسسة للتعـدين تقوم بانتاج الزئبق الذي يؤخـذ خاماته من منجم « اسماعيل » ، الذي اكتشفه جيولوجيون سوفيت ، ومصنع لانتاج كحول الكونياك وورشة لانتاج زجاج النوافذ في وهران .

وتجرى أعمال التنقيب الجيولوجي عن المعادن غير الحديدية والمواد الخام غير المعدنية ، كما تجرى دراسات جيولوجية في كافة أنحاء البلاد ، الامر الذي يخلق قاعدة لتطوير التعدين غير الحديدي والحقـول الصناعية الاخرى ، ويزيد مـوارد التصدير في البلد .

وقد عثر الجيولوجيون السوفيت على منجم للزئبق فريد من حيث غزارته ، وحقول ضخمة للباريت وغيرها من الثروات الطبيعية .

ويجرى بمساعدة تكنيكية من الاتحاد السوفيتي انشـاء سدود صغيرة ومتوسطة لرى الاراضي في منطقة القبائل وهي من أفقر المناطق الساحلية في الجزائر .

وتم هناك اعداد ورشتين للرافعات والحفـارات وتدريب خبراء في أعمال الحفر . وتم تأسيس عشر محطات لاصلاح المعدات الزراعية ، ويساعد الخبراء السوفيت على انشاء خمس محطـات تجريبية لدراسـة ظروف انتاج المحاصيل الزراعية في الاراضي المروية .

وبهدف استخدام الالات في الزراعة صدر الاتحادالسوفيتي للجزائر خمسمائة جرار ومائة حاصدة ذاتية الحركة ومعدات زراعية أخرى ، كما أوفد الى هناك خبراء سوفيت لتدريب الجزائريين على تشغيل وقيادة هذه الماكينات .

ويقوم ما يقرب من ١٥٠ خبيرا سوفيتيا بمساعدة الجزائر في التنقيب عن حقول البترول والغاز . وفي نهاية عام ١٩٦٧ أقرت ادارة شركة « سوناتراك » الوطنية لنقل وتســويق الغاز والنفط ، أقرت أول نتيجة قدمها الجيولوجيون السوفيت حول استثمار عدد من الحقول النفطية والغازية على أساس أنها نتائج مضمونة وسوف تعود بقـدر أكبر من الربح مما اقترحه الجيولوجيون الامريكان والفرنسيون .

وقد اشترت الجزائر معدات سوفيتية للحفر اعـدت في مصنع أورال ماش .

ويتطور بنجاح التعاون السوفيتي الجزائري في مجـال اعداد الكوادر الوطنية الجزائرية . وفي شهر سبتمبر ١٩٦٤ بدأت الدروس في معهد البترول والغـاز الذي يتسع لالف طالب ، وفي المعهد المهني للبترول الذي يمكنه تخريج عدد مماثل ، وقد شيد المعهدان وقدما للجزائر هدية من الشعب السوفيتي . والى جانب المعهدين المذكورين فقد افتتح معهد مهني للنسيج فيه فرع هندسي . وقد خرجت هذه المعاهد أكثر من ثلاثمائة مهندس وفني للعمل في ميادين النفط والنسيج . ونظرا لتطور التعدين الحديدي وغير الحديدي في الجزائر يجرى حاليا وبمساعدة من الاتحاد السوفيتي تأسيس معهـد للتعدين يتسع لسبعمائة طالب ومعهد مهني تابع له يتسع لثمانمائة تلميذ ، وقد بدأ هناك اعـداد الكوادر الهندسية لمصنع الحديد والصلب . وسـتقوم مدرسة الطب البيطرى باعداد خبراء في هذا المجال .

والى جانب اعـداد خبراء ذوى تعليم عال أو متوسط يتعاون الاتحاد السوفيتي مع الجزائر في مجال تدريب العمال المهرة . ولتحقيق هذا الغرض أنشىء مركزان تدريبيان لاعداد عمال للصناعة والزراعة ومركز تدريبي خاص لاعداد عمال التعدين . وقد تخرج من هذه المعـاهد أكثر من ستة آلاف عامل صناعي وزراعي . وبناء على طلب من الحكومة الجزائرية أوفد الاتحاد السوفيتي خبراءه لتنظيم الانتاج في المؤسسـات العـامة .

وقد ساعد الخبراء السوفيت على تشغيل مصنع السيراميك ومصنع السكر ومعمل الورق وكانت متوقفة عن العمل وساعد على تنظيم الانتاج في مصنع الهياكل المعدنية الضخم وفي معمل النسيج ، ومؤسسات أخرى .

وسيسـاعد الاتحاد السوفيتي في المستقبل ، على اعـادة تصميم وبناء تسع مؤسسـات حكومية ، وبناء معمل للتركيز ، ومجمع لصفائح الزجاج في وهران .

وجرى في شهر نوفمبر ١٩٦٧ الاحتفال بافتتاح مستشفى في مدينة الاخضرية وبافتتـاح مستشفى الصداقة الجزائرية السوفيتية ، ويتسع هذا المستشفى الضخم لمائتين وعشرين سريرا ويتبعـه مستوصف ، وقد جهز الجـانب السوفيتي المستشفى ومستوصفها بالمواد الطبية اللازمة وأوفد أطبـاء سوفيت للعمل هناك .

ويعمل الكثير من الاطباء السوفيت في مستشفيات أخرى بالجزائر ، كما يقوم مئات من الاساتذة بالتدريس في الكليات والمدارس .

وتسدد الجزائر القروض التي تحصل عليها بما تصدره من خمور ونفط وبضائع أخرى الى الاتحاد السوفيتي .

■ العـــراق ■

تشتمل برامج التعاون الاقتصادى والتكنيكى بين الاتحـاد السوفيتى والعراق على انشاء ستين مشروعا ، أنجزمنها ٢٧ .

وتضع هذه المشاريع حجر الاساس فى مجالات صناعية جديدة فى العراق مثل صناعة المعدات الكهربائية والالات الزراعية ، والادوية ، والزجاج ، والمواد الطبية ، وتعزيز مواقع القطاع الحكومى .

وقد تم بمساعدة الاتحاد السوفيتى بناء وتشغيل معمل الحياكة والنسـيج ، ومصنع الخياطـة ، ومصـنع الالات الزراعية ، ومعمل المنتجات القطنية ، ومعمل الزجـاج ، ومعمل الادوية ، ومعمل التعليب ، والسنترال الاوتوماتيكى ومحطة اذاعة تعمل بالموجات المتوسطة ، ومراكز لتأجير الماكينات ، ومطحن للحبوب ، ومحطة اذاعة فى الداودية .

وتجدر الاشـارة الى أن بعض المؤسسات مثل معمـل المنتجات القطنية ومعمل المعدات الكهربائية ، ومصنع الالات الزراعية هى اكبر مؤسسـات من نوعها ليس فى العراق وحده ، بل وفى الشرق الاوسط كله .

وفى نهاية عام ١٩٦٧ بدأ العمل فى مركز ذرى للابحاث العلمية يضم مفاعلا قدرته الفاكيلووات لاجراء دراسات علميـة وانتاج النظائر المشعة .

وقد أنجزت أعمال بناء خط عريض للسكك الحديد بين بغداد والبصرة يبلغ طوله ٥٤٣ كيلو مترا ، عوضا عن الخط السـابق مما أدى للاسراع فى حركة القطارات . وعلاوة على تقـديم المساعدة فى مجال تطوير الصناعة ، يتعاون الاتحادالسوفيتى مع الجمهورية العراقية فى ميادين أخرى . فعلى سبيل المثال أنجزت أعمال تصميم وأبحاث لتحسين ظروف الملاحة فى نهرى دجلة والفرات ، وشـط العرب ، وأعـدت تصميمات فنيـة اقتصادية لتنظيم مجرى المياه فى نهرى دجلة والفرات .

وسيقدم الاتحاد السوفيتى المساعدة فى مجال بناء قنـاة طولها أربعون كيلو مترا تمتـد من بحيرة الثرثار الى نهر الفرات ، الامر الذى سيتيح زيادة الاراضى المروية بين النهرين الى حد كبير ، ودرء اخطار الفيضانات .

وقد تم اعداد تقرير اقتصـادى فنى لتنظيم اعمال الرى والصرف فى أراضى تمتـد بين الشـنافية والناصرية وتبلـغ مساحتها ٢٧٠ الف هكتار . وتجرى اعمال تنقيب جيولوجى عن المعادن ، وقد عثر الجيولوجيون السوفيت على احتياطيات صناعية من الكبريت والفسفور ورمال الكوارتز ونظمت عملية تدريب خبراء وعمال مراقبين للعمل فى المؤسسات ، التى تبنى بمساعدة الاتحاد السوفيتى .

وقد أنشئت خمسة مراكز تدريبية فى العراق لهذا الغرض ، وعلاوة على ذلك يجرى تدريب الخبراء والعمال اثناء اعمال البناء ، وفى المعاهد العليا والمؤسسات الصناعية بالاتحاد السوفيتى .

وفى عام ١٩٦٩ وافق الاتحـاد السوفيتى على تقـديم مساعدات تكنيكية واسعة النطاق للعراق لتطوير صـناعة البترول الوطنية .

وتقوم المؤسسات السوفيتية بتصدير معـدات لاستثمار حقول البترول فى شمال الرميلة ومد خط لانابيب النفط من هذه المنطقة الى الخليج العربى ، كما تساعد على استثمار حقول أخرى فى جنوب العراق ، والقيام بأعمـال التنقيب الجيولوجى عن البترول والغاز .

ويحتل العراق واحدة من المراتب الاولى فى العالم فى مجال تصدير البترول وتقدر احتياطيات البترول هناك بأربعة مليارات طن ، بيد ان اسـتخراج البترول كان حتى الوقت الحاضر حكرا على الشركات الاجنبية .

وقامت الحكومة العراقية خلال الاونة الاخيرة ، باتخـاذ عدد من التدابير للسيطرة على استخراج البترول . فقد حرمت شركات النفط الاجنبيـة من امتيازاتهـا فى الاراضى غير المستثمرة ، وتم انشاء شركة بترول وطنية للتنقيب عن البترول واستخراجه .

وقد وصفت الصحف العراقية الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى حول التنقيب عن البترول واستخراجه وتكريره ، بانه خطوة نحو تحقيق الحلم المنشود للشعب العراقى ، اى ان يكون الشعب هو السيد الحقيقى على ثرواته الوطنية ويتمتع بكل ثمارهـا .

■ جمهورية مصر العربية ■

تحتل جمهورية مصر العربية واحدة من المراتب الاولى ، من حيث حجم التعاون الاقتصادى والتكنيكى مع الاتحادالسوفيتى .

اذ أن الاتحاد السوفيتى يساهم فى انشاء اكثر من مائة مؤسسة صناعية وزراعية وثقافية مختلفة تم انجاز ٨٣ منها .

وتغطى القروض السوفيتية الطويلة الامد ، قسما كبيرا من العملة الصعبةالتى تحتاجها مصر وفقا لخطط التنمية الاقتصادية فيها . ويخصص زهاء ٨٠٪ من مجمل القروض السـوفيتية لتطوير الصناعة والطاقة ، و ١٧٪ لتطوير الزراعة .

اقـــــتراح من حلـــب

كتب مكرديج مهرانيـــان ــ حلب سليمانية ــ رسالة يقول فيها :

« اننى من قراء مجلتكم منذ عام ١٩٦٧ .. ومن المعجبين بدراساتها . وقد جاء فى أحد أعدادها ، دراسةقيمة عن وضع المرأة فى البلدان الاشتراكية ، ووضع المرأة فى البلدان الرأسمالية . وقد كانت مقارنة جيدة . فياحبذا لو تتكرر مثل هذه الدراسة عن وضع الشباب فى البلدان الرأسمالية ووضع الشباب فى البلدان الاشتراكية . لما لهذه المقارنة من أهمية لشـبابنا العربى » .

« **ملحوظة** : ارغب أن يكون وضـــع الشباب فى العالم الثالث فى فصـــل مستقل » .

الطليعـة :

شـكرا لك . واقتراحك موضـع اهتمام الطليعة للتنفيذ . ولكننا نود لو تمكنت مؤقتا الاطلاع على اعداد اغسطس وسبتمبر من عام ١٩٦٨ حيث قدمنا دراسة رئيسية طويلة خلال هذه الاعداد بعنوان « شباب ٦٨ » . وقد تناولت الدراسة جوانب كثيرة من القضايا التى طرحتها فى اقتراحك القيم

ويتعاون الاتحاد السوفيتي مع جمهورية مصر العربية فى انشاء مؤسسات صناعية بالغة الاهمية بالنسبة لمصر فى القطاع العام [الحكومى] ومنها مؤسسات التعدين ، وبناء الالات ، وبناء السفن وانتاج الطاقة ، وصناعة النفط ، والصناعة الكيماوية ، وصناعة الادوية ، وصناعة النسيج ، وفى مجال تنفيذ اعمال التنقيب الجيولوجى بحثا عن الثروات الطبيعية والاعداد للكوادر الماهرة .

ونتيجة لتشغيل المشاريع المشيدة بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، سوف يتضاعف انتاج الطاقة الكهربائية مرتين ونصف المرة ، وصهر الفولاذ من اربعة الى خمسة اضعاف وانتاج الكابلات ثلاث مرات ، كما سيتوقف أو ينخفض الى حد كبير استيراد السفن وفحم الكوك والصفائح الفولاذية الرقيقة والمطروقات والالات الثقيلة ، والمعدات والثلاجات والالكترونيات والادوية ، وأجهزة الراديو ، وزيوت التشحيم وغيرها . ومن اهم المشاريع بالنسبة للاقتصاد المصرى هو بناء منشأة أسوان الذى يعد من أكبر المنشآت الهيدروتكنيكية فى العالم .

وهى تضم سدا يبلغ ارتفاعه فى مجرى النيل ١١١ مترا وطوله ٣ر٦ كيلو متر ومحطة كهرومائية قدرتها ١ر٢ مليون كيلووات وثلاثة خطوط لنقل الكهرباء العالية الجهد .

كما تضم المنشأة خزانا ضخما للمياه يسمح بتنظيم مجرى النيل ، دارئا عن البلد خطر الفيضانات والجفاف .

ويكفل الخزان ، وشبكات الرى توسيع مساحة الاراضى المزروعة بنسبة ٣٠٪ .. ومن المقرر أن يتم استثمار زهاء ٥٩٠ الف هكتار من الاراضى البكر ، ومن الجدير بالذكر أنه تم انجاز ثلثى هذه الاعمال . وعلاوة على ذلك تم الانتقال من رى الحياض الى الرى الدائم لمساحات أخرى تقرب من ٣٦٥ ألف هكتار .

وقد ازداد انتاج الارز فى البلد بنسبة ٧٠٪ بالمقارنة مع عام ١٩٦٠ وتفيد احصائيات الاقتصاديين المصريين بأن استصلاح الاراضى الجديدة سيزيد الانتاج الزراعى الاجمالى بنسبة تتراوح بين ٤٠ و ٥٠٪ بالمقارنة مع عام ١٩٥٩ .

وكان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد أوضح فى خطاب القاه بمجلس الامة فى مارس عام ١٩٦٤ أن المجمع الهيدروتكنيكى فى أسوان سيزيد الدخل القومى للبلاد بمقدار ٢٣٤ مليون جنيه مصرى سنويا أى قرابة نصف اجمالى الدخل القومى فى مصر قبل الثورة . وسيتيح السد العالى امكانية توفير زهاء مائة مليون جنيه سنويا من العملة الصعبة . كما انه سيتيح امكانية انتاج عشرة مليارات كيلووات ساعة من الطاقة الكهربائية سنويا ، أى ضعف ما تنتجه حاليا كافة المحطات الكهربائية فى البلاد .

وقد بدأ بناء السد عام ١٩٦٠ ، وكانت الاعمال هائلة حقا، فقد زادت كمية الاحجار المستخدمة أثناء بناء السد عما استخدم فى بناء هرم خوفو العملاق بست عشرة مرة .

وغدا سد أسوان بمثابة مركز تدريبى لاعداد الكوادر المهنية من الخبراء والعمال المهرة .

ويجرى الان استخدام السد لانشاء شبكة آلية وأوتوماتيكية للطاقة ، توفر الكهرباء لمختلف المجالات الصناعية والزراعية بجمهورية مصر العربية . وتظهر ثمار التعاون السوفيتى المصرى فى مجال بناء مشاريع صناعية ومنشآت أخرى . فقد بدأ الانتاج فعلا فى مصنعين لتكرير البترول ومصنع الحديد والصلب فى حلوان ، ومصنع للدرفلة قدرته ألف طن من خامات الحديد يوميا ، ومصنع الثلاجات ، وورشة انتاج ماكينات قطع المعادن ومحطة السويس الكهروحرارية التى تبلغ قدرتها مائة الف كيلووات ، ومصنع المضادات الحيوية والادوية الكيمائية والصيدلية والعديد من المؤسسات الصناعية الاخرى . وفى مايو ١٩٧١ انزلت الى الماء أول سفينة لاعالى البحار تصنع فى ترسانة بناء السفن بالاسكندرية ، حمولتها ١٨ الف طن وأطلق عليها اسم المدينة ذاتها . واصبح بامكان مصر ليس مجرد اصلاح السفن فحسب ، بل وأن تصنعها أيضا ، وهكذا ظهر فى البلاد مجال صناعى جديد . ونتيجة لانتاج المؤسسات الجديدة توفر لمصر سنويا ما لا يقل عن مائة مليون روبل بالعملة الصعبة كانت تنفقها على الاستيراد .

وقد تخرج ٤٨ ألف عامل ماهر ويدرس ٢٢ ألف عامل آخر فى المراكز التدريبية التى شيدت بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، وعددها الان ٢٣ مركزا وسيبنى ١٣ مركزا أخرى . وقد تم بناء وتشغيل مفاعل ذرى للابحاث النووية . قدرته الفا كيلوات ومختبر للفيزياء النووية . وتجرى بمساعدة الجيولوجيين السوفيت أعمال تنقيب واسعة النطاق ، تم نتيجة لها تحديد الاحتياطيات الصناعية من الفحم وخامات الحديد والفوسفات ، كما اكتشفت حقول بترولية جديدة .

ويقدم الاتحاد السوفيتى مساعدة تكنيكية لمصر لاستصلاح ٨٤ الف هكتار من الاراضى الصحراوية ، بهدف زرعها بالقطن، والحبوب ، وبنجر السكر ، والفواكه والخضروات . وقدم الاتحاد السوفيتى للشعب المصرى — كهدية من الشعوب السوفيتية — مجموعات من الماكينات والمعدات الزراعية لمزرعة آلية ضخمة لزراعة القطن ومحاصيل أخرى ، أنشئت فى الاراضى المروية .

■ المغرب ■

يقدم الاتحاد السوفيتى المساعدة للمغرب لبناء منشآت هيدروتكنيكية ، بغية زيادة مساحة الاراضى المروية ، ولتطوير الطاقة ولتحقيق هذا الغرض يجرى فى منطقة جنوبية جافة تتاخم الصحراء ويمر بها نهر ذرا بناء سد ارتفاعه ٧٠ مترا مع محطة كهرومائية ، ومد خط للتيار ذى الجهد العالى يبلغ طوله مائتى كيلو متر تقريبا ، سيدخل المحطة الجديدة فى شبكة الطاقة العامة بالمغرب . وسيسمح السد وخزان المياه الذى أنشىء قربه بتنظيم مجرى مياه نهر ذرا بهدف تنظيم رى الاراضى .

وستبنى محطة كهروحرارية قدرتها ١١٠ آلاف كيلووات قرب مناجم الفحم بشمال البلاد . وقد اضطلع فريق من الخبراء السوفيت فى ميدان التعليم الابتدائى والثانوى والعالى والمهنى ، باعداد توصيات حول تعديل نظام التعليم فى المغرب . وساعد الجيولوجيون السوفيت المغرب فى القيام بالاعمال للبحث عن البترول وخامات الكوبالت .

■ تونس ■

قدم الاتحاد السوفيتى مساعدة الى تونس فى انشاء المعهد التكنكى الوطنى ، وذلك وفقا لاتفاقية التعاون الاقتصادى والتكنكى بين البلدين . وهذا هو أول معهد عال فى تونس ، وهو يخرج مهندسين متخصصين فى أعمال البناء ، والميكانيكا والكهرباء ، ومهندسين زراعيين وخبراء فى الانشاءات الهيدروتكنيكية ، وقد دعى اساتذة سوفيت للتدريس فى المعهد .

ولقد كان السد الذى بنى عام ١٩٦١ على نهر كاسب والسدود التى شيدت على أنهار ريزالا وجومين وسجنان ، بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، كانت ذات أهمية كبيرة فى مجال توصيل المياه الى مدينة تونس ، ورى مساحات واسعة من المناطق ذات الكثافة السكانية العالية فى شمال البلاد حيث يعانى السكان من الجفاف .

وسوف تؤدى زيادة الانتاج الزراعى فى هذه المناطق الى امكانية تغطية نفقات انشاء السدود خلال بضعة أعوام .

وفى سنة ١٩٦٤ وجهت الحكومة التونسية الدعوة الى خبراء سوفيت للمساهمة فى اعادة تنظيم المؤسسات الصحية . ويعمل فى تونس أطباء سوفيت يقدمون خدمات طبية لسكان مختلف المناطق .

■ سوريا ■

يعتبر المجمع الكهرومائى على نهر الفرات المشروع الاول فى التعاون الاقتصادى بين الاتحاد السوفيتى وسوريا . ويضم المجمع سدا طوله كيلومترين ونصف كيلومتر ، وارتفاعه ٥٨ مترا ، ومحطة لتوليد الكهرباء قدرتها ثلاثمائة الف كيلووات ، وخزانا للمياه سعته ١٢ مليار متر مكعب . وسيتيح مجمع الفرات الامكانية لمضاعفة مساحة الاراضى المروية وانتاج الطاقة ، ويمكن الوصول بقدرة المحطة الى ثمانمائة الف كيلووات ، فى المستقبل عندما تزداد حاجة البلد الى الطاقة .

كما ساعد الاتحاد السوفيتى فى انشاء سد ومحطة « راستان » الكهربائية على نهر العاصى ، وقد ازدادت مساحة الاراضى المروية فى هذه المنطقة بمقدار عشرة آلاف هكتار . وساعد الجيولوجيون السوفيت على اكتشاف احتياطيات ضخمة من الفوسفات والملح الحجرى وخامات الحديد وحقول بترولية جديدة وتم اعداد خريطة جيولوجية لسوريا . لقد خلقت أعمال البحث والتنقيب التى جرت، قاعدة لتطوير صناعة الاستخراج .

وبدأت سوريا فى عام ١٩٦٨ باستخراج البترول وبلغت الكمية المستخرجة عام ١٩٧٠ ٤ر٥ مليون طن .

ويجرى بمساعدة الاتحاد السوفيتى مد خط للسكك الحديدية بين القامشلى واللاذقية وهو الخط الذى سيربط المناطق الداخلية بالبحر .

وقد تم مد جزءين يربط احدهما بين الطبقة وحلب ويربط الاخر بين طرسوس وعكارى مما سيسهل عمليات شحن البضائع الى سد الفرات .

وقد شغل عام ١٩٦٦ مصنع الكتل الخرسانية ، ويجرى بناء مصنع للمواد الازوتية ستكون له أهمية كبيرة لزيادة الانتاج الزراعى .

■ السودان ■

نزولا عند رغبة الحكومة السودانية تدم الاتحادالسوفيتى مساعدات لانشاء صومعتين للحبوب ومعمل للالبان والتعليب ومصنعين للفواكه والخضروات المعلبة ، ومصنع لانتاج البصل المجفف .

وقد تمكنت السودان بفضل انشاء هذه المشاريع ، من توسيع صادراتها وتعزيز مواقع القطاع العام فى الاقتصاد . كما أن تشغيل هذه المصانع قد ادى الى زيادة تشغيل السكان ، وظهرت لدى المزارعين ومربى الحيوانات سوق مستقرة لتصريف منتجاتهم وازداد حجم الانتاج الزراعى .

ويساعد خبراء سوفيت فى أعمال التنقيب الجيولوجى بالمناطق الجبلية على البحر الاحمر . كما يساعد الاتحاد السوفيتى السودان ، فى مجال انشاء مختبرات زراعية وتجهيز المختبرات المدرسية بالمعدات ، ودراسة الثروة السمكية فى البحر الاحمر وحوض النيل ، وتنظيم اعمال التخطيط الاقتصادى . ويجرى انشاء مستشفى للسل ومختبر بيطرى مركزى .

■ الجمهورية العربية اليمنية ■

يعد ميناء الحديدة العميق والذى انجزت اعمال البناء فيه عام ١٩٦١ اضخم وأهم مشاريع التعاون مع الاتحاد السوفيتى . ويمر عبر هذا الميناء القسم الاساسى من كافة بضائع الاستيراد والتصدير ، كما أن الميناء مصدر للحصول على العملة الصعبة . وقد شيدت بمساعدة الاتحاد السوفيتى شبكة لتزويد مدينة سخنة بالمياه وورشة لصنع البراميل المعدنية ستسمح لليمن بتخفيض نفقات استيراد مشتقات البترول ، كما يجرى بناء حى سكنى فى الحديدة .

وفى شهر فبراير عام ١٩٦٧ افتتحت ثلاث مدارس عامة تسع لالفى تلميذ ، شيدها الاتحاد السوفيتى هدية للشعب اليمنى . كما أهدى الاتحاد السوفيتى لليمن مستشفى مع مستوصف يعتبر من اكبر المؤسسات العلاجية باليمن ، وهو مجهز بأحدث المعدات الطبية .

ويقدم الاتحاد السوفيتى المساعدة لليمن لانشاء مصنع للاسمنت ومجمع لمؤسسات الثروة السمكية ، وقد تم شق طريق للسيارات بين الحديدة وتعز طوله ٢٠٠ كيلومتر تقريبا سيساعد على ربط مناطق جنوب تهامه بالبلاد وذلك لتلعب دورا فعالا فى الحياة الاقتصادية ، خاصة وأن فيها كافة المقومات الاقتصادية ، كما ان هذا الطريق سيزيد من اهمية ميناء الحديدة .

ويجرى فى تهامة استصلاح أراض لزراعتها قطنا .

■ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ■

تلعب الزراعة دورا حاسما فى اقتصاد هذا البلد . وبالرغم من ذلك لاتكاد توجد هنا منشآت للرى لمد الاراضى الجافة بالمياه . ولهذا السبب نصت اتفاقية التعاون الاقتصادى المعقودة فى فبراير ١٩٦٩ على أن يقدم الاتحاد السوفيتى مساعدة اقتصادية واسعة النطاق لتطوير هذا الحقل الاقتصادى بالدرجة الاولى . وقد تم بمساعدة الاتحاد السوفيتى بناء ثمانية سدود ، وحفر عشرين بئرا ارتوازية ستزود المزارع التعاونية الحكومية بالمياه .

ومن المقرر القيام بأبحاث هيدروجيولوجية فى وادى حضرموت ، وانشاء ثلاث محطات لاصلاح الالات الزراعية، وتنظيم تسمين لتربية الحيوانات والطب البيطرى ، فى محطة الابحاث العلمية الزراعية .

وسيتيح ذلك امكانية زيادة انتاج القطن وهو المحصول الرئيسى للتصدير وغيره من الغلات . وللمساعدة على حل المشكلة الغذائية لبى الاتحاد السوفيتى رغبة حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لانشاء صناعة وطنية فى حقل الثروة السمكية .

وقد وصلت من الاتحاد السوفيتى سفن لصيد الاسماك ومعدات للتدريب لمركز البحث العلمى فى عدن . وقد ساعدت سفينة « اربيل » السوفيتية على دراسة احتياطيات الثروة السمكية فى خليج عدن .

كما تقدم مساعدات لتطوير الاذاعة ، ويعمل فى مستشفيات اليمن الديمقراطية أطباء سوفيت ، كما تصل الى هذه المستشفيات مواد ومعدات طبية سوفيتية .

تعقيب

جاءنا من « مؤسسة الدراسات الفلسطينية — بيروت » التعقيب التالى :

حضرة الاستاذ لطفى الخولى المحترم
رئيس تحرير مجلة « الطليعة »
القاهرة

تحية طيبة وبعد ...

نشرت مجلة « الطليعة » ، فى عدد ديسمبر سنة ١٩٧٢ ، ص ١٢٩ ، تقريرا بعنوان : « جهود

اسرائيلية لتخريب المؤتمر العالمى للعدل والسلام فى الشرق الاوسط » ، وردت فيه [ص ١٣٠] الفقرة التالية : « الا ان الدعاية الصهيونية تركت آثارها الضارة فى بعض الدوائر العربية ، فاذا بنشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية تنقل عن الصحف الاسرائيلية هذه الشائعات كما وردت فى الصحف الاسرائيلية ، ودون الرجوع الى الجهات العربية المتصلة بهذه القضية » .

ويهمنا ، فى هذا الصدد ، أن نوضح الامور التالية :

أولا : ان نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية هى نشرة متخصصة ، تعنى بالشئون الاسرائيلية والصهيونية ، وتنقل عن المصادر الاسرائيلية ، وخصوصا باللغة العبرية ، نقلا أمينا ودقيقا ، نصوصا تعكس الاتجاهات الاسرائيلية [السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والاعلامية وغيرها] . ومهمة النشرة هى ان تضع بين أيدى المسئولين والباحثين والمتخصصين العرب ، صورة مكتملة ، بقدر ما تستطيع من جهد وما تملك من امكانات ، للمواقف والاتجاهات والاوضاع الاسرائيلية من مصادرها المباشرة ، لتسهم فى تكوين المعرفة الامينة والدقيقة بالعدو ، لكل الذين تتوجه اليهم ، سواء أكانوا يعملون فى المجال السياسى أو الاعلامى أو فى مجالات البحث المختلفة .

ثانيا : تقوم هيئة تحرير النشرة ، المؤلفة من متخصصين متفرغين فى قضايا الصراع العربى — الاسرائيلى [الفكرى والاعلامى] ، بعمل انتقائى لمادة النشرة ، قوامه تقديم المعلومات والنصوص التى تعكس المواقف والاتجاهات كما ترد فى عشرات الصحف والمجلات والنشرات الاسرائيلية والصهيونية الموضوعة بتصرف النشرة . وتتدخل هيئة التحرير للتوضيح أو التفسير أو التعليق ، خارج النص الحرفى ، فى حالات نادرة اذا وردت فى الاصول اشارات أو أسماء تستوجب ذلك .

ثالثا : الى جانب النشرة المحدودة الغرض ، تصدر عن المؤسسة ، كما تعلمون ، منشورات عدة ، بالعربية والانجليزية والفرنسية ، تتناول بالسرد والوصف والتحليل والتفنيد مختلف نواحى القضية الفلسطينية ، وهى جميعها ، بما فى ذلك النشرة ، تخدم الهدف الرئيسى : الصراع الفكرى والاعلامى ضد العدو ، بكل مضامين هذا الصراع الايديولوجية ، والسياسية ، والحضارية .. الخ .

رابعا : فى اطار المهمة المحددة للنشرة ، كما ورد أعلاه ، يندرج الموضوع الذى أشرتم اليه فى « الطليعة » ، فقد أوردنا حرفيا بعض ما كتبته المصادر الاسرائيلية فى هذا الصدد ، بالاضافة الى معلومات خاصة ، حصلت عليها النشرة من مصدر موثوق به ، ونحن على ثقة من أن هذه المعلومات أسهمت فى تسليط الضوء على مساعى التخريب الاسرائيلية ، وساعدت على لفت انتباه الجانب العربى اليها .

اننا نقدر الدور البارز الذى يقوم به الاستاذ خالد محيى الدين فى خدمة القضية العربية ، خصوصا على صعيد المؤتمرات الدولية ، ونرى أن من حقه الرد على ما ورد فى المصادر الاسرائيلية أو غيرها ، وليس للنشرة ان تتدخل فى هذا الامر ما دامت مهمتها تقتصر على النقل لتضع بين أيدى الباحثين والمعنيين مادة تفيدهم فى مجالات بحثهم أو نشاطهم .

كذلك يهمنا ان نؤكد تقديرنا للدور الكبير والمسئول الذى تضطلع به مجلة « الطليعة » فى النضال العربى ، ونتمنى ان تنشر فى عددها المقبل هذا التوضيح .

واقبلوا الاحترام .

محمود سويد

رئيس تحرير نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية





أوراق عن «المسألة الكردية»

□ بيان ١١ آذار

□ مذكرة القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي الموجهة الى الحزب الديمقراطي الكردستاني

في هذا العدد ، تقدم «الطليعة» وثيقتين هامتين ، تتعلقان بحل « المسألة الكردية » في العراق ، وهي « المسألة » التي شغلت ، ومازالت تشغل ، حيزا ملحوظا في اهتمام الراى العام العربى وحرصه على مسار حركة التحرر الوطني العربية ككل .

وتكتسب هاتان الوثيقتان أهميتهما من :

● حقيقة أن « بيان آذار » كان نقطة تحول أساسية في معالجة السلطة العراقيةلهذه «المسألة» الهامة .

● حقيقة أن الرسالة التى بعث بها حزب البعث العراقي الى الحزب الديمقراطي الكردستانى تتعلق بصعوبات وتطورات حل « المسألة الكردية » ، وبخاصة بعد وضع « بيان آذار » موضع التطبيق الفعلى .

وسوف تقدم « الطليعة » فى عددها القادم ، الرسالة التى بعث بها الحزب الديمقراطى الكردستانى ردا على رسالة حزب البعث ، ثم رد حزب البعث بدوره على رسالة الحزب الديمقراطى الكردستانى .

واذ تقدم « الطليعة » هذه الوثائق جميعا ، فانها تؤمن بأن حل « المسألة الكردية » ، قضية لا تتعلق فحسب بمسار حركة التحرر الوطنى فى العراق ، وانما ترتبط أشد الارتباط بالمسيرة العامة لحركة التحرر الوطنى العربية كلها .

والواقع ان كل تقدم يحرزه الشعب العراقي ، فانه مرهون بحل مشاكله هذه فى اطار وحدة ارض العراق وترابه الوطنى من جهة ، ونبذ كل ما يمكن أن يشكل تعسفا او اضطهادا قوميا من جهة أخرى .

□□ بيـــــان ١١ آذار □□

لقد كان المبرر الاول لثورة السابع عشر من تموز أنها جاءت تعبيرا عن سخط الجماهير العربية كافة على الاسباب والمسببين لهزيمة حزيران ومن اجماع الرأي الشعبي في العراق على ادانة الحكم الرجعي الفردي السابق بسبب مساهمته بدوره الانهزامي في هذه المحنة القومية . وذلك لعزلته التامة عن الشعب وعجزه المطلق على حل المشاكل الوطنية التي كانت تنخر في الكيان الوطني والتي كان حلها المقدمة الضرورية التي لابد منها لكل عزم صادق على تعبئة الطاقات البشرية والمادية في العراق جميعها ووضعها بدون اي شاغل في موضعها الطبيعي وبالدرجة الاولى في الخطوط الاولى للمعركة المصيرية للامة العربية .

لذلك وضعت الثورة نصب عينيها منذ أيامها الاولى واجب تحقيق الوحدة الوطنية للشعب العراقي دون أي تفريق بسبب الجنس أو اللغة أو الدين أو المنشأ الاجتماعي وتوفير جميع الشروط الضرورية السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تتطلبها مقومات هذه الوحدة لكي يستطيع العراق ان يتجه بكل طاقاته وامكاناته الى المعركة القومية المصيرية .. التي تمثل في نظر الثورة ذروة الصراع التاريخي المرير بين الاستعمار والصهيونية واطماعها الشريرة في الوطن العربي من جانب وبين مصالح تحرر الامة العربية وكفاحها من أجل أهدافها التقدمية الانسانية من جانب آخر .

ورغم تركة المعضلات الكثيرة المعقدة التي جابهتها الثورة منذ ميلادها ظلت ماضية بحزم وايمان في سبيل تحرير العراق من مخلفات الاستعمار والعمالة والطغيان السياسي والاجتماعي وفي العمل على توفير جميع الشروط الضرورية لبناء عراق جديد تتحقق فيه بصورة جدية المساواة الفعلية في الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص بين المواطنين .. وتنفتح فيه الآفاق أمام جماهير الشعب كافة خلال التزام وطني جماعي مخلص لوحدة تربة الوطن ووحدة شعبه وأهدافه الاساسية الكبرى – الوحدة القومية والحرية والاشتراكية .

ولقد كان حل المسألة الكردية في العراق في مقدمة المشكلات الوطنية التي واجهتها الثورة ولا سيما أن عدم قدرة العهود السابقة على تفهمها .. بل وعدم توفر الرغبة الصادقة في معالجتها ووضع الحلول الصحيحة لها لدى تلك العهود .. قد أديا مع ما رافقهما واحاط بهما من استغلال الاستعمار واعوانه وعملائه الى مزيد من التعقيد حتى غدت وكأنها معضلة شبه مستعصية وبخاصة بعد أن حل العنف منذ سنوات في معالجتها محل الحوار الديمقراطي الاخوي والموضوعي الذي تستوجبه طبيعة المشكلة الوطنية وما تنطوي عليه من حقوق مشروعة عادلة لجزء من الشعب العراقي .

لقد عملت الثورة منذ أيامها الاولى على معالجة هذه المشكلة الوطنية بروح مشبعة بالمسئولية وبأقصى حدود الالتزام بالمبادىء الديمقراطية الثورية .

ان الثورة التي تستقي من المعين النظري لحزب البعث العربي الاشتراكي تؤمن بأن الحقوق القومية هي حقوق ديمقراطية في جوهرها ومن مواضيعها احياء التراث الثقافي واللغة والتقاليد وممارسة الارادة الحرة وأن توطيد هذه الحقوق بين القوميات المختلفة لاسيما في الوطن الواحد يتطلب ايجاد السبل الهادفة الى تنظيم العلاقات بين هذه القوميات بصورة تساعد على نهوضها جميعا .

وان جميع المشاريع والخطط الهادفة الى اضعاف الروابط بينها وزرع بذور التفرقة لا تخدم المصالح المشتركة لابنائها .. كما أن تنظيم وتعزيز الروابط الوطنية والانسانية فيما بينها وجعلها في خدمة التقدم هي التي توفر أسباب وحدة الحياة الوطنية في جو مفعم بالتآخي القومي والسلام .

وكان من وحي هذه المبادىء أن بادر المؤتمر القطري السابع لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي انعقد في أواخر عام ١٩٦٨ ومطلع عام ١٩٦٩ الى تحديد موقف الحزب الايديولوجي والنظري من هذه المشكلة الوطنية والى رسم طريق الحل أمام الثورة والسلطة الثورية وذلك في المقررات التي صدرت في أعقاب ذلك المؤتمر التي تقول :

أكد المؤتمر على أن مسألة المطامح القومية للاكراد في العراق تقع في مقدمة المسائل التي تواجه حركة الثورة العربية .. وقد مضت عدة سنوات دون الوصول الى حل سليم لهذه المسألة مما الحق بالمواطنين العرب والاكراد نتيجة التعسف في حلها نكبات ومآس مروعة . وكانت قوى الاستعمار والرجعية وفصائل العملاء والانتهازية تستغلها دوما وتستثمر الاختناق في حلها للتدخل في شئون العراق والضغط عليه والتآمر على حقوق العرب والاكراد معا والحاق أفدح الاضرار بالمواقع والمكتسبات القومية والتقدمية والديمقراطية التي وصلوا اليها خلال عهود طويلة من التضحية والنضال المشترك . كما أكد المؤتمر على أن حزبنا الذي ينطلق في نضاله وسياسته من عقيدته القومية الانسانية الاشتراكية الديمقراطية كان يحترم دائما المطامح القومية للجماهير الكردية بمحتواها الوطني التقدمي ويعتبرها حقوقا انسانية مشروعة ويقدر العلاقة المتينة بين تحقيقها وبين قوة وسلامة مسيرة الجماهير الشعبية في العراق باتجاه تصفية مخلفات الاستعمار والتفرغ الكامل للمعركة القومية المصيرية الراهنة في فلسطين ، ومواصلة الكفاح التاريخي من أجل تحقيق الوحدة العربية والحرية والاشتراكية .

لذا فان الثورة تلتزم بداهة بمبادىء الحزب وقراراته قد أقرت للمواطنين الاكراد بحق التمتع بحقوقهم القومية وتطوير خصائصهم القومية في اطار وحدة الشعب والوطن والنظام الدستوري

وفي الوقت الذي تخوض فيه الامة العربية كفاحا واسعا ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية المحلية بخضمها في الخطوط الاولى من كفاح شعوب الشرق الاوسط حيث أن نضال الشعب العراقي الوثيق الارتباط مع كفاح الامة العربية في سبيل الديمقراطية ومقارعة القوى الرجعية في المنطقة العالمية – منها – والمحلية – فان الثورة تعتبر أن الاساس الاول للوحدة الوطنية العربية الكردية في العراق هو أن الحركة القومية الكردية كالحركة القومية العربية ديمقراطية موجهة ضد تلك القوى الرجعية ذاتها موضوعيا يشدها في العراق الى الحركة التحررية العربية وحدة الكفاح ضد الامبريالية والقوى الرجعية الاخرى الحليفة والتابعة لها . كما تربطها مع كفاح الشعب العربي تقاليد الاخوة التاريخية ووحدة المصالح الاقتصادية والتطور المتناسق بين القوميتين العربية والكردية .

وان أي اخلال بهذا التناسق سوف يؤدي بالضرورة الى الحاق الاذى بالكفاح المشترك والنهضة الوطنية التقدمية بوجه عام .

لقد أدرك الاستعمار أن وحدة الكفاح العربي الكردي تعزز حركة التحرر العربية الكردية وتمكنها من احراز مواقع هامة في وجه المشاريع العدوانية الامبريالية الصهيونية الاسرائيلية في المنطقة لا سيما بالنسبة للمعركة القومية المصيرية الراهنة الدائرة في فلسطين والبلدان العربية المحيطة بها .. لذلك استماتت الاجهزة الاستعمارية والعميلة لايجاد أكثر من سبب لفصم عرى التلاحم والتآخي بين الجماهير العربية والكردية بقصد اضعاف جبهة النضال الوطني الثوري في العراق .

وما دامت الثورة تنطلق في فهمها للمسألة القومية بأنها جزء من الثورة المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية

وبعد فلا مراء أن تلتزم الثورة في كل خطوة تخطوها في اتجاه حل المشكلة الوطنية الكردية بما يؤدي الى تعزيز وترسيخ الكفاح الوطني والقومي ضد تلك القوى اللا انسانية مجتمعة .

لذلك فان ممارسة الجماهير الكردية لمجمل حقوقها القومية وتحقيق التكافؤ المطلق في فرص التطوير الحر هما السبيلان الضروريان لتوحيد وتعزيز الكفاح الوطني في العراق ضد أعداء الشعوب وأعداء الامة العربية والشعب العراقي ، الاستعمار والصهيونية والرجعية العميلة .

ولم يكن مصادفة أن توقيت المؤامرة الاستعمارية الصهيونية الرجعية على الجمهورية العراقية في نفس الوقت الذي بدأت تظهر فيه بشائر السلام في ربوع شمالنا الحبيب بسبب المساعي المخلصة التي بذلتها حكومة الثورة والتجاوب المخلص من جانب قيادة السيد مصطفى البارزاني .

ولم يعد خافيا أن الثورة بادرت من جانبها لاتخاذ جميع الاجراءات الضرورية لاعادة أسباب الطمأنينة والسلام في ارجاء شمالي العراق اذ عملت على ما يلي :

[أ] فلقد تم الاعتراف بالوجود الشرعي للقومية الكردية وفقا لمقررات المؤتمر القطري السابع لحزب البعث العربي الاشتراكي ومن خلال جميع البيانات الرسمية والصحفية التي صدرت عن السلطة الثورية وسوف تتكرس هذه الحقيقة نهائيا في نصوص الدستور المؤقت ونصوص الدستور الدائم .

[ب] ولقد اقر مجلس قيادة الثورة انشاء جامعة في السليمانية وانشاء مجمع علمي كردي كما اقر جميع الحقوق الثقافية واللغوية للقومية الكردية فأوجب تدريس اللغة الكردية في جميع المدارس والمعاهد والجامعات ودور المعلمين والمعلمات والكلية العسكرية وكلية الشرطة .. كما أوجب تعميم الكتب والمؤلفات الكردية العلمية والادبية والسياسية المعبرة عن المطامح الوطنية والقومية للشعب الكردي ولتمكين الادباء والشعراء والكتاب الاكراد من تأسيس اتحاد لهم وطبع مؤلفاتهم وتوفير جميع الفرص والامكانيات أمامهم لتنمية قدراتهم ومواهبهم العلمية والفنية وتأسيس دار للطباعة والنشر باللغة الكردية واستحداث مديرية عامة للثقافة الكردية واصدار صحيفة اسبوعية ومجلة شهرية باللغة الكردية وزيادة البرامج الكردية في تلفزيون كركوك ريثما يتم انشاء محطة خاصة للبث التلفزيوني باللغة الكردية .

[ج] واعترافا للمواطنين الاكراد بحقوقهم في احياء تقاليدهم وأعيادهم القومية ومن أجل مشاركة الشعب كله في أعياد أبنائه قرر مجلس قيادة الثورة اعتبار عيد — النوروز — عيدا وطنيا في الجمهورية العراقية .

[د] كما اصدر مجلس قيادة الثورة قانون المحافظات الذي ينطوي على لا مركزية الادارة المحلية واقر استحداث محافظة دهوك .

[هـ] كذلك اصدر مجلس قيادة الثورة عفوا عاما شاملا عن جميع المدنيين والعسكريين الذين اشتركوا في اعمال العنف في الشمال ليزيل كل أثر من آثار الاوضاع السلبية الشاذة السابقة ويقيم معالم الحياة الوطنية الجديدة على أرضية وطيدة للامن العام والاخاء القومي الشامل .

ولقد استقبلت جماهير العراق العربية والكردية مقررات واجراءات مجلس قيادة الثورة بالتأييد والترحاب الامر الذي هيأ الظروف الملائمة للمضي قدما في تحقيق الغايات المثلى التي انعقد عليها اجماع الشعب وتضافرت حولها ارادته وقوته وكلمته .

لما تقدم فان مجلس قيادة الثورة اجرى اتصالات بينه وبين قيادة السيد مصطفى البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني وتم تبادل وجهات النظر واقتنع الجميع بضرورة قبول محتويات هذا البيان وتنفيذها . وهو يؤكد عزمه على تعميق وتوسيع الاجراءات الفعالة لاستكمال أسباب النهوض الثقافي والاقتصادي والتطور العام في المنطقة الكردية مستهدفا بالدرجة الاولى تمكين الجماهير الكردية من ممارسة حقوقها المشروعة واشراكها عمليا في المساهمة الجادة في بناء الوطن والكفاح من أجل أهدافه القومية الكبرى لذا قرر مجلس قيادة الثورة :

١ — تكون اللغة الكردية لغة رسمية مع اللغة العربية في المناطق التي غالبية سكانها من الاكراد وتكون اللغة الكردية لغة التعليم في هذه المناطق ، وتدرس اللغة العربية في كافة المدارس التي تدرس باللغة الكردية . كما تدرس اللغة الكردية في بقية أنحاء العراق كلغة ثانية في الحدود التي يرسمها القانون .

٢ — ان مشاركة اخواننا الاكراد في الحكم وعدم التمييز بين الكرد وغيرهم في تقلد الوظائف العامة بما فيها المناصب الحساسة والهامة في الدولة كالوزارات وقيادات الجيش وغيرها .. كانت وما زالت من الامور الهامة التي تهدف حكومة الثورة الى تحقيقها فهي في الوقت الذي تقر هذا المبدأ تؤكد ضرورة العمل من أجل تحقيقه بنسبة عادلة مع مراعاة مبدأ الكفاءة ونسبة السكان وما أصاب اخواننا الكرد من حرمان في الماضي .

٣ — نظرا للتخلف الذي لحق بالقومية الكردية في الماضي من الناحيتين الثقافية والتربوية توضع خطة لمعالجة هذا التخلف عن طريق:

[أ] الاسراع بتنفيذ قرارات مجلس قيادة الثورة حول اللغة والحقوق الثقافية للشعب الكردي وربط اعداد وتوجيه المناهج الخاصة بالشئون القومية الكردية في الاذاعة والتلفزيون بالمديرية العامة للثقافة والاعلام الكردية .

[ب] اعادة الطلبة الذين فصلوا أو اضطروا الى ترك الدراسة بسبب ظروف العنف في المنطقة الى مدارسهم بغض النظر عن أعمارهم أو ايجاد علاج ملائم لمشكلتهم .

[ج] الاكثار من فتح المدارس في المنطقة الكردية ورفع مستويات التربية والتعليم وقبول الطلبة الاكراد في الجامعات والكليات العسكرية والبعثات والزمالات الدراسية بنسبة عادلة .

٤ — يكون الموظفون في الوحدات الادارية التي تسكنها كثرة كردية .. من الاكراد .. أو ممن يحسنون اللغة الكردية ما توفر العدد المطلوب منهم ويتم تعيين المسئولين الاساسيين [محافظ .. قائمقام .. مدير الشرطة . مدير امن . وما شابه ذلك] ويباشر فورا بتطوير أجهزة الدولة في المنطقة بالتشاور ضمن اللجنة العليا المشرفة على تنفيذ هذا البيان بما يضمن تنفيذه ويعزز الوحدة الوطنية والاستقرار في المنطقة .

٥ — تقر الحكومة حق الشعب الكردي في اقامة منظمات طلبة وشبيبة ونساء ومعلمين خاصة به وتكون هذه المنظمات اعضاء في المنظمات الوطنية العراقية المتشابهة .

٦ — [أ] يمدد العمل بالفقرتين [١] و [٢] من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٥٩ والمؤرخ في ٥ — ٨ — ١٩٦٨ حتى تاريخ صدور هذا البيان . ويشمل ذلك كافة الذين ساهموا في أعمال العنف في المنطقة الكردية .

[ب] يعود العمال والموظفون والمستخدمون من المدنيين والعسكريين الى الخدمة ويتم ذلك دون التقيد بالملاك ، ويستفاد من المدنيين في المنطقة الكردية ضمن احتياجاتها .

٧ — [أ] تشكيل هيئة من ذوي الاختصاص للنهوض في المنطقة الكردية من جميع الوجوه بأقصى سرعة ممكنة وتعويضها عما

اضرابها في السنوات الاخيرة وتخصيص ميزانية كافية لتنفيذ ذلك وتكون هذه الهيئة تابعة لوزارة شئون الشمال .

الفقرة [ب] اعداد الخطة الاقتصادية بشكل يؤمن التطور المتكافيء لانحاء العراق المختلفة مع مراعاة ظروف التخلف في المنطقة الكردية .

الفقرة [ج] تخصيص رواتب تقاعدية لعوائل الذين استشهدوا في ظروف الاقتتال المؤسفة من رجال الحركة الكردية المسلحة وغيرهم وللعجزة والمشوهين بسبب تلك الظروف وفق تشريع خاص على غرار القوانين المرعية

الفقرة [د] العمل السريع لاغاثة المتضررين والمعوزين عن طريق انجاز مشاريع سكنية وغيرها تؤمن العمل للعاطلين وتقديم معونات عينية ونقدية مناسبة واعطاء تعويض معقول للمتضررين الذين يحتاجون المساعدة وينساط ذلك باللجنة العليا ويستثنى من ذلك من شملتهم الفقرات السابقة .

٨ - اعادة سكان القرى العربية والكردية الى اماكنهم السابقة اما سكان القرى الواقعة في المناطق التي يتعذر اتخاذها مناطق سكنية وتستملكها الحكومة لاغراض النفع العام وفق القانون فيجرى اسكانهم في مناطق مجاورة ويجرى تعويضهم عن ما لحقهم من ضرر بسبب ذلك .

٩ - الاسراع بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي في المنطقة الكردية وتعديله بشكل يضمن تصفية العلاقات الاقطاعية وحصول جميع الفلاحين على قطع مناسبة من الارض واعفاؤهم من الضرائب الزراعية المتراكمة عليهم خلال سنين القتال المؤسفة .

١٠ - جرى الاتفاق على تعديل الدستور المؤقت كما يلي :

[أ] يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية ويقر هذا الدستور حقوق الشعب الكردي القومية وحقوق الاقليات كافة ضمن الوحدة العراقية .

[ب] اضافة الفقرة التالية الى المادة الرابعة من الدستور تكون اللغة الكردية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية في المنطقة الكردية .

[ج] تثبيت ما تقدم في الدستور الدائم .

١١ - اعادة الاذاعة والاسلحة الثقيلة الى الحكومة ، ويكون ذلك مرتبطا بتنفيذ المراحل النهائية من الاتفاق .

١٢ - يكون احد نواب رئيس الجمهورية كرديا .

١٣ - يجرى تعديل قانون المحافظات بشكل ينسجم مع مضمون هذا البيان .

١٤ - اتخاذ الاجراءات اللازمة بعد اعلان البيان بالتشاور مع اللجنة العليا المشرفة على تنفيذه لتوحيد المحافظات والوحدات الادارية التي تقطنها كثرة كردية وفقا للاحصاءات الرسمية التي تجرى وسوف تسعى الدولة لتطوير هذه الوحدة الادارية وتعميق وتوسيع ممارسة الشعب الكردي فيها لمجمل حقوقه القومية ضمانا لتمتعه بالحكم الذاتي . والى ان تتحقق هذه الوحدة الادارية يجرى تنسيق الشئون القومية الكردية عن طريق اجتماعات دورية تعقد بين اللجنة العليا ومحافظي المنطقة الشمالية . وحيث أن الحكم الذاتي سيتم في اطار الجمهورية العراقية فان استغلال الثروات الطبيعية في هذه المنطقة من اختصاص سلطات هذه الجمهورية بطبيعة الحال .

١٥ - يساهم الشعب الكردي في السلطة التشريعية بنسبة سكانه الى سكان العراق .

أيها المواطنون الاكراد :

أن هذه المكتسبات التي انجزتها الثورة لن تكون اكثر من مرقاة لبلوغ كامل اهدافكم القومية في ظل هذا الوطن المفدى ووحدة شعبه العظيم .

وسوف يشهد التاريخ انه ما كان لكم ولن يكون ابدا . اخا مخلصا . وحليفا دائما كالشعب العربي .

يا جماهير شعبنا العظيم :

أن ارادتكم في الوحدة الوطنية هي وحدها التي ستنتصر . وسوف تتحطم على صخرة وعيكم لمسئولياتكم التاريخية جميع المحاولات الرامية الى اضعاف تلاحمكم الكفاحي . ان جموعكم المناضلة تنفض اليوم عن كاهلها غبار مكائد اعدائكم والطامعين فيكم لتسير معا كتلة واحدة تفيض بالتوق والوعي وارادة العمل والكفاح لنصرة قضية الامة العربية الكبرى .. فلسطين . ولتحقيق اهدافكم السامية في الوحدة والحرية والاشتراكية .

ياجماهير امتنا العربية المناضلة :

هكذا تنتهي صفحة من صفحات تاريخ هذا القطر المناضل لتفتح بيد الثورة ايدى جميع المناضلين الاحرار من ابناء هذا القطر صفحة جديدة مشرقة ، تتجدد فيها مرة اخرى فوق هذه الارض الطيبة . شروط المحبة والسلام والتآخي بين قوميتين لهما تاريخ كفاحي مشترك طويل عبر التاريخ وسوف يكون لهما اليوم وغدا والى الابد شرف احياء نضالهما المشترك من اجل القضاء على اعداء القوميتين .. أعداء الشعوب والانسانية جمعاء : الاستعمار والصهيونية والتخلف وشرف الاسهام المشترك في دعم الكفاح الانساني من اجل التحرر والتقدم وترسيخ حضارة العصر على اسس الحق والمساواة والعدل بين الشعوب كافة .

فالى نضال مشترك .. وآمال مشتركة وانتصارات قومية وانسانية مشتركة .

مجلس قيادة الثورة ١١/٣/١٩٧٠

■ ■

مذكرة القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي الموجهة الى الحزب الديمقراطي الكردستاني

ايها الاخوة :

نحييكم ونحيي كافة اعضاء حزبكم ، ونبعث اليكم بهذه الرسالة ، بعد ان تعرضت العلاقات فيما بيننا الى تصدع كبير ، آملين ان تساعد العلاقات على المسارعة في ايقاف التدهور ، وتحديد بناء هذه العلاقات على قواعد ثابتة من الايمان بأن الاساس الذي لا اساس سواه للتحالف بين حزبينا ، ولتحقيق الاخاء القومي والمساواة التامة بين جماهير شعبنا العربية والكردية .. **هو النضال المشترك والمخلص من اجل ترسيخ وحدة السيادة الوطنية للجمهورية العراقية ، والمحافظة على وحدة ارضها وشعبها .. في ظل ثورة السابع عشر من تموز المجيدة : وفي اطار اهدافها التي حققت مكاسب تقدمية كبرى : كان من اهمها وابرزها بيان ١١ آذار التاريخي.**

واسباب التدهور معروفة لكلينا ، وسبق ان بحثت مرارا مع اغلبية اعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني ، وبخاصة مع السيد البارزاني .

واننا اذ نعود لعرض الامور التي تثير القلق في نفوسنا برسالة مكتوبة ، فذلك من اجل ان تكون وجهة نظرنا واضحة تماما امام جميع رفاقكم ، لكي تتوفر لهم فرصة الاطلاع على وجهة النظر هذه ، وعلى الاسباب الموضوعية التي ادت الى التدهور الذي ما زال

بالامكان تلافيه .. ولكي تكون جماهير حزبينا على بينة كامله بالعوامل التى تهدد عملية بناء السلام ، حتى يكون لها دورها الايجابى فى السعى الى اعادة بناء التحالف بين حزبينا على اسس وطنيــة نضالية وطيدة ، وفى تهيئة الظروف الملائمة لبدء علاقات قائمــة على الثقة التامة ، وعلى الحرص على تعزيزها وتطويرها نحو الانفضل لما فيه مصلحة الشعبين العربى والكردى ، ومصلحة العراق التقدمى المزدهر ، سيما وان عدم الاستجابة الجدية لضرورةتجاوز السلبيات قد بات يهدد امن الدولــة ومســتقبل التعاون فيما بيننا .

وما من شك فى ان **الصراحة والمجابهة الموضوعية بنقاط الخلاف والتنــاقض ، والاخلاص للحقيقة والحرص على وحدة هذا الوطن ومستقبل شعبه ، هى المعايير الوحيدة التى يمكن اعتمادها فى الكشف عن الاسباب الحقيقية التى ادت الى تصدع العلاقات فيمــا بيننا** : ومن ثم الوصول الى وضع الحلول العملية الكفيلة بحل الكثير من المشاكل والمعضلاتالتى نعــانى منهــا كثيرا .. معتقدين ، بل جازمين ، بأن المشاكل والمعضلات مهما كبر حجمها ، فان القــدرة على حلهــا وتجاوزها ــ عندما تتوفر الرغبة الاكيدة لذلك ــ تبقى هى الاقوى والاكثر فعالة وجدوى .

أيها الاخوة :

من اجل ان نعرف الاسباب الحقيقية للاوضاع المتردية ، **لابد من العودة الى الماضى القريب** لادراك مغزى الاحــداث فى اطارها التاريخى الموضوعى ، لتلافى اى احتمال بعودة عقارب الساعة الى الوراء .

وبالنسبة الينا ، فان ثمة وقائع قــد تفيد العودة الى التذكير بها ، منها ان الثورة حينما اقدمت على بدء حوار معكم للوصول الى حل للمسألة الكردية ، **لم تنطلق من مواقع الضعف ولا من مواقع السلبية** ، وانما تنطلق من موقع مبدئى وايجابى ، هو موقع الالتزام الثابت بمبادئها القومية والانسانية الثورية ، وكذلك التزامها بمبادىء الاستقلالوالوحدة الوطنية والنهج الديمقراطى والتحولات الاجتماعيةالمتقدمة ، والحرص علىارساء الاخوة العربية الكردية على اســاس وطيد من السلم ، والتقدم ، بوضع حل صحيح يشــكل ردا حــازما على عوامل الانقســام والاقتتال بين الاخــوة ابناء الوطن الواحد .

ومن الجلى ان موقف الثورة هذا ، لم يكن بفعل الصدفة ، ولا نتيجة العوامل والظروف الطارئة الخاصة .. **بل كان موقفا منبثقا عن نهج استراتيجى مبدئى** ينطلق من ايمان حزبنا وسلطة ثورتنا بالحقوق المشروعة للاكراد ضمن الاطار الوطنى الصــحيح الذي يؤمن عــوامل الرســوخ لوحدة الجمهورية العراقية على كافة الاصعدة والمستويات .

وقد حسد حزبنا موقفه من قضية الحقوق القومية للاكراد منذ البداية فى بياناته وقراراته ، كما جاء ذلك مثلا **فى بيان القيادة القومية حول بيان ٢٩ حزيران عام ١٩٦٦ : وفى بيان المؤتمر القطرى السابع عام ١٩٦٩ .. الخ .**

فحزبنا ــ حزب الثورة العربية ــ يشجب تماما الاضــطهاد القــومى الذى كرسه الاستعمار ، ويؤمن بضرورة التآخى القومى بين القوميات والاقليات القوميةفى اطار الوطن الواحد والدولة الواحدة .

وفى بلد كالعراق تتعايش فيه عدة انتماءات قومية ، تشكل مسألة تأمين الحقوق القومية حجر الاساس فى ضمان الوحدة الوطنية .

لذلك ، فان سلطة الثورة انطلقت فى حوارها معكم بوحى من هذه الافكار ، وبشعور موضــوعى بأنكم تمثلون قــوة اساسية تؤثر سلبا او ايجسابا على مستقبل القضية الكردية ، سواء اكان ذلك فى المرحلة الراهنة او فى مراحل اخرى .

وبانتهاجنا اسلوب الحوار الموضوعى الهادف ، عبرت الثورة عن رغبتها فى تحقيق سلام دائم فى المنطقة الشمالية من ارض الوطن **على اساس ضمان تمتع الشعب الكردى بحقه فى الحكم الذاتى فى اطار الوحدة الوطنية والشعبية ووحدة السيادة الوطنية للعراق : كما اقر ذلك المؤتمر القومى العاشر لحزبنا.**

واذا كان للحل السلمى الديمقراطى للمسألة الكردية قد جاء بعد مرور فترة على قيام ثورة السابع عشر من تموز ، فهذا لا يعنى ان الحل لم يكن فى مقدمة مهمات الثورة ، فلقد سبقت اعلان بيان ١١ آذار التاريخى **مجموعةمن الاجراءات الايجابية المهدة** .. وقد كان الحوار معكم على المشاركة بالحكم على اساس بأن ٢٩ حزيران اول خطوة الثورة فى هذا السبيل .

علما بان مطالبكم لم تكن حينذاك تتجاوز ماتضمنه بيان ٢٩حزيران منبنود، مع اننا كنا نعتبر هذه البنود لا تشكل اقرارا كافيا بالحقوق القومية للاكراد ، ولا تضمن اخوة راسخة وعلاقات متينة بين العرب والاكراد فى اطــار هــذا الوطن .

لذلك فقد اعلنت ثورة السابع عشر من تموز ، منذ يوم انتصارها الاول عن تبنيها الكامل لبيان ٢٩ حزيران ، مؤكدة بذلك مواقفها السابقة التى كنتم على علم بها من خلال اللقاءات التى كانت تحصل فيما بيننا قبل ثورة ١٧ تموز ، والتى اسفرت عن اشتراككم فى الوزارة التى شكلت بين ١٧ ــ ٣٠ تموز.

ولكننا فوجئنا ــ للاسف ــ بعدم استعدادكم للمشاركة فى الحكومة التى قامت اثرانتفاضة الثلاثينمن تموز ١٩٦٨، مع ان هذه الانتفاضة استهدفت عناصر اليمين والرؤوس الرجعية والمشبوهة التى حاولت العبث فى الثورة وحرفها ، وحسمت الامور لصالح الجماهير وقضية تحررها الوطنى والقومى والاجتماعى .

ورغم هذا الموقف ، فقد بذلنا الكثير من الجهود دون جــدوى لحملكم على مراجعة هذا الموقف من اجل المساهمة الجدية فى المسئولية .. **وحافظنا ــ رغم استمرار السلبية ــ على استعدادنا للحوار معكم** من اجل الوصول الى فهم للاسباب العميقة التى تكمن وراء موقفكم المذكور .

غير ان القضــية لم تبق فى هــذه الحدود من الموقف السلبى ، **بل عملتم على تصعيد ذلك الى مدى أكثرخطورة..** عندما قمتم بنسف انابيب النفط باشراف اعضاء فى المكتب السياسى لحزبكم ، مما كشف لنا بأنكم لم تعودوا مستعدين لحل المشاكل بالطرق السلمية .

وبالفعل فقد **واصلتم ممارسة بعض الاعمال التخريبية** كنسف خطوط السكك الحديدية اضافة الى اعمال اخرى عديدة كانت تهدف الى تدمير الاقتصاد الوطنى ، مما لا يمكن معه لاية سلطة تحترم مسئوليتها أن تتغاضى عن ذلك .

لذلك وجدنا انفسنا امام احد خيارين: اما السكوت عن هذه الاعمال وبالتالى تعريض امن الدولة وسلامتها الى الخطر او نختار مكرهين طريق الرد عليها ، والمحافظة على هيبة الدولة ووحدة الوطن .. وكان لابد من الجنوح الى الحل الثانى رغم مرارته .

فى مثل تلك الاوضاع تجدد القتال رغم اننا كنا غير راغبين فى ان نسلك ذلك السبيل لقناعتنا الكاملة بأن السلم هو المناخ الضرورى لحل المسألة الكردية حلا صحيحا ، ومعالجة الاسباب التى ادت الى القتال معالجة جذرية .

انكم على علم بأن **اعدادا كبيرة من المواطنين الاكراد كانوا يقفون الى جانب السلطة عند تجــدد القتال** ، وبالذات الجناح الثانى لحــزبكم فى ذلك الحين الذى كان يقوده الاستاذان ابراهيم احمد وجلال الطالبانى ، وعدد كبير من المواطنين الاكراد .

ومع كل هذا ، فاننا كنا على يقين من ان حل المسالة الكردية لا يمكن ان يقوم على اسس صحيحة **ما لم تعالج الاسباب التى ادت الى حمل السلاح بالاساس .**

وفى ذلك كتبت جريدة حزبنا «الثورة» سلسلة من المقالات تحت عنوان « كيف السبيل الى حل المسألة الكردية » ــ اوضحت فيها موقف الحزب بصورة لاتقبل اللبس .

وعبرت عن ايماننا الراسخ بأن الطريق الى السلام العادل هو طريق اقرار وتنفيذ الحقوق القومية المشروعة للاكراد ، وأن

ى اضطهاد قومى مضا كان شكله لابد ان يدفع الى مواصلة النضال بصورة مشروعة للتخلص منه .

ورغم ظروف القتال فان سلطة الثورة **لم تغير قناعتهـا بمشروعية الحقـوق القومية للاكراد التى تضمنها بيان ٢٩ حزيران ، لا بل تجاوزت عمليا احكام ذلك** البيان .

وليس خافيا على احد ان الثورة قد اصدرت ابان تلك الظروف بعض القرارات التى تتعلق بالحقوق القومية للاكراد ، والتى لم يتضمنها بيان ٢٩ حزيران :

— كالاعتراف بالحقوق الثقافية للشعب الكردى .
— وانشاء مجتمع علمى كردى .
— وتأسيس جامعة السليمانية .
— واستحداث محافظة دهوك .
— واعتبار ٢١ آذار « عيد نوروز » عيدا وطنيا للشعب فى عموم القطر العراقى .
— واعلان العفو مرات متعددة عن المشتركين فى حوادث الشمال .

ان تلك الاجراءات التى ذكرت على سبيل المثال لا الحصر قد تمت قبل اعلان بيان الحادى عشر من آذار التاريخى . وهى فى جوهرها **جزء من برنامج سياسى كامل كانت الثورة قد اعدته لحل المسألة الكردية** . وماكان بيان ١١ آذار الا التجسيد العملى له .

ولا حاجة ان نكرر القول : **ان الخطوط العريضة لهذا البرنامج كانت راسخة فى تصور حزبنا قبل تسلمه الحكم** ، لذلك لم يؤثر القتال الذى تجدد فى الشمال بعد تسلم حزبنا للحكم على ايمانه بوجوب التوصل الى حـل سـلمى ديمقـراطى للمسألة الكردية لان القضايا المبدئيـة لا تؤثر عليها فى نظرنا الاحداث الطارئة .

وقد تبلور — رغم كل ماحدث — اتجاه **نحو بدء حوار معكم مرة اخرى** ، ذلك لاننا لا ننكر ان اى حل يتجاهلكم كحزب سياسى قد يؤدى الى زرع العقبـات امام تطبيق الحقوق القومية للاكراد وامام تحقيق السلم الوطيد . كما ان بقاء قوة اساسية من الحركة الكردية بعيدة عن المساهمة فى اقرار السلام سوف يعرقل مهمة السلام ويشكل ثغـرة بارزة فى هذه الحلول .

وفى ظل هذه الاوضاع **انعقد المؤتمر القومى العاشر لحزبنا** من « ١ — ١٠ » آذار ١٩٧٠ ودرس من جديد المسألة الكردية وقضية المطامح القومية للجماهير الكردية فى العراق واطلع على نتائج الحوار الذى جرى بين سلطة الثـورة وقيادة الحركة الكردية ، واكد ان اعلان الحل السلمى الديمقراطى لهذه المسألة على اساس الحكم الذاتى ضمن الوحدة العراقية بما يحقق افضل شروط التعاون والتآزر بين القوميتين العربية والكردية **يجب ان يكون فى مقدمة انجازات الحزب** .

ومن المعلوم اننا منذ تخلنا معكم فى بحث جدى للوصول الى حل لهذه المسألة **لم نجد ان النقاط التى كانت مثار خلاف اساسى بيننـا وبينكم تتعـلق بالحقوق القومية للاكراد** ، وانما كانت وبشـكل اساسى ، تدور حول قضية مستقبل العلاقة بين السلطة وبين جماعة الاستاذين ابراهيم احمد وجلال الطالبانى وكذلك مستقبل العلاقة مع رؤسـاء الفرسان السابقين .

ولا شك انكم تعلمون ان الحوار الذى جرى مع الاخ دارا توفيق **لم يتضمن من جانبكم مسالة الحكم الذاتى واقتصر على مطاليب مرحلية ولكننا اوضحنا لكم ان هذه المطاليب ليست كل شىء فى نظرنا** . فلقد كان تصورنا يتجاوز منذ البداية هذه المطاليب ، ويؤكد ان الحل الجذرى للمسألة الكردية هو الحل الوحيد الذى لايمكن استبداله بانصاف الحلول والهدنات المؤقتة .

وبالنسبة لاثارتكم قضية العلاقة مع الجنـاح الثـانى للحـزب الديمقراطى الكردستانى فى ذلك الحين ، كنا نعتقد ان هذه القضية ثانوية بالاساس ، وما كان تصورنا انها يمكن ان تفوق فى اهميتها عندكم مسألة الحل السـلمى الديمقراطى للقضية الكردية التى هى قضية الشعب الكردى بمجموعه .

وكنا نرى انه من غير الجائز تحميل المواطنين « سواء فى الجنـاح الثانى لحزبكم أو من الفرسان » تبعة عمل تتحمل مسئوليته جميع الاطـراف بمـا فيهـا الحكـومة . اضـافة الى شعورنا بأن صيانة السلم تقتضى توفير الاجواء اللازمة لتحقيق الوحدة الوطنية ، وشمول كافة الفصائل الوطنية عربية او كردية بهذا الحق . كما ان انجاز الحل السلمى الديمقراطى هو لضمان حقوق الجماهير الكردية وليس لفئة منها .

وانسجاما مع سياستنا العامة فى تجنب الوقوع فى نقاط خلاف معكم ، **وافقنا على رايكم وعرضنا عليكم رغبتنا فى اجراء مصالحة وطنية بينكم وبين خصومكم من الاكراد** الذين يستحيل ان لا يكونوا الا اكرادا اولا ، ولا يجوز وصمهم بالخيانة الوطنية لمجرد اختلافهم معكم فى وجهات النظر ثانيا ، ولان موقفكم من هؤلاء يجب ان ينسجم مع الموقف الذى سيؤدى اليه الحل السلمى نفسه ثالثا .

ولكن مع الاسف **لم نلق ردا ايجابيا** ، بل على العكس لم يكن لديكم اى استعداد لسماع اى رأى بهذا الشأن .

وما ان مرت فترة وجيزة على اعلان بيان آذار حتى وصلتنا اخبار تفيد **بأن مصالحة بين السيد البارزانى وخصومه من رؤساء الفرسان قد تحققت** ، وان السيد البارزانى قدم لهـؤلاء الاموال والسلاح عند زيارتهم له .

وبعد فترة بدأت اتصالاتكم مع الجناح الثانى — الحزب الديمقراطى الكردستانى لتحقيق المصالحة بينكم وبين قيادته .

ومع رغبتنا الصادقة والمخلصة فى تصفية جميع المشاكل والسلبيات والاحقاد الموجودة بينكم وبين خصومكم من الاكراد وغيرهم فاننا لم نكن نسـتطيع تفسـير موقفكم فى رفض كل المساعى التى بذلت من قبلنا من اجل تحقيق المصالحة بينكم وبين خصومكم ، ومن ثم اقدامكم على تحقيق نفس المهمة **الا بانه نوع من المناورة ، تهدف الى اعطاء الحل السلمى طابع الانتصار وفرض الحل ، لا طابع الوفاق الوطنى الديمقراطى** .

تلك كانت الثغرة الاولى التى كشفت سلبية النوايا وتجاهلكم لمواقفنا الايجابية الثابتة فى سبيل الحل السلمى للقضية الكردية وتصويره كأنه انتصار خاص بكم لذلك صرنا نشعر بعدم الاطمئنان الى سلامة نواياكم ، **حيث ان المسلك الذى سرتم فيه ما كان يدل على وجود رغبة حقيقية فى اقامة تحالف وطنى مخلص ووطيد** .

ولعلنا تساءلنا ونتساءل ، اذا كان الحل السلمى للقضية الكردية انتصارا وطنيا عاما ، وانتصارا للوضع السياسى الذى يحقق هذا الحل ، فلماذا كان نهجكم يقوم على تجريد الوضع السياسى من علاقاته الايجابية ، لاسيما مع الاوساط الكردية خارج حزبكم ؟ الا يعنى ذلك محاولة لزرع التعقيدات فى وجه النظام الذى تقع على عاتقه مهمة انجاز هذا الحل ؟

وهل من مصلحة الحـركة الكـردية اشعار الثورة بأن المتاعب التى تضعونها بوجهها هى كالمتاعب التى تلاقيها السلطات السابقة فى ظروف الاقتتال ، وكأن السلم والحرب ، والحل الصحيح للقضية الكردية واللاحل امور متشابهة سواء بسواء .

وانه لامر يدعو الى الدهشة ان يكون الشخص وطنيا او عميلا تبعا لنوع علاقته بحزبكم وبمعزل عن الثورة والظرف العام الذى أوجدته لصالح الحركة الكردية ، كما انه امر يثير الدهشة ايضا **ان تنظروا نظرة غير موضوعية لكل من له علاقة بالسلطة مع انكم جزء من هذه السلطة وتشاركون فى مختلف اجهزتها .. ؟**

ويجرى ذلك كله حتى بعد بيان ١١ آذار وليس قبله ، ودون تمييز بين السلطة التى تشن ضد الاكراد قهرا قوميا والسلطة التى تلتزم بامـانة بالحقـوق القومية للاكراد ، وتتحمل مسئولية تخطى جميع الحواجز والعقبات لتوطيد السلام .

ولكى لا تضيع القضايا الاساسية من خلال عرض القضايا الثانوية ، لابد من اعادة عرض الامور مجددا وبصراحة ووضوح راجين ان يتسع وقتكم ايهـا الاخوة لدراسة ملاحظاتنا بجد واهتمام . **نحن نعتقد باننا متفقون على أن بيان**

١١ آذار قد انطوى على مقسالتين اساسيتين ترتبط احداهما بالاخرى بشكل وثيق : وهما :

[أ] ضمان الحقوق القومية المشروعة للاكراد .

[ب] ترسيخ وحدة العراق . اى وحدة الشعب والوطن والنظام الدستورى ضمن منطق سيادة القانون ومركزية السلطة ، هذا المنطق الذى يستحيل بدونه قيام او استمرار وجودها .

ففيما يتعلق بالحقوق التى تضمنها بيان ١١ آذار يمكن تعداد ما انجز منها خلال الفترة التى اعقبت صدور البيان حتى الان :

١ — تعديل الدستور المؤقت بما يؤكد الوجود القومى للاكراد وفقا لبيان آذار .

٢ — اتخاذ الاجراءات القانونية التى تضمن جعل اللغة الكردية لغة رسمية مع اللغة العربية فى المناطق التى غالبية سكانها من الاكراد ، كما انها اصبحت لغة التعليم فى هذه المناطق .

٣ — مشاركة الاخوة الاكراد فى الحكم وفى الوظائف العامة ، وفى المجالس التخطيطية .

٤ — تعيين موظفين اكراد فى الوحدات الادارية التى تسكنها كثرة من الاكراد او ممن يحسنون اللغة الكردية .

٥ — اصدار نظام جديد لمديرية الدراسة الكردية ضمن احداث تغيير شامل فيها وجعلها قادرة على النهوض بمسئولياتها .

٦ — تسمية المدارس بالاسماء التاريخية والجغرافية والوطنية الكردية .

٧ — ادخال الكتب الكردية فى المكتبات العامة والمدارس .

٨ — تعيين اعداد كبيرة من المعلمين فى المدارس التى تدرس باللغة الكردية .

٩ — استحداث مديرية للثقافة الكردية فى وزارة الاعلام .

١٠ — تأسيس دار التضامن للطباعة والنشر الكردية .

١١ — اصدار مجلة كردية باسم « به يان » وجريدة باسم « هاوكارى » من وزارة الاعلام .

١٢ — السماح باصدار الصحف والمجلات الناطقة باللغة الكردية مثل برايەتى ، بيرىنوى ، شمس كردستان ، له ستيره .

١٣ — زيادة البرامج الكردية فى تليفزيون كركوك .

١٤ — اجازة جمعية الثقافة الكردية .

١٥ — تأسيس اتحاد الادباء الاكراد .

١٦ — السماح بتشكيل منظمات طلبة وشبيبة ونساء ومعلمين خاصة بالشعب الكردى .

١٧ — اعادة الطلبة الذين فصلوا او اضطروا الى ترك الدراسة بسبب ظروف العنف الى مدارسهم ومعاهدهم بغض النظر عن اعمارهم .

١٨ — اعفاء كافة المشمولين « مدنيين وعسكريين » بسبب حوادث الشمال من الاحكام القضائية التى كانت قد صدرت بحقهم من المحاكم المختصة .

١٩ — تعيين المعلمين والمضمدين من خريجى الدورات اللانظامية .

٢٠ — اعادة العمال والموظفين والمستخدمين من المدنيين والعسكريين الاكراد الى الخدمة دون التقيد بالملاك ، مهما كانت مساهمتهم فى اعمال العنف فى المنطقة الكردية ،بالاضافة الى اصدار قرارات خاصة من السيد رئيس الجمهورية ونائبه تضمنت اعادة عدد كبير من العسكريين والمدنيين الى الخدمة بصورة استثنائية رغم عدم وجود اية علاقة لقضاياهم بحوادث الشمال وذلك استجابة لرغبة حزبكم والسيد البارزانى .

٢١ — تخصيص رواتب تقاعدية لعوائل الذين استشهدوا فى ظروف القتال ومصابى حوادث الشمال المؤسفة ، وصرف رواتبهم اعتبارا من مارس ٧١ عند انتهاء المعاملة التقاعدية لكل منهم .

٢٢ — اعفاء كافة العسكريين الاكراد الهاربين من الخدمة بسبب حوادث الشمال من الاسلحة والتجهيزات التى كانت بذمتهم .

٢٣ — اعفاء كافة الاكراد المشاركين بحوادث الشمال من ادارة الخدمة العسكرية الالزامية [او دفع البدل النقدى] .

٢٤ — تعيين ستة آلاف بيش مركة مسرح كحرس حدود فى [١٢] فوجا ، واصدار قانون خاص بهم وبتصنيفهم واعتبارهم جزءا من القوات المسلحة العراقية .

٢٥ — تخصيص « ٥٠٫٠٠٠ » خمسين الف دينار شهريا كمخصصات مقطوعة لـ ٥٠٠٠ خمسة آلاف بيش مركة مسرح شهريا على اساس « ١٠ » عشرة دنانير لكل منهم شهريا لحين ايجاد الاعمال المناسبة لهم .

٢٦ — تخصيص مبلغ يتراوح بين — « ٣٠ — ٥٠ » الف دينار شهريا لمقر السيد البارزانى .

٢٧ — احتساب مدة الغياب عن العمل فى فترة الاقتتال ، بالنسبة للعمال لاغراض التقاعد والضمان الاجتماعى ، بالاضافة الى احتساب فترة مشاركة الموظفين والمستخدمين المدنيين والعسكريين فى الحوادث خدمة لاغراض الترفيع والتقاعد والعلاوة .

٢٨ — اصدار قرار خاص للفلاحين الاكراد المتخلفين عن تسديد ديون المصرف الزراعى بسبب حوادث الشمال يمكنهم من استئناف نشاطهم الزراعى ، وذلك بمنحهم سلفا اضافية دون التقيد بالحد الاعلى لمبالغ التسليف بحيث تكفى [السلفة الاضافية الجديدة] لتسديد ما بذمتهم وتمكينهم من معاودة نشاطهم الزراعى ثانية .

٢٩ — البدء بتطبيق الاصلاح الزراعى فى المنطقة الشمالية رغم العراقيل التى توضع أمام تنفيذه وانجاز المشاريع الزراعية ومشاريع تربية الحيوانات .

٣٠ — تم اعداد الخطة الاقتصادية [الممولة مركزيا وذاتيا] بما يؤمن التطور المتكافىء لانحاء العراق المختلفة مع مراعاة ظروف المنطقة الكردية .. واذا كان لكم رأى آخر خلاف ذلك ، فنحن على استعداد لبحث جميع الاقتراحات التى تقدمونها بهذا الصدد .

٣١ — تم تشكيل هيئة لاعمار الشمال ، ووضعت المبالغ اللازمة تحت تصرفها لكى تقوم بانجاز المشاريع الضامنة لتعويض المنطقة الكردية عما اصابها من أضرار خلال السنوات الماضية ، اضافة للمشروعات المقررة فى الخطة الاقتصادية .

٣٢ — تم انجاز الكثير من المشاريع اللازمة لتعويض المنطقة عما اصابها من اضرار وتخلف ، وبخاصة مشاريع السكن والخدمات .. فقد تم انشاء [١٢] الف دار للذين فقدوا بيوتهم بسبب الحوادث المؤسفة ، وبناء الكثير من المدارس الابتدائية والثانوية ، وانشاء الكثير من المستوصفات والمراكز الصحية والمستشفيات ،وتأسيس المراكز الصحية، وحفر الآبار الارتوازية ،وانشاء الاسواق العصرية ، وانشاء مشاريع كثيرة للماء والكهرباء ، وانشاء الطرق والجسور ، وانشاء خطوط للمواصلات اللاسلكية ، وانشاء الكثير من مشاريع السياحة والاصطياف .. واخيرا تم اقرار انشاء فندق سياحى كبير فى صلاح الدين بكلفة مليون دينار .

٣٣ — أما بالنسبة لتصنيع المنطقة الكردية ، فقد تم انشاء خمسة مراكز لانتاج السجاد اليدوى فى اربيل وكويسنجق وراوندوز ودهوك والعمادية ، كما تم انشاء قسم لانتاج الغزل فى اربيل ، وتطوير معمل كبير للالبان فى اربيل ، واكمال بناية معمل النجارة فى اربيل .

وسينتهى قريبا بناء معمل لانتاج سكر البنجر فى السليمانية ، وتوسيع معمل أسمنت سرجنار ،وكذلك بناء معمل لتنقيح التبوغ فى السليمانية ، وانشاء مدجن فى اربيل .

كما سيباشر قريبا بانشاء معمل للنسيج الصوفى فى اربيل ، وكذلك قسم لانتاج الملابس الكردية فى دهوك ، وانشاء معمل كبير للتعليب فى حرير ، ومعمل للتعليب ومعجون الطماطة فى دهوك ، ومعمل للسكاير الحسنة فى اربيل .. وستباشر وزارة النفط قريبا انشاء خزانات للوقود فى سرجنار لضمان تزويد المنطقة الشمالية ، وبالاخص محافظة السليمانية ، بالانواع المختلفة من الوقود .. كما سيعرض على مجلس التخطيط قريبا مشروع تصنيع الرخام فى اربيل .

هذا ؟ ومن المعلوم ان التوزيع الجغرافي لمشروعات التنمية : سواء الممولة مركزيا او الممولة ذاتيا ، تبين بوضوح بان معدل ما يصيب الفرد الواحد في المنطقة الشمالية من تلك المشروعات يزيد عن المعدل العام للقطر .

اما بالنسبة للبنود التي تضمنها بيان الحادي عشر من آذار ، **ولم يتم تنفيذها الى الان** ، فسنذكرها مع الاسباب التي ادت الى تأخير تنفيذها .. وهي :

١ — مساهمة الاكراد في السلطة التشريعية :

اننا نعتبر ان مساهمة الاكراد في السلطة التشريعية حق طبيعي تعمل سلطة الثورة على توفيره بأقرب فرصة ، وقد اخبرناكم منذ البداية **اننا حريصون على** قيام المجلس الوطني بأسرع وقت ، ولكنكم تدركون معنا بأن هذا المجلس يجب **ان يكون مؤسسة للوفاق الوطني وليس للتناقض السلبي** ، حتى يساهم مساهمة فعالة في تعبئة الطاقات وحشدها لتعزيز مواقع الثورة وحماية مكاسب الجماهير وتعميقها .

لذلك كان تقديرنا ان قيام المجلس الوطني **ينبغي أن يعقب الاتفاق على ميثاق العمل الوطني** .. كما أبلغناكم في حينه .

اما بالنسبة لصلاحيات المجلس الوطني ، فاننا لا زلنا ملتزمين بما تم الاتفاق عليه في بيان آذار ..واذا كان لكم رأي خلاف ذلك ، فنحن مستعدون لدراسة جميع الاقتراحات التي تتقدمونها بهذا الخصوص .

٢ — اما بالنسبة لتعيين نائب رئيس الجمهورية ، **فان من حقكم أن تختاروا من يمثلكم ، ولكننا في حالة اختيار المسئولين الاساسيين في الدولة ،** لا ينبغي أن نوضع في زاوية حرجة .. **ونحن قد اقترحنا لاشغال هذا المركز باحد اثنين من الشخصيات الكردية المعروفة ، واحدهم عضو في اللجنة المركزية لحزبكم** ، ولكننا لم نتلق ردا على ذلك .

ومع ذلك ، نحن على استعداد لتنفيذ هذه الفقرة بالتشاور ، حسبما جاء في بيان آذار .

٣ — وبالنسبة لتعيين مدراء الامن في المنطقة الشمالية ، **ففي الوقت الذي** نؤكد حرصنا على مشاركة اخواننا **الاكراد في جميع مؤسسات الدولة ،** بما فيها اجهزة الامن ، **الا اننا لا نستطيع** أن نتجاهل **أن الاوضاع الراهنة التي تسود المنطقة الكردية ، وطبيعة علاقات وروابط الحركة الكردية لا تشجع على وضع هذا النص فورا موضع التنفيذ ..** وحالما تتوفر ظروف صالحة لانجازه ، فنحن لا نتردد مطلقا في تنفيذه .

٤ — وبالنسبة لتعديل قانون المحافظات بما ينسجم مع مضمون بيان آذار ، فنحن مستعدون لاتخاذ الاجراءات الضامنة لتنفيذ هذه الفقرة .. ومستعدون في الوقت نفسه لدراسة كافة الاقتراحات التي تقدمونها بهذا الخصوص .

٥ — اما بالنسبة لاجراء الاحصاء في المناطق المختلطة لتحديد المناطق التي تقطنها كثرة كردية ، فنحن لا زلنا على استعداد لوضعه موضع التنفيذ ، ونحن لم نبحث معكم مسألة تأجيل الاحصاء .. **الا بعد ان ابلغ السيد مصطفى البارزاني الرفيق مرتضى الحديث بأنكم لستم مستعدين للموافقة على نتائج الاحصاء اذا كانت تشير الى وجود كثرة عربية في المناطق التي يجرى فيها الاحصاء ..** ومع ذلك فنحن على استعداد لاجراء **الاحصاء عندما تزول العقبات التي تعترض القيام به ، وعلى أساس اعتبار احصاء سنة ١٩٥٧ هو الاساس الذي يحدد** سكن المواطنين في هذه المناطق أم عدمه ، وايقاف عمليات استيطان المواطنين العرب والاكراد في المناطق المختلطة .

٦ — وبالنسبة لتطبيق الحكم الذاتي .. فبالرغم من أن المدة المحددة لتحقيقه هي أربع سنوات ، أو بعد تحقيق الوحدة بين العراق وأي قطر عربي آخر .. **فنحن نعتبر ان تنفيذه باسرع وقت ممكن بشكل تجسيدا لارادة حزبنا وتنفيذا لقرار هام من قرارات المؤتمر العاشر لحزبنا .**

كما يعبر عن ايمان حزبنا بالمساواة القومية ، وبحرصه على الاخوة العربية الكردية ، وعلى الوحدة الوطنية .

لهذا فنحن في الوقت الذي نعمل فيه على توفير **كل المستلزمات الضامنة** لانجازه ، **نؤكد أن تطبيق الحكم الذاتي بالنسبة الى الثورة هي مسالة مبدأ وقناعة واستراتيجية ، وهي تتعلق بموقفكم** بمقدار ما تعجل هذه المواقف تؤخر في تطبيقه .

فما لا شك فيه انكم حينما تكونون الجهة الاساسية في تحمل مسئولية الحكم الذاتي ، **فلابد ان تكونوا مطالبين بتنفيذ جميع الالتزامات التي تساعد على دفع الامور بايجابية نحو قيامه في اسرع وقت ممكن .**

ايها الاخوة :

اننا اذ نذكركم بما انجز من بنود بيان آذار وما لم ينجز **لا ننسى موقفكم غير المشجع** ، والظروف التي أشرنا اليها ، والتباسات العلاقة بين حزبكم وبين حزبنا وسلطة الثورة ، حيث لو سادت علاقات بمستوى مضامين بيان ١١ آذار لامكن انجاز بنود البيان بكاملها .

وفيما يتعلق بالفقرة الثانية : التمسك بوحدة العراق ، اى التمسك بوحدة الشعب .. وحدة الوطن .. وحدة النظام الدستوري .. **فاننا لا نجانب الحقيقة اذا قلنا : انكم لم تخطوا خطوة واحدة على هذا الطريق .**

● **ولعل في مقدمة المسائل التي كانت** — وما زال — **تشكل خرقا فاضحا لابسط** مقومات الوحدة الوطنية ووحدة السيادة للدولة العراقية .. **هي مسالة العلاقات الخارجية التي تربط حزبكم بالرجعية الحاكمة في ايران .**

واذا كانت قيادة حزبكم قد برزت لنفسها في الماضي اقامة علاقات مع الحكومة الايرانية الرجعية ، فانه لايمكن أن يكون مقبولا بحال من الاحوال استمرار هذه العلاقة بعد بيان ١١ آذار ، علما بأن مثل هذه العلاقة لا يمكن ان تحصل بسبب حاجات النضال القومي الكردي ، بل هي اساءة له .

ومع ذلك فكان أقل ما يفترض تحقيقه هو أن تقطع نهائيا هذه العلاقات بعد اعلان السلام ، وتقدم مسيرة الثورة في مراحل تنفيذ بيان ١١ آذار ، لاسيما وان الرجعية الايرانية كانت اول من تآمر على الثورة وعلى الجماهير الكردية في نفس الوقت ، لكي تحول دون السلام وتقطع الطريق على بيان ١١ آذار قبل أن يولد .

ويمكن تعداد **بعض مظاهر العلاقة** هذه بما يلي :

١ — تدفق الاسلحة الايرانية بكميات كبيرة الى المنطقة الشمالية ، لاسيما في فترة ازدياد حدة الصراع بين الثورة وبين الحكومة الايرانية الرجعية .

٢ — وصول الاسلحة الثقيلة والخفيفة الى قواتكم عن طريق ايران . ووصول جهاز اذاعة جديد .

٣ — تدريب الكثير من افراد [البيش مركه] على مختلف الاسلحة في ايران ، وبخاصة الاسلحة الثقيلة .

٤ — ارسال بعض الطلبة الاكراد من منتسبي حزبكم الى الكليات العسكرية الايرانية .

٥ — قيام بعض العناصر المعروفة لكم بارتباطها بايران ، والتي تحتل بعض المواقع عندكم بنقل المعلومات العسكرية التي تخص الجيش العراقي .

٦ — الوقوف الى جانب القوات المسلحة الايرانية في بعض حالات الصدام على الحدود ، ووصل الامر الى حد تمكين بعض القوات المسلحة الايرانية من احتلال جزء من الاراضي العراقية في منطقة خانقين .

٧ — قيام عدد من عناصركم الحزبية والمسلحة المعروفة باستقبال عناصر من المخابرات الايرانية ضمن الاراضي العراقية ، وايوائها ومصاحبتها اثناء وجودها داخل الاراضي العراقية .

٨ — دخول البضائع الايرانية والاسرائيلية المهربة الى المنطقة الشمالية بحيث أصبح النفوذ الاقتصادي لايران كبيرا جدا .

٩ — ترويج العملة العراقية المزورة ، والتي تطبعها المخابرات الايرانية بقصد تحطيم النقد العراقي .

١٠ — ارسال المرضى ، وبخاصة المسئولين في حزبكم ، الى ايران للعلاج في المستشفيات الايرانية .

١١ — تسهيل سفر بعض المواطنين الى الخارج عن طريق ايران ، خلافا لقرار مجلس قيادة الثورة بمنع السفر

بعد قرار التأميم التاريخي .

١٢ — ازدياد نفوذ المخابرات الايرانية على جميع المنطقة الواقعة تحت نفوذ الحركة الكردية ، وبالشكل الذى جعلها تقوم بأعمال اختطاف وقتل عناصر من ابناء الشعب ، واخرى من القوات المسلحة .

١٣ — دخول الاجانب الى المنطقة الكردية عن طريق ايران .

١٤ — تسليم الوطنيين الايرانيين الهاربين من الحكم الرجعي الايراني الى حكومة الشاه ، وسجن وقتل القسم الاخر منهم .

١٥ — الزيارات المتبادلة بين بعض عناصر قيادة حزبكم وبين المسئولين الايرانيين .

وربما يدعي البعض أن هذا الموقف جاء بعد تدهور العلاقات، ولكننا نستطيع التأكيد **بان موقفكم هذا كان — ومازال — قائما حتى فى اكثر الظروف ايجابية .**

● اما فيما يتعلق بالممارسة اللاشرعية التي تشكل انتهاكا لاى التزام باحلال سلطة الدولة محل أية سلطة اخرى ، وتجاوزا صارخا على مهامها ، يمكن ايجازها بما يلى :

١ — عدم تسليم المخافر العراقية الكائنة على الحدود الايرانية لقوات الجيش للقيام بحماية الحدود ومراقبتها.

٢ — عدم السماح للقوات المسلحة بالتدريب والتمركز فى اماكن معينة من وطننا ، وتحريم المرور من مناطق اخرى، حتى لاى من العاملين فى اجهزة الدولة.

٣ — منع موظفى الدولة من اداء واجباتهم فى المناطق الخاضعة لنفوذ الحركة الكردية ، مثل موظفى الاصلاح الزراعى والمالية ، وحتى الفرق الصحية التى تهدف الى وقاية ومعالجة الاكراد .

٤ — اعتقال المواطنين وسجنهم ، وحتى « اعدامهم » .

٥ — اقامة السجون .

٦ — فرض الضرائب .

وباختصار توجد احصائية تقريبية تبين عدد الجرائم المرتكبة من قبل منتسبى حزبكم : جرائم القتل [٣٧٩] حادثة ، وجرائم الخطف [٢١٩] حادثة ضحيتها [٥٦٦] شخصا ، منهم ٤٩٩ مواطنا مدنيا و٤٧ عسكريا ومواطنا حكوميا و٢٠ مناضلا ايرانيا ، وعدد حوادث الاعتداء [٤١٩] ، وعدد حوادث الاغتصاب [١٥٧] ، وعدد حوادث السلب [٢٩] .. اضافة الى حوادث التخريب المشار اليها سابقا : [١١] حادثة تخريب فى السكك والقطارات ، [٦] حوادث تخريب فى منشآت الكهرباء ، [٠٣] حوادث تخريب فى القناطر والجسور والطرق ، [٢٥] حادثة تخريب مختلفة .

● وفيما يتعلق بأمن الثورة وسلامتها، يمكن ذكر القضايا التى **لا تدل على حرص حزبكم على توطيده وتعزيزه** ، ان لم يكن العكس هو الصحيح ... وملها ؟

١ — ايواء العناصر والفئات المعادية للثورة وتزويدها بالمال والسلاح ، وتكليفها بالمهام التى تعرض امن الثورة وسلامتها للخطر ، سواء اكانت هذه العناصر والفئات من العرب او الاكراد .. من العراقيين او غيرهم .

٢ — اقامة الصلات مع بعض الاقطار المجاورة ، عربية او اجنبية ، للتآمر على الثورة واقامة العلاقة مع القوى التى تمارس نشاطا تآمريا ضد الثورة من خارج الحدود ، مع العلم ان هذا النشاط تقوم به ابرز العناصر فى المكتب السياسى واللجنة المركزية لحزبكم .

٣ — الاستمرار فى توزيع الاسلحة الخفيفة والقنابل والالغام على منتسبى حزبكم وعلى مؤيديه .

٤ — فتح معسكرات للتدريب على الاسلحة الثقيلة ، فى الوقت الذى تم الاتفاق على تسليم الاسلحة الثقيلة التى كانت تستعمل قبل بيان ١١ آذار .

٥ — تشكيل افواج جديدة من البيش مركة .

٦ — دعوة العسكريين للهروب من وحداتهم النظامية عند حصول أية ظاهرة سلبية ، مما بدأ يؤثر على الضبط العسكرى ، وجعل العسكريين الاكراد يشعرون بأنهم فى مأمن من العقوبات عند ارتكابهم المخالفات وخرقهم الضبط العسكرى ، وتشجيعهم على كتابة التقارير من نشاطات الجيش وخططه واسلحته ، وما ترتب على ذلك من تسريب هذه المعلومات الخطيرة الى جهات اجنبية معادية .

٧ — محاولة نسف انابيب النفط فى فترة انذار الشركات فى شهر أيار ١٩٧٢

٨ — محاولة نسف بعض القواعد الجوية .

٩ — نسف خطوط السكك الحديدية .

١٠ — افتعال المشاكل واثارة الفتن والاضطرابات [حوادث خانقين ، حوادث بعشيقة ، حوادث سنجار .. الخ] .

١١ — الاعتداء على حياة المسئولين الاداريين .

١٢ — الاعتداء على أجهزة الامن والاستخبارات .

● **وفيما يتعلق بامن المواطنين وحياتهم يمكن ان نسجل ما يلى :**

١ — خطف المواطنين الذين يشك حزبكم بأنهم يتعاطفون مع سلطة الثورة وتعذيبهم وقتلهم .

٢ — انتهاك افراد البيش مركة وبعض الاغوات لاعراض المواطنين الاكراد بشكل واسع فى المناطق التى يسيطرون عليها.

٣ — حرق القرى الكردية المعروفة بموالاة سكانها للسلطة ، وضرب المواطنين فى هذه القرى بالمدافع ، انطلاقا من النهج الراهن لحزبكم والقائم على الانتقاع واذلال المعارضين والانتهازية للتوازع الحقد .

٤ — تشريد المواطنين الاكراد من قراهم .

٥ — القاء المتفجرات والقنابل على بيوت العناصر الكردية التى لا تأتمر بأوامركم .

٦ — تهديد المواطنين الذين تشتبهون بتأييدهم للسلطة .

٧ — عسكرة البيش مركة الذين من المفروض انهم قد سرحوا فى الكثير من القرى الكردية وعيشهم عالة على المواطنين وفرضهم الاتاوات عليهم .

● **وفيما لو تناولنا موضوع وحدة الاتجاه لمسيرة سلطة الدولة ، نستطيع التاكيد ان المنطقة الشمالية تسير وفق منطق بعيد عن روح الثورة ونهجها .** ويمكن توضيح ذلك بالادلة التالية :

١ — عدم خضوع الكثير من الاداريين الاكراد من منتسبى حزبكم ، للسلطة المركزية .

٢ — عدم التزام حرس الحدود بواجباته ومهماته ، وعدم الانصياع للاوامر الادارية الصادرة من الجهات المسئولة ، واستخدامكم لهم فى المعارك والخصومات العشائرية وجمع الاتاوات والاعتداء على المواطنين .

٣ — وضع العقبات فى طريق تنفيذ قانون الاصلاح الزراعى ، الامر الذى تؤكده الادلة التالية :

[ا] التصدى المقصود لعمليات الاصلاح الزراعى من قبل حزبكم والبيش مركة المسرحين ، حتى ان بعض المناطق فى السليمانية على الحدود الايرانية لم تستطع دوائر الاصلاح الزراعى تنفيذ احكام القانون فيها .

[ب] جباية الضريبة الزراعية تحت عنوان جباية الزكاة من المزارعين والفلاحين العرب والاكراد فى المنطقة الشمالية بواسطة البيش مركة ومنع دوائر الدولة من تحصيل هذه الضريبة باستمرار .

[ج] التصدى باستمرار للجان الاستيلاء والتوزيع وفرق المسح فى المنطقة .

[د] اختطاف بعض منتسبى الاصلاح الزراعى واجراء التحقيق معهم بغية ارهابهم من أجل تمرير الامور التى تريدونها اثناء التطبيق .

[هـ] عدم مساعدة لجان البحث والتوزيع فى معرفة هويات الفلاحين المراد توزيع الاراضى عليهم بهدف وضع العراقيل امام لجان التوزيع وخاصة فى محافظة دهوك .

[و] وضع العقبات فى طريق الحقوق الثقافية للاقليات القومية .

● **اما على صعيد السياسة العامة للحزب الديمقراطى الكردستانى ، ففى الوقت الذى يشارك حزبكم فى الحكم ، فانه يمارس دور الاحزاب المعارضة .** وذلك واضح من الامثلة التالية :

١ ــ اصدار البيانات والتعليمات التي تضمن الكثير من المغالطات والاخبار غير الصحيحة حول سلطة الثورة .

٢ ــ اصدار التعليمات الداخلية التي توحي بالتحفظ من المعاهدة العراقية السوفيتية .

٣ ــ عدم ارسال برقية من قبل السيد البارزاني والمكتب السياسي بتأييد تأميم النفط .

٤ ــ اثارة بعض المسائل التي تدلل على نهج انعزالي كالحديث عن حصة [الشمال] من النفط المؤمم ، في جريدة التآخي .

٥ ــ الموقف السلبي من مسألة الجبهة الوطنية التقدمية وقضية الاتفاق على ميثاق العمل الوطني .

٦ ــ تجاهل الاعتداءات الايرانية المتكررة على الحدود وعدم استنكارها حتى في جريدتكم التآخي .

٧ ــ طرح القضايا المطلبية والامور التي تظهر حزبكم بموقف المعارض في الظروف الدقيقة والحرجة التي يتعرض فيها البلد الى مخاطر استعمارية رجعية وجريدة التآخي زاخرة بالامثلة على ذلك .

● **اما في مجال الحرص على الثورة ، فنحن نؤكد ان الحزب الديمقراطي الكردستاني اخذ يتعامل مع الثورة وكأنه حزب هدفه كسب المؤيدين بأي شكل حتى وان كان ذلك بطريقة غير مشروعة . وعلى حساب الثورة** ، والادلة على ذلك هي :

١ ــ تقديم اسماء كثير من السجناء الاكراد المحكومين بجرائم عادية باعتبارهم مشمولين بحوادث الشمال !

٢ ــ تقديم اسماء ما يقدر بـ ١٢٠ الف مواطن باعتبارهم من البيش مركة المسرحين وذلك لاعفائهم من الخدمة العسكرية بالاضافة الى ان اغلبهم ممن ثبت عدم وجود علاقة لهم بالبيش مركة علما ان عددا كبيرا منهم من العرب .

٣ ــ تحويل عمل المكاتب الحزبية لحزبكم من مهام التوعية والتثقيف السياسي للجماهير الى التدخل بمهام الحكم اليومية للمواطنين ، بشكل غير منسجم مع الاصول المتعارف عليها في العلاقة بين اية دولة ومواطنيها .

٤ ــ تقديم اسماء كثيرين على انهم شهداء ليصار الى منح عوائلهم رواتب تقاعدية بدون حق .

٥ ــ تبني قضايا الاكراد الموالين لكم سواء اكانت حقا أم بطلا .

● **اما من زاوية الحرص على تنفيذ بيان آذار فيمكن ان نذكر ما يلي :**

١ ــ عدم تسليم الاسلحة التي تم الاتفاق عليها فقد سلمت وجبة واحدة من أسلحة مستهلكة بالاساس ، لم تكن تستعمل من قبلكم اثناء الحوادث المؤسفة

٢ ــ عدم تمكين النازحين بسبب حوادث الشمال من العودة الى ديارهم ، بل على العكس فقد تم تهجير الوف من المواطنين بعد بيان آذار ، ولازالت الوف العوائل الكردية دون مأوى بسبب سياسة الاضطهاد التي يمارسها حزبكم ضد العناصر غير الراغبة في الامتثال لاوامركم

٣ ــ عدم تعاونكم مع اللجان والهيئات التحقيقية التي شكلت للتحقيق فيما اوردتموه من معلومات عن محاولات لاغتيال السيد البارزاني ، بل وصل الامر الى حد وضع العراقيل أمامها لانشال مهمتها .

٤ ــ تمكين الاقطاعيين من السيطرة على أراضي ومزارع الفلاحين في بعض المناطق التي يقطنها الاكراد .

● **وعن حرصكم على الاخوة العربية الكردية وتعزيز الوحدة الكفاحية بين العرب والاكراد** يمكن تسجيل ما يلي :

١ ــ السياسة الانعزالية التي يمارسها حزبكم في التثقيف الجماهيري ، سواء اكان ذلك التثقيف جاريا على صفحات النشرات الداخلية ، أو في مجلة حزبكم الداخلية [الكادر] أو في المجلات والصحف الجماهيرية ، كشمس كردستان وبرايه تي .

٢ ــ انتهاج سياسة التمييز بين الموظفين الاكراد والعرب في المنطقة الشمالية ، ومحاولة اثارة المشاكل بوجه الموظفين العرب العاملين في هذه المنطقة .

٣ ــ اثارة الاتهامات الباطلة حول تعريب بعض المناطق المختلطة ، واتخاذها ستارا لتكريد هذه المناطق وكذلك المناطق التي يقطنها العرب .

● **الموقف السلبي الصريح من الثورة على الصعيد الخارجي** اذ لم يعرف لاجهزة حزبكم في الخارج موقف على الاطلاق الا وكان الى جانب اعداء الثورة ومعارضيها . وليس أدل على ذلك من حملات التشهير والافتراء التي تشنها جمعيات الطلبة الاكراد في الخارج والتي لها علاقات وثيقة بحزبكم وبالاحرى توجه بشكل أساسي من قبل منظمات حزبكم في الخارج ، هذا فضلا عن الاحراجات التي سببها حزبكم للحكومة العراقية أمام الدول الاخرى من جراء اقدامه على اعتقال مواطنين يحملون جنسيات اخرى ، بل واقدامه على « اعدامهم » أيضا في بعض الحالات .

اما عن مفهومكم للحكم الذاتي فيكفي أن نذكر المشاكل والعراقيل التي تثار أمام الجيش العراقي عند قيامه بالتدريب والمناورات في المنطقة الشمالية .

فاذا كان هذا هو الوضع في المرحلة الحاضرة ، فكيف سيكون يا ترى شكل الحكم الذاتي الذي يريده حزبكم !

وأمام هذه القضايا الكثيرة التي تثار في هذه الرسالة فقد تقولون أن حزب البعث العربي الاشتراكي يحاول تبرئة نفسه من مسئولية المساهمة في تدهور الاوضاع ؟ أو على الاقل لم يحاول التذكير بقسطه من المسئولية في تردي هذه الاوضاع .

ونحن في الوقت الذي نذكر هذه القضايا لا ندعي اننا لم نقع في اخطاء ، ولا نريد من ذلك أن تكون القضايا المطروحة لاثارة المباراة بيننا وبينكم حول اي جهة تتحمل مسئولية اكثر ، ولكنا نريد أن يكون كل شيء واضحا اكثر من اي يوم مضى من أجل أن تتبلور قناعة مشتركة حول حجم المشاكل التي نعاني منها والتي يتوقف على حلها استقرار الحل السلمي وتحقق أغراضه الوطنية .

ايها الاخوة :

نحن ندرك تماما ان القوى التي تضررت بالسلام ستبذل كل الجهود التي تمكنها من نسف بيان آذار ، وأن القوى الشوفينية والانعزالية لن تحجم عن اتباع أية وسيلة من أجل تجديد القتال .

ونحن لا ننكر أن في أجهزة الدولة عناصر ليست على مستوى بيان آذار التاريخي ، وليست على مستوى استيعاب الحقوق القومية للاكراد ، وأن البعض منها ربما وجد في تصرفاتكم التي اشرنا اليها ما دفعه الى أن يمارس أعمالا مشابهة للرد على تلك التصرفات والاعمال اللامشروعة .

ولقد اخبرناكم منذ الساعات الاولى لاعلان بيان آذار ، بأن الوصول الى السلام أمر يسير ولكن المحافظة عليه قضية كبيرة تحتاج الى عقول كبيرة ونفوس كبيرة بمستوى هذا الحدث . وأن هذا البيان هو أمانة ومسئولية في أعناق جميع الذين يحرصون على وحدة العراق وضمان مستقبله وحقوق شعبه .

نحن لا ننكر وقوع بعض أجهزة الحزب والدولة في بعض الاخطاء ، وقد عملنا على معالجة الكثير منها في حينه ، ومازلنا نعمل من اجل معالجة كل خطأ نقع فيه . وكنا نعرف أن وقوع الاخطاء أمر محتمل ، ذلك أن سنوات عديدة من القتال لابد أن تترك آثارا سلبية على العلاقات التي تربط بين الحركة الكردية وبين الاجهزة التي تتحمل مسئولية التنفيذ ، كما أن الاجهزة التي تتحمل مسئولية التنفيذ كما تعلمون لم تكن اساسا مكونة لتنفيذ برامج الثورة ومشاريعها وانما تشكلت بالاساس ومنذ السابق لتنفيذ برامج وسياسيات جاءت الثورة اصلا من اجل ازاحتها .

ومن الطبيعي أن تقع الحركة الكردية في اخطاء قد تكون كثيرة ، وليس هناك خشية من وقوع هذه الاخطاء ، عندما تتوافر الرغبة المخلصة في تصفيتها ، وتتخذ الاجراءات اللازمة لمحاسبة المخطئين ومعاقبتهم .

ولكن من غير الطبيعي أن تزداد الاخطاء ، ولا يجد المخطئون من يردعهم بل تبرر أعمالهم . **ونحن لا يمكن ان**

تلهم اسباب اضاعة الخط البيانى للاخطاء وعدم محاسبة المخطئين بـل تشجيعهم على ارتكاب المزيد من الاخطـاء وتوفير الحماية لهم ولا نرى فى ذلك الا دليـلا على عدم الحرص على صـيانة السـلام والوحدة الوطنية .

ومن البديهى أن تجر الاخطـاء التى ترتكبها الحركة الكردية الى اخطاء مقابلة واذا كنا لا نعتقد بصواب مقابلة الخطأ بالخطأ **فان الواقع يشير الى كثير من الاخطاء التى وقعت فيها بعض اجهـزة الدولة كانت رد فعل لاخطـاء الحـركة الكردية .** ولقد أدى تـكرار الاخطـاء من قبلكم .وتراكمها ، الى عدم امكانية التفريق بين العناصر التى تندفع بردود الفعل وبين العنـاصر التى تقـرب عن عمد ، فضلا عما ولده ذلك من احراجات **لنا ، جعلت مهمتنا فى تصحيح الاخطاء** وتمنع عمليات التخريب مهمة شاقةوصعبة لان مثل هذه المهمـة ليس من السـهل اداؤها كما ينبغى ، فى جو عام وواسع من الاساءات والاخطاء التى ترتكب ضد اجهزة الدولة ، وضد المواطنين .

ولعل من المفيد ان نشير هنا الى ان القضية الكردية كانت تحظى بعطف كبير فى أوساط حزبنا ، كمـا كانت تحظى بعطف كبير أيضـا بين الجماهير العربية ، وقد لمستم بأنفسكم المشاعر التى يحملها العرب وفى طليعتهم حزب البعث العربى الاشتراكى تجاه مسألة الحقوق القوميـة للاكراد وكذلك مسألة احلال السلم فى شمال الوطن : وليس غريبا هذا الموقف ، ولكن الغريب ان لا يكون الموقف مثـل هـذا .

ان الروابط التاريخية التى تربط شعبنا بعربه واكراده والاخوة الـكفاحية التى جسدت علاقاتهما هى التى جعلت العرب والاكراد يشعرون بوحدة المصير وبالفرح لكل نصر يتحقق لكل منهما وكليهما .

وبدافع حرصنا على الاخوة العربيـة الكردية ، وعلى مستقبل العلاقات معكم لابد أن نكون صريحين معـكم ، وأن نبين لكم أن **سلامة التحالف معكم قد اصبحت موضع تساؤل فى أوساط حزبنا ،** واذا كان هذا الموقف لا يؤثر بحال من الاحوال على ايماننا بالحقـوق القوميـة للاكراد ضمن الوحدة الوطنية فانه قد يدفع الى **اجراء مراجعة للتفريق بين الحركة الكردية وبين حزبكم وكذلك التمييز بين حزبـكم وبين المسالة القومية الكردية .** ولا نخفى عليكم أن تصرفاتكم واخطاءكم تثير البلبلة والقلق فى نفوس المواطنين ، كما تشكل **مرتعا خصبا للاتجاهات والاراء الشوفينية**

ولعله لم يعد مجهولا لديكم **الموقف السلبى المتصاعد لدى الجماهير الـكردية ازاء حزبكم ،** هذا الموقف الذى لا تقوى سيطرة أجهزتكم المسلحة على اخفـائه ، **اذ أن القلق بدأ يسيطر على هـــذه الجماهير** منذ الاشهر الاولى لبيان آذار **بسبب تزايد التجاوزات والانتهاكات من قبل اجهزة حزبكم ضـد حقوق الاكراد وحرياتهم .** اضافة الى المخاطر التى بدأ يشعر بها المواطنون الاكراد نتيجةتصاعد علاقاتكم مع الحكم الرجعى الايرانى رغم ممارسة شتى صنوف الاضطهاد ضـد اكراد ايران ، والذى يخطط لتجـديد القتال وتخريب المكاسب التى حصـل عليها أكراد العراق فى ظل بيـان ١١ آذار . **ان عزلتكم عن الجماهير الكردية تلحق ضررا بموقع الثورة لدى هــذه الجماهير لكونكم من حلفاء الثورة .**

ولا مفر من تأكيـد بديهية واضـحة تماما وهى أن بيان آذار ليس حصيلة نضال الحـزب الديمقراطى الـكردستانى وحـده وليس حصيلة نضـال الاكراد وحدهم ، وانما هو **حصيلة النضـال المشترك للعـرب والاكراد ، وحصـيلة نضال كل القـوى الخيـرة التى تؤمن بالحقـوق المشروعـة للاكراد وباهميـة الاخوة العربية الكردية ، وانـه ليس فى مصلحة الحركة التحـررية الـكردية .. كما نعتقد ان تفقد حليفها النضـالى ـ الشعب العـربى ـ كمـا ليس فى مصلحة الحزب الديمقراطى الـكردستانى أن يفقد حلفاءه من الاحزاب والقـوى الوطنية والتقدمية من خـلال العـلاقات السياسية لحزبكم مع الحكومة الايرانية الرجعية ، التى لا يمكن أن تكون بحـال من الاحوال لمصلحة الوطن ، أو لمصلحة النضال القومى الكردى التحررى نفسه.**

كما نعتقد أن قيادة الحركة الـكردية ترتكب خطأ كبيرا جدا **اذا اعتقدت أن حل القضية الكردية يأتى من خلال اضعاف حزب البعث العربى الاشتراكى وسـلطة الثورة ، لانها فى مثل هذا الاعتقـاد لا تحصد غير الوبال .. لان سلطة الثورة لا تستطيع أن تؤثر عليهـا مثل هـذه الامور .**

ومع ذلك يمكن السـؤال ، ما هى يا ترى المكاسب التى تحققها الحـركة الكردية عندما تعمل على اضعاف سلطة وطنية تقدمية فى البلاد ، اذا كانت هذه الحركة تنتهج فعلا خط تحقيق الحقـوق القومية للشعب الكردى فى اطار وحدة الوطن ، واية سلطة غير سلطة الثورة يمكن ان تلبى هذه الحقوق ؟

واذا كان هناك من يفكر بين صفوف الحركة الكردية ، بأن بوسعه أن يفرض شكلا معينا من السلطة على العراق .. **فلا شك انه على خطأ ،** وعلى العناصر الخيرة الواعية فى الحركة الكردية ان تلجم مثل هذه الاتجاهات ، وأن تمنع هذا النوع من اللعب بالنار ، لانه ليس فى مصلحة السلام أن يتمادى أو يطلق له العنان .

وحرصا على وحدة هذا الشعبوحماية المنجزات القومية والديمقراطية التىتحققت لشعبنا بعربه وأكراده ، **ندعو الحـزب الديمقراطى الكردستانى لمراجعة مواقفـه الخاطئة ،** وبدء علاقات جـديدة تعبـر عن الحرص الكامل على وحدة المصير ، ووحدة الكفاح المشترك ، ووحدة الشـعب والوطن التى لن نفـرط فيها مهما غـلا الثمن .

اننا فى الوقت الذى نستعرض فيـه حصيلة التجربة الماضية ، لا نهدف من تعداد الاخطاء سوى التوصل الى الطريق الصائب .

ونحن اذ نذكر هذه الامور لا نستهدف تقديم المواعظ والارشـادات ، وانمـا نطرح وجهة نظر صادرة عن قنـاعات مخلصـة ، **نعتقد انها صـالحة** لان تكون أساسا لتصفية الاجواء السـلبية بما يطمئن مشاعر الجماهير التى تشعر بالقلق على علاقات الاخوة بين العـرب والاكراد ، ومستقبل العلاقة بين البعث والديمقراطى الكردستانى .

لذلك نرى أن بدء علاقات جديدة كالتى نشأت بعد بيان آذار تتوقف علىالشروط التالية :

١ ـ أن المعنى الحقيقى لبيان الحادى عشر من آذار ، وللسلام الذى يفترض أن ينبثق عنه ويتوطد ، هو سيادة حكم القانون ومؤسسات الدولة الدسـتورية والقانونية ، وأنه ما لم يتحقق تصميم أكيد مشترك بين حزبينا على احتـرام القانون ومنع التجاوز عليه ، والتأكيـد على أن ممارسة السلطة بأى شـكل من أشكالها لا تجوز الا من قبل المؤسسات الدستورية والقانونية والمخـولة بذلك ، **فان قضية السلام تبقى مهددة ما لم يواجه بحزم أى خروج أو تجاوز على هـذه المبادىء .**

٢ ـ ان علاقتكم مع حزبنا وسلطة الثورة يجب أن **تحكمها المصالح الاساسية للثورة وقواها ،** ولا يمكن أن تتم على حساب اضعاف الروابط مع أيـة قـوة تقدمية أو فئة [أو عنصر] تدعمالثورة فى المنطقة الشمالية ، **ذلك لان الثـورة لا توافـق على تقليص التزامهـا ازاء الجماهير الـكردية واختزاله بصـورة علاقة احادية الجانب مع حزبكم فقط ..** لان حزبـكم وكل الاحـزاب فى العالم ، بما حزبنا فى أحسن الاحوال ، لا يمكن أن يكون بديلا عن الشعب ، وان كان بامكانه أن يكون طليعة له بالتجربة .

٣ ـ **التزام حزبكم بقطع روابطه مع الرجعية الايرانية الحاكمة وغلق الحدود وتسليم مخافر الحدود الى الجيش ..** اذ لا يمكن بأى حال من الاحوال استمرار العلاقة معكم على أساس التضامنوالعمل المشترك ، فى الوقت الذى تعقدون فيه علاقات على كل الاصعدة وعلى نطـاق واسع مع دولة اجنبية .. يضاف الى ذلك الموقف العدوانى الذى تتخذه هذه الدولة من العراق والامة العربية ، ومن الشعب الكردى القاطن فيها .

٤ — التزام حزبكم بضم مقاومة العناصر الوطنية الايرانية ، وعدم تسليم اللاجئين منهم الى سلطات الشاه .

وبهما لو سئلتم من قبل جماهيرنا العربية والكردية ، عن السبب الكامن وراء تفضيلكم سلطات الشاه على العناصر الوطنية الايرانية ، ترى ماذا يكون الجواب بالنسبة لحزبكم الذى يعتبر نفسه معاديا للاستعمار والرجعية ؟ .

٥ — التزام حزبكم بالتخلى عن العناصر الرجعية والمشبوهة المعادية للثورة ، وتجنب ازدواجية العلاقة مع الثورة بشكل ، ومع أعدائها بشكل آخر ..مع الثورة بوزراء ومسئولين من حزبكم ، ومع اعداء الثورة بمساعدات تنشط التآمر .. وكذلك تجنب « التكتكة » وتغيير العلاقات السياسية على حساب المصالح الاستراتيجية للثورة والجماهير .

٦ — ادانة الاغتيالات السياسية ، واعتبار كافة الجرائم التى تؤدى الى تصديع السلام من الجرائم غير الاعتيادية التى لا تنحصر فى الحدود الضيقة للجريمة بل انها من الجرائم التى تعرض امن الدولة وسلامتها للخطر .

٧ — ادانة ومحاربة جميع الاساليب والاعمال التى تعطى التبرير لنشاط العناصر الشوفينية والانعزالية باثارتها الشغب والفتن .

٨ — التخلى عن المساعى الهادفة لكسب الرجعيين وفرض سلطانهم على الجماهير ، والاستناد فى العلاقات السياسية على مبادئ النضال الديمقراطى **الثورى .**

٩ — ابعاد رؤساء العشائر الكردية ، من الذين يشكلون خطرا على السلم فى المنطقة الشمالية الى بغداد او الى اى مدينة يقع عليها الاختيار .. واذا لم يحظ هذا الاقتراح بموافقتكم ، فنرى ضرورة توفير الظروف التى تمكن الجميع من العيش فى اماكنهم ومحاسبة اى شخص يخرج على القانون والانظمة ويحاول اثارة المشاكل والفتن .

١٠ — التزام حزبكم بعدم التصدى للقوات المسلحة اثناء قيامها بواجباتها ، وعدم التصدى لاجهزة الامن والاستخبارات العاملة فى المنطقة الشمالية ، لان مثل هذه الاعمال تنطلق من عقلية الانعزال عن السلطة والاقتتال معها ، ولا تنسجم مع روح بيان آذار .. وما من دولة فى العالم ترضى بأن تعامل اجهزتها المركزية بمثل هذه العقلية او توافق على التجاوزات ضد اجهزتها مهما كان السبب .

١١ — التزام حزبكم بعدم الاعتداء على العناصر المؤيدة للثورة ، وعدم خطف وتعذيب وقتل المواطنين ، والغاء جميع السجون التى يمتلكها حزبكم .. ان الصلاحيات التى يمنحها حزبكم لنفسه هى صلاحيات غير طبيعية تماما وتتم **بمعزل عن اصول الدولة وضوابط العلاقات** والتعهدات المشتركة .. وهذا ما يجب اعادة النظر فيه جذريا .

١٢ — اقرار حزبكم بأن حل القضية الكردية معه **لا يعنى احتكاره لاجهزة الدولة فى المنطقة الشمالية ،ولا احتكاره التمثيل فى الاجهزة الرئيسية للدولة ،** لان الشعب الكردى والحركة الكردية — وكما قلنا — اكبر واكثر شمولا من حزبكم .

١٣ — ان تكون السياسة العملية لحزبكم متحركة باتجاه تعزيز السلم والتآخى القومى ،وضمان الوحدة الوطنية والكفاحية ، ولا يمكن ان تظل هذه السياسة مبنية على خصوصية المصالح بالنسبة للحزب الديمقراطى الكردستانى ذاته بمعزل عن مصالح البلد الاساسية او بتحويل المصالح الاساسية للبلد الى الدرجة الثانية .

أن حزبكم يبدو فى كثير من تصرفاته **وكانه غير منتبه الى ضرورات التآخى القومى وضرورات الحفاظ على المكاسب القومية ،** علما بأن الحكم الذاتى خاضع للتعريف والتحليل ، وهو موجود كتجربة قائمة فى بلدان عديدة من العالم ، لا سيما البلدان الاشتراكية ، بمعنى أن الحكم الذاتى خاضع للتنهيج ..ولايجوز أن يعبر عن نفسه بلغة الاستحواذ والعداء ونسف المواقف الايجابية .

١٤ — التزام كافة الاداريين المحسوبين على حركة حزبكم بتطبيق القوانين والانظمة وخلق الشروط الضامنة لوحدة السيادة الوطنية ، بحيث تكون السيادة الوطنية محط الاهتمام الرئيسى وتأتى فى الدرجة الاولى نظريا وعمليا ، واذ تتفق سلطة الثورة مع الحركة الكردية فى الحقوق القومية للاكراد ، وتتفق معها الى حد كبير فى **أسلوب التطبيق ..** فهل من داع موضوعى اذا لرفض قوانينها وأنظمتها ، هذه القوانين والانظمة الموجهة من قبل الوزارة لتجسيد الحقوق القومية للاكراد ؟

وهل البديل هو نظام حزبكم واجتهاداته .. وفى أى مكان فى العالم يجرى مثل هذا البديل ؟

١٥ — التزام حزبكم بمنع حالة التسلح فى جميع المناطق التى يقطنها الاكراد .

١٦ — اقرار حزبكم أن اجهزة الدولة **هى وحدها المسئولة عن ممارسة** سلطة الدولة فى جميع شئون المواطنين ، وتجسيد ذلك فى الممارسة والسلوك العملى ولا يمكن افتراض صورة اخرى ، لان الصورة الاخرى تعنى تعدد مراكز السلطة ، بما يؤول فى النهاية الى التقليل من شأن السلطة ، واضعاف دورها فى حماية مصالح الجماهير عربا وأكرادا واقليات قومية داخل الوطن .. أن تعدد مراكز السلطة يعنى التفتيت والتناحر ، وهذا ما يقع على الضد كليا من مبدأ التآخى القومى ، ومن شروط وغايات بيان ١١ آذار التاريخى .

١٧ — التزام حزبكم بتقديم كافة المتطلبات اللازمة لتامين قيام السلطة بالتحقيق فى جرائم الاغتيالات وخطف المواطنين وتسليم كافة العناصر المناوئة للثورة لاجهزة الدولة المختصة . وعدم ايواء وحماية المجرمين والهاربين من وجه العدالة ، والهاربين من الخدمة العسكرية

١٨ — التزام حزبكم بالسير فى طريق تعزيز مكاسب الثورة ومقاومة تيارات الردة ، اذ ليس من الجائز أن يجعل حزبكم من مقراته المفتوحة فى أنحاء العراق مأوى للعناصر الرجعية والمضادة للثورة ، لان هذه العناصر ليست هى التى حققت السلم فى المنطقة الشمالية ، وليست هى الحريصة على بيان آذار التاريخى ، حتى تكون تلك العلاقة مبررة وقوية الى هذا الحد .

١٩ — الاتفاق على ابعاد العناصر الادارية التى عينت فى المنطقة الشمالية بناء على طلب حزبكم ، والتى لم تخضع أو تنفذ أوامر السلطة المركزية .

٢٠ — اعادة جميع النازحين الاكراد الى اماكنهم ، سواء من نزحوا قبل بيان آذار أم بعده .

٢١ — عدم السماح لنظماتكم الحزبية بالتدخل فى شئون الحكم اليومية .. فالادارة هى وحدها المسئولة عن حل مشاكل المواطنين اليومية ضمن صيغ ثورية غير خاضعة للنزوع اللامبالى والرغبات الذاتية فى التنفيذ والسيطرة .

٢٢ — بالنسبة للقضايا التى تهدد امن الدولة وسلامتها فى المنطقة الشمالية نرى من الضرورى **نشكل هيئة قضائية** من حكام معروفين بنزاهتهم واستقامتهم ، وتحظى هذه الهيئة بتأييد القوى الوطنية ، وتأخذ على عاتقها مهمة التحقيق فى جميع القضايا .

٢٣ — اطلاق سراح جميع الموقوفين فى سجون حزبكم ومعتقلاته .

٢٤ — تسليم الاسلحة الثقيلة الى السلطة .

٢٥ — انهاء حالة التسلح ومنع التفتيش الذى يقوم به مسلحو حزبكم فى الطرق العامة .

٢٦ — عدم وضع العقبات أمام تنفيذ قرارات الثورة القاضية بمنح الحقوق الثقافية والادارية للاقليات القومية .

٢٧ — عدم عرقلة تنفيذ قانون الاصلاح الزراعى بأى شكل من الاشكال .

٢٨ — المساهمة الجدية فى منع التهريب وتسلل الاجانب والمخابرات الاجنبية الى العراق من الحدود الوطنية لشمال العراق .

٢٩ — أما بالنسبة لحرس الحدود ، فنحن نرى ما يلى :

[أ] ربط حرس الحدود بوزارة

الدفاع] وخضوعه للأوامر الصادرة اليه منها .

[ب] تعيين ضباط او ضباط صف من الاكراد العاملين فى الجيش العراقى نتفق معا على تعيينهم فى افواج حرس الحدود لكى يقوموا بتدريب افراد الحرس .

[ج] نحدد واجبات حرس الحدود كحرس على الحدود العراقية ليس اكثر ويجب خضوعهم للانظمة والقوانين العسكرية المرعية .

وهذا يعنى :

١ ـ عدم السماح لهم بارتداء ملابس البيش ماركه مطلقا .

٢ ـ عدم السماح لهم بالنزول الى المدن مصطحبين اسلحتهم .

٣ ـ تخضع هذه الافواج لتفتيش امراء الالوية فى الجيش العراقى ، والمتواجدين معها فى منطقة واحدة .

٤ ـ عدم السماح لامراء الافواج بترك افواجهم الا بعد موافقة آمر اللواء المسئول .

٥ ـ تخضع هذه الافواج للتدريب ، اسوة ببقية افواج الجيش العراقى .

٣٠ ـ السماح لجميع القوى الوطنية والتقدمية التى تدعم الثورة بأن تمارس نشاطها بحرية.. فاذا كانت [الديمقراطية للعراق] شعارا ترفعونه باستمرار ، فينبغي والحالة هذه أنتكون [الديمقراطية فى كردستان] فى مقدمة الشعارات التى ينبغى ان ترفع وتطبق .

ولا يجوز الاعلان عن الديمقراطية كشعار عام ، مع تجميدها فى المنطقة الشمالية ، كما لا يجوز احتكار العمل السياسى والتنظيمى فى المنطقة التى تسكنها كثرة من الاكراد من قبل حزبكم ، بل ينبغى السماح للتيارات والتنظيمات الوطنية والديمقراطية بممارسة نشاطها انسجاما مع مضامين بيان ١١ آذار وميثاق العمل الوطنى ، ومع ما يجرى فى المناطق التى يسكنها العرب .. حيث لا يجوز فى الوقت الذى يفتتح حزبكم فروعه فى بغداد والبصرة وواسط والحى وذى قار وبابل .. الخ ، بموافقتنا ودون ان يشكل ذلك اية اثارة سلبية للثورة ولنا ، ان تقفوا موقفاً سلبيا من ممارسة قوى وطنية للنشاط السياسى فى المناطق التى توجد فيها كثرة من الاكراد .

٣١ ـ اما بالنسبة لتحديد المنطقة المشمولة بالحكم الذاتى ، فنظرا للعقبات التى تقف بوجه عملية الاحصاء ، وللرغبة فى التعجيل بمنح المنطقة التى يقطنها الاكراد الحكم الذاتى .. فنحن نرى اعادة التقسيم الادارى على ضوء الواقع القومى بحيث يتم :

[ا] استحداث وحدات ادارية قومية فى المناطق التى يقطنها الاكراد .

[ب] ربط الوحدات الادارية التى يسكنها الاكراد فقط [محافظات ـ اقضية ـ نواحى] ببعضها ، وجعلها منطقة ادارية واحدة .. وتعتبر هذه المنطقة هى المنطقة المشمولة بالحكم الذاتى .

[ج] وبالنسبة للمواطنين الاكراد الذين يقطنون فى المناطق المختلفة خارج منطقة الحكم الذاتى ، فتضمن حقوقهم الثقافية والادارية ضمن الوحدات الادارية التى يقطنونها مثلما تضمن حقوق جميع الانتماءات القومية فى هذه الوحدات .

ايها الاخوة :

اننا اذ نتقدم برسالتنا هذه ، فاننا نامل ان تكون موضع اهتمامكم .. ونحن اذ نعرض فيها وجهات نظرنا بشان مختلف المسائل المطروحة ، فاننا مستعدون للدخول فى حوار جاد وموضوعى من اجل الوصول الى افضل درجات التفهم المتبادل ، وتحديد السبل لضمان الوحدة الوطنية والاهداف والحقوق المشروعة لشعبنا بعربه واكراده واقلياته القومية .. وكل المواطنين ، ولمراجعة كل موقف خاطىء قد يظهر اثناء البحث والنقاش وقبول اى راى ناضج او صائب .

وختاما تقبلوا تحياتنا .

« القيادة القطرية » ١٩٧٢/٩/٢٣







ملحق الأدب والفن

● ملامح القصة المصرية الجديدة فى السبعينات

● جواز على ورقة طلاق .. مصالحة مستحيلة ومستقبل مجهض

الفريد فرج



كرم مطاوع



سهير المرشدى



ملامح القصـــة المصــرية الجـــديدة في الســـــــبعينات

بعد تجربة عام مع القصة في الملحق الادبى تجمع لدينا عدد كبير من القصص الصالحة للنشر ، والتى ضاق حجم الملحق عن استيعابها لانه ينشر قصة واحدة فى كل عدد . وتوفر لدينا فى نفس الوقت عدد من القصص الجيدة لكتاب لم يسبق لهم النشر من قبل . وهـذه القصص الاخيرة هى التى دفعتنا الى التفكير فى تكريس هذا العدد من الملحق للقصة المصرية القصيرة . لان وظيفه الملحق الادبى لا تقتصر على تقديم النماذج الجيدة وابراز أنضج التيارات الابداعية وألصقها بضمير الواقع واللحظة الحضارية التى تصدر عنهما فحسب ، ولكن من وظيفته ايضا أن يكتشف المواهب البكر التى تتجدد بها حيوية الخلق القصصى وتتواصل عبرها أجياله . فبدون الاضطلاع بهاتين الوظيفتين معا يظل أى منبر أدبى قاصرا عن القيام بدور خلاق فى الواقع الادبى والاجتماعى الذى يصدر عنه وله .

وقد آثرنا أن نقدم هؤلاء الكتاب الذين لم يسبق لهم النشر دفعة واحدة حتى نطرح من خلالهم بعض القضايا التى قد تضيع أو تتبعثر اذا ما تفرقت أعمالهم عبر اعداد مختلفة . وان نقدم معهم مجموعة أخرى من اقاصيص بعض الكتاب الذين ينتمون الى نفس هذا الجيل الجديد الذى يرهص بالتكوين والتبلور وان سبق لهم نشر عدد قليل من انتاجهم من قبل . ومعظم كتاب قصص هذا العدد ينتمون الى هذا الجيل الجديد من كتاب القصة الذى يوشك إن يظهر بعد جيل الستينات . ويوشك أن يستشرف حساسية جديدة وأن يقتحم آفاقا جديدة . هى امتداد للحساسية التى صدرت عنها أعمال جيل الستينات وان تميزت عنها ونحت فى التعبير عن نفسها مناحى جديدة على صعيدى الشكل والرؤية معا ، وحاولت أن تغامر بتقديم تجارب بنائية من نوع فريد ، بعضها جديد على الاقصوصة المصرية ، تستفيد فيها من جنوح بعض أعمال الستينات الى المغامرة مع الشكل دون أن تطرح عنها تماما الحس الواقعى الذى أنضجته تجربة الخمسينات أو الحس الانفعالى الذى أنضجته تجربة الاربعينات ، كما فعل كتاب الستينات .. ولا تقتصر التجربة الجديدة على ذلك ، بل تحاول الاستفادة من انجازات الاشكال الفنية الاخرى وتستعمل دون تردد أدواتها التى تبدو لاول وهلة وكأنها غير ملائمة لبناء القصة القصيرة . واذا كان ثمة كاتبان ينتميان الى جيل الستينات بين كتاب هذا العدد العشر – **أحمد الشيخ ومحمد مستجاب** – فلان تواصل الاجيال الجديدة وتفاعلها هو السبيل الى الحيوية الخلاقه والاستمرار من ناحية ، ولان رؤاهما أقرب الى رؤى هذا الجيل الجديد ومغامرتهما البنائية أقرب الى طبيعته .. بل ان قصة (النبش فى الدماغ) لاحمد الشيخ بمقاطعها المتراكبة التى تصوغ برغم انفصالها البادى عالما متكاملا وتجربة فنية خصيبة هى المدخل الملائم للعالم الذى تصوغه هذه المجموعة الجديدة من الاقاصيص . كما أنها تبدأ الحوار حول البنيان الفنى للتجربة القصصية الجديدة . وهو بنيان لا يعتمد على التتابع الكمى أو التسلسل المنطقى

ل ينهض على التتابع الكيفى الذى يجعلنا نستخرج من جماع المقاطع اكثر من المجموع الحسابى لجزئياتها ، والذى يدفع القارىء الى بذل جهد خلاق يستكمل عبره الوصول الى المستويات المتعددة للمعنى فى العمل الفنى .

هذا الجهد الخلاق هو مدخلنا الضرورى الى القصص الجديدة .. فبدونه لن نسبر أغوار هذه الفنتازيا الجديدة المدهشة التى يقدمها لنا ابراهيم احمد فى (صافرات الانذار فى مدينة فابيش وفرش الاسنان) والتى يمزج فيها الحلم بالواقع والاستعارة بالاسطورة والخيال ، دون أن ينفصل فيها عن الواقع الحضارى والاجتماعى الذى يعيشه العربى المثقل بالتواريخ التى تنحدر اليها منذ البداوة القديمة وبالاحداث التى تتابع على ارضه فتبهظ ضميره وعقله معا . وبدون هذا الجهد الخلاق لن نتمكن من استكناه ما وراء هذه النذف المقتطعة من مصادر متعددة فى قصة محمود ماهر الجمل (عطيل) الجديدة فى بنائها ومحتواها ، والتى تعتمد على المونتاج الخلاق الذى يحيل هذه النذف المقتطعة من القصص والمسرحيات والاناجيل وقصاصات الصحف الى عمل فنى خلاق ، يهب فيه الكاتب موضوعه مجموعة من الابعاد الدينية والاجتماعية والفكرية ، ويؤكد اصالة هذه الثيمة واستمراريتها فى النفس الانسانية ، كما يكشف لنا عن نقص وزيف الموقف الجاهز منها . وبدون هذا الجهد الخلاق ايضا لن يتمكن القارىء من متابعة هذا المنولوج الشاعرى الطويل الذى يدور فى قصة سعيد بكر (انغام مذبوحة فوق فراش يحتضر) ولن يميز ما هو واقعى فيه مما هو منسوج من مادة الحلم أو خيالى أقرب الى الفانتازيا ، ولن يتابع لعبة تبادل المراكز التى تدور بين الحلم والواقع وبين الماضى والحاضر لتكشف عن ماساة هذا الانسان المقهور المحبط وهو يواجه مع الموت تحرره وعبوديته معا . ولن يستخرج من تجربة محمود عبد الوهاب السابقة (يوم من حياة على الزيبق) مستويات المعنى المتعددة فيها وهى تراوح بين جزئيات الحدث النثريه والبكائيات والمناجيات الشعرية وتبنى رؤاها الواقعية فوق أرضية السيرة الشعبية المعروفة ، لتصل الحاضر بالماضى أو لتقدمه لنا وقد انعكس على مراياه الدالة والموحية . ولن نعرف متى ينتهى الواقع وأين يبدأ الخيال فى قصة نعيم تكلا (موكب الشرطى المنتصر) وهى تدير جدلا مستمرا بين الانتصار والهزيمة وبين الواقع والخيال .

هذه القصص الجديدة الخمس التى لم يسبق لكتابها النشر من قبل ترسم لنا مع بقية أقاصيص الكتاب الجدد الذين سبق لهم نشر أعمال متفرقة وهم محمد المنسى قنديل ومحمود الوردانى وجمال عبد المقصود ملامح رؤى هذا الجيل الجديد وهى تتخلق وتتبلور لتجسد لنا اطلالات

هذه الحساسية الجديدة ، أو بالاحرى الحساسية المزقة . وتشير الى نوع من الردة الواهنة على الاسراف فى الاهتمام بالبنيان وعلى مغامرات الشكل الجامحة وان استفادت كثيرا من هذا الاسراف ومن تلك المغامرات . كما تطرح قضية اللغة للتناول النقدى مع صياغاتها الهادئة الراسخة المنطوية فى الان نفسه على قدر كبير من التوتر الدرامى والتوهج الانفعالى ، بصورة تدفعنا الى القول بأن هذه التجربة الجديدة تبنى رؤاها وانجازاتها على مبعدة من فهم واستيعاب لتجربة الاقصوصة المصرية فى العقود الثلاثة المنصرمة ، ربما يتجاوز استيعاب تجربة الستينات لانه يجىء بعدها ويستفيد منها .

لكن ترى ، ماهى ملامح العالم الشائق الغريب الذى تقدمه هذه المجموعة الجديدة من التجارب القصصية ؟ هذا سؤال يحتاج الى دراسة متأنية لكننا نحب أن نشير فى هذه العجالة الى بعض هذه الملامح التى تؤكد الحاجة الى هذه الدراسة دون أن تكون بديلا لها . ومن البداية نلمس فى عالم هذه التجارب الجديدة ، برغم قتامته ، نوعا من التمرد على القتامة اليائسة التى سيطرت على اقاصيص الستينات ، ونوع من الحنين الى اعادة خلق العالم مع الوعى الواضح برسوخ العالم القديم . وينعكس هذا الحنين فى تلك النغمة التحريضية التى تسيطر على عدد غير قليل من هذه الاقاصيص ... تصرخ بها المعالجة الهادئة لقصة (**البرارى**) وتنطوى عنها الفواصل بين مقاطع (**النبش فى الدماغ**) وتهمس بها الاحداث المألوفة فى (**الموقعة**) وتصرخ بها الصياغة الشاعرية المرهفة فى (**يوم من حياة على الزيبق**) فتردد اصداءها (**بعد المطر**) بطريقة مغايرة . وقد ادى تبلور هذه النغمة التحريضية الراغبة فى تجاوز الواقع وتغييره ، الضائقة بهذه المواضعات الكابوسة غير المعقولة الى تحقيق نوع من التجاوز النسبى لحالة العكوف الدائم على الذات والعراك معها والتى نلمسها فى عدد كبير من أقاصيص الستينات . فقد بدأت هذه الهموم الداخلية تأخذ طريقها صوب الخارج بصورة تشى بتغير هام فى اتجاه الرؤية الفكرية والموقف الفكرى . وهو تغيير نأمل أن يتيح تراكم القصص وتناميها الفرصة لدراسته وبلورته ، ذلك لان هذا التغيير لا يتناول الموقف الفكرى وحده بل ينعكس على كل جزئية فى نسيج العمل الفنى وبنائه .. على المادة والجزئيات والروافد المكونة للشخصية وعلى الاسلوب واللغة وطريقة القص ومنهج التتابع .. الخ . وكلها جزئيات مطروحة بنسب ودرجات متفاوتة فى مادة هذا العدد من الاقاصيص ، الذى يرهص بميلاد جيل جديد من كتاب الاقصوصة المصرية ، نأمل أن يواصل العكوف على ابداعته حتى تستمر عبره مسيرة الاقصوصة المصرية مع التجدد والعطاء .



النبش فى الدماغ

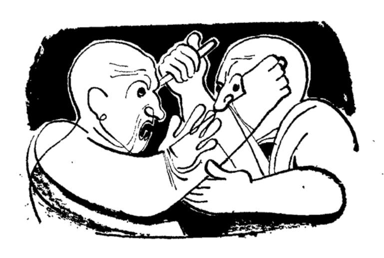
أحمد الشيخ

[١]



رجلان متشابهان فى ميدان العباسية استخدم اولهما مدية بينما استخدم الثانى شفرة حلاقة .. فى بداية العراك أصابت الاول خبطات طائشة من طرف شفرة الحلاقة، توزعت على الذراعين والصدر والسحنة .. تدفقت خيوط الدم غير المنظمة فى أركان الوجه فبدأ شائها ومرعبا ، تحت العين اليمنى تماما وبخط مائل ناحية الانف وعبر الشفة العليا الى أسفل الذقن كان اكثر الخطوط اتضاحا وعمقا .. كان الواقفون يحسبون المعركة منتهية لصالح الرجل الثانى على حساب الاول الذى ظهرت مديته فى سرعة تلمع فى وهج الشمس وتتحرك فى خطوط رأسيه وافقية حاسمة ، وتعكس فى ذات الوقت شعاعا خاطفا يصعب متابعته .. انعكس الشعاع على وجه الرجل الثانى أكثر من مرة .. عندما مر بالعينين بان الذعر على الوجه وتوقع شرا .. شىء ما فى عينيه كان يسجل عليه خصومه وينذر بانهزامه ، بعدها مباشرة غاصت المدية فى صدره فارتجفت أطرافه وترنحت خطواته وراح يشوح بيده حاملة الشفرة ليخيف الاخر ويبعده ، لكنه برغم ما اصابه استمر فى نضاله ليصل مرة أخرى الى صدر الثانى ويطعن .. فى لحظات كانت المعركة قد حسمت تقريبا ولم يبق من الرجلين غير جسدين منهارين عاجزين عن متابعة الضربات بأى قدر من الاحكام .. كان الدم ينزف من كلا الجسدين ويتكور فى مطب مستطيل وضيق ، كانت الجموع المحتشدة قد تجرأت الان وزالت بعض مخاوفها فكونت ما يشبه الدائرة حول الرجلين ودون أن يجسر أيهم على الاقتراب الكامل من أحد الخصمين .. كانت الوجوه حذرة ومتوجسة فى نظراتها الى الرجلين .. بان فى العيون خوف مريب كأنما انعكس من متابعة الاطلال .. قبل لحظات كان الامر يخص الرجلين المتقاتلين دون سواهما ، لكنه حدث الان أن انتقلت الحمى الى الاخرين .. لام البعض فى حواره مع البعض الاخر حامل المدية لانه أنهى القتال لصالحه على نحو غير متوقع وبسلاح غادر فاندفع البعض الاخر بحماس أكثر يؤكد أن حامل الشفرة يستحق ما جرى له وأكثر لانه عمل على تشويه الاخر باسلوب غير شريف وأضافوا أن استخدام الشفرة فى العراك لايعدو ان يكون وسيلة خبيثة للتشويه ، دون احتمال التعرض لعقاب صارم - حيث تتم تسوية الامور بعد العلاج أياما لاتصل بحال الى الواحد والعشرين يوما التى جعلها القانون حدا يفصل بين الجناية والجنحة - وارتفعت أصوات مؤيدة واخرى مستنكرة فى محاولات لفرض وجهات النظر .. كاد الميدان بأسره أن يتحول الى حلبة صراع بشرى ، عندما وصلت سيارة الاسعاف ووسع رجالها مكانا ينفذون منه الى الرجلين المنهارين ، تأكد لدى المشاهدين أن الشبه بينهما بعد ما تخلف من آثار العراك صار أكثر اتضاحا ربما بفعل الانهاك المشترك أو امتزاج قطرات الدم على انحاء الجسدين .. بل انه تزايد الشبه فى ألوان الثياب .. قال رجل من الواقفين أنهما صديقين تعاركا لامر تافه وانه حضر العراك منذ البداية ، نفى آخر أن يكونا صديقين قائلا أنهما غريبين، تزاحما على سلم الاتوبيس الذى نزل منه قبل بداية الشجار ، لعن طالب متهور بصوت شاحب هيئة المواصلات فاسكته سائق كان يطل من نافذة سيارته بكلام قبيح .. انحرف الصراع حول اتهام الطالب بطولة اللسان أم صفاقة السائق .. زاحم رجل فى حدود الاربعين تبدو عليه الاهمية القصوى وازاح رجل اسعاف موسعا لنفسه مكانا أطل منه الى الوجهين ثم التفت الى الناس وهو يدق كفا بكف قائلا انه زمان أغبر الذى يتقاتل فيه الاخوة بمثل هذا العنف وأضاف وسط اندهاش الكل ان الرجلين أخوين شقيقين يسكنان فى نفس العمارة التى يسكنها فى مصر الجديدة .. استنكرت وجوه البعض فأقسم الرجل بشرفه أنهما توأمين من ام واب .. تعجب البعض وتجاهل البعض قوله ملتفتين الى النقالتين اللتين انزاحتا بالرجلين الى باب سيارة الاسعاف المفتوح .. كاد رجلى النقالتين فى المقدمة ان يتشاجرا حول حق كل منهما فى الدخول أولا بحمله لولا أن تدخل رجل آخر من رجال الاسعاف أيضا منبها أنه فى التأنى السلامة ، ورغم انطلاق سيارة الاسعاف بحملها الدموى كانت الجموع تتكاثر حول المطب المغطى بالدم .. ينظرون ثم يمصمصون الشفاه عجبا .. بعد ربع ساعة من ابتعاد عربة الاسعاف كانت الناس تمكنت من الاقتراب اكثر مكتفية بالاشارة الى المكان الذى كانت جيوش الذباب تتكاثر فيه على نقاط الدم .. تمتصها وتطير دون رغبة فى الابتعاد .. تمتص وتطير ثم تعود مرة أخرى بعد أن تحوم حول المكان مصدرة صوتا مقززا قبل أن تحط مرة أخرى ودون رغبة حقيقية فى الابتعاد .

قريبا من مكان الحادث ضاق بائع مأكولات شعبية من تكاثر الذباب على بضاعته أيضا فتبرع أولا بأن وضع فوق مطب الدم ورقة كرتون قديمة كان يستخدمها كفرشة لارضية عربة اليد التى يملكها لكنها لم تفلح فى خداع الذباب تماما فأخذ ينفذ تحتها ومن خلال بعض الثقوب الى قطرات الدم ويستخدمها محطة أشبه بالاستراحة .. احتار بائع المأكولات وضحى ببعض الاوراق التى يستخدمها فى لف المأكولات للزبائن وراح يرص الاوراق باحكام فوق ورقة الكرتون مستخدما بعض الحصوات الصغيرة عند أطراف كل ورقة بحيث كان منظرا بديعا



رغم التناثر بين أوراق المجلات القديمة وكراريس الامتحانات الجامعية المهربة.. الراقصات فى ثياب الرقص الملونة ورجال المجتمع وسيداته بوقارهن المعهود لحظة الالتفات الى الكاميرا .. ثم كلمات متباينة غير منتظمة بجوار صورة لرجل فى الخمسين يتميز بوجه كالح وشارب غريب الشكل لا توحى ملامحه بالاطمئنان، وربما كان سببا فى ابتعاد الذباب ولو بشكل وهمى دار فى دماغ بائع المأكولات .. لكنه لم يكف عن استخدام منشة من ليف النخيل متماسكا حيال بعض الزبائن ممن يستفسرون عما جرى مانعا نفسه من سرد كل ما رآه حتى لا يصد نفوسهم عن مأكولاته .. كان ذلك فى ظهر هذا اليوم الذى بارت فيه بضاعة الرجل فأخذ عربته وجرها بعيدا عن الميدان متلمسا فى وجوه المارة زبونا آت من الناحية الاخرى لديه قابلية للاكل وعلى عكس كل الاتين من ناحية الميدان .. أما أولئك الذين مروا بعربة المأكولات بعدما عبروا ميدان العباسية فقد كان يشغلهم سؤال ظل مطروحا على الاذهان فيما اذا كان الرجلان شقيقين أو انهما غريبان .. وان كانا اخوين فهل هما توأمان من عدمه .. كان السؤال مطروحا الى حد الهوس لدرجة أن احد الرجال وهو افندى شهد المعركة بعينيه وجلس مدة يتفكر فى أصل المسالة راح بنفسه الى مركز الاسعاف وطرح سؤاله بشكل جاد أثار الريبة فى أمره فطردوه منكرين أن تكون لديهم أية بيانات عن حوادث حصلت فى ميدان العباسية والذى يقع فى دائرة اختصاصهم بكل تأكيد ، وبالذات أحداث شغب اسفرت عن سقوط رجلين فى ظهر هذا اليوم .. بالذات .

[٢]

فى الثامنة والنصف الا خمس دقائق صباحا وفى ميدان التحرير ، على وجه التحديد عبر الممر الموصل الى سلم الكوبرى العلوى قبالة الهيلتون كان الزحام المتعجل الاتى من ناحية محطه الاتوبيس الرئيسية يضغط من كلاالجانبين رجلا فى الثلاثين أو نحوها .. كانت قد انفلتت من كوعه قبضة رجل آخر فى مثل سنه وان كان أكثر منه نحافة ويستخدم عدسات منظار رقيق .. كان الرجل الاخر قد تعذر عليه لاسباب متباينة أن يظل ممسكا بكوع زميله ومسحوبا به فى ذات الوقت .. استمر الرجل الاثقل نحولا وشرع فى صعود درجات السلم دون أن يلتفت للاطمئنان على زميله .. كانت فى دماغه صورة لدفتر الحضور والانصراف وكانت ساعة الجامعة العربية معطلة أما ساعته فتشير الى الثامنة والنصف الا دقيقة أو دقيقتين وعليه أن يصعد الكوبرى وان يعبره ثم يهبط بسرعة ويتجه الى مبنى المجمع جريا اذا امكن ليصعد الادوار الخمسة دون انتظار لدوره فى طابور المصعد الذى يمتد عادة الى مسافات طويلة يصعب الاطمئنان اليها فى مثل هذا الوقت الحاسم .. كان وجه السيد مدير الشئون المالية والادارية المتجهم دوما يرتسم فى مخيلته ممزوجا بخانات دفتر الحضور والانصراف وظيفته الفعلية ، تخوفه من الجزاءات الادارية التى يوقعها الرجل تجعله قادرا على نسيان صاحبه الى حين .. تاه الرجل ذوالمنظار الرقيق اذن من مخيلته أو انزاح ليحتل مدير الشئون المالية مكانه فى اللحظات الصباحية جمة النشاط والمزعجة احيانا.

نفس اللحظات تقريبا وفى محيط ذات الدائرة البشرية كان رجل آخر غير الرجلين يرتدى معطفا صوفيا بنصف ياقة تكمله تلفحة حريرية لونها باهت وتلتف حول العنق وتمتد الى اعلى لتدارى أسفل الذقن أيضا .. كانت خطواته الباحثة القلقة تعبر المكان وظله يتكسر على ثياب البعض ولما يكتمل على الارضية يعطى انطباعا مريبا لايريح .. كان هذا الرجل قد افلح فى رؤية الرجل الاكثر نحولا مع صاحبه وتحرك بسرعة ربما تميز بانها خاطفة اذا جاز القول واعترض طريقه بحيث جعله يتخلف عن زميله رغم الدفعات من الخلف والتى كانت كفيلة بمساعدته على الاستمرار فى مسيرته.. على نحو محدد واضح أوقفه بكتفه أولا ثم استخدم يده ليمنعه من مواصلة المسير بشكل حاسم وسريع ودون أن يلحظه العابرين .. ولسبب ما ربما كان حزمه أو وقع المفاجأة على الرجل النحيل ضعفت مقاومته وأفلتت قبضته ثم توقف .. هكذا وجد الرجل النحيل نفسه دون سابق مقدمات ممسوكا من زنده بقبضة قوية لرجل فحل يلتف عنقه بتلفيحة لونها كالح تدارى الجزء الاسفل من ذقنه .. لم يحاول تخليص يده فقد كانت القبضة حادة وقوية .. جذبته اليد العفية فاطاع متعجبا أولا ثم تسلل اليه خوف .. كاد أن يتكلم فأسكتته غمزة بلا معنى من عين الرجل.. فكر فى لا جدوى مقاومة الوجه الصارم .. تتابعت تفسيراته للامر فى أجزاء اللحظات دون الوصول الى فهم ولو جزئى للامر ، ليس صديقا فالوجه غير مألوف ولا ودود على اى نحو ... ليس مجنونا فالملامح واعية ومطمئنة الى عدالة فعلها ، وتتسم الرزانة والثقة الى حد لا يدع مجالا للظنون فى نواه العقلية .. انحرف منقادا مع الرجل الى شارع خلفى وبدأت تساوره الظنون .. تحسس بطاقته الشخصية أولا فى جيب بنطلونه الخلفى .. تلمس جيوبه بيده الخالية خشية أن يجد بها شيئا مدسوسا لا يخصه ، حافظة نقود ، أو قطعة مخدرات محظورة التعاطى او التداول بحكم القانون .. ربما اشتباه خاطىء سرعان ما تسويه البطاقة الشخصية .. كان الصمت القاسى بينما تقوده اليد الى شارع جانبى بعيد عن الميدان

قد جعله عاجزاً حتى عن السؤال .. تلاشت صورة الدفتر وخانة التوقيع بالحضور ووجه رئيس الشئون المالية والادارية أيضا .. بقى أن يتوقع أمرا غريبا خارجا عنحدود المألوف ربما لص يرغب فى سرقة بالاكراه فى وضح النهار .. احتمال بعيد عن التصور لكنه كان هو ايضا كاحتمال قائم .. نجاة توقف الرجل وأوقفه .. لم يعد بالقادر على صلب طوله .. سأله الرجل فى غير ود وكأنه يتهمه بالسؤال:

ــ حضرتك الاستاذ حمزه عبد العليم حمزه ؟

تمنى لو لم يكن الاسم يخصه اذن لخلص من الامر برمته .. لكنه كان بشمله ويغطيه مثل قدر لا يرحم .. لحظتها بال الكائن الحى والمسمى حمزة عبد العليم حمزة عاجزا عن التحكم فى روحه أوالسيطرة علىجهازه التحتىالذى انساب .. كان مذهولا بالمفاجاة وحائرا ان كان يقدر على الرد من عدمه كأنما ربط السؤال لسانه فى سقف حلقه ووقف ينتظر الجواب أيضا ..

فى الدور الخامس من مبنى مجمع التحرير وبعد أن وقع الرجل الاولوالاثل تحولا على دفتر الحضور وكانت عقارب الساعة فى يد مدير الشئون المالية والادارية تشير الى الثامنة والنصف تماما فامتد قلمه الاحمر وأشر أمام اسم السيد حمزه بحرف غ .. راضيا من نفسه كل الرضى لانه يقوم بواجبه القومى فى مراقبة الحضور والانصراف كما تقضى اللوائح والقوانين والا أصبح كما يؤكد دائما أن يصبح الامر فوضى بين الموظفين وهم نوع من الناس يخاف بعينه ولا يستحى ..

[٣]

فى السابعة مساء وفى الشارع الخلفى بمستشفى القصر العينى المطل على النيل والذى يطيب لصغار المراهقين تسميته من باب التباهى واظهار المعرفة بشارع الحب .. مشى ولد بجوار بنت .. كانت ابتسامة الولد تشع من عينيه وتفضح فرحته لانه استطاع هو ايضا أن يجرب عبور الشارع فى حالة حب وأنه يحق له التباهى هو أيضا .. البنت كانت مرتاحة الملامح ومطمئنة الوجه وسعيدة بحيث توردت خدودها أكثر .. عند المنحنى ظهر رجل يرتدى جلبابا مقلما ، تنحنح أولا وكأنه فى بيت أدب ثم احتك بكتف الولد الذى انزاح ليفوت عليه الحركة بينما كان الاطمئنان قد انزاح كلية من عينيه وعينى البنت الصغيرة .. ظهر رجل آخر يرتدى بنطلونا أسود قديما متهالكا وسترة عسكرية ممزقة .. اشترك الرجلان فى تهديد الولد والبنت لو صدر عنهما صوت استغاثة .. اقترب الاول من البنت وشدها يضع خطوات بعيدا ثم مد يده بجسارة يتحسس صدرها .. دفعها الى سور الكورنيش والتصق بها على نحو ما .. كان يضمها اليه بينما هى تقاوم بلا قدرة شفاه الرجل التى تغتصب .. كان الولد واقفا مكانه كالمشلول وطرف مدية الرجل الثانى تجوس مهددة الصدر والعنق .. تكتفى باللمس دون الجرح وتسرى برودتها فتنهار القدرة على التفكير .. انهارت مقاومة البنت وتراخت أطرافها .. بعد لحظات جاء الرجل الاول وأشار الى الثانى اشارة ذات مغزى فترك الولد فى حراسته هذه المرة وراح الى البنت .. استسلم الجسد المستسلم للبنت الصغيرة وعبث الرجل الثانى بأطرافها واجزائها بأسلوب اقل احتشاما ، بينما الرعبيسيطر علىالولد أكثر .. مرت دقائق ثقيلة الوطأة وتأودت البنت ربما من الالم الممزوج باللذة المقيته أو الرعب .. قهقه الرجلان معا وأصدرا الامر بابتعاد الولد والبنتوعدم العودة والا .. جرجر الولد والبنت اقدامهما وعجزا عن تبادل اى كلام .. مات الهمس ودفعه اعتراف غير مطروح بالعجز والمهانة .. وعندما ظهر الضوء وبانت الاجساد فى الضوء المنبعث من كازينو « بل فى » وتأكد الونس انفجرت البنت فى تشنج مكتوم تجاوب معه أنين الولد المطعون .. وعند نهاية الشارع المطل هو أيضا على النيل شعر كل منهما انه لم يعد قادرا على الاستمرار فى الاحساس بأنه يخص الاخر .. وعجزا عن الاستمرار فى السير جنبا الى جنب فابتعدا وانحرف الولد عمدا الى كوبرى الجامعة بينما استمرت البنت فى طريقها الى شارع المنيل ..

[٤]

فى أمريكين عماد الدين جلس شاب فى مقتبل العمر يحتسى فنجان شاى وينظر الى ساعته .. يجاهد أن يحتفظ بسجائره الخمس التى اشتراها لتوه من باب اللياقة عازما على استخدامها فى تحية شاب آخر فى مقتبل العمر ايضا كان يجاهد أن يصل فى زحام المواصلات فى نفس الموعد المحدد دون أن يجرؤ على استخدام تاكسى .. كان الجالس ينظر فى ساعته مرتابا كل مدة ويهون الامر على نفسه قائلا انها ساعة فاسدة لا تتميز بأى دقة وربما انفلتت عقاربها وراحت تدور على هواها لتسبق الزمان الحقيقى بمدة .. كان الشاب الاخر قد وصل لتوه ينهج من الاجهاد وصعد الدرجات القليلة وراح يتطلع الى وجوه الرواد فلمحه الاولورفع يده مشيرا الى مكانه المختار .. بدأ الحديث بينهما حافلا بالمجاملات حول من تشرف منهما بمعرفة الاخر .. بعدها بان من الحوار اهتمام الشابين بالفن التشكيلى وتحدثا عن معرض شاركا فيه ببعض اللوحات منذ سنوات ثلاث .. كانت عينا الوافد الجديد زائغتين وعلى تقاطيعه امارات إجهاد مرتبك .. عندما جاء الساقى طلب الاول من الثانى أن يختار مشروبا تردد الثانى لحظات قبل أن يجرؤ على طلب طبق مكرونة لنفسه .. كان يحس شيئا كوخز الابر من معدته وربما بالعار فى مشاعره .. استمر الحوار بعد لحظات عابرة ناقش كل منهما موقف الاخر من مسألة طبق المكرونة .. كان الحوار يزداد حيوية مع تناقص طبق المكرونة .. تجاهل الاول انهماك الثانى فى التهام محتويات الطبق والجوع فى عينيه ينزاح عند وصول كوب الشاى وعلبة اللفافات تمتد اليه فيأخذ واحدة .. قال الثانى محاولا الفرار من كل ما كان يدور فى عقله اخشى ان أكون ضيفا ثقيلا . ضحك الاول وورى ما كان يعتمل فى خياله من حسابات مالية غير مريحة .. كان الثانى يدخن بشراهة .. تشعب الحديث فى مسائل فنية تصب فى الفن التشكيلى .. تحدثا عن انواع الخامات وارتفاع اسعارها .. قال الاول متحمسا بعض الشىء رغم عدماطمئنانه الداخلى مجهول الاسباب : مدة طويلة لم نتقابل خلالها اظن بعد المعرض .. عموما تسعدنى زيارة مرسمك .. أجاب الثانى : لامرسم لى ، انا أعيش فى لوكاندة استفسر الاول مستنكرا : ولوحاتك ؟ أجابه باقتضاب : سفرتها البلد .. كاد الاول ان يسأله عن شغله الجديد فأضاف الثانى بشىء من القنوط المعاد لانه اعتاد على تقديم نفس الجواب فى السنوات الاخيرة : ولا جديد .. انا متوقف لانعدام المكان المناسب وتزايد اسعار الخامات .. رد الاول وكأنه يوجه الحديث لنفسه : أسعارها فى تزايد مذهل ، عندى ثلاث لوحات قديمة لم تكتمل لذات الاسباب .. وأضاف بحسرة ممزوجةبشىء من الارتياح المكتوب: عندى أمل فى بيع لوحة عارية لصاحب عمارة فى نفس الشارع الذى كنت أسكنه .. أضاف : هو جزار لكنه لا يمل النظر الى اللحم العارى ، وقد حصل على تسع لوحات عارية فى العامين الاخيرين ، انهيطلبها بنفسه ويحدد الاوضاع المطلوبة .. والامر يبدو لى صالحى من بعض الوجوه وان كان يرهقنى فرض أوضاعه على كل موديل وأواجه بطبيعة الحال بنظراتها التى تتهمنى بالشذوذ وأسكت .. قال الثانى وهو يشعر بالمرارة : يبدو لى من حديثك أن أحوالك المالية مطمئنة بسبب الجزار .. قال الاول : الى حدما أسرع الثانى ليطرح قضيته باكملها : اتمنى ان يصل هذا الحد الى الاطمئنان اليك فى تقديم سلفة بسيطة حتى أول

الشلهرّ .. تسكت الاولّ ثم هعب وفى خياله احتمال حل : لا تفكر فى الامـــر ..فرغت علبة اللفافات فرماها وظل ينتظر ظلا يثرثران بعيدا عن موضوع الرجـــل الثانى .. ظهرت امرأة عجـــوز تغطى رأسها بطرحة سوداء وترتدى ثوبا غير محكم التفصيل .. اقتـــربت من الاول فابتسم لها وأشار الى مقعد بجواره لتجلس .. جلست وهى تتطلع الى وجه الثانى متفكرة .. أسرع الاول وقدمهما : مدام شريفة ، خياطه .. الاستاذ صلاح فنان .. ابتسم الاستاذ صلاح فى غير ود ولم تعجبه الصحبة .. بادلته المدام بابتسامة عريضة كشفت عن صفأسنانها العلوية المغطاة بمعدن أقرب الى السواد منه الى اللون المعدنى ، بينمـــا تنفـــرد فى منتصف الصف الاسفل سن وحيدة مغطاة بغلاف ذهبى وسط طـــابور من الاسنان المغطاة بالمعدن المســـود .. كانت مزحومة الوجه بالتجاعيد الى حـــد مؤسف ولون بشرتها الاغبر يثير الشفقة .. قال الثانى لنفسه : ربما ســـائله تطلب حسنة من صاحبى .. قال الاول وهو واقف : لحظات ، اشترى علبـــة سجائر وارجع .. تركهما فى صـــمت حرج وغاب .. طالت الدقائق فأحس الاستاذ صـــلاح بالتـــوتر .. أخرجت السيدة من حقيبتها علبة لفافاتمستوردة وقدمتها الى الاستاذ صلاح .. كـــان الجو مكهربا ومشحونا بالقلق ويحتـــاج الى جانب اللفافة الى عدم معاداة امرأة منكسرة الخاطر وعجوز .. مد يده وأخذ واحدة وامتدت يدها بلهب ولاعة فأشعلت الطرفان .. تزايد التوتر فتزايدت عروض الا من نظرات فاحصة متسائلة تبادلها الطرفان .. تزايد التوتر فتزايدت عروض السيدة باللفافات واللهب .. تفكر الاستاد صلاح فى حساب الطلبات فنزل على جبينه عرق مشحون بالمخاوف .. قـــال لنفسه أن الفرار ممكن لولا الكســـوف .. قالت السيدة وهى تغمز بعينها مالـــك ! قـــال : لا شىء .. قالت : لن يرجع صاحبك .. هل صدقت انه سوف يرجع ؟ تزايد ارتباكا .. قالت : صدقنى .. احس انها تقرا افكاره .. قال مزيحا عبء الموقف دفعة واحدة : مسالة الحساب تشغلنى ، لم اعمـــل حســـابها .. قالت مطمئنـــة : لا تهتم وأعادت غمزتها بجرأة أكثر .. ضحكت المدام اكثر فبانت دمامتها .. بعد ربع ساعة كان الاتفاق قد تم .. فى أحلام الاستاذ صلاح كانت تتراءى له امرأة جميلة وعاشقة ترعاه وتمنحه الحبأيضا بلا مقابل .. استحالت امرأة احـــلام مراهقته الى عجوز فى الستين ربمـــا تتكلم بعينين مطفأتين يحوطهما ســـواد كحل كاذب وحولهما هالتان مسودتان من فرط السهر .. اما الرموش فشـــبه معدومة وعلى الرأس طرحة تجعله يشك انه رآها فى قرينه تندب بهـــا فى أحد المآتم .. حسبها فى أول الامر ســـائلة وها هى تدفع الحساب والبقشيشوتتلقى اطراء الساقى وتهانيه أيضـــا فى كـــرم مع هيئتها الرثة .. تخرج بهمزهوة وتدع له الخجل وحده .. تتقدمه الى التاكسى بجسارة من يملك ويركب عاجزا عـــن مبادلتها الحديث .. يهبط متجنبا الاقتراب من عداد التاكسى تاركا لها حـــق الدفع للسائق الذى قيمه بنظرة ساخرة ..

فى حجرة النوم المهياة ببذخ والمزدانة بعديد من اللوحات العارية لرجال ونساء فى أوضاع مثيرة .. الالوان والخطوط تذكره بأســـلوب رآه مرة لواحـــد من الفنانين المبشرين لكنه تاه منه الان .. مومياء عتيقه تملك الدفع مقابل حصولها على رجل وعليه أن يكونه .. أن يبيع نفسه وللحظات وتنفك بعدها الازمة .. كان كثيرا ما يناقش موقف المرأة التى تبيع دون أن يخطر فى خياله موقف الرجل عندما يعطى بلا رغبة .. أفاق ليراها تخلـــع ملابسها فبـــاتت البشاعة أكثر .. ضـــاق صدره وجلس متحايلا على نفسه .. بعد لحظات قام من قعدته أحسه .. اتجه ناحية البـــاب وقبـــل أن يصـــل تقايا طبق المكرونة مزدوجا بأكواب الشـــاى .. تناثرت فوق السجادة تفاقيـــع ما كان شحنه الامعاء فبانت مقرفه وغير محتملة . شدته اليها مشجعة وهو منكسر المشاعر قائلة بدلال ، لا تهتم .. لم ينفعل بكل حركاتها المصنوعة .. اغتاظت منه وبان فى عينيها المطفأتين شرر مغلول .. لم يجسر على طلب قرش واحد فكر فى أخذه منها ليستخدمه فى مشوار العودة .. خرج ومشى .. جائعا ومهدودا تتلوى أمعاءه حسرة وفى سقف حلقه مرارة وفى الدماغ خلية نحل تطن بلا رحمة بسؤال عن صانع اللـــوحات فى بيت السيدة العجوز .. وعنـــدما وصل بعد اجهاد الى حجرته باللوكاندة احكم اغلاق الباب وكانت الامور قـــد تزايدت سخفا وحمقا فجلس على طرف السرير يبكى دون أن يعرف الاسباب .



يـــوم من حيـــاة على الزيبـــق

محمود عبد الوهاب

المقـــدم صـــلاح الكلبى :

بعيونـــكم الـــكليلة يا جبنـــــاء .. تقـــدموا ولتلمس انامـــلكم الرعديدة جسده الهزيل .. تحسسوا جراحـــه ولتلعق اصـــابعكم لزوجـــة دمه .. أطعنوا بخناجركم صدره ثم ارهفـــوا السمع لانات اللحم والعظام .. اعصروا بين قبضاتكم عروق رقبته .. تفرسوا فى جحوظ عينيه .. اغرسوا اظافركم فى جلدوجهه.. اركلوه باقدامكم وانعموا بصوت ارتطام الاقدام بالبدن الغليظ .. هذا الذى يتمعى بين احذيتكم ذليلا وخائرا هو على الزيبق .. هل صدقتم الان ! . هل أدركتم أنه ليس ســـوى جثة تتنفس .. صعلوكا تطاول على مقامى أنا صلاح الكلبى وجعل من نفسه غريما لى .. لعله ظن انى ناعم الخد مثل امير ، أو مأفون يهذى بوساوس الحلال والحرام مثل قاض للقضاة .. لعله لا يدرى انى كنت زعيما للصوص احكم بالبطش كل البلاد .. اعددبجيش من العياق والشطار وابناء الليل عرش العزيز نفسه واننى انا الذى كنت أمنح العزيز بالله منديل الامان يوم قبلته منه واننى لم ازل احتفظ على وجهى بلثام اللصوص حتى بعد أن وضـــعوا على رأسى عمامة مقـــدم الدرك .. جبارا وعاتيا كنت وسأظل .. أجـــوس فى



الاسواق ماردا بين قطيع من اتـزام ابصقهى وجوه التجارمنتزعا بالصفعات كنز الدنانير .. احدق فى الملامح الصدئة متنمرا لصوت يخدش فى هوةالصوت رنين الصفعة .. تتلكأ عيناى الملولتان على اجســاد نسائهم .. أضـم الى جوارى تلك التى اتقدت لها تحت رماد سأمى جذوة الشهوة .. امضى بها وقد جعلت ذلة العيون من فريستى صيدا رخيصــا عثرت عليه فى جحر للفئران .. لكننى اليوم سأعب من الخمر قدر ما يشعل فى دمى كل نيران الشهوة .. سأرقص عاريا تحت بخار المـاء المعطر فى حمام المـلوك .. ســأجعل فرق المنشدين تطوف كل شوارع المدينـة وسأمر باشـــعال المصابيح فى كل الميادين ينبغى أن تحتفل كل البـلاد بهذه الليلة .. ليلة زفافى على « زينة البهية » عروس على الزيبق ..

ياســـمين :

اضحك ياأبى .. كى تتلألأ الضحكة فى عناقيد الثريات .. تتألق فى فضة الشمعدان وترقص فى وشى الستائر .. تخضوضر فى ورق اللبلاب علىنقوش المشربيات .. كى تعود مرة أخرى ابى واعود مرة اخرى ابنتك .. اجرى اليك وانعم بيديك حول كتفى اخلـع عـن راســك خوذة المقــدم .. اجفف عرق جبينك اتف فرحانة أرقب تفتح ابتسامتك .. اجلس بجانبك وعينــاى تتغرد لك أناشيد فخار .. يبهجنى اســترخاء جسدك .. تورد الاحساس بالدفء على وجهك .. هدوء الراحة على جبينك .. تربيتة يدك الحانية على ظهر قطتى .. تمنعك المستبرىء لالحاحى وأخيرا تحكى يا أبى .. مبهورة اســمع منك ارتشف الكلمات واخبئها فى قلبى كنزا اخرجه حين تجتمع الفتيات وازهو به : أبى صلاح صرع من قبل حسن رأس الغول واليوم يتوج رأسه الانتصار على على الزيبق .

المحــــاكمة :

— اسمك ؟

— على الزيبق .

— لم يتعرف عليك أهل الحى الذى تسكنه هل أنت غريب عن البلاد ؟

— لا .. لا امكث طويلا فى حــى واحد ولا يتعرف على الناس لبراعتى فى التنكر — ومهارتى فى التشخيص .

— أنت العطار الذى دس السم فى دواء المقدم عثمان ؟

— نعم .

— أنت العجوز التى خدرت بفطائرها حراس السجن ؟

— نعم .

— أنت الشحاذ الذى أشعل الحريق فى مخازن السلاح ؟

— نعم .

— أنت الجندى الذى تسلل الى بيت المال ثم قذف بالدنانير فوق أرصـــفة الشوارع ؟

— نعم .

— أنت قارىء القرآن الضرير الذى نقل الى علمــــاء الازهر فتوى قاضى القضاة السرية ؟

— نعم .

— أنت المنادى الذى افترى على الخليفة معلنا على لسانه فى الاسواق انه يهب ثمار حدائقه لمن يشاء .

— نعم .

— أنت حارس المقابر الذى ســلم للمتظاهرين جثة حسن رأس الغول ؟

— نعم .

— أنت الحمار الذى ترك الفلاحين ينهبون المريات المحملة بحصــوق بيت المــال فى محصول الارض ؟

— نعم .

— أنت المراكبى الذى أغرق هدايا التجار الى حامل اختام العزيز ؟

— نعم .

— أنت الطبيب ....

بكائية أم :

ابنى ثرثار مهذار

هذا ممتقع الوجه .. صموت

ابنى بسام العينين .. ضحوك

هذا تجحظ فى عينيه اللعنة .

ابنى مقدام لا يتوانى عن ثار

هذا خوار لا يدفع حتى عنه ذباب الارض .

ابنى شاب فياض القوة مفتول الساعد

اما هذا فلتبصر أنت بعينك ماذا يتدلى من كتفه .

ابنى تياه يزهو بالسيف المرفـوع بكف الاسد الرابض فى صدره .

اما هذا فعلى هيكله الخاوى لا ابصر اسفل عنقه الا جلدا منغضن .

ابنى الليلة يمضى مختالا فى حلله عرسه .

يرفل فى نور الجلباب الابيض .

يرقص فتواكب رقصته اطراف الشال الذهبية .

يتألق فوق حــرير عبــاءته ضــوء المصباح .

يرخى جفنيه حياء من همس رفاقه ، تحميه من العين الحسادة حبات المـلح المنثور .

تصحبه اغنيات الفرحــة وزغاريد النسوة وهدايا الاحباب .

اما هذا ..

توحيد يترجح فى برد الليل .

جمدت شفتاه على طعم الحنظل .

مفتوح العينين بأشواك غرست فى جفنيه .

مخزون ارهقه ثقل الحزن فأحنى راسه

لا .. هذا المشنوق ليس ابنى .

المقــدم صــلاح الكلبى :

انقضـــوا عصــبة من شياطين واقتلعوا من الصدور الخائنة سره .. ولتقصف جحافلكم الشــوارع الغادرة بالحراب المسمومة ، ولتفتك سيوفكم بأبنــاء الزنا الــكلاب فى احياء البغاء

النسري .. انتأوا في البيوت المريبة عيون المراوغين مزقوا بخناجركم عن وجوه المشبوهين قشرة البلاهة المصطنعة اغرسوا انيابكم في اعناقهم حتى تتحشرج الاصوات بمكمنه ولتطاردوه بعدها كاشرس الذئاب .. اقبضوا عليه كي يعود انكسار الذل الى العيون .. كي تنحني الرقاب التي تبجحت .. كي يخرس الهمس الساخر وتكف عن مطاردتي الكلمات الفاجرة : كان على الزيبق مشنوقا في الميدان ومع ذلك خطف منه زينة البهية .

ياسمين :

من شقوق المشربيات تتسلل الاشعة الواهنة .. ترقد اغصان اللبلاب الميتة فوق بقايا الضوء الخافت .. تنسدل فوق ظلام القصر صفرة المصابيح .. يتتابع في فراغ الصمت خطو محاذر تتطاول الظلال كئيبة في خواء المرايا .. مهموما يذرع ابي الحجرة .. تطردني بعيدا عنه جهامة وجهه .. تشرد نظراته حول الستائر الثقيلة الهامدة .. تتجاوزني .. تتلكأ بين قضبان القتامة الرازحة على نقوش السجادة .. تتكوم بين ذراعيه المعقودتين على صدره ..

●●●

المحاكمة :

— من يدرينا انك على الزيبق ؟

— خطفت زينة البهية بالطريقة التي لا يتقنها الا على الزيبق كنت البستاني الذي دخل الى القصر وكنت الوصيفة التي خدرتها وكنت الخباز الذي حملها مع اجولة الدقيق .

— شنقنا من قبل رجلا قال انه على الزيبق ؟

— ....

— يمكننا ان نصطنع معك من الوسائل ما يرغمك على النطق باسمك الحقيقي ؟

— بوسعي أن أدعي من الان انني شخص آخر طالما أن هذا يرضيكم .

— مايرضينا هو أن نعرف الحقيقة ؟

— ليس هناك من يجهر باسمه حتى لو هدد بالموت الا على الزيبق .

نجوى صديق :

اشعر اني انمو في محرابك .

اتحرر حتى من حزني .

يندلع بقلبي نور من عينك .

يرضعني من وهدة الى .

يجعلني ابصر .. اسمع .. المس واشم .

يجعلني افهم .

يجعلني احظى بالحضرة حتى بعد غيابك .

نحيا في قلبي الامسيات القمرية .

استنشق عطر دخان النارجيلة ..

يسدل علينا ظل الباكية الوسنى ..

نستدفىء بشعاع يغسلنا من عينيك ..

ينبع وهاجا من شمس فؤادك ..

اتساءل وحدى وظلام الشارع يقهر ضوء المصباح ..

اترى هل تخبو هذى الشمس الوهاجة يوم المحنة ..

هل اصحو يومئذ فأراها ظلا اصفر كان يخادعني في مرآة ؟ معذرة اذ كنت صغيرا يحجبني عن نورك ظل من شك .

اليوم اراك مضيئا في قلبي ..

بل اشعر اني ضوء يبصر ذاته ..

طهرني نورك من حزني ، حتى اني لا ابصر في هذى المشنقة سوى ظلك .. بل اني اسمعك تقول والبسمة لم تبرح شفتيك :

ما كان يدور بخلدى حتى في الحلم .

اني يوما — اذ أبصركم من حولي — اتجاهلكم ..

حتى اني لا أتنازل واجود عليكم من عليائي بالنظرة ..

المقدم صلاح الكلبي :

انتشروا في كل البلاد .. بثوا عيونكم في كل مكان : اسواق الفلاحين اكواخ الصعاليك .. خانات المسافرين .. حلقات المشدين .. قوافل التجار .. أروقة الازهر .. مغارات اللصوص .. صوامع الصوفية .. كهوف المطاريد .. فتشوا حتى بين عفاريت المقابر .. شياطين الجن .. كونوا ريحا تنفذ الى كل الشقوق .. كل الجحور .. كونوا طوفانا .. طاعونا .. زلزالا .. كونوا شمس جحيم تدهم كل الاحياء بقبظ جهنم ..

●●●

المحاكمة :

— انت الحارس الذى خطف ياسمين ؟

— نعم .

— ....

— على الزيبق ●

صافرات الانذار في مدينة قابيش وفرش الأسنان

ابراهيم احمد

انطلقت صافرات الانذار في مدينة قابيش كانت ربات البيوت يقمن باعداد العشاء فانكفأت وجوه بعضهن في الزيت المغلى ... وهرع بعضهن باطفالهن الى احواض الحمامات وغططن رؤوسهن بالماء كي يقطعن صراخهم . والطالبات اللواتي خرجن توا من المدارس تناثرن كالشظايا واختبأن في غرف الفنادق . اما الرجال الدين كانت نساؤهم باحضانهم فقد سحبوا اجسادهم وحشروا انفسهم تحت الاسرة وابتلع التجار ما لديهم من اوراق نقدية وكمبيالات واندسوا في صناديق البضائع . والمزارعون الذين كانوا متجمعين في بيوت الملاكين يشربون القهوة ويتبادلون الحكايات خرجوا مسرعين وجمعوا اغنامهم وكلابهم ووقفوا يتسمعون حيث تناهى اليهم الصفير خافتا من اطراف المدينة .

كان الجو رائقا في ذلك اليوم . لكنه تحت دوى الصافرات تكسر كالجدران الزجاجية وعج به الغبار الذى تطاير من تراكض الناس في الشوارع المتربة .

لم يتصور الناس ان كل هذا الصفير ينطلق من الالات الصغيرة المثبتة على سطوح البنايات تصوره بعضهم ازيز طائرات وصواريخ تنقض على المدينة . وظنه اخرون الصور الذى ينطلق يوم القيامة . قال بعضهم انها تجربة للصافرات لكن الجميع كانوا يعرفون ان احدا لم يعلن عن مثل هذه التجربة على العكس كانت هناك وعود وتقولات عن وشك بدء الحرب واستمر [.. مازالت مدينة قابيش غائمة ... اى ان الكثيرين يعتقدون انها مدينة وهمية وان احدا لم



برها او يتسح بها . حتى الذين يؤمنون بوجودها فعلا لا يستطيعون ان يحددوا موقعها على خطوط الطول والعرض وفيما اذا كانت فوق الارض او تحتها. والواقع ان مدينة قابيش لها موقعها على الخارطة ويمكن لمعلم التاريخ وهو منوم مغناطيسيا ان يورد عنها الكثير . وهي الان لهيا ممثلون في محفل المدن الاخرى يرتدون بدلات عصرية ويدخنـــون الســيجار وكثيرا ما يتصـاركون فيمـا بينهم .. انمـا ينبغى القــول ان قــابيش مدينة عجيبة . فالناس فيها يسيرون على اسنانهم . ويستعملون جهازهم الهضمى بالمقلوب ويتبـادلون عيونهم وبطـونهم واعصابهم كما يتبادل الاطفال لعبهم . ويتحدثون عبر انابيب طويلة من عظـام الموتى ويطهـون طعـامهم على الراديو ترانزستور واجسادهم نصفها في الليل ونصفها الاخر في النهار .. مليئة بثقوب واستطالات تتشابك في كل الاوضـاع . فتياتهم يولدن عادة بلا اغشية بكارة وهم يتلافون الامر بأن يخصوا عددا مماثلا من ابنائهم [ويستعمل الضوء الاحمر على ابواب غرف العمليـات او على ابواب رؤساء الدوائر العليا او قريبا من اسرة النوم ، بينما هناك حالات يستعمل فيها جرس يرسـل طنينا حادا حين تكون ثمة مداولات خطيرة في القاعة] كي لايكتشفوا الامر . والمراة في مدينة قابيش لاتعطى جسدها لزوجها مالم تقطعه الى شرائـح وتحوله الى عدة رجال اخرين وفي مدينة قابيش يجر الرجال وراءهم ذيولا طويلة هي في الحقيقة الحبال السرية التي لم تقطع بعد الولادة والتى تتعمد الامهـات ابقاءها اطمئنانا على ابنائهن حتى يذهبوا الى قبورهم . لذلك فان بعض الرجـال يضطرون لقطع ايدى امهاتهم .

ومن المناظر الاعتيادية في مدينة قابيش ان نرى رجلا يجر وراءه فيلا معلقا به كف امراة او مجموعة من صور الفتيات. والشاب في مدينة قابيش يهـدى لاهل خطيبته ميكروسكوبا وقنينة من دم العائلة مغلفة بقائمة راتبه ووثيقة تخرجه .وفي هذه المدينة توجد مدارس وجامعات يدرس فيها شـواهد القبور واحـدث نظريات هندسة المقاهى والناس هناك يزرعون ريش الطواويس وعيدان الكبريت ويدفنون الفلاحين كأفضل انواع السماد .والمعامل تقوم بتحويل النسيج المستورد الى كتل من القطن يستعمل في تجفيف السماء من الغيوم . ورغم ان بعض الناس يأكلون معلبات يعتقد انها من لحوم الملائكة او العصافير الان الاكثرية لاتجد غير صور الرياضيين تأكلها منقوعة بزيت الخروع. والناس في مدينة قابيش يصدرون للمدن البعيدة الاوكسجين غير المستعمل وصور زوجاتهم وجلود الالهـة ويسـتوردون طائرات ورقية ، وكتب يتسلون بحرقها في الساحات العامة [تطلق صافرات الانذار في حالتين : الاولى عند اعلان الحرب . الثانية عند وقوع غارة ـ الفقرة الثالثة من المادة الاولى من ذيل تعـديل ذيل لائحة صافرات الانذار في مدينـة قابيش ـ] ولديهم دور للعبادة بعـدد الذنوب التى تقترف ومكائن لتوليد الطاقة الكهربائية لكنها لاتكفي لسد حاجة كراسي الاعدام . فمن المعتقد ان الذين يعدمون هناك في كل ليلة يشكلون ٩ر٩٩٪ من سـكان المدينـة ولكنهم في الصـباح يستيقظون ويذهبون الى اعمالهم ليقدموا اصابعهم مغلفة باوراق الكربون هـدايا لرؤسـائهم . وهم لايعرفون الموسيقى لذلك يربون ديكه ذوات ذيول من العقارب تنشد في المناسبات . وفي كل ليلـة يقـدم التلفزيون برامج من نوع [تعرف على جثتك قبل النوم] واذا حاول احد في هذه المدينة ان يغير شيئا من الاوضـاع فانهم يدخلونه ماكنة لتقصير رقبته فهم يعتقدون بأنه قد امتلك رقبة طويلة استطاع ان يمد بها راسـه خارج اسوار المدينـة وقد حصلت أكثر من مناسبة انقض بهـا وجهاء قابيش على الاشـخاص الطيبين وخولوهم في صهاريج خاصة الى نوع من الحبر . قدموا بعضه هدايا لملوك المـدن الاخرى واسـتعملوا الباقي في طباعة الصحف ،وقد صار من عادة النساء الثكالى انهن في كل صباح يعصرن اوراق الجرائد ويستخرجن دماء ابنائهن لاستعمالها في وجبات الفطور . الا ان الحرب مازالت قائمة [بعض العوائل لاتفضـل رؤية الضوء الاحمر على ابواب غرف العمليات كمـا ان بعض الاطبـاء الرومانسـيين ينصحونهم بالجلوس في حديقة المستشفى) بين الاهالى من ذوى الرقاب الطـويلة ووجهاء قابيش . وثمة قبائل من مدن مجاورة وبعيدة يهمها ان ينتصر اصدقاؤها وجهاء قابيش لذلك فقد أقاموا مدينـة قريبة منهم تعمل على حمايتهم من الاهالى منتشرة باعمال الرية . فهي تقوم ببيع

شركة اجنبية كبيرة في التنقيب تحت اسم مدينة قابيش بحثا عن ابواب الجنة التى وعد الله بها عباده الصالحين والتي يقول حكماء قابيش وكتب التنجيم فيها انهـا موجودة تحت مدينتهم [استميحكم العذر .. ما ساقصه عليكم يبدو هينا بالنسبة لما فى مدينة قابيش . انما لابد من القول ان اهل قابيش يعتقدون بانهم النسل الوحيد الذى هبط من السماء وان الالهة دست صورهم الفوتوغرافية فى ارحام امهاتهم قبل ان يولدوا وما تقوله النظريات العلمية عن نشوء الانسان فى نظرهم تقارير عشائرية تصح على خادمات البيوت والجنود الذين احتلوا بيوتهم قديما وعرفوهم على البطاطس والفساتين القصيرة . انهم فى الحقيقة يرون انفسهم بشكل اعتيادى ومرض تماما .. كالمراة التى تذهب فى ثياب الحداد الى عشيقها فى مكتب تسجيل العقار] . ووجهاء قابيش يتظاهرون بكرههم للمدينة التى قامت على اراضيهم بل انهم دخلوا معها اكثر من معركة لكنهم كانوا يحملون فى جيوبهم ملابس داخلية لزوجاتهم يستعملونها عند الاستسلام او يقدمونها كهدايا رمزية . ولان مدينة قابيش مثبتة على الارض بمسامير ضخمة ينحنى لها الناس خمس مرات فى اليوم فان موظفى المعابد يقولون ان ذلك يكفى لحفظ المدينة من السقوط . لكن الناس البسطاء يؤكدون ان الشركة القائمة بالتنقيبات على وشك الوصول فى حفرياتها الى مركز المدينة . وان اطفالهم يصيبهم الارق كل ليلة من ضجيج المعاول التى تضرب تحت اسرتهم والتى لاتحس بها الاباء الا عن طريق الراديو . لذلك فقد طالبوا بالتصدى للخطر ، وقد امتثل وجهاء المدينة لندائهم هذه المرة) الدوى يتعالى كأن السماء تحتك بسطوح المنازل والشفق يلتمع احمر قانيا وقد تصوره الكثيرون وميضا لتفجيرات تقترب فى هذه اللحظة تقفز شرطة المرور عن دراجاتهم النارية وتركوها فى الشوارع ترسل اصواتا كالقهقهات . ودس الضباط السدس كانوا يتمتعون باجازاتهم مسدساتهم فى حقائب فتياتهم بينما ارسلت الحاميات المحيطة بالمدينة برقيات الى دار الرئاسة تطلب توضيحا ولم تتلق ردا اذ كان اعضاء الحكومة قد نتحوا الدهاليز وحملوا حقائبهم واتجهوا الى يخوتهم وغواصاتهم .

فجأة اخذ الصفير يتناقص ويأتى واهنا مولولا وبدت المدينة تستقر على الارض تدريجيا . ثم حل صمت هائل لم يجسر أحد على خرقه بكلمة أو صرخة . بعد برهة سمعت مارشات عسكرية تنبعث من الراديو . عقبها صوت عضو حكومة قابيش يذيع بيانا يدعو فيه الناس الى السكينة ويشكرهم على ما ابدوه من رباطة جاش ، موضحا أن ما حدث كان نتيجة خلل فى مركز السيطرة على الصافرات وان الحرب لو وقعت فعلا فان الجميع سيقفزون على الطائرات ويحطمونها فى الجو ، استمع الناس الى البيان وهم يسيرون واجمين الى بيوتهم بينما تجمع بعضهم فى الساحات يهتفون ويهزجون .

كان الذين تصدروا المظاهرات يحاولون ان يبدوا وهم يلقون قصائدهم وكلماتهم بأنهم لم يسمعوا بيان الحكومة . فهتفوا بسقوط العدوان وطالبوا بتدريبهم على السلاح وتصفية التجمعات التى عزفت مناوأتها لوجهاء المدينة . اذكر انى عندما سمعت اصوات الصافرات لم اشعر بالخوف لكنى كنت قلقا على زميلى المهندس الذى قام بنصب جهاز السيطرة وشبكة الصافرات فى المدينة . فقد كان منذ القيت عليه هذه المهمة يحدثنى عن جهاز اوتوماتيكى بحجم كرسيين او ثلاثة استعمل فى تشغيل كافة الصافرات فى المدينة . كان يقول : من المحتمل ان يصدر هذا الجهاز اشارات وهمية . فهو منصوب فى غرفة معرضة للطوارىء لاتخضع لحراسة جيدة . لقد كنا نعمل فى شعبة توليد الطاقة للاجهزة الالكترونية وقد جاء المدير لاهثا الى غرفتنا واخبرنا بصدور امر يقضى بالتحاق احد اعضاء الشعبة فى لجنة الاستحكامات المدنية . واشار اليه وهو يقول : لقد رشحتك لتقوم بهذه المهمة . لكنه قال للمدير : اعتقد انك وحدك تستطيع القيام بذلك . وسمعت المدير يجيبه بصوت فيه شيء من الرجاء بأن الامر سيطول كثيرا . واكثر مما حدد له فى المخابرات الرسمية وانه سوى ان يحيل نفسه على التقاعد . كنت ارقبه يذهب ويجيء حاملا حقيبته المليئة بالادوات والتقارير وهو فى حالة ذهول .

كان يحدثنى ان كثيرا من الدوائر لم تكن تسهل مهمته . وان الصافرات التى اهديت لمدينة قابيش من احدى المدن المحايدة ذات تحمل محدود ومن المحتمل ان تنفجر اذا رفعت سرعتها . كان فى كل يوم تقريبا يلاقى مشكلة [مرة تشاجر مع امام احد المساجد عارض فى نصب صافرة انذار فوق قبة المسجد لانها تشغل السلك الذى يستعمل فى نقل خطبته يوم الجمعة] . مع ذلك انجز العمل قبل الوقت المحدد له فاستلمته لجنة من العسكريين واعضاء المجلس البلدى . لقد اكتسحتنى موجة من الالم وانا اتصوره يستمع الى عضو الحكومة يذيع بيانه ويؤكد انهم سيحققون ويضربون بشدة المتسببين فى هذا العطب . لقد تأكد لى انه قتل فى تلك الليلة فلابد انه استدعى فورا وتحدث كعادته بهدوء واقتضاب مما زاد فى غضب المحققين له . وفى اليوم التالى حين لم اجده فى الدائرة تفاقمت مخاوفى عليه . وجاء بعض العمال وهمسوا لى بأنهم علموا باعتقاله فى نفس الليلة . ومن المحتمل انه قتل . ورايت شرطيين يدخلان الدائرة . بعد دقائق استدعانى المدير وطلب الى مرافقتهما . ركبت معهما سيارة صغيرة ذهبت مسرعة بنا الى مقر الحكومة ومثلت امام الرجل الذى عرفت من صوته انه هو الذى اذاع البيان . بعد ان تفحصنى بنظراته السريعة قال لى : عليك ان تقدم تقريرا عن سبب انطلاق الصافرات ليلة امس . فتحت فمى لاقول ان الصافرات كأى آله تتعرض للخلل اذا لم تستعمل . لكنى رايته يرفع يده بكف مضمومة بدت كالمسدس وهو يقول : ان المهندس السابق اهمل فى واجبه . وقد اعدم وعليك ان تعرف ذلك جيدا حين تعد تقريرك . خرجت من دار الحكومة وانا احس بصفير حاد فى راسى خلته ينبعث من ثقوب الرصاص فى جثة صديقى التى ربما لم تدفن لحد الان . ذهبت مسرعا الى مركز الايعاز . كان فى بناية كبيرة قائم فى طرف المدينة . والاجهزة فى غرفة ضيقة قريبة من دوائر أخرى فى نفس الجناح . فتح لى الغرفة الضابط المسئول من الحراسة . كان أول شيء وقع عليه نظرى ازرار الاجهزة التى تشبه مفاتيح البيانو . كان غطاؤها مقلوبا تناثرت عليه نشارة صفراء تشبه فتات الخبز . وخلف الجهاز الرئيسى منضدة عليها فضلات اطعمة وزجاجات فارغة وكؤوس مازال فيها بقايا شراب بنى . دفعتها قليلا فقفز جرذان كبيران واختبأ فى جحر بزاوية اخرى . نظرت من فتحة جانبية كانت ثمة جرذى ضخم متيبس بين الاسلاك . بسمعت الضابط يقول بلهجة آمرة وقد رآنى اخرج الجرذى بالملقط :

— انه لم يغلف الاسلاك جيدا .

لم أرد عليه . بل حاولت بنظراتي ان اجلب انتباهه الى المائدة التى جلس وراءها ، والى الجحور التى فى الزوايا . لقد تأكد لى أن هذه الجحور تكونت بشكل متعمد اذ كانت الغرفة بجدران متينة خاصة من الخارج فهى تلوح كقاعدة برج ضخم .

قال ضابط آخر كان قد دخل الغرفة مسرعا :

— كان عليهم أن ينظفوا المائدة من الفضلات .

كنت متاكدا أن الجهاز نصب بطريقة دقيقة . مع ذلك قمت بربطه الى الفاحصة المثبتة بجانبه ولم تسجل عليه عارضة . احكمت اغطيته المعدنية وأنا انظر الى الضابطين كان احدهما مشغولا بتنظيف المائدة وأرضية الغرفة . والاخر يضع اعقاب السجائر ، والعلب الفارغة فى

ملة بلاستيكية ويرقبني بطرف عينيه . ويبدو انه عرف بأني لم أجد خللا بالجهاز فبادر الى القول بطريقة ذكرتني بلهجة عضو الحكومة :

ـ اعتقد انهم لم يصدقوك .

خرجت من القلعة وقد عادت ثقوب الرصاص في جثة صديقي تنفث لهبها في رأسي .

سألني سائق السيارة الذي تجاوز الستين وكان يسعل طوال الطريق :

ـ هل حقا انهم قتلوه ؟ .

ولم اجبه ، اذاخرجت اوراقي وبدأت اكتب .

حين دخلت على المدير بادرني وهو يتصنع الوقار :

يمكنني أن اتوقع المعارضة .. عدم تركيب قفل الشبكة .

قطعت توقعاته وانا اضع أمامه الورقة الصغيرة التي كتبت فيها التقرير ،تناولها مرتبكا وأخذ يقرأ بصوت متقطع ...

ـ لدى التحري وجدت أن انطلاق صافرات الانذار في مدينة قابيش مساء يوم ٤ من الشهر الجاري كان نتيجة عبث الفئران في الجهاز المركزي للايعاز فقط انبعثت اشارةرئيسية كاملة الىالقطاعات لم تتوقف الا بعد أن صعق التيار الكهربائي جرذيا كبيرا . لقد وجدت في الغرفة جحورا وثقوبا من المحتمل انها حصلت بفعل التخريبات . كما أن وجود فضلات اطعمة ومشروبات قرب الجهاز قد جلب الفئران وجعلها بعد تناولها تتحرك بطريقة عشوائية . اقترح تشييد بناية جديدة وجعل الجهاز تحت اشراف لجنة من المهندسين فقط .

كان المدير يخفض صوته كلما توغل في قراءة التقرير .وحين وصل الى كلمة « اقترح » تحول صوته الى همس ثم رمى التقرير جانبا وتشاغل بتصفح أوراق أمامه . وحين وجدني مازلت انظر اليه كأني استحثه للكلام قال :

ـ بعد قليل سيأتون لاستلام التقرير .

اتجهت الى ورشة العمل . طالعني المقعد الفولاذي الخالي الذي كان يجلس عليه صديقي . رحت أرقب صور اطفاله تحت زجاجة المنضدة واقلب بعض الخرائط . بعد ساعة تقريبا جاء شرطيان . أمسكا بيدي واقتاداني الى ساحة مشبكة الجوانب أوصلتنا الى بناية ضخمة عرفت من اللافتة التي علي واجهتها انها مستشفى الامراض العقلية . وقف الشرطيان في الباب ودفعاني الى غرفة مدير المستشفى . قال لي المدير بملامح حاول أن يجعلها رصينة :

ـ لماذا تكره الفئران ؟

كنت أمثل دور المجنون الذي توقعه لي واقول [انها اكلت اصابعي] لكني قلت له بهدوء أن التقرير الذي كتبته كان صحيحا . لقد طلبوا مني الكشف على أجهزة مهمة وكان يجب أن أكون صريحا معهم .

انفرجت ملامحه قليلا وغير لهجته :

ـ كيف تستطيع الفئران أن تطلق جهازا ضخما . قلت له ان الجهاز بأزرار حساسة جدا والفئران التي عبثت به كانت بأحجام كبيرة . فابتسم وقال وهو يغلق الملف الذي أمامه :

ـ انني أريد سلامتك لذلك ستحل ضيفا علينا .

في مستشفى الامراض العقلية كنت لا اقرب احدا . رغم ان بعض الاطباء والموظفين حاولوا التقرب مني والتحدث معي . وجاءوا الي غرفتي بنزيل منجناح آخر تجاوز الاربعين مهووسا بالاناقة . يقول انه مات منذ خمسين عاما ومازال يحمل جثته هربا من الشرطة ويضع في ياقته زهرة يشير اليها ويقول بأنه في يوم ما سينسف بها المدينة وجدتصحبته مسلية كان يسألني دائما [اتعرف مدينة قابيش ؟] احيانا اجيبه بلا فيهز رأسه ويسكت .

في ذلك اليوم كنت اتمشى معه في حديقة المستشفى كان النزلاء يتجولون حولنا وفي الممرات . سألني :

اتعرف مدينة قابيش ؟

قلت له : لا .

سحب يده من على كتفي وقفز على احدى المصاطب واتخذ هيئة شرطي المرور مؤشرا للنزلاء المنتشرين في الحديقة والجالسين على اسرتهم وراء الشبابيك . ويبدو انهم يعرفون حركته هذه فتجمعوا أمامه يتطلعون اليه وعلى وجوهم ملامح الجد والترقب قال وهو يشير الي :

ـ هذا الرجل لايعرف مدينة قابيش ... اي انه مازال عاقلا .

أخذ المحيطون به يهمهمون . ومد يده الى جيبه كأنه يخرج اوراقا واخرج فرشاة اسنان أخذ يلوح بها بلهجة خطابية :

ـ مدينة قابيش ..جزمة مملوءةبالبترول والعصافير .

رفعوا ايديهم بملاعق واقلام وأزهار وفرش اسنان ورددوا عبارته .. واعتلى احدهم كتف رجل بجانبه ورد عليه :

ـ ... بندقية محشوة بحبوب منع الحمل .

وهتفت امرأة من وراء شباك زنزانة في الجناح الخلفي :

ـ ... انها كلبة تضاجع الشياطين .

تنحيت جانبا انظر اليهم وقد اختلط هتافهم وصراخهم وتحول الى لغط واصوات صاخبة . وسكتوا دفعةواحدة ووضعوا أيديهم على آذانهم كأنهم يتحاشون ضجيجا عنيفا . صرخ الرجل الذي كان واقفا على المصطبة :

ـ الصافرات ... الصافرات احملوا فرشي الاسنان .

وتراكضوا باتجاه جناح ادارة المستشفى انتزعوا آلات اطفاء الحريق والجرادل الحمراء المليئة بالرمل . واغصان الاشجار وأخذوا يضربون بها الابواب . اندفع اليهم الحرس مشهرين اعقاب البنادق . اشتبكوا معهم لكن الحرس انتزعوا انفسهم بصعوبة فوقفوا يرقبونهم من بعيد . تهاوت الابواب وبدت الغرف خالية اذ كان الاطباء والموظفون قد صعدوا الى السطح يرقبونهم بهلع . فجأة توقفوا وانسحبوا الى الحديقة . جلست مسترخيا على المصطبة أرقبه . كان قسم منهم قد أصيب بجروح وتلطخت ثيابهم الممزقة بالدم واخذوا يتمشون ويتراقصون وراء بعضهم . سمعت صوتا يدوي من بعيد كأنه يأتي من مركز المدينة . ثم ضجت الاصوات من كل جانب . وانطلق صوت عنيف من أعلى بناية المستشفى وتردد في الغرف الخالية صدى كالعويل . نهضت من مكاني وقد تأكد لي أن صافرات الانذار قد انطلقت في كل مكان . النزلاء مازالوا مستمرين بأحاديثهم وصراخهم الذي لم اعد اسمع شيئا منه . ولم يبد على احد منهم انه سمع الصفيرة العنيف أو اكترث له . نظرت باتجاه الباب . كان الحراس قد القوا بنادقهم واختفوا . والمارة في الشارع المقابل يتراكضون مسرعين . وجدت نفسي أسير على الرصيف والناس حولي يتدافعون ويتصادمون ببعضهم وبالسيارات التي تركت مفتوحة الابواب وسط الطريق وعوائل يتركون سياراتهم الخاصة ويختبئون في حفر المجاري والمراحيض وبين أكوام الانقاض واصحاب العمارات منهمكين يزيلون اللافتات الصغيرة التي تشير الى ارقام الملاجيء ويغلقون الابواب . كان صراخ الناس وهلعهم يختلط بالصفير ويتحول الى ما يشبه الصمت الذي رأيته على وجه صديقي قبل يوم من مقتله .

حاولت السير بهدوء وأنا افكر بنزلاء المستشفى ربما لم يسمعوا الصافرات لحد الان ولكنهم في وقت ما سيسمعون الصافرات التي لن يسمعها غيرهم .

كنت اسير مطمئنا في الطرق القريبة من حدود قابيش . لم اكن اخشى شيئا فانا اعرف جيدا من الذي اطلق هذا الصفير ان غرفة السيطرة مازالت مليئة بالثقوب . والمائدة وما عليها مازالت بجانب الجهاز تجذب اليه المزيد من الفئران . المدينة الاخرى لم تكلف نفسها وتشن الحرب . ان اصوات الصافرات التي تطلقها الفئران في مدينة قابيش تكفي لتعويد الاطفال وآباءهم على سماع المعاول التي تضرب تحت بيوتهم . وسيتولى الشرطة تكبيل نزلاء مستشفيات الامراض العقلية بالسلاسل فلا يستطيعوا أن يستعملوا ازهارهم كلما سمعوا صفيرا ولذلك لن تتمكن مدينة قابيش أن

تبدأ معركة ولا تقريبة أنها تستطيع أن تبقى هكذا نقط . حتى يعم الهدوء فوق الارض ويتسنى للشركة القائمة بالتنقيب تحتها أن تصل الى ابواب الجنة أو ابواب الجحيم . لقد اجتزت نقاط الحدود دون أن يعترضني أحد وقد بدت مدينة تابيش من بعيد كصفوف من التوابيت والكهوف . انني لم امتلك في هذه المدينة مترا واحدا ومع ذلك كنت مستعدا للموت من اجلها . ولكن ماذا افعل !

حقا انني حزين لترك مدينة تابيش . لى فيها قبر أمي وأناسها احبهم . تسألني الى أين ؟ وهل هذا مهم جدا ؟. انني ايضا أريد ان امارس .عملي الذي خبرته طويلا ... تلك هي التضحية يا سيدي المدعي العام .

ــ حسنا سأسجل محضرا في ذلك ●



أنغـــام مذبوحـــة فـــوق فـــراش يحتضر

سعيد بكر

قالت وهي تغالب دمعة..

ــ نقلناه الى المستشفى ومات هنـاك .. بحثنا .. وبحثنا عنك لم نجدك ..

لم اصدق .. كانت تلح ان انقله اليها لتستحوذ علي .. لكن حين هرولت الى المستشفى وجدته قد فارق الحياة ..

● ● ●

لم يبق سوى الناب المحروق البشرة .. وغرفة عالية السقف تفوح من محتوياتها رائحة البول .. تآكلت جدرانها وطفح من جوفها املاح مندونة .. السقف العالي بدعائمه المرضية لا لون له .. عند الركن فراش حديدي مكتسي بملاءة من قطع مختلفة الزخارف .. في الجانب الاخر أريكة عارية الظهر ممسوسة الجوانب .. اعواد الناب الصفراء تعانق الاملاح المندونة عند قمتها .. الهواء الراكد تميز فيه رائحة النوشادر والصمت يرتع بين الجدران .. لكنها تقبل مع الليل تعابث شعري الاجعد .. تساعدني على خلع ثيابي وينام رأسها في غزارة شعر الصدر . على ظهر الاريكة العاري اقبل فمها فتضحك بصوت عال .. من نظرة عينيها اقوم الى ناب ابي واعزف لها نغما .. تبتسم حينا وتومىء بجدائل شعرها الاسود الطويل .. تدور الانغام في الغرفة فأنسى وجودي .. انغام الناب دائما تنفر قلبي .. ولعل في اللحن رائحة النوشادر ما ان تمضي الالحان حتى يقحم النوشادر نفسه في أنفي .. أيقظني صوتها الهامس .. قامت وفي بطء العزف بدأت ترقص .. رقصاتها رتيبة يتلوى الخصر بتلوى بسمتها .. راقبتها وانا ملى تتحرك فوق ثقوب الناب .. اعزف لها لحنا ..

● ● ●

دسست رأسي تحت ابطه .. نهض من الفراش في تشنج مزعج .. تصلبت اصابعه حول عمود الفراش السميك تلوى فمه عند أذني بهمهمة مكتومة .. رفعت ذيل جلبابه .. بال في الركن المتآكل للحائط .. غمغم بما يشي بفك عسره .. تركت ذيل جلبابه يسقط .. اجلسته الى حافة الفراش .. حاولت ان اميل به الى الخلف .. هز راسه في عنف .. فهمت انه يريد أن يدخن.. ظل في جلسته محني الظهر يكاد يدفن الراس بين فخذيه .. ناولته سيجارة.. اخذها بحركة عصبية ودسها بين شفتيه .. امام وجهه أشعلت عود الثقاب .. سحب أنفاسا متقطعة تراجعت الى الخلف .. وتركته يسبح في دخان سيجارته ..

● ● ●

اذكر انه كان قويا ووسيما .. أخذني من يدي وقال بنبرة محملة بأشياء كثيرة ..

ــ سوف نغادر قريتنا الى المدينة ..

وحين تساءلت عن أمي هتف وهو يكز على اسنانه ..

ــ سبقتنا اليها ..

ولم أعد اتساءل ..

● ● ●

هي اخرى غير التي تقبل في الليل .. ماكنت استطيع أن اجرح شعورها في النهار .. اتخذ لنفسي وجها جادا واحييها بصوت كله حياء .. أوصيها بالرجل الذي يبول عند الركن .. أناولها بضع ثياب متسخة تقوم بغسلها مقابل بضع قروش .. وغريبا انها تأتيني في الليل تتجرد من ثيابها .. وترقص على انغام الناب .. في الضوء تأخذ شجاعتي مني حتى ردفيها.. ويروحان يتصفحانهما .. عند الباب الخارجي أجد ابنها ينتظرني كي انفحه قرشا .. ولكن لا تغيب عني ابتسامتها التي تشيعني بها الى الخارج ....

● ● ●

في الطريق يحمل أعواد الناب في حقيبة من القماش .. وغابي يرسل أنغاما تجذب المارة لا أتوقف عن العزف وهو يبيع أعواده .. كان ذلك الناب نابه .. عند الظهر بلغ بنا التعب مبلغا ضخما .. استرحنا في المقهى بالطريق وتناولنا الغداء .. بينما يحتسي كوب الشاي قلت :

ــ لم تذكر لي شيئا من أمي حتى الان ..

احتقن وجهه فجأة .. هز راسه ثم قال :

ــ لم تعد صغيرا .. لقد فرت أمك مع عشيق لها ..

كأنما وخزني بخنجر فبادلته احتقان الوجه .. ورحت أبتلع ما في الكوب في صمت .. ثم عدنا الى الطريق والناب يسبقنا بألحانه ..

● ● ●

رائحة النوشادر تتصاعد بهبوط الليل .. لم تمض ثوان حتى اقبلت .. كان معها ضيف شعرت بضيق في محضره .. ابنها الوحيد .. تربع فوق الاريكة العارية الظهر وتابع حركاتنا بعينين ساكنتين .. قالت :

ــ ساعزف .. اريد أن ارقص ..

رنوت الى الابن .. طمأنتني قائلة ..

ــ لا تشغل بالك .. نريد أن نريه ماذا نصنع ..

عزفت عن خوفه .. تجردت من ثيابها .. تلوت .. رقصت والابن ساكن .. خلعت عني ثيابي .. بدوت عاريا تماما .. ضمتني اليها وفي الفراش الحديدي دفنت خجلي فيها .. لمحت من طرف عيني الابن وهو يعبث بناب أبي .. همست في أذني ..

ــ اطرد عني خجلك .. لقد افعمتني به.

من الركن تساعدت تنتلت النوشادر تزكم أنفينا ..

● ● ●

تخلى عن جولتنا فى الطـرقات .. آثر أن يلزم الفراش بمرضه ؛ .. هذى كثيرا من آلامه .. وظل طـول الليلة يبول على نفسه ..

● ● ●

دائما تصحب ابنها فى زيارتهـا .. يروح يعبث بعود القاب .. ولكن فى الليلة غافلنا وحمل العود .. وغـادر الغرفة .. تنـزت هلعاً وشدتنى اليها . قالت ..

.. قالت ...

ـــ دعه يلعب ..

صرخت فيها بصوت خرج معه الى ..

ـــ عود القاب ..

غادرتها فى الفراش عارية وحدها .. خرجت أعدو فى أعقـاب الابن .. فى الردهة الطويلة التقيت بهـا .. كانت مرتدية ثيابها .. لم أعبأ بها .. ولم اتساءل كيف تلك السرعة ارتدت ثيابها .. لمحت على وجهها علامات الدهشه .. وضعت يدها على نهدها ولما تمالكت

ـــ كيف تخرج عارياً هكذا ..

قلت فى صوت عال ..

ـ أنت كاذبة ... كان معنا فى الغرفة ..

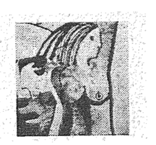
قالت وهى تشيح بعينيها عنى ..

ـــ ابنى نائم ..

قلت وقد خذلنى كذبها ..

ـــ انت كاذبة ... كان معنـا فى الغرفة ..

انطلقت الى الطريق ابحث من الابن .. وهى خلفى تولول وتلطم خديها ... كنت عاريا وتنبعث من حولى رائحة النوشادر ....



عطيـــــــل

محمود ماهر الجمل

الاصحاح [١]

زوجة

شـــابة غارقة فى دمائها .. وامهـا تولول على جثتها .. وفى مواجهتهما يقف زوجها وبيده المسدس ملوثـا بالدماء .. ومنطواه وفى هدوء قال الزوج لضــابط المباحث : قتلت زوجتى .. لامســـ عارى !!!

الاصحاح [٢]

هناك متزنان خلقيان ، احدهما واضح والثانى مستتر : يجب أن اذكر ذلك عندما اعاود قراءة مشهد قتل عطيل لديمونا بسبب الغيـرة كما يجب أن اعاود قراءة مقال [البطل والشيطان] لمود بود كين

الاصحاح [٣]

أوقع الرب الاله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من اضـلاعه وملأ مكانها لحما وبنى الرب الاله الضلع التى اخذها من آدم امرأة واحضرها الى آدم فقال آدم هذه الان عظم من عظامى ولحم من لحمى هـذه تدعى امرأة لانها من امرء اخـذت لذلك يترك الرجـل اباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا . وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان ..

الاصحاح [٤]

العملية الجنسية هى اعظم مخـاطرة تواجهها المرأة فاذا استطاعت التغلب على المصاعب التى تواجهها اصبحت حياتها تشع بالسعادة والهناء أما اذا فشلت فان التعاسة ستكون اعظم من أن تتحملها .

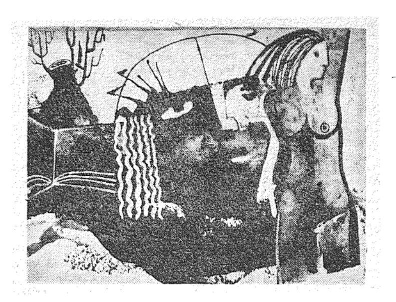
الاصحاح [٥]

لما اسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشى فيها وحيدا لم يكن له من يجالسـه ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر يقـال له النصيرى فخلق منه حواء من غير ان احس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو ألم آدم من ذلك لما عطف رجـل على امـرأة ... ثم ألبسـها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسـها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون علمه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم تسـميت حواء بذلك قال لانها خلقت من شىء حى قالوا أو لماذا خلقها الله تعالى ؟ قال لتسكن الى واسكن اليها وذلك قوله تعالى ـــ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعـل منها زوجها ليسكن اليها ـــ قال النبى صلى الله عليه وسلم « خلقت المرأة من ضلع اعوج فان تقمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها » وقيل الحكمة فى أن الرجال يزيدون على مر الايـام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم حدة وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحـا لانهن خلقن من اللحم ، واللحم يزداد على مرور الايام فسـادا .

الاصحاح [٦]

هاملت : .... بالسرعة التحول ... لو سميت ... لسميت امرأة

[١] من جريدة اخبـار اليوم بتاريخ١٧/٤/١٩٧١
[٢] تعليق خاص على جلدة مسرحيةعطيل لشكسبير
[٣] الاصحاح الثانى من سفر التكوين
[٤] من مقال الحياة الجنسية اعظم مخـاطرة تواجهها المـرأة مجلة ريدرزدايجست يونية ٥٧
[٥] من الباب الرابع فى صفة خلق حواء من كتاب عرائس المجالس للثعلبى .
[٦] من مسرحية هاملت لشكسبير



الاصحاح [٧]

حددت الزوجة موعدا للتلقى بعشيقها وكان اللقاء بحمام منزل الزوجية ولم يشك الزوج فى تصرفها عندما عاد الى منزل الزوجية ولم يجد زوجته بحجرة النوم .. نادى عليها فوجدها بالحمام وطال انتظاره لها ولم تخرج الزوجة من الحمام فبدأ الزوج يشعر بالقلق على زوجته التى علمت بعودته من الخارج ولم تسرع لاستقباله كأسرع الى الحمام وهو خائف عليها وعندما اقترب من باب الحمام سمع همسا بالداخل وبين دهشته وتعجبه نظر من ثقب الباب فرأى منظرا عقد لسانه شاهد زوجته تعانق ابن الجيران ! ولم يتمالك اعصابه .. حاول اقتحام الحمام بالقوة .. وأراد أن يقتل عشيقها ولكن العشيق دافع عن نفسه وضرب الزوج علقة .

الاصحاح [٨]

ايها الزناة والزوانى اما تعلمون ان محبة العالم عداوة لله فمن أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله ام تظنون أن الكتاب يقول باطلا الروح الذى حل فينا يشتاق الى الحسد ولكنه يعطى نعمة اعظم لذلك يقول يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة فاخضعوا لله قاوموا ابليس فيهرب منكم اقتربوا الى الله فيقترب اليكم نقوا ابديكم ايها الخطاة وطهروا قلوبكم ..

الاصحاح [٩]

مادة ٢٧٤ : المرأة المتزوجة التى ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لاتزيد على سنتين لكن لزوجها ان يوقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرتها له كما كانت .

مادة ٢٧٥ : ويعاقب ايضا الزانى بتلك المرأة بنفس العقوبة .

مادة ٢٧٦ : الادلة التى تقبل وتكون حجة على المتهم بالزنا هى القبض عليه حين تلبسه بالفعل أو اعترافه أو وجود مكاتيب او اوراق اخرى مكتوبة منه او وجوده فى منزل مسلم فى المحل المخصوص للحريم .

الاصحاح [١٠]

تقتصر مهمة الادعاء اصلا على الرجال اما النساء فقد يكون لهن دور فى الاتهام أو الشهادة والمرأة وهى اضعف بطبيعتها من الرجل فى نواح مختلفة ، الا ان الطبيعة قد زودتها من ناحية اخرى بوسائل تمكنها من التأثير على الرجل وتوقعه تحت سيطرتها وهى بالتالى قد تتخذ من هذا سبيلا لتحقيق اغراضها والمحقق كأى رجل آخر قد يقع تحت تأثير المرأة اذا ما مثلت أمامه فى احدى هذه الادوار ويتبين ذلك من التغييرات التى تطرأ عليه حينئذ فهو يحاول الاعتدال فى جلسته اصلاح رباط عنقه تغيير اسلوبه فى الحديث فى مواجهتها وهذا بالتالى قد يؤثر فى موضوعية التحقيق .

الاصحاح [١١]

اذا أردت تهييج عقل الزوجين الى صاحبه فخذ كاغدا احمر واكتب عليه لياخيم فلان وفلانة الى آخر الاسماء السبعة ثم تضيف الهه اسمه تعالى الودود العطوف الرؤف سبعة وسبعين مرة ثم تطوى ذلك الحرز وانت قد جعلت به ترابا من تحت قدم المطلوب يعنى الاثر والعمل فى ساعة الزهرة والطالع السرطان أو الميزان ثم تعلق ذلك الحرز فى رقبة وطواط بشعر المطلوب وتطلقه فانه يهيج عليه هيجانا عظيما .

الاصحاح [١٢]

موبسك : (لزوجته) يا امرأة : لا ! لابد ان فيك شيئا ! كل انسان هاوية سحيقة يصيبنا الدوار حين نتطلع اليها لكن انها تسير كما لو كانت هى البراءة نفسها ولكن لك ابتها البراءة علامة تدل عليك .. هل اعرفها ؟ هل اعرفها ؟ من الذى يعرفها ؟ !!

الاصحاح [١٣]

اعرف نفسك

الاصحاح [١٤]

وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب

---

[٧] من جريدة اخبار اليوم بتاريخ ١٩٧١/٥/١

[٨] الاصحاح الرابع من رسالة يعقوب من العهد الجديد

[٩] قانون العقوبات المصرى طبعة نوفمبر ١٩٦١

[١٠] موجز مقال جراسبرجر المرأة متهم او شاهد / المجلة الجنائية القومية [٣]

[١١] فصل التهيج من الباب الحادى والعشرين فى انواع المحبة من كتاب شموس الانوار للمغربى

[١٢] ص ١٢١ من مسرحية موبسك لجورج شسر الالمانى

[١٣] سقراط (٤٧٠ : ٣٩٩ ق م اعلى معبد دلفى

[١٤] الاصحاح الخامس من انجيل متى .

طلاقٌ وأما أنا فأقولُ لكم ان مَنْ طَلَّقَ امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى .

الاصحاح [١٥]

فويسك : وثمن السكين ؟

اليهودى : السكين مستوية تماما ، هل تحب حضرتك أن تقطع بها رقبة زوجتك مه ؟ ما رايك ؟

الاصحاح [١٦]

الاعتقاد يزداد اليوم فى الدوائرالعلمية بأن المرأة تتمتع بموهبة خاصة تكفل لها البقاء وان لديها سلاحا لمقاومة الاستهلاك البدنى والعاطفى ..

الاصحاح [١٧]

ليزى : .. قل اذن انها خطيئتك انت يا عزيزى .. وخطيئتى كذلك .. تعال .. تعال اجلس على « خطيئتنا » كانت لذيذة

الاصحاح [١٨]

الشيء الذى يجب أن يدركه الرجال والنساء اكثر من غيره هو أن الجانب الاكبر من حياة المرأة انما يحكمه دورها الحيوى — البيولوجى — والواقع ان كلمة « الانثى الخالدة » ليست خرافة فلا تكاد تمر لحظة واحدة طوال سنواتها الخصيبة لا تتأثر فيها احتياساتها بالتغيرات الكيمائية الدورية التى تعطى لمرحلة الامومة ، كما أن موجات المد والجزر التى لا تنقطع للهورمونات ، تثير ايضا التغيرات التى لايمكن التنبؤ بها بالنسبة للمزاج ومظهر الحياة ، والرغبة الجنسية بطبيعة الحال ...

الاصحاح [١٩]

فويسك : [يطعن زوجته بسبب خيانتها] خذى هذه ، وهذه ! الا تستطيعين أن تموتى ؟ هكذا هكذا ها ! مازالت تختلج ، الم تموتى بعد ؟ الم تموتى بعد ؟ مازالت فيه بقية [يوالى طعناته] هل مت الان ؟ ماتت ! ماتت ! [تسقط السكين من يد فويسك وينصرف مسرعا]

الاصحاح [٢٠]

العبيط : عند ذلك قالَ العملاق انا اشم ، انا اشم رائحة بشر أف ! الرائحة ناحت !

فويسك : يا جن ! يا ابالسه ! اللعنة عليكم ! ماذا تريدون ؟ ماذا يهمكم انتم ؟ افسحوا الطريق والا فان أول واحد فيكم .. اللعنة عليكم ! هل تقصدون أن تتهمونى بالقتل ؟ هل انا قاتل ؟ لماذا تبحلقون فى ؟ انظروا الى انفسكم ؟ افسحوا المكان ! [يفر فويسك ليبحث عن سكين الجريمة عند المستنقع حتى لا تكون علامة اتهام] .

الاصحاح [٢١]

رجلٌ : [ينظر الى المستنقع بينما فويسك يغتسل فيه بعد أن قذفَ السكين بعيدا] آه ! عاد الصوت ! كما لو كان صوت انسان يموت !

الاصحاح [٢٢]

اصبحت الحياة اغنى بالحب الذى ضاع !!

الاصحاح [٢٣]

فاوست : بالك من شيطان بائس

ميفستوفيليس : نعم .. ويالهم من آدميين بائسين !

الاصحاح [٢٤]

ميفستوفيليس : عارفٌ .. لا احد يفكر فى تفكيرا بلا منفعة .

الاصحاح [٢٥]

ميفستوفيليس : عندما نسمع شخصا يخير ويبدل اسم الله وينصل من الكتاب المقدس ويتنكر للمسيح مخلصه نهرع اليه املا فى أن نظفر بروحه العظيمة .

الاصحاح [٢٦]

الرجل : [يعاود النظر مرهفا السمع ناحية المستنقع] آه ! عاد الصوت ! كما لو كان صوت انسان يموت !

الاصحاح [٢٧]

أصبحت الحياة اغنى بالحب الذى ضاع !!

الاصحاح [٢٨]

فاوست : يالك من شيطان بائس

ميفستوفيليس : نعم .. ويالهم من آدميين بائسين !

الاصحاح [٢٩]

فاوست : يالك من شيطان بائس

ميفستوفيليس : نعم .. ويالهم من آدميين بائسين !

الاصحاح [٣٠]

فاوست : يالك من شيطان بائس

ميفستوفيليس : نعم .. ويالهم من آدميين بائسين !

الاصحاح [٣١]

فاوست : يالك من شيطان بائس

الاصحاح [٣٢]

« التعاسة » : نحن الموقعين .. منذ وقت .. ولدت الى .. شيطانة شريرة فى صورة امرأة واقامت فى .. تحيا حياة الدعارة المنطوية على ابشع صور .. حتى اصبحت تهدد .. وحيث ان .. الخ .. الخ .. الخ .. فاننا نلتمس ان ... وقد تم توقيعنا ....

---

[١٥] ص ١٣٣ من مسرحية فويسك لجورج بشنر

[١٦] من مقال [المرأة هى الجنس الاقوى] - مجلة الريدرز دايجست يناير ٦١

[١٧] من المنظر الثانى من مسرحية [المومس الفاضلة] لسارتر

[١٨] من مقال اعرفك بزوجتك - مجلة الريدرز دايجست يولية ٥٩

[١٩] من مسرحية [فويسك] لجورج بشنر

[٢٠] من المشهد قبل الاخير من مسرحية [فويسك] لبشنر

[٢١] من السطور الاخيرة فى مسرحية [فويسك] لبشنر

[٢٢] من كلمات طاغور

[٢٣] ص ٦٨ من مسرحية [فاوست كما اراه] لبول فاليرى

[٢٤] ص ٥٦ من مسرحية [فاوست كما اراه]

[٢٥] ص ٤٦ من ماساة الدكتور فوستس / كريستوفر مارلو

[٢٦] من المشهد الاخير فى مسرحية فويسك

[٢٧] من كلمات طاغور

[٢٨] ص ٦٨ من مسرحية [فاوست كما اراه]

[٢٩] ص ٦٨ من مسرحية [فاوست كما اراه]

[٣٠] ص ٦٨ من مسرحية [فاوست كما اراه]

[٣١] ص ٦٨ من مسرحية [فاوست كما اراه]

[٣٢] شذرات ص ١٦٠ من ليالى بلزاك



لقـــــاء

جمال عبد المقصود

يـدى لم تعد سمراء . ـــال لونهـا الى الزرقـة يشـوبها الاصفرار الباهت. برزت عظامها . أصابعى باردة كقطعة من الحجر ملقاة فىالخلاء . لكنى لاأحس بألم ، فقط دوار خفيف رغبة فىالاستبقاء كأنى مريض يتمـاثل للشـفاء . أحس بالبرودة . الشمس بعيدة شاحبة ، لا تدفىء ، نضىء لحظة ثم تخفت ثانية ، كبطارية تضاء وتطفأ . السماء ملبدة بكتل من الغيوم ممزقة الاوصل ، جامدة فى مكانها . كل شىء ساكن ، لايتحرك كجسدى الممزق . وأنت لست بجانبى .

أين أنت يا أختى ؟

كأن وجهك خرج الى من وراء الافق ، تنظرين الى بعينيك الواسعتين الرائقتين كمياه البحر الاحمر فى يوم رحلة . تأتين من خلف القمر .

القمر حتى الان يا صغيرتى مستدير الوجه وله عينان وفم ومازال ينظر الينا كلما نظرنا اليه،ويمشى كلما مشينا. لم يتغير منذ كنا أطفالا . ياسناء الان فقط فهمت بعض ما تقوله الاغنيات . عرفت ياحبيبتى كيف تكون العينان بحرا من حنان .

الليل مظلم يا رفيقى ، يا رفيقـة رحلتى التى أحملها بين ضلوعى ، أظلم كليلة أخذتنا أمى فى القطار عندما طردنا مـن بيوتنـا · أتذكـرين ؟ كــان الوقت مساء . نام الجميع الا الرجـل الاصلع . نظرنا من شرفة القطار . كان الهواء باردا يحمل قطرات مـاء . أغمضنا عيوننا لنستمتع بالهواء وبرذاذ الماء امامنا امتدت كتل رمادية بينها بقع مفروشة من الضوء .

قال الرجل الاصلع « المقابر » .

امسكت بيدي . ودفنت رأسك فى صدر أمى . قلت لنـا « يا ويلنا » غدا نموت . يذهبون بنا الى مكان كهذا. يحفرون الارض يضعوننا بداخلها . يغطون وجهنا وراسناوفمنا وأذنينا بالتراب والطوب . كنت تذكرين ذلك اليوم بعـد ذلك اذا حل الظلام وأنت فى الشارع ، كنت تذكرينه والخوذات الصفراء اللامعة والعيون القططيـة الباحثـة تجـوب الطرقات .

غطيت وجهك بأصابعك واحتضنت أمك وتهدلت خصلة من شعرك علىجبهتك ساعتها ، يارقيقة يا خجول . عنـدما يعتريك الخجل يصعد الدم الى وجنتيك وأنت الضعيفة البدن .

اكتسى وجهك بحمرة خفيفة عنـدما طرقت الباب بعد خروجى من المعتقل . مددت لك يدى . عينا طفلة خجول . يدك كانت أصغر من ذى قبل . وباردة وضعيفة . وجدتك قد كبرت وسرحت شعرك الى الخلف . أصبحت امرأة صغيرة . كصورة زفاف أمى المعلقـة على الحائط ، الصورة التى ضحكت عليها ، على تسريحة الشعر فى تلك الايام ، على الوردة التى كانت تمسك بها ، على العمود الرخامى التى استندت عليه .. كنت تتحدثين بحساب . تقدمين لى الشاى كما لوكنت ضيفا . وفى المساء عدت كما أنت ، سناء أختى . ضحكت وجريت وثرثرت . علا صوتك . ارتديت قميصى الازرق . كان واسعا عليك . اخفيت شعرك الطويل فى ياقة القميص . ونظرت الى المرآة وضحكت . أقول الحق لم ادرك حتى ساعتها انك على هذا القدر من الجمال . أكاد أرى وجهك وأنت عائدة من المدرسة ، الحقيبـة القديمة بنية اللون تحت أبطك . بلوزتك نظيفة وياقتها منشاة · ساقاك رفيعتان. تسيرين كما لو كنت جنديا . الهواء يعبث بشعرك فتحمر وجنتاك لـكنك لا ترفعين يدبك لتسويته . وعندما تطأ قدماك باب منزلنا تلتفتين خلفك . هـل تخشين ذوى الاقـدام الثقيلة ، ذوى الانوفالكلبية المتشممة بخذاتهم النحاسية وبنادقهم المستعدة ؟ اذا لم تجـدىأحدا تقذفين بالحقيبة خلف ظهرك وتصعدين السلم جريا كطفلة صغيرة . وربما تدندنين بأحد الالحان . وتدقين الباب بيدبك وقدميك وركبتيك النحيفتين . تلقين بالحقيبة على « الكنبه » وتشكين مـن شىء ما . ويعلو صوتك مطالبا بالاكل . تدخلين المطبخ وتخرجين وفى يدك أو فمك شىء ما . اتذكرين ؟

الهواء يتحرك وجسدى يكاد ينتفض من البرد .

بيتنـا دافىء هـذا الشتاء . « وابور الجاز » لا يطفأ . الشاى ساخن يتصاعد منه البخار . كما يتصاعد من فمى الان. أراهن أن « الوابور » موقد الان ، تتناولون العشاء . أعرف حتى مـاذا تأكلون ، خبزا شاميا وجبنا وزيتونا ، خالتى تأكل الزبادى . وأنت لا تأكلين ، فيم يتحدثون ؟ أنت لا تتحدثين . عندما يعتريك الحزن تصمتين . تنصتين لوقع الاقدام . عشـاؤكم خائف . عشـاؤكم مرتعش . لا تحزنى فلم ترتعش يدى ولم يدق قلبى . احتضنت مدفعى بحب . ارتفعت قامتى وأعرض صدرى . ظللت شارعنا وحينا وبيتنا.واحتضنتك بصدرى الضخم ، يالبيتنا.أوحشنىبابه الخشبى. قديم ومتآكل ومكسور . نعم . أحبـه رغم ذلك . كم كتبت عليه بقلمى وأنا طفل صغير . كتبت على الحائط « احمد منجدى .. للذكرى » كتبتها بأظافرىعلى الجير الابيض . سيخبرك الرفاق يوما ما افعل أحمد ومن معه...تغرورق عيناك. لا تحـــزنى . عنـدما سقطت كانت السماء عالية وواسعة ورحيبة . لم أحس بشىء مطلقا . فقط عندما اطاح السكين بأحد أظافرك اهتزت جـدران الحجرة بى وكدت أقع .

اين انت الان يا سناء ؟ جالسـة الى الشباك تنتظرين عـودتى . تودين او تريني قادما . يدق قلبك الصغير . تلمع عيناك . بعينيك بريق كطفلة بكت وجفت الدموع على مقلتيها فداعبها الضوء . تنصتين الى وقع قدمى لكنك تسمعين الدقات العالية الرتيبة المقبضة ...

يا سناء أشعر بثقل فىرأسى ، جسدى كأنه موثق بالارض أشعر برغبة شديدة فى النوم ، النوم العميق .

الاخت ...

الليل بارد .. اصوات الاحذية الثقيلة تدق قلبى . الريح تسرى كالنائحات على الاموات . واخى لم يعد كأبى وأمى حين غابا ذات يوم .

كأننى فى حكاية من حكايات جدتى ■



عندما يقع للشاطر حسن مكروه يسقط خاتم اخته على اصبعها . وانا جسدى يؤلمنى . فهل جرى لاخى مكروه . لم يعد منذ ايام .

خوفى أن يدق بابنا ، دقات غريبة . أرى رجالا لا أعرفهم . وجوههم غاضبة وحزينة . يحدثوننى بكلمات كبيرة ، ويتحدثون عن الصبر .

يا أخى ، ألن تعود ؟ تتركنى فى هذا العالم وحدى .

ألن تجلس بيننا فى ليالى الشتاء ؟

ألن تعد تبتسم لى ؟

وفى المساء انغلق بابنا علينا ولا ننتظرك ؟ وعند سماعنا دقات الاقدام الحديدية فى الظلام ألن نحتمى فى صدرك ؟

ولا نسأل متى تعود . وفى الصباح لا نوقظك ولا نعد لك الافطار .

ألن تعد تمشى فى شارعنا ؟

ألن تعد تطرق بابنا ؟

ونذهب لنراك . كل عام . فلا نرى الا حجرا كبيرا وقطعة من الارض الصلبة الصامتة وكفيفا يقرأ القرآن . كفيفا لا يعرفك . ونحن صامتون ، وأنت لست معنا ولن تلحق بنا . وأنت فى التراب . وجهك الجميل وعيناك الواسعتان وفمك الدقيق وقدماك النحيلتان .

ستعود .. ستضىء حجرتك بوجهك .. حجرتك المغلقة كأنها عين مفقوءة . انظفها كل يوم . ارتب اشياءك . أقترب منها . اوحشنى شىء ستضحك عندما تعرفه . أتذكر مشاجراتى معك كى تقلع عن التدخين ؟ أوحشتنى رائحة الدخان وانت جالس تقرأ الجريدة . ستعود لى . وستدخل حجرتك . وساحضر لك الماء لتحلق ذقنك . وساعاكسك ايضا واخطف المنشفة منك .

آه .. فلتعد مبكرا . لدى خبر لك . لن اطلعك عليه بسهولة . صديقتى ذات العينين العسليتين أتت اربع مرات . لم تسأل عنك . الخبيثة ! لكنى عرفت . شعرها الذى لم يستقر على حال .. قال لى ، مرة ضفيرة كبيرة ، مرة ضفيرتان ، مرة يتهدل على الكتفين . تحدثنى وشىء ما يقلقها ، شىء ما تنتظره .. تتكلم وعيناها تبحثان عنك .

انك لن تأت اليوم . فلادخل لانام .. ستأتى فى الصباح .



الموقعة

محمد مستجاب



الواحد أن يكون ميلا .

مرح وجرح بجسم المناضل جثة

دعنى اعوم فى الصوميات فان التفاصيل تخنقنى ..

لدى الكثير من الروايات والاهازيج والنكات غير انى لا ارى الطقس ملائما لاطلاقها .

كنت انوى ان اداعب مفرق صدر العالم واستدرجه الى منحنى مظلم ثم اعبث به او .. نبهه ..

وكنت انوى ان اهز الشجرة حتى تسقط كل ما عليها من ثمار .

وكنت انوى ان اكتب قصة تنتهى بهذه النهاية الموحية : —

.. ويدا سلامة افندى يمرج الى

حجرته القديمة ، الساعة تقارب منتصف الليل وفى يمينه الخبز والجبن وفى يساره جريدة الصباح ، فتح باب الشقة فاستقبلته قطته النظيفة الرشيقة بمواء حنون ، القى اليها سلامة افندى بالقليل من الخبز والجبن وداعبها بالمسح على راسها وهى تهر ، ثم وضع اللفافات على المائدة الصغيرة المزركشة ، كان الجو حارا ففتح سلامة افندى النافذة ذات الستارة الحريرية الجميلة ، ثم خلع ملابسه وتذكر انه لم يؤد صلاة العشاء ، تثاءب وفرد جسده على الفراش ، اغفى الرجل قليلا .. ثم مات ..

وكنت انوى ان احصل على اجازة عارضة صباح اليوم .

وكنت انوى .. وكنت انوى .. و ..

•••

ذهابا وايابا وذهابا وايابا وارتفاعا وانخفاضا وارتباكا وذوبانا وعرقا ولزوجة ثم .. ركدت الانفاس وهمدت النظرات وقالت لى الانثى وهى تشعل سيجارة انها كرهت حياتها ، وانهيا كرهت اى ليل ينتهى بالنهار ، وانها ..

قلت لها ان ثمة اشياء مؤسفة تحدث ولست مستعدا لتحديدها ، وطلبت منها ان ترتدى ملابسها وان تتوكل على الله ، رجتنى ان اتركها فى حالها قليلا ، تركتها فى حالها ودخلت دورة المياه ، آلمنى ان السيفون - لايزال - معطلا ، مكثت وقتا احاول الوصول اليه متسلقا الحوائط لكنى ارهقت ، عدت بمقعد و ... ، ذراع السيفون الصدئة الصلبة : ينهمر منها الغبار والفتات فتنسل الى شعرى وصدرى وبين ملابسى ، قفزت من فوق المقعد واتجهت اليها - الى الانثى - ، لازالت مسترخية فى الفراش عارية الا من سيجارة بين شفتيها ، اعصابى لاتحتمل المناورات والحوارات ، وقفت صامتا - ضيق الصدر - وظللت ناظرا - حانقا - اليها ، القت بالسيجارة المشتعلة على الارض فتدحرجت اسفل الدولاب ، ياصباح ياعليم .. يارزاق ياكريم ، صرخت فى وجهها ان تتوقف عن هذا العبث ، واضفت بأنى غير مرتاح لتصرفاتها متبرمة قفزت من فوق السرير واهتزت فى سخط فارتجت ارض الحجرة من الاحداث الظريفة ان يهاجم الواحد منا وفى احضانه امراة ، الاب اوالزوج او صاحب البيت او امام المسجد او احد رجال الشرطة .. ، جميل ان تتحرك الانثى عارية غاضبة فتفقد حالة الانوثة الناعمة الرقيقة الحية ؟ عدت الى السيفون واعتليت المقعد ، قلت - بصوت عال - كى تسمعنى : اننا اتفقنا منذ اول مرة ان تخرج مباشرة بعد انتهاء مهمتها ، واننى لا ارى داعيا لهذا التباطؤ ، وبدات ارفع ذراع السيفون ، قالت - بصوت عال - لكى اسمعها : ان الحجرة قذرة وانها سترتدى ملابسها فور الانتهاء من تنظيفها الله يخرب بيت ابيك ، صرخت فيها الا تفعل شيئا غير ارتداء ملابسها ، احتدت وقالت اننى ابدو مشاغبا لا دراية لى بممارسة العلاقات الانسانية ، وانها ستنام مع ترداتى ولا تنام - مرة اخرى - مع حيوان ، اجتاحتنى ضحكة غيظ فاهتززت داخل المقعد ، تشبثت بذراع السيفون فتجاوب معى وانخلع ، اهويت على ارض دورة المياه فى صوت ضاج وعنيف ، اهويت فى قاع دورة المياه وراسى تنسحل فوق سطح الحائط فى سرعة مذهلة وتصطك قراعتى فى [سلطانية] دورة المياه ، ارتج العالم وتفتت الضوء وانكسر العقل وانشرخت الامور ، ونزفت دما .. والما .. ، جاءت الملعونة على الصوت فوجدتنى جسدا مفروشا اغطى مساحة عمارة ، ضحكت البنت وظلت تضحك وصوتها الفاجر يلف فى الشقة ويتركز فى دورة المياه ويصطدم بالسيفون ليعود صدى - اسود - فيدك اذنى ، حاولت - بكل الرجولة - ان اتحرك ، ذراعاى منفرجتان وساقاى منفرجتان وقدماى منفرجتان لاصبح مجموعة من المثلثات المتداخلة العاجزة ، طنين فى الاذنين ورائحة فى الخيشوم وبقع مياه على الجلد وتسلخات فى الكتفين والداعر متشنجة فى ضحك وانبساط مذهل ، لفت ذراعيها وضحكاتها حول جسدى محاولة تحريكى ، العلاقة بين اجهزتى مرتبكة ، حاولت تحريك راسى فتحركت قدماى ، آه ... لقد ضمرت عضلاتى وتقوست ساقاى وعمشت عيناى وانخفض وجيب القلب سبعا وثلاثين دقة ، اكتشفت ان صوتى يمكنه ان يكون عاليا ، صرخت فيها ان تتركنى فانى قادر على النهوض بمفردى تتملكنى امنية - تقب بين الحين والحين فى الذهن - ان امارس الجنس مع ارستقراطية دسمة بيضاء فى غياهب دوامات تيارات البحر الابيض المتوسط ، فان لم يكن .. ففى البحر الاحمر ، فان لم يكن .. ففى النيل ، فان لم يكن .. ففى .. ، البنت العارية تحتضن جسدى المكدود المجروح ، جميلة وزوايا جسدها تصنع مع حركتها مجموعة من الثنايا الشيقة ، رفعت عينى الى السقف فاذهلني مدى ارتفاعه ؟ صرخت فيها مستفسرا عن سبب عدم رحيلها حتى الان ؟ ، لم تجب لكنها ظلت تضحك محاولة احتوائى تمهيدا لنقلى ، فرفضت - انا - فى ضيق طالبا منها الابتعاد ، ارعبتنى ضحكاتها فازددت عجزا ، اصعد جبلا - او كأنى قادم من جوف بئر ، الدوار يلف الراس ويكسر الرموش ويصنع خللا فى الكلام ، من زمن طويل لم اقفز ولم اناوش ولم اسقط ولم اصطدم ، سيئة ومختلة تلك العلاقة التى تربط تفاصيلى مرة على الذراعين ومرة على الالية واخيرا بالخطوات - مستندا على الرقبة العارية استطعت الوصول الى الفراش ، لو سألتنى عن افضل عمل اتمنى القيام به ؟ لاجبتك : ان احطم دورة المياه او اى سيفون ، تركتنى الانثى وارتدت بعضا من ملابسها وانسلت الى المطبخ ، من خلال الاصوات القادمة عرفت انها تصنع شايا ، ناديتها بصوت فج هز الاشياء ، فى فترة الصمت احسست اننى ابالغ كثيرا فى شراستى معها ، واننى لو كنت انسانا عصريا ومرنا فعلى ان اخفض قليلا من صوتى وان اعتذر لها ، ويمكننى - ايضا - ان اقبل راسها ، كان - من الممكن - لو كنت وحدى - ان احصل على آخر نفس لى فى دورة مياه عطنة ... واموت كما مات محسن عيد ، ناديتها مرة ثانية لكنى لم احس ببوادر لقدومها ، فى اعياء تحركت اليها ، امام الموقد تقف - وفى يدها اناء الشاى ، كتمت البنت ضحكاتها المتوترة المنبثقة فى انفجارات صغيرة بين الشفتين ، انصب الدوار مرة ثانية خلف الاذنين ، مددت اليها ذراعى وتشبثت بها فذعرت ، لطمتها على وجهها وصرخت فيها : لماذا لم ترحلى حتى الان ؟ ، شددتها بقوة من المطبخ املك قوة رهيبة لا اعرف متى تبدت فى عضلاتى وانسجتى ، سحبت منها اناء الشاى والقيت به فى الحوض ، جمدت - مذعورة امامى - وانفتحت عيناها استغرابا ، انسحبت قوتى من اعضائى فاذ بالالم يتكدس - عذابا - فى رقبتى لطمتها - بقوة الاعياء مرة اخرى ، لم تتكلم ، لم تنبثق الضحكات فوق شفتيها ظلت جامدة لا تتحرك ، عيناها رائعتان تخلوان من الفزع والسخط والخوف ، دكنى الاعياء فجلست فوق الارض ويدى لازالت ترغب فى لطمها ، قفزت البنت فوقى وتخطتنى ، اسرعت الى بباقى ملابسها ، وتناولتها وكومتها فى عجلة وصنعت لفافة ، نكست راسها على الارض ولم تنظر الى .



مـــوكب الشـــرطى المنتصـــر

نعيم تـــكلا

غريبة تلك الابتســـامة فى قلب مشهد مثـــل هذا .. رجل قوى مدجج بالســــلاح يسوق رجلا عاريا مكبلا بالاغلال .. شرطى قابض على مجرم أو مخالف .. وتلك السلسلة المعدنية التى تقيد معصم ضعيف بمعصم قوى .. ولم يـــكن هناك حد لسعادة الشرطى وزهوه ..والمألوف انه عندما يداهم الناس مشهد مثـــل هذا فى الشـــوارع والاسواق انيصمتوا فى وجوم أو يتهامسون .. ولكنهم فى ذلك اليوم كانوا مشدوهين ، وتجاوزوا حذرهم وتقدموا ليستطلعوا سر ابتسامة الشرطى .. والشرطة غالبا لا يبتســمون .. ولعل الناس توقعوا أن يجدوا فى الامر مزاحا أو لهوا .. ولكن لم يلبث ان اتضح لهم أن المشهد جدى ، وأن الرجل العارى المكبل ينتفض من خوف حقيقى افقده السيطرة على نفسه تماما وكان عرقه قد اختلط ببوله وفاحت منه رائحة كريهة .. وتوقف الشرطى عنـــد دكان وابتاع شيئا وبـــدا كأنه يســـاوم البائع بروح مرحة ، وكان الناس قد ازداد فضولهم وصاروا يشكلون شبه حلقة ، حول المشـــهد .. بل ان البعض وكانوا يطلون من النوافذ والشرفـــات هبطوا الى الشـــارع ليستطلعوا عنقرب .. ولم تفارق الشرطى ابتســـامته ، وكان يرفع بصره كثيرا الى أعلى .. وركض بعض الاطفال متهللين وهميظنون أن الحاوى قد أقبل .. وكانت الحلقة تقترب من المركز ببطء وحذر .. والذين كانوا يهرعون من الطرقات منجذبين الى ذلك التجمـــع كانوا يحتـــلون المحيـــط الخارجى وكانت أعناقهم تتطاول ولكن لم يتح لهم أن يبصروا كل شىء بوضـــوح ولا أن يسمعوا .. فالشرطى كان قد بدا يتكلم وضـــاقت الحلقة أكثر حتى انه كان بامكانه أن يمد يده ويداعب أحـــــد الاطفـــال .. وروى الشرطى قصـــة مطاردته لهذا الرجل العارى المكبـــل .. وكانت قصة طويلة حافلة بتفصيلات دقيقة .. ويبدو انه قد أفلح فى شـــد الناس اليه تماما ليس بتفصيلات الاحداث بقدر ما كان ذلك بحماسته وزهوه ..

وتلك الســـعادة الغريبة .. وكان سجينه قد تداعىَ تماما فركله الشرطى بقـــدمه ركلة موجعة فقفز منتصبا ولكنه لم يلبث أن تداعى مرة أخرى .. وكعادةالناس فى مثل تلك التجمعات اعتراهم الملل سريعا وظهر ذلك فى الصفوف الخلفية كهمهمات غامضـــة .. وترك عدد غير قليل منهم الحلقة بوجوه لا تخلو من تجهم ، ولم يلبث أن انفض الجميـــع منصرفين الى حال سبيلهم .. وبقى الشرطى وسجينه المقيـــد معلق به فى تخاذل ، وهو كجســــد ميت أكثر منه كانسان حى .. ولم يبدو بأى صـــورة من الصور أن الشرطى يعانى من الاهمال فهو مـــا يزال يحمـــل زهوه ويبتسم نفس الابتســـامة وكأنه يسير وسط حشـــد هائل من المعجبين .. وفى أحد الاركان الخالية من ساحة المدينة تبول الشرطى على الجدار وسجينه مقيد بتلكالسلسلة الطويلة الثقيلة .. وأجفلت صبية كانت تطل من نافذة .. وكانت الظهيرة فى أوجها وقد اغلقت معظم نوافذ البيوت وهدأت الحركة فى الســـاحة والشـــوارع المؤدية اليها ، وفاحت رائحة شـــواء من مطعم قريب .. وســـحب الشرطى سجينه وذهب لياكل .. وكان واضحا أن ذلك المشـــهد قد اثارامتعاض رواد المطعم .. وكان الشرطى ياكل بضراوة عجيبة والسجين جالســـا القرفصاء على الارض مقيـــدا بتلك السلسلة الطـــويلة منكســـا راسه وكأنه فى غيبوبة .. واستطاع أحد الحاضرين أن يتغلب على حذره ويتقدم الى السجينبصحن بهبقايا طعام وكوب ماء ، ولكن الشرطى انتهره بحدة فوقع على الارض كلـما يحمله ونظر السجين الى الطعام المنســـكب بجمود .. وعاد ذلك الرجل الشـــفوق الى مائدته وهو يرتعش قليلا ..وواصل الشرطى تناول طعامه ونظرة زاجـــرة تطل من عينيه وتشلّ كل من بالمطعم .. وبعد أن انتهى من تناول طعامه تجشأ وعندما يتجشأ انسانبمثل هذا الصوتفهو يعطى انطباعابنهمه ، وكان واضحاانهلا حدود لنهم هذا الشرطى .. وانه بعد أن تناول هذه الوجبة الدسمة لن يترك المدينة قبل ان يشبع شهواته الاخرى

التى لابد أن تكون قد استيقظت الان وهو مستلقى على مقعد بملهى مجاور للمطعم يتابع بنظـــره كل انثى تعبر الساحة .. ويبدو ان منظره صار مألوفا منذ أن هبط المدينة مع ســـجينه فى الصباح ، فلا أحد يعيره الان التفاتا وقد تمدد سجينه بجواره كجثة هامدة مربوطة برجل حى .. وأحيـــانا كان الاطفال يتوقفون قليلا ويبتسمون عندما يشاهدون الشرطى يضحك بلا سبب وقد أثقلت جفنيه التخمة .. ومال صبى المقهى على اذن الشرطى وهمس فقهقه الشرطى بصت عال ، وتكرر ذلك عدة مرات .. وفى كل مرة كان السجين يتململ كأنه يحتج .. وتوارى صبى المقهى فى عطفة معتمة ثم خرج بعـــد قليل وبصحبته امرأة ضخمة البنيـــان وجهها ملطخ بمســـاحيق .. انتبه الشرطى ونهض يجر خلفه السجين الذى استيقظ من اغفائهمنزعجا ، فتعثرفىالسلسلة .. وخلف صبى المقهى والمرأة ســـار الشرطى يسحب سجينه .. ، وتواروا جميعا فى العطفة المعتمة ، وضحك رجلان يعبران الساحة .. وفتحت بعضالنوافذ فى سكون وكان هناك من يطل فى حذر.. وبدأ ان هذه الرحلة لن تنتهى فى ذلك الجانب المعتم من المدينة .. وقد احتج الشرطى عدة مرات بسبب طول المسافة .. وفى النهاية بلغوا جدارا كأنه حدا لعطفة مسدودةولكن كانهناك بابا صغيرا فى الجدار فتحته المرأة وهبطت درجات، ودعت الشرطى أن يتبعها .. ووضـــع الشرطى شيئا فى يد صبى المقهى ودلف خلف المرأة يسحب خلفه سجينه .. وكان بيت الملذات هذا اشبه بجحر مظلم رغم ان نوافذ كثيرة كانتمفتوحة وكلهـــا تطل على الحقول الخضراء ، فالمنزلعلى ما يبدو كان عند اطراف المدينة .. وكانت تسمع من الخارج اصواتا اشبه بأصوات نداء يأتى من جهات متعددة وبعيدة .. وكان السجين متنبها تماما ولا يكلفالشرطى اى عناء خاصة وقد اقتضى الموقف ان تزداد حـــركة الشرطى ، واخـــيرا رأى الشرطى ان يتخلص من هذه السلســـلة التى تعوقه خاصةوقد بدتالمرأة متضايقة .. وانهمك الشرطى تماما.. وكان جسده



يلصب بالعرق .. ولى هذا لابد انه يريد ان يزهو ايضا .. وكانت المراة قد اخذت تتأوه ... وسقط شعاع من شمس غاربة فالتمعت بندقيـــة الشرطى الملقاة بجانبه .. وتنهدت المراة فى شبع .. ونهض الشرطى وقد تضاعف زهوه .. ومد يده يسحب السلسلة ولكن السجين لم يكن بالطرف الاخر .. وكان زجـــاج احدى النوافذ المفتوحة المطلة على الحقول الخضراء مشتعلا بحمرة الشفق .. وخرج الشرطى يعدو وهو يسحب السلسلة، وبعد ان تجاوز الباب بقليل تنبـــه الى انه عاريا تماما فقفل راجعا ولكن الباب كان موصدا .. وادمى كفيه بالقرع على الباب ولم يفتح له احد.. وبكى الشرطى وتوارى اسفل جدار ينتفض من البرد .. وفى عتمة الغروب بدا له كأنه قد وقع فى الفخ والقى به فى ذلك القسم الخرب المهجور من المدينة .. وبدأ الخوف يجتاح نفسه وهذا غريب على شرطى مثله .. ولم يكن امامه سوى ان يجتاز هذه الازقة الضيقة المجهولة عائدا الى ساحة المدينة .. ورغم كل مافى ذلك من مهانة الا انه بدا له المهرب الوحيد .. وسار يتخبط .. وكانت العتمة تتكاثف ، وخيل اليه عدة مرات انه يصطدم بأجسام ملقاة عـــلى الارض ..ولم يدر ان كانت اجســـام حيوانات امبشر ، وحية ام ميتة ..وظن انه لن يصل ابدا الى ساحة المدينة ، ولكنه فى النهاية لمح الاضـــواء من خلال سحابة من الغبار ، ودخل الشرطى ساحة المدينة عاريا .. ومثلما حدث فى الصباح تماما تجمع الناس فى دهشة ولم يكن احدا يتبين ملامح وجه الشرطى .. والارجح انهم ظنوه مجنونا هاربا .. وكان يستغيث صامتا بالوجوه التى شاهدها فى الصباح، ولكن بلا طائل ... وبكلتا يديه كان يدارى عورته .. ولم يجد سوى ان ينسل من وسطهم وقد ضيقوا حوله الحصار .. ولكن كان هناك من يتبعه ، وخاصـــة الاطفال .. وتجرأ احدهم وقذف عورته بحصاة ولم يلبث أن انهال عليه سيل من الحصى فأخذ يعدو والاطفال خلفـــه يتصارعون .. وكان شغب فى ســاحة المدينة ليس بقليل .. وهو يلهث استند الشرطى الى جدار فى عطفة مظلمة .. تمالك انفاسه وشرع يتبول وتذكر انه تبول فى نفس المكان فى الصباح ... وفجأة احس بيد ضخمة وخشنة وثقيلة تحط على كتفه العارى .. والتصق به جسد هائل يضارع جسده ..وكان شرطيا بملابسه الرسمية ومدججا بالسلاح .. وبهدوء عجيب وضع الشرطى المســلح سلسلة طويلة وثقيلة فى يد هذا الرجل العارى الذى يحاول عبثا ان يدارى عورته .. واحكم تقييده وسحبه خلفه مربوطا به .. وتذكر بعض الناس ذلك المشهد الذى شاهدوه فى الصباح .. بل انهم ظنوا انه نفس المشهد .. ومن ينـكر انه كان نفس المشهد . !



بعـــد المطـــــر

محمود الوردانى



المطر قد توقف ، وكانت الارض ماتزال مبللة قليـــلا . كـــانت أوراق الاشجار فى الجانب المقابل — اســفل المنازل الصغيرة الممتدة، وقدبدت قطرات المطر الصغيرة واضــحة على النــوافذ والشرف والنتوءات المستوية البارزة — تلمع تحت خيـوط الشمس الرقيقة التى انسلت من أعلى ? وأخذت تفترش المكان رويدا . غير ان ثمة قطرات دقيقة كانت تتساقط قليلا من الاشجار ، وتحــدث صوتا على بقع الماء الصغيرة المتجمعة فى الطريق .

امسك الرجل بالمقعد وجذبه فى ركن الشرفة الى اليسار قليلا ، وانثنت ركبتاه الدقيقتان وهو يجلس . اخذ الرجل يحاول فتح عينيه ، وهو يحميهما بظاهر يــده المنطقة ببقع بنية داكنة . كانت قطع السحاب الكبيرة الخفيفة تنسحب تجـــاه الشرق وهى تعدو ، والرياح تهب خفيفة من اعلى الجبل الذى تبدو قمته فى البعيد وراح الرجل يشد السترة الباهتة على صدره ويدندن بكلمات خافتة ، وهو يرى المنازل التى امامه وقد اغلقت نوافذها .

كان المكان ساكنا ، وبين فترة واخرى كان الرجل يســمع صــياح الاطفال فى

الشقة التى فى الاعلى ؟ وكان يمكنه أن يميز صوت « سحر » وهى تصرخ بصوت عال . وقال : « لن يسقط مطر بعد الان » . وكانت الشمس ما تنفك تتوى وهو يحس بها على رقبته واسفل قدميه اللتين استقرتا فى « الخف » على بلاط الشرفة المربع الرمادى ، ذى النقط السوداء المتناثرة .

ونادى الرجل بصوت عال ، وسمع صوت قدميها تدبان على الارض . قال : « قلت لك اعملى الشاى ... مائة مرة اقول الكلمة الواحدة .. » . اقتربت السيدة بخطوات بطيئة واستندت الى جدار الشرفة ، وراحت ترقب السماء قالت : « لن يسقط مطر بعد الان .. اليس كذلك ؟ » . رفع الرجل راسه . قال : « وكيف عرفت ؟ » . قالت وقد استدارت ، وهو يرى خيوط الشمس تتساقط من خلف على حواف سترتها السوداء ، وكذلك منديل راسها الاسود ايضا : « انت قلت .. انت قلت ونحن فى « بورسعيد » ... ونحن فى بورسعيد كنت تقول ؟ لفاطمة » و « محمد » وانت تشير تجاه السحب » . ادار الرجل راسه وزعق : « قلت لك اعملى الشاى .. لعن الله ثرثرة النساء .. الا يؤلمك لسانك هذا .. اظل متجمدا فى البرد وانت تثرثرين .. » . كانت التلال المحيطة تبدو ملتصقة هناك بالسماء الزرقاء ، وكانت تلتمع هناك بين دوائر البخار الشفيفة ، والشمس المحلقة فى الجانب الاخر . وكان صوت الاطفال — فى الاعلى — قد بدا يتصاعد . وانسحبت السيدة وهى تتمتم .

وضع ساقا نوق ساق ، وتبدت عروق ساقيه النحيلتين الشهباوتين ، والبقع البنية الداكنة المتفرقة ، وهو مسترخ تماما فى المقعد . اخرج علبة سجائره المعدنية واشعل واحدة ، وراح يحدق فى التلال الباهتة .

قال الرجل : « لايكون البحر بحرا الا بالرجال . وحين تنظر ، فليس ثمة سوى الزرقة الخفيفة تغطى كل شىء ، وترتفع الامواج كالرجال الاقوياء ، متطاولة نحو السماء الممتلئة بالنجوم العالية البعيدة . وتزوم الرياح القوية وتصفر وهى تضربنا ، ويبللنا الموج برذاذه المالح ويصفع وجوهنا . وانا قد هشت كثيرا ورايت رجالا ونساء من كل بلاد هذه الدنيا الكبيرة . ورايت بلادا يعبد الناس فيها النار ، وبلادا يعبدون فيها الشمس ، وبلاداتعبد الله ، وبلادا لاتعبد شيئا . لايكون البحر بحرا الا بالرجال .. هيه .. بلاد .. النساء فيها كالابنوس يسرن عاريات الصدور ، وبلاد النساء فيها كالشمع يلمع الزغب الاصفر الخفيف على سيقانهن . والرجل منا لايعرف شيئا وهو جالس هكذا يشرب الشاى ويدخن ويأكل . وكسبت نقودا كثيرة من كل البلاد ؟ وبعت على القراصنة للخواجات ، واخذت منهم السجائر والملابس . وقضيت ليال كثيرة فى موانىء مظلمة بين نساء زنجيات ، ونمت على رصفة الموانىء انتظر .. هيه .. » زفر الرجل وأخذ يدخن وهو يهز قدمه المتدلية المرتفعة عن الارض بمسافة قصيرة ، ويحس بدفقات الهواء الرطبة ، وهى تهب من اعلى الجبل . كانت اصابعه ترتعش وهو يقرب السيجارة من فمه ، وكان يتمتم ، ويمرر يده على لحيته الرمادية الغزيرة . وكانت عيناه صغيرتين غير انهما كانتا تدوران ، وتلمعان تجاه التلال حيث الريح .

وجاءت هى . سبقتها دقات قدميها على الارض — تحمل « صينية » صغيرة عليها اكواب الشاى ، ووضعتها على الجدار . جذبت مقعدا واقتربت منه ، ثم انها تأوهت وهى تنحنى لتجلس . قالت : « اخذت الدواء ؟ » . لم يرد . غير انه كان يمرر يده على لحيته الرمادية وينظر الى النوافذ المغلقة التى امامه . قال بصوت خفيض : « الم تأت سحر وانا نائم ؟ » . اقتربت بجذعها ناحيته ، وتبدت عيناها الباهتتان ، وهما تجفلان من الشمس المتدفقة . قالت : « ماهى حكاية سحر هذه .. انت لاتمل من السؤال عنها .. لا .. لم تأت .. امها تمنعها من النزول فى هذا الجو .. ربنا يستر .. لم اكن اسمح لفاطمة ان تعبر الباب فى المطر .. حتى المدرسة لم اكن اوافق على الذهاب اليها .. » قال الرجل — غير ناظر اليها : « ومحمد ؟ » . قالت ، بصوت اخذ يعلو رويدا : « محمد طوال عمره « شقى » وكان يهرب منى غير اننى كنت اجرى وراءه .. وكان يختبىء عند « ام ابراهيم » . وكانت تحلفنى الا اضربه ، لكنه يكون قد قفز من الشرفة .. لماذا لم تأخذ الدواء ؟ » وتحسس الرجل جيوب سترته ، ووجد الحلوى والبلح ، محتفظا بهما لسحر منذ الصباح .

اخذت الشمس الان فى التراجع ببطء وقد تخطت الاشجار الصغيرة الملتمعة ، ثم راحت تزحف على البيوت فى الجانب المقابل . وكانت الارض ماتزال مبللة قليلا ، وكان بامكان الرجل ان يفتح عينيه جيدا . قال : « الشاى ناقص سكر .. حتى الشاى لاتحسنين صنعه » استقامت بجذعها فى الهواء ، وهى تضغط بساقيها على الارض . قالت : « هكذا الرجال .. ليس وراءك سوى الزعيق طوال النهار .. وانا اموت كل يوم منذ الصباح .. متى يريحنى الله .. » زعق الرجل : « تريدين اذن الا اشرب شايا .. تريدين ان اصمت تماما ... الا تتعبين ابدا من الثرثرة .. » . غير انها كانت قد غامت فى العتمة ، وسمع صوت قدميها تدبان على الارض *

كان ثمة رجال ونساء يعبرون الشارع وهم يسيرون تحت الاشجار ، متجنبين البقع الكثيرة المتجمعة . وكانوا يتحدثون غير انه لم يكن يستطيع ان يميز شيئا . واخذت رائحة جفاف الرمال المشبعة بالمطر تنتشر ، والاشجار التى اخذت اوراقها تتماسك ثانية فى مواجهة الشمس الخفيفة . وطوح الرجل بالسيجارة ثم سمع صوتها وهى تنطفىء فى الماء .

وامامه ، فتحت السيدة باب شرفتها . استدار اليها وابتسم ، لكنها عادت الى الوراء وصاحت ، ثم رجعت مرة ثانية وتقدمت ، مستندة على حاجز الشرفة . وتبدت فى المستطيل المشمس وهى تحمل الطفل . كانت تتكلم ، وشعرها يتهدل على كتفيها فى الشمس ، وهى ترفع الطفل الى اعلى ثم تعيده وهى تضحك ، وكان الطفل يزعق وهو يبتسم فى الشمس لوح الرجل بيده ، لكنها لم تستطع ان تراه من بين الاشجار الصغيرة الملتحمة اسفل شرفتها . وراح هو يرقب دوائر البخار المتصاعدة من كوب الشاى وهى تتلوى الى اعلى . واشعل سيجارة ثم سعل بشدة .

جاءت السيدة ، وفاجاه صوت الملعقة وهى تصطدم بالجدار الزجاجى للكوب : تك . تك . تك . تك .. ليتصاعد البخار القليل ويذوب فى ضوء الشمس الخفيف . لوت جسدها وهى تتأوه ، ثم استقرت اخيرا فى المقعد . قالت : « انت هكذا .. تظل تدخن طوال النهار ، وفى الليل تسعل حتى تتقطع انفاسك .. » . كان الرجل يراقب السيدة الصغيرة وهى تقذف بالطفل فى الهواء ، وكانا يبدوان من خلال الاشجار المبللة قليلا ، وهما يضحكان فى الشمس . قالت : « يبدو انهم لن يحضروا اليوم ايضا .. اليس كذلك ؟ »

كان يرتشف من الشاى الذى كان باردا ، وقد اصبح طعمه شديد المرارة . وكانت السحب قد تفرقت تماما ، غير ان الرياح اخذت تشتد من التلال . قال : « اما اليوم فلابد وان يأتوا .. علمت ذلك اليوم » . استرخت تماما فى مقعدها ، وكانت ترتدى جوربا صوفيا قديما ، وقد مدت قدميها الى الامام . قالت : « لكنك لم تخرج اليوم .. » . زعق الرجل وهو ينزل ساقه : « انا كاذب اذن .. لقد اتصلت بالتليفون واعتذر لى ، ثم اكد انه ولابد سيحضر اليوم » . قالت ، وهى تنظر الى التلال الصفراء الكالحة ، وقد تبدت كأقواس مبتورة فى الزرقة الرحبة : « وعلى ان اعد طعاما كل يوم ، ثم اغسل الاطباق والاوانى . وافعل ذلك فى اليوم التالى ، وارتب الفراش واغسل الملابس واعد طعاما لى ولك .. وادور بين الحجرة والمطبخ فى برودة الصباح وانت نائم فى الفراش .. » تحول الرجل اليها وصاح : « انا لا انام مطلقا منذ ان تستيقظين انت

.. » . قالت : « انت هكذا دائماً ... لقد سألتك من .. كبريت » اليوم لكنك لم ترد وكنت تتنفس بصوت واضح » . قال : « عندما اكون مرهقا فقط .. لقد سهرت بالامس ولم انم الا بعد الفجر » وضع كوب الشاى على الجدار ، غير انها امسكت به ووضعته بجوار كوبها على الصينية . كانت السيدة قد تراجعت الى الخلف قليلا ، وهى تحمل الطفل الذى كان وجهه مختفيا فى صدرها . وكانت اوراق الاشجار آخذة فى الجفاف ، ورائحتها تتصاعد فى بطء ، خفيفةوواهنة فى الرياح المشتدة . قالت بصوت خفيض « لكنك لم تخرج اليوم .. » . غير انه لم يرد ، وظل يمرر يده على لحيته الرمادية ، وكان يسمع صوت سحر وهى تكلم شقيقها الصغير ، وقال : لابد وانها تحمله الان وتذرع به الحجرة حتى يكف عن البكاء ، وكان محمد يبكى ، لكننى كنت اغنى له الاغنيات التىتعلمناها هناك حتى ينام . والتفت اليها بجانبه ، لكنها كانت تحدق فى التلال ، ووجدها وقد ارتدت « الشال » الصوفى الازرق الذى يحيط براسها ، ثم يتهدل على الكتفين والصدر .

الى الناحية اليسرى كان ثمة طريق يبدو جزءا صغيرا منه ، فيمابين البيتين اللذين فى نهاية الشارع . وكان بامكانهما سماع صوت السيارات التى تجرى هناك بعد المطر . وكان الرجل يتذكر اياما ماضية ، وكان يرفع راسه ويدور بعينيه فى التلال المترامية البعيدة الغائمة . وجعلت السيدة تحدق فى البعيد ، وكانت قد تمكنت — الان — من رؤية جانب ضئيل من السيارات العابرة السريعة ، غير انه لم يكن باستطاعتها ان تميز الالوان . وكان الرجل يحاول ان يتذكر احداثا بعينها ، وكان لايريد ان يرفع صوته لئلا تتكلم هى «

قالت : « يبدو انهم لن يحضروا اليوم ايضا .. لندخل الان.. البردقداشتد».
قال : « سأجلس فى الشمس ، وانا قد قلت لك انهم ولابد سيحضرون اليوم » . قالت ، وهى تعدل من وضع الشال على راسها : « ربما يكون المطر قد منعهم .. انا لا احتمل البرد .. طوال النهار لم اجلس دقيقة واحدة » . قال : « قلت لك انهم سيأتون .. لتدخلين انتوتعدين الطعام » . استقامت بجذعها فى الهواء، ثم استدارت . قالت : « انا متعبة وسأنام .. » ولم يقل الرجل شيئا .

كانت الشمس قد بدات فى الانحسار وكانت اعالى الاشجار تتمايل والرياح تشتد رويدا . قال الرجل : « لم اتطوح ولم اكسر زجاجات ولم اسب الناس . كان البرد يشتد وكنت اشرب « الروم » واخرج الى البحر ، وكان البحر امامى يرتفع ويضرب الشاطىء ، لكننى كنت اسير ، وكنت اشترى عشاء واعود الى المنزل . لم يكن يجدى سوى الروم . ولم تكن تعرف هى اننى قد شربت الا عندما اقبلها . فى الايام الاولى كانت تخاننى عندما اعود فى ليالى الشتاء واكون قد شربت » .

اشعل الرجل سيجارة واحس بالبرد وكان صوت السيارات يرتفع بين لحظة واخرى ، ولم يعد بوسعه أن يسمع صوت سحر الان ، وقال لابد وانها قد نامت الان ، او ربما حدث شىء آخر .

اخرج من جيبه ورقة ، ثم ضيق مابين عينيه وجعل يقراها بصوت مرتفع ،وكانت تهتز بين يديه وهو مضطجع الى الوراء . وسمع صوت قدميها ، ثم اغلق الورقة ووضعها فى جيبه مرة ثانية .

جذبت المقعد وقربته منه . قالت : « الم تدخل .. البردقد اشتد ؟ ».قال دون ان ينظر اليها : « لماذا لاتدخلين انت .. اتركينى .. سأجلس ما شاء لى قالت : « وفى الليل يخرج هذا كله واصرخ انا .. حتى الدواء لا تأخذه .. » صمت الرجل واخذت هى تحس بالرياح ورائحة الرمال الجافة . ولم تعدالاشجار تلمع الان امامها . قالت : « اقراالخطاب اقراه الان » . كان الرجل يحرك ساقيه وكان يود لو اشعل سيجارة ، وكانت الرياح تتسلل ما بين ساقيه النحيلتين وقماش السروال الواسع المخطط بخطوط طولية . قال : « كل يوم اقراه ... اصمتى الان .. لعن الله ثرثرة النساء ... سأقراه غدا » . قالت بصوت خفيض : « اقراه اليوم فقط ... غدا لن اقول لك ذلك » . ومدت كفهاالصغيرة الخشنة ولامست ركبتيه . نظر كل منهما الى الاخر ، ثم تحول عنها . قال اخيرا « لن اقراه غدا .. حتى لو ظللتتقولين ذلك طوال النهار » . اشارت براسها ، واخرج الرجل الورقة مرة ثانية وراحيقرا

كانت تنظر الى النوافذ المغلقة التى امامها ، وكانت قد تركت يديها على فخذيها وكفيها فى مواجهة السماء ، وكانت تحس بالبرد ، والشال المحيط برقبتها ووجهها . وكانت تتمتم ،ويتداخل صوتاهما وهو يقرا والرياح تمر على شعره الابيض وتتخلله . وعندما انتهى وضعه فى جيبه مرة ثانية ، وتحول بوجهه . وكان يود لو ذهبت الان ، واحس بالدموع الدافئة تبللخديه وتتسلل بين شعر لحيته وتغيب . قام الرجل ، واستند على حاجز الشرفة بكفيه ، ثم تدلى براسه من اعلى الحاجز ، واصبح بوسعه الان ان ينظر الى نهاية الشارع، وراى الوحل يملا تلك الرقعة الصغيرة ، غير ان عينيه كانتا مغرورقتين ، وكانت الرؤية تهتز امامه .



البراري

محمد المنسى قنديل



الشتاء الواهنة خلف ظهر العمدة. البلدة خلف ظهره ايضا .. والضابط أمامه . الجنود متكوّون حول العربة معفرون لحد الانهاك . بضع من الاهالى يتسكعون . يحملقون فى فضول أبله . ربع ساعة منذ مضى النفير وغابوا خلف بيوت القرية المحنية . العمدة يداعب لحيته محاولا أن يبدو مهتما . الضابط يدخن فى عصبية . اسفل عينيه نصف دائرة زرقاء عمهم العمدة ...

— صدقنى .. فى الامر بعض من الخطأ ..

أومأ الضابط . كانت العربة خلفه كالحربة فى الظهر . طلب العمدة منه الجلوس للمرة الرابعة .. رفض رغم مفاصله المتسيبة . عاود العمدة الهمهمة.

— يعنى هو فى حوالي الثلاثين ..

تضايق الضابط . رمى بقية السيجارة لم يدهسها ..

— كلا . اسمه عبد المجيد داود .. اليس كذلك ؟

أكد العمدة .. أجل .. لكن

تحدق الجنود فى الاهالى فابتعدوا قليلا . قال أحدهم فجأة .

ــ كيف حال الجيش ؟

قال أحد الجنود .. عال .. دون نفس . ثالث بلدة تحمل نفس الاسم . والبرارى تفر بلا جواب . لهاث طوال الليل . ووجوه رافضة فى الصباح . مع كل حفرة ترتج العربة ويرتج الجنود . والصندوق يخزهم كالابر .

عاد الغفير . ثلاثة منهم يقودون فيما بينهم فلاحا بالغ النحول . يتطلع خائفا للجميع .

أمره العمدة ..

ــ تقدم يا ولد عبد المجيد .. قف أمام حضرة الضابط .

وجهه أسمر شاحب . لاحظ الضابط آثار الجدرى القديم . كان عمره أقل من الثلاثين . أصيب الضابط بخيبة أمل نظر للخلف . بدأ الجنود يستعدون لركوب العربة وقد ازدادوا كآبة . لم يجد بدا من القاء الاسئلة المعادة .

ــ هل لك اقارب يحملون نفس الاسم ؟

أجاب الشاب خائفا مرتابا .

ــ لا يابيه .. أنا مقطوع من شجرة

[تأمل العربة والجنود فى فزع] .. أنا عريس جديد يا بيه ..

ضحك العمدة بجفاف . ضربه على ظهره بغير لطف ..

ــ الله يجازيك يا عبد المجيد

يحلق الشاب فيهم وأضاف مصرا

ــ أنا غلبان يا بيه

شوح الضابط بيده مقروفا . استدار نحو العربة . لاحقه العمدة كالظل . أعاد ترديد كلمات الضيافة والتمسك ببقائهم دون صدق حقيقى . لم يدر الضابط أين يذهب .. مجرد الابتعاد . الشاب واقف مفتوح الفم . كف الاهالى عن التسكع واتقوا جنب الحائط . كان حنق الضابط كافيا حتى يشعر العمدة بالذنب . دخل الجنود العربة وأحسوا بالتعب . كان الصندوق فى نفس الموضع صامتا باردا كأنه ذنب . والعمدة يردد

ــ لا يمكن .. والله لا يم .. ك .. ن

فكر الضابط . سوف أعود للوحدة . فشلت المأمورية يافندم وتنفضلوا .. قال العمدة فجأة :

ــ اسمع يا حضرة الضابط هناك بلدة أخرى بجانبنا [وأشار ناحية الغرب]

ادار السائق الموتور . أمسك العمدة الباب فى اصرار

ــ اسمها « منية السور » أيضا .. منية سور البر الغربى

قال الضابط متضايقا :

ــ هذه ثالث بلدة تحمل نفس الاسم

ــ هنا منية سور البر الشرقى .. صدقنى [وأشار مرة أخرى] خلف هذا الجزء .

لا تنحرف وسوف ...

قال السائق .. يافندم نسوق ثانية من جديد

قال العمدة .. سأرسل معكم أحد الغفر

زام الموتور مرة أخرى . اندس الغفير جنب السائق وأصابعه تقبض على ماسورة البندقية .

تضاءلت البلدة واكتشف الجنود نفاذ ما لديهم من سجائر . عاود الصندوق الاهتزاز . تحول صوت احتكاك مفاصله الى نوع من التأوه الموجع

تتوغل العربة ، يضمها صدر البرارى البراح . يضمها سكون غامض واستواء رتيب . تطل عليهم سماء باهتة بلا انفعال ولا الفة . قال الضابط

ــ هذه البلدة . أهى بعيدة ؟

ارتج الغفير . كان مرتابا . لا يعلم ان كانوا سيعودون به أم لا . شتم العمدة فى سره .

بلع ريقه وقال بغتة ..

ــ كم كان عمره .. ؟ ..

قال الضابط بغير ارتياح .. ماذا ؟

ــ هل كان صغيرا

فكر الضابط . هو الاخر يحاسبنى . نكر وهو يعانى من صداع حاد . يبدو اننى لن أستطيع العودة . يطوف جندى المراسلة بين المواقع المتباعدة . الهواء الساخن مشبع بالبارود .. وتظل السماء حمراء أياما متتابعة . فكر الضابط . تشرق الشمس خلف ظهرنا وتغرب خلفهم ، ولا يفصلنا سوى شريط من الماء الازرق المتسخ والسمك الميت وشواهد القبور ومساحات شاسعة من الكراهية . تمام يافندم . استدعوه عند غروب يوم قاس ، كان القائد سمينا محتقن الوجه . مد يده باذن المأمورية . ووقف خلفه الجنود الخمسة . قال صوته الاجش

ــ هنا الاسم والعنوان . سيكون طيبا أن ترافق أحد جنودك حتى النهاية

كأن الامر لم ينته بعد . فكر . اننى حزين ولا أستطيع البكاء . استطيع الضغط فوق بدال المدفع والصراخ بالتعليمات وتلقى الجرحى . لكن ليتنى أستطيع البكاء .

قال الغفير فى اصرار ملاحى ..

ــ هل كان متزوجا .. ؟

توتر الضابط .. زعق مهددا

ــ اسمع لا شأن لك فاهم ..

انكتم الغفير . سأله السائق عن الطريق للمرة الثانية فأشار صامتا

مازال جندى المراسلة يطوف بين المواقع المتباعدة ، وعندما سقط كان فى انتظاره رسالتان . واحدة من أبوه وواحدة من زوجته كتبها ابنه فى الصف الرابع الابتدائى . وظل الجنود صامتين . لو استطعنا العودة به لاتمنا قبرا صغيرا وشاهدا فوقه خوذة . هنا يرقد رفيق السلاح اسماعيل عبد المجيد داود . اسمر الوجه مجاملا لدرجة

البلاهة . لم يعرف امرأة سوى زوجته لم يسرق الا مرتين . دخل السينما أربع مرات بناء على الحاح من زملائه . نال ترقية واحدة ما لبث ان نزعت منه لسبب لم يفهمه بالضبط . كان هو وأبوه وأمه وأخوه الاصغر يمتلكون فدانا واحدا يقيمون وينامون عليه ويستأجرون بجانبه فدانين من الاصلاح . لم يكن الضابط يرتاح له كثيرا . وظل مسالما .. صامتا . وتوقف دمه عن النزيف بعد وقت قصير .... افاق الضابط . كان الغفير يطلب من السائق الرجوع والاتجاه الى ناحية اخرى . اوقف السيارة ثائرا .

ــ يبدو أننا لن نصل يافندم .

التفت مغتاظا نحو الغفير .. هل تلعب بنا .. تعرف الطريق أم لا

ظل الغفير يشير الى نفس الاتجاه ببلاهة . أومأ الضابط للسائق حتى يدير مقدمة العربة . ثم هدد الغفير

ــ آخر مرة خذ بالك والا ..

تساءل الضابط ان كان ثمة طريق محدد للعودة . تكاثفت الاشواك ونباتات الحلفا . احاطت بالعربة . كونت ممرا رفيعا خانقا . احسوا كأنهم يغوصون فى قاع البرارى . قاع من الخضرة المتسخة والهوام الدقيقة . احسوا بالهواء ثقيلا عطنا . كان الصندوق تعبا مثلهم . طال به التطواف ، وتمزق العلم الثلاثى اللون فى أكثر من موضع .

تباطأ السائق . لطمت النباتات والاشواك الزجاج بعنف . وبعيدا كانت الشمس وكانت السماء قال الضابط ..

ــ لماذا ينتشر هذا الاسم هكذا ؟

قال الغفير .. اسم من ؟

ــ ميت السور . ثلاثة بلاد ونفس الاسم .

اعتذر الغفير .. فلاحين يابيه

حاول الضابط الضحك . اكتشف أن سجائره قد نفذت . ود ولو يصل ويرى الاب . سيكون عجوزا متغضنا ولسوف يصدم من جديد عندما يؤكد النعش الحقيقة ويبدد أى أمل . سيكون هذا رهيبا لكنها نهاية على أى حال . يحفرون قبرا ويقيمون صلاة مختصرة دون رصاص .. لعل النباتات تتراجع . لعل السماء تقترب . هتف الغفير لا :

ــ اهه .. منية السور

ارتفعت مقدمة العربة وانكشف ظهر البرارى من جديد . قرية أخرى تحمل نفس الملامح ونفس الناس .. تتراءى خلفها حقول داكنة الخضرة . أطل الجنود من الثقوب الموجودة فى جدار العربة وكانت القرية تكبر كل لحظة .

توقفوا . كانت البيوت وكان الناس يقفون صفا متجهما . نظر الضابط

والغفير لم الجنود .. كانت عيون الناس الرجال والنساء تحاصرهم فى صمت راكد ثقيل . تلاشت فرحة الغفير ، احس الضابط بعدم الاطمئنان . احس بالعداء الغامض وهو يتخلق من ترددات الانفاس .. تقدم ثلاثة من الاهالى . لم يتعرف الضابط على أى هوية رسمية من منظرهم . قال الغفير وقد شابه التردد

— منية السور .. البر الغربى ..؟

فجأة . قال أكبر الثلاثة فى حدة :

— اذهب

ارتد الغفير مصدوما . تقدم الضابط يحسم الموقف

— نحن نبحث عن شخص يدعى عبد المجيد داود .. ان .. (أشار للعروبة لكن الرجل قاطعه ..

قاطعه بنفس النبرات الحادة

— اذهبوا كلكم .. اذهبوا بعيدا

بهت الضابط .. قال بهدوء

— نحن نحمل جثة احد الشهداء

تقدم رجل ثانى قال للضابط بوجه خاص

— لا شأن لنا بذلك . اذهب بعيدا . أرض الله واسعة

نظر الضابط والجنود والغفير لبعضهم حائرين . والوجوه أمامهم بالغة الصلابة تحمل تحفزا مجهول المصدر . احسوا بوطأة العداء حولهم والاستعداد للاشتباك فورا دفاعا عن شىء لا وجود له .

والغفير يؤكد .. والله هى البلد . جئتها انا اكثر من الف مرة

نصب الضابط قامته . رفع صوته لعله يذيب حدتهم

— اسمع . أن معى أوامر عسكرية .. أين أبوه ؟

لكن الرجل لم يهتز . لم تضعف نبراته

— اذهب قلت لك [أشار الى ناحية الشمال) هناك بلدة تدعى منية السور ايضا

زعق السائق فجأة .. كلا .. هذا جنون

مازال الضابط على استعداد للتفاهم

— ما اسم بلدتكم انتم ؟

شوح الغفير بالبندقية . منية السور والله . لم يرد الرجل . هبت ريح باردة وظلت العيون ترصدهم تحمل نفس التهديد والضابط يسأل :

— أين عمدتكم ؟

لم يتحرك احد . كفوا حتى عن الكلام جلس الغفير على الارض وضرب كفا بكف . قال السائق فى شبه توسل

— ننصرف يافندم . نعود

قال الضابط هامسا فى دهشة ممتزجة بالخوف

— لماذا يتصرفون هكذا .. ؟

— انه الموت يافندم . سوف نعود لوحدتنا

انسحب الجنود للمؤخرة . كانوا غرباء والصندوق أشد غربة . ووجه البرارى متجهما لا يتخطى تشوق الحلفا . كانت السماء عكرة والشمس واهنة .. لم يلح السائق . ألقى الضابط نظرة اخيرة لكن احدا لم يتحرك . ركب . زعق الغفير وقد نهض فجأة .

— انتظروا خذونى معكم ...

زفر الضابط حانقا . نظر فى المرآة الجانبية . كانت البلدة وناسها ساكنين . والغفير لازال يجرى ويزعق . احس الضابط بنوع غريب من القهر . برغبة حادة فى التشبيح . كان الوجه الاسمر شبه ممزق وعندما رد جندى الخدمات الطبية طرف الغطاء . لم يصدق ان ما يراه هو الموت . هكذا . باترا وسريعا ولا رجعة فيه . عاد يردد .. لماذا يتصرفون هكذا .. من اين يكتسبوا هذه الشراسة ؟ قال السائق وهو يشاهد انفعال وجهه

— يافندم

لم يكمل . تضاءل الغفير حتى اختفى عاودت نباتات الحلفا الارتفاع . قال الضابط لنفسه سوف أعود للوحدة . ادفن الجثة واقدم استقالتى . هناك زوجتى وهدى الصغيرة وأبى المتقاعد طلب منه السائق أن يغلق الزجاج الجانبى حتى لا يتسلل الماء اليه . كانت الدنيا تمطر خطوطا نحيلة من الماء تمتد فوق الزجاج الامامى . تغبشت صورة الاراضى . احس بالبرودة . لو ان الليل يأتى وتختفى تجاعيد البرارى . لا تقابلهم بلدة أخرى . تواصل العربة السير بلا توقف وحلم فجأة انه داخل الصندوق المهتز يعانى رغبة من القىء الحادة . وان اسماعيل يعانقه . اسماعيل بوجهه المهشم الدامى . تتسلل قطرات المطر خلال الواح الخشب وتسقط فى فمه . يقول له انت ابى . وانت أمى . وانا طفل يتيم .

واستيقظ وهو يشير السائق صارخا

— اذهب فى هذا الاتجاه ..

وتذكر الرجل العجوز والعمدة والغفير والقائد ووجوه الاهالى . زام السائق . يافندم مستحيل لا يوجد بنزين . أشار له فى صرامة

— اذهب .

سمع الجنود صوت الضابط المضطرم . اوشكوا هم ايضا على الصراخ . اى نوع من الصراخ . وبدات قطرات المطر تدق فوق رؤوسهم دون أن تخفى صوت الصندوق . كان يهتز بشدة حتى خشوا ان يتفتت فجأة ويظهر اسماعيل ممزقا دون كفن ..

من الكوه الصغيرة خلف السائق فوجىء الضابط بأحد الجنود يطل عليه . قال فى توسل حقيقى

— يافندم ندفنه هنا

التفت اليه مذهولا . استطرد الجندى

— كلها أرض مصر [أشار بعينيه الى البرارى والمطر والحلفا] كلها مصر . أشاح الضابط بوجهه . كان السماء يتسع فوق الزجاج . التفت الكوه . ضاعف السائق السرعة . لطمت الحلفا الزجاج واحس الضابط كأنه يصفع . هبطوا فى منخفض أرضى . ارتفع رشاش من الماء المتسخ لم يعد يرى شيئا . وفكر . هل أنا محموم . اصبحت الارض لزجة والعجل يلف بصعوبة . أزاح الذراع كمية أخرى من الماء .. وظهرت البلدة الجديدة

توقفوا أمام البيت الاول . ضغط السائق النفير فى عصبية . دوى الصوت كالعواء . شق الصمت ولم يرجع صدى نظر الضابط وهو فى أول الشارع المؤدى الى قلب البلدة . وضع يده على خاصرتيه منتظرا . ظل الجنود صامتين يحدقون فى الصندوق وقد توقف أخيرا .. أخيرا عن الحركة . صفعت موجة من الهواء البارد الضابط بقسوة . خفت حدة المطر . توقف السائق مستندا الى حائط مبلل . قال :

— يافندم [لم يلتفت الضابط نحوه] لا أحد هنا

انزل ذراعيه فى وهن . ظل يحدق فى الشارع الخالى الموحل حتى تداخل كتلة البيوت .. والسائق يتوسل

— نعود يافندم ..

كان ممتقعا . بدأ السير فى اتجاه القرية . حاول السائق الكلام او السير خلفه لم يستطع .. على الجانبين تحدق البيوت ببلاده . الابواب مفتوحة وبطون الدور مظلمة . المصاطب خالية متآكلة يتناثر عليها بقايا أوراق عجفاء مبللة . أكوام الزبالة والروث والسباخ بلونه الازرق القاتم . سيقان الشجر المقطوع والمحاريث القديمة . ازدادت دوامات الريح فوق الجدران المتهالكة . امتزجت نقوش الحج والانتخابات . المقهى الصغير المغطى بالسناج ليس به الا بضع من الكراسى المحطمة . عند المنعطف الاول تعثر فى جثة كلب مبقور البطن . اوشك أن يتقيء .. ضاقت الطرقة وانحنت البيوت فوقه . اصبحت العربة نائية والسماء أشبه بجوف صندوق خشبى يحتويهم كلهم . سمع صوتا فالتفت فزعا لكنها الريح تمرق من شق جدار . كانت تعوى . سار عبر المنعطف الثالث والرابع وتشابكت المعالم كالقبضة المحكمة . فكر . لن أستطيع العودة لن يأتوا لانقاذى .. وعندما نفذ من المنعطف الخامس وجد نفسه فى ساحة واسعة مليئة بالطين وبرك الماء . خلع القبعة واحس بقطر المطر ينحدر فوق خديه دمعا باردا .. احس بالتعاسة ايضا .. توقف قرب المنتصف وهو يزعق ..

— يا عبد المجيد يا داود .. معى ابنك

لم تجبه الريح ..

— معى جثة ابنك .

لم تجبه البرارى .



جــواز على ورقــة طـــلاق

مصالحة مستحيلة

ومستقبل مجهض

فاروق عبد القادر

● الحكاية لا جديد فيها ؟ فتاة فقيرةوشاب غنى ؟ لكن الجديد أن كل شىء يحدث أمامنا ، نرى المؤلف وهو يكتب ،والمخرج وهو يصنع حرفته ، والممثل والممثلة يناقشان دوريهما . ونحن شهودمدعوون للشهادة .

قد تقول : لا جديد فى هذا ايضا ،فقد أسرف المسرحيون فى كسر الايهام وازاحة الحائط والتوجه الى الصالةوالتمثيل داخل التمثيل ، لكن الجديد ان هذه المسرحية تستخدم هذا التكنيك استخداما جيدا ، وتوظف من أجله كل الوسائل التى أتاحتها فنون العرض ،ورغم أن المؤلف يقول لنا فى المشهد الاول انها مسرحية لا ضحك فيها ولاميلودراما ، لا رقص فيها ولاغناء ، الا اننا نجد فيها هذا كله .. كانها واحدة« من مسرحيات الغواية اياها .. » كما يقول ! .

جوهر المسرحية هو الحب بين مراد الايوبى وزينب ، جارته فى الحى القديم . فلننظر اذن فى هذا الحب ، ولنحذر ، لان الفريد فرج مسرحى قد طاعت له الحرفة ، لا ينسى كلمة كتبها أو خطا شرع فى رسمه ، يعرف جيدا متى يقول ومتى يصمت ، متى يجعل الحوار حيا ساخنا ، ومتى يثقل كلماته بروح الشعر .

من البداية للنهاية : زينب تحب ومراد مهموم بنفسه ، الاصدق أن نقول انه منقسم على نفسه . هو سليل اسرة قادت الكفاح الوطنى اجيالا : جده من رجال عرابى ، وأبوه من رجال سعد وأمه قادت مظاهرة السنية فى ١٩١٩ ، وهو اشتراكى ضد الملك فى ١٩٥٢ . لكنه اشتراكى ذو طبيعة خاصة ، يرفض لزينب أن تعمل ، ويقفز الى المستقبل فيعلق على الثورة القادمة حل مشاكل الواقع ، ويخرج من المعتقل فى مقابل أن يتخلى عن كل شىء ويهاجر الى الخارج ؟ فقد عقدت أسرته القوية الصفقة باسمه . يعمق انقسامه حين يعود متخصصا فى الاوتوميشن الى بلاد تعنى عمالة زائدة وبطالة مقنعة . حين يلتقى بزينب العاملة فى المصنع الذى يديره يقود العلاقة معها بحيث تنتهى الى فراشه .

لا يدهشنا مراد حين يتخلى عن ثمرة عشقه ومسئولية فعله ، فقد تخلى من قبل . انه لا يكن حبا حقيقيا للارض التى ألقى بذرته فيها ، هذا الاتهام بالتواطؤ والتنصل من كل مسئولية طبيعى تماما من جانبه . يقول عن مستقبله الذى يتخلق فى احشاء زينب [وقد قال الطبيب انه بصحة جيدة] : « الجنين ده هيتولد منقسم الشخصية ؟ أهل أبوه لون وأهل امه لون .. الاسرة ليست مجرد زوجين وأولاد ، والحياة الزوجية ليست الا اختلاط الاهل بالاهل .. الطبيعة لا تقبل التهجين المتناقض ، ولا يمكن قيام اسرة ملفقة ... »



كرم مطاوع





سهير المرشدى



الفريد فرج

آلذى يدهشنا حقا أن تنتحر زينب . كأن المسألة كلها : اما مراد أو الموت . زينب : فتاة بسيطة ، ابنة سائق وشقيقة عامل ، ألقى مراد اليها بحقيبة ملأى بالكتب والمنشورات لحظة المطاردة، فأنقذته ، ثم أنقذت نفسها حين قرأت كل هذا ووعته ، وخرجت الى العمل تحت وطأة الضرورة فاستطاعت أن تمزج المعرفة بخبرة الحياة ، وما اجمل صياغتها لبعض ما عرفته : « عرفت أن اللى فى قلبه جراح أحسن من اللى فى قلبه حجر ، وان الايد الشغالة أبرك من الايد المليانة ، وأن النفس اللى بتداوى اكبر من النفس اللى بتظلم .. » زينب كانت قادرة دائما — بالصدق وحده — على أن تواجه مرادا وتواجه الرعب الطبقى فى أعماقها ازاءه ، ورفع قتل المستقبل عن عينيها كل غشاوة ، فأيقنت أن مرادا لا يحبها ، وانه لفق حكاية حب لا تعنيها ، ونزع أشد الفزع حين ارتطمت بالواقع . تصرخ زينب فى وجه مراد بالحقيقة كلها ، تقولها له بثبات دون وجل وتصر على الطلاق . كان الزواج من أجل الاجهاض ، وقد تم الاجهاض فما مبرر استمراره ؟

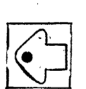
لا يكتسب انتحار زينب معقوليته بعد ذلك الا حسب فهم واحد : أن ترى بذور المستقبل كلها مجهضة ، وانها تعيش فى عالم لايمنحها سوى امكانية واحدة هى الرضوخ الدائم والكامل . حل عابث فى عالم عابث .

لا تنتحر هذه الفتاة الا بعد انتحار آخر أمل فى الواقع ، الا بعد أن تجهض كل بذور الثورة فى الحاضر والمستقبل . خسرت اسرتها وعملها ومرادا وطفل المستقبل . هذا كله صحيح ، لكن الصحيح كذلك انها تملك امكانية الاستمرار . فى وسع من بلغت هذه الدرجة من الوعى أن تستأنف أيام حياتها ■

هلّ نفرض انتصارا زائفا للحب رغم تحذير المؤلف ؟ لا ، بعيدا عن مراد وأمه تستطيع زينب أن تلقى مرساتها ، أم ترى نحن نلقى احمال عجزنا على هذه الفتاة البسيطة ونطلب منها أن تفعل ما عجز الغنى ، المهندس ، الاشتراكى القديم عن فعله ؟

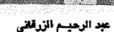
لكن هذا بالتحديد ما يجعلها تفعله « فلتخرج زينب اذن للحياة الواسعة ، ولتصفق باب مراد وراءها فيدوى صوته فى أذنه وآذاننا ، ولتصبح « نورا » جديدة فى واقع متغير .

ماذا ستجد زينب فى الخارج ان صفقت باب مراد وراءها ؟ .. ستجد مجتمعا يدين المرأة بينما الرجل آمن من الادانة « ويدين الفقير بالتطلع لاصطياد الغنى بينما الغنى أكثر أمنا وأقدر على التصرف وشايل فى جيبه دايما ضمان براءته فى محفظة فلوسه .. » ، فيه يشترى العجوز حسناء صغيرة وتشترى الشمطاء شابا فى عمر ابنها ، فيه






زوزو نبيـل



عبد الرحيـم الزرقانى

الحب هو الحرام والزواج هو الحلال ، ومن وراء هذا ايقاع الحياة المتخلف ، يصفه مراد بأن الناس « عندها حصانة ضد المكن » [رغم أن المؤلف يرد هذا الاتهام فى المشهد التالى : فالعامل الذى التهمت الآلة ذراعه لم يترجم له أحـد الكتالوج الذى يقيه الخطر] ، ومن وراء هذا كله « عالم اعمى أو فى غيبوبة ، أو متفشية فيه الامية » .

لايبدو مقنعا حديث زينب من هذا العالم الاعمى . جوهرها أنها استطاعت أن تأخذ من مراد أفضل ما كان يعرفه ، وأن تطوعه ليكون دليلها وسلاحها فى مواجهة مشاكل واقعها . فليكن مراد منقسما منذ البداية ، فليكن قانعا من الاشتراكية بلافتة يرفعها فوق رأســه حينا ويعمل بعيدا عنها دائما ، فليكن متمثلا أسوأ ما فى الثورات المجهضة : تلك التى قـامت تطلب الاسـتقلال فى الداخل ففقدته فى الداخل والخارج ، وهذه التى كان وقودها الناس وقادتها أول من تخلى عنها ، فلتكن حياة مـراد الايوبى أصدق تجسيدا لما قالته أمه ــ طبقته ، ألتى لم ينكرها يوما ولا انكرته ، والتى رسمت حياته وقادت خطاه من المشهـد الاول الى الناجعة الاخيرة : « احنا طبقة وأنتم طبقة .. هو صحيح كان فى الاشتراكية ، ما يفرش ، كل واحد يعتقد فى المبدأ اللى يقتنع بيه ، لكن حياة الانسان الخاصة دى ملكه ، ملك نشأته وجوه وناسه وعاداته وتقاليد أسرته ، ... أنا كمان أحب الفقرا ، لكن ده نوع من النبل والانسانية ، مش أكثر من كده ، ومش لازم يكون اكثر من كده .. » .

اقول : فليكن هذا كله . لكن محور الخـلاف هو : اما مـراد الايوبى أو الانتحار . اننى أرفض تصديق ما اتفق عليه الطرفان المتناقضان : ألا تأخذ شيئا من صاحبه دون استئذانه ، وأرفض كذلك أن يكون المؤلف ــ المؤلف الحقيقى هذه المرة ــ وراء كلمات مراد : « ألبلد دى قطة بتخاف على ولادها من التفكير ، من الاجانب ، من التقاليع ، من الجديد ، من الجرىء ، من الاوتوميشن كمان .. » .

الصحيح أنها قضية طبقة وليست قضية بلد ، والدليـل هـو مترجيته كلها : لا انفصـال بين النضـال الوطنى والاجتماعى ، والحديث عن وطن هـائم مطلق يخفى وراءه دائما مصالح السادة والطامحين للسيادة .

ألبح المؤلف فى طرح قضيته . قـال ان الهدف هـو المسئول وطلب الى المتفرجين الادلاء بشهاداتهم . المسرحية مشاركة فى حوار دائر ــ صاحبه حينا مكتوم معظم الاحيان ــ ، وطرح صحيح لتخفى النوايا السيئة وراء الشعارات التى لا تعنى شيئا فى الممارسة ، لان القيـادة دائما بين يدى من يمسـكون أعنتها ولان التطلع دائما يتجه نحـو الطبقات الاعلى ، ولان الاكثر غنى وقوة وتكنيكا هو من يقود التحالف لصالحه .

فكرة صحيحة دون شك . غير الصحيح ألا يبقى للطبقات الاخرى سوى الانتحار .

لكن الفكرة محدودة كذلك . لهـذا لجأ المؤلف الى اشباع مسرحيته بالحرفة : مؤلف ومخرج ومناقشـات حـول الفن الحقيقى والزائف ودور الفنان بين التبشير والشهادة على عصره ، وتوازن دقيق بين تدخـل المـؤلف وأداء الممثلين ، واستفادة من المواقف الكوميدية والنمر الشـعبية ، وخيـط ميلودرامى يبـرق ويختفى ، وتوظيف للموسيقى والرقص والغنـاء وشاشة العـرض ، وحكايات صغيرة داخل النسيج المسرحى ، وابراز لامكانيات الممثلين فى الاداء .

نص مرهق فى تنفيذه دون شـك . وقد وفق الاستاذ عبد الرحيم الزرقانى فى تنفيذه دون شك كذلك . غير ان ايقاع العرض يهتز لحظات حين تطول الاغـانى [أغنية زينب ودجـاجها فى الفصل الاول ، وأغنية مراد فى زنزانته فى الفصل نفسه] . أو الرقصـات [الراقصة المحترفة فى الزفة قرب النهاية كادت تفسد تأثير المشهد كله] ، كما أن استخدام آليات العرض لم يكن موفقا كله ، فقد أساء استخدام شاشة العرض الى التطور التالى فى شخصية زينب فبدا غير مبرر أو مقنع .

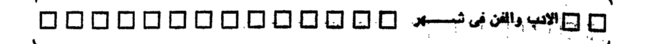
وهذه مسرحية ممثل وممثلة فى المقام الاول ، عليهما يقع العبء كله . لعب الاستاذ كرم مطاوع دور مراد ، فقدم لحظات ممتعة ومتميزة ، لكنه كان ضد ايقاع العمل كله حين يسرف فى التطويل [مشهد البار ومشهد القارب ومشـهد الزنزانة دون ترتيب] ، وكان اداؤه القوى يكسـب موقفه قـوة ، ولم يكن يراعى الانتقالات الدقيقة مثل انزلاقه الى تبرير ذاته بعد أن تصفعه زينب بالحقيقة ، ومثل احسـاسه الحقيقى بالتمزق حين يجد يديه فارغتين فى النهاية .

ولعبت السيدة سهير المرشدى دور زينب ، وقدر ما كانت بسيطة ، رقيقة ، مقنعة ، فتاة من حى شعبى بالفعل فى الجزء الاول ، قدر ما لم يقنعنى تأنقها المسرف فى الجزء الثانى ، لكنها قـدمت عرضا جيدا ورقيقا فى مشهد حوارها مع ابنتها المتخيلة ومونولوجها الاخيـر بثياب العرس .

ولابد من تحية خاصة للسـيدة زوزو نبيل التى لعبت دور الام : قوية ، واثقة مقتدرة ، ترسم المصائر وتتحرك لتنفيذها دون تردد .

● هذه « جواز على ورقة طلاق » ، مسرحيـة الفريد فرج الثـامنة ، فكرة جريئة تناقش قضية مطروحة ، وتنفيذ موفق فى معظمـه ، وأداء متميـز فى معظمه كذلك ..

لكن المؤلف قد عودنا أن تكون افضل اعماله ما تسخرفيها الحرفة لنقل الفكر ، فى هذه المسرحية حرفة كثيرة وفكر قليل ، نضجت الحرفة لكن ما فى يد المؤلف ــ وما بقى فى أيدينا ــ قليل دون شك .



أيـــام فيتنـــام

فى المـركز الفنى للصـور المرئيـة

تضامنا مع الشعب الفيتنامى ضد العدوان الامريكى الامبريالى البربرى اقامت جمعيات السينما فى مصر لاول مرة برنامجا مشتركا استمر ثلاثة أيـام فى مقر المركز الفنى للصور المرئية .

فقد اشتركت جماعة السينما الجديدة مع جمعية الفيلم وجمعية نادى سـينما القاهرة وجماعة السينمائيين التسجيليين المصريين وجمعية نقاد السينما المصريين فى اقامة « أيام فيتنام » فى الفتره من ٢٦ الى ٢٨ ديسمبر الماضى حيث تم عرض ١٥ فيلما من مصر والاتحاد السـوفيتى وكوبـا والمانيـا الديمقـراطية وتشيكوسـلوفاكيا وفيتنـام الديمقراطية والحكومة الثورية لجنوب فيتنام . وكان موضوع هذه الافلام العدوان الامـريكى ومقاومة الشـعب الفيتنامى .

من مصر عرضت افلام « العار لامريكا » و « طريق السلام » و « النصر للشعوب » و « الانسان » ، ومن كوبا عرض فيلم « ٧٩ ربيعا » عن حياة هوشى منه ، ومن الاتحاد السوفيتى عرض فيلمان هما « نحن معكم أيها الفيتناميون » ، و « ميكونج فى لهيب النـار » ، ومـن تشيكوسلوفاكيا عرض فيـلم « فانتازيا اليد اليسرى » ، ومن المانيا الديمقراطية عرض فيلم « نساء فيتنام » ، الى جانب الافلام الفيتنامية الثورية .

وقد اصدرت جماعة السينما الجديده نشرة عن القضيه الفيتنامية على شاشة السينما ، وأخرى تتضمن مقالا للكاتب البريطانى جيمس الدرنيج تحت عنوان « سياسة نيكسون هى سياسة هتلر » الى جانب برنامج العرض الدولى الذى حضره عشرات من المثقفين الثـوريين والطلبة وأعضـاء السـلك الديبلوماسى الفيتنامى .

سبق أن اقامت جماعة السينما الجديدة أول حلقات دراسية من نوعها اقيمت فى مصر عن « السـينما السـياسية » ، و «الشكسبيريات السينمائية» و «السينما الجديدة فى تشيكوسلوفاكيا» و «السينما الجـديدة فى المانيـا الاتحـادية » ، و « التعبيرية فى السينما الصامتة » ، و « الفلاح فى الفيلم المصرى » ، كما اقامت العديد من الندوات عن قضايا السينما ، والعروض الخاصة لاهم الافلام المصرية والاجنبية الجديدة .

(١٧٨٩)

على خشـبة المسـرح الفرنسى

تعرض مســارح باريس الان ٦٤ مسرحية منها ٧ اوبريتات فقط .. امـا الباقى فهى مسرحيات بمعنى الكلمة .. ومعظم هذه المسرحيات من نوع الكوميديا ولكن المقصود بالكوميديا هنا الكوميـديا الجادة ، اى الكوميديا التى تقول شيئا للجمهـور ، وليس كوميـديا التهريج الرخيص .. اما المؤلفون فهم شـديدو الاختلاف .. فهناك مسرحيات تعرض حاليا لموليير وكورنى وراسين . الى جـانب مسرحيات لشبان لا يتمتعون بشهرة سابقة وبالرغم من ذلك فاعمالهم ناجحـة . ولعل المؤلفين اللذين يحظيان باكبر قـدر من الاهتمام هما برتولد بريخت ويوجين يونسكو . فلكل منهما ثلاث مسرحيات تعرض فى وقت واحد .. ولكن الحديث فى باريس يتركز على مسرحية معينة هى « ١٧٨٩ » . وعام ١٧٨٩ معروف لكل فرنسى ، فهو التاريخ الذى بـدات فيـه الثورة الفرنسـية ، تلك الثـورة التى امتدت اثارها الى جميع انحاء اوربا ، بل ووصلت الى معظم انحاء العالم ، وتركت بصـمات لاتنمحى على تاريـخ الانسانية كلها .

وقبل الحديث عن المسرحية ذاتها ، لابد من وصف الجو المحيط بهـا ، اذ ان لـه تاثيرا حتـى علـى درجـة تقبل المتفرج للمسرحية ، وعلى طريقة استمتاعه بها .

يقع « مسرح الشمس » فيما يسمى « بالكارتوشرى » ، وسط غابة فينسين بجنوب شرقى باريس وغابة فينسين تقابل غابة « بولونى » — التى تقع غربى

بلريس — ولكن فينسين اصبحت الان شهرة عالمية بسبب جامعتها .. فهى الجامعة الوحيدة فى العالم التى يضع فيها الطلبة — فى اول كل عام دراسى — برنامج الدراسة مع كل استاذ ، بل ويقدم الطلبة المحاضرات مع الاساتذة ، ويناقشونهم فى كل صغيرة وكبيرة . وهذه التجربة تثير بالطبع حماسة الكثيرين من رجال التعليم ، بينما تثير سخط وغضب الاخرين .. المهم ان المسرح يقع فى مكان لايبعد كثيرا عن هذه الجامعة الغريبة . والمسرح ذاته لايشبه على الاطلاق اى مسرح آخر فى العالم . فشكله من الخارج اقرب الى شكل حظيرة للطائرات ، اما من الداخل فهو ليس اقل غرابة .. فقد بنيتحوالى ست منصات متصلة بألواح خشبية ، بحيث تكون مستطيلا ضخما جدا ، يبلغ طوله حوالى ٧٠ مترا وعرضه حوالى ٣٠ مترا .. ويقف المتفرجون وسط هذا المستطيل . واقول « يقف » المتفرجون لان المسرح — فى هذه المسرحية على الاقل — ليس به كراسى .. بل ان المتفرجين يظلون واقفين طول العرض .. والحق انهم لايظلون واقفين ، بل انهم يتنقلون من امام منصة لاخرى حتىيكونوا فى اقرب نقطة ممكنة منالحدث المسرحى الذى يجرى على كل منصة . والحدث المسرحى لايجرى دائما على منصة واحدة بل احيانا يجرى على اكثر من منصة ، بل هو يجرى على المنصات الست فى وقت واحد فى بعض اجزاء المسرحية ، كما سيتضح ذلك عند الحديث عن العرض المسرحى ذاته .

أما الكواليس ، فهى فى كل مكان خلف المنصات ، لايخفيها عن اعين الجمهور شىء ، بل ان الممثلين يبدلون ملابسهم على مراى من الجمهور ، كل ما فى الامر ان الاضاءة على المنصات تجذب انظار الجمهور الى الحدث المسرحى ، وتصرف نظره عن الكواليس المكشوفة لناظريه .

واذا كان هذا هو الجو العام الذى جرى فيه العرض المسرحى ، فانهيصعب الفصل بين المسرحية ذاتها وبين هذا الجو العام . فالمسرحية — كما يبدو من عنوانها — مسرحية سياسية تماما . انها تروى الاحداث التى سبقت الثورة مباشرة ثم احداث الثورة ذاتها .. ولكنالمسرحية فى تناولها لاحداث الثورة ، حرصت على انتهاج اسلوب جديد — بالنسبة لما الفناه — انها فى عرضها لاحداث الثورة لم تقدم الحوادث الهامة التى يرويها التاريخ ، ولم تقدم للثورة قادة أو ابطالا لقد اهملت المسرحية تماما الحديث عن مواقف ميرابو أو روبسبيير او دانتونأو مارا ، بل ولم تشر اليهم .. وانما قدمت من الثورة جانبها الاساسى ، وهو الدور الذى لعبه الشعب فيها .. لقدكان الشعب وحده هو بطل الثورة ، لاينازعه فى بطولتها اى فرد .. وقد تبدو هذه الفكرة جذابة للكثيرين . ولكن الحق انه لايمكن تصور ثورة بلا قيادة .. انالقيادة لاتخلق الثورة ، هذا حق ، ولكنها تنظمها وتوجهها الى الطريق السليم .. والغريب ان منطق المسرحية انعكس على الاحداث التى تجرى فيها .. فقد بدت الثورة فى هذه المسرحية شيئا عظيما مجيدا ،ولكنها اقرب الى الفوضى منها الى الثورة . كان « الشعب » فى المسرحية يتحرك فى كل مكان ، فوق المنصات الست ، بل وفوق العوارض الخشبية التى تصل بينها ، ووسط الجمهور .. ولكن هذه الحركة لم تكن منظمة او منسقة ، بحيث تولد لدى المتفرج احساس بالضياع وفقدان الاتجاه .. ولعل نهاية المسرحية هى اضعف ما فيها . فقد انتهت وسط هذه الفوضى .. ولست ادرى ، هل كان للطريقة التى كتبت بها المسرحيةواخرجت بها ، دخل فى ذلك ؟ ان الفرقة التى قدمت المسرحية قالت انها عمل مشترك تأليفا واخراجا .. اى انه ليسللمسرحية مؤلف واحد او مخرج واحد ، وانما اشتركت الفرقة كلها فى تأليفها واخراجها — ولعل هذا جزء من تصورهم لكل شىء للثورة وللمسرحية .. فلا دور للقيادة ، وانما الشعب والقاعدة هما المحركان لكل شىء ..

ومن ابرز عيوب هذا التصور أن النص ضعيف جدا ، بل أكاد أزعم انه من الناحية الادبية ، ليس هناك نص بمعنى الكلمة .. فالحوار عادى ، يكاد يكون نفس الحوار الذى تسمعه فى الشارع او فى المواصلات ، بلا اى اختيار فنى حقيقى . وليست هناك شخصياتمرسومة رسما فنيا ، بل اعتمد النص على أن معظم الشخصيات التى يتحدث عنها شخصيات معروفة تماما تاريخيا ، فلم يحاول أن يبرز ابعادها وملامحها .. اما بالنسبة للطبقات او الفئات التى اراد تقديمها ، فلم يقدمها فى صورة شخصيات وانما فى صورة مجاميع [مثل رجال الحاشية الملكية ، وكبار الاقطاعيين فى الريف ، او البرجوازيين فى المدن ..الخ] .. وبدت هذه المجاميع — سواء فى ملابسها او حركاتها او حوارها — رمزيه ساذجة الى حد بعيد . ومن عيوب جماعية التأليف والاخراج أيضا ، الافتقار الى التماسك . فكما أن النص كان مفككا وضعيفا ، كان الاخراج أيضا يفتقد وحدة النظرة .. فأحيانا ، نرى مواقف تعالج بأسلوب كوميدى اقرب الى الكاريكاتير ، وأحيانا اخرى نرى مواقف تعالج بأسلوب يكاد يكون واقعيا ولعل أغرب ما حدث فى هذا الصدد استخدام العرائس فى أحد المشاهد .. والواقع انه لم يكن هناك على الاطلاق ما يبرر استخدام العرائس فى ذلك المشهد ، اللهم الا لان استخدام العرائس فى المسرح أصبح « موضة » ..

واذا كانت هذه هى عيوب التأليف والاخراج الجماعى ، فان ذلك لا يعنى انه — فى هذه المسرحية بالذات — لم يكن لهذا الاسلوب مزايا . ومن أهم مزاياه التلقائية والعفوائية التى تضفى على العرض حرارة واحساسا بالصدق . كذلك فالمتفرج يشعر خلال هذا العرض ، أن جميع أفراد الفرقة المشتركة فيه يؤدون النص بحرارة وحماسة عظيمتين . فكل منهم يشعر بدون أن نفهم لماذا استخدم هذا الاسلوب أو ذاك فى هذا الموقف او ذاك ؟ .. مسرحيته .. لذلك نجد أن ممثلى الادوار الثانوية ذاتهم يندمجون فى أدوارهم اندماجا يصعب أن نراه عند غيرهم من الممثلين فى المسارح الاخرى .

اما أحداث المسرحية ذاتها ، فليس فيها ما يلفت النظر كثيرا . انها تصف حالة الشعب قبل الثورة ، وبؤسه وفاقته ، ثم مطالبة الشعب بان يستمع الملك الى شكواهم ، وموافقة الملك .. وهنا جاءت اجمل مشاهد هذهالمسرحية .. فهناك فلاح وزوجته سمعا أن الملك سيتلقى شكاوى الشعب .. ويقررالفلاح أن يكتب للملك ، ولكنه لا يجد ورقة ، وينتهى الامر بأن يقرر الكتابة على قطعة قماش أبيض ، ولكنه لا يملك ريشة .. ويفكر فى أن يأخذ ريشة فرخة ليكتب بها .. ولكن ليس عنده حبر ، وتتبرع زوجته بقطرات من دمها ليكتبوا به .. ولكنه يكتشف فى نهاية الامر انه لايعرف القراءة والكتابة !! ونرى كيف أن الفلاح يعطى شكواه الى عمدة القرية ، الذى يمزقها ويكتب هو شكوى خاصة بمشكلاته هو ، يقدمها لاحد أعيان المقاطعة ، الذى يمزقها بدوره ويكتب مشكلاته هو ويقدمها للاقطاعى الكبير ، الذى يمزق هذه

الاخيرة ، ويقدم للملك مشكلاته هو زاعما انها مشكلات الشعب .. وتمضى أحداث المسرحية كاشفة كيف ان الملك استدعى القوات النمسوية لحمايته ، وكيف ثار الشعب لذلك ، وكيف استولى على الباستيل يوم ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ .. وبالنسبة للاستيلاء على الباستيل ، استخدم مخرجو المسرحية ابرع اسلوب فى الاخراج حتى الان ، وربما كانت المرة الاولى فى تاريخ المسرح التى يستخدم فيها هذا الاسلوب . فقد نزل الممثلون الذين كانوا يقومون بدور « الشعب » وسط الجمهور ، وتجمع عدد من النظارة ـ تلقائيا ـ حول اقرب ممثل لهم . واخذ كل ممثل [وكان عددهم لا يقل عن ٢٥ ممثلا] يقص طريقة استيلاء الشعب على الباستيل همسا اول الامر ، ثم اخذ صوتهم يرتفع بالتدريج حتى وصل فى نهاية قصة الاستيلاء على الباستيل الى صياح عالى الصوت .. وكنت ترى طوال هذا الوقت الجمهور ملتفا حول احد الممثلين فى جماعات متفرقة فى جميع انحاء المسرح ، واحساس كل متفرج هو ان هذا الممثل انما يحدثه هو شخصيا .. لقد خلق هذا الاسلوب ارتباطا وثيقا جدا بين المتفرج والممثل ، حتى ان كل متفرج كان يظن أنه هو المعنى شخصيا بهذه الحكاية ..

واهتم المخرج بعد ذلك بابراز الطريقة التى حاول بها الاقطاع ان يغير جلده ، وان يعقد تحالفا غير مقدس بينه وبين البرجوازية ، التى كانت مقهورة قبل الثورة ، وتحررت بفضل الثورة ، ولكنها بدات تخشى الجماهير ، وتحاول وضع حد للثورة بالتحالف مع الاقطاع القديم ، اى باختصار ، أراد مؤلفو المسرحية ان يبينوا كيف حاولت البرجوازية الفرنسية أن تحذو حذو البرجوازية الانجليزية ، التى ضربت الثورة التى حررتها لكى تتحالف مع الاقطاع ، خوفا من انطلاقة جماهير الشعب .. وربما بالغ مؤلفو ومخرجو النص فى التركيز على هذه النقطة ، لانها لاتزال غير واضحة جدا فى تصور الشعب الفرنسى .. واوضحت المسرحية كيف كادت هذه الخطة ان تنجح ، بل وكيف نجحت بعض الوقت ، ولكن كيف ان الشعب لم يرض بهذه النتيجة التى جاءت مخيبة لاماله فى الثورة ، وكيف هب الشعب من جديد ، بعد ان كان قد وضع حدا للثورة . ولعل مناقشة وضع الدستور واعلان حقوق الانسان ـ اللذين وضعتهما البرجوازية بالطريقة التى تحمى بها مصالحها ـ كانت من الاجزاء الطريفة فى المسرحية .. وتنتهى المسرحية بالثورة مرة اخرى ، بعد ان كانت البورجوازية قد ظنت انها سيطرت تماما على الموقف ، وبعد ان كان الاقطاع قد سلم بمشاركة البرجوازية له فى السلطة ، وشعر ان بقاءه اصبح مؤكدا بالرغم من قيام الثورة .

ان هذه المسرحية ، وان كانت ضعيفة كنص ، وان كانت ـ كعرض ـ تنقصها وحدة التصور ووحدة الاسلوب ، الا انها كانت عرضا استحق تقدير كل من رآه ، حتى ان الفرقة ذاتها تخصصت فى ذلك النوع من المسرحيات التى تتناول تاريخ فرنسا .. وكتبت الفرقة نصا مكملا للاول باسم « ١٧٩٣ » وهو العام الذى يسميه المؤرخون الرجعيون اسم « عهد الارهاب » ، الذى كان يمثل فى الواقع المحاولة البائسة التى قامت بها جماهير الشعب بقيادة البرجوازية الصغيرة ، للحيلولة دون استئثار البرجوازية الكبيرة بالسلطة ، تلك الفترة التى انتهت باغتيال مارا ثم باعدام بطل الثورة روبسبيير ، وسقوط الثورة نهائيا فى براثن البرجوازية الكبيرة . ومعظم من رأوا هذه المسرحية من النقاد قد ذكروا انها أقل قوة وحيوية من الاولى .. ثم اعدت نفس الفرقة أخيرا مسرحية جديدة ستقدم قريبا اسمها « ربيع القلنسوات الحمراء » تروى ـ كما تقول افيشات الدعاية لها ـ قصة ثورة الفلاحين فى مقاطعة بريتانى اثناء حكم الملك لويس الرابع عشر ..

واهم ما يلفت النظر فى العمل الذى رأيته لهذه الفرقة هو مدى الحب الذى يكنه الفرنسيون لتاريخهم ومدى احترامهم له . لقد كان الشعب أيام الثورة مثقلا بالجهل والفقر ، وبالرغم من ان المسرحية نحت فى اكثر من موضع الى السخرية ، الا انها ابدا لم تسخر من جهل الشعب ، برغم أنها حرصت على ابرازه بصدق .. انهم يحترمون تاريخهم ويقفون امامه باحترام شديد .. ويلفت النظر مثلا أن المسرحية قد قدمت بعض الاغانى الثورية ، ولكنها لم تقدم « المارسيلليز » .. [ولعل السبب فى ذلك هو ـ كما قال احد الفلاحين فى فيلم « الحزن والشفقة » ـ ان حكومة الماريشال بيتان كانت تعد المارسيلليز نشيدها القومى ، فكيف تريد منا نحن ان نغنى المارسيلليز ؟!] .. ان هذه الفرقة المسرحية ترفض الشكل الذى انتهى اليه المجتمع الفرنسى حاليا ، وترفض أن تقدم التراث الذى استعارته فرنسا الحالية من الثورة الفرنسية ، لذلك فقد اهملت المارسيلليز .. ولكن ، هل هذا الموقف معقول ، ان المارسيلليز جزء من تاريخ فرنسا ومن تراث ثورتها ، واذا كانت طبقة معينة قد نسبت هذا التراث الى نفسها ، فليس معنى ذلك ان يرفضه المعارضون او أن يتجاهلوه .

الفن المصرى فى موسكو

شارك ٤٨ فنانا وفنانة من جمهورية مصر العربية فى المعرض الذى اقيم فى « متحف شعوب الشرق » بموسكو تحت عنوان « الفن المصرى المعاصر » .

ومن الاعمال التى لفتت الانتباه لوحة لمرغريت نخلة : « جمع القطن » ، و « سد أسوان » لعبد الهادى الجزار ، و « الميثاق » لعبد الهادى الجزار ، و « فتاة مصرية » لكمال النحاس ، « طفل وثور » لمحمد ناجى ، و « ناسخة من اخميــنـا » لانجى افلاطون ، و « كنيسة » لرجب عياد .

لقد كان لابد من تحقيق شرطين اساسيين ، من أجل أن ينجح معرض للفن المصرى المعاصر بموسكو :

● عكس المنجزات المادية والروحية خلال ٢٠ عاما من عمر الثورة .

● اعطاء العمل الفنى شكلا مصريا وعربيا صميما .

فهل حقق المعرض هذين الشرطين ؟

نعم ، ولكن بصورة جزئية ومحدودة جدا . ولا يدرى أحد اذا كانت المسئولية فى ذلك تقع على عاتق الفنانين ام لجنة المعارض أو الاثنين معا ، فانه من المشكوك فيه أن فنانا معروفا ومجربا مثل جمال السجينى [سبق واقتنى له متحف بوشكين بموسكو « السجين السياسى - طرق على النحاس] عرض افضل ما لديه فى « متحف شعوب الشرق » . لقد شوهد له تمثالان من البرونز - أو الحديد الصب ، [« أمومة » ارتفاعه حوالى ٢٠ سم ، و « عربى » ارتفاعه حوالى ٣٥ سم] ومنحوتة خشبية ارتفاعها حوالى ١,٥ م « أم صابر » ، مع رسوم صغيرة لوجه فتاة .

ويظل السؤال : لماذا لم يرتفع المعرض فى « متحف شعوب الشرق » للمستوى المأمول ؟

عدوان سنة ٦٧ لم يفز سوى بثلاث لوحات لا تتناسب أى منها وأبعاد الحدث . الاولى لمحمد السطوحى عباس بعنوان « اطفال وفانتوم » [مكان اللوحة غير محدد أهو فى بحر البقر أو الفيتنام أو لاوس] والثانية لاتجى افلاطون بعنوان « فدائيون » ، ثم لوحة « القدس » لعبدالرحمن المشار المنسوخة عن بيكاسو .. فى معرض غوتوزو يمكن أيضا ملاحظة بعض البصمات للفنان العظيم بيكاسو ، ولكن غوتوزو لم ينزل لمستوى النسخ أو التقليد الشكلى .

ولابد من العودة للوحة « الميثاق » للفنان عبد الهادى الجزار : فى وسط اللوحة تقف امرأة تحمل الميثاق بيسراها وتبسط كفها اليمنى المفتوحة بتساوق مع اليد الاخرى ، وعند قدميها يركع عامل وفلاح . هدف الفنان يمكن أن يثير العديد من التساؤلات والخلافات : ليس من مصلحة الطبقة العاملة المصرية ولا يجب عليها أن ترتمى مستسلمة أمام الميثاق الذى لم يكن منحة من أحد وانما جاء يمثل مرحلة فى توازن القوى الاجتماعية . والميثاق مازال بحاجة لنضال شاق من اجل تحقيق بنوده وصد هجمات الاعداء فى الداخل والخارج ضده . ثم ان الميثاق ليس شيئا مقدسا لايمكن مسه أو تغييره كما يوحى جو اللوحة ... يضاف الى هذا أن العمال اقرب الى فقراء الفلاحين من اغنيائهم الذين يمثلهم الفلاح الراكع على الميمنة بعباءته المزخرفة .. من الواضح ان المرأة الواقفة فى الوسط تمثل مصر أو العدل أو الثورة ولكن وجهها الجاف والجامد التقاطيع اقرب الى تمثال أو آلهة فرعونية من وجه ام حانية . يضاف الى هذا ان اللون الاخضر على وجه المرأة ويديها وقدميها يضفى على اللوحة صفة الملصقات الجدارية .

بينما بقى اغلب المشاركين فى متحف شعوب الشرق يراوحون فى أماكنهم ويكررون ويعلكون مواقف عامة ظهرت فى بداية القرن عاجزين عن اجتياز العتبة التى تخطاها الفنان العظيم محمود مختار الذى استطاع أن يخلد ثورة ١٩١٩ فى تمثال « نهضة مصر » بينما لم يقم فى مصر حتى الان أى عمل فى مستواه لتخليد ثورة ٢٣ يوليو أو فى مستوى « نصب الثورة » بساحة التحرير فى بغداد للفنان المبدع جواد سليم .

ولقد كان احراجا للفنانين المصريين عندما اختير « متحف شعوب الشرق » مكانا لعرض اعمالهم ، اذ تصادف [بالاضافة للمعروضات الدائمة] اقامة ثلاث معارض صغيرة فى نفس المبنى ، الاول يابانى والثانى لنحات هندى والثالث فيتنامى . ولقد كان كل واحد من المعارض الثلاثة يفوح بعطر التقاليد الفنية العريقة والمميزة لكل شعب من الشعوب الثلاث بينما وقف فنانونا عراة من تقاليد الفن العربى أو الفرعونى الخالد .

ومن المعارض التى تمت بصلة لموضوعنا ذلك الذى اقيم فى قاعة اتحاد الفنانين بشارع غوركى بموسكو للفنان بجاتكين [١٩٢٢ - ١٩٧١] الذى رافق الجيش الاحمر حتى برلين مصورا فى سكتشات سريعة بطولة الجندى السوفيتى وتصميمه على النصر . ويعتبر بجاتكين واحدا من عشرات الفنانين الذين لعبوا دورا غير قليل فى التعبئة المعنوية .

والمرجو مستقبلا أن تضع لجنة المعارض فى اعتبارها أن موسكو الان تعتبر من المراكز الكبرى للفن فى العالم فخلال فترة المعرض المصرى ، اقيم بالاضافة للمعارض الفنية السوفييتية معرض فى احدى قاعات الستاد المركزى للتحف السياحية الاسبانية . كما جرى فى متحف بوشكين عرض لفن البورتريت تم جمعه من مختلف المتاحف الاوروبية عرضت فيه لوحات لليوناردو دافنتشى ، رامبراندت ، غويا ، فيلاسكس وغيرهم . كما جرى معرض فرنسى للصور الفوتوغرافية فى قاعة العرض المركزية تحت عنوان « وجه فرنسا » . وليس مجرد صدفة ان يقف جمهور بالالاف ، ساعات تحت المطر لمشاهدة المعرضين الاخيرين بينما كان يزور المعرض المصرى افراد قلائل فى اليوم الواحد . واذا كان العجز من نصيب لوحات فنانينا فى اظهار القوى الاجتماعية الجديدة فى مصر والعالم العربى ، فقد كان المرجو لو انجزت عدسة الكاميرا المهمة ليرى الاصدقاء السوفييت وجود بناة السد وايديهم المحبة للعمل أو عمال مجمع الحديد والصلب أو دور المرأة فى الانتاج .. وبالمناسبة فانه كان من الافضل والانسب لو شاهد الجمهور السوفييتى آثار توت عنخ آمون قبل الجمهور اللندنى كبادرة تقدير للاصدقاء السوفييت وكعمل دعائى لقضية العرب العادلة .

ويجب القول أخيرا بان القاسم المشترك الذى يجمع اعمال الفنانين المصريين فى متحف شعوب الشرق ، هو العفوية والافتقار الى التنظيم العلمى .. فبدونهما تظل النتيجة مؤسفة ومخيبة للامال كما كان الحال فى المعرض المذكور .

مطابع الأهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة التاسعة ـ مارس ١٩٧٣

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

خمس حقائق ضد نظرية « التوافق »

حركات الكفاح المسلح بعد فيتنام

زيادة السكان بين مفهومين : انسانى ولا انسانى

شبح أزمة الطاقة يهدد أمريكا

الوثائق : النص الكامل لجواب الحزب الديمقراطى الكردستانى على مذكرة حزب البعث العربى الاشتراكى

السينما المصرية . الماضى والمستقبل

ملحق الأدب والفن

الطليعة

طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تتسع « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ..

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٢ ــ ٥٩٠١٠ ــ ٥٩٥٦٠ .

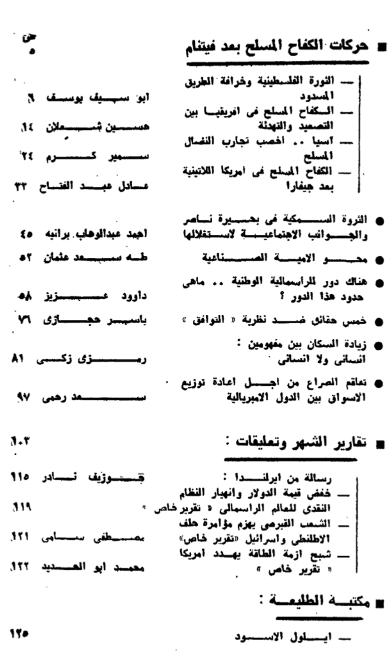
الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. ــ دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .



الفهرس

العدد الثالث ــ السنة التاسعة ــ مارس ١٩٧٣



ص

د. محمد الخفيف

شـــارك في تاسيس « الطليعه »

واسرة تحريرها

ينـاير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

حركات الكفاح المسلح بعد فيتنام

تحاول هذه الدراسة التى تقدمها الطليعة أن تجيب على السؤال التالى :

ــ ماذا بعد توقف حرب الثلاثين عاما فى فيتنام ؟

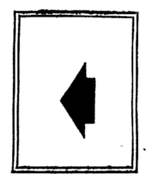
وكيف يطرح انتهاء الحرب الفيتنامية ظله على بؤر ومواقع الكفاح المسلح فى العالم الثالث ؟

ليس من شك فى أن مبدأ المفاوضة ــ فى مقابل الصدام المسلح بين المعسكرين الاشتراكى والرأسمالى الامبريالى ــ قد حقق انتصارا ملحوظا . ولكن .. كيف ينعكس تأثير انتصار مبادىء التعايش السلمى على الثورات المسلحة فى بلدان العالم الثالث ؟

ومع قناعتنا بأن الجو الدولى الجديد يهىء ظروفا أفضل لثورات التحرر الوطنى لتنتقل الى مواقع أكثر تقدما .

ومع قناعتنا بأن حركات الكفاح المسلح لا يمكن أن تخلق وتصدر من الخارج . وانما تلدها علاقات القوى الاجتماعية داخل كل بلد فى مواجهة قوى العدوان الامبريالية .

مع كل هذه القناعات .. فمن المؤكد أن ظروف تدعيم التعايش السلمى ، لا تغير من الطبيعة العدوانية للامبريالية ولا تستبعد نهائيا خطر الحروب المحدودة واكثر من هذا انها لا تقيد ولا تحاصر الثورات المسلحة ولا تمنع قيامها، بل على العكس توفر لها امكانيات اكبر ــ على الصعيد الدولى ــ لاحراز مزيد من الانتصارات . ثم يبقى ــ بعد ذلك ــ على شعوب حركة التحرر الوطنى أن تعمل على تطويع وقائع الوضع الدولى الجديد فى خدمة اهداف النضال .



الثـــورة الفلســــطينية

وخـــــرافة الطـريق المســدود

أبو سيف يوسف

[١] درس أيـــلول ومابعـده : شــــهادات واقعيـــة

ان الايام التى عاصرت عقد المؤتمر الشــــعبى العربى لنصرة الثورة الفلســـطينية فى بيروت ، أتاحت لكاتب هذا المقال ، أن يذهب الى الفدائيين الفلسطينيين فى بعض قواعدهم ، فى جنـــوب لبنان ، وان يستمع الى عدد من قياداتهم .

وكان السؤال الذى يلح هو :

كيف يفكر الفـــدائيون الفلسطينيون ، وكيف يعملون ، بعد أن عبرت كتائبهم المســـلحة أقسى معارك الدم والحصار فى تلال عمان وفى جرش وعجلون ؟

وكان الاهتمام بالتعرف على الواقع الجـــديد لثوار فلسطين المسلحين ، امتدادا ــ فى الواقع ــ للزيارة التى قامت بها بعثة اوفدتها « الطليعة » الى الاردن فى فبراير ١٩٧٠ ، ونزلت فى ضيافة « فتح » وسعت الى لقاء الفدائيين داخل قواعدهم وأجرت حوارا مع الممثلين الرئيسيين لفصـــائل المقاومة الرئيسية ، وقيادات القـــوى الوطنية التقـدمية فى الاردن . ونشرت بعثـة الطليعة تحقيقها فى عدد مارس ١٩٧٠ تحت عنوان :

« **انسان الثورة الفلسطينية الجديد** » .

فى ذلك التـــاريخ ، كان قد ولد بالفعــــل لفلسطين ، انسانها الجديد ، وكانت قســـمات قوية ومبشرة ، وذلك على الرغم مما بدا ــ فى ذلك الوقت ــ ان حركة الكفاح المسلح الفلسطينية، تعانى من معظم أمراض الحركات الثورية ابان نشأتها ، وعهد طفولتها .

والواقع ، ان كل من تجول فى الاردن فى تلك الفترة من مطلع عام ١٩٧٠ ، لم يكن بحاجة الى

قدرات خارقة ليتنبأ بالصدام القادم ، والذى كان قد بدأ بالفعل فى شهر فبراير من ذلك العام ، بين ثوار فلسطين المسلحين ، وبين السلطة الاردنية . واذا قيل ، ان المقاومة كانت لها اخطاؤها ونواقص ظاهرة فى اساليب عملها ، الا ان هذا كله لا يبرر ، ولا يمكن أن يبرر المبالغة فى اخطائها وفى تحميلها كل مسئولية والا كان هذا بمثابة تبرير لهجوم السلطة الاردنية عليها ، ذلك الهجوم المدعوم والمخطط من قبل اجهزة المخابرات الامريكية ، ذلك أن السبب الرئيسى وراء الهجمة الامبريالية الرجعية على حركة الكفاح المسلح الفلسطينى ، سيظل كامنا على الدوام ، فى الامكانيات المبشرة لهذه الحركة ، وفى تدفق الجماهير الفلسطينية عليها ، وازدياد تضامن وتراص القوى الوطنية والتقدمية العربية معها ومن حولها .

وبعيدا عن المقدمات ، استمعت فى بيروت الى عدد من الاخوة فى قيادة **فتح** . وكانوا يفكرون على النمط التالى :

نبدأ من البداية الصحيحة ، لانخفيها أو نداريها ، فنقرر أن ثورة فلسطين — هى الان — فى وضع بالغ الصعوبة :

- ففى اكثر من مكان ، لاتستطيع هذه الثورة أن تعبىء الجماهير .
- وفى اكثر من مكان ، لا تستطيع أن تمارس العمل العسكرى عبر الحدود .
- ترتيبا على ما تقدم ، تجد الثورة المسلحة نفسها داخل طوق لم تتمكن ، حتى الان ، من كسره .

والسؤال هو :

— متى يتغير هذا الوضع لصالح الثورة ؟

لقد اعتدنا ، نحن ابناء الثورة الفلسطينية أن نردد حقيقة لا مفر من ترديدها ألف مرة فى اليوم ، وهى : ان أى تغيير يطرأ على الوضع العربى — مهما كان بسيطا — وأى فعل ايجابى ، فى الساحة العربية ، مهما كان محدودا ، من شأنه ان يحسن من وضع الثورة الفلسطينية . والسبب هو أن الثورة الفلسطينية ، جزء لا يتجزأ من الكيان العضوى الكبير ، حركة التحرر الوطنى فى البلاد العربية .

لكننا نعلم — وقد تعلمنا هذا بعمق — الا نعلق كل الاخطاء والسلبيات على « شماعة » الوضع العربى ، لا لانه مبرأ من السلبيات ، بل لان التغيير الاساسى ، يجب ، أن يبدأ بنا ، من داخلنا . ومدخلنا الى هذا التغيير النقد والنقد الذاتى .

ماذا حدث قبل شهر أيلول ؟

ان عامى ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ قد شهدا مدا وطنيا ثوريا فى الساحة الاردنية الفلسطينية ، بدت قوى الكفاح المسلح الفلسطينى واثقة من نفسها ثقة لا تحدها حدود . ولكن على الرغم من الانتصارات التى تحققت فى هذين العامين ، فقد أهملنا كثيرا من المسائل السياسية والعسكرية . وكانت النتيجة الحتمية أننا لم نعط مسالة تنظيم الجماهير الاولوية التى تستحقها . وعلى سبيل المثال :

بعد **معركة الكرامة** [١٩٦٨] ، اندفعت جموع كبيرة لتنخرط فى الكفاح المسلح . فى ذلك الوقت ، وفى غضون ٧ شهور ، تم تدريب ١٥ الفا فى الاردن . لكن قيادة الكفاح المسلح واجهت تراكما فى العدد وفى التسليح ، لم تستطع ان تستوعبه كاملا ، وبالتالى ، لم تستطع أن ترفع مستوى الوعى السياسى والعسكرى للقوى المتطوعة فى صفوفها . هنا ، نشأت حالة يمكن ان نسميها « **بلبلة مسلحة** » .. وفى ظلال هذه الحالة ، وقبل ان نصل الى النقطة الفاصلة ، نقطة استيعاب هذه الجماهير من المتطوعين ، هاجم النظام الاردنى العمل الفدائى .

قضية اخرى ، هى قضية العلاقة ، بين الثورة الفلسطينية وبين الجماهير الاردنية . لقد ظهرت فى الاردن نتيجة النمو السريع للقوى الفلسطينية المسلحة ، حالة « **سلطة فلسطينية** » . وكمثال بسيط ، يوضح هذه الحالة ، كان فى الاردن ، اتحاد لمدرسى الاردن . لكن المقاومة الفلسطينية أقامت اتحادا لمدرسى فلسطين . وكان الصحيح ، أن يقوم اتحاد واحد أردنى فلسطينى . وما يقال عن هذا ، يقال عن بقية التنظيمات الجماهيرية الاخرى : اتحادات ونقابات العمال ، والطلبة .... الخ .

وهذا الموقف من الحركة الجماهيرية ، يفسر لماذا لم يكن التوجه الى انشاء الجبهة الوطنية فى الاردن موجودا فى التطبيق : وكان الاعتماد فقط على التجمع الوطنى الاردنى . الا ان هذا لم يكن كافيا ، وذلك على الرغم من هذه الحقيقة وهى ان الاحزاب السياسية الاردنية ، كانت تتعاطف مع الكفاح المسلح الفلسطينى ، لكن هذه الاحزاب ، كانت — كما نعلم — محظورة . وعندما عاودت نشاطها عام ١٩٦٨ ، كانت تعانى من نقط ضعف لم تمكنها من ان تقدم مساعدات جدية الى الثورة الفلسطينية .

هنا ، لابد من التأكيد على أن المقاومة قد مارست النقد الذاتي في هذه المسألة ، واتجهت الى بناء الجبهة الوطنية . لكن نجاح هذا ، لايزال يتوقف — ايضا — على قوة الاحزاب الاردنية وفعاليتها .

قضية ثالثة : تتعلق بالثورة الفلسطينية والوضع العربي العام : ان الوضع العربي العام، وبالتحديد ، وحدة العمل العربي حول الثورة الفلسطينية لم تغط نواقص الثورة المسلحة. ذلك أن هذه الوحدة ، ظلت مفتقدة وقد اخطأنا ، في أننا ذهبنا بعيدا في الوهم القائل : بأنه يمكن أن يقوم ضغط عربي ، موحد ، وحاسم على النظام في الاردن . مثل هذا الوهم ، دعانا — خصوصا بعد أيلول — الى تقديم التنازل بعد الاخر ، والانسحاب من مدينة الى أخرى .

على ان القضية هنا ، هي ان الدول العربية لم تلتفت الى ان النظام في الاردن كان يسير على سياسة القضم ثم الهضم على فترات . وفي لبنان تريد بعض القوى أن تطبق مثل هذا التكتيك. ولكن لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . وطوق النجاة هو أن تستوعب الثورة المسلحة درس الدم على جبل عمان ، **وان تلتزم بسياسة صحيحة نحو الجماهير اللبنانية** ، وان تتحرك بحيث تلتزم كل القوى السياسية السليمة بالدفاع عن ثورة فلسطين وحماية المقاتلين .

وتلخص قيادة فتح دروس السنتين الماضيتين فيما يلي :

ان الثورة الفلسطينية تخطو ، وقد قطعت شوطا بالفعل في الاتجاهات التالية :

— تنظيم الجماهير وتثقيفها سياسيا .
— رفع الكفاءة القتالية للمقاتلين بكيفية مستمرة.
— الوحدة الوطنية على الساحة الاردنية الفلسطينية .

لكن هذه ليست كل دروس المحنة — لان الجماهير العربية ، وأصدقاء الثورة الفلسطينية يركزون على قضيتين محوريتين :

الاولى : ما السبيل الى تحقيق وحدة فصائل الثورة الفلسطينية .

الثانية : ما العمل المباشر لصد الخطر الحالي والمباشر ، من اجل كسر الطوق المضروب حول حركة المقاتلين الفلسطينيين .

فيما يتعلق بالنقطة الاولى ، فان وحدة جميع فصائل الثورة الفلسطينية ، لا تزال المطلب الملح لجميع المقاتلين ، من جميع التنظيمات وحوله لا يختلف اثنان .

ونحن نعترف بأن الطريق الى هذه الوحدة ليس ممهدا ، كما ان التسليم بالحاجة الى الوحدة لا يكفي لحل قضية الوحدة . والجهود التي بذلت منذ عام ١٩٦٨ عندما انشئت « قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني » مرورا بتكوين اللجنة المركزية لحركة المقاومة ، هذه الجهود انتهت باجتماع عقد في جبل الاشرفية بعمان ، في الفترة من ٢٢ الى ٢٥ سبتمبر ١٩٧٠ ، أي بعد مجازر أيلول مباشرة. ولقد اتخذت مقررات هامة لوضع اسس الوحدة. ولكن لم يحدث تقدم حاسم . وبعد أن قدم الملك حسين مشروع المملكة العربية المتحدة ، عقد مؤتمر شعبي فلسطيني ، ناقش مشروعا للوحدة مقدما من فتح . وفي عام ١٩٧٢ ، وفي القاهرة، ومن خلال المؤتمر الشعبي الذي ضم ٥٠٠ عضو، تمت صياغة مشروع لتحقيق الوحدة . وبعد مناقشات طويلة في المجلس الوطني تم اقرار مشروع البرنامج السياسي للوحدة . وفي سبيل وضعه موضع التنفيذ ، بدانا في بذل الجهود لتحقيق الوحدة في المجال الاعلامي بين مختلف منظمات المقاومة . ولابد من التنويه ، بأن الوحدة الاعلامية ، رغم الصعوبات التي اعترضتها ، خطت خطوات جادة الى الامام . واستطاع المجلس الاعلامي الاعلى ، عن طريق توحيد المجلات ، وانشاء وكالة الانباء الفلسطينية [وفا] ، واذاعة [صوت فلسطين ، صوت الثورة الفلسطينية] أن يقضي على بعض مظاهر التسيب الاعلامي الذي ساد الساحة خلال السنوات الماضية .

ثم يبقى السؤال : متى تتم الوحدة بين منظمات الثورة الفلسطينية في المجالات التنظيمية والعسكرية والمالية ؟ والجواب : سوف يحدث ذلك ، عندما تصل هذه المنظمات الى رؤية سياسية موحدة ، على الاقل ، حول طبيعة المرحلة .

على ان قضية الوحدة ترتبط ارتباطا عضويا بسائر مشكلات حركة التحرر الفلسطينية . لكنها تظل مسئوليتنا نحن الفلسطينيين ، في المحل الاول . وفي هذا نحن مسئولون أمام شعبنا ، وأمام الشقيق والصديق على حد سواء .

وفيما يتعلق بالخطر الذي — يتهدد العمل الفدائي — فان ثمة سؤالا يطرح بالضرورة :

اذا كان تحقيق الوحدة بين جميع فصائل العمل الفدائي تستغرق او تتطلب ، مرحلة بأكملها ،

فماذا تراهم فاعلين ، هؤلاء المقاتلون ، بازاء عمليات التطويق والحصار ؟ .

على هذا يجيب الفدائيون :

نواجه التطويق بعملين : سياسي ، وعسكري. السياسي شرحناه في مقدمة الحديث . اما العسكري فيتمثل ، بالاساس ، في تصعيد العمليات ، — وبكيفية رئيسية — داخل الارض المحتلة .

هنا ، قد يقال ، ما حقيقة ما يذاع وينشر عن اعمال المقاومة داخل الارض المحتلة ، ماحجمها ، وما الصحيح منها ؟

ويجيب على ذلك رجال المقاومة بقولهم :

ان الذين يتشككون ، عليهم ان يراجعوا ، ويتابعوا ، بدقة ، بلاغات العدو الصهيوني . ففي شهر سبتمبر ١٩٧٢ — على سبيل المثال — لم يكن يمر يوم ، دون ان يقوم الفدائيون بعمل داخل الارض المحتلة ، وبالطبع فان مثل هذه العمليات تختلف كما ونوعا . غير ان حصيلة شهر سبتمبر، تقول ان الفدائيين قاموا باكثر من اربعين عملية في الارض المحتلة .

[٢] مع الشباب المقاتل

ان الزيارة التى أتاحتها فتح لكاتب هذه السطور الى القطاع الاوسط في لبنان ، لم تدلل — فحسب — على ان فصائل المقاومة قد وعت دروس ايلول، وانها استنتجت الدروس اللازمة ، عبر جهد صادق من النقد الذاتي ، لكنها اكدت — أيضا — انه يتم بالفعل تثقيف المقاتلين بهذه الدروس فوق أرض الصدام الحالي ، في لبنان ، بين الفدائيين وبين المعتدين الاسرائيليين .

ولابد من الاشارة ، بادىء ذى بدء ، الى ان المقاتلين الذين رأيناهم ، قد ولد اغلبهم في لبنان بعد نكبة ١٩٤٨ ، في المخيمات المنتشرة في ربوع البلد الشقيق . ومتوسط اعمارهم ٢٢ عاما .

اول نقطة طرحها المقاتلون الشبان ، هي العلاقة مع الجماهير ، وبالذات مع الجماهير اللبنانية، ان جهدا متواصلا يبذل من جانبهم، لاقامة علاقة صحية وحميمة مع هذه الجماهير . ذلك ان درس الاردن، ماثل في الاذهان ، لا يزال . وتقوم العلاقة بين المقاتلين ، وبين الجماهير اللبنانية على شرح لا يتوقف لكل ابعاد القضية الفلسطينية ، تلك القضية التى اصبحت ايضا قضية لبنانية ، وهو قول يرسل على سبيل الحقيقة ، لا على سبيل المجاز .

وعلى اساس من القناعة الفكرية والسياسية، وتحت وطأة الاعتداءات المسلحة الاسرائيلية التى لا تنقطع على جنوب لبنان ، يعايش الفدائيون اخوتهم اللبنانيين معايشة حقيقية . وانهم يساعدون الفلاحين اللبنانيين ، فيبدأ هؤلاء في الاستجابة ، وفي الاستعداد للدفاع عن الفدائيين . وفي هذا يستشهد المقاتلون بما حدث في معارك الاربعين ساعة [١٦ سبتمبر ١٩٧٢] فيؤكدون أن الجماهير اللبنانية قاتلت الى جانبهم . ذلك انه في **كفر جديا وفي بنت جبيل** لا توجد جماهير فلسطينية ، بل يوجد لبنانيون مسلمون ومسيحيون . وقد عاشت هذه المناطق أكثر من اعتداء اسرائيلي . وعندما ينشب القتال ، [أو في حالات الاستنفار] يحرس الفلاح اللبناني القاعدة واحيانا يشترك ، بكيفية او بأخرى في القتال . وفي حالة الهدوء النسبي، يساعد الفدائي الفلاح اللبناني في حقله . وهم يؤكدون :

ان درس الاردن لاينسى ، ولن ينسى ، ولسوف نتوحد مع جماهير الشعب في كل مكان .

قضية أخرى هي رؤية المقاتلين الشبان للجندي الاسرائيلي . وفي هذا ندرك على الفور ان هذا الشباب المقاتل قد شرع يبتعد عن الحماسيات الجوفاء ، ويتجنب الكلمات الرنانة . وفي رأيهم انه لا يجوز أن نستهين بعدونا ، وفي الوقت ذاته يجب الا نهول في قوته . وموضع القوة عند الجندي الاسرائيلي انه يحارب مستندا الى انتصارات ثلاث ، وتحميه قوة نيران غزيرة . كما ان تدريبه جيد . لكن نقطة الضعف فيه انه لايقاتل على ارض آبائه واجداده . ويقولون : انه لو كانت الارض أرضه لقاتل بكيفية أفضل .

ولكن عند التعامل المباشر بين الفدائيين وبين العدو ، تتبدد أسطورة جيش الدفاع الاسرائيلي « الذى لا يغلب » . وما أكثر ما رأى الفدائيون الكمائن الاسرائيلية تحجم عن اطلاق النيران عليهم . وما أكثر ما رأوا جنودا اسرائيليين يظهرون الخوف والجزع . وكل هذا لمسه المقاتلون الشبان في **العرقوب** وفي **عنابة** ، وكذلك في القطاع الاوسط الذى دارت فيه ، معارك الاربعين ساعة . وفي تلك المعارك استطاع الفدائيون الفلسطينيون ان يفكوا اسر بعض اخوتهم من جنود الجيش اللبناني الذين اشتركوا في معارك ذلك اليوم .

من الخطأ اذن — في رأى المقاتلين الشبان — ان يطرح هذا السؤال : هل جنود العدو جبناء أم غير جبناء . هم يقولون نحن لانضع القضية على هذه الصورة . وربما نقول فيهم ، ما قاله ثوار فيتنام في الطيارين الامريكيين . قالوا : ان هؤلاء الجنود ليسوا جبناء ، ولكن لو قاتلوا على أرضهم ، لفعلوا ذلك بكيفية افضل ، وبعزم أكبر ، **ونقطة الضعف هذه — هي في العدو الاسرائيلي** — نقطة ضعف استراتيجية .

ومصدرها — في رأيهم — التركيب المتنافر للمجتمع والجيش الاسرائيليين .

ونعود مع المقاتلين الشبان الى درس أيلول الدامي . وهم يلخصون التجربة في عبارات موجزة للغاية :

— هو درس واحد : ان يتبين الانسان نسبة القوى بينه وبين خصمه ، لاقرر متى أفتح معه قتال ومتى لا افتح . يجب ان نعد الاعداد الكافي للمعركة .

— تعلمنا ايضا ، الا نطرح شعارا سابقا لاوانه ، لانه يفقدنا ثقة الجماهير فينا .

— يجب أن نكف عن أن نكون ساذجين ، فأعداؤنا ليسوا كذلك .

وعن وحدة فصائل الثورة الفلسطينية . يرى المقاتلون الشبان ، انه في أرض المعارك لايجدون سببا يفرق صفوفهم . وان لهم لاصدقاء ، وصداقات قوية مع فدائيين من جميع المنظمات . وتسأل عن نقاط الاتفاق ، ونقاط الاختلاف بين المنظمات . فيجيبون : بأنهم متفقون بنسبة تسعين في المائة . فماذا بقى لكي يتحدوا ؟ ربما توجد خلافات في البرامج السياسية ، غير ان المقاتلين الشبان يرون ان كل القوى المشاركة في ثورة التحرر الوطني الفلسطيني قوى وطنية وتقدمية . وان الخلافات السياسية والفكرية لا تستعصى على الحل ، لانها تدور — في رايهم — على الافضليات ، وحول التصور الزمني لتنفيذ هذا البند أو ذاك من البرنامج . ولا بد — في رايهم — من صبر طويل من اجل اتمام الوحدة .

غير ان المقاتلين الشبان يسألون :

لماذا تتحدثون فقط عن وحدتنا نحن المقاتلين الفلسطينيين ؟ وانه تهمهم — وبنفس القدر — الوحدة الداخلية في بعض الدول العربية .

بل لقد يذهبون الى انها اهم من وحدتهم هم . لان امكانيات هذه البلدان اكبر — بما لا يقاس — من امكانيات العمل الفدائي . وهم لا يستثنون من ذلك لبنان ، بل انهم حريصون اشد الحرص على سلامة الجبهة الوطنية المساندة للثورة الفلسطينية . اليس هذا ايضا درس ايلول ؟

ثم يجمل الفدائيون الشبان رايهم في مستقبل الثورة الفلسطينية ، بعد انحسار في حركة التحرر العربي دام عامين ، وبعد مجازر أيلول . ان ثقتهم بالنصر النهائي لا تهتز وذلك للاسباب التالية :

— لان ثوار فلسطين المسلحين قاتلوا في جبال عمان قتال الابطال .

— لان الاشقاء العرب يتوجهون الى الانخراط في صفوف الثورة المسلحة .

— لان العمل الفدائي ظل مستمرا رغم مذابح الاردن .

— لانهم يتعلمون من اخطائهم .

— لان شعب الارض المحتلة يقاوم ويوسع طاق مقاومته وينظمها .

وان هذه الحقائق لا يغير منها ان الوضع العربي — في مجمله — ليس في احسن احواله

[٣] شهادات تؤكدها الوقائع

ان هذه الشهادات التي اوردناها — في ايجاز — على لسان عدد من القيادات ، وعدد من شباب المقاتلين في فتح ، تساعدنا على ان نتبين ماهو جديد ومشترك لا في فصائل المقاومة كلها ، فحسب ، ولكن ما هو جديد — ايضا — في حركة التحرر الفلسطيني بوجه عام . وهذا ما توضحه الوقائع نفسها . على مدى سنتين ، منذ مذابح الاردن .

فما الذي تشير اليه تلك الشهادات ، وما الذي تؤكده وقائع الحياة اليومية في صفوف الكفاح المسلح الفلسطيني ؟

اننا ، من خلال تلك الشهادات ، نضع ايدينا على مفاتيح رئيسية في حياة المقاومة . وما طرأ على أساليب عملها من تغيير وتطوير :

أولا — في مجال التثقيف السياسي :

هناك اولا العمل الجاد في مجال التثقيف السياسي وهو يدور على محورين : احدهما معالجة النواقص والسلبيات من خلال النقد والنقد الذاتي . أما المحور الثاني ، فيمثله الجهد الذي يبذل في صفوف المقاومة من أجل أن تتوافر لدى حركة التحرر الفلسطيني رؤيا سياسية أوضح ، وأعمق ، واكثر شمولا .

هكذا ، من خلال النقد والنقد الذاتي ، ركزت حركة الكفاح المسلح الفلسطيني على تجارب الاعوام التي سبقت مذابح ايلول وأخذت تدرس الاخطاء لتستنتج الدروس اللازمة . وعلى سبيل المثال ، يعترف رجال المقاومة بأنه في تلك السنوات كانت ثمة مبالغة في ابراز الشخصية الفلسطينية على حساب الفصائل الاخرى للثورة العربية ، وهو الامر الذى أغرى البعض — كما اشار الى ذلك **أبو اياد** — « بالنفخ » الاعلامي في أعمال المقاومة ، والمبالغة في أوجه نشاطها . وكان هذا يتم ، في أكثر الاحيان ، بحيث أصبح الانسان العربي يحس ، وكأن الثورة الفلسطينية مطالبة ، لا بتحرير ارض فلسطين فحسب ، وانما جميع الاراضي العربية ايضا . واوضح **ابو اياد** أن الهدف من هذا النفخ ، أن ينقلب في يوم من الايام

الى خيبة أمل فى انطلاقة الثورة الفلسطينية . وبتصحيح هذه الاخطاء ، تمكنت قيادة الكفاح الفلسطينى من ان تضع الجهد الثورى لشعب فلسطين ، وللنضال المسلح ، فى الاطار العام للنضال العربى التحريرى ، وتعلموا أن يكتشفوا العلاقات والروابط الحية والمتطورة والمصيرية التى تربط نضالهم بحركة التحرر العربى . وان يحددوا بدقة اكبر نسبة القوى بينهم وبين العدو الاسرائيلى من ناحية ، وبينهم وبين قوى الردة فى العالم العربى ، وفى الساحة الفلسطينية الاردنية (على وجه الخصوص) من ناحية أخرى

ومن بين النواقص والسلبيات التى تم تقويمها من خلال النقد والنقد الذاتى عدم وضع الكفاح المسلح فى موضعه الصحيح بين أشكال الكفاح السياسية والجماهيرية الاخرى . فاذا صح أن الكفاح المسلح هو أسلوب المقاومة الرئيسى ، فان اهمال أوجه النشاط الثورى الاخرى ، أو التقليل من شأنها [مثال ذلك : اهمال بناء الجبهة الوطنية المتحدة للشعبين الاردنى والفلسطينى] ثم اهمال تنظيم الجماهير الفلسطينية الاردنية ، كل هذا ، قد التفتت اليه حركة الكفاح المسلح الفلسطينى بعد أيلول ، ورأت انه يخدم كل أشكال النضال المسلح ، ويدعمها ، ويضمن ، على المدى ، استمرارها وفاعليتها .

وبعد تصحيح الاخطاء ، ومن خلال عمل لا يتوقف فى هذا السبيل ، نأتى الى المحور الثانى والخاص بالتثقيف السياسى . هنا ايضا نجد تقدما ملحوظا ، يعكسه — على سبيل المثال — « البرنامج السياسى للجبهة الوطنية المتحدة للثورة الفلسطينية » (١) فهذا البرنامج يحدد المحاور الاربعة لنضال الشعب الفلسطينى فيما يلى :

١ — تعبئة كل قوى وامكانات الشعب الفلسطينى لحرب طويلة ، من أجل اقامة المجتمع والدولة الديمقراطيين .

٢ — والمحور الثانى هو وحدة النضال بين الشعبين الفلسطينى والاردنى .

٣ — والثالث يربط النضال الفلسطينى الاردنى بالجبهة العربية المعادية للامبريالية والصهيونية .

٤ — اما المحور الرابع فيربط حركة الثورة الفلسطينية بحركة النضال العالمية ضد الامبريالية من أجل التحرر الوطنى والتقدم .

وتحت كل بند من البنود الاربعة ، يحدد البرنامج السياسى مهام اكثر تفصيلا . ولعل ما يشد الانتباه فى هذا البرنامج ، تركيزه على اهمية العمل فى صفوف الجماهير الفلسطينية والجماهير الاردنية . فعلى الساحة الفلسطينية يطالب بتعزيز روابط الوحدة الوطنية بين جماهير الفلسطينيين فى الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ، وفى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وخارج الوطن المحتل . وفى هذا يدعو البرنامج الى مقاومة تفريغ الارض من سكانها العرب ، وتنظيم العمال والفلاحين فى مؤسسات نقابية للدفاع عن مصالحها ، ولمقاومة الغزو الاقتصادى والثقافى الصهيونى .

ثانيا — عمليات المقاومة — داخل الارض المحتلة :

المثل الثانى عن الوقائع التى تؤكد شهادات الفدائيين واوجه النشاط العملى للثوار الفلسطينيين على الارض المحتلة .

فاذا كان من الصحيح أن فقدان المقاومة لساحة عملها الرئيسى وهى الساحة الاردنية ، بعد مجازر ايلول ، يمثل خسارة فادحة ، الا انه من الصحيح ايضا أن عمليات المقاومة شهدت تصعيدا ملحوظا ومضطردا ، خصوصا ، خلال عام ١٩٧٢ وأوائل العام الحالى ، وتم هذا التصعيد فى المدن الكبرى الاسرائيلية أو فى ضواحيها ، كما تم فى مجمل الارض المحتلة ، فى غزة وفى الضفة الغربية .

والامثلة على ذلك : تلك العمليات التى نفذها المقاتلون فى فبراير ١٩٧٢ فى تل ابيب وضواحيها والتى شملت أكثر من مسكن ومطعم ومتجر ومصنع . وقد بلغت هذه العمليات — كما أشرنا — رقما قياسيا فى سبتمبر ١٩٧٢ ، وذلك وفقا لبلاغات العدو الصهيونى نفسه .

ونحن نعلم أن اسرائيل كانت قد وجهت فى العام الماضى انذارا شديدا الى الحكومة اللبنانية، تطالبها بوقف نشاط الفدائيين الذين ينطلقون من الجنوب اللبنانى الى الارض المحتلة . واتبعت اسرائيل انذارها بعدد من العمليات العسكرية الانتقامية الشديدة ضد سكان المخيمات ، وضد

---

(١) انظر «الطليعة» يوليو ١٩٧٢ ص ١٥٦ وما بعدها .

[٢] « الطليعة » مارس ١٩٧٢ ص١١٧ .

سكان القرى في لبنان . وكان ياسر عرفات قد علق على ذلك الانذار بقوله :

« ان التهـديدات الاسرائيلية ، ما هى الا انعكاس واضح لقوة الضربات التى وجهتهـا المقاومة ضد سلطات الاحتـلال فى الاسـابيع الاخيرة » .

وفى فبراير من هذا العام قام العدوالصهيوني بأكبر عملية هجوم على شمال لبنان مستخدما قواته البرية والجوية والبحرية ، بهدف ضرب سبعة قواعد للفدائيين . وهذه الهجمةالاسرائيلية [٢٠ فبراير] تأتى فى أعقاب ثلاث عمليـات قامت بها — ليلة الخميس — الجمعة ١٥ ، ١٦ من فبراير — وحدات من المقاومة الفلسطينية . وتمثلت هذه العمليات فى نسف منزل حـاكم سجن الرملة ، وانفجار تحت قنطرة بين عكا وصفد مما ترتب عليه تدمير سيارة عسكرية ، والقاء قذيفة مشتعلة فى قلب غزة .

ان استعراض مجمل النشاط المسلح للثورة الفلسطينية يضع أيدينا على عدد من الحقائق :

١ — ان المقاومة المسلحة لم تمت حيث أراد لها الاعداء الصهيونيون والرجعيون ان تموت . والذى حدث لها — بوجــه عام — حـالة من الانحسار لا الانهيار .

٢ — وفى كل يوم ، منذ مجازر ايلول ، تفقد المقاومة شهيدا او شهيدين ، ومن لم يقتله العدو قتله البرد (٣) . وهذا وحده يلقى ضوءا على ضراوة المعركة التى يتصدى لها الكفاح المسلح الفلسطينى . ولم يكن الحكم الذى أصـدرته محكمة أمن الدولة الاردنية ضد ١٦ من الفدائيين على رأسهم « أبو داود » أحد زعماء منظمة فتح الا علامة على طريق التصميم العنيد على مواصلة الكفاح المسلح ، وفى داخل الارض المحتلة .

٣ — ان نجاح العمليات المسلحة للمقـاومة داخل الارض المحتلة وفى المدن الاسرائيلية ، مؤشر على حدوث انعطاف هام فى موقف الجماهير الفلسطينية نفسها ، وفى العمل السياسى لقوى الثورة الفلسطينية على اختلاف مدارسها الفكرية واتجاهاتها السـياسية . فالجمـاهير العربية الفلسطينية تدلل كل يوم على نضج متزايد على مستوى التنظيم ، وتحت شعار الوحدة الوطنية لكل قوى الثورة الفلسطينية . وهنا يتم الربط الحى والفعال بين العمل الفدائى المسلح وبين العمل السياسى فى صفوف الجماهير الفلسطينية وهذا الامر يؤكده — أيضا — تعـدد أشـكال النضال الاقتصادى والسياسى فى الضفة الغربية وفى قطاع غزة : من الاضرابات الخاصة بمطالب الجماهير ، الى العمل المكثف لمقاومة عمليـات التهويد ، والادماج ، والتهجير . وبفضل هذا العمل تم وأد فكرة الدولة الفلسطينية التى أرادت اسرائيل ان تجعل منها دولة تابعة لها ، وبفضله اجبرت سبعة مجالس محلية على الاسـتقالة فى غزة ، وذلك فى شهر فبراير من هذا العام. وكان عام ١٩٧٢ قد شهد فى الضفة الغربية ، نشاطا سياسيا « **للحركة الشعبية للمقاومة** » ، ضد مؤامرة انتخابات المجالس البلدية ، التى اعلنت حكومة اسرائيل انها ستجريها — هناك — فى ٢٤ مدينة وقرية .

وربما كان أحد العلامات التى لا تخطىء ، والتى تمثل انعطافا لصالح الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة ، هذه المجموعات المشتركة من الشباب العربى والاسرائيلى التى قبض عليها أخيرا بتهمة مزعومة هى تهمة التجسس ، بينما ثبت أن هذه المجموعات تناضل ضـد الوجود الصهيونى ، وضد المؤسسة العسكرية الصهيونية ان هذه الظاهرة تؤكد على أهمية العمل السياسى والجماهيرى داخل اسرائيل ، بين العرب ، وبين تلك القوى من السكان الاسرائيليين التى تبـدى ميلا متزايدا لمقاومة السياسة العدوانية التوسعية للمؤسسة العسكرية .

الثـورة الفلسـطينية

المشـكلات والافـاق

لقد كان الهدف من الشهادات التي أوردناها ، ومن الوثائق التى تدلل على صحتها أن نثبت ، ان

---

[٣] « الطليعة » يناير ١٩٧٣، ملخص محاضرة القاها ابو اياد .

ثورة التحرر الفلسطيني لا تملك امكانيات الحياة والنمو فحسب ، بل ان طلائعها المسلحة أيضا لا تزال تواصل النضال وتصعده ، وانها فى ذلك تتجه الاتجاه السليم ، عندما تركز معظم الجهد فى اتجاه التواجد فى الارض المحتلة ، والقيام بأكثر العمليات هناك .

غير أن التقييم النهائى للوضع الراهن للثورة الفلسطينية وللكفاح المسلح يتطلب أن ننظر فى آن واحد الى مجموعة الصعوبات والمشكلات التى تواجه هذه الثورة وفصائلها .

وأول هذه الصعوبات ناجم من تصاعد واتساع الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية على حركة التحرر العربى بوجه عام ، وعلى الثورة الفلسطينية بوجه خاص — وهدف هذه الهجمة هو تصفية قضية فلسطين ، وفرض الحلول الاستسلامية على مجمل حركة التحرر الوطنى العربية . ولا حاجة الى القول بأن الهدفين مترابطان ، بل هما وجها عملة واحدة . ولاحاجة أيضا الى القول ، بأن تصفية قضية فلسطين هى الهدف الثابت للمؤسسة الصهيونية الحاكمة ولحلفائها الامبرياليين الامريكيين . ولا حاجة ، مرة ثالثة ، الى القول ، بأن تصفية الابادة والتصفية البدنية للفدائيين ، لاتزال واردة ومطروحة لا فى جدول أعمال اسرائيل وسادتها الامريكيين فحسب ، بل فى جدول قوى الردة العربية وعلى راسها النظام الاردنى . فالخطر اذن ، لم يزل ، ولا يزال محيطا بثورة فلسطين .

ويتضاعف الخطر عندما نرى أن توحيد نصائل المقاومة تنظيميا وعسكريا لايزال أمامه شوط طويل . ومن المؤسف أن محاولات تقسيم صفوف المقاومة ، وحرمانها من حرية العمل والحركة ، واستخدام الضغوط المالية عليها ، والجهود المبذولة لاستيعابها « واستئناسها » ، نقول أن هذه الاعمال كلها لاتزال تجرى خارج صفوف المقاومة أيضا وبكيفية محمومة .

فالتهوين من الاخطار المحيطة بالثورة الفلسطينية وبالكفاح المسلح ، لا يمكن الا أن يضر بقضية فلسطين ، وبقضية المقاتلين من أبنائها .

لكن تقدير الخطر فى حجمه — وهو جسيم فى الواقع يجب الا يدفع فصائل الثورة العربية — على اختلافها — الى التهوين من قدراتها وامكانياتها الحقيقية . ففى مقدورها ان تحبط المخططات الموجهة ضد الثورة الفلسطينية ، وان تحد من حجم الاخطار التى تتعرض لها .

ولقد كانت لهذه القوى تجربة حية ، لاتزال ماثلة فى الاذهان ، هى تجربة انشاء **الجبهة العربية الشعبية المشاركة للثورة الفلسطينية .** وهى الجبهة التى حضر مولدها وشارك فى أعمالها عدد كبير من الاحزاب الوطنية والتقدمية العربية ، ومن المنظمات الجماهيرية الديمقراطية فى العالم العربى ، كما شارك فيها ٤٠ حزبا من مختلف بلدان المعسكر الاشتراكى والرأسمالى . ان اهمية قيام هذه الجبهة كامن فى انها قامت **باحداث الانعطافة المطلوبة : وهى الانتقال على المستوى العربى من مجرد التأييد والمساندة للثورة الفلسطينية ، الى المشاركة فى صفوفها ، من خلال عمل تنظيمى يتم فى معظم البلدان العربية .**

وتأتى هذه الانعطافة فى تاريخ الثورة الفلسطينية لتلتقى مع الجهد المبذول — من الناحية الذاتية — داخل صفوف الثورة الفلسطينية للتغلب على كثير من النواقص والسلبيات السياسية والتنظيمية والعسكرية والمالية .

ثم تأتى هذه الانعطافة ، فى وقت وطدت فيه ثورة التحرر الفلسطينية مراكزها الدولية من خلال علاقات صحية ، ومتزايدة النمو مع الاتحاد السوفيتي وسائر بلدان المعسكر الاشتراكي ، ومع قطاعات متزايدة الاتساع داخل الرأى العام العالمى الديمقراطى .

اذن ، فحركة التحرر العربى ، وفصائلها مطالبة فى هذا الوقت بأن تكثف من كل امكانياتها فى دعم وحماية الثورة الفلسطينية ، والكفاح الفلسطينى المسلح ، ولابد من القيام — الان — بمبادرات لا تحتمل التأخير ، من خلال الاداة التى وجدت وهى الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية . ومن المؤكد أن جهدا صادقا فى هذا السبيل سوف يفعل فعله فى مساعدة الثورة الفلسطينية ، على الصمود ، أمام حرب الابادة الموجهة الى المقاتلين الفلسطينيين ، وفى مواجهة مخططات التصفية الموجهة الى الثورة الفلسطينية . ومن المؤكد بعد هذا كله ، ان الظروف الموضوعية لحركة الثورة العالمية ، كل هذا يسلحنا بأسلحة مادية وفكرية من أجل دحر وفضح الاسطورة القائلة بأن ثورة فلسطين تسير فى طريق مسدود .

الكفـاح المسلح فى أفريقيـا

بين التصعيد والتهدئة

حسين شعلان

يعتقد بعض المعلقين السياسيين ان اتفاق انهاء الحرب فى فيتنام ، سوف يخلق مناخا عاما من الرغبة فى السلام والوصول الى « تسويات» بين الاطراف المتصارعة وخاصة تلك التى يشغل « السلاح » فيها اداة رئيسية فى الصراع .

فهل تصح معطيات هذه المقولة ـ وبغض النظر عن مناقشة سلامتها او عدم سلامتها ـ هل تصح على مناطق الصراع المسلح القائم فى افريقيا بين قوى التحرر الوطنى وقوى الاستعمار العالمى ؟ ونعنى هنا حركات الكفاح المسلح فى المستعمرات البرتغالية من جهة ، وفى الدول الخاضعة للنظم العنصرية من جهة اخرى .

والواقع اننا نستطيع طرح القضية فى صورة اخرى ادق : الى اى حد يمكن ان يؤثر اتفاق انهاء الحرب فى فيتنام ، على مجريات صراع حركات الكفاح المسلح فى افريقيا * ضد القوى الاستعمارية والعنصرية المسيطرة ؟ وفى اى اتجاه سيتطور هذا الصراع : فى اتجاه التصعيد أم فى اتجاه التهدئة ؟

فالحديث عن ضرورة « السلام » ـ بغض النظر عن مضمونه ـ هو الذى ظل ومازال يسود غالبيه البيانات السياسية لكل الاطراف المتقاتلة فى أى مكان ، مثلما هو فى افريقيا . ففى المستعمرات البرتغالية ، تقول سلطات الاستعمار البرتغالى بأنها تحارب من اجل اقرار السلام · وعلى الجانب الاخر من المتاريس ، تقول حركات الكفاح المسلح أنها تحارب من أجل السلام فى أوطانها · وفى النظم العنصرية بجنوب أفريقيا وروديسيا يحدث نفس الشىء ، الرغبة فى السلام ـ حسب اقوال كل طرف ـ قائمة اذن ومنذ بداية الاشتباكات . والمشكلة هى « معنى » السلام الذى تريده السلطات البرتغالية ، او النظم العنصرية ، و « معنى » السلام الذى تريده القوى الوطنية الافريقية · فلقد كان السلام فى نظر الاستعمار البرتغالى ـ فى يوم ما ـ يعنى الحفاظ على المستعمرات فى افريقيا فى اطار مفهوم « أقاليم ما

* يقتصر الحديث عن حركات الكفاح المسلح الافريقية فى هذا المقال على غينيابيساو وموزمبيق وانجولا وروديسيا .

وراء البحار »، أى أن هذه الاراضى الافريقية امتداد « للوطن » البرتغالى واراضيه . ولكنه أصبح يعنى اليوم ، منح هذه الاراضى نوعا فى الادارة الذاتية فقط • والسلام فى مفهوم النظم العنصرية ، هوسيطرة البيض . بينما يعنى السلام عند القوى الوطنية الافريقية هذه ، تسلم مقدرات الحكم فى بلادهم فى ظل استقلال وطنى حقيقى •

واذا كانت التجربة التاريخية قد أثبتت فى آسيا أن اتفاق انهاء الحرب فى كوريا لم يحل دون قيام ، بل ونصاعد حروب اخرى فى نفس القارة ، فان انهاء الحرب الجزائرية – باستقلال الجزائر – لم يحل أيضا دون قيام وتصاعد حروب أخرى فى افريقيا مثلما نشاهد اليوم فى غينيا «بيساو» وموزمبيق وأنجولا وروديسيا • بل ان ذلك لم يحل دون أن تستفيد حركات الكفاح المسلح الوطنى من آخر دروس وتجارب النماذج الاخرى التى سبقتها •

العكس هو الصحيح

والواقع أن استقراء التاريخ الحديث والمعاصر ، يفيد بعكس ما تسعى المقولة الاولى التى أشرنا اليها ، الى اثباته •

اذ تدل التجربة التاريخية – هنا أيضا – أنه عندما قامت ثورة يوليو ، وحققت استقلال مصر الوطنى ، كانت بمثابة « الحجر » الذى ألقى فى البحر فخلق دائرة مركزية ، تدفقت بعدها دوائر أخرى متعاقبة . فبعد مصر – وبتأثير قيام الثورة فيها كعامل خارجى – قامت وانتصرت ثورات وطنية أخرى فى العراق وفى الجزائر ، ثم فى اليمن (الشمالى) ثم اليمن الديمقراطية (فى الجنوب) ثم فى السودان وليبيا • واستقلت بعد مصر – وبتاثيرها – كل منتونس والمغرب . الخ . واصبح الوطن العربى كله فى حالة ثورة . مازالت قائمة حتى الان وبرغم كل المصاعب التى تواجهها وسلبياتها ، بل وهزائمها فى بعض الاحيان .

حدث ذلك أيضا فى آسيا بعد انتصار الثورة الصينية . وحدث كذلك فى امريكا اللاتينية بعد انتصار ثورة كوبا • وحدث نفس الشىء فى افريقيا بعد انتصار الثورات الوطنية فى مصر وغانا وغينيا ومالى .. الخ .. الخ . .

لكن الوقوف بالاستشهادات التاريخية عندهذا الحد ، يقودنا بالتأكيد الى مقولات أو معطيات خاطئة بالقطع • اذ تفيد التجربة نفسها أن الاستعمار الذى سلم بوجود الثورة فى مصر واستقلالها ، حاول أن يعود اليها غازيا بعد سنوات قليلة ، وقاد حربا ضارية لمدة سبع سنوات فى الجزائر ليحول دون استقلال جديد وانتصار ثورة جديدة . وعندما قامت ثورة العراق ، عمل وقتها على حماية مواقع أخرى عندما أنزل قواته فى الاردن ولبنان • ثم قاتل الثورة فى اليمن – شمالا وجنوبا – بشراسة • وفى افريقيا بعد تولى لومومبا السلطة وقيام حكومة وطنية انقض عليها نجم يتلاءم مع حجم اهمية ثروات الكونجو بالنسبة له • وهكذا فى كل مكان : اذا اضطر الى التسليم مجبرا فى موقع ما ، يعمل بالضرورة لمنع تأثيرات انتصار الثورة فى هذا الموقع على مواقع اخرى مجاورة او مماثلة .

وقد يقال أن تأثيرات انتصار فيتنام – كما فى مفهومنا – غير وارد بالنسبة لافريقيا لبعدالمسافة بينهما • وهذا قول غير صحيح بمنطق التاريخ نفسه ،وبمنطق العصر الذى ضاقت فيهالمسافات جدا بتأثير ثورة المواصلات بكل معانيها ، وبمنطق موقع افريقيا فى سياسة الاستعمار العالمى قبل كل شىء •

فافريقيا بشكلعام – فىمخططات السياسيين الاستعماريين انفسهم – هى « الاحتياطىالاخير» الذى يحرص عليه بمختلف الاشكال لاهمية ما تمثله من كنوز هائلة للمواد الخام فى مختلف صورها الاقتصادية • ولان هذه بديهية اولية، فاننا – تجنبا لعدم التكرار – لا نورد هنا البيانات والاحصائيات الدالة على ذلك ، والتى لم يخل منها أى مقال أو كتاب أو دراسة فى الموضوع كما سبق نشره مرارا فى الطليعة •

وهكذا يظل الاطار العريض الذى يحكم مجريات الصراع الذى يدور بين قوى الثورة الوطنية – فى شكل كفاح مسلح – وبين قوى الاستعمار العالمى ، هو مدى استفادة أى من الطرفين أو استثماره للظروف والعناصر الذاتية والمحلية من جهة ،ثم الاستفادة من الظرف الخارجى المحيط • والظرف الخارجى المحيط ، فى حالة حركات الكفاح المسلح الافريقية هنا وفى هذا الوقت بالتحديد ، هو اتفاق فيتنام • فاذا ما كان هذا الاتفاق – الذى ينهى حالة الاشتباك الواسع المسلح- قد جاء فى جوهره لصالح قوى الثورة الوطنية الديمقراطية فى فيتنام ،فان الفرصمواتية – بلاشك – امامحركات الكفاح المسلح الافريقية للاستفادة من المناخالذى يؤدى اليه .ودون الدخول فىالتفاصيل ،نقول ان جوهر اتفاق فيتنام قد تم لصالح قوى الثورة الفيتنامية • اذ اضطرت أمريكا فيه – مجبرة – على التسليم بانهاء الوجود العسكرى الامريكى وبحق شعب فيتنام سواء فى اختيار الحكومة وفق ما يراه بالانتخابات ، وحقه فى توحيد اراضيه بارادته •

ونظرا للحجم الهائل الذى كان عليه الصراع فى فيتنام ، ولطول مدته ، ووضعية الطرف الامريكى فيه باعتباره قوة دولية لها امكانيات فى البطش هائلة ، فان نموذج الانتصار الفيتنامى على هـذا الوجه ، سوف يبقى لمدة طويلة نموذجا فريدا يخرج بتأثيراته عن « حدوده الاسيوية » وخاصة بحكم ما قدمه من خبرات فى العمل الثورى مفيدة .

مؤشرات تصاعد حدة الصراع

منذ الشهور الاخيرة فى عـام ١٩٧٢ ، وارهاصات « اتفاق فيتنام » تبدو فى الافـق السياسى الدولى . وفى نفس هذه الفترة ، كانت الثورة الوطنية المسلحة فى غينيا «بيساو» تتأهب لبدء مرحلة جديدة ترقى الى مستوى التغير الكيفى على المستوى السياسى ــ محليا وافريقيا وعالميا . فقد أجريت ــ بمقتضى قرار سابق لمؤتمر حزب الاستقلال الافريقى فى اغسطس ١٩٧١ ــ انتخابات لتأسيس جمعية وطنية تصبح بعد تشكيلها الجهاز الاعلى الدستورى للدولة الجديدة . وقدتمت هذه الانتخابات فى يوليو ١٩٧٢، وشارك فيها ٥٣ الف مواطن فى الاراضى المحررة (بنسـبة ٩٢ر١٧ فى المائة من مجموع الذين سجلوا اسماءهم لممارسة حقهم الانتخـابى) . وكان مقـررا أن تجتـمع الجمعية الوطنية لتقر دستور الدولة الذى جرى اعداده ، ثم تشكل حـكومة تعلن اسـتقلال غينيا ــ بيساو ،وتطالب المجتمع الدولى الاعتراف بها .

واذا أخذنا فى الاعتبار ، نتائج التقرير الذى وضعته البعثة الثلاثية التى أوفدتها الامم المتحدة الى المناطق المحررة فى غينيا «بيساو» وقضت بها مدة أسبوع ، وحيث أقر أفراد البعثة بسيطرة جيش التحرير على معظم اراضى البلاد ، وقيـام مؤسسات وطنية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية خاصة بها ــ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى دعوة الامم المتحدة للزعيم الراحل لاميلكار كابرال ، سكرتير عام حزب الاستقلاج الافريقى لحضور جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة فى سبتمبر ١٩٧٢ والتحدث أمامها بصفته مراقبا لدى المنظمة الدولية بعد قرار منح هذه الصفة لحركات التحرير الافريقية ــ نقول اذا أخذنا هذين الحدثين فى الاعتبار ، برزت امامنا بوضوح أهمية المرحلة التى كانت حركة الكفاح الوطنى المسـلح فـى غينيا « بيساو » على وشك الدخول اليها .

من هنا ، ينبغى أن يكون الاطار الذى نفهم فيه حدث اغتيال كابرال ، فى أواخر يناير الماضى ، وبرغم ان عملية الاغتيال ما زالت غامضة ، الا اننا نستبعد ــ بادىء ذى بدء ــ ما روجت له بعض الصحف الغربية من أن عملية انشقاق حزبى تكمن وراء هذا الحادث . ذلك لانه لم يكن معروفا من قبل وجود اتجاه سياسى معارض لكابرال داخل الحزب . هذا مع التسليم باحتمال وجود خلافات فى وجهات النظر داخـل الحـزب ، او حتى فى قيادته . ولكن هذا طبيعى شأن وجوده فى أى حزب أو تنظيم سياسى فى العالم . الا انه لم يكن معروفا على الاطلاق انه يوجد تيار أو اتجاه يعارض كابرال أو يتجه الى الانشقاق عليه . على ان المقطوع به ان البرتغال هى المستفيدة الرئيسية من اغتيال كابرال الذى أصبح اسمه واسم الثورة الوطنية فى غينيا « بيساو » وجهان لعملة واحدة . ونظرا لطبيعة المجتمعات الافريقية ، والدور البارز الذى يمكن أن يلعبه الزعيم فيها ، تصبح عملية اغتيال كابرال ، مكسبا ضخما لحساب الاستعمار البرتغالى وحلفائه فى حلف الاطلنطى . وهـى خسارة كبيرة للثورة بدون شك . لكن ثورة شعب غينيا ــ بيساو ،وحزب الاستقلال الافريقى قائدها، قادرة على تجاوز المشكلة ومواصلة الطريق .

واذا كان ذلك الحدث ، مثالا لتصعيد عمليـة الصراع فى موقع من مواقع حركة الكفاح المسلح الافريقى فى المستعمرات البرتغالية ، فان تطورات الاحداث بين زامبيـا وروديسيـا الجنوبية واشتباكات الحدود التى اغلقت بينهما بعد ذلك ، مثال آخر لتصاعد حدة الصراع فى موقع آخر من مواقع الكفاح المسلح الافريقى فى الدول ذات النظم العنصرية .

فبغض النظر عن كل الملابسات التى يمكن أن تبدو على السطح أو أن تقال عن أسباب الصدام وغلق الحدود ،فان جوهر المشكلة يكمن فى حقيقة ان رجال حـركة الـكفاح المسلح الوطنى فـى روديسيا ، يتخذون من أراضى زامبيا على الحدود منطلقا لعملهم الوطنى وهجماتهم المسلحة على قوات روديسيا العنصرية ، ووفقا لمفهـوم «العمل الوقائى» الذى يتبناه نظام الحكم العنصرى الفاشى فى روديسيا ، يقوم هذا النظام بتصعيد ردود افعال هجمات الوطنيين ، الى هذا الحد العنيف ضد دولة مستقلة مجاورة . وقد حدث أن جرت هذه التطورات فى الفترة الاخيرة بعد توقيع اتفاق فيتنام وبرغم اتجاه « التسويات » الذى اعتقد به بعض المعلقين .

مناخ خاص ..
يتجاوزه الكفاح المسلح

والواقع ان حركة الكفاح الوطني المسلح الافريقية ، تعيش فى ظل ظروف مناخ محلى خاص هو واقع « التخلف الرهيب » الذى تعمل فى مواجهته ومن اجل تغييره .

واذا كان صحيحا ان حركات التحرير فى آسيا وامريكا اللاتينية ، قامت وتقوم ايضا فى ظل ظروف التخلف الاجتماعى والاقتصادى الذى تعانيه شعوبها كنتاج للحكم الاستعمارى ، الا أن واقع التخلف فى افريقيا يفوق مثيله فى آسيا وفى أمريكا اللاتينية .

فحركات التحرير فى أمريكا اللاتينية وآسيا ، تعيش فى ظل علاقات انتاجية واجتماعية أكثر تقدما من تلك العلاقات التى تعيشها مثيلاتها فى افريقيا . ففى معظم مستعمرات امريكا اللاتينية وآسيا ، حطم الاستعمار الى حد بعيد كثير من الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القديمة . لكنه لم يفعل ذلك فى افريقيا بشكل عام وفى المستعمرات البرتغالية والبلاد الخاضعة للنظم العنصرية .. فى افريقيا ، بشكل خاص . حيث تزعم البرتغال بأن هذه المستعمرات جزء من أراضيها الممتدة وراء البحار . وحيث أن النظم العنصرية تعمل وفق مفهوم «سيادة الرجل الابيض وتفوقه » وبينما ترتب على ما سبق ، فى آسيا وامريكا اللاتينية ، الحفاظ على أو قيام مؤسسات قومية ، قوية او ضعيفة ، نقول انه ترتب على ما حدث فى افريقيا الابقاء على الجوهر الاساسى للمؤسسات القديمة فى حالة الضعف . واذا تمكن بعضها من التحرك فى مواجهة الاستعمار ، غلب عليه طابع القصور فى مواجهة ارقى اشكال مؤسسات القهر الاستعمارية .

فاذا أخذنا ظاهرة القبلية — مثلا — نجد انها من أهم المصاعب التى واجهت وما تزال حركات الكفاح المسلح الافريقية . فقد نما الاستعمار — فى ظلها وعن عمد — عنصر الولاء القبلى وأذكى عوامل الحزازات فيما بينها . وزاد من عبء « الولاء القبلى » ظاهرة « الدولة غير المركزية » وهنا تصبح مهمة استبدال الولاء القبلى « بالولاء القومى » ضرورة اولية امام حركة الكفاح المسلح . واهميتها الخاصة هنا ، تكمن فى حقيقة ان الفرد الافريقى قد اعتاد — بفعل الخديعة الاستعمارية والحزازات المستثارة — ان يحمل سلاحه جنبا الى جنب بقية افراد القبيلة التى ينتمى اليها ضد افراد قبيلة اخرى تعيش الى جواره وعلى نفس ارض الوطن . اما أن يحمل الفرد الافريقى السلاح الواحد جنبا الى جنب فرد من قبيلة اخرى يحمل نفس السلاح ، وفى مواجهة عدو آخر . فذلك من المنجزات الهامة للحركة الوطنية نفسها . ومن هنا يصبح « لغم الشك » بين رفاق السلاح ، معدا للانفجار ما لم « يفسد مفعوله » عامل الولاء القومى والوعى السياسى الوطنى . ولذلك بالطبع اخطاره الضارة على الحركة العامة للكفاح المسلح .

تجىء بعد ذلك ظاهرة الامية التى تصل فى بعض بلاد افريقيا الى نسبة ٩٩ فى المائة .. وتلعب هذه الظاهرة بدورها دورا معوقا امام متطلبات خلق الكادر العسكرى — السياسى فضلا عن ضرورة توافر أطباء وفنيين ومدرسين الخ ..

فاذا اضفنا الى ذلك ظاهرة عدم وجود لغة قومية واحدة ، تكشف لنا بعدا آخر من مصاعب هذا الواقع . ولذلك بالطبع تأثيره الضار الذى لا ينكر على العمل والنشاط الدعائى والسياسى للحركة الوطنية المسلحة . ونضيف الى ذلك ظاهرة تخلف بعض الديانات فى افريقيا حيث ماتزال تنتشر بعض الديانات الوثنية التى وصل تأثيرها الى حد ان بعض قطاعات الحركة الكونجولية المسلحة ، كانت تستقدم « السحرة » لعمل « احجبة » و « تعاويذ» لمواجهة احدث الطائرات الاستعمارية .. والنتيجة ..غنية عن أى تعليق أو تحليل .

ويمكن القول فى اختصار ان نتاج وسائل الانتاج المتخلفة وما يترتب عليها من علاقات اجتماعية متخلفة بالضرورة ، لابد وأن تشكل مصاعب جمة أمام العمل الوطنى المسلح فى مواجهة نتاج وسائل الانتاج الرأسمالية فى قمة تطورها .

على أن الحركات الوطنية المسلحة فى افريقيا استطاعت — بمضى الوقت واصرارها على الاستمرار ودورها فى خلق الوعى السياسى والاجتماعى لدى شعوبها — استطاعت أن تتجاوز بعضا كثيرا من هذه الصعوبات التى فرضها عليها المناخ الخاص المحلى الذى عملت فى ظله .

العمل العسكرى .. وراءه
حزب سياسى

شهدت افريقيا فى مرحلة غزو الاستعمار لاحتلال اراضيها ، فى تاريخها القديم ، كثيرا من

عمليات المقاومة الوطنية المسلحة ضد الغزو، كما شهدت ايضا انتفاضات وطنية مسلحة اخرى بعد أن سيطر الاستعمار على مقدراتها . لكن يجمع بين أعمال المقاومة الوطنية المسلحة هذه جميعا ، انها كانت تفتقد أهم دعامة لاستمرارها ونجاحها : الحزب السياسي . ولهذا انتهت هذه المقاومة وتلك الانتفاضات ـ وقتها ـ الى مأساة بشعة حيث سقط الملايين من ابناء القارة الوطنيين شهداء دون أن يتحقق الاستقلال . ومن الامثلة البالغة الدلالة على ذلك ما حدث فى جنوب القارة وفى الكونجو وفى مختلف بلاد شرق افريقيا وغربها ، فى أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .

ويجمع بين كل حركات الكفاح الوطنى المسلح اليوم سواء فى المستعمرات البرتغالية أو فى البلاد الخاضعة للنظم العنصرية ، أنها قامت على أكتاف حزب سياسى أو جبهة سياسية . لكنها جميعا وفى كل الاحوال ، كان نجاحها دائما فى حجم عملياتها واتساعها ، يرتبط كل الارتباط بمدى النضج السياسى للحزب أو الجبهة . بل انها لم تبدأ بداية ناجحة الا عندما تحددت المعالم السياسية للحزب أو توحدت مجموعة من التنظيمات أو الاحزاب فى جبهة واحدة حددت برامجها وأهدافها السياسيه بوضوح . ويثبت الدور السياسى الذى قامت به هذه الاحزاب فى تهيئة الظروف السياسية والجماهيرية والمادية لقيام الكفاح الوطنى المسلح ، يثبت ويؤكد حقيقة ان الثورة : معرفة وعلم وتعبير عن مصالح الجماهير . وذلك بالتحديد دور اركان الحزب السياسى : **الحزب** ، الذى يقوم بتحليل طبيعة المرحله والمشاكل التى تواجه القوى الثورية ، ويقوم ببناء النواة الصلبة ضمانا لإستمرار النضال ويستفيد من الخبرات المكتسبة ويصححها دائما ، وبعد الكوادر القادرة على شن الكفاح الشامل ضد العدو ، ثم يواصل دراسته المستمرة لكل مناحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية .

وقد تبلورت حركات الكفاح المسلح الافريقية فى المستعمرات البرتغالية والبلاد الخاضعة للنظم العنصرية ، بعد فترة طويلة عانت فيها الاحزاب والجبهات السياسية التى تقودها من سلبيات التفتت والانقسام على المستوى التنظيمى ، ومن فشل اتجاهاتها السياسية السابقة التى كانت ترى امكانية تحقيق الاستقلال من خلال الكفاح السياسى السلمى بالتظاهر والاضراب ـ سياسيا واقتصاديا ـ على المستوى الفكر السياسى .

لكن أصالتها الوطنية تجاوزت أعمال القمع والبطش التى شنتها السلطات الاستعمارية والعنصرية ضدها . فوحدت من صفوفها ونضجت مفاهيمها السياسية على ضوء الممارسات اليومية للعمل الوطنى . حتى استطاعت هذه الاحزاب والجبهات أن تحدد مبادئها الاساسية من خلال التجربة ـ وتشترك جميعها فى تبنى هذه المبادىء ـ التى ضمنتها مواثيقها وبرامجها . ونرصدها فيما يلى :

● ان نضال شعوب هذه الاحزاب والجبهات السياسية ، انما هو جزء من نضال كل الشعوب فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية فى اطار المعركة العامة المعادية للاستعمار .

● ان الوحدة الوثيقة بين قوى التحرر الوطنى فى العالم ، انما هى شرط اساسى لتحقيق الاهداف المحلية .

● ان نضالها يتقبل المساعدة والدعم من كل انسان وكل القوى ولايمكن ان يكون معاديا للشيوعية .

● ان التحالف مع قوى الاشتراكية العالمية ، انما هو ضرورة موضوعية تؤكد صحتها مواقف المعسكر الاشتراكى فى مساندة ودعم حركات التحرر الوطنى .

● ان شعوب الدول الاستعمارية تمثل قوى احتياطية يمكن ان تقدم اعظم المساعدات للكفاح الوطنى، عندما نفلح القوى الثورية فى المستعمرات فى خلق المناخ السياسى الملائم لتعريفها بحقائق الاستغلال الذى يمارسه العدو المشترك لها وللحركات الوطنية .

الكفاح المسلح

فى المستعمرات البرتغالية

تعد غينيا « بيساو » وجزر الراس الاخضر ، وانجولا ، وموزمبيق ، آخر المستعمرات التقليدية فى افريقيا تقريبا . فجميعها تحت سيطرة الاستعمار البرتغالى الذى يشكل فى الوقت الحالى ، اكبر استعمار تقليدى يرجع الى القرن الخامس عشر .

وتبلغ مساحة هذه المستعمرات البرتغالية ٢٠٦٠٠٠ر٢ كيلو متر مربع ، أى ٢٢ ضعفا لمساحة البرتغال نفسها، ويقيم عليها حوالى ١٢٫٨

مليون افريقي تقريبا. ولايزال الاستعمار البرتغالي يكيف سيطرته على مستعمراته الافريقية ، من خلال اطار متخلف بالنسبة لتطور الاستعمار العالمي واشكاله الجديدة . والواقع ان هذا الاطار « المتخلف » ، ليس الا محصلة موضوعية لواقع ان البرتغال نفسها تعد دولة متخلفة داخل الاطار الاوربي . فنسبة الامية فيها تبلغ حوالي ٤٠ في المائة . ومعظم الصناعات القائمة فيها وفي مستعمراتها اجنبية . بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة العلمية اذا قلنا ان **البرتغال** نفسها تكاد تكون « **شبه مستعمرة** » او هي كذلك بالفعل . ولهذا تظل البرتغال الاستعمارية ، غير قادرة على استيعاب مظاهر تطور الاستعمار ، واعادة صياغة علاقتها بمستعمراتها في اطار جديد . وتحاول البرتغال بكل الطرق الاحتفاظ بهذه المستعمرات ، نظرا لانها المورد الاساسي لحياة الاقتصاد البرتغالي، وذلك بالتحديد مايدفعها الى العمل بكل الوسائل لاجتذاب رؤوس الاموال الاجنبية (أمريكية وبريطانية والمانية غربية وبلجيكية وفرنسية) الى مستعمراتها في افريقيا بهدف الحصول على سند مادي وعسكري ضخم للحرب ضد الشعوب الافريقية في مقابل امتيازات استغلال الثروة الزراعية والمعدنية ، وبهدف تطوير اقتصاديات هذه المستعمرات لتحقيق ارباح بسرعة لاتقدر هي عليها بامكانياتها المحدودة . ووراء هذه المصالح المشتركة يكمن تفسير دعم **حلف الاطلنطي** للبرتغال في حربها ضد حركات الكفاح المسلح . ويمتد هذا التحالف مع البرتغال، الى جنوب افريقيا العنصرية التي تشارك باستثمارات كبيرة في مجال انتاج الماس بهذه المستعمرات ، وفي بعض المشاريع الضخمة الاخرى مثل سد كابورا باسا (الذي تقدر ما سيقدمه من طاقة كهربائية بـ ٧٠ في المائة من الطاقة الكهربائية التي يقدمها السد العالي في مصر) هذا بالاضافة الى ان خمس العملة الصعبة التي تحصل عليها البرتغال ترد عن طريق عمال موزمبيق الذين يعملون في جنوب افريقيا .

ولقد كان لقيام الفاشية في البرتغال عام ١٩٢٦ — بوصول سالازار الى السلطة — نتائج بعيدة الاثر في المستعمرات البرتغالية، فمع الفاشية استخدمت اكثر اشكال القهر والاستغلال عنفا، ولكنها عجزت رغم ذلك عن اخضاع الافريقيين، بل احدثت تأثيرة مضادة تماما . فقد خلق العنف الفاشي الاستعماري الوعي الوطني ونماه . ومنذ عام ١٩٢٩ شهدت هذه المستعمرات حركات « الاحتجاج » الوطني ، ادت الى تأسيس روابط ذات طابع اقتصادي ونقابي . ولكنها لم تكن لتخلو من محتوى سياسي مميز . وهكذا تأسس عدد من الجمعيات والروابط والنقابات التي لعبت دورا هاما في عملية التوعية وتحديد مطالب الجماهير . ومع تصاعد نشاط هذه الجمعيات، اكتسبت مطالب الجماهير الطابع السياسي الوطني وتبلورت التناقضات داخل هذه الجمعيات نفسها. وبرز فيها اتجاهان : احدهما **اصلاحي** يقول بالكفاح القانوني او السلمي التدريجي ،والاخر ذو محتوى **ثوري** يرى ضرورة القيام بأعمال اكثر عنفا ضد القهر والاستغلال الاستعماريين . ونتيجة للقهر الاستعماري ، سحقت كل المحاولات القانونية والسلمية ، مما شجع الثوريين الذين أفلتوا من الاعتقال ، على الانتقال الى العمل السري وقيام الاحزاب الثورية السرية .

غينيا « بيساو » ٠٠ تحكم نفسها

تخاف البرتغال — ورغم تفوقها الجوي ومساعدة حلف الاطلنطي — من تاكتيكات حرب العصابات الغينية ، ولكنها تخاف بشكل اكبر من استراتيجيتهم السياسية .

ورد هذا المعنى ذا الدلالة الهامة ، في تقرير بعثة الامم المتحدة الى غينيا بيساو التي سبق الاشارة اليها. والواقع ان وضع هذه الاستراتيجية السياسية وممارسة تطبيقاتها اليومية — سواء في جبهة القتال العسكري او في جبهة البناء الداخلي للاراضي المحررة — هي العصب الحقيقي وقلب معركة الكفاح الوطني المسلح في غينيا بيساو (مليون نسمة) .

وقد كان « مهندس » هذه الاستراتيجية السياسية وتطبيقاتها ، **هو الحزب الافريقي لاستقلال غينيا ورأس الجزر الاخضر** الذي اسسه **اميلكار كابرال** في سبتمبر ١٩٥٦ بشكل سري ، بعد ان فشلت محاولة ١٩٥٤ لتنظيم ثورة بالوسائل السياسية حتى في صورة انشاء رابطة للرياضة والتسلية ، عضويتها مفتوحة للجميع ، فقامت الحكومة باغلاقها . ويفعل عمل كابرال كمهندس زراعي في صفوف الفلاحين في الريف « زرع » بذور العمل الثوري في اعماق البلاد . واستطاع الحزب في اغسطس ١٩٥٩، ان ينظم اضرابا « لرفع الاجور » واجهه البوليس البرتغالي بوحشية أودت معها بحياة ٥٠ افريقيا. فأعاد الحزب النظر في خططه . وفي سبتمبر ١٩٥٩ أقرت قيادة الحزب برنامجا من ٨ نقاط ، يهتدي بها الحزب في عمله ، اهمها : تأسيس منظمات سرية في المدن — التركيز على العمل في الريف — التغلب على الانقسام

الاجتماعي للسكان ـ اعداد كوادر فنية ـ زيادة النشاط الثوري ، وأعمال التنسيق مع الحركات الوطنية في بقية المستعمرات البرتغالية . وفي ١٩٦٢ ، عقد الحزب مؤتمرا سريا في بيساو (العاصمة) واقر برنامجا للعمل على جبهتين : **الكفاح المسلح في الريف ـ والكفاح السياسي في المدن .**

وفي مواجهة عمليات القتال التي شنها الوطنيون في غينيا بيساو « اضطرت القوات البرتغالية ان ترفع عدد جنودها من ٤٠٠٠ جندي عام ١٩٦١ الى مايزيد على ٢٥٠٠٠ جندي اما على المستوى السياسي الداخلي فقد لجأت الى اسلوب « عرض الحرية » في مقابل « الخيانة » وذلك باستمالة المشاعر المنحطة للانتهازية والعناصر الجشعة . اى ان الفرد منهم يحتفظ بحريته وتوفر له فرص تحقيق مكاسبه المادية ثمنا لان يخون . ومن جهة اخرى ، محاولة تضليل الرأى العام حتى داخل البرتغال ، بارسال وفود من قبلها لزيارة غينيا تحت وهم « نية الاقدام على تسوية » . اما المحاولة الثالثة ، فقد تمثلت في السعي من اجل تحويل عملية الصراع الى « عملية عرقية » باثارة المشاعر القبلية وممارسة سياسة « الافريقيون ضد الافريقيين » .

وبرغم الظروف المادية المزعزعة لشعب غينيا ، وبينما المساعدات التي يقدمها حلفاء البرتغال لقواتها واستخدام العدو البرتغالي لكل ماهو متاح له ، استطاعت حركة الكفاح المسلح أن تحرز انتصارات هامة ، وان تحرر غالبية مناطق الريف .

وبعد ان تولى **مارسيلو كاتيانو** السلطة في **البرتغال** ، طبق سياسة « **الدم والابتسامة** » بتقديم بعض التنازلات الى بعض الافراد المتواطئين معه او المناهضين للكفاح المسلح مع ارتكاب ابشع جرائم التعذيب والاغتيال ضد العناصر الوطنية . وقد القى حلفاء الاطلنطي بثقلهم مع كاتيانو ، واصبحت القوات البرتغالية تستخدم الاسلحة والذخيرة الالمانية الغربية والقوارب الحربية الالمانية الغربية والفرنسية وطائرات الهليوكبتر الفرنسية والهولندية والطائرات الامريكية والايطالية .. الخ وانشأوا محطة اذاعة جديدة قوية ، واستقدموا المرتزقة ، ووصل الامر الى حد أن البرتغال تطالب باقامة قواعد لحلف الاطلنطي في غينيا .

الا ان ذلك كله لم يحل دون حقيقة أن غينيا اليوم تحكم نفسها بنفسها بعد ان تمكنت من تحرير ٨٠ في المائة من اراضي غينيا « بيساو »

يقول تقرير بعثة الامم المتحدة « ولايسيطر البرتغاليون الان الا على المدن وبعض القرى الكبيرة فقط . ومع ذلك لايأمن الجنود البرتغاليون على انفسهم فيها ويفضلون ملازمة ثكناتهم بعد غروب الشمس » .

كيف تمكنت حركة الكفاح الوطني المسلح في غينيا بيساو من انجاز هذا المكسب الضخم ورغم كل الصعوبات ؟

والاجابة : **ان حزب الاستقلال الافريقي** قد ادرك تماما انه لايمكن نيل الاستقلال بالسلاح وحده . فقام منذ البداية بتكوين مؤسسات اجتماعية جديدة . **لان الشعب لايكافح ويتحمل التضحيات من اجل مجرد أفكار يقتنع بها بعض الناس بل من اجل تحسين وضعه المادي الاجتماعي .** فحددوا في برنامجهم ضرورة ملكية الدولة للثروة القومية ووسائل الانتاج الاساسية والمواصلات والاذاعة ووسائل الاعلام والثقافة . وأقر البرنامج بامكانية قيام الاستثمارات الخاصة وفقا لاحتياجات التقدم والتنمية الاقتصادية السريعة . واقر كذلك ان الممتلكات الشخصية وخاصة السلع الاستهلاكية والمساكن الخاصة والمدخرات لها حصانتها ، مثلما أقر حرية العبادة والانتماء للطوائف الدينية .

وقد بذل حزب الاستقلال الافريقي جهودا ضخمة لتنظيم الحياة الاجتماعية وخلق مجتمع جديد وتقدمي فأنشأ عددا من المدارس وأدارها ووفر فرصا كاملة لتعليم ابناء المناطق المحررة . وأقام كذلك عددا من المستشفيات لرعاية المصابين في الحرب والمرضى من السكان المدنيين . وتقوم هذه المستشفيات بحملات وقائية ضد الامراض المتوطنة ، وتتبعها عدد من المدارس الفنية لتدريب كادر من المستوى المتوسط على الاعمال الطبية . وقد افتتح الحزب ايضا مخازن شعبية يستطيع فيها السكان التعامل بالمقايضة في مجال التجارة . وبذلك تساعدهم في عدم الافراط في انتاج المحاصيل التقليدية كالارز والحصول على المنتجات اللازمة التي لم يكن في امكانهم الحصول عليها من قبل . وبالاضافة الى ذلك يقوم الحزب بترتيب المنح الدراسية (وصلت عام ١٩٧٢ حوالي ٤٠٠ منحة) ليستكمل ابناء المناطق المحررة دراساتهم العليا المتخصصة في الخارج ، وفي مجال الزراعة نظم الحزب التعاونيات لتطوير الزراعة وتنمية حاصلاتها .

ويحرص الحزب على مواصلة عمليات بناء المجتمع الجديد ، في مناخ ديمقراطي يعمل على تطويره ، بتشجيع روح النقد والنقد الذاتي من القاعدة الى القمة و « دعم المعركة ضد الكسل

والابتعاد عن المشاركة فى العمل أو الانتهازية ، وكل انواع الانحرافات .

أما فى جزر الراس الاخضر ، فقد دار الكفاح طوال السنوات الماضية على الصعيد السياسى ، بسبب صعوبات تزويد الوطنيين بالامدادات عن طريق البحر . وتستعد حركة الكفاح المسلح الوطنى ، بعد ان انجزت المهمة السياسية، ان تبدأ المواجهة المسلحة مع سلطات الاحتلال البرتغالى الاستعمارية .

موزمبيق تحطم ..

« السلطة القديمة »

لم تكن عملية اغتيال **ادوارد موندلانى** قائد حركة التحرير الوطنى فى موزمبيق — فى فبراير ١٩٦٩ فى دار السلام (عاصمة تنزانيا) ، سوى « **بروفة** » اولى لما يمكن ان تقدم عليه مخابرات القوى الاستعمارية ضد قادة حركات الكفاح المسلح فى افريقيا . وبرغم الخسارة الفادحة التى أصابت الحركة فى موزمبيق باستشهاد **موندلانى** ، والتى حدث فى اعقابها عددا من الارتباكات فى قيادة « **الفريليمو** » — جبهة تحرير موزمبيق — وفى قواعدها ، الا ان الكفاح المسلح لم يتوقف كما ارادت السلطات البرتغالية وعلى رغم « التطور البطىء » الذى يشهده الان ، فقد قامت الجبهة بانتخاب قيادة جديدة حيث اصبح **سامورا مواسيه ميشيل** رئيسا للجبهة واصبح **مارسلينو دوسانتوس** نائبا للرئيس .

وتأسيس **الفريليمو** ، نتاج لتطور كفاح الحركة الوطنية فى موزمبيق منذ عام ١٩٢٩ ، حيث بدأت البلاد تشهد ظهور حركات الاحتجاج الوطنى التى أثمرت تأسيس روابط وطنية ذات طابع اقتصادى ونقابى . ولكنها مع ذلك لم تكن تخلو من محتوى سياسى وطنى عام . وفى ٢٥ يونيو ١٩٦٢ ، توحدت أحزاب « **اتحاد موزمبيق الوطنى** الديمقراطى — والاتحاد الوطنى لموزمبيق **المستقلة — وحزب اتحاد موزمبيق الوطنى الافريقى** » حيث شكلت « **جبهة تحرير موزمبيق** »، من خلال مؤتمر عام ناقش ظروف البلاد وواقعها ، واقر خطة عمل للكفاح المسلح .

وقد حققت الجبهة تأثيرا سياسيا داخل وخارج البلاد ، حين حددت طبيعتها كحركة وطنية ديمقراطية معادية للاستعمار والعنصرية ، قواها الفلاحون (٨٠ فى المائة من مجموع عضويتها) والعمال والمثقفون الثوريون والفئات الوسطى والصغيرة من البورجوازية . **وهدفها** : تحقيق الاستقلال السياسى وتحرير الانسان الموزمبيقى. **حلفاؤها** : دول المعسكر الاشتراكى وحركات التحرر الوطنى والقوى الديمقراطية المعادية للفاشية والاستعمار فى العالم ، **اعداؤها** : الاستعمار البرتغالى وسنده الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، والقوى العنصرية .

وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٤ ، بدأت أول « طلقات الحرية » فى موزمبيق . ونتيجة لذلك ، نجد اليوم ان حركة الكفاح المسلح تغطى ثلث اراضى واقاليم البلاد : كابو ديلجادو ، ونياسا وتيت . وتمكنت الجبهة من تحرير ربع البلاد تقريبا ، حيث يعيش مليون مواطن موزمبيقى (مجموع السكان : ٦ ١/٢ مليون) . ويتسم تطور الكفاح المسلح اليوم فى المجال العسكرى،بتكثيف العمل من اجل الانتشار الى اقاليم جديدة (البلاد مقسمة الى ٩ اقاليم) ، وفى الوقت نفسه دعم قاعدة المؤخرة : المناطق المحررة . وتقوم عملية الدعم هذه على اساس « **التعمير الوطنى** » .

ففى مجال **الانتاج والتجارة** : ركزوا على انتاج مايكفى معيشةسكان المناطقالمحررة ورجال العصابات ، فضلا عن بعض المنتجات التى تخصص للبيع فى « **مراكز التبادل** » حيث يذهب الناس لاستبدال منتجاتهم ببضائع مصنعة خارج موزمبيق ، وعلى الأخص الملابس . ولم يقتصروا على زراعة المحاصيل التقليدية وانما ادخلوا كذلك محاصيل جديدة تقوم بزراعتهاالاقاليم اخرى لم تحرر بعد . كما عملوا على تطوير اساليب الزراعة بادخال الوسائل العلمية . ويجرى فى هذه المناطق تطوير الحرف اليدوية . ففيها تصنع — مثلا — الالات الزراعيةوالادوات المنزلية والبنادق المصنوعة محليا من المواد المعدنية للسيارات التى يتم تدميرها للعدووالقنابل التى لم تنفجر . وجرى تنظيم جمعيات تعاونية فى هذا المجال .

وفى مجال **التعليم** ، اقامت الجبهة فى المناطق المحررة ١٦٠ مدرسةابتدائية يتلقى فيها حوالى٢٠ الف طفل تعليمهم على أيدى ٢٥٠ معلما . وهناك بعض المدارس النموذجية الداخلية . كما اقاموا مدارس ثانوية واخرى لتخريج المعلمين. وفىالمناطق التىيجرى فيها القتال، يجرىتشجيع برامجمحو الامية للبالغين. كما تجرى تنظيمبرامج خاصة لرفع المستوى الثقافى والسياسى لكوادر الجبهة .

وفي مجال **المساعدات الطبية للسكان** تم بناء عيادات ومراكز للصحة العامة تعمل كمراكز للاسعاف وكمستشفيات . وعلاوة على علاج افراد الشعب والجرحى . يجرى تنظيم حملات للتربية الصحية. وهناك مستشفى مركزى لعلاج الحالات الخطرةوالمستعصية والعمليات الجراحية الكبيرة . كما اقيمت مراكز لتدريب الممرضات.

على ان ذلك كلـه .لايعنى أن برامج تطوير المناطق المحررة ، تسير بامكانيات كاملة أو حتى كبيرة ، ولكنها تواجه صعوبات جمة تسمى الفريليمو الى تغطيتها بمختلف الوسائل .

لقد واجهت الفريليمو مشاكل المناطق المحرره على اساس تحطيم البنية « السلطة القديمة » سياسيا واداريا وقانونيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا . وعلى المستوى العسكرى ، ركزت على تقوية « وحدات الدفاع المحلية » لتوسيع الهجمات حتى يضطر العدو الى اخلاء مواقعهبعد ان حشد ٧٠ الف جندى برتغالى لاخماد حركة الكفاح الوطنى المسلح دون طائل .

أنجولا .. توحد الجهود

الكفاح المسلح فى انجولا ، هو اقدم كفاح مسلحشهدته المستعمرات البرتغالية فى افريقيا ، بل وفى منطقة جنوب القارة كلها .

ففى ديسمبر ١٩٥٦ ، قامت « **الحركةالشعبية لتحرير انجولا** » فى لواندا (**العاصمة**) نتيجة لوحدة حزب الكفاح المتحد وعدد من التنظيمات الوطنية الصغيرة وبعض الجمعيات السرية ، ودعا بيان الحركة عند تأسيسها ، شعب انجولا « للكفاح الثورى من اجل تحطيم الاستعمار البرتغالى والسيطرة الامبريالية.وقيام انجولا المستقلة » واستجاب لنداء الحركة ، منظمةحركة الاستقلال الوطنى لانجولا ، فاتحدت مع الحركة الشعبية فى عام ١٩٥٨ .

وبشكل موازٍ لقيام « الحركة الشعبية »،قامت بعض التنظيمات السياسية (اتحاد شعبانجولا والحزب الديمقراطى الانجولى) التى ضمت المهاجرين الانجوليين وخاصة المقيمين فى الكونجو ليوبولدفيل (زائيرى الان)، قامت بتكوين «الجبهة الوطنية لتحرير انجولا » فى ١٩٦٢ .

وفى فبراير ١٩٦١ ، قررت الحركة الشعبية لتحرير انجولا ان لاسبيل لتحرير البلاد الا بشن الكفاح المسلح . فقامت مجموعات مسلحة لها بمهاجمة السجون والثكنات العسكرية ومحطة اذاعة لواندا ، ووجهت الحركة نداء الى الشعب ليهب ضد الاستعمار البرتغالى .

فى ذلك الوقت المبكر من انفجار حركة التحرير المسلحة ، انقسم العمل الوطنى فيما بين الحركة الشعبية والجبهة الوطنية (كونت بعد تأسيسها بشهر واحد **(حكومة انجولا فى المنفى — ابريل ١٩٦٢)** . ولقد انعكس ذلك الانقسام علىالحركة الوطنية الافريقية ككل . وبتأثير الجناح المحافظ داخل الحركة الوطنية الافريقية وغلبة الاتجاه التوفيقى ، اعترفت منظمة الوحدة الافريقية بحكومة انجولا فى المنفى .

ومن الغريبان الجبهة الوطنية قد سارعت الى تكوين حكومة المنفى قبل قيامها ببدءالكفاح المسلح من جهة ، وظلت على علاقات وطيدة بالدوائر الحاكمة فى الكونجو ليوبولدفيل (ثم كينشاسا ثم زائيرى) حتى فى ظل حكم**تشومبى** .. الخ من جهة ثانية ، ومن جهة ثالثة أعلنت الجبهة عن برنامج سياسى واجتماعى تقدمى للغاية ، علىانذلك — او بسبب ذلك كله ،عدلت حركة التحرر الافريقى — بتأثير القوىالتقدمية فيها — من موقفها السابق وحيث فرضتالحركة الشعبية نفسها كممثل اكيد لشعب انجولا (٤ ١/٢ مليون نسمة) فى كفاحه المسلح من اجلالتحرر وظلت منظمة الوحدة الافريقية،حتى اليوم،تطالب المنظمتين . بالوحدة ، الى ان بدأت مباحثاتهما مؤخرا من اجل تحقيقها .

وبينما تسيطر حكومة انجولا فى المنفى ،على مساحة محددة من الارض شمال انجولا — على الحدود الكونجولية ، أصبحت الحركة الشعبية تسيطر على بعض الاراضى المجاورة للواندافضلا على جبهة الشمال فى كابيندا التى تمثل نقطة ارتكاز هامة بالاضافة الى منطقة واسعة فى الشرق بعد ان تم فتح جبهة جديدة على الحدود الشرقية مع زامبيا . وبالعمل المسلح علىمحور فى الشمال وآخر فى الوسط وثالث فى الشرق، استطاعت الحركة الشعبية أن تحول عددا غير قليل من المناطق داخل انجولا الى ميدان حقيقى لقتال القوات البرتغالية التى وصل عددها فى انجولا اليوم الى مايزيد على ٢٣ الف جندى .

ومنذ عام ١٩٦٥ ، تمكنت الحركة الشعبية من أن تؤسس عددا من المدارس والمراكز الطبية وخاصة فى كابيندا .»

الكفاح المسلح ..

ضد النظم العنصرية

في ١٩ اغسطس من عام ١٩٦٧ ، اذاع **حزب اتحاد شعب زيمبابوى (زابو)** بروديسيا الجنوبية ، وحزب المؤتمر الوطنى لجنوب افريقيا ، بيانا مشتركا جاء فيه :

« .. وكرفاق سلاح ، نواجه عدوا مشتركا ، ونحارب من اجل هدف مشترك ، ونواجه مصيرا مشتركا .. فقد شكلنا قوة موحدة من حزبينا لشن هجمات مشتركة ضد العدو فى اى من مواقعه ، وذلك من اجل تحرير بلدينا » .

لم يكن هذا البيان ، سوى الاعلان «السياسى ـ العسكرى » لما حدث فى ١٣ اغسطس ١٩٦٧ . عندما عبرت قوة مشتركة من الحزبين نهر الزمبيزى على حدود زامبيا ـ روديسيا ، لتشن اول هجوم للكفاح المسلح فى روديسيا ولتفتح صفحة هامة لتجربة جديدة فى الكفاح المسلح .

فقد ظل العمل الوطنى فى كل من البلدين ، يدور من قبل فى اطار ما اصطلح على تسميته « باعمال التخريب » . فقد كانت قوة النظام العنصرى وخاصة فى جنوب افريقيا وبشاعة اساليب القهر المتبعة ، تحول دون اتساع «اعمال التخريب » هذه الى حد يمكن معه احداث التغيير المطلوب .

ونتيجة لان النظام العنصرى القائم فى روديسيا ، مايزال نظاما وليدا من جهة ويواجه ازمة «الشرعية» من قبل المجتمع الدولى بما فيه بريطانيا نفسها . ـ وبغض النظر عن اعمال الدعم والمساندة العملية التى تقدمها امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية له سياسيا واقتصاديا وعسكريا ـ ثم بسبب موقعه على حدود دولة افريقية مستقلة (زامبيا) يمكن ان تنطلق من فوق اراضيها حركة الكفاح المسلح (كما يحدث حاليا) ، بدأ العمل الوطنى المسلح فى روديسيا فى حين لم يبدأ بالشكل الذى نجوز معه تسمية « حركة كفاح مسلح » ، فى جنوب افريقيا التى تمرس فيها النظام العنصرى على السيطرة من جهة وبسبب التطور الضخم النسبى للنظام الراسمالى وقبضته من جهة ثانية وعدم وجود حدود مشتركة لهذا النظام مع دولة مستقلة من جهة ثالثة .

ونتيجة للمناخ العام الذى ساد القارة فى اعقاب سلسلة الانقلابات العسكرية فى غرب القارة ووسطها . والعدوان الاسرائيلى على مصر عام ١٩٦٧ ، اى نتيجة لمناخ «الهجوم الاستعمارى» ضد حركة التحرر الوطنى الافريقية ، تعثرت حركة الكفاح المسلح فى روديسيا بعد فترة قصيرة من قيامها ، بالاضافة الى المشاكل الخاصة التى تنشأ نتيجة لاختلاف حسابات هذه الحركة من جهة وحسابات زامبيا المستقلة من جهة اخرى . ناهيك عن الاختلافات فى بعض وجهات نظر الحزبين كانعكاس لاختلاف مدى تطور احدهما ـ فكريا وسياسيا ـ عن الاخر .

الا أن الحزبين اعادا فى عام ١٩٧٢ تنظيم صفوفهما وشكلا « الجيش الثورى لتحرير زيمبابوى » الذى مارس عملياته بالفعل حيث كان من ردود فعلها الاولى ، الاشتباكات التى وقعت بين قوات روديسيا العسكرية وقوات زامبيا على الحدود بين البلدين . وترتب على ذلك ان اغلقت سلطات روديسيا حدودها مع زامبيا ، مما شكل عنصر ضغط اقتصادى كبير على زامبيا التى لاتصرف منتجاتها او تستورد احتياجاتها الا من خلال اراضى روديسيا حيث ان ذلك هو منفذها التقليدى الى البحر .

وتشكل هذه القضية ، « مخنقا » مخيفا لحركة الكفاح المسلح فى روديسيا ، الى ان تتمكن زامبيا من استكمال بناء الخط الحديدى مع تنزانيا .

على أن تجربة مشاركة قوات حزبى زابو والمؤتمر الوطنى ، حركة كفاح مسلح واحدة ، تمثل واحدة من اهم التجارب فى تاريخ افريقيا . ولا شك انها تعد التجسيد العملى لشعار وحدة نضال القارة فى أرقى وأنضج ماتكون صور هذا الشعار .

والواقع ان هذه التجربة ، تطرح على المهتمين بالشئون الافريقية سؤالا له مايبرره : الى أى حد يمكن أن تنجح قوات من قومية ما فى المساهمة مع قوات من قومية اخرى فى تحرير بلاد هذه الاخيرة ؟ وينبغى أن يكون فى اعتبارنا هنا أن عناصر وقوات المؤتمر الوطنى ، تعد مركز الثقل الاساسى .

لاشك ان اى تقييم سيظل ناقصا مالم نعط التجربة حقها من الوقت . لكنها على اى حال جديرة بالاهتمام الواسع . على انه لا خلاف حول حقيقة أن مدى نضج الحزبين السياسى والتنظيمى ، يلعب دورا هاما فى التأثير على نجاح أو عدم نجاح تلك التجربة المثيرة .

آســــيا

أخصب تجارب النضال المسلح ضد القوى الخارجية

سمير كرم

مع امتداد حرب التحرير الوطنى الفيتنامية لاكثر من ربع قرن ضد ثلاث قوى استعمارية ضخمة ، هى على التوالى ـ فرنسا واليابان والولايات المتحدة ـ تركز انتباه العالم على نضال الشعب الفيتنامى الى حد جعل الكثيرين يعتقدون ان النضال المسلح فى فيتنام هو كل نضال آسيا، بل ان الاعتقاد بلغ بالبعض الى حد تصور ان جنوب شرق آسيا هو فيتنام ، وان فيتنام هى جنوب شرق آسيا .

ولقد ساعدت الدعايات الامبريالية ـ وخاصة فى مقاومة الشعب الفيتنامى لحرب العدوان الامريكية ـ على تعميق هذا الخلط عن طريق توجيه الاتهامات الى جمهورية فيتنام الديمقراطية بأنها تمارس حروب التدخل بقواتها المسلحة النظامية فى البلاد المحيطة : لاوس وكمبوديا وتايلاند . وكان الهدف من هذه الدعاية ـ ولا يزال ـ انكار وجود حركات النضال التحررى المسلح فى بلاد شرق آسيا وتصويرها على أنها مجرد عمليات يقوم بها جيش فيتنام الديمقراطية «لمد النفوذ» او «لنشر الشيوعية» فى المنطقة .

والان وقد انتهت تلك المرحلة الطويلة من نضال شعب فيتنام بانتصاره العظيم على حرب التدخل والعدوان الامريكية وتوقيع اتفاق « انهاء الحرب واستعادة السلام » فى فيتنام ، **فان الواقعين فى خطأ الخلط بين فيتنام وجنوب شرق آسيا ربما يتصورون أن الستار قد أسدل كلية على النضال المسلح فى آسيا برمتها . وأن الانسحاب العسكرى الامريكى من فيتنام ، وهو أكبر كسب حققه اتفاق السلام الذى وقع يوم ٢٧ يناير الماضى ، يعنى أن مبررات حركات الوطنية التحررية المسلحة فى اسيا لم تعد قائمة .**

وهذا التصور أبعد ما يكون عن الحقيقة ، فالواقع أنه ليس النضال المسلح مستمرا فى كمبوديا ولاوس المتاخمتين لفيتنام فحسب ، بل ان النضال المسلح مستمر فى تايلاند وفى ماليزيا وفى الفيلبين وبورما . وهو اذا كان لم يكتسب حجم النضال المسلح فى فيتنام طوال السنوات الماضية فان لذلك ظروفه الموضوعية التى تحكمه وتحدده .

ومن الناحية التاريخية فان النضال التحررى المسلح فى آسيا قد بدأ فى نفس الوقت الذى بدأ فيه فى فيتنام ، أعد فى أعقاب نهاية الحرب العالمية النازية حيث كان تطور الاوضاع الدولية قد هيأ ظروفا ملائمة لانتصار القوى التحررية والاستقلالية ، ووجدت حركات التحرر الوطنى سندا قويا فى الدول الاشتراكية التى برزت قوتها فى النضال ضد النازية باعتبارها أخطر أشكال الامبريالية والعنصرية عداء للشعوب .

الاستراتيجية الامريكية

ولكنه نتيجة للوضع الذى نشأ عن حصول عديد من الدول الاسيوية على استقلالها عن الدول الاستعمارية القديمة ـ وخاصة استقلال شعوب الهند الصينية الثلاث (فيتنام ولاوس وكمبوديا) عن فرنسا واستقلال الملايو وبورما عن الاستعمار البريطانى ـ بدأت القوة الامبريالية الجديدة

المتمثلة فى الولايات المتحدة تتحرك لتحقيق ما وصفه الرئيس الامريكى الاسبق هارى ترومان عام ١٩٤٧ بملء الفراغ الذى خلفه انسحاب المستعمرين الاوروبيين من مستعمراتهم السابقة فى آسيا • وكان مبرر هذا التحرك الامريكى فى اطار **الاستراتيجية الامريكية الجديدة فى آسيا** فى ذلك الوقت ، هو « احتواء ، الخطر الشيوعى فى القارة الاسيوية • وقد لازم هذا المبرر السياسة الخارجية الامريكية تجاه آسيا وغيرها من مناطق العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الان •

ولتحقيق هذه الاستراتيجية أقامت الولايات المتحدة **سلسلة من القواعد العسكرية والجوية والبحرية** تمتد من استراليا وأندونيسيا جنوبا الى الفيليبين وتايوان (فورموزا) فى وسط شرق آسيا حتى اليابان فى شمال القارة . ولم يمض وقت طويل على هذا الانتشار العسكرى الامريكى فى آسيا حتى أتت أول نتيجة للاستراتيجية الامريكية فى المنطقة ، وهى الحرب الكورية التى بدأتها الولايات المتحدة فى ٢٧ يونيو عام ١٩٥٠ عندما أصدر الرئيس الامريكى ترومان أوامره للقوات الامريكية بتأييد قوات حكومة كوريا الجنوبية الموالية لواشنطن **فى غزو أراضى جمهورية كوريا الديمقراطية** التى لم يكن قد مضى على اعلان قيامها الا أقل من عامين •

وفى نفس الوقت الذى كانت الولايات المتحدة تشن حربها العدوانية الاولى فى آسيا ضد الشعب الكورى ـ وأفلحت فى أن تشنها تحت علم الامم المتحدة فى ذلك الوقت ـ كانت الولايات المتحدة تقف بكل قوتها وامكانياتها وراء الجمهورية الفرنسية الرابعة فى مقاومة حرب التحرير الوطنى المسلحة فى الهند الصينية التى كانت تقودها جبهة « الفيت منه » •

ومن الامور الجديرة بالاهتمام هنا **أن هزيمة الولايات المتحدة فى كوريا قد سبقت مباشرة هزيمة فرنسا فى الهند الصينية** • فعندما وقعت اتفاقية الهدنة الكورية فى ٢٧ يوليو عام ١٩٥٣ كانت القوات الامريكية قد فشلت فى أن تنفذ خطة الغزو ضد الشمال الكورى ، بل كانت الولايات المتحدة قد تكبدت خسارة بشرية بلغت ٣٩٨ ألف جندى بين قتيل وجريح وأسير •

وبعد أقل من عام ـ وكانت الولايات المتحدة قد قدمت مساعدات عسكرية واقتصادية لفرنسا قيمتها ١٥٣٥ مليون دولار ـ لقيت فرنسا هزيمتها الكاملة ـ فى معركة ديان بيان فو فى ٧ مايو ١٩٥٤ ، ولم تجد مخرجا الا الانسحاب من الهند الصينية • ولكن الولايات المتحدة لم تسلم بهذه النتيجة ، بل أكدت المعلومات التاريخية بعد ذلك أنها كانت ترقب مصير فرنسا فى الهند الصينية فى انتظار ان ترث دورها فيها . اذ يقول تقرير مؤرخ فى ٥ أبريل ١٩٥٤ وضعته « اللجنة الخاصة بالتهديد الشيوعى » أنه يتعين على الحكومة الامريكية أنه يتعين تأمين الانتصار على « الشيوعيين » بمشاركة الحلفاء الغربيين أو بدونهم . ويقول التقرير أنه « لتحقيق هذا الغرض لابد من الحفاظ على مركز الغرب فى الهند الصينية ، بل وتحسينه عن طريق تحقيق انتصار عسكرى • ثم أوصى التقرير الحكومة الامريكية بأن « تعزز باقى مناطق جنوب شرق آسيا ، بما فى ذلك اراضى الملايو وبورما وتايلاند واندونيسيا والفيليبين » (١) •

وكانت وسيلة الاستراتيجيين العسكريين الامريكيين الى تحقيق عملية « تعزيز » مناطق جنوب شرق آسيا وفقا لما أوصى به هذا التقرير اقامة عدد من **الاحلاف العسكرية** فى المنطقة وربط معظم دولها بمعاهدات ثنائية للامين المتبادل مع الولايات المتحدة . مما جعل للانتشار العسكرى الامريكى فى صورة قواعد وقوات صورة أكثر ثباتا وأضخم حجما •

وبطبيعة الحال فانه **حيث هناك وجود للاستعمار تنشأ حركة للتحرير الوطنى ، وحيث يكون وجود للسيطرة العسكرية الاجنبية يكون نضال مسلح شعبى ضد** هذا الوجود • وتنطبق هذه القاعدة على كل جزء من آسيا يوجد فيه وجود للسيطرة الاستعمارية أو توجد فيه قواعد وقوات مسلحة أجنبية •

لاوس

تشغل لاوس مساحة ٢٣٧كيلو مترمربع ،وتمتد حدودها على مدى ألف كيلو متر فيما يكون شريطا ضيقا فى وسط الهند الصينية بحزاء نهر الميكونج الذى يخترق مجراه كل دول المنطقة . وتشترك لاوس فى الحدود مع الصين شمالا وفيتنام الديمقراطية فى الشرق ، وفيتنام الجنوبية فى الشمال الشرقى وكمبوديا فى الجنوب ومع بورما فى الشمال الغربى ، وتايلاند فى الغرب . ويبلغ تعداد سكان لاوس أكثر قليلا من ثلاثة ملايين نسمة •

ولقد كانت كتابات الاستعماريين الغربيين تصور مواطن لاوس دائما بأنه « هادىء ، خجول ، ضعيف العقل ، يحافظ على الطاعة بصورة لا تسمح له بالثورة حتى على أسوأ أنواع

(١) وثائق البنتاجون (وزارة الدفاع الامريكية) نيويورك تايمز ١٩٧١.

المعاملة ، ومع ذلك فان شعب لاوس قد أذهل حتى أشد أعدائه ــ وخاصة الامريكيين ــ بمقدرته على القتال ومقاومة الاعتداءات العسكرية التى تعرض لها على أرض وطنه والتى استخدمت فيها أحدث أسلحة الدمار ، وأقواها السلاح الجوى الامريكى ٠

ولا يتسع المجال لسرد الخلفية التاريخية للنضال المسلح لشعب لاوس . ولكن هذا النضال المسلح فى صورته الحالية ضد الوجود العسكرى الامريكى فى البلاد وهيمنته السياسية على الحكومة الملكية فى العاصمة «فينتيان» يرجع الى عام ١٩٦٤ ٠ فكما نقضت الولايات المتحدة اتفاقات جنيف لعام ١٩٥٤ الخاصة بفيتنام ، فانها نقضت اتفاقيات جنيف لعام ١٩٦٣ والخاصة بلاوس ، والتى كانت تقضى بتكوين حكومة وحدة وطنية فى لاوس والحصول على اعتراف دولى بحيادها ٠

ومنذ صيف عام ١٩٦٤ للان ــ وبصورة لا تنقطع تقريبا،وحتى بعد توقيع اتفاق «انهاء الحرب واستعادة السلام » فى فيتنام ــ فان الطائرات الامريكية التى تنطلق من سفن الاسطول السابع الامريكى ومن القواعد الجوية فى تايلاند تشن غارات بالغة الكثافة يوميا على « المناطق المحررة » التى يسيطر عليها ثوار « **لاوهاكسات** » أى « **جبهة لاوس الوطنية** » . وتشكل هذه المناطق المحررة ثلثى مساحة الاراضى التى تتكون منها لاوس ، ويعيش فيها أكثر من نصف السكان ٠ وكان يلاحظ دائما أنه فى الفترات التى تتوقف فيها الغارات الامريكية على جمهورية فيتنام الديمقراطية فانها تزداد كثافة على لاوس حيث تتوفر للسلاح الجوى الامريكى السابع الطائرات اللازمة للتركيز على مناطق الثوار فى لاوس ٠

وكانت أعنف فترات الغارات الامريكية على أراضى لاوس خلال النصف الاول من عام ١٩٧٠ حيث كانت القاذفات الامريكية تشن ما بين ٥٠٠ ، ٧٠٠ غارة يوميا على المناطق الواقعة تحت سيطرة جبهة لاوس الوطنية ٠ وخلال الفترة من شهر مايو عام ١٩٦٤ الى أغسطس ١٩٧١ ألقى السلاح الجوى الامريكى على تلك المناطق اكثر من ٣ ملايين طن من القنابل ، ودمر عدة مئات من المدن والقرى وخاصة باستخدام قنابل النابالم . حتى أن مدينة شيبون فى وسط لاوس قد أزيلت تماما من على وجه الارض خلال تلك الغارات ٠

ولم يقتصر دور أمريكا فى هذه الحرب العدوانية على استخدام السلاح الجوى ، وانما جندت الولايات المتحدة جيشا عميلا لها من ٧٠ ألف رجل ، بالاضافة الى جيش قبائل « الميو » الذى كونته بقيادة جاويش منحته لقب «جنرال» اسمه فان باو واطلقت على جيشه اسم « **الجيش الخاص** » ٠ وجندت لهذين الجيشين العميلين لها ١٢ ألفا من العسكريين الامريكيين الذين يتولون القيادة الحقيقية للعمليات تحت صفة « مستشارين » ٠ وبالاضافة الى كل هذا فانه توجد قوة كبيرة من قوات تايلاند داخل لاوس تعمل ايضا تحت قيادة « المستشارين » الامريكيين ويقدر عددها بنحو ١٥ ألف جندى ٠

وقد حاولت الولايات المتحدة مرات عديدة الا تكتفى بشن الهجمات الجوية المتواصلة على « المناطق المحررة » التى تقوم فيها سلطة «جبهة لاوس الوطنية » فقامت بشن حملات « **الحرب الخاصة**» على هذه المناطق بقوات ضخمة ، وكان التركيز فى معظم هذه الحملات على منطقة « **سهل الجرار** » الاستراتيجية ٠ وكان من أشهر تلك الحملات ما اطلق عليه اسم عملية «ساماخى» ، (أى الوحدة) وقد انتهت بالفشل الذريع ــ رغم الدعم الجوى الامريكى ــ فى مايو عام ١٩٦٩ . واعقبتها حملة اخرى ، اطلقوا عليها اسم « كوكبيت» (أى الانتقام) استمرت لاكثر من ٦ أشهر من أغسطس ١٩٦٩ الى فبراير ١٩٧٠ ٠ وكانت تلك « أكبر جهد عسكرى لامريكا فى لاوس » واشتركت فيها ٥٠ كتيبة من قوات حكومة لاوس العميلة و ٥٠٠٠ من المرتزقة التايلانديين . وكانت الاستراتيجية التى أراد « المستشارون » الامريكيون تطبيقها فى هذه الحملة من حملات « الحرب الخاصة » هو « تدمير الارض » حيثما مرت القوات ، أى القضاء على كل ما هو حى فى أية منطقة محررة تتعرض لقوات الحملة . وبلغ عدد الغارات الجوية الامريكية المساعدة لهذه الحملة على « المناطق المحررة » ما بين ١٢٠٠ ، ١٥٠٠ شهريا ، وهو رقم فاق حتى الغارات الجوية على فيتنام الشمالية حتى ذلك الوقت .

وكانت آخر الحملات الامريكية من « الحرب الخاصة » ضد ثوار لاوس عملية الغزو الضخمة التى تولتها أساسا قوات حكومة فيتنام الجنوبية قدر عددها بحوالى ٥٠ ألف جندى يعززهم ٩ آلاف من « المستشارين » ورجال السلاح الجوى الامريكى ٠ وقد أطلقت على تلك العملية اسم « لام سون » (أى وادى النصرى) ٠ ونفذت على مدى شهرين من اواخر شهر يناير الماضى وانتهت مثل كل الحملات السابقة بفشل ذريع ترك آثارا حادة على موقف امريكا فى الهند الصينية كلها حتى فى الوقت الاخير .

ويكون السؤال الطبيعى بعد هذا كيف امكن

للمناطق المحررة فى لاوس تحت قيادة جبهة لاوس الوطنية أن تتصدى لهذه الحرب العنيفة .المستمرة من الجو ولهجمات وغزوات « الحرب الخاصة » مرة بعد أخرى؟

الواقع أنه رغم الدمار البشع الذى تحدثه العمليات الجوية الامريكية وكذلك محاولات الغزو المتلاحقة فان « **السلطة الشعبية** » **الثورية القائمة** فى تلك المناطق تواصل جهودها فى النضال المسلح داخل المناطق المحررة وخارجها فى نفس الوقت الذى لا تنتقطع فيه عمليات دعم تنمية القدرات الانتاجية والاقتصادية ، ودعم وسائل الحياة الديمقراطية فى تلك المناطق ٠

لقد استخدم الشعب كل الوسائل لمقاومة العدوان المستمر عليه ٠ وتعلم السكان من خلال ذلك كيف يحبطون « التفوق التكنولوجى » للقوى المعتدية عليهم. اختبأ السكان فى الجبال والغابات وتعلموا كيف يتحاشون القصف الجوى الوحشى ٠ وتعلموا فى الوقت نفسه ــ جميعا رجالا ونساء من جميع الاعمار ــ كيف يسقطون الطائرات الامريكية بأية أسلحة فى متناولهم ٠ (من حديث للجنرال سينكابو أحد قادة جيش لاوس الشعبى وعضو اللجنة المركزيه للجبهه الوطنية) .

ان النضال المسلح قد فجر لدى شعب لاوس طاقات خلاقة حقيقيه مكنته على مدى السنوات منذ عام ١٩٦٤ من مواصلة حركة التحرر الوطنى بنجاح ٠ وعلى سبيل المثال فان شعب لاوس فى المناطق المحررة قد نجح فى أحلك أوقات القتال فى أن يبتكر طريقة لم يسبق اليها لزراعة « الارز الصيفى » وهو ما لم يكن يحدث قبل ذلك فى تاريخ منطقة جنوب شرق آسيا كلها ٠ وبعد فترة تجارب قصيرة أمكن زراعة الارز الصيفى فى ١٠ من أقاليم لاوس وزادت المساحة المنزرعة والانتاج منها فى موسم ١٩٦٩ــ١٩٧٠ الى أربعة أمثال ما كان عليه فى موسم ١٩٦٨ ٠

وفى الوقت نفسه نمت الصناعات الصغيرة والحرفية لمد السكان بحاجاتهم الاستهلاكية بلا انقطاع فى الوقت الذى تمد فيه جبهة القتال أيضا بكل احتياجاتها ٠

ان قوات جيش التحرير الشعبى بقيادة جبهة لاوس الوطنية وبدعم جماهير الشعب فى قرى لاوس ومدنها الصغيرة قد تمكنت خلال الفترة من مايو عام ١٩٦٤ ــ حينما بدات الغارات الجوية اليومية من السلاح الجوى الامريكى ــ حتى اغسطس عام ١٩٧١ ــ من تحقيق انتصارات رائعة ضد كل أشكال حرب التدخل التى تحاول تقويض سلطة الجبهة على ثلثى اراضى لاوس ٠ خلال تلك الفترة تمكنت قوات التحرير الشعبية من خلال النضال المسلح المتواصل من اسقاط وتدمير ٢٢٢٩ طائرة امريكية ،وقتلت واصابت عشرات الالاف من القوات المعادية ــ الامريكية والفيتنامية الجنوبية والتايلاندية وقوات جيش « الميو » السرى الذى تشرف عليه المخابرات الامريكية فى لاوس ٠

ومن خلال تلك الانتصارات للنضال المسلح لثورة شعب لاوس ، ومن خلال الهزائم المتتالية للقوات المتحالفة ضد هذه الثورة جاءت كل التطورات اللاحقة التى تمثلت فى سعى حكومة سوفانا فوما فى فينتيان الى التفاوض حول « مشروع اللجنة المركزية لجبهة لاوس الوطنية من أجل ايجاد حل سياسى لمشكلة لاوس » .وهو المشروع الذى أصدرته الجبهة فى صورة بيان فى مارس عام ١٩٧٠ وكان ذلك وسط ظروف استمرار الجبهة فى النضال المسلح ووسط انتصارات عسكرية حقيقية لها على أرض المعارك ٠

ولعل القوى العميلة للولايات المتحدة فى لاوس ــ وهى تقدم فى هذه اللحظات على ما امتنعت عن الاقدام عليه طوال السنوات الماضة ، من التفاوض على السلام مع الثوار لم تتعلم لحسب من دروس هزيمتها أمام النضال المسلح للثوار داخل لاوس انما تعلمت من دروس هزيمة الولايات المتحدة أمام النضال المسلح للثوار فى فيتنام الذى انتهى الى تحقيق ذلك الهدف العظيم الذى وصفه جنرال جياب بأنه « خلو فيتنام من أى ظل لجندى أجنبى لأول مرة منذ اكثر من ١٠٠ عام » .

كمبوديا

حتى وقوع الانقلاب اليمينى ضد الامير نوردوم سيهانوك فى ١٨ مارس عام ١٩٧٠ كانت كمبوديا تعيش فى سلام وتقيم علاقات طبيعية وودية مع شعوب منطقة الهند الصينية بفضل انتهاجها سياسة الحياد تجاه الصراعات القائمة فى المنطقة ٠ ولكن حياد كمبوديا لم يكن ملائما للمخططات الامريكية الرامية الى تسوية رقعة الحرب فى الهند الصينية والى توفير مزيد من القواعد لها حول فيتنام ولاوس ٠ كذلك فان الحياد لم يكن يلائم المزاج السياسى للولايات المتحدة لانه لم يمنع كمبوديا من أن تقدم التأييد المعنوى والاعتراف الدبلوماسى بجبهة التحرير الوطنى لفيتنام الجنوبية ٠ فكان الانقلاب الذى دبرته وكالة المخابرات المركزية الامريكية بالتعاون مع عدد من أقرب الشخصيات الى الامير سيهانوك نفسه وعدد

من منافسيه وخصومه الملكيين . واختـارت الولايات المتحدة جنرال لون نول الذى كان رئيسا للوزراء لقيادة الانقلاب ولرئاسة حكومة الانقلاب بعد ذلك ·

ومن المؤكد أنه لم يكن فى تصور الولايات المتحدة ولا فى تصور من دبروا الانقلاب فى غيبة سيهانوك فى باريس فى ذلك الوقت أن الشـعب الكمبودى لن يبتلع النظام الجديد فضلا عن أن يهضمه وهو يحس بأصابع التدخل الامريكى فيه · كما لم يتصوروا أن « الامير » لن يقبل الاستسلام وتسليم الشعب الكمبودى باستقلاله وسيـادته وثرواته وسلامه لقمة سائغة للعسكرية الامريكية تتحكم فيـه وتوجهه معهـا نحو مصالح الحرب العدوانية ضد جيران كمبوديا الذين عاشت معهم فى سلام وشاركتهم النضال ايام حرب الاستقلال ضد الفرنسيين ·

وقد اتضحت أهداف الولايـات المتحدة مـن عمليتها الانقلابية ضد سيهانوك بعد ٤٠ يوما فقط من وقوع الانقلاب · ففى ٣٠ أبريل عام ١٩٧٠ **شنت الولايات المتحدة حملة غزو ضخمة فى أراضى كمبوديا بتأييد وخضوع كامل من حكومـة الانقلاب. واشتركت فى عملية الغزو قـوات أمريكية ضخمة** من المشاة والمدفعية والمدرعات تعززها الطائرات ، ومن بينها قاذفات القنابل الضخمة طراز ب ـ ٥٢ · وكانت تلك أول مـرة تنتشر فيها الحرب العدوانية الامريكيـة لتشمل الهند الصينية كلها · ولم تجد حكومة نيكسون صعوبة فى تبرير هذه الخطوة الاجرامية بالاعتداء على استقلال وأمن كمبوديا بالادعاء بأن الاراضى الكمبودية تستخدم كقواعد لثوار فيتنام ، ووقتها وعد نيكسون بأن يؤدى « ضرب هذه القواعد » الى انهاء الحرب الفيتنامية سريعا ، وحمـاية ارواح الجنود الامريكيين !

ولكن تجربة الامريكيين وعملائهم فى مواجهة النضال المسلح للشعب الكمبودى لم تكن أكثـر نجاحا من تجربتهم فى لاوس او فى فيتنام . بل ان كمبوديا ـ على غير ما هو منتظر فى تقديـرات الغربيين عن « وداعة » الشعب الكمبودى وتاريخه الطويل من الحياة « المسالمـة » ـ قد برهنت على أنها من أصلب نماذج النضـال الوطنى المسلح فى جنوب شرق آسيا ·

وتبلغ مساحة كمبوديا ١٨١ الف كيلو متر مربع، وتعداد سكانها حوالى ٧٫٥ مليون نسمة وتربطها حدود مشتركة مع فيتنام الجنوبية مـن الشرق والجنوب ، ومع تايلاند من الغرب والشمال ، ومع لاوس من الشمال · وقد عرفت كمبوديـا طريق النضال المسلح من قبل وخاصة عندما حاولت فرنسا فى أوائل الخمسينات استعـادة حكمهـا الاستعمارى فيها بعد أن كانت قد اعترفت باستقلال كمبوديا . عندئذ قامت حرب التحـرير بقيـادة « حركة الخمير اليسارى » (كلمة خمير هى الاسم الوطنى القديم لكمبوديا ، واسم العنصر الغالب على السكان) · وكانت الحركة تضـم الفـلاحين والحرفيين وبعض فئات الطبقة العاملة فى المدن · وتمكنت الحركة فعلا باستخدام تكتيكات حـــرب العصابات من تحرير عدد من المناطق ، وتحت ضغط الحركة الوطنية بجانبيها ـ النضال المسلح والنشاط السياسى والدبلوماسى ـ اجبرت فرنسا على اعلان الاستقلال الكامل لكمبوديا فى نوفمبر عام ١٩٥٣ · وعندما عقد مؤتمر جنيف الخـاص بالهند الصينية عام ١٩٥٤ تعهدت كمبوديا بعدم الدخول فى أية أحلاف عسكرية وعدم السماح بوجود قواعد عسكرية أجنبية فى أراضيها وانتهاج سياسة خارجية سلمية . وقد حافظت كمبوديا على تعهداتها طوال السنوات منذ توقيع اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ حتى وقوع الانقلاب اليمينى الامريكى ضد الامير سيهانوك .

وقد كانت عملية الغزو الضخمة التى قامت بها القوات الامريكية لاراضى كمبوديا ـ بعد الانقلاب ـ فى ٣٠ أبريل عام ١٩٧٠ تكرارا على نطاق أضيق لعملية انزال القوات الامريكية باعداد هائلة فى فيتنام الجنوبية خلال عام ١٩٦٥ · فقد كان الهدف فى المرتين ، انقاذ حكومة عميلة للعسكرية الامريكية من الانهيار .

والواقع أن العامل الحاسم الذى لـعب الدور الاكبر فى اندلاع النضال المسلح للشعب الكمبودى ضد الغزو الامريكى وضد الحكومة العميلـة هو الموقف الشجاع الذى اتخذه الامير سيهانوك فى بكين · فبعد ٥ ايام فقط مـن الانقـــلاب اعلن تكوين « **جبهة كمبوديا الوطنية المتحدة** » وتكوين **جيش للتحرير الوطنى** ، وكان اول رد فعل لاعلان الامير سيهانوك تصميمه على مواصلة النضال من أجل استقلال وحياد كمبوديا قيام المظاهرات على أوسع نطاق فى أنحاء كمبوديـا ضد الحكومـة الانقلابية · وكانت تلك المظاهرات بداية الاحداث التى أجبرت الولايات المتحدة على التعجيل بحملة غزو كمبوديا فى آخر أبريل من العام نفسـه ·

وقد بدأت الجبهة الوطنية المتحدة بـرئاسـة سيهانوك تجتذب الشخصيات الوطنية واحدا وراء آخر سواء ممن يعيشون داخل البلاد أو خارجها·

وبالمثل فان كثيرا من رجال الجيش المخلصين لكمبوديا المستقلة انتقلوا الى صفوف جيش التحرير ليكون فى صف الشعب . وفى كثير من الحالات كان رجال الجيش ينضمون الى صفوف انصار سيهانوك بأسلحتهم وذخائرهم • وبدأت قواعد المقاومة المسلحة تبرز فى كل مكان من ريف كمبوديا ومعها أخذت تتكون اجهزة السلطة الشعبية على مستويات مختلفة • ثم اخذت تجرى الانتخابات فى المناطق التى تقوم فيها سيطرة جيش التحرير والجبهة الوطنية المتحدة لاختيار المسئولين عن اجهزة السلطة الثورية •

وكان أنصار حركة النضال المسلح ضد الامريكيين وضد حكومة لون نول يتخذون من المعابد البوذية المنتشرة فى كمبوديا مقارا لاجتماعاتهم وللانتخابات التى كانوا يجرونها لاختيار قياداتهم بطريقة ديمقراطية . ومن خلال تلك الممارسة الشعبية للنضال تكونت وحدات جيش التحرير ونمت • ومن خلالها أيضا بدأت المرأة الكمبودية تجد - لاول مرة فى تاريخها - طريق المشاركة فى العمل الوطنى • وانتخبت بالفعل لعضوية اللجان الادارية المحلية •

وكانت أولى مهام السلطة الشعبية العمل على **توفير الحماية لسكان القرى من الغارات الوحشية الجوية والغزوات البرية التى تشنها القوات** الامريكية اذ تولت حكومة فيتنام الجنوبية بمشاركة قوات الانقلاب العميلة فى بنوم بن • وبالفعل أخذ الفلاحون يحصنون قراهم • وأصبح شعار « كواى أ كان » (ومعناها حاربوا الامريكيين) شعارا وطنيا يتردد فى كل مكان من ريف كمبوديا • واصبحت طوابير من مئات الشباب والشابات تشاهد فى انتظار تسجيل أسمائها للانضمام لجيش التحرير وللحصول على السلاح • واقيمت فى الوقت نفسه مراكز للتدريب على استخدام السلاح ، ومراكز لتدريب الفتيات على أعمال الاسعافات الاولية والتمريض .

وبسرعة مذهلة تحول الحماس الوطنى للعمل السياسى ، وللنضال الى حركة نضال مسلح ناضجة تنفجر بالطاقة فى كل مكان ، حتى انه فى نهاية مايو ١٩٧٠ - أى بعد شهرين ونصف فقط من الانقلاب ، وبعد شهر واحد من بداية الغزو الامريكى كان جيش التحرير الوطنى من انصار **الجبهة الوطنية** المتحدة بزعامة سيهانوك قد تمكن من تحرير ٣ عواصم اقليمية و ٥٣ مركزا اقليميا **ومئات من القرى تحريرا تاما من سلطات الحكومة الانقلابية ، واصبحت هناك منطقة محررة عريضة تمتد على ٥ اقاليم كاملة •**

وبينما كان الرئيس الامريكى نيكسون ووزير دفاع وجنرالات الجيش الامريكى فى فيتنام الجنوبية يعدون باعلان نتائج وأرقام «أنجح العمليات الامريكية فى تاريخ حرب الهند الصينية الطويلة» فان الحركة السريعة للنضال المسلح للشعب الكمبودى قد قلبت حساباتهم رأسا على عقب بفضل تكتيكاتها المدنية السريعة ضد قوات الغزو الامريكية على حين كانت قوات حكومة لون نول - على حد تعبير مراسل صحفى غربى - « تفضل الهرب مثل الدجاج » •

وفى آخر يونيو - قبيل انسحاب قوات الغزو الامريكية من أراضى كمبوديا - أصدرت وزارة الدفاع فى حكومة الوحدة الوطنية الكمبودية بيانا أعلنت فيه « ان قوات التحرير المسلحة تمكنت من قتل واصابة وأسر ٢٥ ألفا من قوات حكومة بنوم بن » وأعجزت ٢٠ ألفا آخرين فضلا عن ٢٠٠٠ ألفا من القوات الامريكية والفيتنامية الجنوبية • وخسر العدو ٣٠٠ طائرة و ١٤٠٠ عربة مدرعة و ١٥٠ مدفعا و ١٥ زورقا حربيا وآلاف من قطع السلاح وأطنان الاغذية •

وبعد انسحاب القوات الامريكية فى آخر يونيو لم تخفف قوات جيش التحرير من هجماتها بل على العكس كثفت عملياتها ومدت نطاقها ، وساعدها على ذلك كسبها تأييد الشعب الكمبودى المتزايد لادراكه أن النضال المسلح للجبهة الوطنية هو من اجل تحقيق مصالحه وأن هذا النضال لا يتم منفصلا عنه بأى حال من الاحوال . ويقول سارين تشاك وزير الخارجية فى حكومة الجبهة الوطنية المتحدة برئاسة الامير سيهانوك « **ان نضالنا يقوم كلية على الشعب • واذا كنا نحقق انتصارات فذلك لان الشعب يشارك فى القتال ، أننا نستطيع ان نشن الهجمات على مواقع العدو بالقرب من العاصمة • وبدون مشاركة الشعب لم تكن مثل هذه الهجمات ممكنة . وباختصار ، فان نضال الجبهة هو نضال الشعب نفسه» •**

والان فان **الجبهة - باعتراف الامريكيين وباعتراف رجال حكومة الانقلاب فى بنوم بن نفسها - تسيطر على ٨٥ فى المائة من أراضى كمبوديا حتى أنه لا يكاد يكون تحت سيطرة حكومة لون نول سوى العاصمة وعدد ضئيل جدا من المدن ويعيش فى المناطق المحررة نحو ثلثى سكان كمبوديا** • ولهذا فان برنامج الجبهة ينفذ على جميع المستويات فى مناطقها تعزيزا للديمقراطية ولمشاركة الشعب فى النضال المسلح . ومع هذا الاتساع فانه قد أصبح للجبهة جيش وطنى نظامى الى جانب جيش التحرير الذى يعتمد على أساليب

حرب العصابات . ثم تشكيلات الميليشيا . ومهمة وحدات الميليشيا أساسا هى الدفاع عن مصالح السكان المحليين وخاصة فى القرى .

وفى الوقت نفسه فان أزمة حكومة بنوم بن الانقلابية تزداد شدة وتعقيدا وتتفاقم التناقضات فى صفوفها ، وخاصة بين أفراد الجيش الذين انتشر الاستياء بينهم بسبب سيطرة النفوذ الاجنبى الامريكى وبسبب وجود قوات حكومة سايجون وأعمال السلب والنهب التى ترتكبها ضد المواطنين حيثما وجدت .

ولعل أبلغ تعبير عن اشتداد أزمة حكومة لون نول الانقلابية فى مواجهة النضال المسلح للجبهة الوطنية المتحدة بزعامة سيهانوك أن **صحافة الولايات المتحدة ودوائر عديدة فيها أصبحت تردد الحديث عن تلك الحكومة باعتبارها « حصانا خاسرا » وأنه من الاوفق أن تسحب الولايات المتحدة تأييدها لها على أساس أن وجود الامير سيهانوك فى الحكم قد أصبح أمرا لا مفر من قبوله .**

وبطبيعة الحال فان اقدام الولايات المتحدة - بحربها الخاصة فى لاوس وبحملة الغزو العسكرى ضد كمبوديا - على توسيع نطاق حربها العدوانية لتشمل الهند الصينية كلها قد زاد من أدراك شعوب المنطقة لوحدة النضال بينها ، ودعم الحاجة الى تنسيق نشاط النضال المسلح بالدرجة فيما بينها . ولهذا كان انعقاد مؤتمر القمة لشعوب الهند الصينية فى يومى ٢٤ و ٢٥ أبريل عام ١٩٧٠ والقرارات التى أسفر عنها نتاجا لتزايد هذا الادراك وبداية تاريخية لتنسيق النضال بين الشعوب الثلاثة . ولقد كان أهم ما جاء فى البيان المشترك الصادر عنه ما أعلنه الزعماء الاربعة المشتركون (نوردوم سيهانوك عن كمبوديا وفام فان دون عن فيتنام الديمقراطية وسوفانوفونج عن لاوس وهيوتو عن جبهة التحرير الوطنى لفيتنام الجنوبية) :

« انطلاقا من المبدأ القائل أن تحرير كل بلد والدفاع عنها هو من شأن شعبها فان الاطراف المشتركة تتعهد بأن تبذل كل ما بوسعها ليقدم كل منها للاخر الدعم المتبادل طبقا لرغبة الطرف المعنى، وعلى أساس الاحترام المتبادل » .

تايلاند

اذا كان البنتاجون (وزارة الدفاع الامريكية) قد قرر أخيرا (فى ١٣ فبراير الماضى) **نقل مقر قيادة السلاح الجوى الامركى السابع من فيتنام** الجنوبية الى تايلاند ، فان هذا يؤكد الكثير عن الدور الذى تلعبه تايلاند فى الاستراتيجية العسكرية الامريكية بالنسبة لمنطقة جنوب شرق آسيا . وقد لعبت تايلاند طوال السنوات العشر الماضية دورا هائلا فى مساعدة حرب العدوان الامريكية فى كل الهند الصينية . ولهذا سيطرت على حكومتها وعلى سياستها دائما توجيهات الحكومة الامريكية والجنرالات الامريكيين . واستطاعت الولايات المتحدة ان تحول تايلاند اقتصاديا وسياسيا الى قاعدة امريكية . ومن الحقائق المعروفة جيدا أن قاذفات القنابل الامريكية التى كانت تغير على فيتنام - الشمال والجنوب - والتى لا تزال تغير على لاوس وعلى أجزاء من كمبوديا تنطلق أساسا **من القواعد الجوية الامريكية المنتشرة فى تايلاند** وأهمها قواعد ناخون فانوم (التى انتقل اليها اخيرا مقر قيادة السلاح الجوى الامريكى السابع) وأودون تافى ، وأوبون ، وتاك، وأوتاباو .

وقد ارتفع عدد القوات الامريكية فى تايلاند خلال العام الماضى من ٣٢ ألفا الى ٤٩ ألفا . وقفز عدد الطائرات الحربية الامريكية التى تحتفظ بها الولايات المتحدة فى قواعدها فى أراضى تايلاند خلال العام الماضى أيضا من ٤٥٠ الى ٧٥٠ طائرة . ولا توجد قواعد لقاذفات القنابل الامريكية الضخمة طراز ب - ٥٢ ذات المحركات الثمانية فى أى منطقة من جنوب شرق آسيا الا فى تايلاند .

ولقد عبر دبلوماسى امريكى (نيوزويك فى يوليو ١٩٧٢) عن حقيقة اهتمام الولايات المتحدة بالسيطرة على تايلاند عسكريا بقوله : « **ان من الحيوى لنا بصورة مطلقة أن نحتفظ بها . فما كان بمكننا أن نحتفظ بلاوس عائمة لمدة دقيقة واحدة دون استخدام تايلاند** » .؟

وعبر الدبلوماسى الامريكى نفسه عن حقيقة موقف حكومة تايلاند من الصراعات فى الهند الصينية بقوله انها « ابتهجت لعمليات غزو كمبوديا ولاوس (التى جرت محاولاتها خلال العامين الماضيين) . وكانت مستعدة لاقصى حد لمساعدتنا بقواعدها وابتهجت ايضا بعملية بث الالغام فى موانى فيتنام الشمالية » .

ان تايلاند تقع فى قلب الهند الصينية تماما وفى الوقت نفسه فى الجزء الشمالى من شبه جزيرة الملايو ، وهى تتاخم حدود لاوس من الشمال وكمبوديا من الشرق وبورما من الغرب والشمال الغربى وماليزيا من الجنوب . وتبلغ مساحة تايلاند ٥١٤ الف كيلومتر مربع ويصل تعداد

سكانها الى نحو ٣٥ مليون نسمة · ومثلها مثل باقى بلاد جنوب شرق آسيا فان اغلبية سكانها من الفلاحين · فان أقل من ربع السكان يعيشون فى المدن · ويقوم فى تايلاند نظام لا يختلف فى شىء عن النظام الذى يقوم فى فيتنام الجنوبية بدعم من الولايات المتحدة بدأ فى صورة « مساعدات » عسكرية واقتصادية منذ عام ١٩٥٠ · ويقوم هذا النظام على سلطة مشتركة من الدكتاتورية العسكرية والمدنية .

ورغم السيطرة العسكرية الامريكية والداخلية فى تايلاند ، ورغم حالة الرواج الاقتصادى التى انعشت الطبقة البورجوازية التايلاندية كثيرا واوهمت بوجود ازدهار اقتصادى فى البلاد نتيجة لنفقات القوات الامريكية فيها بالنسبة لعملياتها فى انحاء الهند الصينية فان ذلك لم يحل دون تفجر المقاومة المسلحة ضد الوجود العسكرى الاجنبى وضد الحكومة العميلة له · بل ان هذه الظروف نفسها ـ وتحويل تايلاند الى قاعدة عدوانية للعسكرية الامريكية على الهند الصينية ـ هى التى انبتت بذور النضال المسلح الوطنى فى تايلاند برغم كل أشكال القمع الداخلية ·

وتبدأ قصة النضال المسلح فى تايلاند فى أول نوفمبر عام ١٩٦٤ باعلان قيام « حركة استقلال تايلاند »· وبعد شهرين اثنين اى فى اول يناير عام ١٩٦٥ قامت « **الجبهة الوطنية** » **التايلاندية** ، ولم يمض العام نفسه الا وكانت « الحركة » تعلن انضمامها الى الجبهة فى نوفمبر من عام ١٩٦٥ · وكانت قوات « الجبهة » قد خاضت اول معركة لها فى ٧ اغسطس عام ١٩٦٥ فى منطقة ناكسى فى الشمال الشرقى من اقليم ناخوم باثوم ·

وقد اتسعت حركة قوات جيش الشعب التايلاندى باطراد حتى اصبح نشاطها يشمل ـ حسب تقديرات حكومة تايلاند نفسها ـ ٣١ **اقليما من اقاليم تايلاند ومجموعها ٧١ اقليما** · وعلى الرغم من أن عدد قوات جيش الشعب التايلاندى يقدر بخمسة الاف رجل فقط (وهو رقم لا يمكن التحقق من صحته على وجه الدقة) فقد فشلت كل محاولات القضاء عليهم التى بذلتها حكومة تايلاند على مدى السنوات الماضية بمساعدة القوات الامريكية والسلاح الجوى الامريكى وايضا بمساعدة سلطات ماليزيا التى تخشى من قيام تنسيق فى مناطق حدودها بين الثوار على جانبى البلدين ·

وقد وضعت الولايات المتحدة استراتيجية لمواجهة ثوار تايلاند اطلقت عليها اسم « **الاحاطة والابادة** » وزودت قوات تايلاند بغرض تنفيذ هذه الاستراتيجية بكميات هائلة من الاسلحة والاجهزة الالكترونية · ومع ذلك فان هذه الخطة لم تفلح على الاطلاق فى القضاء على القوات الشعبية المسلحة التى تقوم بالنضال فى قرى تايلاند ضد سلطة الحكومة الموالية للولايات المتحدة وايضا ضد القواعد العسكرية الامريكية فى أراضى تايلاند ·

وتعترف المصادر الحكومية والامريكية وكذلك صحف الغرب بأن وجود « القوات الثورية » فى اقاليم شمال وشمال شرق تايلاند اصبح امرا واقعا، وأنه لا أحد يعرف مدى نمو القوات المسلحة الشعبية على وجه الدقة . **لان هذه القوات تمتزج امتزاجا كاملا بسكان القرى وتكسب ثقتهم**،وتترك فيهم انطباعا جيدا يجعلهم يتعاونون معا وينضمون الى صفوفها · وبالفعل فان القوات الشعبية المسلحة قد زادت من نشاطها فى السنوات الاخيرة ومدت نطاق هذا النشاط لتسحق حملات الاحاطة والابادة » واحدة تلو الاخرى ، وتؤكد بيانات « **صوت الشعب التايلاندى** » (وهى الاذاعة الناطقة باسم حركة الثورة المسلحة فى تايلاند) أنه منذ أول يناير عام ١٩٦٥ لم تكف القوات المسلحة الشعبية عن شن الهجمات ضد قوات الحكومة والقوات الامريكية فى القواعد المنتشرة فى جميع انحاء تايلاند .

وقد كتبت صحيفة« **فاينانشيال تايمز** » البريطانية (التى لا يمكن وصفها بالتعاطف مع ثوار تايلاند أو غيرهم فى أى مكان فى العالم باعتبارها ممثلة دوائر المال والتجارة فى العالم الغربى) أن مجموعات « المتحررين » ـ على حد وصف الصحيفة ـ المؤلفة من ١٠٠ رجل أو أكثر والمزودة بأحدث الاسلحة « **تعيش فى الغابات الجبلية وتنزل الى القرى للاندماج بالسكان المحليين علنا · وتبدى حرصا كاملا على أن تخلق لنفسها صورة مقبولة لدى القرويين مما يجعل لدى هؤلاء أقل ميلا الى التعاون فى حملات الحكومة ضد المتحررين** » · (فاينانشيال تايمز : ١١ يناير ١٩٧٣) ·

ورغم كل ما يقال فى أجهزة الدعاية الحكومية من أن خطر « المتمردين » المسلحين فى تايلاند لا يشكل حتى الان تهديدا خطيرا للحكومة المركزية فى بانجوك ، الا أن التغييرات الاخيرة التى حدثت فى حكومة بانجوك والتى جعلت العسكريين أكثر

سيطرة على الحكم ، تؤكد ازدياد قلق الطبقات الحاكمة - ومعهم الامريكيين - من اتساع نطاق نشاط الثوار المسلحين .

بل أن حكومة بانجوك اصبحت تجد صعوبة شديدة فى مواجهة تأثير برامج راديو « صوت الشعب التايلاندى » المعبر عن جبهة تايلاند الوطنية والذى « **يذيع يوميا ثلاث نشرات اخبارية تتميز بالجدة والسرعة والتحليل والتفوق على اذاعة بانجوك** » وفقا لوصف الصحفيين الغربيين فى تايلاند أنفسهم . ونظرا لان راديو الثوار يسمع بوضوح وباهتمام فى جميع أنحاء تايلاند ، فان الحكومة لجأت - بمساعدة الولايات المتحدة - الى بناء محطة ارسال قوية على بعد ٧٥ ميلا من بانجوك وتكلف بناؤها ٥ر٦ مليون دولار ، لبث برامج اذاعة صوت أمريكا الاستعمارية بلغات بورما وكمبوديا واندونيسيا ولاوس وفيتنام،وباللغة الانجليزية أيضا ، لمجرد التصدى لبرامج راديو « صوت الشعب التايلاندى » .

ولم تعد دوائر حكومة بانجوك نفسها ولا المستشارين العسكريين الامريكيين فيها تخفى اعتقادها بأن **العمليات المسلحة لقوات « المتحررين » يمكن أن تنمو لتتحول تايلاند الى « فيتنام أخرى »** . وقد كان الاعتقاد السائد طوال السنوات الماضية لدى الحاكمين فى بانجوك بأن السلام فى فيتنام قد يجلب الحرب الى تايلاند ، على أساس أن اغلاق جبهة فيتنام يعطى الفرصة للقوى الثورية فى الهند الصينية لان تركز جهودها على تايلاند . وهى فى هذا تغفل ان الثورة موجودة فى الداخل ولا تنتظر أن تأتى من فيتنام أو من كمبوديا . وهو نفس الخطأ الذى وقعت فيه على مدى السنوات الماضية حكومات سايجون المتعاقبة ومعها الحكومات الامريكية المتعاقبة أيضا .

وقد نشرت مجلة « **نيوزويك** » الامريكية منذ فترة ، تقريرا منسوبا الى وكالة المخابرات المركزية الامريكية **يؤكد أن عدد الثوار فى تايلاند قد تضاعف الى أربعة أمثاله خلال عام واحد** ، وأن « **الموقف فى تايلاند الان مماثل للموقف الذى كان قائما فى فيتنام الجنوبية فى آخر أيام نجو دين دييم** » . وكتبت « نيوزويك » مرة اخرى (فى ٣ يوليو ١٩٧٢) تؤكد « **أن المسئولين الامريكيين يحسون بقلق عميق من تطور حملات الثوار » فى تايلاند** ، **ويلاحظون « أن رجال حرب العصابات قد شكلوا حكومات محلية فى ٢٠٠ قرية على الاقل و٦ أقاليم وأن لهم على الاقل قاعدتين خلفيتين لا تكاد تجرؤ قوات الحكومة على اقتحامهما** » .

ونقلت المجلة الامريكية تصريحا لمسئول تايلاندى يقول فيه أنه اذا نمت قوة الثوار بنفس المعدل الذى نمت به خلال السنوات القليلة الاخيرة ، فسوف تشكل تهديدا خطيرا للحكومة .

والامر الذى يريد من قلق الولايات المتحدة أن حكومة تايلاند لم تستطع - برغم ما حصلت عليه من مئات الملايين من الدولارات ، وبرغم مجهود المستشارين الامريكيين طوال اكثر من ١٠ أعوام - أن تواجه « تهديدا صغيرا نسبيا من حرب العصابات » بل أن عددا كبيرا من العسكريين الامريكيين كان لايخفى اعتقاده بأن « كثيرا من العوائق التى عرقلت الولايات المتحدة فى فيتنام موجودة فى تايلاند » .

واذا كان هذا كله يؤكد شيئا ، فانما يؤكد أن الخط الذى تنتهجه حركة النضال المسلح للجبهة الوطنية فى تايلاند طوال السنوات الماضية هو الخط الصحيح . وقد قام هذا الخط على أساس الاندماج مع جماهير الفلاحين والانصهار معها ، وشن حرب العصابات من وسطها واقامة قواعد تعزيز فى المناطق الريفية واحاطة المراكز الحضرية ثم **اقامة السلطة الثورية فى المناطق التى تتحرر بالنضال المسلح . وهو يستهدف فى النهاية تحقيق استقلال حقيقى لتايلاند يخلصها من التبعية للولايات المتحدة، ويخلى تايلاند من القواعد والقوات الامريكية حتى يستطيع شعب تايلاند أن يقيم دولة مستقلة محايدة وديمقراطية** .

وبعد .. فان النضال المسلح لشعوب آسيا ليس يقيم دولة مستقلة محايدة وديمقراطية .

وبعد .. فان النضال المسلح لشعوب آسيا ليس قاصرا بأى حال الان - وبعد اتفاق انهاء الحرب فى فيتنام - على لاوس وكمبوديا وتايلاند ولكن النضال المسلح هو أسلوب النضال الذى تنتهجه شعوب الفيلبين وماليزيا وبورما واندونيسيا أيضا . ولكن النضال المسلح فى الدول الثلاث الاولى موجه بالدرجة الاولى ضد وجود عسكرى خارجى ، بينما هو بالنسبة للدول الاربع الاخيرة موجه ضد قوى داخلية ، أى أنه يستهدف تغييرات سياسية واجتماعية وداخلية بالدرجة الاولى . ولهذا فان له خصائصه المميزة وظروفه الموضوعية الخاصة التى تجعله جديرا بمعالجة منفصلة .

حركة الكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية

بعد « جيفارا »



عادل عبد الفتاح

عانت حركة الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية ، وتعانى من مصاعب عديدة ، خاصة بعد نجاح الثورة الكوبية ، وتبنيها للماركسية ، وبعد استشهاد المناضل الثورى « **تشى جيفارا** » فى بوليفيا سنة ١٩٦٧ .

ويعكس هذا المقال ، صورة الواقع « الخافت » الراهن لحركة الكفاح المسلح فى أمريكا اللاتينية ، ويعرض لعدد من أهم الأسباب التى ادت الى ضعف حركات الكفاح المسلح فى القارة اللاتينية خاصة بعد اختفاء وتلاشى المنظمات الخمسين التى كانت قد تشكلت بعد الثورة الكوبية مباشرة ، لخوض هذا الكفاح على نطاق القارة بأسرها .

التقليد « الميكانيكى »

للنموذج الكوبى

فالحقيقة التى اسفر عنها واقع التطور السياسى فى أمريكا اللاتينية ، **هى أن نجاح الثورة الكوبية قد دفع بغتة بالصراع الطبقى فى أمريكا اللاتينية**

الى مستوى أرفع ، لم تكن **الطبقات المضطهدة ولا طلائعها مستعدة له ، ولذلك جاء انعكاسه لديها متسما بالتسرع والارتجال والافتقار الى النظرة الاستراتيجية** . فنضال المنظمات الثورية الخمسين التى تكونت بعد الثورة الكوبية مباشرة على هامش الاحزاب الشيوعية فى القارة ، اثبت بعد عدة سنوات من العمل الثورى ، **ان البطولة ليست كافية بمفردها** ، وان هذه المنظمات كانت تفتقر الى النضج العقائدى ، والى الحس السياسى بالدرجة الاولى فضلا عن التحرر من التزمت ، والجدية فى الاعداد للكفاح المسلح . كذلك فقد كان أحد المضار الكبرى التى أضيرت منها هذه المنظمات هى أنها حاولت بدرجات متفاوتة ، **تقليد النموذج الكوبى ميكانيكيا** ، والاصح ان يقال أنها عجزت عن ان تصنع فى بلادها كوبا اخرى ، لانهـــا لم تستطع لظروف ذاتية وموضوعية مختلفة ان تحقق الضمانات السياسية والعسكرية التى استطاع كاسترو ان يوفرها للنضال الثورى فى كوبا ، وكانت النتيجة ان تلاشت معظم هذه المنظمات أو تغير تشكيل بعضها .

توفر الظروف الموضوعية

وانعدام الظروف الذاتية

وهكذا نشأ تناقض ملموس فى امريكا اللاتينية بين **توافر الظروف الموضوعية فى جميع الدول تقريبا ، وبين انعدام الظروف الذاتية التى تسمح للطلائع الثورية بأن تستغل الفرصة السانحة التى يقدمها الوضع التاريخى** ، لكننا ينبغى مع ذلك واحقاقا لمزيد من الدقة والموضوعية التحليلية أن نذكر بالنسبة للثورة الكوبية بصفة خاصة ، ان توفر نوعيات ثورية عالية مثل **نوعية كاســـترو و « جيفارا » و « كاميلو »** كان بحد ذاته **ظرفا موضوعيا خاصا** توفر لكوبا وادى الى نجاح ثورتها ، ولم يتوفر معادل موضوعى له ، على نفس المستوى فى بلدان القارة اللاتينية الاخرى التى لم تنجح حركات الكفاح المسلح فيها فى خلق كوبا أخرى .

كذلك ترجع المصاعب التى واجهتهـــا بعض فصائل الحركة الثورية فى تلك القارة الى أن **بعض المنظمات الثورية فيها ، وقع تحت تأثير النفوذ العقائدى للحركة العمالية الاوروبية** الذى يعكس واقعا مغايرا للواقع فى أمريكا اللاتينية .

كما ترجع تلك المصاعب من ناحية اخرى الى أن انتصار الثورة الكوبية ، أفزع البـورجوازية والاوليجاركيات الحاكمة فى أمريكا اللاتينية ودفع مختلف تياراتها الى التطرف ، **والى تعبئة قواها وتوحيدها فى جبهه موحدة ضد الثورة بوتيرة اسرع من الوتيرة التى دفع بها المنظمات الثورية الى توحيد وتعبئة ، وتكتيل قواها ضد الثـورة** المضادة .

واذا كان الاستعمار قد استفاد ــ على المدى القصير ، من ذلك الوضع ، فليس مرد ذلك الى ذكاء الاستعمار المتفوق ، وانما لان الاستعمار فى وضع افضل يسمح له بأن يضع الدروس التى تعلمها من الثورة الكوبية ، موضع التنفيذ العملى الفورى ، **لانه يسيطر على جميع الوسائل المادية للعنف المنظم** ، فضلا عن شراسته العصبية التى تحفزها باستمرار ، غريزة الدفاع عـن النفس وتعزيزاته المذهلة لاجهزة القمع ابتداء من عام ١٩٦٠ .

الاســـتفادة من التغيـرات

فى التيارات التاريخية الثلاث

كذلك يرجع تمكن الاستعمار من الاستفادة من الوضع المذكور فى تلك الفترة الى التغيرات التى طرأت على التيارات التاريخية الثلاث فى القارة اللاتينية (١) . فأول هذه التيارات ، وهم **القادة البورجوازيون للاحزاب الجماهيرية** . فقد التحقوا عدة وعتادا بالمعسكر الاستعمارى . وثانيها وهم **القادة الشيوعيون « لفترة ما قبل الثورة الكوبية »** فقد عجزوا ــ فى رأى دوبريه ــ فى أوج تطور الاحزاب البورجوازية الصغيرة الجماهيرية عن منافستها على السيطرة على الحركة الشعبية ، لافتقارهم الى الوسائل النظرية والعملية ، وهم فى رأيه لا يزالون عاجزين عن ذلك لاسباب شتى . وثالث هذه التيارات هى « **الحركة الكاستروية » الفتية** التى انبثقت بسرعة ، وحاولت بشكل عفوى عقب الثورة الكوبية مباشرة ملء الفراغ الذى أحدثه غياب القيادات الثورية . وهذه الحركة نادرا ما تمكنت من الوقوف على رجليهـــا ، فالعفوية ، واستصغار التدريب والاســـتعداد ، والدراســـة النظرية ، والمشكـــلات التنظيميـــة والثرثرة ، كانت فى الحقيقة بعض أسباب الفشل السريع الذى منيت به الكثير من المنظمات التى

(١) وذلك حسب التحليل الذى قدمه الفيلسوف الفرنسى « **ريجى دوبريه** » فى الفصل بعنوان « قضايا الاستراتيجية الثورية فى امريكا اللاتينية » من كتابه « ثورة فى الثورة » .

تنتمى الى هذه الحركة ، وان كان بعضها قد تعلم من اخفاقاته الاولى ، ويعمل الان لبلوغ مستويات جديدة من العمل ·

الافتقار الى دعم « البورجوازية الصغيرة » العريضة

كذلك لم تتمكن أى مجموعة من المجموعات التى خاضت الكفاح المسلح من أن توفر الضمانات السياسية الخاصة بحصولها على **دعم البورجوازية الصغيرة (الطبقة العريضة) ، وعلى دعم قطاعات من البورجوازية ورجال الدين** · وخاصة لما لهذه الفئات من أهمية وتأثير فعال ، كعامل رئيسى فى نجاح المهمات الثورية ، وهو ما استطاعت الثورة الكوبية أن تنجح فى تحقيقه ·

وثمة حقيقة اخرى ، وهى أنه اذا كان الشباب فى بعض الحركات الثورية المسلحة فى أمريكا اللاتينية ، قد نسقوا أعمالهم مع الاحزاب الشيوعية فى بعض هذه البلاد ، وهى الاحزاب التى كانت قد فكرت منذ وقت طويل بحل القضايا ، وتحقيق الاهداف التى خاض هؤلاء الشباب الكفاح من أجل تحقيقها ، اذا كانوا قد فعلوا ذلك وهو أمر يتسم بايجابيته ، الا أن هؤلاء المناضلين حاولوا **اتباع طريق قصير المدى للتحرر** ، اعتقدوا أنه يتمثل فى الكفاح المسلح على غرار الثورة الكوبية (التى انجزت عملها الثورى المسلح بنجاح فى ٣ سنوات من ١٩٥٦ الى ١٩٥٩) ولكن الظروف الموضوعية الكفيلة بانجاح عمل مسلح قصير المدى على هذا النحو لم تكن متوفرة فى بلادهم ، ولم ينجحوا هم فى توفيرها على أية حال ·

كذلك يرجع الضعف الذى ألم بحركات التحرير المسلحة ، بعد الثورة الكوبية ، وخاصة بعد استشهاد « **شى جيفارا** » الى أن عديدا من هذه الحركات ، حاولت أن تحل محل الاحزاب الشيوعية فى بعض بلدان القارة ، ولكن محاولاتها باءت بالفشل ، بسبب التجارب السطحية لتلك المنظمات اذا ما قورنت بتجارب الاحزاب الشيوعية الطويلة فى البلاد ، وما لها من جذور تاريخية · والحقيقة أن المتخصصين فى شئون الحركة الثورية فى أمريكا اللاتينية يعتقدون أن المقاومة المريرة التى لقيتها هذه المنظمات من النظم الديكتاتورية التى تعمل بتنسيق مع أجهزة القمع والمخابرات الامريكية كانت هى السبب الرئيسى فيما جابهته من صعاب وعوائق ، ولم يكن السبب كما تعتقد هذه المنظمات مجرد قلة عدد الرجال الذين انضموا الى صفوفها وكافحوا تحت لوائها ·

الجيوش اللاتينية قوة قمع داخلى لا لمواجهة العدوان الخارجى

وليس ثمة شك أيضا فى أن أحد الاسباب التى عرقلت وتعرقل النشاط الثورى المسلح فى أمريكا اللاتينية هو تلك السمة الخاصة التى اتسمت وتتسم بها الجيوش هناك · لان هذه الجيوش برزت تاريخيا **كقوة قمع داخلى ، لا كقوة مواجهة لاى عدوان خارجى** ، بحيث أنه بدون قيامها بأعمال القمع والارهاب الداخلى ، فانها سوف تعانى على الدوام من البطالة المزمنة · على أنه اذا كانت هذه الحقيقة تنطبق على الاوضاع قبل الثورة الكوبية كذلك ، الا أن الامر الملموس على نحو واضح بعد ذلك هو أن هذه الجيوش قد تدعمت تدعيما كبيرا ، بجهود متضافرة من الاوليجاركيات الحاكمة والولايات المتحدة الامريكية ، وخاصة بعد نجاح الثورة الكوبية ·

أمريكا تدعم جماعات القمع « الخاصة »

كذلك فقد عمدت الولايات المتحدة الامريكية الى تطوير وتنمية قوى القمع فى أمريكا اللاتينية بعد نجاح هذه الثورة ، وبخاصة فى مجال اعداد جماعات ارهابية فاشية خاصة للقهر مثل « **تونتسى** » و « **ماكوتسى** » فى هاييتى ، و « **اليد البيضاء** » فى جواتيمالا ، و « **فرقة الموت** » فى البرازيل على سبيل المثال لا الحصر ، والتى ترتبط ارتباطا وثيقا بوكالة المخابرات المركزية الامريكية ، فضلا عن آلاف الضباط الشباب من شرطة أمريكا اللاتينية الذين تقوم بتخريجهم « **كلية التدريب ضد النشاط الثورى** » فى بنما ، والافواج من القوات المضادة لحرب العصابات فى كولومبيا ، والمظليين فى اكوادور ، والكوماندوز البيرونيين ، والشرطة الارجنتينيين المجهزين بأسلحة ثقيلة وغيرهم من الوحدات العسكرية التى تقوم بأعمال القمع والارهاب ·

وبعد أن كانت كل هذه القوات فى حالة بدائية قبل انتصار الثورة الكوبية ، أصبحت اليوم على درجة عالية من التدريب والتجهيز · وذلك فضلا عن السيطرة الارهابية للولايات المتحدة التى أصبحت أقوى ما تكون فى حقل الاعلام والتسلل بوجه خاص حيث لم يجرؤ أحد مثلا فى البرازيل على ادانة سيطرة مكتب التحقيقات الفيدرالى الامريكى ، ووكالة المخابرات المركزية الامريكية

على الملفات السرية للبوليس السياسي البرازيلي حتى في أوج حكم يمثل « البورجوازية الوطنية » هناك .

لكل ذلك ازدادت بعد الثورة الكوبية التضحيات بالارواح وطالت آماد الحروب الثورية ، وازدادت تعقيدا وأصبح من الصعوبة بما لا يقاس ، تشكيل جبهة تحرير عريضة حيث يوصم كل عمل مناوىء للاستعمار بتهمة « الكاستروية الشيوعية » فيضطر الى اللجوء الى النضال السرى ، كما ازدادت الان صعوبة بناء الجيوش الشعبية ، لان كل الجيوش النظامية في القارة تتدرب عسكريا ونفسيا منذ سنوات عديدة على خوض حرب العصابات كما تتسلل قوى الشرطة الى المنظمات السرية مكثفة نشاطها التجسسي والقمعي .

المحاولات الامريكية للتنسيق مع البورجوازية الوطنية الصاعدة

وهناك ايضا صعوبة أخرى تنشأ أمام حركات الكفاح المسلح في القارة اللاتينية ، من محاولات الولايات المتحدة دحر هذه الحركات ، **لا باستخدام اليمين التقليدى المفضوح الذى يتراجع باضطراد ، وانما بالتنسيق مع البورجوازيات الوطنية الصاعدة** ، التى ستواصل اتباع الاسلوب الدكتاتورى العسكرى في الحكم ، وتعتمد هذه المحاولات الامريكية على التنسيق مع الجناح العسكرى القومى الذى يضم في صفوفه ضباطا انحدروا من الطبقات الفقيرة وتلقوا تعليمهم وتدريبهم في الاكاديميات العسكرية بالولايات المتحدة ، واكتسبوا أفكارا متشبعة بالمثل الامريكية عن الحياة العصرية والمسئوليات المدنية ، والذين يطالبون بعد رجوعهم الى بلادهم بالبرامج الاصلاحية على المستوى القومى لاكتساب المساندة والتأييد الشعبيين مع العمل على ابعاد السيطرة الامريكية المكشوفة كي يكتسبوا صفات الزعامة القومية ، وهو خط ليس من المؤكد تماما نجاحه على أية حال ، وان كان قد نصح به منذ زمن « **آرثر شليزنجر** » مستشار الرئيس الامريكى السابق « **جون كيندى** » بعد جولة قام بها في أمريكا اللاتينية .

وعلى أية حال ، فان قيام مثل هذه القوى القومية بدور على النحو المذكور سيخلق صعابا جديدة للحركات الثورية المسلحة وغيرها ، لانها سوف تكافح تبعا لهذا الوضع ضد أنظمة حكم ترتدى المسوح الوطنية ، وتعمل بالطرق الاصلاحية لتمييع الاستقطاب السياسي بين الاقلية المالكة ، والاغلبية الشعبية المحرومة ، وتضييع معالم التوزيع الاستراتيجى لقوى الثورة ، وقوى اعدائها بخلق كتلة طبقية وسيطة ، فضلا عن نجاح مثل هذه الانظمة الوسيطة الى حين في جذب قطاعات جماهيرية الى صفوفها مما سيزيد الى حين أيضا من صعوبة العمل الجماهيرى أمام رجل العصابات ، أو مناضل الحزب الثورى في تلك البلدان .

وبعد ، فقد ساهمت هذه العوامل مجتمعة في الوضع « الخافت » الراهن الذى وصلت اليه حركة الكفاح المسلح في أمريكا اللاتينية ، وخاصة بعد استشهاد **شي جيفارا** في بوليفيا سنة ١٩٦٧ . فلنستعرض اذن صورة هذا الواقع الذى آلت اليه حركة الكفاح المسلح في تلك القارة ، بادئين بأقوى المنظمات وأكثرها فعالية .

توباماروس في أوروجواى

ليس ثمة شك في ان **حركة التحرر الوطنى (توباماروس) في أوروجواى قد أثبتت في الفترة الاخيرة أنها أكثر منظمات حرب العصابات** تماسكا وفعالية **في أمريكا اللاتينية** ، **وذلك بعد النجاحات المشهورة التي حققتها** ، فقد أصبح ثوار توباماروس في الحقيقة يشكلون « **دولة داخل الدولة** » بعد أن تبين لجماهير الشعب هناك انهم يوفون دائما بالوعود التى يقطعونها على انفسهم، مثل « **الصيف الساخن** » الذى وعدوا به الحكومة مؤخرا ، **وكلفتها مجابهته ١٠ مليون دولار** . وقد أحيط ثوار توباماروس « بهالة اسطورية » فهم « موجودون في كل مكان ولا يمكن القضاء عليهم » في نظر قطاعات متزايدة من الجماهير ، خاصة بعد أن ضاعفوا ضرباتهم المفاجئة تحديا للحكومة والبوليس طوال سنوات عديدة ، وادهشت فعاليتهم التى تعتبر دليلا على التنظيم المحكم والنظام الحديدى ، القارة بأسرها .

صحيح أن ثوار أوروجواى ، يواجهون أضعف قوى القمع في أمريكا اللاتينية لان القوات المسلحة في أوروجواى لا تزيد عن ١٢,٠٠٠ رجل تسليحهم واعدادهم رديئين ، الا أن هذا لا يكفى وحده لتفسير الاحكام المذهل في العمليات الباهرة المدوية التى يقومون بها ، لان هناك قوى قمع ضعيفة في بعض دول أمريكا اللاتينية وفى عديد من دول العالم الاخرى ، ومع ذلك تبدو الحركة الثورية في هذه الدول ضعفا مشهودا .

وقد استمدت منظمة (توباماروس) اسمها من « **توبوك آمارو** » زعيم الانكا الذى قاد سنة ١٨٧٠ تمردا زراعيا ، طالب فيه باستقلال شعب بيرو ، ولكن المستعمرين الاسبان قبضوا عليه في النهاية ،

وقتلوه ومثلوا بجثته تمثيلا بشعا . وعلى أية حال ، فلا يعرف الكثير من المعلومات عن هذه المنظمة بسبب السرية التى تلتزم بها ، والغموض الذى يحيط بها ، ولكن زعامتها تنسب الى **راؤول سنديك** طالب القانون والعضو السابق فى الحزب الاشتراكى باوروجواى ، الذى ترك حياته كطالب ، ليشارك العمال الزراعيين حياتهم . والذى اصبح بالفعل واحدا منهم . وقد نجح سنديك فى انشاء « **اتحاد عمال قصب السكر فى ارتيجاس** » ، وفى فرض احترام بعض القوانين الاجتماعية ، وبذل جهوده ليلفت الانظار الى الظروف الصحية وظروف السكن الفظيعة ، والظروف غير الانسانية التى تعمل فيها النساء والاطفال ، والبطالة الموسمية التى يعانى منها عمال قصب السكر اغلب العام ، مع التشديد دائما على ابراز تلك الحقيقة الطبقية البالغة الدلالة وهى أن **نصف أوروجواى فى حوزة ٤٠٠ مالك كبير للارض** . ولم يتخذ نضال سنديك فى البداية الشكل المسلح ، اذ نظم فى ١٩٦٢ أول مسيرة لعمال قصب السكر الى العاصمة (٦٠٠ كيلومتر سيرا على الاقدام) ولكنها ووجهت بالرصاص . وكانت النتيجة الوحيدة التى أسفرت عنها هى مجرد تقرير للجنة البرلمانية يشير مجرد اشارة الى أن عمال السكر يعانون من ظروف غير انسانية . ومن هنا ظهرت الحاجة لدى عمال السكر لضمان دفاعهم الخاص . وفى هذا الاطار يمكن القول أن « **توباماروس** » **نشأت بواسطة حركة عمال قصب السكر** (٢) .

وقد قامت توباماروس فى البداية ببضع عمليات بالتعاون مع منظمات مناضلة أخرى شبه راديكالية مثلما حدث فى عملية « **كوماندوز الجوع** » التى استولوا فيها على عربات نقل المواد الغذائية وقاموا بتوزيعها على سكان الاحياء الفقيرة ، الا أن نشأتها كتنظيم مستقل ترجع الى عامى ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ . وقد بدأت فى عام ١٩٦٥ تحرز شهرة واسعة وذلك بالهجوم على محطات الاذاعة والثكنات العسكرية والمؤسسات الامريكية الشمالية ، ومصادرة السلاح والمتفجرات والاموال .

وتقوم استراتيجية توباماروس العسكرية ــ فيما هو معلوم حتى الان ــ على الكفاح فى المدن ، وقد قامت بأغلب عملياتها فى العاصمة بالفعل . وهى ترى أن **المقاتل لا يمكن ان يخلق ارتجالا لان النضال المسلح ظاهرة تكنيكية تتطلب معرفة فنية وتدريبا ومواد واعدادا نفسيا** ، ولا تختلف أهدافها السياسية فى الحقيقة عن الاهداف التى يسعى الى تحقيقها اى تنظيم ماركسى ثورى ، اذ يستهدف برنامجها (٣) العمل على التحرر من نير السيطرة الاستعمارية الاجنبية بكل صورها من ناحية ، وتحرير الشعب داخليا من سيطرة المستغلين المحليين من ناحية أخرى فهو ينص على مصادرة المصانع والمؤسسات التجارية الكبرى والبنوك المملوكة للرأسمال الاجنبى بدون تعويض ، ومصادرة المزارع والمراعى ومعامل الالبان الكبرى ، واسناد ادارتها الى العمال ، وتأميم المصانع الكبرى وادارتها بواسطة العمال ايضا ، وتأميم تجارة التصدير والاستيراد ، بالاضافة الى تقديم سائر الخدمات لمصلحة الجماهير الشعبية الواسعة سواء فى المدينة او الريف وفى كافة المجالات (الصحة ــ التعليم ــ المعاشات الخ) ويرى عديد من المراقبين السياسيين ان السلطة فى اوروجواى أصبحت تواجه فى الاونة الاخيرة اكثر المعضلات الثورية خطورة فى امريكا اللاتينية بسبب نشاط ثوار « توباماروس » الذين تعلو مكانتهم باضطراد بين صفوف الشعب فى أوروجواى .

هذا وتعمل توباماروس كذلك على توثيق علاقاتها ببعض تنظيمات اليسار والنقابات فى بلادها . وقد اشارت فى بياناتها الاخيرة الى **حتمية المواجهة بين الطبقة العاملة من ناحية** والاقليات التى تستحوذ على السلطة ووسائل **الانتاج من ناحية أخرى** .

القوات المسلحة لتحرير كولومبيا

أما فى كولومبيا فتعمل « **القوات المسلحة لتحرير كولومبيا** » فى جنوب البلاد منذ سنة ١٩٤٨ وهى تعتبر اقدم تنظيم للكفاح المسلح فى البلاد وأهم تنظيم لحرب العصابات فى كولومبيا الان ، وقد أتمت الهيئة العليا للقوات المسلحة لتحرير كولومبيا منذ فترة غير بعيدة دورة تخريج لضباط حرب العصابات التابعين لها ، وقد أنشئت هذه المنظمة بناء على شعارات طرحها الحزب الشيوعى فى كولومبيا فى ١٩٤٨ ، ولكنها تحتفظ معه بصلات محدودة الان .

وثمة أمر ملموس هنا ، هو الدور الاكثر بروزا للحزب الشيوعى نصف السرى فى الدعوة الى

(٢) هيبير تونتيريس : مقال « التوباماروس يهزون أوروجواى » ــ مجلة افريكاسيا العدد ٨ : ٢ ــ ١٥ فبراير سنة ١٩٧٠

(٣) الذى نشر بالعدد رقم ٦٢ من مجلة تريكونتننتال ــ مايو ١٩٧١

الكفاح المسلح منذ وقت مبكر فى كولومبيا ، فقد وجه هذا الحزب نداء فى مؤتمره الثالث عشر فى ١٩٤٩ دعا فيه الى وحدة اليسار وشجع سكان الريف على خلق « **جمهوريات مستقلة** » وطبق الشعار الى حد كبير فى جنوب البلاد ، حيث نظم الفلاحون ضحايا القمع هناك ، « **مناطق الدفاع الذاتى** » بهدف مقاومة العنف الرجعى ، بالعنف الذى تنظمه الجماهير ، وليس ثمة شك فى نظر عديد من المراقبين السياسيين الذين تابعوا تطور حركة الكفاح المسلح فى كولومبيا ان من القرارات الهامة فى تاريخ هذا الكفاح ، ذلك القرار الذى اتخذه ممثلو الجمهوريات المستقلة فى اجتماعهم السرى فى يوليو ١٩٦٤ بسحب المقاتلين الى غابات « **كورديليرا** » الوسطى ، وابقاء السكان المدنيين بمنأى عن القتال ، وذلك بسبب حملة القمع الحكومية التى اشترك فيها ١٦ ألف جندى .

وقد تكونت فى ١٩٦٥ فى كولومبيا منظمتان اضافيتان للكفاح المسلح ، هما « **جيش التحرير الوطنى** » الذى يضم الشبان الثوريين (ذوى الاتجاه الكاستروى) ويعملون اساسا فى اقليم « **سانتاندر** » ، ويأتون فى المرتبة الثانية من ناحية القوة بعد « القوات المسلحة لتحرير كولومبيا »، ثم منظمة « **جيش التحرير الشعبى** » ، وهو تنظيم « صينى » يقاتل فى اقليم قرطبة شمالى العاصمة ، كذلك انشىء مؤخرا تنظيم ثورى جديد باسم « **الحركة المستقلة الثورية** » ، والحقيقة الجديرة بالذكر فى نظر عديد من المراقبين السياسيين بالنسبة لكولومبيا هى ان العنف يدمى الحياة السياسية فيها منذ عشرين عاما لدرجة ان **التقديرات تصل بعدد القتلى منذ ١٩٤٨ حتى الان الى ما لا يقل عن نصف مليون شخص** ، وهو رقم كبير بالنسبة لعدد السكان البالغ ٣٠ مليون نسمة . وعلى أية حال ، فان حركة الكفاح المسلح تواصل نشاطها فى كولومبيا برغم القمع الوحشى ، وتكمن المراكز الثورية التى تنتمى لاتجاهات مختلفة فى مناطق الغابات التى يصعب الوصول اليها .

« القوات المسلحة للتحرر الوطنى » فى فنزويلا

اما فى فنزويلا فتتصدر الكفاح المسلح منظمة « **القوات المسلحة للتحرر الوطنى** » بزعامة « **دوجلاس برافو** » الذى يعد ابرز قادة الكفاح المسلح فى فنزويلا ، خاصة بعد استشهاد الصحفى **فابريشيو اوجيدا** العنصر القيادى السابق فى الحزب الشيوعى الفنزويلى الذى انخرط فى صفوف العمل المسلح بعد انفصاله عن الحزب ، والذى يحظى بتقدير كبير فى كوبا . ويبدو ان الامر على غير ذلك النحو بالنسبة لدوجلاس برافو وهو احد القادة السابقين للحزب الشيوعى الفنزويلى ، فقد ازدادت الخلافات بين برافو وبين كوبا فى الاونة الاخيرة ، لان برافو يوجه انتقاداته الى كوبا على أساس أنها بدأت تكف عن مساندة حركات التحرير المسلحة فى القارة ، ويبدو كذلك انه يميل لالقاء مسئولية المصاعب التى واجهتها عديد من الحركات الثورية المسلحة على عاتق كوبا .

الا ان برافو يعترف على أية حال ، بانه قد استخدمت فى عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٣ تكتيكات غير صحيحة ، فى منظور قصير المدى وبشكل انقلابى مغامر . ويرى كذلك ان **المفهوم الانتفاضى القصير المدى فى الفترات الاولى من الثورة الفنزويلية قد دحضته الممارسة** ، وانه فى المرحلة التى تعيشها حاليا الثورة الفنزويلية ، ليس الكفاح المسلح صحيحا فحسب ، بل هو جزء لا يتجزأ من المسار العام ، اى ان كل مراحل كفاح الشعب فى سبيل تحرره وحتى الاستيلاء على السلطة سوف تكون مرحلة مسلحة حتما .

وبالنسبة لتقييم التطور التاريخى لحركة الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية يرى دوجلاس برافو : « **ان المرحلة الاولى من الكفاح المسلح من اجل التحرر الوطنى قد أدت الى انتصار استراتيجى بانتصار الثورة الكوبية . اما المرحلة الثانية ، فقد لاقت فيها الحركات الثورية التى نشأت بعد الثورة الكوبية ، مصاعب كبيرة وعرفت الانتصارات لكنها منيت ايضا بهزائم عديدة . وفى رأيه ان حركة الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية على وشك البدء بمرحلة ثالثة تتضمن انتصارات عسكرى كبرى**(٤) **وانه لابد من اجراء تصحيح تكتيكى فى الاتجاه العام للكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية لكن ليس على مستوى الاستراتيجية** .

ويدلل دوجلاس برافو على تحليله هذا بانه **توجد الان حروب عصابات ريفية فى فنزويلا ، وكولومبيا ، ونيكاراجوا ، وبناما ، وجواتيمالا ، وحروب عصابات مدن فى اوروجواى ، والبرازيل ، والارجنتين وأوضاع متفجرة فى المكسيك ، وسان دومنجو ، وبيرو ، واكوادور** »

(٤) مجلة « الازمنة الحديثة » يوليو ١٩٧٠ من ص ٠٠ الى ٨ مقال « الثورة فى القارة اللاتينية » .

ويرى « **انه لابد لنا من حساب الحصيلة آخذين** بعين الاعتبار لا ما خسرناه فى هذا البلد أو ذاك ، ولا ضعف حزب العصابات هذه او تلك ، ولكن واقع انه **توجد اليوم حروب عصابات ، لم تكن موجودة من ذى قبل** ، واننا نجحنا فى التقدم على وجه الاجمال » .

جيش التحرير الوطنى

و١٢ منظمة فى البرازيل

اما فى **البرازيل** ، فتعد مشكلة توحيد كل قوى اليسار وكل المجموعات الثورية المناضلة ضد الديكتاتورية العسكرية ، هى الشغل الرئيسى الشاغل لكل الثوار . اذ توجد فى البلاد حوالى اثنا عشرة منظمة ثورية من أهمها « **الحركة الوطنية الثورية** » ، و « **الطليعةالشعبيةالثوريه**» و« **الحزب الشيوعى البرازيلى الثورى**» وغيرها . الا ان أكثر هذه المنظمات أهمية هى « **جيش التحرير الوطنى** » الذى تولى المناضل **كارلوس** ماريجيلا زعامته حتى استشهاده ، فحل محله **جواكيم كامارا هيريرا الذى اغتيل بوحشية هو** الاخر فى ساو باولو . وتواصل هذه المنظمة نشاطها فى نفس الوقت الذى تدعو فيه الى « **عقد تحالف واسع بلا حلقية بين مختلف المجموعات التى تكافح الدكتاتورية البرازيلية** ».والحقيقة ان كافه المنظمات البرازيلية تتفق تماما فيما بينها على التكتيك الذى ينبغى اتباعه ، ولكن الخلافات تظهر بينها ، حول الشكل الذى ينبغى أن يأخذه الكفاح المسلح . **والنقطة التى ينبغى تركيز الجهود حولها فى ظرف سياسى معين** ، ومسألة العلاقات بين الطليعة الثورية المسلحة والجماهير العمالية البرازيلية .

وقد بدأ النضال المسلح لثوار البرازيل فى عام ١٩٦٨ ، **ولم يلفت الانظار الا فى سبتمبر ١٩٦٩ باختطاف سفير الولايات المتحدة . ثم اطلاق سراحه** مقابل الافراج عن عدد من المعتقلين السياسيين . ومما يذكر حينذاك ان جيش التحرير الوطنى اعلن على لسان ماريجيلا انه « **ليست لدينا اية نية فى** التخلى عن فكرة اختطاف الدبلوماسيين والشخصيات الاخرى ، وطالما ان الحكومة تتبع وسائل التعذيب ، فلن تكون امامنا طريقة أخرى للتمكن من اطلاق سراح مسجونينا » . وفى عام ١٩٧٠ امتد النضال الى الريف وتزايد الاحساس بين عديد من المنظمات « **ان حرب العصابات لن تؤتى اكلها . الا بتنظيم التلاحم المسلح بين العمال والفلاحين** » .

والجدير بالذكر ان الدكتاتورية العسكرية فى البرازيل تزيد فى الاونة الاخيرة من استخدامها لوسائل **التعذيب والقهر والقمع** ضد الجماهير والحركات والمنظمات الثورية ، ولاتوجد فى هذا البلد اية حقوق او ضمانات للمواطنين . او للمؤسسات السياسية والديموقراطية والشعبية ، ولا للطلبة او المثقفين او الصحافة او الاذاعة او التليفزيون . وقد كثرت فى هذا البلد فى الفترة الاخيرة بوجه خاص جثث العمال والفلاحين والقادة النقابيين والطلبة والمثقفين الذين يقعون ضحية الديكتاتورية العسكرية ومنظماتها الارهابية غير الرسمية مثل « **فرقة الموت** » ، و «**بعثة باديرانتى** » .

كذلك ضمن الظواهر التى تميزت بها البرازيل فى الاونة الاخيرة ايضا هى اشتداد اعمال القمع ضد الرهبان ورجال الدين والكاثوليك التقدميين المرتبطين بالشعب ـ السجن ٢٨ عاما للقس **فرانسسكو لاج** ونفيه الى المكسيك ،تهديدبالقتل **لدون هلدر كامارا** مطران رسيف ، تعذيب القساوسة والرهبان والراهبات ، والاعتداء على الكنائس والاديرة والجامعات الكاثوليكية ـ قتل القس « **انطونيو هنريك بيريرا** » وتشويه جسده (لانه كان معاونا للمطران كامارا) ـ وسجن معظم قادة منظمة الشباب العامل الكاثوليكى ، مما ادى الى اجتماع **المؤتمر القومى لاساقفة البرازيل** الذى أعلن احتجاجه على هذه الموجة الارهابية ، وعلى الاضطهاد الواقع على الكنيسة الكاثوليكية ، والذى استنكره كذلك **مؤتمر الاساقفة** الاخير الذى عقد فى ١٧ فبراير ١٩٧١ وحضره اكثر من ٥٠٠ اسقف و ٤ كاردينالات .

القوات المسلحة الثورية

فى جواتيمالا

وفى جواتيمالا التى تعيش على حافة الحرب الاهلية منذ الاطاحة بحكومة الرئيس اربنز **الديموقراطية فى ١٩٥٤ ، تمارس القوات المسلحة الثورية نشاطها** فى المدن وعلى طول شاطىء المحيط الهادى بزعامة **سيزار مونتيز** . وقد بلغت الصراعات السياسية والاجتماعية والطبقية فى ذلك البلد درجة كبيرة من الحدة ، ويعود ذلك الى عوامل موضوعية عديدة ، منها ان **٢ فى المائة من الملاك الزراعيين فى جواتيمالا يملكون ٧٢ فى المائة من مجموع الاراضى الزراعية** ، فى حين يبلغ متوسط الاجر الفردى لثلاث ارباع السكان حوالى عشرة قروش يوميا ، وتبلغ نسبة الامية بينهم اكثر

من ٨٢ فى المائة كذلك فان « ٤ر٩٦ فى المائة من الرجال و ٨ر٩٨ فى المائة من النساء فى جواتيمالا حفاة ، و ٩٠ فى المائة منهم لايتوفرلهم الماءالصالح للشرب ، وفى منطقة شوكولا وغيرها يبقى السكان يوما او يومين او ثلاثة بلا طعام . الامر الذى يضطرهم الى اكل الاعشاب (٥) .

وفى الحقيقة ، فقد شكلت « القوات المسلحة الثورية » التى تقود النضال فى جواتيمالا عندما اعلن زعماء المقاومة فى جبهة « ادكارابيـارا » والمقاومة فى القطاع الاوسط ، انفصالهم عن حزب العمال الجواتيمالى (الحزب الشيوعى) فى ديسمبر ١٩٦٨ . وفسر سيزار مونتيز قائد القوات المسلحة الثورية هذا الاجراء بأن قيادة حزب العمال حاولت منذ سنوات عديدة وبشتى الطرق استغلال الكفاح المسلح كاداة تكتيكية بسيطة وكعامل للضغط المسلح من أجل المفاوضات التى بدات — تمشيا معهذه السياسة — فىتنفيدجميع الاجراءات الكفيلة بنسف تطور الحرب الثورية . مثلا عن طريق تقديم المساعدات الى رجال المقاومة بالقطارة الخ فنسفت بذلك سلطة قيادة رجال المقاومة . خاصة وان قيادة حزب العمال لم تشرك الحزب ، وبشكل خاص اعضاء اللجنة السياسية فيه ، فى عمليات الكفاح المسلح . وانتقد مونتيز الاسلوب السياسى الذى يعتمد على مجرد **التنحية المتتاليه لجماعات البورجوازية من السلطة** حتى الوصول الى نقطة من التجمع الذى يعطى اليسار القدرة على المشاركة فى الحكم . كما انتقد مسايرة بعض القيادات الحزبية لفكرة الحرب الصغيرة المحدودة تحت ضغط الحوادث والمشاعر الشعبية ، دونما اى جهد من جانب هذه القيادات للتخطيط من اجل العمل المسلح طويل المدى ويرى مونتيز « **ان المواقف الثورية هى التى تتوقع الحوادث ، وتعمل مقدما ، وتعطى تلك الحوادث الشكل الذى تتطلبه الثورة** » (٦) .

وقد لخصت الوثيقة الصادرة عن قيادة القوات المسلحة الثورية والتى اعلن فيها الانفصال عن حزب العمال ، مشاكل القوى الثورية المسلحة فى جواتيمالا وجاء فيها : «لقد عمل حزب العمال فقط من اجل اخفاء الحاجة الى قيادة سياسية وعسكرية . ومن الوجهة النظرية ، يجب ان يكون حزب العمال هو الطليعة ، ولكن الواقع من وجهة النظر العملية هو ان جبهتى « **إدكارا بارا** » ، و « **الجاندرودى ليون** » للمقاومة كانتا هما الطليعة . لقد كانت حركة المقاومة المسلحة — منذ ان بدات الحرب — هى طليعة الحركة الثورية فى جواتيمالا . وان المجموعة القائدة فى الحرب ، لم تظهر فى تاريخ الكفاح المسلح فى بلادنا كطليعة ابدا ، فهى لم تظهر فى الخطوط الاولى للكفاح » .

وقد تكونت فى ١٩٦٦ خمس منظمات ارهابية يمينية تنفق عليها العناصر الرجعية ، ويدربهـا الجيش الحكومى لكى تتولى محاربة الثوار . وقد قامت بالفعل بعدد من اعمال اغتيال الثوار والقاء جثثهم فى العراء ، وكان من بين ضحاياها نواب فى البرلمان ، ومثقفون ، وصحفيون . ومن ابشع جرائمها ، خطف منظمة (اليد البيضاء) اليمينية لطبيبه « **روجيليا مارتينيز** » **ملكة جمال جواتيمالا** ، وخطيبة الثائر **كاستيلاو** ، وقتلهما وتشويه جثتها مع سبعة قرويين فى منطقة « **سيكينالا** » (٧) .

والحقيقة ان مصدرا هاما من مصادر قوة ثوار جواتيمالا ، يكمن فى تمكنهم من الوفاء بكل الوعود التى يقطعونها على انفسهم مثلما حدث بالنسبة لقصف حامية « **جارديا دى اونور جاريسون** » بمدافع المورتر ، وهى المركز العسكرى الرئيسى فى البلاد ، وقصف مطار **أورورا** فى العاصمة انتقاما لقصف مناطق الفلاحين ، واعدام عدد من الطغاة الذين كانوا يقومون باعمال التعذيب والمطالبة بأراضى **آل ريكو** للفلاحين ، كذلك نجحت أعمال التدمير التى قاموا بها فى عزل العاصمة عن العالم عدة أيام مع توالى هجماتهم على دوريات الشرطة والجيش اللاسلكية الخ . وقد نشط الثوار فى الفترة الاخيرة ، واستطاعوا أن يرغموا الجيش الحكومى على اتخاذ موقف الدفاع ، وأمسكوا هم بزمام المبادرة ، مع مفاجأة دوريات الجيش وخطف كبار الملاك ، وحقق تشكيل وتدعيم وتطوير قواعد المقاومة تقدما كبيرا ، لدرجة تمكنت فيها المنظمات العسكرية والسياسية فى بعض المناطق من انشاء قرى على غرار القرى المحررة فى فيتنام . وعلى أية حال فقد تبين لمناضلى القوات المسلحة الثورية بعد كل ذلك « أن هذه الظروف تطرح أكثر من أى وقت مضى ، مسألة ايجاد قيادة موحدة ، وتركيز جميع نشاطات القوات الثورية لتشكيل « جيش للشعب » .

---

(٥) من تصريح لجورج ارياس دى بلوا عميد جامعة سان كارلو بجواتيمالا نشرتهصحيفة الثورة السورية بتاريخ ٦٨/٤/٢

(٦) تصريح نقلته صحيفة البعث السورية بتاريخ ١٩٦٨/٤/٢٣ عن صحيفة « جرانما الكوبية » .

(٧) كان رد فعل الثوار لهذا الحادث الوحشى ، منيفا فقتلوا الكولونيل « **جون ويبر** » المسئول المباشر عن تنظيم العصابات اليمينية واربعة من الامريكيين المسئولين عن ذلك ايضا .

المنظمات البيرونية والماركسية المسلحة في الارجنتين

أما في الارجنتين فتوجد فيها في الوقت الحالي خمس منظمات عسكرية رئيسية اثنتان منها « بيرونيتان » ، واثنتان « ماركسيتان لينينيتان » ، والاخيرة تروتسكية ، وهذه المنظمات هي على الترتيب : **القوات المسلحة البيرونية ، منظمة « مونتونيروس » ، القوات المسلحة الثورية ، قوات التحرير المسلحة ، والقوات الثورية الشعبية** • وقد قامت هذه المنظمات التي لم تكن معروفة على نحو كاف في بداية ١٩٧٠ بسلسلة من العمليات السريعة المثيرة وذلك منذ أغسطس ١٩٧٠ ، فقد احتلت الثكنات ، ومناطق معينة من المدن ، وصادرت مبالغ طائلة من المال ، واختطفت سيارات اللوري التي تحمل الاغذية والالبان ووزعتها على المناطق الفقيرة ، ونظمت العمال في مصانع قرطبة لتحويل الاضرابات الى أعمال عنف ضد السلطات على درجة كبيرة من التنظيم •

وأقوى المنظمات المسلحة في الارجنتين هي « **القوات المسلحة البيرونية** » كذلك فان الحركة البيرونية التي تعمل خارج نطاق الشرعية السياسية ، لا تزال من أقوى الحركات السياسية في البلاد ، ومن الناحية النظرية فان البيرونيين لابد وأن يكونوا « يمينيين » ، ولكن من الناحية العملية ، فان البيرونية قد فقدت كل تحديد محكم لها ، واجمالا لم تعد مرتبطة بالولاء لبيرون أو لماضيه على النحو الذي كان فيما مضى• وقد أصبحت البيرونية في بعض الاحيان ولدى قطاعات معينة رمزا لمعارضة نظم الحكم العسكرية • وينقسم البيرونيون الى تيارات عديدة ، وهم يحاولون استغلال كل فرصة لتوجيه ضرباتهم • ونجد منهم على أية حال أعضاء في الحركات الكاثوليكية التقدمية ، ومنهم بعض قساوسة الكنيسة ، وبعض المنتمين الى « حركة الرهبان في العالم الثالث » ذات النزعة اليسارية • كذلك فقد صرح عديد من ممثلي البيرونية في الاونة الاخيرة ، وخاصة قبل عودة بيرون الى الارجنتين ، بانها ستتعاون مع حركات التحرير الاخرى في أمريكا اللاتينية •

وقد لقيت كل هذه المنظمات ، بدرجات متفاوتة ، تأييدا من الجامعات وعمال المصانع ورجال الدين ، وللاخيرين أهميتهم البالغة هنا ، اذ يتزعم عدد من رجال الدين الارجنتينيين ، الجهود المبذولة في أمريكا اللاتينية لوضع « **النظرية الدينية للثورة** » ، حيث تأسست هناك « **حركة الرهبان في العالم الثالث** » •

وقد أعلنت هذه الحركة في صحيفتها : « انها لا تعتزم أن تصبح جماعة ثورية لكى تستولى على السلطة السياسية ، ولن تحدد آرائها ازاء التكتيكات والاستراتيجية ، او اتجاهات المجموعات والمنظمات الاخرى ، **ومع ذلك فاننا نعتقد انه لن تكون هناك ابدا اشتراكية حقة في أمريكا اللاتينية ، دون الاستيلاء على السلطة من قبل الثوريين الحقيقيين المنبثقين من الشعب والذين يظلون صادقين معه** » . وأوضحت ايضا : « انه **من الضروري عند دراسة مشكلة العنف في امريكا اللاتينية ، أن نتجنب بكافة الوسائل الخلط بين العنف الجائر لاولئك الذين يحافظون على نظام من الاضطهاد ، والعنف العادل للمغلوبين على أمرهم الذين يجدون انهم مضطرون الى الالتجاء اليه للوصول الى التحرير** » .

وعلى اية حال ، فان نظرة عابرة الى الاوضاع في الارجنتين ، يمكن أن توضح لنا ولو طرفا من أسباب البؤس والتعاسة والعنف المتزايدين في هذا البلد ، فقد أوضح « **أرتورو جوريتش** » عالم الاجتماع ، والكاتب الارجنتيني (٨) انه «في كل عام **يموت في أمريكا اللاتينية مليون طفل من سوء التغذية او الجوع** ، وفي الارجنتين يموت ٣٠٠٠٠ الف طفل في العام لنفس السبب أي ٣٠٠٠٠٠ طفل في كل عشر سنوات • فاذا كانت القنبلة الذرية التي القاها استراتيجيو واشنطون سنة ١٩٤٥ على هيروشيما قد أدت الى مقتل ٥٠٠٠٠ نسمة ، **واذا كان ٣٠٠٠٠٠ طفل يموتون في الارجنتين من الجوع كل عشر سنوات ، أفلا يعادل ذلك ، القتل المترتب عن ٦ قنابل ذرية من الطراز الذي ألقى على هيروشيما • ان المليون طفل الذين يموتون من الجوع كل عام في أمريكا اللاتينية ، هم بالضبط المعادل لعشرين قنبلة ذرية ، وهم جزء من الضريبة البشرية التي تدفعها القارة للنسر الامبريالي الامريكي** » •

---

(٨) في العدد ٣٣ من مجلة «أفريكاسيا» من ١ — ١٤ فبراير ١٩٧١.

أين « بلانكو » في بيرو

و « جيش التحرير » في بوليفيا

و (١٤ مايو) في باراجواى

اما هذه البلدان الثلاثة ،**بيروبوليفيا** وباراجواى فقد خفت فيها صوت الحركة الثورية المسلحة ، ولم يعد يسمع فى الوقت الحالى على الاقل . ففى بيرو كانت حركة العصابات الثورية المسلحة قد نشطت سنة ١٩٦٥ بالهجوم على بعض الممتلكات الزراعية فى منطقة **كوزتو** بزعامة الجامعى « **جوبلانكو** » المودع فى السجن الان ، ولكن الحركة خفتت بعد ذلك ولم يعد يسمع لها صوت ، أما فى بوليفيا فان حرب العصابات التى كان يشنها « جيش التحرير الوطنى » بزعامة **شى جيفارا ثم انتى بيريدو** الذى استشهد كلاهما ، لم تعد تمارس عمليا فى الوقت الراهن أى تأثير يذكر على الحياة السياسية والاقتصادية فى البلاد . أما **باراجواى** التى استخدم فيها الثوار تكتيكا قديما يتمثل فى القيام بهجمات سريعة من أراضى الارجنتين ، فقد تكونت فيها « **حركة ١٤ مايو** » على غرار حركة « ٢٦ يوليو » التى انشأها كاسترو ، لكنها كانت أضعف منها بكثير واستطاعت السلطات وقف نشاطها ، وعندما دعا الحزب الشيوعى فى باراجواى سنة ١٩٦٣ الى تكوين جبهة للتحرر الوطنى ، حاول زعيمها **أوسكار كريدت** تنظيم ثورة مسلحة وتبنى مواقف « ماوية » لكن الاغلبية فى الحزب الشيوعى نددت بعمل **كريدت** وخفت صوت النشاط الثورى المسلح فى باراجواى .

اختفاء «منظمة رانكويل» فى شيلى

أما فى **شيلى** فقد أنكرت « **الحركة اليسارية الثورية** » لسنوات عديدة الطريق السلمى للوصول الى السلطة،والدور القيادى لحزب الطبقةالعاملة، وعاقت الوحدة بين الشيوعيين والاشتراكيين ، وعارضت فكرة الائتلاف الواسع الحزبى والحكومى، وتعتبر«الحركة اليسارية الثورية» أقوى منظمات اليسار المتطرف فى شيلى،وأكثرها عددا .وقد تحول الكثير من أعضاء هذه الحركة وغيرها من الجماعات المماثلة الى مواقف أسلم وأكثر نضجا واتساقا مع حقيقة الاوضاع الخاصة التى تتسم بها شيلى .ولم تعد منظمة مثل « **منظمة رانكويل** » مثلا قائمة ، اذ انضم أعضاؤها ، اما الى الحزب الاشتراكى أو الحزب الشيوعى ، أما المنظمات الاخرى بما فيها المنظمات « الماوية » فلم تعد تتمتع بنفوذ حقيقى ، أو لم يعد لها سوى نفوذ ضئيل .

وتدعو الحركة اليسارية الثورية ، وغيرها من المنظمات التى ترفض العمل السلمى وتحبذ النشاط المسلح ، الى تحقيق أهداف تتعارض مع سياسة « الوحدة الشعبية » . ويرى« ج . **كامبوساتو**» ممثل الحزب الشيوعى الشيلى فى ندوة **براغ** التى عقدت فى العام الماضى بشأن « **الصراع الايديولوجى للاحزاب الشيوعية فى أمريكا اللاتينية** » ، ان شعارات هذه المنظمات التى تطالب فيها باعطاء ثورة شيلى طابعا أكثر راديكالية ، أمر لا يتفق اطلاقا مع المرحلة الراهنة للعملية الثورية ، لانها تؤدى الى خلخلة تنظيمية بين قطاعات من الشعب ، وتزود الرجعيين بالمادة اللازمة للافتراءات والاستفزازات ضد حكومة الوحدة الشعبية . كما تقوم الحركة اليسارية الثورية فى المناطق الريفية بتحريض الفلاحين على الاستيلاء على أراضى صغار المنتجين ومتوسطيهم وتدبير عمليات الاغتيال ، مما يزود صحف اليمين بسلاح لاتهام الحكومة بأنها تحاول مصادرة كل الممتلكات فى الريف ، وفى المدن تحاول الحركة اليسارية اثارة صدامات لا داعى لها بين الشعب العامل واصحاب الاعمال ، وتطالب الحركة بالاشتراكية فورا، الامر الذى يفزع الطبقات الوسطى ، ويضلل الشعب العامل » .

جبهة التحرير الوطنى

(ساندينو) فى نيكاراجوا

أما فى **نيكاراجوا** التى تمتلك عائلة الرئيس «**سوموزا** » وبعض الاشخاص القلائل الاخرين نصف مساحتها ، فتعتبر جبهة التحرير الوطنى (**ساندينو**) اهم حركة ثورية مسلحة فى البلاد، وقد اعترف الحزب الشيوعى فى نيكاراجوا بأن هذه الجبهة تلعب دورا نشيطا، وقد نظمت نشاطهامنذ عام ١٩٥٨ على أساس أن حرب التحرير هى التعبير الثورى عن الكفاح المسلح لكافة الشعوب . **وانه لابد لهذا الكفاح من أن يتطور من عصيان جزئى تتسع رقعته حتى يصبح عصيانا عاما** . وقد واصلت الجبهة نشاطها حتى عام ١٩٦٢ . الا انها تعرضت فى ١٩٦٣ ، لضربات قوية ، ومع ذلك استطاعت استعادة نشاطها ابتداء من ١٩٦٤ ، وبدأ رجالها يواصلون كفاحهم بنشاط فى نهاية عام ١٩٦٧ فى جبال مقاطعة « **ماتا جاليا** » التى تمتاز بوضعها الجغرافى وبوجود تضاريس خاصة تساعد على تطوير الحركة الثورية فى البلاد ، بالاضافة الى وجود مجموعات كبيرة من القرويين المناوئين للحكم .●

وقد اشتقت هذه الجبهة اسمها من اسم احد شهداء الكفاح فى ١٩٣٤ وهو **سيزار سانديو** ٠ وقد أوضح أحد قادتها لمراسل صحيفة « جرانما » الكوبية ، الظروف المتباينة التى مر بها كفاح الجبهة فى السنوات الاخيرة ٠ فأشار الى أن قيادة الجبهة قد عالجت الاخطاء التى وقعت فيها من قبل ، وأسست خلاياها فى مقاطعة ماتا جاليا ، وظهرت بوادر ثمار هذا التنظيم كما وكيفا فى صفوف الثوار خلال عام ١٩٦٧ ، فاقامت الجبهة قواعدها للاعمال السياسية والتنظيمية فى هذه المقاطعة وابدت الجبهة اهتمامها بالعمل داخل المدن ، وانتقلت القيادة بعد ذلك الى الريف لتتمكن من دراسة المناطق التى يجب العمل فيها داخل الريف بدقة وامعان ولتعالج بذلك أحد اخطائها السابقة ، ونجحت بعدها عمليات الاتصال بين الثوار الريفيين فى مناطق عديدة ، وتم على هذا النحو أيضا تلافى أحد نواحي القصور الذى عانت منه الجبهة فيما مضى ، كما نجحت عمليات التموين والاعلام بين القرى ، ولهذا فقد دعم القرويون الثوار ، اثناء المعارك التى جرت فى عام ١٩٦٧ ٠

وفى الحقيقة ، فقد كان الخطأ الرئيسى الذى ارتكبته قيادة الجبهة فى نيكاراجوا هو **فقدان التصور الاستراتيجى الخاص بالكفاح المسلح** وطبقا لما اوضحه احد قادة الجبهة ، فلقد غاب عن أذهان الرفاق فى القيادة ، تقدير قوة الجبهة ، وقوة العدو » والاستخدام المباشر أو غير المباشر لامكانيات الثوار على ضوء القوى المضادة ، كذلك فان المعارك داخل المدن ، لم تحقق الا عددا محدودا من المهمات ، كما لم تكن بسبب ضيق نطاق عملها السياسى الذى كان فى مراحله الاولية على صلات مباشرة بالجماهير . وعلى ضوء التجارب التى شهدتها جبهة نيكاراجوا ، درست الوضع الراهن وأصبح لدى قادتها حاليا خطة واضحة للعمل وللاهداف المناطة بها من وجهة نظر استراتيجية ، كما اهتم القادة بالاستراتيجية السياسية والعسكرية ، فيما لو طرأت حوادث غير متوقعة ٠

وكرست الجبهة **الخطوط العريضة للجمع بين الكفاح السياسى والعسكرى** كى تتمكن من القيام بحرب طويلة المدى معتمدة على جهودها الخاصة ٠ كما **اهتمت بمسألة التدخل الامريكى فى البلاد** ، واعتبارها نقطة اساسية فى الحرب الشعبية ضد الامبريالية ، وهيأت صفوف الثوار للكفاح ضد السلطة المحلية وضد التدخل الامريكى المحتمل وقوعه .

وقد أوضح أحد قادة جبهة **سانديو** ان ثوار الجبهة فى نيكاراجوا لا ينسون المدن وأهميتها البالغة ، الا انهم يرون ان **عمل الثوار داخل المدن انما هو تجهيز وحدات تكتيكية للمقاومة المدينية ، ذلك أن حرب التحرير الشعبية داخل المدن** بالذات لا تكفى للاطاحة بالعدو ، لكنها **تصلح لايجاد الشروط الخاصة بالنقمة العامة من جهة ، وتفريق وبعثرة قوى العدو** فى هجمات متناسقة ومتتالية وموزعة من جهة أخرى » ٠ وأشار فى النهاية الى : « **ان المسألة الرئيسية فى كفاحنا ذات طابع زراعى ، وان مشكلة البلاد الرئيسية هى زراعيه ، كما ان الريف يؤمن لنا وللثوار ، المكان الجيد لتنظيم صفوف جيشنا الثورى** » ٠

تقدم حركة الثورة عامة

وبعد ، فاننا لم نعرض فى هذا المقال سوى جانبا واحدا من الجوانب المتعددة ، للنشاط الثورى فى أمريكا اللاتينية ، الذى يشمل بالاضافة الى شكل الكفاح المسلح ، أشكال الكفاح السياسى والنقابى ، وغيرها من أشكال الكفاح الثورى الاخرى على نطاق القارة اللاتينية بأسرها ٠

واذا كانت حركات الكفاح المسلح لم تتمكن بعد الثورة الكوبية عامة ، واستشهاد « **شى جيفارا** » خاصة من احراز نصر بارز على الامبريالية والاوليجاركيات المحلية ، على مستوى انتصار الثورة الكوبية ، فان من يدرك جيدا الظروف الحقيقية الصعبة التى تكافح فيها هذه الحركات ، لن يطالبها قط بتحقيق مطلب طموح على هذا النحو ، فى مثل هذا الامد الزمنى القصير ، ولنتذكر دوما بهذا الصدد ، اذا أردنا أن نوفى حركات الكفاح المسلح فى امريكا اللاتينية حقها من الانصاف وموضوعية التقييم ، ان الحركات الثورية النشطة التى قادتها أحزاب الطبقة العاملة فى بلدان أوربا الغربية على سبيل المثال وهى أحزاب ذات تاريخ وتراث نضالى عريق ، لم تنجح عبر نضال ثورى دائب فى أمد زمنى يكاد يبلغ ٣٠ عاما بعد الحرب العالمية الثانية فى الوصول الى السلطة واقامة الاشتراكية فى بلد واحد من بلدان أوربا الغربية حتى الان ٠

وعلى أية حال فان حركة الثورة فى أمريكا اللاتينية ، تحرز بصفة عامة مواقع اكثر تقدما على الدوام ، وانتصارات متوالية مضطردة ، وتزداد على نطاق القارة بأسرها مساهمة الطلاب فى النضال الشعبى ، كما يزداد اصطباغ الفئات الوسطى فى المدن بالصبغة الراديكالية ، واتخاذ

كثير من رجال الدين الكاثوليك لمواقف تقدمية ثورية ، فضلا عن ظهور التقدميين في جيوش أمريكا اللاتينية ، واستعدادهم للعمل المشترك مع أحزاب الطبقة العاملة ، الامور التى تنبىء بحدوث تغيرات في توازن القوى في القارة اللاتينية .

كذلك نجد من ناحية اخرى ، ان الاستخدام الذكى الخلاق لاشكال الكفاح المتباينة في تلك القارة ، قد نجح بصفة عامة ، فيتحقيق التقدم المظفر لقضية الثورة فيها ، فاذا كان شكل الكفاح المسلح قد خلق كوبا الثورية ، فان شكل الكفاح السياسى ، قد خلق شيلى الاشتراكية ، شيلى « الوحدة الشعبية » التى تقف على نفس الجانب من المتراس الذى تقف عليه الثورة الكوبية .

ويسهم تضافر شكلى الكفاح السياسى والمسلح في تحقيق التقدم لقضية الثورة في بلدان أمريكا اللاتينية الاخرى ، ففى بيرو يقف الشعب في صف التغييرات المعادية للامبريالية والاوليجاركية التى قامت بها حكومة الرئيس الفارادو التى اممت عددا من المنشآت الامريكية ، ونزعت ملكية الضياع التى تملكها الاحتكارات والاوليجاركيات المحلية . وفى بنما ، تتفق مواقف السلطة الوطنية في عديد من المسائل ، مع أهداف النضال ضد الامبريالية والاوليجاركية . وفى الارجنتين واوروجواى والمكسيك يشتد النضال ضد السيطرة الامبريالية أبعادا واسعة ، وفى فنزويلا وكولومبيا تشن حملة قوية من أجل تأميم البترول ، وفى كوستاريكا أجبر نشاط الشعب العامل والطلاب ، الحكومة على الامتناع عن الانضمام الى مجلس الدفاع عن امريكا الوسطى ، وفى سلفادور وهندوراس كان لاعمال الطلبة والجماعات الاكاديمية ضد التغلغل الامبريالى في التعليم صدى واسعا ، كذلك وجهت الاجتماعات التى عقدها الرئيس الشيلى سلفادور الليندى مع رؤساء الارجنتين وبيرو واكوادور وكولومبيا ضربة قاسية للمبدأ الامبريالى عن « الحدود الايديولوجية » ، كما كان لزيارة فيدل كاسترو التاريخية لشيلى واجتماعاته برئيسى بيرو واكوادور انعكاسات بالغة القوة ، تعكس النجاح المتواصل في كسر طوق الحصار الامريكى حول الثورة الكوبية . كل ذلك يعكس دون شك مرحلة جديدة من النضال ضد الامبريالية في أمريكا اللاتينية ، لا يلقى فيها الامبرياليون المقاومة من كوبا وحدها ، وانما من الشعب العامل على نطاق القارة بأسرها ، وأحزابه وحركاته التقدمية ، بل ومن حكومات شيلى وبيرو وبنما ، وتتفتح أمام دول القارة فرص العمل المشترك ضد الامبريالية ، وسيسهل كل ذلك دون شك ، نضال أولئك الذين يختطون طريق الكفاح المسلح ، سبيلا الى تحرير امريكا اللاتينية ، وتصفية الامبريالية الامريكية والاوليجاركيات الحاكمة هناك ، مع كل ما يستتبعها من شرور وظلم وعسف وآثام ».

الثروة السمكية فى بحيرة ناصر

والجوانب الاجتماعية لاستغلالها

أحمد عبدالوهاب برانيه

خبير اقتصاديات الثروة السمكية

يعتبر انخفاض مستوى التغذية من اصعب المشاكل التى تواجهه جمهورية مصر العربية.. وحلهذه المشكلة من اهم الاهداف على الاطلاق ، حيث يتوقف على التغذية قدرة الانسان على العمل وطاقته الانتاجية ، وكذلك امكانية تطوره جسمانيا وفكريا واستمرار حياته الانتاجية

وحجم المشكلة يتضح من مقارنة نصيب الفرد فى مصر من البروتين الحيوانى بمثيله فى الدول الاخرى . فمتوسط استهلاك الفرد فى مصر من البروتين فى اليوم ١٦٤ جراما ، ٦١٦ جراما فى اليونان ، ٥٦٠ جراما فى ايطاليا ، ٩٣٩ جراما فى السويد ، ١٠٣٧ جراما فى امريكا [١] .

لذا فاستخدام كافة الاحتياطيات والامكانيات لزيادة حجم انتاج البروتين الغذائى بنوعيه [نباتى وحيوانى] ، يعتبر من الاهداف الاساسية فى رفع المستوى الغذائى فى مصر .

وتنحصر امكانيات زيادة انتاج البروتين الغذائى فى المصادر الاتية :

١ ــ زيادة كميات وانواع السلع الغذائية [نباتية وحيوانية] والتى تستخدم فى التغذية .

٢ ــ التقليل من الفاقد فى السلع الغذائية اثناء عمليات التخزين والنقل .

٣ ــ زيادة الانتاج السمكى فى البحار والبحيرات ونهر النيل والبحيرات الصناعية . وكذلك التوسع فى المزارع السمكية .

وتتوقف امكانيات كل مصدر من هذه المصادر على الظروف الخاصة به ، فضيق المساحة المزروعة فى مصر واعتماد التوسع فىاستصلاح اراض جديدة على توفير مياه للرى ، والتى هى بدورها محدودة ، يجعل هذا المصدر قاصرا عن مواجهة الاحتياجات المتزايدة فى المواد الغذائية النباتية ، خاصة فى ظل معدل الزيادة السكانى المرتفع [٢٫٨ سنويا] ، كذلك الحال بالنسبة للانتاج الحيوانى ، فنظرا لارتباط الاخير بالانتاج الزراعى النباتى [الاعلاف] ، فان ضيق المساحة المزروعة اثر ويؤثر على الانتاج الحيوانى ، واصبح عقبة فى تنمية هذا الفرع الاساسى من الانتاج الزراعى .

اما بالنسبة للمصدر الثانى ، فلا شك ان تقليل الفاقد من المواد الغذائية اثناء عمليات التخزين والنقل يعمل على توفير كميات ليست بالقليلة ، كما انه يحافظ فى نفس الوقت على جودة السلع الغذائية .

---

(١) المصدر : Production year book F.A.O. 1969.

وفيما يتعلق بزيادة الانتاج السمكى فان هذا النوع من الانتاج لـه من المميزات والخـواص والامكانيات ما يضعه فى المكان الاول بين مصادر رفع المستوى الغذائى فى مصر وهى :

١ ـ ان الاسماك لها خاصة « اعادة انتاج » ـ التكاثر بكميات كبيرة ـ دون تدخل الانسان ممـا يجعلها موردا لا ينضب مـع الاستخدام السليم لها .

٢ ـ حرية الصيد فى المياه الدولية المفتوحة ـ وهذا الحق يضع امكانيات لا حد لها امام الدول ذات الموارد المائية الفقيرة او الغير كافية لزيادة انتاجها من الاسماك والكائنات البحرية الاخرى .

٣ ـ الاسماك مصدر للبروتين الحيوانى ذو القيمة الغذائية المرتفعة .

٤ ـ الاسماك مصدر لانتـاج علف الحيوان عن طريق تصـنيع دقيق السمك ذو القيمـة الغذائية العالية للحيوانات والدواجن .

فقـد اثبتت تجارب الاتحـاد السوفيتى ان اضافة كيلوجرام واحد من دقيق السمك الى غذاء الحيوان يزيد وزنه بحوالى ٧ر. كجم ، امـا بالنسبة للدواجن فان الكيلو جرام الواحد من دقيق السمك يعطى ٣٠ بيضة اضافية .

ولاشك ان تصنيع دقيق السمك واستخدامه كعلف للحيوان والدواجن يعمـل على تعويض النقص فى انتاج الاعلاف النباتية وزيادة انتاج اللحوم .

٥ ـ توفر رقعة مائية سمكية فى مصر تبلغ مساحتهـا اكثر من ١٣ مليون فدان بجـانب ٣ر١ (٢) الف فدان ارز صالحة لتربيةوزراعة الاسماك [٣] ، وهذه هى الامكانيات الذاتيـة علاوة على مصايد اعالى البحار .

لذا فان استغلال كافة الامكانيات الـذاتية والدولية بهدف زيادة الانتاج السمكى ، وتوفير البروتين الحيوانى يعتبر احد الحلول الحتمية لمواجهة مشكلة الغذاء فى مصر .

بحيرة ناصر

تعتبر بحيرة ناصر احد مصـادر الانتـاج السمكى الهامة والبـكر والتى يجب ان يقوم استغلالها على اسس سليمة وذلـك نظرا للميزات التى تختص بها بين مصايدنا الذاتية وهى :

١ ـ تعتبر بحيرة ناصر احد المصادر الواسعة والغنية لانتاج البروتين السمكى ، حيث تمثـل مساحتها ربع مساحة المصايد الداخلية كلهـا (البحيرات ، نهر النيل ، الترع والمصـارف ، خليج السويس ، وقناة السويس) ، ٧ر٧ ٪ من اجمالى الرقعة المائية السمكية فى مصر [المصايد الداخلية السابقة مضاف اليهـا مصايد البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر فى حدود مياهنا الاقليمية] .

٢ ـ تعتبر البحيرة احـد الموارد الرئيسية لسد الاحتياجات من اسماك المياه العذبة ، بل قد تعتبر المصدر الرئيسى نظرا لانخفاض انتـاج البحيرات .

٣ ـ البحيرة احد المصادر الهامة فى مـد الاسواق بالاسماك الطازجة والمبردة ، حيث ان مصايد اعالى البحار تمـد الاسواق بالاسماك المجمدة فقط ، نظرا لبعد المسافة بين منـاطق الصيد ومناطق التسويق ، هذا بجانب انه من الممكن التحـكم فى التركيب النـوعى لاسماك البحيرة فى المستقبل عن طريق اقامة واستزراع انواع معينة ذات قيمة اقتصادية مرتفعة .

٤ ـ من الممكن ان تستوعب مصايد بحيرة ناصر اعدادا من صيادى المصايد الشمالية مما يساعد على تخفيض ضغط الصـيد والمحافظة على الثروة السمكية فيها .

وقد نشأت بحيرة ناصر بعد انشاء السـد العالى ونتيجة لتخزين مياه النيل خلفه اعتبارا من عام ١٩٦٤ .

وقد بلغ منسوب المياه فى البحيرة بعد انتهاء موسم فيضان عام ١٩٦٩ ـ ١٦٠ م فوق سطح البحر ، ومن المتوقع ان يصل منسوب المياه الى

---

(٢) المساحة المزروعة ارزا عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ ـ ٣ر١ الف فدان

(٣) طبقا لتجـارب زراعة اسماك الكارب (الميردل) فى حقول الارز فان الفدان يعطى ٩٥ كجم فى نفس الوقت يزيد انتاجية الفدان من الارز بنسـبة ٥ ـ ٧٪ ، وبنـاءا على ذلك فانه من الممكن انتاج ما يقرب من ١٢٤ الف طن من مزارع الارز ، كذلك زيادة انتاج الارز بحوالى ٢٥٠ر١٣٥ ضريبة وانتاج الارز عام ٦٩ـ ١٩٧٠ ، ٧٠٥ ـ ٢ الف ضريبة

مستوى المياه الى ١٨٢ مترا فوق سطح البحر، مستواه النهائى فى عام ١٩٨٠ عندما يصل

ويبلغ حجم المياه المختزنة عند مستوى التخزين ١٦٠ م فوق سطح البحر ٦٤ر٢ كم٣ ، وسوف يصل الحجم عند مستوى التخزين ١٨٠ م فوق سطح البحر ١٥٧ر٣١ كم٣ من المياه . وتبلغ مساحة البحيرة بأكملها عند مستوى التخزين ١٦٠ م فوق سطح البحر ٣٠٧٤ كم٢ ، وعند مستوى ١٨٠ م فوق سطح البحر ٦٢٢١كم٢، وتبلغ مساحة جزء البحيرة الواقع فى حدود مصر ٢٥٨٧ كم٢ عند مستوى ١٦٠ م ، ٥٢٣٧ كم ٢ عند مستوى ١٨٠م فوق سطح البحر .

وقد نتج عن تخزين المياه تكوين عيران (lagoons) تتفاوت من حيث المساحة والعمق ويعتمد تكوين الخيران على حجم المخزون من المياه من نسبة الى اخرى ، وبالبحيرة عدد كبير من الخيران يبلغ عدد الهام منها ٨٥ خورا ، منها ٤٨ على البر الشرقى طولها ٩٧٠ كم تقريبا ، ٤٧ على البر الغربى ويبلغ طولها ٣٩٤ كم تقريبا والجزء الاكبر من انتاج البحيرة السمكى يصاد من الخيران خاصة فى الاجزاء الضحلة حيث تتجمع اسماك البلطى التى تمثل اغلبية انتاج البحيرة .

وقد بدا تسجيل الاسماك المصادة والمنقولة من بحيرة ناصر ابتداء من عام ١٩٦٦ ، وقد تضاعف الانتاج خلال الخمسة سنوات الاخيرة ١٩٦٦ — ١٩٧١ فى حوالى ٩ مرات تقريبا . حيث بلغ انتاج البحيرة عام ١٩٧١ ما يقرب من ٧٠٠٠ طن منها حوالى ٤٠ ٪ اسماك مملحة ، ٦٠ ٪ اسماك طازجة ، واهم الانواع المصادة فى بحيرة ناصر هى البلطى حيث يمثل انتاجه ٤٠ ٪ من اجمالى انتاج البحيرة [طازج ومملح] او ٧٠٪ من اجمالى انتاج الاسماك الطازجة ، يليه اسماك **الراية والليس** حيث يمثل انتاجها ٤٠ ٪ ايضا من اجمالى الانتاج او ٨٢ ٪ من انتاج الاسماك المملحة .

وتتولى شركة المصايد الجنوبية ـ احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للثروة المائية تجميع الاسماك المصادة من قواعد الصيد المنتشرة على شواطىء البحيرة والجزر الموجودة فيها ونقلها الى ميناء السد العالى ، بواسطة اسطول مكون من حوالى ٥٥ لنش نقل آلى ، منها عدد ٤ لنشات قوة ٢٠٠ ـ ٢٤٠ حصانا ، عدد ٦ لنشات قوة ٨٤ — ١١٠ ح والباقى من ٢٥ — ٥٤ حصانا ، وامداد الصيادين بالثلج لحفظ الاسماك لحين حضور لنش النقل محدود مما يعوق عمليات الصيد فى ظل حرارة الجو المرتفعة ذلك ان الصيادين فى مناطق الصيد البعيدة لايبدأون الصيد الا عند مشاهدتهم لنش النقل قادم اليهم ، وقد ادى هذا الى عودة لنشات النقل محملة بأقل من سعتها ، وتساهم شركة المصايد الجنوبية فى حل هذه المشكلة نسبيا عن طريق التوسع فى بناء لنشات نقل تغطى جميع مناطق البحيرة ، مما يعمل على توفير خدمات النقل والامداد .

وبتحليل بيانات الانتاج المنقول ، اتضح ان ٦٠ ٪ من اجمالى الاسماك المنقولة يأتى من النصف الشمالى للبحيرة ، وان ٢/٣ الاسماك المملحة يأتى من النصف الجنوبى ويرجع السبب فى ذلك الى عاملين :

الاول : قرب النصف الشمالى من ميناء السد العالى (منطقة تسليم الانتاج) مما يتيح المحافظة على الاسماك فى حالة طازجة ، بعكس الحال فى النصف الجنوبى حيث المسافة ابعد ، بجانب صعوبة عمليات النقل لسلع سريعة التلف ، مثل الاسماك فى درجة حرارة مرتفعة مما يدفع الصيادين الى المحافظة على الاسماك عن طريق التمليح .

الثانى : كذلك قد يكون نفس السبب وهو بعد الجزء الجنوبى عن منطقة تسليم الانتاج الدافع فى ان الصيادين فى هذا الجزء من البحيرة يقتصرون على صيد الاصناف التى يمكن حفظها بالتمليح ، وبالتالى يمكن التغلب على مشاكل حفظها ونقلها فى حالة اذا نقلت طازجة.

ويعمل فى بحيرة ناصر حوالى ٤٠٠٠ صياد يستخدمون ١٠٢٠ قارب صيد مجدافى ويسيطر على هذا العدد من الصيادين مجموعة قليلة من كبار ملاك قوارب الصيد وتجار الاسماك وبالتالى يسيطرون سيطرة تامة على البحيرة وذلك عن طريق الجمعية التعاونية لصائدى الاسماك بأسوان والتى انشئت عام ١٩٦٠ بواسطة عدد عشرة من تجار الاسماك الملاك لقوارب الصيد .

وطبقا لقانون الجمعيات التعاونية السمكية فان عضوية الجمعية تقتصر على من يكون **مالكا كليا او جزئيا لقارب او معدات الصيد** ، وهذا يعنى ان الجمعية التعاونية لصائدى الاسماك اصبحت مؤسسة لملاك قوارب الصيد الذين يكونون كبار وصغار رؤساء جماعات الصيادين، ولا يحق للمعدمين من الصيادين العاملين فى البحيرة التمتع بعضويتها ، اى بمعنى آخران

اكثر من ٢٧٠٠ صياد يعملون فى البحيرة ليسوا اعضاء فى الجمعية التعاونية لصائدى الاسماك بأسوان ، اى ان ٣/٢ الصيادين فى بحيرة ناصر ليس لهم اى تنظيم للدفاع عن مصالحهم وحمايتهم والتعبير عن وجهات نظرهم ونقلها الى الجهات المسئولة .

ويوزع الصيادون العاملون فى البحيرة على ٣٠ منطقة صيد Fishing areas على كل جانب من جانبى البحيرة قسمت بالاتفـاق فيما بين رؤساء الجماعات عن طريق الجمعية التعاونية لصائدى الاسماكبأسوان ، وتضم هذه المناطق ٣٣٤ قاعدة صـيد Fishing bases حيث يتراوح عدد الصيادين فى كل قاعدة من ٥ ــ ٥٠ صيادا .

ويعيش الصيادون فى ظروف صعبة الغاية ، وغير انسانية على الاطلاق حيث ينـامون فى قواربهم [طول القارب من ٤ ــ ٦ م ومتوسط عدد الافراد على القارب الواحد من ٢ ــ ٤ افراد] بدون مأوى ، بعيدين عن عائلاتهم معظم اوقات السنة ، ويتم امدادهم بالمواد الغذائية والتموينية بواسطة مندوب عن كل مجموعـة [ريس المجموعة] يكون بصـفة مستمرة على احد لنشات النقل العاملة مع هذه الجماعة .

علاقات الانتاج بين الصيادين

والعلاقات الانتاجية بين الصيادين المعـدمين وملاك القوارب هى علاقة راسمالية احتكارية ، حيث يعتبر قادة الجماعات هم المسيطرون تماما على الصيادين ، وذلك بسبب امتلاكهم لقوارب ومعدات الصيد ، ويعتبر الصيادون عمال اجراء لديهم ويطلق عليهم اسم [العراقة] والذين يتم احضارهم من نفس قرى مـلاك القـوارب ، باستثناء بعض الجماعات فى النصف الشمالى من البحيرة ، حيث يتم تنظيم العمل والمعيشة فيما بينهم طبقا للعرف السائد فى النظـام الاسرى والجماعى حيث يتكون اعضاء هذه الجماعات من الاقارب غالبا ويسود نظام الملكية الجماعية لقارب الصيد .

ويمد الملاك الصيادين بالحـد الادنى من احتياجاتهم من المواد الغذائية ، كذلك يقومون بامدادهم بمعدات الصيد ، على الا تسلم لهم اجورهم الا بعد انتهاء موسم الصـيد وعودتهم الى قراهم وذلك بعد خصم كافة النفقات الخاصة بالمعيشة والانتقال ، ويتم تقسيم الانتاج على اساس تخصيص ٥٠ ٪ من قيمة الانتاج مقابل القارب ، وذلك بسبب استغلال جهلهم بالقراءة بالتساوى بين الصـيادين وصاحب القارب ، وعلى هذا فدخل الصياد منخفض للغـاية حيث يتراوح متوسط الاجر الشهرى للصياد من ٧ ــ ١٠ جنيهات ، بل ان بعض الصيادين عنـد انتهاء موسم الصيد يصبحون مديونين لمـالك القارب ، وذلك بسبب استغلال جهدهم بالقـراءة والكتابة وعدم قدرتهم على مراجعة مصروفاتهم وبيان انتاجهم مع المالك ، حيث له حرية التصرف فى كل شىء ، وكذلك لكى يضمن المالك عودة الصيادين للعمل معه فى الموسم الجديد ،ومعظم الصيادين يظلون بالبحيرة مددا طويلة من ٩ ــ ١١ شهرا ،لايستطيعون مغادرة مكانه الا باذن رئيس الجماعة حيث انه المسيطر الفعلى على لنش النقل وسيلة النقل الوحيدة .

علاوة على ذلـك فان الجمعية التعاونيـة لصائدى الاسماك باسوان تحاول ان تساهم فى تمويل مشروع تسكين الصيادين على شواطىء البحيرة عن طريق تخصص مبالغ لبناء مساكن فى القرى المقترحة طبقا للمشروع المذكور على ان تخصم هذه المبالغ من اجور الصيادين .

ولا شـك ان هـذا الاقتراح يتيح للملاك السيطرة على الصيادين المعدمين ، ليس فقط فى تشغيلهم ولكن ايضا فى اماكن معيشتهم .

وعلى هذا فان القضاء على استغلال الملاك للصيادين المعدمين ليس فقط فى بحيرة ناصر ولـكن فى كل مصـايد الجمهورية حيث تتكرر الصورة بشكل او بآخر يتطلب تعـديل قانون الجمعيات التعاونيـة السمكية بحيث يسـمح للمعـدمين من الصـيادين بالتمتع بعضـويتها وامتيازاتها وتمثيلهم فى مجالس ادارتها وخلق التعـاونيات الانتـاجية السمكية الفعليـة بدل التنظيمات التعاونية الحالية .

وانتاجية الصيادين فى بحيرة ناصر منخفضة نسبيا ولا تتناسب مع وفرة الاحتياطيات السمكية الموجودة فى البحيرة [١ر٧ طن سنويا] والتى تدل عليها كمية الغـذاء السمكى الموجـودة ، ويرجع السبب فى ذلك الى موسمية الانتـاج والتى ترجع بدورها الى انخفـاض مسـتوى التكنيك المستخدم فى الصيد والذى يقف عاجزا عن التقليل من حدة الموسمية ، وبالتالى زيادة الانتاج ، ذلك ان الانتاج العـام من الاسماك منخفض خـلال الفترة من اكتوبر ــ ينـاير ، ومرتفع فى الفترة من مايو ــ سبتمبر .

ويرجع السبب فى ذلك الى الاتى :

خلال الفترة من مايو الى سبتمبر تكون كميات الاكسوجين منخفضة فى الطبقات السفلى من البحيرة ، مما يجعل الاسماك تتجه الى الطبقات

السطحية من البحيرة ؟ سواء فى مناطق الخيران او فى مجرى النيل نفسه ،حيث تكون كميات الاكسوجين اكثر وفرة ، كذلك يؤدى انخفاض كميات الاكسوجين الى نقص فى المساحة الملائمة او الصالحة لمعيشة الاسماك (Habitable Volume) وهذا يعمل على تركيز كميات كبيرة من الاسماك قرب السطح ، مما يؤدى الى زيادة فرص الصيد بالشباك السطحية المستخدمة فى البحيرة [هناك علاقة عكسية بين (Habitable Volume) وحجم الصيد] ، وهذا يفسر زيادة الانتاج فى هذه الفترة ، اما فى فصل الشتاء ، فتزداد كميات الاكسوجين فى الطبقات السفلى من البحيرة ، وبالتالى تزداد الرقعة الصالحة لمعيشة الاسماك وهذا يساعد على الانتشار الرأسى للاسماك وانخفاض درجة تركيزها ، مما يقلل امكانيات صيدها خاصة فى الاعماق الاكثر من مدى الشباك السطحية المستخدمة ، مما يؤدى الى انخفاض الانتاج فى هذه الفترة .

دراسات وبحوث متعلقة بالبحيرة

يقوم بالدراسات والبحوث الخاصة باستغلال بحيرة ناصر مركز تنمية بحيرة ناصر التابع لمشروع التخطيط الاقليمى لمحافظة اسوان ، والتى تم انشاؤه بناء على الاتفاقية المنعقدة بين حكومة مصر والصندوق الخاص للبرنامج الانمائى للامم المتحدة .

وقد بدأ سريان الاتفاقية فى يوليو سنة ١٩٦٨، وهى بداية عمل المركز الفعلية .

واهم الدراسات والابحاث التى قدمها المركز فى مجال الثروة السمكية ، هى الدراسة الخاصة بتطوير الصيد فى بحيرة ناصر عن طريق استخدام شباك الاعماق فى منطقة المياه المفتوحة [خارج الخيران) - وهى المناطق التى لم تكن قد استغلت قبل ذلك - فى فصل الشتاء ، وهو موسم انخفاض الصيد فى البحيرة كما سبق ان اوضحنا

وطبقا لنتائج هذه البحوث ، فانه يمكن زيادة الصيد بحوالى ٣٠٠٠ طن من الاسماك باستخدام ١٠٠ شبكة لمدة ٢٠٠ ليلة صيد ،ومن الممكن زيادة الانتاج بزيادة عدد الشباك .. واهمية هذه النتائج تتلخص فى :

● تقليل حدة الموسمية فى الانتاج مما يعمل على زيادة الانتاج ورفع الكفاية الانتاجية للصياد حيث ان استخدام شباك الاعماق فى الصيد فى المياه المفتوحة فى فصل الشتاء يعمل على رفع الانتاج فى هذا الوقت من السنة الذى يتميز بانخفاض الانتاج .

وقد قامت شركة المصايد الجنوبية بتجربة هذا النوع من الشباك وظهرت نتائج طيبة باستخدامها ، الا ان ملاك القوارب حاربوا قيام الشركة بالصيد بالبحيرة ووضعوا امامها العراقيل ، بل قاموا بتقطيع الشباك ليلا حتى لا يوجد منافس لهم فى البحيرة ، فى نفس الوقت الذى لا تتيح لهم امكانياتهم استخدام مثل هذه الشباك واستغلال مناطق الصيد فى المجرى الاساسى لنهر النيل والغير مستقل ، مما جعل الشركة تتوقف بعض الوقت عن استخدامها لحين اعادة النظر فى تقسيم البحيرة وتخصيص منطقة صيد خاصة للشركة .

كذلك قام المركز بتجربة استخدام عدد ٢ قارب اسمنتى كقوارب صيد ، وفى نفس الوقت تقوم بتجميع الاسماك من قواعد الصيادين وتسليمها الى لنشات النقل ، وكذلك تم بناء ورشة صغيرة لبناء هذا النوع من القوارب يشرف عليها عمال مصريون تم تدريبهم بواسطة خبير بناء قوارب الصيد التابع للامم المتحدة .

ولا شك ان تعميم هذه القوارب يعمل على تحقيق الاتى :

١ - المساهمة فى حل مشاكل النقل داخل البحيرة ، خاصة انه تم تدعيم هذه القوارب بثلاجات سعة ٣ اطنان ، مما يعطى مرونة فى تنظيم عمليات النقل .

٢ - رفع مستوى الميكنة حيث ان هذه القوارب مزودة بموتورات محملة out board قوة ١٥ حصانا ، مما يساعد على اتساع منطقة الصيد للقارب الواحد ، وتوفير الوقت الضائع فى الانتقال ، وزيادة الوقت المتخصص لعملية الصيد المباشرة ، مما يؤدى الى رفع الكفاية الانتاجية للصياد .

٣ - هذه القوارب لا تحتاج الى عمرات دورية مثل التى تحتاجها القوارب الخشبية ، كذلك لا تحتاج الى القيام بعمليات التنظيف مما يعمل على بقائها فى منطقة الانتاج فترة اكبر ويقلل فى نفس الوقت من مصاريف الصيانة .

وعلى الرغم من الجهد الذى بذله مركز تنمية بحيرة ناصر فى مجال الدراسات المتعلقة بالثروة السمكية ، الا انه يوجد بعض اوجه القصور فى بعض نواحى الدراسات الهامة والاساسية المتعلقة بالبحيرة لاسباب قد تكون خارجة عن ارادة المركز :

- فلم تتم اية دراسات كافية حتى الان لتحديد المخزون السمكى فى البحيرة Stock assessment حجر الزاوية فى خطط تنظيم استغلال البحيرة ، وكذلك فى تحديد حجم

المشروعات الاستثمارية المقترحة ؟ ورغم التوقعات المتفائلة لانتاج البحيرة على مدى الثلاثة او الاربع سنوات القادمة ، الا انه يجب الاخذ فى الاعتبار ان اى مشروعات استثمارية يتم اقامتها بدون تحديد المخزون السمكى اولا فانها تكون قد قامت بدون دراسة علمية كاملة .

— لم تتم دراسات جدية خاصة بمعدات وطرق الصيد بغرض تطويرها ورفع كفايتها وادخال معدات وطرق صيد جديدة [باستثناء شباك الاعماق] .

— لم ينل مشروع ميكنة قوارب الصيد المستخدمة حاليا فى البحيرة حقه من الدراسة والتنفيذ ، رغم حيويته لزيادة الانتاج السمكى والمساهمة فى حل مشاكل النقل داخل البحيرة.

كيف نحقق انتاجا أكبر ؟

ان تنظيم استغلال بحيرة ناصر بهدف تحقيق اكبر انتاج مع المحافظة على الموارد السمكية فيها يتطلب الاتى :

اولا : الغاء سيطرة واحتكار مجموعات الملاك لمناطق معينة ، مقصورة استقلالها عليهم فقط ، وذلك عن طريق سيطرة شركات القطاع العام [شركة المصايد الجنوبية] على البحيرة بكاملها على ان يعمل جميع الصيادين فى البحيرة تحت ادارتها واشرافها ، اما عن طريق نظام المشاركة فى الانتاج ، او عن طريق اعتبارهم عمال بالشركة — وفى هذه الحالة يجب تطبيق نظام الحوافز المرتبط بكمية الانتاج — او عن طريق تطبيق النظامين .

والقضاء على تقسيم البحيرة الى مناطق نفوذ واقطاعيات خطوة هامة جدا للمحافظة على الثروة السمكية وضمان حسن استقلالها وذلك للاسباب الاتية :

١ — ان خاصية الحركة المستمرة للاسماك واستمرار انتقالها من مكان الى آخر يجعل بعض الانواع تتواجد فى مناطق معينة وفى اوقات محددة بكميات اكبر نسبيا فى المناطق الاخرى ، مما يعطى امكانيات اكبر لمجموعات الصيادين العاملين فى هذه المناطق عن غيرهم ، وقد لا تسمح لهم امكانياتهم [سواء من ناحية العدد او الامكانيات المادية) من صيد كل الكميات فى وقت معين والتى كان من الممكن صيدها لو ترك الصيد مباحا فى نفس المنطقة لمجموعات اخرى.

٢ — انه لم تتم حتى الان دراسة سلوك وخواص اغلب اسماك البحيرة ، وقد يتحتم بعد استكمال هذه الدراسة وجود مرونة وتحكم فى انتشار الصيادين فى اوقات مختلفة من السنة قد يكون من الصعب تحقيقها فى ظل استمرار الوضع الحالى والتى تثبت دعائمه مع الوقت .

٣ — ان البحيرة حتى الان لم تستغل كل مواردها Underfishing — بمعنى ان عدد الصيادين وقوارب الصيد اقل من الحد المطلوب للاستغلال الامثل ، وبالتالى فان قصر مساحات واسعة على عدد قليل من الصيادين طبقا للتقسيم الحالى يؤثر تاثيرا سيئا على تنمية الانتاج، حيث ان الجماعات الحالية من الصيادين لا يسمحون لاى جماعات جديدة مشاركتهم فى استغلال مناطقهم ، والمثال الواضح على ذلك العقبات التى وضعت امام شركة المصايد الجنوبية عندما بدات القيام بعمليات الصيد فى البحيرة .

٤ — حماية المعدمين من الصيادين من استغلال ملاك القوارب ، وتوفير وسائل وظروف معيشة وعمل ملائمين .

ثانيا : وضع الانتاج بمراحله المختلفة [الصيد — تجميع ونقل الاسماك داخل البحيرة — النقل الى مخازن التبريد بأسوان] تحت اشراف شركة المصايد الجنوبية حيث تقوم بالصيد بجانب تملكها لنشات النقل ، ذلك ان الوضع الحالى كالاتى :

— الصيد — يقوم به الصيادون العاملون لدى الصيادين الملاك واعضاء الجمعية التعاونية بجانب قيام شركة المصايد الجنوبية بالمشاركة فى عمليات الصيد .

— تجميع ونقل الاسماك داخل البحيرة — وتقوم به شركة المصايد الجنوبية التابعة للمؤسسة المصرية العامة للثروة المائية والتابعة لوزارة الزراعة .

— النقل من ميناء السد العالى الى مخازن التبريد بأسوان وتقوم به الشركة المصرية لتسويق الاسماك التابعة لمؤسسة السلع الغذائية والتابعة لوزارة التموين .

— مخازن التبريد بأسوان وتتبع شركة جركو التابعة لمؤسسة السلع الغذائية .

ونتيجة لهذا التقسيم، فغالبا ماينعدم التنسيق بين الجهات الاربعة ، بل بسبب تعدد الجهات المسئولة فانه يحدث فى بعض الاحيان وضع عراقيل امام الاطراف الاخرى لاحراجها ، ونستطيع ان نتصور مدى الخسارة فى سلع سريعة التلف مثل الاسماك تنتج فى منطقة حارة مثل اسوان .

ولهذا فان ضم جميع مراحل الانتاج فى يد جهة واحدة مسئولة عن كل هذه العمليات يتيح لها القدرة على التنسيق بين المراحل المختلفة ،

على ان تقوم هذه الجهة بتقديم كافة الخدمات التى تقدمها الجمعية التعاونية لكافة الصيادين وليس لاعضائها فقط مع منح الجهة التى ستتولى الاشراف والادارة جميع الامتيازات الممنوحة للجمعية بالنسبة لاسعار شراء معدات الصيد والاعفاءات من الضرائب والرسوم ، كذلك تقوم هذه الجهة باعطاء التصاريح الخاصة بالصيد حتى يمكن التحكم فى عدد الصيادين وفى انتشارهم داخل البحيرة ، مع توفير قوة حراسة لتنفيذ قوانين ولوائح الصيد .

ثالثا : تنشيط عمل الجهات التى تقوم بأبحاث ودراسات خاصة بالبحيرة — مركز تنمية بحيرة ناصر — وخلق علاقة واتصال بينها وبين الجهة التى تتولى ادارة واستغلال البحيرة [شركة المصايد الجنوبية] والتنسيق بينهم .

رابعا : تنظيم عمليات تجميع ونقل الاسماك داخل البحيرة ، نظرا لسرعة فساد الاسماك خاصة فى الظروف المناخية الحارة لبحيرة ناصر ، فان اهتماما كبيرا يجب ان يوجه الى عمليات النقل حتى يمكن تقليل الوقت بقدر الامكان بين مراحل الصيد ومراحل الحفظ [التبريد] ، اذ انه كلما قل الفارق الزمنى بين هاتين المرحلتين ارتفعت جودة الاسماك .

لذا كان الاتجاه فى صناعة الصيد هو توحيد العمليتين على سفن الصيد ،وذلك بأن تقوم نفس سفينة الصيد بمعاملة الاسماك فور صيدها ، وبالتالى ظهرت سفن الصيد الثنائية الفرص — صيد وتصنيع .

ونظرا لطبيعة مصايد بحيرة ناصر ، حيث يتم اغلب الصيد فى مناطق الخيران حيث الاعماق لا تلائم سفن الصيد الكبيرة والمتوسطة ، فان الصيد يتم بواسطة القوارب الصغيرة .

ونقدم فيما يلى الاطار العام لتنظيم عمليات التجميع والنقل داخل بحيرة ناصر :

١ — ان يتم ترقيم جميع قوارب الصيد Fishing boats وتحدد منطقة عمل كل مجموعة منها حسب توجيهات الجهة المقترحة التى ستدير البحيرة .

٢ — يتم تركيب موتورات محملة out board على هذه القوارب توفيرا للجهد والوقت .

٣ — ان يقوم على خدمة كل مجموعة من قوارب الصيد لنش نقل Carrier boats يتحدد حجمه على حسب مجموعات قوارب الصيد التى يخدمها ومعدلات انتاجها ، على ان يقوم باستلام الاسماك فى نقطة تجميع متوسطة بين مناطق عمل هذه القوارب ، على ان يقوم لنش النقل بمد قوارب الصيد بالوقود اللازم لتشغيل الموتورات المحملة .

٤ — يتم بناء مراكب ام Mother ships يتحدد عددها على حسب اعداد لنشات النقل وتتواجد المركب الام فى منطقة متوسطة بين مناطق عمل لنشات النقل ، ويتحدد حجم المركب الام على حسب عدد لنشات النقل التى تخدمها ومعدلات انتاجها اليومى ، على ان يكون لكل مركب ام مركب آخر بديل ، بحيث لا تغادر المركب منطقة عملها الا بعد ملء مستودعاتها ووصول مركب ام بديلة تحل محلها .

ويراعى فى تصميم هذه المراكب الاتى :

[ا] ان يكون هناك ثلاجات لتجميد الاسماك بجانب غرفة تبريد لحفظها بعد ذلك .

[ب] ان يراعى توفير مساحة او فراغ للوقود اللازم لتشغيل لنشات النقل والموتورات المحملة خلال فترة تواجد المركب الام فى منطقة الانتاج ، بجانب وجود فراغات للمواد التموينية ومعدات الصيد .

وتقوم المركب الام بالخدمات الاتية :

- تجميع الاسماك من لنشات النقل .
- مد لنشات النقل بالوقود اللازم لها ولقوارب الصيد .
- مد لنشات النقل وقوارب الصيد بما يلزمها من ثلج ومعدات صيد .
- توفير وسائل العلاج الاولى للصيادين واطقم لنشات النقل .
- نقل واستبدال الصيادين واطقم لنشات النقل .
- القيام بالاصلاحات والصيانة اللازمة للموتورات المحملة على قوارب الصيد ولذا يجب توفير قطع غيار وفنيين على ظهر المركب الام .

ويتم التوسع تدريجيا فى اعداد المراكب الام مع الزيادة فى اعداد الصيادين ، وتطور انتاج البحيرة .

٥ — يمكن استخدام ارصفة خشبية عائمة مسقوفة مؤقتا كمرسى لمراكب النقل حتى ثبوت مستوى المياه فى البحيرة ، واتمام انشاء ميناء جديد ،ثم تقوم عربات النقل الثلاجة بنقل الاسماك من هذه الارصفة الى مخازن التبريد فى مدينة اسوان ، على ان تتبع هذه العربات ومخازن التبريد الجهة التى — تتولى ادارة البحيرة ، أما عن طريق التاجر ، او التمليك ، على ان تتولى الشركة المصرية لتسويق الاسماك نقل الاسماك من مخازن التبريد الى مناطق التوزيع بعد ذلك .

محــو الأميــة الصـــناعية

طه سعد عثمان

اذ كانت مصر اليوم، حكومة وشعبا، تضع محو الامية العامة من المهام الرئيســية للمرحلة الحاليــة من حياتنا،ولها من الاولوية ما لايجب أن يضن فى سبيلها بجهد او مال .

واذا كانت كل شعوب العالم تهتم بمحو الامية العامة ، بل وتعتبر نسبة الامية فى أى بلد أو قطر هى مقياس لمعرفة نسبة تخلفه ، فان محو الامية الفنية لا تقل أهمية عن محو الامية العامة ، بل ويمكن القول بأن نسبة الامية الصناعية فى أى بلد بين المشتغلين بصناعة ما ، هى معيار لقياس تقدم تلك البلد فى تلك الصناعة .

وبالاضافة الى ذلك فان محو الامية الصناعية بين العمال ، هو وسيلة الاستفادة العقلية من محو الامية العامة . سواء بالنسبة للعامل أو البلد . لان الامية الصناعية ترتبط بالانتاج وهو عصب الحياة وعمود التقدم . والامية الصناعية ترتبط بالانتاج كما وكيفا وتكلفة .

الامية الفنية والانتاج

ان العامل الدارس للالة التى يعمل عليها دراسة نظرية وعملية هو الاقدر على استخدامها فى احسن أوضاعها . والمحافظة عليها وتقليل نسبة التالف من قطع غيارها ، واخيرا فهو القادر على اطالة عمر الآلة انتاجيا .. على عكس ذلك العامل الذى لا يعرف من أمر الالة التى يعمل عليها اكثر من دفع الفرملة لتدور ، وارجاعها لتقف ، مع جهد ميكانيكى بحت يجعله جزءا من الالة .

والعامل الذى يعرف نظريا وعمليا ، تكوين وخواص الخامة التى يستخدمها فى الانتاج ، هو القادر على استخدامها فى احسن صورها ، وتقليل نسبة المستهلك منها الى أقل حد ممكن ، بينما العامل الامى صناعيا تزيد نسبة استهلاكه للخامات ، لا لانه راغب فى استهلاكها ، ولكن لانه عاجز عن تقليلها لعدم درايته .

والعامل الذى لديه الحد الادنى من علم أصول الصناعة التى يمارسها ، هو القادر على الحصول من الالة على أعلى كمية من الانتاج ، ثم هو القادر على انقاص العيوب فى الانتاج الى أقل حد ممكن ، مع الاستفادة المستمرة من خبرته الانتاجية المتزايدة الى الوصول بالعيوب الى لا شىء .

محو الامية الصناعية حرفيا

من المسلم به ان اى انسان لا يستطيع أن يكسب

لا اذا كان ملما بالحد الادنى من معرفتها . رفيما مضى كان الصبى الذى يقدمه اهله الى المعلم لكى يعلمه الصنعه ، يستغرق عدة سنوات قبل ان يصبح صنايعى او اسطى . فيبدأ عمله بالخدم فى المنزل والمحل ، ثم يبدأ المعلم فى تدريبه مقدما له الخبرة العملية وحدها بالقطارة ، حاجبا عنه دقائق المهنة واسرار الصنعة ، الا اذا اطمأن الى ارتباط الصبى به نهائيا ، فعند ذلك يعطيه كل ما لديه .

اما الاجر ، فقد كان الصبى يبدأ عمله بالمجان (وكتر خير المعلم اللى هيعلم الولد صنعة) ثم يبدأ أجره من خمسة قروش فى الاسبوع .

ورغم ما تطورت اليه الحالة الاقتصادية فى مصر ، والتقدم الذى وصلت اليه وخاصة فى الناحية الصناعية ، ورغم ما صدر من تشريعات لتنظيم تشغيل الصبية وتحديد الحد الادنى للاجر ، فان هذا النظام مازال ساريا فى كثير من الحرف ، ومازال بعض المواطنين يقدمون اولادهم للنجار والجزمجى والحلاق والكهربائى والسمكرى وصاحب الورشة ، ليتعلموا صنعة يأكلون منها العيش .

واذا كان موضوع الاجر مختلفا اليوم عما مضى ، الا انه فى الحقيقة اختلاف فى الشكل وليس فى الجوهر ، واختلاف فى الكم وليس فى الكيف .

وهذا النوع من تعلم الصناعة قاصر ، ولا يؤدى الى محو الامية الصناعية ، لان ما يتعلمه الصبى هو فقط ما يستطيع ان يلتقطه من الاسطى أو المعلم ، وما يستطيع ان يكتسبه بخبرته الذاتية اثناء فترة الصبينة ، من عمل فقط ، لا يستند الى اية دراسة علمية .

محاولات محو الامية الصناعية

رغم ان محو الامية الصناعية لم يوضع كقضية ، لها من الاهمية ما لقضايانا الرئيسية ، الا انه قد جرت عدة محاولات متفرقة لطرق بابها ، كان من أهمها :

١ ــ التدريب العملى فى الشركات والمصانع :
منذ بدأت البورجوازية المصرية تدخل الميدان الصناعى ، وهى حريصة على اعطاء العمال القادمين من الريف قدرا من التدريب ، وان كان لم يصل الى محو الامية الصناعية ، الا انه كان الحد الادنى والضرورى لادارة الالة واخراج الانتاج بالحد الادنى من الصلاحية للتسويق .
واوضح مثال على ذلك ما انشأته شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى فى بداية عملها ، حيث خصصت قسما كان يسمى المدرسة ، يدخله العمال الراغبون فى العمل فى النسيج لفترة محددة ، يؤدون فى نهايتها امتحانا ، كان النجاح فيه شرطا لانتقال العامل الى احد الاقسام الانتاجية ، واستلام انوال يتقاضى اجر انتاجها .

وقد استطاع هذا التدريب المبدئى الذى لم يصل الى محو الامية الصناعية ، ان يفيد الشركة كثيرا ، خاصة مع التوسع السريع والمستمر ، والحاجة المضطردة الى العمال نصف المدربين .

وقد سمحت الشركة ، بل ورحبت بتشغيل طلبة قسم النسيج الميكانيكى بالمدارس الصناعية ومدرسة الفنون التطبيقية للاشتغال بها فى فترة الاجازة الدراسية الصيفية ، مع الترحيب ايضا باشتغالهم بها بعد التخرج ، لا كنساجين ولكن كمساعدين ، ومباشرين ، لاصلاح الالات والاشراف على الانتاج .

٢ ــ المدارس الاعدادية الصناعية :

بدأت الدولة فى فتح المدارس الابتدائية للصناعات والتى سميت بعد ذلك بالمدارس الاعدادية الصناعية عندما حلت المدارس الاعدادية العامة محل المدارس الابتدائية القديمة ، وقد كانت هذه أول محاولة جادة من جانب الدولة لمحو الامية الصناعية ، وفتح باب القبول لتلك المدارس لمن ينجح فى امتحان تعقده المدرسة فى اللغة العربية والحساب ، وفى مستوى امتحان محو الامية العامة حاليا .

وقد اقبل الاهالى فى البداية على ادخال اولادهم فيها لان الدراسة كانت بالمجان ، وتصرف الدولة وجبة غذاء لكل طالب مع صرف بدلة زرقاء للورشة . فاتسعت المدارس الاعدادية الصناعية وزاد عددها وشملت البنات ايضا فأنشأت لهن مدارس اعدادية صناعية يدرسون فيها تخصصات تتفق مع طبيعتهن .

ورغم ان السنوات القليلة التى تلت عام ١٩٥٢ قد شهدت اقبالا شديدا على تلك المدارس مما حدا الى تحويل بعض المدارس الثانوية الصناعية الى مدارس اعدادية صناعية يدخلها من اتموا دراسة المرحلة الاولى . فان السنوات الاخيرة قد شهدت انكماشا فيها . واوشكت ان تتم نهائيا عملية تصفية المدارس الاعدادية الصناعية .

ولقد رحبت الشركات بهذا النوع من الدراسة ، التى تعتبر محوا للامية الصناعية ، فأنشأت بعضها مدارس اعدادية خاصة بها فى داخل المصانع ، وانشأ بعضها فصولا تابعة للمدارس الصناعية الحكومية . فكانت مهمة وزارة التربية والتعليم

بالنسبة لمدارس الشركات وفصول المصانع ، هو مدها بالمدرسين اللازمين لكل فرع من فروع الدراسة وكذلك الموجهين العمليين والنظريين •

اما الامتحان النهائى فكان واحدا للجميع ، والمؤهل واحد للمدارس الحكومية ومدارس الشركات وفصول المصانع •

أسباب تصفية المدارس الاعـدادية الصـناعية

قد يكون هناك كثير من الاسباب التى ادت الى تصفية المدارس الاعدادية الصناعية وكان من بين تلك الاسباب فيما أرى ما يلى :

١ ـ الذين تقدموا للالتحاق بهذه المدارس ، هم التلاميذ الذين لم يجدوا لهم مكانا بالمدارس الاعدادية العامة ، ثم ان والديهم قد ادخلوهم الى تلك المدارس بهدف الحصول على شهادة تمكنهم من التوظف ، وعندما تخرجت الدفعات المتتالية ولم يوظفوا ، بدأ الاقبال على تلك المدارس يقل تدريجيا •

واذا كان الهدف من تلك الدراسة غير واضح امام الاهالى ، فان المسئولية تقع على أجهزة الدولة المعنية ، التى كان يجب ان تقوم بالشرح والتعريف والتوضيح للمهمة الاساسية للمدارس الاعدادية الصناعية ، وهى محو الامية الصناعية ، وتمكين التلميذ من تعلم صناعة على اساس علمى ، يستطيع أن يكتسب منها عيشه كعامل ويستطيع فى ثلاث سنوات أن يحصل على معلومات نظرية وعملية عن تلك الصناعة ، قد يستغرق عشر سنوات للحصول على جزء من الجنب العملى وحده منها اذا اشتغل فى دكان أو ورشة •

ولا شك ان النظرة الخاطئة للهدف من التعليم والتى ركزها الاستعمار البريطانى فى اذهان المجتمع المصرى منذ مدة طويلة ، تلك النظرة التى تجعل الهدف من التعليم هو الوظيفة الحكومية فقط ، وترديد المثل العامى (ان فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه) تلك النظرة كان لها دور فى عدم استفادة خريجى المدارس الاعداية الصناعية من دراستهم •

٢ ـ لم تقم الاجهزة المختلفة فى الدولة بالمتابعة الجادة للخريجين ، ومساعدتهم فى الحصول على اعمال مناسبة ، وباجر مناسب • وكثيرون ممن انهوا تلك الدراسة قد اشتغلوا بأعمال لاتمت بصلة الى ما تعلموه ، الامر الذى أشعر التلميذ وأهله بأنهم قد اضاعوا السنوات الثلاث ، مما انفق فيها من جهد ومال بلا فائدة • بينما كان من الممكن مساعدة الخريجين بأحدى الوسائل الاتية :

أ ـ الحاقهم بالعمل بالشركات والمصانع فى مهنهم التى تعلموها .

ب ـ مدهم بالمعدات والعدد اللازمة لبدء العمل بالمهنة متى كان ذلك ممكنا (ماكينات خياطة لشعبة التفصيل والخياطة للبنات ، وشعبة التريزية للبنين ـ عدد نجارة ـ وكهرباء ، وسمكرة ، وجلود ، وغيرها مناسبة لكل تخصص) على ان يقسط الثمن عليهم او يعفون منه ، ثم مدهم بالخامات الضرورية •

جـ ـ انشاء جمعيات تعاونية صناعية تضم الخريجين ، على أن تقدم اليهم المعدات والخامات ، وتحدد الدولة المنتجات التى تقوم بتسويقها على نظام مشابه لما هو متبع فى مصانع القطاع الخاص للنسيج ، الذى يتسلم حصة الغزل من شركات القطاع العام ، ويسلم اليها المنتجات التى تحددها تلك الشركات ، ويتقاضى القطاع الخاص فى مقابل التصنيع اجرا شبه محدد لكل صنف من المنتجات ، يشمل كافة مصاريف التشغيل مضافا اليها الارباح المعقولة •

وبذلك نرفع عن اكتاف الجمعيات التعاونية الصناعية للخريجين ، الاعباء التى افشلت الكثير من المشروعات المماثلة ، وهى البحث عن الخامات ، ثم البحث عن التاجر المشترى ، وفرق السعر فى الحالتين (البحث عن الخامة مع ندرة وجودها ـ والبحث عن المشترى مع تكدس المنتجات) هى اخطر عوامل الفشل فى المشروعات الصناعية وسبب هام من أسباب الخسارة •

٣ ـ سوء اختيار التخصصات التى تتم فيها الدراسة • وعدم ملاءمتها مع الحاجة الفعلية للعمال فى الاقليم الذى تفتح فيه المدارس الاعدادية الصناعية مما ساعد على عدم حصول الخريجين على أعمال •

٤ ـ مع الاعتراف بتعادل هذه المرحلة من التعليم مع التعليم الاعدادى العام . فان الالتحاق بالمدارس الثانوية الصناعية قد اشترط على خريجى المدارس الاعدادية الصناعية ان يحصلوا على ٧٠ فى المائة على الاقل من مجموع المواد النظرية ، بينما الحاصل علىالاعدادية العامة قد يدخل المدرسة الثانوية الصناعية بمجموع ٥٠ فى المائة أو أقل (عندما كان النجاح فى الاعدادية العامة بمجموع ٤٠ فى المائة) بجوار شروط أخرى جعلت استكمال الدراسة امام الغالبية الساحقة منهم مقفلة •

٥ ـ زاد الطلب على المدارس الثانوية الصناعية ، وزاد عدد التلاميذ الحاصلين على

الاعدادية العامة والذين لا مكان لهم فى التعليم الثانوي. وعند ذلك بدا حل المشكلة بشقيها (زيادة الطلب على المدارس الثانوية الصناعية وامتصاص الحاصلين على الاعدادية العامة) بفتح فصول ثانوى صناعي بالمدارس الاعدادية الصناعية، ونطورت المسالة بالتدريج حتى تحولت كل المدارس الاعدادية الصناعية (بنين وبنات) الى مدارس ثانوية صناعية ·

لقد افضت في الحديث عن التعليم الاعدادى الصناعي لانه التجربة التي استمرت اطول مدة من بين كل المحاولات، ولان الدراسة المستفيضة لها ستساعد على وضع اساس سليم لحل قضية الامية الصناعية ·

الجامعة الشعبية

انشات الدولة الجامعة الشعبية وكان لها أوجه عديدة من النشاط، منها النشاط الدراسى والذى كان يشمل فرعين :

الاول : فرع تعليم الكبار، وكان يدخله الرجال من اى سن برسم رمزى ليتعلموا الصناعة التى يرغبونها · والتى هم فى حاجة اليها فعلا مثل السيارات والكهرباء واللاسلكى · الخ ··

وقد انتفع عدد غير قليل من هذه الدراسة، وعلى سبيل المثال فان من اتموا الدراسة فى قسم السيارات بمدرسة الفيوم الثانوية الصناعية فى وقت عملى بها قد حصلوا على رخص قيادة، منهم الاطباء والمحامون والموظفون ومنهم السعاة الذين تحولوا الى سائقين بعد حصولهم على الرخص مما غير وضعهم وحسن من اجورهم ·

الثانى : فرع تعليم الفتيان وكان هذا يدخله من اتموا دراسة المرحلة الاولى ·

وكانت الدراسة فى غالبيتها تتم فى المدارس الصناعية، وباستخدام ورشها ومعداتها، وقام مدرسو تلك المدارس بتدريس المواد النظرية والعملية للدارسين، فى مقابل مكافأة تعادل تقريبا مكافأة الحصص الزائدة عن النصاب للمدرس، وقد انتهت الجامعة الشعبية وصفيت الدراسة بها نهائيا ·

مراكز التدريب المهنى

انشأت مصلحة الكفاية الانتاجية التابعة لوزارة الصناعة مراكز التدريب المهنى، وبدأت بقبول المنتهين من الدراسة بالمرحلة الاولى وعندما زاد الاقبال عليها، حددت شرط الدراسة الاعدادية العامة للقبول، بما فى ذلك قبول الراسبين فى الاعدادية، ثم تطورت فاصبحت الان تقبل الحاصلين على الشهادة الاعدادية العامة فقط، بل انها تقبل الان بمجموع أعلى مما تقبل به المدارس الثانوية الصناعية فى بعض المناطق ·· ومع هذا فان الاقبال عليها في العامين الاخيرين اصبح اشد بكثير من الاقبال على مدارس التعليم الفنى، وذلك فيما ارى يرجع للاسباب الاتية :

أ ـ صدور قرار بمعادلة شهادة مراكز التدريب المهنى بدبلوم المدارس الثانوية الصناعية من الناحية المالية، ويدرس الان موضوع السماح لخريجي مراكز التدريب المهنى بالالتحاق بالمعاهد العليا الصناعية بنفس شروط المدارس الصناعية ·

ب ـ حصول الطالب على أجر فى صورة مكافأة اثناء الدراسة ·

جـ ـ ضمان التحاق المتخرج بالعمل فى احدى الشركات ·

وقد خرجت بذلك مراكز التدريب المهنى من نطاق محو الامية الصناعية، الى نطاق التعليم الفنى الصناعي، وان لم تكن تابعة للادارة العامة للتعليم الصناعى بوزارة التربية والتعليم ·

ولو اننى أتمنى أن نصل الى اليوم الذى يصبح فيه منهج مراكز التدريب المهنى الحالى هو الحد الادنى من الدراسة، الذى لا يقبل عامل فى أية صناعة الا بعد الحصول عليه، الا أننى اعتقد أن ذلك متقدم عما تسمح به ظروفنا الان · ولهذا طالبت بمستوى متواضع ·

ان الشعب المصرى بلا شك ـ ككل شعوب العالم ـ يسعده ان يتمكن من الوصول بكل أبنائه الى التعليم الجامعى، ولكن امة بها نسبة عالية من الامية الصناعية، يجب أن تفكر أولا فى القضاء على تلك الامية نهائيا ثم تتطلع الى ما هو اعلى منها ·

مراكز تدريب المنتهين

من المرحلة الابتدائية

تقوم هذه المراكز فى الاساس بمساعدة احدى منظمات الامم المتحدة (اليونيسيف) التى تقدم المعدات والعدد اليدوية اللازمة لتعليم الحرف، كالنجارة والنسيج والتريكو والجلود والسمكرة والكهرباء العامة، للفتيان ـ والتفصيل والخياطة والتريكو للفتيات ·

وقد تعدد الاشراف على تدريب المنتهين من المرحلة الابتدائية، سواء بمساعدة اليونيسيف أو

بدونها ، فبعضها تشرف عليه ادارة التعليم الابتدائى ومعاهد المعلمين والمعلمات بوزارة التربية والتعليم ، وبعضها تشرف عليه ادارة رعاية الشباب ، وبعضها تشرف عليه وزارة العمل ، وأخيرا أنشأت الشرطة مركز تدريب هذا العام بقسم الخليفة بالقاهرة ٠

وقد بدأت المدارس الصناعية فى تبنى فكرة انشاء مراكز التدريب المهنى بها للمنتهين من المرحلة الابتدائية ، مستعينة بالعدد والادوات التى تقدم اليها من اليونيسيف ، ومستفيدة بما فى تلك المدارس من معدات وأدوات ٠ وتقوم المناطق التعليمية بصرف مكافآت التدريس والاشراف ٠

الحاح قضية محو الامية الصناعية

ألحت قضية محو الامية الصناعية على المجتمع المصرى منذ فترة طويلة ، وبدأت محاولات عديدة لمواجهتها ذكرت أهمها فيما سبق ، ولم يكن اتجاه عديد من الجهات ، الى نوع واحد من العمل ، هو تعليم الراغبين فى دخول حقل الصناعة الحد الادنى من الدراسة العملية والنظرية للصناعة ، رغم عدم الربط بين تلك الجهات ، الا تعبيرا عن الالحاح الشديد للقضية ٠

ولكن عدم وضوح القضية فى أبعادها الصحيحة ، هو الذى دفع بكل من شعر بها من الاجهزة الى البدء فى مواجهتها ، منفردا وبطريقته الخاصة ، غير مرتبط بما سبق ، ولا متصل بما هو قائم ٠

واذا كنا نتحدث عن بناء الدولة العصرية ، التى تستطيع أن تتطور بالعلم لمواجهة كل تحديات العصر ، فان قضية محو الامية الفنية صناعيا وزراعيا وتجاريا ، يعتبر من المهام الرئيسية التى يجب مواجهتها ، ووضع أساس علمى ومدروس لمواجهتها والقضاء عليها ، مع تحديد برنامج زمنى لذلك مهما طال ٠٠ والا فسنواجه باختناقات قد تكون مواجهتها أصعب بكثير مما سنلاقيه الان ، عند مواجهة محو الامية الفنية ٠

محو أمية عمال المصانع والشركات

لقد كان من النتائج السلبية الحتمية لهذه العفوية فى مواجهة القضية ، أن اتجهت كل الجهود الى تعليم المبتدئين والصبيان ، دون نظر الى العمال المشتغلين بالصناعة فعلا ٠

ولا يستطيع منصف أن ينكر الحاجة الملحة والشديدة الى محو أمية العمال المشتغلين بالصناعة فعلا ، خاصة مع التسليم بالتقدم المستمر فى التكنيك الصناعى عالميا ، والذى ينعكس على نوع الالة وتركيبها وطرق استخدامها وعلى الخامات وتركيبها والمصنوعات الناتجة منها ، ومع حاجتنا الى منتجات ذات درجة من الجودة وقيمة فى التكلفة ، تكفل الصمود أمام المنافسة فى السوق المحلى للقضاء على آفة الافتتان بالبضائع المستوردة ، وفى الاسواق الخارجية للمحافظة على ما لدينا منها ، والتوسع فى غزو أسواق جديدة بمنتجاتنا باستمرار ٠ ٠

ولكى نحقق ذلك ، فلابد من دراسة متجددة علمية وعملية ، للمشتغلين بالصناعة ، والا كانت الاستفادة من التقدم العلمى والتكنولوجى جزئية ، بل قد ينتج من ذلك خسارة ، اذا ما قسنا ما كان يجب أن يتحقق بعمال أكفاء ، تزيد معلوماتهم باستمرار ، عما هو محقق فعلا بعمال تجمدت خبراتهم ومعلوماتهم ٠

ولقد سبق ان واجهت شركة مصر للغزل والنسيج هذه المشكلة باسلوب ناجح فى عمومه ، عندما بدأت فى انشاء شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع بكفر الدوار ، والتى استخدمت فيها أنوال ذات اتوماتيكية كاملة ٠٠

ففى عام ١٩٣٨ اوفدت الشركة عددا من خريجى الفنون التطبيقية وخريجى المدارس الثانوية الصناعية فى بعثة على حسابها الى انجلترا ، البلد المورد للانوال ، ليتدربوا هناك على الانوال وطرق ضبطها ، وعندما عادوا رغم قصر المدة ، ورغم المعاكسات التى لاقوها من العمال الانجليز ، كانوا هم الذين تسلموا العمل من المهندسين الاجانب ، بل ان بعضهم ، قد استعانت بهم شركة مصر للغزل والنسيج فى المحلة الكبرى ٠

ان تجميد العمال المشتغلين بالصناعة ، على ما لديهم من خبرات عملية ، ستواجهنا فى المستقبل بعائق خطر فى طريق التقدم ، ومواجهة مشكلة محو أميتهم الفنية منذ الان واجب ملح ٠

أساس مواجهة المشكلة

ان مواجهة مشكلة محو الامية الفنية يحتاج الى دراسة علمية موضوعية لها بكافة اركانها ، ثم وضع تخطيط مدروس لحلها ، يحدد له برنامج زمنى ، وأرى أن توضع فى الاعتبار النقاط التالية :

اولا : تحديد ابعاد المشكلة ومحتواها ، وتحديد الهدف بدقة على أن يشمل شقى المشكلة ، العمال الحاليون ، والفتيان المقدمون على الصناعة ٠

ثانيا : تقييم جميع محاولات محو الامية الفنية

السابقة ، سواء ما صفى منها نهائيا وما زال قائما ، واستخلاص النتائج والدروس بتحديد ما تحقق من كل منها من نجاح ، وما اعترض كلا منها من معوقات .

ثالثا : وضع تخطيط مدروس ، وببرامج ووسائل محددة لتحقيق الهدف ، على أن يوضع فى الاعتبار وضع الخطوط العامة ، ثم البرامج التفصيلية لكل صناعة .

رابعا : تحديد جهة واحدة للاشراف على تنفيذ خطة محو الامية الفنية ، مع مدها بالامكانيات المادية والبشرية اللازمة ، اعطائها سلطة وحرية التصرف متحررة من الروتين .

ومن الممكن ان يساهم فى هيئة الاشراف الواحدة هذه ممثلون لجهات متعددة ، على أن يحدد دور كل جهة الذى يكون ممثلها مسئولا عنه (المؤسسات والشركات لتحديد البرامج اللازمة والتى تراها ضرورية لكل صناعة نظريا وعمليا - الادارة العامة للتعليم الصناعى لتقديم المدرسين والموجهين النظريين والعمليين - وزارة العمل لمتابعة الدارسين وحل مشاكلهم - النقابات العمالية لمباشرة التنفيذ بين أعضائها وحل مشكلاته - الخ ..

خامسا : عمل دراسة دورية فى كل عام تحدد مدتها حسب الحاجة (اسبوع أو اسبوعين مثلا فى كل عام) لتدريب العمال على كل جديد يتصل بعملهم .

سادسا : تحديد دور واضح ومحدد للنقابات العمالية فى محو الامية الفنية بين اعضائها .

اما دور النقابات العمالية بالنسبة للتعليم الثانوى الصناعى ، فأرجو أن يكون ذلك حديث مستقل ، خاصة واننى - بعد صدور قرار وزارة التربية والتعليم فى بداية عام ١٩٧١ بالسماح لعمال المصانع الحاصلين على الاعدادية العامة بالانتساب للمدارس الثانوية الصناعية - عندما صدر هذا القرار ارسلت خطابا للنقابة العامة لعمال الغزل والنسيج وحلج وكبس القطن ، تلك النقابة التى اعتبر نفسى من مؤسسيها ، اقترحت فيه خطة تفصيلية للتنفيذ ذات مراحل ثلاثة :

١ - مرحلة محو امية عامة الى الشهادة الابتدائية .

٢ - مرحلة دراسة اعدادية عامة .

٣ - مرحلة دراسة ثانوية صناعية .

ثم ارسلت صورة من الخطاب الى الاتحاد العام للنقابات .

واخيرا ، فان ما قدمت به قضية الامية الفنية ، ليس الا اشارة فقط اليها ، لا يتناسب مع ما اعتقده لهذه القضية من خطورة ترتبط بكل تحديات العصر التى تواجهنا .

هناك دور للرأسمالية الوطنية

ما هى حدود هذا الدور ؟

داود عزيز

لا شك ان الرأسمالية الوطنية لها دور فى عملية البناء الاقتصادى ، وبالمثل فان لها دور ايضا فى المجال السياسى . فهى قوة مع قوى الشعب العامل من المفروض اذن ان تساهم فى تطوير البلاد وتقدمها اقتصاديا ، وان تتكاتف مع قوى الشعب العاملة من اجل الدفاع عن الوطنية وصيانة استقلاله .

وتسلم بذلك كافة الادبيات السياسية ، ومع ذلك فاننا لانلبث ان نسمع دفاعا بين الحين والاخر عن مصالح الرأسمالية الوطنية واعادة التأكيد على حقوقها ومطالبها .

ويبدو فى كثير من الاحيان كما لو كان الامر لا ينتهى الا بتغليب مصلحة على اخرى ، مصلحة القطاع العام باعتباره شكلا من أشكال الملكية الاشتراكية ، أم مصلحة القطاع الخاص باعتباره شكلا آخر من اشكال الملكية الفردية لوسائل الانتاج .

ومصلحة تطور بلادنا وخلاصها وتقدمها ليست فى تغليب هذه على تلك ، ولاشك انمصلحة البلاد الوطنية فوق كل مصلحة .

وهنا يتقدم السؤال الاساسى : **ما هى الحدود التى تساهم بها الرأسمالية الوطنية فى تقدم البلاد ؟**

ان الاجابة على هذا السؤال يقتضى النظر الى الموضوع فى اطار الظروف الاقتصادية والسياسية التى مرت بها البلاد . ولا يمكن الاجابة حقا بمعزل عن هذه الظروف .

كيف نشأت الرأسمالية فى بلادنا وكيف تطورت وما هو مستقبل دورها ؟

ما هو الدور التاريخى الذى ساهمت به هذه الطبقة خلال تطورها ؟

ما هى طبيعة هذه الطبقة ، وما هى الامال المعقودة عليها ؟.

ما هى علاقة هذه الطبقة بغيرها من القوى الاجتماعية والاقتصادية الاخرى ؟.

كل هذا يقتضى منا تتبع الظاهرة منذ أن نشأت . نشأة الرأسمالية فى مصر ؟.

كانت مصر تخضع للحكم العثمانى وقد تقاسم المماليك مصر وفرضوا نظاما اقتصاديا اشد تخلفا

من النظام الاقطاعى الذى ساد فى العصـــور الوسطى فى اوروبا . فكان أمراء المماليك أساسا امراء حرب من اصل اجنبى ،وكانوا يقطنون المدن . وعن طـريق نظام الالتزام (نظـــام محصـــلى الضرائب) تمكنوا من السيطرة علــى الارض الزراعية وتسخير الفلاحين . امـا التجـــارة والصناعة فقد خضعت لنظام الطوائف وفى ظل هذا النظام لم تكن التجارة والصناعة تمثل المصدر الرئيسى للدخل لقلة رأس المال وللتخلف الفنى (الاسـلوب الحرفى) ، وكـان النظام الاقتصادى بشكل عام يهدف الى الاستهلاك المحلى .

وكان الفلاحون يخضعون للسخرة مع تعدد اشكال جباية الضرائب منهم وفرض القيود على حركتهم ، وقد أدى التدهور الاجتماعى وعدم وجود استثمارات وسيادة الجيل وسيطرة نظام الطوائف الحرفى فى الصناعة الى تأخر نشوء الرأسمالية فى مصر .

وكذلك لم تتطور العلاقات التجارية فى الداخل بشكل يســـاعد على تراكم راس المال ، ونشوء الرأسمالية وان كان هناك بعض التجار الذين جمعوا ثروات كبيرة (المحروقى - محـرم - طوبار - الشرايبى - الجـوهرى) وكان بعض علماء الدين يمارســون التجارة (الشرقــاوى - البكرى) وكان النظام المملوكى عائقا فى سبيل اى عمليات استثمارية متطورة نظرا لخطر مصادرتهم للثروات .

وبسبب المنافسة الدولية على موقع مصر أتت الحملة الفرنسية ، وقد حملت معها بذور الفكر والعلم الرأسمالى . كما أنها وجهت ضربة الى النظام المملوكى الاقطاعى عسكريا وابعدتهم عن الحكم .

فقد صادرت الحملة اطيان بعض الملتزمين ، وادار هذه المزارع موظفون فرنسيون وسلمت الارض لبعض الملتزمين وسجلت لهم الارض نظير دفع الضرائب . وعمل الفرنسيون على أن يتمتع الفلاحون بالارض واعطوهم حق التصرف فيها بالبيع تم بالتوريث مع اقرار ضريبة و حدة بعد أن كانت متعددة . كما حاولوا اقامة بعض الصناعات مثل صناعة السلاح والصابون ودبغ الجلــود والنسيج . اما التجارة ، فقد ساعدت الحملة الفرنسية على تنشيطها بربط الطرق فى البلاد . ولكن ارهاق التجارة بالضرائب كان عاملا من عوامل مقاومة التجار للحملة الفرنسية .

ان الفرنسيين لم ينجحوا فى استمالة التجار وعلماء الدين ، وكانت الجماهير عموما ضد الاجنبى بقيادة عمرمكرم .

ومن هنا ، وبالرغم من أن الحملة الفرنسية هيأت الظروف السياسية والفكريــة لنشــوء الرأسمالية المصرية ، الا أنها عجزت اقتصاديا عن ادراك ضرورة هذا التطور .

وتمكن محمد على فى ظل الصراع الدائر بين المماليك والعثمانيين والانجليز فى مصر ، من أن يتولى هو أمر البلاد معتمدا على تأييد القوى المحلية فى البلاد (العلماء والتجار) .

وكانت الفكرة التى تلح عليه هى انشاء دولة قوية بدلا من حالة التفكك والضعف الذى ورثته البلاد فى ظل سيطرة المماليك . فقضى على المماليك واعتبر مصر كلها مزرعة ، واعتبر نفسه مالك الارض ، يوجه زراعتها نحو محاصيل تصــلح للمبادلة او للاستهلاك مثل ، القطن ، والقصب والذرة ، ثم تولى بعد ذلك توزيع الارض على اعوانه ، واعترف للبعض بحق الملكية (الابعديات وهى اراض غير خصبة) كما خص أقرباءه بالاراضى الخصبة (الشفالك) ، وتم تسجيل الارض وقيدت ملكيتها ، ولكن لم يطرد الفلاحين من الارض التى يزرعونها الا نادرا .

وفى اواخر حكــم محمد على صدر قرار يبيــح لاصحاب الاراضى حق البيع والشراء والتنازل والرهن ، واغفل حق توريث الارض ، وكانت هذه الحقوق مقابل دفع الضرائب .

وبالاعتراف بتمليك الارض مهــد محمــد على للتراكم الرأسمالى ، الذى تم فيما بعد عن طريق الملكيات الكبيرة للارض والتى كانت فى أيدى العائلة المالكة واعوان الوالى من الضباط والاتراك وبعض الاجانب .

أما الصناعة فقد عمد محمد على الى انشاء الصناعات التى تملكها الدولة ، وقد اثر ذلك على النظام الحرفى وامكانية تكوين تراكم رأسمالى بأيدى الطبقات الصناعية الصغيرة والوسطى . والحقيقة ان محمد على كان يحدوه الى ذلك ان يركز فى قبضته كل موارد البلاد ، وان يوفر للدولة جيش قوى تسانده الصناعات اللازمة والى جانب ذلك اسطول نقل قوى ويحول بذلك مصر كلها الى مصدر للتجارة العامة فى الخارج ويتمكن من منافسة الدول التى سبقته فى مدارج التقــدم الصناعى والتجارى . وقد احست هذه الدول فعلا بخطورة خطة محمد على فتآمرت عليه . ان محمد على اراد أن يلحق بالزمن ، وقد ادرك بذكائه ان

التطور التقليدي للرأسمالية عن طريق التراكم البطيء للرأسمال ليس بقادر على منحه ظروف المنافسة مع البلدان التى سبقت مصر فى تطورها • بل على العكس من ذلك ادرك انه فى ظل مثل هذا التطور الرأسمالى البطيء كان مقضيا على البلاد ان تقع فريسة أطماع هذه البلدان • ولذلك نرى محمد على وقد ضحى بمصالح التجار والصناع فى سبيل تحويل مصر كلها الى مركز للصناعة والتجارة الواسعة الحديثة يساندها جيش قوى واسطول عريض ويعتمد على اقتصاد تسيطر عليه الدولة وتوجهه • ولم يكن هناك تيار اشتراكى عالمى يمكن أن يساند اتجاه محمد على حتى يمكن له البقاء والاستقرار • ولذلك نجح تآمر الدول الاوروبية فى تحطيم هذه التجربة الغربية • هذا ومن ناحية اخرى فلم ينجح محمد على فى استكمال الشكل الاقتصادى الذى أقامه باستنهاض عناصر النمو الرأسمالى والتى كان يمكن ان يكمل دور الدولة دون أن يتناقض معها • وكان يصادر الثروات التى تظهر بدلا من أن يحدد لها دورها فى تطوير البلاد •

ولقد بدأت عمليات التدخل بالاتفاق الانجليزى العثمانى سنة ١٨٣٨،وقد وجهت هذه الاتفاقية ضد نظام الاحتكار الذى أقامه محمد على • كما نصت هـذه المعاهـدة على السـماح لرعايا بريطـانيا بالاتجار فى المنتجـات الزراعيـة والصناعية، واجازت ملـكية الارض الزراعيـه للانجليز الاجانب • كما سمح لاصحاب رؤوس الاموال الانجليزية بممارسة عمليات اقراض الفلاحين ، اى استثمار رأس المال المالى فى مصر •

وكان هذا بداية التفكك لنظام محمد على • وبداية اتجاه الدول الاوروبية بقواها الرأسمالية والتى كانت تتحول سريعا الى قوى امبريالية بأطماعها الى مصر •

وقد وقع حكم اسماعيل فريسة لاتجاهين : فهو من ناحية قد فتح الباب على مصراعيه لرأس المال الاجنبى ، والذى كان يعمل ايضا للسيطرة على الدوله ذاتها عن طريق اغراقها بالديون ، ومن ناحية أخرى حاول أن يجعل مصر قطعة مـن اوروبا ، اى قطعة من النظام الرأسمالى فاقام بعض الصناعات اهمها صناعة السكر والغزل والنسيج والطرابيش والورق • غير أن هـذه الصناعات باءت بالفشل نظرا لان باب الاسـتيراد كان مفتوحا امام السلع الاجنبية على مصراعيه فلم تقو الصناعات المحلية على المنافسة •. لقد اخذ اسماعيل من النظام الرأسمالى مظاهره الثقافيـة والحضارية دون أساليب انتاجية •• كما أرهق التجار بضرائب الدخل نظرا لحاجتـه الدائمـة للمال •

وعلى اى حال ، فمع البذور التى وضعها محمد على من الانفتاح على العالم الغربى • وبنشاط التجارة الخارجية ، وقدوم الاجانب المستثمرين ، وتوطيد حق التملك للاراضى الزراعية ، والذى تدعم بصدور اللائحه السعيديه سنة ١٨٥٨ ، وكان من أثره تكوين البنوك العقارية ، وتدريب أعداد هائلة من الصناعيين والتجاريين وارسال البعثات التعليمية ، وظهور جيل من رجال الثقافة والعلم الدارسين فى اوروبا ، وتراكم رأسمال لدى التجار نتيجة للاتجار بالمحاصيل النقدية (القطن) ،كل هذا شكل اتجاهات واضحة لنمو طبقة وسطى ، وهى الاساس للرأسمالية فى مصر ، وقد عبر دستور ١٨٧٩ الذى صدر فى آخر عهد اسماعيل عن نشاط هذه الطبقة الاجتماعية ، فصدر هذا الدستور،وقد حوى الكثير من المبادىء الديمقراطية •

كما قامت حركة التجار بقيادة (العقاد) فى أوائل عهد توفيق ، واضطهدت • ومن المعروف عن (العقاد) أنه ساند الثورة العرابية بأمواله • وصاحب حركة الرأسمالية المصرية الناشئة فكرة انشاء بنك وطنى (١٨٧٩) بهدف تخليص مصر من الديون وانقاذ الثروة العقارية التى وقعت أسيرة الرهن والديون •

ولكن القوى الرأسمالية العالمية الاستعمارية ، التى صدرت رؤوس أموالها الى مصر وأصبحت تكبل الدولة بديونها وترهن الاراضى الزراعية فيها بالديون ذات الفوائد الباهظة ، كانت تعد لكى تصبح مصر كلها مزرعة للقطن وملحقة بمصانع لانكشير ، وسوقا لتصريف البضائع الاجنبية •

وهكذا ضربت حركة الرأسمالية المصرية الوطنية الناشئة فى شكل ضرب الثورة العرابية التى تصدت للاستبداد الاقطاعى (توفيق) ، وللنفوذ والزحف الاجنبى (الانجليز) .

وفشلت الثورة العرابية ، فشلت الحـركة الديمقراطية الوطنية البارزة التـى قـادتها الرأسمالية الوطنية المصرية الناشئة ، حـركة التجار والمثقفين المصريين والجنود يدعمهم فى ذلك جموع الفلاحين ، وهل كان يمكن ان تواجه جبروت وسطوة الاستعمار العالمى الذى بدأ بزحفه على كل مكان اصابه التخلف الاقتصـادى ، والذى كان ينفرد وحده بالعمل على تقرير مصير الاجزاء المتخلفة فى العالم .م

ومع الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ ، تحولت مصر الى مستعمرة ، اى تعرضت مصر للنهب الرأسمالى الاستعمارى ، ورسمت السياسة الاستعمارية مقدرات البلاد الاقتصادية ٠

كيف نمت الرأسمالية المحلية في ظـــــل الاحتـــــلال ؟

وبالرغم من أن الاستعمارية هى فى جوهرها قوة رأسمالية ، فانها تقف فى البلد المستعمرضد التطور الرأسمالى المحلى ، وهى تسمح بحركة الرأسمالية المحلية فى حدود تنفيذ عملية النهب المنظمة ٠ وهذا ما حدث فى مصر ٠

١ ــ خطط الاستعمار لتحويل مصر الىمزرعة للقطن فزادت المساحة المنزرعة قطنا من نصف مليون فدان سنة ١٨٧١ الى ٠٠٠ر٧٠٠ر١ فدان عام ١٩١٣ ، وزادت صادرات القطن من ٧٠ فى المائة من جملة الصادرات عام ١٨٧٠ ايـــام الخديوى اسماعيل ، الى ٩٣ فى المائة فيما بين ١٩١٠ ــ ١٩١٤ أى بعد الاحتلال ٠

وعلى الرغم من ذلك هبطت اسعار القطن كما يبين الجـدول التالى :

وكانت الاصلاحات الخاصة بالرى والزراعة تهدف الى اعداد المزرعة الكبرى ، وزيـادة مساحتها ٠ غير أن اقرار حق الملكية الفردية بصورة كاملة عام ١٨٩٦ قد ساعد على تجميع الثروات بين أيدى كبار مـلاك الارض ، وكان الاستعمار يعتبرهم سنده الاجتماعى الاول ٠

٢ ــ استخدمت بريطانيا الجهاز المصرفى فى تمويل التجارة الخارجية لتسهيل تصدير المنتجات الدولية واستيراد السلع المصنعة وتمكنت عـن طريق النظام النقدى الذى وضعته من أجل أن تحكم القبضة على قيمة الصادرات والواردات كمـا ربطت غطاء النقد المصرى عن طريق البنـك الاهلى (بنك انجليزى) بقيمة النقد الانجليزى وقد قدر ما استثمرته الشركات الاحتكارية البريطانيةفى مصر حتى عام ١٩١٣ بأنه يبلغ ٢٥٠ مليون جنيه ٠ وجهت هذه الاستثمارات على النحو التالى :

١٠٠ مليون جنيه لبنك الرهن العقارى (تمكن من رهن حوالى مليون وثلث مليون فدان من مجموع الاراضى الزراعية فى مصر) ٠

١٥٠ مليون جنيه فى تمويل صناعة حلج وكبس القطن وتصديره ٠

وكانت قيمة العائد الذى تدره هذه الاستثمارات حوالى ١٠ فى المائة من قيمة رأس المال تعود بدورها الى جيوب المستعمرين أى تصدر الى الخارج ولا تعود على الاقتصاد المصرى بنفع باعادة استثمارها من جديد ٠

٣ ــ عمل المستعمرون على تحطيم الصناعات المحلية ، (مصنع الورق ببولاق ــ دار صـــك النقـود ــ مصانع الغـزل والنســيج التى كانت قـــائمة من عهـــد محمـــد على وبيعت الورش والمعامل وعطلت الترســـانة الخـــاصة بصـنع المدافع وصنع البنادق والذخائر ، وبيعت البواخر النيلية وعطل الحوض البحرى لاصلاح السفن) والغيت البعثات الصناعية وأبيح استيراد السلع المصنعة فى الخارج دون أى حماية جمـركية للصناعة المحلية وكان الحلج والكبس للقطن هى الصناعة التى سمح بها نظرا لحاجة المستعمر الى ذلك خدمة لعمليات نقل وتصدير القطن ٠

٤ ــ انتقلت السلطة الحقيقية فى الدولة الى أيدى الانجليز وزاد عدد الموظفين الانجليز زيادة كبيرة وكانوا يتقاضون اعلى المرتبات ٠وكانت دار المعتمد البريطانى هى مركز التوجيه السياسى الاساسى وكان المستشارون الانجليز فى كل وزارة هم الوزراء الحقيقيون ٠ وكان الجيش والبوليس فى أيدى كبار الضباط الانجليز ٠

٥ ــ شجعت سياسة الاستعمار على اعتبار أن الارض هى المصدر الاساسى للثروة (مصر بلد زراعى) واعتبرت أن الشريحة العليا من كبار ملاك الارض هى الســـند الرئيسى الاجتماعى لبقـــاء المستعمر واستمرار سياسته ٠ وكان استثمارهم للارض يتم عن طريق تأجيرها للفلاحين وهـــم غائبون عن العمل فيها ٠

أعطت هزيمة الثورة العرابية وتحالف الخديوى وبعض كبار ملاك الارض مع المستعمرين شعورا مريرا بالهزيمة لدى كافة فئات الشعب ،من بينها الطبقة الوسطى والتى كانت تمثل الرأســمالية المصرية الناشئة ٠ ولكن سرعان ما عبر الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل عن مصالح الوطن والرغبة فى تحقيق الاستقلال السياسى للبلاد وكان كفاح مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد صرخة قوية أيقظت البلاد من الناحية السياسية ٠ وكأن الكفاح الوطنى لابد وأن يستند على حقائق الموقف العالمى ، وقد حاول مصطفى كامل أن يستفيد من التناقضات بين الانجليز والفرنسيين (حـــادثة فاشورة) أو بين تركيا وانجلترا أو بين الخديوى والانجليز ٠٠ كما حاول ان يعتمد على الاصوات الليبرالية الحرة (جوليت آدم) ، وتابع محمد فريد نفس السياسة ، اذ حاول أن يعتمد على

السـنة	المصدر من القطن	القيمة	سعر القنطـــار
١٨٧٠ اى قبل الاحتلال	٢٥ر٣ مليون قنطـــار	٢٥ر٨ مليـون جنيه	٢٤ر١٤ ريال
١٨٩٨ بعد الاحتلال بـ ١٦ سنة	٦ مليـون قنطـــار	٨ر مليـون جنيـه	١٨ر٧ ريـال

الاتجاهات الاشتراكية الناشئة فى أوربا ٠٠ !! كل ذلك بجانب استنهاض الامة واستغلال قطاعات الاستعمار (دنشواى) وكشفها ٠وفى غمار العمل السياسى بدأ الحزب الوطنى يتجه بعد اعلان تكوينه (١٩٠٧) الى تنظيم الشباب والمثقفين ، مع الاهتمام بنقابات العمال ونقابات العمال الزراعية ٠

ويمكن القول أن حركة الحزب الوطنى قد عبرت عن الرأسمالية الوطنية الضعيفة اقتصاديا ، والتى اتجهت الى رفع شعارى (الاستقلال) و (الدستور) ، وتعرض الحزب الوطنى وكفاحه للمطاردة والمصادرة والسجن والنفى . مع تجربة الاستعمار فى مصر منذ ١٨٨٣ وحتى قيام الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، وتجمعت عوامل اقتصادية وسياسية ادت الى ثورة سنة ١٩١٩، وهى فى جوهرها ثورة الرأسمالية الوطنية المصرية ٠

١ ـ فرض المستعمرون نظام الحماية، وفرضت الاحكام العرفية واضطهد الوطنيون وحظرت الاجتماعات وساد الحكم العسكرى الاجنبى ٠

٢ ـ انخفضت أسعار القطن فور اعلان الحرب مما أحدث هزة عنيفة فى سوق القطن الداخلية ودعا سلطات الاحتلال الى تحديد مساحة المزروع منه ثم ما لبثت الاسعار أن تصاعدت بشكل كبير وقدرت الثروات التى تراكمت خلال الحرب بمبلغ ١٥٠ مليون جنيه ، ذهبت كلها الى ايدى قلة من الاغنياء من كبار اصحاب الاراضى ، والمشتغلين بتجارة القطن .

٣ ـ ارتفعت الاسعار خلال الحرب ارتفاعا كبيرا فزادت فى الفترة من ١٩١٤ الى ١٩٢٠ الى ثلاثة اضعافها ٠ الامر الذى أدى الى زيادة فقر الفقراء وزيادة غنى الاغنياء (يجدر ملاحظة ان الملكيات الصغيرة قد تفتتت فبلغ عدد من يملكون اقل من فدان مايزيد عن المليون) ٠

٤ ـ تطورت الصناعة وقويت خلال الحرب التى كانت بمثابة حماية جمركية طبيعية فثبتت مراكز الصناعات التى كانت تتهاوى (شركة الغسزل الاهلية) ونشأت كثير من المصانع التى يزيد عمالها عن خمسين عاملا (فى النسيج والزيوت والدباغة والمطاحن) فتشكلت شريحة اجتماعية من طبقة الرأسماليين بدأت تكتسب قوة فارتفع رأس المال المصرى من ٥ر٦ مليون جنيه فى ١٩١٤ الى ٣٥ مليونا ونصف سنة ١٩٢٠ ، وكانت هذه الطبقة تخشى عودة منافسة السلع الاجنبية للسوق المحلى بعد انتهاء الحرب .

٥ ـ قامت سلطات الاحتلال بسوق الفلاحين كالعبيد فى الاعمال الخاصة بالمعسكرات ومصادرة المحاصيل الزراعية بأثمان بخسة والاستيلاء على الدواب وفرض الاتاوات باسم التبرعات وجمع الضرائب الباهظة ٠

٦ ـ وفى عام ١٩١٨ استفزت السلطات الاستعمارية حتى الاغنياء من ملاك الارض ، وتجار القطن فاحتكرت محصول القطن وحددت سعر الشراء بـ ٤٢ ريالا للقنطار.وكان سعره فى الخارج نحو ٦٤ ريالا مما أدى الى فارق فى السعر يبلغ ٣٢ مليونا من الجنيهات ٠

ومع انتهاء الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٩ ظهرت ظروف عالمية جديدة ساعدت على أن تنهض حركات التحرر الوطنى فى أنحاء العالم فى الهند كما فى مصر ٠

فمن ناحية انسلخت عن المجتمع الدولى والكتل الاستعمارية مساحة كبيرة كونت دولة ثورية جديدة هى الدولة السوفيتية ـ مع ما رفعته من شعارات التخلص من الاستغلال وحق شعوب المستعمرات فى التحرر ٠

ومن ناحية اخرى اضطر ولسن ، الرئيس الامريكى حينئذ ، الى رفع شعاره : حق تقرير المصير « دون تفرقة بين شعب ضعيف ، وآخر قوى » ٠

وهكذا تهيأت كل الظروف السياسية والاقتصادية لقيام ثورة ١٩١٩ ضد الاستعمار ، وقاد الوفد المصرى الثورة المصرية ٠ وكانت قيادته هى مستوى أقل بكثير من مستوى ثورية الجماهير وحركتها . كانت القيادة تطلب المفاوضة أو عرض القضية المصرية فى الاوساط الدولية وذلك « بالطرق السلمية المشروعة » سعيا فى سبيل « استقلال مصر » كما جاء فى مذكرة الوفد الى معتمدى الدول الاجنبية ، حددت المطالب : بالاستقلال التام ـ حكومة دستورية ، مع مراعاة « امتيازات الاجانب بكل دقة » ٠

وما أن اعتقل سعد وزملاؤه حتى هبت حركة الثورة فشملت كل الامة ٠ اشترك فيها الطلبة وعمال الترام والعنابر وغيرهم من عمال الحكومة واشتركت النساء والمحامون والموظفون بالاضراب والمظاهرات واقامة المتاريس وحفر الخنادق وفى الريف عمد الفلاحون الى قطع السكك الحديدية ووسائل الاتصال وهاجم الفلاحون المسلحون مراكز البوليس والقوات البريطانية وسقط فى أيام

الثورة حوالى ٣ آلاف من المصريين فى المدن والريف على السواء ٠

ولقد نجحت ثورة ١٩١٩ فى تحقيق بعض الاهداف القومية ولكنها فشلت فى تحقيق البعض الاخر ٠ فهى ثورة لا يمكن الحكم عليها بالفشل تماما ، ولا بالنجاح الكامل ٠

١ ــ اعترف المستعمرون (تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢) بالاستقلال السياسى لمصر .

ولقد كان هذا الاستقلال ، فى الواقع ، شكليا ٠ ولكنه أعطى ــ على أى حال ــ الحق للمصريين فى أن يحكموا انفسهم بأنفسهم ٠ ووضع دستور ١٩٢٣ ليحدد شكل السلطة فى البلاد ٠ وقد ابعدت هذه النتائج السيطرة المباشرة لحكم المستعمرين وسمحت بتطورات سياسية واقتصادية هامة عن طريق اصدار القوانين المنظمة للسياسة الاقتصادية ٠

٢ ــ على الرغم من أن الثورة قد عبرت عن مصالح الرأسمالية الوطنية المصرية فى التنمية الاقتصادية والاستقلال بالسوق الوطنى ، فان قيادة الثورة شاركت فيها اتجاهات عديدة ، فثمة عناصر من كبار ملاك الارض (نلاحظ ما سبق الاشارة اليه من تراكم الثروات من ناتج الزراعة وملكية الاراضى الكبيرة)وعناصر من المثقفين الذين هم فى واقع الامر ابناء لكبار الملاك ممن نالوا ثقافات غربية ، وبعض رجال المهن الحرة (المحامين) الى جانب عناصر رأسمالية من التجار ورجال الصناعة ٠ وكان الميل الى التهادن والالتقاء مع المستعمرين فى منتصف الطريق طابعا مميزا للقيادة الوطنية .

٣ ــ كانت ظروف نجاح ثورة اكتوبر الاشتراكية عنصرا جديدا . وقد مدت الثورة الوليدة اليد الى قادة ثورة سنة ١٩١٩ ، ولكن هذه الرغبة فى تقديم العون قد رفضتها القيادة الوطنية فىمصر ، فقد كانت تثق فى قوة الاستعمار العالمية وكانت فكرة المساومة والوفاق تملك على القيادة الوطنيةموقفها، وكذلك كانت قيادة الثورة باتجاهاتها الغالبةتخشى حركة الجماهير وأساليب كفاحها الثورى ٠ وارادت أن تلجم الثورة وتخضعها لمصالح المالكين أساسا ٠ لذلك لم تحتو أهداف الثورة على أى مطالب اجتماعية للعمال والفلاحين ، على الرغم من الحالة الاجتماعية والاقتصادية السيئة التى كانت تعانى منها هذه الجماهير ، وعلى الرغم من مساهمتها وتضحياتها من أجل الثورة ٠

٤ــ سرعان ما دب الانقسام فى قيادة الثورة الى فريق متساهل مع المستعمرين ، ويحاول ايجاد اتفاق سريع معهم ، ويعمل فى ظل نظام الحماية ويتكون اساسا من كبار الملاك (محمد محمود ــ حمد الباسل) وبعض المتعاملين مع المصالح الراسمالية الاجنبية) اى وكلاءهم امثال حافظ عفيفى) وكونوا حزب الاحرار الدستوريين ، وفريق آخر أكثر تمثيلاً لمصالح الرأسمالية الوطنية بقيادة سعد زغلول ، حيث كان يطالب بالاستقلال التام ومقاطعة التجارة الانجليزية ٠

٥ ــ جاء دستور سنة ١٩٢٣ ، ومنبعدهالكفاح الدستورى فى البلاد ، صورة لعملية وفاقية بين سلطات الملك رأس الاقطاع وبين الرأسمالية الوطنية وما تطالب به من شكل دستورى تعاقدى يعتبر الشعب مصدرا للسلطات فاباح الدستور رغم ذلك للملك حق حل مجلس النواب وتأجيل انعقاده . واصدار مراسيم فى غيبة البرلمان ٠ وتعيين الوزراء واقالتهم وتعيين خمس عدد أعضاء الشيوخ ٠ كما نص على أن يكون الشيوخ من المالكين ودافعى الضرائب وذوى الدخول العالية ٠ ومع ذلك فقد شكل الكفاح الدستورى فىالبلادبعد الثورة حتى الحرب العالمية الثانية ــ مدرسة سياسية توضح مواقف الاتجاهات المختلفة من قضايا الحريات بالذات ٠

وقد نجحت الانتخابات العامة أكثر من مرة فى الاتيان باغلبية وفدية برلمانية وكان معنى هذا أن تشارك الرأسمالية فى السلطة وتتخذ من هذه المشاركة وسيلة لاحداث تقدم اقتصادى أو سياسى لصالح الرأسمالية الوطنية واتساع حركة السوق المحلى ٠

٦ ــ على الرغم من أن فكرة انشاء بنكوطنى قد ترددت ، أكثر من مرة ، على ألسنة قادة الرأسمالية الوطنية ، وعلى الرغم من أن طلعت حرب نفسه قد دعا الى انشاء هذا البنك منذ سنة ١٩١١ فان اقامة البنك لم تتم الا بعد الثورة فى سنة ١٩٢٠ ٠ وقد عبرت تجربة انشاء البنك عن امل الرأسمالية الوطنية فىتحقيق الاستقلال الاقتصادى وتطوير الصناعة والتجارة الوطنية، حتى يصاحب الاستقلال السياسى . كما تكونت ايضا اول غرفة تجارية فى يناير سنة ١٩٢١تدافع عن مصالح التجار المصريين ٠ وانشئت مصلحة التجارة والصناعة فى ابريل سنة ١٩٢٠ ، وفى ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٢ قررت وزارة المالية تخصيص مبالغ ، وايداعها ببنك مصر لاقراض الصناعات الصغيرة والصناعات الكبيرة ٠

وتأسس الاتحاد المصرى للصناعات سنة ١٩٢٢ ٠ ولكن كما كان الاستقلال السياسى

استقلالا شكليا يأتى بالحكومات المصرية ويظل النفوذ السياسى البريطانى متحالفا مع القصر وكبار الملاك ورجال المال المتعاملين مع الاستعمار هو النفوذ الاساسى ، والذى يحكم من خلف هذه الحكومات ، كذلك كانت امكانيات انهاض البلاد اقتصاديا بانشاء الصناعات الوطنية وتطويرها تواجه بمقاومة منظمة من القوى الاستعمارية والرجعية المتحكمة اقتصاديا ·

ومن الغريب ان تجربة الرأسمالية المصرية وتطورها سار فى طرق تختلف تماما عن الطرق التى سلكتها الرأسمالية الاوربية وذلك لسبب طبيعى هو وجود الضغوط الاستعمارية المتمثلة فى الرأسمالية الاجنبية وسيطرتها المحكمة على اقتصاديات البلاد ·

فعملية التراكم التى حدثت فى اوربا ، لعبت الرأسمالية التجارية فيها دورا أساسيا ثم اعقبتها الرأسمالية الصناعية كقوة رئيسية، واخيرا تقدم دور رأس المال فى مرحلة تالية ليفرض سيطرته على كافه اشكال الاقتصاد .

أما الرأسمالية فى مصر فانها فى مواجهتها للتقدم الجارى فى أوربا لجأت أيام محمد على الى احتكار الدولة كوسيلة للحاق بالتقدم واهملت عمليات التراكم التى يمكن أن يحدثها الرأسمال الحر · وفى أعقاب الاحتلال · ومع سيطرة رأس المال الاجنبى على كافه نواحى الاقتصاد ، لجأت الرأسمالية المصرية ، الى جانب كفاحها السياسى ، الى تجميع المدخرات فى شكل بنك مصر (اى انخاذ راس المال المالى)نقطه انطلاق لمواجهة التحدى الاستعمارى ، ومن هذه النقطة بدأ بنك مصر ينشىء الصناعات المختلفة ويقرض على المحاصيل ، بغية انقاذ الملكية العقارية من الوقوع فى ايدى رأس المال الاجنبى ، ومشجعا الرأسمالية الزراعية على استثمار أموالها فى المشروعات الصناعية والتجارية الواسعة ·· ونص على أن أسهم بنك مصر لا يملكها غير المصريين · وظل بنك مصر يقوم بدور الحارس لمصالح الرأسمالية الوطنية المناوىء لضغوط الرأسمالية الاجنبية، وبلغت جملة استثماراته فى شركاته حتى عام ١٩٥٢ حوالى ٣ر٨ مليون جنيه وأصبحت شركاته تسيطر على ٢٠ فى المائة من الانتاج الصناعى كله فى هذا العام وحقق ارباحا فى الفترة من ١٩٤٧ حتى ١٩٥١ بلغت مليون جنيه ،واجتاز البنك أزمة ١٩٣٠؛ الاقتصادية وقد ساعد على ذلك انصدرت التعريفة الجمركية ١٩٣٠للحد من المنافسة العالمية لبعض الصناعات الاساسية كالغزل والنسيج وقد كانتا على وشك الافلاس ·

غير أن تطور بنك مصر ومقاومة السلطة الاجنبية كانت تقابله المصاعب · فقد عمدت الرأسماليه الاجنبية الى اسلوب جديد . فما هو ؟

كانت رؤوس الاموال المصرية تمثل نسبة ٢٣ فى المائة (مجموعة بنك مصر لها ٩٠ فى المائة من هذه الـ ٢٣ فى المائة) ، كانت المصالح الاجنبية تسيطر على الجهاز المصرفى · وفى سنة ١٩٤٨ ، كان قطاع التأمين تملك فيه الشركات الاجنبية ٨٥ فى المائه ، وكانت الشركات المصرية تملك فيه ١٥ فى المائة فقط ، وكانت هذه المجموعات المالية تسيطر بشكل مباشر أو غير مباشر · على النشاط الصناعى والتجارى فى البلاد .

كانت قوى الرأسمالية الاجنبية تعتمد ، فى نشاطها وصلاتها ، بمراكز الاعمال الاقتصادية على شريحة من الاجانب المتمصرين ، ولكنها تحولت بعد سنة ١٩٢٢ . الى الاستعانة بعناصر مصرية فبدأت الشركات الاجنبية تعين من بين أعضاء مجالس ادارتها ، بعض الساسة ورجال الاعمال المصريين فبرزت فئة جديدة استخدمت فى كل من ميدانى الاقتصاد والسياسة لتنفيذ السياسة الاستعمارية وجوهر هذه السياسة كان المشاركة : اى مشاركة فى السلطة ومشاركة فى الارباح . وكان هذا يعنى التضحية بمصالح الرأسمالية الوطنية ومصالح الوطن عامة فى سبيل صيانة مصالح الاجنبى والنقاط الفئات . وهذه الفئة تربعت فى عضويه مجالس ادارات العديد من الشركات ذات المصالح الاستعمارية . وهذه الفئة نفسها كانت تتولى رئاسة الوزارات المعادية للتحركات الوطنيه والتى كانت تمارس سياسة ارهابية استبدادية . من بين هذه الاسماء : أحمد زيور – اسماعيل صدقى – حسين سرى – حافظ عفيفى – عبد المقصود أحمد – على ماهر – سابا حبشى – على الشمسى – احمد عبود – على أمين يحيى – محمد فرغلى – الى آخر هذه القائمة من رجال السياسة والاقتصاد ، الذين سموا انفسهم بالمستقلين ، وهم فى حقيقة الامر وكلاء للمصالح الامبريالية . يواصلون سياسة التسليم والتعاون مع الدوائر الاستعمارية .

ولعل أخطر ما حدث فى تطور كفاح الراسمالية الوطنية الاقتصادى هو ما تعرض له بنك مصر وشركاته ، كمؤسسة حارسة لمصالح الرأسمالية الوطنية . فقد موربست ضده ضغوطا هائلة بعد عام ١٩٣٩ ، فى ظروف كان العالم فيها على وشك خوض حرب عالمية جديدة ، فوقع البنك فريسة لمؤامرة دبرتها المصالح الاستعمارية .

وقاد المناورة على امين يحيى ، وفرغلى ، وعبود مستعينين بوزارة حسن صبرى ووزير

ماليته وبالبنك الاهلي ، لاستبعاد طلعت حرب من قيادة بنك مصر . وادخال حافظ عفيفي رئيسا للبنك وعبود مساهما كبيرا . مع السماح بتداخل المصالح الاجنبيه والمصرية في مؤسسات البنك وشركاته ، بعد ان كان لايسمح بتملك اسهمه الا للمصريين ، وتركزت ملكية أسهمه في عدد محدود ، فأصبح ٢٥.٢ شخصا يملكون ٨٦ في المائة من رأس المال ، ولم يعد يسمح بحضور الجمعية العمومية الا لمن يملك أكثر من ٢٠ سهما . واستحوذ عبود وحده على ١٤ في المائة من أسهم البنك . وتحول البنك الى شركة قابضةتسيطر على الصناعة استنادا الى ٢ مليون جنيه وصار يتحكم في شركات رأسمالها ٢٠ مليون جنيه . والواقع أن ما حدث لبنك مصر وشركاته ، باعتباره المؤسسة الرئيسية الحارسة لمصالح الراسماليه الوطنية في المجال الاقتصادي . حدث مثله في المجال السياسي . فكانت تحدث على التوالى انفصالات عن حزب الوفد ، وكان يمثل المقاومه الوطنية في فترة ما بين الحربين ، فبعد توقيع معاهدة ٣٦ والغاء الامتيازات الاجنبية انفصل السعديون عن حزب الوفد وتحالفوا مع الساسة الموالين للراى والانجليز .

والحقيقه أن الكتل التى كانت تنفصل اقتصاديا وسياسيا عن الحركة الوطنية انما تعطى دلالة هامة لتطور الراسمالية الوطنية وكفاحها ، فمصير الاستثمارات الراسمالية أن تنمو وأن تميل الى التركيز . وطبيعة الاشياء انها كلما نمت كلما كانت ظروف انفصالها عن مجرى المصالح الوطنية شيئا طبيعيا . وهى في هذه الحالة تلعب دور التابع للقوى الامبريالية (الاقتصادية والسياسية) وتترك على ارض الوطنية قوى رأسمالية اصغر حجما واضعف مكانة .

ومن هنا فيمكن القول بعدم ثبات مواقف قوى الرأسمالية الوطنية تبعا لحركة صعودها ونموها . وانه محكوم على القوى الرأسمالية التى تظل لها صفة الوطنية أن تظل ضعيفة اقتصاديا وسياسيا ، نظرا لانفصال أقسام منها ، كلما نمت وتقاربت بالتالى مع القوى الرأسمالية الاجنبية ، ولذلك فهى بحاجة دائمة الى الاستناد الى قوى اجتماعية أخرى .

ولن تجد هذه القوى الا في المجموعات الراسمالية الصغيرة (الحرفية والتجارية الصغيرة) ، والى جانب هؤلاء تحاول أن تجد سندها ايضا في حركة العمال في المدن والفلاحين في الريف . ولكن طبيعة الاشياء ، وما قدمته حقائق التاريخ تقول بأن موقفها من جماهير الشعب من العمال والفلاحين انما يكون مشوبا بالحذر فهى نظرا لطبيعتها الاقتصادية الضعيفة نراها تخشى الاستعمار وتتعرض لضغوطه ولكنها من ناحية اخرى نظرا لطبيعتها الاستغلاليه تخشى الجماهير الشعبية وتخشى على الاخص حركتها الجماهيرية المستقلة وهى تريد باستمرار أن تحتوى هذه الحركة وأن تخضعها لقيادتها أو تمنعها من اطلاق طاقتها الكفاحية . باسم مقاومة التطرف او بأى حجج أخرى . وهى تحاول دائما أن تقدم نفسها باعتبارها الممثل الوحيد لمصالح كل الامة ، وتحاول انكار أن هناك تناقضات بين مصالحها ومصالح غيرها من الطبقات الشعبية ، وان وحدت بينهم جبهة العداء المستعمرين والرجعيين .

وتلك هى دروس ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد حدثت تغييرات هامة فى أرضية الحياة المصرية وكذا فى المجال الدولى مما أثر على مجرى الحياة السياسية والاقتصادية فى بلادنا .

١ ـ من الناحية السياسية ظهرت فى خلال الحرب العالمية الثانية بين صفوف الساسة التقليديين فىاتجاهين واضحين: اتجاه للتعاون مع دول المحور (على ماهر ـ عباسحليم ـ السراى) بدوافع مختلفة أغلبها سياسية . وقد روج هذا الاتجاه لافكاره على أساس معاداته الصريحة للديمقراطيه السياسية وخاطب فى ذلك أقساما من الرأسمالية الصغيرة المعادية للاستعمار الإنجليزى، والذى كانت سياسته فى مصر تتنافى تماما مع شعاراته التى اطلقتها خلال الحرب العالمية الثانية ضد المحور باسم الدفاع عن الديمقراطية . واتجاه آخر تزعمه قادة الوفد بضرورة الوقوف بجانب الحلفاء ضد اتجاهات الفاشية العالمية وتقديم التسهيلات الاقتصادية والعسكرية لجنود الحلفاء .

ونظرا للعداء العام للمستعمرين فىبلادنا، فأن خطورة الفاشية على العالم لم تحظ بمفهوم سليم فى البلاد .

٢ ـ مع اشتراك الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية الى جانب الحلفاء ، ومع اضطلاعه بدور رئيسى فى هزيمة الفاشية العالمية ، اكتسب الاتحاد السوفيتى سمعة عالمية جديدة ،ونالت الافكار الاشتراكية اهتماما كبيرا فى جميع أوساط المثقفين والوطنيين فى جميع البلدان المستعمرة ، ونفس الشىء حدث فى مصر وأخذ كثيرون يهتمون بمعرفة النظريات الاشتراكية وامكانية أن تساعد هذه النظريات فى كفاحهم الوطنى ضد المستعمرين . وأظهرت لهم هذه المبادىء ضرورة الربط بين النضال الوطنى ضد الاستعمار وبين

مصالح الجماهير الشعبية من العمال والفلاحين ، وضرورة الاعتماد على كفاح الجماهير الشعبية فى تحقيق اى نصر حاسم على المستعمرين وكان هذا مفهوما جديدا على الحركة الوطنية .

٣ - برزت امريكا على المسرح السياسى العالمى كقوة جديدة وهى التى لم تمس أرضها فى الحرب . واتجهت بسياستها تحاول أن ترث الاستعمار القديم التقليدى (الانجليزى والفرنسى) ، وهو الذى كان يقابل بمقاومة عنيدة فى كل أجزاء العالم المستعمر . وفى الوقت نفسه كانت أمريكا ترفع علم العداء للشيوعية والاتحاد السوفيتى والاشتراكية . وتحيف به الطبقات المالكة فى البلدان التابعة . وتقدم نفسها رافعة علم الحرية ، وقد اثر هذا بالفعل على اقسام من الرأسمالية المصرية ، التى أخذت تنشد التعاون مع رجال المال الامريكيين فى مشروعات جديدة (شركة الحرير الصناعى) - (الكوكاكولا - والبيبسى كولا) ، وفى مجال السياسة تقدمت عناصر رأسمالية بفكرة التفاهم مع الامريكيين ضد المستعمرين .

٤ - تكونت قيادات وطنية جديدة فى الطلبة والعمال (المنظمات الاشتراكية - قادة الحزب الاشتراكى - الجناح الجديد الحزب الوطنى والجماعات الوطنية الجديدة - الشباب الوفدى) وهى قيادات رأسمالية صغيرة ومثقفة وعمالية - تطالب بمطالب جديدة - الجلاء بالدماء (أى الكفاح المسلح) والغاء القيود الاستعمارية (مثل معاهدة ١٩٣٦) (الحريات للشعب - حرية الصحافة، والاجتماع ، والتظاهر ، والاضراب) ، وقامت هذه الجماعات بفضح تام للسراى والاقطاعيين ورجال المال المتعاونين مع المصالح الاستعمارية ، وتقدمت بمطالب الحركة الوطنية والحريات والحياة الدمقراطية ، كما هوجم الاستبداد الاقطاعى ، وبدأت تثار قضية ملكية الارض بتجريد وحرمان الفلاحين من الارض ومن خيراتها . وازدادت تحركات العمال الاقتصادية بمطالبهم فى ممارسة حياة نقابية . كما تحركت جماعات من الفلاحين تواجه الاستبداد الاقطاعى فى أراضى التفاتيش الواسعة والملكيات الاقطاعيه الكبيرة - وازدادت مطالب الفئات الاجتماعية الاخرى وأضراباتهم " المدرسين - ضباط البوليس- وتكونت تنظيمات سرية وطنية حتى فى الجيش (الضباط الاحرار) ونجحت الحركات السياسية والوطنية الجديدة فى أخراج قيادة الرأسمالية الوطنية التقليدية (الوفدية) ، فالغت معاهدة ٣٦ وبدأت حركة كفاح مسلح (الفدائيين) ضد قوات الاحتلال مما أضطر السراى وممثل رجال المال والاعمال (حافظ عفيفى) الى تدبير مخطط رجعى لضرب الحركة الوطنية . فأحرقت القاهرة وأعلنت الاحكام العرفية وساد الارهاب .

وقامت ثورة يوليو ١٩٥٢ لتخطط فى تاريخ البلاد السياسى والاقتصادى معالم جديدة .

الدور الذى قامت به الرأسمالية الوطنية فى فترة مابين الحربين

١ - كانت ظروف التطور الرأسمالى فى بلادنا فى فترة ما بين الحربين أكثر مواتاة من ظروف التبعية الكاملة للاستعمار فى الفترة ما بين ١٨٨٢ - ١٩٢٢ - فقد شاركت الرأسمالية الوطنية بشكل أو أخر فى السلطة وتمكنت من انجاز بعض التنظيمات والتشريعات التى تساعد على نموها . وان ظلت خاضعة لضغوط اقتصادية تحد من نشاطها ونموها وتتمثل فى :

أ - سيطرة رأس المال الاجنبى على مفاتيح الاقتصاد المصرى (رأس المال المالى والتجارى والصناعى) . ففى سنة ١٩٤٨ كانت مجموعة رؤوس الاموال المصرية ٤٦ر٣٠٨ر٨٣٣ جنيها ، والاجنبية ٧١ر٦٢٤ر١٧٧ جنيها فتكون النسبة ٢٩ر٣ فى المائة الى ٦٠ر٧ فى المائة .

ب - ظلت ملكية الارض الكبيرة وبما تخلفه من بقايا العلاقات الاقتصادية تحول دون حركة رؤوس الاموال واتساع السوق نظرا لفقر غالبية القوى الاستهلاكية المكونة أساسا من الفلاحين المعدمين وصغار الملاك فى الريف وكان كبار ملاك الارض، وعلى رأسهم السراى ، يحتلون مراكز أساسية فى السياسة والاقتصاد .

ج - تكونت شريحة من الرأسماليين المصريين تقوم بدور الوكلاء للمؤسسات الاجنبية (الكومبرادور) ، وهذه الفئة كانت تلعب دورا اساسيا فى اخضاع البلاد لمصالح الاجانب الاقتصادية ، والسير بالبلاد باعتبارها ملحقا لبلد أجنبى ، نظير احراز الثروة والنفوذ الاقتصادى والسياسى . هذا الثلاثى كان يمثل ضغوطا رهيبة تواجه الرأسمالية الوطنية . كما تواجه جماهير الشعب الاخرى .

٢ - بالرغم من ان مجموع رؤوس الاموال المستثمرة فى الشركات المساهمة الصناعية ، والتجارية قد زادت . فكانت فى سنة ١٩٤٦ حوالى ١٠٦ مليون جنيه فقد كان نصيب الصناعة ٣٣ مليون جنيه فحسب واستأثرت صناعة الغزل والنسيج وتجهيز المنسوجات ما يقارب ٤٠ فى المائة من هذه النسبة ، وكانت الصناعات أساسا صناعات استهلاكية،وفى عام ١٩٥٠ كانت

الصناعات الاستهلاكية تمثل ٧٤ فى المائة من القيمة المضافة والصناعات الوسيطة ٢٤ فى المائة من القيمة المضافة والصناعات الرأسمالية (الاستثمارية) تمثل ٢ فى المائة من القيمة المضافة .

وهنا يتضح أن الاتجاهات الاستثمارية لدى رؤوس الاموال فى مصر كانت تعطى الصناعة نسبة تقارب الثلث ، ومعظمها فى الصناعات الاستهلاكية ونسبة لا تذكر لانتاج الصناعات الاستثمارية ، وذلك أن الرأسمالية فى مصر كانت تجرى وراء الربح العاجل ، وهذا ما تحققه الصناعات الاستهلاكية . وقد ارتفعت أرباح الشركات المساهمة فى مصر من ٥ر٧ مليون جنيه سنة ١٩٤٢ الى ٢٠ مليونا عام ١٩٤٦ .

وكانت الارباح لا تعود بالتالى كاستثمارات جديدة ، وانما كان ما يخص الرأسمالية الاجنبية يخرج الى موطنه الاصلى ، وتنفق الرأسمالية المصرية جانبا كبيرا من العائد على حياة الترف التى تحياها هذه الطبقة . ومعنى هذا أن معدلات التنمية فى هذه الحقيقة التاريخية كانت أعجز من أن تحول مصر الى بلد متقدم أى بلد صناعى .

ان معدلات التنمية كانت بطيئة فهى لم تزد فى الفترة من ١٩١٣ حتى ١٩٥٧ عن ٥ر١ فى المائة . وظل نصيب الفرد على مستواه فترة تقرب من نصف قرن .

وكان نصيب الصناعة من رؤوس الاموال فى الفترة ما بين الحربين كالاتى :

ثم سار الى الانخفاض بعد ذلك حتى قيام ثورة سنة ١٩٥٢ . فكيف كان يمكن أن تسير مصر نحو التقدم الحضارى المنشود ، والذى يستحيل دون الاعتماد على الصناعات الكبيرة الاستثمارية ؟

٣ ـ تطورت الرأسمالية الصناعية فى مصر وتركزت الفئات العليا منها ، فأصبحت ٢ر١ فى المائة من عدد المصانع يزيد رأسماله عن ٢٠٠٠ جنيه بينما ٤ر٨١ فى المائة من المصانع لا يزيد رأسماله عن ٤٩ جنيها .

ومعنى هذا ، أنه من الطبيعى أن تنمو الفئات العليا من الرأسمالية المحلية وكما شاهدنا فى حالة بنك مصر ، قلعة الرأسمالية الوطنية فى الاقتصاد ، قد ادت به الظروف الى التداخل مع الرأسمالية الاجنبية ، والتسليم بانتهاج سياسة التبعية لراس المال الاجنبى ، وتسليم مقاليد اموره للعناصر الوكيلة الكومبرادورية ، ومعنى هذا ايضا عدم استمرار وطنية الفئات العليا من الرأسمالية المحلية وأنها فى لحظة محددة مستعدة للتخلى عن مصالح الوطن البعيدة المدى فى سبيل المكاسب العاجلة . كما أن نموها وتداخل فروع الاستثمارات المالية والتجارية والصناعية انما يؤدى الى تولد فئة احتكارية يصبح ارتباطها بالمصالح الاجنبية أقرب منه الى الدفاع عن المصالح القومية .

٤ ـ لم تحاول الرأسمالية الوطنية خلال كفاحها فى فترة ما بين الحربين أن تربط بين مطالبها السياسية والاقتصادية من ناحية وبين مطالب الجماهير العمالية والفلاحين من ناحية أخرى . وكان من أبرز هذه المشاكل مشكلة ملكية الارض . وعلى الرغم من أنه كان هناك مصلحة لهذه الطبقة فى اجراء اصلاح زراعى يوسع السوق الرأسمالى باجراء اصلاح زراعى جذرى الا أنها لم ترفع هذه الشعارات بالمرة وفضلت الابقاء على امتيازات الاقطاعيين والاحتكاريين على الانتصار لمطالب العمال والفلاحين .

والخلاصة النظرية لكل هذا العرض هو أن الرأسمالية الوطنية طبقة ذات طبيعة استغلالية بحكم دورها فى الاستثمار والانتاج . ولكنها طبقة تتعرض لضغوط استعمارية واقطاعية ، فهى تقاوم هذه الضغوط من ناحية أخرى ، ولكنها فى خلال مقاومتها تتهادن مع الاعداء ، نظرا لتقاربها فى الطبيعة الاستغلالية مع هؤلاء الاعداء ـ وهى عندما تواجه هذه الضغوط تلجأ الى المقاومة معتمدة على نفوذها فى الدولة (بسن تشريعات) أو على الجماهير باثارتها سياسيا . وعلى ذلك يمكن القول أنها **طبقة ذات طبيعة مزدوجة** ، فهى ضد قوى استعلاليه طاغية اجنبية واقطاعيه ، ولكنها تمارس فى نفس الوقت دورا فى الاستغلال . أنها مع الشعب ضد الاعداء ، وضد الشعب اذا اراد استرداد بعض ماله منها . هذه الطبيعة المزدوجة صفة ملازمة لهذه الطبقة ومميزة لكفاحها الاقتصادى والسياسى . وهذه الطبقة ، نظرا لان فئاتها ليست على درجة واحدة من النمو ففيها الصغيرة والمتوسطه والعالية ، فان مواقفها من الاعداء والشعب تتفاوت حسب مواقعها فى الانتاج ودرجة نموها . والفئات العليا منها أقرب الى التهادن مع الاعداء ، بل وتسير فى بعض الاحيان فى طريق الانفصال عن الكفاح الوطنى وتفقد صفتها الوطنية وتصبح جزءا من معسكر الاعداء (صدقى) أما الفئات الصغيرة والوسطى منها فهى أقرب الى الالتقاء بالشعب فى معركته التاريخية من أجل التحرر والديمقراطية والتقدم .

١٩١٩	١٩٣٠	١٩٣٦	١٩٣٩	١٩٤٦
٧ مليون جنيه	١٠ مليون جنيه	٥ر٢٢ مليون جنيه	٥ر٢٤ مليون جنيه	٣٣ مليون جنيه

هذا الوضع الخاص بهذه الطبقة وفئاتها لا يعنى انكار دورها فى النضال من أجل الاستقلال الوطنى والبناء الاقتصادى . ولكن هذا الدور يجب أن يوضع فى الاطار الخاص به . لا يزيد ولا ينقص . أنها تلعب دورا هاما فى التحالف الوطنى الذى يضم العمال والفلاحين والمثقفين الوطنيين . ولكنها تعتمد على فكرة المهادنة والوفاقية مع الاعداء ، فى المجالين السياسى والاقتصادى ، وتلك كانت السمة العامة لكفاح هذه الطبقة فى الفترة ما بين الحربين العالميتين .

تجربة الرأسمالية الوطنية بعـــــد ثـورة ١٩٥٢

فى ظروف تعاظم الحركات الوطنية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، ومع انتصار الاشتراكية فى جزء كبير من العالم (تأسس دول شرق أوربا الاشتراكية وانتصار ثورة الصين الشعبية) وبروز دور الاتحاد السوفيتي عالميا ومساندته لقضايا التحرر (مساندة قضيتنا الوطنية خلال عرضها على مجلس الامن) .

حدث التغيير الثورى الاساسى بنجاح ثورة ١٩٥٢ فقد غيرت هذه الثورة طبيعة الدولة (دولة تحالف السراى وكبار ملاك الاراضى والرأسماليين الوكلاء مع الاستعمار والنفوذ الاجنبى) وحلت بدلا منها دولة وطنية جديدة معادية للاستعمار وكبار ملاك الارض . وقام بهذا الدور الضباط الاحرار ، وكما ذكرنا فقد كان من اهم التنظيمات السرية العديدة التى قامت لتناقش مستقبل البلاد . وتمكن تنظيم الضباط الاحرار استنادا الى قوة الجيش من احداث التغيير الثورى .

وسارت انجازات الثورة فى طريق تصــفية العلاقات الاقطاعية فى الريف (قانون الاصلاح الزراعى الاول سنة ١٩٥٢) .

وصدر فى ٣ اكتوبر سنة ١٩٥٢ مرســـوم بانشاء المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى .وفى فبراير ١٩٥٣ كان البدء فى تنفيذ مشروع الحديد والصلب .

كان التفكير فى التنمية الاقتصادية لدى قادة الثورة مصاحبا للايام الاولى ، فضربت علاقات التحكم الاقطاعية من ناحية واتجه التركيز على الصناعة والتنمية الانتاجية من ناحية اخرى .

غير ان مشاكل البلاد السياسية برزت من بينها مشكلةاستكمال الاستقلال باجلاء قوات الاحتلال . وتم التوصل فى اكتوبر ١٩٥٤ الى توقيع اتفاقية الجلاء لانهاء الاحتلال البريطانى .

والاستعمار العالمى الذى وافق على خروج القوات البريطانية لم يلبث ان تقدم بطلب ربط مصر باحلافه الاستعمارية (حلف بغداد ـ حلف الشرق الاوسط ، مشروع ايزنهاور) وقاومت الثورة فكرة الارتباط باحلاف استعمارية بكافة اشكالها ..

واخذت فكرة تطوير البلاد اقتصاديا تلح على قادة الثورة،فاعلن عبد الناصر فورتوقيع اتفاقية الجلاء بأن « الثورة لن تنتهى الا اذا وفرت لكل عاطل عملا ، ولكل جاهل علما ، ولكل جــائع غذاء .. واعلن بذلك استمرار الثورة حتى تقضى على التخلف ، ولم يكن ذلك ممكنا الا عن طريق التنمية الاقتصادية . واحتلت فكرة بناء السد العالى المقدمة بين مشروعات التنمية ، وكشف مشروع السد العالى عن احجام ورفض قوى الغرب الاقتصادية عن المساهمة فى تمويل مشروعات اقتصادية كبرى يمكن ان تغير وجه البــلاد اقتصاديا ».

وكان تأميم قناة السويس محاولة مــزدوجة لاستخلاص مرفق اقتصادى هام من ايــدى الرأسمالية الاجنبية الاستعمارية وتمويل مشروع السد فى نفس الوقت عن طريق الموارد التى يتيحها هذا المرفق .

ودلت هذه المحاولة على ان القوى الاستعمارية يمكن ان تسلم باجلاء القوات الاجنبية وتعترف حتى بالاستقلال السياسى ولكنها ترفض التسليم بالاستقلال الحقيقى ، اى بالاستقلال الاقتصــادى والتقدم الاجتماعى .

وكان الغزو الثلاثى الاستعمارى ، وشاركت فيه اسرائيل ، وبرزت حينئذ مخاطر الصهيونية كقوة توسعية عنصرية ، واداة من ادوات الاستعمار العالمى .

تم فى هذه الفترة تكوين حلف وطنى واسع من كل الطبقات الوطنية لمقاومة الغزو الاجنبــى ، واعتمدت البلاد فى كفاحها على تأييد ومساندة القوى التحررية والاشتراكية فى العالم وعلــى رأسها الاتحاد السوفيتى .

وانقلب الغزو نصرا ، وتحققت للبلاد السيطرة على القناة ، ثم كان تمصير المصالح الاستعمارية فى البلاد ، ثم تأميمها . وتكونت اول نواة حقيقية للقطاع العام بتكوين المؤسسة الاقتصادية عام ١٩٥٧ وكانت استثماراتها تبلغ حينئذ ٤٥ مليون جنيه ولم تلبث ان بلغت هذه الاستثمارات ٧١٫٥ مليونا فى عام ١٩٦٠ .

ثم كانت قرارات يوليو ١٩٦١ المسماة بالقرارات الاشتراكية حيث استولت الدولة على مشروعات راسمالها ١٨٤ مليونا من الجنيهات ٠

وهكذا تطورت فكرة الثورة من الرغبة فى التصنيع وتطوير الانتاج بالاعتماد على الراسمالية المحلية منذ قيام الثورة حتى ١٩٥٧، الى ان برزت الى الامام فكرة الاعتماد على القطاع العام بقيام المؤسسة الاقتصادية ٠٠ ومنذ قيام المؤسسة الاقتصادية كان هناك صراع حول دور الدولة بالنسبة للمشروعات الانتاجية ، وهل هو مجرد اقامة المشروعات الاقتصادية حتى تقف على قدميها ثم تسليمها وبيعها بعد ذلك الى الراسمالية المحلية ام تستمر الدولة فى القيام بدور رئيسى فى عمليات التنمية الاقتصادية عن طريق القطاع العام ٠

لقد حاولت الثورة منذ قيامها تشجيع الراسمالية المحلية ودفعها الى المساهمة فى مشروعات الانتاج وخاصة الصناعية ٠

١ ـ ففى عام ١٩٥٢ قامت الدولة بتكوين المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى وكان على المجلس مهمة دراسة المشروعات حتى تيسر السبيل امام رؤوس الاموال المحلية للاضطلاع بها ولكن الرأسمالية المحلية احجمت عن تنفيذ هذه المشروعات ٠

٢ ـ وافقت الدولة على طلب اتحاد الصناعات بتخفيض الضرائب واعفت الشركات المساهمة الجديدة من الضرائب لمدة سبع سنوات ، واعفت الارباح الناتجة عن التوسعات فى الشركات القائمة من نصف الضريبة لمدة خمس سنوات ٠

٣ ـ اسهمت الدولة فى تمويل المشروعات لمشاركة الرأسمال الخاص حتى لا يحجم عن المشروعات التى يتعرض معها للمخاطرة ٠٠ وعملت على انشاء بعض الصناعات مثل شركة الحديد والصلب وكيما للسماد وسيماف لعربات السكك الحديدية والشركة القومية للاسمنت ٠ خفضت الدولة الرسوم الجمركية على الالات الصناعية وشجعت الصادرات ٠ فماذا كانت النتيجة ؟ ؟

بلغت الاستثمارات الفردية فى عام ١٩٥٤ـ٤٦ مليونا من الجنيهات وفى عام ١٩٥٥ـ٦٢ مليونا اى ١٠٨ ملايين فى العامين ٠

واتجهت هذه الاستثمارات اساسا الى المبانى فاستثمرت فيها ٨٢٫٥ مليونا اى ٧٧ فى المائة من جملة الاستثمارات وكانت تتجه آساسا الى المبانى الفاخرة ٠

وكان نصيب الصناعة فى هذين العامين ١٦٫٦، مليون جنيه ، ونصيب التجارة ٧٫٢ مليون جنيه٠

وهكذا كانت مساهمة الراسمالية المحلية فى تطوير الانتاج والصناعة على وجه الخصوص مساهمة هزيلة لاتسعف التطور الذى تنشده البلاد لتحقيق استقلال اقتصادى حقيقى يقوم على دعامة الصناعة والصناعة الثقيلة بالذات ، وحتى يمكن اللحاق بخطى التطور الذى قطعته البلدان المتقدمة، مواصلة التنمية بطريقة تسبق الزيادة فى معدلات التزايد السكانى فى البلاد واخيرا لتحقيق طاقة انتاجية تساهم فى رفع مستوى المعيشة لغالبية السكان فى مصر ٠

ولم يكن امام قادة الثورة ازاء هذا الموقف من جانب القطاع الخاص واحجامه عن المساهمة فى تمويل مشروعات التنمية الاقتصادية الا ان تعتمد على التمويل الذاتى ، اى يخلق قطاع عامهملوك للدولة يسير وفق خطة للتنمية ويوجه الفائض الانتاجى للاستثمارات الجديدة ٠

وبدا هذا واضحا لقادة الثورة واصبح ضرورة حتمية وخاصة بعد ان قامت :

١ ـ بتأميم الممتلكات الاستعمارية والاجنبية والمتمصرة ، وتوجيه استثماراتها بواسطة المؤسسة الاقتصادية نحو مشروعات التنمية .

٢ ـ وضع الخطة الخمسية الاولى فى عام ١٩٦٠ كتجربة جديدة للتنمية الاقتصادية المخططة فى البلاد ، عند وضع الخطة الخمسية لم تكن فكرة التأميمات للراسمالية الكبيرة فى البلاد هى الفكرة الرئيسية فى تمويل الخطة ٠٠ ولكن كانت الفكرة المسيطرة ، حينئذ هى فكرة مساهمة راس المال الخاص بنسبة ٤٠ فى المائة من الاستثمارات المخصصة للسنة الاولى على ان تسير التنمية فى القطاعين الخاص والعام جنبا الى جنب حتى نهاية عام ١٩٦٥ وكانت السيطرة الحقيقية على الاقتصاد القومى للقطاع الخاص ، وكان القطاع العام والحكومى يحصل على ٣٠ فى المائة من مجموع الدخل القومى البالغ ١٣٧٧ مليون جنيه ٠

ومع استعداد الدولة لمساندة القطاع الخاص حتى ينهض بدوره فى الخطة فانه أجحم عن ذلك

وتعلل البنك الاهلى وبنك مصر ورفضا المساهمة فى تمويل الخطة وكان على الدولة ان تحصل على موارد التنمية والا كانت هناك استحالة للسير فى الخطة فكان تأميم البنك الاهلى وبنك مصر سنة ١٩٦٠ ، ثم لم تجد الدولة مفرا من اتخاذاجراءات يوليو ١٩٦١ واعلنت الثورة عن أفكار جديدة غاية فى الاهمية وهى أن التحول الاشتراكى قد بدأ فى مصر ٠

وبهذا تأكدت الحقائق الرئيسية التالية :

١ ـ انه فى البلدان التى تكسب استقلالها السياسى ويتحقق فيها قيام سلطة وطنية ، تواجه القوى الثورية فيها مهمة تأمين التحرر الاقتصادى والسعى لتقدم اقتصادى أكبر ٠ وذلك بوضع مشروعات الاستعمار السابقة واستثماراته فى أيدى الدولة الوطنية الجديدة .

٢ ـ ان هذا التقدم الاقتصادى لا يمكن أن يسير الى الامام الا بالتنمية الاقتصادية اعتماداعلى التخطيط وعلى قيام قطاع عام رئيسى يقود البلاد اقتصاديا .

٣ ـ انه باجراءات التأميمات الواسعة تلتحم الثورة الوطنية مع تحولات اشتراكية اساسية تحدد مجرى التطور فى هذه البلاد ٠

٤ ـ انه بمثل هذه الاجراءات وحدها يمكن تحقيق قدر حقيقى من التنمية الاقتصادية بالاعتماد على قاعدة من الصناعة الكبيرة الرئيسية ويمكن توفير ظروف عمالة جديدة ورفع الدخل القومى وزيادة دخول الجماهير العاملة ، ورفع مستوى معيشتها وزيادة الخدمات الاجتماعية المقدمةلها ٠

وفى مايو سنة ١٩٦٢ توصلت قيادة الثورة الى صياغة نظرية لمجرى الثورة وهذه الصياغة قد استوحتها القيادة الثورية من حقائق التطور والنضال الذى خاضته البلاد من أجل الحصول على الاستقلال الوطنى ومن أجل تدعيم هذا الاستقلال بتطوير البلاد وتنمية اقتصادياته ٠

وكان الميثاق احد الوثائق الاساسية للثورة جاء به : « ان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر وصولا ثوريا الى التقدم ، لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى ، وانما كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية » ٠

فما الذى جعل طريق الاشتراكية حتمية تاريخية وليس رغبة او اختيارا . هاهو الميثاق يرفض طريق الرأسمالية ، ذلك ان طريق النمو الرأسمالى فى البلدان التى تعانى التخلف نتيجة للسيطرة الاستعمارية الطويلة والتى حصلت على استقلالها اخيرا ، عجز من أن يلاحق التطور الذى قطعته البلدان المتقدمة ٠ ان رأس المال فى تطوره الطبيعى فى البلاد التى ارغمت على التخلف لم يعد قادرا على أن يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الرأسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة اعتمادا على استغلال موارد الثروة فى المستعمرات !! فهذه البلدان الرأسمالية المتقدمةقد حققت تقدمها على حساب المستعمرات باستنزاف مواردها الطبيعية وعلى حساب جماهير العمال فى بلدانها التى تعرضت خلال قرون طويلة لاستغلال رأسمالى بشع والاحتكارات بهذه البلدان لازالت متربصة بالبلدان التى استقلت ومصير أى نمو رأسمالى فى البلدان المتخلفة أن يتحول الى ذيل لها طالما انه بلا قدرة على منافستها .

« ان الامل الوحيد لها فى النمو هو أن تربط نفسها بحركة الاحتكارات العالمية ، وتقتفى اثرها وتتحول الى ذيل لها وتجر اوطانها وراءها الىهذه الهاوية الخطيرة » ٠

« الميثاق »

ان طريق النمو الرأسمالى مصيره ان ترتبط الرأسمالية المحلية بالاحتكارات الرأسمالية العالمية وان تعمل كتابع لها ، وبالتالى ان تفقد البلد استقلالها . لذلك يقول الميثاق فى وضوح :

« ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم » ٠

ويقول :

« والذين ينادون بترك الحرية لرأس المال ويتصورون ان ذلك طريق الى التقدم يقعون فى خطأ فادح » ٠

ان الحل الاشتراكى اذنهو المخرج الوحيدالى التقدم الاقتصادى والاجتماعى وهذا يعنىسيطرة الشعب على أدوات الأنتاج وذلك بطريقين :

أولهما ـ خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية ٠

وثانيهما ـ وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لا طريق اذن للتطور والتقدم المستقل الا بالسير فى طريق الاشتراكية عن طريق القطاع العام ودوره القائد ثم يأتى القطاع الخاص ويشارك بدوره ايضا وفقا

للتخطيط الاشتراكى الكفء ويسير فى اطار خطة التنمية .

ويقول الميثاق « ان التخطيط الاشتراكى هو الطريقة الوحيدة التى تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية » .
وقبل الوصول الى هذاالمفهوم العام والنظرى لمجرى الثورة ، كانت البلاد قد أخذت بالفعلبفكرة التخطيط ، ووضعت الخطة الخمسية الاولى ٦٠ ـ ١٩٦٥ وجاء هذا المفهوم النظرى والفكرى ليؤكد الطريق الذى سارت فيه اقتصاديات البلاد .

وغنى عن القول انه بدون التأميمات واستيلاء الدولة على مشروعات رأسمالها ١٨٤ مليونا من الجنيهات وتأكيد السيطرة الاقتصادية للقطاع العام بحيث أصبح يسيطر حتى عام ١٩٦٣ على ٦٨ فى المائة من مجموع الانتاج الصناعى وحده براس مال يبلغ ٦ر٣٦٨ مليونا من الجنيهات فان الخطة الاولى كانت حينئذ تصبح حبرا على ورق.

ورغم ان الخطة كانت تستهدف تحقيق نمو قدره ٧ر٢ فى المائة فانها قد حققت معدلا من النمو يصل الى ٦ فى المائة ..والى جانبذلك فهناك نتائج ايجابية اخرى للخطة تتلخص فى الاتى :

● زادنصيب الصناعةبالنسبة للدخل القومىمن ١١ فى المائة الى ٢٢ فى المائة .

● وارتفع معدل التنميةعما كان عليهقبل الخطة من ٤ فى المائة الى ٦ فى المائة .

● وارتفعت نسبة المدخرات التى تتحول الى استثمارات من ١ر١٠ فى المائة الى ١٤ فى المائة.

● وزادت فرص العمالة بمقدار ٤٠فى المائةعما كانت عليه قبل بدء الخطة وكان من المفترض ان تناقش نتائج الخطة وان توضع خطة خمسية ثانية غير ان العداء لتطور البلاد وتنمية مواردها سريعا قد وجد ارضا صالحة وشنت حملة مسعورة ضد القطاع العام وعملت قوى عديدة على تخريبه وحملت الافكار الاشتراكية اوزار كل الاخطاء .

● ساهمت فى هذه الحملة المغرضة القوى الاقتصادية الاجنبية العالمية وهى قوى عاتية واغراضها مفهومه فهى تريد أن تستعيد مراكزها المفقودة ٪ وتحول بلادنا مرة اخرى الى تابع اقتصادى لها ، كما تريد أن تحطم نموذجا جديدا للتنمية يحتذى فى المنطقة العربية وفى افريقيا والدول المتخلفة عموما .

وشاركت فى ذلك القوى الرجعية المحلية التى سلبت من مراكزها الاقتصادية البارزة مثل العائلات الاقطاعية التى حددت ملكيتها الزراعية ومثل أصحاب الاسهم والسندات فى الشركات المؤممة .

وساهم فى ذلك وساعد عليه ايضا شريحة اجتماعية من فئات الطبقة الوسطى ، اى من الرأسمالية الوطنية التى تروج للافكار التى تدعو الى حرية الحصول على الارباح عن طريق تلقائية السوق وفى جو المنافسة الحرة وهى فى الواقع تعيد ترديد افكار الرأسمالية الاوروبية عند نشأتها وهى فى ذلك تتجاهل حقائق العصر وحقائق التجربة التاريخية فى مصر .

١ ـ لقد تم تطور الرأسمالية الاوروبية فىفترة زمنية طويلة نسبيا (مئات السنين) لا يمكن انتظار المرور بها حتى نحرز التقدم ...كما ان عملية تجميع التراكم كانعن طريق استغلال وحشى لجماهير العمال فى بلدان أوروبا الرأسمالية وهو ما لا يمكن أن نفرضه على عمال مصر .

٢ ـ ان عملية التطور هذه قد ساعد عليها نهب المستعمرات والبلدان التابعة وهو أمر لا يمكن أن تتطلع اليه الرأسمالية فى مصر مهما كانت أطماعها . ذلك أن بلادنا نفسها تقع فى دائرة التخلف وترفض التبعية مثلها مثل عشرات البلدان التى استيقظت لتجارب الاستعمار والنهب الاستعمارى بكافة أشكاله فى القارات الثلاث افريقيا ، آسيا ، امريكا اللاتينية .

٣ ـ ان الرأسمالية المصرية مهما كانت درجة قوتها فهى أعجز من أن تناهض خطط الامبريالية العالمية ومؤامراتها من اجل استعادة قبضتها على البلدان التى استقلت (ونحن نعانى بالفعل من مؤامرة صهيونية امبريالية شرسة) وأن الملجأ الوحيد للبلاد هو الاعتصام بالاستقلال الاقتصادى والتنمية المخططة .

٤ ـ لم يكن هناك عند نشأة الرأسمالية الاوروبية تجارب فى التنمية الاشتراكية . وهى تجارب لا يمكن أن تتجاهلها البلدان النامية . وقد ضربت بها معدلات للتنمية عجز الاقتصاد الرأسمالى فى البلدان المتقدمة من تحقيقها .

ان اعادة ترديد الافكار الخاصة بالتنمية عن طريق حرية الرأسمالية المحلية انما يعنى فى اخر الامر أن تفقد البلاد قدرتها على الصمود الاقتصادى فى وجه المنافسة العالمية ، ودون أن تستند الى بعد نظر كاف يرسم طريق التطور السريع والقادر على اللحاق بالبلدان المتقدمة .

انها افكار تنبع من نظرة أنانية غير قادرة على الربط بين مصالح الرأسمالية المحلية الخاصة ومصالح الوطن ومستقبله . وقد نجحت مثل هذه الاتجاهات فى أن تمنع الاتجاه الى التنمية اعتمادا على التخطيط ولم توضع بالفعل خطة خمسية ثانية وتغلب اتجاه الابطاء فى التنمية • ويبين تطور اجمالى الانتاج القومى فى السنوات الخمس لخطة التنمية الاولى والسنوات الخمس التالية كيف أن معدل التنمية أبطأ حينما سار بدون تخطيط •

اجمالى الانتاج القومى فى الصناعة والزراعة ٢٨٢٠ مليون جنيه سنة ٥٩ ــ ١٩٦٠ ، زاد الى ٣٨٦٣ مليون جنيه سنة ٦٤ ــ ١٩٦٥ ، ووصل الى ٤٥٤٠ مليون جنيه سنة ٦٩ ــ ١٩٧٠ •

أى أن الزيادة بلغت فى الخمس سنوات الاولى ١٠٤٣ مليونا ، بينما بلغت الزيادة فى الخمس سنوات التالية ٦٧٧ مليونا ، مع أنه كان من المفروض ان كل استثمار يخلق فائضا انتاجيا ويوفر بدوره جزءا هاما من استثمار جديد•

ولم يحسم تقدمنا الاقتصادى فى الفترة التالية على الخطة الاولى الا بوجود قطاع عام قائد فى الصناعة والتجارة الخارجية ، وبالاعتماد على هذه القاعدة الحقيقية سار تطورنا الاقتصادى تلقائيا ودون الاعتماد على التخطيط الشامل •

ان عملية الابطاء فى التنمية هذه كانت عاملا من العوامل الهامة وأساسا اقتصاديا موضوعيا هيأ البلاد لجو ساعد على هزيمة يونيو ١٩٦٧•

ونفس عناصر المقاومة للتأميم والتخطيط والاشتراكية كانت هى عناصر الانهزامية بالنسبة لمواجهة العدو وكانت تبغى أكثر من ذلك • كانت تبغى التسليم وتدعو الى احباط التجربة تماما والاستسلام للعدو .

أهمية العرض التاريخى

ان العرض التاريخى السابق يبين موقع ودور الرأسمالية المحلية فى تطور البلاد ، سياسيا واقتصاديا وهو يلقى الضوء على الوضع الحالى حتى يمكن تحديد دور الرأسمالية الوطنية بوضوح •

١ ــ ان الرأسمالية المحلية فى تاريخ كفاح البلاد الطويل قد حاولت أن تقوم بدور فى التنمية الاقتصادية وفى تحقيق الاستقلال السياسى • ولكن الضغوط الاستعمارية العالمية والاحتكارات الرأسمالية العالمية جعلت من المستحيل على الرأسمالية الوطنية فى البلدان المتخلفة أن تحقق معدلات مناسبة للتنمية فى ظل اقتصاد يعتمد على النمو الراسمالى التقليدى . ومثل هذا الاطار للنمو يؤدى الى أن تنفصل شريحة من الرأسمالية المحلية لتلتقى مع الامبريالية العالمية بحكم تشابك المصالح ونشوء فئة من الوكلاء لمصالح الاحتكارات العالمية •

٢ ــ ان حقائق حركات التحرر فيما بعد الحرب العالمية الثانية تؤكد انه لا سبيل الى احراز تقدم اقتصادى سريع الا بالاعتماد على قيام دولة وطنية تقدمية فى هذه البلدان تقود اقتصاديات البلاد من خلال قيام قطاع عام قوىواصلاحزراعىجذرى وتسيرفى طريق التخطيط الاشتراكى حتى يمكن القيام بالمشروعات الكبرى الخاصة بتوليد الطاقة وارساء دعائم الصناعة الثقيلة والتى بدونها تظل البلاد المستقلة تعيش فى ظل اطار صناعات استهلاكية وتصدير المحصول الواحد وتغليب حياة الزراعة على حياة الصناعة ، وتعجز بالتالى عن مواجهة مشكلة التزايد السكانى ويصبح من العسير المحافظة على استقلال البلاد •

٣ ــ ان مصر فى مجرى تطورها قد تعرضت لمؤامرات متلاحقة للامبريالية العالمية وقد أخذت هذه المؤامرات أشكالا متعددة (ضرب تجربة محمد على ــ اغراق البلاد وتكبيلها بالديون ايام اسماعيل ــ غزو البلاد وتحطيم الثورة العرابية ــ سيطرة استعمارية مطلقة حتى ثورة ١٩١٩ ــ استخدام قوى محلة من كبار ملاك الارض وكبار الراسماليين المصريين لاحكام السيطرة الاستعمارية فى فترة ما بين الحربين وحتى حريق القاهرة ،محاولات ربط البلاد بالاحلافالاستعمارية بعد ثورة ١٩٥٢ ــ الغزو الثلاثى ٥٦ ــ الغزو الثانى الصهيونى الامبريالى سنة ١٩٦٧ ــ ولازالت مؤامرات الامبريالية العالمية الصهيونية مستمرة وسوف تستمر طالما وجد الاستعمار العالمى) •

وهذا يقتضى مقاومة خطط المستعمرين وذلك باستمرار الكفاح الوطنى فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية . والتنمية الاقتصادية عامل رئيسى فى الصمود والعلاقة متبادلةبين قدرتنا العسكرية وقدرتنا الاقتصادية •

٤ ــ من تجربة مصر الطويلة ومن واقع الظروف العالمية يجب التسليم بأن الدور القيادى فى بناء الاقتصاد الوطنى لا تقدر أن تضطلع به الرأسمالية الوطنية غير أنه من دروس التاريخ أيضا ومن واقع

ظروف الانتاج الحالية تجعل للرأسمالية الوطنية دور فى التنمية فلا زال الاقتصاد القومي يعتمد في أقسام منه على النشاط الرأسمالي (القطاع الخاص) ولا يمكن اهمال هذه الحقيقة فقط اذا كانت البلاد قد اخذت بطريق التنمية الاشتراكية المخططه . فان معنى هذا بوضوح ان النشاط الرأسمالى المحلى يجب أن يكون له دور فى التنمية . اى ان يسهم فى اتجاهات انتاجية محددة وفقا لحاجات البلاد كما تحددها خطة التنمية .

٥ ـ ان الرأسمالية المحلية بعد التأميمات قد اقتصرت على فئات لا يجوز تسميتها بالرأسمالية الكبيرة ، أما هى فتقع من حيث نموها فى عداد الفئات المتوسطة والصغيرة . وكما هو معروف بالنسبة لعمليات الاستثمار الرأسمالية فان فئات الرأسمالية تكون دائما متفاوتة النمو بين الصغيرة والمتوسطه والكبيرة ، وكما هو معروف ايضا فان حركة الاستثمار تؤدى الى تحقيق تراكمات جديدة ونمو جديد في اقسامها ، فما هو الموقف من عملية التراكم الرأسمالي التي لابد وأن تحدث بفعل الزمن ؟ وما هى اجدى الوسائل لتوجيه الفائض الرأسمالى الذى يتحقق نتيجة لعملية الاستثمار؟ وما هو الموقف من الفئات الرأسمالية الصغيرة التى تعمل فى ظروف صعبة ولا تقدر معها على منافسة الفئات الاكبر منها ؟ ما هو الموقف من عمليات التجديد الالية والتطوير التكنولوجية باعتبارها من أهم المسائل التى تلح بالنسبة لعمليات الانتاج الجديدة ؟

الحرفيون ـ أصحاب محال التجارة الصغيرة ـ ملكية أقل من خمسة أفدنة

يحلو لكثير من الباحثين ادماج (القطاع الخاص) صغيرة ومتوسطة وكبيرة فى عداد الرأسمالية الوطنية . وهذا أمر لا يستقيم مع فكرة النمو غير المتساوى لفئات الرأسمالية . وانه ببساطة شديدة يمكن اخراج الحرفيين وصغار التجار واصحاب الارض ممن لا تتجاوز ملكيتهم للارض خمسة افدنة من عداد الرأسمالية الوطنية . فهؤلاء لهم مشاكلهم ويتميزون اقتصاديا بصغر الملكية الرأسمالية كما أنهم فى اغلب الاحوال يعملون بجهدهم الشخصي أو هم وأفراد من عائلاتهم ، وهم يستعينون بعدد محدود من العمال يقل عن عشرة افراد . وهم من الناحية الاقتصادية يتعرضون لضغوط اقتصادية شديدة ـ يتعرضون لمنافسة الفئات الاكبر منهم ولا يقوون بالفعل على هذه المنافسة ، وترهقهم الضرائب ، ويزعجهم التقدم الالي (فهم يعتمدون على المهارة الشخصية اكثر من اعتمادهم على الالات) .

ويشكون من نسبة العمولات المحدودة فى التجارة والتى يبتلع معظمها التجار الاكبر منهم . ويقعون فريسة لتجار السوق السوداء والمضاربين والحرفيين من الناحية العددية يمثلون كتلة هائلة (قدر عدد الحرفيين بحوالى ٣ ملايين) .

وتشكل المصانع التى يعمل بها اقل من عشرة عمال ٩٢ فى المائة من مجموع المصانع ويشتغل بها ٢٧ فى المائة من مجموع العاملين فى الصناعة . وفى تعداد ١٩٦٤ المنشور فى ١٩٦٧ بلغ عدد المنشآت الصناعية التى يعمل بها أقل من عشرة عمال ١٤٤ر٥٥٦ منشأة ، وتبلغ قيمة الانتاج فيها ١٤٣ مليون جنيه من جملة قيمة الانتاج الصناعى البالغ ١١٠١ر٥ مليون جنيه .

أما التجار فنجد أن عددهم الاجمالى ٧٥٠ر٠٠٠ تاجر لايدخل منهم في عداد الممولين من الناحية الضريبية سوى ٢٨٣ الفا،كما ان ٥٧ر٥ فى المائة ممن يعدون من الممولين يقل دخلهم السنوى المعلن عن ٢٥٠ جنيها .

اى حوالى ٧٤ فى المائه من مجموع التجار يدخلون فى عداد صغار التجار . وأن من يملكون خمسة افدنة يمثل ٩٥ فى المائة من عددالملاك، ويملكون حوالى ٦٠ فى المائة من الارض الزراعية .

وهكذا تشكل الرأسمالية الصغيرة كتلة ضخمة من عدد السكان بالاضافة الى أبنائهم من العاملين في الحكومة والقطاع العام . هذه هي الرأسمالية الصغيرة ، ومشاكلها يجب معالجتها دون خلطها بمشاكل الرأسمالية الاعلى منها (الرأسمالية المتوسطة أو الرأسمالية الوطنية) . والرأسمالية الصغيره فئة جديرة بالرعاية على اساس الاخذ باليد والمساعدة فى ايجاد أشكال للانتاج ارقى من الانتاج الفردى المبعثر . ولاجدال أن الشكل الاصلح لهذه الفئة هو تجميع أشكال الانتاج الحرفى في أشكال للتعاونيات الانتاجية .

وقد مرت تجربة التعاونيات الانتاجية (فى الانتاج الحرفى) بمشاكل عديدة جعلت التجربة نفسها محفوفة بالخطر . ولكن هذا هو الحل الحقيقى لمشاكل الانتاج الحرفى اذا ما فرضت رقابة ديمقراطية من مجموع المشتركين فى التعاونيات من ناحية ، ومن الاجهزة التنفيذية والسياسية من ناحية اخرى حتى يمكن ضمان الحصول على قيادات سليمة غيرمنحرفة ، وحتى يكون الهدف بالفعل تذليل الصعاب التى تواجه المشروع الصغير .

على أن يكون حجم الانتاج ومواصفاته وجودته وتكلفته هى الاسس الحقيقية للحكم على نجاح العمل التعاونى .

وتكون الاولوية فى تكوين هذه التعاونيات لانواع السلع المراد تصديرها وتزود هذه التعاونيات بالمواد الخام ـ كما تزود بعض الالات الحديثة التى تكسب عملية الانتاج فاعلية جديدة . وتحدد مصادر التمويل ونسبة الفائدة ، ثم يكون التسويق بالتصدير للسلع ذات المواصفات المناسبة ويطرح ما يتخلف فى السوق الداخلى • مع الاهتمام بتحويل المشروع التعاونى الى مشروع آلى شيئا فشيئا تمشيا مع التطور الاقتصادى المنشود • ومجموعات الحرفيين وصغار الرأسمالية يتأثرون سياسيا بالرأسمالية الاعلى منهم وهم يطمحون فى الصعود الى مصافها غير أن الظروف لا تسمح لهم بذلك • وعملية تنظيمهم فى تعاونيات انتاجية تسهل عملية تعبئتهم سياسيا للوعى بطبيعة المرحلة ودورهم الانتاجى والسياسى فيها ، كما يجب التأكيد على أن قضية التحالف تشملهم باعتبارهم قوة وطنية ومصالحهم مع مصالح العمال والفلاحين حيث أنهم يعملون بجهدهم مثلهم•

بين الرأسمالية الوطنية والرأسمالية الطفيلية

واذا تركنا الرأسمالية الصغيرة الحرفية والتجارية والفلاحية جانبا وصعدنا فى السلم الاجتماعى وجدنا أن الطبقات الوسطى هى فى أغلب تكوينها قطاعات رأسمالية فى الصناعة والتجارة والزراعة •

ففي الصناعة والتجارة يعد من يستخدم اكثر من ١٠ عمال من بين الفئات ، ومن يملك مايزيد على ١٠ أفدنة هو أيضا من رأسمالية الريف حيث أنه يقوم بعملية الانتاج وحده هو وعائلته وانما يعتمد على ايد عاملة اجيرة الى جانب العمليات الاخرى المنتشرة فى الريف من تربية الماشية وصناعة وتجارة الالبان وبعض الصناعات الزراعية الاخرى وعمليات التسويق وتأجير وابورات الحرث والرى لصغار المزارعين ، وما شابهه من عمليات عديدة منتشرة اليوم فى الريف ويحظى بنصيب الاسد فيها كل من كان له حظ اكبر فى ملكية الارض ورأس المال .

وهذه العمليات الرأسمالية المتعددة فى الريف والمدينة فى التجارة والصناعة والزراعة شديدة الانتشار فى حياة البلاد الاقتصادية وحجمها فى مجموعها كبير الضخامة ، فالاقتصاد الزراعى بأكمله تقريبا (قطاع خاص) والاقتصاد التجارى والصناعى ذو المشروع المتوسط له قوة وفاعلية ملحوظة فى الحياة الاقتصادية وهذه طبيعة الاوضاع فى البلاد المتخلفة حيث الرأسمالية لم تتمكن فى التركيز الشديد وفرض المشروع الاحتكارى الضخم على كل اتجاهات الاستثمار الصغيرة والمتوسطة •

غير انه من المهم ان يتم تمييز نوع النشاط الرأسمالى وذلك بتقسيمه تقسيما واضحا الى نوعين : نشاط **رأسمالى طفيلى ـ ونشاط راسمالى ايجابى وطنى** •

لقد ازاحت التأميمات الواسعة فى عام ١٩٦١ عناصر الضغط والمنافسة التى كانت تتعرض لها القطاعات الوسطى بين الراسمالية ومن ثم أصبحت هى فى قمة الوضع الاجتماعى •

ولما كانت عمليات التنظيم الخاصة بالرقابة الصناعية والتجارية من جانب الدولة على نشاط هذه الفئات ليس فى المستوى المطلوب ،فان عمليات الجرى وراء الربح العاجل والربح فقط دون النظر الى المصلحة الوطنية العامة أصبحت تجرى على قدم وساق .

وقد شاهدنا العديد من مظاهر النشاط الرأسمالى الطفيلى مثل المضاربة والتخزين والسوق السوداء وافساد ذمم موظفى القطاع العام والحكومة ونهب اموال القطاع العام وعمليات التهريب (النقد ـ والبضائع الاجنبية) والاتجار بالحصص فى السوق السوداء (كما يحدث بالنسبة لحصص الغزل من جانب بعض مصانع النسيج) • والتحايل فى سبيل الحصول على الحصص المخصصة للقطاع العام فى مجال تصدير الحاصلات • والتجاوز عن المواصفات السليمة خلال عمليات الانتاج والتجاوز عن التسعيرة عند التوزيع لجنى افحش الارباح ، والتحايل على تنفيذ قوانين العمل والتأمينات . والتهرب من دفع الضرائب • وتقديم أنماط استهلاكية غريبة على مجتمع نام • والتحايل للاستيلاء على الاراضى المملوكة للدولة وبيعها للناس • والاقراض الربوى وبالذات فى الريف • واعمال المقاولات من الباطن • ومقاولى عمال التراحيل • ومثل هذا النشاط الاقتصادى للرأسمالية يمكن أن نطلق عليه الرأسمالية الطفيلية ونشاط هذه الفئة نشاط مخرب للاقتصاد القومى ومستغل أبشع استغلال للقوى العاملة وهو نشاط شاذ يجب أن يحارب • ولا يكتفى هذا النشاط بالجانب الاقتصادى فحسب بل يصاحبه فى نفس الوقت حملة سياسية ضارية تكمله • أول أهداف

الحملة هو النيل من القطاع العام والعمل على هدمه • ونقد القطاع العام مطلوب حتى يقوم بدوره بشكل أكمل عن طريق ترشيد الانتاج وضمان الكفاءة الانتاجية • ولكن ان تنتهى الحملة بالمطالبة بتصفية القطاع العام فهو أمر غير مقبول لان معناه الانهيار الاقتصادى .

وباسم الدفاع عن القطاع الخاص ومصالح القطاع الخاص ، تريد هذه الفئات فتح السوق المحلى على مصراعيه للسلع الاجنبية وايجاد حركة وصل بين هذه الفئات وبين الاحتكارات الاجنبية • وهم يقدمون الراسمالية نموذجا للتقدم والراسمالية الغربية بالذات ، مع ما فى هذا من تضييع لكل كفاحنا وآمال تقدمنا •

وهم من ناحية أخرى نشطون سياسيا يريدون ابعاد الجماهير عن العمل السياسى والسلطة وهم عندما تتحرك الجماهير يلتفون حول حركتها ويحاولون تفريغ مطالب الجماهير من مضمونها ويحيلونها الى مطالب للقطاع الخاص .

« ان العمل من أجل زيادة قاعدة الثورة الوطنية لا يمكن ان يترك لعفوية رأس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة ... » •

« الميثاق »

ان عملية التمييز بين النشاط الطفيلى والنشاط الرأسمالى الوطنى له اثاره على المجال السياسى ايضا، ومن هنا من المهم ان تحدد طبيعة الرأسمالية الوطنية •

الرأسمالية الوطنية

ان اول ما يميز الرأسمالية الوطنية انها تساهم فعلا فى عمليات التنمية الاقتصادية بالمشاركة فى الانتاج الحقيقى الصناعى والزراعى وفى النشاط التجارى من اجل التسويق والتوزيع والنقل وهى طبقة تبتعد عن النشاط الطفيلى • كما تبتعد عن الاساليب الملتوية فى الحصول على الارباح وتخضع للقوانين المعمول بها كقوانين الضرائب وكقوانين العمل والتأمينات وهى من الناحية السياسية معادية اصيلة للاستعمار والصهيونية وترغب فى تحرير الارض ، وعلى استعداد للمساهمة مع فئات الشعب الاخرى فى تقديم التضحيات اللازمة من أجل الوطن ، وهى تدرك ان المصالح الامبريالية فى المنطقة هى عدو اساسى لها •

ان ابرز مايميز هذه الطبقة الوطنية هى استعدادها للمساهمة فى انجاز ما يطلب منها فى خطة التنمية •

ويجب على العمل السياسى بين هذه الفئتان يحل التناقضات التى قد تنشأ بين هذه الطبقة وبين القطاع العام والدولة من ناحية او بين هذه الطبقة وبين فئات الشعب الاخرى من العمال والفلاحين •

فهذه الطبقة بحكم وضعها فى الانتاج تصطدم ببعض الانظمة البيروقراطية التى قد تعوق حركتها الانتاجية فيجب اعطاؤها التسهيلات اللازمة على ان ترتبط بالمواصفات السليمة وبكميات الانتاج المطلوبة وبمواعيد التسليم والتسويق المقررة •

ووطنية هذه الطبقة لاتنفى طبيعتها الاستغلالية للعمال المشتغلين لديها ، سواء فى المصنع او المتجر او الحقل فانه من المناسب فرض رقابة سياسية وشعبية على عمليات التشغيل وضرورة اخضاعها لساعات العمل المقررة والاجور المناسبة مع توفير الضمانات الاجتماعية والصحية اللازمة للعاملين •

اما فى المجال السياسى فقد لوحظ ان هذه الفئة قد احتلت مراكز عديدة فى المجال السياسى واعطاها التعريف الفضفاض للعامل والفلاح امكانية أن تتحدث باسم العمال والفلاحين • وفى هذا الشأن يجب ان تمثل الراسمالية الوطنية سياسيا فى حدود دورها فى الانتاج وأن تناقش من جديد تعريفات العامل والفلاح ، لتأخذ مكانها كأغلبية يقع عليها العبء الاساسى فى الانتاج وفى تحمل الاعباء والتضحيات .

ويجب من الناحية السياسية شن حملة على مفاهيم الرأسمالية الطفيلية وتغليب المفاهيم الوطنية عليها ، وبيان الاضرار الاقتصادية والسياسية التى تقع من جرائها على البلاد ، وعلى نشاط الرأسمالية الوطنية والصغيرة نفسها •

وفى مجال الرأسمالية الصغيرة يجب العمل على حل مشاكلها بنشر الدعوة الى التعاون باعتباره الوسيلة الحقيقية لحل هذه المشاكل (الحرفيين واشباههم) (صغار الزراع ٥ افدنة فاقل) وانشاء التجارب التعاونية التى تعتمد على النشاط السياسى فى الدرجة الاولى وبهدف تحقيق (التجميع - ترشيد الانتاج واعتماده على الالات - تحقيق مواصفات انتاجية احسن - توفير فى النفقات الانتاجية) .

خمس حقائق ضد نظرية «التوافق»

ياسر حجازى

لا يزال عدد من الكتاب والمفكرين ، فى اكثر من بلد ، يلح على مايسمى «بمرحلة التوافق» أو « الوفاق » بين الاتحاد السوفيتى من ناحية ، وبين الولايات المتحدة الامريكية، من ناحية أخرى .

ولقد سبق أن ناقشنا طائفة من الحجج ، التى طرحها أصحاب ذلك الرأى ، وخرجنا من هذه المناقشة بنتيجة مؤداها ، أن العلاقات الامريكية السوفيتية ، وان كانت تمر ، بالفعل ، عبر مرحلة افضل ، الا أن هذا التحسن فى مسارها ، هدفه الواضح ، ووجهته الاكيدة ، هو تجنب الصدام، وتلافى المواجهة بين القوتين ، واضافة ضوابط جديدة ، تساعد على اشاعة مناخ أنسب لاقران السلام ، وذلك بعد أن ازدحمت الساحة الدولية بكثير من المشاكل المثيرة للتوتر .

أما ـ ما يذهب اليه اصحاب نظرية «التوافق» ـ عن احتمال تجاوز العلاقات بين البلدين لهذه الحدود ، وتخطيها لذلك الهدف ، وصولا الى تحقيق توافق فى المصالح ، وتزاوج بين السياسات ، فذلك ما قصرت تحليلاتهم عن اقامة الدليل على صحته . وغاية ما استطاعوا تقديمه افكار خاطفة ،وشظايا من ظواهر عابرة ،حاولوا أن يرتقوا بمزيجها المتنافر سياق منطقهم المعبر عن « نظرية الوفاق » .

ويظل السؤال بعد ذلك ، لماذا هذا الاصرار على طرح هذه النظرية ؟

نظرة على العالم

قد نحتاج بداية ، الى نظرة سريعة نلقيها على العالم الواسع المحيط بنا • استكشافا لابرز السمات والملامح التى تشكل مناخه الحالى • ولو اننا بسطنا خريطة ذلك العالم بين ايدينا ، وحاولنا تحديد بؤر مشاكله الساخنة والساكنة ، لوجدنا أنها تكاد تنحصر فى ذلك النطاق الذى اصطلح على تسميته (سياسيا) بالعالم الثالث • فعلى أرضه ، وداخل حدوده ، تتحرك متفجرة بالحمم ، معبأة بالبارود ، مشاكل : كمبوديا ولاوس والشرق الاوسط ، ومنذ قليل كانت حرب فيتنام لم تزل مشتعلة •

وتتحفز مشحونة بالتوتر ، الاوضاع فى كوبا .. وشيلى .. وكوريا وغيرها ..

هذه المواقف والازمات ، وان كانت مختلفة الصيغ ، متباينة الدوافع ، فانها جميعا وبلا استثناء تخضع لقانون واحد يحكم حركتها جميعا • فكلها صورا مختلفة الزوايا والابعاد لمضمون واحد ، ألا وهو **تعرض القوى الوطنية فى هذه المناطق ، لشكل او لاخر من اشكال التدخل الخارجى** الذى اتخذ طابع العدوان المسلح ، كما هو الحال فى الهند الصينية ، والشرق الاوسط ، أو حرب التجويع والخنق الاقتصادى ، كما يحدث بالنسبة لكوبا ، وشيلى ، وكوريا ، أو التخريب من الداخل ، كما يجرى فى دول أمريكا اللاتينية ، وكما جرى فى افريقيا (الكونغو ـ نيجيريا ـ غانا) ، وفى آسيا (أندونيسيا) ، قد تكون الصيغ مختلفة ، والاساليب متنوعة ، ولكنها جميعا ، تعبر عن حركة تصادمية واسعة تقع بين حركة التحرر الوطنى فى قارات العالم الثلاث من جانب ، وبين الولايات المتحدة الامريكية من جانب آخر : لا كدولة فحسب ، وانما ايضا ، كقيادة لتحالف قوى الاستعمار الجديد ، الذى يساهم أعضاؤه بأنصبة متفاوتة النسب فى مهمة الانقضاض على هذه أو تلك من دول العالم الثالث •

وفى حلبة هذا الصدام وساحته ، يتواجد الاتحاد السوفيتى ، ويتحرك مساندا قوى التحرر الوطنى بتأييده السياسى ودعمه المادى وامداده العسكرى •

هذا هو هيكل المشاكل والازمات والعمود الفقرى الذى يلتئم حوله باقى العناصر التى تصطرع على أرض العالم الثالث ، والتى تغلف بسحبها القاتمة الافق الدولى كله •

أبعاد الموقف

وبغض النظر عن الاشكال المتغيرة التى اتخذها ويتخذها ذلك الصراع ، ودون الخوض ، بحثا عن دوافعه ـ هنا وهناك ـ أو تحليلا لمواقف اطرافه وتحديدا لنسب مساهماتهم فى كل من المشاكل المثارة ، فان هذا الصراع برمته يكشف عن بعدين أساسيين لعلاقات القوى الداخلة فيه •

البعد المباشر : وهو الذى يقع مواجهة بين قوى التحرر الوطنى فى مناطق الازمات من جانب ، وبين الولايات المتحدة وقوى التحالف الامبريالى الاستعمارى الذى تقوده امريكا من جانب آخر •

والبعد غير المباشر : وهو الذى يمتد بين الولايات المتحدة ـ وحلفائها من ناحية ، وبين الاتحاد السوفيتى والنظام الاشتراكى العالمى من ناحية اخرى ، عن طريق اتصال وتعضيد القوى الاخيرة لحركة التحرر الوطنى ، ووقوفها معها فى كافة قضاياها . فالتناقض او الخصومة بين أمريكا والاتحاد السوفيتى فى هذه الحالة مصدرها مواقف كلا الطرفين حيال حركة التحرر الوطنى •

تلك الخريطة لعلاقات القوى ، تقودنا بدورها ، الى استنباط عدد من الحقائق ، قد تكون معروفة ، ولكن ايضاحها فى مخروط رؤيتنا الحالية ضرورة **لا غنى عنها .**

الحقيقة الاولى

أن البعد المباشر للصراع الذى يضع حركة التحرر الوطنى فى مواجهة الحلف الامبريالى الاستعمارى . **انما فرضته وتفرضه دون تدخل أو املاء من أحد ـ مولد حركة التحرر الوطنى ذاتها** • حيث أنها استمدت شرعية ذلك الميلاد من نضالها الدائب لتحرير ارادتها التى كانت حبيسة معاقل النظام الاستعمارى القديم ، ومن كفاحها المضنى فى سبيل استرداد ثرواتها المنهوبة من قبل الحلف الامبريالى الاستعمارى بقيادته الجديدة ـ امريكا ـ والذى مازال يمارس ـ بأساليب عصرية

ـ كل صنوف الاستغلال الاقتصادى والاجتماعي ضد دول العالم الثالث .

الحقيقة الثانية

أن الموقع غير المباشر الذي يحتله الاتحاد السوفيتي فى خضم ذلك الصراع بتضمنه مع حركه التحرر الوطنى ، ومساندته لها ·· لا يمكن استبداله بموقع آخر متقدم . كما انه من الخطر البالغ ، اخلاؤه والانسحاب منه والمعركة مع الامبريالية على امتداد العالم كله ، تستعر اوراً ، وتزداد شراسة وعنفا فتقدمه الى مواقع المواجهة والصدام مع الولايات المتحدة علاوة على أنه قد يدفع العالم الى حافة الهاوية ، بل ومن المحتمل الى الهاويه نفسها ·· فانه فى نفس الوقت لا يخدم من قريب أو بعيد قضايا حركة التحرر الوطنى ، اذ انها ستفقد بالقطع سماتها المتميزة ، وخصائصها الذاتيه ، بتدويل معاركها ، وبتذييلها للصراع الدائر بين القوتين العالميتين ـ هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، فان اقحام الاتحاد السوفيتي بالحيلة أو بالقسر لمواجهةامريكا فى مثل تلك المعارك والقضايا من شأنه أن ينهى تلقائيا دور حركةالتحررالوطنى،ويسقط مبرر وجودها، ويعنى فى ذات الوقت اعفاء او تخلى (او هروب) الحركة عن تحمل مسئولياتها ، والاضطلاع بمهام نضالها الوطنى ·· والقاء عبء ذلك كله على عاتق قوى ، مهما كانت صديقة ــ فهى اجنبية وتحويلها ــ بالتالى ــ من موقف الصديق الى موقف المسئول ــ ومن دور التأييد او المشاركة الى دور التسيير والاملاء .

هذه نتائج لا شك واقعة ، ومنتهى اليها ، اذا تقدم الاتحاد السوفيتي خطوة عن موقعه الحالى ، مهما كانت الدواعى والظروف ومهما بلغ أو بولغ فى استخدام المؤثرات وافتعالها كتزيف معنى الصداقة وتصويرها ، وكأنها نوع من المسئولية الكلية .

أما اذا تخلى الاتحاد السوفيتي عن دوره المؤيد ونفض يديه ، من مهمة دعم القوى الوطنية فى نضالها ، فليس لذلك من نتيجة سوى ترك القوى فريسة سهلة للانقضاض الامبريالى الشرس ، وتجريدها من خلفية لها ـ ولا شك ـ دورها الفعال فى احباط المؤامرات الامبريالية ومخططاتها وفي تمكين حركة التحرر الوطني من الانتصار في معاركها كما (حدث مؤخرا بالنسبة لفيتنام) التى تعرضت لاكثر اسلحة الدمار تقدما وفتكا .

الحقيقة الثالثة

أن الولايات المتحدة ، رغم كل المحاولات والحيل ، لا تستطيع تمويه البعد المباشر الذى تحتله فى مواجهة حركة التحرر الوطني · ولا يعول فى قياس ذلك البعد علي تواجدها المادى الملموس فى بؤر المشاكل ومراكزها ، وانما على مدي تأثيرها ومساهمتها في كل منها · وفي تشكيل اطوارهاالمختلفة وغير خاف ، فى هذا الصدد ، الجهد والتدبير والامكانيات الامريكية المتاحة وذلك بلا حدود ، وبغير ما تحفظ ، لالحاق الهزيمة بقوى التحرر الوطنى فى جميع المعارك التى تخوضها فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

فلا يمكن لنظام فان ثيو فى فيتنام ـ مثلا ـ أو لون نول فى كمبوديا ، او القوات الاسرائيلية فى الشرق الاوسط ، مهما بلغ سمك الطلاء الخادع الذي يصطبغ به سلوكها ان تدعى لنفسها قدرة استزراع أو انماء تلك الازمات التى تنتسب اليها سفاحا ، ولا ان تنفى عن نفسها صفة العمالة والاداة التى تخضع لاوامر امريكا ونواهيها ··

ذلك انه على الرغممن غياب امريكا الظاهر عن المسرح بالنسبة لبعض المشاكل (كالعدوان الاسرائيلي في الشرق الاوسط) تظل هى المخططة والمحركة ، لكل ما يقع عليه من احداث . ولو اننا تخيلنا توقف امريكا ــ ولو للحظة واحدة ــ عن ممارسة تلك المهمة لاختل تسلسل الاحداث وترابطها ، وانهار خطها الدرامى ، بل ولفقدت عناصر تكوينها الحدثى كلية .

الحقيقة الرابعة

ان وجود ،أو عدم وجود ، الاتحاد السوفيتي والنظام الاشتراكي العالمى من ساحة المعركة ، لا يعنى وجود ، أو عدم وجود ، معركة · ولا يعنى اختفاء او انتقاء الصراع الدائر بين قوى التحرر الوطني ، وبين امريكا والقوى الضالعة معها ·· فالقضايا المتصارع عليها ، وحولها ، هى فى صميمها الحقوق المشروعة للقوى الوطنية ، التى هى ، فى نفس الوقت ، المصالح التى دأب النظام الاستعمارى على استنزافها ، ولم يقبل حتى الان التراجع عن موقفه الاستغلالى منها بردها لاصحابها الشرعيين أو تركها لهم .

الحقيقة الخامسة

ان كلا الموقفين المتباينين لكل من الاتحاد السوفيتي ، ممثلا للنظام الاشتراكى العالمى ،

والولايات المتحدة ممثلة للنظام الامبريالي الاستعماري .. حيال حركة التحرر الوطني ، انما هو تأكيد وتجسيد لتناقض المحتوى الفكرى ، والموقف العملى لكلا النظامين ، وهو ابراز لعمق الصراع الذى يفرض نفسه عليهما فى كل المشاكل والقضايا الدولية ٠

موقف فى الجزء الاخر من العالم

ان ما سبق ، هو جانب من القضية التى يكملها ويبرز ملامحها الالمام بجانب آخر ، قد يبدو أنه على غير صلة عضوية بالقضية محل البحث ٠ ولكنه ، فى رأينا ، يلتقى معها عمقا وجذورا ٠٠٠ ونعنى بذلك ، باقى القضايا ، أو المشاكل ، المطروحة فى الجزء الاخر من العالم الخارج عن محيط العالم الثالث ودائرته ٠

فالمشاكل الواقعة فى هذا النطاق ، لم تعد مصدر قلق او توتر كما كانت فى الماضى ، واصبحت ـ فى أكثر الاحوال تشاؤما ـ تتخذ طابع المرض المزمن الذى يتعايش معه المريض ، ويعتاده دون أن يخشى منه تهديدا لحياته ٠ ولعل المحاولات المبذولة حاليا لمعالجة مشكلة الامن الاوروبى ، (ولو أنها لا تنبىء حتى الان بامكان الوصول الى تسوية سريعة بشأنها) الا أن الشواهد تظهر ، أن الاتفاق هو أمر فى حكم المستطاع ، طال الوقت أم قصر ٠

وهذا يقودنا الى استخلاص حقيقة أخرى وهى أن العلاقات بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى ، فى ذلك الجزء من العالم الذى يضعهما جغرافيا فى منطقة التماس ، وعلى حافة المواجهة المباشرة ، قد انتقلت من مرحلة الحدة والالتهاب فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، الى مرحلة الهدوء واللاانفعال ٠ وأصبحت تتميز مؤخرا بالثبات والهدوء ـ لا بمعنى الاتفاق والالتقاء ـ ولكن بمعنى التحكم وضبط النفس فى ردود الافعال ٠ وبالتالى ، فان رياح التوتر ، وسحب الازمات ، التى كانت تهب على العالم من قلب أوروبا قد أصبحت تاتيه الان من قلب العالم الثالث ومن قاراته الثلاث ٠

هل معنى ذلك أن محور الصراع بين النظامين قد انتقل من حيث يقفان وجها لوجه الى حيث تفصل بينهما قوى العالم الثالث ؟

أم انه تجزأ الى موقفين متضادين ، ولا اتصال بينهما ، أحدهما خامد فى منطقة التماس ، والاخر متأجج بالمشاكل على البعد ؟

أنه ليس هذا ولا ذاك ٠

ذلك أن الصراع بين القوتين كلى وشامل ومتصل ولكنه يطرح نفسه ـ هو الاخر ـ فى بعدين ، كلاهما لا يتعارض مع الاخر ، ولا ينفى وجود الصراع وانما يعبران عنه بصورتين تختلفان من حيث الشكل فقط ٠

الاولى : وهى التى يعكسها موقف القوتين العالميتين بتنظيماتهما السياسية والعسكرية والاقتصادية ـ فى مناطق المواجهة والتصدى المباشر ـ ونعنى بذلك اوروبا ٠ وقد ادى التطور الرهيب فى أسلحة التدمير الشامل ووسائل ثقلها الى أن تكون الصورة ـ هنا ـ متسمة بالحرص وضبط النفس خيفة تفجير حرب ، اذا بدأت فهى غير معلومة النهاية ٠٠ ولذا ، عملت كلا الدولتين ، تحت الحاح ذلك الموقف ، الى ابعاد الحرب كأسلوب من اساليب الصراع بينهما ، ولو اننا راجعنا ما أبرماه من اتفاقات ، لوجدنا أن معظمها ـ ان لم يكن كلها ـ يكاد ينصب على مجالات المواجهة العسكرية مثل :

- اتفاقية الوقف الجزئى للتجارب الذرية ٠
- اتفاقية منع انتشار الاسلحة الذرية ٠
- اتفاقية الخطر التدريجى لانتاج انواع معينة من الاسلحة الاستراتيجية ٠
- الجهود المبذولة حاليا للاتفاق على انشاء نظام للامن فى أوروبا ٠

وانطلاقا من هذا الاعتبار ، جاءت سياسة التعايش السلمى كمحاولة لابعاد شبح الحرب ، وذلك مع التسليم الكلى بالمتناقضات بين النظامين وقبول المنافسة ، فيما بينهما ، فى باقى المجالات الاخرى الخارجة عن نطاق الصدام المسلح ٠

والصورة الثانية وهى التى ترسم تحركات القوتين على الصعيد الدولى وعلاقاتهما بقوى العالم المختلفة ، وتسجل بشكل مستمر ، كافة مظاهر التناقض بينهما ، **ولو اننا راجعنا سجلات الامم المتحدة ، والمحافل الدولية ، لوجدناها مليئة بالمواقف المتعارضة حول كل القضايا والمشاكل بلا استثناء ٠**

وقد يكون من الجدير بالملاحظة ، فى هذا المجال ، أن الصين رغم نزاعها مع الاتحاد

الطوفيتى فانها تكاد تتوازى وتتوافق فى معظم مواقفها معمحيالتلكالقضايا ،بينما الاختلافمطلق والتعارض يبلغ أقصاه بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ٠

نخرج من هذا الى أن الصراع بين القوتين كلي ومستمر .. وعلى أرضيته الواحدة يتخذ بعدين :

الاول ، وقد أمكن التحكم فى مضاعفاته ، واخضاعه لضوابط يجرى التعامل من خلالها ٠ وذلك حيث الاتصال المباشر ، والمواجهة قائمة والاخطار المهولة تتربص ٠

والثانى : يتفجر بالمواقف الساخنة حيث يتحرك طرف ثالث ـ هو قوى التحرر الوطنى ـ منفصلة بارادتها عن التبعية لاى من النظامين ٠

دور العالم الثالث

هذا كله يكشف أن العالم الثالث ، بحكم النشأة والمولد ، يضيف عمقا لذلك الصراع ، ويضفى عليه من تجربته الخاصة ، ومعاناته الذاتية بعدا جديدا . وهذا العالم الثالث ـ بقدر تأثره بذلك الصراع ـ اصبح هو الاخر ، مؤثرا فيه ٠ ولم يعد يقف منه فى مستوى رد الفعلفحسب ، ولكنه أيضا ـ وبنفس القدر ـ يملك فى اطاره وتياره ، امكانية المبادرة وقدرة التحريك ٠ ٠

ذلك لانه ـ (أى العالم الثالث)لا يعيش هذا الصراع بصفته ـ أرض تجارب ـ كما يحلو للبعض ان يصور أو يتصور ٠٠ ولكنه بحركته الواسعة التى يمارسها عن ادراك لحقوقه ومتطلباته ، ومن خلال مراحل الانتقال التى يمر بها ، أصبح يمارس ذاتيا وداخليا ذلك الصراع ، ويحمله جنينا فى أحشائه يورثه خصائصه وصفاته المميزة ، تمهيدا لتحديد انتمائه الفكرى ، يوم مولده ٠

هناك ، اذن ، دور للعالم الثالث ، يلعبه وهو دور هام ومؤثر على مستقبل الصراع بين النظامين الاشتراكى والراسمالى ٠ والعالم الثالث لا يلعب هذا الدور اختيارا ، ولا يستطيع أن يتخلى عنه طوعا .. هو قدره ومصيره الذى لا فكاك منه ولا مفر ٠

وهو حينما يتقابل مع ذلك الصراع متاثرا به ومؤثرا فيه ـ فهو لا يفقد بذلك دوره المميز ولا سماته الخاصة به ٠ وهو فى ذات الوقت ، يتعامل اخذا وعطاء مع النظامين معا ، ولا يستطيع أن يعفى نفسه ، من أن يكون كذلك ، فى المرحلة الراهنة على الاقل ٠ذلك لانه من ناحية يرث تركة مثقلة بالمآسى والمخلفات السوداء مازالت تربطه بخيوط عنكبوتية بالنظام الاستعمارى ، ومازالت تفرض عليه أن يحتفظ بجسور مع دوله ٠ وكذلك فهو منذ مولده يرى نفسه فى حركة لقاء مستمر ومتنام مع النظام الاشتراكى بفكره الجديد ، وحلوله لمشاكل الاستغلال وقضايا التطور ، ومواقفه المواتية والمساندة لحركة التحرر ، وباستعداده للمساهمة فى خطط التنمية التى يتحاشى النظام الاخر حتى مجرد مناقشتها ٠

وفى خضم هذه الحركة المزدوجة التى يسلكها العالم الثالث ، محاولا من ناحية ، دك سياج الاستغلال المضروب حوله ، ومناضلا القوى الاستعمارية التى تحاول ، هى الاخرى فرض ذلك الاستغلال عليه واجباره على قبوله ، ومؤيدا ، من ناحية اخرى ، بدعم الاتحاد السوفيتى والنظام الاشتراكى العالمى ،نقول ، فىخضم تلك المعركة ، يطفو على السطح الحاح على نظرية « الوفاق »

فما هو القصد والهدف ؟

وبعبارة أخرى ، ما الذى يؤدى اليه ترويج نظرية الوفاق ؟

الواقع انها تؤدى ـ فى التطبيق العملى ـ ومع افتراض حسن النية ـ فى بعض الاحيان ـ الى طمس معالم التباين بين المعسكرين الدوليين ٠ ويصبح بالتالى ، من السهل ، اقناع الرجل العادى بأن كل القوى واحدة فى اطماعها ومواقعها ، وفى سعيها الى الاستحواذ على مناطق النفوذ ، واستغلال الشعوب .لا فرق فى ذلك بين أمريكى وبين سوفيتى ٠ لكن الخطر الحقيقى يكمن فى حجب الاعداء الحقيقيين عن نظر حركة التحرر الوطنى ٠ واذا ما ترتب على ذلك كله ، القاء بذور الشك فى داخل حركة التحرر ، نحو اصدقائها الحقيقيين فان هذا يعنى ، فى الواقع العملى فتح معركة جانبية داخل صفوف الجبهة الواحدة ، وداخل الحركة التقدمية على اتساعها ، معركة تصرفها عن ممارسة النضال الفعال والدؤوب ضد قوى القهر والاستغلال .

ونحن لا ننكر انه قد تكون هناك بعض التحفظات ، بين هذه القوى او تلك من قوى التقدم .وقد يكون هناك تساؤلات غير مجابة ،أو انتقادات متبادلة ـ ولكن هذا يجب أن يتم فى اطار المعركة الواحدة ، والمصير المشترك ٠ وفى هذا الاطار يجب أن تنمحى ، أو تتوارى ، تلك الظنون وأن تختفى تلك البثور لكى تنطلق كل قوى النضال ، معبأة بأكبر قدر من الحماس والتماسك فى زحفها الاكيد نحو النصر .●

زيادة السكان بين مفهومين :

انسانى

ولا انسانى

رمزى زكى

الباحث بمعهد التخطيط القومى

تعاظم اهتمام المفكرين والكتاب والهيئات الدولية ومراكز البحث العلمى فى السنوات الاخيرة بمشكلة زيادة السكان فى العالم. واتخذ هذا الاهتمام مكانا بارزا فى محيط الدراسات المتعلقة بقضايا التخلف والنمو فى دول العالم المتخلف ، نظرا لارتباط مشكلة تزايد السكان ارتباطا لا أنفكاك عنه بقضايا التخلف والفقر وتدهور مستوى المعيشة فى هذه البلدان . وهناك أوساط مختلفة من الكتاب يتحدثون اليوم عن « الكارثة السكانية » ، وعن « الانفجارات السكانية » التى تفوق فى خطرها خطر القنابل الذرية ، ويبدون قلقهم الشديد حول العواقب « الوخيمة » التى تنتظر العالم ما لم يوجد حل لهذه المشكلة . وطبقا لبعض الاحصائيات [١] يتزايد سكان العالم فى الوقت الراهن بمعدلات سريعة . حيث يولد يوميا ما يقرب من ٢٧٠٠٠٠ طفل ، على حين تبلغ الوفيات يوميا حوالى ١٤٠٠٠٠ ، أى بمقدار صاف للزيادة يصل الى ١٣٠٠٠٠ فرد يوميا . ومن ثم فان سكان العالم يتزايدون بمقدار ثلاثة أطفال فى كل ثانيتين من الدقيقة وبحوالى ٩٠ فردا كل دقيقة . تأسيسا على هذا يعلو صراخ ما يقرب من مليون طفل جديد كل اسبوع طلبا للغذاء . فى ظل هذه المعطيات

---

[١] انظر فى ذلك المؤلف الذى كتبه البروفيسور خالتبارى « فائض الاسكان فى الدول النامية » :
Parviz Khalatbari : Uberbevolkerung in den Entwicklungsländern», Akademie Verlag, Berlin 1968, S. 25.

ويعتبر هذا الكتاب من اهم المؤلفات التى ظهرت فى السنوات الاخيرة فى الفكر الاشتراكى حول مشكلة السكان بالبلاد المتخلفة . ومؤلفه يشغل حاليا استاذ كرسى علم السكان بالمدرسة العليا للاقتصاد ببرلين بجمهورية المانيا الديموقراطية .

الاحصائية ، وبالاستناد على بعض الحسابات، فان سكان العالم فى عام ٢٠٠٠ سوف يتضاعفون من ٣ مليارد [طبقا لاحصائيات عام ١٩٦٠] الى ٦ مليارد فرد ، وذلك اذا ما استمرت المعدلات الانفة الذكر على حالها .

وتعد البلاد المتخلفة اقتصـــــاديا فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية من اكبر دول العـــالم تزايدا فى السكان . وتقدر بعض الاحصاءات التقديرية ، ان سكان هذه الدول سوفيتضاعفون الى حوالى ثلاثة مرات فى عام ١٩٩٠ بالقياس الى تقديرات عام ١٩٦٠ . وهنا يتساءل المهتمون بقضايا السكان فى الدول المتخلفة عما اذا كان من الممكن خلال الاعوام القادمة تدبير الغـــذاء وسبل المعيشة لهـــذه الاعداد المتزايدة ، أم أن العالم سوف يواجه بكارثة سكانية .

وهنا تتفاوت آراء المفكرين ازاء الاجابة على هذا السؤال . ان هذا التفاوت لا يرجع الى مجرد الاختلاف فى عمليات التنبؤ الحسابى بين عدد السكان والطاقات الانتاجية المتاحةوالممكنة . انما هو خلاف أعمق من ذلك بكثير . انه بالدقة خلاف فى الرؤية العامة لقضية السكان من الناحية النظرية ، وما تنطوى عليه هذه الرؤية من مواقف أيديولوجية معينة .

ولئن كان روبرت مالتس قد خرج ، منذ مايزيد على مائة وخمسين عاما ، بنظريته المعروفة فى السكان ، والتى أثبت التحليل النظرى والوقائع التاريخية ما انطوت عليه من أخطاء ونظـــــرة لاانسانية ،فان الرؤية المالتسية للسكان قد عادت الان لتجد لها مكانا رحبا فى كثير من الكتابات البرجوازية الحديثة المتعلقة بمشــــكلة تزايـــد السكان فى العالم . وهى رؤية تتسم بعـــدائها الشديد لشعوب البلاد المتخلفة ولا تخفى حقدها الدفين لحركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . وهذهالنزعة المالتسيةالجديدة، شأنها فى ذلك شأن كثير من الاتجاهات المعاصرة فى الفكر البرجوازى ، ليست الا نتاجا طبيعيـــا للازمة العامة للايديولوجية البرجوازية ككل ، تلك الازمة التى تتخذ الان طابعا عاما يجب كل المجالات الاقتصـــادية والاجتماعية والسياســـية والفكرية للنظام الراسمالى بأكمله .

ويهدف البحث الحالى الى سكببعض الاضواء على هذا التيار الفكرى ، مبينا جذوره الفكرية ، ومحتواه الايديولوجى وسماته العامة ، وما يرمى اليه من أهداف . كما يهدف البحث فى النهـــاية الى عرض وجهة نظر حول هذه القضية ، نعتقد أنها جديدة فى الفكر الاقتصادى المصرى .»

روبرت مالتس والنظـرة اللاانسانية لمشكلة السكان

عاش روبرت مالتس فى الفترة مابين ١٧٦٦ ــ ١٨٣٤ ، وهى الفترة التى كان الاقتصـــــاد الانجليزى يخوض فيها غمار تجربة التحول الى الراسماليـــة الصـــناعية . حيث حقق تراكم راس المال توسعا ضخما فى الصناعة ، وتعاظم بشكل محسوس الاستخدام الموسع للتكنولوجيا فى مجال الانتاج ، يعضده فى ذلك الثورة التى تمت فى وسائل النقل والمواصلات وكان مننتيجة كل ذلك أن تعددت المصانع المعتمدة على الالات ونشأت المناطق الصناعية الكبرى . وقد تسبب عن هذه الظروف الاحتكاكية حدوث بطالةواسعة نتيجة للاستخدام المكثف للالات . ومما ضاعف من ضغط هذه المشكلة تفاقم مشـــاكل العمـــال المتعطلين من الزراعة والذين هجروا الريف الى المدينة بحثا عن العمل . كل ذلك قد تعاصر أيضا مع فترة الحروب النابولونية وما ادت اليه من احداث نقص شديد فى المحاصيل الزراعيـــة . وكان من نتيجة ذلك كله أن ارتفعت أثمان الغلال والمواد الغذائية بشكل استدعى ضرورة تزايد استيراد الغلال من القارة الامريكية .

فى خضم هذه الظروف كان الصراع الطبقى حادا بين الراسمالية الصناعية الناشـئة وبين طبقة ملاك الاراضى . وقد حسم هذا الصراع فى النهاية لصالح البرجوازية الصناعية ، اقتصاديا [بازدياد تراكم رأس المال ونمو الانتاج الصناعى] وسياسيا [باستيلاء البرجوازية على السلطة] واجتماعيا [بالقضـــاء على علاقات الانتـــاج الاقطاعية] .

فى ظل هذا الوضع التاريخى نشر روبرت مالتس عددا من المؤلفاتوالبحوث ، مثل : «مقالة حول مبدأ السكان كما يؤثر فى تحسين مستقبل المجتمع عام ١٧٩٨ » ثم أعاد نشره بعد التعديلات الطفيفة فى عام ١٨٠٣ ، ثم كتابه حول « رسالة فى الاقتصاد السياسى » الذى نشر فى عام ١٨٠٣، وأيضا « ملاحظات من آثار قوانين الغلال » عام ١٨١٤ . ثم « بحث فى طبيعة وتقدم الريع » عام ١٨١٥ . وكل هذه الاعمال كانت تجسد وجهة نظر روبرتمالتس فىالصراع الفكرى الحادالذى نشب بينه وبين بعض الكتاب المعاصرين له مثل جودوين وكوندرسيه وآدم سميث ودافيد ريكاردو وجان باتسيت ساى ،وذلك فى عدد من القضايا الاجتماعية الهامة،مثل مستقبل البشرية ،وقضايا السكان ونظرية القيمة والريع والاجور ونظرية التوازن الاقتصادى ... الخ . كان مالتس يمثل وجهة نظر معارضة تماما لافكار هؤلاء الكتاب

حول هذه المواضيع . وليست أعماله التى كتبها فى هذه الفترة الا ردا على الافكار والنظريات التى كان يدعوا اليها هؤلاء الكتاب . على أن هذا الخلاف الذى نشأ بين مالتس وبين معاصريه من الكتاب الكلاسيك لا يخفى عن الباحث حقيقة هامة ، وهى أن أفكاره فى موضوع السكان كانت تمثل احد الاعمدة الهامة التى قام عليها بنيان الفكر الاقتصادى الكلاسيكى البرجوازى ، ومنها تفرعت موضوعات ريكاردو الاساسيةحول الاجور والريع والاسعار . ولن نتعرض هنا فى هذا البحث لهذه الخلافات العميقة التى دارت بين مالتس ومعاصريه ، فذلك يخرج بنا عن الاطار الذى حددناه لهذا البحث [٢] . اننا نود فقط الاهتمام بأفكار مالتس فى موضوع السكان ومحتواها الطبقى ونتائجها النظرية والعملية حتى يمكننا بعد ذلك الالمام بحقيقة المالتسية الجديدة .

الجذور الفكرية والاجتماعية والسياسية لنظرية مالتس فى السكان

واذا شئنا الان ان نرسم تخطيطا عاما لافكار مالتس فى موضوع السكان ، فلابد لنا باديء ذى بدء أن نذكر أن تفكيره فى هذا الموضوع كانت له جذور فكرية واجتماعية وسياسية معينة . فأما عن الجذور الفكرية للرؤية المالتسية لمشكلة السكان ، فانه من الثابت تاريخيا أن الموضوعات الرئيسية فى نظرية مالتس للسكان كان قد سبقه الى صياغتها ، بشكل ما ، مفكرون آخرون ، مثل كانتليون وجيمس ستيوارب . ففى الكتاب الذى نشره كانتليون عام ١٧٥٥ بعنوان « بحث فى طبيعة التجارة بصفة عامة ، تعرض فى جزء منه لموضوع السكان . وفى هذا الجزء يشير كانتليون الى أن قدرة السكان على الزيادة هى قدرةلانهائية .. غير أن العامل الوحيد الذى يحد من فاعلية هذه الزيادة هو مدى توافر الموارد الغذائية . وهو يرى أن قدرة البلد على احتمال عدد معين من السكان انما تتوقف على مدى حاجات السكان ومدى انتاجية الارض . وكان يعتقد أنه اذا كانت الاراضى الزراعية مخصصة لانتاج المواد الغذائية وأن انتاج هذه المواد يكون فى متناول العمال الزراعيين وسائر السكان فان ذلك يؤدى الى زيادة مقدرة البلد على احتمال سكانه وذلك بالقياس الى ما اذا كان الجزء الاكبر من ناتج الارض يؤول الى طبقة الملاك ، حيث أن ذلك يؤدى الى الحد من مقدرة البلد على اعالة سكانه وذلك لان الملاك الزراعيين ينفقون نسبة عالية من دخولهم على استيراد المنتجات الاجنبية . وكان كانتليون [٣] يرى أن الحروب التى تحدث منوقت لاخر انما مردها ذلك الضغط السكانى على الموارد الزراعية ومن نتائجها أنها تعيد التناسب بين عدد السكان وضرورات الحياة . كما أنه يشير فى كتابه الى مسائل تتعلق بتأخير سن الزواج وتحديد حجم الاسرة . وليس يخفى مافى هذا من تشابه كبير مع الموضوعات الاساسية لنظرية مالتس فى السكان .

أما عن جيمس ستيوارت ، الذى يعد من أنصار المدرسة التجارية [الميركانتيلية] فقد تعرض فى كتابه « مبادىء الاقتصاد السياسى » المنشور عام ١٧٦٧ الى المسألة السكانية ووصل بتحليله الى النواة الاساسية لدى نظرية مالتس . فهو يرى أن العامل المحدد الوحيد لزيادة السكان هو مدى توافر الموارد الغذائية . غير أن هذه الموارد لا تزيد بنفس نسبة زيادة السكان، وهو الامر الذى يحد من امكانيات النمو السكانى

---

[٢] يمكننا هنا أن نشير بايجاز شديد الى أهم خلاف دار بين مالتس وبين ريكاردو وساى ، وهو الخلاف المتعلق بموضوع التوازن الاقتصادى . فقد كان مالتس يرى ، على عكس ريكاردو وساى أن النظام الرأسمالى يمكن أن يتعرض للازمات العامة لافراط الانتاج وذلك بسبب عدم التناسب الذى يحدث بين التراكم الناتج عن الادخار وما يؤدى اليه من زيادة فى حجم الانتاج وبين النقص الذى يحدث فى الاستهلاك . وهنا يكتسب مالتس أهمية تاريخية فى هذه النقطة لانه يعد من أوائل الذين اكتشفوا فكرة التناقض بين الانتاج والاستهلاك فى الراسمالية ، وان لم يستطع أن يرده الى التناقض الرئيسى ، وهى التناقض بين الملكية الخاصة لوسائل الانتاج والطابع الاجتماعى للانتاج . وكان مالتس يرى أن حل هذا التناقض لمنع وقوع الازمة يتمثل فى تشجيع الاستهلاك الطفيلى غير المنتج لرجال الدولة والملاك العقاريين ... الخ . وهنا يكتسب مالتس طابعا رجعيا ، وذلك على حد تعبير المؤرخ الانجليزى أرك رول ، لانه كان يهدف من وراء ذلك الى ايجاد نوع من التوازن الاجتماعى بين الارستقراطية الاقطاعية المنهارة وبين عناصر البرجوازية النامية .

[٣] يعد ريتشارد كانتليون Richard Cantillon [١٦٨٠ — ١٧٣٤] من الرواد الاول لعلم الاقتصاد السياسى البرجوازى . وقد ظل كتابه المذكور اعلاه مهملا فى تاريخ الفكر الاقتصادى الى أن كتب عنه الاقتصادى الانجليزى ستانلى جيفونز بعد خمسين عاما مقالا شهيرا عام ١٨٨١ . وقد أبان جيفونز الاصالة التى كان عليها هذا الكاتب ومدى مساهمته فى وضع الاسس التى قام عليها الاقتصاد البرجوازى .. ومن ناحية التصنيف العام لفكر كانتليون فانه يعتبر من أنصار المذهب الطبيعى [الفيزيوقراط] وان كان يشوب فكره فى بعض فصول هذا الكتاب ملامح تجارية [ميركانتيلية] .

لاى بلد . وهو فى هذا شعبه النمو السكانى « بسلك حلزونى » قابل للتمدد . غير أن قابليته للتمدد يحدها ثقل موضوع فوقه . هـذا الثقل هو مدى توافر الموارد الغذائية . وفى تحليـله توصل جيمس ستيوارت الى صياغة تكاد تكون تامة لقانون تناقص الغلة . وهو القانون الذى بنى عليه مالتس من بعد أسس تحليله فىموضوع السكان .

مما سبق يمكن القول ، أن القضايا الاساسية لنظرية مالتس فى السكان ، كان قد سبقه اليها مفكرون آخرون . غير انهـا لم تكتسـب طابع الشهرة والترويج لها نظرا لعـدم نضوج الظروف الاقتصادية والاجتماعية لهـذا الرواج حيث ان ظروف البطالة ومشاكل الغذاء وارتفاع أسعار المواد الغذائية لم تكن قد وصلت ، فى العصر الذى كتب فيه هؤلاء الكتاب مؤلفاتهم ، الى المدى الذى وصلت اليه فى عصر مالتس . ويرى بعض الكتاب أنه من غير المؤكد أن مالتس قد تعرف على أفكار كانتليون حينما كتب موضوعاته عن السكان .. غير أنه من المؤكد أنه كان متأثرا بجيمـس ستيوارت الذى تأثر بدوره بافكاره كانتليون .

وعند الحديث عن الجذور الاجتماعية للرؤية المالتسية للسكان ينبغى التنويه الى أن مالتس من الناحية الايديولوجية والطبقية كان يدافع فى صدد كتاباته حول مصالح رجال الاقطاع والدولة والكنيسة ، فى وقت كانت فيه هذه المصـالح تتعرض للاهتزاز بسبب الانتصارات التى أحرزتها الطبقة البرجوازية الصناعية فى شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ففى الوقت الذى بدأت فيـه الرأسماليـة الصناعية الناشئة توطد أقدامها كنظام اجتماعى جديد أكفأ من الناحية النسبية من النظامالاقطاعى القديم ، بدأت تتفاقم مع هذا النمو مشاكل البطالة وارتفاع اسعار الحاصلات الزراعية ، وبالتالى انخفاض الاجور الحقيقية للعمال . وهى المشاكل التى أتخذت طابعا عنيفا فى البداية ، تمثل فى مهاجمة العمال للمصانع وتدمير آلاتها واحراقها ، والقيام بالمظاهرات للمطالبة برفع الاجوروتحسين ظروف العمل . ولم تكن البطالة وارتفاع أثمان المواد الغذائية نتيجة للظروف الاحتكاكية التى ولدتها طبيعة مرحلة الانتقال من النظام الاقطاعى الى النظام الرأسمالى الصناعى فحسـب ، بل كانت أيضا نتيجة حتمية لطبيعة التغيرات التى طرأت على الزراعة بعد تحولها الى نمط رأسمالى للانتاج .

ففى الفترة الممتدة مابين القـرنين السادس عشر والثامن عشر ، ومع تعاظم حركة التجارة الدولية وازدياد الطلب العالمى على الصـوف الانجليزى ، نشأت فى انجلترا الحركة المعروفة باسم « حركة الاسيجة » ، وهى الحـركة التى شهدت تجميع الملكيات والحيازات الزراعيـة الصغيرة والمتوسطة فى شكل حيـازات كبرى رأسمالية . وبعد أن كانت هذه الحيازات تنتج فى الاساس من قبل القمح وسائر المواد الغذائية تحولت بفعل هذا التمركز الى مراع لتربيـة الاغنام بهدف انتاج الصوف . وقد تمت هـذه العملية بالعنف الذى لا رحمة فيه . حيث قام الملاك بطرد المزارعين الحائزين لاراضـيهم ، وأرغموهم على التخلى عن الاراضى التىيحوزونها وعن بيوتهم وأكواخهم التى يقيمون فيها وأحرقت منازلهم . وهكذا « تحولت الاراضى الزراعية التى لم يكن من المستطاع زراعتها بغير النـاس والعائلاتالى مزارعيكفيها عدد قليلمن الرعاة[٤]» .. وقد صدرت فى ذلك الوقت قوانين خاصة باحاطة الاراضى الشائعة بأسيجة لتأمين هـذه العملية . كما قام كبار الملاك بنزع ملكية صغار الملاك بالعنف [٥] . وقد ترتب على سلب أملاك الفلاحين الصغار والمتوسطين وتحويل اراضيهم الى مراع للاغنام نتيجتين هامتين :

الاولى — ظهور عدد ضخم من البروليتـاريا الزراعية التى هامت على وجههـا فى المدن الصناعية بحثا عن العمل ، وقدمت قوة عملهـا الرخيص للعمل بالمصانع — غير أنه لا حـركة التوسع الصناعى فىمراحلها الاولى ولاالصناعات الحرفية اليدوية لم تكن لتستوعب هذا العدد الهائل من العاطلين . ولهذا اصبح الكثيرون منهم متسولين ولصوصا ومتشردين . وكان من نتيجة ذلك أن صدرت قوانين اغاثة الفقراء .

الثانية — انه بالتحول الذى طرأ على الزراعة

---

[٤] انظر تفصيلا لذلك : كارل ماركس — «راس المال»:
Karl Marx:- «Das Kapital»,in: Marx Engels Werke, Band23, Dietz Verlag, Berlin 1962, S.747.

[٥] قارن فى ذلك : دكتور احمد جامع — « الراسمالية الناشئة » ، مكتبة التنمية والتخطيط ، دار المعـارف ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٥٧

وادارتها بالاسلوب الراسمالى القائم على المزارع الضخمة المتخصصة فى انتاج المواد الخام اللازمة لدوران دولاب الانتاج فى المصانع ، حدث نقص شديد فى انتاج المواد الغذائيـــة وعلى الاخص القمح . وكان من نتيجة ذلك ان ارتفعت اثمان الحاصلات الزراعية ، وحقق ملاك الاراضى الذين آثروا زراعة اراضيهم بهذه الحاصلات ، ارباحا طائلة كانوا ينفقونها فى شراء السلع الصناعية الجديدة ، وهو الامر الذى ادى الى وجود حركة ضخمة فى البرلمان الانجليزى للسماح باستيراد الغلال من القارة الامريكية للتخفيف من وطأة الازمة . وهى الحركة التى لقيت معارضة كبيرة من جانب النبلاء وممثلى الاقطاع . ثم حسم الامر فى النهاية بصدور قوانين الغلال المشهورة ضد مصلحة ملاك الاراضى .

فى هذه الظروف الاجتماعية المعقدة خـــرج مالتس بنظريته فى السكان ليضع تبريرا لارتفاع أثمان الحاصلات الزراعية ، منحازا بشكل مباشر لمصالح ملاك الاراضي ، ومعبرا بشكل رجعى عن عدائه لمصالح الطبقة العاملة . فهـــو يرى أن قدرة الانسان على التكاثر تتجاوز بكثير امكانية زيادة المواد الغذائية . ذلك أنه على حين أن قدرة الانسان على التكاثر تخضع فى نموها للمتوالية الهندسية [١ ، ٢ ، ٤ ، ١٦ ، ....] فان الموارد الغذائية انما تخضع فى نموها لمتوالية حسابية [١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ....] وتأسيسا على ذلك فانه اذا كان عدد سكان المعمورة [١] فان هذا العدد سوف يتضاعف خلال خمســـة وعشرين عاما اذا لم يعرقل نموه موانع . ومن ثم فان مشاكل الجوع والبطالة والفقر انما هى مشاكل حتمية لاذنب لاحد فيها . فهى ترجع الى مفعول هذا القانون الابدى الذى يعمل فى كل زمان ومكان وفى كل الظروف التى يمكن أن يعيش فيها الانسان . يقول مالتس : « السبب الرئيسى للفقر الدائم لا صلة له بطريقة الحكم وبســـوء توزيع الملكية . فليس فى وسع الاغنيـــاء تأمين العمل والغذاء للفقراء . وليس للفقراء الحق فى مطالبتهم بالعمل والغذاء [٦] » . ان الفقـــراء بتكاثرهم يجلبون على أنفسهم الشقاء . ولهذا كان مالتس من اشد المعارضين لقانون اعانة الفقراء ، لانه رأى ان اعانة الفقراء لا يكون من نتيجتها الا تشجيع الزواج وزيادة النسل .

فى ضوء هذه النظرة المظلمة التشـــاؤمية للرؤية المالتسية للعالم ، والتى على أساســـها دخل فى خلاف عمـــيق مع وليم جودوين [٧] وكوندرسيه [٨] اللذين كانا يؤمنان بمســـتقبل البشرية ويتفاءلان بامكانية تحقيق السعادة لجميع الافراد ، من وجهة نظر مثالية ، صـــاغ مالتس حلوله اللاانسانية حول مشكلة زيادة السكان . فهو يرى أنه للتغلب على هذا التنـــاقض الذى تصوره بين نمو السكان ونمو الموارد الغذائية ، لابد من وجود موانع معينة تعيد التناسب بين هذين المتغيرين . هذه الموانع بعضها ايجابى والاخر سلبى . وتتمثل الموانع الايجابية فى تلك العوائق التى من شأنها زيادة معدل الوفيات ، كالحروب والمجاعات والاوبئة . أما عن الموانع السلبية ، فتتمثل فى تلك العوائق التى من شأنها تخفيض معدل المواليد ، وتتمثل فى الامتناع عن الزواج ووأد الشهوة الجنسية لدى الانسان واتخاذ السبل والاجراءات التى من شأنها منع الفقراء من الزواج وكثرة الانجاب . ان هـــذه الموانع الايجابية والسلبية ضرورية من وجهة نظر مالتس لاعادة التناسب بين حجم السكان وحجم الموارد .. ومن ثم فان المجتمع البشرى بهذا الشكل هو فى رأى مالتس ليس الا صراعا ، الحياة فيـــه تكتسب ان هو اصلح ، وليست الثروة والملكية

---

(٦) هذه الجملة التى وردت فى كتاب مالتس « حول مبدا السكان .. » اقتبسناها من فسد كيللى و م كوفالزون — « المـــادية التاريخية » ، ترجمة أحمد داود ، دار الجماهير ، دمشق ١٩٧٠ ، ص ١١٧ .

[٧] وليم جودوين W. Godwin كاتب وفيلسوف انجليزى عاش فى الفترة مابين ١٧٥٦ — ١٨٣٦ ، وقد كان من المدافعين والمتحمسين لافكار الثورة الفرنسية . ويعد كتابه « بحث فى العدالة السياسية » الذى نشر عام ١٧٩٣ اهم اعماله الفكرية . وهو كتاب خليط بالافكار المادية والمثالية والالحادية والفوضوية . كان جودوين يؤمن بسلطان العقـــل البشرى وبقدرته على خلق مجتمع مثالى ، وان الانسان خير بطبيعته وان ما يطرأ من مظالم اجتماعية ليس مرجعه الا القوانين الوضعية التى صنعها الانسان بيده . وفى اعتقـــاده ان ما يعانيه المجتمع من مشاكل لا يرجع الى ضآلة الانتاج وانما الى سوء توزيع الثروة وانه لو أحسن اعادة توزيع هـــذه الثروة لاستطاع الناس أن يعيشوا سعداء .

[٨] كوندورسيه Condecet كاتب وفيلســـوف وعالم رياضة فرنسى [١٧٤٣ — ١٧٩٤] . وهو يعد من انصار المذهب الطبيعى (الفيزيوقراط) . وكانت له نظرية وضعية فى فلسفة التاريخ . فهو يرى أن هدف التاريخ البشرى هو السيطرة التكنيكية على الطبيعة وتحقيق اكبر قدر من السعادة واللذة لجميع الناس . وقد تمثلت افكاره فى كتابه عن « تقدم الروح الانسانية » . وكان كوندورسيه من مفكرى حزب الجروند أيام الثورة الفرنسية . وشغل منصب رئيس لجنة التعليم التى كان هدفها وضع خطة جديدة للتعليم بما يحقق مبدأ العدالة والمساواة فى التعليم لجميع الاطفال .

الا مكافأة للبارعين فى هذا الصراع [٩] ». والمالتسية بهذا المعنى كانت تطبق آنذاك مكتشفات داروين على الحياة الاجتماعية . ويذكر البعض أن داروين كان شديد الاعجاب ومن المتحمسين لنظرية مالتس ، لانه رأى فيها تأكيدا لنظرية النشوء والارتقاء فى مجال المجتمع البشرى .

دعامات فكرية خاطئة

والواقع انه بامعان النظر فى الاطار الفكرى الخلفى الذى انبثقت منه هذه الرؤية اللاانسانية لمالتس حول مشكلة زيادة السكان ، يمكن العثور بشكل واضح على مرتكزين فكريين اقام عليهما مالتس هذه الرؤية . اما عن المرتكز الاول فهو يتمثل فى تلك النظرة الخاطئة للتكاثر البشرى على انه عملية بيولوجية محضة ، مستقلة تماما عن الظروف والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للانسان . وهى الفكرة التى تجد تعبيرها بشكل واضح فى مقولة « المتوالية الهندسية » للزيادة السكانية وفى النظر الى عنصر السكان على عنصر مستقل أو معطى .

أما عن المرتكز الثانى فيتمثل فى ايمان مالتس الخاطىء بما يسمى « قانون تناقص الغلة » الذى وضع فكرته الاولى ترجو . وهذا القانون الذى لعب دورا هاما فى الفكر الاقتصادى الكلاسيكى البرجوازى ولا زالت له حتى الان جذوره فى بعض الكتابات البرجوازية المعاصرة ، بنص على أن الزيادة التى تحدث فى الانتاج لا تتناسب مع الزيادة المستخدمة من عنصرى العمل أو رأس المال . ذلك أن الاراضى الزراعية بعد حد معين تصل الى حد « التشبع » ولا تؤدى الزيادة فى استخدام عنصرى العمل أو رأس المال الى زيادة الناتج بنفس النسبة وانما بنسب متناقصة ، بل وبعد حد معين تكون الزيادة بالسالب . انطلاقا من هذا القانون كان مالتس يرى أن قدرة الاراضى الزراعية على الانتاج انما هى قدرة محدودة للغاية وتشكل بالتالى قيدا رئيسيا على النمو السكانى .

وليس يخفى على الاذهان ، ان الايمان بهذا القانون كان يعنى بشكل مباشر اهمال عنصر التقدم الفنى ومدى امكانية زيادة الانتاج عن طريق التقدم التكنولوجى واهمال هذا العنصر الهام يهدم من الناحية النظرية والتاريخية الاساس الذى قامت عليه نظرية مالتس فى السكان .

النتائج النظرية والعملية لنظرية مالتس

أحطنا فيما سبق بصورة عامة عن التفكير المالتسى في موضوع السكان وبالجذور الاجتماعية والسياسية والفكرية لهذا التفكير . وبالرغم من انه قد نشب خلاف عميق بين مالتس والكتاب الكلاسيك المعاصرين له ، وهو الخلاف الذى دار حول موضوعات القيمة ونظرية التوازن ، الا أن نظريته فى السكان كانت مع ذلك موضع قبول شبه عام بين هؤلاء الكتاب . ولم يكن ذلك مصادفة عابرة!

فهناك من داخل صلب هذه النظرية مجموعة معينة من الفروض والاسس الفكرية والايديولوجية التى كانت تتسق وتنسجم مع البناء الكامل للفكر الاقتصادى الكلاسيكى البرجوازى آنذاك :

١ — يأتى فى مقدمة هذه الاسس الطابع الازلى والابدى الذى أضفاه مالتس على هذه النظرية . حيث نادى بأن قانون السكان الذى عرضه فى نظريته انما هو قانون طبيعى ذا صفة مستقلة عن طبيعة النظام القائم .. وكان هذا الادعاء يتمشى تماما مع ايمان الكلاسيك بوجود قوانين طبيعية خارقة ، تعلو فوق ارادة البشر وتسير امور الكون والطبيعة والمجتمع .

٢ — ان قانون السكان ، بالصياغة التى وضعها مالتس ، كانت تعطى تبريرا لسوء أوضاع الطبقة العاملة وبؤسها خلال المراحل الاولى من تطور الراسمالية الصناعية . فمشاكل الفقر والجوع والبطالة وانخفاض الاجور انما ترجع — فى رأى مالتس — ليس الى طبيعة النظام الراسمالى ، وانما من مفعول قانون السكان . ونظرية مالتس بهذا الشكل كانت تعطى للبرجوازية الصناعية سلاحا نظريا فى يدها لتبرير سوء أوضاع الطبقة العاملة .

٣ — وقد انعكست هذه الوظيفة التبريرية لنظرية مالتس فى النظرية التى وضعها ريكاردو عن الاجور ، وهى النظرية التى عرفت باسم « نظرية الاجر الحديدى » حيث استند ريكاردو

---

[٩] انظر فى ذلك كتاب العالم الانجليزى والمفسر البارز فى حركة السلام العالمى جون برنال «العلم فى التاريخ» John D. Bernal:- «Die Wissenschaft in der Geschichte», VEB Deutscher Verlag der Wissenschaften, Berlin 1967, S. 419

فى صياغته لنظرية الاجور على قانون مالتس فى السكان . ذلك أنه انطلاقا من هذا القانون رأى ريكاردو أن الاجر الطبيعى للعمال يتحدد دائما عند مستوى معين لا يتعداه . هذا المستوى هو الحد الادنى الضرورى للمحافظة على العمال وتمكينهم من تجديد « جنسهم » وذلك على حد تعبير ريكاردو نفسه ! ومن ثم فالاجور تتحدد على أساس أجر الكفاف ، الذى يتحدد بدوره اساسا بأسعار المواد الغذائية الزراعية . فاذا ارتفع أو انخفض الاجر الطبيعى عن هذا المستوى فان هناك قوى طبيعية موجودة فى النظام من شأنها أن تعيد بطريقة تلقائية مستوى الاجر الى مستواه الادنى الضرورى . فمثلا اذا ارتفعت أجور العمال عن هذا الحد الادنى ، لادى ذلك ، فى راى ريكاردو ، الى زيادة عدد السكان ، حيث تكثر زيجات العمال ويترتب على ذلك زيادة عرض العمل ، فى الاجل الطويل ، بنسبة أكبر من نسبة زيادة الطلب عليهم ، ومن ثم تهبط الاجور مرة اخرى الى مستواها الادنى . ويحدث العكس اذا ما انخفضت أجور العمال عن هذا الحد الادنى [١٠] .

٤ ـ ولما كان الاجر الطبيعى يتحدد على أساس أسعار المواد الزراعية الغذائية ، فان ارتفاع أسعار هذه المواد ، يؤدى بالضرورة الى ارتفاع هذا الاجر الطبيعى معبرا عنه بالنقود . ولما كان ارتفاع أسعار الغلال الزراعية فى المراحل الاولى من تطور الرأسمالية يفرض قيدا على امكانيات تراكم رأس المال فى الصناعة ، لان مستوى الاجر يحددمستوى الربح ، وهذا الاخير يحدد التراكم ، فان نظرية مالتس ، اعطت بطريق غير مباشر لم يكن فى وعى مالتس حينما صاغ هذه النظرية ، سلاحا نظريا فى يد الطبقة البرجوازية الصناعية للمطالبة بالسماح باستيراد الغلال لتخفيض نفقات المعيشة ، وبالتالى الاجور ، وهو أمر كان يتعارض مع مصالح طبقة ملاك الاراضى التى كان مالتس يدافع عنها .

عودة المالتسية

تعرضت أفكار مالتس فى موضوع السكان الى نقد شديد ، ليس فقط من جانب المفكرين الاشتراكيين ، وانما أيضا من جانب المفكرين البرجوازيين نظرا لما انطوت عليه ،وذلك على نحو ما سلف بيانه ، من نزعة تشاؤمية وافكار لا انسانية ومن أخطاء فكرية ، وفروض غير صحيحة أثبت التاريخ بطلانها . ومن الثابت أن هذه النظرية اللا انسانية أعطت للنزعات والحركات الرجعية والعنصرية ، كالفاشستية وغيرها تبريرا نظريا فاسدا فى شن الحروب وتقتيل الشعوب واستعبادها [١١] . وقد لوحظ فى السنوات التى اعقبت الحرب العالمية الثانية عودة المالتسية فى ثياب جديدة ، حيث ظهرت فى الدول الرأسمالية العديد من الكتب والمقالات والابحاث ، الملونة بالتفكير المالتسى ، الباحث أحيانا والصارخ احيانا أخرى . ولم يعد الامر قاصرا علىمساهمات الاقتصاديين فىهذا المجال، حيث امتد الامر ليشمل دائرة اهتمام علماء الاجتماع والفلسفةوالتاريخ وعلم النفسوالاطباء، بل وحتى علماء الكيمياء [١٢] . ومن أشهر ممثلى المالتسية الجديدة الكاتب الامريكى فوجت الذى كتب مؤلفا بحمل عنوانا صارخا « الارض تثأر لنفسها » ، وأيضا « الطريق الى البقاء » ،وكذلك بيرسون وهارر اللذين نشر مؤلفا بعنوان « جوع العالم » ، وكوك فى كتابه « الخصوبة البشرية ـ المعضلة الحديثة » .. وآخرين .. ان الظل الكئيب لمالتس ، يطل عليا من داخل هذهالمؤلفات، وان كان بصور مختلفة ، كما سنرى ذلك حالا .

السمات الاساسية للمالتسية الجديدة

اثبت التاريخ والتطور الاقتصادى فى الدول المتقدمة ، كما سبق أن ذكرنا ، عدم صحة الرؤية

[١٠] أنظر فى ذلك كتاب ريكاردو : « مبادىء الاقتصاد السياسى والضرائب » .
David Ricardo:- «Grundsätzeder politidchen «Ckonomie und der Besteuerung», Akademie Verlag, Berlin 1959, S. 79, ff.

[١١] من الثابت تاريخيا أن الفاشية قد استفادت تماما من التفكر المالتسى فى عدائها الجنونى للشعوب والاجناس الاخرى وفى تبريرها غير العقلى للمفاهيم العنصرية الخاطئة· لنقرأ الان طرفا صغيرا مما جاء فى كتاب ادولف هتلر «كفاحى» الصادر فى ميونخ عام ١٩٣٤ : « حيث أن المراتب السفلى متفوقة دائما من الناحية العددية على المراتب الافضل ، فان الاسوأ لابد أن يتكاثر بسرعة أكبر كثيرا عند توافر نفس الفرصة للبقاء والتوالد ـ حتى ان المراتب الافضل لابد ان تدفع بالضرورة الى الخلف ، لذلك لابد أن يجرى تصحيحلصالحالافضل ·والطبيعة توفر تصحيحا منهذا النوع باخضاع العناصر الاسوأ لظروف معيشية شاقة تؤدى فى حد ذاتها الى تخفيض عددهم . وأخيرا ، فانها بالنسبة للباقينلاتسمح بتكاثرهم دون تمييز وانما تجرى اختبارا لا رحمة فيه تبعا للقوة والصحة » . وقد اقتبسنا ذلك من : بول باران ـ « الاقتصاد السياسى والنمو » ، ترجمة احمد فؤاد بلبع ، دار القلم بالقاهرة ١٩٦٧ ، مشروع الالف كتاب [رقم ٦٢٩] ، ص ٣٧٢ ، هاشية رقم [١٠٣] .

[١٢] أنظر فى ذلك «تاريخ المذاهب الاقتصادية » الذى الفه نخبة من الاساتذة السوفيت :
Autorenkollektiv:- «Geschichte der «okonomischen Lehrmeinungen», Verlag Die Wirtschaft, Berlin 1965, S. 421.

المالتسية للسكان — ومع ذلك فهناك محاولات جادة من جانب أوساط مختلفة فى العلوم الاجتماعية البرجوازية لاحياء المالتسية من جديد. وهى فى محاولتها لاحياء الفكر المالتسى لا تركز فقط على نظريته فى السكان، وانما تحاول أن تبعث مختلف الاراء التى نادى بها مالتس فى موضوعات القيمة والتوازن الاقتصادى العام، والاستهلاك غير المنتج اللازم لعلاج ازمات افراط الانتاج العام باعتباره صاحب رأى خاص فى هذه القضايا. ومع ذلك فانه من الثابت الان أن هذه القضايا ليست هى أهم القضايا التى تعنى بهـا المالتسية الجديدة. ان ما يعنى به هؤلاء فى صدد محاولاتهم لبعث المالتسية من جديد، هو بعث الجانب اللا انسانى فيها المتعلق بقضايا السكان.

وبالرغم من تعدد وجهات نظر المالتسيين الجدد فى قضايا السكان، الا أن امعان النظر فى المؤلفات السابق ذكرها يجعلنا نستخلص سمات معينة ترتبط فيما بينها.

١ — يأتى فى مقدمة هذه السمات تخلى المالتسيون الجدد عن بعض الافكار المالتسية فى السكان، بعد أن بات واضحا أن التزايد السكانى ليس دالة خطية فى نمو الموارد الغذائية.. كما أن العالم لم يواجه بكارثة سكانية عامة، بل على العكس من ذلك واجهت الدول المتقدمة اقتصاديا، فى القرن العشرين، مشاكل اتجاه معدل المواليد للتناقص أو الثبات فى الوقت الذى زادت فيه الطاقات الانتاجية لهذه الدول. لقد ثبت واقعيا أنه مع ارتفاع مستوى الدخل ومستويات الاستهلاك يكون الميل بالنسبة لمعدل المواليد فى الاجل الطويل هو الهبوط. وتجارب الدول الاوروبية المتقدمة تنهض دليلا على صحة هذا الاتجاه. ومن هنا لم يعد المالتسيون الجدد يتحدثون عن خطر الزيادة المطلقة للسكان فى الدول المتقدمة وانما عما يسمى بـ « شيخوخة المجتمعات المتحضرة »، وعن نظرية الحد الامثل للسكان. وتعتبر النظرية الاخيرة هى النظرية المعتمدة الان فى أوساط واسعة من الفكر البرجوازى. وترى هذه النظرية ان نمو السكان يمكن أن يعد ايجابيا الى ان يصل الى حد معين أمثل، وهو الحد الذى تكون فيه انتاجية الفرد ومستوى معيشته قد بلغت حدها الاعلى الممكن. وبعد هذا الحد تعتبر الزيادة السكانية عنصرا سلبيا. أما عن طبيعة هذا الحد الامثل للسكان، وفى أى ظروف اقتصادية واجتماعية يتحقق، وما هى المعايير الموضوعية لتحديده، فهذا مالا يتحدث عنه أنصار هذه النظرية. وهناك ايضا نظرية النسب الارضية السكانية [*] التى يروج لهـا عدد كبير من المالتسيين الجدد. وفحوى هذه النظرية ينصرف الى أن السكان فى العالم يتزايدون بصورة مستمرة، على حين أن المواد الطبيعية هى عنصر ثابت لا يتغير. ومن ثم فان النسبة بين الارض والسكان تميل دائما للتغير بصورة تدعو للقلق لان الضغط على هذه الموارد يتزايد بصورة سريعة. بل انه من المحتمل — هكذا يدعى أنصار هذه النظرية — ان يأتى اليوم الذى يكون فيه المتاح من سطح الكرة الارضية بالنسبة للفرد بوصة مربعة واحدة [١٣] حقا أن هذه النظرية تشير الى مسألة واضحة وهى ثبات حجم الموارد الطبيعية، غير ان درجة استغلال هذه الموارد لانتاج المواد الغذائية وغيرها انما هى درجة متغيرة وتعتمد أساسا على درجة تطور قوى الانتاج [وسائل الانتاج، والعمل الانسانى، والمعارف الفنية والعلمية]. ان درجة تطور قوى الانتاج، التى تتزايد الان بشكل لا مثيل له فى التاريخ نتيجة للثورة العلمية والتكنيكية المعاصرة، هى العنصر الاساسى فى تحديد درجة استغلال الانسان للموارد الطبيعية [١٤]. ومن هنا تكتسب النسب الارضية السكانية محتواها النسبى عبر مراحل تطور هذه القوى. فحجم السكان الذى يشكل ضغطا على الموارد الطبيعية

---

[*] Land-Man — Ratio

[١٣] انظر ذلك رد الاستاذ م.ك بينيت مدير معهد ابحاث الغذاء بجامعة ستانفورد حول هذه النظرية. وتوجد له اشارة فى كتاب بول باران سالف الذكر، ص ٣٦٦.

[١٤] ليس يخفى أن امكانية زيادة المواد الغذائية فى العالم سواء أكان ذلك عن طريق استخدام مياه البحار أو عن طريق استحداث الخمائر الكيماوية أو عن طريق التوسع الرأسى والافقى للزراعة انما هى امكانية ضخمة جدا اذا ما استخدمنا فى الحسبان عنصر التقدم الفنى. ان مساحات الاراضى الزراعية فى الوقت الحاضر تعادل حوالى ٩ — ١٠٪ من مجموع اليابسة، بينما يمكن استصلاح ٤٠٪ منها [طبقا للتقديرات بعض العلماء السوفيت]. وفى تقدير آخر للعالم الانجليزى جون برنال برى انه يمكن زيادة هذه النسبة الى حوالى ٧٠٪ وذلك باستخدام الاساليب والامكانيات القائمة، وزيادة الاستثمارات فى الزراعة، وباستحداث طرق علمية جديدة، انظر ذلك: جون برنال: « عالم بلا حرب ».

John D. Bernal :- «Welt ohne Krieg», VEB Deutscher Verlag der Wissenschaften, Berlin 1960, S. 106 - 141.

وعلى الاخص الجدولان المنشوران فى صفحة ١٠٧، ١١٧ والتحليلات المتعلقة بهما.

فى مرحلة ما من مراحل التطور لا يشكل بالضرورة فى مرحلة أخرى مثل هذا الضغط [١٥] وهكذا فان اهمال عنصر التقدم الفنى ، ذلك العنصر الذى أهملته الرؤية المالتسية ، يعود من جديد بصورة غير علمية فى مثل هذه النظريات .

٢ — يجهد المالتسيون الجدد ، بنــــاء على ما سبق ، انفسهم للتهويل بشكل لا علمى عما يسمى بخطر الزيـــادة السكنية ، والاكتـــظاظ السكانى الذى يهدد الانسانية بدرجة خطيرة ، بل بصورة أخطر من تهديد القنابل الذرية للسلام العالمى . هاهو فوجت المالتسى الامريكى الجديد يقول « لم يحدث قط فى التاريخ من قبل ، أن تأرجحت كل هذه المئات الكثيرة من ملايين البشر عند حافة الهاوية » [١٦] . ويقول فى مكان آخر « ان المنحنيين — منحنى السكان ومنحنى وسائل المعيشة — قد .. تقاطعا . وهما يبتعدان عن بعضهما بصـــورة تزداد أبدا .. وكلمـــا ازداد ابتعادا ازدادت صعوبة انطباقهما من جديد » (١٧) وفى تقديرات بعضهم أن هناك الان على الكرة الارضية ما يقرب من مليار من الافواه الانسانية الطفيلية الزائدة عن الحاجة [١٨] . وتتخــذ المالتسية الجديدة صورتها الصارخة المتشائمة عند الكاتب كوك فى كتابه « الخصوبة البشرية : المعضلة الحديثة » حينما يتساءل : حتى اذا كان باستطاعة العلم أن يتوصل الى خبز تخليقى وشرائح لحم تخليقية من ماء البحر ، فهل يمكن اطعام مثل هذه الاعداد الغفيرة من الناس ؟ » [١٩] . وتزداد الصورة بشاعة حينما يصل الامر بواضعى تقرير « الصحة العامة والديموجرافيا فى الشرق الاقصى » الصادر عام ١٩٥٠ عن مؤسسة روكفلر ليقرروا : « ان آجلا أو عاجلا سيؤدى ضغط الناس المتزايد على وسائل المعيشة أن تعود قوى الموت فتستقر من جديد ، سواء عن طريق الهزال العام للناس ، أو عن طريق المجاعة والاوبئة [٢٠] » .

٣ — لا عجب ، والحال هذه ، أن تتخــــذ المالتسية الجديدة من موضوع « مشاكل النمو فى دول العالم المتخلف » جبهة أمامية لها ثبت فيهـــا سمومها وأفكارها المعادية للبشر . فالـكتابات البرجوازية المعاصرة الملونة بالتفـكير المالتسى والمتعلقة بقضايا التنمية الاقتصادية فى مناطق العالم المتخلف تتخذ من ظاهرة ارتفاع نمو السكان فى هذه المناطق سببا أساسيا للتخلف والفقـــر الذى يرين على هذه المناطق ، بدلا من أن ينظر الى هذا العامل كنتيجة للعملية التاريخية للتخلف والتى لعب الاستعمار الدور الاساسى فيها . وفى ضوء هذه النظرة يبالغ المالتسيون الجـــدد فى التهويل للزيادة السكانية فى هذه البـــلاد باعتبـــــارها عقبة كؤود فى معـــــراج النمو الاقتصادى [٢١] . وتمتزج هذه النظرة بالافكار العنصرية البالية حول مشكلة السكان فى هذه الدول . فســكان هذه الدول — هكذا يدعى المالتسيون الجدد — يتسمون بالكسل والخمول ، ويحقرون العمل المادى والنشاط ويؤثرون عليه القيم الروحية الغيبية ، وغير ذلك من الاوصاف

---

[١٥] راجع فى ذلك : خالتبارى — » فائض السكان فى الدول النامية » ، المسالف الاشارة ، ص ٤٨ .

[١٦] انظر فى ذلك : و . فوجت — «الطريق الى البقاء» Road to Survival نيويورك ١٩٤٨ ، ص ٣٦٥ ، ٢٨٧ وقد اقتبسنا هذه الاشارة من بول باران ، « الاقتصـــاد السياسى والنمو » المرجع الانف الذكر ، ص ٣٦١ .

[١٧] من بول باران ، المرجع السالف الذكر ، ص ٣٦١

[١٨] انظر فى ذلك « تاريخ المذاهب الاقتصادية » — بالالمانية ، مرجع سلف ذكره ، ص ٤٢٢

[١٩] هذه الاشارة مقتبسة من بول باران — مرجع آنف الذكر ، ص ٣٦١

[٢٠] انظر اشارة لهذا التقرير فى بول باران ، المرجع السالف البيان ، ص ٣٦٥ ، حاشية رقم [٨٧]

[٢١] هناك فى الفكر البرجوازى ، على العكس من هذه النظرة ، اتجاه يرى ان النمو السكانى يعد عاملا اساسيا فى النمو الاقتصادى . فعالم الاجتماع اميل دوركيم يعتقد أن العامل الاساسى للتغيرات والتحولات الاجتماعيــة هو السكان . وقد حاول ان يبحث فى اثر هذا العامل على الانتقال من المجتمعات البسيطة الى المجتمعات الاكثر تطورا وتعقيدا ووصل الى ان ظهور المجتمعات المعقدة بتنظيماتها المختلفة انما هو نتيجة للزيادة التى حدثت فى السكان . أما البرت هيرشمان فهو يرى أن الضغط السكانى يمكن ان يعتبر كدافع للتنمية . وجوهر تفكيره يتحصل فى أن الضغط السكانى فى البلاد المتخلفة سوف يولد شعورا يدفع السكان فى هذه البلاد لتحسين الطرق الانتاجية وزيادة نشاطهم الانتـــاجى لرفع مستوى معيشتهم أو لمنعه من التدهور . وعلى اساس هذا المضمون يتحدث ايضا جيمس دوسنبرى عما يسمى بالمسلمات البديهية لطبيعة النفس البشرية ، والتى تتمثل فى ان الناس يحاولون بكل السبل ان يمنعوا اية انخفاض فى مســتوى معيشتهم . وتتماثل هذه الفكرة مع آراء المفكر ارنولد توينبى فى ان تقدم الحضارة انما يرجع الى الرغبة فى التقدم وتحدى العقبات ، انظر ذلك :

Khallatbari : «Uberbevölkerung in den Entwicklungsländern», op. cit, pp. 48-50; Albert O. Hirochman: The strategy of economic Development. «Yale University Press, New Haven and London 1964, p. 177, and see also: B. Higgins; Economic Development-Principles, Problems and Policies, London 1959, pp. 323-330.

التى تهدف الى تبيان أن هذه الشعوب متخلفة لانها بالطبيعة متخلفة ! وهكذا فالقارىء لهذا النوع من الكتابات يلحظ كيف تشيع فيها روح اليأس والتشاؤم ويطل منها الظل المالتسى الكئيب ، وتنتشر فيها النظريات العنصرية البالية .

ان المالتسيين الجدد ، انطلاقا من هذا الاطار المظلم الذى يرسمونه لواقع هذه الدول يرون انه لا أمل لهذه البلاد فى الاندفاع باقتصادياتها على طريق النمو مالم يقض على هذه «الانفجارات السكانية » وعلى هذا الاكتظاظ السكانى « الرهيب » .

ان الكاتب أ. ماسون يرى مثلا « اذا لم يمكن تخفيض معدل المواليد بحيث يتمشى الى حدما ، مع الانخفاض المتوقع فى معدل الوفيات ، فلن يقتصر الامر على عدم وجود زيادة فى الدخول بالنسبة للفرد ، بل سيكون هناك انخفاض فيها [٢٢] » .

ولن يهمنا هنا نقد هذه الافكار حول علاقة مشكلة السكان بقضايا النمو فى دول العالم المتخلف ، فلذلك مكان آخر فى هذا البحث ، ولكننا نذكر باختصار شديد ، كما يقول بول باران « ليس صحيحا ، قبل كل شىء ، أن مستوى المعيشة البائسة والجوع والاوبئة تسير بالضرورة جنبا الى جنب مع الكثافة السكانية الشديدة للسكان أو مع زيادتهم السريعة [٢٣] » . فالاحصاءات والتجارب التاريخية للنمو تدحض هذه الفكرة . حقا أن مشكلة زيادة السكان بالبلاد المتخلفة ، باعتبارها تركة ثقيلة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لعهود السيطرة والنهب والاستغلال التى تمت على أيدى الاحتكارات الاجنبية والطبقات المرتبطة معها فى الداخل ، تضيف عبئا هاما على عملية التنمية، غير أنها فى رأينا ليست بيت القصيد .

٤ ــ وهكذا بعد أن يجهد المالتسيون الجدد انفسهم فى الدق على نواقيس الخطر يدلون بعد ذلك بدلوهم فى الدلاء . فيرون أن الحل الوحيد يتمثل فى انقاص عدد السكان . فسكان العالم كما يرى بيرسون يجب أن ينخفض الى ٩٠٠ مليون فقط . وفى رأى كاتب آخر [فوجت] يجب أن ينخفض سكان أوروبا للثلث ، وسكان اليابان الى الثمن [٢٤] . وهم يقومون بالدعاية اللا انسانية الوحشية لضرورة الخلاص من هذا الفيض السكانى . ويتخذ الهجوم على مهنة الطب الحديث طابعا واضحا فى الكتابات المالتسية الحديثة لانها ، من وجهة نظرهم ، مسئولة عن ارتفاع معدل نمو السكان ويحملونها مسئولية بؤس السكان فى دول العالم المتخلف وعن استمرار هذا البؤس . وبلا أدنى حياء يرى فوجت أنه طالما أن الدول المتخلفة لم تصنع بعد لنفسها سياسات سكانية رشيدة « فان هذه الدول ليس لها الحق فى أن تنتظر المعونة من دول العالم الاخرى [٢٥] » . وهكذا فان على الدول المتخلفة أن تتخلص أولا من اكتظاظها السكانى قبل أن تطالب الدول المتقدمة بالمعونات اللازمة لبرامج نموها . ان الجوع الذى ينتهب أعدادا غفيرة من سكان آسيا لا يعد من وجهة نظر فوجت أمرا مرغوبا فيه فحسب ، بل وأمرا ضروريا لا غنى عنه لمستقبل البشرية (٢٦) » .

وهكذا تستبيح المالتسية الجديدة ببربريتها وعدائها للبشر عمليات الجوع والقتل الجماعى لسكان العالم المتخلف . ويقترح آخرون عددا آخر من الوسائل اللا انسانية لتخفيض معدل نمو السكان فى تلك الدول . فمثلا يقترح « بيندال » ضرورة وضع قانون يمنع الزواج بمقتضاه على الذين لا يثبتون أن دخولهم كافية للانفاق على العائلة [٢٧] . كما يرى البعض ضرورة تعقيم الرجال لافساد قدراتهم الجنسية على الانجاب، أو فى ابتكار أدوية جديدة من شأنها المساهمة فى هذا المجال .

ان المالتسية الجديدة بهذا الشكل ترتبط ارتباطا وثيقا بالداروينية الاجتماعية التى تحاول أن تطبق قوانين الغاب على الحياة البشرية . فاذا كان قانون البقاء للاقوى هو الذى حكم عمليات التطور للاجناس الحيوانية ، فان قانون البقاء للاصلح، أى البقاء للاجناس الراقية هو القانون الطبيعى الذى يحكم تطور الحياة البشرية .وبهذا الشكل

---

[٢٢] هذه الاشارة موجودة فى بول باران ، الانف الذكر، ص ٣٦١ .
[٢٣] انظر فى ذلك المرجع السالف الذكر مباشرة ص ٣٦٣ والجدول الموجود حول هذه النقطة .
[٢٤] راجع : « الاقتصاد السياسى » الجزء الثانى ــ القسم الاول ــ « أسلوب الانتاج الراسمالى » تأليف نخبة من الاساتذة السوفيت . ترجمة دكتور بدر الدين السباعى ، دمشق ١٩٦٧ ، ص ١٢٩ .
[٢٥] عن كتاب « فوجت » ــ الارض تثار لنفسها » وقد اقتبسنا ذلك من كتاب خالتبارى الانف الذكر ، ص ١٤٣.
[٢٦] انظر فى ذلك خالتبارى ــ « فائض السكان .. » مرجع سالف الذكر ، ص ١٤٣
[٢٧] راجع فى ذلك كتاب « الاقتصاد السياسى » ، المرجع المشار اليه آنفا ، ص ١٢٩.

العنصرى يرى البعض انه يوجد فقط على الكرة الارضية ما يقرب من ١٥٠ مليون انسان يعدون من الاجناس الراقية المنتخبة التى يجب ان تتوافر لهم ظروف أفضل للحياة وذلك على حساب ابادة الاجناس الاخرى الاقل مرتبة ، كالشعوب السوداء والصفراء . تأسيسا على ذلك فالحروب انما هى نتاج طبيعى وضرورى للمحافظة على التطور الراقى للجنس البشرى .

ليس من المستبهم اذن أن تكون المالتسية الجديدة ، انطلاقا من هذه الخصائص التى تطبعها ، سلاحا رجعيا فى الفكر الاجتماعى البرجوازى يوجه ضد حركات التحرر الوطنى فى بلدان العالم المتخلف ، لتمييع حقيقة التخلف، ولتبرير الفقر والجوع والبؤس الذى يجثم على انفاس هذه الشعوب ، ولصرف الانظار عن الدور الذى لعبه النهب الامبريالى فى خلق عملية التخلف ، وللدفاع عن الحروب الامبريالية الوحشية التى ترتكبها وتشنها الدول الراسمالية ضد حركات التحرر الوطنى فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . وكما تعرضت افكار مالتس منذ مائة وخمسين عاما للنقد الشديد ، فان المالتسية الجديدة تتعرض اليوم ايضا للنقد اللاذع [٢٨] ليس فقط من جانب المفكرين الاشتراكيين ،ولكن ايضا من جانب أوساط واسعة من المفكرين البرجوازيين .

التفسير الاشتراكي لمشكلة زيادة السكان

لا يوجد فى الاعمال العلمية المختلفة التى كتبها ماركس وانجلز ، ومن بعدهما لينين ، نظرية معينة ذات صياغة محددة حول موضوع السكان. غير أنه توجد اشارات واضحة المعالم حول هذا الموضوع فى أجزاء متناثرة من هذه الاعمال . وهى اشارات ذات مفهوم محدد ينسجم ويتفق مع البناء النظرى للماركسية اللينينية .واذا شئنا الآن أن نعرض هذه الافكار فى تسلسل منطقى محدد ، وذلك لتبيان المبادىء الاساسية للرؤية الماركسية لقضية السكان ، فانها من الممكن أن تكون كالاتى :

١ ــ نقطة الانطلاق الاولى فى هذا الصدد هو انه لا توجد قوانين عامة خالدة وابدية تخضع لها الحركات السكانية فى كل مراحل التطور . بل توجد لكل مرحلة ، أو بعبارة أخرى لكل أسلوب أنتاجى معين ، قوانينه الموضوعية التى تحكم التغيرات التى تحدث فى مجال السكان [زيادتهم ثباتهم أو تناقصهم] [٢٩] ومن ثم فالقوانين المجردة فى مجال السكان لا وجود لها . ان مثل هذه القوانين العامة المجردة توجد فقط فى مجال التغيرات التى تحدث فى عالم الحيوان أو النبات والسبب فى ذلك هو أن الانسان ــ بعكس الحيوان ــ انما يعيش فى وسط اجتماعى معين تربطه واياه علاقات مختلفة محددة ، تؤثر فيه ويؤثر هو فيها . والانسان هنا ، فى هذا المجتمع أو ذاك ، ليس انسانا مجردا انما هو انسان ذا وجود تاريخى محدد . بمعنى انه يعيش فى نظام اجتماعى معين فى ظل مرحلة معينة من التطور . . ولما كان هذا الوسط الاجتماعى ، أو بعبارة اخرى ، لما كان هذا النظام الاجتماعى ذو طبيعة متغيرة ومتطورة ، فان طريقة حياة الانسان بأبعادها وامكانياتها المختلفة تتغير تبعا للتغير الذى يحدث فى هذا المحيط . ان ذلك يعنى ايضا أن الحركات السكانية لا تخضع فقط للقوانين البيولوجية المحضة .

٢ ــ لم ينكر ماركس وجود القوانين الطبيعية البيولوجية للحركات السكانية . وتتمثل هذه القوانين فى العلاقات الموضوعية الموجودة بين معدلات المواليد ومعدلات الوفيات ، وهى قوانين ذات صفة عمومية . بمعنى انها توجد بدرجات متماثلة فى النظم الاجتماعية المختلفة . فاذا زاد معدل المواليد عن معدل الوفيات ، زاد معدل نمو السكان ، واذا نقص معدل المواليد عن معدل الوفيات تناقص عدد السكان ، واذا تساووا

---

[٢٨] انظر على سبيل المثال كتاب جوردى دى كاسترو « جغرافية الجوع » ، [١٩٥٢] **Geography of Hunger** وقد صدرت لهذا الكتاب ترجمة له باللغة العربية فى القاهرة

[٢٩] أشار ماركس فى كتابه « مقدمة فى نقد الاقتصاد السياسى » الى انه ــ « توجد فى أساليب الانتاج الاجتماعية المختلفة قوانين مختلفة لزيادة السكان وفائض السكان » انظر :

Karl Marx:- «Grundrisse zur Kritik der politischen Okonomie», in: Marx-Engels Werke, Band 23, Dietz Verlag, Berlin 196, S. 498

وقد أعطى لينين من بعد ذلك تاكيدا لهذه النظرة : « ان شروط الزيادة السكانية تعتمد بصورة مباشرة على هيكل التنظيمات الاجتماعية المختلفة . ولهذا فانه لابد على المرء ان يبحث عن قانون السكان فى كل تنظيم اجتماعى معين . ومن ثم لا يجوز البحث عن ذلك القانون بطريقة مجردة دون البحث عن علاقته بالاشكال التاريخية المختلفة للنظم الاجتماعية انظر :

W.I. Lenin:- «Werke», Band 1, Dietz Verlag, Berlin 1992, S. 491.

المعدلان كان معدل النمو مساويا للصفر ؟ وذلك بغض النظر الان عن حركات الهجرة للداخل او الخارج . غير ان هـذه القـوانين البيولوجية للحركات السكانية ليست قوانين مجردة ، وانما هى ذات طابع تاريخى . بمعنى ان مفعول هذه القوانين انما يتم فى اطر تاريخية معينة ، تتبدل من مرحلة الى اخرى . ان ذلك ينفى بالتالى ، مرة اخرى ، الطابع البيولوجى البحت للتغيرات السكانية ، ويضفى على هذه التغيرات طابعهـا النسبى التاريخى .

٣ ــ ان كل اسلوب اجتماعى للانتاج يتطلب حدا ادنى معينا من السكان يلزم لنشوئه وتطوره، وذلك لان الانسـان او بعبـارة ادق : العمـل الانسانى ، هى اهم قوة منتجة فى المجتمع . كما ان لكل اسلوب اجتماعى للانتـاج حـدا اقصى للسكان يتناسب معه . فاذا زاد حجم السـكان عن هذا الحجم ، قيل فى هذه الحـالة ان هناك فائضا سكانيا .ويتحدد الحد الادنى والحد الاقصى للسكان فى كل نظام اجتماعى للانتاج بدرجة تطور قوى الانتاج وبطبيعة العلاقات الانتاجية المنبثقـة من هذا النظام . ففى نظام المجتمع البدائى كان النمو السكانى بطيئا جدانتيجة للمستوى المنخفض جدا لتطور قوى الانتاج ونتيجة لقسـوة الحياة وظروف المعيشة . ومع بدء عملية اسـتئناس الحيوان ، وتربية المـواشى ، وزراعـة بعض المناطق الملائمة ، زاد بشكل واضح عدد السكان بالقياس الى مرحلة المجتمع البدائى القائم فقط على القنص والصيد .

وحينما ظهر لاول مرة فى تاريخ البشرية فائض اقتصادى يزيد عن الاستهلاك الضرورى للمنتجين وبالتالى ظهرت امكانية الملكية الفردية ، اصبحت امكانية تزايد السكان اكبر عن ذى قبل .

٤ ــ ان الاشكال التى تاخذها ملكية الفائض الاقتصادى ، كالريع والارباح والفـوائد والتى تحددها طبيعة علاقات الملكية القـائمة ، وطرق التصرف فى هذا الفائض [اسـتهلاكه ، تبديده واستثماره] تؤثر بشكل مباشر فى درجة تطور قوى الانتاج ، وبالتالى فى مستوى الانتاج والدخل والتوظف ،وبالتالى فى حجم السكان المتناسب مع هذه المرحلة او تلك من التطور .

٥ ــ ان فائض السكان الـذى يتخذ اشكالا معينة ، مثل البطالة وانتشار الفقر وسوء التغذية ... الـخ ، ليس نتيجة لاختلال التناسب بين حجم السكان والطبيعة ، او بين عـدد السكان والموارد المتاحة . انه بالدقة يعبر عن اختلال قائم بين حجم السكان وطبيعة النظام الانتاجى القائم فى مرحلة معينة من تطوره . ومن هنا يكتسـب مفهوم فائض السـكان طابعا نسـبيا . ففائض السكان الذى يظهر فى مجتمع ما فى ظل درجة معينة من تطور قوى الانتاج ، وفى ظل نوعيـة محددة من علاقات الانتاج لايعتبر فائضا سكانيا فى مرحلة مختلفة من تطور قوى الانتاج وفى ظل نوعية اخرى من علاقات الانتـاج .

وقد بين ماركس فى صدد تحليله لعملية الانتاج واعادة الانتاج فى المجتمع الراسمالى انه مـع تطور الراسمالية بازدياد تراكم راس‌المال وتمركزه ومع تقدم وسائل الانتاج والتكنيك المستخدم فى العملية الانتاجية يتزايد التركيب العضوى لراس المال [٣٠] . وينشـأ ذلك عن اضـطراد نمو استخدام الوسـائل التكتيـكية المكثفة [الالات والماكينات] بدرجة تفوق بكثير درجة نمو راس المال المتغير . ويكون من نتيجة ذلك حدوث تباطؤ فى نمو الطلب على قوة العمل ، فتزداد البطالة وينشأ هنا فائض السكان النسبى الـذى اطلق عليه ماركس مصطلح «الجيش الاحتياطى للعمال» يقول انجلز فى خطاب له الى ف.أ. لانجه فى ٢٩ مارس ١٨٦٥ « ان ضـغط السـكان ليس على وسائل المعيشة وانما على وسائل العمالة [٣١] » اى على الالات والطاقات الانتـاجية التى تخلق امكانيات التوظف . ومن ثم فان فائض السـكان الذى يظهر فى المجتمع الراسمالى ليس نتيجـة لقلة الموارد وانما نتيجة لميكانيكية النظام نفسـه الذى يسعى فيه الراسماليون الى تحقيق اقصى الارباح الممكنة حتى لو ادى ذلك الى تعطيل جزء من الطاقات الانتاجية وخلق بطالة وفائض سكان نسبى . يقول انجلز فى خطابه المذكور آنفا « ان الانتاج يتم بشكل قليل . وهنا يكمن السبب الكامل ولكن لماذا يكون الانتاج قليلا ؟ انه قليل ليس لان حدود الانتاج ووسائله المعاصرة قد انهكت . كلا! ولكن لان مستوى الانتاج يتحدد ليس بناء عـلى

---

[٣٠] المقصود بالتركيب العضـوى لراس المـال لدى ماركس هو النسبة بين راس المال الثابت المتمثل فى الالات والمواد الاولية ، الى راس المال المتغير المتمثل فى الاجور . ومن ثم فانه كلما زاد راس المال الثابت بالنسبة الى راس المال المتغير كلما ارتفع التركيب العضوى لراس المال .

[٣١] انظر هذا الخطاب فى :
« Engels an Friedrich Albert Lange in Duisbirg am 29. Marz 1865 » in Marx Engels erHe. Band 31 Dietz Verlag Berlin 1965 - S. 465

عدد البطون الجائعة ، ولكن بنـاء على عـدد « المحافظ النقدية » القادرة على الدفع [٣٢] ».

٦ ــ يرى الماركسيون ، اعتمادا على ماسلف بيانه ، ان ظاهرة فائض السكان هى ظاهرة ذات مضمون طبقى . انها نتاج للمجتمعات الطبقيـة التى تقوم على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . وهذا يعنى انها ظاهرة تاريخية ، بمعنى انهـا لم توجد دائما فى كل مراحل تطور المجتمع البشرى فقد ذكرنا حالا انها لم يكن لها وجود فى المجتمع البدائى اللاطبقى . كما وانها لاتوجد فى المجتمـع الاشتراكى . ان المجتمع الاشتراكى لاينتج اطلاقا ظاهرة فائض السكان . ذلك ان هدف الانتـاج القائم على الملكية العامة لوسائل الانتاج ، ليس هو السـعى لتحقيق اقصى ربـح ، وانما تأمين الاشباع المتزايد لحاجات السكان المادية والروحية على اساس التطوير الدائم والمستمر لقوى الانتاج بأحدث الاساليب العلمية والتكنيكية . وفى ظـل هذا المجتمع يتمتـع الافراد جميعا بحق العمـل والوظيفة ، وتؤمن الدولة سكانها ضـد مخاطر الشيخوخة . غير ان ذلك لايعنى انه فى مرحلة التحول الى الاشتراكية تختفى كلية ظاهرة فائض السكان . حيث انه خلال عملية الانتقال هـذه يرث المجتمع تراثا معقدا من العلاقات الاجتماعية القديمة . وقد يكون منها ظاهرة فائض السكان . ولكنه باتمام مرحلة بناء الاشتراكية تختفى هـذه الظاهرة كلية . وتنهض تجربة الصـين الشعبية فى هذا المجال مثلا حيا على ذلك . حيث اختفت منها تماما ظاهرة الاكتظاظ السكانى ،بل واصبحت الصين اليوم من الدول المصدرة للمواد الغذائية والسـلع الصـناعية .

ضوء جـديد على مشـكلة السـكان بالبـلاد المتخلفة

تعد قضية السكان فى البلاد المتخلفة اقتصاديا من القضايا الاجتماعية الملتهبة فى الوقت الحاضر نظرا لارتباطهـا الوثيق بقضـايا التخلف والفقر والجـوع الذى يرين على هذه البـلاد ، ونظرا لاصطراع وجهات نظر المفـكرين حولها . وقـد عرضنا طرفا صغيرا لوجهة نظر المالتسيين الجدد واشرنا الى ماانطوت عليه هذه النظرة من نزعة تشاؤمية ، ورؤية خاطئة ، وتحيز عنصرى ممجوج وتفكير لا انسانى . ونود الان ان نعرض وجهـة نظرنا المعارضة لوجهة نظر المالتسية الجديدة .

ونحن فى استعراضنا الان لهذه المشكلة فى هذه البلدان ، ننطلق من مقدمة منطقية لا نعتقـد ان احدا ينازع فى صحتها ، وهى « ان الزيـادة المستمرة للسكان فى ظل **اقتصـاد راكد** [٣٣] تؤدى الى ايجاد اتجاه تراكمى للتخلف ، حيث تعد الزيادة المستمرة فى السكان فى هذه الحالة عاملا من العوامل التىتسهم بصفة مستمرة فىانخفاض مستوى المعيشة وتفاقم مشاكل البطالة والغذاء ومستوى الصحة ... الـخ وعلى العكس من ذلك فان انخفاض عدد السكان دون حد معين فى ظل **اقتصاد ديناميكى** يتدرج صـعدا فى معراج النمو ، تعد عاملا سلبيا يسهم فى اعاقة عمليـة التنمية » .

ويفهم من هذا نتيجة على قدر كبير من الاهمية ، وهى انه لايجوز للباحث ان يطلق تعميما مطلقـا حول تأثير السكان فى عملية النمو . ان هـذا التأثير المتبادل بين السكان وعملية النمو يجب البحث عنه فى حالات محددة فى ظـل **خصائص الاقتصاد القومى لبلد ما** [٣٤] والبلاد المتخلفة بالرغم من انه يمكن وضع تعريف او مفهوم محدد لها يشملها جميعا ، الا انها مع ذلك تتفاوت فيمـا بينها تفاوتا ضخما . انها كما يقول الكاتب الامريكى جالبريت اشبه بصف طويل تنتظم فيه هذه الدول تبعا لدرجات متعددة من التفاوت . فما يقف فى المقدمة ، يختلف عما ينتظم فى المـؤخرة او فى الوسط [٣٥] . فدرجة التخلف وبما ينطوى عليه ذلك من معان ، تتفاوت من دولة الى اخرى . بل من مجموعة الى اخرى [٣٦] ، اذا ما شـئنا تصنيف هذه البلدان فى مجموعات معينة طبقـا لمعايير محددة ، بل وداخل الدولة الواحدة ، حيث تتفاوت درجة النمو [او التخلف] بين قطاعات الاقتصاد القومى فى البلد الواحد . ويتخذ هذا التفاوت الموجود داخـل الدولة الواحدة شـكلا خاصا فى تواجد عدد من الاسـاليب الانتـاجية

---

[٣٢] المرجع الانف الذكر مباشرة ، ص ٤٦٧ .

[٣٣] ينصرف المقصود بالاقتصاد الراكد الى ذلك الوضع الذى يتسم به اقتصاد ما تكون فيه المـؤشرات الاقتصادية الهامة ، مثل معدلات نمو الدخل والتوظف ومستوى المعيشة الـخ فى حالة من الثبات نتيجة لغياب العوامل الديناميكية المحركة لعملية النمو الاقتصادى .

[٣٤] انظر فى ذلك خالتبارى : « فائض السـكان فى الدول النامية » : مرجع آنف الذكر ، ص ١٢ .

[٣٥] انظر فى ذلك جون كنث جالبريث :

John enneth Galbraith : - « Economic Development in perspestiè 1962 p. 19 .

[٣٦] بل تتضح صورة هذا التفاوت ايضـا فى ظاهرة الاكتظاظ السكانى ، حيث توجد مناطق تعانى من خفة او قلة عدد السكان ، على حين تعانى مناطق اخرى من فائض السكان وان كان الطابع العام الغالب لهذه الدول هو شيوع ظـاهرة الاكتظـاظ السكانى بهـا .

المختلفة جنبا الى جنب . وهى خاصيـــة تشترك فيها جميع الدول المتخلفة بدرجات متفاوتة حيث تتفاوت درجة نمو هذا الاسلوب الانتاجى او ذاك بين بلـــد وآخـــر .

ويعدد الاقتصادى البولندى كلير هذه الانماط الانتاجية فيما يلى [٣٧] :

١ ـــ الاقتصاد الطبيعى القائم على الزراعـــة الاكتفائية مع وجود بعض عمليات التبادل .

٢ ـــ الانتاج السلعى الصغير فى الريف .

٣ ـــ الانتاج السلعى الصغير فى المدينة .

٤ ـــ الاقتصـــاد شبه الاقطـــاعى الذى يتميز بسيادة العلاقات الاقطاعية مع وجود عنـــاصر راســـماليـــة .

٥ ـــ الاقتصاد الراسمالى الذى يتميز بسيادة علاقات الانتاج الراسمالية والذى تملكه وتديره البرجوازية الوطنيـــة .

٦ ـــ الاقتصاد الراسمالى الذى تملكه وتديره الاحتكارات ورؤوس الاموال الاجنبية .

٧ ـــ الاقتصاد التعاونى القائم على الملكيـــة التعـــاونية .

٨ ـــ القطاع العام القائم على الملكية العامة .

وتتفاوت هذه الانماط السابقة ، التى تتعايش جنبا الى جنب ، فيما بينها من حيث درجة تطور قوى الانتاج وفى طبيعة علاقات الانتاج السائدة فيها . ومن ثم فان قدرة كل نمط من هذه الانماط على استيعاب عدد معين من الســـكان ، تتفاوت من نمط الى آخر . ان دراسة ظاهرة الاكتظاظ السكانى بهذه البلاد يجب ان ترتبط بالبحث عن هذه الظاهرة داخل كل نمط من هذه الانماط حتى يمكن الوصول الى طبيعة العلاقات المتشـــابكة للمشكلة والوصول الى صورة واضحة ومتكاملة عن مصادر الضغط السكانى واسبابه فى الاقتصاد القـــومى باكملـــه .

ان دراسة كهذه تخرج بلا شك عن هذا الاطار الصغير لهذا البحث . وغاية ما نود الاشـــارة اليه هو ان مشكلة فائض الســـكان فى الدول المتخلفة فى **صورتها العامة** فى الانخفاض السريع الذى حدث فى معدل الوفيات دون ان ينخفض معه معدل المواليد مما ينتج عن ذلك زيادة فى معـــدل نمو السكان مع عدم ايجاد ، او عـــدم كفـــاية ، الاجراءات الاقتصادية المطلوبة لتطوير قوى الانتاج وزيادة حجم الدخل وخلق فرص التوظف لمواجهة هذه المشكلة . ومشكلة فائض السكان بهذا المعنى تجد تعبيرها الواضح فى ذلك الضغط الذى تزاوله هذه الزيادة السكانية على وسائل الانتاج والارض والدخل القومى ، وفرص التوظف والمواد الغذائية وامكانيات التعليم ... الـــخ . وتصوير المشكلة بهذا الشكل يأخذ اشكالا متباينة بين هذه الانماط الانتاجية سالفة الذكر . كما ان ذلك يعنى بالدقة ان المشكلة لم تنشأ نتيجة لارتفاع معدل الزيادة السكانية فحسب ، ولكن ـــ وهذا يأتى فى المقام الاول ـــ نتيجة للطابع الركودى الذى تتســـم به اقتصاديات هذه الدول ، وعلى الاخص القطـــاع الزراعى الذى يعج باعداد كثيرة من المتعطلين عن العمل ، سواء بصورة سافرة ام فى صورة مقنعة .

اننا نرى ان مشكلة فائض السكان فى البـــلاد المتخلفة ، انطلاقا مما سبق ، انما هى نتاج حتمى للاستعمار . ذلك ان الطـــابع الركودى لهـــذه الاقتصاديات نشأ فى الاساس كظاهرة تاريخيـــة نتيجة لعمليات السلب والنهب التى تمت عـــلى ايدى الامبريالية العالمية . حيث تقاسمت الدول الراسمالية الكبرى بعد تحولها الى مرحلة الاحتكار مناطق العالم فيما بينها كمناطق للنفوذ . وتحولت هذه المناطق بفعل هذه السيطرة ، وتحت تأثير النمط الاستعمارى للاستثمارات الاجنبيـــة الى ينابيع رخيصة لتوريد المواد الخام اللازمة لدوران دولاب الانتاج فى الدول الراسمالية المستعمرة ، مما فرض على هذه المناطق نوعا من التخصص الضيق فى الانتاج [٣٨] . وما يخفى ما ترتب على ذلك من وقوع هذه المناطق فريسة للتبعيـــة الاقتصادية للسوق الراسمالى العالمى ومن تشويه لاقتصادياتها . كما زحفت رؤوس الاموال الاجنبية الاحتكارية ، فى ظل عهود السيطرة الاستعمارية الى هذه المناطق للاستثمار فى عديد من المجالات [فى المزارع والصناعات الاستخراجية والمنجمية

---

[٣٧] انظر فى ذلك كتـــابه : ـــ « تحليـــل الهيـــكل الاقتصادى والاجتماعى فى العالم الثالث »
J.leer : - « Analiza strutur spoleczno -eHonomicznych trzeciego swiata » warschau 1965 .
وقد اعتمدنا على الترجمة الالمانية المبدئية لبعض فصول هذا الكتاب التى قامت المدرسة العليا للاقتصاد فى برلين بترجمتها

[٣٨] لابد من التنويه هنا الى ان هذا التخصص الضيق فى انتاج المواد الاولية قد ادى الى نتائج وخيمة فيما يتعلق بتناقص قدرة وطاقات هذه المناطق على انتاج المواد الغذائية ذلك ان هذا التخصص قد ادى الى تحويل الجزء الاعظم من الاراضى الزراعية الى انتاج المواد الخام ، كما قضى نظـــام المزارع الكبرى الراســـمالية على جـــزء كبير من الزراعات التقليدية التى كانت تقوم على الاكتفاء الذاتى فى انتاج المواد الغـــــذائية » .

وفي العمليات التجارية والمصرفية وشركات التأمين والنقل والمواصلات ، ... الـخ] التي ارتفعت فيها معدلات الربح بصورة تفوق كثيرا نظيرهـا في الدولة الام . وكان من نتيجة ذلك ايجاد نوع منظم من عمليات السلب للفائض الاقتصادى الذى تنتجه شعوب هذه المناطق . وكان ذلك يمثـل خسارة مستمرة تتحملها هذه الشعوب وذلـك على حساب تطوير قـواها الانتـاجية (٣٩) . وظلت القطاعات المختلفة للاقتصاد القومي نتيجة لذلك ، ترذح تحت حـالة من الموات والركود ، باستثناء القطاع الاجنبى المنتج للمواد الاولية ، والذى انفصلت علاقاته بصورة تكاد تكون شبه كاملة عن سائر القطاعات الاخرى .

وكان من الطبيعى ان تكون في الدول المتخلفة طبقات اجتماعية مستفيدة من النشاط الاقتصادى لراس المـال الاجنبي . فهنـاك اولا طبقة رجال الاقطـاع الذين اسـتفادوا من تحويل أراضيهم ومزارعهم الى انتـاج المواد الخـام الزراعيـة لتسويتها في السـوق الراسـمالى العـالمى ، وارتفعت نتيجـة لذلك ، ولعوامل أخرى ، قيمـة أراضـيهم الزراعية المملوكة لهم . وهنـاك ثانيا البرجوازية التجارية ذات الطابع الكومبرادورى ، الممثلة في تجار الجملة والوسطاء الماليين ، والتي ارتبطت مصـالحهم في التعـامل مع راس المال الاجنبي ، ونجحوا في تجميع ثروات هـائلة من وراء ذلك . ولم يكن من المستغرب ، في ظل هذه الاوضاع ، وصول ممثلي هـذه الطبقات الى قمة السلطة السياسية ، ونشوء نظم سياسية رجعية عمل الاستعمار بكل السبل على المحـافظة على بقائها .. « وذلك لان المحافظة على هذه الانظمة وعلى نشاط المشروعات الاجنبية في البلاد المتخلفة قد أصـبح كل منهما يتوقف على الاخر [٤٠] » . وقد أدى تعاظم حركات التحرر الوطني في بـلاد آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية الى ضرب الكثير من هذه الانظمة العميلة ، وقيام نظم وطنية معادية للاستعمار .

ولئن كانت السيطرة الاسـتعمارية ، وتغلغل راس المـال الاحتكارى الاجنبي الى مناطق العالم المتخلف قد تمخضا عن نهب للفائض الاقتصادى ، وبالتالى الى ابطـاء وتعويق عملية تطوير وتنمية قوى الانتاج ؟ فانه من المؤكد أيضًا ان الاستعمار قد ساهم بشكل محسوس في العمل على ارتفاع معدل نمو السكان .

ولم يكن ذلك مصادفة عابرة !

بل كان ذلك نتيجة مترتبة على ازدياد نشـاط راس المال الاجنبي ، وسعيه من اجل تأمين أكبر قدر ممكن من الارباح الاحتكارية . ذلك ان تغلغل رأس المال الاجنبي واقتحـامه مجال انتاج المواد الخام الزراعية واستخراج المواد المنجمية ، وفي المشروعـات الاخرى ، تطلب منه توفـير ظروف معينة موانية لمزاولة نشـاطه . وكان يأتى في مقدمة هذه الظروف القضـاء على الاضطرابات والحروب التي كانت تنشأ بين هذه البلاد ، وخلق نوع من الاستقرار بالقوة . وقد ترتب على ذلك تخفيض عدد الوفيات التي كانت تتمخض عن هذه الحروب [٤١] . ونظرا لان الجزء الغالب من هذه البلاد كان يفتقر الى راس المال الاجتماعي الممثل في شـبكات السكك الحديدية والطرق والكبارى والموانى ومشروعات الكهرباء والمياه ... الخ . وهى من المتطلبـات الاسـاسية لمزاولة نشـاط رأس المـال الاجنبي ، فان المسـتثمرين الاجانب قاموا بانشاء العديد من هذه المشروعات . وكان انشـاء هذه المشروعات يتطلب استخدام اعداد كبيرة من العمال المحليين ، فنشأ عن ذلك بالتالى خلق فرص عمل واسعة أمام العمـال غير المهرة والعمال اليدويين ، كما نشأت ايضـا فرص عمل ممكنة للعمال المحليين للعمل بالمشروعات المنجمية والاستخراجية المملوكة لراس المال الاجنبي . وقد ترتب على خلق فرص التوظف هذه أمام فئات من السكان ، الى حدوث ارتفاع جزئى ونسـبى في مستوى دخولهم ومستوى معيشتهم .

ولئن كان القضاء على الحروب والمنازعات بين شـعوب هذه المناطق ، وخلق فرص للتوظف في مشروعات رأس المال الاجنبي ، قد سـاهم الى حد ما في تخفيض معدل الوفيات ، فان هذا المعدل قد اتخذ اتجـاها ملحوظا وواضحا للانخفاض في أعقاب الحرب العـالمية الثانية ، بعد التوسع في مكافحة الامراض المتوطنة المعدية التي كانت تفتك بشـعوب هذه البلاد ، وتعمل على ارتفاع معدل الوفيـات . ذلك ان هجـرة بعض المسـتثمرين

---

[٣٩] يقدر بعض رجال الاحصاء في الهند ان بريطانيا كانت تنهب من الهند في السنوات العشر الاولى من القرن الحالى مايزيد عن ١٠ في المائة من اجمالى الناتج القومي . وبالرغم من أن هذه النسبة لاتصور الحقيقة كاملة ، لانها تعتمد فقط على احصائيات الارباح المحولة للخارج دون ان تاخذ في حسبانها اشكال النهب الاستعمارى الاخرى ، فانها مع ذلك تعطينا حقيقة مؤلمة عن الخسارة التي تحملتها الهنـد نتيجة للاستعمار البريطاني . انظر : بول باران ، المرجع الانف الذكر ص ٢٤١ . وايضا الكتاب القيم الذى الفه بيير جالبه « نهب العالم الثالث » ترجمة الهيثم الايوبى وذوقـان قرقوط . دار الكاتب العربي بالقاهرة ـ بدون تاريخ ! وعلى الاخص الفصـل ٢ ، ٣ ، ٦ .

[٤٠] انظر في ذلك : ـ بول باران ، المرجع السـالف الذكر ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨

[٤١] راجع : ـ خالتبارى ، المرجع السـابق الذكر ، ص ٧٧

الاجانب واستقرارهم فى هذه البلاد واستثمارهم رؤوس أموالهم فى انتاج المواد الخام وغيرها ، وحاجتهم الى القوة العاملة المحلية القادرة على العمل المنتج فى مشروعاتهم ، اجبرهم على الاهتمام بمعالجة هذه الامراض واستخدام أحدث منجزات الطب التى تسهم فى هذا المجال . وكان التقدم العلمى الذى حدث فى هذا المجال واسعا فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، حيث اكتشفت المضادات الحيوية ، وتطور الطب الوقائى ، واستخدمت الامصال المضادة للامراض [التطعيم] ، وكثير من الادوية الناجعة فى معالجة الامراض المختلفة [٤٢] . وكان من نتيجة الاستخدام الموسع لهذه المكتشفات العلمية ، حدوث انخفاض فى معدل الوفيات بشكل محسوس فى كثير من الدول المتخلفة [٤٣] . وفى الوقت نفسه لم يتعاصر ذلك مع انخفاض فى معدل المواليد ، مما أدى الى حدوث زيادة ملموسة فى معدل نمو السكان . وقد استمرت هذه الزيادة بصورة مستمرة بعد الحرب العالمية الثانية ، دون ان تقابلها تغيرات محسوسة فى عملية تطوير قوى الانتاج ، نتيجة للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى سادت هذه البلدان . وهنا ظهرت مشكلة الاكتظاظ السكانى وورثت الانظمة الوطنية التى وصلت الى السلطة هذه المشكلة بأبعادها العميقة المتمثلة فى الضغط على وسائل الانتاج والارض والدخل القومى والموارد الغذائية [٤٤] ، وفرص التوظف .

ان الهدف الاساسى من التحليل السابق يتلخص فى النتيجة الهامة الاتية : ان مشكلة السكان الموجودة الان فى الجزء الغالب منبلدان العالم المتخلف لا يجوز اطلاقا تفسيرها فقط بالبحث عن عواملها فى داخل هذه البلاد ، وانما لابد من ربطها بالنظام الرأسمالى العالمى وتغلغله الى هذه البلدان فى صوره المختلفة . انها عملية تاريخية ، ظهرت كنتيجة مباشرة لعمليات نهب وسلب الفائض الاقتصادى لهذه الدول وتجميد نمو هذه البلدان وفرض نوع من الركود المستمر على اقتصادياتها وذلك بهدف ربطها بصورة مقيدة فى فلك النظام الامبريالى .

ليس من المستبهم بعد ذلك ان يصل المرء الى ان العلاج الاساسى لهذه المشكلة انما يتحصل فى القضاء على الاستغلال الاستعمارى لهذه البلاد ، وان تتمكن هذه البلدان من تعبئةفائضها الاقتصادى الفعلى والممكن بصورة حاسمة ودقيقة من أجل ان تتمكن من تطوير قواها المنتجة ، وان تتحول من حالة الركود التى فرضت عليها الى حالة نمودناميكى تتزايد فيه معدلات نمو الناتج والدخل والتوظف . وهنا فقط يمكن القضاء على التناقض بين حالة الركود وزيادة السكان . وليس فى الاشارة الى ذلك ما يستتبع التهوين من شأن رسم وتطبيق سياسة سكانية حكيمةوممكنة تتلائم معالسياسة الاقتصادية وتكملها . وغاية ما يجب التركيز عليه هنا ، هو ان اية جهود تبذل فى مجال السياسة السكانية [كتشجيع الهجرة وتنظيم النسل واستخدام الوسائل الطبية لذلك .. الخ .] سوف يكتب لها الفشل ما لم ترتبط بمنهج واضح ومتكامل يهدفالى تطوير قوى الانتاج وزيادة فعاليتها . ومهما تعالت أصوات المالتسيين الجدد ، وما تتسم به من نزعة تشاؤمية ، وعداء واضح للبشرية ، فسيظل الطريق ، مهما اكتنفه الضباب ، واضحا أمام شعوب البلاد المتخلفة .

---

[٤٢] على سبيل المثال يذكر تقرير لمصلحة الصحة العالمية ان عدد المتوفين بسبب مرض الملاريا قد انخفض فى اعقاب الحرب العالمية الثانية من ٢٥٠ مليونا الى ١٤٠ مليونا . ومن المتوقع القضاء على هذا المرض تماما خلال السنوات القليلة القادمة . انظر خالتبارى ، ص ٧٧ .

[٤٣] لعل الارقام المتعلقة بالهند ومصر تعطى مثلا واضحالذلك . ففى الهند انخفض معدل الوفيات من ٤ر٤٠ فى الالف عام١٩٢١ الى٩ر٢٠فى الالفعام١٩٦١ .اما فىمصر فقدانخفضمعدل الوفيات من ٦ر٢٨ فى عام ١٩٤٥ الى ٢ر١٤ فى عام ١٩٦٧ . انظر فى ذلك الجدول رقم [٨] الوارد فى ملاحق المرجع السالف الذكر مباشرة ص ٢٣٢ ، والكتاب الذى أصدره الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء بمصر :
The increase of population in the UAR and its impact on Development, Cairo 1969, p. 145.

(٤٤) من الثابت احصائيا ان الدول المتخلفة فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية كانت تصدر فى السنوات السابقة للحرب العالمية الثانية المواد الغذائية لدول اوروبا المتقدمة .ثم اصبحت فى السنوات اللاحقة للحرب مستوردة بشكل واضح لهذه المواد . فقد كانت تصدر من قبل ما يقرب من ١١مليون طن من الحبوب سنويا . وفى الفترة ما بين ١٩٤٨ — ١٩٥٢ استوردت هذه البلاد ما يعادل ١٤ مليون طن من الحبوب ، ثم قفز الرقم بعد ذلك الى ٢٥ مليون طن فى عام ١٩٦٤ . وتذهب بعض الاحصاءات التقديرية الى انه من المتوقع ان يصل رقم الواردات من هذه الحبوب الى حوالى ٤٧ مليون طن فى عام ١٩٨٠ . انظر هذه التقديرات فى :
Y. Guzevaty:- «Population problems in developing Countries in International Affairs, 9/1966, p. 54.

وقد اقتبسنا هذه الارقام من كتاب خالتبارى السالف الاشارة ص ١١ ، ١٢ .

تفاقم الصراع من أجل اعادة توزيع الأسواق بين الدول الامبريالية

سعد رهمى

من معاد القول ان نتحدث عما تمخضت عنه الحرب العالمية الثانية منتوازن معينللقوى داخل المعسكر الامبريالى ، ولكننا نكتفى بالتذكير بأنالامبريالية الالمانيةوالامبريالية اليابانيه تم سحقهما ، بينما تدهور مركز كل من فرنسا وايطاليا وبريطانيا ، فى نفس الوقت الذى تدعم فيه مركز الولايات المتحدة الامريكية بشكل صارخ . ونتيجة لهذا الوضع أصبح الدولار هو أساس المعاملات النقدية فى اقتصاديات العالم الرأسمالى .

ولكن الحياة لا تقف هامدة عند موقف معين أو أمام توازن محدد للقوى ، وسرعان ما أخذت الانعكاسات الحتمية لقانون « التطور غير المتوازى للرأسمالية » تفرض نفسها على توازن القوى الذى تمخضت عنه الحرب العالمية الثانية مما أدخل عليه تحولات بعيدة الاثر عميقة المغزى والدلالة .

ولعل أخطر تحول شهدته السنوات الاخيرة هو استعادة أوروبا الغربية لوضعها كمركز الحياة الاقتصادية فى العالم الراسمالى . فبعد أن استفادت اوروبا الغربية من المعونات الامريكية ، وبعد ان كثفت الى أقصى حد من استغلال الجماهير العاملة فى الداخل ، ووسعت الى أبعد درجة من استخدام احتكارية الدولة وامكانياتها لدفع التطور الاقتصادى الى الامام ، تمكنت اوروبا الغربية من التفوق على الولايات المتحدة الامريكية فى معدلات الزيادة فى الانتاج الصناعى حتى وجدنا الانتاج الصناعى لها فى عام ١٩٧١ وقد وصل الى حوالى ٨٥ فى المائة من اجمالى الانتاج الصناعى الامريكى ، بينماكانفى السنوات التى تلت الحرب مباشرة لا يزيد الا بقدر ضئيل عن ٥٠ فى المائة من اجمالى الانتاج الصناعى الامريكى .

أما فى مجال التجارة الخارجية فقد كان تفوق اوروبا الغربية على الولايات المتحدة الامريكية أوسع مدى . ففى عام ١٩٧١كان نصيب أوروبا الغربية من مجموع صادرات العالم الرأسمالى اكبر ثلاث مرات من نصيب الولايات المتحدة

بعض مؤشرات علاقات القوى فى المعسكر الامبريالى

	النسبة المئوية من الانتاج الراسمالى العالمى		النسبة المئوية من صادرات العالم الرأسمالى		احتياطى الذهب [الف مليون دورلار]	
	١٩٤٨	١٩٧١	١٩٤٨	١٩٧١	١٩٤٨	١٩٧١
الولايات المتحدة الامريكية	٥٥ر٨	٤٠ر٤	٢٣ر٤	١٤رــ	٢٤ر٤	١١ر٤
أوروبا الغربية	٣٠ر٤	٣٤ر٣	٣٣ر٢	٥٠رــ	٦ر٧	٦٢ر٥
جمهورية المانيا الفدرالية	٤ر٢	٩ر٧	١ر٥	١٢ر٦	٣رــ	١٧ر٩
بريطانيا	١١ر٩	٧رــ	١١ر٨	٧ر٢	١ر٩	٥ر٩
فرنسا	٤ر٥	٤ر٩	٣ر٩	٦ر٦	٨رــ	٧ر٤
ايطاليا	٢ر٢	٣ر٥	١ر٢	٤ر٩	٥رــ	٦ر٢
اليابان	١ر٣	٩ر٥	٦رــ	٧ر٨	٠١رــ	١٤ر٥

الامريكية ،كما تدعم الموقف المالى لعدد من دول غرب اوروبا بدرجة ملحوظة ٠

وهكذا نرى مدى ما اصاب المركز الاقتصادى لالمانيا الغربية من تدعيم ، فقد تحولت خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة الى ثانية دول العالم الرأسمالى سواء فى الانتاج الصناعى او فى حجم التجارة الخارجية ، كما احتلت المركز الاول بين الدول الرأسمالية من ناحية حجم احتياطى الذهب ٠ كذلك تدعمت مراكز عدد من البلدان الراسمالية الاخرى ٠ مثل فرنسا وايطاليا ، وكذلك بلجيكا وهولندا والسويد وسويسرا ٠

والملاحظ ان مركز بريطانيا قد تدهور بشكل ملحوظ وبالرغم من انها ما زالت تحتفظ بنوع من العلاقات الاقتصادية الوثيقة مع مناطق نفوذها ومستعمراتها السابقة ، وما زالت تمثل مركزا ماليا كبيرا للرأسمالية ، الا ان النفقات العسكرية الباهظة ، والتصدير الكبير لراس المال ، والاختلال المزمن فى ميزان المدفوعات انتهت ببريطانيا الى التخلف وراء الدول الراسمالية المنافسة لها سواء فى معدلات التنمية الاقتصادية او فى نصيبها فى اقتصاديات العالم الرأسمالى بشكل عام ٠

ومن احطر التطورات التى سجلتها السنوات الاخيرة ذلك الدعم البالغ الاهمية والضخامة لمركز اليابان التى تمكنت بفضل ما تحت أيديها من احتياطى الايدى العاملة الرخيصة ، وما تقوم به من استخدام واسع النطاق ومركز لنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية ٠واستفادة كامله من امكانيات احتكارية الدولة ، وبعض الانفاق المنخفض نسبيا على الاغراض العسكرية ، تمكنت بفضل كل ذلك من أن تقفز قفزة هائلة بمعدلات انتاجها الصناعى وتجارتها الخارجية ٠ وتشغل اليابان فى الوقت الراهن المركز الثالث فى العالم من حيث حجم الانتاج الصناعى والصادرات والمركز التانى فى العالم من حيث قيمة العملة الذهبية واحتياطى الذهب ٠

اما بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية فهى ما زالت اكبر بلدان العالم الرأسمالى من الناحية الصناعية أو العلمية او التكنيكية او العسكرية ، كما أنها تتفوق على منافساتها من الدول الرأسمالية فى تصدير رأس المال ٠ وعلى اى الاحوال فقد أخذ الاساس المادى لادعاءات الامبريالية الامريكية بالسيطرة والهيمنة داخل مجموعة البلدان الرأسمالية فى التداعى بعد ان انخفض نصيبها فى اقتصاديات العالم الرأسمالى فى الفترة من ١٩٤٨ الى ١٩٧١ بمقدار الربع فى اجمالى الانتاج الصناعى وبمقدار الثلث فى حجم الصادرات ٠ اما مركز الولايات المتحدة فى مجال النقد فقد تعرض لهزات عنيفة نتيجة لسباق التسلح والعدوان فى الهند الصينية والمعونات والمساعدات التى تقدم لاسرائيل والتصدير الواسع النطاق لرأس المال وغير ذلك من الاسباب ٠

وفى شهر ديسمبر ١٩٧١ انخفضت قيمة الدولار لاول مرة منذ عام ١٩٣٤ فى نفس الوقت الذى احتفظت فيه العملات الاخرى بقيمتها الذهبية او زادت قيمتها الذهبية وذلك وفقا للاتفاقية الخاصة المبرمة بين الدول الراسمالية العشر ٠ وقد كانت التغييرات التى طرآت اخيرا على سعر صرف

الجنيه خرقا لهذه الاتفاقية ، مما أدى الى بروز المشكلة الملحة الخاصة باصلاح النظام النقدى الرأسمالى وتحريره من سيطرة الدولار المترنح ، بشكل اكثر حدة من أى وقت مضى •

ماذا وراء التكامل الرأسمالى ؟

شهدت السنوات الاخيرة اتجاها متزايدا نحو التقارب بين البلدان الامبريالية • ولكن التكامل الرأسمالى ، وبالرغم من ذلك ، لا يؤدى الا الى المزيد من التطور غير المتوازى لمجموعات خاصة من رأس المال النقدى ، ولعدد معين من البلدان الرأسمالية ، كما يؤدى الى تفاقم الصراع بين الدول الامبريالية والى ظهور أشكال جديدة من الصراع من أجل اعادة تقسيم الاسواق • ولعل اهم ما يشغل بال دعاة هذا التقارب هو اقامة كتل مغلقة من البلدان الامبريالية على أساس تطوير أشكال تكامل احتكارية الدولة ، وكانت أهم هذه الكتل هى المجموعة الاقتصادية الاوروبية التى وقعت المعاهدة الخاصة بها فى عام ١٩٥٨ ، والتى انضم الى عضويتها كل من جمهورية المانيا الفيدرالية وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندا والدانيمارك ولوكسمبورج •

وبالرغم من العديد من التناقضات الداخلية الحادة أزالت دول السوق الاوربية المشتركة الستة الرسوم الجمركية والقيود على التجارة المتبادلة فيما بينها وخلقت ظروفا أكثر ملاءمة لسيولة حركة القوى العاملة ورأس المال ، واتخذت عددا من الاجراءات المشتركة لتحديد الاسعار فى الداخل وللحد من الاستيراد وتمويل الصادرات الزراعية • أما بالنسبة للبلدان الاخرى فقد اتخذت دول السوق المشتركة عددا من الاجراءات الوقائية • وعلى هذا النحو أخذت دول المجموعة الاقتصادية الاوروبية تواجه العالم كمجموعة تجارية متحدة ، مما أدى الى المزيد من التمييز فى المعاملة بينها وبين الدول الاخرى ، والى اقامة المزيد من السدود والقيود امام تجارة هذه الدول داخل بلدان السوق المشتركة • وينطبق هذا الوضع بشكل خاص على المنتجات الزراعية •

وفى نفس الوقت أخذت السوق المشتركة تجر الى فلكها عددا من البلدان الافريقية ومنطقة البحر المتوسط ، وأبرمت معها نوعا من الاتفاقيات الخاصة بالانتساب الى السوق أو اقامة علاقات التفضيل المتبادل معها •

وعلى هذا النحو أخذت كتلة جديدة وقوية تتشكل داخل العالم الرأسمالى ، وهى كتلة تتعامل فيما يزيد على ثلث تجارة العالم الرأسمالى

ومن الطبيعى أن تثير عملية اعادة تقسيم الاسواق التى بدأتها المجموعة الاقتصادية الاوربية مقاومة الدول الرأسمالية الاخرى • وهكذا نرى بريطانيا وقد شنت هجوما حادا ومركزا على السوق المشتركة ، وكانت خطوتها الرئيسية فى هذا الاتجاه فى اقامة « اتحاد التجارة الحرة الاوروبى » CEFTA فى عام ١٩٦٠ •

ويختلف هذا التجمع الجديد الذى يضم السويد والدانيمارك والنرويج وسويسرا والنمسا والبرتغال وايسلندا (منذ ١٩٧٠) الى جانب بريطانيا ، يختلف عن السوق المشتركة فى كثير من التفاصيل • ومع ذلك فالفكرة الرئيسية وراء هذا التجمع هى نفس الفكرة الرئيسية وراء السوق المشتركة وهى ازالة القيود والرسوم الجمركية بين الدول الاعضاء ، ومن ثم النزول بقدرة البلدان الاخرى على منافستها الى أدنى حد ممكن • وكان الهدف من اقامة هذه الكتلة المتميزة الجديدة هو اجبار البلدان المنضمة الى السوق المشتركة على الموافقة على التوصل الى تسوية خاصة حول الرسوم الجمركية بين الكتلتين •

وهكذا يشهد العالم الرأسمالى مرة أخرى مولد كتلة تجارية جديدة تضم عددا من البلدان التى تساهم بما لا يقل عن ١٦ فى المائة من مجموع حجم التجارة الدولية للعالم الرأسمالى • ولكن الواقع ان هذه الكتلة الجديدة فشلت فى تحقيق أهدافها ، وبالرغم من الجهود الهائلة التى بذلتها فقد عجزت عن اجبار السوق المشتركة على الموافقة على ازالة الحواجز الجمركية فى التجارة بين الكتلتين •

ولقد أدت خيبة أمل بريطانيا فى الكتلة الجديدة ، وتدهور أهمية علاقاتها التجارية بمستعمراتها السابقة فى السنوات العشر الماضية ، وتخلف معدلات التنمية الاقتصادية بها بالنسبة لدول مثل جمهورية المانيا الفيدرالية وفرنسا وايطاليا ، الى جانب ما سجله معدل التطور الاقتصادى للبلدان المنضمة للسوق المشتركة من تقدم واتساع مجالات تأثيرها ، أدت كل هذه العوامل الى اجبار بريطانيا على تغيير موقفها . وفى عام ١٩٧٠ رأيناها تستأنف المحادثات مع السوق المشتركة مطالبة بالانضمام اليها ، كما دخلت كل من الدانيمارك والنرويج وايرلندا فى محادثات مماثلة لنفس الغرض ، فى

نفس الوقت الذى أخذت عديد من الدول الاخرى التى سبق ان انضمت الى بريطانيا فى موقفها من السوق المشتركة الى البحث عن الاشكال الممكنة للارتباط بهذه السوق .

وخلال المناقشات والمساومات التى دارت بين بريطانيا وبين السوق ، أجبرت بريطانيا على قبول السياسة الزراعية للسوق وعلى التخلى عن وضعها الممتاز فى أسواق الكومنولث وفى دول المجموعة التى سعت الى تكوينها من قبل لمواجهة السوق المشتركة ، كما ارتبطت أيضا بعدد من الالتزامات التى أضافت أعباء جديدة على كاهل الجماهير العاملة البريطانية • وعلى كل حال فقد فتحت أبواب السوق المشتركة والبلدان المرتبطة بها أمام الاحتكارات البريطانية •

وابتداء من أول يناير ١٩٧٣ تدخل اتفاقيـــة دخول بريطانيا السوق المشتركة مرحلة التنفيذ ، كما ستدخلها أيضا كل من أيرلندا والدانيمارك والنرويج • وبعد مناقشات دامت زهاء الستة أشهر وقعت باقي دول « اتحاد التجارة الحرة الاوروبى » اتفاقية مع السوق الاوروبية المشتركة لاقامة منطقة للتجارة الحرة فى السلع الصناعية لمدة تمتد من ١٩٧٣ حتى ١٩٧٧ . وهكذا سقط « اتحاد التجارة الحرة الاوروبى ، صريعاأمام عزيمة الاقوى •

ومهمايكن الامر فكل هذهالتطورات لا تعنى أن الصراع قدانتهى ،وانما كل ما حدث هو أنه انتقل الىداخل السوق المشتركة التىاتسعت صفوفها• فاعادة توزيع الاسواق من جديد فى أوروبــا الغربية ، والذى يعمق من عمليات التمييز والتكتل فى التجارة الدولية ، لا يمكن الا أن يؤثر فى مصالح الدول الكبرى الاخرى فى العــالم الرأسمالى والتى لا يمكن أن تقف مكتوفة الايدى ، وانما ستلجأ حتما الى اتخاذ تدابيرها الانتقامية.

الولايـــات المتحـــــــدة

فى المعركة من أجل الاسواق

اعتمدت الولايات المتحدة فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية على تصدير رأس المال كوسيلة أساسية لاعادة تقسيم العالم من الناحية الاقتصادية . وقـد تمكنت الولايات المتحدة عن طريق ما يزيد على ٧٨٫٠٠٠ مليون من الدولارات من الاستثمارات الرأسمالية المباشرة ، وما يزيد على ٢٣٫٠٠٠ شركة خاضعة لسيطرتها فى الخارج (بما فيها ما يزيد على ٨٫٠٠٠ فرع منتج لهذه الشركات) من ان تضرب برأسمالها الى أعماق الحياة الاقتصادية فى الاغلبية الساحقة من بلدان العالم الرأسمالى بما فيها أكثر هذه البلدان منافسة للولايات المتحدة • وقد تخطت حصيلة المشروعات الاجنبية ، التى يسيطر عليها كبار أقطاب الاقتصاد الامريكى ضعف حجم التجارة الخارجية الامريكية كلها ، ورغم ذلك لم يؤد قيام هذه « الامبراطورية الخفية » فى أوائل السبعينات الى حل مشكلة الاسواق بالنسبة للامبريالية الامريكية ، وانما على العكس من ذلك ، فاقمت من حدة التناقضات والتناحر من أجل الاسواق •

وكان التبادل الضخم للسلع والمنتجات بين المؤسسات التابعة لرأس المال الامريكى أو التى يشارك فيها ، والواقعةفى مختلف البلدان ، يقتضى اتباع الحكومة الامريكية لسياسة محددة تهدف الى خفض الرسوم الجمركية وتخفيف القيود فى مجال التجارة الرأسمالية الدولية • ولكن هذا الموقف أدى بالضرورة الى اضعاف الاجراءات الوقائية والحماية الجمركية من جانب الولايات المتحدة بالنسبة لمنتجاتها ، الامر الذى أفضى بدوره الى تعميق حدة المنافسة الاجنبية للسلع الامريكية داخل سوق الولايات المتحدة ذاتها ، مع ما أدى اليه من ضربات فادحة للمجموعات المالية الامريكية التى تستمد ارباحها أساسا من السوق المحلية أو من الصادرات التجارية العادية •

وقد تمخض هذا الموقف المشحون بكل هذه التفاصيل المتشابكة والمتناقضات عن تزايد الاندفاع نحو اتخاذ الاجراءات الوقائية فى الولايات المتحدة ، فى نفس الوقت الذى واصل فيه التصدير الواسع المدى لرأس المال تعميقه للمصاعب الاقتصادية والمالية للبلاد • وهكذا بلغت العلاقات بين الولايات المتحدة والسوق المشتركة درجة فائقة الحدة •

والواقع أن الولايات المتحدة كانت تؤيد السوق الاوروبية المشتركة عند قيامها ، وكانت تعتبرها القاعدة المادية لتوحيد اوروبا الغربية على أساس معاداة الشـيوعية . وقـد وصـل مجمـوع

الاستثمارات الامريكية فى بلدان السوق الاوروبية المشتركة فى الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٧٠ الى ما يزيد على ١٢٫٠٠٠ مليون دولار ، أى ما يوازى خمسة أضعاف هذه الاستثمارات عند بدء اقامة السوق ، كما وصلت حصيلة المشروعات والاستثمارات الامريكية فى هذه السوق فى عام ١٩٦٨ الى مبلغ يزيد ٣ر٢ مرة عن اجمالى حصيلة تصدير السلع الامريكية الى هذه المنطقة :

وفى عام ١٩٦٧ ، وبمبادرة من الولايات المتحدة الامريكية ، تم التوصل الى اتفاقية فى نطاق منظمة **الجات** (الاتفاقية العامة للرسوم الجمركية والتجارة) حول خفض الرسوم الجمركية بين الدول الاعضاء خلال الفترة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٢ ، بما فى ذلك الرسوم الخاصة بالسوق المشتركة ، بمقدار الثلث • وقد انتهى العمل باحكام هذه الاتفاقية فى منتصف العام الجارى •

ولكن كل هذه الاجراءات لم تعد كافية ، وقد واصلت واشنطون جهودها المحمومة باصرار من أجل دفع السوق المشتركة الى التخفيف من القيود الواردة فى سياستها الزراعية والى الكف عن ابرام المعاهدات الثنائية مع بعض البلدان على حدة ، وراحت تطالب بأن تناقش منظمة الجات على وجه السرعة مسالة توسيع السوق المشتركة ووقف المفاوضات بين السوق وسائر بلدان « اتحاد التجارة الحرة الاوروبى » •

ولكن دول السوق المشتركة لم تكن فى عجلة من أمرها للدخول فى تنازلات متبادلة مع الولايات المتحدة ، وان كانت جمهورية ألمانيا الفيدرالية وغيرها من بلدان السوق المشتركة قد أقدمت فى شهر ديسمبر ١٩٧١ على تخفيض أسعار عملتها ، وان كانت دول السوق قدوافقت بالفعل على تقديم بعض التنازلات فى سياستها الزراعية ، وان كانت ضئيلة ، الا ان هذا لا يعنى أن الامور قد استقرت بالنسبة للامبريالية الامريكية •

ففى نفس الوقت الذى لاحت فيه هذه البوادر أجبرت السوق المشتركة ، بالاشتراك مع اليابان ، اجبرت الولايات المتحدة على أن تقدم على خفض سعر الدولار ، ثم وافقت السوق المشتركة على الاشتراك فى المحادثات داخل منظمة الجات ، ولكن بشرط ان تجرى هذه المحادثات فى عام ١٩٧٣ ، أى عندما يصبح التوسع الجديد للسوق قدتحول الى أمر واقع ، كما رفضت السوق المشتركة اعتراضات الولايات المتحدة حول التفاوض مع باقى الدول الاوروبية المنضمة الى « اتحاد التجارة الحرة الاوروبى » • كذلك طالبت السوق المشتركة واشنطون أن تكف عن اجراءاتها الوقائية الجديدة وأن تقر بمبدأ التنازلات المتبادلة ، كما تزايدت المطالبة داخل دول السوق المشتركة بالحد من نشاط فروع المؤسسات الامريكية • وهكذا دخلت الولايات المتحدة الامريكية والسوق الاوروبية المشتركة مرحلة جديدة من الصراع التجارى والاقتصادى السافر •

المنافسة اليابانية

وبينما يشهد العالم الرأسمالى فى الغرب هذه التطورات الحادة ، اذا باستعادة اليابان لمركزها كمنافس قوى فى السوق الرأسمالية العالمية يلقى بثقله على الدول الرأسمالية جميعا ، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، والقضية الهامة فى هذا الصدد ليست هى مجرد تفاقم حدة الصراع فى اسواق جنوب شرقى آسيا وامريكا اللاتينية وحتى فى غرب أوروبا وغيرها من البلدان ، وانما الاهم من ذلك هو أن الاحتكارات اليابانية حولت السوق الامريكية نفسها الى هدف لتوسعها • وخلال الستينات تضاعف نصيب اليابان فى واردات الولايات المتحدة حتى بلغت قيمته حوالى ١٦ فى المائة من اجمالى قيمة الواردات الامريكية •

وعملا على اضعاف التوسع اليابانى بدأت الولايات المتحدة منذ أوائل الستينات فى الحصول من اليابان على ضمانات بفرض قيود « اختيارية » على صادراتها الى السوق الامريكية • وفى العام الماضى طالبت الولايات المتحدة بخفض سعر الين ، وبأن تزيد اليابان من نفقاتها العسكرية وطالبتها بشكل خاص بأن تتحمل نفقات القواعد الامريكية فى أراضيها • كما طالبتها كذلك بالحد من القيود التى تفرضها على رأس المال الاجنبى المصدر اليها وبخفض الرسوم الجمركية على بعض المنتجات والسلع الامريكية • ويقال أن أحد أهداف السياسة الامريكية الجديدة تجاه الصين هو محاولة كبح جماح اليابان •

وحتى الان مازالت اليابان تتصرف على نحو يشعر معه المراقبون أنها تخشى أن تدفع الامور الى نقطة الحرب التجارية السافرة ، ولهذا نجدها طوال الستينات ، وان كان من خلال مقاومة عنيدة ،

توافق على تقييد تصدير المعادن الحديدية والمصنوعات القطنية الى الولايات المتحدة ، كما نجدها توافق فى عام ١٩٧١ على تقييد تصدير سائر أنواع الاقمشة اليابانية . وفى شهر ديسمبر ١٩٧١ أقدمت اليابان على خفض سعر عملتها •

وفى أوائل عام ١٩٧٢ وافقت اليابان على خفض الرسوم الجمركية بمقدار ١٠ فى المائة على بعض أنواع الادوات والمنتجات الزراعية الامريكية ، كما خففت من القيود على رأس المال الاجنبى المصدر اليها • ولكن اليابان رفضت فى نفس الوقت المطالب الخاصة بزيادة الانفاق على الاغراض العسكرية أو تحمل نفقات القواعد العسكرية الامريكية ، كما رفضت أيضا المطالب الخاصة بفرض القيود « الاختيارية » على تصدير عدد من السلع التى اعتادت تصديرها الى الولايات المتحدة الامريكية ، وقد لعب موقف اليابان دورا هاما فى اجبار الولايات المتحدة الامريكية على اتخاذ قرارها بخفض سعر الدولار •.

ويعلق دعاة الايديولوجية الامبريالية آمالهم فى الوقت الراهن على المفاوضات المزمع اجراؤها هذا العام بهدف اصلاح النظام النقدى الرأسمالى . ولكن مهما كانت النتائج التى ستتمخض عنها مثل هذه المفاوضات فمن الواضح أن الصراع من أجل اعادة توزيع الاسواق ومناطق النفوذ فى ظل توازن القوى السائد حاليا داخل العالم الرأسمالى لن يؤدى الا الى المزيد من التناقض بين الدول الامبريالية التى تعيش جميعا فى أسر نظامها الاجتماعى الذى تشرف شمسه على المغيب •

ولا شك أن مشكلة الاسواق بالنسبة للدول الامبريالية تزداد حدة وتفاقما فى ظل أوضاع دولية تتميز بتحول الاشتراكية الى قوة حاسمة فى التطور التاريخى المعاصر ، مما يجبر البلدان الرأسمالية على اقامة علاقات جديدة للتعاون مع الدول الاشتراكية •

• جمهورية مصر العربية •

الصداقة والتعاون الشامل

بين الاتحاد السوفيتى ومصر

• سوريا •

ملامح الدستور الجديد

• اكرا •

لجنة التحرير تضع

استراتيجية جديدة

• فيتنام •

رحلة كيسنجر لهانوى وبكين

وتعميق خلافات

المعسكر الاشتراكى



■■

تقارير خاصة :

• خفض قيمة الدولار ... وانهيار النظام النقدى

• الشعب القبرصى يهزم مؤامرة حلف الاطلنطى واسرائيل

• شبح أزمة الطاقة يهدد امريكا

اتحاد الجمهوريات العربية

التنسيق من أجل المعركة

شهدت القاهرة فى مستهل شهر فبراير الماضى ــ لقاء الرؤساء السادات والاسد والقذافى فى الدورة السادسة لمجلس الرئاسة لاتحاد الجمهوريات العربية المتحدة .

وفى تصريح للسيد محمد احمد أمين سر الاتحاد، اعلن ان المجلس خصص اجتماعاته فى هذه الدورة لبحث ومناقشة موضوع واحد هو المعركة .

وبالرغم من ان الصحف كانت قد نشرت تقارير عن الموضوعات المعدة للعرض على دورة المجلس ــ وكلها مسائل خاصة ببناء مؤسسات الاتحاد مثل انشاء مجلس أعلى للاتحاد، يكون بمثابة هيئة استشارية لمجلس الرئاسة ومذكرة بتوسيع الحكومة الاتحادية بانشاء وزارات جديدة وتوسيع اختصاصات الوزراء ، وسبعة مشروعات أخرى من بينها مشروع بانشاء مؤسسة اتحادية للتنمية الزراعية وانشاء شركة لاعادة التأمين وأخرى للمقاولات .

بالرغم من هذا فان الظروف التى عقدت فيها دورة المجلس جعلت الرؤساء « يركزون فى مناقشاتهم التفصيلية على التنسيق للمعركة المحتم قيامها لتحقيق اهداف دولة الاتحاد فى استرداد الارض المحتلة وطرد العدو الصهيونى الغاصب» .

لقد عقدت هذه الدورة بعد أيام قليلة من انتهاء اجتماعات مجلس الدفاع العربى المشكل من وزراء الدفاع والخارجية للبلدان العربية والذى وافق بالاجماع على التصور الذى قدمه الفريق اول أحمد اسماعيل وزير الحربية المصرية والقائد العام للجبهات الثلاثة فى تقريره للمجلس . وترك المجلس لكل دولة عربية تحديد الواجبات المطلوبة منها وفق الامكانيات المتاحة ، وأبدت الاردن فى اجتماع مجلس الدفاع استعدادها لاحياء الجبهة الشرقية وامكانية عودة القوات العربية والمقاومة الى الساحة الاردنية .

ومن هنا كانت قضية الجبهة الشرقية اهم القضايا الحية التى أثيرت فى اجتماعات مجلس الرئاسة وتركز عليها الاهتمام نظرا لان انضمامها الى الجبهة المصرية والسورية يشكل بعدا استراتيجيا له وزنه وفاعليته على مستوى معركة مضمونة النتائج مع العدو لصالح الحق العربى .

وسرعان ما أعلن الملك حسين قبل سفره الى أمريكا لاجراء مباحثات مع نيكسون ــ عن شروطه لاحياء الجبهة الشرقية .

وكتب (اريك مارسون) مراسل التايمز البريطانية فى القدس ــ ان اسرائيل اعتبرت موافقة الملك حسين على الانضمام للجبهة الشرقية ضد اسرائيل كانت مجرد حركة سياسية للحصول على التأييد والمساندة، وان فرصة التحقيق العملى لانضمام الملك حسين الى الجبهة الشرقية ضئيلة الى حد بعيد .

ومن ناحية أخرى فان الدورة السادسة لمجلس رئاسة الاتحاد قد عقدت فى ظروف تحرك سياسى مصرى وعالمى واسع من اجل أزمة الشرق الاوسط فالى جانب رحلة الملك حسين الى واشنطن ومباحثاته مع نيكسون والتى وصفها مراسل الجارديان البريطانية فى القدس نقلا عن المصادر الاسرائيلية بأنها بداية لموسم الحلول السلمية ــ هناك التحرك الاوروبى وزيارة وزير خارجية ايطاليا للمنطقة وهناك التحرك المصرى الواسع والذى تمثل فى زيارة السيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات لشئون الامن القومى لكل من موسكو ولندن وواشنطون .

● مجلس الشعب :

ميزانية للمعركة ..
خطوة جديدة
على طريق المواجهة

فى تقديمه لموازنة المعركة ، اكد الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء حقيقتين اساسيتين ، يتعين وضعهما نصب اعيننا وعدم نسيانهما فى كافة نشاطاتنا ، وخططنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهاتين الحقيقتين هما :

● ان طريق الحل السلمى اصبح مسدودا تماما الا بشروط اسرائيل ، وبما يحقق اهدافها التى لم تنجح حتى الان ورغم الهزيمة فى فرضها .

● ان مصر لن تقبل الاستسلام ولن ترضى بالتفريط فى شبر واحد من الارض .

ومن ثم فالقرار الوحيد الممكن هو المعركة ، الامر الذى يستلزم البدء فورا فى تعبئة كافة

الموارد والجهود لتحقيق النصر فيها . لذلك أعدت الحكومه موازنة المعركه - رغم ان الموازنه العادية لسنة ١٩٧٣ طرحت وأقرت فى ديسمبر الماضى .

وتهدف الموازنة الجديدة الى تحقيق عدةاهداف أهمها :

● توفير المتطلبات المتزايدة للقوات المسلحة فى حاله نشوب القتال ، وتمويل احتياجات الامن القومى .

● مواجهة الاوضاع الناشئة عن القتال كالتهجير والنقل والخدمات الصحية .

● توفير احتياطيات للطوارىء ولسد النقص والعجز الذى قد ينجم عن تعطيل بعض القطاعات المنتجه .

● وضع ضوابط للاستهلاك - خاصة الجماعى - ليتفق مع حالة الحرب واقتصاد الحرب

● مراجعة سياسة الانتاج وتطويرها بما يكفل سد حاجات المعركة وتوفير مستلزماتها .

وتحقيقا لهذا روجعت ميزانيه ١٩٧٣ وخطة الاستثمار بهدفين أساسيين :

■ ضغط الانفاق الجارى والاستثمارى وترشيده ، للتوفير وزيادة الفاعلية وضمان الاولوية لاحتياجات القتال .

■ تدبير موارد اضافية وتعبئة مصادر لم تكن تسهم أصلا فىالاعباء الجماعية ، أو كان اسهامها قليلا لا يتفق مع حجمها .

واستقر الرأى على تخفيض الاستثمارات التى كانت الموازنة العادية لعام ١٩٧٣ تقدرها بنحو ٥٠٠ مليون جنيه ، وترشيد الانفاق الجارى ، واتخاذ قرارات جديدة لتدبير موارد اضافية . وفى هذا أعلن وزير الخزانة انه «أجريتدراسات لمختلف فئات المجتمع وشرائح دخول الافراد ، ليسهم أصحاب الدخول الطفيلية والمتهربة فى المعركة » .

ولخفض الاستثمارات فى القطاع العام تم الاتفاق على :

● مد آجال تنفيذ المشروعات طويلة الاجل والتى لن تعطى انتاجا أو تحقق عائدا فى ١٩٧٣ .

● الوقف الكلى أو الجزئى لبعض المشروعات التى لا تؤثر على المعركة مباشرة .

● عدم المساس بالاستثمارات الموجهة للمشروعات والمراحل التى تعمل بالانتاج والتى أوشك التنفيذ بها على الانتهاء ، والتى تخدم المعركة .

وفى الزراعة تقرر وقف المشروعات التى يمكن وقفها بأقلتأثير على الانتاج . أما فى مجال ترشيد الانفاق الجارى ، فقد تقرر بذل عناية خاصة بالمنفق على المستلزمات السلعية ، والاستفادة الى أقصى حد من المخزون السلعى ، ورفع معدل الاداء وربط الحوافز والمنح والارباح بذلك ، والاستفادة من فائض العمالة فى بعض القطاعات .واعادة النظر فى معايير منح المكافآت ومراجعة المزايا العينية ، وخفض الانفاق ذى الطبيعة الخدمية بتقليل اعتمادات النشر والدعاية والاستقبال وبدل السفر ومصروفات الانتقال والاعياد والمواسم والمعارض والمتاحف .

كما أكد رئيس الوزراء فى بيان موازنة المعركة مسألتين أساسيتين هما :

● تأجيل النظر فى اى مطالب جديدة خاصة بزيادة الاجور ، وكان بعض اعضاء مجلس الشعب قد طالبوا فى مناقشتهم لموازنة ١٩٧٣ العادية ، بزيادة أجور فئات متعددة .

● تدبير موارد جديدة تتصف بالشمول بحيث تساهم فيهاجميع الطاقات ،على انيتناسبالعبء مع مستوى الدخل . وأكد رئيس الوزراء أن الاجراءات قد اعدت ليسهم ذوو الدخول الطفيلية والثروات الكبيرة بنصيبهم فى المعركة .

وقد وافق مجلس الشعب بعد مناقشته لموازنة المعركة ، على مشروع قانون لجنة الخطة والميزانية ، الذى ينص على تفويض رئيس الجمهورية فى اصدار قرارات ميزانية الحرب ، وذلك لمواجهة الاجراءات العاجلة والاستثنائية التى تقتضيها ظروف الحرب وسرعة البت واتخاذ القرارات . كما نص مشروع القانون على ان التفويض فى فرض أو زيادة الضرائب والرسوم لدعم المجهود الحربى ، لا يسرى الا عند نشوب القتال فعلا ، وضرورة عرض الاجراءات الخاصة بالضرائب على مجلس الشعب فى دورته القائمة فور نفاذها والا ففى أول اجتماع لاول دور انعقاد ، فاذا لم يقرها زال ماكان لها من قوة القانون وبقيت نافذة بالنسبة للمدة السابقة .

واكد التقرير الذى قدمته لجنة الميزانية والخطة حول بيان رئيس الوزراء ، على أن أى اجراءات اقتصـــادية يجب الا يترتب عليهـا اى مساس بالدخول الصغيرة ، خاصة الناشئة عن العمل ، وأن يراعى التدرج بالنسبة للدخول الاخرى تحقيقا للعدالة فى توزيع اعباء المعركة ، وأن المجلس على استعداد لان ينظر فى أى ضرائب أو رسوم تتقدم بها الحكومة بحيث تمتد الى الثروات الكبيرة والدخول الطفيلية . وطالب التقرير بأن ضغط الانفاق الاستثمارى يجب الايشملقطاعات الانتاج كالزراعـــة والصـــناعة ، وضرورة تخطيط الاستهلاك لتوازن القوة الشرائية المتاحة مـع كميات الســلع المتوافـرة بمـا يحقق استقرار الاسعار .

وعندما تساءل أحد أعضـــاء مجلس الشعب ـ أثناء مناقشة موازنة المعركة ـ عـن السبب فى اصدار موازنة جديدة بعد شهر واحد من موافقة المجلسعلىميزانية ٧٣ ، رد عليه وزير الخزانة ، بأن ميزانية ٧٣ تضمنت اجـراءات اقتصادية لم تتخذ خلال الســنوات الخمس الماضية ، وكانت تصعيدا لــلارقام الخـاصة بالمعركة . وأن الميزانية الجديدة ليست الا تدعيما أكثر للاعداد للحرب ، وهى مدعمة لميزانية ٧٣ . وحول هذا الموضوع قال بيان لجنـة الخطـة والموازنة : انميزانيةالمعركة ليست ميزانية جديدة منقطعة الصلة بالميزانة العامة للدولة التى سبق للمجلس أن أقرها ، والتى عنيت بتوفير الاعتمادات اللازمة لخدمة ودعم متطلبات القوات المسلحة والامن القومى . ولكننا ندخل بهذه الميزانية نفسها مرحلة أكثر تقدما فى نضالنا من أجل تحرير الارض ، مرحلة اصبحت فيها المعركة وشيكه.وقد يفرض القتال علينا فى أى وقت ، فيجب أن تعطى لها الصيغة التى تمكنها من مواجهه المتطلبات السريعة والمتطورة التى يفرضها الاســتعداد للقتال .

●

الصـــداقة والتعاون الشـــامل بين الاتحاد السوفيتى ومصر

قام **حافظ اسماعيل** مستشار رئيس الجمهورية لشئون الامن القومى والدكتور **حافظ غانم** عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى بزيارة الى موسكو فى الفترة من ٧ ــ ١٠ فبراير ، بدعوة من حكومة الاتحاد السوفيتى ، لاجراء محادثات



مسئولية الضمـــير الوطنى والقومى : احباط المخطط

الى جانب كل ماتثيره الجريمة البشعة الاسرائيلية بضربطائرة الركاب المدنية الليبية ، من احساس عميق بالحزن والالم والغضب معا ، ينبغى الا يغيب عنا الظروف المحيطةبهذه الجريمة والتى تضفى عليها دلالات هامة تستحق ان يقف ضميرنا الوطنى امامها بكل عناية تستصرخه .

● ففى نفس اليوم الذى ارتكبت فيه اسرائيل جريمتهاالبشعة هذه ، اقدمت بعدها بساعات قليلة على « غزو » اراضى لبنان برا وبحرا وجوا لتضرب بشراسة فى مخيماتالفلسطينيين وقواعد المقاومة الفلسطينية .

وتريد اسرائيل بذلك ان تقول ــ عمليا ــ بقدرتها على« الارهاب الشامل » وعلى كل الجبهات ــ من الجنوب فى سيناء وحتى الشمال فى لبنان ــ سواء ضد الدوائر المدنيةأو الدوائر العسكرية . لتروج آخر الامر لمفهوم « الا أمل فى المقاومة » ، الذى تسعى لتسويده على « المزاج العام »العربى .

● اقدمت اسرائيل على جريمة ضرب الطائرة المدنية ، فىنفس الوقت الذى تنشط فيه الدوائر العربية وغير العربية ، فى محاولة « للاقتراب البطىء » من تلمس فرص ايجاد حللتنفيذ قرار مجلس الامن الخاص بمشكلة الشرق الاوسط ، الذى عوقت اسرائيل الولايات المتحدة » تنفيذه بكل الطرق .

بذلك تكون اسرائيل ــ بتحد صـــارخ وعملى ــ قد فتحتالنيران على هذه المحاولات . مما يعنى انها تصعد الموقف العام المتازم من جهة بل وتضرب كل محاولة لمجرد « الاقترابالبطىء » لتملس فرص ايجاد حل من جهة أخرى . وترجمة ذلك كله ــ آخر الامر ــ انها مصرة على فرض الامر الواقعالحالى : احتلال الاراضى العربية .

وتريد اسرائيل ان تقول للعالم كله ــ بما فيه أمريكا ــأنه « لاشىء » يمكن أن يمر دون « موافقتها » وهى فى سبيل ذلك ، مستعدة لان تمارس « القوة » فى كل أشكالها بل وفىابشع اشكالها . و « القوة » فى العرف الاسرائيلى «ممارسة» تخرج بالضرورة من حدود « التهديد » الى « الممارسة »الفعلية .

● تمت « الجريمة » الاسرائيلية الجديدة ، فى اعقاب عددمن التصريحات السياسية للمسئولين الاسرائيليين ، تدور جميعها حول ما يمكن تسميته « بالحدود الجديدة » لاسرائيلوكان أبرز هذه التصريحات ، حديث جولدا مائير رئيسة

مع القادة السوفيت تتعلق بالوضع فى منطقة الشرق الاوسط ، واحتمالات المستقبل .

وقد بدأ **حافظ اسماعيل** محادثاته مع **اندريه جروميكو** وزير الخارجية السوفيتى فور وصوله الى موسكو ، حضرها من الجانب المصرى الدكتور حافظ غانم **ويحيى عبد القادر** سفير مصر فى موسكو ، وعن الجانب السوفيتى **فاسيلى كوزنتسوف** نائب وزير الخارجية ومدير ادارة الشرق الاوسط فى وزارة الخارجية وسفير الاتحاد السوفيتى فى القاهرة ، وتم خلال الاجتماعات عرض وجهتى النظر المصرية والسوفيتية بشأن الموقف فى الشرق الاوسط واحتمالات المستقبل .

ثم عقد **حافظ اسماعيل** بعد ذلك اجتماعا مطولا مع **ليونيد بريجنيف** سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى استغرق خمس ساعات سلمه خلاله رسالة خاصة **من الرئيس انور السادات** . كما بحث الجانبان زيادة تدعيم العلاقات السوفيتية المصرية ، والمسائل المتعلقة بالموقف فى الشرق الاوسط ، واكدا حرصهما على تنسيق التعاون بين البلدين فى كافة المجالات .. كذلك اجتمع حافظ اسماعيل بجونار يارنج المبعوث الدولى للامم المتحدة وسفير السويد فى موسكو حاليا وذلك فى مقر السفارة المصرية فى موسكو .

ومن ناحية اخرى عقد الدكتور حافظ غانم اجتماعا مع **رومان اوليانوفسكى** نائب مدير ادارة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى للشئون الدولية وقدم خلاله اقتراحا بمشروع بروتوكول بشأن التعاون بين الحزب الشيوعى السوفيتى وبين الاتحاد الاشتراكى العربى لعام ١٩٧٣ ، يتضمن تبادل الزيارات ، وزيادة الاتصالات التنظيمية على أن يتم تبادل الزيارات بين الجانبين خلال العام الحالى بمعدل ٤ وفود من كلا الجانبين يضم كل وفد مابين ٦ ، ٧ اعضاء .

وقدم الدكتور حافظ غانم فى هذا الاجتماع عرضا لتنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى ، وتطوير النضال فى سبيل الاشتراكية ، وأكد ان الاتحاد السوفيتى هو الحليف الطبيعى لمصر . وان التعاون بين البلدين ضرورة ، وان الخط الاساسى الذى تسير عليه مصر هو الخط الاشتراكى .

وقد عبر اوليانوفسكى عن تقديره للخط الاشتراكى الذى تسير عليه مصر ، واكد ان الحزب الشيوعى السوفيتى لا يتدخل فى الشئون الداخلية لمصر وانه يثقف اعضاء الحزب والشعوب السوفيتية على حب مصر ، وان الميثاق الوطنى وبرنامج العمل الوطنى كفيلان بتحقيق التقدم الذى تصبو اليه مصر .

الوزراء عن ضرورة الاحتفاظ باراض « لا يمكن الحديث عن أىانسحاب منها » وركزت بشكل خاص على القدس وشرم الشيخ .

وتريد اسرائيل أن تقول — بشكل عملى — لاحديث عن« السلام » ! الا اذا وضعت مطالب اسرائيل « التوسعية » موضع الاعتبار الاول .

فاذا اضفنا الى ذلك كله ، اعتراف المسئولين الاسرائيليين رسميا « بضرب » الطائرة ، يتضح لنا أى عدو يواجهه العرب ، بطبيعته النازية الشرسة ، وباصراره على التعامل بمنطق « الارهاب » و « القوة » فقط .

ولابد أن يفضى ذلك جميعه ، الى تبديد كل الاوهام التى حاولت اسرائيل ومن ورائها أمريكا ، أن تصورها حول ماتسميه بضرورة « المفاوضات » ومن أجل « حل سلمى » .

لقد كانت القوة الارهابية والعدوانية — ولاتزال وستظل —هى لغة التعامل والتخاطب الاساسية والوحيدة ، لاسرائيل.. حتى فى حالة « الاقتراب البطىء » من تلمس فرص ايجادحل سياسى للمشكلة . والقوة فى العرف الاسرائيلى ليست فحسب القوة المسلحة ، وانما استثمار وممارسة كل العناصرالتى تشكل فى نهاية الامر قوة ضاغطة ومهددة وفعالة .

فى مواجهة القوة العدوانية .. نملك القوة المشروعة .والقوة المشروعة لها نفس العناصر : كل مايشكل فى نهاية الامر قوة ضاغطة ومهددة وفعالة ، الفرق الاساسى : ان القوة العدوانية تهدف الى احتلال الارض وتكريسه . والقوة المشروعة يجب أن تعمل من أجل تحرير الارض وحماية الضمير الوطنى المتحرر المستقل .

ان الجريمة الاسرائيلية وماتمثله من معنى ، لاكبر بدون شك ، من الوقوف عند أية تفاصيل . ولكنها تطرح — وبدون شك ايضا — الضرورة الوطنية القومية العظمى : المبادرة بعمل حقيقى شامل من أجل احباط المخطط الاستعمارى — الصهيونى — الرجعى ، لتصفية العمل الفدائى وقضية فلسطين وقضية كل ماهو وطنى ومتقدم فى آن واحد . وتلك هى مسئولية كل القوى الوطنية والتقدمية فى مصر والوطن العربى كله .

القضية آخر الامر ، أن يتم تجاوز الالام والتفاصيل . ان الضمير الوطنى والقومى والانسانى مطالب باحباط هذا المخطط المدمر ، من أجل تحرير الاراضى : أعز الاراضى ، ومن أجل حماية الضمير الوطنى والقومى نفسه : أثمن مايملكه الانسان .

« الطليعة »

وقد صرح حافظ اسماعيل لوكالة الأنباء الفرنسية فى موسكو بأن محادثاته نتج عنها اتفاق تام فى الاراء ووجهات النظر ، وان مصر متأكدة من حصولها على دعم دائم من الاتحاد السوفيتى فى كافة المجالات وان الزيارة أسهمت فى دعم الصداقة بين البلدين واننا نعتبر العلاقات المصرية السوفيتية احدى الدعامات التى ترتكز عليها السياسة الخارجية لمصر .

وقد جاء فى البيان المشترك عن المحادثات الرسمية التىتمت بين الجانبين : « وقد أكد الطرفان عزمهما على النضال النشيط من أجل التسوية العادلة فى الشرق الاوسط لاحلال السلام الوطيد على أساس تنفيذ جميع بنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى المحتلة سنة ١٩٦٧ وتأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى كشرطين أساسيين لاقرار سلام عادل ووطيد فى الشرق الاوسط .

واعلن الجانب المصرى تمسكه باصرار على التوصل الى تسوية كاملة لمشكلة الشرق الاوسط ورفضه لاية مشاريع للتسوية على أساس ما يسمى بالحل الجزئى .

وابدى الجانب السوفيتى تفهمه الكامل لهذا الموقف ويرى انه يتجاوب كلية ومتطلبات العدل وقرارات الامم المتحدة نصا وروحا وكذلك مصالح السلام فى الشرق الاوسط . ويؤكد من جديد أن للدول العربية كل الحق فى استخدام اية أشكال للنضال من أجل تحرير اراضيها ، واستمرار تأييده السياسى والاقتصادى ودعمه للقدرات العسكرية المصرية وفقا لبنود معاهدة الصداقة والتعاون المصرية السوفيتية المعقودة فى ٢٧ مايو سنة ١٩٧١ .

واشار الطرفان الى أن الصداقة والتعاون الشامل بين الاتحاد السوفيتى ومصر تمثلان عاملا من أهم العوامل فى النضال ضد العدوان الامبريالى فى الشرق الاوسط من أجل السلام وأمن الشعوب .

واشار الطرفان الى ضرورة الصد الحاسم لاى محاولات تستهدف اضعاف الصداقة السوفيتية المصرية ، والعلاقات الوثيقة التى تربط مصر بسائر بلدان الاسرة الاشتراكية ، واهمية ممارسة الاتصال المنتظم بين قادة الاتحاد السوفيتى ومصر بهدف تبادل الاراء ، وتنسيق الخطوات والاعمال الخاصة بالمواضيع التى تهم البلدين وهى الممارسة التى برهنت عن صوابها وفاعليتها .

وقد رحبت الصحف السوفيتية بما جاء فى البيان المشترك ، كما حرصت على تأكيد الموقف السوفيتى من حركة التحرر الوطنى العربية بعد انتهاء الحرب فى فيتنام وقالت ان **امكانيات تقديم العون والمساعدة الشاملين للشعوب التى تأمل فى حياة جديدة قد تزايدت كثيرا الان وفى الوقتنفسه تدل حقائق الامور على تضاؤل قدرات الامبريالية على ارجاع حركة التاريخ الى الوراء ، وقد اتضح ذلك بجلاء بالنصر الذى تحقق فى فيتنام .**

■ ■

■ سوريا :

ملامح الدستور الجديد

أقر مجلس الشعب فى الجمهورية العربية السورية مشروع الدستور الدائم للبلاد ، بعد أن فرغ من مناقشته فى نهاية شهر يناير الماضى ، وهو يعد أول دستور دائم منذ ١٢ عاما ، وكانت سوريا تعيش منذ عام ١٩٦٤ فى ظل دستور مؤقت .

ويعتبر انجاز الدستور خطوة هامة من الخطوات الهامة التى قام بها **الفريق حافظ الاسد** لتحقيق عديد من الانجازات التقدمية ، وتعزيز الكفاح ضد القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية . وتتضح أهميتها فى أنها تأتى فى اطار الجبهة الوطنية التقدمية المكونة من الاحزاب والقوى التقدمية والمنظمات الشعبية بقيادة حزب البعث العربى الاشتراكى فى سوريا .

وكما جاء فى مقدمة الدستور : ان الجماهير العربية لم تكن ترى فى الاستقلال غايتها ونهاية تضحياتها ، بل رأت فيه وسيلة لدعم نضالها ، ومرحلة متقدمة فى معركتها المستمرة ضد قوى الاستعمار والصهيونية والاستغلال بقيادة قواها الوطنية التقدمية .

ومن بين المنطلقات الرئيسية التى يستند اليها الدستور : أن السير باتجاه اقامة النظام الاشتراكى ضرورة منبعثة من حاجات المجتمع العربى ، وضرورة أساسية لزج طاقات الجماهير العربية فى معركتها ضد الصهيونية والامبريالية ، وأن الحرية حق مقدس والديمقراطية الشعبية هى

الصيغة المثالية التى تكفل للمواطن ممارسة حريته التى تجعل منه انسانا حرا ، قادرا على العطاء والبناء ، قادرا على الدفاع عن الوطن الذى يعيش فيه ، قادرا على التضحيه فى سبيل الامة التى ينتمى اليها . وحرية الوطن لا يصونها الا المواطنون الاحرار ولا تكتمل حرية المواطن الا بتحرره الاقتصادى والاجتماعى . وأن حركة الثورة العربية هى جزء أساسى من حركة التحرر العالمى ، ونضال الشعب العربى جزء من نضال الشعوب المكافحة من أجل حريتها واستقلالها وتقدمها .

وحول المبادىء السياسية تنص المادة (١) ــ الجمهورية العربية دولة ديمقراطية شعبية واشتراكية ذات سيادة لا يجوز التنازل عن أى جزء من أراضيها وهى عضو فى دولة اتحاد الجمهوريات العربية . والمادة (٣) ــ الفقه الاسلامى مصدر رئيسى للتشريع . والمادة (٦) ــ علم الدوله وشعارها ونشيدها هو علم دولة اتحاد الجمهوريات العربية ، والمادة (٨) ــ حزب البعث العربى الاشتراكى هو الحزب القائد فى المجتمع والدولة ، ويقود جبهة وطنية تقدمية تعمل على توحيد طاقات جماهير الشعب ووضعها فى خدمة أهداف الامة العربية .

وحول المبادىء الاقتصادية تنص المادة (٣) ــ الاقتصاد فى الدولة اقتصاد اشتراكى مخطط يهدف الى القضاء على جميع أشكال الاستغلال . والمادة (١٤) ــ ينظم القانون الملكية وهى ثلاثة أنواع . **الاولى :** ملكية الشعب ، وتشمل الثروات الطبيعية والمرافق العامة والمنشآت والمؤسسات المؤممه أو التى تقيمها الدولة ، وتتولى الدولة استثمارها والاشراف على ادارتها لصالح مجموع الشعب ، وواجب المواطنين حمايتها . **الثانية :** ملكية جماعية ، وتشمل الممتلكات العائدة للمنظمات الشعبية والمهنية والوحدات الانتاجية والجمعيات التعاونية والمؤسسات الاجتماعية الاخرى ويكفل القانون رعايتها ودعمها . **الثالثة :** ملكيه فردية ، وتشمل الممتلكات الخاصة بالافراد ، ويحدد القانون وظيفتها الاجتماعية فى خدمة الاقتصاد القومى وفى اطار خطة التنمية ، ولا يجوز أن تتعارض فى طرق استخدامها مع مصالح الشعب .

وحول المبادىء التعليمية والثقافية ، تنص المادة (٢١) ــ يهدف نظام التعليم والثقافة الى انشاء جيل عربى قومى اشتراكى علمى التفكير مرتبط بتاريخه وارضه معتز بتراثه مشبع بروح النضال من أجل تحقيق اهداف أمته فى الوحدة والحرية والاشتراكية والاسهام فى خدمة الانسانية وتقدمها .

وحول الحريات والحقوق والواجبات العامة . تنص المادة (٢٥) ــ الحرية حق مقدس وتكفل الدولة للمواطنين حريتهم الشخصية وتحافظ على كرامتهم وأمنهم . والمادة (٢٦) ــ لكل مواطن حق الاسهام فى الحياة السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه وينظم القانون ذلك . والمادة (٢٨) ــ كل متهم برىء حتى يدان بحكم قضائى مبرم ، ولا يجوز تحرى أحد أو توقيفه الا وفقا للقانون ، ولا يجوز تعذيب أحد جسديا أو معنويا أو معاملته معاملة مهنية ويحدد القانون عقاب من يفعل ذلك . والمادة (٣٤) لا يسلم اللاجئون السياسيون بسبب مبادئهم السياسية أو دفاعهم عن الحرية . والمادة (٣٥) ــ حرية الاعتقاد مصونة وتحترم الدولة جميع الاديان . والمادة (٣٦) العمل حق لكل مواطن وواجب عليه وتعمل الدولة على توفيره لجميع المواطنين. والمادة (٣٨) لكل مواطن الحق فى أن يعرب عن رأيه بحرية وعلنية بالقول والكتابة وكافة وسائل التعبير الاخرى وأن يسهم فى الرقابة والنقد البناء بما يضمن سلامة البناء الوطنى والقومى ويدعم النظام الاشتراكى ، وتكفل الدولة حرية الصحافة والطباعة والنشر وفقا للقانون . والمادة (٣٩) ــ للمواطنين حق الاجتماع والتظاهر سلميا فى اطار مبادىء الدستور وينظم القانون ممارسة هذا الحق . والمادة (٤٤) تحمى الدولة الزواج وتشجع عليه وتعمل على ازالة العقبات المادية والاجتماعية التىتعوقه وتحمىالامومة والطفولة ، وترعىالنشء والشبابوتوفر لهمالظروف المناسبة لتنميةملكياتهم. والمادة(٤٥) تكفلالدولةللمرأةجميع الفرص التى تتيح لها المساهمة الفعالة والكاملة فى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وتعمل على ازالة القيود التى تمنع تطورها ومشاركتها فى بناء المجتمع العربى الاشتراكى . والمادة (٤٦) تكفل الدولة لكل مواطن وأسرته فى حالات الطوارىء والمرض والعجز واليتم والشيخوخة . والمادة (٤٨) ــ للقطاعات الجماهيريةحق اقامة تنظيمات نقابية أو اجتماعية أو مهنية أو جمعيات تعاونية للانتاج أو الخدمات ، وتحدد القوانين اطار التنظيمات وعلاقاتها وحدود عملها . والمادة (٤٩) تشارك التنظيمات الجماهيرية مشاركة فعالة فى مختلف القطاعات والمجالس المحددة بالقوانين فى تحقيق

بناء المجتمع العربي الاشتراكي وحماية نظامه ، وتخطيط وقيادة الاقتصاد الاشتراكي ، وتطوير شروط العمل والوقاية والصحة والثقافة وجميع الشئون الاخرى المرتبطة بحياة أفرادها ، والرقابة الشعبية على أجهزة الحكم .

وتنظم بقية مواد ونصوص الدستور (١٥٦ مادة) سلطات الدولة والسلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، واختصاصات ومهام رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء ، ومجالس الشعب المحلية .. ومن المقرر أن يجرى الاستفتاء الشعبى على الدستور فى شهر مارس لاقراره قبل بدء العمل به .

ويشهد القطر السورى هذه الايام تنفيذ أهداف خطة التعبئة الشعبية تنفيذا لقرار القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية . وتهدف الى توثيق التلاحم بين فئات المواطنين ، وتعزيز صمود الجماهير فى مواجهة تصاعد الاعتداءات الاسرائيلية . وقد تم تعميم هذه الخطة على القيادات الفرعية للجبهة وسائر القطاعات الجماهيرية فى جميع المحافظات فى القطر السورى .

■ ■

■ الاردن

حسين يعلن فى واشنطن : لا مانع لدى الاردن من محادثات منفردة مع اسرائيل

فى صباح ٤ فبراير الماضى طار **الملك حسين** الى الولايات المتحدة الامريكية . وقبل مغادرته عمان قال فى حديث تليفزيونى انه يأمل فى التمكن من الوصول مع الرئيس **نيكسون** الى : « سلام قائم على العدل يمكن أن تتقبله الاجيال القادمة وتعيش فى ظله » واعلن انه على الولايات المتحدة والبلدان الغربية الاخرى ان تعمل من اجل « تسوية عاجلة بسبب ازدياد اهمية البلدان العربية كمصادر بترولية ، حيث اصبح البترول العربى الرخيص عاملا سياسيا هاما . وقال معلقا على الموقف من الفدائيين الفلسطينيين : « عندنا ذكريات مريرة عن هذه الايام التى تعرضت فيها الوحدة الوطنية للخطر ومن المستحيل العودة الى ذلك الوضع » .

وما أن وصل واشنطن على طائرته الخاصة **جرش** ، التى أطلق عليها هذا الاسم نسبة الى المنطقة [التى ضرب فيها هو قوات المقاومة عام ١٩٧١] حتى بدأ لقاءاته مع المسئولين الامريكيين روجرز وكيسنجر ، وفى السادس من فبراير ، التقى حسين بنيكسون ، وحضر اللقاء هنرى **كيسنجر** مستشار الرئيس الامريكى **وزيد الدفاعى** مستشار الملك .

وقد امتدح نيكسون شجاعة حسين فى وجه المتطرفين وفى وجه التهديدات الكبيرة التى واجهها الملك فى الداخل والخارج وقال : « ان **الملك احتفظ باعتداله فى الوقت الذى كان التطرف هو الوسيلة الى الشعبية** » .

وبعد اللقاء صرح المسئولون فى البيت الابيض بأن نيكسون اكد للملك حسين ، أثناء المحادثات التى أجراها معه فى البيت الابيض ، استمرار المعونة العسكرية والاقتصادية للاردن . كما أكد له انه سيعطى لسعيه لاقرار السلام فى الشرق الاوسط أولوية كبرى خلال فترة رئاسته الثانية . كما كان **تشارلز براى** المتحدث الصحفى باسم وزارة الخارجية قد اعلن : ان روجرز وضيفه أكدا رغبتهما فى تحقيق تقدم ، نحو تسوية سلمية فى الشرق الاوسط ، وأن **روجرز** اكد للملك استمرار صداقة أمريكا وتأييدها للاردن .

وقد صرح حسين لصحيفة **ستار نيوز** الامريكية بأن لا مانع لدى الاردن من محادثات منفردة مع اسرائيل بشرط الاتفاق مسبقا على الاسس الرئيسية للتسوية المقترحة . وقال : لقد مضينا الى نهاية الشوط فى اعلان ما نريد . وكان الملك قد أعلن أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى ، انه على استعداد للدخول فى مفاوضات سلام منفصلة مع اسرائيل . بينما كان قد أعلن قبل سفره الى الولايات المتحدة أنه يعتبر الصلح المنفرد مع اسرائيل بمثابة طعنة مميته للقضية العربية . واكد الملك حسين — كذلك — رغبته فى الدخول فى مفاوضات مباشرة مع اسرائيل — عندما صرح للصحفى الامريكى جورج شيرنان « بانه مستعد لاجراء محادثات منفصلة مع اسرائيل ، وأن الشرط الاساسى لذلك هو ضرورة الاتفاق مسبقا — بالطرق الدبلوماسية — على مبادىء رئيسية معينة تتم — كلما أمكن ذلك — بفضل وساطة أمريكا .

وقد صرح **ديان** ، أمام مجموعة من الزوار

اليهود القادمين من أوروبا والولايات المتحدة ، بأن سفر حسين الى واشنطن يعنى انه يسعى الى عقد مفاوضات سياسية للوصول الى حل سلمى وليس لارضاء طموحه العسكرى . وقال « اننى اعتقد ان هذه الزيارة التى قام بها الملك الاردنى لواشنطن تعتبر تحركا سياسيا ايجابيا جدا . وانها سوف تخدم النهاية السلمية بين اسرائيل وجيرانها العرب » كما ان ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل علق على زيارة حسين لواشنطن بقوله : « ان حكومته معجبة بموقف الملك حسين حينما اعلن ان الاردن على استعداد لتوقيع اتفاق سلام منفصل مع اسرائيل » .

وقد حصل حسين على مساعدات بمائة مليون دولار ، وعلى ٣٠ مقاتلة نفاثة للاردن ف ــ ٥ ، وبذلك تكون الاردن هى الدولة الثالثة التى تحصل على هذه الطائرات من الولايات المتحدة بعد اسرائيل وايران . وعلق الملك حسين على ذلك :

« ان بلاده فى حاجة الى هذه الطائرات لتدافع عن نفسها ضد اى هجوم محتمل من اى جهة » .

ومع امتداح نيكسون لشجاعة حسين ، فى مواجهة « المتطرفين » اقدمت السلطة الاردنية على اعمال قمع وبطش جديدة ضد حركة المقاومة فاعتقلت قائدا من أبرز قادة المقاومة أبو داوود ومعه مجموعة من المناضلين. وهكذا ينهى حسين زيارته للولايات المتحدة ــ كما يرى المعلقون ــ بأصراره على الاستمرار فى المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ، وبالتدبير لمذبحة جديدة ضد الفدائيين الفلسطينيين .

■ ■

■ اسرائيل

المنظمة العربية الاسرائيلية جبهة نضال جديدة ضد الصهيونية

بدأت السلطات الاسرائيلية خلال الشهر الماضى محاكمة الدفعة الاولى من أعضاء المنظمة العربية الاسرائيلية ــ الاتحاد الشيوعى الثورى ــ والتى تعبر عنها مجلة الجبهة الحمراء . وكانت السلطات الاسرائيلية قد اعتقلت خلال شهر ديسمبر ١٩٧٢ أكثر من اربعين شبابا عربيا واسرائيليا متهمين « باشتراكهم فى تنظيم ثورى يعمل ضد الدولة الاسرائيلية ومحتواها الصهيونى » .

وقد اصيبت السلطات الاسرائيلية بذعر شديد بسبب قيام مثل هذا التنظيم الذى ضم شبانا يهودا الى جانب شبان عرب . فعدد من أعضاء هذا التنظيم السرى هم من الشباب اليهود ، بعضهم من سكان الكيبوتس ومن بينهم واحد من سلاح المظلات .

وزاد من قلق المسئولين الاسرائيليين ان دوافع نضال هؤلاء ضد السياسة الاسرائيلية هى دوافع ايديولوجية ترفض الصهيونية فكرا وممارسة . وعلى حد ما ذكرته الصحافة الاسرائيلية : « ان اشتراك عدد من اليهود فى هذه الشبكة ينطوى على امتهان للمشاعر الجوهرية التى تستمد منها القطعة الاسرائيلية قوتها : الشعور بالالتزام المتبادل وبالمسئولية المشتركة عن الوجود القومى ، خصوصا وان المتهمين قادمون من صفوف الجيش والكيبوتس »

وتحاول السلطات الاسرائيلية ان تتهم هؤلاء الشبان بأنهم يتجسسون لصالح بلدان عربية ، وذلك لتشويه حقيقة تطور النضال المشترك بين الشبان العرب والشبان اليهود ضد الوجود الاسرائيلى ، ورفض الشبان اليهود اليساريين للمحتوى الصهيونى لهذا الوجود . ولكنه رغم هذه المحاولات فان التعليقات الاسرائيلية نفسها ومن جانب دوائر شخصيات صهيونية ، اكدت ان هؤلاء الشبان أعضاء فى تنظيم ثورى يناضل ضد الوجود الاسرائيلى وضد الصهيونية .

فالنائب شموئيل تشير يتهم الاوساط الحاكمة فى اسرائيل بالمسئولية عن ظاهرة التنظيم السرى الجديد ، وذلك فى تصريحه الذى جاء به : « ان الشباب الذين يتشربون يوميا من شخصيات بارزة الوعظ بأن وجودنا المستمر فى المناطق المحتلة هو احتلال اجنبى ، وان عودتنا الى أرض الوطن هو ضم تعسفى مرفوض ، هؤلاء الشباب من الطبيعى ان يظهر بينهم ، فى نهاية الامر ، من يتوصل الى الاستنتاج بأنه ينبغى القيام بمساعدة الفلسطينيين المظلومين »

وقال كذلك البروفيسور الاسرائيلى البارز بنيامين الشين : « انه لم يفاجأ بهذه النتيجة ، لانه منذ العصيان على التطوع فى الجيش الذى أعلنه بعض الشباب ، ومنذ بدأ التفكير فى صفوف

بعض المنظمات الصغيرة ، عن الشك بشرعية وجود دولة اسرائيل ، توقعت ان يظهر شخص يقول انه اذا كان الامر كذلك ، فلابد من الصراع ضد هذه الدولة التى لاحق لها بالوجود »

ويعانى اعضاء هذا التنظيم الواناشتى من التعذيب داخل السجون الاسرائيلية ، وقد قال النائب الاسرائيلى ابراهام ليفينبرون — بأنه رأى ابنه رامى لافين البالغ من العمر ٢٧ عاما — وهو من بين الشبان اليهود المعتقلين — ولاحظ بنفسه الاثار التى أحدثتها عمليات التعذيب الوحشية التى تعرض لها » .

ويرى المعلقون أن قيام هذا التنظيم هو تعبير عن تطور جديد داخل الشباب اليهودى الرافض للصهيونية ولقيام دولة اسرائيل على اساس الاغتصاب والنهب والعدوان . وان هؤلاء المتهمين معترضون على الصهيونية نظرية وممارسة — وليسوا جواسيس .

ان ظاهرة هذا التنظيم السرى المعادى للكيان الاسرائيلى قد فجر السؤال الذى كان محرما على الوعى الاسرائيلى حول شرعية الكيان الصهيونى . وعلى حد قول الشاعر الفلسطينى **محمود درويش** : « ومن الواضح ايضا ان ينظر شباب عرب ويهود فى قفص اتهام واحد ، واشتراكهم فى تهمة ايديولوجية واحدة هو انتصار رمزى لعدالة القضية الفلسطينية العربية وهزيمة معنوية للثقافة الصهيونية » .

■ ■

■ **غانا**

لجنة التحرير تضع استراتيجية جديدة

يرى المراقبون الافريقيون ، ان أبرز وقائع لجنة التحرير التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية ، والتى عقدت دورتها الواحدة والعشرين فى **اكرا** « غانا » فى أواخر شهر يناير الماضى ، يمكن رصدها فى :

● اقرار « الاستراتيجية الجديدة » لمساعدة حركات التحرير الافريقية وتحديد سياسة منظمة الوحدة ودورها فى تصفية الاستعمار بالقارة . وقد ركزت اللجنة على تاكيد اهمية الكفاح المسلح كوسيلة وحيدة لتحرير الاراضى الافريقية التى ماتزال تخضع لسيطرة الاستعمار . كما أكدت اللجنة التزام دول المنظمة بدعم حركات التحرير . وفى هذا المجال حددت اللجنة دور الدول الافريقية المستقلة ، فطالبتها « بالتبرع الاختيارى » لدعم اللجنة ونشاطها ، بالاضافة الى مساهمتها العادية المقررة ، وترى اللجنة اهمية أن يتجاوز دور الدول المستقلة حدود « الحكومات » الى « المشاركة الشعبية » بتعبئة الجماهير الافريقية وخاصة جماهير الشباب ، لمساندة حركات التحرير ، وبشأن تحديد دور حركات التحرير ، طالبتها اللجنة بتكوين جبهات متحدة وابرزت اهمية توحيد صفوفها فى الكفاح المسلح الوطنى كما دعتها الى الزيادة من فعالية نضالها المسلح وبخصوص تحديد دور لجنة التحرير نفسها ، دعت الى تأكيد وجودها « كلجنة عمل » لا « كلجنة مناقشات » . كذلك اقرت اللجنة اهمية ارسال وفود الى دول العالم لتعبئة الرأى العام العالمى حول النضال المشروع لحركات التحرير ، وحث الدوائر الوطنية والديمقراطية والتقدمية العالمية على تقديم مساعداتها .

وينظر المراقبون الافريقيون الى «الاستراتيجية» التى اقرتها لجنة التحرير فى دورتها الاخيرة ، باعتبارها امتدادا « **لاعلان لوزاكا** » « **واعلان مقديشيو** » « **واعلان دار السلام** » .

● قامت الحركة الشعبية لتحرير انجولا وحكومة انجولا فى المنفى ، باعلان توحيد الجبهتين فى حركة واحدة للكفاح المسلح ، وقد لقى هذا الاعلان ترحيبا حارا من قبل لجنة التحرير ودوائر منظمة الوحدة الافريقية ، والرأى العام الافريقى .

وفى مجال العمل على توحيد صفوف حركات الكفاح المسلح ، أعلن حزب **زابو** وحزب **زانو** [اللذان يقودان الحركة الوطنية والكفاح المسلح فى زيمبابوى] ، أعلنا اقامة قيادة عسكرية مشتركة بينهما .

● واقرت اللجنة اعتبار الحركات الوطنية فى سيشيل وساوتومى وبرنسيب ، ضمن حركة التحرير الافريقية الساعية لتحرير بلادها واستقلالها الوطنى .

ومن الجدير بالذكر أن لجنة التحرير قد اتخذت

قرارا بالاجماع بشأن مشكلة الشرق الاوسط ، ادانت فيه الصهيونية باعتبارها حركة استعمارية ورحبت بالاجـــراءات التى تبذل من اجل عزل الانظمة العنصرية ، ويشير المراقبون الى أن هذا القرار ينســحب على اسرائيل ، مثلمـــا ينسحب على النظم العنصرية فى جنوب افريقيا وروديسيا . اكدت اللجنة فى قرارها أن استمرار احتلال اسرائيل للاراضى العربية « يعد تهديدا خطيرا لاستقلال وأمن ووحدة افريقيا » .

ومن الملاحظ ان الدورة ٢١ للجنة التحرير ، قد انعقدت بكامل هيئتها « ١٧ دولة » لاول مرة بعد انضمام ٦ دول افريقية كأعضاء فى اللجنة التى كانت تضم ١١ عضوا فقط . وقد حضرت اجتماعات اللجنــة جميع حــركات التحرير فى افريقيا كمراقبين .

■ ■

اثيوبيــا

مناقشـــــة الميــــزانية

تقود الى مواقف سياسية هامة

برغم أن الدورة العــادية لوزراء خارجيــة منظمة الوحدة الافريقية التى عقدت فى اديس ابابا [أثيوبيا] فى الشهر الماضى ، كانت مخصصة لمناقشة ميزانية المنظمة وشئونها المالية ، الا أن تطورات الاحــداث السياسية فى شمال شرق القارة [أزمة الشرق الاوسط] والعدوان على زامبيا واغتيال اميلكار كابرال ، فرضت نفسها للمناقشة . وقد اصدر الاجتماع بيانا سياســيا يتضمن مواقف دول المنظمة بشأن هذه الاحداث.

وقد أقرت الدورة زيادة ميزانية المنظمة بنسبة ٢ ٪ لمواجهة اتســاع نشاطها من جهـــة ومسئولياتها المتزايدة من جهة أخرى . وقــد تركز النقاش على أهمية التعاون الاقتصادى بين دول القارة .

وقد ساد الدورة اتجاه عام بالنسبة للموقف الدولى عبر عنه البيان السياسى الختامى ، حين اشار الى « ارتياحه لاجتماعات القمةوالمبادرات التى تجرى فى أوروبا حيث تسود الرغبة فى تخفيف حدة التوتر » . ثم ابرز « الافتقار الى حلول لمشاكل الامن ، والتنمية لدول العالم الثالث ودول أفريقيا بشكل خاص » . وفى هذا المجال يرى البيان « ضرورة أن يمتد أسلوب التقــارب الى جميع مناطق العالم الثالث بنفس الروح التى سادت فى مناطق أخرى من العالم » . وقد اشاد البيان بانتصار شعب فيتنام الــذى أحرزه « بعد كفاح بطولى » وأعرب عن ارتياحه لتوقيع اتفاق انهاء الحرب فى فيتنام .

ويعتقد المراقبون السياسيون أن ما جاء فى البيان بشأن الشرق الاوسط ، يعد تطورا جديدا هاما ساعد عليه آثار المناخ الذى ادى اليه قيام ٥ دول افريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل فى الشهور القليلة الماضية ، **فقد أدان البيان اسرائيل « لرفضها الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة ولسياستها التوسعية التى أدت الى طرد الشعب الفلسطينى من وطنه ويعرب عن تأييده الكامل لنضاله من أجل التحرير »** . وأكد البيـــان تضــامن دول المنظمة مـــع مصر وتأييدها الفعال فى نضالها الشرعى من أجــل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم٢٤٢ بكافة الوسائل. ويرى المراقبون ان اشارة البيان الى ان موقف اسرائيل « يعد تهديدا خطيرا لاســتقلال وامن القارة ووحدة اراضيها » ، سوف يثير غضــب الدوائر السياسية الاسرائيلية .

وقد أبدت الدوائر الافريقية ارتياحها لما جاء فى بيان وزراء خارجية المنظمة بشأن زامبيا . حيث أدان البيان « العمل الاجرامى والارهابى الذى قامت به حكومة ايان سميث ضد زامبيا » وجدير بالذكر أن حكومة روديســـيا العنصرية كانت قد أغلقت الحدود مع زامبيا التى تباشر تجارتهـــا الخارجية من خـــلال أراضى روديسيا بسبب عدم وجود منفذ لزامبيا الى البحر . ومن الملاحظ ان حكومة روديسيا ابقت على الطريق الخاص بنقل نحاس زامبيا الى الخارج ، حتى تتجنب غضب هذه الشركات . هذا وقد اشاد بيان وزراء خارجية المنظمة بشــعب زامبيــا وحكومتهـــا والرئيس كاوندا ، وتعهد البيـــان بتقـــديم كل المعونات السياســـية والاقتصادية والعسكرية لزامبيا لمواجهة الموقف .

ومن الجدير بالذكر أن البيان ــ فى مجــال اغتيال اميلكار كابرال ــ قد أدان الاستعمار البرتغـــالى ، والاتجـــاه الى تصفية « القـــادة الحقيقيين » لكفاح الشعوب الافريقية من أجل استقلالها وحريتها ، وعزا البيان اقدام الاستعمار على عملية الاغتيال هذه الى « تقدم حركة الكفاح

المسلح فى غينيا ــ بيساو » التى كانت على وشك أن تعلن عن قيام حكومتها الوطنية فى المنفى . وأكد البيان تعاطفه مع شعب غينيا ــ بيساو وجزر الرأس الاخضر وتعهد باستمرار دعم حركته الوطنية المسلحة حتى تحرز استقلالها الوطنى .

■ ■

■ فيتنام

رحلة كيسنجر لهانوى وبكين

تعميق خلافات العالم الاشتراكى

قام **هنرى كيسنجر** مستشار الرئيس الامريكى نيكسون برحلة جديدة الى آسيا على مدى أكثر من ١٠ أيام من شهر فبراير الماضى زار خلالها فيتنام الشمالية ــ لاول مرة ــ والصين للمرة الرابعة ، واليابان للمرة الثانية . وأهمية هذه الزيارات أنها تأتى بعد فترة وجيزة من توقيع اتفاق « انهاء الحرب ، واستعادة السلام فى فيتنام » .

والدلائل عديدة على ان زيارة كيسنجر للدول الثلاث كانت لها علاقة بالموقف الجديد الناشىء عن هذا الاتفاق ، أى ان هذه المسألة لم تكن مقصورة على زيارته لفيتنام الشمالية .

وبالنسبة لزيارة كيسنجر الاولى لفيتنام الشمالية فان البيان المشترك الذى صدر بعد يوم واحد من انتهائها فى كل من **هانوى** وواشنطن قد كشف ــ بطريقة ، غير مباشرة ، أن محادثات كيسنجر فى هانوى كانت تتعلق بتعويضات الحرب التى ألزمت الولايات المتحدة بأن تدفعها لفيتنام الشمالية . وان كان اتفاق « انهاء الحرب واستبعاده » ، وكذلك البيان المشترك عن هذه المحادثات ، قد غلفا هذه النقطة بغلاف من العبارات غير المباشرة . بمعنى أن مسألة تعويضات الحرب التى ستدفعها الولايات المتحدة لفيتنام الشمالية قد عولجت ــ فى البيانات العلنية ــ بقدر من الحرص على ألا تبدو الولايات المتحدة فى صورة المنهزم والمجبر على قبول شروط الطرف المنتصر وهو فيتنام الثورة (الشمال والجنوب على السواء) .

وقد أوضح البيان المشترك عن محادثات كيسنجر مع زعماء فيتنام الشمالية الاتفاق على تشكيل لجنة مشتركة ــ لممثلين متساوين من الطرفين ــ تكون مهمتها « بحث الطريقة التى ستقدم بها الولايات المتحدة مساعدتها فى اعادة بناء فيتنام الشمالية » .

وهكذا ، نرى انه رغم كل محاولات « انقاذ ماء وجه أمريكا » فى صياغة البيان المشترك ، فان أمريكا تجد نفسها الان مجبرة على أن تعيد بناء ما هدمته وأن تعوض الشعب الفيتنامى عما الحقته به من أضرار تفوق كل حساب وكل تصور .

ولكن الامر الاخر الجدير بالاهتمام ــ والذى لا يقوم ادنى شك على ان فيتنام الشمالية تعيه جيدا . هو أن الولايات المتحدة قد تحاول من خلال هذا الدور الذى يفرضه عليها مبدأ التعويض عن اضرار الحرب أن تقوم بعملية « احتواء » بقصد أن تجد لنفوذها موطن قدم فى « فيتنام ما بعد الحرب » . ذلك أن الولايات المتحدة لن تتخلى بسهولة عن أسلوبها القديم فى محاولة استخدام « المساعدات » فى دور « حصان طروادة » لنفوذها فى أى منطقة من العالم . وقد تتوهم بالنسبة لفيتنام الشمالية أن حاجتها الى موارد ضخمة لعملية اعادة البناء تخلق جوا ملائما للولايات المتحدة لجذب فيتنام الشمالية بعيدا عن تحالفاتها الطبيعية مع الدول الاشتراكية ، وخاصة مع الاتحاد السوفيتى . ولعل هذا المعنى كان واضحا فى أذهان المسئولين فى كل من فيتنام الشمالية والاتحاد السوفيتى فى الايام الاخيرة ــ وبالتحديد أثناء زيارة كيسنجر لهانوى ــ عندما أعلنوا أن الاتحاد السوفيتى ، سيستمر فى تقديم المساعدات لفيتنام الشمالية أثناء السلم كما كان يفعل أثناء الحرب . بل أعلن أن الاتحاد السوفيتى بدأ بالفعل ارسال أولى شحنات المساعدات لفيتنام الشمالية على سفنه عبر الموانى الفيتنامية حتى قبل أن تتم عملية ازالة الالغام الامريكية منها .

وتقودنا هذه النقطة نفسها ــ أى محاولة الولايات المتحدة « احتواء » هانوى الى هدف زيارة كيسنجر للصين . **ذلك أن الولايات المتحدة التى تركز استراتيجيتها الان على محور أساسى واحد هو استغلال الخلاف السوفيتى الصينى ، تجد الان فرصة كبيرة سانحة أمامها ــ بعد اتفاق انهاء الحرب فى فيتنام لمحاولة اقناع الصين بدعم العلاقات مع أمريكا** ، على اعتبار أن الحرب الفيتنامية كانت أحد العوامل الاساسية التى تحول دون دعم هذه العلاقات .

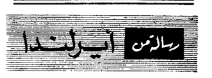
ورغم التأكيدات من جميع الدوائر ، ومختلف المراقبين ، بأن العقبة الرئيسية التى تقوم فى وجه

اقامة علاقات طبيعية كاملة بين الصين والولايات المتحدة ـ وهى استمرار اعتراف الحكومة الامريكية بحكومة كاى تشيك فى تايوان (فورموزا) ـ لاتزال قائمة ، فان الولايات المتحدة تبدو واثقة من تحسين علاقاتها بالصين فى هذا الوقت بالذات • وربما كان فى ذهنها أن « انتهاء حرب فيتنام ، قد قضى على آخر نقطة التقاء بين الاتحاد السوفيتى وبين الصين » على حد تعبير الدبلوماسيين الامريكيين • وقد ذكرت وكالة أنباء الصين أن شواين لاى رئيس الوزراء الصينى وكيسنجر قد تعهدا ببذل جهودهما من أجل عودة العلاقات الى طبيعتها .

وهكذا يمكننا أن نربط زيارة كيسنجر لهانوى وبكين بهدف واحد للاستراتيجية الامريكية هو تعميق الخلافات فى صفوف المعسكر الاشتراكى بمختلف الوسائل .

وفى الوقت نفسه فانه لا يمكن فصل زيارة كيسنجر لطوكيو بعد الصين عن الهدف نفسه • اذ ليس خافيا أن الولايات المتحدة تسعى لان يكون لليابان دور مكمل لدورها فى آسيا ـ برغم حدة التنافس الاقتصادى بينهما ، فان السياسة الامريكية ترمى الى تحميل الاقتصاد اليابانى جزءا كبيرا من الاعباء الاقتصادية التى كانت الولايات المتحدة تتحملها عادة فى آسيا • والتى فى الوقت نفسه تريد أن تتحرك اليابان سياسيا فى المنطقة ـ بعد انتهاء حرب فيتنام . لتشترك فى سد الطريق أمام الاتحاد السوفيتى الذى طرح فى الفترة الاخيرة مشروعا للامن الجماعى لاسيا ، وهو مشروع أثار اهتماما كبيرا لدى دول المنطقة ولكنه بطبيعة الحال لا يروق للولايات المتحدة التى ترفض فكرة حياد المنطقة ، وتعتبرها مضادة لصالحها •

■ ■



العوامل الاستعمارية والاقتصادية والطبقية وراء الصراع الايرلندى

ترجع قصة احتلال الانجليز لايرلندا الى عام ١١٦٩ عندما لجأ ديارمود الايرلندى الى بلاط هنرى الثانى ملك انجلترا الذى ساعده على غزو ايرلندا وقام باحتلالها فى عام ١١٧١ • ونتيجة للغزو سكن الانجلو نورمان المدن والسهول ، بينما تراجع الايرلنديون مؤقتا الى الجبال ولكنهم سرعان ما عادوا ثانية وتزاوج الانجليز والايرلنديون •

وعندما حاول رتشارد الثانى غزو ايرلندا منى بالهزيمة واستمر الوضع على ذلك حتى استتب الامر لهنرى السابع ملك انجلترا • وفى عام ١٥٤١ قام « البرلمان » المعين فى دبلن بدعوة هنرى الثامن الى حمل لقب ملك ايرلندا •

وقد قاسى الايرلنديون الامرين على أيدى الانجليز فى نهاية القرن السادس عشر خلال الحرب بين أسبانيا وانجلترا ، فقد تعاطف الايرلنديون مع اسبانيا فقام الانجليز بحرق محاصيلهم وقتل ماشيتهم . وقد وصف الشاعر ادمون سبنسر البؤس الذى عانى منه الايرلنديون فى كتابه « نظرة على حالة ايرلندا » الذى كتبه فى عام ١٥٩٥

وفى نهاية القرن السابع عشر ناصر الايرلنديون الملك جيمس الثانى الكاثوليكى ضد وليم أوف أورنج البروتستانتى ، ولكن وليم أوف أورنج استطاع هزيمتهم فى ١٦٩١ • وتبع ذلك العديد من الاجراءات ضد الكاثوليك •

ومنذ أن استتب الامر لوليم اوف أورنج قامت البورجوازية الانجليزية الصاعدة باتخاذ عدة اجراءات لمحاربة الصناعة الايرلندية ، فمثلا عندما ازدهرت صناعة الصوف فى ايرلندا قام البرلمان « الايرلندى » بفرض الضرائب عليها ، كما فرض البرلمان الانجليزى ضرائب أخرى عليها لحماية صناعة الصوف الانجليزى ، وعندما وجدت الحكومة البريطانية أن البلاد الاوربية تفضل الصوف الايرلندى أمرت بمنع تصديره الى أى بلد باستثناء انجلترا وويلز • وبالطبع كانت الحكومة فى ايرلندا مسئولة أمام الحكومة الانجليزية والبرلمان الانجليزى • أما البرلمان الايرلندى فلم يكن له سلطات فعلية • وتحولت ايرلندا ـ كما تحولت المستعمرات البريطانية فيما بعد ـ الى مزرعة للاستعمار البريطانى وسوقا لمنتجاته الصناعية .

المقاومة الايرلندية

وخلال القرن الثامن عشر ـ خاصة النصف

الثاني منه ـ اشتعلت حركة المقاومة المعروفة باسم الهويت بوى فى الريف ضد أغنياء الريف • كما بدأت تتكون جمعيات لمقاطعة البضائع الانجليزية • وعندما بدأت حرب الاستقلال الامريكية ، كون الايرلنديون فرق متطوعين وصل عددها الى خمسين الفا فى عام ١٧٧٩ •

كما قاد هنرى جراتان (١٧٥٠ ـ ١٨٢٠) ـ والذى كان يعبر عن تحالف صغار أغنياء الريف مع كبار التجار ـ المعارضة فى البرلمان الايرلندى وطالب بسياسة تصدير حرة غير مقيدة • واضطر البرلمان الانجليزى ـ نتيجة لانشغال انجلترا فى حربها ضد الولايات المتحدة ـ الى الاستجابة لمطالب جراتان •

ومع تزايد التقارب بين الاغلبية الكاثوليكية والاقلية البروتستانتية كون تيوبولد ولف تون البروتستانتى جماعة « الايرلنديين المتحدين » فى ١٧٦١ • والتى كان هدفها تحقيق استقلال ايرلندا وتحقيق الوحدة بين الشعب الايرلندى بجميع طوائفه • واقامت هذه الجماعة علاقات وطيدة مع اليعاقبة فى باريس ورحبوا بانتصار الثورة الفرنسية • وقد طاردت السلطات الاستعمارية هذه الجماعة وألقت القبض على العديد من زعمائها وأعضائها ، واضطر تون الى الذهاب الى الولايات المتحدة ومنها الى فرنسا حيث استطاع اقناع الفرنسيين بارسال حملة عسكرية الى ايرلندا • ولكن الحملة التى أرسلت فى عام ١٧٩٨ منيت بالهزيمة وقبض على تون وحكم عليه بالاعدام ولكنه انتحر فى سجنه •

وقد لجأت بريطانيا الى الوقيعة بين الجماعات الدينية المختلفة ، وهى نفس السياسة التى اتبعتها فى مستعمراتها الاخرى • وتكونت فى هذه الفترة « جمعية أورنج » التى كانت أول جمعية فاشية فى التاريخ تسترت تحت رداء الدين وكانت مهمتها تحطيم « الايرلنديين المتحدين » الذين كانوا يعملون على تدعيم الوحدة بين الكاثوليك والبروتستانت •

وفى أول يناير ١٨٠١ صدر قرار توحيد البرلمان الانجليزى والايرلندى ، وأصبحت ايرلندا جزءا من بريطانيا • ولكن المقاومة الايرلندية لم تتوقف • وفى يولية ١٨٠٣ قام روبرت أميت بمحاولة للاستيلاء على حصن دبلن • ولكن المحاولة فشلت •

واستمرت أعمال المقاومة خلال القرن التاسع عشر . وقام دانيل أوكونيل ـ الذى كان يفضل الطرق البرلمانية ـ بتكوين « الجماعة الكاثوليكية » فى ١٨٢٣ • وفى ١٨٤٢ صدرت جريدة « الامة » التى أسسها دافى وديلون الكاثوليكيين ودافيز البروتستانتى •• وتطورت الجريدة فى اتجاه الدفاع عن استقلال ايرلندا والانفصال عن بريطانيا •

ونتيجة لكساد محصول البطاطس الرئيسى فى ايرلندا حدثت مجاعة واسعة النطاق فى ٤٦ ـ ١٨٤٧ • وأدت المجاعة وادخال الاساليب الرأسمالية فى الزراعة الى انتشار السخط والاراء الجمهورية الثورية من جديد . وقد قام تشارلز جافان دافى بتكوين « عصبة حقوق المستأجرين » ونجحت هذه العصبة فى توحيد جهود الجنوب الكاثوليكى والشمال البروتستانتى فى الدعوة من أجل حقوق المستأجرين •

وبعد عام ١٨٤٨ تكونت عدة جمعيات سرية مثل « الفينكى » و « الفنيان » •وفى ١٥ سبتمبر ١٨٦٥ سارعت القوات الانجليزية الى القاء القبض على زعمان « الفنيان » • ولكن الجماعة قامت بهبة ثوريه تحت قيادة كيللى فى ٥ مارس ١٨٦٧ ، وأدى فشلها الى القبض على المشتركين فيها • وشنت الدولية العمالية تحت زعامة ماركس حملةمناجل اطلاق سراح زعماء « الفنيان » الذين افرج عنهم فى اول يناير ١٨٧١ .

وفى الفترة من ١٨٧٠ الى ١٩١٦ كان هناك نضال لا يهدأ من أجل تحسين حال الفلاح الايرلندى • ولقد ادرك جيمس فنتان لالور ان الحل الجذرى هو الغاء الملكية الفردية للارض وتحويلها الى ملكية عامة للشعب الايرلندى •

كما تكونت جماعة « عصبة الارض » نتيجة لجهود مايكل ديفيت ، ثم انتخب بارنل رئيسا لها ، وقد القى القبض عليه فى ١٨٨١ ، وقد اضطرت السلطات الى الافراج عنه بعد اتساع أعمال العنف •

لقد كانت ايرلندا مجرد مستعمرة لتوريد اللحوم ومنتجات الالبان الى انجلترا • وفى كل القوانين الزراعية التى صدرت فى تلك الفترة كان المستفيد هم ملاك الارض الكبار بالدرجة الاولى ثم المستأجرون • اما العمال الزراعيون فقد استمرت حالتهم فى التدهور .

وفى ١٨٩٣ تكونت « العصبة الجالية » من اجل احياء اللغة الجالية والاهتمام بتدريسها • واستطاعت الى درجة غريبة توحيد البروتستانت والكاثوليك فى الحماس للغة • وكانت ترفض تدخل كل من رجال الدين ونواب البرلمان فى عملها •

اما جماعة « الشين فين » التى ترجع نشأتها الى الفترة من ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ فكانت متأثرة بحركة الاحياء الجالى ومتشبعة بروح «الفنيان» . وقامت عدة نوادى بالاحتفال بالذكرى المئويةلهبة

١٧٩٨ · وقد قام جيمس كونولى فى ١٨٩٦ بتاسيس الحزب الجمهورى الاشتراكى الذى لعب دورا بارزا فى تدعيم الحركة النقابية فى ايرلندا · وفى مؤتمر الدولية الاشتراكية المنعقد فى باريس فى ١٩٠٠ طالب كونولى بحق ايرلندا فى التصويت المنفصل كأمة مستقلة ، وتمت الموافقة على اقتراحه · وهكذا اعترف هذا المؤتمر بايرلندا كأمة لاول مرة .

وكانت هبة ١٩١٦ نقطة تحول فى تاريخ ايرلندا ونضالها · ففى عيد الفصح من ذلك العام قامت جماع من الثوار باحتلال حصن دبلن ورفعوا علم ايرلندا عليه· ولكن عددهم لم يكن كافيا لعدم اشتراك بعض الجماعات الايرلندية ، مما سهل على السلطات الانجليزية القضاء على الهبة بعد حوالى أسبوع · واعدام قادتها ، وكان من بينهم جيمس كونولى القائد الاشتراكى الذى أدرك فى ذلك الوقت المبكر انه لاتعارض بين الاممية والقومية وخاصة فى بلد مقهور كايرلندا ·

وعندما تم الافراج عن المعتقلين فى نهاية ١٩١٦ بدأوا من جديد فى بناء تنظيم سياسى قوى . وانضم اليهم المسجونون المفرج عنهم فيما بعد · وسمى التنظيم الجديد « بالشين فين » ، وتم انتخاب ديفاليرا رئيسا له فى أكتوبر ١٩١٧ ، وآرثر جريفيث نائبا للرئيس ·

من المفاوضات الى اعلان الجمهورية :

فى ١٩٢٠ أعلن لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية آنذاك ، قانون حكومة ايرلندا الذى اعطى بمقتضاه درجة من الحكم المحلى للمقاطعات الجنوبية والتى تسكنها اغلبية كاثوليكية ويبلغ عددها ٢٦ مقاطعة ، كما اعطى درجة أخرى من الحكم المحلى للمقاطعات الشمالية واغلبيتها من البروتستانت وعددها ٦ مقاطعات · وأعلن القانون ان بامكان الشمال والجنوب توحيد برلمانيهما اذا ان بامكان الشمال والجنوب توحيد برلمانيهما اذا شاءا · وكان ذلك ذرا للرماد فى العيون ، حيث ان لويد جورج كان يعرف ان الرجعيين فى الشمال يرفضون هذه الفكرة ·

وفى يولية ١٩٢٠ عمل الرجعيون من البروتستانت فى بلفاست على طرد الكاثوليك بالقوة من المنطقة الصناعية هناك · وقاموا بمهاجمة وتدمير منازل الكاثوليك هناك،وفصلوهم من أعمالهم ، مما أدى الى تشريد الالاف ومقتل العشرات منهم .

وفى الفترة من يولية الى ديسمبر ١٩٢١ دارت مفاوضات بين الجانبين البريطانى والايرلندى فى الجنوب انتهت بتوقيع اتفاقية ٢١ ـ ١٩٢٢ التى أعطت الحكم الذاتى للمقاطعات الست والعشرين الجنوبية ، على أن يؤدى أعضاء البرلمان الايرلندى قسم الولاء للتاج البريطانى · ثم دارت المفاوضات بعد ذلك بين الحكومة البريطانية وشمال ايرلندا أدت فى ١٩٢٥ الى فصل شمال ايرلندا عن جنوبها تماما ·

وفى انتخابات ١٩٣٢ استطاع ديفاليرا تحقيق الاغلبية · وعندما أصبح رئيسا للوزراء اعلن ديفاليرا انه سوف يلغى قسم الولاء للتاج البريطانى ، ويوقف ارسال ضرائب الارض السنوية · ونتيجة لذلك فرضت انجلترا ضرائب عاليه على الواردات الايرلندية . ولكن هذه الحرب الاقتصادية انتهت فى ١٩٣٨ · وفى ١٩٣٧ تم اعلان دستور جديد فى الجنوب أعلن أن ايرلندا دولة مستقلة ذات سيادة تحت اسم « اير » ، ورئيسها ينتخب كل سبع سنوات ، ومنذ ذلك الوقت وديفاليرا يتولى منصب رئيس الدولة وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اتفقت الاحزاب فى جنوب ايرلندا على ضرورة اتحاد الشمال مع الجنوب ، وفى عيد الفصح فى ١٩٤٩ قاموا باعلان الجمهورية ·

شروط التقسيم

تبلغ نسبة الكاثوليك فى شمال ايرلندا ٣٣ فى المائة من السكان وهم يعيشون فى ظل ظروف من التفرقة الدينية الواضحة ويؤمنون بضرورة العمل من أجل القضاء على جريمة التقسيم · ان الوضع الاقتصادى المتدهور فى ايرلندا بالاضافة الى عملية التقسيم جعلا الشمال والجنوب يعتمدان على الاقتصاد الانجليزى · وقد عمدت السلطات فى الشمال الى اتاحة الفرصة أمام اولئك الذين ينادون بالاتحاد مع انجلترا من أجل تدعيم نفوذهم الاقتصادى ، بينما ضيقت من فرص العمل امام الاخرين · وذلك هو جوهر الصراع الدائر الان فى الشمال ·

ان الصعوبات الاقتصادية التى واجهت حكومة ايرلندا فى الجنوب جعلها تركز جهودها على مواجهة هذه المشاكل ، وصرفت النظر عن ضم المقاطعات الست الشمالية · وكان ذلك من أسباب الخلاف والصدام بين رجال « جيش ايرلندا الجمهورى I.R.A. وبين ديفاليرا ، وفى بداية الحرب العالمية الثانية اعلن ديفاليرا حياد

ايرلندا ، ولكن رجال الـ (I.R.A.) كانوا يعتبرون أنفسهم فى حالة حرب مع بريطانيا ، مما دفــع ديفاليرا الى اعتقال الكثيرين منهم • ومنذ ذلك الوقت اصبح تنظيم الـ I.R.A. غير شرعى ، أو فى أحسن الظروف شبهشرعى .

وفى ١٢ ديسمبر ١٩٥٦ بدأ رجال « جيش ايرلندا الجمهورى » عمليات عبور الحدود من الجنوب للقيام بعمليــات عسكرية فى الشمال ، ولكنهم اضطروا الى وقف هذه العمليات فــى ١٩٦٢ •

وعندما بدأت قوى اليسار فى الجنوب والشمال تتجمع مرة اخرى واتحدت حركة الطبقة العاملة فى مؤتمر النقابات الايرلندى ، بدأ ايان بيزلى احد القساوسة البروتستانت فى الشمال ـ يلعب دوره فى تأجيج روح الكراهية ضد الكاثوليك وسط صغار التجار والبروتستانت الذين استفادوا الى حد ما من وجود شمال ايرلندا .

وفى ١٩٦٨ بدأت حركة الحقوق المــدنية فى ايرلندا الشمالية بالقيام بمظاهرات لتحسين حال الكاثوليك ، مما أدى الى الصدام مع البوليس الذى استخدم العنف ضد المظاهرات السلمية • واتسعت الحركة الديمقراطية لتشمل قطاعات مختلفة من الشعب • ولجأت السلطات فى الشمال الى تشجيع جماعة بيزلى لتنظيم مظاهرات مضادة ، ثم منعت كلا الجانبين من التظاهر ، وفى أغسطس ١٩٦٩ سمحت السلطات الرجعية فى الشمال لجماعة « أورنج » تنظيم مظاهرة فى مدينة ديرى ، بينما كانت قد منعت مظاهرات حركة الحقوق المدنية •

وفى بلفاست قامت جماعات البــروتستانت المتعصبة بالهجوم على الحى الكاثوليكى وقد نتج عن ذلك أن قام الكاثوليك باقامة التحصينات حول الحى الذى يعيشون فيه ورفعوا العلم الايرلندى واقاموا محطة اذاعة « بلفاست الحرة » وقامت حكومة ويلسون العمالية بارسال فرق من الجيش الانجليزى لمحاولة اعادة النظــام على حد قولهم ، وقاموا بالتمركز فى النقاط الفــاصلة بيــن البروتستانت والكاثوليك .

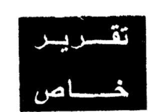
وفى ١٩٦٩ أدعت الحكومة فى شمال ايرلندا أن هناك مؤامرة يعدها رجال الـ I.R.A ، وتكونت وزارة أكثر رجعية برئاسة فــوكنر • ولكن الاجراءات الارهابية التى اتخذتها زادت من روح الكراهية ، كما ازدادت أعمال العنف التى سقط فيها العديد من المدنيين • وفى أغسطس ١٩٧١ اصدرت حكومة فوكنر قانونا يبيح لها القاء القبض على المشتبه فيهم ، وايداعهم فى معســكرات الاعتقال • وقامت بالفعل بالقاء القبض على المئات من أعضاء حركة الحقوق المدنية ورجــال I.R.A. وكل من يشتبه فيه • ولكن ذلك زاد من حدة السخط ضدها • ولجأت حكومة هيث فى البداية الى ارسال المزيد من فــرق الجيش البريطانى الى شمال ايرلندا • ولكن ذلك لم يمنع من استمرار تدهور الوضع .

وفى مارس ١٩٧٢ اضطر هيث ـ فى محاولة منه لانقاذ الموقف ـ الى اقالة حكومة فوكنر فى شمال ايرلندا ، واسند شئونها الى مستر هوايتلو احد وزرائه فى الحكومة البريطانية • ولجــأ هوايتلو الى التخفيف من حــدة الاجــراءات الاستثنائية التى كانت الحكومة السابقة قــد اتخذتها ، واضطر الى الافراج عن العديد من المعتقلين • وقام بعدة اتصالات سرية فى محاولة لوقف اعمال العنف • ولكن جوهر الموقف لم يتغير ، بل ان جماعات البروتستانت الرجعيــة عادت الى تسليح أنصارها والقيام بالاستعراضات العسكرية الاستفزازية ، والقيام بعمليات القتل الفردية فى محاولة لارهاب العنــاصر الكاثوليكية والديمقراطية •

ان الحل المباشر والملح فى شمال ايرلندا يمكن فى الافراج عن جميع المعتقلين الذين اعتقلوا دون محاكمة ، وسحب القوات البريطانية من شمال ايرلندا مع اقامة حكومة تمثل فيها الاحــزاب السياسية والتنظيمات الشعبية وتعمل على رفع الغبن عن الاقلية الكاثوليكية التى ترتفع بينها نسبة البطالة وتعانى من التفرقة الدينية مع العمل على حل المشاكل الاقتصادية الموجودة فى الشمال • ان وحدة الطبقة العاملة الايرلندية التى تجمع بين البروتستانت والكاثوليك هى القضية الملحة لمواجهة العناصر الفاشية والارهابية ، ومن أجل اجراء انتخابات تأتى بحكومة ديمقراطية •

ان الديمقراطية وحماية حقوق الاقلية الدينية والدفاع عن وحدة الطبقات الشعبية هو الطريق الذى يؤدى الى الوحدة الحقيقية بين جنوب وشمال ايرلندا ، وهو ما تتمناه الاغلبية الساحقة من الشعب الايرلندى •

جوزيف نادر



خفض قيمة الدولار وانهيار النظام النقدى للعالم الرأسمالى

فى خلال ١٤ شهرا فقط أرغمت الازمة النقدية فى العالم الغربى حكومة الولايات المتحدة على خفض قيمة الدولار الامريكى مرتين : الاولى فى ديسمبر عام ١٩٧١ بنسبة ٨ فى المائة ، والثانية فى فبراير ١٩٧٣ بنسبة ١٠ فى المائة ، ورغم أنه لم تمض أيام على قرار الخفض الثانى فان الدوائر الماليه الامريكية والاوروبية لم تخف شعورها بأن **خفض الدولار ليس سوى عملية تأجيل للازمة ، بحيث لا تلبث أن تعود وربما بصورة أشد خطورة على النظام النقدى الدولى للعالم الرأسمالى .**

والاقرب للواقع أن قرار خفض قيمة الدولار للمرة الثانية بهذه النسبة الكبيرة هو بمثابة « **مسكن** » يساعد على خفض حرارة المريض ـ وهو هنا الدولار الامريكى ـ ولا يقضى على المرض من جذوره .

ان خفض قيمة الدولار يرمى أساسا الى جعل المنتجات الامريكية متاحة للاسواق الخارجية بسعر أقل ـ أى تشجيع الصادرات الامريكية ورفع سعر المنتجات الاجنبية فى الاسواق الامريكية (وخاصة منتجات اليابان والمانيا الغربية التى تتميز برخص واضح بالمقارنة بمثيلاتها من المنتجات الامريكية) بحيث يصبح استيراد السلع الاجنبية اكثر تكلفة للامريكيين .

ولكن الامر يحتاج الى سؤال مسبق عن **سبب فقد الثقة بالدولار** على النحو الذى أدى الى « موجة محمومة » من المضاربة ضده ، أى التخلص منه فى اسواق النقد العالمية للحصول على عملات أخرى أكثر ثباتا مثل المارك الالمانى والين اليابانى .

ويرجع السبب فى فقد الثقة بالدولار الامريكى الى عدة عوامل : **أولها واكثرها اهمية العجز الضخم فى الميزان التجارى الامريكى الذى سجل فى العام الماضى رقما قياسيا اذ ارتفع الى ٦٤٠٠ مليون دولار** ، على حين كان لدى الولايات المتحدة فائض فى الميزان التجارى يعادل نفس هذا الرقم عام ١٩٦٤ . والاسباب الاخرى لفقد الثقة بالدولار هى التضخم المالى المزمن داخل الاقتصاد الامريكى (وهو زيادة الاموال السائلة المتاحة فى الاسواق الامريكية مع انخفاض قيمتها الشرائية) ، ويضاف الى هذا عنصر جديد هو الخوف من آثار وقف الحرب فى فيتنام على معدل النمو الاقتصادى الامريكى . المهم أن هذه العوامل مجتمعة ـ وبصفة خاصة عامل عجز الميزان التجارى ـ أدى الى تراكم مبالغ هائلة من الدولارات فى اوروبا الغربية واليابان وانخفاض قيمتها .

وبطبيعة الحال فان اجراء خفض قيمة الدولار فى المرتين كان يستهدف مساعدة الميزان التجارى الامريكى وميزان المدفوعات الخارجية على خفض العجز الهائل الذى يعانيه . ولكن تجربة الاشهر الاربعة عشر الماضية منذ خفض قيمة الدولار فى المرة السابقة اثبتت ان هذا الاجراء لم يؤد الى النتيجة المطلوبة بل أن عجز الميزان التجارى وعجز ميزان المدفوعات قد تفاقما . من هنا منشأ القلق الذى يسود الدوائر المالية الامريكية من ضعف احتمال تسوية الازمة النقدية الاخيرة بمجرد خفض قيمة الدولار . وليس ذلك فحسب بل ان خفض قيمة الدولار قد قوبل فى أوروبا بانزعاج شديد على أساس أنه ستكون له آثار ضارة على اقتصاديات دول الغرب كلها . كما قوبل فى اليابان ـ التى أرغمت حكومتها على « تعويم » عملتها الين ـ بنقد عنيف فى الدوائر المالية والاقتصادية .

وهكذا وجدنا انفسنا خلال أيام من قرار الخفض أمام ظاهرتين رئيسيتين :

١ ـ مخاوف أمريكية عميقة من أن خفض قيمة الدولار لن يؤدى الى حل الازمة النقدية . وان الحكومة الامريكية قد تضطر فى المدى القصير الى اتخاذ مزيد من الاجراءات الاقتصادية « الحمائية » أى الرامية الى حماية مركز الدولار والاقتصاد الامريكى حتى ولو على حساب الدول الاخرى ـ على غرار الاجراءات التى سبق ان اتخذها الرئيس الامريكى نيكسون فى اغسطس عام ١٩٧١ ، وكان ابرزها فرض رسوم اضافية على الواردات الامريكية من الخارج بنسبة ١٥ فى المائة . وتدرك الدوائر المالية الامريكية ان المضى فى فرض رسوم اخرى من هذا النوع سيؤدى حتما الى اجراءات انتقامية من جانب الدول الرأسمالية الاخرى ـ المانيا الغربية وفرنسا واليابان وربما بريطانيا أيضا .

٢ ـ أما الظاهرة الثانية فهي **حملة النقد العنيفة ضد الولايات المتحدة من جانب دول الغرب بسبب عجزها عن حل مشكلات ميزان المدفوعات الامريكي دون الاضرار بتجارة ومصالح الدول الاخرى .** خاصة تلك التي تعد اقرب حلفاء الولايات المتحدة عسكريا وسياسيا واقتصاديا .

وقد اعلن بيير ميرت ـ ممثل بريطانيا في البرلمان الاوروبي في ستراسبورج في ١٠ فبراير الماضي « **ان السوق الاوروبية المشتركة والولايات المتحدة اصبحتا مثل مصارعين من الوزن الثقيل يتوعدان بعضهما البعض قبل ان يدخلا حلبة المصارعة** » . كما اعلن الزعيم الاشتراكي الفرنسي **فرانســـوا ميتيران في** الوقت نفســـه ان خفض قيمة الدولار من جديد هو « **اشارة البدء لحرب تجارية** » بين أمريكا واوروبا الغربية .

وكما هو واضح فان هاتين الظاهرتين السابقتين في امريكا واوروبا الغربية تمثلان وجهين لعملة واحدة هي احتدام حدة التناقض بين المصالح المختلفة داخل العالم الرأسمالي على نحو لم نشهد له مثيلا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . وربما كان من أخطر ما قيل تعبيرا عن اختلاف المصالح الامريكية الاقتصادية تصريح لاحد رجال البنوك في فرانكفورت (ألمانيا الغربية) قال فيه : « **أن الامريكيين لا حاجة بهم الى تحقيق فائض تجاري لان لهم دخلا من اســـتثماراتهم الخارجية يدر عليهم ١٠ آلاف مليون دولار سنويا) وسيزيد الى ١٥ الف مليون دولار في عام ١٩٧٥ . أما نحن (الاوربيون) فليست لنا اســتثمارات خارجية نتحدث عنها** » .

ان هـــذا التصريــح يــكشف جانبـــا من حقيقــة « **التحدى الامــريكي** » لبــاقي العــالم الرأسمالي الذي يتمثل في استثمارات الاحتكارات الامريكية الضخمة في أوروبا الغربية . وهو جانب نادرا ما تشير اليه الولايات المتحدة وهي تكثر الحديث عن ضرورة مشاركة حلفائها لها في حل أزمة ميزان المدفوعات .

ومع ذلك فان جوهر المشكلة لا يكمن فحسب في حجم الاستثمارات الامريكية في باقي دول العالم الرأسمالي ، أو في عجز ميزان المـدفوعات الامريكي الذي فشلت وسائل « التسكين » المؤقت في علاجه . انما **يكمن جوهر المشكلة في أن النظام النقدي الذي أنشأه العالم الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة في نهاية الحرب العالمية الثانية قد أصبح مع مرور الوقت يتعارض مع الظروف الموضوعية للنمو الاقتصادي العالمي والعلاقات الدولية الرأسمالية .** فان ذلك النظام كان يتمشى الى درجة كبيرة مع احتياجات التطور الاقتصادي للدول الرأسمالية بعد الحرب العالمية الثانية . الا انه خلال مجرى التطور الاقتصادي في نهاية الخمسينات والستينات بدأت تلك الظروف تتغير بل وتختفي خاصة مع ازدياد الامكانيات الاقتصادية لدول رأسمالية مثل المانيا الغربية واليابان .

لقد كان النظام النقدي العالمي الذي اقامه العالم الرأسمالي لمعاملاته في عــام ١٩٤٤ تعبيرا عن اعتماد العالم الرأسمالي على مساعدات الولايات المتحدة وعلى قوة مركز الدولار ، وبالتالي تعبيرا عن مصالح الرأسمالية الامريكية وسيطرتها على الدول الرأسمالية الاخرى . وجــاء النمــو الاقتصادي لهذه الدول ليتجاوز مرحلة الاعتماد على المساعدات الامريكية ليصل مع الستينات الى مرحلة منافستها بدرجة خطيرة . ومن هنا بدأت أسس النظام النقدي تتداعى تحت وطأة تدهور مركز الدولار باعتباره العملة الرئيسية للعالم الرأسمالي . وساعد على هذا التدهور تضخم العجز في ميزان المدفوعــات الامريــكي طــوال الستينات والعامين الماضيين من السبعينات بسبب **النفقات الهائلة للحرب العدوانية الامريكية في فيتنام ، واستمرار برامج التسلح الباهظة ونفقات دعم الحكومات العميلة لامريكا في أماكن مختلفة من العالم بالمساعدات العسكرية والمالية .**

وقد اضطرت الولايات المتحدة الى تغطية العجز في ميزان مدفوعاتها على مدى السنوات الماضية باستخدام احتياطيها من الذهب ، ولهذا انخفض هذا الاحتياطي من ٢٤٫٦٠٠ مليون دولار عام ١٩٤٩ الى ١٠٫٣٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧١ . وقد أدى ذلك بدوره الى اضعاف الثقة في الدولار ، ثم الى موجات المضاربة ضده . وهكذا فــان الولايات المتحدة تجد نفسها داخل **دائرة مفرغة من الازمات النقدية المتوالية** ، بينما نمت اقتصاديات ـ وبالتالي عملات ـ المانيا الغربية واليابان وفرنسا وسويسرا ـ وازداد احتياطيها من الذهب .

ولهذا تشعر دول العالم الرأسمالي غير أمريكا أن دورها في النظام النقدي لم يعد يتلاءم مع امكانياتها الاقتصادية اليوم . بينما لا تــزال الولايات المتحدة تتمسك بتحميل هذه الدول نتائج تدهور مركز الدولار ، وازدياد عجز ميــزان المدفوعات الامريكي . ومما لا شك فيه أن الولايات المتحدة لاتزال تملك من وسائل الضغط ما يمكنها

من اجبار بعض الدول على اتخاذ قرارات مالية ونقديه تتعارض فى المدى البعيد مع مصالح هذه الدول وان كانت تساعد على تخفيف حدة أزمة الدولار الامريكى . وترسم الحكومة الامريكية سياستها الاقتصادية على أساس ما تفرضه المصالح الامريكية الخاصة دون اعتبار لمصالح الدول الرأسمالية الاخرى .

ويصبح السؤال الهام الان اذا كانت الدول الغربية سترضخ لفترة اخرى لضغوط المصالح الامريكية عليها ام أنها ستبدأ فى مواجهة « التحدى الامريكى » . واذا كان الاحتمال الاول فان هذا يعنى أن دور العملات الغربية الاخرى ـ المارك والفرنك الفرنسى والفرنك السويسرى والجنيه الاسترلينى .. الخ ـ سيأتى حتما للدخول فى أزمات جديدة بصفة دورية . واذا كان الاحتمال الثانى هو الذى سيتحقق فانه سيعنى تبادل الاجراءات الانتقامية بين أمريكا وحلفائها الرأسماليين ، أى نشوب « حرب اقتصادية » داخل العالم الرأسمالى . وفى الحالتين فان النتيجة واحدة وهى انهيار النظام النقدى الذى أقامه العالم الرأسمالى منذ نحو ثلاثين عاما والذى لا تزال امريكا متمسكة به تمسكها بسيطرتها القديمة على العالم الغربى كله .

س . ك

تقرير خاص

الشعب القبرصى يهزم مؤامرة حلف الأطلنطى واسرائيل

ان النجاح الساحق الذى حققه **الاسقف مكاريوس** فى معركة انتخابات الرياسة فى قبرص التى جرت فى بداية هذا الشهر يؤكد للمرة الثانية خلال عام وقوف جماهير شعبه معه ، ويؤكد ايضا ارادة الجماهير الشعبية فى مواجهة اى مؤامرات من الخارج ، وهو ماعبر عنه الرئيس مكاريوس نفسه فى حديث له : « ان القيام بانقلاب ليس عملا سهلا ، خاصة اذا كان مدبروه يدركون أنهم سيواجهون ، مقاومة شعبية قوية » .

لقد عادت الاضطرابات والقلاقل الى الجزيرة الصغيرة مع الاستعداد للانتخابات الجديدة فى أوائل الشهر الماضى ، وبدأت حوادث العنف تشتعل فى عدة اماكن ، فهاجمت جماعة **الجنرال جريفاس** عشرين مركزا للبوليس فى نفس اليوم الذى كانت فيه الجماهير تستعد لعقد مؤتمر شعبى تأييدا للرئيس القبرصى مكاريوس ، وكان شعار جماعات الارهاب ، هو نفس شعارها القديم « **الوحدة مع اليونان** » مما أثار تساؤلات المراقبين ، وكان مدعاة للاستغراب ، نظرا لان اليونان تعهدت لحكومتى مكاريوس وتركيا بعدم تأييد أية مطالب من هذا النوع ، غير أن المراقبين يشيرون ــ فى الوقت ذاته ــ الى أن الحكومة العسكرية فى اليونان كانت وراء الازمة التى حدثت فى مارس الماضى بهدف الاطاحة بالرئيس مكاريوس ، تلك الازمة التى بدأت بالانذار الشهير الذى قدمته حكومة اليونان الى الاسقف مكاريوس فى شكل مذكرة تهديد تأمر الرئيس القبرصى باسم « أثينا » بتجريد شرطته ومؤيديه من السلاح ، وتشكيل حكومة اتحاد وطنى .

والجنرال جريفاس وهو الاداة التى استخدمت فى اثارة التوتر بالجزيرة فى مارس الماضى هو نفسه الذى يستخدم هذه المرة ايضا لاثارة القلاقل رغم تعهدات حكومة اليونان .

لقد عاد الجنرال جريفاس ، الذى يبلغ من العمر ٧٤ عاما ، سرا الى قبرص ، قادما من اثينا فى سبتمبر ١٩٧١ . وكان قد استطاع فى الستة عشر شهرا الماضية تكوين منظمة سرية مشابهة تماما لمنظمة **أيوكا** ، تستخدم نفس أساليب المنظمة السابقة فى تنظيمها ، وفيما تقوم به من دعايات . وقد حذر منشور وزع أخيرا وعليه توقيع أيوكا ، حكومة مكاريوس من ان « منظمة أيوكا ، ستتولى عقاب رجال البوليس الذين يقبضون على الاشخاص ويعاملونهم معاملة سيئة وفقا لاسلوب **الفيلد مارشال « هاردنج »** .

ورغم أن التفاؤل كان يسود الجزيرة ، مع بداية العام الجديد ، بقرب الوصول الى حل نهائى لمشكلة الجزيرة قبل موعد مناقشتها فى مجلس الامن ــ والمقرر أن تتم المناقشة فى الصيف القادم ــ ، ويتوقع المراقبون أن يكون الاتفاق قد تم فعلا ، على استمرار تقاسم السلطة بين رئيس من اصل يونانى ونائب من اصل تركى . أما برلمان الجزيرة فسيكون من ٧٥ عضوا ، ستون منهم يونانيون و١٥ تركيا ، على أن يشكل كل نواب على حدة مجلسا خاصا لادارة شئون الطائفة .

ويبدو ان القنبلة الاسرائيلية التى قتلت ممثل

منظمة « فتح » فى قبرص قد كشفت الى حد كبير سر النجاح الساحق الذى حققه الاسقف مكاريوس فى كسب الرأى العام ، كما كانت احد الاسباب فى ترجيح كفة استقلال الجزيرة ، فموقع قبرص من حيث قربها للعالم العربى جعلها نقطة استراتيجية ممتازة للنشاط الموجه ضد العالم العربى ، ومعظم قضايا التجسس التى تكتشف فى العالم العربى ، لابد أن يرد اسم قبرص فيها ، أما كمكان لالتقاء العملاء ، أو محطة لارسال المعلومات .

ولكن من هو المستفيد من حالة التوتر هذه التى تخيم على الجزيرة ؟ .. ان المستفيد الوحيد من خلق هذا التوتر هو حلف الاطلنطى ومن ورائه الولايات المتحدة ، بكل ما تمثله مصالحها فى المنطقة . ومع ذلك فان حلف الاطلنطى لم يكشف عن أهدافه علنا ، بل عمد الى استخدام قاعدته المتقدمة فى شرقى البحر المتوسط « اسرائيل » فى تنفيذ مخططاته الجديدة فى قبرص — مما كشفت عنه انفجارات القنابل الاخيرة والتى ادت احداها الى اغتيال ممثل منظمة فتح . **ولا شك أن اسرائيل ستتقبل بارتياح اى انقلاب** محتمل فى سياسة قبرص يبتعد بها عن سياسة عدم الانحياز التى اتخذتها فى علاقاتها الدولية منذ أن اشتركت اشتراكا ايجابيا فى مؤتمرات دول عدم الانحياز الثلاثة فى بلجراد عام ١٩٦١ ، والقاهرة سنة ١٩٦٤ ، ولوساكا ١٩٧٠ . ويتضح من ذلك اسباب التقارب بين العناصر الارهابية فى قبرص والكيان الصهيونى ، وقد ظهر فى شكل «معونات» عسكرية من اسرائيل الى من يطلقون على أنفسهم اسم « شباب أيوكا » .

ولكن انفجار الوضع فى الجزيرة الصغيرة لم يؤد الى النتائج والتوقعات « الاسرائيلية — الامريكية » بل على العكس ، ادى الى التفاف القبارصة حول زعيمهم وتأييدهم له . ويكشف المخطط الامريكى ايضا ، ماجاء فى تقرير الرئيس الامريكى الى الكونجرس فى العام الماضى خاصا بالشرق الاوسط بصفة عامة ، وبمصر بصفة خاصة التى وصفها الرئيس نيكسون بأنها تتحول الى قلعة عسكرية تمثل خطرا حقيقيا على المنطقة ، وعلى حلف الاطلنطى ، فمن الطبيعى اذن بالنسبة لهذا الحلف ، ان يتخذ خطواته لضرب هذا الخطر ، ومحاصرته من ناحية ، واتخاذ الخطوات لسد كل الثغرات فى جانب حلف الاطلنطى ليلعب دوره فى صد الخطر الزاحف عليه من وجهة النظر الامريكية ، وفى اطار هذا المخطط العام ، يأتى مكان قبرص ودورها المرسوم فى خدمة الحلف ومخططاته الاستعمارية ، ومحاولة استخدام الوضع غير المستقر فى داخل هذه الجزيرة بسبب الصراع الطائفى التركى واليونانى الذى نجح الرئيس مكاريوس فى تصفيته تماما خلال فترة حكمه . ومنذ اسبوعين صرح مسئول امريكى فى انقرة ، بأن أكثر ما تخشاه الولايات المتحدة فى المشكلة القبرصية هو أنها تهدد جناحا من أجنحة حلف الاطلنطى ، وقد عبر بذلك عن حقيقة اهداف بلاده ومخططاتها بالنسبة لهذه الجزيرة .

مصطفى سامى

تقرير خاص

شبح أزمة الطاقة يهدد أمريكا

أصدر بنك « تشيز مانهاتن » مؤخرا ، تقريرا هاما حول « ازمة الطاقة فى الولايات المتحدة » . وقد صدر هذا التقرير الذى أعدته مجموعة ضخمة من الخبراء والمتخصصين ، وسط سيل من الابحاث والتقارير والتنبؤات التى غمرت أوربا الغربية والولايات المتحدة فى الفترة الاخيرة حول هذا الموضوع ، وشاركت فى اعدادها واصدارها عديد من مراكز ومؤسسات البحوث الاقتصادية الشهيرة ، والاقسام الاقتصادية المتخصصة فى كبريات الصحف والمجلات الصادرة بصفة خاصة فى كل من واشنطن ولندن وباريس وبون وروما .

ويكشف تقرير بنك تشيز مانهاتن ، كما تكشف كل التقارير والبحوث الاخرى فى هذا الموضوع كيف اصبحت مشكلة نقص مصادر الطاقة شبحا حقيقيا يقض مضاجع الساسة والخبراء والمخططين فى أوربا الغربية والولايات المتحدة ، كما يكشف فى نفس الوقت عن الطريقة التى يفكر بها هؤلاء فى مواجهة هذه المشكلة ، وخططهم بالنسبة للمستقبل .

وتنحصر الفترة التى يتناولها تقرير تشيز مانهاتن بالنسبة لازمة الطاقة فى الولايات المتحدة فى الفترة ما بين ١٩٧٠ و ١٩٨٥ ، وهى الفترة

التي يرى التقرير أنه ما لم تنجح الولايات المتحدة في التغلب على هذه الازمة خلالها ، فان احداً لا يستطيع أن يتنبأ بالنتائج البالغة الخطورة التى سوف تترتب على هذا الاخفاق .

وقبل ان يشخص لنا التقرير حقيقة المشكلة ، ويكشف عن ابعادها الخطيرة ، فانه يبدا بمقدمات تمهيدية اساسية ، يوضح فيها بالارقام الزيادة المتوقعة فى استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة خلال الفترة الزمنية المذكورة ، وذلك انطلاقا من حقيقة اساسية تتصدر التقرير ، وهى ان الطلب على الطاقة ، وبالتالى استهلاكها ، يرتبط بحجم السكان واحتياجاتهم وانشطتهم الاقتصادية ، وانه حسب التقديرات الاحصائية الدقيقة ، فان سكان الولايات المتحدة سوف يزيدون حتى عام ١٩٨٥ حوالى ٣٧ مليونا، ليصبح تعدادهم ٢٤١ مليون نسمة ، منهم ٤٤ فى المائة أعمارهم ما بين العشرين والخامسة والثلاثين . وعلى هذا الاساس ، يورد التقرير، التقديرات المتوقعة للزيادة فى استهلاك الطاقة بمصادرها المختلفة ، فى مجالات الاستخدام الرئيسية المعروفة . ففى مجال **النقل** سوف تزيد احتياجات الولايات المتحدة للطاقة عام ١٩٨٥ بمقدار ٧٦ فى المائة ، وفى مجال **التجارة** بمقدار ٧٥ في المائة وفى **الصناعة** ٦٣ فى المائة وفى **البناء والتشييد** ٤٧ فى المائة ، وفى مجال **توليد الكهرباء** بمقدار ١٨٩ فى المائة .

ويكاد التقرير يحصر جوهر الازمة التى تواجهها الولايات المتحدة حتى عام ١٩٨٥ ، فى مصدر واحد — ولكنه أساسى — من مصادر الطاقة ، الا **وهو البترول** ، وذلك من دون بقية مصادر الطاقة المعروفة ، **وهى الغاز الطبيعى والفحم** ، **والقوى المائية** ، **والطاقة الذرية** ، ويصل التقرير من ذلك الى عملية « **تشخيص** » للازمة وأبعادها ، فيحدد أسبابها فيما يلى :

أولا : ان نصيب البترول فى استهلاك الطاقة فى الولايات المتحدة سوف يزيد عام ١٩٨٥ الى أربعة أضعاف ما كان عليه عام ١٩٧٠ ، نتيجة عوامل بيئية واقتصادية ، بالاضافة الى عوامل أخرى .

ثانيا : ان الجانب الاكبر من احتياجات الولايات المتحدة من البترول **يقع خارج اراضيها** وبالتالى فهى تواجه مشكلة تأمين استمرار تدفق هذا البترول اليها .

ثالثا : ان مصادر الطاقة الاخرى غير البترول تعانى من مشاكل تضاعف من حدة الازمة فهى اما تواجه نقصا هى الاخرى كما هو الحال بالنسبة للغاز الطبيعى ، واما انها لا تصلح كبديل للبترول مثل الفحم والطاقة الذرية .

ويخلص التقرير من ذلك الى نتيجة هامة ، وهى ان البترول سيظل بالنسبة للولايات المتحدة — كما كان — هو المصدر الرئيسى للطاقة ، نظرا للمميزات الخاصة التى يتمتع ، بل ينفرد بها فى هذا الصدد ، فهو متعدد الاستعمالات ، ويكاد يكون هو المصدر الوحيد ، دون بقية المصادر الاخرى للطاقة ، الذى يستخدم فى المجالات الرئيسية الخمسة للاستهلاك ، وهو مثلا الوحيد الذى يستهلك فى مجال النقل .

وبالارقام ، فان **الطلب** على البترول فى الولايات المتحدة سوف يقفز من ٧ر١٤ مليون برميل فى اليوم عام ١٩٧٠ ، الى ٢ر٣٠ مليون برميل عام ١٩٨٥ ، بينما طاقة **الانتاج المحلى** للولايات المتحدة من البترول كانت ٦ر١١ مليون برميل فى اليوم عام١٩٧٠،وسوف لاتزيدعلى ١٥ مليون برميل عام ١٩٨٥ ، وذلك فى حدود استثمار ٨٥ بليون دولار فى البترول خلال هذه الفترة ، وهو الحد الاقصى من رءوس الاموال الممكن توجيهها فى هذا المجال .

ومعنى ذلك — كما يقول التقرير — هو ان الانتاج المحلى الذى كان يغطى فى عام ١٩٧٠ حوالى ٨٠ فى المائة من الاحتياجات ، سوف لا يغطى عام ١٩٨٥ الا « **نصف** » هذه الاحتياجات فقط ، حتى لو اضيف الى هذا الانتاج ما سيخرج من آبار البترول فى الاسكا . وبالتالى : فاذاكان لابد من تغطية « **كل** » احتياجات الولايات المتحدة من البترول ، فان الولايات المتحدة سوف يكون عليها أن تعتمد بدرجة أكبر على الموارد الاجنبية من البترول . وهذه الموارد تتحدد عام ١٩٨٥ فى امريكا اللاتينية التى سيصل انتاجها الى ٥ر١ مليون برميل فى اليوم . وكندا التى سيصل انتاجها الى ٢ر١ مليون برميل فى اليوم .ثم الشرق الاوسط وشمال افريقيا وسيصل انتاجهما عام ١٩٨٥ الى ٦ر١١ مليون برميل فى اليوم .

وبالنسبة لامريكا اللاتينية وكندا ، فان التقرير يستبعد امكانية الاعتماد عليهما كمصدرين للبترول للولايات المتحدة : أولا لانهما لا يملكان تلك الامكانيات غير المحدودة من البترول التى يمكن تصديرها للولايات المتحدة . **وثانيا** لانهما على ضوء احتياطياتهما الراهنة ، ومشروعاتهما للتنقيب فى المستقبل ، واحتياجاتهما الداخلية

المتزايدة للبترول ، فان الفائض منهما سوف لا يكون ذا قيمة تذكر بالنسبة للولايات المتحدة .

اذن : فان الشرق الاوسط وشمال افريقيا سوف يكونان هما المصدر الرئيسي لتدفق البترول للولايات المتحدة عام ١٩٨٥ . فالكمية المنتظره من هاتين المنطقتين سوف تمثل كما يقول التقرير ، اكثر من ثلاثة ارباع اجمالي واردات الولايات المتحدة من البترول ، وحوالي ٤٠ في المائة من اجمالي امدادات الطاقة للولايات المتحدة من جميع المصادر .

وهنا تبرز خطورة الازمة بالنسبة للولايات المتحدة . ذلك انها تعتمد بدرجة متزايدة على البترول اكثر من اى مصدر آخر من مصادر الطاقة ، وهى لا تستطيع كما يؤكد التقرير ان تحتمل اى نقص فى تدفقه لفترة طويلة . بل ان اى انقطاع فى هذا التدفق ، ولو لفترة محدودة ، يمكن أن يؤدى الى خسائر فادحة .

ومما يضاعف من خطورة الازمة فى نظر واضعى التقرير ، أن كثيرا من مناطق انتاج البترول فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا قد اصبحت لفترة طويلة مسرحا للاضطرابات والقلاقل ، وان التجربة قد علمت الولايات المتحدة ان امكانية تعرض حركة تدفق البترول اليها للاهتزاز مازالت قائمة ، ولا تزال التهديدات تتردد فى المنطقة بقطع الامدادات أو تخفيضها ، واذا ما حدث ذلك ، فان سلسلة من النتائج الخطيرة سوف تتداعى بعد ذلك ، فالمعروف أن المطاط والمواد العضوية هى من منتجات البترول ، وبالتالى سوف تتأثر بأى هزة فيه .

يضاف الى ذلك بعض الحقائق المتصله بمصادر الطاقة الاخرى بالنسبة للولايات المتحدة . **فالغاز الطبيعى** سوف يقل ، وتكلفة التوسع فى انتاج **الفحم** سوف تكون ضخمة للغاية وبالتالى سوف يرتفع سعر الفحم بدرجه رهيبة . اما بالنسبة **للطاقة الذرية** ، فانها برغم تضخيم اهميتها ، لا تستطيع أن تكون بديلا كاملا لا للبترول ولا لاى مصدر آخر من مصادر الطاقة ، ذلك لان استخدامها مباشرة فى الصناعة او التجارة او النقل واغراض البناء والتشييد مسألة غير عملية ، وبالتالى فان امكانية المتاحة هى استخدامها فى توليد الكهرباء ، ومعنى ذلك فان قيمتها تتحدد باستخدامات الكهرباء ذاتها . وعلى اية حال فان الطاقة الذرية لن تمثل عام ١٩٨٥ اكثر من ١٣ فى المائة من اجمالى الطاقة المطلوبة للولايات المتحدة .

ويخلص التقرير من هذا الاستعراض الى التأكيد على ان الموقف بالنسبة للولايات المتحدة « **غاية فى الخطورة** » وان مواجهته تتطلب « **خطوات صحيحة وعاجلة** » ، وحتى فى حالة اتخاذ مثل هذه الخطوات ، فان آثارها التى سوف تستغرق عدة سنوات لن تأتى الا بعد ان تكون الازمة قد ازدادت استفحالا بسبب النمو السريع فى احتياجات الولايات المتحدة من الطاقة .

ولكن ماهى هذه الخطوات التى يطالب بها التقرير ؟!

ان التقرير لا يذكر صراحة هذه الخطوات ، ولكنه يناقش بعض الاراء التى تتردد فى الولايات المتحدة حول هذا الموضوع ، ليؤكد خطورة الوضع ، فهو يرد على الذين يقللون من اهمية الازمة على اساس ان الولايات المتحدة «**قادرة**» على استيراد كل احتياجاتها فيؤكد أن مجرد اعتماد الولايات المتحدة بدرجة متزايدة على بترول لا تضع يدها عليه ولا تضمنه ، هو كما لو كانت تعتمد على دولة اجنبية لكى تدافع عن اراضيها . كذلك فان خطورة الموقف لا تنحصر فقط فى امكانية تعرض تدفق البترول للتوقف اوالنقص،بل ايضا بسبب ماسوف تعانيه من عجز فى ميزان مدفوعاتها . فهى فى حاجة لكى تستورد ما تحتاجه من البترول عام ١٩٨٥ الى تدفق رءوس اموال تصل الى ٣٠ بليون دولار فى السنة وسوف يكون العجز فى ميزان المدفوعات فى البترول وحده حوالى ٢٥ بليون دولار . وهذا العجز يمكن أن يكون اكبر فيما لو اقدمت البلاد المنتجة للبترول فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا على رفع اسعار البترول الخام ، فحينئذ لن يكون أمام الولايات المتحدة بصفتها « المحتاجة » لهذا البترول الا ان تدفع لانها لا تملك القدرة على المساومة .

ان عصب حياة الولايات المتحدة ومستقبلها هو فى البترول العربى . وهى تقف وراء اسرائيل بكل قواها من اجل حماية احتكاراتها البترولية . وللاسف ، فرغم انها هى نفسها تعترف بذلك وتؤكده فاننا حتى الان لا نملك الا صيحات عالية نرددها بضرورة ضرب المصالح الامريكية فى المنطقة والاضرار بها ، دون أن ندرك أن العالم من حولنا يتحرك بأقصى سرعته ، واننا مالم نتحرك نحن ايضا وتتخذ الخطوات الايجابية الفعالة فى مجال مواجهتنا مع العدو ، فان الهزيمة المحدودة التى أصابت عدة دول عربية ، سوف تتحول الى هزيمة كاملة للامة العربية كلها .

محمد ابو الحديد



■ تاليف :

جيلبير مورى

■ الناشر :

« أفكار ممنوعة » ـ دار سندباد ـ باريس ١٩٧٢

يعتبر هذا الكتاب الذى صدر باللغة الفرنسية فى باريس ، اول كتاب يصدر عن منظمة « **ايلول الاسود** » الفلسطينية وعملياتها ، وعن « أيلول الاسود » نفسه ، كشهر للمذابح البشعة التى رتكبها النظام الاردنى فى حق الشعب الفلسطينى والمقاومة والميليشيا الفلسطينية .

ومؤلف هذا الكتاب « **جيلبير مورى** » ، كان هو نفسه من رجال المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازى لفرنسا ، اذ دخل صفوف المقاومة هناك ابتداء من عام ١٩٤٠ ، وهو من المتخصصين فى علم الاجتماع ، ومن أهم مؤلفاته « **مجتمع القمع** » . وقد كافح فى صفوف الحزب الشيوعى الفرنسى كأحد أعضائه لمدة ٢٧ عاما ، ولكن اتجاهه « الماوى » أبعده من الحزب . وقد شارك جيلبير مورى فى تأسيس مكتبة « **فلسطين** » بباريس .

وقد طالب « **كمال عدوان** » عضو المكتب السياسى لحركة التحرر الوطنى الفلسطينى (فتح) فى المقدمة التى كتبها للكتاب بعنوان « لا شىء بدون الفلسطينيين » طالب بمعيار انسانى للعدالة والحق بالنسبة لقضية الشعب الفلسطينى ، وللكفاح الذى يخوضه ، وللعسف والجور اللذين يتعرض لهما . يقول : الانسانية احترام الحياة الانسانية . لقد مات فى ميونيخ ١٧ رجلا : أحد عشر اسرائيليا ،

والمانى واحد ، وخمسة فلسطينيين . أما الاخرون فلقد كان من الممكن ان يموتوا ، بل لقد كان عليهم حتى أن يموتوا وحيدين » .

لقد كان من الممكن اقامة الدليل على « براءة » البعض و « اجرام » البعض الاخر ، لو لم يقتل فى صمت ، بقنابل الاسرائيليين ، فى نفس اليوم التالى لوقوع « الضحايا » الاسرائيليين ، مائتا فلسطينى ما بين أطفال ونساء وعجائز . فهل كان هؤلاء الفلسطينيون اكثر أو أقل « براءة » من الاحد عشر اسرائيليا الذين دفنوا فى اليوم السابق . هذا سؤال مطروح . ولم يكن قد طـرح بعد » .

« ان « الجريمة » الحقيقية التى اتهم بهـا الفلسطينيون فى ميونيخ ، ليست هى أنهم قتلوا أحد عشر اسرائيليا ، لم يكن أحد ، وخاصة السيدة جولدا مائير ، ترغب حقا فى انقاذهم ، وانما لانهم اقتحموا عالما ، كان يراد له أن يكون عالما « جميلا لطيفا » هادئا أصما . اقتحموا تجمعا لم توجه لهم الدعوة اليه ، انهم يتهموننا ، نحن الفلسطينيين ، بأننا كدرنا صفو عيد كان يراد أن يظل مقصورا فحسب على ضيوف « حكماء مرموقين » ، لهـم مقاعد فى الامم المتحدة ، واعلام وأناشيد قومية . ولم يكن علينا بعد أن استبعدنا مــن « السلام الاوليمبى » الا أن ننتظر على الباب . ولكنهم لا ينسوننا فهم يعلمون احيانا اننا نعيش فى مخيمات اللاجئين ، بفضل اعانات « الاحسان الدولى » . ويتعين علينـــا اذا أظهرنـــا « التعقــل » أن نفاوض « كويسلنج » جديد فى صورة « حســين » أو « الجعبرى » أو « الشوا » أو « الاعيــان الاخرين » المتعاونين .

واستطرد « كمال عـدوان » قــائلا فــى مقدمته : « وفى الوقت الذى قدم فيه الفلسطينيون أنفسهم كضحايا طيبين ، ولاجئين فقراء ، فانهم قدمــوا الدليــل على امكانيـــة أن يــكونوا كذلك « حاسمين » و « ماكرين » و « مغالين » مثل الرئيس « نيكسون » ، والسيدة « جولدا مائير » . والجنرال « موشى ديان » ، وذلك مــا لا يمكن اغتفاره لهم » .

« لقد أراد الفلسطينيون فى ميونيخ أن يجرى معهم نقاش على مستوى الند للند ، نقاش عن ظروف حياتهم ، وموتهم ، وسجنهم . لكن اسرائيل لم ترد ، هذا الحوار ، وهذه المفاوضة التى كان يمكن أن تؤدى الى حل ، رفضت اسرائيل التفاوض فى ميونيخ بحجة أن ذلك « رضوخ للابتزاز » . أما السبب الحقيقى فكان هو أن الصهيونيين يرون على الدوام أن الفلسطينيين غير موجودين ، ولم يكن لهم وجود قط » .

وقال فى ختام مقدمته : « أما فيما يتعلق بالرأى العام الاوربى ، فيتعين عليه أن يبدأ حوارا جديا حقا مع المقاومة الفلسطينية ، وأن يدرك أنه لن يتحقق شىء بنــاء فى الشرق الاوسط ، بـدون الفلســطينيين . وسيحل التناقض نفسه ، عندما يستطيع الشعب الفلسطينى ، ممثلا فى منظمة التحرير الفلسطينية أن يمارس كلية وبحرية ، حقه فى تقرير مصيره على ارضه . وحتى يتحقق ذلك ، لن يفقد الشعب الفلسطينى سوى أغلاله » .

ويتضمن الكتاب أربعة فصول عن عمليـة ميونيخ ، ومجازر عمان ، واسباب أيلول الاسود ، والفصل الرابع بعنوان : ارهابيون أم ساسة ؟ ويضم الكتــاب بعد ذلك الوثائق التى أصدرهـا الفدائيون الفلسطينيون ، قبل عملية مطار اللد الاسرائيلى ، ثم الوثائق المتعلقة بعملية مطار اللد التى قامت بها منظمة أيلول الاسود ، والعملية الاخرى فى مطار اللد التى قامت بها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ثم وثائق عمليتــى ميونيخ وزغرب .

وأورد المؤلف فى الفصل الخاص بعملية ميونيخ اسباب تسمية هذه العملية بعملية « بـرعم واقرت » ، وهما القريتان اللتان طرد الاسرائيليون سكانهما العرب فى ١٩٤٨ ، ونسفوا مساكنهما ، وسلموا اراضى القريتين وتبلغ ٣٥٠٠ هكتار الى مستوطنين اسرائيليين ، ولم تفلح جهود الاساقفة الكاثوليك والفاتيكان للتدخل لصـالح سكان القريتين العرب والمسيحيين الذين أمرهم الاسقف جوزيف رايا اسقف الجليل سنة ١٩٧١ ، باحتلال كنيستى القرية ، ولكنهم بالطبع طردوا منهما .

وما أوضحه جيلبير مورى للقارىء الاوربى هو أن اطلاق اسم برعم وأقرت على عملية ميونيخ ، كان الهدف منه ،التذكير بحقيقة ان الفلاحين والقساوسة الفلسطينيين ، قد طردوا من أراضيهم لا لاسباب عسكرية كما يزعم الاسرائيليون ، وانمــا بغرض استيطان واستعمار الاراضى من قبل « الكولون » الصهيونيين وكجزء من الخطة العامة لطرد الشعب الفلسطينى واستبداله بمستوطنين غرباء عــن البلاد .

وقام المؤلف بسرد التفصيلات المعروفة لعملية ميونيخ ، واحتلال فدائيى « أيلول الاسود » لمقــر البعثة الرياضية الاسرائيلية فى القرية الاولمبية . الا أنه أتى على ذكر بعض التفصيــلات ذات الدلالة . وأعلن مثلا عن استنكاره لموقف تلك الصحف الاوربية التى اتهمت الفدائيين فى ميونيخ « بالوحشية » لانهم رفضوا ادخال طبيب لمعالجة يوسف رومانو رجل الامن الصهيونى الذى أصيب أصابة بالغة عند احتلال الفدائيين لمقر البعثة

الاسرائيلية ، فى الوقت الذى لم تحرك فيه نفس هذه الصحف ساكنا عندما وقعت وحدة فلسطينية بمطار « اللد » فى كمين نصبه « ديان » مستغلا رجال الصليب الاحمر الذين اكدوا أنهم أخذوا على غرة ، وفوجئوا بمخطط ديان الذى أدى الى قتل الفدائيين . وفضلا عن ذلك أشار جيلبير مورى الى أن الاشتباك الاول مع الاسرائيليين فى مقر البعثة الرياضية أدى الى اصابة ثلاثة من الفلسطينيين لم يحظوا هم أيضا باسعاف الطبيب تماما مثل يوسف رومانو ، وذلك لتفادى استغلال الصليب الاحمر فى مناورات خبيثة أخرى كتلك التى أدت الى فشل عملية اللد .

ويتساءل المؤلف حقا عن السبب فى اتهام الفدائيين الفلسطينيين بأنهم « انتهكوا السلام الاوليمبى » لمجرد أنهم طالبوا بالافراج عن ٢٠٠ فدائى مقابل اطلاق سراح الرياضيين الاسرائيليين ، فيقول : « هل أمر الرئيس نيكسون بوقف القصف فى فيتنام اثناء الالعاب الاوليمبية ،أم هل توقف دوى رصاص البنادق فى أرجاء العالم ، ليفسح طريقا فسيحا للبطولة الرياضية ؟ أم أن السلام الاوليمبى هذا ، لا مكان له الا ميونيخ ؟ ان الشعب الفلسطينى الذى استبعد من الاولمبياد لا يمكنه أن يعتبر نفسه طرفا فى اتفاقات لم يعقدها معه أحد » .

وأشار الكاتب الى بعض الحقائق الجديدة فى عملية ميونيخ مثل محاولة استخدام قائد فرقة الاقتحام التى أعدها بوليس المانيا الغربية ، للتسلل الى مقر البعثة الاسرائيلية فى صورة طباخ لتقديم الغذاء الى الاسرى والفدائيين . وذلك بغرض التعرف على المكان لاعداد خطة هجوم ، وكيف تنبه الفدائيون الى ذلك ، فتسلموا الغذاء ، ورفضوا ادخال هذا الزائر الفضولى وقاموا هم بتوزيعه على أسراهم . وندد الكاتب بذلك التفريق الغريب ، المتمثل فى اعتبار الاسرى الاسرائيليين « رهائن أبرياء » والفدائيين العرب : « ارهابيون صدرت ضدهم احكام من محاكم » شرعية ، ويتساءل : ألا يعتبر المدنيون الفلسطينيون المحتجزون فى السجون الاسرائيلية « رهائن » حقا ، وخاصة أولئك الذين حتى لم ينتهكوا أيا من قوانين المحتل ، وانما كانت جريمتهم الوحيدة ، هى أنهم فحسب ، أقرباء لفدائى .

واوضح الكاتب كيف وافق الفدائيون الفلسطينيون على استبدال الرياضيين الصهيونيين ، « بمسجونات خطرات » !! مثل « لطيفة عبد الكروم » (٦٣ عاما) وابنتها « حنيفة » (٤٠ عاما) اللتان كانت جريمتهما الوحيدة أنهما اتاحتا لرجل ، هو ابن الاولى ، وشقيق الثانية ، ولكنه « فدائى من فتح » أن يروى ظمأه بكوب ماء ويتناول بعض الخبز والزيتون ، بعد ان تسلل الى اسرائيل فى احدى المهمات .

كذلك اوضح فيما يتعلق بتفصيلات عملية ميونيخ انه فى حين قفز أحد الفدائيين من احدى طائرتى الهليوكبتر التى كانت تقل الرهائن ، والقى عليها قنبلة يدوية ادت الى مقتل ٤ من الرهائن الاسرائيليين وذلك بعد اكتشاف خديعة البوليس الالمانى ، فأن قذائف المدرعات الالمانية الغربية هى التى دمرت الطائرة الهليوكبتر الاخرى ، ونفذ البوليس الالمانى الغربى هذه الخطة بناء على أوامر « الخبراء » الاسرائيليين ، والحكومة الاسرائيلية ، التى حكمت بالموت على فدائيى ايلول الاسود ، وعلى الاسرى الاسرائيليين ايضا .

ودافع مورى دفاعا حارا عن حق المقاومة الفلسطينية فى العمل فى أى مكان ويضيف :

من الذى يزعم ، انه لا توجد اليوم حرب فى فلسطين ؟ ان الغرب وحده هو الذى يقرر انه وطن السلام ، وذلك حيثما ينجح فى تحقيق غزوات استعمارية . واذا كانت الانظمة العربية فى تلك الدول التى نستقبل دبلوماسييها ونتلقى بترحاب اكبر ، بترولها ، لم تقبل باجراء المفاوضاتمع الدولة الصهيونية ، فهل يطلب من الفلسطينيين الذين طردوا من أراضيهم وتعرضوا للهجوم اينما كانوا ، ان يحترمواهذا السلام الغريب الذىفرض عليهم من الخارج ؟ » .

« ان حق دولة اسرائيل فى الوجود الشرعى لا يزيد قط عن « شرعية » القول بان « الجزائر فرنسية » وحتى عمر اسرائيل يقل بمقدار خمس مرات عن عمر « الجزائر الفرنسية » وهل ينبغى اذن ادانة عملية ميونيخ باسم الاضطهاد المعادى للسامية الذى ارتكبته المانيا الهتلرية ؟ لا ينبغى بأية حال ان ندخل « اوشفيتز » او « داشاو » فى هذه المناقشة .فلم يوجد معتقل اوشفيتز او داشاو فى فلسطين . ثم أين هى فى فلسطين معسكرات الاعتقال تلك التى زج فيها الشعب العربى ، باليهود ؟ ومتى اضطهد المسلمون والمسيحيون العرب فى تلك الارض اتباع الدين اليهودى ؟ فى حدود علمى ، لم ينجح كاتب صهيونى واحد فى أن يضرب مثلا واحدا على عدوان ارتكبه العرب ضد يهود فلسطين ، قبل ان تحول الصهيونية هذه الارض الوادعة الى ميدان قتال » .

وقد دافع المؤلف عن حق الفدائيين الفلسطينيين فى العمل ضد اسرائيل فى كافة بقاع العالم ، وخاصة فى تلك التى اسهمت فى دعم ومساندة اسرائيل مثل المانيا الغربية التى وقعت فيها عملية

ميونيخ ، والتى قدمت الاموال لدعم اسرائيل والاسلحة التى استخدمتها فى ضرب الفلسطينيين بلا هوادة ، وفى اعدام مناضليهم . ويقول موري « ان كل ذلك يجعل من اراضى البلدان الاتحادية ، مجال عمل شرعى لاعداء الصهيونيين . واذا كانت دولة اسرائيل تقوم بضرب الفلسطينيين فى أراضى البلدان الاخرى ذات السيادة ، مثل سوريا ولبنان وغيرهما ، فلماذا لا يكون من حق الفلسطينيين ان يقوموا بالرد على هذه الضربات ، فى اراضى الدول التى اصبحت بارادة حكامها ، المؤخرة الكبرى للجيش الصهيونى » ؟

وقد أجرى المؤلف كذلك نقاشا له مغزاه مع بعض الاراء القائلة بأن على رجل العصابات الا يهاجم سوى الاعداء المباشرين للشعب ، وحددت العدو المباشر للشعب ، بأنه المناصر النشط الواعى لعملية الاغتصاب ، ولبؤس الشعب الفلسطينى . ويذهب هذا الرأى الى « وجوب التفريق بين اى اسرائيلى ، وبين الجيش أو البوليس او ادارة الاحتلال الاسرائيلى » . وهكذا نجد أن هناك تعريفين مختلفين كلية عن « العدو المباشر » الذى يعد ضربه عملا مشروعا . ذلك أنه لو كان ينبغى قبل ضرب المحتل الانتظار للتعرف على ما اذا كان « نشطا وواعيا » ، لكانت حرب الشعب قد اختفت منذ أمد طويل من على ظهر كوكبنا » وقال مورى « ان المقاومة الفرنسية على سبيل المثال ، لم تنتظر قط لتعرف ما اذا كان الجندى الالمانى ، مناصرا نشطا واعيا لعملية الاغتصاب ، ولبؤس الشعب الفرنسى أم لا ، وذلك قبل أن تضربه » .

ويستطرد مورى قائلا : وتذهب بعض الاراء الى أنه « نظرا لان اسرائيل أحرزت مكانة تستند الى حركة ايديولوجية عميقة » نتيجة للاضطهاد الذى عانى منه اليهود فى ظل الاحتلال النازى ، لذا يتعين على الفلسطينيين أن يدققوا فى ضرباتهم كيلا يبدو « معادين للسامية » . ولكن مورى يتساءل : « كيف ينطوى ضرب صهيونى فى ميونيخ على معاداة أكثر للسامية ، مما لو ضرب فى غزة أو تل أبيب ؟ . ويستطرد قائلا « ان أصحاب هذا الرأى يريدون ان يقولوا « أنه يتعين على الفلسطينيين — لكسب الرأى العام فى فرنسا وغيرها — أن يمتنعوا عن القيام بالعمليات التى يعتبرها عدد من الناس ، لاول وهلة ، سيئة أو مشينة . ويقول : ولكن هذا الرأى العام العالمى كان يشعر بالارتياح الشديد لصمت الفلسطينيين ولموتهم البطىء فى معسكرات « الاحتجاز » . انه فقط بعدم الخضوع لنزواته . وباجباره بالقوة على سماع صيحة غضبهم ، نجح الفلسطينيون ، فى تعريف العالم بانهم موجودون » .

وفى الفصل بعنوان « مجازر عمان » أشار المؤلف الى أن المقاومة الفلسطينية قامت بعد معركة الكرامة ، وحتى سبتمبر ١٩٧٠ ، باستخدام المناهج الصينية والفيتنامية للحرب الشعبية ، بعد ان طوعت هذه المناهج وفق الظروف الخاصة بالشرق الاوسط . واستمرت حرب العصابات فى الاراضى المحتلة . الا ان « جيلبير مورى » يرى انه نظرا لان اسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة لا تشبه فى شىء ، الصين الفسيحة ولا أحراش فيتنام ، ونظرا لان الفدائيين كانوا مزودين بأسلحة خفيفة ، لذا كان من الصعب عليهم أن يقيموا قواعد آمنة ، ومناطق محررة حقا . الا أنه كان بالامكان من ناحية اخرى ، ان تقام على مقربة شديدة من خطوط الهدنة ، نقاط تعزيز قوية .

ولكن مورى يرى انه كانت هناك نقطة ضعف واضحة فى خطة قتال الفدائيين هى أنها كانت موجهة كلية ضد اسرائيل ، فى الوقت الذى كانت المقاومة الفلسطينية ، معرضة فيه لتلقى ضربات فى الظهر ، وكانت مؤخراتها هشة حيث تركز عشرات الالاف من الفلسطينيين فى المدن الاردنية الكبرى وخاصة فى الشمال والوسط ، سواء فى مخيمات أو فى أحياء .

وأبرز الكاتب الدور الخاص الذى لعبه حزب المحافظين البريطانى فى سبيل التمهيد للتحول فى الشرق الاوسط نحو قبول مشروع روجرز ، وكان الحزب قد وصل الى الحكم فى بريطانيا حينذاك وعمل على الاستفادة من علاقاتهم التقليدية بالهاشميين فى سبيل تحويل الموقف الى وضع أفضل بالنسبة للغرب ، والى وضع أفضل بالنسبة لانفسهم أيضا فى المناقشات والمفاوضات مع منافسيهم وشركائهم الامريكيين . ويقول مورى لقد كان البريطانيون هم الذين لعبوا بورقة حسين حقا ، واقنعوا واشنطون أن تقتفى اثر خطاهم فى هذه السياسة . وعلى أية حال فان الحدث الحاسم فى نهاية الامر هنا ، كان تقدم الولايات المتحدة « بمبادرة سلام » أطلق عليها اسم « مبادرة روجرز » .

واوضح مورى حقيقة « أن مشروع روجرز لم يكن قط مشروع سلام ، وانما مشروع حرب ، يستهدف أن يوفر على اسرائيل ضرورة القتال ، ويحول حربا دولية الى حرب اهلية بين العرب » .

وأشار ايضا الى أن واشنطون ولندن كانتا على علم تام بمذبحة سبتمبر وخاصة هنرى كيسنجر الذى استشارته وزارة الخارجية الامريكية ابتداء من ليلة ١٥ سبتمبر حول خطط الحكومة الامريكية فى اطار الحرب الاهلية فى الاردن . ولذلك فابتداء

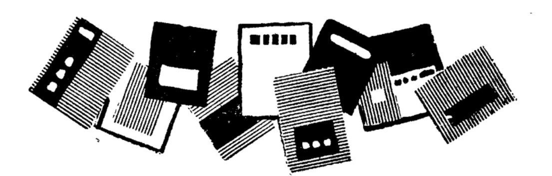
من يوم ١٦ سبتمبر ، – وبشكل اكبر فى ١٧ سبتمبر – بدأت المدفعية الاردنية الثقيلة المزودة بمدافع ١٥٥ مم من احدث طراز – تشترك مع الطيران فى قصف مخيمات اللاجئين بـالقنابل الفوسفورية . وخلال قصف كان يستمر من ١٦ الى ١٨ ساعة كل ٢٤ ساعة ، تم تدمير المخيمات الفسطينية وفى بعض المناطق لم يعد هناك اى اثر للحياة فى هذه المخيمات ، وفى الفترة من ١٧ الى ٢٧ سبتمبر كان القناصة الفسطينيون يواصلون القتال فوق تلال عمان السبع . ويطلقون النار من النوافذ أو الاسطح ، وقاموا بحرب عصابات مدن ، انطوت على صعوبات بالنسبة للجيش ، ولم تتمكن مطرقته – (المدفعية) من ان تسحق مقـاتلين سريعى الحركة . وعلى سبيل المثال فقد كـان باستطاعة فلسطينى واحد يحمل مدفع بازوكا ان يوقف دبابتين ، او ثلاث دبابات لمدة عدة سـاعات كذلك يستطيع قناص غير مرئى ان يدافع عن عمارة باسرها ، فاذا عمد الجيش الى عملية تطهير منظمة شاملة ، فانه ينتقل الى منزل آخر وهكذا .ولذلك وردا على هذا القتال والمقاومة غير المتوقعة قـام الجيش الاردنى بقصف شامل منظم أعمى فى كافة الاتجاهات . وكى ينتقم البدو من خصومهم فانهم دمروا المصحات والمستشفيات ومراكز العجـزة والمشوهين ، وأجهزوا على الجرحى وهم على أسرة مستشفياتهم .

ويقول جيلبير مورى « ان اولئك الذين كانوا مثلى فى عمان فى سبتمبر ١٩٧٠ أخذوا من بطولة الشعب الفلسطينى ، اذ شاهدوا فى المـلاجىء البسيطة من الخرسانة التى امكن اقامتها ، النساء والاطفال ينشدون الاناشيد الوطنية تحت قصف القنابل . **الا ان الكثير من البطولة ، والكثير من العذاب لم يؤديا بالفلسطينيين على اية حال ، الى العثور على حلفاء جدد لهم ، حتى من بين اقرب جيرانهم فى العالم العربى .**

وانتهت هذه الاسابيع الاليمة بأبادة حوالى ٢٠ الف فلسطينى ولذا يقول مورى : « ان شهر ايلول ليس شهرا للحداد يبكى فيه الفلسطينيون قتلاهم، وانما شهر للغضب فما لم يستطع جيش صهيونى ان يقوم به ، نجح جيش عربى فى تحقيقه » .

وفى الفصل بعنوان « لماذا . ايلول الاسود ؟ اشار مورى الى ان الشعب الفلسطينى كان من اكثر الشعوب استقرارا فى ارضه وذلك عبر قرون طويلة تمتد الى حوالى ٤٠٠٠ عام قبل مجىء اليهود انفسهم وان احفاد الفلسطينيين هم الذين ظلوا على هذه الارض ، عندما قام الغزاة الرومان بطرد كل اليهود من هناك تقريبا فى عام ١٢٠ ميلادية . واوضح ان الامر لا يحتاج الى العودة الى مثل هذا التاريخ القديم لاثبات ان الفلاحين العرب اليوم ، يشعرون انهم الملاك الشرعيون لهذه الارض .

وفى الفصل الاخير بعنوان « ارهـابيون أم ساسة ؟ » يرى مورى : ان مناضلى ايلول الاسود ليسوا ارهابيين بالمعنى التقليدى للكلمة ، **لانهم لا يعتبرون الارهاب وسيلة سياسية دائمة ، ولا يرون فيه حلا لكل المشاكل .** وهم يرون انه فى المرحلة الحالية وفى تلك اللحظة المحدودة من التاريخ النضالى للثورة الفلسطينية ، فأن العمليـات العسكرية عبر الحدود أصبحت صعبة ونتائجها محدودة للغاية ، ولا تفى بحاجات جبهة الداخل .
وقد صدقت حساباتهم فى التطبيق العملـى . فبأعلان عملية ميونيخ مثلا اعرب الشعب الفلسطينى عن ابتهاجه فى العديد من مناطق الضفة الغربية ، وبدرجة من القوة دفعت الصهيونيين الغاضبين الى التدخل ضده ، ووقعت مصادمات بل ومعارك بالفعل . وكانت الاشتباكات فى « نابلس » « ورام الله » قوية ، بحيث ادت الى وقوع قتلى مـن الجانبين . ويعلق مورى هنا تعليقا له مغزاه فيقول : ان ما تثبته اشتباكات رام الله ونابلس وغيرها ، هو انه ينبغى التمييز بعناية بين **الكفاح بدلا من الجماهير ، والكفاح بطريقة تـدفع الجماهير بدورها ايضا الى الكفاح** .وانه من أجل ان يأخذ الشعب المقهور زمام المبادرة ، ينبغى بالضرورة فحسب ، ان يغير الخوف معسكره » .





الشعار الواقع في السياسة الزراعية

تعليقا على قضية السياسة الزراعية التى طرحتها الطليعة فى عدد فبراير ١٩٧٣ . وحول الخطوط العامة للسياسة الحكومية لحل مشاكل هذا القطاع تستوقفنا عدة ملاحظات :

اولا : بالنسبة للجمعيات التعاونية الزراعية واسلوب تطويرها وتدعيمها :

ان عملية احتواء الحركة التعاونية التى تمت خلال الخمس عشرة سنة الماضية تحت شعار التعاون الزراعى الموجه . هذه العملية حولت التعاونيات الزراعية الى مكاتب حكومية ، تفتقر الى كل مايعوزها لتكون ـ بالحق ـ احدى ادوات التغيير الثورى فى الريف المصرى ،او لتكون احدى وسائل التطبيق الاشتراكى فى مصر . كما عرفها القانون ٥١ لسنة ١٩٦٩ م الخاص بالتعاون الزراعى . فقد ترتب على هذه السياسة انعدام الولاء الذى يجب ان يحس به الاعضاء تجاه جمعياتهم ، بل نظروا الى الجمعية فى القرية ، باعتبارها سلطة حكومية تفرض عليهم ما تشاء متجاهلة تماما رغباتهم كأصحاب مصلحة وكأعضاء فيها . وقد كان طبيعيا ان يسلك كثير من الفلاحين فى الريف نتيجة لهذه السياسة سلوكا غير اشتراكى سواء كان فى تحايلهم للحصول على السلف ، أو تحايلهم على التهرب من سدادها .

ولقد صاحب هذا السلوك ، انعدام وجود سياسة تمويلية تعاونية علمية ومتكاملة تربط القرض بالقدرة على الانتاج . مما أدى الى وجود ظاهرة تراكم المتأخرات التى حملت الدولة فى النهاية عبئا كان يمكن ان يوجه الى تطوير اساليب الزراعة من ان يوجه الى اسقاط مديونيات تتجاوز قيمتها ٩ ملايين جنيه . . . ، والسبب الرئيسى فى كل ما تعانيه التعاونيات الزراعية من مشاكل يرجع اساسا الى تهيبنا الدائم منح هذه الحركة حقها فى الاستقلال والشعبية ، وتدعيمها بعيدا عن الاهواء الشخصية لتكون تعاونيات انتاجية قادرة على ان تدفع الفلاحين اعضاءها الى حياة العصر ومتطلباته . وهذا يتطلب الفصل بين ما هو تنفيذ وادارة ، فيتولاه الاعضاء ، وبين ما هو رقابة وتدعيم ، فتتولاه الدولة » . وكذلك تحديد دورها بدقة وبموضوعية ، وتحديد علاقاتها بباقى

المؤسسات الموجودة فى الريف ... اما والحال هكذا ، فستظل التعاونيات الزراعية ملتحفة بالروتين ، وستظل القدرات الحقيقية لاعضائها بعيدة عن الاستغلال . بل وسيظل التواكل هو المسيطر على حياتهم وسلوكهم • وسنعود مرة بل ومرات الى قرارات التيسير وتقسيط التيسير والاسقاط .. الى آخره

ثانيا : بالنسبة للتسويق التعاونى للقطن ومشاكله ومقترحات علاجها . فلنا عليه هو الاخر عده ملاحظات : فبالرغم من مرور عشر سنوات منذ بداية تطبيق هذا النظام ، الاانه لم يستقر حتى الان • بلولم ينجح وهذه حقيقة . ومن ثم يمكننا ان نحكم على نجاح هذا النظام ، لاننا استطعنا ان نوفى بالتزامات عقود البيع فى مواعيدها • متناسين الطرف الاهم وهو الفلاح • ان الذى يحكم على نجاح هذا النظام او فشله هو الفلاح ، والفلاح يقول – وهو محق – ان نظام التسويق التعاونى للقطن لم ينجح من وجهة نظره او على الاقل لم يحقق ما كان منتظرا منه . وهذا يدفعنا الى دراسة الاسباب التى تكمن وراء هذه النظرة .. والحقيقة ان مشكلة التسويق ليست مشكلة عدد مراكز التجميع او قربها من الفلاح ، وليست ايضا مشكلة تأخير صرف ثمن محصوله أيام • فالفلاح الذى ينتظر سنة كاملة عائد هذا المحصول يمكنه ان ينتظر شهرا آخر .. المشكلة اساسا هى « **مشكلة نظام** » •

فالتسويق التعاونى كان يهدف أساسا الى الغاء الوسيط الذى يحصل على الجزء الاكبر من عائد المحصول ، ولكى يحقق هذا الهدف جاء بنظام احتكارى لا يمكن الفكاك منه ، يتمثل فى شركات القطاع العام التى حلت محل المشترى والوسيط ، وفرضت على الفلاح ما تريد • وقبل الفلاح ما فرضته لانها مصدر التصريف الوحيد لمحصوله الاساسى • ومسألة دخول أكثر من شركة واحدة لشراء المحصول تحقق بالتالى نوعا من المنافسة بينهم لصالح الفلاح . مسألة شكلية للغاية .. فاذا كان سعر رتب القطن – زهرا وشعرا – تحدده الدولة سنويا ، ويلتزم به الجميع • واذا كان الفرز فى مركز التجميعيتم بصورة سليمة .. كما تعلن شركات القطن . فمعنى هذا أن نتيجة الفرز لا يختلف عليها اثنان • لانها تمت بدقة وبأمانة .. فكيف اذا ستشترى شركة بسعر أعلى واخرى بسعر اقل . ان اختلاف السعر لايمكنانيأتىالا اذا اختلف فى تقدير الرتبة .. واذا تم الفرز بصورة سليمة • فلايمكن ان يختلف عليه احد . اذا فمن المستحيل ان يختلف السعر الا اذا تلاعبت شركات القطن بتقدير الرتب عند الفرز •

وحتى لو فرض وكان هذا المستحيل ، فجميع شركات القطن تتبع مؤسسة واحدة ، كيف تسمح

حـــول الفدائيـــين المعتقلـــين فى الأردن

جاءنا البيان التالى مناتحاد المحامين العرب:

تلقى اتحاد المحامين العرب بقلق بالغ واهتمام شديد انباء اعتقال السلطات الاردنية للمناضل أبو داوود وعدد من رفاقه الفدائيين الفلسطينيين اثناء محاولتهم اجتياز الحدود الاردنية للارض المحتلة .

واتحاد المحامين العربالذى طالب دائما بدعم الثورة الفلسطينية وحمايتها وتمكينها من حرية العمل والحركة والنضال ضد العدوان والاحتلال من كل أرض عربية :

– يطالب السلطات الاردنية باطلاق سراح المناضل ابو داوود ورفاقة الفدائيين الفلسطينيين ، واحترام حقهم المشروع فى النضال ضد العدو الصهيونى المحتل من كل ارض عربية .

– ويحذر الحكومة الاردنية من أية اجراءات تصفية ضد الفدائيين المعتقلين مهما كانت التهم الموجهة اليهم ، وتحت اى اعتبار .

– ويطالبها باحترام حقوقهم الوطنية والقانونية والانسانية بتأمين حقهم الكامل فى الدفاع ، ازاء اى تهمة ، وسواء فى الاعتقال أو التحقيق او المحاكمة .

– ويحملها مسئولية اى انتهاك لهذه الحقوق المشروعة والمقررة .

– ويهيببكل النقابات المهنيةوالاتحادات والمنظمات الديمقراطية العربية أن ترفع صوتها مطالبة السلطات الاردنية بأطلاق سراح المناضل أبو داوود ورفاقه الفدائيين الفلسطينيين ، وتأمين حقهم فى الدفاع عن انفسهم واحترام حقوقهمالانسانية والوطنية ويدعو المحامين العرب لتبنى واجب الدفاع عنهم •

الامانة العـــامة
لاتحاد المحامين العرب

هذه المؤسسة وهى ترسم سياسة شركاتها المختلفة لهم بالتنافس لغير صالح المؤسسة بصفة عامة ..

أليس هذا شعارا لا يحمل مضمونا علـى الاطلاق ؟

اذا كنا ندعى باطلا فمن أين تأتى شركات ـ حلج الاقطان ـ بارباحها التى تتجاوز العشرين مليون جنيه سنويا ، وهى شركات تنص نظم ادارتها على انها تؤدى خدمة ولاتهدف الى الربح .

والعلاج الحقيقى هنا ، لا يمكن أن يكون هو العودة الى تجارة القطن ، فهذا يعنى العودة الى الوراء وفى أشياء كثيرة عشرات السنين. لكنه يكمن أيضا فى الجمعية الزراعية ، فهى وحدهـا القادرة على حلج أقطان أعضائها لحسابها سواء عن طريق استئجار المحالج أو عن طريق وضع سعر للحليج ثم بيعها شعرا لشركات التصدير أو للمصانع المحلية .

هنا فقط يمكن ان يكون لدينا تسويق تعاونى . وهنايمكن انقول ـ بصدق» انعائد انتاج القطن يعود بالكامل الى الفلاح .. وهنا أيضا لن نحتاج الى مأساة التحايل على النـاس لزراعـة هـذا المحصول بعد أن كفروا به وبجدواه بعد أن كان محصولهم الاول والاخير . أقول لن نحتاج الى صرف منح تشجيعية للزراع حتى لا يتهربوا من زراعته رغم الدورة ورغم قوانين المخالفة . ويكفى أن نقول الان وبكل واقعية أن أقل المحاصيل عائدا بالنسبة للفلاح هو القطن .

جمعة عبده قاسم
ماجستير فى التنمية الاقتصادية





النص الكامل لجواب

الحزب الديموقراطى الكردستانى

على مذكرة

حزب البعث العربى الاشتراكى

تواصل « الطليعة » فى هذا العدد ، نشر الوثائق الخاصة بالمسالة الكردية ، وهى المسالة التى شغلت ، ولا تزال ، حيزا ملحوظا فى اهتمام الرأى العام العربى وحرصه على مسار حركة التحرر الوطنى العربية ككل .

وقد نشرنا فى العدد الماضى ، « بيان آذار » الذى كان نقطة تحول أساسية فى معالجة السلطة العراقية للمسالة الكردية ، « ومذكرة القيادة القطرية لحزب البعث العربى الاشتراكى الموجهة الى الحزب الديمقراطى الكردستانى » .

وفى هذا العدد ، ننشر الرسالة التى بعث بها الحزب الديمقراطى الكردستانى ردا على رسالة حزب البعث .



ايها الاخوة

١ ـ نغتنم فرصة الاجابة على مذكرتكم المؤرخة في ٢٣ـ٩ـ١٩٧٢ لنحييكم ونحيي اعضاء حزبكم كافة ٠

اننا ، نشك في ان العلاقات فيما بيننا تعرضت الى تصدع كبير ، وقد سبق وعرضنا عليكم هذه الحقيقة اكثر من مرة منذ اوائل العام الماضي سواء في اجتماعات لجنة السلام أو خلال اللقاءات الحزبية التي كانت تعقد بين ممثلينا وممثليكم بين اونة واخرى ٠ أو في المذكرات المتعددة التي بعث بها رئيس حزبنا الى مجلس قيادة الثورة في حينه ٠ الا ان الاهمال وعدم الاهتمام الذي جوبهت به مساعينا المتواصلة هذه والتجاوزات الخطيرة التي توالت علينا الواحدة بعد الاخرى منذ اواسط العام المنصرم قد دفعت بالاوضاع الى التردي والتدهور المستمر حتى بات الوضع العام ينذر بالانفجار ويهدد أمن شعبنا العراقي بعربه وأكراده ويعرض سلامته ومكتسباته ومستقبل العلاقات بين حزبينا الى أشد المخاطر والاضرار ٠

اننا نتفق معكم فيما تذهبون اليه من ان (الصراحة والمجابهة الموضوعية بنقاط الخلاف والتناقض والاخلاص للحقيقة والحرص على وحدة هذا الوطن ومستقبل شعبه هي المعايير الوحيدة التي يمكن اعتمادها في الكشف عن الاسباب الحقيقية التي ادت الى تصدع العلاقات فيما بيننا ، ومن ثم الوصول الى وضع الحلول العملية الكفيلة بحل الكثير من المشاكل والمعضلات التي نعاني منها كثيرا معتقدين بلجازمين بانالمشاكلوالمعضلات مهما كبر حجمها فان القدرة على حلها وتجاوزها ـ عندما تتوفر الرغبة الاكيدة لذلك ـ تبقى هي الاقوى والاكثر فعالية) ومن هذا المنطلقفاننا نجد لزاما علينا قبل الدخول فيمناقشة محتويات مذكرتكم ان تسمحوا لنا بتوجيه النقد اليها ٠ حيث جاءت في مضامينها مشحونة بالرغبة في التشهير وتوجيه الطعون والاتهامات عن طريق تشويه بعض الحقائق والمبالغة والتهويل في بعض القضايا الاخرى اكثر من كونها تنطوي على الصراحة والموضوعية وبذل المساعي والجهود المخلصة من اجل ايجاد الحلول الصائبة للمشاكل الكثيرة التي تعترض سبيل علاقاتنا ومما يعزز لدينا هذه القناعة قيامكم بتزويد بعض الجهات في الداخل والخارج بنسخ منها قبل ارسالها الينا ٠

لقد ربطتم مجمل الاعمال اليومية التي يمارسها المواطن الكردي بحزبنا ولم تأخذوا بالحسبان الظروف الاستثنائية التي مرت بها المنطقة الكردية خلال السنوات العشر الماضية وما ولدته من اثارات وحزازات في المنطقة ٠اننا نعتقد بان اختلاق الحوادث أو فبركتها وتهويل بعض التجاوزات العابرة التي تصدر عن بسطاء الناس والتي تقع مثيلاتها في سائر انحاء القطر وتنظيمها في احصائيات غير واقعية وتحميلنا مسئولية وقوعها أمر لا مبرر له على الاطلاق واذا كانت المغالطات والتفتيش عن السقطات ورصدها في ظروف الاقتتال لاغراض الدعاية وتبرير اعمال العنف فاننا لا نجد لها ما يبررها في ظروف السلام ـ وتضافر الجهود من أجل تعزيزه واقامته على أسس راسخة ٠

اننا نعتقد ايضا بانكم لم تختاروا الوقت المناسب لتقديمهاوالذي جاء بمثابة بتر غير موفق للحوار المشترك الذي جرى بيننا مؤخرا والذي قام خلاله كل جانب بطرح ما لديه من اراء وملاحظات ومآخذ على الطرف الاخر وكنا نتطلع من وراء هذا الحوار الى تثبيت نقاط الالتقاء فيما بيننا والعمل المشترك من أجل وضعها موضع التطبيق السريع والسعي من أجل حصر نقاط الاختلاف في اضيق نقاط ممكن والعمل على تذليلها والتغلب عليها قدر الامكان الا ان انهاء الحوار بتقديم المذكرة جاء مخيبا للامال ٠

اما اذا كان القصد من مذكرتكم تسجيل المواقف فقد سبق لكل منا ان سجل ما يكفي منها على الطرف الاخر ولم نترك في ذلك زيادة لمستزيد ٠

ايها الاخوة

٢ ـ ما كنا نود التحدث في مذكرتنا الجوابية هذه عن بعض الحقائق الخاصة بتاريخ كفاح حزبنا الديمقراطي الكردستاني وعن الاوضاع التي كانت سائدة في بلادنا قبل اعلان اتفاق الحادي عشر من آذار لولا ورود اشارات صريحة في المذكرة بشانها انطوت على بعض الامور المخالفة للحقيقة ٠ خاصة فيما يتعلق باشتراكنا في حكومة عبد الرزاق النايف ومحاولتكم تحميلنا مسئولية القتال الذي نشب في اوائل عام ١٩٦٩ فقد رفع حزبنا عاليا ومنذ تأسيسه شعار اقامة الوحدة الوطنية على أساس الاتحاد الاختياري والمساواة بينالقوميتين العربية والكردية في العراق والاعتراف المتبادل بحقوقهم وواجباتهم وتوحيد نضالهم المشترك من أجل تحقيق أهداف شعبنا العراقي بعربه وأكراده واقلياته المتاخية، وقد وضع حزبنا هذا الشعار موضع التطبيق ، وساهم بدوره في جميع انتفاضات وثبات شعبنا العراقي الوطنية وقدم الكثير من التضحيات في سبيل ذلك ،وكرس طاقاته الفكرية والادبية للدفاع عن حقوق وحريات شعبنا العراقي الوطنية والديمقراطية ، وكافح دون هوادة من أجل تمتع شعبنا الكردي بحقوقه القومية المشروعة ضمن جمهورية عراقية ديمقراطية متحررة وقاوم محاولات الصهر والدمج والتمييز العنصري ضد شعبنا الكردي وفضح الافكار الشوفينية ودعوات الانعزال القومي بين العرب ـ والاكراد على حد سواء ٠

اما على الصعيد العربي فقد وقف حزبنا وشعبنا الكردي من ورائه على الدوام الى جانب الامة العربية في مختلف اقطارها في كفاحها العادل ضد الاستعمار والصهيونية ومن أجل تحررها الاقتصادي والسياسي والتمتع بحقها الطبيعي في تقرير المصير ووحدتها القومية وعندما اضطر شعبنا الكردي الى الدفاع عن نفسه ضد الحكم الدكتاتوري الغاشم عام ١٩٦١ التزم حزبنا وقائده البارزاني على الدوام سياسة تجنب عوامل الاثارة والاحتكاك مع الحكومات العراقية السابقة وكنا نتحلى باستمرار بأقصى درجات الصبر والتحمل والشعور العالي بالمسئولية تجاه الشعب والوطن ووحدة أبنائه وكنا دائما ضحية للعدوان والهجوم والتزمنا في كل مرة جانب الدفاع وأوقفنا القتال مع كل حكومة عراقية رغبت في ذلك ولم نقاتل تلك الحكومات عن طواعية واختيار مطلقا وانما دفعتنا الحكومات العراقية الى ذلك دفعا بسبب السياسات الخاطئة التي مارستها تجاه القضية الكردية وقد اثبتت وقائع التاريخ أن الحكومات العراقية التي اضطهدت شعبنا الكردي وحاربته كانت دائما بشكل أو بأخر معادية للاهداف والمطامح المشروعة لشعبنا العراقي باسره ٠

لقد حاولت المذكرة تصويرنا بشكل يفهم منه باننا اشتركنا في الوزارة التي تشكلت بعد ١٧ تموز عام ١٩٦٨ ورفضنا المساهمة في الوزارة التي تشكلت (على اثر انتفاضة الثلاثين من تموز عام ١٩٦٨ مع ان هذه الانتفاضة استهدفت عناصر اليمين والرؤوس الرجعية والمشبوهة) وبعبارة أدق اننا شاركنا في الوزارة عندما كانت تضم في صفوفها عناصر اليمين والرجعيين والمشبوهين ،ورفضنا المشاركة فيها بعيد التطويحبهذه العناصر ٠ وعلاوة على ما تقدم فان المذكرة تحملنا بصراحة ووضوح مسؤولية الاقتتال المؤسف الذي أعقب ذلك التاريخ ٠

ولغرض القاء الضوء على كل ذلك وايضاحا للحقيقة نرى من الضروري درج الحقائق التالية حوال هذا الموضوع :

يعرف الرأي العام العراقي كما تعرفون جيدا انه لم تكن لدينا أية صلة سياسية سابقة بالنايف وقد ظهر على المسرح السياسي كشريك لكم في السلطة بعد السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨ ٠ وتعرفون اكثر من غيركم أيضا باننا لم نوافق على الاشتراك في حكومته آنذاك بل انه وباتفاقه معكم اشرك ممثلينا في

الحكومة تريد أن يأخذ رأينا ولا رأى لاخواننا المستوزرين فى ذلك وقد آثرنا فى حينه الاذعان للامر الواقع حرصا منا على عدم وضع العراقيل امام السلطة الجديدة فى ايامها الاولى · أما بالنسبة لامتناعنا عن الاشتراك فى الحكومة التى تشكلت بعد الثلاثين من تموز من السنة نفسها فلا يعود سببه الى تطويحكم (بالعناصر اليمينية والمشبوهة) فى الوزارة السابقة كما تتحدث المذكرة ، بل يعود الى عدم ايفاء السلطة بوعودها التى قطعتها لنا قبل اعلان تشكيل الوزارة ، فقد تم الاتفاق مع مجلس قيادة الثورة فى حينه على اشتراكنا فى الوزارة بأربعة ممثلين وعلى عدم اشراك ممثل فيها عن بعض الجماعات الكردية التى شهرت السلاح بوجه حركة شعبنا التحررية آنذاك وعلى ضرورة التزام الحكومة باتفاقية ٢٩ حزيران لانه سبق لحزبكم واصدر بيانا فى ٢٨ تموز عام ١٩٦٦ هاجم فيه الاتفاقية ووصفها بكونها اتفاقية يشم منها رائحة الانفصال · وبعد ساعة واحدة فقط من الوصول الى هذا الاتفاق تألفت الوزارة بشكل آخر حيث اشركتنا السلطة بوزيرين فقط وادخلت فيها ممثلا عن الجماعات الكردية المعادية لنا ولم تلتزم كذلك باتفاقية ٢٩ حزيران فى بيان تشكيل الوزارة ، وقد قررنا على اثر ذلك عدم الاشتراك فيها وقد القى سيادة البارزانى ضوءا على هذه الحقيقة فى تصريحاته التى ادلى بها الى جريدة – التآخى فى الثامن من آب عام ١٩٦٨ والتى رفض الرقيب نشرها فى حينه ، وقد أوضحنا اسباب ذلك أيضا الى السيد رئيس الجمهورية ومجلس قيادة الثورة وبعض الاخوان أعضاء القيادة القطرية لحزبكم منذ ذلك الحين ورغبة منا فى عدم قطع الصلات مع الحكومة اقتصر مطلبنا آنذاك على اخراج ممثل الجماعات المعادية لنا من الوزارة الا انها رفضت هذا الطلب المتواضع أيضا ، وكانت جميع الدلائل تشير الى أن الحكومة ماضية فى تنفيذ خطتها الخاصة لحل المسألة الكردية والقائمة على اساس فرض العزلة علينا وتقوية اعدائنا بكل السبل والوسائل الممكنة وبدأت الصحافة الناطقة باسمها تتحدث عن عزم الحكومة على تجاوز القيادات التقليدية للشعب الكردى وحل القضية الكردية مع الجماهير مباشرة ، وشرعت فعلا باغداق الاموال والاسلحة على أعدائنا دون حساب وتسخيرهم تحت حماية الجيش والقوة الجوية للهجوم على مواقعنا ومقراتنا فى طول كردستان وعرضها ، وقد امتدحت جريدة الثورة فى حينه خطوات الحكومة بهذا الشأن (وكيف انها استطاعت أن تحقق صلات تعاون وثيقة جدا بينها وبين القوى الوطنية والتقدمية الكردية وانها تعتز بهذه الصلات التى لعبت دورا مهما جدا فى وضع المسألة الكردية على طريق الحل السلمى الديمقراطى) ·

وقد اقدمت الحكومة بالفعل على اصدار بعض القرارات الايجابية فى مضمار منح الشعب الكردى جانبا مع حقوقه القومية قبل الحادى عشر من آذار عام ١٩٧٠ الا أن اصدار هذه القرارات فى ظروف شن الحرب على شعبنا الكردى كانت تفسر بكونها تعكس الرغبة فى تعزيز المواقع السياسية لهذه الجماعات المعادية وعزلنا سياسيا عن جماهير كردستان أكثر من رغبة الحكومة وحرصها على منح الحقوق القومية لشعبنا الكردى بدليل تلكؤها فى تنفيذ هذه القرارات وحتى ان قسما منها لم ينفذ لحد الان ··

ايها الاخوة

ان استبسال شعبنا الكردى فى الدفاع عن وجوده القومى وصمود حزبنا فى وجه هذه المخططات والفشل الذريع الذى منيت به هذه السياسة ، هو الذى رجح لدى السلطة حسب رأينا فكرة التخلى عن هذه الاساليب غير المجدية والعودة الى استئناف الحوار معنا من أجل وضع الاسس الصحيحة للحل السلمى الديمقراطى للمسألة الكردية عن طريق التعاون الاخوى والفهم المشترك للمصالح الاساسية لشعبنا العراقى بعربه واكراده وابنائه المخلصين كافة والذى أسفر عن اعلان اتفاق آذار التاريخى الذى اعتبرناه وما زلنا نعتبره نصرا تاريخيا لشعبنا الكردى وحركته التحررية الديمقراطية بوجه خاص وانتصارا لشعبنا العراقى وقواه الوطنية وحزب البعث العربى الاشتراكى على وجه العموم وليس لدينا تقييم آخر للاتفاقية مطلقا على العكس مما ورد فى مذكرتكم بهذا الخصوص ·

ايها الاخوة

اننا لا نعرف الاسباب الكامنة وراء شعوركم بالتطير وعدم الارتياح من المصالحة الوطنية التى تمت بيننا وبين خصومنا من الاكراد بعد اعلان اتفاقية آذار حتى ولو جرت بمعزل عنكم فقد كانت السلطة تشجعنا باستمرار على مثل هذه المصالحة ، وبذلنا بالفعل جهودا صادقة ومخلصة مع هؤلاء الاخوان من اجل اسدال الستار على الماضى وتناسى الحزازات والضغائن السابقة والعودة الى ممارسة اعمالهم الاعتيادية وفتح صفحة اخوية جديدة فى العلاقات بين ابناء شعبنا الكردى ،واننا لا نعتبر مساعينا فى هذا المضمار منسجمة مع روح اتفاقية آذار وحسب بل نعتبرها أيضا جزءا من الجهود العام الذى نبذله جميعا من اجل تقوية وتعزيز أواصر الوحدة الوطنية بين ابناء شعبنا فى سائر انحاء الجمهورية العراقية ،والتى يجب أن تحظى فى جميع الاحوال بالتأييد والرضا ، لا بالشكوك وعدم الارتياح ·

لقد ورد فى المذكرة بأن (مما يدعو الى الدهشة ان يكون الشخص وطنيا اوعميلا تبعا لنوع علاقته بالحزب الديمقراطى الكردستانى وبمعزل عن الثورة والظرف – العام الذى أوجدته مصالح الحركة الكردية كما انه امر يثير الدهشة ايضا أن تنظروا نظرة غير مرضوعية لكل من له علاقة بالسلطة مع انكم جزء من هذه السلطة وتشاركون فى مختلف اجهزتها) وللاجابة على هذه الفقرة من المذكرة نود الايضاح لما يلى :

أ – اننا نعتبر اقامة العلاقات السليمة الاعتيادية بين السلطة وابناء الشعب عربا كانوا أم أكرادا على حد سواء وفى ضوء أنظمة الدولة وقوانينها امرا طبيعيا جدا ومن القضايا البديهية التى لا تحتمل نقاشا أو جدالا على الاطلاق ·

ب – تبذل السلطة وأجهزتها ومنظمات حزب البعث فى المنطقة الكردية جهودا – متواصلة من اجل العثور على بعض المأجورين فى كردستان والتغرير ببعض البسطاء من المواطنين فيها بواسطة الرشاوى والمغريات المتخلفة بغية استخدامهم لدعم سياسة التعريب التى تمارسها السلطة فى بعض المناطق او تدفعهم اجهزة الاستخبارات والامن للقيام بأعمال معادية لحزبنا ومقراته فى المنطقة عن طريق تزويدهم بالقنابل والمتفجرات ووسائل التخريب الاخرى · وقد قامت هذه العناصر لحد الان بالعشرات من حوادث تفجير القنابل فى العديد من مقراتنا واننا بطبيعة الحال ضد هذا النوع من العلاقة التى تقيمها السلطة وأجهزتها مع المواطنين الاكراد واننا نعتبر موقفنا هذا مستمدا من ممارسة حقنا المشروع فى الدفاع عن النفس ولو كان حزبكم او أى حزب آخر فى نفس الموقف الذى نحن فيه لما سلك غير الطريق الذى نسلكه نحن فى الوقت الحاضر ·

جـ – اننا نحدد موقفنا من الاخرين تبعا لموقفهم ونوع علاقتهم بحزبنا وليس فى الامر ما يدعو الى الدهشة ، ان حزبنا (بقيادته وقواعده وانصاره) يسعى بطبيعة الحال الى كسب الاصدقاء على الدوام من أبناء شعبنا الكردى ومن غيرهم وعلى النطاقين الداخلى والخارجى ، كما اننا ملزمون ايضا باتخاذ الموقف المناسب ضد أعدائنا تبعا لدرجة عداوتهم معنا ونتبع فى ذلك الاساليب السياسية المعتادة المبنية على الديمقراطية والاقناع ، كما اننا لا نكيل التهم جزافا الى كل من يختلف معنا فى الرأى ونأخذ بنظر الاعتبار الدوافع والاسباب التى تدفعهم الى اتخاذ أمثال هذه المواقف من حزبنا ونبادر فورا الى تصحيح مواقفنا اذا كان تقدمهم لبعض تصرفاتنا قائما على اسس صائبة ومقبولة ، واذا حدث لدينا شذوذ عن الالتزام بهذه القواعد فهو لا يمكن أن

يقاس مطلقا بالسياسة الثنائية في التطرف والقسوة التي تلجأ اجهزتكم الى اتباعها ضد كل من يختلف معكم في الرأي .

ايها الاخوة :

٣ ـ لقد بالغت المذكرة مبالغة كبيرة في درج الكثير من السلبيات ونسبتها الينا ، اننا بطبيعة الحال لا ندعي العصمة ولا نبرىء أنفسنا من الاخطاء والنواقص فقد ساهمنا فعلا وبهذا القدر أو ذاك في خلق الاوضاع التي نشكو منها جميعا في الوقت الحاضر على الرغم من أن معظمها كان في الاصل ردود فعل للتجاوزات المتكررة التي تعرضنا لها واذا أردنا أن نجاريكم في منطق درج الاحصائيات عن تصرفات أجهزتكم المختلفة والمعادية للاخوة وروح التحالف لوجب علينا أن ندينكم بعشرات الالاف من الحوادث المركبة التي تنطوي على خرق القوانين ولائحة حقوق الانسان والتنصل من الاتفاق واغتصاب اموال المواطنين والاعتداء على حرياتهم من خلال قضية واحدة هي حمله التسفيرات الى خارج الحدود التي تعرض لها ابناء شعبنا الكردي خلال مدة شهرين فقط من العام الماضي ، ولنضرب لكم على هذه التجاوزات بعض الامثلة :

١ ـ عدم اتخاذ الاجراءات القانونية بحق العناصر التي أطلقت النار على مقر حزبنا في مدينة الموصل بعد اعلان اتفاقية آذار ببضعة أسابيع فقط .

٢ ـ التلكؤ في معاقبة المجرمين الذين أطلقوا النار على سيارة الاخ ادريس البارزاني في بغداد وتستر بعض المسئولين في السلطة عليهم لغرض حمايتهم من العقاب الذي تقضي به القوانين .

٣ ـ ممارستكم لسياسة التعريب في كردستان بعد أشهر من اعلان اتفاقية آذار سيما في مناطق محافظات كركوك وديالى ونينوى وسعيكم المستمر لابعاد أبناء المنطقة الاصليين من الاكراد عنها وحصر مراكز السلطة في المحافظات المذكورة بأيدي منتسبي حزبكم فقط وممارسة الارهاب والضغط والملاحقة على منتسبي حزبنا وأنصاره مما أدى بفروع حزبنا ومنظماته في هذه المناطق الى ترك مراكز المدن والقصبات ونقل مقراتهم الى الارياف ، متجاهلين الاثار الخطيرة التي تتركها هذه السياسة على اتفاقية آذار والوحدة الوطنية والاخوة العربية الكردية ، واهمين بأن هذه السياسة سيحالفها النجاح ، متناسين حوادث مماثلة في تاريخ الامة العربية نفسها وفشل سياسات الدمج التي مارسها الاستعمار ضد العرب في كافة اقطارهم .

٤ ـ عدم فسح المجال أمامنا للمشاركة في الحكم والسلطة التشريعية وفقا لما تقضي به بنود اتفاقية آذار .

٥ ـ عدم الالتزام بمشاركتنا اياكم في تخطيط وتوجيه السياسة العامة للدولة على الصعيدين الداخلي والخارجي عن طريق اللقاءات الحزبية بيننا رغم الاتفاقات المتتابعة التي تمت بيننا وبينكم بهذا الشان .

٦ ـ عدم الكف عن سياستكم الرامية الى اضعاف قيادة حزبنا وتفكيك وحدتها .

٧ ـ الشروع باغتيال سيادة البارزاني مرتين لحد الان وعدم اتخاذ أية اجراءات ضد المتآمرين .

٨ ـ التدخل في الشئون الخاصة بالبارزانيين والعمل من أجل شق صفوفهم ومحاولة تكوين مركز معاد للسيد البارزاني بينهم واستعمال الجيش والقوات المسلحة للهجوم على المنطقة المذكورة لدعم سياستكم المفرقة للصفوف فيها .

٩ ـ وضع العراقيل وخلق المبررات لتاجيل اجراء الاحصاء في موعده المقرر في اتفاقية آذار .

١٠ ـ خلق جيوب مسلحة معادية لنا في المنطقة الكردية وامداد هذه الجيوب بالاموال والاسلحة الحكومية وتسخيرها للاعتداء على ابناء الشعب والهجوم على انصارنا مرات عديدة كما حدث في سبيلك وعقره وسنجار .

١١ ـ تسفير عشرات الالاف من أبناء شعبنا الكردي من الفيليين الى خارج الحدود واستباحة ممتلكاتهم خلافا للضوابط التي تم الاتفاق عليها معكم في حينه بخصوص هؤلاء المبعدين .

١٢ ـ ملاحقة ألاكراد ومنتسبي حزبنا في الجيش والقوات المسلحة واتساع نطاق ذلك بعد الاعلان عن مشروع الميثاق الوطني .

١٣ ـ نقل بعض العناصر في حزبنا من الموظفين والمستخدمين لدى الدولة من المنطقة الكردية الى مناطق العراق الوسطى والجنوبية بقصد اضعاف الحزب .

١٤ ـ خطف واعتقال بعض منتسبي حزبنا وتعذيبهم حتى الموت .

١٥ ـ ارسال الطرود والقنابل المتفجرات الى مقراتنا ومنتسبي حزبنا ومقتل العديد من المواطنين الاكراد من جراء ذلك .

١٦ ـ قيام أجهزة الامن بتشكيل منظمات كردية مفتعلة وطبع وترويج مطبوعاتها المكرسة للهجوم على حزبنا وقيادته فقط .

١٧ ـ تشكيل ما يسمى بالحرس الوطني في المنطقة الكردية بمعزل عنا من قبل أجهزة السلطة تضم العناصر الماجورة والمعادية على حزبنا وشعبنا الكردي .

١٨ ـ قصف القرى الكردية الامنة بالمدفعية والطائرات من قبل السلطة دون مبرر أو لاسباب واهية كما حدث في سنجار وبارزان ومنطقة الشيخان .

١٩ ـ ازالة القرى الكردية من الوجود بالبلدوزرات بحجج ومعاذير غير معقولة كما حدث في قرى قره لوس ويوسف بك وباوه بلاوي في مناطق خانقين ومندلي .

٢٠ ـ ممارسة الضغوط المختلفة على العاملين في جريدة التاخي وتهديدهم من قبل أجهزة الامن وتوقيف البعض منهم وتصاعد ذلك خلال تبادل الحملات الصحفية بيننا وبينكم .

٢١ ـ يتعذر على عدد غير قليل من أعضاء اللجنة المركزية لحزبنا ،وعلى بعض مسئولينا العسكريين دخول مراكز المدن والقصبات من جراء صدور الاوامر من قبل أجهزتكم باتخاذ تدابير قانونية بحقهم بسبب الصاق التهم المفتعلة بهم ، ولا نجد في هذا الواقع الغريب ما يستقيم مع منطق الصداقة والتحالف الذي نتحدث عنه بين اونة واخرى .

٢٢ ـ مصادرة بعض المكاسب التي حصل عليها شعبنا الكردي من اتفاقية آذار في مشروع ميثاق العمل الوطني وفي نقطتين أساسيتين :

أ ـ حرمان حزبنا من حقه في ممارسة نشاطه السياسي داخل الجيش والقوات المسلحة .

ب ـ تعليق تمتع الشعب الكردي بحقوقه القومية على بعض القيود والشروط الجديدة التي لم ترد في اتفاقية آذار كوجوب ايمان الاكراد بأن العراق جزء من الوطن العربي والشعب العراقي بعربه وأكراده جزء من الامة العربية وغير ذلك من الشروط . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فهناك محاولات من أجل مصادرة بعض الحقوق التي حصل عليها شعبنا الكردي حتى من اتفاقية ٢٩ حزيران والسعي من أجل تفتيت وزارة شئون الشمال وتفكيك مديرياتها العامة وربطها بوزارات أخرى .

٢٣ ـ مضايقة المنظمات الكردستانية الجماهيرية وممثلينا في نقابات العمال والجمعيات الفلاحية على الصعيد المركزي وفي المحافظات الكردية أيضا .

لقد كان من شان هذه الاعمال والتصرفات زعزعة الثقة وهدم جسورها بيننا وبينكم وحلول الشكوك والريب بدلا عنها وأثارت لدينا التساؤلات الكثيرة والقلق المشروع وفي مثل هذه الاجواء المعتمة والملبدة بالغيوم يكون من الجائز ، بل ومن الطبيعي ، أن نسعى من أجل ايضاح هذه الحقائق لدى أوساط الرأي العام وأحزابه في الداخل والخارج ومن بينها بالتأكيد بعض العناصر والهيئات التي لا تنظرون اليها بعين الارتياح ومع

ذلك فاننا لا نعتقد بأن هذه الاتصالات تنطوى على الاهمية والخطورة التى تتصورونها وهى ترتبط ارتباطا عضويا بطبيعة العلاقات القائمة بين حزبينا وبدرجة تقدمها وتطورها فى المستقبل .

ايها الاخوة :

٤ - لقد ورد فى ثنايا المذكرة الكثير من القضايا التى نعتبرها على جانب كبير من الاهمية وأن شعورنا بالمسئوليه الوطنية واخلاصنا لمبادئنا ولمقتضيات المكاشفة الصريحة الواضحة معكم تفرض علينا ضرورة ابداء وجهة نظرنا حولها خاصة ما يتعلق منها بموقفنا السلبى من مسالة الجبهة الوطنية التقدمية والاتفاق على ميثاق العمل الوطنى وكون مسالة التحالف معنا اصبحت موضع تساؤل فى اوساط حزبكم مما قد يدفعكم الى اجراء مراجعة للتفريق بين الحركة الكردية وبين حزبنا وكذلك التمييز بين حزبنا وبين المسالة القومية الكردية ومن عزلتنا عن الجماهير الكردية التى تلحق ضررا بموقعكم لدى هذه الجماهير لكوننا حلفاء لكم ومن اتهامنا بالعمل من اجل احتكار اجهزة الدولة فى المنطقة الشمالية وسعينا من اجل خلق مراكز متعددة لسلطة الدولة واخيرا الشكوك التى تساوركم حول جدية التزامنا بشعار الديمقراطية للعراق والحكم الذاتى لكردستان .

وفيما يتعلق بموقفنا السلبى من مسالة الجبهة الوطنية التقدمية والاتفاق على ميثاق العمل الوطنى فهو كلام مردود من اساسه لاننا نعتبر موقفكم انتم هو السلبى فى هذا المضمار ذلك لانكم تتذكرون جيدا الاتفاق الذى جرى بيننا اكثر من مرة على اصدار مشروع ميثاق العمل الوطنى من قبل حزبينا بصورة مشتركة الا انكم لم تلتزموا بهذا الاتفاق وجرى اعداده والاعلان عنه من قبل حزبكم فقط رغم كوننا كنا نفضل اصدار مشروع مسودته من قبل جميع الاحزاب التى يعنيها الامر ومع ذلك فقد قدمنا لكم مذكرة تضمنت وجهة نظر حزبنا فى مشروع الميثاق الا اننا لم نتسلم منكم جوابا عليها وفضلا عن ما تقدم فان مشروع الميثاق وبالشكل الذى اعلنتموه لم يحظ بالتأييد والموافقة من قبل اى حزب فى العراق ولا ندرى ما هو وجه الصواب بعد كل هذا فى اتهام الاخرين بالسلبية رغم العزلة الواضحة لموقفكم فى هذا المجال .

اننا لا نذيع سرا ايها الاخوان اذا قلنا بأن مسالة التحالف بين حزبينا اصبحت موضع تساؤل فى اوساط حزبنا ايضا ولابد أن هذه المشكلة الخطيرة تثير لدينا ولديكم ولدى المخلصين من ابناء شعبنا القلق الاكيد وأن هذه الحقيقة يجب أن تفرض علينا جميعا التحلى بأعلى درجات المسئولية التاريخية تجاه الشعب والوطن والتحرك المشترك لمعالجته بشكل ايجابى ، أما اشارتكم الى عزلتنا من الجماهير الكردية وخوفكم من ان يلحق ذلك ضررا بموقعكم لدى هذه الجماهير لكوننا حلفاء لكم فاننا نختلف معكم فى النظرة الى هذا الموضوع اختلافا أساسيا ، ذلك لاننا نعتقد بأن متانة موقعكم لدى الجماهير الكردية مرهونة بقوة علاقاتكم مع الحزب الديمقراطى الكردستانى برئاسة البارزانى ، واننا نفهم بعمق بأن عزلتنا او عدم عزلتنا عن الجماهير الكرديه يرتبط ارتباطا لا ينفصم بدفاعنا عن حقوق هذه الجماهير واننا نشعر باننا قائمون بواجباتنا فى هذا المجال واذا كان لدى بعض الاوساط من هذه الجماهير نوع من التبرم وعدم الرضا من حزبنا فان سبب ذلك يعود الى قيامنا بغض النظر بعض الشيء تجاه الكثير من الانتهاكات والتجاوزات التى تعرضوا لها على أيدى المسئولين فى أجهزة السلطة والتى تحدثنا عنها فى مذكرتنا الجوابية هذه والذى كان نابعا فى الاصل من حرصنا على المحافظة على الصداقة والتحالف معكم واذا كنتم تشعرون الى حد ما بالمضايقة من التحالف الذى نشا بين حزبينا فاننا لا نخفى عنكم بدورنا بان عدم الالتزام الصحيح بأسس هذا التحالف من جانبكم قد سبب لنا مضايقات مضاعفة والكثير من الحرج على الصعيدين الداخلى والخارجى من جراء سياسة البطش والتنكيل التى مارستموها ضد الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية خاصة خلال الشهور الاولى التى مرت على اعلان الاتفاقية ودخولكم فى مشاكل ومنازعات كثيرة مع معظم الدول العربية وغيرها من الدول الاخرى ، وقد جرى ذلك كله ، ويجرى دائما ، بمعزل عنا ودون أن يكون لنا راى فى جميع هذه الامور التى انعكست آثارها السلبية علينا ايضا لكوننا حلفاء لكم ،ويجب أن يكون واضحا كذلك بأن كلامنا هذا لا ينفى تمتع شعبنا الكردى بالكثير من المكاسب فى الجانب الايجابى من هذا التحالف ، ولعل من الضرورى أن نقترح عليكم وجوب الاقلاع عن تهديدنا باحتمال قيامكم باجراء مراجعة للتفريق بين الحركة الكردية وبين حزبنا وكذلك التمييز بين حزبنا وبين المسالة القومية الكردية لانكم طرقتم هذا السبيل قبل الاعلان عن اتفاقية آذار وجربت السير فى الطريق نفسه حكومات عراقية مختلفة ولم تجلب هذه التجارب على شعبنا العراقى بعربه واكراده وأقلياته المتآخية غير الوبال والمآسى والمحن الكثيرة .

ولنعد الان الى اتهامنا بالعمل من اجل احتكار اجهزة الدولة وسعينا من اجل خلق مراكز متعددة لسلطة الدولة ،اننا بطبيعة الحال ننفى هذه التهم من حيث المبدأ عن انفسنا لاننا نؤمن بالافكار والمبادىء الديمقراطية وتكافؤ الفرص بين المواطنين ونقف ضد أى مسعى يهدف الى تعطيل احكام القوانين فى البلاد ، واذا حدث شذوذ عن هذه القاعدة فاننا نشجبه وعلى استعداد دائم لتصحيحه ومعالجته ، نحن معكم (فى ان اجهزة الدولة هى وحدها المسئولة عن ممارسة سلطة الدولة وجميع شئون المواطنين وتجسيد ذلك فى الممارسة والسلوك العملى ولا يمكن افتراض صورة اخرى لان الصور الاخرى تعنى تعدد مراكز السلطة بما يؤول فى النهاية الى التقليل من شان السلطة واضعاف دورها فى حماية مصالح الجماهير عربا واكرادا واقليات قومية داخل الوطن ، ان تعدد مراكز السلطة يعنى التفتيت والتناحر وهذا ما يقع على الضد كليا من مبدأ التاخى القومى ومن شروط وغايات بيان ١١ آذار التاريخى) اننا معكم فى كل هذا ايها الاخوة الا ان الكلام الجميل المنمق يجب ان يكون منسجما مع الواقع الملموس أيضا ونود أن نضرب لكم الامثلة التالية على مدى احتكاركم للعمل السياسى ومدى التزام حزبكم بمبدأ عدم خلق المراكز المتعددة للسلطة منذ تاريخ السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨ وحتى اليوم :

١ - لقد تم احتكار المراكز المهمة فى الدولة وفى اجهزة القوات المسلحة من قبل حزبكم فقط .

٢ - تخطت الحكومة كل قوانين الخدمة والمقاييس العلمية والتقنية فى اسناد الوظائف الهامة وبدرجات خاصة الى اعضاء حزبكم ولولا صفاتهم الحزبيةهذه لما كان بمقدورهم تبوء هذه المراكز مطلقا .

٣ - اقامة الجيش الشعبى الذى جرى تزويده بالاسلحة والتجهيزات الحكومية وصرفت عليه الدولة مبالغ طائلة من اموال الشعب وهو جهاز يخضع للحزب وليس للدولة .

٤ - اقامة السجون والمعتقلات الخاصة بحزبكم فى مراكزه وفروعه وفى أماكن سرية بالاضافة الى معتقل قصر النهاية الرهيب الذى تمارس اجهزتكم الحزبية تحت اقبيته شتى صنوف التعذيب والارهاب .

٥ - اجراء محاكمات حزبية للمواطنين واصدار قرارات الاعدام بحقهم وتنفيذها على شكل اغتيالات ضد العديد من المواطنين داخل العراق وخارجها .

٦ - تعيين كوادر حزبكم المتفرغة بوظائف صورية كمستشارين وأعضاء فى لجان ومكاتب مجلس قيادة الثورة والقيادة القومية برواتب ضخمة تصرف من خزينة الدولة .

٧ - اخضاع اجهزة الدولة لسلطة الحزب ومنظماته داخل كل وزارة ودائرة حكومية وفى الجيش والقوات المسلحة .

٨ - اتخاذ القرارات الخطيرة المتعلقة بمستقبل البلاد واذاعتها باسم الشعب العراقى وحكومته وبمعزل عن اراء الاحزاب والقوى الوطنية والوزراء وبالرغم من اننا نشارك ظاهريا فى المسئولية باربع وزراء فانهم يسمعون تلك القرارات من دار الاذاعة اسوة بغيرهم من المواطنين .

لقد اوردنا لكم بعض هذه الامثلة لنؤكد

الذى بات ما تستوجبه الينا يجب تطبيقه مجسدا لديكم ، وبهذه المناسبة فاننا ندعوكم الى التخلى عن هذه الازدواجية لصيانة الجهاز الحكومى لغرض تمكينه من اداء خدماته الى ابناء الشعب بشكل افضل •

ان مما اثار لدينا الدهشة محاولتكم غمز حزبنا والتشكيك فى جدية التزامه بالاساليب الديمقراطية فى العمل السياسى ، ان حزبنا يؤمن ايمانا عميقا ومنذ تاسيسه بالافكار والمبادىء الديمقراطية ، وان لديه سجلا حافلا بالنضال فى سبيل حقوق وحريات شعبنا العراقى الديمقراطية واننا نفخر ونعتز بكون المنطقة الكردية هى المنطقة الوحيدة فى العراق التى لم يتعرض فيها منتسبو الاحزاب والقوى الوطنية للارهاب والمضايقات ، ان حزبنا يؤمن بالشعب وبحكمه المنتخب ولا يؤمن بالوصاية على الشعب ومما يدعو الى الغرابة انكم فى الوقت الذى تتظاهرون فيه بالحرص والغيرة على الديمقراطية التى تطلبون منا الالتزام بها ترفضون بشدة اية مقترحات قدمناها ونقدمها لكم على الدوام فى ضرورة العودة الى الشعب واستطلاع رايه فى ممثليه وتعتبرون مطالبنا الحقة هذه افكارا رجعية موعودة الى الوراء !•

٥ ـ ما نفذ وما لم ينفذ من بيان ١١ آذار التاريخى •

ان وجهة نظرنا بخصوص ما نفذ وما لم ينفذ من بيان ١١ آذار تختلف فى بعض الامور عن وجهة النظر المطروحة فى مذكرتكم ، حيث تضمن هذا الباب تفاصيل ونقاط ثانوية عديدة وامورا اخرى هى من صلب اعمال السلطة فى كل الظروف والاحوال فضلا عن ان المعلومات المتوفرة لدينا تتباين مع ما ورد فى قسم من الفقرات الاساسية ، وفى تقديرنا ان خير تقييم لهذا الموضوع الهام هو مناقشة بنود البيان وفق تسلسلها مناقشة موضوعية •

١ ـ تكون اللغة الكردية لغة رسمية مع اللغة العربية فى المناطق التى غالبية سكانها من الاكراد ، وتكون الكردية لغة التعليم فى هذه المناطق ، وتدرس اللغة العربية فى كافة المدارس التى تدرس باللغة الكردية ، وتدرس اللغة الكردية فى بقية انحاء العراق كلغة ثانية فى الحدود التى يرسمها القانون •

بجعل اللغة الكردية لغة رسمية :

لقد اصدر مجلس قيادة الثورة قرارا بجعل اللغة الكردية لغة رسمية مع اللغة العربية ، ولكن القرار تضمن فقرة تنص على ضرورة كتابة بعض الكتب والمعاملات باللغة العربية وما تبقى باللغتين العربية والكردية فى آن واحد •

ان تنفيذ القرار بهذه الصيغة يحتاج الى جهود مضاعفة من مترجمين ومطابع والات طابعة وقرطاسية وغيرها ويترتب عليه ضياع الوقت وتاخر المعاملات وبالتالى يجعل التطبيق امرا غير عملى ، وبالفعل لم تطبق هذه الصيغة فى اى بلد متعدد القوميات •

وقد نصت احدى مواد قرار مجلس قيادة الثورة المنوه عنه اعلاه على ان المجلس سيحدد المناطق التى سيطبق فيها قراره فيما بعد ولكنه لم يحدد ذلك حتى الان • فى الواقع ان اصدار هذا القرار بهذه الصيغة اصبح بمثابة ادخال قيد كبير على احدى بنود بيان آذار الرئيسية ، وقد اعربنا عن معارضتنا لهذه الصيغة قبل وبعد صدور قرار مجلس قيادة الثورة ، وقدمنا صيغة عملية تستند على قانون اللغات المحلية لسنة ١٩٣١ واتفاقية آذار نامل ان تاخذوا بها •

ان موضوع تطبيق الدراسة باللغة الكردية يعتبر من المواضيع المنفذة بصورة جيدة من حيث المجموع ، الا انها تعانى من مشاكل عديدة اهمها عدم الرعاية ، وعدم توفير الملكات ، والامكانات ، والاجهزة الضرورية لذلك ، ومنها تعرضها الى ضغوط سياسية فى المناطق الكردية التى فيها اقليات قومية من قبل مختلف الاجهزة الحكومية والتى تفاقمت فى الاونة الاخيرة بحيث اصبحت تشكل خطرا على مستقبل ابنائنا فى هذه المدارس •

٢ ـ ان مشاركة اخواننا الاكراد فى الحكم وعدم التمييز بين الكرد وغيرهم فى تقلد الوظائف العامة بما فيها المناصب الحساسة والهامة فى الدولة كالوزارات وقيادات الجيش وغيرها كانت وما زالت من الامور الهامة التى تهدف حكومة الثورة الى تحقيقها فهى فى الوقت الذى تقر هذا المبدأ تؤكد ضرورة العمل من اجل تحقيقه بنسبة عادلة مع مراعاة مبدأ الكفاءة ونسبة السكان وما اصاب اخواننا الكرد من حرمان فى الماضى ، ان موضوع المشاركة فى الحكم هو من المواضيع الاساسية فى مجال تنفيذ العدالة والمساواة وضمان حقوق الاكراد فى مختلف مرافق الدولة •

من المعلوم ان هناك اربعة وزراء اكراد رشحوا من قبل الحزب الديمقراطى الكردستانى وثلاثة وكلاء وزارات ، اما فى مجال المدراء العامين فالنسبة اقل بكثير وهناك العديد من الوزارات التى تخلو دوائرها الاساسية من الاكراد ، مثل الخارجية والنفط والاقتصاد والتعليم العالى والتربية والاصلاح الزراعى والعمل والشئون الاجتماعية والنقل والمواصلات ، واما فى وزارة الدفاع فهناك قائد فرقة كردى ولكن هو الوحيد فى جميع الدوائر الاساسية فى وزارة الدفاع وقيادات الجيش ، واما فى مجالس الدولة العليا فيوجد كرديان فى مجلس التخطيط من مجموع خمسة عشر عضوا ، اما مجلس التعليم العالى فلا يوجد فيه كردى عدا ممثلين عن جامعة السليمانية ، ويخلو مجلس الدفاع الاعلى من الاكراد ومعلوم ان مجمل سياسات الحكم توضع من قبل مجلس قيادة الثورة الذى يمثل قيادة حزب البعث فقط ولم تتخذ اية ترتيبات لضمان مشاركة الاكراد او الحزب الديمقراطى الكردستانى فى الحكم ، ان الاكراد مساهمون بصورة جزئية فى الادارة ولكن ليسوا مساهمين فى الحكم •

٣ ـ نظرا للتخلف الذى لحق القومية الكردية فى الماضى من الناحيتين الثقافية والتربوية توضع خطة لمعالجة هذا التخلف عن طريق :

ا ـ الاسراع بتنفيذ قرارات مجلس قيادة الثورة حول اللغة والحقوق الثقافية للشعب الكردى وربط اعداد وتوجيه المناهج الخاصة بالشؤون القومية الكردية فى الاذاعة والتليفزيون بالمديرية العامة للثقافة والاعلام •

ب ـ اعادة الطلبة الذين فصلوا او اضطروا الى ترك الدراسة بسبب ظروف العنف فى المنطقة الكردية الى مدارسهم بغض النظر عن اعمارهم او ايجاد علاج ملائم لمشكلتهم •

جـ ـ الاكثار من فتح المدارس فى المنطقة الكردية ورفع مستويات التربية والتعليم وقبول الطلبة الاكراد فى الجامعات والبعثات والزمالات الدراسية بنسبة عادلة ، ولغرض اكمال الصورة ندون ادناه اهم فقرات قرار الحقوق الثقافية الصادر فى ٩ ـ ١٠ ـ ١٩٦٩ :

اولا ـ اتخاذ الاجراءات اللازمة لاحداث تغيير جذرى وشامل فى المديرية العامة للدراسة الكردية لكى تكون قادرة على النهوض بالمهام التى تنتظرها واستحداث كافة الدوائر اللازمة لتمشية شئون التربية الكردية فى المستقبل •

ثانيا ـ ادخال كافة الكتب الكردية العلمية والادبية والسياسية المعبرة عن الطموح الوطنى والقومى التقدمى للشعب الكردى فى كافة المكتبات العامة وكافة مكتبات المدارس • ثالثا ـ تمكين الادباء والشعراء والكتاب الاكراد من تاسيس اتحاد لهم والعمل على مساعدتهم وتمكينهم من طبع مؤلفاتهم وتوفير الفرص لزيادة قدراتهم وقابلياتهم اللغوية وربط الاتحاد باتحاد الادباء العراقيين بعد قيامه • رابعا ـ تاسيس دار للطباعة والنشر باللغة الكردية • خامسا ـ استحداث مديرية عامة للثقافة الكردية ترتبط بوزارة الثقافة والاعلام • سادسا ـ اصدار صحيفة اسبوعية ومجلة شهرية باللغة الكردية عن المؤسسة العامة للصحافة • سابعا ـ زيادة البرامج الكردية فى تلفزيون كركوك ريثما يتم انشاء محطة تليفزيون خاصة باللغة الكردية • ثامنا ـ تسمى كافة المدارس والدوائر الرسمية فى المنطقة الكردية

بالاسماء الكردية التاريخية والجغرافية .
علما بانه يوجد قرار اخر بتشكيل المجمع العلمي الكردي . لقد صدر نظام جديد لمديرية الدراسة الكردية العامة ويعتبر النظام خطوة متقدمة ولكن لم ترصد اية مبالغ للمديرية المذكورة بعد وضع نظامها الجديد ، لذلك فان معظم بنوده لم تنفذ بعد وليس بالامكان تعيين موظف واحد حتى الان بسبب ذلك . واما ادخال الكتب الكردية في المكتبات العامة ومكتبات المدارس فلم يجر على نطاق واسع .

تم تشكيل اتحاد الادباء الاكراد وهو يمارس اعماله .

صدر نظام دار التضامن للطباعة والنشر باللغة الكردية ولكن لم تمثل فيها اية مؤسسة كردية ولم يعين حتى كردي واحد في عضوية مجلس ادارة الدار التي ستكون جميع مطبوعاته باللغة الكردية .

استحدثت المديرية العامة للثقافة الكردية ، وهناك خلاف في الرأي حول كونها مختصة بالثقافة والاعلام او الثقافة وحدها ، ولم تتم الموافقة الرسمية بعد على مناهجها ولم يربط بها اعداد المناهج الخاصة بالقومية الكردية بعد .

تصدر صحيفة هاوكاري اسبوعيا وتصدر مجلة بيان بصورة غير منتظمة.
البرامج الكردية في تليفزيون كركوك قليلة جداً وهي خالية من الامور التي تخص القومية الكردية ، ولم تتخذ اية اجراءات لتأسيس محطة تليفزيون خاصة باللغة الكردية ، رغم تأكيداتنا المستمرة ، وبالرغم من توسع شبكة التليفزيون العراقية .

سميت المدارس بالاسماء التاريخية والجغرافية والوطنية الكردية .

تعتبر الفقرة (ب) من هذا البند والخاصة باعادة الطلبة الى مدارسهم منفذة . جرى توسع كبير في فتح المدارس وتعيين المعلمين واعداد الابنية في كردستان ،ولابد من مواكبة هذه المسيرة بغية اللحاق بالقومية العربية في العراق أو على الاقل عدم ازدياد الفجوة بين مستوى القوميتين في هذا المجال ، وهناك نقص كبير في سلاك المعلمين والمدرسين فضلا عن الكثير من الطلبات لفتح المدارس الابتدائية والمتوسطة لا يمكن الاستجابة لها بسبب نقص الملاكات .

لم يقبل الطلبة الاكراد بنسبة عادلة في الكليات العسكرية والشرطة والبعثات وهي تراوحت بين ٣ في المائة و ١٠ في المائة في هذه المجالات ، ففي عام ١٩٧١ تم قبول (٨) طلبة من الاكراد في الكلية العسكرية من مجموع (٣٣٠) طالبا على سبيل المثال ، واما في الجامعات فقد اعتمدت مبدأ الدرجات فقط ولم يراع التخلف الذي لحق بالقومية الكردية مما جعل نسبة القبول للطلبة الاكراد في كليات الطب والهندسة وغيرها صغيرة الامر الذي سيزيد من الفرق بين مستوى القوميتين في هذا المجال الحساس حيث كان نسبة قبول الاكراد في بعض هذه الكليات اقل من ٥ في المائة في العام المنصرم .

واما المجمع العلمي الكردي فقد بوشر باتخاذ الاجراءات لاقامته بعد اعلان بيان آذار وهو يمارس اعماله بصورة منتظمة منذ تأسيسه .

٤ ـ يكون الموظفون في الوحدات الادارية التي تسكنها كثرة كردية من الاكراد او ممن يحسنون اللغة الكردية ما توفر العدد المطلوب منهم ، ويتم تعيين المسئولين الاساسيين (محافظ ، قائمقام ، مدير الشرطة ، مدير الامن ، وما شابه ذلك) ويباشر فورا بتطوير اجهزة الدولة في المنطقة بالتشاور ضمن اللجنة العليا المشرفة على تنفيذ هذا البيان بما يضمن تنفيذه ويعزز الوحدة الوطنية والاستقرار في المنطقة . يعتبر هذا البند منفذًا بالنسبة الى محافظات اربيل والسليمانية ودهوك ما عدا مدراء الامن الذين اعطوا امكانيات واسعة وصلاحيات استثنائية وأصبح ارتباطهم بالمحافظين شكليا ، ويتصرفون وكأنهم وحدهم يمثلون الحكومة المركزية ، ويشكلون مراكز قوى يتجمع حولها العناصر المعادية للحزب الديمقراطي الكردستاني . وأما بالنسبة لمحافظة كركوك والمناطق الكردية في نينوى وديالى ، فان الاجهزة الادارية وجميع الوظائف الهامة محصورة في أيدي غير الاكراد، اذا استثنينا اثنين او ثلاثة من القائمقامين ، وحتى في المناطق الكردية الصرفة تجرى محاولات اسناد الوظائف الى العناصر المناوئة من الاكراد ، وتستخدم الاجهزة الحكومية في هذه المناطق لتنفيذ سياسة التعريب والتبعيث ومعاداة الحركة القومية الكردية .

٥ ـ تقر الحكومة حق الشعب الكردي في اقامة منظمات طلبة وشبيبة ونساء ومعلمين خاصة به ، وتكون هذه المنظمات اعضاء في المنظمات الوطنية العراقية المشابهة .

لقد اقيمت المنظمات الاربع المذكورة أعلاه ، الا أنها تتعرض الى الاضطهاد وخاصة في المناطق الكردية التي فيها اقليات قومية ، وقد جرى اكثر من اعتداء على مقراتها ولا تنصف هذه المنظمات من حيث المساعدات وحقوقها المالية ، ولا يعامل اعضاؤها وقياداتها بالمساواة مع منتسبي المنظمات العراقية المماثلة ، ونود الاشارة هنا الى الاضطهاد والسجن والنقل الاداري والتمثيل غير العادل بالنسبة الى منتسبينا في المنظمات المهنية كنقابات العمال والجمعيات الفلاحية وغيرها .

٦ ـ (يمدد العمل بالفقرتين (١) و (٢) من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٥٩ والمؤرخ في ٥ ـ ٨ ـ ١٩٦٨ حتى تاريخ صدور هذا البيان ويشمل ذلك كافة الذين ساهموا في اعمال العنف في المنطقة الكردية . يعود العمال والموظفون والمستخدمون من المدنيين والعسكريين الى الخدمة ويتم ذلك دون التقيد بالملاك ويستفاد من المدنيين في المنطقة الكردية ضمن احتياجاتها) .

لقد نفذ هذا البند بصورة كاملة في السنة الاولى من عمر البيان ولكن المئات من منتسبي القوات المسلحة الاكراد اضطروا الى الفرار مجددا بعد تحريم نشاط الحزب الديمقراطي الكردستاني في الجيش وباقي القوات المسلحة والقاء القبض على العشرات من منتسبي الحزب العسكريين وانتزاع الاعترافات منهم .

ومن البنود السرية : احتساب المدة التي فصلوا فيها لاغراض الترفيع والتقاعد ، وقد احتسبت فعلا لجميع المشمولين بالبيان .

٧ ـ ا ـ تشن كل هيئة من ذوي الاختصاص للنهوض بالمنطقة الكردية من جميع الوجوه بأقصى سرعة ممكنة وتعويضها عما أصابها في السنوات الاخيرة ، وتخصيص ميزانية كافية لتنفيذ ذلك وتكون هذه الهيئة تابعة لوزارة شئون الشمال .

ب ـ اعداد الخطة الاقتصادية بشكل يؤمن التطور المتكافيء لانحاء العراق المختلفة مع مراعاة ظروف التخلف في المنطقة الكردية .

ج ـ تخصيص رواتب تقاعدية لعوائل الذين استشهدوا في ظروف الاقتتال المؤسفة من رجال الحركة الكردية المسلحة وغيرهم وللعجزة والمشوهين بسبب تلك الظروف وفق تشريع خاص على غرار القوانين المرعية .

د ـ العمل السريع لاغاثة المتضررين والمعوزين عن طريق انجاز مشاريع سكنية وغيرها تؤمن العمل للعاطلين وتقديم معونات عينية ونقدية مناسبة واعطاء تعويض معقول للمتضررين الذين يحتاجون المساعدة ، ويناط ذلك باللجنة العليا ـ ويستثنى من ذلك من شملتهم الفقرات السابقة) .

تم تشكيل هيئة اعمار الشمال ووضع مبلغ تسعة ملايين دينار تحت تصرفها واختير لها أسلوب مبسط ومرن لتنفيذ مشاريعها التي انتشرت في جميع أنحاء كردستان وبالرغم من تقديرنا للمبالغ التي خصصت للهيئة وانجازاتها غير أن المنطقة بحاجة الى المزيد من الرعاية والاهتمام في هذا المجال .

ان الهيئة بحاجة الى مبالغ جديدة حيث انها تقدمت بمشاريع الى المنهاج الاستثماري الجديد تزيد كلفتها عن (١٢) مليون دينار ، كما وان الهيئة بحاجة الى خبراء لاعانتها على القيام بمهامها ، ويجب ان ينظر الى الهيئة كنواة الى هيئة تخطيط اقليمي عند تحقيق الحكم الذاتي ضمن اطار الخطة القومية وأما بخصوص الخطة الاقتصادية موضوعة البحث فقد أعدت في صفتها الاولى بحيث أن حصة كردستان لم تكن اكثر من ٨ في المائة من مجموع الخطة القومية ، وجرى بعض التحسين في السنة الثانية للخطة بعد ازدياد موارد النفط ، ولكن مع هذا فان ما يصيب الفرد الواحد في كردستان ما زال أقل من المعدل العام للقطر ، وفيما يلي ملاحظاتنا على الخطة بعد تعديلها :

ان مجموع مبالغ الخطة المنشورة هي (٩٥٢) مليون دينار ان الارقام المتوفرة لدينا والتي درست وحللت بامعان تبين أن حصة المنطقة الشمالية (محافظات أربيل ودهوك والسليمانية وكركوك ونينوى) هي في حدود (١٧ في المائة) من مجموع الخطة وقد يزداد هذا الرقم في حدود (٢ في المائة) في أحسن الاحوال • ونسبة نفوس المحافظات الخمس المذكورة أعلاه هي (٢٥ في المائة) من مجموع نفوس البلاد • ومجموع المبالغ المخصصة للقطاع الممول ذاتيا هي ٤٧٠ مليون دينار ، وحصة المنطقة الكردية من هذا القطاع هي أقل بكثير من حصتها في القطاع الحكومي المركزي ، لذلك فان النسب المذكورة أعلاه ستنخفض بصورة ملحوظة عندما ينظر الى القطاعين بصورة مجتمعة، وحتى اذا لم نتمكن من تحديد حصة المنطقة الكردية بدقة لعوامل عديدة جغرافية ومنها ادارية فان المؤشرات المذكورة أعلاه تدل على أن حصة الفرد الواحد في كردستان هي فعلا أقل من المعدل العام للقطر فضلا عن التخلف الموجود في المنطقة بسبب الظروف والسياسات السابقة ، وحتى اذا ما أخذنا الارقام المنشورة من قبل الجهات الرسمية بنظر الاعتبار ، وكنموذج لذلك ما نشر في جريدة الجمهورية في ١٠ - ٥ - ١٩٧٢ وبغض النظر عن تفاصيل الارقام التي لم نطلع على أسسها وتفاصيلها ، فانها بدورها تثبت ما ذهبنا اليه أعلاه ، وما لم يعالج هذا الاتجاه في التنمية فسيصبح التخلف سمة ثابتة وملازمة لكردستان بالنسبة الى باقي أنحاء العراق ، وفي هذا مخاطر كبيرة على جميع البلاد بسبب ما تخلقه من تبرم وتذمر وليس من الصعوبة معالجة ذلك حيث أن كردستان تزخر بالامكانيات الزراعية والصناعية والمعدنية والسياحية، وهي بحاجة ماسة الى طرق وتوسيع في الخدمات التعليمية والصحية والبلدية وبالامكان استغلال مبالغ طائلة استغلالا اقتصاديا ناجحا يعود بالخير العميم على البلاد في المجالات المذكورة وغيرها • وان تخصيص حصة عادلة تتناسب ونسبة السكان في مناهج التنمية لكردستان يعتبر من اهم المواضيع التي لابد من معالجتها •

وأما الفقرة الخاصة بتقاعد الشهداء فقد صدر القانون وأنجز أكثر من (١٥٠٠) معاملة حتى الان •

بوشر ببناء (١٢٠) ألف دار للمتضررين بحوادث الشمال وهذه الدور هي أفضل بكثير من الدور الريفية التقليدية ، ولكن الدور المخربة بسبب حوادث الشمال هي أضعاف هذا الرقم •

لم تقدم أية تعويضات او معونات اخرى الى المتضررين بسبب حوادث الشمال ، كما لم تقم الحكومة بأية مشاريع اغاثة للمنطقة بل بالعكس جمدت بعض الاجهزة الحكومية مشروع بعثة الامم المتحدة القاضي باغاثة المتضررين وتقديم معونات وخبز عن طريق وكالات برنامج التطوير التابع لها ، واقتراحات متعددة لاعمار كردستان •

٨ - اعادة سكان القرى العربية والكردية الى أماكنهم السابقة أما سكان القرى الواقعة في المناطق التي يتعذر اتخاذها مناطق سكنية وتستملكها الحكومة لاغراض النفع العام وفق القانون فيجري اسكانهم في مناطق مجاورة ويجري تعويضهم عما لحقهم من ضرر بسبب ذلك •

سمح لسكان قريتين فقط من مجموع (٢٢) قرية كردية بالعودة الى قراهم حتى الان وهي بارولي وقرغه تو في كركوك ، وحتى ذلك فقد جرى بعد الحاح شديد • ولم يعوض الاهلون عن الاراضي التي اعتبرت محرمة كما لم يسمح لسكان تلك القرى ببناء دورها في أراضيها الواقعة خارج المنطقة المحرمة ، بل بالعكس تم الاستيلاء على هذه الاراضي وزراعتها بحجة أنها ستتخذ معسكرات في المستقبل ، ولم يسمح لالاف العوائل من الحي الجمهوري باعادة بناء دورهم ، ولكن عكس ذلك هو الذي تم حيث احيطت المناطق الشرقية من مدينة كركوك باحياء عربية صرفة بنتها الحكومة ووزعتها على المواطنين العرب من خارج المحافظة وفي مناطق أخرى جيء بالعرب من جديد الى مناطق كردية كما حصل في قرى مطيق وبالاني وزند والى (١١) قرية التي اشترى المدعو على الدمام ملكيتها من الاقطاعيين الاكراد بمبالغ دفعتها الحكومة ، فضلا عن عدد من القرى والمقاطعات في سنجار وخانقين • واتخذت الحكومة أسلوبا آخر في تعريب هذه المناطق وهو جلب الموظفين وأفراد الشرطة والعمال وغيرهم من العرب من خارج كركوك واعطائهم الدور ودفاتر النفوس التي تثبت أنهم من كركوك ، وهذا الاسلوب على المدى البعيد أكثر خطورة من غيره من الاساليب التي اتبعت حتى الان •

٩ - الاسراع بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي في المنطقة الكردية وتعديله بشكل يضمن تصفية العلاقات الاقطاعية وحصول جميع الفلاحين على قطع مناسبة من الارض واعفائهم من الضرائب الزراعية المتراكمة عليهم خلال سنين القتال

تم تشريع قانون جديد للاصلاح الزراعي تضمن تحديد الحد الاعلى للاراضي التي تزرع تبغا بـ (٤٠) دونما وهي أقل من الحد الاعلى لاي منتوج آخر في البلاد •

وساند حزبنا ويساند باستمرار تنفيذ القانون المذكور الذي سيساهم مساهمة فعالة في تغيير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في الريف الكردي لصالح الجماهير ، على أن الحكومة تستخدم الاصلاح الزراعي في المناطق التي فيها أقليات قومية كوسيلة للضغط على أنصار حزبنا وللتبعيث والتعريب ، كما وأن بعض المحافظات الكردية لم تزود بالامكانيات الكافية لتسريع تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي الى أمد قريب •

١٠ - جرى الاتفاق على تعديل الدستور المؤقت كما يلي :

أ - يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية ويقر هذا الدستور حقوق الشعب الكردي القومية وحقوق الاقليات كافة ضمن الوحدة العراقية •

ب - اضافة الفقرة الاتية الى المادة الرابعة من الدستور (تكون اللغة الكردية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية في المنطقة الكردية) •

ج - تثبيت ما تقدم في الدستور الدائم •

نفذت الفقرتان (أ و ب) في أعلاه ومن الطبيعي لا يمكن تنفيذ (ج) الا بعد تشريع الدستور الدائم •

١١ - اعادة الاذاعة والاسلحة الثقيلة الى الحكومة ويكون ذلك مرتبطا بتنفيذ المراحل النهائية من الاتفاق •

سلمت وجبة من الاسلحة الثقيلة وجهاز

اذاعة الى الحكومة ولم تبلغ تنفيذ المراحل النهائية من الاتفاق .

١٢ ـ يكون احد نواب رئيس الجمهورية كرديا .

معلوم ان هذا البند لم ينفذ ، وقد اقترحت الحكومة فعلا على الحزب الديمقراطي الكردستاني أن يقدم مرشحا لهذا المنصب الا أن حزبنا امتنع عن ذلك بعد اقتناعه اثر الاشتراك في الوزارة أن الصلاحيات والسلطة التي ستمنح لمرشحه ان تكون بالشكل الذي تمكنه من ملء هذا المركز الحساس والهام ، ومتى شعرنا بان هذه الصورة ستتغير ايجابيا فلن نتوانى عن تقديم مرشح لمنصب نائب لرئيس الجمهورية .

١٣ ـ يجرى تعديل قانون المحافظات بشكل ينسجم مع مضمون هذا البيان .

لم يجر تعديل قانون المحافظات بل بالعكس هناك تجاوزات مستمرة على القانون المذكور خاصة من قبل اجهزة الامن والسلطات المركزية .

١٤ ـ اتخاذ الاجراءات اللازمة بعد اعلان البيان بالتشاور مع اللجنة العليا المشرفة على تنفيذه لتوحيد المحافظات والوحدات الادارية التي تقطنها أكثرية كردية وفقا للاحصاءات الرسمية التي سوف تجرى . وسوف تسعى الدولة لتطوير هذه الوحدة الادارية وتعميق وتوسيع ممارسة الشعب الكردي فيها لجمل حقوقه القومية ضمانا لتمتعه بالحكم الذاتي ، والى أن تتحقق هذه الوحدة الادارية يجرى تنسيق الشئون القومية الكردية عن طريق اجتماعات دورية تعقد بين اللجنة العليا ومحافظي المنطقة الشمالية . وحيث ان الحكم الذاتي سيتم في اطار الجمهورية العراقية فان استغلال الثروات الطبيعية في هذه المنطقة من اختصاص سلطات هذه الجمهورية بطبيعة الحال .

من ضمن البنود السرية ان يجرى الاحصاء ضمن عام من اعلان البيان وأن ينفذ الحكم الذاتي كاملا بعد أربع سنوات من ١١ آذار .

لم يجر الاحصاء في موعده المقرر . ومعلوم أن الاحصاء قد أجل بناء على طلب الحكومة ، وعمليات التعريب والتبعيث مستمرة منذ ذلك الوقت وبشتى الوسائل ، وان هذه العمليات كانت السبب الاول والاساسي في نسف الثقة وخلق الصدامات وهي بمثابة حرب غير معلنة على الشعب الكردي ، وما من شك في أن تحديد المنطقة الكردية سيساهم في حل الكثير من المشاكل بين الجانبين وكلما ابتعد أمد تحديد المنطقة الكردية كلما ابتعد الحكم الذاتي عن المنال الذي اتفق على انجازه خلال مدة أقصاها أربع سنوات .

١٥ ـ يساهم الشعب الكردي في السلطة التشريعية بنسبة سكانه الى سكان العراق .

ان السلطة التشريعية القائمة هي مجلس قيادة الثورة الذي لا يساهم فيه الاكراد ، وهذا يعني حرمان القومية الكردية من أهم ركن من أركان المساهمة في الحكم ، ولم تتخذ الترتيبات اللازمة لاقامة المجلس الوطني الذي من المفروض ان يساهم فيه الاكراد بنسبة السكان لحد الان .

التزامات الحزب الديمقراطي الكردستاني بموجب بيان آذار :

أما فيما يتعلق بالتزامات الحركة الكردية حتى وان كانت غير مكتوبة فمن المعلوم أن النقطة الاساسية منها كانت المساهمة في اعادة الاوضاع الطبيعية الى المنطقة وتوطيد السلطة المركزية ، وبهذه الروحية ووفق هذا المفهوم عمل الحزب الديمقراطي الكردستاني بالتعاون مع الحكومة من أجل سيادة القانون والنظام وسيادة مؤسسات الدولة ، فأعيدت الادارات المحلية الى المناطق التي خلت منها وفتحت الطرق العامة وأعيد فتح مخافر الشرطة التي أغلقت في سنوات القتال وساد جو من الهدوء والصفاء وتناسى أحقاد الماضي تجاه الذين رفعوا السلاح ضد قومهم في الماضي ، وعاد أفراد البيشمة ركه من القوات المسلحة الى وحداتهم السابقة وتم تشكيل حرس الحدود وحلت مؤسسات الثورة الكردية كمجلس قيادة الثورة ومكتبها التنفيذي والقسم العدلي والقسم العسكري والقسم الاداري والصحة والتعليم وتنظيمات الهيئات السابقة وسرح البيشمة ركه حسب الاتفاق مع الحكومة وازيلت كافة نقاط السيطرة ، ولقد سادت هذه الروح أكثر من سنة كاملة ، ونحن لا ندعي هنا باننا أوفينا بجميع التزاماتنا حيث ان ذلك مرهون بتعاون صادق ومخلص بين الطرفين .

١٦ ـ رأينا في الشروط الـ (٣١) الواردة في مذكرة القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي والتي يؤكد حزب البعث أن بدء علاقات جديدة كالتي نشأت بعد ١١ آذار يتوقف على تطبيقها أن الشروط رقم (١ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) هي شروط عامة ينبغي على الطرفين الالتزام بها أما الشروط الاخرى فهي شروط خاصة بنا وترتب آثارا والتزامات على حزبنا فقط .

ان الشرط الاول يخص سيادة القانون ومؤسسات الدولة الدستورية واننا في الوقت الذي نؤيد المبادىء الواردة فيه نؤكد أن أي نقص في تطبيقه يدل على استمرار الاحوال الشاذة وأن بدون ذلك سوف لن يكون هناك سلام حقيقي ، وفي تقديرنا أنه يجب أن يكون مطلب الحكومة الرئيسي ، وهو مطلب عادل نحرص على تنفيذه .

واننا في الوقت الذي لا نبرىء أنفسنا وننزه جميع منتسبينا لكننا في الوقت ذاته نعتقد أن سيادة القانون تستوجب أن تتعامل الاجهزة الحكومية مع المواطنين وفق القانون ونقول مخلصين أن الكثير من حوادث الخروج على القانون انما حدثت نتيجة لسوء استعمال القانون أو تجاهله من قبل المسئولين .

وبهذه المناسبة نود أن نبين أننا سرنا بخطى حثيثة بعد ١١ آذار في اتجاه تعزيز سيادة مؤسسات الدولة والقوانين والانظمة واننا اذ نعلن استعدادنا لمكافحة أي خروج على سيادة القانون ومؤسسات الدولة لا نخفيكم أن التطبيق العملي لذلك مرتبط بالعمل على بناء الثقة وعودة الامور الى مجاريها الطبيعية وتحقيق المشاركة الحقيقية للقومية الكردية في الحكم واستئناف مسيرة آذار نحو تنفيذ الحكم الذاتي ، وسنعلق بايجاز على الشروط العامة التي تتعلق بالجانبين .

فبالنسبة الى الفقرة (٦) التي تطالب بادانة الاغتيالات السياسية ، أليست السلطة المسؤولة عن سن القوانين وتشريعها وتنفيذها والمسؤولة الاولى عن حماية أرواح المواطنين وفق جميع الشرائع أولى من غيرها بأن تتجنب الاغتيالات السياسية ؟ ولدينا أدلة وأمثلة كثيرة تؤكد أن السلطة تبيح لنفسها حق اغتيال من تعتبرهم خصومها سواء أكانوا في الجنوب أو الشمال أو في العراق أو خارجه ، وان هذه الظروف قد خلقت حالة من عدم الاطمئنان والقلق لدى المواطنين وهي أحد الاسباب الجذرية التي تجعل المواطنين يقفون موقفا سلبيا حتى من بعض اجراءات الحكومة الايجابية ، واننا نعتقد أن الاقلاع عنها سيوفر على الحكومة وعلى المجتمع جهودا ومتاعب كثيرة .

وبخصوص الفقرة (٧) فاننا نؤيدها تماما ونؤكد على احترام الحقوق والحريات التي كفلتها القوانين لابناء الشعب على قدم المساواة ودون تفريق أو تمييز .

وحول الفقرة (١٠) فقد عملت أجهزة الامن والاستخبارات بمعزل عن الاداريين الذين عينوا بعد ١١ آذار ومع

هذا لم يتصد أحد لاعمالهم حتى باشروا بتدبير المؤامرات والاغتيالات ومحاولة شراء الذمم حتى من أنصار الحزب الذى أريد التحالف معه ، وان الاجراءات اتخذت بهذا الصدد من جانب منتسبي حزبنا تدخل ضمن اطار الاعمال الوقائية وفي بعض الاحيان اضطرتهم هذه الاعمال الى المقابلة بالمثل فعلا .

وأما بخصوص الفقرة (١١) التى تقول (التزام حزبكم بعدم الاعتداء على العناصر المؤيدة للثورة ، وعدم خطف وتعذيب وقتل المواطنين) ان هذا هو بالضبط ما يطلبه حزبنا من حزب البعث العربي الاشتراكى ، ولابد وانكم تعلمون بان مواطنينا من جميع الاتجاهات دون استثناء قد اختطفوا وعذبوا وقتلوا فى قصر النهاية وغيره من سجون الحكومة وان العديد من منتسبي حزبنا قد ذهبوا ضحية هذه الاساليب النادرة فى العالم المعاصر ، وان الموصوفين بالعناصر المؤيدة للثورة والتى القى القبض عليها من قبل اجهزة الحزب الديمقراطى الكردستانى هم فى الحقيقة تلك العناصر التى كلفت من قبل أجهزة الامن للقيام باغتيالات او تخريبات أو افتعال أزمات فى المنطقة الكردية ، واننا على استعداد لاجراء تحقيق شامل فى ذلك وبالنسبة الى الطرفين .

واما بخصوص التزام كافة الاداريين المحسوبين على حركة حزبنا بتطبيق القوانين والانظمة الواردة فى الفقرة (١٤) نعتقد أنهم فعلا يقومون بذلك وفى كثير من الاحيان فى ظروف صعبة للغاية ، هذا مع عدم انكارنا لوجود تقصير فى هذا المجال من قبل بعض الاداريين بسبب الظروف المتوترة التى احاطت بتطبيق اتفاقية آذار ، وقد ذهب بعضهم ضحايا هذه الظروف والازمات ، ومن جهة اخرى نأسف اذ نقول ان الحقوق القومية للاكراد والتى أقرها مجلس قيادة الثورة تحارب فى التطبيق من قبل المسؤولين فى المناطق التى يديرها مسؤولون من حزب البعث العربى الاشتراكى .

وعن الفقرة (١٩) التى تطلب الاتفاق على أبعاد العناصر الادارية التى عينت بناء على طلب حزبنا ولم تخضع او تنفذ أوامر السلطة المركزية ، نرجو أن تبينوا لنا ما هى أوامر السلطة المركزية التى لم تنفذها هذه العناصر واننا نؤيد أى اجراء عادل تتخذه الحكومة ضد المقصرين منهم عربا كانوا أم أكرادا .

وبالنسبة الى الفقرة (٢٠) التى تنص على (اعادة جميع النازحين الاكراد الى أماكنهم سواء نزحوا قبل ١١ آذار أم بعده) نقول ان السلطات والجهات المختصة رفضت أعادة الاكراد الى القرى التى اجبروا على تركها كما اسلفنا سابقا .

واما بخصوص عودة العشائر التى نزحت من قضاء عقرة بعد عودة السلام الى البلاد ، فقد عملنا جهدنا وفق اتفاق مكتوب على اعادتهم ولكن الطريقة التى اعيدوا بها من قبل اوساط معينة فى السلطة كانت مخالفة للاتفاق حيث زودوا بالمال وبكميات كبيرة من الاسلحة واجهز ضباط من الجيش لقيادتهم واستحوذوا فور عودتهم على قرى واملاك الاخرين ولم يضيعوا الفرص لخلق الفتن مما اضطر المئات من العوائل المستقرة هناك على النزوح ، ولا نعتقد أن اعادتهم وفرضهم على الاخرين بقوة السلاح سيكون مقبولا لدينا فى أى وقت من الاوقات ، واننا سنكون فى عون كل الذين يرغبون فى العودة والعيش كمواطنين وقد عاد بالفعل الالوف من العوائل بهذه الطريقة وبذلنا كل ما فى وسعنا لمعونتهم وسكناهم ، ونعتبر ذلك واجبا وطنيا وانسانيا من واجباتنا .

وبخصوص الفقرة (٢١) نؤيد رأيكم كليا فى ضرورة عدم التدخل فى شؤون الحكم اليومية من قبل أية جهة كانت ، ونرى أن يكون ذلك شاملا لعموم العراق .

وحول الفقرة (٢٢) التى تتضمن اقتراحا بتشكيل (هيئة قضائية من حكام معروفين بنزاهتهم واستقامتهم ، وتحظى هذه الهيئة بتأييد القوى الوطنية وتأخذ على عاتقها مهمة التحقيق فى جميع القضايا التى تخص أمن الدولة فى المنطقة الشمالية نطالب بتشكيل هذه الهيئة على الفور .

وحول (اطلاق سراح جميع الموقوفين فى سجون حزبنا ومعتقلاته) الوارد فى الفقرة (٢٣) من مذكرتكم ، اننا موافقون وعلى أن يشمل العراقيين وبدون استثناء ، ونرجو أن تعلموا أن المشار اليهم هم من الذين ارسلوا المتفجرات او تآمروا على حياة قادة حزبنا او قاموا بتخريبات فى مختلف مناطق كردستان وبتوجيه من بعض أجهزة حزبكم .

اننا نطلب من القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي أن تضع نفسها مكاننا وتتمحص الفقرتين (٢ و ٥) الواردتين فى المذكرة وتسأل نفسها هل بالامكان قبول هذين الطلبين فى آن واحد ، فمن جهة يعطى حزبكم الحق لنفسه أن يتصل بكل من هب ودب فى كردستان . وقد كانت هذه الاتصالات حتى الان مساع ومحاولات وأموال وأسلحة لاضعاف حزبنا ، ومن جهة اخرى تطلبون من الحزب الديمقراطى الكردستانى أن يمتنع عن اجراء أية اتصالات مع أية فئة اخرى ! وأما القول بأن من يتصل بهم حزب البعث تقسيميون ومن يتصل بهم الحزب الديمقراطى الكردستانى رجعيون واعداء للثورة فلا يتجاوز التسميات لغرض التبرير ، وعلى كل حال فان هدف الفقرتين هو واحد وهو عزل الحركة الكردية وتفتيتها وخلق مراكز قوى عديدة فى كردستان . والواقع ان علاقاتنا مع القوى الوطنية العراقية ليست بنت اليوم وانما نمت وتطورت منذ تاسيس حزبنا وحتى يومنا هذا وعلاقات الحكومات المتعاقبة مع العناصر المعادية لطموح القومية الكردية ليست بنت اليوم ايضا كما لا يخفى عليكم حتما ، وجدير بالذكر ان مساهمتنا بوزراء فى السلطة وباعضاء فى السجون والمعتقلات والتعذيب الرهيب بالاضافة الى التجاوزات الاخرى وضعنا فى موقع حرج للغاية ولكن حرصا على المصلحة العامة والوحدة الوطنية وعدم تدهور الاوضاع الى الاسوء ابقينا وزراءنا فى الحكومة رغم الازمات العميقة التى مرت بها علاقاتنا .

وبخصوص الفقرة (١٢) فان حزبنا كان ولا يزال ضد مبدأ الاحتكار وقد كانت هذه سياسته قبل ١١ اذار فى جميع المؤسسات الشعبية والرسمية التى يؤخذ رأيه فيها . ولم يجبرنا احد أن نقدم وزيرين غير حزبيين من مجموع خمسة وزراء بعد ١١ اذار مباشرة ، ثم أن هناك مبدأ التشاور الذى أقر فى بيان اذار والذى ندعو الى الالتزام به فى حين ان الحكومة هى التى تجاهلته فى الاونة الاخيرة كما ولم تطبقه اصلا فى المناطق التى فيها اقليات قومية من غير الاكراد ، واذا القينا نظرة على الاجهزة الادارية حتى فى المحافظات الثلاث التى وضعت فيها ادارات كردية نجد أن ما يقرب من نصف المسؤولين المباشرين فى هذه الاجهزة هم ليسوا أعضاء فى حزبنا ، واما على نطاق التمثيل فى الاجهزة المركزية فاننا فى الوقت الذى نعتز بكل وطنى مخلص يخدم شعبه فان تعيين معظم الموظفين البارزين فى هذه الاجهزة قد تم دون استشارة حزبنا وهم قلة على كل حال وقد وقفنا منهم عموما موقفا ايجابيا ، واذا كان تعاون حزبنا مطلوبا من قبل الحكومة فان هذا التعاون يتطلب المشورة فى مثل هذه الامور أيضا . لقد وقفنا فى الماضى وسنقف فى المستقبل ايضا ضد اسناد المناصب الحساسة الى الاكراد الذين يعادون طموح قومهم ويحاربون شعبهم ، ومن ناحية اخرى نرى أن من حقنا ان نعارض تعيين الموظفين الاساسيين فى كردستان دون استشارة حزبنا الامر الذى أقره بيان ١١ آذار .

واما بصدد الفقرة (١٣) فلا يبنى حزبنا سياسته على أساس خصوصية

مصالحه الذاتية بمعزل عن مصالح البلد الاساسية ، ولكن قلما يستجاب الى حقوق الشعب الكردي دون مطالبة ، وقلما تعامل كردستان والاكراد بصورة منصفة حيث نضطر ازاء ذلك الى المطالبة وفي بعض الاحيان بالحاح لان الشعب يلح في المطالبة ، الامر الذي قد يبدو للبعض بالصورة المذكورة في الفقرة المشار اليها اعلاه ، وازاء كل مثل يذكر عن (خصوصية المصالح) نستطيع ذكر عشرات الامثلة الصارخة عن الغبن الذي لحق ويلحق بالاكراد يوميا ، وانه لغبن مضاعف ان يطلب الينا السكوت على الغبن •

وحول التزام حزبنا بمنع حالة التسلح في جميع المناطق التي يقطنها الاكراد الوارد في الفقرتين (١٥ و ٢٥) فاننا نتفق معكم على ضرورة تطبيقه وسيكون نتيجة مباشرة لعودة العلاقات الطبيعية فيما بين حزبينا ، واذا كان منتسبو حزبنا يحملون الاسلحة في القرى والارياف فان حزبكم يوزع الاسلحة على منتسبيه وأنصاره فيكافة انحاء البلاد • واما في المناطق الكردية التي فيها أقليات قومية فتوزع الاسلحة على كل من يقبل استلامها خاصة الذين يعادون حزبنا سواء أكانوا في المدن أو الارياف ويتدربون رسميا عليها وقد ساهم ذلك في خلق حالة التوتر التي نراها اليوم •

واما الفقرة (١٨) التي تعتبر مقراتنا مفتوحة في أنحاء العراق للعناصر المضادة للثورة فأمر غير صحيح ومبالغ فيه كثيرا ، والعناصر التي تسمى بالرجعية والموجودة عندنا سبق وأن اعلمناكم عن المساعي والوعود واوراق عدم التعرض التيمنحهم اياها مسئولون كبار في اجهزة الدولة فلماذا هي رجعية اذا كانت عندنا وتصبح تقدمية اذا استلمت اوراق عدم التعرض واتت الى جانبكم ؟ على ان الشيء الذي يجب ان نتفق عليه في بناء علاقات جديدة طيبة هو عدم قيام اي طرف بتبني خصوم الطرف الاخر •

انكم تتهموننا بعلاقاتواسعة مع اعداء الحكم في الداخل والخارج بما في ذلك جملة اتهاماتباطلة لا اساسلها كما جاء في الفقرتين (٣ و ٢٨) • ان السبب الرئيسيلهذه العلاقات باية درجة كانت هو ظروف الاجواء السلبية بين حزبينا وان مفاتيح هذه الامور هي في ايديالحكومة أكثر مما هي في ايدينا والفترة التي أعقبت ميسان آذار وحتى ٢٩ ايلول ١٩٧١ خير دليل على ذلك ، واما عن التهريب فاننا على استعداد كامل للقيام بمكافحته علما انه موجود بشكل او آخر في كافة المناطق الحدودية ، وقد تحققت في السنة الماضية ما يزيد على ثلاثة ملايين دينار من واردات محافظة السليمانية نتيجة لمكافحة التهريب ومع هذا استمرت الاتهامات ضد ادارة السليمانية بخصوص عدم مكافحة التهريب •

لقد ورد في مذكرتكم جملة من الشروط التي هي في الحقيقة اتهامات أكثر من ان تكون شروطا وان هذه الاتهامات باطلة ولا تستند الى اية دلائل واقعية • وتدخل الفقرات (٤ و٢٦ و٢٧) في عداد ذلك ، فبالنسبة الى الفقرة (٤) اننا لم نحارب العناصر الوطنية الايرانية ولم نسلم احدا الى السلطات الايرانية وليس كل الذين تسمونهم عناصر وطنية هم كذلك فعلا ، فلا تعتبر العناصر الوطنية الايرانية ذاتها الجنرالين بختياري وبناهيان عناصر وطنية •

وبخصوص الفقرة (٢٦) التي تطالب (بعدم وضع العقبات امام تنفيذ قرارات الثورة القاضية بمنح الحقوق الثقافية والادارية للاقليات) في اول لقاء لمفاوضات آذار اثار ممثلو حزبنا ضرورة منح الاقليات القومية حقوقها ، وقد انتفض بعض أعضاء وفد حزب البعث لذلك • ولكن وفي تقديرنا ولاغراض تاكتيكية صدرت حقوق التركمان الثقافية قبيل اتفاق اذار وقد ايدناها ايا كان الغرض منها وقد صدرت الحقوق الثقافية للناطقين باللغة السريانية أيضا هذا العام ، واننا رحبنا بجميعها وسندافع عنها وسنساعدهم ضمن امكانياتنا للتمتع بها ، لان ذلك ينطلق من مبادىء حزبنا وان شعبنا الذي اكتوى بنار الاضطهاد يقدر تماما اهمية حقوق الاقليات التي تربطنا واياها علاقات جيرة ونضال ومواطنة ولا تفوتنا الاشارة بهذه المناسبة الى ان مشروع ميثاق العمل الوطني تجاهل الاشارة الى حقوق الاقليات ، وصراحة اننا نعتبر الحقوق الثقافية للاقليات القومية امتدادا للاقرار بالحقوق القومية للشعب الكردي ، ولنأتي الى التطبيق العلمي لهذه الحقوق ، ولنكشف النقاب عن الذي يعيق تطبيقها وكما تعلمون فان العبرة دائما بالتنفيذ اكثر مما هي في الاقرار ، فعلى نطاق المدارس التركمانية لم تؤسس مدرسة تركمانية واحدة في قضاء تلعفر الذي يزيد عدد التركمان فيه على (٧٠) الف نسمة ، واما في كركوك فقد قلصت المدارس التركمانية في السنة الاولى من عمرها من حوالي مائة مدرسة الى اربعين مدرسة ، وقد جرت حملة قمع واسعة اثناء تلك العملية قتل علىاثرها احد الاشخاص ولم تراع هذه الدراسة الناشئة باي شكل من الاشكال ولم تزود هذه المدارس بالكتب المدرسية في الوقت المناسب ، وقام اكثر من جهاز حكومي ببث الدعاية ضد الدراسة التركمانية ، وكانت النتيجة ان المئات من أولياء امور الطلبة شعروا ان مستقبل ابنائهم مهدد بالخطر فنقلوهم من المدارس التركمانية الى المدارس المشمولة بالدراسة العربية وان الدراسة التركمانية على وشك الانهيار الكامل فعلا واما في ديالى فلم تؤسس مدرسة تركمانية واحدة ، فمن الذي يحارب تنفيذ حقوق الاقليات نحن ام أجهزة الحكومة وحزب البعث العربي الاشتراكي ؟

وجدير بالاشارة هنا ان قرار حقوق الناطقين باللغة السريانية قد أهمل ضرورة تعلم هؤلاء المواطنين اللغة الكردية في حالة تواجدهم في كردستان وانما نص على تعلم اللغة العربية فقط ، واما قرار مجلس قيادة الثورة الذي يخص تشكيل وحدات ادارية للمناطق التي تسكنها الاقليات القومية فلنا عليه ملاحظة اساسية حيث اننا نرى انه من الحق والعدل والموضوعية ان تحدد اولا منطقتي القوميتين الرئيسيتين في العراق وهما القومية العربية والقومية الكردية اولا ومن ثم يجرى تحديد مناطق الاقليات ضمن هاتين المنطقتين ، واي اجراء مخالف لذلك لا نرى فيه الا محاولة لتقليص المنطقة الكردية تحت ستار تحديد مناطق الاقليات •

واما حول الفقرة (٢٧) التي تقول (عدم عرقلة تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي بأي شكل من الاشكال) كما اسلفنا في مكان آخر من هذه المذكرة ان حزبنا هو الذي اقترح ان يكون الحد الاقصى لحصة الملاك للاراضي التي تزرع تبغا (٣٠) دونما ومن ثم أصبح (٤٠) دونما ومع هذا فان نسبة عالية من الفلاحين ستبقى دون أرض ويصعب حل مشاكلهم دون تنفيذ مشاريع الري والتصنيع على نطاق واسع ، ان حزبنا كان مع الاصلاح الزراعي دوما ولم ولن نساهم في عرقلة تنفيذ قانونه وان ذكر هذه القضية باستمرار يدخل ايضا في عداد محاولات الصاق التهم بحزبنا • ومن الناحية السياسية فان رؤساء المرتزقة الذين جندتهم الحكومات المختلفة ضد شعبنا هم كبار الاقطاعيين في كردستان أمثال رؤساء وشيوخ الهركية والسورجية وغيرهم ، ومن حيث التطبيق العملي فقد بقيتادارة محافظة السليمانية تشكو لمدة طويلة من قلة الكادر الفني الذي بدون توفره يصعب تطبيق القانون بسرعة وبناء على الحاحنا استجيب لهذا الطلب ، وأما في المناطق المختلفة فيستخدم قانون الاصلاح الزراعي وتوزيع الاراضي كوسيلة للضغط على الاكراد لتغيير الواقع القومي ، والاصلاح الزراعي مهمة ديمقراطية وعندما توضع في اطار عنصريتفقد هذه المهمة محتواها وتتحول الى وبال على الفلاحين وتكون سببا للحقد والضغينة والتناحر ، وتوزيع اراضي مقاطعة عين الغزال الكردية على عشائر البومتيوت وقضية شراء القرى الاحدى عشرة في داقوق وزراعة اراضي قرى دبس الكردية بالتراكتورات الحكومية بعد أخذها من اصحابها الاكراد كلها نماذج حية على ما نقول ، ولا يمكن تغطيتها باتهامنا بعرقلة تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي •

ورد في الفقرة (٢٤) من مذكرتكم (تسليم الاسلحة الثقيلة الى السلطة) لقد نصت المادة (١١) من اتفاقية آذار

على تسليمها في المراحل الاخيرة من تنفيذ البيان ، نعتقد انكم تشاركوننا الرأي اننا مازلنا بعيدين عن تنفيذ المراحل النهائية من الاتفاق بالرغم من اننا نقترب من المدة النهائية المقررة لتنفيذه ، ومع هذا فقد سلمنا بالفعل كما اسلفنا وجبة من السلاح الثقيل اي المدافع وجهاز اذاعة كاشارة لحسن النية ، واذا وجدها البعث قديمة فان جميع اسلحتنا قديمة .

وواضح أن مطالبتنا بتسليم الاسلحة الثقيلة الان هو خروج على اتفاقية آذار .

وبخصوص الفقرة (٢٩) الخاصة بحرس الحدود نود ان نبين ثمة فرقا بين مفهومنا ومفهوم بعض الاخوان في الحكومة حول حرس الحدود . ونظن ان الذين ساهموا في صياغة اتفاقية آذار من قادة حزب البعث العربي الاشتراكي يعلمون ان الفكرة الاساسية من اقامة حرس الحدود كانت توفير ضمان الامان بالنسبة الى شعب تعرض للاضطهاد والحرب لمدة عشر سنوات . في حين يرى بعض المسؤولين ان الهدف من تشكيل حرس الحدود هو اعاشة منتسبيه وحسب .

وان حرس الحدود قوة محلية لذلك لا يسعنا الموافقة على ربطهم بوزارة الدفاع . واننا نطالب بتشكيل قيادة لها بصيغة آمرية او مديرية ترتبط بوزارة الداخلية وتشرف على تنظيم وتدريب وتفتيش افواج الحرس . وكذلك نامل أن تجدوا حلا لمشكلة قيادات الافواج التي لم تحل باستثناء تعيين امراء الافواج . ولا نرى اي مبرر لتغيير اماكن الافواج التي تم الاتفاق عليها . ونعتقد ان تشكيل قيادة لحرس الحدود وحل مشكلة قيادات الافواج الادارية والمعاشية سيسهل تنفيذ مقترحاتكم الاخرى التي نتفق معكم حول ضرورة تنفيذها وهي :

أ ـ تعيين ضباط وضباط صف من الاكراد العاملين في الجيش العراقي نتفق معا على تعيينهم لكي يقوموا بتدريب أفراد الحرس .

ب ـ خضوعهم للانظمة والقوانين العسكرية المرعية .

جـ ـ عدم السماح لهم بارتداء ملابس البيشمركة .

د ـ عدم السماح لهم بالنزول الى المدن مصطحبين اسلحتهم .

هـ ـ خضوعهم للتدريب .

و ـ خضوعهم للتفتيش من قبل قيادة حرس الحدود بدلا من (أمراء ألوية الجيش) .

ز ـ عدم السماح لامراء الافواج بترك افواجهم الا بموافقة قيادة حرس الحدود بدلا من (آمر اللواء المسئول) .

واما بالنسبة الى الفقرة (٣٠) التي تقول (السماح لجميع القوى الوطنية والتقدمية التي تدعم الثورة بأن تمارس نشاطها بحرية فاذا كانت « الديمقراطية للعراق » شعارا ترفعونه باستمرار فينبغي والحالة هذه أن تكون الديمقراطية في كردستان في مقدمة الشعارات التي ترفعونها وتطبقونها) .

لقد رفعنا شعار الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان قبل ١١ آذار وقبل ان يأتي حزب البعث العربي الاشتراكي الى الحكم . الواقع رفعنا هذا الشعار منذ السنوات الاولى للثورة الكردية وقد كان ولا يزال يعبر عن حاجة الشعب العراقي بعربه وكرده لا بل انه يمثل احد طموحاته الاساسية واننا لا نرفع هذا الشعار للمزايدة او للمناقصة ، ولم نستثن كردستان من شعار الديمقراطية لا بل يتفق معظم المراقبين ان كردستان انضج للتطبيقات الديمقراطية من باقي انحاء العراق ، والسبب في ذلك يعود حسب اعتقادنا الى سياسة حزبنا السليمة المبنية على توجيهات رئيسه البارزاني ولنأتي الى التطبيق العملي لهذا الشعار .

نعتقد اننا لا نجانب الحقيقة اذا قلنا ان التأييد الاصيل والثابت الذي يحظى به الحزب الديمقراطي الكردستاني لايضاهيه تاييد اي حزب او فئة اخرى في كردستان وخارجها . كما وان الحرية التي تتمتع بها الفئات السياسية الاخرى في كردستان لاتشوبها شائبة وقد نجا الالوف من قادة وكوادر واعضاء الاحزاب الوطنية الاخرى عربا واكرادا بحياتهم عبر السنوات العشر الماضية وذلك بقدومهم الى المنطقة الكردية .

فما هو المقصود بالقوى الوطنية والتقدمية ؟

فاذا كان المقصود حزب البعث العربي الاشتراكي . فلم يكن لحزب البعث جذور بين صفوف الشعب الكردي والسبب واضح فان مجمل شعاراته وتاريخه يتعلق بطموح القومية العربية ولسنا بطبيعة الحال ضد اية عقيدة او رأي طالما يلتزم حاملوه بثها بالطرق الاعتيادية . واما ان يزود البعض بالمال والسلاح وأن يستخدموا نفوذ السلطة في الاعتداء على حقوق المواطنين وسجنهم وارهابهم وتوزيع مغانمها على المؤيدين من المرتزقة فهذا هو الذي قاومناه وسنقاومه ، لانها ليست ممارسات حزبية . بل اعمال ابتزاز وارتزاق . وهذا بالضبط الذي حدث بالنسبة الى ما سمي (بجبهة تحرير كردستان) التي خصص لاعضائها رواتب شهرية واتخذت من مقر لجنة السلام السابق مقرا لها وارتبطوا باجهزة الامن مباشرة بحيث كانت البيانات تكتب وتطبع من قبلها مباشرة وكان من باكورة اعمال هذه (الجماعة) ارسال المتفجرات على شكل هدايا الى احد مسئولي حرس الحدود واخرين من الحركة الكردية . ولابد ان نضيف ان الديمقراطية لا تعني حرية العمل للاحزاب فقط بل تشمل كذلك اطلاق الحريات الديمقراطية واقامة الحكم على اساس مجلس تشريعي منتخب ومجلس تنفيذي مسئول امامه . لقد ورد اتهام في المذكرة مفاده باننا نتصدى لمنظمات حزبكم في المنطقة الكردية في الوقت الذي تمارس فيه منظماتنا الحزبية فعالياتها بحرية في مناطق العراق الوسطى والجنوبية . ان منظمات حزبنا في مناطق العراق الوسطى والجنوبية تعمل بين صفوف الاكراد فقط في المناطق المذكورة وليست لدينا اية تحفظات على فعاليات حزب البعث بين العرب القاطنين في المنطقة الكردية الا اننا ننظر بعدم الارتياح الى فعاليات حزبكم بين الاكراد خاصة لانكم لا تلجاون الى اتباع الاساليب السياسية في العمل بينهم وقد سبق وتطرقنا الى هذه الاساليب في مكان آخر من هذه المذكرة . واما بالنسبة الى الفقرة (٣١) الخاصة بتحديد وتوحيد المنطقة الكردية والواردة ضمن شروطكم . في الحقيقة بمقدور الحكومة ازالة كل العقبات التي تقف في طريق الاحصاء ان هي رغبت في اجراء احصاء نزيه وعادل وبعيد عن الضغوط والتاثيرات .

واما اقتراح القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي الخاص بتحديد المنطقة الكردية والذي يتضمن توحيد الوحدات الادارية التي يقطنها الاكراد فقط بعد استحداث وحدات ادارية قومية في المناطق التي يقطنها الاكراد فينطوي على تقليص المنطقة الكردية الى ادنى حد ، تحت ستار التوحيد .

وهذه الصيغة ليست جديدة على الاطلاق فالمناطق المقصودة سبق وان جرى الاقتراح بتوحيدها وشمولها بنظام اللامركزية عام ١٩٦٣ واقتراح حكام اخرون شمولها بالحكم الذاتي فيما بعد كاساس لحل القضية الكردية فضلا عن ان الاقتراح لا ينسجم مع اتفاقية آذار ، التي نصت على توحيد المحافظات والوحدات الادارية التي تقطنها اكثرية كردية .

فالبون شاسع بين مبدأ الاكثرية الكردية وبين مبدأ الكردية فقط .

ولو قبلت قيادة الحركة الكردية الصيغة المقترحة لما كان هناك اشكال في انجازه في يوم ١١ آذار ذاته . واذا القينا نظرة شاملة على شروط القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي نرى انها تنطوي على الرغبة في تقليص حاد لحجم ومجال عمل الحزب الديمقراطي الكردستاني ، والحركة الكردية . ويتضمن تجريده من مقوماته

التي تطورت ونمت عبر تاريخه النضالي الطويل سواء اكان ذلك على نطاق كردستان او بصدد علاقاته مع الاحزاب الوطنية والاقليات القومية وكذلك في نطاق الحقوق التي اعترفت القومية الكرديه بها في بيان اذار . ويقابل ذلك لا بل يرافقه تقليص مماثل بالنسبة الى المنطقة الكرديه وهو امر لا يمكن ان نقره ، ولا نرى هناك مبرر للاصرار عليه من قبل حزب البعث العربي الاشتراكي اذا كان في النية بناء العلاقات الجديدة على اسس من التضامن والتعاون والثقة المتبادلة والاعتراف بالواقع .

٧ - المستلزمات التي نعتقد ان توفيرها من قبل الحكومه وحزب البعث العربي الاشتراكي يعالج الموقف المتدهور ويضع اسسا راسخه لعلاقات طيبه ومتطورة فيما بيننا . في تقديرنا ان المصلحة العامة تتطلب معالجة الموقف المتدهور بسرعة ولذلك ارتاينا تجزئة لمعالجة المواضيع الاساسية .

الباب الاول - ويتضمن الفقرات التي تخص معالجة الموقف المتدهور اوايقافه عند حده على الاقل وتهيئة جو طبيعي لمعالجه المواضيع الاساسية .

الباب الثاني - ويتضمن الفقرات التي نعتقد انه قد آن الاوان لتنفيذها وتقع جميعها ضمن بيان آذار .

الباب الاول يتضمن ما يلي :

١ - اطلاق سراح الموقوفين والمحكومين والمختطفين .

٢ - ايقاف الاعمال المعادية والتي تعني وضع حد للتسويف الكيفي والاختطاف وعدم توزيع الاسلحة والتخلي عن المؤامرات والكف عن ارسال المتفجرات .

٣ - ايقاف الضغوط والاستفزازات في المناطق الكردية التي تقطنها اقليات قومية ويعني ذلك ايقاف جلب الوافدين وايقاف الاعتداءات على منتسبي حزبنا ومنتسبي المنظمات الكردستانية الديمقراطية وخلق جو طبيعي في هذه المناطق ، ومعاملة المواطنين بالمساواة والالتزام بقرار اللجنة العليا لشؤون الشمال في عدم نقل الموظفين الاكراد من هذه المناطق دون موافقتها السابقة .

٤ - ايقاف الاعلام المعادي ومساهمة الاعلام في تهيئة الجو بصورة ايجابية وطرح الامور ضمن اطار التعاون .

٥ - التوجه الى تصفية الاجواء السلبية بين قيادتي الحزبين .

الباب الثاني ويتضمن الفقرات الاساسية :

١ - ايقاف التعريب والتبعيث والاخلال بالواقع القومي في المناطق الكردية التي تقطنها اقليات قوميه وازالة آثار التعريب . وعدم العمل بين الشعب الكردي من وراء ظهر قيادته ، اذا كان التعاون مع هذه القيادة هدفا مقصودا . قد سبق وان اشرنا الى حالات ونماذج وامثلة عديدةبخصوص التعريب والتبعيث في مكان آخر من هذه المذكرة لذلك لا نرى موجبا لذكرها ثانية هنا .

٢ - اقامة علاقات صداقة وتعاون استراتيجية بين قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني والحركة الكردية من جهة وقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي والحكومة من جهة اخرى وفي تقديرنا ان العلاقات المنشودةتنطلق من بيان ١١ آذار باعتبار ان الطرفين اللذين وقعا الاتفاق يستطيعان مواصلة تنفيذ الالتزامات المترتبة عليهما ، وتنطلق العلاقة من مفهوم علاقة شريك في السلطة وممثل ثاني قومية في البلاد .

٣ - جعل اللغة الكردية لغة رسمية وفق الاسس المذكورة في مكان آخر من هذه المذكرة .

٤ - تحقيق مشاركة القومية الكردية في الحكم ، وبغية ايضاح ذلك نقول : ان الطموح المشروع للقومية الكردية هو التمثيل بنسبة السكان في السلطتين التشريعية والتنفيذية ، وقد نصت المادتين (١ و ١٥) من بيان ١١ آذار صراحة على ذلك ولسهولة الرجوع اليهما نذكرهما ادناه :

المادة (١) ان مشاركة اخواننا الاكراد في الحكم وعدم التمييز بين الكرد وغيرهم في تقلد المناصب الحساسة والهامة في الدولة كالوزارات وقيادات الجيش وغيرها كانت ومازالت من الامور الهامة التي تهدف حكومة الثورة الى تحقيقها فهي في الوقت الذي تقر هذا المبدأ تؤكد ضرورة العمل من أجل تحقيقه بنسبة عادلة مع مراعاة مبدأ الكفاءة ونسبة السكان وما أصاب اخواننا الكرد من حرمان في الماضي .

المادة (١٥) يساهم الشعب الكردي في السلطة التشريعية بنسبة سكانه الى سكان العراق ، معلوم ان السلطة التشريعية منوطة بمجلس قيادة الثورة فقط . فليس للشعب الكردي اية كلمة في السلطةالتشريعية ،ولا يساهم ممثلوالشعب الكردي في اتخاذ القرارات ،والقرارات التنفيذية تتخذ من قبل مجلس قيادة الثورة من ناحية اخرى ، واما بخصوص تطبيق المادة (١) المذكورة اعلاه فانها مطبقة بصورة جزئية فقط ، ونظرة واحدة الى الاجهزة الرئيسية في وزارة الدفاع والنفط والخارجية والعديد من الوزارات الاخرى واجهزة الامن والاستخبارات وغيرها تظهر ذلك بوضوح ، ان حزب البعث العربي الاشتراكي يصر على ابقاء مجلس قيادة الثورة بصيغته الحالية وان من حقنا ان نطالب الحكومة بايجاد صيغة لتحقيق المادة (١٥) من بيان آذار وقد يكون اقامة مجلس وطني متمتع بالصلاحيات التشريعية الكاملة بحيث لا يصبح اي امر قانونا دون المرور عليه مساهمة في حل هذه المشكلة وان مشاركة الاكراد في اللجنة العليا لشئون الشمال المتمتعة بصلاحيات مجلس قيادة الثورة بخصوص القضية الكردية تعد مساهمة اخرى في هذا الموضوع .

واقامة مجلس الوزراء خاصة بعد مساهمة اتجاهات عدة في الوزارة له اكثر من مبرر واننا على استعداد لدراسة اية صيغة يتقدم بها حزب البعث العربي الاشتراكي لتحقيق مساهمة القومية الكردية في الحكم . واما ابقاء الامور على حالها وعدم ممارسة القومية الكردية لحقها الطبيعي في السلطة التشريعية امر ليس بالامكان قبوله .

٥ - تحديد وتوحيد المنطقة الكردية بموجب اتفاقية آذار كان من المفروض تحديد وتوحيد المنطقة الكردية خلال عام ١٩٧٠ فمن حقنا ان نطالب بتحقيقه بعد مرور ثلثي المدة القصوى المقررة للحكم الذاتي .

ولتحقيق ذلك لابد من خلق وضع طبيعي في المناطق المختلف عليها وتحقيق ادارة مشتركة ، وازالة آثار ايه عملية جرت للاخلال بالواقع القومي فيها . وان مبدأ الاحصاء هو الذي جرى الاتفاق عليه وهو قائم بالنسبة لنا .

والحزب الديمقراطي الكردستاني على استعداد لدراسة اي اقتراح بناء يتقدم به حزب البعث العربي الاشتراكي لمعالجة الموضوع .

٦ - وضع تخصيصات عادلة لكردستان في المناهج الاستثمارية والخطة الخمسية .

لقد بينا في باب (ما نفذ وما لم ينفذ من بيان آذار) ان حصة الفرد في كردستان هي أقل بشكل ملموس من حصة الفرد على نطاق القطر ، وان حصة كردستان هي اقل من نسبة سكانها في الخطة الخمسية والمناهج الاستثمارية . فضلا عن التخلف الذي أصاب المنطقة بسبب ظروف القتال المؤسفة ولقد وضعنا اسسا ومشاريع في المناهج الاستثمارية الماضية ولكن لم يؤخذ بمعظمها ونحن على استعداد لوضع الدراسات والمشاريع بالنسبة الى المناهج الاستثمارية القادمة بعد تقديم المعلومات من قبل الاجهزة المختصة وسنبدي المقترحات باستمرار بأمل الاخذ بها بغيةتطوير المنطقة الكردية اسوة بالمناطق الاخرى من البلاد . ونود الاشارة هنا الى اننا لمسنا في الاشهر الاخيرة روح العدالة في استثناء المشاريع الخاصة بالمنطقة الكردية من سياسة التقشف ، من لدن رئيس مجلس التخطيط

ورئيس الهيئة التوجيهية وهي الروح التي يجب ان تسود .

٧ ـ تعيين رؤساء أجهزة المخابرات في المنطقة الكردية بالتشاور وقبول نسبة عادلة من الطلبة الاكراد في الكليات العسكرية والشرطة والطيران والبعثات والزمالات .

سبق وان أشرنا باسهاب الى الغبن الكبير الذي لحق ويلحق بالطلبة الاكراد وبالقومية الكردية من جراء عدم القبول في هذه المجالات الا بنسبة ضئيلة وان مطالبتنا بتصحيح هذه السياسة من حقنا وواجبنا ، اننا نأسف اذ نقول ان الاجهزة المذكورة ليست فقط خالية من العناصر التي تعطف على القومية الكردية لا بل انها اخذت على عاتقها مهمة محاربة الحركة الكردية في كافة أرجاء المنطقة الشمالية ، وفضلا عن أجهزة الامن الاعتيادية هناك منظمتان متخصصتان لهذا الغرض وهما مديرية أمن المنطقة الشمالية ومنظومة استخبارات المنطقة الشمالية ومقرهما في كركوك .

٨ ـ تحديد موعد وصيغة الحكم الذاتي .

من المعلوم أن المدة القصوى لتحقيق الحكم الذاتي هي أربع سنوات ، وكان من المفروض أن توحد المنطقة الكردية خلال السنة الاولى من البيان كما اسلفنا ،وان (تسعى الدولة لتطوير هذه الوحدة الادارية وتعميق وتوسيع ممارسة الشعب الكردي فيها لمجمل حقوقه القومية ضمانا لتمتعه بالحكم الذاتي) كما جاء في المادة (١٤) من البيان ، لم ينفذ شيء من الذي جاء في هذه الفقرة ، وحتى لو بوشر الان باتخاذ الاجراءات لتصفية وتوحيد المنطقة الكردية ووضع الاسس والصيغ للحكم الذاتي فان تنفيذها سيستغرق من الوقت بحيث نقترب من المدة القصوى المقررة وهي أربع سنوات ، نقترح أن يقدم كل من حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الديمقراطي الكردستاني صيغة الحكم الذاتي ، والحكم الذاتي في جوهره هو اقامة كيان قومي ضمن الوحدة الوطنية .

٩ ـ ايجاد حل لمشكلة الاكراد المحرومين من الجنسية العراقية من الفيليين والكوبان والاومريان وغيرهم وذلك بمنحهم الجنسية والسماح للذين اخرجوا خلافا للضوابط التي تم الاتفاق عليها بالعودة الى وطنهم ،وان حل هذه المشكلة بهذه الصيغة معناه فسح المجال امام هؤلاء المواطنين لتأدية واجبات المواطنة بصورة كاملة والتمتع بحقوقها في الوقت ذاته وهي مشكلة وطنية وانسانية لا يجوز تركها او اهمالها .

١٠ ـ اكمال التحقيق في مؤامرتي ٢٩ أيلول ١٩٧١ و ١٥ تموز ١٩٧٢ اللتين استهدفتا حياة رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني ومعاقبة الذين يثبت التحقيق ادانتهم وان من شان ذلك ان يساهم في بناء الثقة فضلا عن أهميته من حيث العدالة وسيادة القانون .

١١ ـ لجنة السلام ومتابعة تنفيذ بيان اذار لم تمنح لجنة السلام أية صلاحيات منذ تاسيسها وانما رئيسها هو الذي منح الصلاحيات في فترة ما ومن ثم سحبت وليس من شك أن اللجنة قامت بنشاط كبير خلال العام الاول من عمرها ،ولكن طابع عدم التكافؤ هو الذي ساد حتى في تلك الفترة واللجنة مشمولة منذ مدة والحالة هذه انعكاس للعلاقة فيما بين حزبينا الى حد كبير . اننا نقترح اعطاء الصلاحيات الكافية الى لجنة السلام لتتمكن من متابعة تنفيذ البيان فعلا . وان يوضع لها نظام داخلي يبين اسلوب عملها وقد سبق أن قدمنا مسودة نظام داخلي للجنة السلام .

لقد ركزنا في مطالبنا على النقاط الاساسية الواردة في بيان ١١ اذار التاريخي يحدونا الامل ان تنفيذها سيجعل تنفيذ الفقرات الاخرى من البيان أمرا طبيعيا وسهل المنال . واننا اذ نؤكد على ان تنفيذ مطالبنا هذه يحتاج الى جو طبيعي وعلاقات تعاون جيدة نود أن نبين في الوقت نفسه أن تنفيذها كفيل ببناء الثقة وصرح التعاون الوحيد .

ايها الاخوة :

اننا في الوقت الذي نعرض فيه هذه المشاكل التي نشكو منها بمثل هذه الصراحة والوضوح ، نؤكد استعدادنا الكامل مرة أخرى لتنفيذ الالتزامات المترتبة علينا وفقا لاتفاقية اذار . ولا نعتبر النقاط التي اوردناها حقائق نهائية غير قابلة للبحث والمناقشة ، ونعتقد ان الربط بينها وبيننا هو عادل من شروطكم سيقودنا في النهاية الى خلق الظروف الايجابية لاحداث تطور ايجابي وجذري في العلاقات بيننا ، واستئناف المسيرة المشتركة لبناء سلم وطني وطيد في ربوع بلادنا وتحقيق اهداف شعبنا في الحرية والتقدم الاجتماعي وتعزيز الوحدة الوطنية وتقبلوا في الختام تحياتنا الاخوية .

المكتب السياسي
للحزب الديمقراطي الكردستاني
٢٨ـ١٠ـ١٩٧٢



ملحق الأدب والفن

- السينما المصرية .. الماضي والمستقبل
- التاريخ بين الثورة والثوري في مسرحية .. مجانين
- قولوا لعين الشمس .. تبرير الذات وغمز الواقع



لقطة من داخل الاستوديو اثناء تصوير احـد الافلام

في هـذا العـدد :



السـينما المصرية ..

المـاضى والمستقبل



يقدم ملحق الادب والفن فى هذا العدد ــ وبعد العدد الخاص الذى اصدره فى الشهر الماضى عن القصة القصيرة ــ أولى اعداده الخاصة عن السينما.

وقد رات هيئة التحرير ان من الطبيعى ان يكون هذا العدد عن السينما المصرية بحكم تاريخها الطويل ودورها الكبير أن سلبا أو ايجابا فى العالم العربى. وأن يتضمن مع صدوره ضمن دفتى الطليعة دراسة خاصة عن تاريخ هذه السينما مع التعريف بهـا . وسوف تتلوه أعـداد اخرى عن السـينما المصرية والعربية والعالمية .. التاريخ والمشاكل والقضايا .

ويتضمن هذا العدد الى جانب دراسة نحو منهج علمى فى كتابة تاريخ السينما المصرية، والتى ارادها كاتبها امتحانا لمنهج الى جانب دورها الاعلامى تعريفا باهم المخرجين الذين اسـهموا فى تطور السـينما المصرية ، وليس كل هـؤلاء المخرجين بالطبـع مما لايتسع له المجال . ومقـالا عن الموقف الراهن فى السينما المصرية .

كذلك يتضمن العدد فى باب الادب والفن فى شهر قراءة نقدية للعددين اللذين صـدرا فى اغسطس ويناير الماضيين على التوالى عن السينما العربية من مجلة الطريق اللبنانية ، ومجلة المعرفة السورية ، وذلك لاهمية هذين العددين فى غياب مجلة عربية سينمائية متخصصة ، وتعريفا باسبوع الفيلم العربى الذى أقيم فى بون فى يناير الماضى ، وكان الاول من نوعه فى المانيا الاتحادية .

ان هيئة تحرير الملحق تطمح الى ان تـكون قـد بدات فى هذا العدد الطريق الصحيح لتناول مشاكل وقضايا الفن السينمائى فى مصر والعالم العربى ، وهى بالطبع المشاكل التى تهتم بها اكثر من غيرها من مشاكل وقضايا السينما فى العـالم . وكم اثارت هذه المشاكل والقضايا من الضجيج الصحفى ، وكم اهملت من جانب اجهزة البحث العلمى على الرغم من الاهمية البالغة لهذا الفن بحكم تاثيره الواسع على الجماهير .

نحو منهج علمى

لكتابة تاريخنا السينمائى

حتى الان لم يكتب تاريخ السينما المصرية كتابة منهجية . وهذا المقال علاوة على انه يهدف اساسا الى التعريف بالسينما المصرية ، محاولة امتحان منهج لكتابة تاريخ هذه السينما من وجهة نظر ترتكز نفسها الى المادية التاريخية .

سمير فريد

لقد تم أول عرض سينمائى فى مصر بعد عشرة أيام من العرض الاول الذى اقامه **الاخوين لوميير** فى باريس . وشهد النصف الثانى من الستينات مولد **الجيل السادس** من اجيال السينمائيين المصريين الذين بدأوا فى صنع الافلام منذ العشرينيات

واستطاعوا ان ينتجوا حتى نهاية عام ١٩٧٢ على وجه التحديد **١٥٢٧ فيلما روائيا طويلا** ومئات من الافلام القصيرة لم يتم حصرها بعد . فاذا كان « **محمد بيومى** » هو رائد الفيلم المصرى بفيلمه « **الباشكاتب** » الذى أخرجه عام ١٩٢٢ ، فان « **محمد كريم** » هو أهم مخرجى الجيل الاول او جيل العشرينات الذى يضم ايضا **احمد جلال وابراهيم لاما** ، **وتوجو مزراحى** .

و « **كمال سليم** » هو أهم مخرجى الجيل الثانى او جيل الثلاثينيات الذى يضم ايضا **نيازى مصطفى واحمد بدرخان واحمد كامل مرسى** . « **وصلاح ابو سيف** » هو اهم مخرجى الجيل الثالث او جيل الاربعينيات الذى يضم ايضا **كامل التلمسانى وهنرى بركات وعز الدين ذو الفقار** . « **ويوسف شاهين** » هو اهم مخرجى الجيل الرابع او جيل الخمسينيات الذى يضم ايضا **توفيق صالح** الذى يتميز بوضع خاص عن جميع المخرجين المصريين ، **وكمال الشيخ وفطين عبد الوهاب** . « **وحسين كمال** » هو اهم مخرجى الجيل الخامس او جيل الستينات الذى يضم ايضا **خليل شوقى وسيد عيسى وجلال الشرقاوى** . و « **شادى عبد السلام** » هو اهم مخرجى الجيل السادس او جيل السبعينيات الذى يضم ايضا **سعيد مرزوق وعلى عبد الخالق وممدوح شكرى** . وسوف يجد القارىء فى نهاية المقال تعريفا بهؤلاء المخرجين .

ولقد كان لكل جيل من هذه الاجيال دوره . **فجيل محمد كريم هو جيل الرواد** الذى وضع حجر الاساس فى بناء الفيلم المصرى . **وجيل كمال سليم هو جيل** الاتجاهات الذى ارسى اتجاهات الفيلم المصرى ابان العصر الذهبى **لاستوديو مصر** قبل الحرب العالمية الثانية . **وجيل صلاح ابو سيف هو جيل الواقعية** الذى دعم الاتجاه الواقعى الذى بدأه كمال سليم . **وجيل يوسف شاهين** هو جيل الثورة الذى تفتح مع ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وانعكست انجازاتها فى اعماله . **وجيل حسين كمال** هو جيل القطاع العام الذى ولد فى ظله ، وكان تعبيرا عن المرحلة الجديدة فى تاريخ ثورة يوليو التى بدأت مع القرارات الاشتراكية وانشاء القطاع العام عام ١٩٦١ . أما **جيل شادى عبد السلام** فهو جيل معهد السينما الذى تخرجت اولى دفعاته عام ١٩٦٣ . فرغم ان شادى ليس من خريجى هذا المعهد الا ان اهم ما يتميز به هذا الجيل ان الكثرة الغالبة من سينمائية من خريجى معهد السينما المصرى .

وقد بدأ جيل الرواد فى **سنوات ثورة** مارس عام ١٩١٩ ، وهى **ثورة البورجوازية** المصرية ضد الاستعمار البريطانى **الذى** احتلت قواته البلاد عام ١٨٨٢ . **وكانت شركة مصر للتمثيل والسينما التى اسسها طلعت حرب** عام ١٩٢٥ كاحدى **شركات** بنك مصر صدى من **اصداء تلك الثورة** . وهى اول شركة مصرية للسينما بقدر ما كان محمد بيومى اول سينمائى مصرى . لقد

كانت هذه الشركة تعبيرا عن النهضة الوطنية الشاملة التي اجتاحت مصر في أعقاب ثورة ١٩١٩، وبلغت الذروة مع ثورة ١٩٥٢ . قال طلعت حرب في خطاب القاه بمناسبة افتتاح الشركة « نحن باقامة هذا المصنع من ماكينات حديثة الطراز مستحضرة من الغرب نريد فقط ان نعرف كيفية استعمالها في اخذ المناظر بالاشرطة الخام التي تصل الينا من الغرب أيضا » . وقال « وتبعا لخطتنا ، وهي ان تكون المصانع التي نقيمها بمثابة مدرسة التدريب للمصريين ، الحقنا بجوار كل فني أوربي شابا مصريا ليستفيد من احتكاكه بالاوروبي »

وبحكم الارتباط الوثيق بين السينما والقوى الاجتماعية الحاكمة، وبحكم طبيعة تكوين ونمو البورجوازية المصرية الذى جعل من « التوفيقية » السمة البارزة لفكرها ، جاءت الافلام المصرية الاولى — على العكس من تماثيل مختار وموسيقى سيد درويش وادب طه حسين في تلك الفترة — تعبيرا عن البورجوازية التابعة للاسرة الملكية ، والمتعاونة مع الاستعمار البريطاني ، وبعيدة كل البعد عن البورجوازية الصغيرة الصاعدة . وكانت هذه الافلام من ناحية أخرى استمرارا للمسرحيات المحكمة الصنع، والميلودراما، والفارس ، والمسرحيات الغنائية الراقصة التي كانت تسيطر على المسرح المصري في فترة مابين الحربين ، وحتى ثورة ١٩٥٢ .

ولقد كان الجيل الثاني بمثابة جيل انتقال من سينما البورجوازية التابعة للاسرة الملكية ، والمتعاونة مع الاستعمار البريطاني .. الى سينما البورجوازية الوطنية التي صنعها الجيل الثالث ، وبلغت الذروة مع الجيل الرابع : جيل ثورة ١٩٥٢ . فقد وضع نيازى مصطفى في افلامه الاولى مثل « الدكتور » ١٩٣٩ و « مصنع الزوجات » ١٩٤١ ، وكمال سليم واحمد كامل مرسى في بعض افلامهما مثل « العزيمة » ١٩٣٩ للاول و « النائب العام » ١٩٤٦ للثاني ، بذور الواقعية الاجتماعية التي انتقلت بالفيلم المصري من تصور الاقطاعيين التي عبر عنها بعمد كريم خير تعبير في مجموعة الافلام الغنائية للمطرب محمد عبد الوهاب ، الى شقق الموظفين وحوارى القاهرة التي عبر عنها كامل التلمساني وصلاح ابو سيف في بعض افلامهما مثل « السوق السوداء » ١٩٤٥ للاول « الاسطى حسن » ١٩٥٢ للثاني . وقد بلغت الواقعية الاجتماعية ذروتها عند يوسف شاهين في بعض افلامه مثل « صراع في الوادى » ١٩٥٤ وتوفيق صالح في كل افلامه ومن اهمها فيلم « صراع الابطال » ١٩٦٢ .

اما الجيل الخامس فقد كان مثل الجيل الثاني جيل انتقال من مرحلة الواقعية الاجتماعية الى مرحلة ما بعد الواقعية، او بالاحرى الواقعية بلا ضفاف على حد تعبير جارودى ، اذ كانت تجارب حسين كمال في « المستحيل » ١٩٦٥ ، وخليل شوقى في « الجبل » ١٩٦٥ ، وسيد عيسى في « جفت الامطار » ١٩٦٧ بمثابة المقدمات الى سينما الجيل السادس او جيل معهد السينما الذى يعبر عنه بوضوح شادى عبد السلام في فيلمه الطويل « المومياء » ١٩٦٩ ، وفيلمه القصير « الفلاح الفصيح » ١٩٧٠ .

الفنون السينما توغرافية والالعاب السحرية الغريبة « ١٨٩٦ — ١٩٢٥ »

بعد عشرة ايام من عرض الاخوين لوميير تم في الاسكندرية في « قهوة زوراني » اول عرض سينمائي في مصر، وقد وصفت جريدة الاهرام في عددها الصادر يوم ٦ يناير عام ١٨٩٦ هذا العرض بانه « عبارة عن فنون سينما توغرافية والعاب سحرية غريبة » . وفي شتاء نفس العام عرض الاجنبي المقيم « هنرى والترو » أول فيلم سينمائي في القاهرة، وكان ذلك في حمام يسمى «حمام شنيدر» وادى نجاح ذلك العرض الى انتقال سينما والترو الاولى الى دكان واسع ، ثم الى دكاكين اخرى في احياء مختلفة له الى جانب العروض الخاصة في قصور الامراء.

احمد كامل مرسى

وفي عام ١٩٠٠ اقام الايطالي « سانتى » اول دار للعرض السينمائي في القاهرة وفي عام ١٩٠٤ كانت هناك الى جانب سينما سانتى سينما ثانية باسم باتيه ، وثالثة باسم الكازار . وعندما صدر اول قانون يلزم الحصول على ترخيص رسمى لاقامة دور العرض السينمائي عام ١٩١١ كان عدد الدور في القاهرة ثمانية، وفي الاسكندرية ثلاثة . وكانت الافلام التي تعرض في هذه الدور تستورد من امريكا ومختلف دول اوربا .

وقد عرفت مصر الانتاج السينمائي لاول مرة حينما توقف استيراد الافلام اثناء الحرب العالمية الاولى « ١٩١٤ — ١٩١٨ » ، اذ تم في هذه الفترة انتاج ستة افلام قصيرة ، وبضع اعداد من جريدة صدرت باسم « في شوارع الاسكندرية » لمدة محدودة من الزمن . وكان هذا الانتاج اجنبيا من حيث مصادر تمويله ، والقائمين على تنفيذه ، وتوزيعه وكانت العناصر المصرية الوحيدة من الممثلين او المؤلفين .

أسس جريدة « في شوارع الاسكندرية» الفرنسى « دى لاجارن » الذى كان يمتلك ملهى ليلى في الاسكندرية . وقد انتجها اساسا للدعاية للملهى ، وكان من بين اللقطات التي صورها لقطات لدير سانت كاترين في صحراء سيناء ، وميدان الاوبرا بالقاهرة ، والاهرامات الثلاث وغيرها من اللقطات السياحية . اما الافلام الستة فقد تم انتاج ثلاثة منها بالاسكندرية بواسطة الايطالى « امبرتوروسى » وهى « نحو الهاوية » و « الزهور القاتلة » و « شرف البدوى » عام ١٩١٧ . وتم انتاج الافلام الثلاثة الاخرى في القاهرة عام ١٩١٨ ، وهي « مدام لوريتا » لفرقة فوزى الجزايرلى ، و« الخاتم المسحور » لفرقة فوزى منيب ، وكلاهما من اخراج لاريتشيللى ، و « الخالة الامريكية » لفرقة على الكسار اخراج بونانسيللى .

وفي عام ١٩٢٢ اخرج محمد بيومى اول فيلم مصرى ، وهو الفيلم القصير



كامل التلمسانى



أحمد بدرخان

« **الباشكاتب** » الذى مثلته فرقة امين عطاالله ، والذى تدور احداثه حول راقصة استطاعت ان تخدع احد الموظفين وتسلبه امواله . وهى ميلودراما لاتزال تتكرر فى الفيلم المصرى حتى الان .

وقد كان محمد بيومى طموحا الى درجة انه اراد ان يضع بسلسلة من الافلام على غرار افلام شابلن باسم «**المعلمبرسوم**». وبالفعل بدأ فى اول افلام تلك السلسلة وهو « **المعلم برسوم يبحث عن وظيفة** ». ولكن الفيلم لم يتم بسبب وفاة ابنه اثناء التصوير وحزنه عليه . وفى عام ١٩٢٣ عاود محمد بيومى العمل فى السينما باصدار « **جريدة آمون** » التى صور فى اول اعدادها عودة سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ من المنفى ، ولكن الجريدة توقفت بعد ثلاثة اعداد . ولا توجد لقطة واحدة من افلام هذه المرحلة .

السـينما الصامتة

« ١٩٢٧ ـ ١٩٣١ »

قال طلعت حرب فى خطاب افتتاح شركة مصر للتمثيل والسينما « اننا فكرنا فى تأسيس شركتنا ومازلنا نعتقد فى ان الخطة المثلى لمقاومة المفاسد من روايات السينما التى تصل الينا من الغرب هو ان تنجح شركتنا فى اعمالها المتواضعة التى نزاولها الان ، ثم تكبر وتقوى حتى تكون قادرةعلى اخراج روايات مصريةذات موضوعات مصرية وآداب مصرية وجمال مصرى تكون فىمنزلة عالية تسمحبعرضها فى بلادنا والبلاد الشرقية المجاورة » .

وهكذا اكتفى طلعت حرب باصدار « **جريدة مصر** » وانتاج بعض افلامالدعاية لشركات بنكمصر .ورغموجود ستوديوهان صغيران بالاسكندرية منذ عام١٩٢٣ هما ستوديو الفيزى اورفانيللى وستوديو توجومزراهى ، الا ان اول فيلم مصرى طويل صنعه مصريون قامت بانتاجهوتمثيله **عزيزة امير** واخرجه كل من **وداد عرفى واحمد جلال وستيفان روستى** عام١٩٢٧، وان سبقه الى العرض فى نفس العام فيلم « **قبلة فى الصحراء** » الذى مثله بدر لاما واخرجه ابراهيم لاما ، وكلاهما من اصل لبنانى . وقد جاءا الى مصر من شيللى حيث هاجرت اسرتهما . امافيلم « **ليلى** » فهو مليودراما عن فتاة قروية تحب شابا بدويا ، ولكن الشاب يعتدى عليها ويسافر مع امرأة امريكيةالى الولايات المتحدة . وتكتشف الفتاة انها حامل ، واثناء فرارها من اهل القرية الىالقاهرة تغمى عليها فى الطريق ، وينقذها رؤوف بك صاحب القرية التىنشأت فيها ويعيدها الى منزله حيث تلد ، ولكن الطفل يموت. اما « قبلة فى الصحراء » فهو اقربالى افلام المطاردات الامريكية ، وتدور احداثه فى الصحراء بين البدو الرحل .

ولا شك أن اهم فيلم من بين افلام تلك المرحلة البالغ عددها ١٣ فيلما هو « **زينب** » الذى اخرجه محمد كريم عام ١٩٣٠ . وقد شهد عام ١٩٣٠ ايضا بناء **ستوديو رمسيس** الذى اسسه الممثل والمخرج المسرحى المعروف **يوسف وهبى**. كما شهد أول محاولة لعمل فيلم ناطق، وهو فيلم « **تحت ضوء القمر** » الذىاخرجه شكرى ماضى ،وعرضه مستخدماً مجموعة اسطوانات سجل عليها الموسيقىوالحوار وتعود اهمية « **زينب** » الى انه اول فيلم مصرى معد عن رواية ادبية . وهىايضا ميلودراما تدور احداثها فى الريف مثل « **ليلى** » ولكنها تتميز بنزعة رومانتيكية ترجع الى تأثر مؤلفها **محمد حسين هيكل** بالرومانتيكية فى الادب الفرنسى . وكانت موضة العصر بين مثقفى البورجوازية المصرية .

السـينما الناطقة

« ١٩٣٢ ـ ١٩٣٥ »

كان « **انشودة الفؤاد** » الذى اخرجه الايطالى **ماريو فولبى وستيفان روستى** هو اول فيلم مصرى ناطق ، وقد مثلته المطربة **نادرة** مع الممثل والمخرج المسرحى المعروف **جورج ابيض** الذى كان ينافس يوسف وهبى فى مسرح الميلو دراما . ولكن الفيلم عرض فى ٢٤ مارس عام ١٩٣٢ بعد عشرة ايام من عرض فيلم « **اولاد الذوات** » الذى اخرجه محمد كريم ، وكان اول افلام المطرب محمدعبد الوهاب .

وقد كان نطق الفيلم المصرى ايذانا بمرحلة جديدة استغل فيها المنتجون حب الشعب للغناء ، وميل البورجوازية الصغيرة الى مشاهدة الرقص التركىعلى موسيقى ملفقةفازداد اقبالها على مشاهدة الافلام ، وبالتالى ازداد عدد دور العرض حتى وصل الى نحو ٥٠ دارا ، وازداد عدد الافلام فتم انتاج ٢٩ فيلما خلالهذه السنوات الاربع .

واذا عرفنا أنالعديد منالافلام المصرية الصامتة كانت تصويرا لمسرحيات مشهورة لايصبح غريبا ان نجد الغالبية منالافلام الناطقة الاولى لاتعدو تسجيلا لمسرحيات ايضا ، وكلها اما من مسرحيات الفارس لنجمى الكوميديا **نجيب الريحانى ، وعلى الكسار** . او من مسرحيات الميلو دراما لنجمىالمسرح**يوسف وهبى وجورج ابيض**. وقد بدأ يوسف وهبى فى اخراج افلامه ايضا منذ عام ١٩٣٥ . وشهدت هذه الفترة انتاج الكثير من الافلام لمخرجين اجانب مثل **كارلو بوبا ومانويل فيمانس وولى ديزيريه وموريس ابتكمان والكسندر واركاش** .

ستوديو مصر

« ١٩٣٦ ـ ١٩٤٤ »

افتتح **ستوديو مصر** الذى اسسه **طلعت حرب** عام ١٩٣٥ ، وكان أول ستوديو بالمعنى الصحيح ، والكامل . وقبل ان يفتتح الاقتصادى المصرى هذا الاستوديو ارسل عام ١٩٣٣ اول بعثة سينمائية مصرية لدراسة الاخراج فى باريس والتصوير فى برلين . وكان اعضاء هذه البعثة المخرجان **احمد بدرخان ، وموريس كساب** الذى لميخرج اية افلام بعد عودته والمصوران **محمد عبد العظيم ، وحسن مراد** الذى ظل يصور « جريدة مصر » منذ عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٧٠ . وفى برلين كان **نيازى مصطفى يدرس الاخراج**، **وولى الدين سامح** يدرس الديكور ، كلا منهما على نفقته الخاصة ، وقد التقى بهما طلعت حرب هناك وطلب منهما العمل فى ستديو مصر عند عودتهما . وبالفعل بدأ ستوديو مصر بمجموعة من خيرة الفنيين. ونذكر من بين مهندسى الاستوديو. مهندس الصوت **مصطفى والى الذىاخترع** بعض التحسينات فى **اجهزة الصوت** (*)

وفى عام ١٩٣٦ عرض **اول فيلم** من انتاج ستوديو مصر وهو فيلم « **وداد** » الذىاخرجه الالمانى **فرتيز كرامب** وساعده فى الاخراج **احمد بدرخان ، وكان ايضا** اول فيلم للمطربة المعروفة **ام كلثوم التى** اخرج لها بدرخان **كل افلامها بعد ذلك** (*)

وبوجود ستوديو مصر ، **وصل عدد دور** العرض **الى اكثر من مائة دار ، وارتفع** متوسط انتاج **الافلام كل سنة من عشرة** افلام **فى السنوات الاربعة السابقة على افتتاحه ، الى عشرين فيلما فى السنوات** التسع التالية الى نهاية الحرب العالمية



صلاح ابو سيف

الثانية . اذ تم فى هذه السنوات انتاج ١٤٠ فيلما .

وفى هذه المرحله التى تعتبر بحق العصر الذهبى لاستوديو مصر تبلورت اتجاهات الفيلم المصرى التجارية . وظهر نقيض السينما التجارية متمثلا فى بذور الواقعيه الاجتماعية فى فيلم كمال سليم «العزيمة» وفى افلام نيازى مصطفى الاولى . ومن الملاحظ أن فيلم كامل التلمسانى «السوق السوداء » وفيلم احمد كامل مرسى « النائب العام » انتجا فى هذه المرحله عام ١٩٤٣ ، ولكنهما عرضا عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ على التوالى . وكان ذلك تعبيرا عن الصراع الذى دار فى ستوديو مصر بين السينما التجارية والسينما الواقعيه الاجتماعية .

يقول احمد بدرخان فى كتاب «السينما» الذى اصدره عام ١٩٣٦ « لوحظ أن القصة السينمائية ـ السيناريو ـ الذى يدور فى اوساط بسيطة كأوساط العمال والفلاحين يكون نجاحه محدودا لان السينما قبل كل شىء مبنية على المناظر. وأن الطبقة المتوسطة من الشعب وهى السواد الاعظم من رواد السينما لاتحب أن ترى العالم الذى تعيش فيه ، بل على العكس تطمح الى رؤية الاوساط التى تجهلها وتقرأ عنها فى الروايات ، فمهما قدمنا لهم دراما قوية ذات عقدة متينة فهذه الدراما لاتنال استحسانهم لانهم يعيشون فى نفس الجو الذى جرت فيه حوادث الرواية » . ويقول « اليك بعض الاماكن التى تليق أن تظهر فى شريط سينمائى : المسرح ـ الموزيك هول ـ ادارة جريدة ـ فندق كبير ـ البورصة ـ المصيف ـ سباق الخيل ـ نوادى القمار» ويقول « المطلوب منافسة غرامية بين رجلين يحبان امرأة او امرأتين تتنازعان حب رجل ، وهذا خير مايمكن ان تصوره السينما» .ويختتم نصائحه قائلا «خلاصة القول أن السيناريو المتقن يكون منه قصة حب تدور حول ثلاثة او اربعة اشخاص فى بلد جميل المناظر ، او فى منازل بديعة فى مدة قصيرة . ويتخلل القصة عقبات سواء اكانت طبيعية ام طارئة تضع سعادة الابطال وسلامتهم فى خطر ، ويستحسن ان يتغلب الابطال على العقبات فيذللونها ويفوزون فى النهاية .

وفى مقابل هذا المفهوم الواضح المحدد للسينما التجارية ، والذى صار دستورا للغالبية الساحقة من المخرجين المصريين، نجد كمال سليم يكتب قبل عامين فى العدد الثالث من مجلة الفجر عام ١٩٣٤ تحت عنوان « الدعاية والسينما » قائلا :

« أن الدعاية الاجتماعية مثلا ساعدت كاتب السيناريو على الخروج من الدائرة الضيقة التى كان يكتب فيها ، فبعد ان كان يقدم قصة مبتذلة عن الجنس لا لتبحث فيه ، ولكن لتثير احط الشهوات ، وهذه ارادة المالى الذى يمول الفيلم ليضمن الحصول على اكبر ربح ممكن ، اصبح يبحث فى نواح جوهرية متعددة لحل مشكلات المجتمع ، وبذلك ارتفع مستوى تاليفه ، كما أنه سما بالشعب ، وغذاه بأفكار مفيدة » . ويقول فى ختام المقال « والان كلمة صغيرة لشركات السينما فى مصر : امل ان تغيروا الدعاية قليلا من اهتمامكم ، وان تقدموا ضمن ماتقدمون من افلامكم افلاما تعالج عيوبنا الاجتماعية وتحوى موضوعات شيقة وطريفة فى آن واحد ، واظن ان هذا اجدى عليكم وعلى الجمهور من فيلم يطلق فيه البخور لاحياء الموتى .. اليس كذلك » . وتعبر هذه الكلمات تماما عن مفهوم الواقعية الاجتماعية عند جيل الثلاثينيات ، ذلك المفهوم الذى تجاوزه كامل التلمسانى فى « السوق السوداء » الى حد كبير .

ان الواقعية الاجتماعية كما بدت فى افلام ذلك الجيل تعبر عن الفكر «التوفيقى» للبورجوازية المصرية . وهو اقصى ما استطاعت أن تصل اليه فى اكثر مراحلها ثورية . ويتضح هذا الفكر بجلاء فى « العزيمة » حيث تناول كمال سليم مشكلة البطالة بين خريجى الجامعات ويجعل حل مشكلة بطله فى النهاية على يد احد الاقطاعيين المستنيرين . وفى « النائب العام » حيث يتناول احمد كامل مرسى التناقض بين القوانين الوضعية والشرائع الدينية ، وينهى الفيلم بالتوفيق بينهما .ويختلف الامر عند كامل التلمسانى فى « السوق السوداء » الذى يتناول فيه اخطر المشاكل التى كانت مثارة زمن انتاجه عام ١٩٤٣ ، وهى مشكلة تجار السوق السوداء او اغنياء الحرب . ويشرح من خلال قصة بسيطة كيف تنشأ السوق السوداء والدلالات الاجتماعية والسياسية لوجودها على نحو يجعل منه رائدا بحق .

سينما اغنياء الحرب
« ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ »

اصبحت السينما فى الفترة من نهاية الحرب العالمية الثانيه الى ثورة ١٩٥٢ ، اسهل واسرع واضمن وسيلة فى مصر نجنى الارباح التى وصلت الى مائة الف جنيه عن الفيلم الواحد مرات غير قليلة. وقد كان ذلك نتيجة قلة تكاليف الفيلم وزيادة القوة الشرائيه ووجود راس المال الطفيلى فى نفس الوقت المتمثل فى اغنياء الحرب . والاهم من كل هذا تفسخ البورجوازية الحاكمة وسيطرة اكثر عناصرها تخلفا ورجعية .

لقد ارتفع متوسط انتاج الافلام كل سنة من عشرين الى خمسين فيلما حيث وصل المجموع الى ٣٤١ فيلما اى نحو ثلاثة اضعاف الافلام المصرية منذ عام ١٩٢٧. ووصل عدد دور العرض الى ٢٤٤ دارا عام ١٩٤٩ ، وعدد الاستوديوهات الى خمسة بها ١١ بلاتوه ، وتضاعف عدد المخرجين حتى اصبحت مهنة من لامهنة له وفى نفس الوقت توقفت بذور الواقعية الاجتماعية عن النمو تماما . وتأكيدا لواقع القائم صدر عام ١٩٤٧ قانون الرقابة على الافلام الذى وضعته ادارة الدعاية والارشاد الاجتماعى فى وزارة الشئون الاجتماعية « على غرار قانون الانتاج الامريكى » كما جاء فى نص القانون وكان من بين الممنوعات فى هذا القانون:

- منظر الحارات الظاهرة القذارة والعربات الكارو وعربات اليد والباعة المتجولين ومبيض النحاس .
- منظر بيوت الفلاحين الفقراء ومحتوياتها .
- منظر النساء بالملاءة اللف .
- مناظر الاخلال بالنظام الاجتماعى بالثورات او المظاهرات او الاضراب .
- تحبيذ الجريمة بين العمال او بث روح التمرد بينهم كوسيلة للمطالبة بحقوقهم
- كل مايمس التقاليد والعادات الشرقية .

يقول قدرى محمود فى مجلة النيل السينمائية تحت عنوان « الفيلم المصرى فى مهب المنافسة » فى عدد ٢٧ اكتوبر عام ١٩٤٦ « ان تجار البطاطس وشركائهم من الذين انتقلوا بمنائهم والوفهم الى مجال السينما لن يقضى عليهم بالفشل الا ان تقوم جبهة من الفنيين ذوى الضمائر تكافحهم ، وتنقذ الصناعة السينمائية من براثنهم . ان هذه الجبهة ينبغى أن تمثل فى النقابة القائمة ، والتى لم نشعر بأثرها حتى الان فيما هو من صميم المهمة التى تقوم بها النقابات .وثمة طرف ثالث قد تمادى فى فرض القيود حتى ضيق الخناق

على الفيلم المصرى، هذا الطرف هو الزقابة» وقد وصل الامر الى حد الاعلان عن طلب السيناريوهات فى الصحف. فقد جاء فى مجلة الضباح الاعلان التالى « **مطلوب سيناريو محبوك المواقف والمفاجآت لفيلم مصرى موضوعه فتاة مصرية تبدا حياتها قروية فقيرة ثم تتبدل معها الظروف والاحوال فتجد نفسها وقد اصبحت فتاة راقية جدا مودرن على ان يكون الفيلم غنائى تمثيلى والمخابرة مع ادارة بهنا فيلم** » .

وعلى حين رد **عباس محمود العقاد** فى العدد ٥٤ من مجلة السينما عام ١٩٤٦ على سؤال لماذا لايكتب للسينما قائلا «ان الكتابة للسينما اربح من الكتابة للادب. ولكن الكاتب الذى يعتز بنتاج عقله لايصح ان يهبط بفكره الى هذا المجال الرخيص، فنحن نرى طبقة المتفرجين الذين تعيش عليهم السينما المصرية طبقة لاتشرف الكاتب فجمهور السينما يتكون من الدهماء ،ونحن نكتب لمن يستسيغون التفكير » . دعا **طه حسين** فى مقال له عن دور الادباء الفرنسيين فى تطور السينما الفرنسية فى عدد نوفمبر من **مجلة الكاتب المصرى** عام ١٩٤٧ الى ضرورة « ان يلتزم السينما كما يلتزم الادب ، اى يجب ان يعرض السينما على النظارة حياتهم » ، وقال وهو الذى حرم من البصر منذ صباه الباكر « الاديب بين اثنتين : اما ان يغزو هذه الوسائل ويتخذها ادوات لاذاعة الادب ، ومايحصل الى النفوس من خير ورشد واصلاح ، واما ان يهمل هذه الوسائل فيقضى على ادبه بالتزام الحدود التى لا يتجاوزها الكتاب ، ويعرض نفوس الجماعات لشر عظيم تحمله اليها الصحف والراديو والسينما التى ستكون اداة لقوم ليس لهم حظ من ادب ولا من فلسفة ولا من فن ولا من فقه بالحياة ومشكلاتها » وكم كان الاستاذ العميد على حق حين توجه بهذا النداء الى الادباء فى احلك عصور السينما المصرية .

سينما الثورة
« ١٩٥٢ ـ ١٩٦٢ »

لم يتوقف اندفاع سينما اغنياء الحرب مع قيام ثورة ١٩٥٢ ، بل على العكس ارتفع متوسط عدد الافلام كل سنة من خمسين الى ستين فيلما حيث وصل المجموع الى ٥٨٨ فيلما . اى نحو ضعف الافلام المصرية منذ عام ١٩٢٧ ، بما فى ذلك سنوات مابعد الحرب الثانية. ووصل عدد دور العرض الى ٣٥٤ دارا عام ١٩٥٤ ومرجع ذلك ان ثورة ١٩٥٢ لم تستطع ان تهز المجتمع المصرى من جذوره الطبقية الا عام ١٩٦١ عندما صدرت القرارات الاشتراكية ودعا قائدها **جمال** عبد الناصر الى تحالف قوى الشعب العامل.

ولكن هذا لايعنى ان ثورة ١٩٥٢ لم يكن لها تأثير واضح على السينما فى هذه المرحلة فقد بدأت بذور الواقعية الاجتماعية تنمو من جديد فى افلام **صلاح ابو سيف** الواقعية التى بدأت بفيلم «الاسطى حسن» الذى يتناول التناقضات الطبقية فى القاهرة كما تبدو من خلال جسر قصير يربط بين حى من افقر أحيائها هو **بولاق** ، وآخر من اكثرها رفاهية هو **الزمالك** . ثم فى افلامه الواقعية الاخرى واهمها **الفتوة** ١٩٥٧ و «**بداية ونهاية**» ١٩٦٠ ،ويكشف الاول عن طبيعة النظام الرأسمالى كما تبدو فى سوق الخضروات. ويعتبر الثانى افضل تعبير عن مشاكل البورجوازية المصرية الصغيرة وازماتها ، وهو مأخوذ عن رواية نجيب محفوظ الذى كتب ايضا « الفتوة » واشترك مع أبو سيف فى كتابة سيناريوهات افلامه الواقعية .

وفى نفس الوقت الذى وصلت فيه الواقعية الاجتماعية الى الذروة فى فيلم يوسف شاهين « **صراع فى الوادى** » وفيلم توفيق صالح « **صراع الابطال** » وكلاهما يتناول القرية المصرية فى ظل الاقطاع حسب روايته الخاصة ، واسلوبه الخاص ، وفى فيلم بركات « **دعاء الكروان** » الذى يعبر عن جمود التقاليد فى مصر العليا ، امتد تأثير الثوره ايضا الى السينما التجارية حيث حاول العديد من المخرجين أن يلمسوا فى أفلامهم بعض المشاكل السياسية والاجتماعية كما فى فيلمى بدرخان « **مصطفى كامل** » ١٩٥٢ الذى يحكى سيرة الزعيم الوطنى، و « **الله معنا** » ١٩٥٥ الذى يتناول الحياة فى القاهرة فى الاسابيع القليلة التى سبقت الثورة ، وفيلم حلمى رفلة « **المفتش العام** » ١٩٥٦ من مسرحية جوجول ، وفيلم عز الدين ذو الفقار « **بور سعيد** » ١٩٥٧ من حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وفيلم كمال الشيخ « **اللص



يوسف شاهين

والكلاب** » ١٩٦٢ من رواية نجيب محفوظ التى عبرت عن أزمة المثقفين بعد الثورة ، وفيلم فطين عبد الوهاب « **آه من حواء** » ١٩٦٢ عن مسرحية شكسبير « **ترويض النمرة** » وغيرها من أفلام تلك المرحلة.

وشهدت هذه المرحلة ايضا بداية اهتمام الدولة بانتاج الافلام التسجيلية والقصيرة وأهمها أفلام **سعد نديم وصلاح التهامى** ، وانشاء أول ناد للسينما عام ١٩٥٦ ، ثم أول جمعية للهواة عام ١٩٦٢ « وهى جمعية أهلية » . وبلغ اهتمام الدولة بالسينما ذروته فى هذه المرحلة عند انشاء **مؤسسة دعم السينما عام ١٩٥٧** التى اشتركت فى العديد من المهرجانات الدولية ، واقامت العديد من الاسابيع السينمائية فى القاهرة والاسكندرية ثم عند انشاء **المعهد العالى للسينما عام ١٩٥٩** الذى تخرج منه حتى الان نحو ٤٠٠ شاب منهم أكثر من مائة مخرج .

سينما الدولة
« ١٩٦٣ ـ ١٩٧١ »

كانت السينما من بين الميادين التى شملتها القرارات الاشتراكية عام ١٩٦١ ، فتقرر انشاء **مؤسسة عامة للسينما** لها حق الانتاج والتوزيع وشراء دور العرض والاستديوهات من القطاع الخاص .

وقد كان أول اعتراف رسمى بأهمية السينما من ثورة ١٩٥٢ فى القانون رقم ١٢٨ لسنة ١٩٥٤ الخاص باضافة ٥ مليمات لدعم صناعة السينما على كل تذكرة تزيد عن ٢٥ مليما ، حيث جاء فى تبرير القانون لما للسينما من " دور خطير فى شتى نواحى الحياة الاجتماعية اذ هى أداة للتهذيب والتثقيف » . وهو نفس المفهوم البورجوازى الذى نراه فى مقال كمال سليم عام ١٩٣٤ .

عرض اول فيلم طويل انتجه القطاع العام عام ١٩٦٣ . وقد انخفض متوسط عدد الافلام كل سنة فى هذه المرحلة لاول مرة من ستين الى اربعين فيلما حيث وصل المجموع الى ٤١٦ فيلما منها نحو ١٥٠ فيلما من انتاج القطاع العام و ١٥٠ فيلما آخرين تم انتاجها بتمويل القطاع

العام ٪ كما انخفض عدد دور العرض ووصل الى ٢٥٥ دارا عام ١٩٦٦ . وانخفض عدد الافلام المستوردة من متوسط ٥٠٠ فيلم في الاربعينات أكثر من ٦٠٪ منها من الولايات المتحدة الامريكية الى متوسط ٢٥٠ فيلما حافظت على نفس النسبة من الافلام الامريكية

وقد شهدت هذه المرحلة ازدهارا في حركة النقد السينمائي وحركة الثقافة السينمائية حيث تم انشاء **المركز الفني للصور المرئية** التابع لوزارة الثقافة عام ١٩٦٤ ليكون مركزا للعروض والمطبوعات الثقافية وللارشيف القومي للفيلم ، **ونادي سينما القاهرة** عام ١٩٦٨ الذي يثبت للمقارنة مع أكبر نوادي السينما في العالم ، كما أصدرت وزارة الثقافة عشرات من الكتب المؤلفة والمترجمة عن السينما وتم انشاء **اتحاد نقاد السينما المصريين** وهو جمعية أهلية عضو في فيبريسي عام ١٩٧٢ .

اما من الانتاج وقد بلغ عدد العاملين في السينما المصرية حسب آخر احصاء لنقابة السينمائيين ٦١٢ فردا منهم ١٦٦ مخرجا نقد كان لوجود القطاع العام فضل تقديم بعض المخرجين الجدد الذين حاولوا تجاوز الواقعية الاجتماعية التقليدية على الصعيدين الفني والفكري كما في فيلم حسين كمال « **المستحيل** » وان كان يصور أزمة وجودية مفتعلة على الواقع المصري ، وفيلم خليل شوقي « **الجبل** » الذي حاول أن يعبر عن الصراع بين العلم والخرافة في مصر العليا ، وفيلم سيد عيسى « **جفت الامطار** » الذي يتناول هجرة الفلاحين الى الاراضي الجديدة في الصحراء . وبلغ هذا الاتجاه ذروته في فيلم شادي عبد السلام « **المومياء** » الذي يعبر بأسلوب متميز عن أزمة البحث عن الشخصية المصرية المعاصرة ، **والفلاح الفصيح** المأخوذ من البردية المصرية القديمة التي يطالب فيها الفلاح المصري بحقوقه الضائعة . وكان لوجود القطاع العام أيضا فضل وجود ما يمكن أن نطلق عليه **حركة السينما الجديدة** التي يحلم بها الجيل الجديد ولكنه لم يحققها بعد .

كذلك قام القطاع العام بانتاج أهم افلام هذه المرحلة مثل « الحرام » ١٩٦٥ اخراج بركات عن رواية يوسف ادريس ويتناول حياة عمال التراحيل في القرى ، و « **مراتي مدير عام** » ١٩٦٦ اخراج فطين عبد الوهاب عن سيناريو سعد الدين وهبه ويتناول مشاكل المرأة المصرية العاملة ، و « **سيد درويش** » ١٩٦٦ اخراج احمد بدرخان عن موسيقار ثورة ١٩١٩ العظيم ، و « **العيب** » ١٩٦٧ اخراج جلال الشرقاوي من رواية يوسف ادريس ويتناول مشاكل الفتاة المصرية المعاصرة ، و « **البوسطجي** » عام ١٩٦٨ اخراج حسين كمال عن رواية يحيى حقي يتناول الحياة في قرية نائية بمصر العليا ، « **المتمردون** » ١٩٦٨ اخراج توفيق صالح عن رواية صلاح حافظ ويتناول مشاكل ما بعد الثورة ، وقد صوره قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ، و « **القضية ٦٨** » ١٩٦٨ اخراج صلاح ابو سيف عن مسرحية لطفي الخولي ويتناول سقوط التنظيم السياسي بعد حرب يونيو وضرورة التغيير ، و « **ميرامار** » ١٩٦٩ اخراج كمال الشيخ الذي يعبر عن وجهة نظر الطبقة الجديدة التي كانت وراء هزيمة مصر في الحرب ، ولا علاقة بين موقف الفيلم ، وبين موقف نجيب محفوظ في روايته التي تحمل نفس الاسم ، والتي أعد منها الفيلم ، واخيرا « **الارض** » ١٩٧٠ اخراج يوسف شاهين عن رواية عبد الرحمن الشرقاوي التي تتناول نضال الفلاح المصري وتمسكه بأرضه . ويعتبر هذا الفيلم ذروة الواقعية الاجتماعية التي بدأت عام ١٩٣٩ .

ورغم نجاح القطاع العام في انتاج هذه الافلام وغيرها الا انه فشل في الاستمرار بعد عشر سنوات نتيجة تكالب الديون عليه . وقد وصلت الى نحو خمسة ملايين من الجنيهات المصرية ، ورغم انشاء المركز القومي للافلام التسجيلية قبل الحرب باسابيع عام ١٩٦٧ الا انه تعثر بدوره وعلى حين لم ينتج القطاع العام فيلما واحدا عام ١٩٧٢ ، انتج المركز القومي عشرة افلام بصعوبة بالغة.

ويرجع فشل القطاع العام في مصر الى قصور في تقدير الدولة لاهمية السينما وفهم طبيعتها من ناحية ، وقد بلغت الضرائب ٤٥٪ من ثمن التذكرة ، والى استمرار وجود القطاع الخاص الذى اكل القطاع العام من الداخل ، والذى يعبر عن الفكر التوفيقي للبورجوازية المصرية ، والفكر الرجعي للطبقة الجديدة ■



توفيق صالح

ولا شك ان انتشار التليفزيون في القاهرة والاسكندرية والمدن الكبرى — مثل دور العرض — قد ساهم في أزمة السينما المصرية أيضا وخاصة انه بعد عشر سنوات من انشائه عام ١٩٦٠ تصل نسبة المواد السينمائية فيه الى ٤٠٪ ، حيث يعرض كل اسبوع ١٥ ساعة من الحلقات الاجنبية و ٤ أفلام اجنبية طويلة و ٣ افلام مصرية طويلة و ١٠ ساعات من الافلام القصيرة والبرامج السينمائية . ومن بين هذه الساعات الست والثلاثين ينتج التليفزيون ٥ ساعات ، ويستورد أكثر من ٦٠٪ من مواده السينمائية من هوليود التي لاتزال افلامها المثل الاعلى للجمهور والسينمائيين معا .

ونستطيع من خلال الافلام المصرية التي عرضت عام ١٩٧٢ أن نلمس الصراع الحاد في المجتمع المصري اليوم بين أنصار المساومة ، وانصار حرب التحرير من خلال التناقض بين فيلم مثل « **اغنية على الممر** » اول افلام على عبد الخالق واول انتاج لجماعة السينما الجديدة وأول فيلم عن حرب يونيو ١٩٦٧ وبين فيلم مثل « **امبراطورية م** » الذى أخرجه حسين كمال عن رواية احسان عبد القدوس أحد كبار المعبرين عن وجهة نظر الطبقة الجديدة اليوم . ففي « أغنية على الممر » محاولة صادقة لمعرفة الاسباب الاجتماعية والسياسية وراء هزيمة يونيو ، ودعوة حارة الى تجاوزها بالصمود والقتال . أما « امبراطورية م » فيلخص كل المشاكل التي تعاني منها مصر من وجهة نظر الطبقة الجديدة ، واهم هذه المشاكل في نظرها مشكلة الافتقاد الى الروح الليبرالية . ويطرح الحلول التي تتصورها هذه الطبقة لتلك المشاكل ايضا حيث نرى الديموقراطية هي انتخاب الديكتاتور وهي ان يشارك الخدم في هذا الانتخاب ، وحيث نرى رجل الاعمال الذى يهيم حبا في بطلة الفيلم التي قصد بها ان تكون رمزا لمصر يقول « لايوجد في العمل رأسمالية ولا اشتراكية » ويدلل على ذلك بالتبادل التجاري بين الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية .

هذا هو الموقف ، وتلك هي ابعاده التاريخية ■



فطين عبد الوهاب

الأجيال الستة من المخرجين المصريين

١ ـ محمد بيومي

من هواة التصوير ، سافر الى المانيا فى اوائل العشرينات وامضى فترة تدريبية فى ستوديوهات برلين . عاد الى الاسكندرية حيث اخرج فيلمه الاول الباشكاتب عام ١٩٢٢ (٣٠ ق) بدأ سلسلة من الافلام الكوميدية على غرار افلام شابلن باسم المعلم برسوم ، ولكن الفيلم الاول لم يتم .

٢ ـ محمد كريم

(١٨٩٩ ـ ١٩٧٢) اخرج اول فيلم تسجيلى مصرى قصير عام ١٩٢٧ عن « حديقة الحيوانات » اخرج اول افلامه الطويلة «زينب» عام ١٩٣٠ صامتا ، وكان فيلمه الثانى « اولاد الذوات » ١٩٣٢ ناطقا . اعاد اخراج «زينب» ناطقا عام ١٩٥٢ بعد ثورة ٢٣ يوليو . اخرج ٤ افلام قصيرة و ١٧ فيلما طويلا اهمها مجموعة الافلام الغنائيه للمطرب المعروف محمد عبد الوهاب .

٣ ـ احمد جلال

(١٨٩٧ ـ ١٩٤٣) اخرج ١٧ فيلما طويلا فى الفترة من عام ١٩٢٩ الى عام ١٩٤٧ . انشا ستوديو جلال .

٤ ـ ابراهيم لاما

(١٩٠٨ ـ ١٩٥٢) من اصل اسبانى ،ولد فى شيلى وجاء الى الاسكندرية مع شقيقه الممثل بدر لاما . اخرج ٣١ فيلما طويلا فى الفترة من عام ١٩٢٧ الى عام ١٩٥١ اهمها فيلم « قبلة فى الصحراء » ، وسلسلة افلام المغامرات التى تدور احداثها فى مناطق البدو بالصحراء وافلامه التاريخية مثل « صلاح الدين الايوبى » ١٩٤١ و كليوباتره ١٩٤٣ .

٥ ـ توجو مزراحى

(١٩٠٥) أخرج ٣٣ فيلما فى الفترة من عام ١٩٣١ الى عام ١٩٤٦ اهمها سلسلة افلام المطربة ليلى مراد وهى « ليلى بنت الريف » ١٩٤١ و « ليلى بنت مدارس » ١٩٤١ و « ليلى غادة الكاميليا» ١٩٤٢ و «ليلى فى الظلام» ١٩٤٤ . واعتزل الاخراج وهاجر الى ايطاليا بعد مرضه بالقلب عام ١٩٤٧ .

٦ ـ كمال سليم

(١٩١٣ ـ ١٩٤٥) بدأ حياته الفنية كاتبا للسيناريو ،من أهم الافلام التى كتبها الدكتور اخراج نيازى مصطفى عام ١٩٣٩ . أخرج ١٠ افلام فى الفترة من عاد ١٩٣٧ الى عام ١٩٤٥ وتوفى اثناء تصوير فيلمه الحادى عشر « قصة غرام » عن رواية مرتفعات ويذرنج تاليف شارلوت برونتى الذى اكمله مساعده محمد عبد الجواد .. افلامه هى « وراء الستار » ١٩٣٧ و « العزيمة » ١٩٣٩ و « الى الابد » ١٩٤١ و « احلام الشباب » ١٩٤٢ و « البؤساء » ١٩٤٣ عن رواية فيكتور هوجو و « قضية اليوم » ١٩٤٣ و «حنان» ١٩٤٤ و «شهداء الغرام » ١٩٤٤ (عن مسرحية روميو وجولييت تاليف شكسبير) و « المظاهر » ١٩٤٥ و « ليلة الجمعة » ١٩٤٥ ـ أهم أفلامه العزيمة الذى قدم فيه لاول مرة الحياة الحقيقية للحارة المصرية وفى التعبير عن البورجوازية المصرية الصغيرة فى المدن .

٧ ـ نيازى مصطفى

(١٩١١) درس الاخراج فى معهد برلين قبل الحرب وكان اول مصرى يدرس فى الخارج على نفقته ، عاد ليعمل فى ستوديو مصر مع اول بعثة مصرية ارسلها طلعت حرب الى اوروبا لدراسة السينما .. اخرج ٥ افلام قصيرة ـ ٨٧ فيلما طويلا منذ عام ١٩٣٧ حتى نهاية عام ١٩٧٢ وهو اكبر عدد من الافلام اخرجه مصرى حتى الان . من اهم افلامه «الدكتور» ١٩٣٩ و «مصنع الزوجات» ١٩٤١ من الافلام الواقعية ، و « سلامة فى خير » ١٩٣٧ و «سى عمر» ١٩٤١ . من أفلام الممثل الكوميدى نجيب الريحانى وافلام المغامرات البدوية التى سار فيها على نهج ابراهيم لاما .

٨ ـ احمد بدرخان

(١٩٠٩ ـ ١٩٦٩) من اعضاء بعثة طلعت حرب عام ١٩٣٤ . أصدر كتاب السينما عام ١٩٣٦ وهو اول كتاب عن السينما باللغة العربية ويعتبر دستور السينما المصرية التجارية التقليديه . أخرج فيلمان قصيران و ٤١ فيلما طويلا اهمها مجموعة الافلام الغنائية للمطربة المعروفة ام كلثوم والمطرب المعروف فريد الاطرش . كما اخرج



محمد كريم

فيلم « مصطفى كامل » ١٩٥٢ عن الزعيم الوطني المصري في اوائل القرن العشرين ،وفيلم الله معنا ١٩٥٥ عن ثورة ٢٣ يوليو وفيلم سيد درويش ١٩٦٦ عن الموسيقار الذي يعتبر اعظم موسيقار مصري في هذا القرن حتى الان والذي عرف باناشيده واغانيه الثورية اثناء ثورة ١٩١٩ .

٩ ـ احمد كامل مرسى

(١٩٠٩) ناقد سينمائي منذ اوائل الثلاثينات قام بدوبلاج اول فيلم اجنبي يعرض باللغة العربية في مصر عام ١٩٣٦ هو فيلم « مستر ديدز » يذهب الى المدينة ، اخرج ١٠ افلام قصيرة اهمها فيلمان عن الرسامين المصريين « محمود سعيد » ويوسف كامل ، وفيلما تسجيليا طويلا عن تاريخ السينما المصرية ، وبرنامجا من ٢٣ حلقة للتليفزيون عن شهر رمضان و ١٧ فيلما طويلا في الفترة من عام ١٩٣٩ الى عام ١٩٥٥ منها اول فيلم مشترك مع العراق وهو « ليلى في العراق » عام ١٩٤٩ . واهمها فيلم العامل ١٩٤٣ . و « النائب العام» ١٩٤٦. قام باعداد اول قاموس للسينما باللغة العربية بالاشتراك مع مجدى وهبة اول رئيس لجمعية نقاد السينما المصريين عام ١٩٧٢ .

١٠ ـ صلاح ابو سيف

(١٩١٥) عمل في قسم المونتاج في ستوديو مصر منذ عام ١٩٣٥ الى عام ١٩٤٥ ، عمل مساعدا لكمال سليم في فيلم « العزيمة » وفيلم « الى الابد » ، اخرج ١٥ فيلما قصيرا وجزءان من فيلمين من ثلاثة اجزاء و٠ فيلما طويلا في الفترة من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٧٢ اهمها الافلام الطويلة «الاسطى حسن» ١٩٥٢ ، و «ريا وسكينة » ١٩٥٣ و «الوحش» ١٩٥٤ ، و«شباب امراة» ١٩٥٦ ، «الفتوة» ١٩٥٧، و « بداية ونهاية » ١٩٦٠ و «القاهرة ٣٠» ١٩٦٦ ،و«القضية ٦٨ » ١٩٦٨ . ومنها اول انتاج مشترك مع ايطاليا « الصقر » عام ١٩٥٠ .

١١ ـ كامل التلمساني

(١٩١٥ ـ ١٩٧٢) صحفي رسام . من مؤسسي جماعة الفن والحرية ، ومجلتها التطور التي كانت من اهم الجماعات الثقافية في الفترة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ اذ لعبت دورا في نشر الفكر الماركسي والمنهج العلمي انذاك .ناقد سينمائي اصدر اول كتابين باللغة العربية عن السينما العالمية احدهما « سفير امريكا بالالوان الطبيعية ١٩٥٧ عن سينما هوليود ، والثاني عزيزي شارلي ، عام ١٩٥٨ عن شارلي شابلن اخرج ١٠ افلام طويلة في الفترة من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٦٠ ـ ثم هاجر الى لبنان حيث توفي فيها . افلامه هي « السوق السوداء » ١٩٤٥ و « البريمو » ١٠٤٦ و « شمشون الجبار » ١٩٤٨ و « البوسطجي » ١٩٤٨ و « كيد النساء » ١٩٥٠ ،و «انا وحبيبي» ١٩٥٣ ،و «الاستاذ شرف» ١٩٥٢ و «مدرسة البنات» و «موعد مع ابليس» ١٩٥٥ ،و «الناس اللى تحت » ١٩٦٠ . اهم افلامه « السوق السوداء » .

١٢ ـ هنرى بركات

(١٩١٤) اخرج ٥٤ فيلما طويلا وجزءا من فيلم من ثلاثة اجزاء في الفترة من عام ١٩٤٢ الى عام ١٩٧٢ اهم افلامه « الشريد » ١٩٤٢ عن قصة تاليف تشيكوف ،و«سجى الليل» ١٩٥٧ ، و«حسن ونعيمة» و«دعاء الكروان» ١٩٥٩ و«في بيتنا رجل» ١٩٦١ و «الباب المفتوح» ١٩٦٣ و«الحرام» ١٩٦٥ و«اختي» ١٩٧١ و «سفر برلك» ١٩٧١ الذي اخرجه في لبنان .

١٣ ـ عز الدين ذو الفقار

(١٩١٩ ـ ١٩٦٣) اخرج فيلمان قصيران وجزءا من فيلم من ثلاثة اجزاء و٣٢ فيلما طويلا في الفترة من عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٢ اهمها «اسير الظلام» ١٩٤٧ و «ابو زيد الهلالي» ١٩٤٧ ، و «قطار الليل» ١٩٥٣ و «بور سعيد» ١٩٥٧ و «امراة في الطريق» ١٩٥٨، و«نهر الحب» ١٩٦٠ عن رواية انا كارنينا تاليف تولستوي. وقد قام بتمثيل الادوار الرئيسية في هذا الفيلم فاتن حمامة وعمر الشريف وزكي رستم .

١٤ ـ يوسف شاهين

(١٩٢٦) سافر الى الولايات المتحدة حيث امضى عامان في دراسة التمثيل باحد معاهد كاليفورنيا وفي ستوديوهات هوليود اخرج فيلمين قصيرين و٢٣ فيلما طويلا في الفترة من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٧٢ اهمها صراع في الوادي ١٩٥٤ ، وباب الحديد ، وجميلة الجزائرية ١٩٥٨ وصلاح الدين ١٩٦٣ ، وفجر يوم جديد ١٩٦٥ ، والارض ١٩٧٠ والاختيار ١٩٧١ ومن بينها اول فيلم مشترك مع الاتحاد السوفيتي الناس والنيل سنة ١٩٧٢ عن التعاون السوفيتي من اجل بناء السد العالي في اسوان .

١٥ ـ توفيق صالح

(١٩٢٧)سافر الى باريس حيث امضى فترة في معهد الايديك وفي ستوديوهات كلير اخرج ٥ افلام تسجيلية قصيرة و ٦ افلام



نيازي مصطفى



كمال الشيخ

طويلة في الفترة من عام ١٩٥٥ الى عام١٩٧٢ ، افلامه التسجيلية القصيرة هي ، العرائس ونهضتنا الصناعية، ١٩٥٩ ، وطريق المستقبل ونحن معهم اول فيلم عن اللاجئين الفلسطينيين ١٩٦٠ والقلة ١٩٦٣ وافلامه الطويلة هي درب المهابيل ١٩٥٥ ، وصراع الابطال ١٩٦٢ ، والمتمردون ١٩٦٨ ، ويوميات نائب في الارياف ، وزقاق السيد البلطي ١٩٦٩ ، والمخدوعون ١٩٧٢ الذى اخرجه في سوريا عن رواية الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني ، المخرج المصرى الوحيد الذى لم يخرج افلاما تجارية حتى الان .

١٦ ـ كمال الشيخ

١٩١٩ عمل مساعدا للاخراج ثم مونتيرا منذ عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٥٢ اخرج فيلمين قصيرين وجزءا من فيلم من ثلاثة أجزاء و٢٧ فيلما طويلا منها فيلم مع فطين عبد الوهاب ، اهمها حياة أو موت ١٩٥٤ . وتجار الموت ١٩٥٧ ، و اللص والكلاب ١٩٦٢ . و الرجل الذى فقد ظله ١٩٦٨ وميرامار ١٩٦٩ واخرج العديد من الافلام التى تأثر فيها باسلوب هيتشكوك .

١٧ ـ فطين عبد الوهاب

(١٩١٢ ـ ١٩٧٢) اخرج جزءا من فيلم من ثلاثة اجزاء و٥٣ فيلما طويلا منها فيلم مع كمال الشيخ في الفترة من عام ١٩٤٩ الى عام ١٩٧٢ ـ اهمها سلسلة افلام مثل الكوميدى اسماعيل يس ، وافلام اشاعة حب ١٩٦٠ والزوجة رقم ١٣ ١٩٦٢ و آه من حواء ١٩٦٢ عن مسرحية « ترويض النمرة » تاليف شكسبير ، و مراتي مدير عام ١٩٦٦ ، و اضواء المدينة ١٩٧٢ .

١٨ ـ حسين كمال

(١٩٣٠) تخرج من الايديك بباريس عام ١٩٥٤ عمل مساعدا ليوسف شاهين ، اخرج ٨ افلام طويلة في الفترة من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٧٢ اهمها « البوسطجي » عام ١٩٦٨ حقق فيلمه ابى فوق الشجرة ١٩٦٩ اكبر نجاح تجارى في تاريخ السينما العربية منذ الاربعينات .

١٩ ـ خليل شوقي

(١٩٢٨) تخرج من المعهد التجريبي للسينما بروما عام ١٩٥٧ ، اخرج ١٤ فيلما قصيرا في الفترة من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٤ اهمها الفيلم التسجيلى القصير « تطور في النحت في مصر » ١٩٦٠ والفيلم الروائى القصير « دنيا » ١٩٦٣ واخرج ٣ افلام طويلة في الفترة من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٧٢ اهمها « الجبل » ١٩٦٥ و « لعبة كل يوم » ١٩٧١ .

٢٠ ـ سيد عيسى

(١٩٣٥) قام بعمل الدوبلاج لحوالي ٤٠ فيلما سوفيتيا اخرج فيلما تسجيليا قصيرا عن « الاقطاع في كمشيش » ١٩٦٥ ، و٣ افلام طويلة في الفترة من عام ١٩٦١ الى عام ١٩٦٧ اهمها « جفت الامطار » ١٩٦٧ الذى تأثر فيه باسلوب ايزنشتين . تخرج من معهد السينما بموسكو عام ١٩٧٠ تحت اشراف ميخائيل روم .

٢١ ـ جلال الشرقاى

(١٩٣٥) تخرج من الايديك بباريس عام ١٩٦٣ اخرج ٣ افلام طويلة في الفترة من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٩ ، اهمها « العيب » .

٢١ ـ شادى عبد السلام

(١٩٣٠) مصمم ديكور عمل مساعدا للاخراج ، اخرج عام ١٩٦٩ فيلمه الطويل الاول « المومياء » . واخرج عام ١٩٧٠ فيلمه القصير الاول « الفلاح الفصيح » .

٢١ ـ سعيد مرزوق

(١٩٤٠) اخرج ٥ افلام قصيرة في الفترة من عام ١٩٦٦ الى عام ١٩٧٠ ، اخرج فيلمه الطويل الاول زوجتي والكلب » عام ١٩٧١ وفيلمه الطويل الثاني « الخوف » عام ١٩٧٢ .

٢٤ ـ على عبد الخالق

(١٩٤٤) تخرج من معهد السينما بالقاهرة عام ١٩٦٦ اخرج ٤ افلام قصيرة في الفترة من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٧٠ أهمها « السويس مدينتى » ١٩٦٩ . اخرج فيلمه الطويل الاول « أغنية على الممر » عام ١٩٧٢ وهو أول فيلم مصرى عن حرب يونيو ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل .

٢٥ ـ ممدوح شكرى

(١٩٣٨) تخرج من معهد السينما بالقاهرة عام ١٩٦٣ اخرج الفيلم الروائى القصير « شنق زهران » عام ١٩٦٦ وجزءا من فيلم من ثلاثة أجزاء عام ١٩٦٩ ، أخرج ٣ افلام طويلة في الفترة من عام ١٩٧٠ الى عام ١٩٧٢ أهمها « زائر الفجر » ١٩٧٣ .

الوضع الراهن للسينما المصرية

د. رفيق الصبان

كل الظواهر الخارجية تشير دون جدال الى ان السينما المصرية فى خير حال .. فرغم ان انتاج الافلام يسير بشكل تصاعدى مستمر ، وعدد الاسابيع التى يعرض فيها الفيلم المصرى فى دور السينما قد ضرب كافة الارقام القياسية التى اعتدنا عليها فى المواسم السابقة .. فقبل ثلاثة اعوام فقط كان منتجو الافلام يهللون فرحا اذا استطاع فيلم لهم ان يصل الى اسبوعه الرابع او الخامس وها هى افلامنا هذا العام تتابع اسابيع عرضها بنجاح جماهيرى ملحوظ ، وليست هناك اية اشارة تدل على انها ستختفى قريبا من الدور التى تعرض فيها .

واجور الممثلين المصريين بالمقابل بدأت تسجل ارتفاعا ملحوظا .. فالممثلة التى كانت تقبل بالف جنيه عن الفيلم الواحد راحت تطالب بالفين وممثل الالفين اصبح يطالب باربعة .. وهكذا .. مما يعيد الى اذهاننا ايام الحرب الثانية عندما كانت السينما المصرية تحتكر السوق العربية كلها ووحدها تقريبا .. وحيث كان اجر مطربة وممثلة كليلى مراد يصل الى خمسة عشر الف جنيه فى الفيلم الواحد .

والذى يلفت النظر هنا بعد ذلك كله ، انفتاح السوق العربية من جديد على الفيلم المصرى .. بحيث نرى مثلا مدينة كبيروت تعرض فيها عادة كل نماذج افلام العالم واحدث ما اخرجه المخرجون الكبار ، وآخر ما مثله مشاهير الممثلين فى كل مكان ، نرى مدينة كبيروت تعرض فى وقت واحد ، وفى ستة دور للعرض فيلما مصريا هو « امبراطورية ميم » ونرى فيلما اخر « حب وكبرياء » الذى اخرجه حسن الامام يحقق ثالث رقم فى سجل الايرادات العامة مباشرة بعد فيلم « الاب الروحى » الشهير ، هذا فى بيروت وحدها .. واذكرها على سبيل المثال لان مجال التنافس بين الافلام قد وصل الى درجة كبيرة تجعلها من « اصعب » المدن سينمائيا .. ولا اريد ان اشير الى دمشق مثلا .. التى بدأ الفيلم المصرى يحتل فيها مركز الصدارة نظرا لمقاطعة الشركات الامريكية .

كل هذه الاسباب مجتمعة تجعل من ينظر الى وضع السينما المصرية الراهن يعتقد جازما انها تمر فى خير مراحلها وان لا شىء احسن مما هو عليه الان .. وان هذه السينما المليئة بالمشاكل والعقد والازمات تمر الان بعصرها الذهبى الذى كانت تحلم به منذ زمن طويل .

ولكن هذه النظرة سرعان ما تصطدم بالارضية الواقعية التى تقف عليها السينما المصرية والتى يمكن ان نحللها من خلال الانتاج الحالى .. ومن خلال موقف الدولة وحالة القطاع العام للسينما .. من خلال ما يحمله الشباب وما يفكرون فيه ومن خلال الفكر الذى تطرحه هذه السينما وتدافع عنه ..

المخرجون الكبار

اذا اردنا ان نحكم على وضع السينما المصرية الراهن من خلال المخرجين الخمسة او الستة الذين اقترنت اسماؤهم «بأمجادها» سواء اذا حللنا الفكر العام الذى تقدمه هؤلاء المخرجين فى افلامهم فسنجده يدور فى حلقات مفرغة مجوفة او اذا نظرنا الى الجانب التكنيكى والسينمائى الذى اختاروه ليعبروا فيه عن انفسهم لوجدناه تكنيكا تقليديا ومقلدا لا يقدم اضافات جديدة .. ويعجز حتى عن تعميق وتطوير ما اصبح ثابتا ومعروفا .

صلاح ابو سيف مثلا .. مخرج له ماضيه وله قيمته وله وزنه المصرى والعربى واكاد اقول بشىء من التردد والعالمى . اخرج للسينما المصرية فى تاريخها الطويل افلاما مدهشة تعكس واقعا اجتماعيا وتكاد تمس احيانا بعض الحقائق السياسية .. ولكنها كانت تمتاز كلها باقترابها من الانسان المصرى ومن

حياته اليوميه ومشاكله الاجتماعيه المختلفة والارض المرتجفة التى يقف عليها ولاتخلو بعض افلام صلاح ابو سيف من مواقف شجاعة ومن ابداء وجهات نظر ومن اثارة بعض التساؤلات حول الانسان ومجتمعه والطريق التى اختار أو أجبر على ان يسير عليها . وافلام ابو سيف قريبة منا لانهاتتناول بالضبط هذه النواحى التى اشرنا اليها والتى تدفعنا احيانا كثيرة الى أن نغض النظر عن تكنيك لايتحرك كثيرا الى الامام ومن تقليدية مكررة احيانا واسلوب سينمائى يحافظ على مواقعه الثابتة ولا يحاول التطور او الثورة او التغيير .

ولكن هذه الميزات اختفت كلها او معظمها من افلام ابو سيف الاخيرة .. واذا كان هناك عذر ، أو مايشبه العذر لفيلم تاريخى اسلامى هو «فجر الاسلام» رغم اننى كنت اعتقد أن سيناريو ذكى ومعالجة حساسة كان يمكن ان تجعل من هذا الموضوع الخاص جدا .. موضوعا هاما يثير المتفرج العربى المعاصر ويطرح امامه اكثر من مشكلة لازالت تعتبر بالنسبة اليه من المشاكل الحيوية .

ولكن ابو سيف اختار أن يظل فى اطار التاريخ القديم .. وان يعالج موضوعه ببعد زمنى واضح مبتعدا بكل ارادته عن كل مايجعل من دعاة فجر الاسلام .. دعاة معاصرين لفكر معاصر .. !

ولكن المشكلة تبقى مثيرة للحيرة والتساؤل فى فيلم ابوسيف الاخير « حمام الملاطيلى » . ففى هذا الفيلم يعود ابوسيف الى عالمه المعتاد . عالم الازقة الضيقة والشبابيك المتقاربة والحارات التى يلهث فيها الشجن مع الابتسامة الهاربة والامل الوليد .. ويقدم فيه نماذجه الانسانية التى امسك بها منذ بدء تعبيره السينمائى .. ابن البلد والحسارة .. القاهرة الفقيرة ، المعلم صاحب التجارة الزوجة الظامئة .. الشباب الطموح وعشرات الوجوه التى نراها فى مدينتنا الكبيرة قاسية لامبالية اومتمردة متسائلة .. ولكن النتيجة التى وصل اليها المخرج الكبير نتيجة محيرة . !!

فالشخصيات المعروضة كلها تبدو مزيفة وكأنها ترتدى اقنعة .. كلماتها تتردد باردة لا حرارة فيها .. وتصرفاتها تأتى دون مبرر ودون اقناع . والاحداث مفتعلة مجوفة .. والنتيجة التى نخرج منها لا تعدو التساؤل اللامبالى الذى يضيع فى متاهات الزحام ..

ربما كان التكنيك الذى طبقه ابوسيف فى « حمام الملاطيلى » اكثر احكاما منه فى «فجر الاسلام» ولكن مافائدة التكنيك الناجح فى كل هذا الابتذال وهذه السطحية وهذا الفراغ .

اما **كمال الشيخ** .. فان آخر فيلم قدمه كان منذ اكثر من عامين .. ثم لزم الصمت .. والحق ان « شىء فى صدرى » يجب الا يكون بأى حال من الاحوال الذكرى الاخيرة التى نحملها من مخرج ربما لم يقدم لنا روائع سينمائية ولكنه دون شك نجح فى تقديم سلسلة من الاعمال الشريفة يتميز معظمها بالنوايا الحسنة والنظافة النسبية .

ورغم ابتعاد « الشيخ » عن السياسة والالتزام فان اسمه قد ارتبط بمجموعة الافلام ذات الطابع السياسى التى انتجتها مصرفى السنوات الاخيرة والتى كان اولها « الرجل الذى فقد ظله » واشهرها « ميرامار » واكثرها بريقا « غروب وشروق » واقلها اهمية « شىء فى صدرى » .

وانا لا اتطلب من الشيخ التزاما سياسيا وتمسكا بعقيدة ومبدأ يدافع عنهما فى كل افلامه .. فهذا اكثر مما يحتمل هذا المخرج الهادىء الجم الادب .. وأكثر مما تتحمله السينما المصرية فى وضعها الحالى .. ولكن ما ابحث عنه على الاقل فى فيلم لمخرج يعرف ماذا يقول .. هو شىء من المنطقية والايجابية السياسية الحكيمة .. وهذا مانفتقده بالضبط فى « شىء فى صدرى » الذى يبدو لنا وكأنه محاولة تبرير سلوكية لاقطاعى من العهد الملكى .. اصابته ازمة ضمير جعلته ينظر الى العالم الذى يعيش فيه والى نفسه نظرة ناقدة .. كأن مشاكل المجتمع الحالى وقضاياه قد اختفت كلها حتى رحنا نبحث فى جوانب نفس « باشا » معقد كان له الكثير من النفوذ فى زمان خلا .. بل ان الامر يصل الى درجة الكاريكاتور عندما نرى المخرج يقدم لنا شخصية الباشا فى فيلمه .. شخصية طاغية مسيطرة يبدو الجميع الى جانبها اقزاما .. ويجعلنا نبرر دون أن نشعر تسلط الباشا وديكتاتوريته مادام افراد الشعب الذين يحيطون به على هذه الدرجة من السخف والحماقة وانعدام الشخصية .

واذا وصلنا الى « هنرى بركات » فان اسمه يقترن على الفور برائعة سينمائية مدهشة هى « الحرام » ، وبأكثر من فيلم ناجح « دعاء الكروان ، فى بيتنا رجل » وبجو انيق شاعرى فيه الكثير من الحساسية والرقة .. وبادارة مليئة بالذوق لممثلاته وممثليه .. وبحس تكنيكى فيه الكثير من التوازن وان كان يخلو تماما من المفاجآت .

لذلك فان فاجعتنا فى افلامه الاخيرة تبدو كبيرة حقا .. لان هذه الافلام قد خلت تماما من كل هذه الميزات ولم تستطع ان تذكرنا باى اثر منها . ففى فيلم « الزائرة » مثلا الذى اقتبسه بركات عن نص فرنسى أكل عليه الدهر وشرب .. نجد المخرج الشهير يسقط بأخطاء أولية يخجل خريج جديد من معهد السينما ان يرتكبها .. وفى فيلم « حكاية بنت اسمها مرمر » الذى اعتمد فيه على قصة لا تخلو من طرافة رغم هزالها الفكرى .. نجده يسمح لممثله الاول بمبالغات ممجوجة لا يقرها « الذوق المرهف » الذى عودنا عليه فى الافلام السابقة .

حتى « الجو » الناجح الذى كان سمة مميزة لافلام بركات .. بدا شاحبا فى «مرمر» يحقق هدفا وتضيع منه اهداف .. وبدا معدوما مضحكا مضخما الى درجة الدهشة فى هذه « الزائرة » المسكينة التى لم تجد ميزة واحدة تجعلنا نقف الى جانبها مدافعين عنها !!

اما التوازن والايقاع .. فيبدو انهما قد غابا تماما عن عالم بركات .. وانه لا يحاول حتى ان يستعيدهما .. وان الاتجاه الذى يسير عليه الان بركات فى انتاجه للمستقبل واصراره على اقتباس ميلودرامات أجنبية مخدرة للاعصاب وبعيدة عن اثارة اى تساؤل وطرح اية قضية يجعلنا نحس احساسا مبهما أن بركات اذا لم يتدارك نفسه فسيفقد دوره فى عالم السينما المصرية القادمة .. وان اسمه قد يصبح من الاسماء الماضية اللامعة التى لاتثير فى نفوسنا الا الرعشة والحنين الى ايام بيضاء قديمة ..

اما « حسن الامام » فيبدو انه يفكر كثيرا بالمستقبل ويرفض ان يحصر نفسه فى اطار مخرج الميلودرامات المليئة بالدم والدموع والتى لا تثير الا جمهور الدرجة الثالثة .

ولعل النجاح الجماهيرى الكبير الذى تحققه افلام الامام على الصعيدين المصرى والعربى جعلته يتجرأ ويبدأ فعلا خطواته الحاسمة . ولكن هذه الخطوات تظل فى نطاق الاقلال من الابتذال الكثير واختصار بعض الرقصات وبعض الافيهات المبالغ فيها .. وحصر عدد القتلى وابناء الزنا والاقلال من الضحايا والفتيات المخدوعات بمعسول الكلام .

وبالطبع فان منطق الامور يمنعنا من

ان نتصور « حسن الامام » مخرجا يطرح مشاكل كالتى يطرحها «يوسف شاهين » اويحلها بالطريقة التى يستعملها «شادى عبد السلام » ولكن مما لاشك فيه ان «السكرية» مثلا رغم سذاجتها التى تثير القهقهة .. تعتبر عملا «اماميا » ناجحا بعض الشيء اذا قارناه بقصر الشوق او بين القصرين .. ففى هذا الفيلم الاخير نرى مثلا ادارة حازمة لبعض الممثلين . جعلت البعض منهم يقدم أجود ادواره على الاطلاق كنور الشريف مثلا الذى ارسل على الفيلم كله ظلا عبقريا واستطاع ان ينقذ مشاهدا برمتها من الاسفاف والسطحية

ونرى احساسا بالايقاع الدرامى للاحداث .. يثيرنا رغم اوليته وسذاجته ولكنه يلفت انتباهنا لانه جديد تماما فى افلام « حسن الامام » .

ربما اتت اهمية « السكرية » الفكرية من الاصل القصصى الذى تعتمد عليه.. وربما كان نجاح « نجيب محفوظ » فى رسم وجوهه وشخصياته قد انعكس بشكل ما على حسن الامام فاخرجه من السطحية والتصور الفكرى الذى كانت تعانى منه افلامه .. ولكن المقارنة مع الجزءين الاولين من القصة اللذين اخرجهما للسينما حسن الامام ايضا .. تجعلها فى صالح المخرج وتشعرنا ان هناك انفراجا ضئيلا فى فن مخرج كنا قد حكمنا عليه منذ زمن بانه عاجز عن امداد السينما المصرية ، باى دم جديد ..

ورغم ان فيلمى حسن الامام اللذين اخرجهما قبل السكرية لايزالان يشهدان بوناء مخرجهما لكافة عيوبه التقليديه وتمسكه الشديد المتعصب بعالمه المبتذل المجوف .. فان البريق الخنيف الذى اشعته « السكرية » يجعلنا نتمسك بعود القش الرفيع ونامل ان نرى بصيص ضوء فى سماء سوداء خلت من كل الشهب .

اما خط سير حسين كمال فانه يعكس خيرا من سواه خط السير العام الذى سارت عليه السينما المصرية حتى اليوم.. فهذا المخرج الموهوب الذى اثبت نفاذ نظرته السينمائية فى افلامه الاولى « المستحيل ــ البوسطجى » انقاد فجأة الى خضم التيار التجارى المتفن « ابى فوق الشجرة ــ نحن لانزرع الشوك »قبل ان يسقط نهائيا فى الابتذال التجارى المثير للعجب « انف وثلاث عيون » واذا كان احد اواخر افلامه «امبراطورية ميم» يدفع الى التوقف قليلا فالفضل يعود بذلك الى ممثلته الاولى من جهة والى اقتراب الفيلم من مواضيع حساسة تهمنا جميعا..

وربما كون هذه المواضيع قد عولجت من وجهة نظر بورجوازية محضة ، او من خلال نماذج لاتخفى او لا تحاول اخفاء برجوازيتها . واذا كانت هناك ميزة تلقى على فيلم « امبراطورية ميم » فهو انه فيلم ينتمى الى طبقة ويدافع عن مصالحها ويعرض مشاكلها .. ملقيا بكل ثقله « ان كان هناك ثقل ما » فى وجه التيارات الحارة والحقيقية التى يشعر بها ابناء البلد .

ومن خلال هذا المنظار يمكننا ان نعتبر فيلم حسين كمال قبل الاخير اعترافا شخصيا ونوعا من الانتماء . لايمكننا ان ننتظر بعده من هذا المخرج اية مفاجاة اخرى .

وتبقى نقطة الضوء الوحيدة فى هذه السماء التى انطفأ بريق نجومها .. هى يوسف شاهين الذى لازال يتابع خط سيره الفكرى والفنى بامانة وتعصب تحسبان له .. وبشيء من الاخلاص الحقيقى والحماسى يفرضان كل الاحترام رغم البرود الذى قوبل به فيلم « الناس والنيل »ورغم الانقطاع الكبير الذى خلخل تركيبه الدرامى ودفعنا الى الاعتقاد بعدم وجود مبررات للشخصيات المعروضة وتصرفاتها .. فان الناس والنيل يشهد بامكانيات سينمائية ملحمية يندر ان نجدها لدى اى مخرج سينمائى آخر اليوم .. مما يؤكد عمق النظرة السينمائية التى يلقيها هذا المخرج على العالم ويكشف صفاءه اللانهائى .

ولكن الناس والنيل يعود الى الماضى اكثر مما يعود الى الحاضر سواء فى سنوات اخراجه او فى طبيعة المشكلة التى يقوم بعرضها . لذلك كان علينا ان ننتظر الدفء من فيلم شاهين الاخير الذى ينتظر العرض « العصفور »..

وهنا بالذات نلمح بوضوح خصائص السينما المصرية التى نريدها .. وضمن الاطار الشاهينى المتطور الذى نتمناه .

انها قصة شباب مصر ومبادىء مصر وحرية مصر وتساؤلاتها ونظام مصر ومستقبل مصر .لقد اختار شاهين عناصره وقضيته من عصب وشريان الحياة الحاضرة وحددها فى فترة زمنية خاصة « الايام القليلة التى تسبق حرب الـ ٦٧ » والقى بكل ثقله الفكرى والفنى والانسانى ليصور ازمة ضمير وأمل قلب وحيرة عقل ..

ان «العصفور» هو الفيلم الوحيد الذى يبقى فى الصورة من كل الاعمال السينمائية الاخيرة التى قدمها كبار مخرجى مصر والتى تشهد بشكل او بآخر عن افلاسهم وافلاس الفن السينمائى الذى يمثلونه .

واذا كنت قد تجنبت الحديث عن مخرجين كبيرين اخرين .. فلانى اعتبرهما اولا ضمن الحالات الخاصة ولان فيلم شادى عبد السلام الجميل « المومياء » فيلم موجود لاكثر من اربعة سنين . ولا يصح ان نعتبره معيارا نقيس به وضع السينما المصرية الراهن .. رغم تأخر عرضه التجارى العام فهو ينتمى الى تفكير ماقبل أربع سنوات .. ولعل المخرج نفسه كان سيراجع نفسه فى كثير من الاشياء التى صنعها لو تسنى له أن يخرج المومياء الان .

ولكن هذا لايمنع القول من ان «المومياء» يحتل مركزا من مراكز الصدارة فى سجل السينما المصرية المعاصر .. وان وجوده وحده كاف لان يغير من ابرة الميزان .. وأن يدفع بالابتسامة الواهنة الى الشفاه التى تصلبت من الالم .

اما توفيق صالح الذى كف عن المساهمة فى دفع عجلة السينما المصرية الهرمة واختار سوريا مكانا يخرج فيه اخر اعماله واجملها .. « المخدوعون » .. فاننى لا اعرف كيف اضع له مكانا فى ايجابيات السينما المصرية المعاصرة. فهذا الفنان الكبير رغم المساهمات القليلة والرائعة التى قدمها للسينما العربية « والذى يظل مثالا حقيقيا للفنان الملتزم الذى يعرف كيف يتمسك بصلابة بموقفه والذى يجيد الصراخ باعلى صوته دفاعا عن مبادئه » قد قدم افلاما مصرية تحسب له شخصيا وتحسب للسينما المصرية فى تاريخها الطويل . . . واذا كنا نفتقد توفيق صالح عندما نفتش عن آثار الضوء الذى يثير الامل فى نفوسنا .. فان غيابه نفسه يعتبر نقطة فاصلة يمكننا الحكم بواسطتها على وضع السينما المصرية الحالى .. وان نشعر كيف تتخبط هذه السينما وكيف تفقد قيمتها ورجالها معا ..

ولا اريد بعد ذلك فى صدد حديثى عن اعمال كبار المخرجين الاخيرة .. وعن العطاء الحالى الذى يقدمونه لسينما بلادهم ان اتعرض لاعمال المخرجين الاخرين الذين اختاروا الطريق التجارية طريقا اساسية للتعبير ، ملقين بعرض الحائط كل القيم الفنية والجمالية الاخرى ..

فحسام الدين مصطفى الذى لا ينقطع لحظة عن الاخراج والذى قدم خلال الشهر الاول فقط من عام ١٩٧٣ ثلاثة افلام طويلة .. ولازال فى جعبته خمسة افلام اخرى ينوى تقديمها فى الموسم نفسه !! ونيازى مصطفى الذى يحاول

ان يتناسى افلام المغامرات والصحراء التى اشتهر فيها لينقل معاركه الى الصالونات والاحياء الراقية متخذا حجة له النقد الاجتماعى « بلا رحمة — شلة المراهقين » واحمد ضياء الدين الذى لازال يتابع دون وهن او تعب تقديم ميلودراماته باسلوبه الباكى الذى يذكرنا بافلام الخمسينات .

وهذه المجموعة الاخرى من الافلام التى يخرجها مخرجون مختلفو الاسماء لصالح نجم من نجوم الغناء أو كوكب من كواكب الكوميديا أو راقصة مشهورة أو ممثل محبوب .. والتى تضع هدفا أساسيا لها تقديم مخدر ينسى المتفرج واقعه ويرميه فى دوامة تائهة من اللون والحركة واللا معنى ..

هذه الافلام التى لايلعب بها المخرج اى دور خلاق عموما .. والتى تتجمع بؤرة الضوء فيها حول نجم او نجمة.. لا تنتمى الى السينما التى نتكلم عنها .. ولاتقدم او تؤخر بشىء فى تركيب اللوحة السينمائية المعاصرة لفننا السينمائى .

من هذا الاستعراض السريع لاعمال كبار مخرجينا . نستطيع الحكم بمرارة على الوضع الراهن للسينما المصرية .. فهذا الفقر الفكرى الواضح للعيان ، وانعدام خط رؤيا واضحة ، وعدم وجود اية قيمة يمكن الدفاع عنها .. وتكرار الفن الذى لازال يقدم كما هو منذ عشرين عاما او يزيد .. بنفس التكنيك ونفس الطريقة ونفس الاسلوب .. هى العناصر الاساسية التى يقف عليها المخرجون الكبار الذين نفترض انهم يملكون كافة المقومات وكافة الامكانيات لدفع السينما المصرية الى الامام .

سينما الشباب

واذا كانت الصورة عند الكبار على هذه الدرجة من الاعتام .. فما هو الوضع الحقيقى لسينما الشباب فى مصر وهل يمكننا ان نضع امالنا على هذه السينما الطرية العود التى تستطيع اذا ارادت واذا سنحت لها الفرص ان تقوم الاعوجاج وأن تستبدل السنبلة الصفراء الذابلة بأخرى خضراء تقف بشموخ فى وجه الامطار والعواصف ؟ .

والحق أنه من الظلم ان نحكم حكما سريعا وقطعيا على سينما الشباب .. اذا عرفنا الظروف الصعبة التى يمر بها السينمائيون الشباب وبالمعقبات التى عليهم ان يتجاوزوها وبالمعارك التى يجدون انفسهم مضطرين لدخولها كلما فكر أحدهم بانتاج جديد أو انجز أحدهم فيلما فيه بعض الشأن .. الا

ولكن مع ذلك يجب الا ننجرف بالامل والتشجيع فنترك المرض يتغلغل منذ البداية ونصبح كالام التى خافت ان تعرض ابنها المريض للطبيب خشية أن يصيبه البرد فتتسبب فى موته !!

ان ماننتظره من سينما الشباب .. هو تقديم فكر جديد وفن جديد .. ما ننتظره هو ان تخرج هذه السينما من الطرق المعتادة التى سئمناها وان تجعلنا نكتشف انفسنا وواقعنا ومشاكلنا .

ولا اظن ان افلاما كالحاجز لمحمد راضى الذى يصور علاقة حب محرمة بين طالب مراهق وزوجة اخيه دون اى التفات لاى جذر اجتماعى او نفسى او امراة من القاهرة لمحمد عبد العزيز الذى يصور محاولة امراة عصرية العثور على حريتها الشخصية فى اطار مجتمع مغلق ومن خلال نماذج سطحية مجوفة وبعد حقيقى عن مواجهة الواقع الاجتماعى الحقيقى .

يمكن ان تنطبق عليها صفة سينما الشباب .

كما لا اظن ان هذه الحساسيه العابرة وهذه الشفافية المليئة بالخجل التى استطاع ان يعبر عنها نادر جلال فى فيلمه الاول [هذا ما يسمونه الحب] والتى فقدها تماما دون ان يترك منها أى اثر فى فيلميه التاليين [ولدى — رجال لا يخافون الموت] تجعلنا نعتبر نادر جلال من المخرجين الشبان ... فلقد سلك طريقا مخالفا ومعارضا تماما لكل ما تتميز به سينما الشباب من صفات اولية .. واولها الحماس للفكرة والتعصب لقيمة ومحاولة شق اسلوب جديد .

تماما كما فعل قبله انور الشناوى الذى برهن على حس سينمائى وليد فى فيلمه الاول [السراب] سرعان ما اضاع كل اثاره فى [الغضب والشيطان والخريف] .

ولكن هناك مجموعة اخرى من الشبان .. تعمل جاهدة .. وتشعرنا ان هناك ما تنجح بتحقيقه رغم الظروف الصعبة هناك اكثر من زهرة واكثر من فراشة .

على عبد الخالق فى اغنية على الممر تجرأ على أن يضع الاصبع على الجرح .. حقا ان اللمسة كانت سريعة وسطحية وتكاد لا تحس .. ولكن يكفى على عبد الخالق انه طرح الفكرة .. وانه استطاع فى موجة الافلام الجنسية والمبتذلة والسطحية ان يذكرنا بأن هناك معركة..

وان هناك جنود بسطاء يموتون وان هناك صحراء تائهة وحرب خسرناها !!.

واذا كان [اشرف فهمى] فى [ليل وقضبان] قد اختار زمنا قديما ليصور فيه أساليب القمع والقهر التى تقع على الانسان فهذا خطأ السيناريو الذى اعتمد عليه ، والذى حور قصة القهر الى قصة حب مضحكة .. وزيف القضية من اساسها وجعل هذا الفيلم المتقن الذى كان يمكن أن يكون فيلما فذا شبيها ببعض الافلام السياسية الايطالية .. قصة حب اخرى على الطريقة المصرية لا تترك أثرا .. الا الحسرة والتصور فى الذى كان يجب أن يتم ! .

اما مدحت بكير فقد أراد ان يكون أكثر طموحا وان يعالج فى دعوة للحياة مشكلة زوجين شابين يواجهان متطلبات المجتمع الاستهلاكى .. ومحاولتهما اليائسة الى الاستقلال بحياتهما بعيدا عن التعقيدات العائلية والوظيفية .

ورغم امانة الفكرة الاصلية .. فان سطحية المعالجة والمبالغات المضحكة التى لجأ اليها المخرج فى النصف الثانى من فيلمه .. وعدم احساسه بانسانية ابطاله وانعدام مشاركته لعواطفهم والتعبير عنها .. قد جعل من [دعوة للحياة] فيلما باردا لا يحرك فينا أية مشاعر .. وجعل من النماذج المقدمة دمى مضحكة تتحرك دون مبرر مفهوم ، وتعرض قضايا غامضة لا تمسنا بقريب أو بعيد!!

اما سعيد مرزوق الذى يعانى دائما من مشكلة تضخيم قضية صغيرة واعطائها مدى زمنيا أكبر مما تستحق [زوجتى والكلب] فقد كرر الخطأ نفسه فى فيلمه الثانى [الخوف] مضيفا اليه طموحا سياسيا ساذجا اساء الى الفيلم وفقد المخرج كل الهيبة التى استطاع ان يفرضها فى فيلمه الاول .. ولكن هذا التحفظ لا يمنعنا من الاعتراف بوجود حقيقة بديهية وهى ان سعيد مرزوق يملك كل صفات المخرج الشاب الذى يمكن للسينما ان تأخذ منه الكثير .. وان سينما مصر القادمة سيكون فى صفحاتها حيز كبير تقدمه بدورها لهذا المخرج الفنان ..

ولابد بعد ذلك ان نشير الى افلام قريبة قادمة .. اخرجها مخرجون شبانا ويمكن ان تثبت وجودها فى واقع سينما السبعينات فى مصر كفيلم على بدرخان الحب الذى كان او فيلم صبحى شفيق التلاقى او فيلم يوسف فرنسيس زهور برية .

ولكن مما لا شك فيه ان سينما الشباب تتميز هذا العام بعملين كبيرين لمخرجين شابين استطاعا اخيرا ان يقدما صورة نابضة بالوعي والاحساس السينمائي لمشاكل جيلهما ، وان يفتحا الدرب واسعا أمام مدرسة جديدة للتعبير ، مدرسة تستمد من الواقع المصري جذورها ومن المعالجة الناضجة لمشاكل الساعة عناصرها وكيانها .

الفيلم الاول هو زائر الفجر للمخرج ممدوح شكري .. الذي يستعرض فيه بتكنيك مرتفع قصة مقتل صحفية يسارية ويستعرض من خلالها نماذج لقطاعات هامة من حياة المجتمع المصري واضعا اصبعه بمهارة فائقة على موطن الداء ، مفتحا الاعين ، طارحا السؤال .

لقد كانت براعة ممدوح شكري كبيرة في انه لم يسقط في ديماجوجية غير مستحبة في مثل هذه الاحوال وان كان الموضوع احيانا يشجع عليها ، وانه استطاع ان يقدم نهاية مفتوحة مليئة بالايحاءات من خلال استعراض صريح ونقي لمشاكل بلده ، ومواطن الفساد فيها .

وهذا ما نجح فيه ايضا غالب شعث في فيلمه الاول [ظلال على الجانب الاخر]الذي طرح فيه أمامنا اربعة نماذج من شباب هذا الجيل بكل متناقضاتهم واوهامهم والعصافير التي تتطاير في قلوبهم . لقد استطاع شعث كزميله شكري ان يواجه بلده ورجال بلده بقلب نقي وان يطرح السؤال وان يصرخ من الاحشاء وان يرفع كلتا ذراعيه ..

وهذا امر نادر بل كاد يكون مستحيل الحدوث في السينما المصرية .

ان ظهور افلام ثلاثة كالعصفور وزائر الفجر وظلال على الجانب الاخر وفي وقت واحد تقريبا تجعلنا نتساءل بفرح ونشوة .. اذا لم يكن هناك تيار حار للسينما السياسية في مصر !!

القطاع العام ودوره

واذا تأكد مثل هذا التيار حقا ... فان السؤال المطروح نتيجة لذلك هو كيف يمكنه ان يستمر مع الوضع الحالي لجمهور المصري الذي تعود على الاسفاف والابتذال .. وكيف يستطيع هؤلاء المخرجون الشجعان أن يتابعوا انتاجهم وعطاءهم في مناخ سليم ؟ ؟ .

ان دور القطاع العام يبدأ هنا وكأنه ضرورة حتمية للاستمرار .. لانه على الاقل يضع هؤلاء الفنانين بمعزل عن تجارة المنتجين الافراد ومتطلباتهم المتناقضة جذريا مع الفن والمنطق السليم .

ولعل سكوت القطاع العام خلال العام المنصرم هو الذي القى هذا الظل الثقيل الاسود على واقع السينما المصرية الراهن

ان فيلما كالمومياء مثلا .. لا يمكن تصوره دون هذا القطاع .. وكذلك اخناتون للمخرج نفسه الذي ينتظر الاشارة ببدء العمل فيه منذ سنتين .

كما ان فيلم الظلال على الجانب الاخر .. والتلاقي وكثير من أفلام الشباب لا يمكن تصورها تنبض بالحياة من خلال منطق القطاع الخاص ومستلزماته .

وان هذا الاشعاع المفاجيء الذي حققته السينما المصرية في الخارج من خلال عدد صغير من الافلام الشجاعة والصادقة كالمومياء والارض والاختيار ليثبت الدور الذي يمكن للقطاع العام أن يلعبه سواء على الصعيد الفني او السياسي . أو كلاهما معا .

ان جذب الافكار السينمائية واعتماد اكثر الافلام على القصص الادبية يبرهن بصورة اخرى على جدب الرؤيا السينمائية الاصيلة وعلى الحاجة اكثر من أي وقت مضى لهذا المؤلف السينمائي الذي يحس سينما ويفكر سينما ويعبر سينما دون أن يمر على تنطرة القصة الادبية والادب بمعناه التقليدي العام .

هذا المؤلف السينمائي الذي ينظر بوعي وتفهم الى مشاكل بلده وعصره ويحاول ان ينقلها او يعبر عنها او يصورها على طريقته .. جاعلا من السينما فنا لاثارة الاسئلة والتوعية والشحن لا فنا تنفيسيا مخدرا .. يوضع في الواجهات كأية بضاعة استهلاكية أخرى .

وما لم يتواجد أمثال هؤلاء المؤلفين السينمائيين فان الموقف الراهن للسينما المصرية سيبقى على حالته الراهنة :

أ ـ ركود في الفكر التقليدي الذي يمثله المخرجون القدامى . ويتمثل بأخطاء اربعة أولها عدم التعرض لمشاكل الانسان المصري ، وثانيها تزييف الحقائق وتقديمها بشكل يخالف الواقع ، وثالثها عدم وجود خط فني ، أو فكري يجمع بينهم ويعطي للسينما المصرية طابعا أي طابع . . ورابعها السعي الى مخاطبة الانسان الامي او النصف متعلم بقصد الربح السريع .. مع تناسي دور السينما الفكري والثقافي تماما .

ب ـ آمال سريعة مبشرة من جيل جديد لا يعرف الطريق التي يجب ان يسلكها لكي يعبر عن نفسه .

عـــــدان عن الســـــينما العـــربية

مجلة الطريق اللبنانية

اصـــدرت مجلة الطريق اللبنانية فى اغسطس الماضى اولى اعدادها الخاصة عن السينما بمناسبة مهرجان دمشق الدولى الاول لسينما الشباب . وقد جاء العدد بغض النظر عن عنوان السينما البديلة الذى حمله ،والذى سنناقشه فيما بعد ، اضافة حقيقية الى المكتبة الســـينمائية العربية .

فى البداية كتب محمد دكروب مقدمة هى فى الحقيقة بيان ناضج يتجاوز اخطاء وصغائر البيانات الكثيرة التى صدرت فى السنوات الاخيرة ضمن حركة الدعوة الى سينما عربية جديدة ، والتى نشر بعضها فى العدد ذاته .

يحدد دكروب ان امام حركة السينما العربية الجـديدة جبهتان ، وعليها ان تحارب عليهما فى الوقت ذاته ، الجبهة الاولى فى ميدان الانتاج الذى تسيطر عليه الشركات الراسمالية ، والجبهـــة الثانية فى ميدان العرض حيث تواجه هذه الحركة جمهورا تشبع بالافلام الرجعية الرديئة العربية والعالمية .ويرفض الكاتب اللبنانى الكبير الاتجاه الذى يرى ان الفيلم التسجيلى هو النوع الوحيد الذى يمكن أن يعبر عن السينما العربية الجديدة ، كما يرفض الاتجـــاه الذى ينفى ماضى السينما العربية تماما . ويختتم مقدمته ــ او بيانه ــ قائلا « ان امتلاك الشعب للسينما وتحويلها ، هو جزء من معركة شعوبنا فى ســبيل التقدم الاجتمـــاعى والاشتراكية » .

ويهمنا قبل ان نستعرض مواد عدد الطريق ان نناقش لفظ البديلة الذى جاء فى عنوان العدد ، وفى بعض من مقالاته فهو علاوة على أنه لفظ متعال ومتحذلق ، وغير محدد بالطبع مثل الالفاظ الكثيرة المتداولة فى الصحف العربية ، والتى توصف بها حركة السينما العربية الجديدة. مما يثير حنق القراء ويضعهم فى متاهة لا اول لها ولا آخر ، اقول علاوة على ذلك هو فى اعتقادى لايعدو تعبيرا عن مايمكن ان ينطلق عليه عقدة السينما المصرية عند بعض النقاد والمخرجين فى عديد من الدول العربية . فمن المعروف تاريخيا ان حركة السينما العربية الجديدة بدات فى مصر عام ١٩٦٨ ، عندما تكونت جماعة السينما الجديدة فى القـــاهرة ، ولكن المصابون بعقدة السينما المصرية ارادوا فى مهرجان دمشق ان يرفضوا السينما المصرية التقليدية والجديدة ايضا ، او الطامحة الى التجديد، وان يرفضوا ضمن مايرفضوا لفظ الجديدة ، ويستخدموا بدلا منه البديلة رغم أن كلا اللفظين عام وغير محدد المعالم . واهتمامنا بمناقشة هذا الموضوع لايعود الى اهمية الالفاظ التى نريدها ان تتحول الى مصـــطلحات لهـــا معناها الواضح فقط ، وانما لان هذه العقدة لم تبد فى عنوان عـــدد الطريق فقط،وانما سيطرت على العديد من مواده وخاصة فى الجزء الخاص بمهرجان دمشق .

ينقسم عدد الطريق الى أربعة أجزاء : الجزء الاول أفكار ومفاهيم وتجارب حول السينما العربية البديلة ، والجزء الثانى ملف مهرجان دمشق، والجزء الثالث فى تاريخ السينما العربية ، والجزء الرابع عن بعض قضايا الســـينما فى العـــالم المعاصر .

اما الجزء الاول فقد بدأ بمقدمة عامة كتبها جلال الخورى واسامة العارف حول وضع السينما بين الفنون، ثم توالت ثلاث مقـــالات للمخرجين قاسم حـــول وقيس الزبيدى وعدنان مدانات تؤكد كلها على الاتجاه الذى كشف محمـــد دكروب عن تصوره فى مقدمة العدد ، وهو الاتجاه الى اعتبار الفيلم التسجيلى النوع الوحيد الذى يمكن أن يعبر عن السينما العربية الجديدة .

يقول قاسم حول « ليس اقدر على منحنا الفيلم البديل غير الفيلم التسجيلى الذى خسرته السينما العربية منذ نشأتها بسبب طبيعة ظروف الانتاج .. ويقول قيس الزبيدى ان العالم الوهمى المزيف فى الفيلم الروائى « خلق عند الجمهور قناعة تامة تتلخص فى ان السينما لايمكن ان تقدم الا مثل هذا الواقع الوهمى » ، ويقول عدنان مدانات ــ ومقاله هو اهم المقالات الثلاث واكثـــرها وعيـــا ــ ان « السينما الوثائقية هى الوحيدة القادرة فى هذه المرحلة من تاريخنا على طرح المشاكل الاجتماعية بشكل مقنع » .

وليس هناك خلاف فى اهمية الدور الذى يلعبه الفيلم التسجيلى وخاصة الفيلم القصير ، وكافة الافلام القصيرة من كل الانواع فى خلق ســـينما جديدة . ولكن الخلاف حول اعتبار الفيلم التسجيلى النوع الوحيد الذى يمكن ان يعبر عن السينما الجديدة . ان هذا الاتجـــاه يعنى فى حقيقته هروبا من ميدان القتال الذى يجب على السينمائى الجديد ان يحارب فيه ، وهو ميدان الفيـــلم الروائى . يعنى ان السينمائى الجديد سوف يترك الجمهور للسينمائى التقليدى ، وهو امر يفوق كل احـــلام تجار الســـينما الرجعيين الذين يرتعدون من السينما الجديدة حتى وهى لم تزل بعد شعارا لم يتحقق . .

ان حقيقة أن الجمهور اصـــبح لديه قناعة تامة بان السينما لايمكن ان تقدم الا الواقع الوهمى المزيف الذى تقدمه الافلام التقليدية الرجعية يجب ان تكـــون حافزا للسينمائى الجديد لكى يحطم هذه القناعة ، وليس لكى يهرب منها الى الفيلم التسجيلى معلنا استسلامه لها. اما القول بأن السينما العربية قد خسرت الفيـــلم التسجيلى منذ نشأتها فقول غير صحيح لان السينما العربية بدأت بانتاج الافلام التسجيليـــة ، وانتجت آلاف الافـــلام التســـجيلية فى كل الدول العربية التى عرفت السينما ، ولكن بمفهـــوم رجعى جعل من الغالبية الساحقة من هذه الافلام أقرب الى الاعلانات التجارية .

وبعد هذه المقالات الثلاث يأتى مقال للناقد وليد شميط حول السينما السياسية ودورها النضالى ، ورأى للمخرج فؤاد التهامى يتحدث فيه عن جماعة السينما الجديدة فى القاهرة ، ثم المقدمة النظرية لبيان هذه الجماعة ، وحوار مع الناقد الفرنسى الكبير مارســـيل مارتان ، ثم استفتاء عن السينما البديلة تحدث فيـــه عدد من المخرجين الشباب الذين حضروا مهرجان دمشق .

والملاحظ على هذا الجزء من عـــدد الطريق انه تضمن تعريفا قصـــيرا بكل المخرجين الشباب ، ولكن على حين يذكر بالنسبة للبعض الجائزة التى حصل عليها فى مهرجان دمشق اذا كان قد حصل على جائزة لاتذكر ،هذه الجائزة بالنسبة للبعض الاخر ، وهم المخرجون مصطفى أبو على وامين البنى وعلى عبد الخالق الذى تقاسم

جائزة الفيلم الروائي الطويل عن فيلمه « اغنية على المر » معفيلم «بس يابحر» بل جاء ان « بس يابحر » تقاسم الجائزة مع « الفهد » خلافاً لنص الجوائز المنشور في العدد ذاته . ناهيك عن اخطاء اخرى في المعلومات مثل القول بأن فيلم «الحارس» العراقي فاز بالجائزة الاولى في مهرجان قرطاج عام ١٩٦٨ ، بينمـا هـو في الحقيقة فاز بالجائزة الثانية ، وهو الخطأ الذي تكرر مرة اخرى في مقال السينما العراقية في نفس العدد . والقول بأن توفيق صالح خريج معهد الايديك وان فؤاد التهامي أخرج فيلما واحدا لم ير النور ، وان فيلم المومياء حصل على ٥ جوائز في المهرجانات العالمية .

وتهون كل ملاحظاتنا على الجزء الاول من عدد الطريق اذا ما قورنت بما يمكن ان نأخذه على الجزء الثاني منه ، وهـو الخاص بمهرجان دمشق انه نقطة سوداء في عدد هو كما نقول ونكرر اضافة حقيقية للمكتبة السينمائية العربية ، ولكن بفضل الجزءين الثالث والرابع منه على وجه التحديد . فمن ناحيـة نشرت كل الاراء الواردة فيه دون توقيع ممايجعل المجلة بأكملها تتحمل مسئولية هذه الاراء ، ومن ناحية أخرى جاءت هذه الاراء ضروبا من الاضاليل لاترتفع ومكانة مجلة الطريق في الصحافة العربية .

يقـــول الكاتب المجهـول في تقييم المهرجان ان وجود الجوائز في مهرجان دمشق كان يتعارض من حيث المبدأ مع شعارات المهرجان ، ودون ان يوضـــح الاسباب التي تدعوه لهذا الحكم يخلق تناقضا مفتعلا بين وجود الجوائز وتقييم الافلام في دراسات نقدية تصدر في كتاب وبعد ذلك ينتقل الكاتب المجهول مباشرة الى تقييم لجنة التحكيم رغم عدم ايمانه بالجوائز فيقول « تشكلت لمنح الجوائز لجنة تحكيمية لم تكن من المستوى الذي يدرك قيم الفيلم البديل موضوعا ولغة ، باستثناء مارسيل مارتان الناقد الفرنسي الذي حدد في كتاباته ابعـاد اللغـة السينمائية ، وعبر من خلال مشاهداته من فهم واع ومتقدم للسينما الجديدة ، لذلك كانت نتائج المهرجان الذي تخضع لاغلبية الاصوات منحازة بشكل معاكس لفكرة المهرجان ، وللمناقشات اليومية التي كانت تدور حول الافلام المعروضة ولبعض المشكلات التي تعاني منها السينما العربية عموما » .

لقد تألفت لجنة تحكيم مهرجان دمشق من المخـرج السوفيتي يوري اوزيروف سكرتير اتحـاد السـينمائيين السوفيت ومخرج فيلم التحـرير ، ومن انطونين بروسيل عميد معهد السـينما في براغ ومدير مهرجان كارلو فيفاري وواحد مؤسسي هيئة السيداك الدولية ، ويوسف العاني الكاتب والممثل والمخرج العراقي الذي ساهم بوضوح في تطور المسرح والسينما في العراق ، والناقد التونسي الطـاهر الشريعة مؤسس مهرجان قرطاج ومجلة نوادي السينما واحـد مؤسسي اتحـاد نوادي السينما واتحاد هواة السـينما والسينمائي العربي الوحيد حتى الان الذي قضى في المعتقل نحو عام كامل من اجل السينما العربية ، والناقد الفرنسي جي انبيل الذي يعتبر اكثر نقاد اوربا كلها ، وليس فرنسا فقط فهما لقضايا السينما في العالم العربي وافريقيا ، وعبدالحميد مرعي مدير مؤسسة السينما السـورية الذي يحتضن السينما « البديلة » والذي احتضن مهرجان دمشق وعين مديرا له ، والناقد المصري سمير فريد الذي اقترح اقامة المهرجان ووضع لائحته وبرنامجه، واشرف على تنفيذه طوال ايام المهرجان الى جانب الناقد الفرنسي مارسيل مارتان والذي ليست قيمته انه حدد ابعاد اللغة السينمائية ، وانما اكثر من ذلك بكثير .

وسوف نفترض جدلا أن كل هؤلاء ماعدا مارتان معادون للسينما البديلة، ونسأل: لماذا لم يذكر الكاتب المجهول الافلام التي فازت دون ان تستحق الفوز ، ولماذا لم يذكر الافلام التي لم تفز وكانت تستحق؟! ان نتائج المهرجان منشورة في نفس العدد من الطريق ، صحيح ان نص بيان اللجنة لم ينشر وهذا يعيب الملف الذي يدعي الموضوعية، ولكنها منشورة ، وكذلك تقييم الافلام الفائزة ، ولو لم يكن هذا الحكم الاهوج الصادر ولاشك من مخرج لم يفز باحدى الجوائز ولاينظر الى ابعد من ظله منشورا في مجلة مثل الطريق لما كانت هناك ضرورة لمناقشته .

وبعد تقييم المهرجان جاء دور تقييم الافلام ، وهنا نلاحظ بوضوح ظهور عقدة السينما المصرية ، وهي عقدة لها ما يبررها عند تجار السينما الرجعيون ونقاد السـينما الاميين فقط . فالمقيمون يتعرضون للعديد من الافلام التسجيلية والقصيرة ما عدا الافلام المصريـة ، ويمتدحون كل الافلام الروائية الطويلة التي اختاروها من بين افلام المهرجان ما عدا الفيلم المصري الذي فاز بالجائزة . و[illegible] جاء في [illegible] الاول من العدد [illegible] حول [illegible] التسجيلي نرى أن فيلم ايقاع [illegible] جاء بالحرف « فيلم جميل ملون [illegible] الصنع يتحدث بشكل ايقاعي [illegible] اللون والمونتاج السريع للربط بين مختلف عوامل التراث الشعبي من موسيقى ورقص [illegible] يدوية » ، ونرى أن فيلم [illegible] السليمانية « يلمس حسا [illegible] لونية متفوقة ، لقد قام [illegible] بالتقاط صور فوتوغرافية للقباب ولونها تعبيرها فخرج بنتيجة جيدة » ، وهكذا كان تطبيق النظريات الثورية !!

وتكون خاتمة الجزء الثاني من العدد نشر سيناريو فيلم الزيارة الذي اخرجه قيس الزبيدي ، وهو جديد بالنشر ، ثم الوثائق الناقصة لمهرجان دمشق .

أما الجزء الثالث من العدد فيتضمن مختارات من حديث منقول من آلـة التسجيل مع صلاح أبو سيف يشوبه تعليق للمحرر يقول فيه أن فيلم المومياء من « اهم افلام الواقعية العربية الحديثة ، والفيلم بعيد كل البعد عن الواقعية » ثم مجموعة من الدراسات عن تاريخ السينما في مصر وسوريا ولبنان والعـراق والجزائر أهمها دراسة وليد شميط عن السينما اللبنانية التي تعتبر الاولى من نوعها ، وينتهي هذا الجزء الحافل الذي كان يكتمل بدراسات مماثلة عن السينما في تونس والمغرب بنشر بيان جماعة السينما الفلسطينية التي تأسست في بيروت في أعقاب مهرجان دمشق ، ومن اجتماع بعض المدعوين اليه من النقاد والمخرجين .

وأخيرا يأتي الجزء الرابع من عدد الطريق ، ويتضمن مقالا عن بريشت وفن السينما ، ومجموعة من الاحاديث مع بعض المخرجين من أسيا وافـريقيا ، وعرضا وافيا لندوة مهرجان موسكو الماضي عن دور السينما في النضال من أجل التقدم الاجتماعي . ثم تقييمـا موضوعيا شاملا للناقد سعيد مراد عن مهرجان طشقند .

المعرفة السورية

وفي يناير الماضي أصدرت مجلة المعرفة السورية أولى اعدادها الخاصة ايضا عن السينما العربية .

ورغم أن رئيس التحرير يحدد في مقدمة العدد أن المجلة قد تعمدت عدم الخوض في قضايا السينما العالمية ، والاقتصار على تناول السينما العربية ، الا أن المقالين الاول المعنون بالسينما لغة العصر والثاني المعنون بالسينما والفنون التشكيلية يخرجان عن هذا الخط الذي حددته المجلة .

وعلى حين بذل عفيف بهنسي جهدا كبيرا في دراسة العلاقة بين السينما والفنون التشكيلية والتأثيرات المتبادلة بينهما ، جاء المقال الاول للمخرج نبيل المالح مشوشا الى حد بعيد ، ويكفي أنه في فقرة واحدة أصدر حكما على افلام انتونيوني وبرجمان والان رينيه بأنها لا تعدو العابا بصرية مما يصادر علينا كل مناقشة .

وينقسم عدد المعرفة بعد ذلك الى ثلاثة أجزاء ، الجزء الاول عن السينما السورية ويتضمن دراسة وافية لتاريخها للناقد صلاح ذهني ، ومقالات عن تحليل الارقام ، والانتاج المشترك ، وتكوين الجمهور ، ونوادي السينما ، وانتاج

القطاع الخاص • والجزء الثانى عن السينما المصرية ويتضمن دراسة تسجيلية عن القطاع العام ، واخرى عن الفيلم السياسى فى مصر الثورية ، ومقالات عن تاثر السينما المصرية بالسينما العالمية ، والرقابة • والكوميديا ، والجزء الثالث دراسة للطاهر الشريعة عن السينما فى البلدان العربية الافريقية مصر وتونس والجزائر والمغرب ، كما يتضمن العدد ملفا عن مهرجان دمشق •

وقبل ان نناقش بعض الاراء التى وردت فى هذا العدد لابد من تصحيح بعض المعلومات الواردة فيه ، ففى دراسة صلاح ذهنى يقول : ان فيلم « المخدوعون » ، مثل سوريا فى مهرجان كان ١٩٧٢ ، والصحيح أنه عرض خارج المسابقة فى نصف شهر المخرجين ، وفى دراسة الناقد الامريكي رايموند وليم بيكر المدرس فى جامعة بوسطن عن الفيلم السياسى فى مصر الثورية جاء ان افلام القضية ٦٨ والرجل الذى فقد ظله وغروب وشروق معدة عن روايات لنجيب محفوظ ، والصحيح ان الاول معد عن مسرحية لطفى الخولي ، والثانى عن رواية فتحى غانم ، والثالث عن رواية جمال حماد •

ومن التناقضات الطريفة حقا ان يقول رضا المهاينى فى مقاله عن الانتاج المشترك « والمخرج السورى خالد حماده يذكر معى كيف تحركت حلب بكاملها ، وكيف تغيرت حياة الجبال وانقلبت رأسا على عقب عندما وصلت فرقة بازولينى السينمائية لتصوير جانب من فيلم ميديا • ، وفى نفس العدد يقول سليمان قطايه فى مقاله عن نوادى السينما ، عندما زار بازولينى حلب عام ١٩٦٩ لتصوير فيلم ميديا لم يحفل به أحد » • وكان هذا يدل على اهمية نوادى السينما فى نشر الثقافة السينمائية ، وذاك يدل على اهمية الانتاج المشترك فى قلب الحياة رأسا على عقب !

يقول صلاح ذهنى فى دراسته عن تاريخ السينما السورية ان فيلم « زهرة من المدينة » كان الجزء الثانى من ثلاثية بدأت بفيلم « طائر القرية » ، ونحن نعرف ان هذا الفيلم كان الرد على « طائر القرية » بعد أن منع من العرض • ولعل الاستاذ الناقد يوضح الحقيقة ، وخاصة ان مخرج « طائر القرية » قد هاجر من سوريا بعد منع الفيلم ، وكان معدا لتمثيل سوريا فى مهرجان بيروت عام ١٩٦٤ • ويقول صلاح ذهنى فى ملاحظة عن السينما المصرية ان دخول بنك مصر ميدان الانتاج السينمائى والبنوك التى تبعته هو سر تخلف الفيلم المصرى • وقد يكون صحيحا الدور الذى لعبته البنوك بوجه عام وخاصة البنوك الاجنبية فى تخلف الفيلم المصرى ، ولكن الدور الذى لعبه بنك مصر عند انشاء شركة مصر للتمثيل والسينما عام ١٩٢٥ ، ثم ستوديو مصر عام ١٩٣٥ يعتبر دورا وطنيا فى خلق وتدعيم صناعة جديدة ناشئة ، بل لقد كان لستديو مصر قبل الحرب العالمية الثانية فضل وضع بذور الواقعية فى الفيلم المصرى •

وفى مقال الانتاج المشترك يطلق نبيل المهاينى على السينما العربية حكما يتشابه مع حكم نبيل المالح على انتونيونى ورينيه وبرجمان عندما يصفها قائلا « لا اخراج فيها ولا انتاج • لا بذرة ولا ارض ، تقليد فى تقليد • أزهار اصطناعية فى مزهرية مستوردة » • وهذا الحكم ببساطة يعنى ان كاتبه لا يعرف الا القليل عن تاريخ السينما العربية وواقعها •

وفى مقال تاثر السينما المصريه بالسينما العالمية يقترب رفيق الصبان من نفس الحكم عندما يقول ان السينما المصرية ليست لها شخصية مميزة ولا شكل ولا أسلوب • وان تاثرها بالسينما العالمية لم يتعدى النقل والتقليد ويضرب مثالا بفيلم « باب الحديد » اخراج يوسف شاهين الذى يرى انه منقول عن فيلم « محطة السكة الحديد » اخراج دى سيكا ، وهو حكم نراه جائرا فى اطلاقه وتطبيقه • كما يعتقد رفيق الصبان ان شادى عبد السلام فى « المومياء » كان اول من تاثر على نحو ناضج بالسينما العالمية ، ويراه متاثرا بالسينما اليابانية • والحقيقة ان شادى عبد السلام ربما لم يشاهد اية أفلام يابانية الا فى نادى السينما منذ عامين •

يقول رفيق الصبان « انه لمن المدهش حقا أن نلاحظ ان السينما المصرية التى عاشت شبابها الاول كله معتمدة على النقل والاقتباس لم تحاول ان تتاثر بالواقعية الايطالية كما لم تستطع أن تتاثر بالسينما الامريكية على الاقل من جهة التكنيك والصنعة والايقاع » • أما عن تاثر السينما المصرية بالسينما الامريكية فهذه حقيقة لا شك فيها ، ولكنها تاثرت بافلام هوليود التجارية الرديئة ، ولا يجب أن نجرد السينما المصرية حتى من الصنعة التى هى لا شىء فى النهاية • كذلك فان القول بان السينما المصرية لم تتاثر بالواقعية الايطالية يجانبه الصواب الى حد ، فقد عرضت اغلب افلام الواقعية الايطالية فى القاهرة بعد الحرب ، وكان لها تاثيرها وخاصة بعد ثورة ١٩٥٢ ، ويذكر صلاح ابو سيف انه شاهد من افلامها ما لم يعرض فى مصر ايضا عندما كان يصور فيلم « الصقر » فى روما ، وأن تاثيرها عليه كان كبيرا •

ويستدل رفيق الصبان على وجهة نظره بأن صلاح أبو سيف أقام ديكورا لسوق الخضار فى فيلم « الفتوة » ، ولم يصور السوق الحقيقى • والواقع ان تاثير الواقعية الايطالية لا يرتبط ارتباطا عضويا بالخروج من الاستديو ، وكم من الافلام اللاواقعية صورت فى الشارع ، وكم من الافلام الواقعية صورت فى الاستديو !

وفى مقال مصطفى درويش عن الرقابة يعطى الكاتب اهمية فائقة للرقابة حين يعدد الممنوعات فى قانون ١٩٤٧ ثم يقول « وفى ضوء هذه المحظورات لا عجب اذا ما انصرفت السينما المصرية عن تناول اى موضوع اجتماعى او سياسى يعايش كفاح المصريين ضد الاستعمار والظلم الاجتماعى » ، و « غنى عن البيان ان المناخ الرقابى الذى من هذا القبيل لا يصلح لازدهار سينما وطنية خالصة ، ومن هنا انحدار السينما المصرية فى الثلاثينيات والاربعينيات الى محاكاة اكثر افلام هوليود هبوطا وانحطاطا » •

ان للرقابة دورها فى تخلف السينما المصرية ، والسينما بوجه عام بالطبع • ولكن الرقابة كانت ، وسوف تظل قائمة ، فى مصر ، كما فى كل بلاد العالم ، ومع ذلك فوجود الرقابة لم يمنع ، ولن يمنع انتاج الافلام الاجتماعية والسياسية أو حتى الافلام الثورية • انها ليست السبب فى عدم معايشة السينما لكفاح المصريين ضد الاستعمار والظلم الاجتماعى ، وليست السبب فى انحدار السينما المصرية • ان الرقابة نتيجة ظرف اجتماعى من نتائجه أيضا السينما التى تراقبها •

وفى ختام هذه القراءة لعددى الطريق والمعرفة لا نملك الا انارة الضوء الاحمر للنقاد السينمائيين فى مصر والعالم العربى لان أهم دراسة عن السينما المصرية فى كلا العددين كانت للناقد الامريكى الذى كتب عن الفيلم السياسى فى مصر الثورية ، واستطاع بمنهج علمى واضح أن يكشف عن تيار كامل فى السينما المصرية ، ويحدد أبعاده كاملة •

ان ما كتبه المصريون والعرب عن السينما المصرية فى هذين العددين اما احكام مطلقة ليس لها سند من منهج أو معرفة ، واما انطباعات تخطىء احيانا وتصيب أخرى بالصدفة البحتة • وطريق العلم طويل ، ويطول كل يوم •



حق الفيلم فى أن يكون فيلما سياسيا

عندما اعترضت لجنة الرقابة فى فرنسا على فيلم « اكتوبر فى باريس » بسبب مضمونه السياسى ، سارع منتجه رينيه فوتيه باعلان الاضراب عن الطعام ، رغم انه مريض ونزيل بأحدى المستشفيات . وارسل برقية الى جاك دوهاميل وزير الثقافة يعلن فيها مواصلة الاضراب «حتى تعلن لجنة الرقابة تخليها من الحكم على الافلام وفق مضمونها السياسى » .

وتضامن عدد كبير من السينمائيين ، مخرجين وكتاب سيناريو ومنتجين مع فوتيه ، وثار الجدل بين الاوساط الفنية والادبية ، حول حق الرقابة فى الاعتراض على الافلام لاسباب سياسية . واجمعت آراء المفكرين على ضرورة الدفاع عن « حق الفيلم فى ان يكون فيلما سياسيا»

ورد وزير الثقافة على فوتيه بانه اعلن مرارا وتكرارا ، وبصورة رسمية امام البرلمان ، انه ليست هناك رقابة سياسية وان من يعنيه الامر يستطيع ان يتأكد من ان وزارة الثقافة لم تتخذ اى اجراء بالمنع السياسى ، وانه اجاز فيلم « اكتوبر فى باريس» واعطى تعليماته للاجهزة المختصة بعدم «الاعتراض السياسى» على الافلام.

وصرح سودى رئيس لجنة الرقابة على الافلام فى وفد من المخرجين الفرنسيين، بأن المعايير التى تطبقها لجان الرقابة الفرعية أو اللجنة الرئيسية لاتشمل معايير سياسية، وآن المضمون السياسى لايوضع فى الاعتبار عندعرض الفيلم على الرقابة.

ولكن فوتيه لايثير قضية التصريح لفيلم بالعرض، بل يطرح مشكلة عامة . ويطالب وزير الثقافة باصدار وثيقة رسمية مكتوبة بعدم الاعتراض السياسى على الافلام. وقد أرسل جاك بانجل مخرج الفيلم الذى اثار الضجة تأييدا لمنتجه فوتيه ، ببرقية الى وزير الثقافة يطالبه فيها بالغاء كافة لجان الرقابة على الافلام ، لان ذلك يحقق الديمقراطية وفى انتظار أن يتم ذلك يتعين على وزير الثقافة ان يصدر وثيقة يؤكد فيها حق الفيلم فى طرح ومناقشة اى قضية سياسية.





عبد الرحمن صدقى
فلنرفع المراسى ونبرح مرافئنا

● فى الشهر الماضى ، طوى الموت واحدا من أخلص عشاق الادب والفن ، ميزه ما ميز جيله كله من دأب ومثابرة ، وأخذ للنفس بالجد والصرامة فى المعرفة والتحصيل ، ثم تلك النظرة الموسوعية الشاملة التى تطوف بكل شىء ، وتتذوق كل شىء ، ثم تقدم ما يروقها للناس ، ثمارا مختلفة الالوان والطعوم .

● ولد عبد الرحمن صدقى فى ١٨٩٦ ، وحصل على البكالوريا من المدرسة الخديوية ، ثم التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية ، وعمل بعد تخرجه بخدمة الحكومة ، فى مراقبة الفنون الجميلة ، ثم فى دار الاوبرا وكيلا فمديرا لها ، وحين أحيل الى المعاش صدر قرار جمهورى بتعيينه مديرا للفنون التعبيرية (السينما والمسرح والموسيقى) بوزارة الثقافة ، ثم مستشارا فنيا لهيئة التليفزيون . وكان عضوا بلجنتى الشعر والمسرح منذ انشىء المجلس الاعلى للفنون، منح وسام العلوم والفنون من الدرجة الاولى فى ١٩٦١ كما منح اوسمة من فرنسا وايطاليا ولبنان تقديرا لجهوده فى دعم العلاقات الثقافية بهذه البلاد .

● كتب عبد الرحمن صدقى القصيدة الغنائية ، وحاول القصص الشعرى [اسطورة الشاعر ، كليوباترا] والمسرحية الشعربية القصيرة (صلاح الدين والفدائيون) والشعر الوطنى والحماسى .

● جمع شعره فى مجموعتين «من وحى المرأة» ومعظم قصائده رثاء لزوجته الاولى ، ثم حواء والشاعر . وقد حصلت المجموعة الاولى على جائزة مجمع اللغة العربية فى ١٩٥٣ ، وكتب العقاد فى تقديم مجموعته الثانية : « هذا الديوان بما فيه من الذوق الواعى والعاطفة المهذبة والمعنى الفطن والكلمة المنتقاة والطبع المبتكر والاطلاع المهضوم يمثل الصوفية الفنية التى انتهت اليها عبادة الجمال ورياضة القلب على حوار قريب من حوار الروح » .

● وقدم عبد الرحمن صدقى عددا من الدراسات الادبية لعل أهمها كتابه «من أبى نواس» عن هذا الكتاب كتب الدكتور طه حسين: « هذا كتاب من اقدم الكتب التى قرئت على هذا العام واعظمها نفعا واشدها امتاعا للقارىء . ولست اغلو اذا قلت انى لا اعرف ترجمة حديثة لابى نواس تشبه هذه الترجمة أو تقاربها »... وقيمة هذا الكتاب لا تأتى من انه يصور

١٥٠ عاما على ميلاد ساندوربيتوفى شاعر المجر الذى بذل دمه ثمنا لحريتها

احتفلت المجر فى الشهر الماضى بمرور ١٥٠ عاما على ميلاد ساندوربيتوفى .. الشاعر الثائر الذى بذل دمه فى حومة الوغى «دفاعا عن حرية الانسان وكرامته فى بلاده ' تماما كما تنبأ لنفسه فى أحد اشعاره .

ولد بيتوفى فى يناير ١٨٢٢ فى احدى قرى المجر لوالد يعمل جزارا . وعاش منذ ايامه الاولى فى اعماق النظام الاقطاعى الارستقراطى . ولكن ازدهار اعمال ابيه نسبيا مكنته من الالتحاق بالدراسة الى حين . فعندما بلغ الخامسة عشرة اجتاح فيضان ١٨٣٨ منزل اسرته ودمر ثروتها ، وقضى عليها وعليه بالفقر والحاجة فهام على وجهه فى البلاد لمدة ٦ سنوات يبحث عن خطة ، ثم تطوع فى الجيش النمساوى ، اذ كانت المجر حينذاك جزءا من امبراطورية هايسبورج، ولكنه تركه بعد عام ونصف عام وتخلى عن احلامه بمستقبل عسكرى ، بسبب قسوة المعاملة . وكان ذلك بعد ان اطلقت السلطات النمساوية سراح لايوس كوسوت قائد حركة النبلاء فى سبيل حرية المجر ، فانضم بيتوفى الى اوساط الحركة الوطنية . ثم عمل كممثل جوال وذرع أنحاء البلاد كلها فى ١٩٤٣ ، ٤٤ فى ظل فقر مدقع اثر كثيرا على صحته . ولكنه كتب مجموعة من اروع اشعاره فى هذه الفترة وقرر ان ينشرها . ومضى الى العاصمة سائرا على قدميه عدة مئات من الاميال فى عز الشتاء، ينتابه «احساس المقامر الذى وضع مصيره على المائدة، اما الموت او الحياة » كما يقول . ولكن المعجزة حدثت . فبعد ان قرأ ديوانه ، ميهالى فوروسمارتى اشعر شعراء المجر بعد بيتوفى قرر مساعدته على نشره . وفيما يقل عن ٦ شهور اصبح الممثل المجهول ، شخصية شعبية على نطاق البلاد كلها . والسبب فى نجاحه السريع هو ان حياته الشخصية بكل مافيها من معاناة طبقية ، التقت بموهبة شعرية اصيلة فى تعبير رائع عن آمال واحلام مواطنية . وتكسرت سريعا موجة النقد « الارستقراطى » التى تعللت بخروجه على القواعد المالوفة ، رغم أنه قرا وترجم اعمال هوارس وتاسيتوس وشكسبير وهاين وجوته وبيرانجر وهيجو ودانتى ، من اصولها الانجليزية والالمانية والفرنسية .

ولقد كان الشعر عند بيتوفى مرادفا «للحركة» و «للثورة» ولتحرير الشعب كل الشعب . ومن ١٨٤٦ بدأت واضحة جلية فى اشعاره الافكار الديمقراطية والجماهيرية والوطنية .

وعندما اجتاحت اوربا ثورات ١٨٤٨ لم يكتف بيتوفى بالشعر ، بل غدا منظما وقائدا للثورة الشعبية . ففى ١٥ مارس ١٨٤٨ أثار ونظم وقاد هيئة شعبية فى بودابست اعلنت حرية البلاد ، ولكن بلاط هايسبورج والاقليات القومية المضللة نظمت ثورة مضادة ، مما ادى الى نشوب حرب الاستقلال . ومضى بيتوفى يجند المقاتلين ويدربهم عسكريا بنفسه ، علاوة على أشعاره . وخاض القتال بسيفه لابقلمه فقط ، حتى أصبح مساعدا للجنرال البولندى الذائع الصيت بيم الذى قاد النضال ضد أسرة الهايسبورج، واشترك فى عدة معارك دموية . واشتد نشاطه القتالى والشعرى حينما ساعدت روسيا القيصرية اعداء بلاده ، حتى سقط شهيدا فى معركة سيجيشفار فى ٣١ يوليو ١٨٤٩ .



حياة هذا الشاعر العظيم ادق تصوير واصدقه فحسب ، وانما تأتى كذلك من أن المؤلف قد كتبه فى أحسن لغة واجملها » .

ومن حياة ابى نواس ايضا استمد عبد الرحمن صدقى مادة كتابه المشهور « الحان الحان » الى جانب دراسة مستقلة عن « الحب فى حياة أبى نواس » .

● ومن بحوثه المنشورة فى الادب العربى القديم والمعاصر : جنون العظمة عند المتنبى ، السخرية فى رسالة الغفران ، مسير الحضارة فى العصر العباسى ، حافظ ابراهيم وليالى سطيح، الايام لطه حسين ، وعددا آخر من المقالات عن توفيق الحكيم والعقاد والمازنى وغيرهم ..

● حين تولى تحرير مجلة « السفور » فى سبتمبر ١٩٢١ كتب يقول : « تجاوزت سفن المستكشفين عهد هرقل كما يسميها الاقدمون ، أو كما يقول المحدثون مضايق جبل طارق ، فلم تعد بعدها الحدود الطبيعية التى لا نتجاوز وراءها لمغامرات الانسان . فهل سنلحظ السفن من بعيد ناشرة قلوعها تنفذ الى عرض الاوقيانوس الفواح دون أن نرفع المراسى كغيرنا ونبسرح مراقبنا فى استطلاع دنيا جديدة ؟ » .

وانطلق بعدها مترجما الكثير من نماذج الشعر والنثر الانجليزى والفرنسى ، وبهذا الصدد ايضا نشر عبد الرحمن صدقى بحث عن « الشرق والاسلام فى أدب جوته» الذى نال جائزة الدولة التشجيعية فى ١٩٦١ ، كما نشر دراسة اخرى عن « بودلير ، الشاعر الرجيم » مع ترجمة نماذج كثيرة من شعره .

● ترجم عبد الرحمن صدقى عددا كبيرا من القصص القصيرة جمعها فى كتابه « الوان من الحب » الذى يضم قصة واحدة من تأليفه هى « بلقيس ملكة سبأ » .

● كذلك نشر سلسلة مقالات عن حياته فى دار الاوبرا ، وكتب عن طاغور والمسرح الهندى ، ومجموعة مقالات عن التفسير الجنسى للتاريخ وكتابا — لعله آخر كتبه — عن « مسرح العصور الوسطى الدينى وغير الدينى » .

● عاش عبد الرحمن صدقى حياته كلها بهدف أن ينشر كل ما يستطيع من الوان الفن والادب . كان آخر ما قدمه فى هذا الصدد أن تبرع بمكتبته الكاملة [٢٥ الف مجلد] لدار الكتب ، كى يبقى عبد الرحمن صدقى اشعاع فكر فى حياته وبعد موته على السواء .

ثـلاثة تيـارات أسـاسية في الشـعر الأفـريقى المعـاصر

كان من الطبيعى أن تكتسب الثقافة الغربيه جاذبية خاصة فى البلاد الافريقية فى بدء عهدها بالاستعمار · ففضلا عن أنها ثقافة متكاملة منظمة تتوافر لهـا وسائل الذيوع المادية ، فقد استهوت افئدة ابناء البلاد عندما ظنوا أنها هى اساس قوةالبيض ، ومن ثمفان الوصول الى مستواهم تمهيدا لمواجهتهم يقتضى الاخذ بثقافتهم هذه بل « تقليدهم » . لقد ظنوا أن الاشتراك فى ثقافة المستعمرين ، يكفل الوصول الى اسرار قوتهم وجبروتهم ·

وقد استفادت سياسة « الاستيعاب والتمثل الثقافى » التى اتبعتها الدول الاستعمارية من ذلك كثيرا ، حتى باتت الثقافة الافريقية والادب الافريقى «تقليدا ومحاكاة ساذجة فى معظم الاحوال للادب الغربى · ومع ذلك ورغم سيطرة الفكر الغربى ، ظهرت ارهاصات التمايز خاصة فىالشعر ، ونشطت الدعوة لادب وثقافة افريقيين ، يقومان على بعث تراث الاجداد وتعظيم الحضارة الافـريقية السابقة لعصر الاستعمار · وعبر عنهذا شعراء مثلايميه سيزار وليوبولد سنجور وليون داما وجاك رابيا زيغلو وجاك رابمانا جارا · وكانت الحركه « الزنجية » فى الادب هى التعبير الاوضح عن الرجوع للماضى واحياء ثقافة الاجداد والبحث عن التمايز · ولكن بعد أن تحقق الاستقلال صمت هؤلاء الشعراء ، او انشغلوا بمهام اخرى ، او عجزوا عن التعبير عـن القضـايا الاجتماعية وعن مشاكل البنـاء التـى طرحتها فترة ما بعد الاستقلال ·

وعموما يقسم الكتاب فى الغرب مراحل تطور الشعر الافريقى الى ثلاثة مراحل ، ميزت المرحلة الاولى بالتقليد · وسادت المرحلة الثانية محـاولة احياء وتـأكيد الشخصية والنفسية السوداء بالرجـوع الى مصادر الماضى ، اما المرحلة الثالثة فكان على شعرائها حل المعادلة الصعبة لتحقيق وتأكيد الشخصية الافريقية ، وفى الوقت نفسه ملاحقة التطور والتقـدم العالمى ·

وفى العصر الحالى يسود الشـعر الافريقى ثلاثة اتجاهات اساسية :أولها اتجاه سلفى يستمد الهـامه ووحيه من « القيم السوداء » المستمدة من الماضى كاسلوب لمواجهـة السـيطرة الثقـافية للمستعمرين · ولـكن هذا التيار يلاقى معارضة متزايدة بين الشباب الذى يأخذ عليه انغلاقه ، وانه يؤدى الى « طريق مسدود » والى « العقم » ·

اما التيار الثانى فيعرف بتيار الشعر المناضل الذى يعارض شعراء السلفية . يؤكد ان الهدف الاساسى للشعر هو « الحقيقة العملية »، وينادى بشعر وأدب ثوريين يخدمان البناء الثورى · وينتشر هذا التيار اساسا فى غينيا — وبصفة خاصة بعد العدوان البرتغالى عليها — وفى الكونجو برازفيل التىيؤكد شعراؤها التزامهم الثورى ، خاصة ماكسيم ندبيكا الذى له قصيدة ذائعة تقول :

يا بلدى الحبيب الكنغو
أومن بنهضتك القريبة
وبمجدك ومجد افريقيا
الذى غنى له لومومبا وغنىله الامل
المجد لنضال الاخوة فى فيتنام
فى نيويورك وروديسيا
المقاتلين فى حين ينهمـك الاخرون
فى عد ذهبهم وفضتهم

اما التيار الثالث فى الشعر الافريقى فيقف بين التيارين السابقين · ويؤكـد انصاره انهم يحققون « توليفة جدلية » بين الماضى والحاضر · ويعلنون انهم مع ايمانهم بالخصائص الافريقية وعـدم انكارهم لها ، فانهم لن يكونوا مطيـة للزنجية · ويؤكدون ان المستقبل يعنيهم تماما وانهم مسئولون عنه فعـلا · ويقولون ان الشعر لابد وان يتوافر فيه امرين اولهما ان يضرب بجذوره فى تراث وقيم الماضى ، وثانيهما ان ينفتح على المستقبل وعلىالعالم المعاصر · ويرون ان الفنان الافريقى عليه ان يأخذ زمام المبادرة بين يديه و « يخترع » المستقبل اختراعا ·



أسبوع السـينما العـــربية فى بـــون

اقيم فى بون فى الفترة من ١١ الى ١٨ يناير الماضى اول اسبوع للفيلم العربى فى المانيا الاتحادية . اقامت الاسـبوع الذى تضمن ١٤ فيلما طويلا من ٦ دول عربية الى جانب الكونجو وفيلمين قصيرين من مصر الجمعية الالمانية الافريقية التى سبق ان اقامت فى اكتوبر عام ١٩٧١ اول اسبوع للسينما الافريقية فى المانيا.

أما الافلام الطويلة فهى الفيلم السورى « المخدوعون » اخراج توفيق صالح الذى عرض فى الافتتاح ، والفيلمين المصريين « الارض » اخراج يوسف شاهين — و « المتمردون » إخراج توفيق صالح والفيلم الجزائرى « الافيون والعصا » اخراج أحمد راشدى والفيلم اللبنانى « الغريب الصغير » اخراج جورج نصر والافلام التونسية « العتبات الممنوعة » اخراج رضا الباهى و « وغدا » اخراج ابراهيم باباى و « مختار » اخراج صادق بن عائشة ، و « الفلاحة » اخراج عمار الخليفى و « خليفـة الاقرع » اخـراج حموده بن حليه و « الموت المقلق » اخراج فريد بو جزير وكلود دانة ، أما فيلم الكونجو فكان «صامبزنجا» اخراج ساره مالدرو ، أما الفيلمين القصيرين فهما « رسالة الى العدو » اخراج احمد كامل مرسى و « لن تموت مرتين » اخراج فؤاد التهامى وكلاهما عن العدوان الاسرائيلى

وقد حضر الاسبوع الذى حقق نجاحا كبيرا المخرجين يوسف شاهين وتوفيق صالح ورضا الباهى وابراهيم باباى وحضره من النقاد العرب طاهر الشريعة وسمير فريد ، وحضر كل منهم مؤتمرا صحفيا نوقشت فيه الافلام العربية والقضايا التى عبرت عنها هذه الافلام .

ولا شك أن مثل هذه الاساليب الثقافية هى السبيل الوحيد للتعريف بالسـينما العربية فى بلد مثل المانيـا الاتحـادية واوربا الغربية بوجه عام .

الجسر يعرف

شعر : محمد صالح



افتتاحية هذا اللحن مرة
ـ مرة كالحب ؟ ..
كالريح الذى اجتاح يقينى ـ
وشـــمتنى فى ذراع النيـل
ـ يوما ـ شجره
واصـطفت من رملة الشـاطىء
طينى
ثم زفتنى عصا منتصره
ـ زمن السحر ـ
وردت حاسدينى
افتتاحيـة هـذا اللحن تغلى
ـ فى حشا الارض ـ
براكين ؟ ..
وتشدو قبره
تتعرى ؟ ..

وانا تعرى غصونى
يتشهانى دوار الرقصه
وتشهانى عذابات اللحون
عرس النار ؟ ..
وعرس الثورة
عرسى ؟ ..
والعرس عرسى ؟ ..
فاحفظينى
واحفظى بالصدر هذى الجمره
واقتلى حزنك ؟ ..
واريه عيونى
وامسحى عن جبهتى ـ

عن جبهتي — والصحره
تجبن الرمل ، ..
وأحلام السجين .

● ● ●

الجسر يعرف كل شيء .
ويحس — رغم تبلد الاسفلت —
سخط العابرين —
يحس —
شيء ما ..
يحدثه بأنجريمةاخرى تكون ؟ ..
بأنهم قدموا لذات الشيء :
يرمى قاتل فى النيل خنجره ، ..
ويغسل كفه ، ويغيب —
يعرف —
تعرف الاشـــــجار ان طلاءهـــا
الجيرى ..
يسقط بقعة حمراء ؟ ..
يبقى زهرة حمراء .
والتمثال يعرى حبه الوثنى ؟ ..
ينزف صمتها النارى — فيه —
ويصخب الايقاع .
واسعة شطوط النيل ..
واسعة —
توازى الدم والامواج ؟ ..
موج آخر ودماء ترحل فى عروق
الجسر ، ..
طال السفر الاعمى ؟ ..
وما يرتاح ، ..

لا يصدق ميناء ؟ ..
ولا شبيه العشق :
كأن الدم غير الدم ، ..
والنار نقيض النار .
هذا القمر الليمونة ، ..
الاغنية الجرح ، ..
المدى المدية ، ..
يرتج عليه .
الآن :
موتين تكون الشمس ؟ ..
شمسين تصير النار ، ..
نارين يكون الموت —
يرتج عليه —
الآن :
يلتاث ، ..
وهذا النهر كافر ..
النهر كافر .

● ● ●

تسقط الشمس بكفى ثمره
وتطول القمر العالى يمينى
وترد الموجة المنحسره
عطش الرمل .
وتساقط دونى ؟
دعة النهر ، وعجز البرره
وجنى الحلم ، ..
وأوجاع السنين
وتكونين الهوى والسفره
وتكونين دما ..
فوق جبينى ..



قولوا لعين الشمس:

تبرير الذات وغمز الواقع

فاروق عبد القادر



نجيب سرور

التصدى للكتابة عن مسرحية نجيب سرور ـ وهو الان طريح المستشفى يعالج من امراض النفس والجسم ـ امر محفوف بالمزالق . اول المزالق واكثرها اغراء هو ابداء التعاطف ـ بالصدق او الادعاء ـ يخفى وراء واجهته البريئة قدرا من التعالى لا شك فيه ، يتخذ صورة التصدق النقدى ـ لو صح التعبير ـ كان يد الناقد اصبحت هى العليا ، ويد الفنان المسرحى هى السفلى ! .

نلك موقف مرفوض دون تردد . ان الاعمال الفنية لا تقدم من باب الشفقة. ولا يجب ان يتم تقويمها من باب الشفقة كذلك ،وما دام العمل قد نبض بالحياة على خشبة المسرح فقد أصبح ملك جهد العاملين فيه والمتلقين له ، ووجبت مناقشته بجدية ، دون اهمال العلاقة القائمة بينه وبين مؤلفه بطبيعة الحال .

ويحتفظ تاريخ المسرح بقائمة تضم كثيرين من الفنانين مرضى الروح والنفس، فنحن نعرف أن **أنتونين ارتو** ـ وتأثيره على المسرح الحديث أوضح من أن يختلف حوله أحد ـ قضى عشر سنوات من حياته [٣٧ ـ ١٩٤٦] فى مستشفى للامراض العقلية، ومن قبله كان **أوجست سترينبرج** ـ المزواج المطلاق ـ يرى نفسه هدف مؤامرة دولية تشترك فيها أطراف كثيرة ـ من بينها زوجته وأقرب أصدقائه ـ وقد خاض أزمة نفسية عنيفة فى فترة من فترات حياته أسماها «**فترة الجحيم**» ونعرف أن **تنيسى ويلىامز** أدمن الشراب والمخدر زمنا تضاءلت فيه قواه الابداعية ونعرف أن **جان جينيه** لص ومنحرف ، **وأندريه جيد وأوسكار وايلد** .. كذا وكيت .. ..

وفى الحقيقة لا تنتهى قائمة اضطرابات الفنانين وعذاباتهم الروحية والنفسية . لكن السؤال يأتى بعد ذلك : ما هو الجهد الذى يبذله الفنان كى يتحرر من اضطرابه ؟ اقرأ « **الطريق الى دمشق** » **لسترينبرج ، راجع أعمال تنيسى ويليامز** [**خاصة : قطة فوق سطح ... اورفيوس ، ليلة السحلية**] ، راجع أعمال **أرتور أداموف** فى ضوء اعترافاته .. ستجد فى كل هذا شيئا هاما : **ان هؤلاء الفنانين يحاولون ـ بجهد ارادى خارق ـ أن يتحرروا من اضطراباتهم النفسية العميقة بتجسيدها فى رؤى** وشخصيات ومواقفه ، بل ان بصمات هذا الجهد الارادى واضحة كل الوضوح فى الجهد الارادى واضحة كل الوضوح فى اعمال كاتب مثل **أداموف** : مسرحية بعد أخرى استطاع أن يقهر عصابة ورؤاه وكوابيسه وهذياناته وأن يتخذ منها مادة خام .. من تلك التى يحتاجها الفنان دائما للتعبير عما هو داخل الذات ،وأن يخرج من أسرها الى العالم الفسيح : عالم الواقع والحقيقة ، وصراع الانسان الدائم كى يقهر « الجوانب القابلة للشفاء ، وتلك المستعصية على الشفاء فى وجوده الانسانى .. » .

فهل نجد شيئا من هذا كله فى مسرحية نجيب سرور ؟

بعضنا يذكر عمليه السابقين **ياسين وبهيــة** [مسرح الجيب ١٩٦٤] ، **وآه ياليل ياقمر** [مسرح الحكيم ١٩٦٨] فى هاتين المسرحيتين اختار الكاتب من

المأثور الشعبي « نبهة » واحده هي حكاية ياسين وبهية ، وأسقط عليهما دلالات أخرى غير دلالاتها في أصلها التراثي، في العمل الاول حكت المسرحية آلام الفلاحين في قرية « بهوت » ، وثورتهم ضد الاقطاع بقيادة ياسين، وقتل ياسين وهو يقودهم لحرق قصر الاقطاعي الذي كان يهدد بهية في عرضها . وقدمت « آه ياليل ياقمر » بهية في مرحلة جديدة : انتهى الاقطاع ، وظلت وفية لذكرى ياسين حتى لاح في حياتها رجل آخر هو أمين فارتبطت به ، ومن خلالهما عرض الكاتب فترة أخرى من فترات النضال المصري حتى معارك القناة في ١٩٥٢/٥١ ومصرع أمين بين العمال والجنود الذين قتلوا فيها .

لابد أن نضع هذا كله في الاعتبار اذا شئنا أن نفهم ما يعرض علينا باسم « قولوا لعين الشمس » ، والذي كان مفروضا أن يعرض تحت عنوان آخر [في نص مسرحية ياليل ياقمر ، وفي كتاب نجيب حوار حول المسرح اشارتان لهذا الجزء الثالث من المسرحية بعنوان آه يابلد] . واذا كان لنا أن نتحدث عن ثلاثيات في تاريخ المسرح [أشهر الامثلة ثلاثية ابسخيلوس « الاورستية » وفي المسرح الحديث ثلاثية أونيل « الحداد يليق بالیكترا »] فيجب أن نشير لان كل جزء من أجزاء الثلاثية يجب أن يكون وحده عملا قائما بذاته ، صحيح أن الاعمال الثلاثة تتناول «موضوعا واحدا» لكن هذا لا يسقط عن الجزء استقلاله، وقدرته على أن ينقل — وحده — رسالة العمل كله .

ما يقدمه نجيب سرور مختلف تماما . فأنت اذا لم تعرف عمليه الاولين — وعمله الثاني بوجه خاص — ما وجدت معنى لما يعرض عليك . انه يفترض في المتلقي معرفة بعمليه السابقين — علما لاتتوفر للكثيرين — وبدونها لايستقيم المعنى ، ولا تتضح أمور كثيرة، حتى دلالة الاسماء نفسها .

انما من خلال بهية وعلاقتها بعطية — امتداد ياسين ثم أمين — وابنيها ياسين وامينة [لاحظ الاسماء] يريد الكاتب أن يعرض فترة أخرى من التاريخ المصري من ٥٢ الى مابعد ٦٧ . وقد تعذبت بهية عذابا طويلا ، أقامت في بورسعيد ، ثم في السويس تعمل من اجل رعاية ابنيها ، ومن أجلهما ترفض الزواج بالجندي عطية [الموقف نفسه في ياليل ياقمر] رغم تحريض أمها ، وتدفعه برفضها لان يذهب للعمل في السد العالي بعد أن أنهى خدمته في الجيش ، ومن هناك يعود بعد أن قطعت ذراعه . وترى بهية في الحلم ياسين وأمين يحذرانها من ٦٦ ، وهي تريد أن تحكي هذا التحذير لاحد فلا تجد سوى الهزء والسخرية واللامبالاة ، ويعود عطية — الجندي ثم البناء — ليعمل في وظيفة مدنية فيلقى عناء كبيرا ، ويجند ياسين الصغير ، وتحدث هزيمة ٦٧ وتتحقق النبوءة ، فتحذير الميتين انما كان يعني ٥ يونيو .

وتنتهي المسرحية بدعوة لان نعرف أعداءنا ونواصل النضال .

لكن تلك هي المظلم العارية للمسرحية فاهم ما فيها — قبل هذا كله — شيئان:

● **الاول** : هو هذا النقد الساخر ، والساخر ، لبعض أوجه الفساد في الداخل ، يعكسها عطية وعلاقته بزملائه ورؤسائه في العمل ، وبهية في حيرتها امام رجال السلطة [بعض رجال البوليس] وهي تحاول أن تنقل لهم نبوءة الحلم ، وياسين الابن فيما يراه حيث يعمل . كل هذا النقد يدور حول محور واحد : أن الجميع لا يبالون بغير مصالحهم الشخصية فقط ، وكلما ازداد المسئول رفعة وعلوا كلما ازداد انتهازية وقدرة على المراوغة . هذا النقد هو ما يلقى استجابة ساخنة من الصالة [الاسباب واضحة] ، ولعلك لو خلصت المسرحية منه — خاصة أنه يتكرر على ألسنة الجميع بنفس الافكار والكلمات تقريبا — ما بقي منها شيء كثير .

● **الثاني** : هو هذا الدفاع ، المرور — من الذات والانزلاق الى تبرير افعالها ، دون قدرة على تصفية هذا كله ورفعه الى مستوى فني . ولنقل بوضوح ان شخصية المغني — وتكاد تكون كل الفصل الثاني — لا ضرورة لها في نسيج العمل كله ، وهي في نفس الوقت لا ترتفع الى مستوى من الشمول بحيث تصبح رمزا في العمل ، ولا تكتسب كلماتها قدرة الشعر على التكثيف والايحاء . انما يقتصر دورها على أن تردد — بصورة أو بأخرى — ما تقوله بعض الشخصيات من غمز ولمز لمظاهر الفساد في الواقع ان هذا المغني — الحاصل على شهادات في الموسيقى والغناء من أنحاء العالم — غير مسموح له بالغناء . والامكانيات البديلة المتاحة أمامه هي ان يظل يسكر ويسكر ، ويقترض ويسكر ، ويتسول ويسكر ، أو أن يعمل بالجاسوسية فيحصل على مال وفير ، وتتفتح أمامه ابواب الشهرة الموصدة ، أو أن ينهي حياته . وهذا ما فعله حين أطلق على نفسه الرصاص في الفصل الثالث .

لا هدف لهذه الشخصية ولا وظيفة لها غير تبرير الذات ، والتركيز على انتزاع التعاطف معها انتزاعا . لم أستطع — ولم يستطع كثيرون غيري معي أن يروا وجه **صلاح قابيل — الذي لعب دور المغني فاداه أداء حسنا — ، بل** كان يطالعني دائما من ورائه وجه نجيب سرور المعذب ! .

هذا نفسه ما يتردد في مشهد مرضى مستشفى الامراض العقلية اللذين جاءا للبحث عن مريضة عمياء هربت من المستشفى — اذ تضاء لهما انوار الصالة فيرطمان في ممراتها — جريا على قواعد اللعبة التي أصبحت سقيمة ممجوجة — ثم يجلسان ليتحدثا الى جندي البوليس — والينا — حديثا بلا ضرورة عن مستشفى الامراض العقلية وكيف يجن من يدخلها حتى لو لم يكن كذلك ... الخ .

لامعنى لهذا المشهد اذا لم تضع في ذهنك تلك الخبرة المؤلمة من نجيب سرور : قضائه مدة أيام في مستشفى الامراض العقلية ثم خروجه منها .

أي معنى لعمل فني لايقدم كثيرا الى جانب تبرير الذات ورواية أحداث الواقع دون تصفيتها وصياغتها صياغة ترتفع بما هو خاص وذاتي الى ما هو عام وشامل ؟ .

● كان من المفروض ان يخرج هذا العمل مؤلفه ، لكنه تخلى عنه ، وبقيت المشكلة قائمة حتى بادر **توفيق عبداللطيف** واحد من شباب المسرح الذين تعلق عليهم آمال كثيرة — فقام بتنفيذه . من الظلم أن نحاسبه على هذا العمل وقد حرم أوليات حق المخرج : اختيار النص والممثلين، والفترة الكافية لانضاج العمل ، ومن الانصاف له أن نقول أنه نفذه تنفيذا جيدا في غير بهرجة ولا تظاهر ، بل نجح في تنفيذ بعض المشاهد بوجه خاص (مشهد حلم بهية مثال واضح] ، واستطاع بتحريكه الدائم للممثلين ان يتغلب على قدر كبير من تفكك النص واجترار أفكاره وكلماته .

كانت الحرفة هي طابع أداء سميحة أيوب وعبد الله غيث في الدورين الاولين في العمل ، حاولا أن يقدما أفضل ما لديهما ، وقد فعلا في لمحات قليلة ، وكذلك كان بقية الممثلين : **فردوس حسن وانعام سالوسة وسميرة عبد العزيز ومحمد عناني .**

● **وبعد ..اننا نرجو أن تجد مشاكل الفنان المسرحي نجيب سرور حلا على أرض الواقع لا على خشبة المسرح ، فلعلنا نكسب منه مسرحيا يقول لنا شيئا غير رثاء الذات وتبريرها واجترار آلامها في غير جدوى وغير فن كذلك .**

ولنصل جميعا كي يتحقق له ما يعود به الينا قادرا على الابداع .

التاريخ بين الثورة والثورى فى مسرحية « مجانين »

من العروض المسرحية الرائعة التى تقدم فى الموسم الحالى مسرحية «مجانين : مارا صاد » او «اضطهاد واغتيال جان بولمارا، كما قدمته فرقة تمثل مصحة شارنتون تحت اشراف السيد دى صاد » للكاتب المسرحى الالمانى المعاصر بيتر فايس وترجمة د. يسرى خميس واخراج د . احمد زكى .

د. عبدالوهاب المسيرى

والمسرحية — اذا اردنا التبسيط — هى حوار بين الماركيزدى صاد الذى تمرد على المجتمع الاقطاعى تمردا فرديا وغرق فى التامل والتفلسف والتجارب الجنسية المثيرة من جهة ، وجان بول مارا احد زعماء الثورة الفرنسية وقائد جناحها اليسارى الذى اصيب بمرض جلدى اثناء هربه من السلطة الفرنسية من جهة أخرى. والمسرحية بوضعها صاد فى مقابل مارا لاتناقش الاساس السياسى للمجتمع الحديث وحسب بل تتعرض ايضا لاساسه السيكولوجى .

وقد تعرض صاد للاساس السيكولوجى لحياتنا لانه لايؤمن البتة بالعمل السياسى الجماعى أو بمقدرة الانسان على تحقيق العدالة او على ترجمة مثله العليا الى واقع ، ولذا فهو لا يحس الا بنفسه كجسد خالص بل ولا يرى للثورة اى معنى ان لم تؤد الى مايسميه «بالنكاح الشامل» مجرد تفريغ للطاقات الجسدية الهائلة . ولان صاد لايؤمن بمقدرة الانسان على التغيير نجده لايؤمن ايضا بالعقل ، فالعقل هو نتاج صراع الانسان مع الطبيعة فى حركتها الدائرية التى لامعنى لها ، وهو ثمرة محاولته فرض معنى له شكل يعبر عن ارادته ورؤيته . ولكن احد المجانين فى المسرحية يقفز صارخا باكيا معلنا ان الانسان حيوان بل وحيوان مجنون ، مجموعة من الغرائز التى لاعقل لها ، حيوان يمشى على « طمى رجراج من الجثث البشرية » ، حيوان لم يعرف طيبة او اثينة او بغداد : هذه المدن التى نحتها الانسان باظافره من جبال الطبيعة ، وبيديه شيدها مثلما يشيد الالات والقصائد . ولكن انى لصاد ان يرى شيئا من هذا وهو القابع داخل جسده وهو المقتنع بأن كل « مايفكر فيه الانسان ويخططه » سيختفى تماما ، مثلما اختفت كتاباته هو نفسه بينما كان فى الباستيل . لقد ادار صاد ظهره «لجميع الامم» وانفصل عن وجود البشرية الجماعى ، وبذا انفصل عن التاريخ وانتصرت عليه الطبيعة رغم محاولته الانتصار عليها ، فانسان صاد « شىء طبيعى » يدور فى « حركات دائرية » ، وعلى الرغم من انه يفكر مارا « بلا مبالاة الطبيعة المطلقة » التى يغرق فيها كل شىء بينما عيونها تنظر فى صمت سكون، الا انه يتحول هو نفسه الى مراقب موضوعى لا خلاق له ، تماما مثل الطبيعة التى يمقتها . وينتهى به الامر بأن يطالب بأن يمحى كل اثر قد يخلفه بعد موته : ان الصمت والانتحار هما السبيلان الوحيدان المفتوحان امام من يرفض العقل وتراث الانسان التاريخى .

فى مقابل هذه الفلسفة العدمية يؤكد مارا ارادة التغيير الثورية الانسانية مبينا لصاد ان مايسميه « بلا مبالاة الطبيعة » ان هو الا فقدانه لكل شعور ، ولان الانسان قادر على اقتحام الاشياء وعلى تغيير الواقع فعليه الا يقابل صمت الطبيعة بصمت مماثل ، وهذه هى نقطة الانطلاق فى المسرحية . وقد قال فايس نفسه فى خطاب له : « اذا كان المخرج مؤمنا بأن الماركسية لم تفقد فاعليتها ، وان النقط الاساسية فى كلمات مارا لاتزال على علاقة بواقعنا — وهى نقط تعد تمهيدا لفكر ماركس — فانه يجب عليه أن يشدد على هذه الكلمات وان يستخدمها للاشارة الى الحاضر » وفى اعتقادى أن الدكتور زكى فى اخراجه للمسرحية قد تنبه الى هذه الحقيقة الاساسية ، فهو لايقدم حوارا متزنا بين وجهتى نظر متعادلتين ، وانما يعلن عن ولائه دون مواربة لجان مارا ولمثله . هذا على عكس اخراج بيتر بروك للمسرحية [الذى شوهدت فى نيويورك عام ١٩٦٦] ، فقد حول المسرحية الى عرض ليبرالى لوجهات نظر مختلفة متساوية القيمة .

ان السياق المسرحى للافكار يناقضها ويعدل منها ويحذر المتفرج من الاغراق فى الجدية الثورية . فزعيمنا الثورى المسرحى يجلس فى حوض الاستحمام وكأنه لايزال فى رحم امه، جلده ملتهب وشواحب شوهته البثور [والاصرار على ذكر التفاصيل هو اصرار على خصوصية مارا وفرديته] ، تحاول زوجته أن تغسله بالماء البارد حتى تهدىء من لهيب الحمى [حمى الثورة أم حمى الامراض الجلدية؟] ثم ينشد المنشدون اغنية يبايعون فيها مارا ويتحدثون فيها عن الثورة الفرنسية والبطولة ومطالب الشعب ، ونتقمص نحن المتفرجون فى الدور ، ونهتف بحياة الثورة ومارا جالس مثبت عيونه على خريطة فرنسا ، ولكنه يتألم ويخبر سيمون ان الصرخات تتعالى داخله [فى الترجمة الانجليزية) « غوغاء صاخبة تجرى داخلى » ثم يقولها دون تردد : « سيمون انا الثورة » وهنا يقع مارا فى المحظور المثالى ، فهو بقوله هذا قد اقترب الى حد كبير من صاد الذى يرى ان « الثورة من اختراع بعض الافراد » — وانها لم تكن من البداية سوى امكانية مخيفة للانتقام شكل من اشكال التعبير عن الذات والذات الجسدية الضيقة ، والثورة فى هذا لاتختلف كثيرا عن نشاطاته الجنسية الفردية . ومارا باستخدامه لاستعارات تطهرية كثيرة مثل النار والدماء ، وبجعله ارادته الفردية هى ارادة الثورة ، قد اقترب كثيرا من فكر صاد ومصطلحه . يقف صاد خارج التاريخ غير مكترث يرى المدن تظهر وتنمو ثم تضمحل وتموت وكأنها تفعل ذلك بشكل آلى دون تدخل ارادة الانسان ، فيقبع داخل جسده يتحسس ذاته بشغف وشره ، اما مارا فينظر للتاريخ بأعجاب وله ظنا منه انه هو صانعه ، وانه لا وجود لهذا التاريخ دونه ، فيقبع فى حوض الاستحمام ، ويتحسس ذاته ونداءه للشعب الفرنسى بشغف وشره .

وقد تنبه فايس — صاد [فى مقابل فايس — مارا] لعلاقة الثورة بالثورى ، ولذلك لم يقدم لنا دراسة فى الثورة وحسب بل قدم ايضا دراسة فى سيكولوجية الثورى : علاقته بأبيه وامه وجسده ، واحساسه المتضخم بالاضطهاد ،

واحتشاته المريض برسالته للعالم .

وشارلوت كورداي التي لعبت عزة كمال دورها في اتقان رائع ، هي الاخرى ثورية من طراز مارا، تذوب في رؤيتها وتمتزج بها وتتماوج معها ، تحلم بأحدى بطلات العهد القديم وتحمل سكينها وكأنها تحمل سيف الله . تقول شارلوت بلهجة تنم من انها وحدها تعرف الحقيقة : « عندى مهمة — يجب ان اؤديها » ويقول مارا بنفس اللهجة : « الحق معى — وسوف اقوله مرة اخرى » . وتمازج الثورى بالثورة والذات المعتلة نفسياً بالموضوع هو الذى يساعد على ظهور « الدكتاتور المصلح » صاحب « الكاريزما » ، الواثق من رؤيته كل الثقة ، والذى يفصل الرؤوس من الاجساد دون تردد لانه هو وحده تجسيد للحق . وهذه الشمولية الثورية — ان صح التعبير — هى اخشى مايخشاه صاد : « ان الثورة يا مارا لاتقود الا الى اختفاء الفرد — الى ذوبان بطىء فى شكل واحد متشابه — الى انكار الذات — الى ضعف مميت — فى دولة يبتعد نظامها كل البعد عن كل فرد — ومن المستحيل مهاجمتها » وقد وصف فايس الماركيز — فى الخطاب الذى اشرنا له من قبل — بأنه « ثورى يريد تغيير المجتمع ، ولكنه يخاف السلطة السياسية التى قد تحد من حرية الفرد . وهو فى هذا يشبه المثقفين الاشتراكيين الذين تعذبهم الهوة التى تفصل بين الرؤية الاشتراكية والواقع الاشتراكى ، والذين يرون أنه لابد من ادخال تغييرات اخرى على هذا الواقع حتى يتاتى تحقيق نقطة بدئهم : الهيومانية أو الانسانية » . ويعرف فايس الحوار الدائر فى المسرحية بأنه حوار بين « الفرد من جانب والاشتراكية والشمولية من جانب آخر » اى انه ليس صراعا بين خير خالص وشر خالص يقفان على طرف نقيض ، وانما هو صراع بين نقيضين لكل مزاياه ونقائصه ويكمل الواحد منها الاخر ولهذا اقترح فايس ان تظل « وجهة نظر صاد واضحة طوال الوقت » والا اصبحت المسرحية دعوة تقليدية للنضال دون تجديد أو اضافة ، [واعتقد أن العيب الاساسى فى اخراج الدكتور أحمد زكى أنه لفرط حماسه لمارا رجح كفته كل الترجيح متناسياً ان صاد هو احد ابطال المسرحية ، بل انه اعطى لمارا الحق ان يلقى بخطبة أخيرة ليست موجودة فى النص الاصلى . ولكن اداء صلاح منصور الرائع للدور ومزجه بين التفلسف الذى هو فى جوهره فعل والتأمل الذى ينطوى على اقصى درجات العنف قد اعاد للمركيز كثيرا من وزنه واعتباره] .

واهمية صاد تعود الى ان التاريخ الذى تقدمه لنا المسرحية ليس تاريخا هيجليا عقلانيا مجردا بل هو تاريخ خاص محسوس يحيط به اللامعقول من كل مكان ويهدده فى كل لحظة ، تاريخ يمثله « مجانين » يتركون ادوارهم لينامو ، او



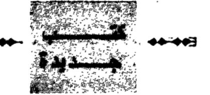
احمد زكى

ليرتكبوا أعمـ جنسية فاضحة ، بل أنه تاريخ يخرجه رجل لايؤمن بالتاريخ . ولكن التاريخ والقوى الثورية التى تحركه تشغل المركز ، ويظل مارا هو البؤرة الذى تنجذب اليها وتنفر منها كل الشخصيات الاخرى بما فى ذلك صاد نفسه ، أما اللامعقول والعبث فيظلان فى الهامش ، ومع ذلك لايطغى التاريخ والثورة على التفاصيل والنزعات المختلفة ، ويمكننا القول أن احترام العبث والعدم واللامعقول والتعرف عليهم هو فى واقع الامر ترحيب بالجدة واحتفاء بالخلق وتأكيد لامكانيات الانسان الفرد اللامتناهية على الابداع وعلى الانحراف ايضا ان شاء ، وهذه الامكانيات هى التى تمنع التاريخ فى نهاية الامر من ان يتحول الى ثقل مجرد ينوء بحمله الانسان بدلا من ان يظل وعيا انسانيا متجددا يساعدنا فى مجابهتنا للمواقف المختلفة التى نواجهها وفى صراعنا مع الطبيعة داخلنا وخارجنا . ان الحوار بين الطرفين كما يقول فايس « حوار لاينتهى » والا انغلق صاد على نفسه واصبح جسدا وانغلق مارا على نفسه واصبح « الدكتاتور الصالح » ، ولكنه مع ذلك حوار اخلاقى فى غايته ، الهدف منه هو « ايضاح الموقف » ، فكل ما هو لاعقلانى او لا معقول غريب على كاتب هذه المسرحية ، فالعقلانى يجب أن يشغل المركز وكل شىء يجب ان يساهم فى توضيحه لنا وفى تقريبه منا .

والمزاوجة بين صاد ومارا ، والدفاع من الثورة والتاريخ دون التنكر للفرد والدفاع عن الجسد دون التنكر للثورة والتاريخ كان يستلزم مسرحا من نوع خاص ، ولعل هذا يفسر استفادة فايس من مسرح انطونين أرتو المخرج الفرنسى ووسائله المسرحية وكذلك من مسرح برتولد برخت ونظرياته المختلفة . حاول ارتو ان يعيد المسرح الى بدائيته الاولى بحيث تشترك الموسيقى والاشارات والحركات العنيفة فى خلق جو هو اشبه بجو الطقوس السحرية التى يشارك فيها الناس والمتفرجون . ويهدف مسرح ارتو الى خلق ضرب من المشاركة الكاملة من جانب المتفرجين يلغى أية تساؤلات عقلية واعية بل أنه يعود بمعنى الشىء لفكرة « الكاثارثيس » او التطهير الارسطية بخصوص تطهير عواطف المتفرجين عن طريق « التعاطف والرعب » ، فأرتو كان ينطلق من احدى الافكار الاساسية فى علم النفس الحديث [وفن السحر القديم] القائلة بأن المريض قد يشفى من طريق تقمصه لدور شخصية ما ، او لشخصيته هو نفسه على ان يمثل مشاكله من خلالها ، وهذا هو الاطار الذى تدور فيه أحداث مسرحية [مارا — صاد] ويقف مسرح برخت التعليمى على طرف نقيض من هذا ، فالهدف عند برخت اخلاقى وليس سيكولوجى ولذلك فهو يذكر المتفرجين من آونة لاخرى بأن الاحداث مجرد تمثيل ، ويخبرهم بالاحداث قبل وقوعها بل ويوقف احداث المسرحية ليعلق عليها وهو بهذا يبقى على المسافة بين المتفرج واحداث المسرحية [ولا أدرى لم لم يقطع المخرج المسرحية الى فصول قصيرة حتى يمكن للجمهور مراقبة ما سيجرى من احداث وحتى يمكنه ان ينظر « لمسار التاريخ » بقليل من السخرية وبكثير من الاهتمام] .

اذا نظرنا الى المسرحية من الداخل لوجدناها مسرحية ارتوية فيها استقطابات وشواذ وصور شعرية وشعراء وثوريون موهوبون وثوريون معتوهون وثوريون ثوريون وثوريون فقدوا عقولهم وقلوبهم وأعضاءهم التناسلية ، أى أننا اذا نظرنا لها من الداخل بكثير من التعاطف استوعبتنا التفاصيل ووقعنا تحت سلطان سحرها وطقوسها المجنونة . ولكننا عن طريق الصدمات البرختية ، ومن طريق تذكيرنا بالواقع التاريخى الحقيقى خارج المسرحية ، وعن طريق السرد الوثائقى لبعض الاحداث نضطر للانسحاب لننظر لهـا من الخارج ولنصدر أحكاما أخلاقية متأنية على ما نشاهد ، ولنربط التفاصيل بعضها بالبعض فتفقد كثيرا من سحرها ولكنها تشكل مع ذلك رؤية متكاملة تضم التاريخ ومارا واللامعقول وصاد ، وبهذا لاتختلف التجربة الجمالية المباشرة عن المحتوى الفكرى المركب .

ان المخرج المصرى قد حقق قسطا كبيرا من هذه الامكانيات من خلال فهمه الخلاق للنص وسيطرته على الايقاع العام المركب وساعده فى ذلك مجموعة من الممثلين تتحرك بمهارة وأصالة [باستثناء المبالغة احيانا فى الحركات الكوميدية والاستغراق فى الرقص حينما لايستدعى السياق ذلك] وكان لتصميم الديكور الذى قام به د. صالح رضا دخل كبير فى انجاح هذا العرض المسرحى ، فالديكور بألوانه الرمادية وخطوطه الحادة المتوازية كان يختفى بسهولة حينما يكون الحوار دائرا بين مارا وصاد ولكنه كان يظهر بشكل واضح حينما يلعب بقية الممثلين أدوارهم .



يا ليل يا عين
« سهراية مع الفنون الشعبية »

تأليف : يحيى حقى
الناشر : دار الكتاب الجديد ١٩٧٢
تحليل : فوزى العنتيل

حين اخذت فى حماس شديد اقرا مقدمة هذا الكتاب اعترتنى دهشة مباغتة اعقبتها حيرة الذى يسلك طريقا واسعا وقد تأهب لرحلة طويلة ، ثم يفاجأ بعد خطوات قليلة بأن الطريق مغلق .

او ليس هذا شعورا طبيعيا لقارىء يشحذ كل حواسه لقراءة موضوع معين لكاتب يعرفه حق المعرفة ثم يكتشف فجأة بعد المسافة بين عنوان الكتاب والمدخل اليه . وتزداد حيرة القارىء حين يهصر اللغة امامه وقد تعرت من كل ما يسترها . ووقعت الفاظها فوق الدبابيس المسنونة تغطيها بقع من الدماء .

تبدا المقدمة بهذه العبارة :

اول كلمة يقولها هذا الرجل بوقاحة للبنت الحلوة المسكينة الواقفة امامه فى مكتبه ، انتظرت طويلا وبلى نعلاها قبل أن تنال شرف المثول بين يديه الطاهرتين ربما تشفعت للسكرتيرة بالدموع : ارفعى ذيل ثوبك ، اريني ساقيك .

طبعا كان هذا قبل مودة المينى جوب ، يمتحن ساقيها كما يمتحن مشترى الحصان اسنانه ، فاذا اعجبته البضاعة سألها

رقص أم غناء أم بهلوانة ؟

هذا هو امبرزاريو الكباريهات بجلالة قدره ...

اثارت هذه العبارات فى نفسى مزيجا من الشعور بالدهشة والفزع ، ثم ادركت ارتباطها الطبيعى بالكتاب حين دفعنى عناد الفضول الى قراءته .

والان وانا اهم بعرض موضوع هذا الكتاب تزداد حيرتى اكثر من ذى قبل . هل يكفى ان اقول : **انه حكاية ذكريات تتحدث عن بداية تقديم الفنون الشعبية على خشبة المسرح الرسمى ، وقصة ميلاد اول فرقة للرقص الشعبى فى تاريخنا الحديث ؟**

وليأذن لى القارىء فى تاجيل الاجابة من هذا السؤال .

فى الفصل الاول يحدثنا الاستاذ يحيى حقى عن انشاء مصلحة الفنون فى سنة ١٩٥٥ ولايته مقاليدها .

وتتوالى الاحداث حين تفد الى القاهرة فرقة للرقص الشعبى جاءت من الصين الشعبية تنفيذا لاتفاق ثقافى ينص على تبادل زيارات فرق فنية . ثم كان وعد بزيارة فرقة مصرية للصين ، وبدأت قضية جديدة هى : هل لدينا رقص شعبى ؟ .. حتى يمكن ان نرسل للصين لوحات رقص شعبية ؟ .

والسؤال الذى يبدو غريبا الان كان طبيعيا فى هذه الحقبة ، فالتفكير فى فنون الشعب وآدابه ومأثوراته بصفة عامة قد يشغل بعض المثقفين ، ولكنه لايدق الابواب الرسمية حتى يسبقه الاعتراف بسيادة الشعب ثم الايمان بابداع الفطرة الخلاقة فى وجدانه الجماعى .

يقول الاستاذ يحيى حقى : « لم يكن السؤال مطروحا من قبيل البحث النظرى بل من واقع التجربة ، فقد سبق لمصلحة الفنون ان اوفدت الاستاذ زكريا الحجاوى ليقوم بمسح جغرافى لفنوننا الشعبية ، طلب اليه أن يجوب بلدنا من شماله الى جنوبه ، من شرقه الى غربه ليلتقط لنا نماذج صادقة اصيلة لما يمكن ان نسميه بالرقص الشعبى ، اذ كان الغرض ان نقدم عرضا شاملا للفنون الشعبية بمناسبة عيد الثورة .

وسافر زكريا ...

وعاد زكريا بعد ان كدت انساه ، ووقف امامى وعلى وجهه شحوب .. لوزة عينيه استدارت كالزرار وضاقتمن كثرة التعب والسهر .

ويستأثر حصاد هذه الرحلة بصفحات كثيرة يصعب تلخيصها تبدا بسلسلة من المآزق بدخول هذا « الجريق » من الرجال القادمين من اعماق الريف ، وتتدرج الى المشكلات الفنية التى تستتبع محاولة انتزاع هذه الفنون من اطار الحياة الواسعة الى خشبة المسرح المحددة .

ولقد صور الاستاذ يحيى حقى الاثار البعيدة المدى ، والاخطار التى كشفعنها هذا المهرجان — الذى اقامته مصلحة الفنون سنة ١٩٥٥ — من الاغنيات الدارجة التى تقدمها الاذاعة على الاغنيات الشعبية : نصوصا والحانا .

اما الرقصات الشعبية فان الحصيلة التى ظفر بها هذا المهرجان بعد بحث فى طول البلاد وعرضها فقد تمثلت فى رقصتين ونصف :

« رقصة قادمة من الصحراء الغربية هى رقصة « الحجالة » ، ورقصة قادمة من النوبة هى زفة العريس . اى .. من اقصى الشمال .. واقصى الجنوب .

اما ريف مصر بينهما فلم يمدنا الا بنصف رقصة . هكذا اصف مبارزة التحطيب بين رجلين لان نظامها غير متقن والارتجال غالب عليها . ورقصة الحجالة التى تختص بها ضواحى مرسى مطروح والسلوم ، وتعتمد على تثبيت الراقصة لقدميها على الارض ، وتركيز الحركة كلها على الخصر والردفين ، فيرى الاستاذ يحيى حقى انها لا ترقى الى مقام الرقصات الشعبية الا بتحفظ شديد . وقد بنى رايه على تحليل دقيق ومفصل لهذه الرقصة واطارها الجغرافى واجوائها الاجتماعية :

« هى رقصة لا تؤديها الا محترفة لان التقاليد الاجتماعية عند بدو الصحراء لاتسمح لبناتهم بالرقص امام الاغراب . كذلك فان الراقصة لا ترتدى زيا خاصا لهذه الرقصة . اذ لايعرفها المجتمع الا بانها الراقصة سواء رقصت أم لم ترقص .

كما ان جو هذه الرقصة « لا تؤلفه الراقصة وحدها بل لابد ان يكون معها

ايضا حلقة من رجال يحيطونها ويصفقون لها ويؤدى تصفيقهم دور الطبلة فالرقصة غير مصحوبة بعزف موسيقى حتى ولا من دف او صاجات وقوامها هو تبادل نوع من الغزل بين الراقصة والرجال » .

ويتحفظ الاستاذ يحيى حقى على رأى دارسى الفنون الشعبية الذين يسلكون هذه الرقصة فى اعداد الرقصات الشعبية لانه كما يقول يتصور الرقصة الشعبية لا تعتمد على الاحتراف وحده : « لانها سمار حفلات الافراح والاعياد ، وارتباط الرقصة الشعبية فى ذهنى بالمشاركة الجماعية وقت الافراح والاعياد هو الذى يحدد لها زيها .. » .

واخيرا يستند الاستاذ يحيى حقى الى سبب قوى يدعم رأيه هو عجز هذه الرقصة عن الهجرة من بيئتها ، أو بمعنى آخر عدم قدرتها على « الانتشار » والذى هو ركن أساسى بالنسبة لكل مأثور .

وهو محق تماما فى هذه النتائج التى استخلصها اذا اخذنا بها كقواعد عامة . ومع ذلك يبقى الحكم على « رقصة الحجالة » فى حاجة الى بحث طويل يبدأ بالتعرف على موطنها الاصلى ، والتغييرات التى اعترتها قبل ان نتعرف عليها ، ودلالة تسميتها والرموز التى تعبر عنها حركات ادائها . فقد تكون رقصة طقوسية ضاعت رموزها ، رقصة تتصل بالخصب ، أو من رقصات الضحية ، وقد دلت الدراسات المختلفة أنه فى هذا النوع من الرقص نجد دائما : الحلقة ، وكذلك نجد الضحية فى الوسط . وربما كانت هذه الحركات التى تؤديها الراقصة فى أصلها تمثيلا لبعض شعائر الزواج القديمة ، او مجرد تعبير انفعالى عن الفرح أو الحزن فحسب .

والجواب عن مثل هذه الفروض يحتاج لان تسبقه دراسة متأنية مريضة .

ونتابع مع المؤلف تأمل اللوحة الرائعة التى رسمها لرقصة « زفة العريس النوبية .. » وهى رقصة جماعية مصحوبة بغناء ولا تسألنى ان اترجمه لك . وينتظم الراقصون فى صف أفقى ، وتتلاحم الاكتاف لا فى حلقة ، ولهم ان يلبثوا فى مكانهم أو أن يسيروا بخطى بطيئة وهم يرقصون حسب خطى الزفة ، ولا يتبين جمالها وايقاعها الا اذا اداها شبان طوال لهم قامة مشبوقة لانها تعتمد على حركة تموجية تتمشى فى الجسد كله بالطول لا بالعرض كأن الابدان سطح النيل تهب عليه من الرأس للقدم ريح وسط بين الشدة والرخاء وتصل الذراعان وهما ملتصقتان بالجنبين مثل المجداف » .

ثم ينقلنا الاستاذ يحيى حقى نقلة جديدة الى ما اسماه بنصف الرقصة . مبارزة التحطيب وتقاليدها العريقة . او بتعبير آخر آداب هذه اللعبة ، وانا أميل الى ادخالها فى باب الالعاب الشعبية لا الرقص .

وبعض الدارسين يصنفونها ضمن العاب المباريات أو المنافسة ، ويقولون انها ليست سوى تمثيل لمواقف حربية قديمة . والمبارزة بالعصا كانت من الالعاب الاثيرة فى مصر ، ومن مناظرها — كما يقول الدكتور عبد العزيز صالح — ما يدل على أن الفراعنة كان يلذ لهم أن يشهدوها . وقد بدأت فى مصر ماقبل التاريخ كوسيلة للدفاع عن النفس ، ثم تطورت الى رياضة خشنة للشجعان ، كما يقول الاستاذ احمد الصباحى فى تتبعه لتاريخ التحطيب. ثم تحولت على مر العصور الى مبارزة بالسيف لدى الخاصة . ولكن العصا ظلت من أحب المهارات الى الشعب ، ثم تطورت لعبة التحطيب الى ما يشبه الرياضة الفنية وصارت تهدف الى جمال الحركة وخفتها ورشاقتها والمحاورة والمداورة .

وقد أورد العلامة أحمد تيمور أن بعض العرب يسمونها لعبة « اللبخة » ، وذكر ما قاله الشعرانى فى « لواقح الانوار » عن عثمان الحطاب المتوفى سنة نيف وثمانى مائة : « وكان شجاعا يلعب اللبخة فيخرج له عشرة من « الشطار » ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويرد ضرب الجميع فلا تصيبه واحدة .

ويرجح العلامة احمد تيمور ان لقبة « الحطاب » جاء من شهرته بلعبة التحطيب . ولا ينبغى أن يفهم من هذه الملاحظة العابرة أى اعتراض على تقديمها على المسرح ، فان الالعاب الشعبية اذا احسن اعدادها يمكن ان تشكل لوحات رائعة . وما ازال اذكر كيف استطاعت فرقة الصين الشعبية أن تبهر المشاهدين حين قدمت فى القاهرة اللعبة الشعبية التى عرفناها فى الريف والتى يمثل الاطفال فيها دجاجة يحتمى بها أفراخها من الغراب [النوحى] الذى يحاورها طويلا ، ليظفر ببعضها .

فى النصف الثانى من الكتاب يحدثنا الاستاذ يحيى حقى عن اعداد فرقة الفنون الشعبية التى انعقد العزم على ارسالها للصين الشعبية اذا نجحت فى مصر أولا .

ويجيء دور البحث عن اسطورة شعبية « لا تنقلنا الى عالم الخيال فحسب او الى عالم نغر فى ضياء الفجر لم يجف بارتفاع شمس النهار أو بتفسير من التاريخ أو تقنين من العلم بل تنقلنا الى عالم السحر » .

ثم كان اقتراح من الاستاذ « توفيق حنا » بالانتفاع باسطورة ياليل ياعين وداوت محاولات مضنية للعثور على نص مدون يروى هذه القصة ، فراويها الوحيد حلاق فى الاسكندرية اسمه ياتوت ، وهو على حد تعبير الاستاذ يحيى حقى « اسم اسطورى هو الاخر » .

وتستغرق مشكلة اعداد « ياليل ياعين » — لتلائم العرض المسرحى — ما بقى من صفحات الكتاب ، وهى صفحات رائعة فى الوفاء لذلك الجهد المضنى الذى ادته فى صمت كوكبة الادباء والفنانين بدأوا فى تمهيد الطريق الشاق الى شرفات الفن العالية حتى تصعد مشاهد من ابداعات الشعب ، هذه الشرفات التى كان محظورا على الشعب أن يمر من تحتها ولو من بعيد .

ويرتفع الستار عن « ياليل ياعين » فى دار الاوبرا فى سبتمبر سنة ١٩٥٦ ، وينزل الستار فجأة حين يقع العدوان ، ويكمل الاستاذ يحيى حقى بقية القصة :

لم نكن نحسب أن « ياليل ياعين » وهى تتعرض للتأجيل قد ألم بها الموت ، فانها لم تر النور بعد ذلك . والسؤال الان : اين اغانينا ، اين نوتتها ، الله اعلم ، لماذا لا يستفيد منها الراديو والتليفزيون ، لست أدرى ! » ..

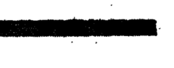
وحتى لا يتوه القارىء فى دوامة التساؤلات نعود به الى مقدمة الكتاب لنطالع من جديد حكاية « امبرازريو الكباريهات بجلالة قدره » .

ولنتابع خط « سفر عجيب لشحنات الرقيق الابيض من جنوب شرق أوروبا الى غرب آسيا ، يماثل خط سفر آخر ، أدهى وأمر ، لشحنات من هذا الرقيق من غرب أوروبا وجنوبها لمعمور الاطلسى » .

وبعض المآسى أهون من بعض مع الاعتذار للشاعر القديم . واذا كان قد بقى شيء يقال ، فهو الاجابة المعلقة منذ بداية هذا الحديث ، هل يكفى القول عن هذا الكتاب بأنه حكاية ذكريات ميلاد أول عرض للفنون الشعبية على خشبة المسرح .

لا أعتقد ان الامر يمكن أن يكون بهذه البساطة ، فالى جانب التأمل البصير الموغل فى اعماق الحياة الشعبية معبرا عن خلجاتها ، والى جانب هذا التحليل الدقيق لاخص سمات الفنون الشعبية تتألق اللوحات التى تصور فى براعة أدق الملامح والسرائر ، وتلخص المعانى المطولة فى الفاظ شديدة الاقتصاد والتألق والتأثير . ولقد سألت نفسى لماذا سمى يحيى حقى هذا الكتاب : سهراية مع الفنون الشعبية ؟ وقلت لعله يريد الا يجعل طرفى القضية هى : الكاتب والقراء بل يريد لها أن تكون الكاتب والاصدقاء .

■ وصلت المجلة هذه « القصة القصيرة » من كاتبها رفقي بدوى ، ونحن ننشرها هنا بنصها الكامل ، رغم انها تجربة اولى للمؤلف ، ورغم كل ما يمكن احصاؤه عليها من تحفظات فنية .





قصة قصيرة

ربـــات البيـــوت

رفقى بدوى

اليـوم الجمعة وعادة ما نستيقظ متاخرين فى هذا اليوم .. غسلنا أيادينا المتسخة بالشحم ووجوهنا المجهدة .. التففنا حول الطبلية .. وكل منا يحاول أن يتقرفص أكثـر حتى يفسـح مكانا لاخيـه .. واحتوتنا نحن العشرة .. دائما أبى يحب أن يسمع الاخبار .. النشرة والموجز وأهم الانباء .. حتى لو أعيدت قراءتها بصفة مستمرة .. كنت انتظر لحظة خروج أبى الى العمل واحـول مؤشر الراديـو الترانزسـتور الصغير الذى وضعنا له علبة من الخلف بها حجران من الطورش الكبير كى يوفر الحجارة ويوصل الصوت للاسماع .. كنت أحوله على [أم كلثوم]. عندما يذهب للمرحاض أو عندما يترك المنزل ، وضعت أمى امامنا طبق الملوخية الجافة وبعض الخبز المقدد المتلىء بالعفونة .. كنت أضحك على اخوتى الصغار وآخذ اللقم النظيفة وأعطيهم الممتلئة بالعفونة مدعيا بان بهـا فيتامينات .. كثيـرا ما أتشاجر مع أمى من اجل الملوخية .. لاننى مهما أكلت منها لا أشبع واشـعر بالجوع وأن قلبى يكاد أن يتوقف .

عندما ولدت امى أختى الصغيرة قالت لابى « م تشتريش ملوخية لحسن بتنشف سدرى .. وبتحوش اللبن من البنت » .

ظل أبى يحرك مؤشر الراديو باحثا عن الموجز ولكن فى هذه الساعة فضلت الاذاعة ان تريحنى من الانباء المكررة .. نفس انباء الامس هى انباء اليوم .. هى أنباء الغد .. قالت أمى — هاته على ربات البيوت .. فى اذاعة مصر .

« هاتى فرخة وحمريها .. فى السمن البـلدى وجمليها بالبقدونس واصـنعى طبق مكرونة باللحم المفروم واوضـعيها على نار هادية والحلو قمر الدين » .

— ما فيش لقمة نضيفة ياما

— ولا نضيفة ولا معفنة .. خلص .. انتم ما بتبطلوش أكل .. قولوا الحمد للـه .

مطابع الأهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة التاسعة ـ ابريل ١٩٧٣

الطليعة

٤

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

تاريخ قيام وسقوط مبادرة يارنج
الشرق الأوسط : اتجاهات التصعيد الامريكى

هجرة العقول
لماذا ؟ وما الحل ؟

ضرورات الائتلاف الوطنى فى العراق
المؤامرة الأمريكية الاسرائيلية على البحر الاحمر

ـسق
أدب
فن

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

■

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ..

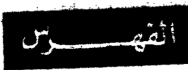
■

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء . القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. — دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .



العدد الرابع — السنة التاسعة — ابريل ١٩٧٣



الشـــــرق الأوســـــط :
اتجاهـــــات التصـــــعيد الامـــــريكى

تتابعت ــ فى خلال الاسابيع الماضية ــ من جانب الولايات المتحدة مواقف واحداث لم تحاول فيها هذه الدولة الامبريالية ، ان تغطى عداءها السافر لحركة التحرر الوطنى، حتى ولو من باب النفاق او الدبلوماسية . ويحضرنا هنا مثالان :

الاول : خاص برحلة **مستشار الرئيس السادات** لشئون الامن القومى . لقد كان جواب الولايات المتحدة ــ كما اوضح الرئيس السادات فى لقائه مع اللجنة المركزية ومجلس الشعب ــ انه ليس لديها سوى حلول جزئية ، وأن مصر مطالبة بتنـــازلات تعلنها على العالم حتى تتمكن الولايات المتحدة من « **تحريك** » ــ مجرد تحريك القضية .

والثانى : يتعلق بزيارة **مائير** الى واشنطن .

فالسيدة مائير لم تستقبل بكل مراسم «الترحيب والود» فحسب ، بل لقد حصلت على الدعم السياسى والعســـكرى والمـــالى الذى طلبتـــه . حتى لقـــد علقت جريدة **الجارديان** اللندنية ، على الزيارة بقولها ، ان اسرائيل ، قد حصلت ، خلال السنوات الاربعة الاخيرة ، على معونات امريكية اقتصادية ومالية وعسكرية تفوق كل ما حصلت **عليه ، من هذه المعونات ، خلال العشرين سنة الماضية .**

وعندما نتعرض لمواقف الامبريالية الامريكية من قضية الشرق الاوسط ، لايمكن أن نفصل عنها نشاطات العدو الاسرائيلي ومواقفه ، لانها ، انما تتم ، هنـــا باتفاق وتنسيق ، وبرضاء كامل من جانب الولايات المتحدة .

ولا أدل على ذلك ، من أن العناوين الرئيسية للصحافة العربية والعالمية دارت حول الوقائع التالية :

● اسقاط اسرائيل للطائرة المدنية الليبية .

● هجوم اسرائيل على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الواقعة على نهرى البارد والوادى فى شمال لبنان . وقيام اسرائيل بقتل عدد كبير من الفلسطينيين .

● تصريحات جولدا مائير أثناء وجودها فى واشنطن ، عندما ذكرت أنها لا تحمل جديدا لتسوية أزمة الشرق الاوسط ، وان اسرائيل لا تنوى الانسحاب من الارض المحتلة ، وان حكام اسرائيل — كما أشار بعض المعلقين — انما يعملون تحت شعار **« ان ماتحت يدنا [من أرض] نتمسك به »** .

● وفى الاسابيع الماضية ايضا ازاحت الصحافة العربية الستار عن مؤامرة كانت قد أفرخت منذ ثمانية شهور ، وانتهت باحتلال اسرائيل لبعض الجزر اليمنية المهجورة فى البحر الاحمر ، وذلك فى مجال قطره ٨٥ ميلا عند باب المندب . وذلك وفقا لتقدير مجلة **التايم** الامريكية [٧٣/٣/١٩] . وتضيف المجلة أنه ، فى هذه الجزر ، تقيم وحدات من الكوماندوز الاسرائيلية . وهناك ، اقامت اسرائيل ، على جزيرة منها — هى جزيرة **دوقار** — قاعدة للاسلكى والرادار .

● واخيرا ، وليس آخرا ، ما اعلنته امريكا من أن طائراتها العسكرية تتجسس على الاراضى الليبية لترصد حركة طائرات الميراج .

وهذه المواقف الامريكية الاسرائيلية المتسمة بالعدوان على الشعوب العربية ، نذكرها لنستخلص منها حقيقة يجب وضعها فى الاعتبار ، خصوصا ، فى المرحلة القادمة . وهذه الحقيقة ، هى أن العدو الامريكى الصهيونى يصعد العدوان ضد حركة التحرر العربية ، ولا يتراجع او « يجنح الى التعقل والاعتدال » ، كما تحاول الدعايات الموالية لامريكا أن توهمنا .

ثم يبقى بعد ذلك السؤال : ولماذا يواصل الحلف الامريكى الاسرائيلى عملية التصعيد ؟ هناك ، بالطبع ، أكثر من سبب . الا انه يمكن اجمال الاسباب الرئيسية فيما يلى :

أولا : ان حركة التحرر العربى الوطنية ، لا تزال فى مجملها ، تقاوم المخططات الامبريالية الصهيونية ، وتعبر عن الصمود ، وذلك على الرغم من كل الانتكاسات التى ألمت بها منذ ٥ يونيو حتى يومنا هذا . وقد ترتب على هذا ، أن عجز الحلف الامريكى الاسرائيلى عن أن يحقق هدفه المباشر ، من وراء عدوان ٥ يونيو ، الا وهو اسقاط النظم الوطنية التقدمية فى البلدان العربية . وعلى العكس ، يمكن القول أن رقعة هذه النظم قد اتسعت . وان الرياح فى المنطقة لم تجر دائما كما اشتهى الاعداء . فمصر لم تتزحزح عن المواقف الاساسية فى المطالبة بتحرير كامل التراب ، وعدم

المساومة على حقوق شعب فلسطين . وكذلك الامر بالنسبة لسوريا . أما العراق فقد وجه ضرباته الى الكارتل الدولى للبترول ، ويبدى ، بمواقف عملية ، ميلا متزايدا الى التقارب مع مصر . وأما ليبيا ، فلم تقتلع القواعد العسكرية من على أرضها فحسب وانما تواصل انتهاج الخط الوطنى المعادى للامبريالية .

ولقد صمدت جمهورية جنوب اليمن الديموقراطية لكل الوان المؤامرات ، ومضت توثق علاقاتها ببقية الدول العربية التقدمية . وأما المقاومة الفلسطينية ، فانها ، رغم مذابح التصفية التى وجهتضدها ،وعمليات التطويق المستمرة ، تجاهد عبر أساليب جديدة للعمل ، من أجل أن تصعد عملياتها فى الارض المحتلة ، ثم لترتبط ، أكثر فأكثر بحياةشعبفلسطين حيثما يعيش ويعمل .

ونحن هنا لا نحاول ، ولا نريد ، أن نرسم صورة وردية للوضع العربى . كلا ، لان الوضع العربى لا يسمح بهذا ، ولان السلبيات فيه أكثر من الايجابيات ولكننا ، اذ نرصد ، أن أهداف العدو ، من وراء حرب يونيو ، لم تتحقق ، حتى الان ، فان هذه الحقيقة ، تدفع العدو الامريكى الصهيونى الى تصعيد نشاطاته بكيفية محمومة ، ضد مجمل حركة التحرر الوطنى العربية . ويعلم الامبرياليون الامريكيون أن تقدم هذه الحركة الثورية ونجاحاتها يحمل باستمرار — وعلى المدى — فى طياته ، تصفيةالنفوذ، والقواعد العسكرية ، والمصالح الامريكية الامبريالية فى المنطقة ، وفى مقدمتها مصالح احتكارات البترول الامريكية .

. **ثانيا** : ومما يدفع العدو الامريكى الاسرائيلى الى تصعيد مواقعه ونشاطاته العدائية ، أن حرب يونيو ، التى باركها ، وأطلق اشارتها ، الرئيس الامريكى السابق جونسون ، قدادت ، خلال ست سنوات تقريبا ، الى ازدياد الترابط العضوى بين الاقتصادين الامريكى والاسرائيلى — بل الاصح أن يقال — الى زيادة تغلغل رأس المال الامريكى وتدفقه على اسرائيل ، بحيث يمكن القول ، بأن المؤسسة العسكرية الصهيونية ، الحاكمة فى اسرائيل ، تجد نفسها ، فى موقف التبعية المتزايدة ، للاحتكارات الامريكية ، وتضعنفسها ، كمتعهدة لتقديم « أرخص جنود » مقاتلين دفاعا عن اهداف امريكا ومصالحها فى الشرق الاوسط .

ثالثا : وأمريكا بعد هذا تصعد نشاطها العدوانى ضد البلاد العربية ، ولا تخفف من حدته . ويحدث هذا ، أيضا ، تحت دافع الازمة الاقتصادية المستحكمة فى العالم الرأسمالى . وأبرز مظاهر هذه الازمة الاهتزاز الذى أصاب ولا زال — يصيب عملات الدول الرأسمالية ، وهو ناتج — فى بعض جوانبه — من الانهيار المضطرد فى قيمة الدولار الامريكى .وفضلا عن ذلك ، فان ما يسمى « **بأزمة الطاقة** » فى أمريكا ، ليس الا مظهرا آخر من مظاهر هذه الازمة الاقتصادية .

هذه الازمات ، تسعى الولايات المتحدة الامريكية بدورها الى تصديرها الى الدول النامية — عموما — وتقاتل بضراوة — فى الوقت نفسه — دفاعا عن الارباح الخيالية التى تنهبها احتكاراتها البترولية فى منطقة الشرق الاوسط .

رابعا : وتزداد عدوانية الامبريالية الامريكية نحو البلاد العربية ، تحتتأثير عامل ثالث ،هو استفحال التناقضات داخلدول المعسكر الرأسمالى والامبريالى ذاته ،

ولسنا في حاجة الى ان نفصل القول في موقف دول السوق الاوربية المشتركة . فهذه الدول لا تنفك عن ابداء مظاهر الاستقلال عن السياسة الامريكية ، ولا تنفك — خصوصا — منذ حرب يونيو ، عن العمل بكل وسيلة ، لكي تحل محل الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط ، وفى كل مكان يضطر الامريكيون الى الانسحاب منه ، مرغمين ، تحت ضغط الحركةالثورية فى المنطقة .

مثل هذه العوامل التي اشرنا اليها — وغيرها — تدفع الإمبريالية الامريكية الى تصعيد نشاطاتها العدوانية ضد الشعوب العربية .

ولقد بذلت فى بعض البلدان العربية وبالذات داخل الاوساط الموالية لامريكا ، محاولات لتخدير يقظة الشعوب العربية ،تحت زعم ان ازمة الطاقة التى بدات امريكا تتخوف من استفحالها ، سوف تجبر الولايات المتحدة على العودة الى جادة العقل والى البحث عن حل عادل للازمة .

غير ان تفنيد هذه المزاعم لا يحتاج — نى الواقع — الى جهد كبير . لانه اذا صح بالفعل أن بعض الاصوات تنادى فى أمريكا بضرورة أن تتوصل احتكارات البترول الى اتفاقيات تفيد — فى وقت واحد — البلدان المصدرة والبلدان المستوردة للبترول ، فان هذه الاصوات ضعيفة وفردية ولا تمثل غير اصحابها . وتبقى ، الغلبة — دائما — للمؤسسة الصناعية العسكرية ، التى تريد أن تفرض على البلدان العربية المنتجة للبترول شروطا مجحفة من خلال كل وسائل الضغط السياسى والعسكرى . ولن يكون تحويل اسرائيل الى ترسانة مدججة بالسلاح ، ولن يكون الحرص الدائم على « ضمان تقدمها » فى مجال التسليح ، الا انعكاسا لموقف احتكارات البترول الامريكية ، والمؤسسة العسكرية الامريكية .

وبالاضافة الى ما تقدم ، فمن المؤسف أن ترفض بعض بلدان المشرق العربية والمنتجة للبترول أن تفكر فى استخدام البترول لمصلحة القضية العربية ، ليس هذا فحسب وانما تمارس الرفض بطريقة قاطعة ، وبكل الاساليب التىتفاقم الانقسام فى صفوف الدول العربية . وفى ظل وضع هكذا ، لا تجد الامبريالية الامريكية نفسها مكرهة على أن تفكر فى التراجع ، أمام مطالب حركة التحرر الوطنى العربية ، وعلى العكس انها تجد مايغريها بتصعيد نشاطاتها واعمالها المعادية .

وربما لا يحتمل المقام بعد ذلك أن نفصل القول تفصيلا فى اتجاهات التصعيد الامريكي الاسرائيلى فى المنطقة . ولكن الظروف التى تمر بها حركة التحرر الوطنى العربية ، تملى علينا أن نتابع باستمرار مخطط الاعداء ليبدو ، فى حجمه الحقيقى ، وبوجهه القبيح .

أما الشعبة الاولى للنشاط الامريكي الاسرائيلى المعادى فتتجه — على الدوام — نحو ضرب النظم الوطنية والتقدمية فى المنطقة — وهى فى مصر تتجه — بالتحديد — نحو تصفية النظام الذى أقامته ثورة يوليو ، خاصة ، بصدد أن تأكد الحلف الامريكى

الصهيونى من أن القيادة الوطنية التى يمثلها **الرئيس السادات** طالما حددت موقفها على أساس :

- التمسك بتحرير كامل التراب الوطنى، فلا تفريط فى شبر من الارض .
- رفض المساومة على حقوق شعب فلسطين .
- رفض الحلول الجزئية .
- رفض مفاوضة اسرائيل .

ان هذه القضايا عاد وأكد عليها الرئيس السادات فى اللقاء الاخير الذى عقده مع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ومع مجلس الشعب .

والشعبة الثانية : فى المخطط الامريكى الاسرائيلى هى العمل المستميت على « تعريب النزاعات المسلحة فى المنطقة » وربما تذكرنا كلمة « التعريب » هذه بكلمة « فتنمة » الحرب أى دفع شعوب المنطقة الواحدة الى أن يقتتل بعضهم مع البعض . وينبغى ألا نرى فى هذا أى مبالغة — من جانبنا — فى خطر المخطط الامريكى الصهيونى . فالواقع أن أمريكا هى التى القت ببذرة الحروب المحدودة فى المنطقة ، وهى تكافح باستماتة — باذلة أقصى الجهود — عن طريق أجهزة مخابراتها ومخابرات اسرائيل لاثارة نزاعات محلية ، لا يستبعد أن يدفع بها العدو لتتحول الى نزاعات مسلحة بين هذا البلد أوذاك . وهدف الاعداء ، هو دفع بلدان المنطقة الى حالة من الفوضى والانقسام سوف تشكل المناخ الامثل لتنفيذ المخططات الامريكية فى السيطرة والمخططات الاسرائيلية فى مواصلة التوسع فى الارض العربية .

والشعبة الثالثة فى المخطط الامريكى الاسرائيلى —وهى المطروحة الان للتنفيذ— هى العمل بكل سبيل على ضرب ومحاصرة الثورة الفلسطينية وتطويق الكفاح الفلسطينى المسلح ، لتصفيته بكل الوسائل المعلنة والخفية . ولقد يفزعنا جميعا أن تجرى مواصلة تنفيذ هذا المخطط ، على مستويات مختلفة ، وفى أحجام متعددة ، وبأيد عربية . فلم يعد يخفى أن الكفاح الفلسطينى المسلح يتعرض لضغوط سياسية واقتصادية . ولم يعد يخفى أن عمليات الردع الاسرائيلية التى تحاول ايهام العرب بأن اسرائيل حاضرة فى كل مكان ، وأنها تستطيع أن تضرب ، فى كل مكان ، نقول ان محاولات الردع هذه ، تزحزح مواقف بعض القوى العربية ، من مواقف المساندة والحماية للثورة الفلسطينية ، وتدفعها الى محاولات تجميد كل نشاط للثوار الفلسطينيين .

والشعبة الرابعة فى النشاط الامريكى المتزايد يتمثل فى أن أمريكا تقوم ، وبكيفية سافرة بتوسيع رقعة الصراع ضد حركة التحرر الوطنى العربية . ذلك أن أمريكا لم تكتف بقبول المسئوليات التى القتها عليها بريطانيا غداة انسحابها من منطقة الخليج العربى [استراتيجية شرقى السويس] . ولكنها تنشط الان — وبنجاح للاسف فى — مشرق ووسط افريقيا ، نشاطا محموما ، لتطويق مصر من ناحية ، ولمحاولة عزل جمهورية اليمن الديموقراطية من ناحية أخرى . وعلينا أن نعترف أن الولايات المتحدة

الامريكية تتحرك فى وسط وشرق افريقيا بتنسيق كامل مع اسرائيل لحرمان مصر من العمق الاستراتيجى الحيوى .

على ضوء هذا كله ، ينشأ ، وضع خطير ومعقد ، يواجه قوى الثورة العربية ، على صعيد المنطقة كلها ، بمهمات جسيمة للغاية .

ولم يعد أمام الشعوب العربية الممثلة فى تنظيماتها واحزابها الوطنية الثورية ومنظماتها الجماهيرية الا ان تتجمع وترص صفوفها حول برنامج ، ليس من الصعب ان تتفق هذه القوى على بنوده الرئيسية .
ان هذا البرنامج يطرح القضايا الرئيسية التالية :

١ — رفع مستوى التعاون والتنسيق ، على كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين الدول العربية ذات النظم الوطنية التقدمية . وفى هذا ، تستطيع كل الطلائع الثورية فى الامة العربية أن تطرح قضايا عملية وملموسة ومباشرة يتجسد فيها هذا التعاون .

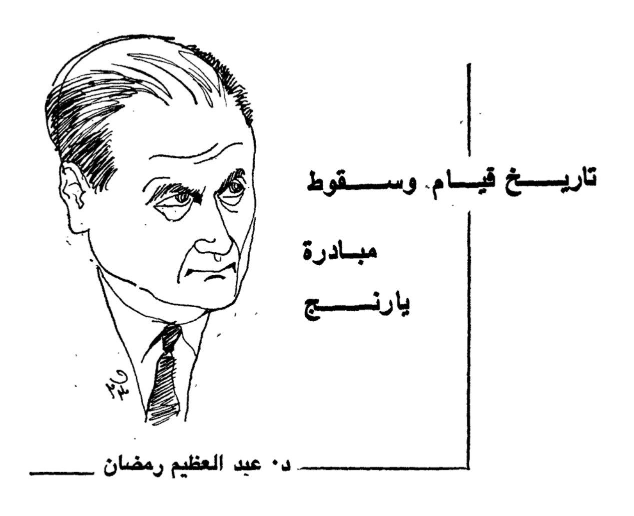
٢ — أن تعبىء كل دولة ، من هذه الدول مواردها على أساس أن الشعوب العربية تخوض معركة — قد تطول . ومعيار الجدية فى هذه التعبئة بالنسبة لكل بلد عربى يمثله مقدار الجهد الذى يبذله هذا البلد لدعم جبهة الصمود الداخلى والوحدة الوطنية .

٣ — ان جدية كل دولة عربية ، تريد الاسهام فى المعركة ، ستظل تقاس ، بمدى فاعليتها فى التصدى ، على المستويات السياسية والاقتصادية والاعلامية للنشاط المخرب الذى تمارسه الامبريالية الامريكية فى المنطقة .

٤ — ثم تبقى ، بعد ذلك نقطة لا تقل أهمية ، وهى ان محك الجدية تجاه قضية فلسطين ، سيبقى على الدوام ممثلا فى الموقف العملى من ثورة التحرر الفلسطينية أو من فصائلها المسلحة ، والطليعية .. هذا الموقف الذى يعنى ، بكل بساطة ، التضامن أقصى التضامن ، مع المقاومة الفلسطينية ، وكسر محاولات التطويق من حولها واحباط كل محاولة لاستيعابها أو فرض الوصاية عليها .

وفى سبيل هذا كله، تظل مبادرات الجماهير العربية المنظمة ، على مستوى الوطن العربى ، هى الضمان ، والركيزة الثابتة لكل عمل ولكل تخطيط يستهدف تحرير الارض ، وتامين الاستقلال السياسى والاقتصادى ، والحفاظ على خط التحولات الاجتماعية التقدمية .

« الطليعـة »



تاريخ قيام وسقوط مبادرة يارنج

د. عبد العظيم رمضان

تستمد مبادرة يارنج فى ٨ فبراير ١٩٧١ اهميتها فى تاريخ الصراع العربى ـ الاسرائيلى من أنها تعد المناسبة التى سجلت فيها اسرائيل على نفسها ، لاول مرة وفى وثيقة دولية ، رفضها الصريح للانسحاب الى خطوط الهدنة التى كانت قائمة بينها وبين الدول العربية قبل حرب يونية ١٩٦٧ ، وبذلك تكشفت اطماعها التوسعية والامبريالية فى المنطقة العربية بصفة رسمية امام العالم اجمع ، وسقطت كل الحجج القديمة التى خاضت تحتها حرب يونية ١٩٦٧ ، كما سقطت دعايتها التى عاشت عليها طويلا فى الماضى ، والتى كانت تصورها دولة صغيرة مسالمة تعيش فى بحر من الكراهية والعدوان .

وكانت هذه المبادرة ايضا اول تجربة سلامية تخوضها مصر مع اسرائيل ، واستخلصت منها صورة كاملة وبليغة للسلم الذى تريده اسرائيل وهو سلم لا يفترق فى شىء عن الاستسلام ، الاستسلام الذى يذهب بكل معنى الشرف والعدل .

وقد كان بفضل السياسة البارعة التى انتهجتها مصر خلال المبادرة ، ما اسقط امام المجتمع العربى كل الاوهام التى تتعلق بامكانية الوصول الى تسوية شريفة وعادلة مع اسرائيل على اساس الحل السياسى ، وبات واضحا ان الطريق الوحيد الى مثل هذه التسوية هو النضال المسلح لازالة آثار العدوان .

جهود يارنج لحل أزمة الشرق الاوسط

من نوفمبر ١٩٦٧ الى فبراير ١٩٧١

والمقدمة الطبيعية للكلام عن مبادرة يارنج ، هو قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ الذى انشأ مهمة يارنج لاول مرة. فقد نص هذا القرار على أن يعين السكرتير العام للامم المتحدة ممثلا خاصا للذهاب الى الشرق الاوسط لاجراء اتصالات مع الدول المعنية من أجل الوصول الى اتفاق ، والمساعدة فى الجهود الرامية الى تحقيق حل سلمى مقبول وفقا للنصوص والمبادىء الواردة

فى القرار . وبناء على ذلك تقد عين السكرتير العام للامم المتحدة ، يوثانت السفير جوناريارنج الذى كان يعمل فى ذلك الحين سفيرا للسويد لدىالاتحادالسوفيتى، ممثلا خاصا له لتنفيذ قرار مجلس الامن ، وأبلغ مصر بهذا التعيين ، فردت مصر يوم ٢٧ نوفمبر١٩٦٧ بأنها «ترحب باستقبال مبعوث الامم المتحدة جونار يارنج ، وانها على استعداد للتعاون معه » .

وفى الفترة من صدور قرار مجلس الامن الى مارس ١٩٦٩ ، قام المبعوث الدولى بزيارة عواصم الدول المعنية فى النزاع ، كما قام بسلسلة من الانصالات مع حكومات الدول الكبرى المهتمة بالنزاع ، كما قام بزيارة عواصم دول الشرق الاوسط أكثر من مرة — وذلك قبل ان يستطيع التقدم فى مارس ١٩٦٩ بقائمة من الاسئلة الى الحكومات المعنية « مصر والاردن واسرائيل » بغية توضيح احكام القرار ٢٤٢ بناء على اجابات هذه الحكومات . وقد أوضحت هذه الاجابات مدى الاختلاف الجوهرى الواقع بين الجانبين العربى والاسرائيلى ، ليس فقط فى تفسير قرار مجلس الامن السالف الذكر ، وانما فى فهم مهمة السفير يارنج ذاتها ، فبينما كان الجانب العربى يرى أن مهمة السفير هى العمل على تنفيذ قرار مجلس الامن ، وبخاصة اهم فقرة من فقراته ، وهى الاشراف على عملية انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة ، فقد كان الجانب الاسرائيلى يقصر هذه المهمة على التمهيد لتنظيم اللقاء بين الدول المعنية لكى تتفاوض بعد ذلك مباشرة .

وقد اوضحت مصر فىاجابتها علىهذه الاسئلة موافقتها على التعهد بانهاء حالة الحرب ، **على ان يصبح هذا التعهد نافذا عند انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية المحتلة نتيجة عدوان ٥ يونية ١٩٦٧** ، كما أوضحت أن تعهدها باحترام سيادة ووحدة أراضى كل دولة فى المنطقة واستقلالها السياسى **يتطلب انهاء اسرائيل لاحتلالها وانسحابها من كل الاراضى العربية المحتلة وتنفيذ كافة بنود قرار مجلس الامن** ، وقبلت صراحة « حق كل دولة فى المنطقة فى أن تعيش بسلام ضمن حدود آمنة معترف بها » **وذلك بشرط انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية المحتلة وتنفيذ قرار مجلس الامن** كما قبلت مبدأ حرية الملاحة فى الممرات المائية فى المنطقة **بشرط أن تنفذ اسرائيل بنود قرار مجلس الامن** ، كما أوضحت ان المقصود بتنفيذ قرار مجلس الامن من ناحية اسرائيل انه يشمل الى جانب الانسحاب الكامل **التوصل الى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين** .

أما اجابات اسرائيل ، فقد كان العامل المشترك فيها هو عدم تضمنها اى التزام مسبق من جانب الحكومة الاسرائيلية ، وافتراضها التوصل الى معاهدات صلح قبل انسحاب اية قوات اسرائيلية، وافتراضها ضمنا انهذا الانسحاب انيكون كاملا، كما انها حاولت التنصل من اى مسئولية منفردة عن حل مشكلة اللاجئين .

وقد كان من اهم أوجه الخلاف التى تكشفت خلال الاجابات السابقة ، هو ما تعلق بفكرة عقد معاهدة سلام بين الاطراف المعنية ، فبينما كانت اسرائيل ترى أن السلام يجب ان يجسد فى معاهدات سلام ثنائية بينها وبين كل من الدول العربية ، كانت مصر ترىانها «بالنظر الىتجربتها السابقة مع اسرائيل،والغاء الاخيرة اربعاتفاقات « اتفاقات الهدنة » » فانها تعتقد أن الوثيقة التى توقعها وتلتزم بمقتضاها بتنفيذ التزاماتها ، يجب ان توجه الى مجلس الامن ، على ان توقع اسرائيل ايضا وثيقة توجهها الى مجلس الامن وتتعهد فيها بتنفيذ التزاماتها الناشئة عن قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

وفى الفترة من مارس ١٩٦٩ الى فبراير ١٩٧١ انتقل الصراع العربى الاسرائيلى الى مستوى جديد . ومر عبر التحولات الخطيرة الاتية :

أولا — حرب الاستنزاف التى شنتها مصر ، ثم تصاعد الدعم الامريكى لاسرائيل بتسليمها طائرات الفانتوم سنة ١٩٦٩ .

ثانيا — تصاعد حرب الاستنزاف باستخدام الطيران الاسرائيلى على الجبهة وفى العمق فى الاراضى المصرية ، ومواجهة ذلك بتدعيم شبكة الدفاع الجوى المصرى بصواريخ سام ٢ وسام ٣ فى النصف الاول من سنة ١٩٧٠ . ثم تساقط طائرات الفانتوم فى النصف الاول من شهر يولية من هذا العام .

ثالثا — المبادرة الامريكية التى قامت على اساس العودة الى وقف اطلاق النار لمدة محدودة وعمل الاطراف المعنية تحت اشراف السفير يارنج للتوصل الى الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الامن . وقبول مصر هذه المبادرة .

رابعا — تعلل الحكومة الاسرائيلية بنقل الصواريخ المصرية الى داخل منطقة وقف اطلاق النار لسحب مندوبها من محادثات يارنج يوم ٦ سبتمبر ١٩٧٠ ، ثم اعلانها عودتها مرة ثانية الى المحادثات يوم ٢٨ ديسمبر . واخيرا اعلان يوثانت فى ٥ يناير ١٩٧١ رسميا عودة مبعوثه الشخصى لاستئناف مهمته ، وفى هذه الظروف تقدم يارنج بمبادرته .

مبادرة يارنج (فبراير ١٩٧١)

ففى يوم ٨ فبراير ١٩٧١ ، وبعد جولة للمبعوث الدولى يارنج بدأت منذ ٥ يناير ، تم فيها

استكشافا وجهة النظر الاسرائيلية ، قام بخطوة هامة تمثلت فى توجيهه لمصر واسرائيل مذكرتين هامتين ، كان الهدف منهما الحصول على التزامات من كل من الطرفين اساسية كمقدمات للوصول الى تسوية سلمية فى المستقبل . كما عبر يارنج عن أمله فى أن تصبح الالتزامات التى تربط كلا من مصر واسرائيل نفسها بها اساسا لبنود اتفاقية السلام المطلوبة دوليا وعربيا ، وقد طلب يارنج فى مذكرته الى الحكومة الاسرائيلية ما يلى :

الالتزام بسحب قواتها من الاراضى المحتلة التابعة للجمهورية العربية المتحدة الى خط الحدود الدولية السابق بين مصر وفلسطين فى عهد الانتداب البريطانى ، على أن يرافق الانسحاب الاجراءات الاتية :

أ ـ اقامة مناطق مجردة من السلاح .

ب ـ ترتيبات أمن عملية فى منطقة شرم الشيخ تضمن حرية الملاحة فى مضايق تيران .

جـ ـ حرية الملاحة « الاسرائيلية » فى قناة السويس .

كما طلبت المذكرة المقدمة الى مصر الالتزام والتعهد بالدخول فى اتفاقية سلام مع اسرائيل ، على أن تبين مصر لاسرائيل بكل وضوح اعترافها وقبولها للامور الاتية :

أ ـ انتهاء كل ادعاء حول حالات العداء بين الطرفين .

ب ـ الاعتراف باستقلال كل طرف واحترامه .

جـ ـ الاعتراف بحق كل طرف فى الحياة داخل حدود آمنة ومعترف بها ، واحترام هذا الحق

د ـ تقبول كل طرف مسئولية القيام بكل مافى وسعه لضمان عدم انطلاق اية اعمال عدوانية من اراضيه ضد دولة الطرف الاخر وشعبها وممتلكاتها .

هـ ـ التعهد من قبل الطرفين بعدم التدخل فى الشئون الداخلية للطرف الاخر .

ورغبة من مصر فى السلام ، ردت بالايجاب على مذكرة يارنج ، كما تعهدت بالاتى :

١ ـ ضمان حرية الملاحة فى قناة السويس وفقا لاتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ .

٢ ـ ضمان حرية الملاحة فى مضايق تيران وفقا لمبادىء القانون الدولى .

٣ ـ القبول بوضع قوة سلام دولية فى شرم الشيخ .

كما نصت المذكرة المصرية على انه بغية ضمان التسوية السلمية والسيادة الاقليمية لكل دول المنطقة فان مصر تقبل ما يلى :

أ ـ اقامة مناطق مجردة من السلاح على طرفى الحدود .

ب ـ انشاء قوة سلام تابعة للامم المتحدة تسهم فيها الدول الدائمة فى مجلس الامن .

وطالبت المذكرة المصرية اسرائيل ، فى مقابل ذلك بالالتزام بسحب قواتها المسلحة من سيناء وغزة ، وتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين وفقا لقرارات جمعية الامم المتحدة .

● ● ●

وقد لقى الجواب المصرى الذى كان خطوة سياسية بارعة لكشف الخطط الاسرائيلى وفضح الاطماع التوسعية الاسرائيلية امام جميع الدول ، ترحيبا كبيرا فى ذلك الحين على المستوى العالمى بما برهن عليه من رغبة حقيقية فى اقرار السلام ، ولكن هذه المحاولة السلامية من جانب مصر لقيت التعنت والصلف الاسرائيلى على النحو الاتى :

أولا ـ تجاهلت اسرائيل مذكرة يارنج ، معتبرة اياها تجاوزا منه لمهمته ، رغم ان السكرتير العام للامم المتحدة ووزير الخارجية الامريكية صرحا فى ذلك الحين بأنه من حقه ، طبقا لكتاب تفويضه ، القيام بأية مبادرة يرتئيها لانجاح مهمته .

ثانيا ـ بدلا من الرد على مذكرة يارنج ، قدمت اسرائيل اليه ردا على المذكرة المصرية السالفة الذكر ، فى يوم ٢٦ فبراير ١٩٧١ ليقوم بتوصيلها للجانب المصرى ، وفى هذه المذكرة قدمت اسرائيل شروطها لاقرار السلام ، أو بمعنى أدق شروط الاستسلام ، على النحو الاتى :

فقد رحبت بما عبرت عنه مصر من استعدادها للدخول فى اتفاقية سلام مع اسرائيل ، وقالت انها مستعدة لاجراء مفاوضات حول كافة النقاط المتعلقة بهذه التسوية السلمية ، ولكنها ترى ان اتفاقية السلام مع مصر يجب ان تشمل ، فيما تشمل ، ما يلى :

١ ـ قرار معلن وصريح باعتبار النزاع بين الجمهورية العربية واسرائيل منتهيا بشكل قاطع وانهاء كل ادعاءات الحرب وحالاتها ، وكل الاعمال العدوانية بين الطرفين .

٢ ـ الاعتراف بسيادة اسرائيل وحصانة اراضيها واستقلالها السياسى واحترامه .

٣ ـ الاعتراف بحق اسرائيل فى العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، تعينها اتفاقية السلام ، واحترام هذا الحق .

٤ ـ تحمل مسئولية ضمان عدم وقوع أى عمل حربى أو اى عمل من اعمال العنف من قبل أى منظمة أو جماعة أو فرد فى أراضى الجمهورية العربية المتحدة ضد شعب اسرائيل او قواتها المسلحة أو ممتلكاتها .

٥ ـ عدم التدخل فى الشئون الداخلية لاسرائيل .

٦ ـ تعهد صريح بضمان حرية المرور للسفن والبضائع الاسرائيلية فى قناة السويس .

٧ ــ انهاء الحرب الاقتصادية بكل مظاهرها ، بما فى ذلك المقاطعة ، وانهاء كل تدخل فى مجرى العلاقات الدولية الطبيعية لاسرائيل .

٨ ــ عدم اشتراك مصر فى اية احلاف معادية لاسرائيل ، وحظر وجود اية قوات عسكرية لطرف ثالث فى حالة عداء مع اسرائيل . وعلى اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة الدخول فى اتفاقية سلام يعبر عنها بمعـــاهدة ملزمة وفقا للقوانين والطرق الدولية المألوفة ، وتحوى المعـــاهدة التعهدات المذكورة اعلاه .

وبالنسبة للانسحاب من الاراضى المصرية ، نصت المذكرة الاسرائيلية على « انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة من خط وقف اطلاق النار بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة الى الحدود الامنة والمعترف بها والمتفق عليها والتى سيجرى تقريرها فى اتفاقية السلام . **ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط ماقبل ٥ يونيو ١٩٦٧** » .

وهذه العبارة الاخيرة التى ترد لاول مرة فى وثيقة رسمية ، يمكن اعتبارها ردا على مذكرة يارنج فى ٨ فبراير التى طلبُ فيها من اسرائيل التعهد بالانسحاب من كافة الاراضى المصرية ، بما فى ذلك طبعا شرم الشيخ ، وقد عـــادت جولدا مائير فأكدت هذه العبارة فى شكل مفصل فى خطابها امام المؤتمر الوطنى لحـــزب العمال الاسرائيلى الحاكم يوم ٤ ابريل ١٩٧١ فقالت ان اسرائيل لن تتخلى عن القدس والجولان وشرم الشيخ ، وانها ترفض ضمانات الدول الكبرى ، وترفض الضمانات الدولية للحدود الامنة المعترف بها ، بمـــا فى ذلك فكرة القوات الدوليـــة على الحدود . كما عبر موشى ديان عن موقف اسرائيل بوضـــوح حين قال يوم ١٧ فبراير ١٩٧١ انه « يفضل شرم الشيخ دون سلام ، على السلام دون شرم الشيخ » ! .

أما بالنسبة لحقوق شعب فلسطين ، فقد ورد بالمذكرة الاسرائيلية هـــذه الفقرة : « فيما يتعلق بمسألة اللاجئين ، ودعاوى الطرفين فى هـــذا الخصوص ، فان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع الحكومات المعنيـــة مباشرة حول : « أ » دفع تعويضـــات عن الاراضى والممتلكات المتروكة .

« ب » المشاركة فى وضع خطة لاعادة توطين اللاجئين فى المنطقـــة . ومتى تم الاتفـــاق بين الطرفين على واجباتهما نحـــو تسوية قضـــية اللاجئين لا يعود لاى طرف من الطرفين مطالب من الطرف الاخر تتناقض مع سيادته .

وفضلا عن ذلك ، فقد أوضحت رئيسة وزراء اسرائيل ليارنج فى بداية جولته المذكورة ، ان اسرائيل لن تبحث بالتفصيل فى اى قضية من القضايا المتعلقة بالحدود والانسحاب الا بعد ان تتأكد من توفر نية جدية لدى الجانب العربى لتحقيق سلام حقيقى كالسلام القائم بين دول العالم . ومعنى ذلك ان حل نقاط التسوية لن يتم فى خطوط متوازية ، بل وضعت اسرائيل سلما للاولويات بحيث لا يُبدأ فى بحث مسألة الانسحاب والحدود الا بعد الاتفاق على معنى الســـلام . وعندما قدم يارنج مبادرته يوم ٨ فبراير ١٩٧١ سارعت الدوائر السياسية الرسمية فى القدس الى التـــأكيد بأن اسرائيل تصر على الالتزام بالاولويات السالفة الذكر ، وهى البحث فى جوهر السلام أولا ، ثم ، وفى مرحلة متأخرة يأتى البحث فى تفاصيل الحـــدود والانســـحاب . أى على العكس من موقف مصر التى كانت ترفض بحث أى شىء الا بعد صدور تعهد اسرائيلى بالانسحاب من كل المناطق المحتلة .

● ● ●

من هذا العرض السريع للمحاولة التى خاضتها مصر لاقرار السلام مع اسرائيل ، يتضح ان هذا السلام حسب المواصفات الاسرائيلية التى تصر عليها ، يكلف مصر وشعب مصر الاتى :

١ ــ الوجود الاسرائيلى فى شرم الشيخ .

٢ ــ الوصاية على سياسة مصر الخارجية ووضع قيود على سيادتها ،حيث تشترط اسرائيل الا تدخل مصر فى أية اتفاقيات مع أى دولة اذا كانت اسرائيل تعتبرها معادية . ويشبه النص الاسرائيلى فى ذلك نص المادة الخامســـة من معاهدة ١٩٣٦ الذى الزم مصر بالا تتخـــذ فى علاقاتها مع البلاد الاجنبية موقفا يتعـــارض مع المحالفة مع بريطـــانيا ، والا تبرم معـــاهدات سياسية تتعارض مع احكام المعاهدة ، وهو النص الذى استندت اليه بريطانيا فى ارتكاب حـــادث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

٣ ــ سقوط كل الحواجز الاقتصادية بين مصر واسرائيل بما يعنيه ذلك من استباحة السوق العربية للاقتصـــــاد الاسرائيلى . وقد عبرت جولدامائير عن ذلك بقولها فى احـــدى المقابلات الصحفية : ان السلام بالنسبة لها يعنى ان تتمكن من الذهاب فى أى وقت الى اسواق القـــاهرة لتشترى حاجياتها ان هى ارادت ذلك !

وبالنسبة للنقطة الاخيرة ، وحتى نتبين اهميتها وخطورتها ، فان احدث الدراسات التى اجريت فى هذا المجـــال قد اثبتت ان ازالة الحواجز الاقتصادية بين مصر والدول العربية ، يعنى بداية عملية اكتساح اقتصادى استغلالى تدريجى للوطن العربى والجماهير العربية ، بما يترتب على ذلك من نتائج بالغة الأثر على الحياة العربية فى كل مستوياتها ، بما فى ذلك تثبيت الوضع الامبريالى

الرجعي في المنطقة ، وخنق الحركة الوطنية العربية وتشتيتها الى اجل غير مسمى ، وتحويل الوطن العربى مع الزمن الى « ريف » للصناعة الاسرائيلية ، فتصبح العلاقة بين العرب واسرائيل شبيهة بالعلاقة بين الولايات المتحدة وشعوب امريكا اللاتينية ، هذا فضلا عن تصفية تيار الحركة القومية العربية الى الابد .

ولا تخفى اسرائيل مخططها الاقتصادى والسياسى . ففى خطاب لابا ايبان فى جامعة تل ابيب ، شبه وضع الحدود بين الدول العربية واسرائيل بوضع الحدود بين الدول الاوروبية بعد الحرب العالمية الثانية من ناحية تلاشى اهمية الحدود الوطنية بين البلاد الاوروبية فى ظل السلام الاوروبى ومع ظهور التكتلات الاقتصادية الجديدة مثل السوق الاوروبية المشتركة ، ودعا ايبان دول الشرق الاوسط الى الاقتداء بالنموذج الاوروبى ، وأكد أن اسرائيل تريد هذا النوع من السلام مع الدول العربية ، اى سلام تلاشى الحدود ، وسلام التكتلات الاقتصادية والمناطق المفتوحة .

ويشكك البعض فى ان تتمكن اسرائيل فى حالة تسوية سلمية ، وهى دولة صغيرة ذات موارد محلية محدودة من اكتساح المنطقة اقتصاديا والهيمنة عليها فى وجه الطاقات المادية والبشرية الكامنة فى الوطن العربى بأكمله. ويرد على ذلك بأن اسرائيل بتركيبها الذاتى الحالى ، معدة كل الاعداد ومؤهلة كل التأهيل لدخول مرحلة استعمار جديد فى منطقتنا وممارسة دور الدولة العظمى بكل ما يعنيه ذلك من سياسة امبريالية وممارسة نفوذ الى الحد الذى تسمح به القوة العربية المقاومة ويسمح به التقاعس العربى . فالمجتمع الاسرائيلى مجتمع مهاجرين ومستوطنين ، وذلك يمنحه حيوية خاصة وديناميكية تزيد من قدرات اسرائيل على القيام بدورها الامبريالى الجديد فى العالم العربى . كما ان اسرائيل تمتلك الخبرة التكنولوجية والامكانيات المادية وتمتلك العلماء من جميع التخصصات الوافدين عليها من جميع دول العالم . فضلا عن الدعم الامبريالى الامريكى الذى يسندها .

ويشرح الخبير الاقتصادى الاسرائيلى « شاوول زارحى » المضمون الاقتصادى العملى لمعنى السلام الاسرائيلى فيقول :

« لا يمكن لاسرائيل ان تجد وسيلة استعمال امكانات تطور صناعتها بزيادة الصادرات الى البلدان النامية ، طالما أنها معزولة عن بلدان المنطقة ، التى هى اقرب جيرانها وتشكل سوقا طبيعية لتصريف منتجاتها الصناعية : اى البلدان العربية . . ومن المؤكد أن السلام اليهودى العربى واستئناف العلاقات التجارية ، يمكنهما ان يلعبا دورا حيويا فى صادرات اسرائيل فى المستقبل . ولابد من اعطاء اهمية كبرى الى كون الاقتصاد الاسرائيلى ، فى عدد كبير من قطاعاته ، يعتبر مكملا لاقتصاد البلاد العربية المجاورة ، فاسرائيل تفتقر الى عدد من المواد التى تصدرها البلدان العربية ، القطن ، السكر ، الحبوب ، الزيت ، اللحم ، ومواد أولية اخرى ، وبالمقابل ، يمكن لاسرائيل ان تزود البلدان العربية بعدد من المنتجات الصناعية التى تنقصها . . ان اسرائيل كما نعرف بلد صغير ، وهى تشكل سوقا محدودة جدا للانتاج المحلى ، بالاضافة الى أنها مبتورة عن حقل نشاطها الطبيعى ، اى البلاد العربية المجاورة . ولهذا الوضع بالتأكيد اثر مقيد لتوسيع الصناعة . ان احد مميزات التكنولوجيا الصناعية الحديثة ، ان عليها الاستناد الى اسواق واسعة ، وهذا صحيح بصورة خاصة بالنسبة للصناعات التصديرية ، وبكلمات اخرى ، فان اسرائيل تفتقد سوقا اقتصادية واسعة تمنح مختلف القطاعات الصناعية منافذ لانتاجها ، وهو شرط هام جدا لتطورها الصناعى . . أن من شأن السلام اليهودى العربى ، ومشاركة اسرائيل فى التطور الاقليمى ، ان يعدلا الوضع بفضل ايجاد ظروف افضل لتطور الصناعة ومختلف فروع الاقتصاد « فى اسرائيل » ان مشاركة كهذه من شأنها أن تفتح سوقا واسعة لاسرائيل : سوق عشرات الملايين من سكان الشرق الاوسط . قد تضر هذه المشاركة ببعض الصناعات المعزولة فى اسرائيل ولكن التطور الصناعى بمجمله سيحقق المكاسب . فاسرائيل تمتلك المعارف التكنولوجية والعلمية ، كما تملك وسائل تطوير قوة صناعية ميكانيكية وادوات التجهيز ، ولكن ضيق السوق الوطنية يهدد بشكل جدى اطلاق هذه الامكانات ، واشتراك اسرائيل فى اسواق الشرق الاوسط يساعد على تطوير مثل هذه الصناعات على مدى واسع » .

من ذلك يتضح أن السلام مع اسرائيل ، بالمواصفات والشروط الاسرائيلية السالفة الذكر ، لا يكلف امتنا فقط احتلال جزء من أراضيها ، والوصاية على سياستها الخارجية ، وخنق اقتصادها ، وتعطيل تقدمها الى الابد — وانما يكلفها ما هو ابهظ من ذلك بكثير ، يكلفها نسمة الحياة الكريمة ذاتها ، والحياة بدون هذه النسمة لا تساوى شيئا ، ومن هنا رفضت قيادتنا السياسية سلاما يقوم على مثل هذه الاسس الفاسدة ، وفى يوم ٢٢ ابريل ١٩٧١ اعلن المبعوث الدولى تعليق مهمته الى أجل غير مسمى، وعلى هذا النحو سقطت مبادرة يارنج .

هجـــــرة العقـــــول

لمـــــاذا ..
وما الحـــــل

دراسة هذا العدد ٪ تدور حول قضية طرحت ولا تزال تطرح بالحاح :

ما هو الموقف من هجرة المثقفين ، او ما اصطلح عليه ، ما هو المـوقف من نزوح « العقـول » وتسرب « الخبرات » من بلادنا ـــ ومن البلدان العربية ـــ الى البلدان المتقدمة صناعيا ، وبوجه خاص الى المجتمعات الراسمالية الغربية .

ومن المؤسف ان موضوع الهجرة لم يكن يعالج ـــ على الدوام ـــ بما يستحقه من جدية وموضوعية لان كثيرا من غـــير المؤهلين للحديث عنـــه كانوا يروجون للهجرة ، مقدمين حججا سطحية ، او جزئية وحكايات للتسلية .

بل لقد جاء وقت ، اتخذت فيه مثل هذه الكتابات طابعا مكثفا، لم ينعكس على ازدياد اعداد «العقول» المهاجرة والنازحة فحسب ، بل نستطيع ان نقول ،انه انعكس سلبا على عشرات الالوف من الشباب الذى لم يستكمل تعليمه بعد ، والذى يندفع الى زيارة بلدان الغرب فى العطلة الصيفية ، باحثا عن عمل يفيد منه ٪ وقلما يوفق الى ذلك فى واقع الامر،كما اخبرتنا بذلك ، كل التحقيقات الصحفية التى نشرت فى حينها ٪ عن المتاعب التى تقابل شبابا بلاخبرة وبلا تأهيل مسبق .

على اية حال ، فان موضوعنا ، هو عن الكوادر التى استكملت حظها من التعليم ، واصبحت فى عداد التخصصـات العلمية والفنيـة العاليـة ، وهى الكوادر التى يهاجر من بين صفوفها عدد غير قليل من الكفاءات .

ان وجهة نظر الطليعة ، تنطلق ـــ اساسا من أن المثقف المصرى مدين بتعليمه الى الجماهير الشعبية خاصة للفلاحين والعمال . ذلك ان عمل هـــذه الجماهير ، هو الذى مكن المثقفين من مواصـــلة تعليمهم فى جميع المراحل بدون مقابل . من هنا ، يبقى على المثقف دين عظيم ازاء شعبه . وعليه ان يسدد هذا الدين بمزيد من الارتباط بهذا الشعب ، وبالمشكلات والتحديات التى تطرحها عليه الحياة ، فالمدخل اذن الى هذه القضية وطنى واجتماعى فى آن واحد .

؟

وليس معنى هذا اننا نجرد الكفاءات المهاجرة من احساسها الوطنى ؟ وليس معنى هذا اننا ننتقص من وطنيتها وحبها لبلادها كلا ، وبالقطع ! وكل مافى الامر ، اننا نريد أن نتعمق ظاهرة موضوعية ، هى ظاهرة نزوح العقول المصرية ، حتى نصل الى فهم ، وحتى نضع ارجلنا على بداية – ولو متواضعة – على طريق العلاج .

والدراسة التى تقدمها الطليعة مجرد محاولة فى هذا السبيل لا اكثر . وهى تنقسم الى ثلاثة اقسام :

١ – مقالات ثلاث :

● احدها للدكتور مراد وهبة ، وفيها يطرح بعض الخلفيات الفكرية والفلسفية للمثقفين فى العالم الثالث .

● الثانية للدكتور رشدى لبيب ، وفيها يناقش القضية من الزاوية التربوية .

● والثالثة لكمال السيد وهى تناقش الاتجاهات الرئيسية فى اعمال مؤتمر القادة الاداريين ، الذى عقد فى القاهرة من ٢٤ فبراير الى ٢٢ مارس الماضى وعرف « بمؤتمر سياسة الهجرة والعمل فى الخارج »

٢ – شهادات واقعية : من خبراء فى الاقتصاد ومن باحثين علميين ، ومن بين هؤلاء الباحثين العلميين من عرضت له تجربة الهجرة شخصيا .

٣ – اما القسم الثالث من الدراسة ، فيشتمل على جداول مختارة من الاحصاءات فى مصر والبلاد العربية .

مواقــع الانتلجنسـيا فى العــالم الثــالث

د. مراد وهبة

قضــية الانتلجنسيا : من قضية العالم الثالث
وقضــية العــالم الثالث : هى قضــية الثورة فى بعديها السياسى والاجتماعى

وقضية الثورة : تستند بالضرورة الى ايديولوجيا
والايديولوجيا : تعبير واع عن مسار طبقى
والانتلجنسيا : من حيث المبدأ منوطة بهــذه المهمة مهمة التعبير الواعى

وانتلجنسيا العالم الثالث : تحدد مهمتها فى اطار « الاصــالة والمعاصرة » ونزيد الامر ايضــاحا فننتقى نفرا من هذه الانتلجنسيا هو على وجه التحديد :

مــالــك بن نبى (من الجزائر)
زكى نجيب محمود (من مصــر)
رينيــــه حبشى (من لبنــان)
رادا كــرشــنان (من الهنــد)

الفكرة المحورية ، عندمالك بن نبى ، الدعوة الى تأسيس مجتمع اسلامى متحرر من الاستعمار ومواكب للحضارة المعاصرة .. وليس ذلك فى الامكان الا اذا استعادت الفكرة الاسلامية « فعاليتها » .

ولكن ماذا تعنى فعالية الفكرة ؟

تعنى القدرة على احداث انقلاب فى العالم ، ومن ثم تعنى القدرة على صناعة التاريخ .

وقد كان للفكرة الاسلامية فعاليتها فيما مضى – يقول مالك بن نبى فى كتابه (مشكلة الافكار فى العالم الاسلامى ص ١٣٨ – ١٣٩) ولقد كان فى العصر القرآنى وحتى اوج الحضارة الاسلامية .. فى الامكان انكار صحة الفكرة الاسلامية سواء بسوء نية او عن ضلال مبين . ولقد اختلف أتباع الاسلام انفسهم بعد عصر النبوة فى فهمهم للاسلام فكان منهم السنيون ومنهم الشيعة ومنهم الخوارج . ومع ذلك فقد كان طابع الاسلام الالزامى يتزايد بتحقيق انتصارات لسلطته السياسية ، اى أن فعاليته كانت فى تقدم ملموس مما كان له الفضل فى تحديد المنطق العملى الذى استخدمه مبعوثو عمر مع رستم قائد جيش الفرس عشية موقعة القادسية . فالانتصارات العظيمة التى أرست قواعد السلطة فى الامبراطورية الاسلامية زادت من قوة منطق الفعالية فى الوقت الذى تعمقت فيه فكرة صدق الحقيقة الاسلامية فى نفوس المسلمين . حتى أنه فى عصر المأمون عندما كانت الحضارة الاسلامية تفيض على العالم بأنوارها التى كانت تسطع من بغداد ومن القاهرة ومن قرطبة كان فى الامكان قبول او انكار صدق الحقيقة الاسلامية وحدث ذلك فى المناقشات التى كانت تدور مع النصارى والصابئين فى مجلس الخليفة وفى حضوره. ولكن لم يكن فى مقدور احد أن ينكر فعاليتها من غير ان يكون محل السخرية » .

ثم هو يزيد الامر ايضاحا فيقول « عندما تظهر الفكرة فى العالم تكون اما صحيحة او باطلة ، وعندما تكون صحيحة تحتفظ بصدقها حتى آخر الزمان . ولكنها قد تفقد فعاليتها فى مجرى حياتها رغم ما تتصف به من صدق واصالة (ص ١٣٦)

ومعنى ذلك ان صفة الصدق ذاتية وصفة الفعالية موضوعية .

وماذا يترتب على كون الفعالية موضوعية ؟

يترتب عليه أن تكون الفعالية مرهونة بتوفر ظروف موضوعية والظروف الموضوعية ليست متوفرة فى اللحظة الراهنة للفكرة الاسلامية .. وعدم توفرهامردودالىسببين :

- ظهورالاستعمار
- وغياب الافكار

تفصيل ذلك :

فى رأى مالك بن نبى ان كل حضارة تدور على عوالمثلاثة :

عالم الافكار

وعالم الاشخاص

وعالم الاشياء

عالم الافكار يأتى فى المقدمة لانه هو الذى يميز الانسان من الحيوان ، ولهذا يرى بن نبى ان ماركس على حق فى عبارته القائلة بأن « ما يميز من الوهلة الاولى المهندس المعمارى غير الحاذق من النحلة الماهرة هو أنه يبنى خلية الشمع فى ذهنه قبل أن يبنيها فى خلية النحل ، وينتهى العمل الى نتيجة موجودة فكريا فى وقت سابق فى خيال العامل » (ص ٢٦) .

بيد أن عالم الافكار ، فى العالم الاسلامى ، غائب . وغيابه مردود الى عاملين : عامل موضوعى وعامل ذاتى .

العامل الموضوعى يسميه بن نبى « العامل الاستعمارى » ويدور على سلب الانسان من طاقاته الخلاقة وذلك بأن يجعله يحيا فى عالم الاشياء دون عالم الافكار ، فيرتد الى مرحلة الطفولة ، ذلك أن خاصية النفسية الصبيانية تناول الاشياء من غير استعداد لفهمها .ولهذا فان الاستعمار يحرص على أن يبيع لنا الاشياء دون الافكار . بل هو ينشىء جهازا يعمل على التخلص من الافكار التى تضايقه ، وعلى الانحراف بها عن مسارها السوى ..

وكيف ينحرف بها ؟

ان جدلية العالم الاوربى غير جدلية العالم الاسلامى . فالفكرة فى العالم الاسلامى فى حاجة الى « شخص » تتجسد فيه ، بينما هى فى العالم الاوربى ليست على هذا المنوال . وتأسيسا على ذلك يذهب بن نبى الى ان الفكرية التحررية فى

العالم الاسلامى ، تتجسد فى « الزعيم » والفكرة الاستعمارية تتمثل فى « الشيطان » وهنا ينشىء الاستعمار ، كرد فعل ، جهازا مولدا للافكار له مهمتان :

المهمة الاولى توليد افكار سوية على انها من صنع الشيطان فيرفضها العالم الاسلامى لمجرد ان صانعها هو الشيطان ٠

والمهمة الثانية فتح ثغرات فى الزعيم فينعزل عن الجماهير ، ومن ثم يعجز عن مواصلة مسيرته الفعالة فيقع تحت سيطرة الاستعمار ٠

ولكن هذا المعامل الموضوعى وهو المعامل الاستعمارى ليس له اية قيمة من غير المعاول الذاتى ، وهو مايسميه بن نبى « معامل القابلية للاستعمار » يقول فى كتابه (وجهة العالم الاسلامى ، ص ١٠٥) « لكى نتحرر من « اثر » هو الاستعمار يجب أن نتحرر أولا من « سببه » وهو القابلية للاستعمار ٠ فكون المسلم غير حائز على جميع الوسائل التى يريدها لتنمية شخصيته ، وتحقيق مواهبه : ذلك هو الاستعمار . واما الا يفكر المسلم فى استخدام ما تحت يده من وسائل استخداما مؤثرا ، وفى بذل اقصى الجهد ليرفع من مستوى حياته ، حتى بالوسائل العارضة ، واما الا يستخدم وقته فى هذه السبيل فيستسلم ـ على العكس ـ لحظة افقاره وتحويله كما مهملا ، يكفل نجاح الفنية الاستعمارية : فتلك هى القابلية للاستعمار » ٠

القابلية للاستعمار اذن هى التى تدعو الاستعمار ٠

ولكن ماذا يحدث للثورة اذ لم تلحظ معامل قابلية الاستعمار ؟

دوران افكار الثورة ، أثناء الثورة ، الى الخلف ٠

وهل من سبيل الى مجاوزة هذه النتيجة ؟

بثورة ثقافية . . هذا هو جواب بن نبى . . ولكنه يضيف قائلا بأن هذه الثورة ضرورية ولكنها ليست كافية ٠ ولكى تكون كافية لابد من وجود « المفجر الاقتصادى » القادر على اطلاق القوى الانتاجية ، فتستعيد الفكرة الاسلامية فعاليتها ٠

ولكن المفجر الاقتصادى عند بن نبى مشكلة لانه « يجب أن تجد حلها بعيدا عن نظريات آدم سميث وكارل ماركس » (مشكلة الافكار فى العالم الاسلامى ، ص ١٥٤) ٠

وهكذا تقف ايديولوجيا بن نبى عند حد السلب حين تقترب من التحديد ٠

● ● ●

نثنى بزكى نجيب محمود وقد طرح قضية الاصالة والمعاصرة فى كتاب صدر له حديثا بعنوان « تجديد الفكر العربى » ، وحددها على النحو الاتى :

« كيف نوائم بين ذلك الفكر الوافد الذى بغيره يفلت منا عصرنا ، وبين تراثنا الذى بغيره تفلت منا عروبتنا أو نفلت منها ؟ » (ص ٦) ٠

سلبا ليس بالتلفيق ٠

يقول « انه من المحال أن يكون الطريق الى هذه المواءمة هو أن نضع المنقول والاصيل فى تجاور بحيث نشير بأصابعنا الى رفوفنا ، فنقول هذا هو شكسبير قائم الى جوار ابى العلاء » (ص ٦) ٠

وايجابا بالتكنولوجيا ٠

يقول « نأخذ من تراث الاقدمين ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقا عمليا فيضاف الى الطرائق الجديدة المستحدثة ٠ فكل طريقة لعمل اصطنعها الاقدمون وجاءت طريقة جديدة أنجح منها كان لابد من اطراح الطريقة القديمة ووضعها على رف الماضى الذى لا يعنى به الا المؤرخون ، وبعبارة أخرى ان الثقافة ـ ثقافة الاقدمين او المعاصرين ـ هى طرائق عيش ٠ فاذا كان عند اسلافنا طريقة تفيدنا فى معاشنا الراهن أخذناها ، وكان ذلك هو الجانب الذى نحييه من التراث ، وأما ما لاينفع نفعا عمليا تطبيقيا فهو الذى نتركه غير آسفين ، وكذلك نقف الوقفة نفسها بالنسبة الى معاصرينا من ابناء أوروبا وأمريكا » (ص ١٨) ٠

ثم هو يضرب امثلة لهذه الطرائق ببناء المنازل ورصف الطرق واقامة الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة ٠

ومعنى ذلك أن زكى نجيب محمود يرى أن الثقافة تدور على التكنولوجيا دون الايديولوجيا .

ومن شأن هذه الرؤية أن يقاس الفارق بين نظام اجتماعي وآخر بما يقدمه من تكنولوجيا وليس بما يلتزم به من ايديولوجيا • يقول « التحول فى عصرنا هو نحو أن يكون الناس ذوى علم وصناعة ، وسواء بعد ذلك أكانت الخطوة المؤدية الى هذه النتيجة نظاما فرديا أو نظاما اشتراكيا • فها هى ذى الولايات المتحدة فى طرف الفردية ، والروسيا فى الطرف المقابل ، طرف الاشتراكية، لكن كلتيهما سواء فى العلمنة والتصنيع ، واذن فتلك هى العلامة التى لا علامة سواها لاى بلد يقال انه قد تحول » (ص ٢٣٧) ••

ومن شأن هذه الرؤية كذلك ان تفضى الى عدم التزام العقل بفكرة ما ••• وزكى نجيب يستثمر ثقافته الفلسفية فى تبرير اللا التزام • فهو يقرر أن المعرفة الانسانية معرفة ظنية • فما من فكرة الا وتحتمل ان يكون نقيضها هو الصواب••• المعرفة اذن تقع بين « لا » و « نعم » • وليس ثمة مبرر للوقوف عند الـ « لا » فهذا عناد أطفال ، وكذلك ليس ثمة مبرر للسكون عند الـ « نعم » فهذا من شأن العبيد •

وثمة سؤال هام هنا لابد أن يثار ؟

ولكن ما العمل والتراث العربى يستند الى العقيدة والى الالتزام بها ؟

يجيب زكى نجيب عن هذا السؤال فى الفصل الثامن المعنون « فلسفة عربية مقترحة » تدور على الثنائية بين مجالين ومنهجين .. فهو يرى أن للمعرفة الانسانية مجالين ومنهجين : مجال المطلق ومجال النسبى • المجال الاول يستند الى الوحى او البصيرة ،او الالهام ، والمجال الثانى يقوم على مشاهدة الحواس ، واجراء التجارب وسلامة التطبيق •

« ان الطريق لتستقيم أمامنا ، اذا نحن جعلنا للعلوم الطبيعية منهجا ، ولما يتصل بالحقيقة المطلقة منهجا آخر .. أما منهج العلوم فقائم على مشاهدة الحواس ، وعلى اجراء التجارب ، وعلى سلامة التطبيق • فلا يعنينا من الدنيا الا ظواهرها ، بحيث لايجوز لانظارنا عندئذ ان تنفذ الى ما وراء تلك الظواهر ، لانها ، بالنسبة للعلوم ، ليس لها وراء ، فهى الظواهر وحدها – أعنى ما يظهر للحواس الراصدة – هى الظواهر وحدها نتعقبها رصدا ، ووصفا ، وتحليلا ، وتصنيفا ، لنستخلص منها ما عساه ان يكون هنالك من قوانين مطردة، تنتظم حدوثها ومجراها • واما منهج ما وراء الوقائع الصماء من حقائق ، كالقيم الخلقية مثلا ، فذلك شىء آخر ، قد لا نلجأ فيه الى شهادة الحواس ، والى التجارب العابرة ، بقدر ما نلجأ فيه الى ادراك البصيرة ، أو الى املاء الوحى » (ص ٢٨٢) •

ومعنى ذلك كله ، عزل المطلق عن النسبى ، ونفى اية علاقة جدلية بينهما •

والسؤال بعد ذلك :

هل فى امكان النسبى أن يتحرك بدون سند من المطلق ؟

● ● ●

بعد زكى نجيب ، يأتى رينه حبشى ، وله كتاب يدل عنوانه « حضارتنا على المفترق » أن قضية « الاصالة والمعاصرة » معضلة •

والمعضلة مردودة الى ظاهرة الرفض ، رفض كل من الشرق والغرب • رفض الغرب بسبب ماض قريب ، ورفض الشرق بسبب ماضينا البعيد •

وحل المعضلة كيف يكون ؟

بالعودة الى ماضينا المتوسطى ••

ورينيه حبشى يختار لفظة «متوسط» لسببين :

السبب الاول : ان هذه اللفظة ذات مفهوم تاريخى ، يتضمن ظاهرة ثقافية ، وليس فقط جنسا ولغة أو أمة ، ولكنه أوسع من ذلك اذ يتضمن تجمعا غنيا •

السبب الثانى : ان هذا التجمع قد تحقق بواسطة البحر المتوسط بصفته بحيرة ، أى حزاما مائيا يتيح تبادلا قد تحول الارض اليابسة دون تحقيقه •وبدلا من أن تقيم هذه البحيرة حدودا فاصلة كانت هى وصل بين ضفتى المتوسط والشعوب التى تحيط به ••

بيد أن حبشى من خلال هذين السببين يتسلل الى الغرب – رغم الزعم بأنه مرفوض – بدعوى أن الثقافة الغربية مرتبطة بالثقافة المتوسطية ،لان الغرب هو من المتوسط •

المتوسطية اذن هى ماضينا ، بيد أن هذا الماضى ينبغى الا يكون بمعزل عن الحاضر • نأخذ من

الحاضر مافيه من تقنيات ، ونستخلص من الماضي الخطوط الكبرى لرسالتنا بين الامم « علينا أن نطلب من الماركسية والشخصانية والوجـودية أضواءها في الحاضر مع الغوص على فلسفة ابن سينا وابن رشد وتوما الاكويني واغسطينوس كي نجد عندهم أطر عقلنا • علينا أن نتجه نحو العلم الاكثر ايجابية والاشد جراة ،شرط أن نلاقي جذورنا الدينية لدى الغزالي والاشعري وغـريغوريوس النازيانزي ويوحنا الدمشقي •علينا أن نجرب أكثر وصفات الاختبار تجديدا • وكي لا نغرق ، علينا أن نطلب النصح قبل ذلك من أرسطـو وأفلاطون ، علينا أن نتمنى اغرب الثـورات الاجتماعية وأجراها ،شرط ان نبدأ بتأمل حقائق الانجيل والقرآن » (ص ١٠٧) .

المطلق الديني اذن شرط الثورة الاجتماعية في ضوء تقنيات الحاضر وفلسفات قديمة ومعاصرة •

اذن ثمة علاقة ضرورية بين المطلق والنسبي • بيد أنها علاقة جدلية وهنا مكمن الخطر ، والخطر في موقف الثوري ناتج من أنه باندفاعه في عجلة الزمن مجبر أن يستخلص في كل لحظة صورة المطلق المتغيرة من خلال مياه التاريخ الجارية • ذلك أن كل جمود في العقيدة عند الثوري يؤدي بالضرورة ،اماالى ايقافتقدم العمل ،واماالىتمنع هذه العقيدة عن توجيه العمل • بيد أن ذلك لا يعني أن الثوري يخون عقيدته باستمرار ، فكما انه يقظ لكل تغيير فيالموقف ،كذلك هو يقظ لامانة عقيدته، اذ أن العقيدة لا تخرج من العمل جديدة بل متجددة •

ومع ذلك تبقى معضلة :

ما هو المعيار الذي نميز به بين الامـانة والخيانة ؟

● ● ●

وفي نهاية المطاف نختم بوجهة نظر راذاكرشنان وهي مطروحة في كتابه « نظرة مثالية للحياة »•• فهو يقرر في مفتتح الفصل الاول أن أية فلسفة هي مثالية بالضرورة ، ذلك أن المثالية تعني أن وراء عالم الظواهر عالم الحقائق ، عالم مثالي • ومن هذه الزاوية فالمادية كذلك مثالية ، لان المادةالتي هي اصل الموجودات ليست واقعا يمينيا ،وانما هي معنى مجردا ..

والنظرة المثالية كفيلة بحل معضلات الحياة المعاصرة •

ونسأل :

وما هي هذه المعضلات ؟

انها تدور جميعا على معضلة واحدة ، ان الانسانية ليست في حاجة الى مبدأ مفارق ، الى مطلق • فالانسان مجرد حيوان ، والذكاء ليسالا مجرد رد فعل ، والعقل من انتاج الدماغ ، واللامعقول أساس النشاط النفسي ، وليس ثمة استدلال وانما ثمة تبرير • وعلم الاديان المقارن يقرر أن ليس ثمة دين نهائي أو دين كـامل • والاديان تفرق ، والاقتصاد يوحد •

هذه هي المعضلة وتفريعاتها فهل من علاج ؟

في رأي راذاكرشنان ان العلاج مردود الى التمييز بين المطلق وأشكاله • الاشكـال متعددة ومتطورة ، أما المطلق فواحد وثابت ، هو في الكل وفوق الكل •والخلط بين المطلق والشكل يفضي الى الدوجما dogma ، أي الى المعتقد • ولهذا فمزية كل من الكنفوشية والبوذية أنها تخلو مـن الدوجما ••

ومع ذلك فالانسانية متجهة الى الوحدة،ليس بفضل ماضيها ولكن بفضل مستقبلها ، فهي اما أن ترقى مستقبلا الى ايمان واحد واما أن تندثر • بيد أن الغلبةستكون للترقي وليس للاندثار • وهذه الغلبة مردودة الى سببين :

السبب الاول : ان جوهر الدين تطوير الوعي الانساني •

السبب الثاني : ان شعوب العالم ، علىاختلاف نظمها وأيديولوجياتها ، لديها شعور انسـاني ، ومحبة للعدالة تتجاوز المصالح الطبقية وكراهية العنف •

اذن الوحدة التي ينشدها راذاكرشنان مجرد شكل بلا مضمون اجتماعي ، فهل تحقيقها في حيز الامكان ؟

● ● ●

هذه أمشاج من آراء •
وهي مجرد ارهاصات •
والارهاصات مجرد مقدمات ••
والمقدمات ليست نهاية المطاف ••

هجـرة العقـــول .. قضـــية تربويـــة

د. رشــدى لبيب

اذا كان العمل الانسانى (الفـكرى والبدنى) يعد القوة الانتاجيـة الاساسية ، فان اعـداد الافراد للقيام بهذا العمل وزيادة كفاءتهم الانتاجية ، عن طريق عمليات التعليم والتدريب ، تعنى زيادة فى طاقات المجتمع ، وبالتالى ينتظر منها عائد شأنها فى ذلك شأن اى استثمار آخر . وفعلا ، دلت البحوث التى أجريت فى هذا المجال ، على أن عائد الاستثمارات المخصصة للتعليم ، يفوق عـائد الانواع الاخرى من الاستثمارات . ولهذا أصبح المفهوم السائد للتربية فى العصر الحديث ، انها مسئولية اجتماعية، وأداة للانتاج وعنصرا جوهريا من عناصر التنمية ، لا مجرد خدمة تقدم للافراد ، او قيامه بمهمة عجز الاباء عن القيام بها .

وفى الحق ، ان ظهور التكنولوجيا الحديثة وانتشار الالية بما أحدثته من تغيير فى الدور الانتاجى والاجتماعى للعمل ، ادى الى ظهـور الحاجة الشديدة ، لا الى العمل اليدوى فى صورته البدائية ، بل الى البحث العلمى والطاقة الانسانية المدربة تدريبا عاليا . وتخطت هذه الحاجة الحدود الاقليمية والقومية ، بحيث بدأت تظهر سوق دولية للكفاءات فى مجالات النشاط المتعددة . ومن هنا اصبح التعليم منتجا لسلع يزداد الطلب عليها (اذا جاز لنا هذا التعبير المادى) .

فى ضوء هذا ، ما الذى تعنيه مشكلة استنزاف العقول او هجرة الفنيين والعلماء ؟ يقول مالكولم سى . اديسيشيا نائب المدير العام لليونسكو «ان التعليم عنصر جوهرى من عناصر التنمية ، اذ أنه شرطها المسبق ومتغيرها الحاسم .. الا أن هجرة الكفاءات العربية تمثل انكارا لهذا المـوقف الاساسى ، لانها تقدم الدليل على أن التربية ليست سبيلا الى التنمية ، وانما هى الطريق المفضى الى الهجرة .. ان التعليم ، كما هو مجسم فى هؤلاء الافراد وكما يمثلونه ، ليس مدخلا من مدخلات التنمية ، وانما هو الطريق العريض الى الرفاهية الشخصية والاشباع الفردى » (١) . اذن فقضية هجرة العقول ، هى قضية فاقد فى التعليم. فبدلا من أن يعود الاستثمار الذى قدمته الامة من أموالها

---

[1] مالكولم سى . اديسيشيا : هجرة الكفاءات من العالم العربى . خطاب القى فى المؤتمر الثقافى العربى الثامن من اعداد العلميين فى الوطن العربى (القاهرة، ١٩٦٩) .

بعائد مناسب فى صورة اعمال بناءة تزيد من دخلها القومى ، اذا بالامة تفقد هذا العائد بل وتفقدايضا رأس المال الذى دفعته فى تعليم هؤلاء المهاجرين ..

ولكى نتبين حجم هذا الفاقد ، يكفى ان نشير الى ان عدد الذين هاجروا من العلميين والفنيين ، اوامتنعوا عن العودة من البعثات فيما بينعامى ١٩٦٥ ، ١٩٦٨، ١٩٤٣ شخصا جميعهممنحملة الدكتوراه ، والشهادات الجامعية (غير من هاجروا من الفئات الاخرى) (٢)· فاذا كانت تكلفة اعداد العالم وفقا لمعدلات اليونسكو ٢٠,٠٠٠ دولار فان هذا يعنى ، اننا فقدنا فى أربع سنوات فقط حوالى اربعة ملايين دولار ، هذامع عدم حساب العائد الذى كان مفروضا ان يعود الى المجتمع من خبرة هؤلاء المهاجرين . وفعلا ، لقد دلت بعض الدراسات على ان التكلفة الظاهرية لهجرة الكفاءات العربية تبلغ حوالى ١٠٠ مليون دولار سنويا (٣) · واذا اضفنا الىذلكالخسارة الفادحة التى تصيب اقتصادنا القومى ، نتيجة نقص العلميين والفنيين الوطنيين والتى لا تعوضها اية خبرة مستوردة،سواءفىصورةحقوق اختراع او خبراء ،لادركنا المشكلة فىحجمها الحقيقى ،على الرغم من ضآلة عدد المهاجرين الظاهرية . وهنا ينبغى ان نشير الى أن الفوائد التى قد تعود الينا كما يرى البعض من وراء الهجرة ، مثل تحويل المهاجر لجزء من دخله الى الوطن ، او القيام بدور اعلامى ، لا يمكن ان تعوض فى حسابها النهائى هذا الفاقد الذى أشرنا اليه .

ومن ثم ، فاننا نرفض مبدئيا مناقشة المشكلة فى الصورة التى بدأ البعض يرددها وهى : كيف نربط المهاجر بوطنه الام ؟ بل نرى أننضعها فىصورتها الحقيقية . وهى : كيف نقضى على هذه الظاهرة ؟ كما ينبغى علينا أن ندرك ان هذه الظاهرة ليست عارضة ، وانما تحتاج منا الى وقفة طويلة متأنية بحثا وراء جذورها العميقة لوضع علاج حاسم لها . فمن المعروف انه مع ازدياد التقدم العلمى والتكنولوجى تزداد الحاجة الى الطاقات البشرية المدربة تدريبا عاليا ، مما يجعلنا نتوقع أن الصراع حول الحصول على الكفاءات البشرية سوف يزداد احتداما · ولعل ماقاله مدير شركة « الوظائف المتحدة » فى عدد يناير ١٩٦٨ من مجلة « العلم والحياة » الفرنسية ما يؤكد هذا : « ان قيادة العالم تبدأ اليوم من التكنولوجيا .. والتكنولوجيا تبدأ بدورها من البحث والتطوير ، وهذا هو السبب فى أن الولايات المتحدة ملتزمة أساسا بهذا الطريق .. وليس من المستغرب اننا لم نقدر على اعداد القوة العاملة الكافية لهذا .. فان اعداد التكنولوجى يستغرق عشر سنوات على الاقل .. انه أمر يستغرق وقتا طويلا واحتياجاتنا الحاضرة لا تقدر على الانتظار .. ان تغيير هذا الوضع سيستغرق عدة أعوام ، ويعنى هذا ، اننا سنعتمد لسنين عدة قادمة وبدرجات متزايدة ، على العقول المتاحة لنا من وراء البحار » .

والان ، قد يكون من الطبيعى أن نبحث فى أسباب الظاهرة كنقطة بدء ضرورية للتحكم فيها . وبقدر عمق تفكيرنا فى هذه الاسباب للوصول الى جذورها ، سيكون علاجنا لها فعالا ومجديا . واذا كان التصوير الذى قدمناه للمشكلة ، وهى انها مشكلة فاقد فى التعليم ، او بمعنى آخر أنها تعكس بصورة ما فشل نظام التعليم (سواء أكان هذا الفشل نتيجة عوامل كامنة فيه أو خارجة عنه) فى تحقيق العائد المتوقع منه ، نقول اذا كان هذا التصوير صحيحا ، فقد يكون من المرغوب فيه ان نناقش أسباب هذه الظاهرة فى علاقاتها مع هذا النظام ، وهذا ما سنحاوله فى حديثنا التالى .

الاسباب المعلنة لظاهرة الهجرة ومدى علاقتها بالتربية والتعليم

تعرضت كثير من الدراسات والكتابات لدوافع الهجرة وأسبابها . ولكن معظم الاسباب والدوافع التى وردت فى هذه الدراسات ، كانت تعبيرا عن الاراء التى يبديها المهاجرون انفسهم ، ومن ثم فان بعضها لا يخرج عن كونه مجرد تبريرات تخفى الدوافع والاسباب الحقيقية · وان كنا لاننكر،انه ليس من الضرورى ان يكون المهاجر نفسه واعيا بالاسباب الجذرية التى تكمن وراء احساساته

(٢) الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء:وسائل العمل على الاحتفاظ بالعلميين فىالبلاد العربية والاستفادة بهم فى تخصصاتهم . دراسة مقدمة للمؤتمرالثقافى العربى الثامن (القاهرة ، ١٩٦٩)

[٣] منخطاب مالكولم سى. اديسيشيا- السابق الاشارة اليه .

الحالية . ولذلك فاننا سنحاول فى هذا الجزء من حديثنا ان نناقش الاسباب المعلنة للهجرة ، لعلنا نكشف عن العوامل الخافية وراءها .

حاولت بعض الدراسات ان تصنف عوامل الهجرة الى نوعين : عوامل تتصل بالدول الجاذبة (تلك الدول التى تجذب العلميين والفنيين للعمل بها) وعوامل كامنة فى الدول الطاردة (الدول التى يتركها ابناؤها) ومبدئيا ، نود أن نستبعد من مناقشتنا الاسباب التى تتعلق بالدول الجاذبة . فما لا شك فيه ، ان هجرة العقول الى هذه الدول يعد كسبا اقتصاديا لها ، ولا ينتظر ان تتخذ من التدابير ما يمنع الهجرة اليها مهما قيل لها بواسطة اجهزة الرأى العام ، او المؤسسات الدولية . انها عملية غير اخلاقية ، وضارة بالدول النامية . ومن ثم فنحن لا نملك الا ان نعالج المشكلة فى اسبابها الداخلية بحيث يصبح تأثير عوامل الجذب (كالاغراءات المالية مثلا) أقل من تأثير عوامل البقاء فى الوطن .

فما هى عوامل الطرد ؟ ان الدراسة التى قام بها الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء عن وسائل العمل على الاحتفاظ بالعلميين فى البلاد العربية ، وغيرها من الدراسات (٤) ذكرت العديد من الاسباب والعوامل ، يمكن تلخيصها فى أربعة اسباب رئيسية سنحاول فيما يلى مناقشة كل منها على حدة :

(١) عدم مناسبة العمل المسند للفرد مع تخصصه : يرى البعض ان الاعمال التى تسند لهم لا تتفق مع اعدادهم السابق ، مما يؤدى الى عدم ارتياحهم اليها وعدم توفيقهم فى القيام بها . ويبدو ان هذا السبب يرتبط بشعار كثيرا ما رفع فى مجتمعنا وهو « الرجل المناسب فى المكان المناسب » وهنا نود ان نشير الى النقاط التالية :

أ ـ نخطىء كثيرا لو تصورنا ان تحقيق هذا الشعار امر يتصل بالتنظيم الادارى فحسب ، بل اننا نرى ان جهودا قد بذلت فى هذا المجال عن طريق أجهزة توزيع القوى العاملة ومع ذلك فشلت . ذلك أنه لم يكن هناك تطابق بين الفرص المتاحة للعمل وبين نوعيات الخريجين . فعلى سبيل المثال ، هناك احتياج سنوى متزايد للمدرسين ، بينما نجد معظم الخريجين اعدوا فى تخصصات بعيدة عن هذا المجال لا يحتاجها المجتمع فى الوقت الحاضر . اذن فهى قضية تتصل أساسا بتخطيط التعليم وبعمليات التوجيه التعليمى والمهنى فى مجتمعنا . فبالرغم من الدعوة الدائمة لربط التعليم بحاجات المجتمع ومتطلباته الا اننا فيما يبدو لم ننجح حتى الان فى تحقيق هذا الربط . بل هناك بعض التناقضات فى فكرنا التربوى حول هذا الربط . فما زال الرأى الغالب فى المجال التعليمى والتربوى ان عملية التوجيه التعليمى والمهنى عملية سيكولوجية بحتة ، تقوم على أساس قياس قدرات الافراد وميولهم فحسب ، دون اعتبار لمتطلبات المجتمع واحتياجاته . ومن شان هذا الرأى أن يخلق فجوة بين ميول الافراد المهنية وبين مطالب المجتمع ، وبالتالى فهو لا يحقق المسئولية الاجتماعية للتعليم . وينبغى الا يفهم من هذا اننا نعارض اهمية قدرات الافراد ومواهبهم وميولهم فى التوجيه التعليمى والمهنى ، ولكننا نعتقد أن احد مسئوليات التعليم هو انماء وتوجيه هذه القدرات والمواهب والميول فى الاتجاه الذى يحقق مطالب المجتمع .

ب ـ ان الاوضاع الوظيفية فى مجتمعنا تجعل بعض الافراد يحاولون الهرب باسم هذا الشعار ـ (الرجل المناسب فى المكان المناسب) من وظيفة الى أخرى تكون اكثر اغراء ادبيا او ماديا . فاذا لم يتحقق لهم ذلك ضجوا بالشكوى . ونحن نلمح ذلك فى كثير من الحجج التى يسوقها المهاجرون . فمثلا ، ان كل حامل دكتوراه يتصور ان مكانه الطبيعى هو العمل فى الجامعة ، وبالتالى يحس بالضيق لو عين فى احدى الوزارات بل اذا عين فى أحد المعاهد العليا غير التابعة للجامعة . ونحن لا نؤيد تلك الاوضاع الوظيفية الخاطئة التى تخلق حالة تنافس على وظائف دون وظائف اخرى ، وتؤدى احيانا ، الى عدم اتزان فى توزيع القوى العاملة ، فتتكدس الكفاءات فى مناطق عمل ، قد لا تكون فى حاجة اليها ، بينما تترك اماكن اخرى دون عدد كاف منها . ولكن هنا ينبغى أن نلفت النظر الى بعض المفاهيم الخاطئة التى انتشرت بين شبابنا حول طبيعة بعض الاعمال والقدرات المناسبة لها . فمثلا لايدرك هذا الشباب ان

(٤) انظر على سبيل المثال : مصطفى كمال طلبة ، اسامة الخولى : « وسائل العمل على الاحتفاظ بالعلميين فى البلاد العربية والاستفادة بهم فى تخصصاتهم » بحث مقدم لمؤتمر اعداد العلميين فى الوطن العربية والاستفادة بهم فى تخصصاتهم » ١٩٦٩ م .

حاجة مصانعنا وشركاتنا الى الباحثين القادرين على القيام بتطوير عمليات الانتاج والافادة من التطور العلمى والتكنولوجى المعاصر لا تقل عن حاجة الجامعات ومراكز البحث الاكاديمى اليهم ، وان حاجة الريف ومراكز العلاج فيـه ، اى المتخصصين فى فروع الطب المختلفة ، أشد من حاجة مستشفيات المدن اليهم . ونحن نعتقد أن المؤسسات التعليمية ووسائل الاعلام لم تقم بدورها فى تصحيح مثل هذه المفاهيم الخاطئة ، بل ان بعض ما يرد فى وسائل الاعلام ، يغذى مثل هذه المفاهيم . فعلى سبيل المثال ، خلقت بعض هذه الوسائل ضجة حول احد علمائنا الذين هاجروا ، واعتبرت ان تعيينه فى معهد البترول والتعدين (وهو متخصص فى الجيولوجيا) أمر غيـر سليم !!

جـ ـ ان هناك ، فيما يبدو ، عدم اتفاق حول معنى التخصص ، وبالتالى حول الوظيفة المناسبة لهذا التخصص . فالاراء تتراوح فى معناها بين التخصص العريض (التخصص العام فى مجال دراسى معين) وبين التخصص الضيق جدا الذى يصل الى حد حصره فى نقطة البحث التى تناولتها رسالة الدكتوراه للمتخصص . وفى الحق ، ان تحديد معنى التخصص ، يتوقف الى حد بعيد على درجة النمو العلمى فى المجتمع ، ومدى توافر عدد المتخصصين فى المجال الواحد . ففـى الدول المتقـدمة ، حيث تتسـع الاعمـال العلميـة والتكنولوجية ، وتتوافر الاعداد الكبيرة مـن المتخصصين ، يمكن الاخذ بمفهـوم التخصص الضيق ، أما فى الدول النامية ، حيث يتضاءل حجم العمل العلمى والتكنولوجى ، ويقل عـدد المتخصصين ، فلا يمكن عمليا الاخذ بمفهـوم التخصص الضيق . ومن ثم ، فاننا نعتقد أن بعض تنظيماتنا التعليمية ، وخاصة فيما يتعلق باعداد المتخصص ، لا تتفق مع واقع العلم والعمل فى مجتمعنا . كما أن مفهوم التخصص السائد بين علمائنا وفنيينا ينبغى أن يراجع .

يتضح من النقاط السابقة ، ان السبب الاول فى الهجرة « عدم مناسبة العمل المسند للفرد مع تخصصه » هو فى الحقيقة انعكاس لاخطاء فى تعليمنا تتصل بتخطيطه أو بالمفاهيم التى ينميها فى خريجيه .

٢ ـ عدم وجود فرص كافية للعمل : هناك رأى يردده البعض فى الداخل ، وتردده معه بعض الدول الجاذبة للمهاجرين ، وهو أن الهجرة لا تترتب عليها بالضرورة خسارة كبيرة للـدولة المصدرة ، لان هذه الاخيرة لا تملك حتى الان وسائل الاستفادة بهم . واذا كان هذا حق ، فانه يدعو الى التساؤل حول حقيقة أسباب عجز بعض الدول عن الاستعانة بالكفاءات الفنية الموجودة بها . قد يجرنا هذا مرة أخرى الى ما سبق ان اشرنا اليه من ضرورة ربط سياسة التعليم وخططه بخطط التنمية . وهنا نود أن نشير الى أننا مع ادراكنا ان التعليم هو فى حد ذاته عملية استثمار ، كما سبق أن أشرنا ، الا أنه لا سبيل الى الاستفادة من الاستثمارات المخصصة لانماء الجهد الانسانى الا اذا وجدت المجالات التى يمكن أن نستفيد فيها من هذا الجهد الانسانى . وهنا نجد سبيلين ، أولهما الموازنة بين الاستثمارات المخصصة للتعليم وبين استثمارات النمو الاقتصادى والاجتماعى بحيث يتناسب التوسع فى التعليم (وخـاصة مراحله العليا) مع النمو فى المشروعـات الاقتصادية والاجتماعية . أما السبيل الثانى ، فهو اعتبار التعليم وسيلة لانماء قـوى الابتكار والبحث ، بحيث يخرج افراد قادرين على خلق مجالات جديدة للعمل وعلى البحث عن مصادر مبتكرة للانتاج . وهذا السبيل الثانى يشير الى فلسفة جديدة للتعليم ، لا تقوم على افتراض اعداد الافراد لواقع ثابت بل على أساس أن الافراد ـ اذا اعدوا اعدادا سليما ، قادرون على تطوير هذا الواقع . ونحن نعتقد أن هذه الفلسفة ضرورية للدولة النامية التى تقيم مشروعاتها الاقتصادية فى ضوء تصور متخلف عن الامكانيات المناسبة (مثل الموارد الطبيعية التقليدية) .

وهكذا ، نرى أيضا أن هذا السبب للهجرة ، يتصل بفلسفة للتعليم تحتاج الى تغيير .

٣ ـ عدم توافر المناخ العلمى المناسب ، وتزايد الظروف المعرقلة للعمل : لعل من أكثر الاسباب التى ترددها الدراسات والكتابات التى تناولت موضوع هجرة العلميين والفنيين تلك الاسباب التى تتعلق بالصعوبات المعنوية والمادية التـى تواجه العمل العلمى فى المجتمع مثـل نقص الامكانيات والاجهزة ، وقيود الروتين الحكومى ، وفقدان بعض الاتجاهات والقيم اللازمة للبحث العلمى كالتعاون وتبادل الفكر وعدم التعصب .. الخ . وفى الحق أننا لا نستطيع انكار وجود مثل هذه المعوقات فى مجتمعنا ، شأننا فى ذلك شأن كثير من الدول النامية . ولكن أليس لنا أن نتساءل عمن سيخلق المناخ العلمى المناسب ، ومن الذى سيزيل مثل هذه العراقيل ؟ من الطبيعى أنه لا توجد قوة غيبية سوف تعدل من المناخ العلمى

وتقضى على معوقاته ، بل هى مسئولية كل فرد منا ، ان لم تكن المسئولية الاولى للمثقفين فى أى دولة نامية . أما أن يوجد أفراد يرسمون فى اذهانهم عالما مثاليا ، ينبغى أن يوجد ، قبل أن يبدأوا هم فى العمل ، فهذا يعنى ان التربية التى تلقاها هؤلاء الافراد نمت فيهم مفاهيم خاطئة ، ولم تسلحهم بروح النضال والمسئولية من اجل خلق ظروف افضل للعمل والحياة . بل يبدو أن مفهوم العلم ووظيفته . أيضا ـ غير واضح . ان تاريخ العلم ، هو فى الحقيقة تاريخ نضال ضد معوقات التفكير والبحث ، معنوية كانت أم مادية . وهنا ينبغى أن ندرك أيضا ، أن تلك الاتجاهات المعوقة للعمل العلمى ماهى الا دليل على ان هناك خطأ فى تربية وتدريب العلميين والفنيين بحيث انهم تخرجوا ملمين بحقائق العلم وقوانينه ، ولكنهم تخرجوا أيضا ، غير مزودين بالاتجاهات ، والقيم اللازمة لتنميته وحسن استخدامه .

اذن فقضية توفير المناخ العلمى المناسب ، هى مرة أخرى قضية نظام تربوى لا يهتم فى بناء المجتمع العلمى الا بتزويد الافراد بمعلومات وحقائق علمية ، متناسيا ، أن الامر الرئيسى فى هذا البناء هو تغيير عادات الناس وتقاليدهم وأساليب تفكيرهم بما يضمن نمو العلم والافادة منه على افضل وجه . ولكن الامر الخطير هنا ، والذى نعتبره سببا حقيقيا للهجرة ، وأن كان خافيا ، هو ضعف الالتزام بقضايا المجتمع ومشكلاته . ولعل الجدول التالى الذى يبين تطور اعداد العلميين والفنيين المهاجرين (٥) يكشف عن ظاهرة ملفتة للنظر :

العـام	هجـرة منظمـة	امتنـاع عن الهجرة	المجموع
١٩٦٢	١٢٦	٤٠	١٦٦
١٩٦٦	٢٧٠	٤٠	٣١٠
١٩٦٧	٤٠٠	٨٧	٤٨٧
١٩٦٨	٩١٣	٥٧	٩٨٠

يتضح من هذا الجدول أن معدل زيادة الهجرة يرتفع بصورة ملحوظة فى عام النكسة والعام التالى له . ان هذا يعنى ، ان هناك افرادا لم يتحملوا ظروف المحنة التى ألمت بالوطن . وذلك فى وقت كشفت فيه النكسة ، عن حاجتنا الماسة الى الاسراع فى التطور العلمى والحضارى ، الذى يتحتم أن يأخذ الدور القيادى فيه العلماء والفنيين .

٤ ـ **التطلع الى حياة مادية افضل** : واخيرا نأتى الى سبب حقيقى رئيسى ، يصرح به أحيانا ، ويختفى أحيانا أخرى وراء أسباب وهمية . ومبدئيا لا نستطيع أن نعترض على أن التطور يعنى مزيدا من الرفاهية للانسان ، كما أننا لا ندين الفرد الذى يتطلع الى حياة أفضل ، ولكن اذا أخذ هذا التطلع الصورة الفردية ، مع اهمال صالح الجماعة ، بل وعلى حسابها ، فهنا يظهر التناقض الذى يحتاج الى علاج . ونحن لا نجادل فى أن الحوافز المادية (المرتبات والمكافآت) التى يقدمها مجتمعنا للعاملين فيه أقل بكثير مما تقدمه لهم الدول الجاذبة ، وجميعها دول غنية . وهنا يجب أن ندرك بأن ظروفنا الاقتصادية ومستويات الدخل عندنا (مثلنا مثل أى دولة نامية) لا يمكن مقارنتها بالدول المتقدمة . ومن ثم ، فليس فى استطاعتنا الدخول فى تنافس مع هذه الدول فى مجال الاجور والمكافآت التى تعطى للعلميين والمهنيين ، وليس فى قدرتنا أن ندخل سوق الكفاءات التى خلقته الدول الرأسمالية كمشترين . وهنا نتساءل عن فلسفة واتجاهات ومناهج هذا النظام التعليمى والتربوى الذى يفترض أن يكون قوميا ، مربيا لمواطنين ملتزمين بقضايا مجتمعهم ، مستعدين للتضحية ببعض رفاهيتهم الشخصية من أجل هذا الشعب الذى بذل الكثير من أجل توفير فرص التعليم لهم ، ومع ذلك تحول ليصبح منتجا لسلع تعرض نفسها فى السوق لمن يدفع أكثر !! هذه هى القضية الاساسية التى تحتاج الى علاج جذرى .

والان ، لعله قد اتضح لنا أن الاسباب المعلنة للهجرة انما هى فى الحقيقة ظواهر لها مسبباتها الكامنة فى نظامنا التربوى ، فلسفته وأهدافه ومناهجه ، وهى تعكس نواحى قصور تؤدى الى نتائج من أهمها :

- **اعتبار التعليم وسيلة لتحقيق مكاسب وتطلعات فردية ، دون الالتزام بمسئولية اجتماعية ازاء المجتمع الذى يعطى هذا التعليم .**

(٥) هذا البيان مستمد من دراسة الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء التى سبق الاشارة اليها .

● عدم انماء روح النضال فى نفوس الاجيال الصاعدة من اجل أحداث التغيير الاجتماعى وازالة العوائق من اجل مستقبل افضل .

● فجوة بين التخطيط التعليمى (كما وكيفا) وبين مخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

● انتشار مفاهيم واتجاهات خاطئة لا تلائم حاجتنا الى بناء مجتمع علمى عصرى .

وفى الحق أن مثل هذه النتائج تجعلنا نعتبر أن مشكلة هجرة العقول ليست الا مظهرا يكشف عن حاجتنا الملحة الى اعادة النظر فى تعليمنا ، لا من اجل علاج هذه المشكلة وحدها ، بل من أجل زيادة فاعلية التعليم كعنصر رئيسى فى بناء المجتمع وتطوير الحياة فيه . ولعل هذا هوالذى يدعونا الى الاعتقاد فى عدم جدوى بعض الحلول المقترحة للقضاء على ظاهرة الهجرة مثل منعها عن طريق القانون ، او تقديم حوافز وقتية ، فهذه قد تخفى الظاهرة أو تقلل منها ، ولكنها لا تعالج جذورها ، وخاصة أن هناك من يعيش فى الداخل ، ولكنه لا يختلف فى سلوكه عن سلوك المهاجر من حيث عدم توظيف علمه فى خدمة المجتمع ، واتخاذه التعليم وسيلة للارتقاء الفردى .

نحو معالجـة تربوية لظاهرة هجرة العقول

مع أننا ندرك تماما أن النظرة الشاملة للتعليم ، فلسفته وسياسته وأساليبه واقتصادياته ، ضرورية حتى يمكن علاج أوجه قصوره التى تعد الهجرة احد ظواهره . الا اننا ، سوف نشير فقط الى بعض النقاط التى تحتاج الى عناية خاصة لأنها ترتبط ارتباطا مباشرا بموضوع حديثنا :

١ ـ توجيه التعليم كأداة لخدمة المجتمع : قد تبدو الدعوة الى تغيير اتجاه التعليم بحيث يكون وسيلة لتطوير المجتمع وخدمة قضاياه دعـوة ساذجة ، لانها بديهية لا تحتاج الى تنبيه . ولكن الامر ليس شعارا يرفع ، بل منهاجا يحقق هذا الشعار . فهناك من الادلة التى تجعلنا نحس بأن تعليمنا مازال يحمل فى ثناياه رواسب الماضى . فالتعليم المدنى الحديث نشأ بمعزل عن تعليم الشعب الذى كان يتمثل فى الكتاتيب والمعاهد الدينية ، وبالتالى كان يعتبر وسيلة لـلانتقال الطبقى ، وللحياة فى المدن بعيدا عن التربية ، ولتقلد الوظائف الحكومية التى تضمن لشاغلها نوعا من المكانة الادبية والمادية غير متوفرة لمعظم أفراد الشعب . وللأسف مازال هذا هو احساس الكثير من المتخرجين فى معاهد التعليم المختلفة . فمثلا ، فى دراسة عن مشكلات طلاب الجامعات عبر كثير من الطلاب عن خشيتهم من العمل بالقرى (٦) ،هذافى الوقت الذى ننادى فيه بتطوير القرية ، واعتبار التعليم أحد وسائل هـذا التطوير . كما أن ظاهرة الهجرة نفسها ، تعد دليلا على أن البعض مازال يعتبر التعليم وسيلة للارتقاء الفردى الذى اذا لم يتحقق فى الداخل ، فقد يتحقق فى الخارج .

ان توظيف التعليم فى خدمة المجتمع ، وخلق أفراد يلتزمون بقضايا المجتمع ، وقادرين على الاسهام فى تطويره ، أمر لا يحتاج الى مزيد من المقررات القومية كما يتصور البعض (وأن كنا لا ننكر أهميتها) ، بل يحتاج الى تغيير شامل فى المناهج الدراسية وأساليب التدريس فى جميع المراحل . فمثلا ، يجب أن تنفتح أجهزة التعليم على المجتمع ، وتندمج مع الحياة اليومية لجماهير الشعب ، وتأخذ دورا فى التفاعل الاجتمـاعى المستمر ، وتسهم بدور أكبر فى حل المشكلات الملحة ، ولا تبقى طلابها طوال فترة تعليمهم فى مواقف سلبية ، يشاهدون ما يدور فى المجتمع دون أن يشاركوا فى بنائه . فما معنى أن يدرس الطالب أن قضية الامية احدى المشكلات الاساسية التى تواجه مجتمعنا ، ومع ذلك لا يشارك فى حملة لمحو الامية ؟ وما معنى أن يدرس الطالب ضرورة وقاية الزراعة من الافات ، ولا يسهم مع الفلاحين فى تنقية زراعاتهم من هذه الافات ؟ ان الدراسة النظرية لمشكلات المجتمع لا تسهم وحدها فى تربية المواطن الملتزم بحل هذه المشكلات ، بل تعوده على الاسهام فى حل هذه المشكلات منذالصغر ، امر اكثر اهمية . ودور التعليم فى هذا المجال ليس منفصلا عن دوره التعليمى ، بل هو الطريق الذى ينبغى أن يسلكه لكى تحس الاجيال الصاعدة بـواقع المجتمع ، وتتلمس مشكلاته ، وتبلور فكرها فى طرق التقدم الاجتماعى ووسائله.

(٦) المركز القومى للبحوث الاجتماعية: بحث احتياجات طلاب الجامعات ،القاهرة،١٩٧١ ، ص.٩٦ ـ ٩٧

٢ - **التعليم من أجل التغيير :** اذا كانت التربية هى الوسيلة التىتؤدى الى اشتراك الفرد اشتراكا فعليا فى نشاط المجتمع وتعده للحياة فيه والتفاعل معه والتكيف لظروفه ، فانها تعتمد على اعتبار الفرد والمجتمع وحدة وظيفية واحدة تنمو من خلال عمليات التفاعل المتبادلة بين جزءيها (الفـــرد والمجتمع) وتؤدىالى تعديل فى سلوك الفرد ، كما تؤدى الى تعديل فى الظروف البيئية أيضا . ولعل هذا هو جوهر التطور الذى يعيد تشكيل الحياة على ارضنا العربية . ومن ثم فلا ينبغى أن يكون المقصود من ارتباط التعليم بالمجتمع هو العمل على اعداد الطلاب للتكيف (بصورته الاستاتيكية) مع الواقع الذى يعيشونه ، بل يجب أن يكون الهدف الرئيسى هو تهيئة الطلاب للتفاعل مع واقعهم لتغييره مستخدمين فى ذلك العلم الحديث . وقد يكون من الواضح أن هذا ، يحتاج الى مراجعة مفهومنا من ارتباط المناهج بالبيئة - وهو شعار كثيرا ما يتردد - بحيث لا يعنى الاقتصار على شرح العمليات والاساليب الموجودة فى البيئة ، وتدريب الطلاب عليها ،بل يجب ان يكون العرض من هذا الارتباط معالجة هذه العمليات والاساليب ، تمهيدا لتطويرها فى ضوء التقدم العلمى . فالطفل فى القرية لا يعلم أساليب الزراعة السائدة من أجل العمل بها فقط ، بل يدرسها ليتضح أمامه الطريق نحو تطويرها مستفيدا فى ذلك بما تلقاه من علم . ولا شك أن التربية من أجل التغيير تنمى فى الاجيال الصاعدة روح النضال والكفاح واعتبار لذة النجاح فى مواجهة التحديات حافزا قويا لهم .

٣ - **انماء مفهوم العلم الملتزم :** فى ظروف تاريخية لا مجال للحديث عنها ، ظهر فى العالم اتجاهان رئيسيـــان فـــى العلـــم ، أحـــدهما اتجاه « العلم للعلم » ، وينادى انصاره بأن هدف العلم هو الكشف عن الحقائق ، وأن أى حقيقة علمية تعد ذات قيمة فى حد ذاتها ، أما الاتجاه الاخر وهو ما يسمى « العلم للمجتمع » فهو يدعو الى البحث عن الحقيقة ذات الصلة المباشرة بنفع الانسان وحل مشكلاته . والاتجاه الاول يوجه التعليم نحو تزويد الطلاب بالحقائق والمبادىء العلمية المجردة ، بينما يدعو الاتجاه الثانى الى تزويد الطلاب بالحقائق ذات القيمة التطبيقيـــة المباشرة .

ولقد كشف التطور العلمى المعاصر عن زيف هذا الصراع ، اذ لا يوجد تعارض بين الاتجاهين ، فالبحث عن الحقيقة هو فى حد ذاته كشف للانسان عن القوى والطاقات المحيطة به ،وهذا الكشف هو نقطة البداية لاستخدام هذه القوى والطاقات فى حل المشكلات واشباع الحاجات . ومع ذلـك فما زال تعليمنا يعانى من صراع - لا مبرر له - بين الاكاديمية والفنية ، وبين العلم المجرد وبين العلم الوظيفى . اننا فى حاجة الى صياغة لمناهج الاعداد العلمى تأخذ فى اعتبارها أمرين :

أ - أنه مع الايمان بأهمية جميع الحقائق العلمية ، وبقيمة أى بحث علمى ، الا أنه ينبغى علينا أن نواجه مشكلة الاختيار . ويجب أن تنبع اوليات اختيار عناصر الاعداد العلمى من وعينـا بأساسيات المعرفة العلمية ، كما تنبع من ادراكنا لقضايانا السياسية والاقتصادية ودور العلم فى حلها .

ب - مع أن حقائق العلم وقوانينه لا تختلف من مجتمع الى آخر ، الا أن الهدف من استخدام هذه الحقائق والقوانين هو الذى يختلف . ان العلم عالمى فى حقائقه ، ولكنه قومى فى تطبيقـه . ولذلك ، فنحن فى حاجة الى علم قومى يجمع فى وحدة واحدة الحقائق العلمية الخالصة وبيـن استخداماتها فى واقعنا . وهنا ينبغى أن ندرك أن العلم قوة تتحدد اتجاهها بالقيم التى نلتزم بها . ومن ثم ، ينبغى أن تلتزم أى دراسات علمية بالقيم المصاحبة لتطورنا الاجتماعى . وتنمية هذه القيم فى نفوس الاجيال الصاعدة امر هام فىتحقيق وظيفة العلم فى مجتمعنا العربى . وهذا يشير الى خطأ يقع فى جميع مراحل تعليمنا ، وهو الفصل بين الاعـداد العلمـى والاعـداد الانسـانى الاجتماعى . فلابد لهذين الجانبين ان يمتزجا معا ليحققا تربية الشخصية العربية الملتزمة والمؤمنة بالقيم التى توجه حاضرنا نحو مستقبل أفضل .

٤ - **ارتباط التعليم بالتخطيط الشـامل للمجتمع :** بالرغم من كثرة التقارير والدراسات التى أجريت حول هذا الموضوع ، الا أنه فيما يبدو لم نحقق هذه الغاية حتى الان . ويظهر هذا ، بصورة واضحة ، فى المشكلة التى تظهر سنويا عند توزيع الخريجين للعمل ، وفى الشكوى الدائمة من عدم تعيين هؤلاء الخريجين فى الامـاكن المناسبة . وقد يبدو للبعض ، أن الدعوة لربط التعليم بخطط التنمية ، هى دعوة لتضييق التعليم ، الامر الذى لا نقصده اطلاقا . ان المقصود بهذه الدعوة ، هو الربط بين نوعيات التعليم (كما وكيفا) وبين احتياجات البلاد . ومع ذلك ، يجب أن ندرك أن هذا الربط ليس ربطا استاتيكيا ثابتا ، ولكنه صلة دينامية ، بمعنى أن التعليم لا يخدم احتياجات محددة معروفة مسبقا فحسب ، بل انه

ينمى فى نفس الوقت قدرات الابتكار والبحث بحيث يكون وسيلة لتطوير مجالات الانتاج وخلق فرص جديدة للعمل والتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٥ ـ **ضرورة مراجعة سياسة البعثات :** لعلنا نجد أنفسنا ، فى ضوء الاتجاهات السابقة ، فى حاجة الى مراجعة شاملة لسياسة ارسال البعثات الى الدول المتقدمة . حقا اننا فى حاجة الى الاطلاع على العلم المتقدم ، وفى حاجة الى التلاحم مع التطور العلمى والتكنولوجى المعاصر ، كما أننا فى حاجة الى أعداد متزايدة من الباحثين والفنيين تقصر امكانيات جامعاتنا عن الوفاء بها ، الا أننا نود أن نلفت النظر الى بعض الامور :

أ ـ ان نوعية الدراسات والبحوث التى يقوم بها المبعوثون الى البلاد المتقدمة ، ترتبط بمشكلات هذه البلاد ، وهى تختلف الى حد بعيد عن مشكلات الدول النامية . ومن ثم ، فان صورة الاعداد الذى يتلقاه هؤلاء المبعوثون لا يخدم كثيرا قضايا ومشكلات مجتمعنا .

ب ـ ان قضاء المبعوث فترة من الزمن فى البحث والدراسة في ظل امكانيات تستطيع الدول المتقدمة أن توفرها ، يجعل من الصعب عليه التكيف مع ظروف وامكانيات الدولة النامية فى البحث والدراسة .

جـ ـ ان المبعوث الذى يسافر فى سن مبكرة ودون تأهيل نفسى واجتماعى مناسب ، يكون عرضة للتأثر بالاغراءات التى تقدمها الدول الجاذبة له ، وهذا أمر كشفت عنه معظم الدراسات التى أجريت فى هذا المجال .

ومع أن هذا الموضوع يحتاج الى معالجة مستفيضة لا يتسع المجال لها ، الا أننا يمكن أن نقوم ببعض المقترحات :

١ ـ ضرورة الاسراع بتدعيم مراكز البحث وبرامج الدراسات العليا . وهذا التدعيم لن يكلفنا نفقات تزيد عن النفقات التى تتطلبها البعثات . ولا مانع من الاستعانة فى هذا ببعض العلماء الذين نستقدمهم من الخارج للمساهمة فى الاشراف على البحوث والدراسات العليا .

٢ ـ ايجاد صلة تعاون علمى مع الدول النامية التى تتشابه ظروفها ومشكلاتها مع ظروفنا ومشكلاتنا . وهذا التعاون يجعل من اليسير علينا تبادل المبعوثين معها ، وفق المجال العلمى الذى تبرز فيه كل دولة .

٣ ـ الاعتماد فى التلاحم مع العالم المتقدم على شباب الباحثين ، واعضاء هيئات التدريس بالجامعات والمعاهد العليا الذين اكتمل تأهيلهم ، بان توفر لهم فرص السفر فى مهمات علمية يكون الهدف منها ، الاطلاع على البحوث الحديثة ، والبحث عن حلول لمشكلات يعانى منها المجتمع ، والتدريب على انشاء مدارس علمية قومية للبحث والدراسة .

واخيرا ، نود أن نؤكد أن نجاح أي فلسفة تربية تربط المواطن بوطنه ، وتجعله يضحى ببعض تطلعاته الفردية من أجله ، أمر يتوقف على تكاتف الاجهزة التعليمية مع الاجهزة السياسية والاعلامية فى الالتزام بهذه الفلسفة .

٣ اتجاهات رئيسية حول :

هجرة الكفايات العلمية

كمال السيد

أثار مؤتمر سياسات الهجرة والعمل بالخارج الذى نظمه الجهاز المركزى للتنظيم والادارة ، اهتماما بالغا بين المهتمين بقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتخطيط ،وذلك لحيوية وخطورة الموضوع الذي يناقشه واثره على مجمل التطور اللاحق لبلادنا ، في كافة مناحي حياتها·

وقد أكد المؤتمر ، سواء من حيث عدد المشتركين فيه أفرادا وهيئات ، أو من حيث تشعب الموضوعات التي طرحت للبحث ، ان موضوع الهجرة يثير جدلا صاخبا ، وخلافا عنيفا في صفوف مفكري دول العالم الثالث واصحاب الرأى فيه ، بل وفي داخل مراكز اتخاذ القرارات في هذه الدول · ذلك أن البعض يرى اطلاق هذه الهجرة ، ويعدد مزاياها وفوائدها ، ويرى فيها حلولا لمشاكل مستعصية فعلا — وتنبع أساسا من قصور الموارد المتاحة ، او مايسميه البعض رأس المال المنتج، **عن ايجاد فرص للعمل والانتاج للاعداد المتزايدة** من السكان ، وضمان التوازن بين صفة كل مواطن كمنتج وصفته كمستهلك . ويطالب انصار الهجرة هؤلاء ، بتسخير كافة امكانيات الدولة ليس فقط لتسهيل حركة المهاجرين ، وانما ايضا للدعوة للهجرة والحض عليها والدفع اليها دفعا ··

وهناك فريق آخر يطالب بتقييد الهجرة ،أساسا عن طريق تحديد تخصصات «حرجة» يمنع بعضها من الهجرة تماما ،وتحدد «حصة» عددية لمن يسمح لهم بالهجرة من بعض التخصصات الاخرى ، مع اعطاء الاولوية لجهات ومشروعات معينة لاستيفاء حاجتها قبل السماح بالهجرة ·وينادى **فريق ثالث** بمنع هجرة الكفايات أصلا ، بل ويذهب البعض الى المطالبة بمنع الاعارات او تقييدها على الاقل·

دعاة الهجرة بين الحلم والواقع

ويمكن تلخيص أسباب وحجج المنادين باطلاق الهجرة وتسهيلها فى :

١ ـ أسباب سياسية :

وأقل ما يقال أن هذه الاهداف السياسية طموحة بدرجة تجعلها غير قابلة للتطبيق أصلا • اذ يرى انصار هذا الراى ، انه «من أهم الاهداف القومية والسياسية ، تكوين جالية عربية فى دول المهجر ، تنقل عاداتنا وتقاليدنا الاصيلة وتتحدث بلسان القومية العربية ، لتقف أمام تيارات الدعاية الاستعمارية، والنفوذ الصهيونى فىتلك الدولة»•

والواقع أنه يرد على هذا الرأى عدة ملاحظات من أهمها :

■ ان المهاجرين المصريين ، او حتى العرب عموما ، لن يصل عددهم الى الحجم الذى يمكنهم من تكوين جالية ضاغطة فى أى دولة كما أن امكانياتهم المادية فى دول المهجر لن تتيح لهم موازنة نفوذ وامكانيات الجاليات الاخرى ، خاصة اليهودية • فالمهاجرون العرب ، فضلا عن انهم مازالوا مبتدئين فى هذه الدول ، فان الظروف والاوضاع الاقتصادية التى تفرض عليهم فى دول المهجر ، لا تتيح لهم الفرصة لتكوين ثروات أو « تراكمات » تكسبهم نوعا من النفوذ أو التأثير الجدى •

■ أن الهجرة مع عدم التقليل من خطورة العوامل الداخلية الطاردة للكفايات العلمية ، تعكس حقيقة أن ذهن المهاجر مشغول بقضايا شخصية اساسا ، ومن ثم فلا ينتظر ان يتفرغ المهاجر اساسا للدعاية لقضايا الوطن .

■ يبقى بعد ذلك أن الدول « الجاذبة » للمهاجرين،تنتهج سياسة مرسومة لاستيعابهمفكريا وثقافيا • ويسهل هذا ، أن كثيرا من هؤلاء المهاجرين يتركون بلادهم بدافع الربح والكسب والانبهار بنمط الحياة السائد فى دول المهجر • وتمارس هذه الدول « عملية غسيل مخ » منظمة ومحكمة، لضمان الاندماج الفكرى والثقافى للمهاجرين ، والتأكد من امتصاصهم حضاريا بل وسياسيا ، والسعى الى كسب ولائهم تماما لما يسود فيها من آراء ومعتقدات •

وفى الجانب المقابل ، يدعى بعض الاجانب أن من بين أسباب هجرة الكفايات العلمية ما تلاقيه من قهر وضغط سياسى • فقد كتب هيدريك سميث فى نيويورك تايمز فى ٩ ــ ١ ــ ١٩٦٦ يقول « ان المسئولين فى مصر يشرحون لاخصائهم أن الهجرة يسمح بها لتكوين جاليات مصرية فى الخارج لمقابلة النشاط الصهيونى • لكن الخبراء الاجانب الذين يتابعون الموقف عن كثب ، يعتقدون أن الحكومة تشجع رحيل الجماعات الساخطة سياسيا واقتصاديا » •

والواقع ان هذا قد يكون صحيحا تماما فىبعض البلدان الاسيوية والافريقية الخاضعة لسيطرة الامبريالية ، والتى تد تجد الكفايات العلمية فيها « تناقضا وطنيا » مع أنظمة الحكم القائمة هناك ولا ترى لذلك حلا سوى الرحيل • كما أنه قد يكون صحيحا بالنسبة لبعض العلميين فى البلاد التى تأخذ بالملكية العامة وحدها وتسيطر الدولةفيهاعلى كافة ثرواتها ولاتترك شيئا للقطاع الخاص،كما تنفرد بتحديد مجالات العمل والنشاط ، فيجد بعض العلميين أنفسهم فى « تناقض اجتماعى »مع النظام الجديد ويفضلون الرحيل •

أما بالنسبة لبلادنا ، فلا يمكن القول بأن « التناقض الوطنى » يشكل سببا من أسباب الهجرة • بل أن « التناقض الاجتماعى » لا يشكل بدوره سببا أساسيا للرحيل ــ الا لدى قلة ــ وذلك لاسباب متعددة من أهمها أن الدولة لا تملك كافة مصادر الثروة ، ولا تحرم نشاط القطاع الخاص ، أو تصفيه ، ولا تحظر الملكية الخاصة أو تقضى عليها ، حتى أن العلميين من «أبناء المالكين» لا يقعون فى تناقض عدائى مع الدولة بسبب مواقعهم الطبقية • كذلك فان غالبية المتعلمين ــ بعد التوسعات التى جاءت بها ثورة يوليو فى التعليم ــ من أصول شعبية (عمالية ، بورجوازية صغيرة) لا يمكن أن يكون الخط الاجتماعى للدولة سببا فى نشوء تناقض اجتماعى عدائى معها •

وهذا لا ينفى طبعا أن **بعض** الكفايات قد تهاجر الى الخارج لعدم موافقتها على الخط الاجتماعى السائد ، ولكن هذا ينبع اساسا تحت تأثيرات فكرية معادية للتحول الاجتماعى واردة من الخارج اساسا ، وتحت تأثير تطلعات اجتماعية نابعة من اهتزاز فكرى ، فضلا عن ان منيهاجرونتحت تأثير هذا السبب **منفردا** قلة لاتذكر • صحيح أن عددا كبيرا من الكفايات العلمية الموجودة فى مصر قد هاجر فى بدء عملية التحويل الاجتماعى ، ولكن هؤلاء لم يكونوا مصريين ، بل كانوا من أصول أجنبية استوطنت مصر عندما كانت « مالا مباحا » للاجانب ، وتخلوا عنها عندما أرادت أن تفرض اشرافها ــ وكان ذلك فى البدء بقدر ــ على مواردها وأنشطتها •

٢ ــ اسباب اقتصادية :

يعدد يعاة الحض على الهجرة المزايا والمكاسب

الاقتصادية التى تترتب عليها ، حتى انهم يصورونها حلا سحريا لجميع المتاعب والمصاعب الاقتصادية • ومن اهم المزايا التى يذكرونها فى هذا الصدد :

(ا) تخفيف حدة النمو السكانى فى الدول التى تعانى من تضخم عدد سكانها • وايجاد موازنة بين الزيادة فى السكان والزيادة فى الدخل • وهذا القول مردود عليه بما يلى :

● ان أعداد المهاجرين وان كبرت لا تشكل فى مجموعها سوى نسبة لا تذكر من الزيادة السنوية فى عدد السكان ، ومن ثم فهى لا تقدم حلا للانفجار السكانى •

● ان الذين تقبل دول المهجر رحيلهم اليها ، هم أساسا من أصحاب الكفايات العلمية والخبرة • واعداد واحد من هؤلاء يتكلف حوالى ٣٠ ألف جنيه استرلينى حسب تقدير **اليونسكو** (بالنسبة للمهاجرين من بريطانيا) ، وفى مصر يصل تقدير تكاليف اعداده الى مبلغ يبدا من ٣٠٠٠ جنيه (تقدير **الدكتور رشدى سعيد** فى مؤتمر القادة الاداريين حول الهجرة) ليصل الى ٣٠٠٠٠ جنيه (تقدير **الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله**) • وتقدر **اليونسكو** ان الولايات المتحدة كسبت فى الفترة من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى منتصف الستينات حوالى ٤٠٠٠ مليون دولار « هدية » من الدول التى صدرت اليها كفاءاتها العلمية التى أنفقت الكثير على اعدادها ، واستولت عليهم أمريكا « على الجاهز » •

(ب) زيادة الدخل القومى من العملات الصعبة ، عن طريق ما يرسله المهاجرون الى بلادهم • وهذا القول بدوره يعترضه ما يلى :

● فضلا عن ان الهجرة تعنى ضعفا فى الروابط بالبلد مما لا يجعل المهاجر حريصا على افادتها ، فان ظروف عمل المهاجرين فى دول المهجر لا تترك لهم الكثير بعد سد نفقات الحياة الضرورية • اذ انه من الاسباب الضرورية لاستجلاب المهجرين « رخص » قوة عملهم ، خاصة عن مثيلتها المحلية وتقبولهم أجورا أقل • والاجر الذى يحصل عليه المهاجر « مرتفع » بالنسبة لمستوى الاجور والاسعار فى بلده ، ولكنه متوسط أو أقل من ذلك بالنسبة للاجور ولاسعار المعيشة فى دول المهجر • الامر الذى يجعل كثيرا من المهجرين ، يعمل لمدة قد تبلغ ضعف المدة التى يعملها فى بلده الاصلى ، لمجرد الحصول على الاحتياجات الضرورية •

● ان دول المهجر تفرض قيودها على تحويل النقد ، وهى لن تترك الحبل على الغارب للمهاجرين لتحويل ما قد يكسبونه الى البلاد التى جاءوا منها •

(جـ) ان توافر الامكانيات المادية والعلمية فى دول المهجر ، يتيح للكفايات المهاجرة فرصة الخلق والابتكار والازدهار العلمى ، بما يوصلهم الى نتائج علمية وتطبيقية تفيد منها البشرية جمعاء بما فى ذلك بلدانهم الاصلية •

ورغم السذاجة الواضحة فى هذا الرأى ، فانه يمكن تكرار السؤالين اللذين طرحهما **السيد عبد الله عيسى زكى** فى موضوعه عن « هجرة الكفايات العالية من الدول النامية الى الدول المتقدمة » والمقدم الى مؤتمر سياسات الهجرة والعمل فى الخارج • وهذان السؤالان هما :

ـ هل يسمح الوضع الحالى فى الدول النامية بالانتظار لهذه الانجازات غير المباشرة والطويلة الاجل ، مضحيا بالخدمات المباشرة التى يستطيع هؤلاء المهاجرين تقديمها لاوطانهم ؟

ـ كم من الابحاث التى اجريت فى البلاد المتقدمة سوف تكون ذات فائدة لاحتياجات البلدان الافقر ؟

ويمكن أن نضيف الى السؤالين السابقين ، حقيقة أنه من الاهداف الاساسية لسياسة سرقة العقول والكفايات العلمية ، حرمان البلدان النامية من عنصر أساسى لا غناء عنه لتقدمها الاقتصادى وانهاء تبعيتها فى هذا المجال للبلدان الامبريالية ، ألا وهو الفنيين والعلميين • وكما أن الاحتكارات تشترى الاختراعات والاكتشافات الجديدة التى قد تؤدى الى زيادة الانتاج ورخص تكاليفه ومن ثم انخفاض الاسعار ، لتقبرها فى مكاتبها وتمنع الاستفادة منها ، فانها أيضا تشترى الكفايات العلمية من الدول النامية اما لاستخدامها لصلحتها أو حتى **لمجرد منع هذه الدول الاخيرة من الاستفادة منها** • وعند الضرورة ترسل الدول الامبريالية خبراءها وفنييها ـ من أبنائها ـ الى البلدان النامية ، ليفرضوا اتجاهاتهم وسيطرتهم على مشاريعها وخططها ، وليتقاضوا رواتب هائلة • ومن المضحك مثلا ، أن الهند صدرت بضعة آلاف من علمائها الى الدول المتقدمة ، لتستورد بضع مئات من نفس التخصصات من نفس هذه الدول ، وبأجور خرافية •

ومن الطريف أن رواية بوليسية أصدرتها دار **الكتاب الجديد** بالقاهرة باسم « **المصير المجهول** » وعليها اسم الكاتبة المشهورة أجاثا كريستى ، **تحكى قصة أحد كبار رجال الاعمال الذين حققوا**

ثروات هائلة من الاستثمار فى النشاطات المعهودة العادية ، ورغبة منه فى تحقيق ارباح خرافية ، أرسل عملاءه فى أنحاء العالم ، يجندون له العلماء ويستميلونهم ، اما بدعاية شيوعية أو فاشستية أو بالنقود ، لينتقلهم الى مستعمرة علمية ضخمة فى الصحراء ليواصلوا عملهم ، تمهيدا لاعادة بيع انتاجهم ، أو اعادة بيع العلماء أنفسهم ، بعد استكمال استنزافهم من العالم ، واشتداد الطلب عليهم ،عندما يأتى الوقت الذى يصبح فيه هو الوحيد الذى يملك « مخزونا » منهم ! ٠ والرواية ليست خيالا محضا ،ففى الولايات المتحدة هناك فعلا شركة «الوظائف المتحدة» ورئيسها يسمى Mister Brain Drain

٣ ـ أسباب اجتماعية

يرى دعاة الهجرة « ان الهجرة تعنى فتح أسواق جديدة للايدى العاملة ٠ **وبذلك يستبعد خطر البطالة** ٠ كما أن الهجرة الى الخارج تساعد على حل مشاكل التعليم ، والتنقل والاسكان ، بالاضافة الى رفع نصيب الفرد من الدخل القومى ٠٠ فيرتفع الحد الادنى للمعيشة لبقية السكان بعد هجرة الغالبية منهم » (١)

ونعتقد أن نهاية الفقرة السابقة تحوى خطأ مطبعيا اذ لا يتصور هجرة الغالبية ، ليرتفع الحد الادنى لمعيشة الباقين ٠ أما الهجرة باعتبارها حلا للبطالة ، فيمكن ايراد الملاحظات التالية بصدده :

■ ان مجموع المهاجرين محدود فى قيمته المطلقة كما اسلفنا القول ، فى حين تتضخم اعداد المصابين بالبطالة بأنواعها السافرة والمقنعة . اذ تصل بعض التقديرات بالفائض فى اليد العاملة الزراعية وحدها الى ٣ ملايين ، فى حين أن المهاجرين على مدار السنوات العشر الماضية يبلغ عددهم حوالى ٢٦٦٠٠ مهاجر ٠٠

■ ان الدولة تلتزم بتعيين خريجى المدارس والمعاهد والجامعات ، ومن ثم فان « الوظيفة » مضمونة لهؤلاء ، اما اعتبارهم منتجين من عدمه فتلك قضية اخرى ٠

■ ان المهاجرين اساسا من ذوى الكفايات العلمية وهؤلاء ليس بينهم بطالة وانما سوء توزيع اساسا ، كما تبين كل الدراسات ٠

■ ان دراسة أجراها معهد التخطيط بينت تزايدا مستمرا فى استخدام الكفايات العالية فى مشروعاتنا ، وتناقصا كبيرا فى الفائض منها ٠

كما يعتبر البعض أن الهجرة انفتاح على العالم الخارجى ٠ والمهاجرون عينة من الشعب فى الوطن الام وانتقالهم الى الخارج يعطى فكرة صحيحة لمواطنى دول المهجر عن شعب الوطن الام الذى شوهت صورته الدعايات المعادية المسمومة ٠

والواقع أن المهاجرين تحكمهم أنواع من التفكير والدوافع ــ وهى السبب فى انتقالهم من بلدانهم الى البلدان الاخرى ــ لا تجعل منهم عينة ممثلة لباقى الشعب الذى يفضل البقاء فى بلده والعمل فى خدمتها ، ايا كانت احوال المعيشة والكسب فيه ٠ ويدعى البعض أن الهجرة تؤدى الى التأثير فى سياسة حكومات المهجر ٠ « من المعروف ان بعض الاقليات قد تؤثر فى سياسة الدولة التى تعيش فيها ، اذا كان لها وزنها اقتصاديا أو سياسيا » (٢) .

ومن الواضح أن هذا الامل ليس له أى سند من الواقع ٠

المعارضون ٠٠ وحججهم

تلخص المذكرة التى قدمها الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير الدولة للتخطيط الى اللجنة الوزارية للخدمات فى ابريل ١٩٧٢ ، أهم الحجج المعارضة للهجرة ، والتى تتمثل فى :

● ان الهجرة لا تمثل حلا لمشكلة الانفجار السكانى ٠ ذلك أن ٤٥ فى المائة من سكان مصر سنهم ١٥ سنة فأقل ، وان ٥٢٫٥ فى المائة منهم سنهم ٢٠ سنة فأقل : أى أن نصف السكان دون سن الهجرة ٠

● كما أن الهجرة لا تقدم حلا لمشاكل العمالة ٠ بل أنها تؤدى الى نقص القوى العاملة ، أى عدد السكان الذين فى سن العمل والذين يتحملون عبء

---

[١] الهجرة الى الخارج ٠٠ اعداد اللواء محمد ابو السعود ــ مؤتمر سياسات الهجرة والعمل فى الخارج ــ فبراير ١٩٧٣ .

[٢] الانتفاع القومى بالمهاجرين وكيفية ربطهم بالوطن ــ صديق السيد درويش ــ مؤتمر سياسات الهجرة والعمل فى الخارج

من هم دون سن العمل ومن بلغوا سن التقاعد . علما بأن نسبة القوى العاملة فى مصر الى اجمالى السكان هى أصلا من أدنى النسب فى العالم . والهجرة بذلك تؤدى الى تفاقم مشكلة زيادة السكان بدلا من أن تحلها .

● أن أغلبية سكان مصر ما زالت أمية ، ودول المهجر لاتقبلهم ، كما ان الدول المتقدمة يتزايد اعتمادها على الالة واستغناؤها عن العامل اليدوى غير المؤهل . أما العمال اليدويون المصريون فى الخارج (غرب اوربا) فيتقاضون أجورا أقل من تكلفة الميكنة . وهم فضلا عن ذلك مؤقتون ولا يصرح لهم باكتساب جنسية دولة المهجر الا فى حالة اكتسابهم لمهارات فنية واستمرارهم فى العمل لسنوات طويلة أو تزوجهم من نسائها وانجابهم أطفالا .

● ان الدولة المستوردة للمهاجرين يتغلب فيها اعتبار المحافظة على طابع الدولة البيضاء ، بحيث لا تقبل من العناصر غير الاوربية الا أصحاب المهارات فى حدود نسب قصوى مقررة سلفا .

● غير صحيح أن الهجرة تعد حلا لمشكلة بطالة المتعلمين . ذلك أنه لم يثبت وجود عمالة زائدة بين المتعلمين ، وانما انتهت دراسات وزارة الخزانة والجهاز المركزى للتنظيم والادارة ، الى وجود عمالة فائضة فى بعض الاجهزة أو التخصصات وان هناك نقصا فى البعض الاخر . وأنه حتى مع التسليم بوجود عمالة زائدة فلا يتصور أن يتحمل المجتمع المصرى عبء تعليم الخريج ثم يسلم ثماره لمجتمع اخر ،والحل هو الحد من عدد الخريجين فى التخصصات الزائدة .

● ان عائد الهجرة - بفرض وجوده - لا يساوى تكلفة اعداد المهاجر وتسليمه للدول الغنية . ذلك أن غالبية المهاجرين من ذوى الكفايات العلمية التى تحتاجها البلاد . وحول هذا أعلن الدكتور عزيز صدقى فى سبتمبر ١٩٦٩ ، عندما كان وزيرا للصناعة (٣) :

« ان الهجرة تحولت فى الفترة الاخيرة الى ما يشبه الوباء ، واصبح كل مهندس وفنى يطرق ابواب الهجرة ، بصرف النظر عن احتياجات البلاد الى خبرته ، ونحن فى بلد نام وله ظروفه ، والبلاد فى حاجة الى خبرة أبنائها الذين صرفت عليهم وعلمتهم » .

وبالفعل فقد بلغت نسبة ذوى الكفايات العلمية من المهاجرين الحاصلين على مؤهلات تعلو الثانوية العامة ٤٧ر٩ فى المائة من مجموع المهاجرين فى ١٩٧٠ ، كان ١٥ر٥ فى المائة منهم من الزراعيين ، و ١١ر٨ فى المائة من العلميين ، و١١ فى المائة من المهندسين و ٤ر٤ فى المائة من الأطباء البشريين .

كما يعدد السيد **عبد اللـه عيسى زكى** الاثار السلبية لعملية الهجرة فى فقدان تكلفة التعليم ، ويقدرها فى المدة من ١٩٦٢ الى ١٩٧١ بحوالى ١٥ر٣ مليون جنيه على أساس ١٥٣٣ مهاجرا ، أنفق على كل منهم ٣٠٠٠ جنيه . ولكن **الدكتور رشدى سعيد** يصل بهذه التكاليف الى نصف مليار جنيه فى عشر سنوات ، على اساس أن مجموع الفنيين المهاجرين والمعارين والمنتدبين والهاربين يصل الى ١٥٠ ألفا ، أنفق على كل منهم ٣٠٠٠ جنيه .

والواقع أن الخسارة لا تتمثل فقط فيما أنفق على المهاجر ، وانما يجب أن يضاف اليها ما كان هذا المهاجر سينتجه لبلده - وانتاجيته طبعا أعلى من الاخرين لانه من الكفايات - مخصوما منه ما كان يستهلكه .

كما أن لهجرة الكفايات العلمية تأثير سلبى على المتاح من القوى العاملة العالية الكفاءة . ذلك أن نسبة ذوى الكفايات فى القوى العاملة المهاجرة ، أعلى من نسبتهم فى القوى العاملة التى لم تهاجر .

ويؤكد الدكتور **صلاح نامق** (٤) ، ان الهجرة لا تقدم حلا لمشكلة الانفجار السكانى ، فبفرض توافر الوسائل اللازمة لنقل الفائض من سكان بعض البلدان (الزيادة السنوية فى الهند ٩ ملايين وفى الصين ١٧ مليونا) وبفرض وجود اراض تستوعب هؤلاء ، فان انتزاع بضعة ملايين من سكان البلدان المكتظة قد يخفف من الضغط على وسائل العيش ، ويؤدى الى تحسن الصحة العامة . والنتيجة انخفاض معدل الوفيات ، أما معدل المواليد فلا ينخفض نظرا لاقبال البالغين على الزواج والانجاب ، فتبقى زيادة السكان على ما هى عليه

[٣] جريدة الاخبار .
[٤] الهجرة ومشكلة التضخم السكانى ، مؤتمر سياسات الهجرة .

او تزيد . (هاجرمن ايطاليا من ۱۸۸۰ الى ۱۹۲۰ حوالى ٤ر٥ مليون ونصف مليون ، وزاد السكان ٥ ملايين) .

كما يوضح شوقى على البطشة فى بحثه عن « تنظيم الهجرة » المقدم لمؤتمر سياسات الهجرة « أن الهجرة غير ميسرة الا لذوى المؤهلات الفنية التى غالبا ما تكون هى نفس التخصصات المطلوبة داخليا لتلبية حاجات خطة التنمية » .

ويقول يوسف خلوصى فى بحثه « هجرة الفنيين وأسس تنظيمها » المقدم للمؤتمر نفسه « وتبرز الخسارة فى أن اعداد الفنيين المهنيين يتطلب فترة طويلة من التعليم والتدريب تتراوح بين ١٤ و١٦ سنة فى المتوسط ، مما يترتب عليه صعوبة مواجهة الاحتياجات من هذه الفئات بالسرعة المناسبة . علاوة على أن طول فترة الاعداد يجعل عملية اعداد الفنيين بمثابة استثمار طويل الاجل لا يؤتى ثماره الا بعد فترة طويلة من الزمن ، ويظل طوال هذه الفترة بابا للانفاق دون تحقيق عائد الا بعد انتهاء هذه الفترة . فاذا انتهت فترة الاعداد دون أن يلحقها فترة معقولة من العمل لتحقيق العائد ، كان ذلك بمثابة استثمار غير اقتصادى » .

التقييد والتردد

وتنادى الاتجاهات المقيدة للهجرة ، بوضع ضوابط لها تكفل أداء الدور المنوط بها فى خدمة الوطن والمهاجر على حد سواء ، ويمكن تلخيص اهم هذه الضوابط فى :

■ يجب أن تكون الهجرة ضمن العلاج المقترح المتكامل لمشكلة التضخم السكانى ، أى أن تكون أحد عناصر حل مشكلة الانفجار الديمجرافى ، وليست الحل كله .

والواقع أن حل مشكلة التضخم السكانى ، لن يتحقق الا بتنمية اقتصادية واجتماعية تكفل التوازن بين الموارد والسكان ، وشرط اساسى لقيام هذه التنمية هو وجود الكادر الفنى المتخصص من ابناء البلاد ليعملوا فى وضع وتنفيذ خطط التنمية هذه .

■ تنظيم الهجرة باعتباره حلا أمثل ، لامتصاص الفائض والطاقات المعطلة وفى هذا يقول شوقى البطشة « والبحث والتفكير فى الموازنة بين احتياجات أمتنا وبين تنظيم الهجرة لايدعونا لان نسلك الجانب السلبى فى هذا المضمار — وليس موقف اسرائيل ببعيد — فهى فى الوقت الذى تدعو فيه الخبراء والفنيين اليهود فى جميع أنحاء العالم للتوجه لاسرائيل لمعاونتها فى هذه الاونة ، هى فى الوقت ذاته تنشر خبرائها وفنييها للعمل والتسلل فى دول عديدة فخطتها فى هذا المجال تسير فى خطين متكاملين ومتناسقين — ولسنا ندعو لاكثر من ذلك » .

والواقع أن هذا القول ترد عليه عدة ملاحظات من أهمها :

■ ان القول بحق الدولة على أبنائها الذين انفقت الكثير لتعليمهم ، وضرورة اسهام هؤلاء فى الجهد المشترك للنهوض بالاحوال فيها ، لا يعنى تخليها عن مساعدة الدول الاقل منها تطورا ، ولن يكون ذلك أبدا بقصد التسلل .

■ أن الهجرة التى يعترض عليها تتم الى الدول الامبريالية ، فى وقت تشتد فيه حاجة البلاد الاصلية الى هؤلاء المهاجرين .

■ وقد تمثل خير تعبير عن سياسة تنظيم الهجرة بوضع ضوابط لها ، فى موافقة مجلس الوزراء فى فبراير ۱۹۷۰ على توصيات اللجنة الوزارية للقوى العاملة فى يناير ۱۹۷۰ ، وتتمثل هذه الضوابط فى :

■ اعطاء الاولوية لتوفير احتياجات هيئات ومشروعات معينة ، وهى حاجة القوات المسلحة من التخصصات المختلفة ، وتوفير مطالب خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية من مختلف التخصصات ، ومراعاة حاجة الدول العربية الشقيقة الى بعض الخبرات .

■ اعتبار بعض التخصصات حرجة فى المجتمع عند السماح بهجرة حامليها الى الخارج ويلزم أن تكون فى أضيق الحدود وهى : الطب البشرى وطب الاسنان والصيدلة والتمريض والعلاج الطبيعى والطب البيطرى والعلوم والهندسة والعمارة والاحصاء واللغات والجغرافيا والتاريخ والوثائق والمكتبات .

■ تشكيل لجنة فرعية لشئون الهجرة برئاسة وزير العمل لدراسة التخصصات الحرجة والتوصية بالاعداد التى يسمح بهجرتها منها سنويا ووضع القواعد التفصيلية والتنفيذية لاعداد وتنظيم اجراءات الهجرة ، والبت فى طلبات هجرة الافراد الحاصلين على البكالوريوس أو ما يعادله .

● ويقترح البعض تنظيم الهجرة عن طريق

تعليق الموافقة عليها على واحـــد من الشرطيـن التاليين :

■ ان يمضى المهـاجر فى خدمـة الوطن وفى مجال تخصصه فترة معينة تحدد تبعا لمدى احتياج الدولة ، ونوع التأهيل .

■ أو أن يتعهد باعادة ما انفق عليه فى التعليم بالعملات الحرة لبلاده .

سياسة الدولة فى الهجرة

تقلبت سياسة الدولة بين تشجيع التهجـير ثم تقييده ، وتمثلت أهم الاجراءات التى اتخذت فى هذا الصدد فى :

■ توصيات اللجنة الوزارية للقوى العاملة فى ١٩٦٧ وتتمثل فى :

ـ انشاء جهاز يختص بشئون الهجرة فى وزارة الخارجية ، وذلك بايجاد فرص عمل لفائض العمالة الداخلية والاشراف على المهـاجرين ورعايتهم .

ـ تشكيل لجنة تتولى التخطيط لمسائل الهجرة ، ومراجعة كافة القوانين واللـوائح السـارية لتبسيطها وازالة المعوقات .

ـ تيسير هجرة ذوى المؤهلات والـكفايات العلمية ، على أن يحصـل حمـلة الدكتـوراه والماجستير وما يعادلها على موافقة اللجنـة الوزارية للقوى العاملة ، واما من عداهم فيكتفى بالحصول على موافقة الجهات التى يعملون بها .

وبالفعل صدر قرار من وزير الخارجيـة فى ١٩٦٩ محددا اختصاصات ادارة شئون الهجـرة بوزارة الخارجية ، كما صدر قرار جمهورى فى ١٩٦٩ بتكوين لجنة الهجرة والعمـل بالخـارج لتنسيق العمل بين الجهات المعنية بشئون الهجرة ووضع سياسة موحدة ومخططة تضمن تغطيـة احتياجات العمالة من الاعـداد ، والمهن المطلوبة خارجيا ودراسة التيسيرات اللازمة لتشجيـع الهجرة .

■ وفى ١٩٧١ صدر قانون بشأن معـاملة المهاجرين العائدين ويقضى بأن يعاد تعيين العامل الذى كان يعمل فى الحكومة أو فى احدى وحدات الادارة المحلية ، أو الهيئات العامة أو المؤسسات أو الوحدات الاقتصادية التابعة لها ، وذلك اذا عاد للوطن خلال سنة من استقالته ، على ان يقدم طلبا بذلك خلال ٣ أشهر من تاريخ عودته ، وعلى ان يكون ذلك فى نفس وظيفته السابقة وفى الفئة المالية المقررة لها مع احتفاظه باقدميته فيها ومنحه ما فاته من علاوات ، وان تحتفظ الجهة التى كان يعمل فيها بوظيفته شاغرة طوال المدة التى يجوز اعادة تعينه خلالها .

■ وفى يناير ١٩٧٠ أصدرت اللجنة الوزارية لشئون الاقتصاد والقوى العاملة ، التـوصيات السابق الاشارة اليها (التخصصات الحرجة ، ومراعاة حاجات الجيش والخطة والاخـوة العربية) وذلك بعد ان تأكدت الدولة من تزايد هجرة ذوى المؤهلات من التخصصات المطلوبة للخطة .

■ قررت اللجنة الوزارية للخدمات فى فبراير ١٩٧٢ ، اعادة تشكيل اللجنة الفرعية لشئـون الهجرة لتتولى وضع السياسات والبرامج ، والبت فى مسائل الهجرة الى الخـــارج التى تعـرض عليها .

■ وفى ابريل ١٩٧٢ قررت لجنة الخدمـات بعدم اتخاذ اجراءات جديدة تمنع الهجرة « تلافيا لما يؤدى اليه ذلك من آثار سـياسية واجتماعيـة ضارة مع الاتجاه الى الحد من الهجرة عن طريق الزام خريجى الجامعات بخدمة البلاد ٥ سنوات قبل الهجرة » والحد من الاجراءات التى تتخذها الدولة لتشجيع الهجرة مثل اجازة عودة المهاجر الى وظيفته خلال سنة ووقف حملة التشجيع عـلى الهجرة التى تتبناها الصحافة وأجهزة الاعلام . ووافق مجلس الوزراء على ذلك فى أكتوبر من العام نفسه

تقييم سياسة الهجرة الحالية

ويوضح تقرير لجنة تقرير لجنة الاعداد لمؤتمر الطاقات البشرية المصرية فى الخارج (٢٨ ديسمبر ١٩٧٢) ، أوجه القصور فى سياسات الهجرة . فيؤكد فقدان الربط بين سياسة تخطيط القوى العاملة على المستوى القومى وبيـن سيـاسات الهجرة والاعارة والبعثات . فليس هناك سياسة واضحة ومستقرة للهجرة تفصح عن اتجاه الدولة نحوها الذى يتراوح بين التشجيع والمعارضة . فقد صدر مثلا قرار جمهورى بتشكيل لجنة للهجرة لنشر الوعى بين الجماهير وحثها على الهجرة ، ثم صدرت توصية من اللجنة الوزارية للخدمات بوقف حملة التحريض على الهجرة . ويؤكد نفس التقرير عدم تحقيق التوازن بين المحافظة على الكفـاءات العلمية المطلوبة وايجاد فرص عمل للفائض منهم بالخارج ، وعدم ارتكاز السياسة الحالية للهجرة

على دراسات شاملة مبنية على حقائق موضوعية والافتقار الى سياسة لتأهيل القوى العاملة للهجرة ، والى وضع سياسة طويلة المدى للاستفادة من التخصصات للعمل بالدول العربية ، والحاجة الى نظرة شاملة تضع في الاعتبار أسباب هجرة ذوى الكفايات .

وفيما يتعلق بالتخطيط للهجرة تبرز نفس المذكرة قصور البيانات والاحصائيات اللازمة لوضع خطة سليمة للهجرة (بيانات عن سوق العمل الخارجى ، واعداد المهاجرين واماكنهم) . والحاجة الى خطة تنظم التحاق المصريين بالعمل فى الخارج بما يضمن التوازن بين وجوب الاحتفاظ بالكفاءات المطلوبة وتصدير الفائض . وتبرز المذكرة الارتباط بين الاعارة والهجرة الى بلدان معينة وبين نوعية العلاقات السياسية معها ، وما يترتب على ذلك من اختناقات وضغوط .

وفيما يتعلق بالتشريعات ليس هناك تشريع موجد يوضح كافة احكام الهجرة واجراءاتها علاوة على تعدد الاجهزة المتصلة بموضوع الهجرة بما يؤدى الى الازدواج والتعارض .

أسباب موضوعية .[•]

علاوة على أسباب « الطرد » الداخلية للكفاءات العلمية ، هناك أسباب موضوعية دولية لهذه الظاهرة :

١ ـ الاسباب الدولية :

والواقع انه لحركة الكفايات العلمية على النطاق الدولى ـ سواء من البلاد المتخلفة الى البلاد المتقدمة ، اوفيما بين هذه الاخيرة ـ اسباب موضوعية ، تنجم عن قوانين اقتصادية تاريخية .

ويتمثل السبب الاساسى لانتقال العلميين من البلدان النامية الى البلدان المتقدمة ـ أيا كانت دوافعهم ـ فى التقسيم الدولى للعمل :

■ فقد أصبحت بموجبه الدول المتقدمة « مراكز صناعية وعلمية وتكنولوجية » تتوافر فيها فرص العمل « والتوظف » والانتاج بل الارتقاء المهنى والعلمي ـ ناهيك عن الدخل المرتفع ـ لاصحاب الكفايات العلمية . فالصناعة الحديثة العملاقة ، وهى النشاط الاقتصادى الاساسى فى الدول المتقدمة تمتاز بسمات تجعل منها المجال الاقدر على استخدام العلميين واجتذابهم نحوها من كل حدب وصوب ، لتنتقى منهم ، وتختار ما تشاء ، وتترك الباقى يشكل جيشا احتياطيا تحت طلبها وأهم هذه السمات هي :

● ان الصناعة الحديثة العملاقة ، تقوم على استخدام أرقى منجزات العلم والتكنولوجيا وأحدث نظم الانتاج ، وتشكل بما تحويه من « الاتوميشن » واستخدام « للسبرناطيقا » والحاسبات الالكترونية ونظم الادارة والمحاسبة الراقية والمعقدة ، مجالا يتزايد اعتماده على ذوى التخصصات العالية وتقل حاجته الى العاملين الاقل تأهيلا . وبالفعل فان الارقام الدالة على الاحتياجات المقبلة للصناعات الكبيرة فى الدول المتقدمة من الفنيين والمهندسين وغيرهم ، تبين تصاعدا كبيرا فى منحنى الطلب على هذه التخصصات (٥) اذ «تشير الاحصائيات العالمية الى أن الطلب فى الدول المتقدمة سيزداد على المهندسين أربعة أضعاف أو خمسة أضعاف ما هو عليه الان . ومن ثم فهناك ترابط ظاهر بين اتجاه ودرجة النمو الاقتصادى فى الدول والطلب الكلى على الفنيين » . والمتتبع لهيكل العمالة فى المشروعات الصناعية الكبيرة ، يتبين رجحان كفة ذوى التأهيل العالى بصورة مضطردة . فقد أدت الثورة العلمية والتكنولوجية وتعقد أساليب وطرق التنظيم والتخطيط والادارة والمحاسبة والمتابعة والرقابة ، الى تزايد الحاجة الى استخدام المستويات الاعلى من العلميين والفنيين . حتى بات الطلب عليهم يفوق العرض فعلا، فى ارقى الدول الرأسمالية المتقدمة وهى الولايات المتحدة .

● ان الصناعة الحديثة يتزايد اعتمادها على البحوث العلمية حتى ان وجود كثير من المؤسسات أصبح يتوقف على استمرارها فى التطوير والابتكار العلمى . وكثيرة هى الارقام التى تبين أن نسبة ضخمة من دخول الشركات تخصص للبحث العلمى ، وان الشركة التى لا تجدد انتاجها وطرائق الصنع فيها دوريا ، تستبعد من السوق . ولاشك أن هذا كله يشكل مجالا رحبا لاستخدام الكفايات العلمية ، ويفاقم الطلب عليها .

● ان انتاجية هذه الصناعات أكبر وأعلى من انتاجية الانشطة التى يغلب وجودها فى الدول

[•] يوسف خلوصى ـ هجرة الفنيين واسس تنظيمها ، مؤتمر سياسات الهجرة

النامية ، وهي أساسا الزراعة ونشاطات القطاع الثالث ، الامر الذى يمكنها من دفع أجور أعلى نسبيا للعاملين فيها - وهم أساسا من الفنيين ذوى الانتاجية العالية وعددهم بالطبع اقل .

وفي الجانب المقابل فبان التقسيم الدولى للعمل قضى على بلدان العالم الثالث أن تكون مراكز لانتاج المواد الخام ، الزراعية والمعدنية أساسا ، ويتم هذا أساسا بطرق تكنولوجية متخلفة اعتمادا على استغلال قوة العمل الرخيصة تماما . ومن ثم فان المستوى التكنولوجي السائد فيها وطرق الانتاج المستخدمة ، لا تستدعى استخدام مهارات متخصصة ، وفي حالة الاضطرار الى ذلك ويكون هذا عادة في اضيق الحدود - يتم استيراد هذه من الخارج . كما أن البلاد النامية في ظل السيطرة الاستعمارية ، مباشرة كانت أو غير مباشرة ، لا تملك الصناعات الراقية الكبيرة الخاصة بها والتى تخلق مجالا واسعا لاستخدام المهارات العلمية والفنية .

أما الهجرة من دولة متقدمة الى دولة متقدمة أخرى ، كالهجرة من بريطانيا الى أمريكا مثلا ، فترجع الى قانون النمو غير المتكافيء للدول الرأسمالية المتقدمة ، والذي بموجبه يتفاوت تقدم ونمو البلدان الصناعية الرأسمالية ، بحيث يتباين وزنها الاقتصادى الدولى ومن ثم يخضع الاقل تطورا منها لعمليات استنزاف وسيطرة من قبل الاكثر تطورا .

٢ - الإعتبارات المحلية :

يؤكد شارل بتلهايم ان نجاح اى خطة للتنمية يتطلب توافر شروط تنظيمية وبشرية معينة . تتمثل هذه الاخيرة فى اعداد التخصصات المطلوبة وبالاعداد اللازمة وفى المواعيد المناسبة ، لضمان التشغيل الرشيد للمشروعات الصناعية الجديدة . ذلك ان الاستقلال الاقتصادي وحل مشاكل توفير العمل وفتح مجالات جديدة للنشاط وزيادة الانتاج ، لابد وأن يتم خلال التصنيع . ولكى يحقق هذه الاهداف المرجوة منه لابد وان يأخذ بآخر المنجزات فى مجال الصناعة والانتاج - أو على الاقل بمستوى متقدم منها . ولضمان التخطيط والتنفيذ والتشغيل الناجح لهذه الصناعات لابد من توافر الخبرات والكفاءات اللازمة . وحتى لو أخذنا بالمفهوم الاقتصادي الرأسمالى ، والذى يجعل من « المنظم » عنصرا أساسيا من عناصر الانتاج ، لاتضح لنا ضرورة وجود الكفايات العلمية .

ان قيام التصنيع فى البلدان النامية يقتضى وجود « تراكم »من رؤوس الاموال و « تراكم » من الخبرات الفنية ، ومن الخير أن يكون مصدر هذا التراكم - على الاقل الاخير - محليا . والدول الامبريالية كما تحاول منع التراكم الرأسمالي اللازم لاقامة صناعة محلية فى البلدان النامية ، تسعى بوعى وقصد ايضا لمنع أى تراكم في الخبرات البشرية واستنزافها من البلدان النامية . فضلا عن أن ذلك يوفر لها حاجياتها من الكفايات العلمية ، دون انفاق على اعدادها . وبالفعل فقد أثبت الكتيب الذي أصدرته وزارة الخارجية الاميركية في مارس ١٩٦٦ تحت عنوان « بعض الحقائق والارقام عن هجرة المواهب والخبرات » ان الغالبية العظمى من المهاجرين المدربين تدريبا عاليا يأتون الى أمريكا بعد أن يكونوا قد أتموا دراساتهم وتدريباتهم في الوطن الام (٦) .

وتتضافر المعوقات الداخلية مع الجهد الخارجى المكثف من قبل الشركات الامبريالية لتجنيد العلميين والفنيين من العالم الثالث ،بما يؤدى الى تزايد هروب الكفاءات اللازمة لتحقيق تقدم اقتصادى حقيقى فى الدول النامية . وتورد اليونسكو ، ثلاثة أسباب اجتماعية لهجرة العلميين هى (٧) :

١ - الصعوبات الداخلية التي تواجه الدول النامية فى تدعيم اقتصادها ، فحين يكلفها اعداد العلميين والفنيين الكثير من مواردها المحدودة ، فان قدرتها على الاستفادة منهم تكون عادة محدودة جدا ولفترة غير قصيرة . وذلك بسبب صعوبات التنمية مثل ضعف الاقتصاد القومى واعتماده علميا وتكنولوجيا على الخارج وتخلخل الهيكل السفلى العلمى ونقص مراكز البحوث والمعدات .

والواقع ان هذا الراى خاطيء فعلا . فالدول النامية على الاقل يتوافر فيها العمل للاطباء - بسبب كثرة المرضى - ومع ذلك يهربون الي الخارج ويقولون ان بلادهم لا تحتاج اليهم .

---

[٦] وسائل العمل على الاحتفاظ بالعلميين في البلاد العربية ، تقرير مقدم من وزارة التعليم العالي الى المؤتمر الثقافي العربي الثامن .

[٧] المرجع السابق .

٢ ـ عدم التوازن بين مستويات التقدم العلمى والتكنولوجى فى الدول المختلفة ، والذى يجعل من الدول المتقدمة مراكزلجذب وتجميعرؤوس الاموال الذهنية والتقنية فى عدد قليل من التجمعات القوية · ويزيد من خطورة هذا اتباع الدول المتقدمة ـ حكوماتها وشركاتها ـ لسياسة ايجابية لتشجيع هذا التجمع .

٣ ـ حدة التنافس العالمى فى ميادين العلم والتكنولوجيا · ومحاولة بعض الدول المتقدمة تعويض ما تفقده من علمييها المهاجرين للدول الاكثر تقدما ، باستنزاف الكفايات العلمية من الدول النامية .

وقد اجريت دراسة فى مصر عن الاسباب الشخصية لامتناع المبعوثين عن الرجوع ، تبين منها أن ٤٥ فى المائة منهم لا يعودون بسبب الالتحاق بعمل فى الخارج ، و٧ر٢٣ فى المائة للزواج من اجنبيات ، ٨ر٦ فى المائة للقيام بتدريب عملى ، ٢ر٨ فى المائة للاستمرار فى دراسة اعلى من المطلوب ، و٨ر٦ فى المائة لتغيير مجال الدراسة و ٦ر٩٪ للفشل فى الدراسة .

ويورد عبد الله عيسى زكى فى بحثه عن هجرة الكفايات العالية المقدم لمؤتمر سياسات الهجرة ، عدة أسباب لهجرة الكفايات العالية تتمثل فى :

● **العوامل الحافزة :** وتنبع من النقص فى عدد المتعلمين اللازمين للبلاد المتقدمة · فمثلا تخرج امريكا ٨٠٠٠ طبيب سنويا فى حين تحتاج الى ١٢٠٠٠ طبيب وكذلك الهوة بين مستوى المعيشة والدخل والذى يؤدى الى ضعف المرتبات فى البلدان النامية وتخلف معداتها واجهزتها العلمية · وذلك الى جانب المعدل المنخفض للتنمية فى الموطن الاصلى وما يؤدى اليه من تقليل فرص التحسن المادى امام الكفايات ، الى جانب عدم التنسيق بين برامج التعليم والاحتياجات من القوى العاملة من حيث العدد والنوع فى الموطن الاصلى ، وانتقاد القيادة العلمية وامكانيات وتسهيلات البحث العلمى ، وضيق فرص الترقى الوظيفى ·

● **العوامل المرغبة :** ويأتى فى مقدمتها الامتيازات المهنية فى الدول المتقدمة ، وتسهيل شروط الهجرة واكتساب الجنسية ، ووجود بعض الروابط التاريخية والثقافية بين الدول الامبريالية والمستعمرات السابقة تسهل انتقال ابناء هذه الاخيرة ، علاوة على سهولة التحرك العالمى للكفايات العلمية ·

ويذكر محمود هنيدى فى بحثه عن مشاكل الهجرة من وجهة نظر المهاجر ، ١١ سببا للهجرة هى : المشاكل العائلية ، ومشاكل العمل والاسباب العاطفية ، والرغبة فى الاستزادة من الرزق ، وتكوين رأس المال ، والمغامرة ، والاستمتاع بمستوى معيشة اعلى ، والاستزادة من العلم ، والاستزادة من الخبرة ، والبحث عن فرص البحث العلمى ، والصعوبات التى يواجهها المبعوثون العائدون ·

ويضيف يوسف خلوصى فى بحثه عن « هجرة الفنيين » الى أسباب الهجرة ، فساد سياسة الاستخدام ـ اذا كانت هناك سياسة اصلا ـ وعدم وضع الفرد المناسب فى المكان المناسب ، وكذلك سوء ظروف العمل واساليبه ووسائله داخل المشروعات ونظم الادارة والاوضاع الوظيفية الشاذة فى كثير من الدول النامية ، وانخفاض مستوى العائد المقدم للفنيين فى الدول النامية أمام ما يقدم لهم فى الخارج ، وعدم تكامل سياسة اعداد الفنيين ، وضعف امكانيات الاداء المتاحة من وجهة النظر التكنولوجية · ومع وجاهة هذه المعوقات ووجود كثير غيرها ، الا انه يمكن تأكيد عدد من الحقائق الهامة مثل :

■ ان السباق فى الدول النامية ، كما يقول باران الاقتصادى الامريكى الشهير ، ليس بين السكان والموارد ، ولكن بين السكان والتنمية ·

■ ان التنمية ـ والتقدم الصناعى بصفة خاصة ـ أمر ممكن تماما فى بلدان العالم الثالث ، بشرط توفير مقتضيات وضع وتنفيذ الخطط ، مثل سيطرة الدولة على موارد الانتاج والتوزيع الاساسية ، ومشاركة الجماهير ، والقضاء على الهياكل الاجتماعية البالية والمعوقة ، الخ · وان ذلك اذا ما تم فسيؤدى الى :

● أتاحة الفرصة لاستخدام اعداد متزايدة من العلميين والفنيين ·

● نمو الناتج القومى ، وزيادة انتاجية العمل ، ومن ثم القدرة على دفع أجور أعلى للمؤهلين ·

● ربط عملية اعداد الفنيين بالخطة الاقتصادية من حيث اعدادهم وتخصصاتهم .

ان العمل السياسى ـ بشرط توافق الاقوال والافعال وضرب المثل ـ يكفل تعبئة الطاقات العلمية والفنية بالاهداف العامة والاختيارات الاساسية لمجموع السكان ، ويستثير طاقاتها ومبادراتها وحماسها ، ويكفل لها انواعا من الاشباع المعنوى والشخصى يعوض النقص فى عوائدها المادية .

شهادات واقعية

احاديث ادلى بها للطليعة :

● د. اسماعيل صبرى عبد الله ● د. هدى مجاهد ● السيد محمدالحسينى ● د. عبدالباسط محمد ● د. موريس وهبة ● الاستاذ السيد ياسين ● مهندس سامى محمود فريد

هى قضية سياسية فى المقام الاول

د. اسماعيل صبرى عبدالله
وزير الدولة للتخطيط

يجب أن نقرر أولا حقيقة هامة وهى ان ظاهرة استنزاف العقول ليست مقصورة على مصر ، وانما هى ظاهرة عامة ، تعانى منها كل البلاد النامية . بل انه يمكن أن نقول ، ان هناك تناسبا عكسيا بين درجة النمو الاقتصادى والاجتماعى ، وبين هجرة المثقفين والمشتغلين بالبحث العلمى ، بمعنى أن اقل البلاد تقدما ، واكثرها حاجة الى المتعلمين من بنيها ، هى أكثرها فقدانا للمتعلمين من أبنائها . وقد شغلت هذه الظاهرة المحافل الدولية ، فضلا عن المسئولين فى عدد كبير من الدول النامية .

وهجرة المثقفين كأى هجرة تخضع لمجموعتين من العوامل : عوامل الجذب نحو المكان المهاجر اليه ، وعوامل الطرد من المكان المهاجر منه :

أما عن عوامل الجذب ، فالامر الذى لوحظ فى العشرين عاما الاخيرة ، هو ان الدول الرأسمالية المتقدمة تبذل جهدا مكثفا لاجتذاب المثقفين من الدول النامية ، ولا سيما المتخصصين منهم ، فى الرياضة والهندسة والطب والعلوم الطبيعية ، وقد تغلبت هذه الدول على اتجاه التنظيمات المهنية فيها الى الانغلاق القومى ، بمعنى قصر ممارسة المهنة على مواطنى الدولة ، مقدمة فى ذلك اعتبارين هامين :

الاول : هو ان تكلفة تأهيل مهندس أو طبيب فى مصر ، اذا حسبناها حسابا شاملا للتعليم والصحة والاعاشة والسكن منذ مولده الى ان يتخرج ، لا تقل بحال عن ٣٠ الف جنيه . فاذا هاجر ، بعد ذلك ، الى أمريكا فالتحليل الاقتصادى لهذه العملية هو ان مصر البلد الفقير يهدى أمريكا ٣٠ الف جنيه . وغنى عن الذكر ان حامل الدكتوراه يمثل تكلفة أعلى .

اما الاعتبار الثانى : فهو ان المثقف الاجنبى الوافد يكون فى وضع ضعيف نسبيا ، من حيث المساومة مع أصحاب الاعمال . ولذلك فهو يقبل عادة القيام بأشق الاعمال ، كما يقتنع بأجر اقل من الاجور السائدة ، وهو أخيرا أول من يتم تسريحه عند ظهور بوادر الكساد الاقتصادى .. ومن المعروف ان مستوى المعيشة فى هذه الدول متقدم ومريح ، وهو يغرى ، بالتالى ، أبناء الدول النامية . ولكن لابد هنا من تحفظ ، وهو ان قلة من هؤلاء المهاجرين لا تحكم هجرتها الاعتبارات المادية وحدها ، وانما تجتذبها نحو الدول المتقدمة امكانيات البحث العلمى الضخمة المتاحة فى تلك البلاد .

كذلك ، لابد ان نضيف ، الى انه فى منطق الاستعمار الجديد لا يقتصر الامر على مجرد استثمار هذه العقول المستوردة ، بل يذهب الى أبعد من ذلك ، **انه يعنى حرمان البلاد النامية من الخبرة العلمية الوطنية** ، واستمرار احتياجها الى الخبرة الاجنبية بكل ما تعنيه هذه الخبرة من قصور ، وأحيانا سوء نية .

هذا عن عوامل الجذب ، أما عوامل الطرد من البلاد النامية ، فهى كثيرة .. منها : مستوى المعيشة المتخلف ، والاجور المتواضعة ، التى لا تستطيع هذه الدول ان تدفعها .. ومنها كذلك اعباء الحياة الاجتماعية ، وما تفرضه من التزامات عائلية لا نظير لها فى الدول الراسمالية المتقدمة ، حيث يضيق مفهوم الاسرة الى الزوجين والابناء القصر .. ومنها كذلك ، عدم الاستقرار السياسى ، وما يتولد عنه بالضرورة من عمليات اضطهاد أو اقصاء عن العمل أو قصر المناصب ذات الفعالية على الانصار السياسيين بغض النظر عن كفاءتهم .

الابعاد الحقيقية لظاهرة الهجرة

يجب التحذير هنا من قصر معنى الهجرة على التعريف القانونى ، الذى يعنى مغادرة البلاد نهائيا ، بنية اكتساب جنسية بلد آخر . فالواقع ان هناك قلة من الدول تسمى الدول المستوردة للرجال ، تحرص على ادماج المهاجر فى المجتمع وتلزمه باكتساب الجنسية ، مما يضطره فى بلده الى اتخاذ اجراءات الهجرة القانونية . وأهم هذه البلاد هى : كندا واستراليا والبرازيل والولايات المتحدة ، اما سر بقية الدول الراسمالية المتقدمة ، فانها تتشدد للغاية فى منح الجنسية ، فى حين انها تعطى تصريح العمل كلما كان اقتصادها القومى محتاجا لعاملين اجانب . ولذلك فان التقدير الحقيقى للحجم الفعلى للهجرة ، من أى بلد نام ، يجب ان يشمل — بالاضافة الى من اتخذوا الاجراءات القانونية للهجرة — كل أولئك الذين يعملون بصفة مستديمة بالخارج ، وعددهم أكبر من المجموعة الاولى .

وعلى سبيل المثال فأرقام الهجرة المصرية الى بريطانيا تكاد لا تذكر .. ومع ذلك ، فوفقا لبعض التقديرات ، يبلغ عدد الاطباء المصريين العاملين فى بريطانيا حوالى ١٥٠٠ طبيب .. هذا وقد بلغت الهجرة فى بعض البلاد ابعادا رهيبة : فمثلا عدد الاطباء الايرانيين فى الولايات المتحدة الامريكية أكبر من عدد الاطباء فى ايران نفسها .

ابعاد المشكلة فى مصر ؟

ووفقا للارقام المتاحة عن الهجرة الرسمية ، وحتى اذا أضفنا اليها الهجرة الفعلية ، **نجد ان ظاهرة هجرة العقول من مصر قد غدت مقلقة ، وان لم تصل الى حد الخطر** .

والواقع انه من الصعب تماما ان يدخل بلد فى مرحلة التنمية ، مثل مصر ، فى منافسة على مستوى الاجور مع أى بلد راسمالى متقدم . ولذلك فان **القضية هنا هى فى المقام الاول قضية سياسية ، قضية الشعور بالانتماء الى الوطن ، والاحساس بما انفقه المجتمع على المتعلم حتى حصل على تعليمه من أموال الشعب ، والالتزام الادبى بخدمة هذا الشعب وفاء لهذا الدين** .

ومن المعروف انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، وانه لو لقيت الحوافز الادبية رعاية ، جنبا الى جنب مع الحوافز المادية ، لامكن الاحتفاظ بعدد كبير من أولئك الذين يفكرون فى الهجرة .. ومن المهم ان نشير هنا الى ان حملة فكرية سادت منذ سبع أو ست سنوات ، تزين الهجرة ، وتقدم من المهاجرين النماذج الناجحة فقط ، وتبرر الهجرة بأنها حل لمشكلة زيادة السكان ، أو على الاقل ، زيادة عدد المتعلمين عن حاجة البلد ، وانها تسمح بتكوين مراكز اشعاع مصرية فى الخارج ، وانها مورد للعملات الصعبة .. الخ .. وهذا الجو الفكرى هو الذى ساعد على نشاط الهجرة .

ولنقل بصراحة اننا نرفض

تماما اى تفكير فى خطر الهجرة اداريا ، لانه يجب الا يشعر المواطن بأنه سجين فى وطنه . وانما يجب ان نضع بامانة ابعاد المشكلة امام الشباب ، وان نجعلهم يتحملون مسئولية ما يختارون عن بصيرة ، فالهجرة ليست حلا لمشكلة زيادة السكان لان الزيادة الاساسية فى السكان عندنا هى فى من سنهم اقل من ٢٠ سنة ، اى من هم دون سن العمل .. وهؤلاء لا يهاجرون ، كما انها ، من ناحية أخرى ، تتركز فى الفلاحين والعمال الزراعيين والعمال غير المؤهلين وهؤلاء ، لا ترحب الدول عادة باستقبالهم كمهاجرين ، فضلا عن انهم بطبيعتهم من الفئات المهاجرة . أما القول بزيادة عدد المتعلمين عن احتياجات الاقتصاد القومى ، فهذا ، أولا ، لم يثبت علميا بحصر شامل لاحتياجات الاقتصاد القومى وللعمالة المتعلمة المتاحة . ومن ناحية ثانية ، فان على مصر التزامات دولية ازاء الشقيقات العربيات ، والدول الافريقية ، تجعلها تقدم اعدادا كبيرة من هؤلاء المتعلمين للعمل فى تلك البلاد لفترات معينة ، وفقا لنظام الاعارة أو التعاقد الشخصى .

واخيرا .. فان الهجرة غير المدروسة كثيرا ما تلحق بالشباب الذى يندفع اليها اضرارا جسيمة تتمثل اساسا فى الاخفاق فى الحصول على عمل يتناسب مع المؤهل العلمى ، مع خشية المهاجر ان يعترف بفشله وان يعود الى الوطن .

معوقات البحث العلمى والخروج من المشكلة :

لا شك انه كما سبق ان ذكرنا هنا ، ان من الباحثين العلميين من يترك البلاد ، لانه يحس بانه لا يجد امامه الفرصة الكافية لاجراء ما يريد من بحوث ، ولاحساس المجتمع العلمى ، والمجتمع بصفة عامة بفائدة ما يجرى من بحوث .

وفى اعتقادى ان مشكلة البحث العلمى عندنا ، مشكلة تنظيمية فى المقام الاول : فعدد الباحثين العلميين فى معظم فروع العلم لا يستهان به .. كما ان مستوى عدد كبير يحتمل المقارنة بالمستويات العالمية .. كذلك فان اجمالى وسائل وامكانيات البحث العلمى المتاحة فى المجتمع ، يمثل كمية كبيرة بالنسبة لاى بلد نام . وما تخصصه الدولة لبند البحوث فى موازنة الوزارات المختلفة والهيئات والمؤسسات والشركات والجامعات ومراكز البحث العلمى ، يمثل فى مجموعه نسبة من الدخل القومى لا تقل كثيرا عن ٣ ٪ ، وهى النسبة المسلم دوليا بأنها ضرورية . ولكن يبقى بعد ذلك كله ايجاد الاشكال التنظيمية التى تسمح بوضع كل هذه الامكانيات فى اطار صالح للانتاج العلمى .

ويجب أن نشير هنا الى انه ايا كان النظام الاجتماعى أو الاقتصادى السائد ، فان نمو البحث العلمى مرتبط باحتياجات المجتمع ، ففى دولة رأسمالية ، مثل الولايات المتحدة الامريكية ، نجد ان القدر الاساسى من البحوث المبدعة ، يجرى فى مراكز البحوث والمعامل التابعة للشركات ، أو فى الجامعات ، ومراكز البحث العلمى المتخصصة بناء على عقود محددة تمولها الجهات الحكومية أو الشركات . وفى الدول الاشتراكية ، يشمل التخطيط القومى تخطيطا للبحث العلمى يحقق ارتباطه بالانتاج ، ويوفر له الامكانيات المادية من ناحية ، ويضمن له من ناحية اخرى ان تخرج نتائجه الى حيز التطبيق . **ونحن فى مصر فى حاجة لرسم سياسة قومية للبحث العلمى ، ترتبط بخطة التنمية ، وتصدر عن مجلس الوزراء ، وتحدد الخطوط العريضة للنشاط البحثى ، والاهداف الاساسية المرجوة منه للسنوات العشر القادمة مثلا .** ويلى ذلك ، ضرورة اجراء مسح لمراكز البحث العلمى ، والتنسيق بينها ، مع مراعاة التخصص وتركيز الامكانيات الموزعة .

أما من ناحية التمويل ، فيجب ان نميز بين البحث الخالص فى العلوم الاساسية ، مثل الرياضة والفيزياء النظرية ، والذى يجب ان تموله الدولة رأسا ، وبين البحوث ذات الطابع التطبيقى ، والتى يجب ان يحكمها اسلوب التعاقد بين الجهة والجهات المستفيدة من ناحية ، ومراكز البحث العلمى المتخصصة ، من ناحية اخرى . فصيغة التعاقد هذه ، تحل مشكلات كثيرة . انها **اولا** تحقق ارتباط البحث العلمى بالانتاج ، حيث ان طلب التعاقد يأتى من جهة تواجه مشكلة فعلية . وهى **ثانيا** تضمن الاستفادة المباشرة من نتائج البحث . وهى **ثالثا** تحقق انصراف الجزء الاساسى من جهدنا البحثى الى دراسة الواقع المصرى ، وتكوين علم مصرى وتكنولوجيا مصرية . وهى **اخيرا** وليس هذا اقل الامور اهمية ، توفر الحافز المادى للباحث بشكل جاد ، لان عائد هذا الحافز محدد وملموس .

هجــرة العلميــين ..

بين الحقـوق والالتزام الاجتماعى

د. هدى مجاهـد
خبيـرة بالمـركز القـومى
للبحوث الاجتماعيـة والجنائيـة

أولا : «ان ظاهرة الهجرة ــ بصفة عامة ــ أصبحت من الظـواهر البارزة التى يواجهها مجتمعنا، ويعانى منها فى نفس الوقت . فالهجرة سواء كانت داخلية ، اى بين أنحاء الجمهورية ، أو هجرة خارجية من الجمهـورية الى خارج نطاقها ، أصبحت تمثـل مشكلة بالنسبة للمجتمع وعليه أن يواجهها .

فاذا كانت الهجرة الداخلية تخفى وراءها عوامل كثيرة تدفع الافراد الى ترك موطنهم الاصلى الى مناطق أخرى جاذبة بحثا وراء العمل ، او التعليم ، أو تحقيقـا لمستوى طموح ارفع ، فـان هذا النوع من الهجرة يترتب عليه كثير مـن المشكلات المتعلقـة بالاسكان والمواصلات والتموين بالاضافة الى معاناة المهاجر ذاته من قدرة على التكيف الاجتماعى مع الظروف والاوضاع الجديدة فى منطقة المهجر التى تختلف عن منطقة الطرد من حيث الثقافة الفرعية ونوع العمل وتباين علاقة الافراد فى المناطق الريفية عن المناطق الحضرية .

واذا كان الامر كذلك بالنسبة للذين ينتقلون من منطقـة الى اخـرى فـى داخـل نطـاق الجمهورية ، بمعنى أنه اذا كان المجتمع يعانى من ظاهرة الحراك الداخلى رغم عدم فقدان المجتمع لهم ، فان الامر يزداد أهميـة وخطورة بالنسبة للذين يتركون الوطن الى خارجه .

فهجرة المثقفين والبـاحثين العلميين ــ دون شـك ــ تشكل اهمية خاصة اذ يترتب عليها فقدان المجتمع لصفوة عناصره التى يعول عليها كثيرا فى خطط التنميـة الاجتماعية والاقتصادية . والواقع ان المثقفين والباحثين بصفة خاصة يهدفون الى تحقيق ما يبتغيـه المجتمع من آمال ويعملون جادين من أجل هذا الهدف العظيم . ولكن هناك بعض الامور التى قد يصطدمون بها عند ممـارستهم الحياة العملية ومن هذه الأمور :

١ ــ عدم توظيف قـدراتهم وطاقاتهم التى يستطيعون تقديمها التوظيف التام من خلال وجودهم فى أعمال قد تكون بعيدة عن نطاق تخصصهم ، ومن هنـا يتسرب الملل اليهم ويفقـدون الحمـاس الـذين كـانوا على استعداد لتقديمه لو أتيحت لهم فرصة العمل فى المجال المناسب لهم .

٢ ــ عدم توافر المناخ العلمى المناسب الذى يهىء لهم القدرة على الابداع والابتكار ، ومنهـا على سبيل المثال متابعة التقدم العلمى المستمر من خلال الكتب والدوريات بحيث تصل اليهم فى الوقت المناسب ودون معاناة فى الحصول عليها .

٣ ــ مشاكل الحياة الملحـة التى تفرض وجودها بالحاح على البـاحث ممـا يضطـره الى الانصراف بجانب من تفكيـره لمعالجة هذه المشاكل ، ويكون هذا الانصراف على حساب طـاقته وانتاجه " لأن الباحث يحتاج الى العمل فى جو بعيد بقدر الامكان عن الضغوط اليومية التى يخضع لها .

ولذلك نجد الباحثين وخاصة الذين فى مقتبل العمر ، ينبهرون بالعروض المغرية التى تعـرض عليهم من الخارج .

٤ ــ عدم التقدير الكافى لقيمة البحث العلمى من حيث الاخذ

بنتائجه والاسترشاد بها عند التخطيط والتنفيذ ، مما يزعزع ثقة الباحث فيما يبذله من جهد •

هذه الاعتبارات تمثل نموذجا من الدوافع التى قد تدفع بكثير من المثقفين والعلميين الى الهجرة •

ثانيا : أما عن معوقات البحث العلمى فى مصر ، فأعتقد انه بالاضافة الى المشاكل السابقة التى نعتبر مسئولة الى حد كبير عن هجرة المثقفين والتى تعد فى نفس الوقت عقبة فى سبيل البحث العلمى وانجازه بالصورة الواجبة ، نضيف بعضا من هذه المعوقات :

١ ـ أن البحث العلمى يعتمد فى المقام الاول على بيانات ومعلومات تستقى من الواقع ومن المصادر الرسمية والهيئات المتصلة بمجال الظاهرة المدروسة • وهنا يواجه الباحث بصعوبات بالغة فى الحصول على ما يبتغيه من بيانات قد توفر عليه الجهد الكثير وتسهم فى اثراء البحث العلمى ، وتجعله يبدأ فى معظم الاحوال من نقطة الصفر •

٢ ـ عدم تخصيص الميزانيات المناسبة التى تمكن البحث العلمى من تحقيق أهدافه ، وبالتالى تنعكس آثار هذا الضيق المالى على البحث من حيث امكانية تعميقه وتعميمه •

٣ ـ الانفصال بين أجهزة التخطيط وبين اجهزة البحث العلمى ، مما يؤدى الى الافتقار الى خطة علمية تنسق بين نتائج البحث العلمى وبين المشروعات المختلفة مما لا يحقق الاستفادة الكاملة من نتائج البحوث •

ثالثا : مما لا شك فيه أن كل فرد له الحرية الكاملة فى أن يستقر فى المكان الذى يتلاءم مع امكانياته وطاقاته ويحقق له أهدافه ويشبع حاجاته • ولكن ليست له الحرية المطلقة فى كل ما يبتغيه لانه فى مقابل ما يحصل عليه من حقوق فان عليه التزامات قبل المجتمع الذى يعيش فيه • ذلك لان الدولة تتحمل بالنسبة للفرد كثيرا من أعبائه فى مختلف مراحل نموه وتعليمه وتعطيه طوال فترات تعليمه كثيرا من الحقوق التى قد تكون على حساب فئات أخرى فى المجتمع ، على أساس أنه فى وقت معين سيعود عليها العائد الذى سيدخل ضمن خطة التنمية • بمعنى أن كل مثقف يمثل بالنسبة للدولة مشروعا استثماريا سيحقق العائد منه بعد فترة ، فاذا استمرت عمليات الهجرة على هذا النحو، فان الدولة ستفقد باستمرار رؤوس أموالها من المثقفين وبالتالى ستعود عليها بالخسارة الدائمة ، فى الوقت الذى تحتاج فيه الى توظيف كل طاقاتها الى الامد الامثل من أجل دفع عجلة التنمية فى البلاد •

رابعا : أعتقد أن السبيل الى الحد من ظاهرة هجرة المثقفين يحتاج الى النظر فى الدوافع والمعوقات السابقة والعمل بقدر الامكان على معالجة أسبابها ، وأعتقد أن ذلك سوف يدعو الكثيرين مما يزمعون الهجرة التفكير اكثر من مرة فى اتخاذ القرار النهائى ، لان الوطن الاصلى للفرد هو المكان الوحيد الذى يمكن للفرد ان يحقق فيه ذاته •

بلادنا فى أشد الحاجة اليهم

د • السيد محمد الحسينى

خبير بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

الدوافع الكامنة وراء هجرة المثقفين المصريين عموما والباحثين المصريين، بوجه خاص•

يمكن تفسير هذه الدوافع بالنظر الى نوعين من العوامل :

١ ـ العوامل التى تدفع المثقف الى الهجرة ومن هذه العوامل : ـ

أ ـ احساسه بالاغتراب عن بقية افراد المجتمع خاصة اذا ما كان يمارس نشاطا علميا •

ب ـ احساسه بعدم وجود التقدير الكافى من افراد المجتمع •

جـ ـ ضآلة المرتبات •

د ـ عدم وجود تقاليد للبحث العلمى •

هـ ـ احساسه بالانعزال عن التيارات العلمية العالمية •

و ـ ضعف التسهيلات المخصصة للبحث العلمى •

ز ـ عدم وجود معايير معينة للاداء والكفاءة •

٢ ــ العوامل التى تجذب المثقف أو الباحث العلمى الى الهجرة الى البلدان المتقدمة :

١ ــ ارتباطه بالتطورات العلمية العالمية ٠

٢ ــ وجود معايير معينة للاداء والانجاز ٠

٣ ــ الاشباع الذى يحققه من وراء ادائه لعمله ٠

٤ ــ الحصول على مرتبات ودخل أعلى ٠

٥ ــ الاغراءات المختلفة التى تقدمها الدول المتقدمة ٠

● معوقات البحث العلمى فى مصر والى أى حد تعتبر هذه المعوقات مسئولة عن زيادة نسبة المهاجرين من العلماء والباحثين ٠

١ ــ ضعف الامكانيات المادية اللازمة للحصول على المعدات الاساسية اللازمة للبحث العلمى ٠

٢ ــ انفصال البحث العلمى عن العمل التطبيقى ٠

٣ ــ عدم وجود عقلية تنفيذية واعية تستطيع استيعاب نتائج البحث العلمى ٠

٤ ــ عدم وجود مناخ علمى يحاول الافادة من نتائج البحث العلمى ، ويقدر اهمية هذه النتائج ٠

٥ ــ عدم وجود تخطيط ودراسة شاملة لاوليات البحث العلمى ٠

٦ ــ المشكلات المدروسة لا تعكس تماما المشكلات الملحة التى تستأهل الدراسة والبحث ٠

٧ ــ عدم وجود سياسة علمية رشيدة مرتبطة ارتباطا وثيقا بأهداف المجتمع وايديولوجيته ٠

٨ ــ ارتباط السياسة العلمية بالاشخاص ، لا بايديولوجية المجتمع ، وخضوع هذه السياسة للتغير المستمر ٠

● نتائج استمرار هذه الهجرة واتساعها على مستقبل التنمية فى مصر ؟

من الطبيعى ان تؤدى هجرة المثقفين الى الخارج الى عواقب وخيمة على مستقبل التنمية فى مصر ٠ وأنا استخدم مصطلح المثقفين بالمعنى الواسع ٠ وكمصر ــ بلد نام ، يضم نسبة عالية من السكان الاميين (حوالى ٧٠ فى المائة) غير الواعين بمصالحهم ، هى فى أشد الحاجة الى هؤلاء المثقفين فى دفع عملية التنمية والاحتكاك بالجماهير العريضة ٠ ويزداد الامر خطورة اذا ما علمنا ان المثقفين الذين يتخذون قرارا بالهجرة هم المتفتحين الذين يتمتعون بعقول مستنيرة وفهم عميق لبلدانهم ٠ ومن هنا فانما يعنينا هنا ليس المثقفين ذوى التخصصات الدقيقة ، بل المثقفين ذوى الاهتمامات الواسعة ٠ ان الدور الذى تلعبه الصفوة المتعلمة فى مصر دور اساسى ويجب ان ناخذ هذه الحقيقة فى الاعتبار عند تحليلنا لظاهرة هجرة المثقفين ٠

واذا ما تناولنا هجرة ذوى التخصصات الدقيقة لأمكننا القول ان هجرتهم ــ فى المدى البعيد ــ تؤدى الى نتائج سيئة بالنسبة لمصر ٠ فمصر تمر الان بتنمية اقتصادية واجتماعية ، وانه سيأتى وقت ــ بالتأكيد ــ تكون فيه مصر بأشد الحاجة الى ذوى التخصصات الرفيعة ٠

● ماهى فى تصوركم أهم الوسائل التى تؤدى الى الحد من ظاهرة هجرة المثقفين ؟

من الضرورى ان نضع علاج هذه الظاهرة فى سياق عالمى او دولى ٠ كما ان علاجها مرتبط ببناء المجتمع ذاته ٠ ومن المعروف ان علاج هذه الظاهرة مرتبط اوثق الارتباط بأسبابها وعواملها ٠ ومع ذلك فباستطاعتنا ان نشير الى بعض الامور التى يمكن ان تسهم فى علاج هذه الظاهرة :

١ ــ تقديم التسهيلات الممكنة لانجاز البحث العلمى الضرورى ٠

٢ ــ تعديل نظام المكافآت التى يحصلون عليها بحيث يحصلون على الحد المعقول الذى يكفل لهم سبل العيش المقبولة ٠

٣ ــ اشراكهم فى السياسات التنفيذية المختلفة ، وعلى الاخص ما تعلق منها بتنفيذ نتائج بحوثهم ٠

٤ ــ ان تنال توصياتهم ونتائج بحوثهم هيبة اكبر واحتراما أكثر ٠

٥ ــ ان تتاح لهم باستمرار فرصة الاحتكاك بالثقافات العالمية ٠

٦ ــ ان يتاح لهم المزيد من الحرية فى اختيار الموضوعات الجديرة بالدراسة ، وأن يتاح لهم مزيد من الحرية فى تفسير نتائج دراساتهم ٠

الحـل

تهيئـة المنـاخ العـلمى الملائـم
والحد من عوامـل « الطـرد »

د. عبد الباسط محمد

خـبير بالمركـز القـومى
للبحوث الاجتماعيـة والجنائيـة

— ١ —

قبل ان نقف الى بعض من دوافع هجرة المثقفين عـامة ، والباحثين العلميين بوجه خاص، يجب أن نضـع فى الاعتبـار نقطتين أو جانبين :

اولا : ان دوافع هذا النوع من الهجرة — بصفة خاصة — لا ترجع الى عوامل جذب خارجية بالقدر الذى ترجع فيه الى عوامل طرد داخلية ، نابعة من الظروف المجتمعية ، التاريخية والواقعية للمجتمع المصرى ..

ثانيا : ان كثيرا من عوامل الهجرة الخـارجية ، يمكن ان تنسحب على هذه الهجرة النوعية فعوامل الهجرة من القرية للمدينة ومن مدينة لاخرى ، يمكن ان تلقى الضـوء على الهجرة من مجتمع لاخر ، ومن هذا التصور السريع يمـكن لنا التمييز بين مجموعتين من الدوافع الكامنة وراء هجرة العقول :

اولا : عوامل ذات طبيعـة او سياق عام :

ونشير منها الى :

١ — الظروف التاريخية التى مرت بالمجتمع المصرى ، وماخلفته فيه من رواسب ايديولوجيـة عامة ، خلفتها طبقات ارتبطت بالاسـتعمار وبالرأسـمالية وبالاقطاع .

٢ — ضـغط السـكان على الموارد وما يقيمه من عقبات أمام التنمية .

٣ — الظروف الراهنـة ، خاصة بعد هزيمة يونيو ، وما تطلبتـه وتتطلبـه من أعبـاء وتضحيات .

٤ — وجود بعض ثغـرات فى التخطيط ترتبط بالخدمات ، وبوضع الرجـل المنـاسب فى المكان المناسب .

٥ — تركز الخدمات فى مدن دون غيرها ، خاصـة المـدن الكبرى كالقاهرة والاسـكندرية مما يضاعف اعباء الحياة فيها ، ويرفع من تـكلفة المعيشـة ، ويؤثر فى الخدمات كما وكفاءة ونوعا . هذا فضلا عن عـدم

عدالة توزيع الخدمات على المدن الاخرى .

٦ — عدم وجود سياسة ثابتة — تقريبا — للاسعار ، تحفظ التوازن بين الدخل الفردى والحاجات الاساسية والنوعية.

٧ — وجود بعض التناقضات الحتمية الظهور فى ظروف التحول الاجتماعى ، فالطبقات التى اضيرت من الاشتراكية ، بالرغم من التعامل السلمى معها لم تكف عن تعويق التنمية الاقتصادية والاجتماعية . وفى داخلها البحوث العلمية التطبيقية التى قد تضر بمصالح معينة .

ثانيا : عوامل ذات طبيعة نوعية :

١ — عدم وجود اتساق بين خطط التعليم فى مراحله المختلفة كما ونوعا — أيا كان أسلوب هذه الخطط — وبين الحاجات الفعلية للمجتمع فى ظروف تحوله الخاصة ، ويمكن لنا أن نلحظ هذا فى التعليم الثانوى والجامعى مما يخلق فائضا من التخصصات التى لا تحتاجها قطاعات الدولة فى ظروفها الراهنة .

٢ — ويلحظ عدم الاتساق السابق فى خطط البعثات الخارجية ، فالمفروض اننا فى بلد نام ، وفى حاجة الى تخصصات من نوع معين ،وفى قطاعات أكثر من غيرها . ولكن الملحوظ أن البعض يرسل الى بعثات دقيقة وفرعية ، كعلوم الفضاء مثلا ، وعند عودته حتما لن يجد المكان المناسب لمؤهلاته لاننا فى الظروف الانية لانحتاج الى مثل هذا التخصص .

٣ — نظرة المجتمع الى الباحث العلمى وتقديره ، وتهيئة المناخ الملائم لتحركه ونشاطه العلمى . ويقع جزء كبير من هذا على أجهزة الاعلام ، فمع تقديرنا للفن والادب ، فان حجم مايعطى لراقصة أو مطربة ناشئة من وسائل الاعلام يكاد يفوق — مع التحفظ — مما يعطى لمركز للبحوث بكل ما قيل من رجال وباحثين .

٤ — عدم وجود اسس واحدة محددة للتعامل مع كل العاملين سواء فى الجامعات او مراكز البحوث ، سواء كان هذا التعامل ماليا او ادبيا . فالباحث المصرى يتطلع الى الجامعات المصرية ، والا الى بعض البلدان العربية ، والا الى خارج الوطن العربى ، يقصد تحسين أوضاعه الادبية والمادية .

٥ — عدم اتساق وكفاءة الوسائل والفرص المتاحة للباحث وبين تحقيق تطلعاته وطموحه العلمى ، فى العمل والنشر العلمى والتنفيذ .

— ١ —

وأما عن أهم معوقات البحث العلمى فيمكن الاشارة منها الى :

١ — عدم وجود سياسة علمية واضحة تربط بين الامكانات العلمية وبين خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

٢ — عدم التنسيق بين الاجهزة المختلفة القائمة بشئون البحث ، فهناك اقسام للبحوث بالجامعات والوزارات ، عدا المراكز العلمية مما يترتب عليه تشتيت الجهود وعدم الافادة من الامكانات العلمية والمادية المتاحة .

٣ — انشغال الباحثين لفترات ليست قليلة بأمور الحياة اليومية ومتطلباتها مما يبدد الطاقة والوقت .

٤ — عدم تيسير الاتصال بين الباحثين محليا وقوميا وعالميا ووجود عقبات تحول دون النشر العلمى باستثناء من يعملون بالجامعات والمعاهد العالية .

٥ — التفرقة فى النظرة الى العلوم الطبيعية والانسانية الاجتماعية ، مع أن الوظيفة الاجتماعية للعلم أيا كان نوعه ، فى أى بلد متقدم ، لا تكتمل الا بالعلوم الانسانية .

٦ — النظر الى الدور الذى يمكن أن يسهم به الباحث فى التنمية والتقييد نظرة تتيح له الانتاج والعمل على كافة مستويات العمل بالمجتمع .

— ٣ —

وبصدد هجرة المثقفين وتأثير ذلك فى مستقبل التنمية ، فيمكن الاشارة باختصار الى أن اعداد المثقف والباحث يتكلف من الخطة كثيرا ، ووقت أن يكون قادرا على العطاء يهاجر ، فيكون عائد ماتم انفاقه عليه معدوما . هذا بالاضافة الى أن اية خطة للتنمية يجب أن تكون مرتكزة على العلم والبحث العلمى الطبيعى والاجتماعى ، سواء فى مرحلة اعداد الخطة او تنفيذها أو متابعتها .

— ٤ —

وعن أهم أساليب الحد من هجرة المثقفين ، فهى تتلخص ببساطة شديدة فى الحد من عوامل الطرد السابقة ، وما قد توجد من ضغوط ، غير أن ثمة عوامل أساسية تسهم فى المناخ العلمى الملائم للاستقرار والانتاج ولعل أهمها :

١ — احياء فكرة المجالس النوعية المتخصصة .

٢ — تدعيم مراكز البحث العلمى لتقوم بالدور الملقى على عاتقها .

٣ — التنسيق بين أجهزة البحث فى كافة المجالات .

٤ — رعاية الباحثين ماديا واجتماعيا وأدبيا .

٥ — اعطاء حجم اكبر لدور العلم فى تنمية المجتمع وتغييره

الدكتور موريس وهبة
استاذ كرسى الكيمياء التطبيقية
بجامعة القاهرة سابقا
ـ تخرج فى كلية العلوم جامعة فؤاد الاول [القاهرة] عام ١٩٣٦ .
ـ اصبح استاذا لكرسى الكيمياء التطبيقية عام ١٩٦٠ بعلوم القاهرة .
ـ هاجر الى كندا عام ١٩٦٧ ليعمل استاذا فى مادته بجامعة مونتريال ـ كلية ماريا نوبوليس ، بمرتب قدره ١٤٩٦٠ دولارا .
ـ قدم استقالته وعاد فى أواخر عام ١٩٧١ .

شهادة أحد العلميين الذين هاجروا .. ثم عاد ..

الهجرة مجرد وهم

د. موريس وهبة
استاذ كرسى الكيمياء الطبيعية
بجامعة القاهرة سابقا

● فى رايى ان المقولة التى ترى بأن هناك عملية استنزاف تنظمها أمريكا للعلميين من دول العالم الثالث ، مقولة يعوزها كثير من الدقة . فالقول بأن أمريكا تشجع العلميين ـ بشكل عام ـ من دول العالم الثالث على الهجرة اليها ، قول غير صحيح . كان ذلك صحيحا تماما فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، حيث كانت هناك دواع ملحة ، بسبب دخول مرحلة الانتاج الواسع ، وانتاج الصواريخ ، وتطوير الاسلحة النووية ، ومواجهة شتى أوجه التنافس ، فيما بينها وبين اقتصاديات الاتحاد السوفيتى التى تتطور بشكل سريع . فى ذلك الوقت ، كانت أمريكا فى حاجة ملحة الى علميين ومهندسين ... الخ . وكانت تعانى نقصا فى هذا المجال . ومن هنا ، كان سعيها الى الحصول عليهم « جاهزين » من الخارج ومن أوربا ـ بشكل خاص ـ حيث تتوفر اعداد كبيرة منهم . هنا كانت أمريكا تستنزف الدول .

بعد ذلك ، وبعد أن خرجت جامعاتها الالاف العلميين ، فى مختلف المجالات ، لم تكن تحتاج اليهم بنفس القدر . وتلك هى طبيعة النظام والحياة هناك . الشىء المطلوب ، تعد لتحضيره بالالاف حتى يصبح هناك فائض منه .. لدرجة أن الشباب أصبح يندفع وبشكل غريب الى فروع أخرى ، كدراسة الاداب والعلوم الاجتماعية والسياسية . وحتى هذا المجال أصبح فيه فائض ضخم . وفى كلمة ، نقول لقد أصبح هناك ما يمكن تسميته « بفوضى خريجين » فى جميع فروع التعليم .

أصبحت الان عملية تشجيع الهجرة اليها ، أو تقديم المنح او ايجاد فرص للعمل بها ، عملية محكومة بعديد من الاعتبارات . فهى تقدم الاغراءات المختلفة الى الشخص الذى ترى انه يمكن ان يحقق لها كسبا فى مجال ما ، او متقدم فى ابحاثه او مجاله ، بحيث يمكن ان يصل الى نتائج مطلوبة . هذا تغريه وتجذبه . وذلك ينطبق بشكل عام على المهاجر . فهو لا يجد عملا بسهولة الا بعد ان يثبت انه شىء نادر ومفيد ، خاصة فى ظروف البطالة فى كافة الفروع .. التى يعانيها المجتمع الامريكى . اما المنح فالجامعات الامريكية هى التى تقدمها .. لماذا ؟ لان لكل جامعة كيانها القائم منذ زمن ، ولابد من المحافظة على استمراره . فى نفس الوقت الذى يمكن ان يكون هناك نقص فى أعداد الطلبة ، حيث يتجه كثيرون الى مجال

العمل والدراسة الفنية • لكنها تحتاج أيضا الى من يفيدها ، وليس لاى شخص • وامريكا **تتابع أبحاث العلميين في الدول الاخرى ، فاذا وجدت أن أحدهم يتقدم في بحثه الذي تحتاجه تقدم له منحة • ولابد ان نشير هنا ، الى مسألة الاعتبارات السياسية •** ومثال على ذلك ، الاعداد الوفيرة من المنح التى قدمتها الى التشيكوسلوفاكيين فى أعقاب أحداث تشيكوسلوفاكيا ، وخاصة الموجودين منهم خارج بلادهم •

● فى الفترة الاخيرة لم تكن أمريكا – مثلا – تشجع أو تقدم الاغراءات لكى يهاجر اليها العلميين فى مصر • (بسبب ما سبق وأوضحناه فى رأينا) • **لكن من كان يهاجر اليها من مصر يتصور أن ظروف العمل وامكانياته ومغرياته هناك أفضل •لكننى أزعم – وبحكم تجربتى العملية – أن ذلك ليس صحيحا • بل أن فرص العمل أمام المهاجر اليها صعبة للغاية • ان الاغراءات التى يتصورها الفرد المهاجر هى وهم كبير •** وفى رأيى انه لولا طابع « المظهرية » ، ومحاولة التمسك بسلوك عدم اظهار الفشل حتى لا تبدو المسألة كما لو كانت فشلا شخصيا ، لولا ذلك ، لعاد كثيرون من الذين هاجروا • فحتى من الناحية المادية البحتة اذا قست ما يقدمونه من أجور ومرتبات بالنسبة الى مستوى المعيشة حيث ارتفاع الاسعار الفاحش ، تجد أن المسألة لا تساوى • اذا أضفت الى ذلك ، أن كثيرا من المهاجرين يعملون هناك فى غير مجال تخصصهم أو دراستهم مما يضطرهم الى قبول أعمال أخرى ، لادركنا أن المسألة أصبحت بلا معنى •

● فاذا انتقلنا الى دوافع هجرة العلميين : ففى رأيى أن تصور أنها ترجع الى دوافع ، أو أسباب مادية وبمعنى أدق مالية ، تصور غير صحيح • ودليلى على ذلك أن عددا من المهاجرين العلميين ، تتوفر لهم امكانيات مالية مناسبة جدا • ولكنهم مع ذلك هاجروا أو يهاجرون • **الدافع الرئيسى لهجرة العلميين فى نظرى هو عدم الاشباع العلمى لاعدم الاشباع المادى ، عدم الرضا العلمى لا عدم الرضا المالى •**

ان عدد الباحثين العلميين أصبح كثيرا جدا • ولا وجود لاجهزة أو كتب أو دوريات تكفيهم • هنا يشعر المرء أنه لا يؤدى رسالة ، ويتصور ان فى الخارج يستطيع أن يجد ضالته • بل كثيرا ما تقاسى الجامعات من السعى وراء تدبير الاموال اللازمة لشراء جهاز ما وبعد استحضاره يحدث فى كثير من الاحوال أنه لا يعمل عليه • فان استخدم وتعطل يظل هكذا طويلا • وعدد الخريجين لا طاقة للبلد لتحملها ، والصحف تشجع بشكل مفتوح على الهجرة • وهنا تجد البلد المرغوب فى الهجرة اليها ، تنتقى ما تريده وليس كل من يتقدم بطلب الهجرة اليها •

مركز البحوث مثلا أصبح كلية للعلوم ، وليس مركزا للبحوث• وهنا شط عن الغرض الاساسى له •

شعور عدد من العلميين بانهم غير منتجين • وان انتجوا فان انتاجهم فى تصورهم لا يلقى التقدير •ويتصورون أنهم ربما واجدون التقدير فى الخارج •

وهناك حقيقة أخرى : أن عمليات البحث ومجرياته تتم فى اطار معزول عن المجتمع • وكلما تخصص العلمى ، وغرق فى دوامة البحث بعيدا عن مجتمعه زادت عزلته • من هنا ، ينبغى أن يكون أساس البحوث مرتبطا بحاجات المجتمع ومتطلباته ليتجه البحث الى حلها • هنا لا تحقق له أى من الدرجة العلمية التى يحصل عليها ، أو الدرجة المالية المصنف فيها ، عملية الاشباع النفسى والعلمى والاجتماعى • **فالجامعة مثلا ، بعيدة تماما عن مشاكل الصناعة والبناء •** ولاشك أن عملية تعريفها بهذه المشاكل ، يضعها أمام مسئولياتها الوطنية والعلمية فى ايجاد الحلول لها • كذلك نفتقر الى وجود أى تنسيق بين أقسام البحوث فى الجامعات المختلفة بل وبين الجامعات ذاتها • ولهذا آثاره السلبية •

هناك قضية أخرى اساسية: ان اقبال الشباب على التعليم مرتبط بما يمكن تسميته بمرتب الشهادة • هنا مثلا نلاحظ أن درجة الدكتوراة يتم السعى اليها جريا وراء المرتب الاعلى واللقب نفسه ، أكثر من هدف تحقيق نتائج علمية جديدة •ولذلك من الناحية الاجتماعية آثاره السلبية • لانها تدعم فكرة خاطئة ، ترى أن الشخص الذى حصل على البكالوريوس ، أو أى درجة علمية أخرى أفضل وأحسن من غيره بغض النظر عن الدور الذى يقوم به أو النتائج التى يحققها لمجتمعه •

يجب أن تسود فكرية أن الخريج مديون لمجتمعه وللدولة • لانه أعطى فرصة لم يأخذها غيره • وان غيره لم يأخذ هذه الفرصة لان هذا الغير اسوأ أو أقل مستوى أو قيمة • وفى نهاية الامر ، يجب على الخريج أن يفيد المجتمع والدولة وأن يسدد دينه • هنا نواجه أكثر من تساؤل : هل أحسن المجتمع استثماره ؟ هل نحن فى حاجة حقيقية الى كل هذه الاعداد الضخمة من الخريجين وفى كل المجالات ؟

هنا لابد من التخطيط ، على ان يتم فى أسرع وقت .. ماهى احتياجات المجتمع فى كل مجال ؟ وماهى الاعمال المهمة والضرورية الجديدة ؟ بتحديد ذلك يتم توجيه التعليم .

أنا أزعم أن حاجة مجتمعنا من الفنيين يفوق كثيرا حاجته الى كل هذه الاعداد الضخمة من الخريجين فى كل المجالات . وأنا أزعم أيضا أن جذب الشباب الى مجالات العمل الفنى المطلوبة والمهمة والضرورية ، يجب ان يتم من خلال منح هذا الفنى مرتبات ملائمة بل حتى ولو كانت أكبر من مرتبات خريجى الجامعة .على أن يعرف هؤلاء جميعا انهم مدينون للمجتمع وللدولة ، ولابد من الوفاء بدينهم بخدمة مجتمعهم .هنا يتحقق الاشباع النفسى عن طريق ان يشعر المرء بأنه يخدم حاجات المجتمع .

المطـــــلوب :

اســـــتراتيجية للبحــث العــلمى

ســعيد ياســين
الخـــبير بالمركـــز القـــومى
للبحوث الاجتماعيـــة والجنائيـــة

ينبغى النظر الى ممارسة الفكر ، بوجه عام ، والبحث العلمى ، بوجه خاص ، نظرة غير مجردة ، بمعنى ضرورة ربطها بالظروف الاجتماعية التى يمارس فى ظلها الفكر والبحث العلمى . من بين هذه الظروف ، على سبيل المثال ، نوعية المرحلة التاريخية التى يمر بها المجتمع فى تطوره ، ونوعية الفلسفة السياسية ومدى تطابقها ، مع آمال وتطلعات الجماهير ، ومدى اقتناع المثقفين والباحثين العلميين بصحة مسلماتها ، وملاءمة تطبيقها فى المرحلة الراهنة . ويمكن القول أن المجتمع المصرى ، باعتباره مجتمعا ناميا ، يمر بمرحلة انتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، يحتاج الى تجميع كل الطاقات الوطنية والفكرية والعلمية للمثقفين والباحثين . واعتقد ان الاسباب الكامنة وراء هجرة الباحثين المصريين بوجه عام يمكن أن ترد الى مايلى :

اولا: عدم الاهتمام بتنمية الوعى السياسى بين فئات الباحثين ، أو محاولة تنميتها بطرق خاطئة، مما يدفعهم الى التركيز على عملهم العلمى ، وينفصلون بالتالى عن التطبيق السياسى والاجتماعى .فاذا ما قابلوا بعض المعوقات فى عملهم العلمى ، قد يسهل لهم ذلك تبرير التخلى عن واجبهم القومى ، والهجرة الى الخارج .

ثانيا : عدم وجود استراتيجية للبحث العلمى فى مصر ترتبط ارتباطا وثيقا بخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبالتالى يحدث الانفصال بين البحوث النظرية والتطبيق . وهذا فى حد ذاته قد يشعر الباحثين بالاحباط لانهم لا يشعرون أن نتائج بحوثهم تستخدم فعلا لتطوير المجتمع .

وهناك ايضا الاوضاع القائمة فى المؤسسات العلمية فى مصر ، ومما لاشك فيه أن ما يدفع البحث العلمى وجود تقاليد متبلورة – تسمح للباحثين بممارسة عملهم والانتظام فى فرق البحث بروح تعاونية من شأنها اعلاء المصلحة العامة فوق المصالح الخاصة .عدم تبلور هذه التقاليد ، قد يؤدى الى تعويق نمو الباحثين العلمى ،

واستعمالة تكامل جهودهم بطريقة جماعية ، مما قد يشعر بعضهم باليأس ، وبالتالى لايجدون مهربا سوى الهجرة الى الخارج ·

معوقات البحث العلمى

المعوقات ـ أولا ، عدم ايمان بعض المسئولين بـأهمية البحث العلمى وضرورته لحـل المشكلات المختلفة ·· ويحتـاج نمو البحث العلمى الى انتشار الثقـافة العلمية على مستوى المجتمع · غير أن مجتمعنا مازالت تسيطر على عدد من قطاعاته الهـامة اتجاهات غير علمية ، وهذا فى حد ذاته يعتبر عائقا لنمو البحث العلمى ·

من بين المعوقات التى وضعت صعوبات جمة أمام الباحثين العلميين المصريين فى السنوات الماضية عدم توفر المراجع العلمية الحديثة وعدم تعرفهم على متابعة الدوريات العلمية · وصعوبة سفرهم للخـارج لحضـور المؤتمرات والندوات العلميـة · وان كان هذا الوضع بدأ يتغير الى الافضل فى الفترة الاخيرة ، الا أن هناك جهودا ضخمة ينبغى بذلها فى هذا المجال لضـمان استمرار اتصـال البـاحثين المصريين بالمجتمع العلمى فـى الخارج ·

تاثير الهجرة على مستقبل خطة التنمية

مما لاشـك فيه ان استمرار هذه الهجرة ، واتساعها من شانه أن يؤثر تاثيراخطيرا على مستقبل التنمية فى مصر ، لاننا فى حاجة الى أن نجند كـل الكفاءات العلمية لتطوير المجتمع المصرى ، والانتقال به الى مرحلة الاشـتراكية ، وتعمـل الدول المتقدمة وفق خطة موضوعة على تصفية العقول والكفاءات العلمية فى البلاد النامية لافقار هـذه البلاد ومنعها من التقدم بالسرعة الواجبة من ناحية ـ وللاستفادة من طاقاتهم ـ من ناحية أخرى ـ فى الوصول الى مزيد مـن التقدم ، وهذه العملية يقع عبئها فى الواقع على البلاد النـامية التى تنفق جزءا لا يستهان به من دخلهـا القـومى على التعليم والبحث العلمى ، لاعدادالكوادر الفنية والعلمية التى تساعدها فى تنفيذ خططها الاقتصاديـة والاجتماعية .

الهجـرة وأسـبابها

سامى محمود فريد

مهندس زراعى ـ بكالوريوس علـوم زراعية ـ ماجستير جامعة عين شمس

أحب أن أوضـح مفهومى الشخصى لعملية الهجرة قبل أن استرسل فى أسباب الهجرة ـ أن مفهومى الشخصى لها ليس هروبا من أرض أو بيئة أو مجتمع ـ بقدر ما هو ـ مجموعةعوامل شخصية تنميها ظروف عقليـة وثقافية معينة بالاضـافة الى عوامل خارجيةتساعد على انماء هذا الاتجاه ـ وتلك العوامـل الخارجية قد تـكون ـ [وهى عادة كذلك] ـ من خارج البلاد.

ــ ان تفكيرى فى الهجـــرة لم يكن حديثا بقدر ما كان مبكرا ويرجع الى خمســـة عشر عاما مضت خلال الدراسة فى الكلية ــ وفى عمريدورحول العشرين .

ــ كان الهدف هو محـــاولة للاستفادة من العلم والخبرة التى اقراعنها ،واراها أمامى فى شكل واضح ، من خلال أجهزة الاعلام ذات التأثير الواضح على شباب العالم الثالث .

ــ ثم تحولت ــ ومع تعميق هذه العوامل السابقة بشـــكل مباشر ــ الى اقتناع بأن الهجرة ســتكون ناجحـــة ما دامت قد استكملت مقـــومات الهجـــرة ، وهى ــ من وجهة نظـــرى ــ استعداد واقتناع شخصى بها ــ تحضـــير ذهنى وعقلى ومادى للتحرك نحو الارض الجديدة .

ــ ولقد وجدت ان الهجـــرة بشكلها النظرى ، اى التحضير للذهاب الى أرض جديدة والحياة مع شعب جديد ، دون ممارسة هذا النوع من التحرك ستحفبها المخاطر ــ وهكذا قررت أن اقوم بزيارة خارج البلاد ، لاضع نفسى تحت التجربة ومع المخاطرة [وهى طبيعة الفرد المصرى فى أسلوب مجابهة المخـــاطر] ــ وجاءت التجربة ، وذهبت اكثر من مرة الى الخارج . ووجدت ان امكانيـــة المعيشة فى الارض الجـــديدة ليست مستحيلة ، بل ســـهلة ولا تختلف عن المعيشة فى الارض التى ولدت فيها .

ــ ولقد وضعت امامى كثيرا من العوامل أبحثها وادقق فيهـــا حتى يكون قرارى النهائى سليما ومن اسباب الهجرة ما يلى :

أولا : الانفتاح على الجديد من العلم والخبرة والمعرفة ومسايرة للحياة الجديدة فى العالم المتقدم طموحا نحو اثبات ان الفـــــرد المصرى لا يقل مهارة او ذكاء عن غيره من شعوب العالم المتحضر .

ثانيا : انطلاقا الى مزيد مـــن الفكر المفتوح دون تعصـــب أو خوف .

ثالثا : الشعور الصادق بأن الانسان ارقى المخلوقات ــ له احترامه ووجوده فى اى مكان مهما كانت مكانته الاجتماعية .

رابعا : احســـــاس كبير بأن الانسان خلق على الارض على اتساعها فاذا اخذ منها اعطى لها والعطاء يكون للجميـــع وليس لمجتمع بعينه او لمساحة ارض محدودة .

خامسا : فكر معين قادنى بأن البـــلاد النـــامية ، وعلى مدى سنوات طويلة قادمة لاتحتاج الى العقول المفكرة الكثيرة والمركزة بها . بل تحتاج فى صميم الامر ، أن يبذل كل فرد فيها كل الجهد فى عمله ليتقنه . اذ ليست على العقول المثقفـــة فقط الخوف بل يجب أن يكون الخوف أكثر على الجماهير الواسعة الغير واعية والتى تهدم كل تقدم وكل عـــلم اذا لم توجه التوجيه السليم ــ وخير دليل على ذلك تجربة الصين واليابان ــ فهل جميـــع هـــذه الشعوب والتى تصل فى مجموعها ثلث سكان العالم او تزيد عقول ذات تعليم عال يخاف عليهـــــا من الهجرة ؟ اعتقد انه بالعكس ــ فان كل رجل متعلم واحد يجب ان يقابله آلاف من العمالة الفنية المتقنة ــ هذا الرأى يؤدى الى ان هجرة العقول المتعلمة والمثقفة ليست مؤشرا يرهبه المسئولون .

سادسا : ان تجربة ايطاليا وبعض بلاد اوروبا الغربية ابان الحرب العالمية الثانية ، وبعدها ، والتى ساعدت وشجعت الهجرة نظرا للتخلف الاقتصادى بهـــا ، ولكن بعد مرور أكثر من ربع قرن وبعد التقدم الاقتصادى لهـــذه البـــلاد رجعت اليهـــا جموع يشاركون مشاركة فعالة وايجابية فى تقدم بلادها .

سابعا : بذا أوجه نداء دون تردد أن افتحوا أبواب الهجرة دون خوف فهو يفيد بشكل واضح ــ مع الاهتمام الاول وبشـــكل مركز على جموع الشعب العاملة والتى وبسواعدها يكون التقدم والانطلاق .



تناسب عكسى بين درجة النمو الاقتصادى والهجرة من الدول النامية

تبرز الشهادات السابقة – ولها كل الحق فى ذلك – ان السبب الاساسى لهجرة أصحاب الكفايات العلمية والفنية ، يتمثل فى « عوامل الطرد الداخلية » والتى لولاها لما انتجت « عوامل الجذب الخارجية » آثارها .

فلو كانت الظروف المحلية مواتية – ليس فقط من الناحية المالية بل من حيث الاشباع العلمى والاجتماعى – لما هاجرت هذه الاعداد الكبيرة ، التى تضم شبابا كان يحلم بتحقيق المعجزات لبلده ويتحرق شوقا للانتهاء من دراسته – فى الخارج أو الداخل – ليفيد وطنه ومجتمعه بما أحرزه من صنوف العلم والمعرفة . كما تضم ايضا شبابا عازفا بحكم الطبيعة المصرية – عن الترحال والانتقال ، ولكنه لا يجد امامه غير الرحيل ، تخلصا من تناقضات وظيفية وعلمية .

ويبرز الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله حقيقة لهادلالتها فى هذا الصدد ، وهى أن « هناك تناسبا عكسيا » بين درجة النمو الاقتصادى والاجتماعى ، وبين هجرة المثقفين والمشتغلين بالبحث العلمى ، بمعنى أن أقل البلاد تقدما ، واكثرها حاجة الى المتعلمين من بنيها ، هى اكثرها فقدانا للمتعلمين .

وهذه الحقيقة ، تؤكد أن التخلف ، هو السبب الاساسى لسوء استخدام اصحاب الكفايات او عدم استخدامهم اصلا ، والحكم عليهم بنوع من البطالة المقنعة ، رغم انهم موظفون من الناحية الرسمية ، ويتقاضون أجورا فى اول كل شهر ، لكنهم لا ينتجون ، ولا يحققون لانفسهم الاشباع العلمى والاجتماعى ، ولكن يكمل الحقيقة السابقة ، ملحوظة اخرى هى أنه عندما تبدأ البلدان المتخلفة خططها للتنمية ، يتناقص عدد المهاجرين منها ، ذلك

ان التنمية تكفل فرصا واسعة لاستخدامهم وارضائهم ماديا ومعنويا. ويؤكد **الدكتور عبد الباسط محمد الخبير** بمركز البحوث الاجتماعية والجنائية حقيقة « ان الهجرة لا ترجع الى عوامل جذب خارجية ، بقدر ماترجع الى عوامل طرد داخلية » . ويعدد الدكتور عبد الباسط العوامل الحافزة على الهجرة ، ومن اهمها « الظروف التاريخية وما خلفته من رواسب ايديولوجية عامة ، خلفتها طبقات ارتبطت بالاستعمار والراسمالية والاقطاع » . والحق ان لهذه الفكرة عمقها وقيمتها الكبيرة ، فالهياكل الاقتصادية والاجتماعية البالية ، والتى تتميز بعدد من التشوهات كتضخم قطاع معين وتخلف الباقى والتباين الواسع بين السكان ورؤوس الاموال المنتجة ، والتخلف التكنيكى ، الخ ، كل هذا يمثل « قوة طرد مركزية » تدفع بالكفاءات خارجا . ويمضى الدكتور عبد الباسط ليوضح ان الظروف الناشئة بعد الهزيمة ، كانت من عوامل الطرد . وبالفعل فان المتتبع لاحصائيات المهاجرين يتبين ارتفاعا حادا فى اعدادهم فى سنة ١٩٦٩ بصفة خاصة ، صحيح انها انخفضت فى السنوات التالية ولكن ذلك يرجع اولا الى القيود التى فرضت على الهجرة .

ولكن **القيود** ليست هى الحل . وفى هذا يقول الدكتور اسماعيل صبرى « ولنقل بصراحة اننا نرفض اى تفكير فى خطر الهجرة اداريا . لانه يجب الا يشعر المواطن بأنه سجين فى وطنه وانما يجب ان نضع بامانة ابعاد المشكلة امام الشباب وان نجعلهم يتحملون مسئولية ما يختارون عن بصيرة » ، وذلك حق تماما ، فالكثرة من المهاجرين ليست ناكرة لجميل بلادها وفضلها عليها ، كما ان الاجر ليس هو الدافع الوحيد . ولقد قرأنا اخيرا عن الطبيب الصينى الكبير الذى فضل الدراجة والاجر الصغير والعمل الشاق فى بلده ، عن السيارات الفارهة والمرتب الضخم والعمل المريح فى الولايات المتحدة . وقرأنا ايضا عن عالم الرياضيات اليابانى الذى عاد بعد ١٨ عاما فى الجامعات الامريكية ورضى بعشر ماكان يتقاضاه فيها من اجر ، عندما احس ان بلده تجله وتقدره وتجد له العمل المناسب .

وبالفعل فالقضية كما يقول **الدكتور اسماعيل صبرى** « هى فى المقام الاول قضية سياسية ، قضية الشعور بالانتماء الى الوطن ، والاحساس بما انفقه المجتمع على المتعلم حتى حصل على تعليمه من اموال الشعب ، والالتزام الادبى بخدمة هذا الشعب وفاء لهذا الدين » .

ويستطرد **سيد ياسين** الخبير بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ليوضح ان من اخطر اسباب الهجرة « عدم الاهتمام بتنمية الوعى السياسى بين فئات الباحثين ، او محاولة تنميتها بطرق خاطئة مما يدفعهم الى التركيز على عملهم العلمى ، وينفصلون بالتالى عن التطبيق السياسى والاجتماعى » فاذا ما قابلوا بعض المعوقات فى عملهم العلمى ، فقد يسهل لهم ذلك تبرير التخلى عن واجبهم القومى والهجرة الى الخارج » . واذ كنا جميعا ندرك انه من الصعب الدخول فى منافسة مع الدول المتقدمة فى مجال الاجور التى تدفع لاجتذاب الكفاءات العلمية والفنية ، فاننا ندرك ايضا ان للعمل السياسى قوة هائلة فى ضمان تعبئة وولاء وتفانى العلميين .

ومع التسليم بأهمية العوامل الطاردة فانه لا يمكن التقليل من « الطابع الشخصى » للمهاجر ، هذا الطابع الذى يحدد — فى النهاية قدرته على البقاء والمحاولة او الاستسلام للرحيل . وفى هذا يقول **المهندس الزراعى سامى محمود فريد** — حاصل على الماجستير — ان الهجرة ترجع الى « مجموعة عوامل شخصية تنميها ظروف عقلية وثقافية معينة ، بالاضافة الى عوامل خارجية تساعد على انماء هذا الاتجاه » . ومع ذلك فان المهندس سامى فريد نفسه يعود ليقول « ان الانسان خلق على الارض على اتساعها ، فاذا اخذ منها اعطى لها . فالعطاء للجميع وليس لمجتمع معين أو لمساحة ارض محدودة » . والواقع ان هذا الرأى غريب فعلا ، فلايتصور ان تهدى مصر وهى البلد الفقير — كما يقول الدكتور اسماعيل صبرى — الى الولايات المتحدة ٣٠ الف جنيه ، هى تكلفة اعداد الخريج . وعائد عمل هذا المهاجر لا يرجع ابدا الى موطنه الاصلى ، بل يذهب كله الى دولة المهجر . وفى هذا تقول **الدكتورة هدى مجاهد** الخبيرة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، « مما لا شك فيه أن كل فرد له الحرية الكاملة فى أن يستقر فى المكان الذى يتلاءم مع امكانياته وطاقاته ، ويحقق له اهدافه ، ويشبع حاجاته . ولكن ليس له الحرية المطلقة فى كل ما يبتغيه لانه فى مقابل ما يحصل عليه من حقوق ، فان عليه التزامات قبل المجتمع الذى يعيش فيه . ذلك ان الدولة تتحمل بالنسبة للفرد كثيرا من اعبائه فى مختلف مراحل نموه وتعليمه وتعطيه طوال فترة تعليمه كثيرا من الحقوق التى قد تكون على حساب فئات اخرى فى المجتمع ، على اساس انه فى وقت معين سيعود عليها العائد الذى

سيدخل ضمن خطة التنمية . بمعنى ان كل مثقف ، يمثل بالنسبة للدولة ، مشروعا استثماريا ، سيحقق العائد منه بعد فترة فاذا استمرت عمليات الهجرة على هذا النحو ، فان الدولة ستفقد باستمرار رؤوس اموالها من المثقفين ، وبالتالي ستعود عليها بالخسارة الدائمة » . وتبرز في الشهادات ايضا فكرتان تستحقان النقاش والتعليق :

● **الاولى : فكرة الدكتور موريس وهبة** استاذ كرسي الكيمياء التطبيقية السبق بجامعة القاهرة ، وهى « ان المقولة التى ترى بأن هناك عملية استنزاف تنظمها امريكا للعلميين من دول العالم الثالث ، مقولة يعوزها كثير من الدقة . فالقول بأن أمريكا تشجع العلميين - بشكل عام - من دول العالم الثالث على الهجرة اليها . قول غير صحيح . كان ذلك صحيحاً تماما فى اعقاب الحرب الثانية .. فى ذلك الوقت كانت امريكا فيحاجة ملحة الىعلاميين ومهندسين ، الخ . وكانت تعانى نقصا فى هذا المجال .ومن هنا ، كان سعيها الى الحصول عليهم « جاهزين » بعد ذلك ، وبعد أن خرجت جامعاتها آلاف العلميين ، لم تكن تحتاج اليهم بنفس القدر .

● والفكرة الثانية هى فكرة المهندس سامى **محمود فريد** التى يقول فيها « ان البلاد النامية وعلى مدى سنوات قادمة لا تحتاج الى العقول المفكرة الكثيرة والمركزة بها » ، ويشبه هذا القول بأن المهاجرين من تخصصات ليس لها فائدة فى بلادها .

وفى الرد على الفكرتين ، تبرز أهمية الارقام والتقارير .. فيؤكد تقرير لجنة التربية والتعليم بحكومة الهند الصادر فى ١٩٦٦ - بعد الحرب الثانية بكثير - أن **الهجرة تخلق « انحرفات وتشوهات خطيرة »** ، ويقول تقرير **اليونسكو** فى ١٩٦٨ ، **ان استنزاف العقول « عملية لا اخلاقية تعوق تقدم البلاد النامية »** . وبينت النشرة الاقتصادية للامم المتحدة الصادرة فى ١٩٦٦ عن امريكا اللاتينية وادانت اتساع نطاق استنزاف مواهب هذه القارة .

أما الارقام ، فتبين أنه فى حين هاجر الى امريكا بضع مئات من العلميين فى ١٩٤٧ - عقب الحرب - فقد ارتفع العددفى ١٩٦٢ الى ٣٧٨٠٠ من آسيا ، و ٢١٠٠ من افريقيا ،و ٣٩٧٠٠٠ من امريكا اللاتينية ،أما من رفضوا العودة الى بلادهم بعد اتمام دراستهم فى أمريكا ، فقد بلغت نسبتهم ٤٣٫١ فى المائة من الاردن و٣٦٫٦ فى المائة من ايران و٣٤٫٤ فى المائة من الهند . كما يهاجر الى امريكا ٤٧ فى المائه من مهندسى نيجيريا و٤٣ فى المائة منمهندسى الدمينكان ،و٤٤فى المائة من مهندسى بنما ، و٣٦ فى المائة من مهندسى كوستاريكا . كما أن الامم المتحدة قدرت انمكاسب امريكامن الحصول علىافراد مؤهلين جاهزين ، بما يوفر لها نفقات اعدادهم ، قد بلغت حوالى ٥٠٠ مليون دولار فى الفترة من ٧٢ الى ٦٧ .

ويورد **الدكتور السيد محمد الحسينى** الخبير بمركز البحوث الاجتماعية والجنائية ، سببا له وجاهته فى فساد سياسة البحث العلمى - وهى سبب أساسى من أسباب الهجرة - يتمثل فى ارتباطها بالاشخاص وليس بأيديولوجية المجتمع ، وعدم وجود العقلية التنفيذية الواعية التى تستوعب وتطبق نتائج البحث العلمى .

ومع كل التشخيص الدقيق للاسباب الداخلية للهجرة ، يمكن أن نضيف حقيقة « أن الثورة العلمية والتكنولوجية الراهنة ، تزيد تشريك الاقتصاد .وفى ظل سيطرة الاحتكار يؤدى هذا الى « اعادة انتاج » التناقضات الاجتماعية على نطاق واسع وتكثيفها . وهكذا فان نمو التعليم والتدريب المهنى فى البلدان الامبريالية ، يقل عن الاحتياجات للتنمية الاقتصادية . وتسعى رأسمالية الدولة الاحتكارية ، الى حل هذه المشكلة بتكثيف استغلال الشعب العامل ، بما فى ذلك شعوب البلدان النامية . **ان استنزاف العقول شكل جديد من اعادة التوزيع الجائر للقوى العاملة لمصلحة البلدان المتقدمة ، وعلى حساب البلدان المتخلفة ، انه شكل جديد للاستغلال الاستعمارى الجديد** » .

« الطليعة »

الهجـــرة بالأرقـــام

للارقام قدرة خاصة على تقديم صورة دقيقة وواقعية للظواهر . وفي موضوع هجرة العقول تكتسب الارقام ، اهمية خاصة في تحديد ابعاد هذه القضية ، وآفاق تطورها ، بما يسمح بتقييمها تقييما صحيحا .

وقد اخترنا الجداول الاربعة التالية من الدراسة التي اصدرها الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء في ابريل ١٩٧٢ ، عن الهجرة الدائمة للمصريين خارج ج.م.ع. وكل من هذه الجداول — حسب ترتيبها — يبين حقيقة لها دلالتها وذلك على النحو التالي :

□ ان النسبة الغالبة من المهاجرين من الشباب في سن العطاء والانتاج [من ٢٠ الى اقل من ٤٠ سنة] .

□ ان ادارات الحكومة والقطاع العام ، هما المصدر الاساسي للمهاجرين .

□ ان اصحاب المهن الفنية العليا ، واصحاب المهن الادارية والصناع المهرة ، هم الكتلة الغالبة من بين المهاجرين .

□ ان الحاصلين على مؤهلات عليا ، هم النسبة الاكبر بين من تركوا البلاد وهاجروا .

يتضح من الجدول رقم [1] :

● ان ٦٨٫٧٥ ٪ من المهاجرين — اى اكثر من الثلثين — تتراوح اعمارهم بين ٢٠ سنة واقل من ٤٠ سنة ، وهي الفترة من العمر التي يبلغ فيها نشاط الانسان وحيويته اوجهما . هـذا في الوقت الـذى تصل فيه نسبة من يقلون عن العشرين في مصر ، الى ما يزيد عن نصـف مجموع السكان ، وفي الوقت الـذى تساوى فيه قوة العمل ربع مجموع السكان محسب (*)

جدول رقم ١

توزيع إجمالي المهاجرين الاصليين وفقا لفئات السن ودولة المهجر خلال الفترة من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٧١

دولة المهجر / فئات السن	أقل من ٢٠ سنة	٢٠ —	٣٠ —	٤٠ —	٥٠ —	٦٠ فأكثر	غير مبين	المجموع
كندا	١٦٩	١٤٨٠	١١٤٤	٦٨٣	٥١٦	٤٤٧	٢١	٤٤٦٠
استراليا	١٠٨	١٣٠٣	١١٨٣	٥٨٧	٢٧٩	٢٣٤	٤٨	٣٧٤٢
الولايات المتحدة الامريكية	٧٠	٢٠١٦	١٨٨٣	٥٨٦	١٤٢	٩٦	٥٩	٤٨٥٢
البرازيل	٩	٢١٧	١١٢	٦٠	٣١	٢٣	٥	٤٥٧
دول أخرى	١	٣٥	٤٢	٤٠	٢٩	٣٥	١	١٨٣
الإجمالي	٣٥٧	٥٠٥١	٤٣٦٤	١٩٥٦	٩٩٧	٨٣٥	١٣٤	١٣٦٩٤
النسبة ٪ للإجمالي	٢٫٦١	٣٦٫٨٨	٣١٫٨٧	١٤٫٢٨	٧٫٢٨	٦٫١٠	٠٫٩٨	١٠٠٫٠٠

● ان النسبة الغالبة من هذه الفئة [حوالى ٤٢ ٪ منهم] هاجرت الى الولايات المتحدة ، التى تهتم فعلا بالتركيب العمرى للمهاجرين ، الى جانب تكوينهم العلمى والمهنى ، لانها تريد طاقات « معمرة » يكفل لها استغلالها ربحا طويل الاجل نسبيا .

● ان من تقل امكانيات الاستفادة منهم من المهاجرين ، وهم ممن تبلغ اعمارهم ٦٠ سنة فأكثر لا تتجاوز نسبتهم ١ر٦ ٪ من المجموع الكلى . والسبب فى قبول هجرة هؤلاء غالبا ، هو انهم يكونون جزءا من الاسرة المهاجرة [من الارامل والاباء والامهات الذين لحقوا بأبنائهم أو من اجانب كانوا يتجنسون بالجنسية المصرية]

كذلك تنخفض نسبة من تقل أعمارهم عن العشرين — رغم انهم سينضمون الى صفوف العاملين خلال سنوات قليلة — لتصل الى ٢ر٦١ ٪ . ومن ثم فان نسبة الاعالة بين المهاجرين ، وهى عدد الاشخاص غير العاملين الذين يعولهم الشخص العامل ، صغيرة للغاية على النقيض مما هو قائم بالنسبة لباقى السكان الذين يعول العامل منهم حوالى ٤ اشخاص فى المتوسط .

ويبين الجدول رقم [٢] ما يلى :

● ان ادارات الحكومة والقطاع العام هما المصدر الاساسى للمهاجرين ، اذ يسهمان بحوالى ٥٧ر٧ ٪ منهم — او ما يزيد عن النصف وفضلا عن الفراغ الذى قد يتركه هؤلاء فى بعض التخصصات ، فانهم يحملون معهم الكثير من خبرات العمل فى هذه المجالات ويلمون الماما شاملا بكافة جوانبه وخفاياه .

● ان الدولة والقطاع العام يتساهلان كثيرا فى السماح للعاملين بهما بالهجرة ، دليل ذلك ارتفاع نسبة المهاجرين منهما الى اجمالى المهاجرين .

● ان ما يقرب من نصف هؤلاء المهاجرين — ممن كانوا يعملون فى الحكومة والقطاع العام — قد اتجه الى الولايات المتحدة ، التي يهمها كثيرا — بجانب استخدامهم فى سد حاجتها من المهارات .

● ان اسهام القطاع الخاص فى الهجرة محدود نسبيا ، ذلك أن من يعملون لحسابهم لا تتجاوز نسبتهم ٦ر٩١ ٪ من مجموع المهاجرين كما ان من يعملون لدى الغير لا تتجاوز نسبتهم ٦ر٧ ٪ من مجموع المهاجرين . الامر الذى قد يصلح مؤشرا — ولو انه غير مباشر — على ان القطاع الخاص ليس قطاعا طاردا ، وانه يتمتع بنوع من الاستقرار .

● ان بلداننا ثلاث ، هى كندا واستراليا

جدول رقم ٢

توزيع اجمالى المهاجرين الأصليين وفقا لقطاعات العمل قبل الهجرة ودولة المهجر خلال الفترة من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٧١

قطاعات العمل قبل الهجرة / دولة المهجر	يعمل بوزارات وهيئات عامة	يعمل بالمؤسسات العامة وشركاتها	يعمل لحسابه	يعمل لدى الغير	يعمل بجهات أجنبية	لا يعمل	غير مبين	المجموع	النسبة ٪ للإجمالى
كندا	٥٦٩	١٣٦٥	٤٩٠	٣٦٨	٤٠٢	١٢٥٥	١١	٤٤٦٠	٣٢ر٥٧
استراليا	٦٦٨	١٣٥٣	٢٦٠	٣٥٠	١٦١	٩٢٥	٢٥	٣٧٤٢	٢٧ر٣٢
الولايات المتحدة الأمريكية	١٨٥٥	١٧٥٤	١٤٥	١٢٧	١٢٩	٨١٦	٢٦	٤٨٥٢	٣٥ر٤٣
البرازيل	٨٥	١٨٨	٢٨	٣٢	١٦	١٠٨	—	٤٥٧	٣ر٣٤
دول أخرى	١٤	٣٧	٢٣	٤٠	١٠	٥٩	—	١٨٣	١ر٣٤
الإجمالى	٣١٩١	٤٦٩٧	٩٤٦	٩١٧	٧١٨	٣١٦٣	٦٢	١٣٦٩٤	١٠٠ر٠٠
النسبة ٪ للإجمالى	٢٣ر٣٠	٣٤ر٣٠	٦ر٩١	٦ر٧٠	٥ر٢٤	٢٣ر١٠	ر٤٥	١٠٠ر٠٠	

والولايات المتحدة تمتص ٩٥ر٣٢ ٪ من مجموع المهاجرين . وان كندا والولايات المتحدة يمتصان ٦٨ ٪ من مجموع المهاجرين . وتتميز هذه البلدان اساسا ، بوجود جهد مركز لتجنيد وتعبئة المهاجرين ، على اساس خطة منسقة ومنظمة ذات اهداف محددة .

ويوضح الجدول رقم [٣] :

□ ان المهاجرين هم عموما من أصحاب التخصصات المطلوبة للمشروعات الحديثة ، والتى لا يمكن قيام خطة ناجحة للتنمية بدونها : اصحاب مهن فنية عالية ، واصحاب مهن ادارية واصحاب حرف وصناع .

□ ان نسبة اصحاب المهن الفنية العليا الى مجموع المهاجرين ، هى نسبة مرتفعة للغاية . اذ تبلغ ٢٧ر٣٤ ٪ . وهذا يزيد كثيرا عن نسبتهم سواء بالنسبة الى المجموع الكلى للسكان ، او الى مجموع العاملين ، او الى مجموع المتعلمين .

□ كذلك فان نسبة اصحاب الحرف والصناع ـ وهم غالبا من الصناع المهرة وهى فئة تعانى بلادنا فيها عجزا ـ هى نسبة مرتفعة . اذ تصل الى ٧٥ر١١ ٪ من مجموع المهاجرين .

عدد المهاجرين الذين تجنسوا بالجنسية الامريكية (١٩٦٦ ـ ١٩٦٩)

البلد	عدد الاخصائيين والفنيين	المجموع الكلى
مصر	٣٥٧	١٣١٨
لبنان	٣٢٦	١٤٠٩
العراق	٣١١	٩٧٥
المغرب	٣٦	٣٨٧
سوريا	١١٨	٥٣٩
الأردن (بما فيها عرب فلسطين)	١٩٤	١٥٨١
المجموع	١٢٤٥	٦٢٠٩

جدول رقم ٣

توزيع اجمالى المهاجرين الأصليين وفقا لنوع المهنة ودولة المهجر خلال الفترة من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٧١

نوع المهنة / دولة المهجر	اصحاب المهن الفنية العالية	أصحاب المهن الإدارية	اصحاب المهن والأعمال الكتابية	اصحاب المهن التجارية والمالية	أصحاب حرف وصناع	أصحاب مهن ترفيهية ورياضية	أصحاب مهن أخرى وغير مبينة	المجموع	النسبة ٪ للإجمالى
كندا	١٠٢٥	٢٣٤	٨٢١	٥٥١	٥٢٤	٨٠	١٢٢٥	٤٤٦٠	٣٢,٥٧
استراليا	٦٨٨	٢٢٦	٨١٦	٣٥٨	٧٤٧	٣٣	٨٧٤	٣٧٤٢	٢٧,٣٢
الولايات المتحدة الأمريكية	٢٧٨٦	٣١٤	٣١٢	٥٧٢	٢٣٣	٤٢	٥٩٣	٤٨٥٢	٣٥,٤٣
البرازيل	١٧٩	١٣	٧٠	٢٨	٦٣	١	١٠٣	٤٥٧	٣,٣٤
دول أخرى	١٥	٣	٢٧	٢٨	٤٢	٤	٦٤	١٨٣	١,٣٤
الإجمالى	٤٦٩٣	٧٩٠	٢٠٤٦	١٥٣٧	١٦٠٩	١٦٠	٢٨٥٩	١٣٦٩٤	١٠٠,٠٠
النسبة ٪ للإجمالى	٣٤,٢٧	٥,٧٧	١٤,٩٤	١١,٢٢	١١,٧٥	١,١٧	٢٠,٨٨	١٠٠,٠٠	

جدول رقم ٤

توزيع المهاجرين الأصليين وفقاً للحالة التعليمية وسنوات الهجرة خلال الفترة من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٧١

سنوات الهجرة / درجة المؤهل	درجات علمية عليا	بكالوريوس وما يعادلها	ثانوية عامة وما يعادلها	أقل من الثانوية العامة	شهادات أخرى	بدون مؤهل	غير مبين	المجموع	النسبة ٪ للإجمالي
١٩٦٢	—	١٣	٥	٣	٢	١٢	٣٤٤	٣٧٩	٢٫٧٧
١٩٦٣	١	٤٣	٨٤	٥٩	١٥	٨٦	٤٦٣	٧٥١	٥٫٤٨
١٩٦٤	١	٩٣	١٨٣	١٥٦	٥٩	١٥٢	١١٠	٧٥٤	٥٫٥١
١٩٦٥	٥	١٢١	١٨٦	١٣٠	٦٥	١٦٦	٤٢	٧١٥	٥٫٢٢
١٩٦٦	١٥	٢٥٥	٢٨٤	٢١٨	٣٢	٢٤٣	٨٢	١١٢٩	٨٫٢٥
١٩٦٧	٢٣	٣٧٧	٢٢٧	١٤٨	٩٢	٢١٩	٦٦	١١٥٢	٨٫٤١
١٩٦٨	٩٢	٨٢١	٣٤٢	١٣١	٧١	٣٠٥	١٣	١٧٧٥	١٢٫٩٦
١٩٦٩	١٢٢	١٨٢٢	٥٣٣	١٩٠	٥٧	٣٦٧	٢٧	٣١١٨	٢٢٫٧٧
١٩٧٠	٨٣	٩٦١	٦١٤	٢٠٤	٥	٣٠٢	١٠	٢١٧٩	١٥٫٩١
١٩٧١	٤٣	٦٢٧	٥٤٠	٢٠٩	١١	٣٠٦	٦	١٧٤٢	١٢٫٧٢
الإجمالي	٢٨٥	٥١٤٣	٢٩٩٨	١٤٤٨	٤٠٩	٢١٥٨	١١٦٣	١٣٦٩٤	١٠٠٫٠٠
النسبة ٪ للإجمالي	٢٫٨١	٣٧٫٤٨	٢١٫٨٩	١٠٫٥٧	٣٫٠٠	١٥٫٧٩	٨٫٤٩	١٠٠٫٠٠	

كما ان نسبة اصحاب المهن التجارية والمالية — وهى فئة ضرورية للنشاط الاقتصادى — مرتفعة بدورها ذلك انها تصل الى ٢٢ر١١ ٪ .

□ ان ما يزيد عن نصف اصحاب المهن الفنية العليا [٢٧٨٦ فردا من ٤٦٩٣] قد هاجروا الى الولايات المتحدة الامريكية ، فى حين ان نسبة الولايات المتحدة من اجمالى المهاجرين هى ٤٣ر٣٥ ٪ وبالمثل استولت الولايات المتحدة على ما يقرب من نصف مجموع اصحاب المهن الادارية [٣١٤ من ٧٩٠] .

ويتضح من الجدول رقم [٤] :

□ التضخم الكبير فى اعداد المهاجرين من اصحاب الدرجات العلمية العليا ، اذ ارتفع عددهم من مهاجر واحد فى ٦٣ و ١٩٦٤ الى ١٢٢ مهاجرا فى ١٩٦٩ ، وبعد ذلك ، انخفض العدد نسبيا — بعد القيود النسبية التى وضعتها الدولة عندما استشعرت خطر هجرة العناصر اللازمة لنجاح مشروعاتها — لبصل الى ٨٣ مهاجرا فى ١٩٧٠ والى ٤٣ مهاجرا فى ١٩٧١ .

□ ونفس الظاهرة ، نجدها بالنسبة للحاصلين على درجة البكالوريوس وما يعادلها فقد ارتفع عددهم من ١٣ مهاجرا فى ١٩٦٢ الى ١٨٢٢ مهاجرا فى ١٩٦٩ ، ثم انخفض نسبيا — ايضا بسبب القيود — الى ٩٦١ مهاجرا فى ١٩٧٠ والى ٦٢٧ مهاجرا فى ١٩٧١ .

□ ان نسبة الحاصلين على درجة البكالوريوس وما يعلوها من مجموع المهاجرين تبلغ ٢٩ر٤٠ ٪ ، وهى ايضا نسبة تفوق كثير نسبتهم بين مجموع السكان ومجموع العاملين ومجموع المتعلمين . فاذا اضفنا الى هؤلاء الحاصلين على الثانوية العامة وما يعادلها لارتفعت النسبة الى ١٨ر٦٢ ٪ من مجموع المهاجرين ، وذلك من بلد تناهز نسبة الامية بين سكانه ٧٠ ٪ .

ملحوظة : الجداول رقم ١ و ٢ و٣و ٤ نقلا من الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء .
اما الجداول الثلاثة الاخرى فنقلا عن كتاب هجرة الادمغة العربية للدكتورالياس زين — بيروت ١٩٧٢ .

هجرة العقول العربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية من ١٩٦٢/٦/٣٠ إلى ١٩٦٩/٦/٣٠

اسم البلد	أخصائيون وفنيون	مهندسون	علماء طبيعة	علماء اجتماع	أطباء	ممرضات أخصائيات	مجموع الكفاءات للمهاجرين
مصر	٢٧١٦	٥٦٤	٢٣١	٣٢	١٧١	٢٥	٩٣١٥
لبنان	١٢١١	٢٧٧	٩٥	٢٠	١٦٩	٩٧	٨١٩١
الأردن (بما فيها عرب فلسطين)	٨٨٦	١١٧	٤٧	١١	٢٧	٤٢	٩٥٤٨
العراق	٧٩٤	١٦٥	٦٧	٤	٤٥	١٣	٤١٩٢
سوريا	٤٦٣	١٢٩	٣٠	٥	٤٣	١٣	٢٤٠٦
المغرب	٢٣٨	١٨	٣	—	١٤	٩	٢٤٧٣
تونس	١٣٩	٤	٦	١	١٣	٣	٤٩٧
الجزائر	١١٣	٩	٢	٦	١	١	٩٨١
المجموع	٦٥٦٠	١٢٨٣	٤٨١	٧٩	٤٨٣	٢٠٢	٣٧٦٠٣

هجرة العقول العربية إلى كندا ---- ١٩٦٢ - ١٩٦٧

أرباب الكفاءات العالية	مصر	لبنان	المغرب	سوريا	الأردن	العراق	تونس	المجموع
أخصائيون وفنيون	٩١٣	٢٤٤	١١٩	٣٧	٣٥	٣٣	٥	١٣٩٦
مهندسون	١١٦	١٩	٤	٥	—	١٣	—	١٥٧
علماء طبيعة	٦٨	٨	١٣	٢	٣	٨	—	١٠٢
أطباء	١٠٠	٤١	٥	٩	٢	٢	٢	١٦١
ممرضات أخصائيات	٧	١٠	٢	٢	٤	—	١	٢٦
أساتذة ومديرين	١٧	١١	٣	١	٢	١	١	٣٦
مجموع أرباب المهن	٣١٥٠	١٢٢٣	١٠٥٦	١٥٨	١٣٩	٨٠	٢٠	٦٢٨٧
مجموع المهاجرين	٩٦١٦	٣٦٩٣	٦٩٨	٤٥٨	٤٢٢	٢٥٤	٦٦٠	١٥٢٠٧

بعد تأميم النفط فى العراق

ضـــرورات الائتـــلاف الوطـــنى التقـــدمى

عزيز السيد جاسم

طوال فترات ومراحل النضال الوطني الديمقراطي فيالعراق ، شكل تأميم النفط الهدف المركزي والقضيـة المحورية بين اهداف وقضـايا الشعب الوطنية .

وفيها بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ شخصت القوى الثورية ، ضرورة الانتقال من الاستقلال السياسى الذى هياه العهد الجمهوري الجديد الى تحرر سياسى يستند على قاعدة اقتصادية ضامنة لبقاء هذا التحرر ، وقادرة على تعميقه ٠

وفى اطار التأكيد على العلاقة بين الاستقلال السياسى وتحرير الاقتصاد الوطنى ، جرى تعيين تحرير الثورة النفطية كركيزة رئيسية فى هذه العلاقة ، يصبح بدونها أى « استقلال » ناقصا .
وما من شك في أن النفوذ الاسطورى لشركات النفط الاحتكارية داخل العراق ، قد شمل كافة مظاهر الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية الى الحد الذى يمكن فيه اعتبار اية مواجهة جدية مـع شركات النفط الاحتكاريـة ، افتتاحا لمعارك عديدة فى مختلف الجبهات وضـد مختلف الركائز والواجهات السرية والعلنيـة لشركات النفط ٠

وبوحى منفهمهذه الحقيقة فان نزعة الدخول فى معركة تحرير الثورة النفطية الوطنية ، قد تحددت باعتبارات عملية فرضت عليها التدرج فى المعركة ابتـداء « باشكال مختلفـة ومتطـورة من «التفاوض» ووصولا الى «التشريع» المنفرد »٠

وجاء قانون رقم (٨٠) تعبيرا واقعيا عن نزعة التدرج فى نيل الحقوق الوطنية ، وخطا متقدما فى مسيرة الثورة ، استجابت فيه للحد الادنى مـن المطالب الشعبية العريقة ، فيما افترضت انهـا لا تدخل مع شركات النفط فى معارك فاصلة ٠

ومهما تكن طبيعة التبريرات السياسية والاقتصادية لعدم تخطيط ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ باتجاه التأميم ، فان الموضوعة الثابتة هي ان النظرة البورجوازية الوطنية (والبورجوازية الصغيرة المتحدة معها)قد طرحت برامج النضال والتحرر الوطني الديمقراطي بصورة وسطية ، ذات توجه اصلاحي متميز ٠

وبالاحتكام الى وقائع تاريخية لا تدحض ، يمكن القول أن هذه البرامج كانت دون مستوى ارادة ومطالبة الجماهير الشعبية بكثير ٠

ان الجماهير الشعبية في العراق ، وبتاريخها النضالي الثابت ، كشفت عن **طبيعة جذرية** في التصدي للاستعمار وحلف الطبقات المستغلة ـ بكسر الغين ـ والمؤسسات الممثلة لمصالح هـــذا الحلف ٠

ولا يمكن ازاء واقعات ثورية مرموقة عاشتها الجماهير الا تقديم الاضافة الصائبة ، ومؤداها ان الجماهير برؤيتها الثورية وحدسها وحسها الثوريين كانت بحاجة الى من يتلقف ارادتها عبر شعارات وصيغ وبرامج النضـــال الملموس ٠

وأي تعامل مع الارادة الجـــذرية للجماهير الشعبية المناضلة بواسطة شعارات وصيغ وبرامج اصلاحية أو تجريبية ، أو دون المستوى المطروح لهذه الارادة ، كان يعني خلق الفجوة بين القوى الوطنية « السياسية » وبين الجماهير ، على النحو الذي تتعرض فيه الارادة الجذرية لهيمنة الترسيمات البورجوازية الصغيرة ٠

ومن حيث الشواهد المباشرة وبالملموس ، فان الثورة التي قادها حزب البعث العربي الاشتراكي « ثورة ١٧ تموز عام ١٩٦٨ » استطاعت أن تخلق الوسائط السياسية والمادية المتمكنة من ردم الفجوة بين الارادة الجذرية للجماهير وبين صيغ وبرامج العمل الوطني ٠

وتم هذا الردم ، ويتم فقط ، من خلال تجذير الصيغ والبرامج الوطنية والتقدمية ، وايجاد التحولات الديمقراطية الثورية المؤثرة عمقيا وأفقيا في حياة الناس وتاريخهم الوطني ٠

وبالاكيد فان تأميم النفط هو الاجراء الجذري المتميز الذي استقطب هذه التحولات الديمقراطية الثورية وكشف عن درجة نضجها ٠

وفي معرض تحديد العلاقة بين تأميم النفط والجبهة الوطنية التقدمية بالامكان تأشير جانبين من الحقيقة الثورية لهذه العلاقة :

أولا : ان ثورة ١٧ تموز قبل البدء باعلان قرار التأميم في الاول من حزيران عام ١٩٧٢ ، قد خلقت التحضيرات الضرورية للمباشرة بتنفيذ القـــرار المذكور ، وهذه التحضيرات جبهوية بأساسها وتمثلت فيما يلي :

١ ـ اعلان ميثاق العمل الوطني كوثيقة أساسية للاتحاد الجبهوي الوطني الذي يضم الاحزاب الوطنية والقومية التقدمية للشعب بعربه وأكراده وأقلياته القومية المتآخية ، كما يضم المنظمات الجماهيرية والمهنية ، وفق برنامجيـــة تستوعب طبيعة الثورة الديمقراطية الشعبية وتســـتجيب لضروراتها ٠

وقد انتقل ميثاق العمل الوطني الى حيز الفعل الملموس وفي شكل متقدم من أشكال التنفيذ باشراك الشيوعيين والقوميين في قيـــادة دفة الحكم (الـــوزارة) ، وفـي الممارسـات الجماهيـرية والسياسية الموحدة ٠

ب ـ التحرك باتجاه تأسيس الجبهة العـــربية التقدمية المتحدة مع الاحزاب والقوى الوطنية والشعبية، وضمن شرط اعتبار تحرير فلســطين والاراضي العربية المحتلة القضية المركزية في هذا الاتجاه ٠

جـ ـ اعلان المعاهدة العراقية ـ السوفيتية ، والتأكيد على الطبيعة النهجية لهذه المعاهدة بصفتها تعبير حتمي عن التحالف الاستراتيجي بين العراق وبين الاتحاد السوفيتي ، وعن الصـــداقة العميقة والتعاون المتزايد مع البلدان الاشتراكية كافة ومع حركات وقوى التحرر الوطني والقومي في بلدان ما يسمى بـ « العالم الثالث » ٠

ومن الثابت أن الحلول الديمقراطية الثورية لارساء العلاقة بين القوميتين العربية والكردية والاقليات القومية على أسس متينة وفي اطار وحدة الوطن والدولة ، والتي باشرتها الثورة مبكرا ، قد ضمنت للثورة في العراق أرضية انطلاق وطيدة لاحراز التقدم في مضمار الائتلاف الجبهـــوي التقدمي وطنيا وقوميا وامميا ٠

والمعنى الذي نخلص اليه هو أن الدخول في معركة جذرية حاسمة مع شركات النفط الاحتكارية يفترض استنهاض كافة الطاقات الشعبية الوطنية والقومية ، مع ما يتطلبه ذلك من اسناد عالمي واسع ، بغية اختيار الموقف الثوري الصحيح ، وعدم الانجرار الى الحالات الدفاعية ، أي بغية شحذ الطبيعة الهجومية المظفرة لمسألة (التأميم) ضد الشركات الاحتكارية ومؤسساتها وأذنابهـــا ٠

وهذا هو الحاصل بالنسبة لقيادة الثورة في العراق ، والذي يكشف عن رؤية ثورية لمغزى المعارك الفاصلة في حياة الجماهير والاوطان ، وعن حتمية الارتفاع الى مستوى خوض هـــذه المعارك والانتصار فيها بواسطة صيغ وأســـاليب

مؤثرة وقادرة على توظيف « كل شيء » من أجل انجاز التحرر واستكمال حلقاته (١) .

ثانيا : اذا كانت مسألة الائتلاف الجبهوي التقدمي هي الشرط الاساسي في عملية التحضير لاعلان التأميم ، فانها **وبضرورة أقوى** ، تشكل شرط الصيانة الثابتة للتأميم وانجاحه .

لماذا ؟

المسلمة الثورية التي تقول بأن الحفاظ على الثورة أصعب من « تفجيرها » تجد تطبيقها الواقعي ، في حقيقة أن **الاجراء الثوري الاكثر جذرية يستثير العداء الاستعماري** والصهيوني والرجعي ، الاكثر حدة .

وهذا يعني بالنسبة لردود الفعل الاستعمارية ـ الصهيونية ـ الرجعية ، تحريك الامكانات والاسلحة العلنية والسرية ، الداخلية والخارجية لتطويق اجراء التأميم ، ومجابهة الثورة بالثورة المضادة ، وبالاعتداءات الاستعمارية والرجعية ، وبأساليب المناورات والمناورات المعاكسة ، وبتداول جميع أشكال الضغط والتخريب والاعاقة ، وبالاساس ، فان تسعير النشاط الاستعماري ـ الصهيوني ـ الرجعي ضد الثورة ، وتصعيده ، يرتكزان على مسألة أولى من مسائل الثورة المضادة ، وهي مسألة التصدي لجبهة الثورة التي يقودها حزب البعث العربي الاشتراكي ، اي لجبهة الشعب الوطنية التقدمية .

وبعبارة أخرى ان التصدي للثورة وللتأميم يحصل من خلال محاربة الصيغ الائتلافية للثورة الديمقراطية الشعبية ، بواسطة صيغ مضادة تعتمد خلق تجميعات لا وطنية ، ويتكون جسد هذه التجميعات من :

أ ـ الطبقات الرجعية المستغلة ـ بكسر الغين ـ والمضروبة اقتصاديا وسياسيا .

ب ـ الفئات السياسية والعسكرية الرجعية المندحرة على يد الثورة والشعب .

ج ـ المؤسسات الرجعية واليمينية المطوقة ، وما يلتحق بها من عناصر متناثرة في الاجهزة الادارية أو في القطاعات الاقتصادية الخاصة .

د ـ القوى الشوفينية والعنصرية المعادية لمسيرة الثورة في الحل السلمي الديمقراطي للقضية الكردية وفي معالجاتها الديمقراطية لشئون الاقليات .

هـ ـ قوى وعناصر التحريض العشيري .

و ـ الرؤوس الرجعية الطائفية الخ .. الخ ..

وتلعب الحكومات الرجعية في دول مجاورة دورا خطيرا في تحريك عوامل الانقسام الداخلي ، وفي تجميع مواد الصراع المضاد ، وبالذات الاكثر التهابا منها .

ولما كانت التحولات المادية التي حققتها الثورة لصالح الفلاحين والعمال وسائر فئات الشعب الوطنية (كالاصلاح الزراعي المتحول الى ثورة زراعية ، وقانون العمل ، وقانون التقاعد والضمان الاجتماعي ، والتنظيمات النقابية الواسعة ، ومشاركة النقابات والجمعيات في أعمال الادارة ، وفي مسئوليات حكومية معينة .. الخ) قد عززت الوحدة الطبقية لكل طبقة ثورية ، والتحالف الطبقي للعمال والفلاحين والفئات الاجتماعية التقدمية ، وما ينعكس عن ذلك من تحالفات سياسية وطنية وتقدمية ، فان قوى الاستعمار وشركات النفط الاحتكارية والرجعية ، تتوجه ضد هذه النتائج المتعززة باستمرار ، وبأسلحة أكثر اثارة وفعالية .

ومن هنا فان تعميق التحولات المادية الجارية لصالح الجماهير الكادحة يجب أن يحافظ على الغطاء الجبهوي سياسيا ونظريا ، والقادر على أن يصبح قوة مادية في التغيير الثوري ومجابهة النشاط الاستعماري ـ الرجعي بأشكاله .

وبالضبط ، ان جبهة اتحاد القوى والاحزاب والمنظمات الوطنية والقومية التقدمية هي التكريس العملي الثابت لمنطلقات الثورة والصمود .

ان هذه الجبهة هي ضمانة :

أ ـ التعبئة الشعبية الثورية .

ب ـ توتير وتكثيف وتقوية الطاقات النضالية للشعب انتاجيا .

---

(١) ان الفترة الثورية قبل اعلان التاميم في الاول من حزيران عام ١٩٧٢ ، تكشف عن تحقق وتجسد الرؤية الثورية في الاستعداد لاعلان قرار التاميم في المجال الجبهوي . كما هو واضح في الوقائع التاريخية الاتية :

في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧١ تم اعلان ميثاق العمل الوطني

في (٢١ مارت) ١٩٧٢ زار السيد صدام حسين نائب رئيس الجمهورية ونائب امين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي القطرين العربيين سوريا ومصر .

في (٩ نيسان ١٩٧٢) اعلنت المعاهدة العراقية ـ السوفيتية .

في (١٦ نيسان ١٩٧٢) اعلنت الحقوق الثقافية للسريان .... الخ

في (١ حزيران ١٩٧٢) اعلن تاميم عمليات شركة نفط العراق .

ج ـ اخماد النشاطات الداخلية المضادة للثورة ولحركة التحرر والتقدم الاجتماعي .

د ـ ردع العدوان الاجنبي .

هـ ـ اعداد الجماهير اعدادا ثوريا لظروف الحرب ضد اسرائيل .

و ـ اشاعة الثقافة الوطنية والقومية التقدمية والاشتراكية .

وبكلمة أخيرة ، ان جبهة الاتحاد الوطني التقدمي هي التي تحقق الرجحان الكامل لكفة الشعب على أعداء الشعب ، وهي التي تقوى على الامساك بخيوط الانتصار في الصراع الطبقي والسياسي (في الحرب أو في السلم) لانجاز اهداف الشعب الاساسية ، والحفاظ على (التأميم) كمنطلق جذري في التغيير والبناء الثوريين .

وبفعل القيمة الستراتيجية للجبهة الوطنية التقدمية ، فان القوى الاستعمارية والرجعية واليمينية تخطط باستمرار لمناوأة الاعمال والانشطة الجبهوية .

ذلك لان التصدي الامبريالي للتأميم لا يقف في حدود التصدي الاقتصادي ، بل هو أوسع مدى من ذلك . أي انه يتمثل في السير بطريق المجابهة المضادة لكافة ركائز وأسانيد ومواقع وطرائق الثورة والتأميم .

ان انتصار التأميم بقوة سعي الثورة وحزبها القائد والحلفاء الاساسيين في الثورة الديمقراطية الشعبية ، وبارادة الجماهير الشعبية الغفيرة هو من حيث الجوهر :

أ ـ انتصار لحركة التحرر والتقدم الاجتماعي في القطر العراقي .

ب ـ انتصار لجماهير الامة العربية في نضالها العادل والمشروع ضد الامبريالية والصهيونية لان تأميم النفط هو التعبير الواقعي عن شعار « نفط العرب للعرب » والتقدم العملي في طريق توظيف النفط كأخطر سلاح بيد جماهير الامة العربية .

واذا كانت الاوضاع الشاذة في الوطن العربي قد أبعدت هذا السلاح الخطير عن دوره القومي ، وجندته بشكل مضاد كسلاح بيد الامبريالية وحلفائها ، فان تأميم النفط في العراق كشف عن ضرورة استخدام كل الطاقات والاسلحة من أجل التحرر والتقدم الاجتماعي والوحدة العربية والتي يعتبر النفط القوة الرئيسية فيها .

وان المخاوف التي اثارها الفشل الذي تعرضت له تجربة (مصدق) الوطنية في ايران ، قد تبددت ، وتبدد معها أي تردد بشأن اعتبار النفط المؤمم السلاح الستراتيجي الذي تحتاجه حركة التحرر العربي .

وما من شك في أن حركة التحرر العربي ، ومهماتها المعقدة ، قد انتقلت ، بعد الاول من حزيران عام ١٩٧٢ ، الى طور جديد تجاوزت فيه الممارسات الاقليمية ، وما نقلته معها من استعمالات محدودة لاسلحة محدودة .

وان جبهة عربية تقدمية تعتمد محوريا على فكرة التحرير الكامل لفلسطين وللاراضي العربية المحتلة ، لابد أن تجد القاعدة المادية لها في تحرير الثروة النفطية وتوظيفها لصالح الامة العربية .

ج ـ انتصار لمعسكر التحرر والتقدم والاشتراكية في العالم ، ولكافة قوى التحرر الوطني والقومي . أي أن تأميم النفط أصبح سلاحا عالميا ايضا مهما كانت التحديدات الوطنية والقومية لموقعية الاجراء .

وقد أعطى هذا السلاح للثورة العالمية خطا فعالا يلهم كافة شعوب العالم المناضلة من أجل تحررها الناجز ، ويعزز تجارب التأميم باعتبارها المنطلق الحقيقي لازالة الاستغلال في حدوده الدولية والوطنية .

وبالتالي فان معطيات تجربة العراق المتمثلة بتأميم النفط ، بقدر مااستفادت من الائتلاف الجبهوي التقدمي ، فانها دفعت وتدفع بالتجربة الجبهوية بالذات الى أبعادها الصحيحة وطنيا وقوميا .

وكتجسيد لذلك فقد شهد العراق التقاءات وندوات وممارسات تقدمية متعددة ، كان مدارها : (من أجل أن ينتصر التأميم) .

وان نقل هذه الالتقاءات والممارسات التقدمية المتعددة الى مواقع الفعل المباشر الذي تنظمه صيغ نضالية واضحة ، هو الافق المتقدم لهذه المرحلة ، والذي تتأسس في ظله الارضية الصلدة للثورة العربية .

واذا كان (الجذر الصغير يصنع الشجر الصلد الكبير (٢) ، فان الجذر الكبير (النفط) يجب أن يكون أساسا للانتصار العربي .

وهذا يتم باتحاد النفط المؤمم + جبهة الائتلاف التقدمي + الكفاح المسلح ، من اجل ازالة الكيان الصهيوني ودحر الامبريالية واسقاط البنى الرجعية العربية التي تشكل أداة الامبريالية والصهيونية في افقار الجماهير واذلالها .

---

(٢) من قصيدة لـ « هوشي منه » .

لمـــاذا جبهـــة وطنيـــة يمنيـــة واحـــدة ؟

د. محمد على الشهارى

ان الظـرف الاستثنائى والخطير الـذى تمر به اليمن يمـلى على القوى الوطنية فيها ان تبحث عن اسلوب أكثر فعالية للمواجهة ، أسلوب خاص ، ومتميز ، بل واستثنائى .

فالبلاد مقبلة على فترة عصيبة اخذت نذرها تطل منذ الان ، وحالة السلم الظاهرية التى خلقتها اتفاقية القاهرة وبيان طرابلس الموقعان من قبل الدولتين اليمنيتين فى اكتـوبر ونوفمبر ١٩٧٢ ، بمساعدة الدول العربية الوطنية التى كانت تهدف من وراء ذلك ، ومن حيث الاساس الى الحيلولة دون تغلغل النفوذ الرجعى العربى فى اليمن شرعت تتلاشى وبسرعة ، وبدا أن هذه الحالة لم تكن فى الواقع ـ غير فترة هدنة مؤقتة بين حربين ، حرب أهلية شنتها قوى الاقطاع ـ بتحريض من الرجعية العربية والاستعمار ـ وخسرتها ، وحرب أهلية رجعية ـ استعمارية أخرى قادمة ، تعد لها الان عدتها ، وتجمع لها قوتها ، وتشحـذ من اجلها أسلحتها ، حرب يراد لها أن تتطور هذه المرة لتصبح حرب تدخل ، تشترك فيها سلطنة عمان ، حيث تحتشد هناك ـ الى جانب مجاميع الضباط الانجليـز ، والاردنيين ـ قوات رجعيـة أخرى ، بلغت ـ كما تقول بعض الانباء ـ حوالى ١٠ آلاف جندى ،عدا مايسمى « بجيش الانقاذ الوطنى » وتشكل فيها قوى الاقطاع اليمنى الذى فتح البلاد الان ـ ولاول مرة فى تاريخها ـ لغزو الضباط والمستشارين والفنيين الانجليز الذين قدموا الـى هناك بطائرات استطلاع خاصة ، لمسح ميـدان المعركة القادمة ، والذى حشد فيها الاسـلحة والخبراء الاجانب من الدول الاستعمارية الاخرى الامريكية والالمانية الغربية ، وغيرها رأس الرمح مكونا بذلك ـ وبالتعاون مع الدول العربية الرجعية المحيطة ـ حزاما عسكريا من حول اليمن الديمقراطية، يراد له ان يتحول ـ عند انفجار الموقف مع شـن حرب التدخل والغزو لليمن الشعبية ـ الى أنشوطة تطبق على عنق النظام الثورى فيها ، وتزهق روح الحياة فيه ! .

من ذلك يتضح ان اليمن تعيش هذه الايام عشية حرب اهلية وشيكة الوقوع ، ستشعلها قوى الاقطاع اليمنى بدفع من الاستعمار والرجعية العربية وتجر اليها قوى اجتماعية وعسكرية لا مصلحة لها فيها ولا تريدها ، بقصد طمس طابع الصراع السياسى وجوهره الاجتماعى ، كما تواجه — فى نفس الوقت — مخاطر شن حرب تدخل رجعية استعمارية تشترك فيها — باشكال مختلفة : حتى الرجعية العمانية ، والمخابرات والخبراء الانجليز والامريكان والالمان الغربيون .

وازاء وضع خطير ومنذر كهذا الوضع يتحتم على القوى الوطنية ـ لتتمكن من مواجهته، والنهوض باثقالة ـ ان تطرح جانبا منطق العمل الاعتيادى والتقليدى الذى لا يصلح الا فى الظروف السلمية والطبيعية فقط .

ان الشعارات التى ينبغى ان ترفع منذ الان — بدلا عن هذا المنطق — وفى مثل جو الحرب ، وحالة الطوارىء هذه هى :

١ — حرب شعبية ثورية فى مواجهة الحرب الاهلية الرجعية .

٢ — حرب تحرير وطنى فى مواجهة حرب التدخل الاستعمارية .

٣ — حرب دفاع عن قلعة الثورة الديمقراطية فى عدن ، وحرب هجوم على قلاع الثورة المضادة فى شتى أنحاء البلاد .

٤ — حرب عسكرية وسياسية واعلامية ، داخلية وخارجية ، وبالتحالف مع كل قوى التقدم العربية والعالمية ، وتصفية النفوذ الاستعمارى .

٥ — جبهة وطنية ديمقراطية بوحدة وضارية ، وعلى امتداد الساحة اليمنية كلها ، للنهوض بأعباء الحرب الثورية ، ومجابهة الحرب الاستعمارية الرجعية ، لا جبهات ضيقة ومفككة ، قاصرة وعاجزة .

واذا كان جائزا فى الظروف السلمية والعادية أن يفكر باقامة جبهة وطنية خاصة بشمال البلاد ، وأخرى بجنوبها ، تكون مسئولية الاولى الاساسية العمل سياسيا لتطوير البلاد فى اتجاه وطنى ديمقراطى ، ومجابهة قوى الاقطاع اليمنى والنفوذ الرجعى العربى ، وتكون مسئولية الثانية الاساسية حماية النظام التقدمى فى عدن ، وجعله نموذجا لهما لليمن كلها ، ويكون مجرد «خلفية» مساندة لنضال الجبهة الوطنية فى الشمال فان هذا التفكير لم يعد كافيا ولا جائزا ولا مفيدا فى مثل الظروف الاستثنائية وغير العادية التى تمر بها اليوم اليمن كلها .

ان الهدف السياسى الذى تضعه القوى الرجعية والاستعمارية امام نفسها — هو العمل على الاستيلاء عن قلعة الثورة اليمنية المتحصنة فى عدن ، وعلى هذه القلعة أن تختار : اما أن تنتظر حتى تفتح عليها النيران من كل مكان ، وأن تدافع عن نفسها — وهى مطوقة من كل جانب ، ومعزولة من كل اتجاه ، واما ان تتصرف بطريقة تمنع من وقوعها فى مثل هذا الشرك .

وليس هناك بديل للخروج من موقع المحصور والمحشور فى ركن ضيق ، والذى تنهال عليه الضربات من كل ناحية ، وفى كل مكان الا بالاندفاع الى الامام ، الى العراء ، الى حلبة الصراع المفتوحة ، حيث يكون هناك مجال للكر والفر ، للتقدم والتقهقر ، للمباراة الحرة ، والمناورة الواسعة ، وحيث يكون فى الامكان أن تحل صفوف فى المبارزة محل الصفوف المتساقطة ، وحيث يكون فى الامكان الاحتماء بالشعب ، والنزال به ، عندما تضعف قوى كتائبه الطليعية المتقدمة ، ولا تعود قادرة على الاستمرار فى خوض الصراع بنفس الكفاءة المطلوبة ، ويكون فى الامكان تجييش الشعب نفسه حينئذ ، وتحميله مسئولية الدفاع عن مصيره ، ومواجهة قدره .

ان هذه الحلبة الواسعة والحرة ، وهذا المجال الحيوى والكبير ، وهذه الطاقات الزاخرة والمتفجرة مكانها هو اليمن كلها ، ومكانها بصورة خاصة حيث توجد الكثافة السكانية المركزة ، والتناقضات الطبقية الحادة ، والمشاكل الاجتماعية المتروكة بدون حل ، والازمات السياسية المتلاحقة والمستحكمة .

ان ذلك يعنى ، ان فى امكان الثورة اليمنية المطاردة والمحاصرة اليوم فى عدن أن تخرج من قلعتها المطوقة ، ومن كماشتها المطبقة عليها من قبل القوى الرجعية والاستعمارية ، بأن تعود الى ميدان النضال المكشوف ، حيث أمكانية الحركة ، وامكانية التحول من موقع المدافع ، الى موقع المهاجم ، وحيث يكون فى الامكان احداث انعطاف فى مجرى الحرب وفى طبيعتها ، والحيلولة دون أن تاخذ طابع حرب اهلية ، وقودها بسطاء الناس من كلا الجانبين ، يكون مكانها حدود شطرى اليمن ، أو أراضى اليمن الديمقراطية نفسها .

ان في الامكان حدوث مثل هذا التحول في مجرى وطبيعة الحرب عن طريق ايقاظ الوعي السياسي ، وتعبئة الجماهير الشعبية في شتى انحاء البلاد .

ان الدفع بالامور في هذا الاتجاه بحيث تغدو القوى الوطنية والاجتماعية في الشطر الشمالي من البلاد خطوط الدفاع الاولى عن النظام الثوري في عدن ، والحزام الواقي له ، والجدار الذي يتلقى الصدمات عنه ، ويمتص تأثيرات الحرب الاقطاعية ، ويحولها الى حرب ضـد الاقطاع نفسه ، والى حرب وطنية ، لتصفية النفوذ الاستعماري والرجعي العربي . ان ذلك يتطلب أقصى حد من الوحدة الوطنية والشعبية والثورية ، يتطلب مرابطة قوى الثورة اليمنية كلها في خندق واحد ، في مواجهة قوى الرجعية والاستعمار المرابطة بالفعل في خندق واحد ، والمتربصة بكل قوى الثورة .

ان ترك هذه المهمة لجبهة وطنية تقوم في الشمال مغامرة غير مأمونة العواقب ، ذلك أن جبهة كهذه ـ ان وجدت فرضا ـ غير قادرة بالتأكيد بقواها وحدها ـ وحتى ولو كان هناك أقصى حد من التنسيق بينها وبين القوى الوطنية في جنوب البلاد ـ على النهوض بمثل هذا العبء الكبير والخطير .

ان تصدي الجبهة القومية وحدها ـ وحتى ولو غدت فرضا اطارا تنظيميا يجمع الفصائل الوطنية الاخرى في الجنوب ، وحتى ولو اعتمدت على فصائل منظمة بعينها في الشمال ـ غير كاف للمضي في مضمار الصراع الى النهاية وبنجاح حاسم .

وبدون شد القوى الوطنية اليمنية جميعها الى مركز قيادي واحد ، وبدون هذه القيادة المركزية المحددة والحازمة والمسئولة عن توجيه الصراع الوطني والاجتماعي في حالات السلم ، وحالات الحرب فانه ليس هناك ضمانة مؤكدة للحيلولة دون خسران كل شيء وفقدان القلعة الباقية والصامدة من أساسها !

ان وضع حد لبقاء واستمرار حالة الشتات الوطني ، والتفكك التنظيمي ، والتسيب السياسي ، التمزق الحزبي ، ولبقاء واستمرار حـالة التناقضات الثانوية بين القوى الوطنية ، وداخل كل منظمة منها لن يتم عن طريق محاولة بناء جبهة وطنية في الشمال ، وأخرى في الجنوب ، وان مجابهة حازمة وناجحة للقوى الاقطاعية والاستعمارية لن تتحقق عن طريق محاولة اكتمال بناء مثل هاتين الجبهتين ، ولا حتى عن طريق وجودهما ـ ان وجدتا فرضا ـ !

ان وحدة هذه القوى مجتمعة ـ سواء كانت منظمة أو غير منظمة ـ ضمن جبهة وطنية ديمقراطية عريضة على اتساع اليمن كلها هو العلاج الوحيد لكل مشاكل البلاد السياسية والاجتماعية ، وكل معضلاتها الداخلية والخارجية ، وهو الكفيل بخلق حالة سياسية جديدة ومواتية ، ووضع وطني صحيح وملائم ، وعلاقات ثورية صحية وناضجة ، وقدرة نضالية مضاعفة ومتعاظمة ، وهو الكفيل بايجاد الشروط الذاتية والموضوعية اللازمة ، ليس فقط للدفاع وبنجاح عن حصن الثورة الصامد في عدن ، وانما ايضا للتقدم وبنجاح كذلك في اتجاه اكتساح معاقل قوى الاقطاع ، وهد المعبد على رأس أصحابه ، واشعال الثورة الديمقراطية في شتى أرجاء البلاد ، وكنس النفوذ الاستعماري والرجعي العربي من كل مكان ، واعلان ميلاد دولة اليمن المركزية الموحدة ، الوطنية الديمقراطية .

ان الوضع الخطير الذي تواجهه البلاد ، ونذر الحرب التي تلوح في الافق ، والمؤامرة الرجعية ـ الاستعمارية الكبرى التي تدبر لليمن الديمقراطية ، والتي تستهدف كذلك وجود ومصير اليمن كلها لا تسمح بالتريث ولو للحظة واحدة عن بناء مثل هذه الجبهة الواسعة ، فليس هناك وقت أخطر ولا ألزم من هذا الوقت العصيب ، للاسراع في بناء هذه الجبهة ، دون ضرورة أو حاجة للاعلان عن ذلك الا ساعة التهاب الصراع بين قوى الثورة ، وقوى الثورة المضادة ، وبلوغه أقصى ذراه .

وهل علينا ـ اذا لم نعد للامر عدته ـ أن ننتظر حتى يوضع السيف على رقابنا جميعا ، لندرك أهمية وضرورة وحدتنا ، وهل علينا ـ اذا لم نبادر للامساك بزمام المبادرة بأيدينا ـ أن ننتظر حتى تشن الحرب مرة اخرى ، وتكون الفـأس في الرأس ؟

اما كان الاجدى والاجدر بقوى الثورة اليمنية أن تدرك قبل ذلك وفي الوقت الملائم بالذات ضرورة وأهمية التحامها واتحادها ، حتى تكون ـ على أقل تقدير ـ في الموضع الذي يتيح لها القدرة على الدفاع عن نفسها ، والحيلولة دون أن يكون مصير ثورة ١٤ أكتوبر شبيها بذلك المصير المؤسف والمخجل الذي لقيته ثورة ٢٦ سبتمبر ؟

ان أي جيش يمكن أن يهزم مهما كانت قوته ودربته وقدراته القتالية ، وأي نظام يمكن أن يسقط مهما بدا متين القواعد ، راسخ الدعائم ، وأي حزب يمكن أن يصفى مهما بدا مجربا ومنظما وعريضا ! ولكن ليس في امكان أي قوة أن تهزم هذا الجيش ، وهذا النظام ، وهذا الحزب اذا ما ارتبط بالشعب ، واعتمد على جماهيره الغفيرة ! والشعب بالنسبة لبلادنا تتركز أكثريته السكانية والجماهيرية في شمال الوطن ، وهذه الاكثرية الجماهيرية اذا ما نشطت في صفوفها عملية توعية سياسية ، وتعبئة عسكرية ، وحملة تنظيمية ، تقوم بها جبهة وطنية عريضة هي التي ستكون الدرع الواقي للنظام الديمقراطي المشع في جنوب البلاد ، ولجيشه الوطني الباسل ولجبهته القومية القائدة ، وهي التي ستشكل العمود الفقري الذي لا يكسر للقوى الوطنية ، والقاعدة الجماهيرية المتينة التي يمكن التحرك بها ومنها لنسف النظام الاقطاعي ــ العشائري ــ الكومبرادوري ــ الرجعي ــ الاستعماري من القواعد .

ان الوضع المتأزم والمتفاقم والمهدد بانفجار حرب استنزاف جديدة لا تقل خطورة ــ ان لم تفق ــ عن حرب الاستنزاف التي شنت ضد ثورة ٢٦ سبتمبر ، وضد الجيش المصري الذي جاء لنجدتها ونصرتها ، ليس في الامكان مجابهتها وهزيمتها بالاسلوب التقليدي العاجز الذي اتبعته ثورة سبتمبر والقيادة العربية في صنعاء التي كانت قد تحولت الى مركز من مراكز القوى ، هذا الاسلوب الذي قام على أساس الاعتماد على العمل العسكري المجرد دون ربطه بأي عمل سياسي أو اجتماعي ، والذي كانت تشارك فيه من حين لاخر ــ وعلى نحو شكلي بارد ــ قوى طبقية متجانسة كانت تدرك سلفا أنه لا مصلحة لها في ضرب بعضها البعض على الاطلاق ــ ومن هنا كان اشتراكها أقرب الى المناورة العسكرية منه الى الحرب الفعلية ، في الوقت الذي ظل فيه طابع الصراع ــ من الناحية الاجتماعية ــ غير واضح الهوية على الاطلاق ، وظلت جماهير الشعب بعيدة تماما عن حومة الصراع ، بل ومبعدة نهائيا ، وظلت القوى الوطنية محرومة من حق تنظيم نفسها ، وممارسة حقوقها السياسية ، وحرياتها الديمقراطية ، ومن حق الدفاع عن الثورة عن طريق تشكيل مقاومة شعبية مسلحة ، أو جبهة وطنية ثورية .

ان الجبهة القومية التي عرفت كيف تنبذ هذا الاسلوب التقليدي في النضال الوطني ــ والتي كانت قد استفادت الى أقصى حد من الخبــــرة المصرية ، والدعم المصري ــ والتي مثلت في وقت واحد جبهة وطنية وحركة شعبية مسلحة ، والتي وضعت لنضالها هدفا سياسيا محددا سعت الى تحقيقه يقضي بالقضاء على الاستعمار والاقطاع معا ، والتي بانجازها للاستقلال الوطنــي ، وتأسيس نواة دولة وطنية ديمقراطية على الارض اليمنية شكلت ــ بحق ــ تجربة ثورية جـديدة ومثيرة في اليمن والجزيرة العربية هي ــ بخبراتها وانجازاتها البالغة الاهمية هذه ــ أولى وأقدر وأحق من سواها باستبصار وتحديد معالم طريق اليمن الجديد الذي يتحتم عليها أن تسلكه ، وتمضي فيه دون وجل أو تردد ــ ولا سيما بعد أن غدت الجبهة القومية نفسها ــ بنظامها الثوري الذي أبدعته ــ معرضة للضرب والتدمير ، وواقعـة بالفعل تحت حصـار رجعي استعماري ضارب وكثيف .

ان الجبهة القومية ــ لذلك كله ــ مدعوة ومطالبة ومسئولة قبل غيرها عن مواصلة المضي على الدرب الوطني الذي سارت فيه ، دون أن تتراجع أو تتخلى عن التمسك والى النهاية بتقاليدها الثورية في اعتماد الحرب الشعبية وتعميمها على نطاق اليمن كلها ، ودون أن تراودها وساوس الشك في سلامة خطها النضالي العام ، وضرورة احيائه والاستمرار به ، ودون أن تسمح بفقدان أو حتى اضعاف ثوريتها ، وتوقدها الوطني ، بحجة أنها غدت الان في موقع السلطة ، وان ذلك يفرض عليها أسلوبا آخر في النضال اكثر تحفظا واعتـدالا وانضباطا واتزانا !

ان ذلك يمكن ان يكون مقبولا في حالة واحدة « اذا كانت الجبهة القومية قد قررت القنوع ببنـــاء دولة خاصة بها في الجنوب واذا كانت قد ضمنت بقاء هذه الدولة دون تهديد ، واذا كانت قادرة بقواها وحـــدها ــ دون حاجـــة الى القـــوى الوطنيــــة في الشمـــال ــ على الدفـــاع عن بقاء هذه الدولة » واذا كانت قد وصلت الى قناعة ايضا ان هنــاك حقــا وفعــلا امكانيـات موضوعية لتشييد صرح دولة وطنية ديمقراطية مستقلة بذاتها في هذا الجزء من اليمن ، ناهضة اقتصاديا ، متطورة صـناعيا ، نامية تجــاريا ، مزدهرة زراعيا ، متقدمةاجتماعيا ، محمية وطنيا ، وقدرت ان في الامكان ان توجد على اراضي مثل

هذه الدولة الشروط الحقيقية ، والقاعدة المادية للانتقال نحو بناء المجتمع الاشتراكي .

اما والجبهة القومية لا تقبل بكل ذلك ــ لانه لا أساس لمثل هذه التصورات فى الواقع ولا وجود لمثل هذه النظرة عندها ولا عند غيرها من القوى الوطنية ــ واما والجبهة القومية قد أقامت فى هذا الجزء من اليمن « جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية » ومحت بقصد ووعى اسم « الجنوبية » عنها الذى كان النظام « القحطانى » السابق قد اعتمده بغرض تكريس الانفصال ، وجعلت بذلك هذه الجمهورية الديمقــراطية رمــزا لليمــن الديمقراطى الموحد ، ونواة تقدمية وحقيقية له ، وقاعدة وطنية صلبة لحركته التوحيدية ولنضاله العام ، واحتملت من أجل هذا التعديل الجوهرى فى تسميتها كل احتجاج وغضب وشطـط وتهجمات قوى الرجعيـــة اليمنية ، وبلغت بهــا الجراة الثورية حدا أن تتبنى أكثر الشــعارات يسارية وتقدمية متحدية بذلك كل جحافل التخلف والرجعية ، وكل قوى الاستعمار والامبريالية فى اليمن وفى عموم الجزيرة العربية ، اما وهى تفعل كل ذلك وغيره فأنه لما ينسجم مع هذا الطرازمن التفكير الثورى الشجاع ، وهذا النوع من السلوك الوطنى الفذ ان تبادر الجبهة القومية الى بناء جبهة وطنية ديمقراطية لليمن كلها ، على نسق جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التى تحمل ــ وامام العالم كله ــ اسم اليمن جميعها ، وتعبر بصدق وحق عن نوع وآفاق مستقبلها ، وان تبادر ــ بالتعاون مع القوى الوطنية الاخرى ــ الى وضع برنامج ، وخطة ولائحة لهذه الجبهة ذات طابع ديمقراطى تقدمى ، مستلهمة فى ذلك المنهج الاشتراكى العلمى ، ومستهدية بوثائق الجبهة القومية الخاصة .

ان الجبهة القومية اذا ما ارادت الا تتناقض مع نفسها ، والا تنقسم على ذاتها ، والا تكون منفصمة الشخصية ، او لا تكون بشخصيتين مزدوجتين ، واذا ارادت ان تعمق الحس الوطنى ، وان تذكى الوعى الوحدوى ، وان تضع نصب عينها دائما مصـــلحة الشعب اليمنى العميقـة والاســاسية والموحدة ، وان تترجم ايمانها بالوحدة اليمنية ، والجبهة الوطنيةالعريضة الى موقف عملى ، وان تمكس ما تعتبره استراتيجية فى خطوات تكتيكية متلائمة ومتطابقة تمام التلاؤم والتطابق مع هذه الاستراتيجية لا مجافية لها ، ومؤدية ــ ولو بدون قصد ــ الى عكسها ، واذا ما أرادت الاستمرار بتاريخها النضـــالى ، وتنمية حاضرها الثورى ، والامتداد بدورها الوطنى بحيث يشمل الوطن الذى تنتمى اليه كله ، وان تكون فى الموقع القوى الذى تستطيع منه ان تدافع عن نفسها باقتدار ، وان تهاجم من يهاجمها بفعالية ، وان تمضى برسالتها الوطنية والاجتماعية التى انتدبت نفسها لها الى النهاية دون وجل من استعمار ، او خوف مــن رجعية ، او اشفاق من عدم تمكن الشقيق والصديق تفهم ضرورة ومغزى نضالها الشامل الذى تشنه ، اذا ما أرادت الجبهة القومية ذلك كله وغيره من الامانى والاهداف الوطنية والتقدمية فان عليها الا تتلكأ لحظة واحدة او تتراجع قيد انملة عن تحمل مسئوليتها الوطنية والاستثنائية فى المبادرة الى تأسيس جبهة وطنية ديمقراطية عريضة على نطاق الساحة اليمنية كلها .

ان دحر الثورة المضادة ، ونشر اجنحة الثورة الديمقراطية فى شتى ارجاء البلاد ، ورد الزحف الرجعى العربى ، وايقاف المد الاســتعمارى ، وتقديم دعم فعال لثوار ظفار والخليج والجزيرة ، وبعث دولة اليمن المركزية الموحدة على اسس ديمقراطية وثورية وعصرية ، ونهوض كيان اليمن الوطنى والدولى المهيب والشامخ ، وتنميتهــا اقتصاديا ، وتطويرها اجتماعيا ، وخروجها من دائرة التخلف المظلمة الى افق التقدم المضيء ، وخلق حضارة يمنية جديدة ومجيدة ، تغدو لبنة حية واساسية فى بناء الحضارة العربية الحديثة السامق ، وقيامها بدورها القيادى والثـــورى ، وقدرتها على مواكبة ودفع حركة التحرر الوطنى العربية نحو آماد اكثر تقدمية ، وعلى الاســـهام بقوة فى حركة التوحيد القومى العربى ، وحركة التقدم الاجتماعى على النطاق القومى ، ان كل ذلك متوقف على شىء واحد لا بديل له ، ولاعوض عنه الا وهو :

رص قوى الثورة اليمنية ، توحيد الفصـــائل الوطنية ، ايجـــاد حركة وطنيـــة يمنية متماسكة موحدة ، وخلق حركة شعبية نشيطة وواعية ، من خلال تشييد جبهة وطنية ديمقراطية عريضة على اتساع وامتداد الارض اليمنية كلها !

ان كل المحاذير السياسية ، وكل العلل والحجج المعقولة وغير المعقولة التى ترفع فى مواجهة بناء هذه الجبهة لا تصمد ولو للحظة واحدة أمام مثل هذه المهام التاريخية الجليلة والخطيرة التى تترتب وتتوقف على قيامها ، والتى تتساقط امــامها وازاءها كل المحاذير حتى « المعقول » منها ، وكل العلل والحجج حتى المقبول منها !

ان كل « المخاوف » التى قد تساور بعض القوى التقدمية الشريفة ، العربية والاشتراكية من قيام مثل هذه الجبهة الوطنية اليمنية العريضة ستتحول فى آخر الامر الى ترحيب حار بهذا الوليد الفتى ، والى دعم ومعاضدة له ، طالما وهو يوجه ضرباته القوية والقاصمة ضد قوى الامبريالية والرجعية ،

وبهدف استكمال تحرير اليمن كلها، ومن اجل تحقيق تقدمها الاجتماعي ، وانجاز وحدتها الوطنية وتأسيس دولتها المركزية الحديثة الديمقراطية الثورية •

وان كل تصور بامكانية تقسيم الثورة اليمنية ـ حتى ولو بدأت في شكل ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ اكتوبر ـ الى ثورتين ، ثورة منتصرة في الجنوب ، وثورة مهزومة في الشمال لهو ـ على المدى الاستراتيجي ـ تصور خاطىء ، اذ انه اما أن تنتصر الثورة اليمنية في الوطن اليمني كله على قوى الاستعمار والرجعية ، واما أن تهزم امامها في الوطن اليمني كله ايضا !

وان تصور استقرار الثورة في الجنوب ، دون استمرارها في الشمال ، وامكانية بناء نواة الدولة اليمنية الديمقراطية في عدن ، دون العمل ، وبلا توقف على تنمية شروطها الموضوعية في صنعاء ـ العاصمة التاريخية لكل دولة يمنية مركزية ، والعاصمة المستقبلية لدولة اليمن المركزية ، الحديثة الوطنية الديمقراطية ـ لهو تصور خاطىء كذلك !

وان تصور امكانية توزيع « وتعليب » قوى الثورة اليمنية في صندوقين مقفلين ، صندوق في الجنوب ، ويدعى الجبهة القومية ، وصندوق في الشمال ويسمى الجبهة الوطنية ولا يصل بينهما سوى « حبل سرى» وهمزة وصل للتنسيق ، أو للتنفس الاصطناعي المتبادل للكيانين الحبيسين ، و «التوامين المشطورين» لهوتصور واهم ايضا . !

ان طبيعة العلاقات الموضوعية والعضوية ، وعملية التداخل السياسية والتمازج التنظيمية ، والتواصل العملية ، بين فصائل قوى الثورة اليمنية ، المنظمة وغير المنظمة قد بلغت من العمق والاتساع ، والتشابك والاندماج حد أنها غدت تشكل في الواقع لوحة سياسية واحدة ذات زوايا متعددة ، وظلال متنوعة ، بحيث تصبح محاولة فكها عن بعضها لا تعني سوى كسرها كلها فقط ، وحد انها اصبحت تمثل من الناحية العملية نسيجا وطنيا واحدا ليس في الامكان نكث وعزل خيوطه عن بعضها الا اذا اريد له ان يتحول الى مزق ونتف مهلهلة بالية •

ان كل تصور يجافي هذا الواقع الحي والنابض والذي لا يحتاج الا الى قدر من التناسق والانتظام يكفل له تحركا سياسيا متكاملا متجانسا ، وايقاعا ثوريا متناغما عميقا لن يقود الى غير الباب الموصد والطريق المسدود !

أفهل علينا ان نعيد القول بأنه لا يخامرنا شك في أن الجبهة القومية ـ التي تمثل بحق الحلقة الرئيسية في سلسلة القوى والمنظمات الوطنية اليمنية ـ قادرة ـ بتجربتها السياسية الخصبة ، وثوريتها الوطنية المتجددة ، وافقها الفكري الواسع . ونظرتها التقدمية البعيدة ، واحاطتها الشاملة بشبكة المخاطر التي تلف البلاد ، وتطبق على حركة الثورة ـ قادرة على الوصول بنفسها الى ادراك الضرورة الموضوعية ، والامساك بالحقيقة العلمية ، المتمثلتين في واقع ان كل حاضر ومستقبل ثورة ١٤ اكتوبر والثورة اليمنية بجملها متوقف على شيء واحد دون سواه ، الا وهو : وحدة قوى الثورة ضمن جبهة وطنية ديمقراطية عريضة ، وتحت قيادة مركزية وطنية ديمقراطية ؟

وعند الوصول الى ذلك ـ وهي واصلة اليه حتما اليوم او غدا ـ فان الجبهة القومية تكون قد احتضنت وبقوة دورها القيادي ، الوطني والتاريخي ، على نطاق البلاد كلها ، ونهضت به ، وتكون قد قدمت للعالم كله ، زعماءها لا باعتبارهم ممثلي جزء من البلاد دون جزء ، وانما باعتبارهم الزعماء « الوطنيين » اللامعين للشعب اليمني كله في مرحلة تحرره الوطني ، وتقدمه الاجتماعي ، ووحدته السياسية ، الذين يضعون أنفسهم وبتفان ونكران ذات ـ على رأس حركته التاريخية المعاصرة المستهدفة ـ موضوعيا ـ بعث وانهاض كيانه الوطني ، واستعادة دوره السياسي العربي ، وتجديد مجده الحضاري ، والمتجهة نحو تأسيس دولته الوطنية المركزية الحديثة ، والمتطلعة نحو الاسهام في اقامة مجتمع عربي اشتراكي ديمقراطي موحد ، وفي تعزيز مواقع حركة الثورة العالمية الديمقراطية والاشتراكية •

الصـــــهيونية

فلســـفة « مثالية » *

د. عبدالوهاب المسيرى

١ ـ ديالكتيك الصهيونية الزائف

نادت الصهيونية بحل المشكلة اليهودية عن طريق تهجير « شعب بلا أرض الى أرض بلا شعب » ، ويتصور الصهاينة أنهم بهذا نجحوا فى تقديم رؤية جديدة للواقع تجمع بين الشىء ونقيضه وتتخطاهما . انها رؤية فى تصورهم تتخطى كلا من معادلة السامية التى ترفض اليهود رفضا كاملا ، وتحاول تصفيتهم حضاريا بل وجسديا ، والاندماجية الليبرالية التى تحاول القضاء عليهم بطريقة انسانية . تدعى الصهيونية انها تقدم الحل النموذجى المركب ، فهى ستخلص العالم من اليهود (وبذا ترضى المعادين للسامية) عن طريق تجميع اليهود فى دولة يهودية مؤكدة بذلك كيانهم وتراثهم اليهوديين (الامر الذى يثلج صدور المؤمنين) ، ولكن الدولة اليهودية ستكون دولة قومية علمانية لا تختلف عن الدول الاخرى وبذا يمكنها ان « تندمج » فى المجتمع الدولى (الامر الذى يرضى الليبراليين العلمانيين) .

وهذا البرنامج السياسى الذى يرضى جميع الاطراف قد شكل أساسا متينا للتحالف بين القطاعين الاساسيين للاقليات اليهودية فى العالم ، الا وهما قطاع اليهود المتدينين فى الشرق الذين يودون الحفاظ على يهوديتهم ، وقطاع اليهود الليبراليين فى الغرب الذين يودون الابقاء على اندماجهم الذى تهدده الهجرة من الشرق ، كما أن هذا البرنامج قد جعل من الممكن أن تتحالف جماهير البورجوازية الصغيرة اليهودية مع العناصر اليهودية الاشتراكية الثورية (ولاتزال هذه هى احدى السمات الاساسية للحياة السياسية فى اسرائيل) .

ولكن البرنامج السياسى الذى يرضى « جميع » الاطراف ويرضى العدو والصديق بغض النظر عن اتجاهاتهم السياسية أو حتى نواياهم الانسانية لابد وأن يكون برنامجا سحريا قادرا على حل التناقضات .

---

* من كتاب « نهاية التاريخ : مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيونى » الذى سيقوم بنشره مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية التابع للاهرام .

ولكن البرنامج الصهيوني لا سحر له ولا قداسة ، فقد حل الصهاينة واتباعهم كل التناقضات بتجاهلها وذلك باتخاذ موقف هيجيلي مثالي من الواقع والتاريخ . والرؤية الهيجيلية المثالية للتاريخ تفترض أن ثمة فكرة مطلقة لاوجود مادي أو نسبي لها تحرك كل الظواهر ، وتكون بمثابة المحرك الاول (والاخير) للتاريخ ، وهي تسبغ عليه معنى عقلانيا وتبين « الحقيقي » من الزائف ، ولان « الحقيقي » الوحيد هو النهائي المطلق فان هذه الرؤية الهيجيلية تفترض أن كل المتناقضات في جوهرها « غير حقيقية » لانه مهما كان عمقها فما هي الا حلقة في سلسلة ضخمة تؤدي الى هذا المطلق الخالي من التناقض : الفكرة المطلقة أو الدولة البروسية أو اليهودية !

والحيلة الهيجيلية المثالية لحل المشاكل تتلخص في رؤية التاريخ من وجهة نظر نهايته ، واذا ما فعل المرء ذلك فانه لن يرى الا الفكرة المطلقة الثابتة متجسدة في كل التفاصيل المتغيرة ، ولكنه بعد قليل لن يرى الا « الفكرة » نفسها وينسى التفاصيل لان التفاصيل المحسوسة ستصبح تجسدات متساوية في الدرجة والقيمة ، ليس فيها ما يميز الواحدة عن الاخرى . وحيث أن هذه الفكرة المطلقة غير محسوسة او معروفة (الا له وحده عز وجل) ، فانها تتحول الى فكرة ذاتية يدعي الزعيم النبي(هتلر أو بن جوريون) معرفتها ، ويحاول قصارى جهده فرضها على الواقع المحسوس غير الحقيقي ! وهكذا ينغلق الجدل الهيجلي على نفسه أو ينفتح على المطلق الذاتي ، وهذا ضرب من الانغلاق هو الاخر (على عكس الجدل الماركسي المنفتح على الواقع التاريخي المتطور الحي ، ولذلك فهو جدل لا يمكنه أن يدور في حلقات مفرغة لان الموضوع متغير ، ولان الذات الخلاقة تتغير هي الاخرى بتفاعلها مع الموضوع الحي ، فتسمو عليه وتتخطاه . فمن وجهة نظر ماركسية انسانية يجب الا ننظر الى الواقع بميكرسكوب النسبي فنغرق في التفاصيل ، ولا من خلال تلسكوب المطلق فلا نرى الا فكرة لا ملامح لها ولا قسمات) .

وقد أثرت الرؤية الهيجيلية المثالية في الفكر اليهودي الحديث وفي الفكر الصهيوني بشكل خاص (وذلك لتماثل بنية الهيجيلية المثالية ببنية وحدة الوجود) ، فنحمان كروكمال (١٧٨٥ — ١٨٤٠) ، وهو من اوائل فلاسفة القوميةاليهودية لم يجد سوىالجدل الهيجلي ليبني عليه نظريته في التاريخ اليهودي ، ففي كتابه دليل للحائرين هذه الايام يعرض نظريته القائلة بأن الامة اليهودية ليست مثل بقية الامم ، فكل الامم تمر بدورة نمو ، ثم نضوج ، ثم اضمحلال ، ثم موت ، أما اليهود فلا يمرون بمثل هذه الدورة اذ أن الحياة تدب فيهم مرة أخرى ويبدأون دورة أخرى . ويفسر كروكمال مقدرة اليهود على التغلب على الموت والاضمحلال بأن اليهودية روح سرمدية تعرف سر تجديد الحياة ذاتيا ، فبينما سيطر على الامم الاخرى وجودها الجسدي أو أرضها القومية ، سيطر على اليهود « روح الجماعة » وحدها ، بل ان كروكمال يرى أن « روح » هيجل « المطلقة » ليست سوى اله اسرائيل الذي يرتبط به الشعب الاسرائيلي برباط وثيق ، وتحقيق ارادة هذا الاله أو الروح المطلق هو للشعب اليهودي ، بمثابة المثل الاعلى ، بل والمصير المحتوم ، وبذا تصبح الامة اليهودية ليست مجرد ظاهرة حضارية منعزلة عن كل الحضارات القومية الاخرى ، بل على العكس تصبح وثيقة الصلة بها ، بل وتحتويها كلها في وحدة عضوية منسجمة . ونحمان كروكمال بهيجيليته العضوية المثالية لم يبتعد كثيرا عن الفكر اليهودي القديم بتصوره المسيحاني (١) للتاريخ ، وبرؤيته الشعب المختار في مركز التاريخ .

هذه الهيجيلية تتضح أيضا في فلسفة المفكر الصهيوني موسى هس في تحليله لما يسميه « بسبت » التاريخ ، والسبت هو يوم التعبد عند اليهود ، فبعد أن خلق الله الطبيعة احتفل « بسبته » الطبيعي ثم بدأ التاريخ . خلقت الطبيعة كاملة ثابتة ، أما الانسان فانه لايزال أمامه مجال للتطور ، وهو تطور سيصل الى قمته ونهايته في « سبت » التاريخ وذلك بقدوم المسيح المنتظر ، في هذه النقطة في الزمان ستنغلق الدائرة ويتحقق المطلق « ويصل التاريخ كالطبيعة الى حقبة كماله المتناسق » . وهس يستنتج من ذلك أن ثمة قانونا واحدا أزليا يحكم عالم الطبيعة وعالم التاريخ على حد سواء ، أن عالم التاريخ مثل عالم الطبيعة له نهاية وذروة يصل اليها ، وأي اختلاف قد يبدو لنا بين قوانين التاريخ والطبيعة أن هو الا نتاج مفاهيم ذاتية ، وناجم عن عدم الاحاطة « بالقوانين العظيمة الشاملة المقدسة » ، وعن تصور خاطىء لتطور الانسانية التاريخي على انه مجرد « تقدم » لا نهاية له ولا تحكمه قوانين ولا تحده حدود . وهس هنا يؤكد أهمية تصور النهاية المسيحانية للتاريخ ، وهذا هو جوهر الرؤية الهيجيلية للتاريخ ، على عكس التصور الماركسي الذي يؤمن بوجود قوانين تحكم مسار التاريخ ، الا انه لا يضع اية نهاية ثابتة له ، لان أي مجتمع انساني بما في ذلك المجتمع الشيوعي لابد وأن يتخطى نفسه ، بل ان ماركس رفض التنبؤ بصورة مجتمع المستقبل حتى لا يقع في هوة التصورات المثالية .

(١) نسبة الى « اسطورة « المسيح المخلص » الذي سيأتي في آخر الزمان ليعود باليهود الى ارض الميعاد وليبدأ العصر « المسيحاني » ، ويحكم العالم الف عام يسود فيها السلام العدالة .»

والصهاينة فى رؤيتهم للتاريخ وللواقع المادى لا يرون شيئا سوى فكرتهم الثابتة الخاصة بالعودة الى ارض الميعاد لتأسيس الدولة اليهودية فيها ، وما تاريخ اليهود الا تعبير عن الرغبة العارمة فى العودة • ان التاريخ اليهودى تعبير عن هذا المطلق الذى لا يقبل النقاش (لان الحق فى العودة يستند اما الى وعد أسطورى تلقاه اليهود فى أول الايام أو الى رغبة سيكولوجية تعتمل فى نفوسهم ، وكلا الوعد الاسطورى والرغبة السيكولوجية ، حينما يتحولان الى برنامج سياسى ، لا يمكن مناقشتهما بشكل عقلانى) . لذلك حينما يشير اليهود الى حقوقهم « التاريخية » أو الى « حدود » اسرائيل « التاريخية» يجب أن نضع فى اعتبارنا دائما أنهم لا يشيرون الى أى واقع تاريخى محسوس، وانما يشيرون الى تصوراتهم المثالية بخصوص هذه الحدود ، فالحقوق والحدود « التاريخية » هى حقوق وحدود مقدسة ومطلقة أى حقوق وحدود « ذاتية » لا يمكن لاحد تقريرها أو التعرف عليها سوى الصهاينة •

ولان الصهاينة لا ينظرون الى الواقع الا من خلال تلسكوب المطلق الصهيونى كان من اليسير عليهم أن يتجاهلوا النسبى والتاريخى والمحسوس وأن يتقبلوا بكل سهولة شعار « أرض بلا شعب وشعب بلا أرض » ، لانه شعار يتسم بالاتساق الهندسى الدائرى المجرد ، هذا الشعار الذى لايزال بعض الصهاينة يرددونه حتى الان يتجاهل عناصر تاريخية محسوسة عديدة ، فهو أولا قد حول فلسطين الى مكان غير مأهول بالسكان وحكم على الشعب الفلسطينى بالزوال ، كما أنه حول الاقليات اليهودية فى الدياسبورا الى مفهوم مجرد يسمى « الشعب اليهودى » وحكم عليه بأنه فى حالة دائمة من البؤس الشديد ،وفى حالة تطلع ورغبة دائمين للعودة لارض الميعاد .هذا على الرغم من أن الهجرة اليهودية فى القرن التاسع عشر كانت متجهة من روسيا وشرق أوروبا الى العالم الجديد وعلى الرغم من أن حوالى نصف يهود العالم الان يعيشون فى أرض الميعاد الامريكية ولا يريدون التزحزح منها .

لو لم يؤمن الصهاينة ايمانا أعمى بشعاراتهم لتحدى الواقع التاريخى الحى والمتنوع فى فلسطين والدياسبورا تناسق جدلهم الهندسى ، ولعل قصة ماكس نوردو ـ الزعيم الصهيونى وصديق هرتزل ـ الذى لم يسمع قط عن وجود الفلسطينيين الا فى المؤتمر الصهيونى الاول ، والذى اندفع لهرتزل معلنا استنكاره لعدم اخباره بهذه الحقيقة (الجوهرية او الفرعية ؟) ـ اقول لعل هذه القصة خير دليل على زيف جدلية الصهيونية ومثاليتها ، لان الجدل الحقيقى هو الذى يأخذ كل العناصر الاساسية فى الاعتبار ويرى تفاعلها الحى داخل اطار تاريخى . لقد حولت الصهيونية التاريخ اليهودى والواقع الذى تتعامل معه بكل نتوئه الى ما يشبه القطار الذى يسير على قضبان مستوية من الشعارات .والاساطير البسيطة الى محطة الخلاص . فليلينبلوم « لا يرى امامه الا طريقا مستقيما مؤكدا يقود الى الخلاص » ، أما هرتزل فيشبه الحركة الصهيونية بعد تنظيمها بالقاطرة الكبيرة التى تحمل المسافرين والبضائع الى محطة ارض الميعاد بالطبع ، ومن المناسب أن نذكر أن هرتزل طيب خاطر نوردو وأخبره أن كل شىء سيسوى فيما بعد (كيف ؟) ـ وأن نوردو لم يقتله الندم بسبب جهله المطبق ، بل استمر صهيونيا يحتمى بتلسكوب المطلق حتى يوم وفاته (النهاية السعيدة دائما !) • ويبدو أن لويس دمبيتز برانديس (١٨٥٦ ـ ١٩٤١) القاضى الامريكى والزعيم الصهيونى قد بلغت به الليبرالية وطيبة القلب الى درجة أنه رأى « النهاية السعيدة » متحققة فى أرض الميعاد عام ١٩١٥ ، ففى مقاله « المسألة اليهودية وكيفية حلها » يؤكد لنا بكل براءة أنه « ليس هناك مجرمون يهود فى المستعمرات اليهودية فى فلسطين لان كل واحد منهم كبيرا كان أم صغيرا يشعر بمجد شعبه وبواجبه لحمل مثله العليا • ان يهود فلسطين الجدد ينشئون علماء بدلا من مجرمين » فى اركاديا الصهيونية ، فى أرض اللبن والعسل، يجلس الرعاة مع الراعيات يعزفون على الناى بينما ترعى الحملان بنفسها . لقد ضغط المثل الاعلى على الجميع فتجسد الان وهنا ! (وان كان برانديز لاينسى بطبيعة الحال أن يذكر الرعاة المسلحين الذين يقضون الليل يحرسون أركاديا المسلحة ضد جماعات « قطاع الطرق ومسببى أعمال الشغب » التى تعكر صفو الاحلام الرعوية الهيجيلية !) .

والنظر من خلال تلسكوب المطلق هو الحيلة الهيجيلية التى استخدمها مارتن بوبر لتبرير الاستيلاء الصهيونى على الارض الفلسطينية . فحينما صرح غاندى بأن « فلسطين هى ملك العرب » كتب له بوبر خطابا بدأه بالابتعاد عن الواقع المحسوس عن طريق العودة الى الماضى السحيق ، حينما استولى العرب على هذه الارض عن طريق الغزو .ثم تساءل مارتن بوبر عما اذا كان غاندى يقصد أن الاستيطان عن طريق الغزو يبرر حق ملكية فلسطين ، وبوبر بذلك يتناسى الوجود التاريخى المحسوس للفلسطينيين الذى لا يمكن بأية حال مساواته بالوجود الصهيونى فى فلسطين آنذاك ، ثم يركز بوبر التلسكوب مرة أخرى ويبتعد عن الماضى السحيق الى المطلق ، ويقرر انه ليس من حق أى انسان أن يقول « هذه الارض ملكى » فالارض المفتوحة ، فى رأيه الصوفى ، قد أعيرت الى الفاتح الذى أقام عليها ، وأن الله بانتظار ما سيفعل بها .

ان هذه الرؤية للتاريخ قد ساوت بين الوجود العربي والوجود الصهيوني في فلسطين ، فمن وجهة نظر المطلق تتساوى كل الاشياء ، بل ان اى وجود انسانى (عربيا كان أو صهيونيا) الغى تماما ، واصبح التاريخ تجسيدا لارادة الـه اسرائيل الهيجلى الذى يفعل بالارض ما يشاء ، وانبياء الصهيونية هم اقدر الناس بطبيعة الحال على تفسير هذه الارادة ، وما علينا نحن الا تقبل تفسيرهم حتى ولو كان يتناقض مع وجودنا الفعلى والتاريخى (وقد سلط ايخمان تلسكوبي المطلق على يهود أوروبا فذابوا واختفوا ، وحققت الدولة النازية اتساقها وانسجامها الارى الكامل الذى لا تشوبه شائبةيهودية واحدة . لقد أصبح التاريخ فى كمال الطبيعة ، كلا عضويا دائريا ثابتا يبعث على الفزع والغثيان) .

٢ ـ التجربة الانتقائية

وديالكتيك الصهيونية الزائف هو نتيجة مباشرة لمحاولة الصهاينة تحويل التاريخ الى أسطورة والواقع الى مثال (كما فعل اليهود القدامى فى تاريخهم) . ويستند هذا الديالكتيك الى ما يمكن تسميته بالتجريبية الانتقائية ، فالمفكر الصهيونى عادة ما يعطى قارئه احساسا بأنه دائم الرجوع الى الواقع ، وبأنه خلص الى نتائجه بعد تمحيص دقيق لكل عناصره ، ولكنه فى واقع الامر يقترب من الواقع مسلحا بكل غيبياته الصهيونية المثالية ليبحث عن العناصر التى تدعم رؤيته وينتقيها متجاهلا ما عداها . ولهذا السبب لا تؤدى عملية دراسة الواقع أو التاريخ الى أى تعمق انسانى ، وانما ينتج عنها تحسين فى الاساليب الدعائية كما هو الحال فى «علم» الاثار الاسرائيلى الذى يستخدم الاكتشافات الاثرية التى تتم بشكل « علمى » لتبرير الرؤى الصهيونية الصوفية . والتجريبية الانتقائية هى وسيلة الغيبية الصهيونية لاضفاء طابع العلمانية على نفسها ، فالصهيونى العلمانى مضطر للجوء الى المنهج التجريبى لانه كما يزعم علمى ، ولانه لابد له من أن يتعامل مع الواقع حتى لو رفض هذا الواقع على المستوى الفكرى . ولكن الصهيونى لا يملك بأية حال أن يسلم بوجود كل عناصر الواقع المختلفة (بما فى ذلك عروبة فلسطين وتنوع يهود الدياسبورا) لان هذا يناقض التبسيطات الاسطورية التى يؤمن بها ايمانا صوفيا أعمى . والانتقائية هى وسيلته المثالية لموازنة وضبط التجريبية حتى لا تصل به هذه التجريبية الى درجة تجعل الواقع المركب يقتحم الاسطورة البسيطة .

ويجب أن نشير الى أن المفكرين الصهاينة (بما فى ذلك آحاد هعام) هم نتاج المجتمع الاوروبى العلمانى التجريبى ، ولذلك كان من الطبيعى أن يترك المنطق التجريبى أثره عليهم ، ولكن هذا الاثر لا يظهر على شكل رؤية علمية ، بل يأخذ شكل رؤية عملية ، بمعنى أن استخدامهم للتجريب استخدام تاكتيكى محض لخدمة الرؤية الغيبية .

ولعل هذا المزيج الغريب من الرؤية العملية المتطرفة والصوفية المغالية هو ما يفسر احدى سمات تاريخ الحركة الصهيونية ، فالحركة الصهيونية كانت دائما لها حد أدنى عملى معلن وموضع جدل شديد من جميع الاطراف ، وحد اقصى تحوطه الهالات الصوفية . أما الذى يقرر الحد الادنى المعلن فهو قوة الصهيونية الذاتية ، والظروف العملية المحيطة بها ، وكلما قلت الضغوط الخارجية وزادت القوة الذاتية الصهيونية كلما صعد الحد الادنى محاولا عبثا الوصول الى الحد الاقصى ، اقول عبثا لان الحد الاقصى هو «المطلق» الذى لا تحده حدود . ولننظر مثلا الى الشعار القومى الدينى المقدس « من نهر مصر الى الفرات » ، حينما يكون بن جوريون فى حالة انتشار مسيحانى يصبح نهر « مصر » نهر النيل ذاته ، ولكن حينما يتساقط الفانتوم وتسبب له أحلامه المسيحانية التوسعية بعض الصراع فان نهر مصر يصبح نهرا صغيرا فى العريش . وحيث أننا من البشر العاديين فلنترك مشكلة الحد الاقصى لانبياء الصهيونية القوميين المقدسين ، ولنركز على الحد الادنى فى حركته الدائبة فى الصعود الى « الاين » ؟ اذا ما نظرنا الى قرارات المؤتمر الصهيونى الاول فى بازل عام ١٨٩٧ ثم الى قرارات مؤتمر بالتيمور عام ١٩٤٢، ثم الى قرارات المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين الذى عقد فى القدس عام ١٩٦٨ ميلادية أو عام ٥٧٣٨ يهودية ، واخيرا الى قرارات المؤتمر الثامن والعشرين للاحظنا التباين الشاسع ولرأينا الحركة الصاعدة للحد الادنى . فقد صيغت قرارات المؤتمر الاول بشكل لا يزعج الجوييم (المطلوب عونهم فى ذلك الوقت) ولا يزعج حكومة سويسرا (التى عقد على أرضها المؤتمر) ولذلك طلب المؤتمر اقامة « وطن قومى » (وليس دولة) فى فلسطين يضمنه « القانون العام » (وليس الشعب اليهودى أو العنف) كما أن المؤتمر دعا الى تنظيم « الاقليات اليهودية » فى العالم على ألا يسبب ذلك أى تعارض فى الولاءات ، كما قرر المؤتمر محاولة تقوية الوعى والعواطف اليهودية . ولم تصبح فكرة الدولة اليهودية الشعار الرسمى للحركة الصهيونية الا عام ١٩٤٢ فى مؤتمر بالتيمور ، الا ان المؤتمرين الصهيونيين قد عبروا فى قرارات هذا المؤتمر « عن أملهم فى انتصار الانسانية والديمقراطية » وما شابه ، كما أنهم رحبوا بالتعاون مع العرب بل وبالبعث العربى

اليهودى المشترك ، ورغم أن الثيبيات بدأت فى الظهور الا أن الصياغة كانت لا تزال الى حد كبير علمانية · أما قرارات المؤتمر السابع والعشرين الذى عقد بعد حرب يونيه ، وبعد ضم أراضى عربية جعلت حدود الدولة اليهودية تقترب بعض الشيء من الحدود « التاريخية » ، وبعد توحيد القدس ، فاننا نجد أن الاهداف المعلنة قد قطعت شوطا كبيرا فى رحلتها الى المطلق ، فاهداف الصهيونية ، هى وحدة الشعب اليهودى ومركزية دولة اسرائيل فى حياته ، وجمع الشعب اليهودى فى وطنه التاريخى عن طريق الهجرة من جميع البلاد ، وتدعيم دولة اسرائيل القائمة « على مثل الانبياء فى العدل والسلام » ، والمحافظة على أصالة الشعب اليهودى بتنمية التعليم اليهودى واللغة العبرية (اليهودية) والقيم الروحية والثقافية اليهودية ، اى أن الدوائر الهندسية المتسقة ، والاساطير المعادية للتاريخ قد اصبحت برنامجا سياسيا معلنا ، ولا تقول لقد عقد المؤتمر فى منتصف « عمرة » العالم :
(اما قرارات المؤتمر الثامن والعشرين فهى استمرار لنفس النزعة الصوفية ، فقد أعلن المؤتمرون أن حق الشعب اليهودى فى أرض فلسطين غير قابل للطعن ، وأنه فى حرب الايام الستة المقدسة المعدودة ، وحررت أرض الاباء ، وأعتقت القدس وأصبحت مدينة واحدة) .

وهكذا نرى أن انتصارات الدولة اليهودية لا تروى غليلها ، بل أنها ستزيد من ضراوتها ، لان الاحساس بالحدود التاريخية الحقيقية الذى يفرضه الواقع الموضوعى يأخذ فى التآكل ويحل محله الأحساس بالحدود « التاريخية » المقدسة الازلية المطاطة ، حدود لا يعرف لها حدود « ولا يمكن ان تقاس بالكيلومترات ، لانه من الصعب استبعاد السامرة وجبل الخليل وغزة من رقعة الوطن اليهودى » على حد قول موشى ديان ، أحد كبار مفسرى التوراه فى العصر الحديث والجنرال فى الجيش الاسرائيلى .

موقع المرأة المصرية

بين الماضى ..
ومتطلبات الحاضر والمستقبل

انجى رشدى

خمسون عاما مضت منذ ان تبلورت الدعوة الى تحرير المرأة . نصف قرن مضت على قيام الاتحاد النسائى المصرى ، الذى كان اول تنظيم من نوعه اخذ على عاتقه المطالبة بحقوق المرأة ، سواء حقها فى التعليم او المشاركة فى الحياة السياسية والاجتماعية ، وانه بذلك هو محصلة الفكر الذى طرح فى مصر منذ رفاعة الطهطاوى الى ثورة ١٩١٩ .

اين نحن الان من هذا الفكر ومن الدعوة الى تحرير المرأة .

هل تطورت المرأة منذ ذلك الوقت وفى أى اتجاه وباى مضمون ، سؤال من المهم جدا محاولة الاجابة عليه بهذه المناسبة ، وهى اجابة يجب ان تكون واقعية ، موضوعية ، وصريحة . ان هذا العرض السريع ربما يضع مؤشرات على الطريق، ولكن لابد من عمل جماعى ودراسات مستفيضة ومستمرة يحدد دور وطريق المرأة فى بناء المجتمع وتنميته .

ان الحركة النسائية التى نشأ من خلالها الاتحاد النسائى المصرى ، وهو أول تنظيم من نوعه فى مصر ، هى حركة حديثة نسبيا اذا قورنت بما حدث فى البلاد الاخرى ، فحتى بداية القرن العشرين ، كانت المرأة تعيش فى مجموعها على هامش الحياة الاقتصادية والاجتماعية . ولم يكن لها دور أساسى فى الانتاج ، تكبلها التقاليد والعادات ، والمفاهيم التى كانت سائدة فى ذلك الوقت .

ولكن قيام الاتحاد النسائى المصرى ، كأول حركة منظمة للمطالبة بحقوق للمرأة — فى حدودها الواردة فى قانون الاتحاد — لا يعنى أنه ، قبل ذلك كان هناك فراغ أو ان حركة المطالبة بحقوق المرأة بدأت مع قيام الاتحاد النسائى .

فقد قام بعض المفكرين من الرجال بالدعوة الى تعليم المرأة واشتغالها — فى أعمال محدودة — وهى الدعوة التى عرفت بالدعوة لتحرير المرأة والتى يعتبر قاسم أمين عمادها الاول فى بداية القرن العشرين .

ولكن الواقع والمؤرخون يعتبرون أن الدعوة الى تحرير المرأة بدأت فى الحقيقة ، مع رفاعة رافع الطهطاوى ١٨١٠ — ١٨٧٣ » والذى اتفق على اعتباره أنه أول من نعرف من مفكرينا الذين أنشأوا فى مصر وربما فى العالم العربى كله ، مدرسة فكرية ثورية منظمة بالمعنى الشامل ، لها منهجها ، وفلسفتها ، وغايتها ، وسائر مقوماتها الشكلية والموضوعية التى تخرج عن الاطار الذى ظل متوارثا فى العالم العربى ، من العصور الوسطى حتى اوائل القرن التاسع عشر ، والثورة الفكرية التى احدثها رفاعة الطهطاوى هى ثورة كاملة وشاملة ، لانها تتناول أسس الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية بجميع وجوهها ، وهى ثورة حقيقية ، لانها دعت الى اعادة النظر فى كافة القيم التقليدية من ناحية ، ولان التيار السياسى والاجتماعى والثقافى الذى خلقته ، لم يتلاشى بانطواء صاحبها ، بل على العكس من ذلك تجدد وتعمق ، واتسع مداه جيلا بعد جيل ، حتى تبلور ، بعد قرن كامل ، فى أول ثورة ناجحة شاملة غيرت أسس الحياة الى حد بعيد ، وهى ثورة ١٩١٩ فى مصر ، وفى الثورات الديموقراطية الليبرالية فى العالم العربى كله .»

وفى كتاب « تخليص الابريز » ؟ نستطيع أن نستخلص راى رفاعة الطهطاوى فى المراة الفرنسية خاصة والغربية على القياس . وملاحظته اشتغال المراة الفرنسية بالتجارة نجدها فيما بعد فى أعمال قاسم أمين الذى ذهب الى ان للمراة استعدادا خاصا للقيام بالاعمال التجارية .

ورفاعة ، فى حديثه عن المراة الفرنسية ، لا يفوته أن يلفت النظر الى ان وضع المراة فى الشرق هو النقيض البغيض لوضعها فى الغرب حيث النساء « كأمتعة البيوت » .

ثم يقول رفاعة فى كتابه تخليص الابريز :

« ومن حيث ان كثيرا ما يقع السؤال من جميع الناس عن حالة النساء عند الافرنج ، كشفنا عن حالهن الغطاء ، وملخص ذلك أيضا ان وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا ياتى من كشفهن أو سترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة و الخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشريك فى المحبة والالتئام بين الزوجين »[1] .

ولعل هذه العبارة من اهم العبارات التى اجمل فيها رفاعة الطهطاوى رأيه فى المراة العربية عامة والفرنسية خاصة . ولا يقل عن هذا اهمية فصل رفاعة الطهطاوى فصلا باتا بين شعور المراة أو اختلاطها بالرجل وبين تعرضها للانحراف ، فاذا راعينا قوله أن جميع الناس — يقصد مصر — يتساءلون عن حال المراة الافرنجية . عرفنا ان مشكلة تحرير المراة كانت تشغل الراى العام فى مصر ايام حكم محمد على ، فهو اذن تحمل مسئولية الدعوة للسفور ، وتحرير المراة فى المجتمع المصرى قبل قاسم أمين بنحو ستين سنة

ومع ذلك فان اسم قاسم امين يقترن بحركة تحرير المراة أكثر مما يقترن بها اى اسم مصلح آخر ، فهو بكل معنى وبأدق معنى اكبر داعية لتحرير المراة فى مصر ، خاصة وفى العالم العربى عامة . وهو يعتبر كذلك بحق ، لا بفضل جهاده المتعدد فى سبيل تحرير المراة — ذلك الجهاد الذى استغرق كل حياته الفكرية — ولكن بفضل اعتماده على عامل جديد فى تاريخ الفكر العربى الحديث ، وهو البحث الاجتماعى القائم على المنهج العلمى الاستقرائى المعتمد على الاحصاء والارقام ، فدعوته ، اذن ، لم تكن مجرد دعوة انسانية ، أو موقفا فلسفيا ؟ كذلك الذى تجده عند غيره من من المفكرين من انصار تحرير المراة . بل كانت دعوة علمية اجتماعية بالاضافة الى قيمتها الانسانية ، وهى الروح التى نجدها سائدة فى كتابيه المشهورين « تحرير المراة » ، « والمراة الجديدة » .

ولعل فى هذين المثلين من المصلحين الاجتماعيين اللذين ناديا بتحرير المراة ، مايكفى لدحض الدعوة التى بدأت تنتشر ، وهى أن قضية تحرير المراة هى قضية المراة وحدها ، وأنه اذا كانت الشعوب هى التى تحرر نفسها ، فالمراة أيضا هى التى تحرر نفسها . وهو أمر مردود عليه ، بأن قضية تحرير المراة ليست قضية تحرير جنس آخر وانما هى قضية تهم المجتمع ككل ، بالنظرة الشاملة اليه ، وهى تعنى بالتالى ، بداية ونهاية أن نجعل من تلك القضية جزءا من القضية الكلية ، وهى قضية بناء المجتمع الاشتراكى الجديد . ومعنى ذلك ، أن تتحول مشكلة الاسرة من مجرد مشكلة قانون احوال شخصية الى جزء من مشكلة الريف والمدينة ومشكلة الزراعة والصناعة ، الخ . ومشكلة دفع المجتمع ككل الى مرحلة اكثر تطورا من المرحلة الاجتماعية التى نمر بها الان .

وهذا ، ليس بالشىء المستحدث على الفكر الانسانى عامة ، فقد مارست هذه التجربة عديد من البلدان التى سبقتنا فى ركب التطور الاجتماعى .. والنماذج على ذلك عديدة ومتنوعة ، بعض البلدان التى كانت فى الاساس بلدان ذات قاعدة صناعية قوية سارت فى نفس المنهاج مثل تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية .. وبلدان اخرى كانت ذات اقتصاد زراعى الأساس ، سارت فى نفس الطريق وحصلت على نفس النتائج ، ومثال ذلك جمهورية بلغاريا الشعبية . وهو الطريق الذى أعتبر وضع المراة جزئية من جزئيات قضايا التقدم، ولم يفصلها عنها .

ففى تشيكوسلوفاكيا ، وصلت القوى النسائية العاملة الى نسبة ٤٦٪ من القوى المنتجة عامة ، رغم أن نسبة النساء العاملات فى بعض وحدات الانتاج ، وبالتحديد فى ميدان الغزل والنسيج قد ارتفعت الى ٧٣٪ من اليد العاملة . وهذا يعنى ، أن الدولة قد وفرت من ظروف العمل الاجتماعية، ما يسمح لهذه النسبة أن تعمل وتنتج وتطور ، وذلك من خلال تحسين ظروف العمل ، ودور النقاهة ، والحضانة وتوفير الوجبات نصف

---

(١) المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث . قضية المراة — لويس عوض *

المسلمة ، وتتبع المطاعم الرئيسية ، التى تساعد ربة البيت على اعطاء وقت اكثر لعملها ، بحيث اصبحت فى النهاية جزءا اساسيا من قوى الانتاج والتنمية ».

اما فى جمهورية بلغاريا الشعبية ، فان ثلث القوى العاملة فى الزراعة اصبحت من النساء ، كما ان احصائية سنة ١٩٦٩ أشارت الى ان القوى العاملة النسائية وصلت الى ٤٣٪ ».

وتتفوق المراة فى العديد من النشاطات الاقتصادية مثل نشاط التجارة الداخلية ، حيث تصل نسبة المراة العاملة الى ٧٠٪ ، وهى احدى الظواهر الملفتة للنظر فى بلغاريا ، حيث يجد الزائر أن المراة تسيطر تماما على نشاط المتاجر العامة ، والبقالات والخدمات . بالاضافة الى ان المراة البلغارية تمثل نسبة ٦٤٪ من القوى العاملة فى التعليم والثقافة .

وهذا يعنى ، فى الاساس ، اهتمام الدولة بزيادة انتاجية نسائها العاملات ، حتى وصل الامر الى أنه فى عام ١٩٦٨ وحده تم تدريب ١٩٠ الف امراة عاملة فى كافة النشاطات الاقتصادية ، سواء أكانت زراعية او صناعية او تجارية ، وهو عدد ليس بالقليل ، اذا عرفنا أن تعداد بلغاريا لا يتجاوز ٥ر٩ مليون مواطن .

ولعل نفس الشىء حدث فى المجر التى اعتبرت منذ بضعة اعوام ان مشكلة المراة ، هى مشاكل قومية ، تهم المجتمع ككل ، وبالتالى يجب ان تحل محل هذا المنطلق والمفهوم .

« باحثة البادية » وهدى شعراوى

ومع ان الدعوة الى تحرير المراة ترجع ، فى الاساس الى عدد من المفكرين الرجال الا أنه فى سنة ١٩١١ قامت الاديبة والكاتبة **ملك حفنى ناصف** ، والتى عرفت باسم **باحثة البادية** ، بتقديم عشرة مطالب متعلقة بحقوق المراة ، لاول مؤتمر مصرى عقد سنة ١٩١١ ، وقد تضمنت هذه المطالب ». التعليم الالزامى للبنات فى المرحلة الاولى ، مدرسة طبية للنساء ، على نفس مستوى مدرسة الرجال ، وايضا الدعوة الى انشاء مدارس مهنية واقتصادية للبنات ، وعدم وقوع الطلاق بدون سماع وجهة نظر الزوجة .

ولم تلق هـذه المطالب ـ كما هو متوقع ـ القبول وانما رفضت ، ولكنها كانت جرسا يدق لايقاظ وعى المراة المصرية ومسئوليتها . وبالفعل تحركت المراة من خلال ثورة سنة ١٩١٩ ، هذه الثورة التى يعتبر الكثير أن الحركة النسائية انما هى من نتاجها ، والتى شاركت فيها المراة المصرية ، وكونت على أثرها لجنة سياسية ، عرفت باسم لجنة النساء الوفديات ، لكن هذه اللجنة لم تستمر لنفس الاسباب التى جعلت ثورة سنة ١٩١٩ لا تستمر ، وهى فقدان كليهما للمضمون الاجتماعى[٢] .

وفى سنة ١٩٢٣ انشات **هدى شعراوى** الاتحاد النسائى ، وهو كما سبق ان بينا اول تنظيم ، يحمل مطالب اجتماعية وسياسية تخص المراة سواء فى التعليم او الحقوق السياسية ، او الاحوال الشخصية .

« المراة العاملة »

فالدعوة لتحرير المراة ، وتعليمها ، كانت تتردد منذ القرن التاسع عشر كما سبق أن بينا ، كذلك كان خروج المراة للعمل الصناعى المنظم المدفوع الاجر يمكن القول ، او الاستنتاج العام بانه كان قائما فى فترة ماقبل الحرب العالمية الاولى وخلالها ، ويتكهن أنها عملت فى بادىء الامر فى صناعة حلج القطن حتى انتشرت هذه الصناعة فى شكل ورش صغيرة فى محافظات الدلتا المنتجة للقطن .

ولكن تشير المعلومات المستقاة ، من الصحافة المصرية التى صدرت فى عشرينيات هذا القرن الى ان المراة فى مصر تواجدت فى الصناعة الكبيرة ـ نسبة لهذا الوقت ـ فى عام ١٩٢٠ وبصورة مؤكدة .

فمثلا نشرت **جريدة الحساب** ـ وهى احدى الصحف التى صدرت فى العشرينات والتى تبنت قضايا العمل والعمال وفى عددها الرابع عشر والذى صدر فى ١٧ ابريل سنة ١٩٢٥ ، خبرا عن اضراب مصنع جيمسرجان قاده العمال والعاملات احتجاجا على استبدال دفاتر العمال القديمة بدفاتر جديدة ، مما تسبب فى الغاء فترة خدمة تبلغ ٣٥ عاما لبعض العمال و ٥ اعوام لبعض العاملات ، وكان البيان الذى نشرته الصحيفة موقعا من كل من **علية احمد ـ ومحمد ابراهيم** .

وفى العدد ١٦ ، نشرت نفس الجريدة مطالب نادى بها اتحاد العمال منها « سادسا : سن قانون

---

(٢) بهيجة عرفة : النشاط الاجتماعى للاتحاد النسائى المصرى ، رسالة بكالوريوس .

لحماية المرأة العاملة ؟ يضمن لها الحصول على اجرها فى اسابيع حملها الاخيرة ، والاسابيع الاولى بعد الولادة دون ان تعمل فى اثنائها عملا »

والجدير بالذكر ، فى هذا الشأن ، انه فى عام ١٩٢٥ وفى اثناء اجراء الانتخابات النيابية تكونت لجنة سميت بلجنة « الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » وذلك لان بعض المرشحين من ابناء البرجوازية المصرية ، كانوا قد نزلوا فى تلك الانتخابات وهم يرفعون شعارا بأنهم عمال .. وبذلك قامت هذه اللجنة بوضع برنامج تطرحه على هؤلاء المرشحين للتمسك به حتى يعطيهم العمال والفلاحين اصواتهم فى الانتخابات .

وقد جاء فى البند الخامس عشر من البرنامج ما يلى « حماية النساء والاولاد ومنع تشغيلهم ليلا فى اى عمل من الاعمال » .

فلا غرابة اذا ان تصبح أولى توصيات لجنة بتلر — وهى اللجنة التى اوفدها مكتب العمل الدولى الى القاهرة لدراسة قضايا ومشاكل العمل والعمال ، ووضع توصيات خاصة بهذا الشأن — توصية خاصة بتشغيل النساء والاولاد ، ولا غرابة كذلك ان يصدر اول تشريع عمل سنة ١٩٣٣ خاص بتشغيل المرأة والاولاد ، وكان هذا التشريع هو الخطوة القانونية التى تلت ، محصلة الوجود الاقتصادى للمرأة منذ بداية عام ١٩١٠ ، وبشكل ملموس ، منذ سنة ١٩٢٠ على اثر قيام الحرب العالمية الاولى والنمو الصناعى الذى صاحبها فى مصر ، ثم على اثر خروج الراسمالية المصرية ، ببعض المكاسب الاقتصادية من السوق المصرى بعد ثورة ١٩١٩ ، وازدياد نشاطها الصناعى والتجارى .

وجاء عام ١٩٣٧ ليشير الاحصاء العام للدولة الى حقيقة جديدة هامة ، وهى أن تعداد النساء العاملات فى مصر فى تزايد مستمر .

ففى عام ١٩٢٧ ذكر الاحصاء أن عدد النساء العاملات وصل الى ٤٦٦٦٧ عاملة يعمل حوالى نصفهن فى صناعة الملابس ، ويبلغ عدد العاملات اللاتى يطبق عليهن قانون تشغيل الاحداث ٤١٪ من ذلك المجموع ، اما العدد الباقى منهن فتتراوح أعمارهن بين ٢٥ أو عشرين عاما أو سيدات مسنات .

أما احصاء سنة ٣٧ فقد جاء فيه ان عدد النساء العاملات بلغ ٢٨١ الف عاملة من بينهن ١٦٧ الف عاملة يقل عمرهن عن ١٥ عاملة .

على انه اذا كان قيام الاتحاد النسائى المصرى منذ نصف قرن ، كان محصلة حركة فكرية لها مضمون اجتماعى طرح من المجتمع المصرى ، على يد رفاعة الطهطاوى ، وقاسم امين ، ودعمت هذه الحركة من خلال ثورة ١٩١٩ ، وخروج المرأة المحجبة الى الشارع ، والتى تبلورت فى الدستور الذى طرحه الاتحاد كدليل عمل له . الا ان هذا التنظيم ظل وحده فى الميدان — بهذا المعنى — صحيح كان هناك عدد لا بأس به من الجمعيات النسائية الخيرية .. اى للعمل الاجتماعى التطوعى ، الا ان الامور توقفت عند هذا الحد .

ومع توسع الدولة فى تعليم المرأة وقيام الحرب العالمية الثانية وظهور الراسمالية المصرية بصورة اوسع ، ازداد عدد النساء العاملات من الناحية الرقمية ، ودخلت ميادين عمل لم تكن متاحة لها — مثل اعمال السكرتارية والاعمال التجارية والخدمات .

واصبحت المرأة تشكل قوة اقتصادية ، الى حد ما ، ولكنها بلا مضمون اجتماعى أو سياسى ، الذى افرغ مع انتهاء ثورة ١٩ نتيجة لغيابه . فقد ظلت المرأة محرومة من حقوقها السياسية فى ظل العلاقات الاقتصادية والسياسية التى كانت سائدة قبل ثورة ١٩٥٢ .

ولعله من المناسب مناقشة وضع المرأة اليوم ، الذى هو محصلة هذا التطور .

وبنظرة موضوعية ، نجد المرأة المصرية الان اكثر استقلالا بعد ان فتحت امامها ابواب التعليم والعمل ، واصبح لها وجود اقتصادى ملموس ولكن هذا ، كان نتيجة لتحطيم العلاقات التى كانت سائدة قبل الثورة اقطاعية كانت أو راسمالية ولكن وكما سبق ان بينت فان المرأة المصرية لا تعتبر قوة فعالة لان وجودها الاجتماعى مازال متوقفا عند الفترة التاريخية التى صاحبت قيام الاتحاد النسائى وصدور اول «قانون للاحوال الشخصية» الذى لم يدخل عليه سوى تعديلات غير جوهرية ضد صدوره سنة ١٩٢٣ .

اما وجودها السياسى فان المرأة وان كانت قانونا تتمتع بحرية « الحركة » سواء فى الانتخاب او الترشيح ، الا انه وجود مازال قاصر عن أن يكون مؤثرا .

ولعل السبب فى هذا ، انه رغم وجود قوانين ومبادىء فى الدستور تعطى المرأة حقوقا لا بأس بها ، وترفع شعار المساواة الا ان التطبيق ما زال متخلفا وبشدة عن ملاحقة هذه الفرص .

هذه النظرة الموضوعية ايضا ؟ لماذا لنعكس وضع المراة كعنصر أساسى من قوى الانتاج .

والمراة المصرية حسب التعداد ، هى نصف المجتمع ، وربما تزيد ولكنها كقوة عمل وانتاج لا تتجاوز ٧ او ٨٪ من قوى الانتاج .

ووفقا لدراسة اجريت على الدول النامية ، نجد أنه [فى المتوسط] قوى العمل تدور حول ٢٥ ٪ من التعداد . اذن ربع المجتمع يشكل القوة الانتاجية ، وهو الذى يطعم الكل .. والمطلوب ، على الاقل ، أذا اردنا ان نحقق برامج التنمية ان ترتفع قوة العمل الى الضعف على الاقل مطالبين بأن تكون المراة عنصرا اساسيا فى هذه النسبة .

والسؤال هو كيف يتم هذا :

● لابد من مواجهة مشاكل المراة وحلها ، ليس كجنس آخر ، ولكن باعتبارها مواطنة ذات قدرات خلاقة وجزء متحرك ومتطور من قضايا المجتمع ككل .

● ان حل مشاكل المراة يؤدى تلقائيا الى حل العديد من المشاكل الاخرى التى تعترض اى طريق للتنمية فى المجتمع .

● اذا اعترفنا باهمية دور المراة فى تنمية المجتمع وكقوى اساسية للبناء ، فانه لابد من الاهتمام بالمراة فى الريف من خلال عملية اعادة بناء الريف .

ودخول المراة كعنصر اساسى ، فى قوى الانتاج والتنمية يترتب عليه :

● ان المراة لا تصبح مجرد قوة استهلاكية ، وبالتالى عقبة فى طريق التنمية وزيادة المدخرات ، بل تتحول الى قوة منتجة .

● ان المراة التى تعمل مقابل اجر ثابت وفى مواعيد عمل محددة عليها ان تخضعها الى تنظيم اسرتها وعددها . وبذلك نقلل من خطر الانفجار السكانى الذى يلتهم كل محاولات التنمية والادخار .

● ● ●

ان الحركة النسائية على الرغم من مرور نصف قرن ، مازالت فى تقديرى غير قادرة على اثبات وجودها ، وتعميق دورها ، وذلك لعدة اسباب :

● أن هناك قناعة ، عند عدد كبير من النساء ، أن ما جاء فى القوانين من مساواة وحق عمل وتدريب ... الخ هو نهاية المطاف وليس بدايته ، ومن هنا كانت السلبية القاتلة التى تغلف حركة المراة وفشلها .

● اننا مازلنا ، حتى الآن نهتم بالمراة فى المدينة ، ونلتقى بتقلنا معها ، ومع مشاكلها اليومية أو المهنية ، رغم أن المراة فى الريف تشكل الحجم الاكبر فى تعداد المراة .

● انه ومن منطلق ومفهوم قد يختلف ولكنه فى النهاية يصل الى نفس النتيجة ، مازال العدد الاكبر ينظر الى مشاكل المراة وقضاياها ، على انها مشاكلها هى وقضاياها هى ، تحت شعار أن الشعوب هى التى تحرر نفسها ، وبالتالى فالمراة أيضا هى التى تحرر نفسها . وهى فى النهاية نظرة قاصرة ، او غير راغبة فى مواجهة حقيقة اساسية ، وهى ان قضايا المراة هى قضايا المجتمع ، وان المطالبة بتعديل قانون مثل قانون الاحوال الشخصية مثلا انما لانه قانون الاسرة ــ الزوج والزوجة والطفل ــ ولا يجب ان ننظر لها على انها معركة المراة ضد الرجل .

ولعل الوقت لم يفت بعد ، من اجل طرح هذه القضايا ، لدراسة مستفيضة علمية ، وبهذا المفهوم من اجل خلق جيل من الابناء والبنات قادرين على مواجهة هذا العصر ، وذلك التقدم الحضارى الهائل .

مصـــير الديجـــولية واليســـــار

فى ضـــوء نتـــائج الانتخـــابات الفرنســـية

محمد سيد أحمد

طرحت الانتخـــابات للجمعيـــة الوطنيـــة الفرنســـية ، خلال شـــهر مارس المـــاضى مســـالتين تســـتحقان التحليل :

☐ **الاولى ذات صـــفة عامة ، وهى الخاصـــة باحتمـــالات حـــدوث تغيير فى بعض دول غرب أوروبا المتطورة ، نحو سلطة يقودها اليســـار .** وهى مسألة ذات أهمية من الوجهة **النظرية** ، فى وقت تتعدد فيه الشواهد عن انطلاق غرب أوروبا نحو **الاندمـــاج** ، ونحو دعم مؤسسات الســـوق الاوروبيـــة المشـــتركة ، وفى نفس الوقت الذى اصبحت فيه قضـــية **الامن الاوروبى** ، والعلاقات بين شرق وغرب القارة ، من أبرز القضـــايا التى تجذب الانتباه ، وتنتظر لهـــا تطورات فى المرحلة القادمة . ويتوقف على التحولات الداخلية فى اية دولة من دول أوروبا ، آثارها البعيدة على الخريطة السياسية للقارة الاوروبية ككل ، بل وعلى ملامح التحولات التى تجرى فى عالم اليوم .

☐ **المسالة الثانية ذات صفة اكثر خصوصية ، وهى تتصل بالمصلحة العربية فى هذه التحولات .** فان تشخيصنا ــ كعرب ــ لازمة الشرق الاوسط ينطلق من ان **اسرائيل** قاعدة للاستعمار عموما ، وللمصالح الامريكية ــ تخصيصا ــ فى المنطقة . وانهـــا تنتسب فى نزاعهـــا مع العرب الى طرف « **الرجعية الدوليـــة** » ، بينمـــا ينتسب العرب ، بنضـــالهم من أجـــل اســـترداد الاراضى العربية المحتلة ، وبنضالهم من أجل اعادة حقوق شـــعب فلسطين العربى فى ارض فلســـطين ، الى جانب « **قوى التحرر والتقـــدم** » . ومع ذلك ، ظهر اكثر من مؤشر يشير **الى ان اسرائيل كانت تطمع فى ان تسقط ســـلطة الديجولية فى فرنسا** ، وأبدى بعض محلليها رغبة فى أن ينتصر تحالف اليســـار ، أو الا تنتصر الديجولية الا باغلبية طفيفة تلزمهـــا بمشـــاركة « **الوسط الاصـــلاحى** » فى السلطة ، وهى المعروفة بميولها « الاطلنطية » ، وبرغبتها فى انفتاح فرنســـا أكثر على الولايات المتحدة ، وفى انتهاجها ســـياسة أكثر « أوروبية » ، وأن تتخلى فرنســـا عن « نزعاتها القوميـــة » ، التى حرص ديجول عليها كل الحرص .. كانت اسرائيل تطمع

فى سقوط الديجولية ؟ وابدت اكثر من عاصمة عربية ، عواطفها مع السلطة الديجولية ، بما فى ذلك العواصم العربية التقدمية ، التى تعتبر فى عرف المصطلحات الاوروبية « اليسار فى العالم العربى » .

فكيف تفسر هذه المفارقة ؟

■ ■ ■

هناك امران هامان حكما الانتخابات للجمعية الوطنية الفرنسية ، لاول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية :

□ **الامر الاول يتعلق بالمعارضة اليسارية :** وهو نجاح ابرز احزاب هذه المعارضة ، وعلى راسها الحزب الشيوعى ، والحزب الاشتراكى ، فى الاتفاق على **برنامج مشترك للحكومة ،** يطرح سياسة بديلة لفرنسا ، غير الخط الذى انتهجته الديجولية الى الان . وقد انضم الى هذا البرنامج بعد وضعه ، الجناح اليسارى داخل الحزب الراديكالى .

تاريخ وأسباب

تعاون الشيوعيين مع الاشتراكيين

لقد سبق ان تعاون الشيوعيون والاشتراكيون واطراف اخرى تنتسب الى اليسار فى فرنسا ، فى انتخابات سابقة ، سواء لرياسة الجمهورية ، أو للجمعية الوطنية ، أو للانتخابات البلدية ، طوال السنوات العشر الماضية . ولكن لم يكن هذا التعاون فى اى وقت **بمقتضى برنامج مشترك .**

كذلك كانت فرنسا الدولة الرائدة فى غرب أوروبا التى حكمتها لعدد من السنوات قبل الحرب — ابتداء من عام ١٩٣٦ — « **جبهة شعبية** » ضمت وقتذاك ائتلاف من الراديكاليين والاشتراكيين والشيوعيين [دون مشاركة الحزب الشيوعى فى الحكم] . وبعد التحرير ، تشكلت برياسة الجنرال ديجول ، وزارة **ضمت لاول مرة الشيوعيين** بجانب الاحزاب الاخرى التى نهضت بدور بارز فى المقاومة للنازية . غير ان حكومة برياسة الاشتراكى **راماديه** هى التى اقصت الوزراء الشيوعيين عن الحكم فى سنة ١٩٤٧ . وبعد ذلك ظلت العلاقات مشدودة بين الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى ، طوال فترة الجمهورية الرابعة ؟ ولم تتحسن هذه العلاقات الا تدريجيا بعد ان تولى ديجول السلطة فى سنة ١٩٥٨ ، وجاء هذا التحسن اثر تحولات كبيرة فى كيان الحزب الاشتراكى ، واستبعاد قيادة **جى موليه** ، وخاصة منذ تجارب التعاون بين الشيوعيين واليسار غير الشيوعى بقيادة **فرنسوا ميتران** فى مواجهة الديجولية ، حتى قبل ان يتولى ميتران رياسة الحزب الاشتراكي بعد اعادة تنظيمه .

والواقع ان هذا التعاون المستجد بين الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكى ، الذى قام على اسس اكثر رسوخا من اى وقت مضى ، له اسبابه الموضوعية المتعددة ، فى مقدمة هذه الاسباب ، ومن اكثرها وضوحا لاى مراقب ، **المسائل الاقتصادية** المتعلقة **بتخلف مستوى المعيشة** لقطاعات عريضة من العاملين ، رغم انتعاش فرنسا الاقتصادى ، وارتفاع الاسعار ارتفاعا لا يتناسب مع ارتفاع المرتبات والاجور . وقد لوحظ على سبيل المثال ان الاجور والمرتبات فى فرنسا تتخلف فى المتوسط بمقدار ٤٠ ٪ عن مثيلاتها فى المانيا الغربية ، رغم تقارب مستواهما منذ ١٥ عاما ، عند تولى ديجول الحكم فى عام ١٩٥٨ .. كذلك هناك **التباين المحسوس فى درجة تطوير الاقاليم المختلفة ،** وتنمية بعضها على حساب البعض الاخر . **وكل هذه الظواهر يرجعها العاملون الى سياسة الاحتكارات الكبرى التى تبحث عن سبل مضاعفة ارباحها ، بغض النظر عن الاثار الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن سباقها نحو الربح . كما يرجعها العاملون الى المضاربات المالية ، والتحايلات الضريبية ، وغيرها من الظواهر المماثلة التى بلغت حد الفضائح المكشوفة .** والواقع ان **النظام الرياسى الديجولى** قد افسح المجال لاستفادة الاحتكارات الكبرى من انتعاش فرنسا الاقتصادى على نحو الحق الاضرار البالغة بقطاعات من العاملين لم تعد مقصورة على الطبقة العاملة وحدها ، بل اخذت تتسع لفئات متعددة من **العاملين الذهنيين** كذلك ، وهو امر كان من شأنه — بدوره — تمهيد الطريق **لتوسيع نطاق النضال المشترك ضد استئثار الاحتكارات الكبرى بكل مزايا التجدد التكنولوجى والانتعاش الاقتصادى .** وقد حاول **ديجول** التخفيف من حدة هذه الظواهر ، بطرح نظام « **للمشاركة** » يفسح للعاملين دورا انشط واكثر ايجابية فى ادارة المؤسسات ، غير ان هذه المحاولات ، على الرغم من انها لم تكن تنفذ الى صميم الداء ، تعثرت وفشلت هى الاخرى ، بعد ان نحى ديجول نفسه من السلطة فى اعقاب احداث مايو سنة ١٩٦٨ .

غير ان **الاسباب الاقتصادية** وحدها لا تكفى

لتفسير هذا التعاون الذي توج هذه المرة باتفاق حول برنامج مشترك بين قيادات الحزبين الاشتراكي والشيوعي ، وليس فقط — او اساسا — عن طريق الضغوط التي تمارسها القواعد لالزام قيادة الحزب الاشتراكي بالذات ، بتأكيد تضامنه مع المنظمات النضالية الممثلة لمختلف قوى الشعب العاملة ، ومنها التنظيمات المنتسبة الى الحزب الشيوعي . **والواقع ان هذا التعاون الجديد ليس منفصلا عن التحولات التي تجري في اوروبا عموما ، وعن انزواء مناخ الحرب الباردة - واحلال مناخ من التعايش السلمي محله .**

المناخ الدولي وأثره على التعاون

كانت قيادات الحزب الاشتراكي قد قطعت كل صلة لها بالحزب الشيوعي في الفترة التي بدأت تحتدم فيها الحرب الباردة ، وهي الفترة التي وقف فيها الحزب الشيوعي بقوة ضد انتماء فرنسا الى « مشروع مارشال » الامريكي ، وضد حلف الاطلنطي ، وضد انقسام اوروبا الى كتلتين متراصتين متنابذتين ، واتهمته قيادة الحزب الاشتراكي وقتذاك [وعلى راسها جي موليه] بأن ولاءه اولا للاتحاد السوفيتي ، ولدول اوروبا الاشتراكية ، وانه باسم « الاممية البروليتارية » يقف ضد سياسة البرجوازية الفرنسية « القومية » ، التي كانت تبحث وقتذاك عن سبيل لرد تحدي الشيوعية ، بالاعتماد على اسعافات مالية وعسكرية من الولايات المتحدة ، تسترد لنفسها بها مركزا بعد التدمير الذي لحق بقوتها الاقتصادية وبمؤسساتها الصناعية اثناء الحرب .

غير ان استمرار هذا الفتور في العلاقات بين الحزبين ، لم يعد مناسبا لاي منهما — وللحزب الاشتراكي بالذات — في ظرف تتبدد فيه غيوم الحرب الباردة ، وتتعدد الشواهد عن انفراج Détente **في اوروبا ، وتستعد دول اوروبا — شرقا وغربا — لعقد معاهدة حول الامن الاوروبي** ، حتى لو صح ان هذه المعاهدة تأتي بعد ان خطت اوروبا الغربية خطوات هامة نحو اقامة كيان لمؤسسات مشتركة لها ، داخل اطار السوق الاوروبية المشتركة . لم يعد من مصلحة الحزب الاشتراكي الاستمرار في محاولة عزل الحزب الشيوعي ، ولم تعد الظروف الاقتصادية والاجتماعية الموضوعية تسمح باستمرار انتهاج سياسة من جانب الحزب الاشتراكي ، تستهدف التمادي في محاولة محاصرته وعزله .. **بل ان السبيل الاكثر تناسبا مع ظروف العصر لالتقاط واستقطاب القوى الاجتماعية التي اضحت تتخذ مواقف اكثر ايجابية في نضالها ضد الاحتكارات الكبرى ، وهي لا تنتمي كلها الى الطبقة العاملة وحدها ، هو ان ينتهج الحزب الاشتراكي سياسة هي نقيض سياسته السابقة ، سياسة تقوم على التعاون الاستراتيجي مع الحزب الشيوعي حول برنامج مشترك للحكومة ، بحيث يستطيع الحزب الاشتراكي ، بفضل هذا التعاون ، ان يستوعب قطاعات من القوى الاجتماعية ، اصبحت تنبذ الخضوع للتشكيلات السياسية التي تخدم مصالح الاحتكارات الكبرى ، ولم تكن تقليديا من القوى التي نهجت هذا السلوك ، او التفت حول الحزب الشيوعي** . بل اصبح من مصلحة الحزب الاشتراكي ، **في مواجهة** الحزب الشيوعي كمركز جذب ، ان ينشيء داخل اليسار **مركز جذب آخر** ، بل ان يحاول ان **يتفوق عدديا** على الحزب الشيوعي ، من حيث عدد الناخبين الذين يرون ان مصالحهم تقضي بأن يصوتوا لليسار ، **وبذلك يوازن الانجذاب نحو الحزب الشيوعي بحزب يساويه من حيث وزنه الكمي في المجتمع** ، وفي حالة انتقال السلطة الى تحالف اليسار ، القائم اساسا على تحالف الحزب الشيوعي مع الحزب الاشتراكي حول برنامج مشترك للحكومة ، فيكون للحزب الاشتراكي ابرز المراكز في الحكومة ، ولا يبدو التحول ، وكأنما هو تحول يكون للحزب الشيوعي قبل غيره من الاحزاب ، الكلمة الفصل في تقرير اتجاهاته .

وهذا التركيب الجديد لليسار ، وجد تعبيره لا في مجرد اكتسابه **شكلا بنائيا** Structural يختلف نوعيا عن كل ما حدث من قبل ، ويرتكز على اتفاق **تعاقدي** بين اوسع التشكيلات السياسية القائمة في فرنسا ، المنتمية الى منطلق اليسار ، بل في **محتوى** البرنامج المشترك كذلك . ذلك ان البرنامج **ليس برنامجا للاشتراكية** ، بل لما اصطلح على تسميته « **بالديموقراطية المتقدمة** » ، يجري بمقتضاه تأميم المؤسسات الاساسية في قطاعات الانتاج والبنوك والتأمين [وهي تمثل ١٥ ٪ من مجموع الانتاج الفرنسي] ، ويتولى البرنامج خطوات لرفع الانتاجية ، واعادة توزيع الثروة القومية لصالح العاملين ، وعلى اساس تصفية المواقع الاحتكارية والطفيلية في الاقتصاد القومي . ولا يطالب البرنامج بأن تتخلى فرنسا عن التزاماتها وتحالفاتها الدولية ، ولكنه يتعهد بمجموعة مبادرات نشطة في اتجاه السلام ، والتعايش السلمي ، والانفراج الدولي ، ونزع السلاح ، وتصفية قوة فرنسا النووية الضاربة ، والعمل على تصفية الاحلاف العسكرية جميعها ، وتأكيد استقلالية فرنسا ازاءها جميعا .

ويتضح من هذه النقاط البارزة الواردة في

البرنامج المشترك ؟ انه لا يقطع علاقة فرنسا بالتزاماتها القائمة ، ولا ينطوى على انسحاب فرنسا من السوق الاوروبية المشتركة ، ولكنه يتعهد بالنضال انطلاقا من الهياكل القائمة من اجل تحرير المجموعة الاقتصادية الاوروبية من سيطرة الاحتكارات ، وفى اتجاه سياسة قوامها الدفاع عن مصالح القوى العاملة ، وتنمية مكتسباتها .
لا يستهدف البرنامج عزل فرنسا عن ابنية أوروبا القائمة ، بل المساهمة لاجراء **تعديلات جذرية** داخلها ، **وعلى نطاق اوروبا** ، من أجل اكتساب المؤسسات الاوروبية محتوى أكثر ديموقراطية ، ومنطلقا تقدميا ، دون ان يعنى ذلك فى المرحلة الراهنة ، ولمدة لا ينتظر ان تكون قصيرة ، التحول جذريا فى اتجاه الاشتراكية .

غير ان هذا البرنامج ، وان لم يكن يشتمل على كل ما يتمسك به الحزب الشيوعى ، وبغض النظر عن الاهداف البعيدة ، بتركيز النظر على الاهداف المرحلية الملائمة كسياسة لليسار بديلة عن الديجولية فى أوضاع فرنسا الراهنة ، **فانما لا يمثل كذلك السياسة التى انتهجها الحزب الاشتراكى منفردا** ، فى وقت كان يمارس فيه العداء للحزب الشيوعى . وهو بلورة على اى حال لبرنامج مشترك لقوى اليسار ، مقبول — كما اثبتت الانتخابات الاخيرة — لدى ما يقابل نصف شعب فرنسا عدديا . **ومن هنا لم يكن المكسب للحزب الاشتراكى وحده بانتهاج هذا الموقف الجديد** ، وهو الموقف الذى تصدى لبلورته فرنسوا ميتران ، بعد ان تولى رياسة الحزب الاشتراكى ، وعلى أنقاض السياسة السابقة للحزب ، وقيادتها السابقة برياسة جى موليه .. **بل يلائم هذا الموقف الجديد المصالح الاساسية للحزب الشيوعى كذلك** . فقد اخرجه من حالة العزلة ، وجعل منه حزبا يرى نصف شعب فرنسا وليس فقط الذين يدلون بأصواتهم له [ربع عدد الناخبين عدديا] ، صلاحيته واهليته للمشاركة فى الحكم .

تحالف اليسار و « جميع الاخرين »

☐ **الامر الثانى الذى حكم الانتخابات ، هو المعنى الذى عبر عنه رئيس الجمهورية جورج بومبيدو** ، فى كلمة ادلى بها أمام التليفزيون الفرنسى عند بداية الحملة الانتخابية يوم ٨ فبراير ، وكررها مرة أخرى فى اليوم السابق على التصويت الحاسم فى الجولة الثانية للانتخابات ، يوم ١٠ مارس .. فشخص رئيس الجمهورية المعركة الانتخابية بأنها فى جوهرها **مواجهة بين « تحالف اليسار » من ناحية ، و « جميع الاخرين » من الناحية الاخرى** . واستطرادا من هذا التحليل ، اعلن رئيس الجمهورية انه لن يتنكر لما يؤمن به ، ولا للمؤسسات التى حكمت فرنسا طوال عهد الديجولية . واذا صح ان رئيس الجمهورية لم يعلن تصريحا انه سوف يحل الجمعية الوطنية فى حالة فوز اليسار ، ولا انه سيشكل الوزارة الجديدة بعد الانتخابات من الديجوليين ، حتى لو شكلوا اقلية فقط فى الجمعية الوطنية . غير ان التصريح كان فى حد ذاته ينبىء **بازمة دستورية حادة** فى حالة فوز اليسار ، وأثار بالفعل استنكار اليسار باعتباره — فى ذاته — مخالفة للدستور ، لان رئيس الجمهورية لا يملك دستوريا ان يتنكر لصفته الرسمية التى تضعه فوق الخلافات الحزبية ، وكممثل لجميع الفرنسيين . وايا كان طابع الجمهورية الخامسة ، وطبيعة الدستور الديجولى القائم على النظام الرياسى ، فليس لرئيس الجمهورية ان يتدخل فى الحملة الانتخابية بمناصرة نصف شعب فرنسا ضد نصفه الاخر .

وايا كان الخلاف من وجهة النظر الفقهية فى تفسير الدستور الديجولى ، فان الشىء المهم والاكيد فى تصريح رئيس الجمهورية ، هو انه **كان ينطوى على اعتراف من خليفة ديجول فى مقعد الرياسة ، بان الديجولية قد فقدت السمات التى تميزها عن بقية التشكيلات السياسية التى لا تنتمى الى تجمع اليسار** .. لم تعد الديجولية من ناحية ، وبقية القوى السياسية فى فرنسا من ناحية اخرى ، بل اصبح « **تحالف اليسار** » من ناحية ، وبقية القوى السياسية — بما فى ذلك القوى المنتسبة الى الديجولية — من ناحية أخرى .. أى تضمن تصريح رئيس الجمهورية اعترافا لم يكن يقصده **بان اليسار قد استرد المبادرة** .

ملامح المعركة الانتخابية

والواقع ان الحملة الانتخابية كانت توحى منذ بدايتها بما يبرر طرح رئيس الجمهورية الوضع على هذا النحو .. فقد كانت أجهزة استطلاع الرأى العام قد تنبأت بأن فوز تحالف اليسار ليس من الامور المستبعدة ، وتوقعت بأن يحظى بتأييد ٤٥ ٪ من أصوات الناخبين ، مقابل ٣٧ ٪ لائتلاف الاحزاب المنتسبة الى الديجولية ، و ١٢ ٪ لما أصطلح على تسميته « **الوسط الاصلاحى** » .. وليس مستبعدا ان تكون أجهزة استطلاع الرأى — التى تتبع شركات كبرى — **قد**

احاطت تنبؤاتها بقدر من المبالغة » لخدمة أغراض سياسية هي التنبيه الى خطر داهم ، واستثارة غريزة حفظ الاستقرار ، المنتشرة لدى قطاعات واسعة من خريطة فرنسا الاجتماعية » حيث للبرجوازية الصغيرة وزنها الكبير ، وبهدف تنشيط ردود الافعال الكفيلة باحباط اى تغيير حاسم ينال من صميم ملامح السياسة الفرنسية » داخليا وخارجيا .

الشيء المحقق على اى حال ان المعركة الانتخابية دارت كلها حول البرنامج المشترك لليسار » ولم يقدم الديجوليون برنامجا بديلا متكاملا » دفاعا عن منطلقاتهم السياسية . كذلك اكدت نتائج الجولة الاولى في ٤ مارس ، تنبؤات اجهزة استطلاع الراى ، في اقتراع بلغ أعلى نسبة في كل تاريخ فرنسا الحديث [بلغت نسبة المشاركين في الاقتراع ٨٢٪]. فقد فاز اليسار بـ ٤٦٪ ممن ادلوا باصواتهم ، مقابل ٣٨ ٪ فقط للتشكيلات السياسية المنتسبة الى الديجولية . **ولعبت هذه النتيجة دورا فاصلا في تنشيط التآلفات والمساومات طوال الاسبوع الذى فصل الجولة الاولى عن الثانية على نطاق تجاوز حدود الائتلاف الديجولي** ، وشمل مختلف الفرق السياسية « الاخرى » التي لا تنتسب الى اليسار . و ٥٧ ٪ ممن صوتوا للوسط في الجولة الاولى » صوتوا للمرشحين الديجوليين في الجولة الثانية . **وانتهى الامر بانتصار للديجوليين باغلبية « مريحة » ، ضمن لهم فرصة اعادة تشكيل الوزارة دون تعريض البلد لازمة دستورية [بما كان يتوقع لها من مضاعفات اجتماعية]** ، **ودون حاجة حتى الى اشراك ممثلى الوسط الاصلاحى كعنصر لا غنى عنه في تشكيل الائتلاف الوزارى الجديد** . وان كان ينتظر ان تشمل الوزارة الجديدة بعض اقطاب اتجاه الوسط » تقديرا لخدماتهم لصالح الاغلبية الديجولية في اللحظات الحاسمة من المعركة الانتخابية » ولمناشدتهم مرشحى الوسط بعدم مزاحمة مرشحى الديجولية في الدوائر التي تعرضوا فيها معا لخطر ان يفوز مرشحو اليسار .

اسفرت نتائج الاقتراع عن حصول الاغلبية الديجولية على ٢٦٥ مقعدا في الجمعية الوطنية » بتصويت ١٧٧١٤ر١٠ر١١ ناخبا لها ، مقابل حصول اليسار على ١٧٦ مقعدا ، بتصويت ١٠ر٨٦١ر١٠ر١٠ ناخبين له .. والملحوظ في هذا الصدد ان حصلت الاغلبية الديجولية على ٩٩ مقعدا اضافيا ، مقابل اضافة في مجموع الاصوات هي ٧٠٢ر١٥٦ صوت اى ترتب على فرق في عدد الاصوات لا يتجاوز نصف في المائة من مجموع الناخبين ، ان حصلت الاغلبية الديجولية على زيادة في عدد المقاعد تبلغ نسبتها ٢٠ ٪ من مجموع المقاعد .

في نفس الوقت » **فقدت الاغلبية الديجولية ٩٩ مقعدا** عما كانت تحتله في الجمعية الوطنية السابقة التي انتخبت في أعقاب أحداث مايو سنة ١٩٦٨ ، **وزاد عدد المقاعد التي فاز بها اليسار بمقدار ٩٢ مقعدا** [١] .

هذا فيما يتعلق بنتائج الانتخابات الراهنة » بالمقارنة الى انتخابات يونيو سنة ١٩٦٨ » التي اعقبت أحداث مايو سنة ١٩٦٨ ، ولكن الفروق محدودة اذا قورنت نتائج الانتخابات الراهنة بنتائج انتخابات مارس سنة ١٩٦٧ » التي سبقت أحداث مايو سنة ١٩٦٨ .

ومن هنا يمكن استخلاص نتائج هامة !!

ظاهرة الديجولية

هل ما زالت قائمة ؟

□ **ظاهرة الديجولية** — لا شك — ظاهرة ارتبطت بشخص ديجول .. ارتبطت بالمركز الذى بناه الجنرال ديجول لنفسه ، بتصديه لرفض الاحتلال النازى في أحلك أيام هزيمة فرنسا عام ١٩٤٠ ، وبصموده وقيادته لمقاومة القوات المسلحة

[١] ترجع هذه المفارقة الى القانون الديجولي الخاص بتوزيع الدوائر الانتخابية .. من خصائصه ان بعض الدوائر الريفية — حيث مراكز اليسار ضعيفة — ينتخب النائب فيها ٣٠ الف ناخب ، بينما يبلغ عدد الناخبين في الدوائر التي تتبع المدن الكبرى ، والمناطق الصناعية البارزة ١٣٠ الف ناخب ، وهي المناطق التي تتركز فيها قوى اليسار .
وقد اجرت بعض الصحف اليسارية دراسات حول نسب النواب في الجمعية الوطنية الجديدة ، في حالة ما اذا طبق القانون البديل لتوزيع الدوائر الذى عرضه اليسار ، والقائم على ان تكون نسبة ممثلى التيارات السياسية المختلفة في الجمعية الوطنية ، بنسبة عدد الناخبين لكل تيار في الانتخابات على نطاق فرنسا ككل ، لا على نطاق كل دائرة على حدة Représentation proportionnelle وكان يتوقع ، حسب نتائج الجولة الاولى ، ان تكون نتائج الاقتراع على النحو التالي في الانتخابات الراهنة : ٢٢١ مقعدا لليسار [١٠١ للشيوعيين ، و ١٠٤ للحزب الاشتراكي والجناح اليسارى للحزب الراديكالي ١٦ للحزب الاشتراكي الموحد] ، مقابل ١٧٩ مقعدا للديجوليين [١١٣ لحزب الدفاع عن الجمهورية ، و ٣٣ للجمهوريين المستقلين انصار جيسكار ديستان ، و ١٧ للديموقراطيين التقدميين ، و ١٦ للتشكيلات ديجولية أخرى] .

الفرنسية على جبهات متعددة ضد النازى خلال الحرب العالمية الثانية ، وبفضل الدور التاريخى الذى نهض به فى الحرب ، اكتسب الجنرال **ديجول مركزا لدى الفرنسيين ، اهله بعد التحرير ليكون اول رئيس للدولة ، وانشأ حكومة وقتذاك ، شملت ائتلافا من الاحزاب والتنظيمات التى شاركت فى عملية التحرير ، بما فى ذلك الشيوعيون .**

ولكن سرعان ما شهدت الجمهورية الرابعة اختلافات فى الراى والتصور **حول اعادة بناء فرنسا بعد الحرب** ، اعتزل ديجول بمقتضاها مقعد الرياسة ، واقصى الشيوعيون من الحكم ، واستمر ائتلاف بقية الاحزاب يتعثر فى سلسلة حكومات تتابعت لفترات قصيرة ، **وعجزت كلها عن توفير اسس الاستقرار للنظام القائم** ، فى وقت استوعبت فيه فرنسا ، شأنها شأن غيرها من دول غرب أوروبا ، داخل اطار **مخطط امريكا ، لمد هيمنتها على العالم الغربى** ، بدعوى مساهمتها فى اعادة تعمير اوروبا ، وفى وقت بلغت فيه ازمات فرنسا الناجمة عن **تعاظم حركات التحرير فى مستعمراتها السابقة** الذروة ، وتعرض نظام الجمهورية الرابعة لخطر **حرب اهلية** تمتد الى ارض فرنسا ذاتها ، بعد ان تعاظم شأن **حرب التحرير الجزائرية** ، وبدا واضحا انه أصبح من المستحيل الاحتفاظ بالجزائر جزءا من فرنسا ، ولم يعد هناك مفر من التسليم بهذه الحقيقة ، التى اوصلت الامور الى نقطة بالغة الحرج ، بعد هزيمة فرنسا الساحقة فى ديين بيين فو ، وانسلاخ **فيتنام** من هيمنة فرنسا عام ١٩٥٤ ، وبعد هزيمة اخرى تعرضت لها فرنسا فى غزوة السويس ، وفشل مغامرة **العدوان الثلاثى** على مصر عقب تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ .

فى هذه الظروف البالغة الدقة ، عاد ديجول الى الحكم ، **وكان وحده القادر فى ذاك الوقت — بفضل هيبته ومركزه الفريد — على ان يتوصل الى حل يسلم بمقتضاه باستقلال الجزائر دون تعريض فرنسا لحرب اهلية ، بل وان يفتتح سياسة جديدة لفرنسا حيال مستعمراتها السابقة ، استطاعت فرنسا بمقتضاها بناء علاقات معها من نوع جديد تحفظ لفرنسا مصالح اساسية لها . بل تطلق لها فرص تنمية هذه المصالح على اسس جديدة تقبلها الدول الوطنية الفتية التى كانت تتبع فرنسا فى الماضى** ، ذلك ان هذه العلاقات الجديدة انشاتها الديجولية على اسس تراعى استقلال هذه الدول وتحترم مشاعرها القومية ، مع استثمار حاجاتها الى المساعدات الفنية ، ومع تلبية احتياجات لها تتطلبها التنمية ، تحفظ لفرنسا فى الوقت ذاته « وجودا » اقتصاديا وثقافيا .. وسياسيا على حد سواء .

وهذا النجاح الذى حققه ديجول فى اجتياز « عنق الزجاجة » ، وتجنيب فرنسا ازمة طاحنة ، وربما حتى حرب اهلية ، نتيجة انسلاخ مستعمراتها السابقة منها ، وهو نجاح بلغ حد اعادة بناء العلاقات مع هذه الدول على نحو ضمن « للوجود الفرنسى » و « للمؤسسات الفنسية » و « لمصالحها الكبرى » مزيدا من المكاسب ومزيدا من الاشعاع ، كمله الجنرال ديجول ، استرسالا فى نفس الطريق ، **بتأكيد تمايزه عن امريكا** ، وبانتهاج موقف رائد فى غرب اوروبا يعكس التحولات الجارية فى بنيانه الاقتصادى **فى اتجاه التحرر من الهيمنة الامريكية** ، واستئثار امريكا بتقرير مصائر السياسة الاوروبية ، وبلغ هذا الاتجاه فى سياسة ديجول حد **ملاحقة المصالح الامريكية** فى مواقع متعددة من العالم ، بما فى ذلك امريكا اللاتينية وكندا . واذا صح أن هذه السياسة كلفت فرنسا نفقات باهظة انفقت على مشاريع من نوع القوة الضاربة النووية الفرنسية وجماهير العاملين الفرنسيين **هى** التى تحملت هذه النفقات ، وترتب عليها التخلف النسبى فى ارتفاع مستوى معيشتها من بقية دول غرب اوروبا ، الا انها اكدت **شخصية فرنسا** ، وانتهاجها **سياسة مستقلة** كانت علامة بارزة على طريق التحولات التى تسفر الان عن اقامة غرب أوروبا كيانا له متميزا ، فى وجه شرق اوروبا الاشتراكى وامريكا ، فى وقت واحد .

كانت احداث مايو ١٩٦٨ ، ضمن معانى اخرى عديدة اسفرت عنها ، **مؤشرا عن ان الاعباء التى اقتضتها سياسة ديجول «القومية» فاقت ماكانت تحققه من مزايا ومن فرص متاحة لتنمية ظروف المعيشة فى نظر قطاعات واسعة من العاملين الفرنسيين** . وجاءت هذه الاحداث تعبيرا عن تفجر « حالة ثورته » **قرر ديجول بعدها ان يتنحى فهل كانت تنحيته ، نهاية للديجولية ؟**

فى مواجهة

اكتساب اليسار المبادرة

الواقع ان « **الحالة الثورية** »التى تفجرت فى مايو ١٩٦٨ ، على نحو فاق توقعات جميع التشكيلات السياسية الفرنسية ، بما فى ذلك احزاب اليسار ، عجزت هذه التشكيلات جميعها عن ان تسيطر عليها وتوجهها توجيها منتجا ، وكانت النتيجة انها اثارت ذعرا عاما لدى قطاعات الشعب الفرنسى الحريصة على حفظ النظام

وضمان الاستقرار ، بحيث انها اعادت الديجوليين الى الحكم فى انتخابات يونيو ١٩٦٨ باغلبية ساحقة . **واستطاعت الديجولية بدون ديجول ومن خلال خليفته بومبيدو ، ان تواصل وجودها ، وان تحفظ لتيار الديجولية ملامحه ، بفضل هذا الذعر الاعظم ، وفى مواجهته . كانت الديجولية ، منذ هذه اللحظة ، تيارا يتقرر ملامحه ، باعتباره « حافظ النظام ضد الفوضى » كرد فعل فى مواجهة تحدى اليسار ، لا كتيار يستمد قوته من رسالة يعبر عنها فى ذاته .**

ومنذ هذه اللحظة ، تعمقت الانشقاقات داخل الديجولية ، وتعددت التشـــكيلات السياسية المنتسبة اليها ، ولم يعتـــرف جميع الديجوليين ببومبيدو كخليفة لديجول ، وبرزت اتجاهات داخل الديجولية مستقله عن حزب الديجوليين ، من ابرزها : « الجمهوريون المستقلون » برياســـة **جيسكار ديستان** ، « والديموقراطيون التقدميون » الخ .. وهذه التنظيمات وان استقلت عن حزب ديجول « الدفاع عن الجمهورية » ، الا انها ظلت مع ذلك تحافظ على انتمائهـــا الى الديجولية ، وتنضوى تحت رايتها .

وفى ضوء تجربة احداث مايو انتهج ــ ابرز الاحزاب المنتمية الى اليسار الفرنسى ، سياسة هى **نقيض** تلك التى بررت قول الديجوليين بأن «الفوضى» هى بالضرورة البديل الوحيد للديجولية وكانت هذه السياسة هى **اساس** اتفاق الحزب الشيوعى مع الحزب الاشتراكى على **برنامجه المشترك للحكومة** ، يبرز بديلا للسياسة الديجولية بعد ديجول ، تتحقق بمقتضاه التحولات المطلوبة بالطريق البرلمانى ، ودون تعريض البلاد لاختلال فى مؤسساتها . **وكاد اليسار فى الانتخابات الاخيرة التى جرت لاول مرة بعد رحيل شخص ديجول ان يحقق هدفه بالوصول الى السلطة بالطريق البرلمانى ، لولا ان الحرص على العمل من خلال المؤسسات اقترن بافتقاد المناخ السياسى الى « حالة ثورية » تحد من شان المساومات بين مختلف الفرق السياسية التى لا تنتمى الى تجمع اليسار .**

واستطاعت الديجولية من جـــديد ان تسترد الاغلبية فى الجمعية الوطنية ، اساسا بفضل اتساع نطاق هذه المساومات الى خارج القوى التى تنتسب اصلا الى الديجولية ، اى بفضل وقوف ابرز قادة الوسط الاصلاحى الى جانبها فى اللحظات الحاسمة ، الامر الذى اكد نبوءه رئيس الجمهورية بأن المعركة ــ فى جوهرها ــ هى بين **«تحالف اليسار» من ناحية ؟ و« جميع الاخرين »** من الناحية الاخرى .

مرة اخرى ، تاكد ان ظاهرة الديجولية تحتفظ بخواصها ــ بعد رحيل ديجول ــ بفضل « الخوف من البديل » لدى قطاعات واسعة مازالت ذات وزن فى الواقع الاجتمـــاعى الفرنسى الراهن ، ورغم بلوغ خـــريطة توزيع القوى الاجتماعيـــة الفرنسية استقطـــابا مطلقا ، اكثر ممـــا تعبر الديجولية عن « رســـالة » تتميز بها عن بقيـــة التيارات السياسية فى فرنسا .

وهنـــا ينبغى ان نتولى بقـــدر من التحليل دور ما يسمى « بالوسط » « الاصلاحى » .

« وســـط »

لم يعد وسطا

بادىء ذى بدء ، ينبغى ان نسجل ان حرص هذا « التيار الثالث » الذى اراد لنفسه ان يكون « قوة ثالثة » على ان يطلق مصطلح « الوسط » على نفسه ، ليس دقيقا تماما ، فهو « وسط » بالقدر الذى يتميز به عن الديجولية واليسار معا ، وهو « اصلاحى » بالقدر الذى يطالب بتغييرات تمس ابرز ملامح السياسة الديجولية ، ولكن فى اتجاهات اغلبها عكس اتجاهات اليسار ، انه فى اغلبه يضم اقطاب السياسة الفرنسية فى عهد الجمهورية الرابعة ، مع وجوه جديدة ذات صفة تكنوقراطية بارزة ، تريد لفرنسا سياسة هى تجديد سياسة الجمهورية الرابعة بواجهات واساليب فنية اكثر تكيفا لملامح العصر ، ابرزهم على سبيل المثال **جان جاك سيرفان شريبير** .

اغلب اقطاب هذا « الوسط الاصلاحى » هم ممثلون مباشرون لكثير من شركات فرنسا الكبرى ومؤسساتها الصناعية والمالية الضخمة ، مايسمى بمصالح راسمالية الدولة الاحتكارية . فهم « اليمين » فى سياسة فرنســا الداخلية . وهم انصار سياسة خارجية لفرنسا اقل « قومية » واكثر « اوروبية » من سياسة ديجول ، كما انهم فى الوقت ذاته « اطلنطيون » ومناصرون لانفتاح اوسع على امريكا ، وانصار لسياســـة حيال امريكا تتخلى فرنسا بمقتضاها عن اوجه التوتر التى شابت هذه العلاقات فى عصر ديجول .

هذا « التيار الثالث » استطاع بالكاد فى الانتخابات الاخيرة ان يحصل على عدد المقاعد الضرورية « فوق الثلاثين بمقعد واحد » التى تسمح له دستوريا بان يشكل تجمعا سياسيا متميزا ومستقلا داخل الجمعية الوطنية وهو بالتالى بعيد تماما عن ان يشكل « قوة ثالثة » .

وهذا « التيار » قد نهض بدور حاسم فى الانتخابات لترجيح كفة الديجوليين — رغم كل ما يفصله عنهم من خلافات سياسية ومن حساسيات — فى وقت بدا له ولهم ان فوز اليسار احتمال جاد ينبغى ان تتركز حوله كل الحسابات . ويطرح هذا الانحياز للديجولية — فى وجه خطر اليسار — نتائج هامة جديرة بالابراز ، **وهى ان المسافة التى اصبحت تفصل « الوسط الاصلاحى » عن « الجمهوريين المستقلين » بقيادة جيسكار ديستان [المحسوب على الديجولية] لم تعد تختلف كثيرا — او نوعيا — عن المسافة التى تفصل هؤلاء « الجمهوريين المستقلين » [المنتسبين الى الديجولية] عن حزب ديجول الاصلى [الدفاع عن الجمهورية]** . وهذا فى حد ذاته تأكيد آخر لتنبؤ بومبيدو بأن المعركة — فى جوهرها — اصبحت بين « تحالف اليسار » من جانب ، و « جميع الاخرين » من الجانب الاخر .

غير ان هذه الظاهرة ذات دلالات هامة . ذلك اننا نشهد الان ، فى مواجهة اتجاه الحزب الاشتراكى ، لكى يشكل مركز جذب الى جانب الحزب الشيوعى ، يستوعب جزءا هاما من قطاعات الشعب الفرنسى التى اصبحت تنحاز الى اليسار ، ويحاول ان يتفوق على الحزب الشيوعى فى الانتخابات العامة عدديا « ليوازن اليسار » على نحو لا يكون للحزب الشيوعى داخله مركز القوة الاكثر بروزا .. نجد على الطرف الاخر ، اتجاه قوى الوسط ، او قوى مازالت تنتسب الى الديجولية ولكنها انشقت عن حزبها الرئيسى ، لتشكل هى بدورها كذلك مركز جذب الى اليمين وحتى الى يمين سياسة ديجول التقليدية ، لتشكل هى الاخرى مركز جذب « للاخرين » جميعهم الذين لا ينتمون الى تحالف اليسار .

وإذا صح ان ائتلاف الديجوليين قد استرد من المقاعد فى الجمعية الوطنية الاخيرة ما يستبقى للديجولية فى الوقت الراهن ملامحها ويناسب استمرار رياسة بومبيدو ، ولا يعرض فرنسا لازمة دستورية ، ولا لما كان ينتظر ان يعقبها من مضاعفات اجتماعية حادة ، فانه صحيح ايضا ان المعركة سوف تتحدد بملامح مختلفة نوعيا عند اجراء انتخابات الرياسة القادمة فى ١٩٧٦ ، وكما ينتظر ان يكون **فرنسوا ميتران** الوجه الذى سوف يمثل تحالف اليسار فى هذه الانتخابات ، من المتوقع ان يكون **جيسكار ديستان** — على سبيل المثال — الرجل المقابل . ذلك انه يقف عند منتصف طريق « مجموع الاخرين » الممتدين من الديجوليين بالمعنى التقليدى للكلمة الى كافة قوى وتشكيلات « الوسط » على اختلاف الوانها ، وهى قوى لم تعد تشكل على اى نحو « الوسط » بل جزء لا يتجزأ من تألف القوى السياسية الفرنسية التى تواجه تحالف اليسار .

الموقف من قضية الشرق الاوسط

ومع ذلك لا ينبغى ان ننتظر — الان — تغييرات جسيمة فى سياسة فرنسا الخارجية ، بما فى ذلك موقفها من قضية الشرق الاوسط . **فان الانتصار الذى احرزه الديجوليون افضل — من وجهة نظر الجانب العربى فى النزاع — من انتصار محدود كان يستوجب على الديجوليين اشراك الوسط الاصلاحى فى مواقع هامة .** وكان **لوكانويه** — زعيم هذا الوسط — يطمع فى ان يتولى وزارة الخارجية ، وكان معنى ذلك بالتأكيد قدرا من التغيير فى السياسة الخارجية عموما نحو « الاطلنطية » و « الاوروبية » ، وموقفا اقل انصافا من الحق العربى حيال قضية الشرق الاوسط تخصيصا .

كذلك يوجد داخل تحالف اليسار اتجاهان ، بالنسبة لقضية الشرق الاوسط : يناصر **الحزب الشيوعى** الحق العربى ، ويقف بوضوح ضد عدوان اسرائيل واطماعها التوسعية ، ويصل موقف **الحزب الاشتراكى الموحد** الذى يتزعمه **ميشيل روكار** وينتمى الى اليسار المتطرف ، وكان يؤيد مرشحى تحالف اليسار دون ان يعتبر نفسه كحزب جزءا من التحالف ، يصل موقف هذا الحزب الى حد مناصرة **منطلق المقاومة الفلسطينية** . ولكن فى مقابل ذلك ، من المعروف عن الحزب الاشتراكى انه كان تاريخيا من اكثر التشكيلات السياسية الفرنسية تعاطفا مع اسرائيل ، **وجى موليه** : زعيم الحزب السابق ، هو الذى قرر — كرئيس للوزراء وقتذاك — اشتراك فرنسا كطرف اصيل فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ . صحيح ان القيادة الجديدة للحزب الاشتراكى ، برياسة **فرانسوا ميتران** بنت مراكزها فى الحزب على انقاض هذه القيادة السابقة ، ولها بالتالى مصلحة فى ان تتمايز عن

سياسات كثيرة كانت تنتهجها القيادة السابقة فى قضايا هى موضع جدل واختلاف فى الراى ، ولكن الحزب الاشتراكى الفرنسى ، حزب ينتمى الى الاشتراكية الديموقراطية فى غرب أوروبا « الدولية الثانية » ، وهذه الاحزاب تضم بين صفوفها حزب العمل الاسرائيلى . وقد استقبل فى مؤتمر اخير للدولية الثانية عقد فى باريس قبيل الانتخابات الفرنسية بفترة وجيزة جولدامائير . وقيل ان ميتران ادلى بتصريحات اثنـــاء الحملة الانتخابية يتبنى فيها وجهة نظر اسرائيل فى ضرورة المفاوضات المباشرة ، او مفاوضـــات تكاد تكون مباشرة ، لاخراج الازمة من تعثرها الراهن ، وعلى اى حال شمل البرنامج المشترك فقرة مخصصة لازمة الشرق الاوسط ، كان النص فيه متوازنا ، بمعنى انه اكد ضرورة ان تسهم فرنسا فى اعادة السلام والامن الى المنطقة على اساس احترام حق الوجود والسيادة لجميع دولها بما فى ذلك اسرائيل مع تاكيـــد الحقوق القوميـــة لشعب فلسطين العربى ، عملا فى هذا الاتجاه بمقتضى قرار مجلس الامن .

ولو كان علينا ان نتوقع ان زحام القضـــــايا المطروحة امام تحالف اليسار — فى حالة ما اذا كان قد فاز بالاغلبية فى الانتخابات الاخيرة — كان من شأنه الا يكسب قضية الشرق الاوسط اولوية بارزة فى جدول اعماله ، ولا ان يفسح المجال لمناقشة مستفيضة تنتهى فى الامد القصير الى موقف واضح الفعالية منها ، غير ان منطلق اليسار ، فى الامد العام ، لا يستقيم مالم تكن مواقفه واضحة من قضايا العدوان ، ومن تعثر قضية فيها احتلال للارض بطريق القوة ، وفيها انتهاك للحقوق القومية لشعب شرد وفقد أرضه وفيها تهديد للسلام وللامن الدوليين ، مالم يجبر المعتدى على التخلى عن عـــــدوانه ، وتسترد الشعوب العربية حقوقها المغتصبة .

شيلى

على طريق التحول الاشتراكى

حمدى عبد الجواد

جاءت الانتخابات التى جرت فى شيلى فى الرابع من مارس تأكيداجديدا لمسيرة شيلى فى طريق التحول الاشتراكى ، وكشفت عن امكانية نجاح هذا التحول من خلال المؤسسات الدستورية والديمقراطية ، بالاستناد الى أوسع تحالف لقوى الشعب وتعبئة الجماهير العريضة بهدف تأمين سير البلاد فى طريق الاشتراكية ، وحتى تتخذ هذه التحولات طابعا أكثر عمقا وشمولا وجذرية • ولئن كانت نتائج تلك الانتخابات تعتبر مؤشرا للتغيرات الهامة التى تجرى فى الوضع السياسى فى أمريكا اللاتينية ، فمن الصعوبة بمكان ان نقدر اثر تلك الانتخابات على اتجاه التطورات المقبلة فى مختلف بلدان القارة فى الفترة القادمة •

لقد سجلت الانتخابات انتصارا هاما لجبهة احزاب الائتــلاف الشعبى . ولحكومة **سلفادور الليندى** وبرنامجها فى التحولات الاقتصـادية والاجتماعية • وحسب النتائج النهائية التـى أعلنتها وزارة الداخلية فى شيلى حصل مرشحو جبهة الائتلاف الشعبى على ٤٣ر٤ فى المائة من اصوات الناخبين مقابل ٣٦ر٣ فى المائة حصل عليها سلفادور الليندى مرشح الائتلاف الشعبى لانتخابات الرئاسة عام ١٩٧٠ • ولتلك النتيجة دلالة هامة فى تاريخ الحياة البرلمانية فى البلاد •

فالاحزاب الحاكمة فى شيلى ، كانت تفقد على الدوام تأييد الناخبين اثناء وجودها فى الحكم • وحصل الحزب الديمقراطى المسيحى ، على سبيل المثال فى انتخابات ١٩٦٧ اى بعد مضى عامين ونصف على انتصار ممثله **فراى** فى انتخابات الرياسة ـ حصل هذا الحزب على ٣٥ فى المائةفقط من مجموع الاصوات •

لكن شيلى شهدت فى الانتخابات الاخيرة تجربة مختلفة تماما • فقد أوضحت نتائج الانتخابات البرلمانية بما لا يدع مجالا للشك ، ازدياد قوة مراكز الائتلاف الشعبى وحكومته التى يتزعمها **سلفادور الليندى** ، وذلك بعد أن مضى على تسلمها للسلطة عامان وأربعة أشهر • ويشير ذلك الى أن جماهير متزايدة تقدم مساندتها لحكومة الليندى باعتبارها المدافعة عن مصالح الكادحين وعن المصالح الوطنية للبلاد •

وقد حصلت جبهة الائتلاف الشعبى فى مجلس النواب على ٦٣ مقعدا مقابل ٥٤ مقعدا كانت لها فى المجلس السابق • بينما حصلت المعارضة على ٨٧ مقعدا مقابل ٩٦ مقعدا كانت لها فى المجلس السابق • وهذا يعنى ان مقاعد جبهة الائتلاف الشعبى قد زادت تسع مقاعد فى مجلس النواب • وفى مجلس الشيوخ الذى اعيد انتخاب نصف

اعضائه حصل الائتلاف الشعبي على ١٢ مقعدا مقابل ١٤ مقعدا حصلت عليها المعارضة • ونتيجة للتغير فى انتخابات نصف اعضاء مجلس الشيوخ اصبح لجبهة الائتلاف الشعبى ٢٠ مقعدا فى المجلس مقابل ١٨ مقعدا كانت لها فى المجلس السابق • ورغم كل الجهود التى بذلتها المعارضة فى العاصمة سانتياجو تمكنت جبهة الائتلاف الشعبى من الاحتفاظ بمقعدين كانت لها فيمجلس الشيوخ فى منطقة سانتياجو فاز بهما تيتلبويم عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى الشيلى ، والتاميرانو السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكى الشيلى •

وقد أوضحت نتائج الانتخابات تزايد التحول فى صفوف الجماهير نحو تأييد حكومة الائتلاف الشعبى والرئيس الليندى ، وكان الشيء الهام ، الذى لفت نظر المراقبين السياسيين ، هو زيادة عدد الاصوات التى حصل عليها مرشحو الائتلاف الشعبى فى عدد من مناطق الفلاحين فى وسط وجنوب البلاد ، تلك المناطق التى كانت من قبل معقلا للرجعيين ولكبار الملاك الاقطاعيين ، مما يدل دلالة واضحة على أن برنامج الاصلاح الزراعى الذى نفذته حكومة الليندى قد ساعدها على كسب المزيد من تأييد الفلاحين •ولم يكن من قبيل المصادفة كذلك أن سجلت احزاب الائتلاف الشعبى أكبر انتصار لها فى المناطق التى تتركز فيها الطبقة العاملة • ولقد انتخبت المناطق العمالية فى العاصمة كل من تيتلبويم والتاميرانو مرشحى الائتلاف الشعبى لمجلس الشيوخ •

وفشلت مخططات الرجعية ، سواء فى داخل البلاد أو خارجها فى الاطاحة بحكومة الليندى • فقد كان الرجعيون يعلقون الامال على الفوز بثلثى المقاعد فى البرلمان حتى يتمكنوا من تغيير حكومة الليندى بالوسائل الدستورية •

وقد وصف الرئيس سلفادور الليندى نتائج الانتخابات البرلمانية بأنها انتصار لشيلى ، ولمؤسساتها ، وحرياتها الديمقراطية ، وأشار الى أن حكومته قد التزمت بالوعد الذى قطعته على نفسها بتأمين حرية الانتخابات ، وتمكن الناخبون من التعبير عن ارادتهم بحرية تامة وفى جو هادىء تماما • وقال :

« اننى كشيلى اعتقد بأننا قد لقنا العالم درسا آخر ، وبصفتى رئيسا للحكومة الشعبية ، أستطيع أن اؤكد ، من جديد ، ثقتى فى الشعب الذى كشف مرة اخرى عن قدرته الخلاقة » •

وأصدرت جبهة الائتلاف الشعبى بيانا بصدد ظهور نتائج الانتخابات جاء فيه :

« لم يحدث من قبل فى تاريخ شيلى ان حصلت حكومة ما على مثل تلك النتائج فى انتخابات برلمانية • انه نجاح لم يسبق له مثيل ، كما أنه يحتل اهمية خاصة لانه تحقق فى وجه حملة افتراءات واستفزازات ضخمة ، نظمتها الرجعية فى الخارج والداخل ضد شعب شيلى وحكومته » •

كما أشار البيان ، **الى أنه من الواجب على** حكومة شيلى ، **أن تركز جهودها على حل المشاكل الرئيسية التى تواجه البلاد ، وعلى تدعيم تنظيم وتعبئة الجماهير الشعبية ، والنضال الحازم ضد التضخم •**

مصدر التأييد المتزايد لحكومة الليندى

أوضحت نتائج الانتخابات بأن الجماهير العريضة فى شيلى تؤيد ، بحزم ، برنامج التحولات الاقتصادية والاجتماعية الذى تنفذه حكومة سلفادور الليندى • وتشمل تلك التحولات : تاميم ثروات البلاد الاساسية ، وتدعيم دور القطاع العام فى اقتصاد البلاد ، وتطبيق الاصلاح الزراعى ، واعادة توزيع الدخل القومى لصالح الفئات ذات الدخل المحدود من السكان •

لقد قامت حكومة الليندى عند وصولها الى الحكم فى عام ١٩٧٠ بتطبيق وتوسيع الاصلاح الزراعى ، واعادة توزيع الدخل القومى لصالح الديموقراطيين المسيحيين ، والذى لم ينفذ الا فى حدود ضيقة ، وطوال حكمهم • وفى نهاية العام الماضى تم نزع كل الاراضى التى تزيد عن الحد الاقصى الذى حدده قانون الاصلاح الزراعى وهو ٨٠ هكتارا ، ووزعت على الفلاحين • ونستطيع القول ، بأن عام ١٩٧٢ يعتبر عام نهاية الاقطاعيات الكبيرة فى شيلى •

كما شهد العام الاول من وجود حكومة الائتلاف الشعبى ، نشأة ثلاث قطاعات اقتصادية • فهناك القطاع العام الذى يتكون من المؤسسات التى كان يملكها الامبرياليون وكبار الرأسماليين فى شيلى،ثم أممتها حكومة الليندى • وهناك القطاع المختلط الذى يتكون من مؤسسات يشارك فى رأسمالها القطاع العام الى جانب رأس المال الخاص فى شيلى أو الاستثمارات الاجنبية • وهناك القطاع الخاص الذى يضم مؤسسات الراسمالية المتوسطة والصغيرة فى المدينة والريف • ويضم القطاع العام الان المؤسسات الاساسية فى اقتصاد شيلى •

وخلال العامين الماضيين ، زاد الانتاج الصناعي في مؤسسات القطاع العام ١٥ في المائة ، كما زاد انتاج المواد الغذائية بدرجة ملحوظة فزاد انتاج القمح ٤٢ر٤ في المائة ، والذرة ٦٥ في المائة ، واللبن ٤٢ر١ في المائة ،والدواجن ٧٤ر٦ في المائة ، والزيوت النباتية ٣١ر٣ في المائة ، والسكر ١٧ في المائة ٠

وبالاضافة الى ذلك اتبعت الحكومة سياسة اجتماعية اقتصادية ، تهدف الى اعادة توزيع الدخل القومي " واستهدفت سياسة حكومة الليندى ، بالنسبة للاجور ، رفع الدخول الحقيقية للجماهير الكادحة ، وخاصة الفئات الاقل دخلا ٠ واهتمت الحكومة بمعالجة مشكلة البطالة ، التيكانتتمثل احد المشاكل الحادة في البلاد التي ورثتها حكومة الليندى ٠ وكانت عاصمة شيلي تعاني من أعلى معدلات للبطالة في البلاد ، اذا كان هناك بها ١٠٠ر٦٨ عاطل في ديسمبر ١٩٧٠ " لكن بعد ذلك بعام انخفض هذا الرقم الى ٤٠ر٠٠٠ وفي ديسمبر ١٩٧٢ ، انخفض مرة ثانية الى ٣٥ر٠٠٠ ٠ وخلال عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ ، تم توفير العمل لحوالى ٢٠٠ر٠٠٠ شخص في البلاد ، وانخفضت البطالة بذلك الى النصف ، مما يعني توفير حياة افضل لعدد اكبر من السكان. وقامت حكومة الليندى برفع الحد الادنى للاجور ، كما رفعت مرتبات الموظفين ، والمعاشات والتأمينات الاجتماعية ٠ وترتب على تلك الاجراءات تغييرات هامة في توزيع الدخل القومي ٠فبينما ذهب ٤٩ في المائة من الدخل القومي الى العناصر المالكة من السكان ، ٥١في المائة الى الجماهير الكادحة عام ١٩٦٩ ،تغيرت النسب عام ١٩٧٢ الى ٣٤ في المائة ٪ ٦٦في المائة على التوالي "

وتوضح هذه الارقام ، اكثر من أي شيء آخر ، نتائج السياسة الاقتصادية والاجتماعية لحكومة الليندى التي أعطت اهتماما كبيرا لحاجات الشعب اليومية ، مما زاد من شعبيتها ، ومن التفاف الجماهير حولها ٠

معركة انتخابية عنيفة

واجهت حكومة الليندى معركة انتخابية صعبة للغاية كان لابد ان تتغلب خلالها على محاولات البورجوازية الرجعية داخل البلاد لاعادة الاوضاع ، الى ما كانت عليه ، قبل انتصار حكومة الائتلاف الشعبي ، وعلى محاولات الاحتكارات الامريكية التي استخدمت كل مواردها وامكانياتها السياسية والاقتصادية من أجل اضعاف مركز حكومة الائتلاف الشعبي ٠

وركزت المعارضة الرجعية ، كل جهودها خلال المعركة الانتخابية من أجل الاستيلاء على السلطة السياسية في البلاد ٠ وكانت تأمل أن تتمكن ، خلال الانتخابات ، من الفوز بثلثي مقاعد البرلمان مما يمكنها من الاطاحة بحكومة الائتلاف الشعبي بالطرق الدستورية ، واعادة سيطرة كبار الملاك والاوليجاركية المالية والاحتكارات الامبريالية ٠

ولم تدخل الاحزاب السياسية في شيلي المعركة الانتخابية على انفراد ، وانما تكتلتفي جبهتين أساسيتين دار بينهما صراع حاد طوال المعركة الانتخابية في جميع انحاء البلاد " ودخلت جبهة الائتلاف الشعبي التي توحد بداخلها كل الاحزاب التي تشترك في حكومة سلفادور الليندى ، وتؤيد برنامج التحولات الاقتصادية والاجتماعية في شيلي المعركة الانتخابية ، على أساس برنامج انتخابي يستهدف نقل كل السلطة في شيلي الى ممثلي الطبقة العاملة والفلاحين ، وتأمين خطى أسرع في التنمية الاقتصادية وتدعيم الاستقلال الاقتصادي للبلاد ٠ وفي سبيل تحقيق ذلك البرنامج ركزت جبهة الائتلاف الشعبي كل جهودها من أجل كسب أكبر عدد من المواقع من المعارضة داخل البرلمان الجديد ٠

أما جبهة المعارضة ، فقد ضمت بداخلها الحزب الديمقراطي المسيحي الذي عمل من قبل تحت راية الاصلاحية البورجوازية والذي يتزعمه الرئيس السابق فراى ، والحزب الوطني الذي يمثل الرجعية اليمينية المتطرفة والذي يتزعمه ابو فريه فاريا الذي كان في وقت من الاوقات منبين قادة الحركة الاشتراكية القومية الفاشية في البلاد ٠ والهدف الاساسي الذي يوحد الحزبين ، هو معارضتهما لحكومة الليندى ، وكان بينهما عداء سياسي قبل مجيء حكومة الليندى "ومما هو جدير بالذكر أن جبهة الاحزاب المعارضة والتي عرفت باسم الاتحاد الديموقراطي تلقى تأييدا صريحا من التنظيمات الفاشية في شيلي مثل منظمة باريتا دليبرتاد ٠

وكانت المعارضة تسيطر على الاغلبية في مجلس البرلمان مما أدى الى وضع العراقيل أمام تنفيذ برنامج الحكومة الذي يهدف الى تحرير شيلي من سيطرة الاحتكارات الاجنبية ، وتطوير البلاد في طريق التحول الاشتراكي ٠ وحاولت الاغلبية اليمينية التخفي تحت ستار الدفاع عن الدستور ، واتهام الحكومة بانتهاك المشروعية الدستورية ٠ وعملت دائما على عرقلة اعمال الحكومة ٠ واستنادا الى الاغلبية البرلمانية التي كانت تتمتع بها ، اعتقدت المعارضة اليمينية ، أن بوسعها أن تحقق انتصارا سهلا يقوض من شرعية حكومة الليندى ، ويكون بمثابة حكم نهائي على سياستها وبرنامجها ٠

وعندما بدأت الرجعية تدرك أن الوقت ليس في صالحها أعلنت الحرب على حكومة الليندي ، بعد أن فقدت الثقة في امكان تحقيق نصر يمكنها من الاطاحة بالحكومة الشعبية . وهكذا بدأت أزمة أكتوبر التي كانت الرجعية تأمل عن طريقها اشاعة الفوضى في البلاد واسقاط الحكومة الشعبية . وكلفت الاضرابات التي حركتها قوى اليمين اقتصاد البلاد ٢٠٠ مليون دولار . غير ان مخطط الرجعية لم يكتب له النجاح ، وفشل اضراب أصحاب الاعمال ، وقضى على كل المحاولات لخلق حالة من الفوضى الاقتصادية في البلاد . وخرج الاتحاد الشعبي من الازمة أكثر قوة نتيجة التأييد المتزايد لجماهير الكادحين التي لعبت دورا حاسما في ردع مؤامرات الرجعيين .

وفي أعقاب أزمة أكتوبر شهدت البلاد انتخابات اتحادات العمال والفلاحين . وحقق ممثلو أحزاب جبهة الائتلاف الشعبي انتصارا ساحقا في انتخابات اتحاد الطلبة كذلك .

وزادت الاوضاع السياسية في البلاد تفاقما بسبب تزايد أعمال المعارضة ونشاطها . والامر الذي يزعج هذه الدوائر أن مركز حكومة الائتلاف الشعبي ونفوذها ، كان يتزايد باطراد بين السكان ، مع ترجمة برنامجها في الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية الى واقع ملموس .

وقررت الرجعية ، متعاونة مع الدوائر الامبريالية ، أن تستغل المعركة الانتخابية لشن هجوم واسع ضد حكومة الليندي ، وضد مكاسب الشعب . وسلك اعداء الشعب الشيلي ، في هذا الهجوم أكثر الطرق والاساليب تنوعا ، من التخريب الاقتصادي ، الى التحريض على الاضراب ، الى محاولة الاعتداء على أنشط العناصر في جبهة الائتلاف الشعبي ، الى الاعمال الارهابية ضد الزعماء البارزين والتنظيمات الثورية . واستغلت المعارضة أغلبيتها في البرلمان ، لتحوله الى معقل تهاجم منه الحكومة . وقد بذلت كل ما في وسعها لعرقلة اصدار القوانين ، ولوقف تنفيذ برنامج الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي ، لصالح الغالبية الساحقة من السكان .

وعندما تقدمت الحكومة الى البرلمان بمشروع ميزانية ١٩٧٣ ، التي ترسم اجراءات محددة لتطوير اقتصاد البلاد ، ورفع مستويات المعيشة ، استغلت المعارضة أغلبيتها فخفضت من الاعتمادات المخصصة للقطاعات الهامة في مجال الاقتصاد القومي والثقافة . كما استغلت أغلبيتها ، كذلك ، في محاولة لاحراج الوزراء . وعادة ما تبدأ الازمة على الوزير باتهامه بخرق الدستور ، ثم يضيق الخناق عليه بحملة مسعورة بهدف اجباره على الاستقالة .

غير أن الرجعية في شيلي ليست متجانسة . فهناك بين صفوف الرجعيين ، من يؤيد الفاشية وهناك من يؤيد استخدام العنف ضد الحكومة . غير أن الفاشيين ، هم أكثر أقسام الرجعية عدوانية ونشاطا ، وهم يبذلون كل ما في وسعهم للتحضير لانقلاب يستولون فيه على الحكم ، ويحيكون الانقلابات . وتدفع مخططات الرجعية بالبلاد الى حافة الحرب الاهلية . غير أن تعبئة الجماهير ، والتفافها حول الحكومة ، وتصميمها على مقاومة أي مؤامرات اقوى من كل مخططات الرجعية ، كما اثبتت احداث اكتوبر الماضي . وقد أشار الليندي الى ضرورة اليقظة ضد مؤامرات الرجعية ومخططاتها فقال :

« سوف نستخدم القانون وقوة الدستور ، ولكن اذا ما حاول اليمينيون أن يخرجوا عن حدود القانون ، واذا ما دعت الضرورة ، فان الاندفاع العظيم للشعب الواعي المنظم المستعد للدفاع عن الثورة ، وللدفاع عن شيلي ومستقبلها ، سوف يستخدم كذلك » .

غير أن الرجعيين ، لم يتخلوا عن تكتيكاتهم ، ولجأوا الى تكتيكات جديدة ، واتخذت مقاومتهم شكل تخريب امداد الشعب بالمواد الغذائية ، وخلق ازمة تموينية بالبلاد ، وتشجيع السوق السوداء ، ومحاولة الاثراء على حساب الشعب . وتواجه شيلي ، في الواقع ، بعض المصاعب في توفير المواد التموينية للسكان . لكن هذه المصاعب لم تكن تتناسب مع السوق السوداء التي خلقها الرجعيون بشكل مفتعل ، وقد استغل الرجعيون نقص المواد الغذائية ، في الحملة الانتخابية ، باعتبارها المشكلة الرئيسية التي تواجه البلاد . وقالت « الميركوريو » الناطقة بلسان الرجعية : « كلما استفحلت مشكلة السوق السوداء وطالت طوابير التموين ، كلما أمكن هزيمة الماركسية » . وقد بذلت الرجعية اقصى جهودها لمحاولة خلق انطباع بان شيلي تواجه فوضى اقتصادية .

ان الزيادة الملموسة في اجور الفئات ذات الدخل المحدود من السكان ، وزيادة المعاشات ، وتناقص عدد العاطلين ، كل هذا أدى الى زيادة الطلب على المواد الغذائية في شيلي . وفي نفس الوقت ، تدهورت احتياطيات البلاد من العملة الصعبة ، بسبب تدهور أسعار النحاس في السوق العالمي . بينما زادت أسعار المواد الغذائية

المستوردة وتكاليف نقلها زيادة كبيرة • وينجح نجاح الرجعيين فى تضخيم المشكلة ، وزيادتها تعقيدا ، الى أن شبكة توزيع سلع الاستهلاك فى البلاد ، مازالت ـ بدرجة كبيرة ـ فى أيدى الافراد • أى مازالت يسيطر عليها الرأسماليون • وتسيطر الحكومة على أقل من ثلث شبكة التوزيع ، أما اكثر من الثلثين فيسيطر عليه القطاع الخاص •

وأمام استفحال المشكلة ، واصرار الرجعية على مخططها فى عرقلة حل مشكلة نقص بعض المواد الغذائية ، وتلاعبها فى السوق والتوزيع أنشأت الحكومة لجنة حكومية للتموين • وقررت فرض الرقابة على قنوات التوزيع والاسعار ، من المصنع حتى محال البيع بالتجزئة • وبالاضافة الى ذلك، قام الرئيس الليندى والمسئولون فى الحكومة الشعبية، بزيارات للمصانع لتعبئة الشعب ، وتوعيته ولدراسة مشاكل الانتاج ، والادارة ، ومحاولة التوصل الى حلول لها من خلال التنظيمات الجماهيرية فى فروع الانتاج المختلفة •

ولقد ساهمت الاحتكارات الامريكية ، وخاصة تلك التى فقدت مصادر أرباحها ، نتيجة لتأميم الحكومة لفروعها فى شيلى ، فى خلق المصاعب التى واجهتها البلاد • ومازالت شركة كينيكوت تواصل محاولاتها لتنظيم مقاطعة النحاس الشيلى فى الاسواق الاجنبية ، والاستيلاء على شحنات النحاس الشيلى • كما أوقفت البنوك الامريكية كل القروض ، وعمليات الائتمان ، التى كانت تقدمها من قبل لاقتصاد شيلى • والهدف من كل هذه الخطوات واضح تماما : الا وهو زيادة وتعقيد المصاعب الاقتصادية التى تواجه البلاد ، مما يترتب عليه اضعاف مركز حكومة الائتلاف الشعبى ، وتسهيل فرص الانتصار أمام المعارضة فى المعركة الانتخابية ••

ولم تواجه شيلى خلال المرحلة الاخيرة هجوم الرجعية والاستعمار التى تهدف الى الانتكاس بمكتسبات الشعب ، ولكنها واجهت كذلك هجوما من بعض قوى « اليسار » • وقد حاول « اليساريون » ، مهاجمة حكومة الائتلاف الشعبى ، تحت دعوى ، انها حكومة اصلاحية ، تعمل فى حدود الدستور ، والقانون البرجوازى ، وبالتالى فانها لا يمكن أن تكون المدافع الحقيقى عن مصالح الطبقة العاملة فى شيلى ، ولا يستطيع « اليساريون » ان يدركوا ان حكومة الائتلاف الشعبى انما تمثل مصالح تحالف الطبقة العاملة والاقسام الديموقراطية الاخرى بما فيها البرجوازية الصغيرة ضد رأس المال الكبير ، والاحتكارات والاوليجاركية كما أنهم يتجاهلون أن

التناقض الاساسى الذى يواجه البلاد اليوم هو التناقض بين الامة الشيلية وبين الامبريالية الامريكية •

ويحاول اليساريون تحت شعارات ديماجوجية تشويه تلك الحقائق ، ويدعون الى خلق سلطة « شعبية » « ثورية » « موازية »، دون الاستناد الى تحليل علمى للاوضاع القائمة فى البلاد . ويلتقى نشاط «اليساريين» ، فى النهاية، مع مخططات الرجعية فى اضعاف هيبة الحكومة ، ومنع التفاف الجماهير حولها •

ولقد انتهت المعركة الانتخابية التى لم تشهد شيلى مثيلا لها من قبل بخيبة أمل الرجعية •• وبرهنت جماهير الشعب الواعية على اصرارها على دفع شيلى فى طريق الاصلاح الاجتماعى والتحول الاشتراكى • ورغم التعقيدات الاقتصادية والدعاية المعادية لحكومة الليندى والضغوط الامبريالية ، رغم كل ذلك ، أعطى شعب شيلى تأييده الحازم لبرنامج الاصلاحات العميقة لحكومة الائتلاف الشعبى •• وانتزعت جبهة الائتلاف الشعبى ١١ مقعدا جديدا من البرلمان من المعارضة ودعمت بذلك مواقعها ، وضعفت لدرجة ما مراكز القوى الرجعية • ورغم أن المعارضة الرجعية ما تزال تتمتع بالاغلبية داخل البرلمان الجديد ، الا ان الهزيمة التى انزلت بها خلال الانتخابات الاخيرة ، بخسارتها لاحدى عشر مقعدا ، لن تضيع عليها فحسب فرصة أحداث انقلاب دستورى ، كما كانت تأمل فى حالة حصولها على ثلثى المقاعد ، وانما ستضعف ، كذلك ، من امكانياتها فى عرقلة تنفيذ برنامج الاصلاحات الجذرية لحكومة الائتلاف الشعبى •

ورغم ان جبهة الائتلاف الشعبى ، قد حققت انتصارا هاما يساعدها فى التغلب على العراقيل والعقبات التى تقف فى طريقها الا انها لن تتمكن من احداث التحول الاشتراكى بالسرعة التى كانت تأملها فيما لو كانت تمكنت من الحصول على اغلبية داخل البرلمان • ان حصول جبهة الائتلاف الشعبى على أغلبية داخل البرلمان سيمكنها من نقل السلطة فى البلاد بكاملها الى تحالف الشعب تحت قيادة الطبقة العاملة ، مما سيفتح الباب واسعا أمام انطلاق شيلى السريع فى طريق التحول الاشتراكى • وعلى أية حال ، فان الانتصار الهام الذى حققته جبهة الائتلاف الشعبى ، وحكومة الليندى خلال الانتخابات الاخيرة ، انما يعزز من مواقعها ، ويفتح امامها فرصة اكبر لنجاح تجربة شيلى فى التطور الديموقراطى نحو الاشتراكية ، خاصة اذا ما وجدت المساندة الحازمة والمستمرة من أوسع جماهير الشعب الشيلى •

• جمهورية مصر العربية •

التحرك السياسى

الى جانب الاستعداد العسكرى

• العراق •

مغزى الاتفاق

مع شركات البترول

• بنجلاديش •

اول برلمان

بعد الاستقلال

• لاوس •

جبهة لاوس الوطنية

تجنى ثمار نضالها

• بنما •

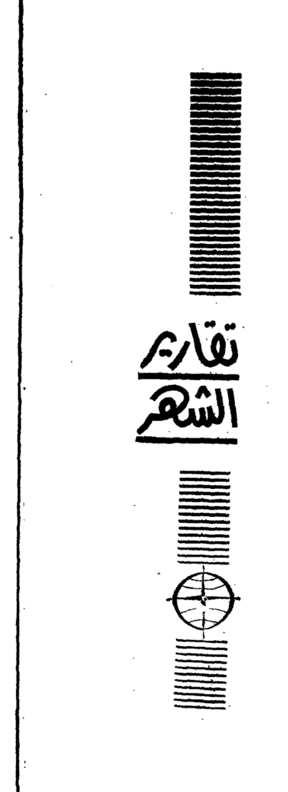
مواصلة النضال لاستعادة

القناة .. رغم الفيتو الامريكى

تعليق

شبكات التهريب

رأسمالية طفيلية



■ جمهورية مصر العربية

مرحلة المواجهة الشاملة ومتطلباتها

اتجهت انظار الراى العام فى بلادنا الى الاجتماع الهام الذى دعا الى عقده **الرئيس انور السادات** فى ٢٦ مارس الماضى ، والذى اشترك فيه اعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، واعضاء مجلس الشعب ، كما حضره ممثلو الصحافة والاعلام .

وتحدث **الرئيس** الى الاجتماع الموسع فاعلن ان البلاد تدخل مرحلة جديدة هى « **مرحلة المواجهة الشاملة مع العدو** » .

واذا جاز ان نختار عبارة من خطاب **الرئيس** تلخص اتجاه العمل الوطنى فى هذه المرحلة الجديدة ، فانه يمكن القول :

« انه لم يعد من سبيل امامنا ان نؤخر المعركة على حساب ترتيب اوضاع فى الداخل ، ولا ان نؤخر اوضاعا فى الداخل على حساب المعركة »

وهذه المعادلة التى وردت فى خطاب الرئيس هى حصيلة دراسة التطورات التى وقعت فى المرحلة الماضية على الجبهتين الخارجية والداخلية

وكان الرئيس ، قد بدأ عرض الموقف الدولى بقوله : انه تمت فى هذا السبيل اتصالات دولية مكثفة ، مع الشرق والغرب على السواء ، وشملت عددا كبيرا من الدول .

ولخص الرئيس مواقف مختلف الدول فأشار الى انه رغم السلبيات الكبيرة فى الموقف العربى فان هذا الموقف لا يخلو — ايضا — من ايجابيات تتمثل فى الاتصالات الثنائية مع هذه الدولة العربية او تلك ، وفى العلاقات القائمة بين دول الاتحاد .

وعند تحليل مواقف الدول الكبرى ، حدد الرئيس ان علاقتنا مع الاتحاد السوفيتى قد تم وضعها فى اطارها الصحيح ، وان سحب المستشارين السوفييت لم يكن موقفا معاديا للاتحاد السوفيتى .

وعن موقف الولايات المتحدة الامريكية اوضح الرئيس ان **حافظ اسماعيل** لم يذهب الى واشنطون بمبادرة مصرية ، ولم يذهب اليها — ايضا — ليبحث مبادرة امريكية . وقال ان مضمون الموقف الامريكى هو ان تستسلم مصر لاسرائيل ، وان يتم هذا الاستسلام على مراحل ذلك ان امريكا طلبت لكى **تتحرك** القضية [لا ان تحل] ، ان تعلن مصر عن تنازلات لاسرائيل . غير ان الرئيس اكد فى هذا الموقف ان مصر انما تتمسك بالمبادىء التالية :

— لا تفريط فى شبر من الارض .

— لا مساومة على حقوق شعب فلسطين .

— لا حلول جزئية .

— لا نقبل تسوية منفردة .

— لا مفاوضة مع اسرائيل .

وادان الرئيس موقف الولايات المتحدة ، هذا الموقف الذى لم يعد يخفى التواطؤ مع اسرائيل . وضرب لذلك مثلا ماذكره **ابا ايبان** وزير خارجية اسرائيل ، عن ان الاعلان عن صفقة الاسلحة الاخيرة تم وفقا لترتيب امريكى — اسرائيلى ، وان الهدف من وراء هذا الاعلان هو ردع العرب نفسيا .

وبعد ان عرض الرئيس لمواقف بقية الدول الكبرى ، ودول عدم الانحياز حدد ان الدرس الذى يمكن ان يستخلص من التحرك الواسع على النطاق الدولى هو انه :

اذا اردنا ان يحس العالم بان لنا قضية ، فعلينا ان نثبت — بتحركنا السياسى والعسكرى — ان لنا قضية .

وانتقل الرئيس الى الحديث عن الوضع الداخلى ، فأكد على النقاط الرئيسية التالية :

● ان المعركة لم تزل قائمة بيننا وبين العدو منذ ٥ يونيو .

● ان مواثيق الثورة لم تزل كما هى ،

ميثاق العمل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس هذا البيان الذى اضاف اليه الرئيس السادات برنامج العمل الوطنى .

● ان القضية التى طرحت بعد تولى الرئيس السادات رياســة الجمهورية تمثلت فى تطبيق بيان ٣٠ مارس [اى الممارسة الديموقراطية]

● ان هذه الممارسة قد تجسدت فى شعارين: سيادة القانون ودولة المؤسسات . وقــد بدأ هذا بوضعه موضع التطبيق منذ ١٥ مايو ١٩٧١ .

● انه بالرغم من العمل الايجابى الذى تم من خلال المؤسسات على مدى ٣٠ شــهرا الا انه حدثت اخطاء ونواقص فى عمــل المؤسسات مصدرها الحساسيات بين المؤسسات بعضــها والبعض ، وان بعض القوى لم تعرف دورها فى الممارسة الجديدة ، وان قواعد الممارسة دائما ـ محفوفة بالخطر .

واشار الرئيس الى انه ترتب على هذا ، ان ممارسة القانون فهمت خطأ وان دولة المؤسسات فهمت خطأ . هذا من ناحية ، كما ترتب عليه من ناحية اخرى حدوث بلبلة فى الداخل . وفى هذا عرض الرئيس لاحــداث الطلاب ، والموقف فى الصحافة .

وهنا حدد الرئيس ان مواجهة النتائج السلبية فى الوضع الداخلى تتطلب وضع ضوابط على الممارسة الديموقراطية ، دون ان يعنى هــذا تراجعا عن مبــدأ دولة المؤسسات وســيادة القانون . وفى هذا ـ بالتحديد ـ دعا الرئيس مجلس الشــعب الى ان يبادر باصــدار قانون المدعى العام الاشتراكى ، بحيث يكون هـــذا القانون اداة لحماية المجتمع .

وفى الوقت نفسه ، شرح الرئيس ان المعركة سوف تؤثر فى حياة كل مواطن ، وسوف تمتد الى كل مكان . وان هذا يتطلب ان توزع اعباء المعركة توزيعا عادلا ، **بحيث ان كل من توافرت له مزايا اكثر ، يتعين عليه ان يضحى تضحية اكبر .**

وهنا دعا الرئيس مجلس الشعب الى ان يضع التشريعــات التى تحقق مبادىء التوزيع العادل لاعباء المعركة ، مشيراً الى ماسبق ان اعلنه مجلس الشعب عن الدخول الطفيلية .

وبعــد ان انهى الرئيس خطابه ، اعلن ان الملابسات التى تمر بالوطن تقتضى ان يتحمل الرئيس مسئولية رياسة الوزارة ، واكد ان هذا انما يتم لفترة محدودة . ودعا الى تكوين لجنة قانونية من كبار المشتغلين بالقانون لكى تنظر فى تحديد جوانب المساءلة الدستورية ، المترتبــة على هذا الوضع .

واكد الرئيس ان المرحلة القادمة ، تتطلب توسيع قاعدة القيادة المسئولة . وانه من اجل هذا سوف يدعى الاجتماع الموسع للجنة المركزية ولمجلس الشعب، بكيفية منتظمة، تمكن القيادات السياسية والتشريعية من متابعة الموقف ، ومن المشاركة فى صنع القرار .

ويرى المراقبون ان الاجتماع الموسع الذى دعا اليه الرئيس قــد وضعت امامه مؤشرات هامة لمرحلة جديدة . وان هذه المؤشرات سوف يكون لهــا تأثير عميق على مجمل التطــورات اللاحقة فى الداخل والخارج .

●

التحــــرك الســياسى

الىجانب الاستعداد العسكرى

كان النشاط الدبلوماسى المصرى ، فى الاسابيع الاخيرة ، محل اهتمام المراقبين فى مختلــف العواصم العربية والاجنبية المعنيــة بالازمة فــى منطقة الشرق الاوسط ، وهو النشاط الذى بدا فى زيارة الفريق اول **احمد اسماعيل** وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية على راس وفد عسكرى الى الاتحاد السوفيتى ،وزيارة **حافظ اسماعيل** مستشار رئيس الجمهورية لشئون الامن القومى الى لندن وواشنطن وبون ، وزيارة وفد

الاتحاد الاشتراكى برئاسة المهندس سيد مرعى الى يوغوسلافيا وبلغاريا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الديمقراطية ، وزيارة الدكتور **محمد حسين الزيات** وزير الخارجية الى الهند والصين وباكستان وبنجلاديش •

وقد تمت هذه الزيارات فى اطار مواصلة التحرك السياسى المصرى المكثف فى جميع الاتجاهات ، وقد تم هذا التحرك انطلاقا من انه لا مفاوضات مع اسرائيل ، ولا تفريط فى شبر واحد من الاراضى العربية المحتلة ، ولا مساومة على حقوق شعب فلسطين " تلك السياسة التى اعلنها الرئيس **أنور السادات** بوضوح وقوله : « **اننى** لست الرجل الذى **يصلح لقبول الاستسلام** » ولعل هذا أن يلقى الضوء على مضمون الاتصالات الدولية التى أشرنا اليها .

وقد أجرى الفريق أول أحمد اسماعيل ، خلال زيارته للاتحاد السوفيتى ، فى أواخر شهر فبراير الماضى، محادثات هامة مع بريجينيف سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى استمرت أربع ساعات ، وشملت جميع القضايا العسكرية والسياسية المتعلقة بالوضع فى الشرق الاوسط ، كما عقد عدة اجتماعات مع الماريشال **جريتشكو** وزير الدفاع السوفيتى ، وتم فيها تبادل واسع للاراء ، حول مواصلة تطوير التعاون ، بين القوات المسلحة السوفيتية والمصرية ، كما قامت اللجان المشتركة التى تضم أعضاء الوفد العسكرى من الجانبين المصرى والسوفيتى بدراسة تفاصيل الجوانب العسكرية •

وقد حيا وزير الدفاع السوفيتى القوات المسلحة المصرية وقال : « **ان الاتحاد السوفيتى يثق فى قدرة القوات المسلحة المصرية ، وان على القوات المصرية أن تحارب اسرائيل ، وتثق اننا نقف من ورائها مساندين ، وسيقدم الاتحاد السوفيتى لمصر ما تحتاج اليه الان وفى المستقبل ، وان هذه الزيارة كانت تعميقا للصداقة بين البلدين** »•

وقال الفريق أول أحمد اسماعيل : « ان شعب مصر وقواتها المسلحة لينظران بكل اعزاز الى الصداقة الوطيدة التى تربطها بشعب الاتحاد السوفيتى وقواته المسلحة ، واننا لن ننسى مساعداتكم لنا وبصفة خاصة منذ معارك يونيو ١٩٦٧ وحتى الان • لقد حضرت الى هنا كمصرى يحز فى قلبه الاحتلال البغيض لقطعة عزيزة من أرض وطنه " وكقائد عسكرى ، يحمل على كتفيه مسئولية تحرير هذه الارض ، وكممثل لمشاعر الملايين من شعب مصر الذين يتطلعون الى يوم النصر واسترداد الحق المسلوب ، وكصديق يعمل من أجل تدعيم الصداقة المخلصة بين الشعب السوفيتى الاصيل والشعب المصرى العريق • اننا شعب عربى ، يخوض معركة شرف وكرامة ضد عدو غادر ، اغتصب أرضا ، ولابد لنا من ان نسترد شرفنا وكرامتنا ، مهما بلغت فى سبيل ذلك التضحيات • اننا سنحارب معركتنا معتمدين — أساسا — على أنفسنا ، وعلى الدعم والتأييد الذى يقدمه لنا شعب الاتحاد السوفيتى الصديق » •

وأكد البيان المشترك عن زيارة الفريق أول أحمد اسماعيل لموسكو : ان الزيارة قد حققت زيادة فى التعاون بين القوات المسلحة للاتحاد السوفيتى ومصر •

وتعد هذه الزيارة استكمالا للزيارة التى قام بها حافظ اسماعيل الى موسكو فى السابع من شهر فبراير الماضى تلك الزيارة التى وصفتها الصحافة السوفيتية بأنها حدث هام فى العلاقات السوفيتية المصرية . وكانت الدوائر الامريكية ، قد حاولت ، وقتئذ التشكيك فى نتائج زيارة حافظ اسماعيل لموسكو عندما زعمت ، أن البيان المشترك الصادر عنها يسوده الفتور ، وان المصريين والروس لن ينجحوا فى التوصل الى اتفاق تام •

وقد اثارت زيارة حافظ اسماعيل للولايات المتحدة اهتماما كبيرا فى الاوساط السياسية العالمية ، خاصة وان الزيارة قد رافقها سيل من الاشاعات التى روجتها الصحافة الامريكية والبريطانية ، عن وجود مبادرة أمريكية فى الطريق ، وعن قرب التوصل الى حل جزئى لمشكلة الشرق الاوسط ، كما تعمدت اسرائيل أن تصعد الحديث عن ضرورة المفاوضات المباشرة مع العرب • ولم يشذ عن هذه الجوقة غير صحيفة لوموند الفرنسية التى اختلفت فى تقديراتها لمهمة مبعوث **الرئيس السادات** ، فتحدثت عن ماضيه كرجل عسكرى خدم بلاده ، وانه معروف بوطنيته

الشديدة ، ولا يمكن لاحد ان يشك بأن لديه ميولا استسلامية • وقد أظهرت نتائج المحادثات التى تمت بين مبعوث الرئيس السادات وبين الرئيس نيكسون وروجرز وزير الخارجية وكيسنجر ، استمرار الموقف المصرى والاصرار على رفض كل الاقتراحات الامريكية لاجراء مباحثات مع اسرائيل لتسوية أزمة الشرق الاوسط • كما اعترف روجرز : أن السيد حافظ اسماعيل رفض التراجع بوصة واحدة ، وأن مصر لا تزال مصممة على رفض المحادثات عن قرب «بمساعدة وسيط» حول حل جزئى لاعادة فتح قناة السويس ، الا اذا تعهدت اسرائيل بالانسحاب من جميع الاراضى العربية المحتلة •

وفى نيويورك اجتمع حافظ اسماعيل بكورت فالدهايم سكرتير الامم المتحدة ، ووصف حافظ اسماعيل محادثاته مع فالدهايم بانها كانت مثمرة جدا ، وصريحة وشاملة • وانه يعتبر أن الامم المتحدة لا تزال وثيقة الصلة بمهمة ايجاد حل لازمة الشرق الاوسط ، وانه لا يزال يعتبر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ قائما •

وفى بون ، أشارت الدوائر المطلعة الى أن زيارة حافظ اسماعيل لالمانيا الغربية ، انما الغرض منها ، استطلاع امكانيات وتحقيق المزيد من مشاركة المانيا ودول أوروبا الغربية الاخرى فى الجهود المبذولة لايجاد حل عادل لازمة الشرق الاوسط • وأعلن مبعوث الرئيس السادات ، أمام الصحفيين ، بشأن ما يتردد عن وجود مبادرة أمريكية ، بقوله : لا أعرف ان هناك مبادرة أمريكية • ولكن موقفنا الاساسى هو الانسحاب الكامل من جميع الاراضى المصرية ، وسيادة مصر الكاملة على اراضيها ، وان هذه مسالة مبدأ لن تتنازل مصر عنها أبدا •

•

وكان حافظ اسماعيل قد اجتمع خلال جولته فى لندن واشنطن وبون برؤساء هذه البلدان وقدم لهم رسائل من الرئيس أنور السادات ، كما نقل الى المسئولين فى هذه الدول وجهة نظر مصر فى الموقف الراهن ، والتطورات المحتملة فى الشرق الاوسط ، ليضع هذه الدول أمام مسئولياتها •

وكانت المباحثات التى اجراها وفد الاتحاد الاشتراكى العربى برياسة المهندس سيد مرعى الامين الاول للجنة المركزية مع كبار المسئولين فى البلدان الاشتراكية فى شرق أوروبا ، جزءا من خطة التحرك السياسى الخارجى للاتحاد الاشتراكى العربى لشرح وجهة نظر مصر بشأن الموقف فى الشرق الاوسط : حيث قام الامين الاول بتسليم رسائل من الرئيس انور السادات الى رؤساء هذه الدول ، كما أجرى وفد الاتحاد الاشتراكى مناقشات واسعة مع الاحزاب والمنظمات السياسية والعمالية والشبابية فى الدول الاشتراكية الخمس ، حول الموقف المتدهور فى الشرق الاوسط ، وعلاقات كل من مصر والبلدان الاشتراكية بالدول الاطراف فى النزاع ودور البلدان الاشتراكية فى دعم الحق العربى • كما شملت المباحثات بحث المسائل الخاصة بتوثيق التعاون بين هذه الاحزاب والمنظمات السياسية والشعبية وبين الاتحاد الاشتراكى العربى ••

وعلى الرغم من ان زيارة وزير الخارجية المصرى لم تكن قد انتهت – حتى كتابة هذه السطور – الا أنه يمكن القول أن مباحثاته التى أجراها مع كبار المسئولين فى الدول الاسيوية قد وضحت موقف مصر تجاه أزمة الشرق الاوسط وتصميمها على تحرير الاراضى المحتلة ، وأنها لن تخضع لاى ضغط ، واستعدادها لتقديم اية تضحيات .»

■

الصناعات الثقيلة

تكسب مجمعا جديدا

فى بداية الشهر الماضى ، افتتح د• يحى الملا وزير الصناعة والثروة المعدنية مركز التدريب التابع لمجمع الالومنيوم ، وهو المركز الذى سيتولى اعداد الملاكات الفنية ، تحت اشراف خبراء مصريين وسوفييت ••

ويجرى العمل فى الوقت الحاضر ، لاتمام مشروع مجمع الالومنيوم ، بالقرب من نجع حمادى بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى ، وذلك قبل موعده بسبعة اشهر ، على ان يبدأ المشروع انتاجه فى يوليو عام ١٩٧٤ •

ويجرى انشاء المشروع فى صحراء نجع

حمادى ، وتبلغ قيمة تكاليفه ٦٥ مليون جنيه تخصص منها نحو ٥٠ مليونا للالات والمنشآت ، ويخصص المبلغ الباقى لاقامة مدينة سكنية للعاملين بالمشروع الى جوار المجمع الصناعى ، الذى سيكون محور الحياة لهذه المدينة وذلك ضمن خطة التنمية الاقتصادية الجديدة التى تستهدف توزيع المصانع الجديدة على الاقاليم بهدف تحقيق التقدم العمرانى والاجتماعى فى أنحاء الوطن .

وتقوم المدينة السكنية التى يجرى تشييدها حاليا على مساحة ٣٥٠ فدانا وتتسع لحوالى ٢٠٠٠ أسرة ، وهى مجهزة بالاسواق والمحلات والاستاد الرياضى والمستشفى والمدارس والمساجد ودور الحضانة والسينما ، وتقام المصانع والمنشآت على مساحة ٢٥٠ فدانا ، وسوف يتم انشاء ميناء نهرى على النيل ملحقا بالمجمع على مساحة ٥ر٥ فدان ، خاص لاستقبال المعدات وغيرها من الشحنات التى يحتاج اليها المصنع ، ولتصدير المنتجات الجاهزة فى المستقبل .

ويستوعب المشروع الجديد حوالى ٤٠٠٠ من العمال والمهندسين والموظفين وتقدر كمية انتاج المجمع سنويا بحوالى ١٠٠ ألف طن ، منها ٢٥ ألف طن للاستهلاك المحلى ، و ٧٥ الف طن للتصدير الخارجى ، ويحقق زيادة فى الدخل القومى تبلغ ٣٠ مليون جنيه مصرى فى السنة ، ومن توفير العملة الصعبة التى تنفق حاليا لاستيراد هذا المعدن ومشتقاته من الخارج .

وقد بدأ تنفيذ هذا المشروع منذ عام ١٩٦٩، حيث باشر الخبراء السوفييت وضع تصميم المصنع الجديد . وكان من المتعذر تحقيق المشروع الا بعد استكمال بناء السد العالى ، وستكون المؤسسة الجديدة أكبر مستهلك للطاقة الكهربائية التى تولدها محطة أسوان الكهربائية . وسيضمن بذلك استغلال طاقة السد العالى بصورة فعالة .

واذا وضعنا فى الاعتبار أن العمل يجرى فى حلوان للانتهاء من انشاء مجمع الحديد والصلب فان مجمع الالومنيوم يدخل ضمن اتفاقية القرض الطويل الامد لجمهورية مصر العربية من الاتحاد السوفيتى الذى وقعته البلدان فى عام ١٩٦٧ ، والخاص بتمويل بناء عدد من المشاريع الصناعية الهامة لتنمية الاقتصاد الوطنى عامة ، ولوضع ركائز للصناعة الثقيلة بوجه خاص .

■ العراق :

مغـــزى الاتفـــاق مع شركـــات البتـــرول

فى أول مارس الماضى أصدر مجلس قيادة الثورة العراقى قانونا بالتصديق على الاتفاقية التى عقدت فى ٢٨ فبراير الماضى بين الحكومة العراقية وشركات بترول العراق المحدودة [اى . بى . سى] وبترول البصرة المحدودة [آى.بى.سى.] والموصل المحدودة [ام.بى.سى.] وبمقتضى هذه الاتفاقية تقوم الشركات بدفع ١٤١ مليون جنيه استرلينى تقبلها الحكومة العراقية ، كتسوية نهائية ، لكل المطالب التى لديها قبل شركات البترول الثلاث . وتقوم حكومة العراق بتسليم أو ضمان تسليم ١٥ مليون طن من بترول خام كركوك ، كتسوية نهائية لمطالب الشركات ، ازاء الحكومة العراقية .

وكان مجلس قيادة الثورة قد أصدر القانون رقم ٦٩ فى أول يونيو ١٩٧٢ ، بتأميم عمليات شركة نفط العراق المحدودة آى.بى.سى. وبخطوة التأميم ، تلك وجه العراق ضربة عنيفة الى الاحتكارات البترولية ، وكسر الطوق الاحتكارى العالمى فى حلقة من حلقاته الرئيسية فاتحا بذلك الطريق لاحداث تغييرات فى العلاقات البترولية العالمية ، وفى الوقت نفسه اعتبرت هذه الخطوة ، ضربة عنيفة للمصالح الامبريالية والصهيونية وأكدت امكانية النضال العربى فى أن يتحدى هذه المصالح فى اخطر مواقعها ــ البترول .

وكانت حسابات الشركات البترولية ــ فى مخططها ــ لاعلان الحرب على العراق :

أولا : ان العراق غير مستعد اقتصاديا وتكتيكيا لمواجهة اعباء الانتاج بعد التأميم ، وانه لا تتوفر له وسائل النقل ، ولن يضمن الاسواق . كما انه سيعانى أزمة نقدية ، لعدم وجود رصيد لديه من العملة الاجنبية يكفيه لمدة سنتين .

ثانيا : ان الشركات العاملة فى العراق ستستفيد فى حربها ضد قرار التأميم من عضويتها فى الكارتيل العالمى للبترول ، والذى يملك اكثر من ٢/١ ناقلات البترول ويسيطر على نصفها بعقود ، ويملك ٩٠٪ من وسائل انتاج البترول

وتسويقه [خارج الولايات المتحدة والدول الاشتراكية] ، ويهيمن على ٦٢٪ من البترول الخام في العالم الرأسمالي . كما وأن مصالحه متداخلة مع المصارف الرأسمالية الكبرى .

ثالثا : ان العراق مشغول بمشاكل داخلية وخارجية كمشاكل الحدود مع ايران ، وان الجو العربي مشحون بالخلافات .

على أن توقعات الشركات الاجنبية وحساباتها قد خابت على النحو التالي :

أولا : اتخذت اجراءات اقتصادية لمواجهة شتى الاحتمالات ، وخفضت الاستثمارات المقدرة لعام ٧٢ — ٧٣ الى حوالي النصف ، وخفض برنامج الاستيراد بمقدار ٥٠ مليون دينار عراقي وفرض ادخار اجباري على جميع العاملين في جهاز الدولة . وشكلت لجان للصمود بهدف ضغط المصروفات وحصرها في أضيق الحدود ، والبحث عن بدائل محلية الخ .

ثانيا : تمكنت الحكومة العراقية ، في مجال تسويق البترول المؤمم من أن تعقد سلسلة من الاتفاقات مع فرنسا والاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية وغيرها . كما أن معظم الدول الاوروبية الغربية التي تستورد نفط كركوك ، ابدت استعدادها لمواصلة استيراد البترول العراقي — فرنسا، ايطاليا، اليونان، اسبانيا — . وخاصة وأن بترول كركوك يشكل نسبة كبيرة من استهلاك هذه الدول للبترول الخام — بحيث انه لا يمكنها الاستغناء عنه .

[بالنسبة لايطاليا ١٦٫٣ ٪ من استهلاكها — فرنسا ١٠٫٥ ٪، هولندا ١١٫١ ٪، اليونان ٦٪]

وعليه فان مقاطعة البترول العراقي ، لم يكن من الممكن أن تستمر لمدة طويلة من قبل أوروبا . خاصة أن بترول العراق المستخرج من حقول كركوك مطابق لمواصفات مصافي ومعامل تصنيع البترول في أوروبا الغربية .

ثالثا : ان قرار التأميم ، استقبل بترحاب من قبل الرأي العام العالمي والعربي ، واعتبرته كل القوى الوطنية والتقدمية باحزابها ومنظماتها في العالم العربي ، ضربة عنيفة ، موجهة ضد الامبريالية والصهيونية . كما أن قرار التأميم حظي بتأييد منظمة الاوبك التي اتخذت مجموعة من القرارات ، قضت بالامتناع عن زيادة انتاج البترول الى الحد الذي يعوض عن البترول العراقي المؤمم — وان كان لم ينفذ من قبل البعض — كما أن العراق حصل على قروض من بعض الدول العربية ، تنفيذا لقرار مؤتمر وزراء المالية والبترول ، المنعقد في بغداد بعد اعلان التأميم .

وهكذا كان لابد لشركات البترول أن تتراجع — وتمكن العراق من ان يخترق الحصار على بتروله . ولكن رغم توقيع الاتفاقية الاخيرة بين العراق وبين الشركات ، فان المعركة لم تنته بعد مع الاحتكارات البترولية . ومازال العراق مواجها بضرورة تعزيز النصر الذي احرزه ، بتأميمه البترول ، وبارغامه الشركات على الرضوخ . ومهمة تعزيز هذا النصر مازالت ملقاة على عاتق جميع الاحزاب والقوى الوطنية والجماهير الشعبية في العراق ، وعلى عاتق كل النظم التقدمية والوطنية العربية ، وعلى كل قوى النضال ضد الامبريالية والصهيونية .

• • •

■ **اسرائيل**

((السلام)) على الطريقة الامريكية الاسرائيلية

هناك شبه اجماع بين المراقبين ، على أن مهمة **جولدا مائير** رئيسة وزراء اسرائيل في الولايات المتحدة في الفترة الأخيرة ، كانت من أكثر المهمات توفيقا التي سبق أن قام بها أي مسئول اسرائيلي لواشنطن في عهد أية حكومة أمريكية من قبل .

وكانت جولدا مائير ، قد وصلت الى الولايات المتحدة في أول شهر مارس ، في زيارة استغرقت خمسة أيام وذلك وسط اجراءات أمن مشددة وحراسة رجال الامن الامريكيين والاسرائيليين . واوضحت الاجتماعات التي عقدتها مائير مع لجنة الشئون الخارجية في الكونجرس الامريكي ، ومع وزير الدفاع ووكيل وزارة الخارجية منذ البداية ، وقبل أن تلتقي بالرئيس نيكسون أن زيارة رئيسة وزراء اسرائيل لواشنطن ، سوف تتجاوز الاطار الذي حددته مائير بنفسها ، قبل زيارتها للولايات المتحدة، وان الهدف من الزيارة هو البحث في امكانيات تدعيم القوة العسكرية لاسرائيل .

واشترك في المباحثات بين مائير ونيكسون

كيسنجر مستشار الرئيس الامريكي واسحق رابين سفير اسرائيل في واشنطن . . وبالرغم من انه لم يذكر شيء رسمي عن المباحثات ، الا أن النتائج التي أعلن عنها بعد ذلك ، تستطيع أن تلقي الضوء على جوهر هذه المباحثات ، وذلك فيما اعلنته جولدا مائير بنفسها في التليفزيون الامريكي من « أن حكومة الرئيس الامريكي نيكسون أكدت عزمها على أن تظل اسرائيل قوية عسكريا ، ولقد حصلت على كل ما جئت أطلبه من نيكسون » .. وهو ما اعترف به مسئولون في وزارتي الدفاع والخارجية الامريكيتين رسميا بتاريخ ١٤ ــ ٣ . وان الرئيس نيكسون تعهد أمام مائير بتقديم ٤٨ طائرة فانتوم وسكاي هوك جديدة لاسرائيل ــ وهذه الصفقة الجديدة ، غير الصفقة التي عقدت في ديسمبر ١٩٧١ وتشمل ٢٤ طائرة فانتوم و ٨٠ سكاي هوك ، ويجري تسليمها الان بحيث ينتهي في ديسمبر القادم ــ كما تضمنت الصفقة الجديدة مساعدة اسرائيل في انتاج طائرات (السوبر ميراج) الحربية واقامة المنشآت الخاصة بانتاجها .

وبرى المراقبون ان زيارة مائير لواشنطن قد انهت ما كانت قد اعلنته الولايات المتحدة عن « شهر الشرق الاوسط » الذي خصصه نيكسون للتوصل الى حل لازمة الشرق الاوسط ، وان الامر الذي يبدو مؤكدا أن الولايات المتحدة ليست في حاجة الان للتقدم بمشاريع أخرى . وانها تشعر بالرضاء الان عن الوضع في الشرق الاوسط ، الامر الذي عبر عنه نيكسون بنفسه أثناء الاحتفال الذي اقيم تكريما لرئيسة وزراء اسرائيل قائلا : بأنها سيدة شجاعة ، ولعبت دورا رئيسيا في قيام دولة اسرائيل ، ودعم استقلالها . وانها تستطيع القيام في المستقبل بدور هام في تحقيق السلام ــ ليس بالنسبة لبلادها فحسب ــ بل وأيضا بالنسبة للشرق الاوسط ، الامر الذي يبدو الان ليس عملية سهلة .. وهذا ما يفسره المراقبون باقتناع نيكسون باستمرار الدور الذي تؤديه اسرائيل كرأس حربة للاستعمار الامريكي ، وضرب أي تحرك عربي ، وفي فرض شروط الاستسلام على العرب ، وحماية للمصالح الامريكية في منطقة الشرق الاوسط . وقد صرح أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل في ١٧ ــ ٣ قائلا : ان هناك اتفاقا بين اسرائيل وبين الولايات المتحدة حول الخطوط العريضة لسياستهما المشتركة في الشرق الاوسط .

وقد أعلنت جولدا مائير ، في مؤتمر صحفي عقب اجتماعها بالرئيس نيكسون : « أنه يتحتم أن يكون لاسرائيل حدود جديدة قادرة ليس على الدفاع فحسب ، بل لتصبح هذه الحدود عنصرا لتهديد المحاولات التي قد يشنها العرب في الهجوم عليها في المستقبل . وقد رفضت مائير تحديد هذه الحدود المطلوبة .

وكان الهدف الثاني من زيارة مائير للولايات المتحدة ، هو الاجتماع بزعماء الجاليات اليهودية وكبار الاثرياء الصهيونيين هناك ، وذلك ضمن حملة جمع التبرعات لصالح صندوق اسرائيل ، والتي أعلن انها قد بلغت ٥٤٫٥ مليون جنيه استرليني ، والاشراف على بيع ما قيمته ١٤٤ مليون جنيه استرليني من سندات اسرائيل .

ويرى المراقبون بعد هذا كله ، أن ستيوارت السوب المعلق الامريكي المشهور قد لخص نتائج رحله مائير ، فقال بعد أن اثنى « على كفاءتها » ان طريق حل النزاع العربي الاسرائيلي يبدو الان أنه طريق مسدود ، وان اسرائيل ترى أن افضل حدود لبلادها ، هي الحدود العسكرية الحالية ، وان شعار المسئولين في اسرائيل عن الاراضي المحتلة هو « هو أنا في أيدينا ، نتشبث به » .

ثم يضيف المراقبون ان ما يصدم الرأي العام ، هو التناقض الصارخ بين وعود بذلها نيكسون بالامس القريب ، ولم يجف مدادها بعد عن الاهتمام بايجاد حل لازمة الشرق الاوسط ، وبين اصرار المسئولين الامريكيين اثناء زيارة مائير على اظهار التطابق بين الخطوط العامة للسياستين الامريكية والاسرائيلية ، وانه اذا كان لهذا من معنى ، فهو أن الامبريالية الامريكية تدفع بالعسكرية الاسرائيلية نحو مزيد من تصعيد موقف هو متفجر بطبيعته .

● ● ●

■ بنجلاديش :

أول برلمان بعد الاستقلال

في السابع من شهر مارس الماضي ، جرت أول انتخابات عامة في بنجلاديش ، بعد استقلالها في ديسمبر ١٩٧١ ، لاختيار ٣٠٠ عضو في أول برلمان يتم تشكيله بمقتضى الدستور الصادر في ١٦ ديسمبر ١٩٧٢ من الجمعية التأسيسية . وكانت هذه الجمعية تضم النواب الذين كانوا قد انتخبوا في ديسمبر ١٩٧٠ كممثلين لاقليم البنغال في دولة باكستان الموحدة قبل اعلان استقلال بنجلاديش وفي تلك الانتخابات فازت « رابطة عوامي » بقيادة الشيخ مجيب الرحمن بـ ١٦٧ مقعدا من مجموع مقاعد الاقليم البالغة ١٦٩ مقعدا ، وقد شكل هؤلاء بعد الاستقلال الجمعية التأسيسية لبنجلاديش .

ولم يكن اختيار السابع من مارس لاجراء الانتخابات محض صدفة • ففى مثل هذا اليوم منذ عامين أعلن الشيخ مجيب الرحمن ـ وكانت حركة العصيان ضد الحكم العسكرى فى باكستان فى ذروتها ـ ان حركة شعب البنغال قد تطورت الى حرب من أجل الحرية والاستقلال •.

ومع أن السيطرة السياسية لرابطة عوامي ـ المنفردة بالحكم ـ مازالت سائدة ومؤكدة ،فقد خاض الانتخابات حوالى ١٤ حزبا ، اهمها **الحزب الوطنى الاشتراكى** الذى يضم رجال المقاومة القدامى والطلبة ويقوده **عبد ربه** وهو أحد أبطال الاستقلال ، وينادى بتطبيق الاشتراكية العلمية ومع انه شكل اخيرا (منذ ٦ شهور)فقد نمت قوته بشكل ملحوظ ،هذا بالاضافة الى**حزب عوامي الوطنى** الذى يرأسه البروفسور **مظفر احمد**• وقد اشترك كثير من قادته وقاعدته فى النضال من اجل الاستقلال ، وفى اول مؤتمر وطنى لهذا الحزب ـ عقد فى مايو الماضى ـ أيد الحزب تأميم الحكومة للبنوك وشركات التأمين والمشروعات الصناعية الكبيرة • كما أعلن مساندته لسياسة الدولة الخارجية وتقديره لدور الاتحاد السوفيتى ومعاونته ، ويبدو ان هذا هو السبب فيما زعمته الصحف الغربية من ان هذا الحزب موال للسوفيت »•

وقد رشح **الحزب الشيوعى** عدداً من أعضائه وكان هذا الحزب قد تأسس فى ١٩٤٨باعتباره « الحزب الشيوعى للبنغال الشرقية » ، ودافع منذ البداية عن المصالح الوطنية والطبقية للشعب وطالب بالغاء الملكيات الزراعية الكبيرة ، وتأميم رأس المال الاجنبى وكفالة حق العمل ، وأتباع سياسة خارجية مستقلة وقد ظل نشاطه محرما من ١٩٥٤ حتى ١٩٧١ ، حيث اشترك فى تنظيم المقاومة المسلحة ، وحارب أعضاؤه فى صفوف المقاومة، وفى هذه الفترة تزايدت عضويته ونما نفوذه وانضم الحزب الى اللجنة الاستشارية للاحزاب أبان النضال المسلح وبعد الاستقلال انتقل الى العمل العلنى وهو يساند اجراءات الحكومة لتدعيم الاستقلال السياسى والاقتصادى وتحسين مستوى المعيشة ، كما يؤيد سياستها الخارجية،



شبكات التهريب : رأسمالية طفيلية

اكتشفت السلطات المصرية مجموعة الشبكات التى تعمل فى مجال تهريب النقد وتخريب الاقتصاد المصرى . وتتشكل هذه الشبكة من تجار ورجال مال يحصلون على ارباح عالية وخيالية من عملياتهم ، ومجموعة من الموظفين العموميين ، ومجموعة من العناصر الاجنبية سواء منها العامل فى مجال الشركات الاجنبية ومن بينها شركات البترول الامريكية او فى بعض السفارات الاجنبية،وعناصر مرتبطة بالحركة الصهيونية مثل البير اوفيديا سالم .

ان المهم فى هذه القضايا ـ هو الا ننظر اليها على اساس انها مجرد قضايا تهريب للنقد او بيع لاذون الاستيراد بدون تحويل عملة . ان مجموع هذه القضايا يمثل انقضاضا من قبل العناصر الراسمالية الطفيلية على تمزيق الثورة الاجتماعية الذى سلكته مصر منذ اجراءات يوليو ١٩٦١ ، تلك الاجراءات التى استهدفت « قطع الطريق على كل محاولات التسلل والدوران من حول اهداف الشعب واحساب المصالح الخاصة للفئات التى حكمت وتحكمت من المراكز الطبقية الممتازة » .

لقد حدد ميثاق العمل الوطنى خطوطا رئيسية للتقدم ـ وفى مجال التجارة ـ حدد انه : « يجب ان تكون التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل ، للشعب وفى هذا المجال فان تجارة الاستيراد يجب ان تكون كلها فى اطار القطاع العام وان كان من واجب راس المال الخاص ان يشارك فى تجارة الصادرات وفى هذا المجال فان القطاع العام لا بد ان تكون له الغالبية فى تجارة هذه الصادرات منعا لاحتمالات التلاعب واذا جاز تحديد نسب فى هذا النطاق فان القطاع العام لابد له ان يتحمل عبء ثلاثة ارباع الصادرات مشجعا للقطاع الخاص على تحمل مسئولية الجزء الباقى منها » .

ان مجموع القضايا الحالية يجب وان تعامل على انها انقضاض من قبل العناصر والقوى الراسمالية والرجعية الطفيلية على طريق التطور غير الراسمالى ـ وهو انقضاض مسنود من قبل قوى الاستعمار وشركاته ـ ولذلك لم يكن غريبا ان بعض شركات البترول الامريكية داخلة فى اطار الجريمة .

ان هذه العناصر الطفيلية ، ارادت ان تستعيد السيطرة الراسمالية على تجارة الاستيراد والتصدير ومن ثم السيطرة على اسواق تجارة الجملة واحتكار السوق والتحكم فى الاسعار بطرق غير شرعية وهكذا فان هذه العناصر الطفيلية ليست مجرد عناصر مرتكبة لجرائم فى مجال النقد والتجارة ـ انما هى معبرة عن تيار راسمالى يريد العودة بنا الى الوراء ، حيث يسود اسلوب الاستقلال الطفيلى ، وحيث يعيش ويعمل بأسلوب المغامرين الاجانب الذين نزحوا ثروة مصر الى خارجها فى عهود السيطرة الاستعمارية منذ القرن التاسع عشر . انهم يريدون ان يفرضوا على مصر طريق التطور الراسمالى ـ هذا الطريق الذى يؤكد من الناحية السياسية حكم الطبقة المالكة للمصالح الاقتصادية والمحتكرة

وقد خاض مرشحوه الانتخابات تحت شعار وحدة كافة القوى الوطنية ، والقيام بالاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية الواسعة لمصلحة الجماهير . وهناك جماعات صينية ، تتركز فى حزب عوامى وهو غير رابطة عوامى ، وتناوىء سياسة الشيخ مجيب الرحمن فى الداخل والخارج . وتقول أن الاستقلال لم يحقق للشعب شيئا ، وتركز على أزمات الطعام وارتفاع الاسعار وغير ذلك من الصعوبات كما تدين البلاد التى ترتبط بعلاقات الصداقة بحكومة مجيب الرحمن .

أما « المعارضة الجديدة » التى حلت محل جماعة الاسلام وغيرها من احزاب الجناح اليمينى والقبلى ، والتى حرم نشاطها فى ديسمبر ١٩٧١ ، فيتخفى وراءها اصحاب رأس المال الكبير، ووكلاء الاحتكارات الاجنبية والاقطاعيين السابقين ، وهم يعارضون القطاع العام ، والتأميم ، والاصلاح الزراعى . وهم بذلك لايطرحون صراحة أفكارهم المعادية للتقدم الاجتماعى . وقد ذكرت صحف بنجلاديش عدة أعمال تخريبية قاموا بها فى المشروعات الصناعية ، وفضحت نشاطهم لاثارة الفلاحين ، وأعمالهم الارهابية التى استهدفت اخافة المؤيدين للحكم . وتقول صحف بنجلاديش ، أن وكالة المخابرات الامريكية تدعم هذه الجماعات ، التى مازالت تحتفظ بفصائل مسلحة فى المناطق الجبلية .

والواقع أن الترابط والتلاحم الذى تميزت به أعمال مختلف فصائل حركة الاستقلال ابان النضال المسلح ، قد بدأ يعتوره بعض الوهن بعد الاستقلال ، بسبب :

● الخلاف حول الاجراءات الاجتماعية التى يتعين اتخاذها ومداها . فمع أن الدستور ينص على الاشتراكية ، ومنع استغلال الانسان للانسان ، ويؤكد حق البرلمان فى تعديل علاقات الملكية واصدار القوانين التى تكفل التقدم الاجتماعى والاقتصادى . وان الحكومة أممت بالفعل صناعة الجوت ، وغيرها ، والبنوك ، وشركات التأمين ، وأصدرت قوانين للاصلاح الزراعى ، وحققت عدة اصلاحات فى مجال

لها : وحيث يعود عائد العمل الى قلة من الراسماليين الطفيليين يفيض المال لديها بدرجات خرافية — حيث يتعثر كل تطور وطنى وديمقراطى امام هذا النمو الراسمالى الطفيلى حقا — ان للقطاع الخاص دوره الفعال فى خطة التنمية من اجل التقدم — ولكن عندما يتعارض دور عناصر منه مع هذا الدور — فان هذه العناصر ترتكب جريمة سياسية واجتماعية — فى حاجة الى « يقظة ثورية كفيلة تحت كل الظروف لسحق كل تسلل رجعى مهما كانت أساليبه ومهما كانت القوى المساعدة له » . هذا ما اكد عليه ميثاق العمل الوطنى — ان قدرة هذه الشبكات العديدة التى القت السلطات القبض عليها مؤخرا على ممارسة هذا القدر الكبير من النشاط تؤكد اننا فى حاجة ماسة الى ان نؤكد اليوم اكثر من اى وقت مضى ما حدده ميثاق العمل الوطنى فى تصوره عن المبادرة الفردية : —

« ان المبادرة الفردية يجب ان تكون قائمة على العمل وعلى المخاطرة وما كان قائما فى الماضى كان يعتمد على الانتهاز قبل العمل وعلى حماية الاحتكار التى تنفى كل احتمال للمخاطرة وهى الحجة التى يستند اليها راس المال الفردى فى نصيبه من الربح » .

« ومن ناحية اخرى فان المبادرة الفردية بالطريقة التى كانت قائمة بها لم تكن تقدر على مسئوليات الامانى الوطنية فى ان الاستثمارات الجديدة التى توجه الان للصناعة تساوى اكثر من مائة مرة ما كان يوجه منها فى سنوات ما قبل الثورة .. ان اعادة توزيع الثروة لا يعرقل طريق التنمية وانما هى تنشطها من حيث هى تزيد عدد القادرين على الاستثمار » .

« انّ راس المال الفردى فى دوره الجديد يجب انْ يعرف انه خاضع لتوجيه السلطة الشعبية شانه فى ذلك شانْ راس المال العام وان هذه السلطة هى التى تشرع له وهى التى توجهه على ضوء احتياجات الشعب وانها قادرة على مصادرة نشاطه اذا ما حاول انْ يستغل أو ينحرف » .

« ان على استعداد لان نحميه ولكن حماية الشعب واجبنا الاول » .

ان مجموعة القضايا الاخيرة فى حقل المال والنقد والتهريب — يجب الا تؤخذ فقط ماخذا قانونيا — فالراسمالية الطفيلية مدربة وصاحبة خبرة فى الاستفادة من كل ثغرات القانون واللوائح والنظم البيروقراطية — انها يجب وان تؤخذ على انها انقضاض على طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ، على الثورة الاجتماعية . وان هذا الانقضاض يتم ونحن نخوض نضالا مصيريا من اجل تحرير الارض ، من الامبرياليين والصهيونيين الغزاة .

عبد المنعم الغزالى

الخدمات . ورغم كل هذا فما زالت هناك خلافات حول مدى كفايته وأسلوب انجازه .

● المتاعب الاقتصادية الناجمة عن الدمار الذى سببته حرب الاستقلال ، وتخلف الهياكل الانتاجية فى بنجلاديش التى كانت مواردها خاضعة فى معظمها لكبار رجال الاعمال فى الغرب . ففى يناير الماضى قدم فالدهايم تقريرا لمجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة ، يحذر فيه من خطر حدوث مجاعة فى بنجلاديش . ويوضح أن المجموعة الدولية قدمت لها فى العام الماضى معونات تقدر بمليار دولار ، وان هذا لن يتكرر بسهولة ، وان بنجلاديش تحتاج الى ٢ر٥ مليون طن من الحبوب الغذائية ، وان حكومتها أخبرته بقدرتها على شراء ٨ر مليون منها .

● ان الرابطة تعتمد على مكانتها للانفراد بالسلطة واستبعاد الجماعات الاخرى حتى التى تؤيد خطها الوطنى والاجتماعى . فلم تدخل فى تحالفات فى الانتخابات الاخيرة . وتقول الايكونومست البريطانية (عدد ٣ - ٩ مارس ١٩٧٣) ان المعارضة احتجت على منع مرشحيها بالقوة من ملء استمارات الترشيح فى ١٧٠ دائرة ، وعلى اعمال العنف التى ارتكبت ضد مرشحين آخرين . كما يتهم بعض المعارضين التنظيم الحاكم بان الفساد استشرى فى صفوفه ، وان بعض قادته بدأوا يستغلون نفوذهم للاثراء . وكان الشيخ مجيب الرحمن قد عين بعض الشباب الاكثر ثورية فى مراكز الحزب المسئولة ، وبارك ترشيحهم فى الانتخابات فى محاولة لتجديد شبابه .

ومع ذلك فان اغلبية المراقبين ترى ان الجماعات السياسية الاساسية خارج الرابطة ما زالت تؤيد الخط العام لحكومة الشيخ مجيب الرحمن التى اكدت الانتخابات انها تحظى بثقة الكتلة الساحقة من السكان . ولكن المشاكل الاقتصادية خطيرة فعلا ، والمشاركة فى السلطة قضية خلاف متفجر ، فضلا عن المؤامرات الدولية . وتقول جريدة لوموند ، ان الولايات المتحدة قد بدأت فى الاعراب عن تأييدها لحكومة مجيب الرحمن ، كما نقلت الانباء انها رفعت حظر السلاح عن الهند وهى حليف أساسى لحكومة بنجلاديش ، مما يوضح أن امريكا ستسلك طريقا جديدا فى العداء لكل ما تمثله حكومة الشيخ مجيب الرحمن . ■

■ **فيتنام :**

تصديق دولى على أنتصار فيتنام

بعد توقيع اتفاق انهاء الحرب واستعادة السلام فى فيتنام يوم ٢٧ يناير الماضى ، فان انعقاد المؤتمر الدولى الخاص بضمان السلام فى فيتنام (باريس - أول مارس) والبيان الختامى الذى اصدره هو أهم حدث على المستوى الدولى لتأكيد انتصار الشعب الفيتنامى ، وتحديد وسائل اقرار السلام فى بلاده والخطوات التالية لذلك الرامية الى اقرار حكم يختاره الشعب فى فيتنام الجنوبية ثم الخطوات نحو اعادة توحيد فيتنام سلميا .

لقد عقد المؤتمر الدولى لفيتنام فى باريس باشتراك ١٢ دولة هى فيتنام الديمقراطية والولايات المتحدة والحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام الجنوبية وحكومة فيتنام الجنوبية (أى الاطراف الاربعة الموقعة على اتفاق انهاء الحرب) والاتحاد السوفيتى والصين وفرنسا وبريطانيا (الدول الكبرى المشتركة فى التوقيع على اتفاقات جنيف الخاصة بالهند الصينية) والمجر وبولندا واندونيسيا وكندا (وهى الدول الاربع التى تتكون منها اللجنة العسكرية الرباعية التى تشرف على تنفيذ اتفاق وقف اطلاق النار فى فيتنام الجنوبية) . وقد كان هدف المؤتمر أن **يقدم التدعيم الدولى لاتفاق باريس الذى أنهى حرب فيتنام .**

وقبل أن نتعرض لمضمون البيان الختامى لهذا المؤتمر الهام يجدر بنا أن نسجل عددا من الملاحظات التى تحمل مؤشرات الى مواقف عدد من الاطراف المشتركة تجاه القضية الفيتنامية ، والى طبيعة التطورات التى يمكن أن تسير نحوها الاحداث فى فيتنام وأيضا فى باقى دول الهند الصينية .

● وأول الملاحظات الجديرة بالتسجيل تتعلق بموقف **الاتحاد السوفيتى والصين . فقد اتخذت الدولتان موقفا ايجابيا ساعد الى حد كبير على انجاح المؤتمر كما ساعد على تأكيد مصالح وحقوق الشعب الفيتنامى وضمان السلام فى المنطقة .** وقد أكد هذا الموقف من الدولتين الاشتراكيتين - رغم أن كلا منهما اتخذته على حدة وليس بتنسيق مسبق فيما بينهما - **ان مصالح الثورة الفيتنامية**

وحرية النضال الفيتنامى كانت دعما اساسيا لصلابة مواقف الاتحاد السوفيتي ومواقف الصين تجاه الاطراف الاخرى فى القضيه الفيتنامية ، وخاصة الولايات المتحدة . واستطاعت صلابة جبهة الشعب الفيتنامى مع الاتحاد السوفيتى من ناحية ومع الصين أيضا ان تفرض نفسها على نتائج المؤتمر بنفس الصورة التى بدت فى اتفاق باريس نفسه .

● والملاحظة الثانية أن سير المؤتمر ، واشتراك الولايات المتحدة فيه ، وما التزمت به بحكم توقيعها على بيانه قد **أعاد الولايات المتحدة الى أنتهاج الموقف الصحيح الذى كان لابد أن تنتهجه قبل ذلك بـ ١٩ عاما عندما رفضت الالتزام باتفاقيات جنيف الخاصة بفيتنام والهند الصينية .** لقد ساق النضال الفيتنامى البطولى الولايات المتحدة لان ترضخ لارادة القوى التى ناضلت دائما من أجل السلام والتى رضخت من قبل باخلاص لقضية السلام ولمبدأ حياد الهند الصينية اتفاقيات مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤ ، وهو المؤتمر الذى اشاحت امريكا بوجهها عنه ونسفت بنوده طوال السنوات الماضية .

● اما الملاحظة الثالثة الواجبة التسجيل بالنسبة للمؤتمر الدولى الخاص بفيتنام ، فهى أن وفدا واحدا من بين الوفود الاثنى عشر التى اشتركت فى المؤتمر كان طوال الوقت بادى الاستياء وعدم الرضى من نجاح المؤتمر ، وهو **وفد حكومة سايجون** برئاسة وزير خارجيتها تران فان لام . بل ان تران فان لام **لم يتردد فى ختام المؤتمر ـ رغم توقيعه على بيانه ـ فى الاعراب عن « عدم رضاء » وفده عن نتائج المؤتمر** واستمر فى ترديد الزعم بأن حكومة سايجون هى « السلطة الشرعية الوحيدة » فى فيتنام الجنوبية ، وطلب أن يعترف بهذا التصريح كوثيقة رسمية للمؤتمر ، ولكن المؤتمر رفض طلبه الغريب . والشىء الاساسى الذى كشفه مسلك وفد سايجون فى مؤتمر باريس هو أنه انعكاس لمسلك الحكومة التى يمثلها هذا الوفد فى فيتنام الجنوبية . فهى لا تريد احترام وقف اطلاق النار ولا تريد لاجراءات اقرار السلام أن تأخذ طريقها ، لانها حكومة بحكم تكوينها والدور الذى قامت به حتى الان ترتزق بالحرب ، ويثرى افرادها من خلال نفقات ميزانية الحرب الامريكية ضد شعب فيتنام ، وهو أمر بلغ فسادهم معه الى حد شكا منه الامريكيون أنفسهم .

● تبقى ملاحظة اخيرة هى أن وفدى فيتنام الديمقراطية والحكومة الثورية للجنوب قد هيأ جوا حقيقيا لنجاح المؤتمر ولم يحاولا وضع العراقيل أمام الاطراف الاخرى ، ولم يخف الوفدان شعورهما بالارتياح لنجاح المؤتمر . فقال وين تان لى المتحدث باسم وفد هانوى فى المؤتمر « ان **المؤتمر قد توج بالنجاح وقد وضع فى اعتباره اتفاق باريس لانهاء الحرب واستعادة السلام والبروتوكولات الاربعة الملحقة بها . لقد اعترف المؤتمر بالحقوق الوطنية الاساسية للشعب الفيتنامى ، وباستقلاله وسيادته ووحدته وتكامله الوطنى » .**

اما عن البيان الختامى الذى وقع عليه وزراء خارجية الدول الاثنى عشر فقد تضمن ٩ بنود :

● اعتراف الموقعين باتفاقية باريس لانهاء الحرب واستعادة السلام .

● تأكيد استجابة هذه الاتفاقية لامانى الشعب الفيتنامى وحقوقه الاساسية .

● اعتراف الموقعين بالتزام الاطراف بالاتفاقية .

● ادراك واحترام الموقعين للحقوق الوطنية الاساسية للشعب الفيتنامى .

● دعوة الموقعين للاطراف المباشرة الى احترام حقوق الشعب الفيتنامى .

● اطلاع الموقعين على سير تطورات تنفيذ اتفاق انهاء الحرب واستعادة السلام .

● تشاور الموقعين فيما بينهم ـ فى حالة وقوع انتهاك للاتفاق أو البروتوكولات ـ لتحديد الاجراءات الضرورية لمعالجة الموقف ، ودعوة المؤتمر الدولى للانعقاد من جديد اذا طلبت ذلك فيتنام الديمقراطية أو الولايات المتحدة .

● اعتراف الموقعين بالتزامهم بضمان السلام فى الهند الصينية واحترام استقلال وسيادة وحياد وسلامة أراضى كمبوديا ولاوس .

● التزام الموقعين بتنفيذ ما نص عليه هذا البيان نفسه .

واذا كانت تجربة المؤتمر الاول لفيتنام قد نجحت فلانها قد لبت مطالب الشعب الفيتنامى على النحو الذى ارضى مناضلى فيتنام فى الشمال والجنوب . ولو لم يكن المؤتمر قد وضع هذه المطالب كأهداف

له لكان ذلك حكما عليه بالفشل منذ بدايته . ولهذا فان بيان المؤتمر هو بمثابة تصديق دولى على انتصار فيتنام .

●●●

■ لاوس

جبهـــة لاوس الوطنيـــة

تجنى ثمـــــار نضـــالهـا

بتوقيع اتفاق وقف اطلاق النار فى لاوس يوم ٢١ فبراير الماضى ، يكون قد أسدل الستار عن فصل من حرب لاوس التى كانوا يسمونها فى آسيا « الحرب المنسية » . اما اذا كان هذا الفصل الذى انتهى باتفاق وقف اطلاق النار هو الفصل الاخير فى تاريخ حرب لاوس أولا ، فهذا أمر لا يمكن الجزم به اطلاقا منذ الان . خاصة ، وأنه ، بعد أيام معدودة من توقيع الاتفاق ، عمدت قاذفات القنابل الامريكية الى استئناف غاراتها على المناطق المحررة التى تحكمها جبهة لاوس الوطنية الجديدة « نيولاو هاكسات » . وأعلن الامريكيون ، انهم قاموا بهذا العمل من جديد « بناء على طلب الامير سوفانا نوما رئيس حكومة لاوس الملكية » ، وطبعا ، بحجة انتهاك قوات الجبهة لاتفاق وقف اطلاق النار .

ومع ذلك فان الاتفاق الذى وقعه ممثلو جبهة لاوس الوطنية (التى يتزعمها الامير سوفانو فونج) وممثلو حكومة لاوس الملكية برئاسة الامير سوفانا نوما ، هو ، بالمعايير الموضوعية ، انتصار حاسم لثوار لاوس بقيـادة جبهتهم الوطنية . فان السلطة الثورية للجبهة تقوم على الغالبية الساحقة من مساحة لاوس ــ عدا شريط ضيق يمتد غرب لاوس من ناحية حدودها مع تايلاند . وهى المناطق المحررة ، التى يقدرها حتى الامريكيون انفسهم بأربعة أخماس مساحة البلاد ، يعيش أكثر من نصف سكان لاوس (٣ ملايين نسمة) . ولهـذا قالت مجلة « نيوزويك » الامريكية وهى تصف دلالة الاتفاق أنه جعل سوفانا فوما رئيس الحكـومة الملكية (الموالية للولايات المتحدة) « يسير فـوق حبل مشدود » .

واعترفت المصادر الامريكية ــ وفقا لما أوردته أيضا مجلة « نيوزويك » بأن صيغة اتفاق وقف اطلاق النار فى لاوس هى نفسها الصيغة التى اقترحها ممثلو جبهة لاوس الوطنية الجديدة « بكل شروطها تقريبا » .

والواقع ، أن أهم مايعنيه الاتفاق الجديد ، هو انهاء الوضع الثلاثى الذى أقامته اتفاقيات جنيف الخاصة بلاوس التى وقعت عام ١٩٦٢ كانت تلك الاتفاقيات تقسم لاوس الى ثلاثة اجنحة تمثل السلطة فيها هى اليمين واليسار والحياد . واليوم وفى عام ١٩٧٣ ، بعد أكثر من ١٠ سنوات من نضال جبهة لاوس الوطنية ، فان هذا الوضع الثلاثى لم يعد يتفق مع القوى والاوضـاع الموضوعية فى لاوس .

أما الاتفاق الجديد ، فانه يضمن تمثيلا متساويا لممثلى الجبهة مع كل من عداهم من القوى فى حكومة وطنية مؤقتة تشكل خلال ٣٠ يوما من توقيع الاتفاق .

كذلك يتمثل انتصار الجبهة الوطنية فيما نص عليه الاتفاق من سحب كل القوات الاجنبية من لاوس خلال ٦٠ يوما من توقيع الاتفاق . وبالدرجة الاولى فان هذا النص ينهى الدور العـدوانى الخطير الذى مارسته الولايات المتحدة ضد شعب لاوس طوال السنوات الماضية ، من خلال وجود قواتها (فى صورة خبراء عسكريين) ، ومن خلال وجود تنظيم كبير للمخابرات المركزية الامريكية فى وسط لاوس ، يجند العملاء والمرتزقة ، ويخطط للنشاط التخريبى المدمر ، ضد حياة شعب لاوس وثورته .

ويقضى النص على انسحاب القوات الاجنبية من لاوس أيضا على الدور الذى مارسته قوات تايلاند الى جانب القوات الامريكية ، داخـل لاوس ، كمرتزقة أيضا يعملون لحساب العسكريين الامريكيين .

وقد نص اتفاق لاوس الجديد ، على وجـه التحديد ، على سحب هذه القوات ــ الامريكية والتايلاندية ولم يتضمن أى نص يوحى بوجود أية قوات لفيتنام الشمالية فى أراضى لاوس . وهى الحجة التى كانت تستند اليها الولايات المتحدة فى كل حملات التدخل المتوالية لقواتها ، وقـوات تايلاند ، وكذلك لقوات حكومة فيتنام الجنوبية .

ولم تخف الدوائر اليمينية فى حكومة سوفانا فوما ، وكذلك الجنرالات المـوالون للغرب فى جيشها ، شعورهم بخيبة الامل ازاء نصـوص الاتفاق . ولكن هذه الدوائر ، نفسها ، اعترفت بانها من حيث قوتها لا تستطيع الان أن تفعل

شيئا ، خاصة وأن القوة الرئيسية التي تستند اليها هي الولايات المتحدة ، لم تجد أمامها من سبيل ، الا الموافقة على الاتفاق بالصورة التي تم الانتهاء اليها ..

واذا كان اتفاق لاوس الجديد قد غير في نسب التمثيل الحكومية عما كانت في اتفاقات جنيف عام ١٩٦٢ ، فانه قد أبقى على **المبادىء الاساسية لتلك الاتفاقات باعتبار أنها هي التي وضعت الاسس «لتطور لاوس كدولة مسالمة ومحايدة ومستقلة وديمقراطية ومتحدة »** . وقد كانت جبهة لاوس الوطنية هي التي تقدمت في ربيع عام ١٩٧١ بالاشتراك مع اللجنة المشتركة للقوى المحايدة في لاوس بمبادرة سلام جديدة ترمي الى استعادة السلام في لاوس ، عن طريق أنهاء كل تدخل أجنبي وتشكيل حكومة ائتلافية مؤقتة ، واتخاذ اجراءات أخرى ، وفقا لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٦٢ .

وقد لعبت هذه المبادرة والمساندة الشعبية التي لقيتها من جانب جماهير شعب لاوس ــ الدور الرئيسي في التوصل الى اتفاق ٢١ فبراير الماضي . ولعل أهم ما يحققه هذا الاتفاق أنه ينهي ، بالنسبة لشعب لاوس ، حقبة طويلة من آلام الحرب ، والاعتداءات الرهيبة ، التي تعرض لها من جانب الولايات المتحدة وعملائها ، ليبدأ فصلا جديدا من نضاله من أجل السلام والبناء والحياد ، جنبا الى جنب ، مع شعوب الهند الصينية الاخرى . فان اقرار السلام في لاوس يتبادل **الدعم مع السلام الذي حققه شعب فيتنام** .

● ● ●

■ **الارجنتين**

انتخابات الارجنتين ..

البيرونية عادت ؟

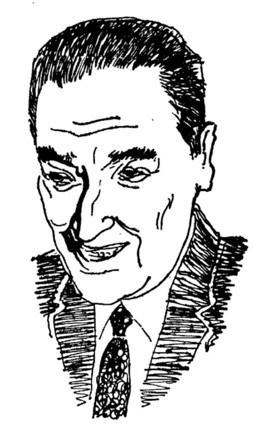
نجحت « البيرونية » في العودة الى الحكم في الارجنتين بعد ١٨عاما من الانقلاب العسكري الذي عزل زعيمها جنرال بيرون من رئاسة الارجنتين وذلك على الرغم من كل محاولات العسكريين ــ على مدى تلك السنوات ــ للقضاء على البيرونية ، وعلى الرغم من ابعاد بيرون نفسه عن البلاد ، ومحاولات تشويه صورة « الزعيم » بشتى الطرق .

والحقيقة ان نجاح **هكتور كامبورا** ــ المرشح الذي اختاره بيرون ، بنفسه ، ليخوض معركة انتخابات الرئاسة ممثلا له في زعامة « **جبهة التحرير والعدالة** » ، يشكل انقلابا كاملا بكل ما تعنيه هذه الكلمة .

وقد بدأ الانقلاب منذ اللحظة التي قررت فيها الحكومة العسكرية برئاسةجنرال **اليفاندرو لانوس** السماح لحزب بيرون بخوض الانتخابات ، بعد ان حان الموعد الذي حددته للعودة الى الحكم المدني . وصحيح أن الحكومة العسكرية ، لم تسمح لبيرون نفسه بخوض المعركة الانتخابية ، ولم تسمح له حتى بالاشتراك في الحملة لمرشحه بالحضور الشخصي ، **الا أن بيرون كان يمارس تأثيره الهائل على جماهير البيرونيين من بعيد ، حيث يعيش في منفاه الاختياري مدريد** . فضلا عن أن بيرون نفسه ، وقد بلغ السابعةوالسبعين من العمر ، لم يعد فيما يبدو شديد الاهتمام بالعودة لمنصب رئيس الدولة ، مكتفيا بتلك الزعامة التي جعلت من شعار انصار بيرون طوال الحملة الانتخابية « **كامبورا للرئاسة ، وبيرون للسلطة** » .

والحقيقة ان هذا الشعار ، هو أصدق تصوير لنتيجة انتخابات الارجنتين . لقد نجح كامبورا في الفوز برئاسة الارجنتين ، وسينصب رئيسا يوم ٢٥ مايو القادم . ولكن احدا من أنصار بيرون ــ بما فيهم الرئيس المنتخب نفسه ــ لا يخفي شعور الولاء الذي يجعل من بيرون كل شيء ، ومن تعاليمه ، وتوجيهاته ، اوامر يتلقاها رئيس الجمهورية الجديد ، منفذا ، شانه شأن أصغر قيادة في منظمات الشبيبة البيرونية .

ولهذا ، فليس هناك أي مجال للقول بأن البيرونية قد عادت الى الارجنتين بدون بيرون . فالواقع ان البيرونية عادت ، وبيرون على راسها حتى وهو بعيد عن الارجنتين ، وحتى وهو لايشغل أي منصب رسمي ــ وليس من قبيل المصادفة ، أن يكون أول شيء يحرص الرئيس البيروني المنتخب على اعلانه فور فوزه ، انه لن يكون رئيسا للجمهورية لساعة واحدة قبل أن يكون بيرون حاضرا بنفسه في الارجنتين . فهذا المطلب ، هو رمز التحدي البيروني لتاريخ طويل من معاداة القوات المسلحة لبيرون والبيرونية . حتى انه **خلال السنوات منذ عزل بيرون عام ١٩٥٥ لم يتول السلطة رئيس منتخب الا مرتين اثنين ، وفي المرتين انقضت القوات المسلحة على السلطة بانقلاب ، بمجرد سماح الحكومةالمدنية للبيرونيين بالاشتراك في الانتخابات . فقد كانت**



بيرون

القوات المسلحة تعلم فى كل مرة ان عودة حزب بيرون الى ممارسة نشاطه العادى تعنيالبرهنة من جديد على انه اكبر قوة سياسية فيالارجنتين على الاطلاق .

وينبغى أن نلاحظ انه حتى المجموعة العسكرية الحاكمة حاليا ــ رغم قرارها بالسماح لحزب بيرون بدخول الانتخابات ورغم تسليمها بفوز مرشح بيرون برئاسة الجمهورية ، فانها قد وضعت عددا من التحفظات كان اخطرها ماأعلنه جنرال لانوس رئيس المجلس العسكرى الحاكم ــ الذى سبق أن قضى ٤ سنوات فى السجن خلال عهد بيرون ــ **من أن القوات المسلحة لن تسمح بعودة « مظاهر التطرف التى ميزت عهد بيرون »** .

وكان جنرال لانوس قد أعلن قبل ذلك ــ قبل الانتخابات ــ « ان الانتخابات لن تكون الاجابة على كل شىء ، ان الحكومة التالية ، ينبغى أن تكون انتقالية » . كما اعلن فى ٢٤ يناير الماضى أن القوات المسلحة قررت أن « تؤمن » ــ الديمقراطية وان « تشارك » فى مسئوليات الحكومة بعد انتخابها .

واذا كانت الانتخابات الاخيرة قد أكدت ان « البيرونية » ، لاتزال تمثل بالنسبة للجماهير العريضة من شعب الارجنتين ، وخاصة الطبقة العاملة ، أملها فى تحقيق مجتمع عادل فى مواجهة الصعاب الاقتصادية والاجتماعية التى عاشت فيها الارجنتين طوال السنوات الماضية . فان علينا أن ندرك أمرين هامين :

اولا : ان الصعاب الاقتصادية التى تواجه الارجنتين والتى فشلت الحكومات العسكرية المتوالية فى ايجاد حلول حاسمة لها كانت هى فى التحليل الاخير السبب وراء تسليم العسكريين بضرورة تسليم السلطة لحكومة مدنية .

ثانيا : ان التحدى الخطير الذى يواجه الحكومة البيرونية التى ستتولى السلطة اعتبارا من ٢٥ مايو القادم يكمن فى قدرتها على تذليل هذه الصعاب الاقتصادية وحل المشكلات الاجتماعية الخطيرة ، التى تراكمت طوال فترة حكم العسكريين ، ذلك الحكم الذى سمحبتغلغل الاحتكارات الامريكية بصفة خاصة وسيطرتها على اقتصاد البلاد على حساب افقار الطبقة العاملة الارجنتينية .

وهاتان النقطتان تنقلاننا بطبيعة الحال ، الى القاء نظرة على برنامج الحكومة البيرونيةالقادمة فى الارجنتين .

ولهذا البرنامج ــ كما اتضح خلال الحملة الانتخابية ــ **ثلاثة اعمدة رئيسية هى : السيادة السياسية والاستقلال الاقتصادى ، والعدالة الاجتماعية .**

وقد اوضح الرئيس المنتخب كامبورا ان الاهداف التى ستسعى «جبهة التحرير والعدالة» التى تحقيقها بمجرد توليها السلطة هى : **احلال « الاشتراكية الوطنية » محل الانظمة الليبرالية القديمة ، والعمل باشتراكية الاقتصاد، والمشاركة الشعبية ، على جميع مستويات السلطة ، والتنمية الاقتصادية السريعة ، والعودة فورا الى أسلوب تاميم المؤسسات الكبيرةالمملوكة للاجانب**

كما يتضمن برنامج الحكومة الجديدة فرض **اشراف الدولة الكامل على التجارة الخارجية ،** « لان هذا الاجراء هو السلاح الافضل لهزيمة

الاحتكارات » . وتمتد اشراف الدولة ليشمل ايضا عمليات التبادل النقدى وادارة البنوك الاجنبية . » ولن تتم الموافقة على استثمارات اجنبية الا فى حالة ما اذا كانت تمثل فائدة لبرنامج التنمية الوطنية » .

ولقد استطاع بيرون نفسه — فى النداءالذى وجهه الى مواطنيه اثر فوز مرشحه — ان يلخص البرنامج البيرونى فى عبارة قصيرة : « يجب أن نوجه كل جهودنا نحو الاسراع باعادة بناء وطننا ، وان نسعى لمواجهة احتياجات اكثر القطاعات احتياجا » .

وبعد .. فان السنوات الاربع القادمة — اى فترة الرئاسة والحكومة البيرونية — تضع البيرونية فى الارجنتين لاول مرة منذ ١٨ عاما على محك الاختبار العملى لقدرتها على تحقيق آمال جماهير الشعب الارجنتينى .

■

■ بنما :

مواصلة النضال لاستعادة

القناة .. رغم « الفيتو » الامريكى

عندما وافق مجلس الامن على تلبية دعوة بنما لعقد دورة له فى عاصمتها خلال شهر مارس المنقضى اعتبر هذا انتصار سياسى لبنما بالدرجة الاولى لانه كان من المؤكد أن المجلس سيشغل خلال تلك الدورة بقضية سيادة بنما على قناتها التى تحتلها الولايات المتحدة وتفرض سيطرتها عليها بمقتضى معاهدة موقعة منذ ٧٠ عاما (١٩٠٣) وضد ارادة شعب بنما ، وفى الاساس ضد مصالحه ومصالح السلام ،والتقدم فى هذا الجزء من العالم .

وعلى الرغم من استخدام الولايات المتحدة حق « الفيتو » ضد مشروع القرار الذى يدعو الى الاعتراف بسيادة بنما على قناتها — وهو « الفيتو » الذى حطم فاعلية دورة المجلس كلها — الا أن نتيجة التصويت على المشروع تعد بدورها انتصارا اكبر لبنما ونضالها من أجل استرداد حقها الطبيعى والمشروع من مخالب السيطرة العسكرية والامبريالية الامريكية .

وقد عبر عن مشاعر شعب بنما رئيس حكومتها **الجنرال اومارتوريوس** حينقال — فى خطاب اذيع بالتليفزيون — « **اننا راضون بالحصول على ١٣ من أصوات الدول أعضاء مجلس الامن ، فهم بالنسبة الينا أهم من الصوت الوحيد الذى استخدم ضدنا . لقد فازت الولايات المتحدة بصوت واحد . ولهذا فاننا سوف نواصل نضالنا عارفين باننا لم نعد نقف وحدنا** » .

وعبر عن هذا المعنى نفسه خوان انتونى وزير خارجية بنما الذى مثلها فى دورة مجلس الامن فى عاصمة بلاده ، حيث أعلن « **لقد صمدنا فى هذا الصراع ضد دولة عظمى . والان - يؤيدنا العالم كله - سوف نكون اكثر قوة من الدفاع عن قضيتنا العادلة حتى نزيل تماما من أراضينا آخر بقايا عار الاستعمار** » .

كما وصفت صحيفة « بنما — أمريكا » نتيجة دورة مجلس الامن بأنها بمثابة انتصار لبنما وأمريكا اللاتينية كلها . وانتقدت بشكل حاد موقف الولايات المتحدة ضد الارادة الموحدة لدول أمريكا اللاتينية . وأهم ما فى نتيجة مناقشة مجلس الامن لقضية السيادة على قناة بنما أنها جاءت فى وقت تبذل فيه الامبريالية الامريكية محاولات مستميتة لزيادة نفوذها فى أمريكا اللاتينية للتقرب الى القوى الفاعلة فيها على أساس أن هذه القارة تمثل « مجالا حيويا » لحل المشكلات الاقتصادية الامريكية ،وبصفة خاصة العجزالضخم فى ميزان المدفوعات الامريكى . فقد كانت حكومة نيكسون — بعد هزيمتها المغطاة فى فيتنام — قد اعلنت أنها تنوى أن توجه اهتماما خاصا الى أمريكا اللاتينية . وعطت تصريحات المسئولين الامريكيين كل ايحاء بأن الولايات المتحدة بصدد وضع سياسة أكثر استثارة أو أكثرانصافا لصالح شعوب أمريكا اللاتينية . ولهذا فان توقيت دورة مجلس الامن فى بنما جاء قاتلا بالنسبة لهذه الخطة الامريكية . **وعندما استخدم المندوب الامريكى جون سكالى حق الفيتو ضد مشروع** القرار الذى يعترف بالسيادة لبنما على قناتها **والمنطقة التى تقع فيها نزع بنفسه القناع عن وجه « السياسة الامريكية الجديدة تجاه أمريكا اللاتينية »** . لقد كشف « **الفيتو** » **الامريكى أن ملامح الامبريالية الامريكية لم تتغير** وأن أى تصور بامكان تسليم الولايات المتحدة طوعا بما تفرض سيطرتها عليه من قواعد ومصادر تخص شعوب أمريكا اللاتينية هو تصور يجانبه الصواب ويجانبه ادراك تجارب الماضى .

لقد فرضت معاهدة عام ١٩٠٣ الخاصة بقناة بنما وضعا شاذا يحد من سيادة بنما على أراضيها

على نحو رفضه شعب بنما وقاومه دائما بشتى الطرق . ولاتزال عالقة بالاذهان **احداث يناير عام ١٩٦٤ التى أسفرت عن سقوط عشرات القتلى والجرحى من الشباب البنميين فى صدامات خطيرة مع القوات الامريكية المرابطة فى منطقة القناة** . ويمكن اعتبار تنظيم بنما لعقد دورة مجلس الامن الاخيرة فى اراضيها جزءا من نضال بنما المتصل من أجل الخلاص من هذا الوضع الشاذ المقيد لسيادتها . وقد أعلن وزير خارجيتها بوضوح أمام العالم ممثلا فى مجلس الامن « أن اتفاقية عام ١٩٠٣ لم تناقش بل فرضت على جمهورية بنما ،ومن ثم فانها اتفاقية مجحفة ومخزية تمس كرامة بلادنا .وقد استغلت الولايات المتحدة ضعفنا ووضعنا الجغرافى ففسرتها على هواها لاقامة قاعدة استعمارية على أراضينا . ولا يمكننا بعد الان أن نقبل مثل هذا الوضع » .

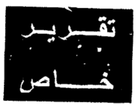
لقد استغلت الولايات المتحدة بنود تلك المعاهدة التى وقعت وجمهورية بنما لا تزال فى بداية عهدها بالاستقلال والاحتكاكات الدولية ـ فأقامت **قاعدة استعمارية على أرض بنما وجعلت من منطقة القناة « دولة داخل الدولة »** . **فعلى مقربه من وزارة خارجية جمهورية بنما المستقلة ذات السيادة يقوم فى وسط المدينة حائط ضخم تعلوه أسلاك شائكة تقع خلفه منطقة السيادة الامريكية . وتنتشر على طول القناة ١٤ قاعدة عسكرية أمريكية** .

وقد دخل فى وهم الولايات المتحدة لفترة من الوقت أن كل ما تسعى اليه حكومة بنما هو زيادة عائداتها من وراء السيطرة الامريكية على القناة فلوحت بزيادة هذه العائدات (وهى لا تتجاوز الان مليونى دولار سنويا) ، ولكن الحقيقة أن بنما لا تريد مجرد مراجعة لمعاهدة عام ١٩٠٣ ولا تحقيق زيادة ولو كبيرة فى العوائد . ان موقف حكومة بنما المحدد بالوثائق الرسمية هو « **ان عودة اراضى ومياه منطقة قناة بنما ستشمل جميع المنشات والتحصينات المتعلقة بها ، على ان تكون فى حالة طيبة وعلى أن تنص عليها الاتفاق وبشرط عدم الزام بنما بأى مقابل** » .

وعندما ادركت الولايات المتحدة أن المسألة ليست مجرد مسألة زيادة دخل بنما فانها لم تتردد فى توجيه **الاتهامات الى حكومة بنما فى عدة مناسبات بالتدخل عسكريا فى اراضيها اذالم تغير موقفها** . وقد أوضح وزير خارجية بنما أن آخر تهديد تعرضت له بلاده من جانب أمريكا كان فى خلال شهر مارس عام ١٩٧٢ ، أى أن هذه التهديدات كانت تتم فى الوقت الذى تجرى فيه مفاوضات رسمية بين ممثلى البلدين حول معاهدة عام ١٩٠٣ . وهذه السلسلة من التهديدات الامريكية باستخدام القوة العسكرية تذكرنا بأن الولايات المتحدة كانت وراء ٥٩ تغييرا فى حكومة بنما خلال ٦٨ عاما كلما اشتد الضغط الشعبى للتخلص من الوجود الامريكى على أرض بنما .

ولكن الامر المؤكد أن نضال شعب بنما قد دخل مرحلة جديدة تحيط به ظروف تاريخية مختلفة سواء فى قارة أمريكا اللاتينية نفسها التى تهب عليها رياح التقدم والتغيير رغم كل المحاولات الامريكية للتشبث بالماضى الاستعمارى ،أو بالنسبة للموقف العالمى الذى كان خير دليل عليه حصول بنما على تأييد الاغلبية الساحقة من الدول أعضاء مجلس الامن .

■■■



المؤامرة الامريكية الاسرائيلية على البحر الأحمر

أثارت مسألة احتلال اسرائيل لبعض الجزر العربية فى مدخل البحر الاحمر عند مضيق باب المندب ردود فعل واسعة فى أوساط الرأى العام العربى . وكانت مجلة « **تايم** » الامريكية قد نشرت فى منتصف مارس الماضى ، معلومات تفيد أن اسرائيل ، قد قامت ، منذ ثمانية أشهر ، باحتلال بعض الجزر العربية الخالية من السكان عند مدخل البحر الاحمر الجنوبى . واقامت قاعدة للاسلكى والرادار على احداها .

وكانت الدوائر السياسية المصرية قد أبدت اهتماما كبيرا بهذه المسألة ، ودعت الى ضرورة

« **تحرك عاجل من الدول العربية الواقعة على البحر الاحمر** » لمناقشة الاوضاع العسكرية والسياسية لمجموعة الجزر وتحقيق التعاون الكامل بين هذه الدول وتنسيق مواقفها فى نطاق استراتيجية عربية للبحر الاحمر ٠

وقد سبق لمجلس الجامعة العربية استعراض مشكلة الجزر الاثيوبية والعربية خلال الدورات الاربع السابقة ، كما اصدر قرارا فى سبتمبر عام ١٩٧٠ بدعوة الحكومات العربية التى لها علاقات دبلوماسية باثيوبيا لتقصى الحقائق حول استئجار اسرائيل للجزر الاثيوبية واقامة قواعد عسكرية فى **جزيرة دهلك** ٠ ودعوة الحكومات العربية المجاورة لجمع المعلومات الخاصة بهذه المشكلة ٠ ولم يرد للجامعة العربية اية معلومات تتعلق بهذا الموضوع سوى بعض المعلومات التى تقدمت بها الجهات المختصة فى السودان حول النشاط الاسرائيلى فى الجزر الاثيوبية ، والمذكرة التى تقدمت بها جمهورية اليمن الديمقراطية عن التطورات الجديدة فى جنوب البحر الاحمر ، والتحذير من المخططات الامريكية الاسرائيلية ، التى تهدف الى عرقلة نضال الشعوب العربية .

ومن المعروف ، ان الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، وجهت الدعوة الى رؤساء اركان الجيوش العربية للاجتماع ، فى السابع من شهر ابريل الحالى ، لمناقشة الموقف فى ضوء الدراسة التى اعدتها الجامعة العربية ، وتدعو فيها البلدان العربية الست (مصر ، السودان ، اليمن الديمقراطية ، اليمن الشمالية ، السعودية ، الاردن) : والتى تشغل اراضيها معظم شواطىء البحر الاحمر ، الى القيام بواجبها تجاه الخطر الامريكى الاسرائيلى المتصاعد ، الذى يهدف الى احتلال النقاط الاستراتيجية فى المدخل الجنوبى للبحر الاحمر لمواجهة تطور القدرات العربية فى المستقبل ، والعمل على ايجاد وجود بحرى فعال يتولى حماية الجزر العربية ، وتامين الملاحة العربية ، والوقوف فى وجه المحاولات الرامية الى تحويل البحر الاحمر العربى الى بحيرة امريكية اسرائيلية ٠

ويرى بعض المراقبين ، ان مسألة احتلال اسرائيل للجزر عند مضيق باب المندب ، لم تكن مفاجأة تماما بالنسبة لهم ، اذ ان الحديث عن هذا الخطر الجديد والتحذير منه ، لم يتوقف فى عدد من الصحف والمجلات العربية التقدمية منذ اكثر من ثلاث سنوات ٠

ويكشف تاريخ الوجود الاسرائيلى فى شرق القارة الافريقية ، عن تطور التسلل الاسرائيلى الى البحر الاحمر ، وذلك منذ عام ١٩٦٦ ، حيث استطاعت اسرائيل ، من خلال علاقاتها مع اثيوبيا ، ان تقيم عددا من الشركات الاسرائيلية فى اثيوبيا ، مثل شركة **انكودا** ، **وهارون اخوان** ،ولم يكن هناك ـ فى ذلك الوقت ـ سوى الوجود الامريكى المتمثل فى الاستثمارات والمصالح الاقتصادية والعسكرية مثل **قاعدة مصوع** ، **وقاعدة كاجنيو ستيشن** ٠ وتعد قاعدة كاجينيو من اكبر خمس قواعد لامريكا خارج اراضيها ، هذا بالاضافة الى بعثات الخبراء العسكريين التى تشرف على تدريب الجيش الاثيوبى ٠ والمعروف ان منطقة شرق القارة الافريقية تشكل جزءا اساسيا فى استراتيجية شرقى السويس العسكرية بين الولايات المتحدة وبريطانيا ، بالتعاون مع القواعد الامريكية فى الظهران والقواعد البريطانية فى عمان ومنطقة الخليج وجنوب آسيا ٠

وفى اعقاب حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، بدات امريكا واسرائيل ، فى تنفيذ الجزء الثانى من المخطط العدوانى المشترك لاكمال السيطرة على البحر الاحمر العربى ، بهدف احكام الحصار على مصر ، وتطويق حركة التحرر العربية من الخلف ٠ وقد مكن الامريكيون اسرائيل من القيام بأعمال معينة فى شرق افريقيا ، والقيام بتمويل وتدريب المتمردين فى جنوب السودان ، وتدريب قوات الكوماندوز الاثيوبية التى تحارب الثوار الاريتريين ، وتدريب قوات الشرطة الاثيوبية .

وقد بلغ تطور العلاقات بين اسرائيل واثيوبيا درجة من التعاون لفتت انظار المراقبين العرب ، وذلك على اثر الزيارة التى قام بها **حاييم بارليف** ، رئيس الاركان العامة للجيش الاسرائيلى لاثيوبيا فى سبتمبر عام ١٩٧١ ، والتى استمرت اسبوعين ، وكان ذلك فى اعقاب اطلاق قذائف الصواريخ من زورق تابع لثوار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على احدى ناقلات البترول الاسرائيلية عند مضيق باب المندب .. وقد تصدت الطائرات الامريكية لهذا الزورق واغرقته حينذاك ٠ومنذ ذلك الوقت ، شوهدت طائرات الفانتوم والسفن الحربية الامريكية بكثرة وهى تقوم بأعمال الدوريات والتفتيش عند باب المندب ، وعلى الرغم من محاولة اسرائيل اخفاء حقيقة مهمة بارليف فى اثيوبيا ، والزعم بانها كانت بغرض الزيارة والاستجمام ، الا ان المصادر الغربية قد كشفت وقتها سر هذه الزيارة .وقد ذكرت صحيفة **الجارديان البريطانية** فى نوفمبر ١٩٧١ : « ان غرض بارليف من هذه الزيارة ، كان ابرام صفقة تزود بمقتضاها اسرائيل المتغلغلة بالفعل فى

الجيش وأجهزة الامن فى أثيوبيا ـ عن طريق مستشاريها ـ بشبكة رادار على ساحل البحر الاحمر ، وبداورية لقوارب الصواريخ أيضا ، لاستخدامها لوقف تسرب امدادات الاسلحة عن طريق المتمردين الارتيريين ، وفى مقابل ذلك تضمن اسرائيل ان يكون لها وجود عسكرى لمواجهة اى تهديد عربى لملاحتها ، **وقد تقدمت مصر بعدة احتجاجات لاثيوبيا بشأن ما اسمته بهذا الخطر المتصاعد الخطير » ..**

وقد ذكر ، بعد ذلك ، أن اسرائيل قد أقامت ثلاثة قواعد فى ارتيريا لتسهيل هذه المهمة ، وأنها استأجرت من أثيوبيا ، بعض الجزر ، من مجموعة جزر دهلك وجزيرتى حالب وفاطمة ، وهذه الجزر تتميز بموقعها الاستراتيجى الذى تستطيع أن تتحكم منه فى مضيق باب المندب ، واقامةقواعد عسكرية وشبكة رادار ومحطة لاسلكى فوقها . ويتم التعاون حاليا بين الطائرات وزوارق « تسمار » البحرية الاسرائيلية الكبيرة وبين القوات الامريكية فى حراسة الشاطىء الارتيرى لمنع تهريب السلاح الى الثوار الارتيريين ، ومراقبة حركة السفن المصرية العابرة .

وتتضح أهمية باب المندب ،بالنسبة لاسرائيل، فى دعم علاقاتها الاقتصادية والسياسية بدول افريقيا وآسيا ، والتخلص من سيطرة أحكام المقاطعة العربية ، وضمان وصول البترول الايرانى الذى تعتمد عليه الصناعة الاسرائيلية وتوسعها فى المستقبل . كما أنه بدون تأمين مدخل البحر الاحمر الجنوبى ، يصبح الاحتلال الاسرائيلى فى شرم الشيخ وسيناء مهدداً وكذلك استثماراتها الكبيرة فى خط أنابيب البترول (ايلات ـ عسقلان) .

وقد كشف التحقيق مع الجاسوس الاسرائيلى ، باروخ زكى مزراحى ، الذى قبضت عليه سلطات الامن فى جمهورية اليمن الشمالية فى شهر يوليو عام ١٩٧٢ ، ضمن أفراد شبكة التجسس التى يرأسها ، عن نشاط المخابرات الاسرائيلية فى منطقة البحر الاحمر ودول الخليج ، واهتمامها بجمع المعلومات ، عن منطقة المداخل الجنوبية للبحر الاحمر ، ومراقبة نشاط المنظمات الفدائية الفلسطينية فى جمهوريتى اليمن الشمالية ، واليمن الجنوبية ، ودول الخليج . وجمع المعلومات عن تحركات وأهداف المنظمات الفدائية الفلسطينية تجاه السفن الاسرائيلية العابرة .

وترى الدوائر الوطنية العربية أن تطور واتجاه الاحداث منذ معارك يونيو عام ١٩٦٧ ، يكشف عن استمرار المخطط الامريكى الصهيونى لتحويل البحر الاحمر العربى الى بحيرة أمريكية اسرائيلية ، بهدف تطويق واحكام الحصار حول البلدان الوطنية التى تتعرض لاحتلال أجزاء من اراضيها ، ومحاولات تفجير الازمات من داخلها كوسيلة للضغط عليها واجبارها على التخلى عن عنادها وكبريائها الوطنى ، والخضوع لاعدائها. واستغلال الظروف العصيبة التى تجتازها حركة التحرر الوطنى العربية ، وطليعتها مصر ، خاصة وان انشغال مصر بظروف المعركة واعباء المواجهة مع اسرائيل يضاعف العبء عليها فى متابعة دورها القيادى والتاريخى لمسيرة ونضال الامة العربية ..

وديع امين

■■■

تقرير خاص

هل تحل أزمة المقاومة مع السودان وتبقى الأزمة مع الأردن

مهما كانت نتائج الجهود التى تبذل الان فى أكثر من عاصمة عربية لتطويق الازمة الراهنة بين السودان والمقاومة ، وأيا كانت الحلول التى ستسفر عنها الوساطة العربية لانهاء الازمة ، فالذى لا شك فيه أن ما جرى فى الخرطوم فى أول مارس ، حينما اقتحم ٨ من الفدائيين من أعضاء منظمة « يد أيلول الاسود » مقر السفارة السعودية حيث تم تنفيذ حكم الاعدام فى ثلاثة من الدبلوماسيين الاجانب سوف يتكرر ، طالما لم يتم حتى الان تحديد واضح لطبيعة العلاقات العربية بحركة المقاومة .

« أيلول الخرطوم » عملية لها مضاعفاتها الخطيرة سواء على الصعيد العربى أو حتى على الصعيد الفلسطينى ، هى عملية نفذت فوق

ارض **السودان** ؟ ودارت احداثها فوق ارض عربية هى الخرطوم حيث السفارة **السعودية** . **فهى** تخرج من حيث المكان عن نطاق الصراع مع النظام الاردنى لتنقله مباشرة وبعملية واحدة الى دولتين عربيتين لا شــك ان للفلسطينيين مصالح كبيرة فيهما .

ولكن ان يضطر الفدائيون الى مجرد تعريض مصالح الفلسطينيين انفسهم للهزات ، فان دل ذلك على شىء فانما يدل على انهم اصبحوا يواجهون طريقا صعبا لمواصلة مسيرتهم المشروعة ضد اسرائيل . وان يضطر الفدائيون الى تنفيذ ما قاموا به فى الخرطوم وبشكل مفاجىء هز العالم العربى ، فان دل ذلك على شىء فانما يدل على انهم يريدون احداث الصدمة تلو الصدمة لكى ينتبه الجميع لقضيتهم وعدالة مطالبهم . والى ان تتحدد طبيعة العلاقات العربية بحركة المقاومة .. والى ان يعود للاردن ــ وهو ساحة العمل الرئيسية للفلسطينيين ــ وجهه العربى ، فان الدلائل كلها تشير الى ان الصراع سوف يستمر بل ويتصاعد .

وعلى امتداد اسبوعين كاملين بداية من احداث اول مارس ومرورا بمخططات تصعيد الازمة بين حكومة السودان وحركة المقاومة ونهاية بتحرك الجامعة العربية فقد ظلت قضية العمل الفدائى شاغل الجميع .

ايلول الخرطوم رتبت ونفذت من اجل انقاذ حياة **المناضل الفلسطينى ابو داود** و ١٦ من الفدائيين اعتقلتهم سلطات **عمان** واصدرت بحقهم احكام الاعدام . وقبل أن تقع أحداث الخرطوم كانت **القاهرة ودمشق** تتحركان لانقاذ الموقف فى **الاردن** .. وكان التحرك للاجابة على سؤال واحد : ان تحدد فسوف يكون ذلك مدخلا لحل جميع المشاكل وتعبئة كل الجهود من أجل المعركة . والسؤال هو **هل يعود الاردن ثانية الى الصف العربى ؟ وهل صحيح ان الجبهة الشرقية ستبعث الحياة فيها من جديد لتضم دول المواجهة وحركة المقاومة ؟ ولم يسفر التحرك المصرى السورى الموحد عن شىء . فالامور فى الاردن كلها مجمدة حتى عودة الملك من واشنطن . ثم عاد الملك من رحلته الشهيرة والامور على ماهى عليه والفدائيون فى سجون عمان يتعرضون لابشع أنواع العذاب . وجاءت عملية الخرطوم لتضيف الى الصراع ابعادا جديدة .**

وتتصاعد الحملة ضد الفلسطينيين لتصل الى ذروتها يوم السبت ١٠ مارس ــ آذار ــ حينما يقود نائب الرئيس السودانى مظاهرة تم الاعداد لها من قبل ليكرر فيها الاتهامات التى كان الرئيس **جعفر نميرى** قد وجهها الى حــركة « **فتــح** » بالاشتراك فى حادث السفارة السعودية الذى أعلنت منظمة « **يد أيلول الاسود** » مسئوليتها عنه، وكان راديو أم درمان ــ تعزيزا لخطة التصعيد ــ ينقل المظاهرة وما دار فيها على الهواء مباشرة .

وقد لوحظ أن الصحف السودانية الرسمية أخذت تواصل هذه الحملة بالرغم مما كان قد أعلنه **عمر الحاج موسى** وزير الاعلام السودانى ، على لسان الحكومة ، أمام مجلس الشعب السودانى من أن أجهزة الاعلام ستلزم الصمت ازاء الحادث تيسيرا للسلطات فى الموازنة « بين وجودالفدائيين تحت أيديها وبين التزامات السودان الدولية » .

وفى المظاهرة التى قادها اللواء محمد احمد الباقر النائب الاول للرئيس نميرى ووزير الداخلية من ميدان الشهداء ، جدد اللواء الباقر الاتهامات التى وجهها الرئيس السودانى لحركة فتح كبرى منظمات المقاومة الفلسطينية **برغم النفى الرسمى الذى أصدرته منظمة تحرير فلسطين أو حــركة فتح بالحادث .**

وقد سارع راديو عمان باذاعة ما وصــفه بالوثائق التى تضمنتها مذكرة سودانية قال انها تتعلق بالاعتداء على سفارة السعودية . وكان تعليق وكالات الانباء الاجنبيــة على ذلك أن السودان قد وقف الى جانب الاردن ضد حركة المقاومة الفلسطينية .

وفى يوم الاثنين ١٢ مارس دعا السيد **محمود رياض** الامين العام لجامعة الدول العربية جميع الدول الاعضاء فى الجامعة الى سرعة مناقشة التطورات الاخيرة فى علاقات الدول العربيــة بحركة المقاومة ووقف أسباب « الخلافات » التى يؤدى استمرارها الى عرقلة تنفيذ خطة العمل المشترك فى مواجهة العدوان الاسرائيلى . ثم سلم الامين العام رسالة الى جميع الســفراء العرب ــ لتقديمها الى وزراءالخارجية ــ تتضمن طلب التحرك الفورى لتسوية الازمة بين كل من حكومتى السودان والاردن والمقاومة الفلسطينية

قال الامين العام للجامعة العربية فى رسالته الى وزراء خارجية الدول العربية :

« ان التطورات الاخيرة فى العلاقات العربية بالمقــاومة الفلسطينية ، وآثرها على خطة العمل العربى المشترك تدفعنى الى الكتابة اليكم ، واثقا من تاييدكم وعملكم المخلص ،

تحقيقا للصالح القومي ، وتلافيا للاخطار المترتبة على الحالة الموقف الراهن .

ـ فمنذ شهر سبتمبر [ايلول] لعام ١٩٧٢ ، اتصلت اجتماعات وزراء الخارجية والدفاع العرب . وانتهت ، في اجتماع مجلس الدفاع يوم ١٩٧٣/١/٣٠ ، بتقرير خطة عمل عربي مشترك في مواجهة العدوان الاسرائيلي ..

وقد تضمنت القرارات السياسية ما يأتي :

١ ـ مواصلة العمل لدعم التضامن العربي ، وتسوية الخلافات التي من شانها التاثير في الخطة العربية .

٢ ـ حشد جميع الامكانات العربية ، كفالة لقومية المعركة وفاعليتها .

٣ ـ تكامل النضال الفلسطيني مع النضال العربي ، وان يكون الدور الفلسطيني دورا اساسيا في المعركة .

٤ ـ تاليف لجنة من بعض وزراء الخارجية والامين العام لتسوية ما بين الحكومة الاردنية والمقاومة الفلسطينية .

ـ وكان من المؤسف حقا ان تنجم خلافات عربية يؤدي استمرارها الى عرقلة تنفيذ الخطة المقررة ، وخاصة في مرحلة التصعيد الاسرائيلي للعدوان الذي بلغ اقصى المدى في ٢١ من فبراير [شباط] الماضي باسقاط المقاتلات الإسرائيلية للطائرة المدنية الليبية بعد ساعات من الغـارة الجوية الاسرائيلية على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين .

ـ ولقد تلقيت في الايام القليلة الماضية رسائل من بعض السادة رؤساء الدول العربية ووزراء الخارجية تطلب التدخل لوقف أسباب هذه الخلافات .. وهو تدخل قمت به وتابعته منذ نجم الخلاف حتى اليوم .

ـ وان تنفيذ خطة العمل العربي المشترك يقتضي ما يأتي :

١ ـ الامتناع عن اي عمل من شانه زيادة التوتر القائم بين الاطراف المعنية .

٢ ـ وقف جميع الحملات الاعلامية الدائرة حول الخلافات العربيـة .

٣ ـ مساندة ما تبذله الامانة العامة للجامعة من مساع لتسوية الخلافات القائمة ، وتهيئة الوسائل لنجاحها .

٤ ـ معالجة اي خلاف ينجم بين الدول العربية او بين اي منها والمقاومة الفلسطينية بروح الاخوة والتضـامن المصيري في مواجهة العدوان .

٥ ـ المبادرة الى الوفاء بالالتزامات المقررة في خطة العمل العربي المشترك ، وتكريس جميع الجهود والطاقات العربية للمعركة المفروضة علينا وحدها .

واني اذ اثق في تلقي جوابكم في اقرب وقت ممكن ، ارجو ان تتقبلوا فائق الاحترام ..

« الامين العام »

وانتظارا لبحث الدول العربية علاقاتها مع المقاومة أوفد الامين العام مبعوثا خاصـا الى الرئيس السوداني جعفر نميري وهو الدكتور محمد الفرا الخبير بالامانة العامة للجامعـة والرئيس السابق لوفد الاردن في الامم المتحدة . ويعود مبعوث الامين العام من الخرطوم بعـد رحلة عمل دامت ٣٦ ساعة ليرفع تقريره الى محمود رياض الذي يدعو لمؤتمر صحفي عقـد بمقر الامانة العامة ليعلن فيه نتائج الوساطة .

وفي مؤتمره الذي عقده ظهر الخميس ١٥ مارس يعلن محمود رياض أن حكومة السودان تقول أن موقفها لم يتغير من المقاومة الفلسطينية .. ولكنها ترى من الضروري جلاء بعض الامور والملابسات لحادث الخرطوم [الذي أسـفر عن مقتـل ٣ دبلوماسـيين أجانب من الرهائن الخمسة الذين احتفظ بهم الفدائيون قرابة ٧٠ ساعة . وما نتج عنه من اعلان الرئيس جعفر نميري وقف كل نشاط لمنظمات المقـاومة في السودان وتوجيه الاتهام الى منظمة فتح بأنهـا كانت العقل المدبر وراء مهاجمة مقر السـفارة السعودية] .

وقال محمود رياض : ان حكومة السودان ابلغت مبعوث الجامعة العربية انه مع ان موقف التاييد للمقاومة لم يتغير الا ان هنـاك ضرورة لجلاء بعض الامور والملابسات التي رافقت احداث أول مارس ، كي تبقى المقـاومة بعيـدة عن الصراعات العربية والامور الداخلية . كما اكدت حكومة السودان ان مكتب منظمة التحـرير الفلسطينية في الخرطوم لم يمس وان مـديره **عبد اللطيف أبو هجله** يتمتع بتقدير الحـكومة وثقتها . وقال أمين الجامعـة « ان الدكتور **منصور خالد** وزير خارجية السودان ابلغ المبعوث أن تأييد السودان لقضية فلسطين والشـعب الفلسطيني لا حدود له وسيستمر بكل صـوره المـاضية وأكثر .

وقبل أن يعقد الامين العام للجامعة مؤتمره الصحفي كان قد التقى مع **خالد الحسن** عضـو قيادة فتح حيث ابلغه بنتائج ما حدث في الخرطوم .. وعلى الاثر سافر ممثل منظمـة التحـرير الفلسطينية في القاهرة ـــ **جمال الصوراني** ـــ الى دمشق لعرض تطورات الازمة على **ياسر عرفات رئيس** منظمة تحرير فلسطين وقائد فتح .

ويوم السبت ١٧ مارس يعود الى القـاهرة المبعوث الفلسطيني قادما من دمشق يحمـل رسالتين الاولى للرئيس نميري والثانية لامين

الجامعة العربية . وتعقد اجتماعات عمل بمقر الامانة العامة للجامعة ثم يغادر القاهرة مساء الاحد ١٨ مارس وفد يمثل قيادة المقاومة يضم : **ابو حاتم** من قيادة فتح **وجمال الصورانى** ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى القاهرة لمباحثات عمل مع الرئيس السودانى حيث يسلمانه رسالة خاصة من ياسر عرفات .

ماذا تقول رسالة ياسر عرفات للنميرى ؟

أكد ياسر عرفات للرئيس السودانى حرص حركة المقاومة الفلسطينية على السودان وعلى أداء دوره العربى ، وقال أن العمل الفدائى الفلسطينى يتعرض فى هذه الظروف المصيرية لهجمة امبريالية شرسة ومؤامرات خطيرة تدبرها الدوائر الامبريالية والاستعمارية بزعامة الولايات المتحدة الامريكية بهدف ضرب وتصفية الثورة الفلسطينية . وقال اننا نؤكد أن بنادق جميع ثوارنا تتجه صوب العدو الرئيسى لنا وهو اسرائيل ، وان حركة المقاومة تؤمن أن كل الجهود الان ينبغى أن توجه تجاه المعركة وعلى الدول العربية أن ترتفع فوق خلافاتها الجانبية لتواجه معركة المصير.

على اى الحالات أيا كانت نتائج مهمة الوفد الفلسطينى فى الخرطوم وهى كلها تشير الى أن ازمة الخرطوم قد طوقت أو هى فى الطريق الى التطويق الا أنه لا زالت هناك القضية الاساسية التى تواجه العمل الفدائى وهى قضية الاردن .

وحتى كتابة هذا التقرير لم يتحدد موقف الاردن .. فالاردن جاء الى مجلس الدفاع العربى فى يناير الماضى وأعلن عودته للصف العربى وأعلن قبوله باحياء الجبهة الشرقية وعودة الفدائيين .. كما أعلن استعداده لاستقبال لجنة وزراء الخارجية العرب التى ستسافر الى عمان للبحث فى كيفية عودة المقاومة واحياء الجبهة الشرقية .

وبعد أيام خرجت من عمان تصريحات رسمية تنسف تماما ما سبق وان وافق عليه الاردن فى مجلس الدفاع .

وحتى كتابة هذا التقرير لم تتلق الجامعة العربية ردا على استفساراتها العديدة حول قضية الجبهة الشرقية وعودة الفدائيين .

المشكلة لازالت قائمة . واذا كانت ازمة الخرطوم طوقت أو هى فى طريقها الى الحل فان القضية الاساسية لازالت معلقة ولا زال السؤال مطروحا وهو متى يعود للاردن وجهه العربى ؟

والى أن تتحدد الاجابة على هذا السؤال فان الصراع الساخن والدامى بين حركة المقاومة والنظام الاردنى سوف يستمر ويتصاعد

« أيلول الخرطوم » جزء من مشكلة . اما المشكلة الاساسية فهى تكمن فى « أيلول عمان » وما نتج عنه من مضاعفات .

احسان بكر

●●●

تقرير خاص

الاصلاح الزراعى فى الجزائر

شهدت الجزائر خلال شهر فبراير الماضى اجتماعات ومؤتمرات عديدة لتقييم المرحلة الاولى من الثورة الزراعية ـ التى بدأت فى نوفمبر ١٩٧١ ، بصدور قانون للاصلاح الزراعى فى الجزائر ، يستهدف أحداث تغييرات جذرية فى بنية القطاع التقليدى فى الريف الجزائرى ، هذا القطاع الذى ظل يحتفظ بعلاقات الانتاج شبه الاقطاعية ، ويعتمد على وسائل زراعة بدائية ، ويعتبر الركيزة الرئيسية لكل الاتجاهات الرجعية والمضادة للثورة داخل الثورة الجزائرية . ولقد كان تأميم المزارع المملوكة للاجانب ، فى ١٩٣٦ ، والتى استولى عليها الشعب العامل بعد أن هجرها أصحابها اثر الاستقلال مباشرة ، وأقام بها لجان التسيير الذاتى ، هى الخطوة الاولى على طريق ثورة زراعية فى الجزائر . فقد استمر ستة ملايين فلاح جزائرى من ثمانية ملايين يمثلون مجموع سكان الريف الجزائرى ، يعيشون فى اسار علاقات انتاج اقطاعية ، ويستخدمون وسائل زراعية متخلفة .

ويهدف قانون نوفمبر ١٩٧١ ، والذى انتهت المرحلة الاولى منه فى أوائل عام ١٩٧٣ الى :

١ ـ القضاء على طبقة كبار ملاك الارض ، ويحدد الحد الاقصى لحجم الملكية على اساس مبدأ امكانية فلحها بواسطة العائلة ، والارض الفائضة تصادر بتعويض ، ولا يدفع تعويض عن الاراضى التى اشتريت خلال حرب التحرير ٠

٢ ـ حماية حق الفلاحين الصغار والمتوسطين الذين يزرعون أرضهم بأنفسهم ٠

٣ ـ الالغاء النهائى لملكية الملاك الغائبين عن الارض الزراعية ، وذلك تطبيقا لشعار « الارض لمن يفلحها » ويستثنى من ذلك ، من يملكون نصف هكتار من الاراضى المروية ، او ٥ هكتارات من الاراضى غير المروية ٠ ويشمل هذا الاستثناء عددا كبيرا من العمال المهاجرين مؤقتا الى فرنسا ، وأبناء الطبقة العاملة الذين مازالوا على علاقة بالريف ، وبالاقسام الفقيرة من البورجوازية الريفية الصغيرة ٠

٤ ـ الغاء الزراعة بالحصة ، على أساس انها تمثل علاقة انتاج اقطاعية ، ويهدف هذا الالغاء الى فتح الطريق أمام انطلاق طاقات القوى المنتجة ٠

٥ ـ يمنع القانون أى تركيز للملكية فى ايدى مالك واحدا ، فاولا : كل الاراضى المحولة الى الصندوق الوطنى للثورة الزراعية تصبح ملكية عامة ٠ ب ـ يكون للدولة والتعاونيات أولوية شراء الملكيات الخاصة ٠ جـ ـ تنظيم ايجار الاراضى الزراعية لمنع ظهور قطاع جديد من كبار الملاك ٠

والجدول التالى للتركيب الاجتماعى لقطاع الزراعة التقليدى فى الجزائر يوضح الابعاد الاجتماعية للاصلاح الزراعى الجزائرى :

ومن هذا يتضح ، ان كبار الملاك وهم يشكلون ٣ فى المائة من سكان الريف ، يملكون ربع مجموع الاراضى الزراعية ٠ بينما لا يملك فقراء الفلاحين والذين يشكلون أكثر من نصف الملاك غير ١٠ فى المائة من الاراضى الزراعية ٠ ومن هنا تجىء أهمية هذا القانون ـ اذ أنه يوجه الضربة الرئيسية الى كبار ملاك الارض من الجزائريين ، بينما اقتصر هدف الضربة الرئيسية لقوانين التأميم السابقة (١٩٦٣) على مصالح رأس المال الاجنبى وحده ٠

ووفق القانون ، فان توزيع الارض وزراعة أراضى الصندوق الوطنى للثورة الزراعية تتم على أسس اجتماعية ، فيتم توزيع الاراضى على : ١ ـ العمال الذين يشتغلون فى الاراضى المؤممة ٠ ٢ ـ على المجاهدين القدماء ، الذين اشتركوا فى حرب التحرير من ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢ ٠ ٣ ـ ابناء الذين ضحوا بحياتهم من أجل الثورة ٠ ٤ ـ على رؤساء العائلات الكبيرة ٠ ويتم تنظيم الزراعة على اساس انشاء تعاونيات خدمات متعددة الاغراض ، تؤسس على اساس اختيارى وبوسيلة ديمقراطية ، وتكون خطوة نحو الزراعة التعاونية ٠

وعلى مدى عام ، من يناير ١٩٧٢ حتى يناير ١٩٧٣ انجزت المرحلة الاولى من الاصلاح الزراعى ٠ وبلغ عدد المستفيدين خلال هذه المرحلة ٦٠ الفا ، وبلغت ميزانية الثورة الزراعية حوالى ٢٨٨ مليون دينار جزائرى ٠ وتم توزيع مليون هكتار للنقل وماكينات للزراعة ٠ وتم توزيع مليون هكتار من ٥ ملايين هكتار تم حصرها ٠ وتم كذلك تحديد أنواع الصعاب التى واجهت تطبيق الاصلاح الزراعى ، ومنها افتقار الاراضى الموزعة للوسائل الضرورية لاستغلالها استغلالا حديثا ، ومشكلة وجود المنتفعين فى مساكن متفرقة أو بعيدة عن مكان التعاونية ٠

وفى اجتماع الرئيس هوارى بومدين مع اللجنة الوطنية للثورة الزراعية لتقييم المرحلة الاولى أعلن :

كبار الملاك (شبه الاقطاعيين او الراسماليين)	١٦٫٥٠٠	يملكون اكثر من ٥٠ هكتارا ويملكون ٢٥٪ من المساحة المزروعة فى القطاع التقليدى
الفلاحون المتوسطون	١٤٧٫٠٠٠	يملكون من ١٠ الى ٥٠ هكتارا ويملكون ٥٠٪ من المساحة المزروعة ،
صغار الملاك	١١٤٫٠٠٠	من ٥ الى ١٠ هكتارات ويملكون ١٥٪ من المساحة المزروعة
فقراء الفلاحين	٣١٠٫٠٠٠	يملكون اقل من ٥ هكتارات ويملكون ١٠٪ من المساحة المزروعة
معدمين	٥٠٠٫٠٠٠	لايملكون ويعتمدون على حرف بسيطة

اولا : لابد من ترسيخ التعاونيات واعطائها شخصيتها حتى تستطيع ان تقوم بدورها على الوجه الاكمل ٠

ثانيا : يحسن تجنب المبالغة فى المكننة والاقتصار على استعمال الالات والماكينات على الحد الادنى اللازم ، وذلك حتى تستطيع ايدى الفلاحين أن تقوم بالاعمال الاخرى ، وفى هذا المجال لاحظ الرئيس بومدين ، المخاطر التى تترتب على القيام بطفرة تتسبب فى وجود اختلال كبير بين البنيات العقلية من جهة والتجهيز الالى من جهة أخرى ٠

ثالثا : ضرورة اشراك المتعاونين فى المرحلة القادمة ٠ لانه اذا كانت القيادة الثورية قد اضطلعت بالجزء الاكبر من التطبيق فى المرحلة الاولى بوصفها نخبة مطالبة بالسهر على نجاح العملية فان المرحلة القادمة ، تتطلب اشراك المستفيدين من الثورة الزراعية فى العملية ، حتى يقوموا بثورتهم فى هذا المجال ،ويقتصر دور القيادة والمسئولين ـ فى هذه الحالة ـ على المساعدة ٠

« انه لا يمكن أن نقوم بالثورة بدل المتعاونين ، ولا يمكن أن نتصرف معهم كأنهم غير راشدين ، لان ذلك يؤدى بالضبط الى الحيلولة دون رشدهم ونضجهم » ٠

والاصلاح الزراعى الجزائرى الذى بدأ بقانون نوفمبر ١٩٧١ يحرك ويثير صراعا طبقيا حادا فى الريف الجزائرى ، وفى المجتمع الجزائرى كله فى المجالات السياسية والفكرية والاقتصادية ٠ وتواجه الثورة الزراعية فى الجزائر نشاطا يمارسه تحالفا سياسيا ، من قبل كل القوى المحافظة والرجعية فى المجتمع الجزائرى ، من كبار ملاك الارض ، والقطاعات الكبيرة من البورجوازية الثرية والمزدهرة وخاصة تلك التى ما زالت تمارس نشاط واسعا فى مجال تجارة الجملة والتجارة الخارجية ، وقطاع من البيروقراطية الجديدة المرتبطة مصالحها بهذه القوى الأجتماعية ٠

وعلى الرغم من ان القوى الرجعية تمثل قلة عددية متناهية الصغر ، من ناحية الحجم بالنسبة للقوى العددية للقوى التقدمية والاجتماعية صاحبة المصلحة فى نجاح الثورة الزراعية ، فأن هذه القوى الرجعية ما زال لها وزن سياسى كبير ، وهى تستمد قوتها من علاقات الانتاج الرأسمالية التى ما زالت سائدة فى البلاد ، ومن وجود علاقات قوية بينها وبين البورجوازية الصغيرة فى المدينة والريف ٠٠ كما وانها مدعومة بعون رأس المال الدولى ٠ ولذلك فان القوى الثورية فى الجزائر ترى انه يجب أن يوضع فى الاعتبار ان **هزيمة القوى الرجعية لا يمكن أن تتحقق ، فقط بالنص القانونى والاجراءات الادارية والقضائية ٠٠ ولكن بخلق جبهة متحدة عريضة من كل القوى الديمقراطية المستفيدة من الثورة الزراعية :** الفلاحون الفقراء والمعدمون ، كل الشعب العامل فى الحضر والريف ، العمال الصناعيون ، صغار التجار والحرفيون ، والموظفون ، والمهندسون والفنيون والطلاب والشباب ورجال الصناعة الذين لا تربطهم أى مصالح بالزراعة والملكية الزراعية ٠

ويرى المراقبون ، أن وحدة كل هذه القوى ـ من اجل انتصار الثورة الزراعية الجزائرية ،من شأنه ان يدعم التطور الوطنى الديمقراطى للثورة الجزائرية ، ويدفعها الى التطور عبر آفاق أكثر تقدما لمصلحة الشعب الجزائرى ، وفى مواجهة كل القوى المضادة للثورة والمتعاونة مع قوى ومصالح الاستعمار الجديد ٠

عبد المنعم الغزالى



محمد الخفيف .. كلمة وفاء

فى مثل هذا اليوم ــ أول ابريل ــ ومنذ عام مضى ، فقدت اسرة تحرير « الطليعة » ، واحدا من ابرز المفكرين والمناضلين المصريين والعرب ، الدكتور « محمد الخفيف » .

ولا تصدر تحية الطليعة للذكرى الاولى لوفاة « الخفيف » ، عن مجرد انه مفكر ثورى من ابرز مؤسسيها ومفكريها ، بل تصدر ايضا من حقيقة ان ذكرى المناضلين . هى دوما ذكرى ملهمة ومعينا لا ينضب من زاد الفكر والثورة والعمل .

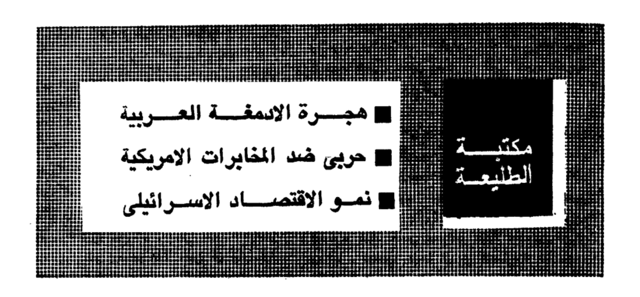
والمثل الكبير ، الذى ضربه « محمد الخفيف » فى حياته لم ينته بوفاته ، ولن ينتهى بمرور عام على ذلك ، وانما سيظل ، ابدا نبراسا يضىء الطريق الوعر الذى اسهم مع الكثيرين فى شقه بالتضحيات طريقنا الوطنى نحو التحرر والتقدم الاجتماعى .

ولسوف يبقى فى مخيلة الاجيال المعاصرة « لمحمد الخفيف » ، تلك الوحدة العميقة بين فكره وسلوكه ، حين دفع مع غيره من المناضلين الشرفاء : ابناء مصر ، ثمن هذه الرؤية للعمل السياسى الوطنى . سيبقى فى مخيلة الاجيال المعاصرة ، دوره فى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ، وفى منظمة الشباب ، وفى الاتحاد الاشتراكى ، وفى القطاع العام . فى ذلك كله ، سوف نظل ــ دائما ــ نحس بان « الخفيف » لم يمت ، بل انه ساهم فى تاسيس وبناء جيل جديد يحمى العمل الوطنى ويدافع عن مضمونه الاجتماعى التقدمى . سوف نلمس تقاليد ساهم فى ارسائها فى مجال التطبيق فى القطاع العام .

وعزاؤنا ــ الذى هو عزاء « الخفيف » نفسه ــ ان شعبنا العظيم يواصل نضاله من اجل تجسيد احلامه على طريق التحرر والتقدم الاجتماعى والسلام

تحية للمفكر المناضل « الخفيف » فى ذكراه ، وعزاء لشعبنا المصرى والعربى ، الذى قدم « الخفيف » كل ما يملكه : اثمن ما يملكه ، من اجل تحرره .

« الطليعة »



هجرة الأدمغة العربية

تأليف :

الدكتور الياس زين

عرض وتحليل :

مصطفى سامى

الناشر :

المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٢

فى مواجهة التحدى العلمى والتكنولوجى من الدول المتقدمة صناعيا ، وفى مواجهة الفقر والتخلف وانخفاض مستوى معيشة الانسان الى أدنى حد ، لا يجد « العالم الثالث » أمامه غير « التنمية » باعتبارها طريقا للتقدم ومحاولة لتقريب المسافة بينه وبين « العالم المتقدم » ، والتنمية فى الاساس هى تنمية « الانسان » باعتباره مقياسا لكل تقدم حضارى .

من هنا تبرز أمام العالم العربى مشكلة « نزوح الادمغة » ، باعتبارها المشكلة الاولى فى مختلف المجتمعات التى تسير فى طريق التقدم ، فالمجتمعات التى تنتقل اليها الادمغة المبدعة هى « أقدر المجتمعات على اقتناصها ، والمجتمعات التى تنتقل منها الادمغة هى أحوج المجتمعات الى تثميرها » .

والدول العربية ، تعانى من هذه المشكلة او « المعضلة » كما يسميها المؤلف ،بينما قامت فيه

بجوارنا دولة عدوانية وتوسعية مغتصبة تطمع فى أن تكون الدماغ العلمى والتكنولوجى فى منطقة الشرق الاوسط ، وتحاول قدر طاقتها مسايرة التقدم العلمى والتكنولوجى فى الغرب كوسيلة لتحقيق أهدافها التوسعية ، لذلك **تتحدانا مشكلة هجرة الادمغة كمشكلة تحررية أى وجودية بقدر ما تطالعنا كمشكلة تنمية أو كمشكلة انسانية** ٠

وكتاب الدكتور **الياس زين** ، هو محاولة جدية لتشخيص المشكلة باسلوب علمى،من خلال الارقام والاحصاءات التى امتلات بها صفحات الكتاب ٠٠

ان عاطفتنا تجاه العلماء المهاجرين ، وتباهينا بانجازاتهم العبقرية فى الغربة ، ومناداتنا لهم بوجوب العودة الى « الوطن الام » لا يحل مشكلة اغترابهم . فليس المهم ان يعودوا الينا لنحولهم الى « مغتربين »فى وطنهم بدلا من أن يكونوا مواطنين مشاركين ومبدعين ، والبحث العلمى للمشكلة هو الذى يؤدى الى حلها ٠

ومن أهم النتائج التى نخرج بها من هذه الدراسة — من خلال الارقام ، دور الاستعمار العالمى بزعامة الولايات المتحدة فى اغراء العلماء للهجرة اليها ، وهذا المخطط الامريكى احد اساليب الاستعمار الجديد لاستمرار تخلف الدول الفقيرة ، واستمرار تبعية دول العالم الثالث لها ، مما يؤدى الى الوضع الاستعمارى التبعى الاستهلاكى الذى ما نزال نناضل منذ قرن للتحرر منه ٠٠

ان المؤلف يقدم لنا الدراسة فى ٢٢ صفحة يشرح فيها ، معاناة البلاد العربية من استنزاف أغلى ثروة وطنية تملكها وأثمن رأسمال لديها ، فخسارة هذه الثروة والرأسمال تتمثل فى هجرة خيرة ابنائها المتعلمين ، أى حملة الشهادات الجامعية ، والكفاءات والمواهب ، كالعلماء والاطباء والمهندسين والخبراء والاخصائيين والفنيين والطلاب والمثقفين الى البلدان المتقدمة فى الولايات المتحدة وأوربا الغربية ، سعيا وراء العمل والمال أو المزيد من العلم والمعرفة أو الحرية الاكاديمية والشخصية أو المناخ العلمى المناسب ٠ وقد أطلق على حركة النزوح هذه عبارة أصبحت شائعة فى السنوات الاخيرة هى « هجرة الادمغة » أو « نزيف الادمغة »

والمؤلف ، يصدمنا بأول حقيقة ، من خلال احصاء أجرته **اليونسكو** اخيرا ، يكشف أن عشرة آلاف من المهنيين العرب ، وعلى رأسهم العلماء والاطباء والمهندسين والخبراء والطلاب ، يهاجرون كل عام من ثمانية اقطار عربية ، وهى لبنان وسوريا والاردن والعراق ومصر وتونس والمغرب والجزائر ٠٠٠ ،وان ٧٠ فى المائة من العلماء العرب الذين يسافرون الى الدول الغربية للتخصص لا يعودون الى بلادهم ؟ !

والغريب ان تأتى هذه الهجرة ، فى الوقت الذى تمر فيه البلاد العربية بمرحلة من اهم المراحل الحاسمة فى تاريخها ، وهى مرحلة الاحتلال العسكرى لاراضيها ٠ يضاف الى ذلك ، ان **التقدير الاولى للخسارة المادية الناتجة عن هجرة هؤلاء العشرة آلاف تقدر بحوالى مائة مليون دولار سنويا ، تدفعها طبعا الدول العربية الثمانية المذكورة** ٠

وهجرةالادمغة من المنطقة العربية ، لا يمكن أن يقبل من أى عربى عاقل بأى شكل من الاشكال ، لانه يعتبر « استنزافا » لاهم ثروة وطنية تملكها البلاد العربية ٠ ان استثمار مواهب وكفاءات ومهارات رجال العلم والثقافة والفن ، هو الرد الوحيد على التخلف الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والعلمى والتربوى التى تعانى منه البلاد العربية فى الوقت الحالى ٠

وهذه الهجرة يجب أن تدفعنا الى الاصلاح الجذرى أو « الثورة الثقافية العربية » ، التى لابد منها والتى تشمل جميع مرافق الحياة العصرية ٠

والولايات المتحدة هى المحطة النهائية للادمغة المهاجرة من أنحاء العالم ، وليس العالم العربى فقط ٠ وأحدث الاحصاءات التى أعلنت عنها **مؤسسة العلوم الوطنية الامريكية** توضح أن عدد الاخصائيين والفنيين الذين هاجروا من قارة آسيا وحدها الى الولايات المتحدة قد ارتفع الى ١٢٫٠٣٦ فى عام ١٩٦٨ مقابل ٢٫٧٤٨ عام ١٩٦٤ ، أى بزيادة خمسة أضعاف ،وهو رقم قياسى لاى منطقة فى العالم ٠ وفى عام ١٩٧٠ ، كما توضح نفس الاحصائية ، بلغ عدد المهاجرين من آسيا وحدها الى الولايات المتحدة تسعة آلاف عالم

ومهندس وطبيب (ومعظمهمجاءوا من بلاد نامية هى فى أشدحاجة الى علمهم وخبرتهم وكفاءاتهم فى مشروعات تنميتها) ٠

ويقدر البروفسور البريطانى ريتشارد تيموس من جامعة لندن ، أن الولايات المتحدة امتصت قصدا واجتذبت ٠٠٠ر١٠٠ طبيب وعالم ومهندس من الخارج ، فيما بين ١٩٤٩ و١٩٦٧ ٠ واظهر استفتاء فى عام ١٩٦١ ، ان ٢٤ فى المائة من مجموع أعضاء الاكاديمية الامريكية للعلوم هم من العلماء المولودين فى الخارج ٠

بعد هذا العرض العام ، يأتى الفصل الاول من الدراسة بعنوان « **هجرة الادمغة بالارقام والحقائق** » ٠ وقد قدم فى هذا الفصل ثمانية جداول احصائية لحركة الهجرة من البلاد العربية الى البلاد الغربية وخاصة الولايات المتحدة ، وأهم الحقائق التى نصل اليها من خلال تحليل هذه الارقام ، هو ان العلماء والمثقفين والطلاب الذين يهاجرون من البلاد العربية يتجهون بشكل كثيف الى الولايات المتحدة ، وأن بلاد المشرق العربى ، تصدر المهارات العلمية والفنية ، أكثر من بلاد المغرب العربى ٠ وأن نسبة كبيرة من الطلاب العرب فى الخارج لا يعودون ، وأن الهجرة عملية مطردةومستمرةوتتناول أعلى مستويات المهارات العلمية والفنية ، وان الاقليات عموما اكثر ميلا للهجرة من غيرهم ٠

ورغم الجهد الكبير الذى بذله المؤلف فى الحصول على هذه الارقام التى توضح الى حد كبير هجرة علمائنا العرب بشكل عام ، الا أنه ركز بحثه فى هذا الفصل ،على المهاجرين الى الولايات المتحدة بالذات ، ولم يتناول على الاطلاق البعثات العربية الى الدول الاشتراكية رغم أنها زادت فى السنوات الاخيرة ٠ كما جاء تركيزه فى هذا الفصل ايضا على المهاجرين من مصر ولبنان — ربما لسهولة الحصول على ارقام من الدولتين ٠ وتوضح مؤشرات الهجرة فيهما — كما أن المؤلف لم يوضح انتماءات هؤلاء المهاجرين من الناحية الاجتماعية والى اى الطبقات ينحدرون من مجتمعاتهم ٠

ويصل بنا فى نهاية هذا الفصل الى السؤال الذى يطرح نفسه بداهة ، وهو : ما هو أثر هجرة الادمغة وما هى الاخطار الكامنة فيها ؟ وهذا السؤال هو موضوع الفصل الثانى ٠

بالارقام ايضا يحاول المؤلف شرح وجهة نظره فى هذا الفصل ، فهو يوضح الخسارة الفادحة للدول العربية نتيجة لهذه الهجرة التى تبدو فى ظاهرها ضئيلة ، نظرا لان السكان العرب يبلغ تعدادهم حوالى ١٢٠ مليون نسمة ،اى ٤ فى المائة من سكان العالم . ولكن نسبة هجرة اصحاب المهن العرب ، تتراوح بين ٦ و ٢٠ فى المائة من الهجرة الكلية ٠ أكثر من ذلك ، فان نسبة الاخصائيين والفنيين المهاجرين تتراوح بين ٨ و٤٥ فى المائة !

وآخر احصاءات الامم المتحدة يوضح ان حوالى ٠٠٠ر٤٠ شخص من ذوى المهارات هاجروا خلال عام ١٩٦٧ من البلاد النامية الى البلاد المتقدمة صناعيا ، وأن نسبة العرب المهاجرين بلغت ١٢ فى المائة من العدد الكلى ٠ وتعتبر هذه الهجرة خسارة فادحة لا تعوض فى مختلف مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبالاضافة الى ذلك فان هذه الهجرة خسارة مالية كبيرة ، فقيمة هؤلاء العلماء والاخصائيين تتجاوز أى حساب ٠ واذا حاولنا حسابها بالدولار ، نجد أن تعليم وتدريب العالم الواحد يقدر بحوالى ٢٠ الف دولار ، وعلى هذا الاساس ، فان التكاليف الظاهرية لهجرة الكفاءات العربية تبلغ حوالى ١٠٠ مليون دولار سنويا من اجمالى يبلغ حوالى ١٠٠٠ مليون دولار لجميع الدول النامية ٠

ويتطرق الباحث ، بعد ذلك ، الى الفائدة المالية والاقتصادية العائدة على الدول من استقبال هؤلاء العلماء ٠٠ ومما لا شك فيه أن هذه الدول أدركت بخبرتها المردود المالى والاقتصادى من استثمارها لهذه « الادمغة »وتوظيفها فى اقتصادياتها ،فهذه الهجرة احدى الوسائل الاقتصادية الفعالة لتنمية اقتصادها وتطوير مجتمعها بسرعة ٠٠ دون تكاليف باهظة لتعليم الاخصائيين والفنيين فى أراضيها ٠٠ ويضرب على ذلك عدة أمثلة مدعمة بالارقام ٠ وينتهى فى هذا الفصل الى السؤال : **لماذا يهاجر رجال العلم والثقافة الى الخارج؟ وما هى الاسباب والدوافع الى ذلك ؟** وهو موضوع الفصل الثالث ٠

يستعرض المؤلف في هذا الفصل اهم عوامل الهجرة العلمية ودوافعها التي تجعل من البلدان المتقدمة صناعيا واقتصاديا مراكز قوية ، جاذبة ، او أسواقا مفتوحة ، للأدمغة ، المهاجرة من جهة ، ومن البلاد العربية الاخذة في النمو مراكز « دافعة » او « ضاغطة » لهذه الادمغة من جهة اخرى .

وتشير جميع الدلائل الى ان اسباب الهجرة العلمية والفنية العربية ترتبط بالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والفكريةوالنفسية والعلمية والتربوية والحضارية السائدة في البلاد العربية من جهة وبين البلاد « المستوردة » المتقدمة من جهة اخرى . ومعنى ذلك أن قضية ، هجرة الادمغة ، تحكمها عوامل وظروف من داخل البلاد يقابلها عوامل مضادة من الخارج . ويقدر ان ٢٠٠٠ عربي يهاجروا من البلاد العربية كل عام نتيجةلعوامل ، الجذب ، وبين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ اخصائي نتيجة لعوامل « الدفع » . ومن أهم العوامل التي تجتذب الاخصائيين وتغريهم المرتبات والاجور المرتفعة ، والتدريب والدراسة والتخصص في الخارج وتشريعات الهجرة الجديدة المرنة ، واحترام العلم والعلماء والزواج من اجنبيات ، وفرص العمل الواسعة ، والجو العلمي المناسب . أما العوامل الداخلية التي تدفع الى الهجرة فهي عكس العوامل السابقة وتتلخص في المرتبات المنخفضة وفرص العمل الضيقة ، والبطالة العلمية ونظم التعليم التقليدية والرجعية ، وعدم وجود الجو الملائم للبحث العلمي وسوء التوظيف ، وعدم الاستقرار السياسي ، والقيود على الحريات الفكرية والاكاديمية . وينتقل بعد ذلك الى الفصل الرابع وموضوعه « تدابير الحكومات العربية للحد من الهجرة » ففي محاولة لعلاج هجرة المواهب من البلاد العربية اتخذت الحكومات العربية وخاصة في مصر والعراق خطوات وتشريعات للحد من هجرة العلماء والاطباء والمهندسين واساتذة الجامعات ، الذين تمثل مهاراتهم وعلومهم رصيدا وطنيا حيويا وثروة لا تعادلها ثروة ، كما اتخذت اجراءات في بعض الدول لتشجيع المهاجرين منها بالعودة الى أوطانهم بمختلف الوسائل بالاضافة الى محاولات توسيع التعليم العالي ليشمل تخصصات جديدة لم تكن موجودة من قبل مما كان يدفع ببعض الطلبة للخروج من بلادهم لدراسة هذه التخصصات .

وفي ختام هذا الفصل يطلب المؤلف من الدول العربية التي تخسر علمائها ومفكريها في الخارج ، ان تجعل من بلادها مكانا أطيب للعيش والعمل ،بحيث يغري ابناءها بالاقامة فيها ، ولا يمكن أن تصل أي دولة الىهذا المستوى الا برسم خطه عمل مدروسة تستهدف اجراء اصلاحات جذريه في جميع جوانب الحياة ، وهو يطلق على هذه الخطه ، ثوره تربوية وثقافية عربية ، وهي موضوع الفصل الخامس .

والخطوط الرئيسية التي يضعها لهذه الخطة تتلخص في زيادة مرتبات العلماءوالاخصائيين بحيثتتقارب مع نظيرها في الدول المتقدمة واصلاح سياسه التوظيف والاستخدام في الدول العربيه ، فالوظائف تمنح بالوساطة او الانتماء الى كتله او حزب او طائفة او عائلة كبيرة او شخص ذو نفوذ سياسي اوطائفي ،وليس حسب المؤهلات والكفاءات العلمية ثم يطالب باجراء مسح شامل للطاقات الموجودة في الدول العربية ، وانشاء سوق عربية مشتركة للادمغة بحيث تتبادل البلاد العربية العلماء والفنيين فيما بينها ، ثم اصلاح التعليم وتطويره ، واجراء تخطيط تربوي ، وتوفير المناخ العلمي ، وانشاء جامعة عربية مشتركة للحد من سفر الطلاب العرب للدراسة الجامعية في الخارج ، وتكون تحت اشراف جامعة الدول العربيه ، وانشاء معهد للعلوم والتكنولوجيا ، والدعوة الدائمة للعلماء العرب للعودة الى بلادهم عن طريق مكاتب الاعلام والثقافة العربية في الخارج ، وعن طريق اجراء اتصالات شخصية مع العلماء العرب ثم تعديل قوانين الهجرة للحد من سفر الكفاءات العلمية والفنية .

أما الفصل السادس والاخير في الكتاب فعنوانه « التربية هي الطريق الى القوة والتقدم والنصر » وقد قدم لهذا الفصل بتساؤل هو : ما هو الطريق الافضل لازالة آثار النكسة او الهزيمة او لمقاومة الاحتلال العسكري واسترجاع الارض العربية ، او لمواجهة التحدي ، او لخلق امة قوية ومتطورة ؟ وحدد الهدف من هذا الفصل الاجابة على هذا السؤال بالقاء الضوء على تجارب ثلاث دول بالتفصيل ، وهذه الدول الثلاث تتمثل في أن الاولى استطاعت ازالة النكسة والهزيمة واسترجاع

الارض من المحتلين ، والثانية استطاعت ان تواجه التحدى العلمى ، والثالثة تمكنت بعد انتصار الثورة من خلق دولة قوية • وتجارب هذه الدول الثلاث ، ذات الانظمة السياسية والاجتماعية المختلفة ، وفى قارات وأزمنة مختلفة ايضا ، استطاعت ان تصل الى اهدافها وتطلعاتها ، وامانيها القومية نتيجة لعامل واحد مشترك ،وهو التربية بمعناها الواسع « التعليم والعلم والمعرفة » •

والدول الكبرى الثلاث هى **الولايات المتحدة الامريكية** عندما واجهت النصر العلمى السوفياتى فى ميدان الفضاء اى عندما اطلق السوفيت اول قمر صناعى فى عام ١٩٥٧ ، والدولة الثانية هى **الصين الشعبية** عندما انتصرت الثورة عام ١٩٤٩ وصمم قادتها الجدد على خلق امة قوية وعظمى والدولة الثالثة هى المانيا (بروسيا) عندما هزمت على يد نابليون بونابرت واحتل جنوده اراضيها فى عام ١٨٠٦ . ويؤكد المؤلف ، خلال صفحات هذا الفصل ، على دور التربية والتعليم فى النهوض بأى امة من خلال نماذج وامثلة حية من تاريخ الدول الثلاث ،فالتربية والتعليم اذاما وجهت تحت اشراف الدولة تستطيع أن تخلق امة قوية قادرة على توحيد ابنائها ، وتحقيق استقلالها وبالتالى النصر بعد الهزيمة • ومعروف ان الدول المتقدمة فى العالم قد بدأت برامج اصلاحها بالتربية والتعليم •

ويختتم المؤلف كتابه ، بعد هذا العرض الممتاز لشكلة هجرةالعلماءالعرب ،ومحاولةايجاد حلول لها ، بمناقشة مستقبل هجرة الادمغة فهل تستمر وتنمو ، ام أنها ستتوقف ؟

والواقع أن مستقبل الادمغة فى البلاد العربية يتوقف الىحد كبيرعلى الدول العربية نفسها ،عما اذا كانت ستظل عاجزة ، فى المستقبل القريب ، على استثمار الكفاءات والمهارات البشرية العالية وتوظيفها فى الاعمال المناسبة ، من اجل الحصول على المردود المادى والعلمى والفنى والتربوى الاقصى •ويرى المؤلف أن الهجرة ستستمر وتنمو فى السبعينات على الاقل ، كما كان الحال فى الستينات مادامت العوامل الداخلية الضاغطة للهجرة قائمة ، هذا بالاضافة الى عوامل الجذب والاغراءات الخارجية التى لا نستطيع التحكم فيها ، ولكننا نستطيع الى حد كبير أن نتحكم فى العوامل الداخلية ، وهنا يشير المؤلف الىحتمية ان نبدأ من الداخل .■

■■■

حربى ضد المخابرات الامريكية

MY WAR AGAINST THE C.I.A

تاليف :

نوردوم سيهانوك
وولفرد بورشت

عرض :

جوزيف نادر

الناشر :

دار بليكان
لندن ـ ١٩٧٣

كتب مقدمة الكتاب **اندرياس باباندريو** السياسى اليونانى ابن **جورج باباندريو رئيس الوزراء اليونانى الذى أطاح به الانقلاب العسكرى فى** اليونان فى أبريل ١٩٦٧ •

ويقول كاتب المقدمة ، ان الكتاب يكشف النقاب عن محاولات الامبريالية الامريكية التسلل الى **كمبوديا** ، الدولة المحايدة ، من اجل اخضاعها لنفوذها ، وعن المقاومة البطولية لشعب كمبوديا تحت قيادة **سيهانوك** . لقد حاولت الولايات المتحدة ، طوال خمسة عشرعاما ، قبل انقلاب **لون** نول فى ١٩٧٠ ، أن تتغلغل بنفوذها فى الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للشعب الكمبودى ، من أجل اخضاعه بشكل كامل للنفوذ

الامريكى . واخذت هذه المحاولات شكل « المساعدات » العسكرية والاقتصادية والتعليمية ، التى كانت تمنح على أساس افساح المجال للمشروعات الخاصة ، ولرؤوس الاموال الاجنبية ، واتباع سياسة معاداة الشيوعية . الا ان كل ذلك لم يكن الا طمعا ، من أجل فتح الطريق ، أمام الاعتماد المتزايد على الولايات المتحدة .

ويقول سيهانوك : « لقد رفضنا أن نكون أدوات فى أيدى الولايات المتحدة ، وأن نشارك فى الحملة ضد الشيوعية . هذه هى جريمتنا فى أعين حكومات الولايات المتحدة المتتابعة » .

ان الدور الذى يقوم به لون نول فى كمبوديا ، هو دور العملاء الامريكيين فى كل مكان . وعلى الشعوب التى وقعت فريسة للاستعمار الامريكى أن تتحد لمقاومته . انها فى حاجة الى مساعدة المعسكر المعادى للاستعمار . ان الاستعمار الامريكى ، يشكل تهديدا عالميا ، ليس فقط لاستقلال الشعوب ، ولكن أيضا لبقاء البشرية على وجه الارض .

ويختتم كاتب المقدمة كلمته بقوله : ان شعوب الهند الصينية تحملت العبء الرئيسى ضد العدوان الامريكى ، وقد اشاروا الى الطريق الذى يتعين علينا أن نتبعه .

أما ولفرد بورشت فيخبرنا ، ان الكتاب يحكى قصة كمبوديا منذ مقابلة نوردوم سيهانوك للاخوين دالاس اللذين كانا على رأس وزارة الخارجية الامريكية ووكالة المخابرات المركزية من منتصف الخمسينات حتى تاريخ الانقلاب فى ١٨ مارس ١٩٧٠ ، كما يصف الاساليب التى اتبعت لفرض سياسة معينة على بلد صغير . لقد طلبا من سيهانوك أن يتخلى عن سياسة الحياد . وعندما فشلت الضغوط الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية تبع ذلك فترة من التآمر والاغتيال . واخيرا لجأوا الى رشوة لون نول للقيام بانقلابه العسكرى وصحب ذلك التدخل العسكرى للولايات المتحدة فى كمبوديا ، ان الولايات المتحدة لا تسمح بأى انحراف عن سياستها التى لا تتخلى عنها الا اذا فرض ذلك عليها بالقوة المسلحة .

والمعلومات الواردة بالكتاب ادلى بها الامير سيهانوك بالفرنسية الى بورشت الذى ترجمها الى الانجليزية .

الانقلاب وما سبقه من أحداث

قام لون نول بانقلابه يوم ١٨ مارس ١٩٧٠ اثناء زيارة سيهانوك الى موسكو . وعندما وصل الامير الى بكين ، وقام بتشكيل حكومة كمبودية فى المنفى برئاسته .

ولقد بدأ التنظيم للانقلاب بعودة مجموعات مسلحة من قوات « كمبوديا الحرة » ، التى كانت تعمل ضد كمبوديا من قواعد لها فى تايلاند تحت اشراف المخابرات الامريكية ، الى أراضى كمبوديا معلنة انسلاخها عن « كمبوديا الحرة » . وكان لون نول - الذى كان رئيسا للوزراء فى ذلك الوقت - يتفاخر بمحاولاته لكسب هذه الجماعات لكى تعود الى كمبوديا - وعندما كان سيهانوك فى هانوى فى سبتمبر ١٩٦٩ لحضور جنازة هوشى منه ، أخبره رئيس وزراء فيتنام الشمالية ، أن كميات القمح والادوية التى كانت الصين تشتريها سنويا لتسليمها لقوات الفيت كونج لم يتم تسليمها فى تلك السنة . وفى ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ قامت وزارة لون نول بتسليم قطاع الصادرات والواردات الى القطاع الخاص بعد أن كان مملوكا للدولة ، كما فعلت نفس الشىء بالنسبة لبعض الصناعات الخاصة بالادوية والمشروبات الكحولية . وكذلك سمحت للبنوك الخاصة والاجنبية باستئناف نشاطها فى كمبوديا .

وفى يوم ١١ مارس ١٩٧٠ اوعز وزير التعليم الى الطلبة بالقيام بمظاهرات ضد الفيت كونج . كما حاولوا تدبير مظاهرات يوم ١٦ مارس ضد سيهانوك الذى كان بالخارج ، ولكن هذه المظاهرات فشلت ، لان انصار سيهانوك قاموا بمظاهرات مضادة .

وبعد انقلاب ١٨ مارس مباشرة ، كانت هناك هبات تلقائية بين الفلاحين ضد لون نول . واستجابت قوات « كمبوديا الحمراء » ، على الفور لنداء سيهانوك الذى اذاعه من بكين ، رغم المضايقات التى عانت منها هذه القوات فى الماضى على أيدى سيهانوك نفسه . واشتدت حركة المقاومة فى البلاد ، وتم تحرير معظم أراضى كمبوديا . وعندما قامت القوات الامريكية ، وقوات سايجون ، بغزو البلاد لحماية الانقلاب العميل .

ثم يستعرض سيهانوك فى كتابه ، محاولات امريكا منذ عام ١٩٥٥ ، لحمل كمبوديا على الانضمام الى حلف جنوب شرقى آسيا ، عن طريق الاغراء ثم التهديد . ويقول سيهانوك ، أنه استقبل ، أثناء زيارته لمانيلا عاصمة الفلبين فى ٣١ يناير ١٩٥٦ ، استقبالا حماسيا اعدته له الحكومة الفلبينية ، وحاولت أثناء الزيارة دفعه الى الانضمام للحلف ولكنه رفض ثم قامت تايلاند وفيتنام الجنوبية ، بفرض حصار اقتصادى ضد

كمبوديا نتيجة لاصرارها على اتباع سياسة الحياد . وكان رد كمبوديا على ذلك أن قرر المؤتمر القومي الثالث للحزب الاشتراكي الشعبي ـ الذى شكله سيهانوك ـ الاعتراف بالاتحاد السوفييتي وبولندا وقبول المساعدات الاقتصادية منهما .

ويبين سيهانوك فى كتابه ، كيف كانت المساعدة الاقتصادية الامريكية الهزيلة مصدرا للفساد منذ البداية ، حيث استخدمت لرشوة بعض المسئولين فى كمبوديا مما ادى الى خلق طبقة كمبرادورية عميلة .

مؤامرة داب تشوون

فى يونية ١٩٥٨ قامت قوات سايجون بغزو أراضى كمبوديا ، وتغلغلت فيها الى مدى ٩ أميال . وعندما أخبر سيهانوك السفير الامريكي أن كمبوديا سوف تستخدم القوة المسلحة لطرد قوات سايجون ، قال له السفير ، ان كمبوديا لا يمكنها استخدام المعونة الامريكية ضد حلفاء امريكا ، بل يجب استخدامها فقط ، ضد القوات الشيوعية . وان أمريكا سوف توقف مساعداتها فورا اذا استخدمتها كمبوديا ضد فيتنام الجنوبية عضو حلف جنوب شرقى آسيا .

وفى أغسطس ١٩٥٨ قرر سيهانوك الاعتراف بالصين الشعبية مما آثار غضب المخابرات الامريكية التى قامت بتدريب وإعداد قوات « خمير سيراى (كمبوديا الحرة) فى تايلاند وفيتنام الجنوبية تحت قيادة سون نجوك تانه ، الذى كان قد تعاون مع قوات الاحتلال اليابانية أثناء الحرب الثانية وحكم الفرنسيون عليه بالاعدام . وبعد الاعتراف بالصين الشعبية بحوالى شهر ، اجتمع مجلس حلف جنوب شرقى آسيا فى بانجوك ، وقرر المجتمعون اتخاذ خطوة ضد سيهانوك الذى تجاسر واعترف بالصين الشعبية . وبدأت المخابرات الامريكية وعملاؤها نشاطهم بعد أن تم الاتفاق بينهم على القرارات الآتية :

١ ـ تمويل حزب المعارضة فى كمبوديا لمقاومة نظامها الحيادى .

٢ ـ العمل على خلق حالة عدم استقرار داخل كمبوديا ونشر الاشاعات عن مؤامرات شيوعية موهومة .

٣ ـ تكوين جماعات مسلحة داخل كمبوديا استعدادا لحالة الصفر .

وفى يناير ١٩٥٩ ارسل سام سارى (الذى فصله سيهانوك من عمله كسفير لكمبوديا فى لندن بعد فضيحة خلقية) خطابا مفتوحا الى الامير يطالب تكوين حزب سياسى جديد ، وصحب ذلك عدة حوادث اختطاف ، حصة بين أطفال عدد من السياسيين ، وخلال فبراير ١٩٥٩ قام عدد من الامريكيين بزيارة داب تشوون حاكم منطقة سيم ريب ، وكان من بين الزوار ادوارد لانزدال احد رجال المخابرات الامريكية ، والمتخصص فى العمليات السرية . وفى ٢١ فبراير تم القاء القبض على داب تشوون الذى كان يدبر لمؤامرة انقلاب بمساعدة الامريكيين . ومما يلفت النظر ، ان المعلومات عن المؤامرة ، وصلت الى سيهانوك عن طريق آخر غير طريق لون نول الذى بادر الى قتل داب تشوون فور القاء القبض عليه ، وقبل الحصول على تفاصيل المؤامرة منه .

وفى ٣١ أغسطس من نفس العام ، انفجر طرد فى القصر الملكى كان مرسلا الى الملكة الام ، مما أدى الى مقتل الامير فاكريفان رئيس البروتوكول وايضا الحاجب الخاص للملك . وعند تتبع مصدر الطرد ، وجد أنه أرسل من قاعدة عسكرية امريكية فى فيتنام الجنوبية .

معجزة البقاء

لقد تعجب الكثيرون من مقدرة كمبوديا على أن تبقى محايدة حتى انقلاب ١٨ مارس ١٩٧٠ ، واعتبروا أن ذلك كان معجزة ، بل ان مجرد بقاء سيهانوك حيا كان معجزة ، واذ جرت محاولة أخرى لاغتياله فى نهاية ١٩٥٩ .

وأثناء زيارة ليو شاوشى رئيس جمهورية الصين الشعبية ، آنذاك لكمبوديا ، فى أوائل ابريل ١٩٦٣ ، كان هناك عميلان من تايوان (فورموزا) يحضران لنسف السيارة التى كانت تقل كل من سيهانوك وليو شاوشى . ولكن الصين الشعبية نبهت مخابرات كمبوديا ، بمجرد مغادرة العميلين لتايوان فى طريقهما الى بنوم بنه . وفى ١٩٦٣ أيضا ، تم ضبط شحنة من الاسلحة مرسلة الى داخل كمبوديا عليها اسم سفارة الولايات المتحدة . وكانت هذه بعض أسباب رفض كمبوديا لما يسمى « بالمساعدة » الامريكية فى نوفمبر ١٩٦٣ .

لقد كانت الولايات المتحدة تصر على اعطاء « معونتها » الاقتصادية للقطاع الخاص فقط ، الذى كان يستخدم هذه الاموال لمصلحته الخاصة وليس فى مصلحة الشعب الكمبودى . بل ان هذه « المساعدة » فتحت الباب للرشوة والفساد واستخدمت فى تدبير المؤامرات .

ونتيجة للغارات الامريكية المتكررة على الحدود الكمبودية قررت حكومة كمبوديا قطع علاقاتها

الدبلوماسية مع الولايات المتحدة فى ٣ مايو ١٩٦٥ .

الاستقلال فوق كل شيء

تولى سيهانوك عرش كمبوديا فى ٢٥ أبريل ١٩٤١ ، وكان عمره ١٨ عاما آنذاك . وكانت كمبوديا ، فى ذلك الوقت ، تحت الحماية الفرنسية التى سلمتها لليابانيين . وقد أعلن اليابانيون استقلال كمبوديا فى مارس ١٩٤٥ ، على شرط انضمامها لهم فى الحرب العالمية الثانية . ولكن سيهانوك تباطأ فى الموافقة على ذلك . وبعد هزيمة اليابان ، أعلن سيهانوك للفرنسيين اصراره على الاحتفاظ بالاستقلال ، ولكنهم رفضوا ذلك . وطلب سيهانوك من الولايات المتحدة أن تتدخل لدى الفرنسيين . ولكن الامريكيين طالبوه بمحاربة قوات فيت منه ، الشيء الذى رفضه سيهانوك . ثم اضطر الفرنسيون الى الاعتراف باستقلال كمبوديا فى ٩ نوفمبر ١٩٥٣ .

وفى ٢ مارس ١٩٥٥ اذاع راديو كمبوديا قرار سيهانوك بالتخلى عن العرش . وكان القرار مفاجأة للجميع ، بما فى ذلك افراد العائلة المالكة .

وكان سبب ذلك القرار ان سيهانوك شعر ان التاج سوف يجعل منه مجرد رمز ، ولكنه اراد أن ينزل بكل قواه الى الحلبة السياسية . وقرر تشكيل تنظيم سانجكوم الاشتراكى ، واتباع سياسة الحياد الايجابى ، وكان لنهرو دوره فى أن حبذ سيهانوك هذه السياسة . وبعد وفاة والده فى ١٩٦٠ تقرر تنصيب سيهانوك رئيسا للدولة .

دور كمبوديا النضالى

يحاول الامريكيون تصوير المعارك التى تدور فى الهند الصينية ، على أنها بينهم وبين فيتنام الشمالية التى ترسل قواتها الى كمبوديا ولاوس ، متجاهلين دور شعوب هذه البلدان . لقد قامت قوات جبهة تحرير فيتنام الجنوبية بامداد الكامبوديين بالاسلحة ، كما قامت فيتنام الشمالية بتدريب رجال المقاومة فى كمبوديا . ولكن المعارك التى تدور فى كمبوديا يخوضها الكامبوديون . ويرجع الفضل فى ازدياد واتساع صفوف المقاومة فى كمبوديا الى وحشية لون نول وقوات فيتنام الجنوبية الذين ارتكبوا مذابح بشعة .

وفى مارس ١٩٧١ كان قد تم تحرير ٧٥١ قرية من مجموع ١١٢٩ . وبعد ستة شهور كان قد تم تحرير اربعة اخماس اراضى كمبوديا . وفى نهاية ١٩٧١ كانت القرى المحيطة ببنوم بنه العاصمة فى قبضة قوات التحرير .

وهناك بالطبع تعاون فى مناطق الحدود بين الثوار فى كمبوديا وفيتنام ولاوس . ولكن هناك ايضا احترام متبادل لاراضى كل دولة . ويرجع الفضل فى ذلك الترابط بين ثوار هذه البلاد الى قوات نيكسون التى قامت بغزو كمبوديا فى ابريل ومايو ١٩٧٠ ، وجنوب لاوس فى فبراير ومارس ١٩٧١ .

حيـــاة جديدة

ان الفلاحين فى المناطق المحررة يعيشون حياة حرة حقيقية ويتمتعون بثمار عملهم فعلا ، وذلك يفسر اندفاعهم الى المشاركة فى المعارك الدائرة الان . لقد ارسلت مجموعة من المثقفين الذين هربوا من بنوم بنه ولجأوا الى المناطق المحررة رسالة الى سيهانوك جاء فيها : « ان المناطق المحررة لا تبعد كثيرا عن العاصمة ، ولكننا شعرنا اننا ندخل عالما مختلفا تماما فليس هناك اسلاك شائكة حول المبانى الادارية ، ولا قوات عميلة تحمل السناكى وتشع الكراهية من وجوهها وتقوم بتفتيش المارة من قمة رؤوسهم الى أخمص اقدامهم ، لا رشوة ولا حملات بوليسية ولا اذلال للفتيات . المعرفة تحترم ، المثقفون وكل العناصر الوطنية والتقدمية يستطيعون تطبيق آرائهم عن الديمقراطية والوطنية ومشاعرهم نحو الشعب » ورسالة اخرى كتبها تشون هوى — مهندس اذاعى هرب ايضا الى المناطق المحررة — يقول فيها : « وجدت مناجو الصداقة والتضامن والديمقراطية ، ليس هناك مخبرون سريون ولا بوليس ولا قوات عميلة . نحن نعيش كاخوة ، الشعب يتوحد معنا ومع المقاتلين الذين هم من أبناء وبنات الشعب الكمبودى ، فى احترام متبادل ومساعدة متبادلة ونقاء خلقى . ليس هناك لصوصية ولا قمار ولا فساد .. وهذا هو مصدر حماسنا وثقتنا » .

ويلاحظ ان الالوف من الشعب الكمبودى يتدافعون للانضمام الى قوات التحرير ، لانهم يدركون ، ان عليهم اما أن يحاربوا او أن يختفوا كامة . ويلعب الكهنة البوذيون دورا هاما فى تشجيع الناس على حمل السلاح ، لانهم كانوا على مدى التاريخ مرتبطين بالشعب .

ان غالبية الناس الذين يرسلون مثل هذه الرسائل ، لم تكن تهتم بالسياسة من قبل . ولكن جرائم نيكسون ولون نول غيرت من تفكيرهم ، ولقد اتهم سيهانوك بأنه كان طاغية ولكن ماذا فعلت عصابة لون نول ؟ لقد الغوا الدستور واعلنوا حالة الطوارىء واتخذوا الاجراءات الكفيلة بكبت الصحافة والرأى العام . واصدروا القوانين التى تقضى باعدام من يشارك فى الدعاية ضد الحكومة سواء بالكلمة المنطوقة او المكتوبة ، والحكم بمدة

تتراوح بين خمس سنوات وعشرين سنة بالاشغال الشاقة على من يستمع الى راديو بكين او هانوى او الفيت كونج ، او اى اذاعة اخرى معادية للنظام . كما قاموا بحل مجلس الامة وقرروا منع الاجتماعات السياسية والمظاهرات .

هجوم الربيع

لقد قاست قوات حكومة سايجون من الضربات القاصمة التى وجهت اليها فى ربيع ١٩٧٢ بسبب التعاون المشترك بين قوات الجنرال جياب من فيتنام الشمالية ، وقوات الباثت لاو فى لاوس ، وقوات جبهة التحرير فى جنوب فيتنام ، وقوات التحرير فى كمبوديا . وكان ذلك التعاون ثمرة لمؤتمر شعوب الهند الصينية ، الذى عقد فى ابريل ١٩٧٠ . وفى عشية هجوم الربيع ، قامت قوات التحرير بكمبوديا بنسف مخزن اسلحة ضخم فى مطار بنوم بنه ، كما صحب ذلك عمليات عسكرية داخل العاصمة ذاتها ، مما دفع العدو الى سحب جزء من قواته الى بنوم بنه للدفاع عنها . وكان ذلك جزءا من عملية الاستعداد للضربة الرئيسية ذاتها .

وفى عملية « تشينلا ٢ » ، التى وقعت فى النصف الثانى من عام ١٩٧١ وجهت قوات التحرير فى كمبوديا ضربة قاصمة الى قوات لون نول ، فقدت فيها القوات العميلة ١٢ ألف جندى من مجموع ٢٠ الفا .

المستقبل

ان البرنامج السياسى لحكومة سيهانوك فى المنفى يحدد ان السياسة الخارجية لكمبوديا هى الاستقلال والسلام ، والحياد ، وعدم الانحياز ، والتضامن ، والصداقة مع كل الشعوب والحكومات المحبة للسلام .

ويرى سيهانوك ان مستقبل جنوب شرقى آسيا يكمن فى حياد المنطقة ، ولكنه حياد معاد للاستعمار . اما بالنسبة للسياسة الداخلية فسوف يتعايش قطاع الدولة مع القطاع الخاص ومع قطاع الدولة ـ الخاص .

ويبرز الأمير سيهانوك ان الولايات المتحدة تشن حربا ضد الطبيعة فى كمبوديا مستهدفة القضاء على التربة الخصبة وعلى مزارع المطاط فيها . ويتساءل سيهانوك ما هو الفارق بين هتلر الذى

حرق عشرات الالاف فى افران الغاز ، وبين عملية الابادة التى يشنها نيكسون ضد شعب كمبوديا والطبيعة ذاتها هناك .

وبالنسبة للمستقبل الشخصى لسيهانوك فقد وافق تحت ضغط الاغلبية الساحقة على أن يبقى رئيسا للدولة بعد طرد العدو وعملائه الخونة . وان كان يرى ان مستقبل كمبوديا السياسى سيكون فى أيدى الشباب التقدمى الذى يتميز بالنقاء الوطنى .

■ ■ ■

نمو الاقتصاد الاسرائيلى

■ تأليف :

عثمان محمد عثمان

■ عرض :

عبد اللطيف حنفى

■ الناشر :

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام

رغم ان عدد صفحات هذا الكتاب لايتجاوز المائتى صفحة من الحجم الصغير ، الا انه يعتبر مساهمة تمتاز بالجدة والجدية فى القاء الضوء على تطور ونمو اقتصاديات العدو الاسرائيلى خلال العشرين عاما ، الممتدة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٩ .

ويقع الكتاب فى خمسة فصول : أولها تمهيدى ، يتضمن تعريفات لبعض المفاهيم فى المحاسبة القومية ، والطرق المختلفة لتقدير الكميات الاقتصادية الاجمالية ، وتحليلا لبعض المشاكل الاحصائية المتعلقة بالموضوع . اما الفصل

الثانى ، فيدرس موارد الاقتصاد الاسرائيلى (الناتج القومى وفائض الاستيراد) ويدرس **الفصل الثالث** استخدامات او تخصيص الموارد بين اوجه الانفاق المتعددة . وفى **الفصل الرابع** ، يتناول الكتاب نصيب كل قطاع من قطاعات النشاط الاقتصادى فى الناتج القومى ، ونسبة كل من دخل العمل ، وعائد رأس المال الى الدخل القومى، وتطور الانتاجية ، باعتبارها جميعا ، مؤشرات توضح طبيعة بنيان الاقتصاد الاسرائيلى . أما **الفصل الاخير** ، فيدرس بشكل اجمالى مدى قدرة الاقتصاد الاسرائيلى على الاستمرار فى تحقيق معدلات عالية للنمو فى الناتج القومى .

ولا شك أن أهمية الدراسات التى تحملها أوراق الكتاب سوف تبدو واضحة تماما على ضوء مجموعة الحقائق التالية :

أولا : ان اسرائيل ــ الدولة المشروع ــ هى حتى الان وبكل المعايير السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، أكبر وأربح المشروعات التى أقامتها الامبريالية العالمية خلال هذا القرن ، فى أى بقعة من بقاع دنيانا الواسعة .

ثانيا : ان المواجهة بين حركة التحرر الوطنى العربية من جانب وبين هذه الدولة المشروع والقوى الامبريالية المساندة لها من جانب آخر ، هى بالاساس مواجهة حضارية ، تمتد على كل الجبهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية وتشمل الفكر والفن والادب كل ذلك فى آن واحد ، ولعله من هنا كان الاجماع بيننا ، على ان اطلاق طاقات شعبنا كله وقواه المنتجة بالاساس ، واستثمار هذه الطاقات والقوى باقصى كفاءة ممكنة ، هو الطريق الوحيد لمواجهة ناجحه مع العدو . فالشىء الواضح جدا ، اننا أمام أمر لا تجدى فيه استخارات النجوم ، ولا يفيده بالتأكيد أن يكون بأسنا بيننا أشد من بأسنا على عدونا . وانما الذى يجدى فيه فقط أن تستشار كل العقول المستنيرة ، باعتبارها الاقدر علميا وعمليا على الوفاء بمسئوليات هذه المواجهة المتعددة الجوانب .

ثالثا : أن ما كتب بالعربية من دراسات خلال سنوات ما بعد هزيمة يونيو ، وبشكل خاص حول موضوع تطور ونمو اقتصاديات العدو الاسرائيلى ، كان بالغ الندرة. وهو أمر يثير الدهشة دون شك . ومع ذلك ، فلعله ليس مصادفة ولا تقصيرا ، أن المراجع العشرين التى ذكرها المؤلف فى نهاية كتابه ، والتى تتناول مختلف نواحى النشاط الاقتصادى فى اسرائيل لم يكن بينها سوى مرجع واحد مؤلف بالعربية هو كتاب **د . يوسف صايغ** عن الاقتصاد الاسرائيلى ومن عجب حقا ، أن تاريخ نشر هذا الكتاب ، يعود الى عام ١٦٦٩ أى قبل الهزيمة بنحو عام كامل . وعموما فان علامة الاستفهام الكبيرة التى تظهر هنا سوف تظل ــ رغم أية ذرائع ــ معلقة برقاب الجامعات المصرية ورجال العلم فيها كجزء من الدين الوطنى الواجب الاداء .

وكتاب « نمو الاقتصاد الاسرائيلى » كما يقول عنه مؤلفه واحد ضمن مجموعة ابحاث استطلاعية تقوم بها الوحدة الاقتصادية **بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام** « تهدف الى تكوين فكرة عامة وعريضة عن الاقتصاد الاسرائيلى ، وفهم خصائصه الاساسية ، وعلاقات الترابط بين الكميات والمتغيرات الاقتصادية المختلفة بما يفسر حركة هذا الاقتصاد وعوامل تطوره » . ويحدد المؤلف موضوع كتابه فى المقدمة بانه دراسة « الاقتصاد الاسرائيلى فى أعلى مراحله تجميعا أى المستوى القومى » ولذلك فهو يركز على الكميات الاقتصادية الاجمالية (الناتج القومى وأوجه انفاقه ــ الدخل القومى والانشطة المولدة له) فالكتاب ، مثلا ، ليس دراسة فى أدوات السياسة الاقتصادية ، ومدى فاعليتها . وهو ، أيضا ، لا يركز على قطاع بعينه من قطاعات النشاط الاقتصادى ، أو ظاهرة بعينها من ظواهره وأخيرا فهو ينصب ــ بصورة أساسية ــ على تطور الاقتصاد الاسرائيلى فى السنوات العشرين الماضية ، وليس على توقع حركته فى المستقبل .

وعلى هذا الضوء يعمد المؤلف الى منهج الحسابات القومية يتخذه اطارا ملائما لدراسة موضوعه . وفى تقديرنا ، فان الميزة الاساسية لهذا الكتاب أنه من زاوية الموضوع الذى تناوله بالبحث محاولة ناجحة للاقتراب من النغمة الصحيحة فى دراسة العدو الاسرائيلى وطرحه على الانسان العربى .ذلك أن كثيرا مما ينشر بالعربية من دراسات حول اسرائيل سواء كان مؤلفا أو مترجما عن لغة أخرى ، ما يزال ــ للاسف ــ يتأرجح كالبندول ــ بنظرة أحادية الجانب ــ قفزا بين حافتى الهاوية « بين التهوين والتهويل » يرى سلبيات الدولة المشروع فيسكرنا بوهم التفوق ، أو يرى ايجابياتها فيحبطنا بوهم العجز عن المواجهة . ولكن المؤلف استطاع ان ينجو بكتابه من هذه الدائرة الخبيثة ، فهولم يضع الاقتصاد الاسرائيلى على مائدة البحث لكى يدينه أو يبهر به وانما لكى يدرسه ، بما اتاحه له علمه الاقتصادى من أدوات مناسبة ، ويقدمه للقارىء ،

كما هو ، أى كحقيقة موضوعية بما فيه من جوانب القوة وجوانب الضعف ٠ وليس خافيا ، بطبيعة الحال ، أن هذه هى نقطة البدء الصحيحة لفهم العدو ومواجهته فى هذا المجال من مجــالات نشـاطه . فالمؤلف حينما يتناول مثـلا تطـور الاقتصاد الاسرائيلى من زاوية معدل النمو السنوى فى الناتج القومى ، يشير الى أن « الاقتصاديين الاسرائيليين ينظرون الى ارتفاع معدل نمو الناتج كأحد سمات الاقتصاد الاسرائيلـى ، وابـرز منجزاته ، منذ اعلان اسرائيل » ويشير ايضا الى أن تحقيق هذا المعدل المرتفع كان أحد الاهداف الرئيسية لسياسة العدو الاقتصادية ، وانه قد نجح « باستثناء بعض فترات الركود » فى تحقيق هذا الهدف ، بصرف النظر عن عوامل ذلك ، والاسباب المؤدية اليه ٠ ويرصد المؤلف من خلال دراسة دقيقة للارقام المتاحة عن نمو الناتج القـومى الاسرائيلى أن هذا الناتج ـ مقوما بـالاسعار الثابتة ـ قد تضاعف حوالى خمس مرات منذ سنة ١٩٥٠ حتى سنة ١٩٦٩ بمعدل نمو سنوى يصل الى حوالى ٩ر٨ فى المائة فى المتوسط ٠

فخلال الفترة ٥٠ ـ ١٩٥٩ زاد اجمالى الناتج القومى حوالى ٦ر٢ مرة من ١٧٠ر١ مليون جنيه اسرائيلى عام ١٩٥٠ الى ٠٤٧ر٣ مليون جنيه عام ١٩٥٩ (وذلك بأسعار سنة الاساس المختارة لهذه الفترة وهى سنة ١٩٥٥) بينما تضاعف حوالى ١ر٢ مرة فى الفترة ٦٠ ـ ١٩٦٩ فزاد الناتج القومى من ٥٣٠ر٥ مليون جنيه عام ١٩٦٠ الى ٦٨٨ر١٢ مليون جنيه عام ١٩٦٩ (وذلك بأسعار سنة الاساس المختارة لهذه الفترة وهى سـنة ١٩٦٤) ٠

ولا يركن المؤلف فى تقصيه لاسباب ارتفاع معدل النمو فى الاقتصاد الاسرائيلي الى الرأى القائل بأن ذلك يرجع الى أن اسرائيل بدأت من مستوى انتاجى منخفض ٠ ومن ثم كان أمـام الاقتصاد الاسرائيلى امكانية النمو بمعدلات سريعة ويقول المؤلف : أن هذا التبرير ليس كافيا فى حد ذاته ٠ فيرى البعض ان واقعة انخفاض المستوى الانتاجى فى الاقتصاد الاسرائيلى ربما لا تنطبق الاعلى القطاع اليهودى قبل اعلان قيام اسرائيل وذلك بحكم حداثة تكوينه ٠ أما فيما يتعلق بالقطاع الاقتصادى العربى فى فلسطين ، فانه يصـعب الحكم بانخفاض مستواه الانتاجى ، بل على العكس ـ وكما يؤكد د ٠صايغ فى كتابه ـ فان الدراسة المقارنة للاقتصاد اليهودى والعربى فى فلسطين لا يمكن أن تنتهى الى ضعف الاقتصاد الفلسطينى ، وانما تؤكد حيوية مجالات النشاط الاقتصادى العربية ، فى الوقت الذى كانت الزراعة والصناعة اليهودية تعانى فيه من أوجه قصور متعددة على الرغم من جودة الاراضى التى سيطر عليها اليهود ، ووسائل التمويل المتـوفرة ، والاستثمار الكثيف واستخدام تكنولوجيا متقدمة ، الى جانب الحمايـة التـى تمتع بهـا اليهــود فى ظل حكومة الانتداب ٠٠ الخ ٠ وفضلا عن ذلك فان تحقيق معدلات عالية للنمو الاقتصـادى بعد خمس سنوات من قيام اسرائيل ، واستمرار هذه المعدلات العالية ، كاتجاه عام لتطوير الاقتصاد الاسرائيلى يقلل من صحة هذا الرأى ٠ ويرجع الكتاب تطور الاقتصاد الاسرائيلى على هذا النحو الى عدة عوامل ابرزها ما يلى :

اولا ـ نمو وتركيب الهجرة الى اسرائيل بما يتيح مزيدا من العناصر البشرية المتقدمة وهو ما ساعد على زيادة انتاجية العامل ٠

ثانيا ـ الكفاءة فى تنظيم واستخدام عناصر الانتاج ٠

ثالثا ـ الطبيعة الخاصة لمصادر تمـويل الاستثمار ٠

وحينما يتوقف المؤلف ليتناول ، بالبحث ، حجم الاستثمار فى اسرائيل ، وعلاقته بمعدل النمـو المرتفع ، من ناحية ، وبتدفق رأس المال مـن الخارج ، من ناحية اخرى ، يضع يده على ما يعتبر السبب الرئيسى وراء معدل النمو العالى الذى يحققه الاقتصاد الاسرائيلى ، وهو ارتفاع الاهمية النسبية للتراكم الرأسـمالى حيث يبلغ اجمالى الاستثمارات المنفذة سنويا حــوالى ٢٧ ـ ٣٠ فى المائة من اجمالى الناتج القومى فى المتوسط ٠ واذا كانت هذه النسبة تضع اسرائيل فى مقدمة الدول جميعا من حيث كثـافة الاستثمارات ، الا ان السؤال المهم حقا هو حول كيفية تمويل الاستثمار فى اسرائيل ؟ أو هو بعبارة اخرى ، حول علاقة الارتباط بين ارتفاع حجم الاستثمار كواحد من اهم خصائص الاقتصــاد الاسرائيلى ، وبين تدفق رأس المال من الخارج ؟

فمن المعروف كما يقول المؤلف ، ان تمويل التراكم الرأسمالى ـ بصفة عامة ـ يعتمد على المدخرات المحلية او الاجنبية ٠ وبعبارة ثانية ، فانه فى الظروف العادية ، يتم تخصيص الناتج القومى المتولد فى فترة زمنية ما (سنة مثلا) بين الانفاق الاستهلاكى بنوعيه (العام والخاص) وبين الادخار الذى يمول عملية التكوين الرأسمالى وزيـادة الطاقة الانتاجية ٠ وفى بداية عملية التنمية ، غالبا

ما يضطر الاقتصاد الى الاستدانة من الاقتصاديات الاجنبية ، اما لعدم كفاية المدخرات المحلية ، او لحاجته الى حجم من السلع الراسمالية التى لا يولدها جهازه الانتاجى • اما فى اسرائيل فان الصورة تختلف تماما حيث تمثل الموارد الاضافية المتوفرة للاقتصاد الاسرائيلى ، الى جانب الناتج القومى المتولد فيه نسبة عالية ، وذلك من خلال ما يعرف بفائض الاستيراد •

وكما يظهر من الارقام ، فان الاقتصاد الإسرائيلى ، كان يستهلك سنويا ما عدا بعض السنوات ، اكثر مما يولده الجهاز الانتاجى من السلع والخدمات • ومن ثم لم يحقق الاقتصاد الاسرائيلى — فى معظم السنوات — ادخارا حقيقيا يمكنه من زيادة الطاقة الانتاجية • والنتيجة الوحيدة لذلك : ان فائض الاستيراد ، كان مصدرا اساسيا لتمويل عمليــة التراكم الراسمالى ». والاكثر من هذا ان جزءا من هذا التدفق الراسمالى الاجنبى كان يخصص للاستهلاك فى كثير من الاحيان ، وبعبارة اخرى ، فان تدفق رأس المال ، من الخارج ، من خلال عجز ميـزان المدفوعات كان من الكبر بحيث يمول برنامجا استثماريا ضخما ، تكاد اسرائيل تنفرد بارتفاع نسبته الى الناتج القومى وذلك دون أن تضغط مستويات الاستهلاك فيها بل على العكس تلى بجانب من الاستهلاك عن طريق فائض الاستيراد المتدفق سنويا • وهنا تكمن نقطة الضعف المحورية فى كيان الاقتصاد الاسرائيلى كله • فانخفاض نسبة المدخرات المحلية الى اجمالى الناتج ، وارتفاع نسبة الواردات الى هذا الناتج ، ونسبة المحتوى الاستيرادى لاستخداماته المختلفة ، كل هذه ظواهر مترابطة ، تؤكدمن خلال المعالجــة الاكاديمية للاقتصاد الاسرائيلى ما ذهبنا اليه فى بداية هذا العرض من وصف اسرائيل بأنها مشروع امبريالى لا يمكنه الحياة إلا معتمدا على عمليات الحقن من الخارج ، تلك العمليات التى تباشرها الامبريالية لحساب الاقتصاد الاسرائيلى ، وفى نفس الوقت ، فلقد اكدت التطورات العملية ان هذه الظواهر ، ليست امرا طارئا ، وانما هى خصائص مزمنة ، سوف يصعب ، ان لم يكن يستحيل ، التغلـب عليها ، فمن المعروف ان الهدفين الاســاسيين للاقتصاد الاسرائيلى هما : اولا — تحقيق معدل نمو اقتصادى مرتفع ، وثانيا الوصول الى الاستقلال الاقتصادى بتقليل الاعتماد على رأس المال الاجنبى عن طريق تقليل العجز فى ميزان المدفوعات ، ولكن التجربة العملية اثبتت عمق التناقض بين هذين الهدفين حيث ادت محاولة تخفيض العجز فى ميزان المدفوعات خلال عامى ٦٦ — ١٩٦٧ الى حالة من الركود الاقتصادى ، تناقص فيها معدل نمو الناتج القومى الى حوالى ١ فى المائة فقط • وتناقص نصيب الفرد من هذا الناتج بنسبة ١ فى المائة ثم ٢ فى المائة فى هاتين السنتين • ولم يخرج الاقتصاد الاسرائيلى من هذا الفشل الا بعد حرب يونيو ، ويخرج منه ليرتد ، مرة اخرى ، الى أسر التناقض الاساسى الذى يمسك بخناقه حيث تزايد عجز ميزان المدفوعات بحدة ليبلغ عام ١٩٦٩ حوالى ٩٠٠ مليون دولار اى ضعف ما كان عليه عام ١٩٦٦ ، وليستمر فى التزايد ليبلغ ١٣٠٠ مليون فى عام ١٩٧٠ •

ومع ذلك ، فقد ظل تدفق رؤوس الاموال فى صورة تحويلات من جانب واحد ، او قروض مخففة الاعباء •• الخ على الاقتصاد الاسرائيلى من المصادر الاجنبية معينا لا ينتهى ، وحلا مرضيا لتناقضه الاساسى المذكور . ومن هنا ، فان علامة الاستفهام الرئيسية والحقيقية كما يقول المؤلف فى خاتمة الكتاب هى حول حجم ومدى استمرار هذا التدفق ، وتاثيراته العميقة على بنيان الاقتصاد الاسرائيلى فى المستقبل • وذلك بالنسبة لنا نحن الذين نقف على الجانب الاخر من المواجهة نقطة الخطر ، بل نقطة الخطر العميق •



كتابات جديدة

الكتـــاب والانســـان القبـــلى الجـديد
نظـــرية جـــديدة فى الكتــــاب

كمال عرفات بنهان :

الكتاب قديم منذ سجل الانسان افكاره كتابة ؟ ولكنه لم يصبح وسيلة اتصال جماهيرية الا بعد اختراع جوتنبرج للمطبعة والحروف المنفصلة منذ خمسة قرون ، حيث بدأ عصر جديد للانســـان ، وظل الكتاب اهم وسيلة لنقل الافكار ، يتخطى بها حدود المكان والزمان ، حتى القرن العشرين، حين ظهرت وسائل اتصال جديدة ، واصبح على الكتاب ان يحدد علاقاته مع كل منافس جديد ، وتنبأ البعض بانتهاء عصر الكتـــاب بعد ظهـــور وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة ، كالسينما والراديو والتليفزيون ، وظل الكتاب قائما ، ولكن قضية استمراره كوسيلة اتصال اصبحت موضع نقاش ونظريات وابحاث كثيرة .

وفى النصف الثانى من القرن العشرين ظهرت نظرية جديدة اثارت جدلا عظيما ، حتى ليعتبرها البعض اخطر نظرية فى الفكر الانسانى بعد نظرية النسبية ، وان كانت هذه المرة فى مجال العلوم الانسانية ، هـــذه النظرية هى نظرية **مارشـــال ماكلوهان** وهو استاذ كندى فى علوم الاتصال ، وتكتسب نظريته خطورتها من انها تحاول ان تضع تفسيرا جديدا لمراحل حضارة الانسان وتطوراته الاجتماعية ، يقـــوم على اســـاس « الحتميـــة التكنولوجية » ، وذلك فى مواجهة نظريات اخرى لتفسير التاريخ . فهو يفسر الحضارة الانسانية على اساس نوع وسيلة الاتصال التى تسود فى كل مرحلة منها ، فكل تغيير يحدث فى وســـائل

الاتصال يحدث فى مقابله تغيير اجتماعى ؟ وكل وسيلة اتصال لها حضارتها التى تقوم عليها . فقد انتقلت الحضارات من الحضـارة السمعيـة الشفهية الى الحضارة الكتابية الى الحضـارة الطباعية بعد ظهور المطبعة ، حتى وصـلت الى حضارة الوسائل التكنولوجية الحـديثة ، وهى وسائل الاتصال المسـموعة والمـرئية كالتليفون والسينما والراديو والتليفـزيون .. ويهمنا ان نتناول من هذه النظرية ماتذهب اليه بخصوص « حضارة المطبوع » ، فماكلوهان يقيم كل التراث العقلى والحضارى الغربى على فرض واحـد ؛ هو ان التجربة الرئيسية للانسان الغربى قامت اساسا على اختراع الطباعة منذ القرن الخامس عشر حتى القرن العشرين .

وهو يذهب الى ان وسيلة الاتصال المطبوعة ؛ وهى الكتاب ؛ لها ثقافة متميزة ، تتأثر بطبيعـة الحروف المنفصلة للطباعة ، فالافكار فيها تأتى فى نسق معين ، « مكان لكل شىء ، وكل شىء فى مكانه » ، كلمة بعد اخرى ؛ وجملة بعد اخرى ، مما خلق ما يمكن ان نسـميه بالتفـكير الخطى (Linear) ؛ الذى يتتابع فى منطقية تشبه تتابع سطور الكتاب المقروءة بنظام معين ؛ مما جعل فكر الانسان ــ القارىء بالطبع ــ يصاغ فى قالب جديد ، قالب منطقى متسلسل .

ويعتبر ماكلوهان كل وسيلة يخترعها الانسان امتدادا جديدا لحاسة من حواسـه الاصـلية ، فالطباعة امتداد لحاسة الابصار عند الانسان ؛ وهذا الامتداد يضيف ابعادا جديدة لمقدرة الابصار عند الانسان ، مما يخلق لديه ابعادا نفسية جديدة وقد كان تأثير المطبوع انه كثف المنظور ؛ واعطى قوة جديدة للتركيز البصرى عند الانسان ؛وليست الابتكارات والاشكال الثقافية العظمى فى عصر النهضة ــ فى رأيه ــ منفصـلة عن « خطية » ودقة واتساق ترتيب الحروف فى صفحة الكتاب المطبـوع .

وقد تخللت تأثيرات الطباعة كل وجه فى الفنون والعلوم فى القرون الخمسـة الماضـية ، حتى لنستطيع ان نفسر اسباب تطور الموسيقى الغربية كنتيجة لحضارة المطبوع ، فالموسيقى الغـربية فيها كونتربونيت Counterpoint ، وفيهـا ثلاثة ابعاد ؟ فهى تشبه التصوير المجسـم ؟ بعكس الموسيقى الشرقية التى لاتوجد فيها الابعاد الثلاثة بل تشبه التصوير بالموزايكو .

ويرى ماكلوهان انه كانت للكلمة المطبوعة قوة تحليلية تجزيئية تسببت فى فصـل الفـكر عن الشعور عند الانسان ، فالانسان القارىء تنفصل عنده عملية التفكير عن عملية الانفعال ، ولديـه القدرة على « الفعل المستقل » ، الذى يمكنه من الانفصال عن الروابط القبلية القديمة والاشكال الانفعالية البدائية ، حيث يندمج الفكر والشعور ويزداد الانضـواء الاجتماعى . وهـكذا وهبت الطباعة الانسان التجرد فى الرأى وعدم الانضواء والقدرة على الموقف المحـايد المنفصـل ، التى تأسس عليها « المنهج العلمى » الذى ظهر كثمـرة لحضـارة المطبـوع .

واكثر من ذلك فقد هيأ المطبوع القـدرة على انتشار الافكار ، وهى مسألة ضرورية لنشـوء القومية ، التى يعتبرها ماكلوهـان من آثـار تكنولوجيا المطبوع ، الذى حمل الانسان القارىء بعيدا عن العلاقات القبلية التقليدية الى اسلوب الحياة الحديثة ، من القبلية الى القومية والاممية ومن الاقطاع الى الراسمالية ، ومن الحرفية الى الانتاج الواسع ، فقد كان الكتاب اول سلعة تنتج بشكل آلى ، بحيث تشبه كل قطعة زميلاتها ، ولم يكن ذلك ممكنا على يد الحرفى ، وبذلك اوجـد المطبوع الصور المبكرة للتصنيع والاسواق العامة

وقد وفر التكرار الالى لنفس النص الفرصـة لظهور « الجمهور القارىء » ، كمـا غير نظـام المناظرة الشفهية فى التعليم ، وكان اول آلـة تعليمية موحدة امام اى عدد من الطلاب ، ممـا اتاح وجود المؤسسة التعليمية والتعليم العـام للجمـاهير العريضـة .

وينسب ماكلوهان ايضا لظهور الكتاب المطبوع انبعاث قوة هائلة فى عصر النهضـة ؟ اخرجت الفرد من جماعته التقليدية واعطته روح المغامرة وشجعت الفنـانين والمؤلفين على تنمية التعبير الذاتى ، ويلتقط ماكلوهان تعليق شيكسبير بمرارة فى مسرحية «الملك لير» علىظهور التفتت والتعدد فى عالم السياسة والاسرة ، ويفسر بذلك ظهور الوظائف المتخصصة كنتيجة لظهور المطبوع .ومن

التأثيرات النفسية والاجتماعية التى ينسبها ماكلوهان للمطبوع ، نستطيع ان نرصد افتراضه لقيام الحضارة الغربية على أساس ظهور وسيلة اتصال جماهيرى واحدة هى المطبوع ، مما يجعل ظهور وسائل جديدة للاتصال الجماهيرى مسالة هامة ، لان هذه الوسائل مختلفة عن الكتاب فى اسلوبها وتكنيكها وتأثيراتها ، مما يعطى امتدادا جديدا لحواس اخرى لدى الانسان ، والوسيلة بما تحدثه من تغيير فى الوسط المحيط بنا ، تثير فينا نسبا استثنائية من الادراكات الشعورية ، والتوسع فى اى حاسة من حواسنا يغير من طريقة تفكيرنا ، والطريقة التى ندرك بها العالم، فحينما تتغير هذه النسب يتغير الانسان ، اذن فمع ظهور وسائل اتصال جديدة وتعجيل السينما والتليفزيون والراديو وغيرها من الوسائل الالكترونية ، لحركة انتقال المعلومات ، فان البناء الاساسى للكلمة المطبوعة ، يقف فى مهب الريح حسب نظرية ماكلوهان ، لانه يعتقد ان الجديد يهدم القديم ، وان الوسيلة الجديدة حينما تظهر، لاتصبح اضافة الى وسيلة قديمة ، وهى لاتترك الوسيلة القديمة فى سلام ، ولا تكف عن قمع الوسائل السابقة ، حتى تجد لهذه الوسائل حالات واوضاعا جديدة ، وبذلك فان حضارة التكنولوجيا الجديدة تتخلل وتهدم الحضارة التى شيدها الكتاب على كوكبنا على مدى خمسة قرون فالكوكب الان يعاد ترتيبه ، نتيجة للمواجهة بين التكنولوجيا الكهربائية الجديدة ، مثل الاذاعة والتليفزيون .. وبين التكنولوجيا الالية القديمة ، او تكنولوجيا المطبوع .

وهنا نقف على رؤية متشائمة لماكلوهان بخصوص مستقبل الكتاب ، لانه ينعى الينا انتهاء عصر الكتب ، ويبشر باقبال الانسانية على العصر الالكترونى ، عصر الوسائل السمعية والبصرية حيث يلعب التليفزيون — بالذات — دورا هاما فى الحضارة المقبلة ، بوصفه وسيلة الاتصال الجديدة ، التى ستبدأ فى صياغة حضارة وثقافة مختلفة عن حضارة الكتاب بخصائصها السابقة، اننا فى رأيه متجهون — او اتجهنا بالفعل — الى عصر الفكر البصرى وليس الفكر القرائى ، اى عصر التليفزيون وليس عصر الكتاب ، وسوف يقف انسان حضارة المطبوع ، وثقافة الحروف المنفصلة المنطقية الخطية ، كاثر بال ، فى حين يظهر تغيير دائم وغير ملحوظ فى حواسنا الادراكية نتيجة للوسائل الجديدة ، فيتلاشى المنطق المتسلسل للمطبوع امام « الموزايكو » المسطح المباشر للاتصال الفورى اللحظى للوسائل الالكترونية الحديثة ، التى اصبحت تمثل ظرفا جديدا يحيط بنا ؟ ووسيلة جديدة تحتوى الوسائل القديمة .

« وكما بدانا فسوف نكون » هكذا .. **بعد** ان تخطى الانسان مرحلة القبلية القديمة، الى مرحلة الفردية والاستقلالية والتجرد ، فان وسائل الاتصال الكهربائية الجديدة السريعة تصب على الانسان بطريقة فورية وباستمرار هموم الاخرين جميعا ، ويصبح الانسان قبليا مرة اخرى ؟ وتصبح الاسرة الانسانية قبيلة واحدة من جديد ، وتولد رؤية جديدة اسطورية وقبلية وغير مركزة ويحيا الانسان فى قرية عالمية ، ويعود الى قيم وادراكات الثقافة الشفهية السابقة على ثقافة الطباعةوالكتابة !! ذلك لانلغة التليفزيون،ولغة الوسائل الالكترونية الحديثة تمثل عودة الى المدركات الكاملة ، والانطباعات التى يحس بها الانسان ويراها ويلمسها ويسمعها ويشارك فيها فانسان هذه الوسائل هو « رجل القبيلة الجديد» ذلك الذى يعتمد على السمع فهو يصدق سريعا ؟ لان لديه استجابة عاطفية للكلمة المنطوقة ، وهو انسان ساخن يريد المساهمة واللمس والمشاركة ولديه عادات قبلية ، « ووعى جماعى » ، بعكس رجل القراءة ، الذى صنعه المطبوع ، والذى يحاول دائما ان يقيس الامور ، بطريقته الخاصة وبصورة فردية مستقلة .

والسؤال الان : هو هل تصدق نبوءة ماكلوهان او بعضها ، بانتهاء عصر الكتاب وحضارته ؟ وقدوم رجل القبيلة الجديد، ونشوء القرية العالمية الجديدة ، وهل تستلزم المشاركة العالمية الجديدة للانسان ، انتهاء روح الاستقلال والتجرد الفكرى **للانسان القارىء ؟ اى هل يصبح رجل « القبيلة الجديد » خصما لحضارة الكتاب بكل قيمها وابعادها ؟؟**

وبصرف النظر عن « منهج » ماكلوهان فى صياغة آرائه ونظريته ، فقد اثارت آراؤه جدلا عنيفا ، وانبرى له كثير من علماء الادب والاجتماع يؤكدون بقاء الكتاب كوسيلة اتصال برغم وجود منافسيه ، لانه لايمكن — فى ضوء احتياجاتنا القائمة ، ورؤيتنا التاريخية الممكنة — الاستغناء عن الكتاب بامكانياته وحضارته ، والاكتفاء بوسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة ، سواء بالنسبة للشعوب المتقدمة التى وصلت الى مرحلة القراءة منذ زمن بعيد ، او الشعوب المتخلفة التى

تعانى من الامية القرائية ولم تصل مجتمعاتها بعد الى حضارة الكتاب المطبوع بكل انجازاتها الهائلة

وهم يتهمون ماكلوهان بانه يمثل اتجاه «**الحتمية التكنولوجية**» الذى يخضع تطور المجتمعات لسيطرة الوسائل التكنولوجية السائدة بشكل حتمى يتعارض مع مناهج ونظريات اخرى كثيرة، ويتهمهم ماكلوهان ساخراً بأنهم منغلقون فى اطار تفكيرهم الخطى القرائى ، الذى نشأوا عليه ولا يمكنهم الافلات منه والتفكير بحرية اكثر.

« **الكتاب يصنع الانسان الكامل** » [فرانسيس بيكون] .

ويستند بقاء الكتاب فى رأى المؤيدين لبقائه الى انه وسيلة مرنة ومتوافرة وليست فورية وزائلة ، فهو موجود فى اى وقت ، ويمكن استعماله بأى سرعة مناسبة واسترجاع اى جزء منه ، كما ان من دواعي التمسك به والحرص على وجوده ، ان القراءة نفسها عمل ايجابى يقوم به الفرد بنوع من الاختيار ، وهى جهد يقابل فى اهميته الجهد الايجابى الذى بذل فى تأليف الكتاب وليست مجرد استقبال بسيط سلبى كالذى يقوم به مستقبلو الاذاعة والتليفزيون والسينما وغيرها .. الذى يلقى عليهم المضمون وهم فى موقف استقبال سلبى ، وهم يرون ان الوسائل السمعية والبصرية تستند فى انتشارها وسيطرتها على الجماهير الى قانون بشرى خطير يقوى نفوذه فى الحياة العصرية المرهقة للاعصاب ، وهو قانون « **اقل الجهود** » ، حيث يميل الناس الى السهل ويزهدون فى بذل المجهود المطلوب فى عملية القراءة ، فهذه الوسائل الحديثة تتسلل الى حياتنا مستندة الى اساس عضوى ونفسى فى منافستها **للقراءة** ، التى تعتبر اعمق وسائل التثقيف واقدرها على خلق القيم الفكرية والاخلاقية والجمالية والسياسية ، وواحدة من اعظم وسائل التقدم الانسانى .

وتشير بعض الابحاث الميدانية الى ان الكتاب تداناد من وجود الوسائل الاخرى ونشطت قراءته وتوزيعه ، واكتسب مزيدا من القراء الذين زاد وعيهم نتيجة لوسائل الاتصال الحديثة ، فاقبلوا على القراءة ، وقد تبين ان « السلوك الاتصالى » سلوك متكامل فى معظم الاحيان ، وخاصة عند ارتفاع مستوى التعليم ، فالاهتمام بوسيلة اتصال معينة يصحبه الاهتمام بغيرها ، والعكس صحيح ايضا ، ويرى البعض اكثر من هذا ، فقد حدث تطور فى صناعة الكتاب نفسه بسبب المنافسة الجمالية من جانب الوسائل الاخرى ، فقد تقدم فن الطباعة والتلوين والاخراج وظهرت الكتب ورقية الغلاف التى يسرت انتشار الاعمال الادبية والفنية والعلمية والشعبية جميعا ، وان الجمهور قد اكتسب من تعدد وسائل الاتصال حاسة نقدية فازداد اقباله على الكتاب ، وان كل وسيلة بما لها من امكانيات يمكن ان تتكامل مع الوسائل الاخرى ، بعكس الصراع بين الوسائل فى راى ماكلوهان ، وكل ذلك يؤكد ان الحاجة لاتخلو من ان نعيد فحص الدور الذى يؤديه الكتاب فى المجتمع لتطوير وتعميق استخدامه .

الدول النامية .. هل هل يفوتها القطار ؟

ولاشك ان هذا التطور فى وسائل الاتصال جزء من تطورات كثيرة وحتمية ، وسوف يخلق ذلك التفاعل بينها اوضاعا واشكالا جديدة لعمليات الاتصال ، ولكن الخوف ينصب على مستقبل الشعوب النامية التى لم تمر بعد بمرحلة القراءة ، ويخشى عليها من سطوة التليفزيون والسينما والاذاعة وكل الوسائل الخفيفة السريعة فهذه الشعوب تواجه خطر الانتقال من مرحلة الثقافة الشفهية السمعية القديمة التى لم تتخلص منها بعد ، الى مرحلة الثقافة الشفهية الجديدة التى تدعمها الوسائل الحديثة ، اى انها ستنتقل من الانسان القبلى القديم الى الانسان القبلى الجديد ، متخطية بذلك مرحلة الكتاب وحضارته ويلاحظ ان التقدم الاقتصادى فى اى بلد من البلدان النامية ، يؤدى مباشرة الى تطوير شبكة الوسائل السمعية والبصرية ، فى حين ان تأثير التقدم الاقتصادى على القراءة لايظهر واضحا الا بعد فترة طويلة من الزمن ، ولا يفرض وجوده الكامل الا ببطء شديد ، ومن الخطر ان يلقى بالاجيال الصاعدة فى المجتمعات النامية الى اوعية المنتجات التليفزيونية المصورة ، التى افرزتها ثقافات تختلف كثيرا عن ثقافة الدول النامية واحتياجاتها الملحة ، فحضارة الطباعة لم تكتمل بعد حلقاتها فى المجتمعات النامية ، ولازالت هذه المجتمعات تعيش فى انتماءات ضيقة ومراحل متخلفة ، وتتصف ثقافتها بالانضواء والتبعية وعدم تأكيد حرية الفرد واستقلاله ، وحين يكتمل نمو هذه الشعوب وتمحى اميتها القرائية ، وتدخل مرحلة القراءة وتتخلص من المجاعة الثقافية التى تعانى منها ، بدرجة تسمح بالمنافسة المتكافئة بين الطباعة ووسائل الاتصال الاخرى ، فان الخوف يصبح لا مجال له ، ويحق لماكلوهان حينئذ ان يتنبأ بما يشاء .



تطوير الزراعة المصرية بين الوهم والحقيقة

القضية المطروحة هى تحويل الزراعة المصرية من زراعة كفاف الى زراعة كفاية • بالعلم والتكنولوجيا ، والتعرف على الاسس التى تحقق هذا الهدف ـ أو القول ـ من تركيز وتجميع وحدات الانتاج ، وميكنة الارض والتخصص المحصولى وتصنيع المنتجات •• الى آخره •

وحتى لا يكون العلم والتكنولوجيا مجرد الفاظ نلوكها فى كلمناسبة ، وحتى لا تصبح وكأنها الفاظ جوفاء ، فارغة من كل مضمون ومعنى •لابد ان نطرح تساؤلا هاما يفرض نفسه علينا ،. وهو :

كيفيمكن تحقيق اساس واحد منهذه الاسس فى ظل الوضع الراهن للارض وللملكية الزراعية ؟ ان اى نظرة بسيطة ـمستقبلية ـ علىهذا الوضع تكشف لنا مجموعة مخيفة من الحقائق . تقف بصلابة وشراسة أمام أى محاولة لتطوير الزراعة المصرية •وأى حديث جاد عن الزراعة العلمية لابد أن يضع هذه الحقائق فى وضعها الصحيح ، وان يتصدى لها دون جبن أو تمهل • والا كنا نخدع أنفسنا ونخدع الناس . ماذا تقول هذه النظرة :

تقول :ان المساحة المنزرعة بل والقابلة للزراعة محدودة جدا •• ان الزيادة السكانية فى اضطراد مستمر ومخيف ، أن الصناعةفى انتشار لانها سمة العصر . ويصحب انتشار الصناعة امتصاص للعمالة من الريف •حيث تهجر القرى شرائح كبيرة من سكانه الى المدينة تطلعا الى دخل والى حياة أكثر استقرارا يوفرها لها العمل الصناعى • وبالتالى ، يرتفع سعر العمل الزراعى ـ كنتيجة مباشرة لانخفاض عرضه النسبى ـ كذلك يصاحب انتشار التعليم ، دخول فئات كبيرة من ابناء الفلاحين فى صفوفه • مما يحد ـ فى المستقبل ـ من سعة القناة التى تمد الريف بالايدىالعاملة الزراعية • وبالتالى يساهم هو الاخر فى ارتفاع سعر الموجود منه •

فاذا اضفنا لهما الزيادة الطبيعية فى باقى عناصر الانتاج التى ستصاحب مرور الزمن • فسنصل فى النهاية الى نتيجة حتمية هى زيادة فى تكاليف الانتاج ، وبالتالى . فى أسعار المنتج الزراعى ، قد تقضى على كل ارتفاع محتمل فى الدخول • خاصة وان الزراعة الان ـ وفى المستقبل القريب على الاقل ـ هى المصدر الاساسى للغذاء والكساء • وليس لهذه المشكلة حل •سوى

الزراعة العلمية - بجميع جوانبها - وأهم هذه أضفنا اليها استمرار نظام الارث ، فانا نصل الى الايدى العاملة . يصاحب هذه الميكنة ، فى خط متواز تماما : التوسع الراسى الذى يؤدى الى زيادة انتاجية الفدان عن طريق تحسين سلالات المحاصيل والتجميع الزراعى وتحسين الرى والصرف • ووضع نظام متكامل يوفق بين الانتاج وامكانيات تسويقه •• الى آخره •

ولكن الميكنة - باعتبارها حجر الزاوية فى الزراعة العلمية لا يمكن بل ويستحيل تطبيقها تطبيقا علميا فى ظل الوضع الراهن للملكية الزراعية وللارض بصورة عامة •

ان لدينا ما يقرب من أربعة ملايين وحدة مزرعية فىمساحةكلية لا تتعدىستةملايين منالافدنة ، واذا أضفنا اليها استمرار نظام الارث ،فاننا نصل الى الصورة الحقيقية لمشكلة التفتت ، أى ميكنة يمكن ان تطبق فى ظل وضع كهذا ؟ ! وبالتالى فاى تطوير ننتظره ؟!

وحتى الستة ملايين فدان المنزرعة .. نجدها وصلت الى مرحلة من السوء لا يمكن السكوت عليها ، كما تقول دراسة اجراها معهد التخطيط القومى انتهت سنة ١٩٦٩ م ، عن طريق مسح شامل لخصوبة الارض فكانت كالاتى :

- ٧ر٩ فى المائة من الاراضى المصرية الداخلة ضمن المساحة المنزرعة (مستنقعات)

- ٣ر١٩ فى المائة اراضى درجة خامسة (غير صالحة للزراعة)

- ٤ر٨ فى المائة اراضى درجة رابعة (منعدمة الخصوبة)

- ٣ر٤٣ فى المائة اراضى درجة ثالثة (ضعيفة الخصوبة)

- ٢ر٢٥ فى المائة اراضى درجة ثانية (متوسطة الخصوبة)•

- ٩ر٤ فى المائة اراضى درجة اولى (عالية الخصوبة)

اعتقد ان وضعا كهذا لا يصح السكوت عليه •

وليس من شك ان هذا الوضع ، البالغ السوء ، كان نتيجة من قريب أو بعيد لتفتت الملكية • وقد كان طبيعيا ان يكون الاثر المباشر له هو انخفاض الانتاجية الحدية للارض •

وهكذا فان القضية توضع فى اطارها الصحيح اذا قلنا :

١ - ان معدل الاكتفاء الذاتى من الحبوب اليوم لا يتعدى ٧٣ فى المائة •

٢ - ان احتياجاتنا من القمح سنة ١٩٨٠ سوف تساوى قيمة صادراتنا من القطن فى نفس السنة

٣ - انه عندما يصل التوسع الافقى الى مداه ويقف النمو الافقى للارض فان شيئا لن يتوقف وهو زيادة السكان•

٤ - ان السير بهذا الاسلوب فى ظل هذه الظروف يهدد بكارثة أية خطةقومية للتنمية . من أجل ذلك نقول ان تطوير الزراعة المصرية فى حاجة الى أسلوب ثورى يعيد صياغة الهيكل العام للملكية وبقيد هذا الاسلوب الثورى ، يصبح أى حديث عن تطوير الزراعة المصرية خرافة وأى أمل فيه وهم •

وفى تصورى اننا اليوم فى حاجة - كى نضع حلا لهذه المشاكل .. الى :

١ - البدء فورا فى تطبيق نظم المزارع التعاونية الانتاجية •

٢ - وقف توزيع الاراضى المستصلحة على الافراد وتحويلها الى مزارع دولة .

٣ - البحث عن صيغة جديدة لنظام الارث بوقف مهزلة التقسيم المتواتر بأى شكل دون التهيب من اى حساسيات •

جمعة عبده قاسم
ماجستير فى التنمية الاقتصادية

اسرائيل والاحتكارات المستغلة فى الشرق الاوسط

كتب شفيق محمود عبد اللطيف يقول :

اذا لم يكن لامريكا وحلفائها الراسماليين الغربيين مصالح احتكارية واستراتيجية كبيرة فى الشرق الاوسط فلم تنتهج هذه السياسة العدوانية ضد العرب وتضع أمامهم العراقيل مما يهدد هذه المصالح تهديدا مباشرا •• ؟

والاجابة على ذلك تنحصر فى شقين متباينين ••

لوجهة النظر الامريكية ترى أن موقفة واشنطن حيال العرب هو نتيجة حتمية لفشلهم فى كسب العرب الى جانبهم ..

ووجهة النظر العربية ترى أن سيطرة الصهيونية على الحكم فى أمريكا ونفوذها فى العالم الاستعمارى هى المسئولة عن ذلك الموقف الامريكى المتشدد . ومرد هذا الامر الى حقيقتين :

الحقيقة الاولى .. ان السياسة الامريكية التى يقودها نيكسون تؤمن بأن أخطر ما يهدد المصالح الامريكية والاحتكارات الامبريالية فى الشرق الاوسط هو حركة التحرر الوطنى الاجتماعى التى تجتاح ربوعه . ومن هنا يشعر نيكسون بأن حماية الاحتكارات الامريكية تحتاج الى « قلعة محلية » عدوانية مسلحة ..

فهل معنى ذلك أن المصالح الاحتكارية الحاكمة فى أمريكا والدول الغربية لا تشعر بالقلق على مصالحها البترولية نتيجة للضرب بالهراوة الامريكية .. ؟

الواقع ان المصالح الامريكية والاحتكارات الواسعة فى بترول العرب تستحق أكبر اهتمام .. ولكن هناك حقيقة هامة هى التمييز بين ما هو عام وأساسى وما هو جزئى محدود ..

ان الاحتكاريين البتروليين من الامريكيين وغيرهم يشعرون بالخطر من استمرار السياسة الامريكية على وضعها الحالى وهى حقيقة جزئية .. اما العامة والاساسية فتتمثل فى الاستراتيجية الامريكية والاحتكارات العالمية وتقوم أساسا على ضرب الثورة التقدمية فى بلد ما .. لذلك تضع المصالح الاحتكارية خطها الاستراتيجى العام فى الشرق الاوسط فى ظل وعى كامل وادراك للمصالح الصهيونية الاسرائيلية .

الحقيقة الثانية .. ان السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط تركز على ثلاث نقاط هامة تؤكد هذه السياسة وكلها نتاج حتمى لتدخل وتزاوج رأس المال الاحتكارى العالمى والامريكى والصهيونى ... وهذه النقاط هى :

١ ـ أنه بعد العدوان الثلاثى عام ١٩٦٥ عقد فى « بيلدبرج » بالسويد مؤتمر لممثلى البنوك والاحتكارات الكبرى فى العالم الغربى .. وفى عام ١٩٦٢ عقد مؤتمر آخر مماثل فى « **سالجو بادن** » بالقرب من **ستوكهولم** وكان هدف المؤتمرين « **بحث تنمية دول الشرق الاوسط والادنى** » .. وقد أسفر مؤتمر « **بلدبرج** » عن انشاء مؤسسات لتنمية دول الشرقين الاوسط والادنى على أساس تفضيل رأس المال الخاص « على أساس اقليمى » . وكان واضحا أن هذه المؤسسات أنشئت لصالح اسرائيل ولتأمين تغلغل رأس المال العالمى والصهيونى فى الشرق الاوسط واعترفت بدور كل المؤسسات المستغلة فى مشاركة من رأس المال العالمى للجهود التى تبذلها واشنطن من أجل فرض نظرية « **ايزنهاور ـ دلاس** » على الشرق الاوسط .

٢ ـ أنه منذ عام ١٩٦٧ وحتى الان يعقد عدد من المليونيرات مؤتمرات فى القدس ، علاوة على اجتماعات عديدة تعقد فى أوروبا والهدف منها كلها (ايجاد الوسائل الاكثر فعالية من أجل مد اسرائيل بالمساعدات المالية) وكل هذه المؤتمرات عقدت تحت شعار (بحث مشكلات الشرق الاوسط) .

ففى عام ١٩٦٧ عقد اجتماعان هامان بالاضافة الى اجتماع القدس عام ١٩٧٠ ، من ذلك اجتماع فى مدينة (**كامبريدج**) ببريطانيا وآخر فى منزل « **آل روتشيلد** » بسويسرا . وفى الاجتماع الاخير نوقشت مشكلة الشرق الاوسط وخاصة وضع اسرائيل الراهن وقرر المجتمعون أن الاقتصاد الاسرائيلى على حافة الهاوية ..... ولقد اشترك فى هذه الاجتماعات ممثلو السكرتيرية الدائمة واللجان الاقليمية لامريكا ، وأمريكا اللاتينية وأوروبا الغربية والتى انشأها مؤتمر القدس الاول . وأسفر الاجتماع ـ كما يقول أ ـ **توما** . عضو اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعى الاسرائيلى عن جمع مبلغ من المال يزيد على ما تلقته اسرائيل من دعم مالى خلال السنوات العشر السابقة .

ويكفى لتصور هذا المبلغ أن اسرائيل تلقت فى المدة من عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٦٦ معونات تصل من ٧ الى ٩ آلاف مليون دولار ، منها ١٢٠٠ مليون من مصادر امريكية اخرى .

اذا رجعنا الى أسماء المليونيرات وأسماء ممثلى الاحتكارات الذين حضروا اجتماعات « **بيلد برج** » ، « **وكامبريدج** » « **وسالجو بادن** » ، « **ومؤتمر القدس** » لرأينا مدى تأثير المليونيرات وثقلهم فى مفهوم الاحتكارات المستغلة ، والتى تساند اسرائيل . وهنا على سبيل المثال نذكر : **روتشيلد** ، **لهيمان** ، **جوفر** ، **وسليجمان** ، **ولورد اسرائيل سياف** ، **وعائلات دريفوس** ، **وسبنسر ولوهس وسيف** ، **كاهن** ، **جولدمان** ، **واوينهايمر** ، **مونتاجو** ، **مرجنتو** ، **ساكس** .. وغير هؤلاء من ممثلى البنوك والاحتكارات والمؤسسات .

من هنا يمكن القول بأن حلف المليونيرات هو

السند الوحيد للسياسة الاسرائيلية العدوانية ولولاه لانهارت اسرائيل ، ولما بقيت على خريطة الامة العربية ... ولابد من ذكر أربع حقائق هامة :

أولا : ان حلف المليونيرات الذى أشرنا اليه والذى يمثل القوى الاحتكارية والامبريالية والصهيونية انما يتطلع الى منطقة الشرق الاوسط كهدف اقتصادى .

ثانيا : ان ذلك الحلف الاحتكارى يمثل المصالح المتداخلة بين رأس المال العالمى المستغل ، ورأس المال الصهيونى بصفة خاصة .

ثالثا : ان الحلف المذكور يجني منذ عام ١٩٦٧ أرباحا متزايدة نتيجة لتوتر الموقف فى الشرق الاوسط وصفقات السلاح واغلاق قناة السويس وايجاد ميدان احتياطى لحرب فيتنام .

رابعا : يهدف الحلف المذكور بزعامة الرأسمالية الاحتكارية الامريكية الى اتخاذ القوة طريقا لحماية المصالح الامبريالية فى العالم الثالث . وهذه المصالح تتمثل فى الاحتكارات الصهيونية المستغلة لثروات الشعوب .

واذا نظرنا الى التغلغل الصهيونى فى أفريقيا لهالنا ذلك النشاط الاستغلالى لثروات تلك القارة التى تضج بالشركات الاحتكارية ذات الابتزازات المستمرة لثروات الشعوب الافريقية ..

لكن بقى سؤال آخر هو : الى متى ستظل انشطة الاحتكارات الصهيونية المقنعة تنهب ثروات العالم الثالث ومعظمها يذهب الى اسرائيل ليدعم كيانها ويساعدها على العدوان ... ؟

الجواب عن ذلك تقرره يقظة الشعوب الحرة التى تخطط مستقبلها على أسس سليمة من الحرية والاستقلال السياسى والاقتصادى .



وثائق

الأرض المحتلة ١٩٧٠

احتجاجات ..
واضرابات ..
ومظاهرات ..

منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ الامبريالى الصهيونى وحركة المقاومة الوطنية فى الاراضى العربية المحتلة . تجد اشكالا مختلفة لتعبر من خلالها عن حقيقة الرفض الشعبى العربى لواقع الاحتلال الاسرائيلى والتمرد عليه ، وذلك على عكس المزاعم التى تروج لها اسرائيل القائلة باستقرار الاوضاع تحت وطأة احتلالها حيث تنسب كل مظاهر « المتاعب » التى تواجهها الى الفدائيين العرب فحسب .

لكن الوثيقة التى تنشرها « الطليعة » فى هـذا العدد ، تثبت وتؤكد ان « الرفض والتمرد » ظاهرة شعبية عامة تنتشر بين صفوف كل قوى الشعب العربى المعادى للاستعمار والرافض لاحتلال اراضيه والمناضل من أجل تحريرها .

وهذه الوثيقة التى ننشرها هنا ، واحدة من الوثائق الهامة التى اعدتها « The Arab Women's Information Committee » واصدرها « معهد الدراسات الفلسطينية » ــ بيروت ــ يونيو ١٩٧١ ، تحت عنوان « العرب تحت الاحتلال الاسرائيلى : ١٩٧٠ » .

طالب الحاج معزوز المصري ، عمدة نابلس ، الحاكم العسكري للمدينة باستعجال اجراءات استجواب نحو ٢٠٠ من المحتجزين الذين ألقي القبض عليهم بعد سيل من الانفجارات في نابلس والافراج عمن تم استجوابهم بالفعل

(دافار ، ٤ يناير ١٩٧٠)

نظمت اللجنة الاسرائيلية لمعارضة العقاب الجماعي مظاهرة في تل أبيب ضد سياسة العقاب الجماعي التي تنتهجها الحكومة في الارض المحتلة وكانت بعض اللافتات التي حملها المتظاهرون تحمل عبارات : « لا تقولوا لم نكن نعلم أن تدمير المنازل لازال مستمرا » ، « اليوم شارع - وغدا ! » و « العقاب الجماعي يزيد التوتر » .

وقد أوفدت احدى المنظمات السياسية المتطرفة فيما يبدو بعض عملائها في محاولة غير ناجحة لتشتيت المظاهرة . وحاول البعض مهاجمة المشتركين في المظاهرة في شارع راينيش . وقد تعرض شابان للهجوم ، ونقل أحدهما الى المستشفى .

(الاتحاد ، ٦ يناير ١٩٧٠)

قابل عمدة غزة واثنان من الاعيان في ١١ يناير اسحق نافون ، نائب رئيس الكنيست ، حيث طالبوا بوضع حد لسياسة العقاب الجماعي وتدمير المنازل . وقدم العمدة ايضا بيانا من المجلس البلدي لمدينة غزة بالاحتجاج على ربط شبكة كهرباء غزة بشركة الكهرباء الاسرائيلية .

[الاتحاد ، ١٣ يناير ١٩٧٠]

طلب الشيخ حلمي المحتسب ، رئيس المجلس الاسلامي بالقدس الشرقية ، وسعد الدين العلمي مفتي القدس ، وانور نسيبه وزير الدفاع الاردني السابق وأنور الخطيب الحاكم الاردني السابق للقدس العربية ، الى وزير الشرطة الاسرائيلي شلومو هليل الافراج عن عدد كبير من العرب المحتجزين في سجون اسرائيل أو الاسراع بتقديمهم للمحاكمة .

(رويتر ،ديلي ستار ،١٦ يناير ١٩٧٠)

احتج عدد من أعيان غزة لدى الوزير بيريز على هدم عدد من المنازل في معسكر جباليا بدعوى انشاء طريق يخترق المعسكر .

(الاتحاد ، ١٦ يناير ١٩٧٠)

نشرت صحيفة الدستور الاردنية اليومية أن ٥٠٠ من سكان بيت لحم وضواحيها أبرقوا الى البابا بان اسرائيل تخطط لمصادرة ٥٠٠ دونم من الارض في منطقة حسن ووادي غوكين ونحلان بدعوى أن هذه الاراضي قد بيعت لافراد من اليهود قبل قيام الدولة . وقد طلب الموقعون على البرقية الى البابا التدخل لوضع حد لهذه المصادرة .

(الاتحاد ، ٢٠ يناير ١٩٧٠)

وقع القرويون في بيت جين على عرائض بالاحتجاج على نزع ملكية أراضيهم لصالح الملكة المركزية في حيفا .

(الاتحاد ، ٢٠ يناير ١٩٧٠)

نشرت صحيفة « الانباء » الاسرائيلية اليومية في ١٥ يناير أن نحو ١٠٠ من أمهات وزوجات وشقيقات المسجونين العرب بعثن بعريضة لوزير الدفاع تطالبن فيها بتحسين أحوال المسجونين والسماح لهم بزيارات أسبوعية .

(الاتحاد ، ٢٣ يناير ١٩٧٠)

نشرت المصادر العربية أن ١٥ من الزعماء الدينيين المسلمين والمسيحيين في القدس العربية قد بعثوا بمذكرة الى وزير الشرطة الاسرائيلي ، يتهمون فيها الشرطة بتعذيب نعيم الاشهب ، احد زعماء الشيوعيين في الضفة الغربية للاردن وحرمانه من حق المحاكمة . وقد وضع الاشهب في السجن منذ نحو عام كامل دون محاكمة ، حيث كان يتعرض للضرب . وطالب الزعماء بنقل الاشهب الى سجن آخر وتقديمه لمحاكمة عادلة . وكان من بين الموقعين على المذكرة أنور نسيبة والشيخ حلمي المحتسب .

(دافار ، ٢٩ يناير ١٩٧٠)

قدمت لجنة الطلاب العرب بالجامعة العبرية ، والطلاب والاساتذة التقدميون بالجامعة عريضة الى ادارة الجامعة يعربون فيها عن تضامنهم مع أكثر من ٥٠٠ من الطلاب العرب وغيرهم المحبوسين أو المحتجزين اداريا دون أن يقدموا للمحاكمة . وقد اهاب الموقعون على العريضة بادارة الجامعة ان تقوم بواجبها في الدفاع عن الطلاب .

(الاتحاد ، ١٠ فبراير ١٩٧٠)

احتج الطلاب والاساتذة في اجتماع مشترك لليهود والعرب نظمته لجنة الطلاب العرب بالجامعة العبرية ، على الاعمال التعسفية التي تقوم بها السلطات ، وطالبوا بالافراج عن درويش عشو ، احد الطلاب المحتجزين اداريا أو تقديمه للمحاكمة . وطالب الدكتور شارشارسكي ادارة الجامعة بالتصدي للدفاع عن الطالب .

(الاتحاد ، ١٣ فبراير ١٩٧٠)

أقامت مجموعة من ملاك الاراضي في نابلس دعوى تعويض عن خسائرهم التي بلغت ٢٤ مليون جنيه اسرائيلي نتيجة لاتلاف القوات الاسرائيلية للمحاصيل وتدميرها للمنازل ونتيجة لمنعهم من مباشرة العناية باراضيهم الكائنة على شاطىء نهر الاردن . وقد قدم الملاك عريضة دعواهم الى المحكمة العليا في محاولة لابعاد « السلطات الاخرى » عن التدخل في قرار مكتب التعويضات . وقد وافقت المحكمة على نظر الدعوى وأصدرت أمرها المشروط بين السلطات الاخرى وبين التدخل في قرار مكتب التعويضات . ولكن هذا المكتب رفض الدعوى على الرغم من أن تقريره تضمن أن الخسائر كانت نتيجة مباشرة لعمليات قوات الامن الاسرائيلية المضادةللتسلل وانها قد نتجت جزئيا عن اقامة « حاجز الامن » على امتداد نهر الاردن .

(جيروساليم بوست ٢٧، فبراير ١٩٧٠)

نظم المسجونون تحت الحجز الاداري في سجن الدامون ، ومن بينهم ٣٥ من ابناء الارض المحتلة ، اضرابا لمدة ٢٤ ساعة في ٢١ فبراير . وقد طالب المسجونون بالافراج عنهم أو مواجهتهم باتهامات معينة وتقديمهم للمحاكمة . واجتمعت بعض العائلات في القدس للاحتجاج على طريقة معاملة المسجونين وطالبت بالافراج عنهم .

(الاتحاد ، ٢٧ فبراير ١٩٧٠)

احتج أهالي قرية بيت جين في ١٩ فبراير لدى موظفي مكتب حماية الطبيعة على مصادرة أراضيهم الزراعية . وقد ذكروا أن ما تحتاجه قريتهم هو المزيد من المشروعات لتطويرها وليس الى مصادرة الاراضي .

(الاتحاد ، ٦ مارس ١٩٧٠)

أعد الزعماء العرب في حبرون مشروع احتجاج لدى الحكومة العسكرية على احتجاز المواطنين العرب دون محاكمة . وقد طالبوا بقيادة عمدتهم محمد على الجعبري ، طالبوا الادارة بالافراج بكفالة عن أي عربي احتجز لمدة تزيد على سنة وفقا لنظام « الحجز الاداري » . وقد احتجوا أيضا على سياسة اسرائيل في نسف منازل المشتبه في أن يكونوا من الفدائيين العرب « ما لم يكن المالك نفسه قد صدر ضده حكم من المحكمة » .

ويعتمد الاسرائيليون على أسلوب الاعتقال - وهو من مخلفات عصر الانتداب البريطاني - في حبس الاشخاص المشتبه في ارتكابهم ما يخل بالامن وأعمال الاثارة ضد الاحتلال . وقد قال الجعبري أن هناك نحو ١٠٠ من العرب من أبناء حبرون اعتقلتهم السلطات الاسرائيلية دون محاكمة . وقد صرح متحدث باسم وزارة الدفاع أن هناك نحو ٣٠٠٠ من العرب من كل الارض المحتلة محتجزون في سجون اسرائيل .

(أ ب ،ديلي ستار ،١٠ مارس ١٩٧٠)

طالب لفيف من الاساتذة والكتاب والصحفيين والفنانين الاسرائيليين الحكومة الاسرائيلية بالكف عن اصدار أوامر القبض والاعتقال والاستدعاء أمام المحاكم التي تصدر ضد العرب الابرياء .

(الاتحاد ، ١٣ يناير ١٩٧٠)

طلب اكثر من ١٤ من ملاك الاراضي في وادي الاردن الى موشى ديان تعويضهم عن الخسائر التي حاقت بهم خلال العامين الماضيين . وقد أقاموا دعواهم على أن « قوات الدفاع قد دأبت على « انتهاك حقوقهم » ونسف المساكن المقامة على أراضيهم » دون مبررات كافية » .

(جيروساليم بوست ،١٥ مارس ١٩٧٠)

طالب العمدة محمد على الجعبري في عريضة الى وزارة الدفاع بالسماح بعودة الاشخاص الذين ابعدوا من الضفة الغربية .

(جيروساليم بوست ،٢٤ مارس ١٩٧٠)

طالب المسجونون السياسيون المحتجزون اداريا بسجن كفار يونا المسئولين في السجن بالسماح لهم بمزيد من الزيارات ، حيث لا يسمح لهم باكثر من زيارة واحدة شهريا ، والسماح للمسجونين بتلقي طرود الفاكهة ، وقراءة الكتب الدراسية والصحف العبرية (حيث لايسمح لهم الا بصحيفة « الانباء »)

والسماح للطلاب بمواصلة دراستهم · وقد طلبوا السماح للمسجونين السياسيين بارتداء ملابسهم الخاصة · وتوفير العناية الطبية لمن يحتاجونها والسماح لهم بالعلاج على حسابهم حيث لا يوجد سوى مستشفى واحد لكل المسجونين · وقد تقدم على رافى المحامى بهذه المطالب الى نائب مدير سجن كفار يونا فى ١١ مارس ١٩٧٠ باسم المسجونين السياسيين ·

(الاتحاد ، ٢٤ مارس ١٩٧٠)

اضرب عبد الكريم اسماعيل حكروش من كفار كوا عن الطعام بعد تجديد أو حجزه اداريا فى ٢١ مارس ·

(الاتحاد ، ٢٧ مارس ١٩٧٠)

نظم ١٨ عربيا من المعتقلين لاسباب تتعلق بالامن فى سجن دامون ـ حيث يجرى احتجازهم اداريا ـ اضرابا عن الطعام ابتداء من ٢ ـ ٥ ابريل للمطالبة اما بالافراج عنهم أو تقديمهم للمحاكمة · وقد زعموا أن القبض عليهم كان عملا تعسفيا ·

(جيروساليم بوست ،دافار ،٥ ابريل ١٩٧٠)

دعت اللجنة الطلابية الاسرائيلية للدفاع عن حقوق الانسان الى تنظيم مظاهرة فى تل أبيب يوم ٢ ابريل احتجاجا على انتهاك حقوق سكان الاراضى المحتلة ، وتدمير منازلهم ، وارهابهم ، واحتجازهم اداريا ·· وقد اشترك فى المظاهرة عدد كبير من طلاب الجامعة والمعاهد العليا ، والمثقفين والفنانين وغيرهم ·

(الاتحاد ، ٧ ابريل ١٩٧٠)

ناقش السيد محمد أبو شلباية محرر صحيفة « القدس » اليومية العربية التى تصدر فى القدس الشرقية · وهو أيضا مدرس بالمرحلة الثانوية الحل الوفاقى الذى اقترحه المجلس البلدى والذى يقتضى تلاميذ المدارس الثانوية فى القدس الشرقية دراسة المنهجين الاسرائيلى والاردنى لامتحان الشهادة الثانوية وقال أنه يلقى عبئا ثقيلا على تلاميذ الثانوى الذين يضطرون للدراسة تسع ساعات يوميا · ولما كانت الغالبية الساحقة من هؤلاء التلاميذ تريد الحصول اما على شهادة اتمام الدراسة الثانوية العربية أو الانجليزية للالتحاق بالجامعات الاجنبية ، فانه ليس من الانصاف ان يفرض عليهم المنهج والامتحانات الاسرائيلية أيضا ·

(جيروساليم بوست ،١٦ ابريل ١٩٧٠)

احتج عبد الفتاح رجا فى خطاب الى الكتلة الشيوعية فى الكنيست على اعتقاله الجائر وطلب الى الكنيست مساعدته فى الخروج من سجنه · وقد طلب عضو الكنيست اميل حبيبى الى وزير الدفاع الافراج عن رجا ·

(الاتحاد ، ١٧ ابريل ١٩٧٠)

نشرت صحيفة هاآرتز أن غزة ودير البلح قد شملهما الاضراب احتجاجا على مقتل أربعة من الفدائيين بأيدى رجال الشرطة فى معسكر المغازى للاجئين · والمعتقد أن هذا الاضراب قد نظمه اتحاد الطلاب الذى ينتمى الى منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ·

(الاتحاد ، ٢٤ ابريل ١٩٧٠)

قررت لجنة من المواطنين فى اجتماع عام عقد فى حبرون ارسال مذكرة الى الجنرال ديان احتجاجا على تسوير ٨٠٠ فدان فى الشمال الشرقى من المدينة « للاغراض العسكرية » ، ولم تكن قد صدرت تعليمات محددة بشأن ما ينبغى اتباعه عندما يبدأ تنفيذ القرار · بل ان المواطنين ليسوا مطالبين فى الوقت الحالى بالحصول على تصريح بدخول المنطقة · ولكن مخاوف المدينة أثارها قاضيها رجب بيوض الذى قال للمواطنين فى الاجتماع : « هذه هى الخطوة الاولى · وهم بعد ذلك سوف يطلبون الينا ان نتخلى عن بيوتنا ونرحل عن وطننا » ·

(الجارديان ، ٢٨ ابريل ١٩٧٠)

قابل حلمى حنون عمدة طولكرم الحاكم العسكرى لمدينة جنين واحتج لديه على ما اسماه بالسلوك الخشن لرجال الشرطة فى تفتيش منزل سيدة اشتبه فى حيازتها لاسلحة ومتفجرات وقد ذكر حنون أن السيدة تعرضت للضرب اثناء عملية التفتيش وأنه قد رأى بنفسه ما تركه الضرب بها من آثار · والسيدة المشتبه فيها خياطة فى الخامسة والعشرين وتدعى صبحية أبو صلاح ·

(جيروساليم بوست ،٢٩ ابريل ١٩٧٠)

أضرب نحو ٨٠٠ من النزلاء العرب بالسجون الاسرائيلية عن الطعام فى ٢٨ ابريل · ومن بين ١١٠٠ سجين فى الضفة الغربية اشترك ٤٠٠ فى الاضراب فى سجنى رام الله ونابلس · وأفادت التقارير أن عددا مماثلا يشارك فى الاضراب فى سجون اسرائيل ·

(جيروساليم بوست ،٢٩ ابريل ١٩٧٠)

عقدت نحو ٢٥٠ سيدة من أقارب المعتقلين اجتماعا بقاعة مجلس مدينة نابلس حيث التقوا بالعمدة السيد المصرى · وقد احتجوا فى هذا الاجتماع على « المعاملة الوحشية غير الانسانية » للمسجونين التى تخالف ما جاء بمعاهدة جنيف بشأن أسرى الحرب · وقد طالبن أيضا بالسماح لهن بالمزيد من الزيارات والافراج عن رجالهن عند انتهاء مدة العقوبة ·

(ها آرتس ، ٢٩ ابريل ١٩٧٠)

يواصل نزلاء السجون الاسرائيلية اضرابهم عن الطعام الذى بدأوه يوم ٢٨ ابريل · ويقدر عدد المضربين بالآلاف · وهم من المعتقلين اداريا المحتجزين على ذمة التحقيق والمسجونين العرب المطالبين بتحسين ظروف معاملتهم فى السجن · وفى الوقت ذاته قامت زوجات المسجونين بالاعتصام فى مبنى بلدية نابلس للمطالبة بالافراج عن المعتقلين وتحسين ظروف معاملتهم ·

(الاتحاد ، ٣٠ ابريل ١٩٧٠)

امتنع بضعة مئات من تلاميذ المدارس فى رام الله وبيرزيت عن الدراسة فى ٣٠ ابريل تضامنا مع المعتقلين العرب فى السجون الاسرائيلية الذين نظموا اضرابا عن الطعام احتجاجا على حجزهم اداريا ·

(جيروساليم بوست ،١ مايو ١٩٧٠)

قامت مجموعة من نحو ٥٠ شخصا ، معظمهم من الشباب ، بالتظاهر لمدة ساعة خارج سجن دامون على جبل الكرمل ظهر يوم ٢ مايو احتجاجا على حجز العرب اداريا · كما قامت مجموعة من ٣٥ عضوا من اعضاء حزب راكاح (الشيوعى الجديد) يوم الجمعة بمظاهرة قصيرة خارج السجن ·

(جيروساليم بوست ،٣ مايو ١٩٧٠)

أرسل العمد فى كل من نابلس وطولكرم وجنين وقلقيلية عريضة الى وزير الدفاع موشى ديان احتجاجا على قراره باغلاق منطقة تبلغ مساحتها ٣٠٠٠ دونم من الارض الزراعية فى حبرون وتحويلها الى منطقة عسكرية · وقد أحدث الاستيلاء على هذه الارض ـ طبقا لما جاء فى عريضة العمد ـ « أحدث استياء عميقا بين سكان الضفة الغربية وهو عمل يتنافى مع مبادىء معاهدة جنيف واعلان حقوق الانسان » · واضافوا أن اغلاق المنطقة «يسبب خرابا اقتصاديا لاكثر من ٥٠٠ اسرة » ·

(جيروساليم بوست ،٣ مايو ١٩٧٠)

اعتصمت النساء بمسجد الشيخ زولو فى القدس طوال ليلة الثالث من مايو تأييدا للمسجونين المضربين · وقد اضرب طلاب كلية بيرزيت ومدرسة الامير حسن العليا عن الطعام لنفس الغرض · وأرسل رؤساء المجالس البلدية فى كل من نابلس وطولكرم وجنين وقلقيلية مذكرة الى الحاكم العسكرى لمدينة نابلس يؤكدون فيها أن السلطات تنتهك مبادىء معاهدة جنيف والمواثيق الدولية بشأن معاملة المسجونين · وقد أشاروا أيضا الى المعاملة السيئة التى تلقاها المسجونات وطالبوا بتحسين هذه المعاملة ·

(الاتحاد ، ٥ مايو ١٩٧٠)

بعثت المحامية الاسرائيلية فيليسيا لانجر برسالة عاجلة الى الصليب الاحمر الدولى تطلب اليه المساعدة فى وقف المعاملة الوحشية للمسجونين العرب بسجن عسقلان · وقد ذكرت فى رسالتها أن أساليب القمع قد اصبحت هى السائدة فى هذا السجن وأن ادارة السجن تضع العقبات فى سبيل رؤيتها لموكليها ، مما يبين أن الادارة تريد أن تخفى أمورا معينة عنها وعن الرأى العام · وعددت فى رسالتها أسماء بعض المسجونين الذين تعرضوا للضرب والتعذيب ·

(الاتحاد ، ٥ مايو ١٩٧٠)

استمرت مظاهرات طلاب المدارس العليا فى غزة لليوم الثانى على التوالى · وقد القى الطلاب فى ٦ مايو الاحجار على احدى سيارات البوليس الاسرائيلى ·

(جيروساليم بوست ،٧ مايو ١٩٧٠)

القى البوليس القبض على اللاجئين في اليوم الثالث للمظاهرات خارج مدارس غزة ، وهي المظاهرات التي اندلعت تضامنا مع المسجونين العرب المحتجزين في السجون الاسرائيلية ·

(رويتر "ديلي ستار" ٨، مايو ١٩٧٠)

اصدر المجلس الاسلامي ، وهو اعلى الهيئات المنظمة للزعماء العرب في الاراضي التي تحتلها اسرائيل احتجاجا رسميا على مصادرة اسرائيل للاراضي العربية · وقد ناشد المجلس – الذي يضم قضاة محاكم القدس والضفة الغربية ، والزعماء العماليين ورؤساء المجموعات المهنية – الراي العام العالمي والصليب الاحمر الدولي الضغط على الاسرائيليين ، وكان الزعماء العرب يحتجون على اغلاق اسرائيل لمساحة ٧٥٠ فدانا من الارض الزراعية في حبرون ، سيستخدم جزء منها كقاعدة عسكرية ·

(اب ، ديلي ستار ، ٨ مايو ١٩٧٠)

عقد نحو ٤٠٠ شخص في حبرون اجتماعا للاحتجاج على الاستيلاء على ٣٠٠٠ دونم من اكثر الاراضي الزراعية خصوبة في المدينة لتحويلها الى معسكر عسكري · ويحتج اهالي حبرون على الاستيلاء على هذه الاراضي ، كما يحتجون على سياسة الاعتقال الاداري · وهم يطالبون بالا تزيد فترة الحجز الاداري عن ثلاثة شهور ·

(الاتحاد ، ٨ مايو ١٩٧٠)

قدم المجلس الاسلامي للقدس العربية عريضة احتجاج على سوء معاملة وتعذيب المعتقلين والمسجونين العرب · وقد بعثت هيئات اخرى ايضا برسائل وبرقيات احتجاج الى السلطات الاسرائيلية ·

(الاتحاد ، ٨ مايو ١٩٧٠)

اضرب ٧٠ معتقلا في سجن رام الله عن الطعام لمدة اربعة ايام تاييدا للاضراب في السجون الاخرى ·

(الاتحاد ،١٢ مايو ١٩٧٠)

اشار المراسلون الصحفيون في غزة الى ان طلاب ٦٠ من المدارس العليا في غزة قد واصلوا اضرابهم لليوم الثالث على التوالي احتجاجا على قيام دولة اسرائيل ·

(لورينت ، ١٤ مايو ١٩٧٠)

وقع مئات من المواطنين في بلدة المثلث والناصرة وايكن على عريضة موجهة الى رئيسة وزراء اسرائيل للمطالبة بالافراج عن المعتقلين المحتجزين اداريا ·

(الاتحاد ، ١٩ مايو ١٩٧٠)

وزعت في الجامعة العبرية منشورات تتضمن خطابا مفتوحا من رشدي حسكي ، احد المعتقلين اداريا · ويعلن حسكي ، الذي اعتقل طوال ثلاثة شهور ، في هذه الرسالة عن براءته ويطالب بالافراج عنه ·

(جيروساليم بوست ،١٩ مايو ١٩٧٠)

ارسل سليمان الصالح من نابلس في الاسبوع الماضي برقية يحتج فيها على تدمير ٤٠ منزلا على ايدي قوات الامن الاسرائيلية · وقد بعث الصالح امس ببرقية اخرى يحتج فيها على تدمير ٣٠ منزلا اخرى ·

(ها ارتس ، ٢٠ مايو ١٩٧٠)

ذكرت بعض مصادر الضفة الغربية ان مظاهرات عدائية قد استقبلت شيمون بيريز وزير الشئون العربية عند زيارته لعسكرات اللاجئين في غزة · وقد اتخذت اجراءات امن مشددة لحماية بيريز ولكن المظاهرات كانت من العنف برغم هذه الاجراءات حتى ان السيد بيريز لم يستطع مواصلة جولته ·

(واف ،لورينت ،٢٢ مايو ١٩٧٠)

اضربت بعض المؤسسات في القدس العربية عن العمل احتجاجا على فرض ضرائب جديدة لصالح الدفاع الاسرائيلي · وذكرت المصادر الرسمية العربية ان جميع المحال التجارية في نطاق اسوار المدينة القديمة قد اغلقت ابوابها ·

(وكالات الانباء ، ديلي ستار ، ٢٨ مايو ١٩٧٠)

لازالت عشر من العائلات العربيةترفض رفض مغادرةالارض التيتم الاستيلاءعليها لاقامة مشروعات جديدة للاسكان لصالح كيبوتز كفار عصيون · وكانت السلطات في العام الماضي قد استولت على مساحة ١٢٠٠ دونم تقع بين كفار عصيون وبين روسن تسوريم · وقد رفضت العائلات العشر اى شكل من اشكال التعويضات ورفضوا صراحة مغادرة اراضيهم · وكانت هذه الارض المستولى عليها يعيش عليها مائتي نفس ·

(جيروساليم بوست ،٢٦ مايو ١٩٧٠)

اغلقت المحلات وتوقفت المواصلات العامة في ٣٠ مايو عندما قام سكان مدينة القدس العربية باضراب عام ضد ما يعتبرونه مبالغة في فرض الضرائب · وكان هذا الاضراب اكبر بكثير من اضراب ٢٧ مايو ، حيث لم تزد نسبة المحال التي اغلقت ابوابها في المدينة القديمة على ١٠ في المائة · وقامت احدى المنظمات الفدائية العربية بتوزيع المنشورات التي تحرض سكان القدس الشرقية على الاضراب · وقد جاء في هذه المنشورات : « ان شعبنا لن يدفع ضرائب للمجرمين الصهاينة لشراء القنابل لقتل اشقائنا العرب » ·

وكالات الانباء ، ديلي ستار ، ٣١ مايو ١٩٧٠)

اكدت جميع الصحف شمول الاضراب الذي اعلن في القدس يوم ٣٠ مايو · وقد نظم هذا الاضراب احتجاجا على الاحتلال وعلى ضرائب « الامن » الجديدة التي اعتبرت استفزازية حيث تنفق في اغراض خاصة بالحرب ·

(الاتحاد ، ٢ يونيو ١٩٧٠)

وزعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وغيرها من المنظمات الفدائية منشورات تدعو الى الاضراب العام في الارض المحتلة بمناسبة الذكرى الثالثة لحرب ١٩٦٧ يومي ١ و ٢ يونيو · وقد حذرت السلطات الاسرائيلية من انها لن تسمح باى اضرابات من هذا النوع ·

(لوموند ، ٣ يونيو ١٩٧٠)

قامت قوات الامن بدوريات في قطاع غزة طوال اليوم حيث اغلقت ٩٠ في المائة من المحال العامة ابوابها تاييدا للاضراب العام ·

(وكالات الانباء ،لورينت ،٦ يونيو ١٩٧٠)

قام عشرات من الشباب في نابلس بسب اصحاب المحال التجارية الذين استمروا في فتح محالهم بعد الدعوة الى الاضراب وقذفهم بالحجارة ، وظل هذا حتى استجاب التجار واغلقوا محالهم وجعلوا الاضراب في نابلس ناجحا تماما تقريبا ·

(انترناشيونال هيرالد تريبيون ، ٦ و ٧ يونيو ١٩٧٠)

شمل الاضراب العام مدينتي رام الله وبيره في ذكرى حرب يونيو ١٩٦٧ · واجتاحت المظاهرات مدن القدس ونابلس وطولكرم وجنين · وقد قامت قوات الامن الاسرائيلية بتفريق المظاهرة في نابلس · اما في القدس فقد قام السكان العرب بمسيرة حملوا فيها باقات الزهور الى مقابر الجنود الاردنيين الذين استشهدوا في حرب يونيو ·وارسل رؤساء المجالس البلدية في بيت لحم وبيت ساحوم وبيت جالا مذكرة الى سلطات الاحتلال يطلبون الى الحكومة الاسرائيلية الانسحاب من الاراضي المحتلة وتنفيذ قرار مجلس الامن ·

(الاتحاد ، ٩ يونيو ١٩٧٠)

قام نحو مائة من سكان باكينات بتوقيع عريضة الى رئيسة الوزراء ووزير الزراعة احتجاجا على تدمير المنازل والبساتين في قرية عين الاسد · وقد طالبوا بدفع تعويضات للاسر المنكوبة بهذه الاجراءات ·

(الاتحاد ، ٩ يونيو ١٩٧٠)

نظم نحو ٨٠ من الاعضاء الشبان بمنظمة سياج (منظمة الشباب الاسرائيلي الجديد) مسيرة في القدس احتجاجا على توسيع المنطقة السكنية اليهودية في حبرون · وقد حطم البوليس محاولة للمتظاهرين الشبان لحمل نعش يرمز الى ما اسموه اخر فرصة للسلام وقبض البوليس على اثنين ممن كانوا يحملونه ·

(جيروساليم بوست ،١٩ يونيو ١٩٧٠)

ارسلت الغرفة التجارية العربية بالقدس رسالة الى رئيسة الوزراء احتجاجا على ارتفاع التقديرات الضريبية التي تتضمن ضريبة الامنوقرض الدفاع الاجباري ، والتي فرضت على سكان القدس الشرقية · واستشهدت الغرفة بمعاهدتي لاهاي وجنيف فقالت ان السلطات لا تستطيع ان تجمع الضرائب الا « من اجل تغطية النفقات الناجمة عن ادارة المنطقة المحتلة وتسيير شئونها

العادية في الحدود السائدة قبل الاحتلال» ومضت الغرفة تقول أن السلطات « لا يحق لها أن تفرض ضرائب جديدة بطريق مباشر أو غير مباشر للاغراض العسكرية » ·

(جيروساليم بوست ،٢٣ يونيو ١٩٧٠)

ارسل بطريرك الكنيسة القبطية الارثوذكسية في القدس والشرق الاقصى مذكرة الى سلطات الاحتلال جاء فيها أن قوات الشرطة وشرطة الحدود قد استولت على مبنى البطريركية ودير سلطان عشية عيد القيامة مما جعل من العسير على الطائفة ممارسة شعائرها الدينية · وقد قام الاسرائيليون أيضا بتغيير اقفال الابواب ومنعوا الرهبان من دخول المبنى ·

(الاتحاد ، ٢٦ يونيو ١٩٧٠)

يسود مدينة حبرون موقف متوتر حيث بدأت المدينة اضرابا احتجاجا على وحشية قوات الامن الاسرائيلية · فقد قامت هذه القوات في ٢ يوليو باطلاق النار على المارة في اعقاب هجوم الفدائيين الفلسطينيين على داورية اسرائيلية ، على نحو ما ذكرت صحيفة الدفاع الاردنية · وقد كتبت صحيفة الدفاع تقول نقلا عن المسافرين القادمين من الضفة الغربية أنه : « بعد أن اغلق السكان محالهم ، حاولت سلطات الاحتلال وضعهم للاضراب بالقوة · وقد قامت هذه القوات بكسر فترينات العرض بالمحال التجارية بالشوارع الرئيسية في المدينة وزادت عدد الدوريات في هذه الشوارع » ·

(واف ، لورينت ، ٧ يوليو ١٩٧٠)

طلب المسجونون المضربون عن الطعام في عسقلان ايقاف أعمال التعذيب الوحشية التي يتعرضون لها والسماح لهم بمكاتبة أسرهم ومحاميهم عن طريق الصليب الاحمر · كما طلب المحتجزون اداريا بدورهم الافراج عنهم أو تقديمهم للمحاكمة · وبعضهم محتجزون منذ أكثر من عام ونصف عام دون أن يوجه لهم أى اتهام ودون أن يعرفوا ما سيئول اليه أمرهم ·

(الاتحاد ، ١٠ يوليو ١٩٧٠)

قدم شباب حبرون مذكرة احتجاج على موقف السلطات تجاه المسجونين في عسقلان ومعاملتها الوحشية لهم ، ودعت المذكرة الى الاستجابة لمطالب المضربين · وقد ألقى الشباب باللوم على السلطات لوفاة أحد المسجونين المضربين · ووقع المذكرة مئات من المواطنين ،وأرسلت الى رئيسة الوزراء · كما أرسل المحامون في حبرون مذكرة أخرى الى وزير الدفاع يطالبون فيها بمعاملة المسجونين العرب معاملة انسانية ·

(الاتحاد ، ١٧ يوليو ١٩٧٠)

اتهم الهلال الاحمر الفلسطيني السلطات الاسرائيلية بتعذيب أحد الصحفيين العرب في سجن الرملة · وقد ناشد الهلال الاحمر في بيانه الصليب الاحمر الدولي والهيئات الصحفية وغيرها من الهيئات العالمية العمل على انقاذ حياة عمر عجوري الصحفي · وقد أبرقت نقابة الصحفيين الاردنيين الى رئيس اتحاد الصحفيين العرب والى هيئة الصحافة العالمية في براغ والى احدى نقابات الصحفيين العرب تناشدهم القيام بحملة عالمية للضغط على اسرائيل والمساعدة في انقاذ الصحفي السجين · وقد جاء في البرقية أن الصحفي المذكور قد قبض عليه في مدينة القدس في ٢٠ يناير أثناء محاولة التقاط بعض الصور لجماعة من السيدات المتظاهرات ضد احراق المسجد الاقصى · وقالت النقابة أن عجورى قد غادر الضفة الشرقية الى الضفة الغربية للاردن منذ عامين ولم تكن له أى ارتباطات بأى نشاط سياسى أو بحركة المقاومة الفلسطينية ·

(رويتر ،ديلي ستار ٢١، يوليو ١٩٧٠)

اعتصمت نحو مائة من السيدات بمقر قيادة الصليب الاحمر الدولي بالقرب من متحف روكفلر بالقدس احتجاجا على اساءة معاملة اقربائهن المعتقلين تحت الحجز الادارى · وانتهت المظاهرة التي استمرت ست ساعات بتقديم مذكرة الى المسئولين في الصليب الاحمر تتضمن قائمة بأسماء نحو ٨٠ من الساريين المعتقلين · وقد طالبت السيدات بالسماح للمسجونين بمراسلة أسرهم ، والسماح لهم بالزيارات ، وبالافراج عن المعتقلين اداريا أو تقديمهم للمحاكمة ·

(ها آرتس ، ٢٣ يوليو ١٩٧٠)

اجتمع عمدة قرية عرب المزاريب وبعض ممثلي القرية الاخرين بممثل الحكومة العسكرية بالاقليم الشمالي ، حيث احتجوا احتجاجا عنيفا على المشروع الذى يقضى بنقلهم الى معسكر سيقام على بعد نحو خمسة كيلو مترات من قريتهم ، وقد طلبوا السماح لهم باعادة بناء منازلهم بالقرية »

(الاتحاد ، ٢٨ يوليو ١٩٧٠)

أبرقت الطوائف المسيحية بالضفة الغربية الى البابا بولس « بشكواهم من قصف الاسرائيليين لدير الاقباط بالقرب من اريحا في ٢٦ يوليو » · وقد ناشدت البرقية العالم المسيحى والاسلامى والوقوف بحزم في وجه التعصب العنصرى الصهيونى » · كما قدمت الطوائف أيضا مذكرة الى الحكومة الاسرائيلية ·

(رويتر ،الدفاع ٦، اغسطس ١٩٧٠)

ذكرت صحيفة الدستور الاردنية أن العمال العرب في منطقة حبرون بالضفة الغربية المحتلة قد رفضوا العمل أو التعاون مع السلطات الاسرائيلية في تشغيل الالات الثقيلة في سيناء ·

(رويتر ،ديلي ستار ١٨، اغسطس ١٩٧٠)

طلب الدكتور أحمد أبو قوره رئيس الهلال الاحمر الاردني الى اللجنة الدولية للصليب الاحمر في سويسرا أن تعمل من أجل ايقاف « الانتهاكات الاسرائيلية المتكررة ، لمعاهدة جنيف بشأن معاملة المدنيين في المناطق المحتلة · وذكرت مذكرته الى اللجنة في جنيف أن طرد السكان العرب من الضفة الغربية وقطاع غزة اللذين تحتلهما اسرائيل مخالف لمعاهدة جنيف « اذ أن عملية الطرد قد أصبحت منتظمة ومستمرة دون اعتبار لكل المواثيق والاتفاقات الدولية » ·

(جيروساليم بوست ٢٤، اغسطس ١٩٧٠)

بعث أحد الطلاب الجامعيين العرب برسالة الى اوثانت يبلغه فيها بالقيود المفروضة على تحركات الطلاب العرب ، والتي تجعل من الصعب عليهم اتمام دراستهم ·وقد ذكر في رسالته أيضا أن بعض الطلاب قد اعتقلوا اداريا ولم يفرج عنهم الا بعد أن وافقوا على مغادرة البلاد ·

(الاتحاد ، ٢١ اغسطس ١٩٧٠)

انتقد المجلس الاسلامي في القدس في ١ سبتمبر بحدة قرار الحكومة الاسرائيلية بالسماح بتملك الاسرائيليين لمساحة ١٢٫٠٠٠ دونم بداخل المدينة وما حولها · وقد ذكر المجلس في البيان الذى أصدره بعد اجتماع طارىء أن السلطات تهدف بهذا القرار الى « خلق حقائق جديدة بطمس الطابع العربي والاسلامي للقدس الشرقية » · وذكر البيان أن سلطات الاحتلال الاسرائيلية كانت تعمل ليل نهار ، منذ احياء مهمة الدكتور يارنج على تنفيذ مخططاتها العدوانية لتغيير طابع المدينة المقدسة ·

(جيروساليم بوست ،أول سبتمبر ١٩٧٠)

أضرب نحو ١٥٠ من المعتقلين المحتجزين بسجن نابلس عن الطعام في أول سبتمبر ·

(جيروساليم بوست ١٥، سبتمبر ١٩٧٠)

احتج العمد في مدن الضفة الغربية على الاعتقالات الجماعية للفلسطينيين المشتبه في تأييدهم أو انتمائهم للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ·

(واف ،لورينت ١٥، سبتمبر ١٩٧٠)

لا تزال موجة الاحتجاج على الاستيلاء على ١٤٫٠٠٠ دونم من أجود الاراضى في منطقة القدس في تصاعد مستمر · وقد ارسل أكثر من ٥٠٠ شخص برقيات تأييد لاحتجاج المجلس الاسلامي على هذه المصادرة · وأرسل ملاك الاراضى المصادرة برقيات الى الامم المتحدة والى الرئيس نيكسون يطلبون اليهم التدخل في هذا الموضوع ·

(الاتحاد ، ١٥ سبتمبر ١٩٧٠)

اضرب الطلاب ورجال الاعمال في رفح وفي معسكرات المغازى والبريجي والنصيرات للاجئين في قطاع غزة احتجاجا على قبض السلطات الاسرائيلية على العرب المشتبه في تأييدهم للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين · وقد فرضت

السلطات الاسرائيلية حظر التجول فى المناطق الاربعة للحيلولة دون وقوع اى اضطرابات • وقد حذر الحكام العسكريون الاسرائيليون المحليون فى الضفة الغربية السكان العرب من أنهم سوف يقمعون بحزم أى اضرابات او مظاهرات •

(اب ،ديلى ستار ،٣ نوفمبر ١٩٧٠)

اصطدمت القوات الاسرائيلية بالمتظاهرين الذين واجهوها بالقذف بالحجارة فى ٢٩ سبتمبر عندما قام عشرات الالوف من العرب فى الارض المحتلة وفى أسرائيل بالتعبير عن حزنهم لوفاة عبد الناصر • وكان القطاع العربى من مدينة القدس بعد ظهر ٢٩ سبتمبر يبدو كمدينة تحت حظر غير معلن للتجول ، وقد اغلقت الحوانيت أبوابها ، وبدت الشوارع كالمهجورة ، واتخذت القوات الاسرائيلية ورجال الشرطة مواقع فى عديد من الانحاء •وقد قام نحو ٦٠٠ من المتظاهرين بالقاء الاحجار على رجال الشرطة الاسرائيليين بالقرب من بوابة هيرودس المؤدية الى المدينة القديمة • وقد القى القبض على نحو ٣٠ من المتظاهرين من بينهم عدد من الفتيات • وفى غزة قام الالاف من الشباب والنساء بمسيرة فى الشوارع ، ينشدون آيات من القرآن ويحملون صور عبد الناصر المزينة بالحرير • وتظاهر طلاب المدارس العليا من العرب فى المدن الاسرائيلية فى تيرا وشيارام والخليل وكانوا يهتفون «ناصر» و « الحرية » •

(رويتر ،ديلى ستار ،١ اكتوبر ١٩٧٠)

اغلقت عديد من المدارس والمحال التجارية ابوابها يوم ٢٩ اكتوبر فى معسكرات اللاجئين بقطاع غزة احتفالا بالذكرى الرابعة عشرة لحملة سيناء فى عام ١٩٥٦ •

(رويتر ،ديلى ستار ،٣٠ أكتوبر ١٩٧٠)

صرح بعض المسئولين من سلطات الاحتلال أن أكثر من ٤٠٫٠٠٠ طالب بالمدارس الحكومية ومدارس اللاجئين قد أضربوا عن الدراسة فى ٢ نوفمبر احتجاجا على ذكرى وعد بلفور •

(ا ب ، ديلى ستار ، ٣ نوفمبر ١٩٧٠

منع المسئولون الاسرائيليون الاضرابات والمظاهرات فى الضفة الغربية • ومع ذلك فقد شل الاضراب قطاع غزة بأكمله بمناسبة انقضاء اربعين يوما من الحداد على جمال عبد الناصر •

(لوموند ، ٧ نوفمبر ١٩٧٠)

اغلقت المحلات وتظاهر طلاب المدارس العليا فى غزة امس احتجاجا على مقتل يوسف خطيف ، احد قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين • وقد حاول بعض الشبان القيام بمظاهرة فى معسكر الشاطىء ، اتجهت نحو الشارع الرئيسى فى غزة ، ولكن قوات الامن اغلقت الطريق فى وجههم • وسرعان ما اقيمت المتاريس واخذ المتظاهرون يقذفون قوات الامن بالاحجار قبل أن يتفرقوا فى النهاية •

(جيروساليم بوست ،٢٥ نوفمبر ١٩٧٠)

اضرب طلاب المدارس العليا فى غزة لليوم الثالث على التوالى حدادا على مصرع يوسف خطيف ، أحد القادة المحليين للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين •

(لوموند ، ٢٨ نوفمبر ١٩٧٠)

منعت مجموعة من الطلاب الذين يطلقون على أنفسهم اسم « الطلاب من أجل مجتمع ديمقراطى » من توزيع منشورات فى اجتماع للتضامن مع المعتقلين فى لينينجراد • وقد قارنت المنشورات بين وضع المتهمين المقدمين للمحاكمة فى لينينجراد وبين المعتقلين اداريا فى اسرائيل والاراضى المحتلة •

(جيروساليم بوست ،٢٢ ديسمبر ١٩٧٠)

اضرب طلاب عدد من المدارس فى غزة احتجاجا على التدمير الجماعى الذى جرى مؤخرا لبعض المنازل فى المدينة •

(الاتحاد ، ٢٥ ديسمبر ١٩٧٠)

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- التجربة الشعرية المصرية .. التواصل لا الانقطاع

- عوما ، ويوسف وهبى .. والجنس مطلق السراح





يوريس ايفانز يتحدث فى مهرجان ليبزج عن فيلمه « خط عرض ١٧ »

في هـــذا العـــدد :

غومـــــــا ..

ويوســـف وهبى ..

والجنـــس مطلـــق الســــراح

فاروق عبد القادر

لا تعرض مسارحنا الان عملا واحدا جديرا بمناقشة تفصيلية، انما الاعمال المعروضة كلها قد تستحق المناقشة من جانب او آخر . يعرض مسرح الدولة مسرحيتين جديدتين : **غوما او الزعيم** من تأليف **مصطفى محمود** واخراج **جلال الشرقاوى** على مسرح الحكيم ، **وبيومى افندى** (وبعدها الايدى الناعمة) من تأليف واخراج وبطولة **يوسف وهبى** على المسرح القومى . ويعرض المسرح الخاص مسرحيتين كذلك : **سبع ولاضبع** من تأليف **سعد الدين وهبة** وبطولة **امين الهنيدى** ، **وباى باى** من اخراج **حسن عبد السلام** وبطولة ممثلى فرقة الريحانى بالاضافة **لهدى سلطان** .

هـذه هى الاعمال المتاحة لجمهور المسرح الان .. فماذا نرى فيها ؟ .



مصطفى محمود

غوما زعيم شعبي ليبي ، حاول مقاومة الاحتلال التركي في منتصف القرن الماضي ، اعتمد مصطفى محمود على كتاب للكاتب الليبي على المصراتي واتخذ منه مادة مسرحيته . والسؤال الرئيسي هو: **كيف صاغ الكاتب ملامح شخصية الزعيم من المادة التاريخية المتاحة .** والحقيقة انه قدم لنا شخصية مضطربة الفكر والمواقف من البداية للنهاية . انه ليس بطلا تراجيديا مهما حاولت ان توسع من حدود مفهوم البطل التراجيدي ، او تجعله سريرپروكروست وتقص اطراف من يستلقي عليه . ان غوما يكشف لنا في الفصل الاول عن قائد محنك يعرف جيدا اسلوب الحرب الضروري في مواجهة دولة مثل الامبراطورية العثمانية : « يجب الا نتوقف عن الحركة .. الارتباك الكامل هو فرصتنا .. الخطة هي أن نستبدل الحرب الواحدة بعدة حروب في عدة أماكن في وقت واحد .. يجب أن نختفي لنظهر ، ونتفرق حتى تبتلعنا الصحراء ثم نخرج فجأة كأننا الجن ننحدر من كل الجهات ، كأننا موجودون في كل مكان .. » ، لكنه في المشهد التالي مباشرة يوافق على وقف القتال والتفاوض مع الاتراك رغم تحذير رفاقه ، ويقبل منصب مدير مقاطعة تحت الحكم التركي ، ويقول في تبرير هذا الموقف : « اننا بدو حفاة نحارب امبراطورية ، ولايمكن أن ننتصر بدون الحيلة والسياسة ، يد تصافح ويد تطعن في الظهر .. » ، ويزيد الامر اختلاطا في حديثه الى رفيقه قاسم ، فهو ليس ثائرا على الاستعمار لكنه ثائر على الظلم ، لا يعنيه من يكون الظالم : « انما الظلم هو ما أثور عليه ، فاذا امتدت يد بعدالة فأنا دائما أول من يصافحها ، لا يهم من اى جنسية هذه اليد .. » . ورغم هذا كله فهو يدين صديقه ورفيقه قاسم حين ينفذ تعاليمه فيصبح نائب الوالي التركي ، ولا يجد مبررا لتخبطه سوى أن يقول لقاسم في



يوسف وهبي

تعال : « انني اعلم اني اقوى من الامبراطورية العثمانية [لا نعلم نحن كيف او لماذا] وأعلم انك اضعف من اضعف جنودي .. » .

غوما هذا .. هل هو ثائر ؟ مصلح ؟ انتهازي ؟ بدوي مجنون كما يقول رفيقه قاسم ؟ لعل الاصدق ما يقوله عن نفسه : « كل ذنبي انني أحببت وطني لدرجة البلاهة » ، وبسبب هذه البلاهة يقع غوما في شرك نصبه قاسم ، فرضي أن يكون موظفا في الحكومة التركية تجري عليه الانعامات والرواتب ، وحين انعزل عن الشعب ألقي به في السجن ومنه الى المنفى . وبعد اثنى عشر عاما هرب غوما ليواصل النضال .. فهل تعلم شيئا من سنوات السجن والمنفى ؟

أول ما نراه منه بعد ذلك هو أمره باعادة الاموال التي استولى عليها في حربه الى خزائن الوالي في طرابلس ، لانه يحارب من اجل الحرية لا من أجل السرقة ، ولانه يفعل ما يفعله من أجل أن يعطي ثورته شرعيتها أمام العالم . ويكون تفسير قاسم لموقفه هذا اقرب الى الدقة : انه انتهازي اي ذكي لايريد ان يحرق كل السفن بينه وبين الاتراك .

بعد هذا كله ، كان حتما أن ينهزم غوما ، وأن يحاصر بين قوات الاتراك من جانب وقوات باي تونس من الجانب الاخر ، ولا يجد « الزعيم » ما يفعله غير تمتمات الدراويش : « كلما زاد ما تلقى من عذاب في هذه الدنيا فهذه بشارة بقرب الفرج ، وبان الله سيأخذ باليد .. » ، ورطانة يحاول بها أن يتفلسف : « [اضحك يا معروف] على الذي كان ثم لم يكن ، على الجنون مطلق السراح والحق مهدر مستباح ، على الشفاه اصبحت رمم تنوشها الذئاب والصقور .. » .

هكذا يبدو لنا غوما المحمودي في مسرحية مصطفى محمود : خليطا مضطربا من الثائر والمصلح والانتهازي والدرويش والمتفلسف ، يتخبط بين هذا كله فيسلم أسلحته لاعدائه ويمكنهم من نفسه ورجاله وثورته جميعا . مثل هذه الشخصيات بحاجة الى عناية من الكاتب بحيث ياخذ من المادة التاريخية ما يعينه على اعادة صياغة شروط وجودها ، ولا يكفي أن ترصع المسرحية بأسماء الاشخاص والاماكن ، وبعض الاغاني ، كي تصبح « مسرحية تاريخية .. » ، أم ان الهدف هو كتابة مسرحية عن بطل ليبي .. اى مسرحية والسلام ؟ ..

يبدو هذا الافتراض صحيحا اذا نظرنا للتجسيد المادي للعمل . أول ما نلحظه في هذا التجسيد هو مظاهر العجلة والتلفيق ، ثم محاولة الاستعانة بنجوم الذوق العام . فجلال الشرقاوي — الورقة الرابحة في مسرح القطاع الخاص سيعرف جيدا قواعد لعبة « اجتذاب الجماهير » ، لهذا بادر فوضع اسمى محمد رشدي والراقصة زيزي مصطفى في غير ضرورة فنية . وظيفة غناء محمد رشدي — ومعظمه باللهجة الليبية غير المفهومة للجمهور الواسع — أن يملأ فجوات الاظلام اثناء تغيير مشاهد الديكور ، اما الراقصة — وهي ترقص على الطريقة الليبية كذلك : أي بملابسها الكاملة — فأظن الهدف الرئيسي من رقصتها كتابة اسمها على الافيشات جذبا لمزيد من الجمهور .

كذلك أسرف المخرج في استخدام الرقصات الشعبية وتحريك المجموعات دون ضرورة ، حتى المشهد الاخير ، بعد مصرع غوما وخروجه محمولا على الاعناق تدخل المجموعة في ايقاع سريع ومرح فتكاد تذهب بكل اثر لهذا المشهد في نفوس الجمهور . وجاء أداء شكري سرحان الفاتر — بكليشيهاته المألوفة — ليزيد في اضطراب ملامح الشخصية واختلاطها ، وعلى العكس كان اداء انور اسماعيل لدور قاسم حيا ومقنعا . ثم : أليس قاسم في نهاية الامر هو الاجدر بالزعامة والتعاطف ما دام كل خطئه كامنا في انه وضع

مبادىء زعيمه موضع التطبيق ؟ ارايت كيف يتحول المعنى العام للعمل فيصبح تأييدا لنوع من الانتهازية السياسية عبر عنه غوما أكثر من مرة : يد تصافح ويد تطعن فى الظهر ؟

على باب المسرح يسقط عنك ما علق بك ، فتمضى بلا حماس أو غضب أو رثاء أو سخط أو انفعال أيا كان . شىء جاء ومضى دون ان يخلف أثرا . مسرحية ليست للاستهلاك لكنها مغلفة للتصدير الى الغرب . هذا كل شىء .

● ●

أما المسرح القومى فيخطوا بك أكثر من اربعين عاما .. للوراء . عرضت « **بيومى افندى** » للمرة الاولى فى ١٩٣١ . اغمض عينيك لحظة وحاول أن تتصور الواقع المصرى وقتذاك . ١٩٣١: وزارة اسماعيل صدقى تحكم البلاد بالحديد والنار ، الغاء الدستور والمصادمات الدامية بين السلطة والمتظاهرين ، حزب الشعب ومقاطعة الانتخابات ، ائتلاف احزاب المعارضة ووضع الميثاق القومى لمواجهة الارهاب ، اضطهاد الصحافة وفساد الادارة ، الازمة الاقتصادية تطحن الجميع فى الريف والمدينة ، القنابل تنفجر فى كلّ مكان ، ولا مهرب من القهر الا بالوقوع فى القهر ..

ويوسف وهبى – على مسرح رمسيس – يقدم بيومى افندى . بيومى ساعاتى بدأ فقيرا لكنه استطاع – بعصامية نادرة وبجمع القرش فوق القرش – ان يبنى لنفسه قصرا ويتخذ خدما وحشما ، وهو الان لا يتمنى غير شىء واحد : نقط « طبق بصارة » بين الحين والحين. هذا الطبق الشهير ليس مجرد فكاهة ، لكنه احدى وسائل المسرحى الذكى لمداعبة نزوات جمهوره ، اذا كان هذا العظيم الذى استطاع بجده وعصاميته أن يحيا حياة الارستقراطية – المصرية والمتمصرة – وأن يرتبط معها بالصداقة والمصاهرة لا يتمنى غير .. طبق البصارة » .. الا يحق اذن لمن كان هذا طعامه أن يرضى به ويقتنع ؟

والمسرحية تطرح مشكلة الابناء غير الشرعيين [متى كانت هذه مشكلة فى الواقع المصرى ؟] وتستمد أحداثها من مخزون الميلودراما فى العالم ، فبيومى يعرف ان ابنه ليس ابنه لكنه يحدب عليه ويرعاه ويعوله ، ثم يتقدم لخطبة ابنته طبيب هو أيضا ابن غير شرعى ، فيناصره بيومى ويدفع الامور للتأزم حتى يصفع زوجته وابنه – ويصفعنا – بالسر الرهيب : انه كان يعرف منذ زمن بعيد لكنه كتم الامر نبلا منه وكرما .

اطمئن ، فمن تقاليد ميلودراما يوسف وهبى أن تنتهى الامور على ما تحب وترضى : سيغفر بيومى ويصفح وينسى الماضى وستتزوج الفتاة بمن تحب ، وستنقلب الام الخائنة فتقضى بقية أيامها تكفر عن سيئات ماضيها ، ولا يطلب بيومى غير شىء واحد فى مقابل هذا الاغداق كله : « طبق البصارة » الشهير ! .

قد لايكون هذا هو المجال المناسب لتقويم مسرح يوسف وهبى ودوره التاريخى من حيث علاقته بالواقع المصرى وتطوره [قد يكون مجال هذا رسائل الماجستير والدكتوراه] ، لكن بوسعنا أن نرصد أهم الملامح فى بيومى افندى :


سعد الدين وهبة

● **الابتعاد ابتعادا كاملا عن قضايا الواقع رغم امتلاء هذا الواقع بالقضايا التى تصلح نقاط انطلاق لاعمال فنية تعبر عنه وتتخذ موقفا منه .**

● **تشى المسرحية باحتقار الطبقات الشعبية من وراء واجهة مداعبة نزوات جمهورها من الارستقراطية والافندية ، فامراة بيومى الخائنة ليست ارستقراطية الاصل [لا يقع يوسف وهبى فى هذا الخطأ] ، لكنها كانت تعمل « مرضعة » فى قصر أحد الباشوات حين تزوجها بيومى ، وظلت تخونه مع « عربجى » يعمل فى القصر نفسه .. ولك أن تصدق بعد ذلك كيف يمكن لمرضعة أن تظل على مراسلة « عربجى » حتى يقع أحد خطاباتها فى يد بيومى فيتكشف له السر .**

المهم ان الخيانة لاتمس الارستقراطية لكنها تبدو سمة ملازمة لهذه الفئات « المنحطة » من البشر .

● **المأخذ الوحيد على ممثلى الارستقراطية فى المسرحية [زهدى بك وابنته] انما يرجع لتمسكهما برفض الارتباطات باسرة تحيط الشكوك بمولد احد افرادها .وهذا شىء يبدو مشروعا ومبررا عند معظم الجمهور الذى تتوجه اليه المسرحية .**

● **ثمة من الناحية الاخرى الالحاح على المشاعر فى تركيب المواقف ودفعها للتأزم ، فى ترصيع الحوار بايات القرآن كسبا للتاييد ، فى ابتزاز التعاطف مع موقف الرجل النبيل الذى يعرف ان ابنه ليس ابنه فى الحقيقة [كيف له ان يتأكد**


حسن عبد السلام

وكل ماالديه مجرد خطاب ؟) لكنه رغم ذلك يعوله ويؤويه .

اتلفت حولى فاجد مسرح الازبكية بمعماره العربى ، وفوقبروازهيرتفعبيت الشعر المشهور : انما الامم الاخلاق .. وخيل الىلحظةأن الصفوف الاولى يشغلها اصحاب السعادةوالعزة ، وبقية الصفوف تمتلىء بالافندية ذوى الياقات المنشاة والطرابيش . نركت عينى . من حولى جمهور مختلف : بعض هذا الجمهورلايترك بيته الا لحدث جلل ، سيداتمصونات فى ثياب منسدلة وطرح بيض ، ورجال فى شتاء العمر، يتستعيدون ذكرياتالعهد الذهبى ، ويجترون ماضيهم ، يمكنكان تتوقع كيف يفكرونفى امور الحياةوالفن. المسرح عندهم — اذا جاءت سيرةالمسرح يقف فقط عندمسرح يوسفوهبىوالريحانى ولاشىء بعدهما ، رصيد من الثبات المدهش على قيم الماضى ، واحتياطى لاينفذ لكل دعوة للعودة الى الماضى .

جزء غير قليل من الجمهور شبابفى مقتبل العمر ، تدوى من حولهم الطلقات حول يوسفوهبى ومسرح رمسيس ، لا يعرفون عن هذا كله شيئا ويريدون ان يعرفوا . اغلب الظن انهم يضحكون — او لعلهم يبتسمون فقط —حينيلقىيوسف وهبى فى وجوه الجمهور بسره الرهيب. هم اسرى الدعاية المركزة ، والدوىعلى الاذان ..

لاعجب أن اقبل الجمهور على بيومى افندى واى افندى آخر.أليست السباحة مع الموج أيسر دائما من مواجهته !!

● ●

« سبع ولا ضبع » هى المسرحية الثانية التى يقدمها المسرح الخاص لسعد الدين وهبة . والسؤال مطروح على أمين الهنيدى بطل الفرقة ونجمها الاول ، والمحامى الذى عهد اليه الثرى المتوفى بالقيام على تنفيذ وصيته . والوصية هى أن تؤول الثروة كلها الى حفيده على أن يكون ذكرا . والمشكلة هى ان أبناء المتوفى الثلاثة اثنان منهم غير متزوجين والثالث بلا أبناء ، وبناته الثلاث كذلك : اثنتان منهم غير متزوجتين ، والثالثة بلا أبناء ذكور . تحددت المشكلة اكثر : المهم الان ان يحاول كل من الورثة [نستثنى صغرى البنات لانها لا زالت طالبة ولانها — وهذا اهم — لا توافق على هذا كله] الحصول على الوليد الذى يفوز بالثروة . وبلمسات سريعة فى الفصل الاول نتعرف على ملامح الابناء : الابن الاكبر مبذر متلاف منحل يعيش دون عمل ، والثانى دكتور فى الزراعة مثقف انتهازى منعزل ، والثالث بطيل سابق يحترف كل المهن الصغيرة الخارجة على القانون ، وملامح البنات : الكبرى مولعة بالجمعيات الخيرية والحياة على هواها ، والثانية هربت من سيطرة ابيها لتتزوج من رجل لاميزة فيه سوى أنه يطيعاوامرها ويسيرمتأخراعنها خطوتين أما الثالثة فعلى نقيض هؤلاء جميعا : طالبة فى كلية الهندسة ، تحب مقاتلا فى الجبهة «هذه التعويذة الجديدة ! » . وينويان الزواج حين يشاءان ،هى التى كان الاب الراحل يحبها ويعتز بها ، وهى التى سيلتف المؤلف وراءها كى يدين كل هؤلاء [وكى يسقط الثروة بين يديها فى النهاية] .

من السهل أن نتصور ما ستفعله هذه الشخصيات خلال الشهور التسعة التى اوصى الراحل بأن تقضيها النساء داخل البيت الريفى لا تبرحه واحدة منهن ، وعلى باب البيت حارس يقظ هو المحامى القائم على تنفيذ الوصية. أما اذاانقضت الشهور التسعة دون وليد ذكر فثمة وصية أخرى . المهم الان هو الحصول على الطفل باية طريقة . وهكذا يجد سعد وهبة فرصته الكاملة كى يجمل من السعار الجنسى موضوعه المفضل ، فتتناثر المواقف والتعليقات الفاضحة بين كل الشخصيات وبينها وبين المحامى الحارس ،وتحتل المسرحيةبنماذج الشذوذ من كل لون : قبل انقضاء المهلة المتاحة يسارع الاخ الاكبر الى النادى كى يلتقط امرأة يتزوجها فلا يعود الا بالقوادة



امين الهنيدى

العجوز ويكتشف بعد زواجها أنها توقفت عن الانجاب منذ زمن طويل ، والاخ الاصغر يعود بأربع فتيات معا كى يزيد فرصته فى الحصول على الطفل [هى فرصة فى الحقيقة لتقديم استعراض راقص] ، ويقام مزاد حول واحدة منهن كى يتزوجها الاخ الاكبر بدل القوادة العجوز ، وتأتى الاختالكبرى بسكرتيرها فى الجمعية الخيرية ، وهو شاب مخنث تعرفه القوادة على الفور ، وتتأكد الاخت من حقيقته بعد أن تعريه لها القوادة « وتريها العلامة » ويخرجممسكامؤخرته فى مشهد من أكثر المشاهد التى رأيتها على المسرح غلظة وبذاءة ، فتنصرف عنه لتأتى بمقاول طويل عريض ذى شوارب ثم تتبين انه لا يستطيع أن يهش أو ينش دون أن تحصل له على قطعة حشيش ، وتحاول الاختان وزوجة الاخ الاكبر اغراء المحامى القائم على تنفيذ الوصية وصاحب الدكتوراه لا يمانع فى أن تعرف امراته رجلا آخر كى يزيد من الفرص المتاحة و... و ...

بذاءة بعد بذاءة ، وابتذال بعد ابتذال التوابل الجنسية التى كانت تملحمسرحيات سعد وهبة القديمة اصبحتالانالمسرحية كلها : كل الرجال عاجزون عن ارضاء نسائهم ، وكل النساء فوهات فاغرةلاتجد من يملاها ، وهن يواجهن رجالهن بعجزهن ، ويواجه المحامى الجميع بعجز الرجال وعهر النساء .

فى المسرحية ظلال باهتة من اعماله القديمة ، ومن « بير السلم » بوجه خاص فالدكتور مدحت — دكتور الزراعة « المثقف » الذىتشغله أبحاثه عنالاهتمام بجسد زوجته صورة ممسوخة من سامى الشبراوى ، وهو — مثله — يخرج بامرأته وأبحاثه مهاجرا هذه المرة ، وصالح الابن الاكبر هنا هو حسن الشبراوى فى تبذيره وانفاقه مال ابيه على المظاهر ، والهام هى عزيزة فىحبها لابيها ومعارضتها الفساد الذى يشترك فيه الجميع ، على أن الجوانب الانسانية فى الشخصيات القديمة تتراجع مفسحة

المجال للجوانب الشيقة ولاشيء سواها، كانما تتدم على الشبراوى — العاجزشبه العنين الباحث من الوصفات وعن كمل ما يقوى الباه — نالقى ظله على الجميع واصبحوا مثل حيوانات بالفلوف وقد منعت عنها الاناث والذكور .

وفى النهاية — وكما تتوقع — لابد أن تفوز الهام بالثروة كلها . هنا ينزل المؤلف « الاله على العجلة » نيلفق حكاية حول زواج شقيق الثرى من الفلاحة التى تقوم على خدمة البيت — سرا — وانجابه منها ولدا هو الذى تحبه الهام ، هكذا تتحقق الوصية ، وتؤول الثروة الى الهام مكافأة لها .

من المخجل حقا لكاتب مثل سعد الدين وهبة أن تبقى هذه المسرحية بين اعماله، فما أبعد المسافة القائمة بينها وبين اهم الاعمال التى جعلت منه اسما له ثقله فى التاليف المسرحى . ماذا حدث للكاتب الكبير ؟ هل هان عليه اسمه الذى تكون خلال سنوات طويلة من العناء ؟ وبعد أن بلغ سعد وهبة هذا المستوى .. هل نتوقع له بعثا آخر ؟ .

لقد عرف سعد — الحرفى المتمرس — ما يريده جمهورهذا المسرح فقدمه له : بطولة النجم الواحد وموضوع الجنس — أو على التحديد السعار الجنسى من جانب والعجز من الجانب الاخر — فقدمه له . فماذا ترك لصغار المؤلفين وانصعافهم الذين يدورون فى خدمة القطاع الخاص ويلفقون له الاعمال ؟

والى جوار اسم سعد الدين وهبة — مؤلفا — يتربع اسم عبد المنعم مدبولى مخرجا . والحكاية لا اخراج فيها ولا يحزنون ، مجرد اضاءة تدريجية للمسرح فى بدايات الفصول ، واظلام تدريجى فى نهاياتها ، وحركة الممثلين ، صعودا وهبوطا ، على باب الله ، والبطولة الكاملة معقودة لامين الهنيدى: تخونه حساسيته أحيانا فيسرف فى التطويل والتكرار حتى يتململ الجمهور والممثلون. لازماته هى هى ، وطريقة استخدامه لصوته هى هى ، حتى طريقته فى السعال الذى يقطع كلماته هى هى . ان كان يروقك الهنيدى ممثلا كوميديا وهو لا يروق البعض — فستجد فى هذا العمل ما يرضيك ، اما ان كان لا يروقك فلن تجد فيه شيئا .. اللهم ان كانت لك مشكلة جنسية لا تستطيع أن تجد لها حلا فى الواقع ويعنيك أن تجد من يحل لك الجراح !!

● ●

وبصورة أخرى يشغل الجنس — وهو هنا عبادة جسد الممثلة الاولى — المكان الرئيسى من المسرحية الباقية فى جولتنا : « باى .. باى » التى تقدمها فرقة الريحانى من اخراج حسن عبد السلام : حازم [أبو بكر عزت] مهندس شاب يعيش مع زوجته المستبدة التى تؤكد فيه دائما احساسه بالفشل [رغم انه أول دفعته ، ورغم أنه يقدم المشروعات دائما باسماء زملائه ، فيتقدمون هم ويبقى هو فى مكانه] ، يأتى له جاره الذى يعمل فى ملهى ليلى بامرأة يتركها عنده قليلا اثناء غياب زوجته . ولان هذه المرأة تعمل فى ملهى ليلى فقد انفتح الباب فسيحا أمام التثنى والتكسر والتغنج والتعرى ومحاولات الاغراء بكل صورها : فى الكلمة والحركة والايماءة والسلوك . والبطلة ليست بالفتاة الجميلة التى يمكن أن تلعب « نجمة الاغراء » أو تجسد حلم لوليتا ، ليست فاتنة لكنها متكلفة . لا تعرف هدى سلطان غير دور العالمة الذى اتقنته فى تؤديه ، حتى صوتها لا يستغل الا فى أغنية ختامية .

ولا تكتفى « سكر » — سميت بهذا الاسم لان من يذوق شفتيها لا ينسى مذاق السكر — باغراء حازم بل تتجاوزه لمحاولة اغراء رئيسه فى العمل ، ولهدف نبيل طبعا ، هو انتزاع موافقته على مشروع تقدم به المهندس الشاب . وفيها الرجل الوقور أمام سطوة الاغراء والتدلل فيوافق على كل شىء بعد أن يترك المهندس بيته ليلة لهما . مرة أخرى لا يقف الامر عند اغراء هذا الرئيس فيتجاوزه كذلك لاغراء صاحب الشركة بدوره ..

فى هذا كله ليس المهم الحكاية الملفقة التى تحدث — أو لا تحدث — على المسرح . المهم هو تلك المشاهد المتتابعة لمحاولات الاغراء من ناحية ، ومواقف سوء التفاهم الناتجة عن تعقيد مفتعل فى خيوط الموقف كله من الجانب الاخر : ثمة بواب مسطول دائما يشترك فى كل ما يحدث ، وزوجة مسافرة تهدد بأن ترجع فى أى لحظة ، وصاحب الشقة المجاورة يقترضون من شقته المقاعد كلما تركها ويعيدونها كلما عاد اليها ، ومدير الشركة يبتلع قطعة من مخدر البواب المسطول دائما فينسطل بدوره .. وهكذا

ولعلك تفاجأ فى النهاية بأن هذا البواب المسطول قد افاق مرة واحدة والى الابد ، وراح يكيل النصائح والحكم، ومن أجل نصائحه وبسببها يفيق المهندس بدوره فيرفض أن يحقق نجاحه عن طريق امرأة ، [ليس المهم هنا رفض الموقف من حيث انه يتضمن تسلقا غير مشروع ونجاحا بغير مقابل قدر ما يعكس احتقار المرأة كمرأة] ، فيطرد الجميع من بيته : زوجته ورئيسه وصاحب الشركة جميعا .. ولا يبقى له غير « المومس الفاضلة » ، لكنها هى القريبة البعيدة ، يكفيها أنها بعثت فى نفسه الامل وخلقته خلقا جديدا، وهى مضطرة لان تتركه ، وهى تحبه وتعلم انه يحبها ، تأكيدا لرومانسية شاحبة فى الظاهر ، واحتقارا لها فى باطن الامر .

هكذا استطاعت المومس أن تدلق فى المهندس الخاوى الثقة والامل ، وأن ترد اليه الايمان بنفسه وقدراته ، وتدفعه دفعا لان يتخلى عن زوجته واطفاله وعمله جميعا كى يبدأ من جديد . ما ظل مطمورا فى نفسه طول السنين قد اظهرته هذه المرأة وأخرجته للنور . فى ايدى المومسات مصائر البشر : صلاحهم وفسادهم ! .

انما فى مشهد الوداع الاخير تجلت براعة المخرج ومهارته فى ابراز جسد الممثلة الاولى : أوقفها على منصة هناك فى عمق المسرح ، وأحاطها باضاءة توحى بجو الحلم والامل البعيد المشتهى ، وفى مقدمة المسرح ، وتحت بقعة ضوء صغيرة وقف البطل ، وهى تلوح له ، ولنا ، باشارة الوداع : باى باى .. باى باى

تخرج من هذا العمل ويصحبك السؤال: هنا طاقات كوميدية جيدة : ابو بكر عزت ، جمال اسماعيل ، عدلى كاسب، ابراهيم سعفان ، ومخرج يعرف أصول حرفته ، وربما يستطيع أن يقدم أفضل مما قدمه ، لكنهم جميعا يلتمسون الطريق السهل لغزو المتفرجين : طريق الجنس وتلفيق المواقف القائمة على سوء التفاهم المفتعل والسقوط على الافكار المطروقة حتى الاستهلاك الكامل [فكرة المسرحية فى تراث المسرحيات من هذا النوع بدءا من « دلوعة » الريحانى] .

●

اذا كانت « باى باى » و « سبع ولا ضبع » تمثلان أعمال برودواى أو المسرح التجارى فى بلادنا ، و «الزعيم» و « بيومى افندى » تمثلان أعمال المسرح غير التجارى .. أو خارج برودواى ..

ألست معى فى اننا بحاجة لمسرح جديد .. فى حاجة لخارج — خارج برودواى

التجربة الشعرية المصرية

لاتطرح الظاهرة الشعرية نفسهابالقوة التيطرحت بهاالظاهرةالقصصية قضاياها ورؤاهافي واقع الادب المصري خلال السنوات الاخيرة. فلا نجدعلى الصعيد الشعري تلك الوفرة في النماذج والمحاولات ، ولا هذا الوضوح في الرؤى والمنطلقات ، ولا ذلك التعدد في الاصوات التي تجاهد لتوسيع افق الاقصوصة حتى تستوعب معظم هموم اللحظة الحضارية التي تصدر عنها وتستشرف غدها . لذلك لن نستطيع في هذا العدد الذي يخصصه ملحق [الطليعـــة] الادبي للشعر ان نقدم مجموعة من التحديدات حول الرؤى والاجيال كتلك التي قدمنا بها العدد الماضي عن القصة . واذا كنا قد حاولنا ان ننتهج في هذا العدد عن الشعر نفس الاسلوب الذي اتبعناه في عدد القصة الماضي ، الا ان المادة المتاحة لنا لم تمكننا من بلوغ الغايات ، او حتى من تحقيق نفس النتائج . ومن هنا اجتمع في هذا العدد شعراء يمثلون مختلف الاجيال التي مارست الابداع في نطاق التجربة الشعرية الجديدة . وانطوت تجاربه الشعرية على قدر من التباين يتيح لها ان تستوعب معظم المغامرات التي خاضتها القصيدة المصرية الجديدة ، بدءا من القصيدة الغنائية ذات النفس الرومانسي حتى القصيدة التركيبية التي تتعدد فيها الاصـــوات وتتداخـــل الرؤى مرورا بالقصيدة الواقعية او التي يحـــلو للبعض ان يدعوها بالرومانسية الاشتراكية والقصيدة القناعية ، والتجربة القصصية او الدرامية وغير ذلك من التجارب .. وقد حرص هذا العدد من [الملحق] ان ينتقي التجـــارب التي تتأكد بها فكرة التواصل ، لا الانقطاع ، فيمسيرة التجربة الشعرية المصرية .. ومن هنا كان حرصها على ان يضم هذا العدد مجموعة من الاصوات الشعرية الجديدة التي لم يسبق لها النشر من قبل على نطـــاق واسع مثـــل احمد الحوتي ومحمد فريد ابو سعدة وعلى عبيد ومدحت قاسم ، ومعظمها لم يســـبق له النشر على الاطلاق . هذا بالاضـــافة الى عدد من الاصـــوات التي تتخـــلق مع أســـهاماتها الملامـــح الخاصـــة لتجربة الجيـــل الجـــديد من الشـــعراء المصريين مثل حسن النجار ومحمد فهمي سند ، والتي تشكل همزة الوصل بين الاصوات الجديدة والاصوات الشعرية المعروفة مثل محمد عفيفي مطر ومحمد مهران السيد ويسرى خميس .

ولابد لنا قبل ان نقدم تعريفا سريعا بكل تجربة من هذه التجارب الشعرية ان نتعرف على بعض الملامح المشتركة في هذه الاعمال الشعرية التي تنطوى برغم تباين اعمار شعرائها على قدر من التجانس الذي يشير الى وثاقة العلاقة بين الشـــعر واللحظة الحضـــارية التي يصدر عنها او يتخلق في فيئهـــا ، برغم كل

.. التواصل لا الانقطاع

اعتراضات الراغبين فى اطلاق الشاعر من كل التزام ..... واول الملامح التى تؤكد هذا التجانس هو الميل الى التركيب فى بناء التجربة والبعد عن التداعيات البسيطة للتجربة الغنائية البسيطة ، فحتى التجرة الغنائية نفسها جنحت الى قدر من التعقيد ، وبدا احساس الشاعر بأهمية البناء يتغلب فيها على استسلامه للاستطرادات. بل اننا نلمس برفقة التعقيد فى شكل القصيدة الغنائية ومحتواها قدرا من الازورار عنها ، والجنوح صـــوب الاشكال الاكثر تعقيدا والتى يتيح تعدد الاصوات فيهــا للشاعر ان يستوعب الحساسية الجديدة وان يتجاوز الدائرة المغلقة التى اوشكت أن تعصف بحيوية التجربة الجديدة وتالقها . اما السمة الثانية فهى الميل الى النزعة التأملية التى تمنح الجنوح صـــــوب التراكب مبرراته من ناحية ، والتى تهب التجربة الشـــعرية مجموعة من الابعاد ومن المستويات للمعنى . وكان من الضرورى حيال تراكب الشكل ان يميل النسيج الى التركيز والرؤية الى التامل ، لان هذا النوع من القصائد يتطلب من الشاعر والمتلقى معا قدرا واضحا من اليقظة العقلية . واذا كان الميل الى النزعة التاملية هــــو السمة المميزة للرؤية فى هذه القصائد فان اتجاه الرؤية صوب التفاؤل هو السمة الثالثة لها .. فبرغم الشكل التركيبى والنسيج التاملى او بالاحرى بسببهما نلمس تفاؤلا مشرقا ، وايمانا قويا بالغد وبالحياة .

والى جانب هذه السمات العامة نجد هناك مجموعة من السمات الجزئية .. مثل الميل الى اســـتخدام الشخصيات التاريخية المرتبطة بتاريخنا ، عوضا عن شخصيات الميثولوجيا الافريقية او السومرية التى ولع بها جيل الرواد .. فسنجد فى هـــذه المجموعة مـــن القصائد شخصيات الحسين بن على ومحمد عبيد والحلاج وغيرهم .. ومثل الجنوح الى صياغة نسيج القصيدة من مادة تشد القارىء الى عبير الريف وتفاصيل الحياة فيه ..وهذا الجنوح ابرز مايكون لدى الشعراء الذين ماتزال اقدامهم مغروسة فى ارضنا الطيبة .. اما الشعراء الذين هجروا القرية فانهم يمتلئون بنـــوع من الحنين اليها ، او يلجاون الى التجارب العقلية ذات الطابع التاملى .. مثل تجارب القراءات والاقنعة ، فالى جانب قصة حياة الحسين ، نجد مجموعة من تجارب القراءات التى تحاول ان تقرا الابعاد المختلفة لحدث او موقف او شخصية .. وحتى لا تكون هذه المقدمة تجريدية ، فان للتريث السريع عند هذه القصائد يحقق عبر التطبيق او التخصيص ، لها قدرا من التوازن ..

واذا بدانا بقصيدة محمد عفيفى مطر [مهرة الالوان المتداخلة] فسنجد انفسنا بمواجهة تجربة فى الشعر الخالص – كما يسميه جون كرورانسوم – فى القصيدة التى تستمد اهميتها وقيمتها من بساطتها المتناهية ، ومن تركيبها المتساوق الدقيق ، لا من احالاتها الى الواقع الخارجى أو من تعبيرها عن بعض شرائح الحياة .. انها تجربة فى الاقتراب من القصيدة التى تعنى لكل شخص شيئا يختلف عما تعنيه للاخرين ، حيث تنهض على البساطة المتناهية وتقول كل شىء دون ان تعنى شيئا محدودا ، لانها تبدأ من لحظة تجاوز الحدود والتحديدات ، وتلعب بعناصر اللون والايقاع لعبة تبادل مراكز من نوع فريد .

فاذا انتقلنا بعد ذلك الى قصيدة يسرى خميس [شامبو غريبون .. او ليالى الغربة الثلاث] فسنجد انفسنا بازاء تجربة من نوع آخر ، فالقصيدة محاولة للخروج من اطار القصيدة الغنائية الى بناء اكثر رحابة واتساعا ، يستوعب صبوات الشاعر المشدوه أمام طقس الاحتفال بالحسين ، باعتباره رمزا مجسدا للفداء والشهادة ، فى ليلة عاشوراء . وازاء طقس الندم على التفريط فى الاشياء التى لا ينبغى التفريط فيها ، يلجأ الشاعر الى هذا الاسلوب الذى يستعير من المسرح الحديث كثافة الحوار وتعاقب المشاهد وسرعة الحركة . ويستعير من السينما الحديثة التوازى والتقابل والقطع والمزج بين جزئيات المشهد . ويحتفظ لها بالكثير من خصائص القصيدة الدرامية وعذوبة الشعر الغنائى . ليصوغ عبر تعدد اصواتها وتعاقب حركاتها واتساع رقعة تجربتها ، مشاركته فى بلورة ابعاد القصيدة التركيبية الحديثة . وهذه القصيدة من ناحية اخرى هى مدخلنا الى مجموعة قصائد القراءات والاقنعة .. فلدينا قصيدة محمد مهران السيد [قراءة فى كتاب واسع الانتشار] وقصيدة محمد فريد ابو سعدة [السفر الى منابت الانهار] وقصيدة مدحت قاسم [ثلاث حركات من سيمفونية الرجوع ، وقصيدة على عبيد [نقوش بارزة فوق شاهد مقبرة الفلاح الفارس] [وقصيدة احمد الحوتى] العزف على صوت الطيور المهاجرة] .. فى كل هذه القصائد نلمس الحاحا على معاودة قراءة الجزئيات او الموضوعيات او الاحداث واكتشاف مجموعة من الابعاد والمفارقات الثانوية فيها. وينطوى هذا الالحاح على قدر كبير من الاهتمام بالعناصر التاملية فى التجربة الشعرية ، وهذا ما يتم فى بعض الاحيان على حساب العناصر الاخرى وخاصة العناصر البعدية او التشكيلية ، التى تمنح الصورة الشعرية توهجها . وسوف نتاكد من هذه الظاهرة حينما ننظر فى تجارب القراءات المتعددة التى قدمها شعراء هذا العدد ...

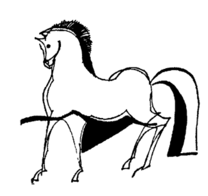
ومن البداية نجد انّ محمد مهران السيد يصور لنا منذ السطور الاولى الطبيعة النفسية لبطله الذى يقضم اظافره كشارة على ما يجيش فى داخله من توترات .. . فقد ضاع منه كل شىء ، والعالم الخارجى لا يدفعه الى الصمت بل يستحثه على العمل والامل معا ..

اما قصيدة محمد فريد ابو سعدة فانها توشك ان تقف وحدها متفردة بين قصائد القراءات والاقنعة .. لانها تصوغ مادتها من بكارة الاشياء وتحوم بالقرب من المنطقة التى دارت فيها تجربة محمد عفيفى مطر المنشورة فى هذا العدد . فترى جزئيات التجربة ونسيجها عبر احداق طفل لم تبارحهما الدهشة .. ولكن خلف احداق هـذا الطفل نلمس معاناة الشاعر وسيطرته على بناء تجربته الشعرية ووعيه بتعاقب الحركات والاصوات فيها . بينما تلجأ قصيدة على عبيد الى تحقيق نوع من التضافر بين العناصر الغنائية والعناصر الدرامية فى تقديم قراءتها لطيف شهيد الثورة العرابية الـكبير محمد عبيد . اما قصيدة مدحت قاسم فانها ثلاث قراءات لابعاد تجربة شعرية واحدة . تحاول التركيز على المفارقة بين توهج الحدث الفاجع وهمود الاستجابات التى يحدثها . انهـا تسجل لنا ليس الدوائر التى تحدثها سقوط الحصا فى الماء الراكد ، وانمـا انحسار هذه الدوائر وعـودة السطح الذى اختلج للحظة الى همودة القديم . ويحاول احمد الحوتى ان يدس حروف قصيدته وسط زقزقة الطيور المهاجرة ، حيث يندغم صوت الشاعر بصوت الطبيعة وتتعدد مستويات المنى فى تجربة الحب والامنيات المسفوحة عبر مفازات الهجرة وساعات الانتظار .

انّ لجزئيات الواقع الحسية بكل ماتنطوى عليه من صراعات وتوترات قدرتها على رفد التجربة الغنائية بدماء جديدة وحياة جديدة ، بعد ما ظن البعض أن هذه التجربة قد نضبت وما عاد فى طاقتها العطاء . وهذا نفس ما يفعله محمد فهمى سند وحسن النجار . فالاول يحاول ان يقول كل شىء من خلال الالتصاق الحميم بالواقع ، ولكنه الالتصاق به للانفصال عنه ولهتك الفتنا به واعادة الدهشة والبكارة اليه . اما الثـانى فانه يتغنى هنا بفصل جديد من فصول تراجيدياه الريفية .. التى يدلف فيها من خلال القرية المصرية الى الكون والى العالم الرحيب ، ويصوغ من مادتها الريفية فصول المأساة الانسانية وجزئياتها ■

مهرة الألوان المتداخلة

شعر : محمد عفيفي مطر



صوت :
كانت مهرتنا الحمراء
تغسلها أعطية الدمع الليلية
كانت مهرتنا الخضراء
أعشابا برية .
أمطرها غيم السنوات المشوية
فانشق اللون الاخضر لونين ..
صدى :
مهرتنا الحمراء
حلم يرقص فى أقبية الدم
مهرتنا الخضراء .
رسم مصغر فى كتب الصحراء
زبد يتكسر فوق مياه زرقاء ..
صوت وصدى :
مهرتنا الحمراء الخضراء
صرخة نار شعرية
ما بين الماء المالح والصحراء
مهرتنا الخضراء الحمراء
مهرتنا الحمراء الخضراء ..

العزف على صوت الطيور المهاجرة

شعر : أحمد الحوتي

وكانت بقلبى رياح جديدة ..
وكنت أسافر ، فى كل شىء ،
اعانق فيك انتظار الحقول .
وأنت نشيد ، يفجر لى شهوة الارض
يفتح كلّ سماء بعيده ...

فأبصر فيك اغتراب النجوم !
وصمت البرارى ..
وابصر فيك رحيل الطيور
وتخبو خطاى ..
(فمن يشترينى ، بكسرة خبز
بصرخة طفل ...

بجرح ضئيل .. ؟ ؟
ومن يشترينى ؟! فأصمت .
أعجز عما أقول !
ومن يشترينى بصوتى الحبيس
ومن يشترينى طليق الخيول !)

وينشق عنى خباء التردد ..
ما ورثتنى رياح الفصول
اراني انا البيع ..
والجمرك المستباح ..
ونافذة الامنيات القعيده !
اراني دما .. في رســـــوم الجريده
وانت نشيد يفجـر لى شهـوة الارض
يفتح كل سماء بعيدة ..
فكيف يصير شراع الزفاف ؟ !

● ● ●

احبك .. نهرا ، وصـــارية ، وسفينه
وليس لنا أن نقول الوداع
فأنت هنا ، وردة فى الدماء
وخارطة فى عروق المدينه
وسفر بلحمى ..
ودار قديمه ..

● ● ●

أطوح فى الصبح عش الخيال
احبك «سلةخبز» ،
وقبضة حزن ..
وتاريخ مئذنة ، فى قرانا
تؤم الجياع ..
وتخفى قميص السكوت ـ الهزيمة
وترشقنى ، فـــوق .. فوق الشراع

● ● ●

لنا الشعر ..
والشعر ، سيف ، ومصيدة ، وحريق
وجرح عميق ..
وأيقونة فوق صدر الكسالى
بغير بريق ..
وقنبلة ، فـى يـدى ، لـو تفجر ..
آه .. تفجر ..
وبعثر شظايا السنين العقيمة
وما خلفته القوافل فى راحـة السوق
ما شيعته بسمع الطريق ...

● ● ●

وينتشر الحب بين الرمال ...



وبين السنابل ..
وينتشر الحب بين الديار ..
وبين القوافل
وينتشر الحب بين الجبال ..
وبين الدماء ..

وبين القنابل ..
وينتشر الحب بينى وبينك
يمتد فى كل شىء
وأمتد فى كل شىء

الوح للنوم : انى مسافر ..
واعبر ، فى الليل ، كل القناطر
أسير اليك ..
وأنت انتظار .. ؟
وأنت ارتحال
وانت قصيدة .. ؟
تدمدم خلف رياح الشمال
فيكبر خطوى
وامتد فى كل شىء .. اليــك
ولا استريح ..

● ● ●

ويكبر حبك ، فى كل يوم ،
يلم جروحى ...
ويزهو بما صوحته الشموس
وتزهو الغلال ..
يفاجئنى كل شىء

فيمنحنى رايتى .. وانتصارى
ويحملنى عبر موت الصحارى
فأرجع طفلا ... ،
واشرب من كفك المرمرى .. رحيق التجدد

اضرب فى الارض .. تخضر روحى
وينضج طعم الزمان بصدرى
فأعش يومى ..

وانتظر الشمس ، أن تمتطى شوقنا

وتلقى لنا بدماء العزيمة
فحبى ليس غناء طروبا
وحبك ، ليس بقلبى جريمة
وليس لنا أن نقول الوداع
وليس لنـــا ..
أن نقول الوداع ..

نقوش بـارزة

فوق شاهد مقبرة الفلاح الفارس ..
« مرثية الشهيد » محمد عبيد

شعر : علي عبيد

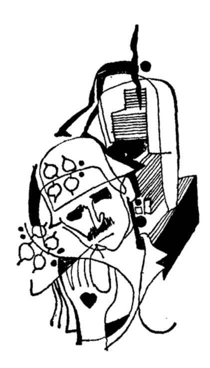
من [بلشاى] [١]
تخرج اصوات الفلاحين تقول هنا ..
ما زال الفارس حين يجن الليل يجىء يطوف
في اعماق الكفر .. كالطيف .
لكننا ..
نسمع وقع حوافر فرسه ،
نسمع شخللة السيف ،
نسمع صوته
[النيل .. الام .. الام الارض .
يا ابناء الشمس المحترقة .. في غير دخان .
ويظل يطوف حتى يدلف آخر درب ..
يتوقف ..
يلكز فرسه ..
ينفلت الى الميدان يصيخ السمع لعل النوم
ينتهون ..
يهتزون ..
ينتفضون من الاعماق
يغتسلون بذوب الرعرع حتى الفجر
يتبعون مسار الفارس يوغل في صحراء الرفض ..
شطر [القصاصين] [٢]
شطر القصاصين ليدفع عن ايزيس نبال الغزو ..

● ● ●

قطع : لكن الاوجاع ..
لكن الاوجاع بظهر الكفر ..
تستنوم ابناءه ..
حاشية : [يبدو
وكأن الفلاحين الليلة بذلوا عن آخرهم ..
آخر درهم ..
من زيت القنديل ..
في اعداد حقول الحنطة

قطع عرضي : غير ..

غير وقع رنينك يانهر الاصوات المحتبسة
فالفارس حين يجىء
يحتبس البول ببطن الشركس



وتبول الاوسمة المرتعشة
من فوق صدار جيوب الباشا .

● ● ●

استمرار : لكن الريح
لكن الريح تئز تبدد صوت الفارس
ينكفىء على معرفة جواده
يسقط ..
يمضغ وجه الرمل ..
يخور
[اواه
يانافورة ليل
في عيني ..
تكتنف حديقتنا الخضراء] .
تعقيب : انتهز الدباغون الفرصة
باعوا الفارس
ظلوا يتقاضون الثمنا
حتى بزغ الفجر الصادق تحت الصدفة .

السفر الى منابت الأنهار

شعر : محمد فريد أبو سعدة

[١] ملك النهر

هذه مملكتى
خازن النهر ، أنا خبأت اسمى فى المحار
راحلا فيه مع الجزر وآتى
فارسا فى المد ، عندى
التضاريس اللواتى
سوف أبنيها مع الريح المواتى
أرقب الشمس التى تنسج حولى مدنا
وقصورا وعصافير وفسقية ماء
وتلاميذ مع الصبح يمرون وشمسا مرحه
وأغانى مفرحه
[تنسج الشمس ولكن
حجبتها الان يا نهرى سحابه]
تسحب الشمس نسيج الحلم يبدو ذلك العالم
قبحا فى الخريطه
آه ترتد الكآبه
وأنا أصرخ فى النهر : اغنى
فيجيب النهر والنهر يغنى :
« قد رأيت الزمن الآتى وكان الرسم بابا
وعلامه
فانتظم فى الرقص فالايقاع يبدأ
بالتقاسيم البسيطه »
ريشتى سويتها من زعنفه
وأنا أفتح فى الرمل كتابى
وأنا أحلب من ثدى الغمامه
ذلك الحبر الذى يقطر من دمع الحزانى
واهز النخل ، تهمى كل سعفه
كلمات خبأتها الريح لى
جمعتها كاليتامى
أيها الصمت المعبأ بالقيامه
ها أنا سودت بالشكوى الدفاتر
النباتات كتابه
السحابات كتابه
صارت الشكوى ملفا
كل حرف هو دمع
هو حلم
هو سيف هو رجفه
فتعال أيها المد المخاطر
اننا نصطف صفا

[٢] شكوى النهر

زفرة النهر صحاف الطمى فى الدلتا ودمع النهر
حلفا
صاغت الاسماك من قشرها الفضى خفا
صرت أمشى فوق هذا الماء لا تطرف عينى
أيها النهر المطارد
مالذى تخفيه عنى
[صارت القيعان تلا من عظام وجماجم
والدم القانى وشاحا
آه هل أحصى لك القتلى وأعطيك القوائم
آه عفوا .
فأنا لن أستطيع الآن أن أحصى الجراحا]
أيها النهر المطارد
مالذى تخفيه عنى
[مالذى يبقى من العمر لدى [؟]
وأنا أمضى كتوما ساقطا فى البحر ميتا
سوف أشكو لك صمتى واضطهادى
واضطرابى واحتجابى
وسأمضى رغم هذا الموت حيا]
أيها النهر المطارد
مالذى تخفيه عنى
[يفصلون الآن بينى والضفاف
بجسور وطحالب
فى مسام الارض أمضى للجفاف
وأنا أمرى غالب]
أيها النهر المطارد
مالذى تخفيه عنى
[يحمل الجزر زمانا ويهاجر



يحملُ المد زمانا ويجيء
أعبر الآن القناطر
ودمى فوق السياجات يضيء]
أيهـــا النهر المطـــارد
اننى اكتب ما تمليه من شكوى لأنى
سوف اتلوها على الريح المسافر

---

[٣] رقصة الاسماك

هذه الغابه ظل وتميمه
حرس للنهر والنهر يفيء
يحمل النهر سياجا من ورود النهر يحمل تنطره
والطيور العابره
تهبط الآن على الجسر صفوفا وصفوفا
تصعد الاسماكُ فوق القنطره
رقصها الآن بطيء
[تمنح الشمس سياج النهر ظلا ، تمنح الاسماكَ
سيفا —
وورود النهر تفتح راحتيها للندى المغسولَ ، تفتح
مقلتيها —
تقفز الاســـماك تلقى قشرها الفضى تلقى حلمهـــا
الفضى تلقى خاتم السحر ، تضيء —
صارت الشطئان عقدا —
ويشف النهر صار القاع اسفلتا ، بيوتا ، وشموسا
تتبـــدى تتخفى]
تقفز الاسماك للأعلى وتنمو الدائره
[يمرح النهر ، يصير النهر وردا —
تهبط الاطيار تحسو ماءه الرقراق تسكر —
ينتشي النهر ويزفر ..
زفرة النهر غمامه ..
نهدها يحلب سكرْ —]
تقفز الاسماك للأعلى وتنمو الدائره
[يصعد النهر على ســـلم ماء فى دهاليز النباتات
يغنى —
واقفا فى شرفة الاوراق فى تلك المسافاتيغنى —
فرحا يلقى ثمارا فى سلال الجائعين
فرحا يلقى عطورا فى ثياب العارقين
فرحا يقطع أغصانا ويحشو المدفأه]
تقفز الاسماك للأعلى وتنمو الدائره
[تصنع الشمس سريرا لعناقِ الطير والاسماكَ ،
يخفى النهر عينيه ويضحك
فى عناق الطير للاسماك حلم النهرِ والاحلام عند
النهر كانت مرجاه]
تقفز الاسماكَ للأعلى وتنمو الدائره
[تصعد الشمس من القيعان عرسا طالعا (*)
وزفافا تزحيا
شعرها يحمل سقفا لمدينه
فلت الاسماك عنها لعنة السحر القديمه
والتميمه
تسبك العظم رجالا
تسبك الطحلب نسوه
فارتجل يا نهر فتوه
توقد العمر الذى ولى فصولا مطفأه] (*)



الانتظار في فصول الليل والنهار

شعر : حسن النجار

[١]

وعبرت صاعقة الرماد
فى البدء حين تغلفت روحى باوراق الشجر
وابتل عشب الليل فى بحر المجرة ،
صار وجهى وردة حمراء فى جسد النهار
واخضر وجهك فى فصول العشـــق والصبوات
يا روح الفرح
وغسلت فى نهر البراءة شملة الاحرام ،
عدت مسافرا فى الليل تسلمنى البلاد الى البلاد
اقتات مما خلفت ريح المضاجع من رقاد .

[٢]

هل كنت غير مسافر فى الليل تنفضك البشارة
تميا بحمى الصمت والنجوى
تجوس مشارف الاسماع
لا يلقاك غير مسافر فى الليل تنفضه البشارة

[٣]

جسدى بلا عينين .. هل عاينتنى ؟
صفيتنى من دوخة الصحراء ، من حر الجبال
الشاهقة
فيحتنى زهرا على الاعواد
عمدت المواسم فى دمى ،
سرحتنى فى جنوة الظل شجيرة
خضراء من عمر الفصول
سويت لى بيتا بجنب النار ؟
نبعا غرغرت فيه شفاه الالهة .
وعصرتنى فى الارض انثى والهة
تميا بحمى الزهر والنجوى ؟
تنوء بوطأة الاعياد عيدا بعد عيد
يامن يلاقى ظله الحانى بصدرى ؟
يستريح على سرير الساعد الريان
يحيا عبر اعياد الفصول
علمتنى ضنك المواسم وهى تعبر فى ذهول

صفيتنى منْ دَوْخة الصحراء ، منْ ذكرىَ جنونى
كورتنى من رغوة الاقمار فى عينيك ،
من جمر اليقين
حفرت لى قبرا واين يموت حفار القبور
يأمن يعيرنى بليل الجوْع والصحراء ،
يدمغ نعلة صدرى ؛ يذل بحبه أمس الفقير .

[٤]

اغنى على حمل صوتى اليك ،
فأن المسافات تنأى بنا

[٥]

تساقطت من مركبات السفر
على حانة الليل ، كان القمر
يضاجع انثاه ،
يشرب من دمها المر غيث البكارة
تساقطت من اغنيات الفرح
على شجر الارض ،
كانت رياح الشتاء
تذر ذرتى مقطعا فى الغناء
لقوس قزح
تساقطت من شقشقات العصافير فى الاودية
على حجر النهر ،
كانت عيون الصبايا مطر
يطارحن قلبى غرام الزهرْ
فأشرب من بحره الاشتهاء
عصيرْ الفناء

تساقطت من اغنيات الكرى
على حائط الليل ،
كانت خيول الدجىَ والنهارْ
يعلقن روحى بأنشوطة الانتظارْ

[٦]

مرت قوافلهم على الارض الموات
فتجشأوا ، شربوا نقيع الزيت فى حر الظهيرة
غرسوا نصال الجوع فى كبد الفصول
غمسوا رغيف السم فى قاع النهر
وتصايحوا :
نحن انتظرنا كى نموت
فى سوق بابلْ ..
ويلتا الوان بابل من سنينْ
لم تحمل القيثارة الدموية الايقاع .
تغسلنا بماء العشق ساعات السفرْ
نلتم تحت خبائها الشتوى ، تلقفنا يداها ؟
نستريح على سرير الشهوة الخضراء ،
نشرب ما تبقى من دماء
يبعد العالم عنى قيد شعرة
وانا احمل ناقوسى ، أسوى مفرقى فىالشمس ؟
تنسل الرؤى خلفى بحارا كالبحارْ
وأناجيك أيا رب القفار
لا تعايرنى بملح الابدية
جبهتى ليلْ مسافر
ونسيم البحرْ لا يعبر مرساة البصرْ
افتح العين على نجم مغـــامر
وأمد الشجر ألخبوء فىقلبى لاطيار الفصـــولْ
الاربعة
واصلى فى عبوس الشمس والاقمار ،
استنفد ما يدخره الصيف بقلبى من مطر .

* بابل .. هى قرية الشاعر بريف المنوفية وهى غير بابل السومرية القديمة .

قراءة فى كتاب واسع الانتشار

شعر : محمد مهران السيد



اقضم اظفار أصابعى الخمس
أتلكأ فى ثقب جدار اليأس
ما الجدوى .. لو نفض الريش .. وغنى عصفور
الامس
وانعكس على الغيمة فوقى .. اشعاع سقط
من الشمس !!
والحب الاول .. ضــاع
والعمر الاول .. قد ضاع
وانا اذوى .. اتحلل ،
.. واصير الى فقاعات فى القاع

● ● ●

ياصاحب درب العطش الممتد من الحراس ..
الى الصم
هل ينقذنا .. أن نتفرق أو نلتم ..
نشتعل حماسا .. أو نغتم !؟
ما دام لصوص الايام المتورمة الشــدقين ..
اغتصبوا الطفلة فى رحم الام

● ● ●

وابيضت عيناك .. من الحزن
واقتربت سنوات الحمل الكاذب .. من سبع
يا الله .. !!
غنى .. من غنى
واستورد بعضهم الالات .. ليملأ اذنيك ..
صريرا ونباحا
واستمعوا ، .. مللا أو ترفا
أدبا .. أو خوفا
وتمطى سقف لياليك المثخن بالطعنات
وتساقطت الامطار العفنة ، واللعنات
وامتلأت تنواتك بالوحل الليلى ..
[ملاحظة هامشية]
فى الصيف الطالع من شرنقة النار
المتفجر من قلب توابيت الصهد
تشتعل الغرفة من حولى .. بطنين
ذباب الحارة
اتذكر تلك .. الغارة
وتعلقنى الاشباح على بوابات العجز
المتــد
١ — فى الاصحاح الاول .. من سفر الموت
كانت كلماته ..
لا تلتفتوا للخلف
فرمال الصحراء الجوعى .. والعطشى للدم
لا تبقى فوق السطح المتحرك .. الا العظم
لكن القارىء — فى غفلته ، لم يهتم ..

● ● ●

٢ — فى آخر صفحات كتاب الصمت المتداول
بين القراء
كان التلخيص ..
.. لا تبطىء أو تسرع .. عن هذا
الرقم
ستحاسب عن كل الاشياء .. عدا
الاثم

ثلاث حركات من سيمفونية الرجوع

شعر : مدحت قاسم

١ ـ حفلُ عرس فى ميونيخ

يرف وجهك المخضب الاشلاء
كالضوء فى سهولة
فاستدير خشية امتزاج موقف الرجولة
بموقف البغاء
لاننا فى ركن مقهانا نمارس الرياء
وندعى البطولة
وندعى النقاء والطفولة
ونكتوى ونلتوى بلا حيـاء

٢ ـ مقاطع حزينة .. عن هذه المدينة

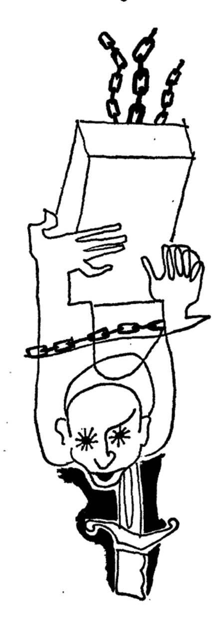
أبصركَ ياحبيبتى رهينة على موائد القمار
أحاولُ التلاحم
لكننى لا أملك انطلاقة الاعصار
أحاولُ السكوت والتلاؤم
لكننى لا أملكُ القدرة
لذا يحق لى تعشق الفرار
لعالم التجريب والتغريب والهجرة
[أرفض عاجزا تماثل الاخبار
تشابه الازياء فى السـهرة
تقلص الشفاه ياحبيبتى .. تعفن الحوار
تبدل الاشياء بالالحاح والتكرار
تشتت التكوين والتفكير والنظرة]

● ● ●

عيناكَ ماهرتان تبغيان الانتحار
أدير وجهى عنهما
ألوذ بالفرار

٣ ـ الحركة الاولى من سيمفونية الرجوع

أبدو غريبا غاية الغرابة
اذ تكتسى ملامحى بمسحة الكآبة
ثم ترن ضحكتى
مغيرا صـوتى ومشيتى
وهدأة التكوين والترقيم والرتابة
فتبرزُ الوجوه لى
تسألُ عن مبررىَ فى مسخ صورتى
ارفض التعليقَ والاجابة
أكره التسطح فى العيون
أبغض تفسير عالمى بلوثة الجنون
أعشقَ الرحابة
أنهمر كالمطر
من غابة لغابة



أنصب أهدأ أستوىَ كالخضرة المذابة
فى العشب والشجر

٤ ـ شاهد القبور

أدين من !
ليس سوى العفن ؟ ■

تنويعات على لحن قديم

شعر : محمد فهمى سند

[١]

يطلبنى النوم فأستعصى ، وتندق المصابيح على الحائط أعشابا ..

.. منداة تعوم فى تداخل الرؤى ، وتسقط الالوان من سقف الغيوم

على وسادتى وفوق الارجل المقيدة ..

فى شعر زوجتى الحريرى الغزير

ويرقص الذباب فى اطار صورة الزفاف

تطير من فوق «النتيجة» التى تعلقت من رسغها فى رأس مسمار حديدى قديم

فراشة داكنة ، وتستمر فى الطواف

على حدود الضوء والظلام

ثم تحط فوق رأسى دون أن تخاف

(تعبث زوجتى بشعرى فى هدوء

أضمها دون انبهار باتقاد الوجنتين

تأكل فى جوعها وهى تموء)

تضحك جارتى لصرخة الصغار فى مداخل البيوت

فينحنى خيط صموت

من الظلام فوق رأس الخوف فى فؤادى النزاف ويرقص النوم عليه

مهرجا فى حلبة السيرك الملىء

بالخيل والافيال والاسود والكلاب والقطط

وبالظلال المجهدة

وبالاغانى المرعدة

(يقفز مصباح على الحائط ..

.. قطة تدور حول ظلها القمىء

وتسقط الالوان من سقف الغيوم

سحابة مبددة ..)

[٢]

يطردنى النوم فأستعصى ، وتسترخى الجفون

على ممالك النحاس والخيول المسرجة

والطرق الرملية العبوس

والارجل التى تسوخ فى الضباب ، والطبول الفارغة

تسترجع الصدى المراق فى ظلال الشجر المدفون

محترقا فى أعين الرياح فى نار المجوس ..

(تبكى ابنتى فجاءة

يهتز فى خوف سريرى)

تختلط الدموع بالدماء ، والسكون بالصوت الجهير

اضحك فى منديلى المطرز الذيل ..

.. واعدو فى مدائن الكلاب الوالغة فى الدمع والدماء

أبحث عن بنادقى المحشوة البطون بالرمال والقش

.. وبالادلة الدامغة

مخترقا جدارها السميك كالرطوبة المرتعدة

(تضحك زوجتى فجاءة ..

.. يهتز مصباح خفيض ..

.. تعول الرياح خلف النافذة ..

أدس وجهى بين نهديها ..

.. يدور فى دمى عطر الانوثة الأليف)

استنشق الدخان فى احتــــراق منــــذنات قريتى البليدة

وأهلها منكفئون

على انكفائهم

يثرثرون بالمنى فى الازمن العنيدة

فأشرئب بابتسامتى الوئيدة

الى ممالك النحاس والقصور الذهبية

وامرأة تغسلُ شعرها على مساقط الضــــوء البعيدة

تنطحنى الغيوم ، أرتد الى تطوحات النـــــوم والصحو ..

..على أبواب حجرتى الوحيدة

مختلطا بالصمت والضجيج والتشـــــنجات الدموية

[٣]

رأيت وجهى عابسا منشطرا

فى ظهر سترتى الرمادية

ووجه جدتى الصبوح

يضحك خلف أذنى اليسرى

ضحكته الملائكية

قلبتها ...

رأيت فوق صدرها ذراع طفلة مدلاة ، ووجهـــا مغمض العينين

اغمضت عينى فصار الوجه خفاشا رماديـــا معلقا بذيل عنكبوت

اخرجت سكينا ، طعنت كلَّ وجه وذراع .

وفجأة وجدت وجهى تحت نعلى تتساقط الدماء منه ...

.. فى الارض الصموت .

تركته منسحبا بلا وداع .. !!

[٤]

خرجت فى الصباح حاملا حقائب السفر
ممتطيا خوفى وحزنى واحتراقى

ورافعا راس الحذر

قرأت فى السماء أسطرا معاتبة

عن ليلة الطواف بالخوف الدميم

وبانكسار الكلمة السرية المشاغبة

تحت العيون الداميات فوق مقعد المراهنة

نكست رأس الحزن واتكأت فوق ظلى العقيم

قرأت أسطرا مراوغة

عن ليلة الخروج من جلد البطولة القديم

وبانشقاق الارض واندفاقة المطر

وبانسكاب الدمع والدماء من عين القمر

تحت حذاء العدو فى متاهة الرمال والضباب والدماء والدمع ...

... وخوف ذلك الوهم العظيم ...

وفجأة سقطت فوق الخطوة المحاذرة

حقائبى ترجمنى بالخوف والحـــزن وباحتــراق كبريائى الحميم

وتسقط النجوم فوق أضلعى ورأسى

فتضحك الشارات والاعلام والنجوم

وتلتقى الغيوم بالغيوم

فلا تنير الشمس أو تغيب فى الهموم

أزحف فى سروالى الممزق الملوث الرجلين بلا داية ولا انتهاء

فوق ترابِ قريتى المهزوم ... !!

شامو غريبون

« ليالى الغربة الثلاث »

شعر : يسرى خميس

(١)

اذكرها
فى موكب الزحام والطبول
والشموع والحظوظ
امراة عجوز
تمد يدها المعروقة القديمة
بقطعة من القماش
تطلب صبغها بالدم .

(٢)

امامكم يزيد فى الصحراء خيمته
يطلب منكم ان تبايعوه
بينكم وبينه القنا
والسيف
ـ سادخل الدار واغلق الابواب
فالرياح تحمل صهد الصيف
ـ سالزم المحراب
اقرا القرآن
ادعو الرب
طيرا ابابيل على الشيطان
تهلكهم .
ـ لا
لن ابايعه
وظل فى مكانه
قال الحسين :
اسرج فرسى الاخضر
وعباءتى الحمراء
وسيفى .
سأناظره ويناظرنى
وسأطلب حقى
آخذ حقى
بيدى
حتى لو يجدع انفى بالسكين
ويقطع لحمى بالمنشار
وتاكله الغربان .
وحدث
ما ابصره بالفعل حدث
يوم الاثنين
التاسع من شهر محرم .

(٣)

لاخير فى الحياة
بعد موت هؤلاء الفتية فى
الصحراء
فلتكثروا من قرب الماء
وتسقوا الخيل
رحلتنا طويلة ، طويلة
من يتحمل منكم ضرب السيوف
والرماح
فليأت معى
هذا والا : فلينصرف من موضعه
ليس عليه شىء من ذمامى
وسار للامام .

(٤)

اتخوفنى بالموت ؟
ماذا يعنى الموت على فرشك
فى البيت
ماذا يعنى الموت بحادثة ـ
صدفة
ماذا يعنى موت الاطفال ؟
ماذا يعنى موت الانسجة من
الوقت الضائع
ماذا يعنى موت الالاف من
القرويين ـ جوعا
ماذا يعنى الموت ؟
الموت = الحياة خوفا
الموت = الحياة مللا
الموت = الحياة عارا
الموت = الحياة بين بين
الموت فى سبيل الله ـ حياة
الموت فى سبيل الحب ـ حياة
الموت فى سبيل الارض ـ حياة

(٥)

نموت مرة واحدة
ومرة واحدة نعيش
وحيث اننا بعد نعيش لم نمت
فلنركب الجياد بعد ان نشعلها
بالصدق والكبريت
ولنعبر العالم
فى طريقنا المفتوح للايمان
على اخضرار الارض والمستقبل
نحرق كل عشب زائف
ونحترق .

(٦)

الموت حق .
ان كان لابد من اجتياز الموت





فلنجتازه
ان كان لابد من اختيار الموت
فلنختاره
ان كان لابد من اختصار الوقت
فلنختصره
من قبل ان يقتلنا
يصير عبئا مثقلا ومرهقا
الزمن الضائع كالرمال فى
الصحراء
مكوما ، مسطحا ، منفردا
بدون معنى .

(٧)

اتخوفنى بالموت ؟
(سأمضى
وما بالموت عار على الفتى
اذا ما نوى حقا
وجاهد « مؤمنا »
فان عشت لم اندم
وان مت لم الم
كفى بك ذلا ان تعيش وترغما)

وسار للامام مقدما .

(٨)

الاربعاء
عندما توقفت فرستك الخضراء
فى ذلك المكان
ورفضت بأن تسير خطوة للخلف
سألت : ما اسم هذى الارضى
قالوا : نينوى
وآخرون قالوا : شاطىء الفرات
وآخرون اكدوا : سيناء

(٩)

سبعة افراس ركبتها
وامتنعت عن المسير
يا فرس النبى
كيف عرفت ذلك المكان
الفرس الخضراء قالت :
شممت الدم
قال الحسين : ترجلوا
مكاننا هنا
رباطنا هنا
مناخ ركبنا هنا
حيث تكون الارض ارضنا
والماء ماءنا والنهر نهرنا
نموت او نعيش .

(١٠)

مهما تكاثرت جنودهم وخيلهم
لن نتزحزح خطوة للخلف
هنا مكاننا
وفيه — نبقى
احياء او موتى
يسعدنا بأننا نعرف اين نمضى
على رمال ارضنا
سوف يكون النخل عاليا وعاليا
سوف تكون سلما الى السما

(١١)

ان مت لا تبكونى
ولا تشقوا الجيب والعباءة
لا تخمشوا الوجوه
وجوهكم : عيونى

(١٢)

ومرت السنون كالرمال ثقيلة
ومرت الايام كالسيوف في احشائنا
ومرت الليال مرهقة بالملح والمجادلات
لم يتغير الموقف
ما هو آت آت .

(١٣)

وكظنا جميعنا العطش
قال : احفروا الابار
لعل في جيوب الارض بعض الماء يروي العطش
ثم حفرنا ، وحفرنا
كانت الابار جافة
كالحزن في عيون آلاف الرجال
وكانت الصحراء .
قال : احفروا داخلكم
ثم حفرنا وحفرنا
كان النبع دافقا
وكانت الاعشاب
وحاصرتنا في الدجى الاحزان
واللصوص
وسرقوا البذور والفؤوس
عدنا اليه خائبين
مفتحين ، مثل ارض مهدت للزرع
دون بذور
دون ماء .

(١٤)

امض الى الفرات يا عباس
وائتنا شربة ماء .
فالارض عطشى والرجال .
مضى الى الفرات مارقا كالسهم
مد يديه في مياه النهر يروي ظماه
عندئذ تذكر الحسين
تذكر الرجال
وعطش الالاف في الصحراء
« والله لا اذوق الماء والرجال عطشى »
رمى المياه من يديه .
حاصروه .
قطعوا يده اليمنى
التصقت في وجهي
حمل القربة ومشى يقطر دما
ويحارب باليسرى
رشقوا القربة بالنبل
فضاع الماء

(١٥)

نما الصبار وازهر واخضر القمح
قطعوا يده اليسرى
دمه مازال على الرمال
بفمه حمل السيف
وظل يحارب
مائة وثمانون من الفرسان
رموه بالنبال حتى صار جلده
كالقنفذ

(١٦)

الماء في بلادنا تشربه الرمال
الماء في بلادنا تشربه الطيور
فتبصر الرجال قتلى في منافذ الجسور

(١٧)

لا يا رجال
لم يعد امامنا خيار
الارض عطشى ، والبذور في داخلنا
والنهر نهرنا ـ يبعدنا خطوتين
لم يعد امامنا خيار .
وحاربوا آلاف
وقتلوا آلاف ـ

(١٨)

يوم الاثنين
التاسع من شهر محرم
حوصر في مكانه
ورشقوا السهام في جبهته المضيئة
مد يديه نازعا سهامهم
خضب بالدماء وجهه ولحيته
واغرباه في رمال هذه المدينة
واعطشاه في انهار هذه المدينة
تلك التي تفوح بالروائح الحامضة الملعونة
تلك التي تبلع كل شيء
تجيز كل شيء
تحمل كل شيء
تلفظ كل شيء
وخر مغشيا عليه .

(١٩)

شقوا الهامة
شقوا النخلة نصفين
وتساقط فوق الرمال البلح الناضج .
واقتربوا يعاينون الجسد المسجى
على رمال كربلاء
وسقطت سيوفهم
حين راوا عيونه
تفضح كل شيء
تقول كل شيء
تدين كل شيء
تطعمه قطعا

(٢٠)

الاثنين
التاسع من شهر محرم
الخامس من يونيو
لم نر يوما مثل هذا اليوم
ورقدت في فرشها الشمس مريضة
وامتلا الهواء بالبكاء
زلزلت جذوع الارض .

(٢١)

عن فرس الحسين :
سار محمحما
يبحث عن فارسه الذي مضى
بين الرجال القتلى
سار يدورهائما في عينه الرعشة
حتى لقي جثته فناح
مرغ في دمائه معرفته
ولطم التراب
عم بكاءه البيداء والهواء
عاد الجواد عاريا لخيمة الحسين
وصرخت سكينة .
عاد الجواد للفرات هائما
يعبر حقل الموت
عاد الجواد للفرات

عطشا للدم عند البيت
كربـلاء
ثم رمى بنفسه في الماء
لم يعد .

(٢٢)

على اسنة الرماح
حملوا الرؤوس
والفضيحة
وقيدوا السبايا
مروا على الموصل ، عين الورد
ياسيبور
يا مدينة فاضلة اغلقت الابواب
في وجوههم
كم من مدينة داعرة ، تفتح للحكام
كل شيء
تبيح كل شيء
تعلق الرايات
تطلق الابواق
والاطفال في ايديهم الزهور
والصمغ والنفاق
يصبغ كل شيء .

(٢٣)

راس الحسين في دمشق
راس الحسين في القاهرة
القديمة
راس الحسين في النجف في
كربلاء
راس الحسين داخلي وداخلك .

(٢٤)

رايتهم في كربلاء
كيف يقطعون بالسيف الجباه
اقسم انني رايت انكيدوجلجاميش
كنخلتين جاءتا من النجف
حملتا بالبلح المخضر
وضربا وضربا وضربا بالسيف
فوق الجبهة
وسالت الدماء
وانصرفا ... كنخلتين نضجتا
حملتا بالبلح الحمر .

(٢٥)

بغداد — الكاظمية
كان النهار ممطرا عبوسا
لحظة ان كان الحسين في معمعة
النزال ».
لحظة ان مات الحسين ، توقف
المطر
اقسم انني شاهدت مارويت .
وسطعت على بلادنا
شمس بداية جديدة ».
حين بدأت في الحديث هائماوحالما
ومغرما من الحسين — كربلاء —
والنجف
عن ذلك الشيء الذي يربط
آلافا من البشر
من ذلك الشيء الذي يدمي
من ذلك الشيء الذي يجرح
اكد لي المسئول في بغداد
ان ما رايته : بقية التخلف
خرجت — لم احاوره .
يا لغة الالاف .
يا لغة الدم المراق
يا لغة الالام والحزن
يا لغة توجد في الهواء مثل العطر
كيف لنا تعلم الحروف الاولى
كيف ؟

(٢٧)

اقسم لي الصبي
ان كل هذه الجروح في الجباه
من ضرب السيوف طول الليل
في الصباح تلتئم
صدقته
نعم ».

(٢٨)

بكيت في صحن الحسين
بكيت اشياء كثيرة
عزيزة علي .
وعندما بكيت في صحن الحسين
ايقنت ..
انني على بداية الطريق

(٢٩)

اكدت أن ما رأيته في كربلاء
ليلة عاشوراء
اعظم ما رايت في بلادي
في بلاد العرب
اكدت ان ما رايته في كربلاء
سئلت : ما رايت ؟
اجبت :
صف لي البحر ؟

(٣٠)

خلعت جلبابي
جلبابي الذي البسه منذحزيران
جلبابي المصبوغ بالسخط
وبالاحزان
علقته على جدار غرفتي
رايتي السوداء
كتبت بالدماء
اسمك : يا حسين .
اسقيك يا حسين
من ماء وجهي الذي فقدته في
الصيف
اسقيك ماء العين
ها هو ماء الظمأ السخي
ارشه على تراب القبر
كربلاء :
نهر من الحزن من الدماء
قد ضل فيها السيف

اقيم في بغداد في الفترة من ١٩ الى ٢١ مارس مهرجان بغداد الدولي الاول لافلام وبرامج فلسطين . وقد عرض في المهرجان الفيلم الالماني من المانيا الغربية « أين تقع فلسطين » وهذا الحوار هو أول حوار ينشر باللغة العربية مع مخرج الفيلم مانفريد فوس.

حوار مع مانفريد فوس
مخرج فيلم « أين تقع فلسطين »

عادل قرشولي

س : كيف نشأت مجموعتكم [مجموعة ميونيخ] . ما هي الضرورات التى أدت الى نشوئها ومن هم العاملون فيها ؟

ج : كنا افرادا . رأينا أن الفيلم وسيلة دعائية هامة يجب استغلالها فى العمل السياسى . فالسينما قادرة أكثرمن اى شكل فنى آخر على تحريك قلوب الناس وضمائرهم . وقد جاء اكثرنا من طريق الصدفة الى الفيلم ، وبدانا كهواة . لكننا انتجنا حتى الان مايقارب الثلاثين فيلما حتى ليمكن القول اننا لم نعد هواة بالمعنى الضيق للكلمة ، اذ اصبحنا نعمل فى المجال السينمائى بدرجة رئيسية ، على الرغم من صعوبة الوضع فى المانيا الاتحادية . كل منا لديه عمل أو عملان اضافيان لكسب العيش ، لكننا نحاول تنويع امكانياتنا. وعندما نريد انتاج فيلم يتوجب علينا بالدرجة الاولى حل القضية المالية . لهذا يعمل كل منا مدة ، ثم نتوجه لانتاج فيلم جديد .

س : متى بدأتم العمل سويا ؟ هل كنتم مجرد افراد متفرقين أم بدأتم كمجموعة ؟

ج : بدأنا كمجموعة في ميونيخ عام ١٩٦٣ .

س : لننتقل الى الفيلم الذى اخرجته عن القضية الفلسطينية . لماذا انتجتم هذا الفيلم ؟ وما هو السبب الذى دعاكم الى التوجه لمعالجة القضية الفلسطينية بالذات خاصة وأن هذه القضية الهامة لا تحظى بالاهتمام الكافى من قبل المخرجين العالميين !

ج : لقد وجدت أفلامنا انتشارا واسعا فى المنظمات العمالية فى المانيا الغربية ، وخاصة لدى النقابات ومجموعات الشبيبة الاشتراكية ، والحزب الشيوعى الالمانى الخ .. وقد تبين لنا أن ثمة صلات وعلاقات وطيدة تربط بين منظمة النقابات الالمانية واسرائيل الصهيونية . وبعد التدقيق فى ماهية هذه المواقف تأكد لنا من جديد ان هذه العلاقات تبنى دعائمها أولا على الدعايات الاسرائيلية ، وثانيا على كون المواطنين الديمقراطيين فى المانيا الغربية مازالوا يشعرون الى حد بعيد بعقيدة الذنب تجاه قتل ستة ملايين يهودى خلال الحرب العالمية الثانية من قبل الفاشية وهذان السببان الرئيسيان هما دعامة هذه الصلات التى تحدثت عنها . لهذا كان لابد لنا من التفكير بالامر بجدية تامة . وقد رأينا انه بما أن الشرق الاوسط هو احد المناطق الاكثر تأزما فى العالم وان الدول الراسمالية تقف أمام قضية اقتصادية هامة تتمثل فى امكانيات الحصول على منابع الطاقة مما يضطرها الى التوجه لاستغلال البترول العربى ، فلابد اذا من وجود علاقة بين هذا التأزم وبين الاضطرار الى استغلال البترول العربى من قبل الاحتكارات الامبريالية . وفى ملاحقة هذا الخط فى التفكير انطلقنا من أنه لا يكفى أن نقول ان الشرق الاوسط هو أحد اكثر المناطق تأزما فى العالم وأن هذه المنطقة تهدد كل لحظة بالانفجار ، بل يجب تسليط الاضواء على مسببات الازمة الحقيقية لندفع الموضوع الى حيز الفهم حيز الادراك بالنسبة لاولئك الناس الذين يقضون — مثلا — عطلة استجمامهم فى اسرائيل ، وهم فى غالبيتهم عمال يرسلهم اتحاد النقابات الى هناك . وقد بحثنا عن الوسيلة التى تمكننا من توضيح خلفية هذه القضية لهم ، توضيح التعامل المكشوف بين الامبريالية الامريكية والامبريالية الاسرائيلية بشكل لا يدعو الى شك .

انطلاقا من هذه الاسئلة التى طرحناها على انفسنا رأينا أن الحل الافضل هو تعريف الاوروبيين قبل كل شىء على ضحايا العدوان ، اى على النازحين الذين نزحوا من بيوتهم وارضهم او

هجروا منها بالقوة . وقد زرنا هؤلاء الناس وحاولنا عرض المشكلة بكاملها في فيلمنا من خلال مشاكل هؤلاء النازحين . كما في عدة معسكرات للنازحين في سوريا والاردن ، كما زرنا معسكرات النازحين والمهجرين من مدنهم في مصر ، ولكننا لم نتمكن مع الاسف بعد من تقييم واستخدام هذه المادة التي لدينا عن المبعدين عن منطقة السويس ، عن بور سعيد والسويس والاسماعيلية وغير تلك من المناطق . ثم زرنا منظمات الفدائيين الفلسطينيين وتعرفنا على البنية السياسية لهذه المنظمات . كما حضرنا المؤتمر الثاني عشر — على ما اعتقد — الذي عقدته منظمة التحرير في القاهرة . لقد فكرنا كثيرا بالقضايا التي طرحت هناك وقرنا التنسيق بين الخط الذي طرحه هذا المؤتمر وبين الاهداف التي يجب أن يطرحها فيلمنا .

س : لم تحدثني عن الوسائل التي تستخدمها الصهيونية لنشر دعاياتها في المانيا الاتحادية . لقد شاهدنا ونشاهد يوميا البرامج التي يبثها التليفزيون ويضمنها دعاياته الخبيثة المعادية للعرب . وانا ادري ان المانيا الاتحادية كدولة امبريالية صديقة لاسرائيل لابد ان توجه أعلامها في الاتجاه المعادي للعرب . لكن ثمة دورا هاما تلعبه الدوائر او المؤسسات الصهيونية في اذكاء هذه الحملة . هل لك ان تحدثنا عن الوسائل التي تستخدمها هذه الدوائر الصهيونية في هذا الاتجاه ؟

ج : ثمة وسائل واساليب لا يمكن حصرها في هذا المجال . فانا مطلع — مثلا — على مواجهة مع رئيس الطائفة اليهودية في ميونيخ اثر العدوان الاسرائيلي على البلدان العربية ، اذ اثار آنذاك حملة مسعورة معادية للقوى الديمقراطية التي وقفت ضد العدوان في المانيا الغربية . كما أن المسئولين عن مهرجان السينما الذي يقام في برلين الغربية رفضوا عرض الفيلم الذي انتجناه عن فلسطين بحجة عدم الرغبة في الاخلال بالسلام تجاه الطائفة اليهودية في برلين الغربية . فالفيلم قد يخل بالعلاقات الحسنة مع الطائفة اليهودية ، لذلك لا يمكن عرضه في مهرجان . وهناك اشارات كثيرة اخرى بل براهين قاطعة توضح كيفية التأثير الذي تقوم به الصهيونية في المانيا الغربية . فملاحقة الفلسطينيين بعد عملية ميونيخ نظمت من قبل المخابرات الاسرائيلية . فقد نشرت مجلة « كونكريت » الواسعة الانتشار وثائق سرية في هذا الخصوص اكدت انها من وثائق المخابرات الاسرائيلية . وانطلاقا من هذه الوثائق بدأت ملاحقة الفلسطينيين في المانيا الاتحادية . ونحن نعرف أن مئات من الاصدقاء العرب اجبروا على مغادرة البلاد على الرغم من انهم كانوا يقيمون في المانيا الاتحادية منذ عشر سنوات أو أكثر احيانا ، ونعرف أن افراد العائلة الواحدة تشتتوا ، اذ اصبح الرجل في مكان والمراة والاطفال في مكان آخر وبهذا حرمت العائلة من معيلها . هناك حادثة اصبحت معروفة على نطاق واسع : امراة خلفها المعيل مع ستة اطفال ، وهي تلاحق الان كذلك في مأساتها من اجل دفع ثمن بطاقة الطائرة التي رحل زوجها بموجبها . هذا أحد الامثلة التي تدل بشكل لا يدعو الى شك على عمل المخابرات الاسرائيلية في المانيا الغربية . وهناك امثلة اخرى كثيرة لامجال لذكرها الان .

س : وماهي الامكانيات المتوفرة للوقوف في وجه الدعاية الصهيونية في المانيا الاتحادية ؟

ج : اعتقد انه يجب علينا أن نقوم بدعاية مضادة مدروسة بدقة . وانا أرى ان المواد التي ينشرها مركز الابحاث الفلسطينية في بيروت لا تكفي ، لانها لا توزع الا في اوساط معينة ، وهي لا تصل الى اوسع الفئات المهتمة بالموضوع . فمن الصعب أن يصل الانسان العادي في المانيا الاتحادية — مثلا — الى حيازة هذه المواد . وعلى هذا يمكننا القول انها لا تؤثر عمليا في الراي العام الواسع . ان هذه المواد على الاغلب جيدة . ولقد صدر عندنا منذ فترة كتاب بعنوان « لا سلام حول اسرائيل » والكتاب حدث جيد يعتمد في كثير من المواضع على معلومات وردت في كتب صدرت عن دار الابحاث الفلسطينية مثل كتاب « العرب في اسرائيل » . ان محتوى هذه الكتب جيد وواضح وصالح كمادة دعائية على وجه العموم .

س : من كتب « لا سلام حول اسرائيل » ؟

ج : احد اساتذة الجامعة في برلين واسمه « مانفريد هولشتاين » .

س : وهل نشر الكتاب على نطاق واسع ؟

ج : نعم . لقد صدر الكتاب عن دار النشر « فيشر » وكتبت له مقدمة هامة ورد فيها ما معناه : ان دار النشر هذه عائدة الى صابوئيل فيشر وهو يهودي ، ولذلك لا يمكن أن يتهمه احد بالعداء للسامية . لكن الحقائق والمعلومات التي تقدمها دار النشر في هذا الكتاب تبرهن بما لا يدعو الى الشك على ان هذا الكتاب ليس معاديا للسامية بل معاديا للصهيونية .

س : ما هو الدور الذي يمكن أن يلعبه فيلم كفيلمكم « اين تقع فلسطين ؟ » في مجال الدعاية المضادة وماهي الامكانيات الموجودة لخرق الجدار الدعائي المعادي للعرب ؟

ج : يعرض الفيلم بشكل مستمر في منظمات الحركة العمالية في المانيا الاتحادية . والعروض متفاوتة في نسبة الحضور ، فقد يحضر احدها عشرة متفرجين أو عشرين متفرجا وقد يحضر اكثر من ٣٠٠ شخص كما حدث مؤخرا في « كابل » . ونسبة الحضور عائدة بشكل اساسي الى العمل التنظيمي للمجموعات التي تتبنى عرض الفيلم . ولا شك بأن ثمة امكانيات يجب استغلالها غير العمل مع المنظمات العمالية والطلابية ، فقد عرض الفيلم — مثلا — في اطار مهرجان « أوبرهاوزن » ووصل الى نسبة كبيرة من المتفرجين . كما وصل الفيلم الى نسبة كبيرة من المتفرجين على النطاق العالمي ايضا . فالفيلم يعرض كمادة دعائية ضمن المواد الدعائية الاخرى للحزب الشيوعي الفرنسي . وهو يعرض في بعض تليفزيونات كندا . كما عرض في أمريكا وانكلترا . وعرضه التليفزيون الهلغاري . كما انه يعرض في دور العرض المختلفة في الاتحاد السوفيتي . وسيعرضه قريبا الحزب الشيوعي الياباني .

س : من خلال هذا يمكن القول اذا أن الصعوبات المالية لم تعد موجودة كالسابق .

ج : أجل . في الوقت الحاضر ليست لدينا صعوبات مادية مباشرة . لكننا نجد صعوبات آنية في البدء بانتاجنا الجديد ، لاننا مضطرون كما تعلم لشراء الفيلم الخام وتحميضه . وبما اننا نريد لافلامنا ان تجد انتشارا كذلك في المؤسسات التليفزيونية التجارية وغير ذلك ، اي عدم رغبتنا في ابقاء افلامنا محصورة في نطاق ضيق ، فنحن مضطرون الى عمل افلام ملونة . وهذا يتسبب بزيادة النفقات . لكننا نتوصل بهذا الى نتائج ايجابية من حيث الجودة ومن حيث امكانيات انتشار الفيلم في التليفزيونات وغير ذلك .

س : تتحدث عن امكانيات الانتشار في التليفزيونات . من المعروف ان تليفزيون المانيا الغربية يقوم بحملات دعائية واسعة النطاق ومستمرة ضد العرب مستخدما كل

مناسبة بكل برنامج حتى برامج الاطفال ... فكيف يتسنى لكم ان تعرضوا فيه فيلما مناصرا للعرب. واين تكمن امكانيات تسريب افلام من نوعيــة افلامكم الى هــذا التليفزيون فيما لو سلمنا بوجود هذه الامكانيات ؟

ج : الامكانيات ضعيفة حاليا ان لم نقل معدومة ، لقد حجزنا نسخة خاصة من الفيلم لارسالها من مؤسسةتليفزيونية الى اخرى ، وانت تعرف انه توجد اثنتا عشرة او ثلاث عشرة مؤسسة تليفزيونية فى المانيا الاتحادية ، لاننا اردنا مواجهة هؤلاء الناس بالفيلم ، لكننا تلقينا من جميع هذه المؤسسات ردودا سلبية . وهذا يتعلق ببنية التليفزيون الالمــانى الغربى ، اذ يوجد للبرنامجين الاول والثــانى من تليفــزيون المانيا الغربية مراســلان مباشران يعتبران متحدثين صحفيين فى بلاط « جولدا مائير » على خلاف مراسل التليفزيون الغربى فى بيروت « كونتسلمان » وهو صــحفى يتوخى قول الحقيقة ، لكنه يصــطدم بعقبات كثيرة ، لان ما يراه وما يريد قوله يتناقض مع ما يريد ان يقــوله التليفزيون الالمــانى الغربى الــذى يقف كلية خلف ديماغوغية مراسله فى اسرائيل

س : هل تعنى «ادموند جروبر» ؟

ج : نعم . وله اسم بولونى آخر لا أذكره .

وانا اعتقد أن الــوقت لم ينضــج بعد للتمكن من تسريب اعمال تناصر القضية الفلسطينية الى شاشة التليفزيون فى المانيا الغربية . لكننا سنغتنم كل فرصة وانا واثق من أننا سنتمكن من السيطرة على الامور . فلقد تمكنا فى الاونة الاخيرة ، وبعد أن ساءت امكانيات عملنا بعد حادثة ميونيخ ، من العمل بشكل جديد على المستوى الصحفى بعد ترحيل الطلاب والعمال الفلسطينيين من المانيا الاتحادية . لقد تمكنا من نشر عدد كبير من المقالات التى تضرب على الوتر الانسانى فى صحف [البوليفار] الواسعة الانتشار كالصحف المسائية واجبرنا بهذا الصحف والمجلات الكبرى مثل « سود دويتشر تسايتونج » و « شتيرن » و «شبيجل» و «كونكريت» وغيرهما على اتخاذ موقف ايجابى من القضية . واتاح لنا هذا فرصــة القيام بدعاية مضادة جيدة على الرغم من عدم تمكننا من توقيف الترحيل الذى كان قد حدث . كانت حكومة المانيا الغربية تعتقد انها ستتمكن من ترحيل هؤلاء تحت ستار عملية ميونيخ دون أن تحدث اية ضجة ودون أن تتعرض لاية دعاية مضادة . لكننا تمكنا من جعل موضوع الترحيــل موضوعا سياسيا وجد صداه الكبير لدى الصحافة بشكل ايجابى .

س : كنت اريد فى الواقع التحدث معك حول الفيلم الذى اخرجته عن فلسطين بدرجة رئيسية لكن الاشياء التى طرحتها لا تخرج على كل حال كثيرا عن الموضوع . لاحظت انك استخدمت عدة وسائل تقنية فى الفيلم ، وبدات الفيلم بداية جافة هل كان لهذا الامر ضرورات موضوعية ؟

ج : واجهتنا فى البدء مشكلة توصيل اكبر عدد ممكن من الوثائق لايضــاح القضية الفلسطينية . لكن هذه القضية ليست وليدة اليوم ، بل هى قضــية لها تاريخها الطويل . وقد رأينا انه ليس باستطاعتنا التعرض الى هــذا التاريخ بالتفصيل بوسائل فيلمية فى الاطــار الزمنى للفيلم . وهــذا ما اضطرنا لبدء الفيلم بداية جافة غير سينمائية ، اعنى عرض بعض الخرائط التى توضح تطور القضية الفلسطينية وتبين كيفية احتلال المنظمات الصهيونية لفلسطين فى المراحل المختلفــة التى تنهيها بما قاله موشيه دايان مرة من أن الجيل الاسرائيلى القادم يجب أن يضع حدوده من جديد . وهذا يعنى فى نتائجه النهائية ، اذا أراد المرء أخذ ما يراد بامبراطورية صهيون بنظر الاعتبار احتلال بغداد ايضا ، ، فقد ولد ابراهام هناك . وليس من المستبعد اذا أن تطالب به اسرائيــل ذات يوم وتحت ظروف ما . هــذا هو القسم الاول . أما القسم الثانى فقد حاولنا فيه تعريف الجمهور على اصــحاب القضية واثــارة تعاطف المتفرج معهم ومع قضيتهم من خلالهم . وقد استخدمنا لهذا الغرض الاطفــال فى المعسكرات والمدارس وحاولنا أن نبين أن ثمة أناسا كثيرين، اطفالا كثيرين يمكن أن يكونوا اطفالنا يعانون الامرين تحت وطأة العــدوان الاسرائيلى المستمر ، وقد شرحنا للمتفرج كيف يعيش الناس فى المعسكرات . لكننا لم نقف عند هذا الحد بل كنا دائما نقدم من خلال هذا كله معلومات عن القضية الفلسطينية ككل . وصــورنا مواقف حركة التحرر الفلسطينية ، ورأينا أن الفدائيين لا يناضلون ضد العدوان الاسرائيلى فحسب بل وضــد حكومة حسين الرجعية أيضا . ثم ذهبنا بعد ذلك الى معسكرات الفدائيين وصورنا بدرجة رئيسية الفتيان . وهذه مشاهد فى جوهرها رهيبة ، لان اعمار هؤلاء الفتيــان تتراوح بين الحــادية عشرة والرابعــة عشرة ، ومــع ذلك فهم مضطرون أن يتدربوا تدريبا عســكريا قاســيا ويتعلموا استخدام الســلاح وبشكل خاص فى حالات الالتحام . ثم اجرينا مقابلات مع الناس فى المعسكرات ووصلنا من خلال هذه المقابلات الى نتيجة هامة هى أن هؤلاء الناس يريدون العودة الى بلادهم ، الى وطنهم ، اى أننا تمكنا من اظهار العلاقة الوثيقــة بين هؤلاء الناس وبين ارضهم التى هجروا عنها . وأردنا أن نرد بهــذا على الدعاية المغرضة التى تريد ايهــام الرأى العام بأن هؤلاء الناس لم يكونوا سوى بدو رحل لا ارتباط لهم بالارض، اى أنهم يستطيعون العيش فى اى مكان .. أردنا أن نبين للمتفرج أن هؤلاء الناس كانوا فلاحين أبعدوا عن أراضيهم . ثم أجرينا حديثا شــاملا مع السيد ياسر عرفات شرح لنا فيــه واقع القضية الفلســطينية والمحتــوى السياسى لنضــال المقــاومة . وأنهينا الفيلم بتلخيص مكثف للموضوعات التى طرحناها معتمدين على وسائل فيلمية مونتاجية تبين أن الفلسطينيين هم شعب متمسك بسماته القومية وأنهم يعملون على اعادة تنظيم صفوفهم على جميــع المستويات السياسية والثقافية والعسكرية

س : كم ساعة صورتم وكم مترا استخدمتم فى الفيلم ؟

ج : صورنا حوالى ست ساعات اخترنا منها نصف ساعة تقريبا .

س : ماذا ستفعلون بالمــادة المتبقية ؟

ج : سنحاول انتاج افلام اخــرى استنادا على هذه المادة . كما اننا سنحاول اضافة مادة فيلمية جديدة الى المادة المتوفرة .

س : ماهو مشروعك القادم ؟

ج : ستنتج مجمــوعتنا فيلمــا عن البترول فى الشرق الاوسط ■

بــــيرل بـــك

و٥٠ عاما من أدب الماضى والتبشـير ومعـــاداة الثــــورة



بيرل بك

يوم ٦ مارس الماضى توفيت عن ٨٠ عاما الروائية الامريكية بيرل بك التى يعرفها العالم بروايتها الشهيرة « الارض الطيبة » التى نالت عنهـا جائزة نوبل للاداب عام ١٩٣٨ . وربما يمكننا القول دون خشية الوقوع فى خطأ المبالغة أن بيرل بك بالنسبة لقراء الادب الغربى فى بلادنا لا تعنى اكثر من «الارض الطيبة» وان كانت بيرل بك فى الواقع قد تركت عـددا من الروايات والقصص والكتب فى موضوعات أدبية وسياسية شتي بعدد سنى حياتها .

ولكن هذا أمر لا نختلف فيه كثيرا كقراء عرب عن باقى القراء فى العالم ، ربما باستثناء القارىء الامريكى وحده . لان عددا غير قليل من روايات بيرل بك — غير رواية « الارض الطيبة » — حقق رواجا فى الولايات المتحدة فى سنوات مختلفة وارتفع الى الارقام القياسية فى التوزيع التى تجعل من الرواية — حسب التعبير الامريكى النموذجى للعقلية الراسمالية الامريكية حتى عنـدما تقيم الاعمال الادبية) Best Seller

ومع ذلك فان كثيرا من النقاد فى الولايات المتحدة اتخـذوا مـوقف المعارضة — بل والدهشة احيانا — لمنح جائزة نوبل لبيرل بك ، واكثر منهـم وصفوا كل أعمالها التى ظهرت بعد الارض الطيبة بانها « سطحية » و « خامدة » و « غير متميزة » (*)

ولكن الشىء الذى يتفق عليه الجميع— مهما كان رأيهم فى فن بيرل بك الروائى وموهبتها الفنية هو أن فترة حياتها فى الصين التى امتدت ٣٠ عاما منذ طفولتها المبكرة — بل عقب ولادتها مباشرة — كانت هى المصدر الرئيسى لمـادتها الادبية ، سواء فى « الارض الطيبة » او روايات عديدة أخرى كرستها لوصف الحياة فى المجتمع الصينى فــى فـترة العشرينات والثلاثينات من القرن الحالى . وكانت تلك فترة الكمون ثم فترة الانفجار بالنسبة للثورة الصينية .

وقد سيطرت فكرة « تخصص » بيرل بك فى الكتابة « الاسيوية » أو الكتابة عن الصين على جمهور القراء فى الولايات المتحدة الامريكية والعالم حتى أن بيرل بك نفسها ضاقت بالفكرة ، وضـاقت باحساسها بانها حبيسة السنوات التى قضتها فى الصين فعمدت خلال الفترة من عام ١٩٤٥ الى عام١٩٥٣ الى كتابة خمس روايات تستمد مادتها وموضوعاتها من الحياة الامريكية الصرفـة تحت اسـم مستعار هو « جون سيدجز » وقـد اعترفت هى نفسها (عام ١٩٥٨) بانها مؤلفة هذه الروايات الخمس « رجـل البلـدة » و « الحـب المـديد » و « أصوات فى البيت » و « الزوجـة الغاضبة» و « رباطة الجاش » . ولكن الغريب فى الامر أنها كتبت أيضا روايتين عن الحياة الريفية الصينية مستخدمة نفس الاسـم المستعار جـون سـيدجز ، وهما « كينفولك » و « بيونى » (*)

وهناك خلاف بين النقاد الامريكيين حول ما اذا كانت بيرل بك قد منحت جائزة نوبل عـن روايتهـا « الارض الطيبـة » بالتحديد . والواقع أن لجنة جائزة نوبل وان كانت قد ذكرت فى تقريرها عن منحها

الجائزة أن من ملامح بروزها الادبى « تصويرها الملحمى الفنى والاصيل لحياة الفلاحين الصينيين » الا أن اسم رواية « الارض الطيبة » لم يرد فى التقرير .

ولقد كانت « الارض الطيبة » الرواية الثانية لبيرل بك ، وكانت روايتها الاولى « امرأة صينية تتحدث » عام ١٩٢٦ . ولكن « الارض الطيبة » تعد الاولى فى ثلاثية متصلة اكسبت بيرل بك مجدها الادبى وثراءها المادى طوال السنين التالية ، وكانت الروايتان الاخريان : « الابناء » (١٩٣٢) و « بيت منقسم على نفسه » (١٩٣٥) وقد نشرت الثلاثية فى مجلد واحد بعد ذلك بعنوان « بيت الارض » . وبعد وفاتها اعلن انها تركت ٢٥ مجلدا تنتظر النشر !

واذا كان هناك اجماع على أنه لا يمكن فهم أو تقييم بيرل بك واعمالها الروائية بعيدا عن تأثيرات السنوات الثلاثين التى قضتها فى الصين ، فانه لا يمكن بالمثل فهم او تقييم أعمالها بعيدا عن طبيعة الدور الذى نشأت بيرل بك فى الصين لتجد أسرتها تلعبه فى حياة الصينيين . فقد لازمها هذا الدور فى كل ما كتبت ولازمها بعد ذلك فى مواقفها السياسية و « الانسانية » .

لقد كانت بيرل بك ابنة أسرة من المبشرين المسيحيين الذين يعملون فى الارساليات الدينية فى الصين . هذه الحقيقة صبغت حياة الاديبة الامريكية من بدايتها الى نهايتها . وصبغت كذلك مؤلفاتها ، والقضايا التى تناولتها ، بل وصبغت القراء الذى اجتذبتهم وموقعها ككاتبة روائية ، فقد ظلت تجد فى نفسها من الداخل نداء التبشير بذلك المفهوم الذى تربت ونمت وسط ملامحه .

ورغم الثراء الوصفى الطبيعى الذى تميزت بها روايات بيرل بك الصينية عن حياة الفلاحين الصينيين فى فترة من احلك فترات الظلم الاجتماعى فى حياة شعب الصين ، ورغم الدقة التصويرية فى رسم مآسى هذه الحياة وقسوتها وصراعاتها المريرة ، فان بيرل بك لم تتخلص ابدا من احساسها بالانفصال عن ذلك الواقع . وكانت هى نفسها تقول انها « شخص منعزل » وهيستدة عقليا » . كانت تقول انها تحب الناس « ولكنى افضل صحبتهم فى جرعات صغيرة » .

بهذا المعنى نفسه احبت بيرل بك الصين .. ارادتها أن تكون مجرد موضوع فنى لها ، ولهذا ارادتها الا تتغير . ولم تستطع بيرل بك أن تخرج من عقدة تجربة اليمة مرت بها وهى فى الثامنة من عمرها عندما أصدرت الامبراطورة الصينية الدموية تزو سى أمرا ملكيا باعدام كل البيض . لم تستطع أن تعى أن ما تعرض له بعض البيض تحت حكم الطغيان الذى فرضه اباطرة الصين كان يتعرض له مئات الملايين من الصينيين بصورة أشد . وان مأساة الشعب الصينى أفدح وأعمق من مأساة حفنة من رجال الارساليات وعائلاتهم تعرضوا خلال فترة وجيزة للاضطهاد !

ولقد لازم بيرل بك ذلك الاحساس بمهمة المبشر الدينى ، فاعتقدت على الدوام أن على الصينى أن يقبل واقعه كما هو وأن يتعلم كيف يتغلب على الالام وأن يصمد للمعاناة . كل ما كانت بيرل بك تريده من الصينى أن يؤمن بالمسيحية .

ولهذا ظلت رواياتها « الصينية » حبيسة تصوير الواقع وحده ، مسبغة عليه من ايمانها المسيحى بانتصار « الخير » بمفهومه المجرد وبطريقة لا سبيل للانسان الى فهمها . ورغم أن الثورة كانت تعتمل فى أعماق الشعب الصينى فى تلك الفترة التى تكون فيها الحس الفنى والانسانى لدى بيرل بك ، فانها لم تر من الثورة الا بقدر ما يظهر من جبل الجليد فوق ماء البحر . وعندما طفا جيل الثورة كله وظهر عنفوانه صدم مشاعر بيرل بك بعنف . وظهرت على الحقيقة كل المعانى المجردة « السامية » التى كانت ترددها عن « المساواة » بين الناس مهما كانت اختلافاتهم فى اللون أو الجنس أو الدين ، انهار فجاة ايمانها بضرورة تحقيق « مساواة » بين البشر وضرورة جعل « الغرب » يفهم « الشرق » .

لقد غادرت كاتبة « الارض الطيبة » ، الصين بصفة دائمة عام ١٩٣٣ ، وتقول هى بالحرف الواحد « **فقد عرفت أن الشيوعية ستفوز بسبب جاذبيتها التامة بالنسبة للفلاحين ، وعرفت ايضا اننى لا استطيع ان اعيش فى بلد تسيطر عليه الشيوعية : بل وان الشيوعيين الصينيين لن يغفروا للامريكيين الذين لم يكونوا شيوعيين** » .

ولم تكتف بيرل بك بذلك ، انها حتى فى وطنها الولايات المتحدة — بعد أن عادت اليه — بذلت كل جهودها واستخدمت أموالها ونفوذها الادبى لكى تحول دون عودة الصينيين المغتربين فى أمريكا الى وطنهم الصين .

وكان اعتقاد بيرل بك الواضح بالنسبة للثورة الصينية أن « الشيوعيين جاءوا ليشغلوا فراغا خلقته ظروف كان باستطاعتنا (الامريكيين) أن نحول دونه بكل قوتنا وثروتنا » .

وكشفت كتابات بيرل بك التالية — سواء الروائية او غير الروائية — بعد عودتها من الصين الى الولايات المتحدة أن المساواة التى كانت تعنيها فيما صورته من مظالم الحياة فى الصين قبل الثورة هى المساواة بين القاهرين والمقهورين ، المستغلين والمستغلين ، المساواة التى تبقى لكل منهما على مواقعه ولا تسمح بثورة المقهورين ضد قاهريهم او المستغلين ضد مستغليهم .

وقد ظلت بيرل بك — ونذكر من جديد بانها غادرت الصين بشكل دائم عام ١٩٣٣ — تكتب عن الصين التى عرفتها هى ، أى صين الثلث الاول من القرن العشرين . ولم تتغير صورة الصين لديها رغم أنها بذلت محاولات عديدة — وانفقت من أموالها الكثير — لكى تظل تتابع الاهتمام بالشئون الصينية والاسيوية بوجه عام . ولم تتخل عن نزعتها « الانسانية » التبشيرية . واخذت تتصرف كمليونيرة محسنة . انشأت مركزا للاطفال الاسيويين اليتامى الذين أنجبهم أمريكيون . بل أنها تبنت مجموعة من ثمانية أطفال معظمهم من الصينيين واليابانيين والكوريين .

كان نضال بيرل بك ضد الظلم المتمثل فى الاطفال الذين أنجبهم الجنود الامريكيون من نساء أسيويات أثناء حربى كوريا وفيتنام يحمل طابع كتاباتها عن المجتمعات الاسيوية . فقد كان تصورها لدور المجتمع الامريكى تجاه تلك المجتمعات الاسيوية « المتخلفة » ، أو تجاه تلك الحضارات « المختلفة » ، مماثلا لدورها هى بالنسبة للاطفال الاسيويين . دور التبنى والرعاية . على أن يظل كل فى موقعه . أن يظل الراعى راعيا والطفل طفلا .

ولعل الحق أن يكون مع أولئك النقاد الذين كان من رأيهم أن أفضل ما كتبت بيرل بك اثنان من كتبها « المنسية » الكتابان اللذان يتناولان حياة والديها . فهى تصف فيهما بدقتها الوصفية التفصيلية شخصية المبشر ، وتقدم تسجيلا لدور الارساليات المسيحية البيضاء فى الصين .

اما لماذا حققت « الارض الطيبة » كل هذا النجاح الذى حققته ، فان الامر يرجع بالدرجة الاولى الى انها قدمت للقارىء الامريكى — ومن بعده لباقى قراء الادب الغربى — شيئا جديدا ليس بالتحديد من الناحية الفنية — وانما من ناحية انتقاء موضوعها من خضم حياة الريف الصينى ، وهو مجال له غرابته المثيرة بالنسبة للقارىء . ويصدق فى تحديد سبب النجاح الهائل الذى حققته رواية « الارض الطيبة » ان بيرل بك مزجت فيها بين ما هو دينى وماهو علمانى « على نحو لم تستطع ان تكروه بعد ذلك ابدا » على حد تعبير الناقد الامريكى توماس لاسك .

ومع ذلك فانه يمكن القول بانه لولا الفترة التى قضتها من حياتها فى الصين ، ولولا انها قضتهاوسط اسرة تعمل بالتبشير لما امكنها ان تعطى افضل انتاجها الروائى ، والواقع انها فيما عدا ذلك الجانب من انتاجها لا تكاد تكون لها مكانة لدى النقاد . وكما قلنا فان الاعتراضات وجهت من كل جانب ضد منحها جائزة نوبل وبعدذلكضد منحها جائزة بوليتزر الامريكية . والحقيقة انها هى نفسها فوجئت بمنحها جائزة نوبل ، وبدا كأن اهم ما اثار اهتمامها بالجائزة انها « اتت بالنجاح » وكان النجاح بالنسبة اليها يعنى مزيدا من المال ومزيدا من التشجيع على الاستمرار فى الكتابة ، وهو ما لم تكف عنه اطلاقا حتى لحظة موتها .

وقد كان من اواخر اعمالها كتاب نشرته عام ١٩٧٠ بعنوان « الصين كما رايتها » ويتضح فيه انها لم تكف لحظة عن التفكير فى زوال الثورة فى الصين . ان « الغد » بالنسبة اليها ات لا محالة « فحتى النمور الهرمة مثل ماوتسى تونج لا يمكن ان تعيش الى الابد » . واذا كان هذا الكتاب يذكر شيئا فهو انها ظلت الى ما بعد اكثر من ٣٥ عاما من مغادرتها الصين نهائيا تعيش على ذكريات سنواتها هناك محتفظة بنفس عقلية « المثقف الابيض » الذى يرتدى مسوح السماحة الانسانية والمساواة الى ان تمسه الثورة مباشرة فتمس سيطرته وامتيازه فيقف على الفور ضدها .

ولا عجب بعد هذا ان رفضت الصين منحها تأشيرة دخول الى الصين عندما طلبت ذلك فى شهر اكتوبر الماضى ، واثار هذا الرفض ثائرة الكثيرين فى الولايات المتحدة ممن يعتقدون وهما ان بيرل بك كانت صديقة للشعب الصينى .

● ● ●

قضية فيتنام
فى السينما العالمية

بدأ الاهتمام بتناول كفاح الشعب الفيتنامى على المستوى الدولى بعد تأسيس جبهة تحرير فيتنام الجنوبية عام ١٩٦٠ ، وازداد هذا الاهتمام منذ بداية العدوان الامريكى عام ١٩٦٤ .

اما عن سينما فيتنام الديمقراطية فلعل اهم افلامها التسجيلية الفيتنامية فى المرحلة الاولى فيلم « فيتنام على طريق النصر » الذى اخرجه السوفيتى رومان كارمن عام ١٩٥٤ . اما اول فيلم فيتنامى روائى طويل فقد كان « نهرنا المشترك » الذى اخرجه نجوين هونج وفان اكسبوزان عام ١٩٥٩ ، والذى عبر عن وحدة شطرى فيتنام من خلال قصة حب تدور احداثها على ضفاف نهر هاى الذى يربط بين فيتنام الديمقراطية فى الشمال ، وفيتنام الجنوبية .

وفى فيتنام الديمقراطية اربعة استديوهات سينمائية اولها للافلام الروائية والثانى لافلام الاطفال والثالث للافلام التسجيلية والرابع لافلام المعركة ويبلغ الانتاج السنوى ١٥ فيلما روائيا طويلا و ٢٠٠ فيلما قصيرا . اما عن دور العرض فقد دمر اغلبها من جراء الغارات الامريكية ، ولا يرتبط عرض الافلام اثناء حرب التحرير على اية حال بوجود دور العرض ، وانما يكفى وجود آلة عرض وشاشة بيضاء ومساحة تكفى بعض الناس ليقام العرض السينمائى

يوريس ايفانس :

لعل فنان السينما الهولندى الاصل يوريس ايفانس [ولد عام ١٨٩٨] هو اول فنان سينمائى ذهب الى فيتنام بعد العدوان الامريكى بفترة قصيرة . وفى عام ١٩٦٥ طلع ايفانس على العالم بفيلمه « السماء والارض » الذى صور العدوان الامريكى ، ومقاومة الشعب الفيتنامى تحت قيادة هوشى منه .

ولم يكن غريبا ان يكون ايفانس هو اول سينمائى يذهب الى فيتنام ، فمنذ ان احترف الاخراج عام ١٩٢٧ وهو يتابع الحركة الثورية فى العالم من الاتحاد السوفيتى الى مالى ، ومن الصين الى كوبا ، ويتناول الظواهر الثورية فى الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا وكندا وغيرها من دول العالم .

وقد عاد ايفانس الى فيتنام مرة اخرى عام ١٩٦٨ حيث اخرج فيلمه « خط عرض ١٧ » الذى يعتبر من اعظم الافلام التى تناولت حرب التحرير الفيتنامية . يقول ايفانس يمثل فيلم «خط عرض ١٧ » خطوة الى الامام بالنسبة لفيلم « السماء والارض » فهو يوضح بشكل افضل كيف تمضى الحرب الشعبية فى فيتنام ، ويستطرد فنان السينما الكبير قائلا « من ناحية اود ان اشير الى اننى قمت باخراج « السماء والارض » بمفردى » اما « خط عرض ١٧ » فهو

ثمرة عمل جماعى ؟ ومن ناحية اخرى يعد فيلم « السماء والارض » فيلم اثارة انه يطلعنا على شعب يناضل معتمدا فى المحل الاول على قدراته الخاصة ، ولكن بعض المتفرجين كانوا يسألون كيف اقدم الناس على تلك الحرب ؟ ولكى اجيب على هذا السؤال اخرجت « خط عرض ١٧ » مع مرسولين لوريدان وفريق من السينمائيين الفيتناميين ، ورغم انه يعد كما قلت خطوة الى الامام الا انه كان من الضرورى ان نتعمق اكثر : ماذا يحدث فى المناطق المحــررة من فيتنام الجنوبية ؟ كيف تتم وحــدة الفلاحين؟ من هم الكوادر وماذا يفعلون؟».

بعيدا عن فيتنام :

وفى عام ١٩٦٧ عرض الفيلم الفرنسى « بعيدا عن فيتنام » الذى اشترك فى اخراجه الفرنسيين كريس ماركر وآلان رينيه وجان لوك جودار وكلود ليلوش وانييس ناردا الى جانب يوريس ايفانس والامريكى وليم كلاين ، وكــان الفيلم بمثابة مظاهرة فريدة من اجل فيتنام ، وفيه صورت ربما للمرة الاولى المظاهرات المعادية للحرب داخل الولايات المتحدة ، وذلك فى الجزء الذى اخرجه كلاين فى نيويورك حيث صور مظاهرة الأربعمائة الف التى قادهــا ستوكلى كار مايكل ومارتن لوثر كينج وطبيب الاطفال دكتور سبوك . وقد عرض الفيلم فى نيويورك بعد ان حذفت الرقابة بضع دقائق من هذا الجزء كما قال كلاين فى حــــديث صحفى .

ومن أهم أجزاء « بعيدا عن فيتنام » ايضا الجزء الذى اخرجه آلان رينيه مستخدما لقطات الارشيف لكى يعبر عن الارتباط بين الحركة الثورية فى فيتنــام والحركة الثورية العالمية . يقول رينيه « ان هناك ترابطا بين حرب فيتنام ، وكفاح السود ، ومظاهرات العمال ، فوراء كل هذا تحاول الامبريالية ان تضرب ضربتها » .

ابنــاء وبنــات :

ومن المظاهرات المعــادية للحرب داخل الولايات المتحدة ايضا اخــرج اميل اى انتونيو فى نفس العام فيلمه الاول « ابناء وبنات » الذى عبر عن مولد مدرسة جديدة فى السينما التسجيلية تعتمد على ترتيب لقطات الارشيف على نحو يتضح من خلاله موقف الفنان ووجهة نظره السياسية . ففى « ابناء وبنات » و « فى عام الخنازير » عام ١٩٦٨ ، و « بيت اللبن » عام ١٩٧١ يقوم اميل دى انتونيو بترتيب ما يقرب من ثلاث ساعات من الوثائق السينمائية فى كل فيلم لتحليل الحركة المعادية للحــرب داخل الولايات المتحــدة ، والاسباب الحقيقية للحرب الامريكية فى فيتنام فى الفيلم الثــانى ، وشخصية الرئيس الامريكى نيكسون فى الفيلم الثالث .

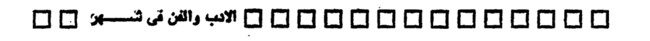
ان مدرسة اميل دى انتونيو هى نتاج المكارثية الكامنة فى طبيعة النظــام الامريكى اذ تبدو افلامه للوهلة الاولى وكأنها عرض تاريخى محايد للموضوع الذى يتناوله لانه لا يضيف شيئا ولايحذف شيئا من اللقطات الوثائقية التى يستخدمها ولكنها فى الحقيقة تعبر عن موقف ثورى شامل من خلال البناء الجديد الـــذى يخلقه ببراعة واقتدار . وتختلف هذه المدرســة فى السينما التســجيلية عن المدرسة التى اسسها السوفيتى ميخائيل روم فى فيلمه « فاشية عادية » الذى اخرجه عام ١٩٦٦ ، والتى تعتمد ايضا على استخدام لقطات الارشيف ولــكن بتصرف يجعلها أقرب الى المــادة الخام الاولى للفنان .



فيلم «طيارين بالبيجاما» اخراج هاينوفسكى وشومان من المانيا الديموقراطية

طيارين بالبيجاما :

وشهد عام ١٩٦٧ ايضا مولد مدرسة جديدة اخرى فى السينما التسجيلية هى مدرسة « هاينوفسكى وشومان » فى المانيا الديمقراطية ،وتعتمد هذه المدرسة على الاحاديث الطويلة مع الشخصيات التى تعبر عن موضوع الفيلم تعبيرا صارخا ، ودون ان تعى فى حديثهـــا الابعاد الكاملة لمعنى ما تقوله . ففى فيلم « الرجــل الضــاحك » اجرى هاينوفسكى وشومان حديثا طويلا مدعما بالصور والوثائق مع احد رجال المرتزقة الــذين يحاربون لحســاب الحــكومات الاستعمارية فى افريقيـــا ، وفى « الساعة الخامسة » اجريا حديثـــا طويلا ايضا مع عرافة مشـــهورة فى برلين الغربية ،وكما تحدث الرجل الضاحك ببساطة عن الاعمــال الوحشــية التى



أرتكبها فى افريقيا تحدث المرأة عن الشخصيات الكبيرة التى تأتى لزيارتها من ساسة وحكام المانيا الاتحادية .

ونفس هذا الاسلوب اخرج هاينوفسكى وشومان عام ١٩٦٩ فيلمها « طيارين بالبيجاما » الذى اجريا فيه الاحاديث مع الطيارين الامريكيين الاسرى فى هانوى والذين يطلق الثوار على معسكرهم « هيلتون — هانوى » [بعض الصحف المصرية تصورت ان هناك فرعا لفنادق هيلتون المشهورة فى هانوى بالفعل ، ونشرت ان الطائرات تصنف فنــدق هيلتون فى هانوى] .

وفى عام ١٩٧٢ اخرج هاينوفسكى وشومان فيلما جديدا عن الحــرب فى فيتنــام هو فيلم « ريمنجتون كال ١٢ » ولكنهما هذه المرة لم يجريا احاديث مع احد ، وانما قاما بتحليل علمى فى ١٤ دقيقة للرصاصة الأمريكية المسماة بهذا الاسم كشفا من خلاله مدى وحشية العدوان الامريكى ، اذ تكتب على كل رصاصة عبارة «استخدام هذه الرصاصة فى الصيد غير مستحب » ورغم ذلك تستخدم القوات الامريكية هذه الرصاصة فى حرب فيتنام ، وكأن الشعب الفيتنامى دون الحيوانات والطيور التى لا يستحب ايلامها عند صيدها !

هانوى الساعة ١٣ :

واخيرا شهد عام ١٩٦٧ أول أفلام المخرج الكوبى سانتياجو الفــاريس عن فيتنام ، وهو فيلم « هانوى الساعة ١٣ » الذى اطلق عليه هذا الاسم لانه وصل الى هانوى الساعة ١٣ [اى الساعة الواحدة] وفوجىء بصفارات الانذار فى المطار فأخرج الكاميرا وبدأ يصور فيلمه على الفور .

وقد اخرج الفاريس عام ١٩٦٨ فيلما عن الرئيس الامريكى جونسون بعنوان « ل.ب.ج. » وهى الحروف الاولى من اسمه ، كما اخرج عام ١٩٦٩ فيلما عن هوشى منه بعنوان « ٧٩ ربيعا » وهى الاعوام التى عاشها الزعيم الفيتنامى العظيم . وفى هذه الافلام الثلاثة . وفى فيلمه عن جيفارا ايضا يبدو أسلوب الفاريس مزيجا من اسلوب الفيــلم واسلوب الجريدة الاخبارية . فهــو يعتمد على تصوير الاحداث وقت وقوعها ويحاول ان يعمق هذه الاحداث تاريخيا من خلال لقطات الارشيف ، والمــواد الصحفية المختلفة .

داخل الولايات المتحدة :

والى جانب افلام اميل دى انتونيو هناك ايضا من الافلام الثورية الامريكية المعادية للحرب فى فيتنام فيلم « داخل فيتنام الشمالية » الذى اخرجه فيلكس جرين عــــام ١٩٦٨ ، وفيلم « أوراق البنتاجون » الذى اخرجه جيرى ستول عام ١٩٧١ والذى كشف فيه العــديد من الوثائق السرية عن حرب فيتنـــام بمساعدة دانييل الزيبورج الذى كسان يعمل مستشارا فى البنتاجون ، ثم قدم استقالته ، وأذاع كل ما يعــرفه من اسرار البنتاجون . وفيلم «جندى الشتاء» الذى اخرجته احدى المنظمات السرية عام ١٩٧٢ ، وعرض فى اسبوع النقاد بمهرجان كان .

أفلام ليبزج ٧٢ :

وعندما نتحدث عن قضية فيتنام فى السينما العالمية لابد أن نذكر مهرجان ليبزج الذى يقام سنويا فى المانيــا الديمقراطية ، والذى كــان ولا يزال اكبر تجمع دولى للافلام التى تتنــاول القضية الفيتنامية ، وقد عرض فيــه هذا العام الفيلم الفرنسى « جياب ٧٢ » وهو حديث طويل مع الجنرال جيــاب عبقرى الحرب الشـــعبية ، والفيلمين السويديين « امريكى فى هانـــوى » و « فيتنام فى اغسطس ٧٢ » اخراج لينارت مالر وانجيلا وومارى ، والفيلم السوفيتى « لا يوجد حزن غريب علينا » اخراج ماريا باباك ، والفيلمين البولنديين « النار » اخراج اندريه برزوبيسكى عن الحياة اليومية فى قرية فيتناميــة ، و « ٦ مليون » اخراج ميلان شيزنيك الذى يذكر ان الولايات المتحدة استخدمت فى الحرب العالمية الثانية ٢ مليون طن من القنابل ، واستخدمت فى حــرب فيتنام حتى اليوم ٦ مليون طن من القنابل الى جانب « ريمنجتون كال ١٢ » ■

الافلام الروائية :

وحديثنا عن السينما التسجيلية لايعنى ان السينما الروائية لم تتناول قضــية فيتنام فالى جانب الافلام الفيتنامية هناك بعض الافلام الاوروبيـــة والامريــكية الثورية والرجعية لعل اشهرها «القبعات الخضراء » الذى اخرجــــه جون واين والذى بلغ من التمادى فى الرجعية درجة حرق العديد من دور العرض التى عرضته بما فى ذلك الدار التى عرضته فى بيروت وعلى النقيض من هذا الفيلم الامريكى نجد الفيلم الالمانى من المانيا الاتحادية « اوكى » الذى اخرجه ايكل [illegible] والذى تسبب فى الغاء جوائز [illegible] برلين الغربية وهو يحتفل بعيده [illegible] عام ١٩٧٠ عندما احتج عليه رئيس [illegible] الامريكى الصهيونى جورج ستيفنس [illegible] اليوجوسلافى روسان ماكافيف [illegible] من اللجنة وانفض المهرجان ، ويصور الفيلم مجموعة من الجنود الامريكيين فى فيتنام الجنوبية اثناء هدنة عيد الميلاد عام ١٩٦٦ وهم يغتصبون فتاة فيتنامية فى السادسة عشرة من عمرها الواحد وراء الاخر .

الافلام المصرية :

وقد تناولت السينما التسجيلية المصرية قضية فيتنام فى خمسة افلام هى « العار لامريكا » اخراج احمد راشد وسعد نديم و « نداء السلام » اخراج سعد نديم و « النصر للشعوب » اخراج صلاح التهامى ، و « اعداء الحرية » اخراج سعيد مرزوق ، و « رسالة الى العدو » اخراج احمد كامل مرسى ، ونال كل من فيلم سعد نديم وسعيد مرزوق احدى جوائز مهرجان ليبزج فى عام [illegible] ١٩٦٦ ■

مطابع الأهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة التاسعة ـ مايو ١٩٧٣

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

٥

ملحق
الادب
والفن

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

■

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ..

■

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ . ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. — دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .



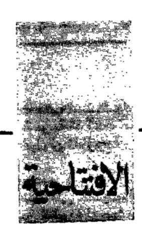
العدد الخامس — السنة التاسعة — مايو ١٩٧٣

د . محمد الخفيف

شارك فى تأسيس الطليعة

وأسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢



عـن العـدو الرئيسى
والضرب فى الظهــر

الانباء التى نقلت الينا أخبار المذبحة التى اديرت فى الشهر الماضى ضد المقــاومة الفلســطينية فى بيروت ، والتعليقــات الضافية ، المتفاوتة والمتضاربة حول وقائع الحادث ، ودور المخابرات الامريكية فيه ،كل هذا يمكن أن يوجز فى كلمات قليلة ،هى محصلة المؤامرة ، وهى أن :

عملاء اسرائيليين اغتالوا فى قلب بيروت ثلاثة من قادة المقــاومة الفلســطينية هم **ابو يوسف ، وكمال ناصر ، وكمال عدوان** ،وانهم قتلوا وجرحوا عددا كبيرا من الثوار الفلسطينيين ومن المواطنين اللبنانيين .

وليس من شك فى أن مثل هذه الانباء لابد وأن تثير الحزن أشد الحزن على فقد قادة أبطال ومناضلين أشداء ، عرفهم شــعبهم الفلسطينى وأحبهم ، وعرفتهم عن قرب كل القوى الشعبية والوطنية العربية وثمنت جهدهم . وعرفتهم أسرة تحرير الطليعــة أصدقاء تعتز بهم .

ولكن ! وياللمفارقة ! فان قانون الثورات الوطنية والشعبية لايترك لرفاق الســلاح أن يحزنوا فيطيلوا الحزن على من ســقط وذهب فى طريق الذاهبين . فالذى يحــدث — وهو حادث فى صفوف ثوار فلسطين — أن يبادر الاحياء الى دفن موتاهم فى شىء كثير من العجلة ، لان المعركة بطبيعتها ،لا تسمح حتى للحزن بأن يكون ترفا .

والذى حدث عقب استشهاد قادة المقاومة ، هو أن الجماهير التى تظاهرت فى أكثر من عاصمة عربية قد أكدت على ان الالم والاسى فى حادث فقد الشهداء ليس هو الامر المطروح ، بل ان المطروح هو شىء آخر : الغضب ، والغضب العظيم .

والسبب الذى يدعو الى هذا الغضب ليس هو ان الاعداء قد اتبعوا وسائل غادرة وخسيسة فى القضاء على خصومهم ، بل ان مصدر الغضب الحقيقى هو أن الشهداء الاعزاء قد ضربوا من الظهر ، أى حيث يتعين الا يضربوا ، وحيث ينبغى أن يجدوا الحماية كل الحماية .

ولسنا نتهم هنا — ولا يعقل أن نتهم — شعب لبنان العربى . لانه قد دلل ، ويدلل ، فى كل يوم ، على استعداد متزايد لحماية المقاومة الفلسطينية التى تعيش وتنطلق من أرضه . وكيف ننسى أن احزابه الوطنية والتقدمية تشكل جبهة النضال الشعبى لحماية ثوار فلسطين . وفى هذا قدمت الكثير .

والعدو لا يلام اذا غدر أو مكر ، وانما يتعين قتاله وضربه . الا أن ما يستوجب الالتفات ، هو أن عمليات الضرب من الظهر للمقاومة الفلسطينية ، لاتزال تستفحل وتتصاعد . وأخطر ما فيها ، أنها تتم بأيد عربية ، وتحت سمع وبصر — ووفقا لمخططات — أوساط معينة فى عدد من البلاد العربية .

ولربما كانت الرجعية الاردنية هى صاحبة السبق فى ادارة وتنظيم عمليات ضرب المقاومة الفلسطينية من الظهر . هذا صحيح ، ولكن طعن المقاومة الفلسطينية من الخلف هو ايضا محصلة هذه السياسات التى ارتبطت بالمصالح الامريكية الامبريالية ارتباطا أشد من « الزواج الكاثوليكى » . وهذه السياسات اذ تضرب المقاومة الفلسطينية من الخلف ، تضرب — فى الوقت نفسه — كل الجبهات العربية التى تقف فى مواجهة العدوان الاسرائيلى وتشتبك معه .

وربما ساعدتنا تصريحات الامين العام لجامعة الدول العربية [المنشورة فى الصحف المحلية بتاريخ ٨ أبريل الماضى] على أن نتبين كيف يتم تخريب العمل العربى الموحد ، وكيف يتم اضعاف الجهد المبذول فى تعبئة وتوحيد القوى الشعبية والعسكرية ، لحرب المواجهة مع العدو الصهيونى .

هكذا ، طرح الامين العام للجامعة العربية القضية على الوجه التالى حين قال :

« ان مجلس الجامعة الذى انهى أعماله أمس [٧ ابريل] قد حدد بصفة قاطعة العدو الرئيسى للعرب وهو أمريكا بمساندتها لاسرائيل » .

وقال :

« انه بعد ذلك تبقى ثلاثة أسئلة مطلوب الاجابة عليها :

« **الاول** : لماذا تستمر العلاقات الاقتصادية مع أمريكا ؟

« **الثانى** : لماذا يظل رأس المال العربى مودعا فى البنوك الامريكية .

« **الثالث** : لماذا تتعامل الدول العربية مع أمريكا بالدولار ؟ » [الاهرام ٨/٤/٧٣]

وفى اعتقادنا فان الاجابة على كل سؤال من هذه الاسئلة ، بكيفية صريحة وعلمية ، يرسم لنا خريطة للواقع العربى مذهلة فى وضوحها ، اهم مافيها انها تكشف اين تقف قوى الثورة العربية وأين تقف وتعمل قوى الثورة المضادة .

ولكن اذا شئنا الا نخوض فى التفاصيل ، فاننا لا نخطىء اذا قلنا ان الاجابة على الاسئلة التى يطرحها الامين العام تنتهى بنا الى هذه النتيجة القاطعة وهى :

ان الثورة الفلسطينية ، بل الثورة العربية انما تضرب من الظهر ، كل يوم ، بكل عمل يدعم المصالح الامبريالية ، ويفتح البلاد العربية أمام نشاطات الاستعمار الجديد الاقتصادية والسياسية والثقافية ، ويجعل من الارض العربية مكانا للقواعد العسكرية الامبريالية ، وميدان نشاط مستباح لعملائه السافرين والمستترين .

والثورة العربية ، باعتبارها الجهـــد الواعى والخلاق للجماهير العربية لا تقبل الرشوه ، ولا تقبل فى صفوفها من يمد يدا فى الظاهر لمساعدة فلسطين ، ثم هو يقف بقدميه ، وبكيانه فى معسكر اصدقاء الامبريالية الامريكية وحلفائها !!

ولقد حان الوقت ، فعلا ، لكى تتحـــدد وتستقطب المعسكرات .. وكم من مرة طرح القادة الوطنيون العـــرب ، وكافة القوى الوطنية والتقدمية شعار استخدام الضغوط الاقتصادية ضد الامبريالية الامريكية . وفى هذا نذكر ما دعا اليه **الرئيس الســادات** عندما دعا ، قبل شهور ، الى استخدام سلاح البترول لصلحة المعركة التى تخوضـــها الشعوب العربية ضد اسرائيل قاعدة أمريكا فى الشرق الاوسط وقوتهـا الضـــاربة الرئيسية .

ومن المؤكد أن القوى الوطنية والشعبية فى الوطن العربى لا تحتـــاج الى أن تنفق مزيدا من الجهد لكى تبحث عن الشـــعار الرئيسى الذى يساعدها على تبديد البلبلة ، والوصول الى الرؤية الواضحة للموقف . ثم يساعدها فيما بعد ، على استخلاص كل المواقف العملية المطلوبة .

هذا الشعار الرئيسى ، هو أن أمريكا هى العدو الرئيسى للثورة العربية . وهـــذه العبارة التى وردت فى تصريح أمين الجامعة ليست من قبيل العبارات الحماسية ، بل يجب أن تكون منطلق النظرة العلميـــة للمشاكل والصعوبات والعثرات التى تواجه حركة التحرر الوطنى العربية فى مسيرتها .

ان البدء من هذه النقطة يؤدى الى ، أو يجب أن يؤدى الى :

- تسليح الشعوب العربية باستراتيجية علمية وشاملة وصميمة .
- تحديد واضح لطبيعة كل مرحلة من المراحل التى تمر بها المعـــركة والمهـــام المطروحة .
- وعى الشعوب العربية بابعاد المعركة الحقيقية .
- دعم الوحدة الوطنية داخـل كل بلد عربى والتغلب على التناقضات فى جبهة الطبقات الوطنية والشعبية .

● معرفة علمية بالمعسكر الذى يجمع قوى الحلفاء والاصدقاء الثابتين ، وبالمعسكر الذى يجمع قوى الاعداء ، وبالمعسكر الذى يمكن كسبه او تحييده .

● تحديد الوسائل العملية والمتاحة لازعاج العدو الرئيسى فى كل بلد عربى والضغط عليه سياسيا واقتصاديا واعلاميا .

وليكن الوصول الى هذه الحقيقة الحاسمة وهى تحديد من هو العدو الرئيسى قد تم نتيجة المحاولة والخطأ ، وعبر التجارب الحسية ، الطويلة والمريرة . وليكن نتيجة الدراسة النظرية . ذلك انه ، أيا ما كان الامر ، فان هذه النظرة الصحيحة للعدو الرئيسى لا تكتسب كل فعاليتها ، ولا تكشف عن جدية ، الا اذا رتبنا عليها كل المواقف العملية اللازمة والمنطقية . وسوف يكون فى مقدمة هذه المواقف العملية شن هجوم مضاد على كافة مخططات واساليب الاستعمار الامريكى الجديد فى المنطقة ، وعلى عملائه الظاهرين والمستترين .

عند هذا ، يمكن أن نقول أن الدول العربية المتحررة ، والتى تقف على خط المواجهة قد أمنت من الضرب فى الظهر .

وان الدول العربية المتحررة الاخرى قد امنت هى الاخرى من طعنات توجه اليها من الخلف .

وان المقاومة الفلسطينية ستجد الامن الحقيقى فى داخل هذا البلد العربى أو ذاك ، بمقدار مايطهر شعب هذا البلد نفسه من شبكة المصالح الامبريالية الصهيونية ، الاقتصادية والثقافية .

ثم تبقى بعد ذلك كلمة عن القسوة الدموية التى يضرب بها العدو الامبريالى الصهيونى المقاومة الفلسطينية .

لقد تحدثت افتتاحية « الطليعة » ، فى عدد مارس ، عن اتجاهات التصعيد الامريكى فى المنطقة وأشارت الى :

« أن العدو الامريكى الصهيونى يصعد العدوان ضد حركة التحرر العربية ولا يتراجع أو يجنح الى «التعقل والاعتدال» كما تحاول الدعايات الموالية لامريكا أن توهمنا » .

ثم تحدثت الطليعة عن اتجاهات هذا التصعيد فقالت ان :

« الشعبة الثالثة ، فى المخطط الامريكى الاسرائيلى ، وهى المطروحة الان للتنفيذ ، هى العمل بكل سبيل ، على ضرب ومحاصرة الثورة الفلسطينية ، وتطويق الكفاح المسلح الفلسطينى ، لتصفيته بكل الوسائل المعلنة والخفية » .

هذا ما جاء فى افتتاحية الطليعة . ثم يبقى السؤال :

ولمـــاذا يختص العدو المقاومة بهذا القدر من العنف الهائل ؟

والجواب :

● هو أنه بعد ست سنوات من هزيمة يونيو أصبحت الثورة الفلسطينية ، هـــذه الفصيلة العربية التى فرض عليها الانكماش والتمييع ، قد أصبحت ساحة أساسية من ساحات النضال الثورى فى المنطقة العربية .

● وأن هذه الثورة بالمثل الذى تضربه، تلعب دورا توحيديا بين كافة الفصـــائل الاصيلة للثورة العربية . وقد باتت تبنى من حولهـــــا .

● وان هذه الثورة تترابط بثورة التحرر الوطني والاجتماعى فى البلدان العربية من خلال جبهات وتشكيلات شعبية حقة .

وان هذه الثورة تقف العائق الرئيسى ضد كافة مشروعـــات اسرائيـــل فى التوســـــع والاستيطان فى الارض العربية . وباختصار، انها تبقى قضية فلسطين حية وساخنة .

● وان فصائلها المسلحة ، على الرغم من الحصار ، والضرب من الظهر ، تتوجه بقوة لتصعد عملها فى عمق الارض المحتلة .

لكل هذه الاسباب ، تلتقى جهود الامريكان والصهاينة وتتوحد بهدف تصفيتها ، وابادة ثوارها المقاتلين .

ثم وان هذه الاسباب ذاتها ، هى التى نسترجعها ونكررها فى ختام المقال ، لتشكل كلمات الرثاء والعزاء فى فقد أبى يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان ، هؤلاء الاصدقاء الاعزاء ، والاخوة الشهداء .

« الطليـــــعة »

« زمن المقـاومة »
لا « زمن المـوت »

يا شهداؤنا .. يا أبطال المقاومة الفلسطينية ..
سوف يحول بيننا وبين أن نرى أنفسنا فى المرآة : عيونكم الشجاعة .

من حقكم علينـا ان نقول لكم : أنتم مناضلون من معـدن نادر .. « فالمعضـلات » التى تواجه ثورتنا الفلسطينية — على اكثر من جبهة — أعقد بكثير من تلك التى واجهتها حركات للمقاومة الوطنية فى أماكن أخرى مختلفة .

ومن حقكم علينـا ان نقول : ان الانتصـار الذى تختال به اسرائيل بعد « جريمة بيروت » ، لم يكن أبدا انتصـار على حركة المقاومة الفلسطينية ، انما كان انتصار على أجهزة للامن غير أجهزتكم .

.. ومن حقكم علينا ان نقول : عندما استشـهد المناضـلون : كمـال ناصر ، وكمـال عـدوان ، و « أبو يوسف » ، كانوا — مع مناضلين آخرين — قد أعطوا الثورة الفلسـطينية رفاقا فى مثل معدنهم .. يزرعون المقـاومة فى غزة ، وفى الضفة الغربية ، وفى الارض المحتـلة .. كانوا قـد صـنعوا — مع مناضـلين غيرهم — أثمن وأشرف وأشرق ما يتحرك على الارض المحتـلة : حـركة التحـرر الوطنى الفلسطينية .

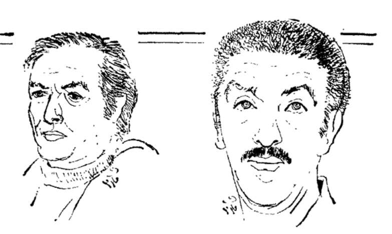
هذه حقائق لابد وان توضع تحت أكبر ضـوء ..وهى أيضـا حقائق لها متداعيـاتها التى يصعب أن تخطأها عين كل عربى مخلص ومحب لشـعب لبنان وللمقاومة الفلسطينية .

يا شهداؤنا : شهداء الثورة الفلسطينية ..

لقد كان فى مقدوركم ان تقنعوا بالسـكوت وبكل متطلبات الامان الشخصى . لكنكم اخترتم من الاعمال ما هو صعب .. ما هو يجعلكم هدفا غاليا لكل عدو ، بعد أن فرضت طبيعـة أعمـالكم ودوركم ان تكونوا معروفين بالضرورة .
.. لقد كان الاختيار أمامكم — كما أمام الجميع — صعبا ومرا وواضحا :

المقاومة .. أو الضياع .

السقوط شهداء فى « واحة » من الدم ، أو الغرق جثثا فى « مستنقع » من الصديد .
ولكنكم اخترتم الاختيـار الصـحيح : الوقوف فى معسـكر الشـعب ، وفى طليعته ، وقاومتم حتى أنفاسكم الاخيرة .
قاومتم واصـبعكم على زنـاد بنادقـكم لا تعرف السكوت . بينما سكت غيركم على اصابع الجواسيس تتحرك على زناد موتكم . وأرادوا ان يتحول « زمن المقاومة » الى « زمن للموت » .
وقمة المأساة يا شهداؤنا .. انكم عانيتم الحصار بينما نعم الجواسيس بحرية الحركة .. ومن هنـا نقول لـكم ان « جريمة بيروت » التى استشهدتم فى مواجهتهـا ، ليست مرادفا « لعبقرية » فى العمـل



العسكرى الاسرائيلى كما تحب اسرائيل ان تقول ،وكما يحب البعض ان يتصور ؟ بل هى « مرادف » لشىء آخر : للوجه الاخر لحصاركم : لحرية حركة الجواسيس .

قضيتكم : انكم لا تواجهون عدوا واحدا .. وهنا تكمن المشكلة . فمنذ أعلنت أعمالكم الثورية وعمليات المقاومة عن وجودكم الذى يمتد الى أعمق جذور الارض العربية ، وأنتم وجميع رفاقكم : هدف استراتيجى للمخابرات الامريكية ، تعمل بكل الطرق لتوجيه الضربة اليكم . وفى تنسيق تام ، عملت المخابرات الامريكية مع المخابرات الاسرائيلية والمخابرات الاردنية التى كشفت الوقائع عن « بصمات » يدها التى شاركت بها . أما غير هذه المخابرات وتلك ، فقد سهلوا لغيرهم تحقيق نفس الهدف الذى صعب عليهم — لاكثر من اعتبار — تحقيقه : ضرب المقاومة الفلسطينية لتصفيتها .

لم تكن هذه هى المرة الاولى .. ولن تكون الاخيرة .. فقد تعرض رفاقكم فى قيادة المقاومة ، للتربص بهم وللتآمر لتصفيتهم جسديا . وتعرفون ان المحاولة فشلت من قبل مع « أبو عمار » و « أبو اياد » وغيرهما .. ولكنها لن تكف عن التجدد .

ان عيون مستقبلنا تدعونا لان نتعلم كيف نحمى كل ما سوف يفضى فى حاضرنا الى صنع مستقبلنا : المقاومة ..

ان عيونكم تدعونا لان نستثير الحديد .. تدعونا الان نعرف كيف نقول شيئا آخر .

.. وتبقى أهم الحقائق وانصعها : المقاومة الفلسطينية باقية ، لانكم — مع شهداء قبلكم ومناضلين معكم — قد أعطيتم ، وسوف تعطون الثورة الفلسطينية : رفاقا يزرعون المقاومة فى غزة ، وفى الضفة الغربية ، وفى الارض المحتلة .

ويبقى وساما على صدوركم .. ان جماهير الشعب فى لبنان احتضنتكم بأياد غير مرتعشة لحظة أن وارت أجسادكم الغالية التراب ، وأبقته — مع جماهير الامة العربية كلها — غضبها وحقدها ضد كل اعدائكم : اعدائها .

هنا لابد من تحية هذه الجماهير العربية التى لم تخطىء فهم معنى استشهادكم ومتداعياته .. وهنا أيضا ، لابد من تحية « للجبهة العربية المشاركة فى الثورة الفلسطينية » ، والدور الهام الذى لعبته وتلعبه من أجل خلق « درع شعبى عربى » لحماية المقاومة وحركة التحرر العربية .

يا شهداؤنا : شهداء حركة التحرر الوطنى العربية ..

اسمحوا لنا أن نحنى رءوسنا اجلالا لكم ولتضحياتكم ..

.. ولسوف يحول بيننا وبين أن نرى انفسنا فى المرآة : عيونكم الشجاعة .

أعبـــاء المعـــركة

قضـــــايا
ســـــياسية
واجتمـــاعية
واقتصـــادية

فى خطابه أمام المؤتمر المشـــترك للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ومجلس الشعب ، والذى أذيع على الأمة ، قدم الرئيس انور السادات تصوراته لمرحلة « المواجهة الشاملة » .

وقضـــية « أعبـــاء المعركة » ، واحـــدة من هذه التصورات التى طرحها الرئيس أمام مجلس الشعب لدراستها واستصـــدار التشريع الذى يمليه الضمير الوطنى ويستوجبه .

فى ذلك الخطـــاب ، اوضح الرئيس الســـادات : « .. مطلوب فى المرحلة اللى جايه : تضـــحيات .. مرحلة المواجهة الشاملة بندخلها كشعب .. كل واحد فينا يحمل مسئوليته وقدره فى ايـــده .. لان المعركة موش حتكون على الجبهة بس ، ولا فى سينا بس .. لا .. المعركة حتكون على القرية ، وعلى المصنع ، وعلى المدرسة ، وعلى القنـــاطر ، وعلى الكوبرى ، وعلى كل حتة فى بلدنا .. اذن احنا كلنا فى المعركة .. كلنا كشعب .. اذن لابد ان توزع اعباء المعركة توزيعا عادلا .. على كل انسان .. ولابد ان يتحمل كل واحد فينا ، بقدر طاقته ، اعباءه فى هذه المرحلة .. ده عايز تشريع .. ومجلس الشـــعب كفيل بانه يقعد يدرس .. عندنا حـــالات مماثلة حصـــلت زى معركة انجلترا .. وقد ايه كان الشعب بيساهم .. كل انسان فيه بما يستطيع وبما تسمح بيه . والدولة بتسخر كل هذه الامكانيـــات للمعركة .. بارجو ان مجلس الشـــعب بسرعة يدرس هـــذا الكلام ويعيد توزيع اعباء المعركة علينا كشعب . ولمجلس الشعب فى هذا نظرية فى اصحاب الدخول الطفيلية ، وفى الناس اللى فجاة ظهرت عليهم علامات جديدة » .

ولقد سبق « للطليعة » ان قدمت أكثر من مقال فى هذا المجال ، على امتداد سنوات ١٩٦٧ — ١٩٧٢ .

وهى فى هـــذا العدد ، مســـاهمة منها فى اثراء الحوار حول هذه القضية التى تشـــغل اهتمام الرأى العام فى بلادنا ، تقدم دراستها الرئيسية التى تتضمن مقالات اربعة ، يتناول كل مقال منها زاوية من زوايا القضية .

الأرضية السياسية والاجتماعية

لحشد قوى الثورة المصرية

لمهام وأعباء معركة التحرير

عادل سيف النصر

اولا : الدفاع عن ثورة يوليو ومنجزاتها ركيزة الحشد السياسي :

حينما تستنهض الشعوب للدفاع عن أرض الوطن ، يتعين على قادتها ومفكريها أن يحددوا بدقة - من واقع تاريخ النضال الوطني لشعوبهم المعالم السياسية والاجتماعية للهدف الذي يقاتل من أجله ابناء الوطن .

وتاريخ الشعب المصرى النضالي حافل بالاهداف التي خرج يقاتل من أجلها بالسلاح الالاف من ابناء قرى ومدن مصر .

فالثورة العرابية جسدت اهدافا وطنية واجتماعية حمل من أجلها فلاحى مصر السلاح وقاتلوا ببسالة قوى الاستعمار البريطاني .

كما وأن أهداف الحزب الوطنى وحزب الوفد كانت يوما معالم للنضال الوطنى لشعبنا كافح وضحى من أجلها .

واليوم ومهما حاولت قوى الاستعمار والرجعية والردة المحلية أن تهون أو تشوه من الافكار والمنجزات الوطنية والاجتماعية التى حققتها لمصر ثورة يوليو العظيمة فجسدت أهدافا ما زالت هى الركيزة السياسية والاجتماعية لعقيدة النضال الوطنى من أجل تحرير الارض العربية المحتلة .

أن آفاق ومستقبل النضال الوطني والقومى والتقدمي والذى شقته دون منازع ثورة يوليو بقيادة المناضل عبد الناصر ، وسطرته فى مواثيقها الاساسية هى الاهداف التى يجب أن يتم من حولها تعبئة وحشد قوى الثورة المصرية فى المرحلة الراهنة .

والحملات الضارية المستمرة للتهوين والتشكيك فى منجزات ثورة يوليو بهدف مراجعة أو تصفية الصيغ السياسية والاقتصادية التى توصلت اليها من خلال تجارب التطبيق والممارسة ، كلها محاولات مخططة لنسف معالم الاهداف التى يمكن أن توحد قوى الثورة المصرية فى معركتها المقبلة .

ان القيادة الوطنية للرئيس أنور السادات تدرك حقيقة وغرض هذه الحملات والمحاولات ، ففى ذكرى الاحتفال بالعيد العشرين للثورة يطرح هذه

القضية فيقول : « لقد تعرضت ثورة ٢٣ يوليو منذ السنوات الاولى وحتى هذه اللحظة لهجوم ضار من جانب الاستعمار والاستغلال ،ولم يكن مرجع هذا الهجوم حقدا على أشخاص القادة أو خطأ من جانب مصر وانما السبب الوحيد أن الثورة **فتحت أمام الشعب فى بلادنا طريق التقدم الحر ...** » . وفى موضع آخر من الخطاب يقول : « لعل أخطر ما لجأ اليه الاستعمار والاستغلال فى اطار الهجوم الشامل على التجربة المصرية الرائدة فى الفترة الاخيرة على الاخص هو **حملة التهوين من شأن منجزات الثورة الاقتصادية والاجتماعية** » .

ان الدفاع عن ثورة يوليو وأهدافها الوطنية والاجتماعية والقومية مهمة رئيسية بدون تحقيقها يفقد القتال الوطنى المرتقب أهداف التعبئة السياسية التى يمكن أن تتوحد من حولها قوى الوطنيين .

والتعبئة اليوم بيد القيادة السياسية للاتحاد الاشتراكى العربى ، ومجلس الشعب باعتبار انهما المؤسستين التى يستند عليهما اساسا لتهيئة البلاد لمرحلة المواجهة الشاملة للعدو الاستعمارى الصهيونى .

ثانيا دعم وتطوير هيكل الاقتصاد الوطنى الاسى الاقتصادى والاجتماعى عامل الصمود والنصر :

والشعوب حينما تعرف أهداف نضالها التى تقاتل من أجلها يجب ان يهيأ لها السند المادى للقتال ومستقبل نتائجه المطلوب .

والشعب المصرى حينما يقاتل دفاعا عن أهداف ومنجزات يوليو يعلم جيدا ان نتائج هذا القتال ان حقق أهدافه المرجوة سيغير والى الابد من وجه بلاده ، ويفتح أمامه طريق التحرر والتقدم والوحدة .

ويعلم الشعب بخبرة الاعوام التى تلت هزيمة ١٩٦٧ ، أن المنجزات الاقتصادية والاجتماعية لثورة يوليو (القطاع العام فى مجال الصناعة والتشييد والاصلاح الزراعى) وكل ما قدمته قوانين يوليو هو الاساس المادى الذى مكن البلاد من أن تصمد للعدوان وتخوض معارك الردع والاستنزاف وتستمر فى نفس الوقت فى عمليات التنمية » .

ولا يعنى هذا أن هيكل اقتصادنا الوطنى نجح فى أن يحقق دون مشاكل وأخطاء متطلبات المعركة والتنمية ، فالمشكلات عديدة فى كافة قطاعات الانتاج والخدمات ، وبعضها حاد ، ولكن يظل دائما السؤال هل كل ذلك يدعونا الى التفكير أو المطالبة بتعديل أو تغيير المقومات الاساسية التى يستند اليها هيكل الاقتصاد الوطنى للبلاد ؟ أم أن الامر يدعونا للعمل الجاد الخلاق لدعمه وتطويره على أساس :

١ ـ الاخذ بمبادىء التخطيط الشامل .

٢ ـ التأكيد على دور الصناعات الثقيلة .

٣ ـ قيادة القطاع العام للاقتصاد القومى .

٤ ـ دعم الاصلاح الزراعى وتطوير الزراعيات التعاونية الى تعاونيات انتاجية .

٥ ـ الاخذ بالتعاون لحماية وتطوير الانتاج الحرفى الصغير .

٦ ـ تأكيد وتطوير المكتسبات الاجتماعية للعمال والفلاحين .

ان قضية الدعوة لتعديل هيكل اقتصادنا الوطنى الذى حددته وثائق ثورة يوليو ورسمت آفاق تطويره قضية ضارة بعمليات التعبئة المادية والمعنوية لمهام ومستلزمات معركة التحرير ، ومتطلبات أهداف التنمية ، وان نموذج ثورة يوليو الذى توصلت اليه لتحقيق الاستقلال الاقتصادى وفتح طريق التحول الاشتراكى كان وسيظل الهدف الاصيل لاعداء الوطن الاستعماريين والصهيونيين والرجعيين .

وفى الاونة الاخيرة ، وحسما للحوار الذى دار حول قضايا اعداد البلاد لمعركة التحرير ، قدمت لجنة الرد بمجلس الشعب فى مجال ردها على بيان الحكومة السابقة فى ١٠ـ١٢ـ١٩٧٢ مفهومات أساسية هامة .

ففى مجال الصناعة تقول لجنة الرد :

« ان هيكل الصناعة ملائماً لمواجهة احتياجات المجهود الحربى ، ولا شك فى أن وجود قاعدة

إساسية للصناعات الثقيلة والاساسية ييسر تحويلها من الانتاج المدنى الى الانتاج الحربى » .

وفى مجال الزراعة تؤكد اللجنة :

« نتطلع الى أن يبذل جهد حقيقى لتطوير التعاونيات الزراعية الى تعاونيات انتاجية ،وهى الصيغة المناسبة للتطور الاشتراكى فى الزراعة»

وفى مجال التأكيد على مكتسبات العمال والفلاحين تعلن اللجنة :

« تؤيد اللجنة ما اتخذته الحكومة من اجراءات للتخفيف عن كاهل الفلاحين وما اتخذته من اجراءات لزيادة أجور العاملين فى مراكز الانتاج » .

وفى مجال آخر تطالب اللجنة :

« بطلب زيادة حد الاعفاء من الضرائب لصالح الدخول الصغيرة مع تقرير رعاية خاصة للدخول المستجدة من العمل ، فان حد الاعفاء المعمول به حاليا قد تقرر فى ظروف اقتصادية واجتماعية جد مختلفة .. وقد تضاعفت الاسعار خلال هذه السنوات ، كما انخفضت القوة الشرائية للنقود»

واخيرا فى مجال تدبير الموارد اللازمة لدعم هيكل اقتصادنا الوطنى القائم كى يسهم فى تمويل حرب المواجهة واستمرار خطة التنمية ، يجب أن يتم فى الاساس على حساب الدخول الكبيرة التى لم تمتد اليها بعد قوانين الضرائب .

وتقرير اللجنة يقرر :

« مازالت هناك دخول كبيرة لا يمتد اليها القانون الضرائبى وقد يكون مصدرها الانجار فى السوق السوداء .. أعمال الوساطة ــ أو المقاولات من الباطن ــ تأجير الشقق المفروشة .. بناء العمارات وبيعها .. استغلال التكسيات وغير ذلك ، وتوزيع عبء المعركة يقتضى أن تسهم هذه الدخول بنصيبها فى هذه الاعباء » .

ان معركة المواجهة الشاملة لتحرير الارض تستلزم لضرورات وطنية واجتماعية اتخاذ موقف حاسم من كافة اوجه النشاطات الطفيلية ، موقف يحاصر هذه الانشطة ويصفيها باعتبارها المصدر الرئيسى لاغـراء واسـتدراج الرأسمالية الوطنية الى نوعية، نشاطيتم بواسطته نهب وتبديد الموارد اللازمة للمعركة والتنمية ،ومن جانب آخر وهو الاهم ، يشكل موضوعيا الارضية الفكرية المعادية لصيغة وهيكل الاقتصاد الوطنى لثورة يوليو .

ان الحفاظ والدفاع عن النموذج الوطنى التقدمى لاقتصادنا القومى شرط ضرورى لخوض معركة التحرير واحراز النصر .

■ **ثالثا : الوضوح السياسى ركن اساسى للحشد والتعبئة :**

أ : المسلمات الاساسية للموقف الحالى :

وتظل قضية الوضوح السياسى للمسلمات الاساسية للموقف الحالى ركن أساسى فى عمليات الحشد والتعبئة وكأساس يومى لا غنى عنه ، تتحرك من عليه عمليات المواجهة الشاملة ويمكن أن نوجزها فى النقاط التالية :

١ ــ اننا نواجه احتلالا صهيونيا لجزء من أراضى ثلاث دول عربية تم بواسطة القوة المسلحة لاسرائيل وعن طريق الدعم العسكرى والاقتصادى والسياسى للولايات المتحدة الامريكية .

٢ ــ أن النصر العسكرى الذى أحرزته اسرائيل لم يحقق غرضه فى تصفية المنجزات والانتصارات التى تمكنت الثورة المصرية والعربية أن تحققها .

٣ ــ ان الولايات المتحدة الامريكية مازالت تهدف اساسا الى بسط نفوذها السياسى والعسكرى على المنطقة العربية لضمان استمرار استغلال مواردها الاساسية وخاصة البترول .

٤ ــ كما وان اسرائيل تهدف فى الاساس الى تحقيق التوسع لاقامة حلمها القديم « اسرائيل الكبرى » .

٥ ــ وان هدف الولايات المتحدة واسرائيل لا يمكن ان يتم الا بهزيمة مصر نهائيا وتصفية الحكم الوطنى القائم وأجتثاث جذور نماذج ثورة يوليو

الاقتصادية والاجتماعية وتصفية دورها الطليعي في قيادة الثورة العربية .

٦ ـ وتمسك اسرائيل باحتلال الارض ومطالبتها بما يسمى « الحدود الامنة » ومساندة امريكا لذلك واستدراج القوى الوطنية لدعاوى الحلول الجزئية ليس سوى مخطط يرمي للنيل من ثقة الشعب بنفسه وقدراته وابراز ـ زيفا ـ عجزنا على تغيير الوضع القائم .

٧ ـ ان صراع المواجهة الشاملة صراعا لا يتم بمواجهة اسرائيل المدعمة بنفوذ وقوة امريكا وانما يدور في الحقيقة في مواجهة كل من اسرائيل والولايات المتحدة .

وتحرير الارض العربية المحتلة سوف يكون ضربة قوية للوجود والمصالح الامبريالية الامريكية بالمنطقة وخطوة ضرورية في سبيل تصفيتها .

٨ ـ اننا لا نقف بمفردنا وان كان اعتمادنا الاساسي على قوتنا الذاتية العسكرية والشعبية .

فالفصائل المسلحة لقوى الشعب الفلسطيني وجبهات النضال الوطني والتقدمي بالبلاد العربية ومساندة ومساعدة البلدان الصديقة واسرة البلدان الاشتراكية وعلى راسها الاتحاد السوفيتي قوى مساندة ضخمة تدعم بدون شك قوانا الذاتية في معارك المواجهة الشاملة وهي في النهاية حليف استراتيجي دائم لا غنى عنه .

٩ ـ ان النصر في مثل هذا النوع من المجابهة يتطلب حشدا اكبر لقوى الشعب العاملة وحده أصلب بين صفوفها .

فمعارك المواجهة الشاملة طويلة وشاقة تتطلب المشاركة الحقيقية بكل القوى الوطنية والتقدمية ببلادنا ليس فقط في قضايا ومهام المرحلة بل وايضا في صياغة قرارات مرحلة المواجهة الشاملة والرقابة على وضعها في التطبيق .

ب ـ الهدف الراهن لمخططات الاستعمار الامريكي والعدو الاسرائيلي يستعجل ويتأهب لجني ثمار مخططاته وعدوانه :

كشفت الاعمال العدوانية السافرة ، التي تجرأ على تنفيذها مؤخرا العدو الاسرائيلي في عمق وقلب بعض البلدان العربية والتي وصلت الى حد الاغتيال العلني لخيرة رجال النضال القومي ، عن طبيعة النتائج السياسية التي تستهدفها حاليا نوعية هذه العمليات العسكرية .

فأسرائيل بامكانيات الدعم العسكري الامريكي الذي حصلت عليه والاستناد المباشر لجهاز المخابرات الامريكية وعملائه المنتشرين في أنحاء العالم العربي ، تستهدف من وراء هذا النوع من العمليات العسكرية الى ان تحقق ما عجزت عنه في عدوان ١٩٦٧ .

فالقوى الوطنية العربية تدرك قبل غيرها ان الانتصار العسكري السريع لاسرائيل لم يحقق هدفه السياسي الاصيل في اسقاط وتصفية النظم الوطنية والتقدمية بالمنطقة .

بل على العكس فان الهزيمة العسكرية فجرت ـ رغم كل شيء ، مصير ومستقبل ثورات التحرر الوطني بالمنطقة العربية ، وطرحت بشكل حاد ضرورة التصفية النهائية لمصالح ومواقع الاستعمار العالمي وعلى راسه الاستعمار الامريكي بالوطن العربي ، باعتبار ان هذه التصفية مهمة رئيسية بدونها تصبح الهزيمة والتصفية النهائية للدولة الاسرائيلية أمر صعب المنال .

لقد عمل المخطط الاستعماري الصهيوني منذ عدوان ١٩٦٧ في اتجاهين رئيسيين :

١ ـ الدعم والمساندة العسكرية الرهيبة والعلنية لقوة اسرائيل العسكرية ليس فقط بهدف ضمان تفوقها العسكري ولكن ايضا لارهاب وتحطيم روح القتال الوطني بين صفوف القوى الوطنية العربية .

٢ ـ العمل الدؤوب المخطط لتمزيق صفوف الحركة الوطنية العربية وبث بذور وأسباب الشقاق بين القوى الوطنية والتقدمية داخل كل بلد عربي مستفيد الى اقصى حد من كافة الظروف الموضوعية والذاتية التي تحكم حركة هذه القوى واخطائها ونواقصها ، دافعا بوعي الى تفجير التناقضات بينها وملهبا لاسباب الصراع والصدام العدائي بين صفوفها .

وفي لحظات الخطر الجاسم المحدق على مصير وكيان الوطن والام العربية يصبح من الهزل ان لا ندرك بالصدق والامانة النجاح الذي أحرزه المخطط في التطبيق على نطاق اكثر من بلد عربي .

والامر الذي نعتقد انه لم يعد يخاف على اي قوى وطنية عربية اي كانت فكريتها السياسية

والاجتماعية أن مصيرها جميعها واحد أمام هذا المخطط ان هى استسلمت لواقع الوضع الراهن الذى انتهت اليه الامور . والكارثة تصبح أضخم ان هى تجاهلت واقعها الحالى .

ان اسرائيل بأعمالها العسكرية الاخيرة داخل لبنان تريد أن تعلن لكافة القوى الوطنية انها قادرة بجهد عسكرى محدود ان تفعل ما تريد فى اى وقت تشاء وعلى اى بقعة من الارض العربية تختار لتفجر وضع هذا البلد او ذاك مثبتة عجز النظم السياسية عن مجابهة ليس فقط القوة العسكرية الاسرائيلية بل حتى مجرد فصائلها الفدائية أو طابورها الخامس .

ان الاستعمار الامريكى المتهوس على مصير مصالحه البترولية فى المنطقة العربية والذى وصل اليوم الى حد التهديد بالتدخل العسكرى المباشر يتعجل بالفعل عن طريق استعراض عضلات العسكرية الاسرائيلية الاستسلام السلمى والتدريجى لقوى الثورة الوطنية العربية .

وهكذا وفى ظل هذه الظروف تتعرض الامة العربية ومصر وثورتها الوطنية التقدمية بكل منجزاتها لخطر هذا المخطط الذى تمارسه ببراعة اسرائيل واهمة أن اللحظة قد واتتها لجنى ثمار عدوان عام ١٩٦٧ ، ومحققة بذلك السلام الذى قالت عنه جولدا مائير يوما « لن يكون هناك سلام فى المنطقة الا حين يكون بوسعى أن أذهب فى سيارتى من تل أبيب الى القاهرة فى أى وقت » !! .

ج – الصمود والمواجهة المهمة الرئيسية للقوى الوطنية :

ان الاستسلام الصامت التدريجى الذى تستهدفه المخططات الراهنة لاعمال اسرائيل العدوانية يخفى فى الحقيقة وراءه خشية اسرائيل الرئيسية وهى أن تضطر يوما ما للدخول – رغم كل ما يقال عن تفوقها العسكرى – فى صدام مسلح مع قوى الثورة الوطنية العربية .

فقوى الاستعمار العالمى وخاصة الاستعمار الامريكى يدرك قبل اسرائيل النتائج التى قد تترتب على مثل هذا الصدام ، فمصالحه البترولية الاستراتيجية بين يد الشعوب العربية وحتما سيجىء اليوم الذى ستقرر فيه قوى الثورة العربية مصير هذه المصالح ، والمثل الذى ضربته قوى الثورة الوطنية التقدمية بالعراق أصبح حقيقة واضحة أمام شعوب الامة العربية .

لهذا يكتسب المخطط الاسرائيلى الراهن أهمية كبرى تغنى امريكاواسرائيل نفسها مخاطر وعواقب خوض معارك عسكرية جديدة مع قوى الثورة العربية خاصة قوى الثورة المصرية .

ولذا يظل صمود مصر ونظامها الوطنى – كما كان دائما – القضية الرئيسية أمام نجاح المخططات الراهنة للعدو ، وتصبح طرح قضية الاعداد الجاد للمواجهة العسكرية الشاملة للعدو الاستعمارى الاسرائيلى فى ظل هذه الظروف المهمة الرئيسية المطروحة أمام كافة القوى الوطنية ببلادنا .

والقوى الوطنية للثورة المصرية التى تتجسد فى صيغة تحالف قوى الشعب العاملة لها تاريخ وتجارب غنية لابد وأن تجعلها قادرة اليوم وأكثر من أى وقت مضى على أن توحد قواها لتصمد فى مواجهة العدو وتقاتله لتحمى ثورتها ونظامها الوطنى .

لقد كان الصمود مرحلة ضرورية طرحتها الظروف الموضوعية التى أحاطت بالثورة أثر هزيمة يونيو ، ونجحت الثورة فى أدق مراحل النضال الوطنى ان تجتاز به عنق الزجاجة ، وقفزت من خلاله الى مرحلة معارك الردع والاستنزاف .

وبعد تجارب ومحاولات عديدة مخلصة استهدفت استخلاص الحق الوطنى بوسائل سلمية دون ما تفريط فى المصالح الوطنية او القومية ، يطرح الرئيس أنور السادات على قوى الثورة فى ظل ظروف دولية وعربية دقيقة مهمة المواجهة العسكرية الشاملة للعدو ،باعتبار ان ذلك هو السبيل الوحيد اليوم لتحرير الارض المصرية والعربية وهذه المهمة تتطلب اولا واخيرا وحدة وطنية صلبة لا تخترق .

رابعا : الاتحاد الاشتراكى العربى مازال هو الصيغة الملائمة لتجسيد الوحدة الوطنية فى مرحلة المواجهة :

عندما صاغت القيادة السياسية لثورة يوليو فكرتها عن تحالف قوى الشعب العاملة كانت تدرك جيدا حقيقة المصاعب التى سوف تصادف وضعها

فى التطبيق ، وان الممارسة ايا كانت اخطائها سـوف تغنى وتطور هذه الفكرة . واثـر الهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ تفجرت المرة تلو الاخرى مشكلات ونواقص واخطاء وضع صيغة التحالف فى التطبيق ، وتعرض الاطـار التنظيمى لهذا التحالف « الاتحاد الاشتراكى العربى » لاكثر من حملة استندت فى الاساس على حقيقتين تكدتا بالفعل خلال عمليات التقييم والتصحيح المستمرة وهما :

١ ـ تحول قوى التحالف خاصة قوى العمـال والفلاحين والمثقفين الى مجرد اسماء مدونة بسجلات الاتحاد الاشتراكى وانعزالها وتباعدها عن الممارسة والمشاركة الفعالة فى العمل السياسى والجماهيرى الامر الذى يفقد الجهاز السياسى دوره ومكانته فى قضايا النضال الوطنى والاجتماعى ويعزله عن الغالبية الساحقة لجماهير تحالف قوى الشعب العاملة ، ويعجز فى أن يكون « التجسيد الحى لسلطة الشعب التى تعلو جميع السلطات وتوجيهها فى كافة المجالات وعلى جميع المستويات » .

٢ ـ نجاح فئة أو جماعة فى قيادته تستتر خلف شعارات الثورة أو ترفعها زيفا كمجرد شعارات مستفيدة من أخطاء التطبيق فى المراحل التى سبقت وجودها ، فتستأثر بمواقع المسئوليه والسلطة داخل الاتحاد الاشتراكى بحجج مختلفة تضمن تسلطها على جميع قوى التحالف خاصة قوى العمال والفلاحين .

والجدير بالملاحظة ان فى كل مرة كانت القيادة السياسية للثورة تضع يدها على هذه الفئة او الجماعه المشكله بالفعل لاحد مراكز القــوى لم يحدث انها وجدت ولو مرة واحدة ان هذه الجماعة تنتسب اجتماعيا لقوى العمال أو الفلاحين .

كذلك فان تحقق الوحدة الوطنية تم طـوال مراحل النضال الوطنى خاصة فى اللحظـات الحرجة والحاسمة ثم من خلال الهبات الجماهيرية التلقائية المنبعثة من الوعى الذاتى للجمـاهير ووجدانها الوطنى الفياض .

وكان يمكن لهذه الهبات وهى تندفع بحركتها فى اتجاه الخط الوطنى الاصيل ان تكون عاملا مواتيا يمكن ان تتلقفه قيادات الاتحاد الاشتراكى لتطور من مفهوماتها واساليبها لدعم وحدة صفوف قوى التحالف ، وتنجح فى أن تجذب لساحة العمل السياسى المنظم والمستمر الملايين من أبناء الشعب المصرى .

ان الاتحاد الاشتراكى وحتى هذه اللحظة وعلى الرغم من كل ما يمكن ان يقال عن اخطـائه او يوجهه اليه من نقد وقصور أصابت بدرجة او بأخرى وحدة القوى الوطنية وفاعليتها ، مازال هو الشكل الامثل لتحقيق وحدة الصف الوطنـى والجبهة الداخلية خاصة ونحن على مشـارف انتخابات جديدة للوحدات الاساسية .

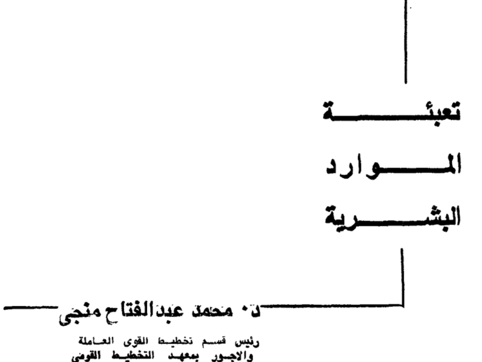
ان محور اى عمليات جادة لتطوير صيغة تحالف قوى الشعب العاملة يجب أن تستند الى فكرة « **توسيع قاعدة الديمقراطية والتنظيم الديمقراطى لسلطة الاتحاد الاشتراكى** » ليصبح فعلا وعملا سلطة تحالف قوى الشعب العامل جميعها .

ومن واقع كافة تجارب التطوير والتغييـر والتصحيح مازلنا نعتقد بصحة الفكرة التى تقول : « ان الاتحاد الاشتراكى العربى كصيغة لتحالف قوى الشعب العاملة بضم قوى اجتماعية متعددة تلتقى على مصالح مشتركة وحول اهداف واحدة خاصة فيما يتعلق بمهمات ومستلزمات النضال ضد الامبريالية والصهيونية وان اختلفت مصالحها فى الحقل الاقتصادى والاجتماعى . لذا فان هذا التحالف يجب أن لا يتحول تحت كل الظروف الى حزب طبقى يحتكر السلطة ويحول فكرة التحالف الى مجرد شكل هزيل يضم مجرد افراد فئات التحالف ».

ان الضمان الوحيـد الذى لم يجرب ولو لمرة واحدة كصمام امن ضد تحول الاتحاد الاشتراكى الى حزب لفئة او مركز قوة لها هو « **أن تتاح بكافة الوسائل الديمقراطية لكل فئات التحالف أن تعبر عن نفسها داخل اطار الاتحاد الاشتراكى التعبير الحر وان تدير مع بقية فئـات التحـالف الحـوار الخلاق من خلال المسالك والقنوات المشروعة** » .

ان ذلك هو سبيل بناء الوحدة الوطنية فى مرحلة المواجهة الشاملة ، وحدة وطنية تقوم على اساس تحالف حقيقى لكافة فئات قوى الشعب العاملة فى اطار الاتحاد الاشتراكى .

ان الوقت لم يفت بعد لبذل اقصى الجهد لصيانة ودعم صفوف القوى الوطنية للثورة كى تتمكن قوى التحالف جميعها من الاسهام الفعال فى أنجاز مهمـات معركة التحرير المقبلة ، وصـون الحكم الوطنى التقدمى لثورة ٢٣ يوليو .



تعبئة الموارد البشرية

د. محمد عبد الفتاح منجى
رئيس قسم تخطيط القوى العاملة
والاجور بمعهد التخطيط القومى

اذا كانت الموارد البشرية عنصرا اساسيا من عناصر التنمية فى اوقات السلم ، فانها بلا شك عنصر حاسم فى اوقات الحرب ، حيث تتوقف قدرة الدولة على المواجهة على الدرجة والكفاءة التى يمكن ان تعبأ بها مواردها البشرية ـ الحربية منها والمدنية على المستوى القومى ..

وتعمل كثير من الدول فى فترات الازمات ـ كالحروب ـ على اتخاذ الاجراءات الفعالة لتحقيق أهداف هذه التعبئة بما يضمن لها الاستفادة المثلى من مواردها المتاحة وتلك الممكن تدبيرها ، ومن ثم تتمكن من تحقيق آمالها المنشودة فى أقصر فترات زمنية ممكنة وبأقل قدر ممكن من التضحيات ، وبذلك تحقق المثل القائل « رب ضارة نافعة » .

وفى العادة نجد أن هناك مجموعة من الاساليب والاجراءات يمكن أن تتخذ ـ كلية أو جزئيا ـ للوصول بالموارد البشرية الى التعبئة المثلى . ولكن هذه الاساليب والاجراءات تختلف بعض الشىء من دولة لدولة ومن طارىء لاخر ومن مجموعة من هذه الموارد البشرية لمجموعة أخرى ، ولو أنه بالرغم من ذلك توجد مجموعة أساليب واجراءات يمكن اعتبارها مجموعة مشتركة برغم تباين الزمان والمكان والظروف . وسوف نقصر الحديث هنا على كيفية تعبئة الموارد البشرية للقطاعات الاقتصادية المدنية فى جمهورية مصر العربية مع التركيز على هذه المجموعة المشتركة من الاساليب والاجراءات آخذين فى الاعتبار السمات الخاصة للاقتصاد والمجتمع المصرى .

وكمدخل ضرورى لذلك نستعرض فيما يلى الخصائص العامة للقوى العاملة فى مصر فى

ملحوظة : جميع الارقام الواردة بهذا المقال مستقاة من التقارير المنشورة لكل وزارة التخطيط والجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء .

السنوات الاخيرة حيث ارتفع عدد العاملين فى القطاعات الاقتصادية المختلفة من حوالى ٦ ملايين عامل سنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٠ الى حوالى ٨٫٠٥ مليون عامل سنة ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ ـ أى بزيادة قدرها ٢٫٠٥ مليون فى ٩ سنوات · والجدول التالى رقم (١) يبين تطور العمالة فى السنوات الخمسة الاخيرة من هذه الفترة موزعة على القطاعات الاقتصادية الرئيسية ·

ومن هذاالجدول يمكن تقدير المعدل المركب للنمو السنوى للعمالة حيث بلغ ١٫٧٧ فى المائة للقطاعات الاقتصادية مجتمعة فى حين بلغ نفس المعدل لقطاع الزراعة ١٫١٢ فى المائة ولقطاع الصناعة ١٫٥٤ فى المائة ·· وهكذا · كما أنه من الواضح أن كلا من قطاعى الزراعة والخدمات يستوعبان الغالبية العظمى من القوى العاملة وهو وضع يجب أن يؤخذ فى الاعتبار عند أية دراسة تستهدف الاستفادة المثلى من الموارد البشرية وسوف نأتى لها عند الحديث عن الاساليب والاجراءات الواجب اتخاذها لتحقيق ذلك .

وفى الدراسات الاقتصادية للقوى العاملة لا يمكن الاستفادة من قياس معدلات نمو العمالة بمفردها ، لذلك وجب مقارنتها بمعدلات نمو الاجور والانتاجية خلال نفس الفترة ـ والجدول التالى رقم (٢) يبين المعدلات السنوية المركبة لتطور كل من العمالة والاجور والانتاجية خلال نفس الفترة (من ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ ـ ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩) وذلك لقطاعات الاقتصادية الرئيسية :

ويوضح هذا الجدول أن معدل زيادة الاجور أعلى من معدل زيادة العمالة فى كل من القطاعات الاقتصادية الرئيسية وكذلك على المستوى القومى وهذه الفروق بين المعدلين تعنى ليس فقط تحقيق زيادة فى العمالة ولكن أيضا زيادة مناظرة فى متوسط أجور العاملين ·· وطبيعى أن الزيادة فى الاجور ترجع الى مجموعتين رئيسيتين من العوامل :

● **المجموعة الاولى :** وهى التى تغطى جميع النواحى الاقتصادية والتى تراعى ربط أى زيادة

جدول رقم (١)

[العدد بالالاف]

القطاع / السنة	١٩٦٥/٦٤	١٩٦٦/٦٥	١٩٦٧/٦٦	١٩٦٨/٦٧	١٩٦٩/٦٨
الزراعة	٣٧٥١٫٠	٣٨٧٧٫٢	٣٨٦٤٫٦	٣٨٩٢٫٤	٣٩٦٤٫٩
الصناعة	٨٢٥٫٠	٨٤١٫٧	٨٤٦٫٧	٨٧٦٫٣	٨٩٠٫٧
الانشاءات	٣٤٥٫٢	٣٢٨٫٠	٣٠٧٫٦	٢٥٩٫٨	٣٣٨٫٠
الكهرباء	١٨٫٠	١٨٫٥	١٨٫٣	١٨٫٥	٢٠٫٣
الخدمات	٢٤٣٤٫٧	٢٥٤١٫١	٢٥٩٦٫٤	٢٧٨٠٫٦	٢٨٣٧٫٣
المجموع	٧٣٧٣٫٩	٧٦٠٦٫٥	٧٦٣٣٫٦	٧٨٢٧٫٦	٨٠٥١٫٢

جدول رقم ٢)

المعدل السنوى المركب / القطاع	العمالة	الاجور	الانتاجية
الزراعة	+ ١٫١٢ ٪	+ ٤٫٩١ ٪	ـ ٠٫٤٥ ٪
الصناعة	+ ١٫٥٤ ٪	+ ٢٫١٣ ٪	+ ٠٫٢١ ٪
الانشاءات	ـ ٠٫٤٢ ٪	+ ٢٫٨٢ ٪	+ ٢٫٩٨ ٪
الكهرباء	+ ٢٫٤٣ ٪	+ ٤٫٦٥ ٪	+ ٦٫٩٤ ٪
الخدمات	+ ٣٫٧٤ ٪	+ ٥٫٤٨ ٪	+ ١٫٦٥ ٪
المستوى القومى	+ ١٫٧٧ ٪	+ ٤٫٤٣ ٪	+ ٠٫٢٢٩ ٪

[الانتاجية مقاسة بالقيمة المضافة بالاسعار الثابتة ١٩٦٥/٦٤ = ١٠٠ ٪]

فى الاجور بزيادة مناظرة ومناسبة فى الاداء أو الانتاجية .

● **المجموعة الثانية** : وهى تلك التى تغطى جميع **النواحى الاجتماعية** بغض النظر عن ربطها بالاداء وتطوره ، مثل اجراءات رفع الحد الادنى للاجور والعلاوات السنوية الغير مقيدة بتقييم الاداء .. الخ ..

وهنا نأتى الى النقطة التى نستطيع فيها أن نوضح ، بما لا يدع مجالا للشك ، المقصود بتعبئه الموارد البشرية أو بمعنى آخر الاستفادة المثلى من القوى العاملة ، الا وهو تحقيق أعلى معدلات لزيادة الانتاجية أو الاداء فى جميع القطاعات الاقتصادية بحيث تزيد هذه المعدلات عن المعدلات المناظرة لزيادة الاجور وبهذا نضمن زيادة الاجور زيادة فعلية من جهة وخلق فائض مناسب فى الوحدات الانتاجية من جهة أخرى يساعد على التوسع الذاتى فى الطاقات الانتاجية غير مصحوب بارتفاع فى تكاليف الانتاج ، ومن ثم فى أسعار المنتجات ، ومن جهة ثالثة نضمن عدم اضطرار المشرع الى اصدار تشريعات خاصة بالاجور لتغطية النواحى الاجتماعية دون مراعاة مباشرة لاقتصاديات الانتاج .

وواضح من الجدول رقم (٢) أن هذه القاعدة الاقتصادية الهامة لم تتحقق خلال فترة الدراسة لا على المستوى القومى ولا فى أى من القطاعات الاقتصادية الرئيسية ، فيما عدا قطاع الكهرباء ، حيث كانت معدلات زيادة الاجور أعلى من معدلات زيادة الانتاجية باختلافات متباينة من قطاع لآخر . وطبيعى أن جزءا كبيرا من الاسباب التى أدت الى ذلك ترجع الى طبيعة هذه الحلقة الزمنية من حلقات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتى تمر بها معظم الدول النامية ، الا أن الجزء الاخر من الاسباب يمكن تلافيه أو معالجته ولو تدريجيا ، وأعتقد أن الازمات التى تمر بها الامم ـ كما سبق ان ذكرنا ـ تدفع بها وتحتم عليها أن تعمل على انتهاج سياسات رشيدة وجادة للتخلص من هذه الاسباب فى أقصر وقت ممكن دفعا لعجلة الانتاج المدنى والحربى على اسس اقتصادية سليمة، رابطين بذلك أهداف المجتمع بكل من اهداف الوحدات الانتاجية وأهداف العاملين .

وكتقسيم عام لمجموعة الاساليب والاجراءات التى يجب اتخاذها لتعبئة الموارد البشرية ـ أو بالتحديد للاستخدام الرشيد للقوى العاملة ـ يمكن تحديدها فى ثلاثة مستويات رئيسية :

١ ـ المستوى القومى .
٢ ـ المستوى القطاعى .
٣ ـ مستوى الوحدة الانتاجية .

ومن حيث المجال الزمنى فان بعض هذه الاساليب والاجراءات يمكن أن تكون طويلة المدى او متوسطة المدى او قصيرة المدى . وبغض النظر عن المستوى الذى تتخذ فيه هذه الاجراءات ، أو عن المجال الزمنى الذى يحدد مسبقا لانجازها ، فانها تكون فيما بينها مجموعة متكاملة لا انفصام بينها ، تؤثر كل منها على الاخرى وتتأثر بها ، لذا وجب ان تكون جميعا فى اطار واضح مترابط من حيث حتمية تحقيق الاهداف ، وامكانية التنفيذ والمتابعة المتكاملة والتقويم المستمر .

وسوف نتناول أساليب واجراءات تعبئة الموارد البشرية لكل من هذه المستويات الثلاثة فيما يلى بشىء من التفصيل :

اولا : على المستوى القومى :

١ ـ اعادة توزيع العمالة على القطاعات الاقتصادية :

يتبين من الجدولين رقم (١) ، (٢) أن الجانب الاعظم من مواردنا البشرية المنتجة تعمل فى قطاعى الزراعة والخدمات محققة اقل مستويات لاقتصاديات التشغيل ، أى أقل معدلات لنمو الانتاجية بالمقارنة بمعدلات نمو الاجور ، لذا وجب على الدولة أن تتبع من الان سياسات للاستخدام تضمن عدم زيادة العمالة فى هذين القطاعين ـ الا بما يلزم للتوسعات الحقيقية فيهما ـ وبالتالى التوسع المناسب فى القطاعات الاقتصادية الاخرى .

٢ ـ اعادة توزيع العمالة على الاقاليم المختلفة :

يعتبر التوزيع الاقليمى المتوازن للموارد البشرية بصفة عامة وللقوى العاملة بصفة خاصة ، أحد اهم ضمانات الاستخدام الامثل لهذه الموارد، والتى سوف تترجم بالضرورة الى مجموعة فعالة من الانجازات الاقتصادية والاجتماعية .

ومن واقع بيانات حصر المنشآت الصناعية لعام ١٩٦٦ والتى يعمل بها ١٠ عمال فاكثر ، نورد الجدول التالى رقم (٣) والذى يوضح التوزيع الاقليمى لهذه المنشآت ونسب كل من العاملين بها وتوزيع أجورهم فى كل من وحدات القطاعين العام والخاص والتى تعمل فى الانتاج الصناعى على سبيل المثال لا الحصر .

جدول رقم (٣)

الاقليم	عدد المنشآت ٪		عدد العاملين ٪		اجمالى الاجور ٪	
	قطاع عام	قطاع خاص	قطاع عام	قطاع خاص	قطاع عام	قطاع خاص
القاهرة الكبرى	٤١ر٣٦٧	٥٤ر٣٠٨	٤١ر٨١٨	٦٢ر٨٦٥	٤٢ر١٩٨	٧٠ر٣٧٢
الاسكندرية	١٤ر٥٠٨	١٤ر٠٨١	٢٣ر٨٣١	١٣ر١٢٣	٢٢ر١٥٠	١٤ر٣٨٥
المجموع	٪ ٥٥ر٨٧٥	٪ ٦٨ر٣٨٩	٪ ٦٥ر٦٤٩	٪ ٧٥ر٩٨٨	٪ ٦٤ر٣٤٨	٪ ٨٤ر٧٥٧
الوجه البحرى	٢٤ر٢٢١	١٨ر٣٢٨	٢٠ر١٤٨	٪ ١٧ر٠٦٥	٢٠ر٤١٧	١١ر٢٠١
الوجه القبلى	١٣ر٣٠٩	١٠ر٢٨٥	٦ر٩٣٣	٥ر٤٥٦	٥ر٦١٠	٢ر٧٤٨
محافظات القنال	١ر٣١٩	—	٢ر٧١٩	—	٣ر٦٢٩	١ر٢٩٤
محافظات الحدود	٥ر٢٧٦	٢ر٩٩٨	٤ر٥٥١	١ر٤٩١	٥ر٩٩٦	—
المجموع الكلى	٪ ١٠٠ر٠٠٠	٪ ١٠٠ر٠٠٠	٪ ١٠٠ر٠٠٠	٪ ١٠٠ر٠٠٠	٪ ١٠٠ر٠٠٠	٪ ١٠٠ر٠٠٠

ويتبين بجلاء من هذا الجدول مدى تركيز الوحدات الصناعية بالقطاعين العام والخاص فى كل من القاهرة الكبرى والاسكندرية ، حيث وصلت نسبة هذه الوحدات فى هذين الاقليمين الى ٩ر٥٥ فى المائة بالقطاع العام ، ٤ر٦٨ فى المائة بالقطاع الخاص ، وكذلك وصلت النسب المناظرة للعمالة الى ٧ر٦٥ فى المائة و٧٦ فى المائة على التوالى ، وقد انعكس ذلك على ارتفاع مناظر فى نسب اجمالى الاجور .

وغنى عن البيان الاضرار الاقتصادية والاجتماعية الوخيمة التى ترتبت على هذا التركيز الجغرافى للنشاط الصناعى وما تبعه من حتمية التركيز المقابل لكثير من القطاعات الاخرى كالانشاءات والخدمات • ويمكن أن تزداد مجموعة المشاكل تعقيدا اذا لم تبدأ الدولة فى اتخاذ اجراءات حاسمة وسريعة للعمل على منع اقامة المزيد من هذه المنشآت فى الاقاليم المكتظة وتشجيع - بل والزام - الجهات المعنية بضرورة مراعاة التوزيع الاقليمى السليم للوحدات الانتاجية المختلفة فى الحاضر والمستقبل فى اطار سياسة رشيدة **للتخطيط الاقليمى** ، آخذين فى الاعتبار المزايا الخاصة لكل اقليم بما يضمن التعبئة الشاملة للموارد المتاحة ، البشرية منها وغير البشرية ، على الصعيد القومى • وهذا سوف يضمن بالضرورة توافر المقومات اللازمة للوصول الى أعلى معدلات للاداء •

٣ - سياسات الاجور والمرتبات والحوافز :

يجب على الدولة العمل على اعادة النظر فى سياسات الاجور والمرتبات والحوافز السائدة بهدف تطويرها واتخاذها كسلاح يمكن ان يلعب دورا بارزا فى الاستفادة المثلى والتعبئة الشاملة للموارد المتاحة ، وعلى ان تراعى الاجهزة المركزية التركيز على **الخطوط العريضة** التى تتفق واهداف خطط التنميه من جهة ، والامكانيات المتاحة والممكن تدبيرها منجهة أخرى ، وعلى أن تترك حدودا مناسبه لمرونة التطبيق للوحدات الانتاجية فى ظل أسلوب واضح للرقابة والتقييم بحيث نضمن تحقيق القاعدة الاقتصادية الهامة التى تربط معدل زيادة الاجور بمعدل زيادة الانتاجية ، وهذا هو السبيل الوحيد لاقناع كل من ينادى ، فى ظروف المواجهة الشاملة ، بعدم النظر فى تطوير متوسطات الاجور ، بل وينادون بخفضها ، بحتمية هذا التطوير وعدم الهيبة من هذه الزيادات مادامت قائمة على أسس اقتصادية مدروسة •

٤ - سياسات التعليم والتدريب :

ان اى تطوير مستهدف للتغيير فى التوزيع القطاعى للموارد البشرية يجب أن يصاحبه بالضرورةتغيير مناظر فى الهيكل الوظيفى ، ومن ثم فى مستويات ونوعيات كل من التعليم والتدريب • كما وأن الهيكل الوظيفى الحالى يجب أن يطور ليتناسب مع ما تم وما ينتظر تطويره من مستويات الاستثمارات ومتوسط حجم الوحدات الانتاجية وتوليفة المنتجات والعلاقات بالعالم الخارجى •

لكل هذه الاسباب ، وجب اعادة النظر فى سياسات التعليم بمستوياته المختلفة ، مركزين على

الكم والكيف معا ، بحيث نصل فى المدى المتوسط والبعيد لمستويات مناسبة للربط بين سياسات التعليم وسياسات القوى العاملة ٠

وإذا كانت ثمار تطوير سياسات التعليم لا تؤتى أكلها الا فى المدى المتوسط والبعيد ، فان ثمار تطوير سياسات التدريب يمكن أن تجنى فى المدى القصير ، لذا وجب التركيز فى مرحلة المواجهة الشاملة على الناحية الاخيرة ، دون ما اهمال للناحية الاولى ، وذلك من حيث حصر وتنمية الامكانيات التدريبية على الصعيد القومى وتحديد الاحتياجات التدريبية ، ووضع وتنفيذ ومتابعة البرامج التدريبية المناسبة ، مع اعطاء أهمية خاصة لاعداد المدربين الاكفاء ومساعدات التدريب الفعالة ٠ وهنا يبرز الدور الحيوى الذى يجب أن يضطلع به **المجلس الاعلى للتدريب** متعاونا فى ذلك مع أجهزة وزارة القوى العاملة فى اطار أهدافها المتطورة ، وكذلك مع باقى الاجهزة المعنية الاخرى ٠

٥ ــ وضع وتطوير معدلات الاداء :

يجب أن تعمل الدولة : وبصفة خاصة فى مرحلة المواجهة ، على الزام الوحدات الانتاجية بسرعة وضع وتطوير معدلات الاداء بها بحيث تمر هذه العملية بالخطوات الرئيسية الثلاث :

● **دراسة العمل :**

بهدف جمع وحصر جميع البيانات والمعلومات عن العملية الانتاجية ومكوناتها والعوامل المؤثرة عليها ٠

● **تخطيط العمل :**

بهدف تطويره وتبسيطه وتهيئة الظروف المناسبة له ٠

● **تنميط العمل :**

أى وضع معدلات الاداء المبنية على الدراسة وبعد المرور بمرحلة تخطيط العمل .

ولتحقيق ذلك يجب على الدولة الاسراع بانشاء **المعهد القومى لدراسات العمل** وما ينبثق عنه من **معاهد اقليمية لدراسات العمل والانتاجية** ، بحيث تزود بالخبراء والامكانيات القادرة على تقديم المعونة الفعالة والمشورة الصادقة للوحدات الانتاجية فيما يتعلق بوضع وتطوير معدلات الاداء ، مع وجوب سرعة العمل على الاستفادة القصوى من المعونات الاجنبية فى هذا الصدد سواء من الدول الصديقة أو من المنظمات الدولية ٠

٦ ــ الطاقات المعطلة :

تمثل الطاقات المعطلة أحد الاسباب الرئيسية لعدم الاستفادة المثلى من الموارد المتاحة ٠ ويبين الجدول التالى رقم (٤) الاهمية النسبية للاسباب المختلفة لتعطل الطاقات فى القطاع الصناعى عام ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ :

جدول رقم (٤)

اسباب تعطل الطاقات	الاهمية النسبية
النقص فى المواد الخام	١ر٢٦ ٪
النقص فى قطع الغيار	٥ر١٤ ٪
انقطاع التيار الكهربائى	٣ر٨ ٪
النقص فى مستلزمات الانتاج الاخرى	٢ر٩ ٪
غياب العمالة	٧ر٣ ٪
النقص فى العمالة والمهارات	١ر٣ ٪
التقادم او النقص فى الالات	٨ر١٥ ٪
النقص فى وسائل النقل والتخزين	٨ر٢ ٪
النقص فى الطلب على المنتجات	٠ر١٠ ٪
مشاكل التسويق	٠ر٢ ٪
اسباب اخرى	٥ر٤ ٪
الاجمالى	+ر١٠٠ ٪

ومن هذا البيان يظهر مدى أهمية التركيز على علاج أسباب وجود هذه الطاقات المعطلة من حيث تدبير المواد الخام اللازمة والاعتماد قدر الامكان على الخامات المتوفرة محليا واتباع سياسة رشيدة للتخزين يضمن بها توفر حد ادنى من المخزون من هذه الخامات ، وكذلك التصنيع المحلى للجانب الاعظم من قطع الغيار والتوفير الدائم للطاقة المحركة ودراسة أسباب ارتفاع معدلات غياب العاملين والعمل على حلها وكذلك اجراء الدراسات التى من شأنها وضع المؤشرات السليمة لاعادة توزيع العمالة بحيث نضمن عدم وجود نقص فى بعض القطاعات والتخصصات مقابل زيادة فى بعضها الاخر ٠ كذلك فان حسن استخدام الالات المتاحة وكذلك وسائل النقل والتخزين وتطويرها ودراسات السوق يمكن أن تساهم مساهمة ايجابية فى خفض نسب الطاقات المعطلة فى الوحدات الانتاجية ٠

٧ ــ التوعية السياسية والفكرية :

لا يمكن تحقيق الاهداف المنشودة فى أقصر فترة

ممكنة وبأقل قدر ممكن من الجهد والتضحيات الا اذا كانت قائمة على أساس سياسى وفكرى واضح، يؤمن به ويطبقه العاملون على جميع مستوياتهم. لذا كان الاتحاد الاشتراكى العربى - ممثلا لتحالف قوى الشعب العامل - ولاتحادات العمال والنقابات العامة دور حيوى فى مرحلة المواجهة ، يجب أن تلعبه وتمارسه على جميع المستويات فى اطار واضح وبسيط للسياسة العامة للدولة . وهذا يتطلب الدقة فى اختيار وتدريب قيادات هذه المؤسسات ومتابعتها عن كثب لضمان عدم وقوع بعضها فى انحرافات يمكن أن تتسبب فى فقد ثقة الجماهير بها ومن ثم بالتنظيمات التى يمثلونها .

كانت هذه هى أهم النقاط الرئيسية التى يجب أن تركز الدولة عليها - ولو تدريجيا - فى مرحلة المواجهة لكى تضمن التعبئة الشاملة للقوى العاملة . ويأتى بعد ذلك الحديث عن المستوى التالى ، ألا وهو المستوى القطاعى.

ثانيا : على المستوى القطاعى :

تعتبر الاجهزة القطاعية - ممثلة فى المؤسسات والهيئات العامة - همزة الوصل بين الاجهزة المركزية والوحدات الانتاجية - ولا يجب أن تكون هذه الاجهزة القطاعية - فى مرحلة المواجهة كما فى اى مرحلة أخرى - موصلا غير جيد بين هذين المستويين . هادفة للتخلص من الروتين . تاركة للوحدات الانتاجية التابعة لكل منها حرية التصرف فى حدود الاهداف الخاصة بكل قطاع . كما أنه على هذه الاجهزة أن تدعم دورها فيما يتعلق بالتنسيق بين الوحدات الانتاجية ويمكن ان يتطلب ذلك منها اتخاذ اجراءات مناسبة تضمن اعادة توزيع العمالة بين الوحدات الانتاجية بهدف الوصول الى الحجم والهيكل الامثل للعمالة بكل منها .

ولا يفوتنا فى هذا المجال التنويه الى الدور الكبير الذى يجب أن تقوم به الاجهزة القطاعية فيما يتعلق بتقديم المشورة والخبرة للوحدات الانتاجية ، والتى لا يمكن تدبير الخبرات اللازمة لكل منها فى وقت قصير ، لذا وجب على هذه الاجهزة تدعيم كوادرهابهذه الخبرات فى المجالات المختلفة التى تفرضها طبيعة العملية الانتاجية المهيمنة عليها . وعلى المؤسسات العامة ان تزكى روح المنافسة الشريفة بين الوحدات الانتاجية التابعة لها بهدف دفع عجلة الانتاج وتحسين مستويات جودة المنتجات وخفض تكاليف انتاجها .

ثالثا : على مستوى الوحدة الانتاجية :

الوحدة الانتاجية هى نواة العملية الانتاجية فهى المسئولة عن تنفيذ جميع مراحل الانتاج بادئة بتخطيط هذه المراحل وحتى تسويق منتجاتها السلعية او الخدمية ، ولذلك فان العمل المركز على تطوير جميع مراحل العملية الانتاجية بالمنشات وتعبئة الطاقات المتاحة بها وحسن استخدامها لمن اهم مقومات نجاح مهام مرحلة المواجهة . ويمكن تلخيص ذلك فى النقاط الرئيسية التالية :

١ - العمل على وضع الخطط المناسبة لجميع مراحل العملية الانتاجية اخذين فى الاعتبار كل العوامل المؤثرة ، والالتزام بتنفيذ هذه الخطط بل وتخطيها بالتعاون التام مع الاجهزة القطاعية .

٢ - العمل على وضع وتطوير معدلات الاداء .

٣ - العمل على التخلص من العوامل التى تتسبب فى تعطيل الطاقات البشرية والماديه .

٤ - تطوير نظم حسابات التكاليف وربط الاجر بالانتاج ، وهذا يتطلب بالضرورة الحزم فى تطبيق نظم الحوافز الايجابية جنبا الى جنب مع نظم الحوافز السلبية .

٥ - العمل على تحسين مستويات جودة المنتجات بصفة عامة ، والمعدة منها للتصدير بصفة خاصة ضمانا لاتساع الاسواق الخارجية للمنتجات المصرية وما يترتب على ذلك من تحسين ميزان المدفوعات .

كل هذا ، وغيره كثير ، يتطلب تدعيم الاجهزة القيادية من حيث العدد والمستويات وتطوير أساليب عمل التنظيمات المختلفه داخل هذه الوحدات كلجان الاتحاد الاشتراكى العربى ولجان الانتاج واللجان النقابية مع أهمية التنسيق التام والتعاون المخلص فيما بينها .

● ● ●

كان هذا استعراض سريع لاساليب واجراءات وأهداف تعبئة الموارد البشرية مع التركيز على القوى العاملة ، وقد يبدو من الوهلة الاولى مدى صعوبة الوصول الى ذلك ، بل واستحالته ، وخاصة فى الفترة الزمنية المحدودة للمواجهة الشاملة .وبذلك تثبط الهمم وتتراخى فى اتخاذ الخطوات الاولى وهذا أسوأ ما تقع فيه الدول . لذلك وجب العمل على جميع المستويات على اتخاذ الخطوات الاولى فورا وبدون تردد وفى حدود الامكانيات المتاحة والتخطيط لتدبير مزيد من الامكانيات اللازمة لاتخاذ خطوات تالية أكثر تقدما ، فالمواجهة الشاملة بمعناها الواسع غير مقصورة على مواجهة التحدى الصهيونى والاستعمارى فقط بل تمتد لتشمل المواجهة الشاملة لتحديات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وهى تحديات مستمرة ومتجددة لا يمكن أن تواجه الا بتعبئة شاملة لجميع مواردنا المتاحة ، مع اعطاء الموارد البشرية الاهمية الخاصة بها ، ومن سار على الدرب وصل .

اقتصـــاديات البـــلاد

ومتطلبـــات

المعـــركة

د· عطية مهدى سليمان

منذ ست سنوات الان يمر وطننا بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ بمرحلة حاسمة من تاريخنا الوطنى ونضالنا ضد الامبريالية والصهيونية العالمية · وتتميز هذه المرحلة بخصائص متعددة سواء كانت اجتماعية ، أو سياسية ، أو اقتصادية نتيجة للتعقد البالغ سواء فى الموقف العالمى أو فى الموقف الداخلى · واذا نظرنا الى الموقف بنوع من التعمق والوعى ، فاننا نجد أن هذا التعقد ، وعلى الاخص فى الموقف الداخلى ، ينتج عن الحالة التى تسمى بحالة « اللاسلام واللاحرب » ويرتبط هذا التعقد فى الموقف من تداخل الاهداف والمواقف ، وبالتالى من تضارب الوسائل والاساليب الخاصة بهذه الاهداف · واذا ما قررنا الخروج من هذه المرحلة أى مرحلة « اللاسلم واللاحرب » الى مرحلة « المواجهة » والتحدى المباشر فان هذا الموقف الجديد سوف يفرض نفسه ويؤدى مباشرة الى تغيير مواقفنا وقراراتنا ، وتحديد اهدافنا بصورة واضحة ومحددة ٪

ويظهر هذا التحديد بصورة واضحة فى المجال الاقتصادى بصفة عامة ، وفى مجال تعبئة الموارد الاقتصادية بصفة خاصة · ويمكن القول أن مرحلة « اللاسلم واللاحرب » ، قد اتصفت بوجود ثلاثة اهداف رئيسية أمام الاقتصاد المصرى كان عليه ان يوجه كل طاقاته لتحقيقها وهى :

١ ـ الاستمرار فى تمويل المعركة والنفقات المتزايدة لاعبائها ·

٢ ـ الاستمرار فى تحقيق معدلات مرتفعة من النمو الاقتصادى عن طريق تخصيص جزء كبير من الدخل القومى للاستثمارات ·

٣ ـ العمل على رفع مستوى المعيشة للغالبية العظمى من السكان ·

وعلى الرغم من ثقل وضخامة هذه الاعباء ، فلقد تمكن الاقتصاد المصرى سواء عن طريق الجهود الذاتية ، او المساعدات الخارجية ، (مساعدات الدول العربية والدول الاشتراكية) من تحقيق هذه الاهداف بصورة منتظمة خلال الفترة السابقة ـ ويمكن التحقق من ذلك ، من خلال قراءة التقارير الدولية عن الاقتصاد المصرى ، ومن خلال معرفة أن معدل نمو الدخل القومى خلال الثلاث سنوات الماضية لم ينخفض عن ٥ فى المائة سنويا ، وهو يعتبر ضمن الظروف الحالية معدلا مرتفعا للنمو الاقتصادى ·

وقبل أن ندخل فى ضرورات المرحلة القادمة ، وهى مرحلة « المواجهة الشاملة » ، فانه من الضرورى أن نتعرف بصورة مفصلة عن ماهو المقصود بالموارد الاقتصادية ، وماهو المقصود بضرورة تعبئة هذه الموارد لخدمة أهداف المرحلة القادمة ٠

الموارد الاقتصادية

تعتبر الموارد الاقتصادية ، بصفة عامة ، الاساس المادى لعملية الانتاج والاستهلاك فى اى مجتمع انسانى ٠ وتتوقف درجة ارتفاع أو انخفاض مستوى المعيشة ، على حجم الموارد الاقتصادية ، وعلى كيفية استخدام هذه الموارد ، لتحقيق أهداف المجتمع ، فى كل مرحلة من مراحل تطوره ونموه ٠

ويمكن التفرقة بين ثلاثة أنواع رئيسية للموارد الاقتصادية وهذه الانواع هى :

ا ـ الموارد الطبيعية : مثل الارض والمواد الخام المستخرجة من المناجم ٠٠ الخ

ب ـ الموارد الرأسمالية : وهى الموارد التى يصنعها الانسان بغرض استخدامها مرة ثانية فى عملية الانتاج .

جـ ـ الموارد البشرية : وهى قوة العمل الانسانى فى صورته المباشرة والتى تستغل فى تحقيق العملية الانتاجية ٠

وتضافر هذه العناصر الثلاثة للموارد الاقتصادية ، يؤدى الى انتاج السلع والخدمات، سواء فى شكل انتاج زراعى ، أو انتاج صناعى ، أو خدمات تؤدى لافراد الشعب مثل خدمات التعليم والصحة والامن وغيرها ٠

وصافى مجموع هذه العملية الانتاجية ، يسمى بالانتاج القومى الذى يمثل الاساس المادى للاستهلاك والتراكم الرأسمالى ، والانفاق على متطلبات المعركة القومية ٠

وفى واقع الامر فان شعبنا مواجه الان بمهمتين رئيسيتين ، يتوقف على تنفيذهما مدى قدرتنا على الدخول فى المرحلة الجديدة من المواجهة ، وكذلك ، يتوقف عليهما مدى استمرارنا فى هذه المواجهة ٠

وهاتان المهمتان هما :

أ ـ حسن استخدام الموارد الاقتصادية المتاحة لنا الان ٠

ب ـ تعبئة هذه الموارد فى استخدامنا لها ، للقيام بخدمة هدف معين ، **هو تمويل الحرب** ٠

واذا كان غرضنا فى هذه المقالة ، هو دراسة كيفية تعبئة الموارد ، الا انه لا يمكننا التغاضى عن (أو التقليل) من أهمية ضرورة تحقيق المهمة الاولى : وهى تحقيق أحسن استخدام ممكن للموارد الاقتصادية ٠ ويتم ذلك . **اولا** ، وقبل كل شىء بضرورة تحقيق زيادة فى الناتج القومى ٠٠ لا عن طريق تنفيذ استثمارات جديدة ، وانما عن طريق التقليل من النفقات الضرورية لعملية الانتاج ٠ ويتم هذا التقليل فى النفقات الضرورية عن طريق الادخار فى المواد الاولية المستخدمة ، وفى الطاقة المحركة مثل الكهرباء ، والفحم ، والبترول ، وتقليل الفاقد منها الى **اقل درجة ممكنة** ٠ ويتم ذلك ، ايضا ، عن طريق **العمل الانسانى المباشر** الذى يمكن زيادته فى العملية الانتاجية عن طريق التطوع أو التبرع ٠

ولتوضيح أهمية ضرورة تحقيق الاستخدام الكفء للموارد الاقتصادية والذى يمكن أن يؤدى الى زيادة الانتاج القومى (بدون أن يؤدى ذلك الى انفاق استثمارى جديد) فاننا يمكن أن نضرب ـ الدخل القومى تتطلب انفاق مايساوى ٢٥٠ ـ الدخل القومى تتطلب انفاق ما يساوى ٢٥٠ ٣٠٠ جنيه فى شكل انفاق استثمارى جديد . فاذا أمكننا تحقيق هذه الزيادة فى الدخل القومى عن طريق التقليل فى النفقات ، وتقليل الفاقد فى المواد الخام ، وفى الطاقة ، او بصفة عامة فى الموارد الاقتصادية اللازمة للانتاج ، **فان الانفاق الاستثمارى الضرورى لزيادة الانتاج القومى يمكن أن يوجه فى هذه الحالة الى تحقيق أهداف اجتماعية اخرى ، وهى فى حالتنا الراهنة تمويل الحرب** ٠

تعبئة الموارد الاقتصادية

ويقصد بتعبئة الموارد الاقتصادية ، **عموما** ، **توجيه** هذه الموارد نحو خدمة **هدف قومى** واضح ومحدد ٠ وهو يتطلب أن تكون هناك سلطة مركزية ، لتحديد كيفية استخدام هذه الموارد ، وكيفية توزيعها على الانشطة المختلفة ، بالشكل الذى يؤدى الى تحقيق الهدف المحدد ٠ ومن هنا ، **فان ضرورة التخطيط** ، تظهر كشكل أساسى من التحكم فى تعبئة الموارد الاقتصادية ، بغرض توجيهها فى الاتجاه المطلوب والذى يخدم الهدف المحدد .

والهدف القومى المحدد ، أمامنا ، فى مرحلة المواجهة الشاملة هو ضرورة تحقيق الاستمرار فى المعركة ، أولا ، وتحقيق النصر على العدو ثانيا ٠

ومما لاشك فيه ، أن استخدام الموارد الاقتصادية بصفة عامة ، أو استخدام الناتج القومى بصفة خاصة ، سوف يختلف اختلافا جوهريا فى حالة الحرب عنه فى حالة السلم .

ففى حالة السلم فان الذى يحكم استخدام الموارد الاقتصادية وتوزيعها بين أنشطة الانتاج المختلفة ، هو اما غرض تحقيق أكبر معدلات للتنمية ، أو ارتفاع مستوى المعيشة كما فى البلدان الاشتراكية ، أو تحقيق أكبر أرباح ممكنة كما يحدث فى البلدان الرأسمالية . ومن هنا ، فاننا نجد أن الوسائل الخاصة بتوزيع الموارد الاقتصادية بين الاستخدامات المختلفة ، وعلى الاخص ، بين توزيع الموارد بين السلع الاستهلاكية والسلع الرأسمالية ، أو بين توزيع الدخل القومى بين الاستهلاك والتراكم الرأسمالى ، انما تحدده أهداف الخطة الاقتصادية فى المجتمع الاشتراكى ، أو أهداف المشروع الاقتصادى فى تحقيق أكبر معدلات للربح فى النظام الرأسمالى .

اما فى حالة الحرب : فانه يمكن القول ، أن الذى يحكم استخدام الموارد الاقتصادية ليس هو مبدأ الاستخدام الامثل كما هو معروف فى التحليل الاقتصادى . أى ذلك الذى يحقق أكبر عائد ممكن سواء كان هذا العائد هو عائد مالى أو مادى . وانما هو مبدأ خدمة الحرب مباشرة . ويعنى هذا المبدأ ، أنه يجب توزيع الموارد الاقتصادية المادية والبشرية بحيث يخصص الجانب الاكبر منها - الضرورى لتحقيق الاستمرار فى المعركة وتحقيق النصر على العدو - لخدمة اغراض الحرب الانتاجية والاستهلاكية . ويجب أن نوضح نقطة هامة هنا : وهى أن تعبئة الموارد الاقتصادية لاغراض الحرب ، هى جزء متكامل مع ضرورة استخدام هذه الموارد أحسن استخدام ممكن ، وتحقيق أكبر قدر من الوفر الاقتصادى فى المواد الخام والطاقة المحركة بأنواعها وكذلك فى العمل الانسانى .

ويمكن القول أن اقتصاد الحرب يتطلب وجود خطة اقتصادية حربية . وتتضمن الخطة الحربية الاقتصادية توزيع استخدام الموارد الاقتصادية ، بشكل يؤدى الى خدمة أهداف المعركة . ومما لا شك فيه أن هذا التوزيع الحربى للموارد الاقتصادية سوف يؤدى الى تغييرات هيكلية فى بناء الهيكل الانتاجى والاستهلاكى فى المجتمع . وسوف يكون له آثار مباشرة ، وغير مباشرة ، على كل قطاعات الاقتصاد القومى . سواء قطاعات الزراعة أو الصناعة أو النقل أو غيرها . ويظهر هذا الاثر فى شكل ضرورة تعديل هيكل الانتاج العادى ، اى هيكل الانتاج الضرورى لحالة السلم . الى هيكل انتاج يتلاءم مع حالة الحرب . فسوف نجد بالضرورة انخفاضا فى حجم الانتاج المدنى (أى بغرض الاستهلاك الفردى) ، وزيادة فى حجم الانتاج الحربى . وكذلك ، سوف نجد تفضيلا بالنسبة لتوزيع الموارد على الاستخدامات الحربية عن استخداماتها للاغراض المدنية .

وبالاضافة الى اعادة توزيع استخدام الموارد الاقتصادية المباشرة التى ركزنا عليها ، حتى الان ، فاننا نجد أن اقتصاد الحرب يؤدى الى ضرورة زيادة الفائض الاقتصادى . والعمل على توجيهه فى الاستخدامات الحربية .

وعموما ، فأن الفائض الاقتصادى ، هو عبارة عن الفرق بين حجم الناتج القومى ، وبين حجم الاستهلاك الفردى والجماعى .

ويعتبر الفائض الاقتصادى هو المصدر الوحيد الداخلى لتمويل الحرب ، وعلى هذا فاننا نجد أنه من الضرورى ، نتيجة لارتفاع تكاليف الحرب الحديثة ، سواء فى شكل معدات حربية فاقدة ، أو فى شكل تدمير مباشر للموارد الاقتصادية ، أن يرتفع حجم الفائض الاقتصادى الذى يمكن أن يوجه الى تمويل الحرب ، والى مقابلة هذه التكاليف العالية لها .

واذا كانت تعبئة الموارد الاقتصادية تتمثل أساسا فى عنصرين هما :

أ - اعادة توزيع الموارد الاقتصادية بشكل يخدم أهداف الحرب ، حيث يؤدى ذلك الى ادخال منتجات جديدة كلها حربية أم تخدم غرض الحرب ، والغاء منتجات قائمة لا تخدم مباشرة هدف الحرب (أو على الاقل التقليل من حجم انتاجها ، مثل صناعات الغزل والنسيج أو خدمة النقل بالسكة الحديد أو انتاج السلع المعمرة مثل الثلاجات والغسالات والتليفزيونات الخ)

ب - تحقيق أكبر خفض ممكن فى المواد الخام والموارد البشرية والطاقة المحركة اللازمة للانتاج (*)

نقول ... اذا كانت تعبئة الموارد الاقتصادية تتمثل فى العنصرين السابقين ، فان تعبئتها فى شكل تحقيق أكبر فائض اقتصادى يمكن استخدامه فى تمويل الحرب ، يتمثل هو أيضا فى عنصرين أساسيين هما :

أ - زيادة الانتاج القومى باستخدام الموارد

الاقتصادية المتاحة والذي يتفق مع هدف الحرب (كما اوضحنا فى نقطة تعبئة الموارد الاقتصادية) .

ب - تخفيض الاستهلاك الفردي .

ويجب أن نوضح ، هنا ، قبل الدخول فى تفاصيل كيفية رفع حجم الفائض الاقتصادى ، نقطة هامة وحيوية ، وهى ان المواجهة الشاملة مع العدو ، سوف تتطلب - بشكل مباشر - تخفيض مستوى الاستهلاك ، وذلك حتى يمكننا من الاستمرار فى الحرب وتحقيق النصر . ويمكن القول ، أن أى تصور - غير ذلك - سوف يؤدى الى نتائج خطيرة - ومن هنا ، يجب البدء فى تهيئة افراد المجتمع لكل الاحتمالات والضرورات التى سوف تفرضها المرحلة الجديدة - ولعل ليس من اهمها ضرورة تخفيض الاستهلاك ، وذلك بغرض تحقيق موارد اقتصادية مادية او مالية ، لمقابلة نفقات الحرب المالية .

تعبئة الفائض الاقتصادى

واذا كانت عملية تعبئة الموارد الاقتصـــادية ، تعتبر عملية ضرورية بغرض تعديل هيكل الانتاج ، وتحقيق الوفر فى الموارد الاقتصـــادية اللازمـــة للانتاج ، فان تعبئة الفائض الاقتصادى والارتفاع بحجمه تعتبر اكثر الحاحا ، واكثر ضرورة ، فى اقتصاد الحرب - وكما سبق أن ذكرنا ، فان زيادة حجم الفائض الاقتصادى تتوقف على عاملين هما :

أ - زيادة الانتاج من السلع والخدمات .
ب - تخفيض الاستهلاك .

وعلى هذا ، فاننا نرى أنه من الضرورى التحدث بالتفصيل فى كيفية زيادة الانتـاج وتخفيض الاستهلاك .

أولا : زيادة الانتاج :

واذا كنا نقصد فى الاساس زيادة الانتاج ، بدون انفاق استثمارى جديد ، فان ذلك ، سوف يضطرنا الى البحث عن الوسائل التى تؤدى الى زيادة الانتاج بهذا المعنى المحدد . وفى رأينا فان زيادة الانتاج - بهذا المعنى المحدد - يمكن ان تتم عن طريق :

١ - البحث عن الطاقات الانتاجية المعطلة فى قطاع الصناعة ، ومحاولة الاستفادة منها بقدر الامكان . وهذه الطاقات الانتاجية المعطلة - توجد فى العادة - لاسباب متعددة مثل نقص المواد الخام ، أو قطع الغيار ، او عدم وجود طلب كاف على المنتجات .. الخ . وعلى هذا فانه - فى ظروف الحرب - يجب القضاء على كافة الاسـباب التى يمكن أن تؤدى الى خلق طاقات عاطلة فى قطاع الصناعة - وعلى الاخص - فى الصناعات التى تخدم بشكل مباشر احتياجات الحرب ، والسلع الضرورية التى لاغنى عنها فى الاستهلاك الفردى .

٢ - تشغيل المصانع الموجودة باقصى طاقة لها ، وذلك عن طريق زيادة العمل الانسانى المباشر فى العملية الانتاجية . فاذا كانت هناك مصانع تعمل وردية واحدة أو اثنين فانها - فى حالة الحرب - يجب ان تعمل طول الاربع والعشرين ساعة فى اليوم .

٣ - وبالنسبة للقطاع الزراعى ، فان العمل على ضرورة استمرار الانتاج الزراعى ، يكتسب أهمية خاصه فى ظروف الحرب من حيث أن المورد الرئيسى لتوفير السلع الغذائية ، سواء لافراد الجيش ، أو لافراد الشعب المدنيين ، وكذلك من حيث امداد الصناعات الحربية بالمواد الاولية اللازمة لها .

ثانيا : تخفيض الاستهلاك :

واذا كانت زيادة الانتاج تعتبر عاملا مساعدا على زيادة حجم الفائض الاقتصادى ، فان تخفيض الاستهلاك ، يعتبر عاملا ضروريا على زيادة حجم هذا الفائض . ولا يمكن لنا أن نتصور ، أن تقوم الحرب بدون أن يؤدى ذلك الى تخفيض الاستهلاك بصفة عامة . واذا نظرنا الى جميع المجتمعات التى مرت بتجربة الحرب المريرة ، نجد أن هذه المجتمعات - جميعها - قد واجهت ضرورة تخفيض الاستهلاك ، حتى وصل الامر - فى كثير من الاحيان - الى الحصول على كيلو جرام بطاطس فى كل شهر ، أو بيضة واحدة كل أسبوع ، او عدم استهلاك اللحوم . وكذلك الى التخفيض الهائل فى استهلاك الاقمشة . ولنا أن نتصور أنه ، نتيجة لتعديل هيكل الانتاج فى المجتمع ، وتحويله الى هيكل انتاج حربى ، فان كثيرا من المصانع التى تنتج سلعا مدنية سوف تتوقف عن الانتاج واذا ما تحول هذا الانتاج الى انتاج حربى . وكنتيجة لذلك ، فان السلع الغذائية ، وكثير من السلع الصناعية ، سوف يقل المعروض منها بدرجة كبيرة . وليس أمامنا الا أن نواجه هذه الحقيقة ، ورغم أنها حقيقة مرة ، الا اننا يجب أن نتحمل نتائجها ، اذا أردنا تحقيق أهدافنا القومية فى الانتصار على العدو .

وسوف يظهر هذا التخفيض فى الاستهلاك بصفة عامة فى التخفيض فى كل من الاستهلاك العام والاستهلاك الخاص ٠

أ ــ الاستهلاك العام :

ويظهر الاستهلاك العام فى شكل انفاق الحكومة على الخدمات التى تؤديها بدون ثمن فى غالب الاحيان (مثل التعليم والصحة والامن والدفاع) سواء كان ذلك الانفاق فى شكل أجور أو فى شكل شراء عدد ومواد لازمة (مثل الورق ، والوقود ووسائل الانتقال ٠٠ الخ) ومن المعروف أن الاستهلاك الحكومى ، فى مصر ، قد ارتفع ارتفاعا كبيرا نتيجة لعوامل متعددة (ليس هنا مكان بحثها) ٠ وهذا الارتفاع ، فى واقع الامر ، لايمكن اعتبار الجزء الاكبر منه ارتفاعا ضروريا ، وعلى هذا ، فان ضرورة العودة الى **المستوى الطبيعى** للانفاق الحكومى ، يعتبر ضرورة أولية بغرض الحد من الاستهلاك الحكومى أو الاستهلاك العام ٠

ويمكن القول ان ظروف الحرب ، وعلى الاخص بالنسبة للحرب الطويلة المدى سوف تخلق ظروفا جديدة بالنسبة للمجتمع والدولة ، وهذه الظروف سوف تؤدى بطبيعة الحال الى ايجاد شكل جديد للاستهلاك العام ٠ فمن الممكن أن نتصور مثلا ان خدمة التعليم سوف يتغير شكلها من الشكل التقليدى الى شكل التعليم الذاتى ــ كما حدث فى كثير من دول اوربا اثناء الحرب العالمية الثانية ــ كما وان خدمة الصحة سوف تشمل كل الخدمات التى تخدم المجهود الحربى ٠ الا أنه من الواضح أنه رغم هذه الظروف فان اجراء ضروريا لابد أن يتم **وهو الحد من الانفاق على الخدمات التى تؤديها الحكومة الى الافراد** ، وذلك بغرض تحويل الانفاق عليها الى انفاق عسكرى . وهذا بطبيعة الحال سوف يؤدى الى زيادة الفائض الاقتصادى ٠ ولا يقصد هنا الانفاق الجارى فقط وانما أيضا الانفاق الاستثمارى بمعنى أنه فى فترة الحرب سوف نجد انفسنا مضطرين الى عدم « القيام بأى انفاق استثمارى فى مجال الخدمات الا بالشكل الضرورى الذى يخدم هدف المعركة نفسها ٠

ب ــ الاستهلاك الخاص :

ومما لا شك فيه أن الاستهلاك الخاص يمثل الجزء الاعظم منالناتج القومى فهو يتراوح بين ٦٠ فى المائة ، ٧٠ فى المائة فى السنوات السابقة ٠ وهو بهذا ، يلعب الدور الرئيسى فى تكوين الفائض الاقتصادى . **واذا كنا ننادى بضرورة الحد من الاستهلاك الخاص ، فى فترة السلم ، بغرض تحقيق تنمية اقتصادية سريعة ، فاننا نجابه بضرورة اجراء هذا التخفيض فى زمن الحرب ٠**

وفى زمن الحرب ، فان تخفيض الاستهلاك الخاص ، يقوم على اساس المساواة فى التضحية ٠ فكما أن رصاص العدو لا يفرق بين أحد منا فان الجهد المطلوب لتحقيق النصر لابد أن يتحمله كل فرد منا ليس فقط بالقدر الذى تسمح به ظروفه الاقتصادية ، وانما بالقدر الذى تحتمه ظروف الحرب ٠

وعلى هذا ، فاننا سوف نواجه بضرورة البحث عن الوسائل والاساليب الضرورية لتخفيض الاستهلاك الخاص بغرض تعبئة الفائض الاقتصادى ، وزيادة حجمه الذى يمكن أن يوجه الى المعركة ٠

الوسائل الضرورية لتعبئة الفائض الاقتصـــادى

من التجارب السابقة للدول التى خاضت تجربة الحرب ، ومن الدراسات النظرية ، ومن معرفتنا لظروف واقعنا ، ومتطلبات المعركة ، فاننا يمكن ان نقترح الوسائل الاتية لرفع حجم الفائض الاقتصادى وتعبئته لخدمة المعركة :

أولا : فى مجال زيادة الانتاج :

١ ــ تغيير هيكل الانتاج بغرض تحقيق الانتاج الضرورى لخدمة الحرب ٠

٢ ــ توفير المستلزمات الضرورية للانتاج ، مع ضرورة التأكد من حسن استخدام الموارد الاقتصادية بشكل يخدم الحرب ٠

٣ ــ وضع بدائل متعددة للانتاج ، ومكان المصانع ، بشكل يمكن من الاستعداد لكل احتمالات الحرب وطول مدتها ٠

٤ ــ محاربة الاسراف والضياع فى الطاقة المحركة ، وفى كل المجالات المتعلقة بالانتاج والتوزيع ٠

٥ ــ ايقاف انتاج السلع ، التى لا تخدم المجهود الحربى ولا تعتبر ضرورية مثل : الثلاجات والغسالات والسخانات والعربات الخاصة الخ ٠٠

وتحويل الطاقات الانتاجية لهـــا نحو الانتــاج الحربى ٠

ثانيا : فى مجال الاستهلاك العام :

وفى مجال الاستهلاك العام ، فاننا يجب أن نفرق هنا بين الاستهلاك العام لاغراض الحرب والاستهلاك العام بالمعنى التقليدى له ٠ واذا كان من المسلم به ، انه من الضرورى ان ترتفع ارقام الاستهلاك العام المخصصة لاغراض الحرب ، الا أنه مما لا شك فيه ايضا أن ذلك يجب أن يؤدى الى تخفيض الاستهلاك العام فى جزئه الاخر ، وحيث أن الاستهلاك العام فى الجزء الاكبر منه يتكون من مكونات الباب الاول فى الميزانية ، وهى التى تشمل الاجور والمرتبات والاجور الاضــافية ٠ وكذلك مكونات الباب الثانى ، فى شكل الانفاق على عــــدد وآلات ومهمات ، فاننــــا نرى أن التخفيض ، سوف يسرى على كل من مكونات هذين البابين ، ونرى انه توجد هناك عدة وسائل أساسية يمكن اجمالها فيما يلى :

١ ــ فى فترة نشوب القتال قد نجد أنه مــــن الافضل ايقاف دفع العلاوات والاجور الاضافية مع الاكتفاء بدفع الاجور الاساسية .

٢ ــ الاتجاه الى تخفيض الاجور والمرتبــــات العالية والتى تزيد عن حد معين مثلا ١٠٠ جنيه شهريا ٠

٣ ــ تخفيض كبير قد يصل الى ٥٠ فى المــائة مثلا من مكونات الباب الثانى (مثلا عدم استخدام الكهرباء فى المصالح الحكومية بتاتا ــ ايقـــاف التدفئة بالدفايات أو المراوح أو اجهزة التكييف ــ ايقاف استعمال العربات الا فى المهمات التى تعتبر مهمة جدا بالنسبة لانهاء أعمــال الوحــدة الحكومية ٠٠٠ الخ) ٠

٤ ــ البدء فى تنفيذ دفع ثمن للخدمات التى تقدمها الحكومة الان بالمجان بحيث يتنــاسب الثمن مع دخول الافراد (مثلا خدمات التعليــم بالمجان لمن يقل دخولهم عن حــد معين ، ثم تبدأ الحكومة فى تحصيل مبالغ معينة نظير خدمـــة التعليم ممن يرتفع دخلهم عن هذا الحد . ويمكن أن يطبق هذا المبدأ ، بالنسبة لخدمات الاذاعة والتليفزيون والصحة والمواصلات) ٠

٥ ــ ضرورة البدء بصفة عامـــة فى البحث عن وسائل ترشيد الانفاق الحكومى وذلك للحصول على أكبر خدمة بأقل تكلفة ٠

ثالثا ــ الاستهلاك الخاص :

واذا كان الاستهلاك العام يشكل حوالى ٢٠ فى المائة من اجمالى الدخل القومى ، فان الاستهلاك الخاص يزيد عموما على ٦٥ فى المائة من اجمالى هذا الدخل ، ووصل فى السنوات الاخيـرة الى ٧٠ فى المائة ٠ وفى ظروف الحرب فاننا لابد أن نعرف ، من الان ، أن هذا المستوى لابد أن يتعرض للتخفيض ، ســــواء كان ذلك نتيجــة لسياســة الحكومية فى تخفيض الاجور والمرتبات ، أو نتيجة لفرض ضرائب جديدة ، أو نتيجة لارتفــاع الاسعار ٠ وبغض النظر عن كيفية التوصل الى تخفيض حجم الاستهلاك الخاص فانه مــن المهم أن نعرف ان هذا لابد أن يحدث ، وبعد ذلك يمكن أن نبحث عن الطرق التى تؤدى الى ذلك ٠

وعموما فانه ــ من الضرورى ــ فى ظل اقتصاد الحرب ، اعادة النظر ، ليس فقط ، فى الحجــم الكلى للاستهلاك الخاص ، وانما ايضا فى أنماط وهيكل هذا الاستهلاك ، سواء من الناحية الكمية أو من الناحية النوعية ٠ ونجد أن ظروف الحرب لابد أن تجعل من الضرورى احداث تغييـرات جوهرية فى مثل هذه الانماط والهياكل ، وتفرض أيضا بجانب ذلك التزاما على المواطنين بقبولها ٠

والامثلة على ذلك كثيرة ٠ فمثلا سوف يكون من الضرورى البدء فى احلال سلع استهلاكية رخيصة أو تنتج محلية محل السلع الاستهلاكية المرتفعة السعر ، أو التى تستورد من الخارج . كما سوف نجد ، انه من الضرورى احلال الاقمشة الرخيصة محل الاقمشة الصوفية المرتفعة الاسعار ، وسوف نجد من الضرورى تخفيض استهلاك سلع أخرى مثل اللحوم والدهون والمواد الغذائية بصــفة عامة ٠

وسوف يكون أمام المسئولين مجموعة كبيرة من الوسائل التى يمكن أن توصلهم الى هدف تخفيض الاستهلاك ــ سواء اكان ذلك عن طريق مباشر ــ مثل التوزيع المباشر لعدد من السلع الضرورية لاستمرار الحياة ، أو عن طريق غير مباشر ، مثل استخدام وسائل الضرائب المباشرة ، أو غير المباشرة ، أو عن طريق استخدام نظام الاسعار ٠

وعلى هذا يمكن أن نفرق بين أربعة مجموعات رئيسية للتوصل الى تخفيض حجم الاســتهلاك الفردى ، وبالتالى زيادة الفائض الاقتصادى الذى يمكن ان يوجه الى تمويل المعركة :

١ ـ تخفيض الدخول عن طريق وقف صرف العلاوات والاجور الاضافية ، أو تخفيض الدخول العالية التى تزيد عن حد معين • وهذا سوف يؤدى الى تخفيض الاستهلاك الحكومى وكذلك يؤدى الى تخفيض دخول الافراد ، وبالتالى الى تخفيض استهلاكهم أيضا •

٢ ـ فرض ضرائب جديدة على الدخول العالية بصورة مباشرة ، وعلى الاخص على ما أصبح يعرف الان بالدخول الطفيلية (ولعل الاتجاه السائد الان فى مجلس الشعب أن يؤكد ذلك بصفة عامة) • ومن ناحية أخرى ، يجب تنفيذ قانون الضرائب التصاعدية بدقة متناهية حتى يمكن التوصل الى مصادر الثروة • كما يمكن أيضا فرض ضرائب جديدة على حجم الثروة نفسها، وليس فقط على الدخول •

ومن الضرورى ، الاشارة هنا ، الى أن هذه الضرائب يجب أن تتجه أساسا الى الفئات التى تتمتع الان بدخول عالية من ناحية • فلا تمس الطبقات والفئات التى تنخفض دخولها عن حد معين • **ومن هنا فان المبدأ القائل بضرورة المساواة فى عمل أعباء المعركة يمكن أن يتحقق •**

٣ ـ وسوف تجد الحكومة نفسها ، فى ظل ظروف الحرب ، مواجهة بضرورة استخدام نظام البطاقات فى توزيع عدد كبير من السلع الغذائية والملابس وغيرها ، وذلك حتى تضمن حصول غالبية الشعب على نصيبهم بصرف النظر عن مستوى دخولهم من ناحية وللحد من مستوى الاستهلاك من ناحية أخرى • **ونظام البطاقات نظام معروف لنا الان ، وقد استخدم على نطاق واسع فى كثير من الدول التى دخلت الحرب العالمية الثانية ، ولقد اثبت كفاءة اذا تحقق شرط حسن النية •**

٤ ـ الاتجاه ، أيضا ، الى ضرورة رفع أسعار بعض السلع والخدمات غير الضرورية ، وذلك للحصول على دخل من الفئات التى يمكن أن تستهلكها • وهذا على عكس ضرورة التأكيد على تثبيت أسعار السلع الضرورية والاساسية لحياة الشعب •

رابعا ـ فى مجالات أخرى :

واذا كنا قد انتهينا من تحليل الوسائل الرئيسية لتعبئة الفائض الاقتصادى فى مجالات الانتاج والاستهلاك العام والخاص ، الا أن ذلك لا يعنى انه لا توجد مجالات أخرى يمكن للحكومة أن تحصل منها على موارد مالية ومادية اضافية وعلى الاخص فى المجال الداخلى الذى لا يرتبط بصورة مباشرة بالدخل الجارى وانما بالمدخرات التى تم تكوينها فى الماضى • وفى هذا المجال ، فان الحكومة ، يمكن أن تصدر **سندات حرب** ذات فائدة مرتفعة لا يتم دفعها الا بعد انتهاء الحرب ، مثلا ، بفترة معينة • وكذلك ، فان المجال الخارجى فى شكل معونات مادية ومالية ، فانه يجب على الحكومة العمل على استمرار ما هو موجود منها الان فى شكل « الدعم العربى » وكذلك الدعم المستمر من كثير من الدول الصديقة الاخرى .

خاتمة

واذا كنا قد استعرضنا الان كيف يمكن تعبئة الموارد الاقتصادية ـ بشكل عام ـ والفائض الاقتصادى ـ بشكل خاص ـ وذلك بغرض خدمة أهداف المعركة ، فانه لا يخفى على القارىء أن **الشرط الضرورى والكافى لانجاح ذلك الهدف هو وعى الشعب ، وتحمله لمسئولياته التاريخية فى الفترة القادمة** • وغنى عن التوضيح أن القرارات الحكومية والوسائل المباشرة ، أو غير المباشرة ، التى قد تضطر الحكومة الى اتخاذها لن تفيد بشىء اذا لم يصاحبها تأييد ودعم مباشر من جماهير الشعب ، نتيجة لوعيها السياسى وتقبلها القيام بالتضحيات الضرورية ، اللازمة للمرحلة القادمة •

ونقطة اخيرة ، وهى أننا نواجه الان ـ ليس بتحد واحد هو تحدى الحرب ـ وانما بتحد آخر هو تحدى التخلف الاقتصادى والاجتماعى • والنجاح فى التغلب على تحدى العدو المباشر ، وهو الاستعمار العالمى والصهيونية ، يرتبط ـ بصورة مباشرة ـ بالنجاح فى التغلب على تحدى التخلف الاقتصادى والاجتماعى •

واذا كان التغلب على التحدى الاول ، يتم فى مجال الحرب ، فان التغلب على التحدى الثانى ، يتم فى مجال الاقتصاد والمجتمع • ويتم النجاح ـ فى هذا المجال ـ بتعبئة واستخدام الموارد الاقتصادية والفائض الاقتصادى بالشكل الامثل الذى يخدم كلا من التحديين ، ولربما أدى ذلك الى أن يزيد ويتضاعف حجم التضحيات ، الا انه ليس امامنا من سبيل آخر •

ترشيد الانفاق والاستهلاك ضرورة تفرضها

اعتبارات نظرية وعملية

كمال السيد

ترشيد الانفاق والاستهلاك الفردى والجماعى فى الدول النامية ، هو الشرط الذى لا غناء عنه لنجاح كل خطط الانماء والتطوير فيها • فالسباق بين السكان والتنمية لا يمكن ضمان التوازن بين جانبية ـ وهو الحد الادنى لتوفير حياة انسانية لمواطنيها ـ الا بتحقيق أكبر عائد ممكن من انفاق مواردها وتخصيصها • ناهيك عن أن ضمان تفوق معدلات التنمية على معدلات التزايد السكانى ، يقتضى توجيها رشيدا للانفاق ، والعمل على تحقيق افضل النتائج من ذلك •

وتنبع الاهمية الفائقة لترشيد الانفاق فى بلدان العالم الثالث ، وبشكل أكثر الحاحا عنها فى الدول المتطورة ، من مجموعة من الاسباب : اولها ان رؤوس الاموال المنتجة محدودة فى العالم النامى ، لا بسبب ضعف ثرواتها ، ولكن بسبب سوء استخدام هذه الثروات ، وعجز الهياكل الاقتصادية والاجتماعية عن تنمية وتطوير قوى الانتاج • ويتمثل السبب الثانى فى جسامة المهام التى يتعين القيام بها فى مجالى :

■ التنمية الاقتصادية : انطلاقا من أوضاع تتميز بانخفاض مستوى النمو وضعف مشروعات الاساس التى يعتمد عليها التطوير ، كمشروعات الطاقة والطرق والخدمات الانتاجية والاسكان والتعليم ، وضعف أو عدم وجود فروع أساسية لابد منها للتنمية ، مثل الصناعة والتى تحتاج بطبيعتها الى استثمارات ضخمة ••

■ الدفاع عن الاستقلال والسيادة القومية : وتلك مهمة دائمة ومستمرة بسبب محاولات الاستعمار المتصلة استعادة سيطرته على بلدان العالم الثالث وعدوانه المستمر عليها ، علاوة على أن الاوضاع لم تستقر بين كثير من الدول المتجاورة فى العالم الثالث مما يخلق احتكاكا مستمرا بينها • وكل هذا يجبر هذه الدول على تخصيص جانب هائل من مواردها لاغراض الدفاع ، ومن ثم لا يبقى الكثير لتخصيصه للتنمية •

اما السبب الثالث لاهمية ترشيد انفاق الموارد المحلية ، فهو أن الاعتماد على الخارج فى توفير الموارد اللازمة أمر تكتنفه صعاب وعراقيل كثيرة • ففضلا عن صعوبة الحصول على القروض ، فان أعباء خدمتها وسدادها ترهق كاهل هذه البلدان ••

وفي بلادنا اقتضت خطط التنمية نفقات هائلة لانشاء الهيكل السفلى ، من الطرق والمدارس والمستشفيات (والسد العالى نموذج لذلك فقد تكلف ٤٠٠٠ مليون جنيه) وخطوط الكهرباء والمرافق وغير هذا ، وذلك لضعف الاساس الذى كان موجودا قبل الثورة · كما أن استثمارات التصنيع ارتفعت ٧٠ مرة ، ويدل ذلك على ضعف نقطة الانطلاق ، فضلا عن أن نفقات الدفاع – بسبب شراسة العدو الامبريالى الصهيونى – تلتهم فى تقدير بعض الصحف الاجنبية ما بين ٣٠ و ٤٠ فى المائة من الدخل القومى السنوى ، وتذهب التقديرات الرسمية بها الى مبلغ سنوى يتراوح بين ٧٠٠ و ١٠٠ مليون جنيه .

لهذا كله وكثير غيره ، يصبح ترشيد انفاق الموارد وحسن استخدامها وتسييرها ، أمرا أساسيا للحصول على أكبر قدر من « المخرجات » من حجم « المدخلات » المتاح ، ويتضمن هذا القضاء على كافة أنواع الاستهلاك غير المفيد ، سواء الاستهلاك الانتاجى أو النهائى ، الامر الذى يؤدى الى زيادة الفائض المتاح للاستثمار المنتج .

وكفاءة استغلال الموارد ، أمر ضرورى للاقتصاد فى مجموعه وبكافة فروعه وانشطته ، ويتأتى تحقيقه عن طريقين :

● الدراسة المنظمة والمستمرة للهياكل الانتاجية القائمة وللوحدات الاقتصادية ووسائل الانتاج المستخدمة ، للوصول الى أفضل استغلال لها ، ولضمان الحصول على أكبر قدر من « المخرجات » من حجم معين من « المدخلات » ، أو الحصول على قدر معين من المخرجات بأقل قدر من « المدخلات » ·

● اشراك العاملين فى الوحدات الانتاجية فى حركة الترشيد والتوفير ، واطلاق مبادراتهم فى الاقتراح والابتكار · فلا شك أن المنتجين هم أقدر الناس على اكتشاف أسلوب تحقيق الاستغلال الامثل للموارد · ويتضمن هذا بداهة ان يكون للعاملين صوت مسموع ، والا يقتصر دورهم على أن يكونوا مجرد « بند » من بنود التخطيط ، وانما لابد وأن يشاركوا أصلا فى هذا التخطيط طالما أنهم مسئولون عن تطبيقه وانجاز أهدافه .

ويتفرع عن هذا نقطة ثانوية وان كانت لها أهميتها ، وهى أن واضعى الخطط لابد من اعتبارهم مسئولين عن قابليتها للتطبيق ، وأن يتحملوا الى جانب المسئولين عن التنفيذ نصيبهم من المسئولية .

حسن الاستغلال أهدافه وأبعاده

والاستغلال الجيد للموارد وحسن تسييرها لا يهدف فقط الى مجرد توفير الموارد التى تصلح مباشرة للاستثمار ، وانما لابد وان يستهدف ايضا تخصيص الاستثمارات اللازمة لترشيد الفروع والوحدات القائمة وتجديدها ، وهو لايعنى مجرد التوفير فى الانفاق ، وانما يستهدف فى المحل الاول - تعظيم » الانتاج وزيادته الى أقصى حد ممكن ، عن طريق انفاق كل ما هو ضرورى لتحقيق هذا الغرض .

والوفر الناجم عن الترشيد لا يستهان به ، فكثيره هو الارقام التى توضح مدى التبديد بلا مبرر أو داع · فقد أوضحت مناقشات مجلس الشعب مثلا أن قطاع السينما فى بلادنا قد ذهب بآلاف كثيرة من الجنيهات ، على أعمال لم تتم أصلا · كما يثور جدل كبير حول سلامة الانفاق على كثير من مشروعات استصلاح الاراضى ومدى رشدها · والواقع أن رأس المال لا ينقص البلدان النامية ، وانماالذى ينقصها كما يقول باران الاقتصادى الامريكى المعروف ، هو « الفائض الاقتصادى الفعلى الذى يستثمر فى توسيع التسهيلات الانتاجية والفائض الاقتصادى الاحتمالى الذى يمكن أن يتاح لمثل هذا الاستثمار كبير المقدار فيها جميعا · ومن المؤكد أنه ليس كبيرا من الناحية المطلقة ، ومع ذلك فهو كبير من ناحية نسبته الى دخولها القومية ، وهو تبعا لذلك كبير بما يكفى ، أن لم يسمح بالضرورة بزيادات مطلقة كبيرة فى ناتجها ، فليمكنها من بلوغ معدلات نمو عالية ، وعالية للغاية فى الحقيقة » ·

والفائض الفعلى هو ببساطة الفرق بين قيمة الانتاج النهائى ، وبين الاستهلاكات الضرورية لتحقيقه . والفائض الاجتماعى هو الفرق بين ما كان انتاجه ممكنا فى ظل ظروف تكنولوجية وفنية معينة ، وبين ما يعد استهلاكه ضروريا لهذا الانتاج ·

والمشكلة هى استخلاص هذا الفائض وتوجيهه لتحقيق المهام التى تكفل تقدما حقيقيا · والدولة وحدها – بفضل سلطانها السياسى ومنظماتها الادارية والفنية والانتاجية – هى التى تستطيع تعبئة الفائض الذى يحتمل وجوده ، واستخدامه استخداما رشيدا فى توسيع التسهيلات الانتاجية · بالفعل ان العقبة الاساسية أمام نمو البلدان المتخلفة ، تتمثل فى طريقة استخدام الفائض الاحتمالى ، اذ تمتصه وتبدده الاشكال التالية غير الانتاجية :

● الاستهلاك الترفي غير الضروري ـ المفرط والزائد عن الحد ـ للطبقات الميسورة في المجتمع ، والتي يجعلها نصيبها الكبير من الدخل القومي ، الذي تحصل عليه كريع أو أرباح وفوائد أو حتى بطرق غير مشروعة ، لا تبالي كثيرا بأوجه الانفاق ومدى كونه ضروريا ٠

● الاكتناز ، وحجب جزء له وزنه من الدخل عن الاستثمار ، ومنع استخدامه في انشطة انتاجية ، وهذا الاكتنازيتم في الداخل أو حتى بتهريبه الى الداخل ، وهو في الحالتين يحرم البلاد من جزء اساسي من الموارد ٠

● تضخم القطاع الثالث وطفيليته ، واستخدام رؤوس أموال كبيرة نسبيا في نشاطاته غير المنتجة ، مثل قيام سلسلة طويلة من الوسطاء بين المنتج والمستهلك ، تضارب على الاسعار وتحتكر التوزيع وتتلاعب في الوفرة ٠

● تضخم الادارات البيروقراطية وأجهزة الدولة غير المنتجة ٠ فبعض البلدان يستدعي احتفاظ الفئات الحاكمة فيها بالسلطة ، انشاء اجهزة متضخمة ومؤسسات كبيرة هدفها الاول الابقاء على مكانة الحاكمين ٠ وفي بلدان اخرى يؤدي التزام الدولة بتعيين جزء له وزنه من القوى العاملة الجديدة ، خاصة خريجي المدارس والجامعات ، لاسباب اجتماعية تتمثل في الرغبة في استرضاء طبقات معينة ، الى تضخم لامبرر له في الجهاز الاداري وخلق نوع من العاملين رسميا العاطلين فعليا ، الذين يتقاضون اعانة اجتماعية من المجتمع ٠

● ما يستحوذ عليه الاجانب أصحاب المشروعات المحلية ويرسلونه خارجا الى بلدانهم الاصلية ، وبغض النظر عن عدالة ذلك فانه يحرم البلدان النامية من جزء من أرصدتها ومواردها ».

● ضرورات حماية الاستقلال الوطني ، والاحتفاظ بمؤسسات عسكرية ضخمة تلتهم مخصصاتها جانبا كبيرا من الانفاق ، باعتبار ذلك طريقا وحيدا لدحر محاولات العدوان المتكرر على هذه البلدان ٠

أربعة أشكال للتبديد

ويورد باران أشكالا أربعة للتبديد هي :

أ ـ الاستهلاك المفرط للمجتمع وهو وضع سائد لدى أصحاب الدخول المرتفعة ، والوسطى في بعض البلدان ٠

ب ـ الناتج الذي يفقده المجتمع نتيجة لوجود عمال غير منتجين ، لا يحققون التوازن بين صفتهم كمستهلكين وصفتهم كمنتجين ٠

جـ ـ الناتج الفاقد بسبب التنظيم غير الرشيد والقائم على التبديد للجهاز الانتاجي الموجود ٠

د ـ الناتج الضائع بسبب البطالة الناشئة أساسا عن فوضى الانتاج ونقص الطلب الفعال ٠

ويورد بتلهيم عددا من المجالات التي يتعين دراستها للوصول الى وسائل وضمانات حسن تسيير الموارد وهذه المجالات هي :

أ ـ دراسات حول استخدام المعدات : ما هي كمية المنتجات التي يتم انتاجها في وحدة زمنية معينة في مختلف وحدات الانتاج المتماثلة ؟ ما هي العوامل التي تفسر التفاوت في الكفاية (ان وجد) تقدير قدرات الانتاج الموجودة ».

ب ـ دراسات حول الصيانة والاصلاحات : عدد الاصلاحات في وحدات الانتاج ، الوقت الذي تتعطل فيه الالات بسبب سوء الصيانة أو نقص قطع الغيار ٠٠ الخ ٠

ج ـ دراسات حول انتاجية العمل في عمليات انتاج او نقل مختلفة .

د ـ دراسات حول استهلاك المواد الاولية والطاقة في وحدات الانتاج ٠

هـ ـ دراسات حول تكاليف الانتاج على اساس نظام محاسبي موحد (مع استبعاد الفروق الناشئة عن فروق في أسعار الحصول على المواد او المعدات) ٠

و ـ دراسة المصروفات العمومية ».

ز ـ تقدير الكفاية الاقتصادية في مختلف وحدات الانتاج ٠ اجراء محاسبة تحليلية وظيفية ٠

ويستطرد بتلهيم فيقول : انه من بين الاجراءات التي تسمح بالوفر في الموارد دون ان تستلزم استثمارات كبيرة ، تخصص المصانع وحسن تنظيم العمل والرقابة على جودة الانتاج ٠ ولابد أن تشتمل الخطة الطويلة الاجل برنامجا كاملا لمثل

... برنامجا لاستثمارات الترشيد والتجديد • ثم يطرح بتلهيم اقتراحا بتكوين مجموعة من « مهندسى الكفاية الانتاجية » للمشاركة فى وضع ذلك البرنامج . ويجب أن يتاح استخدام مثل هؤلاء المهندسين المتخصصين للمشروعات الخاصة ، والمشروعات العامة ، فى حين يعمل فريق منهم فى لجنة حكومية لزيادة الكفاية الاقتصادية ، ومع تطور التخطيط الاقتصادى الشامل يمكن تكليف تلك اللجنة باختبار كفاية المشروعات العامة والخاصة واقتراح الوسائل الكفيلة بتخفيض تكاليف الانتاج وتقييم وسائل الانتاج الحالية ، واحتياجات الصناعات المختلفة من الاستثمارات الجديدة » •

ومن أهم ضمانات الرشد فى انفاق الموارد ، حسن اختيار الاهداف الاقتصادية التى لها « أثر مضاعف » على تنمية مجموع الاقتصاد بأسره ، والتعجل بتحقيق الاهداف القومية الاجتماعية والوطنية • ولا يقل عن ذلك اهمية حسن ترتيب اولويات هذه الاهداف ، وسلامة اختيار الاهم منها فالمهم • والواقع ان كلا من الاهداف والاولويات يختلف باختلاف المرحلة التاريخية • كما أن الاهداف تنقسم بدورها الى اهداف استراتيجية واهداف تاكتيكية ، تعتبر الاخيرةخطوة على طريق تحقيق الاولى • فمثلا هناك هدف اسمى ، هو ضمان الرفع المنتظم والمتزايد لمستوى معيشة الجماهير وزيادة مستوى استهلاكها الى أقصى حد فى الاجل الطويل . ولكن بلوغ هذا الهدف يقتضى تحديدا سليما لعدة اهداف وسيطة يؤدى انجازها فى نهاية المطاف الى بلوغ الهدف الاسمى • فمثلا هدف تحقيق الاستقلال الاقتصادى ، قد يصبح هو الهدف الاساسى فى مرحلة تاريخية معينة • ومن البديهى ان تحديد الاهداف والاولويات لابد وان يتم فى ضوء الامكانيات الموضوعية وفى ضوء الحاجات والقيود الاجتماعية والاقتصادية • فخطط واهداف الانتاج والاستهلاك والاستثمار والتجارة الخارجية والخدمات ، يتوقف نجاح تنفيذها على مدى مراعاتها للامكانيات والقدرات •

وبعد تحديد الاهداف فى كل مجال ، العمالة الاستثمار الاستهلاك الخ ، يقتضى الرشد الاقتصادى التنسيق بين هذه الاهداف على نطاق الاقتصاد القومى بأسره ، وذلك للوصول الى « افضل توليفة » بين هذه الاهداف بما يجعل لكل منها أثر مواتٍ على غيره من الاهداف ، وحتى لا يؤدى نجاح تحقيق واحد منها الى عرقلة تحقيق غيره من اهدافه . وبدون هذا التنسيق كما يقول بتلهيم لا تكون هناك خطة وانما مجرد تجميع لبرامج جزئية لا يوجد ما يضمن إتساقها فيما بينها ، وبالتالى امكانية تحقيقها فى آن واحد .

وتطبيقا لهذا على بلادنا ، هناك جانب كبير من الفائض الاقتصادى فى مجال الزراعة ليس للدولة اى سلطان على تعبئته لخدمة اغراض التنمية ، حتى ولا اقتطاع جزءمنه عنطريق الضرائب . فمثلا الاستغلال الزراعى لا تدفع عنه ضرائب • ففى مقدور من يملك نقودا ان يستأجر ارضا يزرعها ويحصل على أرباح كبيرة من انتاج المحاصيل فيها دون أن يدفع ضرائب ، فى حين أن مالك الارض هو الذى يدفع الضريبة العقارية عليها • كذلك فأصحاب مقاولات الباطن لا يدفعون شيئا ، وكثيرة هى ومتعددة المجالات التى لا تهم رغم ارتفاع دخولها فى الضرائب •

الترشيد والقوانين الموضوعية

ومن جانب آخر يقتضى ترشيد الانفاق ، مراعاة واحترام القوانين الاقتصادية الموضوعية والنسب الاقتصادية السليمة ، فمثلا يقتضى تحقيق معدل معين من النمو تخصيص نسبة محددة من الدخل القومى للاستثمار . كما يتعين أيضا مراعاة الاعتبارات التالية ضمانا للرشد فى الانفاق وتخصيص الموارد :

● اختيار المستوى التكنيكى المناسب الذى يحل المعادلة الصعبة المتمثلة فى ضمان انتاجية مرتفعة وتوفير أكبر قدر من فرص العمل واستثمار حجم معقول ومقدور عليه من رأس المال • والواقع أن مشكلة اختيار المشروعات ذات الكثافة الاكبر فى رأس المال ضمانا لانتاجية أعلى ، أو المشروعات المستهلكة للعمل ضمانا لفرص التوظف ، مشكلة خطيرة فى بلدان العالم الثالث بصفة خاصة •

● ضمان تكامل مختلف الفروع الاقتصادية وتعاونها وتقدمها بدرجات متقاربة ، ثم العمل على تدعيم التعاون الاقليمى بما يحل مشاكل الاسواق والموارد ، وأخيرا مراعاة التقسيم الدولى للعمل ومقتضياته • فالدول النامية ليست حرة فى أن تنتج « من الابرة للصاروخ » كما قلنا فى فترة من فترات التنمية ، فذلك يبدد كثيرا من مواردها المحدودة أصلا ، فى حين أن نوعا من التخصص مع قدر من التنوع ، قد يكون أفضل وأجدى •

● ايجاد الاشكال التنظيمية الملائمة لتسيير الاقتصادى وتحقيق خطط انمائه ، وتنظيم دور الاسعار والنقود ووضع نظام فعال ومتماسك

لهما ، باعتبار ذلك أداة أساسية لا غنى عنها للادارة السليمة للمشاريع وللتخطيط الاقتصادى الفعال لها . والواقع أن توزيع الموارد بين مختلف أنواع الانتاج والاستهلاك ، وضمان اتفاقه مع الاهمية النسبية لمختلف المشروعات الانتاجية ، لا يحدث حتى فى ظل بناء الاشتراكية ، الا بوسائل عملية تشبه وسائل السوق والبيع والشراء والمبادلة . ومن ثم فنظام الاسعار الامثل والاكفأ ضرورى نظرا لتعقد الاقتصاد الحديث ، وتزايد العلاقات المتبادلة بين فروعه ، وبين كل من وحدات القطاع العام والخاص ، وداخل كل مجموعة منها على حدة .

ولدينا تحددت النسب المحددة لتنمية الدخل القومى ، وتفاوتت النسب المخصصة منه للاستثمار . كما أهملت فى فترة من الفترات القوانين الاقتصادية الموضوعية ، خاصة ما يتعلق منها بنمو القطاع الخاص ، الذى يولد كل يوم بل وكل ساعة رأسمالا جديدا يستهدف نشاطات معينة ، قد لا تتفق مع الاهداف الموضوعية فى الخطة . كما لم يراع دائما التنمية المتوازنة لجميع فروع الاقتصاد ، ففى فترة تم التركيز على الصناعة وهذا حسن ، ولكن الزراعة انخفضت استثماراتها . وفى الفترة الاخيرة نبه مجلس الشعب فى موافقته على موازنة المعركة ، الى أن تخفيض مخصصات الخدمات لا يجب بحال من الاحوال أن ينسحب الى الاستثمارات الانتاجية .

الاستهلاك وترشيده

يبقى بعد ذلك قضية الاستهلاك الفردى والجماعى ، ومدى القدرة على تنظيمه حتى لا يعوق أهداف عملية التنمية . صحيح أن هذه الاخيرة تهدف فى المدى الطويل الى زيادة الاستهلاك الى أقصى حد ، ولكن خطوات تحقيق هذا الهدف قد تقتضى فى مراحل معينة الحد مؤقتا من الاستهلاك أو حتى تقييده ، على الاقل الاستهلاك المفرط وغير الضرورى .

وليس من الصعب تحديد « الاستهلاك الضرورى » الفردى خاصة فى البلدان النامية سواء من سلع الغذاء أو الكساء أو ما شابه ، اعتمادا على عدد السعرات الحرارية اللازمة صحيا ، خاصة وان « تشكيلة » السلع محدودة فى هذه البلدان ، وحتى فى البلدان المتقدمة حيث تتنوع السلع وتتعدد ليس من الصعب تحديد الاستهلاك الضرورى . وقد قامت هذه البلدان الاخيرة فعلا بتقييد الاستهلاك وتنظيمه فى ابان الحروب والازمات ، بغض النظر عن المصالح والاراء الخاصة

والمنافع الذاتية ، ورضى الجميع بكافة القيود والاوامر سواء الخدمة الاجبارية أو التنظيمات والقيود الاقتصادية والحربية ، بل والمصادرة ، وأصبح هذا شيئا ثابتا ومعترفا به ومؤكدا تعطى له الاهمية الاولى على التفضيلات الفردية .

وفى موضوع الاستهلاك لابد من الالتفات الى عدة حقائق :

■ ان نسبة اشباع الاستهلاك ، تتوقف على الامكانيات الموضوعية ، وعلى درجة الكفاية الاقتصادية ، وعلى نوعية الاولويات التى نعطى لها الاهمية . ففى فترة من الفترات قد يتطلب توسيع الطاقة الاقتصادية ، الحد من الاستهلاك ، فليس هناك معنى مثلا للاقتراض من الخارج لشراء سلع استهلاكية .

■ أنه فى ظل التخطيط ، يتم تقدير الاستهلاك على مستويين ، الاول على نطاق المجتمع كله ، والثانى يتم تحديده بفعل آليات السوق ، وهى أيضا خاضعة للخطة وضوابطها .

■ ان دور الدولة فى اعادة توزيع الدخول ، وهى التى تحدد الاستهلاك فى نهاية المطاف ، ضرورى للدفاع عن الطبقات الاضعف وضمان حصولها على الحد الادنى من الضروريات . كما أنها بحكم سلطانها ، هى التى تستطيع الحد من الاستهلاك المفرط الذى يعرقل التنمية ، وبهدف توفير الموارد اللازمة لها بدلا من تبديدها فيما هو غير ضرورى .

■ ان كل أسلوب للانتاج ، يقابله أسلوب للتوزيع يتفق معه ، وان العلاقات المعينة فى التوزيع تقابلها علاقات موافقة لها فى مجال الانتاج . ففى ظل الاشتراكية مثلا ، يوزع الناتج الاجتماعى حسب العمل المنجز . والاجر فى المجتمع الاشتراكى ليس ثمنا لقوة العمل ، حيث أن المنتجين لم يعودوا منفصلين عن ملكية وسائل الانتاج ، بل مالكين لها ملكية جماعية ، ومن ثم يصبح الاجر شكلا لتوزيع جزء أساسى من الناتج الاجتماعى .

● ان تخفيض الاستهلاك الجماهيرى لا يكفل التوسع الاقتصادى على النقيض من ذلك فقد يحدث أثر معاكس ، بل والاخطر من ذلك ان هبوط الاستهلاك غير المنتج ، مثل تخفيض استهلاك كبار ملاك الاراضى بمصادرة وتوزيع اراضيهم ، قد لا يؤدى دائما الى زيادة مطابقة فى الفائض الفعلى ، ذلك انه يؤدى فى احوال كثيرة الى توسع فى الاستهلاك الجماهيرى . وبالفعل فقد حدث هذا عندنا اذ انضمت الى جموع المستهلكين ، جموع الفلاحين التى حصلت على اراضى الاصلاح

الزراعى ، واصبحت قادرة على استهلاك انتاج الارض من الحبوب ، بدلا من طرحها للسوق كما كان الملاك السابقون يفعلون ٠

● ان بعض المصروفات الاستهلاكية لها مفعول التنمية ، وفى هذا يقول بتلهيم « فى اطار تنمية اقتصادية مخططة ، يقتضى الارتفاع بالنمو الى حده الاقصى ، ان تخصص نسبة كافية وسليمة من الفائض لمصروفات التنمية الموجهة للصحة العامة والبحث العلمى والتعليم » ٠

الاستهلاك وتفاوت الدخول

وترتبط مشكلة الاستهلاك المفرط بالتباين الشديد فى توزيع الدخول ، ووجود دخول مرتفعة يحصل عليها اصحابها بسهولة ويسر ، وهى ما يسمى easy money ، ومن ثم يكون من السهل عليهم ان يبددونها فى اى انفاق ترفى او زائدعن الحاجة وغير ضرورى ، مادامت الوسائل التى يحصلون بها على هذه الدخول مستمرة وماداموا مطمئنين الى قدرتهم فى المضى فى الاغتراف منها٠ فالامر المؤكد ان من يحصل على دخل مرتفع عن طريق قيامه بالانتاج ، كصاحب مصنع مثلا ، أكثر حرصا فى انفاق نقوده ممن يحصل على دخل كبير من المضاربة على الاقوات مثلا أو ممن يحصل على رشوة تبلغ ٥٠ ألف جنيه فى احدى العمليات ٠ والاستهلاك عند اولئك الاخيرين يرجع الى محاولتهم التشبه بالطبقات الثرية السابقة الاقطاعية وشبه الاقطاعية ، ثم تقليد الطبقات الميسورة فى البلدان الاوربية ٠ وفى هذا يقول ايف لاكوست « تتميز الاقطار المتخلفة بتفاوتات اجتماعية غاية فى شدتها ٠ وتكون هذه التفاوتات احيانا مفرطة لاسيما فى أكثر الاقطار حرمانا ٠ فهنا نجد اقلية مترفة تتمتع بمستوى معاش أعلى من مستوى الفئات الميسورة فى الاقطار المتقدمة ٠ ولا يزال تفوقها فى بعض الاصقاع ، يقوم بشكل رئيسى على شكل استهلاك غذائى فائق الحد ٠ ففى تشاد مثلا ينال أحد السلاطين مرتبا غذائيا يوميا مقداره ١٥٫٠٠٠ سعر، بينما يعيش قسم عظيم من السكان على ٩٥٠ سعرا » ٠

ومن جانب اخر فانه ليس هناك تشجيع كاف على الادخار ممن يملكون القدرة عليه ، فالفئات الدنيا من الطبقة الوسطى لا تجد اشكالا ووسائل مناسبة للتوفير ، فضلا عن ان التأمينات الاجتماعية تؤمن لها مستقبلها ٠ وقد اكتشف القطاع الخاص هذا بذكائه المعهود ، واوجد شكلا مناسبا للادخار ، وهو تمليك الشقق بالتقسيط ، وبهذا استطاع امتصاص مدخرات اعداد كبيرة قادرة ، وقوى حافز الكثيرين على التوفير ٠ ويتضح ايضا ان امكانيات الادخار متوافرة ، من حقيقة ان مقدم الثمن الذى دفعه حاجزو السيارة نصر وصل الى ٨ ملايين من الجنيهات ٠

ان ضغط الاستهلاك ناجم فى جزء أساسى منه ، من ضغط اصحاب الدخول الطفيلية والدخول غير المشروعة ، وهؤلاء هم الاعلى صوتا عند حدوث نقص فى اى سلعة ٠ ومن ثم لابد من اجراءات جذرية وحاسمة لاعادة توزيع الدخول للقضاء على التفاوت الكبير فيها ، وايضا لابد من اجراءات لامتصاص فائض الدخول الكبيرة ، ليس شرطا بالاستيلاء عليه أو حتى اقتطاعه بالضرائب ، وانما بمختلف أوعية الادخار التى تستخدم لتحقيق اهداف انتاجية بدلا من تبديده فى استهلاك ترفى غير ضرورى وغير منتج ، كذلك لابد من اجراءات لتحديد حصص عادلة للجميع ، حتى لا تأخذ قلة ما تبذل الدولة جهدها فى توفيره للغالبية ٠

اما الاستهلاك الجماعى ، فقد اتخذت اخيرا عدة اجراءات لتوفير غير الضرورى من الانفاق الحكومى ٠ والواقع ان الجزء الاساسى من الانفاق العام الحكومى ، خاصة فى الجهاز الادارى ، يذهب الى الاجور ، والزيادات فيها ، وهذه لا يجب تخفيضها أو حتى تجميدها كما يقترح البعض لاسباب متعددة : منها ان الاجر هو الاسلوب الاكثر عدلا لتوزيع جزء من الناتج الاجتماعى ، وانه يعبر فى معظم الاحوال عن اسهام ايجابى فى تحقيقه ، وهو فى هذا يفوق مدى احقية واسهام اصحاب الريع والارباح والفوائد والدخول غير المشرعة . كما أن الاجور ليست هى بحال مصادر الدخول المرتفعة ، بل ان الغالبية منها تمثل الحد الادنى ، كذلك فان ارتفاعها وهو محدود بطبعه ليس هو السبب فى زيادة الاسعار فقد سبقت هذه الاخيرة الزيادات التى تقررت مؤخرا فى الاجور ، وزاد معدلها كثيرا عن معدل الزيادة فى الاجور ٠

ومن ثم فالقضية ليست هى الحد من الاستهلاك الجماهيرى والا كنا كمن يبقى للبؤساء على بؤسهم او يزيده ، فى حين لا يمس الميسورين ذوى الاستهلاك المفرط ، والسبب الاساسى فى مشكلة الافراط فى الاستهلاك ٠ وفى هذا تبرز وجاهة الاقتراح المطروح على لجنة تكاليف المعيشة باصدار بطاقات تموينية جزئية توفر الحد الادنى من السلع الغذائية والاقمشة بسعر منخفض لكل فرد وعائلة ، مع طرح نفس هذه السلع « حرة » فى السوق لمن شاء الاستزادة منها ، ولكن بأسعار اعلى ٠

دور كبار ملاك الأرض في مصـــــــر ١٩١٤ – ١٩٥٢

د· عاصم الدسوقي

في أواخر القرن التاسع عشر (١٨٩١ ــ ١٨٩٦) (١) استقرت الملكية الفردية للارض الزراعية في مصر ، وبدأ يظهر في الواقع الاقتصادى ملاك الاراضى الزراعية بمختلف أحجام الملكية من كبيرة ، ومتوسطة ، وصغيرة ، وضئيلة · ونعنى باستقرار الملكية الفردية هنا ، المراحل التى مرت بها الملكية منذ ملكية الانتفاع التى أقرها محمد على منذ عام ١٨٣٧ وتملك الابعاديات والشفالك لكبار رجال الدولة والشخصيات العامة وأفراد الاسرة الحاكمة الى أن أصبحت الملكية ملكية تصرف (أى ملكية رقبة) ، وأصبح الحصول على الارض يتم بالشراء وليس بالمنح والعطاء من الحاكم الذى كان يملك حق السيطرة على الارض ·

ويعتبر تحديد الملكية الكبيرة من المتوسط والصغيرة مسألة هامة ، ونحن بصدد الكلام عن كبار ملاك الاراضى الزراعية ، ويصعب من هذا التحديد في الواقع كثرة المعايير التى يمكن الاستناد اليها واختلاف وجهات النظر بين علماء الاقتصاد الزراعى ، فهناك معيار المساحة وهناك معيار الغلة النسبية للارض وكذلك معيار قيمة الادوات الزراعية ورأس المال المستخدم فى الانتاج ، كما أن هناك معيار المركز الاجتماعى للمالك للتفرقة بين المالك الكبير والصغير حيث يعتبر المالك كبيرا اذا كان يقوم بتأجير أرضه أو زراعتها بطريقة المزارعة ، أو عندما يستطيع استغلالها بنفسه استغلالا منظما ، من حيث تمويل الارض بالاموال اللازمة والافادة من كل مفردات التكاليف بحيث يحصل فى النهاية على أرباح عالية (٢) ·

ولا يصح الاستناد الى أحد هذه المعايير فقط دون المعايير الاخرى فى تحديد الملكية الكبيرة ·· فالمالك الكبير له مفهوم اجتماعى مركب يجمع بين عدة شروط وخصائص مادية ومعنوية يعتمد بعضها على البعض الاخر ، ويؤثر كل منها فى الاخر ، فالمالك الكبير ــ طبقا لهذا المعيار ــ يعتمد على الارض الزراعية كمصدر ثروة وحجم ملكيته يعطيه مكانة اجتماعية معينة بين أهله أو فى حدود

(١) الحكومة المصرية ، القوانين العقارية فى الديار المصرية . ص ٦

(٢) محمد فهمى لهيطة ، الاقتصاد الزراعى . ص ٣٨٥ ــ ٣٨٦ ، عبدالحكيم الرفاعى ، الاقتصاد السياسى ج ١ ص ٢٣٩ ، عبد الغنى غنام ، الاقتصاد الزراعى وادارة المزارع . ص ٢٠ ــ ٢١.

منطقته ، ومن خلال هذه الملكية يمارس علاقات اجتماعية مع قوى أخرى تتسم بالحرص على مصالحه ، ويتمتع بسلطة سياسية تعينه على حمايتها ، وفوق كل هذا فهو ، أى المالك الكبير ، يعتنق أيديولوجية معينة تتحكم فى نظرته للمسائل المختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية ، وهى ايديولوجية تتفق ، فى مجموعها ، مع اسلوب استغلاله واستثماره ٠

وهذا المفهوم المركب للمالك الكبير ،يعتبر مفهوما مرنا وغير حاد ، فقد يرتفع مالك متوسط من حيث المساحة الى مرتبة المالك الكبير ، اذا هو جمع بين شروط وخصائص هذا التحديد والعكس صحيح ، فقد يصبح مالكا كبيرا فى عداد متوسطى وصغار الملاك اذا كانت علاقاته بالفلاحين تتسم بالطيبة والتسامح والعطف والمشاركة ، ومع وجود نماذج تاريخية لهذا التحديد فى مصر وغيرها من بلاد العالم ، الا أن هذه النماذج تعتبر استثناءات للقاعدة ٠

ومع اهمية هذه المعايير فى تحديد المالك الكبير ، الا أنها لا تخلو من نقد ، أما لانها غير جامعة كما يقتضى التعريف العلمى ، واما لانها صعبة التحقيق ، ولهذا فان أبسط الطرق واقربها الى الامكان هى الطريقة التى تتخذ المساحة أساسا للتحديد مع مراعاة اتخاذ قيمة الارض أساسا للتقدير لتقريب الحقيقة بقدر الامكان ٠

كما يصعب من هذه المسألة عدم وجود تحديد رسمى للملكية الكبيرة فى مصر ، فالاحصائيات الرسمية التى كانت تصدر عن مصلحة المساحة والاموال المقررة ، اكتفت بتصنيف الملكيات تصنيفا كميا على أساس وحدات عشرية ، من أقل من فدان واحد وحتى الخمسين فدانا ، دون أن تشير الى الملكية الكبيرة أو المتوسطة او الصغيرة (٣) ، فضلا عن تأرجح تحديد الملكية الصغيرة بين أقل من ثلاثين فدانا وأكثر حسب الظروف السائدة (٤) ، فترك هذا باب الاجتهاد مفتوحا أمام الباحثين والمفكرين ٠

ونرى ان الملكية الكبيرة فى مصر ، خلال الفترة ، تحدد بمائة فدان فأكثر ، وذلك اعتمادا على معيار المساحة وجودة الارض التى تحددها الضريبة المقررة ، بحيث كان مالك الخمسين فدانا من الارض الجيدة يتساوى مع مالك مائة فدان من الارض العادية لان كلا منهما يدفع ضريبة تصل الى حوالى خمسين جنيها سنويا ٠

وبناء على هذا التحديد يمكن بيان الشرائح الاجتماعية التى تنطوى تحته وهى : المصريون بمختلف أصولهم الجنسية او العرقية أو الدينية وبمختلف مهنهم ووظائفهم حيث بلغوا خلال الفترة حوالى ٢٥٤١ أسرة مضافا اليها أسرة محمد على ، والاجانب حيث بلغ عددهم حوالى ٢٠٠ أسرة ، والمؤسسات المالية التى كانت لها علاقة مباشرة بالارض الزراعية حيث بلغت ٢٢ شركة ، ويضاف الى ذلك الحكومة باعتبارها مالكا له علاقات انتاجية من خلال ادارة الارض الزراعية غير المملوكة ملكية خاصة أو فردية ، وهى الارض التى كانت تدار بمعرفة مصلحة الاملاك الاميرية التى انشئت فى عام ١٩١٣ (٥) .

ولقد كان المصدر الرئيسى للملكيات الكبيرة ، فى أغلب الاحيان ، خلال هذه الفترة هو الشراء سواء من أراضى الدولة أو من شركات الاراضى الاجنبية التى اشترت أراضيها هى الاخرى من الدولة وكانت تبيعها بنظام التقسيط الذى أقبل عليه بعض المصريين مما اوقعهم فى حبائل الديون العقارية فيما بعد ، وذلك فيما عدا أسرة محمد على التى كانت تحتكر ملكية الارض منذ البداية ، وبعض رجال الدولة والعربان الذين منحوا اراضيهم من السلطة الحاكمة فى خلال القرن التاسع عشر ، ولو أن هناك بعض حالات أخرى ، قد تكون استثنائية ، تم فيها اقتناء الارض بوضع اليد ، أو استنادا للسلطة او بطريقة البيع الوفائى للقروض المعطاة من كبار الملاك لصغار المزارعين ٠

ولقد انتهى تطور الملكية الزراعية وتطور مساحة الاراضى المنزرعة الى وجود ظاهرة تركز الملكية فى مصر فى نسبة قليلة من السكان ٠٠٠ والجدول التالى (٦) يوضح نسبة كبار الملاك الى مجموع الممولين ونسبة ملكياتهم الى مجموع المساحة الزراعية ومتوسط ملكية الفرد من الملاك الكبار :

---

(٣) اعداد الاحصائية الشهرية الزراعية التى تصدرها وزارة المالية من ١٩٢١ — ١٩٥٠ حيث اوردت هذا التقسيم ابتداء من عام ١٩١٠ .

(٤) مذكرة وزير المالية الى مجلس الوزراء فى ١٩٣٢/٤/٢٥ بشان التسليف العقارى .

(٥) ملفات الخاضعين لقانونى الاصلاح الزراعى ١٩٥٢/١٧٨ ، ١٩٦١/١٢٧

(٦) الاحصائية الشهرية الزراعية الاقتصادية ١٩٢١ — ١٩٥٠

السنة	النوع	نسبة كبار الملاك للمجموع	نسبة المساحة المملوكة للمجموع	متوسط مايملكه الفرد بالفدان
١٩١٤	مصرى	٧ر٪	٣٦ر٧٪	١٦٢
	اجنبى	١٩ر٠٪	٩٣ر٠٪	٤١٣
١٩٢٠	مصرى	٧ر٪	٣٥ر١٪	١٤٤
	اجنبى	٢٠ر٢٪	٩٢ر١٪	٣٦٤
١٩٢٥	مصرى	٦ر٪	٣٣ر٩٪	١٥١ر٥
	اجنبى	١٩ر٣٪	٩٣ر١٪	٣٩٢
١٩٣٠	مصرى	٥ر٪	٣٥ر١٪	١٥٩
	اجنبى	١٧ر٧٪	٩٢ر٧٪	٤٠٧
١٩٣٥	مصرى	٥ر٪	٣٣ر٨٪	١٦٠
	اجنبى	١٧ر١٪	٩٢ر٢٪	٤٠١
١٩٤٠	مصرى	٥ر٪	٣٣ر٦٪	١٥٩
	اجنبى	١٧ر٠٪	٩٢ر٠٪	٤٠١
١٩٤٥	مصرى	٥ر٪	٣٣ر٩٪	١٦٠
	اجنبى	١٦ر٠٪	٩١ر٨٪	٣٩٥

ويتضح من هذا الجدول آن ٥ر. فى المائة من المصريين يمتلكون أكثر من ثلث مساحة الاراضى الزراعية ، بنسبة كانت تتراوح بين ٧ر٠ فى المائة ، ٦ر. فى المائة خلال الفترة ، الى أن استقرت على ٥ر. فى المائة ابتداء من عام ١٩٣٠ ، وان ١٦ فى المائة من الاجانب يمتلكون ٩١ر٨ فى المائة من المساحة بنسبة كانت تتراوح بين ٢٠ فى المائة ، ١٩ فى المائة ، ١٧ فى المائة حتى استقرت على ١٦ فى المائة ابتداء من عام ١٩٤٥ .

وكانت ظاهرة التركز هذه ترجع الى عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية يأتى فى مقدمتها قدرة الاثرياء على شراء الارض البور والقيام باستصلاحها وتمتعهم بالحصول على مختلف التسهيلات المالية من البنوك وشركات الاراضى واستنادهم الى سلطة الدولة فى الحصول على نسبة كبيرة من الارض المباعة وتخفيض الضرائب المقررة على أراضيهم .

الدور الاقتصادى لكبار الملاك !

اذا انتقلنا الى النشاط الاقتصادى لكبار الملاك وجدنا أنه كان يتجه بصفة أساسية الى استغلال الارض الزراعية بأسلوب الانتاج الرأسمالى القائم على الايجار ، وهذا اثر من آثار تركز الملكية ، اذ أن التركز يؤدى الى رفع قيمة الايجار كنتيجة لازدياد الطلب على الارض مما اغرى بعض كبار الملاك الى الانصراف عن زراعة أرضهم على الذمة وتأجيرها أو زراعتها بالمشاركة ، أما لعدم تفرغهم للزراعة بسبب هجرتهم للمدينة ، أو خوفهم من أخطار الزراعة وتخلصا من متاعبها .

وقد أدى انتشار الايجار الى ضعف عوامل خصوبة التربة لان المستأجر ، وهو لا تجمعه بالارض رابطة ابدية ، يجد ان كل اصلاح يبذله للارض عائدا لا محالة على غيره ، ومن ثم فهو يرهق التربة ارهاقا شديدا ويضن عليها بعناصر الاصلاح والتجديد المستمر ، هذا بالاضافة الى ان الدورة الزراعية التى كان يتبعها كبار الملاك فى أراضيهم ، اجهدت التربة الى حد كبير . اذ كان المالك الكبير يركز على زراعة المحاصيل التى لها اسواق كبيرة اقليمية أو عالمية ، أو زراعة محاصيل الانتاج الافقى من الفصيلة النجيلية والليفية ، مما أدى الى تضييق مدى اتساع دورات الزراعة نظرا لعدم وجود مجال كبير لسائر المحاصيل الاخرى فيتقارب بذلك مدى تردد محاصيل الانتاج الكبير أو الافقى فى الارض الواحدة — وهى محاصيل مجهدة — فقلل كل هذا من شأن الدورة الزراعية وأضعف من عناصر خصوبة التربة حتى عندما تدخلت الدولة فى تنظيم الدورة الزراعية وفرضت الدورة الثلاثية منذ ٢٢ سبتمبر ١٩١٤ لم يؤد ذلك الى نتائج ايجابية فى أغلب الاحيان لانه أجاز احتساب الاراضى البور الداخلة فى زمام المالك ضمن الاراضى المزروعة الجائز زرع ثلث مساحتها قطنا ، فحتسبت بذلك المحاجر والمبانى واراضى الحدائق والنخيل مما جعل قانون الثلث قانونا للنصف فى بعض الاحيان .

وتمشيا مع أهداف كبار الملاك فى الحصول على أعلى الارباح ، سعوا الى توفير كل الضمانات ولو على حساب التربة الزراعية . من ذلك أنهم عملوا على تأخير اطلاق مياه الفيضان الى ما بعد ١٥ أغسطس وحتى ١٥ نوفمبر من كل عام ، فى حين كان المعتاد — قبل ادخال زراعة القطن فى أرض الحياض — اطلاق المياه حوالى ١٠ اغسطس من كل عام . ولما كان هذا التاريخ يتفق ووجود القطن فى أرض الحياض وقبل جنيه ، سعى كبار الملاك الى تأخير اطلاق المياه ، مما أدى الى حرمان الارض من مزايا طمى النيل فأصابها الضعف سنة بعد أخرى ، حتى لقد أشار الى ذلك وزير الاشغال وقتذاك (محمد شفيق باشا) ، وأبان كيف ان محاصيل صغار المزارعين تتعرض للامحال ، وان أراضيهم يصيبها الضعف لعدم افادتها من مياه الفيضان فى الوقت المناسب وعدم استخدامهم للالات الزراعية (٧) .

---

(٧) مذكرة وزير الاشغال الى اللجنة التشريعيـــة بوزارة الاشـــغال فى ١٩٣٠/١١/٢٩ .

وبناء على نظام الاستغلال الزراعي للارض ، تحقق لكبار الملاك الارباح وأسباب الثروة والجاه ، ولو أنهم كانوا دائمي الشكوى من ارتفاع تكاليف ونفقات الانتاج ، حتى لم تخل أى صحيفة يومية أو اسبوعية طوال الفترة فضلا عما كان يدور فى البرلمان ، من بيان ضخامة التكاليف والنفقات التى يتحملونها ، الا أن الملاحظ بصفة عامة أن هذه الشكاوى كانت تتم بمعزل عن الظروف الاقتصادية المتغيرة يوما بعد يوم ، فهم فى العشرينات كانوا يقيسون تكاليف الانتاج بأسعار ما قبل الحرب العالمية الاولى ، وهم فى الثلاثينات كانوا يقيسونها باسعار ما قبل الازمة العالمية ، وكذلك الحال فى الاربعينات تقاس بالنسبة للثلاثينات ، وهكذا • هذا فى الوقت الذى كانت فيه أسعار البيع وقيمة الايجار تتغير أيضا تبعا لتغير التكلفة ، بحيث كان الربح فى جانبهم على الدوام •

ويمكننا تقدير مدى الربح الذى كان يحصل عليه كبار الملاك اذا عرفنا أن رأس المال المطلوب لمزرعة مساحتها ٤٥٠ فدانا تزرع القطن فى دورة ثلاثية هو ٤٤٨٥ر٥١٢ جنيهـا ، وأن ايراداتها تبلـغ ٧٩٣٧ر٥٠٠ جنيه (ايراد الفدان الواحد ١٧ر٦٢٨ جنيها بدون خصم المصاريف) فيكون صافى الربح للمزرعـــة ٣٤٥١ر٩٨٨ جنيهـــا • أما اذا كانت تزرع القصب كمحصـــول رئيسى فيكون جملـة الايرادات ١٠٦٣١ر٥٠٠ جنيه (ايرادالفدان الواحد ٢٣ر٦٢٥ جنيها) فيكون صافى الربح للمزرعة ٦١٤٥ر٩٨٨ جنيها • اما رأس المال المطلوب لمزرعة مساحتها ١٠٠ فدان ارض رملية وتزرع دورة ثنائية هو ٥٤٧ر٨٠٠ جنيه وايراداتها ٦٢٢ر٥٠٠ جنيه فيكون صافى الربح هو ٧٤ر٧٠٠ جنيه (٨)

ولقد كانت الارض الزراعية تعد المجال الرئيسى لاستثمار كبار الملاك ، بحيث كانوا ينفقون معظم فائض ارباحهم فى اقتناء المزيد من الارض ، وكانت الارض فى النهاية سلعة رأسمالية تباع وتشترى لا بهدف توسيع رقعة الملكية فقط ولكن بهدف الربح ايضا وذلك بالافادة من تغير قيمة الارض من آن لاخر ، على ان هذا النـــوع من الاستثمار تسبب فى وقوع بعض الملاك أسرى شركات الاراضى وبنوك الرهن العقارية •

ولقد ظلت الزراعة مجالا رئيسيا لاستثمارات كبار الملاك لفترة طويلة ، كما ظلوا محجمين عن الدخول فى مجال النشاط التجارى والصناعى تاركين هذا الميدان لرؤوس الاموال الاجنبية رغم النداءات المتكررة والمستمرة بدعوة كبار الملاك الزراعيين لهذا الميدان من الاستثمار • فلما دخلوا هذا الميدان منذ العشرينات وبعد انشاء بنك مصر الذى يعد منعطفا اساسيا فى استثمارات كبار الملاك فى غير مجال الارض اقتصر اغلب نشاطهم فيه على شراء الاسهم فى الشركات المساهمة فكانوا بذلك مساهمين أكثر منهم منتجين ، يضاف الى هذا تمتعهم بعضوية مجالس ادارة العديد من الشركات التجارية والصناعية ، وفى مقدمتها بنك مصر •

وكان طبيعيا ان يبذل كبار الملاك جهودا لحماية مصالحهم الزراعية من حيث تخفيض نفقات الانتاج وزيادة ارباحهم فطالبوا الحكومة بتعديل ضرائب الاطيان والغاء ضريبة القطن وغيرها ، كما طالبوا بزيادة رسوم الواردات على المنتجات المماثلة للانتاج المحلى وتخفيضها بالنسبة للالات والمواد الزراعية الرئيسية ، كما طالبوا بتخفيض رسوم الصادرات على الانتاج المحلى ليسهل تصديره والاتصال بأسواق العالم ، هذا الى جانب مطالبتهم بتخفيض اجور الحلج وتعريفة النقل ، كما حاولوا الغاء الوسيط التجارى بينهم وبين مصانع الغزل فى الخارج ، واصلاح نظام بورصة العقـــود بالاسكندريه بما يدخل عنصر المنتجين فى عضوية مجلس ادارتها ، كما طالبوا بالتدخل فى الدورة الزراعية وتقييد مساحة القطن المنزرع بثلث او ربع الزمام حين بدا أن هذا التدخل لازم لحمـــاية ارباحهم هذا الى مطالبتهم الحكومة بالدخول فى سوق القطن مشـترية ـ ولقـد دخلت بـالفعل ـ لحماية الاسعار من التدهور عن طريق تقليـل المعروض ، وفىنفس الوقتطالبوا الحكومة بالعمل على تسليف صغار المزارعين على القطن حتى لا يضطرون الى بيع محصولهم بأسعار بخسة لتجار الصادرات فيضعف بذلك مركز كبار الملاك ومن ثم يضطرون هم الاخرون الى بيع محصولهم بالاسعار السائدة •

ولا ننسى ان حرصهم على حماية مصالحهم قد أوقعهم فى تناقض مع موظفى الدولة حين كانوا يطالبون الحكومة بتخفيض مرتباتهم ومنع ترقياتهم وتسريح نصفهم حتى تحصل الدولة على فائض من الاموال يجعل بامكانها التنازل عن ضريبة القطن وغيرها من الضرائب الزراعية •

ومع أن كبار الملاك استطاعوا ان يحققوا بعض هذه المطالب ان لم يكن أغلبها الا انهم لم يتمكنوا فى الحقيقة من حماية مصالحهم الحماية الكافية ، رغم تمركزهم فى السلطات التشريعية والتنفيذية ، لان هذه المحاولات كانت تصطدم بالامتيازات

---

(٨) عبد الغنى غنام ، الاقتصـــادالزراعى وادارة المزارع ، ص ٥٢١ ـ٥٢٥ ، ٥٣٦ ـ ٥٣٧

الاجنبية التى كانت تحول دون فرض وسائل الحماية اللازمة وخاصة تلك التى تتعرض للحد من نشاط رؤوس الاموال الاجنبية بأى صورة من الصور (٩) . واذ ساعدتهم الظروف على تحقيق هذه الحماية على مرحلتين : الاولى عام ١٩٣٠ حين وضعت التعريفة الجمركية ، والثانية بعد الغاء الامتيازات الاجنبية فى عام ١٩٣٧ .

ومع أن كبار الملاك هؤلاء كونوا النقابة الزراعية العامة (١٠) فى مطلع عام ١٩٢١ كاداة لحماية المصالح الزراعية ، الا أنها لم تستطع القيام بدور ايجابى وفعال فى تنفيذ السياسة الزراعية التى طالبوا بها ، برغم انها كانت تضم كبار الشخصيات السياسية ، اذ أنها ظلت تنظيما فوقيا لا يعتمد على نقابات فرعية اقليمية تمده بأسباب القوة والحياة حيث كانت تعتمد فى تنفيذ ذلك على الحكومة دون أن تعى أن هذا العمل من أخص مهام ومسئوليات العمل النقابى .

العلاقات الاقتصادية بالفئات الاخرى

ولقد ترتب على النشاط الاقتصادى لكبار الملاك دخولهم فى علاقات بقوى اقتصادية اخرى كانت تحكم هذا النشاط ، فعلاقاتهم بالفلاحين كانت علاقة بقوة العمل الانتاجى ، وهذه العلاقة كانت تحكمها اشكال الايجار المختلفة التى كانت سائدة فى أنحاء البلاد من تأجير نقدى او عينى او النصف والنصف او طريقة المزارعة والمشاركة والمزايدة والممارسة . وان كان المالك الكبير قد فضل التأجير النقدى بالمزايدة والممارسة لان كلا منهما يضمن له أرباحه دون تخوف من الظروف الاقتصادية المتغيرة التى تطرأ على الزراعة وحركة السوق ، وفى حالات استثنائية كان يلجأ الى طريقة المزارعة حيث تكون الارباح والخسارة مشتركة بينه وبين المستأجر سواء فى أوقات وفرة الانتاج وارتفاع أسعاره ، أو العكس .

ورغم ان علماء الاقتصاد الزراعى قد قدروا قيمة الايجار باعتبار ٥ فى المائة ربحا صافيا لرأس المال الا أن هذه النسبة كانت تزيد دائما بحد أدنى ٥ر١ فى المائة وتصل الى ٨ر٧ فى المائة فى مختلف المديريات (١١) ، اى ان العلاقة كانت علاقة تعاقدية فى نهاية الامر كفلت حمايتها التقاليد والعرف السائد وقوانين ولوائح العقود الايجارية التى تضمنت نصوصها حماية مصالح المالك أكثر من مصالح المستأجر . وفى حالة زراعة المالك لارضه بنفسه اى على الذمة فالعلاقة بينه وبين الفلاح كانت علاقة عمل كالعلاقة بين أصحاب الاعمال وعمالهم يحددها نظام الاجر اليومى الذى كان معمولا به وهو يتراوح بين دفع الايجار نقدا أو صنفا ، ويختلف بين كل مديرية واخرى على امتداد الارض المصرية .

وقد حرص كبار الملاك على الا تتدخل الحكومة فى تحديد العلاقة بينهم وبين المستأجرين بأى حال من الاحوال ، وفى المرات التى تدخلت فيها الحكومة لتخفيض الايجارات الزراعية ، بسبب سوء احوال الزراعة ، لم تتعرض لجوهر العلاقة بين الطرفين وانما تركتها للنوايا الطيبة لدى الملاك !

أما علاقة كبار الملاك بالبنوك وشركات الاراضى فكانت علاقة بمصادر تمويل الارض من حيث اقتنائها والصرف على العمليات الزراعية وغيرها من وسائل المعيشة . ولقد بدأت هذه العلاقة بالاقتراض من هذه المؤسسات بضمان الارض او المحاصيل وانتهت بعد تراكم القروض وعدم تسديدها اولا بأول الى ما كان يعرف **بمشكلة الديون العقارية** ،وهى المشكلة التى كانت سببا فى أرق وضجر الملاك المدينين خلال الفترة وحتى نهايتها والتى ادت الى رهن الثروة العقارية فى البلاد للاجانب . فقد قدرت الاراضى المرهونة فى عام ١٩٣٠ وهو عام الذروة فى المشكلة بـ ٣ر٣٤٠ر٠٠٠ فدان ، أى كل أراضى مصر تقريبا ، ما عدا اراضى الوقف والملكيات أقل من خمسة افدنة المحظور توقيع الحجز عليها .

واذا كانت الديون العقارية فى جانب منها تمثل مشكلة قومية وليست فئوية لم تقتصر على مصر فقط ، الا أن تفاقم المشكلة كان يرجع فى جانب منه الى ترف كبار الملاك وبذخهم وأسرافهم وصرف الارباح الناتجة من الارض فى غير تسديد الديون ، مما جعل الحكومة تتدخل أكثر من مرة لوقف البيوع الجبرية وتسوية الديون ، ولكن دون جدوى . هذا فضلا عن أن المبالغ التى تحملتها خزانة الدولة فى تسوية هذه الديون بمقتضى اتفاقيات مارس ١٩٣٣ هى من أموال دافعى كل الضرائب من مختلف فئات السكان وليس من الملاك الزراعيين فقط . وكان من الممكن انفاقها على

---

(٩) انظر على سبيل المثال معارضة الجمعية العمومية بالمحكمة المختلطة على مشروع قانون قدمته الحكومة بحظر بيع القطن تحت القطع لانتفاع تجار الصادرات الاجانب من هذه الطريقة .

(١٠) يوسف نحاس ، جهود النقابة الزراعية المصرية فى ثلاثين عاما .

(١١) عبد الغنى غنام ، الاقتصاد الزراعى وادارة المزارع ، ص ٦١

المشروعات العامة التى تفيد الجميع لا فئة معينة • ومن هنا تقع مسئولية كبار الملاك فى تخلف المجتمع المصرى الى حد كبير حيث وجهوا نشاط الدولة الى حل مشكلاتهم الخاصة بدلا من دراسة مشكلات اخرى عامة ووضع حلول لها .

ومن ناحية اخرى فان كبار الملاك باسرافهم هذا ، كانوا بمثابة اداة الراسمالية العالمية فى محاولةرهن الثروة العقارية للبلاد وتسليمها لقوى اجنبيةتفرض سيطرتها على مقدرات المجتمع المصرى • وكان هذا استمرارا لسياسة الاحتلال الانجليزى منذ البداية ان يفرض سيطرته الاقتصادية من خلال وسطاء له وهم كبار الملاك الزراعيين ضد الحياة فى مصر •

دور كبار الملاك فى الحياة السياسية

اما علاقة كبار الملاك بالحكومة كسلطة مركزية ، فكانت تنحصر فى الحصول على اكبر الضمانات التى تكفل حماية الملكية وما يرتبط بها من مصالح بحيث جاءت سياسة الحكومة الزراعية فى كثير من الاحوال استجابة لهذه المصالح • فأمام الحاح اصحاب المصالح الزراعية تدخلت الحكومة فى سوق القطن مشترية أكثر من مرة لرفع سعر المحصول امام تجار الصادرات وفرضت تحديد الدورة الزراعية الثلاثية وقامت باجراءات مناسبة للتسليف على محصول القطن حتى انشأت بنك التسليف فى عام ١٩٣٠ فضلا عن مشروعات الرى والصرف التى قامت بها والتى ساعدت فى توسيع رقعة ممتلكاتهم الزراعية وتحسين التربة وبالتالى المحاصيل •

ومن الملاحظ ان نظرة كبار الملاك الى الحكومة كانت **نظرة ليبرالية** فى نظام ليس ليبراليا • نظرة تقوم على تحديد دورها وحصره فى نطاق الحارس الامين على مصالحهم فلا تتدخل الا وقتما يشاءون وبحيث لا يتجاوز هذا التدخل حماية مصالحهم والدفاع عنها بالقدر والكيفية التى كانوا يحددونها •

ولم يكن كبار ملاك الاراضى الزراعية أصحاب مصالح اقتصادية فقط يدافعون عنها بمختلف الطرق والوسائل بل ان ملكياتهم هذه جعلت لهم مكانه اجتماعية بين الناس وساعدتهم ايضا على الارتباط بالحياة السياسية فى أشكالها وسلطاتها المختلفة من تشريعية وتنفيذية بحيث جاء وجودهم فى الهيئات السياسية من برلمانية وحزبية وحكومية ، تعبيرا عن مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية حتى لقد اطلق عليهم **« أصحاب المصالح الحقيقية »** باعتبار ان الارض الزراعية كانت مصدر الثروة الاساسى ومصدر النسبة الكبيرة لايرادات الدولة الى فترة طويلة •

ففى الجمعية التشريعية (١٩١٣) كانت نسبتهم ٧٦ فى المائة ، وفى لجنة وضع المبادىء العامة لدستور ١٩٢٣ كانت ٦١ر١ فى المائة ، وفى اللجنة العامه التى ناقشت المبادىء العامة للدستور كانت ٦٢ر١ فى المائة ، وكانت نسبتهم فى الهيئات النيابية العشرة خلال الفترة تتراوح بين ٣٥ فى المائة ، ٥٣ر٩ فى المائة أى بمتوسط عام ٤٤ر٤ فى المائة ،أمامتوسط نسبتهم فىمجلس الشيوخ الذى فضلوه على مجلس النواب لطول مدته ولانه يراجع مشروعات القوانين قبل اصدارها كانت ٥١ فى المائه فضلا عن أن نستبهم كانت تزيد دائما فى لجان البرلمان الداخلية المتعلقة بمصالحهم الاقتصادية مباشرة مثل لجان الزراعة والمالية والاشغال ، ويضاف الى هذه النسب النواب من متوسطى الملاك الذين كانوا يشعرون انهم أقرب الى كبار الملاك فى مصالحهم من صغارهم ، مما جعل لهم الاغلبية دائما فى مجلس البرلمان .

اما نسبتهم فى الوزارات الخمسين التى شهدتها الفترة فكانت تتراوح من ١٨ر٢ فى المائة ، ١٠٠ فى المائة اى بمتوسط عام ٥٩ر٢ فى المائة ، كما تركزوا أكثر فى الوزارات النوعية التى لها صلة مباشرة بمصالحهم الاقتصادية مثل وزارات الزراعة والمالية والاقتصاد والداخلية •

أما الانتماءات الحزبية لكبار الملاك فمن الملاحظ أنهم اشتركوا فى كل الاحزاب السياسية تقريبا التى شهدتها الفترة بعد التجمع الوفدى الكبير من نوفمبر ١٩١٨ ، بحيث يصعب القول أن هناك حزبا معينا اشترك فيه كبار الملاك وحزبا آخر لم يسيطروا فيه ، وكل ما هنالك هو التفاوت فى نسبة كبار الملاك بين حزب وآخر • ومع ذلك فقد قامت محاولة منذ عام ١٩١٣ لانشاء اطار تنظيمى يجمع كبار الملاك تحت اسم « نادى الأعيان » • غير أن هذه الفكرة فشلت فى غضون عام ١٩٢٠ وانفرط عقد دعاتها نظرا للشبهات التى حامت حولها بسبب تطور الموقف السياسى أنذاك والربط بين توقيت انشاء النادى وبين قدوم بعثة ملنر (ديسمبر ١٩١٩) بالاضافة الى عدم استيعاب الرأى العام فى مصر فكرة اقامة ناد لطبقة معينة تماثل طبقة النبلاء التى كانت فى ألمانيا والنمسا وروسيا •

غير ان تعدد الانتماء الحزبى لكبار الملاك من ناحية أخرى يعد نوعا من الرفاهية السياسية ومحاولة للتمتع بقدر من السلطة فى نفس الوقت ، حتى لقد كان أبناء الاسر الكبيرة يوزعون أنفسهم

فى اكثر من حزب ضمانا للسلطة مع أى حزب يكون فى الحكم ..

على أنهم من ناحية أخرى لم يرتبطوا بالتجمعات الشعبية التى شهدتها الفترة مثل « الاخوان المسلمين » و « مصر الفتاة » و « الشيوعيين » ، اذ انها تجمعات متطرفة بالقياس لميول كبار الملاك وتكويناتهم الثقافية ، فضلا عن اتفاق هذه التجمعات على تغيير شكل النظام القائم رغم ما بينها من اختلافات جذرية .

ولقد عمل كبار الملاك على ان تكون السلطة التشريعية فى البرلمان ومجالس المديريات ممثلة لمصالحهم ، عن طريق وضع القيود والعقبات المختلفة أمام الفوز بعضوية هذه المجالس ، كما انهم عملوا جاهدين على تحديد سلطة الملك وتقييد علاقته بالسلطة التشريعية والتنفيذية ، وذلك بشأن تقرير صلاحياته فيما يتعلق بسيادة الامة وحقوق العرش ، وهو ما يتضح تماما فى مناقشات مبادىء دستور ١٩٢٣ [١٢] .

ومن الصعب ، ان لم يكن من الخطأ ، مناقشة معارك الراى فى دستور ١٩٢٣ على انها مجرد تيارات فكرية متصارعة فقط دون ربطها بالوضع الاقتصادى الجديد ، الذى أفرز مجموعة كبار الملاك المحليين الذين ارادوا ان يثبتوا اقدامهم فى الحياة الاجتماعية بتأييد وحماية المؤسسات الدستورية . « فالامة » التى كانوا يحافظون عليها ويدافعون عنها - اثناء وضع الدستور - مفهوما ليبراليا بورجوازيا يعبر عن اصحاب المصالح ، أى أصحاب وسائل الانتاج زراعية كانت ، ام صناعية ام تجارية .

كبار الملاك .. والحركة الوطنية

اما فيما يتعلق بدور كبار الملاك فى الحركة الوطنية ، فرغم أنهم تصدوا لقيادة الثورة فى ١٩١٩ ، لاعتبارات سياسية واقتصادية ومعنوية ، الا ان الجناح المعتدل داخل الثورة كان يتكون منهم ، بل ان بعضهم رفض التوقيع على التوكيلات لما علم بمعارضة الانجليز لها (١٣) ، وهذا يفسر البداية الهادئة للثورة منذ مقابلة ١٣ نوفمبر ١٩١٨ المشهورة ، ويفسر أيضا التأنى والحرص الذى سيطر على عبارات التوكيل، والتى حددت خطوات الثورة ، المطالبة بالاستقلال ؟ فى انها ؟ سلمية أولا ؟ ومشروعة ثانيا ، وفى حدود المستطاع ثالثا . ومن هنا وقفوا ضد العنف الذى لابد وان يكون سمة من سمات الثورة وحرموه وجرموه ، ومنهم تكونت لجان تهدئة الخواطر فى الاقاليم التى ركزت جهودها فى سلب ثورية وعنف الجماهير وتثبيط هممهم ، فضلا عن جهود السياسيين منهم فى محاولة الوصول لتسوية سريعة مع الانجليز الذين كانوا ، اى الانجليز ، يعتمدون فى تنفيذ خططهم ازاء الثورة على جانب كبير منهم كما تثبت الوثائق الانجليزية . ولقد كان يقوى من هذا الجناح المعتدل فى الثورة ، العناصر التركية التى كانت تحتفظ بنظرتها الارستقراطية ازاء العنصر المصرى ، وكانت ترى ان الحكم الذاتى للمصريين لا يمثل طريقا مفروشا بالورود امامهم . على أن قمة النشاط ضد العنف وضحت فى اصدار المرسوم السلطانى فى ١٠ يونيو ١٩١٩ - والثورة فى مراحل عنفها - بتشكيل محاكم فورية لمحاكمة المشتركين فى ثورة ١٩١٩ من رجال الامن الذين ساعدوا الثوار عن ايمان أو عن ضعف ، بل ان المحاكمات امتدت لتشمل المدنيين من القيادات الشعبية للثورة .

وقد ادى رفض العنف الثورى والتمسك بالوسائل السلمية المشروعة والممكنة الى عدم استثمار ثورة الجماهير الحقيقية ، كما ادى بالتالى الى انتصار فكرة المفاوضات مع الانجليز ، وهى الفكرة التى فرضت نفسها على الموقف السياسى آنذاك ، على ان القبول بمبدأ المفاوضات يعنى القبول بمبدأ المساومة ، ويعد فى نفس الوقت بداية للتنازلات وهذا ما حدث بالفعل .

وجاءت البداية مع قدوم لجنة ملنر الى مصر فى ٧ ديسمبر ١٩١٩ ، ثم مفاوضات سعد - ملنر فى لندن فى يونيو ١٩٢٠ ، ودور الوفد الجزئى الرباعى المكون من محمد محمود وعبد اللطيف المكباتى واحمد لطفى السيد وعلى ماهر ، والذى قدم لعرض مشروع اتفاق سعد - ملنر على الجماهير المصرية ، والترويج له رغم اعلان سعد زغلول ان المشروع غير واف بالمطالب المصرية ، وكيف ان اعضاء الجمعية التشريعية مثلا التى بلغت نسبة كبار الملاك فيها ٧٦ فى المائة وافقت على هذا المشروع بنسبة ٧٢ر٤ فى المائة . ثم جاءت المرحلة الاخيرة فى ديسمبر ١٩٢٠ حين اشيع ان عدلى يكن يشرع فى

---

(١٢) انظر محاضر لجنة وضع المبادىء العامة لدستور ١٩٢٣ ومحاضر اللجنة العامة التى ناقشت مواد الدستور
(١٣) ملفات مامورى مراكز ديروط - بنى مزار - اطسا - دمنهور - فارسكور ووثائق الخارجية البريطانية

تكوين حزب عقب عودته الى مصر يسمى بالحزب المعتدل يلتف حوله مجموعة ممن كانوا يرون فى مشروع ملنر اقصى ما يمكن الحصول عليه من الانجليز ، وكان هذا يعد — من وجهة نظر اخرى (١٤) — احياء لحزب الامة وفلسفته فى التعامل مع الإنجليز .

وهكذا تصدع التماسك الوطنى الذى كان سمه الحركه الوطنية فى بدايتها ، فقد شعر كبار الملاك بخطورة العنف الثورى وخطورة مناطحة الانجليز فجعلهم هذا يسرعون بالاتفاق مع انجلترا ، واذا كان احدا قد أفاد من ثورة ١٩١٩ فقد كان كبار الملاك الزراعيين بالدرجة الاولى ، الذين جاءت مكاسبهم على مرحلتين : الاولى تصريح فبراير ١٩٢٢ الذى اتاح لهم قدرا من المشاركة السياسية فى الحكم برغم التحفظات الاربعة وقيامهم بوضع دستور يعبر عن مصالحهم فى مختلف دقائقه وتفاصيله ، أما المكسب الثانى فقد كان معاهدة ١٩٣٦ التى كان من اهم نتائجها بالنسبة لهم الغاء الامتيازات الاجنبية فى ١٩٣٧ ، فأتاح لهم بذلك متنفسا اقتصاديا رحبا وفرصا واسعة للاستثمار بعيدا عن القيود الثقيلة التى كانت تفرضها تلك الامتيازات والتى وجه جانب من نشاطهم السياسى والاقتصادى خلال الفترة فى محاولة تخفيف — ان لم يكن الغاء — قيود هذه الامتيازات .

على ان موقف كبار الملاك فى ثورة ١٩١٩ من حيث تصفية الثورة وانطفاء شعلتها بسرعة ، جعلهم — وهذا من باب التداعى — يقاومون أى حركة تحاول التعرض لامتيازاتهم والقيام بقمعها كما حدث بالنسبة لمظاهرات **واحداث فبراير ١٩٤٦ التى طالب معجروها بتغيير العلاقات الاجتماعية .**

موقف كبار الملاك من المسألة الاجتماعية

يبغى بعد ذلك أن نعرف موقف كبار الملاك من المسألة الاجتماعية فى مصر خلال هذه الفترة ، فقد ترتب على نظام الملكية والاستغلال الزراعى نتائج هامة فيما يتعلق بتوزيع الدخل الزراعى بين السكان وهبوط مستوى اجور عمال الزراعة ، وخلق فئة من مستأجرى الارض الزراعية ، كانت تزداد يوما بعد يوم ، هذا الى جانب مساهمتهم فى خلق المشكلة الاجتماعية فى مصر وهى المشكلة التى تلخصت فى تركيز الثروة القومية فى أيدى عدد قليل من الافراد بلغت نسبته فى مجال الزراعة ٥ر. فى المائة وترتب على هذا التركيز فوارق اجتماعية واضحة بين من يملكون وسائل الانتاج ومن لا يملكون غير قوة عملهم . ومن المعروف ان هذه المشكلة أدت الى ظهور أفكار وحركات اجتماعيه نادت بايجاد حلول لها ، وكان لكبار الملاك رؤية خاصة لهذه المشكلة استمدوها من خلفية اجتماعية وثقافية معينة ، وكأى طبقة مترفة كانوا أبطأ العناصر الاجتماعية نحو التغيير ، بل كانوا يكرهونه كراهية غريزية ، لانه يحولهم عن الاسلوب الذى اعتادوه فى أداء الاشياء والنظر اليها ، فقد أظهروا النفور من الاشتراكية بصفة عامة ، واتهموا كل من ينادى بتحسين مستوى معيشة العمال والفلاحين بالشيوعية وتخريب المجتمع ، بل ان المسألة الاجتماعية قد اسقطت فى الواقع من برامج الاحزاب السياسية خلال هذه الفترة (١٥) ، وحال كبار الملاك دون اصدار اية تشريعات لصالح هذه المسألة من قريب أو بعيد ، وقد وضح هذا الموقف خلال مناقشة القضايا المتعلقة بالحركة العمالية ، كالاعتراف القانونى بنقابات العمال (١٦) ، وغير ذلك من قوانين العمل ، والموقف من مسألة القريه النموذجية ، حيث اعتبروها من قبيل الترف الذى ينفر الفلاح من طبيعته الخشنة التى الفها وتعود عليها واجداده ، ويحول الفلاحين من أصحاب الجلاليب الزرقاء الى اصحاب الجلاليب « المكوية » على حد تعبيرهم . كما كان موقفهم من التعليم الاولى واضحا فى محاولة تضييقه لان تعليم أولاد الفلاحين فى نظرهم يعد طفرة اجتماعية كبرى وحاولوا قصره على العلوم الدينية وقدر بسيط من الحساب ومطالعة الموضوعات المتصلة بشئون الزراعة (١٧) ، كما وقفوا ضد محاولات الاصلاح الزراعى التى هدفت الى احداث توازن اجتماعى

---

(١٤) انظر جريدة الاهالى فى ١٩٢٠/١٠/٢٢

(١٥) انظر مبادىء حزب الاحرار الدستوريين [السياسة ، ١٩٢٢/١٠/٣٠] وبرنامج حزب الاتحاد [السياسة ، ١٩٢٥/١/١١] ، مبادىء حزب الشعب [المقطم ، ١٩٣٠/١١/٢٠] ابحاث المؤتمر الوفدى الثانى فى ١٤ — ١٩٤٣/١١/١٦ [غير منشورة]

(١٦) مجلس النواب ، جلسات ١٩٣٦/٨/٢٥ ، ٣ ، ٤ ، ١٩٤٢/٨/٥

(١٧) مجلس النواب ، ١٩٣٣/٥/٢٢

(١٨) انظر على سبيل المثال : ابحاث المؤتمر الزراعى الثالث ١٩٤٩ ، مجلس الشيوخ فى ١٩٤٥/٦/٢٥ ، محمد على علوبة ، مبادىء فى السياسة المصرية ، ص ٥٢

فى نظام الملكية (١٨)؟ فقد اتسمت آراءهم فى هذا المجال بالحفاظ على مصالحهم دون السماح بالاقتراب من الملكية بأى حال من الاحوال . وكان ذلك شيئا طبيعيا بالنسبة لما هو قائم ، فلم يكن من المتوقع ان تقدم الحكومة تحت اى ظرف من الظروف بتحديد الملكية الزراعية بحد أقصى ولو لالف فدان ، والدستور الذى وضعه اصحاب المصالح الزراعية يقدس الملكية وينص على عدم مشروعية مصادرتها ، أو حرمان أصحابها منها .

على ان نظرة كبار الملاك الى المسالة الاجتماعية كانت متأثرة بالثقافة الليبرالية التى اتصلوا بها دون ان يدركوا حقيقتين اساسيتين تتعلقان بها وهما : الاولى انها كانت تعبيرا عن تحولات اقتصادية عريضة تمت على مراحل زمنية مختلفة ، منذ أواخر العصور الوسطى ، تم فيها تحطيم هيكل النظام الاقطاعى وسيادة مبدأ حرية العمل ، وهذا ما لم يحدث فى مصر .. والثانية أن الليبرالية التى أطلوا عليها وانبهروا بها كانت قد تحولت الى أداة قهر فى أيدى الرأسماليين أصحاب المصانع لمواجهة الحركة العمالية .

واذا كان كبار الملاك قد اتبعوا نشاطا اقتصاديا يكاد يكون واحدا ، ومارسوا علاقات انتاجية تكاد تكون واحدة ، وكان الدور السياسى الذى لعبوه يتسم بالحفاظ على مصالحهم بحيث لا يتجاوزها فضلا عن رؤيتهم الواحدة للمسالة الاجتماعية ... فهل كان كبار الملاك الزراعيين يكونون طبقة اجتماعية ؟ ! طبقا للشروط العلمية للطبقة الاجتماعية . كان كبار الملاك يكونون فئة اجتماعية تجمع بين افرادها خصيصة ملكية الارض الزراعية ، وكانوا من ناحية أخرى جزءا من طبقة أوسع هى طبقة أصحاب وسائل الانتاج ، والتى تضم الى جانبهم أصحاب الشركات التجارية والصناعية ورجال البنوك الذين يكونون اجنحة الرأسمالية فى مصر . ولقد توفرت فيهم الشروط العامة للطبقة الاجتماعية ، كما اتفق عليها علماء الاجتماع والاقتصاد السياسى (١٩) ، اذ كانت الارض الزراعية مصدر ثروتهم الاساسى بالاضافة الى استثمارهم فائض أرباحهم من الانتاج الزراعى فى مجال الشركات المساهمة ، كما كان عملهم يختلف بين الزراعة والتجارة والصناعة ، كذلك كانوا يعيشون حياة اجتماعية واحدة كفلتها شبكة قوية عريضة من الاصهار والنسب بين العائلات بعضها بعضا ، هذا الى أن نوع الثقافة كان واحدا فى اغلب الاحوال ، فقد كان مصدر ثقافة الجيل الاول منهم التعليم الدينى فى الازهر ، أو مكاتب حفظ القرآن ، أو مدارس الارساليات التبشيرية الاجنبيه ، اما الجيل التالى لهم ، اى جيل الابناء ، فقد كانت ثقافتهم ليبرالية تحصلوا عليها من الاتصال بالمجتمع الاوربى سواء من خلال البعثات التى أرسلتها الدولة الى بلاد اوربا وخاصة فرنسا وانجلترا ، أو من خلال انتشار مناهج التعليم فى المدارس والجامعات التى كانت تنقل انماط الحياة الثقافية والفكرية فى اوربا والتى كانت قائمة على الليبرالية كمنهج فى الحياة .

اما فيما يتعلق بالتكييف الاقتصادى لنظام استغلال الارض ، فان كبار الملاك لم يكونوا نظاما اقطاعيا بالمعنى الذى عرفته أوربا فى مراحل تطورها الاجتماعى ، وهذه النتيجة مبنية على اعتبارات خاصة بعدم توافر مواصفات النظام الاقطاعى فى نظام استغلال الارض الزراعية فى مصر ، بل يمكن وصفه بالرأسمالية الزراعية للاسباب الاتية :

● ان كبار الملاك لم يكونوا مقيمين بمناطق ملكياتهم كأمراء الاقطاع ، بل كانوا متغيبين ولم يكونوا يتحملون مسئوليات اجتماعية تجاه الفلاحين ، وكل ما كان يربطهم بهم أنهم قوة عمل .

● أن العلاقة بين المالك والفلاح ليست علاقة اقطاعية بمعنى التبعية مقابل الحماية ، ولكنها علاقة تعاقدية تقوم على الايجار او الاجر .

● أن المالك فى مصر كان يتصرف فى أرضه بالبيع والرهن ، بحيث كانت سلعة تباع وتشترى ، بينما المالك الاقطاعى لا يتصرف فى أرضه الا بالهبة والتوريث .

● ان الارض الزراعية فى مصر كانت فى الاصل تحت يد الدولة التى كانت لها السلطة المركزية ، بل ان استخدام كلمة « مكلفة زراعية » فى سجلات الدولة الرسمية للدلالة على الملكية الفردية ، تعنى ان الملكية من وجهة نظر الحكومة تكليفا للمالك بزراعة أرض كانت فى حوزة الدولة .

وحين بدأ الوعى الطبقى يكتمل لدى كبار الملاك وتصل العلاقات بينهم الى مراحل عالية من النضج والتكامل ، وزالت الامتيازات الاجنبية ومحاكمها المختلطة ، واصبح الطريق ممهدا امامهم ، جاء قانون الاصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ليجردهم من المصدر الرئيسى للثروة والقوة ، ويضع بداية أخرى فى نظام استغلال الارض الزراعية فى مصر .

---

(١٩) اندريه جوسان ، طبقات المجتمع ص ١٩ وما بعدها
وايضا زكريا نصر ، تطور النظام الاقتصادى ، ص ٣٠ ، ٢٤٥

زيادة مدة التعليم الابتدائى

ضرورة قومية

ممدوح نور

ان الشكوى من هبوط مستوى التعليم الابتدائى قديمة قدم هذا التعليم ، فمنذ ان كان هذا التعليم يقدم فى الكتاتيب كانت الشكوى من عدم نجاح هذه الكتاتيب فى تعليم تلاميذها القراءة والكتابة ومبادىء الحساب • وقد اشارت **لجنة تعميم التعليم الاولى** الى فساد التعليم فى هذه الكتاتيب وطالبت بانشاء مدارس حكومية جديدة وعدم الاعتماد على هذه الكتاتيب الاهلية فى نشر التعليم • وعندما بدأت الدولة فى تقديم التعليم الابتدائى فى المدارس الالزامية ، احتفظت هذه المدارس بكثير من المؤثرات والعوامل التى أدت الى تدهور التعليم فى الكتاتيب ، واستحدثت عوامل جديدة منعت هذا التعليم من أن يرتفع فوق مستوى الكتاتيب القديمة وقد اشارت احدى اللجان التى شكلت لبحث حال التعليم الالزامى عام ١٩٤٠ ،الى انهذه المكاتب الالزاميةقد فشلت فىانتصلبالاطفال فى المدن الى مستوى مقبول فى تعلم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب • أما فى الريف ، فقد أجمعت الاراء على فشل هذه المكاتب فشلا ذريعا ، فى احداث أثر يذكر فى عقول التلاميذ ، فان مناقشة الباحثين لتلاميذ المكاتب الالزامية بالريف ، كانت توضح أن عقول التلاميذ لا يبدو انها قد تأثرت بما تلقوه من تعليم •

وقد أصبح من الامور المعتادة أن يصل الطفل الى نهاية المرحلة الالزاميه دون ان يتعلم القراءة والكتابة • ولم تتأثر كثيرا حالة التعليم الالزامى عندما استبدلت لافتات المدارس الالزامية والمدارس الاولية بلافتات « المدارس الابتدائية » ، لانه لم يحدث أى تغيير فى طبيعة هذه المدارس ، ولا تقدم فى مستوى الخدمة التعليمية • ولقد صدر قانون بتوحيد المرحلة الاولى ، ولكن لم تتخذ اجراءات تكفل رفع مستوى هذا التعليم • ولذلك لم يكن غريبا ، أن تقرر **لجنة بحث مشاكل التعليم الابتدائى** التى شكلت عام ١٩٥٧ أن حالة هذا التعليم سيئة وتحتاج الى علاج حاسم . كما أشار تقرير وزارة التربية والتعليم عام ٦١ ـ ٦٢ ، الى أن الشكاوى قد تكررت من هبوط مستوى التحصيل فى المدرسة الابتدائية ، ومن ان النتائج التى تم التوصل اليها فى تعليم أبناء الامة ، لا توازى الجهود والاعباء المالية الضخمة التى تنفق فى سبيله • ومنذ مدة أبدى السيد **وزير التربية والتعليم** ملاحظاته عن مدى تدهور مستوى الخدمة التعليمية التى تقدمها المدرسة الابتدائية ، وعن انزعاجه من فشل المدرسة الابتدائية فى تحقيق اضيق الاهداف وهو محور الامية •

على أن هبوط مستوى التعليم الابتدائى انما

يرجع الى عدة أسباب وعوامل متداخلة ، عملت متعاونة على الوصول الى هذه النتيجة التى يشكو منها الجميع • ومن أهم هذه العوامل قصر مدة التعليم الابتدائى ، وعدم كفايتها لتحقيق أغراض التعليم الابتدائى وأهدافه • وقد شهدت الحركة التعليمية صراعا ضاريا حول تحديد مدة التعليم الالزامى منذ أن صدر قانون التعليم الالزامى عام ١٩٢٥ • ولم يتوقف هذا الصراع حتى الان . أما القوى الديمقراطية فتطالب دائما بزيادة مدة التعليم الابتدائى الالزامى ، حتى يتوفر لابناء الشعب قدرا من التعليم لا يزول بابتعاد الطفل عن المدارس ، ويمكنه من تقديم أقصى قدر من طاقاته ، من أجل التقدم الاجتماعى والاقتصادى للبلاد • بينما تحاول القوى الرجعية ولا تكف عن محاولة انقاص مدة هذا التعليم الى أقل حد ممكن ••

فعندما صدر قانون التعليم الالزامى عام ١٩٢٥ ، وحدد مدة التعليم الالزامى بست سنوات ، لم تتوقف محاولات الرجعية من أجل افساد هذا التعليم لحرمان الشعب ، وخاصة أبناء الريف ، من تعليم مثمر قد يزيد من مساهمتهم الفعالة فى الحياة الاجتماعية • فلجأت الى جعل التعليم فى هذه المدارس الالزامية على نظام الفترتين أى على نظام التعليم نصف اليومى ، بحيث يتناوب مجموعتين من الاطفال الحضور للمدرسة ، فتتلقى احداهما التعليم فى الفترة الصباحية ، والاخرى فى الفترة المسائية ، وبذلك أصبح التلميذ يتلقى التعليم بالمدرسة لمدة ثلاث ساعات ونصف يوميا ، بعد أن كان يقضى بالمدرسة النهار كاملا • وبذلك نقصت مدة التعليم الالزامى من الناحية الفعلية الى أقل من النصف •

وقد تعرض نظام التعليم النصف يومى الى نقد شديد من جانب الكثيرين من الذين بحثوا مشاكل التعليم الالزامى فى الثلاثينات والاربعينات .فقد أرجع **نجيب الهلالى** فشل التعليم الالزامى الى ذلك النظام • فقال فى تقريره عن اصلاح التعليم فى مصر عام ١٩٤٣ « ليس ثمة من سبب لاخفاق هذا التعليم غير النظام نفسه ، فهو نظام فاسد من كل وجه • على ان اظهر عيوبه ، انما يرجع سببه الى قصر المدة المخصصة له ، وهى سنتان ونصف سنة على الحقيقة •• وان عدت خمسا على الورق ، لان التعليم فيها نصف اليوم » • ويستشهد **الهلالى** فى نفس التقرير بما صادفه التعليم الالزامى من فشل فى انجلترا عندما لجأت الى تطبيق نظام نصف اليوم فيقول « وقد سبقتنا انجلترا الى تجربة هذا النظام فى سنة ١٨٧٠ ، فقررت أن تكون الدراسة خمس سنوات لنصف الوقت • ولكن هذه التجربة قد أخفقت رغم الجهود التى بذلتها وزارة المعارف وبذلها المعلمون . واضطرت انجلترا الى الغاء هذا النظام كله وزيادة السن تدريجيا • ولم يستقر هذا النوع من التعليم أو يسفر عن نتيجة تذكر الا بعد أن زيدت مدة التعليم الالزامى الى تسع سنوات كاملة ، على نظام الدراسة طول اليوم المدرسى » •

ومما يذكر ، انه على الرغم من فشل ذلك النظام فى انجلترا فان الخبير الانجليزى المستر **مان** الذى استقدمته وزارة المعارف العمومية فى مصر عام ١٩٢٨ لبحث مشاكل التعليم المصرى واقتراح الحلول المناسبة لها ، هذا الخبير ، قد رحب وأشاد بفاعلية نظام التعليم نصف اليومى باعتباره وسيلة فعالة لمحو الامية ونشر التعليم بسرعة ، فضلاعن ملاءمته لظروف الريف وفاعليته فى منع هجرة الفلاحين الى المدينة ••

وقد أجمعت الاراء على فشل نظام نصف اليوم فى تحقيق أى هدف من أهداف التعليم الابتدائى ، فلم يكن ذلك رأى الهلالى فقط ، بل ان **اسماعيل القبانى** أيضا قد أدانه ، وطالب الوزارة بضرورة العدول عن هذا النظام بالتدريج على أن يبدأ العمل بنظام اليوم الكامل فى المحافظات ثم ينتقل تدريجيا حتى يصل الى أعماق الريف •

انقاص مدة التعليم الالزامى

لم تكتف الرجعية بتطبيق نظام نصف اليوم فى التعليم الالزامى لكى تحول دون أن يحقق هذا التعليم محو الامية • ولم تقنع بعمليات التهدئة والابطاء فى نشر التعليم بحجة الاهتمام بالكيف دون الكم رافعة شعار « ان تعليم الف من الاطفال تعليما منتجا خير من تعليم الفين منهم تعليما غيرمنتج» ،بلالقدلجأت الىانقاص مدة التعليم الالزامى المقررة قانونا • ففى عام ١٩٣٠ قررت الوزارة ان تكون مدة التعليم الالزامى خمس سنوات بدلا من ست بالرغم من صيحات التحذير التى أطلقها الباحثون معلنين أن الست سنوات على نظام اليوم الكامل لا تكفى •

وبعد ان تقررت على عهد حكومة الوفد مجانية التعليم الابتدائى عام ١٩٤٣ ، وأصبح من حق أبناء الشعب ــ من الناحية النظرية على الاقل ــ أن يحصلوا على تعليم راق تعجز المدارس الالزامية عن توفيره فى ثمانى سنوات ،لان المجانية قدازالت الحاجز الذى ظل يمنع ابناء الشعب من الالتحاق بالمدارس الابتدائية القديمة • نقول بعد ان تقررت هذه المجانية ، انزعجت الرجعية ، وهى ترى أبناء الشعب يزحفون الى المدارس الابتدائية ، التى كانت وقفا على القادرين على دفع مصروفاتها • ومن ثم أخذت تبحث عن وسيلة تزيل بها كل الاثار المترتبة على مجانية التعليم الابتدائى • فتقدم **اسماعيل القبانى** بمشروع تنظيم للتعليم يهبط بمدة التعليم الالزامى الى أربع سنوات فقط ، على أن يتم تعميم هذا التعليم فى مدى ٢٠ سنة ، بحجة أن تلك هى الوسيلة الوحيدة لتعميم التعليم الابتدائى

بسرعة ؟ ونسى القبانى ماسبق أن استشهد به من أبحاث العالم الامريكى بول مونرو فى جزر الفلبين وفيها اثبت مونرو ان مدة التعليم الابتدائى عندما تنقص عن خمس سنوات ، فان التلميذ معرض لنسيان ما تعلمه . كما أنه لم يشترط أن تكون هذه السنوات الاربع على نظام اليوم الكامل .

ولم يكن من السهل على الفنيين أن يتقبلوا مشروع القبانى وهم الذين أدانوا قصر مدة التعليم الالزامى عندما كانت مدته خمس سنوات . وقد عبر القبانى عن المعارضة التى واجهت مشروعه فى التقرير المرفوع من وزارة المعارف للمجلس الاعلى للتعليم عام ١٩٤٥ بقوله « وقد رأى بعض الفنيين أن موارد البلاد الانشائية فى الوقت الحاضر لا تفى بتعميم تعليم مدته ست سنوات بالسرعة الواجبة . ولذلك يقترح أصحاب هذا الرأى تقسيم هذا التعليم العام الى مرحلتين ، تنتهى الاولى منهما فى سن العاشرة ، وتكون الزامية لجميع الاطفال . أما المرحلة الثانية من العاشرة الى الثانية عشرة وهى مرحلة تزيد فيها العناية بالناحية العملية فتكون اختيارية فى الوقت الحاضر ، على أن تعمم بالتدريج بقدر ما تسمح به موارد البلاد . ولكن غالبية الفنيين لم تأخذ بهذا لانها رأت ان مدة السنوات الاربع لاتكفى لتحقيق كل الاهداف السابقة للاطفال الذين يقف تعليمهم عند العاشرة » .

ويلاحظ أن القبانى الذى طالب عام ١٩٢٥ بألا تقل عدد سنوات التعليم الالزامى عن سبع سنوات على نظام اليوم الكامل ، اكتفى عام ١٩٤٠ بأن تكون مدة هذا التعليم خمس سنوات على نظام اليوم الكامل ، على أن تزاد فيما بعد الى ست سنوات . ثم حاول منذ عام ١٩٤٣ أن تقتصر مدة التعليم الالزامى على أربع سنوات ولم يبد اصرارا على تطبيق نظام اليوم الكامل .

الثورة ومدة الالزام

صدر قبل الثورة قانون التعليم الابتدائى رقم ١٤٣ لسنة ٥١ الذى وحد التعليم الابتدائى القديم والتعليم الالزامى فى مدرسة واحدة هى المدرسة الابتدائية ذات الست سنوات . ولكن بعد أن قامت الثورة حاول اسماعيل القبانى مرة أخرى فرض مشروعه الذى كان قد اقترحه عام ١٩٤٣ ، وهو انقاص مدة التعليم الابتدائى الى اربع سنوات مستغلا رغبة الثورة فى ضغط الانفاق الحكومى . ولكنه لم يوفق أيضا ، رغم الصراع الذى خاضه فى اللجنة الوزارية المشكلة لبحث سياسة التعليم ، والذى عبر عنه بقوله « وكان رأى البعض قصر المدة على أربع سنوات » حتى يمكن السير بسرعة اكبر فى تعميم التعليم الابتدائى ، ولكننا رأينا أن أربع سنوات قد لا تكفى لتحقيق الغرض المنشود ، وأن بعض التلاميذ معرضون فى هذه الحالة لان ينسوا ما تعلموه ويعودوا الى أميتهم » .

وصدر القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥٣ . وهذا القانون — على الرغم من أنه قد قرر أن مدة الدراسة بالمدارس الابتدائية ست سنوات — الا أنه قد تضمن مجموعة من المبادىء والنصوص ، أضرت ضررا بالغا بمستوى التعليم الابتدائى منها :

أولا : تداخل المرحلة الابتدائية والمرحلة الاعدادية : لقد سمح القانون بأن يعقد امتحان مسابقة القبول للاعدادى عند سن العاشرة ، اى بعد نهاية الصف الرابع الابتدائى حيث أن سن دخول المدرسة كان يبدأ عند السادسة . وكان ذلك يعنى تداخل المرحلة الابتدائية والمرحلة الاعدادية لانه يوجد ازدواجا بين الصفين الخامس والسادس الابتدائيين والصفين الاول والثانى الاعداديين . وقد حذر بعض خبراء التعليم من ضرر هذا التداخل . لان انتقال الاطفال ، عند سن العاشرة (أى بعد الصف الرابع الابتدائى) يضعف المدرسة الابتدائية ويتعارض مع مبدأ توحيد التعليم فى مرحلته الاولى . وقد أثبت التطبيق ، أن هذا النظام ، قد أضعف المدرسة الابتدائية ، وادى الى أن تصبح مدة الدراسة فى المرحلة الابتدائية اربع سنوات . وقد أدانت المذكرة الايضاحية لقانون التعليم الابتدائى رقم ٢١٣ سنة ١٩٥٦ بقولها « ولهذا وجب اعادة النظر فى قوانين التعليم بحيث يصبح التعليم الابتدائى الزاميا مجانيا لجميع الاطفال وبحيث تكون مرحلة التعليم الابتدائى مرحلة لاتخلخل فيها ، تمنح الطفل من التعليم ما يكون له أثر باق فى مستقبل حياته » .

والغى هذا التداخل بأن أصبح امتحان مسابقة القبول يتم بعد نهاية الصف السادس الابتدائى .

ثانيا : عدم تحديد حد أدنى لمدة التعليم الابتدائى : كانت نتيجة عدم تحديد حد أدنى لمدة التعليم الابتدائى الالزامى ، أن التلاميذ ، وخاصة فى الريف لا يبقون فى المدرسة بعد الصف الرابع . وقد انتقدت مذكرة القانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦ ذلك ، اذ جاء بها « انه وان كان نظام التعليم الابتدائى الراهن يتناول الصغار ، من السادسة الى الثانية عشرة ، الا أنه لا يكفل فى الواقع تقرير حد أدنى لفترة التعليم . ذلك لان كثيرا من الاطفال خصوصا المقيمين منهم بالمناطق الريفية النائية بالوجه القبلى تنتهى دراستهم بنهاية السنة الرابعة الابتدائية لعدم توفر المدارس الاعدادية القريبة . وليس من شك فى أن ترك الدراسة بعد فترة قصيرة يعود بهؤلاء مرة أخرى الى الامية ، اذ لاتتوفر للكتابة والقراءة فى هذا السن فى المجتمع الريفى أسباب الثبوت والنمو » .

ثالثا : انقاص الحد الاقصى لسن البقاء بالمدرسة الابتدائية : كانت المادة ١٢ من القانون ١٤٣ لسنة ١٩٥١ للتعليم الابتدائى تنص على انه لا يجوز اعادة الدراسة بالفرقة أكثر من عام دراسى واحد ولايبقى التلميذ ، بعد العام الذى بلغفى اثنائه أربع عشرة سنة » . فجاء القانون ٢١٠ لسنة ١٩٥٣ لينص على أن « لا يبقى التلميذ فى المدرسة الابتدائية ، اذا كانت سنه فى أول سبتمبر تزيد على ١٢ سنة ، الا اذا كان حينئذ منقولا الى الفرقة السادسة وفى هذه الحالة يسمح له بالبقاء سنة اخرى » • ومعنى هذا أن الطفل الــذى يلتحــق بالمدرسة الابتدائية فى سن الثامنة ، لا يسمــح القانون له بالبقاء فى المدرسة بعد الصف الرابع • أى أن مدة التعليم الابتدائى تصبح فى الريف أربع سنوات فقط .

وقد أدان مؤتمر التعليم الالزامى للدول العربية عام ١٩٥٥ هذا المبدأ حيث أبدى أعضاء بعض الوفود الصديقة الذين حضروا كمراقبين « قلقهم الشديد لسماح بعض الحكومات للاطفال أن يتركوا المدرسة الابتدائية قبل سن الرابعة عشرة • كما أوصت لجنة المناهج بالمؤتمر المذكور بأن « يبقى الطفل فى المدرسة الى ما بعد سن الثانية عشرة لانه يخشى اذا ما خرج من المدرسة فى هذا السن أن يرتد الى أميته » •

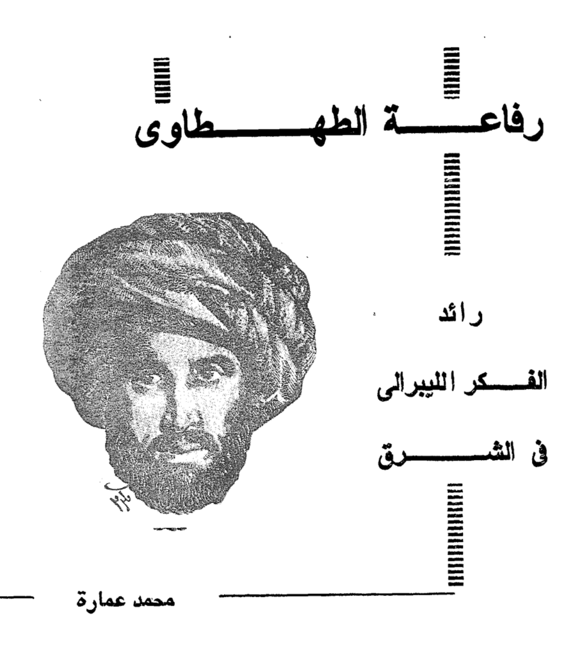
وقد عاد القانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦ بسن البقاء فى المدرسة الابتدائية الى الرابعة عشرة • ثم جاء القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٦٨ ليصل بهذا السـن الى ١٥ سنة •

وبالرغم من معالجة بعض أوجه النقص فى القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥٣ ، وتلافيها فــى القوانين التى صدرت بعد ذلك ، الا ان الشكوى ظلت مستمرة من هبوط مستوى التعليم فى هذه المدارس الابتدائية ، وقد ارجع كثير من الخبراء هذا الهبوط الى أن مدة هذا التعليم غير كافية • ولذلك أوضح تقرير وزارة التربية والتعليم عن أهداف واتجاهات التربية والتعليم خلال الخطة الخمسية الثالثة ضرورة « الامتداد بفترة التعليم الالزامى بحيث تشمل المــرحلتين الابتــدائية والاعدادية ، ذلك لان السنوات الست المقــررة لمرحلة الالزامية لا تكفى فى الواقع لتكويــن المواطن المزود بقدر كاف من المعرفة والمهارة يمكنه من شق طريقه فى الحياة ، ثم هى تترك الطفل ولمــا يبلغ سن العمالة » . ولكن هذه الاشــارة الى ضرورة زيادة مدة الالزام لم يصاحبها مــن الاجراءات ما يجعلها دعوة جادة او يؤكــد أن الوزارة تعنى ما تقول • ففى الوقت الذى كانت الوزارة تدعو الى زيادة مدة الالزام قامت بغلق عدد من دور المعلمين والمعلمات التى تعد المعلمين للتعليم الابتدائى ، كما انقصت عدد فصول هذه الدور وتلاميذها وقامت بتحويل هذه الدور الى مدارس بالمراحل الاخرى للتعليم ، ولم يكن مفهوما أن ينقص اعداد فصول معاهد المعلمين وأعداد تلاميذها بينما لم تزل المدارس الابتدائية عاجزة عن استيعاب أكثر من سبعين فى المائة من الملزمين وفى الوقت الذى يعانى فيه التعليم الابتدائى من عجز فى المعلمين المؤهلين •

واذا كان « **برنامج العمل الوطنى** » قد اكتفى بالتأكيد على ضرورة « ان تتسع المرحلة الاولى من التعليم ، فى نهاية العشر سنوات ،لجميع من بلغ سن الالزام تمهيدا لرفع هذه السن الى ١٥ سنة » ، **فان واجب الوزارة ان تجعل هدفها العاجل الغاء نظام التعليم نصف اليومى باعتباره أحد الاسباب الاساسية لزيادة الامية ، ولافســاد التعليــم الابتدائى** ، حيث ان هذا النظام قد منع المدارس الابتدائية من تحقيق رسالتها بشقيها وهما التربية والتعليم • فان الوقت الذى يقضيه الطفل بالمدرسة الابتدائية ، لا يمكن المدرسة من أن تصبح ذات فاعلية فى تربية الطفل • ويمكن ادراك هــذه الحقيقة من ملاحظة ان الطفل فى المدرسة التى تسير على نظام نصف اليوم لا يبقى فى المدرسة سوى حوالى ثلاث ساعات ونصف • أما التلاميذ فى المدارس التى تسير على نظام ثلث اليوم ، يقضون فترة اقل من ذلك بكثير ، بينما التلاميذ فى المدارس الابتدائية القديمة كانوا يقضون فــى المدرسة اكثر من ثمانى ساعات • فالتلميذ ، يعيش فى المدرسة ثلاث ساعات وباقى اليوم يقضيه خارجها ، وبذلك يتضاءل تأثير المدرسة اذا قيس بتأثير البيئة التى يعيش فيها الطفل .

ولا يكفى أن يلغى نظام التعليم نصف اليومى لكى يرتفع مستوى التعليم الابتدائى ، بل انه لمن الضرورى أن تزاد مدة التعليم الالزامى تدريجا لتصبح سبع سنوات على نظام اليوم الكامل مؤقتا ، ثم تزاد الى ثمان وهكذا • وليس ذلك مطلب جديد وليست المطالبة بذلك نوع من المزايدة ، بل انــه مطلب قديم تقدم به اسماعيل القبانى عام ١٩٢٥ أى منذ حوالى نصف قرن وطالب به نجيب الهلالى منذ ثلاثين عاما .

وزيادة مدة التعليم الابتدائى عن طريق الغاء نظام الفترتين وعن طريق زيادة عدد سنوات الالزام ليس ضرورة تعليميه فقط ، بل انه الوسيلة لاحداث تغيير حقيقى فى أسلوب الحياة اليومية ، ووسائل وأسلوب الانتاج فى الريف • وهو الخطوة الاولى فى طريق ارتفاء القرية واقترابها مــن المستوى الذى وصلت اليه المدينة •ان زيادة مدة الالزام ، هى ضرورة اجتماعية للتقدم الاجتماعى ، وتغيير العلاقات الاجتماعية ، وضرورة انتاجية من اجل تحقيق التقدم الاقتصــادى ، وهى ضرورة انسانية من أجل الارتقاء بمستوى أبناء الشعب الذين يقتصر تعليمهم على هذه المرحلة •



رفاعـــة الطهــــطاوى

رائد الفــكر الليبرالى فى الشـــرق

محمد عمارة

شهدت مصر فى النصـــف الاول من القرن التاسع عشر ، تجربة ســياسية كانت جـديدة على كل شــعوب الشرق ، حملت الى هذه الشعوب تغييرات « كيفية » فى مكونات السلطة السياسية لم تعهدها هذه البلاد منذ قرون وقرون .

فللمرة الاولى ، منذ انحلال الدولة الفرعونية ، يتكون جيش البـلاد من عنصرها الوطنى الاصلى .. ويحرز هذا الجيش العديد من الانتصارات فى مختلف الميادين والساحات .

وللمرة الاولى تتكون فيهـا أجهزة ســياسية وادارية ، يبرز فيها دور عنصرها الوطنى الاصلى .. فى المجـالس البلدية المحلية .. و « مجلس الشـــورى » ، و « المجلس الخصـوصى » ، و « المجلس العمومى » ، والمجـالس التى قادت العمل فى مجالات التعليم ، والصحة ، والاشغال العموميـــة .. الـخ .. الـخ .. وقـانون « السياستنامة » الذى وضع لينظم هــذه الاجهزة فى سنة ١٨٣٧ م [١] .

وللمرة الاولى يتم **التمييز** بين السلطة السياسية

[١] محمد عمارة [العروبة فى العصر الحـديث] ص ١٠٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

وبين الدين — مع الاستفادة من تراث الحضارة الاسلامية التشريعي فى وضع القوانين الجديدة — وهذا التميز هو الذى ادى الى تطور هام جدا شهدته هذه التجربة ، تمثل فى اشتراك سائر ابناء هذا الوطن ، بصرف النظر عن اديانهم ومعتقداتهم ، فى تولى المراكز واحتلال المواقع فى هذه التجربة الجديدة واجهزتها المختلفة ، مما ابرز للوجود ان هناك تجربة تبنى على اساس « **وطنى** » لا على اساس « **دينى او طائفى** » . فدخل الشرق بهذا التطور الهام والحاسم الى عصر التنوير ، وغادر بذلك عصوره المظلمة ، وكان يجسد بذلك حقيقة هامة ، مؤداها **ان الفكر البورجوازى والتجربة البورجوازية قد عرفت طريقها الى ربوع الشرق الذى يناضل كى ينفلت من قيود عصر الاقطاع** [٢] .

ولكن هذه التجربة المتقدمة التى شهدتها مصر قد شابتها وقللت من فعاليتها وثمارها مواقف محمد على — كحاكم شرقى تقليدى فى اساليب ممارسة السلطة — المتسمة بالفردية والمغرمة بتجميع كل سلطات الامر والنهى فى يده ، وهى الاساليب التى ضخم من آثارها تلك الفجوة التى كانت بين محمد على — ذى الميول التركية — وبين العنصر الوطنى — على عكس ابنه ابراهيم — واعوانه ، حتى المتمصرين منهم ، الذين جاءوا مصر صغارا وتكونوا فى احضانها ، الذى كان اكثر اعتمادا على العنصر الوطنى ، واكثر اهتماما به ، وثقة فيه [٣] .

ومن هنا كان دور الفكر السياسى البورجوازى ودور الفكر الديمقراطى الليبرالى بالذات ، عظيم الاهمية ، وبالغ الخطورة ، فى دفع عجلة هذه التجربة فى استكمال مقوماتها ، والتخلص من شوائبها هذه ، شوائب الحكم الفردى التى تعوق هذه التجربة عن بلوغ الابعاد الطبيعية التى تحققت لمثيلاتها فى بلاد اخرى ، وفى البلاد الاوربية بالذات .

ولقد كان رفاعة رافع الطهطاوى [١٨٠١ — ١٨٧٣ م] ، هو المبشر بهذا الفكر الديمقراطى الليبرالى فى ربوع الشرق التى الفت طويلا نمط الحكم الفردى .. بل لقد استطاع ان يضع كل اسس هذا النمط من انماط التفكير والسلوك والممارسة السياسية بين يدى قومه ، على الرغم من عدم انسجام هذا الفكر مع طابع محمد على وميوله — كحاكم شرقى فرد — وعلى الرغم من الصلات التى كانت تربط الطهطاوى بنظام حكم محمد على ، كواحد من ابرز البناة فى جهاز الدولة الفكرى والتعليمى فى ذلك الحين .

قام الطهطاوى بهذا الدور الرائد فى بلاد الشرق عامة ، دون ان يضطر الى تقديم تنازلات تشوه جوهر الفكر الديمقراطى الليبرالى ، وان يكن قد استعان على ذلك ببعض العبارات التى ارضى بها ، احيانا ، ميول هؤلاء الحكام .

ماذا لو نجحت هذه الجهود ؟ ؟

وحتى ندرك اهمية هذا الفكر ، والدور الذى كان ينتظره الطهطاوى له فى تغيير حياة الشرق واطلاق طاقات الشرقيين ، لابد لنا من تخيل وضع مصر يومئذ بالنسبة لوضع بلاد اجنبية كثيرة لعب الفكر الديمقراطى ونمط حكمه الدور الحاسم فى تقدمها وتطورها ، على حين ساهم انتكاس هذا الفكر عندنا فى بقائنا لصيقى عصور التخلف والجمود .

فلقد كانت مصر على درجة من التقدم الاقتصادى ، فى العصر الذى شهد تبشير الطهطاوى بهذا الفكر الديمقراطى ، لا تقل عن كثير من الدول الاوربية ، بل تفوق العديد منها .. ولكن نكسة هذا الفكر فيها ، وحرمانها من التطبيق الخلاق لاسسه واركانه ، قد ابطأ بتطورها العلمى والفكرى والثقافى حينا ، وجمده او الغاه حينا آخر ، فأعان ذلك الوضع المتخلف على ارتباط البلاد بالعجلة العثمانية ونظامها المتهرىء ، وعلى سيادة الاقطاع كنظام اقتصادى ، وتدعيم نفوذ الاقطاعيين السياسى ، ففتح ذلك كله الطريق المهد للزحف الاستعمارى ، وهو العامل الذى حسم الموقف فى الشرق لصالح التخلف والجمود ، حتى اصبحنا ننظر اليوم ، بعد قرن ونصف من تبشير الطهطاوى بفكره الديمقراطى فى بلادنا ، فنجد البون شاسعا بين مستوانا الحضارى وبين مستوى شعوب وامم كانت ادنى منا حضارة ، واقل منا تقدما فى ذلك التاريخ .

● **ففى مطلع القرن التاسع عشر ، كانت مصر موحدة سياسيا .. ولم تكن المانيا قد حققت بعد وحدتها السياسية .. ولقد اقام محمد على نحوا من اربعين مصنعا للغزل والنسيج بمختلف انحاء مصر ، على حين لم يكن فى « بروسيا » — اهم مقاطعات المانيا — سوى مصنع واحد للنسيج قوته مكنتان فقط [٤] ؟!**

---

[٢] عن هذه الحقيقة انظر المرجع السابق ص ١٣ — ١٥٤ .
[٣] المرجع السابق ص ١٨٢ ، ١٨٣ .
[٤] المرجع السابق ص ٣٥ ، ٤٣

● وفى منتصف القرن التاسع عشر ؟ كان عدد سكان فرنسا سبعة أضعاف سكان مصر ، ولكن الاسطول التجارى الفرنسى لم يزد حجم حمولته عن حجم حمولة الاسطول التجارى المصرى ، الا بثلاثة أضعاف ! .. بل لقد كان متوسط حمولة الباخرة فى أسطول فرنسا ٣٥٠ طنا ، على حين كان ذلك المتوسط فى الاسطول المصرى ١٠٠٠ طن ! .. وكانت السفن البخارية فى الاسطول الفرنسى تكون ١٥ ٪ ، مقابل ٨٥ ٪ سفنا شراعية .. وعند انجلترا كانت السفن البخارية فى اسطولها تكون ٢٥ ٪ ، مقابل ٧٥ ٪ سفنا شراعية ، أما الاسطول المصرى فان أكثر من ٦٠ ٪ من سفنه كانت سفنا بخارية ، مقابل اقل من ٤٠ ٪ سفنا شراعية [٥] .

● ورقعة الارض المزرعة فى مصر زادت من ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ فدان سنة ١٨٢١ م ، الى ٤٫١٦٠٫١٦٩ فدانا فى سنة ١٨٥٢ م ، ثم الى ٥٫٤٢٥٫٠٠٠ فدان فى سنة ١٨٧٩ م [٦] !! .. وبعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ ــ سنة ١٨٨٢ م ــ احتل الانجليز مصر ، وعندما غادروها سنة ١٩٥٦ م ، كانت مساحة الارض المزرعة فيها عند نفس الرقم الذى بلغته سنة ١٨٧٩ م ؟! .. بل لقد استخدم المحراث البخارى فى مصر ــ فى القرن الماضى ــ قبل ان يستخدم فى أوربا [٧] !!

نعم .. شهدت مصر ، فى ظل هذه التجربة ، تطورا اقتصاديا مذهلا [٨] .. وشهدت كذلك تقدما تعليميا وفكريا كبيرا .. **ولكن الثغرة الاساسية والسلبية الرئيسية التى أبطأت بالتطور الفكرى والعلمى والثقافى ، فاثر هذا البطء على التطور الاقتصادى ، مما أفضى الى الضعف الذى مكن الاستعمار من الاجهاز على هذا العملاق الشرقى الذى كان قد بدأ عصر يقظته .. ان هذه الثغرة والسلبية قد تمثلت يومئذ فى تخلف الفكر السياسى الديمقراطى عن مستوى التطور المادى والاقتصادى ، ووقوف الحكم الفردى حائلا دون اكتمال عناصر التجربة البورجوازية المتقدمة بقسماتها المتعددة : الاقتصادية ، والاجتماعية ، والفكرية .. فمصر التى دخلت عصر التنوير ، اقتصاديا ــ وفكريا الى حد ما ــ بقى نظام الحكم فيها أقرب الى نظم العصور الوسطى الاقطاعية** .. وهذه السلبية هى التى عبر عنها « الجبرتى » عندما تحدث عن محمد على فقال : انه « كانت له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذا الزمان ، **ولو وفقه الله الى شىء من « العدالة » ، على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة ، لكان أعجوبة زمانه وفريد أقرانه [٩] .**

وهذه « العدالة » التى افتقدها « الجبرتى » فى محمد على ، ليست « العدالة الاجتماعية » كما نفهم فى لغة عصرنا ، بل كانت تعنى فى ذلك العصر « الحرية » .. ويوضح ذلك الطهطاوى فى حديثه عن الفكر السياسى الاوربى ، فيقول : « .. وما نسميه بالعدل .. يعبرون عنه بالحرية » [١٠] .

فهو مهم ، اذا فكر الطهطاوى فى السياسة .. وهى خطيرة الى هذا الحد دعوته الى نمط الديمقراطية الليبرالية سبيلا لتنظيم المجتمع المصرى خاصة ، والشرقى بوجه عام .. **ففى يقيننا ان الشرق لو انتصرت فيه هذه الدعوة ، فى ذلك الوقت ، واكتملت به عناصر التجربة البورجوازية ، فاستطاع صد الغزو الاستعمارى ، والافلات من التخلف الحضارى ، لما سبقته الامم التى كانت أقل منه حضارة وتقدما فى ذلك الحين .. ألم يقل الطهطاوى عن شمال « السودان » يومئذ : « انها أقرب للتمدن من أقاليم أمريقة بكثير ؟! » ، وان الذى تحتاجه كى « تتمدن » هو « اطمئنان النفوس وتأليف القلوب من حكام أرباب صداقة وعفاف وعدل وانصاف » [١١] ؟!**

والان ... ما هى القسمات الرئيسية فى الفكر السياسى الذى بشر به الطهطاوى قومه منذ أكثر من مائة عام ؟!

ديمقراطية الفكر السياسى

يتحدث الطهطاوى عن أهمية الفكر السياسى

---

[٥] لوتسكى [تاريخ الاقطار العربية الحديث] ص ١٩٣ طبعة موسكو ، العربية .

[٦] [العروبة فى العصر الحديث] ص ٤٥ و روتشتين [تاريخ المسألة المصرية] ص ٣٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

[٧] [تاريخ الاقطار العربية الحديث] ص ١٩٥ .

[٨] لمزيد من التفاصيل حول ارقام هذا التطور ، يراجع [تاريخ المسألة المصرية] ص ٣٤ ، ٣٥ ، و [تاريخ الاقطار العربية الحديث] ص ٥٧ ــ ٧٥ ، ١٨٣ ــ ٢٠٠

[٩] [العروبة فى العصر الحديث] ص ٩٩ .

[١٠] الطهطاوى : [المرشد الامين] الباب الرابع ، الفصل الخامس .

[١١] [مناهج الالباب] الباب الرابع ، الفصل الرابع .

وضرورته فى بناء المجتمعات .. ويحدد ان السياسة — [البوليتيقة] — التى يريد للناس ان يتعلموها ويمارسوها ، ليست السياسة بمعناها الرجعى ، معنى « الحيلة ، والخداع ، والتدبير — [التآمر] — مما لا يليق الا بالملكة الجائرة » [١٢] .. وانما السياسة التى يريدها هى التى عليها « مدار انتظام العالم » ، وهى التى يكون الهدف منها « فهم اسرار المنافع العمومية التى تعود على الجمعية — [المجتمع] — وعلى سائر الرعية ، من حسن الادارة والسياسة والرعاية فى مقابل ما يعطيه الرعية من الاموال والرجال للحكومة .. » — هذا فى الداخل — وايضا « كل ما يتعلق بالدولة وأحكامها وعلائقها وروابطها » ، مما يدخل فى السياسة الخارجية [١٣] .

ويهاجم الطهطاوى مذهب الذين يريدون ان يكون الفكر السياسى وممارسته حكرا لطبقة أو فئة من الناس دون أبناء الشعب ، ذلك المذهب الذى يرى دعاته « ان السياسة من اسرار الحكومة الملكية ، لا ينبغى علمها الا لرؤساء الدولة ونظار الدواوين » ، ويدعو الى تعليم مبادىء السياسة لكل ابناء الشعب ، فى المدن والقرى ، فيقول : انه « قد جرت العادة ، فى البلاد المتمدنة ، بتعليم الصبيان : القرآن « الشريف » — فى البلاد الاسلامية — وكتب الاديان — فى غيرها — قبل تعليم الصنائع . وهذا لا بأس به فى حد ذاته . **ومع ذلك فمبادىء العلوم الملكية السياسية — التى هى قوة حاكمية عمومية — وفروعها ، مهملة فى الممالك والقرى بالنسبة لابناء الاهالى ، مع ان تعليمها ايضا لهم مما يناسب المصلحة العمومية ، فما المانع من أن يكون فى كل « دائرة بلدية » معلم يقرأ للصبيان — بعد تمام تعليم القرآن الشريف ، والعقائد ، ومبادىء العربية — مبادىء الامور السياسية والادارية ، ويوقفهم على نتائجها ؟!! »** [١٤] .

فهو يدعو الى نشر الفكر السياسى ، وتعميم تعلم مبادئه فى دور التعليم التى تنتشر فى ربوع البلاد ، بما فى ذلك اماكن تحفيظ القرآن فى البلديات — المجالس البلدية فى المدن الاقليمية — والقرى .. وهو ما يمكن ان نسميه ديمقراطية تعليم الفكر السياسى للمواطنين .. وذلك ادراكا منه لاهميتها وضرورتها للشعب .. تلك الاهمية التى يعكسها قوله : « ... وفى الحقيقة :

لولا السياسة ما قامت لنا دول
وكان اضعفنا نهبا لاقوانا » [١٥]

فمن وظائف السياسة ، عند الطهطاوى ، ان لا يصبح « اضعفنا نهبا لاقوانا » ؟!

أقسام السياسة

أما اقسام السياسة عند رفاعة الطهطاوى فانها خمسة :

« **الاول — السياسة النبوية** » : وهى خاصة بالانبياء والرسل « يختص الله بها من يشاء من عباده » .. وتدخل فى اطار ما ندرسه تاريخيا ، اذ لسنا فى المستوى الذى يجعلنا نتقمص أشخاص هؤلاء الانبياء لنصنع الصنيع الذى اختصهم به الله .

« **الثانى — السياسة الملوكية** » : وهى حفظ الشريعة — [القانون] — على الامة ، واحياء السنة ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .. اى السياسة العليا للدولة .

« **الثالث — السياسة العامة** » : وهى الرياسة على الجماعات ، كرياسة الامراء على البلدان ، أو على الجيوش ، وترتيب احوالهم .. اى التطبيق للسياسة العليا على المصالح المختلفة والاقاليم المتعددة للدولة .

« **الرابع — السياسة الخاصة ، وتسمى السياسة المنزلية** » : وهى الصورة المصغرة لكل من « السياسة الملوكية والسياسة العامة » عندما يكون « المنزل والاسرة » ميدان تطبيقها .

« **الخامس — السياسة الذاتية** » : وهى تفقد الانسان افعاله وأحواله وأقواله وأخلاقه وشهوته وزمها — [تقييدها] — بزمام عقله ...

ولقد انصبت جهود الطهطاوى التى بذلها فى حقل الفكر السياسى ، بالطبع ، على التبشير بالمفاهيم الديمقراطية الليبرالية فيما يتعلق « بالسياسة الملوكية » ، اى السياسة العليا للدولة والمجتمع ، لانها هى التى تحدد طبيعة التطبيقات التى تتم فى أنشطة الحكم واقسامه ، ومختلف الاقاليم وأنحاء البلاد .

[١٢] المصدر السابق . الخاتمة ، الفصل الاول .
[١٣] المصدر السابق . الباب الخامس ، الفصل الرابع .
[١٤] المصدر السابق . الخاتمة ، الفصل الاول .
[١٥] المصدر السابق . الباب الخامس ، الفصل الرابع .

الفصل بين السلطات

ومن القسمات البارزة للفكر السياسى الذى قدمه الطهطاوى ، وشارك فى وضعه موضع التطبيق ، نظرية « الفصل بين السلطات » فى الدولة ، والتمييز بين : السلطة التشريعية ؛ والسلطة القضائية ، والسلطة التنفيذية .. وهذا التمييز لم يحسم الحسم النهائى والتام الا فى الفكر السياسى الحديث .. فقديما كان « الخليفة » او « الوالى » — وهو حاكم « أعلى » أو حاكم « تنفيذى » — يشرع ، ويجلس للقضاء ، وينفذ الاحكام .

أما الطهطاوى فقد تحدث عن وجود قوتين فى المجتمع :

القوة المحكومة : اى الشعب والرعية .. وعنده ان هذه القوة لابد ان تكون « محرزة لكمال الحرية ، متمتعة بالمنافع العمومية فيما يحتاج اليه الانسان فى معاشه ووجود كسبه وتحصيل سعادته .. » .

والقوة الحاكمة : وهى التى « تسمى ، ايضا ، بالحكومة وبالملكية » ، وهى تشمل مصدر الحكم « المركزى » وما يتفرع عنه . وهذه القوة تنقسم الى السلطات الثلاث ، وبتعبير الطهطاوى ، فان هذا الامر المركزى « تنبعث منه ثلاثة أشعة قوية تسمى أركان الحكومة وقواها :

فالقوة الاولى : قوة تقنين القوانين وتنظيمها .

والثانية : قوة القضاء وفصل الحكم .

والثالثة : قوة التنفيذ للاحكام بعد حكم القضاء بها » .

وعند الطهطاوى ان هذه القوى الثلاث ، التى « ترجع الى قوة واحدة ، هى القوة الملوكية » ، لابد وأن تكون « **مشروطة بالقوانين** » [١٦] .. اى مقيدة بالدستور وبالقانون ، كما هى طبيعة النظام الديمقراطى الحديث .

ويبدو ان تصور الطهطاوى للقوة التشريعية — « قوة تقنين القوانين وتنظيمها » — لم يكن هو تصورنا الان للمجالس النيابية ، أو على الاقل لم تكن هذه المجالس تكون **وحدها** عند الطهطاوى هذه القوة التشريعية .. فلقد قال الرجل عن هذه المجالس : « .. وأما وظائف المجالس الخصوصية ومجالس النواب ؟ فليس من خصائصها الا المذاكرات . والمداولات ، وعمل القرارات ، على ما تستقر عليه الاراء الاغلبية ، وتقديم ذلك لولى الامر » [١٧] .. وهو ما يشعر بأن الطهطاوى قد تصور هذه المجالس ذات « **سلطات استشارية** » **فقط** ؟! .. والرجل قال ذلك فى [مناهج الالباب] الذى نشره سنة ١٨٦٩ م ، فى ظل نظام حكم الخديو اسماعيل الذى كان قد اقام فى سنة ١٨٦٦ م مجلسا « يشبه البرلمان والمجلس النيابى ، وهو معروف فى الادب باسم [مجلس شورى النواب] ، ويتألف من ٧٥ مندوبا ، يتم اختيارهم ، لمدة ٣ سنوات من قبل شيوخ القرى واعيان القاهرة والاسكندرية ودمياط ، **وكان للمجلس وظائف استشارية ..** » [١٨] .

فى ظل قيام هذا المجلس ، ذى الطبيعة الاستشارية ، كتب الطهطاوى عن الطبيعة الاستشارية « للمجالس المخصوصة ومجالس النواب » فتراجع عن اعجابه السابق بالسلطات التشريعية الحقيقية التى كان يتمتع بها مجلس النواب الفرنسى — [ديوان رسل العمالات] — وهو الاعجاب الذى تحدث عنه فى [تخليص الابريز] ، فكان هذا التراجع محاولة لتفادى الصدام بموقف الخديو اسماعيل !!

مصادر التشريع

ومن قسمات الفكر السياسى عند الطهطاوى ؟ تلك القسمة التى تجلت فى جهوده الكبرى والرائدة فى اصلاح القضاء ، لا على عهد الخديو اسماعيل فقط ، كما قد يحسب البعض ، وانما منذ عصر محمد على . فلقد انشأ الرجل قسما — [كلية] — بمدرسة الالسن لدراسة الفقه الاسلامى والقوانين الاجنبية ، وكان القضاة يتخرجون من هذا القسم ؟ فأحدث بذلك تطورا هاما فى عملية تنظيم القضاء واصلاحه وتطويره ، وقبل ذلك ترجم دستور الفرنسيين وبعض قوانينهم ، عندما كان بباريس ؟ ونشرها فى [تخليص الابريز] ، كما ترجم فى القانون والتشريع آثارا هامة — وان تكن لم تطبع — مثل [روح الشرائع] لمونتسكيو ؟ و [اصول الحقوق الطبيعية] لبرلماكى .. اما فى عصر اسماعيل ، فلقد انجز منفردا أو مع تلاميذه ؟ ترجمة القانون الفرنسى ، المدنى والتجارى .. الخ .. الخ .. فوضع بذلك ثروة الفكر الاوربى

---

[١٦] المصدر السابق . الخاتمة ، الفصل الاول .
[١٧] المصدر السابق . الخاتمة ، الفصل الاول .
[١٨] [تاريخ الاقطار العربية الحديث] ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

فى التشريع الى جانب تراث الحضارة الاسلامية فى هذا الميدان .

وموقف الطهطاوى ومدرسته من العلاقة بين تراثنا القومى فى التشريع ، وثروه أوربا فى هذا الميدان ، وأيضا جهود هذه المدرسة فى هذا الحقل ، من الملامح الهامة فى تراثنا الفكرى الحديث التى لا زالت بانتظار المتخصص الذى يجلوها ويوضح أبعادها ومنهجها وقيمتها لعصرنا الراهن وجهودنا الحالية فى هذا الميدان .

فالرجل قد دعا الى تجديد فكرنا التشريعى ، لان « الحالة الراهنة اقتضت ان تكون الاقضية والاحكام على وفق معاملات العصر ، بما حدث فيها من المتفرعات الكثيرة المتنوعة بتنوع الاخذ والاعطاء من أمم الانام » [١٩] .

ودعا الى الاستفادة من ثروة اوربا فى التشريع والتقنين ، وان لا يصدنا عن هذه الاستفادة وهم الذين يتوهمون تعارض هذه الثروة التشريعية مع اصول شريعتنا الاسلامية ، فعند الطهطاوى أن اوربا قد أخذت الكثير عن الشرق الاسلامى ، ومما أخذته ما هو داخل فى هذا الباب ، ذلك « ان الذى جاء به الاسلام من **الاصول والاحكام** هو الذى مدن بلاد الدنيا على الاطلاق » .. ومن ثم فان العلاقة وثيقة بين ثروة أوربا التشريعية وبين **الاصول والاحكام** التى استقرت فى شريعتنا الاسلامية ، وان « من زاول علم أصول الفقه ، وفقه ما اشتمل عليه من الضوابط والقواعد ، **جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية التى وصلت عقول أهالى باقى الامم المتمدنة اليها ، وجعلوها أساسا لوضع قوانين تمدنهم وأحكامهم ، قل ان تخرج عن تلك الاصول التى بنيت عليها الفروع الفقهية التى عليها مدار المعاملات ، فما يسمى عندنا باصول الفقه ، يسمى ما يشبهه عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية ، وهى عبارة عن قواعد عقلية — تحسينا وتقبيحا — يؤسسون عليها أحكامهم المدنية ، وما نسميه بفروع الفقه ، يسمى عندهم بالحقوق أو الاحكام المدنية ، وما نسميه بالعدل والاحسان ، يعبرون عنه بالحرية والتسوية ... الخ ..** » [٢٠] .

فالطهطاوى يحبذ الاستفادة الى أبعد الحدود من ثروة أوربا التشريعية ، وينفى وهم الذين يتوهمون ان الالتزام بالشريعة الاسلامية ، وتراثها التشريعى ، يحول دون استفادتنا من تراث الاخرين فى التشريع والتقنين .. ولكنه فى ذات الوقت يدعو الى ان نكون نحن الذين نستفيد من هذه الثروة التشريعية الاوربية ، حتى نميز بين ما هو مفيد وضرورى ، وما هو غير ملائم لنا .. ففرق بين ان يترجم الطهطاوى القانون المدنى الفرنسى ، ليستفيد به القضاء المصرى ، وبين ان تفرض علينا القوانين الاجنبية وتطبق « بالمحاكم القنصلية » أو « المحاكم المختلطة » مثلا .. فلقد استحسن الطهطاوى السبيل الاول ، ونهض بالكثير من الجهود فى ميدانه ، وعارض الثانى واستنكره عندما قال تعليقا على « المجالس التجارية المختلطة » التى قامت فى « المدن الاسلامية » « لفصل الدعاوى والمرافعات بين الاهالى والاجانب ، بقوانين — فى الغالب — اوربية » .. علق الطهطاوى على هذا الوضع بقوله : « .. **مع ان المعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل ، لما اخلت بالحقوق ، بتوفيقها على الوقت والحال ، مما هو سهل العمل على من وفقه الله لذلك من ولاة الامور المستيقظين** » .. **ذلك ان « من أمعن النظر فى كتب الفقه الاسلامى ظهر له انها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية ، حيث بوبوا للمعاملات الشرعية ابوابا مستوعبة للاحكام التجارية ، كالشركة ، والمضاربة ، والقرض ، والمخابرة ، والعارية ، والصلح ، وغير ذلك** » [٢١] .

اى ان الطهطاوى قد دعا الى تجديد التشريع العربى استنادا الى ركيزتين أساسيتين :

الاولى : تراث الحضارة الاسلامية فى التشريع ، بعد تطويره حتى يتفق مع العصر والظروف والملابسات .. وبتعبيره هو : « **بتوفيقه على الوقت والحال** » .

والثانية : ثروة أوربا فى التشريع ، تلك التى لا تخرج عن « الاصول والاحكام » التى قررتها شريعة الاسلام .

وكما قلنا فلقد كانت انجازات الطهطاوى وجهود مدرسته فى هذا الحقل تطبيقا خلاقا وعملاقا لهذا المنهج الذى حدده هذا المفكر الكبير .

وهى جهود لعلها لو روجعت وقيمت التقييم الموضوعى لالقت الكثير من الاضواء على تلك القسمة من قسمات الفكر السياسى لرفاعة

---

[١٩] [مناهج الالباب] الخاتمة ، الفصل الثانى .
[٢٠] الطهطاوى : [المرشد الامين] الباب الرابع ، الفصل الخامس .
[٢١] [مناهج الالباب] الباب الثانى ، الفصل الرابع .

الطهطاوى والاثر التطبيقى لها فى ميدان التشريع والتقنين ..

تصوره لرأس الدولة

حتى نفهم تصور الطهطاوى للحاكم الاعلى فى الدولة — وهو بالطبع يتحدث عن حاكم شرقى فى دولة شرقية — لابد أن نعى كيف ان مفكرين كثيرين فى عصر الطهطاوى وقبل عصره ، قد استخدموا أساليب شتى ، بعضها مغلف فى شكل حكم ومواعظ ، وبعضها مسوق فى صورة حكايات واساطير ، وبعضها يتخذ أساليب الحديث غير المباشر عن الموضوع .. كل ذلك لنشر الفكرة التى ارادوها ، وتمهيد الجو أمامها كى تصل الى قلب الحاكم وعقله ..

والطهطاوى نفسه عندما ترجم [مغامرات تلماك] — التى الفها القسيس « فنلون » ، وكان يعمل مربيا لحفيد لويس الرابع عشر « دوق دى بورجونى » ، الفها ليربى أميره تربية سلوكية وسياسية طيبة — .. ان الطهطاوى عندما ترجم هذه الرواية الاسطورية كان يمارس هذا الاسلوب فى توصيل آرائه السياسية الى قلب الحاكم الشرقى وعقله ، سالكا سبيل « فنلون » الى قلب الامير الفرنسى وعقله ..

وبعد هذه الملاحظة التى ستعيننا كثيرا على فهم مرامى الطهطاوى ونحن نقرأ له العديد من النصوص .. ما هو تصوره للحاكم الاعلى فى الدولة ، من حيث سلطاته ، وعلاقته وعلاقة سلطاته بحكومته وجهاز دولته ، وكذلك علاقته وعلاقة سلطاته بالرعية والمواطنين ؟

اننا نعتقد أن تصور الطهطاوى لهذا الحاكم هو مزيج من التصور الاسلامى السنى المحافظ والتصور الذى شاع فى « الممالك الدستورية » عن هذا الحاكم ، والذى تلخصه النظرية الشهيرة عن أن « الملك يملك ولا يحكم » بمعنى انه غير مسئول أمام الغير عن النتائج التى تفضى اليها ممارسته السلطات العليا التى يتمتع بها ..

وهذا التصور الذى نراه مزيجا من هذين المصدرين يقدمه لنا الطهطاوى فى نصوصه الكثيرة التى يقول فيها مثلا : ان «ولى الامر هو رئيس أمته ، وصاحب النفوذ الاول فى دولته .. انه خليفة الله فى ارضه ، وان حسابه على ربه ، فليس عليه فى فعله مسئولية لاحد من رعاياه!»

والطهطاوى من أنصار ان تتركز السلطة العليا فى الدولة فى يد فرد واحد — ملك مثلا — ولا يحبذ أن تكون فى يد جماعة — مجلس مثلا — ويرى فى ذلك ضمانا لسرعة البت والحسم فى الامور ، مما يسرع بانجاز الاصلاحات ، ويعتبر ذلك مزية عظمى « تعود على الرعية بالفوائد الجسيمة ، حيث أن اجراء المصالح العمومية بهذه المثابة ينتهى بالسرعة ، لكونه منوطا بارادة واحدة ، بخلاف ما اذا نيط بارادات متعددة ، بيد كثيرين ، فانه يكون بطيئا » .

وهنا يتحفظ الطهطاوى ، حتى لا يفهم من كلامه انه نصير للحكم الفردى الذى عرفته بلاد الشرق وممالكه لقرون عديدة ، فيفرق بين الحاكم الاعلى الذى له اتخاذ القرار — وهو الذى يرى الصلاح فى « توحده وتفرده » وبين الحكومة — التى يرى الصلاح فى عدم انفراد فرد بسلطاتها وسلطانها — .. ويوضح مراده بهذا التحفظ فى قوله : « ان النفوذ الملوكى **القضائى** —] أى سلطة اتخاذ القرار ، بلغتنا المعاصرة] — غير النفوذ الاجرائى، الذى هو مباشرة العمل ، وهو من خصائص الوزراء ونظار الدواوين وغيرهم ، فالنفوذ الملوكى هو الترتيب والامر بالنفوذ **الاجرائى** لمن يجريه ، فهو حق محترم ، لا مسئولية فيه على الملك ، ولا يكون لغيره ، لانه هو رئيس المملكة ، وأمير الجيوش البرية والبحرية وقائدهم الاول وعليه مدار الامور الملكية والعسكرية ، الداخلية والخارجية ، وهو الذى يقلد المناصب العمومية لمن يستحق باصدار أوامره فيها ، ويرتب الوظائف، وينظم اللوائح المبينة لطرق اجراء الاصول والقوانين ، ويأمر بتنفيذ الاحكام الصادرة من ديوانه ومحاكمه ومجالسه ، وله الرياسة على أمناء دين مملكته ، وله الحق فى أن يمنح المناصب والالقاب العالية ، وأن يعطى عنوان الشرف ونيشانه .. » .

وعلى الرغم من قول الطهطاوى : « ان حساب هذا الحاكم على ربه ، فليس عليه فى فعله مسئولية لاحد من رعاياه .. » فان الرجل لا يتصور ارادة هذا الحاكم مطلقة من اية ضوابط أو قيود ، وذلك لان تصوره له كان تصور « الملكيات الدستورية المقيدة بالقانون » للملك الذى يتوج عليها ، فهو يقول عنه : انه « حاكم متصرف **بالاصول المرعية فى مملكته** » وان « الملك يتقلد الحكومة لسياسة رعاياه **على موجب القوانين** » وذلك لان « الممالك قد تأسست لحفظ حقوق الرعايا ، بالتسوية فى الاحكام ، والحرية ،وصيانة النفس والمال والعرض **على موجب احكام شرعية — [قانونية] — وأصول مضبوطة مرعية»**

وبعد أن قرر الطهطاوى أن الحساب لهذا الحاكم الاعلى — حتى لو اخطأ — من قبل رعيته غير جائز ، « لان حسابه على ربه » ، عاد ليتقدم

نوعا من التحفظ يفهم منــه أن مراده هنــا هو « الحساب المــادى » ، من نحو « المحاكمة » او « العزل » مثلا .. اما « الحساب المعنوى » فان الطهطاوى يرى قيامه ، ويشـــير الى انواعه ووسائله ، ويحبذ قيام مؤسساتهوسبله فى الدولة .. ومن الوان هذا « الحساب المعنوى » **تذكير** الحاكم الاعلى بالخطأ الذى وقع منه او فيه ، اذ من الواجب ان « **يذكر** للحكم والحكمة من طرف ارباب الشرعيات أو السياسات ، **برفق ولين ..** » وذلك حتى تتنبه « **ذمته** » التى يرى الطهطاوى انهــا « تتأثر بالانبساط من الخير والانقباض من الشر . فالذمة حكم عدل .. تحمل الملوك على العدل !. »

ومن السبل الهامة التى يراها الطهطاوى فعالة فى « المحاسبة المعنوية للحاكم الاعلى وجـــود « **رأى عام** » مستنير يقظ ومتحرك فى المجتمع ، يمارس «**اللوم العمومى**» ضداخطاء الحاكم الاعلى وتجاوزاته ، ذلك أن مما يحمــل المــلوك « على العدل، ويحاسبهم محاسبةمعنوية الرأى العمومى اى راى عموم اهل ممالكهم او ممالك غيرهم ممن جاورهم من الممالك ، فان الملوك يستحيون من اللوم العمومى، **فالرأى العمومى سلطان قاهر على قلوب الملوك والاكابر ، لا يتساهل فى حكمه ، ولا يهزل فى قضائه ، فويل لمن نفرت منه القلوب، واشتهر بين العموم بما يفضحه من العيوب ..**»•

وهناك ايضا « **التاريخ** » وأحكامه التى لا ترحم ولا تجامل .. يراه الطهطــاوى قوة مــن قوى « الحساب المعنوى » للملوك والحكام .. فعندهأن « مما يحاسب الملوك ايضا على العدل والاحسان: التاريخ ، اى حكاية وقائعهم لمن بعدهم » (٢٢)•

اما الصفات التى يطلبها الطهطاوى فى الحاكم الاعلى فانها كثيرة ، والاداب التى يرى وجـــوب تخليه بها فانها متنوعة .. نلمس بعضها فىسياق احاديثه التى يقول فيها ، مثلا : ان « داب الملك العاقل أن يتبصر فى العواقب ، وأن يستحضر فى دائم اوقاته وفى حركاته وسكناته ، ان اللـــه سبحانه وتعالى ، اختاره **لرعاية الرعية ، وجعله ملكا عليهم لا مالــكا لهم ، وراعيا لهــم ، يعنى ضامنا لحسن غذائهم ، حسا ومعنى ، لا آكــلا لهم** » (٢٣) •

ومن مثل قوله : ان « الملك العاقل من يستطيب المتاعب فى استحصال المعــونة ، ويســتجلب المكاسب ليقوم أود وطنه ويتعهد شئونه ، ويجتهد فى تنمية الايراد والمصرف الى حد التعديل — [اى التوازن] — بسلوك ارشد طريق واعدل سبيل ، حتى يبلغ المسعى فى التنميـــة درجـــة الموازنة والتسوية . فاذا امتلا الحوض وسقى الروض لطف السعى ، وذاقت الرعية حلاوة الرعى ، وظهرت ضخامة مصر التجاريةوفخامتها السياسية بغرس اصول المنافع الاساسية » (٢٤) •

ومن مثل قوله : ان « على ولى الامر العادل أن يرشد بأفعاله السنية رعيته الى سبل الرشـــاد السنية ، **وان يعينهم على ذلك بالحصول على كمال الحرية ..** »

تلك ، اذا ، هى ملامح الحاكم الاعلى للدولة ، فى الفكر السياسى لرفاعة الطهطاوى ... حاكم فرد ، مقيد بالقانون ، لا سـبيل الى محــاسبته محاسبة « مادية » ، وانما هناك سـبل ووسائل لتقويمه تقويما معنويا .. وعليه أن يعطى الحرية لرعيته ، ويسوى بينهم امام القـــانون ، وعليه كذلك ان يتعاطى العــدل ليكسب قلوب رعيته ويحقق التقدم والتمدن لوطنه فيحوز رضاء الرأى العام ، ويضمن الحكم بالثناء من محكمة التاريخ

التمدن والفكر السياسى

وقسمة أخرى من قســمات فكر الطهطاوى الســياسى ، تلك التى تتمثــل فى حــديثه عن « **التمدن** » .. وهو الحديث الذى تطــالعه فى كثير من آثاره الفكرية ، وخاصة فى [المرشــد الامين] و [منـــاهج الالبـــاب] ... وعـــلاقة « التمــدن » بالفكر الســياسى — كمــا يراها الطهطاوى — علاقة وثيقة ، ذلك أن من « اسباب التمدن، فى الدنيا : **التمسك بالشرع — [القانون] —** » **وأيضا حرية الفكر والبحث العلمى ، وحرية ابــداء الــرأى بالنشر والتمثيــل ، دون اضرار بالاخرين** » و « **بشرط عدم ما يوجب الاختلال فى** الحكومة **بسلوك سبيل الوسط ، بغير تفريط ولا شطط** » وكذلك « **حرية الملاحة والسياحة فى البر والبحر** » ... فعلاقة « **التمدن** » **بالفكر السياسى اذا ، وثيقة** ، لانه ثمرة من ثمرات الحرية فىكثير من جوانبه وكثير من جوانبها ... وذلك الىجانب « **ممارسة العلوم والمعارف ، وتقــديم الفلاحة والتجارة والصناعة** ، واستكشاف البــلاد التى تعين على ذلك ، واختراع الالات والادوات ، من كل ما يسهل او يقرب الطرق التمدنية بايجـــاد الوسائط والوسـائل .. » وهى كلها اسباب وثيقة الصلة بالحرية ، التى هى ركن هــام من اركان

---

[٢٢] المصدر السابق . الخاتمة : الفصل الاول .
[٢٣] « مناهج الالباب » الخاتمة : الفصل الاول .
[٢٤] المصدر السابق . الباب الخامس . الفصل الاول .

السياسة والفكر السياسي .. بل ان عبارة الطهطاوى تقول : **ان « التمدن ... مبناه على العدل والحرية العمومية .. »**

أما تعريف « التمدن » وابعاده فى فكر الطهطاوى فاننا نطالعه ، مركزا ، فى قوله : **ان « تمدن الوطن عبارة عن تحصيل ما يلزم لاهل العمران من الادوات اللازمة لتحسين احوالهم . حسا ومعنى ، وهو فوقانهم فى تحسين الاخلاق والعوائد ، وكمال التربية ، وحملهم على الميل الى الصفات الحميدة ، واستجماع الكمالات المدنية . والترقى فى الرفاهية ... »**

كما يشير الطهطاوى — فى حديثه عن فوائد « التمدن » — الى العلاقة بين انتشاره وتقدمه وبين تخلص البشرية من كثير من الالام التى تعانى منها الان ، ورغم ان فى حديثه هذا — على ضوء واقعنا الراهن — الكثير من « المثالية » ، الا انه دليل على ثقة مفكرنا الكبير فى الانسان ، والامال الكبار التى علقها على تقدمه فى هذا الميدان .. فعنده أن « فوائد التمدن كثيرة ، وعليها مدار جميع العلوم المعاشية والمعادية ، ولذلك قال بعضهم : كلما اتسع نطاق تمدن ممالك الدنيا خفت الحروب ، وقلت العداوة ، وتلطفت الفتوحات ، وندرت التقلبات والتغلبات ، حتى تنقطع بالكلية ، وينمحى الاستعباد والاسترقاق بغير حق ، ويزول الفقر والمسكنة ! » [٢٥] .

وفى الحقيقة فان ذلك حادث لا محالة فى مستقبل الانسان ، قرب هذا المستقبل أو بعد ، ولكن شريطة ان تمتلك ناصية « التمدن » وثماره القوى الانسانية صاحبة المصلحة الحقيقية فى سيادة هذه القيم الخيرة والنبيلة التى أشار اليها الطهطاوى فى هذه السطور ، وأن تنتزع ثمار التقدم والتمدن من أيدى القوى المعادية لسيادة هذه القيم فى حياة الانسان .

ماذا عن الحرية ؟

ونأتى الان الى حديث الطهطاوى عن «**الحرية**» .. وهو الحديث الذى يعد انصع الادلة واقواها على ايمان الرجل بالفكر الديمقراطى الليبرالى ، الذى كان فى عصره اكثر انماط الفكر السياسى عن « الحرية » تقدما ، وملاءمة للقوى الصاعدة التقدمية فى المجتمع الذى عاش فيه ...

وتعريف « الحرية » عند الطهطاوى يقول : **« ... الحرية ، من حيث هى : رخصة — [أى اباحة] — العمل المباح ، من دون مانع غير مباح ولا معارض محظور » .**

ويزيد الرجل هذا التعريف المكثف ايضاحا وبسطا فيقول : « ... وبالجملة ، فحرية اهالى كل مملكة منحصرة فى كونهم لهم الحق فى أن يفعلوا المأذون شرعا ، وأن لايكرهوا على فعل المحظور فى مملكتهم ، فكل عضو من أعضاء جمعية المملكة يرخص له أن يتمتع بجميع مباحات المملكة ، فالتضييق عليه فيما يجوز له فعله ، بدون وجه مرعى ، يعد حرمانا له من حقه ، فمن منعه من ذلك ، بدون وجه ، سلب منه حق تمتعه المباح ، وبهذا كان متعديا على حقوقه ، ومخالفا لاحكام وطنه ..... **فحقوق جميع اهالى المملكة المتمدنة ترجع الى الحرية** ، فتتصف المملكة ، بالنسبة للهيئة الاجتماعية ، بأنها مملكة متحصلة على حريتها ، ويتصف كل فرد من أفراد هذه الهيئة بأنه حر ، **يباح له أن ينتقل من دار الى دار ومن جهة الى جهة ، بدون مضايقة مضايق ولا اكراه مكره . وأن يتصرف كما يشاء فى نفسه ووقته وشغله . فلا يمنعه من ذلك الا المانع المحدود بالشرع — [القانون] — او السياسة ، مما تستدعيه اصول مملكته العادلة .... ومن حقوق الحرية الاهلية أن لايجبر الانسان ان ينفى من بلده ، أو يعاقب فيها الا بحكم شرعى أو سياسى . مطابق لاصول مملكته ، وأن لا يضيق عليه فى التصرف فى ماله كما يشاء ، ولا يحجز عليه الا باحكام بلده ، وأن لايكتم رأيه فى شىء بشرط ان لايخل بما يقوله او يكتبه بقوانين بلده »**

وغير هذا التعريف المبسوط للحرية ، والذى جمعنا لبسطه وايضاحه هذه الصياغات النظرية التى ابدعها الطهطاوى .. نجد لدى الرجل تقسيما لنواحى الحرية وحديثا عن فروعها يستحق ان يقف امامه الباحث فى تأمل وامعان .. فهو يقسمها الى خمسة اقسام :

الاول : « **الحرية الطبيعية** » : وهى التى خلقت مع الانسان ، وانطبع عليها .. كالاكل والشرب والمشى .... مما لاضرر فيه على الانسان نفسه ولا على اخوانه » ..

والثانى : « **الحرية السلوكية** : التى هى حسن السلوك ومكارم الاخلاق ... وهى الوصف اللازم لكل فرد من افراد الجمعية — [المجتمع] المستنتج من حكم العقل بما تقتضيه ذمة الانسان وتطمئن اليه نفسه فى سلوكه فى نفسه وحسن

---

[٢٥] « المرشد الامين » الباب الرابع . الفصل الخامس .

اخـلاقه فى معـاملة غيره .. » .. وحـديث الطهطاوى عن أن « حسن السـلوك ومـكارم الاخلاق » امر « مستنتج من حكم العقل » ، حديث هام ، كما انه تقييم لمصـدر هـذه القيم يضـع « الحرية السلوكية » قريبا من «الحرية الطبيعيه» .. وهو تقييم يعكس تأثره بالمصـادر الفـكرية الاوروبيـة ..

والثالث : « **الحرية الدينيـة** : وهى حـرية المقيدة والراى والمذهب ، بشرط ان لاتخرج عن أصل الدين ، كآراء « الاشاعرة » و « الماتريدية » فى العقائد ، وآراء ارباب المذاهب المجتهدين فى الفـروع ...

ومثل ذلك حرية المذاهب السياسية ، وآراء ارباب الادارات الملـكية فى اجـراء اصـولهم وقوانينهم واحكامهم على مقتضى شرائع بلادهم ، فان ملوك الممالك ووزراءهم مرخصون — [اى احرار] — فى طرق الاجراءات السياسية بأوجه مختلفة ترجع الى مرجـع واحد وهو حسـن السياسة والعدل .. »

وهـذا الحديث الذى قـدمه الطهطاوى عن [الحرية الدينية] يثير عندنا ملاحظتين :

أ — فهو يشهد لما سبق أن قدمناه عن الموقف « المحافظ » الذى التزمه الطهطاوى فىفهم التراث الاسلامى العقائدى .. اذ نراه هنا يحدد نطـاق [الحرية الدينية] ، فى العقائد ، بحدود تيـارى « الاشـاعرة » و « الماتريدية » ، وفى الفروع ، اى الفقه ، بحدود المذاهب الفقهية للمجتهدين ، وهم: ابو حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وابن حنبل ومن تبعهم او شابههم .. وهو يعتبر ماخرج عن هذا الاطار خارجا عن « اصل الدين » .. فلا «المعتزلة» ولا « الخوارج » ، ولاالمذاهب الفقهية غير السنية بداخلة فى أطار الفكر الاعتقادى والفقهى الذى يبيح الطهطاوى للنـاس الاعتقـاد به والتمذهب بمذهبه ... لانه كان يرى فى آراء هذه التيارات « شبها وضلالات » ! ..

ب — وهو يبيح لاصحاب المذاهب السياسية الاختلاف فى « الوسائل والطـرق » التى يراها كل منهم اجدر ببلوغ الوطن غاياته ، وفى نفس الوقت يشترط لاباحة الحرية فى ذلك ان يتفق الجميع على الهدف والغاية ، وان يكون للجميـع « مرجع واحد ، وهو حسن السياسة والعدل » .

والرابع : « **الحرية المدنية** : وهى حقوق العباد والاهالى الموجودين فى مدينـة ، بعضـهم على بعض . فكأن الهيئة الاجتماعية المؤلفة من أهالى المملكة تضامنت وتواطأت على اداء حقوق بعضهم لبعض ، وان كل فرد من افرادهم ضمن للباقين ان يساعدهم على فعلهم كل شىء لا يخالف شريعة البلاد ، وان لا يعارضوه ، وان ينكروا جميعـا على من يعارضه فى اجراء حـريته ، بشرط ان لايتعدى حدود الاحكام ... » .

والخامس : « **الحرية السياسية** : اى الدولية — [نسبة الى الدولة] — وهى تأمين الدولة لكل احد من اهاليها على املاكه الشرعية المرعية ، واجراء حريته الطبيعية بدون ان تتعدى عليه فى شىء منها ، فبهذا يباح لكل فرد ان يتصرف فيمـا يملكه جميع التصرفات الشرعية » .

ونحن نستطيع ان نسمى هذا القسم الخامس من اقسام الحرية ، عنـد الطهطاوى ، بالحرية الاقتصادية ، كما فهمتهـا الديمقراطية الليبرالية فى عصر ظهورها ونموها وازدهارها .. ولقـد تكون هذه الاباحة وتلك الحرية غير ملائمة لنـا الان ، ونحن نسعى نحو تنظيم حياتنا الاقتصادية على أسس اشتراكية ، مثلا ، ولكن الطهطاوى قد كتب كلامه هذا فى ظرف تاريخى كانت فيه الحرية الاقتصادية ، بمفهوم الديمقراطية الليبرالية لها ، تلعب دورا تقدميا ، بل وثوريا ، وخاصة بالنسبة لمجتمـع كالمجتمـع المصرى الـذى عـاش فيه الطهطاوى ، عندما كانت بقايا الاقطاع ، وعلاقات الانتاج الاقطاعية الاستغلالية هى العقبة أمـام انطلاق هذا المجتمع على درب التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، ومن ثم السياسى .. وعندما كان « المشروع الفردى » و « الاقتصاد الحر » ضروريا لتطوير هذا المجتمع واستكمال دخوله فى عصر التنـوير [٢٦] .

ويتصل بهذا المفهوم عن « الحرية الاقتصادية » ما قاله الطهطاوى عن « الحـرية » للمشروعات الفردية فى الزراعة والتجارة والصناعة ، من **أن « اعظم حرية فى المملكة المتمدنة : حرية الفلاحة، والتجارة ، والصناعة ، فالترخيص فيها — [اى الاباحة والاطـلاق] — من اصـول فن الادارة الملكية ، فقد ثبت بالادلة والبراهين ان هـذه الحرية من اعظم المنافع العمومية ، وان النفوس مائلة اليها من القرون السالفة التى تقدم فيهـا التمدن الى هذا العصر .. »** .

---

[٢٦] لمعرفة حقيقة الفكر الاجتماعى عند الطهطاوى انظـر دراستنا عن هذا الجانب من فكره فى مجلة [دراسـات اشتراكية] عدد مارس ١٩٧٣ م . وكذلك الدراسـة التى قدمنا بها لاعماله الكاملة . جـ ١ طبعة بيروت .

وكما اشرنا من قبل فان الطهطاوى يحرص دائما على ان تكون « السلطة » مقيدة « بالقانون » ... وهو هنا كذلك ، فى الحديث عن الحرية ، يحرص على ان تكون محكومة بمراعاة مصالح الاخرين ، تلك المصالح التى تنظمها القوانين وترعاها .. فالحكومة عندما تحافظ على ممارسة اقسام الحرية الخمسة هذه تكون قد « ضمنت للانسان ان يسعد فيها ، **مادام مجتنبا لاضرار اخوانه** » ..

كما يحرص الطهطاوى على ان تكون هذه القوانين التى تحكم الحرية وتنظمها « عادلة » ، اذ بهذه المعانى تصبح « الحرية .. هى الوسيلة العظمى فى اسعاد اهالى الممالك . **فاذا كانت الحرية مبنية على قوانين حسنة عدلية كانت واسطة عظمى فى راحة الاهالى واسعادهم فى بلادهم ، وكانت سببا فى حبهم لاوطانهم ..** » .

ومن الافكار الجديرة بالاهتمام فى فكر الطهطاوى عن « الحرية » تلك التى قدمها عن تصوره لبعض جوانب العلاقة بين « الحرية » وما يمكن ان نسميه « بالالتزام » ... فحرية الانسان تعنى ضمن ماتعنى « الالتزام » ازاء وطنه ومصالحه واستقلاله ، بحيث تصبح « الالتزامات » المترتبة على صون الوطن و « حريته » جزءا من حرية « الفرد » ، وشرطا لها ، لا قيدا عليها ولا انتقاصا منها ، وكذلك الحال بالنسبة « لالتزامات » الانسان الحر بالنسبة لحرية الاوطان الاخرى واستقلالها ؟! ..

يقول الطهطاوى فى هذا المعنى المتقدم : « ... وحيث ان الحرية منطبعة فى قلب الانسان من اصل الفطرة ، واقتضت الحكمة الالهية عدم تحقيره وذله ، وكرمته على جميع من عداه ، فينبغى ان يصرف حريته فى اكرام وطنه واخوانه ورئيس دولته .. **فاذا كان الانسان يكلف بنفع وطنه فلا يعد تكليف الحكومة له بجهاد الاعداء او اعانة الحكومة على مصارفها من التعدى على حقوقه ، فان هذا من واجباته لوطنه ، حيث ان العدو الذى يتعدى بالاغارة على بلد من البلاد يجب على اهلها قتاله وصده عنها ، وماذاك ، فى الحقيقة ، الا لحماية الحرية ... فمن محاسن حرية الامة انها تفرح ايضا بحرية غيرها من الامم وتتأذى من استعباد امم الممالك الذين لاحرية لهم ! ...** » [٢٧] .

والطهطاوى بهذه المفاهيم الشديدة النضج عن العلاقة بين حرية الفرد وحرية وطنه ، وتحرر الامة وتحرر غيرها من الامم ، لايوفق بين « الحرية » وبين « الالتزام » فقط .. بل ويرسى قاعدة متقدمة فى العلاقات الاجتماعية والدولية ايضا ...

وماذا عن المساواة ؟

اما حديث الطهطاوى عن المساواة ، فانه ، كمثل حديثه عن الحرية ، دليل على عمق وعيه والتزامه بالديمقراطية الليبرالية .. فالرجل لم يخطر بباله أن تكون هذه المساواة « مساواة اجتماعية واقتصادية » ، كما نتحدث نحن الان عن المضمون الحقيقى الذى يجب ان يتحقق لشعارات « المساواة » ، بل لقد نفى الرجل ، صراحة، انتكون المساواةالاقتصادية والاجتماعية واردة عند الحديث عن المساواة السياسية ، وحدد بوضوح انالمراد هو التسوية بين المواطنين امام القانون وفى اجراء الاحكام .. وهذا النوع من انواع المساواة قد اهتمت به الثورة البورجوازية ، منذ انتصرت فى فرنسا سنة ١٧٨٩ م ، ودخل فى اعلان حقوق الانسان الذى صدر عن هذه الثورة فى ٢٦ اغسطس سنة ١٧٨٩ م عندما تحددت فيه حقوق الفرد التى لاتمس وهى : الحرية ، والملكية ، والامن .. كما احتضنت هذا المفهوم للمساواة كل الدساتير البورجوازية التى صدرت فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ..

واذا كانت المساواة ، بمفهومها المفرغ من المحتوى الاجتماعى ، لا تشبع حاجات مجتمع اليوم الطامحة قواه الاجتماعية المتقدمة والثورية لبناء مجتمع ترفرف عليه اعلام العدل الاجتماعى، فان هذا المفهوم للمساواة ، كما قررته الديمقراطية الليبرالية ، وكما عرضه الطهطاوى ، كان يلعب دورا تقدميا وثوريا فى عصره ، وفى المجتمع الذى صيغت له هذه الافكار .. بل ان من الممكن — وهذا واقع — أن نجد اليوم مجتمعات عربية عديدة لا زال فكر المساواة ، بمفهومه الليبرالى ، صالحا كى يؤدى فيها دورا تقدميا ، على الاقل فى بعض جوانب حياة هذه المجتمعات ؟ !! ..

والطهطاوى يجعل هذه المساواة — [التسوية] — قرينة الحرية ، « وكلاهما ملازم للعدل والاحسان » .. ويتحدث عن هذه « التسوية » فيقول : « .. **وأما التسوية بين اهالى الجمعية — [المجتمع] — فهى صفة طبيعية فى الانسان ، تجعله فى جميع الحقوق البلدية كاخوانه** ، وهى جامعة للحرية المدنية والحرية الملكية ، وذلك لان جميع الناس مشتركون فى ذواتهم وصفاتهم، فكل منهم ذو عينين وأذنين ويدين وشم وذوق ولمس ، وكل منهم محتاج الى المعاش ، فبهذا

[٢٧] « المرشد الامين » الباب الرابع . الفصل السادس

كانوا جميعا فى مادة الحياة الدنيا على حدسواء؟ ولهم حق واحد فى استعمال المواد التى تصون حياتهم ، فهم مستوون فىذلك ، لارجحان لبعضهم على بعض فى ميزان العيشة .

ولكن هذا التساوى بينهم ، ان امعنا النظر فيه ، وجدناه أمرا نسبيا ، لا حقيقيا ، لان الحكمة الالهية ميزت بعضهم على بعض أزلا ، حيثمنحت البعض اوصافا جليلة لم تمنحها للبعض الاخر ، فبهذا تباينوا فى الصفات المعنوية ، بل وفى الصفات الطبيعية ، كقوة البدن وضعفه .

ومع أن الله تعالى فضل بعضهم على بعض فى الرزق فقد جعلهم فى الاحكام مستوين ، لافرق بين الشريف والمشروف ، والرئيس والمرؤوس ، كما أمرت به ودلت عليه سائر الكتب المنزلة على انبيائه ، عليهم الصلاة والسلام ، فليس للتسوية معنى آخر الا اشتراكهم فى الاحكام ، بان يكونوا فيها على حد سواء ، فحيث اشتركوا واستووا فى الصفات الطبيعية فلا يمكن أن ترفع هذه التسوية من بينهم فى الاحكام الوضعية .. » .

وكما أقام الطهطاوى علاقة وثيقة بين « **الحرية** » وبين « **الالتزام** » تجاه قضايا الوطن والاوطان الاخرى ، كذلك اقام « **التزامات** » **وطنية** على الجماعة الصادقة حقا فى التمتع « **بالمساواة** » فقال : **انه « من حيث ثبت أنهم مستوون فى الحقوق ، انتج ذلك أنهم اذا وقعوا جميعا فى خطر عام وجب على سائرهم أن يتعاونوا فى ازالة هذا الخطر ، لما فى ازالته من منفعتهم العمومية ، فاذا وقع لوطنهم حادث وجب عليهم أن يصرفوا النظر عن امتيازاتهم المعنوية ، كأنهم مجردون عنها بالكلية ، ويرجعوا الى صفة التسوية ، وينسوا كل مزية ، فبهذا تكون التسوية ملازمة للحرية عند انطواء راية الحرب ولوائه .. » .**

ونحن يجب أن نلحظ فى حديث الطهطاوى هذا انه عندما تحدث عن المساواة بين الناس ازاء الخطر الذى يلم بوطنهم ، فانه قد حدد ان الامتيازات التى عليهم أن يصرفوا النظر عنها هى : « **امتيازاتهم المعنوية** » .. وهذا التحديد الدقيق لا يدع مجالا لمن يحمل فكر الرجل عن المساواة اكثر مما يحتمله هذا الشعار فى الفكر الديمقراطى الليبرالى عندما نأخذه على اطلاقه .

ثم يؤكد الطهطاوى ، مرة أخرى ، على الارتباط بين « الحقوق » وبين « الواجبات » فى ظل هذا المعنى من معانى المساواة ، فيقول : ان « من **البديهى أن استواء الانسان فى حقوقه مع غيره يستلزم استواءه مع ذلك الغير فى الواجبات التى تجب للناس بعضهم على بعض ، لان التسوية فى الحقوق ملازمة للتسوية فى الواجبات .. فالواجبات دائما ملازمة للحقوق لا تنفك عنها ... » [٢٨] .**

واذا كنا قد نفينا أى وهم قد يتوهمه البعض عن تضمن « الحرية » عند الطهطاوى مضامين « للحرية الاجتماعية » ، فاننا ننفى كذلك — معتمدين على نصوصه القاطعة الواضحة — أن يكون الرجل نصيرا « للعنف الثورى » كوسيلة لاحداث التغيير الجذرى والشامل فى المجتمع ، والانتقال به الى مرحلة تطورية جديدة على درب التقدم ..

فالرجل بعد أن حدثنا عن ارتباط « التسوية بالحرية » ، حدثنا عنموقفه من « الثورة » فقال : « وينضم الى ذلك — [اى الى الحرية ، والمساواة] — صفة ثالثة : وهى **محافظتهم — [اى الناس الاحرار والمتساوون] — على بقاء الهدوء والراحة العامة فى وطنهم ، ومنعالاختلال الداخلى ، وحسم عرق الفتنة — (الثورة) »[٢٩]**.

فلقد كان الرجل نصيرا للتقدم ، ولكنه لم يكن نصيرا « للعنف الثورى » ، وان تكن الافكار التى وضعها وتحدث عنها وبشر بها انها كانت تمثل « ثورة » حقيقية بالنسبة لواقع المجتمع المصرى فى ذلك الحين .. بل ان اعمال الرجل التى نهض بها فى بناء التجربة المصرية ، والفكر العربى فى القرن التاسع عشر لهى جديرة بوصف « الثورة » و « الاعمال الثورية » دون أن تكون هناك مبالغة فى هذه الاوصاف .. فهو « ثورى » اذا قصدنا انه كان رائدا وضع لمجتمعه أهدافا وحدد لقواه الاجتماعية التقدمية يومئذ — البورجوازية الوطنية — مهاما « ثورية » ، يؤدى انجازها الى تحقيق تغييرات جذرية فى القاعدة المادية والبناء الفوقى لهذا المجتمع .. أما اذا عنينا « العنف الثورى » فان مفكرنا الكبير لايدخل فى هذا الاطار .. وذلك على الرغم من حديثه المتعاطف مع الثورة الفرنسية والثوار الفرنسيين سنة ١٨٣٠ م ..

تلك هى ابرز قسمات الفكر السياسى عند رفاعة الطهطاوى ، صاغها نظرية متكاملة فى الفكر الديمقراطى ، فعكستايمانه العميق بالنمط الليبرالى فى الديمقراطية ، وهو النمط الذى كان يلعب يومئذ — وخاصة فى مجتمع كالمجتمع المصرى — دورا تقدميا وثوريا لا تخطئه عين باحث من الباحثين .

---

[٢٨] المصدر السابق . الباب الرابع . الفصل السادس

[٢٩] المصدر السابق . الباب الرابع . الفصل السادس .

العنف الصهيونى ومشروع اسرائيل

جاكلين الزعيم

منذ وقت مبكر ، اهتم الباحثون الغربيون والامريكان بشكل خاص ، بدور العسكريين فى الشرق الاوسط ، وذلك لاسباب استراتيجية وسياسية لا تخفى على القارىء وعقدوا فصولا وكتبا خاصة لدراسة الظاهرة العسكرية فى اسرائيل بشكل خاص . وفى جملة هذه الكتب يمكننا أن نعد كتاب هوفيتس : « سياسات الشرق الاوسط، البعد العسكرى »(١) حيث يرى فى اسرائيل الحامية العسكرية Garrison Democracy وكتاب ميتشل : « انشاء جيش اسرائيل » (٢) وأخيرا كتاب جونسون عن دور العسكريين فى البلاد المتخلفة حيث يعالج بن هالبيرن فى فصل خاص منه ، دور العسكريين فى اسرائيل (٣) .

كذلك فان الباحثين الاسرائيليين ، اهتموا بدراسة الظاهرة العسكرية الاسرائيلية وبدورها فى تنفيذ المشروع التاريخى للحركة الصهيونية، وفى استمرار اسرائيل . فقد نشر الجامعى والباحث الاسرائيلى أموس بيرلموتر كتابا « العسكريون والسياسة فى اسرائيل » يبسط فيه الاصول التاريخية للجيش الاسرائيلى ، وصلته بالعقيدة الصهيونية ، ودوره فى ترسيخ الدولة واحاطة encadrement الحياة العامة فى اسرائيل . وفى

---

[١] HUREWITZ, J.C. : « Middle East Politics : The Military Dimension », Council of Foreign Relations, New York, F.A. Praeger, 1961, 553 p.

[٢] MITCHEL, Valentine : « The Making of Israël's Army », London.

[٣] HALPERN, Ben : « The Role of the Military in Underdëyelopped Countries », Princeton, New Jersey, Princeton University Press, 3rd Printing 1962, 426 p.

هذه المحاولة تلتقى الافكار التى يعرضها الكاتب الاسرائيلى بما جاء على لسان الكاتب بن هالبيرن الذى أتينا على ذكره قبل قليل ٠

لقد فجرت هزيمة حزيران ١٩٦٧ اهتمام الباحثين الفلسطينيين خاصة والعرب بصورة عامة بالمجتمع الاسرائيلى ٠ وبينما كان التصدى للظاهرة الصهيونية أمرا محظورا على المفكرين العرب ، تحت ادعاءات قومية مزعومة ، هى ارهاب فكرى يذكر بالعصور الوسطى المظلمة فى اوربا ، ويترك العرب فى جهالة من أمر عدوهم ، أعمل الدارسون العرب خلال السنوات الاربع المنصرمة تشريحا فى الجسد الصهيونى ، ودراسة لمؤسساته العسكرية والاقتصادية والاعلامية والايديولوجية ودبلوماسيته وتحالفه العضوى مع الامبريالية ٠ وبالواقع فان مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير ومركز الدراسات الفلسطينية قد غطيا بمنشوراتهما ، مختلف جوانب الصراع مع اسرائيل وان كانت هذه الابحاث تتفاوت من حيث دقتها العلمية وشمولها ومستواها التنظيرى ٠

كانت هزيمة حزيران ، حافزا لعدد من الخبراء العسكريين العرب لمعالجة موضوع الجشين الاسرائيلى وتقييم عملياته خلال عدوان حزيران ١٩٦٧ ، وهنا لابد من ذكر الدراسة التحليلية الاستراتيجية « توازن القوى بين العرب واسرائيل » (٤) التى قيم فيها اللواء السورى المتقاعد **أمين النفورى** ، ، العمليات على جبهة سيناء مفندا الصورة الاسطورية والعبقرية المزعومة للقيادة الصهيونية ، كما قدمتها الدعايات الغربية والصهيونية واستهدفت فى جملة ما استهدفت تحطيم المعنويات العربية ، وجر الجماهير العربية الى الاستسلام واليأس ٠ وكذلك دراسة الضابط السورى السابق **أحمد عبد الكريم** فى مجلة دراسات عربية عن دروس هزيمة حزيران ١٩٦٧ : **حول العمل العسكرى العربى (٥) حيث** رسم فيها الاطار العربى ، والاطار العالمى ، وبين أهمية العالم العربى ، وحلل الاستراتيجية الاسرائيلية ومراحل التعاون العربى ٠ وأيضا دراسة اللواء الركن العراقى **محمود شيت** **خطاب** : « **العسكرية الاسرائيلية (٦) التى**عالج فيها بنية القوات المسلحة الاسرائيلية وبيئتها وتسليحها واساليب سلاحها ، كما يمكننا ان نذكر كتاب**أنيس صائغ** : **ميزان القوى العسكرية بين الدول العربية وأسرائيل** ، من منشورات مركز الابحاث الفلسطينية فى بيروت الذى أصدره سنة ١٩٦٧ ٠

الا أن كل الدراسات العربية عن العسكرية الاسرائيلية ، جاءت عسكرية ، بعضها يتناول المؤسسة العسكرية ذاتها أو أصولها ، وبعضها الاخر يعالج الحدث العسكرى من وجهة نظر تاريخية واستراتيجية بينما ظلت المكتبة العربية تفتقر الى دراسات اجتماعية سياسية تتصدى للظاهرة العسكرية الاسرائيلية ، بوصفها ظاهرة سياسية تشكل قاعدة المجتمع ، ومحور السياسة فى اسرائيل وبكلمات أخرى ، فان المكان الذى يحتله الجيش ، فى الطغمة القيادية الصهيونية ، وفى الحياة اليومية ، والمواقف السيكولوجية الفردية فى اسرائيل لم تجتذب اهتمام الباحثين العرب ، بالقدر الذى اجتذبهم تنظيم الحياة العسكرية من الداخل ونوعية التسلح الاسرائيلى ، وأساليب العدوان وفلسفتهلدى قادة اسرائيل العسكريين٠بيد أن هذا لا ينفى عددا من الدراسات كدراسة الاستاذ **سعد زهران** : **اقتصاديات اسرائيل واجهة مدنية لمؤسسات عسكرية** ، التى يبرز فيها الطابع العسكرى المميز للتكوين الاسرائيلى ، والصفة المحاربة العسكرية للفلاح الاسرائيلى فى المستعمرات المحصنة ، والتى تكمن فى زجه بالمخطط الصهيونى الامبريالى فى المنطقة العربية بتوطينه فيها ، وانفاق الوف الدولارات عليه (٧) وأيضا دراسة الاستاذ **حاتم صادق** « دور العسكريين فى المجتمع الاسرائيلى » (٨) ومؤخرا صدر فى بيروت كتاب « **اسرائيل مجتمع عسكرى** » **لمازن البندك** (٩)ويعالج الكاتبفى كتابه هذا ، الاصول التاريخية لجيش اسرائيل ، ودور هذا الجيش فى السياسة والحياة الاجتماعية ٠ ثم يتطرق الى مبادىء الاستراتيجية الاسرائيلية ودور المخابرات ، والحرب النفسية ، ومشروع القنبلة الذرية ٠ ويعقد فصلا لقادة اسرائيل العسكريين ،

---

[٤] اللواء الركن أمين النفورى [معاون رئيس الاركان السابق] : « توازن القوى بين العرب واسرائيل » ، دمشق ١٩٦٨ ، مطبعة الاعتدال ٢٧٤ صفحة ٠

[٥] أحمد عبد الكريم [السفير السورى فى باريس حاليا] : « حول العمل العسكرى العربى » : مجلة دراسات عربية ، السنة الخامسة ، العدد ٢ ، بيروت ، كانون الاول ديسمبر١٩٦٨

[٦] اللواء الركن محمود شيت خطاب : « العسكرية الاسرائيلية » ، بيروت دار الطليعة ، نيسان ابريل ١٩٦٨ — ٤١٦ صفحة من القطع الكبير ٠

[٧] سعد زهران : اقتصاديات اسرائيل واجهة مدنيةلمؤسسات عسكرية ، مجلة الطليعة ، القاهرة ، عدد ايار — مايو ١٩٦٦ ٠

[٨] حاتم صادق : العسكريون فى المجتمع الاسرائيلى ،مجلة السياسة الدولية [فصلية] القاهرة يناير ١٩٦٩ ٠

[٩] مازن البندك : « اسرائيل مجتمع عسكرى » ، بيروت — ايار — مايو ١٩٧١ ، مطابع دار الكفاح ، ٢٢١ صفحة ٠

بعد أن يعالج مكانة الدول الكبرى في استراتيجية عمل الحركة الصهيونية ، وهو كتاب متواضع الحجم وغني بالمعلومات ، غير انه قليل التنظير لا يذهب في منهجيته بعيدا .

ويجدر بنا أن نذكر هنا ، سلسلة الدراسات التي نشرتها مجلة **الطليعة** عن الفكرة الصهيونية والقضية الفلسطينية منذ سنة ١٩٦٥ ، والتي تناولت دراسات عن تطورات القضية الفلسطينية تاريخية **لخيري حماد** (١٠) وأخرى متكاملة عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي بمختلف أبعاده **للطفي الخولي وخيري حماد وميشيل كامل وعبد المنعم الغزالي وهشام صلاح الدين والمهدي بن بركة والدكتور ابراهيم الدجاني** (١١) وبعد عدوان حزيران يونيو ١٩٦٧ ، قدمت محاولة منهجية ، كدراسة الظاهرة الاسرائيلية بمختلف جوانبها . وشملت دراسة عن نشأة الحركة الصهيونية وتاريخها للمستشرق الفرنسي **مكسيم رودنسون** (١٢) وتقريرا مقدما الى بعثة اللورد راسل لتقصي الحقائق ، عن حقيقة الحركة الصهيونية ومنطلقاتها وغاياتها (١٣) وحللت في سنة ١٩٦٧ اجتهادات **جولدمان** ، عن دور اسرائيل وعلاقاتها مع العرب ، عرضت فيه وجهة نظره وخلصت من ثم لنقدها ، كما عالجت الطليعة علاقة اسرائيل بالمانيا الغربية وبالانظمة العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا وانقلاب أوغندا (١٤) وفتحت صفحاتها لمنظمات المقاومة المختلفة ودخلت معها في حوار .

وغرضنا هنا ، أن نبين المحل الذي احتلته ظاهرة العنف في تهيئة الشروط المادية لاقامة اسرائيل على أرض فلسطين العربية .

العنف في جوهر الصهيونية

كانت الصهيونية في مجتمعي روسيا القيصرية وبولونيا ، بثقل الكنيسة ، والاقطاعية الزائلة ، تمردا طوبائيا مثاليا وليس ماديا واقعيا . فهو أيضا تمرد بورجوازي صغير « اشتراكي » النزعة يقترب من المذاهب الاجتماعية الممهدة للاشتراكية التي سبقت الصهيونية تاريخيا بظهورها في فرنسا مع اشتداد القبضة الرأسمالية . عبرت الصهيونية كما فعلت هذه المذاهب ، عن نقمة الحرفيين والتجار الصغار على الرأسمالية الصاعدة التي لا ترحم ، وعلى البنى الفوقية المؤسسة والايديولوجية الاوتوقراطية ، المستبدة ، فقد كانت الوظيفة الاجتماعية لجماهير اليهود في اطار الاضطهاد الطبقي ، بمظهريه الديني والمدني السياسي ، هي النشاط الحرفي والسمسرة في المدن داخل أحياء عزلوا فيها .

بيد أن رجعية الصهيونية تذهب الى أبعد من المشروع البورجوازي الصغير للمجتمع الطوبائي ، بتنظيماته وخصائصه ، وتقسيم العمل فيه ، فهي لا تكتفي بهذا الشكل العام من الطوبائية الاجتماعية الرجعية ، وانما تشمل أيضا ، وبشكل ملحوظ ، طوبائية ورجعية أخرى هي طوبائية العودة الى الارض الموعودة ، طوبائية شعب الله المختار ، وليست هذه في لغة السياسة كما لسنا تاريخيا سوى مشروع استعماري استيطاني واغتصابي يرفد مشاريع الاستعمار الاستيطاني الاخرى في المستعمرات . ويترتب على ذلك ، أن الارتماء الصهيوني في أحضان الرأسمال الكبير في فرنسا وبريطانيا ، ومجمل أوربا الرأسمالية تم بوصفه الاسلوب الوحيد لفتح آفاق واقعية ، أمام تصور التهجير والاستيطان في مشروع الصهيونية الطوبائي الرجعي لدى يهود اوربا الشرقية وهكذا نفسر اندحار الصهيونية اليسارية المفجع ، وكذلك تجسد الصهيونية (بلا يسار) في نظام مستعمرات الكيبوتزيم الزراعية المسلحة . لقد دفعت الطوبائية الصهيونية ثمن تحقيقها بيعها لنفسها ولجماهير معتنقيها لطواغيت البنوك في أوربا الرأسمالية ، مثلما دفعت البورجوازية الصغيرة الطوبائية العنصرية المغرقة في الرجعية والمتمردة على هزيمة الحرب الاولى وأزمة ١٩٢٩ ، وما أصابها منهما اقتصاديا ، ثمن صعودها في المانيا ، ببيعها نفسها وشعب المانيا كله لطواغيت الرأسمال والصناعة ثم لشيطان الدمار .

---

[١٠] خيري حماد : [فلسطين منذ زيارة مونتفيديو ١٨٤٩ حتى حركة التحرير الفلسطينية ١٩٦٥ » ، مجلة الطليعة ، القاهرة ، عدد مايو ١٩٦٥ .

[١١] دراسة متكاملة عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي [سبع دراسات] ، مجلة الطليعة ، القاهرة ، عدد مايو ١٩٦٦ .

[١٢] مكسيم رودنسون : « عالم الصهيونية » ، الطليعة ، القاهرة ١٩٦٧ .

[١٣] دراسة : « الصهيونية أم الحركة العربية » ، مجلة الطليعة ، القاهرة اكتوبر ١٩٦٧ .

[١٤] حول آراء جولدمان في الطليعة ، القاهرة ، عدد اغسطس ١٩٧٠ . وفيه ثلاث تعليقات :
الاول للدكتور اسماعيل صبري عبد الله والدكتور جمال العطيفي والدكتور وليم سليمان حول علاقة اسرائيل بالمانيا الغربية : محمد سيد أحمد « حلف بون ـ تل أبيب » عدد الطليعة أكتوبر ١٩٦٧
والثاني حول دور اسرائيل في انقلاب اوغندا : عبدالمنعم الغزالي : « حول الهجمات الاسرائيلية ضد اوغندا » ، عدد الطليعة مارس ١٩٧١ .

تتسم شحنة العنف لدى البورجوازية الصغيرة ، عندما تتمرد ، بالشدة عادة ، ويحضرنا هنا مثل : النازية فى المانيا ، والبوجادية فى فرنسا مع الثورة المضادة بعد الحرب الثانية ، ثم مثل : المنظمة العسكرية الارهابية الفرنسية فى جزائر الثورة · وغالبا ما تتحدد شدة العنف هذه ، باستيعاب الرأسمالية الكبرى المريضة للبورجوازية الصغيرة ، فتسخرها لشفائها وتشجيعها على التمادى فى المخازى ، بيدان فظاعة الاضطهاد الذى مارسته رجعيات أوربا الشرقية فى نهاية القرن الماضى ، شددت من اهمية ظاهرة العنف لدى الصهاينة فى فلسطين ، فيما بعد ، وساعدت على ذلك اهمية العنف « البدوى » فى الديانة اليهودية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان مشروع الاستيطان ـ بحد ذاته ـ شدد ظاهرة العنف لدى الصهيونية ، لانه تضمن طرد أهل البلد ، وتحطيم مقاومتهم واخضاعهم ، وتوطين يهود غرباء وحمايتهم ، وباقامتها المستعمرات الزراعية المسلحة ، وفرت الحركة الصهيونية للمجتمع الجديد ، مجتمع المهاجرين البورجوازيين الصغار (المعدمين فى معظم الاحيان) الذين قرحهم الاضطهاد العنصرى الطويل ، نقول وفرت الحركة الصهيونية اطارا يوحد هذا العنف ، ويعقلن فعاليته ، باعطائه صفة جماعية ، وتوجيهه نحو تكريس المشروع الاستيطانى الصهيونى · كانت مشكلة الصهيونية الاولى مشكلة البقاء على الارض المغتصبة الجديدة ، وكان العنف ـ ومازال ـ جواب مستعمرات الصهيونية على عمليات الرفض ، والمقاومة ، ومختلف التحديات اليومية فى فلسطين المشتهاة ·

ظهور العسكرية الصهيونية

لكى ندرك أهمية الظاهرة العسكرية فى تنفيذ مشروع الاستيطان الاغتصابى فى فلسطين، لابد لنا من تتبع الظاهرة منذ ولادتها وحتى حرب ١٩٤٨ بعد ان انتقل اليهود المهاجرون الاوائل من روسيا القيصرية وبولونيا ، حسم النقاش الذى دار بين الصهاينة السلميين ، وبين الصهاينة المؤمنين بضرورة العنف فى أووربا الشرقية ، لصالح التعبئة العسكرية المستمرة فى المستعمرات اليهودية الجديدة · ولم يكن هذا صدفة تاريخية · وانما ترتب على مشروع الهجرة الى فلسطين ذاته ، بوصفه سرقة للارض والوطن من الفلاحين ، ومجمل المواطنين الفلسطينيين العرب ، وتحقيقا لمشروع عدوانى فى جوهره ، توسعى بمنطقه التاريخى ، ونعنى به مشروع الدولة الصهيونية على أرض فلسطين ·

وتم اللجوء الى القوة ، تجسيدا للطابع العسكرى العدوانى ، المرتبط بطبيعة الحركة الصهيونية · وظهر للعيان فى الاوقات التى ارتاى قادة هذه الحركة انها تستدعى ذلك · ونجد بين الوسائل التى اقترحها حاخام مدينة ثورن البولونية رابى كاليشر Rabbi Kalisher بغية احتلال فلسطين ، تشكيل قوة عسكرية من المعمرين اليهود · واذا كان تيودور هرتزل ، قد اختار استدرار تأييد الدول الكبرى ، فذلك لانه وعى ، بعقله الاستعمارى الاستيطانى ، ان تنفيذ مشروعه الصهيونى ، يدخل تاريخيا فى ظاهرة التوسعية الامبريالية ، والصراع الرأسمالى على المستعمرات · وكان من جهة أخرى مدركا استحالة الاعتماد على القوة الذاتية لحركة مازالت جنينية · ويسوق لنا الباحث الفلسطينى هنذر عنتباوى (١٥) حكاية نقاش بليغ بمعناه ، دارسنة ١٩٠٤ أى بعد موت هرتزل بقليل ، فى كيبوتز سيغيرا Kibboutz Zeyera بين اثنين من المهاجرين الجدد الشباب · أراد أولهما دافيد ان ينشىء « قوة للدفاع » بينما رفض الاخر شلومو هذه الفكرة ، مذكرا رفيقه بانهما جاءا الى « ارض الكتاب » للعيش بسلام وان اى استفزاز للعرب معناه استبعاد السلام الى الابد · غير ان دافيد تشبث بوجهة نظره ، لانه « لا شىء يدفع على الاحترام فى هذا العالم سوى القوة » · وكان ان ترك شلومو البلد واستقر فى باريس ، بينما بقى دافيد فى فلسطين ، ليصبح فيما بعد شهيرا باسم دافيد بن غوريون ، وهواليوم يهنىء نفسه بصواب رأيه ·

وفى ١٩٠٥ تشكلت فى فلسطين الفصائل الاولى للمنظمة العسكرية الصهيونية السرية ، على أثر هجرة عدد كبير من الشبان اليهود من روسيا القيصرية ، وفى سنة ١٩٠٧ ، بوشر بتدريب المهاجرين اليهود عسكريا وبصورة سرية .

كان الهاشومير (الحراس) ، أول تنظيم عسكرى أنشأه ، بدءا منسنة ١٩٠٩ ، حزب باولى زيون الصهيونى ، فى نطاق التعاونيات الزراعية الاولى · وباعلان الحرب العالمية الاولى ، طرح جابوتنسكى ووايزمان من زعماء الحركة ، مشروع

(١٥) ANABTAWI, Mounthir : « Le sionisme, mouvement colonialiste, chauvin et militaire », in Le Conflit israélo-arabe — Dossiers, Numéro spécial des Temps Modernes, vol. 22, No. 253 bis, 1967, Paris, pp. 118 et 119.

انشاء قوة مسلحة يهودية لمساندة القوات البريطانية خلال هذه الحرب فى منطقتنا العربية · وبالفعل ، شكلت بالاتفاق مع البريطانيين قوة « بغال صهيون » سنة ١٩١٥ · ان تنفيذ هذه المبادرة بغرض استخدام هذه القوة الصهيونية فى مؤخرة القوات البريطانية ، كورقة للضغط والمقايضة بيد الحركة الصهيونية فى علاقتها مع الحكومة البريطانية انما هو تطبيق لفلسفة تيودور هرتزل فى ربط الحركة الصهيونية مصيريا بالتوسع الغربى الامبريالى فى الشرق العربى · وكما نعلم فان حاييم وايزمان جسد هذه الفكرة وطبقها مع بريطانيا أولا ، والولايات المتحدة الامريكية ثانيا ، مستفيدا فى الحالتين من ضرورات تطوير مادة « الاستون » للصناعة الحربية البريطانية خلال الحرب الاولى ، والمطاط الصناعى للصناعة الامريكية فى الحرب الثانية · ان ديبلوماسية الكواليس كانت وما تزال أسلوبا من أهم اساليب الحركة الصهيونية ، الا ان التحالفات مع القوى الاستعمارية لم تكن العامل الحاسم فى تنامى العسكرية الصهيونية ، وانما كانت مناسبات تاريخية ، يتجسد خلالها ، بشكل صارخ ، القانون الذاتى لنمو المستعمرات اليهودية الصهيونية · وهى مؤسسات للعنف المسلح · فالروح العسكرية ، تشكل الخاصية الاولى لعملية الاستيطان الاغتصابى فى فلسطين · ومنذ وقت مبكر ، هزم فى الحركة الصهيونية الاتجاه الداعى لانشاء جيش محترف ، أى قليل التسيس · بينما ، انتصر الاتجاه القائل بالطابع الثنائى العسكرى والزراعى للمستعمرات ، والداعى لتشريب الكادر العسكرى بالايديولوجية الصهيونية ، وتحميله مهمة تنفيذ اغراضها · وجاء تشكيل فيالق العمل « جدودها عفودة » وفقا لدعوة الصهيونى ترامبلادور ، وعلى غرار تنظيمات الهاشزمير · وبذلك كرست تاريخيا حركة الكيبوتزات الزراعية ــ العسكرية · ان التقدم فى تنفيذ المخطط الصهيونى ، قد وسع ابعاد المجابهة مع السكان العرب ، وفرض ضرورة الحوار المنظم مع الحليف البريطانى ، خاصة بعد اعلان وعد بلفور ونتيجة لذلك ، حدث تحول نوعى هام فى القيادات الصهيونية · فقد تمركزت هذه ، واتحدت لانشاء حزب العمال المتحد « احدوت هاعفودة » سنة ١٩٢٠ وأخيرا منظمة الهاغاناه العسكرية سنة ١٩٢١ وان تأخر تنظيم هذه الاخيرة واعلانها رسميا سنة ١٩٢٥ وفى عام ١٩٢٨ ، وبمجرد ان انتهى المؤتمر اليهودى العالمى فى زوريخ ، دعا الحزب اليهودى الاصلاحى وعلى رأسه جابوتنسكى اليهود « ليتسلحوا ويسلكوا طريق العنف والقوة لتحقيق اهدافهم » (١٦)

فى ظروف الجزر النسبى التى مرت بها المقاومة الفلسطينية العربية بين ١٩٢٦ ــ ١٩٣٦ ،تطورت بشكل متواز منظمة الهاغاناه ، التى صارت تتمتع بدعم المؤسسة الصهيونية ، دون ان تنجح فى تجنيد سكان المدن من المهاجرين اليهود · بينما ، ظلت فرق الهاشومير « الحراس » ، وفرق جدود هاعفودة (فيالق العمل) ، القوة العسكرية الرئيسية لليهود المهاجرين · غير ان منح المنظمة الصهيونية عونها المادى المتواصل للهاغاناه ، بما يخدم توحيد القوة العسكرية بمواجهة عرب فلسطين ، كتب للهاغاناه ان تصبح سلاح الاستيطان الاغتصابى الفعلى ·

فقد عرف تاريخ المنظمة العسكرية الصهيونية انعطافا حاسما ، على فرض الانتداب البريطانى على فلسطين ، فى بداية السنوات العشرين · وعلى الرغم من تواطؤ حكومة الانتداب مع الصهيونية العالمية تواطئا رسميا ، منذ اعلان تصريح بلفور ، فانه لم يكن بمقدورها ان تعترف بشرعية « المنظمة العسكرية الصهيونية السرية » خشية ان تضطر للاقرار بحق العرب فى تشكيل منظمة مماثلة · لذلك لم تمنح حكومة الانتداب تصريحا رسميا بانشاء الهاغاناه، ولكنهاسهلت لها بالواقع الوجود واستمر الحال على هذا المنوال طيلة الثلاثين سنة من السلطة البريطانية فى فلسطين · لم تكن السلطات البريطانية لتجهل اعتماد الهاغاناه على التهريب اساسا للتزود بالاسلحة · ورغم ذلك، فقد راحت فى حالات عديدة تزودها هى أيضا بها ، بينما كانت تحكم على بعض العشرات من العرب بسنوات سجن طويلة لضبطهم وفى حوزتهم سلاحا · بل ان الامور ذهبت مذهبا ابعد من ذلك بتنظيم الضابط البريطانى اورد وينجيت Orde WINGATE فى سنة ١٩٣٧ وحدات خاصة ليلية مؤلفة من اعضاء من منظمة الهاغاناه لعبت بعد عشر سنوات دورا هاما جدا · وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية شكل فيلقا يهوديا عسكريا فى فلسطين،ضم ثلاثين الف رجل، اختيروا ، بمعظمهم ، من قبل دوائر الوكالة اليهودية ، ليحاربوا مع الجيش البريطانى · وبالواقع فان الحركة الصهيونية ، بخلقها هذه القوة ، انما رمت ، فى جملة مراميها

---

[١٦] اسماعيل عبد الحكم : الخلفية التاريخية للارهاب الصهيونى ضد شعب فلسطين ، مجلة الطليعة ، السنة الخامسة ، القاهرة ، يوليو ١٩٦٩.

الاساسية ، لتزويد الشبيبة الصهيونية بتدريب عسكري خاص ، ليشكل عاملا حاسما عند حدوث المجابهة المنتظرة مع العرب بعد انتهاء الحرب •

وبتفجر الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ ـ١٩٣٩ تمكنت المنظمة الصهيونية العالمية من تعبئة أوساط يهودية واسعة فى العالم لتوفير الاموال والعتادللهاغاناه ،التى تحولت بعد ذلك الى جيش حديث ذى قيادة صهيونية بحتة ، مع استفادتها ، من مساعدات كبرى قدمتها حكومة الانتداب البريطانية لها فى وجه الثورة الفلسطينية • وكان هذا التعاون بين المؤسسة الصهيونية ومنظمتها الهاغاناه ، وبين سلطات الانتداب البريطانى ، احد الاسباب المباشرة لانشقاق افراهام شتيرن وعناصر أخرى متأثرة بجابوتنسكي وانشقاقهم لتشكيل منظمة « المقاتلون من أجل حرية اسرائيل » التى عرفت باسم « ليهى » بالعبرية وفيما بعد باسم منظمة شتيرن • ان خلفية هذا الانشقاق ، هى آفاق التوسع الاقليمى للاستيطان الصهيونى • حيث دعا المنشقون ، لاستخدام العنف ، بغرض تطويع حكومة الانتداب ، وجرها للانصياع ، وتوسيع الهجرة اليهودية حتى شرقىّ الاردن ، لتشمل كل اليهود فى العالم • ومنذ منتصف الثلاثينات شنت حملة لجمع الاموال ، ووضع برنامج متكامل لتدريب الشباب اليهودى وطبق نظام التفرغ والاحتراف ووضعت ميزانية ثابتة للدفاع وانشىء مكتب للاستعلامات تفرع عنه مكتب للشئون العربية • كانت الهاغاناه هذه تنظيما عسكريا وسع نفوذ الهستدروت وحزب الماباى الصهيونى الاشتراكى • ورأى غولومب منشىء الهاغاناه فيها « ضرورة بسيكولوجية وثقافية لتحويل المضطهد اليهودى فى المنفى الى عبرى مستقل فى وطنه » •

بين مؤتمرها التأسيسى الذى انعقد سنة ١٨٩٧ ، وتجنيدها ثلاثين الف مقاتل ، بجانب الجيوش البريطانية ، خلال الحرب العالمية الثانية ، نمت الحركة الصهيونية العالمية وصارت منظمة دولية ناشطة ، ومؤسسة سياسية ودبلوماسية عظيمة النفوذ ، على صعيد الغرب الامبريالى ، وصندوقا ماليا ضخما لتمويل الغزو الاستيطانى وذلك رغم عجزها عن التأثير المذهبى والسياسى على الجماهير الواسعة من اليهود فى العالم وبفضل هذا النمو وبموازاته ، تقدم فى فلسطين العربية تنفيذ مشروع الغزو الاستيطانى • فاقيمت المستعمرات الزراعية المسلحة ، وصودرت وابتيعت الاراضى العربية ، بعد فرض تصريح بلفور • وجعلت الوكالة اليهودية هيئة رسمية تمثيلية ، فى ظل الانتداب البريطانى • ومع ظهور هذه البنية الجنينية للمجتمع الاسرائيلى ، باساليب الاغتصاب ، تبلورت التنظيمات المسلحة ، وتضاعفت اعمالها الارهابية ، متحولة من خلايا مبعثرة لتكريس الغزو ، الى وحدة تنظيمية على نطاق فلسطين كلها تقريبا • وكان من نتيجة ذلك ان اليهود الصهاينة فى فلسطين بدأوا يحسون بقوتهم المسلحة الذاتية ، ويستقلون ببرامجهم ممارسين الضغوط والتهديدات على الحليف ، وولى النعمة البريطانى ، كلما دخلوا فى شىء من التناقض التكتيكى معه (مثلا بشأن الكتاب الابيض عشية الحرب الثانية) دون ان يمس ذلك الالتقاء بين مصالحهم ومصالحه الستراتيجية المشتركة وانتهاكهم المتواصل حق عرب فلسطين فى الارض وفى السيادة الوطنية • بيد ان أهم ما كشفت عنه ترجمة المشروع الصهيونى الطوبائى الرجعى الى حيز الواقع بصورة متعاظمة ، هو تفجر انكشاف شحنة العنف العدوانى ، شحنة الارهاب المسلح الكامنة فى بنية الايديولوجية الصهيونية من خلال الطبيعة العسكرية للبناء الاجتماعى الصهيونى ، والمجابهة العدوانية الاجرامية لشعب البلد الاصلى المدافع عن أرضه •

التحالف الستراتيجى مع الوصى الامبريالى ، مع السعى المتواصل للضغط عليه والمناورة معه ، للتغلب على تحفظاته ، واللجوء الى طاقة العنف فى البنية التنظيمية والايديولوجية للصهيونية ، هذان هما محورا السياسة الصهيونية فى فلسطين قبل سنة ١٩٤٨ ، وكذلك استمرت ، وتستمر الصهيونية فى تحركها ، منذ اقامة اسرائيل مع فارقين ، اولهما : استبدال الحليف البريطانى المتضعضع تدريجيا بالولايات المتحدة الامبريالية ، ثانيهما : التوسع المسلح المرحلى فى الوطن العربى ، داخل فلسطين فى البدء وبعد استكماله فى مصر وسوريا والاردن •

وحـــدة قـــوى الثــــورة الديمقراطيـــة
ســـبيل تحقيـق الوحـدة اليمنيـة

د. محمد على الشهارى

اذا ما لخص المرء طبيعـة المرحلـة التاريخية المعاشة فى كلمات للزم القول بأنها مرحلة الثورة العالمية ذات الطابع الوطنى ، والقومى ، والاشتراكى مرحلة الثورة الوطنية من أجل القضاء على السيطرة الاجنبية ، والهيمنة الرجعية الداخلية ، واقامة دول وطنية مستقلة ، تسـير فى طريق التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى ، وهـى مرحلة الثورة القومية من أجل القضاء على النفوذ الاستعمارى ، وأنظمة الحكم الاقطاعية ، والتجزئة الاقليمية ، والراسمالية الاحتكارية ، واقامة دول قومية موحدة ، ناهضة متحررة ، ومنطلقة صوب آفاق الثورة الاجتماعية الشاملة ، وهى مرحلة الاشـتراكية من أجل القضـاء نهائيـا على الاستعمار والاستعمار الجديد ، والامبـريالية ، والانظمة الراسمالية ، والشوفينية ، والعنصرية ، والطائفيـة والحساسـيات الاقليميـة ، وخلـق مجتمع انسانى متحرر من كل علاقات وقيـم المجتمعات الطبقية الاستبدادية والاسـتغلالية ، وصنع انسان جديد ذى قيم اجتماعية وخلقية راقية ورفيعة ، وايجاد عالم مضىء تسوده عـلاقات التضامن والوحدة ، والمحبة ، والخير ، ويظلـه السلام والعدل ، والاخاء ، عالم الاشـتراكية ، والديمقراطية والابداع ، والعبقرية ، واختفـاء التناقضات الطبقية، وسيادة الروح الانسـانية الاشتراكية ، وتفرغ الانسان لاكتشاف مجـاهل الطبيعة ، والسيطرة على قوانينها ، وترويض كل عصى فيها ، وتحقيق حريته المطلقة عليها.

والثورات الوطنية ـ باعتبارها جزءا من هذه العملية الثورية الكونية الشاملة ـ كما تنزع الى الكشف عن علائقها الوشيجة والحميمة بالثورات القومية الام ، والثورات الاشتراكية الرائدة فانها تتجه أولا وقبل كل شىء الى اكتشاف ذاتها ، والعثور على نفسها ، وبلورة هويتها ، وتحقيق انتمائها الوطنى ، وتحقيـق وحـدة البـلاد السياسية ، واعادة صياغة الوطن من جـديد صياغة ثورية ديمقراطية تقدمية.

وكما تخلق الثورة الاشتراكية مشاعر اجتماعية وانسانية رفيعة ، يحس بها الفرد بمدى انتمائه العضوى والاجتماعى والانسانى الى بنى جنسه ، وتخلق الثورة القومية مشاعر قومية حادة ، يحس

بها الفرد بمدى انتمائه العضوى والقومى الى بنى قومه ، فان الثورة الوطنية تخلق مشاعر وطنية ملتهبة ، يحس بها الفرد بمدى انتمائه العضوى والوطنى الى بنى وطنه .

ان هيجان وتوهج المشاعر الوطنية يتضح أكثر ما يتضح فى الثورة على الاقطاع الذى سببت انقساماته وصراعاته على السلطة انقسام وتمزق الوطن والشعب ، وتتجلى أكثر ما تتجلى فى الرفض للتجزئة الاقليمية التى نجمت عن هذه الصراعات والانقسامات ، وفى عدم الاعتراف بالاوضاع السياسية الانفصالية التى تكون قد نتجت عن هذا التمزق الاقطاعى وهذه التجزئة الاقليمية .

ان ثورة وطنية ـ أو حتى قومية ـ تخلو من مثل هذا الحماس والتوقد ازاء قضية اعادة تحقيق وحدة الوطن والشعب ، وينقصها مثل هذا الوجدان الوطنى المشتعل ، والوعى الوحدوى الناصع لهى ثورة ناقصة التكوين ، قصيرة النظرة وغير ناضجة ، ولا متكاملة .

ان تظاهر المشاعر الوطنية الرافضة لاى منطق يبرر تجزئة الوطن او تجزئة قواه الوطنية أو ابقاه وابقاءها مجزأة ، والمنكرة لاى وضع انفصالى ينشأ عن الوجود الاستعمارى أو الاقطاعى لهى تظاهرة مبررة ومشروعة ، وصادقة وأصيلة . ان الخروج من أى وضع انفصالى لاى وطن من الاوطان تكون قد تسببت فيه وخلقته الظروف الاستعمارية والاقطاعية لا يتطلب المعالجات الروتينية الرتيبة ، ولا التطور التدريجى ، ولا يجيز السماح بانشاء المؤسسات الوطنية والشعبية والنقابية المهنية التى تنطلق من الاعتراف بواقع التجزئة ، والتى تكرسها قانونيا وعمليا ، وتزيد فى تعقيد الجهود الرامية الى تمهيد الطريق لتحقيق وحدة الوطن .

ان الافلات من اسار أى وضع انفصالى يتطلب ـ شأن أى عمل ثورى عاصف يحدث به انقلاب كامل فى بناء المجتمع الطبقى ـ وتركيبه الاجتماعى ـ يتطلب عملية انقلاب ثورية كاملة على مثل هذا الوضع تخترق وتحطم بها الحدود الوهمية المصطنعة ، ويعاد بها التواصل بين أوصال الجسم المفكك ، وتتطلب ـ شأن أى عملية خروج من مدار فلكى الى مدار فلكى آخر ـ اندفاعة جبارة ، تمزق الحواجز الطبيعية السميكة ، ويحدث بها انفجار هائل مهيل .

أن عملية خلق وطن واحد كانت منذ البداية عملية ثورية كاملة بذاتها ، اذ انها تطلبت الانتقال من الوحدة القبلية ، ومن الولاء للعشيرة ، ومن الوحدة الطائفية ، والولاء للطائفية ، ومن الوحدة الاقليمية الصغيرة الضيقة ، والولاء المحدود لها ، الى مرحلة أمكن فيها صنع دولة مركزية ، ووطن واحد يجمع ويذيب فى كيانه على مدى الزمن كل الكيانات القبلية والطائفية ، والاقليمية المحدودة الضيقة .

ان عملية اعادة تحقيق مثل هذا الوطن عبر عملية ثورية ومن خلال حركة شعبية ، وعن طريق جبهة وطنية يعتبر انجازا من الانجازات التاريخيه المجيدة والخالدة .

ان الاقدام على ابداع مثل هذه العملية التاريخية يتطلب قدرا غير عادى من الوعى الوطنى الناصع ، والبصيرة التاريخية النافذة ، والنضوج الثورى الكامل ، يتطلب قفزة نوعية فى الرؤية الوطنية والاجتماعية ، والتاريخيه والمستقبلية .

ولقد كان مما ينقص ثورة ٢٦ سبتمبر انها لم تمتلك هذا المدى من الوعى الوطنى والتاريخى والاجتماعى ، ومن هنا فانها لم تضع قضية تحقيق الوحدة اليمنية ، ضمن مبادئها الستة المعروفة ، ولا ضمن اهدافها الاساسية المعلنة ، واكتفت بدلا عن ذلك بالاشارة الى ضرورة تحقيق الوحدة الوطنية على نطاق الشمال نفسه ، وان كانت قد شكلت فى الواقع خلفية أكيدة لقيام ثورة ١٤ أكتوبر فى جنوب البلاد ، واحدى المقدمات الموضوعيه لاعادة تحقيق وحدة الوطن ، وفى هذه الحدود فانه ما كان يمكن أن يحدث ذلك الا بفضل وفى ظل الثورة القومية الام التى كانت تقودها مصر ، ويتقدمها عبد الناصر ، والتى كانت قد انتقلت بكل ثقلها الى الساحة اليمنية أثناء صدامها وصراعها مع قوى الاقطاع والاستعمار التى أخضعت ومزقت الوطن العربى ، وخلال تطلعها نحو تحقيق وحدته القومية العظمى والمنشودة .

ولقد كان مما ميز حركة القوى الوطنية اليمنية انها ـ وفى طليعتها العمال والطلبة ـ كانت قد طرحت منذ عام ١٩٥٦ قضية الوحدة اليمنية كهدف من اهداف النضال ، وأنها قرنت ما بين النضال ضد الاستعمار والاستبداد ، وان كانت هذه القوى ـ وخاصة التنظيمات منها ـ قد تحولت بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ، وثورة ١٤ اكتوبر ـ وبالذات

منذ منتصف الستينات - الى تنظيمات شطرية ، بعد ان كانت تنظيمات قومية ، او قطرية ، وبالتالى غدا نضالها فى ظل الثورة هنا أو هناك مكرسا أساسا ومقصورا على هذا الشطر من الاقليم اليمنى دون ذاك .

ان ذلك ينسحب أيضا على ثورة ١٤ أكتوبر ، وعلى تنظيم الجبهة القومية الذى قام بتفجيرها وقيادتها ، وغدا هو التنظيم الرئيسى والحاكم فى جنوب البلاد .

فلم تستطع ثورة ١٤ أكتوبر تحت قيادة الجبهة القومية ان تكون ثورة اليمن كلها ، وظلت رأس حربتها موجهةضد الاستعمار البريطانى فى جنوب البلاد وضد السلاطين الاقطاعيين هناك ، وهى وان كانت قد طرحت شعار الوحدة اليمنية الا أنها لم تمارسه من الناحية السياسية والعملية .

ورغم أن حركة القوميين العرب فى اليمن التى كانت تنتمى الى المركز الام لحركة القوميين العرب شكلت فى اليمن فرعا « يمنيا » موحدا بقيـــادة واحدة شأنها شأن البعث - فانها - شأنها كذلك شأن البعث ، بل ومنظمةاتحاد الشعب الديمقراطى التى كانت قد تبنت الاشتراكية العلمية منذ مطلع الستينات - انقسمت على نفسها داخل اليمن، وتحول قسم منها الى منظمة « جنوبية » هـى « الجبهة القومية » ومنظمة « شمالية » هـى « الحزب الديمقراطى الثورى اليمنى » تماما كما أصبح هناك تنظيم بعثى خاص بالجنوب ، وأكثر من تنظيم بعثى خاص بالشمال ، ومنظمة لاتحاد الشعبالديمقراطى هنا ، واخرىهناك ، ليس بينهما حتى الحد الادنى من التنسيق .

وهكذا لا ثورة ٢٦ سبتمبر ولا ثورة ١٤ أكتوبر استطاعت أن تقدم نفسها باعتبارها ثورة وطنية شاملة للقطر اليمنى كله .

وهكذا ايضا لا التنظيمات القومية المنشأ ، ولا التنظيمات القطرية الاصل استطاعت أن تبقـى كممثلة لوطن ولشعب يمنى واحد !

ترى ما هو الناموس التـاريخى ، والقـانون الاجتماعى الذى حكم هذا الوضع ، وحتم أن تسير الامور فى اليمن فى غير المسار الذى يقضى به القانون الموضوعى والتاريخى والاجتماعى لاى ثورة وطنية ؟

اهى ظروف موضوعية تتعلق بعدم نضـج مقومات ومكونات قيام ثورة وطنية شـاملة متكاملة ، أم هى ظروف ذاتية تتعلق بعدم اكتمال ونضج الوعى الوطنى اليمنى لدى قيادات القوى والمنظمات الوطنية فى اليمن .

أم ترى أنه تاريخ التجزئة الاقطاعية الطويل للوطن اليمنى ، وتاريخ الصراع الرهيب بين آئمة صنعاء وسلاطين الجنوب ، ما يزال رغم ذهاب الائمة والسلاطين معا يسحب نفسه ويلقى بظلاله الكئيبة على تركيب ومواقف المنظمات والقـوى الوطنية اليمنية حتى بدون قصد ، أو وعى ، أو شعور منها ، وحتى دون أن يكون لها رغبة سياسية فى مثل هذا الوضع ؟ ودون أن تكون لها ارادة وطنية فى مواجهة ذلك ؟

أم ترى ان خط الحدود التركى - الانجليزى الذى رسم فى مطلع هذا القرن ، وميز منطقة ولاية اليمن التركية عن منطقة المحميات البريطانية ليس فى الامكان التغلب عليه اليوم حتى بعد ذهاب الحكم العثمانى والبريطانى معا ، وقيامحكميمنى هنا ، وحكم يمنى هناك ؟!

أم ترىان حركة٥نوفمبر ١٩٦٧ فى صنعاءوهيمنة الجناح اليمينى فى الجبهة القومية على السلطة فى عدن منذ نوفمبر ١٩٦٧ يوم الاستقلال - الى ٢٢ يونيو ١٩٦٩ - يوم الحركة التصحيحية التى اطاحت به - هو السببفىعدم حدوثأى تقاربين نظامى الحكم ، أو أتخاذ أى خطوة سياسية فى اتجاه تحقيق الوحدة اليمنية ؟

اسئلة كثيرة يمكن طرحها من هذا القبيل ، والاجابة عليها يمكن أن تكون واحدة وبالايجاب ، وهو أن كل ذلك له تأثير أكيد - ولو بدون وعى أو قصد أو شعور - على مواقف القوى الوطنية ، ومن هنا وجدناها - وقد تحولبعضها الى المنظمات - تختزل نفسها وتؤقلمها وفق التجزئة الاقليمية ، تنقسم وينفصل بعضها عن بعض على منوال وحسب الوضع الانفصالى ، ونضع استراتيجية حزبية تهتم أولا وقبل كل شىء بشئون ومصير هذا الشطر من الاقليم أو ذاك ..

ولكن يبقى التساؤل قائما ، وهو ماهو السبب فى أن هذه المنظمات والقوى الثورية «لم تثر» على هذا الواقـع ، واقـع التجـزئة الاقطـاعية والاستعمارية ، ولم تؤكد ذلك فى تـركيبها التنظيمى ، وفى برامجها الحزبية ، وفى سياستها اليومية ، فتغدو تنظيمات وطنية بامتداد القطر

اليمنى ، وتضع برامج حزبية على أساس القطر ، وليس على اساس الشطر ، وتناضل على مستوى اليمن كلها ، وليس على مستوى الجنوب أو الشمال ؟

أو ليست الثورة والثورية تعني التغيير ، والتبديل ، تعني قلب الواقع المغلوط ، وجعله يقف على أقدامه ، وتعني اعادة تركيب الاوضاع على نحو صحيح ، ووضع الشيء في نصابه ، ودفع الامور في مجراها الطبيعي ؟

واذا كانت التجزئة الاقطاعية التي نجمت عن الصراع الاقطاعي بين أئمة وسلاطين اليمن ، والانفصال السياسي الذي نتج عن النزاع بين الاستعمار العثماني والبريطاني ، واقع تاريخي ماساوي ، ومغلوط ، ومرفوض ، فلماذا لا يثور الثوار عليه ، ولماذا لا يتحركون ضده ؟

او ليس جزءا لا يتجزأ من الثورة الوطنية ان يهب الوطنيون دفعة واحدة ضد كل قوى التجزئة الاقطاعية والقبلية والطائفية ، وأن ينقلبوا على الواقع الانفصالي الذي أوجدته ، وينتفضوا على الوضع الاجتماعي الذي خلقته ، ويحطموا الحدود الجغرافية والطبقية والسياسية والنفسية التي نجمت عن ذلك كله ؟

واذا لم يفعلوا ذلك فماذا يمكن ان يكونوا اذن ؟

هل يكفي أن نبرر تقاعسنا بعدم الثورة والانتفاض على هذا الواقع المغلوط بالقول بأنه وضع ورثناه من الماضي ، حيث وجدنا اليمن مقسمة عمليا الى قسمين وسلطتين ، وان هذا الواقع قد فرز ثورتين وجمهوريتين هنا وهناك ، لكل منهما علاقاته واتفاقياته الدولية ، وانه ليس بامكان القوى الوطنية بحجة (الثورية) ان تتجاهل ، وتتعامى عن ذلك كله ، اذا ارادت الا تقحم اليمن في حرب اهلية مع نفسها ، والا تسفك دماء بعضها البعض ، والا تعطي للاستعمار مبررات اضافية لشن حرب تدخل استعمارية ، بل وحرب محدودة لتصفية النظام الوطني في جنوب اليمن وملاحقة كل قوى الثورة في كل مكان من الارض اليمنية ؟

أو ليس مثل هذا التطرف الطفولي واليساري هو ما يريده الاستعمار والاقطاع ، او لا يقود مثل هذا النوع من الغلو الثوري والوطني صاحبه الى مواقع اليمين على طول الخط ؟

مثل ذلك وغيره من المنطق الدفاعي الذي يمكن ان تلجأ اليه بعض القوى الوطنية المتكاسلة والمتخاذلة عن العمل من أجل تحقيق وحدتها الوطنية ، تمهيدا لتحقيق وحدة الوطن والشعب اليمني منطق متصور حدوثه ، ومفهوم اللجوء اليه في حالة حدوثه .

وحتى لا تسقط القضية الوطنية الى مستوى أن تكون مجال مماحكة او مكابرة او لجاج ، أو لغو ، او لغط ، او تنحط الى مستوى حذلقة سياسية او رطانة دبلوماسية ، فان السؤال الطبيعي والتلقائي والبديهي الذي يطرح نفسه هو : اذا متى تسرع القوى والمنظمات الثورية اليمنية الى تحقيق وحدتها الوطنية ، اذا اعتبرنا ذلك هو سبيل الوحدة اليمنية الحقيقي والاكيد ، والمضمون ؟

أم ترى أن الوحدة اليمنية في الامكان تحقيقها عن طريق ارتياد سبيل آخر غير هذا السبيل ، عن طريق تحقيق اتفاقية القاهرة وبيان طرابلس مثلا الموقعين في اكتوبر ونوفمبر ١٩٧٢ من قبل الحكومتين اليمنيتين ، أو عن طريق اقامة جبهة وطنية شمالية مثلا ،وجبهة وطنية جنوبية ، تكون الجبهة القومية هي اطارها ، ويكون بين الجبهتين أقصى حد من التنسيق يمكن تصوره وافتراضه .

ان تصور امكانية تحقيق الوحدة اليمنية على أساس اتفاقية القاهرة وبيان طرابلس امل بدأ انه اخذ الان في الشحوب والغروب ، رغم اجتماعات اللجان الثماني المشتركة في كل من عدن وصنعاء ، ورغم ما يبدو ظاهريا — من الاتفاق على بعض القضايا ، وترحيل بعضها الاخر الى هذه اللجنة أو تلك بحجة أنها واقعة تحت اختصاصها وعسى أمل حلها . ومنذ البداية لم يكن يتصور المحللون السياسيون المدركون لطبيعة التناقضات الاجتماعية في اليمن ان الاتفاقية يمكن ان تقود الى الوحدة .

لقد لعبت ظروف داخلية وعربية في ابرام اتفاقية الوحدة ، وقد تمثلت الظروف الداخلية في فشل قوى الاقطاع اليمنية المدفوعة من قبل الاستعمار في أخذ اليمن الديمقراطية بالقوة ، وانتهت الحرب الاقطاعية الاستعمارية التي شنتها لصالح القوى الثورية التي بدت متفوقة ، عليها في كل شيء ، من هنا ارادت طبقة الاقطاع اليمنية فرصة تنفس تعيد بها تنظيم صفوفها ، وترتيب أوضاعها ، واستجلاب مزيد من الدعم الاستعماري ، تمهيدا لمعاودة الانقضاض على النظام الثوري في جنوب البلاد .

وكما ثنبأ محسن العينى الذى اعلنت حكومته فى ٢٦ ـ ٩ ـ ١٩٧٢ الحرب ضد اليمن الديمقراطية التى استمرت حوالى شهر من الزمان بأن عناصر أكثر تشددا منه ومن حكومته ستأتى الى السلطة بغرض مواجهة الحكم القائم فى عدن ، فان فريق الصقور الاقطاعى المدعوم ـ وعلى نحو مكثت ومركز من الاستعمار الامريكى ـ قدجاء الى السلطة، وعزز مواقعه فى مختلف اجهزتها العسكرية والادارية

وكجزء من عملية افراغ اتفاقية الوحدة من محتواها الديمقراطى ، ولضربها من اساسها ، وكجـزء من حركة الالتفـاف الرجعـى عليـها ، وتهيئة لشن حرب ساخنة ضد اليمن الديمقراطية أخذ ممثلو النظام الاقطاعى فى صنعاء يدلون بالتصريحات تلو التصريحات فيما يشبه اعلان حالة حرب باردة ليس على اتفاقية الوحدة فقط ، وانما ايضا على الفكر الوحدوى الديمقـراطى الثورى الاخذ اليوم فى الانتشار والاتساع فى اليمن .

ففى حديثه لمجلة الحوادث « عدد ١٩ ـ ١ ـ ١٩٧٣) جاء على لساء مسئول أن من الشروط المتفق عليها وغير المنصوص عليها فى الاتفاقية تعويض التجار « الشماليين » المؤممة املاكهم فى عدن ، وأن « مقتضى النص بحماية وصون الملكية الفردية غير المستغلة يقتضى أن تعاد لاربابها هذه الملكية التى تتصف بهذه الصفة » .

وفوق ذلك فان بيان هـذا المسـئول يرى أن كل المنظمات الثورية فى شمال البلاد وجنوبها يجب أن تختفى من البلاد فى ظل الوحدة استمرارا لما أكده دستور صنعاء الحالى الذى ينص على « منع الحزبية » ذلك أن « منع الحزبية منطلق من مصلحة البلد ، لان بلدنا كما تعرفون متخلف ، وشعبه فى الوقت نفسه مسلح ، فلو سمح بالحزبية لما اقتصر الحوار فيه والخلاف على اللسان والقلم ، بل لتجاوزه الى السلاح ، من اجل هذا منعنـا الحزبية » .

ويشـير أيضـا الى أن المعارضــة التى كان قد أبداها مجلس الشورى فى أول الامر لاتفاقية الوحدة نابعة من وهم أو ظن انها قد تفسح المجال لنشاط المنظمات السياسية التى نصت عليهـا الاتفاقية .

وعلى نفس النسق من رفض أى عمل تنظيمى فى ظل الوحدة يتحدث رئيس مجلس الشـورى قائلا بانه لن يقبل « ولن يسمح بقيام اية احزاب اخرى فى اليمن الموحد » « وكالة انباء عدن ، الاستماع السياسى ٨ ـ ١ ـ ١٩٧٣ » . وأكثر من ذلك فان البيان السعودى ـ اليمنى الذى صدر فى ١٧ ـ ٣ ـ ١٩٧٣ اثر انتهاء زيارة الحجرى للرياض ينسف اتفاقية الوحدة بمضمونها الديمقراطى ، ويحل محلها الصيغة التالية : « ويؤيد الجانبان الخطوات القائمة لاستعادة وحدة اليمن على أساس التمسك بالشريعة الاسلامية اساسا للتشريع فى ظل دولة الوحدة التى يجبان تقام على أساس الاقتراع الحر والمباشر لجميع المواطنين اليمنيين فـى الشمال والجنوب .

ومن هنا فأنه يراد (للاتحاد اليمنى) الذى أعلن عن تشكيله فى مطلع فبراير ١٩٧٣ ، والذى يجسد مصالح الاقطاع والكومبرادورية والانتهازية بأن يكون هو الوعاء التنظيمى الذى تذوب فيه (الجبهة القومية) وكل التنظيمات الحزبية وشبه الحزبية الاخرى الموجودة فى شمال البلاد وجنوبها .

ودولة الوحدة التى يقصده الاقطاع اليمنى ينبغى أن تكون متعاونة ومتحالفه مع الاسـتعمار الامريكى .

ولتبرير هذا التعاون والتحالف مع مثل هذه الانظمه العربية يقول الايريانى فى نفس مجلة الحوادث السابقة الذكر بأن « السعوديه أعلنت مباركتها للوحدة . ونحن نأمل أن الوحدة ستجعل المتطرفين معتدلين وليس العكس » .

واذن فالنظام السياسى فى دولة الوحدة لابد ان يكون يمينيا ومتحالفا مـع الاستعمار ، واذا رفض الحكم الوطنى فى عدن ذلك فان فى الامكان التطويح به ، والقضاء عليه ولو بقوة السلاح « فالشمال هو الاقوى وهو الاقدر على حسم الامور » كما يواصل الحديث هذا المسئول فى النظام الاقطاعى فى اليمن .

ومن جهة اخرى فأن ممثلى النظام الوطنى فى عدن يرون ـ على العكس من ذلك ـ أن اتفاقية الوحدة بمضمونها الديمقراطى لا تبيح التراجع عن التحولات الاقتصادية والاجتماعية التى تمت فى اليمن الديمقراطية والمتعلقة بالاصلاح الزراعى والتأميم كما ان مسألة تعويض التجار الشماليين غير واردة على الاطلاق ، وأن النظام فى ظل دولة

الوحدة ينبغي أن يكون وطنيا ديمقراطيا ، ومعاديا للاستعمار

أو ليس ذلك هو ما تنطق به كلمات رئيس النظام الثورى فى عدن سالم ربيع على التى تضمنها خطابه فى ذكرى عيد الاستقلال فى ٣٠ - ١١ - ١٩٧٢ حيث جاء فيها أن اتفاق الوحدة جاء « ليفوت الفرصة على الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية » ، « فى يمننة الحرب » وتحقيق الاهداف المعادية لليمن وشعبها » (جريدة الثورى العدنية ٧ - ١٢ - ١٩٧٢) .

أو ليس ذلك أيضا هو ما أشار اليه الامين العام للجبهة القومية عبد الفتاح اسماعيل فى كلمة الافتتاح للدورة الثانية عشرة لمنظمة التضامن الافرو - آسيوى التى بدأ انعقادها فى عدن فى ٢٥ - ٢ - ١٩٧٣ عندما قال انه يجب النظر الى « اتفاقية الوحدة بمنظور ديمقراطى تقدمى مرتبط أساسا بوحدة الطبقة العاملة اليمنية ، وبوحدة الفلاحين اليمنيين ، وبوحدة كل القوى والفئات صاحبة المصلحة الحقيقية فى مستقبل الثورة اليمنية ، والتى تعبر عنها مجموع فصائل العمل الوطنى الديمقراطى فى شطرى الاقليم كطليعة تقود أوسع جماهير الشعب » (جريدة ١٤ اكتوبر العدنية ٢٦ - ٢ - ١٩٧٣) .

وحسب تعبير رئيس الحكومة الوطنية فى عدن على ناصر محمد فأن « الوحدة اليمنية كما يفهمها الشعب اليمنى والشعوب العربية لا تعنى العودة الى الماضى البغيض ، بأوضاعه وعلاقاته الاقتصادية والاجتماعية المتخلفة ، ولكنها تستهدف تطوير حياة الشعب اليمنى وتقدمه ، بعيدا عن كافة أشكال التبعية ، واحداث التحولات الاجتماعية لمصلحة غالبية الشعب » وبالتالى فان « الاجراءات الثورية التى تمتفى اليمن الديمقراطية فى الداخل وفى السياسة الخارجية لن يحدث بشأنها أى تراجع ، وقد ضمنت اتفاقية الوحدة بين شطرى اليمن الموقعة فى القاهرة فى ٢٨ اكتوبر الماضى حماية مكاسب الثورة ، مما يجعل التراجع عنها خيانة وطنية » (وكالة أنباء عدن ٣ - ١٢ - ١٩٧٢ . وفى شجبها لمحاولة القوى الاقطاعية تبرير تبعيتها للاستعمار . تقول صحيفة « صوت العمال » العدنية فى ١٨ - ٣ - ١٩٧٣ : « ان التصريحات التى تشيد بدور وبأهمية التقارب مع القوى الاجنبية ليس لها مكان فى وسط الشعب ، وليس مصدرها شعبنا الذى قدم أعظم التضحيات فى نضاله من أجل الوحدة وضد مؤامراتها عليه فى اعاقتها ، وان تلك الاصوات التى تمجد هذه القوى الاجنبية وتسبح بحمدها تلتقى فى عدائها للشعب اليمنى مع عدو الشعب اليمنى الاول ، فى وحدته وتقدمه .

تلك هى وجهة نظر الجانب الديمقراطى ازاء اتفاقية الوحدة ، وهى - كما هو واضح - تقف على طرفى نقيض مع وجهة نظر الجانب الاقطاعى ازاءها .

وحيال مثل هذا التناقض الحاد الذى يعكس فى الواقع ليس فقط التناقض الطبقى السياسى بين النظام الوطنى الحاكم فى عدن ، والنظام الحاكم فى صنعاء ، وانما يعكس أيضا التناقض الاجتماعى فى عموم اليمن بين قوى الثورة الوطنية ، وقوى الثورة المضادة ، فانه من السهل تصور مآل اتفاقية الوحدة ، واذا كان من الصعب التوفيق بين الضدين الا على أساس انتصار أحدهما على الاخر بعد عملية صراع لاهبه بينهما فأن اتفاقية القاهرة لا تعدو أن تكون هدنة مؤقتة بين معركتين احداهما انتهت والاخرى على الطريق ، وهى لا تتجاوز أن تكون صيغة تصالح طارئة وزائلة بين نقيضين اجتماعيين ، وهى فى كل الاحوال لن تفتح الطريق الى الوحدة ، الا اذا تراجع أحد الطرفين عن موقعه الطبقى ، ورؤيته السياسية ، وذلك أمر مستبعد تماما .

واذن فمآل الاتفاقية واضح ، وهو صعوبة تحقيقها ، والطريق الى الوحدة اليمنية من خلالها طريق مسدود !

والسؤال الاخر الذى يطرح نفسه هو : هل اقامة جبهة وطنية خاصة بشمال البلاد وأخرى خاصة بجنوبها كفيل بأن يقود الى تحقيق الانتصار على الاقطاع والاستعمار والى انجاز الوحدة اليمنية ؟

بادىء ذى بدء يمكن القول انه فى حالة القبول بصيغة جبهوية هنا ، وصيغة جبهوية هناك فأن ذلك - ومهما كانت المبررات - لا يعنى غير تكريس الامر الواقع تكريس انقسام اليمن ، والاعتراف بالوضع الانفصالى القائم فيها ، والامعان فى تجزئة الوطن ، والعمل الوطنى ، وافساح المجال - ولو بدون قصد - لابقاء ونمو مشاعر الانتماء القبلى ، والطائفى ، والاقليمى ، على حساب نمو وازدهار مشاعر الانتماء الوطنى ، وتكامل ووضوح الحس الوحدوى والطبقى ، وذلك كله يتناقض تمام التناقض مع طبيعة الثورة الوطنية التى تفجر عادة مشاعر الولاء الوطنى الواحد ،

وتخلق تيارا وطنيا وحدويا لايقاوم ، ولا يقبل التوقف عند حد جغرافي أو سياسي ، وتطلق العنان لهبوب عاصفة كاسحة من العمل والنضال الوطني العام والموحد ، والشامل والعارم من أجل اعادة بعث مجد الوطن وجمع أطرافه ، وتركيب أجزائه المتناثرة في جسم متكامل سوى ، واشعال جذوة الحياة فيه ، ودفق العصرية والحيوية في كيانه الموحد ، وتوحيد ارادته الوطنية والثورية ، ورؤيته التاريخية والاجتماعية ، وصب فكره وروحه المعنوية في قالب ديمقراطي موحد .

وفوق ذلك كله فان صيغة الجبهة الوطنية الموحدة لكل قوى الشعب الوطنية ، صيغة مقبولة ومسلم بها من قبل كل حركات التحرر الوطني ، والشعبي ، والتقدم الاجتماعي في الشرق والغرب ، وفيما يسمى بالعالم النامي وهي صيغة مقبولة ، لانها تكفل وحدة العمل والنضال من أجل تحقيق الاهداف الوطنية والاجتماعية ولانها كذلك فان النضال من أجل تحقيقها ما يزال مشتعل الاوار في كل مكان من الارض العربية وغير العربية .

اما الاستشهاد بالامثلة الاستثنائية التي تؤكد هذه القاعدة ولا تخرج عليها ، كالقول بأن هناك شعوبا وأمما مقسمة ، نشأت في كل شطري منها جبهة واحزابخاصة كفيتنام ، وكوريا ، والمانيا ، وغيرها فان الاستشهاد بذلك غير موفق ، ووجه الشبه مقصور هنا تماما .

فجبهة التحرير الوطني في جنوب الفيتنام « الفيت كونغ » لم تنشأ الا في عام ١٩٦٠ كامتداد لجبهة « الفيت منه » التي شملت الهند الصينية كلها والتي خاضت منذ ١٩٤٥ ـ ١٩٥٤ حرب التحرير الوطني ضد الاستعمار الفرنسي الذي عاد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة لاحتلال الجزء الجنوبي من فيتنام وتكوين جمهورية تابعة له هناك ، بعد أن أعلن هوشي منه ، في ١٩٤٥ تأسيس جمهورية فيتنام الديمقراطية على أراضي فيتنام كلها ، ولم يؤثر اعلان جمهورية فيتنامية تابعة وداخلة في الاتحاد الفرنسي على موقف حكومة فيتنام الديمقراطية التي أعلن زعيمها هوشي منه في يونيو ١٩٥٠ بأنها هي الممثل الوحيد لكل البلاد ، ومن هنا مضيها في القتال ضد الاستعمار الفرنسي حتى تمكنت من دحره من فيتنام عام ١٩٥٤ بمعركة ديان بيان فو الشهيرة .

وكما ان حزب العمال الثوري « ذي المنهج الماركسي » الذي تأسس في جنوب فيتنام في ١٠ فبراير ١٩٥١ ، والذي يقود جبهتها هناك لا يعدو ان يكون امتدادا لحزب العمال الفيتنامي الذي هو بدوره امتداد للحزب الشيوعي للهند الصينية، والذي يحكم اليوم فيتنام الديمقراطية ويقود الجبهة الوطنية التي تأسست فيها عام ١٩٥٥ ، فان هوشي منه ظل طيلة حياته زعيم فيتنام الوطني غير المنازع والمعترف به من قبل الامة الفيتنامية جميعها ، وما تسميته « بالعم هو » الا رمزا لابوته لفيتنام كلها ولاتحادها خلفه ، وخلف حكومته الثورية حتى بعد مماته ، هذه الحكومة التي لم تتلكأ عن قيادة النضال ضد الامبريالية الامريكية التي كانت قد اخذت تغزو جنوب فيتنام منذ ١٩٥٤ ، وضد صنائعها في سايجون . لقد حتم الاحتلال الامريكي الذي حل محل الاحتلال الفرنسي لجنوب فيتنام ، وربط حكومة سايجون العميلة بحلف جنوب شرق آسيا ، قيام حكومة ثورية في الجنوب ، كما حتم قبل ذلك قيام جبهة وطنية هناك ، دون أن يؤثر ذلك أدنى تأثير على وحدة النضال الفيتنامي الذي بقيت هانوي ـ التي سارت في طريق التطور الاشتراكي بحكم توافر الشروط الموضوعية والذاتية لذلك ـ بقيت رمز وحدته ، ومكان قيادته ، ومنطلق حركته ، ومركز الثقل لنضاله ، والتي لتجسيدها ذلك كله انخرطت في القتال جنبا الى جنب مع ثوار فيتنام الجنوبية ضد قوى الاستعمار الامريكي ، وضد قوى حلف جنوب شرق آسيا ، والتي تعرضت من أجل ذلك للضرب والتدمير ، دون أن تتخلى عن الاستمرار في حمل واجبها الوطني ، ودون أن تحتجب أو تتوارى خلف واجهات أعذار من أي نوع ، ودون أن تتوقف في نفس الوقت عن البناء الديمقراطي الاشتراكي ، وعن جعل فيتنام الديمقراطية مثلا ملهما للهند الصينية كلها وجعل فيتنام المكافحة والباسلة احدى المنائر المشعة والهادئة للبشرية التقدمية جميعها ، حتى أمكن ثوار فيتنام بفضل ذلك كله ، وبفضل دعم المعسكر الاشتراكي ، ومعسكر حركة التحرر الوطني ، ومعسكر الشعوب العالمية كلها تحقيق النصر على الاستعمار الامريكي ، وصنائعه ، واضطراره الى عقد اتفاقية السلام الاخيرة .

وفيما يتعلق بكوريا فان الحرب الكورية التي خاضها الشعب الكوري عام ١٩٥٠ متحدا ضد الامبريالية الامريكية وعملائها ، واعترافه بزعامة كيم ال سونغ الوطنية وتطلعه الدائب الى الوحدة ، والمحاولات الرامية اليوم الى اعادة تحقيقها ،ان كل ذلك قد لا يقل في مغزاه دلالة عن المثل الفيتنامي الرائع .

اما فيما يتعلق بالمانيا فانه من غير الصحيح ضرب المثل بها ، فالانقسام الاجتماعي العميق بين

النظام الاشتراكى الديمقراطى فى شرقها ، والذى غدت به المانيا الديمقراطية جزءا من حلف وارسو الجامع لدول أوربا الاشتراكية ، وبين النظام الرأسمالى الامبريالى فى غربها ، الذى غدت به المانيا الاتحادية جزءا من حلف الاطلنطى الجامع للدول الغربية قد جعل الوحدة الالمانية مستحيلة ، ما لم يقض على النظام الرأسمالى الامبريالى فى المانيا الغربية أولا •

واكثر من ذلك افلا تعتبر المانيا الديمقراطية نفسها المجسد الحقيقى لامانى وطموحات الامة الالمانية فى السلام والتقدم والوحدة ؟

ولقد يحلو للبعض أن يضرب المثل بسوريا الكبرى ، وكيف أن قيام دولة لبنانية وأخرى سوريا على الارض التى كانت تشكلها قد اقتضى وجود أحزاب وجبهة وطنية هنا ، ووجود أحزاب وجبهة وطنية هناك •

ان مثل سوريا الكبرى فى واقع الامر يصلح شاهدا ضد من يستشهد به ، فمن جهة يلاحظ أن انشطار سوريا الكبرى ـ اذا ما استبعدنا الحديث عن فلسطين ـ الى دولة سورية وأخرى لبنانية لم يمنع قيام حزب شيوعي واحد ظل كذلك حتى نهاية الخمسينات ، ومن جهة أخرى فان سير سوريا فى طريق التطور اللارأسمالى وسير لبنان فى طريق التطور الرأسمالى قد أدى الى تعميق الانقسام بينهما ، وتكون احزاب وجبهات وطنية خاصة بكل منهما ، وجعل اعادة الوحدة بينهما متوقفا على القضاء على الاوضاع الرأسمالية والطائفية فى لبنان ، وحدوث تقارب فى الوضع الاجتماعى والسياسى بينه وبين سوريا ، فهل جرب واحد حتى اقامة حزب وطنى موحد لليمن كلها ؟ واذا عكسنا المسألة فان علينا أن نتساءل ما اذا كان علينا أن نترك الامور فى اليمن تتطور الى مثل ما تطورت اليه الامور فى سوريا ، فتسير اليمن الديمقراطية فى طريق التطور غير الرأسمالى ، وتسير اليمن الشمالية فى طريق التطور الرأسمالى ، ويكون تكون الاحزاب والجبهات الوطنية هنا وهناك بمثابة انعكاس لهذا التركيب الاجتماعى والسياسى المتفاوت ، والذى تتأجل وتتعطل معه عملية توحيد اليمن حتى يأتى اليوم الذى يقضى فيه على النظام الاقطاعى والرأسمالى الطائفى فى شمال اليمن ، وتنشأ أوضاع اجتماعية وسياسية شبيهة بالاوضاع القائمة فى جنوب البلاد .

ان ذلك هو ما يمكن أن يحدث لو تركت الامور تسير فى اليمن على ما هى عليه ، مع ما يمكن أن ينجم عن ذلك من احتكاكات وصدامات دموية مستمرة بين الوضع هنا والوضع هناك يدفع اليها وتغذيها الاستعمار وعملاؤه ويتعمق معها وبها الانفصال ، وتتأكد التجزئة ويستعر العداء بين هذا الشطر وذاك ، وتشتعل الطائفية والقبلية مرة أخرى ، وتتكهرب الاقليمية ، وينفسح المجال أكثر واكثر للدسائس والمكائد والرجعية والاستعمارية التى ترى الخطر كل الخطر فى اعادة الوحدة السياسية الى اليمن ، وفى بروز كيانها الشامخ الثورى ، ودولتها الوطنية الديمقراطية الموحدة •

ان تكون جبهة وطنية فى شمال اليمن ، وأخرى فى جنوبها لن يحول دون ان تسير الامور فى هذا الاتجاه الانفصالى بكل ما ينتج عن ذلك من مخاطر ، بل ان تكون جبهة هنا وهناك هو اعتراف ضمنى بالانفصال وافساح المجال لنشوء مثل تلك المخاطر الناجمة عنه ، والمترتبة عليه .

واكثر من ذلك فان أى قدر من التنسيق بين الجبهتين ، وأى تعاون بينهما ـ فى حالة قيامهما على سبيل المثال ـ لن يوفر الحد الاقصى الضرورى والمطلوب من المجابهة ـ النشيطة والفعالة والمؤثرة للاوضاع الاقطاعية الاستعمارية فى البلاد ، ولن يختصر الزمن والالام والطريق الى الوحدة ، ولن يوفر الاداة السياسية والتاريخية المؤهلة لانجاز الثورة الديمقراطية ، والوحدة السياسية بمعدل معقول من الزمن ، وبوتيرة سريعة ، وبمقياس نضالى نموذجى ، وحتى مع افتراض نجاح أى جبهة وطنية تقام فى الشمال فى مواجهة قوى التخلف هناك عن طريق التعاون مع الجبهة القومية فى الجنوب ، ومع افتراض تغير هذا الوضع ، وحلول نظام محله قريب الشبه بالنظام فى الجنوب فان يوم الوحدة لن يكون حينئذ قد حل !

ان قانون الانفصال ، وواقع التجزئة سيفرضان نفسهما من جديد وبأشكال مختلفة حتى على القوى الوطنية التى ستطمع حينئذ الى ان تكون لها تجربة سياسية خاصة بها ، تمارسها فى شمال البلاد ، والتى ستدفع بها شهوة التعلق بالسلطة ، والتمتع بالجاه والسلطان الى وضع شروط للوحدة تعرقل سيرها ، ولا تعجل بها ، والتى قد يراود البعض منها الامل فى ايجاد نمط من الحكم مطبوع بطابعه ، وتحت قيادته ، يكون منافسا لنمط الحكم الذى اقامته الجبهة القومية فى جنوب البلاد ، ولربما ظهرت من جديد (نزعة الاستعلاء وعقدة التحكم) التى طبعت سياسة الحاكمين التقليديين فى شمال البلاد ازاء جنوبه بحجة ان هؤلاء الحكام الجدد يمثلون الان الاكثرية السكانية والجماهيرية والثورية ، ويحكمون اليمن الحقيقية ، والوطن

الام ، بينما لا تمثل الجبهة القومية غير الاقلية السكانية والجماهيرية والثورية ، وغير تلك المساحة الجغرافية القليلة الامكانيات ، والشحيحة الموارد ، مما يجعل مساواتها بالجبهة الوطنية فى الشمال التىتهيمنعلى المنطقة الخصبة من البلاد ، والكثيرة الامكانيات ، والقابليات الزراعية والاقتصادية أمرا غير وارد .

واذا سارت علاقات القوى فى شمال البلاد على ماهى عليه فان العنصر الرئيسى والقيادى فى هذه الجبهة الوطنية الشمالية لن يكون غير « البعث » بكل منظماته واجنحته المختلفة .

وبالرجوع الى ماضى العلاقات بين حركة القوميين العرب ، وبين البعث ، والى ذلك الصراع الدى النهب بينهما على ساحة اليمن ، والذى كانت أحداث ٢٣ ـ ٢٤ أغسطس احدى ذراه الدرامية ، وباستقراء طموحات البعث لان يكون له دور سياسى خاص فى اليمن ، ولاسيما بعد أن عجز نتيجة سياسته الخاطئة عن القيام بمثل هذا الدور فى جنوبها ، ولم يستطع أن يكون اكثر من شريك صغير مع الجبهه القومية الحاكمة هناك ، ونظرا لتمركزه حاليا فى شمال البلاد ، حيث يطمح أن تكون له فرصة افضل ، وان يعوض الدور الذى فقده فى الجنوب ، لذلك كله يمكن القول بأن البعث بكل اجنحته هو تلك القوة السياسية التى ترى انه من الاوفق لها ، ومما ينسجم مع استراتيجيتها الخاصة قيام جبهه وطنية فى شمال البلاد تكون هى الموجهة لها ، والمكيفة لمسارها فى آخر الامر ، حتى تتمكن بذلك من صنع تجربة سياسية بعثية منافسة لتجربة الجبهة القومية السياسية .

ان هذا المنحنى لسير الاحداث ليبين ان افتراض قيام حكم وطنى فى شمال البلاد فى مدى معين من الزمن فى ظل جبهة وطنية شمالية يقودها البعث لن يقرب يوم الوحدة ، وانما سيجعله من جديد بعيدا ، ولربما دخلت البلاد مرة أخرى فى ظل الحكم الوطنى هنا ، وفى ظل الحكم الوطنى هناك فى صراعات دموية ـ ذات طابع حزبى ضيق الافق ـ تذكر بتلك الصراعات الدموية التى كانت تنشأ بين الطوائف اليمنية ، وكما انتقلت الصراعات المعروفة بين البعث ، وفصائل حركة القوميين العرب فى الوطن العربى الى ساحة اليمن بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ، بل منذ لحظة قيامها فان ذيول هذه الصراعات ـ وان اتخذت لبوسا أخرى ـ ستحتدم من جديد فى اليمن ـ بعد ان يغدو كل من الفريقين فى مواقع السلطة السياسية .

وكما تتحدث وكالات الانباء اليوم عما تسميه الصراع بين شطرى اليمن ـ وهو فى الواقع صراع بين نقيضين اجتماعيين فانها ستتحدث مرة أخرى عن صراع جديد بين شطرى اليمن ، حتى فى ظل الحكم الوطنى فى كل منهما .

ان تصور حدوث مثل هذه الملابسات والتعقيدات السياسية التى ستعطل امكانية تحقيق الوحدة اليمنية ، والوحدة الوطنية لا يدخل فى باب التنجيم ولا يعتبر رجما بالغيب ، وانما يدخل مباشرة فى باب (علم المستقبل) الذى يستند الى علم الحاضر ، وفهم علاقات القوى ، وطموحاتها واستراتيجياتها الحزبية الخاصة ، ويستند اولا وقبل كل شىء الى واقع ان البرجوازية الصغيرة فى كل مكان ، بما فيها العربية واليمنية ، تسير فى خطوط متعرجة ومتعارضة وملتوية فى سياستها ، حيث تنتقل من التحالف الى التخاصم ، ومن التخاصم الى التحالف ، وتدخل فى جبهات وطنية ، بغية توجيهها وفق مآربها وطموحاتها السياسية الخاصة ، ثم تنقلب عليها اذا لم تستطع تلبية ذلك ، وهكذا دواليك .

ولتجنب حدوث مثل هذه المخاطر والملابسات والتعقيدات السياسية وأمثالها مما قد يخطر ومما قد لا يخطر على البال ،أو لتقليل مثل هذه المخاطر والملابسات والتعقيدات المهددة لمسار الثورة الديمقراطية والوحدة اليمنية معا ، فانه ليس هناك ألا سبيل واحد : الا وهو المبادرة منذ الان الى بناء جبهة وطنية ديمقراطية يمنية موحدة من جماع المنظمات والقوى الوطنية والتقدمية فى شمال البلاد وجنوبها ، وتكون الجبهة الوطنية ، والبعث والفصائل الديمقراطية الاخرى المنظمة ، وغير المنظمة فى قلبها ، وتحتل الجبهة القومية ـ باعتبارها الحلقة الرئيسية بين جماع المنظمات ـ مكانها الطبيعى فيها .

واذا ما اردنا ايجاز المبررات والدواعى الملحة والعاجلة المحتمة قيام جبهة وطنية ديمقراطية عريضة على نطاق القطر اليمنى لحصرناهافى النقاط الاتية :

ان الوصول الى جبهة وطنية عريضة فى الوقت الحاضر ربما كان أسهل من الوصول اليها غدا ، حيث ستنشأ فيما بعد مصالح وأنانيات ربما شكلت عوائق حقيقية على طريق الوحدة ، وان الذين يتلكأون ـ تحت أى مبرر ـ فى قبول هذه الصيغة اليوم ، لن يكون من اليسير ان يسلموا بها غدا ، عندما يصبحون فى مواقع سلطوية متنافسة هنا وهناك تغرى بالتشبث بها ، والدفاع عنها ، وايثارها على كل نضال وطنى فى سبيل اعادة تحقيق وحدة اليمن .

ان الجبهة الوطنية الديمقراطية الموحدة هي أوسع واعرض واقوى تجمع وطني يمني يمكن تحقيقه للوصول الى الحد الاقصى من الاحتشاد ، والاتحاد في وجه قوى الرجعية والاستعمار الضارية والمحتشدة والمتحدة فعلا والمتربصة بقوى الثورة اليمنية كلها دون تمييز فيما بينها بين شمالية وجنوبية .

والجبهة الوطنية الموحدة هي افضل واروع عملية جمع للطاقات والقوى الوطنية المختلفة ، وأرقى وأوثق شكل من أشكال التعاون والتنظيم لها ، والتي بها وحدها يمكن ايجاد المركز العصبي الواحد الذي يحرك العملية الثورية ، ويقود الحركة الوطنية ، ويتحكم في مسار الاحداث ، ويمارس الافعال وردود الافعال الثورية المناسبة حسب كل وضع ومرحلة ، ويستخدم مختلف أشكال النضال من النضال السياسي الى النضال المسلح وفق الحالة المشخصة ، وطبقا للخطط النضالية المتفق عليها اجماعيا . وفي بلد كاليمن ما يزال ينخر فيه سوس الطائفية ، والعرقية ، والقبلية ، والاقليمية ، فان الجبهة الوطنية الموحدة هي الوسيلة الوحيدة للافلات من أسار هذه الطواحين المدمرة التي مزقت الوطن ، وفتكت بالشعب ، والتي ظل الاقطاع اليمني وما يزال يديرها لمنع الشعب من الخروج من تحت وطأتها ، حتى لا يتحد ضده ، ويهب متكتلا في وجهه .

وليس هناك من سبيل لتذكير الشعب اليمني بتاريخه الموحد ، باليمن الخضراء ، والعربية السعيدة ذات الامجاد التليدة ، وانتزاعه من رواسب الصراعات الاقطاعية الطائفية ، واخراجه من الدوائر والحلقات السكانية المقفلة ، القروية والمدنية ، واطلاق دورة دموية ثورية في كيانه ، وتمكينه من ان ينتظم جسده الاجتماعي ، وترتفع قامته الوطنية ، ومن أن تسود فيه روحيه وعقليه جديدة ، ليس من سبيل للوصول الى ذلك كله بدون الجبهة الوطنية الديمقراطية الموحدة .

وليس هناك من سبيل لاعادة الوحدة للحركة العمالية المقسمة اليوم الى اتحاد هنا واتحاد هناك وفق الانقسام السياسي القائم في كيان البلاد ، وتوحيد طبقة الفلاحين العريضة ، ولحم حركة الشباب المجزاة ، والخروج من حالة التشرذم التي تعانيها الحركة الطلابية ، والمقسمة الى « اتحاد وطني عام لطلبة اليمن » قائم في جنوب البلاد « واتحاد عام لطلبة اليمن » مركزه في دمشق أو صنعاء أو بغداد ، وروابط طلابية مختلفه مع الاتحاديين ، وتحقيق وحدة المنظمات الجماهيرية والنقابية والمهنية الاخرى ، ليس من سبيل الى تحقيق ذلك ، وتحقيق وحدة الحركة الشعبية اليمنية في عمومها بدون أن تقوم في اليمن كلها جبهة وطنية ديمقراطية عريضة تجسد وتمثل كل الفصائل الوطنية المنظمة وغير المنظمة وتجسد وتمثل الطبقات والفئات الشعبية .

ان النظرة الوطنية الكلية ، والتفكير الاستراتيجي الشامل ، والتخطيط السياسي البعيد المدى والناجح ، أن كل ذلك متوقف على بناء مثل هذه الجبهة الواسعة والتي تضم خيرة مناضلي ومفكري اليمن ، وأقدر العناصر التنظيمية فيها ، والتي بدونها لن يكون في الامكان الوصول الى جماهير الشعب اليمني العريضة ، ولن يكون من السهل تعبئتها وتوحيد نضالها ، والتصدي لجحافل الاقطاع وجيوش المرتزقة ، وغزوات الاستعمار وعملائه .

والمعركة الوطنية التي تواجه الثورة اليمنية ، وحرب التدخل التي قد تشن ضد ما تبقى من القلاع الثورية الصامدة في البلاد ، والتي يحضر لها الاستعمار الحديث والقديم ، والحرب الاهلية التي يستعد لها الاقطاع اليمني ، ويتهيأ لتفجيرها في أي وقت ، بهدف اغراق النظام الثوري في جنوب البلاد واغراق اليمن كلها . في بحارها الداميه ، وعملية التطويق الشاملة لهذا النظام والتي تشترك فيها الرجعية الاجنبية ، والقوى الصهيونية التي اخذت تتقدم من مواقعها على الجزر من الساحل الغربي للبحر الاحمر ، الى الجزر اليمنية الواقعة على مدخله الجنوبي ، ان كل ذلك لا يمكن مواجهته بدون جبهة وطنية عريضة تنتظم فيها طبقات وقوى الشعب اليمني الواسعة ، التي حافظت على اليمن من الزوال طيلة التاريخ ، والتي حفظت نفسها بفضل اتحادها من الانقراض ، والتي صمدت في وجه جميع الغزوات الاجنبية حتى قهرتها ، وتصدت لكل الامبراطوريات حتى دحرتها .

والغزوة الاستعمارية القادمة ربما كانت أخطر غزوة قد تتعرض لها اليمن منذ نشوب ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، وخطورتها تأتي من ناحية ان هناك نظاما ثوريا في جنوب البلاد يستفز بوجوده ومبادئه كل قوى الاستعمار وعملائه ، وان الطبقة الاقطاعية اليمنية كلها والمتحالفة مع البرجوازية الكومبرادورية قد اتحدت ضده ، وان التيارات الوطنية ذات الطابع اليساري في عموم اليمن والاخذة في النمو والاتساع لم تعد القوى الامبريالية والاقطاعية تحتمل وجودها أو بقاءها وتأتي خطورة هذه الهجمة التي يجري التحضير لها من حيث أنها ستتم في ظل النكسة العربية العامة ، وكامتداد لعدوان ١٩٦٧ الذي تعرضت له مواقع الثورة الامامية في شمال الوطن العربي ،

ومن حيث انها ستحدث ، وقوى الثورة اليمنية وحدها فى ميدان النضال ، بدون وجود عربى ثورى يناصرها ، كما كان الحال عندما جوبهت الغزوات الاستعمارية السابقة التى استهدفت لهـا ثورة ٢٦ سبتمبر بقوة الثورة اليمنية والعربية معا . وغزوة فى مثل هذه الخطورة وبهذا الحجم والاتساع ، لا تحتمل ترف تمزيق القوى الوطنية بين جبهة هنا ، وجبهة هناك ، وليس بالامكان مواجهتها ، ومغالبتها ، والانتصار عليها بدون زج الشعب اليمنى كله فى المعركة من خلال ربطه بجبهة وطنية عريضة ذات قيادة مركزية محددة حازمة صارمة ، قادرة على متابعة مراحل المعركة فى شتى ميادينها المختلفة ، وحتى النهاية .

واذا كانت المعركة مفروضة على الرقاب ، ومكتوبة على الرجال ، ولا مفر منها ، طالما وقوى الثورة متمسكة بمواقعها ومبادئها ، فانه لا مجال للحذر من تشكيل جبهة وطنية ديمقراطية يمنيه موحدة ، مخافة أن تستغل قوى الرجعية ذلك ، وتعجل بشن الحرب ضد اليمن الديمقراطية وقوى الثورة اليمنية .

فالاستعمار وعملاؤه لا ينتظرون مبررات وحيثيات جديدة لشن الحرب ضد اليمن الديمقراطية والقوى الوطنية اليمنية .

واذا كانت طبقة الاقطاع اليمنية التى كانت قد توزعت الادوار فيما بينها بعد قيام ثورة سبتمبر ، فانقسمت الى فريق يحارب الثورة من الجبهة الخارجية ، وهو ما أسمى (بالاقطاع الملكى) ، وفريق يحاربها من الداخل ، وهو ما أسمى (بالاقطاع الجمهورى) قد عادت ـ بعد أن استنزفت هذه الثورة ، واستنزفت جهدا هائلا من طاقات الثورة العربية ـ الى الاتحاد علنا ، فعقدت فيما بينها فى مارس ١٩٧٠ فى ظل رعاية ومباركة القوى الاستعمارية اتفاقية الصلح التى قضت بأن يسود السلام والوئام فى شمال اليمن ، كما قضت (ضمنيا بأن يتحول الحريق ، أن تتحول الحرب الى جنوب البلاد ، بقصد الحاق مصير ثورة اكتوبر بمصير ثورة سبتمبر ، وبهدف فرض أوضاع استعمارية فيه ، مشابهة لتلك الاوضاع السائدة فى الشمال ، واذا كان قد اتسع الحلف الطبقى الرجعى ، فشمل كل قوى الاقطاع والكمبرادورية والانتهازية المضروبة مصالحها الاقتصادية ، والمصادرة أحلامها السياسية فى اليمن الديمقراطية ، اذا كان كل ذلك قد حدث فى صفوف قوى الثورة المضادة ، فلم لا يحدث ما يشبهه فى صفوف قوى الثورة ، لم لا تتحد هذه فى جبهة وطنية ديمقراطية عريضة ، تواجه بها ومنها جبهة الرجعية الاقطاعية والكمبرادورية والانتهازية ، والاستعمار الموحدة ، وتتصدى بها للجولة القادمة من الحرب الاهلية الرجعية التى يراد فرضها على اليمن الديمقراطية ، وعلى اليمن كلها ؟

واذا كانت قوى الاقطاع اليمنى تبرر هذه الحرب التى تعد لها العدة الان بالقول بأن « الوجود اليمنى قد ظل مبتورا وناقصا بسبب حالة الانفصال بين شطرى اليمن » فماذا تنتظر قوى الثورة حتى تعد عدتها وتحقق وحدتها ، وتتمكن من الحيلولة بين الاقطاع اليمنى وبين التلاعب بشعار الوحدة المقدس ، وتتمكن من خلال هذه الوحدة الثورية من تجاوز حالة الانفصال التى يتحدث عنها حتى ممثلو الاقطاع ، وتحقيق الوحدة اليمنية على أنقاض النظام الاقطاعى الكمبرادورى الاستعمارى نفسه .

واذا كان الاستعمار الامريكى وعملاؤه يريدون عن طريق الحرب التى يستعدون لشنها ضد النظام الثورى الذى مايزال قائما فى اليمن باسم تحقيق الوحدة وبغرض وضع اليمن كلها فى واقع الامر تحت النفوذ الاستعمارى ، اذا كان ذلك يحدث كله واكثر منه فما هو الرد الصحيح الوحيد والبليغ ازاء ذلك كله ، ان لم يكن هى العمل الفورى من أجل اقامة جبهة وطنية يمنية علنية ، لانقاذ الوطن من الضياع ، وتحريره من الاستبداد والامتهان والوصاية والحماية وانتزاعه من براثن الاستعمار القديم والجديد المطبقة اليوم على عنقه ، ومن أجل القضاء على الطبقة الاقطاعية اليمنية العميلة والخائنة ، وعلى حليفتها البورجوازية الكمبرادورية الذليلة والذيلية اللتين فقدتا كل شرف واعتبار ، وباعتا الشعب والوطن للاستعمار ، ومن أجل تحقيق وحدة البلاد السياسية فى ظل جمهورية يمنية متحررة ، وطنية ديمقراطية .

ثم ألا يتضح من مجرى الاحداث كلها أنه سواء كانت هناك جبهة خاصة بالشمال وأخرى خاصة بالجنوب ، وسواء كانت هناك جبهة وطنية موحدة ، أو ليس هناك جبهة وطنية على الاطلاق ومن أى نوع فان قوى الثورة المضادة الرجعية والاستعمارية قد عزمت على القضاء على وجود الثورة اليمنية حيثما كانت وحيثما تحصنت ، وقررت الاستيلاء على قلعتها الصامدة والباسلة فى عدن .

لقد شنت هذه القوى الحرب الاخيرة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٢ ضد حصن الثورة الوطنى فى البلاد ، ولم تكن هناك لا جبهة عريضة ولا جبهة جزئية ، لا هنا ولا هناك ، باستثناء تنظيم الجبهة القومية .

واذا كانت بعض قوى الثورة تقبل ـ ولو تكتيكيا ـ بعقد اتفاقية للوحدة مع القوى السياسية المختلفة معها ، وتتفاوض معها حول وضع الدستور الوحدوى ، وحول غيره من القضايا المتعلقة بمقومات الوحدة فان من الاجدر بكل قوى الثورة أن تجلس هى أيضا حول مائدة واحدة لبحث

امكانية تحقيق وحدتها هي ، باعتبار ان ذلك هو السبيل الحقيقي والوحيد لتحقيق الوحدة اليمنية ٠
وماذا يضير ان تعلم الرجعية اليمنية بنية القوى الوطنية في تحقيق وحدتها ، وماذا يهم غضبها ان تحققت مثل هذه الوحدة الوطنية ؟!
واذا ماادعت هذه الرجعية الاقطاعية الكمبرادورية بأن ذلك يخالف اتفاقية الوحدة التي تجرى المفاوضات بشأنها على المستوى الرسمي ، فانه لن يعدم احد الرد عليها بأن ذلك من صميم العمل الوحدوي على النطاق الشعبي ٠
واذا ما قيل بأن ذلك نوع من تكتيل القوى الوطنية ضدها فان الاجابة عليها تتراوح بين القول بأن هذه الجبهة خطوة في اتجاه ايجاد (التنظيم الشعبي) الذي نص عليه بيان طرابلس الموقع بين الحكومتين اليمنيتين ، وبين الاشارة الى انها أداة ضغط شعبي من أجل تنفيذ هذه الاتفاقية بمحتواها الديمقراطي التقدمي ، وبين التأكيد بأنها موجهة آخر الامر ضد النظام الاقطاعي ، وبهدف التطويح به اذا ما امتثل لامر أسياده وأصر على تعطيل الاتفاقية ، وعلى السير في اتجاه شن الحرب ضد النظام الوطني في اليمن الديمقراطيـــة والحـــاق ثـــورة اكتـوبر بنفس المصير الذي لقيته على أيديها ثورة ٢٦ سبتمبر ٠
ثم ماذا يخيف ــ أخيرا ــ أن ينزعج الاقطاع اليمني وحلفاؤه وأسياده من تجميع القوى الثورية في جبهة وطنية يمنية عريضة ؟ أو لم يعلن هو ــ باتفاق مع هؤلاء الحلفاء والاسياد ــ قيام (الاتحاد اليمني) الذي يريد به حشد كل قوى الثورة المضادة في صفوفه ، أو لم يعين له أمينا عاما من جنوب البلاد ، هو عبد الله الاصنج ، وزيـر الاقتصاد الحالي في حكـومة صـــنعاء ، ورئيس (حزب الشعب) السابق ، وأحد أبرز زعماء جبهة التحرير السابقين ؟ أو ليس من شأن ذلك ان يثير (حساسية) معينة لدى الجبهة القومية ؟ واذا كان حكام صنعاء لم يتحرجوا من ذلك ، فيجب اذن الا يحتجوا بالمقابل اذا ما قامت جبهة وطنية عريضة تشارك فيها الجبهة القومية ــ واذا ما احتجوا على ذلك فذلك شأنهم
واذا قيل أنه ليس من حسن التوقيت قيام مثل هذه الجبهة ، بينما المفاوضات في ظل اتفاقية الوحدة قائمة ، أو لا يعتبر حدوث مثل ذلك نقضا لها ؟ اذا ما قيل مثل ذلك فان الجواب البديهي هو أن كل شيء في بابه ، فكما يجرى التفاوض رسميا حول الوحدة اليمنية يجب أن يكون هناك حوار شعبي حول الوحدة الوطنية ٠
واذا ما قيل أن ذلك يعني الحرب ، فان الجواب الفوري هو أن الحرب لن تبدأ بمجرد اكتشاف الطريق الصحيح لتعبئة قوى الشعب اليمني ضدها من خلال قيام جبهة وطنية ديمقراطية عريضة تقبل أن يفاجأ بمثل هذه الحرب ، وهو مفتت القوى ، موزع الطاقات ، وحائر حيالها لا يعرف ماذا يصنع ، وكيف يتصرف ، والى أي جانب ينحاز ٠

ولقد كانت الحرب موجودة قبل وجود أي جبهة وطنية عريضة أو جزئية ، وستظل قائمة بها أو بدونها ٠ ولقد بدأت الحرب بعيد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر واستمرت بعد اجهاضها ضد ثورة ١٤ أكتوبر ، ذلك أن حروب التدخل الاستعمارية ضد ثورات التحرير ، والحروب الاقطاعية والرأسمالية ضد الثورات الوطنية والاجتماعية قديمة قدم هذه الثورات ، ومصاحبة لوجودها ٠
لقد شنت أوربا الاقطاعية الحرب ضد الثـــورة البورجوازية الفرنسية ، وشنت بريطانيا الحـــرب ضد ثورة الاستقلال الامريكية ، وغرقت امريكا في حرب أهلية داخلية ، وشنت كل الدول الرأسمالية حروب تدخل استعمارية ضد الثورة الاشتراكية السوفيتية ، كما شنت الحرب الاستعمارية ضد الثورة الصينية وهكذا دواليك ٠
ذلك قانون تاريخي واجتماعي لا مفر منه ، ولا محيص من مجابهته باطلاق فعالية قانون الثورات ، الا وهو قانون تعبئة الشعب في جبهة واحـــدة متراصة لاحباط وابطال مفعول قانون الثورة المضاد
ثم لم الانزعاج من حرب التدخل ، والحرب الاهلية ، اليس في الامكان مواجهة مثل هـذه الحروب (بحرب الشعب) و (الحرب الطبقية) ، و (الحرب الوطنية) ؟
ان الحروب الثورية التي تشن في مواجهـــة الحروب الرجعية تزيل الشحم المتراكم في أجساد الاوطان والشعوب ، وتطهرها من ادران مرحلة كاملة من الركود والتحلل ، وتنقلها من حـــالة الترهل والشيخوخة ، الى حالة من الفتوة والشباب
ان العنفوان الثوري لا يتحقق ويـزدهر الا بمواجهة العنف الرجعي الاستعماري ٠
ان الشعوب التي يكون قد ران عليها حين من الدهر ، وهي تغط في سبات عميق لا سبيل الى ايقاظها الى الحياة من جديد الا بصدمة كهربائية تهزها هزا حتى النخاع ٠
ان الشعوب المفككة والمجزأة الاوطان لا سبيل لتحقيق وحدتها الشعبية ، ووحدة وطنها بدون انغمارها وانغمار الوطن معها في آتون حرب شعبية وطنية ضارية تصنع وتصاغ فيها من جديد وتتخلق وتتشكل بها مرة أخرى ، وتتعمد وتتصلب تحت نيرانها حتى تبلغ حد النضوج والاســـتواء والاكتمال والقوة ٠
وما من ثورة أصيلة لم تكتو بنيران الحرب ، وما من ثورة أصيلة لم تخرج منها منتصرة ، ولو بعد حين ٠ ان الدماء التي تنزف من جســد المجتمعات التي تنغمس في معمعان الحرب الوطنية اما أن تكون دماء فاسدة ، وبالتالي فذهابها يكسب جسم المجتمعات صحة وعافية ، واما أن تكون دماء زكية ، وتلك هي قرابين الشعوب وتضحياتها دائما من أجل تحرير وتوحيد أوطانها ، ومن أجل أن تواصل التقدم ، وتعيش حياة أفضل ٠

وفى فترات التحول الشورى ، والصحوة الوطنية ، والانعطاف التاريخى ، لابد من المعاناة القياسية والمريرة والممضة ، ولابد من احتمال رؤية الدم ، لابد أن تنفض الشعوب غبار تخلفها ، وتهدم الاسوار التى تحول دون تحقيق وحدة أوطانها ، ودون تكامل ذاتها ، وأن تفعل ذلك حتى ولو اغتسلت من أجل وخلال الوصول اليه بدمائها ٠

أولايسبق ظهورالوليد الجديد الى الحياة فترة مخاض أليمة،ولحظات معاناة شديدةأشبهبسكرات الموت ، أو لا يصاحب اندفاعه الى الوجود اندفاع دماء قانية وغزيرة ٠

ذلك هو قانون الحياة بما فى ذلك حياة الافراد والمجتمعات ، وذلك أيضا هو قانون الثورات ٠ واذن ليس بالامكان أن تتمخض رحم المجتمع بثورة وطنية متكاملة الملامح والمقومات بدون أن تسكب دماء غالية وغزيرة ٠

ان ثورات التحرر الوطنى فى كل مكان تدفع من أجسام شعوبها أثمانا من الدماء ، وان الثورات الاشتراكية ما انتصرت الا بدفع مثل هذه الفديات الثمينة ٠

وها هى الثورة الفيتنامية التى جمعت بين ثورة التحرير الوطنى والاجتماعى ، والتى جمعت بين البطولة والاسطورة ، تضع أكليل النصر على هام البشرية التقدمية كلها ، بعد أن بذلت من الشهداء وتحملت من الالام وكابدت من المحن ، ما فاق كل تصور وخيال ٠

والثورة العربية تواجه اليوم مثل هذه اللحظات التاريخية الفاصلة فى حياة الامم والشعوب ، والتى باجتيازها بنجاح وظفر يسقط عصر ، وينهض عصر ، ولهذا فانه مكتوب على هذه الامة الحية والمجيدة ذات التاريخ الحضارى العريق والشامخ أن تبذل فى صراعها مع الصهيونية العالمية ، والامبريالية الامريكية وعملائها من الدماء والشهداء والتضحيات ما يليق بمثل هذا الماضى العريق العظيم ، وما يرتفع بها الى مستوى تحقيق ذاتها الباقية ، والاستمرار بدورها التاريخى ، وما يكفل لها اعادة تحقيق وحدتها القومية ، وبناء دولتهاالعربية العظمى المتحررة المتقدمة ، القوية الفتية ٠

أولا تدل على هذه الحتمية التاريخية قولة عبد الناصر المأثورة والخالدة بان لا سبيل الى تصفية آثار العدوان الصهيونى الاستعمارى ، واستعادة ما اغتصبه من الوطن العربى الا بحرب تحرير شاملة ، تزلزل بها الارض ، وتحيل السماء الى أفق محمر بالدماء ؟ !

أولا تدل عليها أيضا كلمات الرئيس السادات الواضحة التى تضمنها خطابه الاخير فى ٢٦ ـ ٣ ـ ٧٣ بأن المعركة قدر ومصير ، وبأننا داخلون بالفعل ـ بعد انتهاء مرحلة الصمود والاستنزاف ، وبعد الجهد السياسى المكثف ـ الى مرحلة المواجهة الشاملة مع العدو الاسرائيلى ، وأنه ـ كما قدم الاتحاد السوفيتى تضحيات هائلة خلال نضاله من أجل تحرير وتطهير البلاد من الغزوة النازية والتى بلغت الملايين ـ فانه لا مفر من بذل التضحيات الغالية والجسيمة خلال عملية تحرير وتطهير الوطن العربى من الغزوة الصهيونية المدعمة بكل امكانيات الامبريالية الامريكية ٠ ؟

والثورة اليمنية ـ باعتبارها أحد تيارات هذه الثورة العظيمة ـ لا تستطيع الا ان تدفع فدية نشوبها بعد مئات السنين من حياة التخلف والجمود والنوم ، ولا تملك اذا ما ارادت المضى الى الامام الا ان تواجه بالصدر والنحر طعنات الاعداء ، بدلا من انتعطيهم الظهر والخصر ،اذاما قبلت على نفسها الفرار من مجابهتهم ، وولت الادبار ٠!

ولكن هل من مفر ؟ أولا يحذرنا مصير ثورة ٢٦ سبتمبر أو ما كان بئس المصير لقد حدث ذلك لاكثر من سبب ، ان أبرز الاسبابلذلك هو ترك هذه الثورة التى كانت قد ارتعشت بها ولها جزيرة العرب فى مطلع الستينات ـ تركها للقوى التى رفعت شعار السلام ، وتظاهرت بأمكانية تحقيقه ، بغية حقن الدماء اليمنية والعربية ، كما كانت تقول وتدجل ! وبالفعل فقد تحقق السلام ، ولكن اى سلام ؟ لقد حققت هذه القوى الاقطاعية السلام مع الاستعمار القديم والحديث ، معتحويلالوطن اليمنى الى تابع دوار فى الفلك الاستعمارى !

وكان من الشروط لايقاف النار على أطراف البلاد الشمالية هو فتحها على الجزء المحرر منها ، على اليمن الديمقراطية ، هكذا تحولت راية السلام التى رفعتها فى مواجهة قوى الاستعمار الجديد الى سلاح بتار لهما فى يد الاقطاع اليمنى لمواجهة (الاشقاء) فى الجنوب ، وهكذا اتضح ان خدعة السلام الاقطاعية لا تعنى سوى الاستسلام للعدو ، وتسليم البلاد له ، وحكمها فى ظله وتحت وصايته وهمينته ٠

واذن فلا سلام مع القوى الاقطاعية التى أباحت الوطن للاعداء ، واسلمته للاشقياء ولا سلام مع هؤلاء أيضا ٠

واذن فلا مفر من مواجهة عدوانهم وحربهم الرجعية الاستعمارية التى فرضوها على ثورة سبتمبر حتى اسقطوها ، والتى يريدون فرضها اليوم على الجزء المتحرر والصامد من اليمن الا بالحرب الثورية ، الحرب الشعبية الطويلة الامد التى تعم اليمن كلها ، وتصهر مجتمعها ، وتقلب عاليها سافلها ، وتعيد تشكيلها وسبكها من جديد ،

وانضاج مقومات الثورة الديمقراطية فى اتونها، وصنع وحدة الشعب اليمنى تحت لهيبها ، وتركيز اعلام دولة اليمن الوطنية الموحدة ، المـــركزية الحديثة على وهجها ٠

ولكى تسير الامور فى هذا الاتجاه فلابد من الاستنجاد بالشعب اليمنى ، الذى هو وحده القادر على مدها بالرجال وتطويل أمدها حتى الانتصار ، وحتى تحقيق غاياته ومثله الرفيعة والشريفة ٠

ولكى تسير مثل هذه الحرب الوطنية بنظام ودقة ، ومتابعة ومثابرة فلابد من جبهة وطنية ديمقراطية عريضة تقودها ، وتحشد الجماهير للقتال فيها ، وتحفزها الى النضال دون توقف من أجل انجاز مهامها ، والتى تمنحها الوعى السياسى والثورى ، وتلهمها الرؤية الوطنية والاجتماعيـــة التى تناضل وتسترخص الحياة ، وتستعذب الموت فى سبيل تحقيقها ، وتقدم لها القيم الفكريـــة والمعنوية ، العليا التى لا عيش ولا حيـــاة بدون تحويلها الى واقع حى ، وتتقدم مسيرتها نحو ارساء دعائم اليمن الجديد ، واقامة دولته الوطنية الموحدة ونشر ألوية الديمقراطية الثورية فى ربوع البلاد ٠

ومثل هذه الحرب الشعبية المجيـــدة والمديدة ، ومثل هذه الثورة الوطنية الحامية والدامية مثلما تعيد صنع وصياغة المجتمع والوطن والشعب ـ فانها تصنع وتصيغ ابطالها الثوريين ، وزعماءها الوطنيين ، وقيادتها الشعبية ٠

وكما حدث ذلك فى الاوطان العربية والاجنبيـــة فان ذلك سيحدث فى اليمن ٠

وكما استطاعت اليمن فى ماضيها البعيد تقديم قيادات سياسية عملاقة ، وفرز تركيبها القبلى ـ الاقطاعى ـ الطائفى زعامات قبلية ، واقطاعية ، وطائفية معروفة ، وكما قدمت كل من ثـورتى سبتمبر واكتوبر قيادات سياسية فى حدود كل شطر ، وصنعت الاحزاب مسئولين تنظيميين هنا وهناك ، فان الثورة الوطنية الشاملة ، المتأججة والعارمة لقادرة على دفع وخلق زعامات وطنية يمنية متألقة ضخمة ، بحجم اليمن كلها ، وعلى مقاس شعبها كله ، وفى مستوى تاريخها ، وملء حاضرها ، وعلى امتدادمستقبلها ، زعامات وطنية متوهجة الايمان بالوطن اليمنى كله ، ومتوترة حياتها الى أقصى حدود التوتر بقضية وحدته ، وممتلئة الحماس بضرورة وحدة قواه الثـورية ضمن جبهة وطنية ديمقراطية يمنية شاملة ضاربة ، كسبيل وحيد لتحقيق هذه الوحـــدة السياسية ، زعامات تمتلك من الشجاعة والاقدام ما يكفى لجعلها تتصدر فى وضوح وعلانية قيادة حركة التحرير والتوحيد الوطنى ، وحركة التغييـر والتقدم الاجتماعى معا ، زعامات شعبية ملهمة ، وقادرة على البقاء والخلود ، لانها كانت ذات قامة وطنية ماردة التكوين بطول وعرض اليمن كلها ، ولانه تجسدت فيها البطولة الوطنية ، (والبطـــل الوطنى) الذى ظل الشعب اليمنى يبحث عنه عبـر العصور ، ليخرجه من حالة الشتات والضـــياع والتمزق ، وليجمع أشلاءه المتناثرة هنا وهناك ، وليعبر عن وحدته الشعبية الضاربة الجـــذور ، والاصيلة والباقية والمستمرة ، وليكون لديه الحس التاريخى العميق والمرهف والنافذ بوحدة اليمن التاريخية ، والانفعال العنيف والجارف والصادق بضرورة اعادة تحقيقها وفق مقـــاييس العصر الثورية والديمقراطية والتقدمية ، ولتتمثل فيــه لحظات الانبعاث والاشراق الوطنى ، وتتبلور فى ذاته الزعامة الوطنية الحقة والعملاقة ، المجسدة لاحلام وطموحات الشعب كله ، وليكون على هذا النحو وصلا لما انقطع من ماضيه الحضــرى ـ الشامخ ، ونقلة الى مستقبله الواعد المضىء ٠

تلك هى الزعامة التى يتطلبها ويتطلع اليهـــا وينتظرها الشعب اليمنى ، زعامة تمتلك مـن الخصائص والمواهب الوطنية ما يجعلها قادرة على احتلال مواقع الصدارة ، ومكانة الخلود فى سجل التاريخ اليمنى ، لانها كانت بمثل هذه الخصـــائص والمواهب وطيلة حياتها مثال (البطولة الوطنية) و (رمز الوحدة اليمنية) و (عنوان نهضة الشعب اليمنى الحديثة) والمجيدة بكل أبعادها الوطنيـــة والاجتماعية ، ولانها كانت تمثل لحظة الميــلاد والبعث لحظـــة الشروق والتجـــلى ، ولانهـــا بخصائصها الجبارة الفذه الخالقة والمبـــدعة ـ كانت فوق ذلك كله قادرة عـــلى استيعـاب ايقــاع الثورة الديمقراطية اليمنية ، والعربية ، والعالمية ، ايقاع التحرر والانطلاق والوحدة الوطنيـــة ، والقومية ، والانسانية ، وكانت على وعى بحـــركة التاريخ اليمنى فى ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله ، وكانت قادرة بفضل ذلك كله على وضع نفسها على قيادة هذه الحركة ، وعلى التعجيل بسيرها ، وعلى المضى بها فى اتجاهها الطبيعى والثورى والحتمى ، اتجاه اقامة دولة اليمن الكبرى الموحدة ، المتحررة المتقدمة ، الوطنيـــة الديمقـــراطية ، النـــاهضة السامقة ، التى تدخل التاريخ باعتبارها خطوة ضرورية وأكيدة ، رائعة وحاسمة ، فى اتجـاه تحقيق الوحدة العربية العظمى الديمقـــراطية الاشتراكية ، وفى اتجاه تحقيق وحـــدة البشرية المناضلة التقدمية ٠

مصير جنوب شرق آسيا

التوازن الرباعى ..
أم الثورة الاجتماعية ؟

سمير كرم

اصطلاح « جنوب شرق آسيا » ظهر الى الوجود وشاع استعماله فى المجالات العسكرية اولا ثم السياسية والجغرافية بعد ذلك فى خلال فترة الحرب العالمية الثانية . ويشير فى الاستخدام العام له الى المناطق الواقعة شرق الاراضى الاسيوية (اى الاراضى الواقعة فى القارة الاسيوية نفسها) وكذلك مجموعات الجزر الهائلة المواجهة لسواحل شرق آسيا والتى تتكون منها أساسا الفيلبين واندونيسيا .

وتمتد منطقة جنوب شرق آسيا على اتساع كبير على جانبى خط الاستواء ، ونتيجة لهذا الامتداد الجغرافى الواسع تسودها ظروف مناخية وتضاريسية متنوعة تساهم فى زيادة قيمة وتنوع الثروات الطبيعية على سطحها ، فضلا عن الثروات الكامنة فى جوف الارض فيها .

ويقدر مجموع سكان دول جنوب شرق آسيا وفقا لاخر التعدادات المتاحة بأكثر من ٢٥٠ مليون نسمة اكثر من ١٢٤ مليون نسمة فى اندونيسيا ، و٣٧ مليون نسمة فى الفيلبين و ٣٥ مليونا فى فيتنام و ٣٥ مليونا فى تايلاند و ٢٩ مليونا فى بورما . اما من حيث تنوع الاجناس والاصول البشرية فى المنطقة فانها يمكن أن تعد من اكثر مناطق العالم تعقيدا وتشابكا .

على ان العنصر « الملاوى البولينيزى » هو الغالب ويشكل نحو نصف سكان المنطقة ، وأغلبيته تعيش فى اندونيسيا والفيلبين وماليزيا . اما المجموعة الثانية الكبيرة من الاجناس البشرية فى جنوب شرق آسيا فهى « الصينية التبتية » (نسبة الى التبت) وتعيش فى بورما وتايلاند وفيتنام ولاوس . والمجموعة الثالثة هى « المون خمير » وتسود فى شبه جزيرة الهند الصينية ، وتكون بالذات الاغلبية العظمى من سكان كمبوديا (واسمها القديم مملكة خمير) .

ونتيجة لهذا التركيب السكانى المعقد فان معظم دول جنوب شرق آسيا تضم **اقليات قومية بعضها يلعب دورا هاما فى الحياة الاقتصادية والسياسية** لهذه الدول . مثل الصينيين والهنود . وعلى سبيل المثال فان نسبة الصينيين بين سكان سنغافورة تصل الى ٧٦ فى المائة من السكان . وفى ماليزيا وتايلاند تبلغ هذه النسبة حوالى ٣٠ فى المائة .

ورغم ان غالبية هذه النسبة من الصينيين او الهنود او غيرهم تنتمى الى الطبقة العاملة الا أن بين أفرادها بعض التجار الاثرياء ورجال الصناعة والبنوك والمرابين .

وتسود جنوب شرق آسيا بالمثل مجموعة متنوعة

من الديانات وخاصة البوذية والاسلام والمسيحية ·

وعلى الرغم من نمو المراكز الحضرية فى السنوات الاخيرة فى بلاد جنوب شرق آسيا ونشأة مدن كبيرة ومزدهرة ، الا أن الغالبية العظمى من السكان تعيش فى المناطق الريفية ·

وشعوب جنوب شرق آسيا لها تاريخ طويل كثيف بالاحداث ·· فقد كانت تحيط بهم دائما دول كبيرة وقوية كما قامت فى دولهم نفسها حضارات نامية وثقافات اصيلة مؤثرة عاشت قرونا طويلة · ولكن أكثر فترات تاريخ المنطقة حياة فى أذهان شعوبها هى فترة الغزو الاستعمارى الاوروبى التى صحبتها كل أنواع الطغيان الدموى والاستغلال طوال أربعة قرون متصلة · فقد كان اول من بدأ بغزو منطقة جنوب شرق آسيا فى بداية عصر الاستعمار الاوروبى هم البرتغاليون الذين بدأوا الاستيلاء على ميناء « ملاكا » الكبير الذى يقع الان فى ماليزيا ·· وكان ذلك فى عام ١٥١١· ومنه بدأوا التوغل فى أراضى جنوب شرق آسيا · واقتفى أثرهم الاسبان الذين غزوا الفيليبين فى العقدين السادس والسابع من القرن السادس عشر وجاء دور الهولنديين والبريطانيين بعد ذلك فى القرن السابع عشر · ثم الفرنسيين فى القرن التاسع عشر ·

ونتيجه لدور الاستعماريين فى المنطقة ظهر دور الحركه الاستقلالية التحررية · فشهدت هذه القرون ثورات متوالية ضد الاستعمار القديم · وعرفت بلاد المنطقة – كلها بغير استثناء تقريبا – حركات حرب العصابات المسلحة كاسلوب ثورى ضد القوى الاستعمارية · ولكن بداية القرن العشرين التى شهدت فى الواقع « استيقاظ شعوب آسيا » كانت هى بداية اندحار الاستعمار القديم فى مواجهة القوى الوطنية والاجتماعية الجديدة فى بلدان جنوب شرق آسيا · فقد ادى ظهور هذه القوى الجديدة الى ظهور تنظيمات تعبر عنها وتقود نضالها الوطنى · وكان لتفجر ثورة اكتوبر الاشتراكية أثره المباشر على شعوب آسيا كلها · وبدأت الاحزاب الاشتراكية والتقدمية فى الظهور فى المقدمة فى ساحات النضال · وتعاظمت هذه القوى والاحزاب والتنظيمات وقدرتها على مواجهة القوى الاستعمارية · وتوالى تشكيل الاحزاب التقدمية فى دول جنوب شرق آسيا بوجه خاص فى العشرينات والثلاثينات · وفى الوقت نفسه بدأت التنظيمات الجماهيرية – النقابية والشبابية والنسائية – تنتظم العمل الوطنى غالبا تحت قيادة الاحزاب السياسية التقدمية فى بلدان المنطقة ·

وبشكل عام تميزت الفترة بين ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ والحرب العالمية الثانية التى انتهت عام ١٩٤٥ والتى ظهرت خلالها قوة الاستعمار اليابانى فى آسيا متحدية قوى الاستعمار التقليدية فى القارة – بازدياد قوة الحركات التحررية ، وتنظيماتها سواء فى نشاطها الثورى المسلح أو فى نشاطها السياسى · وعندما تحولت منطقة جنوب شرق آسيا كلها الى مستعمرة يابانية كبيرة كان النضال المسلح فى بلدان المنطقة قد بلغ ذروته بقيادة الاحزاب الاشتراكية · فى فيتنام وفى كوريا وبورما واندونيسيا والفيليبين والملايو · وقد أثرت هذه الفترة من نضال شعوب جنوب شرق آسيا تأثيرا هائلا على الفترة التالية لها والتى شهدت رياح الاستقلال تهب على المنطقة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية رغم انها شهدت فى الوقت نفسه زحف الامبريالية الغربية لتحل محل الاستعمار اليابانى فى المنطقة من جديد ·

من نهاية الحرب العالمية الثانية
الى نهاية الحرب الفيتنامية

ويمكننا أن نعتبر الفترة من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى يومنا الحاضر فترة متميزة قائمة بذاتها ، تتميز بحصول معظم دول جنوب شرق آسيا على استقلالها الرسمى بعد فشل محاولات الاستعمار الغربى للعودة الى المنطقة بنفس الاوضاع القديمة · **وقد شهدت هذه الفترة ذروة جديدة فى نضال شعوب المنطقة ضد محاولات السيطرة الامبريالية الجديدة – الفرنسية ثم الامريكية بعدها – وضد القوى الرجعية التى ترتبط مصالحها أساسا بالامبريالية وسيطرتها الاقتصادية · وفى هذه الفترة تحقق انتصار شعوب الهند الصينية النهائى ضد الجمهورية الفرنسية الرابعة ، ثم انتصار شعب فيتنام الحاسم ضد حرب التدخل الامريكية · ولكن الفترة نفسها شهدت انتكاسات خطيرة لحركة الثورة الاجتماعية ضد القوى الرجعية وأيضا ضد السيطرة الاستعمارية الجديدة · وقعت هذه الانتكاسات فى الفليبين والملايو (ماليزيا الان) ثم فى اندونيسيا بعد ذلك** كما استطاعت الامبريالية الامريكية ان تفرض جمودا على حركة الثورة الاجتماعية فى كوريا فى النصف الجنوبى من البلاد وأن تحول دون اعادة توحيدها ·

وقد ساهم فى خلق هذه الاوضاع وتثبيت تلك الانتكاسات أن الامبريالية الامريكية – فى الاساس – لجأت الى تطويق المنطقة بالاحلاف العسكرية والقواعد ومدت سيطرتها الاقتصادية

على تلك البلاد عن طريق قواعد سياسية تتمثل في النظم الرجعية الحاكمة التي ربطت مصالحها بمصالح الامبريالية في المنطقة .

ومن هنا يمكننا ان نعتبر أن مستقبل منطقة جنوب شرق آسيا ومصيرها – الذي ترتفع أمامه علامة استفهام ضخمة في الظروف الراهنة ، وبالتحديد بعد انتهاء الحرب الامريكية في فيتنام ، مرهون بالدرجة الاولى بحركة الثورة الاجتماعية في دول المنطقة ، ذلك ان الجانب الاجتماعي لثورة التحرر الوطني تكتسب أهمية اضافية بعد أن يكون الاستقلال السياسي قد أصبح واقعا . ودول جنوب شرق آسيا تواجه الان بالدرجة الاولى تحدى التنمية والطريق الذي يتعين عليها أن تسلكه نحو تنمية مستقلة تضمن التغلب على التخلف في نفس الوقت الذي تضمن فيه الحفاظ على الاستقلال السياسي .

وبطبيعة الحال ، فان الثورة الاجتماعية في جنوب شرق آسيا ليست مرهونة فحسب بالظروف السياسية الخارجية المحيطة بالمنطقة وحركة الصراع الدولي فيها ، وانما هي مرهونة أيضا – الى جانب ذلك – بعلاقات القوى الاجتماعية الداخلية في كل من دول المنطقة ، وبالصراعات الطبقية فيها بين العمال والفلاحين والقوى الديمقراطية الاخرى من ناحية والطبقات والقوى الرجعية التي لا تخفي استعدادها لعقد صفقات غير وطنية مع الامبريالية الامريكية .

وفي ضوء هذه الحقيقة الاساسية ينبغي أن تكون النظرة الموضوعية الى مستقبل جنوب شرق آسيا في المرحلة الجديدة ، مرحلة مابعد نهاية الحرب الامريكية في فيتنام .

والحقيقة أنه توجد بالفعل **ثلاث نظريات في مسألة مستقبل جنوب شرق آسيا** بعد نهاية حرب فيتنام ، أو يمكن وصفها بأنها ثلاث طرق في معالجة تصور المستقبل السياسي لهذه المنطقة ، ولكل من هذه النظريات أو طرق المعالجة مؤيدوه ومعارضوه بين القوى التي تنتمي الى المنطقة نفسها وتسهم فعلا في تحديد مسار سياستها وبين القوى الخارجية ، وخاصة تلك التي تربطها مصالح معينة بجنوب شرق آسيا أو تلك التي تحاول الاسهام في بناء سلام دائم فيها .

النظرية الاولى : هي نظرية التوازن الرباعي بين نفوذ ومصالح وقوى أربع دول لها وضع دولي خاص بالنسبة لاسيا ، وبالنسبة لجنوب شرق آسيا بوجه خاص وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصين واليابان .

النظرية الثانية : هي نظرية تحييد جنوب شرق آسيا في علاقاتها السياسية الخارجية مع الاحتفاظ بالاوضاع السياسية الداخلية على وضعها الراهن .

النظرية الثالثة : هي نظرية نظام الامن الجماعي لاسيا التي تضع جنوب شرق آسيا في اطار آسيوي اوسع بحيث لا تغفل قوى آسيوية اخرى مؤثرة وبشكل يتيح خلق ظروف الامن والسلام الملائمة لتطور المنطقة سلميا ولدعم استقلال دولها .

وينبغي مناقشة كل من هذه النظريات بشكل تفصيلي ، خاصة وأن بينها جوانب مشتركة رغم أن بينها تناقضات حادة تعبر عن تناقض المنطلقات والاهداف التي يسعى اليها أصحاب كل من هذه النظريات الثلاث .

نظرية التوازن الرباعي

تؤسس هذه النظرية دعواها على النظرية الجديدة عن « **تعدد القطبية الدولية** » **وزوال القطبية الثنائية** . فهي تذهب الى أنه أصبح في العالم الان أكثر من القطبين اللذين سادا السياسة الدولية طوال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية – وهما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة – وأن هناك الان الى جانبهما الصين واليابان وأوروبا الموحدة . وان كانت نظرية التوازن الرباعي بالنسبة لجنوب شرق آسيا تميل الى استبعاد أوروبا الموحدة من مجال التأثير بالنسبة لاسيا على أساس أنه ليس لاوروبا الغربية ولا ينتظر أن يكون لها في مدى الرؤية حضور قوى في آسيا ، وانما يقتصر حضورها على حجم غير كبير من العلاقات التجارية .

وتقوم هذه النظرية على أن توازنا رباعيا جديدا سيفرض نفسه في جنوب شرق آسيا بعد انتهاء الصراعات العسكرية في الهند الصينية . ولكنها تذهب الى أن هذا التوازن الرباعي لن يكون نتيجة لنهاية هذه الصراعات فحسب ، بل انه في **الاساس** نتيجة لعدة عوامل هي :

١ – انحسار دور الولايات المتحدة العسكري في المنطقة ، مع رغبتها في الاحتفاظ بكل قوة ، **بدورها** السياسي والاقتصادي فيها .

٢ – احتدام الصراع الصيني السوفيتي الى الحد الذي يبدو معه أنه لم يعد هناك طريق للعودة في العلاقات بين البلدين الى مستواها قبل بداية الصراع ، **ويذهب أصحاب هذه النظرية الى أن**

جنوب شرق آسيا سيكون بالضرورة أحد ميادين الصراع بينهما ٠

٣ ـ ازدياد قوة الصين العسكرية والسياسيه على المستوى الدولي وانفتاحها على العالم على النحو الذي جعل من الممكن حدوث التقارب بينها وبين الولايات المتحدة ، وكذلك بينها وبين اليابان . ويقصد اصحاب هذه النظرية بازدياد قوة الصين بالذات قوتها الذرية على أساس أنها العامل الذي يضعها في مستوى « الدولة الكبرى » أو « القطب » ٠

٤ ـ تضخم قوة اليابان الاقتصادية بشكل يدفعها حتما للقيام بدور سياسي ـ على المستويين الاسيوي والعالمي ـ يتناسب مع حجم هذه الاقتصادية ويلبي احتياجاتها الى الاسواق الخارجية ٠ وقد كانت منطقة جنوب شرق آسيا تعتبر دائما « المجال الحيوي » لحركة اليابان الاقتصادية ٠

وعلى هذا الاساس وطبقا لنظرية التوازن الرباعي، فان كلا من هذه الدول الاربع ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصين واليابان ـ سيعمل على احداث تغييرات في منطقة جنوب شرق آسيا بما يتلاءم مع مصالحه ، مع الاحافظة على قوانين واعتبارات التوازن بينها جميعا، على أساس أن تحاشى الصدام المسلح بينها في المنطقة أصبح أمرا مفروغامنه ٠ وترى هذه النظرية أن الاتحاد السوفيتي سيحاول تعميق علاقاته مع اليابان ودول شرق آسيا ، تحركه دوافع الصراع مع الاتحاد السوفيتي من ناحية ودوافع الحفاظ على التوازن الاستراتيجي مع الولايات المتحدة من ناحية أخرى ٠

أما الولايات المتحدة فانها ستحاول الاحتفاظ بتحالفاتها القائمةمع اليابان وربما مع باقي دول المنطقة ـ في حدود ما يقبله توازنها الاستراتيجي مع الاتحاد السوفيتي ٠ ولكنها ستحاول في الوقت نفسه تعميق علاقاتها مع الصين أي زيادة اللعب على الصراع الصيني السوفيتي ، وبعبارة اوضح زيادة اتساع شقة الخلاف بينهما لحسابها ولحساب النفوذ الامريكي في المنطقة ٠

وتتصور هذه النظرية أنه نتيجة لتفاعلات حركة كل هذه الاطراف فانه سيقوم في جنوب شرق آسيا نوع من التوازن القائم على عملية معقدة من مراعاة كل طرف للاخر بما يحد من انفراد أي منها بالنفوذ وبما يحد أيضا منامكان تدخلأي من هذه القوى الكبرى الاربع في صراع عسكري من جديد في جنوب شرق آسيا ، ونتيجة لهذا أيضا فان نظرية التوازن الرباعي تعطي تصورا لمنافسات دبلوماسية وسياسية واقتصادية بين القوى الكبرى على المنطقة بعد أن يغيب عنها كل وجود عسكري خارجي على نمط الوجودالعسكري الامريكي الذي كان قائما طوال فترة الحرب الفيتنامية ٠

والسمة الاساسية الواضحة في نظرية التوازن الرباعي أنهاتغفل من حسابها تماما شعوب منطقة جنوب شرق آسيا نفسها وحركة الصراعات الداخلية فيها ، وتتصوران مستقبل المنطقة مرهون فقط بعملية التوازن المعقدة بين القوى الاربع الكبرى ٠ فاذا نجح هذا التوازن ساد السلام ـ غالبا مع استمرار الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية الراهنة في بلاد المنطقة ـ واذا اختل التوازن صارت المنطقة مهددة من جديد بصراعات خارجية على أرضها ٠

ومن ناحية أخرى فان نظرية التوازن الرباعي تضع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على مستوى واحد وكأنهما قوتين امبرياليتين لا فرق بين مسلكهما الاستراتيجي أو السياسي ازاء العالم ٠ وتجد النظرية بعض الحجج لتبرير هذا التصور ، ومنها دخول القوة البحرية السوفيتية مياه آسيا في الفترةالاخيرة بشكل ملحوظ ، ومنها جهود الاتحاد السوفييتي لتوثيق علاقاته الدبلوماسية والتجارية مع دولالمنطقة ٠ ولكن مثل هذه الحجج لا تجعلنا ننسى أن سياسة الولايات المتحدة تقوم على التدخل والسيطرة الاقتصادية والاستغلال وأن سياسة الاتحاد السوفييتي في مبادئها الاساسية وفي تطبيقاتها العلمية لا تسعى الى السيطرة العسكرية على الدولة الاخرى ولا ألى الهيمنة الاقتصادية عليها بقدر ما تسعى الى اقرار التعايش السلمي وتحقيق مصالح الشعوب ومساعدتها على التغلب على تحديات التنمية في مراحل ما بعد الاستقلال الوطني فيما فيه تحقيق المصالح المشتركة للتعاون الدولي على قدم المساواة ٠ ولعل هذا الجانب من سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية ـ وتجاه آسيا بوجه خاص ـ سيتضح بشكل أكثر تفصيلا عندما نتناول بعد ذلك نظرية نظام الامن الجماعي ٠

نظرية تحييد جنوب شرق آسيا

وهذه النظرية صورة معدلة ـ بشكل أكثر تفصيلا ـ لمبدأ « التحييد » الذي كانت تدافع عنه فرنسا خلال فترة المراحل الاولى من الحرب الفيتنامية ، وكان هذا المبدأ وقتها بمثابة رد الفعل السلبي من فرنسا الديجولية ازاء حرب العدوان الامريكية ضد الشعب الفيتنامي ٠

اما نظريه التحييد فى شكلها الحالى ، فانماليزيا فى مقدمة الدول التى تتبناها فى المنطقة ، وقد عرضت اقتراحاتها فعلا عبى « اتحاد دول جنوب **شرق آسيا » (الذى يضم الى جانب ماليزيا ، كلا** من اندونيسيا والفيلبين وسنغافورة وتايلاند) فى اوائل العام الحالى وفى ظروف كانت فيها نهاية الحرب الامريكية فى فيتنام بادية بوضوح فى الافق ، وأيضا فى ظروف بدا فيها أن الولايات المتحدة تتخلى عن استراتيجية « احتواء الصين » وتتجه نحو استراتيجية « التقارب مع الصين » .

ويمكن تفصيل ملامح هذه النظرية فى النقاط التالية :

اولا – خلق بيئة سلمية ومستقرة فى جنوب شرق آسيا متحررة من الصراعات التى تجلبها الى المنطقة منافسات « القوى الكبرى » .

ثانيا – خلق وئام بين مصالح دول المنطقة ومصالح « القوى الكبرى » على نحو يكفل تنظيم وموازنة هذه المصالح على اساس يكفل تعهد « الدول الكبرى » بعدمالتدخل فى المنطقة واحترام حيادها ازاء الصراعات والمنافسات الكبرى . ويكون هذا التوازن بين المصالح الداخلية والخارجية ترتيبا طويل الاجل للامن والاستقرار فى المنطقة .

ثالثا – عدم التخلى – فى المدى القصير – عن الاتفاقيات الدفاعية الثنائية او المتعددة الاطراف على أن تكتسب طابعا مؤقتا مرهونا بتنظيم دول جنوب شرق آسيا لقوتها الذاتية .

ويطلق اصحاب نظرية « التحييد » وصف « الضرورات الثلاث » على الخطوات التى يرونها لازمة لتحقيق حياد جنوب شرق آسيا . ويصوغونها على النحو التالى :

● **لابد من امتلاك دول جنوب شرق آسيا القوة لتقف على قدميها للدفاع عن سيادتها وسلامتها الاقليمية .** وذلك « كشرط هام اذا أردنا انتحترمنا الدول الاخرى ،وخاصة الدول الكبرى » (تصريح لتون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا) .

● **لابد من اقامة تعاون وثيق** يحقق المصالح المشتركة بين دول المنطقة .

● **لابد من مساعدة كل من دول جنوب شرق آسيا لبعضها البعض على تحقيق التقدم والرخاء المتبادلين .**

وقد لا تنطوى نظرية « التحييد » على تفصيلات **محددة لتحقيق هذا الهدف الا أنها تتضمن عناصر جديدة لم تكن متوفرة فى سياسة دول المنطقة التى** ترفع الان اقتراح الحياد ، وهى دول كانت ارتباطاتها السياسية الدولية بالعالم الغربى وحده ، وبصفة خاصة بالولايات المتحدة الامريكية . ومن هذه العناصر التأكيد على ضرورة « **اقامة علاقات صداقة مع جميع الدول بصرف النظر عن نظامها الاقتصادى وايديولوجيتها** » .

كذلك ينطوى اقتراح حياد جنوب شرق آسيا على قبول جديد من بعض دول المنطقة للدخولفى جبهة الدول غير المنحازة ، وهو ما اتجهت اليه ماليزيا فعلا فى الفترة الاخيرة وقد عقد اجتماع اللجنة التحضيرية لمؤتمر الدول غير المنحازة فى كوالالمبور عاصمة ماليزيا بالفعل فى منتصف العام الماضى . واعتبرتماليزيا هذا الانعقاد بمثابة تأييد من دول عدم الانحياز لنظرية تحييد جنوب شرق آسيا .

يضاف الى هذا أن رد الفعل الرسمى الذى أبدته حكومات جنوب شرق آسيا التىربطت نفسها طوال ربع القرن الماضى بالسياسة الامريكية فى المنطقة لانتهاء الحرب الفيتنامية هو أن **اتفاق انهاء الحرب واستعادة السلام فى فيتنام يشكل خطوة كبيرة نحو حياد جنوب شرق اسيا** . وفى المؤتمر الذى عقدته دول اتحاد جنوب شرق آسيا فى منتصف أبريل الماضى فى سنغافورة أبدت هذه الدول أن « **هدف سياساتها الداخلية هو تحقيق التقدم الاقتصادى والاستقرار الاجتماعى والامتناع عن أى تجارب جديدة فى مجال السياسة الخارجية** » . وأبدت هذه الدول أيضا خلال المؤتمر رأيها بأن « **مناورات السياسة الخارجية للدول الكبرى غير موثوق بها** » .

وقبل ذلك كانت دول اتحاد جنوب شرق آسيا قد عقدت مؤتمرا لها على مستوىوزراء الخارجية فى نوفمبر الماضى وأصدرت « اعلانا مشتركا » أكدت فيه جميعا – بما فيها أكثر الدول صداقة بالولايات المتحدة (تايلاند والفيلبين) مطلب اقامة وضع سلمى فى منطقة جنوب شرق آسيا يمنع تدخل القوى الاجنبية .

ولعل أهم تحول تنطوى عليه نظرية تحييد جنوب شرق آسيا – خاصة وأنها قادمة من القوى الداخلية فى المنطقة نفسها التى سبق أن ربطت نفسها بالاحلاف الغربية – هو تأكيدها « **ان اتفاقات الماضى – سواء كانت عن طريق المعاهدات الدفاعيةالمتعددة الاطرافأو الثنائية أو أية أشكال للتحالفمهما كانتدرجة صراحتها – أصبحت أقل** قابلية للاعتماد عليها ، وعلى اقل تقدير فانه من **المهين لكرامة زعماء جنوب شرق آسيا أن ينتظروا وهم يرتجفون نتائج الانتخابات فى البلاد التى**

يرتبطون معها باتفاقيات دفاعية معينة » . (مقال للغزالى الشافعى وزير المهام الخاصة والاعلام فى حكومة ماليزيا – فى مجلة « فار ايسترن ايكونوميك ريفيو » – ٢٦ أغسطس ١٩٧٢) .

ولكن صاحب الرأى نفسه يستطرد فيقول « أن مشكلة النشاط التخريبى والتسلل لا تزال قائمة اليوم رغم أن هذه المعاهدات كانت قائمة منذ ٢٠ عاما . وفى الوقت نفسه فان ميزان القوى على المستوى الدولى قد تغير بصورة درامية وبرزت الصين واليابان كقوتين كبيرتين اقليميتين – وعالميتين أيضا » . (المصدر نفسه) .

ولهذا تبدو نظرية التحييد – أو بالاحرى اقتراح التحييد – مجرد محاولة من جانب هذه الدول لاعادة تكييف نفسها على « الاوضاع الجديدة » فى المنطقة التى تتمثل فى تغييرات موازين القوى وبروز دور الصين واليابان وانخفاض واحتمال زوال الوجود العسكرى الامريكى فى آسيا . بمعنى ان النظرية لا تتطلع الى تغيير موضوعى يواكب التغيرات الجذرية فى قلب المنطقة وفيما يحيط بها ، وانما هى ترمى الى مجرد تخفيف التناقض بين الاوضاع الداخلية – وخاصة فى السياسة الخارجية لدول المنطقة ، وارتباطاتها الدولية – وبين المتغيرات الجذرية الحادثة .

كذلك فان التناقض واضح فى أقوال وبيانات أصحاب هذه النظرية فيما يتعلق بموقفهم من المعاهدات الدفاعية (الثنائية) والاتفاقات المتعددة الاطراف والاحلاف) . فهم يعتبرون أن استمرارها – لاجل قصير على الاقل – أمرا مطلوبا بل ضروريا لامن نظمهم واستقرارها ، وهم يؤكدون – فى الوقت نفسه – استمرار نظرتهم الى محاولات التغيير الاجتماعى بالثورة على أنها « عمليات التخريب والتسلل » . ولكنهم ينبذون بشكل العلاقة القديمة للتبعية « المهينة » للعالم الغربى .

نظرية « الامن الجماعى الاسيوى »

وهذه النظرية يتضمنها اقتراح ايجابى محدد تقدم به الاتحاد السوفيتى منذ وقت غير قصير (بالتحديد أثناء المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى عام ١٩٦٩) . ويدعو الاقتراح الى اقامة نظام للامن الجماعى فى آسيا على أساس عدد من المبادىء العامة والضرورية :

١ – نبذ استخدام القوة فى العلاقات بين الدول الاسيوية .

٢ – احترام الدول الاسيوية لسيادة وحدود كل منها .

٣ – عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاسيوية .

٤ – اتاحة التنمية الاقتصادية والتعاون على نطاق واسع بين دول آسيا على أساس المساواة الكاملة والفائدة المتبادلة .

وواضح من هده المبادىء أن الاتحاد السوفيتى يؤسس نظريته للامن الجماعى الاسيوى بالدرجة الاولى على مبادىء التعايش السلمى المعروفة والتى نودى بها فى البدايه فى اسيا نفسها ، وبالتحديد فى مؤتمر باندونج التاريخى .

وقد أبدى الاتحاد السوفيتى اهتماما كبيرا بموقف كل من الولايات المتحدة والصين من الامن فى آسيا خاصة بعد حركة التقارب الفجائية بينهما . فمن وجهة النظر السوفيتيه أن الوجود العسكرى الامريكى – والدور العدوانى الذى تلعبه الولايات المتحدة فى اسيا ، وخاصة قبل اتفاق انهاء الحرب فى فيتنام . يشكل الخطر الرئيسى على الامن الاسيوى . وأن سياسة الصين – من ناحية أخرى – تشكل خطرا آخر على أساس أن الصين – فيما يرى الاتحاد السوفيتى – تنتهج سياسة « تدخل وابتزاز » تجاه الدول الاسيوية الاخرى المحيطة بها .

ومع ذلك – أو بالاحرى نتيجة لذلك – فان الاتحاد السوفيتى لاحظ باهتمام اتفاق الولايات المتحدة والصين – فى البيان المشترك الذى صدر عن محادثات الرئيس الامريكى نيكسون مع الزعماء الصينيين فى فبراير عام ١٩٧٢ – على المبادىء الخمسة للتعايش السلمى ، واعتبر ذلك جانبا ايجابيا هاما فى البيان . ولكنه فى الوقت نفسه لم يخف شكوكه فيما سيكون عليه التطبيق الفعلى لسياسة البلدين .

والواقع أن مخاوف الاتحاد السوفيتى من أهداف التقارب الامريكى الصينى – ولها موضوعيا ما يبررها – تنعكس بشكل واضح على ما يذاع فى الاتحاد السوفيتى – سواء فى بياناته الرسمية او التحليلات الصحفية – عن اقتراح نظام الامن الجماعى . وبالمقابل فان الصين من جانبها تبدى مخاوف من هذا الاقتراح ، وقد ذهبت الى حد تفسيره بانه يقصد الى تطويقها فى آسيا ، ودعم النفوذ السوفيتى فيه .

وهكذا نرى أن الصراع الصينى السوفيتى يعكس ظلاله السوداء على اقتراح اقامة نظام للامن

الجماعي الأسيوي ، رغم أن هذا الاقتراح قوبل بردود فعل ايجابية مواتية من جانب عددمن دول القارة – ومنها الهند بدورها وتأثيرها الكبيرين – ومن جانب بعض الدول من خارج القارة مثل فرنسا . لقد رفضت الصين الاقتراح بشكل تلقائي . وأعلن شوان لاي رئيس الوزراء الصيني ، أمام مجموعة من البرلمانيين اليابانيين كانت تزور بكين – أن الاتحاد السوفيتي يرمي بهذا المشروع الى وضع الصين « تحت ابهامه » . كما وصفت الصحف والاذاعات الصينية الاقتراح بانه « مناهض للثورة ومعاد للشعب ومعاد للصين » .

والاتحاد السوفيتي من جانبه اعلن – فى خطاب ليونيد بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتي فى الذكرى الخمسين لتأسيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية أن الصين نفسها ستكون شريكا بالتساوى فى مثل هذا النظام للامن الجماعى الاسيوى . وكتبت الصحف السوفيتية تقول – بعد ذلك – « أن الشعب الصينى العظيم يمكن بالتأكيد أن يسهم بنصيب فى ضمان الامن الاسيوى على أساس جماعى . وربما سبق ان اعلنت بكين نفسها فى وقت من الاوقات افكارا بينها وبين الاقتراح السوفيتي الاخير جوانب كثيرة مشتركة . ويكفى ان نتذكر الاقتراح الصينى عام ١٩٥٥ لعقد « معاهدة للسلام الجماعى » فى آسيا ومنطقةالمحيط الهادى » . (مجلة الازمنة الحديثة السوفيتية – ١٠ مارس ١٩٧٣) .

والواقع أن نظرية « الامن الجماعى الاسيوى » كما يعرضها الاتحاد السوفيتي فى اقتراحه تعتبر بمثابة « المعاول الاسيوى » لدعوةالوفاق الاوروبى التى حققت السياسة السوفيتية نجاحا كبيرا بها فى أوروبا .

ويقوم فى وجه الاقتراح السوفيتي اعتراض صينى آخر يذكرنا بالخلاف الحاد الذى شهدته مؤتمرات التضامن الافروآسيوى فى أوائل ومنتصف الستينات . فان الصين لا تزال ترفع اعتراضها على اعتبار الاتحاد السوفيتي دولة آسيوية ، بينما الاتحاد السوفيتي يؤكد انتماءه الاسيوى بحكم الوضع الجغرافى والروابط التاريخية والحضارية العميقة لقطاعات كبيرة من الجمهوريات السوفيتية التى يقع عدد منها بأكمله داخل القارة الاسيوية . بل الواقع ان الاتحاد السوفيتي يجد لنظريته فى الامن الجماعى الاسيوى جذورا فى نضال الشعوب الاسيوية نفسها . ومن الامثلة التى يقدمها ما نص عليه البيان الختامى لمؤتمر باندونج التاريخى عن ضرورة دعم السلام العام والتعاون بين دول آسيا على أساس مبادىء الامتناع عن التهديد بالعدوان أو استخدام القوة . وبالاضافة الى هذا تستند النظرية الى المعارضه الفعلية التى تواجهها الاحلاف والتكتلات العسكريه من جانب معظم الدول الاسيوية . وخاصة الهند وبورما وأفغانستان وسيلان وغيرها . وقد ازدادت قوة الاتجاه الحيادى مع الزمن فى هذا الجزء من العالم الذى لم يشهد لحظة سلام واحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

وقد القى وزير الخارجية السوفيتي اندريه جروميكو مزيدا من الضوء على نظرية الامن الجماعى – أمام الجمعية العامة للامم المتحده فى دورتها الماضية – عندما اوضح انه « يتعين على جميع دول هده المنطقة – بصرف النظر عن الاختلافات فى نظمها الاجتماعية – أن تعكف على خلق الامن الجماعى فى آسيا لانه سيخدم مصالح كل منها » .

على انه اذا كانت نظرية « التحييد » التى تتبناها بعض دول جنوب شرقى آسيا تجد المكان الذى تناقش فيه والمنظمة التى تبحث فى اطارها – وهى بصفة خاصة « اتحاد دول جنوب شرق اسيا » ، الذىأشرنااليه من قبل – فان نظرية نظام الامن الجماعى لا تزال فى طور المناقشة الثنائية كاقتراح سوفيتي ، مناقشه بين الاتحاد السوفيتي وعدد من دول آسيا المعنية « كل على حدة » ولم يجد بعد اقتراح الامن الجماعى المجال الذى يمكن أن يبحث فى اطاره بصورة جماعية . ولهذا قد يتطلب الامر الدعوة لعقد مؤتمر آسيوى لبحثه .

وقد يوجد بعض أوجه للشبه بين نظرية « التحييد » فى صورتها العامة التى تدعو اليها ماليزيا بصفة خاصة ونظرية « الامن الجماعى » – وليس من الغريب هنا أن نلاحظ أن ماليزيا رحبت بالاقتراح السوفيتي لخلق نظام للامن الجماعى ، وأن نلاحظ أيضا أن اليابان رحبت باتجاه التحييد ، وايدت فى الوقت نفسه نظرية الامن الجماعى مما يؤكد بالفعل وجود بعض أوجه الشبه بينهما ، او ما يؤكد ان النظريتين تتكاملان فى عدد من جوانبهما .

مصير حلف جنوب شرق آسيا

ولكن النقطة الاساسية التى عولجت بطريقة غامضة حتى الان من جانب الدول الداعية لتحييد جنوب شرق آسيا ، والتى لا تلتقى فيها مع نظام الامن الجماعى هى مسألة الاحلاف العسكرية الغربية . فان نبذ هذه الاحلاف أو التخلص من

تورها تماما فى جنوب شرق آسيا واردا بوضوح قاطع وبصفة خاصة فى الوثيقة الرئيسية لاصحاب نظرية حياد جنوب شرق آسيا . وتعنى بهذه الوثيقة اعلان « كوالامبور » الذى أصدره وزراء خارجيه ماليزيا واندونيسيا والفيلبين وسنغافورة وتايلاند فى ٢٧ نوفمبر عام ١٩٧١ . وهو الاعلان الذى اعلنوا فيه « تصميمهم على جعل منطقة جنوب شرق آسيا منطقة سلام وحرية وحياد خالية من أى شكل من أشكال التدخل الخارجى » . وقد أعلنوا فيه أيضا « ايمانهم باستمرار صحة الاعلان حول دعم السلام والتعاون الدوليين الذى أصدره مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ » .

وفيما عدا ذلك فان مواقف دول اتحاد جنوب شرق آسيا تجاه مصير الاحلاف العسكرية فى المنطقه وخاصة حلف جنوب شرق آسيا (السيتو) تتباين بشكل ملحوظ . فاننا نجد - مثلا - أن **كارلوس رومولو وزير خارجية الفيلبين** يعلن أمام اجتماع الدورة السابعة عشرة للحلف التى عقدت فى كانبرا فى العام الماضى « **أن وجود الحلف بات متعارضا مع متطلبات العصر ولا يتمشى مع الجو السياسى المحيط .. وانه صار فى وضعه الحالى تنظيما عفا عليه الزمن .. ويجب أن نأخذ فى اعتبارنا تماما الرغبة الحارة للشعوب فى التخلص من أى شكل من أشكال التدخل فى شئونها الدولية** » .

ولكننا نجد فى الوقت نفسه ان جيسوس **فارجاس التايلاندى الذى يشغل منصب السكرتير العام لحلف جنوب شرق آسيا** يعلن فى نوفمبر الماضى فى حديث مع صحفى أمريكى « **أن دول جنوب شرق آسيا فى حاجه الى نظام للامن الجماعى سواء شاءت ذلك أو لم تشأ .. فالصينيون الشيوعيون لن يتوقفوا عن دعم قوتهم الذرية ولن يوقفوا مساعداتهم لرجال حرب العصابات الشيوعيين فى جنوب شرق آسيا ولهذا فانه لابديل عن حلف جنوب شرق آسيا** » .

وفى الوقت نفسه فان الولايات المتحدة - القوة الرئيسية وراء خلق هذا الحلف واهدافه واتجاهاته - لاتزال تعلق تمسكها الشديد بعد رغم التغيير الهائل الذى دخل على منطقة جنوب شرق آسيا ورغم سقوط حجة « الخطر الشيوعى » الذى أقيم الحلف أصلا من أجل مواجهته . بل أن الولايات المتحدة أعلنت على لسان وزير خارجيتها **وليام روجرز** - فى اجتماع الحلف فى كانبرا - انها « **تعتبر أن الوقت الراهن غير مناسب على الاطلاق للحديث عن تغيير طبيعة الحلف** » !

وهكذا أكدت الولايات المتحدة أنها لا تأخذ بعين الاعتبار مصالح الدول الاسيوية وآراءها، وانما تضع مصالحها وحدها فى الاعتبار . ولم يعد خافيا على الدول الاسيوية نفسها أن الولايات المتحدة تقف فى وجه تيار التغيير الهائل الذى تشهده آسيا الان وهى تتطلع نحو سلام حقيقى بعد أكثر من ثلاثين عاما فرضت فيها عليها الحروب الاستعمارية والعدوانية، وحروب التدخل ، وفرضت فيها عليها سياسات الكتل والاحلاف العسكرية .

والواقع ان الولايات المتحدة قد تفلح فقط فى الابقاء على الحلف كمجرد مقر وسلسلة اجتماعات تعقد وتفض دون ان تغير شيئا من حركه الاحداث فى المنطقة ، ولكنها لن تفلح بالتاكيد فى أن تعيد الحياة الى حلف جنوب شرق آسيا الذى تلقى خلال السنوات الاخيرة اكثر من ضربه قاتله : انسحاب فرنسا من نشاطه ، ثم انسحاب باكستان ،ثم اتجاه معظم دول الحلف فى المنطقة نفسها - حتى تحت نفس الحكومات التقليدية التى اعتادت الانسياق وراء السياسات الامريكية - الى التفكير فى الحياد كصيغة لاعادة التكيف مع الحقائق الجديدة للعلاقات الدولية التى فرضتها قوة العالم الاشتراكى .

القوى الاجتماعية الجديدة

وبعد .. فان كل نظريه سياسية تجاه السؤال المطروح الان عن « مصير جنوب شرق آسيا » - وخاصه بعد نهايه الحرب الامركية فى فيتنام - لا تستطيع ان تحقق ادراكا موضوعيا يعطى اجابة سليمة ودقيقة على هذا السؤال اذا اغفلت - كما تفعل معظم الاراء المطروحة للان - عنصر الثورة الاجتماعية الداخلية فى بلاد المنطقة .

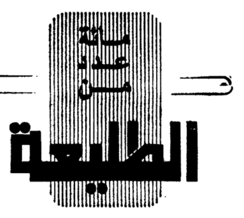
ان بلاد جنوب شرق اسيا لها سماتها الداخلية الخاصة وعلاقات القوى الاجتماعية الداخلية فيها قد اكتسبت فى السنوات الاخيرة ومن خلال النضال المسلح والنضال السياسى أعماقا جديدة تجعل من حركة التطور الاجتماعى - الثورى أساسا - فى هذه البلاد المحرك الرئيسى لها . ولا يمكن اغفال حقيقة وجود تفاعلات قوية بين دول المنطقة وحركتها الثورية - مثلما هو قائم فعلا بين دول الهند الصينية الثلاث - فيتنام ولاوس وكمبوديا - التى صهرت التضامن الثورى بينها مواجهتها لحرب العدوان والتدخل الامريكى طوال السنوات العشر الماضية . **ولا شك ان القوى** الثورية فى هذه البلاد وهى تبدأ مع خطوات السلام الاولى رحلتها على طريق التغيير الاجتماعى **تمثل نقاط أشعاع وتأثير فى المنطقة المحيطة كلها** .

اما فى بلاد جنوب شرق آسيا الاخرى التى لم تخض تجربة الثورة المسلحة ولم تتعرض للعدوان العسكرى المباشر للامبريالية ، وانما عاشت فى ظل سيطرتها فان قوى اجتماعية جديدة تبرز فيها متمثلة فى طبقتها العاملة المتزايدة فى عددها وقوتها والقوى الوطنية الديمقراطية الاخرى التى يمكنها أن تتحالف معها . ومن شأن بروز هذه القوى الاجتماعية الجديدة أن يلعب دوره فى تغيير ملامح سياسة هذه البلاد ، والملامح السياسية للمنطقة كلها بعد ذلك .

وقد لا تكون هذه التغييرات الاجتماعية مرئية الان بشكل فورى ومباشر ، ولكن هذه هى سمة التغييرات الاطول مدى والاقدر على الحياة بعد ذلك . ومن الخطأ الاعتقاد بأن كل التغييرات السياسية البادية فى مواقف دول جنوب شرق آسيا التى تتحول عن الولاء المهين لنفوذ الغـرب ومصالحه الى التفكير فى المصالح الوطنيـة والاقليمية هى وليدة التغييـرات الســياسية الخارجية أو الدولية وحدها . فان ضغط القوى الاجتماعية الجديدة فى هذه الدول نما الى حد لم يعد من الممكن معه تجاهلها . وفى اعتقادنا أن هذه القوى الاجتماعية هى التى ستصنع مصير جنوب شرق آسيا ، لانها هى القوى التى تمثل المستقبل .

ومن الضرورى اذن أن تسقط فى مواجهة حركتها كل القوى القديمة والتقليدية التى تمثل مصالح القوى الخارجية الامبريالية والداخلية . ومن بين ما سيسقط على الطريق عدد من النظـم التى لا تستطيع حتى بعملية « اعادة التكيف » ان تجعل نفسها مقبولة من القوى الاجتماعية الصاعدة ، ومن بينها ايضا الاحلاف العسكرية والاتفاقات والمعاهدات الثنائية التى فرضت على المنطقة فى وقت صعود نجم الامبريالية الامريكية فى آسيا فى نهاية الحرب . العالمية الثانية .

ان جنوب شرق آسيا لن يخرج من تحالفات قديمة الى تحالفات جديدة ، ولن يغير صيغة تحالفاته القديمة لتصبح أكثر مواءمة للاوضاع الدولية . انما جنوب شرق اسيا يقف على عتبات تغيير اجتماعى فى الاساس تفتح الطريق نحوه وتدعم خطاه ظروف دولية دولية اكثر ملاءمة تتمثل فى اندحار قوة العسكرية الامريكية فى آسيا أمام قوة نضال شعب فيتنام الاسيوى ، وتتمثل فى تعاظم قوة العالم الاشتراكى الذى يقف مؤيدا للتقدم الاجتماعى ، وتتمثل فى انتصار قوى الســلام ومنطق العقل نتيجة لقوة العالم الاشتراكى وقوة حركة التحرر الوطنى العالمية .



فى يناير سنة ١٩٦٥ ، ظهر العدد الاول من « الطليعة » ، وفى العدد الماضى ، ابريل ١٩٧٣ ، صدر العدد المائة .. والطليعة منذ ظهورها وهى تحمل القلم ، نضالا من أجل شرف الكلمة ، منبرا للاشتراكية العلمية ، دفاعا عن الوطنية والديمقراطية ، حربا ضد الامبريالية والاستعمار القديم والحديث والرجعية والصهيونية .

وعندما صدر العدد الاول من « الطليعة » ـ جاء فى افتتاحيته ـ « تصدر « الطليعة » اليوم فى مجتمعنا استجابة لحاجة المثقفين الثوريين فى مصر وفى وطننا العربى ، الى تنظيم **لقاء** عميق وخصب ، **وصراع** حر ومثمر بين آرائهم وأفكارهم ودراساتهم وتجاربهم .. وذلك بهدف اثراء وبلورة حركة **العمل الثورى** الجارية لاعادة صياغة المجتمع والانسان العربيين ، صياغة عصرية تقدمية تنتمى الى تراثنا القومى وواقعنا المتطور على المستوى المحلى والعربى والافريقى على السواء . وتتفاعل فى الوقت نفسه مع عصر الانسان فى النصف الثانى من القرن العشرين ، بثوراته التحررية والاشتراكية وغزو العلم للفضاء » .

وصدرت « **الطليعة** » والتزمت أمام قوى الثورة العربية . وكما جاء فى مقال نشر فى الاهرام بعنوان : « **لماذا الطليعة ؟** » بتاريخ ٦ ديسمبر سنة ١٩٦٤ ، فدور الطليعة هو : « انماء وتعميق وتوسيع نطاق ونفوذ الفكر الاشتراكى ، كدور الصناعة الثقيلة فى البناء الاقتصادى للمجتمع المتطور النامى .. أساسا ضروريا للتقدم ، وضمانا جوهريا للتطور المستمر .. بيد ان هذا ليس معناه احتكارها للفكر الاشتراكى او فرض قيود عليه أو حبسه فى قوالب محددة ، والا تحولت من سلاح لخدمة الفكر الاشتراكى الى سلاح للاجهاز عليه . فالفكر الاشتراكى بطبيعته العلمية وروحه التجريبية ، ليس مذهبا جامدا ، أو عقيدة مقدسة فى جعبتها حلول جاهزة مسبقا لكل مشكلة أو قضية ، وانما هو مجرد قوانين علمية لقياس الواقع وتغييره لصالح القوى الشعبية العاملة ، وكشاف ضوء ينير الطريق للرؤية الموضوعية الصحيحة وللالتحام العميق بالمشاكل بهدف حلها حلا ثوريا صحيحا .. من أجل هذا كله تصدر « الطليعة » ، ومن اجل هذا كله نريدها ـ قولا وفعلا ـ طريقا مفتوحا للمناضلين من أجل الاشتراكية فى بلادنا ، الى الفكر الثورى المعاصر » .

وعلى مدى المائة عدد ، قدمت الطليعة ما يقرب من سبعين دراسة عن مشاكل اقتصادية

وسياسية وتاريخية ، و ٣٣ ملفا عن بلدان وأحداث عالمية ومفكرين وعلماء وادباء ، وادارت الطليعة جلسات عديدة لحوار مفتوح حول العديد من المشاكل التى تهم مجتمعنا ، مثل حوار القوى الوطنية والتقدمية حول برنامج انتخابى للاتحاد الاشتراكى — يونيو ١٩٦٨ — وحول تثقيف الكادر والجماهير — ندوة الطليعة يناير ١٩٦٩ — ومنظمة الشباب ودروس التجربة ... الخ ..
وادارت حوارا مفتوحا مع رؤساء دول ومفكرين عالميين ، فأدارت حوارا مفتوحا مع الرئيس هوارى بومدين عن مسار التجربة الثورية فى الجزائر ، ومع الرئيس جعفر نميرى — قبل احداث يوليو ١٩٧١ — وادارت حوارا عربيا مع المفكر الفرنسى روجيه جارودى ، ومكسيم رودنسون ، ومع المفكر السوفييتى اوليانوفسكى .
واستخدمت الطليعة اسلوب الشهادات الواقعية فى دراسة مجموعة من مشاكل الواقع المصرى وقضايا تطوره ، فقدمت ٨ دراسات معتمدة على الشهادات الواقعية والدراسة الميدانية . وقدمت مجموعة من الكراريس والدوسيهات ، من بينها : كراس ما العمل ؟ .. [اغسطس ١٩٦٧] ، وسؤال الوقت : كيف ؟ .. وكراس للمناقشة : نظرات فى الوضع الداخلى الراهن ، وافكار وملاحظات جديدة حول المسألة الزراعية ، وحول المهام الجوهرية للجنة المؤقتة والمؤتمر الوطنى واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، ودوسيه للمؤتمر القومى ، والتعبئة الاقتصادية ، ومشاكل وحلول مقترحة .. وصدر عدد خاص بالفرنسية من « **الطليعة** » عن : « **الطريق المصرى الى الاشتراكية** » . وقدمت تحقيقات سياسية من واقع حركة التحرر العالمية : تشيكوسلوفاكيا من داخل تشيكوسلوفاكيا — والسودان من داخل السودان — وتحقيق سياسى من مواقع المقاتلين — انسان الثورة الفلسطينية — الواقع الجديد والمواجهة المسلحة — والعراق من داخل العراق .

وقدمت الطليعة مجموعة من الوثائق التاريخية والسياسية ، التى تعتبر مصدرا اساسيا للباحثين والدارسين — ومن بين مجموعات الوثائق تلك : النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع الزعيم احمد عرابى — من وثائق الحركة العمالية فى العشرينات — وثائق من ملف محاكمة راسل الدولية فى جرائم الحرب فى فيتنام — شهادات مسيحية : جماعة البحث والعمل من اجل تسوية القضية الفلسطينية — حوار فرنسى حول القضية الفلسطينية — وثائق عن الارض والفلاح فى مصر منذ نابليون حتى ثورة يوليو — وثائق تاريخية عن الاحزاب والتنظيمات السياسية فى مصر ، وعن العمل والعمال فى مصر ، ويوميات ثورة ٢٣ يوليو وعن القطاع العام ، وعن التعليم فى مصر منذ عام ١٨٨٠ حتى عام ١٩٦٤ ، وقدمت وثائق حركة التحرر الوطنى فى العالم . مثل البرنامج الجديد للجبهة الوطنية لتحرير فيتنام . ووثائق عن الحركة الدستورية فى مصر من اواخر القرن الثامن عشر ، وعن مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية ، وعن جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية ، وموقف يسار ١٩١٩ [ثورة ١٩١٩] ومناقشات الجمعية الاستشارية للمجلس الاوروبى عن قضية الشرق الاوسط ، والنص الكامل لكتاب الاسلام واصول الحكم .. وعن الحلف الاسرائيلى — الالمانى الغربى من ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ، وعن دولة فلسطين المستقلة — واوراق حركة للتحرر الوطنى فى العالم .

وقد قدمت الطليعة مواثيق ثورة ٢٣ يوليو — بالدراسة والتحليل — ميثاق العمل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، وبرنامج العمل الوطنى . ولقد احتل فكر الزعيم الخالد جمال عبد الناصر مكانه بين دراسات الطليعة ، النظرية والتطبيقية .

وفى أكتوبر سنة ١٩٦٦ ، نظمت الطليعة مع مجلة السلم والاشتراكية « ندوة أفريقيا : ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية » — التى عقدت فى القاهرة — وشاركت فيها احزاب ومنظمات أفريقية ، وقادة ومفكرين عالميين . وتعد دراسات هذه الندوة مرجعا من أهم المراجع العلمية عن أفريقيا ، ودليل عمل للثوريين الافارقة فى نضالهم ضد الاستعمار القديم والحديث .. وفى مايو سنة ١٩٦٧ ، نظمت الطليعة — مع القيادة الجزائرية — ندوة الاشتراكيين ، والتى اشترك فيها ممثلو كافة المدارس الاشتراكية فى العالم العربى .. وفى مارس سنة ١٩٧٠ ، اشتركت الطليعة فى تنظيم الملتقى الفكرى العربى فى الخرطوم .

لقد رفعت « الطليعة » راية الفكر الاشتراكى العلمى ، بلا تعصب أو جمود ، وكما جاء فى أول افتتاحية للطليعة : « وهكذا فان الطليعة لا تدق الطبول لشعارات يغلفها بريق نظرى ، ولكنها غير واقعية أو علمية فى ثوريتها ، ولا تبيع كلمات كبيرة ذات رنين ، ولكنها خالية من دسم الواقع وحقائق الحياة ، وانما هى أولا وأخيرا تواجه بمنهاجها العلمى الثورى مشاكل الواقع والعصر بهدف التوصل الى مواقف وحلول جذرية ممكنة التحقيق عمليا » .

لقد عالجت « الطليعة » خلال مائة عدد ، مشاكل وقضايا الثورة العربية التحررية المعاصرة ومجموع قضايا حركة التحرر العالمية .. وكانت حريصة فى ذلك على ان تنفتح برحابة وبنظرة موضوعية على التطور الانسانى التقدمى ككل تاريخا ، واتجاهات ، وتجارب ، سواء فى نطاق

حركة التحرر الوطني العالمي — في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية — أو في نطاق الثورة الاشتراكية العالمية .

وتلقت « الطليعة » بصدر مفتوح كل آراء الثوريين والوطنيين والمناضلين من أجل حرية أوطانها ، ايمانا منها بوحدة الابداع الفكرى والحضارى لانسان القرن العشرين ، المناضلين لتحرير الانسانية من كل استغلال وقهر وتخلف .

ولقد تصدت « الطليعة » ، التزاما بمسئولياتها القومية ، لتعبر عن حركة المقاومة الفلسطينية . ورفعت راية النضال ضد الصهيونية .

لقد كانت الطليعة ، خلال المائة عدد التى صدرت منذ يناير سنة ١٩٦٥ ، حتى أبريل ١٩٧٣ منبرا للشعب الفلسطينى فى نضاله من أجل استعادة حقه المغتصب ، ومن أجل هزيمة الغزاة وتصفية الصهيونية ، باعتبارها أكثر الحركات رجعية وعنصرية ، ووريثة للنازية والفاشية ، وقاعدة الامبريالية الامريكية والاستعمار الحديث فى شرقنا العربى .

وبهذا الفهم ، تصدت الطليعة للدفاع عن المقاومة الفلسطينية وحقها المشروع فى الحركة والعمل الوطنى الفلسطينى ، باعتبارها موقع هام من مواقع حركة التحرر الوطنى العربية . وفتحت صفحاتها لفكر المقاومة الفلسطينية وقياداتها منبرا لهم يخاطبون منه الجماهير العربية والرأى العام العالمى .

وتقديرا من الطليعة لاهمية وحدة القوى الثورية العربية ، باعتبار هذه الوحدة حلقة رئيسية فى حركة الثورة العربية ، فقد أولتها اهتماما بالغا ، وفتحت صفحاتها للثوريين العرب بمختلف اتجاهاتهم ، ليعبروا عن آرائهم ، وليتفاعلوا بأفكارهم من أجل الوصول الى تحقيق هذه الوحدة ، كشرط ضرورى لانتصار الانسان العربى فى معركته ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية .

وما زالت « الطليعة » بندائها الذى وجهته على صفحات أول أعدادها :

« ان « **الطليعة** » تدعو أصدقائها بالحاح ان يغذوها بآرائهم واتجاهاتهم ، والقاء الاضواء على ما يصطدمون به فى واقعهم من مشكلات وقضايا تتطلب المواجهة والحل .. « فالطليعة » ليست فاترينة عرض لافكار مجردة ، وليست برجا عاليا من أبراج المثقفين المنعزلين عن الواقع وحياة الجماهير العاملة ، وانما هى أداة نضالية للفكر الثورى والنشاط الاشتراكى الذى يواكب ويدفع خطوات كل المناضلين والمناضلات من شعبنا فى عملهم اليومى الخلاق للحياة الجديدة » .

● جمهورية مصر العربية ●

سياسة الحكومة الجديدة
فى مرحلة المواجهة الشاملة

● المغرب ●

ملكية الاجانب للاراضى الزراعية
خطوة لتغييرها كل ٩ سنوات

● تركيا ●

بقيت المشاكل
رغم انتخاب الرئيس

● فرنسا ●

مساعدو الرئيس بومبيدو
فى المناصب الرئيسية للحكومة

● الصين ●

علاقات دبلوماسية
مع الولايات المتحدة



■ جمهورية مصر العربية

سياسة الحكومة الجديدة في مرحلة المواجهة الشاملة

أكد **الدكتور عبد القادر حاتم** نائب رئيس مجلس الوزراء فى الحكومة الجديدة التى يرأسها **الرئيس أنور السادات** منذ ٢٨ مارس الماضى ، أكد فى البيان الذى ألقاه أمام مجلس الشعب مقدما للمجلس سياسة الحكومة ، أن هذه السياسة تقوم على مبادىء أساسية مستمدة من ثورة ٢٣ يوليو ومن الميثاق وبيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى والدستور .

حصيلة الجهود الدبلوماسية

وأعلن الدكتور حاتم فى بيان الحكومة أمام مجلس الشعب ـ أن الحكومة تضع أمام جماهير الشعب وممثليه حقيقة استخلصتها من التحركات السياسية التى بذلتها خلال الاسابيع الماضية ـ هذه الحقيقة « تجعل من المرحلة القادمة ـ مرحلة حياة أو موت وهى أنه لم يعد أمامنا الا أن نحمل السلاح دفاعا عن الحق والمسئوليات التى يلقيها علينا واجبنا ازاء وطننا والاراضى العربية كلها » .

وأكد سيادته على أن الحكومة تواصل تركيز الجهود السياسية والدبلوماسية المكثفة من أجل تحقيق تحرير الارض العربية وتأمين حقوق الشعب الفلسطينى .

وفى سبيل استكمال هذه الخطة دعت الحكومة مجلس الامن الدولى لمناقشة كاملة لازمة الشرق الاوسط من خلال دراسة كاملة وافية لكل قرارات الامم المتحدة وما تم فيها منذ يونيو ١٩٦٧ حتى الان .

وعن حصيلة جهود مصر الدبلوماسية خلال شهرى فبراير ومارس الماضيين ـ أكد الدكتور حاتم « **استمرار تعميق موقف الصداقة والتأييد لشعوب وحكومات الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية** » ودول عدم الانحياز فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، والتطور المستقل لمواقف دول أوروبا الغربية التى ترتبط مصالحها وأمنها بالسلام فى الشرق الاوسط ـ كما أوضحت هذه الجهود « **أن حكومة الولايات المتحدة الامريكية تتعاطف مع سياسة اسرائيل وتستمر فى تدعيم قدراتها مع اعتراضها المتردد فى السيادة على أرضنا** » .

خطة التعبئة الشاملة

وبرنامج الحكومة تجاه المعركة يتمثل فى « **التعبئة الشاملة الكاملة لكافة الموارد المادية** والبشرية التى تكفل خوض معركة الكرامة والواجب ـ على أساس الالتزام التام بالمبدأ الذى أعلناه من أنه **لا تسليم فى شبر واحد من أرضنا العربية ولا تفريط فى حقوق شعب فلسطينى** » .

ويمكن تلخيص الاتجاهات الاساسية فى بيان الحكومة فى النقاط التالية :

احتياجات القوات المسلحة :

١ ـ ● الحرص التام على توفير متطلبات القوات المسلحة من الانتاج الحربى وذلك باستخدام وتطوير القاعدة الصناعية المتاحة فى خدمة الانتاج الحربى المتكامل وتعبئة كل الامكانيات لخدمة هذا الغرض من دعم التعاون فى هذا المجال مع كل من يستطيع معاونتنا من دول العالم .

الانتاج الصناعى :

٢ ـ ● وضع خطة شاملة فى مجال الامن الصناعى والدفاع المدنى عن المنشآت والافراد تكفل استمرار الانتاج أثناء المعركة مع الاهتمام بالالتزام بخطة الدولة فى ضرورة التركيز على زيادة الانتاج لمواجهة متطلبات مرحلة المواجهة ولتحقيق أهداف التصدير .

٣ ـ ● **الاسراع فى استكمال مشروعات** الانتاج الصناعى التى تزيد من الانتاج السلعى الصناعى وعلى الاخص فى مجال الصناعات الثقيلة كمجمع الحديد والصلب والالومنيوم والفيروسيليكون .

فى مجال الانتاج الزراعى :

٤ ـ ● **الاتجاه الى التصنيع الزراعى والتوسع فى الميكنة الزراعية فى مناطق الانتاج حيث تخصص مساحات لزراعة المحاصيل غير التقليدية على أن يتم تحويل هذه المناطق الى مجمعات زراعية صناعية وتحديد الاسلوب الامثل لاستغلال الارض لتبقى مزارع الدولة فى المساحات الكبيرة هى الامل المرجو لزيادة الدخل القومى ، وليتم التصرف فى المساحات المتناثرة بالبيع أو** التأجير للحد من الانفاق وتوسيع قاعدة الحيازات الصغيرة باتاحة الفرصة للمواطنين للاسهام فى استزراع الاراضى على أن تجمع بينهم جمعيات تعاونية زراعية .

٥ ـ ● اعادة النظر فى العلاقات السعرية للمحاصيل الزراعية بما يحقق التوازن فيما بينها .

سياسة نقدية مرنة :

٦ ـ ● تتبع الحكومة سياسة مالية ونقدية أكثر مرونة تراعى فيها دعم الموارد التالية المالية المتاحة

المتوفرة من النقد الاجنبى مع اتاحة الفرصة زدياد دعم الموارد الخارجية العربية والاجنبية نبا الى جنب مع رأس المال الوطنى وفى هذا اتجاه ستعمل الحكومة على :

ا ـ اعطاء دفعة كبيرة للبنك المصرى الدولى دعم موارده المحلية والعربية والاجنبية وافتتاح فروع له فى الخارج .

ب ـ تتخذ الحكومة الاجراءات الفعالة لتنفيذ قانون استثمار المال العربى والاجنبى جنبا الى جنب مع رأس المال الوطنى فى المشروعات السياحية المختلفة .

جـ ـ التركيز على تنفيذ مشروع المناطق الحرة وقد اتخذ مجلس الوزراء قرارا بانشاء منطقتين حرتين فى الاسكندرية والقاهرة واتخذت هيئة استثمار المال العربى والاجنبى قرارات بشأن اعتماد بعض المشروعات فى هاتين المنطقتين .

د ـ الترخيص للقطاع الخاص باستخدام جزء من حصيلة تصدير منتجاته بالعملات الاجنبية فى توفير احتياجاته مباشرة ، وفقا للانتاج ولتحقيق اهداف التصدير بدون اية قيود .

توزيع اعباء المعركة وحل مشاكل الجماهير :

٧ ـ تحقيق عدالة توزيع اعباء المعركة لتحقيق المشاركة الشاملة فى هذا الواجب لكل المصريين ـ والوقوف بحزم تجاه بعض مظاهر التسيب واللامبالاة والانحراف والتهرب من المسئولية .

وفى هذا المجال اكد الدكتور حاتم ان العاملين فى الحكومة والقطاع العام تحملوا عبء الضرائب عن طواعية ، وشاركهم بعض المهنيين واصحاب الاعمال ـ وان الحكومة سوف تعمل على ان يتحمل باقى المواطنين واجبهم كاملا تجاه المعركة المصيرية .

٨ ـ العمل الدائب لحل مشاكل الجماهير مع تحديد فترات لحل هذه المشاكل بدءا بالعاجل الملح الذى يتعلق بالحاجات الاساسية للشعب .

وفى هذا الاتجاه اصدر مجلس الوزراء قرارا باعفاء صغار ملاك الاراضى الزراعية فيما عدا الاراضى المزروعة حدائق مثمرة ـ الذين لا تزيد ملكيتهم على ثلاثة افدنة من كافة الضرائب الاصلية والاضافية ويبلغ عدد صغار الفلاحين المستفيدين من هذا القرار نحو ثلاثة ملايين فلاح .

وتقرر كذلك العمل على تثبيت تكاليف المعيشة بما يتناسب مع الدخول المحددة واحكام الرقابة على انسياب السلع واسلوب توزيعها للقضاء على اية مظاهر تستهدف الاستغلال او التلاعب .

كما اعلنت الحكومة عن اتجاهها لتوسيع نظام التأمينات الاجتماعية تدريجيا ليشمل كافة العاملين خصوصا العاملين فى الزراعة والصرفيين واصحاب الاعمال المهنية .

كما تقرر التوسع فى عمليات اقراض البنوك لاغراض البناء بضمان الاراضى توفيرا للنقد اللازم لتشجيع عمليات الاسكان .

واعلن الدكتور حاتم فى ختام بيانه ان مجلس الوزراء قد اعتمد ٥٦٫٥ مليون جنيه اضافية من العملات الصعبة زيادة عن الاعتمادات المقررة وذلك لتوفير مواد التموين والادوية والاسمدة والمبيدات والاعلاف والذرة .

اعادة ترتيب الاوضاع الداخلية

وكان الرئيس السادات قد اعلن امام المؤتمر المشترك للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ومجلس الشعب ، فى آخر مارس ان البلاد دخلت مرحلة جديدة هى « **مرحلة المواجهة الشاملة** » وان ذلك يتطلب اعادة ترتيب الاوضاع الداخلية ـ والقضاء على حالة التسيب السياسى الذى انتجته صراعات المؤسسات واستغلال الديمقراطية .

وزارة جديدة لمرحلة المواجهة الشاملة :

وتولى الرئيس السادات رئاسة الوزارة الجديدة الى جانب منصبه كرئيس للجمهورية وشكل الحكومة من ٤ نواب للرئيس و ٣٢ وزيرا من بينهم ثمانية عشر وزيرا دخلوا الوزارة لاول مرة ـ وفى التشكيل الجديد للوزارة أنشئت وزارة للتأمينات ووزارة دولة لامانة الحكم المحلى ووزارة للبترول والثروة المعدنية ، ووزارة دولة لمجلس الشعب ووزارة منفصلة لشئون الازهر

وفى أول اجتماع للوزارة الجديدة برئاسة السادات تحدث سيادته للوزراء عن « ان التغيير الذى تم لبدء معركة المواجهة اساسه ان يعمل مجلس الوزراء ومجلس الشعب والاتحاد الاشتراكى كفريق متعاون دون اية تناقضات أو رجوع للوراء . وقال الرئيس فى حديثه للوزراء ان الشعب يشكو من مسائل كثيرة وعلى الوزراء ان يقوموا بمعالجة هذه المشاكل بأنفسهم ـ واعطى لكل وزير مهلة شهرين لحل مشاكل الشعب .

واعطى الرئيس السادات اهتماما خاصا لموضوع نقص تكاليف نفقات المعيشة على المواطنين وطالب بأن تجرى لاى موضوع دراسة دقيقة .

المساءلة الدستورية فى الوضع الجديد :

وعلى ضوء ما قرره الرئيس السادات من أن يتولى بنفسه رئاسة مجلس الوزراء شكلت لجنة خماسية من اعضاء المؤتمر المشترك لمجلس الشعب واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى لوضع الضوابط الدستورية واقر مجلس الشعب النتائج التى توصلت اليها اللجنة والتى تتلخص فى أنه « من المتصور ان يرغب رئيس الجمهورية فى ممارسة

حقه فى دعوة مجلس الوزراء وتكون له رئاسته طبقا للمادة ١٤٢ او المشاركة بصفة مستمرة فى وضع السياسة العامة للدولة والاشراف على تنفيذها (م ١٤٢ ايضا) ويجمع فى هذه الحالة بين رئاسة الدولة ورئاسة مجلس الوزراء .

ولما كانت صفة رئيس الدولة تجب صفته كرئيس لمجلس الوزراء - وبوصفه رئيسا للدولة لا يمكن مساءلته سياسيا امام المجلس النيابى ومن ثم لا يمكن اعمال الجزء الخاص بمسئولية رئيس مجلس الوزراء الذى تتضمنه هذه المواد اذا كان رئيس مجلس الوزراء هو رئيس الدولة ويساءل عنها الوزراء مسئولية فردية وتضامنية امام مجلس الشعب - اى يظل مجلس الشعب محتفظا بكافة حقوقه الدستورية فى مساءلة نواب رئيس الوزراء والوزراء عن السياسة العامة للدولة وعن اعمالهم فى وزاراتهم ، ورأت اللجنة ان يتضمن القرار الجمهورى الصادر بتشكيل مجلس الوزراء اختيار احد نواب رئيس مجلس الوزراء ليشرف على اجتماعات المجلس عند غياب رئيس الجمهورية - ويكون تحريك المسئولية التضامنية للوزراء باستجواب يوجه الى هذا النائب - ويكون هو الذى يلقى البيانات الخاصة بالسياسة العامة لمجلس الوزراء .

وعلى هذا الاساس : تضمن القرار الصادر بتشكيل الوزارة الجديدة برئاسة الرئيس السادات ، تضمن تكليف الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء لشئون الثقافة والاعلام ، بمسئولية رئاسة اجتماعات الوزارة فى غياب الرئيس السادات وأن يلقى بيان الحكومة أمام مجلس الشعب .

اعادة تنظيم رئاسة الجمهورية

ومن بين ما اتخذ من ترتيبات لمواجهة الوضع الجديد اعادة ترتيب رئاسة الجمهورية ، وانشاء ديوان لرئاسة الجمهورية برئاسة السيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس لشئون الامن القومى ، وتبع ذلك عدة تعيينات فى المناصب الرئيسية بالرئاسة .

ممدوح سالم نائبا للحاكم العسكرى العام :

وأصدر الرئيس السادات قرارا بتعيين رئيس مجلس الوزراء حاكما عسكريا عاما ، والسيد ممدوح سالم نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية نائبا للحاكم العسكرى العام ، مع تخويله اتخاذ ما تتطلبه الظروف من التدابير المنصوص عليها فى قانون الطوارىء والتى كانت معلنة منذ عام ١٩٦٧ .

اعادة تشكيل الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى :

وتم انتخاب الدكتور حافظ غانم أمينا أول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى خلفا للمهندس سيد مرعى الذى عين مساعدا لرئيس الجمهورية .

واعيد تنظيم الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى بعد تعيين الاستاذين عثمان اسماعيل وحامد محمود أعضاء الامانة السابقين فى مناصب محافظين والغاء منصبى الامينين الاولين المساعدين .

وحدد الدكتور حافظ غانم الامين الاول للجنة المركزية دور التنظيم السياسى فى هذه المرحلة من الناحية السياسية ، ولتحدد مسئولية كل عضو فى الاتحاد الاشتراكى ومدى استعداده للقيام بهذه المسئولية قبل وأثناء المعركة .

وطالب الامين الاول كل أمانة متخصصة (١١ امانة) أن تضع خطة عملها فى مرحلة المواجهة الشاملة .

وبدأ فى عقد مؤتمرات شعبية يحضرها الوزراء الى جانب اعضاء الامانة ، وأعضاء مجلس الشعب لايجاد تلاحم بين القيادات السياسية وشرح تطورات الموقف للجماهير .

مجلس الشعب ودوره فى المرحلة الجديدة :

كان الرئيس السادات قد طالب مجلس الشعب من خلال الاجتماع المشترك للمجلس مع اللجنة المركزية أن يتخذ الاجراءات اللازمة لاصدار قانون المدعى العام الاشتراكى ، بحيث يكون هذا القانون اداة لحماية المجتمع ، وكذلك قانون اعادة توزيع أعباء المعركة توزيعا عادلا بحيث أن كل من توافرت له مزايا أكثر يتعين عليه أن يضحى تضحية أكبر .

وشهد المجلس على امتداد الاسابيع الاربعة الماضية ، نشاطا واسعا ، وعقدت اللجنة الدائمة والمكتب السياسى واللجنة الاقتصادية لمجلس الشعب سلسلة من الاجتماعات .

واعدت أمانة اللجنة الدائمة تقريرا وافيا طرحته على اللجنة الدائمة ودعت فيه الى اعادة تخطيط تجارتنا الخارجية واعادة توزيعها على أسواق الكتلتين الشرقية والغربية وأسواق الدول العربية ، ودعت لتشجيع استثمار رأس المال العربى والاجنبى وكذلك تدعيم المناطق الحرة وضرورة تشجيع القطاع الخاص فى اطار الميثاق ليقوم بدوره ، لان اقباله على الاستثمار يشجع القطاع الخاص العربى على توجيه استثماراته الى مصر ، وطالبت اللجنة باعادة الاتصال مع الدول الغنية ، والمنظمات الدولية التى تمنح المعونات

الاقتصادية حتى يمكن زيادة نصيب الفرد في مصر من المعونات من ٣ر٥ دولار الى ٥ر٩ دولار سنويا ، وهو المتوسط الذى يحصل عليه الفرد في الدول النامية .

وطالبت اللجنة بأن يتحمل أصحاب الدخول الكبيرة عبئا ضريبيا تصاعديا تزيد نسبته على ما يتحمله اصحاب الدخول المحدودة او الصغيرة ، أما الدخول الطفيلية فقد طالبت الامانة بضرورة حصر نوعياتها في كافة المجالات واخضاعها للضريبة مع اتخاذ كافة الاجراءات التى تمنع هذه الدخول . وطالبت باعادة دراسة أسعار السلع الاساسية التى يستهلكها أصحاب الدخول المتوسطة وتخفيضها وفرض رسم انتاج على السلع التى يستهلكها ذوى الدخول الكبيرة ، كالسيارات والتبغ والمشروبات الروحية والمشغولات الذهبية وبنزين السيارات والاقمشة الحريرية والصوفية والاحذية الفاخرة .

وبالنسبة للقانون الخاص بالمدعى العام الاشتراكى ، فقد صرح الدكتور جمال العطيفى وكيل المجلس ، ان هذا التشريع يجب أن يعالج بمنتهى الحرص للمحافظة على المبادىء التى كفلتها حركة التصحيح فى ١٥ مايو وما نص عليه الدستور فيما يتعلق باستقلال القضاء وحماية المجتمع ، وسوف تجرى مناقشة التشريع على ضوء المشروعات المقدمة من المدعى العام الاشتراكى ومن بعض أعضاء اللجنة التشريعية وما تقدمه وزارة العدل بعد الرجوع للمجلس الاعلى للقضاء .

وفى أوائل مارس الماضى ، وافق مجلس الشعب على واحد من أهم القوانين التى صدرت ، وهو المشروع بقانون المقدم من العضو اسماعيل معتوق ، والذى يقضى برد جميع الاراضى الزراعية التى كانت موقوفة على جهات البر الى الهيئة العامة للاوقاف لتقوم باستغلالها وتسليم الحصيلة لوزارة الاوقاف لتصرف منها على تنفيذ شروط الواقفين .

وقرر المجلس أن يقتصر الرد على الاراضى التى لم يتم التصرف فيها ، أما التى تم توزيعها على الفلاحين بواسطة هيئة الاصلاح الزراعى فيعاد تقييمها على أساس مائة ضعف للضريبة المقررة على الفدان بدلا من سبعين ضعفا المقررة فى قانون الاصلاح الزراعى على أن تتحمل الحكومة الفرق .

وكانت هذه الاراضى قد سلمت للهيئة العامة للاصلاح الزراعى بمقتضى قرار جمهورى صدر عام ١٩٦٢ نص على تسليم الاعيان التى تديرها وزارة الاوقاف الى الهيئة العامة للاصلاح الزراعى لتتصرف فيها وفقا لاحكام قانون الاصلاح الزراعى على أن تؤدى الهيئة العامة للاصلاح الزراعى لوزارة الاوقاف سندات بقيمة الاراضى مقدرة على أساس قانون الاصلاح الزراعى أى سبعين مثلا للضريبة المقررة فى ذلك الوقت ، كما تؤدى اليها مقابل ربع هذه السندات بواقع ٤ فى المائة سنويا .

وجرت فى اجتماع الهيئة البرلمانية وبحضور الامين الاول وأعضاء الامانة مناقشة صريحة للعلاقة بين أعضاء مجلس الشعب وقيادات التنظيم السياسى . انتقد أعضاء الهيئة البرلمانية العلاقات السائدة بين قيادات الاتحاد الاشتراكى وأعضاء مجلس الشعب فى مناطقهم . مؤكدين على أن التنظيم السياسى لم يستطع استيعاب القيادات الشابة وأن هناك شللية تهدد بنشوء مراكز قوى جديدة ، وأن أمناء الاقسام والمحافظات يكنون عداء لاعضاء مجلس الشعب ولا يشركونهم فى اى عمل ، وان هناك قصورا شديدا فى العمل وأن دور الاتحاد تحولت الى مجرد مكاتب ادارية بيروقراطية . وقدم بعض الاعضاء نماذج لتجارب ناجحة فى مناطقهم أمكن تخطى الحساسيات بين الطرفين . ووعد الدكتور حافظ غانم بدراسة كل الاقتراحات ، وعقد اجتماع آخر لاستكمال المناقشة .

●●●

مناقشات واسعة
حول القضاء الشعبى

طرح الرئيس أنور السادات بين ما طرح من مهام ـــ أمام الوزارة الجديدة ـــ مشكلة تكدس القضايا أمام المحاكم ـــ وما يؤدى اليه ذلك من اضرار بمصالح المواطنين ـــ ودعا سيادته لبناء نظام قضائى جديد « يبنيه اهل المهنة ليحصل كل مواطن من هذا الشعب على العدالة بأسرع ما يمكن » .

فمن المعروف أن عدد القضايا المطروحة أمام المحاكم يبلغ ٨١٧ الف قضية ، بينما لم يزد عدد القضاة عن ٨٩٦ قاض بالاضافة الى ٣٨٥ مستشارا بمحاكم الاستئناف و٤٨ مستشارا بمحكمة النقض . وهذا العدد من القضاة والمستشارين لم يزد كثيرا عما كان عليه عام ١٩٤٠ ـــ رغم زيادة السكان بالجمهورية بنسبة الثلث تقريبا ـــ مما ترتب عليه أن بعض القضاة ينظر أحيانا نحو ٣٥٠ قضية فى الجلسة الواحدة وان الوقت القضايا يمتد نظرها أمام المحاكم لسنوات عديدة .

وخلال البحث عن وسائل لحل مشكلة تكدس

القضايا ، وعلى ضوء ما اكده الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية من الحاجة للقضاء الشعبى واسهام الشعب فى القضاء ــ دارت مناقشات واسعة حول موضوع اشراك الشعب فى القضاء فى مصر ــ فالى جانب الندوات والمناقشات فى الصحف والمجلات وأجهزة الاعلام والتى أسهم فيها عدد غير قليل من رجال القانون والمتخصصين ــ فقد عقدت الجمعيات العمومية لمحاكم الاستئناف لمناقشة القضاء الشعبى . كما ناقشته اللجنة التشريعية لمجلس الشعب على ضوء دراسات واسعة تاريخية وقانونية ومقارنة ــ ويعكف خبراء وزارة العدل على بلورة كل هذا وتجسيده فى نتائج محددة .

ومن حيث المبدأ فان هناك اتجاهان واضحان ــ اتجاه يؤيد الاخذ بنظام القضاء الشعبى ــ واتجاه يعارضه ــ وفى داخل الاتجاه المؤيد للاخذ بنظام القضاء الشعبى ــ هناك اتجاهان أيضا ــ اتجاه يرى الاخذ بنظام المحلفين ــ واتجاه آخر يرفض نظام المحلفين ويطرح فكر ــ الاخذ بنظام المشاركة .

كما أن الاتجاه الغالب بين المؤيدين للاخذ بنظام القضاء الشعبى هو الحذر والتدرج فى التطبيق ــ والتركيز على الضوابط وتوفير الضمانات .

ويرى المؤيدون لاشتراك الشعب فى القضاء لا يرتبط بالضرورة بنظام سياسى او اجتماعى معين ــ بل هو يعبر عن مبدأ سليم من مبادىء التنظيم القضائى مأخوذ به فى بلاد اشتراكية وبلاد راسمالية ــ والاخذ به يكفل تحقيق

تعليق

أول مايو ١٩٧٣

تحتفل الطبقة العاملة العالمية ــ بعيد أول مايو ــ عيد نضالها ضد النظام الراسمالى ، هذا النضال الذى يزداد احتداما وحدة فى مواجهة الاحتكارات الدولية ومجمل النظام الامبريالى .

وفى خلال العام الماضى ازداد حجم المعارك العمالية التى خاضتها الطبقات العاملة فى البلدان الراسمالية ، ففى بريطانيا اشترك ٣٥٣ر١ر٠٠٠ عامل فى ١٧٩٥ اضرابا خلال الشهور التسعة الاولى من عام ١٩٧٢ ، وبلغ عدد أيام التوقف عن العمل ٢٢ر٢٠٠ر٠٠٠ يوم عمل . وفى فرنسا ، قام العمال الفرنسيون بـعشرة آلاف اضراب خلال ثلاثة اعوام بلغت خلالها أيام العمل الضائعة ٧ر٨ مليون يوم عمل وفى ايطاليا ، زاد عدد الاضرابات وعدد المشاركين فيها بحيث شملت مدنا باكملها مثل ميلانو ونابلى وفلورنسا وترافيزو وباليرمو . وفى اسبانيا اشترك اكثر من ٢٠٠ الف عامل فى ٦١٦ اضرابا فى الفترة من يناير الى نوفمبر ١٩٧٢ . وفى الولايات المتحدة اشترك ١ر٧٠٠ر٠٠٠ عامل فى ٥١٠٠ اضراب ، وشهدت البلاد اطول اضراب فى تاريخ الولايات المتحدة ، اضراب عمال الموانىء فى الساحل الغربى والذى استمر لمدة ١٣٤ يوما

لقد شملت المعارك الطبقية مجموعة كبيرة من البلدان منها المانيا الاتحادية وبلدان امريكا اللاتينية وبلجيكا ولبنان والنمسا واستراليا وهولندا واسرائيل والبلاد الاسكندنافية .

ولقد اكدت معارك عام ١٩٧٢ ــ ان مهمة تحسين ظروف معيشة الطبقات العاملة فى هذه المرحلة من الثورة العلمية والتكنيكية وفى اوضاعها رأسمالية الدولة الاحتكارية ــ هى مهمة كل صنوف العاملين فقد شملت الاضرابات العمالية المستخدمين والطلبة والعلميين والمدرسين وفئات العاملين الاخرى التى لا ترتبط مباشرة بانتاج السلع المادية .

ولقد تميزت معارك ١٩٧٢ بازدياد نضال الطبقة العاملة السياسى ضد القوانين المعادية للعمال ، وضد النشاط العدوانى للامبريالية ، ضد الحرب القذرة فى الهند الصينية ، وضد العدوان الامبريالى الصهيونى على البلدان العربية وازداد نضالها من اجل تخفيف حدة التوتر الدولى ونزع السلاح الشامل ، ومن اجل الديمقراطية والسلام .

ولقد تمكنت الطبقة العاملة العالمية خلال عام ١٩٧٢ من مواجهة هجوم الراسمالية المضاد والتجائها بصور متزايدة للبطش بالطبقة العاملة ولم تنجح الراسمالية على اجبار الطبقة العاملة لالتزام موقف الدفاع .. فقد ازداد التقدم نحو وحدة الطبقة العاملة فى نضالها بغض النظر عن اتجاهاتها الايديولوجية وتباين انتماءاتها السياسية . وقد اكدت هذه المعارك زيف المزاعم الاصلاحية والانتهازية عن تخفيف حدة الصراع الطبقى فى عصر الثورة العلمية والتكنولوجية وعن امكان اقرار سلام اجتماعى والتقليل من الدور الذى تمارسه الطبقة العاملة فى تطوير المجتمع البشرى المعاصر .

لقد اكدت معارك ١٩٧٢ : أولا : اصرار العمال فى الدفاع عن مصالحهم بمختلف الاشكال ضد كل اشكال الاستغلال الراسمالى وضد اتحاد الاحتكارات وازدياد حدة استغلالها للطبقة العاملة والكادحين . ثانيا : ان معارك ١٩٧٢ ــ اكدت اهمية الوحدة النقابية على النطاق القومى وعلى

الانسجام بين الاحكام ومشاعر الجماهير والتعبير عن روح الشعب ورغباته ـ كما أن الاخذ به يدرب المواطنين العاديين الذين يدعون للاشتراك فى القضاء على مسئوليات اتخاذ القرارات وغرس روح الخدمة العامة فيهم .

ويرى بعض المؤيدين أن القضاء الشعبى يعتبر تطبيقا لوضع السلطة كلها فى يد الشعب ، وان اشتراك الشعب فى القضاء يخلص القضاة المتخصصين من المرض الذى يتعرض له معظم رجال العلم وهو اقامة هالة حولهم تحجب عنهم تفكير الشخص العادى ـ وهذا يؤدى الى تدعيم ثقة المواطنين بالقضاء ويعلمهم احترام القانون .

ويرى المؤيدون انه قد أصبح من الضرورى أن يوجد فى نظامنا القضائى من يتولى حسم المنازعات البسيطة العاجلة التى لا تحتمل اجراءات ولا مواعيد ـ وان فكرة القضاء الشعبى موجودة فى الشريعة الاسلامية وبشكل أساسى فى الاحوال الشخصية كما أن هناك تجارب سابقة وهى الاخذ بنظام المحلفين فى قانون فرض الحراسة رقم ٧١/٢٤ ـ كما أخذ به فى قانون المرافعات بخصوص مجالس الصلح الذى نصت عليه المادة ٦٤ ـ واخذ به على مستوى التحكيم فى منازعات القطاع العام ـ وعلى مستوى التدخل فى الدعوة فى قضايا التحكيم الخاصة بمنازعات العمل الجماعية .

وفى بلادنا كانت هناك محاكم الاقطاط وبها القضاة المختارون من بين أفراد الشعب ولجان

النطاق الدولى لمواجهة التركيز الدولى الجديد للاحتكارات . ان الطبقة العاملة وهى موحدة قوميا وعالميا تملك الوسائل الكفيلة لتحقق انتصارها على الراسمالية . ثالثا : ان مجمل نضالات عام ١٩٧٢ ـ قد ادت الى كشف المزاعم البورجوازية عن التعاون الطبقى .

وتحتفل الطبقة العاملة ـ العالمية ـ بعيد أول مايو ١٩٧٣ ـ وقد انتصر شعب فيتنام على الامبريالية الامريكية وعدوانها ـ وجاء اليوم الذى قال عنه الرئيس هو تشى منه فى عام ١٩٦٦ ، « يمكن ان تمتد الحرب الى خمسة أعوام اخرى وعشر اعوام وعشرين واكثر ويمكن ان تهدم هانوى وهايفونج وغيرهما من المدن ولكن شعب فيتنام لا يرعبه ذلك . فليس هناك ما هو اعز واثمن من الاستقلال والحرية . وفى يوم النصر سيعيد شعبنا بناء البلاد اكبر واجمل مما كانت »

ومع اول مايو ١٩٧٣ ـ سيزداد النضال العمالى الموحد ضد العدوان الامبريالى الصهيونى على بلادنا العربية وعلى حقوق شعب فلسطين وضد الاستفزازات البشعة التى تمارسها اسرائيل فى ظل حماية الامبريالية الامريكية ضد البلدان العربية . أن الطبقة العاملة العربية مدعوة لتزيد من نضالها من اجل معركة التحرير وهزيمة النازية الجديدة ـ اسرائيل . ومن أجل ضرب المصالح الامريكية والامبريالية والرجعية فى المنطقة ، ومن اجل دعم النظم التقدمية والوطنية وحمايتها .

ومع اول مايو ١٩٧٣ يزداد النضال من اجل الوحدة النقابية الدولية ـ فقد حقق النضال من اجل الوحدة النقابية العالمية ـ تطورا كبيرا . ففى ٢٦ فبراير الماضى التقت وفود رسمية تمثل الاتحاد العالمى للنقابات والاتحاد الدولى للنقابات الحرة والاتحاد العالمى للعمل واتحاد نقابات عموم افريقيا والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب والاتحاد النقابى الافريقى ، والاعضاء المندوبون عن العمال فى مجلس ادارة مكتب العمل الدولى فى أول اجتماع للجنة التحضيرية للمؤتمر النقابى العالمى ضد التفرقة العنصرية .

وشهدت سانتياجو عاصمة شيلى من ١٠ الى ١٥ ابريل الماضى اجتماعا لجميع نقابات العالم ـ تلبية لدعوة عمال شيلى معلنة تصميم الطبقة العاملة العالمية على خوض معركة أقوى وافضل تنسيقا ضد الشركات المتعددة الجنسيات . ان جميع نقابات العالم يتزايد اهتمامها بالنضال ضد العواقب السيئة الناجمة عن انتشار الشركات الاحتكارية العملاقة وآثارها الضارة على الطبقة العاملة والشعوب الكادحة .

وتستعد الطبقة العاملة العالمية لابراز ارادة وحدتها فى النضال من اجل حياة افضل ـ ومن اجل ديمقراطية للشعوب ومن اجل سلام للعالم ـ فى المؤتمر النقابى العالمى الثامن الذى سيجتمع فى أكتوبر القادم فى صوفيا .

ان الطبقة العاملة العالمية تحتفل بأول مايو فى ظروف أكثر ملاءمة من اجل تحقيق وحدة نقابية دولية .

عبد المنعم الغزالى

شئون العربان التى كانت تتولى الحكم والفصل فى شئون قطاعات معينة من الشعب .

ويرى المعارضون « ان القضاء الشعبى ليس مظهرا حقيقيا للديمقراطية » — وانه لا حاجة الى قاض شعبى — لان القاضى المتخصص هو ايضا من الشعب — وان تفهم التطورات الاجتماعية والسياسية يمكن أن يتم عن طريق التثقيف السياسى للقضاء . وهو تثقيف سيكون لازما أيضا بالنسبة للاشخاص غير المتخصصين الذين يشتركون فى القضاء .

ويرى المعارضون ضرورة عدم الاخذ عن تجارب الدول الاخرى لان ظروفنا تختلف من حيث الثقافة والبيئة والامكانيات — الى جانب أن هناك جدلا واسعا حول نظام المحلفين واستمراره حتى فى الدول التى أخذت به من زمن طويل وفى عديد من تلك الدول شكاوى .

ويرى المعارضون للاخذ بنظام القضاء الشعبى — ان تجربة محاكم الاقطاط قد فشلت — كما فشل نظام العدول فى المحاكم التجارية المختلفة — كما فشلت المجالس الحسبية — وهناك تجربتين جديدتين لم يثبت نجاح اشتراك العنصر الشعبى فيهما — وهما فض المنازعات الزراعية ولجان المراجعة — وكذلك الغى المشرع لجان تقدير المساكن التى كان يرأسها قاض واحد كل التظلمات الى المحاكم .

ويرى المعارضون أن هذا الفشل لا يحتمل الا تفسيرا واحدا هو أن غير المتخصصين فى القانون لا يصلحون للاشتراك فى القضاء .

وبين المؤيدين للاخذ بنظام القضاء الشعبى — هناك اتجاه واسع وقوى بضرورة الاقتراب بحذر والتدرج فى التطبيق ، بحيث اذا نجحت تجربته فى الموضوعات التى يبدأ فيها يعمم فى باقى المنازعات سواء كانت جنائية أو مدنية — ويرى البعض أن القضاء الشعبى يجب الا يتعدى القضايا قليلة الاهمية سواء من ناحية قيمتها المدنية أو من ناحية تكيفها جنائيا مثل مخالفات التطعيم والنظافة والباعة الجائلين والتشرد .

والاتجاه الغالب حتى الان هو عدم الاخذ بنظام المحلفين — والاخذ بنظام المشاركة . بمعنى اشتراك قضاة شعبيين مع القضاة المتخصصين .

ويرى البعض انه يمكن أن تكون صورة القضاء الشعبى بالعودة الى نظام المحاكم المركزية التى يقوم بالفصل فى قضاياها مأمور القسم واثنان من أعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى

ويرى البعض الاخر امكانية الاخذ بنظام المساهمة الشعبية فى القضاء العمالى — بتحويل اللجان الثلاثية فى مشروع قانون العمل الى الاخذ بهذا النظام — وكذلك الشأن فى لجان الفصل فى منازعات ايجار الاراضى الزراعية — ورأى يدعو الى اضافة عضوين مختصين بشئون العمال والتأمين الاجتماعى الى دوائر المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف التى تنظر فى منازعات قانون العمل وقانون التأمينات الاجتماعية.

ويدعو فريق آخر لامتداد ذلك الى القضاء التأديبى والاصلاح الزراعى ، وايجار الاماكن وقضاء الاحوال الشخصية — على الا ينفرد المحلفون فى هيئة قضاء شعبى بادارة العدالة ، بل يجب أن يشترك معهم القاضى المتخصص — على أن يستقل القاضى المتخصص وحده بالفصل فى الدفوع وفى أوجه الدفاع القانونية .

ويرى غالبية المؤيدين للاخذ بنظام للقضاء الشعبى أن هناك مواد لا تسمح بنظام المساهمة الشعبية وهى طعون النقض — طعون الادارة العليا — تحكيم القطاع العام — طعون الضرائب — القضاء العسكرى — القضاء الاستئنافى — القضاء المدنى والتجارى .

وهناك اجماع على أهمية التشدد فى تحديد الضوابط التى يتم على أساسها اختيار القضاة الشعبيون وتوفير ضمانات كثيرة اهمها اشتراط الحصول على مؤهل جامعى والثقافة والامانة والكفاءة والتزام الحيدة بين الخصوم — ويقترح فى هذا الشأن أن تقوم المنظمات الجماهيرية [النقابات العمالية والمهنية والجمعيات والاتحادات والغرف التجارية والصناعية والجمعيات التعاونية الزراعية] بالترشيح — وان يتم التعيين بقرار من وزير العدل وان تكون هناك جداول فرعية معدة سلفا كل عام فى دائرة كل محكمة تحت اشراف وزارة العدل .

● ●

■ لبنان

« جريمة بيروت » : المسئولية

.. وسؤال « الشارع »

ما زالت أصداء الهجوم الاسرائيلى على مدينتى بيروت وصيدا اللبنانيتين فى فجر اليوم العاشر من شهر ابريل الماضى ، والذى ذهب ضحيته ثلاثة من أبرز قادة المقاومة الفلسطينية ، وقتل ١٣ لبنانيا وفلسطينيا واصابة ٢٩ آخرين بجراح ، ما زالت تثير ردود فعل واسعة فى أوساط الرأى العام العربى ، وتهز مشاعر الامة العربية من أقصاها الى أقصاها . ذلك أن تصور ، تسلل قوات

عسكرية اسرائيلية الى شوارع وأحياء عاصمة عربية ، وتدخل المنازل وتصل الى من تريد اغتياله من المواطنين ، وتهاجم وتقتل وتنسف ثم تعود من حيث أتت ، بدون أن يعترضها أحد ، هو في الحقيقة « شيء فظيع » كما وصفته الصحف اللبنانية ٠

وقد أظهرت التحقيقات أن العناصر التى قامت بالغارة الاسرائيلية كانت موجودة من قبل فوق الاراضى اللبنانية ، وتقيم فى الفنادق ، وتجمع المعلومات وتتولى التحضير للغارة ، وتستأجر السيارات التى اشتركت فى العملية ، وهى التى قامت بتنفيذ الشطر الاكبر من العملية ، وان هذه القوات تلقت مساعدات وتسهيلات من عناصر فى الداخل ٠

وقد كشفت بيانات منظمات المقاومة الفلسطينية ، عن علاقة السفارة الامريكية فى بيروت بالعدوان الاسرائيلى ، ودور المخابرات الامريكية فى الاعداد لنجاح الهجوم الاسرائيلى على مدينتى بيروت وصيدا ٠ فقد شوهدت عدة سيارات تتجه الى مقر السفارة الامريكية التى تقع على الشاطىء فى عين المريسة ، وأن بعض قوارب العدو حاولت الاقتراب من الشاطىء تجاه السفارة الامريكية لاخذ هذه العناصر الاسرائيلية ولم تتمكن من ذلك ، وظلت هذه العناصر داخل السفارة ، وأن طائرة عسكرية أمريكية كان المفروض أن تنقل ١٥ من مشاة البحرية الامريكية المخصصين لحراسة السفارة الامريكية يتم تغييرهم كل أسبوع ، قد أقلعت بعد حوالى ١٢ ساعة من العملية وهى تقل ٤٥ شخصا ، يقال أن بينهم ٣٠ من الاسرائيليين الذين اشتركوا فى جريمة بيروت ٠٠ هذا ولا يشك أحد فى لبنان أن السفارة الامريكية فى بيروت تخلو فى أى وقت من الجواسيس ورجال المخابرات الامريكية والاسرائيلية ٠

لقد أثار العدوان الاسرائيلى موجات عنيفة من السخط والغضب والاستنكار فى أوساط الجماهير اللبنانية التى عبرت عن مشاعرها الغاضبة خلال المظاهرات والمسيرات الحاشدة للاحتجاج على تقاعس أجهزة الامن وموقفها المتهاون والمتخاذل فى الدفاع عن الوطن وحماية المواطنين الامنين ، مما يشجع اسرائيل على التمادى فى عدوانها على لبنان ، وارتكاب أفظع الجرائم ، كما عبرت عن تأييدها ومساندتها للثورة الفلسطينية وحمايتها من المؤامرات الامريكية والصهيونية والرجعية ، وقد جاء فى البيان الذى أذاعته الاحزاب والقوى التقدمية اللبنانية عن العدوان الاسرائيلى : « ٠٠ لم تكن قوى الرجعية العربية العميلة كافية لتصفية المقاومة ، وقد تولت اسرائيل بنفسها تنفيذ هذه المهمة ٠ وان هدف المخطط الاسرائيلى هو تسديد المزيد من الضربات للمقاومة الفلسطينية على يد القوات الاسرائيلية نفسها ، واعطاء المبررات لسلطة اللبنانية بغرض المزيد من القيود على قوى الشعب الفلسطينى المقاتل فى لبنان ، وقد كشفت الجريمة الاسرائيلية الاخيرة بوضوح مقدار التواطؤ الذى تبديه سلطات هذا البلد مع هذا المخطط التخريبى الجديد !! ٠

وأمام مشاعر النقمة والغضب التى اجتاحت كافة أوساط الرأى العام اللبنانى ، التى أخذت تحاصر السلطة من كل ناحية ، لم يكن هناك أمام رئيس الحكومة صائب سلام ــ وهو من أقطاب كتلة الوسط التى تتولى مقاليد السلطة فى لبنان ــ مفرا من تقديم استقالته ، وقد حاول صائب سلام فى تبرير أسباب استقالته بالقاء تبعة ما حدث على قائد الجيش وغيره من المسئولين ، والتنصل من العملية باعتباره رئيسا للحكومة ووزيراللداخلية والمسئول عن الامن الداخلى ٠ ومن الملاحظ أن الرأى العام اللبنانى يرفض تحميل الجهات العسكرية وحدها مسئولية ما حدث ٠

والجدير بالملاحظة ان صائب سلام لم يكن يعلم أثناء العملية الاسرائيلية بأن ما يحدث هو عدوان اسرائيلى ، وأنه أبلغ رئيس الجمهورية أن الاشتباكات الجارية هى اشتباكات بين فصائل المقاومة الفلسطينية ، وذلك قبل أن يتصل به قائد المقاومة فى لبنان ليبلغه أن هجوما اسرائيليا يقع على بيروت ، وهو الهجوم الذى استغرق حوالى ساعتين ونصف ساعة ٠

ويبدو من سير الامور فى لبنان أن القوى التى تريد الايقاع بين لبنان والمقاومة الفلسطينية تنفيذا للمخطط الامريكى الصهيونى الرجعى ، ما زالت قوية وتستطيع أن تتحرك وتخلق الازمات بين لبنان والمقاومة ، وهو ما تبين من حادث اشعال النيران بمستودعى البترول بمعمل التكرير التابع لشركة مدريكو بميناء الزهرانى فى ١٤ ابريل بأيدى عناصر مجهولة ، والتى كادت أن تحدث أزمة بسببها بين قادة الجيش اللبنانى والمقاومة ٠

ولقد أظهرت مناقشات مجلس الامن حول موضوع العدوان الاسرائيلى على لبنان ، ان اسرائيل لا تقيم وزنا أو احتراما للمواثيق والقرارات الدولية ، واصرارها على انتهاج سياسة العدوان المستمر على لبنان والدول العربية ٠ كما أظهرت فى نفس الوقت عجز المنظمة

الدولية عن معاقبة اسرائيل على عدوانها ، وذلك بسبب تأييد الولايات المتحدة وحمايتها للعدوان، وتهديدها باستخدام الفيتو لمعارضة أية قرارات تدين اسرائيل ، كما فى المشروع الذى أعدته دول عدم الانحياز ، أو حتى تمنعها من تكرار عدوانها ضد لبنان فى المستقبل ، كما جاء فى المشروع البريطانى الفرنسى ، مما يساعد اسرائيل ويشجعها على التوسع فى العدوان ضد لبنان وغيره من الدول العربية •

ويرى المراقبون أن تجربة لبنان والبلدان العربية الطويلة المريرة مع المنظمة الدولية ,بسبب الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ، واستمرار صدور القرارات الدولية ، سواء القرارات الخاصة بمنع اسرائيل من العدوان على لبنان ، أو القرارات الخاصة بضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ ، أو القرارات الخاصة بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى اراضيهم ، كلها تكشف بوضوح مدى عجز المنظمة الدولية عن تنفيذ قراراتها ، أو أن توقف اسرائيل عن شن هجماتها ضد لبنان والدول العربية ، بسبب سياسة الولايات المتحدة المعادية للعرب ، التى تقدم كل يوم المزيد من الادلة على تواطؤ واشتراك الولايات المتحدة فى العدوان ضد الشعوب العربية واحتلال أراضيها • الامر الذى يضع لبنان والبلدان العربية المواجهة لاسرائيل أمام السؤال التالى : ماذا هى صانعة ، أو ماذا تستطيع أن تفعل ؟

ويرى المراقبون أن الجماهير الشعبية فى لبنان والدول العربية الاخرى قد أجابت على السؤال ، وذلك فيما أعلنته من مطالب خلال المظاهرات والمسيرات الضخمة فى أعقاب العدوان الاسرائيلى الغادر على بيروت وصيدا وتضمنت : دعم الثورة الفلسطينية وتوفير كل الامكانيات لها ، وضرب المصالح الامريكية ، واستخدام البترول سلاحافى المعركة ، ودعوة جميع الدول العربية المنتجة للبترول الى اتخاذ موقف موحد ولو أدى الامر الى قطع البترول عن الولايات المتحدة والدول الغربية ، ومقاطعة جميع البضائع الامريكية ، وتحويل الاقتصاد الى اقتصاد حرب ، وأن لا بديل غير المعركة ، وكسر جدار الصمت ، وتعبئة كل الامكانيات والموارد المادية والطاقات البشرية فى دول المواجهة لخوض معركة تحرير طويلة الامد •

■ الجامعة العربية :

الجسور المفتوحة • • بين الاردن والمقاومة

تجددت المناقشات حول موضوع الجسور المفتوحة بين قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة ، وبين الضفة الشرقية للاردن • حدث ذلك فى الاسبوع الاول من هذا الشهر حيث انعقدت الدورة التاسعة والخمسون لمجلس الجامعة العربية • وكانت الدورة الثامنة والخمسون التى انعقدتقبل ستة أشهر قد شهدت مناقشات مستفيضة حول الموضوع ذاته • وانتهت المناقشات فى تلك الدورة ، بتشكيل لجنة كلفت بدراسة الموضوع من جوانبه المتعددة ، وبتقديم تقرير واف حوله الى الدورة التاسعة والخمسين •

وقد تضمن تقرير اللجنة كما عرضته الامانة العامة ، وجهات نظر كل من **منظمة التحرير الفلسطينية ، والحكومة الاردنية ، والمكتب الرئيسى لمقاطعة اسرائيل** • وتضمن بالاضافة لوجهات نظر هذه الاطراف الثلاثة المعنية ، وجهة نظر القانون الدولى كما عرضها أحد الخبراء •

● وترى الحكومة الاردنية ، كما جاء فى عرضها لوجهة نظرها ، أن بقاء الجسور مفتوحة بين الضفتين تحقق بقاءالروابط الاقتصادية بينهما ويستجيب لدواع انسانية ، لا يجوز تجاهلها ، وتقدم الحكومة الاردنية وعودا بأنها ستجعل حركة الزيارات بين الضفتين تتم لجهة واحدة من الغربية الى الشرقية فقط •

وفيما يختص بتسويق منتجات المناطق المحتلة ، تقول الحكومة الاردنية انإغلاق الجسور ، فيمالو تم ، سيؤدى اما الى وقف الانتاج ، واما الى الارتماء فىأحضان اسرائيل • وهىتعد ــ فى هذا الصدد ــ باتخاذ اجراءات ، تقول أنها كفيلة بالحد من تسرب البضائع ورؤوس الاموال الاسرائيلية الى البلاد العربية عبر منتجات الاراضى المحتلة وبذريعة تسويقها •

● **أما المكتب الرئيسىلمقاطعة اسرائيل،فيرىأن** المسألة ، من وجهة نظره التى لا تتطرق الى المخاطر السياسية ، تشمل على ثلاثة عناصر :

١ ــ **المنتجات** : وقد أعلن المفوض العام لمكاتب المقاطعة خلال مناقشات مجلس الجامعة أن استمرار فتح الجسور ، كما هو حاصل الان ،

يعني بالضبط انهاء المقاطعة العربية لاسرائيل .
وأوضح أن الانتاج الحالي للمناطق المحتلة يدخل فيه رأس المال الاسرائيلي بنسبة تصل الى ٥٠ في المائة في بعض الحالات . وان المؤسسات الاسرائيلية أصبحت تساهم في كثير من الصناعات الموجودة في المناطق المحتلة اما مباشرة ، علنا أو سرا ، واما عن طريق امدادها المصانع والمؤسسات المنتجة بالقروض .

وردا على الوعود التي ذكرتها الحكومة الاردنية أكد المكتب الرئيسي للمقاطعة أن من المستحيل التمييز بين المنتجات المصرية والاسرائيلية ، اذ كيف يمكن التحقق مثلا فيما اذا كانت هذه البيضة أو تلك البرتقالة من مصدر عربي أو اسرائيلي !

٢ ـ الزوار العرب : استند مكتب المقاطعة الى المعلومات التي قدمتها له السلطات الاردنية نفسها ، وقد بنت هذه المعلومات ان ١٥٠ الف شخص قد دخلوا الارض المحتلة عبر الجسور المفتوحة ابان اشهر الصيف الماضي وحدها . ولا يحتاج المرء الى التمحيص الشديد لكي يستنتج المضار الاقتصادية ، مقابل المنافع التي تجنيها اسرائيل ، بسبب هذه الحركة الهائلة من الزيارات .

٣ ـ انتقال السياح الاجانب عبر هذه الجسور : وهذه مشكلة أهم ما فيها أنها لا تعطي أي انطباع بأن العرب جادون في مسألة مواجهة العدوان ما دام السائح الاجنبي يستطيع الانتقال من عمان الى القدس المحتلة بأسهل مما ينتقل من بيروت الى عمان .

وتتطابق وجهة نظر منظمة التحرير الفلسطينية مع وجهة نظر المكتب الرئيسي للمقاطعة فيما يخص الجانب الاقتصادي من الموضوع . وترى المنظمة أيضا أن الاعتبارات السياسية تستدعي هي الاخرى اغلاق الجسور فورا .

تقول المنظمة : ان الاحتلال هو في حد ذاته ضرر وقع على الاراضي المحتلة ، وان ازالة الضرر تتم بازالة الاحتلال . ولابد من النظر لموضوع الجسور على ضوء هذا الاعتبار بالدرجة الاولى . ان فتح الجسور ، وزيادة فرص التعايش مع المحتلين ، وزيادة فرص تسرب رأس المال الاسرائيلي للبلاد العربية ، وتنشيط حركة الزيارات والسياحة أمور لا يمكن أن تخدم بأي حال سوى مخططات الاستسلاميين الذين يريدون تكريس واقع الاحتلال .

وتضيف المنظمة : ان ابقاء الجسور مفتوحة هو جزء شديد الاهمية من سياسة شاملة تهدف الى تكريس الامر الواقع وخلق أوضاع في الضفتين العربية والشرقية تجعل الاستسلام ليس فقط أمرا مفروضا ، بل مستحبا أيضا .

وتقول المنظمة في معرض الرد على وجهة النظر الاردنية : ان الاعتبارات الانسانية يمكن أخذها بعين الاعتبار والاستجابة لهذه الاعتبارات يمكن تنظيمها عبر الصليب الاحمر الدولي كما يحدث بين قطاع غزة وجمهورية مصر العربية .

وان مشكلة المنتجات التي تريدها اسرائيل متنفسا لها الى الدول العربية ، يمكن باغلاق الجسور أن نجعلها مشكلة لاسرائيل نفسها ، واغلاق الجسور سيساعد على جعل المنتجات الزراعية الى الضفة والقطاع منافسة للمنتجات الاسرائيلية نفسها في الاسواق الخارجية . واذا كانت اسرائيل تفرض رسوما اضافية على المنتجات العربية ، فنتيجة ذلك واحد من امرين : اما ان يضغط المنتجون لالغاء هذه الرسوم ، واما أن يتنازلوا عن جزء من ارباحهم ، وفي كلا الحالين يشكلون مشكلة لاسرائيل نفسها وليس للدول العربية .

وبعد المناقشات المطولة لوجهات النظر هذه ، وبعد الاطلاع على التوصيات التي اتخذها مؤتمر تنشيط التجارة الخارجية العربية (يونيو ٧٢) ومقررات مؤتمر المقاطعة في اجتماعه الحادي والثلاثين .. بعد هذا كله أقر مجلس الجامعة بأغلبية كبيرة وجهة النظر الداعية الى اغلاق الجسور ، متبنيا الاعتبارات السياسية التي أوردتها منظمة التحرير ، ومؤكدا الاعتبارات الاقتصادية التي أوردتها الجهات العربية المختصة والتي أكدت أن مضار فتح الجسور أكبر بكثير من المنافع التي تحققها .

● ●

■ المغرب :

ملكية الاجانب للاراضي الزراعية خطوة لتغييرها كل ٩ سنوات

اعلن الملك الحسن الثاني استعادة اراضي المعمرين الاجانب ، التي قدرت رسميا بحوالي ٤١٢ الف هكتار . والخطوة الجديدة تحقق بلاشك مطلبا شعبيا طال به الامد وتأخر انجازه طويلا ، كما تقول صحيفة « البيان » المغربية .

وكان الاجانب قد استولوا فى عهد الحماية على مليون هكتار من أجود الاراضى فى البلاد ، ٢٠٠ الف منها باسم « الاستعمار الرسمى » و٨٠٠ الف باسم « الاستعمار الخاص » ـ أى الافراد الاجانب ـ عن طريق ما اسموه « الشراء » · ولم يكن ،فى الواقع ، الا سلبا ونهبا ، بلا مقابل أو بثمن بخس · وظل هذا الوضع قائما كما هو لمدة تسع سنوات بعد الاستقلال · حتى اذا جاء عام ١٩٦٤ اضطرت الحكومة ، تحت ضغط نضال الفلاحين ومطالبة القوى الوطنية والتقدمية (باستعادة الاراضى منذ ١٩٤٦) ، الى اعلان استعادة أراضى « الاستعمار الرسمى » ، أى المائتى ألف هكتار · وانتقلت هذه من وزارة الى وزارة ، ومن ادارة الى ادارة ، ثم وزع منها ١٨٠ ألف هكتار على عدد من الاشخاص ، حسب مقاييس غير عادلة وبشروط قاسيه » ·

وبعد تسع سنوات أخرى ـ ونتيجة لاشتداد نضالات الفلاحين فى سبيل الارض ، تلك النضالات التى توبلت ،فى بعض الاحيان ،كما فى الجنرال اوفقير بالرصاص بل وبالنابالم ـــ اعلن الملك استعادة « الملكيات الخاصة للمعمرين » · والمفروض ان هذه تبلغ ٨٠٠ الف هكتار ، ولكن الذى أعلن رسميا هو انها تبلغ ٤١٣ ألف هكتار فقط ، أى انه بين ١٩٦٤ و ١٩٧٣ تسرب حوالى ٤٠٠ الف هكتار من الاراضى من ايدى المعمرين الى كبار الملاك المغاربة ، الذين زادت ملكياتهم كثيرا فى عهد الاستقلال ، طبعا بعد أن أدوا الثمن لملاكها الاجانب السابقين . وقام هؤلاء باخراج هذه المبالغ التى تقاضوها بعيدا عن رقابة الدولة



الحياد على طريقة الـ بى · بى · سى

منذ أسابيع وحملة الاذاعات البريطانية الموجهة ضد مصر تزداد ضراوة : فتارة تشكك هذه الاذاعة فى امكانات الجيش المصرى ، وتارة أخرى تثير النعرات الطائفية ، وثالثة ، تتكلم عن تحركات عسكرية لم تحدث الا فى مخيلة الابواق الدعائية . وقد أدى تصاعد هذه الحملة الدعائية الى احتجاج مصر الرسمى ، والى تصدى اذاعاتنا ، الى الاذاعة البريطانية والرد على افتراءاتها .

وهنا وقفت الاذاعة البريطانية ، ومعها بعض الابواق العميلة ، تقول ان الاذاعة البريطانية اذاعة محايدة ، وانها لا تخضع لسلطة الحكومة ، ولا تعتمد على تمويل الحكومة ، وانها تقول ما تمليه الحقيقة .. فهل صحيح ما تقوله الاذاعة البريطانية ، وهل حقا تقف هذه الاذاعة موقف الحياد من القضايا المختلفة ؟ واى نوع من الحياد هذا الذى تسير عليه هذه الاذاعة الموقرة ؟

تعالوا ندرس نظام الاذاعة البريطانية وقوانينها المختلفة بسرعة لنتعرف على الحياد على طريقة الـ بى ـ بى ـ سى .

المعروف أن الاذاعة البريطانية بدأت بشركة سنة ١٩٢٢ وكانت تسمى شركة الاذاعة البريطانية وقد ثار جدل شديد ، فى ذلك الوقت ، حول وضع الاذاعة وهل يمكن أن تتحكم فى الراى العام شركة اذاعة ، أم ان الافضل أن تتولى الاذاعة هيئة رسمية . وتشكلت لجنتان لدراسة مستقبل وضع الاذاعة البريطانية ، وأوصت اللجنة الاخيرة ، وكانت تسمى « لجنة كروفورد » أن يتولى الخدمة الاذاعية ، جهاز مسئول على مستوى عال ، وذو صفة مستقلة ، وفى سنة ١٩٢٦ بدأت اذاعة اا ب.ب.سى كهيئة مستقلة . ومنذ انشاء هيئة الاذاعة البريطانية وحتى الان ، صدرت مجموعة من التشريعات التى تحدد نظام عمل الهيئة والخطوط التى تسير عليها . وأبرز هذه التشريعات :

١ ـ قانون سنة ١٩٢٧ ، وينص على ترك الرقابة اليومية لحكم مديرى الهيئة على أن يكون للبرلمان الرقابة العليا .

٢ ـ قانون سنة ١٩٣٧ ، وخول لهيئة الاذاعة البريطانية توجيه أذاعات الى المحميات والدومنيون وعهد الى الهيئة بتقديم الخدمة التليفزيونية .

٣ ـ قانون ١٩٤٧ ، وخول الى الهيئة توجيه اذاعات موجهة ولننظر فى النظام الادارى للهيئة ، لاننا سنرى أن الدوائر الصهيونية فى بريطانيا ، يمكن أن تنفذ منه لكى تحقق بعض اغراضها . وعلى راس هيئة الاذاعة البريطانية ، يوجد مجلس المحافظين ويضم اثنى عشر عضوا ويتم تعيين هؤلاء بأمر ملكى .. ويراعى فى أختيارهم ان يكونوا من كبار الشخصيات ذات الاهتمامات الثقافية والعملية ويتم تعيينهم لمدة خمس سنوات . وهذا المجلس هو السلطة العليا المهيمنة على الاذاعة البريطانية من راديو وتليفزيون . ولكن كيف تتغلغل الدوائر الصهيونية فى هذا النظام ، ان هذه الدوائر تعمل على ترشيح وتعيين بعض الشخصيات اليهودية أو الموالية للصهيونية فى مجلس المحافظين وذلك لكى تستطيع ان تؤثر من خلال هذه الشخصيات .. هذه واحدة اما الثانية فتتضح من خلال نظرة على الطريق التى تمول بها الاذاعة البريطانية ·

ويتم تمويل الاذاعة البريطانية ، عن طريق رسوم الاجهزة ، وعن طريق بيع مجلة « راديو تايم » وهى مجلة اسبوعية ، توزع قرابة خمسة ملايين نسخة .

أما البرامج الموجهة ، فان الحكومة البريطانية تتحمل كافة مصروفاتها . ومن هذا يتضح أمران :

١ ـ تحكم مجلة « راديو تايم » النسبى فى الهيئة . لانها تعتبر المصدر الثانى من مصادر دخل الهيئة . واذا عرفنا ان الشركات اليهودية تنشر الكثير من الاعلانات فى المجلة ، وتشترى الكثير من اعدادها ، ادركنا مقدار الضغط الصهيونى على المجلة ، وبالتالى على هيئة الاذاعة البريطانية .

٢ ـ بالنسبة للبرامج الموجهة ، ومنها البرامج العربية ، وهى التى تهمنا اكثر فى هذا المجال ، هنا يتضح ان الحكومة البريطانية ، هى التى تتولى الصرف عليها ، وبالتالى ، هى التى تتحكم فيما يقال وما لا يقال ، ومعنى هذا ان الاذاعة

وسيطرتها ، (قدرت بحوالى ٢ مليار فرنك) هذا فى حين تطالب القوى التقدمية المغربية باستعادة هذه الاراضى دون دفع مقابل · وذلك لانه كان قد سبق اغتصابها من أصحابها المغاربة دون مقابل ، أو أن ما دفع فيها ثمنا لشرائها ـ فى حالة الشراء حقا ـ قد استعيد أضعافا مضاعفة خلال فترة استغلالها الطويلة · كما تطالب القوى التقدمية بأن تجرى استعادة الاراضى ضمن سياسة شاملة للاصلاح الزراعى الجذرى ، يعطى الارض مجانا لفقراء الفلاحين المعدمين كلية أو الذين يملكون مساحات تافهة ، ويحدد ملكية الاقطاع المحلى ويوزع أراضى الاوقاف والدولة ·

والواقع ، أن الاصلاح الزراعى الجذرى ، والحد من ملكية الاقطاع المغربى ، وعدم وضع مؤسسات التسليف والتسويق فى خدمته ، وحرمان المزارع الصغير منها ، يعتبر مطلبا أساسيا من مطالب القوى التقدمية فى المغرب ·

وقد دعا أحد كتاب صحيفة « البيان » المغربية الى عقد مؤتمر مائدة مستديرة ، لوضع ميثاق وطنى يصبح دستورا للقوى التقدمية فى قيادتها للجماهير من أجل : وضع دستور شعبى بواسطة مجلس تأسيس منتخب ، وتشكيل حكومة نزيهة ممثلة لجماهير العمال والفلاحين ، واجراء أصلاح زراعى جذرى ، ووضع سياسة تعليمية شعبية ، والقضاء على الفساد والرشوة ، وتطبيق خطة اقتصادية للتنمية غير الرأسمالية ، وتأميم الممتلكات الاجنبية ، واتباع سياسة خارجية مستقلة ، واطلاق سراح المعتقلين ورفع الرقابة عن الصحف واطلاق الحريات العامة ·

هذا ، وقد تعددت فى الفترة الاخيرة اضرابات

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

البريطانية الموجهة باللغة العربية تخضع للسياسة البريطانية التى تدور الى حد كبير ـ فى فلك السياسة الامريكية المؤيدة لاسرائيل والجدير بالاهتمام فى هذا الصدد أن مدير الاذاعة البريطانية اعترف ، منذ أكثر من عام ، أن المخابرات البريطانية ساهمت فى تمويل البرامج الموجهة . وفى هذا القول فضح لدور المخابرات البريطانية فى اعداد البرامج الموجهة . ومنها طبعا البرامج العربية وذلك بالطريقة التى تخدم السياسة الاستعمارية البريطانية التى تخضع فى بعض جوانبها لتاثيرات صهيونية .

وهناك مجموعة من القيود تفرضها الحكومة على هيئة الاذاعة البريطانيه ومن هذه القيود :

١ ـ بخول لوزير البريد ، من وقت الى آخر الحق مى أن يطلب من هيئة الاذاعة ، فى أى وقت معين أو فى جميع الاوقات ، الامتناع عن اذاعة اية مادة أو مواد من أى نوع .

٢ ـ لوزير البريد [المادة ٤/١٣] أن يطلب من الاذاعة الامتناع عن ابداء رايها فى شان الامور الجارية أو فى شان امور تتعلق بالسياسة العامة .

ويتضح من هذين القيدين أن الحكومة البريطانية يمكن أن تتدخل فى شئون الاذاعة ويمكن أن تلغى أو تذيع بعض المواد .

واذا كانت هذه العجالة عن النظام البريطانى تكشف زيف الحياد التى تزعمه هيئة الاذاعة البريطانية ، فان الاذاعيين البريطانيين ، وطريقة تعيينهم ، تكشف النقاب أكثر عن هذا الحياد . فالمعروف ، أن الدوائر الصهيونية الغنية تجرى وراء تعيين الموالين لها فى الاذاعة ، كما أنها تكسب ود الموجودين منهم وتغريهم بكل وسائل الاغراء . هذا فى الوقت الذى يغيب فيه الوجود العربى فى بريطانيا . كذلك فان الكثيرين من أساتذة الاعلام والصحافة فى الجامعات البريطانية من اليهود ولا ينجو من هذا ، أن اغلب دور النشر والصحافة التى تؤثر بدورها على عقليات الاذاعيين البريطانيين صهيونية الميول ، اى أن المناخ العام الذى يعيش فيه الاذاعيون البريطانيون مناخ معاد للعرب وللنضال العربى ولمصر على وجه الخصوص .

ومن ناحية أخرى ، فان الاذاعة البريطانية كثيرا ما تستعين فى برامجها السياسية بالصحفيين البريطانيين وباساتذة العلوم السياسية البريطانية ، ونحن نعلم مدى تغلغل الصهيونية فى الجامعات البريطانية ، ونعرف السيطرة النسبية للصهيونية على الصحف البريطانية ، وان نظرة سريعة على الصحف والمجلات البريطانية ، فى أى يوم ، لتظهر لنا مدى التحيز لوجهة النظر الاسرائيلية . وهذا كله ينعكس على البرامج السياسية التى يكتبها أو يقدمها الصحفيون الانجليز ، كما ينعكس على اقوال الصحف التى تنقلها الاذاعة البريطانية عن الجرائد والمجلات البريطانية .

ومن هذا كله يتضح ما يلى :

أولا : ان الدوائر الصهيونية تتغلغل فى الاذاعة البريطانية من خلال مجلس المحافظين ، ومن خلال التاثير على الاذاعيين البريطانيين .

ثانيا : ان الحياد الاذاعى البريطانى بالنسبة للاذاعات المحلية غير مطلق : فوزير البريد له حق تغيير او الغاء أو اذاعة بعض البرامج .

ثالثا : ان الحكومة البريطانية هى التى تتولى الانفاق على البرامج الموجهة ، ومعنى هذا أن هذه البرامج تخضع جملة وتفصيلا لسيادة السياسة البريطانية ، وهى سياسة نعلم انها موالية للسياسة الامريكية الى درجة كبيرة ، ونعلم أنها منحازة اليها .

هذا هو حياد هيئة الاذاعة البريطانية ، وهو حياد من نوع جديد ، حياد يمكن أن نسميه حيادا على طريقة الـ بى ـ بى ـ سى ·

ممدوح أبو بكر

العمال فى الرباط والدار البيضاء ومراكش وتطوان وطنجة والقنيطرة واغادير وجدة ومكناس وفاس • كما تعددت ايضا حوادث ارسال الطرود الناسفة الى قادة الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية مثل اليازجي وعمر بن جلون والدويرى •

وقد أعلنت الحكومة المغربية أخيرا عن القضاء على محاولة مسلحة وعن قتل عدد من قادتها وضبط كميات من الاسلحة • واعتمدت على هذا فى اتخاذ قرار بحظر نشاط حزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية •

وتحص جريدة « الاتحاد الوطنى » فرع عبد الله ابراهيم ، فى عدد ٨ مارس الوضع بقولها :

« ان الحكم مسجون فى اختيارات اساسية تتناقض بقوة وعمق مع حاجة الجماهير الملحة وتصطدم بعنف بمطامعها فى ميادين التعليم والديموقراطية والشغل والاحتياط الاجتماعى . وفى مناهج التنمية الاقتصادية وفى الموقف من الضغوط الامبريالية وهيمنة الاستعمار الجديد • وذلك ما الصق الجماهير بموقف اللامبالاة او موقف المقاومة والرفض ازاء المبادرات والمشاريع الرسمية . وتبدو سياسة القمع على يدى الحكم كمحاولة يائسة لتجاوز التناقضات » • وتكمل جريدة البيان فى ٩ مارس ١٩٧٣ الصورة بقولها « ان هذا الوضع المقلق لا تغطيه الاحتفالات مهما تنوعت ، ولا تصلحه الدعايات مهما كثرت ، ولا يمكنه أن يستمر دون ان يأتى بكارثة عظمى ولا منفذ له سوى تغيير جذرى فى الرؤيا والاتجاه »

كما تصور جريدة « المحرر » التابعة لجناح عبد الرحيم بو عبيد من الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية الموقف بصورة طريفة تؤكد حدوثها ، فتقول انه فى عيد الاضحى ، امتنع المواطنون عن ذبح الكباش تعبيرا عن حزنهم وسخطهم على دموية النظام ، فقامت قوات الشرطة بجمع هذه الكباش بعد تدوين أسماء أصحابها على ورقة تعلق فى رقبة كل منها لمحاسبتهم ، كما ان السلطة عندما علمت بنية المواطنين فى عدم الذهاب الى المساجد لاداء صلاة العيد ، قامت بارسال « ورقة استدعاء رسمى » لكل منهم لاداء الصلاة •

■ ■ ■

■ انجولا ـ غينيا ـ موزمبيق :

« الاستقلال المتدرج »
بدلا من « الدم والابتسامة »
• • والهدف واحد

يعتقد المراقبون الافريقيون أن الاجراء الذى أقدمت على اتخاذه حكومة البرتغال فى أوائل الشهر الماضى بشأن مستعمراتها الافريقية ، يعد ـ رغم شكلية الاجراء ـ تغييرا فى المفهوم السياسى الذى كانت تقوم عليها سيطرتها على هذه المستعمرات • فقد ظلت البرتغال تصر على التعامل مع بلاد انجولا وغينيا بيساو ، وموزمبيق ، باعتبارها « اقاليم ما وراء البحار » ، و « جزءا من اراضى البرتغال » ، ولذلك فان اعلان الرئيس البرتغالى مارسيلو كاتيانو عن اجراء انتخابات فى هذه المستعمرات تؤدى الى « الاستقلال الذاتى المتدرج » يعد فى نظر هؤلاء المراقبين ، اعترافا غير مباشر بفشل المفهوم السياسى القديم ، وان لم يكن يعنى ذلك تحولا عن الهدف العام : استمرار احتفاظ البرتغال بهذه الدول كمستعمرات بل « وكاقاليم فيما وراء البحار » ولكن بأسلوب مختلف •

وبرغم أنه كان بوسع السلطات البرتغالية اعلان نتائج الانتخابات قبل فتح صناديق الاقتراع بل وحتى قبل اجرائها ، تمت الانتخابات دون أن تلقى اهتماما يذكر من جانب الافريقيين • بل عجزت السلطات البرتغالية أكثر من مرة فى انجولا عن اعلان قوائم المرشحين أو جداول الناخبين • ولم ترد فى الصحف العالمية أية نتائج تفصيلية لهذا « الاجراء الشكلى » يمكن الحديث عنها وذلك حتى كتابة هذا التقرير •

ومن المفروض أن تؤدى هذه الانتخابات الى تشكيل مجلسين فى كل مستعمرة • احدهما : « استشارى » يقوم « بمعاونة » الحاكم العسكرى البرتغالى فى « تسيير دفة الشئون المحلية » • والثانى ، « تشريعى » يكون « من حقه فرض الضرائب وانفاق الاموال العامة » • ومن المعروف أن هذه السلطات كانت من اختصاص حكومة البرتغال ، واذا كان مقررا أنه من حق هذه المجالس « معارضة اقتراحات الحاكم العسكرى » ، فان « مجلس الاعادة النظر فى الامور » مقره لشبونه (عاصمة البرتغال) هو الذى يملك القرار الأخير •

ومن الملاحظ أن الحكومة البرتغالية هى التى تقرر « الشئون الخارجية والدفاع والامن والحقوق المدنية » وقد دفع ذلك كله صحفا من دول حليفة للبرتغال ، كمجلة النيوزويك الامريكية ، لتقول : والواقع ان الحكم الذاتى المتدرج الذى تقدمه البرتغال لا يعدو أن يكون حيلة بارعة » • وتضيف « ان الانتخابات تشكل محاولة لسحب البساط من تحت اقدام حركات حرب العصابات » (تقصد حركات الكفاح الوطنى المسلح) •

ويربط المراقبون الافريقيون بين الاجراء الذى أقدمت عليه السلطات البرتغالية ، وبين الاحداث الهامة التى جرت فى كل من غينيا « بيساو » وانجولا خلال الشهور القليلة الماضية •

فمن المعروف أن سياسة « الذم والابتسامة » التى أقدم عليها الرئيس البرتغالى كاتيانو ، والتى كانت تعنى أشد اجراءات البطش والقمع والارهاب ضد الوطنيين ، مع التلويح لهم - فى نفس الوقت - بالاغراءات لهجر صفوف الكفاح الوطنى المسلح ، معروف أن هذه السياسة فشلت فى تحقيق الاستقرار فى المستعمرات البرتغالية (٢٫٦٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع - أى ٢٢ ضعف مساحة البرتغال - ويسكنها ١٢٫٨ مليون افريقى) •

وقد شهدت انجولا تطورا سياسيا خطيرا • فقد اجتمع فى أواخر فبراير الماضى زعماء حركتى تحرير انجولا (الحركة الشعبية - الجبهة الوطنية) ، وأقروا الاجراءات التنفيذية لاتفاق وحدة الحركتين الذى وقعاه فى ديسمبر الماضى بعد وساطات وجهود كبيرة بذلتها منظمة الوحدة الافريقية وكثير من القيادات الافريقية •

وفى غينيا « بيساو » وقبل اغتيال أميلكار كابرال زعيم حزب الاستقلال ، كان مقررا أن تجتمع الجمعية الوطنية التى تم انتخابها من السكان الافريقيين ، وكوادر الحزب فى المناطق المحررة ، لتقر دستور الدولة التى جرى اعداده ، ثم لتشكيل بعد ذلك ،حكومة تعلن استقلال البلاد ، وتطالب المجتمع الدولى الاعتراف بها • وقد نظر المراقبون الافريقيون الى عملية اغتيال كابرال فى يناير الماضى باعتباره محاولة برتغالية لاعاقة ظاهرة « المد الوطنى » التى تجتاح غينيا «بيساو» بعد أن أتم جيش التحرير التابع لحزب الاستقلال تحرير أربعة أخماس غينيا • وهم ينظرون الى الاجراء البرتغالى الجديد - الانتخابات - باعتباره محاولة جديدة لها نفس الهدف •

■ ■ ■

■ تركيا :

بقيت المشاكل رغم انتخاب الرئيس

طوال أسابيع عديدة واجهت تركيا أزمة سياسية حادة ، فرغم اعادة التصويت لاربعة عشر مرة لم يستطع البرلمان التركى أن ينتخب رئيسا للبلاد • وقد كان من بين المرشحين لهذا المنصب جورلر رئيس أركان حرب القوات المسلحة السابق ، الذى رشحته الزعامة العسكرية فى تركيا ، ورئيس مجلس الشيوخ أريبورون الذى كان يسانده حزب العدالة •

وكانت فترة رئاسة الرئيس سوناى قد انتهت مساء ٢٨ مارس • وقام بمسئوليات منصبه وفقا للدستور أريبورون رئيس مجلس الشيوخ •

وفى النهاية أعلن أكبر حزبين فى تركيا ، وهما حزب العدالة وحزب الشعب الجمهورى ، بالاضافة الى الحزب الجمهورى ترشيح فخرى كوروتورك عضو مجلس الشيوخ ، وهو ادميرال سابق • ونتيجة لمساندة الاحزاب الثلاثة انتخب فخرى كوروتورك فى الجولة الخامسة عشرة رئيسا لجمهورية تركيا •

فما هو السبب فى تلك الازمة الطويلة ؟ وماهى القوى التى لعبت الدور الرئيسى فى التطورات التى طفت على المسرح السياسى فى تركيا ؟

يسيطر حزب العدالة على الاغلبية فى البرلمان التركى ، ويرتبط هذا الحزب بمصالح راس المال الكبير وكبار ملاك الاراضى • اما الحزب الذى يليه مباشرة فى القوة فهو حزب الشعب الجمهورى ، أقدم الاحزاب فى تركيا ، وقد أعلنت قيادته الجديدة التى يتزعمها ايسيفيت برنامجا « نحو يسار الوسط » آملة بذلك ان تضمن فى المستقبل أصوات البرجوازية الصغيرة فى المدينة والريف ، وأصوات العمال والمثقفين • ويعتبر البرنامج الجديد فى نظر الدوائر المحلية يساريا فى حدود مفهوم برامج بعض الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية المعتدلة فى غرب أوروبا •

ويتميز الوضع السياسى فى تركيا بان الحكومة لم يشكلها الحزب الذى يمتلك الاغلبية داخل البرلمان • فقد أبعد حزب العدالة عن الحكم منذ عامين نتيجة للضغط الذى مارسته فى ذلك الحين الزعامة العسكرية فى البلاد • وطالب الاصلاحيون تنفيذ عدد من الاصلاحات واعادة « النظام » أو بمعنى آخر ، تنفيذ اجراءات ارهابية ضد العناصر الفوضوية والمتطرفة ، وضد التنظيمات التقدمية والشخصيات العامة •

وكان تدخل العسكريين شاهدا على الازمة السياسية الحادة فى البلاد • لقد واجهت تركيا مشاكل خطيرة لم تتمكن من حلها حتى اليوم ،ومن بينها النظام العتيق للعلاقات الزراعية ، واتساع البطالة ، وتدهور مستوى معيشة السكان ، والتضخم وارتفاع الاسعار ، والجهاز الادارى البيروقراطى العتيق ، والامية المتفشية فى الريف • وأثارت مشاركة تركيا فى حلف الاطلنطى ومصروفاتها العسكرية الباهظة سخط أقسام واسعة من الرأى العام التركى • وانعكس ذلك فى تصاعد الحركة الديموقراطية المعادية للامبريالية داخل البلاد • وكانت تلك الازمة هى التى دفعت القوات المسلحة الى التدخل •

ومنذ ذلك الوقت تم اغلاق المنابر الصحفية اليسارية المستقلة ، وحلت الاحزاب والجماعات التقدمية ، وتواصل المحاكم التى شكلت وفقا لحالة

الطوارىء اجراء محاكمات لا لان الاشخاص الذين وجهت اليهم تهمة القيام « بنشاط ارهابى» و«تخريب الدستور »و « الفوضوية » ، وتصدر أحكاما قاسية بالسجن عليهم وكثيرون ممن صدرت ضدهم هذه الاحكام الجائرة من الضباط والمثقفين الاتـراك البارزين ٠

وفى ظل تلك الظروف يتخذ الرأى العام التركى موقفا يتسم باللامبالاة بالنسبة للعلاقات المتبادلة بين البرلمان والقوات المسلحة ، وبين الاحـــزاب السياسية والزعامة العسكرية ، تلك العلاقات التى وصلت لنقطة الغليان عشية الانتخابات الرياسية٠

وتمكن **حزب العـدالة** بعد فترة مـــن البلبلـة السياسية من أن يستعيد الثقة بقواه وبدأ يتعرف بجرأة فى المجال السياسى ٠ولما كان يمتلك الاغلبية فى البرلمان فقد قرر ان يكسب نفس المـواقع فى وزارة ميلين « غير الحزبية » والتى وافق عليها العسكريون ، وظلت تلك الفرصة أمام ممثلى الحزب كذلك ٠ وتجرى مناقشةمشروعات الاصلاح منذ فترة طويلة فى اللجان البرلمانية ، لكن البرلمان لم يصدق الا على القوانين والقرارات التى فى مصلحة هذا الحزب ، وقد وافق المجلس التركى أخيرا على عدد التعديلات على الدستور ٠ ويتعلق الامر بتشكيل ما يسمى «بمحاكم أمن الدولة » التى منحت سلطات واسعة ٠ ووسعت سلطات المحاكم التى تعمل فى اطار حالة الطـــوارىء ٠

ويشير المعلقون السياسيون فى **انقرة** الى ان مطالب العسكريين فى البرلمان يجرى تخريبها لانها لا تناسب حزب العدالة ٠ وقـــد أثار ذلك الزعامة العسكرية ، وخاصة عندما حاول حـــزب العدالة تخفيض اعتمادات البرلمان للحاجات العسكرية ٠ ففى اليوم الذى جرت فيه مناقشة تلـك المســألة امتلات ردهات المجلس بأكثر من مائة جنـــرال ٠ وشعر كل النواب الذين رفعوا اصواتهم بالنقدضد ارتفاع النفقات العسكرية بالقلق من هذه المظاهرة العسكرية ٠ وكنتيجة لذلك فان الميزانية الجديدة التى أقرها البرلمان اخيرا تسـتهدف رفـع مخصصات الجيش ٣٧ فى المائة والجندرمة ٤٨ فى المائة والبوليس ٢٢ فى المائة ووزارة الداخلية ١٣ فى المائة ٠

وفى أواخر فبراير كانت الزعامة العسكرية قـد بدأت تجرى مباحثات مع قادة الاحزاب السياسية لتكسب تأييدها فى البرلمان للجنرال جورلر رئيس أركان حرب والقائد العام للقوات المسلحة التركية ومرشح العسكريين لمنصب رئاسة الجمهورية . ومع ذلك رفض **ديميريل** زعيم حزب العدالة مقابلة ممثلى العسكريين ٠ ولمــــا كانت له الاغلبية فى البرلمان فقد كان فى مركز يسمح له بمواجهة العسكريين ٠ وقدمت الزعامة العسكرية انذارا الى الحزب فسره كثير من المراقبين فى أنقرة على انه دليل على ضعف الزعامة العسكرية وليس دليـل قوتها ٠ ومازالت المواجهة بين الزعامة العسكرية وبين حزب العدالة مستمرة لم تنته بعد ٠

ويرى المراقبون أن التصويت الخامس عشر قد حسم مسألة انتخاب الرئيس ، ولكن المشـــاكل الحيوية فى المجتمع التركى لاتزال على حـدتها تنتظر الحل ٠

■

■ **فرنسا :**

مســـاعدو الرئيس بومبيدو فى المناصب الرئيسية للحكومة

أجمعت آراء الصحف الفرنسية والاجنبية ، مثل لموند والديلى ميل والتايم وافانتى الصـادرة فى ٩ ابريل ، على ان تشكيل الحكومة الفرنسية الجديدة يعكس توسـعا جديدا فى السـلطة الشخصية للرئيس **بومبيدو** ، وامتدادا لنطـاق سيطرته الى مجالات لم يكن يهتم ديجول بها . وتؤكد لموند انه اذا كانت السياسة الخارجية قد اعتبرت « ميدانا خاصـا » لرئيس الجمهورية فى عهد ديجول ، فان كافة المجالات قد أصبحت « ميدانا خاصا » لبومبيدو مع التشكيل الجديد .

وكان السبب المباشر فى مثل هذا التعليق ، تعيين **ميشيل جوبير** وزيرا للخارجية ، وكان من قبل سكرتيرا عاما لرياسة الجمهورية ومستشارا خاصا للرئيس بومبيدو فى مسائل السـياسة الخارجية ، وكذلك استقالة **ميشيل ديبريه** وزير الدفاع « الديجولى الارثوذكسى » كمـا تسميه الصحف الغربية والذى يعارض التنازل عن أى منصب وزارى مهما قل شأنه لغير الديجوليين ، والذى كان كما تقول صحيفة افانتى الايطالية « يجمـع حوله الساخطين من الديجوليين على سياسة بومبيدو » ومن ثم فان ذهابه يدعم سلطة هذا الاخير .

ولم تجد صحف فرنسا وسـياسيوها تغييرا يذكر فى التشكيل الجديد ، رغم أن وكالة الانباء الفرنسية كانت قد أكدت حقيقة أن بومبيدو لابد وأن يضع فى اعتباره أن حزبه فقد حوالى المائة مقعد ، وان فترة مابعد الديجولية ـــ كما قالت نفس الوكالة فى ١١مارس ـــ قد بدأت بانتخابات ١٩٧٣ التشريعية . وعلقت « **لومانتييه** » جريدة الحزب الشيوعى بأن التشكيل الجديد « لقـاء لليمين » وقالت أن التشكيل قد يكون أى شىء

آخر » وانما لايمكن ابدا اعتباره تشكيلا ليبراليا . واكدت **التايم** ان رحيل دوبريه لايعنى تغييرا ، وقالت **الديلى ميل** انه يعكس الاستمرار وعدم الرغبة فى التغيير .

اما جان جاك سيرفان شرايبر رئيس الحزب الراديكالى ، فأعلن ان التشكيل الجديد لا يدل على ارادة تغيير حقيقية ، وان فرنسا كلها قد تتحرك للتغيير ، ودور البرلمان هو الا يجعل الامور تتم فى الشارع ، وقال **بيير برنارد ريموند** عضو اتحاد الوسط أن التشكيل يعكس استقرار الاتجاه وليس الانفتاح ، واكد المكتب السياسى للشباب الديجولى التقدمى ، أن ما سمى بالانفتاح على عناصر أخرى ليس سوى حلفا مقدسا لليمين فى مواجهة الثورة المشروعة للشباب وللقوى التقدمية ، وصرح **جان باربيت** سكرتير عام الوسط المستقل بأن الانفتاح الحالى هو خطوة تاكتيكية، وقال **لوكانويه** رئيس الوسط الديمقراطى ان التشكيل يعكس الاستمرار أكثر من التغيير ، وغلبة الطابع الشخصى ، واوضح **جاستون ديفير** رئيس المجموعة الاشتراكية أن السياسة الخارجية قد أفلتت بالتشكيل الجديد من قبضة الحكومة والبرلمان .

وعندما تقدم رئيس الوزراء الجديد ببيان حكومته الى البرلمان أكدت الصحف استمرار نفس الخط ، فقد ابرزت **لومانتيه** فى ١٣ ابريل تصريحات رئيس الوزراء التى اشار فيها الى انه لن تطرأ تغييرات جوهرية على خط السلطة ، وقالت الصحيفة أن التعارض لازال جذريا بين آمال الفرنسيين وسياسة الحكومة ، التى كان ردها على متطلبات فرنسا الجدية وتطلعاتها نحو التقدم ، هو مزيد من الاخلاص للمؤسسات الراسمالية الكبرى . وقالت **كومبا** أن **ميسميرا** افتقر فى سياسته الى قوة الاقناع ، وان عدم الوضوح الذى تميز به سبب قلقا للنواب ولكثير من الفرنسيين . وقالت **ليزيكو** الاقتصادية ، أن رئيس الوزراء لم يقدم للاصلاحيين التأكيدات التى كانوا يريدونها ، وأن تطلعات الجمهوريين المستقلين نحو توسيع نطاق الاغلبية لم يجد أى قبول من رئيس الوزراء ، وأن الرئيس بومبيدو الذى طبع الحكومة بطابعه بصورة واضحة لا ينوى ان يترك للبرلمان صفته الاستقلالية .

وقالت **الفيجارو** ان الحكومة ستضطر الى مزيد من الجهد لكى تقنع من تخاطبهم ولكى تؤيد آرائها . وقالت **لورور** أن المناقشات لم تأت بجديد فيما يتعلق بنوايا الحكومة وان البداية لا تثير الحماس .

اما صحيفة **لاناسيون** الديجولية فقالت انه من المؤكد أن الديجوليين يريدون أن يتجهوا أولا الى الفئات الشعبية من الامة لكى ينتزعوها من الاغراء الزائف لماركسية بالية ، ويدعوها الى أن تعيش مغامرة المشاركة العظيمة على الطريق الثالث الذى فتحه شارل ديجول وتبعه فيه بومبيدو .

وحول هذا الطريق الثالث قال الرئيس بومبيدو فى الرسالة التى وجهها الى البرلمان فى ١٣ ابريل الماضى « لقد كتبت منذ ٩ سنوات مضت اقول : اننا نعيش فى فرنسا من الزاوية الاقتصادية فى نظام هو بالنسبة لنا ، فى منتصف الطريق بين النظام الاشتراكى والنظام الرأسمالى بمعنى الكلمة . ويسعى النظام الفرنسى الى أن يكون نظاما أصيلا بأن يجمع بين مناهج هذين النظامين . وهذه هى « **المعالجة الثالثة** » ، والتى استخدمت منذ ذلك الحين ،وهى من الصعب تحديدها ومن الشاق المضى فيها . ولكنى أومن انها طريقنا وافضل طريق لنا ليس فقط من ناحية التنظيم الاجتماعى والاقتصادى ، بل ايضا من الزاوية السياسية . ففرنسا بعد أن اختبرت الانظمة التى لا سلطان لاحد عليها ، انزلقت الى نظم تعوزها القوة . وجاء دستور ١٩٥٨ الذى صدر فى ١٩٦٢ ، ليوفر أساسا للتوازن بين الفرع التشريعى والفرع التنفيذى »

وعن السياسة الاجتماعية اكد بومبيدو فى نفس الرسالة انه لا يمكن تصور عظمة فرنسا دون موافقة ورضاء الشعب التى تعتمد الى حد كبير على اشباع تطلعاته المتعلقة بالمجال الاجتماعى فى المحل الاول مثل تأمين الشيخوخة والقضاء على التفاوت الكبير وتحسين ظروف العمل والحياة ، ومراجعة نظام الاجور والمشاركة فى الارباح والادارة خاصة فى المشروعات الكبيرة .

وقد أصدر المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى ، طالب فيه بتكثيف نشاط الجماهير العاملة والشباب دفاعا عن حقوقهما . وأعلن أن بيان رئيس الوزراء « يعكس عجز الحكومة الواضح عن أن تخرج بالبلاد من أزمتها ، وأن الاجراءات الاجتماعية التى اعلنها هى مجرد خداع ولا تقدم حلا حقيقيا لمطالب الشعب العامل واحتياجات الامة . وقد أدى التشكيل الجديد الى تدعيم الطابع الشخصى التسلطى للنظام ، وللحكومة الجديدة كل سمات الوزارة الرئاسية » واكد بيان المكتب السياسى « ان البرنامج المشترك لقوى اليسار هو الذى يتيح فرص وآفاق التقدم والديمقراطية الحقيقيين » .

وجدير بالذكر أن الاتحادات العمالية على اختلاف اتجاهاتها واتحادات الشباب والطلاب ، دعت الى القيام باضرابات ومظاهرات دفاعا عن مطالبها التى لايقوم الحكم الجديد ، كما تقوم

هذه الاتحادات بأية مبادرة جدية لحلها ؟ رغم أن كثيرين من المراقبين راهنوا على انه سيأخذ بقدر من التغيير مراعاة لعلاقات القوى الجديدة فى فرنسا ، والتى تتميز بتدعيم مكانة اليسار والتراجع النسبى فى مكانة الديجوليين .

●●●

■ **لندن :**

قــراءة نقــدية للتقــرير السـنوى للمعهـد الـدولى للدراســات الاســتراتيجية

المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية (ومقره لندن) أحد الهيئات التى تقوم فى العالم الغربى بدور كبير فى تكملة دور المخابرات العسكريه الغربية . فهو يتلقى المعلومات منها أساسا ، ثم يقوم بعملية « الغربلة » اللازمة لينيع ما يتوصل اليه من نتائج طبقا لما تريد المخابرات الغربية ، بتنسيق يكاد يكون كاملا بين المخابرات الامريكية والبريطانيه بصفة خاصة ـ أن ينتشر ويذاع على أوسع نطاق ممكن فى الدوائر العسكرية والسياسية ومعاهد الدراسات فى الدول المختلفه .

والامر الخطير أنه يقع فى ظن الكثيرين ـ وخاصة فى دول العالم الثالث الذى توجه اليها بصفة خاصة تلك « المعلومات » و « النتائج » عن موازين القوى العسكرية فى العالم سنويا ـ يعتقدون أن « المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية » فى لندن انما هو هيئة أكاديمية بحتة تحرك أبحاثها ومنشوراتها دوافع البحث الموضوعى المجرد عن المعرفة وعن الحقيقة .

وقد انشىء هذا المعهد عام ١٩٥٨ ـ كما تقول نشراته الرسمية ليكون « منظمة دولية معنية بالدراسة الموضوعية للمشكلات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاخلاقية التى يخلقها فى العالم وجود واستخدام القوة » ومع ذلك فان متابعة تقاريره السنوية عن « **التوازن العسكرى** » أو نشرته « **البقاء** » Survival التى تصدر كل شهرين ـ وغير ذلك من الدراسات غير الدورية ـ تكشف ابتعاد هذه الدراسات مسافات كبيرة عن الموضوعية ، لانها تتخذ من مواقف الغرب وأحلافه العسكرية وبالذات من ميل الميزان العسكرى لصالح الغرب منطلقات أساسية لتقييم الصراعات المختلفة . فضلا عن انعدام النظرة العلمية الى المشكلات السياسية والاجتماعية وما يسميه بالمشكلات الاخلاقية .

ويكفى أن نذكر أن عددا من أبرز الباحثين الاستراتيجيين الذين يسهمون بكتاباتهم وأبحاثهم فى دراسات المعهد وتقاريره هم من الباحثين فى منظمة حلف الاطلنطى ، وأيضا من قادته العسكريين فى بعض الاحوال .

والتقرير السنوى الجديد ـ الذى أذاعه المعهد فى آخر شهر مارس الماضى ـ عن « الاتجاهات الاستراتيجية العالمية » ـ يستحق قراءة ناقدة ليس فقط لان مثل هذه القراءة تظهر الدلائل على أن المعهد يعمل طبقا لخطط المخابرات الغربية المنسقة على نطاق عالمى ، بل أيضا مثل هذه القراءة تكشف من التقرير عن اتجاهات الاحتمالات والانشطة العسكريه للغرب فى مناطق العالم المختلفة .

ومن أبرز ما أورده التقرير ـ والامر الذى صنع عناوين كبيرة فى صحف العالم الغربى وأجهزته الاعلامية ـ تحذيره من انه **مع خفوت حرب فيتنام فان أخطار الصراع الاقتصادى الدولى حول الطاقة والصراع العسكرى فى جنوب القارة الافريقية تبدو أضخم . وفى هذا الجزء يقول التقرير « أن التهديد من جانب دول الشرق الاوسط المنتجة للبترول ـ فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية واليابان ـ يفوق فيما يبدو كل التهديدات العسكرية »** .

وهكذا يكشف معهد الدراسات الاستراتيجية من خلال طريقته فى استخدام الكلمات موقفه من الصراعات الدولية والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية الناشئة فيها انه يستخدم كلمة « **تهديد** » فى وصف مطالب الدول المنتجة للبترول ليس فى كل مالها من حقوق على ثرواتها الوطنية بل فى جزء منها . ويعتبر أن هذا التهديد أخطر على العالم الغربى من كل التهديدات العسكرية .

ومع ذلك فان التقرير يتضمن معلومات بالغة الاهمية عن قيمة الثروات البترولية التى ستصدرها دول الشرق الاوسط للعالم الغربى . اذ يقدر أن هذه الدول ستحصل من عائدات البترول عام ١٩٨٠ على دخل سنوى من صادراتها الى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان وحدها ـ على ٤٠ ألف مليون دولار . ونتيجة لهذا فان المعهد **يؤكد أن دول البترول فى الشرق الاوسط ستصبح « شريكا كبيرا فى النظام المالى الدولى »** .

وفى جزء آخر من التقرير يشير فيه أيضا الى نهاية « التدخل القتالى الامريكى على أرض فيتنام » (والكلمات منتقاة هنا بحذر شديد كما هو واضح) لا يخرج المعهد بأية استنتاجات فيما يتعلق بحرب التحرير الفيتنامية أو صمود قوة الثورة المسلحة للشعب الفيتنامى فى وجه القوة

العسكرية الامريكية ، انما يكتفى بالمقارنة بين ما انفقته الولايات المتحدة على هذه الحرب - اذ بلغ ١٠٨ آلاف مليون دولار - بينما بلغت تكاليف المساعدات السوفيتية لفيتنام خلال السنوات من ١٩٦٥ الى ١٩٧٢ وفقا لتقديرات المعهد ١٦٦٠ مليون دولار . ويقدر المعهد مساعدات الصين لفيتنام خلال السنوات نفسها بنحو ٦٧٠ مليون دولار .

والتقديرات هنا مصاغة بطريقة استعراض لقدرة الولايات المتحدة المالية الهائلة ، مع اغفال غريب لحقيقة أن الانسان الفيتنامي الثورى أثبت أنه أثمن من كل رؤوس الاموال التى استثمرتها أمريكا فى حربها فى فيتنام .

وعلى جانب آخر من العالم يكشف تقرير المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية مدى **تحول جنوب أفريقيا - تحت الحكم العنصرى الابيض - الى مجمع عنصرى مسلح « حتى الاسنان »** كما يقولون . وان كان التقرير - وفقا لتصوره غير العلمى عن الموضوعية - لايشير بشىء الى الخطر الكامن فى تراكم القوة العسكرية بين أيدى حكومة جنوب أفريقيا على الشعوب الافريقية المحيطة أو على حركات التحرر الوطنى فى القارة .

ان التقرير يضع هذه الحقائق والمعلومات الصماء عن جنوب افريقيا ، **أنها تتقدم نحو الكفاية الذاتية فى انتاج الاسلحة التقليدية (أى غير الذرية) وخاصة تلك التى تستخدم فى عمليات الامن الداخلى** . ويؤكد التقرير أن حكومة جنوب أفريقيا - التى توجد قرارات قاطعة من مجلس الامن والامم المتحدة بعدم مدها بالاسلحة أو المواد الاستراتيجية - لاتزال تملك وسائل الحصول من المصادر الاجنبية على السفن الحربية والمعدات والمقاتلات والقاذفات ومعدات الهجوم البرى والدوريات البحرية وطائرات النقل والصواريخ والهليكوبتر العسكرية والعربات المصفحة . أما الدبابات فلا !

وقد طورت حكومة جنوب أفريقيا امكانياتها لصنع او تجميع كل هذه الاسلحة ، والمعدات عدا السفن الحربية والصواريخ وبعض أنواع الطائرات .

والاخطر من هذا ما يؤكده التقرير من أنه « **ليس هناك ما يدعو للشك فى دعوى حكومة جنوب أفريقيا بأنها طورت امكانيات فنية ذات قيمة استراتيجية لصنع اليورانيوم الثقيل وأن لديها الاموال والمعرفة الفنية على السواء لصنع الاسلحة الذرية** » .

■ **الصين :**

علاقات دبلوماسية مع الولايات المتحدة

دفعت الولايات المتحدة والصين العلاقات بينهما نحو مرحلة جديدة باقامة علاقات دبلوماسية على مستوى مكتبى اتصال فى عاصمتى الدولتين . والواقع أن مكتبى الاتصال الدبلوماسى - رغم انهما يشكلان طريقة فريدة لا مثيل لها فى التمثيل الدبلوماسى بين الدول ، لا ترقى الى مستوى الاعتراف الكامل - الا أن هناك دلائل عديدة تؤكد أن الصين والولايات المتحدة على السواء يبديان اهتماما كبيرا بأن يكون هذا التمثيل الدبلوماسى بينهما على مستوى عال ، وان يكفل قدرا كبيرا من التعاون لا يقل كثيرا عن مستوى التمثيل الدبلوماسى الكامل . فما هى هذه الدلائل ؟

لقد عينت الصين رئيسا لمكتبها الدبلوماسى فى واشنطن **هوان تشين** سفيرها لدى فرنسا . وهو جنرال سابق فى جيش الحزب الصينى ، وعضو فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى منذ ابريل عام ١٩٦٩ وقد صرح الدبلوماسيون فى العاصمة الصينية ، بأن هوان تشين **هو اعلى دبلوماسى صينى يمكن لحكومة بكين ان تختاره لهذا المنصب فى واشنطن** . فهو من رجال الثورة الصينية المخضرمين الذين شاركوا فى « المسيرة الطويلة » مع الزعيم ماوتسى تونج ، ومعروف اتصالاته الوثيقة بأعلى مستويات الزعامة فى الصين .

وقد أبدت الدوائر الدبلوماسية الغربية فى بكين اعتقادها بأن « **الصين قد أرضت بالتأكيد مقتضيات البروتوكول** » فى تعيينها لهوان تشين ممثلا دبلوماسيا فى واشنطن .

ومما دل ايضا على اهتمام بكين البالغ بهذه المرحلة الجديدة من العلاقات مع الولايات المتحدة انها عينت نائبا لهوان تشين واحدا من بين اكفأ عناصر السلك الدبلوماسى الصينى ايضا ، **هو هان سو** رئيس البروتوكول بوزارة الخارجية الصينية الذى يجيد التحدث بطلاقة خمس لغات احداها الانجليزية .

وقد عقبت صحيفة « **نيويورك تايمز** » الامريكية - الوثيقة الصلة بوزارة الخارجية الامريكية - على اختيار بكين لممثلها الدبلوماسى لدى واشنطن بقولها أنه « **أحدث بادرة على التصميم الاكبر لبكين وواشنطن على تحسين علاقاتهما بأسرع ما يمكن** » . وقالت ان اختيار السلطات الصينية لهوان تشين مماثل لاختيار الرئيس الامريكى نيكسون **لديفيد بروس** - رئيس

الوفد الامريكى السابق فى محادثات السلام فى باريس ــ رئيسا لمكتب الاتصال الامريكى فى بكين ، وذلك من حيث المستوى والصفات والخبرات التى يجب أن يتمتع بها ذلك الشخص الذى سيكون « **من الناحية العملية اول سفير للصين الشعبية فى الولايات المتحدة** » .

وعلى الجانب الاخر ، فان الولايات المتحدة قد اختارت **ديفيد بروس** رئيسا لمكتبها الدبلوماسى للاتصال فى بكين . وهو رجل وصفته الصحافة الامريكية بأنه الوحيد الذى **اتفق على اختياره آخر خمسة من رؤساء الولايات المتحدة ــ رغم كل الاختلافات بينهم ــ للقيام بالمهام الحرجة والدقيقة** . وقد سبق له العمل كسفير لامريكا فى فرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا ، ثم رئيسا للوفد الامريكى فى محادثات فيتنام فى باريس .

وقد أكد الرئيس الامريكى نيكسون نفسه معنى اختيار بروس رئيسا لمكتب الاتصال الدبلوماسى فى بكين بقوله : « أن من المهم للغاية تعيين رجل له مكانة **كبيرة فى هذا المنصب** » . وقالت عنه صحيفة نيويورك تايمز ان **من الصعب تصور اختيار دبلوماسى امريكى آخر لشغل هذا المنصب فى** بكين . واشارت الى انه فى نفس عمر شوان لاى رئيس وزراء الصين [٧٥ سنة] واصغر قليلا من ماوتسى تونج وانه سيكون فى مستوى اسئلتهما اذا دار الحديث بينهم عن نظام العالم مستقبلا .

كذلك عينت الولايات المتحدة نائبا لبروس فى بكين يجيد اللغة الصينية هو الفريد جنكنز الذى سبق فى بداية حياته الدبلوماسية ان خدم فى القنصلية الامريكية فى بكين عام ١٩٤٦ (قبل قيام جمهورية الصين الشعبية) .

ومن المهم ــ بعد ذلك ــ ان نلاحظ **أن وزارة الخارجية الامريكية قد اعتبرت هذا التطور فى العلاقات مع الصين ، فاتحة لتسهيل التبادل مع الصين فى كثير من المجالات ، ذكر منها المتحدث باسم الخارجية الامريكية على وجه التحديد التجارة والثقافة والرياضة والطب والصحافة والعلم والتكنولوجيا** .

وقد اتفق الجانبان على أن يطلق اسم «رئيس البعثة الدبلوماسية» على رئيس مكتب الاتصال على أساس ان التمثيل الدبلوماسى بينهما ليس على مستوى السفارة . وتتوقع الدوائر الامريكية بوجه خاص أن تنشأ **بعض التعقيدات نتيجة لحقيقة أساسية باقية حتى الان ، هو أن الولايات المتحدة تعترف اعترافا دبلوماسيا كاملا بحكومة تشيان كاى تشيك** فى تايوان (فورموزا) وتتبادل معها العلاقات الدبلوماسية الكاملة على مستوى السفراء . والمنشأ الاساسى للتعقيدات ان حكومة تايوان تعتبر نفسها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الصينى .

الا أنه يمكن القول ــ كما أكدت تصريحات الامريكيين والصينيين ــ أن هذه التعقيدات لا تبدو عقبة امام رغبة الولايات المتحدة والصين فى تطوير **علاقاتهما** وبسرعة كافية . فحتى قبل الاتفاق على اقامة علاقات دبلوماسية على مستوى مكتب الاتصال بدا واضحا ان العلاقات التجارية تتوسع بينهما **فيرتفع حجم التجارة بينهما من أقل من ٥ ملايين دولار عام ١٩٧١ الى أكثر من ١٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٧٢ . وينتظر ان يزيد حجم التجارة بينهما الى أكثر من ٣٠٠ مليون دولار هذا العام** (وفقا لتقديرات اعلنها **مارشال جرين** مساعد وزير الخارجية الامريكى لشئون الشرق الاقصى .

وبالاضافة الى هذا أكد جرين نفسه أن **الايديولوجية قد زالت كعقبة فى طريق تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والصين** ، وقد عزا ذلك الى « مضى الوقت والتحول عن سياسة الكتل فى العالم الامر الذى ادى الى تخفيف حدة الحرب الباردة ، فان المصلحة القومية بدأت تفوق وزنا الاعتبارات الايديولوجية او الكتلية الجامدة فى تشكيل السياسة الخارجية على كلا الجانبين » ■

●

■ الولايات المتحدة الامريكية :

الهنود الحمر يعلنون الثورة ضد سجن الاقليات القومية

تشير الانباء الواردة من ولاية داكوتا الجنوبية بالولايات المتحدة الامريكية ، الى أن الهنود الحمر من ابناء قبائل « السوى » مازالوا يحتلون مدينة الركبة المجروحة « ووندد نى » . وذلك منذ ان تمكنوا من السيطرة عليها فى آخر فبراير الماضى بهدف جذب انتباه الرأى العام الامريكى والعالمى الى الاحوال السيئة التى تعانيها الاقلية الهندية هناك . واذا كانت قضية الهنود الحمر لاتختلف من حيث الجوهر عن قضية الاقليات القومية الاخرى فى الولايات المتحدة مثل الزنوج والمكسيكيين ومن هم من أصل بورتوريكى وغيرهم الا انها تحمل طابعا مأساويا من نوع خاص ، حيث الهنود الحمر هم سكان البلاد الاصليين الذين وفد عليهم كل ما عداهم من الاقليات فضلا عن الرجل الابيض نفسه .

ويعيش الهنود الحمر تحت ظروف بالغة القسوة ، فوراءهم تاريخ طويل من عمليات المطاردة والقتل الجماعى ، وأمامهم حائط سميك من حواجز التفرقة والاضطهاد ، وقد لخص أحد زعمائهم مناخ اليأس والمرارة الذى يعيش فيه الهندى الاحمر قائلا « **اننا مذنبون حقا ... لاننا**

ارتكبنا جريمة فظيعة ببقائنا على قيد الحياة بدلا من ان نموت » . وتقدر كتب التاريخ ان تعداد الهنود الحمر ـ حينما اكتشف كولومبس امريكا ـ كان يربو على خمسة وعشرين مليونا وانهم كانوا قوما ذوى حضارة . ولكن الرجل الابيض القادم عبر المحيط هربا من الاضطهاد الدينى والبؤس اللذين كانا يسودان اوروبا فى ذلك الحين انقض على الارض والبشر معا ، يستولى على الارض ويفرغها من أصحابها بأبشع الاساليب .. من المذابح الجماعية الى المطاردة والحصار والتجويع بهدف القتل ايضا . حتى بلغ تعدادهم عام ١٩١٠ نحو ٢٥٠ الفا فقط ، ثم عادوا الى التزايد ببطء ليصلوا الان الى ٦٥٠ ألف نسمة تقريبا ـ ومن المفارقات المريرة ان مدينة « ووندد نى » نفسها كانت منذ ٨٣ عاما فقط مسرحا لواحدة من تلك المذابح البشعة الموجهة ضد الهنود الحمر . ولم يكتف الرجل الابيض ـ على حد تعبير جريدة ١٤ اكتوبر العدنية ـ بعد أن استعمر وملك الارض والسلطة بعمليات الابادة المنظمة التى شنها ضد الهنود وانما راح يمارس التمييز العنصرى والاضطهاد القومى ضد من تبقى منهم . فما زال الهنود الحمر محرومين من حقوق الاقتراع والتملك ويعيش ٩٠ ٪ منهم فى معازل خاصة داخل اكواخ من الطمى ، وتبلغ نسبة وفياتهم نحو ٧٠٪ ويزيد معدل حالات الانتحار السنوية بين شبابهم مائة مرة عن معدل الانتحار بين الشباب الامريكى عموما . ولا تقل نسبة البطالة السافرة عندهم عن ٥٢٪ ويتقاضى عمالهم أجورا لاتزيد فى العادة عن نصف أجور العمال البيض عن نفس العمل ، ويدمنون الخمر ، ويصل دخل الاسرة عندهم ٢٥ ٪ فقط من دخل الاسرة البيضاء . وتمارس التفرقة حتى ضد مزارعهم بهدف التأثير على انتاجيتها حيث تتعمد السلطات الا تمدهم بالمياه الكافية للرى .. الخ ومن الملفت للنظر أن التقارير الرسمية التى نشرها الكونجرس الامريكى خلال السنوات الخمس الاخيرة لم تستطع أن تنكر بؤس الاقلية الهندية واعترفت بكل تلك الظواهر وغيرها ولكن ذلك لم يكن يعنى فى اى يوم ان تأخذ مشاكل الهندى الاحمر طريقها الى الحل بل كان العكس دائما هو الصحيح . فالفساد يمد جذوره فى كل أجهزة المكتب الاتحادى المشرف على شئون الهنود وفروعه فى مختلف الولايات وتذهب نسبة كبيرة من ميزانيته المتواضعة فى صورة مرتبات ومصروفات ادارية حيث يصل عدد موظفيه الى نحو ٢٥ ألف موظف ولا تتجاوز ميزانيته ٣٠٠ مليون جنيه سنوى فى أغنى دول العالم . ولذلك كله فليس غريبا أن يمسك الهنود الحمر قضيتهم بأيديهم ليقاوموا بالعنف كل الاوضاع الظالمة التى يأتون تحت وطأتها . وقد كان احتلالهم لجزيرة « الكلتراز » الواقعة على خليج سان فرانسيسكو فى نوفمبر ١٩٦٩ علامة بارزة فى هذا السبيل . ومن الظواهر الجديرة بالانتباه اتجاه حركة المقاومة الهندية الى تكوين الجمعيات السرية فى أوساط الطلبة والعمال الهنود مستفيدة من خبرة الاقليات الاخرى وخصوصا الزنوج فى هذا المضمار بما يعنى ان الحركة لم تعد انفجارا طارئا وانها منتبهة تماما الى ضرورة الاستمرار . وجدير بالانتباه أيضا ان المقاومة الهندية بدات تحظى بتأييد واسع النطاق من كل القوى الديمقراطية والمعادية للاضطهاد العنصرى ، ففى ١٠ مارس عام ١٩٧٠ قبض البوليس الامريكى على الممثلة المعروفة جين فوندا ومعها مائة رجل من أصل هندى ووجهت اليهم تهمة محاولة الاستيلاء على قاعدة عسكرية جنوب واشنطن وقد اعترفوا بأنهم كانوا ينوون تحويلها الى جامعة ومركز للثقافة الهندية . وفى مارس الماضى رفض الممثل الامريكى **مارلون براندو** جائزة الاوسكار معلنا تضامنه مع مطالب الهنود الحمر ، كذلك يؤيد الحزب الشيوعى الامريكى كفاح الهنود الحمر ضد التفرقة والحواجز العنصرية . ويقول المراقبون أن روح المقاومة تنتشر بسرعة بين مختلف قبائل وتجمعات الهنود الحمر فقد لقى تمرد قبائل السوى فى « ووندد نى » تأييدا واسع النطاق من قبائل المين ، وباساماكودى وبنوبسكوت ، وتوسكارورا وغيرها . وقد أعلن جيمس هانلى ممثل الحزب الديموقراطى فى الكونجرس عن ولاية نيويورك فى اجتماع جماهيرى للتضامن مع هنود « السوى » انه اذا لم تتدارك الحكومة بسرعة الظلم الواقع على الهنود فان ما حدث فى « ووندد نى » لابد أن يكون متوقعا حدوثه فى أماكن أخرى كثيرة من الولايات الامريكية . ولعل اكثر مايزعج السلطة الامبريالية فى الولايات المتحدة هو مظاهر التضامن المتزايد بين الاقليات القومية المختلفة ثم بين هذه الاقليات وبين البيض الكادحين وهو الامر الذى يحول الحركة المعادية للعنصرية والاضطهاد القومى الى حركة جذرية وواسعة النطاق ضد أسس النظام الراسمالى نفسه .

ويقول عديد من المراقبين أن أحداث «ووندد نى» تعتبر دليلا جديدا ينبه العالم بأسره الى أن الولايات المتحدة ماهى الا سجن كبير لكل أبناء الاقليات القومية .. وان النظام الراسمالى القائم على الاستغلال لا يمكن ان يحل المسألة القومية فى الداخل ، كما انه يتخذ نفس الموقف العدائى ازاء الحركات القومية للشعوب الاخرى . ومن القصص ذات المغزى التى روتها وكالات الانباء

ان السلطات الامريكية عمدت الى استخدام قوات بوليس من الهنود لقمع تمرد السوى فى « ووندد نى » وهو ما دفع احد زعماء التمرد الى القول بأنهم يحاولون تطبيق سياسة « الفتنمة » على الاقلية الهندية . ولكن مثلما سبق ان فشلت « الفتنمة » سوف تفشل « الهندنة » ايضا فلقد اقسم الهندى الاحمر بعد ان طفحت كيله الا يتوقف عن النضال حتى تتحقق مطالبه او يموت .

●

■ أمريكا اللاتينية :

التطور الاقتصادى المستقل لامريكا اللاتينية

عقدت اللجنة الاقتصادية للامم المتحدة لامريكا اللاتينية دورتها الخامسة عشرة فى كينو عاصمة اكوادور احتفالا بمرور خمسة وعشرين عاما على تأسيسها .

وكشفت المناقشات التى دارت خلال تلك الدورة والقرارات التى توصلت اليها عن نمو الوعى القومى فى أمريكا اللاتينية وعن تصميم بلدانها على الدفاع عن حقوقها المشروعة . وجرت خلال الدورة مناقشات هامة حول طرق الاسراع بالتطور الاقتصادى والاجتماعى لبلدان امريكا اللاتينية ، باعتبار ذلك المشكلة الملحة التى تواجه بلدان المنطقة . **وأشارت تقارير الوفود المختلفة الى أن الاحتكارات الامريكية تبتز مقابل كل دولار من استثماراتها فى بلدان أمريكا اللاتينية حوالى خمسة دولارات من الارباح الصافية . كما كشفت الاحصائيات عن أن الولايات المتحدة تحصل من استثماراتها فى امريكا اللاتينية سنويا على ما لا يقل عن٣ الى٥ر٣ مليار دولار،وهو مبلغ يزيد كثيرا على كل الاستثمارات الجديدة لراس المال الامريكى فى هذه البلدان كما يفوق ما تحصل عليه دول القارة من « المساعدات »الامريكية .ووفقا لتقرير تقدم به الى الدورة خبراء الامم المتحدة تحصل الاحتكارات الاجنبية والاوليجاركية المحلية التى تمثل ٥ فى المائة من السكان المحليين على ٤٣ فى المائة من الدخل القومى بينما يحصل ٢٠ فى المائة من السكان على ٣ فى المائة فقط من الدخل القومى .**

وتحدث فى هذه الدورة مندوبو كوبا وشيلى وغيرها من البلدان عن الدور الذى لعبته اللجنة الاقتصادية خلال ٢٥ عاما من تاريخها وأكدوا الحاجة الى زيادة دور هذه المنظمة فى الدفاع عن السيادة القومية ضد تعسف الاحتكارات الاجنبية . وتحدث كثير من المندوبين عن ضرورة اعطاء اللجنة الاقتصادية لبلدان امريكا اللاتينية طابعا أكثر تعبيرا عن تلك البلدان ، وتحويلها الى اداة فعالة لحماية مصالح دول أمريكا اللاتينية فى مواجهة سياسة الولايات المتحدة الامريكية .

وخلال هذه الدورة تحدث كذلك الاقتصادى الارجنتينى المعروف **راؤول بربتش** السكرتير السابق للجنة الاقتصادية فاعلن عن تأييده للاصلاحات السياسية والاجتماعية الى أبعد الحدود . وفى اطار هذا الفهم اعلنت بعض الوفود عن أهمية تنسيق الجهود بين بلدان أمريكا اللاتينية من أجل حل المشاكل القومية والقارية . وقد وافقت الدورة بالفعل على قرار بالتعاون بين البلدان النامية .

وقدمت وفود **كوبا وشيلى واكوادور وبيرو** الى الدورة مشروع قرار حول حماية حق دول أمريكا اللاتينية فى التصرف بحرية فى ثروتها القومية . ويدين مشروع القرار تصرفات الولايات المتحدة ضد البلدان التى تتخذ اجراءات لحماية سيادتها القومية ، وخاصة حقها فى التصرف بحرية فى ثروتها القومية . ويعارض مشروع القرار أى اجراءات أو اعمال اقتصادية تهدف الى الضغط على الدول التى تسعى لحماية حقها فى استخدام ثروتها الطبيعية لمصلحتها . وأكد مشروع القرار أن مثل هذه الاجراءات تتعارض مع مبادىء منظمة الامم المتحدة ، كما انها تعتبر خرقا للمبادىء الدولية حول التعاون مع البلدان النامية .

كما تقدمت **شيلى وكولومبيا وكوبا والمكسيك** خلال الدورة بمشروع قرار آخر يدين الاعمال التخريبية التى تقوم بها الاحتكارات فى بلدان أمريكا اللاتينية . وتعرضت سياسة الولايات المتحدة فى أمريكا اللاتينية خلال تلك الدورة لانتقادات شديدة .

وتعتبر الدورة الخامسة عشرة للجنة الاقتصادية لبلدان أمريكا اللاتينية بشكل عام تعبيرا عن مرحلة جديدة فى نضال تلك البلدان دفاعا عن مصالحها القومية .

وقد ادانت الدورة الحصار الاقتصادى الذى تفرضه الولايات المتحدة ضد كوبا ، كما ادانت العدوان الاقتصادى للاحتكارات الامريكية ضد شيلى .

وطالب المشتركون فى الدورة بأن تضع الولايات المتحدة حدا لهذه السياسة التى توقع ابلغ الاضرار بدول القارة وتخرب جهودها فى النضال ضد التخلف والفقر الذى يسيطر على أقسام واسعة من السكان نتيجة لسيطرة الاحتكارات والاوليجاركية لفترة طويلة .

ووافق المشتركون فى الدورة على الاجراءات

التى اتخذتها بعض بلدان أمريكا اللاتينية بهدف تنظيم استثمارات راس المال الاجنبى •

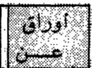
كما وافقت الدوره فى قرارها على حق شعوب أمريكا اللاتينية فى أن تكون سيدة على ثرواتها الطبيعية •

وقد وافق جميع المندوبين على قرار الدورة ما عدا المندوب الامريكى الذى امتنع عن التصويت

وتم اتخاذ قرار الدورة على ضوء تقرير أعده خبراء أمريكا اللاتينية حول آفاق التطور الاقتصادى الدولى • وقد حلل القرار الوضع الاقتصادى لبلدان المنطقة كما أدان التبادل التجارى غير المتكافىء بين بلدان أمريكا اللاتينية وبين الولايات المتحدة •

واشار القرار الى أن السبب فى الصعوبات التى تواجهها بلدان القارة فى علاقاتها التجارية مع الولايات المتحدة انما ترجع فى المحل الاول الى اجراءات الحماية التى تفرضها الحكومة الامريكية فى مواجهة صادرات أمريكا اللاتينية •

وقد سبق لممثلى بلدان أمريكا اللاتينية بالطبع أن تقدموا بمثل تلك الاراء والمقترحات فى دورات اللجنة السابقة،لكن الشيء الجديد فى هده الدورة هو أن تطرح بهذا الحزم قضية التطور الاقتصادى المستقل لدول القارة • وليس هناك من شك فى أن الجو السياسى السائد فى أمريكا اللاتينية فى الظروف الحاضرة قد ساعد كثيرا على ذلك • وتشير كل الدلائل الى أن حركة النضال ضد الامبريالية والاستعمار الجديد تنمو وتتسع على الدوام فى بلدان أمريكا اللاتينية •



الارهاب الاسرائيلى – الصهيونى

تنشر « الطليعة » الوثيقة الهامة التى نشرتها مجلة [فلسطين الحرة] التى تصدر باللغة الانجليزية فى لندن وتكشف هذه الوثيقة الدور الارهابى الذى لعبته وتلعبه اسرائيل سواء فى الوطن العربى أو خارجه والوثيقة نقلا عن عدد مارس ١٩٧٣ من « فلسطين الحرة » •

حرب اسرائيل السرية على نطاق العالم

على نطاق العالم ، من لوس انجيلوس الى بيروت • ومن القاهرة الى باريس يواجه الفلسطينيون الاعمال الانتقامية « للحرب السرية » التى تشنها اسرائيل • واذ كان الاسرائيليون يزعمون أن الفلسطينيين هم المسئولون عن حملة الخطابات الناسفة ضد الصهيونيين على النطاق الدولى ، فقد قامت المخابرات الاسرائيلية بتنظيم حملة خطابات ناسفة واسعة النطاق أدت الى الحاق اصابات خطيرة بعدد من المتحدثين الرسميين الفلسطينيين ، وكان من بين الوسائل الاخرى استخدام التحكم البعيد المدى فى تفجير العبوات الناسفة •

والمعتقد أن الميجور جنرال أهارون ياريف ، الذى اعتزل العمل كمدير للمخابرات العسكرية فى العام الماضى ليصبح المستشار الخاص للسيدة مائير لشئون الامن ، على نحو ما أذاعته مجلة تايم (فى ١٢ فبراير) هو الذى يدير فريق الاغتيالات الاسرائيلى • وعلى هذا يبدو أن حملة الاغتيالات ترتبط ارتباطا وثيقا بمكتب رئيسة وزراء اسرائيل •

وقد بدأت حملة قتل الفلسطينيين باغتيال غسان كنفانى ، المتحدث الرسمى باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فى ٨ يوليو ١٩٧٢ ، ومنذ ذلك الحين وقع أكثر من ثلاثين حادثا خلال ستة شهور فقط راح ضحيتها أربعة من ممثلى الشعب الفلسطينى ، وأصيب الاخرون بجراح خطيرة •

ووجهت فرق القتل الاسرائيلية ضرباتها بنجاح – بما فى ذلك اغتيال كنفانى – فى كل من بيروت (٨ يوليو ١٩٧٢) ، وروما (١٧ اكتوبر ١٩٧٢) ، وباريس (٨ ديسمبر ١٩٧٢) ، ونيقوسيا (٢٥ يناير ١٩٧٣) •

بيروت : ففى ٨ يوليو كان غسان كنفانى يوشك أن يغادر منزله مع ابنة أخيه لميس ، وهى فى السابعة عشرة من عمرها • وعندما أدار مفتاح سيارته وقع الانفجار الذى أودى بحياتهما معا ، وتناثرت أشلاء جثتيهما فى مساحة كبيرة •

وقد ناقش الكاتب والصحفى الاسرائيلى مكسيم جيلان وفاة كنفانى فى صحيفة اسرائيل وفلسطين (اكتوبر ١٩٧٢) فكتب يقول : « هناك حقائق عديدة تميل الى أن تبين أن مدير المخابرات السرية الاسرائيلية اوموساد يقفان وراء هذا الجهاز (المسئول عن عملية الاغتيال) أو تعاونا معه » •

وخبراء الامن الاسرائيليون من أمثال الصحفيين سيف شيف من صحيفة هاآرتس وايلى تابور محرر صحيفة هاعولام هزيه الاسبوعية يقرران ببساطة أن الاسرائيليين قد انتقموا لانفسهم من مذبحة اللد • وفى حين أن تابور صحفى مستقل لديه معلومات جيدة للغاية عن الامن الاسرائيلى . فان شيف كان هو نفسه ضابطا بالمخابرات ، ولا يزال يحتفظ باوثق العلاقات مع موساد • وما يكتبه شيف لا ينشر دون موافقة من رؤساء جهاز الامن بل وموافقة كبار المسئولين فى وزارة الدفاع •

روما : بينما كان وائل زعيتر يعود الى مسكنه فى روما فى ١٦ أكتوبر ، تقدم منه رجلان حيث أطلقا عليه ١٢ رصاصة من مسافة قريبة ، وبينما كان زعيتر يسقط صريعا كان مهاجموه يستقلون سيارة هاربين • وقالت دوائر البوليس فى روما انها تعالج القضية كجريمة سياسية • فقد كان زعيتر ممثلا لمنظمة فتح فى روما • وكان اثنان من اشقاء زعيتر قد قتلا منذ اربع سنوات خلال احدى الغارات الاسرائيلية على لبنان •

باريس : فى ٨ ديسمبر رفع محمود الهمشرى سماعة التليفون فى شبقته

بجنوب باريس · وطلب المتحدث الى الهمشرى ان يفصح عن شخصيته · ثم وقع انفجار ادى الى اصابة ممثل فتح فى باريس اصابات خطيرة · وظل الهمشرى طوال شهر كامل يناضل من أجل حياته في احدى مستشفيات باريس ، ولكنه توفي متاثرا باصابته فى ٩ يناير ·

وقال البوليس ان التفجير من الممكن ان يكون قد وقع نتيجة لاستخدام جهاز اليكترونى يعمل بالتحكم البعيد ·

نيقوسيا : فى الخامس والعشرين من يناير أوى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى قبرص الى فراشة · واذ كان يطفىء الانوار وقع انفجار فى الغرفة التى يقيم فيها بالفندق ، ومات أبو خير احدث ضحايا حملة الاغتيالات الاسرائيلية ·

وكان الجهاز الذى استخدم فى عملية الاغتيال شبيها بذلك الذى استخدم فى قتل الهمشرى فى باريس ، فقد وضع جهاز اليكترونى معقد متفجر تحت سرير الفلسطينى ، وتم تفجيره بالتحكم البعيد عن طريق اشارة لاسلكية ·

وفيما يلى تورد فلسطين الحرة قائمة بالحوادث التى وقعت منذ بدأت حملة الاغتيالات فى بيروت فى ٨ يوليو باغتيال غسان كنفانى وابنة شقيقه ·

٨ يوليو ١٩٧٢ :

اغتيل غسان كنفانى وابنة شقيقه فى بيروت بواسطة قنبلة وضعت فى سيارته · وكان كنفانى متحدثا رسميا باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ورئيسا لتحرير الهدف ·

١٩ يوليو ١٩٧٢ :

جرح الدكتور أنيس صايغ جرحا بالغا فى بيروت نتيجة لانفجار قنبلة مموهة · وكان مديرا لمركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، وهى دار فلسطينية للنشر ·

٢٠ يوليو ١٩٧٢ :

ابطلت بمكتب البريد المركزى ببيروت رسالة ناسفة موجهة الى شفيق الحوت ، مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت ·

٢٠ يوليو ١٩٧٢ :

ابطلت بمكتب البريد المركزى ببيروت رسالة ناسفة موجهة الى مروان دنانى ، أحد الشخصيات الفلسطينية البارزة ·

٢٤ يوليو ١٩٧٢ :

وضعت قنبلة فى سيارة الدكتور غازى عوض العوض فى بيروت ولكنها لم تنفجر · والدكتور العوض يعمل بمنظمة الهلال الاحمر الفلسطينى ·

٢٥ يوليو ١٩٧٢ :

أصيب بسام شريف فى بيروت اصابة بالغة نتيجة لانفجار طرد ناسف · وشريف هو الذى شغل مكان كنفانى كمتحدث رسمى باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ورئيس تحرير الهدف ·

١٤ سبتمبر ١٩٧٢ :

انفجرت قنبلة بمنزل السيد محمد الشحات بلوس انجيلوس · وقبض على خمسة من أعضاء رابطة الدفاع اليهودى نتيجة للحادث ·

٢ اكتوبر ١٩٧٢ :

انفجرت قنبلة خارج مبنى مكتبة ومركز الاعلام الفلسطينى فى باريس · وقد اعتبرت منظمة شباب حيروت مسئولة عن الحادث منذ ذلك الوقت باعترافها ·

٨ أكتوبر ١٩٧٢ :

انفجرت قنبلة بمكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت ، واصيب أحد رجال الامن ·

٨ أكتوبر ١٩٧٢ :

انفجرت قنبلة فى بيروت بالقرب من مكاتب فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بمعسكر شتلة للاجئين ·

١٧ اكتوبر ١٩٧٢ :

أغتيل وائل زعيتر ممثل منظمة فتح فى روما ·

٢٥ اكتوبر ١٩٧٢ :

فى طرابلس بليبيا انفجر طرد ناسف بين يدى مصطفى عواد ابو زيد ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ، وأدى الانفجار الى اصابته باصابات خطيرة وفقد ابصاره ·

٢٥ اكتوبر ١٩٧٢ :

فى القاهرة اكتشف طرف ناسف موجه الى أبو لطف ، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وابطل مفعوله ·

٢٦ اكتوبر ١٩٧٢ :

اصيب أحد خبراء المفرقعات المصريين بجراح خطيرة نتيجة لانفجار طرف ناسف بميناء القاهرة الدولى ·

٢٧ اكتوبر ١٩٧٢ :

اكتشفت فى بيروت رسائل ناسفة موجهة الى مجلة الهدف ومكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وابطل مفعولها ·

٢٩ اكتوبر ١٩٧٢ :

فى القاهرة ابطل مفعول رسالة ناسفة موجهة الى ابو لطف (انظر ٢٥ اكتوبر) ·

٢٩ اكتوبر ١٩٧٢ :

فى القاهرة ابطلت رسالة ناسفة موجهة الى ممثل فتح ، هايل عبد الحميد ·

٢٩ اكتوبر ١٩٧٢ :

فى بيروت أبطلت رسالة ناسفة موجهة الى فتحى الداعور ، أحد رجال الاعمال الفلسطينيين البارزين ·

٢٣ نوفمبر ١٩٧٢ :

فى باريس اعلن الاتحاد العام للطلاب الفلسطينيين تلقيه لرسالة تهديد من رابطة الدفاع اليهودى · وكان وائل زعيتر قد تلقى رسالة مماثلة فى روما قبيل اغتياله ·

٢٩ نوفمبر ١٩٧٢ :

فى المانيا الغربية اصيب عدنان عماد زعيم اتحاد الطلاب الفلسطينيين بالمانيا الغربية اصابة بالغة عندما فتح رسالة ناسفة ·

٢٩ نوفمبر ١٩٧٢ :

فى تونس أصيب ثلاثة من العاملين بالبريد عندما انفجرت رسالة ناسفة بمكتب الفرز الرئيسى ·

٣٠ نوفمبر ١٩٧٢ :

فى كوبنهاجن اصيب أحمد درويش عوض الله بحروق بالغة فى وجهه ورقبته وصدره ويديه عندما فتح خطابا ناسفا ·

٨ ديسمبر ١٩٧٢ :

فى باريس أصيب محمود الهمشرى اصابات بالغة بواسطة جهاز متفجر ثبت بجهاز تليفونه · وتوفى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى ٩ يناير متاثرا بجراحه ·

١٥ ديسمبر ١٩٧٢ :

اكتشف البوليس الفرنسى طردا ناسفا موجها الى أحد قادة الاتحاد العام لطلاب فلسطين فى فرنسا وأبطل مفعوله ·

٢٥ يناير ١٩٧٣ :

فى نيقوسيا قتل بشير أبو خير بواسطة شحنة ناسفة تعمل بجهاز اليكترونى ، وكان بشير ممثلا لفتح فى قبرص ·

٤٠ عاما من الارهاب الصهيونى

من هم الارهابيون ؟ اوردت دراسة قام بها مؤخرا معهد الدراسات الفلسطينية ولجنة الاعلام النسائى العربى ، وثائق عن اعمال الارهاب التى قام بها الصهيونيون ثم الاسرائيليون من الوجهة الرسمية (بعد مايو ١٩٤٨) ·

وباستخدام هذه الوسائل استطاع المستوطنون الصهيونيون ان يديروا دفة الامور فى فلسطين ، وان يقيموا دولة اسرائيل ، وطردوا الالاف من المدنيين الفلسطينيين من بيوتهم · ولم يستخدم الارهاب الاسرائيلى ضد العرب وحدهم ·

فالقائمة التى نوردها فيما يلى تبين كيف وجه الصهيونيون ضرباتهم دون مبالاة الى اليهود المعادين للصهيونية ، ومزقوا الطوائف الاسرائيلية التى تعيش فى البلدان العربية ·

والمعلومات التى نوردها فيما يلى

تبين : ١ ـ التاكتيكات ، ٢ ـ أول تاريخ لاستخدامها ، ٣ ـ المكان ، ٤ ـ الجماعات التيوجهت اليها ضربات الارهابيين .

الاغتيال السياسى لافراد من مجتمعهم ذاته :

يوليو ١٩٣٢ ، تل ابيب ، يهود .

قنابل فى المقاهى :

١٧ مارس ١٩٣٧ ، يافا ، عرب فلسطينيون .

قنابل فى سيارات الاتوبيس :

٢٠ اغسطس ـ ٢٦ سبتمبر ١٩٣٧، حيفا ، يهود .

نسف بواخر بما عليها من ركاب :

٢٥ نوفمبر ١٩٤٠ ، حيفا ، يهود .

ضرب ادارات حكومية مدنية بالقنابل :

١٢ فبراير ١٩٤٤ ، تل ابيب ، عرب فلسطينيون ، وبريطانيون .

الاغتيال السياسى خارج فلسطين :

٦ نوفمبر ١٩٤٤ ، القاهرة ، بريطانيون .

اخذ رهائن عسكرية :

١٨ يونيو ١٩٤٦ ، تل ابيب ، بريطانيون .

ضرب فنادق بالقنابل :

٢٢ يوليو ١٩٤٦ ، القدس ، يهود ، وعرب فلسطينيون ، وبريطانيون .

سرقة بنك باستعمال السلاح :

١٣ سبتمبر ١٩٤٦ ، تل ابيب ، يهود ، عرب فلسطينيون ، وبريطانيون .

نسف سفارات اجنبية [خارج فلسطين]:

اول اكتوبر ١٩٤٦، روما ،بريطانيون.

نسف سيارات اسعاف بالالغام :

٣١ اكتوبر ١٩٤٦ ، بتاح تيكفاه ، بريطانيون .

جلد الرهائن علنا :

٢٩ ديسمبر ١٩٤٦ ، تل ابيب ، بريطانيون .

اخذ رهائن مدنية :

٢٧ يناير ١٩٤٧ ، القدس ،بريطانيون

نسف بنوك :

٢٨ فبراير ١٩٤٧ ، حيفا ، يهود ، عرب فلسطينيون ، وبريطانيون .

رسائل ناسفة (خارج فلسطين) :

يونيو ١٩٤٧ ، بريطانيون ، لندن .

قتل رهائن :

١٢ يونيو ١٩٤٧ ، منطقة تل ابيب ، بريطانيون .

نسف منازل بالقرى بسكانها :

١٩ ديسمبر ١٩٤٧ ، اقليم صفد ، عرب فلسطينيون .

قصف احياء بالمدن بقنابل المورتار :

٢٠ فبراير ١٩٤٨ ، حيفا ، عرب فلسطينيون .

نسف عمارة سكنية بسكانها :

٣ مارس ١٩٤٨ ، حيفا ، عرب فلسطينيون .

الحرب النفسية المتعمدة لحمل المدنيين على الخروج من اراضيهم :

فبراير ـ مايو ١٩٤٨ ، كل فلسطين ، العرب الفلسطينيون .

مذابح مدبرة للنساء والاطفال :

٩ ابريل ١٩٤٨ ، دير ياسين ، عرب فلسطينيون .

نهب المدن :

٣٠ ابريل ـ ١٥ مايو ١٩٤٨ ، يافا ، عرب فلسطينيون .

كتب ناسفة (خارج فلسطين) :

٣ مايو ١٩٤٨ ، انجلترا ،بريطانيون

اغتيال عاملين بالامم المتحدة :

١٧ سبتمبر ١٩٤٨ ، القدس ، سويدى من رجال الامم المتحدة .

الطرد الجماعي لمواطنيهم من القرى :

٥ نوفمبر ١٩٤٨ ، اقرت ، الجليل (اسرائيل) ، عرب اسرائيليون .

المصادرة الجماعية لممتلكات اللاجئين والغائبين :

من ١٩٤٨ ، اسرائيل ، عرب فلسطينيون .

اصطناع الازمات بين الطوائف اليهودية وبين البلدان التى يقيمون فيها [خارج فلسطين] :

من ١٩٤٨ ، البلدان العربية ، اليهود الشرقيون .

تدمير قرى باكملها لمواطنيهم :

٤ فبراير ١٩٤٩ ، عنان ، الجليل (اسرائيل) ، عرب اسرائيليون

اطلاق نيران الرشاشات على جماعات البدو وقطعانهم وطردهم الجماعي من البلاد :

٢ سبتمبر ١٩٥٠ ، منطقة العوجة المنزوعة السلاح ، عرب اسرائيليون

القتل الجماعي للمدنيين فى غارات المشاة على القرى عبر الحدود :

١١ يناير ١٩٥٢ ، بيت جالا ، عرب فلسطينيون .

الهجوم بالقنابل اليدوية على معسكر للاجئين :

٢٨ اغسطس ١٩٥٣ ، قطاع غزة ، عرب فلسطينيون .

النسف العمد لمدارس عبر الحدود :

١٥ اكتوبر ١٩٥٣ ، قبيه ، عرب فلسطينيون .

نسف مصالح غربيه فى البلدان العربية (خارج فلسطين) :

١٩٥٤ ، مصر، القنصليات اوالمصالح الانجليزية والامريكية

الاعدام الجماعي لمواطنيهم المدنيين اثناء حظر التجول :

٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ، كفر قاسم (اسرائيل) ، عرب اسرائيليون .

القتل الجماعي للمدنيين فى ظل الاحتلال :

٣ نوفمبر ١٩٥٦ ، غزة ، عرب فلسطينيون .

نسف طائرات خاصة بركابها :

١٩٦٣ ، المانيا ، مواطنون المان .

قصف مستشفيات بقنابل النابالم :

٦ يونيو ١٩٦٧ ، القدس ، عرب فلسطينيون .

المعاملة الوحشية لاسرى الحرب العسكريين :

٦ ـ ١٠ يونيو ١٩٦٧ ، سيناء ، مصريون .

اطلاق النيران على طوابير اللاجئين :

١٤ يونيو ١٩٦٧ ، الضفة الغربية ، عرب فلسطينيون .

نفى زعماء الطوائف :

من يونيو ١٩٦٧ ، الضفة الغربية عرب فلسطينيون .

القصف الجوى لمعسكرات اللاجئين :

١٥ فبراير ١٩٦٨ ، وادى الاردن ، عرب فلسطينيون .

قصف المدن بقنابل النابالم :

٤ اغسطس ١٩٦٨ ، السلط (الضفة الشرقية) ، عرب فلسطينيون واردنيون .

تدمير المحاصيل بالمبيدات الكيماوية بغرض العقاب :

٢٨ ابريل ١٩٧٢ ، عقربة [الضفة الغربية) ، عرب فلسطينيون .

الاغتيال ببث الالغام فى السيارات الخاصة :

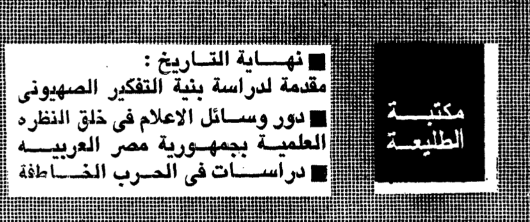
٨ يوليو ١٩٧٢ ، بيروت ، عرب فلسطينيون .

الاحتفاظ برهائن من النساء والاطفال من اقارب المشبوهين واحتجازهم فى معسكرات الاعتقال :

١٩٧١ ـ ١٩٧٢ ، سيناء ، عرب فلسطينيون .

وقد صنفت هذه القائمة من مصادر متعددة ، صهيونية ، وغربية ، وتقارير للامم المتحدة ، وقد استبعد منها كل العمليات التى قامت بها وحدات عسكرية نظامية ضد اهداف عسكرية .

مصدر الوثيقة ملحق مجلة فلسطين الحرة الحرة (تصدر بالانجليزية) مارس ١٩٧٣.



نهاية التاريخ :

مقدمة لدراسة بنية التفكير الصهيونى

تاليف :

د. عبدالوهاب المسيرى

عرض :

د. ابراهيم البحراوى

الناشر :

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام
ابريل ١٩٧٣

ان الرؤية العلمية الثورية ، هى أولا وقبل كل شىء طريقة للتحليل . ولكن ليس لتحليل النصوص وانما لتحليل العلاقات الاجتماعية .

ان هذا المدخل الذى ترسيه النظرية العلمية، كأساس لتحليل التاريخ الانسانى ، هو ما يميز بين الجدل الهيجلى والجدل الماركسى كما هو معروف .

وذلك من حيث اكتساب الثانى ميزة الابتعاد عن التجريد المثالى الذى يفصل الفكرة عن أصولها ، ويدعها معلقة فى سماء الوهم المثالى ، ستاتيكيا كان أم جدليا . كذلك ، فان هذا الاساس الذى تعتمده الماركسية هو الذى يصنع الفارق الحاسم بين ان يكون الجدل (المثالى الهيجلى) جدلا محدودا بسقف الفكرة المطلقة التى تمثل نهاية الحركة الصاعدة فى التاريخ الانسانى ، وبين ان يظل الجدل (المادى) مفتوحا لاستيعاب الحركة

المستمرة المتقدمة والمتصاعدة بلا نهاية فى مسار التاريخ الانسانى دون أن يظل دائرا حول نفسه فى نقطة معينة ٠

ان هذين الفارقين الاساسيين اللذين يميزان الفهم العلمى للتاريخ ، هما ما يصنعان فى النهاية الفارق الهائل بين تاريخية حركة او فكرة او لا تاريخيتها ٠ واللاتاريخية هنا ، تعنى الانحراف عن مجرى التاريخ الانسانى فى حركته الجدلية المتسامية المتصاعدة ، لخدمة مصالح الملايين من البشر دونما حد أو نهاية ٠ ومحاولة اقتحام هذا السياق التاريخى بحركات مضادة ، لتعويقه او حرفه عن مجراه الاساسى ٠ وتحويله لخدمة فئة او طبقة ، وذلك عن طريق استخدام افكار غيبية زائفة تلغى حقائق التاريخ ، وتعمى على الجماهير رؤيتها لمجرى التناقض الاساسى ٠

والصهيونية ــ فى حقيقتها ــ احدى الحركات اللاتاريخية بهذا المعنى ٠ فهى تعمل من جانب على خلع جماهير اليهود من سياقهم التاريخى فى انحاء العالم ، حيث ينبغى ان يكونوا جزءا من حركة التاريخ المتصاعدة ، لتبثهم فى كيان صناعى فى المنطقة العربية حيث يسيطر عليهم وهم بأن التناقض الاساسى الذى يواجههم ، هو تناقض قومى مع المحيط البشرى فى المنطقة ٠ ومن جانب آخر فان لا تاريخية الصهيونية تظهر بشكل أوضح ، عندما يتبين أن وجود كيانها الصناعى فى المنطقة العربية قد أدى الى صرف حركة الجدل المتقدمة فى المنطقة ــ بعد أن تخلصت ، فى معظمها ، من التسلط الاستعمارى الخارجى ــ الى مجرى خارجى ٠ والصهيونية ، فى هذا التعريف ، افراز حركى وفلسفى لمرحلة اقتصادية محددةفى التاريخ الراسمالى ٠

ومع أن الدراسة التى يقدمها الدكتور **عبد الوهاب المسيرى** فى كتابه « نهاية التاريخ ٠٠ مقدمة لدراسة بنية التفكير الصهيونى » تقدم نوعا من التقييم الاخلاقى والفلسفى يتفق فى النهاية مع ما يمكن أن ينتهى اليه منهج التحليل العلمى من اعتبار الصهيونية (فى هيكلها الفلسفى) نوعا من الردة التاريخية ، والانحياز الى التفكير المثالى الغيبى الذى يقفز فوق مجرى التاريخ الانسانى ومعطياته النسبية تشبثا بفكرة مطلقة زائفة ٠

ورغم ان الدكتور المسيرى يستخدم فى عملية التقييم الاخلاقى للصهيونية معيارا هيجليا يقيس عليه بناء التفكير الصهيونى ، ويدينه بقدر اقترابه من هذا المعيار ٠٠ وهو ما يشير الى تسليم المؤلف ضمنيا بصواب المنظور الماركسى فلسفيا واخلاقيا فى قياس الواقع الانسانى ، نقول ، بالرغم من هذا كله الا أنه يلاحظ ، فى الدراسة ، مفارقة ظاهرة بين منهجها وبين المنهج الماركسى ٠ وتتبدى هذه المفارقة الظاهرة فى انصراف المؤلف ، فى الجانب الاعظم من مؤلفه ، الى تحليل النصوص الصهيونية دونما رصد لاصولها الاجتماعية التى نشأ عنها ، ودونما تتبع لتطور هذه الافكار فى ترابطها مع الواقع المادى ٠

ولقد أدى هذا النهج ، من قبل المؤلف ، الى تقديم تعريف مثالى للصهيونية فى صدر الدراسة ٠٠ « الصهيونية اذن فكر سياسى يأخذ شكل بنية فكرية متسقة لا تختلف فى تركيبها عن الاساطير اليهودية الدينية وهى بنية فكريةسياسية تستغل الدين اليهودى لتكتسب بعدا تاريخيا وانسانيا ، كما انها تستغل كثيرا من الافكار السياسية العلمانية والثورية لاضفاء صبغة علمانية أو ثورية على نفسها » (ص ٩) ٠

ومثل هذا التعريف للصهيونية ، لا يمكن حمله الا على محمل مثالى ، وهو يتفق مع ما يسمى بالتفسير السياسى للحركة الصهيونية ٠ وهو الذى يذهب الى اعتبار الصهيونية مجرد حركة سياسية ، قامت للرد على نزعة معاداة السامية ، وانها قد اتجهت الى استخدام الدين والشعار القومى لتجميع اليهود حولها ٠

فكل من هذين التعريفين للصهيونية ، يجرد هذه الظاهرة من اصولها الاقتصادية ، ويطرحها طرحا مثاليا مجردا ، يقصر عن استيعاب الابعاد الكاملة لها ٠

ولكن رغم هذه المآخذ المنهجية الظاهرة فى الكتاب ، والتى تؤخذ عليه من منظور تحليلى علمى ، فانه يمكننا أن نلتقط مفتاحا يؤكد أهمية هذه الدراسة التحليلية للافكار الصهيونية وبناياها من منظور علمى أيضا ٠

ففى ص ١١ ، يرد قول المؤلف « ان الفاشية هى أكبر دليل فى عصرنا الحديث على الدور الذى تلعبه الافكار التى يفرزها الواقع فى فصل الجماهير وجدانيا عن وضعها الاقتصادى ، وتعبئتها وتسييرها لتحقيق أهداف ليس لها سوى علاقة واهية بواقعها الموضوعى ٠ بل ان هذه الجماهير ضحية الوعى الزائف لتسير ــ أحيانا ــ من أجل مثل ورؤى معادية لمصلحتها هى نفسها » ٠

ان تحديد مهمة الدراسة من قبل المؤلف ، على هذا النحو الذى توحى به هذه الفقرة يجعلها مقبولة من وجهة النظر العلمية ، فالوعى الزائف ، هو جزء من البناء الفوقى لواقع اقتصادى ما ،وما عاد هناك اعتراض ماركسى ناضج اليوم على التسليم بالاستقلال النسبى للبناء الفوقى ، وبقيام علاقة تأثيرية متبادلة بينه وبين البنـــاء الاساسى، خاصة ، بعد أن يستكمل عناصره • وكلما كانت بعض عناصر البناء الفوقى زائفة ومفروضة ، كلما زاد نصيبها من الاستقلال وارتفعت مقدرتها على التأثير المباشر فى سلوك الافراد الذين يؤمنون بها ، والتى تكون جزءا من وعيهم (مثلما نرى فى تأثير الخرافات على سلوك الجماهير فى شتى المجتمعات) •

من هنا يمكن للمنظور الماركسى أن يقبل تعريف هذه الدراسة للصهيونية ، ولكن ليس على أنه تعريف للصهيونية ، بل على أنه تعريف لاصول البناء الفكرى ـ فحسب ـ للصهيونية • ومن هنا أيضا ، يمكننا أن نولى هذه الدراسة أهمية ،على أساس أنها تتعامل مع مكونات الوعى الصهيونى الزائف وتركيباته فى أصولها ومنطلقها • وان كنا نتحفظ طيلة الوقت على أن الدراسة تجرى من منظور بنيوى تجريدى يمنحنا فى النهاية قيمة وصفية لبنايا الافكار الصهيونية يمكننا الافادة منها فى عملية النظر الشامل للواقع الصهيونى والاسرائيلى باعتبارها جزءا من مكونات هـــذا الواقع فى مستواه الفوقى •

ويمكننا أن نلمح احساس المؤلف نفسه بهذه الحقيقة ، حقيقة أن الدراسة تدور حول كشف أصول الفكر الصهيونى ، عبر بعد بنيوى ثابت ومجرد ، وذلك فى تقديمه الدراســة علــى أنها (نموذج فكرى) • أى أنه يعى أن دراسته تفتقر الى المنظور الكلى فى دراسة بنية التفكير الصهيونى فى تفاعلها التطورى مع الواقع المادى ولعل هذا المنظور يظهر فى الدراسة اللاحقة التى وعدنا بها فى نهاية كتابه ، بعد أن انتهى فى هذه الدراسة من رصد أصول الفكرة وبنيتها على نحو دقيق •

من هذا المنظور البنيوى ، يقدم الدكتور المسيرى تحليلا يتسم بقدر بالغ من النضوج الفلســفى لتركيبات الفكر الصهيونى • وهو تحليل يصل بنا ، فى نهاية سياقه ، الى الاحساس بأن دراســة مكونات الوعى الزائف الصهيونى ، والاحاطة بها على هذا النحو ليست مجرد ضرب من النزهـــة التجريدية ، بل انها تعنى الكثير فى مضـــمار التعامل مع أصحاب هذا الوعى ومحاولة تفسير تحـركاتهم واتجـاهات عـلاقاتهم بـــأنفسهم وبالاخرين •

من خلال الدراسة نضع أيدينا على البنية العامة التى يرتكز عليها الفكر الصهيونى • والتى يكشف عنها المؤلف عبر تحليل العديد من نصوص الفكر الصهيونى ، ليصل الى توصيف المنهج العام فى هذا التفكير ، على أنه منهج غيبى ـ لا عقلانى ـ يغلب العاطفة على العقل واللاوعى على الوعى ، والمطلقات الصوفية على الظواهر التــاريخية الانسانية •

فى هذا الاطار اللاعقــلانى ، يمتزج القــومى بالمقدس والمقدس بالقومى ، فى بنية خاصة يطلق عليهـا المـؤلف مصطلـح (وحدة الوجـــود الهيودية) • فى هذه البنية يحل الاله فى الشعب ، ويحمل الشعب قداسة الاله •

وينتج عن هذا المزج بين المقدس المطلق والبشرى النسبى اتخاذ موقف معاد للتاريخ والوعــى والثورة « فحينما يحل الله فى الارض أو فى تاريخ الامة ، وعندما يبلغ الحلول ذروته فيصبح الله هو الارض والامة •• فان المطلق يحل فى النسبى ويمتزجان ، وينجم عن هذا أن يفقد المطلق سموه ووجوده كمثل اعلى ، كما يفقد النسبى حـدوده وكيانه » •

وهذا التصور المزجى ، بين المطلق والنسبى فى التفكير الصهيونى هو الذى يؤدى الى التشبث بفكرة الامة المصطفاة والشعب المختار الذى ينبغى أن يظل فى وضع متميز خارج حدود النسبية التاريخية (الجوييم غير المقدسين فى مــواجهة شعب الاقداس والمسحاء) •

وهــو الــذى يؤدى فــوق ذلــك الى معنى ذوبان الفــرد اليهــودى ذوبانـــــا كــاملا فى ذات الشعب الكلية التى هى ذات الله •• بل وهو الذى يؤدى ، عندما يستكمل عنصره الثالث ، بحلول الله فى الارض ـ الارض المقدسة ـ الىذلك الجنوح الحاد عن مجرى التاريخ ومعطيــاته النسبية مقدما مبررا (مقنعا للصهيونى) للقفز فوق هذا المجرى (بما يحتويه من حقائق تاريخية أهمها وجود الفلسطينيين فى هــذه الارض ، وانتماء جماعات اليهود الى واقع تاريخى بعيد) والغاء هذه المعطيات التاريخية وصولا الى فكرة التلاحم الحتمى المطلق بين الشعب الاله أو الاله الشعب ، وبين هذه الارض ، وهى الفكرةالتى تعنى

عمليا الغاء الوجود الفلسطيني وتاريخه في هذه الارض ٠

بهذا يلغى التاريخ الحقيقي لهذه الارض ، ومن عليها ، ويلغى التاريخ الحقيقي أيضا بالنسبة للوجود اليهودي خارج هذه الارض ٠ بل ان وجود اليهود الحقيقي التاريخي في مكان مثل الجيتو يصبح (مؤقتا وصناعيا على حد قول آحاد هعام ، يحفظ فيه الله الامة وروحها الى آن يحين الوقت الذي يشاء فيه اعادة شعبه الى أرضه وحريته) ٠

وبهذا أيضا يتحول مسار التاريخ ، كله ، الى لحظة انتظار استاتيكية مسطحة (مرهون طولها أو قصرها بارادة الله) لظهور المسيح المنتظر ، او العصر المسيحاني (حسب الرواية العلمانية التقدمية) ٠

من هذا المنظور الصهيوني ، يتحول التناقض والتنوع في تاريخ الجوييم الى شيء غير حقيقي ، وغير هام بالنسبة لليهود ٠ (فالتاريخ الانساني كله يدور حول الامة اليهودية التي تقف في وسطه تجسد فكرة الله) « انها حجر الزاوية في حركة التاريخ نحو الخلاص » كما يقول بوبر (تقف الامة ، برسالتها الازلية الثابتة ، في مركز التاريخ ، متخطية حدوده ، ومجسدة المثل العليا الربانية ٠ ومرة آخرى ، يستمد التاريخ معناه من وجود المطلق المستقل المنغلق على نفسه في مركزه ، أو في نهايته ٠ ومرة أخرى ، نعود للدائرة المغلقة التي لا علاقة لها بأي تاريخ محسوس » ٠

والواقع ، ان هذا التوصيف الفلسفي للبنية الاساسية في التفكير الصهيوني يكتسب الكشف عنه قيمة مضاعفة عندما ندرك (من خلال النصوص التي يقوم المؤلف بتحليلها) ان هذه البنية الفكرية الغيبية المغلقة لا تختص بالمفكرين المتدينين وحدهم في المعسكر الصهيوني بل انها تضم العلمانيين منهم كذلك ٠

وهذه الحقيقة ، تفسر لنا مصطلحا مثل مصطلح (الغيبيات العلمانية) الذي يستخدمه المؤلف في وصف الاتجاهات العلمانية الصهيونية ٠ فهي اتجاهات تصدر اولا من داخل البنية الغيبية السابقة ، ثم تحشو نفسها بمضمون علماني يظل محكوما بحدود الرؤية الغيبية للتاريخ تشكله وتوجهه ٠

وفي نهاية هذا التوصيف للمنظور الاساسي في تناول التاريخ والذي يفرز بنايا فرعية ٠٠ يطرح المؤلف سؤالا هاما :

« كيف يمكن القول بأن دولة اسرائيل تقف « ضد التاريخ » أو خارجه ، رغم أنها حقيقة واقعة » ٠

وترد لنا اجابة تاريخية بالغة الرقي في مستواها الفلسفي يميز فيها المؤلف بين معنى « الامر الواقع » الميكانيكي الطارىء على حركة التاريخ العامة ، مثل الوجود الصليبي في الشرق من قبل ، وبين « الواقع التاريخي » الذي يمثل النقطة التي يلتقي فيها الحاضر بالماضي بالمستقبل ٠

وهذه الاجابة تعني في نظر المؤلف أن الوجود الاسرائيلي الراهن والصليبي الماضي ، في المنطقة ، وجود غير عضوي في تاريخ المنطقة بل هو وجود يعبر عن ظواهر خاصة بالتاريخ الاوربي ٠ أي أنه وجود على علاقة عضوية بالتاريخ الاوربي ميكانيكية بالتاريخ العربي ٠

والعلاقة الميكانيكية ، هذه ، تعني الانفصال الفعلي عن البيئة البشرية المحيطة وتاريخها ، والبقاء معها في حالة عداء مستمر ٠

وحقيقة الوجود الميكانيكي هذه ، هي التي تفسر ـ في نظر المؤلف ـ ظاهرة رواج التصورات الصهيونية اللاتاريخية في اسرائيل ٠ ذلك أن الوجود الاسرائيلي في علاقته ، هذه ، مع الواقع المحيط يمثل امتدادا للوجود اليهودي المنفصل في الجيتو الذي مكن « الامة المقدسة ذات التاريخ المقدس من الاحتفاظ بهويتها الفريدة المقدسة ، أي أن الوجود الامبريقي الميكانيكي ، هو الترجمة السياسية للتصور اليهودي القديم والصهيوني الحديث للشعب والتاريخ اليهوديين » ص ٦٣ ٠ وهذا الوجود الميكانيكي جزء من الخطة الصهيونية حتى لا تنكسر دائرة الجدل الصهيوني الخاص اذا انفتح هذا الوجود على ما يحيط به ٠

والحقيقة ، ان هذه الدراسة لا تمضي في صعودها التجريدي دون نهاية ٠ فهي تعود الى الارتباط بالواقع المادي المتحرك في النقطة الواجبة والمرجوة منها تماما ، وذلك مايقرر المؤلف ، في نهاية الكتاب ، أنه اذا كان من سبيل لعتق الانسان الاسرائيلي من هذا الوعي الزائف ، فانما هو سبيل انكسار هذا الوعي بضربة تأتيه من الخارج تماما

كما حدث مع الوعي الزائف لدى الشعب الالماني في عصره النازي .

وفي الحقيقة ، فان الناظر الى الواقع المادى الاسرائيلي ، لا يجد من حل آخر يزيح الوعي الصهيوني الزائف عنه : فانكسار هذا الوعي بفعل التناقضات الطبقية في الداخل ، والتي يمكن ان تعيد حركة الجدل داخل المجتمع الاسرائيلي الى اتجاهها الصحيح ، يظل مقولة فلسفية صحيحة وامكانية فعلية ، بعيدة المنال ، طالما أن الواقع الاسرائيلي قادر على حقن نفسه — كل فترة — بمدد اقتصادي جديد يستمده من الارض العربية ، ويخفف به من حدة التناقض الداخلي ، ويعلى عن طريقه في نفس الوقت من انجازات الرؤية الزائفة للتاريخ ..

دور وسائل الاعلام فى خلق النظرية العلمية بجمهورية مصر العربية

رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الصحافة بكلية الاداب جامعة القاهرة

اعداد :

يوسف الحارونى

عرض وتحليل :

كمال السيد

الموضوع الذى نال به يوسف الحارونى درجة الدكتوراه ، هو فى حد ذاته « نظرة علمية » للظواهر الاجتماعية ، تلتزم المنهج العلمى فى البحث ، وفى الوقت نفسه تتوخى الامانة فى بيان حدود الدراسة وآفاقها ، دون مبالغة أو تهويل .

فوسائل الاعلام او وسائل الاتصال الجماهيرى « التى غيرت من شكل العالم وحجمه ، بما لها من القدرة الفائقة على النفاذ الانى الى مختلف بقاع العالم » ، كما يقول المؤلف ، يشتد خطرها ويعظم اثرها على مجموع نشاطات واتجاهات الغالبية العظمى من أعضاء المجتمع ، خاصة فى المجتمعات التى يتعين فيها « حشد طاقات العمل » واستثمارها الى اقصى حد لتعويض النقص فى رؤوس الاموال المنتجة . ويؤكد الدكتور الحارونى ان هذه الوسائل « قد اقتحمت عالم الدول النامية ، ولم يكن هذا الاقتحام هينا أو تدريجيا ، بل انها سرعان ما انتشرت وتغلغلت بين الجماهير الواسعة فى هذه الدول ، ويتزايد مع الايام تأثير هذه الوسائل فى حياة الفرد ، أفقيا ورأسيا ، ليشمل حياة المرء من بدايتها الى نهايتها » . وقد اعتبرت اليونسكو وسائل الاعلام احد الاعمدة الرئيسية للتحضر والنمو ، ونبهت الدول النامية

للاهتمام بها « وان توفر لكل مائة فرد من السكان عشر نسخ من الجرائد اليومية ، وخمسة اجهزة من الراديو، ومقعدين من مقاعد السينما ، وجهازين للتليفزيون كحد أدنى » .

وفى الفصل الاول عن آثار وسائل الاعلام ودوامها ، يلخص الكاتب الهدف الاساسى لعملية الاتصال ، بأنه بصفة عامة **التأثير فى السلوك على المدى القصير بالاستجابة المباشرة او خلال فترة محدودة من تلقى الرسالة ، أو على المدى الطويل بالتعليم والتطبيع واقامة العادات والاتجاهات** .. وسياسة الاعلام فى هذا الشأن ـ كما يقول ـ واحدة من ثلاث : اما ان تخطط وتصمم للنهوض بالمجتمع ، أو تدار بهدف خبيث هو افساد المجتمع ومقوماته وبث روح الضعف والاستكانة ، واما أن تتراكم رواسب السياسات الخاطئة التى ترمى الى تحقيق آثار سريعة ، فتنتج على المدى الطويل آثار خطيرة .

ويمكن أن نضيف الى بيان الحارونى لاهداف الاعلام ، انه من اهم وظائف وسائل الاتصال الجماهيرى :

● ضمان حد أدنى من التجانس بين أفراد المجتمع ومؤسساته ، والتأثير على اتجاهات أعضائه وتربيتهم بقيم معينة ، ثم الدفاع عن النظام الاجتماعى بأكمله .

● الدور التربوى ، ويؤكده بعض الاساتذة بجامعة شيكاغو ، بأنه القيام على أفضل وجه بمهمة اعلام وتعليم الرأى العام دون الفشل تجاريا لهذه الوسائل .

● اداة للصراع بين النظم الاجتماعية الذى يتخذ شكل صراع ايديولوجى وفكرى ، تلعب فيه وسائل الاعلام دورا أساسيا .

ومع ذلك فتأثير وسائل الاعلام ليس مطلقا ، كما يوضح المؤلف ، فقد دلت نتائج بعض البحوث على ان الفرد يعرض نفسه للدعاية التى يتفق معها ، ويحجب نفسه عما يختلف معه . وان هذا الثبات لا يمكن تفسيره عن طريق العناد أو القصور الذاتى . فالفرد اذ يحرص على الا تمس اتجاهاته ، يستطيع ان يتجنب الصراع والخلاف مع الهيئة الاجتماعية . كما ان ميوله تكملها عمليات داخل الجماعة ، وان الطرق التى يحدث بها التغيير تعتمد احداها على تنشيط تجارب وأفكار سابقة ، ومثل هذه الميول نحو التغير من الصفات المميزة للافراد الذين تعتمل فيهم ضغوط متعارضة .

كما بين بحث آخر ، أورده المؤلف ، ان وسائل الاعلام لا تنهض كسبب ضرورى وكاف لما يظهر من الاثار بين جماهيرها ، بل انها تعمل من بين وخلال مجموعة من العوامل والاثار الوسيطة . وهذه الاخيرة تجعل من وسائل الاعلام عاملا مساهما ، ولكن ليس السبب الاوحد فى عملية تدعيم الحالة القائمة . وبغض النظر عن الحالة المعنية ، فان الارجح ان تدعم وسائل الاعلام أكثر مما تغير . وفى المناسبات التى تغير فيها تكون العوامل الوسيطة غير فعالة ، ومن ثم يكون تأثير الاعلام مباشرا ، أو تكون العوامل الوسيطة دافعة للتغيير .. ويستطرد صاحب الرسالة ليؤكد ان وسائل الاعلام ذات اثر **كبير** فى نقل المعلومات ، وذات أثر **ملحوظ** فى الاقناع ، وذات أثر **ضئيل** فى مجانبة الحقائق الملموسة ، وان أثرها **لا يذكر** فى تغيير الاتجاه .

ويورد المؤلف حقيقة طريفة .. تؤكد ان وسيلة الاعلام اذا استغلت اثارة الخوف للترويج لافكار معينة ، فان التوافق مع التوصيات المقدمة يميل الى الهبوط اذا زادت اثارة الخوف عن مستوى أدنى معين . كما أثبتت البحوث الحديثة أن بعض الافراد أكثر ميلا للاقتناع من غيرهم ، وهذا الميل غير مرتبط بموضوع معين . ويستطرد الدكتور الحارونى ليؤكد عدة حقائق هى : ان الاثار المباشرة لوسائل الاعلام زائفة سرعان ما تزول . والواقع ان هذا نوع من التعميم من جانب صاحب الرسالة قد يجانبه الصواب . ويقول أيضا ، ان المتلقى قد يتنبه الى انه اقتنص على غرة فيكون ارتداده بشكل أقوى وأعمق ، وان الظروف المصطنعة لرفع فاعلية وسائل الاعلام ، تشوه من نوعية التقبل . وان وسائل الاعلام ذات اثر واضح فى التزويد بالمعلومات ، وفى تشكيل الرأى وخاصة فى الموضوعات التى لم يتبلور الرأى عنها بعد . وان أفضل الوسائل للتواصل ، هى ما بدأت من الارضية التى يقف عليها المتلقى .

ويعرف الكاتب النظرة العلمية بأنها « ببساطة اتجاه ذهنى اتجاه عقلانى نحو البيئة المحيطة بنا . ويأخذ الاتجاه العلمى فى اعتباره الحقائق عن الطبيعة ، وكجزء متكامل منها شئون الانسان كذلك . وتكون قوته فى طريقته المقتدرة على الاستنتاج والاستقراء ، المطبقة فى تتابع سببى للوقائع الملاحظة والمحققة ، أما غير الملاحظ وغير المحقق ، التقليدى والذى أضفى الزمان عليه الاحترام ، فانهما لا يدخلان فى نطاق النظرة

العلمية » . ويمضي ليؤكد ان احدى السمات الاساسية التي تنشد ان تضفيها النظرة العلمية على المجتمع المصرى ، هي « معايشة العصر ، والنهوض بهذا المجتمع للحاق بركب التقدم والانطلاق الحضارى » .

وعن اثر الراديو : يورد المؤلف الاستنتاجات التالية التي استخلصها من الدراسة الميدانية التي اجراها على عينة من سكان تربيتين ، ومصنع للصناعات الثقيلة ، وآخر للصناعة الخفيفة ، ولمجموعة من الطلاب .

● **فيما يتعلق بالعمل** : وذلك بالنسبة للاميين : التبصير بالحال غير السعيدة والدفع نحو عدم الرضا ، وقبول الامر الواقع ، اذكاء الرغبة فى التغيير ، مقاومة سلبية تصور الحيلة ، غرس مقدمات التطور والاستعداد للتعليم والتدريب ، التحفيز للبحث عن حلول للمشاكل .

● **فيما يتعلق بالحركية** : اضفاء الحركية التى تتمثل فى النزوح لالتماس العيش ، التحرك المستنير بمعرفة أماكن الهجرة المناسبة ، تنشيط النواحى الاجتماعية فى التعرف والاختلاط والاندماج .

● **فيما يتعلق بالاحساس النفسى** : بلورة المشاعر بالرضاء او السخط ، بث نوع من الاحساس الدينى ، اذكاء ظاهرة تمثل الغير ، التفتح ، ودعم القيم السائدة خاصة الدينية .

● **فيما يتعلق بالنظرة للمراة** : تأثير الراديو لا يذكر ازاء النظرة للمراة ، ولكنه قد يأتى بشيء من التأثير فى بعض العادات والتقاليد ، ويضفى شيئا من العقلانية .

● **فيما يتعلق بالتصرف** : تنمية حب الاستطلاع ، تهذيب العنف التقليدى وغرس المرونة والتفاهم ، ترويج بعض القيم المدنية حتى المرذول منها ، الوعى والادراك بين ما يشرف وما ينقص ، عدم التأثير فى تكوين عادات سلوكية ، ترشيد العادات السلوكية ، الاجتذاب الى العمل السياسى خاصة فى المجتمعات الاكثر بدائية .

● **فيما يتعلق بالنظرة الموضوعية** : تدعيم أهمية الدين كعنصر من عناصر التقدير ، صعوبة الدعوة لما يخالفه ، ترشيد المبررات ، تثبيت عنصر القدرية ، مقاومة الخرافات والبدع ، اذكاء النظرة الموضوعية نحو الامور الدنيوية ، مقاومة السلبية الاجتماعية ، اضفاء المرونة الفكرية ، تنمية عادة وزن الكلام ، المساعدة على الاستيعاب والتقدير للحلول البديلة .

وعن اثر الصحف وكتب الثقافة العامة ، يوضح المؤلف :

● **فيما يتعلق بالعمل** : فان قراءة الصحف تزيد الشعور بالرضا ، وتدفع نحو التغيير وتحارب الضعف وقصور الحيلة ، وتساعد على النضج والموضوعية . أما كتب الثقافة العامة فتخفض الشعور بالرضا ، وتضعف الرغبة فى التغيير ، وتقعد عن التطلع والطموح ، وتساعد على الفكر الموضوعى فى غير ما ايجابية .

● **وفيما يتعلق بالحركة** : فان قراءة الصحف تنشط الاستعداد للعمل ، بعيدا عن الموطن ، وتزكى الرغبة فى الهجرة ، وتمد نطاق التعرف والاختلاط . أما قراءة كتب الثقافة العامة فتأتى بالنتائج العكسية لذلك .

● **فيما يتعلق بالاحساس النفسى** : تؤدى قراءة الصحف الى تناقص الشعور بالارتياح النفسى لدى المستويات التعليمية الدنيا ، وينعكس الوضع مع المستويات الاعلى ، وتزيد تقدير العوامل الاقتصادية وانعكاسها على الحالة النفسية ، ويتزايد النضج فى فهم المشكلات الاساسية فى المجتمع ، والنظرة الموضوعية فى ترتيب الموضوعات ذات الحيوية للبلاد .

● **وفيما يتعلق بالنظرة للمراة** : فان قراءة الصحف وكتب الثقافة ليست هى القوى المؤثرة ، ولكنها تضفى نوعا من العقلانية والترشيد فى التصرفات .

● **وفيما يتعلق بالتصرف** : فان قراءة الصحف تضفى المرونة فى التفكير بين ذوى المستويات التعليمية الدنيا ، وتدعم الاتجاه نحو الاعتماد على النفس وتروج للجوانب المدنية ، وتزيد أهمية التفكير الذاتى،والاتجاه نحو المبررات الاجتماعية .

● **وفيما يتعلق بالنظرة الموضوعية** : تزيد من تقدير التعليم كعنصر فى التعليم والموافقة على الافكار التقدمية وتقدير العوامل الاقتصادية ومقاومة روح التقاعس ، واذكاء حاسة التقصى ، واضفاء المرونة الفكرية ، وزيادة العقلانية والتفكير الموضوعى » .

وعن اثر التليفزيون والسينما ، يورد المؤلف الاستنتاجات التالية :

● فيما يتعلق بالعمل : يؤدى التليفزيون الى بث روح الرضا والارتياح ، خاصة عند من يشاهدونه عند الغير ، واضعاف الرغبة فى التغيير ، ونشر المبررات والاتجاهات التقاعسية ، وتعويق روح الطموح . أما السينما فتبث أيضا روح الارتياح والرضا والتهيئة للتطور والاستعداد للتدريب ، وعدم غرس الاتجاهات الايجابية نحو الطموح .

● وفيما يتعلق بالحركية : فان التليفزيون لا يزاول أثرا محسوسا فى الحركية التى تتمثل فى العمل بالاماكن البعيدة عن الموطن أو مقر العائلة ، ولكنه يثير من ناحية أخرى الرغبة فى الهجرة ، بما يعطيه عن العالم الخارجي من شكل براق ، وينشط النواحى الاجتماعية فى التعرف والاختلاط .. أما السينما فتحدث نفس الآثار تقريبا .

● وفيما يتعلق بالاحساس النفسى : فان التليفزيون يزيد الاحساس بالسعادة ، ولا يمارس تأثيرا نحو النضج فى تقييم العوامل المختلفة ، وأثره صغير فى النظرة الموضوعية بين الاميين . أما السينما فتزيد الشعور بالسعادة ، وتزيد النضج فى التعليم والنظرة العلمية .

● وفيما يتعلق بالنظرة الى المرأة : فالتليفزيون لا تأثير له من حيث النظرة لتعليم واشتغال المرأة ، هو يزيد التقدير لجانب الجمال والاهتمام بالعائلة ، وينمى الاحساس بسيادة الرجل . أما السينما فتزيد الاستنارة من حيث تعليم واشتغال المرأة ، وتزيد التقدير لجانب الجمال والعائلة .

● وفيما يتعلق بالتصرف : فان التليفزيون يزيد الرغبة فى حب الاستطلاع ، ولكن دون ان يدعم ذلك الفكر الموضوعى والتصرف الايجابى . ويزيد الاعتماد على نصح الاخرين ، والاستفسار عما يعرض من أمور ، ولا يؤثر فى تنمية النشاط الاجتماعى المتمثل فى العمل السياسى . أما السينما فتزيد الرغبة فى حب الاستطلاع ، هى أيضا ، ولكن يصاحب ذلك نضج فى التصرف ، كما تنمى الاعتماد على النفس والتفكير المستقل ، وتقاوم الاعتماد على الناس والركون اليهم ، وتزيد التفكير الموضوعى ، ولا تؤثر فى تنمية النشاط الاجتماعى الايجابى المتمثل فى العمل السياسى .

والواقع ان استخلاصات الحارونى ، بغض النظر عن الاتفاق معها ، والخلاف ، كانت فعلا وليدة جهد ملحوظ ودؤوب فى الاستطلاع والملاحظة والاستنتاج ، فى حدود ما يتيحه هذا النوع من الدراسات الميدانية التى تعتمد على العينة .. والرسالة بالفعل تستحق ان تطبع وان توزع كمرجع فى موضوع تندر فيه المراجع والدراسات .

دراسات فى الحرب الخاطفة

تأليف :
محمود عزمى

عرض وتحليل :
عبد القادر ياسين

الناشر :
دار الحقيقة
بيروت ١٩٧٢

قال الجنرال يادين الاسرائيلى « كان المبدأ الاستراتيجى الاساسى لخطة رابين فى حرب يونيو — وهو استغلال الاستراتيجية الصحيحة للاقتراب غير المباشر بدهاء وحذق كبيرين .. وهى تعاليم نحمد الله ان العرب لم يدرسوها » . وقد عقب ليدل هارت على قول يادين ، بأن أسلوب الحرب الخاطفة الذى طبقه الاسرائيليون فى حرب يونيو « يمثل فى رأيى أفضل تطبيق لنظرية استراتيجية الاقتراب غير المباشر بمضمونها العتيق الذكى فى تلمس واستغلال خط التقدم الاقل توقعا بالنسبة للعدو » . ويرى محمود عزمى ان

كل ذلك التهويل هو جزء من الحرب النفسية العنيفة التى تشنها علينا اسرائيل ومعظم أجهزة الاعلام الغربية . ويعترف عزمى أن هذا كان حافزه لتأليف كتابه ، الذى يضم « مجموعة كاملة من الدراسات القائمة على التحليل التاريخى العلمى للتجارب والتطبيقات السابقة لنظرية الحرب الخاطفة » . مؤكدا أنه « تكون للبليتزكريج الالمانية الاسرائيلية نفس النهاية التى كانت فى انتظار البليتزكريج الالمانية .. بفضل ارادة الصمود والنضال لدى الشعوب العربية المناضلة والقادة الثوريين لها » . ولدى تفسيره لهزيمة يونيو ، أشار الكاتب الى أنه قد « تضافرت مجموعة من الاسباب بعضها عسكرى والبعض الاخر سياسى واجتماعى فى احداث هذه النتيجة المؤسفة » .

وفى القسم الاول من الكتاب يستعرض المؤلف عمليات الحرب الخاطفة التى شنها النازى على بولندا عام ١٩٣٩ ، باعتبارها أولى العمليات الحربية فى مجال « الحرب الخاطفة » . وهى الحرب التى تذرع النازى بحادث حدود افتعله من أجل خوضها . والتى بدأت حين فاجأت الطائرات الالمانية المطارات وطرق المواصلات ومراكز القيادات بغاراتها العنيفة ، وتدفقت بعدها الدبابات والمصفحات الالمانية على بولندا يسترها ضباب الفجر . ثم يعقد المؤلف خلفية تاريخية للمحاولات البريطانية والفرنسية والبولندية الرامية الى منع نهوض المانيا بعد الحرب العالمية الاولى . وكيف أدى تساهل بريطانيا وفرنسا مع هتلر الى ضياع النمسا وتشيكوسلوفاكيا . ويوضح محمود عزمى كيف واجهت القيادة البولندية التهديدات الالمانية باللامبالاة والتهوين من شأنها ، فى حين كان الجيش البولندى مسلحا على النمط القديم ومواصلاته سيئة . وكانت الصناعة البولندية عاجزة عن سد احتياجات الجيش ، فى مقابل التقدم الهائل فى كافة المجالات على الجانب الالمانى لان هتلر كان يدرك « انه مهما كانت كفاءة الجيش الالمانى وبسالته فى القتال ، فان النصر فى النهاية للطرف الذى يملك الموارد الاقتصادية والبشرية الاكبر ، متى توافرت له امكانيات حشد وتعبئة هذه الموارد والزمن اللازم لذلك » .

I

وتحقيقا لاستراتيجية الحرب الخاطفة ، كان لابد لهتلر من خلق الجهاز العسكرى المرن السريع الحركة ، القوى ، حتى يمكن له ان يهاجم بسرعة ويكسب الحرب بسرعة ، قبل أن تتحرك قوى الاعداء وقبل أن تنضب موارد المانيا المحدودة نسبيا . ولتوفير عنصرى السرعة والمرونة ، استند التنظيم العسكرى الالمانى الى خلق سلاح مدرع قوى وسلاح جوى حديث ضخم ، بالاضافة الى قيادة محنكة مجددة .

ثم يعرض المؤلف بعد ذلك لتشكيلات قوات البانزر الالمانية (العاصفة) المشكلة تشكيلا قتاليا متعدد الاسلحة من دبابات ومشاة ومدفعية ووحدات اخرى معاونة ، اى وحدات ذات اكتفاء ذاتى يمكنها من الاستمرار فى القتال لفترة طويلة نسبيا . ولا ينسى ان يعرض لتسليح الجيش الالمانى فى مجال الدبابات والمدفعية والطيران .

كما يعرض بالتفصيل للخطة الالمانية لغزو بولندا ، ولسير العمليات الحربية . وكيف أن بريطانيا وفرنسا اضطرتا الى اعلان الحرب على المانيا ، وان كانا لم يحركا ساكنا لنجدة بولندا ، مما أدى الى سقوطها تحت الاحتلال الالمانى بعد نحو عشرين يوما من بداية الحرب .

وقد تضمن القسم الثانى من الكتاب عرضا شيقا للحملات الالمانية الخاطفة على كل من النرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا . وكان هتلر قد أوصى قواته بالرد المحدود على الجيوش البريطانية والفرنسية فى حالة احتكاك أى من جيوش الدولتين المذكورتين للجيش الالمانى .

ويشير المؤلف الى روح التخاذل والانهزامية لدى القادة العسكريين والسياسيين الفرنسيين واعتبارهم « ستالين هو العدو وليس هتلر » . كما كان تسليح تشكيلات الجيش الفرنسى تنتمى الى الحرب العالمية الاولى فى معظمه .

الخطة الالمانية لغزو فرنسا

أجمع أغلب القادة العسكريين الالمان على استحالة الهجوم على فرنسا تحت وهم قوة الجيش الفرنسى وافتقار الجيش الالمانى للتدريب والمدفعية الثقيلة اللازمين لتدمير خط ماجينو . الا أن هتلر رفض الاصغاء لهذه الاراء .

وقامت القوات الالمانية باحتلال بلجيكا المحايدة فى مايو ١٩٤٠ ، وذلك بعد حشد قوى مدرعة هائلة لعبور نهر الموز والاندفاع بسرعة الى دلتا السوم . ولذا فقد تقدمت قوات ألمانية من الشمال عبر الموز الى السودم الادنى لمنع العدو من الانسحاب ، والاستعداد لسحق أى محاولة من القوات الفرنسية للقيام بضربة مضادة قوية غرب الموز . فى حين قامت قوات ألمانية أخرى بحماية الجنب الجنوبى للقوات بين الموز والموزل . وقد سبق كل هذا ، قيام السلاح الجوى الالمانى بتدمير تجمعات الفرنسيين على نطاق واسع على كلا جانبى الموز وحتى نهر الموزل لمنعهم من القيام بضربة مضادة مبكرة .

هذا وقد بلغ مجموع الفرق الالمانية المحتشدة فى جبهة بلجيكا وهولندا ، العاملة والاحتياطية ١٣٦ فرقة ، و٤٥٠٠ طائرةحربية ٠

اما فى الجبهة الفرنسية فقد احتشدت اكثرمن ٤٠ فرقة فرنسية وانجليزية ، تعززها الدبابات ، ورفضت الحكومة الفرنسية خطة تقدم بها الجنرال جاملان للمبادرة بمهاجمة القوات الالمانية ٠ كما رفضت خطة أخرى تقضى بمهاجمة القوات الالمانية عند قيام هذه القوات بمهاجمة بلجيكا ٠ واكتفت الحكومة الفرنسية ومعها مجلس الحلفاء الحربى الاعلى باعتماد خطة تقضى باحتلال خط دفاعى داخل بلجيكا ، الا أن الحكومة البلجيكية رفضت السماح للقوات البريطانية والفرنسية بالدخول الى أراضيها وانتهاك « حيادها » !

الحرب الخاطفة فى النرويج

ثم يحكى الكتاب كيف احتل جنود المظلات ومشاة البحرية الالمان النرويج ، حيث نجحت القوات الالمانية فى احتلال كل موانى النرويج فى اليوم الاول للهجوم (٩ أبريل ١٩٤٠) ، بعد أن تنكرت السفن والمدمرات الالمانية المهاجمة فى هيئة سفن بريطانية . وقد كان هذا السقوط السريع بسبب تراخى الحكومة النرويجية فى اقامة التحصينات الدفاعية ، بالرغم من تلقيها العديد من التحذيرات عن قرب قيام الالمان باحتلال النرويج ، وكانت النرويج قد رفضت قبول الانذار الالمانى بقبول حماية النازى لها ، فى حين قبلت الدانمرك ـ فى اليوم نفسه ـ بهذه الحماية ، ويستخلص الكاتب من الحرب الخاطفة فى النرويج « أن الطرف الذى يملك سيطرة جوية ويعمل من قواعد برية قريبة من ميدان المعركة يستطيع أن يتغلب على الطرف القوى بحريا الذى لا يملك حماية جوية كافية » ٠

احتلال الالمان الخاطف لهولندا

فجر العاشر من مايو سنة ١٩٤٠ ، هبطت مجموعات من الطائرات الالمانية ، تقل كتائب مظلات ووحدات مشاة المانية ، الى المطارات والجسور الهولندية المحيطة بمدن هولندا الرئيسية : لهاى وروتردام وامستردام ، معلنين بذلك بدء الهجوم الخاطف الالمانى على هولندا ٠ وانقضت طائرات « شتوكا » الالمانية تقصف المدن الهولندية بعنف شديد ، وتدمر دفاعاتها ٠ هذا فى حين فتحت القوات الالمانية فجوة واسعة فى القوات الهولندية الضعيفة المرابطة على الحدود ٠ وسارعت القوات الالمانية للحاق بقوات المظلات وتعزيزها ٠ وتراجع الجيش الفرنسى ، الذى أتى لمؤازرة الهولنديين ، فزعا بعدما رأى انهيار الهولنديين . وسرعان ما استسلم الهولنديون صباح يوم ١٥ مايو ٠

ويرجع الكاتب انهيار هولندا السريع الى تفشى روح التخاذل ، وتمكن أوهام الحياد السلبى من عقول أعضاء الحكومة الهولندية ٠ ويستخلص محمود عزمى من ذلك درسا مؤداه « أن كل تهاون مع القوى الفاشية يؤدى الى التعرض لعدوانها وفقدان الحرية والاستقلال والحياة أيضا » ٠

الاجتياح الالمانى لبلجيكا

هبطت تسع طائرات شراعية المانية على الحصون البلجيكية المواجهة لقناة البرت العميقة والتى تفصل بلجيكا عن هولندا ٠ وانتشر افراد البانزر الالمان يفتكون بالحامية البلجيكية ويعطلون مدافعها ويبطلون مفعول المتفجرات التى كانت تلك الحامية تعدها لنسف الجسور الموصلة بين ضفتى القناة لعرقلة تقدم الدبابات الالمانية ٠ وبذلك عبر الميجور جنرال ستيفر بدباباته افضل خندق للدبابات فى أوروبا فى الساعة الخامسة من مساء اليوم الاول للهجوم ، وليس بعد أسبوع كما كان القادة البلجيكيون يعتقدون . وبذا يكون الالمان قد نجحوا ـ بالتطويق الرأسى الخاطف ـ فى شل مفاصل هذا الخط الدفاعى المنيع ٠

وبعد هذه العملية الصاعقة أصدر ليوبولد ، ملك بلجيكا ، وميكيلر ، رئيس أركان حربه ، أوامرهما بالانسحاب الى خط الدفاع الثانى ٠ وخفت القوات الفرنسية لنجدة القوات البلجيكية ٠ فى حين اخترقت قوات المانية أخرى من الجنوب حيث لم يكن الحلفاء يتوقعون تقدمها من هناك ، واشتركت نحو ألف طائرة المانية فى تقطيع أوصال الفرقة ٥٥ الفرنسية المرابطة فى سيدان ٠ مما افسح المجال للقوات الالمانية لعبور الموز دون مقاومة حقيقية . ولم يكن القادة الفرنسيون يلمسون بحقائق الموقف فى الجبهة الا بعد يوم أو أيام ، لانهم « كانوا يمارسون قيادتهم من على مبعدة عشرات الاميال من الجبهة ، من داخل قصور أو قلاع ريفية ، حيث كانوا يعيشون حياة مرفهة للغاية ٠ ولهذا كانت قرارات هذه القيادات تصدر دائما لتطبق على أوضاع تخطتها سرعة الاحداث » ٠

وقد تقدم روميل مخترقا الجبهة البلجيكية عند دينان ، وهو يسوق أمامه القوات الفرنسية المدحورة . وقد أسر مئات الضباط الفرنسيين ، الذين كان يقض مضاجعهم مصير مهماتهم الشخصية الترفيهية . وقد الحوا على روميل كى يبقى لهم الجنود الفرنسيين الذين كانوا يقومون

على خدمتهم · وحسب تعبير الاستراتيجي البريطاني الشهير ، ليدل هارت ، كان ضعف الفرنسيين الاساسى كامنا فى تفكيرهم وليس فى كمية أو نوع عتادهم ، · وبذا كان طبيعيا أن تذهب هجماتهم المضادة وهجمات حلفائهم الانجليز أدراج الرياح .

ولم تستغل القوات الفرنسية والبريطانية الفرصة الذهبية التى سنحت لها ، بالتغلغل والفصل بين المشاة الالمان وقواتهم المدرعة ، التى كانت تسبق المشاة بمئات الاميال ·

ويرى ليدل هارت ان النصر الالمانى هنا قد « اعتمد أساسا على سلسلة من المغامرات الخطيرة ، وعلى الاستعداد الشخصى للقادة الديناميكيين ، أمثال جوديريان وروميل ، فى استغلالهم لهذه الفرص » ·

ويستعرض محمود عزمى تفاصيل معركة دنكرك : منذ نجحت القوات الالمانية فى حصار قوات الحلفاء فيها ، وحتى تم استيلاؤها على المدينة وأشار الى الامر الذى أصدره - حينئذ - هتلر . والقاضى بضرورة ترك القوات البريطانية تنسحب عبر المانش بدون أن يحاول تدميرها . ويرجح الكاتب أن يكون هدف هتلر من وراء ذلك هو تجنيب بريطانيا اذلالا مؤلما ، ويسهل عليها قبول تسوية سلمية ، تتيح لهتلر الاستدارة للاتحاد السوفيتى وتدميره !

المرحلة الاخيرة من معركة فرنسا

فقدت فرنسا فى معارك هولندا وبلجيكا ٣٠ فرقة من جيشها ، بالاضافة الى حرمانها من تسع فرق بريطانية . وكان مستحيلا اعادة تسليحها فى وقت قريب ·

وفى فجر يوم ٥ يونيو بدأت المدفعية الالمانية قصفها الشديد لمواقع الفرنسيين والبريطانيين فى الجبهة الفرنسية . وبعد ١٢ يوما كانت فرنسا كلها قد سقطت تحت اقدام النازى · ومن الطريف ان بعض الفرنسيين خرجوا لتحية دبابات الالمان ظنا منهم أنها دبابات بريطانية حليفة !

وقد دخل الدكتاتور الايطالى ، موسولينى ، الحرب الى جانب المانيا ، يوم ١٠ يونيو ، حيث هاجم فرنسا من حدودها الجنوبية الشرقية ·

واذا كان الجنرال بيتان قد أعلن استسلام فرنسا ، يوم ١٧ يونيو ، فان الجنرال ديجول - وكان نائبا لوزير الدفاع الفرنسى آنذاك - قد فر الى بريطانيا ليعلن منها - بين سخرية معظم الفرنسيين - استمرار المقاومة بعد أن « خسرت فرنسا معركة واحدة ، ولكنها لم تخسر الحرب » .

عوامل نجاح البليتز كريج

يرى ليدل هارت ، أن انتصار المانيا فى معارك ١٩٤٠ كان مرده الى امتيازهم « بالهجوم الجوى والسرعة التى استخدموا بها دباباتهم والاسلوب الكاسح الذى استطاعوا ابتكاره » بالرغم من تفوق الحلفاء العددى فى الجنود والدبابات · ويؤكد القائد النازى فون مانشتين نفس المعنى حين يعيد هذا النصر الى « السرعة وقوة الضربة ·. والى عدم جعل الحرب ثابتة ، بل تعتمد على خفة الحركة وحسن التصرف للقادة على جميع المستويات» · ويقول محمود عزمى ان البليتز كريج تعتبر تطويرا ثوريا فى وسائل التكتيك الهجومى ، وأنها « كانت تمثل ركنا جوهريا من أركان الاستراتيجية العسكرية العامة لالمانيا الهتلرية وقتئذ ، تلك الاستراتيجية المستندة الى توفر وسائل عسكرية قوية وفعالة لتحقيق نتائج حاسمة بالنسبة لاهداف السياسة التوسعية الاستعمارية العنصرية لالمانيا النازية ، بواسطة عمليات عسكرية عنيفة سريعة وقصيرة الامد بقدر الامكان وذلك لان عملا عسكريا طويل الامد قد يؤدى الى سرعة جفاف موارد المانيا المحدودة بشريا وماديا » · هذا بالاضافة الى أن البليتز كريج الشرسة والبالغة العنف كانت أسلوبا للحرب يتفق كل الاتفاق مع العقائد الفاشية والنازية .

ويعيد المؤلف نجاح البليتز كريج عام ١٩٤٠، الى العوامل التالية :

١ - صحة وكفاءة الخطة الالمانية العامة ، المستندة الى أسلوب « الاقتراب غير المباشر » القائم على اجبار الخصم على بعثرة قواته ·· مع اختيار الخط الاقل توقعا ، لتحقيق المفاجأة ·· مع اخذ خط عمليات يؤدى الى اهداف متناوبة تزيدمن اضطراب العدو وتشل توقعاته ·· وأخيرا عدم تجديد الهجوم على الخط نفسه وبالطريقة نفسها بعد أن يكون الهجوم السابق قد فشل · ويلاحظ أن تكتيكات النازى كانت متوافقة مع استراتيجيته ·

٢ - حصول النازى على المبادأة ، أى « المبادرة بالعمل فى الاتجاه الصحيح قبل العدو ، لدفعه على أن يعمل تبعا لتحركات خصمه » على حد تعبير جون ج · يرد .

٣ - الاستخدام الكفء للمدرعات من جانب الالمان ·

٤ - حصول الالمان على التفوق الجوى ·

٥ - تخلف واضطراب قيادات الحلفاء ·

ويحدد الكاتب ، بعد ذلك السمات الاساسية لنظرية الحرب الخاطفة ، كما وضعها مؤسساها

ليدل هارت وفوللر ، فقد اوضح ليدل هارت بانه يمكن تطبيق الحرب الخاطفة « بضربة حاسمة على عقب آخيل فى جيش العدو ، أى مواصلاته وأجهزة قيادته التى تشمل الجهاز العصبى » • وتعاون الطيران مع المدرعات « فى ضرب الجهاز العصبى للعدو ومراكزه الاقتصادية المدنية الثابتة بغية الوصول الى نتائج حاسمة » • اما فوللر فيقرر بأنه سيصبح فى الحرب الخاطفة « هدف الهجوم من جديد مؤخرات جيوش العدو •• ويحل القتال فى منطقة محل القتال الخطى ، وتظهر الجبهة فى اى مكان • وسيكون الهجوم عبارة عن عمليات تدمر معنويات العدو وتتجه نحو قيادته والمراكز العصبية الحساسة فى جيشه •• وسيهدف العمل الحاسم الى تخفيف وابطاء حركة قلب جيش العدو بدلا من تدمير تشكيلاته ماديا • وما أن يتم تثبيت العدو وانعدام قدرته الحربية حتى تبدأ عملية الابادة نفسها » • ولم يقدر لهذه النظرية أن تخرج الى حيز التطبيق الا على يدى هتلر •

ويتطلب هذا النوع من القتال :

١ ـ **درجة عالية من استيعاب فنون التكتيك العسكرى** ، ومرونة التنظيم ، وكفاءة الشئـون الادارية ، وارتفاع مستوى التنسيق بين الاسلحة المختلفة •

٢ ـ **التفهم الجيد لمزايا « الحرب الميكانيكية »** والافادة منها ، بتركيز القوى فى نقطة واحدة لفتح ثغرة للانطلاق منها وتطويق وعزل العدو على الجانبين ، ثم الاندفاع ، كالصاعقة ، داخـل الدفاعات للوصول الى مؤخرة العدو •

٣ـ **التفوق الجوى** ، لتغطية عمليات المدرعات ودعمها •

٤ ـ **اتباع استراتيجية « الاقتراب غير المباشر »**

٥ ـ قيادة مرتبطة بحركة الواقع الحى المباشر فى ميدان العمليات ، وقادرة على المبادرة بأخذ القرارات السليمة والسريعة التى يمليها التطور السريع والمفاجىء لحركة الاحداث •

٦ ـ **حرب نفسية عنيفة تضخم من قوة الجيش** وتشكك فى قدرة القوات التى تواجهها • وتلعب على التناقضات بين أعدائها •

٧ ـ **المباغتة تكتيكيا واستراتيجيا** •

استراتيجية اسرائيل العسكرية فى حـــرب يونيــو ١٩٦٧

وعى القادة الاسرائيليين افتقار اسرائيل الى العمق الاستراتيجى نتيجة ضيق عرضها وقصر طولها• وظل هؤلاء القادة يخشون قيام هجوم عربى مفاجىء منسق وفى وقت واحد ، يدمر الدولة الاسرائيلية ، مما دفعهم الى تطوير الدفاع الاسرائيلى الاقليمى لتعويض البلاد عن افتقارها للعمق الاستراتيجى•• والتخطيط لنقل المعارك المقبلة الى أرض الدول العربية • وبسـبب افتقارها للعمق الاستراتيجى ، وطبيعة دورها فى المنطقة كرأس رمح للامبريالية ، وتعدد أعدائها وتفوقهم عليها بشريا ، وجدت اسرائيل نفسها مضطرة الى اتباع استراتيجية الحرب الخاطفة.

ولخدمة هذه الاستراتيجية لجـأ القـادة الاسرائيليون الى استخدام نظام خاص لتعبئـة الاحتياطى ، سويسرى الطابع ، يتيح لهم الاحتفاظ بمعظم الجيش فى شكل احتياطى قابل للتعبئة السريعة للغاية ، مع كفالة ارتفاع مستوى كفاءته القتالية فى الوقت نفسه • كما ركز القـادة الاسرائيليون على سلاحى المدرعات والطيـران وطوروهما • ونظمت القيادة الاسرائيلية بحيث تسهل على القوات المسلحة القيام بمهماتها القتالية وتتـلاءم واحتيـاجات استراتيجيتها ، وركـزت القيادة الاسرائيلية فى برامج تدريب الضـباط والقادة على مبـادىء « الهجـوم دائما » ، و «المغامرة» و«القدوة» و «الابتكار و « سرعة التصرف » و « لا مركزية القيادة » • والى جانب الثقافة العسكرية يتلقى معظم الضباط دراسات جامعية ودورات ادارية ودورات أخرى لتعلـم اللغات الاجنبية المختلفة •

وبالاضافة الى كل ذلك فان اسرائيل تعتمد فى حربها الخاطفة على فيض المعلومات الدقيقة عن العدو ، وتتبع اساليب الخداع ، وتشن حربا نفسية تمهد للعمليات العسكرية وتؤازرها •

ويستعرض المؤلف بعد ذلك العمليات الاسرائيلية فى حرب يونيو ١٩٦٧ على الجبهـات المصرية والسورية والاردنية •

وبعد ••

فان هذا العرض السريع لا يفى هذا الكتـاب القيم حقه ، كما لايغنى عن قراءته والافادة منه والاستمتاع به •



الحرب الاقتصادية واقتصاديات الحرب التدابير والاهداف

مصطفى النجار

اوضح الرئيس السادات فى خطابه أمام المؤتمر المشترك للجنة المركزية ومجلس الشعب ، ان مرحلة المواجهة الشاملة هى مرحلة حتمية ، واصبح من الضرورى لشعبنا ان يدخلها ويتحمل أعباءها ، نتيجة للظروف التاريخية التى يمر بها نضال الشعب .

ومن هذا المنطلق ، لا يسعنا الا ان نتعرض للحرب الاقتصادية ، باعتبارها عنصرا هاما من عناصر الحرب النفسية ، ولا تقل فى أهميتها عن باقى أنواع الحروب ، لانها تهدف فى النهاية الى تدمير التعبئة الاقتصادية التى يقوم بها بلد بعينه . وعانت جمهورية مصر العربية من تلك الحرب .. مما القى عليها عبئا ثقيلا !

ثم نتحدث عن اقتصاديات الحرب ، باعتبارها عملية تعبئة وحصر كافة الموارد والامكانيات القومية المتاحة ، مادية كانت أم بشرية ، واعادة توزيع استخداماتها ، بحيث يخصص الجانب الاكبر منها لخدمة المجهود الحربى ، وتحقيق النصر فى المعركة التى نخوضها .

تدابير وأهداف

لقد اختلف الشراح فى وضع تعريف محدد للحرب الاقتصادية .. فيعرفها البعض على أساس التدابير المستخدمة فيها ، ويعرفها البعض الاخر على أساس الجهود التى تبذل فيها لادراك وتحقيق أهدافها . فاستخدم اصطلاح الحرب الاقتصادية فى بريطانيا والولايات المتحدة ، للاشارة الى كل التدابير الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية التى تتخذ لتدمير التعبئة الاقتصادية للعدو .

وتشتمل تدابير الحرب الاقتصادية على عناصر عديدة متشعبة لا يمكن لاى باحث ان يحصرها حصرا تاما ، ولكن أهمها :

١ — تقييد الاستيراد والتصدير ومراقبتهما .
٢ — الحصار البحرى .
٣ — مراقبة الاتفاقيات التجارية التى تعقد مع الدول المحايدة .
٤ — السيطرة والرقابة على دوائر الاعمال العالمية .

وليست هناك حدود بين الحرب الاقتصادية والحرب السياسية ، فهما عملان متكاملان يتمم كل منهما الاخر ، وهدفهما فى النهاية هو اخضاع شعب معين لسيطرة خارجية .

ويمكن ان نلخص الاهداف الاقتصادية التى تسعى الحرب الاقتصادية لتحقيقها فى النقاط التالية :

[أ] ضمان موارد المواد الخام .
[ب] ضمان الاسواق .
[جـ] تحسين مستوى التبادل التجارى .
[د] منع دولة ما من الحصول على المواد الخام والسلع ذات القيمة الاستراتيجية .
[هـ] السيطرة الاقتصادية على بلد ما .

وقد تشتد الحرب الاقتصادية بين دول متكافئة أو متقاربة فى القوة ، كما حدث بين الكتلتين فى هذا المضمار ، وكما تحاول الدول الكبرى الان السيطرة على الدول المتخلفة او النامية ، فتسلط عليها أسلحة هذه الحرب . وتعرضت مصر منذ

قيام الثورة لعدة حملات أو مواقف فى مجال علاقاتها الدولية ، بعضها يحمل صورة الضغط الاقتصادى الصريح ، والبعض الاخر ينطوى على مظاهر قد لا تصل الى حد الضغط الاقتصادى ، وان سببت لها مصاعب جسيمة .

وهنا لا يسعنا الا ان نقول ان الناحية الاقتصادية هي صميم المعركة بيننا وبين الاستعمار وما من مؤامرة تحاك ضدنا ، أو حرب يشنها الاستعمار علينا الا ووراءها هدف اقتصادى ، هو ايقاف النمو فى بلادنا .

تخطيط اقتصاديات الحرب •• كيف ؟

وهكذا تتضح لنا أهمية التخطيط للحرب ، والتخطيط من أجل التنمية عموما ، حيث ان التنمية فى مفهومها العام هى تحقيق زيادة فى الدخل القومى الحقيقى للمجتمع ، مع احداث تغييرات جذرية فى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية . وخطة الحرب تعنى وضع تنظيم خاص للصناعة والزراعة . وهذا يستلزم :

- نقل بعض المصانع من مناطق القتال ، وانشاء مصانع جديدة فى مناطق اكثر ملاءمة .
- تحويل الكثير من مصانع الانتاج المدنى الى انتاج حربى .
- تنظيم المواصلات لضمان استمرار الاتصال بالجبهة وبأماكن الصناعات الجديدة .
- ضمان الاستقرار فى الانتاج الزراعى .
- توفير الايدى العاملة وتعويض الندرة النسبية فيها بسبب التجنيد .
- ايجاد أسلوب مناسب لتدبير موارد مالية كافية واستخدامها فى تمويل احتياجات الحرب ، والوفاء بمطالب السكان من السلع الضرورية التى تتسم بندرتها فى ظروف الحرب .

الحرب الحديثة •• عبء على الدول المتقدمة والمتخلفة

ومن الاسباب التى تحتم على الدولة تخطيط مواردها وتعبئتها ، ان الاعباء الاقتصادية للحرب زادت زيادة كبيرة ، بحيث أصبحت تكاليفها تمتص كل فائض يمكن لافراد المجتمع التنازل عنه ، فضلا عن ضرورة العمل على زيادة هذا الفائض رغم أية ظروف معطلة لقوى الانتاج .

واذا كانت تكاليف الحرب الحديثة تمثل عبئا على الدول المتقدمة ، فمما لا شك فيه انها تمثل عبئا أكبر ومشكلة اكثر تعقيدا بالنسبة للدول النامية ، ومنها دول المواجهة مع اسرائيل .

وتقترن الحرب الفعلية بازدياد حدة عوامل الندرة النسبية للسلع الضرورية ؟ ويرجع ذلك الى عدة اسباب أهمها :

- تدمير جانب من الطاقة الانتاجية للمجتمع .
- التوقف الكلى أو الجزئى فى بعض المصانع عن الانتاج المدنى لانقطاع واردات بعض الخامات اللازمة لهذه المصانع ، أو لتوجيه السلع الانتاجية والموارد الخام نحو انتاج السلع الحربية غير الانتاجية .

وهكذا يتميز مفهوم اقتصاديات الحرب بثلاث خصائص هى :

١ ــ نقص سلع الاستهلاك المدنى .
٢ ــ تزايد الاستهلاك فى المعدات الحربية .
٣ ــ ازدياد احكام الدولة على موارد المجتمع .

وتتميز الدراسات الخاصة باقتصاديات الحرب بثلاث مراحل هى : مرحلة الاعداد للحرب ، ومرحلة الحرب الساخنة او الفعلية ، ثم مرحلة ما بعد الحرب ، ولكل مرحلة من هذه المراحل مشكلاتها الخاصة بها ، ومن ثم الاجراءات والحلول الملائمة لمعالجة تلك المشكلات .

فمرحلة الاعداد للحرب يقصد بها تلك الفترة التى تسبق الحرب الفعلية أو الساخنة •

وفى هذه الفترة ينبغى المواءمة والتوفيق بين التخطيط للحرب والتخطيط للتنمية ، بحيث تتم خطوات الاستعداد للناحيتين (الحربية والانتاجية) فى وقت واحد ، مع التسليم بحتمية زيادة الاهمية النسبية لاحداهما على الاخرى ، وفقا لتطور الاحداث والظروف المحيطة بها •

وبرامج الانتاج لا تتغير بصفة جوهرية الا بالقدر الذى تفرضه ضروريات هذه المرحلة ، مثل نقص الانتاج نتيجة لنقص مستلزمات الانتاج • ويتحول جانب من الاستثمارات الى استخدامات أخرى كنتيجة لتوجيه جانب أكبر من حصيلة العملات الاجنبية للمجهود الحربى ، أو ايقاف العمل فى بعض المشروعات أو نقلها بسبب مواقعها الاستراتيجية •

أما اذا استغرقت مرحلة الاعداد للحرب فترة طويلة نسبيا فان تخطيط الاستثمارات يتجه الى التركيز على الصناعات الاستراتيجية ، والاستفادة من الطاقات العاطلة غير المستغلة بالوحدات الانتاجية القائمة •

ولضمان مشاركة الانتاج الصناعى بدور فعال خلال الحرب ، يتطلب الامر أن تقوم مؤسسات الدولة ، وادارات الامداد والتموين بالقوات المسلحة ، وأجهزة الاحصاء المركزية بدراسات وافية عن احتياجات ومتطلبات المعركة من الانتاج الزراعى والصناعى ، حتى يمكن وضع البرامج

البديلة ، وتدبير مستلزمات الانتاج اللازمة لامكان الوفاء بمتطلبات المعركة وفق البرامج المخطط لها ٠

وفى هذه المرحلة أيضا لابد من رفع الكفاية الانتاجية للوحدات الاقتصادية عن طريق العمل على حسن استغلال الموارد ، والارتفاع بكفاية العاملين ، والعمل على خفض معدلات العوادم وعيوب الانتاج ٠

ومن ناحية اخرى يلزم الاحتفـاظ باحتيـاطى مناسب من مستلزمات الانتاج ، سواء كانت محلية أو مستوردة لمجابهة الصعاب التى قد تسفر عنها مرحلة الحرب ، وخاصة بالنسبة للصناعات الاستراتيجية والمنتجات التموينية المختلفة ٠

يضاف الى ذلك ضرورة اتخاذ الاجـراءات الكفيلة بتأمين مصادر الطاقة والوقود لتكويـن احتياطى كاف منها ٠

كذلك من الضرورى الاستفادة من فائض العمالة لوحدات الانتاج ٠

الحرب الســاخنة

وبالنسبة لمرحلة الحرب الساخنة أو الفعلية ، فان الامر يختلف حيث تظهر مشكلات من نوع خاص ، فينحصر الاهتمام فى تلك الفترة فى :

● ضرورة تحويل المزيد من الطاقات الانتاجية المدنية الى الانتاج الحربى ٠

● احتمال فقدان جانب من تلك الطاقة بسبب التدمير ٠

● احتمال النقص فى مستلزمات الانتاج بسبب عدم تكوين مخزون سلعى خلال فترة الاعداد للحرب ، او بسبب مشكلات النقل والتموين ٠

● احتمالات تأثر الانتاج بسبب سحب المزيد من العاملين لخدمة القوات المسلحة ٠

● احتمال تعرض مصادر القوى والنقـل والمواصلات للتدمير ٠

● هذا فضلا عن العوامل النفسية التى يخلقها جو المعركة ٠

ومما لا شك فيه أن الاجراءات التـى يمكن اتخاذها فى هذه المرحلة تتطلب المزيد مـن التضحيات ، سواء من جانب الافراد عموما ، أو من جانب العاملين فى قطاع الانتاج ٠

ويكون ذلك بتوجيه الجانب الاكبر من الانتاج الصناعى الى الاسواق الخارجية ٠ ولو أدى ذلك الى نقص المعروض فى السوق المحلية ، حيث يمكن توزيع بعض السلع الضرورية بالبطاقات أو اتخاذ الاجراءات السعرية اللازمة لتحقيق التوازن بين عرض السلع والمطلوب منها ٠

وضرورة بذل أقصى طاقات الجهد من جانب العاملين فى مجال الانتاج دون نظر الى المطالب العمالية التى تثار فى أوقات السلم ، مثل ساعات العمل والاجور الاضافية ، هذا فضلا عن ضرورة المحافظة على الطاقات الانتاجية ، أو زيادتها بكافة الوسائل ٠

مرحلة مابعد الحرب

أما مرحلة ما بعد الحرب فان مشكلاتهـا والاجراءات اللازمة لعلاجها ، فتتأثر بما سـبق اتخاذه من اجراءات خلال المرحلتين السابقتين عليها ٠ كما تتأثر بالنتيجة التى تسفر عنهـا الحرب ٠

ومع صعوبة التنبؤ بمشكلات واوضاع هذه المرحلة للاسباب المتقدمة الذكر الا أنه يلزم ملاحظة الاثار التى تسببها مرحلة الحرب والاعداد لها على موقف النقد الاجنبى ، ويستتبع ذلك :

● ضرورة الاهتمام بالتصدير بصرف النظر عن الاثار التى تقع على السوق المحلى ٠

● معرفة مدى تأثر خطة التنمية خلال فتـرة الحرب والاعداد لها ٠

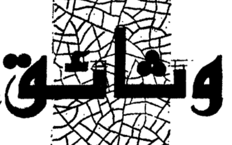
● ضرورة العمل على وضع الخطط الكفيلة بالحصول على المعدات المطلوبة لبرامج التنمية المقررة ٠

● ضرورة بذل المزيد من الجهد والتضحيةمن جانب افراد الشعب والعاملين فى كافة مجالات الانتاج ٠

● واخيرا فان ظروف الحرب تفرض على المجتمع وجوب مساعدة الدولة وتخفيض الواردات وذلك بالاعتماد على الانتاج المحلى والخامات المحلية والاستغناء عن الانتاج او المواد المستوردة قدر المستطاع ٠

وبعد : ان مرحلة المواجهة قديمة ، ولن تتوقف بزوال آثار العدوان ٠٠ انها قائمة منذ اخذنا طريق الاستقلال والتحرر السياسى والاجتماعى ، وستظل قائمة طالما تمسكنا بهذا الطريق والى أن يزول الاستعمار ٠

وبذلك تسود قيم التحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتمـاعى ٠٠ ويعـم نـورهـا ارضـنـا ٠



الأرض المحتلة ١٩٧٠

□ تدمير الممتلكات

□ تغيير الأوضاع – مصادرة الممتلكات – تغيير الطابع العربى

في العدد الماضي ، نشرت « الطليعة » وثائق « الارض المحتلة ١٩٧٠ – احتجاجات .. واضرابات .. ومظاهرات » وتكشفت هذه الوثائق عن ظاهرة « الرفض والتمرد » الشعبية داخل الاراضي المحتلة ، بين صفوف كل قوى الشعب العربي المعادي للاستعمار والرافض لاحتلال اراضيه ، والمناضل من اجل تحريرها .

وفي هذا العدد ، تواصل « الطليعة » نشر هذه الوثائق الهامة التي اعدتها :

«The Arab Women's Information Committee»

واصدرها « معهد الدراسات الفلسطينية » – بيروت ، يونيو ١٩٧١ ، تحت عنوان « العرب تحت الاحتلال الاسرائيلي : ١٩٧٠ » .

أولا : تدمير الممتلكات

« محظور على السلطة المحتلة تدمير اى ممتلكات منقولة او غير منقولة ، سواء أكانت مملوكة ملكية فردية او جماعية للافراد او لغيرهم من الهيئات العامة او المنظمات الاجتماعية والتعاونية الا فى الحالات التى يكون فيها مثل هذا الاجراء من مقتضيات الضرورة القصوى نتيجة للعمليات العسكرية » ٠

[المادة ٣٣ من معاهدة جنيف الرابعة]

« الاعمال الانتقامية ضد الاشخاص الخاضعين للحماية او ممتلكاتهم محظورة تماما » ٠

[المادة ٥٣ من معاهدة جنيف الرابعة]

دمرت قوات الامن الاسرائيلية ستة منازل فى جنين وتلقيلية ونابلس ، فى أعقاب القبض على أصحابها بتهمة التخريب ٠ وصرح متحدث باسم الحاكم العسكرى بأن تدمير هذه المنازل لم يكن متعلقا بالقاء القنابل فى نابلس خلال الاسبوعين الماضيين ، وانما بعمليات أخرى ٠

[دافار ، أول يناير ١٩٧٠]

دمرت قوات الامن فى ٣ يناير كوخا يملكه موسى شاخشير ، [٢٤ سنة] ، الذى كان قد اعتقل فى مطلع هذا الشهر بشأن نشاطه الفدائى ٠

[دافار ، ٤ يناير ١٩٧٠]

دمرت قوات الامن الاسرائيلية منزلا فى معسكر المغازى للاجئين بغزة ، حيث اصطدموا ببعض المخربين ٠

[ها آرتس ، ٦ يناير ١٩٧٠]

دخل السيد راغب العلمى ، العمدة العربى لغزة المحتلة ، اسرائيل لاول مرة فى ١١ يناير ، حيث طلب الى الاسرائيليين وضع حد لسياستهم فى نسف المنازل ردا على نشاط الفدائيين ٠

وذكرت المصادر المطلعة ان العمدة ــ الذى حافظ على مبدئه فى عدم دخول اسرائيل منذ حرب عام ١٩٦٧ ــ قد ذكر للسيد اسحق نافون ، نائب المتحدث الرسمى باسم الكنيست الاسرائيلى [البرلمان] ، ان العقوبات ينبغى أن توقع على الفدائيين وحدهم ، لا على غيرهم من شاغلى المساكن ٠

[التايمز ، ١٢ يناير ١٩٧٠]

دمرت السلطات الاسرائيلية خمسة منازل فى قرية كفار جمال فى قلقيلية ، نتيجة لاتهام اصحابها بالتعاون مع الفدائيين ٠ وكانت هذه المنازل ملكا لكل من : داود محمد حسن ، ومصطفى حسين عبد الله ، وامين ابراهيم جابر ، ومحمد سليمان المشد ، ولطفى سعد صالح ٠

[ها آرتس ، ١٣ يناير ١٩٧٠]

تم تدمير عدة منازل فى قرية بيت فجر بمنطقة الخليل فى أوائل هذا الاسبوع ، اثر اكتشاف عدد من مخابىء الذخيرة والسلاح ٠

[جيروساليم بوست ، ١٥ يناير ١٩٧٠]

تم تدمير ٦٠ منزلا فى معسكر المغازى للاجئين بقطاع غزة ، لانشاء طريق يمر خلال المعسكر ٠

[لوريان ، ٢٣ يناير ١٩٧٠]

نسفت قوات الامن منزلين فى نابلس بعد القبض على سكانها ، للاشتباه فى انتمائهم الى احدى المنظمات الفدائية ٠

[ها آرتس ، ٢٨ يناير ١٩٧٠]

نسفت قوات الامن منزلا يملكه عبد الكاتب خليل من نابلس ويعمل فى المانيا ٠ وكان ١١ فردا من أسرته يقطنون بالمنزل ٠

[دافار ، أول فبراير ١٩٧٠]

نقلت صحيفة « الدستور » الاردنية ، نقلا عن بعض القادمين من غزة المحتلة ، ان القوات الاسرائيلية قد دمرت مؤخرا أكثر من ٧٠ منزلا فى أحد معسكرات اللاجئين هناك ، بعد صدام بين القوات الاسرائيلية ورجال المقاومة العرب ٠

[رويتر ، ديلى ستار ، ٥ فبراير ١٩٧٠]

نسفت خمسة منازل فى منطقة جنين ، كانت مملوكة لخمسة من المحتجزين منذ نحو ثلاثة شهور ، للاشتباه فى قيامهم بنشاط تخريبى ٠

[دافار ، ١٠ فبراير ١٩٧٠]

دمرت قوات الامن منزل عبد الرؤوف سرحان ، مدير معسكر بلاطة للاجئين ، وكان السيد سرحان قد اعتقل منذ شهر ، لاتهامه بالقيام بنشاط تخريبى ٠

[دافار ، ١٠ فبراير ١٩٧٠]

نسفت قوات الامن منزل شخص اشتبهت فى انتمائه الى « فتح » ٠

[دافار ، ١١ فبراير ١٩٧٠]

اعلن متحدث عسكرى ان القوات الاسرائيلية قد نسفت ٣٥ منزلا بالضفة الغربية ، من بينها ٣٠ منزلا من بيوت اللاجئين ، للقول بأن سكانها قد قدموا مساعدات للفدائيين ٠

[رويتر ، أ ٠ ب ، النهار ، ١٢ فبراير ١٩٧٠]

نسفت أربعة منازل فى قرية بيت فجر جنوبى بيت لحم ، للزعم بأن ملاكها من الفدائيين ٠ كما دمرت ثلاثون منزلا أخرى فى منطقة العوجة شمالى أريحا ٠ وقالت دوائر الامن ان هذه المبانى قد ازيلت « لدواعى الامن » ٠ ودمر منزل آخر فى جنين ٠

[جيروساليم بوست ، ١٣ فبراير ١٩٧٠]

نسفت قوات الامن ثلاثة منازل فى قرية بيت فجر ، لان ملاكها من المعتقلين المشتبه فى قيامهم بنشاط فدائى ٠

[ها آرتس ، ٢٣ فبراير ١٩٧٠]

نسفت ثلاثة منازل فى منطقة الخليل ، وكان ملاك هذه المنازل من الفدائيين الذين قبض عليهم منذ بضعة أسابيع ٠

[جيروساليم بوست ، ٢٥ فبراير ١٩٧٠]

« الاحباط يؤدى الى المقاومة ، والمقاومة تولد الكبت ، والكبت يؤدى الى الارهاب دون تمييز ، الذى يؤدى بدوره الى المقابلة بالمثل دون تمييز ، وقد أدت أعمال الارهاب دون تمييز ، التى وقعت مؤخرا فى غزة ، وفى قرية حلحول المحتلة ، الى نسف عشرات من المساكن يملكها اناس لا علاقة لهم بالاعمال الارهابية المعنية التى اتخذت اعمال القمع هذه انتقاما لها ، اذ تصادف ان كانوا ببساطة يعيشون فى هذه النواحى

وقد كانت هذه الاعمال الانتقامية فى غزة وحلحول هى أول خروج جدى من السياسة التى أعلنت منذ عامين ، والتى التزم بها جيش الاحتلال بدقة حتى ذلك الوقت ٠ وقد اختار وزير الدفاع دايان فى اعلانه عن السياسة الانتقامية الجديدة تعبيرا غير موفق لوصفها ، فأسماها « عقاب أبناء الناحية » ، وقال ان مثل هذا العقاب قد أصبح الان ضروريا ، نظرا لتزايد الاعمال الارهابية فى المناطق المحتلة » ٠

[لايسف ، ٢ مارس ١٩٧٠]

نسف منزلان فى الخليل صاحباهما ممن لهم علاقة بالنشاط التخريبى ٠ ومما يذكر ان أحد المنزلين يملكه أحد أقارب عمدة الخليل ، الشيخ محمد على الجعبرى ٠

[لوموند ، ٣ مارس ١٩٧٠]

نسفت قوات الامن بالديناميت ، ثلاثة منازل فى الجزء الشمالى من غزة ، حيث زعمت ان احدى الدوريات الاسرائيلية قد تعرضت لاطلاق النيران من هذه المنازل ٠

[جيروساليم بوست ، ١٧ مارس ١٩٧٠]

فجرت قوات الامن منزلا بمعسكر داعشيا للاجئين بالقرب من بيت لحم ، لان عربيا كان قد اعتقل بتهمة القيام بنشاط تخريبي قد استأجره ٠

[ها آرتس ، ٢٤ مارس ١٩٧٠]

في ١٢ مارس اكتسحت الجرارات منزلا في دير حنا يملكه عاطف سعيد خطيب ، مما أدى الى ترك أكثر من ٢٥ اسرة بلا مأوى ٠ وزعمت الشرطة ان المبنى اقيم دون ترخيص ، على الرغم من ان احدى المحاكم الاسرائيلية كانت قد أعطت الخطيب مهلة ثلاثة شهور للحصول على ترخيص ٠ وتم تقويض المبنى قبل انتهاء هذه المهلة ٠

[الاتحاد ، ٢٤ مارس ١٩٧٠]

« ان أي قدر من المشاعر الودية لدى الاسرائيليين يعجز عن ان يقلل من مشاعر العداء العربي ٠٠ ففي نابلس ورام الله وأريحا والخليل ، لا يتحدث العرب عن عدد المشروعات الزراعية الاسرائيلية ، بل يتحدثون عن المساكن العربية التي نسفت كعقاب على تعاون أصحابها مع الفدائيين الفلسطينيين ٠٠٠

« ويبدو أن الاسرائيليين مصرين على الاستمرار في هذه السياسة ، زاعمين انها تمثل حائلا مثاليا ضد التعاون مع الجماعات السرية التي تتسلل الى الاراضي المحتلة من الاردن وسوريا ولبنان ٠

« أما العرب ، فانهم يروون قصة مختلفة ، اد يقولون ، ان نسف المنازل كيفما اتفق يشجع المقاومة ، ويخلق الاستياء ٠

« وهم يروون قصة احدى المدرسات ، من مدينة رام الله ، نسف منزلها عندما اتهمت بمحاولة تسميم أحد العرب المتعاونين مع اسرائيل ٠ وقد برأتها المحكمة فيما بعد من هذه التهمة ، ولكن منزلها كان قد انتهى

« وهم يروون أيضا قصة شاب عربي اتهم بالعمل مع جماعة « فتح » الفدائية ولم يكن له بيت ، فنسفت السلطات منزل والده ، على الرغم من ان الوالد يعيش في الكويت » ٠

[ايفننج ستار ، ٣٠ مارس ١٩٧٠]

نشرت صحيفة « الدستور » الاردنية ان السلطات الاسرائيلية قد دمرت ١٦ منزلا في محلة صغيرة بغزة تسمى فدعوس ، بدعوى ان أصحابها أعضاء في احدى حركات المقاومة ، وانهم قد ساعدوا الفدائيين العرب ٠

[رويتر ، ديلي ستار ،
٥ مايو ١٩٧٠]

نشرت صحيفة « الدفاع » الاردنية ان السلطات الاسرائيلية بالضفة الغربية حاصرت قرية بيت صوريف باقليم الخليل سحرا ، واعتقلت ١٤ من أبناء القرية ونسفت منزلين ٠

وقد أقام الاسرائيليون مستوطنة جديدة بالقرب من القرية ونقلوا اليها اكثر من ١٥٠٠ من المستوطنين المسلحين ٠ كما نسفوا أيضا منزلا في الخليل ، بعد أن اتهموا صاحبه بالانتماء الى حركة المقاومة ٠

[رويتر ، ديلي ستار ،
٩ مايو ١٩٧٠]

دمرت قوات الامن الاسرائيلية ثلاثة منازل في حبرون ٠

[ها آرتس ، ١٠ مايو ١٩٧٠]

صرح متحدث باسم الحكومة العسكرية ان قوات الاحتلال الاسرائيلية قد دمرت منزلا يملكه احد المسجونين المشتبه في انتمائه الى منظمة « فتح » الفدائية ٠ وكان هذا الشخص المشتبه فيه قد قبض عليه منذ شهرين ٠

[ا ٠ ب ، ديلي ستار
١١ مايو ١٩٧٠]

دمرت قوات الامن خلال الاسبوع الماضي ٧٠ منزلا في قرية مرج ناجح في وادي الاردن الشمالي ٠ وقالت وزارة الدفاع ان هذه المنازل قد دمرت بسبب قربها من الحدود ، ولانها كانت تستخدم لايواء الفدائيين ٠

[ها آرتس ، ٢٠ مايو ١٩٧٠]

نسفت خمسة منازل بمعسكر « عسكر » للاجئين بالقرب من نابلس ، كانت مملوكة لعائلات يشتبه في انتماء بعض افرادها للفدائيين ٠

[جيروسالم بوست ،
٢٧ مايو ١٩٧٠]

دمرت أربعة منازل في ١٩ مايو بقرية عين الاسد ، وترك سكانها بلا مأوى ٠

[الاتحاد ، ١٢ يونيو ١٩٧٠]

« يسود اليوم شارع عمر المختار الرئيسي في غزة ، جو من الخوف والشك المتبادل ٠٠ فقد قام الجنود الاسرائيليون بنسف أكثر من ٦ محال تجارية ، ردا على القنابل التي ألقيت عليهم في السوق ٠٠ وتطل النظرات العدائية من عيون المارة العرب ٠ وعلى بعد أميال قليلة نسف الجيش نحو « دستة » من المنازل المبنية بالطوب اللبن ، والتي يعتقد ان احدى المجموعات الارهابية كانت تستخدمها ٠ ودمرت على هذا النحو مئات من المنازل في المنطقة ٠ وعلى الارصفة المغطاة بالوحل تنتشر النساء مولولات نائحات » ٠

[لاييف ، ٢٤ يونيو ١٩٧٠]

في ٢٨ نوفمبر ١٩٦٧ ، ألقى أحد ضباط الامن الاسرائيليين القبض على شريف شحروري ٠ وقيل له وقتئذ انهم سيستجوبونه من نشاط ولده ، الذي اتهم بوضع قنبلة زمنية في احدى دور السينما ٠ وقد احتجز شحروري في سجن الرملة لليلة واحدة ، ثم اقتادوه مرة اخرى الى حيث أرغم على أن يشاهد عملية نسف منزله ٠

[ديلي ستار ، ٢٦ يونيو ١٩٧٠]

نسفت قوات الامن منزلين في قرية جبع بالقرب من جنين ، يملكهما رجلان كانا قد اعتقلا منذ ستة أسابيع ٠ وتقول بعض مصادر الضفة الغربية أن هناك أربعة منازل أخرى سيتم تدميرها أيضا ٠

[الاتحاد ، ٣٠ يونيو ١٩٧٠]

دمر منزل في الخليل في الاسبوع الماضي ٠

[ها آرتس ، أول يوليو ١٩٧٠]

اعلن شاب أردني ابعد من الضفة الغربية في عمان ، انه قد اعتقل بعد ان عثر في منزله على منشورات معادية للاحتلال ٠ وقد حكم عليه بالسجن لمدة عامين ونصف العام ، ونسف منزله ٠

[وكالات الانباء ، ديلي ستار
١٨ يوليو ١٩٧٠]

نسف الاسرائيليون منزلا في قرية بالقرب من رام الله ، واغلقوا أحد المحلات وختموه بالشمع الاحمر ، لان أصحابهما ينتمون الى احدى المنظمات الفدائية ٠

[الوكالة الفرنسية ، النهار
١٩ يوليو ١٩٧٠]

نشرت صحيفة « الدفاع » الاردنية ان سلطات الاحتلال الاسرائيلية بالضفة الغربية نسفت ثمانية منازل بقرية دير أبو مشعل ، بعد القبض على أصحابها ٠ وقالت الصحيفة ان عملية نسف المنازل كانت ذروة لحملة استمرت ثلاثة اسابيع لارهاب القرية التي تقع في منطقة رام الله ، والتي بدأت بالقبض على ٢٦ شابا و ١٩ فتاة ، بتهمة التعاون مع الفدائيين ٠ وقد تركت عشرات من الاسر دون مأوى ، نتيجة لهذه السياسة ٠ واتهمت الصحيفة القوات الاسرائيلية أيضا باشعال الحرائق في اكثر اشجار الزيتون والفواكه بالمنطقة ٠

[رويتر ، ديلي ستار ،
٢٢ يوليو ١٩٧٠]

ذكرت صحيفة « الدستور » الاردنية ان السلطات الاسرائيلية في القطاع العربي المحتل من القدس قد اتمت طرد كافة السكان العرب بالقوة من الحي اليهودي ، وهدمت منازلهم لاقامة مساكن

للمستوطنين اليهود • وتضمنت الصحيفة ما اسمته صورة لـ ... ، عليها علامات تشير الى المواقع المقترحة لاقامة المباني الجديدة عليها •

[رويتر ، ديلي ستار ،
٨ اغسطس ١٩٧٠]

نسفت قوات الامن منزل جميل سليم دحبور ، الذى كان قد اعتقل منذ خمسة اسابيع ، بتهمة الانتماء الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين •

[جيروساليم بوست ،
١٨ سبتمبر ١٩٧٠]

اتهمت اللجنة الدولية للصليب الاحمر فى تقرير علنى لها فى الاسبوع الماضى ، اسرائيل بنسف المدن والقرى والمعسكرات والمنازل العربية فى الاراضى المحتلة وتحدى نصوص معاهدات جنيف • ويمثل التقرير أحد المعالم البارزة فى تاريخ الصليب الاحمر • فحتى الان كانت اللجنة الدولية للصليب الاحمر تحجم عن مناقشة تفصيلات اعتراضاتها فى مثل هذه الحالات علنا ، على أساس انها لا تريد ان تنساق الى جدل سياسى أو ان تفعل شيئا قد يكون من شأنه ان يتهدد بالاخطار مفاوضاتها مع الحكومات المعنية • وصرح متحدث باسم الصليب الاحمر ان المنظمة بعد عامين من الاحتجاجات لم تتلق اجابة مرضية من الحكومة الاسرائيلية حول موقفها من المعاهدة الرابعة • وتلك هى المعاهدة التى تحظر تدمير الممتلكات الا فى حالات الضرورة القصوى التى تقتضيها العمليات العسكرية والتى تقضى بألا توقع عقوبة على اى شخص لذنب لم يرتكبه بنفسه •

ويقول تقرير اللجنة الدولية للصليب الاحمر ان القوات الاسرائيلية قد خرقت نصوص هذه المعاهدة باستخدامها لثلاثة أنواع من التدمير كاجراءات عقابية ، هى نسف مدن وقرى بأكملها ، ونسف منازل مملوكة لاشخاص ، وعمليات « الثأر الجماعى » [حيث يفقد جيران المشتبه فى قيامهم بأعمال ارهابية منازلهم أيضا]

•• ويورد التقرير اسماء القرى والمعسكرات التالية التى تم تدميرها [طبقا لأقوال سكانها السابقين فى لقاءات بمندوبى اللجنة الدولية للصليب الاحمر) : يالو ، وبيت نوبا ، وعمواس بمنطقة اللطرون ، وسريت ، وبيت أوا ، وبيت ميرسم والشيوخ بمنطقة الخليل ، وجفتليك ، وجرش ، ونصيرات بوادى الاردن •

[صنداى تايمس ،
١١ اكتوبر ١٩٧٠]

علم مراسلنا ان السلطات قد دمرت فى أوائل هذا الشهر منزل حسين بشير على بشير ، وهو عربى من الهيب ، التى عاش فيها مع والدته وأشقائه الاربعة وعائلاتهم ما يقرب من ٢٧ عاما • وقال حسين بشير ان قوة عسكرية كبيرة مسلحة بهراوات معدنية وجرار بولدوزر جاءت الى منزله يوم الاثنين ٢ نوفمبر ، حيث أرغمت السكان على الخروج من المنزل ، ودمرته ودمرت معه عددا من المنازل الاخرى • وقد دمر الجرار كل ما كان فى المنزل • وقد ذكرت السلطات ان السبب فى تدمير المنزل هو انه بنى بغير ترخيص •

[الاتحاد ، ١٠ نوفمبر ١٩٧٠]

صرح أحد كبار المسئولين فى الحكومة بأن الوضع الرسمى لتدمير المساكن قد سمح بأن تعلن الحكومة فى بعض الحالات ان بناء عربى لمنزل جديد يعد خطرا استراتيجيا ، على أساس انه قد يستخدم لايواء الفدائيين •

[دافار ، ٢٦ نوفمبر ١٩٧٠]

نسفت القوات الاسرائيلية ثلاثة منازل بالضفة الغربية ، يملكها اشخاص من العرب يشتبه فى انهم يساعدون المنظمات الفدائية • وقد صرح بهذا متحدث باسم الحكومة العسكرية • وقد رفض المتحدث ان يحدد مكان هذه المنازل ، ولكن مصادر صحفية اسرائيلية ذكرت انها بالقرب من أريحا •

[وكالات الانباء ، ديلى ستار
٤ ديسمبر ١٩٧٠]

علم بالامس ان قوات الامن قد دمرت ثلاثة أبنية فى غزة منذ عشرة أيام • وقد قيل ان هذه المبانى الثلاثة كانت تستخدم كمساكن للفدائيين ، ومخابىء لاشخاص مطلوب القبض عليهم ومخازن للاسلحة والذخيرة •

[جيروساليم بوست ،
٦ ديسمبر ١٩٧٠]

دمرت قوات الامن منزلا يملكه حماد ناجى قواسمة ، الذى احتجز مع ولده لاتهامهما بالتعاون مع المنظمات الفدائية • وقد اعتقلا منذ بضعة شهور لعلاقتهما بعمليات هجوم بالقنابل اليدوية •

[جيروساليم بوست ،
١٦ ديسمبر ١٩٧٠]

نسفت خمسة منازل فى غزة فى أعقاب عدد من العمليات الارهابية التى جرت مؤخرا • وقد دمرت ثلاثة منازل فى حى السباعية ، واثنان فى « عطفة القنابل » فى مدخل المدينة • وقد القيت قنبلة يدوية فى الاسبوع الماضى على أحد ضباط الامن الاسرائيليين فأصيب بجراح بالغة ، والقيت قنبلة أخرى على سيارة أوتوبيس اسرائيلية •

[جيروساليم بوست ،
٢١ ديسمبر ١٩٧٠]

□□□

ثانيا : تغيير الاوضاع

مصادرة الممتلكات
تغيير الطابع العربى

« لا يجوز للسلطة المحتلة ان تغير من أوضاع الموظفين العموميين أو القضاة فى الاراضى المحتلة او توقيع العقوبات بأى حال أو ان تتخذ اجراءات جبرية أو تنطوى على تمييز ضدهم اذا امتنعوا عن القيام بواجبات وظيفتهم لاسباب تتعلق بضمائرهم » •

[المادة ٥٤ من معاهدة جنيف الرابعة]

« لا يجوز تجريد أى شخص من ممتلكاته على نحو تعسفى » •
[المادة ١٧ من اعلان حقوق الانسان ،
١٩٤٨]

« لا يجوز تفسير شىء فى هذا الميثاق على انه ينطوى على الاعتراف لأى دولة او جماعة او شخص بالحق فى القيام بأى نشاط او اداء اى عمل يستهدف النيل من اى من الحقوق والحريات المعترف بها فى الميثاق أو الحد منها الى درجة أكبر مما يقضى به هذا الميثاق » •
[المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة بشأن الحقوق المدنية والسياسية ،
١٩٦٦]

تم انشاء نقطة امامية جديدة باشتمس ناحال موسى بوادى الاردن ، وستضم

نقطة الحدود الجديدة فى مرحلتها الاولى ٨٠ دونما من الارض .

[جيروساليم بوست ، ٢ يناير ١٩٧٠]

أمر تيرى كولليك عمدة القدس ، خلال اجتماع المجلس البلدى ، على احتفاظ الحكومة الاسرائيلية بتناسب بين السكان العرب واليهود بارسال ٢٠٠٠٠ يهودى الى القدس سنويا .

[لوموند ، ٢ يناير ١٩٧٠]

أعلن ايجال آلون نائب رئيس الوزراء فى اجتماع لمجلس الوزراء أن الحكومة الاسرائيلية ستقوم بانشاء خمس مستوطنات عسكرية جديدة فى الاراضى المحتلة .

[الوكالة الفرنسية ، رويتر ، اب ، النهار ، ٤ يناير ١٩٧٠]

صرح شمعون بيريز وزير اللاجئين والاراضى المحتلة فى حديث اذاعى انه « ينبغى تحقيق التنسيق الاقتصادى بين اسرائيل والاراضى المحتلة » .

[لوموند ، ٧ يناير ١٩٧٠]

يؤخذ من استفتاء قام به معهد ابحاث الرأى العام الاسرائيلى أن ٤١٫٥ ٪ من السكان يعتقدون انه ينبغى تحقيق التكامل بين اسرائيل وبين الاراضى المحتلة ، ويؤيد ٨٤٫٤ ٪ التوسع فى توطيد اليهود فى المناطق المحتلة .

[جيروساليم بوست ، ٨ يناير ١٩٧٠]

أعلن الجنرال عزرا وايزمان وزير النقل الاسرائيلى أنه يؤمن بالتكامل السياسى والاقتصادى الكامل للاراضى التى احتلتها اسرائيل خلال حرب الايام الستة ، وأضاف قائلا ، « اعتقد أن الضفة الغربية المحتلة ستصبح جزءا من اسرائيل فى يوم من الايام » .

[الوكالة الفرنسية ، لوموند ، ١١ ، ١٢ يناير ١٩٧٠]

نشرت صحيفة الدستور الاردنية اليومية نقلا عن بعض القادمين من الضفة الغربية أن سكان بيت نجار قد تلقوا أوامر باخلاء قريتهم ، التى تبلغ مساحة أراضيها نحو ١٢٠ دونم ، وأن البولدوزرات الاسرائيلية قد بدأت فى هدم منازل القرية كخطوة أولى نحو اقامة معسكر عسكرى كبير هناك .

[رويتر ، ديلى ستار ، ١٤ يناير ١٩٧٠]

وافقت وزارة الاسكان على تخصيص ٤ مليون جنيه اسرائيلى لبناء مساكن دائمة فى كيبوتز ماروم هاجولان .

[جيروساليم بوست ، ١٥ يناير ١٩٧٠]

تخطط احدى شركات التنقيب عن البترول لانفاق ١٢ مليون جنيه اسرائيلى فى البحث عن البترول والغاز الطبيعى فى مناطق من بينها مواقع فى قطاع غزة .

[جيروساليم بوست ، ١٥ يناير ١٩٧٠]

أنشئت مستوطنة ناحال خامسة على مسافة ١٣ كيلو مترا جنوبى أريحا . وقال نائب مدير ادارة التوطين بالوكالة اليهودية ان عدد المستوطنات فى وادى الاردن سيصل قريبا الى عشرة .

[جيروساليم بوست ، ١٦ يناير ١٩٧٠]

قال نائب رئيس الوزراء ايجال آلون فى اجتماع للمتطوعين الشبان فى تل أبيب أنهم حينما يقيمون المستوطنات فان هذه الارض ستصبح جزءا من اسرائيل . وأعلن السيد آلون أن « الارض ملك لمن يعيش عليها » . وهؤلاء الشبان أعضاء فى منظمة ناحال ، وهى جماعة شبه عسكرية اقامت عددا من المستوطنات بالفعل فى شبه جزيرة سيناء وفى مرتفعات الجولان .

[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٢١ يناير ١٩٧٠]

اتهم رينيه ماهيو ، المدير العام لهيئة اليونسكو ، اسرائيل برفض السماح بادخال الكتب المدرسية للاطفال العرب الى الاراضى المحتلة . وأعلن « أن هناك حاجة شديدة الى الكتب المدرسية فى الاراضى المحتلة طالما أن السلطات الاسرائيلية لا تسمح لوكالة الاغاثة باستيراد أو استخدام الكتب المذكورة ، لانها ، على الرغم من اقرارها بواسطة اليونسكو ، من وضع مؤلفين مصريين أو اردنيين » .

[لوموند ، ٢١ يناير ١٩٧٠]

أتم الاسرائيليون ربط كافة المستوطنات بمرتفعات الجولان بشبكة التليفونات الاتوماتيكية الاسرائيلية .

[جيروساليم بوست ، ٢٥ يناير ١٩٧٠]

تم انشاء ٢٠ مستوطنة فى المناطق الخاضعة للادارة الاسرائيلية منذ حرب الايام الستة ، وهناك خمس مستوطنات أخرى فى مرحلة التخطيط ، ومن بين المستوطنات العشرين هناك ١٠ فى مرتفعات الجولان ، وخمسة فى وادى الاردن ، واثنتان فى الجليل وثلاثة فى سيناء .

[جيروساليم بوست ، ٣ فبراير ١٩٧٠]

أعلنت الحكومة الاسرائيلية أن كل السكان العرب بمدينة القدس قد منحوا بطاقات شخصية اسرائيلية .

[رويتر ، النهار ، ١٥ فبراير ١٩٧٠]

بدأ الاسرائيليون فى بناء فندق فى شرم الشيخ .

[الوكالة الفرنسية ، لورينت ، ١٨ فبراير ١٩٧٠]

اقترح موشى ديان وزير الدفاع اتخاذ مواقع للقوات المسلحة الاسرائيلية على قمم التلال فى الضفة الغربية والابتعاد بها عن المدن . ويرى ديان أنه بهذه الطريقة يمكن للفلسطينيين أن يتمتعوا بحق تقرير المصير وفى نفس الوقت يمكن المحافظة على أمن اسرائيل .

[كريستيان سانيس مونيتور ، ٢٠ فبراير ١٩٧٠]

أعلن الجنرال عزرا وايزمان وزير النقل الاسرائيلى فى اجتماع عقد فى تل أبيب انه « لا ينبغى أن تكون هناك اى تنازلات اقليمية للعرب مطلقا » . وهو يرى أنه « طالما أن أرض الاجداد [اسرائيل] أصبحت فى ايدينا ، فان اى محادثات مع العرب ينبغى أن تتركز حول حقوق اسرائيل دون تنازلات اقليمية » .

[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٢٠ فبراير ١٩٧٠]

اقامت مجموعة من عرب الضفة الغربية دعوى أمام المحكمة العليا الاسرائيلية للمطالبة بـ ٦٫٨ مليون دولار تعويضا عن أراضيهم الزراعية الخصبة بوادى الاردن التى احتلها الاسرائيليون خلال حرب ١٩٦٧ . ويتهم هؤلاء العرب ، وهم جميعا من منطقة نابلس ، الجيش الاسرائيلى بالاستيلاء على مزارعهم ، التى تغطى أكثر من ٤٠٠٠ فدان ، فى نوفمبر ١٩٦٧ ، وتدمير أبنية هذه المزارع ، ومعداتها ، وطلمبات المياه والمحاصيل بها .

وقد توجه الملاك فى البداية بمطالبهم الى ادارة الجيش ، ولكنهم لم يجدوا تعاونا ، فوكلوا محامين ويحاولون عرض القضية على المحكمة العليا .

[كريستيان سانيس مونيتور ، ٢٧ فبراير ١٩٧٠]

ذكرت صحيفة الدستور الاردنية فى ٢ مارس أن السلطات الاسرائيلية تفرض قيودا على حركة العرب بين ضفتى نهر الاردن . اذ توجب عليهم دفع تأمينات تتراوح بين ٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ جنيه اسرائيلى .

[رويتر ، ديلى ستار ، ٣ مارس ١٩٧٠]

تعهد المندوبون بالاجتماع السنوى الحادى والثمانين للمؤتمر المركزى للحاخامات الامريكيين اليوم الا يلتزموا

الضفة ، الا اذا اعتبرت مشكلة اقامة حكم اسرائيلى اردنى مشترك بالقدس جزءا من تنازلات السلام بين اسرائيل والاردن .

[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٩ مارس ١٩٧٠]

أعلن ايجال الون نائب رئيس الوزراء أن اسرائيل ستقيم ثمانى مستوطنات جديدة فى المناطق المحتلة ويجرى الان أيضا التخطيط لاقامة حى يهودى فى الخليل . وقال ان المستوطنات الاربع الجديدة فى مرتفعات الجولان سترتفع بعدد المستوطنات فى هذه المنطقة الى ١٤ ، وستنشأ مستعمرتان جديدتان بالاضافة الى ٩ مستوطنات أقيمت بالفعل فى الضفة الغربية وسيرتفع عددها فى سيناء من ثلاثة الى خمسة .

وقال ان المستوطنات الجديدة ستقام طبقا لمتطلبات الامن ، وتدرس الحكومة الاسرائيلية مخططات لتوطين طائفة يهودية كبيرة فى الخليل .

والخليل التى يقطنها ٤٠٫٠٠٠ مسلم هى موطن مقبرة البطاركة وهى مكان مقدس سواء للمسلمين أو اليهود . وقد كانت مؤخرا مسرحا لخلافات بين السلطات الدينية الاسلامية وبين اليهود الذين استقروا فيها بعد حرب ١٩٦٧ .

[رويتر ، ديلى تلغراف ، ١٠ مارس ١٩٧٠]

أيد عزرا وايزمان وزير النقل التقارير القائلة بأن ٣٠٠٫٠٠٠ عربى سيجرى ترحيلهم من قطاع غزة لتوطينهم فى الضفة الغربية للاردن . وكان الاسرائيليون ينفون من قبل وجود مثل هذه الخطة . وقال الجنرال ، وهو القائد السابق للقوات الجوية الاسرائيلية ، انه لا يعتبر المناطق التى تم الاستيلاء عليها فى حرب ١٩٦٧ أراض محتلة . فقد كانت جزءا من اسرائيل ، وهو يرى انه لا يمكن أن يكون هناك سلام بغير الخليل والسامرية [الضفة الغربية] . أما عن خطة توطين أعداد كبيرة من اليهود فى الخليل فقد قال الجنرال وايزمان : « بالنسبة لى فان الخليل الان ، وكانت وستظل جزءا من اسرائيل . وقد توج الملك داود فى الخليل وكانت مقرا لحكمه طوال سبع سنوات وستة شهور » .

[الجارديان ، ١٣ مارس ١٩٧٠]

طلبت السلطات العسكرية فى أريحا الى السيد حسن الخطيب ، أحد السكان المحليين ، التخلى عن بستانه الذى تبلغ مساحته ٢٠٠ دونم فى وادى الاردن قبل ٢٠ مارس . وتدعى السلطات أن **الاراضى المذكورة تقع فى « المنطقة المحظورة » .**

[جيروساليم بوست ، ١٥ مارس ١٩٧٠]

يعيش الاسرائيليون فى ٤٢ مستوطنة بالاراضى المحتلة ، منها ١١ مستوطنة فى مرتفعات الجولان . وسيتم انشاء ٩ مستوطنات أخرى قبل آخر عام ١٩٧١ .

وهناك ٩ من المستوطنات القائمة من نوع الناحال ، أو المراكز الامامية شبه العسكرية التى يقول الاسرائيليون انه يمكنهم التخلى عنها عند الضرورة . والبعض يشكون فى هذا . أما المستوطنات الباقية فهى مستوطنات مدنية فى المناطق التى تنوى اسرائيل الاحتفاظ بها — مرتفعات الجولان ومناطق الحدود بالضفة الغربية .

أما اقتراح اقامة حى يهودى فى الخليل فسيؤدى الى اقامة أول مستوطنة اسرائيلية فى احدى مناطق المدن العربية ويشعر البعض أنها ستؤدى أيضا الى السير مسافة طويلة فى طريق الحيلولة دون عودة الضفة الغربية الى اسرائيل ، أو على الاقل الجزء الجنوبى منها . والعارضون لمشروع الخليل — والخطط الاخرى المماثلة — يقولون أن انشاء اسرائيل لمستوطنات فى المناطق المحتلة له وزنه النفسى الثقيل ، وهذا الوزن يمثل عبئا رئيسيا بالنسبة للذين لازالوا يبحثون عن سبيل لتحقيق السلام .

ولكن الحقيقة هى أن المستوطنات الاسرائيلية تصبح مستوطنات دائمة وأن الاراضى فيما بينها تصبح اسرائيلية . والمراكز الامامية المدنية ستظل بالتأكيد ، كما أن المراكز شبه العسكرية لن يتم التخلى عنها بسهولة فى اى مفاوضات ، بغض النظر عما يقال من حجج سياسية عن طبيعتها المؤقتة .

وهى أيضا تشير الى اتجاه القرارات السياسية . فمن بين المستوطنات الثمانية الجديدة التى خطط لانشائها هذا العام ، على سبيل المثال ، اثنتان فى الطرف الجنوبى لقطاع غزة . وكان الاسرائيليون يعتزمون الاستيلاء على هذه الاراضى منذ حرب الايام الستة ، ولكن اقامة نقاط أمامية فيها يبدو انه قد حول هذه النية الى حقيقة واقعة .

[هيرالد تريبيون ، ١٦ مارس ١٩٧٠]

كشف شمعون بيريز ، الوزير الاسرائيلى المسئول عن التخطيط الاقتصادى فى المناطق المحتلة فى الاسبوع الماضى عن عزم الحكومة على مضاعفة السكان اليهود بمدينة القدس [الذين يبلغ عددهم حاليا ٢٠٠٫٠٠٠] **خلال السنوات الخمس القادمة ،** وسيتحقق هذا ، وفقا لما يقوله بيريز ، عن طريق توجيه كافة المهاجرين الجدد فى الواقع الى العاصمة الاسرائيلية . بل انه اقترح شعارا للحملة الجديدة لدعوة المهاجرين الجدد : « اتخذوا موطنكم الثانى وانجبوا طفلكم الاول فى أورشليم » .

وقد عبر المعارضون لخطة بيريز عن رأيهم على الفور بقولهم أن سحر المدينة ، التى اصبحت الان مركزا حكوميا وجامعيا ، سيدمر نتيجة للازدهار السكانى المفاجىء وما يصحبه من تطور صناعى . ولكن اعتراضا أكثر حدية جاء من جانب الحمائم الاسرائيليين الذين يقولون ان انشاء « القدس الكبرى » سيعنى ضم المدن العربية القريبة بالضفة الغربية الى اسرائيل . وقد علق أحدهم قائلا : « ان هناك أقل من نصف ميل بين آخر بيت فى القدس وأول بيت فى بيت لحم » ويرى معارضون آخرون للخطة نتائجها على نحو أكثر خطرا . فقد قال أحد الحمائم البارزين : « ان القدس الموسعة ستعنى نهاية للضفة الغربية كلها ككيان قابل للحياة . انها تعنى ضم ٣٠٠٫٠٠٠ من العرب بالجزء الجنوبى من الضفة الغربية الى اسرائيل فى القريب — والاربعمائة ألف الاخرى بعد ذلك بقليل » .

ولم تعد الضفة الغربية الى حد كبير حتى منذ الان بالفعل كيانا مستقلا قابلا للحياة ، بل اصبحت تتكامل على نحو متزايد مع الاقتصاد الاسرائيلى . وفضلا عن هذا فهناك نحو ٢٠٫٠٠٠ عربى من الضفة الغربية وقطاع غزة يعبرون الى اسرائيل كل يوم للعمل — ومن المتوقع أن يحذو حذوهم ٥٠٠٠ آخرين فى أواخر هذا العام . ويقول يوسف سابير وزير التجارة والصناعة الاسرائيلى : « اننا نصل الى المرحلة التى لا نستطيع فيها أن نستغنى عن القطاع العربى فى الاقتصاد . وخلال خمس سنوات سيكون واقع جديد قد ظهر الى الوجود » . وقد يكون هذا الواقع الجديد دولة ذات قوميتين تتكون من أغلبية يهودية وأقلية عربية من الدرجة الثانية . ومثل هذا الاحتمال ، بكل ما ينطوى عليه من صراعات محتومة ، لم يعد مثارا لقلق الكثيرين من الاسرائيليين فى مواقع رسمية مسئولة . فكما يقول موشى ديان : « لقد انقضت فترة الانتقال — ولم يعد يمكن اعتبار الوضع مؤقتا » .

(نيوزويك ، ٢٣ مارس ١٩٧٠)

وافق مجلس الوزراء على قرار ببناء مساكن دائمة لعشرين أسرة يهودية فى الخليل .

[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٢٧ مارس ١٩٧٠]

تنشر الابنية الجديدة الجسورة للجامعة العبرية والمساكن الجديدة للمستوطنين اليهود عبر التلال الجرداء الكائنة فى ضواحى القدس . وقد عرض على ٧٠٫٠٠٠ عربى هم السكان العرب للقدس الشرقية أن يصبحوا مواطنين اسرائيليين ، ولكنهم رفضوا هذا العرض. وهكذا اصبحوا بحاجة الى تصاريح للاقامة ، بعد أن أصبحوا بحكم القانون غرباء فى ديارهم .
[صنداى تايمس ، ٢٩ مارس ١٩٧٠]

وزعت فى حبرون بالضفة الغربية المحتلة للاردن منشورات تحرض السكان على مقاومة خطة اسرائيلية لاقامة حى يهودى بالمدينة . وقد جاء هذا فى صحيفة **الدفاع** فى ٢٨ مارس . واضافت الصحيفة أيضا ان المنشورات حرضت السكان على مقاومة المحاولات الاسرائيلية المزعومة لارغامهم على هجر منازلهم ومصادرة أراضيهم . وقالت الصحيفة ان المجلس البلدى والمنظمات الوطنية والطلابية فى الخليل قد استنكرت هذه الخطة .

واضافت الصحيفة أن الطلاب قد نظموا مظاهرة « احتجاجا على محاولة السلطات الاسرائيلية لتهويد المدينة . »
(رويتر ، ديلى ستار ، ٢٩ مارس ١٩٧٠)

قالت السيدة مائير اليوم أن اليهود سيظلون الى الابد فى كفار عصيون جنوبى القدس . وتخطط الحكومة لبناء ٧٠ وحدة سكنية جديدة .
[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، أول ابريل ١٩٧٠]

أعلن موشى كول ، وزير السياحة الاسرائيلى ، انه سيتم انشاء منتجعات سياحية فى شرم الشيخ وناءوب فى المناطق المحتلة .
[النشرة اليومية ، لوكالة التلغراف اليهودية] أول ابريل ١٩٧٠]

دحضت السيدة مائير فى الكنيست امس تعليق الون افراهام يوفى زعيم حركة أرض اسرائيل بأن نشاطات التوطين فى المناطق المحتلة منذ تولت رئاسة الوزارة . وعددت رئيسة الوزراء ٦ مستوطنات تم انشاؤها فيما بين يوليو ١٩٦٩ ويناير ١٩٧٠ ، واثنتان يجرى انشاؤهما حاليا ، وقالت أن هناك مستوطنات أخرى فى مرحلة التخطيط
[جيروساليم بوست ، أول ابريل ١٩٧٠]

من بين مساحة ٢٥٫٠٠٠ دونم ، هى المساحة الكلية لقرية الراما ، لم تخصص وزارة الداخلية لمجلسها الا ٤٫٦٠٠ دونم فقط . وقد اعلنت السلطات مؤخرا ضم قطعتين من الارض تبلغ مساحتهما ٣٢٫٨٨٩٫٦ متر مربع . وضم الاراضى بالاضافة الى فرض ضرائب مرتفعة هى خطوات أولية نحو المزيد من نزع ملكيات الملاك العرب .
[الاتحاد ، ٣ ابريل ١٩٧٠]

نشرت صحيفة **الدستور** الاردنية نقلا عن بعض القادمين من الضفة الغربية المحتلة قولهم أن السلطات الاسرائيلية قد استولت مؤخرا على أكثر من ٣٠٠ فدان فى احدى القرى العربية بالقرب من بيت لحم . وقال هؤلاء القادمون ان الاسرائيليين جاءوا بالبولدوزرات الى قرية سكرية واخذوا يمهدون الارض لاقامة موقع عسكرى هناك . وقالت الصحيفة أن الاهالى قد دعوا ممثلى الصليب الاحمر الدولى للشهادة باستيلاء اسرائيل على الاراضى .

[رويتر ، ديلى ستار ، ٤ ابريل ١٩٧٠]

قالت السيدة مائير فى ١٠ يوليو ١٩٦٩ : « ان الاجانب لم يقرروا حدودنا مطلقا ولن يكون عليهم مطلقا أن يفعلوا ذلك ، وحيثما نستقر ستكون حدودنا »

ويقول البرنامج الزمنى للحكومة الائتلافية الجديدة الذى نشر فى ١٥ ديسمبر أن القدس ستظل عاصمة لاسرائيل وأن اسرائيل ستقوم بانشاء مراكز امن متقدمة ومستعمرات ريفية وحضرية للتوطين الدائم .

[لوموند ، ٥ ابريل ١٩٧٠]

أبدى الطلاب الاسرائيليون انتقادات جوهرية مدهشة لتوطين اليهود فى الخليل واماكن أخرى محتملة فى المناطق المحتلة عندما تحدث اليهم الجنرال ديان وزير الدفاع فى تل أبيب فى الليلة الماضية. والجنرال الان يؤيد قلبيا عمليات التوطين الجديدة فى حبرون وغيرها ، ولكنه لم يجب اجابة مباشرة عندما سئل عما اذا كان هناك الان اتجاه جديد فى سياسة اسرائيل . وقد قرر مجلس الوزراء الاسرائيلى توطين ٢٥٠ أسرة يهودية أخرى فى حبرون ، ولكن احدا ليس على استعداد لان يقول كيف واين سيحدث هذا على وجه الدقة .
[التايمز ، ٨ ابريل ١٩٧٠]

قال حاييم جفاتى وزير الزراعة فى الليلة الماضية أمام مؤتمر حركة موشاف ان ٣٠ مستوطنة جديدة قد أقيمت منذ حرب الايام الستة فى وادى الاردن ، ووادى عربة ، وكتلة عصيون ، ومرتفعات الجولان ومن القنيطرة الى ناحال يام . وقال الوزير أن هذه المستوطنات الجديدة بحاجة الى ٢٥٠٠ اسرة جديدة ، ولكنها اليوم تفتقر الى هذا العدد . واضاف ان مجموعة جديدة من المستوطنات ستضاف الى هذه القائمة سواء فى المناطق الجديدة أو القديمة .
[جيروساليم بوست ، ١٠ ابريل ١٩٧٠]

تتخذ سلطات الاحتلال الاسرائيلية كل يوم اجراءات مزعجة جديدة فى القطاع العربى من القدس ، على حد ماذكرته الصحافة الاردنية صباح اليوم فى عرضها للمعلومات الواردة من المنطقة المحتلة .

وقد كتبت صحيفة **الدستور** الاردنية أن السلطات الاسرائيلية قد استولت بالقوة على قطاع قريب من سور المدينة القديمة ، بالقرب من بيت الجديد ، وقد تم تحويل هذه الارض ، المملوكة للرهبان الفرنسيسكان ، الى حديقة عامة .

وتضيف الصحيفة أن سكان القدس العربية سيخضعون لضريبة جديدة على استهلاك الكهرباء فى صورة « طوابع للامن » .

واخيرا تقول **الدستور** أن سلطات الاحتلال فى منطقة الخليل قامت بقطع كمية كبيرة من الاشجار فى الاراضى التى تملكها أسرة الطويل .

[لورينت ، ٢٠ ابريل ١٩٧٠]

أعلن الجيش الاسرائيلى تحويل قطعة من الارض تبلغ مساحتها نحو ٨٠٠ فدان فى الخليل الى « منطقة مقفلة » بمعنى أن أحدا لا يستطيع أن يدخل المنطقة دون تصريح خاص . وقال عمدة حبرون الشيخ الجعبرى من اذاعة اسرائيل : « لقد بكيت عندما قال لى الحاكم العسكرى الاسرائيلى لحبرون عن اغلاق الجزء الشرقى من حبرون . وقد بكيت لانى رأيت أن كل جهودى من أجل السلام كانت دون جدوى . وخشيت أن يكون هذا الاجراء بهدف ابعادنا عن شعبنا ووطننا . »
[كريستيان سانيس مونيتور ، ١ مايو ١٩٧٠]

افتتح منتجع جديد للعطلات فى مرسى العيط ، على مسافة سبعة كيلومترات شمالى شرم الشيخ .
[جيروساليم بوست ، ٦ مايو ١٩٧٠]

قال شمعون بيريز عضو مجلس الوزراء الاسرائيلى أن اسرائيل تعتزم الاحتفاظ بشرم الشيخ وقطاع من الارض يربطها بايلات . وكان بيريز فى ابو رديس لتفقد سير العمل فى الطريق الذى يربط ايلات بشرم الشيخ والذى يبلغ طوله ٢٢٠ كيلومترا .
[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٧ مايو ١٩٧٠]

صرح حاييم جفاتي وزير الزراعة في نهاريا أن هناك الان ٢٦ مستوطنة في المناطق الواقعة تحت الادارة الاسرائيلية وانه يجري التخطيط لاقامة المزيد من المستوطنات في وادي الاردن وفي رفح مستقبلا .

[جيروساليم بوست ، ١٠مايو١٩٧٠]

صرح اسرائيل جاليلي وزير الاعلام بقوله : « ان ايقاع اقامة قرى اسرائيلية في الاراضي المحتلة بطيء للغاية . وهناك مشروعات جديدة لعام ١٩٧٠ لاقامة مستوطنات جديدة في جولان ، وفي وادي الاردن والي الجنوب من النقب على الساحل » .

[وكالات الانباء ، لوريت، ١٤مايو١٩٧٠]

نشرت صحيفة على هميشمار أن اسرائيل قد وقعت اتفاقا مع احدى الشركات الامريكية للبحث عن البترول في سيناء . وتبلغ الاستثمارات في سيناء عشرات الملايين من الدولارات .

[الاتحاد ، ١٥ مايو ١٩٧٠]

كشف الوزير الاسرائيلي شمعون بيريز عن خطة لانشاء ٢٥٠٠٠ وحدة سكنية جديدة في القدس الشرقية كانت جزءا من خطة لتوطين ٢٠٠٠٠٠ مهاجر يهودي خلال السنوات العشر القادمة . وقد زعم أن هذا سيقضي على المناقشات الدولية حول وضع المدينة كما انه سيخلد « الطابع اليهودي » لها .

[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ١٩ مايو ١٩٧٠]

كشف مستر ي. تسور ، رئيس مجلس ادارة صندوق القرض الوطني اليهودي من أن الصندوق قد أخذ على عاتقه استصلاح التربة الصخرية في مرتفعات الجولان وانه حتى هذا التاريخ قد حول أكثر من ٥٠٠٠ دونم الى مناطق مأهولة بالسكان ، وسيتم تحويل ٢٥٠٠٠ دونم اخرى هذا العام . وقال ان مشكلة التوطين في مرتفعات الجولان ليست مشكلة النقص في الاراضي بل النقص في القوى البشرية .

[جيروساليم بوست ، ٢٢ مايو١٩٧٠]

افتتح اسرائيل جاليلي مستوطنة اسرائيلية جديدة في مرتفعات جولان السورية المحتلة .

[النهار ، ٢٢ مايو ١٩٧٠]

اكد حاييم جفاتي وزير الزراعة هذا الاسبوع أن احدى القريتين الجديدتين المخطط لاقامتها على تخوم مدينة رفح سيتم انشاؤهما هذا العام ، كما سيتم انشاء مركز ريفي ملحق بهما . وقال جفاتي ان السلطات قد اعتمدت مخططات اقامة قريتين في المنطقة معا .

[جيروساليم بوست ، ٢٧مايو ١٩٧٠]

نشرت صحيفة الدفاع الاردنية في ٢٧ مايو أن السلطات الاسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة للاردن قد استولت على ٣٠٠ فدان من الاراضي العربية في قرية بيت عنان شمال غربي القدس . وقالت الصحيفة أن ٣٨ أسرة كانت تعيش على الزراعة في المنطقة وان السلطات الاسرائيلية قد رفضت احتجاج الملاك ومطالبهم بالاستمرار في فلاحة الارض .

[ديلي ستار ، ٢٨ مايو ١٩٧٠]

ترفض وزارة الداخلية الاعتراف بعقود زواج المسلمين في القدس الا اذا حصلوا على موافقة من المحكمة العليا الاسرائيلية . وهذه محاولة اخرى من جانب السلطات لجعل السكان العرب بمدينة القدس على الاعتراف بضم القدس الى اسرائيل .

[الاتحاد ، ٢٩ مايو ١٩٧٠]

اعلن في ٣٠ مايو ان لجنة حكومية قد وافقت في اليوم نفسه على خطة خمسية لتطوير مرتفعات جولان السورية التي تحتلها اسرائيل .

وتقضي الخطة التي وافقت عليها لجنة التخطيط بوزارة الزراعة باستثمار نحو ١٧٠ مليون جنيه اسرائيلي [نحو ٢٠ مليون جنيه استرليني] في المرتفعات خلال هذه الفترة .

[رويتر ، ديلي ستار ، اول يونيو ١٩٧٠]

ارسلت بلدية غزة خطابا الى السلطات العسكرية تسال فيه عن معلومات عن مصادرة ٣٠٠٠ دونم في شرق المدينة ، وتعتبر هذه الاراضي منطقة استراتيجية وخصوصا للدبابات الثقيلة . ويبدو أن سلطات الاحتلال التي كانت تستهدف تغيير الطابع العربي للقطاع واخلائه من سكانه من اللاجئين تريد أن تبني مدينة يهودية كما تريد بناء مدينة يهودية اخرى بالقرب من الخليل يريدون أن يطلقوا عليها اسم الايت حبرون .

[الاتحاد ، ٢ يونيو ١٩٧٠]

قالت صحيفة الدفاع الاردنية في ٢ يونيو ان السلطات الاسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة قد وافقت مؤخرا على انشاء ٥٠ مستوطنة مسلحة في الاراضي العربية المحتلة في مناطق القدس والخليل ورام الله وبيت ساحور .

[ديلي ستار ، ٣ يونيو ١٩٧٠]

ستقوم احدى جماعات الناحال المنتمية الى حركة شباب بني اكيفا اخيرا ببناء موشاف هابوبل هامبزراحي بالقرب من رامات ماجشيميم في مرتفعات الجولان

[جيروساليم بوست ، ٧ يونيو ١٩٧٠]

أعرب بن جوريون رئيس الوزراء الاسبق اثناء القاء محاضرة موشي هافيف التذكارية بجامعة تل أبيب في ٢٤ يونيو عن قلقه بشأن الطابع اليهودي لدولة اسرائيل ، « مالم نبذل جهدا أكبر لتشجيع الهجرة وضمان أن يقوم اليهود بالعمل في هذه الارض » . وقال بن جوريون في حديثه عن الهجرة : « ان المجتمع الاسرائيلي لا يبذل جهدا كافيا ، والحكومة لا تبذل سوى القليل من أجل استيعاب المهاجرين » . وأضاف : « اننا اذا لم نفعل شيئا الان ، قد نصل خلال عشرين عاما الى أن تكون لدينا اغلبية عربية ويكون أكثر العمل يؤديه العرب . وهذا من شأنه أن يعرض الطابع اليهودي لهذه الدولة للخطر » .

[جيروساليم بوست ، ٨ يونيو ١٩٧٠]

كشف السيد اريل بنهامكين سكرتير الموشاف امس عن أن حركة الموشاف تبحث عن شباب الموشاف الذين يرغبون في الاستقرار في سيناء الذين يرغبون في الاستقرار في سيناء لاقامة قرية زراعية في سيناء . وقد اثبتت اعمال المسح التي قامت بها الوكالة اليهودية أن هناك بالمنطقة ما يكفي من المياه لزراعة ٢آلاف الافدنة من الاراضي الزراعية الجيدة . وسيعمل المستوطنون الجدد أيضا في مجال تطوير السياحة .

[جيروساليم بوست ، ١٥ يونيو ١٩٧٠]

صادرت قوات الامن الاسرائيلية قطعتين من الارض تبلغ مساحة كل منها عشرات من الافدنة في منطقة عصيون .

[دافار ، ٢٥ يونيو ١٩٧٠]

كتب دافيد كوته في صحيفة الجارديان يقول :

لقد اقنعتني احاديثي مع كبار المسئولين انه حتى في حالة التوصل الى تسوية سلمية شاملة فان غالبية اللاجئين لن يسمح لهم مطلقا بالعودة الى اسرائيل . وقد عبر لي أحد العرب عن رأي الكثيرين بقوله : « انهم يريدون الارض دون شعبها » .

[جارديان ، ٢٧ يونيو ١٩٧٠]

ستنقل محكمة القدس الاقليمية مقرها هذا الصيف الى القدس الشرقية . وستشغل المحكمة ، التي تقع الان في

الدوار الروحي بالجزء الغربي من المدينة، المقر السابق للمحكمة الاقليمية الاردنية بشارع صلاح الدين .

[جيروسالم بوست ، ٣٠ يونيو ١٩٧٠]

نشر محمد ابو شلباية مقالا من القدس في صحيفة القدس في آخر مايو . وقد بين الوسائل والاساليب التي تستخدمها السلطات لتغيير الطابع العربي للمدينة. فبالاضافة الى الضرائب الباهظة غير المعقولة التي تهدف الى افقار المواطنين العرب لحملهم على الرحيل ، فرض حصار على المدينة . وقد أدى قرار ضم القدس العربية أيضا الى وقف استيراد الخضر والفواكه من الضفة الغربية ، مما جعل الاسعار ترتفع ارتفاعا حادا . كما ان السلطات أيضا تترك المناطق العربية تذوي بسبب الاهمال بينما يجري بناء احياء يهودية جديدة .

وقال الكاتب أنه بينما تركت بعض الاحياء دون أن تمس لم يعد بعضها الاخر ، مثل المنطقة المحيطة بحائط المبكى ، يمكن التصرف عليه . فهناك تعمل البولدوزرات لتجعل التغيير أكثر فأكثر عنفا عن طريق هدم المنازل واحياء بكاملها لاحلال منازل المستوطنين اليهود مكانها .

وهناك شكل آخر من أشكال تغيير الطابع العربي للمدينة يتمثل في فرض المناهج الاسرائيلية في المدارس . ويستهدف هذا تدمير التراث الثقافي العربي وايجاد فراغ على هذا النحو يمكن ملؤه بأفكار جديدة .

[الاتحاد ، ٣ يوليو ١٩٧٠]

تم نقل ٧٠٠ أسرة يهودية بالفعل الى زامات اشكول وفي أواخر العام القادم سيكون هناك ١٥ر٠٠٠ من الاسرائيليين اليهود في فيلات ومبان سكنية جديدة في الجانب الشرقي من القدس .

والاندفاع الى خلق حقائق جديدة هو تهافت بالمعنى الحرفي للكلمة . وقد تم تقسيم التل الفرنسي الذي يلامس المنحدرات الغربية لجبل سكوبس والمخصص في الخطة للاسكان اليهودي الخاص بين وزارة الاسكان ، التي تضطلع بثلث المشروع ، وبين احدى الشركات الخاصة ، وكان من نصيبها ثلث آخر . اما الثلث الاخير فقد وعد باعطائه الى أي من الجانبين ينتهي من برنامجه للبناء أولا .

ولكن المعدل الحالي للتوطين بالنسبة للقدس بشكل عام لا يفيد على قدر كاف من السرعة . وقد حصل السيد شمعون بيريز ، الوزير المسئول عن استيعاب المهجرين ، مؤخرا على موافقة على خطة لجعل القدس مركز الجذب الرئيسي للمهجرين الجدد — ومن ثم مضاعفة سكانها اليهود [الذين يبلغ عددهم حاليا نحو ٢٠٠ر٠٠٠] في عام ١٩٨٠ على أكثر تقدير . وليس هذا كل شيء . فأي عاصمة سريعة النمو تحتاج الى تخطيط يتجاوز حدودها الحالية . ويجري الان طبع خطة جديدة كبيرة للقدس ، تتطلع الى التنفيذ على مرحلتين حتى عام ١٩٨٥ و ٢٠١٠ . وتشمل هذه الخطة مساحة تبلغ ثمانية امثال مساحة البلدية الحالية التي تبلغ ١١٠ كيلومتر مربع . ويضع المخططون الحذرون في اعتبارهم أن يبلغ تعداد سكان القدس في هذه المساحة الاكبر حتى عام ٢٠١٠ نحو ٩٠٠ر٠٠٠ نسمة .

واذا كانت هذه الخطة الكبيرة تنطوي على قنبلة متفجرة ، فانها ليست في عدد السكان المستهدف ولكن في الحدود الجديدة لمنطقة التخطيط . فهي تشمل رام الله في الشمال وبيت لحم في الجنوب — على الرغم من ان أي من المدينتين لم يتم ضمهما ، ولا يزال موقف اسرائيل الرسمي هو أن كلتا المدينتين تشكلان موضعا للمفاوضات مع العرب عندما يحين اجراء محادثات سلام .

[جارديان ، ٣ يوليو ١٩٧٠]

سيتم استثمار مبلغ ١٢ مليون جنيه اسرائيلي خلال خمس سنوات لاغراض اقامة فنادق ومراكز لاجتذاب السياح في سيناء .

[يديعوت أحرونوت ، ٦ يوليو ١٩٧٠]

كشف نائب المدير العام لقسم الاستيعاب بالوكالة اليهودية عن أنه قد تمت الموافقة مؤخرا على اقامة ٧ مستوطنات جديدة بالاضافة الى ٣٣ مستوطنة تمت اقامتها بالفعل أو جاري انشاؤها في الاراضي المحتلة .

[معاريف ، ٦ يوليو ١٩٧٠]

قرر بيريز أمام الكنيست أمس أن الدراسات الاولية قد بينت أنه من الممكن بناء نحو ٢٥ر٠٠٠ وحدة سكنية في القدس خلال الاعوام الاربعة أو الخمسة القادمة ، وبناء ٢٥ر٠٠٠ أخرى في فترة أقل قليلا بعد ذلك . وهذا يمكن أن يعني توطين نحو ١٧٠ر٠٠٠ من اليهود الجدد في القدس الكبرى خلال تسع سنوات .

[جيروسالم بوست ، ٧ يوليو ١٩٧٠]

حدثت تغييرات كثيرة في الخليل والسامرية منذ حرب الايام الستة . فخلال زيارة الوزير شمعون بيريز لمصانع الضفة الغربية منذ يومين ، علم أن هناك مشروعا لاقامة مدينتين صناعيتين على امتداد الخط الاخضر في السامرية ، وفي تقديرنا أن المشروع ستتم الموافقة عليه .

[معاريف ، ٩ يوليو ١٩٧٠]

طلب أحد المستثمرين ، وهو مهاجر يهودي من الولايات المتحدة ، الى الحكومة أن تخصص له قطعة من الارض تبلغ مساحتها ١٥ر٠٠٠ دونم في شمال مرتفعات الجولان ليقيم عليها مركزا سياحيا للشباب وملهى لاجتذاب « رعاة البقر » من الولايات المتحدة .

[معاريف ، ١٢ يوليو ١٩٧٠]

أقر مركز الاستثمارات مؤخرا مشروعا لانشاء مصنع لصب الخرسانة بمرتفعات الجولان . وسيقوم هذا المصنع بخدمة احتياجات البناء المحلية .

[جيروسالم بوست ، ١٧ يوليو ١٩٧٠]

اتهمت وكالات الانباء الاردنية الرسمية السلطات الاسرائيلية في ١٩ يوليو بالاستمرار في تدنيس الاماكن المقدسة بالاراضي المحتلة واساءة معاملة العرب بها لارغامهم على الرحيل عن أراضيهم ووطنهم .

وقالت الصحيفة ان الاسرائيليين قد حاولوا تحويل المسجد الابراهيمي في الخليل الى معبد يهودي باقامة الشعائر الدينية اليهودية فيه والقيام بأعمال التنقيب في الموقع . واضافت الصحيفة أنهم قد أدخلوا الكلاب في المسجد .

وذكرت الصحيفة أن السلطات الاسرائيلية قد نزعت ملكية قبر راشيل ، على الطريق بين القدس والخليل ، وطردت حارسه المسلم على الرغم من أن هذا المكان وقف ديني اسلامي .

[رويتر ، ديلي ستار ، ٢٠ يوليو ١٩٧٠]

كتب والتر شوارتز مراسل صحيفة الجارديان من اسرائيل يقول : « يبدو أن المقترحات الاسرائيلية بتوطين اليهود في حبرون ، بالضفة الغربية المحتلة ، قد تجاوزت مرحلة الاقوال . فمن الواضح أن هناك خططا تعد لتوطين المائتين وخمسين أسرة التي قررت الحكومة بالفعل السماح لها بالانتقال الى المدينة . فقد وضع الحاخام ليفينجر ، زعيم نواة المستوطنين التي تعيش الان في دار الحاكم العسكري والمتحدث الرسمي باسمهما ، وضع جراب مسدسه حول خصره تحت سترته الرياضية وصحبني الى نقطة مرتفعة في المدينة بالقرب من دار العمدة ، وقال مشيرا الى شرق المدينة : « هنا ستقام شقتنا ومنازلنا » . ثم اشار الى الشمال الشرقي قائلا : « وهنا ستقام مصانعنا لصناعة الاثاث والمعلبات » .

وقال انه يجرى الآن مسح لواقع البناء وأن العائلات الاولى ، ومن بينها اسرته ، ستنتقل الى مساكنها الجديدة خلال عام . ومن الوجهة الرسمية لم يحدد اى موقع للعائلات المائتين وخمسين، وقد ارجىء اتخاذ قرار بشأن المزيد من الخطط لبناء «حبرون الكبرى» الخليل الكبرى لتوطين اليهود على نطاق واسع لمدة عام . وفى ابريل الماضى « اقتلت لاغراض عسكرية» منطقة تشمل ٨٠٠ فدان الى الشمال الشرقى من المدينة .ويقول رئيس بلدية الخليل ان احداً لم يذكر له اين ستقام المنازل الجديدة على الرغم من انه من المفترض منذ مدة طويلة أن منطقة بالقرب من المدينة ستحول أخيرا الى مساكن لايواء المستوطنين . ويبدو الحاخام ليفينجر ، وهو رجل سليم النية ، مقتنعا على نحو رائع بأن العداء بين العرب واليهود سوف يتم التغلب عليه وان الخطط الاكمل لاقامة حبرون الكبرى سوف يتم اقرارها فى النهاية . وقد أعلن قائلا :

« ان حبرون جزء من اسرائيل بل انها أكثر أهمية من تل أبيب . وينبغى ان يزيد عددنا من ٢٥٠ أسرة حتى نصل الى ٢٥٠٠٠ نسمة وننتشر انتشارا جيدا فيما وراء هذه المنطقة الاونية » .

[جارديان ، ٢٣ يوليو ١٩٧٠]

نشرت صحيفة **الدفاع** الاردنية فى ٢٢ يوليو أن السلطات الاسرائيلية فى الضفة الغربية المحتلة — تمضى فى طريقها فى اقتلاع أشجار البساتين بمنطقة قلقيلية « تمهيدا للاستيلاء على الارض واقامة مستوطنات جديدة » .

[رويتر ، ديلى ستار ، ٢٣ يوليو ١٩٧٠]

يمضى المستثمرون الاسرائيليون والاجانب قدما فى تنفيذ خطط تطوير شرم الشيخ فى جنوب سيناء كمنطقة للاستشفاء على الرغم من قبول الحكومة للمقترحات الامريكية التى قد تؤدى الى انسحاب اسرائيل من جزء على الاقل من الاراضى العربية المحتلة خلال حرب ١٩٦٧ .

[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٥ أغسطس ١٩٧٠]

قال وزير الخارجية الاسرائيلى ابيان — كما قال رئيس الوزراء السابق اشكول وخليفته السيدة مائير — ان نهر الاردن ينبغى أن يكون « حدود الامن » لاسرائيل وهذا يمكن أن يعنى أن تستمر اسرائيل فى المحافظة على النظام بالضفة الغربية. ونفس القول ينطبق على شرم الشيخ على البحر الاحمر ...».

وقد اعرب جميع أعضاء مجلس الوزراء ، ربما باستثناء السيد بنحاس سابير ، علنا عن رأيهم فى أن اسرائيل ينبغى ان تحتفظ بالمضايق [تيران] . ويجرى الآن اتمام انشاء طريق يربط بين شرم الشيخ وبين ايلات ... وهناك نقاط لن تكون موضوعا لاى تنازلات . فما من عضو بمجلس الوزراء دعا الى التخلى عن أى جزء من القدس الى اى دولة أو سلطة سيادة أخرى . كما انه ليس من المحتمل أن يتم التخلى عن منطقة اللطرون ، التى يمر بها الطريق الرئيسى بين القدس وتل أبيب . وهناك شكوك فيما يتعلق بمستقبل قطاع غزة . فمن الواضح أنه لن يعاد مرة أخرى الى مصر ، وأن اسرائيل ينبغى ان تواصل ممارسة نوع من الرقابة عليه بسبب قربه من قلب البلاد .

[جويش أوبزيرفر وميدل ايست ريفيو ، ٧ أغسطس ١٩٧٠]

ذكرت صحيفة **الدستور** الاردنية ان السلطات الاسرائيلية فى القطاع العربى المحتل من القدس قد أتمت اجلاء كافة السكان العرب بالقوة من الحى اليهودى وهدمت منازلهم لتقيم مكانها مساكن للمستوطنين اليهود الجدد . ونشرت الصحيفة ما أسمته صورة للحى ، تحمل علامات تشير الى المواقع المقترحة للمبانى الجديدة .

[ديلى ستار ، ٨ أغسطس ١٩٧٠]

قال السيد اسحق تابينكين الزعيم العمالى المخضرم أن السلام لن يتحقق الا اذا استقر اليهود فى كل أنحاء اسرائيل اربتز .

[جيروساليم بوست ، ٩ أغسطس ١٩٧٠]

يخطط الاسرائيليون لغزو جديد .. هو غزو ١٠٠٠٠٠ سائح لسيناء . فسياستهم فى « خلق حقائق جديدة » فى الاراضى المحتلة منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ستمتد لتشمل الامكانات السياحية لشبه الجزيرة الصحراوية الشاسعة ، التى تم الاستيلاء عليها من مصر ، والتى تبلغ مساحتها ضعف مساحة اسرائيل نفسها . وستبنى القرى السياحية والمعسكرات والفنادق الفاخرة فى أربع من المراكز السياحية الجديدة ، وسيتم انشاء ورصف الطرق المؤدية اليها .

[ديلى ستار ، ٩ أغسطس ١٩٧٠]

ذكرت صحيفة **الدستور** الاردنية أن العمال العرب بمنطقة الخليل بالضفة الغربية المحتلة قد رفضوا العمل للسلطات الاسرائيلية أو التعاون معها فى تشغيل الالات الثقيلة فى سيناء . وقالت الصحيفة ان الاسرائيليين قد استولوا مؤخرا على ٣٧٠٠ دونم من الارض بمدينة الفصايل ، بالقرب من أريحا ، لبناء مستوطنة للمهاجرين اليهود وقد تم بناء اكثر من ١٠ منازل بالفعل على هذه الارض .

[ديلى ستار ، ١٨ أغسطس ١٩٧٠]

أعلن متحدث باسم وزارة الداخلية الليلة الماضية أن لجنة تخطيط المدن بمنطقة القدس قد اقرت خطة كبيرة تشمل مساحة ١٠٠٠٠ دونم من الارض داخل وخارج أسوار المدينة القديمة . ويسرى مفعول هذه الخطة خلال اربعة شهور .

[جيروساليم بوست ، ١٩ أغسطس ١٩٧٠]

نشرت صحيفة **الدفاع** الاردنية انباء واردة من الضفة الغربية التى تحتلها اسرائيل بأن سلطات الاحتلال قد ارغمت ١٥٠٠٠ لاجىء بمعسكر قلنديا (بالقرب من مطار القدس] على الجلاء عن معسكرهم .

وقد اتخذ هذا القرار ليتيح للسلطات الاسرائيلية الاستمرار فى تنفيذ مخططاتها التوسعية .

[لوريينت ، ٣١ أغسطس ١٩٧٠]

قرر مجلس وزراء اسرائيل اعطاء وزير المالية سلطة مصادرة أى أراض فى القدس العربية لاغراض تحسين المدينة .

[الاتحاد ، أول سبتمبر ١٩٧٠]

أعلنت الحكومة أنها ستنزع ملكية نحو ٢٧٠٠ فدان فى القطاع الاردنى — سابقا — من القدس لاغراض تطوير المدينة . وتضم المنطقة المعنية بعض العائلات اليهودية و ٢٠ أسرة عربية .

[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٣ سبتمبر ١٩٧٠]

قال السيد آلون خلال جولة له فى بعض المستوطنات شبه العسكرية بالمراكز الامامية على امتداد نهر الاردن فى الضفة الغربية الاردنية السابقة :

« كائنة ما كانت الحلول السياسية بالنسبة لمنطقة الخليل والسامرية [الضفة الغربية] ونهر الاردن ،ووادى الاردن وسلسلة الجبال المرتفعة على امتداد هذا الوادى — من جبل جيلبوا فى الشمال الى المنطقة العربية فى الجنوب ، بما فى ذلك صحراء الخليل حتى مشارف الخليل فى الشرق — ينبغى ان تبقى فى أيدى اسرائيل وتشكل نطاقا للامن يمكن منه رد أى هجوم من الشرق».

وقال أيضاً ان متطلبات أمن اسرائيل فى اى تسوية سلمية يحتمها التمسك بمرتفعات جولان السورية سابقا ، ومجموعة مستوطنات كتلة عصيون جنوب غربى القدس على الضفة الغربية ، ومشارف مدينة رفح فى الغرب الاقصى من قطاع غزة المصرى سابقا ، وشرم الشيخ فى الطرف الجنوبى من صحراء سيناء المصرية سابقا .

وقال السيد آلون أن مستوطنات الناحال ، التى يديرها شباب وفتيات يؤدون خدمتهم العسكرية كفلاحين — جنود « التى اقيمت حتى الان والتى يحتمل اقامتها ، ستحمى الوجود والسيادة اليهودية على امتداد المنطقة الاستراتيجية من الضفة الغربية للاردن والبحر الميت».

[هيرالد تريبيون ، ٣ سبتمبر ١٩٧٠]

قالت جولدا مائير فى حفل افتتاح المحكمة الاقليمية بالقدس فى ٢ سبتمبر : « لقد أصبحت بوابة ماندليوم ذكرى بعيدة الان وقد اعتدنا على اعتبار جزئى القدس كلا واحدا » وتقع المحكمة فى مبنى كانت تشغله قبل حرب الايام الستة محكمة الاستئناف العليا الاردنية .

[جيروساليم بوست ، ٣ سبتمبر ١٩٧٠]

تبدأ وزارة الاسكان فى بناء ٢٦٠٠ شقة سكنية فى أوائل ١٩٧١ على جزء من الاراضى التى تم الاستيلاء عليها مؤخرا فى القدس . وقد طلب السيد زئيف شاريف وزير الاسكان الى مقاولى البناء نقل مكاتبهم وعمالهم الى القدس لتنفيذ هذه المهمة . وأشار السيد شاريف الى ان الـ ٢٦٠٠ وحدة الجديدة ستكون بالاضافة الى ٤٠٠٠ وحدة يجرى بناؤها حاليا فى العاصمة ، وستكون العقارات الجديدة فى نيف ياكوف بالقرب من قلنديا الى الشمال من المدينة ، حيث سيتم بناء ٧٠٠ وحدة سكنية ، وستبنى ٥٠٠ وحدة اخرى على منحدرات النبى صمويل ، بينما تبنى فى جنوب المدينة ٧٠٠ شقة فى مناحات بالقرب من بيت صفافة ، و ٧٠٠ وحدة أخرى فى منطقة دار الحكومة . وكشف الوزير أيضا عن أن الوحدات الـ ٢٦٠٠ وحدة التى كان يتحدث عنها ليست الا الجزء الاول من مشروع لبناء ٢٥٫٠٠٠ وحدة سكنية فى الاراضى التى تم الاستيلاء عليها .

[الاتحاد ، ١٥ سبتمبر ١٩٧٠]

كشف ايجال آلون رئيس الوزراء بالنيابة فى تل أبيب فى ١٦ سبتمبر عن أن الحكومة قد قررت اقامة خمس مستوطنات يهودية جديدة فى المناطق الخاضعة لادارتها . وستكون من بين هذه المستوطنات اثنتان زراعيتان فى مرتفعات الجولان واثنتان أخريان فى الجنوب ٣ ومستوطنة حضرية » فى مكان ما فى جبال الخليل والسامرية » .

[جيروساليم بوست ، ١٧ سبتمبر ١٩٧٠]

أقرت لجنة التخطيط الاقليمى للقدس هذا الاسبوع مخططات لمشروعين للاسكان على التل الفرنسى ستبلغ جملة وحداتها السكنية ٨١٥ وحدة . والمشروعان اللذان سيشغلان ١١٤ دونم هما جزء من مخطط كبير شامل للتل الفرنسى يتطلب انشاء ٢٥٠٠ وحدة . وقد بدأ العمل بالفعل فى بناء ٨٥٠ وحدة تمت الموافقة عليها من قبل .

[جيروسالم بوست ، ١٨ سبتمبر ١٩٧٠]

قال الحاخام الاكبر اسر يهودا أونترمان لممثلى مستوطنات وادى بيسان فى ٥ أكتوبر : « ان السياسيين يجيئون ويذهبون ، ولكن وجودنا فى الاجزاء المحررة من أرض اسرائيل وجود دائم ، ولن تظلوا سكانا لمناطق الحدود الى الابد . فالحدود ستمتد بعيدا عنكم ، وستظلون بداخلها ، لان هذا أساسى بالنسبة لامنكم وأمننا ، وتلك هى ارادة الله » .

[جيروساليم بوست ، ٦ أكتوبر ١٩٧٠]

قال السيد اسرائيل جاليلى فى ٧ اكتوبر أنه بالاضافة الى انشاء المركز الصناعى الجديد الى الشمال من غزة والمستوطنات فى قطاع رفح ، فان اسرائيل ينبغى أن تعجل بتدعيم قاعدتها الاقتصادية فى قطاع غزة . وقال جاليلى ان كل زيارة للقطاع أعادت تأكيد صحة قرار الحكومة بأنها لا ينبغى أن تنسلخ عن الاراضى الاسرائيلية . وأضاف أن الاحداث السياسية العاصفة لا ينبغى أن تؤدى الى انتقاص اسرائيل من تنفيذها لمخططات التوسع فى عمليات التوطن التى وافقت الحكومة عليها بالفعل .

[جيروسالم بوست ، ٨ أكتوبر ١٩٧٠]

تطوق اسرائيل الجزء العربى من المدينة المقدسة بالعمارات السكنية الجديدة لليهود ، متجاهلة بذلك نداء الامم المتحدة بالتوقف عن احداث تغييرات فى الاوضاع القائمة بمدينة القدس .

ويشكو العرب الذين يشهدون معدلات الانشاء المخيفة على اراضيهم السابقة فى القدس الشرقية من أن البناء قبل الوصول الى اتفاق سلام يدمر أى فرصة للحوار مع الحكومة الاسرائيلية .

وقد داست جولدا مائير رئيسة الوزراء على اعتراضات كل من الامم المتحدة والعرب فقررت أن تجسد تعداتها بأن تجعل مدينة القدس بأكملها من الان فصاعدا عاصمة لاسرائيل تجسيدا ماديا. واتخذت اسرائيل منذ حرب الايام الستة فى ١٩٦٧ الاجراءات التالية فى القدس الشرقية ، حيث كان العرب يعيشون ، وذلك تنفيذا لسياستها هذه فى انهاء التقسيم :

تمت مصادرة اكثر من ٤٠٠٠ فدان من الاراضى ، ٩٠٪ منها من الاراضى التى كان يملكها العرب .

ويجرى الان بناء عمارات سكنية هائلة على هذه الاراضى للاسر الاسرائيلية، من بينها مشروع واحد يشتمل على ١٥٠ وحدة سكنية مخصص حتى الان للعرب. والمبانى الجديدة تتخذ شكل هلال حول ما كان حدودا شرقية للقدس اليهودية قبل الحرب .

وتدعو الخطة الكبيرة للقدس الى اقامة مدينة تضم جزءا كبيرا من الاردن المحتلة. ومن المدن التى تشكل المحيط الجديد ، كما هو مقرر بالخطة ، رام الله فى الشمال ، وبيت لحم فى الجنوب ، ونفه ايلان فى الغرب وأناتوت فى الشرق . وستضم هذه الحدود مدينة مساحتها ٣٢٤ كيلو مترا مربعا .

ومصادرة الاراضى العربية هى أكثر الاعمال اثارة للجدل فى عملية التوسع. وقد رفض زيف شاريف ، وزير الاسكان الاسرائيلى الادلاء بأى أحاديث صحفية حول مسألة نزع ملكية الارض وصرح من خلال احد مساعديه انه « كلما قل الحديث كان ذلك أفضل » .

[انترناشونال هيرالد تريبيون ، ١٧ — ١٨ اكتوبر ١٩٧٠]

تم توصيل ١٥٠ منزلا بمعسكرات اللاجئين فى قطاع غزة بشبكة الكهرباء الاسرائيلية . وسيتم فى النهاية توصيل المزيد من المنازل أيضا بهذه الشبكة .

[هاآرتس ، ٢٦ اكتوبر ١٩٧٠]

ستبنى اسرائيل ثلاث مستوطنات جديدة فى مرتفعات جولان السورية المحتلة خلال العام القادم ، وبذلك يرتفع عدد المستوطنات المدنية وشبه العسكرية التى اقيمت بالمنطقة منذ يونيو ١٩٦٧ الى ١٥ مستوطنة .

وقد اعلن عن هذا المشروع مائير شامير ، المسئول عن المستعمرات فى المرتفعات ، اثناء حديثه الى المستوطنين فى مدينة القنيطرة السورية المحتلة فى ٢٧ اكتوبر : وذكر شامير أن حوالى ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه اسرائيلى [٢٫٤ مليون جنيه استرلينى] ستخصص لانشاء المشروعات فى المنطقة فى العام القادم .

[رويتر ، ديلى ستار ، ٢٩ اكتوبر ١٩٧٠]

أصبحت أول مستوطنة بالقرب من رفح ، فى حملة اقامة مستوطنات فيما وراء حدود عام ١٩٤٨ ، حقيقة واقعة .

ويجرى الان انشاء بيوت للمستوطنين . وعلى الرغم من ان التخطيط جار لمستوطنة ثانية بالقرب من رفح ، فانه لم يتضح ما اذا كانت ستكون هناك مستوطنة

ثالثة أم لا فى المنطقة بالاضافة الى ناحال داكلا . والمسألة مرهونة بتوافر مصادر المياه .

[دافار ، ٣ نوفمبر ١٩٧٠]

سيتم انشاء اربع مستوطنات فى الاراضى المحتلة ووادى عربه خلال الشهور القليلة القادمة . وستقام ثلاث أو اربع مستوطنات اخرى فى الأراضى المحتلة خلال الشهور العشرة القادمة .

[هاآرتس ، ١٠ نوفمبر ١٩٧٠]

تبدأ فى الصيف القادم اعمال الانشاء الخاصة بالمساكن الدائمة فى ميفو هورون بوادى ايالون بالقرب من اللطرون . وقد انشئت المستوطنات منذ عام مضى بواسطة ادارة التوطين بالوكالةاليهودية

ويريد المستوطنون الان ان يحولوا مستوطنتهم ، التى تعمل الان على نظام الكيبوتز ، الى موشاف شيتوفى [قرية جماعية] .

[جيروساليم بوست ، ٣نوفمبر ١٩٧٠]

أبلغ السيد آدم سبكتور صاحب فنادق كارافان فى ايلات وشرم الشيخ مراسلى الصحف فى ٢٩ نوفمبر انه قد حصل مؤخرا على تصريح باقامة مبان دائمة فى شرم الشيخ . وهو يأمل بالفعل فى اتمام بناء قرية جديدة تماما لقضاء العطلات فى شرم الشيخ قبل اغسطس القادم .

[جيروساليم بوست ، ٣٠نوفمبر١٩٧٠]

قررت السلطات الاسرائيلية تغيير الطابع السكانى للقدس الشرقية . وهى لهذا تصادر الارض العربية فى المدينة فى اعقاب قانون الاستيلاء على الارض للمنفعة العامة .

وطبقا لهذا القانون فانها تستطيع أن تستولى على كافة الاراضى المملوكة للفلاحين العرب ، ويستطيع وزير المالية ان يصادر أى اراض يريدها ، وقتما يريد ، كلما زعم أن هذا للاغراض العامة . فاذا اعترض الناس علىمصادرة وزير المالية لاراضيهم فانهم يتلقون أوامر المحكمة العليا بتسليم أراضيهم الى الجهات المنوط بها تحسين القطاع الاسرائيلى » .

[الاتحاد ، أول ديسمبر ١٩٧٠]

افتتحت رسميا أول مستوطنة يهودية فى قطاع غزة على مسافة أربعة كيلو مترات شرقى دير البلح .

وصرح ايجال آلون نائب رئيس الوزراء فى ٢ ديسمبر فى الكنيست أن الحكومة قد قررت اقامة اربع مستوطنات امامية أخرى ، ومستوطنة شبه حضرية ونزع ملكية ١١٫٤٠٠ دونم من الارض فى القدس الشرقية ، واقامة مناطق سكنية للعرب واليهود ، وتطوير انشاء حى يهودى فى حبرون .

[جيروساليم بوست ، ٣ديسمبر١٩٧٠]

ستتم اقامة مستوطنتين طليعيتين فى مرتفعات الجولان على ايدى الجماعات المشتركة من أعضاء حركة شباب الخليل بالولايات المتحدة وحركة الكشافة الاسرائيلية .

[جيروساليم بوست ، ١٩ ديسمبر ١٩٧٠]

كان مستر ديان حاسما فى اقواله . فقد ذكر لاعضاء النداء اليهودى المتحد ان اسرائيل لن تفرط مطلقا فى الخليل، وهى مدينة فى الضفة الغربية التىتحتلها اسرائيل ، لانها المدينة التى دفن فيها ابراهيم وسارة وتم فيها تتويج الملك داود . وأكد فى برنامج « لقاء مع الصحافة » بالتليفزيون انه يريد أن تحتفظ اسرائيل بمرتفعات الجولان وشرم الشيخ وغزة والقدس العربية و .. غيرها ، على حد قوله .

[الايكونوميست ، ١٩ ديسمبر ١٩٧٠]

دعا عمدة القدس الاسرائيلى الى اجتماع لجنة دولية منثلاثينمن المهندسين المعماريين ورجال التخطيط وخبراء الفنون . وستناقش اللجنة خطة شاملة لبناء القدس الكبرى التى تبلغ مساحتها ثمانية امثال المساحة التى سيطر عليها المجلس البلدى حاليا ، وتضم بيت لحم فى الجنوب ورام الله فى الشمال ،ويقدر تعداد سكانها بنحو ٩٠٠٫٠٠٠ نسمة فى عام ٢٠١٠ .

وقد هوجمت الخطة لان شبكة الطرق بها ، كما قال أحد الكتاب فى صحيفة ها آرتس ، « ستجعل المدينة القديمة المسورة تبدو كمحطة بنزين دخلة فى وسط أرجوحة دوارة »

والى الشمال الغربى من المدينة على تل النبى صموئيل ، وهو تل ذو مناظر طبيعية خلابة على قمته مسجد وتحيط به الوديان ، تتصور الخطة اقامةضاحية فسيحة تضم ١٥٠٠ منزل . ولكن وزارة الاسكان تريد بناء عمارات سكنية عالية مزدحمة بالشقق ، مما يجعل منها فى الواقع مدينة جديدة .

[اوبزيرفر ، ٢٠ ديسمبر ١٩٧٠]

يتفق أعضاء الحكومة الاسرائيلية اتفاقا تاما على أن اسرائيل لن تفرط مطلقا فى القدس والمناطق المحيطة بها ، او قطاع غزة ، أو مرتفعات الجولان وشرم الشيخ وشرقى سيناء أو بعض المناطق الغربية من الضفة الغربية ووادى الاردن فى مقابل معاهدة سلام . وقد أعلن الجنرال موشى ديان بصراحته المعهودة فى خطاب القاه بنادى الصحافة بتل أبيب : « اننا لن نتخلى عن اى مكان أقمنا فيه مستوطنات يهودية » .

[لوموند ، ٢٢ ديسمبر ١٩٧٠]

رفضت جولدا مائير رئيسة الوزراء رفضا قاطعا انسحاب اسرائيل الى حدودها السابقة قبل ١٩٦٧ حتى اذا اعترفت بها مصر وضمنتها الدول الكبرى وتوفرت لهما الحماية بمنطقة منزوعة السلاح تديرها قوات دولية من الامم المتحدة .

[النشرة اليومية لوكالة التلغراف اليهودية ، ٢٣ ديسمبر ١٩٧٠]

قال دافيد بن جوريون فى ٢٤ ديسمبر أن مرتفعات الجولان لن تظل يهودية الا اذا انشئت فيها ٢٠ مستوطنة يهودية اخرى . [وطبقا لتقديرات الوكالة اليهودية هناك ١٢ مستوطنة فىالمرتفعات فى الوقت الحالى] .

وقال رئيس الوزراء السابق انالطريقة الوحيدة التى يمكن بها اقامة الحقائق هى باحتذاء المثال الذى ضربه رواد ميفو هاما وغيرها من النقاط الامامية . وشكر بن جوريون فتيان وفتيات الذين كان لهم فضل المبادرة فى المشروع ، وأعلن أن توزيع الشهادات لا يعطيه من البهجة مثلما تعطيه مبادرة هؤلاء الذين يذهبون لاقامة مستوطنات يهودية جديدة فى مرتفعات الجولان .

[جيروساليمبوست ، ٢٥ديسمبر ١٩٧٠]

تقرر فى اجتماع عقد فى ٢٩ ديسمبر بين المستوطنين اليهود فى حبرون وبين وزير التجارة والصناعة والمالية البدء فى اقامة أبنية صناعية على مساحة ١٥٠٠ متر مربع كخطوة أولى نحو التوسع فى اقامة هذه المنشآت على مساحة ٤٠٠٠ متر مربع بعد اتمام بناء العمارات الاولى .

[دافار ، ٣٠ ديسمبر ١٩٧٠]

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- بيكاسو: محاولة لدراسة تطوره الفنى
- لغة الجسد الانسانى
- السينما البرازيلية الجديدة



فتيات افنيون .. احدى لوحات بيكاسو الشهيرة



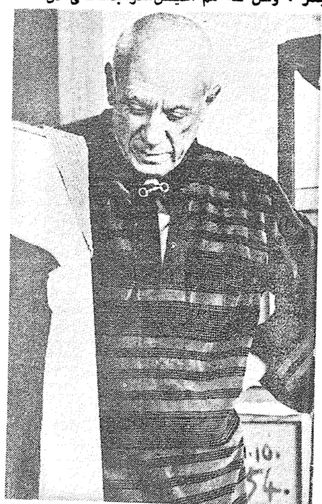
فى هــذا العـــدد :

بيكاسو محاولة لدراسة تطوره الفني

(١٨٨١ - ١٩٧٣)

دراسة اعدها
أحمد مرسى

كتب دوجلاس دافيز غداةوفاتهيقول « برغم أن عمره كان ٩١ عاما عند موته ، فقد جاء نباوفاة بيكاسو كصدمة ، للعالم ولاصدقائه على حد سواء . لالانه فقط كان رجلا مكتمل القوة ، برغم سنوات عمره ،يعمل ساعات طويلة فى لوحاته ، ويستقبل أصدقاءهويسخر من عدوه السياسى القديم ، فرانشسكو فرانكو ،ويأكل ويشرب بنهم ، ويحتضن زوجته ذات السبعة واربعين عاما ، أمام كاميرات المصورين . لقد كان الامر أبعدمن ذلك . فبيكاسو كان يعتبر جزءا جوهريا من العالمالحديث . فعندما يدرس أطفال المدارس ، بشائر روح القرنالعشرين ، يستهلون درسهم باسم بيكاسو . لقد كان ملكالفن المتوج — اله وحسد . واختلفت حوله الاراء دائما —واستمر ذلك طويلا حتى اقترن اسمه بأسماء حفنةالفنانين التىتعتبر مترادفات لكلمة الفن ، ومنهم مايكل انجلو ورمبرانت .من المؤكد انه كان فانيا ككل البشر ، ولكن قلة هم الذينآمنوا بذلك حتى الان » .



ان هذه الكلمات البسيطة الصادقة تكاد تحدد المساحة الهائلة التى شغلها هذا الفنان الكونى فى خريطة عالم القرن العشرين . ولفداحة التصدى للكتابة عن فن بيكاسو فىمقال صحفىوهو الذى كتبت عنه مؤلفات بمختلف اللغات تستعصى على الحصر ، بل يكفى ان نذكر هنا ان كريستيان زيرفوس ، وكان صديقا للفنان ، أنفق من عمره ٣٩ عاما فى احصاء أعمال بيكاسو وحدها ، فشغل حصرها وتسجيلها ٢٣ مجلدا ، ولم يكن قد بلغ الا انتاج بداية الستينات . ويقع ثلثا هذه الاعمال فى حوزة تجار اللوحات وأصحاب المقتنيات الخاصة . يكفى ان نشير الى هذه الحقيقة ، لنلتمس العذر سلفا عما قد يبدو من قصور ، فيما سنحاول تسجيله تسجيلا عابرا لمراحل تطور فن بيكاسو منذ أواخر القرن الماضى حتى نشوب الحرب العالمية الاولى .

طفل خارق الموهبة

ولد بابلو رويز بيكاسو فى ملقه ، بالاندلس ، يوم ٢٥ أكتوبر ١٨٨١ . وكان والده دون خوزيه يشتغل بتدريس التصوير والرسم بمدرسة الفنون والحرف .. وقد تخصص ، على نحو متواضع ، فى رسم الزهور والطبيعة الصامتة والطيور البرية .

وكان الحمام من أحب الموضوعات الى نفسه ، ولا غرو اذن ان يلعب الحمام دورا هاما فى حياة بابلو الصغير ، حتى أن الطفل رفض أن يذهب الى المدرسة ما لم يسمح له بدخول الفصل فى صحبة حمامة من الحمامات التى كان والده يرعاها ومنذ بلغ سن السابعة وقلم الرصاص لا يفارق يده ، حتى أنه فى هذه السن المبكرة ، كان قد حاز على اعجاب والديه بمهارته فى الرسم .

لن نتتبع بالتفصيل سيرة الفنان الذاتية ، بالرغم ان حياة بيكاسو الشخصية جزء لا ينفصل عن تاريخه الفنى . وقد أوردنا هذه الحقائق البسيطة والمعروفة عن بداية نشأة الفنان ، لتوضيح خلفية الصورة العامة ، على المستويين الشخصى والفنى . ومما تقدم ، وبدون الحاجة الى الافاضة فى مزيد من التفاصيل ، نستخلص اننا أمام طفل خارق الموهبة ، كان من حسن حظه أن تلقفته أيدى مدربة وقلوب حانية ، بلغت بها الرعاية حد انكار الذات . ففى عام ١٨٩٤ ولم يكن بيكاسو قد بلغ الرابعة عشرة من العمر ، قرر والده أن يهجر فنه الى الابد ، قانعا ومؤمنا بقدرة الابن على مواصلة المسيرة من بعده ، محققا كل ما فشل فى تحقيقه الاب ، الذى لم يتردد وقتئذ فى أن يهدى ابنه علب ألوانه وفرشه وكل أدوات الرسم الخاصة به .

فى عام ١٩٠٠ ، خلال المدة من يناير الى سبتمبر شارك بيكاسو صديقه كاسا جيماس مرسمه فى برشلونة . وكان بيكاسو فى ذلك الوقت قد تخلص نهائيا من جميع آثار النفوذ الاكاديمى وشرع فى اطلاق العنان لموهبته الخلاقة . وبالرغم من أنه كان يعالج التصوير الزيتى ، ويستخدم فى معظم الاحيان الطباشير الملون ، فقد ظل الرسم من أحب الاشياء الى نفسه ، وكان يستخدم فى رسوماته الاقلام والحبر والفحم والطباشير الملون ، أما موضوعاته فكانت متباينة ، مثل مشاهد من الشارع والحياة فى الملاهى الليلية والمواخير أو حلبة مصارعة الثيران .

وفى نهاية شهر أكتوبر ، سافر الى باريس بصحبة صديقه كاسا جيماس ، وهناك التقى بصديقه « نونيل » الذى كان على وشك العودة الى برشلونة ، فترك له مرسمه . وفى باريس تعرف بيكاسو على مواطنه بيير مانياك الذى قدمه لبيرثفيل ، تاجرة الاعمال الفنية ، فاشترت أولى لوحاته التى باعها فى باريس .

وفى يونية ١٩٠١، اقيم معرضه الاول فى باريس بجاليرى فولار . وكانت لوحات المعرض تصور مشاهد الملاهى الليلية وسباقات الخيل والمشاهد الطبيعية وصور الزهور ، وجوانب من الحياة فى أسبانيا . وقد اتهم بيكاسو ، فى ذلك الوقت ، بتقليد « لوتريك » و « فوبيار » و « فان جوخ »، ومع ذلك لم يكن لاحد أن ينكر الوجود الديناميكى لفنان عبقرى. وكان كل ما حققه الفنان من كسب ، من جراء هذا المعرض ، هو اكتساب صداقة الشاعر الفرنسى ماكس جاكوب .

وفى خريف ١٩٠١ ، كان بيكاسو قد وضع قدميه على طريق « العهد الازرق » . فقد اختفت من أعماله مشاهد الشارع الملونة البهيجة والبورتريهات التى كان يرسمها منذ بضعة أشهر ، لتظهر بدلا منها شخصيات يعتصرها الاسى أو الجوع فى عالم تصبغه الزرقة .

عالم البهلوانات والصعاليك

وكان بيكاسو طوال الفترة من ١٩٠١ الى ١٩٠٤ ، يتنقل بين باريس وبرشلونة ، حتى حل شهر ابريل من عام ١٩٠٤ ، فعاد الى باريس للمرة الرابعة ، ليقيم فيها بصفة نهائية ، حيث أقام فى « الباتو لافوار » حتى أكتوبر ١٩٠٩ ، وكانت السنوات الخمس التى قضاها بيكاسو فى هذا المرسم المتواضع الموحش ، سنوات حاسمة فى تاريخه الطويل .

واذا عدنا الى عام ١٩٠٥ ، نجد أعمال الفنان قد خفتت فيها نبرة القلق والتوتر . لقد اختفى الشحاذون العميان والنساء الضامرات الحزينات الذين سادوا طوال العهد الازرق ، ليشيد الفنان عالما جديدا يتحرك فيه البهلوانات والفنانون الصعاليك المتجولون . وامتزج الازرق باللون الوردى ، للتخفيف من حدة الخشونة والوصول بتعبيره الى النبل .

عبثا حاول النقاد الوقوع على دليل واحد لتفسير هذا التحول الكبير الذى طرأ على أعمال الفنان ، على أساس انه انعكاس لحياته الخاصة . فلا شك ان ارتباطه بعالم السيرك أتاح له الفرصة لرسم العاملين به ، غير أن التحول الذى طرأ على أعماله لم يكن أيضا الا ثمرة من ثمار التجربة والبحث .

ان الاعمال التى تنتمى الى العهدين الازرق والوردى ، هى أقرب أعمال الفنان الى قلوب الجمهور العادى . وقد ساعدت الرغبة فى التعامل مع بيكاسو كما لو كان أستاذا منذ مولده فى تضخيم قيمة هذه الاعمال ، حتى أن « الفريد بار » كتب ذات مرة يقول أن لوحة « غلام يقود حصانا » التى رسمها بيكاسو فى عام ١٩٠٥ ، تجعل حماة التقاليد اليونانية الرسميين من أمثال « آنجر » .. يبدون مبتذلين أو لالون لهم » . وبالرغم من ذلك فان العهدين الازرق والوردى يضمان أكثر الصور التى أنتجها بيكاسو سهولة على الاطلاق — الى جانب ما تمتاز أو تتسم به هذه الاعمال من حساسية ونمطية وعاطفة مشبوبة :، فهى تختلف اختلافا كليا من أعماله اللاحقة ، وخاصة بالنسبة لاولئك الذين شعروا بصعوبة فى فك شفرة البناء التكعيبى للطبيعة الصامتة التى ترجع الى عام ١٩١٢ . فالبون شاسع والهوة عميقة بين البناء التكعيبى الصارم ، وصور الغسالات العجفاوات والاكروبات الذين شغلوا لوحات بيكاسو خلال الحقبة من ١٩٠٢ الى ١٩٠٦ . فهى من جانب ، تسجل تجربته للفقر المدقع والمهين التى ذاقها فى باريس وبرشلونة ، ومن جانب آخر ، تصور

الشحاذ المنبوذ من المجتمع ، كاسقاط للفنان اللامنتمى ».

ان ابطال العهد الازرق ، بصفة خاصة ، لايحملون شخصية ، فيما عدا معاناتهم المؤسية ». بل ان بعض هذه الاعمال مثل لوحة « امراة تكوى » بلغت درجة من العاطفية المعذبة تجعلها تقف فى صف واحد مع مواقف روايات « ديكنز » المؤثرة . وفى هذه المرحلة المبكرة ، يستطيع المرء أن يشاهد ، وبصفة خاصة فى اعمال العهد الوردى ، ذلك الحافز نحو التعميم النوستالجى الذى ما برح يزحف الى اعمال بيكاسو فى السنوات الاخيرة ».

يعتقد الناقد الاسترالى « روبرت هيوز » اننا لو استبعدنا كل ما أنتجه بيكاسو حتى عام ١٩٠٦ ، فلن تتخلف عن ذلك أية ثغرة فى تاريخ الفن الحديث . لكن بيكاسو بدأ فى هذه السنة ، مسيرته نحو التكعيبية ». وربما كانت اولى روائعه الكاملة طوال حياته ، بورتريه جيرترود شتاين .

وقد ذكرت الكاتبة الامريكية كيف كان بيكاسو يجلس لصيقا بكرسيه وقريبا من قماشة اللوحة ، ممسكا بباليتته الصغيرة التى كان قوامها اللون البنى المشرب بتدرجات الرمادى . ويبلغ عدد جلسات جير ترود شتاين امام الفنان ٩٠ جلسة . ولكنه لم يقنع بنتيجة عمله بعد كل هذا العناء ، فقام ذات يوم بطمس معالم الراس باكملها التى لم يكن راضيا عنها ، وفسر بيكاسو حيرته أمام هذه اللوحة لصاحبته بقوله : « اننى عندما اتطلع الى وجهك ، لا أعود أراك » .

وترك بيكاسو اللوحة نصف منتهية ، وبعد مضى بضعة أشهر ، عاد اليها وأتمها فى غياب الموديل .

واليوم ينظر النقاد الى هذا العمل ، كواحد من أعظم لوحات البورتريه التى رسمها بيكاسو أو أى فنان آخر فى هذا القرن . وهو يصور جيرترود شتاين بأسلوب له جرم النحت ، الوجه كهنوتى أقرب الى الاقنعة السحرية . ومما يقال عن هذه اللوحة أنها لم تكن تشبه الكاتبة فى أول الامر ، ومع مضى الوقت ، وبمفعول السنين ، تحولت جيرترود شتاين الى نفس الملامح التى رسمها بيكاسو ، فاقر النقاد ، لاول مرة ، بنبوءة هذا العمل المذهل . وبهذه اللوحة ، أتم الفنان استيعابه للشكل « الفطرى » ، وأصبح الطريق الى التكعيبية مفتوحا أمامه (كان بيكاسو قد أنفق وقتا كبيرا خلال هذا العام فى تأمل النحت الايبيرى والمصرى القديم) ».

وفى هذه الاثناء ، كان الفنان نهب لقلق . وفى نهاية ١٩٠٦ ، بدأ بيكاسو يعد لعمل تكوين هام للوحة « فتيات أفينيون » ، فقام باعداد سلسلة من الدراسات وضعته أمام مشاكل أكثر تعقيدا من جميع المشاكل التى وجد حلولها حتى تلك اللحظة .

مغامرة التكعيبية

كان عمر بيكاسو لا يتجاوز الخامسة والعشرين ، عندما بدأ لاول مرة ، فى خوض مغامرة التكعيبية . ولم يكن الجمهور العام يعرف حتى اسمه . ومع ذلك كان قد أنجز قدرا كبيرا من الانتاج . كان رساما صناعا لا يعرف الكلل . انتج مئات الرسومات . وكان ماهرا فى استخدام القلم الرصاص والاقلام الملونة والريشة والحبر الصينى ، على حد سواء . وكان قد انتج ، كحفار ، لوحات كلاسية يعجز عن انجازها فنان غيره . كما كان قد استخدم السن الجاف وعالج الحفر على الخشب . واستطاع فى مناسبتين فى عام ١٨٩٩ وفى عام ١٩٠٥ أن يثبت قدرته وابداعه كمثال . وكان ايضا قد رسم أكثر من ٢٠٠ لوحة بالالوان المائية والجواش والباستيل والالوان الزيتية . لقد كان انتاجه فى ذلك الحين ، وهو لا يزال فى مقتبل العمر ، انتاجا ضخما ومتنوعا . فقد جرب معالجة مختلف الخامات بنفس اليسر وتوقد الذهن ، وأبدع فى الصور الشخصية ، ابداعه فى التكوين والطبيعة الصامتة والمشهد الطبيعى .

فعل كل ذلك ، بدون أدنى لمحة للتكرار وبدون أن يتطرق الى طاقته شىء طفيف من الوهن . وليس أدل على ذلك ، من أن كل ما أنتجت يداه ، سواء كان تخطيطا أوليا أو لوحة مكتملة ، يتساوى فى الجاذبية .

الان ، بدأ النجاح يحلق فى الافق . ان بيكاسو لم يكن يعرف الاوهام . فقد كان يدرك أن الوقت قد أزف . لكى ينصت للشيطان الكامن فى أعماقه الذى كان عليه أن يحمله من نصر الى نصر .

واذعانا للحاجة الطاغية للابداع المطلق ، الذى كان يعنى أن كل عمل من اعماله يجب أن يمثل مشكلة مطروحة ومشكلة محلولة فى نفس الوقت ، قطع بيكاسو على نفسه عهدا أن يحطم تلك الرقية التى هددت بالفت فى عضده ، وأن يغامر وحده عبر الطريق المنحدر المؤدى الى المعرفة ».



الفقراء على شاطيء البحر ١٩٠٣.

وكان هذا يعنى اختيار المزيد من كل ما هو ثورى .

وكان العهد الذى قطعه على نفسه شاقا ، اذ كان يتطلب طاقة من الخيال لا مناص معها من التجريب والوقوع فى الخطأ على نطاق واسع . وعلى سبيل المثال ، هناك على الاقل ١٧ تخطيطا أو تحضيرا لتكوين « فتيات افينيون » . وبالاضافة الى ذلك ، كان على بيكاسو أن يعد عددا لا نهاية له من الرسومات للشخوص المختلفة .

اشتمل التحضير الاولى للوحة على سبعة شخوص ، خمس نساء عرايا ورجلين . وكان احد الرجلين ، وهو الجالس فى الوسط ، بحارا رسمه بيكاسو فى لوحتين دقيقتين للغاية ، وقد رسمه فى احداهما وهو يدخن سيجارة .

وعلى الجانب الايسر من اللوحة ، رسم طالبا يداف الى الحجرة وفى يده جمجمة . وفى تحضير آخر استبدل البحار بامرأة عارية ، ولكن عدد الشخوص السبعة لم يتغير . وفى التحضير الثالث فقط ، أسقط بيكاسو المرأتين اللتين كانتا تشغلان الجانب الايسر ، بينما استبدل الطالب الذى كان يحمل جمجمة ، بامرأة تسدل ستارة ، وتتخذ وضعا يشبه ، الى حد كبير ، الوضع الذى يظهر فى اللوحة النهائية .

أما اسم اللوحة الذى اشتهرت به فى العالم ، فمن اختيار الكاتب أندريه سالمون ، الذى أطلقه عليها بعدالانتهاء منها بسنوات . فقد اعتاد بيكاسو عند شروعه فى العمل فيها فى بداية عام ١٩٠٧ ، أن يسميها مع أصدقائه « ماخور افينيون » . وهى اشارة ساخرة الى منزل معين فى شارع افينيون ببرشلونة . ولم تكن هذه التسمية أكثر من فكاهة مرسم ، وهى ان لم تكن تبرر وجود البحار فى التحضير الاول ، فهى على الاقل تساعد فى تفسير

اللوحة ، بينما لا يحمل الاسم الراهن اية دلالة .

● ● ●

للوحة « فتيات افينيون » تاريخ مثير ، فهى كأى تجربة معملية ، لم تكن تعرف الا بين الفنانين وثقاة الفن الذين شاهدوها فى مرسم شارع رافينيان . وهناك اكثر من دليل على انها صدمت بجدتها كل من وقع بصره عليها .

وقد سجل « كاهينويلر » ، عبارات الدهشة التى جرت على لسان « فيلهلم أوود » فى وصف اللوحة له . لقد ذكر أن فى اللوحة شيئا آشوريا . وكان هذا الوصف كفيلا باثارة فضول أى انسان . فتوجه « كاهينويلر » تاجر الاعمال الفنية فى الحال الى « الباتور لافوار » . وهناك وعلى مرأى من اللوحة ، تحولت دهشته الى اعجاب . ولم يمض عام على هذه اللحظة ، حتى أصبح تاجر بيكاسو الخاص وصديقه المقرب .

وفى الوقت الذى وقف فيه عدد من ثقاة الفن ، مثل « جيرترود شتاين » و « فيلهلم أوود » و ر . دوتيلول » وغيرهم الى جانب بيكاسو عندما شرع فى مغامرته فى تجربة التكعيبية الجسور ، توقف عدد كبير عن شراء لوحاته ، كما رفض « امبرواز فولار » أول عميل يتاجر فى اعمال بيكاسو ، أن يرتبط معه لحين من الزمن .

وعندما شاهد « جورج براك » « فتيات افينيون » فى أواخر ربيع ١٩٠٧، لم يفلح معه أى نقاش لقبولها . وكان رأيه أن الرسم بهذا الاسلوب يستوى فى السوء وابتلاع الكيروسين من أجل بصق النار .

ومع ذلك ، فقد قادته تجربته الخاصة التى قام بها فى غضون شتاء ١٩٠٨ الى حلول لا تختلف عن تلك الحلول التى كان بيكاسو قد اكتشفها .

ومما يثير الدهشة فعلا ، أن هذه اللوحة التى تعرف اليوم على نطاق العالم ، طبعت لاول مرة فقط فى عام ١٩٢٥ ، فى عدد ١٥ يوليو من مجلة « الثورة السوريالية » . وعرضت لاول مرة فى « البيتى باليه » فى عام ١٩٣٧ ، خلال معرض باريس الدولى .

وخلال عام ١٩٠٨ ، كان سيزان ، الذى اقيم لاعماله معرض شامل فى صالون الخريف فى العام السابق ، كان بمثابة الامر اليومى فى مراسم مونمارتر ومونبارناس . ولكن بيكاسو ظل اقل مناعة من غيره ، تجاه هذا التأثير الطاغى .

وكان بيكاسو ، على عكس ذلك ، يبدو أنه يرحب به كنظام يستطيع من خلاله أن يدعم نفسه قبل أن يمضى فى استطلاعات بعيدا . وقد قام ، وهو فى هذه الحالة الذهنية بمعالجة سلسلة من المشاهد الطبيعية فى صيف هذا العام .

وخلال هذا الصيف أيضا رسم « براك » فى مرسيليا ، لوحات المشاهد الطبيعية التى رفض عرضها فى صالون الخريف ، ثم عرضت خلال المدة من ٩ الى ٢٨ نوفمبر فى جاليرى كاهنويلر . وهى اللوحات التى اتاحت للناقد « لوى دى فوكسل » الفرصة لتفرده مرة أخرى باختراع مصطلح « التكعيبية » ، كما سبق له فى عام ١٩٠٥ أن صاغ اصطلاح « الحوشية » .

● ● ●

وفيما يتعلق بلوحة « فتيات افينيون » التى تعتبر علامة تحول ، لا فى فن بيكاسو وحده ، بل فى تاريخ الفن قاطبة ، فهى باختصار شديد « انتصار الشكل على المضمون » ، وقد كتب اندريه سالمون ، يصف هذه اللوحة بقوله « لاول مرة فى عمل لبيكاسو يخلو تعبير الوجوه من التراجيديا أو العاطفة المشبوبة . هذه أقنعة تكاد تخلو تماما من الانسانية ومع ذلك ، فهؤلاء الاشخاص ليسوا بآلهة او جبابرة أو ابطال ، بل هم حتى ليسوا بشخصيات مجازية او رمزية . انهم مجرد مشكلات عارية ورموز بيضاء على لوحة سوداء » .

وكتب كاهنويلر عام ١٩١٥ فى كتابه « ظهور التكعيبية » يقول « فى بداية عام ١٩٠٧ بدأ بيكاسو العمل فى لوحة ضخمة غريبة تصور نساء وفاكهة وستارة ، تركها غير مكتملة .. وهذه اللوحة التى بدأها باسلوب اعمال ١٩٠٦ تشتمل فى قسم منها ، على محاولات ١٩٠٧ ، وهى لذلك لا تؤلف كلا موحدا .. وفى المقدمة ، التى لا تنسجم مع اسلوب بقية اللوحة ، تظهر امرأة تجلس القرفصاء وطبق فاكهة . هذه هى بداية التكعيبية الانتفاضة الاولى ، الصدام اليائس المهول مع كل المشكلات مرة واحدة . ان هذه المشكلات ، كانت العمل الاساسى للتصوير . تمثيل الابعاد الثلاثة واللون على سطح مستو ، وتضمينها فى وحدة هذا السطح .. ليس هناك تكوين يسر العين بل بناء لا توافقى معقد تعقيدا عضويا . والى جانب ذلك ، كانت هناك مشكلة اللون ، واخيرا أكثر المشاكل تعقيدا ، وهى مشكلة ادماج ومصالحة الكل . وفى اندفاع ، تصدى بيكاسو لجميع المشاكل مرة واحدة » .

ووصف الفريد بار نفس اللوحة فى كتابه « بيكاسو — ٤٠ عاما من فنه » بقوله « أن لوحة « فتيات افينيون » هى رائعة بيكاسو للحقبة الزنجية ، الا أننا



الحياة ١٩٠٣

نستطيع ان نقول عنها ايضا انها اول لوحة تكعيبية ، فتحطيم الاشكال الطبيعية ، سواء كانت شخوصا او طبيعة صامتة او قماشا : فى اطار من الاسطح المائلة والمتناوبة على نحو شبه تجريدى عام .. هو التكعيبية بعينها . ان هذه اللوحة هى عمل انتقالى ، هى مختبر ، او بالاحرى ، ميدان القتال للمحاولة والتجربة . وهى ايضا عمل ذو قوة خارقة وديناميه لا نظير له فى الفن الاوروبى لعصره » .

اننى لا ابحث .. بل أجد

أما فيما يتعلق بالتكعيبية فكانت بالنسبة لبيكاسو نقطة تحول . فقبلها كان المعجزة ، وبعدها ، غدا الاستاذ الذى يحاكيه الاخرون لا الفنان الذى يحاكى غيره ، لقد غدا ايضا شخصية فريدة انفصل عمله تدريجيا عن الثقافة المحيطة به . لكنه ابتداء من ١٩١١ الى ١٩١٧ تقريبا ، حافظ لاول مرة فى حياته على شعاره الذى اطلقه بقوله « اننى لا ابحث ، بل أجد » . فالتكعيبية وضعته فى حقل من البحث المتبادل والتكافلى وتسامت لذلك بغرائز الفنان المطبوع فى اعماقه .. وخلال العشرينات والثلاثينات وعلى نحو اقل ، فى الاربعينات ، واصل بيكاسو دفق الاعمال الفنية الاخرى ، الا أن تأثير هذه الاعمال مجتمعة على تاريخ الفن ، وعلى ثقافتنا بشكل عام ، لا يرقى الى اثر لوحاته ذات المظهر المتواضع باتجاهاتها البنية وقصاصات الصحف المشربة بالصفرة ، التى انتجها خلال سنوات التكعيب .

ان الهدف الذى تطلعت اليه التكعيبية وما حققته فى سبيله كان مدخلا جديدا تماما للغة المرئية ولطرق التمثيل نفسها . لم تكن فنا تجريديا . ولم تكن تهتم بالصوفية او الميتافيزيقا . بل حاولت، عوضا عن ذلك ، ان تكون محددة بقدر الامكان ، بالنسبة لموقع وشكل وكثافة

الاشياء الحقيقية في عالم واقعي ٠

وكانت التكعيبية اول بيان كامل في الفن ، يوضح ان احاسيسنا تأتي من وجهات نظر متعددة ، واننا نسكن حقلا من التجربة ، وليس منظورا محددا ٠ وكان انجاز بيكاسو هو التعبير عن ، ثم تطوير ، هذه الرؤية تطويرا رائعا ٠ وقد نجح الفنان في لوحاته واعمال الكولاج التي انتجها خلال المدة من ١٩١٠ الى ١٩١٤ في ان يقع على حل لمشكلة كيفية الاحتفاظ للسطح المرسوم ، بواقعية الشيء المصور ٠

والطريف ان التكعيبية التي بدات في خريف ١٩١١ تنتشر على نطاق العالم وتجتذب المزيد من اتباعها ،تعرضت في نفس الـوقت لاقسى حمـلات الهجـوم المسمومة ٠ وعنـدما طلبت صحيفة « لوجورنال » الى الناقد « جـابرييل موراي » ان يكتب موضوعا عن صالون الخريف ، تنبأ في عددها الصادر في ٣٠ سبتمبر بأن التكعيبية سواء كانت متكاملة او غير متكاملة ، قد قالت كلمتهـا الاخيرة ٠ ووصفها بقوله « انها اغنية البجعة للعنة المتغطرسة وقناعة الذات بالجهل » ٠

لم يكن موراي الناقد الوحيد الذي تصدى بالهجوم على التكعيبية ، فقد أبدى غالبية كتاب الصحف يندون اشد التنديد بهذه المدرسة ٠ ولم يدافع عن التكعيبية ، وسط حملات الهجوم المسعورة ، غير مجلة « انترانسيجيان » التي كان يحرر صفحتها الفنية « جييوم أبـوللينير » وصحيفة « باري ـ جورنال » التي كان من كتابها اندريه سالمون ٠ كما تساوت جميع المقالات النقدية التي تعـرضت للتكعيبية في حدة نبرتها العدائية فيما عدا « ميركور دي فرانس » وذلك بفضـل « جـوستاف كاهـن » و « ريفسـو اندبندانت » التي كان « روجيه الار » يشترك في تحريرها ٠

● ● ●

لم يقنع بيكاسو بمجرد استخدام الاحرف المطبوعة او استنساخها على اللوحة ، كتفصيل واقعي ، اذ راح يجرب القيمة العلمية لهذا الاختراع ٠ وقادته تجاربه الى استغلال مبادئه بادخال رقائق تقليد الرخام والخشب وورق الحائط في لوحاته وكان كل شيء يوحي بانه كان يهدف الى منافسة دعاة الخداع البصري في لعبتهم الخاصة ٠ ولتحقيق هـذا الهدف ، تمادى بيكاسو في استخدام المواد المختلفة ، الى حد استخدام المشط الذي يستعمله مزخرفو البيـوت لتحبيب مسطح الحائط ٠

وبفضل هذه الديالكتيكية الطبيعية التي ربما كانت تنطوي على جانب من اللعب ، أدت هذه الحيل الجسورة الى حيل اخرى ٠ فما أن اوشك عام ١٩١١ على نهايته حتى كان بيكاسو يضيف الى لوحاته ليس فقط اشباه المواد الحقيقية ، بل ايضا قصاصات حقيقية من الصحف وقطع الخشب ، كما استخدم الرمل والمواد الاخرى المشابهة ٠

● ● ●

وفي صيف ١٩١٤ في « افينيون » حيث أمضى بيكاسو عطلته في صحبة « براك » و « ديران » رسـم بيكاسو لوحات ضخمة مثل « صورة فتاة مع خلفية خضراء » و « الرحل وقـدح النبيذ » وعـددا من أعمـال الطبيعـة الصامتة ، ومن بينها « القدح وقنينة الروم » وقد استوحى في هذه اللوحات تصميمات ورق الحائط ، فاستخدم الوانا مشرقة لألاءة خلعت على التكوين الحر تنوعا وسحرا ٠

وعندما اعلنت الحرب العالمية الاولى ، كان بيكاسو لا يزال مع اصدقائه في افينيون ٠ وبنشوب الحرب ، فـرضت نهاية مباغتة على التجربة المثيرة التي كانوا قد استهلوها منذ سبع سنوات ، وتكاتف بعضهم مع البعض من اجل انجاحها ، وبانفراط عقد الصـداقة ، اسدل ستار على حقبة خصبة ، لم يشهد تاريخ الفن الحديث لها مثيلا ٠

● ● ●

كان لتشتت ثلة الاصدقاء ، ان عاد بيكاسو مرة اخرى الى مرسمه ، الذي لم يجد فيه غير الوحدة والوحشة ٠ ولم يكن أمامه من سلاح ، غير الفرش والالوان ٠ وكان عليه انئذ ان يختزل العالم الى حفنة من الاشياء اليومية التي اختارها دون اي شيء آخر لاعتبارات تشكيلية ٠ لم يحدث هذا لبيكاسو وحده ، بل حدث ايضا لجميع الفنانين التكعيبيين الذين فرضت عليهم ظروف الحرب ، العمل فـي مراسمهم بعيدا عن الاصدقاء ٠

ونتيجة لـذلك ، اخـذت الطبيعـة الصامتة ، تصبح ، شيئا فشيئا ، واحدا من احب الموضوعات اليهم ، بل نستطيع القول بأنها كانت الموضوع الوحيد الذي كان له أية عـلاقة مباشرة بمنهجهـم الاستاطيقي وحياتهم اليومية ٠

وقد مر وقت على بيكاسـو ، في ظل هذه الظروف ، اعتقد فيه انه لا يستطيع ان يرسم وجه المرأة التي يحبها ٠ ولكنه لم يقل ان يظل رهين سجن ، حتى لو كان من صنع يديه ، فحرر نفسه من حلقة التكعيبية المقفلة ، واثبت لنفسه وللاخرين انه ما من خطر يفوق خطر ان يصبح الانسان عبدا لنظرية ، وكانت وثيقة انعتاقه من اسار هذه النظرية ، لوحاته مثل « المهرج يجلس » و « طبيعة صامتة على مائدة صغيرة » ثم لوحة « طبيعة صامتة على كوموسيو » ذات الاسلوب الكلاسيكي ، واخيرا « ثلاث نساء امام المسقى » و « العـازفون الثلاثة » ٠

● ● ●

انتج بيكاسو في صيف ١٩١٩ عددا كبيرا من لوحات الجواش والالوان المائية التي عالج فيها موضوع « طبيعة صامتة على مائدة صغيرة في قبالة نافذة مفتوحة » ٠ وكان بيكاسو يتطلع ، من خلال هذه التنويعات البليغة على موضوع واحد ، الى بلوغ حل وسط بين تكعيبيته الاخيرة والواقعية التي يمكن ان نلمسها في ذلك الوقت في رسوماته ٠

وفي عام ١٩٢٠ ظهرت لاول مرة أشكال النساء الثقيلة المعمارية التي قـورنت بالتماثيل اليونانية اوالرومانية ٠فاذاصح ما ذكره بعض النقاد ، من ان بيكاسو استوحى هذه الاعمال من مشاهداته في نابلي او بومبي او روما ، فلا تزال هناك حاجة لتفسير المعجزة التي تجعل مثل هذه الاشكال المنفوخة ، التي لا تمت بصلة للفن الكلاسيكي ، تعيد الى أذهاننا التماثيل القديمة على هذا النحو من القوة والبلبلة ؟

والحقيقة ان هذه الاعمال لا علاقة لها بالاثار الاكاديمية العتيقة كما يتردد في مدارس الفن ، لاننا مهما بحثنا في تراث الحضارات اليونانية او اللاتينية فلن نقع على عمل واحد يطوي على هذا التحدي ويحتفظ في الوقت نفسه ، بـالنسب الكلاسيكية كما في لوحة « امرأتان جالستان » أو « ثلاث نساء عنـد المسقى » اللتين ترجعان الى عـام ١٩٢١ ٠

وللوقوف على سمات هذه الكلاسيكية الجديدة ، من صدق الابداع والاصالة ، فليس هناك افضل من لوحات الباستيل التي عالج فيها موضوع المستحمات خلال ذلـك الصيـف (١٩٢٠) فـي اكس ـ لو ـ بان ، والتي استبعد فيها تماما ، كل ما يمت بصلة الى الحدوتة والجمال السهل ، وذلك لصالح التصميم والخط ٠

كما نجد نفس المزج بين القديم والحديث في دراساته العديدة لرؤوس النساء ، التي تزيد حجومها على حجم الرأس الطبيعية بمقدار مرتين او ثلاث مرات ، وترجع هذه الدراسات الى عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ ٠



واحتفظ بيكاسو بهذه الثنائية حتى عام ١٩٢٣ فكان من ناحيه ، يعمل على تحقيق تطوير واستغلال كل التنويعات التى تتيحها له التكعيبية على موضوع محدود مثل الطبيعة الصامتة ، وكان من ناحية اخرى يصور الوجه والاشكال الادمية بالاساليب التقليدية ·

وفى محاولة لتحدى موقف الفن الحديث من استنكار اى عمل فنى يعبر عن بهجة الانسان ،عن طريق تاكيد الجانب الجمالى الذى يتملق العين ، انتج بيكاسو مجموعة من اللوحات خلال فترة زمنية وجيزة . من بينها « العشاق » والصور الشخصية المختلفة لابنه بول ، والتى تعد الان من روائعه ، وذلك بفضل مهارته الحرفية كرسام ، وحرارة مشاعره الدافقة كانسان ·

كما انتج الى جانب الصور الشخصية سلسلة اخرى من لوحات البهلوانات باسلوب واقعى ، وهى اللوحات التى عرضت فى معرض رونبرج فى عام ١٩٢٤ ·

وتحتل لوحة « الراقصين الثلاثة » مكانا بارزا بين انتاج هذه الحقبة ، وذلك لان الفنان ، بانتاجه لهذه اللوحة ، قد استهل بداية جديدة ، بعد ان قطع كل ما كان يربطه بماضيه من وشائج ·

وهذه اللوحة التى رسمها فى عام ١٩٢٥ فى نفس الوقت الذى كان يعمل فيه فى سلسلة لوحات الطبيعة الصامته العظيمة ، كانت بمثابة وداع الفنان لعالم الرقص الكلاسيكى ، فقد حملت الى هذا العالم الذى كان يفيض بالنعومة والنبل ، احتجاج الغرائز وصخب مرضى الحواس ·

وهى تمثل ايضا الانتصار ، الذى كان قلق الفنان الرجولى فى حاجة اليه ، يدفعه بقوته ، وقد القت به ، فى طفرة واحدة ، الى خضم عالم ، ليس فى وسع غيره ان يعطيه شرعيته ·

بشائر التحولات

اذا كانت لوحة « الراقصون الثلاثة » بداية لانطلاقة جديدة ، تتجاوز جسارة « فتيات افينيون » فى مضمونها التشكيلى الثورى ، ففى الوسع اعتبار السنوات الخمس التى تبدا من تاريخ الانتهاء من هذه اللوحة فى عام ١٩٢٥ الى ١٩٣٠ ، سنوات تجريب ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من نجاح تارة واخفاق تارة اخرى ·

وقد بلغت جدة ابداعات الفنان خلال هذه الفترة حدا ، نفخ النار من جديد فى جذوة المعارك الفنية التى كانت قد خمدت ، بينما كان يعمل فى لوحاته للطبيعة الصامتة · الا ان المعارك هذه المرة ، كانت تختلف عن سابقاتها ·

وكما ذكر كريستيان زيفرو ، لم تكن نفس زوبعة الامس « لقد أصبح بيكاسو شخصية شهيرة ، مع ان أعماله لم تكن يعرفها غير قلة من الناس · الا ان سمعته الدولية لم تكن موضع نقاش · فهل مثل هوميروس الذى لا يجادل فى أهميته انسان ، بالرغم من ان الذين يعرفون أشعاره هم قلة » ·

● ● ●

أنتج بيكاسو خلال عام ١٩٢٦ ، لوحتين تعطيان فكرة واضحة عن القطبين الذى قاده اليهما الدافع الى الابداع ، وهما لوحة « محترف صانع القبعات » ولوحة « الجيتار » الفاضحة الشهيرة التى استخدم فيها ، مئزرا والشوكة المستخدمة فى تقليم الارض ، وحبلا وورقا ومسامير ·

وبالرغم من أنه لا توجد علاقةخارجية بين هدين العملين ، الا أنهما يستمدان جاذبيتهما من نفس الحاجة الاساسية · وهما يفرضان نفسيهما على المشاهد على غرار الوجود المطلق ، ومثل عالمين تاميز فى حد ذاتهما ، بحيث لا يدينان بشىء للواقع السريع ·

واذا كان بيكاسو قد استوحى لوحة « محترف صانع القبعات » من الدكان الذى كان يطل عليه من نافذته فى شارع « لابيوتى » ، فان هذه الحقيقة لا تضيف الى ، أو تنقص من العمل الاساسى الخاص بخلق عالم ـ من مجرد مجال

ضيق من الرماديات ونسق متشابك النسيج من الانحناءات الناعمة ـ لا يمكن تبريره بالرجوع الى الواقع ، بل انى العقل الخلاق الذى أعاد التفكير فيه بعمق وعن عمد ٠

أما لوحة « الجيتار » فقد استوحاها من منزر من الجوت ، وقع بصره عليه فى الحمام ٠ ونلمس من هذه الحقائق، تلك القوة البسيطة الغامضة ، لندفع شره ، نحو الخلق المطلق ، دافع يستدل على مقومات العمل الفنى فىوقائع الحياة اليومية العرضية ٠

علاقة الواقع بالمتخيل

وامام هذا العالم البكر الذى وقف بيكاسـو على عتبـاته مترددا لحظـة خائفا لحظة أخرى مما قد تقوده اليه خطاه ، وسط حلكته الدامسة ، التى لم يفض بكارتها انسان قبله ٠ اصطر الفنان أمام هذه المشاعر المتضاربة أن يتوقف هنيهة عن التصوير ، فعاد الى ممارسة الحفر ٠ وقد استحوذ عليه فى ذلك الحين ، موضوع يدل على طبيعة المشاكل التى كانت تصطرع فى أعماقه ، وهو « الرسام والموديل » ، أو بمعنى آخر ، العلاقات المتغيرة بين الحقيقى والمتخيل ٠

واذ كان قد قطع كل صلة تربطه بالتقاليد غير المحددة وغير الواضحة ، فقد عكس عن عمد ، هذه العلاقات لصالح المتخيل ، وبدأ سلسلة من التحولات ، التى تناولت الوجه الانســانى بصـفة أساسية ٠

وفى صيف ١٩٢٧ ، وبينما كان بيكاسو يقضى عطلته فى « كان »، تملكته الرغبة فى أن يعطى مزيدا من الحياة والصلابة ، لاكثر مخلوقات ذهنه المتوتر وحشية ٠ ومن ثم راودته فكرة عمل منحوتات معمارية ، يمكن أن تشيد على امتداد الساحل ٠

ولتحقيق هـذه الغاية ، مـلا دفتر اسكتشاته ، خلال عام ١٩٢٨ ، بمجموعة ضخمة من الرسومات المفصلة والموحية ، ومن بينها رسم « رأس امرأة » أو « تصميم لنصب » ٠

وخلال المدة من ١٩٢٩ الى ١٩٣٣ ، كانت الغلبة لنشاط النحات٠ وفى عام ١٩٣١ انجز تشييداته من الحديد بمساعدة صديقه النحات جونزاليس ، كما راح يعمل فى حماس رومانسى فى المصيص والطين ٠

وترجع الى هـذه الحقبة ، تماثيله لرؤوس النساء ، ذات الانوف الضخمة ، التى شاهدها الجمهور لاول مرة فـى الجناح الاسبانى بالمعرض الدولى لعام ١٩٣٧ ٠

● ●

التقى بيكاسو فى عام ١٩٣٢ بمارى تيريز ، التى اجتذبته بشبابها ، وطلعتها المشوشة والبراءة المتدفقة والاجادة ٠ وهذه المرأة التى عشق قلبه بها ، ألهمته سلسلة من اللوحات ، التى تظهر فيها اما جالسة أو مستلقية أو غارقة فى النوم ، كمخلوق ذى بشرة مشعة شفافة وحسية دافئة ٠

وخلال المدة من ١٩٣٢ الى ١٩٢٤ ، أثرىبيكاسو انتاجه فى الحفر ،بمجموعة تتألف من ١٠٠ لوحة ، تبز فى روعتها كل ما أنتجه من قبل ، وهى ، ان صح هذا القول ، تمثل اكثر العناصر اثارة فى انتاجه كله ٠

وهذه المجموعة التى انجزها الفنان استجابة لطلب من فولار ، باستثناء بضع لوحات منها ، يمكن تصنيفها الى أربعة موضوعات أساسية وهى :

محترف النحات ، وتمثله ٤٥ لوحة نفذت على مرحلتين (من مارس الى مايو عام ١٩٣٣ ومن يناير الى مارس عام ١٩٢٤) والمينوطور ، وتمثله ١١ لوحه ، نفذت خلال المدة من مايو الى يونيو عام ١٩٣٣ ، والاغتصاب ، وتمثله خمس لوحات ، نفذت خلال شهرى ابريل ونوفمبر مـن عـام ١٩٣٣ ، ورمبرانت وخطيئته ، وتمثله أربع لوحات ، نفذت خلال المدة من سبتمبر الى اكتوبر من عام ١٩٣٤ ٠

وهذه اللوحات ، سواء كانت ثمرة نزوة ـ مثل مجموعة رمبرانت ـ او مستوحاة من تجربة يومية معينة ، مثل مجموعة النحات ، او مستمدة من أعماق اللا شعور ، مثل الاغتصاب والمينوطور، تقدم لنا ، أكثر من غيرها ، رجلا وسوس له شيطانه الداخلى ، فسقط فريسة لالهاماته التى تخطف البصر ، ومطالبه التى لا تخضع لاية سيطرة ٠

جورنيكا ٠٠ صرخة الثأر

وفى اليوم السادس والعشرين من شهر ابريل ١٩٣٧ ، وكان يوم انعقاد السوق، تعرضت « جورنيكا » ، وهى بلدة صغيرة فى مقاطعة « الباسك » ، لغارة شنتها عليها طائرات تحمل عـلامة الصـليب المعقوف ، وكان فرانكو يستعين بها فى ذلك ، فامطرتها بوابل من القنابل ، ولم تبرح الطائرات المغيرة سماء البـلدة الصغيرة الا بعد أن سوتها بالارض ٠

استغرقت عملية القصف بالقنابل ثلاث ساعات ونصف ساعة ، قتل فيها الفان من المدنيين ، وكان الهدف منها اختبار التاثيرات المجمعـة للقنـابل المتفجـرة والمحرقة ، على السكان المدنيين ٠

وقرر بيكاسو فى الحال ، وكـانت الحكومةالجمهورية قد طلبت اليه فى شهر يناير عام ١٩٣٧ ، ان يعد تكوينا ضخما لعرضه فى الجناح الاسبانى بالمعرض الدولى فى باريس ، قرر أن يتخذ من هذا الفعل الوحشى ، موضوعا لعمله ٠

وفى غرة مايو رسم تخطيطا يشتمل على جميع الـلامح الاسـاسية للعمل النهائى ، وان كانت غير مفصلة ،وانفق شهرا كاملا فى العمل ، منذ اللحظة التى رسم فيها التخطيط الاولى ، حتى فرغ من اتمام اللوحة ٠

وقد تم نقل لوحة « جورنيكا » على أثر انجازها مباشرة الى الجنـاح الاسبانى ، وهكذا اكتسبت شهرة عالمية واسعة ٠

ان لوحة « جورنيكا » ، وهى صرخة روح ثائرة تطالب بالثأر ، لا تزال ينظر اليها كشاهد حتى اليوم ، ولم تفقد شيئا من قوتها ٠ ولا غرو ، وهى أشهر لوحة انتجها فنان فى القرن العشرين ، كما انها احتجاج دائم ضد وحشية الفاشـية بصـفة خاصـة ، والحـروب الحديثة ، بصفة عامة ٠

ويتساءل الناقد الانجليزى جون بيرجر، ما مدى صحة ذلك ؟ وما مدى ما ينطبق على التصوير الفعلى ، وما مدى نتيجة ما حدث بعد أن تم انجاز اللوحة ؟

ويجيب على تساؤلاته بقوله : لا شك ان دلالة هذا العمل قد اتسعت (وربما حتى تغيرت) نتيجة تطورات مؤخرة ٠ فقد رسم بيكاسو لوحته فى عجالة ، استجابة لحادث خاص ٠ وأدى هذا الحادث ، الى احداث اخرى ، لم يكن يتنبأ بها أحد فى ذلك الحين ٠ فالقوات الالمانية والايطالية التى أمنت انتصار فرانكو فى عام ١٩٣٧ ، لم تمض عليها ثلاث سنوات ، حتى كانت تضع كل أوروبا تحت رحمتها ٠

ان « جورنيكا » ، كانت أول بلدةتقصف بالقنابل لبث الرعب فى قلوب السكان المدنيين ، وهو ما حدث بالضبط لمدينة هيروشيما ٠

لهـذا ، اكتسب احتجـاج بيكاسـو الشخصى ، ازاء حادث صغير نسبيا تعرضت له بلاده ، اكتسب ، فيما بعد ، دلالة عالمية ٠ ان اسم « جورنيكا » يعنى للعديد من ملايين الشعوب الان ، اتهام جميع مجرمى الحرب ٠ ومع ذلك فلوحة « جورنيكا » لا تصور الحرب الحديثة بالمعنى الموضوعى لهذا الاصطلاح ٠ لننظر اليها وعلى نقيض ذلك ، يمكن أن المعروفة « صدى صرخة » التى رسمها أيضا فى عام ١٩٣٧ والتى ربما قد استوحاها من احدى الصور الفوتوغرافية التى تصور طفلا يصرخ مفزوعا خـلال الحرب الاهلية الاسبانية ٠

فى لوحة سيكويروس نشاهد المواد التى تجعل الحرب الحديثة ممكنة ، كما نشاهد آثار الدمار الخاصة التى تقود اليها ٠ وعلى نقيض ذلك ، يمكن أن

تكون لوحة بيكاسو احتجاجا ضد مذبحة الابرياء فى أى عصر • وقد وصف بيكاسو نفسه اللوحة بانها « عمل رمزى » – ولكنه لم يوضح الرموز التى استخدمها توضيحا وافيا • وربما كان ذلك ، لانها بالنسبة له تحمل معان لا حصر لها •

فقبل ذلك بثلاث سنوات ، رسم بيكاسو تخطيطا لثور وحصان وامرأة فى زى مصارع ثيران ، وهو يشبه من الناحية التخيلية لوحة « جورنيكا » الى حد بعيد • الا أن الميتادور فى هذا العمل هو « مارى تيريز » ، ومعنى المشهد يركز كلية على الحد المتحرك بين الرغبة الجنسية والعنف ، بين الاشباع والافتراس ، واللذة والالم • ولا يعنى هذا أن تعقيد هذا العمل ، لا ينصب الا على الجانب الحسى • انه الجسد ، وليس العقل ، هو الذى يرضخ الى نوع من الموت فى الجنس ، كما ان ادراك الرجل بعد ممارسة الحب للقابلية الانثوية ، هو نتاج احساس غريزى ، يشاركه فيه الكثير من الحيوانات

عندما رسم بيكاسو « الجورنيكا » استخدم التخيل الخاص الذى كان يسيطر على ذهنه والذى كان يستخدمه فى تصوير موضوع مختلف اختلافا تاما فيما يبدو الا أن هذا الاختلاف • كان اختلافا ظاهريا فقط • لان « الجورنيكا » ، هى لوحة عن تصور بيكاسو للمعاناة ، وكما هو الحال عندما يعمل فى لوحة او تمثال عن الممارسة الجنسية • فان قوة احاسيسه تجعل من المتعذر عليه الفصل بين ذاته وبين معشوقه ، وهو ما يجعل لوحات نسائه غالبا ، بورتريهات شخصية تنعكس على تلك النساء ، لذلك نجده فى لوحة « جورنيكا » يصور معاناته الخاصة ، وهو يسمع يوميا الانباء الواردة من بلاده •

ان تخطيط « المرأة الباكية » ، (وهو جزء من سلسلة الاعمال المتعلقة بجورنيكا) لم يعد كناية جنسية مباشرة ، ولكنه ، بمثابة التحيه التراجيديه لرأس المرأة البرونزى الضخم • انه وجه ، صفت حسيته ، وقدرته على الامتاع ، ى سط يا ، لا تحف الا انقاص الالم • وهو ليس عمل داعية اخلاقى • ولكنه عمل عاشق • فالاخلاقى لا يرى فى الالم قوة مدمرة للذات الى هذا الحد • أما بالنسبة للعاشق ، فلا تزال هناك ذاتية مشتركة • ان ما حدث لوجه هذه المرأة هو بمثابة عملية اخصاء •

« الجورنيكا » ، اذن ، عمل ذاتى من اعماقه ، وهو يستمد قوته من هذه الناحية • فبيكاسو لم يحاول أن يتخيل الحدث الفعلى • فليست هناك بلدة ، ولا طائرات ، ولا انفجارات ، وما من اشارة الى زمن الهجوم ، سواء بالنسبة لليوم

تعليق

بيكاسو وقضايا العصر

« الفنان انسان سياسى ، يقظ أمام أحداث العالم السعيدة والمؤلمة التى تنعكس عليه وتؤثر فيه » • « ليست مهمة الفنان تزيين البيوت » ، « الفن آلة حرب هجومية ودفاعية ضد العدو » ..

تلك كلمات بابلو بيكاسو • الذى انضم الى الحزب الشيوعى الفرنسى فى ١٩٤٤ بعد تحرير فرنسا ، وظل مخلصا لالتزامه المبدئى طول حياته . فن بيكاسو فن متمرد ، ثائر ، خارج على القانون ، يؤكد يوما بعد يوم ارتباطه الوثيق بالقيم الحقيقية للحرية .

وليس صدفة أن يكون أشهر فنان فى هذا العصر ملتزما التزاما كليا وعضويا بالقضايا الكبرى فى عالمنا المعاصر ، قضايا الشعوب المتعطشة للحرية ، ومأساة الشعب الاسبانى البطل بوجه خاص ، كان موقفه دائما الى جانب قوى التقدم والديمقراطية فى كل زمان ومكان ، رسم أروع لوحات تدين الحروب الاستعمارية وتكشف الوجه القبيح للفاشية . رسم أنشودة السلام وبهجة الحياة السعيدة وأمانى وتطلعات الشعوب نحو حياة أفضل وسلام دائم .

فى ٢٦ ابريل ١٩٣٧ دمر الطيران الالمانى – بامر من الجنرال فرانكو – مدينة جيرونيكا الاسبانية الصغيرة ، وانفعل بيكاسو بهذا الحدث ، وبدأ فى أول مايو يرسم لوحته الشهيرة « جيرونيكا » ، التى بلغ حجمها ٣٥١×٧٨٢ سم ، وتغلب عليها الالوان الاسود والرمادى والابيض ، وعرضت اللوحة فى قسم الجمهورية الاسبانية بباريس صيف نفس السنة ، وكانت مجزرة الابرياء فى جيرونيكا أول همزة اتصال بين فن الراسم المعزول من ناحية ونضال الشعوب ضد الاستعمار والظلم من الناحية الاخرى .

ومنذ اندلاع الحرب الاهلية فى أسبانيا [يونيو ١٩٣٦] أخذ بيكاسو موقفا واضحا ضد فرانكو ونظامه الفاشى ، وتبرع بعدة مبالغ من بيع لوحاته لصالح الجمهوريين ، كما رسم عدة أعمال بالحفر كجزء من الدعاية ضد نظام فرانكو من بينها « أحلام واكاذيب فرانكو » التى ساعدته بعد ذلك فى دراسته لجيرونيكا •

ومن اشهر أعمال بيكاسو بعد ذلك تلك الاعمال المتصلة بنفس المضمون : « امرأة تبكى » ، « حفرة الاموات » ، « مذبحة فى كوريا ، ١٩٥١ » ، وفيها نرى مجموعة من النساء والاطفال العراة ، والخوف والعذاب محفور على وجوههم البريئة ، وأمامهم مجموعة من المحاربين على استعداد لان تطلق النار . هذه اللوحة وثيقة اتهام أخرى ضد تجار الحروب الاستعمارية فى عصرنا .

وفى معرض ميلانو سنة ١٩٥٣ قدم بيكاسو لوحتين كبيرتين « الحرب » ، « السلام » ، كمساهمة جديدة . وقد اشترك بيكاسو فى المؤتمر التأسيسى لمجلس السلام العالمى فى بولندا فى ١٩٤٨ ، ثم رسم « حمامة السلام » المشهورة كى تطبع على ملصقات مؤتمر باريس عام ١٩٤٩ ، وتطير فى العالم كله ملايين وملايين من حمامات السلام .

ان هذا الالتزام الواعى من جانب اشهر فنان فى عصرنا بقضايا الشعوب وحركة السلام العالمية قد ضرب المثل ، وشجع باقى الفنانين الصادقين على اتخاذ مواقف أكثر ايجابية وارتباطا بقضايا العصر .

تحية لبيكاسو ، وفن بيكاسو الذى أصبح ملك القوة المبدعة للقرن العشرين •

انجى افلاطون

أو السنة أو القرن ، أو البقعة الاسبانية التى تعرضت للهجوم • وليس هنـاك أعداء يوجه ضدهم الاتهام • وليست هنـاك بطـولة • ومع ذلـك ، فالعمل احتجاج ــ وان المرء ليلمس هذا حتى ولو لم يكن يعرف تاريخه • فاين يكمن هذا الاحتجاج اذن ؟

انه موجود فيما حدث للاجسام ــ للايدى ،لبطون الاقدام ، للسان الحصان، لثديى الام . للعينين فى الراس • ان ما حدث لها فيما رسم . هو المعادل التخيلى لما حدث لها فى الحس وفى البدن • وقد جعلنا الفنان نشعر بآلام هذه الكائنات بأعيننا • والالم هـو احتجاج الجسد •

وكما أن بيكاسو يستخلص الجنس من المجتمع ، ثم يعيده الى الطبيعة ، نجده هنا ، وفى هذا العمل بالذات ، يستخلص الالم والخوف من التاريخ ، ويعيده الى طبيعة محتجة •

الدراما الكونية ••

فى أوائل عـام ١٩٣٧ ، استاجـر بيكاسو مرسما فى شارع « جراند ــ أوجستين » ، وقد اشتهر هذا المرسم ، لان أول عمل ينجزه الفنان فيه كان لوحة « جورنيكا » • وخلال المدة منذ اشتعال الحـرب الاسبانية حتى نهـاية ١٩٣٨ ، أنتج بيكاســو مجمـوعة من « الناحبات » • كما رسم عددا كبيرا من اللوحات الشخصية لدورا مار رفيقته الجديدة • وابتكر بيكاسو فى رسم هذه اللوحات لاول مرة ، تقليده الخـاص بالجمع بين الوجه الجانبى « البروفيل » ومشهد الوجه الامامى •

وعندما أعلن سقوط فرنسا أمام الغزو النازى ، نصحه عدد كبير من أصدقائه بالرحيل الى أمريكا أو المكسيك • لكن بيكاسو رفض أن يغادر فرنسا • وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر اغسطس عاد الى باريس ، وبقى هناك طيلة سنوات الحرب •

وخلال السنوات المأساوية ، ١٩٤١ الى ١٩٤٤ ، تلك السنوات التى وضعت حدا لكل مظاهر متعة الوجود العادية ، شق على بيكاسو أن يقف بعيدا عن الدراما الكونية •

ان الفنان الذى رسم « جورنيكا » ، لم يكن متوقعا منه أن يعكس صورة الحرب ، كمصور فوتوغرافى ، ولكنه قال لنفسه « ربما سيلاحظ المؤرخون أن أسلوبى تغير أثناء الحرب » •

وقد استحوذ عليه ،خلال تلك السنوات، موضوع « المرأة الجالسة » ، الذى أعاد من خلال معالجته ، توزيع ملامح الوجه ، وفقا لما تمليه عليه عواطفه ، محققا ضراوة مقبضة ، مقلقة ، تعبر كافضل ما يكون التعبير ، عن جو تلك الايام •

كما بدأ بيكاسو الكتابة ، لقتل الوقت، وتمخضت هذه التجربة عن مسرحية ذات فصل واحد باسم « الرغبة مشدودة من ذيلها » ، التى قدمت بعد الانتهاء من كتابتها بثلاث سنوات فى يناير ١٩٤١ ، واشترك فى اداء أدوارها ميشيل ليرى ودورا مار وسيمون بوفوار والبير كامو وجان بول سارتر •

لم يكن بيكاسو قد انضم بعد الى الحزب الشيوعى ، ولكننا نستطيع أن ندرك ما كان يدور فى أذهـان أولئـك الذين أعلنوا انضمامه الى الحزب على أثر وقوع باريس تحت الاحتلال النازى•

كما حدث فى الوقت نفسه ، أن انبرى آخرون يروجون شائعات تقول بأنه نصف يهودى ، من جانب أمه •

الا أن سلطات الاحتلال النازى ، التى كانت تنظر اليه ، قبل ذلك بسنوات، باعتبـاره واحـدا من أسـاتذة « الفن المنحل » ، لم تتردد فى التودد اليه ، على أمل اغرائه بالتعاون ولكن هذه المحاولة ، كان مآلها الفشل الذريع • وبالرغم من ذلك ، لم تجرؤ السلطات النازية أن تمسه ،واكتفت برفض التصريح بعرض لوحاته •

ورفض بيكاسو التعاون مع حكومة « فيشى » كما فعل مع برلين من قبل • ونتيجة لهذا الموقف ، تعـرض لاقسى اشد الحملات ، وفى هذه الاثناء توفى صديقه الشاعر ماكس جاكوب فى أحد معسكرات الاعتقال ، فأصر بيكاسو ، مع واحد أو اثنين آخرين من الاصدقاء ، على حضور جنازته وتوديعه الوداع الاخير •

استثمار العبقرية

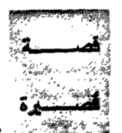
وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر اغسطس ١٩٤٤ ، حررت باريس • وقد عرضت لجنة صالون الخريف ،الذى كان مقررا افتتاحه بعد ستة أسابيع من التحرير ، على بيكاسو أن تفرد له قاعة خاصة ، وقبل بيكاسو هذا العرض الذى كان ينم على المودة ، وقدم ٧٤ لوحة زيتية و ٥ منحوتات • وكانت هذه هى المرة الاولى التى يشترك فيها فى صالون •

وفى يوم ٨ اكتوبر ، لجأ المتطرفون الى أعمال الشغب ، فقـاموا بانتزاع اللوحات من على الحوائط ، وطالبوا ، اما باسترداد نقودهـم التى دفعوهـا لدخول المعرض ،أو تفسير هذه اللوحات•

وربما كان السبب فى وقوع هـذا الحادث ،اعلان بيكاسو انخراطه الرسمى فى الحزب الشيوعى الفرنسى فى الخامس من شهر اكتـوبر ، أى قبل الحـادث بثلاثة أيام •

وبانتهاء الحرب ، استمر بيكاسو فى اثراء الفن العالمى ، بالعديد من أعمـال التصوير والنحت والحفر والخزف ، ولم يلق بفرشاته على الارض الا لحظة أن داهمه الموت ، وكان فى سنواته الاخيرة ، ينتج أعماله بنفس حرارة وحماس ابن العشرين ، الا أن انتاجه برمته خلال تلك السنوات ، كان مجرد تنويعات ، بأنامل الاستاذ الصناع ، على موضوعات وأساليب سبق أن طرقها خلال مراحله السابقة ، لذلك لا نستطيع القول بأن بيكاسو استمر فى دور الرائد الذى يصنع التاريخ طوال هذه السنوات • فقد أجمع النقاد ، قبل وفاته ، على انه تبوأ مكانه الثابت فى التاريخ ، لحظة الانتهاء من لوحة الجورنيكا ، ولم تكن السنوات التى أعقبت هذا الحدث ، الا سنوات استثمار للعبقرية التى لم تخمد شعلتها حتى بعد وفاة صاحبها ، والارجح أنها ستبقى الى الابد ، رمزا وشاهدا على حضارة القرن العشرين •

راقصة افنيون ١٩٠٧ — ١٩٠٨



الزعيــــــم والثمرة الحرام

محمود عبد الوهاب

محمد على يعقد مجلسا شرعيا من علماء الازهر وقضاة المذاهب الاربعة للاستفتاء فيما نسب الى السيد / عمر مكرم من تهديد باثارة الفتنة وتأليب العامة على السلطة الشرعية

قاطِعْ ياشيخى الطيب .. هاهو المخلوق الحقير يواجهنى ــ أنا خالقه ــ وفى قامته القزمية توفز الكلاب وبين الفكين أنياب ذئب وفى العينين صفرة الغدر الثعبانى المتأصل فى لب النخاع .. ولان الشجرة الردية تعرف انى أملك الفأس التى تجتث الجذور لذا يتوارى الفاجر خلف نقاب الكلمات المهترئة : الفتنة . تأليب العامة . السلطة الشرعية . كأنه لا يذكر انى صنعته ــ يوم صنعته ــ من طين الفتنة . كأنه لا يذكر انى يوم انتشلته من قاع العدم كان جوادى الطائر فوق ذرى المحنة هو تأليب العامة . كأنه نسى انه أنا من خلع عليه سلطته واننى مصدر كل مالها من شرعية . ما كنت ادرك يومها اى خسيس اضع على كتفيه عباءة الملك . ماكنت حينئذ ياشيخى الا مبهورا بدارات النور الساطع من سيماء وجهك .. يسكرنى ذوب الرحيق العاطر فى عذوبة ابتسامتك .. انجذب الى الق الحبات الخضراء الوضيئة فى مسبحتك .. اغيب عن حضورى الزائل هائما فى نبع النور الابدى الدائر اقمارا وشموسا فى كون حضورك .. اعود من غيبتى فاذا بعيونى الطفلية تتحسس بدهشة الميلاد شعاعات الضوء وأطياف الظلال .. يحبو سمعى للقبض على أنامل الاصوات .. تطعمى أصابعى الوليدة عبر تتابع الاشياء نبضات النعومة والخشونة والصلابة والسيولة .. أتحسس أعضائى الجديدة مرهوا بالجسد المترع حبا ويقينا .. استشرف بعيون القلب النورانية معالم أيامى الاولى :

الحرائق تقوض شوارع المدينة .. تنابل الفرنسيس تدك البيوت تتصدع الجدران .. تغيب بين أسنانها الحجرية صرخة الاشلاء .. بين تلال الخرائب السوداء تتوسل النظرات الجوعى فى عيون الاطفال .. تجف خيوط الدمع الترابية على الخدود الضامرة .. تحلق الغربان فى سماء المدينة المقبرة .. ثم .. أرانى قادما من منعطف الشارع فاذا بالموتى يبعثون .. تنفجر الشوارع بجحافل الجموع الراكضة حول شيوخ الازهر تتصلب الاذراع فوق المتاريس .. ينقض الجيش المسلح بالهراوات على قلمة المدافع الفرنسية .. تتصدع القلعة تحت ثقل الطوفان البشرى تنقض صيحة الهول الداهم : ها قــــد جاءكم عمر مكرم .

ويتمالى وقع الاحذية المتغطرس أمام الباب الحديدى .. تنهش السياط عظام الصدر العارى .. تزلزل الصفعات وجه السجين المصلوب .. يبرق وعيد الحراب فى ظلام الزنزانة .. تلوح عبر شعاعات **الضوء الشحيح ، ندر الغيظ المهتاج** على وجه صارى عسكر .. ينسحب نظرة عينيه الحانقتين فى الشفتين المزمومتين على صرخة الم كظيم ..

ــ تكلم وانقذ راسك .. تكلم فلن ينتزعك من قبضتى كل شيوخ الازهر .

ويتوهج فى رماد العينين نصل الكلمات

ــ لست انا الرجل الذى يخذل عمر مكرم .

ويندفع صهيل الخيول فى مسساء السكون المتربص بالتلمسة .. تدمدم السنابك فوق الخلاء الرازح على بلاط الشارع المنحدر .. تتناثر فى سفح الصمت المتجهم اصداء الدقات المتتابعة .. تصفع صرامة الاقفال المتراصة فوق الابواب وجوه الجند .. تحاصرهم آلاف العيون المتحفزة خلف ثقوب المشربيات .. تنحسر الزوابع الترابية عن قلاع البيوت الحجرية الرابضة على ارض المدينة .. تطالعهم قبة الازهر : شماء .. منيعة الصخر .. راسخة .. تموج بعاصفة غضب مكبوح .

ــ نحن رسل الباشا اليكم .. هل من رسالة اليه

ــ ماكنا نطرد ظالما فرنسيا كى يحكمنا ظالم تركى

ــ عودوا الى اعمالكم واختاروا عنكم وفدا من العلماء يصعد اليه

ــ والله لا نعود ابدا حتى يأمرنا عمر مكرم

السماء قبة وضاءة من بهاء شفيف الزرقة .. بهيج .. الشمس ساحة عيد تتفجر من قلبها شموس فرح صداحة اللون ، وهاجة البريق .. مآذن المدينة عرائس هيفاء ترفل فى مهرجان النور .. بيوت القاهرة جزائر تطلع بسهور يستشرف موج الجموع الدافق .. وجوه الرجال بوابات غضب يتفتح عن اسراب شوق حبيس .. قبضات الايدى هراوات غيظ تنقض على قضبان سجن .. أصوات الجموع هدير تتصدع له كهوف العجز السحيقة .. تتقوض تجمعات الجنود امام عواصف رعده الهصور .. يتداعى امام باب القلعة شامخا وشنيما .

ــ اليوم يخلع عمر مكرم الباشا الظالم وبعدها يولى من يختار



هائل .. مصباح الفضة .. ذهبية سلاسله الممتدة الى عنان السماء ماسية زجاجاته .. درى الشعاع ضوؤه .. ينسكب نوره على المدينة غلالات حرير .. تتماوج تحته القباب والبيوت، تتهادى المآذن .. هفهافة .. أثيرية الخطو .. تترجح القلعة مثل بناء ورقى فوق أديم رقراق .. تنبهم أصوات الجموع تتناغم .. تهوم فى الفضاء ترانيم فرح هادىء ورخيم فارعا تمضى أمام الجموع .. تتطاير عباءتك رفرافة فوق رقصة الاطيافَ النورانية .. تنهلُ الوجوه الراضية بشاشة الرضا من بسمة وجهك الصبوح .

— سيدى — من أنا حتى اخلع من اشاء وأختار للحكم من أشاء .

— أنت عمر مكرم

— اعرف .. لكنّ هذا من شان السلطان

— أنت السلطان

— أأنا السلطان .. كيف

— بالكلمة نملأ ساحة صدرك .. هى درعك وسلاحك قلعتك وحصنك وفيالق جندك

وعرفت من اكون .. وجملت الوذ بالصمت كى أحمى قداسة هيكلى الطهور .. أصون لسانى من دنس الكلمات البشرية .. اتهيب أن أسمع صوتى ويوم وقفت على المنبر وامرت الباشا الظالم أن يسقط رأيت لكلماتى نورا يكشف ضوء الثريات .. سمعت لها صوتا تضاءلت أعمدة المسجد فى هيكل أصدائه المهيب .. استقرت فى القبة

الوسيمة حضورا جليل الصمت ومددت كفى كى امنح العمامة اللقيطة أسما وأنا .. ألمس زجاجاتها الرخيصة فتكتسى برونق الجوهر الاصيل .. أبارك العباءة الحريرية فتتخلق فى صفرة النقوش خيوط الذهب .. أشير بأصبعى فتدب فى الوجه الطينى دفقة الحياة .. تتوهج العينان الذابلتان ويمتلىء الوجه الضامر نافضا عن خديه ارتخاءه الخمول .. تترجح الذراعان اليابستان بقوة اندفاع الدم المتخلق .. تتحرك القدمان باضطراب الخطوة الاولى .. ينحنى أمامى الرأس المثقل بدوار النعمة .. أضع على الرأس الضائع شارة الوجود .. ابنى سدا من عظام الرعية كى أحميه من عواصف الباشا المخلوع .. أتركه يتعثر فى ظلي فى ردهات القصر .. يتوارى فى طيات عباءتى خلف كرسى العرش .. يستشرف من سماء القلعة مدينة الاقزام الراكعة فى سفح وجودي .. أحمل كلماته المبتورة الشوهاء الى الاسواق فتصبح أمرا ملكيا حازم النبرة رادع النذير .. أنتزع له الاموال من قبضة الايدي الضنينة .. الجم بسطوتى نذر التبرم فى الافواه .. أمنح بهيبة سلطاني لضرائبه الكسيحة الجحة صلابة القانون .. أواجه وحدي جموح الغضب الحيوانى الهائج فى الاحياء الثائرة أرفع يدي فيغيض في الاعماق خوار الصراخ الاهوج .. اتقدم فوق جوادى فتنكسر قشرة التبجح في العيون .. تتصدع قبضة التهديد الاخرق وتتهاوى الاذرع المشرعه بلافتات وعيد أحمق الكلمات .. جماع .. يرين صمت امتثال نادم فأشير لهم :

ـ من أجل الضرائب والاتاوات وقسوة الجند وحملات النهب المقنع بشتى الاسماء خلعنا الباشا السابق فلماذا اذن نبقى هذا الباشا حاكما علينا

ـ خلعتم الباشا السابق .. انتم ؟ هل هانت كرامة الحكم فى البلاد حتى اصبح أمرا انتم الذين تحسبونه ؟

ترى كيف يأمن كل منا على بيته وعياله وقد أصبح مصيرنا جميعا مرهونا بنزوات غضب مأفون .. أعمى البصيرة .. حاقد وجهول ..

واستمرأ الكلب دفء الامن الناعم فى ظلى الظليل .. مضى يخلع جلده الاليف كاشفا من جسده الذئبى .. باسمى كان يروع أمن المدينة .. باسمي يطلق زبانيته على الحقول والاسواق .. باسمي يفتك بالرجال .. ينهش اللحم .. يزدرد الدم ويعلك الاشلاء ..

وادركت اخيرا أى وحش ذلك الذي كنت آوى فى بيتي .. واعتصمت بعيدا عنه .. وصرخت فى الاسواق .. أنا لا أعرف هذا الرجل .. اخترت رجلا ما كنت احسب أن الشبع يحيله الى كلب مسعور .. منحت تعيّق أنتسانا ناذا به محض ذئب ..

واذ داهمه صقيع غضبى ارتعد .. عاد ذليلا يتمسح فى اقدامى .. كانت الدماء لاتزال تقطر من فكيه وكانت بقايا الاشلاء الادمية على أنيابه .. ركلته بعيدا عنى وأغلقت أبوابى دونه وانطلقت فى شوارع المدينة أهز بكلماتى دعائم العرش الذى بنيته بالكلمات أقوض القصر الذى استحال الى وكر ذئبى .. أسلبه رضائى عنه لينكشف عريه الشيطانى الدميم ..

المجلس الشرعى يقرر اعتبار السيد عمر مكرم عاصيا لولى الامر خارجا على السلطة الشرعية مسببا للقلاقل والفتن

ترى ماذا يتبقى منكم بعد أن أطفأ فى قلوبكم نوري
كنتم كواكبا تدور فى فلكى
تحيا بقدر ما تعكسه منى
تبقى لانى اقبضها أن تهوى في ابد الخواء
كنتم مراياى التى يبصرنى فيها كليلو **العيون**
اتجلى فيها
فيضىء ظلامها المصقول
ترفل فى عز وجودي
تسبغ على الضائعين فى عتمة السفح
ضياء حكمتى
اسفى عليكم
هاأنذا أحيا لاراكم طينا يتمرغ فى الطين
جثثا يانف منها الموت
يتركها تتعبد للصنم الذهبى
تتقلب فى عفن النفايات
تتهالك على الاعتاب المرمرية فى هش القصور

محمد على يأمر بنفى السيد عمر مكرم استنادا الى ماانتهى اليه المجلس الشرعي

موه كيف شئت حبل المشنقة فلن تشنق سوى نفسك ارفع من حولى الحيطان وادهنها بما شئت من الكلمات الزائفة فلن تجد الاك سجين سجنك .. دع المنادى يعلن على الناس قرارك الاخرق وسترى كيف تحل عليك لعنة الجحود كيف يقوض أسمى دعائم عرشك .. كيف يكون الشرارة التى تشعل من حولك الجحيم .. أول أحجار السد الذي يتهاوى فيدهمك الطوفان .. برق السماء الذى يسبق الصاعقة .. قلقلة الارض التي تمور بهزيم الزلازل .

ليل المدينة وصوت المنادى المتعب يتردد بقرار النفى فى جولته الاخيرة

الصوت العجوز يتفتت فى قيعان الصمت أصداء خافتة .. يغيب فى دهاليز السكون الحجرى وقع الاقدام المتعبة .. ترتعش ذبالة المصباح فتتهدل فى الخلاء الاجوف ظلال الجدران .. يسف الهواء فتثور فى ساحة الفضاء الفارغ دوامات التراب تندفع فى خواء الليل قصاصات الورق .. تنكفىء هامدة فوق البلاطات الممتدة فى سفح المدينة الهاجعة فى ظلمة البلادة البليدة .. تحت أقدام الهياكل الحجرية الشلاء تنبح الكلاب يتسلق النباح جدران البيوت القعيدة .. يرتع فى فيافى الغفلة الضريرة .. حول باب البيت تتلفت الوجوه المستريبة يفضح ضوء المصباح قطرات الدمع فى العيون الذليلة .. لا .. لن أقبل عزاء من أحد .. انها صدمه المباغتة .. بل انه رسوخ اليقين . يعلمون جميعا انه لن يجرؤ .. انظروا الى المدينه ، هاهى الاقدام تسعى الى الجامع فى طمأنينه اليفة .. يعود الرجال فيجتمع الابناء حول موائد العشاء .. تضاء الحوانيت .. تهرع النسوة الى البيوت .. ينتظم خطو الخيل ايقاع الرضا الناعم القرير .. مدينتى تصفعه بهدوئها الواثق العريق .. تحتمي بعصمة الولاء لى وتدوس على كلماته تتجاهل هذا العر الابله الذى مضى يعلن على الناس فى الاسواق انه قرر أن يزحزح الاهرام وان ينقل الجبل .

السيد عمر مكرم يخرج من منزله فى حراسة عسكرية متوجها على ظهر دابته الى بولاق كى يستقل السفينة الى منفاه بدمياط

بيوت المدينة تتساند فى أعياء .. تتفرق فى الميدان الفسيح شراذم الجموع .. تواكب الموكب الصغير عيون حجرية النظرة تحدق فى هدوء أبله .. تستقر فى الحدقات الواسعة رخاوة استسلام الخصيان .. تنبجس من العيون المرسومة فى الوجوه النحاسية نظرة حزن باهت .. تطفو النظرة العابرة فوق اتساع العمى الساكن المحلق دونما غاية ترى أي سحر خبيث ذلك الذى أخرس الالسنة وأشل الايدى وأظلم العيون .. هيه .. هل فقدتم السمع ايضا .. انا عمر مكرم .. أنا الحصن والقلعة والجيش .. أنا النور فى العتمة وأيا الظل فى الهجير .. أنا الذكرى والحلم .. أنا .. أنا ..

السفينة تغوص فى اتساع النهر .. تتباعد البيوت وقد تراخت تحت ظلال الغروب .. تلوح المآذن بين غيامات الرماد وحيدة .. يائسة .. يتفرق الرجال على الشاطىء .. يستديرون .. يتابعون بنظرة أخيرة معالم السفينة البعيدة .. يتوارون خلف الاشرعة المتهدلة فوق المراكب المتناثرة .. تختنق شمس النهار تحت ركام الامواج المتراكم .. تنهمر من السماء أسراب نمل أسود .. تغطي فوق صفحة النهر بقع الدماء الباقية .

الموقف فى الفن

لغة الجسد الانسانى

التجريب ؟ .. شيء ضروري دون شك . يتفق الجميع على أنه لا حياة لفن أو علم دون تجريب . لكن : أي تجريب ، والى أي مدى ؟. هنا يبدأ الاختلاف ويتدخل السياق والاطار العام وطبيعة الفن أو العلم موضوع المناقشة والافكار المسبقة ، يتدخل كل هذا ليضع القيود والحدود .

ماهو الرقص التجـريبي اذن ؟ مامعنى التجريب في هذا الفن على وجه التجديد ؟ .

فاروق عبد القادر

يقولُ **جونَ برسيفال** ــ نائب رئيس تحرير مجـلة « **دانس اند دانسوز** » والناقد الفنى للتيمس ، ومؤلف عدة كتب من الرقص من بينها « **الباليه الحديث** » و « **عالم دياجيليف** » ــ يقولُ فى كتابه الاخير ★ ان الإجابة يجب أن تشملُ كل استخدام للرقص بطريقة جديدة أو فى سياق جديد . صحيح ان هذه الاجـابة سرعانِ ما تصبح بلا معنى ، فقد تطور الرقص وتطورت علاقته بمختلف الفنون تطورا كبيرا فى السـنوات الاخيرة ، لكنها تصلح الان مدخلا لتحليلُ عـدد من الانشطة بعثت الاهتمام بفن الرقص من جديد فى عصرنا ، بعض هذهِ الانشطة لا يمكن أن ندرجه تحت نوعِ فنى بعينه ، وبعضـها الاخر ينتمى الى الباليه أوالرقص الحديث ، ولكى تتضح الصـورة أكثر علينا أن نرجع ــ قليلا ــ الى الماضى ، الى السنوات الاولى من هذا القرن ، حين كان **ميخائيل فوكين وايزادورا دنكان** يجريانِ تجاربهما : الاول من أجلُ بعث تراث قديم ، والثانى من أجلُ ارسـاء قيم جديدة . الان تبدو نقاط الالتقـاء بينهما أوضح من نقاط الاختلاف . كلاهما كان يحاولُ أن يجـد طريقة لإسـتخدام الرقص وسيلة طيعة وطازجة للتعبير عن الانفعال الانسانى ، وكلاهما رجع لاساليب الفن القديمة أو ألقى على الطبيعة نظرة جديدة ، وكلاهما مهد الطريق أمام مـا يحدث اليـوم .

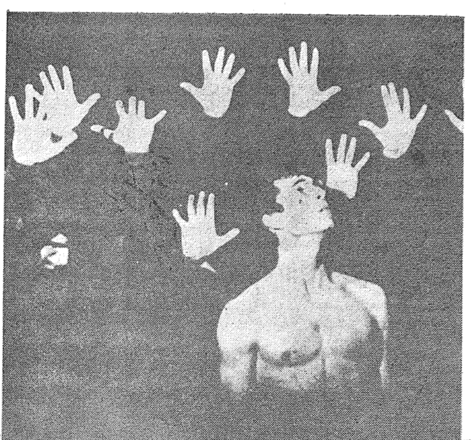
●

كان كلُ شيء ضد ايزادورا : نشأت بين افراد أسرة غريبة الاطوار ،شجعتها دائما على أن تسـتعرض نفسـها فى ثرثرات وتسـليات زائفة فى حجرات الاسـتقبالَ ، وكانت بحكم هذه البيئة مهيأة لان تحيا حياة متلافة فى المـال والعاطفة ، كان يمكنها ان تصـبح مـا اعتقد بعض معاصريها أنها هى : هاوية فارغة الراس تتحلى بالمودة الشائعة . حتى الراقصـين الذين لم يقدر لهم أن يشهدوا ايزادورا يعترفون اليوم بأنهـا مثلهم الاعلى . عليك فقط أن تنظرَ فى خطوط رقصاتها أو صورها الفوتوغرافية كى توقن انها راقصة عظيمة . لماذا ؟ تقولُ راقصة من معاصريها : « فى نهاية رقصتها كنت أبكى ، وكانَ الجميع يبكون حولى ، وانقضت سنوات طويلة قبـل أن أعرفَ ماذا كانت ايزادورا تفعلُ : كانت تعيش حالة داخلية عميقة ، وكنا نعيشها معها . » ، ولانَ ايزادورا كانت راقصة عظيمة فقد استطاعت أن تفرضَ بعض الافكار الثورية فى هذا المجالُ : ان الرقص يمكن أنْ يستخدم الموسيقي العظيمة ، ويمكن أن يعبر عن موضوعات جادة . واستطاعت كذلكَ أن تقدم طريقة متميزة فى الحركة الغنائية الحرة .

وكان تأثيرها على الاجيالُ التالية انها قدمت نموذجا فذا لقدرة الرقص على اثارة المشاعر والانفعالات الانسانية ، ولحقَ الفنان فى الحرية الكاملة من أجلُ اثارة هذه المشاعرَ . وقد كان معاصروها هم الذين حاولوا تقنين الرقص الحديث .

هلُ يبدو هذا تناقضا ؟ لقد ظلُ الرقص الحديث زمنا يعرفُ باسم الرقص الحر ، فكيف يمكن تقنين شيء حر ؟ لكن الحقيقة أن **روث سان دنيس وزوجها وشريكهـا تد شاون** هما اللذانَ حاولا هذا التقنين .

★ John Percival, Experimental Dance, Studio Vista, London, 1972.



حاولت روث أن تبتدع رقصات تعبر عما اعتقدت أنه « روح الشرق » ، ومن ثم من موضوعات ذات طابع دينى ، كانت مستقلة عن ايزادورا لكنها كانت متأثرة بها ، فمثلها رقصت حافية القدمين وفى ثياب فضفاضة لا تعوق حركتها ، ومثلها حاولت استخدام الحركة التى تعبر عن فكرة بدل المنظومة المدروسة من الحركات، وخرجت من محاولاتها ببعض الملاحظات العملية حول ضبط ايقاع التنفس واستخدام العضلات ارادت أن تنقلها للاخرين ، كما كانت تريد من غيرها من الراقصين أن يطوروا أفكارها الخاصة « بتجسيد الموسيقى فى رؤى بصرية » ، هكذا افتتحت مع زوجها مدرسة « دنيشون » التى خرج منها الجيل التالى من الراقصين فى أمريكا ، واهم أفراده دوريس همفرى ، تشارلى ويدمان ، ومارتا جراهام . وقد تميز هؤلاء الثلاثة لانهم عملوا ضد ما تعلموه ، وحاولوا أن يبحثوا لانفسهم عن اساليب وموضوعات ومناهج وموسيقى جديدة . تقول مارتا جراهام : « جئت الى دنيشون متأخرة ، كانت المدرسة قد تحولت لفرقة، وسرعان ما أيقنت اننى يجب أن أجد شيئا ارقص عنه ، لم أستطع ان اظل طويلا مجرد فتاة جميلة تلبس السارى وتدور حول المسرح ، ليس معنى هذا أننى انكر ما تعلمته ، فأثمن ما عرفته فى هذه المدرسة هو الاقتناع النظرى الحاسم بأن الرقص وسيلة للتواصل ، لكننى أيقنت بضرورة ان ابحث عن طريقى، وبعد عامين قضيتهما راقصة منفردة قررت الا اعود الى الرقص الا لو وجدت هذا الطريق . وجاء الامر هكذا : بدأت اعلم ما تعلمته ، ولم أتوقف من التجريب ، وأتمنى الا اتوقف ابدا ، فلا حدود لمعجزة الجسد وسحر الروح الموجودين فى كل انسان .. » . والان أصبحت « طريقة مارتا جراهام » هى اكثر البرامج المقبولة على نطاق واسع للتدريب على الرقص الحديث ، جزء من هذه الشهرة يرجع لاهمية مارتا كراقصة ومصممة للرقصات ، والجزء الاخر لان عقلها التحليلى قد اعانها على صياغة منهج يطور امكانيات الراقص العضلية والنفسية منذ البداية على نحو منطقى .

وفى نفس الوقت الذى كانت فيه مارتا جراهام تطور رقصها المعاصر [كما تحب أن تسميه] فى أمريكا ، ازدهرت فى اوربا — فى المانيا بوجه خاص — حركة للرقص الحديث ، من اهم شخصيات هذه الحركة رودلف فون لابان . فمحاولته أن يقيم مبادىء الحركة المسرحية على أسس التحليل السيكولوجى والرياضى والفلسفى اكسبته تأييدا واسعا كان منهجه منهجا ثقافيا وعقليا فى مواجهة المنهج الانفعالى والعاطفى عند ايزادورا وروث سان دنيس ، فكان يستخدم — على سبيل المثال — شكلا مجسما ذا عشرين وجه متكافئة المساحة كى يستطيع تحديد الامكانيات المختلفة للحركة والاتجاه . لكن عمل لابان لم يبق منه شىء سوى استمراره فى اثنين من تلاميذه استطاعا ان يتركا بصماتهما على تطور الرقص الحديث . اول هذين هى مارى ويجمان التى كان اتجاهها ثقيلا وعنيفا ، شىء أشبه باستجابة شيطانية لعالم خارجى بالغ القسوة ، وكانت معظم تجاربها حول الرقص الصامت أو المصحوب بتنغيم ايقاعى فقط ، واستطاعت أن تنقل بعض افكارها الى جيل تال من الراقصين خلال مدارس متعددة فى ليبزج ودرسدن وبرلين ونيويورك . ثانى هذين التلميذين هو كيرت جوس الذى حاول عن طريق احساس غريزى بالمسرح أن يبعث النبض فى نظريات أستاذه الجافة ، وان ينطلق منها الى شىء اكثر تحررا . وتكشف أعماله الاولى عن وقوعه فى اسر الاهتمام

بالاقنعة والثياب المنسدلة على غرار ما كان سائدا فى المشربيات ، لكنه استطاع أن يقدم عرضا ذا رسالة اجتماعية ضد الحرب هو « المائدة الخضراء » الذى يعتبر افضل عرض اوربى قدم خلال ثلاثين سنة واستطاع جوس خلاله أن يكسب لونا من التأييد للمصالحة بين فنى الباليه من جانب والرقص الحر من الجانب الآخر .

اين .. ومتى ؟

يوجد التجريب دائما حين يرسخ شكل من اشكال الرقص ويسود ، فاذا كنت تبدأ نشاطك حيث لا يوجد نشاط من قبل ، فانك أميل لان تسوغ عملك حسب النماذج التقليدية ، أو تصبح تجربتك محدودة القيمة والنجاح لانك تفتقد نقطة البداية . أما حين يوجد عديد من أشكال الرقص التقليدى كى نتمرد عليها ، بالاضافة لتوفر مناخ ملائم للابداع ، فان التجارب تكتسب معظم فرص النجاح . هذا المناخ الملائم جزء من المشهد الفنى فى وقت بعينه ، تعين عليه جماعة مهتمة فى مكان ملائم . خذ على سبيل المثال واحدا من أشهر مراكز التجارب الطليعية فى الرقص : كنيسة جدسن فى نيويورك فهذه الكنيسة ، بأبراجها المستقلة ، وسط أناس لا يؤمنون بالارثوذكسية فى الدين أو فى غيره ، مكان ملائم لحركات طليعية عديدة . يحكى أحد الفنانين بداية الامر على النحو التالى : « لم يتعمد أحد ان يبدأ « حركة » جديدة ، كل ما حدث أن الراقصين وغير الراقصين الذين كانوا يدرسون التأليف الموسيقى فى ستديو ميرس كننجهام قرروا أنهم بحاجة الى مكان يعرضون فيه ويؤدون تدريباتهم ، وسرعان ما وجدوا أمامهم ساحة الكنيسة .. » . وبدأت على الفور حركة تجديد فى كل ألوان الاداء : فى المسرح والموسيقى والرقص جميعا . بل حدث شىء آخر : فقد بدأ رسامون ونحاتون يشاركون ، لا كمصممين أو منفذى ديكور ، ولكن كمخرجين ولاعبين . كان من بين هؤلاء اليكس هاى وروبرت موريس وروبرت روشنبرج . وفى احدى الحفلات التى قدمتها الجماعة فى مدينة نيويورك فى ٦٤ جاء فى تقديم البرنامج : « ان الرسامين يخلقون طرقا جديدة داخل فن الاداء المسرحى ، هنا يختلط الراقصون بالرسامين ، وهذا يعنى أن للجسد الانسانى امكانيات أخرى غير ما استطاع الراقصون أن يكشفوا عنه فى أنفسهم ، ثمة النظرة الكلية الشاملة للجسد التى تعلمنا الشىء الكثير عنه ، سواء كان هذا الجسد مدربا أو غير مدرب » .

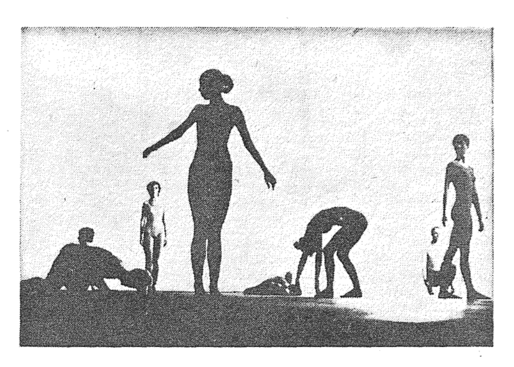
على ان النقطة المثيرة للاهتمام فى تجربة مثل هذه هى امكانيات الاخصاب المتبادل بين الافكار عند هؤلاء الذين تتاح أمامهم الفرصة . هنا تتفتق أشياء لا يمكن أن تتحقق دون ذلك ، وقد تكرر هذا أكثر من مرة فى تجارب عديدة . هذا صحيح بالنسبة لاماكن معينة كما هو صحيح بالنسبة لمنظمات معينة . هذا ما حدث بالنسبة لمعمل الفن فى لندن على سبيل المثال .

وموسيقى جديدة للرقص

فى ١٩٥٨ أصبح ممكنا لمؤلف موسيقى مثل همفرى سيريل أن يكتب عن موسيقى الباليه الجيد : « يجب أن يكون فيها الايقاع والتلوين ، والميلودية — رغم انها مرغوبة — الا انها ليست اساسية . ومن الافضل لو كانت الموسيقى وحدات منغلقة على ذاتها ، تلائم كل وحدة رقصة واحدة . ويمكن أن يقوم الباليه على عمل موسيقى طويل ومستمر ، كقصيد سيمفونى مثلا ، على أن يشمل عددا كبيرا من المقاطع أو التغير فى الانفعال يلائم التغيير فى تصميم الرقصات . » . وبعدها باثنى عشر عاما فقط قدم « الرويال باليه » فى لندن عرضا كان على كل موسيقى فيه أن يقول اسمه واسم الالة التى يعزف عليها واسم الاوركسترا التى ينتمى اليها ، كما استخدم موسيقى مسجلة على شريط الكترونى ، وأخرى تمزج عناصر الكترونية بأخرى أوركسترالية . حدث هذا فى فرقة « الرويال باليه » التقليدية المحافظة !

لقد تغيرت الموسيقى كثيرا . لهذا تغيرت الطريقة التى يستخدم بها الراقصون الموسيقى . كانت الفكرة القديمة هى أن يضع المؤلف الموسيقى « ايقاعات راقصة » يمكن أن تلهم مصمم الرقصات ، أما الان فان على مصمم الرقصات أن يخلق ايقاعاته الخاصة ، حتى لو استخدم الموسيقى . لقد بلغ نقطة الانفصال الكامل ، حتى لقد فكر بعض المصممين فى رقصات بلا موسيقى على الاطلاق ، فقد حاول هذا ديفيد لاشين فى عرض قدمه باسم « ابداع » ، لكننى لست واثقا من أن مصمم الرقصات لم يكن مستفيدا من وجود الموسيقى ، فقد سبق له أن قدم عرضا للباليه فى أمريكا الجنوبية استخدم فيه « تنويعات سيمفونية » لفرانك ، وكان للباليه نفس طول ، وتغيير الانفعال أو الفعل فى نفس اللحظات المتسقة مع تنويعات فرانك السيمفونية . ولعل الميزة الاساسية لهذه الباليهات « الصامتة » انها توفر قدرا من التركيز أكبر من القدر العادى فى باليه تصحبه الموسيقى ، لكنها استثناءات نادرة على أى حال . ومن الناحية الاخرى ، فلم يعد مصمم الرقصات بحاجة لان يتخذ من الموسيقى دعامته الاساسية ، وربما كان نيجنسكى أول من قدم مثالا لاستخدام الموسيقى كمصاحب للفعل فقط ، على حين اتخذ الرقص طريقه الخاص . كان ثمة لقاء واحد بين الخطين : ان مدة الفعل كانت تساوى طول الموسيقى . وكان نيجنسكى رائدا لم يتبعه احد لسنوات طويلة ، بعد الحرب العالمية الثانية فقط قدم جان كوكتو عرضا صمم رقصاته وديكوره وأزياءه ، وكان العرض تصحبه موسيقى باخ ، لكن الحقيقة أن الرقصات كانت — طوال البروفات — تتم على موسيقى الجاز ، ولم توضع موسيقى باخ الا فى اللحظة الاخيرة . [كانت الموسيقى رقصة اسبانية قديمة — باساكاجليا] . وحتى لو لم يكن مصمم الرقصات حريصا على أن يعمل على اتساق مع الموسيقى ، فهو حريص ، بلاشك ، على توفير قدر من التناسب ، ولعل الصورة المثالية لهذا التناسب ما يقول به المصمم رودى فان دانتزج : فى الباليهات ذات الموسيقى المعتمدة ، فان على المصمم أن ينقل الى المؤلف الموسيقى تخطيط الفعل الذى يريده ، على أن يضع فى اعتباره احتمال تعديل هذا الفعل حين يتلقى النوتة كاملة ، فقد تقدم له الموسيقى أفكارا جديدة أو تنويعات على أفكاره القديمة .

وليس هنا مجال المناقشة التفصيلية لتطور التأليف الموسيقى فى هذا القرن ، سواء من حيث وجود تكنيك جديد فى التأليف للالات التقليدية [السوريالية وغيرها] ، أو استخدام الاصوات الطبيعية المسجلة بدل أصوات هذه الالات [الموسيقى العيانية] ، أو استخدام الاصوات الناتجة من الاشرطة الالكترونية فى الاستديو . لكن المدى الذى بلغه هذا التطور ، واختلافه من اشكال التأليف التقليدية يفرض علينا ان نناقش هذا المدى من حيث علاقته بفن الرقص . وامكانية استخدام هذه الموسيقى الجديدة فى الرقص أمر يتوقف على أهداف مصمم الرقصات وأسلوبه فى العمل ، ولدينا على الاقل مؤلفان موسيقيان كتبا اعمالا خاصة للرقص وعبرا عن وجهات نظر واضحة حول هذا الموضوع : أولهما برند أولويس زيمرمان — ومن بين أعماله موسيقى عرض « حضور » الذى حقق نجاحا ساحقا حين قدمته فرقة شتوتجارت . يقول زيمرمان : « ان موسيقى الباليهات الكلاسيكية تضع الزمن أمام عينى الراقصين — لو صح التعبير — لانها تحدده بانتقالاتها ، وهذا يجب أن يتسق مع حركة الراقصين ، أما هنا فان دور الموسيقى دور اضافى أو مساعد ، وفى الحقيقة فان قطع موسيقى الباليهات الكلاسيكية انما هى أمثلة نموذجية لاحكام التزامن فى عملية الحركة التى يخططها مصمم الرقصات ، ويتحقق نجاحها بالقدر الذى تستطيع فيه أن « تحمل » الراقصين ، أما بالنسبة لباليهات المستقبل فيجب أن نطلب موسيقى مبنية على نحو يتيح للراقص



أن يقيم أبنية توازيها من خلال الرقص وحده . هذا أنقى شكل من أشـكال موسيقى الباليه فى تصورى ، فليس يكفى بالطبع تأليف أبنية موسيقية دون النظر الى الابنية الراقصة المقابلة لها ، بل يجب على المؤلف الموسيقى أن يترك مكانا لمصمم الرقصـات كى يضـم الى موسيقاه أبنيته الراقصة . » .

وما يعنى زيمرمان هنا هو قيام نوع من التخلل الاساسى المتبادل بين الابنية الموسيقية والابنية الراقصة ، وهو يعتقد أن بالية المستقبل سيكون فنا مركبا الى أبعد الحدود ، فكل عناصر الحـركة المسرحية ، بما فيها الفيلم والصـوت والحوار والموسيقى الالكترونية ، يجب ان تتساند جميعا كى تقيم بناء عظيما فى الزمان والمكان ، تلعب فيه الموسيقى دورها من حيث هى تنظيم فى الزمان .

وجهة النظر هذه تعارضها وجهة نظر **جون كيج** الذى كتب فى تفسير بعض أعماله التى تعاون فيها مع الراقص والمصمم **ميرس كننجهام** ، يقول كيج : **« رغم أن بعض الموسيقى والرقصات يمكن الاستمتاع بها ، الا ان بعضـها الاخر مربك لانها لا تتكشف حسب القواعد التقليدية ، فاول كل شىء هناك استقلال للموسيقى عن الرقص ، وهو شىء تراه العين الفاحصـة حتى فى الاعمـال التقليدية ، هذا الاستقلال نابع عن رأى كننجهام — الذى أشاركه اياه — فى ان ما يحمل الراقص ليس الموسيقى انمـا ساقاه هو ، أو ساقه الواحدة فى بعض الاحيان ، كذلك الموسيقى : تتكون من أصوات مفردة أو مجموعات من الاصوات لا تحملها هارمونية ما ، بل تتردد فى لحظات الصمت ، من هذا الانفصـال بين الموسيقى والرقص ينتج ايقاع ما ، انه ليس ايقاعا منتظمـا كوقع حوافر جواد ، أو دقات طبلة ، لكنه يذكرنا بايقاع احداث متعددة تقع معا فى الزمان أو المكان مثل حركة الكواكب فى السماء ، او الانشطة التى تحـدث على الارض منظورا اليها من السماء » .**

كل من زيمرمان وكيج يطلب نمطـا مركبا ، زيمرمان يرى هذا النمط متحققا من خلال تداخل فعال على درجة عالية من التنظيم ، أما كيج فيراه فى تزامن أنشطة مستقلة كل الاستقلال . وقـد اهتم جون كيج بالرقص لاعتبارات عملية خالصة . فحين كان طالبا يدرس الموسيقى كان يرى استاذه حزينا لان اعماله لا تجد طريقها للعزف . يقول كيج : « وسرعان ما أصبحت أجد بدورى صعوبة فى أن تتاح لاعمالى فرصة العزف ، هكذا وصلت الى الاقتناع بأن المقطوعة التى انتهى من تأليفها لا تكتمل ما لم تعزف ، ولمـا كان الموسـيقيون المهتمون بالموسـيقى الجديدة قليلى العدد ، وكان الراقصون سعداء باية أصوات يؤدون عليها تدريباتهم .. لهذا تقدمت اليهم بموسيقاى . » . وقد التقى كيج بكننجهام للمرة الاولى فى ١٩٣٧ ، وبدأ فى التعاون معه منذ ١٩٤٣ ، وجون كيج ، اليوم ، **ليس مؤلفا موسيقيا مشهورا فقط ، لكنه المنظر والفيلسـوف الاول للموسيقى الجديدة** ، وهو يشير فى كتابه الذى اصدره بعنوان « **الصمت** ، **١٩٦١** » كيف ان الموسيقى الجديدة تدين بتطورهـا لتطور تسـجيل الاصـوات مغناطيسيا اثناء الحرب العالمية الثانية ، بهدف الحصول على تسجيل نقى الاداء بدأ استخدام هذا الشريط المغناطيسى للمرة الاولى فى فرنسا ومنها الى كـل مكان . ويقول كيج ان نظريات السـلم الموسيقى وعلوم الايقاع والطباق [الكونتربونيت] وغيرها ، انما نحن بحـاجة اليها حين نؤلف للالات التقليدية ، أمـا بصيغة رياضية « فليمت هذه كلهـا سوى خطوات ، اثنتى عشرة خطـوة على طريق ، نضع على كل خطوة حجرا ونحدد رقما ، هذا الخطو الحذر لايناسب امكانيات الشريط المغناطيسى الذى يكشف لنا ان الفعل الموسـيقى أو الحـدث الموسيقى يمكن أن يقع فى اى نقطة أو على طول أى خط أو متعلقا باى منحنى او اى شكل آخر يمكن أن يتخذه الصوت فى الزمـان » .

وللافادة من هذه الامكانيات المتاحة لابد من الرغبة فى تغيير عادات التذوق تغييرا جذريا ، تماما كمـا كان الامـر بالنسبة لتطورات مثل اختراع التليفزيون أو الطيران .. الخ ، والان فان الموسيقى بحاجة الى « **استماع جديد .. انتباه جديد لنشاط الاصوات ..** » . وقـد

أثرت فيما تسبق آلى الاعتبارات العملية التى دفعت جون كيج لان يدخل بموسيقاه حلبة الرقص ، لكن هناك فائدة عملية متبادلة : فبالنسبة لمعظم الناس ، من الاسهل أن يألفوا موسيقى غير اعتيادية فى المسرح حين تكون العين نشطة بدورها فى اقتناص تجربة جديدة . وحين تكون العلاقة وثيقة بين تصميم الرقصات والموسيقى فان كلا منهما يسهم فى توضيح الاخر ، أما حين لا يكون الامر على هذا النحو فيبدو أن ظروف الانتباه البصرى يمكن أن تيسر أيضا الانتباه السمعى ، والعكس صحيح . هكذا نجد من الطبيعى أنيسير الرقص التجريبىوالموسيقى التجريبيةمعا، وان يعاون كل منهما الاخر ، وربما يدفع كل منهما الاخر نحو مزيد من التجارب الجديدة .

حوار الشكل والمضمون

ربما اقترب الوقت الذى لا يحلم فيه كاتب بكتابة كتاب من الباليه . فاى نقد للباليه انما يرتبط بعرض ما ، ولما لم يكن القارىء مشاهدا للعرض فان على الكاتب أن يصف أولا ما رآه ، ويستعين أحيانا بالصور الفوتوغرافية من أجل هذا الهدف ، ومن الافضل — قطعا — أن يكون لدى القارىء جهاز تسجيل للصوت والصورة بحيث يستطيع الناقد ان يعلق على ما يراه القارىء . واحدى نتائج الكتب المكتوبة عن الباليه ان القارىء يخرج بانطباع مؤداه أن جوهر العمل يمكن انتزاعه ووضعه على الورق ،ولعل اهم المؤلفات عن الباليه تركز اهتمامها على « قصص » الباليهات ، حتى مصممى الرقصات لا يفعلون غير هذا ، لكن الحقيقة هى أن الحكاية فى الباليهليست اهم العناصر ، بل احيانا هى اقلها أهمية على الاطلاق ، وهذا صحيح حتى بالنسبة .للباليهات ذات القصة المعقدة التى لا يمكن التعبير عنها بالكلمات .

وخلال هذا القرن حدث تطوران هامان فيما يتعلق بموضوع الباليه : الاول : تزايد عدد الباليهات التى بلا حكاية على الاطلاق ، والثانى أن طريقة قص الحكاية تغيرت كثيرا عما كانت عليه من قبل . [وأنا استخدم كلمة « الحكاية » رغم أنها ليست الكلمة الصحيحة] ، فقد يكون للباليه مضمون فكرى واضح دون أن تكون له حبكة روائية بالمعنىالتقليدى، ومصمم الرقصات الذى عمل دائما على تقديم هذه الباليهات هو **جون كرانكو** ، فالعرض الذى قدمه باسم « **حضور** » يضم ثلاث شخصيات نمطية من عالم الادب : **مولى بلوم** [من رواية يوليسس] **والملك أوبو ودون كيشوت** ، تمثل الجوانب الحسية والواقعية والمثالية فى الطبيعة الانسانية ، او هى بتعبير سيكولوجى : الهى والانا والانا الاعلى ، والعرض — كرواية — لا يقدم أى معنى متماسك ، لكنه عرض ممتاز من حيث هو باليه عن صراع الجنس والقوة والمثالية . ويمضى عدد من مصممى الرقصات أبعد من ذلك فى تقديم موضوعات باليهاتهمعلى نحو لابدللمشاهد من أن يراه مباشرة ، انهم يستخدمون الصور الموسيقية والراقصة مباشرة دون أن يترجموها من صور أدبية ، ويمعن بعضهم فى البعد : الى حيث لا يكتسب مضمون الرقص معنى محددا عند خالقيه. يقول جون كيج عن عمله مع كننجهام : « نحن لا نقول شيئا بهذه الرقصات والموسيقى ، ولو كنا بحاجة لقول شىء لقلناه فى كلمات ، الامر بالاحرى أننا نفعل شيئا ، ومعنى ما نفعله يحدده كل من يرانا ويسمعنا ، ليست هناك حكايات ولا مشاكل سيكولوجية ، هناك ببساطة : نشاط فى الحركة والصوت والضوء ، والازياء بسيطة حتى تتضح الحركة ، والحركة هى حركة الجسم ، وهنا يركز كننجهام تصميم رقصاته ، لا على النشاط العضلى للوجوه ، ففى الحياة اليومية اعتاد الناس أن يروا تعبيرات الوجه واليدين ، ويترجموا ما يرونه الى مدلولات سيكولوجية ، لكننا هنا فى حضرة رقص يستخدم الجسد كله، ويتطلب منك — للاستمتاع به — قدرة على التعاطف مع الاحساس الحركى ، هذه القدرة هى ما نستخدمه حين نرى الطيور فى أفق السماء ، فنحس أنفسنا — عن طريق التوحد بها — نطير وننقض ونحلق ، ونحن نعتقد أن نشاط الحركة والضوء والصوت نشاط معبر ، لكن مضمون التعبير يحدده كل منكم ، «فلكل حقيقته » كما يقول بيرانديللو ، ولعل جدة عملنا نابعة من اننا قد ابتعدنا عن الاهتمامات الانسانية الخاصة نحو عالم الطبيعة والمجتمع الذى نشارك فيه جميعا . » .

وقد يبدو من هذا الوصف أن عروض كيج وكننجهام تخلو من اى حدث درامى، وهذا غير صحيح . ففى عرضهما المدعو « **مكان** » — على سبيل المثال — يبقى كننجهام على المسرح ، شخصية مركزية وحيدة ، على حين يتحرك الراقصون من حوله ، بعضهم فى اندفاعات سريعة كأنهم صادرون من طاقة طال احتباسها ، وبعضهم الاخر فى مجموعات تشبه تكوينات النحت بحيث يكون حدها مواجها للمساحة التى يدور فوقها العرض ، ومن ستارة تغطى النصف العلوى لخلفية المسرح تتدلى اوراق الصحف والواح الخشب توحى بمكان فى المدينة ذى طابع خانق ومحاصر ويبدو كننجهام وحده كمن يحاول ممارسة قدر من السيطرة على هذه البيئة ، فيتحرك نحو كومة صغيرة من الموضوعات تبدو فوقها بأرقة ضوء ، لكنه — فى النهاية ووحده أيضا — يمشى بهدوء عبر الخشبة وينحنى ، ويرغم نفسه على ان ينحشر فى حقيبة ضخمة من البلاستيك ، بحركات تعبر عن يأس وحشى قاتل ، لكنهم يقذفونه — مرة اخرى — عبر الخشبة ثم يقذفونه خارجها تحت هذه الموضوعات المعلقة . ويشبه اختفاؤه عملية الافناء أو الموت وقد كان لهذا العرض تأثير ساحر رغم ان الدراما فيه لا يمكن ان تشرح فى مقولات منطقية .

وما دامت الحكاية لم تعد العنصر الاساسى فى تصميم الباليه فقد أتيح مدى واسع من حرية الشكل ، هذا ينطبق على العروض التى تستبقى لها حبكة ما ، وتلك التى تنبذها على السواء . وانت حين تحكى حكاية ما ، فلا بد ان تبدأها من البداية ، ثم الوسط فالنهاية ، ولكن حتى الرواية — كنوع ادبى — قد تأثرت بالتقطيع والتجزىء الذى أصاب معظم الفنون خلال هذا القرن ، وأصاب الرقص اكثر من سواه . حقيقة الامر الان ان الرقص اصبح متأثرا بالسينما بعد أن كان متأثرا بالادب ، فموضوع باليه **كينيث ماكميلان** « **الدعوة** » — على سبيل المثال — يقوم على مزج بين احداث روايتين بشكل غير مباشر ، فقد رأى ماكميلان الروايتين فى الطبعة السينمائية وتأثر بهما .

وحين تغير الاتجاه نحو القص ، فان طبيعة الموضوعات المختارة للرقص اسهمت فى تغيير الشكل . فباليه من باليهات القرن التاسع عشر حين يعتمد على أسطورة ما ، فهو يعتمد عليها لسببين : استخدام مضمونها وابحاءاتها الشعرية من ناحية ثم استخدامها خطا مقنعا يمكن أن يقدم من خلاله عددا من الرقصات ، بعضه زخرفى خالص وبعضه يعبر عن انفعالات معينة — من الناحية الاخرى . اما حين تتناول واحدة مثل **مارتاجراهام** مضمونا اسطوريا فان هدفها مختلف كل الاختلاف : « يرى البعض اننى اسرفت فى استخدام الاساطير ، والسبب الوحيد الذى من اجله استخدمتها هو انها ظلت تعبر عن الرعب والجمال وارادة الحياة عند الناس آلاف السنين » . والتطور الاخير فى اعمال مارتاجراهام — منذ بدأت تصمم لنفسها ادوارا اقل حجما — هو ابراز اتجاه كان واضحا فى أعمالها من قبل ، وهو الاستخدام الحر للزمن ، لا على أساس التتابع المنطقى بالضرورة ، لكن استخدام تأثير الانتقال من زمن لاخر [التزامن ، العودة للماضى .. الخ] على نحو ما يفعل مخرجو السينما .

كذلك تغير شكل وبنساء الاعمال الراقصة فى اتجاه آخر . فالباليه والدراما وغيرهما من الفنون — ومفروض انها انواع مشتغلة ومكتفية بذاتها — هى الان تمتزج معا على اكثر من نحو . كانت البداية ما عرف باسم « المسرح الشامل » : شيء من كل شيء ، تمثيل وغناء ورقص ، وكل فن يقوم به متخصصون فيه ، أما الان فان العناصر المختلفة اميل للالتحام على نحو اكثر صميمية والتصاقا : فمن ناحية ، لدينا مصممو رقصات يدخلون فى أعمالهم عناصر اخرى : السينما كما فى عرض كنث ماكميلان « انا ستازيا » ، والغناء كما فى عرض فان مارتن « اغنية منفردة لصوت واحد » ، والحوار كما فى عرض الوين نيكولايس « البرج » ، ولدينا فى نفس الوقت اخصائيون آخرون يصلون لنتائج مشابهة من طرق أخرى : فبعيدا عن الرسامين والنحاتين الذين سبقت الاشارة اليهم ، وهؤلاء « من خارج الدائرة » الذين سنشير اليهم ، هناك هذا العرض الثرى الرائع الذى قدمه جان — لوى بارو « رابيليه » ، فى باريس أولا ثم فى جولة حول العالم بعد ذلك ..فى هذا العرض الرائع كان الممثلون راقصين ، والراقصون ممثلين والجميع منغمسين فى فعل درامى واحد. وفى عرض كان يسمى « دويتو لمغن واحد » رقص بيفرلى شميدت فى فيلم اخرجه روبرت بلوسوم ، يعرض فى نفس الوقت الذى يرقص فيه هو أمام الشاشة ، وفى عرض آخر استخدم روبرت وتيمان أفلاما للفاكهة وغيرها من الموضوعات وكذلك لنفس الراقصين الذين يرقصون على الخشبة ، من أجل كشف التناقض بين الوهم والواقع . وثمة علاقة تختلف من هذه اختلافا هينا هى اعداد فيلم سينمائى او تليفزيونى من عمل راقص ، وهذا يعنى اعادة تفسير الاصل فى معظم الاحيان . قدم المخرج التشيكى بيتر فيجل عرضا معتمدا على « بحيرة البجع » لعبت فيه راقصة واحدة دورى اوديت واديل ، وراقص واحددورى سيجفريد وروثبارت،وعرض المخرج الابطال الاربعة معا من طريق خداع الصورة الفوتوغرافية ، وكان الجميع يملقون على الشخصيات الموجودة فى الباليه الاصلى . كذلك قدم مخرج التليفزيون الالمانى مانفريد جريتر تلخيصا لعرض رودى فان دنزج المسمى «لحظات» قدمه فى المرة الاولى كما هو ، ثم قدمه مرة أخرى بعد ان عدل المخرج فى تصميم الرقصات كى تلائم الشاشة الصغيرة وامكانياتها ، وفى مرة ثالثة قدم فيلما تسجيليا من العرضين مع تعليق المخرجين ، وتبعته مناقشة نظرية حول ضرورة تعديل تصميم الرقصات للاتساق مع ابعاد الشاشة الصغيرة ومواصفات الدراما التلفزيونية .

هؤلاء .. من خارج الدائرة

ومادام الرقص لم بعد هذا العالم المتماسك المنظم الذى تحكمه تقاليد راسخة ، فمن الممكن لهؤلاء الذين لم يتلقوا تدريبا عليه أن يلجوه من منافذ مختلفة ، وأن يقدموا اليه أفكارهم ، ومعظم هؤلاء المقتحمين لحلبة الرقص جاءوا من مجالات الفنون البصرية المختلفة: من الرسم والنحت على وجه التحديد ، لكن آخرين ممن يمارسون فنونا أخرى وجدوا طريقهم الى الرقص كذلك : فعدد من ممثلى البانتوميم استهواهم الرقص ندخلوا حلبته ، من بين هؤلاء فنان الميم البولندى الشهير هنريك توماسفسكى ، لم يكتف بتقديم عروض راقصة مع فرقته، بل صمم أعمالا لفرق باليه تقليدية فى هولندا والدانيمرك . وقامت فى هولندا أكثر من فرقة من فرق البانتوميم بهدم الحد الفاصل بين فنى الميم والرقص ، فمن المعروف أن فن الميم التقليدى يعتمد على تقليد الحركات الطبيعية كى يصور انفعالا أو يحكى حكاية ، لكن هذه الفرق صاغت حركات الحياة اليومية فى انماط كما يصوغ الباليه الخطوات فى انماط ، وقدم هذا الامتزاج بين الميم والرقص تجارب غنية ومثيرة للدهشة الى حد كبير . وثمة طريق آخر جاء منه جيوف مور : كان مدرس رسم ، وبدأ العمل فى المساء كمدير لخشبة المسرح المحلى من أجل زيادة دخله ، وأتاح له عمله أن يشهد كثيرا من المسرحيات والاوبرات وعروض الباليه ، لكن ما أثاره أكثر من أى شيء آخر ليس العروض نفسها ، لكن العملية التى تتخلق من خلالها هذه العروض ، تابع بروفات عديدة ، ووجد متابعة البروفات أمتع بكثير من مشاهدة العروض : فهنا نبرة كل شيء ، وهنا ترى النمو أمام عينيك خطوة بعد خطوة، وجاء اهتمامه بالرقص ليعكس هذه المثيرات من جانب ووعيه البصرى واهتمامه بتكوين البنى العضوية من الجانب الاخر . ان فنون الرسم والنحت والملصقات [الكولاج] تعرف ما يسميه مور « خلط العناصر » ، فلماذا لا يجرب الفكرة نفسها فى الرقص والمسرح ؟ جاءت تجاربه الاولى مجرد تصميمات فى المكان ليصاحبها الصوت وغيره من العناصر ، ثم بدا العمل على الحركةالتى تربط شكلا بآخر ، بدأ بالطلبة ، ثم تلاهم بهؤلاء الذين لم يتلقوا تدريبات كافية فى الرقص ، ثم بدأ يضيف مزيدا من العناصر : شرائح ملونة يمكن أن ترتبط [على نحو ساخر غالبا] بالفعل، حيلا صوتية يمكن أن تضيف مستوى أعمق من مستويات التعليق على الحدث، وأخيرا أضاف بعض جمل الحديث يقولها الراقصون . وهدفه النهائى « تنمية حدث متعدد المستويات ، يمكن أن يندهش الناس لاستجابتهم التلقائية ازاءه ، ان المشاهدين لا يحصلون على ما اعتادوا الحصول عليه ؟ لكنهم يحصلون على امتدادات له فى كل الاتجاهات » . وفى أحد اقسام العرض الذى قدمه مور باسم « رباعية » كانت العملية تمضى على النحو التالى : زوجان من الراقصين يرقصون فى خطوات قصيرة ، ويتبادلان الدفع مع نطق كلمة واحدة : « تغيير ». وفى نفس الوقت تحكى أصوات مسجلة ثلاث حكايات : يحكى الصوت الاول عن قصة حب فى الجامعة ، والثانى يناقش طبيعة العلاقة الشهوية ومكانها من الزواج وأصولها المحتملة فى الممارسات الجنسية المختلفة ، والثالث يقرأ تحقيقا منشورا فى احدى الصحف عن فتاة دون العشرين انتحرت لان زوجها تركها مع طفلهما الرضيع . ويتم الانتقال من حكاية لاخرى كما يتم القطع فى السينما ، كل توضح الاخرى من خلال التقابل . وقد ازدادت العروض التى يقدمها مور تعقيدا بعد ذلك ، وأصبح لها مضمون ثقافى ، بل وتعليمى ، لكنها ظلت تقوم على جمع المختلط معا ، او ما أسماه مور « خلط العناصر » .

أما الرقص دون ثياب فلم يعد الان شيئا جديدا . رقصت ايزادورا دنكان وروث سان دنيس فى ثياب شفافة لاتخفى شيئا ، واشتهرت معاصرتهما مود ألين برقصة « سالومى » ، وحفلت كتب الرقص فى ألمانيا وأمريكا — مع بدايات هذا القرن — بصور الراقصات فى ثياب لا تخفى شيئا أو بلا ثياب على الاطلاق. وقد استخدم العرى فى الرقص فى السنوات الاخيرة لاكثر من هدف ، لعل أهمها الصدمة التى يحدثها عند جمهور المشاهدين ، ومن المألوف حين تناقش قضية العرى أن يبادر أحدهم الى استبعاد العوامل الشهوية من الموضوع [الا لو كان الهدف هو منع العرى بالطبع !] ، غير أن هذا الاستبعاد يبدو مهينا للراقصين الى حد ما ، فللراقصين دائما أجساد جميلة حسنة التكوين ، والقول بأن رؤية الجسد العارى لا يثير أحاسيس جنسية قول يزرى بالمشاهد وموضوع المشاهدة معا ، الامر بالاحرى هو أن هذه الاحاسيس تأتى فى المرتبة الثانية اذا كان العرض الذى يقدم على درجة من الاستواء والتكامل الفنى ، قد تكون ثمة براءة فى الجسد العارى ، أما انتفاء الاحاسيس الجنسية تماما فأمر غير معقول ، حتى داخل الثياب يصبح جسد الراقصة — أو الراقص — موضوع اهتمام حسى ، لكن النقطة الاساسية فى تقديرى هى : ان كل شيء يتوقف على هدف المصمم وأداء الراقص ، اذا كان ثمة سبب أصيل لظهور الراقصين عرايا فهذا شيء ، أما اذا انتفى هذا السبب فذلك شيء آخر : قد يرضى البعض لكنه يسخط البعض الاخر دون جدال .



السينما البرازيلية الجديدة

فوزى سليمان

أثارت حركة سينما نوفو البرازيلية اهتماما كبيرا فى الدوائر الثقافية العالمية . وفى خلال سبع سنوات نالت العديد من الجوائز فى مهرجانات السينما الدولية المختلفة . وكانت أفلام المخرجين البرازيليين الشبان أمثال روى جوبرا . وجلاوبر روشا . ونلسون بيريرا سانتوس محل اهتمام النقاد والمثقفين فقد وجدوا فيها صورة ناجحة لتطلعات قارة امريكا اللاتينية الاجتماعية والسياسية

وقد اتيح لكاتب هذا المقال ان يلتقى بأحد رجال هذه الحركة وهو المخرج والناقد « اليكسى فيانى » فى بعض المهرجانات . واحتوى المقال على خلاصة لقاءاته معه وبعض كتابات فيانى التى كتبها حول هذه الحركة .

واليكسى فيانى من اهم مؤرخى السينما البرازيلية ، نشر كتاب « مقدمة من السينما البرازيلية » — كما اشرف على قسم السينما فى موسوعة **لاروس** . وتنتمى افلامه الى المرحلة التى تقع بين السينما القديمة والسينما الجديدة ، وقد أخرج فيلم « ابرة وسط كومة من القش » سنة ١٩٥٣ ، شارع بلا شمس ١٩٥٤ ، شمس فوق الوحل — كما عاون المخرج الكبير بوريس ايفانز » فى اخراج الجزء البرازيلى من فيلم « وردة الرياح » كما أن لديه فيلما تسجيليا عن السينما البرازيلية ، وقد صدر له مؤخرا كتاب آخر موسع عن سينما نوفو البرازيلية .

البــوادر

كانت بوادر حركة سينما نوفو الاولى مع مطالع الخمسينات حينما كون بعض السينمائيين الشبان رابطة ضد الخط الهوليودى السائد فى السينما البرازيلية وضد الانتاج السينمائى الهابط المتمثل فى الكوميديات الموسيقية الرخيصة التى كان ينتجها « **فيرار كروز** » وتدعى « **كانكاداس** » وقد وجدت دعوة هذه الرابطة استجابة سريعة بين السينمائيين والنقاد الشبان .

وفى سنة ١٩٥٢ حينما قام اليكسى فيانى باخراج أول أفلامه وهو « **ابرة وسط كومة من القش** » كانت الواقعية الجديدة الايطالية ملهمه الاساسى . وعمل معه فى هذا الفيلم « **نيلسون بيريرا سانتوس** » كمساعد مخرج . وكان فيلما بيريرا الاولان : « ريو : ٤٠ درجة » و « ريو : المقاطعة الشمالية » ، متأثرين بهذه الواقعية الجديدة الايطالية .

وبين ١٩٥٨ ، ١٩٦٢ بدأ السينمائيون الشبان سلسلة من التجارب فى الافلام القصيرة وافلام ١٦ ملم ، وفى نفس الوقت أخذ بعض النقاد البارزين فى ريو وساوباولو وسلفادور يشجعون الحركة الجديدة ورأى فيها البعض حركة حقيقية جديدة رغم انها كانت لم تتأقلم بعد وغير منتظمة فى انتاجها . وظهر اسم الحركة « **نوفو سينما** » لاول مرة بين ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ لانها لم تكن واضحة المعالم والشخصية مثل الموجة الجديدة فى فرنسا . وكان كل من ينضم الى الحركة الجديدة يأتى بمواهبه ، وبعضهم كان محملا بمؤثرات اجنبية من بينويل الفرنسى أو ايزنشتين الروسى ، أو فوردالامريكى أو جودار الفرنسى ، أو كوراساوا اليابانى أو روسلينى وفيسكونتى الايطاليين . لكن — الاهم — أنهم

كانوا يؤلفون بقلب حماسي للفن السينمائي وبتصميم قوي على ايجاد لغة فيلمية قادرة على أن تعكس المشاكل الاجتماعية والانسانية التي تعاني منها بلادهم .. وقد ساعد التآلف بين ابداعهم على اعطاء شكل ووحدة ومعنى خاصا للحركة

وفي سنة ١٩٦٠ ساعد « اليتور ازيفيدور » عميد كتاب السيناريو احد مخرجي الكوميديات الموسيقية على اخراج اول فيلم جاد له وهو « المدينة الهادئة » ، وفي سنة ١٩٦١ عاون بيريرا سانتوس المخرج الشاب « جلاوبر روشا » في كتابة أول فيلم روائي له وهو « الرياح » باراننتو — وفي سنة ١٩٦٦ قدم المخرج « كارلوس دييجوس » سينمائيا شابا لم يكن قد تجاوز التاسعة عشر من عمره هو « جوستافو دال » — وكان قد فاز في مسابقة لافلام ١٦ ملم — باشراكه معه كمساعد ومعاونته في كتابة سيناريو فيلم « المدينة الكبيرة » .

ولكن سينما نوفو ظلت لا ينظر اليها كحركة جادة ثابتة ، أو حركة اكاديمية رصينة ، وكانت تضم عناصر مختلفة ومتناقضة ، وان جمع بينها هدف مشترك هو كشف الواقع البرازيلي والمطالبة بتغييره . وفي سنة ١٩٦١ كان على الناقد الشاب « جلاوبر روشا ! — بعد أن تمرس في العمل السينمائي بفيلمين قصيرين اخرجهما بسرا ، وكان يصرخ مطالبا السلطات باطلاق سراح فيلمه الطويل الاول « الرياح » . وكان يتساءل « ماذا كنا نريد . اننا كنا نطالب بسينما حقيقية » . وفي مهرجان سانتا مرجريتا لافلام امريكا اللاتينية رفع جوستافو دال شعارا ثوريا « السينما لا تهم انما المهم أن نسمع صوت الانسان وقال باولوبيزار الذي نال جائزة المهرجان الكبرى : « ان هدف سينما نوفو ، وقضيتها الاساسية .. هي الحقيقة » .

محاولات اولى

ويمكن القول ان محاولة الاستماع الى صوت الانسان وتقديم الحقيقة كانت من اقدم هموم السينما البرازيلية منذ بدأ أول انتاج سينمائي في البرازيل سنة ١٨٩٧ من طريق مواطنين ايطاليين ..

وفي سنة ١٩٠٨ قام مواطن برتغالي بالاشتراك مع اخر ايطالي بانتاج فيلم « سفاحو ريو » ولم تكف جهود القادمين والجيــالين في محاولة خلق سينما برازيلية ، الا ان ظروف الانتاج لم تساعد على قيام صناعة سينمائية . وفي الحقيقة كان تاريخ السينما البرازيلية ليس خيطا متصلا بأي حال ، بل يتألف من دفعات متقطعة من النشاط الفردي او للجهود الاقليمية . فقد ظل الانتاج السينمائي في مرحلة السينما الصامتة وفي المرحلة الاولى للسينما الناطقة على اساس اقليمي وفي نطاق المواهب الفردية ، وكان الاجانب يتحكمون في تجارة الافلام ولم يكن الانتاج المحلي يستطيع ان يقف في مواجهة الافلام الاجنبية المستوردة .

وفي محاولة للتصدي لهذا التغلغل الاجنبي شيدت ستوديوهات « سنيديا » في ريودي جانيرو سنة ١٩٣١ ، وجذبت اليها بعض المخرجين الصاعدين الذين برزوا في الاقاليم وبعض النقاد الذين كانوا ينادون على صفحات مجلة « الفن السينمائي » بفيلم برازيلي على مستوى فني رفيع ، وأقامت ستوديوهات سنيديا معامل ، ونظمت شبكة للتوزيع ، واستوردت احدث الاجهزة ، الا انها تعثرت بسبب العقبات التي احاطت بها في السوق الداخلي الذي كانت تتسلط فيه الشركات الاجنبية ولكنها نجحت في اعداد بعض الفنيين والممثلين .

وحاولت شركة اخرى هي « اتلانتيدا » سنة ١٩٤٣ — وفي ريودي جانيرو ايضا — أن تحقق خطـة لتطوير السينما البرازيلية ، لكنها وجدت أنه من المستحيل ان تنفذ برنامجها ، وتحولت الى انتاج افلام تجارية من نوع الكوميديا الموسيقية ورغم هبوط المستوى الفني لمعظم هذه الافلام الا انها نجحت في جذب اهتمام الجماهير الى الفيلم البرازيلي ، كما انها قدمت لغة سهلة من الحياة اليومية بدلا من اللغة المتعالية ، ولكن هذه الافلام لم تستطع أن ترتقي بكوميديتها الى كوميديا المواقف او الملاحظة الذكية والنقد الاجتماعي . ولو فعلت لتمكنت من وضع اسس كوميديا شعبية برازيلية .

وحاول « فيرا كروز » سنة ١٩٥٠ تحسين المستوى التكنيكي والفني للفيلم البرازيلي ولكنه فشل في ادراك العوامل المؤثرة في السوق والتوزيع والادارة . وعندما توقف عن الانتــاج ظلت الاستوديوهات خالية . وكان من النادر ان يقترب اى فيلم من الواقع البرازيلي أو من احتياجات الجماهير وانتشرت الافلام التجارية التي لا تقدم الا الرقص والموسيقى والاستعراضات .

على هذا يمكن القول ان اهم افلام الخمسينات كانت افلام « نيلسون بيريرا سانتوس » — منذ فيلمه الاول « ٤٠ درجة » الذي يعتبر أول خطوة في طريق « سينما نوفو » — وهو مزيج من الدراما والكوميديا والميلودراما تتخلله الموسيقى ويدور حول حياة الاطفال الفقراء الذين يفدون من تلال ريودي جانيرو باسمالهم البالية ليبيعوا الفول السوداني في شوارع المدينة .

وقد اخرج بيريرا سانتوس — وهو الآن في الثالثة والاربعين من عمره — ستة افلام خلال خمسة عشر عاما ، كما اخرج فيلمين تسجيليين كما عمل بعض الوقت في الصحافة .

أما روبرتو سانتوس فقد حالت الظروف الصعبة ان يستمر في العمل السينمائي .. فاضطر أن يتوقف سنوات عديدة بين فيلمه الاول والثاني . كما كان على جلاوبر روشا أن ينتظر ثلاث سنوات ليخرج فيلمه الثاني ، واكثر من عامين ليخرج فيلمه الثالث ، ليشد اليه اهتمام النقاد والعالم الخارجي .

وعلى الرغم من أن البرازيل تنتج حوالي خمسين فيلما في السنة الا ان هناك تسعين مخرجا روائيا وخمسين مخرجا للافلام القصيرة ينتظرون الفرصة للاخراج من بينهم حوالي اربعين ينتمون الى السينما القديمة لم يقدم أكثر من



نصفهم أى عمل ذى بال منذ سنوات وعشرون مخرجا يقفون بين القديم والجديد احدهم **انسلمو دوراتى** الذى نال جائزة **مهرجان كان** سنة ١٩٦٢ وقد حاول فى فيلمه « **طريق الخلاص** » أن يقترب من « سينما نوفو » .

وتضم حركة سينما نوفو حوالى ثلاثين مخرجا . بعضهم مازال فى الحلقة الثانيه وبعضهم فى الحلقة الثالثة . بعضهم لم يخرج الا فيلما واحد ، وبعضهم اخرج فيلمين أو ثلاثة واحدهم وهو نيلسون بيريرا اخرج سبعة افلام .

الستينات

ومنذ سنة ١٩٦١ التى تعتبر البداية الحقيقية لسينما نوفو . يكشف كل عام جديد عن مواهب جديدة منذ ظهر جلاوبر روشا سنة ١٩٦١ فى فيلمه « الرياح » حتى كارلوس فونتورا فى « كاساكا تخدعنى » ورانيد نيفيش فى « ذكرى هيلينا » .

وبالاضافة الى أثر الواقعية الجديدة الايطالية ، فانه يمكن ان يلمس اثر كل من الموجة الجديدة الفرنسية ، والسينما اليابانية الجديدة وايضا السينما البولندية والتشيكية الجديدة ولابد ان نشير الى **سينما الحقيقة في الافــلام التسجيلية لجواكيم بيدرو أندرادو وموريس كابو فيلا وغيرهما .**

ولكن اذا كان « **بينويل** » أو «**جودار**» أو « **فيسكونتي** » لهم أثر فى بعض أفلام سينما نوفو الا ان الحركة نجحت في ان تثبت ذاتها وتفرض شخصيتها وتحدد ملامحها وهويتها خلال السنوات الاخيرة **فى سنة ١٩٦١ كان جلاوبر روشا يقول :**

لا نريد .. ايزنشتين او روسيليني او برجمان او فلليني .. ان السينما التى تنتمي اليها سينما جديدة ، لان الانسان البرازيلى جديد ومختلف ، والمشاكل البرازيلية جديدة ومختلفة . لهذا فان افلامنا لابد ان تولد مختلفة عن الافلام الاوربية » .. وقد ارادت سينما نوفو ان تضع **سينما المؤلف حيث** يصبح كما **يقول روشا خالق الفيلم فنانا متمكنا من تناول المشاكل الهامة لعصره . ويضيف روشا : انا نريد ان نصنع افلاما مقاتلة لعصر مقاتل ، افلاما تشيد تراثا ثقافيا للبرازيل . وفى نقاش عن سينما نوفو قال بيريرا سانتوس** عنها ان **اسهامها الحقيقى فى منح الســينما البرازيليه** مجالا عظيما يستطيعون منه أن يقذفوا بأفكارهم الاجتماعية والسياسية فى « مرجله » الذى يغلى .

وكتب الناقد « **أورلاندو سينما** » يقول ان عبارة القديم كبيرة لدرجة تبدو معها الاتجاهات الجديدة ثورية فى حين كان يجب أن تولد كضرورة طبيعية . وهى كثورية لابد أن تكون عنيفة .

وقال كاتب السيناريو « **ميجــويل توريز** » **اننا هنا نعيش فى دولة متخلفة تخرج حديثا من عصور ما قبل التاريخ ولذلك لابد من العنف فى قتال البالي والعتيق » .**

ورغم كل المعوقات والصعوبات وهي معوقات وصــعوبات كبيرة وعلى كل المستويات منذ حدث الانقلاب العسكرى فى البرازيل فى ابريل سنة ١٩٦٤ فان السنوات الاخيرة قد شاهدت كثيرا من الايجابيات ومن الاعمال ذات المستوى وبرزت افلام ممتازة وجريئة مثل فيلم **جاربو** : « **الرأى العام** » ، وفيلم **بيرسون** « **ساوباولو ليمتد** » ، وفيلم **روبرتو سانتوس ساعة أوجستوماتاجاو وعصرة** وفيلم **سارساني التحدى** » .

وكان فيلم نيلسون **بيليرا سانتوس** « **حياة محاصرة** » تتويجا لمرحلة الشكل فى سينما نوفو ، ويعتبر فيلم **جلاوبر روشا** : « **الله والشيطان فى بلاد الشمس** » نقطة انطلاق لمرحلة جديدة . وقد تمكن **روشا** فى فيلمه «**كروب الارض**» من وضع الحركة على أرض ثابتة .

وقد احتوت افلام سينما نوفو المشاكل الاجتماعية مثل مشكلة سكان التلال القريبة من ريو ، أو مشكلة سكان الشمال "الفقراء ، أو مشكلة المهاجرين بسبب الجفاف وقدم سانتوس فى اسلوب تراجيدى مأساة الاقليم الشمالى الشرقى من البرازيل . واطلق روشــا صرخة **ثورية** محتجة فى فيلمه ـ الله والشيطان فى بلاد الشمس ـ وفى فيلم « **التنين** » الشرير ضد المحارب المقدس **يأخذ** رجل العصابات المطارد فى رحلة شاقة نحو يقظة الوعى .

ويهتمون حاليــا باعــداد افلام من الاعمال الادبية ، وبالتحقيق المتعمق فى مشــاكل الحيــاة فى المدن مثل فيلم « **ساوباولوليمتد** » .. كما يهتمون بتناول الموضــــوعات السياسية والاجتماعية المعاصرة .

وهذا الاتجاه الاخير يتخذ اشــــكالا مختلفة ، فيلجأ **جلاوبر روشا** ـ مثلا الى **السيريالية** فى فيلمه « **أرض الالم** » ويتجه « **والتر ليمان** » الى **الروايةالعالمية** مع عدم افتقار الرؤية الاجتماعيه فى فيلمه « **البرازيل سنة ٢٠٠٠** » ويتابع **كارلوس** اسرة برازيلية من الماضى الى المستقبل فى فيلم « **الصيحة المدوية** » .

يقول ميجويل توريز : **ان طريق الفن صعب وشاق . ولا يملك احد من هؤلاء الشبان يقينا مؤكدا . ولحسن الحظ انه لم يجد احــد منهم حتى الان الحقيقة المطلقة .. ان واجبنا ان نسجل اللحظة التاريخية ، والسياسية ، والاجتماعية لعصرنا وسنحاول ان نفعل هذا بوضوح وبغير أن نهدف الى اثارة خيال الناس . ونحن اذا لم نصنع افلاما جديدة حقا فاننا لن نكون جديرين حقا بالانتماء الى عصرنا .**

ان كثيرين يلتقون مع توريز فى آرائه ويعمل كثير من شباب « سينما نوفو » فى مشروعات جــديدة وقد تبرز فى المستقبل اتجاهات واشكال جديدة لايمكن التنبؤ بها اليوم ..

وكم نتمنى ان تتاح الفرصة لسينمائيينا الشبان ولناقدينا أن يشاهدوا نماذج من هذه الحركة . من العجب ان لا يصلنا اى فيلم من افلام سينما نوفو . ولعل حركة نوادى السينما عندنا تسعى الى تحقيق هذه الامنية .

المهرجان الدولى الاول لأفلام وبرامج فلسطين

عقد فى بغداد ، فى الفترة من ١٩ الى ٢٢ مارس ، المهرجان الدولى الاول لافلام وبرامج فلسطين ، تحت شعار : « تحرير فلسطين ركيزة للسلام العالمى » . وقد افتتح حامد الجبورى وزير الاعلام العراقى المهرجان بكلمة جاء فيها : حين نلقى نظرة عامة على الواقع السينمائى فى العالم نجده منقسما الى اتجاهين رئيسيين متضادين .. الاول : اتجاه السينما البورجوازية المرتبطة بالاحتكارات الامبريالية والاستعمار .. والثانى : اتجاه السينما الثورية الجديدة المرتبطة بالطليعية وبالاشتراكية .

وقال وزير الاعلام : « ان السينما الفلسطينية ، بحكم كونها افرازا ثوريا لواقع ثورى وشعب ثائر ، تتعدد هويتها التقدمية والثورية وتتصنف ، بجانب الخط التقدمى فى العالم . ومن هنا جاء شعار المهرجان : « تحرير فلسطين ركيزة للسلام العالمى » .

وألقى **اسماعيل شموط** مندوب منظمة التحرير الفلسطينية كلمة جاء فيها : « ان السينما الثورية تعكس واقع الجماهير ، وترسم آفاق قدرتها وامكاناتها على التغيير والابداع ، فى حين تعتبر السينما المضادة أداة تخدير وتضليل للجماهير » .. وجاء فى كلمة **سعد طه** مندوب الجامعة العربية : « ان حضور وفود عربية وعالمية صديقة ، للمشاركة فى هذا المهرجان ، يعد دعما بالغ الاهمية لكفاح الشعب الفلسطينى ، وان أفلام المهرجان بمثابة وثيقة دامغة لادانة الاضطهاد الاستعمارى العنصرى الذى يتعرض له الشعب الفلسطينى وكافة الشعوب المناضلة » .. وجاء فى كلمة **صلاح عبد القادر** أمين عام اتحاد اذاعات الدول العربية : « ان الفيلم ، والبرنامج التليفزيونى ، والكلمة المذاعة ، والكلمة المكتوبة ، وجميع الاعمال الفنية ، يجب ان تكون اسهامنا المتواضع من أجل تحرير فلسطين » .

ثم القى **محمد سعيد الصحاف** كلمة المؤسسة العراقية للاذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما ، التى شاركت مع الهيئات السالفة الذكر فى اقامة المهرجان .. وفى هذه الكلمة قال المدير الشاب : « ان المؤسسة ، تأمل ان يكون المهرجان الدولى الاول لافلام وبرامج فلسطين ، خطوة أولى تتبعها خطوات ، ليكون تقليدا تقدميا ثوريا ، يتابع تطورات القضية الفلسطينية ، ويعبر عن تقدمها ، فى مجال تحقيق حق الشعب العربى فى فلسطين » .

لائحة المهرجان :

وقد جاء فى مقدمة لائحة المهرجان : « من أجل ابراز الجانب الانسانى فى قضية شعب فلسطين ، التى هى قضية وطن يغتصب ، وشعب يشرد ، وانسان يحرم من حقه فى الحياة ، ولابراز الصراع فوق تراب فلسطين كحركة تحررية وطنية ، تدور بين أصحاب الارض الفلسطينية وبين المستوطنين الصهاينة ، وتأكيدا لحق الشعب الفلسطينى فى حمل السلاح من أجل التحرير ، ولدحض كل المزاعم الصهيونية التى تحاول ان ترهب الضمير الانسانى بسيف اللاسامية ، ولابراز شعار الثورة الاستراتيجى لاقامة الدولة الفلسطينية الديموقراطية ، التى يتساوى فيها جميع المواطنين ، بغض النظر عن دينهم أو لونهم أو جنسهم أو لغتهم ، ولابراز التراث الفلسطينى والحضارة التى بناها العرب فى فلسطين » .

ومن الجدير بالذكر ، ان فكرة اقامة هذا المهرجان ، تعود الى المؤتمر الاول للسينمائيين التسجيليين العرب فى مهرجان **ليبزج** بالمانيا الديموقراطية عام ١٩٦٩ ، وان اتحاد اذاعات الدول العربية تبنى الفكرة ، وناقشها فى مؤتمره بعمان فى مارس عام ١٩٧٠ ، وكان من المقرر اقامة المهرجان فى القاهرة فى نهاية عام ١٩٧٠ ، ولكن احداث سبتمبر فى الاردن ، حالت دون اقامته ، وأخيرا تبنت **بغداد الثورة** ، بعد تأميم شركة نفط العراق ، اقامة المهرجان فى الشهر الماضى . وقد عقد السينمائيون التسجيليون العرب ، مؤتمرهم الثانى فى

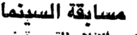

قيس الزبيدي يتسلم جائزته الذهبية من محمد سعيد الصحاف سكرتير عام المهرجان

مهرجان ليبزج عام ١٩٧٢ ، وقرروا دعم مهرجان بغداد ، والعمل على مساندته بكافة الوسائل ·

وقد كان المهرجان اقرب الى الكمال في اعداده وتنظيمه · أما مستوى الافلام التي عرضت ، فلعل من البديهي انها ليست مسئولية المهرجان ، وانما هي مسئولية السينمائيين العرب ، ومسئولية المؤسسات التي تنتج هذه الافلام ·

افلام المهرجان :

بلغ عدد أفلام المهرجان ٦٧ فيلما ، منها ٤٨ فيلما في مسابقتي السينما والتليفزيون ، و ١٩ فيلما عرضت خارج التحكيم ، وفيما يلي قائمة كاملة بهذه الافلام ، حسب المجموعات التي عرضت فيها :



مسابقة السينما

اولا — الافلام القصيرة :

١ — **مشاهد من الاحتلال في غزة [فلسطين]**
اخراج مصطفى أبو علي

٢ — **عيد سعيد [سوريا]**
اخراج مروان المؤذن

٣ — **الزيارة [سوريا]**
اخراج قيس الزبيدي

٤ — **نابالم [سوريا]**
اخراج نبيل المالح

٥ — **وجوه من القدس [مصر]**
اخراج أحمد فؤاد درويش ·

٦ — **لماذا [مصر]**
اخراج أحمد راشد

٧ — **غزة**
انتاج لجنة التضامن مع غزة [لبنان]

٨ — **كرة القدم الامريكية [العراق]**
اخراج فيكتور حداد

٩ — **تساؤل [العراق]**
اخراج فيكتور حداد

١٠ — **لواعيب شطرنج [العراق]**
اخراج فيكتور حداد

١١ — **والنيران لا تأكل لعب الاطفال [العراق]**
اخراج عباس الشلاه

١٢ — **طريق النصر [العراق]**
اخراج شريف عبد الحسين

١٣ — **الشقاء المر [العراق]**
اخراج محمد شكري جميل

ثانيا — الافلام المتوسطة الطول :

١ — **يبعثرون في الهواء [لبنان]**
اخراج جاك مدفو

٢ — **معسكرات الشباب [فلسطين]**
انتاج م · ت · ج

٣ — **ذكريات ونار [فلسطين]**
اخراج اسماعيل شموط

٤ — **الطريق [فلسطين]**
اخراج رفيق حجار

٥ — **فلسطين ·· فيتنام أخرى [سينما توجرافيكا الايطالية]**
اخراج سان ريبجو

٦ — **الفلسطينيون [الجامعة العربية]**
اخراج واصف

٧ — **أجراس السلام [مصر]**
اخراج رمسيس نجيب

٨ — **الارض فلسطين [مصر]**
اخراج فاروق المجرى

٩ — **القدس**
انتاج رابطة الخامس من حزيران [لبنان]
اخراج فلاديمير نجاري

١٠ — **البداية [العراق]**
اخراج عباس الشلاه

١١ — **نفط ٧٢ [العراق]**
اخراج يوسف الجنابي

١٢ — **لا ·· نعم [الكويت]**
اخراج نجم عبد الكريم

١٣ — **شهادة الاطفال [سوريا]**
اخراج قيس الزبيدي

ثالثا — الافلام الطويلة التسجيلية :

١ — **اين تقع فلسطين [بروينبوس الجديدة بالمانيا الاتحادية]**
اخراج مانفريد فوس

٢ — **بلادي ثورة [سيرو بسويسرا]**
اخراج فرنسيس در سيرو

٣ — **الفتح [يونتيل فيلم الايطالية]**
اخراج لويجي بيريللي

٤ — **لماذا المقاومة [فلسطين]**
اخراج كريستيان غازي

٥ — **بالروح بالدم [فلسطين]**
اخراج مصطفى أبو علي

مسابقة التليفزيون

اولا — التحقيقات :

١ — **المطاردة [بروينبوس الجديدة بالمانيا الاتحادية]**
اخراج مانفريد فوس

٢ — **الفتاة السوداء [المانيا الديموقراطية]**
تعليق كارل فون ادوار شنتزلر

٣ — **جسور العودة — الاشبال [مصر]**
اخراج حسني العبيسي

٤ — **جسور العودة — الاغتصاب [مصر]**
اخراج حسني العبيسي

٥ — **مأساة شعب [العراق]**
اخراج كمال عاكف

٦ — **نحن بخير [سوريا]**
اخراج فيصل الياسري

٧ — **بعيدا عن الوطن [سوريا]**
اخراج قيس الزبيدي

٨ — **نعم عربية [سوريا]**
اخراج خالد حمادة

ثانيا — المنوعات :

١ — **القدس في البال [لبنان]**
اخراج انطوان ريمي ·

٢ — **فلسطين [مصر]**
اخراج فاروق المجرى

٣ — **انشودة السلام [مصر]**

اخراج سعيد مرزوق

٤ ــ **الفدائي [تونس]**
اخراج الهندي بسباس

ثالثا ــ التمثيليات :

١ ــ **الغرباء لا يشربون القهوة [سوريا]**
اخراج غسان جبري

٢ ــ **الساقية [العراق]**
اخراج حسين علوان

رابعا ــ الافلام الروائية القصيرة :

١ ــ **زهرة البرقوق [العراق]**
اخراج ياسين البكري

٢ ــ **حدث في حزيران [العراق]**
اخراج ابراهيم الصحن

خارج التحكيم

اولا ــ الافلام الروائية الطويلة :

١ ــ **المخدوعون [سوريا]**
اخراج توفيق صالح

٢ ــ **رجال تحت الشمس [سوريا]**
اخراج المؤذن ــ شاهين ــ المسالح

٣ ــ **السكين [سوريا]**
اخراج خالد حمادة

٤ ــ **أرض السلام [مصر]**
اخراج كمال الشيخ

٥ ــ **سنعود [الجزائر]**
اخراج محمد سليم رياض

ثانيا ــ الافلام القصيرة :

١ ــ **اعداء الحرية [مصر]**
اخراج سعيد مرزوق

٢ ــ **دع العالم يغني [مصر]**
اخراج شعبان ابراهيم

٣ ــ **صمود شعبنا صنع النصر [العراق]**
انتاج المؤسسة العراقية

٤ ــ **بسكديرا [العراق]**
اخراج عبد الهادي الراوي

٥ ــ **حصاد الاجيال [العراق]**
انتاج المؤسسة العراقية

٦ ــ **ثورة الحرية [سوريا]**
انتاج التليفزيون السوري

٧ ــ **السماء الكالحة [يوغوسلافيا]**
انتاج التليفزيون اليوغوسلافي

٨ ــ **التومباروس [ستيربرج وكويست بالسويد]**
اخراج ماريا سيدن كويست

٩ ــ **فيلم عن الوضع في ايران**
انتاج جبهة تحرير ايران

١٠ ــ **جيفارا [كوبا]**
انتاج التليفزيون الكوبي

١١ ــ **فتيات فيتنام [كوبا]**
انتاج التليفزيون الكوبي

١٢ ــ **اغنية وطنية [المانيا الديموقراطية]**
انتاج تليفزيون المانيا الديموقراطية

١٣ ــ **المندولين [بلغاريا]**
اخراج ايليا تنتشيف

١٤ ــ **اوبس ٨٠٨٥ [بلغاريا]**
اخراج نوبيا بيلوجوركس

وهكذا اشتركت في المهرجان ٢٠ دولة الى جانب فلسطين ، منها ١١ دولة في المسابقتين و ٤ دول داخل وخارج التحكيم و٦ دول خارج التحكيم ، وبلغ عدد أفلام مسابقة السينما ٣٢ فيلما منها ١٤ فيلما في المجموعة الاولى ، و١٣ وفيما يلي قائمة بالدول وعدد الافلام في المجموعة الثالثة . وبلغ عدد أفلام وبرامج مسابقة التليفزيون ١٦ فيلما وبرنامجا ، منها ٨ في المجموعة الاولى و٤ في المجموعة الثانية ، و٢ في كل من المجموعة الثالثة والمجموعة الرابعة. وفيما يلي قائمة بالدول وعدد الاعلام التي شاركت داخل وخارج التحكيم :

العراق [١٦ فيلما منها ١٣ في التحكيم] ، سوريا [١٢ فيلما منها ٨ في التحكيم] مصر [١١ فيلما منها ٨ في التحكيم] لبنان [٢] سينما توجرافيكا ويونتيل فيلم بايطاليا [٢] بروبيثيوس الجديدة بألمانيا الاتحادية [٢] المانيا الديمقراطية [٢ منها فيلم في التحكيم] الكويت [١] تونس [١] سوريا [١] فلسطين [٥] رابطة الخامس من حزيران [٢] الجامعة العربية [١] لجنة التضامن مع غزة [١] .

وفي خارج التحكيم فقط ، عرضت بلغاريا [٢] كوبا [٢] الجزائر [١] سترندبرج وكويست بالسويد [١] يوغوسلافيا [١] جبهة تحرير ايران [١] .

وقد اشتركت العراق في [٥] من مجموعات المهرجان السبع ومصر [٤] وسوريا [٣] وفلسطين [٣] وسينماتوجرافيكا ويونتيل فيلم [٢] وبروبيثيوس السينمائية الجديدة بألمانيا الاتحادية [٢] ولبنان [١] والكويت [١] وتونس [١] والمانيا الديمقراطية [١] وسيرو بسويسرا [١] .

ابحاث المهرجان

اقيمت في اطار المهرجان حلقة بحث موضوعها دور الهيئات السينمائية والتليفزيونية في خدمة القضية الفلسطينية وقد نوقشت في هذه الحلقة ٦ ابحاث هي :

١ ــ **سينما المقاومة العربية ــ سمير فريد**
٢ ــ **السينما الفلسطينية والسينما الثورية ــ حسان ابو غنيمة**
٣ ــ **الفلم التسجيلي ودوره في مواجهة الدعاية الصهيونية ــ** محمود سامي عطا الله
٤ ــ **الاعلام الاسرائيلي ــ كرم شلبي**
٥ ــ **دور الفيلم السينمائي في القضية الفلسطينية** ــ عبد المنعم سعد
٦ ــ **نحو خطة عربية سينمائية وتليفزيونية ــ حمدي قنديل .**

نتائج المهرجان :

تكونت لجنة تحكيم السينما من لؤي القاضي [العراق] رئيسا ، وعضوية كل من كارل فون ادوارد شتزلر [المانيا الديمقراطية] مارياسيدر كوديست [السويد] جون لويس بليك [الولايات المتحدة] فاسيلي رودرجيز [كوبا] سعد نديم [مصر] عبد الحميد مرعي [سوريا] وسيد شميط [لبنان] توفيق صالح [فلسطين] . وتكونت لجنة تحكيم التليفزيون من سلام السلطان [العراق] رئيسا وعضوية كل من سعد لبيب [العراق] محمد يوسف الجنابي [العراق] ميلان فيركو [تشيكوسلوفاكيا] سمير فريد [مصر] محمد سليم رياض [الجزائر] وحسان ابو غنيمة [فلسطين] .

السينما

اولا : الافلام القصيرة :

الجائزة الذهبية :

مشاهد من الاحتلال في غزة [فلسطين] .

وذلك لتأكيده على تمسك الشعب الفلسطيني على البقاء في ارضه واصراره على مقاومة الاحتلال الصهيوني ، ولتمكنه عبر اشرطة فيلمية وثائقية من الارض المحتلة نفسها على اعطاء صورة من وسائل القمع التي تمارسها سلطات الاحتلال في مواجهة المقاومة الشعبية ، ولتحليله السياسي الناضج ، ولبراعة مخرجه في التعبير بوضوح واقناع .

الجائزة الفضية :

نابالم [سوريا] .

لان المخرج استطاع أن يعبر عن موضوع هام ببساطة وفعالية مستخدما أسلوبا رائجا في الدعاية الاستهلاكية ساخرا منه ، ومتهما القوى الامبريالية التي تتاجر بالاسلحة الفتاكة .

ثانيا : الافلام المتوسطة الطول :

الجائزة الذهبية :

شهادة الاطفال الفلسطينيين في زمن الحرب [سوريا]

لاسلوبه الموفق ، ووضوحه الفكرى ، واستعماله وسائل تعبيرية مختلفةببراعة وذكاء ، ولفعاليته فى نقل مشاعراطفال فلسطينيين يعيشون الحرب والتشرد .

الجائزة الفضية :

ذكريات ونار [فلسطين] .

لكونه قد نجح فى استعمال الفن التشكيلى للتعبير عن التطور التدريجى فى النضال ضد الامبريالية والصهيونية والعنصرية .

ثالثا : الافلامالطويلة التسجيلية :

الجائزة الذهبية :

أين تقع فلسطين [مجموعةبرويثيوس السينمائية الجديدة بالمانيا الاتحادية] لتحليله السياسى الناضج ، وتصويره مختلف أوجه الحياة الفلسطينيةالنضالية والسياسية والاجتماعية والثقافيةبوضوح

الجائزة الفضية :

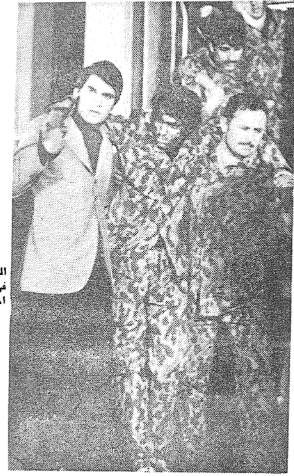
بالروح بالدم [فلسطين] .

وذلك لطرحه السياسى الواعى ، وتوضيحه طبيعةنضال الشعبالفلسطينى ضد القوى الامبريالية واسرائيل ،ولمزجه المعبر بين الوسائل التسجيليةوالتعبيرية

شهادة تقدير :

اللعبة [العراق] .

وذلك لطرحه ومعالجته بنجاح مسألة هامة تواجه أطفالنا وهى مناخ العنف والحرب الذى فرضته الصهيونية على أرضنا المحتلة .



الفيلم العراقى حدث فى حزيران . . . اخراج ابراهيم الصحن

التليفزيون

اولا : التحقيقات :

الجائزة الذهبية :

المطاردة [مجموعة برويثيوس السينمائية الجديدة بالمانيا الاتحادية]

الجائزة الفضية :

نحن بخير [سوريا]

شهادة تقدير :

القناة السوداء [المانيا الديمقراطية]

جسور العودة ــ الاشبال [مصر]

مأساة شعب [العراق]

ثانيا : المنوعات :

حجبالجائزة الذهبية والجائزةالفضية

شهادة تقدير :

الفنانة اللبنانية فيروز

وذلك لوقوفها ضمن صفوف المقاومة بأغانيها الفلسطينية منذ نكسة يونيو ١٩٦٧ .

ثالثا : التمثيليات :

حجب الجائزة الذهبية والجائزةالفضية

شهادة تقدير :

الغرباء لايشربون القهوة [سوريا]

رابعا : الافلام الروائية القصيرة :

حجب الجائزة الذهبية

الجائزة الفضية :

حدث فى حزيران [العراق]

ولكل جائزة ذهبية من جوائز مهرجان فلسطين السينمائى مقابل مادى قدره مائة وخمسون دينارا عراقيا ، ولكل جائزة فضية مقابل مادى قدره مائة دينار عراقى .

جائزة جامعة الدول العربية :

ذكريات ونار [فلسطين]

جائزة اتحاد اذاعات الدول العربية :

لا .. نعم [الكويت]

جائزة منظمة التحرير الفلسطينية :

شهادة تقدير د. انيس صايغ :

أين تقع فلسطين [مجموعة برويثيوس .

جائزة نقابة الفنانين العراقيين :

الفيلم العربى سنعود [الجزائر]

الفيلم الاجنبى الفتح [يونتيل فيلم]

شهادة تقدير سكرتارية المهرجان :

١ ــ المخدوعون [سوريا]

٢ ــ السكين [سوريا]

٣ ــ سنعود [الجزائر]

٤ ــ جيفارا [كوبا]

٥ ــ فيلم عن الوضع فى ايران [جبهة تحرير ايران]

بيان بغداد السينمائى :

وقد كانت محصلة المناقشات الطويلة التى استمرت طوال أيام المهرجان فى حلقة البحث ، وفى الندوات التى عقدت لمناقشة الافلام بيانا باسم بيان بغداد السينمائى جاء فيه :

على أرضيه الثورةالفلسطينية بأبعادها المحليه ، والقومية ، والعالمية يواجه الفنان المعاصر فىوطننا العربى ،وعالمنا المعاصر . مسئوليه الاختيار بين أنيقف مع انصار الحرية او جلاديها ، مع بدء الاخاء الانسانى ، أو كهان العنصرية مع حرب التحرير المشروعة ، أو حرب الاستعمار الاستيطانى ، مع انقاذ عالم الثلث الاخير من القرن العشرين من بؤر التمييز العنصرى بسبب الدين أو الجنس أو اللون أو مع استمرارهده البؤرة .

وجاء فى بيان بغداد السينمائى ايضا:
والفنان العربى الملتزم بالقضية الفلسطينية ، مطالب بأن يحارب على جبهة الفن ضد طوفان الميلودراما البكائية والنغمات الخطابية ذات الشعارات العالية النبرة ، والاستجداء الرخيص للغرائز ، الذى اغرق دور السينما واجهزة التليفزيون العربية ، مطالب بأن يقدم فنا على مستوى القضية ، ووزنها مهتديا بقيمتها الموضوعية ، من خلال اشكال وصياغات فنية جمالية بل وأن يقدم بجسارة على ابتكار اشكال وصياغات جديدة تعبر عن انسان الثورة الفلسطينية ، من خلال حركة الجماهير والعصر والتقدم الانسانى .

توصيات البيان :

١ — انشاء هيئة دائمة للمهرجان فى بغداد لاقامته دوريا كل عام أو عامين حسب ما تنتهى اليه الدراسات .

٢ — تدرس الهيئة امكانية اصدار جريدة سينمائية فلسطينية دورية .

٣ — التعاون مع مركز الابحاث الفلسطينية لتكوين الارشيف المركزى للقضية الفلسطينية .

٤ — العمل على تنظيم أيام فلسطين بمناسبة مرور ٢٥ عاما على الاحتلال الاستيطانى العنصرى لفلسطين ، وذلك بالاتصال بالهيئات ، والجماعات السينمائية العربية والصديقة .

٥ — دراسة امكانية الانتاج المشترك مع الدول العربية والعالم من قضايا النضال العربى والانسانى .

٦ — اجراء الدراسات حول السينما والتليفزيون الصهيونى والاسرائيلى ونشر هذه الدراسات .

٧ — مناشدة الجامعة العربية واتحاد اذاعات الدول العربية والمؤسسات والتليفزيونات العربية دعم جماعة السينما الفلسطينية .

٨ — العمل على تكوين تنظيم مركزى تكون نواة جماعة السينما الفلسطينية .

٩ — مناشدة الصحف واجهزة الاعلام العربية اسهاما منها فى المعركة نشر دراسات جادة وواعية ونقد فنى ملتزم وهادف وذلك لمواجهة القيم الهابطة والسوقية واحلال القيم الفنية الجادة والايجابية بديلا عنها .

◇◆◇

حول المؤتمر التاسع للأدباء العرب ومهرجان الشعر الحادى عشر

نظم اتحاد الكتاب العرب بالاشتراك مع اتحاد الكتاب التونسيين المؤتمر التاسع للادباء العرب ومهرجان الشعر الحادى عشر فى العاصمة التونسية فى الفترة من ١٨ الى ٢٥ مارس ١٩٧٣ . وقد شاركت فى المؤتمر وفود من أربع عشرة دولة هى : الجزائر ، فلسطين ، ليبيا ، مصر ، السعودية ، المغرب ، لبنان ، سوريا ، الكويت ، البحرين ، السودان ، اليمن ، العراق . وكان الوفد المصرى مشكلا على النحو التالى: يوسف السباعى [الامين العام لاتحاد الكتاب العرب] — عزيز اباظة — احمد رامى — صالح جودت — ابراهيم الوردانى — محمود حسن اسماعيل — محمد عبد المعاطى جلال — محمد التهامى .

كما شارك من تونس ستة وستون كاتبا منهم : محمد مزالى — محمد العروسى المطوى — مصطفى الفارسى — احمد القديدى — عز الدين المدنى — محمد صالح الجابرى — الطيب الرياحى.

● كما وجه المؤتمر دعوة خاصة لبعض الادباء العرب منهم : عبدالوهاب البياتى ، الطيب صالح ، اسحق الحسينى .

وكان الموضوع الرئيسى للمؤتمر : موقع الادب العربى من العصر وقضاياه تتفرع منه الموضوعات الاتية :

١ — تقييم الاتجاهات الادبية العربية المعاصرة وأثرها فى خدمة المستقبل العربى وطنيا ، وقوميا ، وانسانيا .

٢ — الادب العربى والثورة التكنولوجية فى النصف الثانى من القرن العشرين .

٣ — الادب العربى والصراع ضد الصهيونية والامبريالية العالمية .

وقد انتخب الاستاذ محمد مزالى رئيس الوفد التونسى رئيسا للمؤتمر فى الجلسة الاولى التى عقدت يوم ١٨ مارس ١٩٧٣ وفى جلسة الافتتاح يوم ١٩ مارس ١٩٧٣ القى الرئيس الحبيب بورقيبة كلمة حيا فيها المؤتمرين وأشار الى ان الثقافة العربية لم تعد فى عصرنا هذا تساهم فى الجهد البشرى لانشاء الحضارة ، اى أنها فقدت أولى مقومات الثقافة عامة : السيطرة على المادة ، تلك السيطرة التى يكون بها الانسان خليفة الله فى الارض ، وقال انه ليس من علاج للقضية سوى ثورة ثقافية عارمة منظمة شاملة .

وفى كلمة السيد محمد مزالى رئيس المؤتمر أشار الى ان الانسان العربى ينهزم ولا ينسحق ويكبو ولا يموت بل يستلهم من ذاته التاريخية العريقة وارادته الفولاذية ما يقوى به على النظر الصحيح للواقع وان الادب العربى فى السنوات الاخيرة اذ يعكس هذه المتناقضات ويعبر عن الحيرة انما يحمل أيضا بذور وعى جديد ونظرة حصيفة وموقف متفائل ويتجلى ذلك بالخصوص فى الانتاج الادبى المستلهم من الثورة الفلسطينية .

وقال الاستاذ يوسف السباعى الامين العام لاتحاد الادباء العرب انه يجب على الادباء العرب ان يناضلوا بكل الوسائل لاذكاء جذوة الامل الخلاق فى نفوس أبناء الشعب العربى ، وأن نضال الشعب العربى جزء من نضال حركة التحرر الوطنى فى العالم كله .

والقى يوسف الخطيب رئيس وفد فلسطين كلمة قال فيها ان الشهداء الفلسطينيين الذين سقطوا ويسقطون منذ نصف قرن على ساحة الصراع المحتدمة فى فلسطين انما هم فى الوقت نفسه خط الدفاع المتقدم عن الامة العربية كلها ، وما لم نستوعب هذه الحقيقة بادراك عميق « فان علينا اذن أن ننتظر حتى نرى الخطر الصهيونى وهو يقرع هنا على أبواب تونس او يزحف هناك على امارات الخليج العربى .. » وقال انه لذلك يتعين على حملة الاقلام فى هذه الامة العربية أن يشرعوا رؤوس أقلامهم كأسنة الرماح .. « .. وأن نوقظ أو نستنفز كل خلية فى جسد شعبنا العربى .. » ودعا السيد يوسف الخطيب الى عقد مؤتمر للادباء العرب فى مخيم الرسول « .. فى قطرنا العربى السورى الصامد فهو المكان الاكثر ملاءمة

لتوجيه مثل هذه الدعوة لانه اكبر مخيمات شبابنا الفلسطينى منذ عام ١٩٤٨ » . ودعا السيد يوسف الخطيب المؤتمر الى ان يعمل على تقريب الادب العربى اكثر فأكثر من صميم القضية الفلسطينية ، « لانها باختصار هى التسمية الاخرى لقضيتنا العربية الواحدة » .

● بلغ عدد الابحاث التى قدمت للمؤتمر ، والتى تدور حول الموضوع الاساسى [موقع الادب العربى من العصر وقضاياه] اثنين وعشرين بحثا تناول اهمها الموضوعات التالية : الادب والحرية ــ تغيير الحساسية الادبية فى السبعينيات ــ حركة الشعر العربى الحديث ــ فن المسرح فى لبنان ــ الصراع العربى الصهيونى على ارض فلسطين ــ الادب العربى والصراع ضد الصهيونية ــ الادب العربى والثورة التكنولوجية ــ من أجل نظرية فى الانتاج الفكرى .

وفى الجلسة الختامية لمؤتمر الادباء القى الاستاذ يوسف السباعى الامين العام لاتحاد الادباء العرب البيان العام للمؤتمر الذى جاء فيه أن الادباء العرب على يقين من أن العصر الذى يعيشون فيه اليوم هو العصر الذى تقف فيه الامة العربية كلها على عتبات تطور حضارى شامل لا سبيل أمامها الا أن تسهم فيه اسهاما خلاقا ايجابيا يستلهم روح تراثها العريق كما يستشرف آفاق المستقبل وأن الادباء العرب يدركون اعمق الادراك أن التحدى الذى تواجهه الامة العربية يمتد على الصعيد الاجتماعى والاقتصادى والثقافى على السواء . وانه يرتبط أوثق الارتباط بمعركة المصير العربى كله فى مواجهة العدوان الصهيونى والامبريالى ويتوجب على الاديب العربى أن يضع القضية الفلسطينية فى صميم اهتمامه ، على اعتبار أن حرية الانسان والوطن العربيين ستظل منوطة بهزيمة التحالف الصهيونى الامبريالى ودحره . وأيد المؤتمر كل الحركات التحررية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية وحيا انتصار شعب فيتنام . كما أشار البيان الى أن الادباء العرب « يؤمنون أعمق الايمان بحرية الاديب النابعة من مسئوليته والتزامه بدوره فى معركة تحرير الارض والبناء والتقدم والعدالة الاجتماعية ووحدة الشعب العربى والسلام . كما يؤمنون بضرورة مقاومة كل ارهاب فكرى وكل قيد على حرية التعبير .. ويطالب الادباء جميع الحكومات العربية بتوفير الحرية للاديب العربى ، الحرية المسئولة للتعبير عن آرائه وأفكاره . « أن الحرية النابعة من المسئولية عامل من اقوى العوامل فى اداء هذه الرسالة . وأن التزام الاديب بقضايا شعبه ونضاله وهمومه وآماله انما هو التزام بمواجهة قضايا العصر ورصيد ضرورى للانتصار فى هذا التحدى الحضارى » .

هذا وقد تقرر أن ينعقد المؤتمر العاشر للادباء العرب فى الجزائر فى العام القادم ، والمؤتمر الحادى عشر فى ليبيا .



فى الرواية المصرية المعاصرة

يوسف الشارونى

صدر هذا الشهر كتاب جديد ليوسف الشارونى بعنوان : « الرواية المصرية المعاصرة » .. والاعمال التى اختارها الكاتب من خريطة الرواية المصرية هى على التوالى : « أبو بندور » لمحمد زكى عبد القادر ، « نحن لا نزرع الشوك » ليوسف السباعى ، « جسر الشيطان » لعبد الحميد السحار ، « قصة نفسى » للدكتور زكى نجيب محمود ، « مسلمى الاسوانية » لعبد الوهاب الاسوانى ، « الجدران » لمحمد الحديدى ، « قاهر الزمن » لنهاد شريف ، وأخيرا « للزمن بقية » لعبد الحليم عبد الله .. ويقدم الكاتب لهذه الاعمال بمقدمة تتناول الفن الروائى فى مصر من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٧٢ ، هذه السنوات العشرون الحافلة يجمل يوسف الشارونى ملامحها فى أقل من عشرين صفحة [من القطع الصغير] هى تخطيط « سريع جدا وعام جدا » على حد تعبير الكاتب نفسه ، يرى فيه ان تغير الاوضاع الاجتماعية والسياسية بعد عام ١٩٥٢ ، قد ساهم فى التأثير على الادب الروائى من أوجه ثلاثة : وضع الرواية بين الفنون الادبية المختلفة .. ثم الموضوع الروائى .. وأخيرا الشكل الروائى . أهم هذه الاوجه هو الوجه الثانى ، وعنه يقول الكاتب : « أما من ناحية المضمون فيمكن أن نقسم الاتجاهات الرئيسية التى ظهرت بعد عام ١٩٥٢ ، الى اربعة اقسام : روايات تناولت بالنقد الحياة قبل الثورة .. وروايات تتبعت ما جد من أحداث بعد ذلك وعبرت عنها فى صياغة قصصية .. وروايات تناولت ما أثارته التغييرات الاجتماعية والسياسية من قضايا ومشكلات فكرية .. أما القسم الرابع فيتصل بالروائد التى استمدت أصولها من تاريخنا القومى أو من أدبنا الشعبى وملامحه أو من اتصالنا بالادب الغربى المعاصر » .

ويتحول هذا الجزء من كتاب الشارونى الى ما يشبه ثبتا بأسماء أهم الاعمال الروائية التى ظهرت خلال السنوات العشرين الاخيرة ، لكنه حين يبدأ فصول دراسته ، ينصرف عن أهم ما جاء فى هذا الثبت ، ويتناول أعمالا لعل بعضها يفتقد مكانه البارز فى خريطة الرواية المصرية المعاصرة . فرواية الاستاذ محمد

زكى عبد القادر « أبو مندور » ، ورواية الدكتور زكى نجيب محمود « قصة نفسى » انما تستمد كل منهما قيمتها من أهمية كاتبها فى مجال آخر غير مجال الكتابة الابداعية الخالصة ، ولعل رواية محمد الحديدى « الجدران » الا تجد مكانا متميزا بالنسبة لتجارب الشبان او تجارب الجيل الذى ينتمى اليه الكاتب • هذا فى الوقت الذى يكتفى فيه الشارونى بالاشارة لاعمال هامة فى تقديمه دون أن يفرد لها دراسة خاصة [من المدهش أن يخلو كتاب عن الرواية المصرية المعاصرة من دراسة عمل واحد لنجيب محفوظ فى مرحلته الاخيرة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٧] •

ومن حيث الشكل ، فان الكتاب تجميع لدراسات سبق ان نشرها الكاتب خلال السنوات العشر الاخيرة ، قدم لها بهذه المقدمة السريعة ، وخصص فى نهايتها قسما خاصا بمحمد عبد الحليم عبد الله • ولعل رغبته فى تخصيص هذا القسم هى ما جعله يضم دراستين تخرجان عن موضوع الكتاب ، وما خلق شيئا من التكرار فى بعض جمل وعبارات هذا القسم [ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ، ١٦٥] • كنت أتمنى لو عكف الاستاذ الشارونى على مادة هذا القسم كله فأعاد كتابتها على نحو يقدم لنا دراسة متكاملة عن فن عبد الحليم عبد الله وتطوره •

والمنهج الذى يستخدمه الشارونى فى هذه الدراسات هو المنهج الذى اتسمت به دراساته السابقة بوجه عام : التحليل فى ضوء التكوين النفسى للعمل الفنى من جانب ، ومحاولة ربطه بأعمال صاحبه وبأعمال مشابهة فى الادب العالمى من الجانب الاخر •• يتجاوز الجانب الاول هنا حدوده فى دراساته القديمة ، ويقدم لنا نماذج جيدة لمحاولة القراءة النفسية للادب ـ لو صح التعبير ـ [راجع بشكل خاص مناقشة فكرة الموت عند يوسف السباعى ، والفصل المكتوب عن « قصة نفسى » لزكى نجيب] ، وأحيانا يتراجع العمل نفسه الى المرتبة الثانية ، مفسحا المجال لموضوع العمل فى التراث والادب [الفصل المكتوب عن جسر الشيطان مثال واضح] •

ملاحظة اخيرة : لقد عرفنا يوسف الشارونى كاتبا حذرا ومدققا ، يجهد فى اختيار الكلمة والجملة •• ألم يكن الانسب ان يسمى كتابه هذا « من » الرواية المصرية المعاصرة أو « فى » الرواية المصرية المعاصرة ، بدل هذا العنوان الذى أصبح الكتاب داخله جسدا نحيلا فى ثوب فضفاض ؟





محمود الحفنى ••
ونشر الثقافة الموسيقية

فى الايام القليلة الماضية فقدت مصر علما من اعلام الموسيقى ، ورائدا من رواد الحركة الموسيقية •• هو الدكتور محمود احمد الحفنى •• الانسان والعالم والمؤرخ والمربى •

والذين عرفوا الدكتور الحفنى ، انما عرفوا فيه الطيبة والبساطة والتواضع فهو دائم الابتسامة والمرح ، لا يعرف الغضب والحزن ، لا يبخل على احد بنصيحة أو بعلم ، لم يكن متشائما وانما ينظر للحياة بانفتاح وأمل ، سعيد بحياته وبأسرته وبأصدقائه ، وتلاميذه•

وكانت حياته أنشودة حقيقية ، حياة خصبة مثمرة ، تتسع لحبه للموسيقا وحبه للعلم ، وحبه لمصر والناس •

بدأ حبه للموسيقا فى قريته •• « من حظى ان قرية دنديط مركز ميت غمر ـ التى ولدت ونشأت بها ـ كانت موطنا هاما من مواطن الفنون الشعبية الريفية الاصيلة التى تجمع الصوفية والمتصوفين بأشعارهم ودفوفهم وشباباتهم ، كما تجمع هواة الغناء والمواويل والرقص »

هذه البيئة التى نشأ فيها جعلته يتعلق بالموسيقا ، ولم يزل طفلا يتعلم فى كتاب سيدنا الشيخ حسين بالقرية ، وكانت [الصفارة البافة] تلازمه فى كل مكان نعم « ظلت هذه الهواية معى ولم تفارقنى أبدا •• وفى الثانوى زادت هوايتى وتعلقى [بالفلوت] •• بل زدت عليها الشعر ونظم الزجل وعشق المنلوجات تأليفا وتلحينا والقاء على مسرح المدرسة السعيدية ، الذى كان عماده الدكتور حسين فوزى ، والدكتور عمر وصفى •• كنا نحن الثلاثة نكون أول نواة لمسرح الطلبة فى السعيدية •• »

وعندما قامت ثورة ١٩١٩ كان د• الحفنى وزميلاه بمدرسة الطب المصرية •• وكان الطلبة هم الطليعة والوقود • وساهم فيها بأزجاله ومنلوجاته الساخرة واعتقل ضمن من اعتقلوا •• « أنا باعتبر أن الفن فى المعركة من الدلالات

القوية على أهمية الموسيقا فى بناء كيان الشعوب وتحريرها وترقيةمشاعرها وأحاسيسها .. »

وفى عام ١٩٢٠ ارسله والده الشيخ الحفنى — كان من العلماء واشتغل بالعلم وزراعة الارض — الى برلين لابعاده عن المظاهرات والاعتقالات من ناحية ، واستكمال دراسة الطب من ناحيه أخرى . وبدأ الدكتور الحفنى المرحلة الثانية من حياته .

التحق هناك بكلية الطب فى جامعة برلين . وحتى يشبع هوايته الموسيقية التحق بمعهد موسيقى مسائى . ولكنه بعد سنتين لم يقو على الجمع بين الدراستين . فأهمل الطب والتحق بالاكاديمية الموسيقية العليا فى برلين .. « كانت سكناى فى برلين مع أسرة موسيقية كل أفرادها موسيقيون ناجحون ..الاب مستشار قانونى وعازف ..والام مغنية أوبرا مشهورة .. الابن الاكبر عازف بيانو .. والابن الاصغر صار اليوم مديرا لمعهد البحوث الموسيقية فى برلين ..والابنة هى الزوجة التى اخترتها شريكة لحياتى وكفاحى ، والتى أنجبت منها بناتى الثلاث فى برلين » .

كان من الطبيعى — فى ذلك الوقت — أن تقطع عنه الاعانة وأن يواجه الحياة ويتكسب عيشه .. « كان أبى رجل الدين الريفى ، الذى لا تزيد نظرته للموسيقا عن الوصف المألوف — فى ذلك الوقت — للموسيقيين ، طبال أو زمار » ..

ولم يتراجع الدكتورالحفنى ، واستمر فى دراسة الموسيقا ، والتحق بوظيفة فى المكتب المصرى للبعثات فى برلين ، وشارك فى احياء حفلات موسيقية ، وأعطى دروسا خاصة فى العزف على الفلوت للمبتدئين . وبعد الحاح شديد حصل على منحة من الحكومة المصرية فى عام ١٩٢٧ ليلتحق بجامعة برلين ، ليكون أول مصرى يدرس علوم الموسيقا « الموزيكولوجيا » وحصل على الدكتوراه عام ١٩٣٠ وكانت رسالته فى موضوع « علم الموسيقا عند ابن سينا » .

استمرت المرحلة الثانية من حياة الدكتور الحفنى عشر سنوات تقريبا . أعد فيها نفسه للمرحلة الثالثة أوالجهاد الاكبر . عاد الى مصر وفى ذهنه تصميم .. « حتى يكون لابناء الشعب قسط من الثقافة الموسيقية ، وحتى تتغير النظرة القديمة للموسيقا ، ويمكن تقديرها واعتبارها فنا رفيعا يهذه المشاعر والاحاسيس .. »

وبدأ الحفنى المرحلة الثالثة الهامة فى حياته . تقلد أول وظيفة موسيقية تعليمية فى الوزارة [المعارف] والدولة . وظل يعمل طوال عامه الاول فى الوظيفة وهو رافض أن يتقاضى الاجر الذى حدد له ، أصر على أن يتساوى اجرها مع أجور الوظائف المماثلة فى المواد الاخرى . ونجح فى ذلك .

كان الهدف الاول أمامه هو العمل على نشر وتعميم الموسيقا فى المدارس المصرية وادخالها مادة أساسية فى برامج التعليم ومناهجه فى جميع مراحل التعليم . تم ذلك رسميا فى العام الدراسى ٣١ — ١٩٣٢ حين دخلت الموسيقا مناهج الدراسة وخصصت لدراستها حصص ومناهج فى مراحل التعليم .

وحتى يمكن أن تستمر المادة الموسيقية كمادة أساسية فى التعليم العام ، كان لابد من انشاء معهد معلمات الموسيقا .. [المعهد العالى للتربية الموسيقية حاليا] تخرج فيه حتى الان حوالى ٦ آلاف مدرس ومدرسة .

وفى الجانب المقابل للتربيةالموسيقية اتجه الحفنى نحو المعاهد الموسيقية المخصصة باعداد فنان الاداء . وساهم فى انشاء فرع مدرسى بمعهد الموسيقا الشرقى [معهد الموسيقا العربية فيما بعد] . وتخرج فى هذا الفرع المدرسى رواد الموسيقا العربية من الثلاثيناتوحتى الخمسينات [المعهد العالى لدراسات الموسيقا العربية حاليا وعميدته الفنانة رتيبة الحفنى] .

وبالاضافة الى المعهد السابق أنشأ الحفنى المعهد العالى للموسيقا المسرحية فى عام ١٩٤٤ . وخريجو هذا المعهد هم نواة كورال أوبرا القاهرة وأوركسترا القاهرة السيمفونى ، وفيهم المغنى والعازف والملحن ومؤلف الموسيقا والموزع الموسيقى وقائد الاوركسترا . هم أنفسهم أساس وقاعدة الحياة الموسيقية فى مصر حتى الان .

وكان من الممكن أن تتوقف جهود الحفنى عند هذا الحد بعد أن جرت الدماء فى شرايين الحياة الموسيقية فى مصر . ولكنه استمر .. « حين كثر الفنانون الموسيقيون ، وبدأوا يتعرفون على حقوقهم وواجباتهم ، تكونت أول نقابة لهم ، واختيرت أم كلثوم نقيبة وكنت أنا المستشار الفنى .. وفى عام ١٩٥٣ تركت الخدمة فى وزارة التربية والتعليم للعمل فى مجال آخر .. مستشارا فى الاذاعة . وفى أول عام ١٩٥٤ آن لى أن ألتمس التحرر من القيود الرسمية فخرجت للمعاش قبل بلوغى الستين بعامين » .

ومع ذلك لم يخلد الحفنى الىالراحة .. فقد عين مستشارا وخبيرا فىجامعة الدول العربية .. « هذا العمل فتح أمامى أبواب الاتصال والبحث فى الدول العربية والتعرف علىمافيها منمخطوطات ومدونات وآثار موسيقية ، وعلى مدى ما تحتاجه شعوبها من توجيهاتوخبرات فى نواحى تطوير الوعى الموسيقى ونشر الثقافة الموسيقية على أنظف وأوسع نطاق ممكن » .

وأسس الحفنى معهدين موسيقيين فى كل من ليبيا والكويت . وأهم من ذلك كله حاول أن يعيد الحياة الىتوصيات مؤتمرالموسيقا العربية الذى عقدبالقاهرة عام ١٩٣٢ والذى كان أول مؤتمر ينظمه ويعقده بهدف النهوض بالموسيقا العربية وكان سكرتيرا له . لقد أوصى المؤتمر بموضوعات خاصة بالتعليم والمقامات والايقاعات والالات الموسيقية . وتمكن الحفنى من انشاء « المجمع الموسيقى العربى » فى اطار الجامعة العربية الذى انتخبه رئيسا فخريا له مدى الحياة . وبين المؤتمر الاول وبينالمجمع الموسيقى العربى عقدت مؤتمراتوندوات فى بعض الدول العربية ساهم فيها الحفنى بجهود مثمرة مشكورة .

ان حياة الدكتور الحفنى متعددة الجوانب .. أهتم بادخال الموسيقا كمادة فى التعليم العام . واهتم بانشاء المعاهد الموسيقية التى يتخرج فيها كل من مدرس الموسيقى والفنان المؤدى .. واهتم بعقد المؤتمرات الدولية لبحث شئون الموسيقا العربية . واهتم أيضا بالبحوث المتصلة بتاريخ الموسيقاوالتربية الموسيقية فى العالم كله . لقد دعم المكتبة المصرية بحصيلة من المؤلفات عن الموسيقا فى الحضارات المصرية والعربية والاوربية ، وتذخر بحوالى خمسينكتابا كان آخرها عن تاريخ الالات الموسيقية الذى صدر عام ١٩٧٢ . وكتب فيما كتب .. تحقيقات وبحوثا فى شرح مخطوطات موسيقية قديمة . فضلا عن ترجمات عن لغات أجنبية . واهتم بالصحافة الموسيقية . أصدر فى عام ١٩٣٥ « مجلة الموسيقا » واستمرت حتى العدد ١٤ ، ثم « المجلةالموسيقية » ١٣٧ عددا من عام ٣٦ — ١٩٤١ ، ثم « مجلة الموسيقا والمسرح » ٤٨ عددا من عام ٤٧ — ١٩٥١ .

فضلا عن ذلك كان الحفنى عضوا بارزا بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون

وجميع اللجان الموسيقية على اختلاف تبعيتها ونوعياتها ، وعضوا مؤسسا «« للكونسرفتوار » وأول عميد لمعهد الباليه ، وعضوا مؤسسا لفرقةالموسيقا العربية . وأشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير التى نوقشت بالمعهد العالى للتربية الموسيقية . ولقد كان الحفنى أول من أدخل « ربع الصوت » على الالات الموسيقية الثابتة الابعاد [الخشبية والنحاسية] وقام بتصنيعها فى المانيا لكنها لم تنتشر لاسباب متعددة .

لقد ترك الحفنى أثره العميق على الموسيقا فى مصر . واقترح المجمع الموسيقى العربى الذى عقد فى الجزائر منذ أيام انشاء جائزة ذهبية باسمه كرائد للموسيقا العربية لاحسن بحث . وفى حفل تأبينه أعلن مركز ميت غمر انشاء مسرح يحمل اسمه ، وتداعت اقتراحات أخرى باطلاق اسمه على الشارع الذى يقع فيه معهد الموسيقا العربية ، واقامة تمثال له فى المعهد . واحسب أن الدكتور الحفنى لا يبغى سوى أن تستكمل رسالته التى بداها منذ ٤٣ عاما فى مجالات التعليم والموسيقا ونشر الثقافة الموسيقية وازدهارها حتى يمكن أن تتحقق نهضة موسيقية سليمة . وعندما يكتب تاريخ مصر الحديث سوف يذكر اسم الحفنى بين الرواد من العلماء والادباء والسياسيين .



نويل كوارد

حياة فنية طويلة فى خدمة « التسلية » وحدها

ليس نويل كوارد بين أشهر الكتاب المسرحيين الغربيين فى العالم العربى ، ومع ذلك فانه واحد من اكثرهم تأثيرا فى الفنون المسرحية العربية — المصرية بوجه خاص — وان لم تع الحركة المسرحية المصرية ذلك !

فان بصمات أسلوب نويل كوارد — الذى توفى فى أواخر شهر مارس الماضى — منطبعة بوضوح على الكوميديا المصرية طوال نصف القرن الحالى ومنطبعة بنفس الدرجة على الافلام السينمائية المصرية الفكاهية والميلودرامية . وربما كان السابقون فى هذين المجالين من النشاط الفنى فى مصر أوعى بنقلهم أو بتأثرهم بفن كوارد من المعاصرين .

ولا شك انه كانت لهذا التأثير أسبابه الموضوعية — الاجتماعية — فان مسرح كوارد الكوميدى والغنائى قد رفع منذ البداية شعار التسلية وحدها وهو شعار لقى فى أوروبا والولايات المتحدة الامريكية فى فترات الازمات الاقتصادية والسياسية الطاحنة — وخاصة فترتى الحرب العالمية الاولى والثانية ومابينهما — قبولا على أوسع نطاق بين الطبقات الوسطى ، الانجليزية والامريكية بوجه خاص ، ويمكن القول أن الطبقة الوسطى المصرية كانت تمر بظروفمماثلة فى الفترات التى تلت ذلك فى أوروبا فأقبلت على هذا النوع من الفن المسرحى تطلب التسلية وحدها .

واذا كنا قد اتخذنا من هذه النقطة مدخلا الى عرض سريع لفن نويل كوارد وحياته ، فينبغى أن نذكر من البداية بأن نويل كوارد هو مؤلف المسرحيةالتى قدمها سليمان نجيب الى المسرح المصرى منذ نحو ٤٠ عاما باسم «عفريت مراتى» ولا حاجة بنا الى القول بأن هذه المسرحية تمثل نمطا من المسرح الكوميدى لايزال يعيش فى مصر حتى هذه اللحظة ويزدهر أكثر من غيره من الفنون المسرحية .

ولقد كان كوارد أكبر ممثلى «الكوميديا السلوكية » فى المسرح الغربى على مدى الستين عاما الماضية . والكوميديا السلوكية ملهاة واقعية ولكنها تقوم على المواقف الشاذة والاستثنائية والحركات غير المألوفة المثيرة للضحك وحده دون الفكر . ولهذا يمكن وصفها بأنها واقعية متكلفة ، ومن سماتها أيضا انها بقدر عدم اهتمامها بالافكار أو اثارة العقل لا تحفل بالقيم الاخلاقية . واذا

كان لابد من مثل يجمع هذه السمات لكوميديا كوارد السلوكية فهناك مشهد في مسرحية « افكار صبيانية » يصور زوجة تحب رجلا غير زوجها وتخلو اليه في نفس اللحظة التي يوجد فيها زوجها بالمنزل . فاذا رآهما الزوج لم يثر لشرفه بالصورة الانفعالية الحادة التي يمكن أن يتوقعها المرء — ولكنه يعالج هذا الموقف بالصبر عسى ان ينصلح حال الزوجة .

أليس الموقف مألوفا ؟ . . وكأنه مشهد من مسرحية فكاهية مصرية من ذلك النوع الذي طغى على مسرحنا المصري ولايزال ؟

ومع ذلك فان كوميديات كوارد السلوكية لم تكن تعتمد بأي حال على « النكت » اللفظية تلقى على خشبة المسرح بدون حساب وكأنها هي الاساس في العمل المسرحي . فان من خصائص الملهاة السلوكية اعتمادها على سخرية الكاتب في تصوير حماقات البشر ونواحي الضعف فيها . ومن خصائصها التي راعاها كوارد كذلك انها تلجا الى اثارة العواطف ولا تسمح بأي قدر من الابتذال أو الخلاعة لمجرد ارضاء دوافع المتفرج الجنسية أو غيرها .

ولا شك انه كان لدى نويل كوارد ما يقوله دائما للناس ، فقد عاش فنيا قرابة ٦٠ عاما لم يكف فيها عن النشاط الفني المتعدد الجوانب ، وظل ينتقل من نجاح الى نجاح منذ ان بدا صبيا يلعب الادوار الهزلية وهو في حوالي العاشرة من عمره . والحقيقة أن كوارد كان من ذلك النوع من الفنانين الاستثنائيين الذين تتفجر فيهم طاقات فنية متعددة ومتاججة . فانه لم يكن كاتبا مسرحيا فحسب ، وانما كان الى جانب هذا ممثلا وموسيقيا وشاعرا ومغنيا ومؤلفا للاغاني ومخرجا واذاعيا . وكان حكم السن وحده هو الذي يفرض عليه أن يبتعد عن واحد من هذه المجالات من النشاط الفني . وهو حتى ككاتب مسرحي لم تعتمد شهرته على واحدة أو اثنتين أو حتى ثلاثة فقط من مؤلفاته كما هي العادة .. وانما ظلت شهرته ونجاحه العملي يتجدد مع كل عمل جديد له .. وما اكثر ما كتب !

ولعل حياة كوارد جديرة بعد ذلك بأن تقص من بدايتها .

ولد نويل كوارد في مقاطعة مديل سكس الواقعة على نهر التيمز الانجليزي عام ١٨٩٩ ، وتلقى قسطا ضئيلا من التعليم قبل أن يتاح له فجأة ان يدخل من باب المسرح وهو في سن العاشرة . ولم يخرج منه ابدا بعد ذلك . فقد ظهر على أحد مسارح لندن في دور في تمثيلية اسطورية اسمها « السمكة الذهبية » ، وبعدها اخذت تتخاطفه المسارح ، بل اصبح اصحاب الفرق المسرحية يخلقون له ادوارا خاصة كصبي صغير .

وفي عام ١٩٢٠ مثل في اول مسرحية من تاليفه كان قد كتبها قبل ذلك بسنوات قليلة بعنوان « **اتركها لك** » ، ثم في مسرحية أخرى له بعنوان « **الفكرة الشابة** » وفي عام ١٩٢٣ مثل وغنى ورقص في مسرحية له أيضا عنوانها « **لندن تنادي** » .

ولكن أول مسرحية سجلت نجاحا ملحوظا له كانت بعنوان « **الدوامة** » عام ١٩٢٥ ، وكانت من نوع الميلودراما ونشهد فيها مواجهة بين امراة حمقاء في منتصف العمر وابنها مدمن المخدرات فيما يشبه علاقة « هاملت » بأمه .

واخذت تتوالى مسرحياته الكوميدية والميلودرامية والغنائية التي كان يكتب بعضها في عطلة نهاية الاسبوع دون اي عناء . وشيئا فشيئا بدا اسلوبه يتضح في الاتجاه نحو المتعة والتسلية وحدها دون أن يكون لما يكتبه رسالة ما . وتعد افضل اعماله في فترة ما بين الحربين مسرحية موسيقية بعنوان « **الحلو المر** » [١٩٢٩] ثم مسرحية موسيقية أخرى مستقاة من التاريخ الانجليزي من عهد الملكة فكتوريا بعنوان « **كافالكاد** » . وفي تلك الفترة نفسها برزت له مسرحية كوميدية تعد من اجمل ما كتب كوارد وهي مسرحية « **حياة خاصة** » . واستمر نشاطه الكثيف في التاليف والتمثيل والغناء والتاليف الموسيقي طوال الثلاثينات .

وفي عام ١٩٤١ كتب مسرحيته « **روح بليث** » ، [التي عرفها المسرح المصري بعد ذلك بوقت قصير بعنوان « عفريت مراتي »] وتعد نقطة تحول هامة في حياة كوارد الفنية ليس لانها تمثل عمقا جديدا في كتاباته او تحولا في الاسلوب، ولكن لانها حققت نجاحا فاق كل مسرحياته وتمثيلياته السابقة . وقد ظلت تعرض حوالي ٢٠٠٠ ليلة متوالية .

وفي خلال ذلك كله كانت السينما قد اجتذبته وقدمت له افلاما كثيرة ، معظمها مستمد من مسرحياته ، وشارك في أداء بعض أدوارها . فقد ظهر في عام ١٩١٧ في فيلم بعنوان « **قلوب العالم** » من تاليفه وفي عام ١٩٣٤ في فيلم « **الوغد** » وفي عام ١٩٤٤ في مسرحية عن البحرية بعنوان « **المكان الذي نخدم فيه** » وقد كتب سيناريو الفيلم واخرجه وقام بدور البطولة فيه .

وتحول اهتمام كوارد في السنوات التي اعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية نحو كتابة الرواية والقصة القصيرة ، ولكنه في هذا المجال لم يحقق نفس المقدرة التي تميزت بها مسرحياته الكوميدية .

والشيء الاساسي الذي كان يأخذه عليه النقاد دائما وخاصة في السنوات الاخيرة انه ظل يكتب بروح ومفاهيم واهتمامات فترة العشرينات والثلاثينات ، فمعظم شخصياته المسرحية لاناس اغنياء فاسدين عصابيين ضائعين وانانيين ، واذا كان قد نجح في أن يرسم هذه الشخصيات بطريقة اجتذبت جمهور الثلاثينات والاربعينات ، فانها لم تكن لتلقى نفس الاهتمام والاقبال من جمهور ما بعد الحرب الثانية وخاصة جمهور الخمسينات والستينات . وقد قيل أن شخصية نويل كوارد نفسه كانت تماثل تلك الشخصيات التي حققها في مسرحه. ولعل هذا الامر يفسره أن حسه الاجتماعي لم يكن يتجاوز هذا النمط من الشخصيات المماثلة له . وقد وصف نفسه بأنه « شخص وحيد . لا استطيع ان اعيش مع شخص آخر كل الوقت ، سواء كان رجلا أو امرأة . لقد ولدت وحيدا، وعشت وحيدا بشكل أو بآخر . وسوف أموت وحيدا » .

ولقد كان كوارد يحس بين الحين والآخر بالرغبة في الابتعاد عن كل من يعرفهم فكان يرحل في البحر ، شأنه شأن ارستقراطيي بلاده — الى جنوب افريقيا بحثا عن العزلة والهدوء . كما عرف عنه انه احب كثيرا نمط الحياة الامريكية بما يعنيه من فردية واندفاع وتعال وخفة . وبالفعل فان مسرح كوارد لقي نجاحا هائلا في نيويورك وحقق له فيها أرباحا خيالية . حتى أن مسرحية واحدة له هي « **حياة خاصة** » عرضت مرات عديدة على مدى الخمس والعشرين سنة الاخيرة . فما أن تختفي وتنسى عدة سنوات حتى يعاد عرضها من جديد وبنجاح ملحوظ . وكان آخر عروضها في نيويورك في عام ١٩٦٩ .

والغريب ان كوارد الذي قام بنشاط فني كبير بين القوات البريطانية في أماكن متعددة في آسيا وافريقيا واوروبا ليرفع الروح المعنوية بين صفوفها ابان الحرب العالمية الثانية ، آثر أن يفر من بريطانيا هربا من الضرائب المتصاعدة بعد نهاية الحرب العالمية . وركز نشاطه في الولايات المتحدة وفي الملاهي الليلية ليتمكن من تحقيق دخل كبير .

وفي عام ١٩٦٦ ، وكان المناخ الاجتماعي والفني قد تغير تماما عما ألف كوارد

وعما الفت مواهبه ، وكان ايقاع العصر قد اختلف كثيرا عن ايقاع السنوات ما بين الحربين التى شهدت أوج نجاحه ، عكف على كتابة مسرحية تمثل سيرة حياته بعنوان **« اغنية عند الشفق »** ، وهى تصور حياة كاتب يعانى من الشذوذ الجنسى ولا يستطيع أن يكتب عن نفسه بصدق . يتعرض لعملية ابتزاز من جانب شخص يهدد بأن يفضح السر الذى يخفيه فى اعماله الفنية . ونسمعه فى أحد مشاهد هذه المسرحية يرد على الشخص الذى يريد ابتزازه « هل كان من الحقارة منى أن أحاول أن أبدو للعالم اننى قادر على أن أمارس اللعبة على النحو الذى تقتضيه الاصول ؟ »

والواقع أن مسرحية « اغنية عند الشفق » كانت حلقة فى ثلاثية كتبها كوارد تحت عنوان رئيسى هو **« حاشية فى مفاتيح ثلاثة »** . وقد اعتبر النقاد هذه الثلاثية بمثابة « بعث جديد لكوارد » لانها فيما يبدو قد ذكرت العالم المسرحى به فعادت عشرات من مسرحياته الكوميدية والغنائية تعرض فى مسارح أوروبا والولايات المتحدة وتلقى اقبالا كبيرا . وقد حضر فى يناير الماضى عرض مسرحيته **« أيها الجبان »** وكانت تلك آخر مرة يظهر فيها فى مكان عام وكان يبدو فى حالة ضعف شديد . وسافر بعدها الى جامايكا . وهناك رفض أن يدلى بأى حديث ، وهو الذى كان يجد متعة كبيرة فى الادلاء بالاحاديث للصحفيين واكتفى بعبارة واحدة « لم يعد لدى شىء أقوله أكثر مما قلت » .



الصمت من ذهب

وقفت المغنية على خشبة أحد مسارح برودواى ، وانطلق صوتها يدعو المهرجين كى يشهدوا حمق المحبين . لكن المهرجين لم يكونوا هناك . كانوا جميعا على المسرح ، فى العرض الذى قدمته **فرقة البانتوميم البولندية فى نهاية جولتها التى استمرت ثمانية اسابيع فى الولايات المتحدة الامريكية** . [سبق لجمهور المسرح فى القاهرة أن شهد هذه الفرقة نفسها حين قدمت مشاهد من ملحمة جلجامش وأعمالا أخرى فى عام ١٩٦٩] .. وفن التهريج لصيق الصلة بالميم ، فحين تحرم ممثلا حق الكلام فليس أمامه سوى أن يتحول الى المبالغة فى اداء الرشاقة [بالرقص] أو المبالغة فى التعبير بالحركة [الميم] .. لكن هؤلاء المهرجين البولنديين بارعون فى التخفى وراء أقنعة الانسان العادى ، ففى احد عروضهم التى قدموها باسم « الكيمونو » تحول فن الميم الى وسيلة قوية للتعبير عن العنف ، ووسيلة ساحرة وخلابة لتصوير الحب . وتمتد مهاراتهم الجسدية لتشمل كل فنون الرقص ، فالعرض الذى قدموه باسم « المتاهة » ، عرض راقص كله ، لعبة الحرب والظهور والاختفاء لاجساد تحاول أن تتحرر من ثقلها . ولان ما هو طبيعى يغذى ما هو حسى ، فان تجربة الميم تجربة حسية تماما ، وأنت تحس حرارة كل شىء يقدم اليك ، تتفجر هذه الحرارة فى رقصة ثنائية عنوانها « رحيل فاوست » ، تستطيع فيها شقراء فاتنة الجمال [دانوت كيزيل] ، تلعب دور هيلين طروادة ، أن تحول باريس [ستيفن ندز بلاكوفسكى] ، الى شىء طيع تماما بين يديها .

وأهم أعمال الفرقة هو العرض الذى اشتهرت به : « معرض حيوانات الامبراطورة فيليسا » ، يعتمد على سيناريو عمره أكثر من ثمانين عاما كتبه المسرحى التعبيرى الالمانى فرانك ودكين . فى هذا العرض كل ما يجعل أداء هذه الفرقة متميزا فى العالم : حس الفكاهة الساخر ، التعبير الواضح عن الجنس ، تفجر العنف ، الحركة المسرحية المحسوبة بدقة ، البلاغة فى التعبير العضلى والحركى ، تصحبه موسيقى تجمع بين جمل الكترونية فكهة ، وجمل من فاجنر ومندلسون . لعبت دانوت كيزيل دور الامبراطورة : فتاة صغيرة ، طويلة الاطراف ، قاسية ملامح الوجه ، لم تكد تستيقظ نزعاتها الجنسية بعد ، والعرض كله محاولات مستمرة من جانب رجال مختلفين لاغوائها ، وتتحول الامبراطورة الى « ووترلو » جنسية أمام نابليون فيهاجمها بمدافعه ، ويستثير آخر شهيتها للطعام فتلتهمه ، ويحاول ثالث أن يكسب الامبراطورة ، فيلعب أمامها دور فرانكشتين [كأنه المانيا النازية] ، وأخيرا تضع الامبراطورة على رأسها قبعة عالية وتمسك بيدها سوطا وتدفع امامها بمعرض حيواناتها كله ، كأنهم خيل مدربة ، أو لاعبو أكروبات أو جماعة مهرجين .

كل هذه الاعمال صممها وأخرجها مؤسس الفرقة ومديرها هنريك توماسفسكى ، الذى كان ممثلا وراقصا ، وتعبر أعماله من وجهة نظره فى أن الانسان بلا حول أمام دوافعه العاطفية والانانية ، أسس توماسفسكى فرقة منذ ثمانية عشر عاما ، مثل الرقص كشىء محدود ، وكان يطمع فى شىء آخر : « ايقنت أخيرا ألا شىء جديد ، ولا شىء مختلف ، نحن نعود خطوة بعد أخرى الى ما بدأنا به ، نحن نعيش فى عالم بصرى عالم التليفزيون والسينما ، حيث الحوار نادر ، ونادرا ما يكتمل ، لهذا فان البانتوميم هو المسرح الحديث ، لقد ابتذلنا الكلمات وأسأنا استخدامها ، لم يعد كثيرون يثقون بالكلمات ، لكنهم لم يتوقفوا عن الاحساس والشعور . وهذا ما نقدمه لهم » .

ولهذا أيضا أصبحت فرقة البانتوميم البولندية واحدة من اشهر فرق الاداء الصامت فى العالم .. ان لم تكن أشهرها على الاطلاق .

مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة التاسعة ـ يونيو ١٩٧٣

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

٦



- المقاومة : هل يفشل مخطط التصفية ؟

البحث العلمى فى مصر

[شهادات واقعية]

- الرقابة الشعبية على وحدات الانتاج
- مساهمة فى الدراسة النظرية للبيروقراطية
- الجبهة الوطنية فى تشيكوسلوفاكيا

ملحق الأدب والفن

الطليعة

طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

■

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » .

■

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع. ـ دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

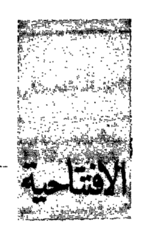
العدد السادس ـ السنة التاسعة ـ يونيو ١٩٧٣

د · محمد الخفيف

شارك في تاسيس الطليعة

واسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢



المقـاومة : هـل يفشـل مخطط التصفية؟

تكتب « الطليعة » هـذه الافتتاحية ، وقد تناقلت الانبـاء بعناصر الاتفـاق ، أو الوفاق ، بين السلطة وبين المقاومة الفلسطينية فى لبنان .

وفى الواقع ، ليس هناك ما هو ادعى الى الرضا من أن يتوقف الان ــ بل والى الابد ــ نزيف الدم بين الاشقاء من لبنانيين وفلسطينيين ، ذلك انه ــ اذا لم تسـعفنا الكلمات ــ فمثل هذا الاقتتال المفروض على الاخوة الفلسطينيين ، ليس ، ولن يـكون له مقابل أو مرادف فى اللغة ، سوى العار ، كل العار ، الذى يلحق بكل عربى يتسبب فيه ، بل وبكل عربى يقف موقف المتفرج عليه .

نحن نرحب اذن بالهدوء الذى ساد ، وبكل المحـاولات البناءة التى سـاعدت ، وسوف تساعد فى الايام القادمة على تجميد هذه الازمة .

ونقول « تجميد الازمة » لاننا نخدع انفسنا اذا قلنا أنها قد حلت ، أو ان أسبابها العميقة قد صفيت . وربما لا يندهش القـارىء اذا قلنا ان أقصى ما نطمع فيه الان ، ليس هو حل سحرى أو مثالى للازمة ، بل توفير أقصى الضمانات المتاحة ، والتى تدخل فى حيز الامكان ، حفاظا على حياة المقاتلين الفلسطينيين ، وعلى وحدة شعب لبنان ، وحتى لا يحدث فى القريب ما حدث بالامس . ذلك ان « ايجاد حل للازمة » برمتها هو مهمة « استراتيجية » عربية بعيدة المدى ، تتعلق من ناحية ، بتطور الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمجتمع اللبنانى ، كما تتعلق ، من ناحية أخرى ، بتطور مجمل الحركة الثورية فى المنطقة العربية ككل ، كما تتعلق ، مرة ثالثة ، بآفاق تطور النضال الفلسطينى فى جميع المجالات السياسية والعسكرية .

فى سبيل تحقيق هذا الهدف المبـاشر ، والمحـدود ، وهو حمـاية المقـاتلين الفلسطينيين من ان يضربوا من ظهورهم ، أو ان يجبروا على القتـال وظهورهم الى

البحر ، سنحاول ان نضع ايدينا على اهم الدروس المستخلصة من الاشتباك الاخير بين الجيش اللبنانى وبين المقاومة الفلسطينية .

واذا بدانا ، فسوف نكتشف انه ليس اصعب فى مجال السياسة من توضيح ما هو واضح بذاته . ولكن تظل هذه مهمة مستمرة ، لكل من يتعرض للعمل السياسى .

والامر الواضح ، هو ان هناك مخططا لتصفية الكفاح الفلسطينى المسلح . وان ما حدث فى لبنان كان متوقعا فى كل لحظة . وذلك بشهادة صحف الغرب اليمينية ذاتها . فقد كتبت صحيفة « **كومبا** » الفرنسية [٩ / ٥ / ١٩٧٣] تقول :

« ان ما حدث فى لبنان كان متوقعا : فقد آتت الخطة الاسرائيلية اكلها ، وهى الخطة التى تتمثل فى ارغام الدول العربية على التخلص من الفدائيين . لقد كان لها آثارها فى الاردن ، وها هى مستمرة فى لبنان ... »

وهذا المخطط الذى يستهدف ابادة المقاومة ، هو مخطط خارجى باعتراف مجلة بريطانية مطلعة ، هى « **الايكونومست** » التى كتبت تقول [١٨ / ٥ / ١٩٧٣] :

« انها [أى الاشتباكات بين الجيش والمقاومة] الجولة النهائية ، لان المعركة تحددت خارج لبنان ضد الفدائيين . ولبنان هى الدولة العربية الوحيدة ، المحيطة باسرائيل ، التى لا يزال الفدائيون يتمتعون فيها بقدر من الحرية » .

اما هدف المخطط الامبريالى من ضرب المقاومة ، فقد عبرت عنه — مرة اخرى — صحيفة « **كومبا** » عندما راحت تتنبأ بأن التأثير السياسى للفلسطينيين لم يكف عن التناقض والانكماش .. ثم اضافت :

« وفى هذه الحالة ، وكما حدث عام ١٩٦٧ ... سوف تجد اسرائيل نفسها — مرة أخرى — فى مواجهة الدول العربية بدون العقبة التى يمثلها الفلسطينيون » .

الى أن قالت :

« ونأمل فى ان يساهم هذا التطور فى ارساء السلام الاول الضرورى بين اسرائيل وبين الدول التى كانت ترفض التسليم بمبدأ قيام الدولة الاسرائيلية .. » [٩ / ٥ / ١٩٧٣] .

والمعنى الذى ترمى اليه الصحيفة ليس خافيا ، وهو ان التعجيل بتصفية المقاومة — يمثل فى رأى الاوساط الامبريالية — المقدمة الحاسمة ، للاسراع بتصفية نزاع الشرق الاوسط ، ولكن .. وفقا لشروط اسرائيل والغرب الامبريالى .

وفى اعتقادنا أن احداث لبنان كانت قوية الارتباط بحدثين هامين ، احدهما خارجى والاخر داخلى :

١ — ففيما يتعلق بالعامل الخارجى ، لم يكن من قبيل المصادفة ، أن يبدأ ضرب المقاومة فى لبنان عقب اختتام ذلك الحدث ،ونعنى به **مؤتمر الدبلوماسيين الامريكيين** الذى عقد فى ابريل الماضى فى طهران ، وحضره مدير المخابرات المركزية السابق **ريتشارد هيلمز** ، ومديرها الحالى **جيمس كيوج** . لقد أوصى هذا المؤتمر ، كما صرح وزير الخارجية **وليم روجرز** :

« بضرورة تضييق الخناق على الارهاب الفلسطيني » .. لكن تضييق الخناق هو ــ كما نعرف ــ لفظ دبلوماسي مخفف ، يعني التصفية .

٢ ــ واما الحدث الداخلي ، فهو المظاهرة الشعبية الجبارة التي شيعت موكب الشهداء الثلاثة : أبو يوسف ، وكمال ناصر ، وكمال عدوان . ذلك ان مشهد الربع مليون لبناني الذين شاركوا في وداع الشهداء قد روع ، بلا شك ، كل القوى المضادة والرجعية في لبنان ، ودلل على ان الحركة الشعبية والوطنية هناك ، لم تنهض فحسب ، بل عززت وتعزز مواقعها في صفوف الشعب تحت قيادة أحزابها الوطنية والتقدمية .

على ان دلالات هذه المظاهرة الشعبية الجبارة لا تقف عند حد تجسيد وعي الشعب اللبناني بانتمائه العميق الى أشقائه العرب ، بل تتعداه الى واقع ان المقاومة قد دخلت في النسيج اللبناني كقوة تحرير فعالة تقف في جبهة القوى التقدمية ، وتتضامن مع شعب لبنان ضد مخططات الامبريالية والرجعية والصهيونية .

وعلى ضوء هذين الحدثين ، أو العاملين ، يمكن ان نفهم التوقيت الذى أعد لتوجه الضربة فيه الى المقاومة .

ولكن اذا صح ان المخطط قد أمكن تجميده ، فان الفضل في هذا يرجع الى عدد من العوامل الفعالة التي ينبغي ان نمسك بها ، ونؤكد عليها ، مستفيدين منها في الايام القادمة ، وفي مقدمتها :

١ ــ نمو الحركة الوطنية في لبنان . وهذا النمو يتم في اتجاه مناقض لكل القوى التي تريد ان تبقى على روح الطائفية والتعصب والانقسام الديني . ولم يكن من قبيل الصدفة ، ان كل المحاولات التي بذلت لتحويل الاشتباكات بين الجيش اللبناني وبين المقاومة الى حرب طائفية قد باءت بالفشل . وعلى العكس فقد عبر رجال الدين من مسيحيين ومسلمين عن وعي رفيع عندما اجتمعوا ليطالبوا بوقف اقتتال الاشقاء .

٢ ــ ان الحركة الوطنية في لبنان تتطور تحت نضال شعبي لا يتوقف ، وتحت قيادة قوى ثورية وطنية وشعبية ، تريد ان ينتقل الاقتصاد اللبناني من اقتصاد خدمات ، تابع لنفوذ الاحتكارات الاجنبية ، الى اقتصاد انتاج يؤمن مصالح الغالبية العظمى من شعب لبنان ، من فلاحين وعمال ومثقفين وحرفيين وأصحاب أعمال وطنيين .

والحركة الوطنية في لبنان ، وفقا لهذا المضمون ، انما تدفع لبنان في الطريق الصحيح ، طريق الارتباط العضوي والمصيري بالشعوب العربية الشقيقة ، طريق النضال الحازم ضد الامبريالية ، وضد الاستعمار الامريكي الجديد ، دفاعا عن التراب اللبناني ضد مطامع اسرائيل التوسعية .

٣ ــ وتدرك الحركة الوطنية اللبنانية بقياداتها وأحزابها الوطنية والتقدمية ، ان مصيرها ، وآفاق عملها ونشاطها لا تنفصل ، ولا يمكن ــ بعد اليوم ــ ان تنفصل ، عن نضال الشعب الفلسطيني . فكل مؤامرة توجه ضد المقاتلين الفلسطينيين تستهدف في الوقت ذاته ــ وستوجه حتما ــ ضد الحركة التقدمية الشعبية في لبنان وتهددها تهديدا جديا .

ومن هنا ، ذلك العمل الدؤوب ، والتضامن الذى لا يهن من قبل القوى الوطنية اللبنانية الممثلة فى الجبهة الشعبية المساندة للثورة الفلسطينية .

٤ ـ وقد دللت الاحداث على ان فى مقدور القوى العربيـة التى تعيش خارج لبنان ، ان تمارس تأثيرا ايجابيا على مجمل الاحداث . والدرس المستفاد هنا ، هو انه ما ان تتحرك القوى الشعبية العربية ، وما ان تمكن من الحركة الحرة ، الا وتستطيع ان تؤثر تأثيرا مباشرا فى مجال الدفاع عن الثورة الفلسطينية المسلحة .

والدرس المســتفاد أيضا ، هو انه ما لن تتحرك الحكومات العربيــة الوطنية والمتحررة ، وما ان تدلل على موقف حازم ، دفاعا عن الثورة الفلسطينية ، الا ويحدث موقفها هذا تأثير ايجابى ومباشر فى صالح الثورة الفلسطينية .

وهكذا كان لدور مصر فى الازمة تأثـير قوى فى لجم الفتنة ، وذلك من خــلال المواقف التى عبر عنها المبعوث الشخصى للرئيس انور السادات ، ومن خلال تصريحات الرئيس السادات عن التمسك بالدفاع عن المقاومة . وهنا لابد من التأكيد أيضـا على الدور الذى قامت به الحكومة السورية عندما خاطبت الشعبين اللبنانى والفلسطينى ، موضحة ان المخطط يستهدف كلا الشــعبين ، وانها لن تقف مكتوفة اليدين فى مواجهة الاصرار على تصفية المقاومة . الى جانب هــذا ، ومع هذا ، فقد ســمعت المنطقة العربية أصــوات الجزائر والعراق وليبيــا ، التى لم تتأخر حكوماتها عن التعبير عن تضامنها مع المقاومة الفلسطينية ، وضد مخططات الابادة والتصفية . وربما كان ابرز ما تم على الصعيد العربى ، هو وقف ضــخ البترول فى ذكرى قيام دولة اسرائيل .

ثم نخلص مما تقدم كله الى هذه الحقائق :

١ ـ ان عوامل انفجار الازمة وتجددها ، لا تزال قائمة فى لبنان ، وهى عوامل داخلية وخارجية معا .

٢ ـ وان عوامل حماية المقاومة فى لبنان ، لا تزال قائمة ، وهى عوامل داخلية وخارجية معا .

فما هى المهـام المباشرة المطروحة على الثورة العربية ، لتؤمن حمـاية الثورة الفلسطينية المسلحة .

اذا تحدثنا عما هو ممكن ، ومتـاح ، فى نطاق السلبيات والثغرات الكثيرة التى تمتلىء بها الساحة العربية ، فسوف نجد أنفسنا أمام نوعين من المهام :

احدهما يتعلق بمواقف الدول العربية المتحررة ومسئولياتها . وفى هذا يمكن أن نقول ان الازمة الاخيرة قد كشفت عن الحـاجة الملحة الى اســتراتيجية عربية تجمع جهود هذه الدول حول الحد الادنى من المواقف التى تضـمن مسـاندة وحماية الثورة الفلسطينية المسلحة . ذلك انه كائنة ما تكون الاختلافات فى المواقف ووجهات النظر ، فان هذا لن يعفى هذه الحكومات أمام شعوبها من البحث عن صـيغة موحـدة لعمل مشترك يصد عن الثورة الفلسطينية مخطط الابادة . مثل هذا العمل المشترك ، يشكل صيغة الحضور المطلوبة ، من قبل هذه الدول فى كل ازمة محتملة أو متوقعة ، وما أكثر هذا النوع من الازمات .

الى جانب صيغة العمل الموحد ، تظل امام الحكومات العربيـة المتحررة ، مهمة اساسية هى اطلاق قوى الشـعوب المنظمة ، وتمكينها من ان تعبر عن مسـاندتها وتأييدها للكفاح الفلسطينى . والسبب فى هـذا بسـيط : وهو أن عمل الحكومات ــ بطبيعته ــ يظل محكوما ، ومحدودا باعتبـارات كثيرة دوليـة وداخلية ، سياسية ودبلوماسية ... الخ . فى حين انه لا حدود لما يمكن ان تقدمه الحركات الشـعبية المنظمة داخل كل بلد عربى .

اما النوع الثانى من المهام ، فيتعلق بالجبهة الشعبية المساندة للثورة الفلسطينية . بحيث تصبح جبهة عربية تقدمية تتصـدى للرجعية والامبريالية فترد الهجمة الشرسة البادية الانياب والاظافر ، وتسترد زمام المبادرة .

وما احوج حركة التحرر العربى فى هذه الايام ، وفى مواجهة التصعيد الامريكى الإسرائيلى والرجعى ، أن تستمد زمام المبادرة .

ولكن علينا ان نقول فى الوقت نفسه !!

انه بالرغم من ضراوة الهجمة الامبريالية والرجعية على المنطقة ، ما تزال امام الثورة العربية ، فرص متاحة لاسترداد زمام المبادرة ، ولكسر طوق الحصار ، ولاجبار الامبريالية وقوى الثورة المضادة على ان تأخذ مواقف الدفاع والتراجع . وعند هـذا ــ فقط ــ يمكن ان نقول ، ان مخطط تصفية المقاومة قد فشل ، وان ضمانات حقيقية فى داخل لبنان وفى الساحة العربية قد قامت لتأمين النضـال الفلسطينى المسلح .

« الطليـعة »

شهادات واقعيه

في منتصف القرن العشرين بدأت تتجلى ،بكل قوتها ، تلك الظاهرة التى يطلق عليها الان :

« الثورة العلمية والتكنولوجية » .

هذه الثورة التى هى ثمرة التطور الكلى ،والشامل ، لقوى الانتاج العالمى جمعاء .

وكان من قسماتها الرئيسية مولد فروع جديدة فى العلم والتكنولوجيا : هذه الفروع التى مكنت الانسان من تغيير أساليب الانتاج تغييرا جذريا ، وامدته بمواد لم تكن موجودة ، وسلحته بأدوات للتنفيذ والانجاز مستحدثة تماما .

لقد عبرت هذه الثورة عن نفسها من خلال :

١ ــ علوم الطاقة الذرية .

٢ ــ صعود الانسان الى الفضاء الخارجي او استكشافه ، وما ترتب عليه من تغيير كثير من المفهومات العلمية التى بدا انها مستقرة ، وما ترتب على ذلك ايضا من تقدم فى علوم شتى مثل الجغرافيا والجيولوجيا وعلوم الارصاد الجوية .

٣ ــ تطبيقات علم السبرنطيقا ، وما أدى اليه من التوسع فى استخدام «الاوتوموشون» فى فروع الانتاج الجديد .

٤ ــ استخدام الالات الحاسبة التى تختزن مقادير هائلة من المعلومات ، وما أدى اليه من تغييرات واسعة فى أساليب الادارة الصناعية ، وغيرها من قطاعات الاقتصاد .

٥ ــ التغييرات التى ادخلت على مناهج البحث فى العلوم الانسانية مثل التاريخ والاقتصاد وعلم النفس الاجتماعى وعلم اللغة .. الخ

وتحت تأثير هذه الثورة ، لم يعد التطور التدريجى و « الهادىء » فى مجالات العلوم والتكنولوجيا واردا ، لقد أصبحت القفزات النوعية الهائلة هى سمة التقدم ٠

هنا تطرح هذه الثورة على البلدان النامية ،كل التحديات ، واخطر التحديات ، ذلك أنه بمقياس هذه التغيرات الهائلة أخذت الدول المتقدمة تسبق بعض الدول النامية بعشرات وعشرات من السنين ، بل وتسبق بعض الدول النامية الاخرى ببضعة قرون ٠



ولكل هذه الاعتبارات كانت قصـة البحث العلمي في مصر مثـار الاهتمام ؟ وموضـع الدراسة ، ومبعث قلق مشروع .

ان ميثاق العمل الوطنى قد تحدث عن هذه القصة فى خطوطها العريضـة . أما برنامج العمل الوطنى [١٩٧١] ، فقد طالب بأن تقوم فى مصر دولة ، لا تقنع بمجرد استيراد منجزات العلم الحديث ، بل تقيم بنفسها منجزات العلم على أرض الوطن . ثم حدد برنامج العمـل الوطنى الهدف الاول للبحث العلمى فقال انه :

« الوصول الى تكنولوجيا مصرية عصرية »

ذلك أنه عبر العمل لتحقيق هذا الهدف ، يمـكن ـ بتـوافر شروط معينة اجتماعيـة وثقافية ـ أن يتطور الانتاج، ويزيد كما ونوعا ، ويصبح فى الامكان ، أن تقوم صناعة راسخة ، وأن يتوصل الى حلول طائفة من أكثر المشكلات الحاحا فى مجالات الصحة والتعليم والاسكان، بل وكثير من المشكلات التى تطرحها قضـية المواجهة مع العدو الاسرائيلى الامريكى .

وفى الشهور الثلاثة الماضية ، كانت قضية البحث العلمى مطروحة على « لجنـة التعليم والبحث العلمى فى مجلس الشعب ، وكان المجلس قد قرر أن تدار مناقشة عامة حـول هذه القضية » .

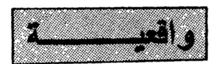
وانطلاقا من هذا ، تأخذ « الطليعة » بعين الاعتبار أن المساهمة فى مناقشة قصة البحث العلمى هى عمل وطنى فى المحل الاول . وان مصر لديها الحد الادنى من الكوادر العلمية ، ومن مراكز البحث لكى تبدأ . لكن ما ينقص هو استراتيجية للبحث العلمى ، ترتبـط بأهداف الخطة القومية . ان ما ينقص من التنسـيق والتنظيم ، وتمكين باحثينا من الافادة الفورية من منجزات الثورة العلمية والتكنولوجيـا . ان ما ينقص هو تعاون عربى على مسـتوى الوطن العربى بين العلماء والباحثين العـرب لمضاعفة الجهد ، والسرعة ، ولتفادى الازدواج، وتبديد الجهد والوقت والطاقات .

لكل هذا ، ولغيره ، تقدم الطليعـة هـذه الدراسة معتمدة على شهادات عدد من العلماء والباحثين ، وعلى دراسات عدد آخر منهم . وهى تطرح هذا ليكون أساسا لحوار واسـع ومفتوح ، ترحب فيه الطليعة ، بأن تتلقى كل رأى بناء ، وكل اقتراح عملى .

« الطلـيعة »







الاسئلة التى تمت على اساسها الشهادات الواقعية :

● السؤال الاول : ـ لماذا لم يحقق البحث العلمى رسالته فى مصر ؟ (الاسباب الرئيسية) ٠

●● السؤال الثانى :ـ الثورة العلمية والتكنولوجيه التى بدأت فى خمسينات هذا القرن ، وتميزت بمولد علوم جديدة ، وظهور أساليب ومناهج جديدة للبحث فى العلوم الطبيعية والانسانية ، ودفعت بالانتاج دفعات هائلة من حيث الكم والكيف ٠٠ هذه الثورة :أين تقف مصر منها ؟

●●● السؤال الثالث : ـ كيف يمكن وفى رأيكم ينظم البحث العلمى ليساهم فى حل قضايا القوميه (سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية) ؟

●●●● السؤال الرابع : ـ هل توجد بحوث علمية قابلة للتطبيق ولم يتم الاستفادة منها ٠ وما هو رأيكم فى التنظيم الامثل لربط العلم بالانتاج ؟

د٠ أحمد حسنين حشاد

استاذ مساعد بهيئة الطاقة الذرية

● عدم تعريف وتحديد المشاكل القومية والمصيرية من صناعية وزراعية واقتصادية وحربية أو عدم توجيه عناية الباحثين الى هذه المشاكل فرض عزلة على البحث العلمى ومؤسساته فى مصر تركت الباحثين بلاحيلة يخضعون لاهتماماتهم العلمية الشخصية فيما يقومون به من بحوث ويظهر ذلك واضحا فى عدم وجود توجيه أو الزام من قبل الدولة للباحثين يدفعهم لمواجهة التحديات العلمية التى ترتبط بحل هذه المشاكل ٠ ولهذا فلا عجب أن يتحول الباحثون الى الاهتمامات العالمية (وليست المحلية) كوسيلة الى اثبات الذات والنشر والترقية والشهرة والجوائز ٠٠ الخ ٠

ـ فى وقت من الاوقات كانت الدولة طموحة جدا ، فارادت التقدم فى كافة مجالات العلوم الحديثة والاساسية فأوفدت فى ذلك البعثات وانشأت المعامل ومراكز البحوث وأنفقت أموالا كثيرة ولكنها كدولة نامية ما كان فى مقدورها أن تستمر فى ذلك الانفاق دون أن تجد عائدا سريعا (وهو ما لا يحدث فى

البحث العلمى) فامسكت يدها وتعثر الجميع وتبعثرت الاموال التى أنفقت وتوقفت المعامل أو أوشكت وكان يجب على المسئولين عن البحث العلمى فى الخمسينات والستينات أن يضعوا استراتيجية طويلة المدى تهدف الى التركيز على مجالات محددة ترتبط بالمشاكل القومية ولا تتعرض للتغييرات التى تتعرض لها الحكومات أو كبار المسئولين وتكون ملزمة على مستوى القيادات التنفيذية ·

ـ فساد الجو العلمى ووجود تطلعات وصراعات عديدة شخصية واجتماعية وتغلغل المظهرية والبيروقراطية والروتين ·

ـ المستوى المادي للباحثين لا يقربهم حتى من مستوى الحياة الكريمة التى تليق بهم وتجعل أغلبهم فريسة مشاكل الحياة اليومية من مسكن وملبس ومأكل ومواصلات ·· الخ وبحيث لم يعد فى قدرتهم التفرغ والتركيز والتطوير والابداع · تصور بعضهم يسافر الى أسيوط أسبوعيا نظير انتداب لا يعود عليه بأكثر من عشرة جنيهات شهريا · رغم ضياع يومين من عمره وعلمه ويبرر ذلك ـ صادقا ـ بقسوة الحياة والتزاماته ·

●● هناك نواح عديدة فى هذه الثورة العلمية والتكنولوجية يستطيع العلماء المصريون أن يستفيدوا منها خاصة فى النواحى التطبيقية عن طريق نقل واقتباس ما يمكن تحقيقه فى مصر ولا يجب أن يخيفنا ذلك خاصة فى البداية كذلك يستطيع العلماء المصريون أن يدلوا بدلوهم فى التقدم العلمى العالمى وأن يسهموا فى ايجاد حلول صحيحة لمشاكلنا حيث يوجد بينهم كفايات علمية عالية لا تتوافر لاى بلد نام آخر فى العالم · اننا نفقد الكثير اذا حاولنا أن نكرر ما سبق للغير أن فعله بل يجب أن نستفيد من الثروة الهائلة الموجودة فى المراجع والدوريات والكتب والتقارير وبراءات الاختراع، وننقل أو نقتبس منها ما ينفع وطننا فى هذه المرحلة (يلاحظ أن معدل الاطلاع بين الباحثين المصريين ضعيف جداً) وفى نفس الوقت يمكن للبعض ممن أثبتوا أصالتهم العلمية أن يتفرغوا لحل المشاكل المحلية البحتة داخل اطار منظم ومن خلال توفير الظروف المناسبة التى تكفل النجاح ·

●●● هناك العديد من الدراسات الجادة التى جرت حول هذا الموضوع واذا كان لى أن أتحدث بصفة عامة فانى أرى أولا وقبل أى شىء ضرورة لتعريف وتحديد المشاكل القومية بواسطة الاكاديمية وطرحها أمام القاعدة العلمية وفتحها لمناقشات مستفيضة يشارك فيها كل من يريد من المختصين والخروج منها بقرارات موحدة عن أسلم الدراسات والبرامج والاولويات التى تكفل حل هذه المشاكل · هذه القرارات تكون ملزمة · ومهمة الاكاديمية بعد ذلك هو التنظيم والتنسيق بين الاشخاص أو الوزارات أو المراكز التى تحملت مسئولية هذه الدراسات ، ويا حبذا لو تم ذلك فى أطار سياسة العقود لانها ترتبط دائما باهداف محددة وتوقيت معين · ويأتى بعد ذلك مشكلة تمويل البحث العلمى وأرى أن تشكل لجنة خاصة لذلك لتأمين مصادر مستمرة لتمويل البحوث سواء من الحكومة أو الشركات أو الهيئات والاكتتابات أو المنظمات الدولية والبلاد الاجنبية الصديقة فاذا توفر المال يجب أن يصرف بوسائل سهلة وتحدد منه نسب ثابتة لتجهيز المعامل وشراء وصيانة الاجهزة والمكتبات ونسب أخرى لاعداد باحثين جدد ورفع مستوى الباحثين الحاليين باعداد زيارات دورية لهم فى الدول المتقدمة فى مجالاتهم وحضور المؤتمرات · ويجب الاننسى أن محورالبحث العلمى هو الباحث،وما لم نوفر له الحياة الكريمة والطمأنينة والاستقرار فاننا سنفقد ثروتنا الكبيرة من البحاث عن طريق الهجرة المباشرة أو المستترة ، أو عن طريق الغرق فى خضم الحياة ومشاكلها ·

د· فوزى حماد

استاذ هندسة الفلزات

المساعد بهيئة الطاقة الذرية

● قام العلماء الفرنسيون الذين جاءوا مع الحملة الفرنسية بأولّ دراسة علمية متكاملة عن مصر فى التاريخ الحديث · ولم تحظ مصر منذ ذلك التاريخ البعيد بدراسة مماثلة · وبالرغم من أن نابليون قد حمل معه منذ ما يقرب من قرنين من الزمان نظرة أوروبا الى البحث العلمى ودوره ، وقام بها عمليا ، الا أننا حتى الان لا زلنا نبحث عن دور للبحث العلمى يمكن أن يؤديه فى مصر · لقد أصبح البحث العلمى الان هو سمة العصر الاساسية · لقد تغلغل فى حياة الافراد والدول بشكل لم يسبق له مثيل بحيث أصبح القوة الرئيسية التى تقرر مصائر الافراد والشعوب والطريق الاساسى للتقدم ·

لقد أدركت الدول المتقدمة ـ سواء كان هذا التقدم صناعيا أو اجتماعيا ـ هذه الحقيقة ، ولذا فقد بذلت جهدا كبيرا فى سبيل وضــع ســـياسة أو استراتيجية علمية تحقق أهدافها العظمى ، ثم خلقت التنظيم الادارى اللازم لتنفيذ هذه السياسة ومتابعتها ، وقامت بتمويلها التمويل الكافى ·

أما فى مصر فرغم حديثنا المستمر عن أهمية العلم ، الا أن حركة البحث العلمى الناشئة تعيش على هامش الحياة المصرية ولا تقوم بدور أساسى فيها ، ليست لها سياسة طويلة الاجل ، ولا تتمتع بدعم مالى معقول · كما أنها عانت كثيرا من التنظيمات الادارية المختلفة وتقلباتها ، من المجلس الاعلى للعلوم ، الى وزارة البحث العلمى الاولى ، الى مجلس دعم البحوث ، الى وزارة البحث العلمى الثانية ، ثم أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا الحالية ، كل هذا فى أقل من عشرين عاما ·

وفى هذا الجو نمت الحركة العلمية المصرية بطريقة غير مخططة وفق تصورات وجهود فردية ، ولم يكن أمامها سوى النمط الجامعى تحتذيه ، فركزت نشاطها نحو الابحاث التى تؤدى الى منح الدرجات العلمية كالماجستير والدكتوراه · وتأثر اختيار مواضيع الابحاث بما كان يقوم به الباحث العلمى فى الخارج أثناء البعثة · ولقد ساهم هذا الاتجاه الى حد ما فى سد النقص فى هيئات التدريس بالجامعات ·

فضلا عن هذا ، فالحركة العلمية فى مصر تعانى من مشاكل أخرى عديدة أهمها عدم وجود العدد الكافى من القيادات العلمية القادرة التى يمكن أن تنمو حولها مدارس علمية أو بحثية ، ثم غيبة المناخ العلمى الصحى ، مناخ الجدل وتبادل الافكار والتعاون ، وبغير هذا المناخ لا يمكن للبحث العلمى الحقيقى أن ينمو نموا مطردا وطبيعيا ·

ثم هناك مشاكل الروتين واجراءاته المعقدة والبطيئة ثم مشاكل تشغيل وصيانة الاجهزة العلمية والنقص الخطير فى الفنيين اللازمين لذلك ، وعدم كفاءة الاجهزة الادارية المعاونة · كل هذا يستهلك القدرات الخلاقة للباحث العلمى الذى يرغب فى العمل ان لم يهلكه ·

أما الباحث العلمى كانسان ، فله مشاكله ، فهو لا يتمتع بنظام للرعاية

الصحية ، ويعانى من المشاكل المادية التى يفرضها نمط الحياة المصرية المعاصر ، ويواجه فى نفس الوقت اغراء الاعارةالمادى الى الدول العربية · كما أنه يشعر أن مشاكله لا تتمتع بالاهتمام الكافى ، ومثلا لذلك ، أن كادر الجامعات الجديد لم يطبق حتى الان على الباحثين العلميين الذين لا يزالون يعاملون بقانون يستند الى قانون الجامعات القديم والذى تم الغاؤه · كل هذا لا يتيح الاستقرار النفسى وهو عامل أساسى من عوامل تقدم البحث العلمى ·

● ● كل هذه العوامل ساهمت فى تعطيل نمو الحركة العلمية فى مصر ، وجعلتها تقصر عن اداء رسالتها ، وأصبح الان أمامنا هوة سحيقة بيننا وبين الثورة العلمية والتكنولوجية التى بدأت فى الخمسينات ، صحيح أن هناك علماء مصريين على بينة من أبعاد هذه الثورة الفائقة وأساليبها ومناهجها ، ولكن هذا شىء وحركة البحث العلمى شىء آخر ، وأبرز ملامح هذه الهوة الحضارية ما يلى :

١ ـ لقد أصبح الاسلوب العلمى فى التفكير ، واتخاذ القرار والتنفيذ هـو أسلوب حياةومنهاج فى سائر بقاع العالم المتقدم · غير أن النظرة السائدة للبحث العلمى فى مصر أنه وسيلة كسب عيش وأن أثره محدود لا يتجاوز جدران المعامل التى يتم فيها ، وعلى هذا فان المجتمعات المتقدمة تقدر دور العلم وماذا يمكنأن يقدمه لها ، ولقد تطور تدريسالعلوم باستمرار مما يؤكد هذه الحقيقة ، أما فى مجتمعنا فليست هناك رؤيا حقيقية لما يمكن أن يقدمه ألعلم ·

٢ ـ أن الدول المتقدمة تخصص نسبة من دخلها القومى تبلغ ٣ـ٤ فى المائة فى بعض الاحيان للانفاق على البحث العلمى ·

٣ ـ ان الثورة العلمية هى ثورة مستمرة ومتطورة ، تأتى دائما بالجديد سواء فى مجال العلم النظرى أو العلمى التطبيقى ، وذلك نتيجة الارتباط المستمر بينها وبين المجتمع ·

٤ ـ ان التقدم العسكرى والصناعى والحاجة الى منتجات جديدة باستمرار يدفع البحث العلمى والتطوير بسرعة هائلة الى الامام وذلك سواء فى معامل الهيئات الانتاجية أو العسكرية أو معـــامل المراكز العلميـــة والجامعات · ولكن الصناعة المصرية لم تصل بعد الى هذه المرحلة مما يضعف ارتباطها بالبحث العلمى ·

اذن هناك فجوة بيننا وبين العالم ، والخروج من هذا الوضع يحتاج الى مجهود جبار ومنظم حتى يمكن أن نقف على أعتاب تطور مطرد ومنتظم ·

● ● ● ان قضية تنظيم البحثالعلمى وربطه بالانتاج هى قضيةقديمة ، وقد قدمت مشاريع عديدة حول هذا الموضوع ، ومما لا شك فيه أن ملفات الاكاديمية تضم هذه المشاريع العديدة ولا داعى لتقديم مشروع جديد، غير أن هناك أمورا أساسية يجب أن تؤخذ فى الاعتبار بهذا الخصوص :

١ ـ أننا لا نستطيع ولا يمكن أن نتخصص وأن نجرى أبحاثا فى كل الاتجاهات العلمية ، ولذا فيجب التركيز على اتجاهات معينة تـرتبط بالاقتصاد القومى ·

٢ ـ يجب تحديد هذه الاتجاهات على شكل مشاريعبحثية محددة مدروسة بدقة ولها هدف معين ، بحيث تعطى عائدا محسوسا فى فترة محددة ، ثم يرصد لها التمويل الكافى ويجب متابعتها باستمرار · ولاشك أن اختيار هذه المشروعاتعملية دقيقة ، ذلك لان نجاح هذه المشروعات ،خاصة

من الناحية الاقتصادية ، سوف تغير كثيرا من النظرة السائدة الى العلم وسوف تضع قاعدة أساسية لتطور البحث العلمي فى مصر وربطه بالانتاج ٠ ولقد بدأت الصين تطورها العلمى باختيار دقيق ومحدد لعدد من المشروعات ٠

٣ ـ يجب انشاء روابط قوية بين مراكز البحث العلمى ومواقع الانتاج ، وذلك بأن تشترك مراكز البحوث في الاشراف على معامل بحوث المنشأة أو التى تنشأ فى مواقع الانتاج ، كما أنه يجب أن يقضى العلماء مدة معينة فى كل فترة من فترات نشاطهم العلمى (أى سنة مثلا كل أربعة سنوات) فى المعامل الموجودة بالمصانع للمساهمة فى حل المشاكل اليومية للانتاج ،ولنشر الاسلوب العلمى فى اتخاذ القرارات ولتوجيه البحوث فى هذه المراكز ولاستيعاب مشاكل الانتاج المختلفة الذى يحولها بدوره الى مشاريعبحثية طويلة الاجل تجرى فى مراكز البحوث ٠

٤ ـ يجب أن يعدل نظام الترقية بحيث يدخل فى الاعتبار عند التقييم الخبرات الانتاجية والمساهمة فى حل المشاكل القومية ٠ كما يجب أن تحدد مستويات علمية معينة يرتفع مستواها باستمرار لا تسمح بالترقى الى المستويات القيادية الا للكفاءات العلمية الممتازة ٠

٥ ـ يجب أن يكون هناك تنسيق ولقاءات وندوات مستمرة بين العلماء فى المجالات المتشابهة وبينهم وبين العاملين فى مجـــالات الانتاج ٠

٦ ـ أن تحل مشاكل النقص فى المكتبات والوثائق العلمية بالاشتراك فى نظام عالمى للاعلام والتوثيق ٠

د٠ محمد سامى عفيفى

مدير مركز التدريب والتعليم

بمعهد التخطيط القومى

● لم يحقق البحث العلمى رسالته فى مصر وذلك للاسباب الاتية :

■ عدم التنسيق والترابط بين مراكز البحث العلمى ، سواء فى الجامعات والمعاهد العليا أو مراكز البحث العلمى المستقلة وبين مراكز الانتاج من ناحية اخرى ٠ وكان من نتيجة هذا ان مراكز الانتاج لا تدرى شيئا عن نتائج البحوث العلمية التى تم التوصل اليها فىمجال عملها ، وبالتالى عدم امكانية الاستفادة منها ٠

■ عدم التنسيق بين أجهزة البحث العلمى المختلفة سواء المستقل منها أو تلك المتواجدة فى الجامعات ٠ وبالتالى ، ما يمكن أن يصحب ذلك من احتمال التكرار مما يسبب خسائر فى الوقت والجهد والمال ٠

■ معظم الباحثين اساتذة فى الجامعات ، ومن المعروف ان للجامعة وظائف ثلاث هى :

أ ـ التدريس ب ـ البحث جـ ـ الرعاية

ونظرا لزيادة اعداد الطلبة بالجامعات زيادة مخيفة ، ونظرا للمتطلعات المالية لاساتذة الجامعات مما يضطرهم الى البحث عن المزيد من فرص التدريس .

نظرا لهذين السببين ، نجد أن وظيفة التدريس قد طغت على وظيفتى البحث والرعاية فلم يعد لدى الاساتذة الوقت الكافى للمكتبات والمعامل والتأليف الخلاق ، ولم يعد لديهم الوقت الكافى لرعاية طلبتهم وتوثيق العلاقة معهم .

وقد حاولت بعض الجامعات الامريكية الفصل بين وظيفة التدريس ووظيفة البحث الا أن هذا الاتجاه لم يلق قبولا شديدا لا من العاملين فى البحث ولا من العاملين فى التدريس .

■ عدم الاخذ بالاتجاهات الحديثة فى المناهج الدراسية بالكليات العلمية فى الخارج . فلقد زاد التخصص زيادة مفرطة ، ورغم ان التخصص هو الرعاية الاولى للعلوم الحديثة والثورة الصناعية الا انه ثبت أخيرا ان الباحث الى جانب تخصصه الدقيق لابد أن يكون ملما بالجوانب الاخرى المتصلة بتخصصه . ولقد شهدت الحقبة الاخيرة ظهور علوم مولده من أكثر من علم مثل Biochemistry الاقتصاد الزراعى ، الاقتصاد التجارى ، علم النفس الصناعى ، علم النفس الاجتماعى .. الخ .

هذه امثلة فقط عن التزاوج بين العلوم المختلفة .

وعلى سبيل المثال ايضا ، فانه نظرا لتعقد الاجهزة العلمية التى يستخدمها الاطباء أصبح من المحتم ان يكون الطبيب ملما بتلك الاجهزة الماما يمنعه من الاستخدام الخاطىء .

ولذلك فان علم السوبرناطيقا وهو أحدث علم انضم لمجموعة العلوم حتى الان ـ احدى وظائفه الاساسية هى السيطرة على المعلومات المتباينة .

ولقد ادرك نظام التعليم الامريكى هذا المقصود ، فقد ذكر واحد من الذين أرخوا للتعليم الامريكى أن المهندس لم يعد يعلم شيئا عن العلوم الانسانية ، والطبيب لم يعد يعرف شيئا عن الهندسة ـ وهذا موقف فى غاية الخطورة لان التخصص المطلق ليس له وجود الا على الورق ، اما الظواهر الاجتماعية والطبيعية ، فان علوما مختلفة تشترك معا فى تفسيرها او تحليلها .

وقد حل نظام التعليم الامريكى هذا القصور باتخاذ الخطوات التالية :

١ ـ التوسع فى انشاء الكليات التى تعرف باسم Liberalarts College الكليات يدرس الطالب التاريخ والجغرافيا والفلسفة والاجتماع جنبا الى جنب مع الرياضة والكيمياء والطبيعة .. الخ .

أما التخصص الدقيق ـ وهو أمر مهم ولازم ـ فلا يأتى الا فى مرحلة الدراسات العليا وفى يقينى أن هذا النظام يحقق ميزتين :

ـ القضاء على الغرور المصحوب بالغباء الذى يتمتع به بعض المغرقين فى التخصص بحيث يعميهم اعتمادهم بتخصصهم عن رؤية الجوانب الاخرى للظاهرة فنجد الاطباء يحتقرون رأى المهندسين ، وبدورهم يحتقرون دور العالم الاجتماعى او النفسانى الخ .. فى حين أن العمل الواحد لا يمكن ان ينجزه متخصص واحد ايا كان فرع تخصصه ، فتصميم مستشفى فى حاجة الى دراية بالهندسة المعمارية والى تفهم لوظائف الطبيب والاحتياجات الصحية وتعامل طبيب مع فلاحى القرى يحتم عليه معرفته بالظواهر الاجتماعية السائدة والعادات والتقاليد .. الخ .

ـ امكانية تطبيق النتائج العلمية فى مجالات الحياة المختلفة •

٢ ـ البوليتقنيات Polytechnics

(وهو نوع من الجامعات من الممكن ترجمته ترجمة تقريبية باسم جامعة العلوم التكنولوجية) •

وهذا النظام بدأ العمل به فى أمريكا وبريطانيا وتركيا •

وفى هذه البوليتقنيات لا تقسم العلوم تقسيما نظريا مثل : الرياضة ، الكيمياء الطبيعية •• الخ • وانما يتخصص الطالب فى (شىء ما) فى (اختراع ما) فى (ظاهرة ما) سواء كان ما يتصل بها كيمياء أم طبيعة ام رياضة •• الخ •

مثال :

دارس يتخصص فى التليفزيون مثلا فيدرس المواد الاتية : كل المواد المتصلة بالتليفزيون • الكهرباء واتصالها بالتليفزيون ـ الصوت مع تطبيق على التليفزيون ـ الضوء مع تطبيق على التليفزيون ـ الحرارة مع تطبيق على التليفزيون ـ التأثير النفسى للتليفزيون ـ التليفزيون والاطفال ـ التليفزيون كوسيلة اعلامية ـ فلسفة وسائل الاتصال والتليفزيون ـ الاداب التليفزيونى ـ الاخراج التليفزيونى ـ صناعة التليفزيون •• الخ •

اى كل ما يتصل بالتليفزيون من علوم او الجوانب المختلفة من كل العلوم التى يمكن تطبيقها فى مجال التليفزيون •

■ فيض المعلومات أو كثرتها حتى أننا أصبحنا فى عصر يمكن ان نطلق عليه اسم عصر انفجار المعلومات وليس لدينا فى مصر الادوات اللازمة لمتابعة المعلومات الجديدة اولا بأول عن طريق الدوريات الحديثة وضرورة وصولها مبكرا وغرف البيانات ، وقصور خزن واسترجاع المعلومات ونقص الادوات البيليوجرافية ، وفساد فهارس المكتبات •• الخ •

كل ذلك يجعلنا عاجزين عن ملاحقة التطورات الرهيبة فى مجال العلم والتكنولوجيا •

●● الثورة العلمية والتكنولوجية التى بدأت فى خمسينات هذا القرن ، وتميزت بمولد علوم جديدة وظهور أساليب ومناهج جديدة للبحث فى العلوم الطبيعية والانسانية ، ودفعت بالانتاج دفعات هائلة من حيث الكم والكيف •• هذه الثورة :

١ ـ فى حاجة الى استخدام الادوات الحديثة فى خزن واسترجاع المعلومات وتطوير الوسائل التقليدية (فهارس ، المستخلصات ، البيلوجرافيات) واستخدام الادوات الحديثة (الاجهزة الحاسبة الالية) وتيسير استخداماتها ، الميكروفيلم •• الخ ••

٢ ـ فى حاجة الى ربط العلم بالانتاج حتى لا يكون العلم فى واد والانتاج فى واد آخر •

٣ ـ تطوير المناهج والمقررات والانفتاح على تجارب العالم التعليمية والتى اشرت لبعضها فى اجابتى عن السؤال الاول •

●●● بتلافى المعوقات المذكورة فى اجابتى عن السؤال الاول وباتخاذ التنظيم الامثل المذكور فى اجابتى عن السؤال الرابع •

●●●● نعم •• والتنظيم الامثل لربط العلم بالانتاج :

أ ـ ان يكون لاكاديمية البحث العلمى سلطة فى التنسيق بين الباحثين فى

وحدات البحوث المختلفة سواء في الجامعات او غيرها تلافيا للتكرار •
(ومن الممكن ان يتم ذلك بناء على تشريع) •

ب - ان تتولى الاكاديمية اعلام مراكز الانتاج المختلفة بالبحوث التى تتم فى مجالها وذلك بصفة دورية •

ج - ان تتولى جهة اخرى ، ولتكن معهد التخطيط القومى دراسة امكانية تطبيق بحث او آخر فى مركز انتاجى معين - فاذا كانت النتيجة بالايجاب يكون هناك تشريع حاسم وواضح بالتنفيذ الفورى واهمية هذا التشريع ترجع للاسباب الاتية :

- الركون للقديم ، فعدد كبير من المسئولين فى مراكز الانتاج يميلون الى الاساليب والطرائق التى مارسوها طويلا وعايشوها ، رغم وجود ما هو أفضل منها •

- الاسباب الشخصية التى لم نبرأ منها بعد فى شرقنا العربى •

د - وضع بند فى ميزانية الدولة ، وليكن اسمه بند تطبيق البحوث الجديدة ليكون فى وزارة الخزانة - تحت الطلب السريع ، تلافيا للروتين وتخطيا لعبارة (البند لا يسمح) تلك العبارة التى تقيد كل فكرة جديدة وتحطم كل مشروع •

هـ - فرض نسبة من العائد من قطاعات الانتاج وتخصيصها للبحث العلمى فى مجال الانتاج - واذا علمنا ان التجربة الهولندية تجعل البحوث والتنمية فى مجال الانتاج تقع كلها على عاتق المؤسسات الصناعية - فاننا فى هذه الحالة لا نستكثر فرض ضريبة على قطاعات الانتاج تخصص للبحث العلمى •

د• كامل حسن امبابى

استاذ مساعد بالمركز القومى للبحوث

معمل الحراريات ومواد البناء

● اذا كان الحديث عن البحث العلمى فهناك نوعان من البحث يجب عدم الخلط بينهما وهما البحث الاكاديمى ، وهو ما تقوم به الجامعات ، والبحث التطبيقى وهو دور مراكز ومعامل البحوث واعتقد أن الجامعات بما توفر لها من امكانيات نجحت الى حد كبير فى تحقيق البحث الاكاديمى ، أما البحث التطبيقى فلابد من ارتباطه بخطة محددة تنبع أساسا من احتياجات المجتمع وتهدف الى خدمة واداء متطلباته من تطوير فى الانتاج وتحسين مستواه وخلافه •• واذا كان هناك قصور فى هذا المجال فمرجعه الى عدم وجود الرابطة القوية بين العاملين بالصناعة وزملائهم بالبحوث بالاضافة الى الروتين العتيق الذى يقتل الامكانيات اذا وجدت •

●● لا يمكن القول بأن الباحث المصرى أقل مستوى من غيره فى البلدان الاخرى وخاصة الدول المتقدمة والدليل على ذلك ما أحرزه الكثير من الشباب الذين يعملون فى مجالات البحوث بالخارج وان دل هذا على شىء فانما يدل على ما يحتاج الباحث المصرى الى المناخ العلمى الملائم ،فانه ككل الكائنات الحية يلزمه الوسط المناسب حتى ينمو ويزدهر ، لذلك لا يمكن الحكم

الصحيح على البحث العلمي أو الباحث المصرى وهما يقاسيان مما هما فيه من مشاكل اقتصادية واجتماعية وانسانية كما أنه لا يفوتنى أن البحث لا يأتى ثماره الا اذا كان هواية وليس حرفة أو وظيفة • وربما يكون مناسبا لو أمكن اختيار ممن يعملون فى هذا المجال اختيارا سليما أولا ثم اتاحة الامكانيات اللازمة لهم فانهم مما لا شك فيه سوف يحققون نجاحا كبيرا •

● ● ● لكى يساهم البحث العلمى فى حل القضايا القومية فانه يحتاج أولا الى استقرار ثم يمضى فى طريقه ونحاول أن نستفيد من الخطأ والصواب دون المساس بمبادئه الاساسية •

● ● ● ● مما لا شك فيه أن هناك بحوثا كثيرة يمكن الاستفادة منها فى التطبيق ولكنها تحتاج لمن يأخذ بها الى حيز الوجود ولعل الطريق الذى نهجه المركز القومى للبحوث أخيرا بانشاء مجالس بحوث الصناعات المختلفة هو الخطوة السليمة نحو تحقيق الربط بين البحث والانتاج والانتقال بالتجارب المعملية الى النطاق الصناعى والتطبيقى •

د• عصام الدين الحناوى

الاستاذ الباحث المساعد
بالمركز القومى للبحوث

● ان البحث العلمى لم يحقق أهدافه فى مصر حتى اليوم لعدد كبير من الاسباب لعل أهمها هو عدم وجود مفهوم واسع متطور لمعنى البحث العلمى : فالبحث العلمى ليس مجرد شعارات ، انما هو عمل جاد يتوقف على الخبرة المتطورة وعلى رؤية المستقبل والاحساس به Prediction • ومنذ بداية حركة البحث العلمى فى مصر فى أوائل الخمسينات تعرض البحث العلمى لموجات عديدة من التغيير واعادة التنظيم مما أدى الى خلق جو دائم من حالة عدم الاستقرار وكان ذلك أحد الاسباب فى فشل البحث العلمى فى تحقيق رسالته فى مصر ، والانطلاق الى تبنى البحث العلمى فى العالم العربى وأفريقيا • كما لا يجب أن يخفى علينا سببا آخر على جانب كبير من الاهمية الا وهو عملية « وصاية » الاجيال فهناك جيل أخذ دوره فى البناء وكان يتحتم عليه أن يفسح الطريق لجيل الشباب ـ وهو الشباب الذى قامت ثورة مصر بايفاده فى مئات البعثات والمنح الدراسية الى العالم الخارجى لكى يتعلم ويرى ويعود ليخدم وطنه ـ هذا الشباب أصبح الان جيلا ممزقا يهتز بين نظم وتقاليد بالية فى البحث العلمى وبين ما شاهده من تطور علمى وتكنولوجى فى مجتمع خارجى يتطور بسرعة مذهلة •

● ● ان البحث العلمى فى مصر يقف بعيدا كل البعد عن الثورة العلمية والتكنولوجية التى بدأت تتفجر فى العالم منذ الخمسينات • ان فى مصر مئات من الشباب العلميين الذين لو أتيحت لهم الفرص وتوفرت لديهم الامكانيات لوصلوا بالبحث العلمى الى أرفع مستوى عالمى ونظرة واحدة الى مدى نجاح عشرات الشبان الذين يعملون فى الخارج لتؤكد لنا هذا • ان صراع الاجيال الموجود فى البحث العلمى هو السبب الرئيسى المعوق لكل تقدم ولقد أصبح هذا الصراع جزءا من الحياة اليومية لكبار البحاث !

ولنسأل أنفسنا كم من كبار البحاث فى مصر يعمل بيده فى معمله وكم يوما فى العام يقضيها أمام الاجهزة العلمية أو فى مكتبة علمية ؟!

●●● ان تنظيم البحث العلمى فى مصر لا يحتاج الى مجهود بقدر ما يحتاج الى حسن النية والوطنية فأى تنظيم جاء حتى اليوم انما جاء ليخدم مصالح أفراد قبل أن يخدم مصالح الوطن • ان تنظيم البحث العلمى يجب أن يكون أساسه هو العلم والعمل وليس اللجان والمجالس والوصاية ــ ليكن شعار تنظيم البحث العلمى هو : اعطوا المسئولية لشباب الباحثين وأمنحوا ثقتكم وحاسبوا لكى يكون هناك جزاء للعمل الناجح وعقاب للاستهتار والاهمال فالمصلحة هنا هى مصلحة وطن وليست مصلحة فرد أو أفراد • ان تنظيم البحث العلمى يجب أن يتركز على « تكنولوجيا الضرورة » بدلا من التخبط فى حالة « انعدام للوزن » • ان ذلك يتطلب منا التركيز على مجالات معينة من البحث العلمى ــ وليس معنى ذلك اهمال باقى المجالات ــ ولكن يجب أن يكون هناك « تركيزا » وعملية تخطيط سليمة على المدى البعيد • والتخطيط الناجح لا يعتمد على تفتيت البحث العلمى فى صورة معاهد بحثية • فنحن دولة فقيرة لا نستطيع بناء عشرات من المعاهد وتجهيزها ــ وانما التخطيط الناجح يعتمد أساسا على التركيز العلمى السليم • وهناك أمثلة كثيرة فى العالم النامى والمتقدم لمعامل لا تتجاوز الثلاث حجرات ساهمت بأبحاثها فى تطور العلم والتكنولوجيا سواء على المستوى المحلى أو المستوى العالمى ونجاح المعمل ومقدرته ليس فى حجمه وانما فى كفاءته •

●●● ان « تكنولوجيا الضرورة » فى مصر تحبو ولا تستطيع الوقوف على قدميها بالرغم من مرور أكثر من خمسة عشر عاما كاملة على انشاء المؤسسات العلمية الرئيسية فى مصر وهذا نتيجة للاسباب المذكورة عاليه • ان هناك مجهودات بذلت فى سبيل ايجاد حلول علمية لبعض مشاكل الانتاج ، وهناك بحوث « تطبيقية » اجتهادية ظهرت الى حيز الوجود ولكن .. ما هو مستوى هذه البحوث ؟! هل تتمشى مع التطور العالمى للصناعة ؟ هل لدينا مجموعة من الخبراء الذين يستطيعون ــ بحق ــ فك الكثير من شفرات الصناعة العالمية ونقل الــ Know How الى مصر ؟! .. وهناك عدد آخر كبير من الاسئلة فى هذا الصدد ...

اننا لا نستطيع التحدث ــ مجرد الحديث ــ عن ربط العلم بالانتاج قبل الاجابة على هذه الاسئلة وقبل ازالة الحواجز الموجودة بين رجال الانتاج ورجال البحث العلمى •

وأخيرا فاننى لا أجد تعبيرا أدق وأوقع من تعبير الاستاذ الدكتور محمود فوزى نائب رئيس الجمهورية حينما قال « ان مجرد التفكير فيما يدور من تقدم علمى وتكنولوجى فى العالم الخارجى لكفيل بأن يؤرقنى ويزيل النوم من عينى » •

د• أحمد عادل عبد العظيم

استاذ باحث مساعد
بالمركز القومى للبحوث

● لم يبدأ الاهتمام بالبحث العلمى على نطاق واسع ، وأعنى بالذات المركز القومى للبحوث والطاقة الذرية وهما أهم مركزين للبحث العلمى فى مصر ، الا منذ أقل من عشرين سنة ، وهى فترة وجيزة جدا اذا قورنت بالبلاد الاخرى العريقة فى هذا المضمار ، أى أن البحث العلمى فى مصر لم يتعد مرحلة الطفولة الا منذ قليل • واذا اعتبرنا أن الفترة الماضية قد

استغلت فى اعدادطاقة علمية تكفى لتغطية بعض المجالات ،فيمكننا أن نقول أن السؤال الاول بصورته هذه ينطوى على شيء من التجنى ، لان الطاقة العلمية قد تم توليدها فعلا فى الـ ٢٠ سنة الماضية وحان الان الوقت لتوجيهها واستغلالها الاستغلال الصحيح (أنظر اجابة السؤال الثالث) ويجب ألا ننسى أن المتطلبات الاخرى فى الدول النامية تفرض قيودا تحد من انطلاق البحث العلمى بمعدل يقارب معدل انطلاقته فى البلاد الكبيرة ٠

●●● أ - تغيير جذرى فى اعداد التلميذ أو طالب الجامعة بحيث لا يتحول الى صندوق لتعبئة معلومات لا يحس بها ولا تسهم فى بناء شخصيته ، وانما يجب أن تتولد عنده الرغبة فى تحصيل المعلومات بنفسه عن طريق التجريب واعمال الفكر لا الذاكرة والاستظهار ٠

ب - يجب أن يتجه الاهتمام الى نوعية الباحثين لا عددهم ، أى أن التوسع يجب أن يتجه الى الكيف لا الكم فى العمق لا السطح ٠ المرتبات وحدها لا تقيم بحثا علميا ، وانما معدات البحث الحديثة المتطورة والمكتبة الوافية والاجازات الدراسية والزيارات المتبادلة والمؤتمرات ، أى الاحتكاك المستمر ، وبذلك لا تكون الزيادة العددية على حساب الكفاءة ٠

جـ - أن يكون البحث موجها الى الموضوعات ذات الاولوية الاولى وبطريقة الفريق ٠

●●●● أن يكون القائمون على اجهزة الانتاج على دراية وفهم عميق لدور البحث العلمى حتى يمكنهم :

أ - تحديد مراحل الصناعة التى تحتاج - أكثر من غيرها - الى بحوث لتطويرها ٠

ب - تحديد المواد المستوردة التى يمكن الاستغناء عنها بعد أن يوجد البحث العلمى بديل لها ، أى أن مسئولية الربط تقع أولا على عاتق رجال الصناعة أو على عاتق لجان ضم ممثلين للصناعة والبحث العلمى ٠ وقد تم بالفعل تكوين هذه المجالس وبقى أن تؤدى دروسا بطريقة مرضية ٠

د٠ أحمد رضا عبد المولى

مدرس بكلية الهندسة
جامعة القاهرة

● ١ - عدم توفر الامكانيات المادية والمعملية والدوريات والمجلات العلمية ٠

٢ - انشغال أعضاء هيئة التدريس بالجامعات بالتدريس لمرحلة حتى البكالوريوس أو الليسانس وعدم تفرغ الاساتذة من ذوى الخبرة للاشراف الفعلى على البحث العلمى ٠

٣ - عدم وجود ترابط بين الجهات المعنية بالبحث العلمى بمصر (أكاديمية البحث العلمى - مراكز البحوث - الجامعات والمعاهد العليا) ، علاوة على عدم وجود ميزانية للبحث العلمى بالاكاديمية (*)

٤ ـ عدم وجود خطة متكاملة وموقوته بجدول زمنى معين للتطبيق فى جهات البحث العلمى المختلفة ٠

٥ ـ سوء توزيع الامكانيات البشرية والامكانيات المعملية بالجهات المختلفة المعنية بالبحث العلمى (على سبيل المثال : تكدس رجال البحث في بعض المراكز مع قلة الامكانيات والعكس) ٠

٦ ـ تعدد جهات البحث ذات التخصص الواحد ٠

●● البحث العلمى فى مصر يقف للاسف بعيدا عن الثورة العلمية والتكنولوجية الحديثة للاسباب السابقة الذكر ، أما عن الباحثين العلميين فى مصر ، فهناك البعض ممن يقف قريبا منها كنتيجة طبيعية لمجهوداتهم الذاتية ٠

●●● الاقتراحات :

١ ـ تعضيدأكاديمية البحث العلمى المصرية ادبيا وماديا وفنيا (اعطاء الفرصة للشباب من رجال البحث العلمى) مع اعطائها الصلاحيات الكاملة كسلطة عليا مسئولة عن البحث العلمى فى مصر ، تخطيطا ومتابعة ٠

٢ ـ اقرار خطة (خمسية او عشرية) للمشاكل القومية واعطائها اولوية ومتابعة تنفيذها لدى مجموعات البحث المختلفة فى مراكز البحوث والتجمعات العلمية ٠

٣ ـ توفير الامكانيات المادية والمكتبية (كتب ومجلات ودوريات) بانشاء مكتبة مركزية علمية حديثة ٠

٤ ـ اعادة توزيع رجال البحث العلمى المتخصصين على جهات البحث المختلفة حسب تخصصاتهم ، وحسب خطة مدروسة للاستفادة منهم الاستفادة الممكنة مع توفير سبل الدخل المناسب لهم ٠

٥ ـ تسهيل التبادل العلمى مع البلاد المتقدمة ، وتشجيع رجال البحث على حضور المؤتمرات المختلفة ومتابعتها دون تبرير بأعذار مادية وخلافه ٠

●●●● بالتمثيل السليم لرجال البحث العلمى فى أكاديمية البحث العلمى واقرار خطة البحث حسب الاولويات المطلوبة (مشاكل الصناعة ٠٠٠) ٠

د٠ دسوقى الجيلانى

كلية الهندسة

جامعة الازهر

● ١ ـ قلة الاعتمادات المالية (ويتبع هذا قلة الاجهزة والمواد والمراجع)

٢ ـ سوء التخطيط وعدم ربط مراكز البحث بمشاكل الصناعة والزراعة

٣ ـ عدم ايمان من بعض كبار المسئولين بالبحث العلمى

٤ ـ نسبة كبيرة من الميزانيات الضعيفة المخصصة للبحث العلمى تنفق على الشئون الادارية

٥ ـ عدم اعطاء مراكز البحوث والجامعات الحرية الكافية لشراء ما يلزمها من أجهزة ومعدات وعدم تخصيص نسبة من النقد الاجنبى لسد احتياجاتها ٠

●● فى رأيى انه لا يمكن فصل مراكز البحوث والجامعات عن

المجتمعات التى تخدمها وحيث أن مجتمعنا متخلف ـ فمراكز البحث العلمى والجامعات هى بالضرورة متخلفة ككل عن ركب الثورة العلميـة والتكنولوجية ـ وابادر بالقول انه يوجد افراد علميون ممتازون فى مصر فى تخصصات شتى واثبتوا كفاءات علمية عالية ٠٠ ولكن هؤلاء لا يستفاد من خبراتهم الاستفادة المثلى ـ كما انه يجب ان ينظر اليهم كأفراد فقط،اى انهم لا يعكسون ظروف الجامعات والمراكز التى يعملون بها ٠

●●● ١ ـ عمل خطة عامة للدولة للبحوث العلمية
٢ ـ عدم تنفيذ اى مشروع الا بعد دراسته علميا دراسة وافية
٣ ـ اعتماد ميزانية خاصة لاستيراد المراجع والنشرات العلمية والاجهزة
٤ ـ اشتراك ممثلى مصر فى المؤتمرات العلمية العالمية
٥ ـ تخصيص نسبة ١ فى المائة من الدخل القومى للبحث العلمى

●●●● ليس من الميسور لى أن اجيب على هذا السؤال اجابة شاملة ولكن فقط فى مجال تخصصى ، ولذا فسوف اعيد صياغة هذا السؤال :
هل يوجد بحوث علمية قابلة للتطبيق فى مجال تخصصك ؟

قامت ابحاث عديدة فى مجال صناعة التعدين والبترول والفلزات ، كثير منها صالح للتطبيق العملى ، أما بحالته ، او بعد اجراء اختبارات نصف صناعية عليه ، هذا وليس المجال هنا لتفصيل هذه الابحاث ولكن اذا قدر لهذه الابحاث ان يجرى عليها الاختبارات الضرورية ٠ ثم تطبق صناعيا لساهمت مساهمة فعالة واكيدة فى زيادة الدخل القومى ٠

د٠ محب حسنين
كلية الهندسة
جامعة الازهـر

● تعذر الحصول بسهولة على الخدمات التى تساعد على اتمام البحث العلمى بطريقة صحيحة وهى :

ا ـ المكتبة التى تحتوى على أحدث البحوث والدوريات والكتب ٠

ب ـ المعمل المجهز بأحدث المعدات العلمية ٠

جـ ـ وسائل تصوير وطبع البحوث ٠

●● يقف باحثونا العلميون من الثورة العلمية والتكنولوجية التى بدأت فى خمسينات هذا القرن ، الموقف التى وضعتهم فيه امكانياتهم المتاحة ٠

فهم دائما يعملون بجد اذا توافرت لهم الظروف المناسبة للبحث العلمى ولذلك نسمع كثيرا عن العاملين منهم فى الدول المتقدمة وكذلك نقرأ ابحاثهم ويعترف بمجهودهم العدو والصديق ٠

●●● فى رايى أن أهم وسيلة لتنظيم البحث العلمى هى تجميع كل من يعملون فى حقل واحد فى مكان واحد بحيث يسهل عليهم الاتصال بعضهم ببعض واستطاعتهم ممارسة النقد العلمى الهادف الذى سيكون له أثر كبير فى نهضة البحوث العلمية ٠

●●●● عمل خطة قومية عربية تجمع بين البحوث المطلوبة للصناعة على مستوى الدولة ، او على مستوى دول الاتحاد ، ويتم تنفيذها ومساءلة القائمين بالتنفيذ ٠

د. محمد رضـا محرم
هندسة الازهر

● لم يحقق البحث العلمى رسالته فى مصر للاسباب الرئيسية التالية :

١ ـ عدم توحيد جهات البحث العلمى .

٢ ـ عدم الربط بين مراكز البحث العلمى والصناعة ـ وعدم الزام المؤسسات الصناعية بتوجيه مشاكلها الى مراكز البحث العلمى المحلى بدلا من تكليف مؤسسات أجنبية بها .

٣ ـ ضعف التمويل الخاص بالبحوث .

٤ ـ انقطاع الصلة بين الباحثين المحليين وبين المصادر العلمية العالمية ـ صعوبة الانتقال الى الخارج ، ندرة المصادر العلمية والدوريات .

٥ ـ سيطرة مبدأ (العلم للترقية) ، دون ربط للبحوث العلمية بخطط المجتمع الصناعية .

٦ ـ عملية الاستنزاف والاستقطاب للقدرات العلمية المصرية سواء الى المجتمعات المتقدمة أو الى الدول المجاورة سعيا للرزق .

٧ ـ عدم تفرغ الباحثين الجادين وذوى الخبرة فى مواقعهم البحثية .

●● موقف البحث العلمى فى مصر من الثورة العلمية العالمية :

١ ـ بعودة الباحث العلمى المصرى من الخارج تنقطع صلته بالانتاج العلمى العالمى فيدخل دورة تجهيل رهيبة .

٢ ـ البحوث العلمية المتقدمة تحتاج تمويلا كبيرا ، وخبرة تكنيكية فى مساعدى البحوث وهى أمور غير متوفرة ـ ولذلك يتخلف البحث العلمى كثيرا عن الحركة العالمية .

٣ ـ فى مصر قدرات علمية وعقلية على مستوى عال ، ولكن مثل هذه القدرات لا تحقق نجاحا الا حين تختط المؤسسات العلمية أساليب علمية فى انجاز أعمالها ، والباحث ابن الظروف التى يعيشها .

●●● كيف يساهم البحث العلمى فى حل المشاكل القومية :

الوسيلة لمثل هذه المساهمة ، أن تتواجد هيئة علمية قومية لها سلطة فعلية ورأى ملزم وليس استشاريا على جميع الهيئات العلمية ، وتلتزم جميع مؤسسات الدولة بعرض مشاكلها على هذه الهيئة القومية ، التى تكلف بها أقدر المراكز العلمية على حلها .

●●●● الجزء الاولمن السؤال مفروغ منه ، ويكفىأننا لا نعرف كم عدد أو طبيعة الرسالات العلمية ـ ولا نقول البحوث ـ التى أجريت فى مصر .

اما الجزء الثانى فاجابته قد وردت حين الاجابة عن السؤال الثالث .

د٠ توفيق رفعت بولس

باحث بالمركز القومى للبحوث

● لم يحقق البحث العلمى رسالته فى مصر لعدة أسباب منها :

١ ـ عدم وجود خطة علمية واضحة المعالم ترتبط أساسا بمشاكل المجتمع (صناعية ، زراعية ، صحية ، تربوية ٠٠ الخ) تضطلع بمناقشتها جميع أجهزة الدولة وتلتزم بمتابعتها وتقييم نتائجها الايجابية والسلبية ٠

٢ ـ ضعف الميزانية الخاصة بالبحث العلمي حيث لا يتعدى ما تخصصه الدولة لهذا المجال أكثر مما يدفع كمرتبات للموظفين وانعكاس ذلك على متابعة التجهيز المعملى الحديث أو المراجع العلمية وبراءات الاختراع المختلفة ٠ وكان من الواجب أن تساهم المؤسسات والهيئات ومراكز الانتاج التى تعانى من مشاكل التطور وتطالب بالتطبيق العلمى فى مناهجها بجزء من ميزانيتها للبحث العلمى ٠

٣ ـ قصور مراكز الانتاج المختلفة عن متابعة التكنولوجيا الحديثة والاهتمام بالانتاج الكمى للسلعة على حساب الجودة وربما يرجع ذلك الى ما تعانيه هذه المؤسسات من التوفيق بين متطلبات الاستهلاك المحلى وحصص التصدير ٠ وهنا اود ان اشير الى دور اليابان مثلا والى التطور المذهل فى السلعة اليابانية عاما بعد آخر ٠

٤ ـ عدم الثقة فى كادراتنا العلمية المختلفة رغم كل ما تكبده المجتمع فى اعداد هذه الكفاءات ٠ وربما يرجع ذلك بجانب الاسباب السابقة الى تركة الماضى وعقدة الخبير الاجنبى حيث كانت تشترى المصانع من الخارج بطاقمها الفنى الاجنبى ٠ وهناك امثلة عديدة على قيام المؤسسات المختلفة بالاعتماد على الخبرة الاجنبية حتى هذه اللحظة رغم كل العروض التى تقدمها مراكز البحوث للقيام بدورها ٠

●● يتابع باحثونا العلميون النهضة العلمية الحديثة من خلال اتصالاتهم العالمية بمدارس البحوث المختلفة فى جميع دول العالم ، اما عن طريق البعثات والزيارات العلمية أو المراجع وبراءات الاختراع ٠ ويعمل علماؤنا قدر طاقاتهم على مسايرة هذا التقدم التكنولوجى المذهل عن طريق الانفعال بمشاكل المجتمع ، كل فى تخصصه ، وتطبيق الاساليب الحديثة فى معالجة مشاكل التطور ورغم كل السلبيات السابقة الا ان هناك أمثلة عديدة على نجاح علمائنا فى الحصول على نتائج ايجابية فى هذا الشأن فى حدود امكانياتهم ٠ الا أن من الواضح أن هذا الدور ما زال ثانويا وحتى الان يعتبر البحث العلمى متطفلا على المجتمع المصرى ، ومازالت كثير من مشكلات الانتاج مثلا تصل الى مراكز البحوث عن طريق التسوق ، التسوق الرخيص ٠

●●● يأتى ذلك عن طريق مساهمة جميع أجهزة الدولة فى وضع خطة علمية واضحة المعالم ترتبط بكل مشاكل المجتمع وتوفر لها التمويل اللازم من واقع متطلباتها فعلا ٠ تلتزم الدولة بمتابعة هذه الخطة سنويا أو دوريا لتحديد أوجه القصور فى التنفيذ على أن تلتزم أيضا بالتطبيق المباشر لنتائج البحوث بعد تقييمها مثلا على المستوى العالمى فى بيوت الخبرة العالمية ٠

أرى أن ذلك ربما كان ممكنا فى حالة تنفيذ المجالس الاستشارية المتخصصة تلك الفكرة القويمة الصائبة لتجميع الكفاءات المصرية وتنسيق التعاون بينها ٠

●●●● يوجد عدد كبير من البحوث التى أثمرت نتائج ايجابية على المستوى المعملى أو النصفصناعى ، وبعضها طبق بالفعلفى مراكز الانتاج ولعب دوره كاملا • الا أن ذلك كما ذكرت لم يأت ثماره بالتنسيق العلمى بين مراكز البحوث والمؤسسات المختلفة ، وانما بالاجتهاد الشخصى فقسط والتســـوق •

محمـــــد عامر

مدرس بكلية العلوم

جـامعة القاهرة

أرى أن الخطوة الاولى لبحث مشكلة « مصر وثورة العلم والتكنولوجيا » يجب أن تكون دراسة واقعية لما حدث فى الماضى •

فمن المعروف أنه قد وضعت خطة علمية فى نهاية الخمسينات • ماذا نفذ منها ؟ وماذا لم ينفذ ؟ ولماذا ؟

ان أكثر واضعى هذه الخطة والذين قاموا على تنفيذها لا يزالون على قيد الحياة ، ويمكن الاستفادة منهم فى القيام بهذه الدراسة •

بعد ذلكنحاول الاجابة على السؤال التالى : هل كانت هذه الخطةأفضل ما يمكن ؟ وان كان الجواب بالنفى فلماذا لم توضع خطة أفضل ؟

بهذا نكون قد وضعنا أرجلنا على أرض صلبة لنحاول الاجابة عن السؤال الاساسى : ثم ماذا عن المستقبل ؟•

د• محمد محمود ابراهيم

رئيس قسم المناجم والتعدين

بهندسة القاهرة سابقا

● لا شك أن أبعاد هذا السؤال كبيرة جدا وعلى مثل هذا المقياس الكبير تختلف درجات ما يمكن تحقيقه بالبحث العلمى فى النواحى المتعددة ، فمن الواضح أن البحث يحتاج الى كفايات علمية وأخلاق وصفات لابد وأن تتوفر فى الباحث • فليس كل من يقدر على النقل من كتاب قديم نسميه باحث ، وليس كل من يحمل أسفارا نسميه باحث • وليس المقصود من البحث اعادة اجراء التجارب العملية ليتمكن من نسميه باحث من عمل أكبر عدد منها فتؤهله للترقية ، بل يجب أن ينتخب الباحث حسب ما له من طاقة فى العلم مع المثابرة والاخلاق وقوة الملاحظة والابتكار ، والمثل البلدى الطريف أصاب لب الموضوع اذ يقول : وما كل من لبس العمامة يزينها وما كل من ركب الحصان خيال •

والسؤال على هذا الوضع أى لماذا لم يحقق البحث العلمى رسالته فى مصر فيه تجنى كبير ، فقد قامت فى مصر أبحاث ولا يزال فيها أبحاث وبحاث على المستوى اللائق ، فقد قامت فى مصر أبحاث عن الفحم وثبت وجوده فىمصر رغم انكار كل المراجع العلمية لوجوده فى مصر ،وقامتفى مصر أبحاث عن تأثير الفلورين على النباتات وذلك قبل ظهور أبحاث الفلورين فى أمريكا عن تأثيره على الاسنان فى الانسان ، وهناك أبحاث عن

منخفض القطارة ، وأبحاث عن السد العالى وبحيرة ناصر . بل ان السد العالى فكرة عربية قديمة منذ عهد الفاطميين قام بها الحسن بن الهيثم ، وفى مصر أبحاث عن وادى الريان وبحيرة قارون بالفيوم ، وأبحاث عن جعل بحيرة ناصر ثابتة المنسوب وثابتة السعة حتى تحقق الزراعة حولها وتحقق قوى كهربائية اضافية تزيد عن القوى المولدة من السد العالى ، مع توفير لمقدار التبخر من مياه النيل وجعل المسافة من حلفا الى الخرطوم صالحة للملاحة .

وغير ذلك كثير من الابحاث ولدينا البحاث من غير شك ، فهنالك الكثير من أبناء هذه البلد يهجرون موطنهم ويعملون بحاثا ناجحين فى مختلف نواحى النشاط العلمى فى مختلف البلاد .

●● فى هذا المضمار نشعر بالتخلف ، فقد ورثنا عن الاستعمار الكثير من التخلف ، بل ورثنا حياة كلها روتين وركود قاتل مع أخلاق وصولية واختيار أيسر السبل للوصول الى الجاه والمركز . والامثلة أمامنا كثيرة وغير خاف على كل مصلح ما تقاسيه البلاد من النفاق مما أسدل ستارا كثيفا واختفت وراءه الحقائق وأدت بطبيعة الحال الى تقريب كل آفاق وابعاد كل مخلص صادق يأبى النفاق ، فوئدت الكفايات بدون رحمة . انى أذكر عند اكتشاف عرق الفحم الاول وكان سمكه اربعة أقدام متصلة ، أن نادى أحد العلماء البحاث ، انه فحم ردىء وليس له فائدة ، وقال آخر « احنا عايزين فحم ليه واحنا فى عهد الذرة ، ونسى هذا المفترى أن الدول التى وصلت لاستخدام الذرة هما أكبر المنتجين للفحم ، ويزيد انتاج كل منهما عن ٢٠٠ مليون طن سنويا ، وعن المفترى الاول ، فقد سألته هل حضرتك درست الفحم ؟ فأجاب لا ... هل حضرتك نزلت منجم فحم ، فاجاب لا .. فهنا لا يستغرب ما عليه هذا المفترى من علم لا يرجى منه خير ولا فائدة ولا ضمير يحاسبه ، أى لا يستقيم البحث العلمى أو الجرى وراء الحقائق مع النفاق والكذب والبهتان ، فنور الله لا يعطى لعاصى .

●●● مما سبق يتضح أن هنالك أكثر من سبب أدى الى ضعف حصيلة البحث العلمى ، فعمليات الاختيار أو الترقية فى سلك البحاث مبنية على تقديم عدد من البحوث ، وهى فى مضمونها تقسيم البحث الواحد الى عدة بحوث والعدد فى الليمون كما يقولون ، وقد تقدم أحدهم بعدد (٣٥) بحثا لنيل جائزة الدولة التشجيعية وكنت عضوا فى لجنة التحكيم ، ولم تجد اللجنة ما يبرر منحه الجائزة ، فمع وجود العدد الوفير ليس هنالك نتيجة تبرر منح الجائزة ، وتقدم بعد ذلك باستنتاج ما ترمى اليه البحوث فمنح الجائزة ، فالعبرةاذا ليس بالعدد المطلق ،وكذلك فى منح الجائزةالتقديرية ليست مبرراتها حضور المؤتمرات ودعوات السفر أو افتخارا ببكاء أحد الاساتذة الاجانب عندما سمع بترشيحه للجائزة . هناك جائزتان لكل العلوم والهندسة ولا يمكن تفضيل علم على علم ، ولكن العبرة فى أى منهم أتى بجديد يستحق تقدير الدولة له ، أى تكون المبررات واضحة وصريحة فيقال أن فلان يستحق الجائزة لانه قد عمل كذا وكذا ولادخل للسفر والترحال ولا زعيط ومعيط ولا نطاط الحيط .

من هذا يتضح أنه لابد من معالجة الانحلال فى أخلاق البلد الذى هـو أدهى وأمر بين المتعلمين عنه بين الجهلاء ، وعلى الدولة أن تبدأ بمنح التقدير لمن يستحق وليس لمن ينافق ويعمل المستحيل ليتقرب . وأذكر بفخر فى مجلس كلية الهندسة كانت الترقية لدرجة أستاذ تشترط توفر العلم والخلق الكريم ، وكم من مرة كان يعارض المجلس باجماع الاراء كل من لا يرقى أسماؤهم فوق الشبهات .

فمن هنا نبدأ حتى ينقرض جيل المنافقين ، وينظم البحاث الاخيار أنفسهم بأنفسهم لصالح العمل وللصالح العام ، وتحل تلقائيا القضايا القومية من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، فقد أزيلت العقبات من الطريق ولا موضع بيننا لخسيس منافق هدام فى سبيل غرضه الحقير يعمل كل شىء دنىء ، فقد سمعنا على أبحاث تعمل فى المكاتب فتلفيق القراءات أى يرسم الخط البيانى النموذجى ويضع عليه نقاط تحته وفوقه ، ويأخذ أحداثيات النقاط ويضعها فى جداول وبجرأة على الحق منقطعة النظير يدعى أنها قرئت وعملت فى المعمل ، فهل هذا بحث يحل قضايانا وما اكثرها ، أم هو تلفيق قد ينال عليه درجات ؟ ! وهكذا تسوء الحال من سىء الى أسوأ ٠

●●●● هناك الكثير من الابحاث قابلة للتطبيق ولم يتم الاستفادة منها ، فعندما ناديت بوجود الفحم فى مصر وضعت نظرية الخليج فى مصر وما جاورها ، وبعد سنتين ظهر مجمل هذا البحث فى جنوب افريقيا تحت اسم خليج مصر والسودان ، وجاء بعد ذلك بحث من حجازى وسيجايف باختصار الخليج فى العصر الجورى الى القاهرة وأبو رواش وامتداده شرقا وغربا ، ونسى المؤلفان أن سمك طبقات الجورى عن أبو رواش ٨٠٠ م والسمك عند عين السخنة ٨٠ م فقط ، وهذا يعنى أن امتداد الخليج شرقا وغربا خاطىء ، لانه ينقسم الى خلجان بدليل السمك البسيط عند عين السخنة ولابد أن يمتد الخليج جنوبا مئات الكيلومترات ليتناسب مع الـ ٨٠٠ م ، سمك طبقات الجورى عند أبو رواش ، وهذا الخليج له أهمية اقتصادية من غير شك ٠

ـ بحث عن خفض الملوحة فى بحيرة قارون لارجاعها لسابق عهدها موردا لمياه الرى ومزرعة هامة لتربية الاسماك ٠

ـ بحث عن تهجير الاملاح فى منخفض القطارة للوصول الى ملاحات ، وذلك لاستغلال الاملاح واطالة عمر مشروع منخفض القطارة لتوليد الكهرباء ـ ملح الطعام ـ صناعة الصودا ـ صناعات المبيدات ـ المجنزيوم ـ البوتاسيوم ـ البرومين ـ الايودمين ـ الذهب والفضة ٠

وحيد خليل

معيد بكلية العلوم
جامعة القاهرة

● لكى نجيب على هذا السؤال فلابد أولا من تحديد رسالة البحث العلمى فى مصر ٠٠ تلك التى لم تتحقق ٠ فمن المؤكد أنه ـ فى أغلب بلاد الدنيا للآن ـ لم يعد البحث العلمى متعة يمارسها قلة من اذكياء الناس لكى يصلوا الى الكشف عن الحقيقة فى ذاتها تجريدية مجردة ٠٠ وانما أصبحت المسألة شيئا موجها فى اغلبه للوصول الى اهداف استراتيجية تتفرع منها اهدافا تكتيكية فى كافة المجالات ٠ ولذلك فاننى ارى أنه لتحديد رسالة البحث العلمى فى مصر فلابد من توجيهه ـ فى أغلبه ـ بهدف حل المشكلات التى يتعرض لها المجتمع المصرى ٠ ذلك الفرض لا ينفى وجوب وجود مدارس للبحث العلمى للتعامل مع بعض المشكلات الاكاديمية البحتة فى أضيق الحدود الممكنة ٠ فاذا نظرنا الى ما هو قائم فاننا واجدين ان هذه الرسالة

المفترضة للبحث العلمى فى مصر لم تتحقق فى قليل أو كثير · اغلب البحوث يغلب عليها الطابع البحت وان كان لا يستطيع هذا الذى نفعله ان يضيف جديدا الى ذلك الذى ينشر على المستوى العالمى · ولما كان من المطلوب من تقديم اسباب لذلك فاننى اقرر بمنتهى الامانة ان ذلك التخلف العلمى لم يكن سببه ابدا « ضعف الامكانيات » المزعوم ·· تلك الشماعة التى عاد الجميع يعلقون عليها أسباب عجزهم · ولكننى سوف اوجز ما اراه من أسباب فى سطور قليلة :

اولا : عدم وضوح رؤية الهدف العلمى المطلوب من اى من الباحثين

ثانيا : اللهث المستمر وراء الشهادات العلمية ـ المسعرة ـ ومن بعدها الترقيات وذلك يجرى على حساب نوعية البحوث التى غالبا ما تكون مجرد تكرار مهزوز لبحوث نشرت فى الخارج ·

ثالثا : ارتباط مدارس البحث العلمى فى مصر بنظام التعليم الجامعى الهزيل الذى يجرى فى غياب اى ضوابط علمية منطقية تربط الاحتياجات الفعلية باعداد او مستوى الخريجين ·

رابعا : سوء استخدام الامكانيات المتاحة ويندرج تحت هذا البند ·· التكرار الغير ملائم لكثير من الوحدات ·· عدم وجود صيانة كافية للاجهزة والوحدات العلمية ·· اهدار كميات كبيرة من الميزانيات المتاحة فى أعمال لا جدوى منها لمجرد الظهور بمظهر الدولة العصرية ·

خامسا : عدم استخدام اللغة العربية كلغة لتعليم العلم ونشر البحوث العلمية فى مصر ·

وبعد فاننى ارى أن قضية البحث العلمى فى مصر هى قضية سياسية فى المقام الاول · فلا يستطيع أحد ان يزعم ان هذه القضية تبدأ هنا أو تنتهى هناك · فهى لابد مرتبطة بكافة اوجه النشاط فى المجتمع · وهى مثل كافة القضايا الاخرى التى تواجهنا لابد فيها من اجتياز طريق التحدى الصعب فى الاعتماد التام على النفس · فأولئك الذين نرسلهم للخارج للدراسة لا يدرسون واقعنا ·· ومن يعود منهم الينا يشكو من البطالة ·· واما هؤلاء الذين نجلبهم من الخارج منهم ليسوا على استعداد للتضحية كثيرا من أجلنا ·· ان طريقنا فى مواجهة التحدى صعب للغاية ولكن ـ مع الاسف ـ ان الحضارة لا تستورد ·

محمد بهجت الخولى

باحث مساعد

بالمركز القومى للبحوث

● لا شك أن رسالة البحث العلمى فى مجتمع ما مرهونة بنظامه العام · ومصر باختيارها للطريق الاشتراكى سبيلا للتقدم والنمو قد حددت وظيفة البحث العلمى بانها استخدام جميع فروع المعرفة الانسانية لحل قضايا ومشاكل هذا المجتمع (ككل) بالاضافة الى الانماء المتجدد لهذه المعرفة · من هنا ، نرى انها وان كانت فى ظاهرها تبدو كما لو كانت مسألة فنية بحتة الا انها فى جوهرها سياسية المنطلق ، ويصبح بالتالى تحديد أسباب القصور عملية غير يسيرة ـ فنيا ـ لان ما قد نعتبره سببا رئيسيا يكون فى حقيقته أثرا لسبب آخر دفين وهذا يحدونى الى تقسيم المعوقات الى نوعين :

معوقات عامة :

١ ـ النسبة الكبيرة للامية فى مصر ـ أكثر من ٧٠ فى المائة ـ تجعل البحث العلمى ، بمعنى او بآخر ، كالضيف الغريب بين ظهرانينا •

٢ ـ السياسة التعليمية العتيقة وافراضها لقوالب محصنة ضد البحث العلمى ، ما عدا ذلك استثناء من القاعدة ، واثر ذلك على صعوبة تكوين الكوادر العلمية القادرة •

٣ ـ قضية أهل الثقة وأهل المعرفة لم تحسم بعد بالدرجة المطلوبة لصالح مبدأ الرجل المناسب فى المكان المناسب ضد ظاهرة الرجل المناسب لكل مكان •• بل وزمان أيضا •

معوقات فنية :

١ ـ انعدام الرابطة الحقيقية بين سياسة البحث العلمى وخطط التنمية القومية وكذلك بين مراكز البحث والجامعات وأيضا فيما بينها •

٢ ـ الافتقار لسياسة واضحة ومستقرة كنتيجة مباشرة لانعدام التقييم الجاد والموضوعى لكل المحاولات السابقة ـ التغييرات تعنى دائما بدايات من الصفر ـ وانعكاس ذلك على شكل غياب للتقاليد العلمية تحدد مواقف العلميين تجاه قضايا مجتمعهم وتجاه بعضهم البعض ، الامر الضرورى لتدعيم روح الفريق •

٣ ـ النقص فى الكتب والدوريات وتخلف الاجهزة والمعدات البحثية •

٤ ـ اللا استقرار النفسى والمادى للباحث العلمى •

●● نحن كدولة نامية بل وما زلنا فى مرحلة التحرر الوطنى لا يعيبنا الاعتراف بالموقع المتواضع من الثورة العلمية العالمية ـ التى هى نتاج الدول المتقدمة ـ والمعيار الحقيقى هو مدى تفهمنا واستيعابنا لروح العصر ، وانعكاس ذلك على معدل نمونا وتطورنا •

فالعلم كنتاج تراكمى للمعرفة ، لا يعامل معاملة (الموضة) •• كل ما يهم هو آخر صيحة فقط بغض النظر عما نحتاجه فعلا فى مرحلة بعينها • فعلى سبيل المثال يعتبر (طب الفضاء) •• أحدث العلوم مولدا ، ومن المفيد بل ومن الضرورى متابعته من الوجهة العلمية العامة ، لكن عندما يتخصص طبيب مصرى فى هذا الفرع ـ بداعى الانتماء للعصر ـ فاننا لانستطيع أن نمنع سؤالا يطرح نفسه فى مرارة وهو •• هل ينتظر طبيب (الفضاء) هذا فى بلد يعانى (البلهارسيا) •• غير (الفضاء) نفسه ؟!

ولست بحاجة لتوضيح أن هذه ليست دعوة ضد المعاصرة ، ولكنها دعوة لالتزام البحث العلمى بقضايا المجتمع •• وبعبارة أوضح ، مجالات التخصص الدقيق يجب الا تحددها غير درجة نمونا وتطورنا العلمى •

●●● فى الظروف الراهنة وعلى ضوء التصور السابق لمعوقات البحث العلمى فى مصر ، يجدر بنا أن نتحرك فى مستويين ، غير متعارضين ، وفى وقت واحد •

الاول اصلاحى عاجل ويختص بمعالجة الاسباب الفنية لتطويع الامكانيات البشرية والموارد المتاحة لضمان أقصى عائد ممكن •

أما المستوى الثانى فهو الحل الجذرى الذى ينتزع أصول ومنابت هذه المعوقات ، ورغم ان عائده غير سريع الا انه بلا بديل لضمان مناخ ملائم ودعائم ثابتة ومستقرة للبنيان العلمى فى مصر •• والنقاط التالية تحدد أهم معالم هذا الطريق :

١ ـ الخروج ببرامج محو الامية من دائرة أعمال البر والاحسان •

٢ ـ استنباط سياسة تعليمية قادرة على العطاء وذات مرونة تسمح بربطها بالمتطلبات الحقيقية للمراحل المختلفة ٠

٣ ـ خلق الانسان الجديد القادر على تغيير طبيعة عمله وتجديد تفكيره واستيعاب المواقف الاجتماعية الجديدة وتغليب مصالح المجتمع على مصالحه الفردية الضيقة وذلك بتعديل عاداته الخاصة بالطعام والمسكن وتربية الاطفال والصحة ٠

وغنى عن البيان ، أن هذا لن يتم بأسلوب الوعظ والارشاد، وانما بالتطابق التام بين القول والفعل والقدوة الحسنة ٠

٤ ـ وقف ما يمكن أن نسميه باستهلاك القيادات بتشتيت جهودها بلا دواعى ملحة ، والعمل على تربية الصف الثانى القادر على تحمل المسئولية فى أى وقت وتحت أى ظروف ٠

●●●● برغم كل هذه الظروف الصعبة فاننا نستطيع ان نؤكد من واقع أمثلة كثيرة ، بان الكوادر العلمية القادرة على العطاء الخلاق ، لها وجود حقيقى فى مصر ٠ والمشكلة هى فى تحويل هذا العطاء المتقطع الى تيار مستمر ومثمر يقضي على مشاكل المجتمع ويثريه ٠ ولتحقيق رابطة قوية بين الانتاج والبحث العلمى نقترح الاتى :

١ ـ التنسيق الكامل بين الخطة القومية والانتاج والبحث العلمى ، فعدم ربط سياسة البحث العلمى بالخطة القومية من ناحية وارتباط الانتاج بالخطة من ناحية أخرى كفيل بأن يسد طريق البحث العلمى والانتاج ٠ ولا ننكر أهمية أسلوب التعاقد الثنائى بين مراكز البحث ومواقع الانتاج ، الا أنها تبقى فى النهاية كمبادرات شخصية ـ خارج نطاق الالتزام التنظيمى ـ قد تتأثر بتغير القيادات المتعاقدة ٠

٢ ـ الزام مواقع الانتاج بتنفيذ برامج زمنية محددة تكفل ارتباطها العضوى بالبحث العلمى كأن تتضمن ايجاد بدائل محلية للخامات والمواد الوسيطة المستوردة ، وكذلك خفض التكلفة مع رفع الكفاءة الانتاجية ٠٠ الخ

٣ ـ التوسع فى انشاء المعامل النصف صناعية المجهزة كميدان واقعى لاختبار التطبيق العملى للابحاث المعملية ، يغنى عن روح المغامرة اللازمة لتعديل عملية انتاجية معقدة ٠

٤ ـ رصد ميزانية معقولة للبحث العلمى فى كل موقع انتاجى ٠

أحمد رمضـــان

باحث مساعد
بالمركز القومى للبحوث

● لانه ببساطة مازال لا يوجد رسالة للبحث العلمى فى مصر ، وانما توجد فقط شعارات عن العلم واهميته ٠٠ وهذا هو كل الاسباب الرئيسية ، ان هناك تصريحات لكبار المسئولين تثبت عدم فهم طبيعة البحث العلمى ، فحتى الان لا يستطيع المسئولون الاقتناع بأن البحث العلمى هو قطاع من قطاعات الانتاج وأن الانفاق عليه هو نوع من الاستثمار وليس من نوع الانفاق على قطاعات الخدمات ، كما أن التخبط فى تنظيم هيكل البحث العلمى مازال مستمرا ، وليست مشكلة التنظيم هى الاساسية ولكن التخبط فيها على هذا النحو دليل على عدم معرفة وتحديد الدور المطلوب من البحث العلمى حتى الان ، والنظر الى نسبة ميزانية البحث العلمى (وخاصة من العملة الصعبة) الى ميزانية الدولة يعطينا دليل على تقدير الدولة الحقيقى

للعلم ، هذا بالاضافة الى عدم وجود رعاية صحية وتجاهل الحكومة لحقوق مشروعة لقطاع كبير فى البحث العلمى تحت دعاوى كثيرة غير مقبولة ، اما وان الترقية فى هذا المجال اصبحت بالرسوب الوظيفى ، فهذا انتكاسة بلا شك للعلم وانعكاس طبيعى لمفهوم العلم عند المسئولين •

ان كل من يدعى بفشل البحث العلمى فى تحقيق رسالته فى مصر هم أقل الناس ايمانا بالعلم ولا يقصدون سوى تشويه دوره فى المجتمع ، فحتى الان لم يطلب شىء من البحث العلمى – فى حدود الامكانيات المتاحة – وفشل فى تحقيقه بقدر أكثر من باقى القطاعات التى يصرف عليها الكثير وتحقق فى نفس الوقت الفشل الكثير •

●● سنحدد موقف عناصر البحث العلمى من التقدم العلمى الان ، وهذا يعطينا صورة عن الموقف العام :

المكتبة : نستطيع أن نقول بلا تردد انها متخلفة الى أقصى حدود التخلف ، وهذا يعنى سدا بين التقدم فى العالم وما يدور فى مراكز البحوث والجامعات فى مصر ، ووجود مكتبة جيدة لا يكلف كثيرا ، وهذا دليل آخر على عدم الاهتمام بالعلم •

الاجهزة والكيماويات : الاجهزة أقل تخلفا من المكتبة ، وهذا تقدير نسبى على كل حال لان الموجود منها – وبعضه حديث – يستطيع المشاركة فى بحوث جديدة – اذا اكتملت المكتبة والاشراف الجيد ، اما الكيماويات والمواد الاخرى ، ففيها نقص كبير يعتبر عائقا آخر وهام •

الاشراف والمستوى العلمى للخريجين : ليس هناك مشكلة فى العدد (الكم) سواء فى الخريجين او الباحثين ، ولكن المشكلة هى النوعية (الكيف) فمستوى الخريجين يتدهور مع الزمن لعدم الاهتمام بمستواهم ، أما الاشراف فلدينا نقص فيما يمكن تسميتهم بالاستاذ ، بمعنى عالم ، وليس بالاقدمية والرسوب الوظيفى ، واذا استمر الحال على ما هو عليه فلا أمل حتى فى العناصر الممتازة الموجودة من الاساتذة وشباب العلميين • والخلاصة ان الفجوة بيننا وبين العالم تتسع بسرعة مع الزمن •

●●● لا جدال ان العلاقة قوية والتأثير متبادل بين العلم والوضع السياسى والاجتماعى والثقافى ، وما نراه اليوم من استمرار تراجع دور البحث العلمى والتفكير العلمى هو ترجمة لتأثير هذه الاوضاع عليه ، فأننا لا نستطيع أن نقول بالعلم للعلم فى بلد نام يتخذ الطريق غير الرأسمالى فى التنمية ، فهذا يقابل ما نراه اليوم فى الفن من اسفاف تحت دعاوى الفن للفن والضحك للضحك ، ونحن لا نقول بأن تضع الدولة العلماء فى قوالب ولكن لابد مثلا من تقرير البعد عن بعض فروع العلم مثل ابحاث الفضاء ، والتى هى دليل على الاهتمام بالمظهر والديكور ، فكل مليم يصرف على مثل هذه الابحاث هو تبديد ، كما يجب ان تختلف فلسفة وضع الخطط للبحث العلمى عن ما يتم الان من تجميع لعناوين المواضيع المسجلة وتبويبها لتصبح هى الخطة ، ويتم كل هذا داخل جدران اربعة بين قمم المسئولين عن البحث العلمى كتأدية واجب • ان الخطة يجب ان تبدأ من مناقشات الجماهير والقاعدة العلمية ثم تصعد الى أعلى المستويات للتنسيق بينها ، ثم تعرض ثانيا على القاعدة للمناقشة واقرارها ، ثم تصعد لتضعها الدولة موضع التنفيذ ، لابد من ديمقراطية وضع الخطط •

كما ان لرجال العلم والمفكرين دور كبير ثقافيا واجتماعيا ، بخلق المناخ

العلمى فى التفكير والبعد عن الغيبيات فى تفسير الكوارث والنكسات التى تحل بنا ، وهى الظاهرة التى توجد حتى بين المشتغلين بالعلم ، ولا تترك الجماهير نهبا للافكار السامة التواكلية البعيدة عن روح العلم ، وهو دور كبير سيكون له تأثيره وانعكاسه المباشر على حياتنا السياسية ٠

●●●● البحوث التى يمكن تطبيقها فى الانتاج قليلة بالنسبة لحاجتنا الى هذا النوع ، ويرجع ذلك اولا الى الفهم الخاطىء للبحث التطبيقى، حيث يتصور البعض انه لمجرد اجراء تجارب على خامات محلية يصبح البحث تطبيقى . وثانيا الهروب الى الابحاث الاكاديميــة المكررة ـ بغرض النشر والترقية ، ولربط العلم بالانتاج لابد من تغير مفهوم الانتاج الجيد والمشكلة الصناعية عند الفنيين بالمصانع ، ولابد أيضا من معايشة العلميين لمواقع الانتاج ، فهذا هو التدريب الحقيقى لتطويع معلوماتهم فى خدمــة الصناعة ، وبتفاعل خبرة الفنيين والعلميين ، وادخال نظام المجاميع البحثية فى موضوع متكامل ، سيؤدى هذا فى النهاية الى التنظيم الامثل لربط العلم بالانتاج٠

وفى النهاية لابد أن اسجل انه ليس لدى أى بادرة أمل فى أن تؤدى هذه التقارير الى نتيجة ، ورغم ان اقتناعى بأن ذلك لن يتعدى صفحات مجلة لا يقرأها الا القليل وسيقرأ هذا التقرير قليل من القليل ، الا أننى وافقت على الكتابة ٠٠ ويبدو انه فقط لمجرد الترويح عن النفس ٠

محمد حسن محمد

المركز القومى للبحوث

● حين نحاول أن نستقصى أسباب قصور البحث العلمى فى مصر فى تحقيق رسالته فان عجالة مثل التى نحن بصددها لا تكفى ولكن قد يكون من المفيد أن نتكلم عن مفاهيم عامة أدت الى هذا القصور ٠

اولا : المفهوم الشعبى :

يتصور عامة المواطنون أن العلماء « الطبيعيين » هم حملة رسالة جابر بن حيان وأبو بكر الرازى تلك الرسالة التى كانت تريد تحويل المعادن الى ذهب يتصور الفرد أن على العلماء ان يخلقوا من العدم ٠٠ التقدم والرفاهية بلمسة سحر أو تعويذة ٠

وعبثا تحاول أن تقنع الكثيرين « وبعضهم من المتعلميــن» بأن العــلم والتقدم ما هو الا تطوير منطقى لما هو كائن الى الافضل ٠ وأن ما تملكه فى البداية هو العامل الرئيسى لما يمكن أن تحققه فى النهاية ٠

ثانيا : مفهوم الاجهزة التنفيذية والسياسية :

يجب أن يكون هذا المفهوم فى القضايا السياسية والاجتماعية انعكاسا لمفهوم الشعب ٠ ولكنه للاسف يجب أن يختلف فى قضايا التقدم الحضارى عموما وخاصة فى المجتمعات المتخلفة أو النامية كما يسمونها ٠ واذا اعتبرنا اجهزة الاعلام مثلا كمثال لتوضيح مفهوم الدولة للبحث العلمى فان أجهزة الاذاعة والتليفزيون والصحافة تكاد لا تخدم سوى العلوم الانسانية

من أدب وفلسفة وموسيقى وعلم نفس · وتظهر الفقرات التى تخدم البحث العلمى الطبيعى كمواد غير مرغوب فيها ·

ثالثا : مفهوم البحث العلمى بين العاملين فيه :

وبمعنى آخـــر ، اين يقف البحث العلمى فى مصر من ثورة العـــلم والتكنولوجيا فى العالم · واعتقد أن المناخ العلمى فى مصر الان صالح لبداية ثورة علمية والقول بأننا جزء من الثورة العلمية العالمية فيه كثير من العنترية التى لا يجب أن تكون طابع العلميين ·

فالكادرات الفنية المتخصصة موجودة وكذلك يمكن القول بأن الامكانيات فى متناول ايدينا · والاعتمادات المالية يمكن للدولة أن تدبرها ويجب أن يكون الباحث العلمى بعيدا قدر المستطاع عن التفكير فى المشاكل الحياتية اليومية لانه من المؤكد أن الفكر هو القيمة التى يحصل عليها المجتمع من العلماء وتشتيت هذا الفكر فى مشاكل الطعام والمسكن نوع مـــع العبث بالصالح العام ·

والسؤال كيف يكون العمل :

أولا : مطلوب الثورية فى العمل · ويجب اشتراك العناصر الشابة « التى يجب اختيارها بمنتهى الدقة » فى حمل المسئولية العلمية · ويكفى كثيرا من أساتذتنا الكبار والعظام أن يكونوا مصدر الحكمة أو مستشارين فنيين على مستوى آخر غير مستوى المسئولية التنفيذية ·

ويمكن كتجربة أن يطبق هذا المفهوم على واحد من التخصصات وهى كثيرة فيتم حصر العاملين فى هذا التخصص ويجرى نقاش حر ومفتوح لوضع خطة عامة للعمل سيكون للعناصر الشابة تأثير كبير فى صياغتها · بالنسبة الى عدد العاملين · واعطاء الوقت والتسهيلات لمثل هذه التجربة يمكن أن يؤدى الى نتائج نحن فى حاجة اليها ·

ثانيا : وعلى المستوى القومى فانه اذا كانت الرغبة جادة نحو اعادة البناء فيجب أولا أن نعد أدوات البناء وفى مقدمتها جهاز سليم وشاب للبحث العلمى · يمكن أن يحمل عبء معركة تقدم فى عصر العلم ·

يبقى سؤال دائما ما يتردد وهو ماذا حقق البحث العلمى حتى الان ·

١ ــ والحقيقة انه رغم كل ما يمكن أن يقال فقد تحقق الكثير وهناك مجموعة كبيرة من الابحاث التى لاينقصها سوى الاعتمادات المالية لتحويلها الى مشاريع انتاج ·

٢ ــ أما مشكلة ربط البحث العلمى بالانتاج فانها تقع على عاتق مديرى الشركات والمؤسسات · وحين يصبح هؤلاء المديرين من الكفاءة العلمية بحيث يعالجون مشاكلهم بالطرق العلمية · فعند ذلك فقط يمكن أن تخلق الموضوعات والمشكلات المشتركة التى يجب أن يخدمها البحث العلمى ثم هناك تساؤل ، لماذا تعلن الشركات عن مناقصات لتوريد المواد وأدوات النظافة ولا تعلن عن مناقصات لتوريد أفكار أو لاجراء بحوث · ان نظام مثل هذا يمكن ان يخلق تنافسا رائعا بين العاملين فى مجالات البحوث العلمية وفى نفس الوقت يرفع من كفاءة الانتاج وجودته ·

وأخيرا أرجو ان أكون قد استطعت ان اوضح رأيا شخصيا ، قد يكون سليما ، وقد يكون خاطئا فى مثل هذه المساحة الضيقة جـدا ·

أحمد سيد البلال

باحث مساعد
بالمركز القومي للبحوث

● ان التساؤل القائم حول دور البحث العلمي في مصر ومدى ما حققه هذا الدور يقترن عند الاجابة عليه بعمر الاجهزة البحثية ومدى ما أتيح له أن يشارك فيه والامكانيات الموضوعة تحت تصرفه ، ذلك أن هجرة الادمغة الى دول الغرب المتقدم والقدر الذى تشارك فيه اليوم والتكريم التى نسمع به كل يوم لهم ينفى كل ريب فى ريادة افرادنا العلميين عند توفر الظروف الملائمة للعمل • فمنذ الثورة المصرية كان الجهد مركزا كله على انشاء جيل من الباحثين وحالة القلق الحاضرة تعكس انتهاء هذه المرحلة ، بل انها جاوزت ونلمس ذلك من هذا الجمهور العريض من الباحثين الذين يهاجرون الى الخارج أو ينتقلون الى الجامعات طلبا للمزايا المختلفة • والوضع القائم اليوم يستلزم حقا أن تكون هناك ضمانات عمل وضمانات نجاح لان روح المرحلة السابقة عكست ظاهرة ارتباط الانتاج العلمي وتوقيتات ظهوره بتوقيت ما يمر به الباحث شخصيا من مراحل ترقى الى الحد الذى جعل الانغلاق على النفس قائما بين الزملاء لا تفصل بينهم أمتار قليلة ، بل الذين لا أبعاد بينهم •

وتتلخص المسائل التى يدور حولها الاصلاح فى الخطة العلمية ـ الدعاية ـ الانفاق •

١ ـ الخطة العلمية :

يقترن وضع خطة لاى مشكلة مهما كان لونها على مدى طرحها وهذا الطرح لم يكن قائما اطلاقا الى وقت قريب لاسباب تعود الى المسئولين فى قطاعات الانتاج والخدمات • ومنذ هذا الانفصال العلمى الى أن تكون الخطة العلمية الموضوعة دائما هى مجرد اعادة ترتيب الاوراق القديمة مع اضافات تعكس مسعاه أن يكون مطروحا قوميا من مطالب لاعطاء العمل صبغة مماثلة • وفى وقت حديث للغاية صار هناك مجلس لاكاديمية البحث العلمى يحدد المشكلات الكبرى بصفة عامة • وبرزت الى الوجود سياسة العقود المشتركة التى أثبتت نجاح معاهد مصر البحثية ، لكنها كما قلت محدودة للغاية،وبدأت مشاريع مشتركة بين الوزارات ومراكز البحث العلمى وكل ما نخلص منه من روح هذه التجارب ان العلاقة التى تنظم الحقوق هى «التى تغير النتيجة » تغييرا جذريا •وأن « الاتصال المكثف والمنظم » هو الذى يوجد خطة ناجحة • ولذلك أتصور خطوات ضرورية كما يأتى :

أ ـ التوسع فى عمليات حصر البحوث ـ التى بدأت قبل عامين ـ وتنسيقها فى صورة مراجعات علمية كاملة وذات توصيات محددة وأن تكون موجودة فى كل قطاعات الانتاج كمراجع للتوعية العلمية العامة •

ب ـ أن تنشأ فى كافة المؤسسات مكاتب الاتصال العلمى والتى تكون مزودة بخرائط تخفيض لمراكز البحوث تيسر لها الاتصال وفق الخبرة النوعية المطلوبة •

جـ ـ أنشاء وتطوير تجمعات الافراد العلميين فىجميع مراكز البحوث وقطاعات الانتاج وأن تكون هذه التجمعات تخفيض وذلك لضمان التعرض

السليم للمشكلة ومن ثم تكون التوصيات الصادرة من هذه التجمعات لها صفة التكليف القومى لمراكزالبحوث ، وأن يكون الاداء العلمى للرأى والعمل فيها مكفولا للجميع ضمانا لعدم التسلط وأن تقيم الانجازات بصفة دورية ٠

د ـ يحسن أن يكون هناك تواجد للافراد العلميين من مراكز البحوث فى كل قطاعات الانتاج ٠

هـ ـ أن توضع الخطة العلمية لكل مركز من مراكز البحوث على أساس من المشكلات التى تطرح فى المجالس المتخصصة المشار اليها فى (٣) ، وأن يجرى ربط القيام بهذه البحوث بحاجة المؤسسات من خلال توقيع عقود محددة لالتزامات الاطراف ٠ ويجرى توزيع دقيق للعمل العلمى وفقا للتخفيض الدقيق للافراد العلميين المشتركين فى كل جزء من مكوناتها ، وألا تكون الاعمال العلمية المناطة بالافراد فى اطار الخطة موضوعات دراسية « اىلطلبة الدراسات » ضمانا لسرعة ادائها ، ولو بقيام عدد أكبرمن الباحثين بالعمل اختصارا للوقت ، وأن يكون من التزامات التعاقد التقدير المادى والمعنوى للباحثين ، وثبطا بالوصول الى نتيجة علمية ٠

الدعاية :

الدعاية العملية الشخصية ظاهرة مباشرة للفردية التى أشرت اليها ٠ وكثيرا ما نلاحظ هذه الدعاية فى الصحف اليومية وهو ما يجب أن يمنع منعا تاما وأن يكون ضروريا على الباحث متى توصل الى عمل أن يعقد ندوة فى المركز الذى يتبعه يدعو اليها زملاءه من الباحثين ذوىالصلة بموضوع عمله ويطرح انجازه الذى غطى والذى كلف به من قبل وأن يعتبر النقد هو بمثابة تغطية الثغرات حفاظا على سمعة الفريق والمعهد ٠ وأن يكون واجبا على المعهد أو المركز القيام بأعمال الدعاية فى اطار من مصلحة المتعاقدين ، وأن يكون للباحث حق طرح تقارير على المجالس المشتركة وأن ينشر بحوثه تلك فىمجلات الجمعيات العلمية المقابلة لتخصصه ٠ كما تتولى الدعاية ادارة للعلاقات العلمية العامة تتولى عناصر علمية متخصصة (واعتقد أن لدينا منهم كثير فى المركز القومى للتوثيق والاعلام) فى أعمال الدعاية العلمية وتنظيم انسياب المادة العلمية والاتصال مع المؤسسات المحلية والعالمية او يدرب المزيد لهذا الغرض ٠ كما تتولى الدعوة الى عقد ندوات علمية ومتابعة الانباء حول المشكلات وتتبعها ٠ كما يجب تطوير أحقية الجميع فى تحرير مقالات شبه علمية ذلك أن التقدم العلمى مرتبط دائما بالفلسفة العلمية الحرة ، حيث أنها تنبه الاذهان بالقدر الذى يمكن القول به أن الانجازات الكبيرة فى العالم قد بدأت شدا لا من بيانات ملموسة ٠

الإنفاق :

البحث العلمى أسلوب النظر للغيب المادى ومن ثم يستوجب التزود ـ قدر الجهد ـ بنظم مثلى فى الاداء كيما يرى حقيقة ماينظر اليه ومن ثم لايجب أن يرتبط باجراءات التقشف لانه ضرورة للتنظير القومى ، ولفض اىحصار تفرضه الحرب ٠ كما يستلزم البحث العلمى أن يكون الانفاق على برامجه انفاقا متزامنا Temporal وفق حاجتها هى ٠ وقد آن الاوان أن تختفى من مراكز البحوث فى مصر متاحف الاجهزة الفردية وأن تنشأ الوحدات ذات الاجهزة العامة الاستعمال فى كل معمل ومكتبات المعامل ٠ أقول ختاما لهذا ، ان الحضارة تصنع وان نواتجها تباع وتشترى ونحن لمواجهة سليمة أحق أن نصنع الحضارة يأول شعب عرف الحضارة ٠ رب متسائل وهل من بحوث جاهزة نختصر بها الوقت ؟ أقول لنفتح الحوار والاتصال وسوف نكتشف أن ارضيات كثيرة يمكنتركيبها فورا ٠

فــــؤاد المحتسـب
مدير عام مصانع
اسمنت بورتلاند ــ الاسكندرية

● لعل من أسباب قصور البحث العلمي عن أداء رســالته في مصر ما نورد بعد :

[١] عدم وجود المدارس العلمية المتخصصـــة بمعنى أنه لا يوجد هـــذا الصنف من الاساتذة ممن لهم مدرسة علمية تتابع نفس موضوع البحث العلمي المناط بها ومن ثم فطابع البحث في مصر يغلب عليه عدم الاستمرار في نفس الاتجاه بمعنى أن مواضيعه غير متسلسلة ولا يمكن الربط بينها .

[٢] تغلب على عقلية الباحثين المصريين الطريقة التقليدية في التفكير وليس طريقة الرؤيا الثائرة التي تطلب المتغيرات ومن ثم فمعظم الابحاث مقارنة بالابحاث بالخارج تعد نمطية محصورة الاساليب .

[٣] انحصار المد العلمي من خارج مصر عن داخلها وذلك لقلة عـــدد الاساتذة أو المحاضرين الوافدين كذا صعوبة امكانية الحصول على الجديد من العلم في صورة المجلات أو الكتب .

[٤] بعد مواطن البحث والعلم في كثير من الاحوال عن مراكز الصناعة والعلم هنا ليس فقط العلم الهندسي أو الكيميائي ولكن يصل بأبعاده الى حدود علوم الادارة الحديثة والاستراتيجية وذلك للاسباب التالية :

[أ] كثير من الادارات لا تؤمن بهذه الصلة ، أي الصلة بين مراكز البحث ومراكز الصناعة والتنفيذ اللهم الا من قبيل رفع الشعارات .

[ب] كثير من الادارات يمكن وصفها بعدم المعرفة والبعد عن العـــلوم الحديثـــة .

[جـ] كثير من العاملين في الحقل العلمي بعيدون بأفكارهم عن المصانع والشركات ويحتاجون الى نوع من الاقلمة على جو العمل بها لامكان النفوذ الى مشاكلها والقدرة على تصورها ومن ثم التجاوب عند حلها .

[د] في ظل تصور بعض قوانين التوظف واللوائح ترى بعض الادارات أنها مقيدة عن امكان تعيين أعداد كبيرة من الفنيين أو الاقتصاديين يـــكون الغرض من وجودهم هو البحث او محاولة تطويع البحث العلمي لاغراض منشآتهم .

[٥] لايمكن القول أنه في داخل أمتنا يوجد اطار محدد للبحث العـــلمي تتفرع منه خطط واجب تنفيذها على مراحل زمنية بمعنى أن تخطيط البحث العلمي داخل امتنا تعوزه الادارة الحكيمة التي توجهه في كافة الاتجاهات العلمية والسياسية والاقتصادية بحيث تتولى المؤسسات مساندة هـــذه الخطط طالما أن النتائج ستكون متضمنة حلولا لمشاكلنا .

[٦] طبيعة الباحث المصري طبيعة قلقه من أجل لقمـــة العيش ، ومن ثم فالذي درس في اوروبا او امريكا وخبر توافر الامكانيات والراتب المجـــزى للباحث او للاستاذ يعيش في مصر طالبا من الله الستر وكثرة المحاضرات والانتدابات حتى يوفر لنفسه ولاسرته كريم العيش ومن ثم فلا وقت للبحث .

[٧] المناخ المصري بكل ما فيه من قيود ولوائح يعرقل عمليـــات البحث العلمي او الاستفادة به بما يؤدي اليه من وجود مشاكل في الحصـــول على الاجهزة العلمية أو المراجع العلمية .

●● اعتقد أن البحث العلمى فى مصر متخلف فى جملته عن هذه الثورة العلميـــــة .

●●● يمكن للبحث العلمى أن يساهم فى حلّ القضايا القومية لو توافر التالى :

[١] الايمان بالبحث العلمى وبتطبيق العلم لدى القائمين على المؤسسات والشركات .

[٢] ان يربط تمويل مراكز البحث أو البـاحثين بمراكز التنفيـــــذ أى بالمؤسسات أو الشركات وذلك حتى يسهل تمويل مراكز البحث كما تحدد موضوعاته ، وتوضع خطط تنفيذه والزمن اللازم له .

[٣] ان تتوفر لدى دراسة المشكلة الواحـدة مجموعة من التخصصات المختلفة التى تضم ثقافات مختلفة وبالتالى تكون صفة نتــائج البحث هى الشمول وليس ضيق الافق .

[٤] أن تطلق يد المؤسسات والشركات للسير بادارتها بالصـــورة التى لا تلزمها بالكثير من اللوائح والقوانين والمحاذير ولكن يناط بها تنفيـــذ خطة أو برنامج معين مع ترك طريقة التنفيذ لها وفى هذا مجــال لمحاولة تطبيق الاسـاليب الحديثة فى الادارة والتخطيط .

[٥] العمل على نشر العلم بكافة صـوره بحيث يصل الى كل من يجب وصوله اليهم ، وذلك عن طريق النشرات والمجلات العلمية ، ومن شأن هذا ان يزيل اية عوائق لدى محاولة اســتخدامه فى تطوير المنشــآت أو حلّ المشـــاكل .

[٦] فى المجتمع الاشتراكى مفروض ان المسئولية المشتركة تجعــل من القائمين على البحث العلمى أفرادا عاملين فى الهيئات والمؤسسات وبالتالى فيجب أن يسمح مثلا للاساتذة الجامعيين كل فى مجــال تخصصه بزيارة المصانع والمنشآت بل والتدرب على معداتها لفترات ، ومن ثم التعرف على طرق العمل بها وهذا من شأنه ان يقرب مواضيع البحث العلمى من مشاكل الامة وفى الوقت نفسه يقنع القائمين على المؤسسات والشركات أوالهيئات بالنهج العلمى فى التفكير .

●●●● قد تكون هناك بحوث علميةقابلة للتطبيق،ولكنأن تجد طريقها الى مواقع الانتاج فهذا هو تطويع ما تحقق داخل المعمل من أجل الوصول الى نتائج داخل المصنع وهذا يستدعى كما اسلفنا من قبل الى :

١ ـ ان تعطى الشركات بعض المواضيع التى تهمها أو بعض مشاكلها فى صورة منحة دراسية أو مشكلة يتم الانفاق عليها بمبلغ محـــدد لفترة زمنية محددة .

٢ ـ تخليط الاختصاصات بحيث لا تناقش المشكلة أو موضوع البحث من زاوية واحدة ولكن من زوايا علمية مختلفة ، فمثلا من الناحية الكيميائية والناحية الهندسية بحيث يمكن تحقيق نتائج المعمل بواسطة معدات المصنع

٣ ـ أن تدخل الجامعات ومراكز البحث العلمى فى التوجيه العـــلمى للشركات أو مراكز الانتاجوذلك بأنيسمح للاساتذة أو الباحثينالمتخصصين بالمران داخل هذه الشركات على معدات الانتاج وطرق عمـلها وذلك فى برنامج سنوى ثم السماح لهم بالتردد على الشركاتوعرض افكارهم عليها.

٤ ـ انشاء مراكز البحث والتصـــميم المتخصصة بحيث تكون مرتبطة اقتصاديا أو تمويليا بمراكز الانتاج فمثلا يمكن انشاء معهد للاسمدة وآخر للاسمنت وثالث للزجاج وكل من هؤلاء مرتبط فى خطة عمـــله بالشركات المنتجة لهذه المواد .

علي موسى عفيـــفي
رئيس مجلس ادارة
شركة الاسكندرية لاسمنت بورتلاند

● تزدحم الجامعات ودور البحث بأعداد وفيرة من الباحثين ، ويمتازون بالامكانيات العلمية الفريدة ، ولكن تعصف بامكانياتهم معوقات أهمها :

[أ] لا يتاح للباحثين كافة الامكانيات المادية اللازمة لانجاز بحوثهم سواء من حيث الاجهزة والمعدات او من حيث النفقات اللازمة للتمويل .

[ب] لا تستقى البحوث من صميم الجارى بالمصانع من المشاكل والمعوقات كما لا تعالج الصناعات القائمة بالدراسة والتطوير .

[ج] حصيلة البحوث المنجزة لا يستفاد منها فى المجال الصناعى نظــرا لانشغال المصانع بمشاكلها وتخوفها من التجارب الجديدة حرصـــا على تحقيق أهداف الانتاج .

[د] لا يكافأ الباحثون على مايصلون اليه من نتائجسواء بالحوافز المادية المجزية ، أو بالحوافز الادبية .

[هـ] الطريق أمام الباحثين مسدود ، فان التفرغ للبحث العلمىلا يوصلهم الى مراكز ذات وزن على عكس الاحتمالات البراقة فى المجالات الاخرى .

[و] مجالات البحوث فى الجامعات ومراكز البحوث جهـــود فردية متناثرة ، لا يربط بينها رابط يجند مختلف التخصصات فى عمل علمى متكامل

●● فى تلك الحقبة استحدثت طفرة واسعة فى العلوم وبرزت فى أفق البحث العلمى ثمار العقول الالكترونية التى اختصرت مسيرة الزمن ويسرت حساب الاحتمالات والنتائج وحققت خطوات عملية شاســعة فى عــلوم الفضاء الى آخر ما اضافه العلم من مآثر فى مختلف المجالات مما حقق تقدما ملموسا سواء من الناحية التكنولوجية أو ناحية الاستخدام بالاضافة الى ما احرزته الدول المتقدمة من نجاح فى استنباط أنواع جديدة من المنتجات التى تساير التقدم العالمى بفضل استخدامها الامثل لخاماتها المحليـــة ونهوضها المستمر بصناعاتها الى أرقى المستويات .

ولكن البحث العلمى وباحثونا المصريون استمروا فى نطاقهم التقليدى الذى يكبله الروتين العتيق بأغلال التجمد وبطء الحــركة ، وتقصر بهم الامكانيات المتاحة عن ملاحقة الزمن ، وظلت البحوث فى مختلف المراكز والمعاهد والجامعات شتاتا : كل منها فى واد ، ليس بينها ما يربطها ببعضها أو بالصناعة ليشد منها صرحا كالبنيان المرصوص .

هذا فى الوقت الذى برز فيه من بين المصريين بالخارج — ممن توفر لهم الجو الحافز والامكانيات المناسبة — عبقريات فذة أضافت الى حديثالعلوم مآثر فريدة تطالعنا بها الصــحف المحلية والاجنبيـــة ، مما يدل على أن الامكانيات البشرية المصرية أرض طيبة اذا ما وافاها الجو الصالح اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

●●●● هنالك عديدمنالبحوث العلمية التى لم تجد طريقها الىمواقع الانتاج . ولابد من تتويج تلك البحوث بالاستفادة من المزايا الصناعية التى تنطوى عليها تحقيقا للاهداف المنشودة من تلك البحوث . ولن يتيسر ذلك الا بايجاد الروابط الوثيقة بين مواقع الانتاج ومراكز البحث العــلمى . وأفضل ما يعرض من رأى فى هذا المجال ما انتهت اليه لجنة الوحــدات البحثية فى مراكز الانتاج والخدمات ، التى شكلتها أكاديمية البحث العلمى . وقد دارت توصياتها فى الفلك التالى :

[أ] بعد اختيار الخريجين للعمل بمراكز البحوث لابد أن يعملوا بالمصانع العاملة فى مجال بحوثهم لمدة مناسبة بهدف التعرف على طبيعة الصناعة ومشاكلها القائمة .

[ب] تنظم زيارات طويلة للباحثين وأساتذة الجامعات الى المصانع لتوثيق الصلة ومتابعة التطور الصناعى وما يعرض فى طريقه من مشاكل .

[ج] انشاء اقسام للبحوث لكل وحدة انتاجية على أن تعتبر هذه الاقسام نقطا امامية لمراكز البحوث للتعرف على المشاكل واجراء البحوث الاولية عليها على ان ترفع الى مراكز البحوث — لاتمام البحث عليهـا — حيث المستويات الاعلى من الخبرة البحثية والامكانيات العلميةوالمعدات والاجهزة

[د] تقوم الشركات الصناعية بتمويل البحوث فى حالة اختيار الباحثين لنقاط البحث فى مجال الصناعات التى خدموا بها والموضوعات التى تحددها الوحدات الانتاجية .

[هـ] اختيار المشروعات المقدمة للبكالوريوس فى مجال تطبيقى من مشاكل المصانع ليدخل الخريجون الى الجو الصناعى من أول الطريق .

[و] تدريب المساعدين الفنيين فى مراكز البحوث .

[ز] عقدالندوات العلمية حيث يلتقى رجال الصناعة ورواد البحوث ليناقشوا مقومات الصناعة وتطوير الانتاج ومشاكل الساعة ، ويتبادلون وجهات النظر فيما يعرض من خلال تلك اللقاءات .

ليـلى الشـربينى
دبلوم فى الاحصاء الرياضى
من جامعة باريس

من اهم الاسباب التى ادت الى عدم تحقيق البحث العلمى لرسالته هى :

● ١ — عدم وجود تخطيط على المستوى القومى للبحث العلمى مما ينتج عنه :

[أ] تكرار لبعض نقاط البحث .

[ب] اغفال بعض النقاط التى قد تكون هامة .

[ج] القيام ببحث نقاط لاتهم فى المرحلة الحالية .

٢ — عدم توافر المعلومات اللازمة للباحثين وذلك يرجع الى :

[أ] القصور فى توفير المراجع والدوريات والتقارير العلمية اللازمة .

[ب] قصور طرق تداول هذه المراجع فى حالة وجودها .

٣ — عدم اعداد الباحثين بالاسلوب المناسب لاستيعاب هذه المعلومات

[أ] النقص فى المـام الباحثينباللغات التى تصدر بهـا وعدم وجود اقسام ترجمة .

[ب] التقصير فى اعداد الباحث علميا فى كثير من العلومالحديثة وخاصة الرياضيات التى اصبحت اللغة السائدة فى الكتابة فى شتى مجالات البحث

٤ — عدم وجود اخلاقيات للبحث العلمى .

[أ] النقص الشديد فى الرواد فى البحث العلمى .

[ب] الافتقار الى الثورة فى كافة مراحل التعليم .

●● ١ ــ من الاسباب التى أدت الى الثورة العلمية :

[أ] التوسع فى استخدام الرياضة الحديثة فى مجالات علمية جديدة .

[ب] زيادة امكانيات الحاسبات الالية [الكمبيوتير] وامكان استخدامها فى العلوم كنتيجة لاستخدام الرياضيات والاحصاء .

٢ ــ حتى يمكن اللحاق بهذه الثورة العلمية والاستفادة منها يجب زيادة قاعدة العاملين المتخصصين فى المجالات السابقة وهذا لخدمة جميع انواع العــــلم .

●●● لكى يكون تنظيم البحث العلمى مثمرا يتحتم :

١ ــ وجود نوعية من العلميين التى تربط بين مراكز الانتاج والخدمات ومراكز البحث العلمى .

٢ ــ الالتزام بالعمل بنظام الفريق .
[أ] فريق متكامل من تخصصات مختلفة للعمل فى حل مشكلة محددة .
[ب] فريق من تخصص واحد للعمل فى حل أنواع مختلفة من المشاكل فى مجالات مختلفة .
٣ ــ ضرورة انشاء مدارس علمية فى العلوم الحديثة .
مثلا .. انه من الحقائق الثابتة فى العصر الحالى وجود ما يسمى بالانفجار فى المعلومات وهو زيادة كمية المعلومات [بما فيها المواد العلمية البحتة] التى تطبع وتنشر وتعجز طاقة الافراد على استيعابها بالطرق العادية .
وقد زاد هذا الموقف من اهمية وجود أسلوب منطقى وموضوعى لتداول هذه المعلومات باستخدام كافة الحاسبات الالية لتوضـــــع تحت تصرف الباحثين بالسرعة والدقة الكافية .
وهذا بالتالى يتطلب جهدا ضخما فى الموضوعات الاتية :
١ ــ التصنيف العلمى للمعلومات حسب احتياجتنا .
٢ ــ دراسة تركيب اللغة رياضيا .
٣ ــ استخدام الحاسبات الالية فى تصنيف المعلومات بطريقة علمية حسب التحليل الرياضى لتركيب اللغة .

ورغم احتياج مجالات عديدة لابحاث فى هذا الموضوع الا انه لا يوجـــد بكلية العلوم قسم لسفريات ولا وحدة أبحاث بالمركز القومى للبحوث تعمل فى هذا المجال .

عمر الفاروق عثمـــان
المركز القومى للبحوث

● ١ ــ عجز القيادات السياسية عن تصور دور البحث العلمى سياسيا فى خدمة قضايا التنمية ، وعجزها أيضا عن تفهم متطلباته .

٢ ــ تصور القيادات التكنيكية امكانية الاستعاضة عن الخبرة المحليـــة باستيراد الخبراء الاجانب لتقديم الحلول الجاهزة لمشاكل الانتاج أو بشراء رخص الانتاج وانتقال هذه العدوى الى قيادة الدولة السياسية [تصريح الرئيس الراحل لاخر مؤتمر للمبعوثين عام ١٩٧٠] .

٣ ــ غياب الاستقرار فى اجهزة البحث العلمى ، وربط قيادته دائمـــا بشخص الوزير المسئول ، ورفض تكوين مستويات القيادة المختلفـــة بل واستنكار مبدأ تواجدها واعتبار ذلك انتقاص وافتئات على رأس الجهاز .

٤ ــ القضاء على امكانية التطور فى برامج وكادرات البحث العلمى بجعل الاقدمية اساس الترقية [حقيقة] ، وصدرية لجان فحص الانتاج العلمى ، وبالتالى فرض سيطرة ابدية لغير القادرين ومقاومتهم أى تطور حرصا على مناصبهم .

٥ ــ الاتجاه المتزايد الخاطىء لربط الباحث العلمى وتقييمه بمجرد الحصول على درجة علمية معينة [الدكتوراه] وهو ما يتنافى مع طبيعة المطلوب منه فى خدمة قطاعات الانتاج [يجب عدم التقيد بالحصول على درجة علمية وان كان ذلك لا يمنع من الحصول عليها] .

٦ ــ تدهور اجهزة الخدمات المستمر وسيطرة عناصر قادرة وغير مسئولة عليها وبالتالى شل اجهزة البحث والمعامل . وقد فصلت وحدات الخدمات [المكتبة والورش بأنواعها] من المركز القومى للبحوث مثلا واصبحت وحدات مستغلة واصبح التعامل معها مسرحية شبه كوميدية ممجوجة .

٧ ــ غياب فئة الفنيين المساعدين ذوى الكفاءات المتفاوتة وغياب السكرتارية وبالتالى استهلاك ما قد يصل الى ٩٠٪ من وقت الباحثين فى أعمال بعضها يمكن للاميين ان يقوموا بها والمسألة هنا اقتصادية بحتة وليست نوعا من التعالى .

٨ ــ غياب الرعاية الواجبة للكادرات العلمية، وبالتالى استهلاكها فى زمن قياسى من ناحية القصر وذلك اما :

[أ] بالاهمال حتى القتل ، وقد فقد المركز القومى للبحوث وحده اثنان من باحثيه الشباب فى سن الثلاثين خلال الايام الخمسة الاولى من هذا الشهر [مايو ١٩٧٣] الى جانب خمسة آخرين فى سن الثلاثين خلال الاشهر القليلة الماضية وذلك بأمراض سرطانية او تلف احد اجهزة الجسم الحساسة ، هذا الى جانب عدد آخر يتراوح عمره بين الاربعين والخمسين

[ب] بالاهمال الذى لم يؤدى حتى الان الى حد القتل وانما ادى الى البتر لاجزاء مصابة سرطانيا أو اصابات خطيرة كالجلطة [لافراد فى سن الثلاثين كمتوسط] أو تدمير قدرة العين على الابصار أو الانيميا الدائمة أو تشوهات المواليد .. الخ .. وهى حالات المعروف منها عشرات ، وقد تصل الى مئات داخل المركز القومى للبحوث وحده اذا ما جرى فحص دقيق لجميع الباحثين .. واغلب هذه الحالات لشباب فى مقتبل العمر .

[جـ] هجر الباحثين لاماكن البحث العلمى بعد حصولهم على الدكتوراه نتيجة لانهيار قدراتهم واستهلاكها تماما فى تلك الفترة المحدودة وعدم رغبتهم فى الاستمرار فى التمتع بالمعاملة الاسوا ، ومن الامثلة الصارخة على ذلك وليس على سبيل الحصر هى مساواة الباحثين بالشهادات المتوسطة الـ [٢٠ جنيها بداية كل منهما بينما هى ٢٥ جنيهـا لخريج الجامعات] ، منحهم علاوات بفئات اقل من الكادر العام للدولة ، تجميد مرتباتهم عند حدود دنيا تجاوزتها الزيادات التى أضيفت الى المرتبات بينما الغى تجميد المرتبات لجميع موظفى الدولة .. الخ ..

●● الثورة العلمية والتكنولوجية فى الدول المتقدمة والتى ورد ذكرها بالسؤال التالى هى ببساطة نتاج حاجة مجتمعاتها سواء فى الدول الاشتراكية، أو فى الدول الرأسمالية ، فقيادة هذه المجتمعات ، تواجهها تحديات الحاجة والمنافسة ، ولا تجد أمامها من سبيل سوى مزيد من التطوير او الاختراع تقوم بها اجهزتها العلمية والفنية ، هذا على أساس أن توفر القيادة السياسية الامكانيات وتحاسب على النتائج .

ولا أجد داعيا ولا وجها للمقارنة بهذا الخصوص بيننا وبينهم ولكن يمكنني أن أقول أن لدينا قلة من الباحثين ذوى كفاءة حقيقية وعالية ولدينا عدد ضخم [نسبيا] من ذوى الكفاءة العادية من الباحثين وكل هؤلاء مجتمعين ثروة ولكننا سياسيا نحكم باعدامها ببساطة كالاتى :
ــ أكاديمية البحث العلمى مثلا تضم أكثر من الفين من الباحثين يعملون فى مصر وهى دولة غير منتجة للاجهزة العلمية او للكيماويات بالدرجة التى تسد احتياجات الباحثين الاساسية ، ترصد الدولة لهم خلال ثلاثة شهور من عام ١٩٧٣ ثلاثة آلاف جنيه استرلينى حصة نقد أجنبى ، اى أن كل باحث يخصص له جنيه ونصف استرلينى فى ثلاثة شهور ، أى ثلاثة تعريفة استرلينى فى اليوم !! مواد تشغيل واجهزة وقطع غيار .. الخ .. فهل يمكن لاحد أن يتساءل اين نحن ؟ أو لماذا نحن ؟ ومن ناحية العملية المحلية المدرجة بالميزانية ، لنفس المكان نجد أن مخصصات الباحث (بعد استبعاد تكاليف المبانى الهائلة الخاوية ، والمكاتب والدواليب .. الخ] لا تتعدى ايضا عدة قروش مصرية يوميا !! فهل عرف الجميع الان أين نحن ؟ ».

●●● من الضرورى أن نعلم أن تنظيم البحث العلمى مثل تنظيم اى قطاع حيوى فى الدولة يعتمد على حد كبير على الاوضاع الاجتماعية والسياسية لهذا المجتمع ، هذه الاوضاع الاجتماعية والسياسية هى التى تحدد كيفية مساهمة البحث العلمى فى حل القضايا القومية ، ومما لاشك فيه أن عملية تنظيم البحث العلمى تصبح عملية معقدة اذا ما حاولناها بعمل مربعات وخرائط وهياكل تنظيمية وبأن نحدد ونوصف شاغليها ، فلقد تكررت هذه المحاولات بصورة أو بأخرى ، بقيادة أو بأخرى ، وفشلت فى كل مرة .

واذا تأملنا فى الاوضاع الحالية لوجدنا معاهد ووحدات البحث العلمى متواجدة فى عديد من الوزارات ومؤسسات القطاع العام وشركاتها الى جانب ما يسمى أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا [وسابقا وزارة البحث العلمى ــ المجلس الاعلى للبحث العلمى ــ مجلس دعم البحوث ..] وفى ضوء هذا التوزيع اتصور أن أفضل الاوضاع للبحث العلمى أن تكون هناك ثلاث حلقات :

١ ــ على الجهاز السياسى بوسيلة أو بأخرى ، أو بجهاز متخصص أن يحدد أولا مشاكله القومية التى تحتاج الى معالجة عن طريق البحث العلمى .
٢ ــ [جهاز] للبحث العلمى ايا كان اسمه ، وظيفته نقل وتحويل المشاكل القومية المحددة سياسيا الى اطار مشاكل علمية ، حصر كل المعلومات المتاحة التى تخص المشكلة ، حصر الافراد العلميين اللازمين لحل المشكلة كفريق متكامل ، تحديد المعامل القادرة بحكم تجهيزاتها القائمة على المساهمة فى اجراء البحوث اللازمة ، توثيق العقود بين وحدات البحث وقطاعات الانتاج على أن ينص فيها على المشكلة ومصادر التمويل والجدول الزمنى التقريبى للعمل ، وأخيرا رفع نتائج هذه البحوث مقيمة علميا الى الجهاز السياسى .

٣ ــ وحدات البحث العلمى بنوعياتها المختلفة والمتواجدة حاليا ، وهى اما مركزية متكاملة مثل المركز القومى للبحوث ، واما مركزية نوعية مثل مراكز البحوث التابعة لوزارة الزراعة ، أو وحدات متخصصة على مستوى الوحدات الانتاجية .. وهذه الوحدات بنوعياتها المتدرجة تتحمل مسئولية معالجة المشاكل المطروحة بحسب حجم المشكلة ونوعيتها .

وعلى كل حال ، وأيا كانت الاشكال التنظيمية المطروحة ، فانه فى غياب سيادة الاسلوب الديموقراطى تماما على جميع المستويات ذات الاتصال

بالبحث العلمى فسوف يستحيل تحقيق اى نوع من التقدم خصوصا فى مجتمع مثل مجتمعنا وفى مثل ظروفه . كذلك لابد من اللامركزية التامة فى ادارة وحدات البحث العلمى مهما صغرت او كبرت للتخلص من السيطرة المميتة للاجهزة الادارية المريضة والقائمة حاليا على رعاية الباحثين .

●●●● لاجدال فى تواجد عديد من البحوث العلمية التى تمت وهى فى نفس الوقت قابلة للتطبيق ولم تستخدم او لم يتم الاستفادة منها ، ولكن هل من المجدى ان نطالب فى الظروف الراهنة بتنفيذ مثل تلك البحوث ، واليس من الاجدى مثلا أن نطالب بالقضاء على أسباب تدهور التربة الزراعية بدلا من اجراء البحوث على تحسين التربة فى حين أن أسباب تدهورها معروفة لجميع المختصين ، أو اليس من الاجدى أن نطالب بوقف استخدام الارض الزراعية فى البناء أو فى صناعة الطوب الاحمر بدلا من استهلاكها واستهلاك أموال أخرى للبحث عن طرق استصلاح الارض الصحراوية . الخ

اما من ناحية الوضع الامثل لربط العلم بالانتاج فهو فى رايى لا يمكن أن يتم بدون أن ترغم القيادة السياسية للدولة وحدات الانتاج [صناعية ، زراعية .. الخ] على الوصول بالانتاج الى كم وكيف وسعر محددين ومتناسبين مع مثيلات ذلك للمنتج فى الدول المتقدمة ، على أن يتم ذلك خلال فترة محددة من بدء الانتاج ، مع مراعاة أن انخفاض أجور العمال لدينا يجب أن يكون عاملا الى جانب خفض التكلفة . ومن هنا سوف يتحتم على وحدات الانتاج اللجوء الى وحدات البحث العلمى الحالية والتعاقد معها لحل المشاكل القائمة التى تواجهها أو لرفع كفاءة الانتاج وتطويره ، أو عليها أن تنشىء وحداتها وتربى باحثيها اذا لم تتوفر الخبرة الجاهزة لها .

د. محمد عبد المعطى عرفة

باحث بالمركز القومى للبحوث

● يعانى البحث العلمى من عقبات تعوقه عن تحقيق رسالته نوجزها فيما يلى :

ــ عدم وضع خطة واضحة المعالم على مستوى الدولة تلتف حولها فرق الباحثين العلميين .

ــ عدم استقرار الافراد العلميين المؤهلين مما لا يمكنهم من ممارسة البحث العلمى لاسباب كثيرة منها اسلوب معاملتهم ماليا وترقيتهم ونظرة المجتمع اليهم .

ــ النقص الشديد فى عدد ونوعية الافراد المعاونون للباحث العلمى مثل مساعد المعمل والفنى المختص فى اصلاح وصيانة الاجهزة والمختص فى الادارة العلمية والمختص فى التوثيق العلمى والخدمة المكتبية ــ وايضا المختص فى تصميم وتنفيذ الاجهزة العلمية .

ــ عدم تجهيز معامل البحوث بالاجهزة العلمية اللازمة .

ــ تخلف المكتبات العلمية من حيث اسلوب العمل بها وقلة ما تحويه من مراجع علمية ودوريات .

●● يبذل علماء مصر جهودا مضنية لمواكبة الثورة العلمية والتكنولوجية

العالمية ومع ذلك ، واستشهد فى ذلك بما كتبه الدكتور حسين فوزى فى الاهرام بتاريخ ١٩٧٣/١/١٩ م ، نجد أن عطاء ونظرة المجتمع لعلمائنا وللعلم ، ماديا وادبيا ، اقل من المطلوب .

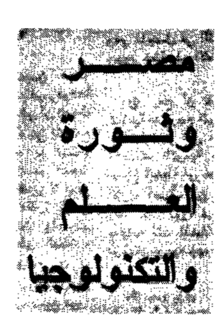
وفى خمسينات هذا القرن ، وفى الوقت الذى تميز بمولد علوم جديدة وظهور اساليب ومناهج جديدة للبحث .. الخ ، هوجم البحث العلمى وباحثونا العلميون هجوما شديدا واتهموا بأنهم لا يخدمون قضايا المجتمع ويسكنون الابراج العاجية . واذكر حديثا لاحد المسئولين والذى قال فيه تهكما أن أحد علمائنا يبحث احشاء ام أربعة واربعين . فغياب القيادة المستنيرة المثقفة اضاعت ما بيدنا واثرت على البحث العلمى لسنوات طويلة بدلا من أن تحافظ على باحثينا وتساندهم ومن الغريب انه اذا اثير موضوع البحث العلمى وباحثينا ترتفع دائما وبروح التآمر أصواتا غير واعية تتحدث عن مشاكل أخرى وترى أنها أولى بالرعاية .

لكن القيادة المستنيرة هى وحدها التى تستطيع أن تعى حقيقة أن البحث العلمى استثمار لمئة سنة قادمة وأى ايقاف لهذا الاستثمار انقيادا وراء هذه الاصوات غير الواعية خطأ لا يمكن اصلاحه فى عشرات السنين ولا يجب أن يحدث فى السبعينات ما حدث فى الخمسينات بل يجب أن نبدأ حالا فى وضع الاسس لنهضة علمية منظمة .

●●● اذا كان من المتبع عادة لحماية أية صناعة محلية ناشئة هو: منع استيراد سلع لها مثيل محلى او فرض رسوم جمركية عالية عليها فلماذا لا نحبذ أن يقوم علماؤنا ببحث قضايانا القومية قبل اللجوء الى الخبرة الخارجية ؟ ، وبذلك نضعهم امام مسئولياتهم وندفعهم الى المساهمة فى حل هذه القضايا . واعتقد أن أى تنظيم للبحث العلمى لابد أولا أن يرتكز على هذه الحقيقة وأن ننحى جانبا ، مهما قيل عن ذلك ، هذه الرغبة المحمومة لدى البعض الى شراء براءات الاختراع والمصنع الجاهز واستقدام الخبراء مما يلغى تماما دور البحث العلمى ولا يمكنه من استكمال مقسوماته الاساسية . أن احدى الهيئات العامة التابعة لاحدى الوزارات كمثال لا تعرف ما يجرى داخل جدران المركز القومى للبحوث وهى ترسل فى استقدام خبراء من الخارج وتبذل فى ذلك قصارى جهدها دون أن تعرف هل يمكن حل هذه المشكلة اعتمادا على الخبرة المحلية أم لا ؟

●●●● بالطبع توجد أبحاث علمية قابلة للتطبيق، ويمكن الاستفادة منها، ولكنه ينقصنا دائما الثقة بأنفسنا والتفكير بأسلوب علمى . واذا قيل أن الصناعة تعانى من قلة رأس المال اللازم للاستثمار فانه لجدير بنا أن نعتمد على خبراتنا وباحثينا حتى نستطيع خفض التكاليف ونتمكن من الاستفادة كلما أمكن من البدائل المحلية .

ولربط العلم بالانتاج فانه لابديل من أن نخصص نسبة معينة [١٪ تقريبا] من صافى أرباح الصناعة لتمويل البحث العلمى على صورة عقود بين مؤسسات الانتاج ومراكز البحوث على ان توضع الضوابط التى تكفل توجيه هذه النسبة الوجهة الصحيحة وأن يكون اعضاء مجالس ادارة المؤسسات الانتاجية مسئولين مباشرة عن الاختيار السليم لموضوع التعاقد ومراعاة أن يكون محققا لاهداف الانتاج والتنمية ، ثم متابعة ما يجرى داخل المؤسسة البحثية القائمة بتنفيذ التعاقد وامدادها بالمعلومات والبيانات واتاحة الفرصة لاعضاء الفريق البحثى للتعرف على طرق ووسائل الانتاج المتبعة فى المؤسسة الانتاجية .



تعليق على الشهادات الواقعية وأبعاد أوسع للمشكلة وأسلوب للعمل

د. محمد أحمد عجلان

حسنا نفعل اذ نثير القضايا الرئيسية التي تتعلق بمستقبل مجتمعنا حتى وان كانت من ذلك النوع الذى قد لا يوجد ادراك شعبي واسع بمدى أهميته وأبعاده الحقيقية مثل قضية البحث العلمى فى مصر وعلاقتها بثورة العلم والتكنولوجيا العالمية المعاصرة .

والاسئلة الاربعة المطروحة وان كانت لا تشمل كل تفاصيل القضية ولكنها فى الواقع تلمس الخطوط العريضة العامة التى تحكمها : أن تكون للبحث العلمى رسالة فى المجتمع ، والا تنفصل رسالته والقيام بها عما يجتاح العالم كله من ثورة فى هذا المجال ، وكيف تنظم جهد البحث العلمى ليحقق هذا وكيف نربطه بالانتاج .

ولانها الخطوط العريضة العامة ، فان الشهادات الواقعية التى وردت ممن وجهت لهم الاسئلة لم تقصر فى الواقع عن التعرض للنقاط الاربعة . وفى بعض الاحيان بقدر من الاستفاضة .

حول العينة المختارة

والشهادات التى وردت وان كانت لا تغطى قطاعات أساسية فى البحث العلمى مثل قطاعات العلوم الطبية والتجارية والعلوم الزراعية ومجالات نشاط اقتصادى عامة مثل الثروة الحيوانية وصناعة الدواء ، كما لا تغطى قطاعات العلوم الانسانية ، الا أنه يمكن اعتبارها ممثلة لقطاعات العلوم الاساسية والتطبيقية بشمولها لعديد من التخصصات فيها ، ولورودها من باحثين فى المركز القومى للبحوث والجامعات ومؤسسة الطاقة الذرية ٠

ولن يعنى هذا أن ما ورد بها من آراء سوف يتغير اذا كانت قد شملت تلك القطاعات . فلا شك ان الظروف لن تختلف فى هذه المواقع الاخرى عن تلك التى جرى مسحها سواء فى طبيعة توجيه البحوث العلمية ، أو الامكانيات المتاحة لها ، أو تكوين وعقليات الباحثين فيها ٠ فغالبيتهم العظمى من ذلك الجيل الذى اختاره تطور مصر التاريخى ليهيأ لمحاولة اللحاق بالعالم الراكض فى حلبة ثورة العلوم والتكنولوجيا « جيل خريجى الخمسينيات والستينيات الذى انتشر فى معظم مصادر المعرفة فى العالم ليعود الى مصر حاملا من المؤهلات ما يجعله قادرا على دفع العجلة لتدور بسرعة متزايدة فى مختلف مجالات الانجاز العلمى سواء كان بحثا أو تطبيقيا .

ولكن نظرة الى الشهادات واستعراضا لما جاء بها ، لابد يثير فى النفس حسرة شديدة أن صار هذا حال ذلك الجيل الذى كان موضع الامال ٠

يصدق هذا حين نجد الشهادات تكاد تجمع فى ردودها على السؤال الاول على أن **البحث العلمى لم يؤد دوره فى المجتمع حتى الان** ٠ ورغم ما أبداه البعض القليل أن عمر البحث العلمى فى مصر قصير لا يعدو عشرين عاما هى الفترة التى قضيت فى تكوين واعداد العناصر القادرة على البحث ، الا أنه يعود ليشارك باقى الاراء فى أنه كان ممكنا أن يلعب رجال البحث العلمى ومؤسساته دورا افضل لو لم توجد بعض المعوقات الاساسية التى تحول بينهم وبين ذلك » .

ويرجع القصور فى نظر اصحاب الشهادات الى عوامل يمكن تعدادها فى :

● **غياب الخطة العلمية** التى تربط بين جهد البحث العلمى واحتياجات المجتمع فى معركة التنمية التى يخوضها ٠ فمع أننا أخذنا بالتخطيط كسياسة قومية شاملة منذ سنوات عديدة ومع التسليم بأن عددا من الخطط العلمية قد تم وضعها منذ نهاية الخمسينيات ، الا أن الانفصال بين قطاعات البحث وقطاعات الانتاج يجعل البعض يرى فى الخطط المختلفة « مجرد اعادة ترتيب الاوراق القديمة مع اضافة ما عساه يكون مطروحا قوميا من مطالب » وأن « عدم تعريف وتحديد المشاكل القومية والمصيرية من صناعية وزراعية واقتصادية وحربية وعدم توجيه عناية الباحثين الى هذه المشاكل فرضت عزلة على البحث العلمى ومؤسساته فى مصر تركت الباحثين بلا حيلة يخضعون لاهتماماتهم الشخصية العلمية » وهو ما يصل فى النهاية الى عدم وجود خطة على الاطلاق .

● ومع أن غياب الخطة العلمية قد يرجع الى عدم وضعها اساسا ، او الى عدم وضوح الاهداف القومية العامة التى تصاغ الخطة فى ضوئها ، الا أن الاراء تضيف من العوامل ما ربما لعب دورا فى عدم امكان صياغة تلك الخطة التى بدونها لن يمكن توجيه جهود البحث .

فالبعض يرى أنه كان « يجب على المسئولين عن البحث العلمى فى الخمسينيات والستينيات أن يضعوا استراتيجية طويلة المدى تهدف الى **التركيز على مجالات** محددة ترتبط بالمشاكل القومية، ولا تتعرض للتغييرات التى تتعرض لها الحكومات أو كبار المسئولين وتكون ملزمة على مستوى القيادات الفنية » . اذ انه بدون هذا ، ورغم « حديثنا المستمر عن أهمية العلم ، الا أن حركة البحث العلمى تعيش على هامش الحياة المصرية لا تقوم بدور أساسى فيها ، لانه ليست لها سياسة طويلة الاجل » ، ويحدد راى ثالث ملامح لاسس وضع الخطة واستراتيجيتها بقوله أن تنظيم البحث العلمى يجب أن « يرتكز على تكنولوجيا الضرورة بدلا من التخطيط فى حالة انعدام الوزن » بمعنى أن ذلك يتطلب التركيز على مجالات معينة لاننا « دولة فقيرة لا تستطيع بناء عشرات من المعاهد وتجهيزها » .

ان الشهادات تكاد تتفق جميعا فى ضرورة قيام خطة شاملة للبحث العلمى ترتبط باحتياجات المجتمع ، وتتجسد

استراتيجيتها باختيارات من المشاكل تفرض ظروفنا الواقعية أن تكون لها الاولوية ، وتسمح قدراتنا بأن نوجه لها القدر الكافي من الجهود في شيء من التركيز من ناحية والتنسيق من ناحية أخرى يتيحان امكان الوصول الى نتائج محددة وايجابية ».

ومع ان مواثيقنا السياسية الاساسية بدءا بالميثاق الى برنامج ٣٠ مارس الى برنامج العمل الوطني قد أولت العلم دورا رئيسيا في حياة المجتمع عبرت عنه في تحديد أنه السبيل الوحيد الى اللحاق بركب التقدم ، وفي الدعوة الى قيام دولة العلم والتكنولوجيا ، ثم الى ضرورة ارساء دولة العلم والايمان . مع هذا ومع الجهد الذى بذلته الدولة في ايفاد آلاف المبعوثين – وهم آلاف بالفعل ولا مبالغة في ذلك – ليشربوا العلم في جميع جهات الارض • ومع انشاء عشرات معاهد البحوث ، وجعل أحد أيامنا السنوية عيدا للعلم يحتفل به على أعلى المستويات . مع كل هذا ، ومع ما أبرزته نكسة يونيو ١٩٦٧ من فارق تكنولوجي بيننا وبين العدو المباشر الذى يهدد مصيرنا ، الا أنه يبدو من متابعة تلك الشهادات أنه ربما كانت الشعارات السياسية والقومية شيئا والممارسة الفعلية شيئا آخر . فاجاباتهم تجأر بالشكوى من عدم الاعتراف بالعلم والايمان بامكانياته •

وتنعكس ظواهر صراع الاجيال بين قوى البحث العلمي البشرية . الكثير من الشهادات يؤكد أن الجيل السابق لشباب الباحثين لم ينجح في تكوين المدارس العلمية التي تعارف العلماء في كل بلاد العالم أن ينجح كل منهم في تكوينها بقيادته ومن حوله ، تضفي صفة الاستمرار على دراسة معينة أو وجهة في البحث العلمي يقودها ذلك الاستاذ المتمرس واسع المعرفة والقدرات . والكثير يؤكد أن عديدا من مواضيع البحث التي يرتادها سابقوهم انما تأثرت بما درسوه في الخارج أو كانت تكرارا لبحوث سابقة بهدف تجميع أكبر قدر من البحوث المنشورة كجواز المرور الى الترقيات .ومن ثم« فطابع البحث في مصر يغلب عليه عدم الاستمرار في نفس الاتجاه ، بمعنى أن مواضيعه غير متسلسلة ولا يمكن الربط بينها » • ويذهب البعض في تأكيد أهمية دور هذا الصراع حين يؤكد « أن صراع الاجيال الموجود في البحث العلمي هو السبب الرئيسي المعوق لكل تقدم . ولقد أصبح هذاالصراع جزءا من الحياة اليومية لكبار البحاث » .

ذلك رغم ما تؤكده كل مواثيقنا من أن على الاجيال المدبرة أن تتيح الفرصة لاجيال الشباب الصاعدة ، فهي في الحقيقة صاحبة الحق الاول في تشكيل المجتمع الذى ستصبح بعد قليل هي صاحبته والمسيرة لها ، وان على الاجيال التي أخذت دورها أن تقبل انتقال الدور في يسر وسهولة الى تلك التي تجيء من بعدها •

وتتكرر في أكثر من موقع المناداة بديمقراطية وضع خطط العمل ، وتسيير عجلة البحث العلمي ، اذ يرى أحدهم – وهو على حق – بضرورة أن تختلف فلسفة وضع خطط البحث عما هي عليه الان ، وأن تبدأ « من مناقشات الجماهير والقاعدة العلمية ثم تصعد الى أعلى المستويات للتنسيق بينها ، ثم تعرض ثانية على القاعدة للمناقشة واقرارها » . كما يضيف آخر أنه « يقترن وضع خطة لاى مشكلة مهما كان لونها على مدى طرحها » ويدعو ثالث الى « ضرورة التعرف وتحديد المشاكل القومية بواسطة الاكاديمية وطرحها أمام القاعدة العلمية وفتحها لمناقشات مستفيضة » .

وتتوالى أسباب عديدة أخرى في بيان لماذا لم يحقق البحث العلمي رسالته في مصر حتى الان ؟ فنجد النقد لعدم الايمان بأن البحث العلمي انما هو استثمار طويل الاجل ، لن تكون له بالضرورة نتائج عاجلة ». ونجد الشكوى من نقص الاعتمادات التي تهيء الفرصة لامداد المعامل بمستلزماتها من أجهزة حديثة ، وكيماويات تعين القائم من الاجهزة على أداء دوره ، ومن أن الاعتمادات تذهب في أغلبها الى المرتبات بحيث لا يبقى للبحث ذاته الا أقل القليل ». كما تشير أغلب الشهادات الى نقص خطير في المراجع العلمية والدوريات الامر الذى يؤدى الى عدم متابعة الجديد على المستوى العالمي في سرعة وسهولة •

ولا تغفل الشهادات دور الانسان باعتباره العنصر المحرك لكل الامكانيات ».

لقد كانت الاجابات على السؤال الاول تشغل الكثير من مساحة الاجابات وهو أمر طبيعي ، لانه أن يصل البحث العلمي الى مشارف أداء رسالته – على الاقل – انما هو تسليم فعلي بصلاح الحال في

الاسئلة الثلاثة الاخرى الى حد كبير ».

ولكن فى تعليق اصحاب الشهادات على السؤال الثانى **عن موقع مصر اليوم من الثورة العلمية والتكنولوجية التى بدأت فى خمسينيات هذا القرن** ، نستشف من جميع الاجابات أنه لم يكن مستطاعا لاحد أن يحدد اجابة واضحة عليه • وذلك أمر طبيعى أن ينتج من مختلف الظروف التى تحيط بالبحث العلمى والتى تستفيض الاجابات على السؤال الاول فى شرحها . فغياب الخطة العلمية التى تجمع وتوجه جهود الباحثين لن يتيح مطلقا أن يحدد للبحث العلمى موقعا من هذه الثورة العالمية ينهل من مختلف روافدها ، ويضيف رافدا جديدا اليها •

ولكن الاجابات تؤكد كذلك أنه يمكن أن يكون لنا دور . وتستدل على ذلك بانجازات ونجاح عشرات الشباب المصرى العالم الذى يضيف فى الخارج الى الحصول العلمى العالمى طالما كانت من حوله الامكانيات ، وساهم ضمن مدرسة من مدارس البحث ، أو قاد مدرسة خاصة به .

تشير الاجابات أن الالمام بمضمون الثورة العلمية المعاصرة انما يكون فى الاغلب نتيجة جهد فردى لهذا العالم أو ذاك . وتتفق على أن هناك قاعدة علمية تقوم على عدد الباحثين ومستوى تحصيلهم قادرة على أن تجعل اسهامنا فى الثورة العلمية محسوس الاثر •

ولا يرى البعض ضيرا ــ وهم على حق فى ذلك ــ من أن العلماء المصريين يستطيعون أن يستفيدوا من الثورة العلمية المعاصرة « خاصة فى النواحى التطبيقية عن طريق نقل واقتباس ما يمكن تحقيقه فى مصر ، وانه يجب الا يخيفنا ذلك خاصة فى البداية ».

ومع التسليم بصحة معظم الاراء التى أبديت فى هذا الصدد ، الا أنه يجب الا نغفل عددا من الحقائق فى صدد اسهامنا وتفاعلنا مع الثورة العلمية العالمية المعاصرة . تلك الحقائق التى يمكن أن نجملها فيما يلى :

● أنه وان كانت أعداد الباحثين قد تزايدت بصورة كبيرة خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة ، الا أن قدرا كبيرا منهم ، وقدرا كبيرا من طاقة البعض الاخر لا يوجه بالفعل فى الاتجاهات البحثية العلمية ، وانه ينقصنا الكثير فى أمر وضع الاشخاص فى المواضع التى يستفاد فيها من طاقاتهم اكبر الاستفادة .

● انه مع زيادة عدد الباحثين الا أن نسبتهم الى عدد السكان ما زالت ادنى كثيرا مما هو فى بلاد العالم المتقدم ، وان كانت نسبة الحاصلين على مؤهلات أعلى من الدرجة الجامعية العادية الى اجمالى الخريجين هى من النسب المرتفعة فى العالم •

● أن اعداد الباحث يبدأ فى الواقع من الجامعة . وهذه الاخيرة مازالت من ناحية تعجز عن أن تتيح مكانا للدراسة لنسبة من الشباب تقترب مما يوجد فى العالم المتقدم ، ومن ناحية أخرى تعانى من ظاهرة الاعداد الكبيرة التى لا تهيىء إعداد خريج يصلح للبحث العلمى أيا كان موقعه فى الحياة سواء فى معامل البحوث أو فى تسيير الاعمال .

● ما اشار له أحد الباحثين من أن معدل الاطلاع لدى البحاث المصريين منخفض جدا ، وأكثر منه أن معدل النشر العلمى منخفض جدا الى درجة أنه رغم الطاقة البحثية الكبيرة المتاحة فى صورة أفراد وأجهزة ورغم ما يتوفر عندنا من علماء « يندر أن يوجد مثلهم فى أى بلد نام » فلا تقع القاهرة ضمن الستين مركزا الاولى فى البحوث العلمية فى العالم .

● يضاف لما سبق ما أشار له الكثيرون من انخفاض النسبة من الدخل القومى المنفقة على البحث العلمى مقارنة ببلاد العالم ، والانفصال شبه الكامل بين طاقات البحث وطاقات الانتاج ، وتفشى الامية الفكرية التى لا تستطيع أن ترى أهمية رسالة البحث العلمى وغيرها من العوامل التى توفيها الشهادات حقها من السرد والتوضيح •

واذ يأتى دور السؤال الثالث **عن كيف ينظم البحث العلمى ليساهم فى حل قضايانا القومية** سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، تتوالى الاقتراحات الجادة والعميقة . ولكنها فى جميع الصور التى أتت بها تنبع من ضرورة احداث ربط لا انفصام فيه بين قوى الانتاج وقوى البحث العلمى . فيقترح البعض أن تكون قاعدة أن يمضى رجال البحث العلمى فترة ما بصفة دورية فى مواقع الانتاج يشاهدون من ناحية ويعاونون ويضيفون من ناحية أخرى ، ويعودون الى معاملهم بمحصول

للبحث العلمى من ناحية ثالثة . ويرى البعض ضرورة تمثيل البحث العلمي في قيادات العمل الانتاجى بهدف ترشيد القرارات واعطائها صبغة علمية . ويرى آخرون ضرورة أن تخصص نسبة من أرباح قطاعات الاعمال للانفاق على البحث العلمى ضمانا الا تجف عنه الموارد ، وان تتبع فى ذلك صيغة العقود بين الجهات المعنية . كما يجب فى نظر البعض أن يكون هناك حساب لجهات الانتاج ليس من زاوية الارباح التى تحققت فحسب ، ولكن من زاوية ما نجحت في الوصول اليه من بدائل محلية لخامات اجنبية ، أو ما حققته من خفض فى التكلفة ، أو ابتكار أدى الى رفع الكفاية الانتاجية .

وتتوالى الاقتراحات ، وتوضع لها بعض الضوابط بأننا « لا نستطيع ولا يمكن أن نتخصص وأن نجرى أبحاثنا فى كل الاتجاهات العلمية ، بل يجب التركيز على اتجاهات معينة ترتبط بالاقتصاد القومى ، وأن تحدد هذه الاتجاهات على أساس مشاريع بحثية معينة مدروسة بدقة ولها هدف معين » .

وتتسع نظرة بعض الاقتراحات الاخرى فى صورة تنظيم أشمل مضمونه فى معظم ما ورد أن تقوم أكاديمية البحث العلمى بواجبات أساسية هى التحديد الدقيق للمشاكل ذات الاولوية الاولى ، ثم تنسيق عمل الجهات التى يناط بها التصدى لكل مشكلة ، وفى النهاية قيادة وتوجيه عملية من الاعلام العلمى تتولى توصيل المعرفة بالبحوث القائمة ومداها واهدافها الى مختلف المراكز الانتاجية بحيث تكون الاخيرة على بينة بما يدور لتنهل منه وترسل بمصاعبها اليه .

ويقيننا ان ذلك كله سليم ، وأن الاقتراحات الاخرى التى أوردتها الشهادات ولم نستطع الاشارة اليها هنا هى الاخرى سليمة . وأهم ما يميزها جميعا هو الصدق والمحاولة الجادة لبلورة اسلوب أو طريقة تخرج بالبحث العلمى من أزمة العدم الحالية الى آفاق المساهمة في بناء كيان دولة عصرية قوامها العلم .

ولكن لعله يجب أن نشير الى أن « التنظيم » فى أى مجال وأى عمل انما هو ترتيب للعلاقات وتجميع للقوى وتحديد للشكل الذى يخدم « السياسة والفلسفة » التى تحكم هذا المجال أو ذاك العمل . وبالتالى فانه مع صدق النوايا فى أشكال التنظيم العديدة المقترحة تظل المشكلة الرئيسية والاساسية هى : هل هناك ايمان بالبحث العلمى ورسالته وأهميته؟ هل هناك رؤية حقيقية لما يمكن أن يقدمه العلم ؟ هل استقر بنا الامر الى أنه من الضرورى ان يلعب العلم دوره فى بناء المجتمع وتطويره ؟ . انه حين تتوفر الاجابة على هذه الاسئلة بالايجاب، يمكن أن يكون التنظيم عندئذ مجديا وذو أثر حتى وان لم يكن فى البداية بالكمال الكافى .

وأخيرا يأتى السؤال الرابع حول هل **توجد بحوث علمية قابلة للتطبيق ولم يتم الاستفادة منها** ، فتقصر الاجابات كثيرا عن أن تورد أمثلة محددة فى هذا المجال ، وتقتصر على عموميات فى معظم الاحوال . ونبحث عن السبب وهل هو من تواضع أهل العلم بحيث لا يذكرون انجازهم فى مباهاة أو تفاخر ؟ ولكننا نعتقد أن المجال فى هذا الاستفتاء غير ذلك . وفى نفس الوقت لا يسعنا أن ننسى جهود البحوث الزراعية المصرية فى رفع غلة الفدان من مختلف المحاصيل ، وتطويع العديد من الخامات المصرية لمطالب الصناعة الحديثة وغيرها . ونقابل التقرير السنوى للمركز القومى للبحوث ــ وهو ليس المركز العلمى الوحيد فى مصر ــ فنجد به عديدا من الامثلة على بحوث تستطيع أن تخدم الصناعة المصرية بشكل مباشر .

ولهذا فاعتقادنا أن نقص الاجابات هنا انما يعود الى نقص الاعلام العلمى داخل مجتمع العلماء ذاته بحيث « ينفصلون عن بعضهم من لا تفصلهم الا أمتار قليلة » كما جاء فى أحد الردود ، والى غياب الخطة العلمية التى تجمع الجميع من حولها وتجعلهم يشعرون ويعرفون بما يجرى حولهم ، والى غياب اسلوب العمل على أساس الفريق أو المجموعة البحثية ذلك الذى تطورت اليه جميع مراكز البحوث فى العالم ، وبقاؤنا فى اطار الباحث الفرد الذى مهما أنجز فلن يذهب فى بحثه بعيدا وقد لا يعلم به فى النهاية أحد .

أبعاد عميقة لقضية البحث العلمى

ما سبق محاولة لتلخيص أمين للاراء التى أبديت وتعليق عليها . ويبدو منها جميعا انه ان لم تستقر فى مصر سياسة واضحة من المعرفة بالبعد الحقيقى لثورة العلوم والتكنولوجيا المعاصرة ، والايمان بأنه من الخطورة بمكان أن نرى العالم يركض بسرعات صاروخية فيها بينما نحن نكاد

نتجمد عند المشاكل التى تحول بين البحث العلمى وأن يقف على عتبات هذه الثورة فلن يكون لنقاشنا جدوى ·

ولكى يتضح مدى الخطورة فى وضعنا الحالى يجب أن نبدأ بسؤال لا يخلو من صراحة مع النفس قبل الغير .

هل نبتعد حين نناقش مصر وثورة العلم والتكنولوجيا عن قضايا الوطن الملحة سواء منها العاجلة أو الاجلة ؟ وهل حين نتوجه الى قطاع من أبناء الوطن بتلك الاسئلة التى طرحتها الطليعه وتلقت الاجابات عليها نذهب بالقوم بعيدا عما يجب أن يشغل أذهانهم صباحا ومساء من غير هذا من الامور الاكثر اهمية والاكثر الحاحا ؟

تلك وغيرها أسئلة لابد منها . اذ يبدو اننا فى بعض الاحيان نفتقد الرؤية السليمة للصلة بين الكل والجزء ، وللعلاقة الجدلية التى تربط بين كيان عام وجزئيات هذا الكيان ، حيث يضفى الاول طابعه على حركة الثانى ، كما يضيف الثانى بسلبياته أو ايجابياته الى الوعاء العام . وهو أسلوب علمى أصيل أن نذهب حين نريد استكشاف أو كشف النقائص فى كيان عام الى جزئياته نستجلى واقعها ، ونرى ما ينعكس فيها ، أو ما تؤثر به هى فى الكيان العام ، ثم يكون تجميع الملاحظات من الجزئيات ودراسة تفاعلها مع بعضها هو الذى يكون الصورة الكاملة لما هو قائم ومؤثر ومتفاعل فى الكيان العام .

وبصورة اكثر وضوحا . هل حين نناقش اليوم مصر وثورة العلم والتكنولوجيا · وهل اذا تساءلنا مع الاطباء غدا ، أو المحامين ، أو المهندسين ، أو أى طائفة او طبقة يتكون منها مجتمعنا عن رسالتها وما تؤديه منها ، وعن المعوقات التى تقابلها ، وعن التنظيم الامثل لحسن القيام بدورها ، نكون بهذا نحرف التفكير عن قضايا للوطن ملحة ، عن المعركة الدائرة بيننا وبين الاستعمار ، عن قضيته الديمقراطية، عن قضية التنمية والبناء ؟ ان الظن بهذا فى الواقع ليس الا ضحالة فى الفكر وقصرا فى النظر .

كيف تكون المعركة وسيرها ونتيجتها فى صالحنا ان لم نرتب قوانا من أجلها ؟ وهل ليس من ترتيب قوانا ، وجمع قدراتها ، وتوجيه طاقاتها أن نفتش عن كل معوق فى طريقها فنرفع الصوت به ، ونشير الى طريق الحل ، حتى يستقيم الوضع وتصبح القوى واحدة بعد الاخرى وقد تفرغت من التطاحن الداخلى ـ بأى صور كانت سواء بين أفراد أو مع قوانين ووضعيات ، أو مع تنظيم وروتين ـ لتتجه بعد هذا بكل الجهد وبكل الطاقة اما نحو المعركة ان انفسح لها الطريق الى ذلك ، أو لازالة كل المعوقات من طريقها ان بقى هناك بينها وبين الهدف الوطنى الاكبر معوقات ·

نشعر أن تلك مقدمة لابد منها . فاثارة القضايا التى مهما بدت من واجهاتها فرعية يمكن أن يكون وسيلة لاستكشاف جوانب القضية الاكبر ، ووسيلة لدفع القوى فكرية وعملية فى اتجاهها .

ومع ذلك فهل قضية مصر وثورة العلم والتكنولوجيا بالقضية الفرعية ، أو الجزئية التى يتضاءل قدرها أمام مشاكل الوطن الحالية ؟

اننا نعتقد غير ذلك تماما وعلى العكس نرى انها جزء أساسى منها ·

ويجب حتى يستقيم الامر اذن ان نبدأ بالسؤال ماهى ثورة العلم والتكنولوجيا التى تعم العالم المتقدم المعاصر ؟

ونجد للاجابة على هذا السؤال عديدا من الكتابات تصف الثورة العلمية المعاصرة بتعداد العديد من ظواهرها ، متمثلة فى « طوفان » المعلومات المتزايد كل يوم نتيجة البحوث العلمية سواء العلمى البحت منها ، او التطبيقى ، وبالتالى تزايد محصول المعرفة الانسانية بمعدل جد رهيب الى حد مضاعفته كل بضع سنوات تصل الى عدد اصابع اليدين فحسب . ومتمثلا فى الفارق الزمنى المتزايد القصر بين اكتشاف المعرفة العلمية المعينة وتحويلها الى انجاز تطبيقى بحيث انخفض هذا الفارق من مائة سنة فى حالة التصوير الفوتوغرافى الى ثلاث سنوات فى حالة الدوائر الترانزستورية المتكاملة ، بل وصار تصور العديد من المشاكل التكنولوجية برسم طريق البحث العلمى بحيث لا يكاد الان فى عديد من الفروع يوجد فارق زمنى ما بين الاكتشاف العلمى وتطبيقه العملى · ونجد الكتابات عن هذه الثورة العلمية المعاصرة تتعرض لظواهر عديدة أخرى مثل نسبة التعليم الجامعى الى السكان ، ونسبة العلماء المشتغلين بالبحث العلمى الى عدد السكان ، أو عدد خريجى الجامعات ، والى تزايد نصيب البحث العلمى انفاقا من الدخل القومى العام والى ارتفاع معدل النشر العلمى بين العلماء ، والى عدد الحائزين على الجوائز الدولية بينهم .. ونجد معالمها

متمثلة كذلك فى حقل الصناعة فى ارتفاع نسبة الانفاق على معامل البحوث وعلى اعادة تدريب العاملين على الوسائل الاحدث بالنسبة الى الراسمال المستثمر كله ، والى ضخامة المعامل الصناعية الحديثة الى حد اكتسابها عن جدارة صفة العملاقة سواء من حيث حجم المنشآت أو كم المنتجات أو تعددها ، ومتمثلة أيضا وبصورة أساسية فى ارتفاع نسبة الاستثمار فى أجهزة الرقابة على الانتاج وضبط وتنسيق مراحله والتحكم عن بعد أو فى غيبة العنصر البشرى ونصيبيها من الراسمال المستثمر كله • نجد هذا كله وكثير غيره فى عديد الكتابات عن الثورة العلمية المعاصرة بحيث قد يعجز الذهن عن تصور الابعاد الرهيبة التى وصلت لها فى بعض المواقع ، والتى قد تصل بمناطق فى العالم اليها فى المستقبل غير البعيد ويكاد يكون المتطور .

ذلك كله واقع . وذلك كله حقيقة . ولكن اعتقادنا ان ثورة العلم والتكنولوجيا المعاصرة شىء أعمق من كل هذه الظواهر المادية .

انها فى اعتقادنا نوع من « **الحالة العقلية** » الجديدة التى أنبتها العلم كمحصول انسانى واسع ، وكأسلوب فى النظر الى الامور ومعالجة المشاكل بحيث أصبح الاسلوب العلمى الذى يعتمد على تجميع الحقائق ، ورصد المشاهدات ، واستخلاص النتائج ، او صياغة النظريات المحددة للحركة شيئا واقعيا فى الممارسة ، تتفاعل الاذهان معه وبه ، وتمارسه دون جهد كبير لاكتسابه أو صياغته •

وليس وصف الثورة العلمية المعاصرة بأنها فى الجوهر الاعمق « حالة عقلية عامة » بتجريد او مثالية ، او نوعا من « الدروشة » العلمية نبتكرها ، بل هى فى الواقع الناتج الفكرى الطبيعى ، والاثر الاكيد على التوجه العقلى وأسلوب التفكير الذى نتج عن انعكاس الممارسة بطريقة علمية لكل مظاهر الحياة ومشاكلها ، وهو النتاج الطبيعى لان يمارس مجتمع ما دراسة العلوم عقودا طويلة من السنين ، والبحث وراء الجديد الذى تأتى به ، ثم تصبيق هذا الجديد على كل نواحى الحياة فى المجتمع ، وثبوت أن النجاح مرادف دائما لهذا الوافد الجديد .

ان العلم وما يستتبعه من أسلوب علمى ليس نشاطا قاصرا على معامل البحوث وعلى قاعات الدراسة والتحصيل ، ولكنه يشمل صعيدا أوسع من هذا كثيرا بأن يكون منهاجا وصورة للحالة العقلية لكل من السياسى والاقتصادى والعسكرى والمدرس والمزارع والعامل والفنى حيثما وجد أى منهم ، ومهما كان مجال نشاطه العملى .

ونجد ذلك منعكسا بالفعل — وان كان الى درجات متغايرة — فى المجتمعات التى ضربت شوطا بعيدا فى ثورة العلم والتكنولوجيا ، حيث لم يعد السياسى الناجح هو ذلك الذى يستطيع أن يلقى خطبة عصماء يرفع بها من انفعال الجماهير حتى تدمى اكفها تصفيقا له ، بل هو ذلك الذى استطاع أن يرصد التغيرات الجارية فى مجتمعه وفى العالم من حوله وأن يدرسها ويحللها ويستخلص منها رؤيا واضحة وعلمية لما يجب أن تتجه نحوه الامور • وبالتالى نجده يفترض فى العالم المتقدم صورة الزعيم الملهم الذى تلتف الجماهير حول الحزب من اجله ، واصبح ذو دور أهم تلك الاجهزة الحزبية ، التى نشمل مختلف التخصصات وتدرس وتحلل وترسم فى النهاية منهاج الحركة الذى يختطه الحزب كله . وقد بدأنا نسمع عن الكومبيوتر الذى يعطى المؤشرات السياسية ولا يزيد دور الزعيم عن أن ينطق بها • ونجده ينعكس فى عمل الاقتصادى الذى لا يعود يلهث بحلول مرتجلة لهذه المشكلة ثم التى تليها منتقلا ببلاده من ضائقة الى أخرى ، او من حل مؤقت الى آخر ، بل ذلك الذى يتوفر بجميع أجهزته على دراسة مجتمعه ودرجة تطوره والامال التى يتصورها السياسيون منه له ، ثم يدرس العلاقات المتشابكة لهذا الاقتصاد سواء بين أجزائه المختلفة فى الداخل أو بينه وبين ما يحيط به من مختلف اجزاء العالم ، ثم يرسم سياسة نابعة من واقع ودراسة وذات هدف استراتيجى وتكتيكى محدد . ونجده ينعكس فى عمل الوزارات ذاتها حيث تتحول من اجهزة تنفيذية كما درج الحال عليه حتى خمسينيات هذا القرن الى أجهزة بحث علمى وتخطيط ومتابعة فى الاساس تاركة الاعباء التنفيذية الى عداها من الاجهزة الادنى مرتبة واقل مسئولية .

ان كون الثورة العلمية المعاصرة « حالة عقلية عامة » معينة بدأت تسود عددا من المجتمعات انما هو الحقيقة التى سوف تدفع بهذه المجتمعات أكثر واكثر الى سلم الرقى المادى والمعنوى . لان كل انسان تتاح له خلال ممارسته لحياته الاعتيادية فرصة الملاحظة والمشاهدة وتدوين ما يحدث امام عينه من ظواهر ، ومن ثم الربط بينها والوصول الى نتائج محددة بشأنها • وسوف تكون « كفاءته

العلمية » أيا كانت درجة تعليمه – و « حالته العقلية » بمقدار ما يشعر به ويعمل من أجله من الرغبة في التثبت من دقة استنتاجه ، وتمحيص ما وصل اليه مع رصيد المعرفة المتاح . ان انساننا بهذه العقلية هو القادر على أن يراقب ثم يحكم على نظرية معينة عند احتكاكها بالتطبيق ، وهو القادر على أن يبرز أوجه قصورها ، وعلى أن يقترح – واحيانايبتكر – وسائل زيادة دقتها وصحتها .

وبنفس العلاقة الجدلية بين الاشياء فانه بقدر ما يثرى النشاط العلمى الحياة بانجازاته من حول الانسان – وليس بالضرورة العالم فقط – يستطيع هو بالمشاهدة الواعية والاستنتاج السليم ان يصب منهما في وعاء النشاط العلمى وتوجيهه وضبط نتائجه .

ويصبح كل ما يذكر عن النشاط الاجتماعى العام في مجال تهيئة الاعداد الملائمة من العلماء الباحثين ، وتوفير قدرات البحث العلمى لهم ، وزيادة الانفاق على البحوث ، والربط بين عملهم ومشاكل الانتاج ليست على ضخامتها وآثارها الكبيرة اهدافا نهائية في حد ذاتها بل هي بمثابة ايجاد الدعائم الضرورية التى تحمل مظلة تظل المجتمعكله هى « الحالة العقلية العامة » المبنية على ممارسة الاسلوب العلمى فى كل ظواهر الحياة .

وتصبح قضية البحث العلمى ورسالته وافراده ليست منفصلة على الاطلاق ، بل هى دعامة اساسية لقضية خلق الانسان الجديد .

ان التكنولوجيا الحديثة ، ومنها تكنولوجيا الاسلحة والحرب ، هى حصيلة الانجاز العلمى . والتحسينات الصغيرة والاضافات البسيطة ولكن الهامة لا يمكن أن تتم بدون ابحاث علمية . وحتى تتحدد نوعية الابحاث المطلوبة وشكل التطوير او التحسين او الاضافة او ترشيد الاستعمال لابد لنا من مقاتل يجيد مراقبة السلاح الذى فى يده ، يدرس امكانياته ، بدون الملاحظات عليه اثناء التدريب ، يتصوره عند الصدام ، يجرى الاختبارات عليه ، يقارن بين واقعه والظروف التى سوف يستخدم فيها ، ويستطيع بعد هذا ان يستخلص استنتاجاته ، ويحدد مطالبه ازاءه ، ومن ثم يدفع بها الى معامل البحث العلمى تسعى جاهدة لاجابته الى ما يريد .

وفى التنمية نحن احوج ما نكون لالى ذلك الانسان الذىيقف من الابتكار الجديد ، او من تجارب التطوير والتحسين موقف اللامبالاة او موقف المعاداة بل الذى على العكس يؤمن بها ، ويقدم من طاقته وجهده ما يدفع الى نجاح التجربة ، ويهيىء من الظروف ما يساعد على ذلك ، ويراقب النتائج ، ويدون الملاحظات ، ويستخلص الاستنتاجات ، وقد يسهم فى النهاية بالاقتراحات .

وكما نرى فنحن بحاجة شديدة الى ذلك الانسان الجديد سواء فى معركة التحرير او فى معركة البناء .

ولن يوجد الانسان الجديد – الانسان المتلائم مع عصر ثورة العلم والتكنولوجيا – الا اذا أشعنا جو البحث العلمى ، وجعلناه واقعا مرادفا لكل ظواهر الحياة لا نباتا محصورا داخل معامل البحوث مهما نما ونضج هناك . انه بهذا البعد – وليس أقل منه – يجب أن ننظر الى قضية البحث العلمى وكل قصور عن هذه الرؤية سوف يظل ينعكس فى تخلف او توقف عن اللحاق بالركب العالمى .

وبالعلم نقفز فوق عقبة فقر الموارد .

فنحن فى مصر وفى ضوء الموارد الطبيعية المتاحة دولة لا شك فقيرة الموارد كثيرة السكان ، يتحالف علينا من الظروف ما يكاد يرهقنا بأعباء الاعاشة ناهيك بالبناء والانشاء والتطوير من أجل اجيال قادمة تتزايد عددا كل يوم . ولقد تقدمت العلوم فى عصرنا الحالى واثبتت فى أكثر من موقع انها وسيلة أساسية ومضمونة لاتاحة فرص العمل المتقدم والانتاج الواسع مضاعفة الدخل القومى . ولعلها مفارقة لا تبدو غريبة فى ضوء الامكانيات التى يقدمها العلم أن اعلى معدلات التنمية فى العالم انما تحدث فى بلدين معروفين بنقص الموارد الطبيعية الى درجة كبيرة ، وبنقص مصادر الطاقة الى درجة أكبر . كما اثبت العديد من الدراسات ان اسهام التقدم الفنى فى زيادة الدخل القومى أصبح يفوق العوامل الاخرى من رأسمال أو توظيف للعمالة فى كافة الدول المتقدمة .

ومن ثم تصبح قضية البحث العلمى ذات بعد آخر ذو أهمية قصوى فى ظروف كتلك التى تعيشها مصر . بمعنى أنه يصبح ضروريا أن نوكل اليه كما حدث فى العالم المتقدم تحقيق القفزة فوق فقر الموارد الطبيعية .

وبهذا البعد الجديد الاخر والهام يجب أن ننظر الى قضية البحث العلمى واهميتها ، لانها تصبح فى بلاد كبلادنا قضية أن نعيش مستوى العصر أو نعود القهقرى بفضل الانفجار السكانى الكبير .

ويصبح لزاما علينا الا ننظر لقضية البحث العلمى كقضية فئة او مجموعة او طبقة ، لانها بهذه الابعاد هى قضية امكان التحرير وقضية امكان التنمية والتقدم .

وما العمل ؟

ويظل امامنا فى النهاية ذلك السؤال ؟ ما العمل ؟

ولن يجدى كثيرا ان نقدم هنا تخطيطا ومقترحا جديدا لاكثر من سبب ..

الاول : ان القضايا العامة لا يمكن أن يحسمها رأى فرد أيا كان ، ولكن تحسمها دائما وتنير الطريق لها المناقشة العامة الواسعة الهادفة التى تصل فى النهاية الى تجميع كل الاراء والافكار والمقترحات ونسجها سويا فى اطار واحد متكامل .

الثانى : انه لن يكون فى أغلبه - وبالقطع - جديدا تماما عن الافكار العديدة والاقتراحات البناءة التى أتت بها تلك الشهادات من ممارسين يعايشون البحث العلمى - على ما فيه - صباح مساء ..

وماذا نقصد اذن بالسؤال ما العمل ؟

اننا نعنى به كيف يمكن ان نجعل هذه الافكار ترى النور .

لقدقدمت القيادات السياسية فى كل مواثيقنا السياسية الاساسية واحدا وراء الاخر اعترافا واضحا وصريحا بالعلم ودوره فى بناء المجتمع ، ودعت الى ضرورة ان يكون العنصر المميز لتوجه المجتمع وحركته .

ولكن هناك فجوة واسعة بين ما رفعته وترفعه القيادات السياسية من شعارات وما يمارس فى التطبيق .

ويصبح العمل الواجب هو تخطى هذه الفجوة ، وازالة كل الافكار والاراء والاتجاهات التى عملت وتعمل على بقائها .

ولن تكون ازالتها واجب القيادة السياسية وحدها .

انه ان قعدنا وانتظرنا من القيادة ان تحل كل المشاكل لكان ذلك ارهاقا وتعجيزا لها .

وان لم نؤمن بأنه واجب علينا أن تساهم الجماهير بشكل واسع فى بناء المجتمع الجديد الذى نريد ، تركنا القيادة تلهث وراء آلاف المشاكل وحدها دون عون ودون نصير .

وان نقعد لنشكو فحسب ، فهو ليس ايجابية تتفق مع مضمون عصر العلم .

واحيانا ما تكون الشكوى ممن يرفعون الصوت بها محاولة لتبرئة النفس فحسب من المسئولية دون استعداد جدى للعمل على ازالتها .

ونحن على يقين أن القاعدة العلمية الواسعة جادة فيما تشكو وجادة كذلك فى الرغبة فى ازالة مصادر الشكوى .

وهنا يصبح عليها أن تتجمع . ويصبح عليها أن تنشط داخل نقاباتها المهنية واتحاداتها وجمعياتها العلمية تناقش المشكلة وتثير ابعادها وتبرز المعوقات امامها ، وتضع الحلول لتخطيها .

وحقيقة أن الاتحادات والنقابات والجمعيات لن تبرم فى التنفيذ أمرا . ولكنه خلق الرأى العام الضاغط والقادر وحده على أن يغير من دفة التوجيه ، وقادر عند تجمعه على أن يجبر على عبور تلك الفجوة الواسعة بين الشعارات والتطبيق .

فلتكن البداية مناقشات واسعة وحرة وطليقة وهادمة .

ولتكن البداية فى الاتحادات والنقابات والجمعيات العلمية .

وستكون النهاية للمشاكل حين تتجمع كل القوى حول خطة عمل واقعية وعملية .

ولن تكون مصر أسعد حالا من أن ترى أبناءها يأخذون أمورهم بأيديهم .

نظرة شاملة :

حول بناء نظام عصرى للتعليم والبحث العلمى فى مصر *

د· محمد رضا على العدل

تتميز المرحلة الراهنة من التطور الحضارى للعالم المتقدم بما يسمى « الثورة العلمية التكنولوجية » والتى تكمن فى نقل الانساء لجزء كبير من نشاطه الذهنى الى الالات التى أمكن بمساعدتها تحقيق تحكم أتوماتيكى فى ادارة العديد من العمليات الانتاجية والاجتماعية ·

وتضفى هذه الثورة على قرننا العشرين صفة اساسية تجعل منه قرن انتقال التطور الحضارى من العفوية الى الوعى ، بمعنى انه اذا كان الناس فى العصور السابقة لم يعوا قوانين الطبيعة والمجتمع ويخضعوها لاشباع احتياجاتهم المادية والروحية ، فان قرننا الحالى على العكس يشهد تطور هذا الوعى ، وكل يوم يمر ينبىء عن اقتراب مرحلة السيطرة شبه الكاملة للانسان على الطبيعة وأدارته الواعيـة لعملية التطور الاجتماعى · وهكذا تتوافر امكانيات وصول الانسان الى عصر الحرية الكاملة بعد رحلة استغرقت أكثر من عشرة آلاف عام ·

ومن ناحية اخرى فان كوكبنا الارضى كل واحد ، مهما اختلفت مكوناته الطبيعية او الاجتماعية · ووطننا المصرى هو واحد من هذه المكونات · ولهذا ليس غريبا ـ بل هو نتيجة طبيعية ـ ان نتأثر ببقية مكونات العالم ونؤثر فيها · والنتيجة المترتبة على ذلك هى أنه لا يمكننا أن نعزل أنفسنا عـن الانجازات العلمية التكنولوجية ـ ولو من باب الامن القومى · وبطبيعة الحال لايجب ان يفهم من ذلك أننا نريد التقدم ، لمجرد أن لا ننعزل · فالثورة العلمية التكنولوجية تفتح لمجتمعنا امكانيات هائلة بتحقيق السعادة التى ينشدها الملايين منشعبنا، اذ تحررهم من العمل اليدوى المهلك والعمل الذهنى الروتينى والمخلفات الفكرية للعصور الوسطى · واذا كان مجتمعنا يريد أيضا ان يقترب من هذا العصر ولا شك أنه يريد ـ شأنه شأن أى مجتمع بشرى فى العالم ـ فلا مفر من أن نهىء للثورة العلمية التكنولوجية كل امكانياتها حتى يمكننا أن نحقق مجتمع السعادة المنشود ·

ويحتل نظام التعليم والبحث العلمى مكانا هاما فى هذه العملية وهذا التطور ، حيث يتولى مهمة اعداد الافراد اللازمين لتشغيل وادارة المجتمع فى كافة قطاعاته ومستوياته وكذلك تطوير البحوث العلمية وجعلها متاحة لتلبية الاحتياجات المادية والروحية بما فيها احتياجات تطور العلم نفسه · وتزداد اهمية التعليم والبحث العلمى فى هذه المرحلة بفعل الدور المتزايد للعلم وتحوله الى قوة انتاجية مباشرة · وقد استشعر مجتمعنا وأقر ضرورة بناء الدولة العصرية ، وأكدت ذلك الوثائق السياسية التى أقرها الشعب ابتداء من ميثاق العمل الوطنى ١٩٦٢،حتى برنامج العمل الوطنى ١٩٧١ · ومن هنا يصبح التعليم والبحث العلمى قطاعا رئيسيا هاما من قطاعات الاقتصـاد القومى · وبناء الدولة العصرية يستلزم ان يأخذ

[*] بحث قدم لمؤتمر عقده « اتحـاد مبعوثى جمهورية مصر العربية بموسكو فى كراتشوما بالقرب من موسـكو فى الفترة من ٣٠ مايو ـ ١ يونية ١٩٧٠لبحث قضايا تخطيط وادارة نظام التعليم العالى والبحث العلمى فى مصر ، وذلك مع بعض التعديلات .

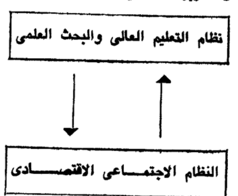
هذا القطاع وضعه الطبيعى هذا مع تحديثه وتطويره .

وفى المقال التالى سنحاول أن نلقى فى عجالة بعض الاضواء على المفاهيم والقواعد التى استقر عليها العلم الاجتماعى الحديث والتى يجب أن يسترشد بها تفكيرنا وسلوكنا عند معالجة هذا الموضوع البالغ الاهمية .

نظام التعليم والبحث العلمى

يشكل التعليم والبحث العلمى « نظاما » مستقلا ، له خصائصه التى تميزه عن غيره من الانظمة فى المجتمع مثل القطاعات الانتاجية أو الجيش أو القضاء ... الخ . بيد أن هذا الاستقلال ذو طابع نسبى ، اذ أن نظام التعليم العالى والبحث العلمى نفسه جزء من نظام أكبر هو « النظام الاجتماعى الاقتصادى » للمجتمع . كما ان نظام التعليم العالى والبحث العلمى يتكون بدوره من عدد محدود من الانظمة الاصغر حجما أو التنظيمات ، تعتبر بمثابة مكونات له ـ مثل المدارس والجامعات والمعاهد والبعثات .. الخ .

والنظام الاجتماعى الاقتصادى فى المجتمع (والذى يشمل قوى الانتاج والعلاقات الاجتماعية والدولة والافكار والقيم .. الخ) هو المتغير الرئيسى الذى يؤثر فى مستوى تطور وأداء نظام التعليم العالى والبحث العالى ، كما ان ذلك لا ينفى أن نظام التعليم العالى والبحث العلمى يؤثر بدوره على النظام الاجتماعى الاقتصادى ويمكن تصوير العلاقة بينهما بالشكل التالى :



ويعبر السهم المزدوج عن أن النظام الاجتماعى الاقتصادى ذو أثر أولى على نظام التعليم العالى والبحث العالى الذى له أثر لاحق ، أو عكس معبر عنه بسهم منفرد .

وتكشف نظرية النظم Systems Theory عن أن الانظمة الاجتماعية ، ومنها نظام التعليم العالى والبحث العلمى ، هى **انظمة هادفة** بمعنى أن لادائها وتطورها هدفا معينا تسعى الى تحقيقه وتحدد مسارها . كذلك تكشف هذه النظرية عن وجود ما يعرف **بدرجة التنظيم** للنظام ، وهى عبارة عن المحصلة النسبية لتفاعل أجزاء النظام فى علاقاتها المتبادلة . وكلما كانت هذه العلاقات تسير فى يسر وتنسيق لتحقيق هدف النظام كانت درجة التنظيم أكبر ما يمكن والعكس صحيح . وبطبيعة الحال تتوقف درجة التنظيم على الهدف الموكول الى النظام تحقيقه وعلى هيكل النظام وكذلك على درجة التنظيم للانظمة الاخرى التى تؤثر وتتأثر بنظام التعليم والبحث العلمى .

نظرة تاريخية لنظام التعليم والبحث العلمى فى مصر

تعتبر مصر من أولى بلدان آسيا وأفريقيا التى انشأت نظاما للتعليم ، اذ بدأ انشاء النظام المصرى قبل منتصف القرن التاسع عشر ، لتلبية الاحتياجات العسكرية والاقتصادية لدولة محمد على . وكان من المتوقع ـ بافتراض عدم تدخل معرقل من خارج مصر ، أن تستمر عملية التطور فى سيرها المطرد الا انه لم تلبث مصر أن فرض عليها قيد أجنبى عام ١٨٤٠ ، كانت بريطانيا مصدره الرئيسى . وقد أثر هذا القيد على النظام الاجتماعى الاقتصادى فأدى به الى التدهور ومن ثم تدهور نظام التعليم المرتبط به ، ثم تزايد ثقل هذا القيد الاجنبى فى أواخر السبعينات من القرن الماضى ثم أصبح حاجزا شبه مطلق أمام التطور الاقتصادى الاجتماعى بحلول الادارة الانجليزيةمدعومة بقواتها العسكرية ابتداء من عام ١٨٨٢ ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى بداية الخمسينات من هذا القرن كانت مصر بشكل عام ، عبارة عن موطن استنزاف لتلبية الاحتياجات البريطانية والاقتصاد الامبريالى بوجه عام .
وكان طبيعيا ان ينشأ نظام تعليم مصرى يلبى احتياجات البريطانيين فى ادارة مستعمرتهم (ولو انه لم يطلق عليها ذلك رسميا) . بيد انه كان من الصعب على البريطانيين فى مصر خنق الحركة الوطنية تماما فى هذا المجال ، ولذلك ظهرت مبادرات وطنية ناجحة لاقامة مؤسسات تعليمية وطنية . وبالرغم مما يمكن ان يقال من ملاحظات على هذه المبادرات ، الا انها على اية حال ساهمت فى انشاء كثير من المؤسسات التى لعبت دورا طيبا فى النهضة الوطنية المصرية الحديثة .

وفى ظل ثورة ٢٣ يوليو حدثت تعـديلات واضافات كثيرة على نظام التعليم العالى والبحث العلمى فى الخمسينات والستينات ، وشمل ذلك اعادة تنظيم مواد الدراسة . واسلوب الامتحانات واعداد الكوادر ومكافآتهم ، وانشـاء جامعـات ومعاهد ومدارس جديدة ، بحيث يمكن أن يقال أن مصر تتقدم كثيرا عن الدول المتخلفة فى هـــذا المجال ·

وقد أدت الكوادر التى تم تأهيلها ولازالت تؤدى المهام التى أنيطت بها ، لا سيما فى ظروف تأميم الشركات والمؤسسات التى كانت تملكها رأسمالية أجنبية أو محلية · تشهد على ذلك ادارة قناة السويس ومصانع البترول والنسيج والكيماويات والصلب ·· الخ ، ثم بناء السد العالى ·

بيد انه لم يعد من الممكن الاكتفاء فقط بمستوى طيب من أداء الوحدات الانتاجية والتعليميـة ومؤسسات البحوث والا كان معنى ذلك استمرار وجود تبديد فى موارد المجتمع البشرية والمادية والمالية والزمنية · فلا زال أداء الاقتصاد القومى ليس رشيدا بدرجة كبيرة ، وذلك من وجهة نظر تحقيق أعلى نمو اقتصادى ممكن ، فبخلاف التبديد المكشوف للموارد هناك أيضا تبديد مستتر ينطوى عليه عدم التوزيع الرشيد للموارد القـومية · واستمرار هذا الوضع يؤدى الى زيادة درجة سوء التنظيم أو ضعف درجة التنظيم · وما لم يتم العمل على تلافى ذلك وتحقيق اكفأ ادارة لاقتصادنا فان وطننا يصبح معرضا فى ظل ظروف الانفجار السكانى ومحدودية الانتاج الزراعى والتحديات الخارجية لتدهور كبير فى مستوى معيشته ·

وينعكس ضعف درجة التنظيم للنظام الاجتماعى الاقتصادى وتخلفه النسبى على نظام التعليم والبحث العلمى ، فيتميز بدوره بضعف درجـة تنظيمه وبهبوط أو تخلف فى مستوى تطوره بحيث أنه لا يمكننا القول أن نظام التعليم العالى والبحث العلمى عندنا يقدم أكبر مساهمة فى اشـباع احتياجات المجتمع المادية والروحية ·

وتتطلب ضرورة بلوغ أقصى نمو اقتصـادى وتحقيق الاداء الانسب لاقتصادنا ــ ضمن مـا تتطلب ــ اعادة تنظيم نظام التعليم والبحث العلمى لرفع درجة تنظيمه من جهة ورفع مستواه من جهة أخرى بحيث يستطيع ان يقدم فى النهاية اكبر مساهمة فى التطور المادى والروحى للمجتمع · والسؤال الآن كيف يتحقق ذلك ؟

لا يمكن الادعاء بأن هذه المقالة تقدم الاجابة على هذا السؤال ، وليس ذلك على أى حال هدفها ، بيد انه ربما يكفى فى هذا المجال القاء الضوء على أسلوب معين يراه الكاتب ضروريا ليسترشد بـه تفكيرنا وسلوكنا عند التعرض لمثل هذا الموضوع ·

ضرورة التخطيط والادارة الواعيتين لنظـــام التعليــم والبحث العلمى

لم يعد من الممكن لاى بلد فى العالم ــ سواء كان هذا البلد اشتراكيا أو رأسماليا ــ أن يكون تطوره بدون تخطيط · والامر صحيح بالنسبة لنظـام التعليم والبحث العلمى · ففى جميع دول العالم الكبيرة والصغيرة ·· المتقدمة والمتخلفـة ·· الاشتراكية والرأسمالية نسمع عن وجود برامج وخطط لنظامها الخاص بالتعليم والبحث العلمى ، بحيث أصبح هناك علم خاص مستقل لبحث هذا الموضوع ·

ومجتمعنا أيضا واحد من هذه المجتمعات · فيوجد لدينا وزارة تخطيط ، وهناك أقسام للتخطيط فى وزارات العمل والتربية والتعليم والتعليـم العالى والبحث العلمى وفى الجامعات ومعاهد البحوث · وهناك مؤلفات حول تخطيط التعليم والبحث العلمى فى مصر وضعها أساتذة مصريون وأجانب ، وهناك اصرار من جانب القيادة العليا للدولة على اتباع اسلوب « التخطيط العلمى الكفء وعلى ضرورة تبنى « العلم المتقدم » كما أشار اليهما ميثاق العمل الوطنى ·

غير أن هناك فجوة كبيرة بين النظـرية والواقع · فحتى الآن لا يوجد لدينا تخطيط فعلى وادارة علمية لاداء نظام التعليم والبحث العلمى وتطوره · ومعظم ما يوجد من خطط هى عبارة عن كشوف بيانات استطلاعية للاستفادة بها ــ ان أمكن ــ فى اتخاذ القرارات التى تجرى بشكل عفوى الى حد كبير ·

ومن هنا يجب ان يكون لدينا خطة مبنية على اساس علمى ــ وملزمة بحكم القانون ــ لنظام التعليـم والبحث العلمى علـى جميـع الافـراد والوحدات المعنية تنفيذها ·

والتخطيط العلمى الكفء والادارة الرشيدة لاى نظام هو تحقيق الاداءالامثل Optimal Performance لهذا النظام على مدار الزمن بمعنى انيتحقق اداء هذا النظام على أفضل وجه وفى حدود الامكانيات

المتاحة • وهنا تكمن مشكلة المشاكل فى عملية التخطيط ، ألا وهى تحديد الهدف •

وتحديد هدف نظام اجتماعى مثل نظام التعليم والبحث العلمى ليس بالكامل عملا فنيا بحيثيكون فقط من اختصاص الخبراء ، وانما هو أيضا قضية عامة تمس كل فرد مشتغل بهذا النظام بل أيضا كل مواطن •

وفى رأى الكاتب أن الهدف العام لنظام التعليم والبحث العلمى يجب أن يكون :

أقصى تلبية ممكنة لاحتياجات قطاعات الانتاج والخدمات من الافراد والكوادر والبحوث بالاضافة الى تلبية الاحتياجات الخاصة بالنظام نفسه واللازمة لتطويره •

وهذا يعنى تحقيق أكبر مساهمة لنظام التعليم والبحث العلمى فى انجاز أقصى نمو اقتصادى وتقدم اجتماعى لوطننا • ومن هنا تكمن ضرورة **تحقيق أوثق ارتباط عضوى وأفضل انسجام بين نظام التعليم والبحث العلمى مع باقى أجزاء النظام الاجتماعى الاقتصادى •**

وبطبيعة الحال فان التخطيط العام للنظام يتضمن أيضا ضرورة تخطيط أداء وتطور كل مكوناته من الجامعات والمعاهد •• الخ ، وبالتالى فان تحديد الهدف العام لنظام التعليم والبحث العلمى يستلزم بالتالى تحديد الاهداف الجزئية لهذه الاجزاء المكونة وارتباطها وانسجامها مع الهدف العام •

وبناء على ذلك يصير تكوين ما يعرف شجرة الاهداف الخاصة بنظام التعليم والبحث العلمى • ويعتبر بناء هذه الشجرة أشق عمليات تخطيط التعليم والبحث العلمى •

وفى هذا المجال يتحتم مراعاة البعد الزمنى لعملية التخطيط ، فعصرنا يتسم بتسارع التطور العلمى والتكنولوجى • وبالتالى من الضرورى أن يتم تخطيط نظام التعليم والبحث العلمى ــ منسقا مع التخطيط القومى الشامل ــ على ثلاث مستويات زمنية مترابطة :

١ ــ تخطيط طويل الاجل (أكثر من عشر سنوات) يستند بشكل رئيسى على التنبؤ طويل الاجل بآفاق التطور العلمى التكنولوجى واحتياجات المجتمع وامكانياته •

٢ ــ تخطيط متوسط الاجل (٥ ــ ١٠ سنوات)

٣ ــ تخطيط جارى عملى لمدة سنة •

ومن الضرورى فى هذا المجال التمييز بين التخطيط والادارة• فالاخيرة أشمل من الاول ، اذن تنطوى الادارة على مجموعة أكبر من العمليات السلوكية والمنطقية والمعلومية والتنظيمية اللازمة لتحقيق الاهداف • وهناك قانون ادارى رئيسى فحواه أن نظاما اجتماعيا مثل نظام التعليم والبحث العلمى تتزايد لديه درجة التعقد والميل نحو سوء التنظيم على مدار الزمن مما يستلزم نظاما اداريا **مستمر التطور** يستطيع باستمرار أن يرفع من كفاءة النظام فى تحقيق أهدافه وبالتالى يزيد درجة تنظيمه •

ونظام التعليم والبحث العلمى هو نظام معقد بطبيعته يتكون من عدد كبير من التنظيمات تشكل هيكله الهرمى • ويمكن تجزئة هذا الهيكل الى جزءين :

١ ــ هيكلى ــ وظائفى مثل مراكز البحث العلمى ، بعثات ، جامعات ، مدارس •• الخ •

٢ ــ وظائفى ــ هيكلى مثل مواد البحث ، موضوعات الدراسة بفروعها المتشعبة •• الخ •

كما ينطوى هذا الهيكل على علاقات تربط بين أجزائه • ويمكن تصنيف هذه العلاقات بدورها الى نوعين :

١ ــ علاقات رأسية تربط بين الوحدات التى على مستويات مختلفة للهيكل الهرمى مثل العلاقات بين المدارس والجامعات ومراكز البحث •• الخ •

٢ ــ علاقات أفقية تربط بين الوحدات التى تقع على مستوى واحد ، مثل العلاقات بين المدارس ، أو العلاقات داخل الجامعة، او بين الجامعات الخ

والتخطيط العلمى والادارة الرشيدة لنظام التعليم والبحث العلمى ينطوى اذن على تحديد الهيكل الانسب له الذى يسمح بتحقيق أهداف النظام ككل واهداف التنظمات التى يتكون منها •• وبالتالى تحقيق المزج الانسب بين المركزية واللامركزية فى اتخاذ القرارات التعليمية والعلمية •

بعض المشاكل الرئيسية فى تخطيط وادارة نظـــام التعليــم والبحث العلـــمى فى مصـــر

بعد أن أكدنا على ضرورة التخطيط العلمى والادارة الرشيدة لنظام التعليم والبحث العلمى واشرنا باختصار الى مفاهيمها الاساسية ، يحسن بنا أن ننظر فى الواقع المصرى لنحـدد بعض العقبات أو المشاكل التى تحول دون تحديد نظام التعليم والبحث العلمى فى مصر • وفى هذا المجال فان الكاتب لا يود الاشارة الى المشاكل التفصيلية مثل تلك الخاصة بتخطيط مواد البحث العلمى وموضوعات الدراسة أو العلاقة بين الجامعات والمعاهد العليا •• الخ، وانما يود الكاتب انينبه الى مشاكل يعتقد انها رئيسية اى تستمد بها بشكل أو بآخر مشاكل أخرى • ويمكن الاشارة فى هذا المجال الى اربعة مشاكل رئيسية :

١ ــ الانفصالية
٢ ــ ضيق الافق
٣ ــ السطحية
٤ ــ البيروقراطية

وتتجلى الانفصالية فى معاملة أجزاء أو وحدات نظام التعليم والبحث العلمى بشكل منفصـل • فالترابط بين التعليم الابتدائى والثانوى والجامعى والبحث العلمى ــ عند رسم السياسة التعليمية والعلمية ــ سواء من حيث الافراد (تلاميذ ، طلبة مدرسون) أو من حيث المواد الدراسية أو الوسائل والامكانيات ضعيف وربما شبه منعدم • ومعالجة هذه المشكلة تستلزم أن نغير نظرتنا الانفصالية هذه ، ونحل محلها نظـرة كلية تدرك تـرابط أجزاء النظام ببعض •

أما ضيق الافق فيتجلى فى التقليل من شأن الزمن المعبر عنه فى أننا لم نقر بعد مبدأ الخطط الطويلة أو المتوسطة ، وخططنا السنوية تستند الى مبدأ من اليد الى الفم From hand to mouth, policy أكثر مما تستند الى اساس علمى • ولقد باتمن الضرورى ان تكون لدينا نظرة اطول تستكشف اطول بعد زمنى ممكن لازم لعملية التخطيط •

أما مشكلة أو ظاهرة السطحية فتتجلى فى اعتبار نظام التعليم ــ بالنسبة للافراد المشتغلين فيه ــ عبارة عن نقل آلى للمعلومات . فيرسل المدرس أو الكتاب كمية معينة من المعلومات يتلقاها التلميذ الذى عليه فى الغالب ان يقوم بحفظها،ثم « يطرشها » آخر العام الدراسى فـى ورقـة الامتحان • ويعتمد تقييم التلميذ أو الطالب فى الغالب على قدرته على الحفظ والطرش (١) • وبالتالى فى ظل سيادة ظاهرة كهذه يكون من المنطقى ان نتصور وجود افراد انهوا ربما اعلى مستويات التعليم ولم يتطور نمط ومنهج تفكيرهم عن حالتهما عند دخولهم أدنى مستويات التعليم• وهذه فى الواقع ظاهرة مؤلمة لكنها موجودة وممكن اثبات وجودها بالدراسات الميدانية • وتحـديث نظام التعليم عندنا يتطلب أن يكون التلميذ أو الطالب ليس فقط مستقبل للمعلومات وانما معالجا لها Processor of information كما أن طريقة التقييم ينبغى أن تدخل هذا العنصر بعين الاعتبار •

بدون الخوض فى تحديد ظاهرة البيروقراطية فاننا نلمس أن شبكة العلاقات القائمة فى نظام التعليم والبحث العلمى عندنا (العلاقات الافقية والرأسية) يسودها عنكبوت بيروقراطى يضاعف من درجة سوء تنظيمه ويحد من أمكانيات تطوره • وبناء الهيكل التنظيمى الرشيد يتطلب بل ويحتم القضاء على هذا العنكبوت البيروقراطى ، كمـا يلاحظ ان القضاء على العنكبوت البيروقراطىفى نظامالتعليموالبحثالعلمى مرتبط هوالاخربالقضاء على العنكبوت البيروقراطى خارجه • ويلاحظ أن هذا العنكبوت هو حصيلة تراكم طويل لتطور جهاز الدولة المصرية • وكان من المفروض أن يعمل ــ ولا سيما فى العقدين الاخيرين ــ على ابطاء نموه وتضييق شبكته • لكن هناك ظروفا عديدة ساعدت على نموه وتكاثره • ومع ذلك فان القضاء عليه ليس امرا مستحيلا، بل هو ممكن وضرورى التنفيذ، وان كان من غير الممكن أن يتم دفعة واحدة فى الظروف الراهنة •

وعلى سبيل المثال لا الحصر نشير باختصار الى بعض مظاهر البيروقراطية التى تؤثر سلبيا فى كفاءة نظام التعليم والبحث العلمى فى مصر :

أ ــ انشئت فى مصر فى الخمس عشرة سنة الاخيرة بعض المراكز والمعاهد « المستقلة » المكلفة بالبحث العلمى مثل المركز القومى للبحوث ومعهد التخطيط القومى • وبالرغم من الطابع البحثى المتفرغ Vesearch character لهذه المراكز الا أن هذه المراكز والمعاهد المتخصصة حرمت قانونيا من اعطاء درجات علميـة (ماجستير ودكتوراه) للباحثين فيها • ومثل هذا الوضع يضعف بكثير نظام الحوافز العلمية اللازمة لتطور البحث • وهناك تفسير شائع بين كثير من الباحثين والعلماء لهذه الظاهرة يرى أن تمسـك بعض

---

(١) ينبغى التحفظ بالقول بان هـذه الظاهرة سائدة وليست شاملة .

الاساتذة المتخلفين فى الجامعات بالوضع الاحتكارى غير الشرعى الذى يتمتعون به هو أحد الاسباب الرئيسية وراء هذا الوضع ٠

ب ـ وفى الجامعة يعشعش العنكبوت البيروقراطى بشكل جاد . فعلى سبيل المثال يمنع المدرس قانونا من الاشراف على رسائل الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه) ، كما يحرم قانونا من التأليف الا بعد مضى مدة معينة (رغم أن التأليف والنشر حق لكل مواطن) ، كما تتحكم اعتبارات المصلحة المادية الفردية البحتة فى توزيع مواد الدراسة بين هيئة التدريس ، مما يساهم فى زيادة نسبة المدرس لكل طالب ، وتصبح عملية التوزيع هذه عبارة عن لعبة معقدة شبه عدائية بعيدة كل البعد عن الروح الاكاديمية ، وبطبيعة الحال لا يمكن أن نفصل هذا الوضع عن المستوى المتدنى لمرتبات اعضاء هيئة تدريس الجامعات٠ ان الاعداد الكبيرة للطلاب يمكن الحد من أثرها السلبى اذا أحسن استغلال طاقة هيئة التدريس بحيث يتم تشغيلها كاملا وعلى نحو رشيد وفقا لمعيار رفع كفاءة الجامعة ٠ والخلاصة العامة التى نخرج منها من هذا الاستعراض لبعض المشاكل التى يعانى منها نظام التعليم والبحث العلمى فى بلدنا ، هى ضعف كفاءة هذا النظام فى تحقيق الاهداف المنوط بها أداؤه ٠ وهذه الحالة السيئة تسهم فى تفسير ظاهرة « الدروس الخصوصية » التى أصبحت ملازمة لنظام التعليم ، بل ان « الدروس الخصوصية » بانتشارها فى جميع مراحل نظام التعليم من الابتدائى حتى الجامعة قد أضحت بمثابة نظام خاص له خصائصه وأجزاؤه وعلاقاته بحيث ربما يمكن القول أنه قد أصبح لدينا سوق سوداء فى مجال التعليم ٠
Black mervket educational system.

والسؤال الان ، كيف السبيل الى ازالة هذه المعوقات أو تقليل آثارها السلبية الى أقل حد ممكن ؟

بشكل عام ومختصر يمكن القول أن هذه المعوقات لها امتداداتها ، بل جذورها فى المجتمع المصرى ، وبالتالى فان ازالتها أو تقليل آثارها السلبية مرتبط بالثورة الثقافية اللازمة لتحديث نظام المعلومات الاجتماعى وتحقيق الازدهار للقيم الوطنية بعد ازالة التشويش والفساد اللذين سببهما الاقطاع القديم والرأسمالية الحديثة ٠ أما بخصوص تحديث نظام التعليم والبحث العلمى فى المرحلة الراهنة فلعلنا نلاحظ وجود أكثر من سبيل لتقليل الاثار السلبية لهذه المعوقات داخل هذا النظام :

أ ـ أسلوب ادارى مركزى يتجلى فى اصدار قرارات تلغى اوضاعا قانونية ولائحية قديمة ، أو قائمة وتستبدل بها أخرى جديدة ٠ تتطلبها عملية التطوير ٠

ب ـ أسلوب لا مركزى يسمح بالمبادرات المطلقة للافراد العصريين العاملين فى النظام بالتمرد على الاوضاع القانونية واللائحية القائمة وارساء أوضاع جديدة تقرها فى النهاية السلطة المركزية والسلطات المحلية المختصة ٠

جـ ـ أسلوب مختلط يتضمن بشكل أو بآخر المزج بين الاسلوبين المشار اليهما ٠

والواقع ان تجربة مصر فى العشرين سنة الماضية قد أثبتت أن الاعتماد فقط على الاسلوب المركزى لم يؤد الى التطوير المرغوب فيه (من وجهة نظر تحقيق أقصى تقدم ممكن) ٠ وبالتالى بات من الضرورى لتحقيق ادارة عصرية لنظام التعليم والبحث العلمى عندنا أن نأخذ بالاسلوب المختلط اى تحقيق المزج الانسب بين المركزية واللامركزية ٠ المركزية بمعنى الاعتماد على قرارات السلطة المركزية ، واللامركزية بمعنى قبول مبادرات الوحدات الدنيا والاعتماد عليها فى صياغة القرارات المركزية ٠ واذا كان هذا المبدأ الادارى صحيحا دائما وعلى الاطلاق فى ادارة اى نظام اجتماعى معقد مثل نظام التعليم والبحث العلمى فان حاجتنا اليه أكثر الحاحا ٠ ولسنا فى حاجة هنا الى تأكيد أهمية الجانب المركزى فى هذا الاسلوب ٠ اذ أنه هو الذى يحافظ ويطور الجانب الشمولى للنظام ككل ٠ أما ما نريد لفت الانظار اليه فى هذا الجزء من المقال فهو التأكيد حول ضرورة التغذية العكسية Fudback relation ship من الوحدات الدنيا الى الاجهزة المركزية ٠

وتتجلى أهمية التغذية العكسية هذه اذا ما قبلنا حقيقة وجود عناصر معوقة (عن وعى او غير وعى) داخل النظام تحول دون التحديد العلمى لاهدافه والتخطيط الكفء لادائه والادارة الرشيدة له ، وفى النهاية تحد هذه العناصر من كفاءة النظام فى أداء المهام التى ينتظرها منه المجتمع ٠ وازاحة هذه العناصر او تقليل آثارها السلبية يصعب أن تتم فى الظروف الراهنة باستصدار قرارات من السلطة المركزية بل تحتم وفى الاساس الاعتماد على الاساتذة والطلبة العصريين ٠قديرد البعض بأن ذلك ربما يولد بعض ظواهر غير محمودة مثل عدم احترام بعض الاساتذة والعلماء « الكبار » الخ ، بيد أن هذا المنطق يؤدى الى

الجمود وينطوى على تبديد لطاقات المجتمع وامكانياته ، وقبل أن نؤكد على احترام الاساتذة والعلماء « الكبار » يجب أن نسأل أنفسنا ونسألهم : ماذا قدموا لتطور المجتمع ماديا وروحيا ؟ • كذلك يرد البعض — ولا سيما اولئك الذين فى السلطة المركزية بأن الاسلوب المختلط المشار اليه يؤدى الى اضعاف درجة الاستقرار فى نظام التعليم والبحث العلمى ، بل ربما يؤدى الى اضعاف درجة استقرار النظام الاجتماعى والسياسى وذلك ينطوى على خطورة قومية خاصة بالنسبة للمرحلة الحالية التى يواجه فيها الوطن عدوانا خارجيا متعدد الجوانب (مسلح وغير مسلح) وهذه فى الواقع حجة سليمة من ناحية الشكل لكن يرد عليها كالتالى : ان اضعاف درجة استقرار نظام التعليم والبحث العلمى فى فترة زمنية معينة يكون أمرا مفيدا وضروريا اذا كان مفيدا ولازما للحفاظ على النظام وتطويره ، واذا كان الاعتماد فقط على المركزية لا ينتج التطور المرغوب كما هو مشاهد فانه قد يولد فى النهاية انهيار النظام • اما بخصوص علاقة ذلك بالنظام الاجتماعى السياسى فى المرحلة الراهنة فيمكن القول ان اعداد الوطن لمواجهة عدوان خارجى يتطلب — كما يقول العسكريون العصريون — رفع كفاءة كل مؤسساته و « الجبهة الداخلية » ، و « الجبهة العسكرية » كل واحد • ومن الصعب تصور امكانية تحديث ورفع كفاءة « الجبهة العسكرية » بدون تحديث ورفع كفاءة « الجبهة الداخلية » وبالتالى فان تحديث نظام التعليم والبحث العلمى بات فى الظروف الراهنة من الناحيتين النظرية والعملية مسألة ذات بعد دفاعى استراتيجى •

وفى مصر توجد ظروف ملائمة وطيبة لتحقيق ذلك عن طريق الاتحاد الاشتراكى العربى الملتزم بوثائق نظرية وسياسية توفر أساسا يمكن البدء منه فى انجاز عملية التحديث هذه ، لا سيما ميثاق العمل الوطنى وبرنامج ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى ، وعندئذ تسهم هذه العملية فى زيادة استقرار نظام التعليم والبحث العلمى واستقرار وتطور نظامنا الاجتماعى السياسى المتجه نحو التقدم والاشتراكية •

نظــام التعليم والبحث العلمى فى مصر بين الانظمة العالميــة

يعتبر التحديد الواعى للعلاقات مع الانظمة العالمية للتعليم والبحث العلمى احد المهام الاساسية فى تخطيط نظامنا وادارته بشكل حديث ورشيد •

وقد تبدو اهمية ذلك اذا ما لاحظنا وجود نظامين عالميين للتعليم والبحث العلمى ، احدهما يوجد كجزء من نظام امبريالى والاخر يوجد كجزء من نظام اشتراكى ، ومن المهم جدا رؤية اهداف وسلوك كل من النظامين ، وان نقيم علاقاتنا بهما بالشكل الذى يسهم فى تحقيق هدف نظامنا ، الا وهو اقصى تلبية ممكنة لاحتياجات القطاعات الاقتصادية والاجتماعية فى مجتمعنا من الكوادر والبحوث للمساهمة فى تحقيق اقصى نمو مادى وروحى لجماهير شعبنا •

ويجب التأكيد ان وجود كلا النظامين بحد ذاته يقدم لنا امكانية كبيرة يستفيد بهما نظامنا • غير أن حصولنا على هذه الامكانية واستقلالنا الاكفأ لها يعتمد على مدى وعينا وعلمية ادارتنا وتخطيطنا ، وعلى اتجاه ودرجة استجابة كلا النظامين •

بيد أنه يجب أن نلاحظ فرقا جوهريا بين النظامين بخصوص القضية التى نشير اليها • فالنظام الامبريالى بشكل عام يحكم سلوكه — بخصوص هذه القضية — قانون يمكن أن نسميه قانون الابتلاع والاحتواء ، أى أقصى تسخير للانظمة المتعاملة معه لاحتياجاته ، وبما أنه هو الاقوى فالنتيجة ابتلاعه واحتواؤه للانظمة المتعاملة معه • وكمثال ربما يدل على ذلك ما عبر عنه بوضوح وصراحة مؤتمر عقد فى واشنطن فى ١٩، ٢٠ نوفمبر ١٩٥٩ نظمه المجلس الامريكى للتعليم • American Council of Education لبحث « العقود الجامعية فى الخارج » وضم هذا المؤتمر كبار مخططى التعليم فى الولايات المتحدة الامريكية ، وبعض رجال وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، وكانت القضية الرئيسية فى جدول أعمال هذا المؤتمر هى : كيف يمكن عمل سياسة خارجية امريكية بخصوص التعليم والبحث العلمى ، وكيف يمكن أمركة أنظمة التعليم العالى والبحث العلمى فى العالم فى ظل ما أطلق عليه : education. Internationali Zation of Niqher

وكان الهدف الرئيسى الذى بدا فى هذا المؤتمر للسياسة التعليمية الخارجية الامريكية هو تدويل نمط الحياة الامريكى • كما جرى فى هذا المؤتمر التعرض لعمل نظام رشيد لتخصصات الجامعات والمعاهد الامريكية فى جامعات العالم ومعاهده ، وأن تتولى كل منها مسئولية واحدة أو أكثر من جامعات العالم ومعاهده •

بالاضافة الى أن نظام التعليم والبحث العلمى الامريكى بحكم كونه جزء من نظام اجتماعى أساسه رأسمالى امبريالى فهو مرتبط الى درجة أو

بأخرى وبشكل أو بآخر بالنظام الام ، ويخدم أهدافه ، وبالتالى يعتبر متعارضا جوهريا مع نظامنا المتجه نحو الاشتراكية • واذا كنا قد اكتشفنا ان الولايات المتحدة الامريكية هى العدو الاول لحركة التحرر العربية ، والتى تقوم بالدور الرئيسى فى ادارة العدوان الواقع على وطننا فانه يتحتم اذن محاصرة الوجود الامريكى فى وطننا فى كل صوره ، ومن اهمها صوره الثقافية والوقوف بحزم أمام التغلغل الثقافى الامريكى فى وطننا • ان ذلك لا يعنى رفض قيم الحضارة الصناعية والاساليب المتقدمة لتقسيم العمل التى أتت بها الرأسمالية الغربية ومنها الامريكية ، وانما يعنى النضال بحزم ضد الافكار الممجدة للرأسمالية والاستعمار ومحاصرة وتصفية المؤسسات التى تمارس الاستغلال الاستعمارى أو الدعاية الرأسمالية فى وطننا •

أما نظام التعليم والبحث العلمى فى النظام الاشتراكى العالمى ولا سيما فى دوله المتقدمة مثل الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الديمقراطية وبولندا ، فهو على العكس تماما . فالهدف الرئيسى لهذا النظام — فيما يتعلق بالقضية التى نحن بصددها — وكما هو محدد فى الوثائق الرسمية وفى الممارسة العملية هو : تقديم اكبر عون ممكن لنا للمساهمة فى تحسين نظامنا لتحقيق أعلى نمو اقتصادى وتقدم اجتماعى ممكن لوطننا .

وبالتالى يتضح ان هناك توافقا شبه كامل فى العلاقة المتبادلة بين نظامنا ونظام التعليم العالى والبحث العلمى فى الدول الاشتراكية .

والنتيجة التى تترتب على ذلك هى انه يجب علينا ان نمضى فى توسيع العلاقة بين نظامنا للتعليم العالى والبحث العلمى وما يقابله فى الدول الاشتراكية الى اقصى مدى ممكن ، اذ أن ذلك فى مصلحتنا مباشرة وبشكل أكيد .

ويؤكد الكاتب ان الاسلوب الجارى للعلاقة التعليمية والعلمية بيننا وبين الدول الاشتراكية رغم ما له من نتائج ايجابية فى اعداد الكوادر ، الا أنه يعتبر قاصرا بالنسبة لتحقيق هدف نظامنا . اذ ينطوى هذا الاسلوب — ببساطة — على تفريخ حملة درجات علمية ، وبالتالى لا يوفر امكانيات تحقيق علاقات علمية منتظمة ومتنوعة وطويلة الاجل بين مؤسساتنا العلمية وما يناظرها فى الدول الاشتراكية (اعداد الكوادر (مبعوثين) ، تبادل الاساتذة والطلبة ، تطوير المناهج والبحوث ، تنسيق موضوعات البحوث ، مؤتمرات علمية ، مجلات وكتب ووثائق علمية الخ .

والخلاصة التى نخلص اليها من هذا الجزء من البحث هى أنه يجب أن نكون على وعى كامل فى علاقتنا مع النظم العالمية للتعليم والبحث العلمى • وفى مقابل تناقض هدف النظام الامبريالى مع هدف نظامنا ربما تكون السياسة المثلى هى تقليل العلاقات مع هذا النظام (٢) . وفى مقابل توافق هدف النظام الاشتراكى مع هدف نظامنا تكون السياسة المثلى هى توسيع العلاقات مع هذا النظام الى أقصى مدى ممكن •

حوافز العاملين فى نظام التعليم والبحث العلمى

تشغل حوافز الكوادر العاملة فى نظام التعليم والبحث العلمى مكانا هاما فيه • وكلما كانت هذه الحوافز منسجمة مع الهدف العام للنظام ارتفعت كفاءة النظام فى تحقيق هدفه ، وكلما كانت هذه الحوافز متعارضة مع هدف النظام انخفضت كفاءته فى تحقيق هدفه •

وبشكل عام يمكن القول أنه لادارة نظام اجتماعى مثل نظام التعليم والبحث العلمى يلزم نوعين من الحوافز :

أ — حوافز مادية •

ب — حوافز روحية •

أما الحوافز المادية فهى المتعلقة باشباع الاحتياجات المادية المتزايدة للافراد العاملين عن طريق الاجور والمكافآت النقدية • والواقع أن تحديد الاجور والمكافآت المثلى للمشتغلين بالتعليم والبحث العلمى يعتبر من أعقد المشاكل فى تخطيط وادارة هذا النظام • وتساعد الاعتبارات الاتية فى حل هذه المشكلة :

١ — اعتبار العلم قوة انتاجية مباشرة ، وذلك يربط مباشرة بين النشاط العلمى والنشاط الانتاجى مما يساعد فى تقدير الكفاءة الاقتصادية للنشاط العلمى •

٢ — تحقيق التناسب فى الاجور والمكافآت فى قطاع التعليم والبحث العلمى مع غيره من قطاعات

(٢) هذا بطبيعة الحال لايعنى الانعزال عن نظام الدول الامبريالية فذلك يكون سياسة غير رشيدة فضلا عن عدم امكانية تحقيقها فى هذا العصر . وما يركز عليه الباحث هو ان تكون علاقتنا مع هذا النظام بسودها الوعى الكامل وان تخدم هدفنا وليس على العكس . كما يلاحظ ان العدوان الاسرائيلى المخطط والمدار من جانب الامبريالية الامريكية — وليس فقط المدعوم بها — على وطننا قد ولد ظاهرة ايجابية فى تحقيق وعى لعلاقة نظامنا بالنظام الامريكى . لكن ذلك لم يتحقق بصورة صحيحة تماما واذا شجعت من جانب بعض الاجهزة الرسمية للدولة عندنا عملية تسرب عناصر من نظامنا الى النظام الامريكى [ظاهرة الهجرة]

الانتاج والخدمات ٠

٣ ـ تحديد أهمية وانتاجية النشاط العلمى فى فروعه ومستوياته المختلفة ليكون الاساس فى تحديد الاجور والمكافآت ٠

أما الحوافز الروحية فمهمتها من جهة اشعار المشتغلين بالتعليم والبحث العلمى افرادا وجماعات بمغزى وأهمية نشاطهم وانهم جزء هام فى الحركة المتقدمة للمجتمع ، ومن جهة أخرى تعبئتهم للانجاز الخلاق للمهام المحددة ٠ والاشكال التى تتخذها هذه الحوافز متعددة مثل ميداليات واوسمة وجوائز تمنحها الدولة للافراد والجماعات والمؤسسات ، وتوفير مناخ اجتماعى وصحى وجمالى ملائم للعمل ٠٠ الخ ٠

وفى هذا المجال يود الكاتب أن يشير بصفة خاصة الى مسألة يراها هامة متعلقة بالحوافز الجارية لاغلبية الكوادر العاملة فى مجالات التعليم والبحث العلمى (هيئات تدريس الجامعات والهيئات العلمية بمراكز ومعاهد البحوث) ٠٠ وبالرغم من أن هذا الموضوع يمكن أن يكون موضوع دراسة سوسيولوجية واقتصادية خاصة الا أن ذلك لا يمنعنا من التمييز بوجه عام بين هدفين لهما الغلبة فى النظام الحالى لحوافز كوادرنا العلمية المتخصصة :

١ ـ تحقيق أفضل مستوى معيشى مادى (بالنسبة لمستوى المعيشة الاوربى أو الامريكى) ممكن متمثل فى اقصى حصول على السلع الاستهلاكية المعمرة (الخلاطات والثلاجات والغسالات والنجف والسجاجيد حتى السيارة) ٠

٢ ـ تحقيق أكبر تراكم ممكن من الثروة المادية الشخصية ممثلة فى شراء عقارات أو نقود سائلة مودعة أو غير مودعة فى البنوك ٠

ولسنا نريد الخوض فى أسباب غلبة هذين الهدفين على نظام حوافز كوادرنا ٠ كما أنه يجب التأكيد أن هدف تحقيق أقصى اشباع ممكن للاحتياجات المادية حافز أساسى من حيث المبدأ ٠ فاشباع احتياجات الناس المادية ، وغير المادية هو حافزهم العام للنشاط الاقتصادى الاجتماعى ٠ وبناء على ذلك فان تحقيق أقصى اشباع للاحتياجات كحافز وهدف لنشاط الفرد والمجتمع هو أمر صحيح ، بل ثبت إنه قانون علمى ٠ لكن يجب التأكيد أن الاحتياجات ليس فقط مادية والا كان ذلك معناه بقاء المستوى الحضارى للانسان متخلفا ٠ فالانسان الرشيد فى نشاطه يرمى أيضا الى تحقيق أقصى مستوى من التحضر ، وذلك يفرض نظاما معينا من الاحتياجات الروحية ٠ وفى ظل مستوى مادى معين كلما زاد الوزن النسبى للاحتياجات الروحية ـ فى نظام الحوافز ـ كلما كانت درجة تحضر الانسان ارقى ٠

ومن جهة أخرى ، فان بقاء مرتبات هيئات التدريس بالجامعات والهيئات العلمية بمراكز البحوث متدنيا عن أن يفى بالاحتياجات الدنيا للانسان المتحضر هو أمر يشكل ضربة أليمة لنظام الحوافز المنسجم مع تحديث نظام التعليم والبحث العلمى ، ويضاعف من أثر الضربة انعدام الخدمات الاجتماعية الجماعية لاعضاء هذه الهيئات ، واضطرارهم الى الحصول عليها من السوق لازالت تسوده علاقات استغلالية جشعة ٠ ولما كان المضطر يركب الصعب ، فتكون النتيجة طامة كبرى للعلم والتقدم ، بل والاخلاق فى مصر ٠

وبناء على ذلك ، من الضرورى فى الاجل القصير أن يتحقق التناسب بين الكادر الجامعى من جهة ومرتبات ومكافآت غيرهم من الفئات وأهمية العلم وأشباع الاحتياجات الدنيا للانسان المتحضر فى هذا العصر من جهة أخرى ٠

وفى الاجل الطويل ، فان الحافز الرئيسى المنسجم مع هدف نظام التعليم والبحث العلمى تمام الانسجام هو : تحقيق أكبر اهتمام ممكن بالعلم مع توفير مستوى معيشة مادى متحضر ومتطور ٠

وبطبيعة الحال ، فلا يمكن أن يتحقق هذا الحافز فى نظام التعليم العالى والبحث العلمى بمعزل عن نظام الحوافز وتوزيع الدخول فى المجتمع ككل ٠ فالتغيير المطلوب احداثه فى مجال التعليم العالى والبحث العلمى يتطلب تغييرات مماثلة ـ مع اختلاف فى الدرجة والشكل ـ فى المجالات الاخرى . وذلك فى الواقع عملية ثورية تتطلب كثيرا من الجراة والايمان والحساب العلمى ، وهى أمر لا مندوحة عنه اذا كنا نريد لنظامنا أن يكون عصريا ، ولمجتمعنا أن يحقق ما يتطلع اليه من تقدم وسعادة (*)

البحث العلمي بين الجوهر والمظهر

د. ميلاد حنا

من خلال الخلاف في الرأى بين قائل بأن البحث العلمي هو الوجه المشرق لمصر ، ولا يحتاج الا الى التمويل والتشجيع من جانب الدولة ، وبين وجهة النظر المقابلة ، التى ترى ان ما لدينا هو مظهر دون جوهر .. من بين هذا وذاك تبرز مجموعة من التساؤلات :

هل هناك ضرورة حقيقية للبحث العلمي فى الدول المتخلفة ؟ .. وان كان ثمة ضرورة فما هى الحدود المفيدة له ؟ .. وفى أى مجال ؟ .. بمعنى هل نتبارى مع الغرب فى بحوث أساسية أكاديمية أم نركز على ما نواجهه محليا من مشاكل ؟ .. وبأى المشاكل نبدأ ونركز ؟ .. وهل نحن قادرون على حل هذه المشاكل بمفردنا تماما ، أم بالتعاون مع خبراء وعلماء آخرين ... ؟

وهل ما لدينا من ادارات واجهزة ومجالس واكاديميات تعمل وفق خطة متجانسة متناسقة ، أم هى مجهودات مبعثرة ذاتية تبهر البصر حينا لكى تخبو أحيانا ؟

ثم ما العلاقة بين الباحثين فى الجامعات والعائدين من البعثات والمشرفين على معاهد البحث ؟ .. هل من علاقة أو خطة ؟ .. أم ان الحصول على الماجستير والدكتوراه قد أصبح هدفا فى حد ذاته ، تحقيقا لمناصب ، وتوفيرا لباحثين لا يعملون فى خطة .. وكأننا نصنع أرقى أنواع البشر بلا هدف ، ولمجرد تجميد الطاقات .

وفى النهاية ، ما هى الصورة فى بلادنا ؟ .. وزارة تعليم عال ، وجامعات ، واكاديمية ، ومجالس بحوث ، واعتمادات ، وميزانيات ، ومؤتمرات .. مظهر رائع وجميل .. ترى هل هو محاكاة لصور نمت فى أوربا ، ام تنظيمات نابعة من ظروف بلادنا ، خدمة لهدف وخطة واضحين ؟

هذه وكثير غيرها اسئلة تحتاج الى اجابة وحوار ولكن ، لكى تكون الصورة أوضح ، لابد أولا من طرح خلفية تاريخية .

البحث العلمي وحضارة أوروبا

رغم ان ما نسميه حاليا « البحث العلمي » ، هو بالضرورة ثمرة وتتويج للفكر والتجارب الانسانية فى كافة أرجاء الأرض من الصين والهند ومصر عمقا مع الزمن حتى ايطاليا وفرنسا وانجلترا فى بداية العصور الحديثة ، الا ان مفهوم البحث العلمي لم يتبلور **الا بانتهاء العصور الوسطى ، ومع فجر عصر النهضة والثورة الصناعية فى أوروبا ، وسيادة الاسلوب العلمي على التفكير البشرى** ، فظهر عمالقة مؤسسى العلوم الحديثة ؛ أمثال : **جاليليو** ، **ونيوتن** ، **ودارون** ، **ووات** ، **وديكارت** وغيرهم ، ثمرة نمو فكرى رتيب ، استوعب ما يقرب من ثلاثة قرون .

ومع بداية هذا القرن **انتهى عهد العباقرة** ــ فيما عدا قلة ضئيلة ــ وارتبط البحث العلمي بمدارس فكرية فى الجامعات فى مجال ما يسمى

« بالعلوم الاساسية » ، ثم مولت الصناعة بحوث « العلوم التطبيقية » أو « الهندسية » ، اما عن طريق الجامعات ، أو فى معاهد ومؤسسات مستقلة ، لتوفر للصناعة التقدم او لتحقق بعض الشركات فى الدول الراسمالية مزيدا من الارباح فى البلاد الاستعمارية ذاتها ، وفى الدول المستعمرة .

الصورة المقابلة فى بلادنا

فى وقت النمو العقلانى الرتيب لعصر النهضة ، ثم الثورة الصناعية فى أوروبا ، **كانت بلادنا فى شبه ظلمة دامسة ، وحتى ما تبقى من تراث حضارى قديم ، غطته أتربة الغيبيات ، واخفى معالمه الارهاب والتخلف الحضارى للحكم العثمانى البغيض .**

ومع فجر القرن التاسع عشر ، نقلت الحملة الفرنسية — بصرف النظر عن الجانب الاستعمارى لها — بعض مظاهر الحضارة الغربية التى لا تزال بعض بصماتها ظاهرة حتى فى اهتماماتها بتراثنا الفرعونى ، وقد مهدت الحملة الفرنسية لانطلاقة حضارية استفاد منها محمد على الكبير فى انفتاحه على الجانب الاخر من البحر المتوسط ، وارساله لبعثات للخارج ، واستقدامه لمهندسين أوروبيين .

ورغم كل الجوانب السيئة لفترة الاستعمار البريطانى لمصر ، فقد نقل الاستعمار — لفائدته — بعض مظاهر حضارته ومنجزات الصناعة وبحوثه العلمية الى بلادنا .

البعثات والجامعات والبحوث

ومع نمو حركة التحرر الوطنى ، تقهقر الاستعمار الى عقر داره ، تاركا الحكومات الوطنية بكافة ألوانها تعالج قضاياها بنفسها فى أغلب الاحيان ، فاستمرت تلك فى نفس السياسة القديمة — بوعى أو بدون وعى — ففى مجال « البحث العلمى » استمرت الحكومات فى سياسة ارسال البعثات الى انجلترا أولا ، ثم الى دول أخرى ثانيا ، طبقا للتغيرات السياسية وتباين الدول التى يدرس فيها المبعوثون بخلاف انجلترا . ففى الثلاثينات جذبت النمسا وسويسرا بعض الفنيين ، واستهوت فرنسا القانونيين والمشتغلين بالدراسات الانسانية .

وبعد ان انقطعت البعثات اثناء الحرب العالمية الثانية ، تفجر ارسال البعثات الى دول أوروبا الغربية كلها ، والولايات المتحدة الامريكية ، لاول مرة ، وفى الخمسينات والستينات ، سافر العديد من المبعوثين الى الاتحاد السوفيتى واوروبا الشرقية .

وهكذا تكون لدى مصر مجموعة فريدة من نوعها ، تجمع تقريبا كل ما يعرفه العالم من مدارس فكرية من الشرق والغرب على حد سواء ويمكن لو احسن استخدام هذه الموارد البشرية ، ونسقت وتعاونت وصهرت ، لاخرجت مدرسة مصرية فريدة من نوعها .. وعلى النقيض من ذلك لو تركت لذاتها لتصارعت حتى لتكاد تفنى بعضها بعضا .

وكانت اغلب هذه البعثات للحصول على درجة الدكتوراه ، والتى يتوفر منها عدد كبير فى بلادنا تكاد تصل معدلاته الى ما هو موجود فى كثير من البلاد المتقدمة . **ولكن هل نقل ذلك المجتمع المصرى الى مجتمع متحضر ؟ .. وهل أثر ذلك فى فكريات المجتمع ككل ؟ .. وهل غير ذلك نسبة الامية فى بلادنا على سبيل المثال ؟**

وتوفر العدد اللازم من حملة الدكتوراه ، وانتشروا فى مختلف التخصصات ، فى كليات الجامعات والمعاهد العليا ، ولا شك ان ذلك قد ساهم فى انتشار التعليم الجامعى ، وفى الارتفاع الرهيب فى عدد خريجى الجامعات .

وحاول كثير من حملة الدكتوراه الاستمرار فى البحث العلمى لوصل ما تدارسوه فى الخارج ، الا ان الاجهزة التى تعودها لم تكن موجودة تماما والمراجع التى استرشدوا بها غير متوفرة ، والواقع والمناخ المصرى مختلف عن ما عايشوه سنوات البعثة ، فنقموا على الجامعات ، ثم تحولوا مع الزمن الى « معلمين » يلقنوا ما تلقنوه قبل السفر ، فقد حصلوا على جوازات المرور الى منصة المحاضرة فى الجامعات ، ولقبوا بالدكاترة !

ومع مرور السنوات ، يصطدم عضو هيئة التدريس فى الجامعة بعقبة الترقى ، اذ لابد ان يقدم ما جرى العرف على تسميته « بحوث مبتكرة » فتصبح كالولادة المتعسرة .. من اين تأتى هذه البحوث المبتكرة ؟ .. هل هى استمرار لما درسه فى الخارج ، والاجهزة والمعدات والمناخ غير موجود ؟ .. وما هى المدارس الفكرية الموجودة فعلا داخل الجامعات والتى توفر ولادة طبيعية لبحث مبتكر ؟ .. وهل هو جهد فردى يوفر الترقية لصاحبه ، أم هو جهد جماعى مع استاذ مخضرم يتبنى البحث ويضمن الامان للترقية .. **صراع وقصص ومتاهات وتنظيرات وتخريجات وشكاوى**

وتعديل للوائح للوصول الى الشكل دون مضمون .

صراع الحياة فى الجامعات :

ان الجـامعة ترقى سـنويا العديد ، وملفات الجامعات متخمة بالتقارير الممتازة لبحوث تسمى « قيمة ورائعــة » .. ولكن ما هى النتيجة ؟ .. بماذا اسـتفاد المجتمع ككل ؟ .. نكاد لا نغــالى ـ وبشئ من التشـــاؤم ـ ونقول لا شئ .. مجموعة جهود فردية تتم فى الظلام ، محافظة على التنافس ، ولكى تفاجـأ اللجان العلمية وتنبهر .. مواضـيع أكاديمية متفـرقة ومبعثرة تنتمى الى مدارس فـكرية حسب المنبع الذى رشـف منه الاكاديمى المرقى .. وتحـزبات وشـــللية .. الدارسون فى أمريكا يستخفون من « الورق » الذى يقدمه من درس فى « موسكو » !! .. ومدرســة قديمة لا تؤمن الا بالبحوث الاصـيلة الانجليزية ، واغلب الظن لانها غير متابعة لتطورات العلم بين الثلاثينات والسبعينات .

واذا نظرنا بشئ من العمق الى تشكيل اللجان العلمية ذاتهــا ، نــرى مجمــوعة مخضرمة من « اســاتذة كبار » .. كبار السن والاقدمية وكبار الاسم والهالة ، يفرقون الارزاق ، ويقفون وقفة « رضــوان » وصولجان « ســليمان » ، يدخلون الجنة النــاس الطيبين الهــادئين الوادعين ممن يسبحون بحمد العلماء الاقدمين .

ولكن ما هى نتيجة كل هذا ؟ .. وماذا حققت مصر من وراء كل هــذا المسرح الكبير ؟ .. هــل تكونت مدارس فكرية ثابتة ومستقرة ؟ .. وهل أمكن لجامعاتنا تبنى دراسة وحل قضية بذاتها فى مجال معين على مستوى الكوكب .. وحتى على الصــعيد المحلى ؟ .. وهــل أمكن لمصر أن تحل مشاكلها ، فى ميادين الزراعة والصناعة والصحة .. اننا لا ننكر بعض الجهود الفردية الناجحة ، ولا ننكر ان لمصر واجهــات فردية مشرفة ولــكن الصورة بشكل عام يائسة وغير مشجعة .

لا .. بل حتى كل هذا التاريخ من البعثات عبر نصف قرن من الزمان ، لم يغن مصر عن ارســال مزيد من البعثات ، ولا زال طوفان المنح للحصول على الدكتوراه من كافة أنحــاء الارض على قــدم وساق ... اقول : ولم يستطع كل هذا السيل من الاساتذة « والبحوث المبتكرة » ، أنيوفر على مصر ارسال البعثات ... لتوفر عملاتها وأجهزتها الادارية ومشاكل امتناع المبعوثين عن العودة .

العزلة بين الباحثين ومجال البحث

لا ينشأ فكر من فراغ ، ولا بحث من خيــال ، ولذا نرى أغلب ما يســمى بحوثا مبتكرة ، مقدمة للترقى ، اســتمرار لدراســات كان قــد بدأها الباحثون وقت دراستهم بالخارج ، ولذلك فغالبيتها منعزلة عن الواقع المصرى أو المحــلى ، فلا هى قادرة على الارتفــاع والتحليق فى المســتويات العــالمية ، ولا هى ارتبطت بالواقع وحــاولت معالجته .

ولعــل منشــأ الخطــأ والخطر يكمن فى ان الجــامعات والمعــاهد العليــا ومعاهد البحوث القومية تختار طلابها للدراسات العليا من حديثى خريجى الجــامعات حسب الدرجات فى الامتحان النهائى لدرجة البكالوريوس ، وبمجرد التخرج ، فمعيدو كليات الطب والهندسة والزراعة وغيرها يختارون من الاوائل ، وقبل ان يمضوا أى وقت أو يحصلوا على أى خبرة فى مصنع او مستشفى أو مزرعة ، ثم هم يجــاهدون ويصــارعون لافتعال بحث ما .. يسمونه الماجستير ، وبعملية قيصرية مؤلمة ، يحتضن الاســتاذ العجوز تلميذه النجيب ليهبه الدكتوراه « بالامتياز » .. فتنفتح أمام الطالب الدنيا ، ويرقى حتى يحتل مكان استاذه الذى تبناه ... انعزال كامل بين الباحثين ومجالات البحث .. ولن يتولد عن ذلك الا شكل البحث وصورته ، ولكن بدون حياة .

يتغير شكل المجتمع وينتقل من شــكل اقطاعى الى صورة تعــاونية تأخذ ملامحها مع الوقت فى البيئة الزراعية .. وتقوم ثورة تمصر الصــناعة ، ويخرج الاجانب وتنشأ مشــاكل فى الصناعة .. كل ذلك وأجهزة البحث العلمى فى برجها العاجى تتوهم انها ستلاحق بحوث أوروبا وتســبقها .. وتدعى ان العيب ليس فيها ولكن فى الامكانيــات التى لا تتوفر لها .

الى الحقل والمصنع

وقد فضل البــاحثون الافاضل العزلة ، وكفى المؤمنين القتال ، وتقفلوا على أنفسهم ، وأصبح من تكتلهم ـ رغم تناقضات جزئية داخلية ـ ما يضمن لهذه الكتل المتراصــة القوة والضــغط والكرامة والتحــكم فى الدخول والخروج من هــذا المجتمع الكهنوتى .

ما لم يخرج كبار العلماء وصغارهم الى الساحة يمتزجون بها ويعيشون مشاكلها اليومية ـ ليسوا كمتفرجين ـ لما انفصل فكرهم بالواقع المصرى لكى يساهموا فى حلول علمية محلية لهذه البيئة التى لن يعجز احــد منهم عن ان يجــد مشــكلة قابلة للدراسة والوصول الى بداية لحل .

ولنعطى الثمرة وقتها لكى تنضج على الشجر بدلا من ان « تستوى » صناعيا فى غرفة مغلقة .. **ولنختار المعيدين وطـلاب البحث من « الغيط » بعد ان يكون الخريج قـد قام بالعمل العـادى لسنوات قليلة او كثيرة ، وليذهب الحاصل على الدكتوراه ليعمل فى مكتب التصميمات وفى عنابر المستشفيات سـنوات قبل ان يرقى ويعـود الى مجالات البحث حاملا معه آماله وآلام ناسه فيصبح البحث نابعا من الواقع مرتبطا ارتباطا عضويا به.** ولن تكون دراسته العليا الا تدريبا على منهج فكرى وقدرة على قوة الملاحظة والتفكير العلمى السليم وليس تخصصا دقيقا يعيش على هالة مدى العمر .. وهو وان طال قصير .

هل نلغى ادارة البعثات ؟

لا نستطيع فى عالمنـا الحديث الانعزال عن العالم بل على النقيض لابد من الانفتاح عليه ولكن اسـاليب ارسـال البعثات التى سادت قبل الحرب العالمية الثانية لابد ان تتغير .. وليوقف بشكل عام ارسال البعثات للحصول على الدكتـوراه وليضـغط المعيـدون على كبار الاساتذة لاستكمال دراستهم فى مصر .. ستكون هناك صعوبات « وتحججـات » : نقص المراجع العلمية ــ نقص الاعتمادات ــ عدم توفر الاجهزة الحديثة ــ عدم وجود المناخ العلمى المناسب ــ عدم وجود الاساتذة المتخصصين ــ انشغال الاساتذة بالتدريس اليومى وكثرة عدد الطلاب. كل ذلك وكثير غيره من القول المعـاد ولكن قال الاقدمون «الشاطره تغزل برجل حمار» وبالاصرار سيستطيع الانسان المصرى خلق شىء فى حدود الامكانيات المتاحة .

ليس من الضرورة أن يكون البحث من النوعية الاوربية ولا بالاجهزة الاوروبية . وهـذا هو لب الموضوع . ليكن البحث مصريا نابعا من مشكلة محلية وبامكانيات محلية .

الامكانيات المحلية .. هـل تكفى كـبداية ؟

يذهب الاسـاتذة الكبار الى الخارج او يعمل المبعوثون سـنوات فى معامل الدول المتقدمة فيعودون متفجرين ، قدراتهم مشلولة ، مالم تتوفر نفس الاجهزة التى تدربوا عليها وهى بالضرورة متباينة فى الدول المختلفة ونتيجة جهد وفكر بشرى طويل ومن غير المعقول ان تستحضر مصر أجهزة العالم المختلفة شرقها وغربها استرضاء للمجموعات المختلفة من الدارسين المصريين .

والشىء المذهل أن مصر عامرة بالاجهزة العلمية بشكل عام قد لا تكون هذه الاجهزة هى احدث ما وصل اليه العالم من انتاج وقد لاتكون مجمعة فى مكان واحد ، ومنسقة بالشكل الذى يتغنى به العائدون من البعثات فى وصف ما شاهدوه هناك على الضفة الاخرى من العالم . ولكنهم لم يبحثوا فى العمق ليستنتجوا أن كثيرا من هذه الاجهزة قد صنعت فى المعامل ذاتها وانها قد طورت معتمدة على الفكر البشرى من مكونات بسيطة متوافرة .

ويذكر من درسوا فى انجلترا ــ على سبيل المثال ــ بعد الحرب العالمية الثانية ، ان الاجهزة كانت شبه بدائية والامكانيات محدودة ورغم ذلك تمت البحوث توصلا لنتائج تخدم بشكل عام مشاكل انجليزية ، وعندما تمت بالبحث عام ١٩٤٧ فى انجلترا ولم اجد ما احتاجه من أجهزة نصحنى الاستاذ مارشـال ــ الاستاذ المشرف ــ ان اذهب الى « وكالة البلح » بالمدينة حيث مخلفات الجيش لعلنى أجـد ما أرغب ، واحضرت قطعا مبعثرة وكونت منها ما أفاد فى البحث ، مستعينا باجهزة مساعدة بسيطة استعرتها من معامل الاقسام الاخرى بالجامعة .

ان الاجهزة الموجودة فى كافة كليات الجامعات والمعاهد العليا وفى وحدات البحوث فى المصالح والوزارات المختلفة يمكن حصرهـا واستخدامها استخداما جيدا فى تعاون وتناسق .

ولعل الصعوبة الكبرى ليست فى الاجهـزة العلمية بقدر ماهى فى المراجع العلمية . وهذه شكوى حقيقية وتحتاج الى تضافر الجهد بحصر مالدينا من مراجع فى المكتبات المختلفة وايجاد الوسـائل السهلة والميسرة لامكان الاستعانة والاستعارة لهذه المراجع وتبادلها من موقع الى آخر دون تعقيـد بيروقراطى وفى جو من توفر الثقة والامانة العلمية .

هل تقف العملة الصعبة عقبة للبحث ؟

فى تصـورى ان الايقاف الكلى او الجزئى للبعثات سوف يترتب عليه توفير مبالغ معقولة من العملات الصعبة أو السهلة يمكن الانتفاع منها فى الاتى :

١ ــ الزيارات القصيرة للمتخصصين :

لكى ننفتح على العالم لابد من ايجاد الصلة المستمرة بين الدارسين المصريين مع العالم الكبير

وستكون زيارات الدارسين الحاصلين على الدكتوراه من مصر اكثر فائدة واعمق تأثيرا .. وبدلا من ارسال دارس واحد للدكتوراه لمدة خمسة اعوام لنرسل عشرة لمدة ستة اشهر .. ولنرسل الباحثين فى زيارات موجهة مدروسة لمعهد بعينه ولدراسة موضوع جديد مفيد لمصر او عمل اختبارات على اجهزة خاصة مع عمل الاتصالات المسبقة لتكون الزيارات مفيدة وهادفة .

ب ـ ضيوف مفيدون :

وبدلا من ارسال مبعوث واحد فى تخصص محدد يمكن استقدام عدة اساتذة كبار من الخبرات العالمية لاعطاء سلسلة من المحاضرات السابق ترتيبها وللاطلاع على بحوث قائمة وتوجيهها .

ان مناخ مصر الجغرافى واثارها الفرعونية تشد اغلب كبار الاساتذة والعلماء الاجانب وكثير منهم يرحب بالحضور لمصر فى الشتاء ولفترات بسيطة لا تقطع اعمالهم ومشاغلهم فى بلادهم . لا بل يرحب اغلبهم فى الحضور على حسابهم ولا يطلبون الا الاقامة ومصاريف جيب بسيطة .

جـ ـ تدعيم المكتبات والمراجع والاجهزة :

وسوف ينتج من فائض البعثات مبالغ يحسن توجيهها لتدعيم مالدينا من امكانيات حالية ـ بعد حصر دقيق لكى يصبح الكتاب والمقال الاجنبى متوافرا مهما كانت الصعوبات .. ولتتركز سبل الحصر فى جهاز مركزى للبلاد كلها لكى يوفر المراجع والاجهزة التى يحسن استغلالها الى أقصى حد .

وبعد فما العمل :

لاشك فى أن لدينا فى مصر عدد من حملة الدكتوراه ومن الافراد العلميين ما يكفى كل البلاد العربية وافريقيا اذا احسن استخدامه . غير ان غياب خطة واضحة المعالم يؤدى بهذا الجيش من العلماء الى الضياع واليأس والشكوى ، ومحاولات متعددة للهجرة .

ان التركيز على البحوث بهدف حل مشاكل البيئة المصرية فى ميادين الزراعة والصناعة والصحة . .وخلافة ، لابد ان يكون هدفا اساسيا للخطة ولنترك البحوث الاكاديمية للافراد المصريين يقوم بها بشكل شخصى وفورى امتدادا لما يعوده وصله لهم مع المجتمع الدولى .

غير انه من العبث محاولة الاتصال الروتينى لكى تقدم الصناعة والبيئة مشاكلها للعلماء . اذ لابد من وجود صلة مستمرة ومباشرة بين الدارسين والبيئة لنختار المعيدين من مجالات الحياةذاتها ،ولتكن رسالاتالماجستير والدكتوراه قادمة معهم من مجالات العمل .. ثم لابد للمدرسين والاساتذة من ان يأخذوا مواقع المسئولية فى الحياة العامة كل عدد معقول من السنوات ينقلوا الى مجالات العمل فكرهم وخبرتهم وعملهم وليتعلموا من البيئة المشاكل نيحاولوا دراستها وحلها .

لتكن هناك خطة شاملة تشترك فيها الوزارات المختلفة بدلا من عزلة التعليم العالى عن البحوث . وليكن اعداد الافراد العلميين فى اطار خطة موجهة لكى لا يصبح التدريب للحصول على الدكتوراه هدفا فى حد ذاته بل من اجل خطة تستوعب هذه القدرات .. وليكن فى حسابنا كذلك هجرة البعض وارسال مجموعات منها لسد احتياجات البلاد العربية وربما الافريقية مع احتمالات عمل البعض فى الهيئات الدولية ومنظمات الامم المتحدة .

ان الامكانيات المتاحة حاليا فى مصر من ناحية الافراد الباحثين معقولة ، بل لعلها أكثر من اللازم لو وجهت ونسقت واستغلت احسن استغلال . قد يكون هناك عجز فى بعض الاجهزة والمعدات العلمية غير أن مالدينا حاليا يكفى فى اغلب الاحيان احتياجاتنا للدراسات المحلية واذا استدعى الامر عمل تجارب خاصة على أجهزة بعينها ليست متوفرة لدينا فليكن فى السفر للخارج وسيلة للاتصال الخارجى وتعاونا من بلاد كثيرة صديقة ترغب فى المساهمة فى حل مشاكلنا .

الا ان مشكلة المراجع العلمية لابد ان يكون لها الافضلية فوق كل اعتبار اذ ان فى توفرها وتداولها ما يبعث على التعرف بأرخص الوسائل على ما يدور فى العالم .

ان سياسة البعثات لابد ان تتبدل بشكل جذرى لكى لا يكون سفر المبعوثين للدراسات العليا فى اضيق الحدود وقاصرا على التخصصات الجديدة والتى تحتاج اليها بلادنا فى المرحلة الحالية والمستقبلة .. ان سفر الدارس المدرب فى مصر لمهمة قصيرة محددة ولجهة بذاتها سيكون أكثر فائدة من البقاء فى الخارج مددا طويلة يعود بعدها متفجرا وغير قادر على التأقلم مرة اخرى فى مصر .»

ضعف الركيزة العلمية سبب رئيسي

د. ابراهيم العيسوى
كلية الزراعة - جامعة الازهر

قبل أن نسأل : **لماذا لم يحقق البحث العلمى النجاح فى مصر ؟** لابد وأن نطرح سؤالا آخر : **ماهو مقياس نجاح البحث العلمى فى مصر ، أو فى أى بلد متخلف كمصر ؟** ويمكن ايجاز الاجابة على هذا السؤال فى أن هناك خمسة أمور هامة كلما زادت درجة تحققها كلما زادت احتمالات نجاح البحث العلمى ، وهى :

١ - شيوع الايمان بالاسلوب العلمى فى حل المشكلات المختلفة ، وانتشار الاقتناع بضرورة التزام المنطق العلمى فى عملية اتخاذ القرارات فى كافة الاجهزة الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى كافة مستويات التنظيم السياسى والادارى .

٢ - اسهام أجهزة البحث العلمى الطبيعى بمكتشفات وطرائق جديدة لرفع مستوى الانتاج ، وتساعد على حسن استغلال الموارد المحلية لتنمية الاقتصاد القومى ، وكذلك بطرق جديدة لاستخدام العوادم ومخلفات العمليات الصناعية والزراعية المختلفة فى نفس عمليات الانتاج أو للحصول على منتجات تساهم فى عمليات انتاجية أخرى .

٣ - اسهام أجهزة البحث العلمى الاجتماعى بانتاج علمى يساعد على الوقوف على حقائق الواقع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، وعلى التحليل الموضوعى للعلاقات المختلفة التى تؤثر فى تطور الظواهر الاجتماعية على اختلافها ، وتقديم أساليب وطرق تساعد المسئولين على حسن رسم السياسات وتوجيه القرارات فى اتجاهات الرشادة والامثلية .

٤ - شيوع مبادىء الرشادة والامثلية داخل قطاع البحث العلمى نفسه ، بمعنى تنظيمه لما يوضع تحت يده من الموارد المادية والبشرية تنظيما رشيدا ، يقلل من احتمالات تكرار ابحاث معينة ، كما يقلل من فرص ضياع الطاقات وسوء استخدام الامكانيات النادرة فى بلد احوج ما يكون الى الاقتصاد فى كل مورد من موارده .

٥ - شيوع نظرة طويلة الاجل داخل قطاع البحث العلمى ، وذلك نابع أولا : من ضرورة ارتباط البحث العلمى فى بلد متخلف بمتطلبات التنمية الاقتصادية ، وثانيا : من أن عملية التنمية ذاتها عملية ذات بعد زمنى طويل ، وثالثا : من الارتباط بين تخطيط التعليم والبحث العلمى بتخطيط القوى العاملة ، وهذا ايضا نشاط طويل الاجل .

ان تأمل هذه الامور الخمسة ومدى تحققها فى مصر يقودنا الى القول بأن البحث العلمى عاجز عن اداء رسالته فى مصر . فالاسلوب العلمى ودولة العلم مازالت شعارات تطلق فى المناسبات ، يرددها الفاهمون وغير الفاهمين لاهمية العلم ، وضرورة المنطق فى اتخاذ القرار ، لم تترجم هذه الشعارات بعد الى برامج مدروسة ،

ولم تسر بعد فى ارجاء مؤسسات الدولة المختلفة، فتربط بين أجزائه المختلفة ربطا عضويا يجعل العلم ــ فعلا لا قولا ــ فى خدمة المجتمع، ويسخر البحث العلمى لخدمة الانتاج دفعا لعجلات التنمية ، ورفعا لمعدلات التغير فى مستوى معيشة افراد الشعب ، وتضييقا لهوة يتزايد اتساعها يوما بعد يوم تفصل بين مستويات المعيشة فى البلاد المتخلفة والبلاد المتقدمة . ومازال هناك كثير من الارتجال والالتجاء الى الحلول القصيرة الاجل لمشكلات هى بطبيعتها مشكلات ذات أجل طويل ، ومازالت القوانين والتنظيمات والاجراءات المنظمة للتعليم والبحث العلمى فى مصر فى تغير مستمر. ومازالت هناك اساءة لاستخدام الموارد ، وتعقيدات فى الاجراءات ، وادارة البحث العلمى كان ينبغى الا تشيع فى قطاع معظم أفراده حركيون واعداء للروتين بحكم طبيعة عملهم أو تجربتهم .

فى تصورى ان احد الاسباب الرئيسية لعجز البحث العلمى عن بلوغ الغايات المنشودة من ورائه فى مصر هو ضعف الركيزة العلمية . فالبحث العلمى الناجح لابد وأن يستند الى ركيزة علمية سليمة . والركيزة العلمية السليمة تعنى أمرين :

١ ــ نظام تعليمى جاد ، هدفه الرئيسى أن يربى فى المتعلم الالتزام والانضباط العلمى فى النظر الى الامور ، وينمى لديه امكانيات استخدام المنهج العلمى فى تحليل الظواهر ، والاتساق عند الانتقال من النتائج الى المقدمات ، ويعلمه كيفية البحث عن الحقائق أو العثور على حلول للمشكلات ، قبل أن يكون غرضه تلقين حقائق معينة ، أو حشو ذهن المتعلم بحقائق كثيرة ، قد لا يشك فى أهمية أى واحدة منها منفردة ، ولكن يشك فى جدوى تراكم بعضها فوق بعض فى ذهن المتعلم ، اذا لم يتسلح بمنهج موضوعى ينسق بين الحقائق المختلفة ويربط بينها .

٢ ــ الربط العضوى بين العلم والمجتمع أو بين التعليم والحياة : بمعنى تبنى أجهزة التعليم هدف تغذية المجتمع بأفراد لديهم الحافز لخدمة المجتمع والمقدرة على ذلك. ان الربط بين العلم والمجتمع فى بلد متخلف معناه ــ أولا ــ أن تصميم نظام التعليم من حيث الشكل والمحتوى لا يمكن أن يتم فى انعزال عن خطة قومية للتنمية الاقتصادية ، ومعناه ــ ثانيا ــ ان يتفرع من الخطة القومية للتنمية خطة قومية للبحث العلمى ، تتصدى لحل مشاكل التصنيع والتنمية ، ومعناه ــ ثالثا ــ أن أجهزة التعليم والبحث العلمى لابد وأن تقترب خلال مراحلها المختلفة من أجهزة الانتاج وأن تتواجد حركة ذات اتجاهين بينهما . وربما يكون اعتماد أجهزة البحث العلمى ــ فى التمويل ــ على المؤسسات والوحدات الانتاجية مباشرة ــ عن طريق اتفاقات الابحاث التعاقدية ــ خير الوسائل لتحقيق الترابط المنشود بين العلم والمجتمع .

والركيزة العلمية السليمة بالمعنى الموضح أعلاه ضعيفة وبعض اركانها الرئيسية منعدم تماما فى مصر .

وتتضح أهم مصادر ومظاهر ضعف الركيزة العلمية فى مصر من الاعتبارات التالية :

١ ــ فى معظم البلاد التى أخذت قضية التنمية الاقتصادية مأخذ الجد ، كانت احدى الخطوات الاولية فى اعادة تنظيم التعليم هى **اعادة توزيع الطلاب فى المرحلة الثانوية توزيعا يتفق واحتياجات المجتمع الحقيقية الى الايدى العاملة المتعلمة** ــ أى احتياجات المجتمع الى الفنيين قبل المكتبيين ، والعمال المهرة الذين يشكلون حلقة الوصل بين العمال غير المهرة والمهندسين وغيرهم من حملة الشهادات العليا الذين لهم المام كبير بالنظريات ولكنهم يفتقرون الى الدراية بمشكلات الواقع وتعقيداته .

وقد حدث توسع فى مصر فى التعليم الثانوى الفنى ــ ولكن الملاحظ هو أن مستوى التعليم فى هذه المرحلة لا يتناسب مع المشكلات العملية ، وان ارتباطه بالصناعة وغيرها من الوان النشاط الانتاجى واه ، وان لم يكن معدوما . والحق أنه ليست هناك حوافز كافية لجذب الناس الى الحاق ابنائهم بالمدارس الثانوية الفنية . وغالبا ما ينظر الى هذا النوع على انه ملجأ أخير ، وأنه شىء أفضل من لا شىء . والمشكلة أن جزءا كبيرا منها راجع الى انعدام القيم الخاصة بأهمية العمل اليدوى ، بل والى تناقص الوظيفة من حيث المكانة الاجتماعية كلما اقتربت من الالة أو المزرعة وعدم الاهتمام بزرع مثل هذه القيم منذ الطفولة . وهذه الاسباب شائعة فى بلاد متخلفة كثيرة . وقد يكون من المناسب ان نذكر ان الصين حاولت التغلب عليها بالتوسع فى الحاق الورش والمزارع بالمدارس ، بل وجعل الورشة أو المزرعة هى الاساس ، بحيث لا يشعر المتعلم بانفصال بين العلم والمجتمع ، وبحيث يتعود الاطفال منذ نعومة أظفارهم على أن يقضوا وقتهم فى صنع شىء مفيد للمجتمع ــ فنرى اطفال المدارس الابتدائية هناك

يقومون بالكثير من العمليات الانتاجية البسيطة حتى فى أوقات لعبهم ٠

٢ ـ ان عملية اعادة بناء المجتمعات المتخلفة تتطلب **اعادة توزيع الطلاب فى المرحلة الجامعية** بحيث تنقص أعداد خريجى الكليات النظرية الذين عادة ما تفيض أعدادهم عن الاحتياجات الفعلية للمجتمع ، وتزداد أعداد خريجى الكليات العملية ، وتوجه أعداد متزايدة من الطلاب الى الكليات والمعاهد الفنية لتخريج مساعدى المهندسين والكيماويين ونحو ذلك ، الذين يشكلون احدى الركائز الاساسية فى اية عملية انتاجية ٠

وفى مصر لم تشهد بلادنا هذا النقص فى أعداد طلبة الكليات العملية ، وما زالت هذه الاعداد فى ازدياد مطرد ٠ وبالرغم من التوسع فى المعاهد العليا الفنية ومراكز التدريب والتأهيل ، **الا أن الملاحظ هو أن المعاهد العليا الفنية صارت لا تختلف فى شىء عن الكليات المناظرة لها بالجامعات ، وضاعت الاهداف المرجوة من وراء أنشاء المعاهد العليا فى غمار الصراع من أجل مساواة خريجيها ماديا وأدبيا بخريجى الكليات الجامعية المناظرة ٠ كذلك ، لم يحدث التغير المطلوب فى تقييم الناس للجامعة وغيرها من مؤسسات التعليم العالى ، حيث أن الجامعة ما زالت تحظى بالافضلية ، وما زالت هياكل الاجور والمهايا « عاجزة » عن وضع الامور فى نطاقها السليم ٠**

٣ ـ ان التعليم العالى لا يمكن أن يكون هدفا فى حد ذاته ، خصوصا بالنسبة لبلد محدود الموارد ومتخلف كمصر ٠ واعتبارات المنطق تقول بضرورة **التوسع فى التعليم العالى بالقدر الذى تتطلبه عمليات التنمية ـ لا أكثر ولا أقل** ٠ ومعنى هذا أن تخطيط التعليم ، الذى هو جزء من تخطيط القوى العاملة ، لا يقتصر على مجرد اعادة توزيع الطلبة بين الكليات الجامعية المختلفة ، بل أنه يتطلب فى ظروف مصر الحد من العدد الكلى المقبول بالجامعات ، والتصرف فى الاعداد الفائضة بانخراطها مباشرة أو بعد فترة تدريب وجيزة فى سلك الانتاج ٠ ان التسليم بهذا المبدأ لابد وأن يستتبعه تسليم بمبدأ آخر ، وهو ان اتلال اعداد الطلبة الملتحقين بالتعليم العالى والجامعى بالذات سيزيد مشكلة البطالة بين صفوف الشباب حدة ويحتم ، بالتالى ، ضرورة العمل على اتخاذ سياسات ملائمة لانهاء هذه المشكلة من أساسها ـ التى لا يضيع فيها استثمارات أنفقتها الدولة على شبابها فحسب ، **وانما تدمر معها طاقات** وامكانيات شبابية ، **من الصعب استرجاعها** ٠ وليس من سياسه ملائمة فى هذا الصدد سوى **الاندفاع بأقصى طاقة والسير بأقصى سرعة على طريق التنمية الاقتصادية** ، فهى مصدر العمل فى الحال **أولا** ، وزيادة الانتاج المترتبة عليها هى التى تمكن من خلق فرص العمل فى المستقبل ، **ثانيا** ، وزيادة الانتاج ، نتيجة للتنمية ، هى التى تمكن من توجيه موارد متزايدة للبحث العلمى ولكافة أجهزة التعليم **ثالثا** ٠

٤ ـ ان الجامعات هى القاعدة المباشرة للبحث العلمى ، **ونظم الدراسات العليا** بها تلعب دورا خطيرا فى تحديد نوعية الخريج الباحث ٠ ومستوى الدراسة بالجامعات المصرية ـ فى المرحلة الدنيا والمرحلة العليا على حد سواء ـ يعانى من تدهور أخذ طريقه منذ سنين ، وما زال يفرض نفسه على كل شىء فى الجامعة ـ أساتذتها ، طلبتها ، نظمها الداخلية ، القيم والتقاليد الجامعية وغير ذلك ٠ وقد يقال أن السبب هو التوسع الهائل فى القبول بالمرحلة الجامعية ، أى جامعة الاعداد الكبيرة ، وقد يقال أن السبب هو نقص الامكانيات المتاحة من كتب ومعامل وأساتذة ، وقد يقال أن السبب هو انخفاض المكافأة المالية لاعضاء هيئات التدريس بالجامعات ٠ وبعض هذه الاسباب لا يخلو من وجاهة (الاول والثانى) وبعضها يفتقر الى المنطق (الثالث) خصوصا بعد ما زادت مرتبات أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ، واشد من ذلك خصوصية انخفاض المستوى المادى لغالبية جماهير الشعب انخفاضا يجعل من اساتذة الجامعات طبقة ممتازة فى مجتمع السعى لتذويب الفوارق بين الطبقات واحد من شعاراته الرئيسية ٠

ان السبب الرئيسى لانخفاض مستوى الدراسات العليا بالذات ، هو تشتت الامكانيات ، وتبعثرها فى أماكن متفرقة ، وتكرار الجهود وانقطاع الصلة بين الجامعات ومواقع الانتاج ، ويضاف الى هذه الاسباب الانخفاض بل والتدهور المستمر فى مستوى الدراسات الدنيا بالجامعات ٠

ان ما يجرى اليوم فى عالم الدراسات العليا هو أقرب الى المهزلة منه الى المشكلة ٠ فالطالب لا يكاد يحصل الا على قشور العلم ، والاستاذ عادة غير متفرغ ، او ليس لديه الوقت الكافى للتدريس والاشراف على البحوث ٠ وفى كليات عديدة ، لايجد الاستاذ فى قلة عدد الطلبة الذين يدرسون مادته الحافز الكافى

لبذل الجهد الواجب في تعليمهم وتدريبهم على البحث ، اما لان العدد القليل لا يمكنهم من طبع مذكرة أو كتاب يدر عليهم عائدا ماديا ، واما للاثر النفسي بعدم تناسب المجهود المبذول في تحضير المادة مع العدد القليل ، وكذلك للشعور بأن ما يفعله هذا الاستاذ في كلية معينة انما هو تكرار لما يفعله غيره في كلية تنتمي الى جامعة أخرى (أو حتى في نفس الجامعة - في حالة وجود كليات للبنات كما في الازهر وعين شمس) .

وهكذا ، فان المواد المدرسة في الدراسات العليا تعاني من هزال شديد . وعادة ما يخرج الطالب ومعه شهادة تثبت أنه درس قائمة طويلة من المواد ، وحصل فيها على الكثير من الامتيازات والجيد جدا ، ولكن شتان بين ما يفهم من الشهادة ، وبين الواقع المر الذي يعلمه الطالب والاستاذ معا . واذا انتهى الطالب من الامتحان في المواد المقررة عليه ، فسرعان ما يواجه مشكلة أعقد وهي مشكلة الرسالة ، والطالب معذور : فهو لم يتلق فيما سبق من مراحل الدراسة التدريب على البحث ، وليس عنده بحكم انفصال الجامعات عن المجتمع فكرة كافية عن أن الموضوعات تصلح مادة لبحثه ، والاستاذ المشرف عليه مشغول في التدريس بكلية والانتداب هنا وهناك ، وليس عنده الوقت الكافي للبحث والاطلاع من أجل اعداد بحوثه هو ، فما بالك بالبحث والاطلاع من أجل معاونة تلامذته، وهكذا يدخل طالب الدراسات العليا في حلقة مفرغة، وعادة ماينفذ صبر الكثيرين منهم لطول المدة التي يستغرقها اعداد البحوث فيقلعون عن المحاولة .

ان حل مشكلة الدراسات العليا في مصر يكمن **في انشاء جهة اختصاص واحدة للدراسات العليا** في مصر كلها تتركز فيها امكانيات البحث العلمي في مصر ، وتتركز فيها جهود نخبة ممتازة من الاساتذة المصريين ، كما يجذب اليها الممتازون من الاساتذة الاجانب . على أن يكون لهذه الجهة :

أ - صلات وثيقة بالجامعات لكي تبني على الاساس الذي تضعه الجامعات من جهة ، ولكي توجه الدراسة بالجامعات الوجهة السليمة من جهة اخرى ، اي ان العلاقة ينبغي ان تكون ذات اتجاهين .

ب - صلات وثيقة بالمؤسسات والشركات والمصانع والمزارع - ليس فقط صلات أدبية وانما أيضا صلات مادية وجغرافية . صلات مادية بمعنى أن يكون جزءا كبيرا من تمويل جامعة الدراسات العليا صادر من مواقع الانتاج عن طريق الاتفاقات على اجراء بحوث في مشاكل محددة تطرحها الخبرة العملية في وحدات الانتاج ، وصلات جغرافية بمعنى أن تكون مواقع الاقسام المختلفة للدراسات العليا قريبة من الوحدات الانتاجية ذات الصلة بنشاطها العلمي . وهذا معناه انه ليس من الضروري أن تكون كل أقسام الدراسات العليا متركزة في القاهرة .

كذلك فان اهتماما اكبر يجب أن يوجه **للتوسع في البعثات الداخلية** للدراسة بجامعة الدراسات العليا فذلك أقل تكلفة من ارسال البعثات للخارج - أيضا دعوة الاساتذة الاجانب للعمل هنا أرخص بكثير من أيفاد البعثات . أضف الى ذلك ان توطن الدارس والمدرس في مصر سيفرض عليهما اختيار موضوعات للبحث من ضمن الموضوعات التي يطرحها التطبيق والخبرة العلمية في مصر ، وهذا كسب لاشك فيه . ان ذلك من الامور الضرورية لانعاش الحياة الجامعية في أعلى مستوياتها - حيث أن الطريقة الجارية حاليا والتي تؤخذ فيها الدراسات العليا كهواية خارج اوقات العمل الرسمية لا تضمن الحصول على جهد مناسب من الطالب الذي يأتي للدرس منهكا من عمله طوال الصباح ولا يجد في نفسه المقدرة على الاستذكار والبحث فيما يتبقى لديه من الوقت .

ولست أدري هل تصلح **أكاديمية البحث العلمي** للقيام بمهمة جامعة الدراسات العليا ، أم أن الحاجة تقتضي انشاء جهاز جديد . ولكن هذا يثير سؤالا لا أملك له جوابا وهو : ما الغرض الذي يخدمه وجود الاكاديمية في مصر ؟ ان هذا سؤال يحتاج الى جواب صريح وعاجل ، لان الجواب عليه ليس غير ذي صلة بقضية البحث العلمي في مصر .

يمكن الخروج من المناقشة السابقة بعدد من التوصيات التي يمكن أن تمهد الطريق أمام بحث علمي ناجح في مصر :

١ - ضرورة العناية بالمراحل الاولى للدراسة من ناحية مستوى الدراسة ومن ناحية اعداد المعلم ، خصوصا في المرحلة الاولية والابتدائية ، بهدف تنمية قدرات التلاميذ وتعويدهم على التفكير المنطقي المنظم من جهة ، وبهدف اقتران ما يفعلون في المدرسة بضرورة تقديم شيء مفيد للمجتمع من جهة ثانية ، وبهدف زرع بعض القيم الخاصة

بأهمية العمل غير المكتبى للمجتمع من جهة ثالثة ٠
٢ ـ ضرورة اعطاء حوافز وامتيازات تشجيعا للطلاب وأهاليهم على الانخراط فى سلك المدارس الفنية وعلى التوظف فى المزارع والمصانع لعمل شىء مفيد للمجتمع ، بدلا من التربع فى المكاتب ومحاولة قتل الوقت فيما لا ينفع الفرد أو المجتمع ٠

٣ ـ الحد من القبول فى الجامعات بطريقة حازمة لعدة سنوات قادمة ، وخصوصا فى الكليات النظرية على أن توجه الاعداد الفائضة الى مراكز تدريب وتأهيل ذات مدة تعليم قصيرة نسبيا لتخريج أيدى عاملة متعلمة ، وكذلك ، توجيه جزء منهم الى معاهد عليا فنية تختلف برامجها وطريقة تنظيمها اختلافا جذريا عن الكليات المناظرة لها بالجامعات لتخريج المساعدين الفنيين والعمال المهرة ونحو ذلك ٠

٤ ـ ان التوصية السابقة ، لايمكن تنفيذها، الا فى وجود خطة قومية للتنمية الاقتصادية ـ خطة يعمل بها فعلا لا خطة للحفظ فى الملفات بعد مناقشة مبتسرة لها هنا أو هناك ٠ **ان وجود الخطة القومية شرط ضرورى لعمل خطة واقعية للقوى العاملة وبالتالى خطة واقعية للتعليم وخصوصا للتعليم العالى والبحث العلمى** ٠ ومن الضرورى أن تتبنى هذه الخطة **أهدافا عالية للتنمية** ، وتدبر الوسائل الكفيلة بتحقيقها مهما كان فى ذلك من مشقة وتضحيات **(فما التنمية فى بدايتها الا مشقات وتضحيات)** ، حيث أن النمو السريع كفيل بخلق فرص العمل والقضاء على احتمالات البطالة خصوصا بين المتعلمين ، والنمو السريع كفيل ايضا بتوفير امكانيات وموارد أكثر للتعليم والبحث العلمى ٠

٥ ـ من الضرورى خلق جهة اختصاص واحدة للدراسات العليا فى مصر على النحو الموضح سابقا ، ومن الضرورى تواجد وحدات للبحث العلمى على مستوى الوحدات الانتاجية ، ربما تكون حلقة الوصل بين البحث العلمى والانتاج ، وكذلك من المهم ارتباط جهات البحث العلمى بمواقع الانتاج وخصوصا عن طريق تمويل وحدات الانتاج لمشاريع أبحاث تكلف بها جهات البحث العلمى ٠

٦ ـ ضرورة انشاء مجلات علمية متخصصة وخصوصا بالتعاون مع الجامعات العربية الاخرى وكذا بالتعاون مع غيرنا من البلاد المتخلفة بهدف دفع البحث العلمى فى الطرق التى يهم البلاد المتخلفة ارتيادها ٠ أيضا تزداد الحاجة الى التوسع فى **اقامة نوادى العلوم** والندوات العلمية وتشجيع الباحثين الشبان بشتى الوسائل ٠

وبعد ـ فهذه مجموعة افكار اثارها سؤال: لماذا لم يحقق البحث العلمى رسالته فى مصر ؟ ـ لا اظنها متكاملة أو تشكل معا الاجابة الكاملة لهذا السؤال ـ ولكنها فى نظرى تتعرض لعدد من القضايا الهامة المتصلة بهذا السؤال ، والتى تستحق من المعنيين بالامر المزيد من النقاش والجدل ؛ حتى نستطيع الوصول الى سياسة مستقرة طويلة الاجل للتعليم والبحث العلمى فى مصر ٠

مدخل لقضايا البحث العلمى :

ثـــورة العـــلوم والتكنولوجيـــا ومـوقعها من التحــول الاجتمــاعى المعاصر

محمد سيد أحمد

من غير المتصور طرح قضايا البحث العلمى فى أى بلد كان ـ بما فى ذلك البلاد التى لاتنتمى الى القطاع الاكثر تطورا من العالم ـ بدون تحديد احداثيات للموضوع ، تحدد الاطار الذى ينبغى أن يحكم اتجاهات البحث العلمى ، وطبيعة المسائل التى ينبغى أن تتناولها • ويفترض ذلك ـ كمدخل لكافة قضايا البحث العلمى المعاصر ـ تحديد طبيعة التحول الذى يجرى الآن فى مجال العلم والتكنولوجيا عالميا وما أصبح يصطلح على تسميته « بثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية » ـ وهذه « الثورة » يتعذر فهم أبعادها ، ودلالاتها ، وموقعها فى التاريخ ، والافاق الجديدة التى تفتحها للتطبيق ، ما لم نتناولها لا كمجرد ظاهره فنية ، تكنيكية ، أو « علمية » محضة (بالمعنى الضيق لكلمة «العلم»)، بل كظاهرة لها أبعادها الاجتماعية، ودلالتها الثورية ، وكظاهرة تتلاحم وتتداخل مع ظاهرة التحول الثورى والاجتماعى الذى يميز عصرنا •

ان ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية تطبع ببصماتها ، وتلاحق بانجازاتها ، كل جوانب التحول الاجتماعى العصرى • وتتسع تطبيقاتها لمجالات تمتد من شتى مظاهر البناء السلمى الى تطوير أخطر أسلحة الدمار فى آن واحد . انها ـ بالنسبة لنا ـ ذات صلة وثيقة بقضية **تحرير الارض** وعملية **البناء الداخلى** فى نفس الوقت . والاستفادة منها أمر لا غنى عنه ، لا لمجرد مواجهة التحديات **القريبة** فحسب ، بل كذلك كضرورة **استراتيجية** ، ذات ارتباط فى الصميم باجتياز **التخلف** ، وبلوغ مستوى الدول **المتطورة** ، للحفــاظ على كيــاننا الوطنى والقومى ، وتعزيز مكانتنا الدولية مستقبلا .،

ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية مــــاذا تعنى ؟

لادراك كل ما تنطوى عليه « ثورة العلــوم والتكنولوجيا العصرية » من معان ، يتعين علينا ـ بادىء ذى بدء ـ تحديد موقعها من حركة ، التاريخ عموما • انها فى الحقيقة حدث بالغ الاهمية يعد بحق « طفرة كيفية » فى قدرات الانسان الانتاجية ، وفى السمات التى تميز « القوى الانتاجية » ، وفى قدرة الانسان على ترويض واستثمار العالم المحيط لصالحه ، سواء كان هذا العالم المحيط هو ما درج على تسميته « الطبيعة فوق سطح الارض » ، أو هذا

الحيز الاوسع من الكون الذى أصبح فى متناول الانسان ، بعد أن خطى خطواته الاولى في غــزو الفضاء .

وتعد ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية ـ من حركة التاريخ البشرى ـ حدثا لايقل خطورة عــن بدء ظهور الانسان فوق الارض ، بانفصاله عن المملكة الحيوانية ، وبروزه ككائن عاقل له وعى ، وقادر على استخدام « الالة » ، حتى فى أكثر صورها بســاطة ، ليســخر الطبقيــة ويستثمرها لصــالحه .. ، أو عن تحــول الانسان من كائن عاقل بدائى الي كائن متحضر منذ حقبة من الزمان تقدر عادة بعشرة آلاف سنة ،وهو التحول الذى انهى مايعرفبفترة ما «قبل التاريخ» . وتعتبربحق كافة الثورات الاخرى ، خاصة فى مجال القوى الانتاجية ، كمجرد ظواهر ذات الاهمية الثانوية ، بالمقارنة الى ما يجرى الان من فتوح جديدة فى مجالى العلم والتكنولوجيا .

فمن وجهة نظر « **الكم** » يكفى لنا أن نقول أن الحصيلة البشرية من المعلومات ، والمكتشفات العلمية تتضاعف كل عشر سنوات منذ نهــاية الحرب العالمية الثانية وان ثلثى المكتشفات العلمية التى تمت فى أى وقت ، تمت فى هذه الفترة بالذات ، اى بعد الحرب العالمية الثانية ، وثلاثة أرباع العلماء اللذين وجدوا فى اى وقت مازالوا اليوم على قيد الحياة .

اما من وجهة نظر « **الكيف** » فيكفى لنا ان نشير الى **جــوانب ثلاثة بارزة** من « ثــورة العلــــوم والتكنولوجيا » لاعطاء فكرة متواضعة عــن امكانياتها مستقبلا :

■ **أولا** : قدرة الانسان على استخدام الطاقة المختزنة فى **نواة الذرة** . وهذا اكتشاف لم يسبق له مثيل من حيث الاهمية منذ أن سيطر الانسان على النار ، وروضها لصالحه ، ذلك أن كل أشكال الطاقة التى استخدمها الانسان الى الآن ، يمكن ردها الى استخدامات متنوعة زادت رقيا عـــبر العصور مما يعرف« بالطاقةالكهربائية المغناطيسية» أماعن الطاقة التى أصبح من المتاحللانسان أن يستمدها من نواة الذرة ، أو مما هو دون نواة الذرة ، فمن سماتها أنها تمكن الانسان من قدرات جديدةتكسبه سيطرة على الطبيعة ، وقدرة على استكشاف خبايا الكون ، تفوق كل ما حققه من قبل على نحو يتحدى كل قياس أو مقارنة .

■ **ثانيا** : صنعالحاسبات الاليكترونية ، وهى لاول مرةأدوات تستطيع أن تنهض بوظائف من اختصاص « **عقل الانسان** » ، بعد أن كانت كل الادوات التى صممها الانسان من قبل هى مجرد امتداد «**لليد الانسان**» ، وحلت بصور زادت كفاءة وتفننا محل الطاقة **العضلية** .

■ **ثالثا** : التقدم الذى أحرزه علم **البيولوجيا** من جانب ، **والكيمياء العضوية** من جانب آخر ، والتضييق تدريجيا على **الحلقة المفقودة التى تحمل سر الحياة** فى أكثر أشكالها بدائية وبساطة .

ان تحديد موقع هذه الحلقة المفقودة ، وكشف أسرارها ، انما ينبىء بنتائج بالغة الخطورة فى تحديد مميزات **الوراثة** ، كما يفتح للانسان مجال التحكم فى **الاجناس** ، والقدرة على تغيير خواصها وملامحها .

ان هــذه الجــوانب الثــلاثة لثــورة العلــوم والتكنولوجيا ، تكفى كمؤشرات لابراز ما تنطوى عليه من دلالات فلسفية وتكنولوجية وانسانية ، ومن قدرات فى الانتقال بالانسان مــن مملكة الضرورة الى مملكة الحرية . ولكن الزاوية التى تعنينا قبل أى زاوية اخرى هى آثار هذه الثورة من وجهةالنظر **الاجتماعيةوالاقتصادية** ،خاصة وأن هذه الثورة تجرى انطلاقاتها فىحقبة من التاريخ تلازمها فيها **ثورة اجتماعية ذاتابعاد تتسع هى الاخرى الى كوكبنا بأسره** ،وجوهرها الرئيسى هو الانتقال بالمجتمع البشرى من **الرأسمالية الــى الاشتراكية**. والواقع أنالسؤال الجديربنا أننطرحه قبل التعرضلاية جوانب تخصالتطبيق ،بوجه خاص فى ظروف مجتمعنا باعتباره مجتمعا تواجهه مهمة تحرير ومهمةتنمية فى آن واحد ، هو : **الى أى حد تعد هذه الثورة فى مجال العلوم والتكنولوجيا ، تطورا فى خدمة الثورة الاجتماعية ؟ أى الى أى حد تسهم فى أن تسرع بالتحول الاجتماعى ؟ هل من شأنها على العكس وضع العراقيل فى اتجاه التحول الاجتماعى العصرى ؟ ما هى الاثار المترتبة على تعقيدها لمجريات الثورة الاجتمعية العالمية ؟**

مفارقة جديدة ملفت النظر اليها

يجوز لنا هنا ان نسجل بادىء ذى بدء مفارقة هامة ، وهى **ان ركيزة الثورة الاجتماعية العصرية هى الطبقات الاجتماعية الاكثر عرضة للاستغلال الاقتصادى وللاغتراب الحضارى بمختلف صوره .**

وللقمع القومي والوطني والعنصري الى آخره • بينما ركيزة الثورة العلمية والتكنولوجية هي فئات العلماء والمخترعين والخبراء ، وبالذات هؤلاء بينهم الاكثر قدرة بحكم ما هو متاح لهم من « أدوات اكتشاف » من معامل ومن أجهزة بحث ، على السير قدما في طريق الاكتشاف العلمي • وبديهي ان المجتمعات الكفيلة بتهيئة انسب الظروف لنشاط هؤلاء العلماء هي أغنى المجتمعات ، وأكثرها تطورا ، سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية . وليست هي هي الارجح المجتمعات ــ موطن الحركات الثورية ــ التي تعاني فيها غالبية سكانها من أشكال لا تحتمل من الاستغلال والاضطهاد •

من هنا كل تعقيد ملامح عالمنـــا المعاصر ، حيث أن مكونات التقدم العصري فيه لا تتجمع كلها لتشكل محصلة في اتجاه واحد ، ذلك أن أكثر المجتمعات الاستعمارية تطورا تستطيع ان تساهم بالنصيب الاعظم في انجاز نتائج بالغة الاهمية في مجال « التقدم التكنولوجي » وهي في نفس الوقت أكثر المجتمعات رجعية من وجهة نظر « التحرر الاجتماعي » ومما لا شك فيه على أي حال أن نتائج ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية تسهم بدور بارز في زيادة الهوة اتساعا بين الدول المتطورة من جانب ، رأسمالية كانت او اشتراكية ، وبين الدول المتخلفة من جانب آخر ، بل من شأنها ــ داخل نطاق العالم الرأسمالي ــ ان تزيد المسافات حتى بين الدول المتطورة ذاتها • فان المسافة بين الولايات المتحدة اليوم ودول اوربا الغربية تكاد تصل الى المسافة التي تفصل ــ في المستوى التكنولوجي ــ بين دول غرب اوروبا ومستعمراتها السابقة •

ويكفي للتدليل على خطورة هذه الظـــاهرة ان نلفت النظر الى أن ٩٥ في المائة من القدرات العالمية على البحث العلمي ، و ٨٩ في المائة من الدخل العالمي ، و ٨٥٫٥ في المائة من أرصـــدة الذهب والعملات الاجنبية ، و ٩٣ في المائة من صنع الصلب ، و ٨٩٫٢ في المائة من انتاج خام الحديد ، و ٧٢ في المائة من توليد الطاقة ، مركزة في ٣٠ دولة . وتنتج هذه الدول الثلاثون ٦٠ في المائة من الانتاج العالمي للحبوب ، و ٦٨ في المائة من انتاج الفحم ، و ٧٩٫٣ في المائة من انتـــاج البروتين •

ان الولايات المتحدة تمتص بشكل متعاظم على الدوام عددا كبيرا من العقول العلمية ، التي تشتريها من الدول الرأسمالية الاخرى ــ وكان يمثل هؤلاء العلماء المستوردون ، (ما بين عـام ١٩٤٩ ، ١٩٦١) ٨ في المائة من مجموع العلماء الذين يعملون في أمريكا . كما تقدر الاموال التي وظفتها امريكا في « استثمار » هؤلاء العلمـــاء بمليار دولار • وقد فقدت اوروبا الغربية ما بين ٢٠ و ٣٠ في المائة من علمائها الشبان ، وفقدت كندا ٤٠ في المائة من هؤلاء العلماء • وقدرت احصاءات الامم المتحدة هجرة العلماء الى أمريكا بـ ٨٥ الف عالم ما بين سنة ١٩٥٥ وســـنة ١٩٦٤ • ومن الملاحظ ان ربع اعضاء اكاديمية العلوم في الولايات المتحدة ليسوا من اصل أمريكي

ظواهر في غير صــالح العـــالـم النـــامي

وفي مقابل هذا الاستقطاب الذي من شأنه تشجيع انطلاقة ثورة العلوم والتكنولوجيا في أكثر المجتمعات تطورا ، نجد أكثر من ظاهرة تزيد من تعثر الدول النامية ،ومن قدرتها على ملاحقة العالم المتطور • من ابرز هذه الظواهر ، ما أصبح يعرف بالمد الديموجرافي أو بالانفجار السكاني وهي ظاهرة تتركز بالذات في القطاع المتخلف من العالم كما تشهد بذلك البيانات التالية :

الكثافة السكانية بالكيلو متر المربع	سنوات سابقة		تقديرات للمستقبل	
	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٨٠	٢٠٠٠
الدول المتطورة	١٥	١٧	٢٢	٢٨
الدول النامية	٢٢	٢٧	٣٩	٦٢

وظاهرة الانفجار السكاني حادة بالذات في مصر ، ذلك أن تعداد السكان زاد من ١٦ مليون نسمة في سنة ١٩٣٧ الى ١٩ مليونا في ســـنة ١٩٤٧ ، والى ٢٦ مليونا في سنة ١٩٦٠ ، ليصل الان الى ٣٥ مليونا • والواقع انه مهما بذلت من جهود للحد من الزيادة السكانية بوسائل فنية متنوعة تستهدف تحديد النسل أو غيره ، فليس في مقدرة هذه الوسائل أن تجتث جذور الظاهرة ما لم يكن المجتمع قد بلغ حدا ملموسا من التطور • وفي نفس الوقت ليس من السهل بلوغ هذا الحـــد الملموس من التطور ما لم يكن المجتمع قد أحـرز نجاحات محسوسة في تحديد النسل ، فنحن اذن بصدد حلقة مفرغة ، وهي مفارقة يصعب تخطيها الا بحلول جزئية وتوفيقية ، ذلك أن القضية ذات جذور اجتماعية ، تمت بصلة مباشرة الى مقدار

تطور المجتمع ، ولا تكفى الوسائل الفنية وحدها لايجاد حل لها (١)٠

حقيقة أخرى ، من شأنها تعميق الهوة بين الدول المتطورة والمتخلفة ،تكمن فى أن مجتمعا معينا **كلما يكون قد أنجز المزيد فى مقدار تطوره ،يستطيع أن** ينطلق بسرعة أكبر **فى اتجاه التطور ،بصورة تماثل المتوالية الهندسية ٠ ذلك بينما تواجه المجتمعات المتخلفة صعابا مختلفة تعترض بدء عملية التطور** أصلا ، **والخروج من تعثرات التخلف ٠**

■ كما يلاحظ بوجه عام أن الثورة العلمية والتكنولوجية **قد أدخلت تغييرات ملموسة فى التركيب الاجتماعى للدول المتطورة** ، ذلك انها قد عظمت من شأن العاملين **الذهنيين** على حساب العاملين **اليدويين** ، وأكسبت هؤلاء العاملين الذهنيين وضعا اجتماعيا يتأكد التغيير فى **تركيبه النوعى** مع زيادة حجمهم العددى (٢) . فلم يعد من الممكن اعتبار هؤلاء العاملين الذهنين مجرد اتباع وشركاء لرأس المال المستغل ضد الطبقة العاملة ، بل تتعرض الغالبية العظمى من هؤلاء العاملين الذهنيين لصور مختلفة من الاستغلال والاغتراب ، تقربهم من الوضع الاجتماعى للطبقة العاملة ، وتضعهم فى وجه الاحتكارات الكبرى فى وضع مماثل لها ٠ ولا يحتفظ بصفتهم السابقة ، كمشاركين فى نصيب من الارباح الطائلة التى تجمعها الاحتكارات الكبرى ، سوى **قلة ضئيلة** بينهم ٠ ومن المحقق أن هؤلاء العاملين الذهنيين ، المنتسبين فى أغلبهم الى الطبقات المتوسطة ، والى « البورجوازية » **يحملون معهم أيديولوجيتهم** المتميزة عن ايديولوجية الطبقة العامة ، وهم ينتقلون فى مواقعهم الاجتماعية الى صفوف الطبقات الاجتماعية المعرضة لاستغلال الرأسمالية العصرية ٠

■ كما يلاحظ أن ظاهرة «**تنمية العقول** » فى المجتمعات المتطورة صاحبها اكتساب هذه المجتمعات صفة **المجتمعات الاستهلاكية** ، ذلك أن تنمية العقول كما قلنا تقتضى مناخا اجتماعيا له صفاته « الكيفية » المتميزة عن المناخ السائد فى المجتمعات المتخلفة ، حيث يعتمد الانتاج على الايدى العاملة الوفيرة ، والجهد العضلى ، وحيث القدرة على اجابة التطلعات الاستهلاكية محدودة .

● كذلك من النتائج الاقتصادية لهذا التباين المتزايد بين مستوى الدول المتطورة ومستوى الدول المتخلفة ، **أن الثورة التكنولوجية العصرية قد** اكسبت المجتمعات المتطورة القدرة على **صنع بدائل صناعية لكثير من المواد الخام التى تنتجها الدول** النامية ، ويعتمد اقتصادها على تصديرها .**ومن هنا قدرة الاحتكارات الكبرى على التحكم فى الاسواق العالمية ، وقدرة دول الغرب المتطورة على فرض أسعار منخفضة للمواد الخام ، فى وقت ترتفع فيه اسعار المنتجات الصناعية** ٠ وتعتبر هذه الظاهرة من ابرز ما يلجأ اليها الاستعمار الجديد **لاستعادة سيطرته الاقتصادية على مستعمراته السابقة** ، دون ما حاجة الى **احتلال عسكرى** مباشر ، **وباعمال قواعد التجارة الدولية وحدها ٠**

من المستفيد أساسا ٠٠

ان كل هذه الظواهر توحى بأن الاستعمار العالمى هو المستفيد الاساسى من ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية ، على الاقل فى الاونة الراهنة ٠ وقد بدت لنا صحة هذا الاستنتاج من نتائج **حرب الايام الستة التى أشعرتنا بأن التفوق العسكرى الاسرائيلى** يرجع الى انتماء اسرائيل الى الغرب المتطور واتسامها بصفة أنها امتداد لهذا الغرب مزروعا فى قلب الوطن العربى ٠

والواقع أن هذا التصور تدحضه المعطيات الاساسية فى عصرنا ، اذ من المفروض أن يكون التنظيم الاشتراكى للمجتمع أكثر تهيؤا لاستيعاب انجازات ثورة العلوم والتكنولوجيا ٠ ولتطويرها الى آفاق أبعد ٠ ذلك أن المجتمعات الاشتراكية تقوم على **التخطيط الشامل** القادر على استثمار شتى موارد المجتمع البشرية والطبيعية على حد سواء ٠ ويعنى ذلك ضمن ما يعنى ، **استثمار كل** ماينطوى عليه المجتمع من عقول ، دون ان يكون هذا الاستثمار مقيدا بقيود التمييز الطبقى او العنصرى أو القومى الى آخره ٠٠ وكذلك دون أن تقف المزاحمات بين الاحتكارات الكبرى ، حائلا يحد من الاستخدام الامثل للاكتشافات العلمية ٠

[١] الاطفال فى نظر العاملين فى الريف مثلا هم مجرد « أيد عاملة » وكلما زاد عددهم زادت قدرتهم على التخفيف من اعباء الوالدين ، ولا ينظر اليهم على أنهم « أمخاخ » ، شأن الاطفال فى المجتمعات المتطورة . وتنمية « الامخاخ » شىء مكلف يحد من « الكم » ويركز على « الكيف » .

[٢] هؤلاء العاملون الذهنيون هم الذين يقولون وظائف يتعاظم شانها ، ثورة العلوم والتكنولوجيا : المهندسون ، العلماء ، المخترعون ، المصححون ، ووظائف تكنوقراطية عديدة أخرى .

وقد يقال عن المجتمعات الاشتراكية أن هناك عوامل اعترضت أو عوقت هذا الاستثمار الافضل لطاقات المجتمع ، عوامل ترجع الى صور قد تكون قد برزت للبيروقراطية ، أو الى عادات عمل رسخت ويصعب تغييرها .

والواقع أن المجتمعات الاشتراكية المتطورة تحاول الحد من أثر هذه العوامل ، باصلاحات اقتصادية ، استهدفت التقليل من شأن المركزية المفرطة • وبتنشيط الحوافز المادية • ومع ذلك ، فاذا صح أن المجتمع الاشتراكى هو من الوجهة النظرية المجتمع الاصلح لاستثمار ثورة العلوم والتكنولوجيا العصرية فى الامد التاريخى العام ، الا أن ذلك لا يحول دون وجوب التسليم بأن الاستعمار العالمى قد استطاع أن يكون المستفيد الرئيسى من منجزاتها فى الواقع الدولى الراهن ، وفى الامد القصير • ذلك أن هذه الثورة فى العلوم والتكنولوجيا قد فتحت أمام الرأسمالية المعاصرة افاقا غير محسوبة لتجديد صناعاتها ، وتوسيع نطاق تطبيقها ، بنجاح الانسان فى غزو الفضاء ، وبافتتاح مجالات جديدة للانتاج الصناعى لم يسبق لها وجود مثل مجال الحاسبات الاليكترونية وغيرها من المجالات المتفرعة من علم الاليكترونيات (٣) والاوتوميشن

وينبغى أن نسجل فى هذا الصدد :

■ اولا : اذا صح أن التوازن الراهن فى أسلحة الدمار الشامل يحول دون استخدامها ، ذلك أنها تعرض الحضارة البشرية كلها للفناء ، فان الدول الاشتراكية لم تصل بعد الى القدرة على أن تحول دون نشوب الحرب أصلا ، ومنع أمريكا بالذات من اللجوء الى تطوير الاسلحة التقليدية المستخدمة فى الحروب المحدودة ، ضد الشعوب المناضلة من أجل استقلالها الوطنى وتحررها الاجتماعى •

■ ثانيا : لم تصل القوة الاقتصادية لمجموع الدول الاشتراكية الى المستوى الذى يمكنها من منع الاحتكارات الرأسمالية الدولية من التلاعب بأسعار المواد الخام ، ومن قدرتها على رفع أسعار المنتجات الصناعية فى الاسواق العالمية •

■ ثالثا : ليس من شك فى أن المعونات الفنية التى تستطيع الدول الاشتراكية أن تقدمها للدول النامية هى عنصر هام فى مساعدة هذه الدول فى انجاز عمليات التنمية ، ولكن هذه المعونات ليست عنصرا حاسما فى احداث التغيير الكفيل بزيادة عائد العمل الاجتماعى ، ولا تنطوى فى حد ذاتها على ضمان ، يكفل بمقتضاها أن يجرى استخدامها واستثمارها على النحو الامثل ، وبالكفاءة المثلى • فلا يكفى استيراد أدوات انتاج متطورة ليضمن استخدامها وفق ضوابط العمل المتطور •

هكذا نرى ان الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة قد طبعت مجريات التحول الاجتماعى المعاصر بأبعاد جديدة ، ليست كلها ما ييسر عملية تخطى التخلف فى المجتمعات النامية ، وليست كلها مما يسهل لها عملية اللحاق بالمجتمعات المتطورة ، وعملية تعزيز استقلالها الوطنى والقومى ، على الاقل فى ظل توازنات القوى التى تميز الواقع الدولى الراهن •

أوجه التباس ••

بسبب ثورة التكنولوجيا العصرية

ونظرا لما ترتب على هذه الثورة التكنولوجية والعلمية من تعقيد بالغ فى العلاقات الدولية ، هناك عدد من العوامل تفسر اتجاه بعض الدول النامية الى اكتشاف أوجه تماثل بين الدول المتطورة ، بغض النظر عن اختلاف نظمها الاجتماعية ، أى بغض النظر عن الاختلافات الجذرية بين الرأسمالية والاشتراكية • وهذه العوامل التى ترجع جميعها الى ما يكتنف تعقيد الموقف الدولى الراهن من غموض ، يمكن اجمالها فى الاتى

■ اولا : من الصعب تحديد معيار موضوعى كفيل بازالة كل التباس ، يمكن بمقتضاه ضمان أن « العامل الاجتماعى » و « الايديولوجى » له دائما الاسبقية على العامل « التكنولوجى » فى بعض جوانب التنافس السلمى والتعاون العلمى ، وفى مجالات التكنولوجيا بين الدول المتطورة جميعها ، على اختلاف انتماءاتها الاجتماعية •• وهنا يطرح السؤال :

هل يرجع التباين فى مستوى معيشة العاملين فى الدول الاشتراكية المتطورة من جانب ، والعاملين فى الدول المتخلفة ، الى ضرورات « العامل التكنولوجى » ، أم هى استجابة لمتطلبات « العامل الاجتماعى » ، أم تنجم عن ضرورات « العامل الوطنى أو القومى » ؟ تحت ضغط الحرمان ، وفى وجه خطر المجاعات التى مازالت

(٣) تعتبر صناعة الحاسبات الصناعية الثامنة من حيث الاهمية وينتظر أن تصبح الصناعة الاولى فى منتصف الثمانيات .

تهدد قطاعات واسعة من العالم المتخلف ، هناك مفكرون فى العالم الثالث « البروليتارى » قد أظهروا ميلا لاعتبار جميع الذين يشاركون فى السباق نحو الرفاهية ، على انهم ينتمون الى فريق واحد ، فريق « العالم المتطور » فى مواجهة « العالم المتخلف » ٠

■ **ثانيا : لايمكن « للايديولوجية البروليتارية » الا أن تكون نتاج بلورة البروليتاريا الثورية كقوة اجتماعية طليعية ، وهذا شرط يندر أن يتحقق فى مجتمعات مازالت متعثرة فى اسار التخلف ٠** ان التحدث **باسم** البروليتاريا لا يعنى بالضرورة **وجودها فعلا** ٠ وفى ظروف كثيرة هناك المقابلة بين ما اصبح يطلق عليه مصطلح الـ Pre-Proletariat (ما قبل البروليتاريا) فى المجتمعات المتخلفة وبين الـ Post-Proletariat (ما بعد البروليتاريا) فى المجتمعات الاشتراكية المتطورة ، الامر الذى من شأنه **طمس الملامح المشتركة لمفهوم « البروليتاريا الثورية »** ، ككيان متجانس له على نطاق العالم سماته المتميزة الواحدة ٠

■ **ثالثا : ان الوعى الايديولوجى** كثيرا ما يكون متخلفا عما يكون قد توصل اليه **التركيب الاجتماعى والوضع الاقتصادى** ٠ ومن الامثلة البارزة على ذلك أثر تخلف قوى اجتماعية مختلفة عن أن تقف فى صف واحد مع البروليتاريا ، بتبنيها نفس المواقف العملية فى عدائها المشترك للاحتكار والاستعمار ، وكتعبير عن التلاقى الموضوعى فى المصالح الموضوعية الاساسية بين العاملين اليدويين والعاملين الذهنيين فى المجتمعات الرأسمالية المتطورة ٠ وبديهى أن قوى اجتماعية مختلفة وهى تقترب من البروليتاريا تحمل معها اليها آثار أيديولوجيتها الاصلية ذات السمات الخاصة المتميزة بشكل محسوس عن ايديولوجية البروليتاريا ٠

دور تطوير « قوى الانتاج » فى الدول النامية

اذا كان لثورة العلوم والتكنولوجيا (وهى التعبير الراهن عن تعاظم شأن القدرات التى تختزنها القوى الانتاجية **بالدول المتطورة**) **دور هام** فى اكساب هذه الدول قدرات انطلاق جديدة ، **وأثر هام** فى طبع كل مجريات تحولها الاجتماعى ، كذلك هناك **دور هام** تنهض به حاجة **الدول المتخلفة** الى تنمية قواها الانتاجية لتحديد ملامحها الاجتماعية ٠

فمن المعلوم عموما ، ان **الضرورة التاريخية تقتضى نوعا من « التناسب » أو « التقابل » بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج ، أى يقابل بلوغ قوى الانتاج مستوى ما ، علاقات انتاج معينة** ٠ كما أن هناك اتجاه فى المجتمعات الطبقية لان تصبح علاقات الانتاج **عائقا** دون استمرار نمو القوى الانتاجية ، ودون اطراد تطور أساليب الانتاج التى وفرت ظروف نشأتها فى الاصل ٠ وقصور علاقات الانتاج عن أن تلبى متطلبات قوى الانتاج وتقدمها المتصل مع تراكم الخبرة الانسانية ، هو الذى يفرض ضرورة استبدالها بغيرها ، بطريق **الثورة الاجتماعية** ، أى استبدال علاقات الانتاج الاجتماعية السابقة بعلاقات انتاج جديدة، أكثر تناسبا لمتطلبات أسلوب الانتاج الجديد الذى يعكس **وضعا طبقيا جديدا** يكون قد لفظ الطبات الرجعية ووضع فى المقدمة **الطبقة الثورية** ، أكثر طبقات المجتمع قدرة على احداث الانطلاق نحو مزيد من التقدم ٠

هل يجوز لنا أن نتصور الافتراض العكسى ، وهو ان تنطلق الثورة الاجتماعية ، لا بسبب تخلف العلاقات الاجتماعية عما يقتضيه مستوى قوى الانتاج ، ولكن على نقيض ذلك ، تحت ضغط قصور مستوى قوى الانتاج عن تلبية الامكانيات الموضوعية الكامنة أو الحقيقية التى اصبحت متاحة لعلاقات الإنتاج الاجتماعية ؟

أعتقد أن هذا الافتراض ينطوى على تفسير مقبول للتحولات الاجتماعية التى تجرى فى عدد من الدول المتخلفة ، والتى تبحث عن طريق لهما لدعم استقلالها القومى ، وتحقيق ازدهارها القومى بعد الاستقلال ٠

فى هذه البلدان تظل قوى الانتاج متخلفة أى متسمة بقصور بالغ عن مستوى القوى الانتاجية فى الدول المتطورة ، الرأسمالية والاشتراكية على السواء ٠ وقد سبق وأشرنا الى أن هذا التباين من شأنه أن يتعاظم لا العكس . ولكننا قد بينا أيضا ان هذه البلدان استطاعت (بفضل قوة الاسرة الاشتراكية فى العالم) أن تقتحم لنفسها طريقا نحو التجدد الوطنى ،وأن تحقق لنفسها استقلالا ، لا يتسم فقط بمقاييس شكلية ٠

لقد أصبحت الدول الحديثة الاستقلال قادرة فى ظروف كثيرة على ان تحافظ على منجزاتها السياسية والاجتماعية ، وأن تشل محاولات الاستعمار للتدخل عسكريا أو لاسترداد سيطرته بواسطة مؤامرات مختلفة ، أصبح من المتاح لها ان تحصل على معونات اقتصادية دون تدخل فى شئونها الداخلية ، تنال من سيادتها الوطنية ٠

ان الاشتراكية اذن كقوة تنشط على الصعيد الدولى ، قد أدخلت تعديلات هامة فيما يتعلق **بالفرص المتاحة أمام القوى الاجتماعية المنتمية الى اتجاه التقدم** ، هذه الفرص المتاحة تشمل ضمن ما تشمل **الدول الوطنية الحديثة الاستقلال** ، ولكن فى سبيل أن تتحول هذه **الفرص الى واقع** ملموس فلابد لهذه الدول ان تتخطى التخلف فى قدراتها **الانتاجية ، فى قواها الانتاجية** ٠

اذن ، فالقضية الاساسية أمام هذه الدول هى **تنمية قوى الانتاج ، وهى التصنيع بما يفترض من تعديلات فى الهياكل الاجتماعية لتحقيق هـذا** الهدف على النحو الافضل ٠ **هكذا يمكن ان يقال أن العنصر المحرك للتحرك الاجتماعى وللثورة ، هو ضرورة تنمية قوى الانتاج** ٠

معنى تطوير قوى الانتاج

ان أهم ما أردنا ابرازه فى كل ما سبق أن تطوير « القوى الانتاجية » **هو عنصر أساسى** فى تطوير الدول النامية ، **وهو الحلقة الرئيسية فى** تحولها من جميع الوجوه ، اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا وحضاريا ٠ **غير أن لتطوير « القوى الانتاجية » فى عصرنا معنى محددا ، وضوابط ومقاييس محددة ، وهذه الضوابط والمقاييس تحددها انجازات ثورة العلوم والتكنولوجيا فى العالم المتطور** ٠ وحقيقة التحدى **الذى يواجه الدول النامية** ، أن تجعل من تنميتها لقواها الانتاجية **ما يمكنها من مواكبة انجازات ثورة العلوم والتكنولوجيا** ، واستثمار ما تنطوى عليه من امكانيات لها على نحو يثبت قدرتها على **الحيلولة دون توسع الهوة بينها وبين الدول المتطورة** ٠ ان حقيقة التحدى أن تثبت قدرتها على **اســتثمار الاستقلال الوطنى ، وسيطرتها** عـلى **مقدراتها لخوض ثورة العلــوم والتكنولوجيـا المصرية على نحو يحقق هذا الغرض تحديدا** ٠

فى ضوء ما سبق وأوضحناه ، نجد معنى لما أبرزه عدوان سنة ١٩٦٧ ، وتنبه له العـرب فجأة (بما فى ذلك الدول العربية التقدمية) بعد العدوان ، وهو خطورة ما كشفت عنه الحرب من تباين تكنولوجى بين اسرائيل والعالم العربى . وقد ابرز العدوان ، وكذلك التعثر طوال الاعوام اللاحقة عليه فى ازالة آثاره ، **ان الدول التقدمية العربية ومصر فى مقدمتها ، مهما حققت من انتصارات وطنية واجتماعية ومن هيبة دولية بعد ثورة ٢٣ يوليو ، ومن مركز دولى ، فما لم تجد سبيلا للحد من هذا التباين التكنولوجى ، فان كل هـذه الانجازات تتعرض لتعثرات متجددة** ٠ من هنا كان مـا يبـرر طـرح شـعار « **البناء** » بجـانب شعار « **الاستعداد للمعركة** » ، **ذودا عن الوطن** واستردادا للارض المحتلة ٠ كما أن هذا الاطار هو الذى يحدد ما ينبغى أن نفهمه من الشعارين معا ، وهو أن نبنى **قوتنا الذاتية** بما يمكننا من **اللحاق بالقطاع المتطور من العالم** ، وبما يؤكد قدرتنا على أن نتعامل **بضوابطه ومقاييسه** ٠

وهنا ينبغى أن نشير الى أن **تمثل واستيعاب متطلبات ثورة العلوم والتكنولوجيا المعاصرة لا يعنيان مجرد استيراد المصانع ، ولا مجـرد اقتباس أحدث المخترعات بل يعنيان قبل ذلك تهيئة البناء الاجتماعى الكفيل بجعل استيراد المصانع وأحدث الاختراعات مثمرا** ٠ ويلاحظ فى هـذا الصدد أن رفع شعارات « الوطنية » ، والتحول الاجتماعى » هو تعبير عن « حالة ذات صـفات وضوابط « كيفية » ، تنطوى المحاسبة فيها على عوامل **تقديرية** ، ذات صفة **سياسية** ، **بينما** انجازات التكنولوجيا تقبل **المحاسبة الدقيقة** ، وتقبل الرد الى التحليل الكمى ، وتخضع لضوابط واختبارات ذات نتائج **يقينية** ، ولا يمكن تصوير الامور فيها على غير حقيقتها ٠

ومع ذلك ينبغى أن نؤكد أن أية انطلاقة تكنولوجية لا ينبغى فى أى ظرف فصـلها عـن بواعثها الاجتماعية ، وعن النظرة الايديولوجية ٠ وكما سبق وأوضحنا ، فان الاستعمار المعاصر يجد هو الاخر مصلحة ما فى قدر من التطـوير التكنولوجى بالدول النامية كوسيلة لاسـترداد هيمنته على مقدرات هذه الدول ٠ **وليس التطوير التكنولوجى غاية فى ذاتها ، بل هى وسيلة لتأكيد الاستقلال الوطنى ، ولضمان المكاسب الاجتماعية لجماهير العاملين** ٠ غير أن المطلوب هو أن ندرك أن **الايديولوجية** سوف تبقى مجرد شعارات ، **ما لم تقترن بانجازات عملية ، للتكنولوجيا دور أساسى فى اتمامها** ٠ وليس هناك ضـمان **أن تكون التكنولوجيا** فى خدمة الوطن والشعب ، **ما لم تحددلها اختيارات ذات صفة أيديولوجية** ٠

ان الانجـازات الايديولوجية تكسب التحـول الاجتماعى ، وما أتمه المجتمع من تـوعية ايديولوجية ، **ضوابط تقبل المحاسبة والتحـليل** الكمى ٠ **والايديولوجية تسبغ الانجازات ذات صفة مادية وتكنولوجية بمحتوى « كيفى » فى خدمة هدف اجتماعى تقدمى** ٠

موقع العالم الثالث

من الثورة العلمية والتكنولوجية

د. مراد وهبة

عنوان

هذا المقال ينطوى على سؤالين : ما الثورة العلمية ؟ وما الثورة التكنولوجية ؟
الثورة على الاطلاق تعنى تغييرا جذريا ، أو ان شئت فقل انتقال من الكم الى الكيف .

يبقى اذن أن كلا من الثورة العلمية والثورة التكنولوجية تعنى تغييرا جذريا فى مفهوم العلم والتكنولوجيا .

الثورة العلمية تعنى تغييرا جذريا فى العلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعروف . فلم تعد الذات العارفة مجرد جهاز استقبال لما يرد اليها من عالم الموضوعات الخارجية ، وانما الذات العارفة جهاز فعال لا يقف عند حد الاستقبال بل يتجاوزه الى التفسير والتأويل . وهذا يعنى أن الترابط بين الذات والموضوع ليس ترابطا ميكانيكيا وانما هو ترابط ديالكتيكى . ومن ثم فالحقيقة انسانية بالضرورة ونسبية بالتبعية .

ونظرية النسبية شاهد على ما نقول ، اذ لم تعد الظاهرة مستقلة عن الملاحظ (بكسر الحاء) ، ولم يعد الزمان مطلقا ، وانما أصبح بعدا رابعا للمكان . ونظرية الكوانتم أفسحت المجال أمام تأويل جديد لتركيب الضوء ، اذ لم يعد الضوء مجرد حزمة من الموجات وانما حزمة كذلك من الجسيمات . وتبنى العالم الفرنسى لوى دى بروى نظرية الطبيعة الثنائية للضوء ، بمعنى ان كل جسيم تلازمه موجة ، ولكنه أضاف قائلا انه ليس فى مقدور الانسان ادراك هذا التلازم ، ومن ثم فالنظرية الضوئية المعاصرة مجرد تصور من الذات العارفة يتجاوز الواقع المحسوس دون أن يفارقه .

والثورة التكنولوجية تعنى تغييرا جذريا فى علاقة الانسان بالآلة ، فالحواسيب الالكترونية ،

بفضل علم السيبرنطيقا ، تقوم بوظائف منطقية مماثله لعمليات التفكير الانسانى فاصبحت قادرة على الاشراف والتحكم وبرمجة الانتاج . ونشأ عن ذلك سلب للذات الانسانية . ولكنه مع ذلك سلب ينطوى على ايجاب ، اذ يتأكد الوجود الذاتى للانسان وذلك بانفتاح مجالات الابداع أمام الانسان بعد استيعاب الحواسب الالكترونية لعمليات عقلية معقدة كانت مانعا من انطلاق الانسان .

وخلاصة المسألة :

تأنيس العلم فى الثورة العلمية ، وهذا يعنى أن الانسان فعال ، وفاعلية الانسان تتحدد بالقدرة على الابداع فى ظل الثورة التكنولوجية .

اذن هى فاعلية مبدعة

والسؤال بعدذلك :

ما الغاية من هذه الفاعلية المبدعة ؟

ترقية الانسان أم تدمير الانسان ؟

والجواب عن هذا السؤال متروك للفكر الاجتماعى .

والفكر الاجتماعى منه الرأسمالى ومنه الاشتراكى .

الفكر الرأسمالى يتجه بهذه الفاعلية المبدعة الى تدمير الانسان .

وهو مخطط هذا الفكر فى المرحلة الامبريالية . والحروب الاقليمية التى تثيرها الامبريالية الامريكية فى فيتنام والشرق الاوسط شاهد على ذلك .

وفيتنام والشرق الاوسط من العالم الثالث

ومن ثم يثار عنوان المقال على هيئة سؤال :

ما موقع العالم الثالث من الثورة العلمية والتكنولوجية ؟

بيد أن المفارقة فى هذا السؤال مردودة الى غياب الثورة العلمية والتكنولوجية عن دول العالم الثالث ، وحضورها من خلال تعامل هذه الدول مع كل من المعسكرين الاشتراكى والرأسمالى

والتناقض القائم بين الغياب والحضور يلزم رفعه ، ورفعه انما يتحقق بفضل الالتزام بفكر اجتماعى محدد .

والفكر الاجتماعى المفضل هو الفكر الاشتراكى بالضرورة من حيث هو وسيلة لترقية الانسان وليس لتدمير الانسان

وقد دعت القيادات الثورية فى العالم الثالث الى « حتمية » الالتزام بالحل الاشتراكى لقضايا المجتمع .

فى مصر عبر « الميثاق الوطنى » عن هذه الحتمية :

« ان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر ، وصولا ثوريا الى التقدم ، لم يكن افتراضاقائما على الانتقاء الاختيارى ، وانما كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الامال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين .

« ان هذا الحل الاشتراكى هو المخرج الوحيد الى التقدم الاقتصادى الاجتماعى

« والذين ينادون بترك الحرية لراس المال ، ويتصورون أن ذلك طريق الى التقدم يقعون فى خطأ فادح » .

« ان راس المال فى تطوره الطبيعى فى البلاد التى أرغمت على التخلف لم يعد قادرا على أن يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الرأسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة اعتمادا على استغلال موارد الثروة فى المستعمرات » .

وفى غينيا اعلن سيكوتورى فى المؤتمر السادس للحزب الديمقراطى الغينى « أن صبغ المجتمع العالمى بالصبغة الاشتراكية مسألة حتمية ، وأن التجربة الغينية هى محاولة جديدة لدعم التنمية الاشتراكية فى مجتمع زراعى فى جوهره . ان طريقنا هو طريق التنمية غير الرأسمالية . ولن نحيد عن هذا الطريق لانه الطريق الوحيد الذى يكفل مصالح المجتمع ، والذى يحرر كل فرد من الظلم الذى يلازم استغلال الانسان للانسان » .

وفى الهند قال نهرو فى احدى دورات اللجنة الوطنية لحزب المؤتمر الوطنى « ان الاحتكارات

معادية للاشتراكية»ثم استطرد قائلا «اننا ابتعدنا عن الاشتراكية بقدر ما نمت هذه الاحتكارات فى السنوات القليلة الاخيرة » .

وفى بورما تعبر وثائق المجلس الثورى عن رفض الطريق الرأسمالى ، اذ هى تقرر انه « فى عصر الرأسمالية فان ملكية الطبقة الرأسمالية لوسائل الانتاج لا تتحقق الا استنادا الى نظام القوانين البورجوازية ، فى حين أن الطبقة التى لا تملك أى رأسمال ، أى الطبقة العاملة ، هى التى تتعرض للاستغلال .. ولهذا فانه من اللازم عدم الاعتماد على القوى الاجتماعية والسياسية التى ليس فى مقدورها خدمة المجتمع » .

والنتيجة المحتومة بعد ذلك أن تناقض دول العالم الثالث مع المعسكر الرأسمالى تناقض أساسى . ومع ذلك فعلاقة هذه الدول مع المعسكر الاشتراكى موضع تحفظ . فثمة نقط اتفاق ولكن ثمة نقط افتراق . والتحفظ مطروح بالنسبة الى نقط الافتراق .

وحسما لنقط الافتراق ينبغى أن تكون لدى دول العالم الثالث نظرة عالمية الى مشاكلها وقضاياها وليس مجرد نظرة اقليمية محدودة . ذلك أن الفكر الاشتراكى العالمى ليس مجرد فكر ، وانما هو فكر ثورى يتخذ من الثورة العلمية والتكنولوجية زادا لمساره الانسانى ذى المضمون الاجتماعى . ومن ثم فالعلم والتكنولوجيا محكومان بالايديولوجيا . والايديولوجيا الاشتراكية تأخذ بالتزام العقل بعد أن كانت الايديولوجيا البرجوزاية تدعو الى استقلال العقل . واستقلال العقل لم يكن يهدف الا الى خدمة المبادرة الفردية ، اما التزام العقل فيتجه الى خدمة قوى الشعب العامل .

ومحاولات الامبريالية لا تكف عن الترويج لدعوات من شأنها ليس فقط تدمير التزام العقل بل تدمير استقلال العقل ، أى تدمير الانسان فى العالم الثالث .

فثمة دعوة تنادى بعدم جدوى الايديولوجيا بحجة أن القرن العشرين هو عصر التكنولوجيا من غير ايديولوجيا . وتزعم هذه الحجة أن التكنولوجيا المعاصرة لها كيان قائم بذاته ، وأن الحواسب الالكترونية كفيلة وحدها بالتحكم والتوجيه سواء أكان ذلك هو التحكم فى الفضاء أو التحكم فى المادة أو حتى التحكم فى الكائنات الانسانية ذاتها .

ثم تواكب هذه الدعوة دعوة أخرى تحذر دول العالم الثالث من الاخذ بالاساليب التكنولوجية المعاصرة ، برغم هذه الاساليب منافية للقيم الاخلاقية الموروثة ، وأنها دافعة للانسان الى الاحساس المزيف بانه خالق . والدافع وراء هذا الزعم هو عزل دول العالم الثالث عن الثورة العلمية والتكنولوجية ، وبالتالى عن مواكبة مسار الحضارة الانسانية .

وهنا تكمن مهمة الانتلجنسيا التقدمية فى العالم الثالث ، ومهمتها محكومة بما يسمى بمعضلة « الاصالة والمعاصرة » .

ففى السنوات الاخيرة انتشرت دعوة فى بلدان آسيا وافريقيا الى « الاصالة الثقافية » بهدف التحرر من السيطرة الاجنبية وتحقيق الوحدة الوطنية .

بيد ان هذه الدعوة محكومة باتجاهين : احدهما محافظ والاخر ثورى . الاتجاه المحافظ يعزل الاصالة عن المعاصرة ، والاتجاه الثورى يعالج الاصالة برؤية معاصرة يهدف احداث التغيير الجذرى للمجتمع .

والمعضلة تكمن فى الاتجاه الثورى .

وقديما واجه العرب معضلة من هذا القبيل ، وتصدى ابن رشد لمواجهتها على النحو الذى جاء فى نص من كتابه « فصل المقال » اذ يقول :

« انه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله مما قاله من تقدمنا فى ذلك ، وسواء أكان ذلك الغير مشاركا لنا فى الملة أو غير مشارك . فان الالة التى تصح بها التزكية ليس يعتبر فى صحة التزكية بها كونها آلة المشارك لنا فى الملة أو غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة ، وأعنى بغير المشارك من نظر فى هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام . واذا كان الامر هكذا ، وكان كل ما يحتاج اليه من النظر .. قد فحص عنه القدماء أتم الفحص ، فقد ينبغى أن نضرب بأيدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك . فان كان كله صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه » .

وكان ابن رشد يقصد الثقافة اليونانية الوثنية ، اقبل على دراستها وشرحها وعرف عنه بعد ذلك أنه شارح أرسطو ومتلزم بأرسطو .

الرقابة الشعبية على وحدات الانتاج مقوماتها وأهميتها

كمال السيد

فى الرسالةالتى وجهها رئيس الجمهورية الى المجالس الشعبية ، بمناسبة بدء اعمالها فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٧١ ، أكد « ان المجالس الشعبية هى الوسيلة العملية للاسهام الجماهيرى فى وضع الخطة الشاملة للتنمية ، وفى تحويل الخطة الشاملة الى برامج تفصيلية يشترك فى مناقشتها كل العاملين بأجهزة الانتاج والخدمات ، ضمانا لان تكون الخطة مرتبطة بالواقع وامكانياته ، ولان يصبح العمل الوطنى محدداً أمام أجهزة الانتاج على جميع مستوياتها وامام كل فرد .

ان المجالس الشعبية هى الطريق نحو انتقال العمل الوطنى من الغموض الى الوضوح ، ومن الشعارات الى العمل ، وهى فضلا عن هذا كله مدرسة من مدارس الشعب ، يتعلم فيها كيف يدرس ويناقش ، وكيف يراقب ويسائل ، وكيف يحكم . ان الحكم فى النهاية ليس الا عملية اصدار للقوانين والقرارات ، فاذا لم يشترك الشعب فيها ظل بعيدا عن الحكم ، على الرغم من بريق الشعارات ، واذا لم يمارس سلطة الرقابة على التنفيذ ، ظل مهددا بأن تغتصب قلة ثمار عرقه وجهده » .

والرسالة تطرح ثلاثة مجالات للاسهام الجماهيرى هى :

وضع الخطةومناقشتها واقرارها ، ثم متابعة التنفيذ والرقابة عليه ، وبعد ذلك ـ وهو الاهم ـ المشاركة فى الحكم ، وفى اتخاذ القرارات . وتبرز الرسالة فى أكثر من موضع اهمية الرقابة الشعبية حتى لا « تغتصب قلة » ثمار عرق الشعب وجهده .

والواقع ، ان كل المقومات متوافرة لممارسة الرقابة الشعبية على أوسع نطاق ، فى وحدات الانتاج والخدمات ، وفى مجال العمل الوطنى بكافة فروعه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية .

فالمسلمات النظرية التى تحتم الرقابة ، يقر الجميع بها ، ويعترفون . ووثائق الثورة ، من الميثاق ، الى بيان ٣٠ مارس ، الى برنامج العمل الوطنى ، تفرد مكانا كبيرا للحديث عن اهمية الرقابة الشعبية وضرورتها ، بل ان قانون العمل يتحدث عن دور النقابات فى هذا الصدد . ومن جانب آخر فان المؤسسات الشعبية والجماهيرية التى يتعين عليها القيام بهذه الرقابة ، موجودة وقائمة . والمطلوب هو تطبيق هذه المواثيق ، وتنشيط تلك المؤسسات للقيام بوظيفتها هذه .

واذا كنا بصدد اجراء انتخابات فى وحدات الاتحاد الاشتراكى وفى النقابات وفى مجالس ادارة المؤسسات لانتخاب ممثلى العاملين ، فان هذه مناسبة مواتية تماما :

● لابراز دور وأهمية الرقابة الشعبية ، وتأكيد ضرورتها فى تعبئة كل الجهود لمواجهة التحديات المطروحة ، وضمان الفاعلية الكاملة لقرارات القيادة السياسية ، ومنع الانحراف بها من قبل المنفذين لها ، أو من قبل ناقليها الى المنفذين لهوى فى أنفسهم .

● للدعوة الى استكمال تكوين الهيئات الشعبية خاصة المجالس الشعبية للمحافظات بالانتخاب بدل التعيين ، ضمانا لحسن تمثيلها للجماهير الشعبية .

الاعتبارات النظرية لرقابة الشعب

المهام الاساسية لاى قيادة ادارية فى وحدة انتاج أو خدمات ، تتمثل فى اجراء « **جرد دقيق** » للامكانيات ، والطاقات المادية ، والبشرية ، فى الوحدة التى تتولاها ، ثم تحديد « **الاستخدام الامثل** » لهذه الامكانيات والطاقات للحصول منها على « **أكبر قدر من المخرجات** » تحقيقا للاختيارات الاساسية للمجتمع . ثم الاستخدام الفعلى لهذه « المدخلات » **ومتابعة** ذلك لضمان تحقيق الاهداف بل وتخطيها — ان امكن — وجمع المعلومات والخبرات ، بما يكفل تكرار وتوسيع الانتاج على أسس أرقى وأكثر دقة .

وأيا كانت درجة « مشاركة » أو « تدخل » اجهزة الدولة فى قيام ادارة الوحدة بمهامها هذه ، **فان نجاح هذه الاخيرة فى اداء تلك المهام يتوقف أولا وأخيرا على درجة « مشاركة » و « تدخل » مجموع العاملين فى الوحدة فى تنفيذ هذه المهام ومتابعة ذلك** . ان نجاح اى وحدة فى تحقيق الاهداف المنوطة بها ، يعتمد — فى المحل الاول — على التسليم بأن العاملين فيها ، هم أهم عناصر وقوى الانتاج ، وانهم ليسوا مجرد « موضوع » للتخطيط أو بند من بنوده . فالبيروقراطية كما يقول **شارل بتلهايم** « لا يمكن ان تحصل من الجماهير على أقصى جهدها . والبشر فى البلاد ذات النمو الاقتصادى الضعيف ، أهم قوى الانتاج » .

ومشاركة العاملين هذه تشمل فى الاساس تخطيط النشاط ، ثم القيام به ، ومراقبة التنفيذ ومتابعته . وهذه المشاركة ، تحقق أركان الديمقراطية السياسية وتوفر اعتبارات الرشد الاقتصادى فى الوقت نفسه ، وذلك على النحو التالى :

فى المجال السياسى : تعكس مشاركة العاملين فى ادارة الانتاج والرقابة عليه ، حقيقة العلاقات الاجتماعية القائمة . ففى ظل سيطرة الملكية الخاصة ، لا يكون هناك تأثير يذكر للعاملين على اجهزة الدولة والادارة ، وعلى مراكز اتخاذ القرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ومتابعة الالتزام بها . وينفرد أصحاب الملكيات الخاصة بتقرير كافة المسائل ، اما فى ظل مختلف درجات الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ، ومصادر الثروة ، يصبح للعاملين ، صوت اقوى واعلى فى تقرير أوجه استخدام طاقات المجتمع الاساسية ، تحقيقا للاختيارات التى ارتضتها غالبية اعضائه ، وفى الرقابة على ذلك .

ان مختلف وظائف الادارة فى ظل الملكية الخاصة — واساسا التخطيط والمتابعة — تقوم بها اجهزة ضيقة متخصصة « ممثلة » لاصحاب رأس المال و « أجيرة » لديه ، تستهدف تحقيق أهدافه هو ، وتعمل على ابعاد العمال عن أسرار الادارة والمتابعة . ان **السؤال الذى يقول : لمن الادارة والرقابة ؟ .. يجيب عليه سؤال آخر هو : لمن الملكية والسيطرة الاقتصادية ؟** .. وفى ظل الملكية الجماعية كما يقول **لينين** فى الدولة والثورة « **يتعلم الجميع الادارة ويديرون فى الواقع بصورة مستقلة الانتاج الاجتماعى ، ويحققون بصورة مستقلة الحساب ورقابة الطفيليين والافندية والمحتالين ومن على شاكلتهم من « حفظة التقاليد الراسمالية » ، وعندئذ يصبح التهرب من حساب الشعب ورقابته على وجه التأكيد ، أمرا عسير المنال ، وأمرا نادرا جدا يصحبه — فى اكبر الظن — عقاب سريع وصارم [لان العمال المسلحين أناس عمليون ، وليسوا من نوع المثقفين العاطفيين ، ولا نحسب انهم يطيقون المزاح من احد] ، بحيث ان ضرورة مراعاة القواعد الاساسية البسيطة للحياة فى كل مجتمع بشرى ستتحول بسرعة كبيرة الى عادة** » .

ان درجة الانفصال بين « المديرين » ، وهم أصحاب رأس المال أو ممثليهم ، وبين « المنفذين » تعكس ، وبصورة مباشرة ، علاقات الملكية السائدة ، وتقسيم الاختصاصات والوظائف والادوار على أساس منها . وكما يوضح **ماركس وانجلز** فى « **الايديولوجية الالمانية** » ، فان « مختلف درجات تطور تقسيم العمل ، تمثل بالمقابل اشكالا مختلفة من الملكية ، بعبارة أخرى ان كل درجة جديدة فى تقسيم العمل ، تحدد أيضا علاقات الافراد فيما بينهم **فيما يتعلق بمادة العمل وادواته ومنتجاته** » .

والفضل الاساسى للملكية الجماعية لوسائل الانتاج ، هو التحقيق المتزايد لفكرة « الادارة العاملة » ، اى تحويل المديرين الى منفذين وعاملين ، وتحويل العاملين الى مديرين . اذ يتوجب على المديرين ان يعملوا بأنفسهم ، وان ينفذوا بأنفسهم قراراتهم وخططهم ، وان يتحققوا

بأنفسهم من نتائج عملهم . ويتوجب على العاملين باعتبارهم مسئولين عن التنفيذ ، أن يضعوا الاهداف والخطط التى سيسألون عن تحقيقها . ولا يتأتى ذلك الا بالقضاء التدريجى على الانفصال بين « التخطيط » و « التنفيذ » و « المتابعة » ، وعلى الوضع الممتاز للمديرين ، المستمد من ملكيتهم لوسائل الانتاج أو تمثيلهم لملاكها ، وتبسيط وظائف الادارة والمتابعة ليصبح فى مقدور الجميع القيام بها « ثم تغدو عادة لتزول فى النهاية باعتبارها وظائف خاصة تقوم بها فئة خاصة من الناس » كما يقول **لينين** .

ويتم الاستعاضة عن « **الترؤس** » بمساهمة مجموع العاملين فى التخطيط والمحاسبة والمراقبة وهى مهام أصبح فى مقدور كثير من العاملين القيام بها ، حتى لو احتاج الامر الى تدريب قليل.

وفى المجال الاقتصادى : تحقق مشاركة العاملين فى التخطيط والتنفيذ والمتابعة ، اعتبارات الرشد الاقتصادى ، على النحو التالى :

□ **دقة وواقعية بيانات التخطيط وشمولها** ، فأى ادارة متخصصة ، مهما استعانت بالحاسبات الالكترونية والسبرناطيقا وغيرها ، غير قادرة على الاحاطة بكافة خبايا العمل والامكانيات مثلما تستطيع جموع العاملين ، فمجموع أعين وآذان وعقول هؤلاء العاملين ، قادرة اذا ما أحسن تعبئتها على الوصول على صورة أدق واشمل مما يستطيع أى جهاز احصائى أو رقابى الوصول اليه . كما ان القدرة على « **التغذية العكسية** » بالبيانات والمعلومات عن سير التنفيذ تتزايد اذا ما أسهمت فيها جموع العاملين .

● **السرعة والفورية فى كشف الاخطاء وتصحيحها ، ومنع المضى فيها بما يبدد الاموال والجهود** ، فمتابعة العاملين للتنفيذ تكفل تكشفا أسرع للانحراف عن الاهداف المقررة ، ومبادرة أكثر فاعلية لوقفه ومنعه ، ليس هذا فحسب ، بل أن هذه المتابعة العمالية قادرة على استكشاف امكانيات التطوير وتجاوز المعدلات المقترحة .

● **قلة تكاليف الادارة والمتابعة** ، أو تحقيق الادارة والمتابعة قليلة التكاليف . فتكاليف الادارة والرقابة لا تقتصر فقط على الاعتمادات المخصصة لمصروفات أجهزة الادارة والرقابة كأجور القائمين بالادارة والرقابة ومستلزمات قيامهم بعملهم ، وانما الاهم من ذلك « **التكلفة الاجتماعية** » المترتبة على عمليات الادارة والرقابة ، فلا شك ان القرار الادارى الخاطىء يبدد جزءا من الموارد ، كما ان للتعطيل أو القصور فى الالمام بمختلف جوانب الصورة تكاليفه ، والمشاركة العمالية توفر كثيرا من التكاليف الاجتماعية ، وتكفل فاعلية أكثر للقرارات والاختيارات الادارية .

● كما ان اتساع حجم الوحدات الانتاجية ، وتعقد نشاطاتها وتشابكها ، وتعدد المستويات الادارية ، واطراد تقسيم العمل والتخصص ، كل هذا ، يضعف من فاعلية عمل الاجهزة المتخصصة فى الادارة والرقابة ، ومن قدرتها على ملاحظة التغيرات أولا بأول ، وذلك بالمقارنة الى قدرة وتأثير المشاركة العمالية .

● كذلك فان «شمول التخطيط وتسلسله ، وهو سمة اساسية للمجتمع الاشتراكى ، يتطلب بالضرورة شمول الرقابة وتسلسلها ، والهدف النهائى لها هو التأكد من تحقيق الوحدات للاهداف المحددة لها » [1] .

● وفى المرحلة الاولى للتحويل الاجتماعى وبناء الاسس الاقتصادية والمادية والفنية للاشتراكية ، لا يتحقق بناء القاعدة الاقتصادية وتغيير الهيكل الانتاجى ، الا بالاعتماد على الوسائل المركزية المباشرة فى تعبئة الموارد وضمان التخصيص الامثل لها ، حيث لا يكون جهاز الثمن فعالا فى توزيع الموارد على الاستثمارات . ولموازنة مخاطر المركزية هذه ، يجب تنشيط المشاركة القاعدية والمراقبة العمالية ، باعتبارها أقدر على « **تصعيد صورة أدق وأوضح** » عن حقائق الموقف فى الوحدات .

وحتى مع مضى شوط طويل فى التحويل الاجتماعى والبناء الاقتصادى ، يزداد تعقد هيكل الانتاج والمبادلات ، بحيث يصعب تحديد الموارد وتوزيعها بأفضل صورة باستخدام الطرق المركزية الى أقصى حد ، فتتزايد درجة « التفويض » واللامركزية . ولموازنة مخاطر هذه ، تلعب الرقابة الجماهيرية دورا أساسيا .

والواقع ان دور الرقابة يتزايد ويصبح أكثر أهمية « فى غياب جهاز الثمن ، وفقدان ديناميكية السوق ، وتغييره بأسلوب التخطيط القومى الشامل لكل التصرفات الاقتصادية » ، وذلك لكى

---

[1] الدكتور ابراهيم سعد الدين مقدمة دراسة مشكلات الرقابة على القطاع العام مركز الدراسات السياسية والاقتصادية ـ الاهرام ١٩٦٨ .

تقوم بدور الضوابط الاقتصادية لكل الانشطة المنتجة . وتشمل الرقابة الانواع التالية [٢] :

- الرقابة الذاتية داخل الوحدات التنفيذية .
- الرقابة غير الذاتية وتكون درجة مركزيتها بنفس درجة المركزية فى التنفيذ .
- الرقابة الشعبية ، وهذه تتفق فى مستوياتها مع مستويات التنظيمات السياسية التى تساهم فى وضع الخطط .

والنوع الاخير ، خاصة اذا تم عن طريق مجموع العاملين فى الوحدة ، هو الذى تتوافر فيه أكثر من غيره ، صفات الرقابة الجيدة ، وهى الشمول والفورية وقلة التكاليف وتحقيق الديمقراطية الخ . وهو الذى يكفل تحقيقا أكثر فاعلية لاهم وظائف الرقابة وهى :

- التأكد من القيام بالعمل المحدد بأكبر درجة من الكفاية والتنسيق ، واستخدام الموارد بأقصى كفاية .
- كشف أوجه القصور والعوائق التى تحول دون تحقيق الاهداف ، المادية منها والبشرية وذلك فى الوقت المناسب .
- استغلال امكانيات التطوير والتحسين ، وتجاوز الاهداف الموضوعة .

وفى مصر تعددت أجهزة الرقابة الخارجية ، وتباينت جهات الاشراف والمتابعة .. فالوحدة الانتاجية تخضع لاشراف الجهات التالية :

● **رقابة مجلس ادارة الشركة التى تتبعها الوحدة :** فهو الذى يضع خطط الانتاج والمتابعة والرقابة ، ولم وله بنص القانون جميع السلطات للقيام بالاعمال التى يقتضيها غرض الشركة .

● **رقابة مجلس ادارة المؤسسة التى تتبعها الشركة :** وله وضع خطط تطوير الانتاج ، واحكام والرقابة ، وله بنص القانون جميع السلطات المتاحة ، وكل ما من شأنه زيادة وكفاية الانتاج . وذلك بالاشتراك مع الوحدات الاقتصادية التابعة لها . واعتماد السياسة التى تقدمها هذه الاخيرة لرفع الكفاءة الانتاجية ، ومتابعة سير العمل فيها ، والنظر فى التقارير الدورية عن نشاطها .

● **رقابة الوزارة التى تتبعها المؤسسة :** فكما ان الشركات موزعة على مؤسسات نوعية ، فان كل مجموعة من المؤسسات النوعية تتبع وزارة معينة ، لوزيرها سلطة التوجيه والتنظيم والاشراف على جميع المؤسسات العامة التى تعمل فى القطاعات الانتاجية أو الاستهلاكية التى تدخل فى أختصاصه ، وتنفيذ اهداف الانتاج بمراحله السنوية فى المؤسسات ، ومتابعة سير العمل فى تحقيق الاهداف .

● **رقابة وزارة الخزانة [المالية حاليا] :** وتحدد قواعد تنفيذ اعتمادات الميزانية ، والاشراف والرقابة على اعمال حسابات ومشتريات ومخازن الوحدات ، واحكام الرقابة على المصروفات ، واعداد الحساب الختامى ، وحساب معدلات الانفاق ، والاتجار ، والتكلفة بالنسبة لعناصر النشاط .

● **رقابة وزارة الاقتصاد [ادمجت حاليا مع المالية] :** الرقابة على السياسة النقدية للشركات والرقابة على الشركات من نواحى تاسيسها وادارتها .

● **رقابة وزارة التخطيط :** وتتولى متابعة سير العمل فى الخطة ومراجعتها دوريا ، والاشراف الفنى على تنظيم وتنسيق جميع الاحصاءات ونشرها ، والحصول على كافة البيانات السرية من مصادرها المختلفة .

● **رقابة الجهاز المصرفى :** فالبنك المركزى هو الذى يحدد كمية الائتمان ونوعه وسعره ، ويضع مجلس ادارته قواعد عامة للاشراف والرقابة المالية . أما البنوك التجارية الخمسة ، والتى وزعت عليها جميع مشروعات القطاع العام ، فيختص كل بنك منها بخدمة قطاع ، أو مجموعة قطاعات ، ويقتصر تعامل كل وحدة اقتصادية على بنك واحد ، بما يمكنه من متابعة عملياتها المالية ، والتحقق من سلامة ما يمنحه من تسهيلات ائتمانية للوحدات الانتاجية عن طريق اشتراط سلامة مراكزها المالية وطلب الضمانات .

● **رقابة الجهاز المركزى للمحاسبات :** ويختص بمراقبة الحسابات فى ناحيتى الايرادات والمصروفات عن طريق قيامه بالمراجعة والتفتيش على مستندات ودفاتر وسجلات المتحصلات والمستحقات والمصروفات ، ومراجعة حسابات المعاشات والمكافآت وقرارات شئون العاملين

---

[٢] ابراهيم خليل برعى — مشكلات الرقابة على القطاع العام ، مركز الدراسات السياسية والاقتصادية الاهرام ١٩٦٨ .

وحسابات التسوية من أمانات وعهد وحسابات جارية ، ومراجعة السلف والقروض والتسهيلات الائتمانية وحالة المخازن ، ومراجعة الحساب الختامى وتقارير مراقبى حسابات الشركات .

● **رقابة الجهاز المركزى للتنظيم والادارة :** ويختص بالاشراف على تنفيذ قوانين العاملين ، ومراجعة مشروعات انشاء الاجهزة الجديدة ، وتعديل اختصاصات الاجهزة القائمة ، ووضع الانماط التنظيمية ومعدلات الاداء المناسبة ، ومراجعة مشروعات الميزانيات والاشراف على اعمال اجهزة التدريب ، واجراء التحريات اللازمة للكشف عن المخالفات المالية والادارية . ويلحق به الجهازان التاليان :

● **رقابة النيابة الادارية :** وتقوم باجراء الرقابة والتحريات اللازمة للكشف عن المخالفات المالية والادارية ، وفحص الشكاوى ، والتحقيق فى المخالفات المالية والادارية .

● **الرقابة الادارية :** وتقوم ببحث وتحرى أسباب القصور فى العمل والانتاج ومتابعة تنفيذ القوانين ، والكشف عن المخالفات الادارية والمالية وبحث الشكاوى .

● **رقابة الجهاز المركزى للتعبئة العامة :** ويختص باجراء الاحصاءات والتعدادات التى تحتاجها الدولة ، وتحديد طرق اجرائها ونشر نتائجها وتعيين الجهات التى تقوم بها ، ولمسئوليه حق دخول المنشآت والاطلاع على المستندات ، كما ان له السلطة فى الرقابة والاشراف على كل العمليات المتعلقة بالتدريب على التعبئة والاحصاء .

هذا بالاضافة الى رقابة اجهزة الامن والقضاء والهيئات السياسية والشعبية والعمالية فهناك نيابة الاموال العامة والادارات القانونية وغيرها

ويؤدى تعدد اجهزة الرقابة الخارجية الى نتائج غير مواتية ، منها على سبيل المثال :

● **ازدواج العمل :** اذ تتداخل اختصاصات مختلف أجهزة الرقابة ، بما يؤدى الى تكرار الجهود ، بل وتضارب التعليمات والتوجيهات .

● **تبديد الجهود فى استيفاء البيانات** والاستمارات اللازمة لكل من هذه الاجهزة ، والرد على مكاتباتها ، والنقاش مع مندوبيها ومفتشيها .

● **اشاعة جو من الحذر والحرص** على « **تسديد الخانات** » وتنفيذ التعليمات ، بما يمنع المساءلة ، ولو كان ذلك على حساب المصلحة العامة .

فكثرة أجهزة الرقابة وأوامرها وتعليماتها تشل المبادرات وتعوق الخلق والابتكار خوفا من المسئولية ، وتخلق نوعا من عبادة التعليمات والقوانين .

● **تضخم تكاليف الرقابة :** لضخامة اجهزتها ، وتعدد العاملين بها ، فضلا عن تبديدها لجهود القائمين على العمل فى الوحدات الانتاجية ، المكلفين باستيفاء بيانات أجهزة الرقابة ، الامر الذى يجعل الرقابة فى كثير من الاحيان « اغلى » من الخطأ الذى تحاول منعه ، واشد تكلفة .

الرقابة فى مواثيق الثورة وقوانينها

اما الرقابة الشعبية ، وهى الاقدر والاكفأ والارخص ، فقد تضمنت مواثيق الثورة نصوصا صريحة على أهميتها ، ودورها الاساسى فى قيادة العمل الوطنى فى كافة مجالاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

فالميثاق : يؤكد فى الباب الخامس « ان الديمقراطية هى الترجمة الصحيحة لتكون الثورة عملا شعبيا . ان الديمقراطية هى توكيد السيادة للشعب ، ووضع السلطة كلها فى يده ، وتكريسها لتحقيق أهدافه » .. ويقول أيضا فى نفس الباب « ان جماعية القيادة أمر لابد من ضمانه فى مرحلة الانطلاق الثورى . ان جماعية القيادة ليست عاصما من جموح الفرد فحسب ، وانما هى تأكيد للديمقراطية على أعلى المستويات . كما انها فى الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد . ان التنظيمات الشعبية ــ وخصوصا التعاونية والنقابية ــ تستطيع ان تقوم بدور مؤثر وفعال فى التمكين للديمقراطية السليمة . ان هذه التنظيمات لابد ان تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديمقراطى ... ان العمال لم يصبحوا سلعة فى عملية الانتاج ، وانما اصبحت قوى العمل مالكة لعملية الانتاج ذاتها ، شريكة فى ادارتها ، شريكة فى أرباحها تحت أوفى الاجور وأحسن الشروط من ناحية تحديد ساعات العمل » .

وفى **الباب السادس** يقول الميثاق بضرورة **سيطرة** الشعب على كل أدوات الانتاج وعلى **توجيه** فائضها طبقا لخطة محددة ، وبأن تنظيم الاقتصاد لابد له أن يعتمد على مركزية فى التخطيط وعلى لامركزية فى التنفيذ تكفل وضع برامج الخطة فى يد كل **جموع** الشعب وأفراده . ويؤكد ان التجربة اثبتت مقدرة الشعب على توجيه مقدراته واستعداده بالعناصر المخلصة لتحمل أصعب المسئوليات وأكثرها دقة ، ويمضى الباب السابع ليؤكد « ان مسئولية العامل يجب ان تكون

كاملة عن أدوات الانتاج التى وضعها المجتمع كله تحت ارادته . لقد أصبحت مسئولية العامل بأدوات الانتاج ــ التى يتولى الحفاظ عليها وتشغيلها بكفاية وأمان وبالاشتراك فى الادارة والأرباح ــ مسئولية كاملة فى عملية الانتاج . ان ذلك الوضع الجديد لا ينهى دور التنظيمات العمالية ، وانما هو يزيد من اهمية دورها ، انه يمد هذا الدور ويوسعه من مجرد كونه طرف مقابلا لطرف الادارة فى عملية الانتاج ، الى الحد الذى يجعل منه قاعدة طليعية فى عملية التطوير »

وفى **الباب الثامن** يوضح الميثاق ان العمل الوطنى المنظم القائم على التخطيط العلمى ، هو طريق الغد . ان العمل الوطنى على أساس الخطة لابد ان يكون محددا لجميع الاجهزة ، على جميع مستوياتها . ويقول « انه من الامور اللازمة تشجيع كل المسئولين عن العمل الوطنى ، على أن يكتبوا أفكارهم لتكون أمام المسئولين عن التنفيذ ، كذلك من الضرورى تشجيع كل القائمين بالتنفيذ ان يكتبوا ملاحظاتهم لتكون امام المسئولين عن التوجيه . ان العمل الوطنى كله ، وعلى جميع مستوياته ، لا يمكن ان يصل سليما الى اهدافه الا بالديمقراطية . ووسيلة الديمقراطية ان تتوافر الحرية فى مراكز الانتاج جميعها ، لكى يتمكن جميع العاملين فيها من ان يعطوا كل جهدهم الفنى والوطنى من أجل كمال العمل ، على ان يتم ذلك بالطبع تحت احكام تسلسل المسئولية » .

بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ : يؤكد « انه من الضرورى والحيوى حشد كل القوى الشعبية وبوسيلة الديمقراطية ، وعلى أساسها ، وراء أهداف نضالنا القريبة والبعيدة ، أى وراء واجب المعركة ، ووراء أمل اتمام بناء المجتمع الاشتراكى واعطاء التنمية الشاملة دفعة أكبر فى الصناعة والزراعة ، لتحقيق رفع مستوى الانتاج والعمالة الكاملة ، مع الضغط على أهمية ادارة المشروعات ادارة اقتصادية علمية ، واطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية ، سواء فى نقابات العمال او نقابات المهنيين » ، ثم يطالب البيان بأن ينص الدستور على « حماية كل المكتسبات الاشتراكية ، بما فى ذلك النسبة المقررة بالميثاق للعمال والفلاحين فى كل المجالس الشعبية المنتخبة ، واشتراك العمال فى ادارة المشروعات وارباحها . وان ينص الدستور على تحديد واضح لمؤسسات الدولة واختصاصاتها ، بما فى ذلك رئيس الدولة والهيئة التشريعية والتنفيذية . ومن المرغوب فيه ان تتأكد سلطة مجلس الامة ، باعتباره الهيئة التى تتولى الوظيفة التشريعية والرقابة على اعمال الحكومة والمشاركة فى وضع ومتابعة الخطة للبناء السياسى وللتنمية الاقتصادية والاجتماعية . كذلك فان من المرغوب فيه افساح المجال لوسائل الرقابة البرلمانية والشعبية لتحقيق حسن الاداء وكفالة امانته » .

اما برنامج العمل الوطنى فى ٢٣ يوليو ١٩٧١ : فيقول ان وضع اجهزة الدولة فى خدمة الشعب ، لا يمكن ان يتحقق بدون تأكيد رقابة الجماهير عليها ومنح المواطنين من خلال تنظيماتهم الحق فى ان يلجأوا للمدعى العام عندما يرون انحرافا عن القانون او سوء استخدام للسلطة . ويؤكد ان ضمان النجاح الحقيقى « هو ان يرتبط العمل السياسى ارتباطا كاملا بالعمل على تنفيذ الخطة ... ان نجاح التنمية رهن بايمان الجماهير بها وحماستهم لها . ان لجان الانتاج ومؤتمرات الاتحاد الاشتراكى للقطاع العام ، لابد ان تتحول الى مدارس يتعلم فيها العاملون عمليات التنمية الاقتصادية ، والى أجهزة لمتابعة التنفيذ فى نفس الوقت . أما لجان الوحدات الانتاجية فالمهام أمامها متعددة . كما ان النقابات العمالية ، وقد أعيد تشكيلها بالارادة الحرة للعمال ، فقد اصبحت اليوم فى وضع يمكنها من قيادة الحركة العمالية قيادة سليمة من أجل الدفاع عن مكاسبها وحمايتها ودعمها ، ومن أجل حشد طاقاتها لتحقيق أهداف خطة التنمية . ولم تعد القضية الرئيسية للنشاط النقابى هى الموقف ازاء أصحاب رؤوس الاموال ، وانما أصبحت المحافظة على حقوق العمال وتعبئتهم ضد اى عدوان على مجتمعهم الذى يبنونه لانفسهم ولاولادهم . وتنمية قدراتهم ، والارتفاع بمستوى أدائهم ، وصولا الى زيادة الانتاج ، وبالتالى زيادة الدخل والاجور ، متعاونين فى ذلك تعاونا كاملا مع لجان الاتحاد الاشتراكى »

وهكذا نرى ان مواثيق ثورة يوليو توضح ــ فى تفصيل وبالحاح ــ اهمية الرقابة الجماهيرية والشعبية ، باعتبارها دعامة أساسية لحماية منجزات الثورة ، وضمان فاعلية اجراءاتها .

تنظيمات الرقابة الشعبية

أما الهيئات والاجهزة التى تكفل اشرافا شعبيا على الوحدات الانتاجية فتتمثل فى :

☐ **اشتراك العاملين فى مجالس الادارة** : فقد اعطى القانون رقم ١١٤ لسنة ١٩٦١ للعاملين فى الوحدات الانتاجية حق المشاركة فى ادارة وسائل الانتاج ، كما ان القانون رقم ١٤١ لسنة ١٩٦٣ ، زاد عدد الاعضاء المنتخبين عن العاملين فى مجلس الادارة الى ٤ اعضاء بدلا من اثنين ، وزادت مدة العضوية الى سنتين بدلا من واحدة ، واشترط انعقاد المجلس مرة فى الشهر على الاقل ونص على اشراك الاعضاء المنتخبين فى لجنة

شئون الاعضاء المؤلفة من ثلاثة أعضاء بعضو واحد أو اكثر .

□ **النقابة العامة واللجان النقابية** : نص قانون العمل الصادر بالقانون رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ فى الباب الرابع « فى نقابات العمال » ، على انه « للعمال والعمال المتدرجين المشتغلين بمهن او صناعات متماثلة أو مرتبطة ببعضها البعض او تشترك فى انتاج واحد ، ان يكونوا فيما بينهم نقابة عامة تعمل على رفع كفايتهم الانتاجية . وعلى تمكينهم من الاسهام فى التطوير الصناعى . وتصون حقوقهم ومصالحهم ، كما تعمل على رفع مستواهم المادى والثقافى والاجتماعى » .

كما نص القرار رقم ٣١ لسنة ١٩٦٤ ، فى شأن اللائحة النموذجية للنظام الاساسى للنقابة ، على أن « تقوم النقابة العامة بتحقيق الاغراض الاتية فى مجال التوعية والتنمية الاقتصادية والكفاية الانتاجية ، والعلاقات الصناعية والمجالات الاجتماعية والثقافية ، وذلك :

● بتوعية الاعضاء وتكوين المواطن الصالح ، ولتكون مركز اشعاع للاشتراكية الديمقراطية ، وتثبيت مفاهيمها .

● بالاسهام فى التطوير الصناعى والعمل على رفع الكفاية الانتاجية ، وضمان الاستقرار فى العلاقات الصناعية وزيادة الانتاج ، والارتفاع بمستوى المعيشة بتنمية الدخل القومى للبلاد .

● بصيانة حقوق الاعضاء وحماية شروط عملهم والعمل على تحسين ورفع المستوى المهنى للاعضاء .

ونص القرار رقم ٩٠ لسنة ١٩٦٥ ، فى شأن الشروط والاوضاع التى تتبع فى تشكيل أو تنظيم الاتحادات المحلية للعمال على ان « يعمل الاتحاد المحلى على مستوى المحافظة لتحقيق الاهداف الاتية :

● نشر المبادىء الاشتراكية وتثبيت مفاهيمها وتكوين المواطن الصالح فى بناء المجتمع وحمايته .

● تنمية الاحساس بالملكية العامة لادوات الانتاج ومحاربة الاسراف والسلبية .

● تجنيد الكفايات العمالية ومنحها الفرصة لتأخذ مكانها فى العمل الايجابى البناء فى المجتمع الاشتراكى .

● مقاومة الانحراف عن السلوك الاشتراكى ومحاربة الانتهازية والفردية فى صفوف العمال .

● العمل على زيادة الانتاج وحث العاملين على مضاعفة الجهد والاسهام فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى للبلاد وفى خطط التنمية المختلفة ، والعمل على رفع الكفاية الانتاجية للعاملين .

■ **لجنة الاتحاد الاشتراكى**: ينص قانون الاتحاد الاشتراكى العربى على انه « **الطليعة الاشتراكية التى تقود الجماهير وتعبر عن ارادتها ، وتوجه العمل الوطنى ، وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره فى الخط السليم فى ظل مبادىء الميثاق . وهو الوعاء الذى تلتقى فيه مطالب الجماهير واحتياجاتها** » .. ويبين ان من أهدافه « تحقيق الديمقراطية السليمة ممثلة بالشعب وللشعب ، لتكون الثورة بالشعب فى اسلوبها وللشعب فى غاياتها وأهدافها ، وتحقيق الثورة الاشتراكية التى هى ثورة الشعب العامل ودفع امكانيات التقدم ثوريا لصالح الجماهير » ، ومن واجباته تكوين قوة ايجابية تدفع العمل الثورى ، وتصفية آثار تحكم الرأسمالية والاقطاع والنضال ضد تسلل الرجعية والانتهازية ومقاومة السلبية والانحراف ، ومنع الارتجال فى العمل الوطنى . ويوضح القانون الاساسى « ان الاتحاد الاشتراكى العربى — وهو السلطة الشعبية — يقوم بالعمل القيادى والتوجيهى **وبالرقابة** التى يمارسها باسم الشعب .. وفى قيام الاتحاد الاشتراكى العربى بدوره القيادى وتحمله لمسئوليات الطليعة ووتوفه حارسا على الضمانات التى كفلها الميثاق ، وممارسته لوظائفه بالاسلوب الديمقراطى ، وانبثاقه عن الجماهير ، وتمثيله لامانيها ، وتعبيره عن ارادتها ، تحقيق لمبدأ سيادة الشعب وارساء لقاعدة اساسية من قواعد التنظيم السياسى الديمقراطى ، وهى ان الديمقراطية السليمة تصبح بالمنطق الاشتراكى وسيلة وغاية للنضال الوطنى » .

ويحدد القانون فى الباب الثالث ، ان أهم واجبات الوحدة ، هى التعرف على حاجات ومشاكل جماهير الشعب العامل ، والعمل على حلها ، وحث الجهود لزيادة انتاج جميع الوحدات الانتاجية ، ومحاربة الاستغلال بكافة صوره ، ومحاربة البيروقراطية ، وحث الاعضاء العاملين ومعاونتهم على الاشتراك والعمل فى المؤسسات والمجالس التى تمارس فيها انواع النشاط السياسى والاقتصادى والاجتماعى المحلية .

■ **المجالس الشعبية** : اكد الميثاق ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب ان تتأكد باستمرار فوق سلطة أجهزة الدولة التنفيذية ، فذلك هو الوضع الطبيعى الذى ينظم سيادة الشعب ، ثم هو الكفيل بأن يظل الشعب

دائما قائد العمل الوطني ؟ كما انه الضمان الذى يحمى قوة الاندفاع الثورى من ان تتجمد فى تعقيدات الاجهزة الادارية او التنفيذية بفعل الاهمال او الانحراف .

وينص قانون تشكيل المجالس الشعبية للمحافظات على ان تتولى **الرقابة والتوجيه** على اعمال مجالس المحافظات ، وغيرها من الاجهزة التنفيذية ذات الطابع المحلى ، وكذلك على مراكز الانتاج القائمة فى دائرة المجالس الشعبية ، وذلك على الوجه المبين فى القانون . ولهذه المجالس الموافقة على فرض الضرائب والرسوم على ميزانية مجلس المحافظة ، وعلى ميزانيات المؤسسات والهيئات العامة المحلية ، ومناقشة الخطة العامة للانتاج بالمشروعات الداخلة فى اختصاصها ، وتشكيل هذه المجالس بالانتخاب وتعميمها ضمان لجماهيريتها ودبمقراطيتها . وتتميز « اختصاصات المجالس الشعبية عن اختصاصات مجالس المحافظات التى كانت معروفة من قبل طبقا لقانون الادارة المحلية ، بأنها اختصاصات « رقابية » لا « تنفيذية » .. والمجلس الشعبى للمحافظة اشبه بمجلس الشعب على مستوى الجمهورية . اذ تكاد تكون له نفس اختصاصاته فى الرقابة التى تتحقق عن طريق اقرار مشروع موازنة المحافظة وموازنة الهيئات والمؤسسات العامة المحلية ، بل ويقر حساباتها الختامية ويتابع تنفيذ الخطة العامة للانتاج والخدمات فى نطاق المحافظة . بل ان للمجلس ان يطلب بيانات تتعلق بنشاط الوحدات الانتاجية والاقتصادية والتعاونية العاملة فى نطاق المحافظة » [٣] .

وعلاوة على هذا ، فهناك لجان الانتاج التى تضم ممثلين للعمال فى الوحدات الانتاجية ، ولها دور تخطيطى ورقابى واضح .

تجربة الرقابة فى البلاد الاشتراكية

احتلت الرقابة الشعبية مكانة اساسية فى كتابات لينين ، حتى ان مجموعة مقالاته حولها كونت كتابا اصدرته دار التقدم فى موسكو عام ١٩٦٩ ، بعنوان : « فى الرقابة العمالية وتاميم الصناعة » .. ومن اهم افكاره فى هذا الصدد :

● **يؤكد لينين فى مقال « قرار حول التدابير الاقتصادية لمكافحة الخراب »** ان « سبيل الخلاص من الكارثة لا يقوم الا فى بسط الرقابة العمالية فعلا على انتاج وتوزيع المنتجات .. ولأجل هذه الرقابة ، ينبغى **اولا** : ان نضمن الاغلبية للعمال فى جميع المؤسسات الاساسية بما لا يقل عن ثلاثة ارباع الاصوات كلها ، **ثانيا** : ان تنال لجان المصانع والمعامل وسوفيتات نواب العمال والجنود والفلاحين المركزية منها والمحلية ، وكذلك النقابات ، حق الاشتراك فى الرقابة ، بالاضافة الى وضع جميع السجلات التجارية والمصرفية فى متناولها ، والى واجب ابلاغها جميع المعطيات ، **ثالثا** : ان ينال ممثلو جميع الاحزاب الديمقراطية والاشتراكية الكبيرة الحق ذاته » .

« ان الرقابة العمالية التى اعترف بها الرأسماليون فى عدد من النزاعات ، انما يجب تطويرها على الفور بواسطة عدد من التدابير التدريجية والمدروسة بعناية ودقة ، حتى تتحول الى ضبط كامل لانتاج وتوزيع المنتجات من قبل العمال . وينبغى ان تشمل الرقابة العمالية بالشروط ذاتها وبالحقوق ذاتها ، جميع العمليات المالية والمصرفية مع استيضاح كل الوضع المالى » .

● وفى مقال « **الكارثة المحدقة وكيف نحاربها** » يقول **لينين** ان « اجراءات درء الكارثة تتمثل فى الرقابة ، والاشراف ، والحساب ، والضبط من جانب الدولة ، واقرار توزيع صحيح لليد العاملة فى الانتاج ، وتوزيع صحيح للمنتجات ، وصيانة قوى الشعب ، وازالة كل انفاق ضائع وتوفيره . **ان جميع الدول المحاربة التى تكابد اشد الاعباء والبلايا من الحرب ، وتعانى الى هذا الحد او ذاك من الخراب والجوع ، قد رسمت منذ وقت بعيد وطبقت وجربت مجموعة كاملة من تدابير الرقابة** » .. ودعا لينين الى تشكيل مؤتمر للمستخدمين والمديرين والمهندسين ، وتطبيق محاسبة واحدة ، ورقابة النقابات العمالية ، لالغاء الرقابة الدواوينية والاعتماد على مبادرة العمال والمستخدمين . ويقول **ان الحرب أجبرت جميع الدول المحاربة وكثرة من الدول المحايدة على الانتقال الى ضبط الاستهلاك ليس بالبطاقات ، وانما ببسط الرقابة على الاغنياء ، بمعنى تحميلهم فى زمن الحرب اعباء اكبر ، وهم الاحسن مركزا ، والميزون والشبعانون والمتخمون فى زمن السلم .**

وقدم لينين مشروعا لتنظيم الرقابة العمالية ؟

[٣] دكتور جمال العطيفى — نقل سلطة الدولة الى المجالس الشعبية .. البداية الصحيحة لنظام الحكم المحلى — الاهرام ٧ اكتوبر ١٩٧١ .

ينص على انه على جميع المؤسسات الصناعية والتجارية والمصرفية والزراعية وخلافها التى لا يقل عمال ومستخدمين كل منها عن خمسة ، أو لا تقل اعمالها عن ١٠ آلاف روبل ، تطبيق الرقابة العمالية على الانتاج ، وعلى تخزين وبيع وشراء جميع المنتجات والمواد الخام ، وعلى ان الرقابة العمالية يطبقها جميع عمال ومستخدمى المؤسسة مباشرة ، اذا كانت صغيرة الى حد يمكن من هذا ، أو بواسطة ممثلين منتخبين مباشرة وفى اجتماعات عامة . ويمنع دون اذن الممثلين المنتخبين للعمال ، وقف المؤسسة والانتاج أو تغيير مجراه . وتوضع أمام هؤلاء جميعا السجلات والوثائق دون استثناء . وتفتح لهم مستودعات واحتياطيات المواد والادوات والمنتجات ، وقراراتهم الزامية ولا تلغيها الا النقابات والمؤتمرات النقابية . وهم مسئولون عن النظام والانضباط .

الخلاصة

مع توافر « لوازم » الرقابة الشعبية النظرية والقانونية والتنظيمية ، فانها لا تمارس دورها كاملا ، وذلك لان كثيرا من المسئولين عن وحدات الانتاج ، لا يؤمنون بالمشاركة ، اما بسبب فردية تفكيرهم وعدم ايمانهم بالجماهير ، واما لحرصهم على تنفيذ كل المهام بأنفسهم ، طالما انهم هم المسئولون فى النهاية عن النتائج .. ولتلافى هذا يمكن اعداد دورات تثقيفية وسياسية لهؤلاء المديرين .

ولكن الاهم من ذلك كله ، هو ان تثبت الهيئات الشعبية والسياسية للمديرين جدارتها وفائدتها فى انجاز المهام الموكولة للوحدة . و « **رقابة التنظيم السياسى يجب الا تأخذ شكل التدخل فى ادارة الوحدة الانتاجية ، وانما هى رقابة على نشاط مجموع العاملين ، ادارة وأفرادا** . وهى ليست رقابة بوليسية ، وانما عمل سياسى . ولهذا فلابد ان تقوم على مناقشة الشخص الذى ترى قصورا فى عمله » [٤] .. وبالفعل فان مهمة الرقابة هى تيسير تحقيق الاهداف وتسهيل تنفيذ الخطط المقررة أساسا عن طريق تعبئة العاملين وتذليل الصعاب واكتشاف طرق التطوير وتجاوز الاهداف .

ان المرحلة الحالية ، مرحلة تحرير الارض وصد الهجمة الامبريالية الصهيونية ، تقتضى فعلا اقصى درجات المشاركة ، واحكاما وضبطا لكل أوجه الانفاق والاستثمار لتحقيق افضل النتائج من الحجم المتاح من الاستثمار . وفى هذا الصدد ، تلعب الرقابة الشعبية دورا أساسيا . ولجان الاتحاد الاشتراكى التى تبلغ ٥٧٢٠ وحدة ، واللجان النقابية التى تضم ٥٦٠٠ وحدة ، والمجالس الشعبية هيكل تنظيمى صالح تماما للقيام بهذه المهمة .

[٤] دكتور اسماعيل صبرى عبد الله ، الاسس النظرية لتنظيم القطاع العام ، مركز الدراسات السياسية والاقتصادية بـ الاهرام ١٩٦٨ .

منذ عشرين سنة تقريبا ، كانت بعض الاوساط مازالت تبحث عن طريق التنمية الاقتصادية على ايدى البورجوازية . وحينئذ رفع شعار « هز الجهاز الحكومى » بمعنى ضرورة تخليصه من عيوب علقت به بسبب الانظمة السابقة . وفى الفترة الاخيرة دوى شعار جديد ، وهو « الكفاح ضد البيروقراطية » ، وجاء اطلاقه ليتلاءم مع تصميم جماهير شعبنا على السير نحو الاشتراكية . وان دل هذا على شىء ، فانما يدل على أمرين :

الامر الاول : هو انتشار الادراك بان البيروقراطية تمثل احدى العقبات الكبرى فى سبيل النضال ضد الاستعمار ومن اجل التطور الديمقراطى المستقل .

الامر الثانى : ضرورة اهتمام مفكرينا بقضية البيروقراطية منعا من ان يلتقط اعداء الشعب الشعار الجديد ويفرغوه من مضمونه عملا على خلق المزيد من الضياع والتيه الفكريين . ونود فى هذا الصدد أن نشير الى ان الاحزاب الفاشية كثيرا ما ركزت دعايتها ضد البيروقراطية والروتين ، موجهة راس حربتها ضد بعض المظاهر البارزة لبطء الجهاز الحكومى مع تفاديها للجوهر السياسى والطبقى لمشكلة البيروقراطية .

مساهمة فى الدراسة النظرية للبيروقراطية

أحمد صادق سعد

(١) بعض المدارس البورجوازية

لقد اهتم المفكرون البورجوازيون بالبيروقراطية منذ نهاية القرن التاسع عشر . وزاد هذا الاهتمام بعد الحرب العالمية الثانية بصورة كبيرة بسبب تضخم الاجهزة الادارية ، فى ظل راسمالية الدولة الاحتكارية من جهة ، ولرغبة الاستعمار الجديد فى السيطرة على بلدان العالم الثالث عن طريق جذب القادة الاداريين فيها اليه ، من جهة اخرى .

وفى تعريفهم للبيروقراطية ، انقسم هؤلاء المفكرون الى عدة اتجاهات : اهمها فى مجال هذه الدراسة الاتجاه التنظيمى او الهيكلى [مثل كتابات نيكتور تومسون] الذى يعرف البيروقراطية بأنه تسلسل القيادة المركب والقائم على التقسيم الدقيق للعمل . ثم هناك الاتجاه السلوكى [انظر مؤلفات فريدريك وميرتون الخ] ، سواء ابرز السلوك « الايجابى » فى البيروقراطية [مثل الموضوعية والدقة والتماسك الذهنى الخ] ، او ابرز السلوك « المرضى » مثل عدم القدرة على التغيير والخلق . واخيرا ، فهناك الاتجاه الذى يبرز كفاءة البيروقراطية فى تحقيق الاهداف الادارية [مثل بيتر بلاو] .

وكذلك ينقسم المفكرون البورجوازيون الى عدة اتجاهات من حيث موقفهم من البيروقراطية . وابرزها دون شك تأثيرا حتى الان على المدارس الحالية ، هى مدرسة عالم الاجتماع الالمانى ماكس فيبير Veber [١٨٦٤ — ١٩٢٠] الذى عبر عن ذروة التقريظ للانتصار الراسمالى وتتلمذ فى قالب التراث الالمانى المعجب بجهاز الدولة . فهو يرى فى البيروقراطية النظام الذى يقيم الصلة بين السلطة الشرعية وموظفيها الدائمين الذين يحترفون الادارة . وفى نظره أن هذا النظام يمثل قمة العقلانية والترشيد فى تقسيم العمل واحترام القانون ، وأنه يرتبط بالضرورة بالنظام الراسمالى الذى يعتبره أيضا مثالا للرشد . وعليه يقول فيبير أن النظام البيروقراطى للتنظيم الادارى « قادر على الوصول الى أعلى درجات الكفاءة فى ممارسة الرقابة الامرة على الكائنات البشرية » [1] كما

[1] WEBER, M. «The essentials of bureaucratic organization.» MERTON, R. ed. «Reader in Bureaucracy. New York, The Free Press, 1952, p. 24.

اهتم فيبير بأن يثبت أن التنظيم البيروقراطى مفيد فى استعداده لخدمة أى حزب يتولى السلطة ، أى أبرز الولاء البيروقراطى المطلق للوظيفة والقانون .

وبناء على ما يراه اتباع هذه المدرسة التفريطية من خبرة البيروقراطية فى النواحى الادارية . فهم يقولون باستحالة الثورة عليها ويستبعدون تماما امكان اعادة تنظيم الجهاز الحكومى « من جذوره » بما يعطى للبيروقراطية — فى نظرهم — مركز « احتكار السلطة » [٢] . كما انهم يرون فى حكم القلة على الكثرة اتجاها « طبيعيا » فى أى تنظيم بما فيه الاحزاب والنقابات ، وهذا بسبب « الضرورات الفنية والعملية » [٣] . وتنتهى هذه المدرسة بطبيعة الحال الى أن « الادارة بواسطة الشعب أمر مستحيل ، ولن يترتب على تحطيم الدولة سوى الفوضى الكاملة » [٤] وهو المفهوم الذى كذبته الاشتراكية العلمية ونجاح انتصار الاشتراكية فى ثلث الكرة الارضية فى العصر الحاضر .

غير أن هناك بعض المدارس الليبرالية والنقدية ازاء القضية . وتنتمى أصولها الى المفكرين الذين هاجموا نظم الحكم المطلق فى القرن التاسع عشر وعقلية موظفيه الضيقة وأساليبهم الاجرائية الملتوية .وكتابات هؤلاء هى التى وصمت لفظ البيروقراطية بالمعانى السيئة التى مازالت لصيقة بها حتى الان فى الاحاديث الدارجة ». **وفى الفترة الاخيرة اتفق بعض الكتاب البورجوازيين على أن التنظيم البيروقراطى يفتقد الى القدرة على الخلق ، وان كان كفئا من الناحية الانتاجية [٥] . فى حين أن آخرين أصبحوا ينكرون عليه حتى هذه الدرجة من الكفاءة [٦] ، ويبرزون أنه يؤدى حاليا الى ضعف السيطرة على الموظفين » كما يرون أن البيروقراطية تنشر العداء والخوف وعدم الثقة [بين العاملين] وتقلل من حركة توصيل المعلومات الادارية بين المستويات الاعلى والادنى [٧] .**

وفى تقديرنا أن هذه الاختلافات فى الاتجاهات والمواقف من البيروقراطية لا تعود فقط الى مجرد خلاف علمى حول معدلات قابلة للنقاش ، بل تعبر أساسا عن اختلاف المصالح الطبقية وصراعها فى هذا الميدان . فى حين أن المستويات العليا للاجهزة الادارية تريد أن تحافظ على وجودها الطفيلى — فى النظام الراسمالى — فتبرره بشتى الحجج والنظريات ، تنبع من أسيادها كبار الراسماليين المنزعة الى التخفيف من الاعتماد عليهم حتى تنفرد وحدها بما تجنيه من فائض القيمه ، وخوفا من أن ينقلب خدم اليوم الى اسياد غدا . أضف الى هذا اتجاه البورجوازية المتوسطة والصغيرة النقدى من النظام الراسمالى الاحتكارى عموما ، وما يتضمنه هذا النظام من الاجهزة البيروقراطية.

والتيار السائد فى مصر مزيج من المدرستين السلوكية والهيكلية . ووجد الطريق الى الانتشار العملى بواسطة مختلف المعاهد التى انشئت فى الفترة الاخيرة وجمعيات « **التنميـــة الادارية** » والاجهزة المركزية مثل **الجهاز المركزى للتنظيم والادارة الخ** . فيسود هذا كله الاتجاه الذى يرفع شعار « الترشيد البيروقراطى » لاجهزة الدولة بعد عمليات التطهير التى جرت بعد عام ١٩٥٢[٨] كما برزت الفكرة القائلة بالدور الهام الذى يمكن ويجب أن تؤديه البيروقراطية فى عمليات التنمية و« التغيير » ، وهى فكرة تدعو الى اعادة تربية القيادات الادارية القائمة عن طريق« التدريب» على التشبع بعقيدة « التغيير » ، والى اعادة بناء العلاقات التنظيمية مع اعطاء حرية واستقلال أكبر للادارة العليا [٩] .

والحقيقة أن تلك النظريات المنتشرة تنبع أساسا من عقلية البورجوازية الصغيرة التى تعتبر الدولة موجودة للتوفيق بين الطبقات ، لا لخدمة سيطرة طبقة على أخرى . وأن النظام الادارى الذى تفرضه الدولة الراسمالية انما يعنى به التوفيق الطبقى لا حرمان الطبقات المضطهدة من وسائل وأساليب معينة للنضال من أجل اسقاط المستبدين.

---

[٢] BENDIX, R. «Bureaucracy and the Problem of Power» MERTON, R. ed. Ibid. p. 118.

[٣] MICHELS, R. «The bureaucratic tendency of political parties», MERTON, R. ed. Ibid. p. 9.

[٤] BENDIX, R. op. cit., p. 129.

[٥] THOMPSON, V.A. «Bureaucracy and Innovation». Adm. Sci. Q. 10: 1—1 — Fe. 1965.

[٦] CROZIER, M. «The bureaucratic phenomenon» — Chicago — Tavistock. 1964 — p. 177.

[٧] LIKERT, R. «New Patterns of management.» — New York — McGraw-Hill — 1961 — p. 45.

[٨] د. عبد الكريم درويش « البيروقراطية والاشتراكية » القاهرة مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٧٠ ص ٢٢٠.

[٩] انظر مقال سليمان دمسير « ادارة التنمية » مجلة الادارة ـ العدد الثانى ـ أكتوبر ١٩٧٠ ـ ص ٤٤ ـ ٥٤

يقول لينين في كتابه « الدولة والثورة » :

عندما يسأل الاوروبيون الغربيون والروس ذوو العقلية الفظة الضيقة عن السبب الذى يدعو الى ايجاد اجهزة خاصة من الرجال المسلحين فوق المجتمع وفى مواجهته ، يميلون الى ان يتفوهوا ببعض الكلمات التى تشير الى التركيب المتزايد للحياة الاجتماعية ، وتمايز الوظائف الخ . وتبدو هذه الاشارة (علمية) فتخدر الشخص العادى لانها تلقى الغموض على الحدث الهام والاساسى وهو انقسام المجتمع الى طبقات متعارضة تعارضا لا تصالح فيه ... والديمقراطيون البورجوازيون الصغار ، هؤلاء الاشتراكيون المزيفون الرخاص الذين استبدلوا الصراع الطبقى بالتوافق الطبقى ، وصلوا الى درجة أن يصوروا التحويل الاشتراكى كانه حلم — لا يتحقق بقلب الطبقة المستغلة بل بالخضوع السلمى من الاقلية للاغلبية التى أصبحت مدركة لاهدافها » [١٠] .

وسنعود فيما بعد الى علاقة البورجوازية الصغيرة بالبيروقراطية . غير انه يهمنا هنا أن نضغط على ما أبرزه احد العلماء الفرنسيين البورجوازيين أنفسهم ، وهو أن البيروقراطية تجمع فى فكريتها بين قطبين نقيضين : فمن جهة توجد الصفة المحافظة العملية فى احترام ما هو قائم من لوائح وقوانين ونظم الخ . ومن جهة أخرى توجد المثالية المفرطة التى تأتى من الايمان بسلطة القانون فى تغيير الامور والاشياء . [١١]

(٢) البيروقراطية فى النظام الرأسمالى

من الملفت للنظر أن مالكى وسائل الانتاج فى النظام الرأسمالى النموذجى لايديرون أمور بلادهم بصورة مباشرة ، بل أن هناك أحزابا سياسية تعبر عن وجهة نظرهم ومصالحهم وتعمل على الوصول الى مقاعد الحكم . والحكام السياسيون بدورهم يصدرون أوامرهم الى الاجهزة الادارية — البيروقراطية — لتنفيذها . وأجهزة الدولة المختلفة مكونة من هؤلاء البيروقراطيين الذين تتصف وظائفهم بالدوام ويتخذونها حرفة لهم ، ويتميزون عن سائر الناس بامتياز فريد ، وهو الحق الشرعى فى ممارسة العنف ازاء المواطنين الاخرين تنفيذا للقوانين واللوائح والاجراءات التى تخدم — فى التحليل الاخير — الطبقات المالكة .

فلم تكن الدولة توجد قبل انقسام المجتمع الى طبقات . يقول **لينين** :

« عندما لم يكن يوجد انقسام المجتمع الى ملاك العبيد ،والعبيد ، لم تكن توجد الدولة ، ولا اى جهاز خاص لممارسة العنف ممارسة منظمة ، واخضاع الناس بالقوة . ومثل هذا الجهاز « هو الذى يسمى بالدولة » [١٢] .

لقد ولد .. مجتمع تدفعه ظروفه الاقتصادية كلها للانقسام الى حر وعبد ، والى غنى مستغل وفقير مستغل . وهو مجتمع لا يعجز فقط عن التوفيق بين هذه التضادات ، بل عليه أن يسوقها الى الامام أكثر فأكثر ، ولا يمكن أن يعيش مثل هذا المجتمع الا فى حالة صراع مستمر مفتوح أو تحت حكم قوة ثالثة تظهر واقفة فوق الطبقات المتصارعة ، فى حين أنها تقضى على الصراع المفتوح ولا تسمح الا بالصراع الطبقى فى الميدان الاقتصادى على الاكثر ، أى فيما يسمى بالشكل القانونى .. واحدى السمات الاساسية للدولة هى أنها سلطة عامة منفصلة عن جماهير الشعب ... والموظفون ، اذ يملكون السلطة العامة والحق فى جباية الضرائب ، فباعتبارهم أعضاء معبرين عن المجتمع ، يقفون الان فوق المجتمع .. وكقاعدة عامة ، فالدولة هى دولة أقوى الطبقات وأعظمها سيطرة اقتصادية » [١٣] .

ما هى هذه البيروقراطية ، تلك الهيئة من الموظفين العموميين ؟ يقول **لينين** :

انهم فصيلة خاصة من الناس

---

[١٠] LENIN, V.I. «The State and Revolution» Col. Works, Vol. 25. Moscow — Progress Publishers — p. 389 — 403.

[١١] CROZIER, M. op. cit. p. 208.

[١٢] LENIN, V.I. «The State» — Col. Works Vol. 29 p. 474.

[١٣] ENGELS, F. «The Origin of the Family, Private Property & the State» — Moscow — Progress Publishers — 1968, p. 165 — 168.

يوضعون جانبا حتى يحكموا الاخرين ؟ وتوجد تحت يدهم دائما وبانتظام جهاز معين من القهر والعنف بقصد المحافظة على الحكم واغراضه . فتحت يدهم فرق مسلحة من الجنود والسجون والوسائل الاخرى لاخضاع ارادة الاخرين بالقوة »[١٤

ولكن البيروقراطية لا تمارس سلطة القهر المادى فقط ، بل سلطة القهر الفكرى أيضا . وهى سلطة نابعة من وقوفها — بامتيازاتها المادية والمعنوية — فوق المجتمع — يقول **انجلز** :

«تتقدم الينا الدولة باعتبارها السلطة الفكرية الاولى على الانسان » [١٥] .

ان سمتى الامتياز والانفصال عن الناس هما اللتين تبرزهما الماركسية فى وصفها للبيروقراطية .. فيقول لينين :

.. بيروقراطيون أى اناس متميزون منفصلون عن الشعب وواقفون فوق الشعب .. وفى ظل الرأسمالية تكون الديمقراطية محصورة ، مشلولة ، مبتورة ومشوهة بسبب ظروف عبودية الاجر كلها وفقر الشعب وبؤسه . وهذا ، بل هذا وحده هو الذى يجعل موظفى منظماتنا السياسية والنقابية فاسدين ، أو على الاحرى يميلون الى الفساد — بفعل ظروف الرأسمالية ، مما يدفع بهم الى التحول الى بيروقراطيين اى اناس ذوى امتيازات ، منفصلون عن الشعب وواقفون فوق الشعب » .
« وهذا هو جوهر البيروقراطية ، والى أن تنزع ملكية الراسماليين ، ويقلب حكم البورجوازية ، فالموظفون البروليتاريون انفسهم سوف [يبرقطون] حتما الى درجة ما » [١٦] .

ولا ينحصر هذا التحليل والوصف على موظفى الدولة الاداريين — بل يمتد الى الادارات العليا للمنشآت الرأسمالية نفسها ، للمصانع والمتاجر والمصارف الخ . وقد عنى **ماركس** بأن يكشف الطبيعة المزدوجة للادارة الرأسمالية فيقول :

« ليست الرقابة التى يمارسها الرأسمالى وظيفة خاصة فقط تعود الى طبيعة العمل الاجتماعى ولصيقة بعمليته بل ان هذه الرقابة **— فى الوقت نفسه — وظيفة من وظائف الاستغلال لاحدى عمليات العمل الاجتماعى .. ان رقابة الرأسمالى مزدوجة الجوهر بسبب الطبيعة المزدوجة لعملية الانتاج ذاته . فهى من جهة عملية اجتماعية تنتج قيما استهلاكية . وهى من جهة أخرى عملية تخلق فائض القيمة . [وبالتالى] فهذه الرقابة طاغية شكلا » [١٧] .**

وتقدم هذه الطبيعة المزدوجة للادارة الراسمالية تفسيرا للصفة المزدوجة للوظيفة التى يقوم بها المديرون فى المنشآت الرأسمالية . فهم من جهة جزء من الجانب الاجتماعى لعملية الانتاج . ومن جهة أخرى ، ترتبط وظيفتهم باستغلال العمل المأجور والاستيلاء على فائض القيمة الذى يخلقه .. واذا كانت المستويات الدنيا من الادارة [الملاحظون والمشرفون] يشتركون فى الانتاج اشتراكا مباشرا ، والادارة المتوسطة تقوم بنوع خاص من «العمل الماهر» ، فان الادارة الرأسمالية العليا ذات جوهر استغلالى بصورة غالبة . ولذلك ، ففى حين يحدد أجر العامل بتفاعلات سوق العمل ، نرى مرتبات كبار المديرين فى المنشآت الرأسمالية الانجليزية والفرنسية والامريكية الخ تتضمن منحا وبدلا ومكافآت هى نصيبهم من فائض القيمة . وبهذا تعلو مرتبات هؤلاء المديرين فوق مستوى أى مقياس « للعمل الماهر » وتضعهم فى صفوف البورجوازية الكبيرة ، لا من حيث مستوى المعيشة والدخل فحسب بل من حيث الوظيفة الاجتماعية والطبقية التى يمارسونها فى دائرة الانتاج .يقول **مينشكوف** :

«ان حجم المكافأة التى يتقاضاها المدير الاعلى [فى أمريكا] يضعه فى صف واحد مع أصحاب الثروات الكبيرة من حيث الايراد ومستوى المعيشة . بل فى استطاعتنا القول أن مرتبه يحدد على مستوى مرتفع من اجل تحقيق عرض محدد وهو تمكينه من ان يحيا حياة الرأسمالى الكبير . ويصطحب انتقال المدير من المستوى المتوسط الى المستوى

---

[١٤] LENIN, V.I. «The State» — p. 474.
[١٥] ENGELS, F. «L. Feuerbach». p. 43.
[١٦] LENIN, V.I. «The State and Rev.» p. 486 — 487.
[١٧] MARX, K. «Capital» Vol. I. pp. 331 — 332. Cit. by Menshikov, S.: «Millionaires & Managers» — Moscow — Progress 1969 p. 82.

الاعلى زيادة حادة فى ايرادهتعنى تغييرا كيفيا فى مركزه الاجتماعى » [١٨] .

وان التناقض الطبقى بين العمال والمديرين الكبار فى امريكا مثلا من الوضوح بحيث ان الصراع العمالى — وهوالاساسى فى المجتمع الراسمالى — كثيرا ما يتخذ شكل النزاع بين العمل والادارة .

وفى كثير من الاحيان ، تتخذ مكافاة المديرين شكل اشراكهم كمساهمين فى راسمال المنشاة اى تحويلهم جزئيا الى ملاك لها . ولكن ، حتى لولم يتحقق هذا ، وان بقوا دون حقوق ملكية مباشرة على الانتاج الراسمالى ، فيكفى أنهم يفوضون عليها لكى يعتبروا — ويعتبروا أنفسهم — جزءا من الطبقة الحاكمة والمالكة . وقد سجل بعض الكتاب البورجوازيين أنفسهم « ان الاستقلال الادارى ليس قضية مهارة بل قضية سلطة متفرعة أى السلطة المفوضة الى الادارة عن طريق التمثيل المنظم للمجموعات الاجتماعية » [١٩] . ويرجع هذا التفويض فى تقديرهم الى انتماء المديرين الكبار اجتماعيا وتربويا الى الارضية الفكرية للبورجوازية .. وسنعود الى علاقة البيروقراطية « بالملكية بالوكالة » فيما بعد .

الا أن هناك نقطة هامة ، وهى ان رجال الادارة العليا يظلون خدما للطبقة المالكة مهما عملوا واقتربوا منها ، أى يبقون مرؤوسين لها ، لانها هى المالكة الحقيقية لوسائل الانتاج ، وهى مصدر ثروتهم وامتيازاتهم . وكل الكلام الذى يثار منذ ٢٠ سنة تقريبا فى أمريكا حول « الثورة الادارية » التى ازاحت الاحتكاريين وحلت محلهم المديرين « الديمقراطيين » يتبخر عند تكرار الازمات الاقتصادية والسياسية التى دفعت بهؤلاء الاحتكاريين الى فصل المديرين الفاشلين تماما كما يتخلصون من أى خادم عجوز .

ونود ان نبدى ملاحظة أخيرة . فاذا كانت البيروقراطية الحكومية فى النظام الراسمالى هى الجهاز المنفذ لممارسة القهر المادى والفكرى على الطبقات الفقيرة المضطهدة على نطاق البلد عامة ، فالبيروقراطية فى كل منشاة راسمالية — صناعية وتجارية ومصرفية وزراعية الخ . — أى بيروقراطية ادارة الاعمال Business هى ايضا الجهاز المنفذ لممارسة القهر المادى والفكرى على نطاق هذه المنشاة ، بما لديها من قدرة وسلطة على التعيين والفصل ، واعطاء العلاوات والحرمان منها ، ومنح المكافآت أو فرض الغرامات والجزاءات الخ . وبهذا تعمل على ختم العمال بطابعها « أو برقطتهم » ...

(٣) البيروقراطية فى النظام الاسيوى للانتاج

فى العقد الاخير ، ابدى المفكرون الثوريون اهتماما عالميا متزايدا ببعض الملاحظات لماركس وانجلز عن نظام اقتصادى يختلف عن النظم الاقتصادية المعروفة ، وهو النظام « **الاسيوى** ». ففى الكتاب الذى الفه الاقتصادى السوفيتى **فارجا** ونشر بعد وفاته — « **المشاكل الاقتصادية السياسية للراسمالية** » ، خصص الفصل الاخير كاملا لهذا النظام . وسجل فارجا فيه أن **ماركس** كتب فى مقدمته للمؤلف « **مساهمة فى نقد الاقتصاد السياسى** » يقول :

« **يمكن أن نشير الى الخطوط العريضة للنظام الاسيوى القديم والاقطاعى والبورجوازى الحديث للانتاج باعتبارها فترات تقدمية للتكوين الاقتصادى للمجتمع** » [٢٠] .

وكان **لينين** — قبل **فارجا** — قد دون هذه الملاحظة **لماركس** فى دراسته عنه المكتوبة عام ١٩١٤ [٢١] .

ولم تكن صدفة ان يميز ماركس بين النظام الاسيوى للانتاج وبين سائر النظم من عبودية واقطاعية وراسمالية ، ولا كانت زلة قلم منه . فيبرز فارجا أن الدولة فى النظام الاسيوى هى المالك الاول لفائض الانتاج ، وان فيه تتحصل الطبقات المستغلة على ايراداتها — التى لا تعود الى كدحها — عن طريق الدولة لا بصورة مباشرة [٢٢]

ففى النظام الاسيوى للانتاج ، لا توجد ملكية فردية للارض [وهى وسيلة الانتاج الرئيسية] . بل أما أن تكون الدولة هى المالكة لها الوحيدة أو أن تشاركها القرى باعتبارها مجموعات اجتماعية، وهذا طبقا لاختلاف البلاد والمناطق . وبهذا

---

[١٨] MENSHIKOV, S. op. cit. p. 89.
[١٩] BENDIX, R. op. cit. p. 132.
[٢٠] VARGA, Y. «Politico-Economic Problems of Capitalism» — Moscow — Progress — 1968 p. 330.
[٢١] LENIN, V.I. «Karl Marx» — Col. Works No. 21, p. 56.
[٢٢] VARGA, Y. op. cit. p. 343.

يكون للفرد حق فى الانتفاع بالارض ؟ آما بسبب انتمائه الى الدولة — كموظف أى جزء من البيروقراطية الحاكمة — او لانتمائه الى المجتمع القروى . وفى كلا الحالتين يكون ذلك الحق بالوكالة لا بالاصالة (٢٣) .

والملاحظ ان ماركس لم يوسع مفهومه « للنظام الاسيوى للانتاج » على آسيا كلها ، بل على تلك المناطق فقط التى لا يكفى المطر فيها للانتاج الزراعى ، فلابد لها بالتالى من أن تعتمد على الرى الصناعى اى المياه المنقولة من الانهار الكبرى بواسطة القنوات التى يبنيها الانسان — يقول **ماركس** :

« فى الشرق ، حيث كانت الحضارة منخفضة والمساحة واسعةالى درجة تحول دون ايجاد التجمع [المنظم] والتطوعى للناس ، فان الضرورة الاولية لاستعمال الماء استعمالا اقتصاديا ومشتركا اتى حتما بتدخل السلطة المركزة للحكومة . ومن هنا وقعت على جميع الحكومات الاسيوية وظيفة اقتصادية هى وظيفة توفير الاشغال العامة » [٢٤]

وبالفعل ، ففى جميع الحضارات النهرية مثل مصر والعراق وفارس والهند والصين ، بل وامريكا اللاتينية القديمة ، كانت القنوات الصناعية التى تقيمها وتنظمها الحكومات أساس الزراعة الشرقية . بل اننا نجد الدولة تتولى مباشرة بعض قطاعات الانتاج الصناعى ليس فى مقدور المجموعات القروية القيام بها مثل أعمال المناجم والملاحات وسبك المعادن ، وكذلك انشاء الطرق والقصور .. يقول **انجلز** :

« مهما كان عدد النظم الطاغية التى قامت وسقطت فى فارس والهند كبيرا ، فلقد ادرك كل منها تمام الادراك انه قبل كل شىء المقاول المسئول عن الصيانة [٢٥] الجماعية للرى فى وديان الانهار . وهو الرى الذى تستحيل أى زراعة من دونه هناك وحيث أن الاقتصاد القروى مكتف ذاتيا ؟ فالدولة فى النظام الاسيوى تستولى على فائض المحاصيل وتتاجر فيه [قصة موسى والسنوات العجاف] ، كما انها تشرف على التجارة البعيدة المدى .

وخلاصة القول ان :

« الجوهر ذاته للاسلوب الاسيوى للانتاج هو التواجد المركب للمجتمعات البدائية حيث تسود الملكية المشتركة للارض جنبا الى جنب سلطة الدولة التى تعبر عن الوحدة الحقيقية أو الخيالية لهذه المجتمعات . وسلطة الدولة هذه تراقب استعمال الموارد الاقتصادية الجوهرية وتستولى مباشرة على جزء من عمل وانتاج تلك المجتمعات التى تسودها الدولة » [٢٦]

ولقد اضطررنا الى الاسهاب فى وصف خصائص النظام الاسيوى لنبين الاتى : ان كثرة المهام الاقتصادية الملقاة على كاهل الدولة فيه ، باعتبارها وظائف ضرورية فى الحضارات النهرية وشبه القاحلة ، وسعت من مجالها الادارى بصورة هائلة ، وضخمت بيروقراطيتها وجعلتها فى آن واحد مالكة بالوكالة لوسائل الانتاج الرئيسية وحاكمة سياسيا وذات سلطة بالغة فى وجه الافراد الاخرين لانها منظمة فى جهاز حكومى مركزى ذى فعالية كبيرة . واذا كانت البيروقراطية فى النظام الراسمالى جهازا منفذا لقهر الدولة فقط ولحساب الطبقة الحاكمة ، فلقد كانت فى النظام الاسيوى هذا الجهاز وتلك الطبقة فى آن واحد ، وتمتعت بما يمكن أن يسمى « بسلطة الوظيفة » أو «السلطة بالوكالة»

وفى النظام الاسيوى لا يوجد انفصال بين الضريبة والريع بل يتحدان فىالجزية والسخرة ، ويذهب جزء من فائض العمل الذى تقوم به الجماعة الدنيا الى الجماعة العليا [فى شكل تلك الجزية والاعمال العامة المشتركة] لصالح الطبقة البيروقراطية وعلى رأسها الطاغية الكبير . ويستغل هذا الفائض فى الاستثمارات الزراعية [الرى] والصناعية والتجارية ، وفى دفع رواتب الموظفين وامتيازات كبارهم .

---

[٢٣] CHENEAUX, J. «Le mode de production asiatique» — In «Sur le mode etc.» — Paris — Ed. Sociales — 1969 — p. 29.

[٢٤] MARX, K. «The British Rule in India» — Sel. Works Vol. II. — New York — International Publishers — 1933 — p. 652.

[٢٥] ENGELS, F. «Anti-Dühring» — Cit. by Varga, op. cit. p. 384.

[٢٦] GODELIER, M. «La nation de mode de production asiatique» — In op. cit. p. 49 — 50.

لقد كان فى النظم الاقطاعية الاوروبية امراء يستمدون سلطتهم من ملكيتهم الحقيقية للارض التى يحكمونها ، وبورجوازية اغتنت بفضل تجارتها ، وحرفيون صناعيون مستقلون عن الدولة . أما فى النظام الاسيوى ، فالجندى التابع للملك يتحول الى أمير ، لان الملك يقطع له حقا فى الانتفاع بالارض ، ويصبح الموظف تاجرا باعتبار التجارة احدى وظائف الدولة الخ . وبهذا تتكون البقالة البيروقراطية ، والراسمالية البيروقراطية فى ذلك النظام الاسيوى . وهو الشكل الخاص الذى يتخذه التناقض الاساسى بين استغلال الدولة للفلاحين وبين القوى المتجهة نحو التملك الفردى لوسائل الانتاج [الارض والحرف الخ] وهو التناقض الذى يعمل على تحويل صاحب « السلطة النابعة من الوظيفة البيروقراطية » الى صاحب السلطة النابعة من التملك المباشر .

واذا تركت تلك النظم الاسيوية تتطور بصورة طبيعية — اى بدون تدخل خارجى — فالاغلب أن تزداد القوى الجاذبة الى الملكية الفردية . ولكن التاريخ قد جعل بلادها فى كثير من الاحوال موضع غزوات الاستعماريين الاوروبيين . وكان لتأثير الاستعمار الاجنبى — فيما يخص بحثنا — أثر مزدوج ومتناقض :

فمن جهة عمل على الاسراع بالتطور الرأسمالى فى بعض القطاعات ليسهل نهب ثروات البلاد . ومن جهة أخرى أبقى على الضعف العام للبورجوازية المحلية ، والصناعية منها خاصة ، أى شوه تطورها الرأسمالى واوقفه فى بعض الميادين الخ .

والنتيجة انه بقى فى بعض بلدان العالم الثالث تراث بيروقراطى شديد الضخامة والنفوذ والسيطرة .

وفى الكتاب المعنون « **من هم اصدقاء الشعب** » الذى الفه **لينين عام ١٨٩٤** [٢٧] اعتبر البيروقراطية الروسية أثرا من آثار النظم السائدة فى القرون الوسطى ، ورأى فيها احدى القوى الرجعية الفظيعة ، وعمودا هاما حاملا للنظام الرجعى القيصرى . يقول :

« ان بيروقراطيتنا تحكم الدولة الروسية بالامر الواقع . وحيث انها تتكون اساسا من المثقفين من الطبقة الوسطى ، فهى بورجوازية فى اعماقها من حيث اصولها واهداف نشاطها وطبيعته . غير ان الحكم المطلق والامتيازات السياسية الضخمة التى لنبالة الارض قد اضفت عليها سمات خبيثة بشكل خاص. واصبح [البيروقراطيون الروس] يعتبرونها مهمتهم العليا ان يمزجوا مصالح صاحب الارض بمصالح البورجوازى وان يستغلوا عواطف الاقطاعيين عليهم وعلاقاتهم بهم ليضحكوا على عقول العمال والفلاحين مدعين أنهم يحمون « الضعاف اقتصاديا » ... ان البيروقراطيين لئام خطرون خطرا كبيرا تشبعوا بخبرة ابطال الرجعية فى اوروبا الغربية ، غير انهم يخفون طبيعتهم الوحشية ازاء الشعب وراء ورقة التوت المكونة من جمل تدور حول حبهم للشعب » .

(٤) دولة البيروقراطية

لقد تحدثنا — فى الجزء الثانى من هذا المقال — عن البيروقراطية فى النظام الراسمالى النموذجى ، وهو الوضع الذى تكون فيه مجرد جهاز فى يد الطبقة الحاكمة وخادمتها . وفى الجزء الثالث — النظام الاسيوى — اوضحنا الظروف التى تجعل البيروقراطية هى بعينها الطبقة الحاكمة والمالكة ، وذلك بالتفويض والوكالة . وهناك حالة ثالثة من المفيد دراستها ، وهى التى فيها تكون البيروقراطية هى الحاكمة — دون أن تكون المالكة — أى يتولى هذا الجهاز التابع أصلا الحكم السياسى ويسود ظاهريا الطبقتين المقهورة والقاهرة معا .

ففى النص الذى ذكرناه آنفا **لانجلز** من كتابه « **أصل العائلة والدين والدولة** » يستطرد قائلا :

« ومع ذلك توجد فترات — على سبيل الاستثناء — تتوازن فيها قوى الطبقتين المتصارعتين لدرجة أن سلطة الدولة بوصفها وسيطا مزعوما تكتسب للحظة درجة معينة من الاستقلال عنهما . ومن هذا القبيل الحكم الملكى المطلق فى القرنين السابع والثامن عشر ، والبونابرتية فى الامبراطوريتين الاولى والثانية فى فرنسا ، ونظام بسمارك فى المانيا » .

ودرس **ماركس** النظام البونابرتى للامبراطورية الفرنسية الثانية فى كتابه الشهير « **١٨ بروميير** »

---

[٢٧] LENIN, V.I. Col. Works, Vol. I, p: 291.

ولابد من الاعتماد عليه اساسا لفهم سمات «دولة البيروقراطية » [٢٨] . يقول ماركس :

« اذ حطمت الثورة الفرنسية جميع السلطات المستقلة بغرض خلق الوحدة البورجوازية ، للامة ، فكان لزاما عليها أن تطور ما بدأته الملكية المطلقة من قبل ، أى المركزية . غير انها فى الوقت نفسه [اضطرت] الى التوسع من اختصاصات السلطات الحكومية ومن عدد وكلائها » .

ان مختلف الفرق والاحزاب البورجوازية ، استعملت البيروقراطية المدنية والعسكرية الفرنسية فى صراعاتها الداخلية ، الى أن تضخم جيشها عددا ودورا ، وأصبح فى امكان البيروقراطية أن تلعب دورا مستقلا عن الفرق المتصارعة ، وتخدم مصالحها المباشرة دون التواء . يقول **ماركس** :

« بيروقراطية ضخمة ، ذات الرداء الجيد والغذاء الجيد ، هذه هى أكثر الافكار النابوليونية التصاقا بطبيعة بونابارت الثانى . وهل كان فى الامكان أن يفعل شيئا آخر مادام مضطرا الى خلق طبقة متميزة مصطنعة ترتبط معيشتها بالمحافظة على نظامه ، طبقة توجد الىجانب الطبقات الحقيقية للمجتمع ؟ »

لقد استطاع نابليون الثالث ، بالاعتماد على هذه البيروقراطية المدنية والعسكرية ، أن يزيد من تضارب الفرق البرلمانية بعضها ضد البعض الاخر الى أن قضى على البرلمان تماما . وبهذا انفرد بالسلطة واعلن ديكتاتوريته ، مستغلا الواقع أن مختلف القوى الطبقية لم تكن كل واحدة على الانفراد بقادرة على الحكم ، ولا بقادرة على التحالف مع القوى الاخرى للتغلب عليه هو .

ويضيف **ماركس** أن سلطة الدولة فى هذه الحالة ليست مع ذلك معلقة فى الهواء ، بل ان بونابرت هذا كان يمثل الجانب الرجعى من الفلاحين الفرنسيين ، وهى طبقة مفتتة غير قادرة على أن تفرض حكمها رغم كثرتها ، وتقبل أن يحكمها سيد ليس منها . ويقول **ماركس** :

« وعليه فالتاثير السياسى لصغار الفلاحين يجد تعبيره النهائى فى السلطة التنفيذية « التى تخضع المجتمع لنفسها » .

ومن أين تتعيش هذه البيروقراطية ؟ يقول **ماركس** :

« ان الضرائب هى منبع الحياة للبيروقراطية .. ولجهاز السلطة التنفيذية جميعا . فالحكومة القوية والضرائب الثقيلة مترادفتان .. وان الملكية الصغيرة بطبيعتها ذاتها تشكل أساسا مناسبا للبيروقراطية البالغة السلطة والغفيرة العدد . فهذه الملكية الصغيرة توجد مستوى واحدا من العلاقات ومن الاشخاص على سطح الارض كلها ، مما يمكن بالتالى من الفعل المستوى الصادر من مركز واحد والذى يصل الى جميع النقط فى هذهالكتلة المتجانسة [من الفلاحين] .. ومن جميع الجهات تدعو [هذه الملكية الصغيرة] الى التدخل المباشر لسلطة الدولة والى تدخل أجهزتها المباشر . واخيرا [فتلك الملكية] تحدث فائضا متعطلا من السكان لا يجدون مكانا فى الريف أو المدن ، فيبحثون بالتالى عن الوظائف الحكومية باعتبارها نوعا من الصدقات الوقورة ، بل يدفعون الى خلق مثل هذه الوظائف خلقا » .

ان دولة البيروقراطية فى الغرب اذن — ذلك الاستثناء — انما تمثل تلك الملكيات الصغيرة المفتتة وتعتمد على الجانب الرجعى للفلاحين الصغار لتفرض السيطرة المطلقة للبيروقراطية ، مثلما كانت بيروقراطية النظام الاسيوى تعتمد فى وجودها على سيطرة الدولة على المجتمعات القروية المنعزلة . واستطاعت البونابرتية أن تتواجد بفضل التوازن الدقيق بين الطبقات الفرنسية مثلما كانت الصراعات فى الهند « بين المسلمين والهندوس ، وبين القبيلة ، وبين الطبقة والطبقة [شكلت] مجتمعا اعتمد هيكله على نوع من التوازن الناتج من التنافر العام بين جميع أعضائه » [٢٩] .

« غير أن دولة البيروقراطية تعبير عن ان الحكم أصبح يجتاز مراحله الاخيرة . فاذا كانت البورجوازية .. « **لم تعد تستطيع الاستمرار فى استغلال الطبقات**

MARX, K. «The 18th. Brumaire» — S.W. II, p. 303 et pass. [٢٨]
MARX, K. «The future results of British Rule in India» — S.W.II, p. 657. [٢٩]

الاخرى وتتمتع بقوة مضايقة بما تملك .. الا بان تحكم على طبقتها بالعجز السياسي اى عليها ان تتخلى عن التاج حتى تحتفظ بكيس نقودها » .

فهذا معناه انها لم تعد قادرة على الحكم « **باسمها الخاص** [وان الثورة] **استكملت السلطة التنفيذية الى انقى اشكالها ، حتى تجعلها هدفها الوحيد ، وتستجمع ضدها كل قواها** » [٣٠] .

واختتم ماركس كتابه بأن تنبأ بثورة عمالية تسقط حكم نابوليون الثالث . وقد تحققت توقعاته فى كوميونة باريس عام ١٨٧٠ ، التى ارست المبادىء الاساسية للحكم الاشتراكى .

(٥) البيروقراطية فى الاستعمارية المعاصرة

تتميز مرحلة الامبريالية بالاشتداد العنيف للصراع الطبقى ، وتدافع الاحتكارات عن مراكزها ونظامها ، وجوهر النظام الراسمالى بعدة وسائل .. احداها هى تقوية جهاز الدولة وهيئات القهر المتفرعة منها .. يقول **لينين** :

« **لقد اظهرت الامبريالية بوضوح تقوية هائلة « لآلة الدولة » ، ونموا لم يسبق له مثيل لجهازها البيروقراطى والعسكرى ، مقترنا بتشديد اجراءات القمع الموجهة ضد البروليتاريا** » [٣١] .

وحيث ان مرحلة الاستعمار هى المرحلة الاخيرة للراسمالية ، مرحلة ازمتها الدائمة الدالة على ان نظامها الاجتماعى يواجه خطرا داهما مباشرا ، فان تضخم البيروقراطية ، واعتماد البورجوازية عليها ، سمة ثابتة ومتزايدة الاهمية فى الدول الاستعمارية ، لانها جهاز الردع الضرورى لها ازاء هجمات الطبقات الشعبية بقيادة العمال . ويزداد جهاز الدولة حجما بسرعة أكبر فى أيام الحرب ، بسبب التعبئة العسكرية للملايين ، وقد يتقلص مؤقتا فى بعض فترات السلم ، ولكن النتيجة النهائية هى الارتفاع العام لدوره وعدد موظفيه على مدى نصف القرن الاخير .

والسبيل الثانى الذى تتبعه الاحتكارات دفاعا عن النظام البورجوازى المنهار ، هو نقل ثقل بعض المهام الاقتصادية المتزايدة على كاهل الدولة ، بالاعتماد على التأميم البورجوازى للبنوك وبعض الصناعات او فروع التجارة ، اى بخلق راسمالية الدولة الاحتكارية ، التى فيها تتحد الاحتكارات والدولة فى قوة واحدة .. يقول **البروفيسير فارجا** [٣٢] :

« **ان اتحاد قوتين — الاحتكارات والدولة — هو الذى يشكل اساس راسمالية الدولة الاحتكارية . وقد طور برنامج الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى هذا الراى حينما قال : « تركب راسمالية الدولة الاحتكارية قوة الاحتكارات بقوة الدولة فى جهاز واحد ، هدفه زيادة الاحتكارات غنى ، والقضاء على حركة الطبقة العاملة ونضال التحرر الوطنى ، وانقاذ النظام الراسمالى وشن الحروب العدوانية** » .

وفى راسمالية الدولة الاحتكارية تندمج قوة الاحتكارات بقوة الدولة ، نتيجة تلاقيهما فى سيرهما . فكبار الاحتكاريين ، اذ يفقدون وظيفتهم الاجتماعية اكثر فأكثر — وهى الادارة الاقتصادية للوحدات التى يملكونها — وتزداد سمتهم الطفيلية انما يتجهون نحو تبوؤ المراكز السياسية والوظائف الحكومية الكبرى ، حتى يوجهوا منها موارد الدولة الضخمة لمصلحة المجموعات الاحتكارية التى يأتون منها ويمثلونها فى داخل الجهاز الحكومى . اما كبار الموظفين الحكوميين ، والقادة العسكريون المحالون الى المعاش ، والوزراء السابقون ، الخ .. فيجدون الوظائف العليا ذات المرتبات السخية فى الاحتكارات الخاصة أو المؤممة ، ومهمتهم فيها فتح الابواب أمام مصالح المجموعات الاحتكارية ، والتلاعب على القوانين الصورية التى تدعى « ضرب الاحتكارات » ، و « انشاء مجتمع الرخاء » .. وبهذا يقومون بدورهم فى توريد المزيد من فائض القيمة للاحتكاريين ، مقابل تمتعهم بنصيب منه . وليست وظيفتهم أو مهمتهم الطفيلية هم الآخرون بضرورية ولكنها مفروضة من الطبيعة المتعفنة لراسمالية الدولة الاحتكارية . واضطر الكتاب البورجوازيون انفسهم الى الاعتراف بهذا التطور ، فقال أحدهم :

« **اعتقد ان الذى حدث هو اعادة تنظيم الطبقة المالكة جنبا الى جنب ، هؤلاء الذين**

---

[٣٠] MARX, K. «The 18th etc.» — p. 362 & 112.

[٣١] LENIN, V.I. «The State & Rev.» op. cit. p. 410.

[٣٢] VARGA, Y. op. cit. p. 52.

لهم مرتب مرتفع في عالم متحد جديد ؟ عالم الامتياز وحقوق الاولوية » [٣٣] .

وفي الوقت نفسه ، الذي يتحول فيه الاحتكاريون الى بيروقراطيين ، ويتحول البيروقراطيون الى قمم في مجلة الاقتصاد الاحتكاري ، نرى ان عملية « البرقطة » تتسع وتنتشر كالوباء لتتسرب وتعشش في الغالبية العظمى من التنظيمات والهيئات الاخرى . فان العدد المتزايد من قادة الاحزاب البورجوازية والعمالية اليمينية — المعبرة عن الارستقراطية العمالية — وزعماء النقابات الحائزة على رضاء الحكام والمهيمنين على التعاونيات الانتاجية والفلاحية الخ — هؤلاء جميعا يزداد انعزالهم عن الجماهير الكادحة . واذ يعيشون محترفين لوظائفهم القيادية ، انما يعملون طفيليين على تنظيماتهم الجماهيرية ، ويحصرون تحركاتها ، محافظة على النظام الراسمالي ، وبثا للفكرية البورجوازية بين افراد الشعب عن طريق التمسك بالاساليب القانونية للنضال ضد الراسمالية .

« وتزيين الديمقراطية البورجوازية البرلمانية ونشر التعاليم القائلة بان الدولة البورجوازية لا تتصف باى صفة طبقية ، والقيام بالدعاية للتعصب القومي ومعاداة الماركسية والشيوعية » [٣٤] .

هذا ونود ان نبدى ملاحظتين اخيرتين في هذا الجزء .. أما الاولى ، فهى ان كبار المديرين ذوى الرواتب العالية ، هم فقط الذين اندمجوا مع البورجوازية الكبرى ويشاركونها مصالحها في راسمالية الدولة الاحتكارية .. أما الكتلة الغالبة من الموظفين في الادارة المتوسطة والدنيا ، فهى أو جزء منها حليفة الطبقة العاملة — بالنسبة لصغار الكتبة مثلا — وان اختلفوا عن العمال بالاجر في نواح كثيرة ، أو اتخذت نضالاتهم وتنظيماتهم وتحركاتهم اشكالا لا تشبه دائما الصورة « النموذجية » المعروفة .

والملاحظة الثانية ان ذلك الاندماج المتزايد الذى وصفناه بين الاحتكارية وأجهزة الدولة البيروقراطية على مختلف المستويات العليا ، وفي شتى الميادين ، انما يزيد من تعرية اجهزة القهر من اردية الحياد والعدل وسيادة القانون الزائفة التى تحاول ان ترتديها الدولة ، مما يوعى الجماهير بتجاربها الذاتية بضرورة الاشتراكية وبسبيلها الثورى .

(٦) البيروقراطية في بعض الدول النامية

تضافرت عوامل مختلفة — في بعض البلاد النامية أو المستعمرات السابقة — لكى تضخم من البيروقراطية وتوسع من دائرة نفوذها ، وتزيد من الهوة التى بينها وبين الجماهير الشعبية التواقة الى الاشتراكية والتحرر الكامل من الاستعمار .

فاذا كان جزء من هذه البلاد قد عرف النظام الاسيوى للانتاج ، فقد جاء الاحتلال الاجنبى ليخضع الطبقة البيروقراطية القديمة بفروعها لسيطرته ، رابطا اياها بمصالحه ، ومعطيها جوهرا رأسماليا .. وهكذا — كما قلت من قبل — ظهرت في هذه البلدان الراسمالية البيروقراطية والتجارة الوسيطة البيروقراطية [الكومبرادورية] وتحولت النبالة البيروقراطية الى نبالة شبه اقطاعية .

ثم احتاج الاحتلال الاجنبى الى مزيد من التقوية والتوسيع للاجهزة البيروقراطية المحلية ، لان القوات الاستعمارية لم تكن كافية لصد حركات التحرر الوطنى ، ولا من الشمول بحيث تضمن حسن اعتصار موارد المستعمرة حتى النخاع .

وعندما استطاعت هذه البلاد التحرر من السيطرة الاجنبية — خاصة بعد الحرب العالمية الثانية — لم يمس اجهزتها الادارية والحكومية العليا تغيير جذرى من حيث الاصول الطبقية والاتجاهات الفكرية والامتيازات المادية والاجتماعية الا في البلدان التى قادت فيها أحزاب الطبقة العاملة حركة الاستقلال ، واستطاعت ان تحول خاتمتها الى عملية تطوير اشتراكية جذرية . أما في الدول التى ظل فيها الحكم السياسى في يد البورجوازية المحلية بفروعها ، فما فتئت هيئاتها الادارية كما كانت ، مما أخصب ارضيتها دون شك لبعض النكسات التى استفاد منها الاستعمار الجديد [اندونيسيا مثلا] [٣٥] .

أضف الى تلك العوامل التاريخية الثلاثة المتتالية ، عاملا هاما ، وهو ظروف التطوير والتنمية في ظل افول الراسمالية وتحول الاشتراكية الى العنصر الحاسم للاحداث العالمية وهو عامل جعل العديد من بلدان العالم الثالث تتجه الى تكوين قطاع اقتصادى حكومى هائل لضعف بورجوازيتها المحلية أمام اعباء التصنيع . وقد ترتب على انشاء « القطاع العام » في هذه

---

[٣٣] MILLS, C.W. «The Power Elite» — p. 147.

[٣٤] VARGA, Y. op. cit. p. 138.

[٣٥] DAMUREDJO, S.L. «The declining trends of administrative performance in Indonesia — «Int. Rev. of Pub. Adm. Sci, Vol. 34 — No. 2 1968 p. 164—165.

البلدان ، مزيد من التوسع والتقوية للبيروقراطية — اذا غابت الديمقراطية الجماهيرية الواسعة — ومزيد من الاندماج بين الاجهـزة الحكومية وادارة القطاعات العـامة للاعمال ، ومزيد من التداخل بينها جميعا وبين القيادات السـياسية الرسمية والحاكمة .. وهكذا اصبحت الظاهرة السائدة فى مختلف المجـالات الاقتصـادية والسـياسية والاجتماعية والثقافية الخ انتشار عملية البرقطة فى شتى نواحى الحياة للدولة والمجتمع .

« ان كثـيرا من قـادة هـذه الانظمـة [الجديدة] لم يدركوا الفـارق الموضوعى بينهم وبين جهـاز الدولة القديم ، واكتفوا بترميمه أو ترقيعه .. غير ان مثل هذا .. لا يؤدى الى اصلاح الجهاز القديم ، وانمـا يؤدى الى تحويل العناصر الوافدة اليه الى بيروقـراطيين جـدد ، كل اختـلافهم عن البيروقراطيين القدامى ، انهم محصنون ، تحميهم علاقاتهم وارتبـاطاتهم .. وفى ظل غيبة العمـل السـياسى المخطط والمنظم ، بهدف تغيير الجهاز الادارى تغييرا جذريا ، اكتسب هذا الجهاز حصانة ومناعة ضد اية محاولات جماهيرية لاصـلاحه وتطويره . ومن ثمـة فانه ، وفى كثير من الاحيـان ، يصـبح واحـدا من الحـواجز التى تعوق التطوير الديمقراطى لهذه الانظمة » [٣٦] .

وقد يبدو اذن ان الاوضاع الجديدة تدفع ببعض دول العالم الثالث الى العودة الى النظام الاسيوى السابق ، غير ان الظروف المحيطة لا تضع أمامها سوى الخيار بين طريقين : اما التطور الاشتراكى بالقضـاء على البيروقراطية [وسنعود الى هذا الموضوع فى الجزء الاخير لهذا البحث] .. واما فتح المجـال أمام التطور الراسـمالى ، بترك البورجوازية تسـتفيد من القطـاع الحكومى .. ذلك لان البيروقراطية :

« تعى تداخل جميع الامتيازات .. وان موظفى [الاحتكارات الحكومية] يشعرون الى حـد ما بانهم يحتلون مركزا مفيدا لهم فائدة خاصة » [٣٧] .

ولذلك ، فان الموقف الطبيعى للبيروقراطية ، والملازم لجوهرها ، هو الشـعور بأن امتيازاتها جـزء لا يتجزأ من امتيـازات بورجوازية الريف والمدن ، وان المرتبات العالية والمنح الضخمة التى تنفرد بهـا لا يمكن ان توجـد الا على اسـاس مشـاركتها للطبقة البورجوازية فى الحصول على فائض القيمة من العمالة المأجورة .

ومن هنا ، كان علينا ان نوجه انظـار القارئ الى بعض النتائج الهامة فى هذا الميدان :

● الاولى : ان البيروقراطية فى بعض البلدان الحديثة التطور قد استفادت من اوضاع الاستقلال الجـديد والتنمية الحكوميـة ، ولكنها تعارض ان تتطور الحالة فى الاتجاه الاشتراكى .. وفى هذه الحالة ، فهى جزء من النظام القائم فى تلك البلدان غير انها من الاجزاء المحافظة لا التقدمية فيه .

● الثانية : ان تحالف البيروقراطية مع الطبقة الوسطى واندماجها معها اقتصاديا وسياسيا ، هو المصدر الاسـاسى لخطر التطور الراسـمالى ، والوقوع فى براثن الاستعمار الجديد .

● الثالثة : ان مظاهر السلبية والرشوة وبطء العمل للبيروقراطية — التى ينظر اليهـا البعض على انهـا مظاهر سـلوكية فقط — ما هى الا الاشـكال التى تتخذها فى هذه الحـالة عمليات تقسيم فائض القيمة بين البيروقراطية وبين الطبقة الوسطى ، أو عمليات الصراع الطبقى بين مختلف المستويات الاجتماعية فى الاجهزة الادارية .

(٧) البيـروقراطيـة فى النظـام الاشـتراكى

فى جميع الاحوال التى مرت علينا آنفا ، كانت الدولة جهاز الطبقات المالكة ، والبيروقراطية جزءا لا يتجزأ من هذا الجهاز .. أما النظام الاشتراكى فالدولة فيه جهـاز الطبقات التى لا تملك شيئا ، وهى ذات طبيعة انتقالية أى تسـير — بل تسير نفسها بنفسها — نحو الزوال والاختفاء . وهنـا لا تعود البيروقراطيـة — اى الفئة الدائمة التى تحترف الادارة — جـزءا من النظام الاجتمـاعى والسياسى السائد ، بل جزءا معاديا ونقيضا له . ولقد ذكر **لينين** قول **انجلز** [٣٨] :

« فور ما لا تعود اية طبقة اجتماعية تقهر

---

[٣٦] د. رفعت السيـعيد . — « الديمقراطية فى العالم الثالث » — مجلة الطليعة — السنة ٨ — العدد ١ — يناير ١٩٧٢ — ص ٧٦

[٣٧] CROZIER, M. op. cit. p. 168.

[٣٨] ENGELS, F. «Anti-Dühring» — see LEN IN Coll. W. 25 p. 396.

ويـزال الحـكم الطبقى والصراع الفردى للعيش .. فلن تكون ثمة ضرورة الى قوة قاهرة خاصـة اى الى الدولة . ويصـبح تدخل الدولة فى العلاقات الاجتماعية ميدانا بعد ميدان امرا لا حاجة اليه فيافل من نفسه .. وتحل ادارة الاشـياء وقيـادة عمليات الانتاج محل حكم الاشخاص » .

وهل يقضى على الدولة من اول ضربة للثورة ؟ .. أم تتم الثورة بالاسـتعانة بالبيروقراطيـة القديمة ؟

« **ليست الثورة ان تحكم الطبقة الجديدة وتأمر بمساعدة آلة الدولة القديمة ، بل بان تحطم هـذه الطبقـة تلك الالة ، وان تأمر وتحكم بمسـاعدة آلة جديدة .. ان الغاء البيروقراطية مرة واحدة ، وفى كل مكان ، الغاء تاما ، ليس امرا واردا .. انها طوبوية .. ولكن تحطيم الالة البيروقراطية القديمة فورا ، والبدء توا فى بناء آلة جديدة تجعل الالغاء التدريجى للبيروقراطية جميعا ممكنا .. هـذا ليس طـوبويا ، بل انهـا خبرة الكوميونة ، والمهمـة المبـاشرة والفورية للبروليتاريا الثورية » [٣٩] .**

فى النظـام الاشـتراكى اذن ، تقوم أغلبية الشعب نفسـها بدور قهر البورجوازية وتحطيم مقاومتها ، أى بالوظيفة الموكولة للدولة فى الانظمة الطبقية السابقة . وكلما زاد اشـتراك الاغلبية الشعبية فى هذا الدور ، كلما اختفت الحاجة الى سلطة القهر .. وأما المهام الادارية التى تقوم بها البيروقراطية ، فهى تتحول الى عمليـات بسيطة من المراقبة والمحاسـبة ، بحيث يكون فى متناول الفرد العادى القيام بها ، أى لا تعود حرفة دائمة لاشخاص ما . ويركز لينين فى « الدولة والثورة » اهتمامه بالنقط التى ابرزها ماركس فى الاجراءات الصادرة من كوميونة باريس ، وهى خاصة بالغاء بدل التمثيل والمنح والامتيازات المعطاة للموظفين العموميين ، وقصر مرتبـاتهم جميعـا فى حدود الاجور التى يتقاضاها العمال .

وبعد ان نجحت الثورة الاشتراكية فى روسيا :

« **وضع الحزب أمام الطبقة العاملة مهمة اكتساب المهارات اللازمة للادارة الاقتصادية فى اقصر وقت ممكن ، وان الاشـتراك النشط للعمال المتقدمين فى لجان المصـانع ولجان الرقابة والهيئات العمـالية الرقابية الاخرى امور سـاعدت على تحقيق تلك المهمة الكبرى » [٤٠] .**

ولقد كانت لجان الرقابة العمالية فى المصـانع الروسـية التجربة الكبرى التى اقتدت بها الطبقة العاملة فى الصين والديمقراطيـات الشعبية فى أوروبا الشرقيـة ، والتى مهدت السـبيل لتولى الشـعب ادارة المنشـآت المؤممة فى النظم الاشتراكية .. فلقد استطاع الحزب الشيوعى السـوفيتى ان يتعلم كيف يجد من بين صـفوف العمـال والفلاحين هـؤلاء الافراد الموهوبين فى عمليات الادارة والتنظيم ، الذين لم يكن من الممكن ان يظهروا لو لم يكن الحكم فى أيدى الجمـاهير الواسعة .. وطبقا لاحصائيات عام ١٩١٩ ، مثلا كان ٦٤ ٪ من أعضـاء مجالس ادارة المنشـآت المؤممة فى الصـناعات المعدنية من العمال ، فى حين ان ٣٦ ٪ البـاقية كانت تتكون من موظفين آخرين [٤١] .

واشار لينين الى ضرورة تاليف الكتب الخاصة بالعلوم الادارية ليقرأها العمال [٤٢] حتى يزدادوا قدرة على ادارة المنشآت الاقتصادية الروسية .

ومع ذلك ، فان الكفاح ضـد البيروقراطية من المهام التى وضعها لينين أمام الحزب بعد الثورة . فهو يقول فى « مشروع برنامج الحزب البلشفى » عام ١٩١٩ [٤٣] :

« **لقد تحطمت البيروقراطية فى روسيا اليـوم .. ومع ذلك فلم ينته الكفاح ضـد البيروقراطية فى بلادنا بكل تاكيد .. ولذلك فان استمرار النضال ضد البيروقراطية أمر لابد منه بصورة مطلقة لنضمن نجاح التطور الاشتراكى المقبل » .**

ويضـيف [٤٤] :

« **لقـد هـزمت البيروقراطيـة وازيل**

[٣٩] LENIN, V.I. Ibid, p. 486 — 425.
[٤٠] VINDGRADOV, V. «Socialist Nationalization of Industry.» — Moscow — Progress — 1966 p. 46.
[٤١] VINDGRADOV, V. Ibid, p. 47.
[٤٢] LENIN, V.I. «Better fewer but better.» C.W. 33, p. 493.
[٤٣] LENIN, V.I. «Draft Program of the R.C.P. (B)» — C.W. 29 p. 109.
[٤٤] LENIN, V.I. «Report on the Party Program» — C.W. 29, p. 184.

المستقلون .. ولكن المستوى الثقافي لم يرفع ، ولذلك يحتل البيروقراطيون مراكزهم القديمة . ومن الممكن اجبارهم على التراجع اذا تم تنظيم البروليتاريا والفلاحون تنظيما اوسع بكثير مما هم عليه الان . وكذلك بشرط ان تتخذ اجراءات حقيقية لتعبئة العمال في الحكم » .

وفي سنة ١٩٢١ ، وصف لينين الدولة السوفيتية بانها دولة «ذات لوى بيروقراطي» [٤٥] وقد ذكر في كتابه « الضريبة العينية » الاسباب الاقتصادية والاجتماعية التي تنبع منها البيروقراطية في الدولة الاشتراكية ، قائلا :

« الراسمالية آفة بالمقارنة مع الاشتراكية .. والراسمالية بركة بالمقارنة مع العصر الوسيط والانتاج الصغير ، وشرور البيروقراطية التي تنبثق من بعثرة المنتجين الصغار ... ما هي جذورها الاقتصادية ؟ .. [انها] حالة البعثرة والتفتت للمنتج الصغير ، بما فيه من فقر وأمية ونقص في الثقافة ، وغياب الطرق والتبادل بين الزراعة والصناعة » [٤٦] .

وهكذا يعيد **لينين** أسباب وجود البيروقراطية في النظام الاشتراكي الى نفس الجذور التي ذكرها **ماركس** في كتابه « ١٨ برومير » ، وهي حالة تفتت الطبقة الفلاحية ونواحيها السلبية .. وبمعنى آخر ، فالبيروقراطية في النظام الاشتراكي تنبع من الارضية المتخلفة والرجعية بالنسبة للاشتراكية . وانها ، كفئة اجتماعية ، وجذور طبقية ، وأصول تاريخية واقتصادية ، نقيض للاشتراكية . وهنا يتعرى خبث النظريات الامريكية التي تعتبر البيروقراطية أداة من أدوات التنمية والتغيير .. بل قائدة للتطور الاشتراكي !

وعليه ، فالقضاء على البيروقراطية في النظام الاشتراكي ، ياتي بأن يتحقق أمران أساسيان في وقت واحد :

١ ــ تصنيع الزراعة وتشريكها بتحويل الملكيات الصغيرة الى الملكيات التعاونية الواسعة ومزارع الدولة .. وهذا في اطار النهضة الاقتصادية العامة للبلد .

٢ ــ جعل ادارة الشئون الاقتصادية في أيدي المنتجين بصفة متزايدة ، والشئون السياسية في أيدي الجماهير العريضة من العمال والشعب .. فكما كانت البيروقراطية والحكم المطلق مترادفين ، يكون القضاء على البيروقراطية والديمقراطية الاشتراكية مترادفين ايضا .

[٤٥] LENIN, V.I. «The Party Crisis» — C.W. 32. p. 48.
[٤٦] LENIN, V.I. «The Tax in Kind» — C.W. 32 pp. 350 — 352.

تاريخها ودورها فى النظام السياسى

سمير كرم

اذا كان اسم تشيكوسلوفاكيا قد ارتبط فى اذهان الكثيرين — تحت الحاح طرقات الدعاية الغربية المعادية للاشتراكية — بفترة ازمة عام ١٩٦٨ ، التى شهدت واحدة من أخطر محاولات العالم الراسمالى للقيام بعملية غزو من الداخل لواحدة من الدول الاشتراكية .. فان **تشيكوسلوفاكيا اليوم ، بعد نحو ٦ سنوات من ذروة هذه الازمة ، تقف بتجربتها الاشتراكية ، وبمنجزات فى البناء الاشتراكى ، مؤكدة تخطيها الناجح لهذه الازمة ، وانتصارها على الغزو البورجوازى الخطير الذى تعرضت له فى صورة ثورة مضادة .**

وبالدرجة الاولى ، فان انتصار الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا ، يبدو فى أهم صوره فى **احباط الغزو الايديولوجى البورجوازى ، الذى استهدف العقل التشيكوسلوفاكى** قبل اى شىء ، وحاول أن يدمر فيه أسس الايديولوجية الاشتراكية التى أسهمت فى ترسيخها سنوات لا تقل عن الخمسين من النضال الثورى المتصل للقوى الاشتراكية .

وليس المجال — فى واقع الامر — مجال العودة الى تجربة ازمة عام ١٩٦٨ المريرة ، والتحديات والصعاب التى خلقتها فى وجه الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا ، فقد نالت محاولة الغزو البورجوازية من الداخل ما تستحقه من هزيمة . وقد وعت القوى الخارجية والداخلية التى حاولت **أن تلعب دورا تخريبيا ضد الاشتراكية** ، درس هزيمتها بالكامل . ولكن الامر الجدير فعلا بالاعتبار — فى كل وقت وبعد هذا التخطى الكامل لتحديات الازمة السياسية والاقتصادية والفكرية أيضا — هو وعى تجربة « **الجبهة الوطنية** » ، **كما** تقوم فى تشيكوسلوفاكيا بالذات ، **ودورها فى صون الوطن الاشتراكى ووحدة الدول الاشتراكية والمساهمة فى تعميق الحياة الاشتراكية فى ضمائر وعقول الشعب العامل بفئاته المختلفة .**

وفضلا عن ذلك ، فان تجربة « الجبهة الوطنية » فى تشيكوسلوفاكيا تعطى صورة لاستمرار نشاط الاحزاب الديمقراطية — المجمعة على ضرورة استمرار البناء الاشتراكى — فى العمل السياسى جنبا الى جنب مع الحزب الشيوعى وتحت قيادته .

والجبهة الوطنية فى تشيكوسلوفاكيا ليست اطارا لجمع الاحزاب السياسية القائمة فحسب ، بل انها تضم ايضا جميع التنظيمات والمنظمات الجماهيرية والعمالية والقومية والنقابية والتعاونية والنوعية وحتى المنظمات ذات الانشطة الثقافية ... الخ . وتنتظم الجبهة الوطنية فى عضويتها افراد الشعب التشيكوسلوفاكى كمواطنين ، كما تضمهم كمنظمات . ومن هنا يأتى قولهم فى براح **ان عدد اعضاء الجبهة الوطنية التشيكوسلوفاكية يفوق عدد السكان !.. فالافراد اعضاء فيها كافراد ، والمنظمات لها عضويتها فيها ايضا الى جانبهم ، وأن كان هؤلاء الافراد اعضاء فى تلك المنظمات نفسها .**

وفوق كل هذا ؟ فان الجبهة الوطنية تشكل في تشيكوسلوفاكيا **جزءا من النظام السياسي للبلاد** .

ولكن لا يمكن فهم دور الجبهة الوطنية في النظام السياسي التشيكوسلوفاكي ، دون معرفة **الجبهة الوطنية كجزء من تاريخ الثورة الاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا . ذلك ان الجبهة الوطنية نشأت — قبل كل شيء — في مسار حركة هذه الثورة منذ بداياتها الاولى** .

الخلفية التاريخية

لقد خرجت جمهورية تشيكوسلوفاكيا الى الوجود في اكتوبر عام ١٩١٨ ، عندما كانت امبراطورية النمسا والمجر تتحول بشكل نهائي الى انقاض . والواقع ان اعلان قيام الجمهورية تم على مرتين :

الاولى : في باريس ، بواسطة « المجلس الوطني » الذي كان يعمل في الخارج ايام الحرب العالمية الاولى .

الثانية : في براج نفسها ، بواسطة « اللجنة الوطنية » ، برئاسة الزعيم التشيكي الشاب « **كاريل كرامارك** » الذي صار اول رئيس للوزراء . وبعد هذا الاعلان بيومين اثنين ، اعلن المجلس الوطني السلوفاكي انه يؤيد وحدة تشيكوسلوفاكيا . وارسلت الحركات الوطنية على الفور مندوبين لمقابلة مندوبي « المجلس القومي » الذي كان قائما في جنيف . وتضافر الوفدان في **انشاء الجمهورية الموحدة الجديدة تحت زعامة الاشتراكيين الديمقراطيين** .

وكان هناك عامل آخر زاد من تعقيد الموقف على الاشتراكيين الديمقراطيين ، هو ضعف الاشتراكية في سلوفاكيا . فقد كان يسيطر عليها حزب الشعب الكاثوليكي بزعامة القس **اندريه هلينكا** . وفي ظل هذا الوضع **كان من المحقق ان ترفض القوى المسيطرة في سلوفاكيا الاندماج في دولة تشيكوسلوفاكية اشتراكية خالصة** . ولم يكن الاشتراكيون الديمقراطيون انفسهم يحسون بأن لديهم من القوة ما يمكنهم من الامساك بالسلطة كاملة في ايديهم ، ومحاولة الاتجاه رأسا نحو ثورة اشتراكية ، ومن ثم قبلوا الدخول في وزارة فرانتسيك كرامارك المؤقتة ، ولم يحصلوا الا على ثلاثة مناصب وزارية من مجموع ١٧ منصبا . واصبح **مازاريك** رئيسا للجمهورية ، باعتبار انه كان رئيسا للمجلس القومي التشيكوسلوفاكي .

وقد كان من المعترف به منذ البداية ان الاشتراكيين الديمقراطيين — وكانوا وقتئذ اكبر قوة سياسية واحدة — لم ينالوا ما يمثل قوتهم الحقيقية ، سواء في الوزارة أو في « الجمعية الوطنية » المؤقتة التي شكلت . وعندما اجريت الانتخابات في يونيو عام ١٩١٩ ، اسفرت عن حصول الاشتراكيين الديمقراطيين على اكبر عدد من الاصوات ، فشكلت وزارة جديدة برئاسة احد الاشتراكيين الديمقراطيين .

نشأة الحزب الشيوعي

ومع ذلك ، فان الازمات الداخلية في الحزب الاشتراكي الديمقراطي اضعفت مركزه في السنوات التالية . وشهد عام ١٩٢٠ ذروة هذه الازمات بانفصال الجناح اليساري للحزب ليكون الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي الذي خاض منذ تلك اللحظة مقاومة بالغة العنف — وصلت الى حد الصدام المسلح مع القوى اليمينية .
وانضم الحزب الشيوعي الجديد الى الدولية الثالثة [**الكومنتيرن**] ، وتآلفت القوى الاخرى معا وشكلت حكومة واسعة ضمت الاحزاب التشيكوسلوفاكية الخمسة غير الشيوعية — بما في ذلك الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، الذي كان قد وصل الى حالة شديدة من الضعف — واصبحت السلطة الفعلية في ايدي العناصر البورجوازية . وقد رأس هذه الحكومة **ادوارد بينيش** الذي كان نموذجا للسياسي المتشبع بالأفكار البورجوازية الغربية والديمقراطية الشكلية .

وعلى حين ان البورجوازية التشيكوسلوفاكية اعتبرت استقلال ووحدة تشيكوسلوفاكيا بشقيها نتيجة للجهود الفردية الدبلوماسية التي مارسها في الخارج كل من مازاريك وبينيش ، ونتيجة لتأييد الدول الغربية لهما ، فان الحزب الشيوعي قد اعتبر هذا الانجاز الكبير نتيجة لتأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ، ونتيجة للنضال الجماهيري في داخل تشيكوسلوفاكيا نفسها .

وفي الوقت نفسه ، فان الحزب الشيوعي اعتبر دائما ان « الديمقراطية » التي اقامها مازاريك والاحزاب الاخرى التي تعاونت معه — بما فيها الحزب الاشتراكي الديمقراطي — واجهة تخفي واقع السيطرة البورجوازية واستغلال الطبقة العاملة . ولكن الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي لم يتردد في ان يستفيد من « الجو الديمقراطي » الذي شاع في تلك الفترة ، وان كان قد تعرض لبعض القيود في ممارسته لنشاطه كحزب شرعي ، سواء في داخل البرلمان او خارجه .
وتعترف الكتابات الغربية — وحتى مؤلفات المؤرخين التشيكوسلوفاكيين المعادين للاشتراكية والذين اختاروا بعد ذلك ان يعملوا في دول مثل الولايات المتحدة وبريطانيا — بأن خصوم الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي عاملوه دائما على انه « اجنبي » وليس كشريك شرعي في « النظام

الديمقراطي » . ومع ذلك فقد نجح الحزب في جذب اهتمام ومشاركة جماهير الطبقة العاملة ، وكذلك المثقفين ، مما اكسبه بعد ذلك مركزا اقوى في البرلمان .

وفي السنوات القليلة التي سبقت صعود هتلر الى السلطة في المانيا ، وتصاعد خطر العدوان الالماني على تشيكوسلوفاكيا ، ثم صدور قرار « الكومنترن » بانتهاج سياسة « الجبهة الشعبية » ادى ذلك بالحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي الى اتخاذ موقف اكثر ايجابية من النظام الديمقراطي القائم . وفعلا قاد الحزب بعد عام ١٩٣٥ حملة جماهيرية قوية للدفاع عن جمهورية تشيكوسلوفاكيا وعن وحدة اراضيها ضد التهديد الخارجي من الفاشستية ، ولتأييد نظامها الديمقراطي ضد الاعداء الخارجيين .

وبعد توقيع معاهدة ميونيخ [سنة ١٩٣٨] ، التي ضمت المانيا بمقتضاها منطقة « السوديت » التشيكية اليها بموافقة بريطانيا وفرنسا وايطاليا في ذلك الوقت ، عارض الحزب — بكل قوة — تقسيم البلاد ، وناضل ضد احتلال المانيا بعد ذلك لاقليمي مورافيا وبوهيميا ، وشن حربا عنيفة من اجل اعادة تشيكوسلوفاكيا الموحدة على ما كانت عليه قبل الحرب . وهكذا فان الحزب — تحت زعامة كليمنت جوتوالد — في تلك السنوات ، نجح في حمل لواء المصالح القومية للتشيك والسلوفاك وعمق — في الوقت نفسه — الافكار الاشتراكية في قلوب واذهان الشعب ، حاملا في ذلك الوقت شعار : « الطريق القومي نحو الاشتراكية » ، مما أكسب الحزب تأييد الملايين من الجماهير التشيكوسلوفاكية حتى من غير الاشتراكيين .

ولا شك انه كان لتقاعس القوى الغربية عن مساعدة تشيكوسلوفاكيا عندما انقض عليها هتلر عام ١٩٣٨ ، تأثيره في نفوس الشعب التشيكوسلوفاكي في موقفه من الغرب والنظم الغربية .

المقاومة ضد النازي

وعندما بدات عملية تنظيم المقاومة ضد النازي في أوروبا في بداية الحرب العالمية الثانية ، كان الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي أول من بدأها . ونظرا للظروف النوعية الخاصة — التي كانت تسود سلوفاكيا في ذلك الوقت — فانه تكون حزب شيوعي سلوفاكي في مايو عام ١٩٣٩ تحت قيادة سرية ، ومع الاحتفاظ بوحدة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي وخطه السياسي . وقد تمكن الحزب السلوفاكي فعلا من القيام بعمل ضخم ، تمثل في خلق شبكة للنشاط السرى ضد النازي .

وفي سبتمبر عام ١٩٤١ — وبناء على مبادرة من اللجنة المركزية للحزب التشيكوسلوفاكي — شكلت لجنة مركزية ثورية تضم ممثلي جميع المنظمات الرئيسية لحركة المقاومة ، وشكلت لهذه اللجنة المركزية لجان محلية فرعية في المدن والقرى ، كانت هي « أجهزة النضال الشعبي ضد الغزاة » . وبعدها بشهور شن الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي حملته من اجل اقامة « جبهة وطنية » .

واصبحت المهمة الرئيسية لحركة التحرير الوطني في تشيكوسلوفاكيا ، تشكيل جماعات مسلحة في المدن ، ووحدات للانصار في الريف ، ونشر حركة الانصار في جميع انحاء البلاد . وقد أوصى الحزب في قراراته التاريخية في ذلك العام — من اجل دعم الوحدة الوطنية — بانشاء اللجان الوطنية الممثلة لوحدة الشعب في النضال ضد الفاشستية ، كما أكد على « أهمية الرابطة النضالية والتاريخية بين مصيري السلوفاك والتشيك . وينبغي الاشارة الى ان الصراع المشترك لهذين الشعبين هو من المصالح الحيوية لحركة التحرير الوطني السلوفاكية ، وان تحقيق الحرية للسلوفاك لا يمكن انجازه دون حرية التشيك والعكس » .

ثورة فبراير سنة ١٩٤٨

والامر الاساسي الذي تكشفه هذه الخلفية التاريخية ، هو « حقيقة الطريق الصعب والطويل الذي شقه مفهوم الجبهة الوطنية في تشيكوسلوفاكيا قبل قيام الدولة الاشتراكية بانتفاضة فبراير سنة ١٩٤٨ التي وضعت الطبقة العاملة — بقيادة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي — في موقع السلطة لتبدأ عملية الثورة الاشتراكية » ، وتجرى تحولات هائلة على حياة المجتمع التشيكوسلوفاكي بتأميم الصناعة والتجارة ، واخضاع الاقتصاد الوطني للتخطيط المركزي الشامل ، وادخال نظام المزارع الجماعية على الزراعة ، وتعيد تشكيل الحياة الفكرية والثقافية للشعب التشيكوسلوفاكي في اطار الوحدة الوطنية .

ومن ثم فان التطورات السياسية والدستورية في تشيكوسلوفاكيا — فيما بعد الحرب العالمية الثانية — ترتبط بجهود الامتين التشيكية والسلوفاكية ، لحماية وحدتهما وسيادتهما الوطنية ، بقدر ما ترتبط بالنضال الثوري للطبقة العاملة والشعب العامل كله ، بهدف تأمين الحرية الوطنية . ومن ثم أصبح بناء الاشتراكية أساسا متينا جديدا للوحدة الوطنية ، تلتف حوله كل القوى المؤيدة للاشتراكية والمقتنعة بقيادة الطبقة العاملة للمجتمع ، ممثلة في حزبها السياسي .

ولهذا فان الطابع الاشتراكى للنظام الاجتماعى والحكومى فى تشيكوسلوفاكيا يجد التعبير عنه فى مواد دستورية تجسد بصفة خاصة الملكية الاشتراكية واشكالها الاساسية . ويقوم الطابع الاشتراكى للدولة على اساس التحالف المتين بين العمال والفلاحين والمثقفين ، مع وجود الطبقة العاملة فى المقدمة . ويقوم مبدأ قوة السيادة للشعب العامل والتعبير عنه فى الاغراض التى تعمل من اجلها الاجهزة الاشتراكية المختلفة ، وكلها اجهزة مسئولة أمام من ينتخبونها . **ووجود « الجبهة الوطنية » للتشيك والسلوفاك هو التعبير السياسى عن هذا التحالف بين الشعب العامل داخل منظماته العاملة ، بما فيها الاحزاب السياسية تحت قيادة الحزب الشيوعى .**

وبهذا المعنى ، فان الجبهة الوطنية هى الصيغة التى تسمح — فى اطار وحدة النظام السياسى — باختلاف التنظيمات والمؤسسات فى جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، انطلاقا من تقاليدهما واختلافاتهما التاريخية والحضارية . ففى بناء الجبهة الوطنية تنعكس هذه الاختلافات وتتجمع فى الوقت نفسه .

كيان الجبهة ودورها ومنجزاتها

واذا كان يتردد كثيرا فى الدعايات الغربية — وخاصة بعد اجتياز تشيكوسلوفاكيا ازمة التغلب على الثورة المضادة فى عام ١٩٦٨ — أن الجبهة الوطنية مجرد واجهة ، وانها لا تقوم بدور ايجابى حقيقى فى الحياة السياسية التشيكوسلوفاكية ، فان الدور الذى نص عليه دستور تشيكوسلوفاكيا بالنسبة للجبهة الوطنية والمنجزات العملية الحقيقية لجهودها ولوظيفتها السياسية ، يؤكدان زيف هذه الدعايات التى لا تريد الا اتهام الحزب الشيوعى « بالانفراد بالسلطة » .

ان الدستور التشيكوسلوفاكى ينص فى مادته السادسة على ان « **الجبهة الوطنية للتشيك والسلوفاك — والتى تترابط فيها منظمات الشعب — هى التعبير السياسى عن تحالف الشعب العامل فى المدينة والريف بقيادة الحزب الشيوعى لتشيكوسلوفاكيا** » .

وتضم الجبهة فى وضعها الحالى أربعة احزاب — بخلاف الحزب الشيوعى — هى : حزب الشعب [الكاثوليكى] ، والحزب الاشتراكى ، وحزب الحرية ، وحزب اعادة بناء الوطن . **وبالاضافة الى هذه الاحزاب السياسية التى يجمع بينها أساس الموافقة على الاشتراكية ، والمضى فى البناء الاشتراكى للمجتمع ، تضم الجبهة كل المنظمات الجماهيرية — وهى بالمئات — وفى مقدمتها التنظيمات النقابية العمالية ؟ مثل الحركة النقابية الثورية التى تضم ملايين العمال ، وكذلك اتحادات التعاونيات التى تضم ملايين** الفلاحين ، واتحادات الصحفيين والمهنيين . وتشمل الجبهة الوطنية ايضا كل المنظمات ذات الانشطة الفكرية والثقافية والاجتماعية وجمعيات الصداقة مع الشعوب الاخرى ، ومجالس السلام على جميع مستوياتها .

وقد عبر عن هذا الاتساع فى تكوين الجبهة رئيس لجنتها المركزية بالنيابة **بروفيسور توماش ترافنيشر** فى لقاء معه فى براج فى أواخر شهر ابريل الماضى ، اذ قال : **ان الجبهة الوطنية التشيكوسلوفاكية هى « اوسع جبهة ممكنة للدفاع عن الشعب والديمقراطية .. لقد عبا الحزب الجماهير العريضة للشعب فى صورة جبهة وطنية منذ ان خاض التجربة المريرة لمقاومة الاحتلال النازى » . واهداف الجبهة كجزء من النظام السياسى فى تشيكوسلوفاكيا ، هى تطوير الديمقراطية الاشتراكية بأوسع معنى ، ولهذا تتجمع الحركة الاشتراكية فى الجبهة ، ممثلة فى اكثر من اربعة ملايين ونصف مليون عضو .**

وتخضع الجبهة الوطنية لقيادة جماعية على **اساس ان كل من المنظمات الاعضاء فيها تخضع لقيادة فردية مسئولة . وجميع اجهزة الجبهة تختار بالانتخاب من القاعدة الى القمة .** وأبرز الادوار السياسية المباشرة التى تقوم بها الجبهة ، انها هى التى توافق على المرشحين لجميع المجالس والتنظيمات المنتخبة فى البلاد . **فقائمة مرشحى « الجبهة الوطنية » هى القائمة التى تعرض على الشعب ليختار منها ممثليه .** ومن الجديد بالذكر ان اعادة انتخاب الرئيس **لودفيك سفوبودا** رئيسا لجمهورية تشيكوسلوفاكيا فى مارس الماضى ، قد تمت بعد قرار اتخذته اللجنة المركزية للجبهة الوطنية بأن يكون جنرال سفوبودا مرشحها الوحيد لمنصب رئيس الجمهورية .

ويتمثل حق الشعب التشيكوسلوفاكى فى الاعتراض على اى مرشح لاى من المناصب الرسمية أو القيادية ، فى حق الجبهة الوطنية فى أن تسحب الترشيح عنه .

الرقابة على تنفيذ سياسة الدولة

وتضطلع الجبهة بعد هذا بمهمة **متابعة ظروف حياة جماهير الشعب العامل وممارسة الرقابة على تنفيذ سياسة الدولة فى المستويات التنفيذية المختلفة .** ولكن مهامها لا تقف عند حدود المتابعة والمراقبة . ان الجبهة الوطنية تحت قيادة الحزب الشيوعى ، تصدر الى تنظيماتها وأجهزتها تكليفات بمهام محددة يدخل فيها تعبئة الجماهير .

وقد استطاعت الجبهة بالفعل تعبئة الجماهير للتطوع لتنفيذ اعمال معينة ، بناء على توجيهات الحزب ، بلغت قيمتها فى العام الماضى — على سبيل المثال — ١٠ مليارات كرون [حوالى ٤٠٠ مليون جنيه] ، وتنفذ هذه الاعمال بوجه خاص فى القرى ، ومعظمها يتمثل فى اقامة مراكز ثقافية ورياضية ، ومراكز للخدمات المختلفة . وقد استطاعت بالفعل ان تنشىء نظاما يطلق عليه اسم « **وردية متطوعى الجبهة الوطنية** » ، وفيها يعمل المتطوعون من الشبان — بوجه خاص — فى تنفيذ الاعمال التى تصدر بها تكليفات من الحزب فى ايام الآحاد [وهذا يعنى ان المتطوعين يكتفون باجازة اسبوعية ليوم واحد بدلا من يومين ، اذ تأخذ تشيكوسلوفاكيا بنظام الايام الخمسة للعمل اسبوعيا] .

وتوضح هذه الامور نجاح الجبهة الوطنية فى تشيكوسلوفاكيا فى تحقيق المشاركة الواسعة من جانب المواطنين نظريا وعمليا . ومما يدل على مدى الاهمية المعطاة للجبهة فى اطار النظام السياسى القائم ، ان للجنتها المركزية هيئة رئاسة رئيسها الحالى هو جوستاف هوساك السكرتير العام للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى .

بل لابد من الاشارة الى ان قوى الثورة المضادة — فى داخل تشيكوسلوفاكيا وخارجها — ابان ازمة عام ١٩٦٨ ، كانت تدرك اهمية دور الجبهة الوطنية فحاولت التسلل اليها واساءة استغلالها .

لقد حاولت حركة الثورة المضادة ان تحول الجبهة الوطنية الى مجرد تحالف بين التنظيمات والاحزاب غير الشيوعية ، كجزء من عملية عزل الحزب الشيوعى عن الجماهير ، ليسهل للثورة المضادة تدمير الاشتراكية .

ويمتد نشاط الجبهة الوطنية الى مجال السياسة الخارجية لتشيكوسلوفاكيا ، فانها تقوم بدور ايجابى حقيقى فى دعم هذه السياسة من خلال تنظيماتها الخاصة بالعلاقات مع الدول الاخرى . وتعقد فى اطارها اجتماعات جماهيرية لشرح قضايا التحرر الوطنى والمشكلات الدولية وموقف تشيكوسلوفاكيا منها . **بل ان الجبهة انشأت اخيرا صندوقا للتضامن ، تجمع فيه التبرعات لتقديم المساعدات المادية لحركات التحرر الوطنى والمناضلين من أجل الحرية والسلام فى انحاء العالم ، حتى لا يقتصر تضامن الجبهة الوطنية التشيكوسلوفاكية عليهم وحدهم ، على الجانب السياسى والمعنوى .**

وبهذا المعنى ، فان الجبهة الوطنية — فى ظل الظروف الوطنية والتاريخية لتشيكوسلوفاكيا — تعبير عن السياسة الاشتراكية التى تربط بين الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين العاملين ممن ينتمون الى القوميتين الرئيسيتين اللتين تتكون منهما تشيكوسلوفاكيا — اى التشيك والسلوفاك — بالاضافة الى القوميات الاخرى *التى تعيش معها جنبا الى جنب ؟ مثل الاوكرانيين والبولنديين ، والمجريين ، والالمان .*

وفى ضوء هذا المفهوم السياسى العام ، فان المهمة الاساسية التى تضطلع بها الجبهة الوطنية فى تشيكوسلوفاكيا — بكل ما تضمه من منظمات وتنظيمات جماهيرية — هى تأمين مشاركة الشعب العامل فى الحياة السياسية والعامة والاقتصادية والثقافية ، ودعم مشاركة الشعب العامل كذلك فى ادارة تطوير المجتمع ككل .

مسئوليات الجبهة الرئيسية

ولكى تحقق الجبهة الوطنية هذه المهمة ، فان عليها مسئوليات رئيسية تتمثل فى النقاط التالية :

- كسب تأييد جميع الاعضاء فى الجبهة الوطنية — سواء كانوا افرادا أو منظمات — للخط السياسى للحزب الشيوعى ، باعتبار انه يقود حركة المجتمع كله .
- تطوير العلاقات الاشتراكية بين الناس .
- تطبيق الوسائل التنظيمية والتربوية ، بهدف تعميق العمل الواعى والنشاط الاجتماعى من جانب المواطنين .
- تطبيق الوسائل التنظيمية والتربوية ايضا ، بهدف تعميق مشاعر الحب نحو الوطن الاشتراكى ، ومشاعر الصداقة المخلصة تجاه الدول الاشتراكية الشقيقة ، وتعميق التضامن مع جميع المناضلين من أجل الحرية والسلام والتقدم الاجتماعى فى العالم .

ومن ثم فان نظرة الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى الى الجبهة الوطنية — كما حددها فى مؤتمره الرابع عشر [الذى عقد فى الفترة من ٢٤ الى ٢٩ مايو عام ١٩٧١] — هى انها « **حليف طبقى للطبقة العاملة وللفلاحين التعاونيين ، والمثقفين الاشتراكيين ، وكذلك للقطاعات الأخرى من الشعب العامل ومنظمات هذه القطاعات ، للشيوعيين ، ولأعضاء الاحزاب السياسية الاخرى ، وللمواطنين الذين ليس لهم انتماء سياسى ، وهى كذلك حليف للتشيك والسلوفاك والقوميات الاخرى التى تعيش على أرض الدولة التشيكوسلوفاكية** » .

وقد أعطى المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ، للجبهة الوطنية وللمنظمات الاعضاء فيها ، مسئولية القيام بدور أوسع فى الحياة السياسية والعامة ، وأعلن **ان الجبهة الوطنية تواصل اداء مهمتها فى النظام السياسى القائم فى تشيكوسلوفاكيا ، وانه يتعين عليها وعلى المنظمات الداخلة فيها « ان تقود ملايين الشعب العامل نحو تقوية الوطنية الاشتراكية والدولية البروليتارية والعلاقات الاخوية بين القوميات »** .



● جمهورية مصر العربية ●

منـــاقشــــات هـامــة
حــول بــرنامج الحــكومــة

● المانيا الغربية ●

محـــادثات الجيــل الــذى
عــرف حقيقــة الحــــرب

● اليابان ●

ضـــــــد الأحتكـــارات
والـــوجـود الامـــريكى

● شيلى ●

قــرار ســانتيــاجو يمهــد
لـ « بيـــان القـــاهرة »

□

رســالة بغـداد

الحلقــة الدراســية الاولى
لدراســـة الكيان الاسرائيلى

■ جمهورية مصر العربية :

رفض استمرار

« الامر الواقع »

أبدت الدوائر السياسية العربية والاجنبية اهتماما كبيرا بأحاديث **الرئيس أنور السادات** في **عيد أول مايو** ، والى أعضاء مجلس الشعب في ١٤ مايو ، بمناسبة الاحتفال بالذكرى الثانية لحركة **التصحيح** ٠

وقد تناول **الرئيس السادات** في أحاديثه عددا من القضايا المحلية والعربية والدولية ، وركز في أحاديثه بصفة خاصة على دور وسياسة الحكومة في مرحلة المواجهة الشاملة ٠

وشرح **الرئيس** معنى المواجهة الشاملة في هذه المرحلة ، التي اقتضت أن يتولى **الرئيس** بنفسه رياسة الوزارة الى جانب أعبائه الاخرى فقال :ان هذه المرحلة ليست المعركة العسكرية على قناة السويس ، وهي ليست نهاية المطاف ونحن في مرحلة صراع مثل صراع الحروب الصليبية ٠ وقد تطول هذه المرحلة ، ذلك ان المواجهة الشاملة ليست خطوط قتال فحسب ، وانما هي شيء اخر ، أشد اختلافا وأكثر صعوبة ٠ انهاتعنى ان كل قرية قلعة ، وكل مصنع مدفع ، وكل انسان تحت السلاح ، وتحت النار ٠ وعلينا أن نتخذ نحن القرار بأنفسنا في الوقت الذي نراه مناسبا لنا ٠

وأضاف **الرئيس** : ان المرحلة المقبلة سنبنى فيها مجتمعنا الجديد ونحرر فيها أرضنا ، وكلا العملين لا ينتظر الاخر وعلينا أن نسير في الخطين معا ٠ وأن هذه المرحلة تقتضى نقاطا محددة هي :

١ ــ الوحدة الوطنية وهي لا تعنى امتيازات طبقية ولا مزايدات ولا فئوية ولا خلافات من أي نوع ، ومسئوليتنا أن نجمع ارادتنا وقوانا ومواردنا لكي نواجه العدو ٠

٢ ــ ضرورة أن نضع قواعد واضحة وضوابط سليمة للسلوك العام في الممارسة السياسية والعلاقات الشخصية في هذه المرحلة ٠

٣ ــ ان مرحلة المواجهة الشاملة بكل تعقيداتها وصعوباتها يجب الا تسمح اطلاقا بالمناورات ، لقد انتصرنا دائما في كل معاركنا ، لاننا كنا نتمسك دائما بالوحدة الوطنية ٠ وكنا دائما نعود الى القواعد الصلبة لشعبنا ، وهي الصلابة والاصالة والايمان ٠

وطالب **الرئيس** أعضاء مجلس الشعب بضرورة الاهتمام بتشريعات مرحلة المواجهة الشاملة ومناقشتها واقرارها في الدورة الحالية ، وقال : ان مرحلة المواجهة الشاملة تسكت عندها أي طلبات لفئات أو امتيازات أو بدلات ٠ ولا مانع اذا كان هناك من يشكو من أي شيء أن يحضر الى اللجنة المختصة التي تدرس وتعد كل شيء بيدها حتى تنتهي من مرحلتنا ٠٠ وانه بخلاف المسائل التي سبق أن وعدت بها الحكومة في حدود الامكانيات لا طلبات جديدة ٠ **كما ان اعادة توزيع أعباء المعركة يجب أن يحظى من أعضاء مجلس الشعب بعناية كبيرة حتى نرى كل فرد فعلا يشارك على قدر طاقته ٠٠ وان هناك دخولا كثيرة جدا وأوضاعا كثيرة جدا لازم نغيرها ويجب ان توضع لها التشريعات اللازمة ، تشريعات حاسمة واضحة ولا تردد فيها لاننا مقبلون على صراع طويل** ٠

واستعرض **الرئيس** دور امريكا واسرائيل وأهدافهما العدوانية ضد الامة العربية ٠ وقال ان أمريكا تحاول اليوم ان تلوى مبادرتنا لامتحان السلام بما تسميه الحل الجزئي بفتح قناة السويس ، وأن أمريكا تريد أن تحول امتحان السلام الذي قدمناه لهم الى مطب لنا ٠٠ وأن الهدف الاساسى الذي تعمل له اسرائيل وأمريكا هو المحافظة على استمرار وقف اطلاق النار ، لانه يخدم مصالح اسرائيل ويخدم مصالح أمريكا في المدى القريب والبعيد ٠٠ « **ومن تحت وقف اطلاق النار وحالة السكون اللي احنا فيها اسرائيل بتغير في الارض بتبنى المدن بتبنى المستعمرات بيجاحة ووقاحة على الارض ، في شرم الشيخ يعلنوا ويقولوا احنا قاعدين الى الابد وبيبنوا مكاتب سياحية وفنادق وغيره في الجولان في الضفة الغربية ، في غزة في سيناء ، في كل مكان عايزين وقت عشان بمضى الوقت يبقى الامر الواقع ويكونوا هم بنوا المدن وبنوا المستعمرات وغيروا المعالم !!** ٠ وأضاف **الرئيس** : ان أمريكا تريد أن تحقق لاسرائيل بالمفاوضات مالم تستطع ان تحققه بالمعركة العسكرية ٠

وأكد **الرئيس** : **انه لن يكون هناك حل جزئي أو مرحلي أو حل منفرد مع مصر ، ولن تكون هناك مفاوضات على الاطلاق ، واننا لن نستسلم أبدا لاسرائيل ولا أمريكا ، ولن نفرط في شبر واحد من أرضنا ، ولن نساوم على حقوق شعب فلسطين** ٠

وتعرض **الرئيس** لعلاقتنا مع **الإتحاد السوفيتي** وقال : « احنا ما فيش خلاف بينا وبين الاتحاد السوفيتي الا على شيء واحد بس لازم يعرف أصدقاءنا السوفييت ٠٠ ان استمرار وقف اطلاق النار سياسة أمريكية ، استمرار وقف اطلاق النار يخدم اسرائيل ويخدم أهداف أمريكا وفي النهاية الحل السلمي »

وشرح الرئيس الموقف العربي بما يتضمنه من سلبيات وايجابيات ، ووصفه بأنه يتحسن يوم بعد يوم من خلال الاتصالات الثنائية .. وضرب مثلا لذلك أن العراق بدافع ممارسة دوره القومي بالنسبة للمعركة .

وقال الرئيس ، اننا لن نطلب من اى اخ عربى أكثر مما نؤديه نحن أنفسنا ، واننا سنضرب المثل أولا بأنفسنا فى الحركة وكسر الجمود والسكون الموجود ، ويعدها كل أخ عربى عليه ان يقوم بمسئوليته وأن يقوم بدوره .

ويرى المراقبون ، أن القضية التى عنى الرئيس السادات بالتركيز عليها ، وتبديد الغموض من حولها ، هى قضية رفض استمرار الامر الواقع الذى يريد أن يفرضه الحلف الامريكى الاسرائيلى . بما يتضمنه هذا الرفض ويتطلبه من استعداد ـ على الجبهتين الداخلية والخارجية ـ لكسر الجمود المحيط بالقضية .

احتفالات حركة التصحيح :

هذا وقد أقامت المنظمات السياسية والشعبية والهيئات التنفيذية فى القاهرة وبقية المحافظات ، مؤتمرات احتفالا بذكرى مرور عامين على حركة التصحيح ، وتحدثت فيها القيادات المختلفة عن اهمية حركة التصحيح والانجازات التى حققتها فى المجالات المختلفة خلال العامين الماضيين ، كما أقامت أمانة العاصمة معرضا للصور والرسومات التى تبين انجازات حركة التصحيح ضمن برنامج احتفالاتها .

وقد اعلن د. **حافظ غانم** الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، فى مؤتمر أمانة القاهرة أن التنظيم الشبابى سيعلن فى ٢٣ يوليو القادم . كذلك أصدر الرئيس **أنور السادات** بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكى ثلاثة قرارات خاصة بانتخابات لجان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى ، التى تقرر أن تبدأ فى ٢٨ يوليو القادم .

■ ■

مناقشات هامة

حول برنامج الحكومة

حظيت المناقشات التى دارت **فى مجلس الشعب** حول برنامج الحكومة الذى القاه **الدكتور عبد القادر حاتم** نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام باهتمام واسع فى الدوائر السياسية . واستطاع تقرير لجنة الرد على برنامج الحكومة ، وهى اللجنة الخاصة التى شكلها المجلس برئاسة د. **جمال العطيفى** وكيل المجلس ـ ان يجذب انتباه المراقبين من حيث الاسلوب الذى استخدمته فى مناقشة بيان الحكومة ، وكذلك لعدد كبير من القضايا التى طرحها للمناقشة . ويرجع كثير من المراقبين الى هذا التقرير الفضل ـ فى تطوير المناقشة التى دارت فى المجلس حول برنامج الحكومة وتحديد اتجاهاتها :

لقد أيدت اللجنة تأييدا قويا ما جاء فى بيان الحكومة « **من انه لم يعد أمامنا الا ان نحمل السلاح دفاعا عن الحق والمسئوليات التى يلقيها علينا واجبنا ازاء وطننا والامة العربية كلها** » .

ومن هذا المنطلق ترى اللجنة « ضرورة ان نجعل القوة المسلحة المصرية ، على قدر كبير من الاستعداد ، بحيث يمكنها ان تنزل بالعدو من الخسائر ما يجعله يعيد النظر فى خططه العسكرية والسياسية ، **فليس من الضرورى ان تحقق نصرا عسكريا سريعا** ، ولكن **يكفى ان تتوافر القدرة على انزال خسائر اساسية ومستمرة بالعدو فى حرب يمكن ان تكون طويلة الامد** » .

وفضحت اللجنة فى تقريرها حكومة الولايات المتحدة الامريكية لاستمرارها فى سياسة دعم اسرائيل ماديا ومعنويا . ذلك من الاستفزاز والتحدى للشعوب العربية . وأكدت على **انه بدون ان تحس الولايات المتحدة بتهديد مصالحها الاقتصادية فى الدول العربية فلن يكون هناك ما يدعوها الى تغيير موقفها . وحذرت اللجنة بشدة من محاولات امريكا لتصعيد نشاطها العدوانى ضد البلاد العربية نتيجة لما تواجه من أزمة فى الطاقة** .

واعلنت اللجنة تأييدها لما اعلنته الحكومة من نمو استمرار وتعميق الصداقة والتأييد لشعوب وحكومات الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية ـ واكدت اللجنة على ان فعالية هذه المساندة تدعم ثقة العالم الثالث فى موقف الدول الاشتراكية من حركات التحرر الوطنى ـ **لان ضرب مصر يصيب حركات التحرر الوطنى بأبلغ الضرر** .

ومع تقدير اللجنة لما حققته السياسة المصرية فى مجال التضامن العربى ـ لم تخف اللجنة قلقها من الخلافات القطرية التى تهدد التضامن العربى فى هذه الظروف المصيرية .

واكدت اللجنة ان هناك قدرا ادنى من وحدة الجهود العربية يمكن الوصول اليه فى حدود الواقع العربى واوضاعه الراهنة ، **وان سلاح البترول الذى اصبحت امريكا تعمل حسابه لن ينتج فعالية الا بقدر ادنى من العمل العربى المشترك** .

ودعت اللجنة الى تنسيق ادنى فى السياسة الخارجية لدول اتحاد الجمهوريات العربية والعمل على توحيد السياسات التى تتبعها الجمهوريات مع الدول الاخرى - وضرورة الانتهاء من وضع خطط التنمية العامة المشتركة - والانتهاء من وضع سياسات موحدة للتعليم والثقافة والبحث العلمى والاعلام ، ومن تنسيق التشريعات وتوحيد أساسياتها ٠

ودعت اللجنة الى أن يطرح للمناقشة العامة دون انتظار ما تنتهى اليه اللجان المشتركة التى شكلت لوضع الانظمة التى تقوم الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا على أساسها ٠

وفى مناقشة أسلوب حماية الجبهة الداخلية من أجل المعركة أكدت اللجنة على أن وطننا فى حاجة الى أن نحارب جميعا فى سبيله تحت علم واحد هو علم الوطنية المصرية ، **وأيا كانت الخلافات بين القوى الاجتماعية التى يضمها تحالف قوى الشعب العاملة - فان هذه الخلافات يجب أن تحل وفق الميثاق سلميا بالحوار الديمقراطى** ، وفى هذه المرحلة فان القدر المتفق عليه من المصالح والاخطار بين قوى التحالف الذى يجب أن نقف عنده ، **وفى مقدمة هذه المصالح تحرير الارض ٠**

وفى تناول موضوع الامن القومى ٠ دعت اللجنة **لان يكون اتخاذ الطريق الاستثنائى مقصورا على الحالات التى تتصل اتصالا مباشرا بالتأثير على استعدادنا للمعركة** ، أما الحالات التى تحتاج الى تنظيم له صفة الدوام ولا يرتبط بالمعركة وحدها فان مجلس الشعب يصدر لها التشريعات اللازمة ٠

قضايا اقتصادية :

وفى تناول اللجنة لتحقيق اقتصاد الحرب من أجل المعركة - تساءلت اللجنة عن **خلو بيان الحكومة من ذكر شىء عن الخطة العشرية أو الخطة الخمسية التى كان بيان الحكومة السابقة قد أشار الى أنها قد أصبحت معدة للعرض ٠**

وطرحت اللجنة مجموعة من الضوابط بالنسبة للتجارة الخارجية **على أساس أن تكون التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل للشعب وأن تكون تجارة الاستيراد كلها فى اطار القطاع العام ٠**

ونبهت الى ضرورة فرض الرقابة على ما قررته الحكومة من استخدام جزء من حصيلة التصدير بالعملات الاجنبية لتوفير احتياجات الانتاج حتى لا يلقى مصير نظام الاستيراد بدون تحويل عملة وما صحبه من انحراف ٠

الاستثمارات الاجنبية :

وأوصت اللجنة **بضرورة أن يراعى فى قبول استثمار المال الاجنبى المصلحة المحققة للاقتصاد المصرى** ، مقدرة فى ذلك أن أرباح المشروع تحول بالكامل الى الخارج ، وأن رأسماله يمكن أن يحول ، بعد خمسة سنوات ، وفى أحوال استثنائية بعد سنة واحدة ٠ فما لم يكن المشروع مجزيا للاقتصاد المصرى ، تصبح الفائدة التى تعود على الاقتصاد المصرى من الاستثمار الاجنبى محدودة ٠

كما حذرت اللجنة من ألا يصرفنا اسهام البنك المصرى الدولى مع عدة بنوك عربية وأوربية فى انشاء البنك العربى الاوروبى عن الهدف الاساسى من انشائه **وهو خدمة الاقتصاد المصرى أساسا ٠**

توزيع أعباء المعركة :

أكدت اللجنة على أن أية اجراءات اقتصادية يجب ألا يترتب عليها مساس بالدخول الصغيرة بصفة عامة ، والدخول الناشئة عن العمل بصفة خاصة ، وهى التى تتحمل العبء الاكبر من التمويل الضرائبى ولا طاقة لها بزيادته ٠

ودعت الى مواجهة حاسمة للدخول غير المشروعة التى تنشأ عن الاتجار فى السوق السوداء وعن اى نشاط آخر غير مشروع والثروات التى تضخمت بطريقة غير مشروعة أو لا يعرف مصدرها ٠

وأولت اللجنة اهتماما خاصا **للدخول الطفيلية والانتهازية التى تنشأ عادة من استغلال بعض المتعاملين مع القطاع العام لبعض العاملين فى هذا القطاع** ممن تستهويهم سهولة الربح الاثم **وتتمثل هذه الدخول فى بعض حالات المقاولات من الباطن والتوريدات وأعمال الوساطة ، كما ان بعض هذه الدخول ينشأ عن وضع تجارة الجملة واحتكارها** لبعض السلع ومن استغلال الحصص المقررة للتوزيع . وضربت اللجنة أمثلة عديدة من واقع تقارير لجان المجلس ، وتقرير الجهاز المركزى للمحاسبات ٠

ودعت اللجنة الى دراسة تعديل قانون الكسب غير المشروع ليطبق على المتعاملين مع القطاع العام من الموردين ومقاولى الباطن ٠

ونبهت اللجنة الى أن هناك دخولا تتفق فى ظاهرها مع أحكام القانون ونقلت من الضرائب بوسائل مشروعة ومن ذلك توزيع بعض الافراد لدخولهم على أفراد الاسرة التى تضم الزوجة والابناء القصر ليستفيد كل منهم بالاعفاء المقرر من الضريبة العامة على الايراد من شرائح الدخول المنخفضة ، وضربت اللجنة مثلا ورد فى مذكرة

لجهاز تخطيط الاسعار مؤرخة فى يناير ٧٣ **ويؤخذ منها ان فئة الدخول التى تزيد على عشرة الاف جنيه وهى ٢٢٧٦ أسرة يصل متوسط دخل الاسرة الواحدة منها الى ٣٢٤٢٠ فى السنة وهذا يعنى ان هناك تهربا من الضرائب** ٠

كما أن هناك دخولا يصعب على القانون بوضعه الحالى أن يكشف عنها مثل **تجارة تاجير الشقق المفروشة واستغلال التاكسيات وبناء العمارات لاعادة بيعها كمساكن للتمليك** ٠

واكدت اللجنة على أنه لا يمكن ان يسمح باستمرار الاتجار فى السلع الكمالية المستوردة أو المهربه تحت سمع القانون وبصره ٠

ولقد اشترك أكثر من مائة عضو من اعضاء المجلس فى المناقشة الواسعة التى دارت حول برنامج الحكومة وعبر معظم المتحدثين عن تأييد الاتجاهات الرئيسية لبيان الحكومة وملاحظات اللجنة ٠

وطالب الاعضاء حسين حمدى سالم ومحمود نافع ومحمد خضر وليلى تكلا وسعد عبد الحميد عثمان بفتح المعسكرات على أوسع نطاق للتدريب ، واطلاق عمليات فدائية على ارض سيناء ٠ وطالبوا باستكمال النقص الواضح فى أجهزة ومعدات الدفاع المدنى ، ورفع مستوى التدريب ، وكفاءة المتطوعين الى مستوى العمليات الحقيقية ، وتعميم الخنادق المكشوفة فى المدن والقرى ٠

ومن بين جميع المتحدثين فى قضايا البناء الداخلى أهتم ثلاثة من الاعضاء بقضايا ذات صفة قومية عامة فقد ركز د ٠ احمد أبو اسماعيل كلمته على أهمية المجالس القومية المتخصصة وضرورة الاسراع فى تشكيلها لضمان رسم سياسات ثابتة ٠

واهتمت د ٠ ليلى تكلا بمشكلات الادارة ، ودعت لاجراء ثورة ادارية شاملة . بينما ركز مصطفى كامل مراد كلمته على الديون الخارجية التى بلغت خمسة آلاف مليون جنيه ندفع لها سنويا اقساطا تبلغ ١٥٠ مليون جنيه تبتلع من ٤٠ الى ٥٠ فى المائة من الصادرات ، مقابل الالتزامات الخارجية ٠ واقترح دعوة كل الدول الدائنة وتشكيل لجنة منها والبدء فى المفاوضة لمد أجل سداد هذه الديون بحيث لا يتجاوز ما ندفعه سنويا عن ١٠ فى المائة من صادراتنا ٠

واحتلت **مشكلات القرية** مكانا بارزا فى مناقشة المجلس لبيان الحكومة واشترك الاعضاء عبد المنصف حزين ــ عبد الرؤوف شبانة ــ مهدى شومان ــ محمد عودة ــ الدكتور كمال الجوجرى ــ محمد مرسى عزب ــ عيد على الرفاعى ــ محمد كمال صقر ــ احمد العاصى ــ فهمى الخبير ــ بكر عبد الواحد ــ عبد التواب أبو سريع ــ الرفاعى التليسى ــ خليل شرارة ــ شوقى الهوارى ــ عطا سليم ــ عبد الرحيم الغول ــ المامون مشالى ــ السعيد البيلى ــ أحمد أبو الفتوح ــ فى تناول مشكلات القرية والفلاحين والعمال الزراعيين مركزين على المقترحات التالية :

- ضرورة الاسراع باصدار اللائحة التنفيذية للسجل العينى والذى يتوقع بعض الاعضاء أنه سيحل ٥٠ فى المائة من مشكلات الفلاحين مع الاجهزة التى يتعاملون معها ٠
- ضرورة توفير الاستثمارات اللازمة لتنفيذ كهربة الريف وفق الخطة التى أعلنتها الحكومة والالتزام ببرنامج العمل الوطنى لتطوير القرية خلال عشر سنوات .
- العودة لنظام الدورة الثلاثية لزيادة الانتاج ٠
- دعم الجمعيات التعاونية ــ وتحصيل كافة الرسوم لصالحها واصدار لائحة للعاملين بها ٠
- اعادة النظر فى نظام تصدير واستيراد الحاصلات الزراعية ــ خاصة بعد ارتفاع اسعار القمح عالميا ٠
- اعطاء أولوية للمشكال المتصلة بالانتاج مثل نقص الجرارات الزراعية ومشكلة عدم وجود قطع غيار للجرارات وماكينات الرى والالات الزراعية ٠
- تخريج حكيم القرية من الحاصلين على الثانوية العامة وتدريبهم لمدة زمنية محددة على أمراض الريف وعلاجها ٠
- زيادة الحد الادنى لاجور العمال الزراعيين والخفراء وحل مشكلات العمال الموسميين ٠

وحول الممارسة الديمقراطية ــ تناول عدد من الاعضاء ــ قضيتين أولهما مسألة الاحكام العسكرية ٠ والثانية حول المجالس الشعبية ٠

لقد اشترك الاعضاء د ٠ محمود القاضى وعباس المصرى وقبارى عبد الله وأحمد الجبالى ومختار هانى فى مناقشة الاجراءات المترتبة على الاحكام العسكرية ٠

وكان الاتجاه العام ، هو أن الاساس فى حماية الوحدة الوطنية هو العمل السياسى الذى يتطلب توفير الحريات السياسية والنقابية ، وان توفير الحريات فى ظل حرب وطنية عادلة تقودها سلطة وطنية سيؤدى الى تلاحم الصفوف ضد العدو ــ وأشار الى أنه كان على الحكومة أن تؤكد أن حالة الطوارىء المفروضة حاليا ، سوف تنتهى فى نهاية هذا العام ، حتى تعود الامور الطبيعية الى مجلس الشعب بصفته المختص بالتشريع ٠

وكان اتجاه المتحدثين فى هذه المسألة ــ هو المطالبة بالحد من الاجراءات الاستثنائية الى ادنى حد ممكن ــ وتقنين الاوامر العسكرية ٠

ولم يعارض هذا الاتجاه سوى العضو نصر عبد الغفور مؤكدا على أن كل الدول التى دخلت الحرب فرضت الاحكام العسكرية ٠٠ وانه لا يجوز التخوف اطلاقا من أى أمر عسكرى ٠

وطالب العضوان حسين المهدى وابراهيم عبده ـ بضرورة تشكيل المجالس المحلية والشعبية بالانتخاب الحر المباشر ، وذلك قبل الحديث عن نقل السلطة الى الاجهزة المحلية ٠ وأكدوا على أن المجالس الشعبية ، ليست عنصرا من عناصر الاتحاد الاشتراكى أو امتدادا له . كما أنها ليست فرعا من فروع مجلس الشعب بل هى مجالس مستقلة ٠

وفى مواجهة **الدخول الطفيلية** واعادة توزيع أعباء المعركة ، دعا أحمد طه وابراهيم القاضى ومأمون مشالى ـ الى تطبيق من اين لك هذا على أصحاب الثروات التى زادت بعد القرارات الاشتراكية وانشاء سجل مدنى بأملاك كل فرد حتى يعرف مصادرها ـ وان تقيم ثروة الفرد كل خمس سنوات ٠

وبينما دعا العضو مصطفى غباشى الى كشف أصحاب الدخول الطفيلية لتحصيل الضرائب منهم ، طالبت كريمة العروسى **بوضع أسلوب للقضاء على الدخول الطفيلية** بدلا من فرض ضرائب عليها ٠ وطالب ابراهيم القاضى بتقنين ضريبة الزكاة ، اذا كان لابد من فرض ضريبة جديدة واشترك مع سامى أباظة فى المطالبة بمنح أصحاب الاعمال تيسيرات تصل الى ٥٠ فى المائة لسد المستحقات الضريبية دون غرامة ٠

وركز عدد كبير من أعضاء المجلس كلماتهم حول مشكلات الجماهير فى التموين والاسكان والتعليم والمواصلات والاجور ٠ وقدم الاعضاء عبد الرؤوف شبانة وحيدر السحت ومحمد مرسى عزب وبدر الدين خورشيد وممدوح فودة وعباس المصرى وألفت كامل ومصطفى غباشى وحافظ حسين محمد ومحمد عطية ورزق البليشى وأنور شماع طائفة هامة من المقترحات تركزت حول :

● تقنين المقررات التموينية للافراد بالنسبة لجميع السلع الاساسية ٠

● دعم ورعاية التعاون الاستهلاكى وتطبيق نظام البقال التعاونى ٠

● تحويل الخرائب فى الاحياء الشعبية الى مناطق سكنية لابناء هذه الاحياء ٠

● خفض ايجارات المساكن بنسبة ٢٠ فى المائة على الاقل ٠

● حل مشكلة الاسكان بالتوسع فى الاقراض بالتقسيط على ٢٠ سنة وتشجيع استيراد الخشب والحديد مع المصريين العائدين من الخارج والتوسع فى انشاء مصانع المساكن الجاهزة وانتاج الطوب الرملى وخفض سعره ٠

● حصر الحرفيين وضمهم فى جمعيات تعاونية وتوفير المواد اللازمة لهم وتسويق أنتاجهم ٠

● سريان الحد الادنى للاجور على جميع عمال مصر من صناعيين وزراعيين وتجاريين وخدمات ٠

● الرقابة الحازمة على تشغيل الاحداث ومنع الامهات العاملات أربعة سنوات أجازة بنصف مرتب لرعاية أطفالهن ٠

● ضرورة تمثيل العمال فى ادارة المجلس المختص بتخطيط الخدمات فى المناطق الصناعية ٠

وفى مشكلات التعليم طالب نصر عبد الغفور وسعد عبد الحميد عثمان وأحمد حسين الجبالى بعودة نظام الفترة الواحدة ـ وانصاف المعلمين واصلاح أوضاعهم ـ وتنظيم الدروس الخصوصية ، وتحديد أجرها لمنع الاستغلال ٠

ورفض المجلس اقتراحا قدمه العضو عطا سليم، وانضم اليه العضو فتحى اسماعيل الوكيل

كلمة وفاء

فقدت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ـ شعبا وحكومة ـ عددا من ابر ابنائها واخلص كوادرها الوطنية الديمقراطية وذلك فى حادث الطائرة المؤسف فى ٣٠ ابريل الماضى ٠

لقد استشهد الاخ محمد صالح عولقى وزير الخارجية ، و ٢٤ من الاخوة الدبلوماسيين ، بينما كانوا يمارسون مسئولياتهم الوطنية فى مجال العمل الدبلوماسى لخدمة الثورة والشعب فى مختلف البلاد التى يعملون فيها سفراء لوطنهم ٠

ان استشهاد هؤلاء الاخوة المناضلين ، ومن بينهم أصدقاء أعزاء للطليعة ، هو بحق خسارة لحركة التحرر الوطنى العربية ككل ٠

وان تدرك « الطليعة » المعنى الحقيقى لفقدان كل مناضل وطنى ديمقراطى عربى ، فانها تشارك الشعب الشقيق فى جمهورية اليمن الديمقراطية احزانه ، وتؤمن « الطليعة » أن الشعب الذى انجب هؤلاء الابناء البررة ، قادر على تعويضهم ، وعلى حماية استمرار مسيرة ثورة ١٤ اكتوبر ٠

« الطليعة »

بفرض رسوم على تلميذ الابتدائى قدرها جنيهان توضع فى صندوق خاص للاستفادة بحصيلتها فى بناء المدارس لمخالفة هذا الاقتراح للدستور ·

وركز فريق من الاعضاء كلماتهم حول القيم الروحية ، والدينية ، والاخلاقية فى المجتمع · وتضمنت كلمات الشيخ ماهر اسماعيل جاهين وعبد الرؤوف شبانة وعبد الله سليمان رزق ومحمد تمام الشنحيرى والقمص بولس باسيلى ود · محمد محمود شعبان وأبو الفضل سرور ومحمود نافع ورمضان عرفة ومصطفى البيومى ـ نقدا لبيان الحكومة لخلوه من الحديث عن الاخلاقيات العامة للشعب والسماح بتراخيص الخمر فى بلد اسلامى ، بحجة السياحة وكرنفال الازياء فى الجامعات · وطالب المتحدثون بتقنين الشريعة الاسلامية وفرض نصوصها وأحكامها وجعل الدين والقرآن الكريم مادة أساسية يمتحن فيها الطالب حتى نهاية المرحلة الجامعية ، ومقاومة المحنة الخلقية المنتشرة بين صفوف الشباب والتى لا تتفق مع الدين ·

وفى نهاية المناقشة أعلن **الدكتور عبد القادر حاتم** ان الحكومه استجابت فورا لبعض المقترحات التى أبداها الاعضاء وستقوم بدراسة المقترحات الاخرى وتعرض ما تنتهى اليه على المجلس . واعلن ان الحكومه تدرس التشريعات الخاصة بأصحاب الدخول المتهربة من الضرائب ، وتشكيل المجالس الشعبية بالانتخاب ، وانضمام الحرفيين للجمعيات التعاونية الانتاجية .

●

■ **الوطن العربى :**

نقاط برنامج لعمل عربى موحد

توقف ضخ البترول فى أربع دول عربية فى ١٥

تعليق

فى خدمة المخططات الأمريكية – الاسرائيلية

نشرت مجلة « نيوزويك » الامريكية فى منتصف شهر ابريل حديثا لشاه ايران ، يعلن فيه الشاه : « انه مسئول عن حماية وحراسة منطقة الخليج العربى التى يوجد بها ٦٠ فى المائة من الاحتياطى العالمى للبترول ، وانه اعتمد ٣٠٠٠ مليون دولار لشراء الاسلحة ، وان هذا سيكون له تاثير رادع على جميع الدول المجاورة لايران » ·

واضاف : « ان أوربا الغربية والولايات المتحدة واليابان ، تعتبر الخليج بمثابة جزء لا يتجزأ من امنهم ، دون ان تتوفر لديهم امكانية ضمان هذا الامن ، وهذا ما تفعله ايران من أجلهم » ·

ثم ذكرت الانباء ايضا : « ان هناك مئات من الضباط الايرانيين يتدربون فى اسرائيل على أعمال التجسس ، وان هؤلاء الضباط يشكلون جزءا من شبكة تشترك فيها الولايات المتحدة وايران واسرائيل لتبادل المعلومات بين اجهزة مخابرات الدول الثلاث حول تطورات أزمة الشرق الاوسط » ·

وفى الواقع فان تصريح شاه ايران ، لم يكن مفاجأة بالنسبة للمراقبين السياسيين ، فمن الملاحظ ان مواقف ايران العملية خلال العامين الماضيين ، قد تميزت بطابع عدوانى صريح على البلدان العربية فى الخليج · وتكشف عن اطماع ايران التوسعية فى الخليج العربى · ولا أدل على ذلك من تخصيص آلاف الملايين من الدولارات لشراء الاسلحة الامريكية والبريطانية ومعارضة تاميم البترول العربى ، والشكوى من عدم استقرار الاوضاع فى الخليج ، وتزايد نشاط الثوار فى المنطقة ، وملء الفراغ فى الخليج .

ومن المعروف انه عقب تاميم شركة بترول العراق الاستعمارية فى أوائل عام ١٩٧٢ ، قام الرئيس الامريكى نيكسون بزيارة لايران فى ٣٠ مايو لاجراء مباحثات مع شاه ايران · واعلن نيكسون بعدها : « ان امريكا تقدر دور ايران فى ملء الفراغ ، واستقرار الوضع والامن فى المنطقة ، وفى ٢ يوليو زار « وليام روجرز » وزير الخارجية الامريكية المنطقة للمرة الثانية فى نفس العام ، واعلن بوضوح : « ان الولايات المتحدة تبدى اهتماما بامن واستقرار الخليج وعمان ، ومنع العناصر المخربة من النفاذ اليها » ودعا العرب الى المفاوضات المباشرة مع اسرائيل » ·

وفى ٨ اغسطس صرح جوزيف سيسكو مساعد وكيل وزارة الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاوسط فى الكونجرس : « ان الولايات المتحدة ، لديها مصالح استراتيجية واقتصادية كبرى ، مرتبطة باستخراج البترول فى منطقة الخليج ، وان الاتحادات الصناعية الامريكية وظفت رؤوس اموال ضخمة فى استثمار البترول بمنطقة الخليج ، وان الولايات المتحدة مصممة على مساعدة بلاد المنطقة فى الدفاع عن نفسها ضد ـ ما اسماه ـ بالتدخل الخارجى » ·

ان الاحداث التى وقعت فى المنطقة خلال السنتين الماضيين تجيب على التساؤلات القديمة بشأن تسليح امريكا لايران ، برا وجوا وبحرا ، لملء « الفراغ المزعوم » بعد انسحاب بريطانيا الجزئى من داخل الخليج · وتركزها فى سلطنة عمان ومسقط ، حتى تلعب ايران نفس الدور الذى تقوم به اسرائيل فى الشرق الاوسط · هذا الدور الذى تمثل فى :

- **احتلال ايران للجزر العربية الثلاث فى مدخل الخليج العربى فى أواخر عام ١٩٧١ ·**
- **اقامة قاعدة عسكرية جوية وبحرية ايرانية وأمريكية مشتركة فى جزيرة « أبو موسى » المحتلة ، وذلك بالرغم من صيحات الاحتجاج العربية ·**
- **اشتراك قوات ايرانية فى القتال ضد ثوار ظفار الوطنيين ، الى جانب القوات البريطانية والقوات الاردنية التى اعترف الملك حسين بارسالها لمقاتلة ثوار ظفار ·**

مايو الماضى ، تنفيذا لتوصية الاتحادات المهنية العربية ، التى طالبت بوقف ضخ البترول فى البلدان العربيه المنتجة للبترول لمدة ساعة واحدة ، وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاغتصاب فلسطين وانشاء اسرائيل ، واستنكارا لموقف الولايات المتحدة فى مساندة اسرائيل .

وقد توقف ضخ البترول فى ليبيا لمدة ٢٤ ساعة ، وتوقف فى كل من الكويت والعراق والجزائر مدة ساعة واحدة ، وذلك باستثناء المملكة السعودية وأبو ظبى ، اللتين لم تعلنا انهما ستوقفان ضخ البترول .

وكان قد عقد فى مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة فى الفترة من ٢ ـ ٦ مايو ، مؤتمر الاتحادات المهنية العربية ، لتعبئة الشعب العربى للمواجهة الشاملة . وقد اشترك فى هذا المؤتمر ١٣ اتحادا مهنيا ، يمثلون الاتحادات المهنية العربية للمعلمين والصحفيين والمهندسين والزراعيين والاطباء والمحامين والاقتصاديين والصيادلة والتجاريين والجيولوجيين واطباء الاسنان والاطباء البيطريين .

وقد ناقش المؤتمر الموضوعات التالية : أبحاث وتقارير الجامعة العربية عن المصالح الامريكية فى الوطن العربى ، وتعبئة الشعب العربى للمعركة ، ودور العرب المغتربين فى الدعوة للقضية العربية ، والموارد العربية التى يمكن توجيهها للمعركة .

وقد افتتح المؤتمر د . **محمد حافظ غانم** الامين الاول لجنة المركزية الذى تلا رسالة **الرئيس أنور السادات** الى المؤتمر ، وجاء فيها : « لقد وضحت أطماع اسرائيل ونوايا الولايات المتحدة الامريكية فالعدو لا يتربص بشعب عربى بمفرده ، بل هو يتربص بالامة العربية كلها . وبالمستقبل العربى كله . وان أمتنا قادرة بما لديها من طاقات ضخمة ومتنوعة على مواجهة التحديات ومجابهة

- هذا فضلا عن تصاعد المؤامرات الاستعمارية الرجعيةفى المنطقة ضد العراق واليمن الديمقراطية .
- الوقيعة بين دولتى اليمن واقتتال الشعبين الشقيقين ،والمحاولات المستمرة لتخريب اتفاق الوحدة الذى تم التوصل اليه مؤخرا بين البلدين .

ولقد كانت ايران خلال شهر ابريل الماضى مسرحا لنشاطامريكى لا تخفى دلالته على المراقبين ، وذلك فى اطار الترتيبات الامريكية الحالية لتصعيد العدوان ضد حركة التحرر العربية وهى :

١ ـ تسلم ريتشارد هيلمز رئيس المخابرات الامريكية مهامهالرسمية كسفير للولايات المتحدة فى ايران فى الخامس من ابريل . ولقد ارتبط هيلمز فى الاذهان بانه العقل المدبر لكافةالمؤامرات والانقلابات الموجهة ضد النظم الوطنية ، وللمجازر التى تعرضت لها الشعوب فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينيةفى السنوات الماضية . وان احد الاثار الجديدة التى خلفها هيلمز وراءه ، بعد زيارته لاسرائيل فى شهر يوليو عام ١٩٧٢ ،واجتماعه بجولدا مائير وموشى ديان وابا ايبان ، هو مرابطة طائرات التجسس « يو ـ ٢ » التى تطير من مطارات سيناء المحتلة ، ويقودها طيارون أمريكيون تابعون للمخابرات الامريكية

٢ ـ انعقاد مؤتمر السفراء الامريكيين المشبوه فى العاصمةالايرانية فى ٢٤ ابريل ، تحت حراسة مشددة من قوات الامن الايرانية والامريكية ، واشترك فى الاجتماع كنيث روش وكيلوزارة الخارجية الامريكية وجوزيف سيسكو مساعد وكيل وزارة الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاوسط ، وجيمس كيو مديروكالة المخابرات الامريكية .

وقد ذكرت صحيفتا « كيهان » و « اطلاعات » الايرانيتان ،انه من بين الموضوعات التى بحثها المؤتمر الوضع فى منطقة الخليج ، والنفط العربى ، والحرب بين العرب واسرائيل ،ونشاط المقاومة الفلسطينية .

٣ ـ وصول كل منالقائد العام لقوات حلفالاطلنطى والقائدالاعلى للقوات الامريكية فى اوربا الى ايران فى ٢٥ ابريل ، ضمن جولة لتفقد القواعد العسكرية الامريكية فى ايرانوالظهران والبحرين .

ماذا يعنى كل ذلك ؟

انه يعنى ولا شك الاهمية الكبرى التى توليها الولاياتالمتحدة للانظمة الرجعية فى المنطقة لتنفيذ مخططات تستهدف الحفاظ على مصالحها البترولية ، ومواصلة الحرب ضد حركاتالتحرير الوطنية ، وتصفية النظم الوطنية المتحررة فى المنطقة العربية .

ومن هنا ، ياتى تصريح شاه ايران ، بما يتضمنه من تهديدواضح للدول العربية فى الخليج ، ومقاومة الحركات التحررية الوطنية فى المنطقة ، وذلك لتامين المصالح الاستعمارية ،وضمان وصول البترول الايرانى الى اسرائيل عبر خط انابيب ايلات ـ اسدود عن طريق البحر الاحمر . هذا بالاضافة الىما ذكرته الانباء عن اشتراك اجهزة المخابرات الايرانية والامريكية والاسرائيلية فى تبادل المعلومات ، هول تطوراتازمة الشرق الاوسط .. نقول : ياتى هذا كله ليكشف ، من جديد ، عن انحياز ايران الحقيقى الى جانب الولايات المتحدةواسرائيل اعداء الشعوب العربية ، ويسقط كل ما تدعيه ايران من حرصها على العلاقات الطيبة مع الشعوب العربية . وانهذا الموقف انما يعد مؤشرا خطيرا على اتجاه الاحداث فى المستقبل ، وعلى الدور الذى يمكن ان تلعبه ايران فى خدمةالمخططات الامريكية ـ الاسرائيلية ضد مصالح وامانى الشعوب العربية فى الحرية والامن والسلام .

وديع أمين

الاخطار .. وهى تؤمن بأن ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة . وهى مطالبة اليوم بأن تحشد طاقاتها البشرية والمادية ، لكى تحرر أرضها وتحمى حقوقها وتدافع عن مصيرها .. وأن امتنا لا تتردد فى ضرب مصالح من يعتدون عليها بكل ما تملك من قوة ومن ايمان .

وحدد **مصطفى البرادعى** نقيب المحامين المصريين ورئيس المؤتمر فى كلمته قدرات وامكانيات الشعب العربى الهائلة ، التى لابد أن تتجمع كلها لمواجهة العدو وهى كما يلى :

١ ـ رصيد البلاد العربية من الاموال فى أسواق النقد يتراوح بين ١٢ الفا و ١٥ الف مليون دولار ، وسيصل فى عام ١٩٧٥ الى ٢٠ الف مليون دولار .

٢ ـ الاموال العربية المستثمرة فى البنوك والشركات الامريكية تزيد على ٢٠٠٠ مليون دولار .

ـ الشركات الامريكية تملك حوالى ٦٠ فى المائة من موارد البترول وتسترد قيمة استثماراتها مرة كل عام .

٤ ـ صافى أرباح شركات البترول الامريكية بعد كل المصاريف ٢٩٧٠ مليون دولار سنويا .

٥ ـ تصدر أمريكا الى البلاد العربية سلعا مصنعة قيمتها بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ مليون دولار سنويا .

وانتهى المؤتمر الى اصدار عدة قرارات وتوصيات من أهمها :

ـ استخدام البترول كسلاح فعال فى المعركة مع الصهيونية والامبريالية ، واسهام عائدات النفط فى بناء جيش عربى قادر على تحرير فلسطين والاراضى المحتلة . وأن تسهم الدول العربية التى لها عائدات مناسبة من النفط فى ميزانيات دول المواجهة العسكرية كحد أدنى من واجباتها القومية للمعركة . وتصفية القواعد العسكرية الامريكية والبريطانية الموجودة بالبلاد العربية . ووضع الجامعات والمراكز الثقافية ودور النشر الامريكية تحت السيطرة العربية . وتشديد الرقابة على الافلام الامريكية ، ودعوة الشعب العربى الى مقاطعة السلع والخدمات الامريكية . وسحب الاموال العربية من البنوك الاجنبية فى العالم ، واستخدامها فى مشروعات التنمية الزراعية والصناعية ، ومقاطعة المصالح الامريكية والامبريالية **ووقف ضخ النفط يوم ١٥ مايو لمدة ساعة واحدة** . وحق ثورة فلسطين بالتواجد فوق الاراضى العربية وعلى امتداد جميع جبهاتها .

وتمكين الجماهير العربية من الانضمام الى حركة المقاومة الفلسطينية ، ودعوة الدول العربية الى توحيد جهدها العسكرى تحت قيادة واحدة .

وقرر المؤتمر تشكيل لجنة تحضيرية تضم ممثلين عن الاتحادات والنقابات المهنية العربية ، تتولى الاعداد لمؤتمر شعبى عربى عام . وقد تقرر ان ينعقد هذا المؤتمر فى القاهرة فى ١٤ يوليو القادم ، ومن المتوقع أن يحضره نحو خمسة آلاف شخص من جميع البلدان العربية ، لبحث دور الشعب العربى فى المعركة

● ● ●



■ **المانيا الغربية :**

محادثات الجيل الذى عرف حقيقة الحرب

حظيت زيارة **ليونيد بريجنيف لبون** فى الفترة من ١٨ ـ ٢٢ مايو الماضى ومحادثاته التى اجراها مع **فيلى برانت** مستشار المانيا الغربية بالاهتمام البالغ بين الدوائر الحكومية وأوساط الرأى العام فى المانيا الغربية ، واوربا ، بل والعالم اجمع . واشار كثير من المعلقين السياسيين الى أهمية تلك الزيارة ، وأثرها على مستقبل تطور العلاقات بين دول أوروبا وعلى تعميق التحولات التى شهدتها القارة فى الفترة الاخيرة . وعلقت صحيفة **نيويورك ديلى نيوز** على الزيارة فقالت : « ان زيارة بريجنيف لالمانيا الغربية تعتبر حدثا ذو أهمية تاريخية واستمرارا منطقيا للحوار السوفيتى الالمانى الغربى الذى بدأ فى موسكو عام ١٩٧٠ ، واستمر فى اريناندا عام ١٩٧١ . واشارت الديلى ميل الى « **أن هذه الزيارة تعتبر بمثابة تاكيد بأن الحرب العالمية الثانية قد انتهت اخيرا . فلا جدال فى أن مرحلة كاملة قد طويت صفحتها . وأن تراث** تلك الصراعات يضغط بشكل خاص على العلاقات بين جمهورية المانيا الاتحادية والاتحاد السوفيتى ، لان الاتحاد السوفييتى كان عليه أن يمتص الضربات الرئيسية والنتائج الخطيرة للحروب الساخنة ، والتى كانت وسط اوربا هى التى فجرتها » .

وقد أكد **ليونيد بريجنيف** فى خطابه فى اليوم الاول للزيارة أن « من الواضح ان هناك منطق معين يكمن فى حقيقة أن العمل لتجديد العلاقات بين بلدينا يجد مساندة كاملة من ممثلى الجيل الذى عرف مدى رعب الحرب الماضية ، ولا شك ،

فى أن تلك مهمة عظيمة يمكن أن تحل فقط عن طريق جهود دول عديدة والتفاهم المتبادل بين جيران وأصدقاء كل من الاتحاد السوفييتى وجمهورية المانيا الاتحادية » ٠

وكان فيلى برانت قد أشار الى أنه حتى قبل أن تصبح المعاهدة التى وقعت بين الاتحاد السوفييتى وجمهورية المانيا الاتحادية فى ١٢ أغسطس عام ١٩٧٠ ، نافذة المفعول ، رأينا أنها أدت بالفعل الى تحرير القوى البناءة فى العلاقات بين الشرق والغرب ٠

ويرى المعلقون أن التحول الذى يجرى فى أوروبا له أهميته العظيمة بالنسبة لبقية العالم ٠ ذلك أن دروس العالم الماضية لا يمكن تجاهلها فى أى مكان على الارض ٠ وهذه الدروس تعلم كل انسان ان رفض ادراك الواقع السياسى يؤدى بالضرورة الى افلاس من يرفض هذا الواقع ٠

وقد ترتب على محادثات بريجنيف ـ برانت ثلاث اتفاقيات هامة بين البلدين : الاتفاقية الخاصة بتطوير التعاون الاقتصادى والصناعى والتكنيكى ، والاتفاقية الخاصة بالتعاون الثقافى ، والبروتوكول التكميلى لاتفاقية المواصلات الجوية ٠وقد صرح عدد من رجال الاعمال الذى اجتمع بهم بريجنيف فى بون بأن « بريجنيف ليس رجلا يجيد الكلام فحسب ، ولكنه رجل عمل كذلك ٠ وقد حضر الاجتماع مديرو أكبر شركات فى المانيا الغربية مانسمان ، وتيسن ، وسيمنز ديملر ـ بنز ، روهر ـ جازو سالجتير وكورف وغيرهم ٠ وردا على سؤال حول أقوى انطباع لهم عن مباحثاتهم مع بريجنيف ، أجاب رجال الاعمال الالمان : لقد أدهشتهم سعة أفق بريجنيف ٠ ولقد وافقوا على تقديراته بأنه خلال سنوات الحرب الباردة الطويلة ضاع وقت طويل ، ولابد من تعويض هذا الوقت الضائع ٠ وقد تناولت محادثات رجال الاعمال مع بريجنيف الجوانب المختلفة لعلاقات التعاون المفيدة بين البلدين ٠

وكان لاقتراح بريجنيف بأن يتطلع الطرفان الى عشر سنوات الى الامام ، دليلا ملموسا على اهتمام الاتحاد السوفيتى باستقرار السلام القائم على الثقة المتبادلة والتعاون ٠ ويعرف الجميع المعاهدة التى تم توقيعها بالفعل حول تقديم الاتحاد السوفييتى للغاز الطبيعى الى جمهورية المانيا الفيدرالية مقابل الانابيب ذات القطر الكبير ٠ وسيقدم الاتحاد السوفييتى وفقا لهذه المعاهدة ١٢٠٠٠٠ مليون متر مكعب من الغاز خلال ٢٠ سنة ٠ وقال بريجينيف أن الاتحاد السوفيتى كان على استعداد لمضاعفة كمية الغاز واطالة أمد الاتفاق الى ٥٠ عاما ٠

وقال أحد كبار رجال الاعمال معلقا على ذلك « أن من يقول ذلك انما يفكر فى السلام للاجيال المقبلة » ٠

وخلال المحادثات نوقشت فكرة اقامة شبكة موحدة للطاقة يمكن أن تكون مفيدة لعديد من البلدان ٠

ويشير كثير من المعلقين الى ان الاتفاق الخاص بتطوير التعاون الاقتصادى والصناعى والتكنيكى يستهدف مرحلة جديدة تماما فى العلاقات بين الدولتين ٠ وينوى كلا الجانبين الانتقال من قاعدة البيع والشراء التقليدى الى قاعدة المشاركة والتعاون الاقتصادى الشامل ٠

ان اقامة المجمعات الصناعية التى تتفق والمصالح الاقتصادية المتبادلة تستهدف بالاضافة الى التعاون فى انتاج بعض انواع الاجهزة تبادل المعلومات التكنيكية والتعاون فى تطوير التكنولوجيا الجديدة ٠ وتشترك شركتا سالزجيتروكورف فى بناء مصنع للحديد والصلب لا يعمل بطريقة الفرن العالى بالقرب من كورسك ٠ كما تقدم شركتا ليبروهوللر الالات والمعدات لمصانع السيارات فى نابريجينى شيلنى ٠ وينص الاتفاق على توسيع التعاون خلال السنوات العشر القادمة ٠

وقد استقبلت دوائر بون بالترحاب توقيع البروتوكول التكميلى لاتفاقية المواصلات الجوية التى سبق أن وقعت بين البلدين فى ١١ نوفبر ١٩٧١ ، وعبرت عن ارتياحها من ان طائرات لوفتهانزا أصبح امامها الان امكانية الطيران الى اليابان عبر الاراضى السوفيتية ٠ ولن يستفيد البلدان فقط من هذا الاتفاق لكنه سيكون مفيدا كذلك لليابان والبلدان الاوروبية وبلدان آسيا واستراليا ٠

أما الاتفاقية الثالثة الخاصة بالتعاون الثقافى بين البلدين فأنها تنص على تطوير التبادل فى المجالات الثقافية والعلمية وفى مجال التعليم وتشجيع التبادل العلمى بين معاهد الابحاث والزيارات المتبادلة للمثقفين من مختلف التخصصات ٠ وفى احدى موادها نصت الاتفاقية الثقافية على ضرورة تعديل كتب التاريخ والجغرافيا والثقافة فى المدارس بما يساعد على تطوير التفاهم المتبادل ٠

وقد أشار البيان المشترك الذى صدر عقب الزيارة الى ان المعاهدة التى وقعت بين البلدين فى اغسطس ١٩٧١ علامة طريق تاريخية فى العلاقات بين البلدين وفى تطور الاوضاع فى اوروبا ٠

كما أشار البيان الى تصميم الطرفين على المساعدة فى نجاح المؤتمر الاوروبى الشامل بهدف خلق اساس ثابت للسلام والامن والتعاون فى اوربا ٠

■ **اوربا ـ امريكا :**

•• مصـــيدة أمريكية لاوربا

قررت الولايات المتحدة ان تجعل عام ١٩٧٣ « عام اوروبا » •• هكذا اعلنت على لسان هنرى كيسنجر مستشار الرئيس الامريكى نيكسون لشئون الامن القومى فى خطاب مطول تناول جوانب عديدة من السياسة الخارجية الامريكية ولكن التركيز الاساسى فيه كان على العلاقات بين امريكا وأروبا •

وقد قدم كيسنجر مبررات أمريكا لجعل عام ١٩٧٣ « **عام أوروبا** » فى صورة « **وقائع جديدة** » تتطلب تناولا جديدا بعد أن انتهت فترة صنعتها قرارات جيل مضى وانتهى عهده• والوقـائع الجديدة كما عرضها مستشار نيكسون هى :

● اصبح **احياء أوروبا الغربية** حقيقة قائمة تماما مثل حقيقة نجاح حركتها نحو تحقيق وحدتها الاقتصادية(وهو يقصد هنا قيام السوق الاوروبية المشتركة الموسعة ذات الدول الاعضاء التسعة) •

● تحول الميزان الاستراتيجى العسكرى بين الشرق والغرب من التفوق الامريكى الى حالة قريبة من التكافؤ مما أدى الى خلق ضرورة قيام **فهم جديد لمتطلبات الامن المشترك** •

● زادت أهمية مناطق أخرى فى العالم • فقد ظهرت اليابان كمركز قوة رئيسى • وفى مجالات عديدة اصبح من الضرورى لحيوية « الحلـــول الاطلنطية » أن تنضم اليها اليابان •

● أصبحنا (المقصـــود أمريكا ودول اوروبا الغربية) فى فترة انخفاض فى التوترات • ولكن فى الوقت الذى تتلاشى فيه انقسامات العقدين الماضيين تظهر تأكيدات جديدة على **القـومية والمنافسة بين القوميات** •

● نشأت مشكلات لم تكن تخطر لجيل مضى ، تتطلب نوعا جديدا من التعاون • ومن أمثلة هذه المشكلات **تأمين امدادات الطاقة للدول الصناعية** •

وقد تضمن خطاب **كيسنجر** هذا اقتراحا محددا وجهته الولايات المتحدة الى شركائها بأن يكون قد تم ـ فى الوقت الذى يقوم فيه نيكسون بجولة فى اوروبا الغربية فى آخر العـــام الحـــالى ـ وضع « **ميثاق أطلنطى جديد** » •

وحدد كيسنجر لهذا الميثاق الاطلنطى الجديد ثلاثة ملامح رئيسية :

١ ـ أن يبنى على أساس الماضى دون أن يصبح أسيرا له •

٢ ـ أن يتناول المشاكل التى خلقها نجـاح التحالف الغربى •

٣ ـ ان يخلق لدول الاطلنطى علاقة جديدة يمكن لليابان المشاركة فيها •

ولم يخل خطاب **كيسنجر** من انتقادات علـى درجة غير بسيطة من الحدة ضد شركاء أمريكا فى حلف الاطلنطى • ومن نماذج هذه الانتقادات ـ

تعليق

منظمـــة الوحـــدة الأفريقيـــة
بـين « الممـكن » و « المطـلوب »

احتفلت منظمة الوحدة الافريقية فى ٢٥ مايو الماضى ، بذكرى مرور ١٠ سنوات على تاسيسها .

والواقع ان قيام منظمة الوحدة الافريقية ، كان كســبا كبيرا للحركة العامة المعادية للاستعمار فى القـارة ، وهى فى نفس الوقت تعبير عن طموح دول القارة الى التنســيق بين مواقفها العامة والتعاون فيما بينها من اجل تطورها الثقافى والاقتصادى . وكان قيام المنظمة واتخاذ اديس ابابا مقرا لها ، تعبيرا فى الوقت نفسه عن واقع موضوعى للخريطة السياسية لدول القارة ، واختيارا عمليا لتوازنات الكيانات السياسية الافريقية السابقة على قيامها .

واذا كانت الدعوة الى ضرورة الحفاظ على المنظمة ووحدتها ـ واستمرارها ، دعوة لها اهميتها الخاصة فى الظروف التى تواجهها دول القارة اليوم ، فان ذلك لا يعنى التسليم بنجاح المنظمة فى انجاز ما يمكنها انجازه ، فضلا عما ينبغى انجازه ، بقدر ما تعنى هذه الدعوة الوعى بالظروف الموضوعية القائمة وادراك « الممكن » .

ولعل ابرز نجاحات منظمة الوحدة ، هى ما يمكن تسميته « بتجميد » أو « تهدئة » مشاكل الحدود المعقدة والمتفجرة بين عديد من دول القارة ، وفى حدود « الممكن » ، فان « التجميد » أو « التهدئة » بالنسبة لمشاكل الحدود فى افريقيا يعد مكسبا كبيرا لدولها وشعوبها . ومن المجالات الاخرى التى نجحت فيها المنظمة ، مجال توحيد جهود معظم منظمات حركات الـكفاح المسلح وتحقيق وحدتها التنظيمية . هذا فضلا عن مساهمات الدعم المادى والسياسى لهذه المنظمات من خلال « لجنـــة التحرير » .

واذا كانت منظمة الوحدة قد نجحت فى افشال الدعوة الى اجراء « حوار » مع النظم العنصرية ، فانه ينبغى علينا أن نسلم انها لم تحقق فى مجال العمل من اجل تصفية هـذه النظم ، النجاح الممكن وفى حدود طاقاتها وامكانياتهـــا . ولسوف تظل هذه المهمة ، من اكثر مهام المنظمة حيوية والحاحا فان خطر هذه النظم ـ كما أثبتت التجربة ـ خطر حال وماثل لاعلى الدول المستقلة المجاورة لها فحسب ، بل على كل دول القـــارة .

التى تكشف رغبة الولايات المتحدة فى تحميل أوروبا أعباء مشاكل أمريكا الحالية ـ قوله « أن **الاوروبيين يطلبون من الولايات المتحدة أن تقبل استقلالهم وانتقادهم القاسى فى بعض الاحيان لنا باسم الوحدة الاطلنطية . بينما هم يطلبون فى الوقت نفسه أن يكون لهم حق الفيتو (الاعتراض) على سياستنا المستقلة ـ وذلك ايضا باسم الوحدة الاطلنطية** » .

والحقيقة أن خطاب كيسنجر فى جملته قد أعطى الانطباع بأن علاقات الولايات المتحدة بحلفائها الاوروبيين تمر بمرحلة عدم استقرار بالغة الخطورة ربما لم تمر بمثلها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . فأوروبا الغربية تشعر بأن الولايات المتحدة تريد فى المرحلة الجديدة أن تلقى عليها أعباء أكبر فى الاستراتيجية العسكرية للعالم الغربى التى ترسمها وتوجهها الولايات المتحدة نفسها . ويجىء هذا فى **وقت تتساقط فيه أمام أعين الاوروبيين الغربيين كل المزاعم التى بنت عليها أمريكا استراتيجيتها العسكرية ، بما فيها اقامة حلف الاطلنطى نفسه ـ وهى مزاعم « الخطر الشيوعى » و « التهديد السوفيتى » و « العدوان القادم من الشرق »** .

وقد تذكر المراقبون السياسيون فى أوروبا الغربية فور سماعهم خطاب كيسنجر ما قاله نيكسون نفسه فى خطاب تنصيبه لفترة الرئاسة الثانية فى يناير الماضى « **لقد مضى الوقت الذى كانت فيه أمريكا تجعل من صراعات كل أمة أخرى صراعات خاصة بها ، أو تجعل مستقبل كل أمة أخرى مسئوليتها هى** » .

وقد فطنت دول أوروبا الغربية ـ رغم تفاوت درجات استقلاليتها عن سياسة الولايات المتحدة أو تبعيتها لها ـ الا ان واشنطن تتجه الان فيما تسميه بمرحلة ما بعد فيتنام الى **محاولة العثور على حلول اوروبية لمشكلتها الكبرى المزمنة وهى مشكلة العجز الضخم فى ميزان مدفوعاتها وما تجره هذه المشكلة وراءها من ذيول لا تقل خطورة عنها مثل انهيار مركز الدولار الامريكى عالميا** .

ولهذا نجد أن دولة قريبة للغاية من دور التابع الامين للاستراتيجية الامريكية ـ **وهى بريطانيا** ـ تتلقى الاقتراح الامريكى بوضع « ميثاق اطلنطى جديد » بفتور يرقى الى مرتبة المعارضة . **فقد أعلن اليك دوجلاس هيوم وزير الخارجية البريطانى « ان على أوروبا الا تتسرع بالموافقة على ميثاق أطلنطى جديد** . **وقال أن بريطانيا تضع دورها فى أوروبا فى المحل الاول من اهتماماتها** ، وأنها بالفعل تفضل أن تترك لدول السوق الاوروبية المشتركة التسعة فسحة أكبر من الوقت لتجد طريقها نحو مواقع مشتركة بقدر أكبر من التدبر .

واذا استطلعنا **موقف فرنسا** من الاقتراح الامريكى وجدناها أكثر صراحة فى معارضته . فقد أعلنت المصادر الفرنسية المطلعة أن الرئيس الفرنسى جورج بومبيدو يعارض أصلا فكرة عقد مؤتمر قمة أطلنطى أثناء جولة نيكسون القادمة فى أوروبا الغربية . وقالت هذه المصادر أن فكرة هذا

على أن أبرز مالم يتحقق حتى الان على ايدى المنظمة ، هو خلق « القنوات » فيما بين شعوب القارة ، تاكيدا لوحدة قضاياها وآمالها . وهى بلا شك مهمة ، تفتح أمام حركة التحرير الوطنى الافريقية آفاقا رحبة لتطورها من جهة وحماية مسيرتها من جهة أخرى .

على أنه ينبغى التسليم بأن هذه مهمة ، تفوق طاقة المنظمة وفقا لطبيعة كيانها وعضويتها .

من هنا نقول ، اذا كانت المحافظة على بقاء المنظمة ودورها ، مهمة ضرورية تبرز فى مواجهة اية دعاوى انقسامية تؤدى الى العودة الى واقع ما قبل قيام المنظمة منذ ١٠ سنوات ، الا ان ذلك لا يلغى ضرورة الاعتراف بأهمية قيام « تجمع شعبى » يخلق التوازن الضرورى بين وجود المنظمة وحدود فعاليتها وبين « حالة المبادرة » التى ينبغى لحركة التحرر الوطنى الافريقية أن تتسلم زمامها .

والمقصود « بالتجمع الشعبى » لحركة التحرر الوطنى الافريقية ، قواها الطليعية والضاربة . واقصد هنا وحدة عمل منظماتها واحزابها السياسية والجماهيرية الوطنية والثورية من خلال « تجمع » لها .

تلك ـ فى رأيى ـ مهمة المنظمات والاحزاب السياسية فى مصر وغينيا والصومال والجزائر والكونجو برازافيل وتنزانيا ... الخ من دول القارة التقدمية ، بالاضافة الى احزاب حركات الكفاح المسلح فى غينيا « بيساو » وأنجولا وموزمبيق .. الخ .

وهذا « التجمع » ، يعد بمثابة دائرة اخرى لحركة قوى التحرر الوطنى تمارس من خلاله مالم تستطع أن تمارسه من خلال المنظمة . وليس فى هذا « تفتيتا » لحركة التضامن الاسيوى الافريقى او حتى حركة تضامن القارات الثلاث . بل هو « دعم » لها جميعا ، لانه تسليم بوجود « الخاص » الى جانب وجود « العام » وفى خدمته . ■

حسين شعلان

المؤتمر تتعارض مع موقف فرنسا التقليدى الذى لا يستسيغ المؤتمرات الضخمة ذات الطابع الكتلى »

ولم تخف المصادر الفرنسية معارضة بومبيدو لاية محاولة « لتقنين » العلاقات بين السوق الاوروبية المشتركة والولايات المتحدة ، اى محاولة لوضع هذه العلاقات فى اطار مؤسسات محددة ·

وأعلنت فرنسا رسميا ـ ومعها المانيا الغربية ـ أمام مؤتمر وزراء خارجية دول السوق الاوروبية المشتركة فى بروكسل منذ أيام معارضتها ايجاد أى رابطه بين المسائل التجارية والمسائل الدفاعية ـ عند الدخول فى مفاوضات بين السوق وأمريكا حول اقتراح الميثاق الاطلنطى الجديد · فقد أدركت فرنسا ومعظم دول اوروبا الغربية أن الولايات المتحدة ترمى الى الضغط عليها للحصول على امتيازات تجارية مقابل الاستمرار فى أداء « دور أمريكا الدفاعى عن اوروبا »

وجاء موقف البرلمانيين الاوروبيين أكثر معارضة للاقتراح الامريكى ، فقد أعلنوا فى ختام مؤتمر البرلمان الاوروبى ـ الذى اشترك فيه وفد كبير من الكونجرس الامريكى ـ أن وضع ميثاق أطلنطى جديد أمر لا ضرورة له · وان كانوا قد أعلنوا ـ فى الوقت نفسه ـ أن العلاقات بين الولايات المتحدة واوروبا الغربية فى حالة « ذوبان » وتحتاج الى مراقبة عن كثب ·

والسؤال الذى يطرحه رد فعل أوروبا الغربية ازاء اقتراح أمريكا الجديد هو هل تقف الامور بالتحالف الغربى عند حد الفتور والخلاف ·· أم أن قوانين المنافسة العادية بين أقسام العالم الرأسمالى ورغم التحالفات السياسية والعسكرية ـ ستدفع بالموقف بين أمريكا واوروبا الغربية واليابان الى مرحلة صدام ؟

على الاقل أن مجالات التنافس الخطيرة قد تعددت بين اوربا والولايات المتحدة فى الفترة الاخيرة · ويكفى ان نذكر منها حرب النقدين الدولار الامريكى وعملات أوروبا الغربية واليابان . أو المنافسة على مصادر البترول وسط دوامات أزمة الطاقة التى تنذر باخطار رهيبة ·

●

■ اليابان :

ضـــــد الاحتكـارات والـــوجـود الامـــريكى

شهد ربيع ١٩٧٣ ، تقدما كبيرا فى مجال النضالات التى قامت بها الطبقة العاملة اليابانية وتركزت مطالب عمال اليابان حول :

ـ تحقيق ارتفاع فى الاجور ، بما لا يقل عن عشرين الف ين فى الشهر ، وأن يصبح متوسط الاجر الشهرى ٤٠ الف ين .

ـ تحسين ظروف العمل ، واجراءات الامن الهندسية ، والحد من اجراءات الترشيد الراسمالى للانتاج وتكثيف العمل .

ـ تحسين جذرى لنظام المعاشات والضمان الاجتماعى وحماية الصحة العامة . ووقف الاستمرار فى رفع أسعار السلع الاستهلاكية .

ـ حق الاضراب لعمال وموظفى الدولة والمشروعات والمؤسسات العامة .

ـ الغاء معاهدة الامن الامريكية اليابانية وتصفية القواعد الامريكية من على الاراضى اليابانية . ورفض عودة العسكرية اليابانية .

وقد دخل عمال اليابان الكفاح من أجل هذه المطالب بقيادة لجنة نضال الربيع المشتركة والتى تضم المجلس العام للنقابات اليابانية [السوهيو] وعضويته ٣ر٤ مليون من عمال الصناعة والمكاتب، ومجلس النقابات المحايدة [شيرتسورورين] وعضويته ٤ر١ مليون ، وعدد آخر من النقابات المستقلة ، وتبلغ مجموع النقابات المنضمة الى هذه اللجنة ١٧٣ نقابة عضويتها ٢ر٨ مليون أى حوالى ٧٠٪ من القوى العاملة اليابانية المنظمة.

ويرى المراقبون أن الاقتصاد اليابانى قد تطور خلال السنوات القليلة الماضية تطورا هائلا على حساب ازدياد عملية تكثيف العمل ومن ثم ازدياد حدة الاستغلال ، ورغم الزيادات التى حصل عليها العمال اليابانيون فى أجورهم نتيجة نضالهم ـ فان هذه الزيادات ليس فى قدرتها اللحاق بالزيادة السريعة فى اسعار السلع ، فقد ارتفعت أسعار سلع الاستهلاك بنسبة ٥ر٦٪ ، وتؤكد التحقيقات التى أجراها اتحاد سيكاتوكيودو واتحاد شيتيسورورين واتحاد الاجراء واللجنة النسائية التابعة للسوهيو أن ارتفاع الاسعار يتراوح بين ١١ و ١٦٪ .

ونظام الضمان الاجتماعى اليابانى هو أكثر النظم تخلفا فى البلدان الرأسمالية المتطورة . ويعيش المرضى وكبار السن فى ظروف قاسية ، ومعظم الشعب اليابانى العامل يشكو من سوء المسكن .

وفى ظل ظروف الازمة النقدية العالمية التى

يعاني منها النظام الرأسمالي ، فان اليابان قد خفضت الين لثاني مرة خلال اربعة عشر شهرا . ومن ثم فان الحكومة والاحتكارات تحاول ان تلقى بكل عبء الازمة على عاتق الشعب . واكثر اقسام الشعب العامل تأثرا بعواقب الازمة عمال المشروعات الصغيرة والمتوسطة والتى تشكل اكثر من نصف مصدري اليابان ».

وقد بلغت ميزانية الحكومة لعام ١٩٧٣ رقما خرافيا هو ١٨٢٨٤ الف مليون ين بزيادة قدرها ٢٤٫٥٪ من ميزانية العام الماضي . وتنصرف الميزانية الجديدة اساسا الى تغطية نفقات الاشغال العامة ، ولم يخصص غير جزء ضئيل منها للنفقات الاجتماعية ، والتضخم لايرجع فقط الى الاجراءات التى اتخذتها الحكومة . ولكنه يرجع كذلك الى ارتفاع اسعار السلع الاستهلاكية وتذاكر السكك الحديدية والصحة والكهرباء وكذلك بسبب تخفيض قيمة الين .

ويرى المراقبون أن النضالات المطلبية لعمال اليابان انما تعارض — فى الاساس — الهيكل الاحتكاري اليابانى وذلك من أجل العدالة الاجتماعية والتقدم ، وضد الوجود الامريكى فى اليابان .

■■

■ شيلي :

قرار سانتياجو يمهد

لـ « بيان القاهرة »

اجتمع فى سانتياجو فى شيلى فى الفترة من ٢٣ الى ٢٥ ابريل الماضى ، اربعون عالما من علماء التنمية والاجتماع فى العالم الثالث لبحث مشاكل التنمية فيه ، ووضع استراتيجية لها تعكس السمات الاساسية المميزة للاوضاع فى الدول النامية ، ولايجاد شكل للتعاون المنظم بين علمائها لتحقيق هذا الغرض .

وكانت فكرة الاجتماع ، قد نشأت أثناء انعقاد مؤتمر استوكهولم لبحث مشاكل البيئة فى يونيو من العام الماضى . فقد لاحظت مجموعة من علماء العالم الثالث المشتركين فى المؤتمر ، أن الاراء المطروحة لا تعبر عن احتياجات وآراء دوله ، وانها تعكس اساسا مصالح الدول المتقدمة . ولهذا قررت الدعوة لمؤتمر من علماء آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، لبحث مشاكلها الاقتصادية والدولية والوصول الى تفكير نظرى يمكن أن تقوم على أساسه الخطط العلمية للتطوير فيها وان تحقق النجاح المرتقب منها . وبالفعل قدمت اللجنة الاقتصادية لامريكا اللاتينية مقرا لعقد المؤتمر . وتولت مجموعة من ستوكهولم دعوة علماء العالم الثالث المعروفين دوليا . وقد روعى صراحة كما أعلن ايزيك اجلسياس سكرتير لجنة امريكا اللاتينية أن تكون الدعوة بصفة شخصية تحقيقا لهدفين : **الاول** ضمان مستوى كفاءة المدعو ومكانته العلمية ، لانه لو وجهت الدعوة لهيئات رسمية ، فقد توفد تلك الهيئات عناصر لايتوافر لها الادراك الكامل لابعاد القضية المطروحة ، **والثانى** هو ان يتحرر المشتركون من التقيد بوجهات النظر الرسمية للجهات التى يعملون بها ، ويتحدثوا بالصراحة العلمية المتطلبة

ومع هذا ، فقد كان بين المشتركين عدد من وزراء التخطيط منهم الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير الدولة للتخطيط فى مصر ، والسيد اوسكار ارياس وزير التخطيط فى كوستاريكا والسيد جونزالومارتنز وزير التخطيط فى شيلى ، و١٠ من أبناء العالم الثالث الذين يحتلون مراكز مرموقة فى الهيئات الدولية مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، ومنظمة الاغذية والزراعة واليونسكو والسكرتارية العامة للامم المتحدة واللجنة الاقتصادية لامريكا اللاتينية ومعهد التخطيط والتنمية الافريقية بداكار التابع للامم المتحدة . وكانت بقية الحاضرين تتكون اساسا من المسئولين عن معاهد التخطيط والتنمية فى عدد من الدول النامية وبعض اساتذة الجامعة ..

وكان القاسم المشترك بين الاربعين عضوا كما يقول الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله هو الخبرة الطويلة بقضايا التنمية والاهتمام الخاص بوضع دول العالم الثالث ومستقبلها . وقد مثل هؤلاء العلماء عدة بلدان منها : مصر والسنغال وكوستاريكا وشيلى وكولومبيا وفنزويلا والارجنتين واليمن الشعبية واندونيسيا وجامايكا والبرازيل ونيجيريا واورجواى وتنزانيا ونيبال وبيرو والمغرب .

وفى ختام الاجتماع اصدر المجتمعون « قرار سانتياجو » الذى يعلن « ان العالم الثالث الذى يضم ٧٠٪ من سكان العالم ، يعيش فقط على ٢٠٪ من دخل العالم — وحتى هذا الدخل الهزيل يوزع داخليا بصورة سيئة مما يجعل الكتلة الاساسية من سكانها فى حالة فقر مدقع .. ورغم انه ينتج كثيرا من المنتجات المعدنية والزراعية ، الا انه لا يحصل على ما يأكله الا بصعوبة ، وان نصيبه فى التجارة العالمية يتناقص باستمرار ، ويعانى من أسوأ صور الحرمان : اذ أن ٨٠٠ مليون من مجموع سكانه البالغ عددهم ٢٦٠٠ مليون أميون ، وحوالى ١٠٠٠

مليون يعانون سوء التغذية او الجوع ؛ و٩٠٠ مليون يقل دخلهم اليومى عن ٣٠ سنت .

وفى مجال الافكار ، عاش العالم الثالث على مفاهيم للتنمية ومعايير للاداء واستراتيجيات اقتصادية جاءتها من الخارج ولا تناسبه بدرجة كبيرة .

لذلك فقد آن الاوان لاعادة بحث استراتيجيات التنمية القائمة فيه ، والبحث عن استراتيجيات بديلة أكثر استجابة لاحتياجاته الخاصة ، استراتيجية :

ـ تمتد الى ما وراء التقدم المادى لتشمل القيم الثقافية والاجتماعية لمجتمعاته .

ـ وتفيد الكتلة الاساسية من السكان ، ولا تفيد فقط اقلية من أصحاب الامتيازات ، وذلك من خلال اجراء التغييرات الاجتماعية الاقتصادية المناسبة .

ـ وتعكس التفاعل الخلاق بين الفكر المحلى والتجربةالخارجة ، وتعتمد على تكنولوجيا مناسبة ، وعلى الموارد المحلية .

ان البحث عن استراتيجيات للتنمية أكثر ملاءمة ، يتطلب جهودا ضخمة بصورة لم يسبق لها مثيل ، يجب ان ننذر انفسنا للقيام بها فى ارتباط وثيق على أوسع جماهير شعوبنا .

ولابد لنا أيضا من جهد مماثل لاعادة بحث النظام الدولى الذى يواجه العالم الثالث اليوم ، والذى تسوده سمة مميزة هى عدم تكافؤ العلاقات بين البلاد المتطورة والبلاد النامية .

ومن ثم قررنا تنظيم ندوة ثقافيةللعالم الثالث ، أبوابها مفتوحة لجميع علماء الاجتماع من العالم الثالث ذوى الاهتمام الواسع بتنمية مجتمعاتهم .

وستنظم الندوة نشاطاتها من أجل : التعبير عن آرائهم حول القضايا الدولية التى تمس العالم الثالث وعلاقاته مع العالم المتطور ، وضع برنامج لتبادل الاراء حول استراتيجيات التنمية البديلة وانعكاساتها السياسية ، الخ ..

وتقرر دعوة حوالى ١٢٠ عالما من القارات الثلاث للقاء فى ديسمبر القادم ، لتكوين هذه الندوة الدائمة ، ولوضع نظام لها واصدار بيان باعلان مبادئها . وقد استقر الرأى مبدئيا على عقد هذا الاجتماع المقبل فى عاصمة مصر حيث يصدر عنه « بيان القاهرة » بعد قرار سانتياجو .

●

■ **الامم المتحدة :**

ملاحظات على تقرير فالدهايم

عن أزمة الشرق الاوسط

قدم **كورت فالدهايم** السكرتير العام للامم المتحدة ، تقريره الذى كلفه مجلس الامن بتقديمه بشأن تطورات جهود الامم المتحدة بالنسبة لازمة الشرق الاوسط . وكان وضع هذا التقرير قد تم بناء على طلب **مصر** . وعلى الرغم من ان تقرير **فالدهايم** ـ وما يتضمنه من تقرير غير مباشر من المبعوث الدولى **جونار يارنج** ـ لا يحتوى على شىء لم يسبق لكل متابع لدور الامم المتحدة فى محاولات حل الازمة أو تحريكها ان عرفه ، الا ان التقرير جديد مع ذلك بنظرة تحليلية ، تضع النقط فوق الحروف ، وخاصة بالنسبة للجزء الايجابى الوحيد فى التقرير ، وهو الجزء الذى اختتم به **فالدهايم** سرده التاريخى بملاحظات محددة .

ولا جدال فى ان توقيت صدور تقرير **فالدهايم** عن الشرق الاوسط أمر ينبغى ان يوضع فى الحساب :

● فهو يجىء قبل بدء مناقشة مجلس الامن الشاملة ـ بناء على طلب **مصر** أيضا ـ لازمة الشرق الاوسط بكل تطوراتها منذ حرب يونيو سنة ١٩٦٧ .

● ويجىء فى وقت تجتاح فيه الانباء موجات من الحديث عن تجديد دور الدول الكبرى بالنسبة لهذه الازمة .

● ويجىء أيضا فى وقت يسبق بفترة قصيرة اجتماع القمة القادم بين **بريجنيف ونيكسون** .

● وأخيرا ، فان التقرير يجىء فى وقت يتضح فيه أكثر من اى فترة منذ بداية الازمة ، ان **اسرائيل** ـ استنادا فى الاساس على التأييد الشامل من الولايات المتحدة ـ تقف ضد أى حل بشكل يوحى بأن اسرائيل ترى فى الوضع الراهن حالة مثالية لاغراضها .

والملامح الاساسية للتقرير تتركز فى النقاط التالية :

□ اتجاه الامم المتحدة الى اعتبار مسئولية البحث عن حل لازمة الشرق الاوسط ، مسئولية مجلس الامن بأكمله . ولهذا الامر دلالتان :

اولاهما : ان مرحلة مهمة **يارنج** اصبحت فى حكم المنتهية .

وثانيتهما : ان قدرا اكبر من المسئولية بالنسبة للازمة يتجه الان نحو الدول الكبرى [باستثناء الصين التى تتخذ موقفا خاصا من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢] ، لان الدول الكبرى هى صاحبة الوزن الاكبر فى مجلس الامن بحكم العضوية الدائمة والمسئوليات ذات الطابع الدولى بالنسبة للسلام والامن ، ولعلاقات كل منها بأطراف النزاع ومواقفها المتميزة والمتمايزة من الازمة .

□ اتجاه الامم المتحدة لان تبدأ مع الازمة من « المربع رقم واحد » ، على حد التعبير الامريكى ، أى بدء جهودها من جديد من النقطة التى كانت قد انتهت اليها يوم اصدار مجلس الامن القرار رقم ٢٤٢ .

□ ان الامم المتحدة لا تزال — رغم الحيثيات العديدة التى يقدمها تقرير **فالدهايم** عن أسباب فشل مهمة **يارنج** — تلتزم أسلوب الحيدة التامة بين طرفى النزاع ، الطرف المعتدى ، والطرف المعتدى عليه . فالتقرير مصاغ بأسلوب مراعاة الدبلوماسية اكثر من الموضوعية ، ولا يخطو مباشرة نحو كشف طبيعة موقف اسرائيل حتى من قرارات الامم المتحدة نفسها .

□ ان السكرتير العام فى تقريره يلح بشدة على اعتبار ان نجاح الامم المتحدة فى تحرك جديد مع الازمة مرهون بموقف الطرفين ، وهو يصوغ هذه الفكرة بالحاح على نحو يقترب به من الموقف القائل بأن المفاوضات المباشرة هى الضرورة الوحيدة لنجاح جهود التسوية . وهو قريب فى هذا من المنطق الامريكى الاسرائيلى منه الى روح قرارات مجلس الامن والجمعية العامة التى لم تأخذ هذا الاتجاه فى أى وقت .

□ ان المنظمة الدولية — من خلال تعقد الازمة ومن خلال التزام اجهزتها بموقف الدبلوماسية التقليدية على هذا النحو — تجد نفسها فعلا فى ورطة شديدة فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط . واذا كان السكرتير العام قد أعرب عن اقتراحه بأن توضع المشكلة — من البداية مرة أخرى — فى يد مجلس الامن ، فانها تسلم بوضعها رهن « **الفيتو** » **الامريكى** الذى تعهدت **الولايات المتحدة** به **لاسرائيل** دون قيد أو شرط .

●

■ **علوم :**

مؤتمر بحوث وتكنولوجيا البناء

عقد بالقاهرة من ١٢ — ١٤ مايو الماضى المؤتمر الاول لبحوث وتكنولوجيا البناء ، وذلك فى نطاق التنظيمات الجديدة لاكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا والتى صدر قرار جمهورى بتشكيلها تحت رقم ٢٦١٧ لعام ١٩٧١ .

ومجلس بحوث وتكنولوجيا البناء هو واحد من خمسة عشر مجلسا نوعيا منبثقا من مجلس الاكاديمية ، ويختص — طبقا لاسم المجلس — بدراسة مشروعات البحوث فيما يختص بالبناء والتشييد .

ومنذ تكوين هذا المجلس شكل ثمانى لجان تخصصية تدارست مجالات أكثر تخصصا وفرعية وقد وافق مجلس الاكاديمية على تشكيل لجان موضوع فى المجالات التالية :

- اعادة تعمير القرية المصرية
- الخرسانة المسلحة
- التشييد واقتصاديات البناء
- المرافق العامة
- تعمير المدن

وطبقا لقرار تشكيل الاكاديمية يدعو كل مجلس نوعى الباحثين فى هيئة مؤتمر سنوى يضم القاعدة العريضة ممن يستطيعون الادلاء بآراء بناءة فى المجالات المطروحة ، ولمناقشة مشروعات البحوث التى اقرتها المجالس .

تشكيل المؤتمر :

ويتكون المؤتمر طبقا للقوائم المعدة ، والمعتمدة من ١٨٧ عضوا مختارين اساسا من الجامعات اذ بلغت نسبة اساتذة الجامعات الى ما يزيد عن ٧٠٪ من اعضاء المؤتمر ، والباقون من مجالات شركات المقاولات والهيئات والمؤسسات التى تساهم فى ميدان الانشاء والبناء .

وقد دعى للمؤتمر اغلب وزراء الاسكان

السابقين نذكر منهم **د. وليم سليم حنا و د. احمد محرم و د. عزيز ياسن والمهندس عبد العزيز كمال و د. محمود أمين عبد الحافظ** الوزير الحالى ، وكذلك المهندس ابراهيم نجيب وزير السياحة السابق .

غير ان هناك عدة ملاحظات على تشكيل اعضاء المؤتمر :

اولا : كانت الغالبية العظمى فى تشكيل المؤتمر من اساتذه الجامعات المتخصصين ، مما حول المناقشات من عموميات مطلوبة لتشكيل سياسة الى تفاصيل وخلافات فنية ، كانت عقيمة بعض الاحيان ، حتى لقد اتخذ المنبر موضعا للمباهاة والتعبير عن الذات .

ثانيا : تنص لائحة الاكاديمية على انه « لايقتصر اهتمام المجلس النوعى على فرع بعينه من فروع العلم ولكنه يهتم بما يحتويه القطاع المعنى من انشطة علميةوتكنولوجية واقتصادية واجتماعية . وعلى ذلك فقد روعى ان يضم علماء وخبراء فى مختلف الانشطة التى يقوم عليها العمل فى القطاع المعنى » .

ومع ذلك لم يطبق هذا النص الصريح فى لائحة الاكاديمية بالنسبة للمجلس ، وكان الاجدر ، ان يكون تشكيل اعضاء المؤتمر على الاقل عريضا ليشمل القطاعات المختلفة التى تهتم بقضايا بحوث البناء والتشييد ، وليس قاصرا على الفنيين والمتخصصين دون اى علاقة أوسع بالمجتمع .

والمعتقد ان القائمة لا تضم اكثر من اقتصادى واحد « لم يحضر » ومن ممثل واحد لوزارة الحكم المحلى « وكان مهندسا ولم يحضر كذلك » . ولا يوجد بين كل اعضاء المؤتمر من يمثل الدراسات الاجتماعية أو البيئة ، ومن ثم فقد سيطر المهندسون تماما على المناقشات .

ثالثا : وحتى فى ميدان التخصصات كان الملاحظ ان عدد العلماء الممثلين فى المؤتمر « خريجى كلية العلوم » كان محدودا للغاية . فى حين ان ميدان البناء بحكم خاماته وخواصة يحتاج الى تضافر الجهود بين العلم الاساسى ممثلا فيما يسمى العلماء من جانب وبين العلم التطبيقى فى جمهرة تخصصاتالمهندسين من جانب آخروقدحان ان يتم التخلص من عقدة « التعصب المهنى » حتى فى قمة « برج العلم العاجى » .

رابعا : كانت الغالبية العظمى من اعضاء

تعليق « ووترجيت » .. والملكيون أكثر من الملك

يعتقد البعض ان فى الامكان — بمجرد البراعة الدعائية —اقناع الاخرين بانه حتى الفضائح لها جانب ايجابى ، وانه من وسط وحل الفضيحة يمكن الخروج بشىء نظيف .

ينطبق هذا فى الايام الاخيرة على البعض الذى يريد ان يخرجمن فضيحة « ووترجيت » التى تهز اركان النظام فى امريكا بدرس واحد أهم من كل ما يثار — فى رأى هذا البعض — هوان « الديمقراطية الامريكية » هى الجوهرة الثمينة التى لا ينبغى ان يخيفها كل الطين المنهال من تفصيلات الفضيحة . وبشىء منالبراعة — التى لا تتطلب من المستمع الى هذا الدرس الا الحد الاقصى من السذاجة — يريد ملقنو هذا الدرس ان يقنعواالاخرين بأن انكشاف الفضائح هو احدى نعم وامتيازات الديمقراطية الامريكية . وانه مهما كان ، فان الامريكيين الانيمارسون اقصى درجات الديمقراطية والحرية ، لانهم يقراون الصحف يوميا ، وهى تحدثهم صراحة ، وبلا مواربة ، عنخبايا نظام الانتخاب الامريكى على حقيقته ، وعن التصرفات غير المشروعة ، بل والاجرامية التى يمكن لحكومة أمريكا — بلرئيسها — ان يلجاوا اليها من وراء ظهر الشعب .

فهل يمكن السكوت — هكذا بسذاجة — عن درسالديمقراطية الامريكية ، كما تتلوه مئات بل آلاف الصفحات المنشورة حتى الان عن فضيحة « ووترجيت » ؟ .. ام ان الامريحتاج لتامل الدرس بعمق كاف ؟

ان السطر الاول فى « درس الديمقراطية الامريكية » يبدابمسلمة غير عادية ، فهو يعتبر ان الفضائح أمر مفروغ منه ، وانها تتم فى كل المجتمعات بغير استثناء ، وان حسنة النظامالامريكى تتبدى فى انه يتيح كشفها والحديث عنها هكذا علنا وعلى صفحات الجرائد . اما فى المجتمعات « الاخرى » فاناحدا لا يدرى شيئا عما يجرى .

وهذا السطر ياخذ بمبدأ ان الجميع مجرمون ومزورونوجواسيس ، ولكن البعض ينكشف والبعض الاخر يفلح فى تغطية فضائحه . فاذا كنا لم نسمع عن فضيحة فى المجتمع« س » مماثلة لتلك التى انكشفت فى المجتمع « ص » ، فينبغى الا ننخدع ، وعلينا ان نسلم بأن الفضيحة المكشوفة انعكاسلنظام أنظف واكثر حرية ، مهما افتقرنا الى كلمة اتهام واحدة ضد المجتمع « س » .

وفى الوقت الذى يستخلص فيه الامريكيون انفسهم النتائجالصحيحة من فضيحة « ووترجيت » عن دلائل فساد النظام الرئاسى الامريكى ، وفساد البيت الابيض واجهزة السلطةوكوادر الحزبين الكبيرين فى أمريكا .. فان البعض « الاكثر

المؤتمر من المهندسين الانشائيين ، يليهم المهندسون المعماريون ، ثم مهندسو المرافق العامة .. باعتبار ان هذا مؤتمرهم .. غير ان ميدان بحوث وتكنولوجيا البناء لم يعد مجال المصممين فقط لهذه الاعمال . فقد صار انتاج مواد البناء — وحتى العمليات الميكانيكية للتشييد — من اختصاص المهندسين الميكانيكيين ومهندسي الانتاج الصناعي ، وهؤلاء جميعا لم يسمع لهم اى صوت فى المؤتمر .

خامسا : هناك اتجاه من جانب العلماء بعدم مشاركة مشاكلهم مع الجماهير ، رغم انهم — اى العلماء يحلون مشاكل الانشاء التى تخص الجماهير ، ليوفروا المساكن للفلاح فى القرية وللعامل فى المدينة ، ولذلك كان طبيعيا ان يختفى ممثلو هذه الفئات عن مؤتمرات البحوث بل ان ممثلى الاتحاد الاشتراكى لم يدعوا كذلك .

تقرير المجلس :

وقدم مجلس بحوث وتكنولوجيا البناء للمؤتمر تقريرا أعده رئيس المجلس **الدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش** شمل التقرير اعمال المجلس ولجانه التخصصيه واعطى توجيهات ومقترحات فى الميادين الاتية نذكر منها :

اولا : تعمير القرية :

« ان اعادة بناء قرى الجمهورية خلال عشرين سنة — كما جاء ضمن **برنامج العمل الوطنى** الذى اقره المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى يوليو ١٩٧١ يمتد فى الحقيقة ليشمل اعادة تعمير الريف عامة « قرابة الاربعة آلاف قرية » ومختلف تجمعاته السكنية الاخرى التى تبلغ حوالى ٢٩ الف نجع وكفر وعزبة ، وليس فقط من ناحية اعادة بناء ما تشمله من مساكن وانما ليتناول اعادة البناء الاقتصادى والاجتماعى للريف كله » .

وقدم التقرير توصيات ومقترحات لكى يجعل ذلك ممكنا .

ثانيا : تعمير المدن وانشاء التجمعات السكنية :

ويرى التقرير « ضرورة البدء بتقييم مشروعات الاسكان الاقتصادى والمتوسط والتعرف على آراء السكان واحتياجاتهم وما ادخلوه على المساكن من تعديلات لتحقيق تلك الاحتياجات » .

وكذلك « دراسة وبحث وتحديد الاجر الذى يتناسب مع دخل الاسرة ، ومدى تناسب هذا الاجر مع التكاليف الفعلية للمسكن ودور الدولة فى الموازنة بين الاجر الذى يطيقه دخل الاسرة

ملكية من الملك » يكتفى باستخلاص هذه النتيجة الواحدة .. ان فضيحة ووترجيت دليل ناصع على الديمقراطية الامريكية لما الامريكيون استخلصوا — وهذا من واقع صحفهم — على الاقل نقاط الضعف التالية :

— ان هناك اشخاصا على اعلى مستوى فى الحكومة الامريكية اشتركوا فى عمليات غير قانونية وقاسية . وان هناك مؤامرة جنائية متعمدة ووضع للعقبات امام طريق العدالة .

— ان فضيحة « ووترجيت » قد ارتكبت بواسطة رجال الرئيس نيكسون نفسه ، وبواسطة مدير حملته الانتخابية والمدعى العام ومستشاره الخاص ومحاميه الخاص وكبار مساعديه ، ولهذا لا يمكن الافتراض بان شيئا من هذا تم دون علمه .

— ان النظام الدستورى الامريكى لا يعطى وسيلة واضحة وسريعة لاقصاء رئيس للجمهورية حتى عندما يفقد ثقة الشعب دون حدوث اضطراب عنيف فى المجتمع .

— ان النظام الامريكى يدفع من تعوزهم الخبرة — فضلا عن الامانة — الى مراكز السلطة .

— ان فساد النظام الامريكى لتمويل حملة انتخابات الرئاسة اخطر بكثير من كل ما كان يعتقده اشد منتقديه حدة .

— ان السلطة متمركزة بدرجة خطيرة فى البيت الابيض — حيث يساء استغلالها على النحو الذى فضحته قضية « ووترجيت » — وفى الوقت نفسه فان الكونجرس — الذى يشكل السلطة النيابية فى البلاد — يقف عاجزا امام هذه الظاهرة .

هذا — بايجاز شديد — ما استخلصه الامريكيون من درس الفضيحة .. اما « الملكيون اكثر من الملك » فانهم آثروا تلقين درس « الديمقراطية الامريكية » ، وهم هنا يتناسون شيئا بالغ الاهمية ، هو انه لم تكن « الديمقراطية الامريكية » ولا « طبيعة النظام » الامريكى هى التى كشفت الفضيحة ، انما كشفتها الصدفة وحدها وباعجوبة لا يمكن ان تتكرر !

●● وتبقى نقطة اخيرة جديرة بالتعليق .. والنقطة هى السؤال : الى اين تؤدى الفضيحة ؟.. هل تؤدى الى استقالة نيكسون ؟ .. او توجيه الاتهام اليه رسميا فى الكونجرس ثم المضى فى الاجراءات الدستورية لتنحيته ؟ .. ويقول « الملكيون اكثر من الملك » وما المانع ! .. فى امريكا هذا ممكن .

وهؤلاء ينسون ان الرئيس الامريكى الذى لجأ الى كل ما كشفت عنه فضيحة ووترجيت ، لتاكيد اعادة انتخابه لفترة رئاسية ثانية ، لن يعدم الوسائل للتشبث بهذه الرئاسة .

س . ك

والاجر الفعلى الذى يتحـــــدد بحسب العمر الافتراضى للمسكن » .

ثالثا : التشييد واقتصـــاديات البناء :

« ويمثل قطـــاع التشييد مالا يقل عن نصف اجمالى الاستثمارات التى تخصص سنويا فى خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى شكل منشآت للاسكان والمبـــانى العـــامة للخدمات الصحية والتعليمية . ولا شك ان البحث العلمى والتطبيقى فى هذا القطاع يستهدف الاقتصاد فى تكاليف اقامة هذه المنشآت ، واطـــالة فترة استخدامها الامثل والحفاظ عليها باعتبارها ثروة قومية هامة » .

رابعا : المرافق العامة [مياه ومجارى] :

« لقد اصبح من الواضح ان هناك أزمة كبيرة فى مياه الشرب بمدن وقرى الجمهورية بصفة عامة . وتتفاوت الحالة فى شدتها حسب الاوضاع المحلية . كما ان غالبية مرافق المجارى بالمدن قد اصبحت غير قادرة على مواجهـــــة التصرفـــات المضطردة ، نتيجة لزيادة عدد السكان ، وارتفاع مستوى المعيشة ، مما ينذر بأفدح الاخطار على الصحة العامة ، هذا مع القصور الملحوظ فى تنفيذ مشروعات المجارى فى عشرين مدينة فقط من مدن الجمهورية .

وفى ختام التقرير يقدم المجلس مواضيع بحوث مقترحة ، منها ثلاث بحوث لاعادة بناء القرية تكلف ٤٠ الف جنيه . وأربعة بحوث اكاديمية للخرسانة المسلحة تتكلف ٢١٢٫٨٠٠ جنيه منها ٦٤٫٥٠٠ جنيه نقد اجنبى ، علاوة على شراء مكبس حمولة ١٠٠٠ طن ، وبحثان للتشييد يتكلفان ٢٢٥ الف جنيه ، وبحثان للمرافق يتكلفان ٣٤٫٥٠٠ جنيه .

« ويرى المجلس لتحقيق ذلك ـــ اى جمـــلة توصياته ومقترحاته ـــ ان يرصد للبحث العلمى فى مجال اختصاصاته مالا يقل عن نصف فى المائة مما تسمح امكانيات الدولة باتفاقه على التعمير مما تسمح امكانيات الدولة بانفاقه على التعمير سنويا . وسوف تغطى هـــــذه النسبة تشجيع القائمين على البحوث التى طبقت والتى يجرى تطبيقها وتمويل الدراسات والبحوث المستجدة فى هذا المجـــال » .

وقد تمت عدة جلسات للمؤتمر نوقشت فيها البحوث المقترحة من كل لجنة تخصصية ، واستعرض اعضاء المؤتمر اراء وملاحظات قيمة لابد وستكون موضع الدراسة عند عمل التوصيات والقرارات لكى تكون خطة البحوث نابعة من جمهور العلماء والمفكرين .

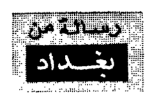
ويرى المراقبون انه قد برز فى المناقشات المهندس **حسن فتحى المعمارى** الشهير ورائد بناء الريف المصرى فى قرية الجرنة المقابلة للاقصر ، والدكتور **احمـــد العريان** اصغر عمـــداء كليات الهندسة سنا واكثرهم جراءة وثورية .

ولقد اوشك المؤتمر ان يوصى بايقاف المبـــانى بالطوب الاحمر ، وبالتالى ، بالطوب النىء فى الريف ، حفاظا على القشرة الطينية التى تعطى الوادى خصوبة ، غير ان المعمارى حسن فتحى لاحظ ان **الفلاح المصرى لا ينتظر قرارات المؤتمر وتوصياته بل بنى وسيبنى بما هو متـــــاح له من خـــامات قريبة وعليـــكم ان تتعلموا منه وتلاحقوا طرقه وتستخدموا علمكم لكى تساعدوه وتطوروا ما يعمله فعلا ..** »

اما **الدكتور العريان** فقد ناقش ـــ معترضا على المنهج الذى يسيطر على خطة البحث قـــائلا :
« واذا اعتمدنا هذه المبالغ وهذه البحوث فما هى النتيجة العملية فى النهاية لحل مشاكل الاسكان ؟
وهل ساهمتم فيها فعلا ؟ وما العلاقة بين «التصميم الحدى للمنشآت الخرسانية غير محددة استاتيكيا » وبين مشـــاكل الاسكان للفرد العادى .. ان مكان البحوث الاكاديمية فى الجــــــامعة وليس فى الاكاديمية ، ابحثوا القضايا الصغيرة العاجلة اولا قبل محاولة اللحاق بالفكر المجرد » وقد قارن بين بحث قام به تكلف ٢٦٠ جنيها عن تأثير ملوحة المياه الجوفية على الخرسانة وبين مبلغ ٨٦ الف جنيه منها ٢٠ الف جنيه عملة صعبة لبحث مماثل مقترح .

ان لقـــــاء المفكرين والمثقفين المصريين مهما تباينت افكارهم لابد وان يساهم فى صهر الفكر فى بوتقة متقاربة ، ومهما كانت الصورة غير مشجعة ـــ فى أول الامر ـــ الا ان الحوار هو السبيل الوحيد للتقدم والمحاولة والخطأ والصواب والنقد دليل حياة وتقدم ونشاط .

ويرى المراقبون ان توصيات المؤتمر يجب الا تتحول الى مطبوعات تحفظ فى الملفات ، بل لابد وان تصل ـــ مع الصبر ـــ الى حل لمشاكل البشر فى ايجاد مسكن معقول وفى وقت مناسب .



الحلقـــة الدراسـية الأولى لدراســة الكيـــان الاسرائيلى

بغـداد : من أبو سيف يوسف

فى بغداد ، عقدت « الحلقة الاولى لـدراسـة الكيان الاسرائيلى » . وهى الحلقة التى كان قد نظمهـا ، ودعـا اليهـا « مركز الدراسـات الفلسطينية » فى جامعة بغداد ، وذلك فى الفترة بين ٢١ و٢٦ نيسان (أبريل) ١٩٧٣ .

واشترك فى أعمال الحلقة التى رأسـها د. غسان العطية مدير المركز ، سواء بتقـديم البحوث ، أو بالاسهام فى المناقشات ، عدد كبير من الباحثين والكتاب ، فى أكثر من بلد عربى . كما استضاف مركز الدراسات الفلسطينية اثنين من الباحثين السوفيت اللذين عرفا باهتمامهما وأبحاثهما عن الصهيونية هما د . جالينا نيكيتينا و د. ينسييف .

أما الباحثون العرب الذين تقدموا الى الحلقة ببحوثهم فهم :

السيد ياسين (المفهـوم الاسرائيلى للشخصية العربية) ـ د . ميشيل سليمان (العرب واسرائيل والغرب) ـ عقيل هاشم (اسرائيـل والغـرب) ـ د. اسـحق موسى الحسينى (تعليم العرب العالى فى الوطن المحتـل) ـ حمدان بدر (تعليم العرب فى اسرائيـل) ـ د. محمد عجلان (التكنولوجيا فى اسرائيـل) ـ د . محمد طلعت الغنيمـى (المنظمة الصـهيونية العالمية) ـ وجيه ضياء الدين (النظام الحـزبى الاسرائيلى) ـ د . سلمان رشيد سلمان (اليسار فى اسرائيل) ـ صلاح مختار (نقد آراء ومواقف الحـزب الشـيوعى « راكـح » ـ عـادل الجـاد (الجبهـة الحمراء) ـ د. محمد أحمـد صـقر (تطور التجـارة الخـارجية فـى اسرائيل) ـ الياس غنطوس (التجارة الخارجية وميزان المدفوعات فى اسرائيل) ـ د. عمـرو محيى الدين (نمط التنمية الاقتصـادية فـى اسرائيل) ـ فؤاد حمدى بسيسو (تأثير المقاطعـة الاقتصـادية العـربية علـى الاقتصـاد الاسرائيلى) ـ محمد عارف الكيالى (امكانيـة اسرائيل النفطية) ـ د . حامد ربيع (التمييز بين الدعاية والدعوة فى تقاليد الحركة الصهيـونية وأثره على السياسة الاسرائيلـية) ـ د . خليل العباس (الدعاية الاسرائيلية) ـ د . عز الديـن فودة (حق الشعب العربى بالاراضى المحتلة فى الثورة على سلطات الاحتلال الحربى) ـ نجدة فتحى صفوت (الخارجية الاسرائيلية : طبيعتها ،

عملها ، اهميتها) ـ د · غسان العطية (اسرائيل وأوغندة) ـ أحمد الخالدى (حرب الاستنزاف) ـ خليل شاكر مصطفى (الاستخبارات والجاسوسية الاسرائيلية) ـ رياض الاشقر (التسليح الاسرائيلى بشكل عام ، صناعة الاسلحة فى اسرائيل) ـ حسين سرية (الاستراتيجية النووية الاسرائيلية) ·

واشترك فى المناقشات كل من :

حسين جميل ـ عبد الكريم الكرمى (أبو سلمى) ـ منير شفيق ـ أبو سيف يوسف ـ د· صادق جلال العظم ·

هكذا ، من أفق عريض ، وعلى أرضية الاهتمام العميق بمصائر النزاع العربى الاسرائيلى ، طرحت فى المناقشات اكثر من مسألة حيوية ·

وعلى سبيل المثال عالجت الحلقة باستفاضة ، أحيانا ، او تعرضت ـ احيانا اخرى بسرعة ـ للمشكلات التالية :

● عن الاقتصاد الاسرائيلى : ما هى الاتجاهات الحقيقية للتنمية الاسرائيلية · وكيف نحلل التناقض العميق الكامن فى القاعدة الاقتصادية الاسرائيلية ، وذلك بين مظاهر توحى بنمو مضطرد ، وبين واقع يكشف عن تبعية الاقتصاد الاسرائيلى للاقتصاد الامبريالى واعتماده على المعونات وعلى الهجرة ·

● ما هى حقيقة التفوق التكنولوجى الاسرائيلى ، وذلك بين ظاهر يوحى بهذا التفوق ، وبين واقع يؤكد على ضعف القاعدة الاقتصادية التى يقوم عليها هذا التفوق ·

● ما هو اليسار الاسرائيلى ؟ هل هو موجود ؟ وما هى فرقه المختلفة ، وما اتجاهاته ، وما حقيقة مواقفه ؟ والى أى مدى يمكن القول بأنه ثمرة التمايز الاجتماعى فى اسرائيل ، ثم ما هى آفاق تطوره ونقاط ضعفه ؟ والى أى مدى يمكن أن تستفيد الثورة الفلسطينية من حركته ؟

● وعن القومية الاسرائيلية : هل هى خرافة ، أم هى واقع موجود ، أم انها ظاهرة فى دور النشوء ؟

●وعن نواقص الدعاية العربية فى البلدان الرأسمالية · الى أى مدى يمكن بالفعل أن تعزو موقف الرأى العام الاوربى الى نقص أو ضعف فى الدعاية العربية · أم أن العقلية الاوربية ستبدأ فى تفهم الابعاد الصحيحة لقضية فلسطين بقدر ما تصعد الثورة الفلسطينية نضالها على جميع الجبهات ، ونضالها المسلح بالذات ·

● وعن وضع العمال الفلسطينيين فى الارض المحتلة ، واستغلال العدو الاسرائيلى لقوة عملهم فى سد نقص الايدى العاملة الاسرائيلية (بسبب التجنيد) · كيف تعمل قوى الثورة العربية على الاستفادة من هؤلاء العمال ليكونوا قوة أكثر فاعلية فى النضال داخل الارض المحتلة ·

● وعن قضية انشاء جامعة فى الارض المحتلة هل لهذا المشروع فائدة · وهل يدعو العرب اليه أم يقاطعونه ·

● وعن قضية الجسور المفتوحة التى اقامتها اسرائيل مع الارض المحتلة ومع الاردن : ما هى المكاسب التى حققتها اسرائيل (سياسيا واقتصاديا) من قيام هذه الجسور · وما هى البدائل التى تقدمها البلاد العربية الى أهالى الارض المحتلة ليدعموا مواقف المقاطعة والامتناع عن التعاون فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع المحتل الاسرائيلى ·

● وعن الهجرة الى اسرائيل ما هى حقيقتها ، وما الخطر الذى تنطوى عليه ، من حيث تعزيز آلة الحرب الاسرائيلية ·

● وعن الاحزاب فى اسرائيل : الى أى مدى يمكن القول بأنها تعبر عن الرأى العام الاسرائيلى ·

● وعن « الجبهة الحمراء » ، ما هى الدلالة الحقيقية لظهورها · وهل يمكن ان تعتبر هذه الحركة بداية أصيلة أم أنها حركة منفردة وعارضة ؟

على أن المناقشات لم تقتصر على هذه المشكلات فحسب ، وانما تعدتها ـ ايضا ـ الى مناقشة مناهج بعض البحوث السوسيولوجية المقدمة · فقد طرحت أسئلة عن ادوات التحليل التى استخدمت فى تلك البحوث ، وعما اذا كان من المكن أن تستخدم هذه الادوات المأخوذة من مجتمع اوربى لدراسة مجتمع آخر مختلف · وعن الدور الذى قام به بعض علماء الاجتماع العرب فى نقد وتصحيح بعض المفهومات الضارة فى السوسيولوجيا الامريكية ·

مثل هذه المناقشات التى سقنا عناوينها ـ كأمثلة ـ ساهمت ـ بالفعل ـ كما قلنا ـ فى اغناء البحوث التى قدمت الى الحلقة ، بحيث يمكن القول بأن المناقشات التى دارت ، انما تشكل ـ بالضرورة ـ جزءا لا يتجزأ من أعمال تلك الحلقة الدراسية .

واخيرا اذا ما ثمن المرء أعمال هذه الحلقة الهامة فان أبرز ما فيها :

١ ـ المساهمات العلمية والفكرية التى تضمنها اكثر من بحث ، وأكثر من دراسة قدمت الى الحلقة ، بحيث تعتبر اضافة هامة الى التعريف بالعدو الاسرائيلى .

٢ ـ ان الحلقة تعتبر ثمرة أول جهد علمى آكاديمى يضع الدراسات الفلسطينية فى موضعها من التعليم فى الجامعات العربية .

٣ ـ ضمت الحلقة أكثر من اتجاه ومدرسة فكرية . فالى جانب العناصر الجامعية ، كان هناك باحثون قوميون وليبراليون وماركسيون .

٤ ـ على الرغم من تعدد زوايا الرؤية لدى الباحثين والمناقشين فقد ساد النقاش نهج موضوعى ، وادير حوار حر ، كان لهما الاثر الواضح فى اغناء كثير من القضايا التى طرحت .

٥ ـ انتهج رئيس الحلقة د . غسان العطية ، الاستاذ بجامعة بغداد ، أسلوبا ديموقراطيا عندما دعا جمهور المستمعين الى المساهمة فى الحوار مع الاعضاء المشتركين فى الحلقة . وكانت هذه المساهمة اضافة اخرى هامة الى العمل العلمى الذى تم تقديمه .

وتزداد أهمية الحلقة ، فى الواقع ، اذا علمنا انها لم تضم أساتذة جامعيين فحسب ، بل ضمت أيضا باحثين من المراكز المتخصصة فى دراسة القضية الفلسطينية : مثل مركز الدراسات الفلسطينية ببيروت ، ومركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الاهرام (القاهرة) .

واذا جاز لنا ، فى ختام هذه الرسالة ، انٍ نعبر عن تطلع الرأى العام العربى الى أعمال هذه الحلقة واهتمامه بأن يرى هذه الاعمال وقد أعدت للتوزيع على نطاق واسع (وهذا مانعتقد انه فى رأس جدول أعمال مركز الدراسات الفلسطينية فى جامعة بغداد) فان نجاح الحلقة ، انما يعود الفضل فيه، الى العناية التى أولتها وزارة التعليم العالى العراقية وجامعة بغداد للحلقة ، ثم الى المناخ الديموقراطى العام الذى تحرص قيادة العراق ، وكل القوى السياسية والاجتماعية السليمة فيه على أن يتوطد ويزدهر .

نداء

عقد المؤتمر الدولى للعدل والسلام فى الشرق الاوسط بمدينة بولونيا بايطاليا خلال المدة من ١١ الى ١٣ مايو عام ١٩٧٣ ، ويضم المؤتمر ممثلين عن المنظمات الدولية والمحلية ، ووفودا تمثل بلدان اوربا وآسيا وافريقيا وامريكا والبلدان العربية واسرائيل ، وهم يعبرون عن وجهات نظر مختلفة وان كانت رغبتهم قد اتحدت للوصول الى وسائل توفر سلاما دائما وعادلا فى الشرق الاوسط .

فمنذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ والموقف فى المنطقة فى حالة تدهور مستمر ، فحكومة اسرائيل لا تزال تحتل اراضى عربية بقواتها المسلحة كما تواصل استعمارها لهذه الاراضى ، مشددة اجراءاتها من اجل احداث تغييرات فى الارض وفى الاوضاع السكانية ، كذلك تواصل اسرائيل تحدى قرارات الامم المتحدة ، ساعية هى والقوى الرجعية العربية الى القضاء بكل السبل على الوجود القومى لشعب فلسطين والى اضعاف حركةالتحرير الاجتماعية والوطنية للشعوب العربية .

والحكومة الامريكية اذ تقر هذه السياسة ، وخاصة بما تقدمه من دعم مالى وعسكرى ، انما تتحمل مسئولية جسيمة عن الموقف الحالى .

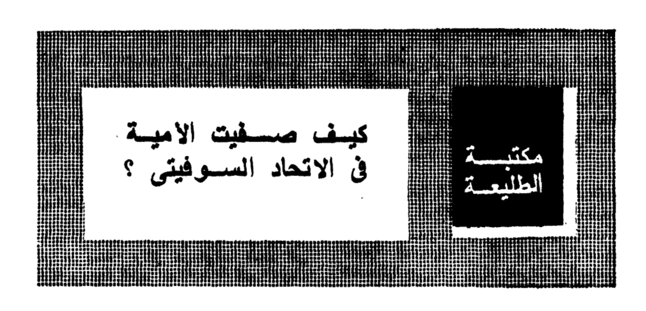
وذلك وضع يهدد السلام فى الشرق الاوسط ومنطقة البحر الابيض كما يهدد سلام العالم .

ولهذا يوجه المؤتمر ملحا نداءه الى شعوب كل البلدان التعبير بشدة عن اصرارها على تحقيق حل سلمى للنزاع فى الشرق الاوسط عن طريق التنفيذ الكامل لقرارات الامم المتحدة الصادرة فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، ٤ نوفمبر عام ١٩٧٠ والتى تستلزم اول ما تستلزم سحب دولة اسرائيل لقواتها المسلحة من جميع الاراضى العربية التى احتلتها منذ يونيو عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بالحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين العربى وحقه فى تقرير مصيره ، وكذلك الاعتراف بحق كل شعوب وكل دول الشرق الاوسط فى الوجود والاستقلال والسيادة والامن.

وان المؤتمر ليتوجه كذلك بهذا النداء الى برلمانات وحكومات كل البلدان نظرا لما تتحمله من مسئوليات عن تحقيق سلام عادل فى الشرق الاوسط .

فالعالم متعطش لسلام دائم يقوم على مبادىء الامم المتحدة وعلى حق الشعوب فى تقرير مصيرها .

بولونيا ـ ١٣ مايو ١٩٧٣



هذا الكتاب كان قد قام بعرضه
للطليعة زميلنا المرحوم الدكتور أحمد حجى

المؤلف :

م. زينوفييف
و ا. يليشاكوفا

عرض :

د. أحمد حجى

الناشر :

دار الطبع والنشر
باللغات الاجنبية ـ موسكو

يحكى هذا الكتاب فصولا من ملحمة النضال العظيم للشعب السوفيتى وتصميمه رغم ظروف الحرب الاهلية واشتعال ثورة أكتوبر الاشتراكية .. وما كان يعانيه الشعب السوفييتى من فقر ومن متاعب القتال دفاعا عن الثورة .. على ضرورة تصفية الامية وتثقيف الشعب وتنويره بقوانين الدولة الجديدة .. فقد كان لينين بين تلك الاعباء الجسيمة يؤكد للكادحين أنه (فى الوقت الحاضر ستصبح جميع معجزات التكنيك وجميع منجزات الثقافة فى متناول الشعب) .. وعلى هذا الاساس كان من الضرورى أن تكون الى جوار الثورة البروليتارية ثورة ثقافية أيضا تزرع المعرفة وتجتث سخافات الماضى وحماقاته والتى سيطرت على الكادحين زمنا طويلا وكانت أول الخطوات للثورة الثقافية هى تصفية الامية بين سكان البلاد .. ففى ديسمبر سنة ١٩١٩ وقع فلاديمير ايليتش لينين مرسوما بشأن تصفية الامية بين سكان جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية .. وأسند عبء العمل بدرجة أولى الى كوادر الحزب والنقابات والمثقفين فى أرجاء البلاد والى اتحاد الشبيبة الشيوعى .. ذلك لاعتبار أن تصفية الامية هو عمل سياسى بالدرجة الاولى أيضا .

لكن لماذا تصفية الامية أولا ؟؟ ٠٠ ذلك لان الشعب وفى نضاله دفاعا عن ثورة أكتوبر الاشتراكية كان متعطشا الى المعرفة والى اخماد عذابات الماضى ومخاوفه وشكوكه ٠٠ الى جانب أن وسائل الانتاج وعلاقات الدولة الاشتراكية الجديدة تقوم على التكنيك والعلم الحديث فأصبح من الضرورى رفع مستوى الفلاحين الثقافى والتكنيكى لتدعيم الزراعة التعاونية والنهوض بها وتدعيم الاقتصاد الاشتراكى وحمايته ٠٠ وعلى العمال أيضا ان يفهموا القوانين الجديدة والعلاقات الجديدة فى الانتاج وأن يفهموا التكنيك ويسدوا على أعداء الثورة الطريق حتى لا يعودوا بالشعب الى الوراء ، وحتى لا يخربوا فى مؤسسات الدولة واقتصادها ٠٠

انه يكفى تأكيدا لاهمية تصفية الامية ما قاله لينين (ما بقيت عندنا فى البلاد ظاهرة كالامية يصعب جدا الحديث عن التثقيف السياسى ان هذا شرط لا يمكن بدونه الكلام عن السياسة بدون ذلك لا يمكن أن يكون للسياسة وجود ٠ بدون ذلك لا توجد السياسة بل توجد الشائعات والنمائم والاقاصيص والاوهام ٠

وزارة التجهيل العام

ولكى يمكن استغلال الكادحين والشغيلة ٠٠ كان يلزم أن يعيش الشعب فى جهل تام حتى لا يبدى أية مقاومة ٠٠ ولذلك لم يكن فى برنامج الحكومة القيصرية تعليم الشعب وكان كبار الملاك والرأسماليون يعملون على ترسيخ هذه الحقيقة حتى بلغت الأمية فى روسيا سنة ١٨٩٧ ٧ر٧٦ فى المائة وبين النساء ٦ر٨٧ فى المائة ٠٠ ولذلك أطلق لينين على وزارة المعارف القيصرية (وزارة التجهيل العام) ٠٠ فالى جانب هذه الملايين المحرومة من العلم كان المعلمون يعانون الضنك ويعاملون معاملة سيئة ٠٠ وكان ما أراده الرأسماليون وكبار الملاك ٠٠ فالعمال والفلاحون يجهلون القراءة والكتابة ويجهلون بالطبع معرفة قوانين البلاد ومن السهل قيادهم واستنزاف جهدهم ٠٠ ونتيجة لما تسببت فيه (وزارة التجهيل العام) وكبار الملاك فقد تحملت ن ٠ ق ٠ كروبسكايا زوجة لينين ورفيقته جهودا فذة فى تعليم الاميين وتثقيفهم سياسيا وثقافيا عملا بما قاله لينين (الامى يقف خارج السياسة ٠٠ وينبغى البدء بتعليمه الالف باء) ٠

فلتسقط الامية ؟

وبدأت فصول الملحمة ٠٠ فقد حدد المرسوم اللينينى تصفية الامية بين المواطنين الذين يتراوح أعمارهم بين ٨ الى ٥٠ سنة ٠٠ كما راعى المرسوم أيضا أن تهيىء المصالح والهيئات والمزارع والمصانع الفرصة للاميين ليتعلموا دون أن يؤثر ذلك على أجورهم ففى الفقرة الخامسة من المرسوم كتب لينين (للذين يتعلمون القراءة والكتابة من العاملين بالاجرة باستثناء العاملين فى المؤسسات الخاضعة للنظام العسكرى بخفض يوم العمل مدة ساعتين طيلة مدة التعليم مع الاحتفاظ بالاجرة كاملة) وذلك دفع كافة العاملين الى الاسراع للانضمام لمراكز تصفية الامية ٠٠ بل وساعد فى تزايدها فامتدت مدارس وفصول محو الامية الى النوادى والبيوت والمصانع والكنائس ٠٠ وكان ضمن برنامج المزارع التعاونية والتى أعلنت تقول (فى سبيل مزرعة تعاونية انعدمت فيها الامية) تسهيل الفرصة على الاميين للدراسة ٠٠ وتقديم الكتب والاقلام والاخشاب لفصول ومراكز محو الامة ٠٠

وفى كل مكان على الجدران وفى الشوارع وعلى الارصفة كتبت الشعارات الثورية تثير حماس المثقفين والمتطوعين للعمل وتجذب الاميين الى الدراسة ٠٠ مثل (فلتسقط الامية) (الامية احتياطى اعداء الثورة) ، (القراءة والكتابة سيف يقهر قوى الظلام) ، (تصفية الامية قضية حيوية للشغيلة) (ايها المتعلم ساعد فى تعليم الامى وانضم الى جمعية فلتسقط الامية) ، فلينهض الجميع لمكافحة الامية) .

ودخلت الى ميدان المعركة ضد الجهل والامية أجهزة الاعلام من اذاعة وسينما ومسرح ٠٠ وخصصت الصحف أعمدة ثابتة تشرح الموقف وما يجب عمله والعيوب التى يمكن اجتثاثها ٠٠ بل وصدرت جرائد خاصة للاميين مثل (مساعد التلميذ) و (جريدة الفلاحين المبتدئين فى القراءة) و (جريدة التهجية) .. ذلك الى جانب الاهتمام باعداد الكادر القادر على تصفية الامية وعلى تعليم الشعب وتثقيفه ولهذا الغرض أعدت اللجنة الاستثنائية لمكافحة الامية دورات دراسية للمدرسين والمتحمسين للقضية وقد بلغت تلك الدورات ٨٠٠٠ دورة ٠

لكن الاميين أنفسهم كانوا يعرفون من تلك الحركة النشطة للحزب والنقابات والمثقفين وتأكيد لينين بأنه (ينبغى لقضية النضال ضد الامية ضد الجهالة أن تصبح قضية الشغيلة أنفسهم) ٠٠ ما لتصفية الامية من أهمية ٠٠ لذلك ففى أى مكان وتحت أى ظروف كان الدارسون حريصون على تلقى العلم ٠٠ واليك ما قاله مارشال الاتحاد السوفييتى س٠م ٠ بوديونى بهذا الصدد (فى فوج من أفواج جيش الخيالة الاول رأيت المشهد التالى : المفوض السياسى علق على ظهور الخيالة المتوجهين فى صف منتظم الى خط الجبهة أوراقا

كتبت عليها الاحرف بخط كبير ، وكان بين الفينة والفينة يرفع الحرية ويشير بها الى ظهور الخيالة السائرين فى المقدمة ويسأل الجنود السائرين خلفهم ـ أى حرف هذا ؟) ٠٠٠ وتمضى القافلة الى الجبهة ويحفظ الجنود حروف الالفباء ، وفى آلاف المراكز المعدة لتصفية الامية يحفظ الشغيلة أيضا حروف الالفباء تحت ظروف صعبة .. لكن القائمين على التعليم وتصفية الامية كانوا يتخذون ذلك الشعار الثورى (العمل مهما كانت الظروف وتعليم الناس القراءة والكتابة مهما كلفنا الامر) ٠٠ وحقا تكبدوا صعاب ومشاق كثيرة ٠٠ ولكن قبل أن نعرض لها ٠٠ فلنعرض أولا لاشكال التنافس والتعجيل بتصفية الامية وتطهير المناطق منها ، ففى لينينجراد (انتشرت على نطاق واسع الالواح الحمراء والسوداء فالمعمل أو الحى المتأخر يسجل فى اللوح الاسود فيتجه اليه الانتباه العام وينتقد أعنف الانتقاد ٠٠ فقد صدرت مثلا فى بضعة ألوف من اللافتات الخضراء الصارخة عبارة (معمل اليكتروبريبور فى اللوح الاسود لاحباطه تصفية الامية) ولصقت هذه اللافتات على جدران المعمل وفى حاملات الترام وقد جرح ذلك عزة عمال المعمل وكانت الرغبة فى الحفاظ على سمعة المعمل حافزا على تنظيم عمل مكافحة الامية فى فترة قصيرة ٠٠ وفى معمل اليكتروابارات أثناء مداولات عامة لشغيلة المعمل قدمت لورشة أحبطت عمل تصفية الامية سلحفاه ترمز الى البطء صنعها طلبة معهد الفن البروليتارى وبعد ذلك انصرف شغيلة الورشة بهمة الى تصفية الامية) بل ان القرى كانت تتنافس فيما بينها حتى تنتهى من تصفية الامية فتمنح العلم الاحمر وتقام المهرجانات والاحتفالات بتطهير القرية من الامية والجهل ٠

الجديد فى محو الامية فى التجربة السوفيتية

اضافة الى ما سبق تكونت فصائل الثقافة ، وكانت من مجموعات المثقفين من المعامل والمصانع والمدارس العليا ٠٠ وكان المثقفون يذهبون الى القرى ويتنقلون بين واحدة وأخرى يلقون المحاضرات وينقلون خبرة العمل فى محو الامية من قرية الى قرية وكان من بينهم أخصائيين فى الطب والزراعة ومشكلات الريف ـ الى جانب ذلك فقد اعتمدت التجربة السوفيتية فى محو الامية على اشراك العمال المتعلمين فى تعليم الاميين ونقل الخبرة اليهم ٠

أما الاضافة الهامة التى قدمتها التجربة السوفيتية فى مجال تصفية الامية بحق هى ربط تعليم الاميين بمشاكل الحياة وقضايا الوطن ٠٠ فقد كانت كتب التهجى القديمة تقول للاميين « غذاؤنا شوربة ملفوف وعصيره » « صابون ترابى غسيله ابيض » ولم تكن تهتم بتثقيف الجماهير سياسيا أو بتوسيع مداركهم العلمية والفلسفية ٠٠ وكانت هذه المادة لا تجد اقبالا من الاميين ٠٠ تقول د ٠ ى ٠ بلكينا عضوة اللجنة الاستثنائية لمكافحة الامية (عند قراءة الجملة الاولى « ماشا طعمت العصيدة » ارتفع صوت جهورى ساخر « كانت ماشا وكانت العصيدة أما نحن فليس لدينا عصيدة ولاماشا) ومن تلك الملاحظة وضعت نصوصا جديدة للتدريس تعبر عن مرحلة الثورة ودور الشعب الكادح فيها .. كتاب (فلتسقط الامية) ، وحينما قال لها أحد الجنود (نحن لسنا عبيدا ٠٠ والنصر لنا ٠ أصبحت قولته هذه أول جملة فى كتاب التهجى) وتعلق ن ٠ ق ٠ كروبسكايا قائلة (انها طريقة ربط التعليم بالحياة الامر الذى كان ايليتش يطلبه على الدوام) ٠٠ فالامى كان يحس بالحرية وبالرغبة فى التعلم وهو يقرأ (نحن لسنا عبيدا .. والنصر لنا) وكان يجهد نفسه فى أن يتخلص من قيود الجهل ليتعلم قوانين الدولة الجديدة وليتحمل دوره بوعى ومقدرة فى الانتاج وفى الحفاظ على السلطة الاشتراكية ٠٠ وقد انفردت التجربة السوفيتية بأشكال جديدة للمهرجانات الخاصة باحتفالات الشعب بتصفية الامية من مؤتمرات ومهرجانات واقامة متاحف لمخلفات الامية ٠٠ وكانت المواكب تطوف الشوارع حاملة الشعارات التى تندد بالامية والتى تطالب بأنه (ينبغى ان لايبقى أى أمى أو شبه أمى خارج مدارس مكافحة الامية) .

صعوبات تواجه العمل ٠٠ أمكن التغلب عليها

وتتمثل الصعوبات فى التمويل والقوى المعادية للشعب والتقاليد ٠٠ ونتيجة لما أحدثته الحرب الاهلية من متاعب ٠٠ وما قام به كبار الملاك والرأسماليون من تخريب وتدمير للاقتصاد كانت البلاد تمر بمرحلة فقر شديدة حتى أن بعض مراكز تصفية الامية أغلقت أبوابها وتوقفت عن تأدية مهمتها تماما ففى سنة ١٩٢١ كانت بكل مديرية ١٦٠٠ مركز لتصفية الامية انخفض هذا العدد الى ١٥٠ مركزا سنة ١٩٢٢ ٠

واذا تناولنا كل مشكلة على حدة ٠٠ فلنبدأ :

أ ـ **التمويل** : وقد حدد المرسوم اللينينى كيفية توفير المواد اللازمة لمراكز تصفية الامية حيث يقول

فى البند السابع (دوائر التموين ملزمة بأن تؤمن حاجات المؤسسات التى تستهدف تصفية الامية وبان تفضلها على المؤسسات الاخرى) ٠

وفى سنة ١٩٢٣ تكونت جمعية (فلتسقط الامية) لهذا الغرض وكان لينين من بين أعضائها البارزين وكانت لها فروع عديدة فى المدن والقرى لدراسة مشاكل مراكز تصفية الامية وتذليل الصعاب وذلك الكساد . ففى دسكرة ١٢ الف مركز لمكافحة الامية فى القرى وفى سنة ١٩٢٨ دعت البرافدا الى ضرورة انشاء صندوق لتصفية الامية ٠٠ ساهمت التعاونيات والنقابات والتبرعات فى تكوين رصيده لتوفير الاضاءة والاقلام والاوراق وأماكن الدرس والمقاعد ٠٠ بل لقد خصصت قطع من الارض الزراعية يحرثها الفلاحون ويزرعونها لهذا الغرض وحده ٠٠ ولك أن تتصور كيف كان التعطش الى المعرفة يذلل تلك الصعاب وذلك الكساد ٠ ففى دسكرة فاسيورينسكايا (ظهر مكافحون فى سبيل تصفية الامية من أمثال القوزاقى وميترى بروكودا الذى جذب الى مدرسة مكافحة الامية أكثر من مائة شخص وقد نال جائزة ٠ ففى اجتماع جماهيرى قدمت له هدية كانت تعتبر فاخرة فى تلك الايام ٠ قميص وقطعة قماش لبنطال) ٠٠ وهذه الجائزة ليست فى حاجة الى تعليق عن مدى الفقر الذى خلفه كبار الملاك والرأسماليين للشعب ٠

ب ـ اعداء الثورة : كانتمقاومة الكولاك وكبار الملاك والرأسماليين لتصفية الامية مقاومة شرسة ، فتصفية الامية تعنى نهايتهم تماما وتعنى ترسيخ أقدام السلطة الجديدة (سلطة الشعب) لذلك فقد تولوا عملية تشويه للقضية ولاثارة الشكوك والريبة من حولها وأخيرا لجأوا الى العنف (ففى مقاطعة التربة السوداء المركزية وقع عدد كبير من حوادث ضرب المعلمين ومحاولات اغتيال مصفى الامية،وحرقمراكزتصفيةالامية ، ومنحوادتابادة الكتب) ٠ (وفى خريف سنة ١٩٢٩ قام الكولاك بزهاء مائتى عمل اجرامى ضد المناضلين من أجل الثقافة منها ٦٠ حادثا من حوادث الارهاب)٠٠ لكن الاصرار الدائم لتصفية مخلفات الماضى الرجعية قطع الطريق أمام تلك المحاولات الشريرة لوقف حركة التعليم ٠

جـ ـ تعليم المرأة : وهى من أهم الصعوبات التى واجهتحركة تصفية الامية فىالاتحاد السوفيتىوقد كانتالامية بينالنساء عالية .. وكانتتواجهقضية تعليم المرأة صعوبات مثل التقاليد والاسرة والزوج ٠٠ وقد بذل الحزب دورا كبيرا من أجل أن تجد المرأة فرصتها للتعليم عملا بقول لينين (ينبغى لكل طاهية أن تتعلم ادارة الدولة) ٠٠ ومن أجل توفير الوقت أمام المرأة كانت هناك محاولات ناجحة منها ما قام به سكان حى باومن بموسكو (تعاون سكان الحى وفتحوا ٦٧ روضة للاطفال و ٢٧ ساحة للاطفال فى ساحات البيوت ، و ٧٢غرفة مسائية للاطفاللدىمراكز مكافحة الامية وكان الاطفال يوضعون تحت رعاية فتيان الطلائع وطلبة دور المعلمين الابتدائية وجرى جمع كتب الاطفال واللعب ٠ بذلك كانت الامهات تجدن الفرصة لحضور الدروس فى مدارس مكافحة الامية) ٠

جوركى ومايا كوفسكى بين الاميين

واشتراك الكتاب والفنانين فى تصفية الامية فى الاتحاد السوفيتى يضيف الى الملحمة فصلا آخر ٠٠ فقد اشترك من الكتاب والشعراء امثال (ف ٠ بينحتريف و ف ٠ ماياكوفسكى ٠٠ وا ٠ سيرافيموفيتش وديميان بيدنى و ف ٠ بريوسوف و ا ٠ نيفيروف ومكسيم جوركى) وقد نظم ماياكوفسكى وهو من أعظم الشعراء السوفييت كتاب (الابجدية السوفيتية) فى شكل أشعار ثورية ٠ وكان جوركى يزور مدارس الاميين ويتحدث اليهم حول الدراسة والكتاب والثورة الاشتراكية وأهمية الثقافة فى مقاومة مخلفات الماضى الرجعية ٠٠ وفى سنة ١٩٢٠ كتب مقالا بعنوان (كيف تعلمت) قال فى نهايته (أحبوا الكتابينبوع المعرفة،المعرفة هىوحدهاطريق الخلاص وهى وحدها التى تستطيع أن تجعلنا أقوياء النفوس شرفاء وعقلاء) ، وكان جوركى صاحب فكرة ان تسجل للعاملات التى تعلمن القراءة والكتابة الاحاديث حول الثورة ٠٠ والحياة المظلمة فى عهد القيصر ٠٠ وما أحدثه التعليم من تقدم فى حياة الشعب (كما اقترح ف ٠ م بيختيريف تنظيم مدارس متنقلة يعلم فيها معلمون يتنقلون بين القرى وفى سنة ١٩٢٧ توفى بيختيريف ولكن المدرسة التى اقترحها كانت تعمل وكان المعلمون المتنقلون يحملون المعرفة الى القرية) ٠

وقد أدى الشعر دورا عظيما فى تحميس المثقفين وفى دفعهم للمزيد من الجهد والتضحية كما كان يدعو الاميين فى ثورية الى العلم ، والى اجتثاث مخلفات الماضى مثل أغنية الشاعر ١٠ بيزيمينسكى:

هلموا اخوتي هلموا شرعوا الرماح
على السكر على الفودكا والاقداح
على الظلمة والوحل والاتراح
هلموا ٠ اخوتي وشدوا الخيل
ولتزحف على الظلمة والوحل
ونستمد في يومنا والغد
من حب الناس
العزم والجد

في استئصال جذور الماضي الوغد

وهذه الرباعيات والتي تمجد العلم وتندد بالظلام وبعار الامية :

فليسقط الظلام
وعبىء الجهال والاوهام
ولتشهر النقابة
على الامية حربا غلابة
الامية نكبة البلاد السوفيتية
أيها العامل والفلاح
مع الامية لا فلاح

الامية ٠٠ والثورة الثقافية

في سنة ١٩١٣ كانت المدرسة يليزافيتا نيقولاييفنا تجد في عهد القيصر صعوبة وعنت من البوليس والسلطة عندما كانت تنوى أن تجمع الفلاحين لتحدثهم عن منشأ الارض والانسان ٠٠ وكان لينين يشير الى أن ما يعوق الثورة الثقافية (مصاعب لا تصدق .. مصاعب ثقافية صرف (فنحن أميون) ومصاعب مادية أيضا فلكى نصبح اناسا مثقفين ينبغي ان تكون وسائل الانتاج المادية قد بلغت درجة معينة من التطور ، ينبغي امتلاك اساس مادى متين) .

ولذلك فالى جانب تصفية الامية وتثقيف الشعب كانت حركة التعليم بمراحلها المختلفة تتخذ مسارا ثوريا يشمل عامة روسيا حتى لا يخرج الى المجتمع أميون جدد .. ايضا الاهتمام بأن تدخل الى القرية وسائل العلم والتكنيك والثقافة وأن يكون بكل قرية مكتبة عامة وفي كل بيت ٠٠ هى من لوازم الحياة الجديدة حيث تكون الفرصة أمام العمال والفلاحين دائمة لتوسيع مداركهم ووعيهم السياسى والثقافى ، وقد كان لفصائل الثقافة أثر كبير في ترسيخ هذه الحقيقة ٠

وخلال سنتى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ اعلن الحزب ومجلس مفوضى الشعب للاتحاد السوفيتى انه قد تم تصفية الامية تماما من الاتحاد السوفيتى ٠٠ وكانت الخطوة التالية وكما قال لينين انه (ليس بكاف أن نصفى الامية ٠٠ نحن بحاجة لرفع الثقافة الى درجة كبيرة) ولذلك فقد أتيحت الفرصة أمام الذين تعلموا من العمال والفلاحين في مراكز تصفية الامية لدراسة الجغرافيا والحساب واللغة في مدارس أشباه الاميين والى أن يصلوا الى كليات العمال ويصبح من بينهم الخبراء والعلماء ورجال الدولة ٠٠ وأن يتعلموا كل شىء ٠٠ حتى الفضاء ٠

ان الفترة ما بين كفاح المدرسة يليزافيتا نيقولاييفنا سنة ١٩١٣ ، وذلك التقدم العلمى الهائل للاتحاد السوفيتى يرجع الى كفاح هذا الشعب واصراره والى عبقرية لينين ٠٠ ان فصول الملحمة التى بدأت بمحو الامية ووصلت الى الفضاء مازالت تتوالى فقد أصبحت دولة العمال والفلاحين الفقراء والاميين أقوى دولة اشتراكية في العالم تقدما في العلم والاقتصاد والعلاقات الانسانية ٠



وثائق

عن الأرض المحتلة

معـــاملة المسجونين وتعذيبهم

ابتداءاً من عــدد أبريل ، تنشر « الطليعة » وثائق الارض المحتلــة ١٩٧٠ • وهى الــوثائق التى أعدتهــا :

«The Arab Women's Information Committee».

وأصــدرها « معهد الدراســات الفلسطينية ــ بيروت ، يونيو ١٩٧١ » ، تحت عنوان « العرب تحت الاحتلال الاسرائيلى : ١٩٧٠ » •

واذا كانت الوثيقة التى نشرت فى عدد أبريل تكشف عن ظاهرة الرفض والتمرد الشعبية داخل الاراضى المحتلة ، فان الوثيقتين اللتين نشرتا فى عدد مايو ، يكشفان عن أعمال البطش الاسرائيلى ضــد اقتصــاديات وممتلكــات العرب وتغيير طــابعها العربى •

وتكشف الوثيقة التى ننشرها فى هــذا العدد عن « الاســلوب الاسرائيلى » فى معــاملة المسجونين العرب وتعذيبهم •

« لا يجوز أن يتعرض أحد للتعذيب أو لمعاملة ، أو عقوبة قاسية أو غير انسانية أو مهينة » .

وتنص المادة ١٧ من معاهدة جنيف الثالثة ، ١٩٤٩ على انه : « لا يجوز أن يتعرض اسرى الحرب للتعذيب البدنى أو المعنوى أو اى شكل آخر من اشكال القهر للحصول منهم على أى معلومات من اى نوع كانت . ولا ينبغى أن يتعرض اسرى الحرب الذين يرفضون الاجابة الى اى تهديد أو اهانة ، او ان يتعرضوا لاى مضايقات أو معاملتهم معاملة مجحفة من اى نوع » .

وعرفت المادة الرابعة من معاهدة جنيف الثالثة أسرى الحرب بأنهم :

١ ــ « أفراد القوات المسلحة لاحد طرفى النزاع أو افراد الميليشيا او قوات المتطوعين » .

٢ ــ « أفراد الميليشيا وهيئات المتطوعين الاخرى ، بما فى ذلك أعضاء حركات المقاومة المنظمة ، التابعة لاحد اطراف النزاع والعاملة سواء فى داخل اراضيها أو خارجها ، حتى ولو كانت هذه الاراضى واقعة تحت الاحتلال ، بشرط ان تكون هذه الميليشيا ، او هيئات المتطوعين ، بما فى ذلك حركات المقاومة المنظمة مستوفاة للشروط التالية :

[أ] ان تكون خاضعة لقيادة شخص مسئول عن اعمال مرءوسيه .

[ب] ان تكون لها علامة مميزة ثابتة يمكن معرفتها عن بعد .

[ج] أن تحمل السلاح علنا .

[د] ان تدير عملياتها وفقا لقوانين الحرب وتقاليدها » .

وتنص المادة ١٣ على : « وجوب ان يعامل اسرى الحرب فى جميع الاوقات معاملة انسانية . ويحظر قيام السلطة التى تحتجزهم بأى اعمال غير مشروعة تؤدى الى وفاتهم أو تعريض صحة اسرى الحرب لاخطار جسيمة ، وتعتبر مثل هذه الاعمال انتهاكا خطيرا لهذه المعاهدة » . كما تتضمن المادة ١٢ أيضا على : « وجوب حماية اسرى الحرب فى جميع الاوقات من اعمال العنف والارهاب » .

وتحدد المادة الثالثة [فقرات أ . و د . المحظورات الاتية :

[أ] « العنف ضد الاشخاص وحياتهم ، وبشكل خاص القتل بجميع أنواعه .

[ب] اصدار الاحكام وتنفيذها دون محاكمة سابقة عليها » .

كتبت جوزيت اليا فى صحيفة لونوفيل أوبزيرفاتير تصف حديثا لها مع جنرال اسرائيلى :

وكان الذى بدأ باعطائى اجابة رسمية مؤكدة [عن السؤال عما اذا كانوا يستخدمون التعذيب] جنرال مسئول عن الاستجواب حيث قال : « استطيع ان أؤكد لك أن التعذيب فى الجيش الاسرائيلى ليس نظاما كما انه ليس استثناء . لماذا ؟ لان لدينا وسائل أخرى . وانه لمن الغباء أن نتظاهر ، كما يفعل الناس هنا احيانا ، ان العرب جبناء وانهم يسكبون كل ما لديهم عندما يقعون فى أيدينا . وربما كان ذلك صحيحا فى البداية ، ولكنه لم يعد كذلك الان . والاشخاص الذين نقبض عليهم ليتبوا على استعداد ، وليست لديهم الرغبة فى ان يتكلموا . ولكنى بصفتى احد المسئولين عن سلامة مواطنى وعن حياتهم ، احتاج الى المعلومات التى يحجبونها . ومن اجل هذا ينبغى أن ارفض رفضا قاطعا السماح للصليب الاحمر بحضور التحقيقات على نحو ما طلبوا . وهم بعد ذلك يستطيعون أن يروهم كما يشاءون . وكل المسجونين يسمح لهم بالاتصال بالصليب الاحمر ، ولهم الحق فى الاستعانة بمحام ، وفى المحاكمة العلنية ، حيث يستطيعون حتى ان يتهمونا بالقسوة . وفضلا عن هذا فان بعضهم يؤمنون ايمانا جازما بأنهم قد تعرضوا للتعذيب .

« ان الامر يسير على النحو التالى فنحن فى البداية نضعهم فى عزلة تامة بعض الوقت . ونحن نحول بينهم وبين النوم طوال يومين او ثلاثة . ثم نحملهم على الاعتقاد بأن شيئا فظيعا سيجرى لهم . كان يقول أحد الحراس لاحدهم على سبيل المثال أن صديقه محمد ... الذى قبض عليه فى نفس الوقت قد اعترف بكذا وكذا « تحت التعذيب » . وفى نفس الوقت ندير فى الزنازن اثناء الليل تسجيلات واقعية للغاية لاشخاص يتأوهون ويصرخون [بالعربية] او نطلق دفعات من نيران الرشاشات فى الفناء فى الصباح الباكر . ومن ثم يذعنون فى النهاية .

وهناك وسائل أخرى ايضا : فالعرب يخشون الوحوش المفترسة . ونحن نأخذ السجين مثلا ، ونربطه بالقيود ، ثم نلقى بجواره جثة أحد هذه الوحوش . ثم هناك وسيلة أكثر فعالية بكثير ، هى جهاز كشف الكذب . فالساجين لايعرفون ماهية هذا الجهاز ، وهم يرون جهازا مزودا بأسلاك وأقطاب كهربائية ، ويظنونه اداة للتعذيب وطبيعى اننا نتركهم على هذا الاعتقاد ، وعندما نثبت الاقطاب على أجسامهم يصرخون ? وبعضهم يشعر بألم حقيقى . وعندئذ يتكلمون . وهذا هو ما نريده » .

[لونوفيل أوبزيرفاتير ، ٥ ــ ١١ يناير ١٩٧٠]

كتب شكرى عمر الريس ، صهر جاسم أبو خضره ، الذى زعم البوليس انه قد انتحر فى احد سجون الدولة ، كتب الى رئيسة الوزراء يقول : « فى ١٥ ديسمبر ١٩٦٩ أبلغنا بوليس ايكر ان صهرى جاسم أبو خضره ، الذى كان قد القى القبض عليه ، قد انتحر ومات فى السجن ، وأن تحقيقا سيجرى فى محكمة الصلح فى بيت تيكفاه فى ١٨ ديسمبر ١٩٦٩ حول الظروف التى أدت الى وفاته . وقد ذهبت فى ذلك اليوم الى المحكمة بصحبة المحامى ف. ترك .. ولم يسمح لنا بالدخول لحضور اجراءات التحقيق . وعندما سألنا عن الجثة ، قيل لنا انها قد دفنت فى مكان سرى ، وانه ليس من المفروض أن نعرف اى شىء عن المكان الذى مات فيه أو دفن . اما عن مزاعم الشرطة للصحافة من ان احد رجال الدين المسلمين أو احد افراد اسرة المتوفى قد حضر الجنازة ، فانها كلها ادعاءات زائفة . وكل هذه الظروف ــ بالاضافة الى ما نعرفه عن شخصية المتوفى ــ تحملنا على الشك فى انه قد اقدم على الانتحار ، بل ونعتقد انه قد قتل اثناء اعتقاله » .

[الاتحاد ، ٦ يناير ١٩٧٠]

قامت المحامية فيليسيا لانجر باسم موكليها نعيم الاشهب وآخرين من المسجونين العرب بزيارة سلطات سجن الشطا لتنفيذ الاتفاق بين المسجونين العرب وادارة السجن . وينص الاتفاق على أن المسجونين المضربين لا ينبغى أن يتعرضوا للعقاب ، وأن يعاملوا معاملة انسانية كما ينص على تحسين احوالهم . وكان المسجونون قد انهوا اضرابهم عن الطعام بعد ستة ايام احتجاجا على مهاجمة بعض المسجونين اليهود لنعيم الاشهب . وقد ابلغ المسجونون المحامية لانجر أن ادارة السجن الاسرائيلى قد نقلت اثنين من المسجونين المضربين من سجن الشطا الى سجن الرملة حيث حاولت اطعامهم بالقوة باستخدام الخراطيم الكاوتشوك ، مما أدى الى الاضرار بمعدتهم . وعند انهاء الاضراب لم تقم ادارة سجن الرملة بابلاغ المسجونين المضربين بذلك لمدة يومين ، مما ادى الى استمرارها فى الاضراب والى المزيد من تدهور صحتهما .

[الاتحاد ، ٣٠ يناير ١٩٧٠]

قال عبد المطلب أبو رميلة ، وهو شاب من القدس العربية ، انه قد تعرض طوال فترة استجوابه [منذ اعتقاله فى ٨ مارس ١٩٦٩ حتى توجيه الاتهام اليه فى ١ مايو ١٩٦٩] للضرب والتعذيب بالاجهزة الكهربائية . وقد ادخلت رصاصة فى ظهره ، وكوى بالسجائر فى ذراعه اليسرى . ولاتزال آثار التعذيب تشاهد على ظهره . وقد أضاف عبد المطلب أن صحته قد تدهورت نتيجة لهذا التعذيب . وفى ٢٠ يونيو فقد وعيه وأصيب بلوثة عقلية . وقرر الدكتور شترايخ بعد الكشف عليه أن السجين قد « فقد كل سيطرة على نفسه ، ولم يعد يستطيع التعرف على اى شخص ، أو ان يتحدث حديثا متماسكا» .

وقرر الطبيب انه لايستطيع فى ذلك الوقت أن يظهر أمام المحكمة . وبناء على هذا التقرير قررت محكمة اللد فى ١٤ اكتوبر ١٩٦٩ « ان المحكمة لا تستطيع أن تحاكم المتهم بسبب حالته العقلية » . وطلبت اسرة المتهم أن تتولى المحامية فيليسيا لانجر التحقيق فى القضية . وأرفقت بطلبها اربعة وثائق تثبت أن عبد المطلب كان صحيحا بدنيا وعقليا حتى بعد القبض عليه ببعض الوقت . وقد أودع عبد المطلب باحدى مستشفيات الامراض العقلية ، ولكنه لا يلقى اى نوع من العلاج .

[الاتحاد ، ٣٠ يناير ١٩٧٠]

ألقى البوليس القبض على محمد حسن دياب من القدس فى ١٦ نوفمبر ١٩٦٩ بينما كان يقوم بالتدريس لتلاميذه . وهو الان تحت الحجز الادارى . وقد تعرض دياب بعد القبض عليه مباشرة للتعذيب ، بما فى ذلك استخدام الهراوات « والقوايش » والصدمات الكهربائية . وقد نقل الى سجن آخر حيث جرى تعليقه فى الهواء عدة مرات ، ونزعت ملابسه ، وصب عليه الماء البارد . وقد ظل فى السجن ٤٧ يوما منع اثناءها من مقابلة محاميه ، ثم سمح بعد ذلك لاحدى المحاميات ، فيليسيا لانجر ، بأن تراه مرتين ، ولكن لم يسمح لها بالتحدث اليه . أما التهمة التى وجهت الى دياب فهى انه شيوعى .

[الاتحاد ، ٦ فبراير ١٩٧٠]

طلب الهلال الاحمر الفلسطينى الى الصليب الاحمر الدولى التحقيق فى وفاة ثلاثة من الفلسطينيين المحتجزين فى سجون اسرائيل . وقالت مصادر الهلال الاحمر ان المنظمة قد أرسلت مذكرة الى الصليب الاحمر تتهم فيها الاسرائيليين بقتل المسجونين الثلاثة . وطالبت المذكرة بتشكيل لجنة للتحقيق فى ظروف وفاتهم . وحددت المنظمة اسماء المسجونين الثلاثة وهم محمد حسن دياس ، ومحمد شاكر خراز ، وجاسم أبو خضره .

وقالت هذه المصادر ان جثة دياس قد سلمت الى مختار قريته فى نوبا فى ٧ يناير . أما خراز فقد مات فى سجن نابلس فى ٢٢ يناير . واتهمت هذه المصادر السلطات الاسرائيلية بقتل أبو خضره اثناء تعذيبه ، وقالت أن السلطات الاسرائيلية رفضت اعادة جثمانه الى اسرته .

[رويتر ، ديلى ستار ، ٦ فبراير ١٩٧٠]

ذكرت رسمية عودة فى اقوالها أمام محكمة اللد : « اننى لا اعترف بأقوالى أمام البوليس لانها انتزعت منى تحت التعذيب ، وهو الاسلوب الذى أدى أيضا الى وفاة قاسم أبو بكر فى سجن المسكوبية بالقدس ، والى اصابة عبد المطلب أبو رميله بالجنون » .

[الاتحاد ، ١٧ فبراير ١٩٧٠]

رفضت سلطات الاحتلال الاسرائيلية الافراج عن بعض المسجونين العرب الذين أتموا مدة عقوبتهم فى قضايا متعلقة بالامن .

وقد قيل لعدد قليل من المسجونين انهم سيوضعون الان تحت التحفظ الادارى لان الافراج عنهم سيؤدى الى تعريض الامن فى الضفة الغربية التى استولت عليها اسرائيل من الاردن فى حرب ١٩٦٧ للخطر .

وقد أثارت هذه الخطوة انتقادات مريرة من جانب بعض الزعماء العرب كما أثارت تهديدا جديدا من جانب المحامين العرب بمقاطعة المحاكم العسكرية . وقرر أحد المحامين البارزين على الاقل رفض كافة القضايا الجديدة المتعلقة بالامن احتجاجا على هذا القرار .

وكان هذا المحامى قد شكى من قبل من الصعوبات التى يلاقيها فى الدفاع عن موكليه ، بسبب طول فترة التحقيق بعد القبض عليهم . وخلال هذه الفترة لا يتاح للمسجونين أن يحصلوا على استشارات قانونية .

وفى مواجهة هذا التهديد بالمقاطعة ، انتقل بعض المحامين الاسرائيليين ، من بينهم البعض ممن لهم ارتباطات بالحزب الشيوعى ، الى المنطقة ليعرضوا خدماتهم فى المحاكم العسكرية على العرب الذين يواجهون اتهامات متعلقة بالامن .

وقد طلبت اللجنة الدولية للصليب الاحمر ، المسئولة عن التحقيق فى معاملة المسجونين فى الاراضى المحتلة طبقا لمعاهدة جنيف ، سلطات أوسع فى التداول مع المسجونين خلال فترة التحقيق بسبب تكرار الاتهامات باستخدام التعذيب .

وأكد المسئولون الاسرائيليون أن عددا قليلا من المسجونين العرب فى قضايا الامن يوضعون تحت الحجز الادارى عند انتهاء فترة سجنهم . ولم تذكر اى اسماء ، وان كان المسجونون قد وصفوا بأنهم يشكلون خطرا كبيرا على الامن .

وقد أثارت هذه الخطوة تساؤلات خطيرة حول النظام القضائى فى الاراضى المحتلة .

[ديلى ستار ، نقلا عن لوس انجيلوس تايمز ، ٤ مارس ١٩٧٠]

وصف حسن عثمان عيسى ، من بيت لحم ، الذى وضع تحت الحجز الادارى منذ ١٨ أغسطس ١٩٦٩ ، لمحاميته فيليسيا لانجر ما تعرض له من تعذيب اثناء التحقيق . وقرر المسئولون بالسجن ردا على شكوى المحامية انه ليست هناك آثار للتعذيب على جسد السجين . ولكن عندما اعترضت لانجر على عدم وجود تقرير طبى ، رفضت السلطات العسكرية فى رام الله السماح لها بدخول السجن .

وقد شوهد عيسى فى اجتماع لجنة التظلم من الحجز الادارى وهو يسير بصعوبة . وكانت ساقه متورمة ويبدو أن الجانب الايسر من ظهره كان يؤلمه حتى انه لم يستطع الجلوس .

[الاتحاد ، ٢٠ مارس ١٩٧٠]

فى مقال لمجلة الايكونوميست الاسبوعية البريطانية المستقلة أن معاملة اسرائيل للمسجونين تؤدى الى تدعيم الرأى العام العربى فى البلاد وتعبئته وراء حركة الفدائيين . وتقول الصحيفة ان السبب الرئيسى فى تعاظم الروح العدائية لدى السكان الفلسطينيين هو خبرتهم بالاحتلال الاسرائيلى ، وبخاصة باجراءات الامن الداخلى .

ويقول المقال : « ان ادعاءات المعاملة الوحشية للمسجونين تحت التحقيق تبدو ثابتة فى الادلة التى يقدمها صحفى أجنبى زائر . وتتشابه هذه الروايات من مختلف المصادر يشير الى أن هذه الاحداث ليست بالضرورة حوادث فردية » .

وذكر كاتب المقال انه قد تحدث الى ثلاثة اشخاص ذكروا انهم قد تعرضوا للضرب المبرح أو التعذيب بالاجهزة الكهربائية وانه قد اقتنع بأن روايتهم لتجاربهم الذاتية تعطى وزنا للشواهد التى حصل عليها من مصادر أخرى .

وقد شكى المحامون العرب واليهود الى السلطات الاسرائيلية من المعاملة التى يلقاها موكلوهم .

وقالت الايكونوميست « لايمكن أن نحكم على حجم المشكلة من واقع الارقام الاسرائيلية الرسمية التى تقول بأن هناك ٣٧٠٠ من غير الاسرائيليين فى سجون اسرائيل . اما التقريرات العربية فترتفع بهذا الرقم الى اربعة أمثال الرقم الاسرائيلى . ومن هؤلاء أكثر من ألف من الموضوعين فى الحجز الادارى [اى دون اتهام] ، وبعضهم منذ مدة تزيد على عامين .

« ان السلطات الاسرائيلية بتطبيقها لنفس المعاملة على الذين اعترفوا بقيامهم باعمال تخريبية ، والذين ادينوا لنشاطهم السياسى وعلى الافراد الابرياء من الجماهير العربية الذين يتصادف أن يصبحوا موضع الاشتباه انما يحققون فى الواقع ، الشىء الوحيد الذى يفترض انهم يحبون أن يمنعوه .. وهو تعبئة الرأى العام العربى فى داخل اسرائيل وراء حركة الفدائيين » .

[رويتر ، ديلى ستار ، ٢٢ مارس ١٩٧٠]

فى ٢٥ مارس ١٩٧٠ حاول عبد الملك دهنشة أن يرى موكله عبد الكريم حكروش ، الذى وضع تحت الحجز الادارى ، ولكن مدير السجن رفض السماح له بذلك .

[الاتحاد ، ٢٧ مارس ١٩٧٠]

نشرت صحيفة الدفاع الاردنية أن الذين وصلوا حديثا من الضفة الغربية المحتلة ان ١٧٠ من المعلمين العرب المحتجزين فى السجون الاسرائيلية يتعرضون لمعاملة غير انسانية على أيدى السلطات الاسرائيلية . وقد وضع عدد كبير من هؤلاء المسجونين فى زنازين العزل الانفرادى ، ولم يسمح للاخرين بتلقى زيارات ذويهم . وقد تعرضوا للضرب وحرموا من العلاج الطبى ، ولم يسمح لهم بما يكفى من الطعام . وتزعم السلطات الاسرائيلية أن مثل هذه الاجراءات تستخدم « كاجراء تنظيمى » لوضع حد لنشاط هؤلاء المسجونين فى تعليم وتنوير زملائهم المسجونين .

وفضلا من هذا فقد رفضت السلطات الاسرائيلية الاستماع الى شكوى المعلمين بشأن معاملتهم : كما انها حذرتهم من تكرار هذه الشكاوى والا فسوف تتخذ ضدهم اجراءات أكثر عنفا .

[رويتر ، النهار ، ٢٩ مارس ١٩٧٠]

قال يوسف محمد العجورى ، اثناء محاكمته أمام المحكمة العسكرية ، فى جوون فى ١٢ ابريل ١٩٧٠ : « بعد ان اخذت من منزلى مباشرة ضربت ضربا مبرحا . فقد ضربت « بحبشك » البنادق بينما كنت معصوب العينين فى احدى سيارات الجيش . وبعد ذلك استمر الضرب بصورة متصلة . واثناء التحقيق ضربنى ميجور يدعى يوسف من المخابرات الاسرائيلية . .. » ثم بدأ ثلاثة من المحققين فيما بعد يضربونه فى عورته حتى سقط مغشيا عليه . ثم نقل الى المشى حيث كان الجنود العابرون يركلونه وفضل احد الجنود ان يضرب راسى بالحائط بدلا من أن يركلنى ...

وطلبت ماء فأحضر احد الجنود زجاجة ، وشرب نصفها ثم سكب الباقى على رأسى . واجاب العجورى على اسئلة ممثل الادعاء قائلا : « اننى لم أدهش لهذه المعاملة .. فلقد رايت مئات من مواطنى ، على براءتهم ، يوضعون فى سجونكم . وقد رأيت شيخا مسنا فى التسعين ، وشخصا آخر يعتقلان لان السلطات لم تستطع أن تعثر على ابنه المطلوب القبض عليه. وقد نقل العجوز بعدئذ من رام الله الى سجن نابلس ... حيث مات . ولسم ادهش لهذه المعاملة البربرية » .

[الاتحاد ، ٣ ابريل ١٩٧٠]

قال محمد الاسود ، ١٨ سنة ، فى أقواله أمام محكمة حبرون العسكرية فى ٢٦ مارس ١٩٧٠ ان المحققين كانوا يركلونه ويضربونه بالعصى فى محاولة لارغامه على الاعتراف .

[الاتحاد ، ٧ ابريل ١٩٧٠]

ذكرت فيليسيا لانجر فى دفاعها عن عبد الله الكاتب فى ٢٦ مارس ١٩٧٠ ان الكاتب بعد أن نقل من السجن العسكرى الى معسكر صرفند ، علق من يديه ، واطفئت اعقاب السجاير فى جلده ، وسكبت فوقه المياه الملوثة ثم وضع فى غرفة مليئة بالغازات المسيلة للدموع . وأضافت المحامية لانجر أن هذه المعاملة استمرت ثلاثة أسابيع ، نقل الكاتب بعدها الى سجن حبرون حيث تعرض لمزيد من التعذيب .

[الاتحاد ، ٧ ابريل ١٩٧٠]

جاء فى اقوال محمود حسن ابودنهش امام محكمة حبرون العسكرية فى ٢٦ مارس ١٩٧٠ : « .. بعد القبض على صفعنى احد المحققين وضربنى بقدمه اليسرى . وضربنى المحقق الاخر ايضا ، وقد حدث هذا فى مركز بوليس حبرون . ثم فقدت وعيى .. وأخيرا نقلت الى مستشفى هداسا للعلاج من جروح اصبت بها قبل القبض على فى معركة مع الجنود الاسرائيليين . وفى المستشفى سألنى الميجور يوسف عن معلومات تفصيلية فى مسائل لا أعرف عنها شيئا . وبدأ يضربنى ويشد شعرى ، ويحرك انبوبة الهواء التى أتنفس بواسطتها ، ويسحب انبوب الطعام الكاوتشوك على نحو احدث لى ألما فظيعا » واستمر هذا التعذيب خمسة ايام ، ثم طلب الى ان اوقع على بعض الاوراق التى لا اعرف عنها شيئا » وأضاف أبو دنهش : « وقد فقدت بصرى بعد القبض على .. ولا زلت اذكر قسمات وجه الجندى الذى ضربنى بكرنافة البندقية على نحو أدى الى فقد ابصارى » .

[الاتحاد ، ٧ ابريل ١٩٧٠]

ذكر طالب فلسطينى انضم الى مجموعة من الفدائيين تعمل فى الضفة الغربية للاردن لفريق من محققى الامم المتحدة امس انه قد ضرب ، وعلق من مرفقيه وهددوه بالكلاب بينما كانت يديه مقيدتين وهو سجين فى اسرائيل .

وقدم احمد خليفة ، الذى سجن لمدة عامين لنشاطه مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، قدم للمحققين اسماء آخرين من العرب ، لقوا على حد قوله معاملة اسوأ من تلك التى لقيها ولايزالوان حتى الان فى سجون اسرائيل . كما قدم لفريق الامم المتحدة المكون من ثلاثة اعضاء اسماء الاسرائيليين الذين ادعى انهم مسئولون عن تنفيذ هذه المعاملة .
[انترناشيونال هيرالد تريبيون ، ٩ ابريل ١٩٧٠]

قالت صحيفة الدفاع أن محامية يهودية حددت اقامتها بسبب شكواها بشان تعذيب احد المعتقلين العرب .

وذكرت الصحيفة امر المحامية هى فيليسيا لانجر وقالت أن الحاكم العسكرى الاسرائيلى فى رام الله قد منعها من مقابلة موكليها المحتجزين فى سجون المناطق التى تحتلها اسرائيل .

وجاء بالصحيفة ان المحامية ، بعد ان استمعت الى كثير من الشكاوى ، أعدت تقريرا يتضمن اسماء الشهود ، وحملته الى وزير الدفاع الاسرائيلى الجنرال موشى ديان . وقد طلبت اجراء فحص طبى دقيق لاحد المعتقلين ، هو حسن عثمان عيسى من بيتلحم ، وحذرت من ان حياته معرضة للخطر بسبب التعذيب الذى يتعرض له وانه مهدد باستئصال ساقه بسبب الفرغرينا .

[رويتر ، ديلى ستار ، ١٠ ابريل ١٩٧٠]

اتهم طالب عربى فى الثامنة عشرة ، أفرج عنه فى ١٣ ابريل بعد ان قضى ٢٥ شهرا فى احد السجون الاسرائيلية، اتهم الاسرائيليين بتعذيب طالب عربى آخر حتى الموت .

وقد ذكر الطالب يوسف حافظ محمد صالحة للمسئولين فى الصليب الاحمر الدولى عند جسر اللنبى أن الطالب الذى مات هو انور جابر .

وقال محمد ايضا أن الكثيرين من الاشخاص الخمسة والثلاثين الذين اعتقل معهم اصيبوا بالجنون أو بمرض السل اثناء اقامتهم فى سجن جنين نتيجة للتعذيب الاسرائيلى .

[اب ، ديلى سمار ، ١٤ ابريل ١٩٧٠]

قرر عبد الهادى الخطيب اثناء محاكمته أمام محكمة حبرون العسكرية فى ١٨ ابريل ١٩٧٠ ، أن القيود قد وضعت فى يديه وتعرض للتعذيب طوال عدة أيام فى احد السجون العسكرية . وقد أطلقت عليه الكلاب ، ورشت زنزانته بالغازات المسيلة للدموع وصب عليه الماء البارد . كما أنه علق من قدميه فى الهواء . واشار عدد من الشهود فى نفس المحكمة الى أن مسجونا آخر هو يوسف محمد العجورى ، كان يبدو مريضا ، وعليه أمارات واضحة تشير الى انه قد تعرض للضرب بعد التحقق على ايدى بوليس حبرون .

[الاتحاد ، ٢٠ ابريل ١٩٧٠]

نشرت صحيفة يديعوت احرونوت الاسرائيلية فى ٥ ابريل ١٩٧٠ ان بعض المسجونين اليهود المحكوم عليهم بسجن ماسياهو قد وضعوا كحراس بسجن بير سبع حيث يجرى حجز المسجونين من الاراضى المحتلة .

[الاتحاد ، ٢٠ ابريل ١٩٧٠]

سجن منير الريس عمدة غزة السابق وتعرض للتعذيب بتهمة التعاون مع المقاومة الفلسطينية . وقد أعلنت هذا صحيفة الدفاع الاردنية ، نقلا عن بعض العائدين حديثا من غزة .

وكان منير الريس قد اعتقل على ايدى السلطات الاسرائيلية فى عام ١٩٥٦ عندما احتلت القوات الاسرائيلية غزة . وكان فى ذلك الوقت لايزال عمدة لغزة . وتضيف صحيفة الدفاع انه الان فى الستين ، وأن صحته ضعيفة وحياته مهددة بالخطر ..

[الوكالة الفرنسية ، لورينت ، ٢٧ ابريل ١٩٧٠]

قال بشير الخيرى المحامى اثناء محاكمته أمام المحكمة العسكرية فى رام الله انه قد تعرض للتعذيب فى سجن القدس . وقد تضمنت القضية ذاتها اقوال كل من عبد الهادى عودة وجميل ابو خديجة اللذين قررا أمام المحكمة فى ١٣ ابريل ١٩٧٠ انهما قد تعرضا للضرب والتعذيب فى مكاتب التحقيق فى القدس حتى فقدا وعيهما . وكانت الدماء المتجلطة لاتزال تبدو على رأس أبو خديجة . وقد وصف المسجونون السجن بأنه كالمذبح وشبهوا المحققين بالجزارين، وذكروا انهم قد وضعوا فى زنزانة صغيرة بعد أن قيدت أيديهم وضيقانهم ؟ وهددهم سجانوهم بانهم سيطلقون عليهم الكلاب .

[الاتحاد ، ٢٨ ابريل ١٩٧٠]

وصف حسن عثمان عيسى فى شكوى بتاريخ ٤ مارس ١٩٧٠ اساليب التعذيب التى تعرض لها فى مكتب الادارة برام اله مما أدى الى اصابته بعاهة مستديمة . وهو حتى الان لايستطيع السير الا بصعوبة .

[الاتحاد ، ٢٨ ابريل ١٩٧٠]

يؤخذ من شكوى بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٦٩ أن عبد الله يوسف عدوان قد تعرض لمختلف اشكال التعذيب ، ومن بينها الصدمات الكهربائية ، وعيدان الثقاب المشتعلة . وتضمنت الشكوى اسماء ورتب الاشخاص الذين قاموا بتعذيب السجين ، وهو محتجز اداريا بسجن كفار يونا .

[الاتحاد ، ٢٨ ابريل ١٩٧٠]

قرر محمد حسن دياب المعتقل اداريا بالقدس الشرقية ، فى شكوى بتاريخ ٣ فبراير ١٩٧٠ ، انه قد وضع فى العزل الانفرادى بسجن القدس لمدة ٤٧ يوما . وقد نزعت ملابسه بعد نقله الى سجن مرفند ، وسكب عليه الماء البارد والساخن . كما حرم من حق مقابلة محاميه .

[الاتحاد ، ٢٨ ابريل ١٩٧٠]

ذكر اسحق على المعراجى من القدس الشرقية فى شكوى له اسماء المحققين الذين ضربوه فى مركز بوليس القدس . وقد وصف بالتفصيل كيف ضربوه على راسه بهراوة ، وتسكب عليه الماء البارد والساخن ، وتعرض للتعذيب بالتيار الكهربائى لمدة ٢١ يوما . وقد سحبت الاتهامات الموجهة الى المعراجى ، ولكنه وضع تحت الحجز الادارى . وقد طلب البوليس اليه الادلاء باقواله ولكنه رفض السماح له باستدعاء محاميه ، وهكذا حفظت القضية .

[الاتحاد ، ٢٨ ابريل ١٩٧٠]

ذكرت الاتحاد ان عبلة طه ، وهى مدرسة شابة من القدس الشرقية ، قد قالت اثناء محاكمتها أمام محكمة نابلس العسكرية فى عام ١٩٦٨ انها قد سجنت مع المومسات الاسرائيليات فى مركز بوليس بالقدس ، حيث كانت لديهن أوامر من البوليس بضربها ضربا مبرحا ، وكانت الاثار الباقية على جسدها فى ذلك الوقت دليلا واضحا على صحة ادعاءاتها . وقد تعرضت سجينة اخرى ، هى لطيفة الهراوى ، التى كانت قد اعتقلت مع عبله ، للضرب على ايدى هؤلاء المومسات . وقتى من القول أن مثل هذه الاعمال قد وجدت تبريرا لها فى مضبطة المحكمة على أساس « المشاعر القومية » لهؤلاء المومسات اليهوديات .

[الاتحاد ، ٢٨ ابريل ١٩٧٠]

أدان الدكتور محمود حجازى ، رئيس جمعية الهلال الاحمر الفلسطينى ، فى مؤتمر صحفى عقد فى عمان ، تعذيب المعتقلين العرب فى سجون اسرائيل . وقد قدم الهلال الاحمر الفلسطينى ثلاثة من الشبان العرب الذين عذبوا بوحشية على ايدى المحققين الاسرائيليين . ومن هؤلاء الشبان منير غنام ، فى الحادية والعشرين ، الذى بترت قدمه ، واصيب بندبة فى شفتيه .

وكان غنام ، وأربعة آخرون من فدائيي فتح ، قد حوصروا فى حقل للالغام اثناء احدى العمليات . وانفجرت بعض الالغام فأصابتهم جميعا . ورفضت دوريات الجيش الاسرائيلى اخراجهم من حقل الالغام ، وتركتهم فى مكانهم لمدة ١٢ ساعة ، حتى نزف اثنان منهم حتى الموت . أما الثلاثة الاخرون فقد حرموا من الماء والاسعافات الاولية حتى يكشفوا عن معلومات عن فتح . ولما رفضوا الادلاء بهذه المعلومات ، تعرضوا لتعذيب بدنى عنيف ، ولم يبدأ علاجهم طبيا الا بعد أن انهاروا من التعب والارهاق .

وقد اجتاز الثلاثة عمليات بتر لم تكن ضرورية .

أما الشاهد الثانى فهو طالب يدعى جهاد تصادف ان كان يزور أسرته فى الكرامة فى ٢١ مارس ١٩٦٨ .

وقد روى كيف جمع الجنود الاسرائيليون نحو ٢٠٠ — ٢٥٠ من الذكور والاناث من مختلف الاعمار فى مدرسة الكرامة ، وضربوهم بقسوة ، ثم أخذوهم الى معسكر بالقرب من البحر الميت حيث حشيت افواههم بالملح بالقوة ، وحيث حرموا من أى مياه للشرب . وقال ان الكثيرين قد ماتوا فى هذه البقعة قبل أن ينقل الاخرون الى القدس لمزيد من التحقيق .

وقال الطالب انه قد اصيب بمرض فى صدره وآلام فى ظهره ، ووصف مشاهد التعذيب التى عاناها أو شهدها بنفسه .

وتحدث الشاهد الثالث عن تعذيب بدنى مماثل ..

وقرر الدكتور حجازى ان هناك مالا يقل عن ١١ ألف معتقل ، موزعين فى ١٩ سجنا بالاراضى المحتلة ، بالاضافة

الى منطقة سجن المعتقلات المفتوحة فى صحراء سيناء حيث لا يجد المعتقلون المأوى . ولم يقدم من هذا العدد للمحاكمة أمام المحاكم العسكرية سوى ٨٠٠ تقريبا ، بينما بقى الآخرون فى السجن طوال شهور وسنوات دون محاكمة ، تحت الحجز الادارى ، طبقا لقانون الطوارىء البريطانى لعام ١٩٤٥ . وقد كان التعذيب وسوء المعاملة جزءا من الحياة اليومية العادية للشعب الفلسطينى فى السجون الاسرائيلية »

« اننا نتهم الاسرائيليين بتعريض المسجونين والمعتقلين السياسيين للتعذيب غير الانسانى الذى يجمع بين اساليب التعذيب فى العصور الوسطى وبين الاساليب التى كان يستخدمها النازى . ولكننا ينبغى أن نقرر ان بعض هذه الاساليب جديدة تماما وقد ابتكرتها العقول الصهيونية الاجرامية .

« وقد أدى التعذيب فى عديد من القضايا الى وفاة المسجونين . وأصيب الكثيرون من المسجونين بعاهات نتيجة لهذا التعذيب ، ولكن الشىء المخيف حقا هو الآثار النفسية التى تظهر مع مرور الوقت ، والتى تترك المسجون حطاما بشريا كاملا . » وقال أيضا انه جدير بالملاحظة أن ممثلى الصليب الاحمر الدولى لم يسمح لهم بزيارة مناطق اعتقال معينة ، مثل سجن صرفند وسجن موسكوبيت . كما أن الاسرائيليين لم يسمحوا أيضا لممثلى الصليب الاحمر بزيارة المعتقلين خلال ما سمى « بفترة التحقيق » ، التى كانت تستمر طوال عدة شهور ، كان المسجونون خلالها يمرون بمختلف أنواع التعذيب .

[ديلى ستار ، ٣٠ ابريل ١٩٧٠]

بدأت حوالى ٣٠٠ من النساء الاردنيات اعتصاما فى الرابع من مايو بمقر رئاسة اللجنة الدولية للصليب الاحمر فى عمان وقلن انهن سيضربن عن الطعام الى أجل غير محدود تضامنا مع المسجونين العرب فى السجون الاسرائيلية . وقد بدأ المسجونون اضرابا عن الطعام فى ٢٨ ابريل احتجاجا على معاملتهم واعتقالهم دون محاكمة .

وذكرت السيدات أن المسئولين فى الصليب الاحمر رفضوا قبول مذكرة منهم باللغة العربية وطلبوا ترجمتها الى الانجليزية . وقد تقدم وفد فيما بعد مذكرة بالانجليزية من مذكرتهم الى المسئولين . وقد طلبت المذكرة الى الصليب الاحمر ، أن يعلن الحقائق بشأن الوضع فى سجون المعسكرات الاسرائيلية ، وأن يكشف عن رفض سلطات الاحتلال الامتثال لمعاهدات جنيف . كما بعثت السيدات أيضا ببرقية الى الملوك والرؤساء العرب يطلبن فيها مساندة المعتقلين . وقد احتجت السيدات أيضا على فشل الصليب الاحمر فى تقديم المساعدة لهؤلاء المسجونين الذين دخل اضرابهم عن الطعام يومه السابع فى ٤ مايو . وفى الوقت ذاته اتهم الهلال الاحمر الفلسطينى [وهو منظمة مماثلة للصليب الاحمر] اتهم اسرائيل باتخاذ اجراءات قمع قاسية فى محاولة لانهاء الاضرابات عن الطعام التى بدأها المعتقلون العرب فى سجون اسرائيل . وقد قال الهلال الاحمر فى بيان له : « ان سلطات السجون الاسرائيلية تضرب المسجونين وترغمهم على تناول الاغذية الصناعية. » وأضاف البيان أن المسجونين قد نقلوا الى معسكرات فى صرفند ، وعسقلان والحى الروسى من القدس حيث يعذبون تعذيبا وحشيا بعد اتهامهم بالتحريض على الاضراب . وقال البيان « طبقا لآخر المعلومات فقد اصبحت صحة الكثيرين من المسجونين الآن فى حالة خطيرة » .

[رويتر ، ديلى ستار ، ٥ مايو ١٩٧٠ ، والتايمس ، ٥ مايو ١٩٧٠]

عرض المعتقلون فى سجون نابلس فى لقائهم مع عمدة المدينة الاجراءات التعسفية والحبس المستمر الذى يتعرضون له دون أن يعرفوا له اسبابا. وقد طلبوا أن يوضع حد لهذه الاعتقالات التى تجاوزت الحد القانونى فورا ، كما طلبوا أيضا الافراج عن كل المعتقلين ، وطالبوا بتحسين نوعية الطعام وزيادة كمياته ، وهو أمر كان دائما مصدرا للشكوى . كما طالبوا أيضا بالسماح لعائلاتهم بزيارتهم أكثر من مرة كل شهر .

[الاتحاد ، ١٥ مايو ١٩٧٠]

تواصل السلطات معاقبة المعتقلين اداريا الذين أضربوا عن الطعام . وقد حرموا من تلقى زيارات عائلاتهم بمناسبة المولد النبوى عقابا لهم على اضرابهم عن الطعام .

[الاتحاد ، ١٥ مايو ١٩٧٠]

تعرض خليل الناطور ، وهو معتقل فى الرابعة عشرة ، للضرب بوحشية فى مركز البوليس فى ايكز حتى سالت دماؤه وسقط مغشيا عليه .

[الاتحاد ، ٢٦ مايو ١٩٧٠]

أضربت الشقيقتان ليلى وعايدة قمرى من القدس عن الطعام لمدة ٩ أيام فى سجن النساء فى « نافى تيرتزا » نقلتا بعدها الى المستشفى للعلاج .

كما أضربت نساء عربيات اخريات أيضا فى نفس السجن عندما تعرضت السجينة رسمية عودة للضرب على أيدى حراس السجن .

[الاتحاد ، ٢٦ مايو ١٩٧٠]

عند محاكمة شهادة مصطفى مقابلة وشريف مرشد الفواجه اعترض وكيلهما على تقديم اعترافات المتهم ، مبينا أن البوليس قد ضرب المتهم عند القبض عليه ، وانه قد تعرض للتعذيب بالكهرباء ، ثم قيد فيما بعد وضرب فى عورته .»

[الاتحاد ، ٩ يونيو ١٩٧٠]

تتزايد اعداد السجون فى اسرائيل ، وتجرى توسعات فى السجون القائمة حاليا ، وتتطور الاحوال فيها من سيء الى اسوأ . وقد تنبه الجمهور مؤخرا الى الظروف المروعة بالسجون نتيجة لفضيحة فى سجن شطا حيث حاول المسجونون اليهود قتل سجين عربى ، ونتيجة للاضرابات عن الطعام التى قام بها المسجونون العرب . وفى واقعة اخرى تعرض المسجونون العرب اثناء ادائهم صلاة الظهر لهجوم من جانب المسجونين اليهود الذين حاولوا أن يلقوا عليهم القمامة . ويتجاهل السجانون ، بل ويشجعون ، الهجمات العنصرية على المسجونين العرب .

[الاتحاد ، ١٢ يونيو ١٩٧٠]

وضع المسجون العربى **ابراهيم قمحاوى** فى الحجز الانفرادى لمدة سبعة أيام بدعوى انه قد حرض المسجونين على القول بأن عيد الفطر ، وهو من اعياد المسلمين ، يستمر لمدة ثلاثة أيام وليس لمدة يومين وذكر سجين عربى آخر هو **فؤاد ميخائيل** أن معركة وقعت بين مسجون يهودى وآخر عربى . وفى اليوم التالى أعطى السجان المسجون اليهودى خنجرا صغيرا اسود وأمره أن « يمزق احشاء » السجين العربى .

[الاتحاد ، ١٩ يونيو ١٩٧٠]

تحدث **شريف شحرورى** ، وهو عربى فلسطينى من طولكرم ، عن محنته التى استمرت ٣١ شهرا فى سجون اسرائيل ، وعن الصعوبات التى عاناها مع ثمانية آخرين من العرب ، عندما نفوا من فلسطين المحتلة فى ٨ يونيو الى الاردن عبر منطقة وادى عربه القاحلة جنوبى البحر الميت . وقال شحرورى انه قد ألقى القبض عليه فى طولكرم فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦٧ ، بواسطة احد ضباط الامن الاسرائيليين الذى أخذه من محل التجارة الذى يعمل فيه الى سجن الرملة . وقد قيل له فى البداية انه مطلوب بادارة التحقيقات بشأن نشاط ولده شوقى المعادى لاسرائيل .

وبعد ان أمضى شحرورى ليلة واحدة فى سجن الرملة ، سمح له بلقاء قصير مع ولده وفاطمة برناوى ، ثم اعيد الى طولكرم ليشهد عملية نسف منزله . ثم أخذ بعد ذلك الى سجن صرفند ، حيث تعرض للاهانة والتعذيب الوحشى . وفى

٤ يونيو ١٩٦٨ حوكم شحروري أمام محكمة عسكرية بتهمة التعاون مع منظمة فتح وتزويدها بمعلومات عسكرية . ومنذ بداية محاكمته نقل الى ستة سجون تعرض في كل منها لتعذيب بدني قاس . وقد ابلغ اثناء سجنه بسجن الرمله في سبتمبر ١٩٦٩ انه سيفرج عنه ويسمح له بالذهاب الى الاردن اذا وقع اعلانا بانه قد رحل بمحض ارادته واختياره . وعندما رفض ان يوقع هذا الاعلان نقل الى سجن بير سبع ، حيث ضرب مرة أخرى ضربا مبرحا وحرم من نصيبه من الطعام . وفي ٨ يونيو من هذا العام اقتيد شحروري مع ثمانية آخرين ، معصوبي العينين ، الى مكان مجهول . وقال انه قد سمع صوت طائرةهليكوبتر تطير فوقهم ، وأصوات عربات نصف نقل تتحرك أمامهم وخلفهم . واطلق سراحهم في منطقة رملية منعزلة ، حيث طلب اليهم ان يسيروا معصوبي العينين لمسافة نحو ٢٠٠ متر قبل أن يزيحوا العصابة عن اعينهم ، ثم يستطيعون بعد ذلك أن يسيروا الى الامام حتى يصلوا الى مركز غرندل الاردني .

[ديلي ستار ، ٢٦ يونيو ١٩٧٠]

شكا اثنان من المتهمين امام احدى المحاكم العسكرية في ليدا انهما قد عذبا على ايدي المحققين الاسرائيليين . وقال احدهما ، وهو فاضل يونس ، أن مسجونا ثالثا قد توفي نتيجة التعذيب .

[الاتحاد ، ٣ يوليو ١٩٧٠]

ارسلت عائشة عودة ، وهي فتاة في السادسة عشرة ، الى سجن القدس لاحتجازها مؤقتا قبل نقلها الى سجن الرمله حيث حكم عليها بالسجن المؤبد مرتين . وفي سجن القدس دخلت احدى السجانات زنزانتها بينما كانت تتناول طعامها وسكبت اناء من الحساء فوق رأسها . ثم بدات تضربها على وجهها بسلسلة من المفاتيح الكبيرة ، وانضمت اليها احدى المسجونات في عملية الضرب . وعندما صرخت عائشة تطلب النجدة دخل السجان الغرفة وراح يركلها ويلكمها . وعندما وصلت عائشة الى سجن الرمله وجد طبيب السجن كدمات تغطي جسدها كله وأرى هذه الاصابات لمحاميها . واتصل محامي عائشة بالصليب الاحمر طالبا ايفاد ممثل له ليستمع الى قصتها .

[الاتحاد ، ٧ يوليو ١٩٧٠]

نشرت لجنة القدس ، وهي منظمة تتخذ من لندن مقرا لها ، تقريرا مؤخرا تضمن المزيد من الادلة على سوء معاملة وتعذيب العرب في ظل الحكم الاسرائيلي . ويعدد التقرير الذي اعده للجنة مستر ماليز روثفن ، وهو احد الصحفيين الاحرار ، بعد زيارة لتقصي الحقائق في الاراضي التي تحتلها اسرائيل ، يعدد عشر قضايا أمكنه فيها أن يحصل على شهادات واقعية تؤيد ادعاءات العرب عن التعذيب .

ومن هذه القضايا قضية السيد جاسم ابو خضره ، وهو صياد من ايكر ، اخلي سبيله في عام ١٩٦٦ بعد تبرئته من تهمة التجسس لحساب مصر ، واعتقل في العام الماضي دون محاكمة وقالت السلطات الاسرائيلية انه قد « انتحر » اثناء اعتقاله . ويقول التقرير أن زوجته وابنته قد اعتقلتا بدورهما في نوفمبر الماضي وتعرضتا « للتعذيب والاهانات البالغة » .

ويستشهد التقرير ايضا بقضية حسن عيسى البطل ، وهو فتى في الخامسة عشرة ، اعتقلته الشرطة العسكرية الاسرائيلية بالقرب من حبرون في اغسطس ١٩٦٨ بتهمة عدم حيازة بطاقة شخصية لم يكن ملزما — لحداثة سنه — بحيازتها . وقد قيل انه قد ضرب بوحشية بينما كان في مركز بوليس حبرون حتى انه مات بعد بضع ساعات في مستشفى هلياه بحبرون .

وقد وردت ادعاءات بالتعذيب المتقطع بواسطة جهاز كهربائي ، والضرب المبرح في سجن طولكرم في قضايا أخرى من بينها قضية عضو سابق بالحزب الشيوعي الاردني ، هو السيد عبد الله يوسف عدوان ، الذي اعتقل في مارس من العام الماضي .

وقد تشكلت لجنة القدس في عام ١٩٦٨ لتعمل من أجل فهم أوضح لمشاكل الشرق الاوسط . وهي تضغط من أجل ايفاد لجنة تحقيق دولية .

[مورنيغ ستار ، ١٦ يوليو ١٩٧٠]

وتضيف صحيفة الجارديان :

وقد أورد التقرير تفاصيل عشر قضايا يشعر الكاتب فيها ان ادعاءات التعذيب والقتل صحيحة على نحو يقرب من التأكيد

وفي احدى هذه القضايا اعتقلت زوجة وابنة احد المعتقلين العرب ، الذي قالت السلطات الاسرائيلية فيما بعد انه قد انتحر . ويعتقد الكاتب انهما قد تعرضتا للتعذيب . وتقول الام ، انها قد عذبت باستعمال جهاز للصدمات الكهربائية ، وأن الجنود الاسرائيليين هددوا باغتصاب ابنتها التي لا تزيد على السابعة عشرة أمامها . وقد رفضت السلطات الاسرائيلية حتى الان الافراج عن جثة الزوج لدفنه . وفي قضية اخرى يزعم محامي وأسرة شاب عربي صاحب محل تجاري من القدس الشرقية انه قد عذب حتى فقد عقله وأصيب بالجنون . وقد قيل انه كان يتلقى صدمات كهربائية ، وانهم قد ادخلوا طلقة من الرصاص في قناته الهضمية ، وأحرقوا احدى ذراعيه بالسجائر . وقد افرج عنه بعد أن قررت احدى المحاكم العسكرية انه لا يمكن محاكمته بسبب حالته العقلية .

[جارديان ، ١٦ يوليو ١٩٧٠]

توفي عبد القادر احمد الفهم ، أحد المسجونين العرب من ابناء غزة ، في ١٠ يوليو ، بعد أن تعرض للتعذيب .

[الاتحاد ، ١٧ يوليو ١٩٧٠]

روى على رافع المحامي انه عند زيارته لسجن عسقلان رأى عددا كبيرا من الكلاب التي تستخدم في القاء الرعب في نفوس المسجونين . ولم يسمح له برؤية سوى اثنين من موكليه على الرغم من انه كان قد طلب مقابلة سبعة منهم . وقال أيضا ان موكله لم يكن يسمح لهم بتلقي رسائله ، كما انه لم يتلق اي رسائل منهم . وقد شكا المسجونان اللذان قابلهما من الضرب والاهانة وغيرها من اعمال التحقير . وقد بعث المحامي بخطاب احتجاج الى مدير السجن ، كما قال أيضا انه قد التقى بأحد ممثلي الصليب الاحمر الدولي الذي ذكر له « ان سجن عسقلان هو أسوأ هذه السجون جميعا » .

[الاتحاد ، ١٧ يوليو ١٩٧٠]

ذكر طبيب عربي في عمان ، في ١٣ يوليو ، انه قد عذب تعذيبا وحشيا على ايدي الضباط الاسرائيليين عندما كان معتقلا في احد السجون الاسرائيلية . وقد رحل الدكتور احمد علي خلف ، المسئول عن الامراض العقلية بمستشفى بيت لحم ، الى الضفة الشرقية في ١٢ يوليو عبر جسر الملك حسين بعد اتهامه بمساعدة الفدائيين العرب .

وقد قال الدكتور خلف في تصريح للصحافة في ١٣ يوليو انه قد اعتقل لمدة ٣١ يوما تعرض خلالها لاقسى أشكال التعذيب .

[رويتر ، ديلي ستار ، ١٨ يوليو ١٩٧٠]

وصل الى عمان في وقت مبكر من يوم ١٥ يوليو محمد احمد هدهود ، وهو شاب أردني ابعده الاسرائيليون من الضفة الغربية المحتلة ، وبرفقته فتاة شابة ابعدها الاسرائيليون ايضا .

وقد قال انه قد اعتقل في ١٥ سبتمبر ١٩٦٨ بعد ان عثر على منشورات بمنزله . وبعد ذلك بشهرين حكم عليه بالسجن لمدة ١١ عاما ونصف العام وتم نسف منزله . وذكر انه قد عذب وفقد مؤقتا قدرته على الحديث أو السمع وعانى من آلام في عينيه . وقال أن السلطات الاسرائيلية لم تكن تهتم بعلاجه حتى فقد بصره .

وقالت الفتاة « سهام درزي » انها قد تعرضت بدورها للتعذيب .

[وكالات الانباء ، ديلي ستار ، ١٨ يوليو ١٩٧٠]

اتهمت جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني السلطات الاسرائيلية بتعذيب أحد الصحفيين العرب المحتجزين في سجن الرمله . وقد ناشدت الجمعية في بيان لها الصليب الاحمر الدولي ، والهيئات الصحفية وغيرها من الهيئات العالمية العمل على انقاذ حياة الصحفي عمر عجوري . وأبرقت نقابة الصحفيين الاردنيين في ٩ يوليو الى رئيس اتحاد الصحفيين العرب ، والى منظمة الصحافة العالمية في براغ والنقابات الصحفية العربية تطالبهم بتنظيم حملة عالمية للضغط على اسرائيل والمساعدة في انقاذ حياة للصحفي عمر عجوري .

وقد قالت البرقية أن الصحفي قد اعتقل في القدس اثناء محاولته تصوير المظاهرات النسائية احتجاجا على احراق المسجد الاقصى . وقالت النقابة أن عجوري قد غادر الضفة الشرقية للاردن الى الضفة الغربية منذ عامين وانه لم يقم بأي نشاط سياسي ولم تكن له اي علاقة بحركة المقاومة الفلسطينية .

[رويتر ، ديلي ستار ، ٢١ يوليو ١٩٧٠]

تمكنت المحامية فيليسيا لانجر اخيرا من زيارة سجن عسقلان وقد قالت أن نحو ٤٥٠ من المعتقلين قد شاركوا في الاضراب عن الطعام الذي استمر حتى ١٢ يوليو . وقد علمت أن احد موكليها ، عمر محمد قاسم ، قد وضع في زنزانة مع مسجونين آخرين بعد ان أوثقت ايديهم وأرجلهم لمدة ٢٥ يوما . وقد اتهم الثلاثة بالتحريض على الاضراب عن الطعام . وقد تصرف السجانون خلال الاضراب بوحشية بالغة . ففي اليوم الثالث بدأوا يضربون المسجونين ، وبخاصة نزلاء الزنزانة رقم ١٦ ، ولكن هذا لم يؤد الى انهاء الاضراب . وقد حاولوا ارغام بعض المسجونين على تناول الطعام بالقوة بوضع خراطيم الكاوتشوك في حلقهم . وأصيب الكثيرون من المسجونين نتيجة لهذه المعاملة .

[الاتحاد ، ٢٨ يوليو ١٩٧٠]

بدأ نحو ١٥٠ من المسجونين العرب من مختلف الاراضي العربية المحتلة اضرابا عن الطعام احتجاجا على اعتقالهم بسجن نابلس في البحث الذي جرى مؤخرا عن « ارهابيين » .

[الاتحاد ، ١٥ سبتمبر ١٩٧٠]

بعث سجين عربي في الخامسة عشرة برسالة من سجن بالاماند الى قضاة المحكمة العسكرية في حيفا يطلب اليهم التدخل للافراج عنه وانقاذه من الفساد الذي يعيش فيه . وقد قال عاطي في خطابه :

« أشعر انني ساجن ، وارجو أن تنقذوني ، فان احداثا مشينة تحدث كل يوم . » ويمضي الفتى في سرد تفاصيل الاعتداءات الجنسية من جانب السجانين اليهود على المسجونين العرب الشبان ، وكيف يهددونهم بالادوات الحادة وشفرات الحلاقة اذا لم يذعنوا لرغباتهم . وهو يصف ايضا وقائع مروعة لاعتداءات جنسية على مسجونين صغار السن لا يمكن أن نذكرها هنا .

[الاتحاد ، ٢٥ سبتمبر ١٩٧٠]

في ٦ و ١١ اكتوبر ١٩٧٠ بدأت المحكمة العسكرية في اللد في نظر قضية عبد المطلب ابو رميله ، وهو شاب من القدس العربية في الحادية والثلاثين . وقد اتهم ممثل الادعاء المتهم بالانتماء الى منظمة غير شرعية ، وحيازة عدد كبير من الاسلحة ، وتدريب الاخرين على استعمال السلاح . وانكر المتهم كل هذه الاتهامات . ووصف علي رافع ، محامي المتهم ، للمحكمة معاملة موكله على النحو التالي :

« القي القبض على موكلي في القدس في ٧ مارس ١٩٦٩ ، وقد ضربه البوليس أمام زوجته . ثم قيد بالاغلال وأخذ الى المسكوبية . وهناك ظل يضرب مرة اخرى طوال عدة ايام . وقد ضرب الضابط ماركوس احد ضباط السجن أبو رميله على رأسه بهراوة احس السجين بعدها بدوخة وسقط مغشيا عليه . وقد استخدموا معه ايضا الصدمات الكهربائية ، وادخلوا طلقة في قناته الهضمية مما احدث له آلاما مروعة ، ونزيفا استمر طوال عدة ساعات .

ثم قام احد المحققين بعد ذلك بلسعه في ذراعه اليسرى بالسجائر ، ولاتزال آثار الكي بالسجائر ظاهرة بذراعه حتى اليوم .

كما انه قد علق من قدميه في السقف ، وهددوه بأنه اذا لم يعترف فانهم سوف يحضرون زوجته ويغتصبونها أمام عينيه .

ثم نقل ابو رميله بعد ذلك الى سجن الرمله حيث تدهورت حالته حتى نقل الى عنبر الامراض العقلية بالسجن وفي ٢٠ يونيو فقد وعيه ولم يعد قادرا على الحديث أو الذهاب الى دورة المياه بمفرده ، ولم يكن خلال هذه الفترة يستطيع ان يتعاون مع محاميه . وكان يهذي ويخاف من اللون الاحمر ، الذي يذكره بالدماء التي فقدها اثناء تعذيبه .

[الاتحاد ، ١٦ اكتوبر ١٩٧٠]

واصلت المحكمة العسكرية في حبرون بحثها لقضية ١٦ من سكان حبرون ، اتهموا بعضوية حركة المقاومة الفلسطينية وحيازة اسلحة والقيام في بعض الحالات بعمليات عسكرية ضد قوات الاحتلال .

ومن بين المتهمين بعض المسنين وبعض الاطفال في الرابعة عشرة

وقد تحدث تحسين موسى ، أحد المتهمين ، عن الضرب والتعذيب الوحشي الذي تعرض له على ايدي المحققين الذين ضربوه على رأسه وعنقه واذنيه ، كما أروه ايضا متهما آخر يرقد على الارض فاقد الوعي وقد كسرت ساقاه . وقال له المحققون انه اذا لم يتكلم فسيلقى مصيرا مماثلا . وقال المتهم ان الرجل قد مات في الواقع من جراء التعذيب

[الاتحاد ، ٢٠ اكتوبر ١٩٧٠]

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- □ السـينما النضـالية فى مهرجـان بغداد
- □ رحمانينوف : مـائة عام على مـولده
- □ زد .. والثـــورة فى كل مـكان



الشاعر يفتوشنكو



فى هـــذا العـــدد :

- يفتو شنكو .. وريبورتاج من قارة الأمل
- عروس النيل : قصة قصيرة
- السينما النضالية فى مهرجان بغداد
- نحـــو رؤية سيكولوجية للفن الروائى
- زد .. والثورة فى كل مكان
- رحمانينوف .. مائة عام على مولده
- الادب والفن فى شـــهر

نحو رؤية سوسيولوجية للفن الروائى ووظيفته

فتحى أبو العينين

لم تعد القضية التى مؤداها أن هناك ثمة علاقة بين الظاهرة الادبية وبين المجتمع تحتمل ولو قدرا بسيطا من الشك ، حتى ان اغلب النقاد الادبيين المغالين فى تفسيراتهم الفلسفية او السيكولوجية لم يعودوا ينكرون ذلك • فهم يصرحون او يلمحون فى ثنايا دراساتهم وبحوثهم النقدية بأن هناك صلة قائمة بين مضمون وشكل العمل الادبى وبين ظروف وطبيعة الحياة الاجتماعية التى ينشأ هذا العمل فى ظلها •

على ان الامر الذى يحتاج الى مزيد من البحث والتفصيل هو شكل هذه العلاقة وديناميانها ، والواقع أنه عندما اقدمت « الطليعة » على تخصيص احدى دراساتها الرئيسية للرواية العربية « بهدف تركيز الضوء على بعض القضايا والهموم التى تشغل بال الروائى العربى فى وقتنا الحاضر » [١] كان الاحساس العام لدى القراء والمتخصصين ان هذه الدراسة قد جاءت كحلقة هامة من سلسلة الدراسات الجادة والهادفة التى تقدمها المجلة والتى تسعى من خلالها الى تحليل وتفسير الجوانب المختلفة فى حياتنا الفنية والادبية المعاصرة .

ولما كانت الرواية تمثل شكلا ادبيا يجد له قاعدة واسعة وعريضة من المتلقين تتنوع فيها المستويات الفكرية والتعليمية والمهنية والعمرية ، فان ذلك يبرز بوضوح خطورة هذا الجنس الادبى ووظيفته فى الحياة الاجتماعية للجماهير على اختلاف انتماءاتها ، ولقد نتحت « الطليعة » فى دراستها عن الرواية العربية نافذة واسعة اطلت منها رؤى مختلفة بحثت كل منها فى جانب من جوانب العلاقة بين الرواية والمجتمع ، فكانت هناك رؤية لصورة الفلاح فى الرواية المصرية [٢] قدمت استعراضا للروايات التى كتبت عن الريف المصرى وتتبعتها تاريخيا واشارت الى اهم خصائصها ، وكانت هناك رؤية تبحث فى تمثل روايتنا المصرية لحركة المقاومة الوطنية وابرازها فى عدد من اعمال الكتاب نجح بعضها واخفق البعض الاخر [٣] ، ثم كانت هناك رؤية ثالثة انطلقت من وجهة النظر القائلة بأن الرواية « صورة مجتمع وتاريخ حياة تتعايش فيها وتتغنى اغلب الاشكال الحية فى زماننا ، بصورة تجعلنا نعى الغنى والتعقيد الذى تقدمه الرواية لزماننا » ، وركزت على الملامح الرئيسية والسمات العميقة التى تشترك فيها روايات جيل كامل من روائيينا [٤] . واخيرا كانت هناك رؤية تحاول ان تكشف من صدى هزيمة

---

[١] راجع : الطليعة ، عدد اغسطس ١٩٧١ .
[٢] فؤاد دواره : صورة الفلاح فى الرواية المصرية .
[٣] احمد محمد عطية : الرواية المصرية والمقاومة الوطنية .
[٤] صبرى حافظ : الموجة الجديدة فى الرواية المصرية .

حزيران فى الاعمال الروائية وعـن اختلاف وقع هذه الهزيمـة فى نفوس الروائيين فى اطار الانتماء الفكرى للاديب وتصوره للحركة التاريخية [٥] .

ان هـذه الدراسات التى كان رائدها السعى الجاد نحو تحليل وتفسير موقف الرواية فى المجتمع تقدم لنا الكثير مما نحتاجه فى بحثنا عن طبيعة العلاقة بين الفن الروائى والحيـاة الاجتمـاعية ، وتطرح هذه القضية التى اصبحت تعرض نفسها على الباحثين فى الميدان الفنى والادبى فى مصر ، كما تدعو الى ضرورة تصور وظيفـة الفن الروائى فى حيـاة الجماهير ، دون التقـولب فى مـذاهب ضيقة او محددة قد لا تناسب التكوين التاريخى والحضارى لمجتمعنا .

وتسعى الدراسة الراهنة الى بلورة رؤية أخرى تحاول ان تجد لها مكانا فى النافذة الرحبة التى تطل على الرواية المصرية ، وهى تستمد من هذه الرحابة قدرة على التوسع والشمول دون فقدان الدليل ، فنحن فى حاجة الى تصـور واسع وعميق لدور الفن على وجه العموم والرواية بخاصة فى مجتمع له تاريخه المعين وحضارته المعينة وبناؤه الخاص به ومن هنا فان التنـاول السوسيولوجى الواعى لهذه القضية يشـكل ـ فـى راينا ـ أهمية خاصة ، اذ انه يأخذ فى اعتباره العوامل التاريخيـة والحضارية والبيئية . ولقد جاء تفضيلنا لهذا التناول لما اصبح عليه علم الاجتماع Sociology من قـدرة على تقـديم التفسـيرات السوسيولوجيـة للجوانب المختلفة من الحياة الحضارية للمجتمعات ، والواقع ان الادب لا يخرج عن كونه أحد العناصر الحضارية فى حياة كل شعب .

اذن ماهو تصور علم الاجتماع لمكانة الرواية ودورهـا فى المجتمـع ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تضطرنا الى القول فى البداية انه ليس هناك تصور وحيد قائم لهذه المكانة ولهذا الدور ، فالامر يرتد الى اختـلاف الاتجـاهات النظرية الداخلة فى اطار هذا العلم . فحين ظهر علم الاجتماع كعلم مستقل ، وبدأت نظريـاته تتبلور فى اتجـاهات ومدارس متمايزة بدأت دراسـة الادب والفن سوسيولوجيا تتشكل وفق هـذه الاتجاهات والمـدارس . ومن الطبيعى ان الباحث الذى يهدف الى تكوين رؤية سوسيولوجية للفن الروائى عليـه ان يتعرف علـى أهـم الاتجـاهات السوسيولوجيـة فى دراسـة الادب ، وهذا ما سنحاول انجازه بصورة عامة ، مع محاولة استكشاف آفاق كل اتجاه وامكانياته وقدرته على امـداد الباحث بأطر نظرية واضحة تساعده على تصور العلاقة بين الرواية والمجتـمع ، وعلى ما يمكن او يجب ان يشغل بال الروائى. ويستطيع الباحث أن يدرك ان معالجة هذا الامر قد ظهـرت فى اتجـاهات سوسيولوجية ثلاثة ، لكل منها تصوره لمكانة ودور الرواية ـ وان كان ذلك قد جاء فى اطار تصور كل منها لمكانة ودور الادب عامة . فالاتجاه الاول يرى فى الادب نظاما اجتماعيا له بناء ووظيفة فى المجتمع ، والاتجاه الثانى يتناول الادب كوسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى ، اما الاتجاه الثالث فهو الذى يدرك الادب كانعكاس للواقع الاجتماعى .

اولا : الادب كنظام اجتماعى

تشكل النظم الاجتماعيةميدانا هاما فى الدراسات السـوسيولوجية ، وقـد ازدهر هذا الميدان فى اواخـر الاربعينيات من خلال جهود جود Judd وهرتزلر Hertzler ، تشابين Chapin

وغيرهم . كماانجزت بعض الاعمال فى اواخر الخمسينات وأوائل الستينـات ، قدمها هرتزلر . روس Rose ، وفيلمان Feibleman ويشيع تعريف النظام الاجتماعى Social Institution عند هؤلاء العلماء باعتباره بناء أساسيا تنظم وتقام من خلاله النشاطات الانسانية لاشباع الحاجات الانسـانية الاسـاسية . وتشير الكتابات المتوفرة فى موضـوع النظـم الاجتماعية الى ان الفن عموما قد خضع للبحث فيها فى ضوء ابعـاد ثلاثة هى : مكانة الفن بين النظم الاجتمـاعيه الاخرى، والبناء التنظيمـى للفـن والوظيفة التنظيمية للفن .وبالنسبة للبعد الاول نجد أن هناك تصنيفين للنظم يركز الاول على درجة تطور النظم واهميتها بالنسبة للحفاظ على المجتمع ، ومن ثم فان انصار هـذا النموذج لا يعتبرون الفن نظاما اساسيا مثل نظام الاسرة مثلا او النظام الاقتصادى . فالزواج يحقق تخليدا للذات Self-maintenance ،والملكية تحقق حفاظا على الذات Self-perpetuation أمـا الفن فى رأيهم فيعتـبر شكلا لامتاع الذات Self-gratification

ومن ثم فهو يتخذ مكانا ثانويا بـين النظم الاخرى ، ومن أشهر ممثلى هذا النموذج سمنروكيللر ، بـنونيزو ، بارنز . أما النموذج الثانى من التصنيف فيعطى الاهمية للنظام الاجتماعى وفقـا للقيم الحضارية المعنوية التى يحملهـا وللوظائف التى يؤديها ومن أبرز ممثلى هذا النموذج ماكيفر ، فيبلمان ، وهما يهتمان بالقيم الحضارية الروحية فقـط ويعتبرانها اهم بكثير من القيم المادية .

ومن ثم فالفن لدى انصار هذا النموذج يقف بجانب الدين والنظـم العليـا الاخرى ، فهـو ينطوى على معتقدات واساطير وحب للجمال ، وهـو مستقل ومتميز عن عالم القيم العملية . وهكذا نلاحظ ان هذين النموذجين قد التقيا فى النهاية على نتيجة واحدة هى أن الفن بأشكاله المختلفـة لايـكون سوى نظاما مستقلا منفصلا عن النظم الاخرى القائمة فى المجتمع [٦] والروايـة اذن ـ فى ضوءهذين النموذجين ـ عنصر فنىمنفصل عن الواقع الاجتماعى ، عنصر يقـدمه عن الواقع الاجتماعى ، عنصر يقدمه الاديب من خلال تجربته ـ التى لاتنفصل عن الحياة ـ للجمهور من أجل امتاع الذات فقط ، وكان هذه الرواية لا تقول شيئا ولا تنطوى على معان متصلة بالحياة الاجتماعية ، وكأن الروائى لن يـكون موهوبا الا اذا تحول الى ساحر يقدم ما يمتع الفرد المتلقى . ولقد ذهب الاستاذ صبرى حافظ فى مقـاله فى الدراسة الرئيسية المشار اليها الى حـد الالتقاء التقريبى مع هذا التيار حين طالب من خلال رؤية نقدية بأن « تنطوى الرواية فى بعض اجزائها علـى تلك اللمسـات السحرية التى تلمس شغاف القلب والتى ندعوها بالموهبة الفنية » . والسؤال هنا هو : هل الروائى الجيد هو حقا من يستطيع أن يلمس شغاف قلب القارىء فحسب ؟ اننى أستأذن القارىء فىتأجيل الاجابة على هذا الاستفهام الى مـكان آخر من الدراسـة .

أما بالنسبةللبناء التنظيمى للادب وهو البعد الثانى ، فاننا نلحظ غموضا عند من تصـدوا لهذا الموضـوع ، فبارسـونز Parsons يفسره فى ضوء التفاعل الاجتماعى ، وهو يفترض أن التفاعل بين الاديب والعامة يكون متبادلا بصـورة مباشرة ، فالاديب يشبع رغبة أو يرضى حاجة لدى الجمهور ، ثم هو يتلقى ـ على المستوى التعبـيرى ـ تقـديرا واعجابا . وبذلك اختزل بارسونز عملية التفاعل الى اشباع رغبـة من طـرف واعجاب وتقدير من طرف آخر . وفى ضوء نهج التفاعل ايضا يقدم دونـكان Duncan فى كتابه [اللغة والادب فى المجتمع] نمطا لتحليل الادب بنـائيا مفترضا انهناك مثلثا للتفاعل تمثل زواياه كلا من المؤلف والناقد والجمهور مع تجاهل تام للعمل الادبى نفسه باعتباره وسيلة الاتصال سواء بين الاديب والناقد ، أو بينه وبين الجمهور أو بينهم جميعا . ان العمل الادبى لايتم أو يصاغ فى فراغ لانه يرتبط ببيئة معينة لها خصائصها التى تؤثر بلا شك فى صياغة ذلك العمل ، لذلك نجد أن علماء الاجتماع الذين اهتموا

---

[٥] غالى شكرى : الرواية العربيـة.نادى حزيران .

[٦] انظر Albrecht, Milton: «Art as an institution», in: American Sociological Review, Vol. 33, No. 3, June 1968, pp. 383 — 397.

بالتحليل السوسيولوجي للادب ــ فضلا من نقاد الادب ومنظريه ــ قد أكدوا ضرورة أن تشمل دراسة الادب كلا من المؤلف والجمهور والعمل الادبي [٧] فبناء الرواية اذن يشتمل على الروائي الذي يبدع العمل الفني ، والجمهور الذي يتلقى هذا العمل ، ثم الرواية نفسها التي تتضمن خبرةهذا الاديب الناتجة عن احتكاكه بالواقع بكل مــا يضمه من مؤثرات ، بالاضــافة الى المعـاناة الشخصية لهذا الاديب .

واذا ما انتقلنا الى البعد الثالث ، اى الى الوظيفة ، وجدنا أن معالجة هذا البعد من قبل انصار مدرسة النظم تتسق مع أفكارهم التى انطوى عليها البعدان السابقان ، ان وظائف النظم تفسر لديهم فى الغالب فى ضوء البقاء البيولوجي . ولما كان الادب ليس له ذلك الاساس الوظيفى الفسيولوجي . فهو اذن لا يتكامل من وجهه نظرهم ــ مع النظم الاجتماعيةالاخرى .يقول فيبلمان أن هناك ثلاث حاجات انسانية اساسية هى : الجــوع ، الجنس ، الفضول أو حب الاستطلاع ، وأن الحــاجة الاخيرة هى التى تستمد منها النظم العليا بما فيها الفــن . ويــرى ســتيفن بيــبر Stephen Pepper ان الاشباعات الجمالية تتم من أجل ذاتها وأنها ليست دورية noncyclical

والواقع أن هذا التفسير يجد له جذورا فى تفكير هربرت سبنسر Spencer حين ذكر فى كتابه (مبادىء علــم النفس) » ان الفن واللعب نشاطات غير مفيدة وغير ضرورية للبقاء الجسدى، وأنها اشباعات من أجل ذاتها » ، أما بارسونز وشيلز فيركزان اهتمامهما على المحتويات السيكولوجية فى العمليه الفنية ويعتبران ان الفن يقدم ميكانــزمات تعويضية للاشــباع لايجــاد توازن بين التوترات الســيكولوجية التى يعــانيها انسان العصر . وربما كان ذلك امتدادا لرأى ماكس فيبر Max Weber الـــذى كـــان يـــرى أن الفن يشابه الدين من حيث انه ينطوى على القيم التى تتضمن [الخلاص] من روتيــن الحياة اليومية وضغط الواقعيــة [٨] وتقف وظيفة الرواية فى ظل هذا التفسير عند حد التسلية والترفيه ، ويكون دورها هو أن توجد عندما يفرغ الفرد من عناء يومه ليقرأ فيها بعض الصفحات يزيل بها ما علق من توترات تسببها له الحياة المعقدة فى هذا العالم المعاصر . فهل يمكن أن نوافــق علــى هــذه التفسـيرات الخاصة بالوظيفة التنظيمية للادب ؟ ان هـــذه التفسيرات ــ فضلا عن قصورها لاتنظر الى الــرواية فــى علاقتهــا المبــاشرة بالواقع الاجتماعى والحيــاة الاجتماعيه التى تتحرك على خلفية تاريخيةوحضارية تختلف من مجتمع لاخر وتؤثر فى شكل ومضمون ووظيفة الرواية الى جانب أن ارجاع بقاء ووظيفة النظام الاجتماعى الى الحاجات البيولوجية للانسان يعتبر فكرة خاطئة تســعى الى تحــريف طبيعة النظم الاجتماعية .

ثانيا : الادب كوســيلة للضــبط الاجتمــاعى

ينطلق الاتجاه الثانى فى التصــور السوسيولوجى للادب من قاعدة مؤداها أن الادب له دوره الايجابى فــى المجتمع ، ذلك الدور الذى يتمثل فى أن الادب حامل لنماذج معينة من السلوك المرغوب فيه من قبل المجتمع ، بحيث يمكن للافراد أن يتمثلوا هــذه النماذج السلوكية ويمارسوها فــى حياتهم اليومية ، ويجــىء هذا التصور فى اطار نظرية الضبط الاجتماعى Social Control التى تهتم بعملية التطبيع الاجتمــاعى والتنشئة الاجتماعية ،والواقع أن هذا التصور لدور الادب فى المجتمع تصور قديم. فقــد كــان افلاطــون يرى تشابها بين معانى « الجمال » و « الخير » ، وهو يتحــدث فى كتابيــه [الجمهــورية] و [القوانين] عن وظائف الفن وضرورة استخدامه فى الدولة المثالية لاغراض اخلاقية وسياسية ، وساد هذا الاعتقاد فى العصور الوسطى حين اعلن مارتن لوثرنصيحته بأن يمارس الشباب الفن لانه يحتوى على بذور الفضيلة ، وخلال الثورة الفرنسية أعلن الرسام [دافيد] أمام مجلس الثورة أن « الفنون يجب أن تتخذ وسيلة لتربية الشعب » ، وكان الكاتب القصصى [بلزاك] يرى أن الهدف الذى يهدف اليه كل كاتب هو الدعوة الى اصلاح الاخلاق فى العصر الذى يعيش فيه (٩) . واذا كــان قصــور الفلاســفة القدامى للحــق والخيــر والجمــال يقوم على أساس انها قيم مطلقة ، الا أن التطور الذى حدث فيما بعد للعلاقة بين الفن والسلوك يعكس التطور الذى حدث فى المــذاهب الفنية والادبيــة ابتــداء من المدارس المثالية الاولى حتى الواقعيــة الاشــتراكية . وقد اتخذ هذا التصور شكله العلمى عند علماء الاجتماع الذين اهتموا بالضبط الاجتماعى واعتبروا أن الادب وسيلة هامة من وسائل هذا الضبط ومن أبــرز المهتمين بهــذا الجــانب ادوردرس ، جــيروم داود ، كولى ، جــورج جورفتش . الا أن الاراء التى عرضها كل من هؤلاء تقف عند المستوى النظرى ولا تكشف عن ديناميات الدور الذى يمكن ان يلعبه الادب فى هـــذا الميدان ، بمعنى .. كيف يؤثر العمــل الادبى فى الجمهور بحيث يتبنى ذلك الجمهور الاتجاهات السلوكية التــى يتضمنها العمل الادبى ويستدمجها ويمتثل لها فى سلوكه الاجتماعى ؟ ثم كيف يؤثر العمل الادبى فى العلاقات الاجتماعية التى تقوم بين الافراد والجماعات ؟ وعــلى الرغم من تعدد البحوث التى ابــرزها الطــابع الامبيــريقى للدراســات الاجتماعية ، الا أن هذه القضية تحتاج فى تفسيرها وتوضيحها الى نتائج تحسم الفروض التى يمكن أن تقوم فــى اطارها [١٠] . فــلاشــك أن الروائى يضمن عمله نماذج معينة من السلوك ، ولاشك أيضا أن الجمهور المتلقى يتأثر بطريقة أو بأخرى بهذه النماذج ، وأن تأثره لايقف عن حد الاعجاب فحسب ، ولعل سعينا الى معرفة طبيعة هذه النماذج السلوكية وميكانزمات تأثيراتها يقودنا الى الكشف عما يشغل بال الروائيين من قضايا وهموم . ونحن نحتاج بالفعل الى المقارنة بين نماذج السلوك الواردة فى الروايات وبين متطلبات المجتــمع المصرى وظروفه فى هذه المرحلة التى يمر بها ، وهنا يبرز الدور الوطنى الذى يجب ان يلعبه الروائى . فهل نجح روائيونا فى تحقيق دورهم . والى اى مدى ؟ وماذا يمكن أن يقدموا لمجتمعهم ؟

ثالثا : الادب انعكــاس للــواقع الاجتمــاعى

رأينا كيف أن معالجة الادب كنظام اجتماعى من قبل انصار هذه المدرسة (مدرسة النظم) تجعلنا ننظــر اليــه وكأنه شىء مطلق وعام ، بينما نحن فى

---

[٧] انظر Wellek, R. and Warren, A Theory of Literature, Penguin Books, 1966, Ch. 5.

وانظر ايضا : السيد يسن : التحليــل الاجتماعى للادب ، الانجلو مصرية ، ١٩٧٠ .

[٨] ميلتون البرشت : المرجع السابق .

[٩] انظر : السيد محمد بدوى ، نظريات ومذاهب اجتماعية ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ص ٢١٩ ــ ٢٢٨ .

[١٠] انظر جيمس بارنت : « عــلم اجتماع الفن » فى : ميادين علم الاجتماع ، اعداد محمود عوده وآخرين ، دار المعارف ١٩٧٠ .

حاجة الي تفسير دقيق للعلاقة بين الادب والمجتسمع ، ولاشك ان هــذه العلاقة تختلف ونقا للخلفية التاريخيه والحضاريه للمجتمع ، واذا كانت حضارة اى مجتمع تتكون من جماع القيم المادية والروحية التي يخلقها الانسان فى مجرى النموالاجتماعى والتاريخي ، بمعنى أن هذه الحضارة تصور مستوى التقدم التكنيكى والانتاج والادب والفن الذى وصل اليه المجتمع فى مرحلة معينة من ذلك النمو ، فلاشك أن الظروف المادية خلال فترات النمو الاجتماعي هي التى تحــدد الحضارات المختلفــة ، فالحضارة اذن ترتبط بعصر محدد وطبقة محددة وقوم ومجتمــع محددين [١١] . ولذا تصبح تفسيرات مدرسة النظم للادب غــير كافيــة وغير واضحة حين تهمل التاريخ والتطور التاريخى للمجتمع ، ولا تمد الباحث بما يحتاجه ان هو أراد ان يكشف عن العلاقة بين الادب والحياة الاجتماعية .

واذا كانت العناصر الحضارية تمارس تاثيرا على افراد المجتمع الذى توجــد فيه ، فان الراى القائل بأن الادب وسيلة للضبط الاجتماعي قداوضح جانبا من هذه القضية على اســاس أن الادب وكل الوسائل الاخرى للضبط الاجتماعى انما تستمد من الواقــع الحضارى والخلفية الحضارية للمجتمع . فهذهالوسائل توجد بشكلها المعين فى ظل ظروف تاريخيــة معينــة . والموقف هنــا لا يخلو مــن الجدلية ، فحاجتنا الى التعرف على دور الادب فى توجيــه السلوك الاجتــماعى والتأكد من هذا الدور يجعلنا فى حاجة الى استبصار واع بالظروف الاجتماعية لمعــرفة مــا اذا كان افراد المجتمــع يسترشدون فى ســلوكهم بــالنماذج السلوكية الادبية أم ان الاعمال الادبية نفسها انعكاس لسلوك هؤلاء النــاس وواقعهم ،أم أنالتاثير والتفاعل متبادلان بين هذا وذاك . وهنا أيضا يبرز دور الواقع الاجتماعى والظــروف التاريخية التى يعيش الناس فى ظلها .

من هنا يظهر الاتجاه السوسيولوجى الثالث الذى يرى أن الادب أحد عناصر الحضارة واحد أشكال الوعى الاجتماعى التي تعكس الواقع فى تصورات فنية ، كما انه يرى أن الادب ــ فى الوقت نفسه ــ أحد الوسائل الهامة للادراك الجمالي للعالم [١٢] . ان هــذا الاتجاه يثير قضية العلاقة بين الادب والمجتمع بصورة اكثر تحديدا ووضوحا من الاتجاهين السابقين . ويمكن القول بان بداية هذا الاتجاه قد ظهرت بوضوح في كتابات كارل ماركس Marx ابتداء من عام ١٨٤٥ حين ذهب الى انه حتى التفضيل الفنى يختلف تبعا للوضع والنظرة الطبقية التى يحددها موقف المتذوق من نظام الانتاج القائم فى المجتمع . وهنا يضع ماركس يده مباشرة على الجانب الخاص من المجتمع الذى يمكن أن يؤثر فــى فنونه . الى جانب ان هذا الاتجاه لم ينكر قيام الادب بدوره كوسيلة للضبط الاجتماعى فى المجتمع . ويتضح ذلك حين تقرر الماركسية أن الفن يكشف، من خلال وظيفته الجمالية عن دلاله معرفية ويمارس تأثيره الايديولوجى والتــعليمى القوى . وان للفن وظيفته الهادفة التى تبدو فى تطوره من خلال انماطه الرئيسية التى تضم الادب وغيره من الاشــكال الفنية . فتاريخ الفن دائما هو انعكاس للواقع ، واتساع واثراء لمعــرفة الانسان الجمالية وتحول العــالم مــن خلاله . كما أن التطور الفنى يرتبــط ارتباطا وثيقا بتطور المجتمع وبالتغيرات فى بنائه الطبقى [١٣] .

الا ان هذا التفسير لايجب أن يقود الباحث الى تصور الادب كمرآة جامدة للواقع ، وهذا ما حذر منه « لينين » حين سعى الى تأصيل مقولة [انجلز] من العلاقة بيــن الادب والتطــور الاقتصادى ، وهى العلاقة التى لا تقوم على أساس الانعــكاس المباشر ، والا كانت الفنون والفلسفات والاديان مجرد أصداء سلبية للواقع الاقتصادى . تلك الاصداء التى لاتثمر فعلا والتى تنفى وجود الجدل ، وتنفى دور المعنويــات المؤثر على تطــور الانســان وواقعه . واذا ما تطرفت المادية في تصــورها للعلاقة بين الفن والمجتمع على انهــا صورة كاريكاتورية فانها بذلك تقترب من المثالية التى لاترى اية صلة بين الفن والحياة [١٤] .

وهكذا نرى أن هــذا الاتجاه يحتوى الاتجاه الســابق ويتجــاوزه حين يدرك العلاقة الجدلية بين الادب والواقــع الاجتــماعى . ويحــاول أن يصوغ هذه العلاقة بشكل محدد . ومن ثميستطيع ان يمد الباحث برؤية سوسيولوجية واعية تفحص في الوظيفة التى يمكن ان تؤديها الروايــة ــ كجنس أدبــى ــ فــى المجتمع . وتنظر الى العمل الادبى كشىء على صلة وثيقة بالمجتمع ، وتتخلص من الفكرة القائلة بان الكتب [تتساقط من السماء كالنيازك] ، وهى الفكرة التى تخلص منها « هيبوليت تين » فــى كتابه [تاريخ الادب الانجليزى] على حد قول « هارى ليفين » (١٥) .

والان يجب علينا ان نتذكر الاستفهام الذى أثرناه منقبل عنالروائى الجيد وان نوسع مجال الاستفهام لنسأل : ما هو الدور الذى يجب أن تلعبه الرواية فى تاريخ مصر المعاصر ، وما هى الوظيفة التى يجب أن يؤديها الفن الروائى ، وما هى الاهداف التى يجب على روائيينا أن يسعوا الى تحقيقها ؟ ان محــاولة مناقشة هذهالقضية تجعلنا نلحعلىضرورة وجود استبصار واع ومخلص بطبيعــة الظروف التــى يمــر بهــا المجتمــع ، والاهداف التى يسعى الى تحقيقهــا ، ان مجتمعنا ــ باختصار ــ يشارك فى صراع عنيف ضــد الامبرياليــة العــالمية وقوى التسلط والاستغلال فى الخارج ، ويرتبط بحركة التطور الهائلة التى يشهدها العالم ، ثم هو يواجه مهاما اساسية فى الداخل تتمثل فى بناء وتنمية المجتمع الاشتراكى المتحرر ، وعلى الانســان المصرى ان يعى موقفه وموقف مجتمعه من هذه القضايا . وعلى الروائي الفنان أن يجعل من هذه القضايا بؤرة اهتــمامه ومشــاغله . وان يخــبر موقف المعاناة الحقيقية بحيث تتكثف الحياة في اعمال ابداعية تعكس فى اســلوب فنى قيمنا الايجابية والسلبية ، وتسعى من خلال الاساليب والاشكال المختلفة الى الكشف عمــا منــاسب ومطلوب من أجل تحقيق الاهداف المنشــودة . فالعمل بالنسبة للفنان عملية عقلية واعية وليس مجرد انفعال او الهام ، وهو عمل ينتهى بخلق صورة جديدة للواقع ، تمثلهذاالواقع

[١١] اوسيبوف ، ج : قضايا عــلم الاجتماع ، ترجمة سمير نعيم احمد ،احمد فرج ، دار المعــارف ١٩٧٠ ص ١٣٦ ــ ١٣٨ .

[١٢] Rosenthal, M, & Yudin, P. : A Dictionary of Philosophy, progress Publishers, Moscow, 1968, p. 31.

[١٣] Op. cit., p. 32.

[١٤] راجع غالى شكرى : الموقف اللينينى من الادب والفن ، الطليعة ،ابريل ١٩٧٠ .

[١٥] انظر Levin, Harry, «Literature as an institution», in: Mark Schorer et al. (eds),

كما انه الانسان واخضعه لسيطرته .
كما أن الفن لايمكن أن يكون مجرد تقرير للواقع . فوظيفته دائما هى ان يحرك الانسان فى مجموعه ، وان يمكن (الانا) من الاتحاد بحياة الاخرين ويضع فى متناول يدها ما لم يكنه ويمكن أن يكونه [١٦] .

لقد استطاع روائى مثل عبد الرحمن الشرقاوى - مثلا - أن يرصد فى روايته [الفلاح] التغيرات التى طرأت على الريف المصرى وأن يعرض بجرأة مشكلات الريف المصرى المعاصر ، كما استطاع أن يعكس قيمة الحرية والثورة عند الفلاح فى هذه الرواية بعد ما عكس من قبل قيمة الارض عند القروى فى روايته [الارض] ، وفى الوقت نفسه استطاع ان يقول لنا أن عقلية القرية المصرية ماتزال عقلية غيبية لاتجد لمشاكلها الا حلا وحيدا تجمع عليه ويتمثل فى اللجوء الى الاولياء والافكار الخرافية التى تمثل رواسب حضارية معوقة لحركة التغير والتقدم الاجتماعى [١٧] .

واستطاع روائى مثل نجيب محفوظ أن يكشف عن التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى من خلال تتبع أجيال عدة من اسرة مصرية فى [الثلاثية] ، رابطا هذا التغير بالظروف العامة التى مر بها المجتمع ككل متأثرا سواء بالظروف الخارجية العالمية أو الظروف المحلية .

واذا كانت هناك أمثلة كثيرة على قدرة الرواية المصرية على مس الواقع مسا مباشرا ، الا أننا فى حاجة الى مزيد من الاهتمام بالمستقبل وبقضية التطور بحيث يكونان جوهر العمل الفنى ، فكل فن وليد عصره ، وهو يمثل الانسانية بقدر يتلاءم مع الافكار السائدة فى وضع تاريخى محدد ، ومع مطامح هذا الوضع ومع حاجاته وآماله ، لكن الفن يمضى الى ابعد من هذا المدى . فهو يجعل كذلك من اللحظة التاريخية المحددة لحظة من لحظات الانسانية ، لحظة تلتح الامل نحو تطور متصل (١٨) .

---

[١٦] راجع ارنست فيشر : ضرورة الفن ، ترجمة اسعد حليم ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٧١ ص ١٦ .
[١٧] راجع عبد المحسن طه بدر : « نحو رؤية واقعية من [الفلاح] » فى الروائى والارض ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، ١٩٧١ .
[١٨] ارنست فيشر : المرجع السابق ص ١٤ .



يفتوشـــــنكو

قامة منتصبة كالبتولا ، وعينان ضاحكتان عميقتا الزرقة ، وحركات عصبية لا تستقر ، وصوت ذو جرس عنيف الايقاع .. ذلك هو « الشاعر الذهبى » يفتوشنكو الذى تطلق عليه الشبيبة لقب ماياكوفسكى الثانى .

لم يكن يفتوشنكو قد بلغ العشرين عندما أصدر ديوانه الاول عام ١٩٥٢ « الباحثون » ولم تمر عشر سنوات حتى طارت شهرته فاحبه اناس حتى العبادة وابغضه آخرون حتى الموت ونعتوه بالمهرج والممثل والاستعراضى والرخو والمهزلة الى غير ذلك من النعوت التى بنى على أشلائها مجده .

أخذت تدور حوله النقاشات الحادة ، وتطبع دواوينه بمئات الالاف من النسخ وتنفد فى الحال ، وعندما كانت تقام له الامسيات الشعرية غالبا ما تتدخل الشرطة لتنظيم الدخول وحفظ الهدوء فى القاعة .

لقد اتيحت لى شخصيا فرصة حضور احدى امسياته فى طشقند ، وكانت قاعة السينما مزدحمة كأنك فى مترو ساعة الذهاب الى العمل ، وكانت القاعة غير مكيفة وكنا نصطاد نفحة من الهواء وسال العرق على اجسادنا وأغمى على امرأة حامل ، وكان هناك عمال وكولخوزيون وشبيبة وعجائز ، جمهور لا يمكن أن يحلم به شاعر فى أى عصر ، وعندما ابتدأ يفتوشنكو يلقى تلبسته روح لا يمكن وصفها فكان همسه يلتقط ويشرب ويتذوق وكانت زمجرة — وغالبا ما يزمجر — كعواصف شيلى .. لم أحس فى حياتى بأن أحدا يستطيع أن يتصل مع الجمهور بمثل هذه الحميمية والصداقة كما أحسست عند ذاك .

واختلفت الاراء فى سر نجاحه، فمنهم من قال انه يكثر من النظم ويطغى على الاخرين بموضوعاته العاطفية الغنائية وهى روح تنتظم الشعر الروسى الكلاسيكى الصافى . وقسم اعتبره ذلك الشخص الذى نحت من أسر التزمت الذى ران على الشعر والادب فى العهد الستالينى وانطلق كصاعقة « ليعيد قلب السوفييتى الى صدره » كما قال أحد النقاد .

وبلغت شهرته لدى الشباب حدا يجعل الواحد منهم يقيم الاخر تبعا لجوابه على سؤال : هل قرأت يفتوشنكو ؟ وإذا أجبت بالنفى حذفك معنويا من عالمه فورا .

وقد هوجم لوصفه فى بعض أشعاره دقائق حياة الفرد اليومية ، فاعتبرها النقاد الرسميون تحبيذا لحياة البورجوازية الصغيرة ، غير أن ذلك ليس صحيحا ولا يشكل جوهر شعره .

نعم ان لديه ما يبهر من عناصر التسليات الشكلية ، وتتجلى فى الاوزان المبتدعة ، والمؤثرات التصويرية . والايقاع الغامض ، ولكن لديه الكثير من الابداعات فى الشكل والانجازات الاصيلة . لكن هذا ليس جوهر شعره .. لا فى اللقطات الثانوية من الحياة الذاتية للفرد ، ولا فى التسليات الشكلية ، ان سر نجاحه فى أنه قدم لنا صورة من تعرية الاحاسيس العاصفة التى تميز ايقاع عصرنا المتناقض ، وعبر فى شعره العاطفى افضل من أى شاعر آخر عن ذلك التوق العنيد الى نيل الحرية من جديد ضد اعتى القوى فى الداخل والخارج . وذلك الايمان بمثل الديموقراطية البروليتارية الحقيقية التى تفضح سلطة الفرد الواحد « الذى لا يعرف الخطأ » والتجسيد الحى لادراك الذات لدى جميع المواطنين .

ان شعره ديناميكى دائما ، مزلزل ، رغم سطحيته أحيانا .بالقياس الى اكتشافات رفيقه فوزنتسينسكى الروحية ، فهو بعيد عن الخطابية البالية والغنائية المريضة والاغراق الجمالى .

ولد عام ١٩٣٣ فى مدينة زيما وعندما ابتدأ بالنشر عام ١٩٤٩ ظهرت بصمات أصابع ماياكوفسكى الجبار واضحة فى شعره (الباحثون) وظهرت قضايا العصر اليومية واستقلاله فى دواوينه « الثلج الثالث » — ١٩٩٥ — و « شارع المتحمسين » — ١٩٥٦ — و « الوعد » ١٩٥٧ وهاجم آثار الجمود والبيروقراطية واهمال الانسان فى قصيدته الشهيرة « الاخرون » ١٩٥٦ وديوانه « ورثة ستالين » ١٩٦٢ .

وبعد زيارته لكوبا بعد الثورة أصدر مجموعة قصائد تناول فيها مواضيع عالمية منها « الامية » « أحاديث مع سيارة ماز » « ثلاث دقائق من الحقيقة » « أرشيف سينمائى كوبى » .

وعندما نشر فى فرنسا انطباعاته « اكسبريس » ومذكراته « قصة حياتى » التى ترجمت الى العربية تعرض لهجوم شديد فى الاجتماع الكامل الرابع لادارة اتحاد الكتاب السوفييت . زار شمال البلاد وسيبيريا وكتب قصائده الشهيرة « مرة اخرى فى المحطة شتاء » « اليكم ايها الناس » ، « حلت أزمان أخرى ! » « محطة براتسك » . ثم نشر مطولتيه « اعدام ستيوبكا رازين » و « الفقراء يسيرون الى لينين » . ثم صمت مدة وكاد يصبح شبه مدمن ولكنه بعث من جديد لينشر قصة رديئة ويكتب سيناريو مدهشا لفيلم « انا كوبا » ويهيىء مسرحية له مع المخرج لوبيموف فى مسرح « تاجانكا » . ثم عاد كالعاصفة من جديد عندما عين مراسلا ادبيا خاصا لصحيفة اتحاد الكتاب السوفييت « ليتيرا تورنايا جازيتا » ، واخذ يقضى فى امريكا اللاتينية أشهرا فى السنة متنقلا بين شيلى والاكوادور وبوليفيا والبيرو وغيرها .

وفى عدد ٨ سبتمبر الماضى من « الليترا تورنايا جازيتا » ، نشر مجموعة من القصائد تحت عنوان « ريبورتاج من قارة الامل » أعادت اليه مجده القديم ، ودخل فى لغة الحياة اليومية للناس وهى المقاطع الاولى من قصيدة طويلة وعد القراء بنشرها تباعا .

وفى هذه المقاطع التى ترجمنا بعضا منها للطليعة يبرز أهم ما يتميز به شعر يفتوشنكو من توقيع عنيف وحزن شفاف وحيوية دافقة ، وتوسع فى استخدام الشكل ، والتقاط الجزئيات واعادة صياغتها واعطائها الشمولية .

ولم نترجم المقدمة القصيرة التى كتبها يفتوشنكو للقصيدة لانها فى رأينا لا تعطى أى مدلول خاص أو تفسير مميز يزيد على ما يكتشفه القارىء العادى فى هذه القصائد الرائعة .

سعيد حورانية



وريبورتاج من قارة الأمل

■ ايفانسيتو ■

هناك حيث ينظر سييرا نيغرا بغضب
وحيث تشرب اللاما من الينابيع
كانوا يسمون الاطباء ، فى القرى ،
« أبناء السماء »
الذين سقطوا من السحب

هناك حيث يجرى ريوسانتا
ويهدر بلهجة الكيتشوا [1]
يتعلم ايفانسيتو كيف يمشى
سموه ايفانسيتو تكريما للبعثة الطبية الروسية

يسير حفيد الانكيين القدماء ،
ـ أنه ياسييرا نيغرا ، من دمك ولحمك ـ
فيخفى الصبار أشواكه
لكى لا تخزه دون قصد

يمشى ايفانسيتو ببراءة
وتخاف خطواته الاسراع •

فيرى الذرة وكأنها تلّ صغير
أعلى من جبل واسكاران

يجابه تارة حفرة ، وتارة ساقية ،
والخنازير عند معلفها ،
فيتارجح ذات اليمين وذات اليسار ،
كما لو كانت أميركا كلها ... له •

يسقط متعثرا بمجرفة ،
أو بك ايتها الارض ،
مثلما سقط ابنى بيتكا مرضوضا
وكما سقطت ، سقطت أنا متألما •

لكنه ينهض ويسير ، ويتطلع ،
الى تجربة السقوط على الظهر •
ينبغى أن يدمى أنفه بأديم الارض
لكى يعرف معنى كروية الارض

يصطاد الشمس بيده الصغيرة فى بركة ماء
كما يليق بحكيم ••

---

(1) لهجة هندية •

فيسيل أنفه بطريقة روسية تماما
على وجهه الهندى

وفى تلك اللحظة ، عندما كانت البيوت تتهاوى وتنكور (٢)
عرف شيئا ما عن الارض ،
وكان لا يزال مختبئا فى بطن أمه المرتعبة •
كالحمل وقد لاذ بصخرة •

ووسط الدماء والانين والخراب ،
لطمتك لطما مرنا ، ومسدتك
اليدان الروسيتان النمشاوان ،
اللتان جاءتا بك الى هذه الدنيا يا ايفانسيتو •

واندفع صراخك عبر الاكواخ الخشبية ،
وعبر الجبال ، والنخيل ، وقصب السكر ،
كأنه زلزال سعيد
جاء بعد زلزال شقى •

ايفانسيتو ، انك تمضى الى الامام ،
تغنى من أجلك جوقة نسور
وتمشط اللاما بلسانها بعناية
خصلات شعرك الاسود •

فسر وسط الذرة والكراوية

دون أن تؤذى عشبه •
والزمى الهدوء يا جوائح العالم
فايفانسيتو يتعلم المشى

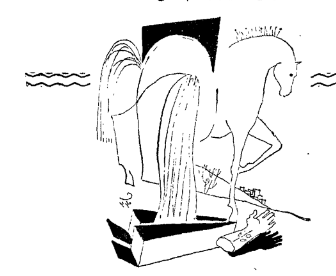
ولكن اياك أن تتعلم المشى ، مثل الكبار ،
الذين يسيرون على هدى الكذب الرنان ،
دون أن يتطلعوا حتى الى ما تحت أقدامهم ،
فيخطون فوق أجساد الاخرين •
منذ وقت قريب خرجت الى العالم ،
من تحت رداء أمك •
انك صغير جدا
لكن رجال السياسة يحفرون لك حفرة
لكى تتكسر قدماك

ويغطى الديماجوجيون
الدروب والطرقات ، المنبسطة أمامك ،
بالاوحال
من أجل أن تزل قدماك أيها الصغير

فازحف ، يا صغيرى الاسمر كالحية ،
ودس الكذب بقدميك
فلن تحط من قدرك أبدا
حتى لو سقطت بشدة

كفى اهتزازا ايتها الارض ! كفى !
ان ايفانسيتو يتعلم المشى

مفتـــاح الكومندانته *



تسير خيولنا الى القرية ،
حيث لقيت مصرعك
يا كومندانته *
اتركوا الاعنة يا موتشاتشوش **

ودعوا الخيول تقودنا ،
فلربما تنقلنا الى المكان المنشود ـ
والا ستبتعد دون طائل •
وجنات الصخور المتجهمة ،

---

(٢) اشارة الى الزلزال .
(*) الكومندانتة الرائد [بالاسبانيه] .. والمقصود بذلك تشى جيفارا
(**) الفتيان .

فيها مسحة فدائية ٠
والرياح ، وكأنها نحات ،
تنقرها بحرقة وألم ٠
والسحب الثقيلة ، تبدو ساكنة
فوقك ، ايتها الغابات والمستنقعات
كأنها الافكار المتعبة الكليلة
لجبال بوليفيا العابسة
فنحث الخطى أعلى فأعلى
كما لو كنا نهرب من شبح يطاردنا

● ●

خير لنا أن نذهب الى الاشباح فى الجبال
من أن نبقى فى أوحال المستنقعات
ان رنين حدوات الفرس
يملى على ايقاع هذه السطور
وهى تتعثر بالصخور
فى درب الموت الشيطانى المتعرج ٠
لكن الاعصاب ٠٠ قائد سيىء
وهذا ليس لاننى اخاف بسرعة
بل لان رائحة الجثث الخالدة ابدا
تتملك كل اعصابى
ان ذكراك يا كومندانته ،
تقلب روحى رأسا على عقب
ويصيب اعماقى صمت
يشبه ـ الزلزال
ايها الكومندانته ،
انهم يتاجرون بك ، ويرفعون الاسعار
لكن اسمك العزيز
يباع بثمن بخس جدا
فبعينى هاتين ـ لا بغيرهما ،
ايها الكومندانته
رأيت فى باريس صورتك ، والبيريه تعلوها نجمة،
على « السراويل الحارة » لاخر موضة
ولحيتك ايها الكومندانته ،
على الاقراط ، والمشابك ، والصحون
كنت شعلة صافية من الحياة ،
فاذا بهم يحولونك الى دخان فقط
لكنك هويت ، يا كومندانته
باسم العدالة والثورة ـ
لا لكى تصبح اعلانا
لتجارة دعاة « اليسار »
فى هذه المدرسة (٣) قتلوك

وجمدت فرسى فى مكانها ٠
« اين مفتاح المدرسة ؟ »
ويصمت الفلاحون كالحجر ،
فى أعينهم سر آثم ٠
الباب يعلوه قفل صدىء
وتنظر عبر النوافذ ـ فترى الظلام والخواء
والجدار ابيض ، كأنه شراع
سفينة ، دون قبطان
ويدوى جرس ريفى قديم ،
ويكرع السكير الجعة من صفيحة ٠
ويبدو روث الخيل عند الباب
كأنه الاقحوان يوضع للاموات
وأكرر : « اين مفتاح المدرسة ؟ »
وأصرخ ـ بالاسبانية ـ « المفتاح ! مفهوم ؟ »
لكنهم يصمتون ٠ اننى غريب ها هنا
ولا يمكن سبر غور هؤلاء الفلاحين ، فهم كالجدران ٠
ومع ذلك ٠٠ اين مفتاح المدرسة
مفتاح روحك ، يا كومندانته ؟
حسنا ، لنعد ادراجنا ، يا موتشاتسوس
فالسحب حبلى بالرعد ٠
وهذا المفتاح ـ انه بيد المجهول ،
وهيهات ان تصل اليه اليد !
لكن المفتاح الحقيقى ـ لا يفتح جميع الابواب
ولا تحل المسألة بتحطيم الباب
اننى افهمكم يا موتشاتشوس
فلكم عانت قلوبكم من الالام ٠
وهكذا تهرع ايديكم الى البندقية ،
وترجو هاتوا مدفعا رشاشا ٠
واذا ما جررتم الى اليمين ، يا موتشاتشوس ،
ـ فأنتم تتجهون الى اليســار ، ولكن اذا مــا جررتم الى اليسار ، فلا تسيروا الى يسار الطريق الرئيسى ،
لقد قطعوا يديك ، يا تشى ،
هناك فى ميدان فاليه جرانديه ،
ليأخذوا بصمات اصابعك
ولربما ـ فى تعجلهم ـ « خاطوا » لك يديــن اخريين بدلا منهما
لكن ايدى الموتشاتشوس الثائرة
هى يداك يا كومندانته
وليس هناك من يقدر على قطعهما
واذا ما قطعوهما ـ فستنموان من جديد

(٣) قتل جيفارا فى مدرسة فى جبال بوليفيا ـ

ضعوا ثقتكم بالخيول ، يا موتشاتشوس ،
لا بنزوات الشباب فقط ٠
فلدى الخيول حكمة الفلاحين ـ
ولا يهم ان تكون كهلة ٠

ويحوم فى السماء فوق رؤوسكم عقاب ،
يشرع منقاره الجارح باحثا عن فريسة
انه يخفى مخالبه الان
لكنه ينتظر ضحاياه بفارغ الصبر ٠



دمــــوع الفقـــراء

« كم عشت على وجه البسيطة ؟ »
« كثيرا جدا يا سنيور »
« وطبعا لديك أطفال ؟ »
« لقد ضيعت الحساب ، يا سنيور » ٠

« يبدو ، انهم غير موجودين هنا ٠٠ »
« انهم بعيدون يا سنيور »
« وزوجتك ، أهى فى البستان ؟ »
« انها فى حفرة يا سنيور »

« اين اذن قبرها ؟ »
« انه سر ، يا سنيور ٠٠ »
« يالهذه الروح الخبيثة !! »
« السر هو السر ، يا سنيور ٠٠٠

عندما يأتى الينا السادة الكبار
من بلدانهم الغريبة
بحثا عن الكنوز
فانهم يقلقون عظام الفلاحين ٠

وتصرخ الببغاوات من فوق الاغصان
قائلة لاولئك السادة الباحثين :

« عظام الاقرباء ـ ذهب الفقراء
ألا تكفيكم عظامكم ؟ »

دفنت زوجتى يا سنيور ،
فى حقل الذرة ٠٠ دون صليب ،
لكى لا يسخر منها انسان أبدا ،
ولكى لا يوجه الاهانات لصمتها ٠

لقد حق لها أن ترتاح ، يا سنيور ،
بعد أن تحملت عبء السلطة نصف قرن ٠
وسلطة الفقراء ، يا سنيور ، ضئيلة ،
ان سلطتهم كلها ـ هى التخفى والتستر ٠

وزوجتى هناك ، حيث الجذور
تشابكت مع رماد العديد من الفلاحين
فهى تطعمنى من جديد

● ●

اذ تتحول الى ذرة

ومنها ، وهى الجثة الباردة ،

والام الابدية للموقد (٤)
تنمو شجرة العجائب : سانتاخوانا ،
التى تشبه حباتها اللآلىء ٠

لقد بهت السائحون جميعا ، يا سنيور ،
فضللوا الفلاحين البؤساء ،
وأخذوا يشترون العقود
من الحبات البنفسجية الجميلة

شىء لطيف أن تحضرى دعوة غداء

وقد طوق عنقك عقد من السلفا يسحر الالباب
عليه حبات ٠٠ هى دموع الفقراء ٠
لكن هيهات أن يفهم السائحون الامر ياسنيور ٠

وأرجو السادة الاجانب ،
أنا الغنى بعظام الاقرباء فقط
بانه من الاثم غمر المجاريف فى الجروح
حتى لو كنتم تبحثون عن كنز » (٠)



فنان من جواياكيل

المركز جميل فى جواياكيل
عروس وفخر الاكوادور
لكن ضواحيه تقدم لك نفسها بالغبار
وبأكوام من القمامة
انه لاسلوب حزين — آلااوتيل (٥)

وفى كباريه «على بابا »
علقت لوحة فوق المسرح
لوحة قد تكون ضعيفة ،
لكنها تجذبك بقوة غامضة
اذ يكمن فيها مصير فنان ! ٠

كان الفنان يعمل كناسا

وعاش فى حى المومسات
وأحب على طريقته
جو الساقطات الساذجات
وكان يشرب معهن قهوة الصباح

كان الفنان رفيق النساء
وكن يرينه ، ومن يبكين ،
آثار أعمال الجلادين الغريبة ٠
كن كعشرات جان دارك — بعد انزالها من المحرقة — ٠
وكان الفنان لهن كالطبيب

لكنه كان يذرع فى الليالى ، وقد تملكه الحزن ،

(٤) يعنى انها عاشت طوال حياتها تهيىء الطعام ٠
(٥) يعنى حزين بالاسبانية ٠

الحى بطوله ،
وكانت تدعوه بالحاج
ذوات النهود التى اعتادت القرص
مزدريات القرابة الروحية

وكان يبعد نظراته عن النساء
حتى لا تربكه أفخاذ بعضهن ،
ويتلقط تلقائيا
وريقات الشوكولاته
واللفافات ، واللومينال (٦)

وانشغل فكره فجأة
بنعل حذاء بال لاحداهن ،
وشظايا المرايا والكعوب
وقرط ، وزر ، وحامل مقطوع
وجميع ذلك النثار ، من حوله •

وتهامست سلع الماضى :
« يبدو انه جن •• لقد ساءت الاحوال ••• »
لكنه حمل جميع هذه الغرائب
الى كوخ من ألواح الصناديق
وأخذ يلصق النثار ، ويلصق الاسمال •

كلا ، لم يكن من المؤمنين أبدا بالتعاويذ ،
كانت الافكار تراوده من الشقاء فقط :
« انك جميعا ــ مثل حياة البشر ،
ممزقة الى قطع
فتلاصقى وانتظمى بشكل آخر » •

ونهض من الاسمال والنثار قصر من قصور الفردوس ،
ونهر من المرايا ، وشبكة صيد كبيرة
من جوارب الاثم المشتبكة ،
وعيسى المسيح ــ بملامح مولد ــ فى السماء

تحت مشبك مزيف •

وأعجب الفنان نفسه بذلك
وأصبح من أجلها سعيدا ، ونشوان ،
يحلق عبر الازمان البعيدة
عندما اخترعت الدراجة لاول مرة
بحكم قانون قديم •

لكن الساقطات ، اللواتى ذرفن الدموع
لمرأى ذلك المعرض العجيب ،
أمعن النظر بالمشهد حتى ارتوين
وعدن من جديد الى بيع أجسادهن ــ
وهذه هى سلطة البيع

وتقدم اللوحة الى الكباريه
لقاء ثلاث فنانى من الجن ،
وأغلق على نفسه الابواب فى حجرة
وأخذ يلصق من جديد بدأب •••
انه فى قمة الابداع

وها هو يسير ولحيته هالة
على رأس فصيلة من الملتحين
تشى جيفارا نفسه ــ
من الكارتون ، وبيده رشاش صغير
مصنوع من البيجوديه

ونهض الفنان ،
محتقرا مشاهديه !
وها هو سبع مجنون يزأر
وسط أمواج لبدته الحمراء
المصنوعة من شعر مستعار عافته امرأة •••
هكذا
تعبر
القمامة
عن الغضب !

جامعو القمامة فى أكـــوادور

الغبار يتمرد ،
والاوساخ تحتج
ويقوم عامل المياه
••
بالدسائس

القمامة تهيمن
القمامة تعلن الاضراب ــ
وهى ترفض أن يزيلها أحد •
وترغى الرياح وتزبد ،
وتمسح

(٦) دواء منوم •

بعويل غاضب حروف الاعلانات ٠
انهم جامعو القمامة فى كوادور
قد أعلنوا التمرد اليائس ٠
ويترد شعار جرىء ،
ومشاكس مثل أرخميدس :
« هاتوا لنا سيارات قمامة ــ
وسننظف العالم كله ! »
وعند نوافذ دار البلدية .
حيث تجمعت الاوساخ فى أكوام ،
توالت الصرخات الغاضبة من الشارع :
« الى الشرفة ،
أيها الرئيس ،
الى الشرفة ! »
ورجال البوليس يرتجفون رعبا
بينما سار جامعو القمامة وهم ينشدون :
« اذا لم تكف صناديق القمامة ــ
فلا بأس بالصناديق الانتخابية ! »
وتراكض الاطفال بلغط
وبرزت رؤوسهم الصغيرة ذات الشعر المجعد
وأضاء لمعان النيران الخفى
وجوه الاكوادوريين الصفار ٠
لم يلق بى فى أرجاء الارض
شيطان الاسفار المدلل ،
بل موجة المظاهرات فى العالم كله
ضد طغمة التفاهة والفظاظة ٠
ورمى رجل ذو سحنة مولدة
بنصف بطيخة
على الشرفة الخالية
وصاح :
« هيه ، بوئيتا روسو [٧] :
انضم الينا !
واضرب !
فأنت واحد منا ! »
وأصابنى قلق خالص
وأعترف بأننى
تهيبت الامر شيئا ٠٠ فشيئا
انهم جامعو القمامة فى اكوادور
يضموننى الى نقابتهم ٠
وأنا ،
يا من اخترقت حجب المستقبل
أتذكرك ، ــ
أيها العزيز الى روحى
يا نزاح الثورة
وساقى الثورة (٨)
ولدى القوة والقدرة
وهو ما يغيظ دعاة النظافة المتغطرسين ــ
لان أصون النظافة فى الارض
مع جامعى القمامة فى اكوادور ٠
لهفى على الدولة التى
فيها الجميع شركاء
أنت ــ
يابروليتاريا العالم ،
يا من ترعرعت فى أحضانها

ترجمة : عبد الله حبه
صياغة : عبد الله حبه
وسعيد حورانية

---

(٧) ايها الشاعر الروسى ٠
(٨) يشير يفتوشنكو هنا الى ماياكوفسكى ويكرر قوله جوابا على اتهامات خصومه بانه شاعر الزواحف والسقاة ، بانه ينظف الثورة مما علق بها من شوائب وأوساخ ٠

رحمانينوف

مائة عام على مولده

د. سمحة الخولى

- لمع اسم رحمانينوف هذا العام وترددت موسيقاه فى الشرق والغرب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على مولده [أول أبريل سنة ١٨٧٣] . ورحمانينوف فنان يتميز بشخصية فريدة ، حافلة بالمناقضات ، فهو روسى أصيل ، بكل ما تحمله هذه الصفة من سمات نفسية ومزاجية ، ولكنه عاش واشتهر ومات بعيداً عن وطنه — وهو معاصر للنصف الاول من القرن العشرين — بكل ما شهده من انقلابات ثورية فى فن الموسيقى — ولكنه ظل بمنأى عن هذه التيارات فكان تعبيره الموسيقى رومانتيكيا لا ينتمى لعصره — وهو يعزف الفولكلور الروسى ويقدره كمنبع من منابع الالهام ولكنه لا يؤمن بالمدرسة القومية ولا يتبعها ، رغم انه نشأ فى أوج ازدهارها فى الربع الاخير من القرن الماضى — وهو عازف بيانو بلغ من الابداع فى العزف ما جعله من العازفين المعدودين فى هذا القرن ، وربما فى كل العصور ، ولكنه لم يكتب للبيانو مؤلفات استعراضية براقة مثل تلك التى يكتبها عادة المؤلفون — العازفون [الفيرتيوزو] .

ورحمانينوف ينتمى لاسرة أرستقراطية روسية ، ولد فى مدينة أونيج فى منطقة نوفجورود ، وفرضت موهبته الموسيقية نفسها منذ طفولته فألحقوه بكونسرفتوار سان بطرسبورج كتلميذ بقسم البيانو حيث قضى به ثلاث سنوات ، ثم تحول الى كونسرفتوار موسكو حيث استمر يدرس البيانو كما درس النظريات والتأليف الموسيقى ، على اثنين من مشاهير الموسيقيين الروس هما آرنسكى وتانييف . ولدراسة رحمانينوف فى هذين المعهدين ، على التوالى ، مغزى كبيرا فى تطور شخصيته الفنية فيما بعد ، حيث اتيحت له منذ البداية فرصة معايشة الاتجاهين الرئيسيين فى الفكر الموسيقى الروسى ، ذلك أن كونسرفتوار سان بطرسبورج تحول تدريجيا الى بيئة مواتية لنشر أفكار المؤلفين القوميين « الخمسة » ، واصبح مصدر اشعاع للموسيقى القومية . أما كونسرفتوار موسكو فقد كان معقلا للعلم الموسيقى الاوروبى البحت ، ظل بعيدا عن التيارات القومية ، واصبح مركز اشعاع للموسيقى الروسية الخالصة ، التى تتجنب النزعات القومية المتعمدة . ومن خلال دراسته بكونسرفتوار موسكو ، على آرنسكى وتانييف ، ارتبط رحمانينوف باتجاه تشايكوفسكى ، وكان يكن له احتراما عميقا ، كما تأثر رحمانينوف بمبادىء تانييف ، وهو مؤلف ومعلم كبير وعالم نظرى فى الموسيقى ، كان ينادى بفن موسيقى روسى خالص ، يجمع بين الدقة الكلاسيكيه والنقاء البوليفونى .

هذه هى البيئة التى تكونت فيها شخصية رحمانينوف كمؤلف موسيقى ، وهى التى تخرج منها حاصلا على الميدالية الذهبية فى التأليف الموسيقى . ولكن الاهم من هذا كله أنها البيئة التى وجهته الى اتخاذ اتجاه أوروبى عام ، بعيدا من القومية التى صبغت الموسيقى الروسية فى الثلث الاخير من القرن الماضى .

وبدأ الفنان الشاب يجوب أنحاء روسيا ليقدم حفلات من العزف المنفرد على البيانو [ريسيتال] أو ليعزف بمصاحبة الاوركسترا ، وكتب له النجاح كمؤلف وعازف ، واتسعت أسفاره الى خارج بلاده فسافر الى أوروبا وأمريكا فى جولات فنية ناجحة ، كان يظهر فيها كعازف بيانو [صوليست] وكمؤلف وكقائد أوركسترا فى آن واحد .. وقد شغل رحمانينوف فى مستهل حياته بعض الوظائف الموسيقية اذ عمل استاذا للبيانو بمعهد للفتيات ثم عمل مديرا وقائدا للاوبرا ، ولكنه أحس فى قرارة نفسه أن هذه الوظائف تقف عقبة فى وجه نشاطه الحقيقى فى التأليف ، فتركها وتفرغ كلية للتأليف الموسيقى وللعزف ، وظل يعزف مؤلفاته فى جولات فنية عديدة وواسعة .

وعندما شبت الثورة الروسية سنة ١٩١٧ هاجر رحمانينوف الى أوروبا حيث قضى بضع سنوات فى درسدن ثم فى سويسرا [على ضفاف بحيرة لوسرن] ثم استقر بعد ذلك فى الولايات المتحدة ، ولم يعد الى وطنه بعد ذلك الى أن توفى فى بيفرلى هيلز بكاليفورنيا سنة ١٩٤٣ . ومن الطريف هنا أن نذكر موقفا مختلفا تماما لاحد مواطنيه هو بروكوفييف ، الذى اختار أن يعود الى وطنه بعد الثورة ، بالرغم مما حققه من نجاح

وشهرة في أوروبا ، وقضى بقية حياته هناك ومات في بلاده .

وقد تعرضت موسيقى رحمانينوف لحملة ايديولوجية عنيفة من مقتنى الفن في الحزب الشيوعي في روسيا ، بل وحظر تداولها باعتبارها « تجسيدا لانحلال البورجوازية الصغيرة ، وخطرا يهدد صلابة الجبهة الموسيقية في الحرب الطبقية الدائرة » .. غير أن هذا الحظر لم يدم طويلا ، واليوم تتردد أغاني رحمانينوف ومؤلفاته في معاهد الكونسرفتوار وقاعات الموسيقى السوفيتية ، ويحتفل الاتحاد السوفيتي بمرور مائة عام على مولد هذا الفنان الروسي .

● ● ●

ومن القضايا المثيرة في فن رحمانينوف قضية العلاقة بين فنه كعازف بيانو ، واسلوبه كمؤلف موسيقى . فالمعروف من المؤلفين الذين بلغوا مرتبة « العازف الصناع » ، [الفيرتيوزو] .. انهم يؤلفون عادة لالتهم الموسيقية بأسلوب نابع من براعة العزف ، ويتمثل هذا الاتجاه بصورة حادة في مؤلفات باجانيني عازف الفيولينة الشهير . أما رحمانينوف فقد تخلص تماما من اغراء التأليف الفيرتيوزى لكبياتو ، لان أسلوبه في العزف كان يعتمد الى حد كبير على عمق الرنين الصوتي وحساسية اللمس الشاعرى ، وهو ليس ممن يبهرون بالمقدرة التكنيكية اللامعة ، وقد انعكس هذا على مؤلفاته العظيمة للبيانو والتى بلغ فيها اقصى درجات الالهام والاخلاص فهي تخلو من البريق الباهر ، الذى نعرفه في مؤلفات « ليست » مثلا ، وان كانت لاتقل عنها صعوبة ، بحكم كثافة النسيج الهارموني واتساع النطاق الصوتي ، وحرصه على استخدام أصوات ممتدة في الباص تكثف الرنين ، بما يتطلب استخداما خاصا للبيدال [أى الدواسات التى تشكل عنصرا هاما في العزف ، وهى على نوعين ، نوع يساعد على بريق الصوت وامتداده ، والاخر يعمل على تظليل الصوت وخفوته] . ولانغالى اذا قلنا أن مؤلفات رحمانينوف للبيانو ، المنفرد أو مع الاوركسترا ، هي واغانيه ، تعتبر خلاصة ابداعه ومحور شهرته وقمة صدقه الفني . ومن أشهر مؤلفاته للبيانو مجموعة من خمس قطع مصنف ٣ وهى التى ذاعت منها المقدمة [بريلود] رقم ٣ في مقام دو دييز الصغير والتى ظل المؤلف يعزفها في كل حفلاته بناء على طلب الجماهير ، وله مجموعتان من المقدمات [البريلود] ، ومجموعتان من الدراسات على شكل لوحات Etudes Tableaux ومجموعة اسماها « لحظات موسيقية » ، كما انه اتجه في بعض مؤلفاته للبيانو اتجاها كلاسيكيا في اهتمامه بفن «التنويعات» Variations ، اذ كتب تنويعات على لحن من موسيقى كوريللي ، وتنويعات على لحن لشوبان مصنف رقم ٢٢ . ولكن رحمانينوف يتجلى في قمة ابداعه في مؤلفات الكونشرتو للبيانو التى كتب منها أربعة امتاز أحدها وهو الثاني بشهرة عالمية وشعبية عريضة لم ينلها أى كونشرتو آخر كتب في هذا القرن ، كما أنه ابدع في الرابسودية للبيانو والاوركسترا ، وهى في الحقيقة مجموعة من التنويعات الحرة على لحن شهير لباجانيني ، تناوله عدة مؤلفين من قبل .

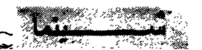
أما الموسيقى السيمفونية ، سواء منها السيمفونيتان الاولى والثانية ، او القصيد السيمفوني « جزيرة الموتى » [وهو تصوير موسيقى للوحة للمصور آرنولد بوكمان] — هذه الاعمال السيمفونية وكذلك أعماله الكورالية وأوبراته الثلاث فلم تحقق نجاحا يذكر وخلاصة القول أن شهرة « رحمانينوف انما تستند الى أغانيه القيمة العديدة التى تجعل منه بحق مؤسس فن «الليد» [الاغنية الفنية الرفيعة] في روسيا ، كما تستند شهرته كذلك الى بضع أعمال للبيانو على رأسها بلا شك كونشرتو البيانو الثاني مصنف رقم ١٨ في مقام دو الصغير ، وهو الذى أنجزه مؤلفه في ظروف مثيرة تستحق دراسة سيكولوجية .

فقد منيت السيمفونية الاولى وكونشرتو البيانو الاول بفشل كان له تأثير أليم على نفس المؤلف فأصيب بحالة اكتئاب مرضى منعه من التأليف فتفاقمت حالته ، مما دفع أصدقاؤه الى اقتراح التماس العلاج عند طبيب نفسى اسمه الدكتور دال Dr. Dahl كان يشفى الحالات النفسية عن طريق التحليل والايحاء [وربما التنويم] . وظل رحمانينوف يتردد عليه عدة أشهر حتى تخلص من سوداويته ، فانكب على التأليف بحيوية جديدة وأخذت الافكار الموسيقية تنهال عليه في فيض من الالهام الحقيقى . ومما يذكر أن المؤلف كتب الحركتين الثانية والثالثة لهذا الكونشرتو أولا ، وبناء على نجاحهما كتب بعد ذلك الحركة الاولى الشهيرة التى تبدأ بداية طريفة بمجموعة من التآلفات الهارمونية الدسمة [في مقام الدرجة الرابعة] وتتصاعد من أدنى الهدوء الى أقصى الشدة ، وتتميز هذه الحركة باللحنين الرئيسيين الشهيرين . وهذا الكونشرتو الثاني حافل بالافكار اللحنية الرائعة في عذوبتها العميقة وفى تأثيرها العاطفى ، ولاشك انها مسئولة من شعبية هذا الكونشرتو وانتشاره الهائل الذى لم يبلغه أى كونشرتو آخر لنفس المؤلف . ومن الطريف أن اللحن الحزين الرقيق [الذى تبرز فيه الرابعة الناقصة] للحركة الثالثة لهذا الكونشرتو ، ليس من ابتكار رحمانينوف نفسه بل هو مستوحى من لحن لصديق له اسمه نيكيتا ماروزوف . وقد أهدى رحمانينوف هذا الكونشرتو الى طبيبه المعالج كما انه هو الذى عزف البيانو عندما عزف الكونشرتو لاول مرة سنة ١٩٠١ بموسكو .

● ● ●

ومن العسير تحليل سمات أسلوب رحمانينوف ، حتى في أعماله الناجحة ، وهى مؤلفات البيانو والاغانى ، لان أسلوبه في حقيقته أسلوب انتخابى ، نلمس فيه آثار بعض الفنانين الرومانتيكيين الالمان ، وبعض الفنانين « التأثيريين » الفرنسيين [وخاصة في الموسيقى التصويرية] ، وربما كان هذا من العوامل التى دعت بعض نقاد الموسيقى الى التنبؤ بأن شهرة رحمانينوف لن تدوم طويلا ، وهو حكم غير عادل لان رحمانينوف كان قبل كل شيء صادقا مع نفسه وطبيعته ومزاجه كما انه يمتلك قدرة فريدة على خلق ألحان تسيل عذوبة وشجن ، وهى صفات قد لا تتفق مع طبيعة العصر ، ولكنها تلمس قلوب الناس دائما وتحرك مشاعرهم ، ولو في سن معينة .

والواقع أن رحمانينوف صادق لطبيعته الروسية في عاطفيته الفياضة ، وحساسيته المفرطة ، ومزاجه المتقلب بين التأمل الحزين وبين العنف المتأجج . وربما كانت هذه الصفات نفسها هى التى لم تجعل منه واحدا من الشخصيات الموسيقية الكبرى في عصره ، فهو لم يعش عصره ولم يعبر عن صراعاته وتطلعاته ، ولم يشارك في بحثه عن وسائل فنية جديدة توسع آفاق التعبير الموسيقى ، ولكنه كان مشغولا بالتعبير عن ذاته ومن احساسه الشخصى بالجمال ، وهو احساس يجده آلاف المستمعين مقنعا ومباشراً وجميلا .



زد..

والثورة فى كل مكان

محمد جمال امام

تشهد القاهرة فيلما اجنبيا جيدا بعد أن طال تعذيب جمهور هذه الافلام بالعديد من الافلام المتوسطة الجودة فمادون ذلك . الفيلم اسمه « زد » وهو انتاج جزائرى فرنسى مشترك . ونرجو أن يكون المسئولون عندنا عن الافلام المشتركة قد شاهدوه ، حتى يتأكدوا أن الانتاج المشترك يمكن أن يصنع شيئا أجود من « ابتسامة أبو الهول » تجد لها رواجا جماهيريا فى الداخل والخارج.

وفيلم « زد » يثير فى النفس الكثير من التأملات . فهو فضلا عن لغته السينمائية الجميلة والعصرية ، وابتعاده من الاغراق فى تفاصيل التفصيلات ، رغم كثرتها واغرائها ، وحبكته المتقنة التى تشد الانتباه من اللحظة الاولى حتى آخر الفيلم ، .. يقدم مضمونا انسانيا رائعا . وعندما يجتمع لفيلم ما مضمون جيد ومعالجة سينمائية متقنة ، يصبح عملا فنيا يستحق الرؤية والدراسة.

● فى الفيلم صراع بين قوى من انصار السلام ، يتزعمها نائب معارض فى البرلمان ، تريد نشر أفكارها .. وبين السلطة الرجعية . والسلطة تستخدم كل ما تملكه من أدوات العنف والقهر ، مغلفة بالاطار القانونى الضرورى فى ظل الديمقراطية الليبرالية . ومن هذه الادوات جمعية يمينية متطرفة تضع فى مقدمة برامجها القضاء على كافة الافكار التقدمية التى تعتبرها معادية للتقاليد الاخلاقية والنظام والقانون التى قام عليها المجتمع الذى تعيشه . وقائد الشرطة — ممثل السلطة الرجعية — يستخدم اعضاء هذه الجمعية للبطش بأنصار السلام واغتيال زعيمها النائب فى برلمان النظام القائم . وفى سبيل ذلك تمارس ضغوطا اقتصادية عنيفة لاستقطاب الاعضاء للجمعية ولاستخدامهم فى جرائمها .

ويدور حوار عنيف بين قيادات حركة المعارضة . هل يواجهون المؤامرات ضدهم بعنف مماثل أم بالالتزام بالقانون.

ونهاية الفيلم تقول .. قد يكون القانون رائعا .. ولكن المهم من يقوم بتنفيذ هذا القانون وحمايته ؟ انه النظام القائم .. وعندما يكون النظام رجعيا يصبح القانون أداة للقهر والاضطهاد

فالنائب العام يصل من العاصمة ليضغط على وكيل النيابة باسم صالح الدولة والمجتمع والحكومة والقصر .. ليتوقف عن المضى فى البحث عن قتلة النائب .. عندما يهدد هذا البحث بتقديم قائد الشرطة للمحاكمة بتهمة القتل العمد .. ولكن وكيل النيابة الذى يتصادف أنه انسان ذو ضمير حى لا يستسلم للضغوط . ولا يعجز النظام أن يجد حلا فى النهاية لهذا الاشكال .

فهل تضمن قوى الثورة أن تجد اشخاصا ذوى ضمائر حية يحرصون على تنفيذ روح القانون ونصوصه فى خدمة الجماهير وليس النظام الرجعى ؟

الفيلم يقول أن على قوى الثورة أن تتعامل مع النظام الرجعى بأسلوبه .

● وقد حرص الفيلم أن يقدم هذه القضية فى اطارها العالمى فهى قضية الثورة فى كل مكان ، وليست قاصرة على حادثة معينة فى اليونان . فلافتات المحلات مكتوبة بالحروف اللاتينية وليست اليونانية ، والحديث عن العاصمة والحكومة والقصر عام وليس محددا ، بحيث يمكن أن تكون لاية دولة ، والشارات والرتب العسكرية عامة .. الخ والمدهش أن الشعارات التى يرددها زعيم الجمعية اليمينية المتطرفة هى نفسها التى يستخدمها اليمين الرجعى المتطرف

فى كل مكان والتى يخدع بها المخلصين من غير المتعلمين الذين يريدون المحافظة على الاخلاق والقيم والنظام العام .

ومن هذا المنطلق يصبح التعاطف مع احداث الفيلم عاما .. حيث تعيش القضية فى أماكن كثيرة من العالم .. ويتعدى بذلك كونه تعاطفا مع قوى ثورية فى مكان ما بالعالم .. الى أن ترى كل العناصر الثورية نفسها فيه .

ولقد أحس الكثيرون بالخوف الذى انتاب « زد » عندما خرج من محاضرته ليجد الميدان غاصا بالافراد الذين جمعتهم السلطات الرجعية للقضاء عليه وعلى مجموعته .. فينادى قائد الشرطة ومفتش المباحث .. ويدير الاثنان ظهرهما له ويختفيان خلف صفوف جنود الشرطة .. ويتقدم « زد » الى حتفه .. والجميع يحبسون انفاسهم حيث يمكن أن يكون اى منهم هو الذى يخطو هذه الخطوات الرهيبة .

ومن هنا ايضا كانت سعادة المتفرجين عندما يرون كبار ضباط الشرطة وقد انتابهم الرعب اذ يتقدمون للمحاكمة .. يخطئون طريقهم للابواب ويطاردون مصورى الصحف فى لقطات كوميدية هازئة .

● والفيلم يعرى ديمقراطية النظام الرأسمالى . فهى حريصة على القانون والنظام والليبرالية طالما أن كل هذا يخدم مصالحها . ولكن احساسها أن الامور لن تسير كما تهوى حتى النهاية يجعلها تعد اسلحتها للدفاع عن مصالحها .. فتكون الجمعيات الرجعية المتطرفة ، وتحتفظ فى أرشيفها بمعلومات شخصية دقيقة عن الاشخاص الذين لا ترتاح اليهم ، تتضمن علاقاتهم الغرامية وعلاقاتهم الشخصية مع زوجاتهم .. الخ ، وتجند فى خدمتها ضعاف النفوس ممن تجعلهم احتياجاتهم الاقتصادية على استعداد لفعل أى شىء فى سبيل الاستمرار فى الحياة .

●● وعندما تشتد قوى الثورة .. لا يتورع النظام الرجعى ، ممثلا فى الشرطة ، عن تدبير جريمة اغتيال لنائب فى البرلمان يحرص على أن يلتزم باطار الشرعية الذى خططه النظام . بل ويشترك فى تدبير هذه الجريمة قائد الشرطة ومساعدوه .

.. وعندما يضع القدر فى طريقهم وكيل نيابة يحترم القانون حقا ويصر على المضى قدما فى تحقيقه للنهاية ، رافضا ضغوط الشرطة ورئيسه بل والنائب العام ذاته ، ويقدم جميع المتهمين للمحاكمة بما فيهم قائد الشرطة .. يستمر النظام الرجعى فى أسلوبه فيدبر جرائم « وفاة » غامضة لكل الشهود .

.. وعندما تتأزم الامور ، تتكشف القوى الحقيقية المسيطرة على النظام الرأسمالى الرجعى عن وجودها ، وتتخلى عن الاقنعة المتمثلة فى الديمقراطية الليبرالية المزيفة .. وتسقط الحكومة وتلغى البرلمان وتدفع بحملة البنادق الى السلطة ، ليفرضوا بطشا فاشيا ويزيحوا ما تبقى من رائحة القانون فى القضية . فيبعد وكيل النيابة الشريف ، ويسجن المصور الصحفى الذى ساهم فى كشف جوانب القضية بدافع السبق الصحفى لا غير ، ويكتفى بالعقوبات الادارية لضباط الشرطة ، ويحكم على القتلة وشركائهم بعقوبات مخففة للغاية .

فالمهم لدى الدوائر ذات المصلحة الحقيقية فى هذه الانظمة الرجعية هو المحافظة على مصالحها تحت أية اقنعة .. الديمقراطية الليبرالية أو الفاشية العسكرية أو غيرها .

● حاول البعض أن يستخلص من الفيلم ادانة للطبقة العاملة كطليعة ثورية ، وان يجعل الفيلم يسير فى خط فكرى متأثرا بنظريات « هربرت ماركيوز » فى الثورة والدور القيادى للشباب فيها . واستندوا فى ذلك الى أن الفيلم قدم مخالب الارهاب متمثلة فى بعض العمال والثائرين من الشباب . ولكنهم نسوا أن هؤلاء « العمال » جندتهم عناصر الشرطة مستغلة مشاكلهم الاقتصادية الصعبة [بائع التين وعمال الميناء] وتغلغل افكار الجمعية اليمينية وسطهم فى فترة عمل ثورى مناوىء .. بل وصل الضغط عليهم لكى يقوموا بتنفيذ أدوارهم فى الجريمة الى اقصى المراحل والتى لو تعرضت لها عناصر أخرى لضعفت واستسلمت .. كما أن جزءا كبيرا من أفراد قوة الشغب التى أحاطت بقاعة المحاضرة التى تكلم فيها « زد » كانوا من الشباب ، والذين بدأوا الهجوم عليه كانا شابين . المحصلة هى أن وجود عناصر خائنة وعميلة فى طبقة لا يدينها . فلم يقل احد أن الطبقة العاملة بأجمعها طبقة ثورية .. أو ان حركة الشباب كلها حركة تقدمية .

وفى رأيى أن الفيلم حاول أن يضع الجماهير الكادحة كلها ــ صاحبة المصلحة الحقيقية فى الديمقراطية ــ فى مواجهة النظام الرجعى وقوى القهر والاستغلال التى تسنده ، والتى لا تفرق فى حركتها بين العمال والشباب والمثقفين .. بل انها تبذل كل ما تستطيع لتذيب الفوارق الطبقية التى تولد الحركة الثورية ، وتفرض على الجميع وهم الاخاء بين الرأسمالية والطبقة العاملة ، بحيث يتنازل المطحونون عن حقوقهم المشروعة التى تنهبها القوى المستغلة .

● تبقى كلمة اخيرة .. حول الممثل العظيم الكبير عندما يقبل دورا صغيرا ويؤديه باتقان شديد يخدم به قضية يراها عادلة . « ايف مونتان » الممثل الفرنسى الشهير ذو الشعبية الجارفة فى دور « زد » و « ايرين باباس » الممثلة اليونانية القديرة فى دور زوجته .. وظهورهما على الشاشة لا يتعدى دقائق قليلة على طوال الساعتين التى استمر فيهما عرض الفيلم .. و « جان لوى ترينتان » الممثل الفرنسى الشهير فى دور ليس بطولة كاملة .. لقد تركوا البطولة الحقيقية لممثلين غير معروفين جيدا تماما بدور وكيل النيابة وقائد الشرطة . فليس المهم طول الدور .. بقدر ما يقدمه هذا الدور وكيف يؤديه الممثل الكبير المتمكن .

● هذا تعليق سريع حول فيلم عظيم شد انتباه الجماهير بتوفيقه الكبير بين المضمون الجيد والمعالجة السينمائية المتقنة .

رسالة العراق

السينما النضالية في مهرجان بغداد

سمير فريد

استطاعت الشركات السينمائية الامبريالية ، وخاصة بعد النجاح المتزايد الذى تحققه الافلام السياسية فى اوروبا بعد ١٩٦٨ أن تجعل من السينما السياسية « مودة » من بين «المودات» التى تلجأ اليها بين الحين والاخر لضمان استمرار الرواج ، واستمرار خداع الجماهير . واختلط الامر على الكثيرين فلم يعد هناك فرق يذكر بين السينما السياسية والسينما الثورية ، او بين السينما الثورية والسينما النضالية ،وسوف نحاول أن نحدد مفهوم كل منها.

ان لكل فيلم ، مثل كل عمل فنى ، بعده السياسى بحكم العلاقة الوثيقة بين الفن والواقع ، وبين الواقع والنظام السياسى ، ولكن الفيلم السياسى هو الفيلم الذى يتناول موضوعا سياسيا بغض النظر عن أسلوبه فى معالجة هذا الموضوع ، أو الموقف الذى ينتهى اليه من خلال تلك المعالجة ، فهناك الفيلم السياسى الثورى ، وهناك الفيلم السياسى الرجعى . أما الفيلم الثورى فهو الفيلم الذى يعبر عن وجهة نظر ثورية فى الواقع بغض النظر عن الموضوع الذى يتناوله ، أو أسلوبه فى معالجة ذلك الموضوع ، فقد يتناول حياة العمال ، وقد يتناول حياة البورجوازية ، قد يكون واقعيا ، وقد يكون سورياليا ، المهم أن يفصح عن وجهة نظر تكشف ابعاد الصراع فى المجتمع ، وتدعو الى تغيير الواقع .

ويختلف الفيلم النضالى عن الفيلم السياسى ، أو الفيلم الثورى ، فاذا كان هناك فيلم سياسى غير ثورى ، وفيلم ثورى غير سياسى ، فان الفيلم النضالى هو الفيلم السياسى الثورى الذى تقوم بانتاجه عادة حركات التحرير الوطنية ، أو الجماعات السينمائية الثورية المستقلة او التابعة للاحزاب الثورية . ولا يعنى ذلك بالطبع ان كل فيلم نضالى هو بالضرورة فيلم جيد من حيث تعبيره عن مضمون الحركة التى ينتمى اليها ، ولكن النجاح أو الفشل هنا رهن بمدى نجاح الحركة الثورية ذاتها ، أى رهن بالفعل السياسى الذى يتم فى الواقع .

ومن بين الافلام التى عرضت فى المهرجان الدولى الاول لافلام وبرامج فلسطين الذى أقيم فى بغداد وعددها ٦٧ فيلما من مختلف الانواع والاطوال ، داخل وخارج التحكيم ، كان هناك ١٥ فيلما نضاليا منها ٧ أفلام عربية و٥ افلام اوربية عن فلسطين ، وفيلما عن ارتيريا ، وآخر عن ايران من انتاج جبهة تحرير ايران ، وثالث عن التوباماروس فى أوروجواى .

اما الافلام الفلسطينية العربية فهى « **مشاهد من الاحتلال فى غزة** » انتاج جماعة السينما الفلسطينية فى مركز الابحاث واخراج مصطفى أبو على ، و « **غزة** » انتاج لجنة التضامن مع غزة و « **ذكريات ونار** » اخراج اسماعيل شموط ، و « **معسكرات الشباب** » ، وكلاهما من انتاج منظمة التحرير الفلسطينية ، و « **لماذا المقاومة** » اخراج كريستيان غازى ، و « **الطريق** » اخراج رفيق حجار ، وكلاهما من انتاج الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، و « **بالروح بالدم** » انتاج أفلام فلسطين التابعة لمنظمة فتح واخراج مصطفى أبو على .

ويعتمد كلا الفيلمين اللذين تم انتاجهما عن غزة على وثائق الارشيف ، ولكن على حين يكتفى صانعو فيلم « غزة » بربط الوثائق المختلفة ، يقدم مصطفى أبو على فى « مشاهد من الاحتلال فى غزة » نموذجا للاستخدام الفنى الخلاق لتلك الوثائق معبرا عن صمود سكان غزة فى مواجهة الفاشية الجديدة فى اسرائيل . فهو يستخدم الالوان واللون الواحد ، اللقطة السينمائية والصورة الفوتوغرافية ، التعليق والاغنية ، كما يستخدم لقطة افتراضية تصور مسدسا للتعبير عن العالم الداخلى لهذا الرجل أو تلك المرأة من الذين نشاهدهم فى الفيلم وهم يتعرضون للارهاب الاسرائيلى ومن أجل الاثارة الذهنية يعيد احدى اللقطات لامرأة تصرخ فى وجه جنود اسرائيل دون صوت ، ويعد اللقطة الكاملة [صوت وصورة] مباشرة .

وينتمى فيلم « ذكريات ونار » الى افلام الفن حيث يقدم مخرجه الفنان

التشكيلى اسماعيل شموط من خلال احدى لوحاته ، والتى تصور رجلا مجوزا من اللاجئين المراحل المختلفة التى مرت بها القضية الفلسطينية . أما فيلم منظمة التحرير الفلسطينية الثانى وهو « معسكرات الشباب » فيصور الحياة فى هذه المعسكرات التابعة لمنظمة فتح ، ويركز على التدريب العسكرى للفتيات ، ويبرز بشكل خاص دور المرأة الفلسطينية فى حرب التحرير ، وقد نجح الفيلم فى التعبير عن هذا الدور .

وفى فيلم « لماذا المقاومة » يقدم كريستيان غازى مجموعة من الاحاديث يجيب من خلالها على السؤال الذى يطرحه فى عنوان الفيلم ، ومن بينها حديث طويل مع الكاتب المناضل غسان كنفانى الذى اغتالته القوى الصهيونية — الامبريالية فى العام الماضى . وقد برع غازى فى استخدام الصور والملصقات الملعقة على جدران غرفة غسان ، والتى كان يقترب منها ، ويستعرضها بالكاميرا داخل نفس اللقطة بينما يتحدث الكاتب الشهيد . وقد سبق أن شاهدت هذا الفيلم ، وفيلم « بالروح بالدم » الذى يقدم وثيقة عن مذبحة سبتمبر ١٩٧٠ فى الاردن فى برنامج فلسطين الذى أتيح فى اطار مهرجان دمشق الدولى الاول لسينما الشباب ، أما الفيلم الثانى الذى عرض فى مهرجان بغداد من انتاج الجبهة الشعبية ، وهو فيلم « الطريق » اخراج رفيق حجار فقد كان بحق اكتشاف المهرجان الفلسطينى الاول

يبدأ « الطريق » بلقطات من الشعر السينمائى الخالص تتجول فيها الكاميرا بحرية وطلاقة فى الشوارع الضيقة لاحدى مخيمات اللاجئين ، وتنعكس الشمس البازغة من خلال جدران المساكن المصنوعة من الصفيح على نحو لا ينسى ، وبهذه اللقطات ذاتها ينتهى الفيلم بعد أن يقدم صورة حقيقية لمواقع القضية الفلسطينية اليوم : مظاهرة احتجاج فى عمان ٧١ ، صورة وصفى التل وصوته وهو يعلن فى سبتمبر ١٩٧٠ « ستكون المعركة الفاصلة مع الفدائيين مشهد مونتاج للملك حسين وموشيه ديان وريتشارد نيكسون ، العودة الى مظاهرات الاحتجاج ، مناقشات سياسية بين المناضلين فى الجبهة الشعبية وقطاعات الشعب اللبنانى المختلفة ، الحياة فى مخيمات اللاجئين حيث يذكر التعليق لاول مرة فى الافلام الفلسطينية العربية حقائق الحياة فى هذه المخيمات بالوقائع والارقام ومنها أن ١٠٪ فقط من اللاجئين يتمكنون من الذهاب الى الاطباء عندما يمرضون ، واخيرا يتحدث احد المناضلين الذين تمكنوا من الهروب من احدى معسكرات الاعتقال الاردنية ، ويذكر أن هناك ٢٨٠٠ فدائى فى هذه المعسكرات ، وأن السلطة الاردنية تصرف لكل معتقل نصف كيلو جبنه كل شهر ، ولكل ٦ من المعتقلين صابونه واحدة كل شهر . وهكذا استخدم رفيق حجار العديد من الوسائل السينمائية ، ينجح فى استخدامها الى ابعد الحدود .

أما الافلام النضالية الاوروبية التى عرضت فى مهرجان بغداد عن القضيه الفلسطينية فهى الفيلمين الايطاليين « الفتح » انتاج يونتيل فيلم التابعة للحزب الشيوعى الايطالى واخراج لويجى بيرللى ، و « فلسطين .. فيتنام اخرى » انتاج سان ريجسو سينما توجرافيكا ، والفيلمين الالمانيين من المانيا الاتحادية « أين تقع فلسطين » و « المطاردة » انتاج مجموعة بروبيتوس السينمائية الجديدة واخراج مانفريد فوس ، والفيلم السويسرى « بلادى .. ثورة » انتاج واخراج مجموعة فرنسيس در سيرو . [انظر فيلم « الفتح » وفيلم « بالروح بالدم » السينما النضالية فى مهرجان قرطاج بملحق الادب والفن من « الطليعة » العدد ١١ لعام ١٩٧٢] .

فى فيلمه الاول عن فلسطين « اين تقع فلسطين » يقدم مانفريد فوس عرضا تاريخيا لمراحل تطور القضية الفلسطينية ثم يصل بسرعة الى واقع القضية بعد ٥ يونيو ، ويركز على أهمية معركة الكرامة بالنسبة للعمل الفدائى الفلسطينى ثم مذبحة سبتمبر ١٩٧٠ فى الاردن ، واستمرار المقاومة رغم الحصار الذى تفرضه عليها الامبريالية العالمية والرجعية العربية ، واخيرا يقدم مشهدا عبقريا لجنازة احد الشهداء يفيض بالامل فى انتصار الثورة الفلسطينية . أما فى فيلمه الثانى « المطاردة » فيصور مطاردة البوليس الالمانى للطلبة العرب والفلسطينيين فى المانيا الاتحادية بعد حادث ميونيخ فى العام الماضى ، ويحذر فى النهاية من الصمت ازاء قوانين الطوارىء التى استخدمها هتلر قائلا « غدا يمكن أن يدق الشرطى على بابك أنت ايضا » [أنظر حوار مع مانفريد فوس بملحق الادب والفن من « الطليعة » العدد ٣ لعام ١٩٧٣] .

وكما يربط الفيلم الايطالى « فلسطين .. فيتنام أخرى » بين حرب التحرير الفيتنامية وحرب التحرير الفلسطينية ، يربط بينهما أيضا الفيلم السويسرى « بلادى .. ثورة » الذى ينهج نفس اسلوب فيلم مانفريد فوس فيبدأ بعرض تاريخى وينتهى بجنازة شهيد معبرا عن واقع القضية بعد ٥ يونيو ، والى اليوم . ولكن هذا الفيلم يعانى من التكرار والتطويل ، وبه العديد من الاغانى التى جعلته أقرب الى الافلام الحماسية العاطفية .

أما الفيلم الارتيرى « بسكاديرا » فهو من انتاج القطاع العام السينمائى فى العراق ، ومن اخرج العراقى عبدالوهاب الراوى ، ونقول الارتيرى لان الانتماء الى حركات التحرر الوطنية هو انتماء نضالى ، وليس جغرافيا أو عراقيا . ويعتمد الفيلم على مجموعة من الصور الفوتوغرافية التى عبر بها المصور جاسم الزبيدى عن المذبحة التى قامت بها القوات الاثيوبية فى القرية الارتيرية المعروفة بهذا الاسم والتى راح ضحيتها ١٤٥ من سكان القرية . وقد برع عبد الهادى الراوى فى استخدام هذه الصور فى اطار حديث من وراء الكاميرا مع المصور ، ومع تصوير ما تبقى من آثار الحياة فى القرية مثل أدوات الطعام وحلى النساء ولعب الاطفال وغير ذلك . واستخدم بدلا من الموسيقى مجموعة من الاغانى الثورية للمطربة الافريقية مريم ماكيبا .

وفى تقديرى ان الفيلم الايرانى « فيلم من الوضع فى ايران » الذى أنتجته جبهة تحرير ايران هو أعظم الافلام النضالية التى عرضت فى مهرجان بغداد ، اذ يقدم معتمدا على لقطات الارشيف وثيقة شاملة عن كفاح الشعب الايرانى ضد القوى الامبريالية والرجعية المحلية منذ مصدق الى اليوم ، ويعتبر الحصول على هذه الوثائق فى حد ذاته عملا ثوريا فذا ، فنحن نشاهد مصدق أثناء محاكمته ، ونيكسون عندما كان نائبا لايزنهاور وهو يجتمع مع الشاه ليخطط ويبارك ضرب الحركة الوطنية ، ثم الشاه وهو يقوم « بثورته البيضاء » ويوزع الارض على الفلاحين الذين يقبل كل منهم حذاءه ، وتقترب الكاميرا فى منظر كبير من وجه الفلاح الملقى على الحذاء .

واخيرا هناك « التوباماروس » الذى لم يعرض فى قاعة المهرجان ، وهو فيلم سويدى من انتاج واخراج الف سترنبرج وماريا سيدر كويست . وليس هناك أفضل من روجيه دوبريه فى دراسته عن « التوباماروس » للتعبير عن هذا الفيلم ، يقول المناضل الفرنسى « ان صراعا عنيفا ودقيقا يجرى الان فى أورجواى ، هذا البلد الصغير فى أمريكا اللاتينية [٣ مليون نسمة تقريبا] والذى حشر بين العملاقين البرازيلى والارجنتينى . وعلى هذا الصراع أن يتعلق بصورة حدية الطلائع الثورية فى العالم أجمع . ان القوة المتفجرة فى القتال الذى يشنه التوباماروس ضد الطغمة الاوليجاركية الحاكمة ، والاساليب والالهام الذى يسير هذا النضال ، تتخطى بكثير بعداها وقدرتها حدود الاورجواى . وذلك ليس على مستوى العمليات المثيرة ، كالخطف ، والاستيلاء على الاموال ، والهجمات العسكرية والهرب الجماعى التى تحملها من وقت لاخر عناوين الصحف وانما لاسباب لا تدعو الى الاثارة الا بقدر ما هى حاسمة ، وهى أن حركة التحرر الوطنى التوباماروس ، قد امتحنت واختبرت بنجاح كبير طريقة جديدة للقيام بثورة اشتراكية » .

الى قريتى « الجنينة والشـباك »
.. ازقتها ودروبها وبيوتها وقبورها
.. فى رقدتها الاخيرة تحت ثقل المياه
فى بحيرة ناصر .. اعظم عروس تقدمت
قربانا لحابى الخالد واهب الحياة
.. النيـــل العظيم .. من اجـل
الخيـر والنمـاء والعطاء ...

عروس النيــل

يحيى مختار

الفلوكة

تتأرجح على صفحة النهـر بلا ظـلال .. الشاطىء الغربى برماله التى تنفح هواء ساخنا يتمـد ويغـوص فى الظـلام .. ونقنقات الضفادع القابعة خلال سيقان الحلفاء الكثيفة تتضـاءل حتى خفتت تماما .. طغت عليهـا ضربات المجداف التى تتوالى فى عنف وعصبية .. استطاعت الفلوكة أخيـرا أن تشق لها مسارا خاصا بعيدا عن مسار التيار الجارف نحو الشمال .. شبحان أمام بعضهما .. يحدد معالم جسديهما الخارجى الاطار الشامل لصفحة النهر .. « فريدة » فى المقدمة وأبوها فى الوسط .. يتحرك الى الامام والخلف بجذعه مع حركة يديه بالمجداف .

النيل مترع الحوافى بماء الفيضـان الداكن السريع الجريان .. ومع ضربات المجداف كانا يسمعان ولولة الدوامات عند جذوع النخيـل الغرقى المنتصبـة فى الظـلام كالاشـباح المـردة بسعفها المدلى فى سكون كاشـف حزين .. سواد الليل الثقيل الساكن بلا نسمة يحط على قلب عبـد الرحمـن وابنته فريدة وعلى النيل والنخيل وبيوت القرى والنجوع المرصوصة بجوار بعض فى موازاة النهر .. التلال فى البر الشرقى بدكنتها المتعرجة ازدادت مـع الليل ضخامة فتمددت تفتح يدا عملاقة تحاول أن تحتضن العب كله ..

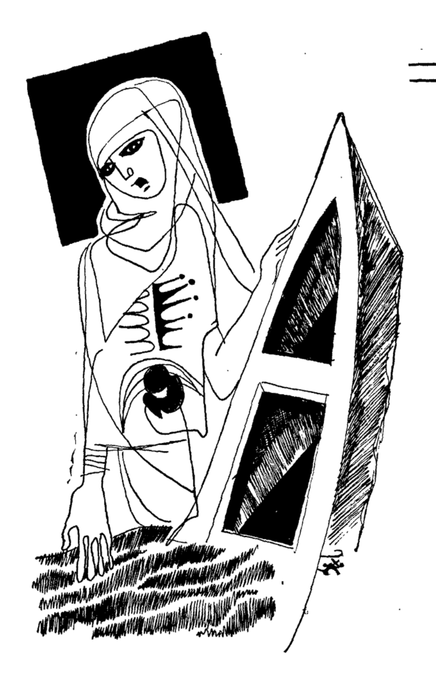
أفزع فريدة ارتطام سـمكة كبيـرة بسطح النهر بعد أن ثبت وغاصـت من جديد .. كانت تتلفت فى كل ناحية فلا ترى الا السماء بالتماعات نجومها الخائنة .. والنهر والظلام .. وتعود ترقب حركات أبيها .. مشدودة اليه .. ينبض داخلها ذلك الخوف الذى استبد بها منذ صحبها الى الفلوكة بعد ان صرف أمها بعيدا .. الظلام ورائحة المـاء المتطاير على وجهها من خبطات المجداف لم يكن يصرفها عن التفكير فى أمها البعيدة هناك .. والفلوكة تتوغل فى النهر .. تمعن فى البعـــد عن فتات الامان والطمأنينة الرقيقة التى كانت تهدهـد زعابيب المخاوف فى قلبها ..

والان .. انها معه .. وحده ولا أحد .. الليل والظلام والنهر والسكون المصمت المحرك فى أعماقها أمواج الرعب التى لفتها فى دوامة مجنونة أمسكت فى قبضة قاسية بفم معدتها فى ألـم عاصر .. كانت تبحث عنه برغمها .. وتتحسسه بعينيها فى الظلام حتى تعثر على شبحه الجاثم على المجدافين فى همة وصمت واصرار .. كانت تريد أن ترى أباها .. أن ترى وجهه الاليف بقسماته المحببة .. لا ذلك الوجه الاسود الكبير المتغضن الذى بدا لها ـ على ضوء الظل الخافت الذى ألقاه طـرف سيجارته المشتعلة ـ غريبا لم تألفه وهى التى صحبت وجهه طوال عمرها .. ولعبت بأصابعها على شاربه وشفتيه .. وتحسست ذقنه ، لم يكن وجه أبيهـا الذى لمحته عندئذ على الشاطىء على ومضة السيجارة الخائنة .. بل رأت فى شـفتيه الغليظتين وأنفـه الافطس وعينيه الجامدتين « الاركبى » حيوان الحواديت الخرافى المتوحش الذى كثيرا ما أفزعها فى نومها .

أمسكت نفسها فارقة فى تصـورها لابوهـا أنه « الاركبى » ، فارتعبت كانتفاضة رفض ـ ضد ذلك التصور ـ الرفض النابع من تلك الرابطة الوشيجة العميقة ضد ثقل الضغط الواقع عليها من فعل رعبها القاتل منه .. فلم يخطر على بالها قط انها ستشعر بالوحدة وهـو معها أو انها ستخاف وهى معه .. عندما كانت تضربها أمها كانت تجرى اليه .. تلجأ الى صدره العريض بذراعيه الكبيرتين يلفهما عليها ورائحة عرقه وتبغ سيجارته يملا أنفها .. ما كانت تنام الا فى حضنه .. تتحسس بأصابعها نعومة طرف أذنه .. وتسكن كفرخ اليمامة هادئة فى منجاة من « الاركبى » ، وكل عفاريت الليل .. ما كانت تدرى انه سيأتى اليوم الذى فيه تخاف منه .. وتبحث عن مأوى آخر غير ذراعيه وحضنه .. ان يكون الامان بعيدا عنه ..

تسلل خيط من الدم متزلقا لزجا على فخذيها المحشورة بينهما لفافة من القماش .. كأنما كان ذلك الخيط من الدم فى انتظار ان تصل أمواج فكر فريدة الى ذلك الشاطىء حتى يتسلل .. أو كأنما هناك علاقة بين ما كان يدور فى ذهنها من جانب وبين جسدها من جانب آخر .. او بالتحـديد تأثيرا من افكارها على تقلصات رحمها لتقذف بتلك الدفقة من الدم اللزج ..

منذ يومين وهى تنزف .. تقلصـات رحمها تتصل عنيفة قاسية .. اليـد الحجرية تعصر أحشاءها .. وتأخذ الموجة عكس مسارها .. تقلصات الرحم يحرك فى ذهنها ذكرى ذلك اليوم .. فى الاصيل الكابى دارت همسات فى ركن عشـتهم بين بعض نساء القرية وأمها .. وعند الغروب بشفقه الدامى صحبتها أمها فى خطوات متعثرة متسحبة فى خط متعرج بجوار حائط كل بيت تمران عليه .. تتعثر وتدوس على طرف جلبابها الاسود « الجرجار » .. ووصلتا الى دهليز « حسن نبد » بين السـقف المعروش



بجذوع النخيل المدهون بالجير الملون الباهت المتساقط وأعواد الجريد المجدولة بحبال الليف يغطيه السناج فى خيوط عنكبوتية فيزيد من الدكنة الكئيبة المنتشرة فى الدهليز مع انطفاءة آخر شعاع للشمس الغاربة لنهاية يوم يولى .. أصوات مجموعة من النساء الكهول الثرثارات تتداخل معشعشة فى الاركان مع نسيج العنكبوت فى رنين أجوف ذى قرار .. تحفزن وتنحنحن عندما دخلت.. نظرت اليها أمها وتركتها وأغلقت باب الدهليز بعد أن خرجت وجلست متكورة على عتبته سوداء فى جلباب أسود .. العيون مخالبها فى جسدها تعريه وتلتهمه وتمزقه .. وأحست ببطنها ازداد انتفاخه وبرز لعيونهن .. وضعت يديها عنوا على بطنها .. تقدمت منها « الاوشاه » العبدة « جبايه مرسيله » .. سحبتها من ذراعها اليسرى فانهارت جالسة .. زحفن اليها متعيات .. تكالبت الايدى عليها .. عشرات الايدى .. كانت كثيرة .. أزاحوا ثوبها .. فتحوا ساقيها .. الاصابع المعروقة الجافة الخشنة تغوص فى لحمها .. مزقوا سروالها .. تناثر الى قطع مهزومة ضائعة فى اركان الدهليز .. لسانها قطعة من الخشب الجاف فى حلقها .. شربة ماء ترد النفس التى تسوح متلاشية كتسرب قطرة مساء فى رمال ساخنة .. رعب ثقيل قاسى حط على صدرها كقطعة من الحجر .. سيذبحونها .. عرق الاجساد المنكفئة عليها يخنقها .. جسدها مباح للاصابع تلعب فيها .. يدى « جبايه » تتسلل ناعمة ثعبانية الى بطنها .. تتحسسها .. همهمت .. ثلاث شهور .. سبتها فى أمها وأبيها .. ولانها كانت «أوشاه» [عبدة] فقد كان غضبها متأججا وكانت على حماسة زائدة عن النساء «الاشراف» .. بدات أصابع اليدين ككلابتين من نار تعصر بطنها .. أسياخ النار اشتعلت فى احشائها .. عضت الكف التى تكمم فمها .. وكمان بتعضى يا .. خرقة ملفوفة مكان الكف المعضوضة .. حملوها وجعلوها منكفئة على الارض بطنها .. وقفت « جباية » على ظهرها .. ثم عدلوها .. تسللت يديها كالثعبان بين فخذيها .. الدم يتدفق حارا .. العرق يغرق جسدها كله .. ينبثق باردا من

مسامها المفتوحة على بللِ ملابسها .. أظلمت الدنيا .. ما عادت ترى شيئا ..

ارتطم المجدافين في الماء ثم صوت انسراب الماء فوقهما وهما يسحبان الى اعلى مرة أخرى .. وزفرات أنفاس عبد الرحمن وهيه صادرة من تجويف صدره تصاحب ضربات المجداف .. هيه .. هيه .. هي الاصوات الحية الوحيدة .. تبددت كل الاصوات حتى النغمات المتقطعة المبهمة الطائرةمتلاشية .. وظلام الليل الطامي كأمواجمتترامي .. والسكون العميق يحاصر مدى رؤية فريدة .. أقرب الاشياء اليها شاربأبوها الابيضوعمامته البيضاء المعلقان في الهواء .. وعنـد انحناءة غير مرئية منه يسقطان على صفحة النهر فيحملهما الموج أو يتسلل الماء بين العمامة والشارب .. تنزلق نظراتها باحثة من هيكله فترى شبح ثوبه الحائل اللون والذي يغالب الظلام ليبين .. يمتزج الظلام به مرات فيطمسه فيتعلق الشارب والعمامة في الهـواء أو يقعان على صفحة النهر .. وتأتي حركة اليدين مع المجداف فيفصلان الثوب قليلا عن الظلام فيعود الشارب والعمامة ويترابطان ويستقران على جسده مبددين صورة تعلقهما على الهواء أو ارتمائهما على صفحة النهر ..

تركزت نظراتها طويلا على حركةاليدين من خلال المجدافين ليستقر شاربهوعمامته على جسده .. لترى خطوط هيكله في الظلام محددا .. يديه في حركتهماالدائمة تسعيان للحاق والامساك بها خفية .. وهي تنزلق مبتعدة .. وهو لا يكف من الحركة .. تشبثت بأصابع يديها على حافتي الفلوكة وغالبت خواطر لان تقوم وان تجري .. هذا الشبح الجاثم أمامها والذي لا يكف من محاولة اللحاق بها ويمسكه شيء ما من خصره .. هل هو أبوها ؟ .. هي تعرف أباها .. لـم تكن تنام الا في حضنه .. تدس يدها في صدره .. وتعبث بشاربه .. تشم رائحة عرقه المشبع بدخان سجائره .. همت أن تصيح « أبويه» .. أمسكت وتدفقت الى صدرها نسمة حارة تحمل رائحة الماء والطين ورائحة تحلل كرناف النخيل الغارقة في النيل .. وشـقت أمها بقامتها المديدة سطح النهر وانتصبت واقفة تمد لها يدها وتهم باحتضانها .. ثم سقطت ذراعاها جانبا عند ابراقة عيني زوجها منذرا .. انها هناك على الضفة الغربية قابعة ساكنة بثوبهاالاسود على رمال الشاطيء .. وحيدة في الليل والظلام .. ومالت برأسها لتريحه على حجرها وأحست بأنها ستهوي واقعـة فتنبهت .. انها هناك في البعيد حيث لا تسمعها .. وتحول حنينها الى رغبة في الذوب فيها في احتضانها حتى تتخللها .. تتحد معها .. تعود الى رحمهـا مرة أخرى .. بعيدة وفي منأى من كـل خوف .. ذلك الخـوف المغـروس في احشائها كالسكين .. المياه سوداء عميقة مترامية بلا نهاية .. لا شطئان .. الشاطيء حلم تبدد وانقذف خارج الوعي منغمسا في البعد كذكرى غالية وأثيرة مستحيلة الرجوع .. قطرات صافية من الحزن الثقيل تنسكب في أعماقها وغرق الخوف في لجي حزن النفس على الذات وغاص وظل قابعا في الخفاء يحـرك ذلك الحزن حتى وضعها على شفرة حد رهيف كالسيف .. عند الادراك اليقيني الواصل الى عمق الايمان والتسليم بأن النهاية أوشكت .. وأنها على عتبات ذلك الباب الغامض المفضي الى الجانب الاخر .. وكان ذلك الايمان بالنهـاية المحتومة يسكب حزنه في قاع مخهاليفيض مع نبضات قلبها على جسدها كله ليغرقه في بكاء بلا دموع .. ذلك البكاء الداخلي في الاعماق .. بما يمكن أن يسمى بكاء الروح .. البكاء المتولد من انشطار النفس عن الذات ورؤيتها لذاتها ميتة .. تلك الذات التي لم تع وجودها أو لحيم توشك أن تتحسسه الا عندما شـارفت النهاية ...



بكاء تلك الآمال العراض الغامضة المتبددة .. اصطدام غريزة البقاء ـ في جيشان الدفاع عن الوجود ـ بجدار استحالة البقاء مولدا ذلك الاحساس المروع أن يكابد الجسد حبا .. الاحساس الكامل بالموت .. فتزداد توترات النشيج الداخلي المنسكب والنابع في آن معا في أعماق روحها كينبوع متـدفق مع ذكرى الاشياء الغالية الاثيرة .. والتي هي على يقين من أنها ستتولى عنهـا غاربة في أوبة متوحدة للعالم الاخرالمبهم .. الغامض أبدى الليل والظلام ...

●●●

لم تعد ضربات المجداف قوية ومتتابعة .. المجدافان يرتفعان وينخفضان في هدوء متردد .. يقفان معلقين في الهواء لفترة ثم يهبطان في هدوء ليغوصا في الماء ليرتفعا في تثاقل فاتر .. لم يكن الهدوء والفتور لوهن أصاب قوى عبد الرحمن أو لتردده في قـراره القـاطع كالسكين .. بل لانصراف ذهنه الىفريدة المنكمشة على مقدمة الفلوكة .. يراها تنزلق أمامه على سطح النهر مع كـل خبطة من خبطاته بالمجداف .. كـان تصميمه على قراره يستدعيها من غيابها بالرغم من وجودها حية أمامه .. كانت قوة ما بداخله تنفي عنها الوجود الحي .. وتجردها تماما من الوجود والنبضوالحياة والذكرى حتى تصبح اسما فقط بلا ظل لصورة .. تلك القوة التي كانت عونه في اتخاذ قراره .. والتي اطفأت حياة فريدة النابضـة والمتدفقة بالحيوية .. ومسحت ذكرياته معها من داخله وأخذت تستدرج ارادته منزلقة به في نعـومة والتفاف ثعباني حتى شارف على عتبات الجدل العنيف الذي ألقى نفسه واقعـا تحت برائنه .. يقتلها أم لا .. وما الحل ؟ .. ! .. وظلت تلك القوة معه حتى اجتازت به تلك الدروب الوعـرة المعقدة والمتعرجة الى أن وصلت بـه الى قراره بالقتل .. لا بل التخلص من ذلك الشيء الذي جرح أعماقه كما لم تجرحه عبوديته الطويلة وذله الدائم .. الشيء الذي ضرب بالمنجل في جذر وجوده فاقتلعه وأصبـح طريدا هو وزوجتـه « نبوه » .. لا تقبلهم قرية .. منبيه .. صمصم .. توماس .. عابة .. توشكي .. أبو سنبل .. البصقات ونباح الكلاب المتسلطة عليهم من أصحابها في أعقابهم .. وشعور مرير بالذل أن يجري وفريدة وأمها أمام تلك الكلاب هربا من أنيابها .. ركز نظراته اليها في محاولة ضد الظلام ليتبين ملامحها المطموسة .. فاتت اليه في طفولتها البعيدة .. منبجسه من قاع ذاكرته ضـاحكة الثغر .. راغبة في مشاغبته .. تتحرش به .. تشده من ثوبه .. تجري وتلف حـوله لتفاجئه بعضة في ساقه بأسنانها الصغيرةالرفيعة البيضاء .. فيصرخ .. فتكركع ضاحكة .. يتكيء على « المنجريب » في مشمعته الندية برشاش من الماء البارد .. يوم مضني ولى بعد مزيق مجهد في أرض الاسياد .. يلف سيجارة بعد تنهيـدة طويلة .. ومع النفس الاول من دخان سيجارته يتمدد أكثر ويسترخي فـارد البصر .. وتجري اليه فريدة بخطواتها الصغيرة المتعثرة .. يقبلها في فمها .. تضم جفنيها في وجل من ملمس شاربه الخشن على جلدها الاسود الناعم .. يود لو يحتويها .. يضمها الى صدره بقوة حنونة .. وتتسلل الى خياشيمه رائحتها الطفلة .. فيضمها أكثرويتشممها .. تفلت منه هاربة .. ويعلق بشاربه مخاطها ولعابها فيمسحه باسم الثغر وهو يضربها بحنان على مؤخرتها .. يا كلبة .. امشي .. فتعاود الضحك مكركمة ..

وتتباطأ ضربات المجداف وتشرد .. وتطيش على صفحة النهر فيتناثر الرذاذ على وجهه .. وتنقض عليه صورة ابن العمدةوهو يفترسها .. ابن .. لايدري .. في

الزريبة .. في الدهليز .. في الديوان؟

لا يدري .. الصورة شجت أعماقه كالخنجر قاسية صلبة فى انتفاضة مباغتة تلاشت على ضربتها ذكرياته مع طفولة فريدة .. نظر اليها .. شبح جاثم فى سكون ثقيل .. وتسلل اليه مع نظراته احساس كامل بنبض انتفاضات عنيفة يهز كيانها بالرغم من الظلام وسكونها الجامد .. وولد الى اعماقه ادراك فجائى بيقين قاطع انها ليست فريدة .. ان هناك ثمة شىء جديد .. ادراك أو علاقة وشيجة أو انفصال قاطع .. شىء ما غريب لا يعرفه تماما بينه وبين الجالسة أمامه .. احساس غامض ومفجع .. مثل ذلك الاحساس الذى ينشأ من تهتك وتمزق ذلك الارتباط العضوى بين الياف وخلايا الجسد الحى .. ذلك التمزق القاطع والفاصل والقدرى الساكب فى أعماق الروح احساسا أسود مترعا حتى الحلقوم بالفقد الكامل. كان احساسا مفجعا يغوص فى أعماقه ويهزه هزا عنيفا متقلبا فى لقاء صاخب وشيج ومرعب مع ذكرياته التى صحبته منذ طفولته البعيدة حتى امتزجا والتفا فى ضفيرة واحدة مشدودة كحبل ليفى ملتهب تتبدد عليه حياته كلها .. منذ تلك الطفولة البعيدة التى استيقظت على ظهر مركب الى اللحظة التى يجدف فيها على الفلوكة عازما على قتل فريدة .. القتل سكين يقطع ذلك الحبل اللعين ويخلصه من ذلك الشىء الثقيل الجارح والقابع فى أعماقه والذى ظل ينتشر فى دمه حتى صعد الى مخه ولم يترك له أو يترك فيه مكانا لشىء آخر يلجأ اليه أو يبعد به عن قبضته المستميتة الماسكة بتلابيب ارادته .. المتمركزة فى خلايا وتلافيف تلك الانسجة الرهيفة المتشابكة فى مراكز مخه وظل يتناطى فى سرسوب رفيع دقيق فى القاع حتى فاض .. ان ذكريات طفولته الدامية لم تستطع أن تطفو فوق ذهنه لتشده بعيدا عما يكابده .. بل ان تلك الذكريات القابعة فى أعماقه هى التى كانت بحركتها الخفية كالمياه الجوفية بتياراتها السرية تعمق احساسه بالعار، وتضرم نار الرغبة فى أن يزيح عن صدره ذلك الثقل الجاثم الغليظ الكاتم على أنفاسه .. الخلاص من كل شىء .. ومع التخلص من فريدة يرتفع الثقل عن صدره ويستطيع أن يتنفس .. يعب الهواء رطبا برئتيه فى نشوة واسترخاء مدغدغ للحواس يقود الخطوات حثيثة ناعمة هادئة منزلقة فى بطء الى جب النوم العميق الناعم الذى لم يعد يراه ويحسه لليالى طويلة حتى كاد أن يجن ..

وضربات المجداف تزداد عنفا مستمدة توالیها القوی من رغبته التی أضحت أكثر تشبثا بحبل ذلك الخلاص الذى سيطر عليه حتى طغى على فكرة التخلص من فريدة بالتصعيد الى رغبة عارمة



مسيطرة فى الخلاص نفسه .. الخلاص هو البرء من حمى ملتهبة فى نخاع عظامه اشتعلت فى الليلة التى عادت فيها « نبوة » بفريدة من دهليز حسن تبد .. خاتمة تلك الرحلة التى بدأت فى عصر يوم كابى .. دامى الغروب بالشفق الاحمر الذى غطى أزقة القرية وبيوتها وأسطحها وشواشى سعف نخيلها الساكنة كشواهد القبور وسط تجمدات سطح النهر بفعل مجاديف الفلايك وصنادل « بنك مصر » و « كوك » .. فى أعقاب يوم قائظ ثقيل .. أخرس النسمة مشلول الهفيف ..

وفى غروب ذلك اليوم .. سار عبد الرحمن على مدق الاقدام المتعرج الصاعد وسط الوهاد والكثبان الرملية الى مقامى الشيخ عبد الله وسيدى كبير .. تاركا عشه تنتظره منتصبة وحيدة وسط عشش جيرانه على مبعدة من القرية فى منتصف المسافة بينها وبين القبور .. كان ظله يزحف أمامه وحيدا شاحبا طويلا على وقع خطواته الحثيثة التى تحركها رغبته فى الوصول الى الشيخين فى صمتهما الابدى قبل انسدال ظلمة الليل .. ؟ وصل الى رحاب « سيدى كبير » الذى واجه منخاريه بعبق ذلك البخور القديم .. وخلع المقطف الذى يحمله على الارض ورفع كفيه وقرأ الفاتحة ومسح بباطنهما وجهه .. ومن المقطف ملأ طبقا من الخوص بالبلح والفيشار وتركه فوق صندوق النذور .. ركع على ركبتيه وأمسك بكسوة المقام الخضراء وضمها الى وجهه وانسالت دموعه فى سكون وهو يتمتم للشيخ عما فعله أهل القرية فيه وفى ابنته .. حتى جيرانه فى العشش قاطعوه .. وأهل القرية لم يعد أحد منهم يشترى السمك الذى يصطاده ..

ولا عادت زوجته تخدم فى بيوت السادة وتعود آخر النهار « بالكابد » ليأكلوه كما كانوا يفعلون كل يوم .. ؟ كانت تمضت عليه أيام طويلة ممتدة لم يحدثه فيها أحد ولا تحدث الى أحد .. حتى « نبوة » لم تجرؤ على شرخ صمته ووحدته .. كان يدخن فى صمت .. عزوفا عن الطعام وعن الكلام .. منطويا على الخنجر المغموس فى أحشائه .. يهمهم بأحاديث طويلة فى أعماقه يواجه تولى جيرانه عنه وكذلك أهل القرية الذين لم يسكتوا ينفكون عن ثرثرات طويلة متنقلة عن فريدة وابن العمدة وعبد الرحمن ونبوه .. على المصاطب والحيشان وعلى ظهور الركايب وتحت ظلال أشجار السنط فى القيلولة والسكون الفجائى أحيانا عندما يمر على بعض جيرانه .. أما أهل القرية فقد كانوا يسمعونه سبابهم فيه .. وفى أعقابه بصقاتهم .. البصقات الطويلة اللزجة مع لعاب المدغة المحشورة خلف الشفة السفلى واللثة فى بعض أفواه النساء والرجال .. ؟ ولم يكن هناك سوى الشيخين ليتحدث اليهما طويلا نائحا ما فى أعماقه من نار تأكل أحشاءه فى صمت دءوب .. تردد كثيرا قبل أن يقوم بزيارتهما .. كان يخشى لقاءهما أيضا .. ومع تحرك بعض « اشراف » القرية لاجهاض فريدة .. واتته الشجاعة يحدوه بصيص الامل الموحى بانفراج ذلك الصمت .. لاجئا للشيخين ليعجلا بالامر ويتم كل شىء ويعود لحياته بينهم .. ولم يكن يعرف أن سيده القديم الشيخ شاهين تموش كان وراء اجهاض فريدة فى محاولة منه فى الالتفاف حول اجماع القرية بدعوى أنه لا يصح أن يترك حمل فريدة .. انه اهانة لابن العمدة والعمدة والقرية كلها .. لابد من اسقاط ذلك الجنين من الرحم النجسة .. ان عبد الرحمن يد قوية مجانية خسرها بالفعلة الملعونة لابنته .. كان الشيخ شاهين تموش ساخطا على فريدة وعبد الرحمن وعلى أهل القرية أيضا ، انهم لم يخسروا شيئا .. أما هو فقد خسر يد عبد الرحمن ونبوه وفريدة .. وافقه الجميع على اجهاضها .. وفرح كثيرا .. سينتهى كل شىء .. اجهاضها سيرضيهم .. ومع الزمن يسترد الايدى الثلاثة المجانية .. وعلى كل حال .. فعبد الرحمن يخدم الجميع وسيسكتون عنه .

قام عبد الرحمن من ركعته عند أقدام مقام « سيدى كبير » وحمل مقطفه مغرورق العينين الى مقام « الشيخ عبد الله » .. وقدم له النذر وقرأ الفاتحة وتمتم بدعواته وجأر بشكواه .. طلب منه أن يتضامن هو وسيدى كبير ويفرجا كربه .. وشعر بأن عبئا ثقيلا قد انزاح من صدره .. وعاد وخطوه أشد ثباتا .. يداعبه أمل الخلاص من

ذلك الحصار القاتل الممسك بعنقه حتى الاختناق .

ومع الظلام عاد .. والقى بجسده على البرش المجدول من سعف النخيل المفروش خارج العشة هاربا من الحر الى انفتاح السماء فوقه وهاربا من الارق وان يرى فريدة وأمها بعد أوبتهما .. ظل يتقلب على البرش الخشن تحت جنبيه فترة كأنما يحاول مع تقلبه أن يسقط الافكار التى تناوشه كذباب القبور ثقيلة الوطأة بطيئة ملحة ولزجة دائبة الطنين لحوحة فى المطاردة والعودة مع كل محاولة لنشها .. انتصب جالسا وحرك يديه فى الظلام يتحسس جيبيه باحثا عن العلبة الصفيح التى بها دخانه .. وبدأ يلف سيجارة وهو يتحسس دفتر ورق البفرة وشعيرات الدخان فى الظلام .. كان يبذل جهده فى أن ينصرف كلية فى لفة السيجارة ليفسح لذهنيه وقتا يكف فيه دبيب الافكار من الحركة .. ليسكن قليلا .. يرتاح .. يأتيه النوم .. حاول فى الليلة السابقة ان يهرب من أفكاره يغتسل منها .. ينهك جسده حتى يهمد .. سار طويلا .. ثم ذهب فى صمت يزحف الى جوار نبوه واحتضنها فى قوة وحاول أن ينام معها .. أن يغرق فيها همومه .. وأتته صورة افتراس ابن العمدة لفريدة .. وظل يحرك يديه على جسدها لفترة .. سكن صامتا .. مشلولا متسللا وخرج من العشة .

يده ترتعش .. شعيرات الدخان تناثرت أكثر من مرة .. لف سيجارة رفيعة ثم تحسس العلبة الصفيح ووضعها عليها فى حذر ، وعاد يجوس بأصابعه الغليظة الخشنة فى جيب صديريته الممزقة وأخرج قطعة من القماش ملفوفة على الزناد الحديد المقوس وقطعة من الزلط مشطوفة من ناحية وأمسك بقطعة القماش من طرفها المحروق ووضعها على قطعة الظلط كفتيل وبيمناه ظل يضرب الزناد على الظلط الذى أخذ يبعث بشرار واهن .. ثم بشرار كثيف حتى أمسك بالفتيل .. وانكب على الجزء الصغير المشتعل وأخذ ينفخ حتى اتسعت الرقعة .. تحسس بيديه باحثا عن العلبة الصفيح .. السيجارة الرفيعة أمسكها .. أطبقت شفتاه على طرفها المسحوب بنعومة حتى التلاشى .. شد نفسا عميقا .. خرج الدخان من منخاريه كخطين عريضين .. أعاد العلبة الى جيبه والزناد الملفوف بعد أن دعك طرف الفتيل المشتعل على الارض وأطفأه .. اتكأ على جنبه الايسر مسندا رأسه على كفه وبأطراف أصابع يده اليمنى .. السبابة والوسطى أمسك بالسيجارة .. وظل يدخن سارحا مع الدخان الازرق الخفيف الذى يتلوى رفيعا ممزقا على التماعة طرف السيجارة الواهن التى يلتهمها الظلام فلا تكاد تبين .

كان عبد الرحمن يفكر فى الصمت المعشعش حوله والمضروب عليه من أهل القرية جميعا حتى سيده القديم .. كالمؤامرة التى تحمل التحقير والاهانة والازدراء لا صمتها المريب المشحون بالحقد والخطر .. وكانت حياته القريبة بينهم وسطهم تتداعى تحت ضربات ذلك الصمت والحصار .. لم يكن يعمل لسيده القديم فقط فهو يعلم أن هذا قدره أو واجبه منذ أن بيع له .. ولكنه عندما تكون القرية كلها فى حاجة الى رجال فقد كان أولهم .. عندما تأتى «الدميرة» وترتفع مياه النيل فجأة بعد غلق بوابات خزان أسوان فى الشمال استعدادا للتحاريق .. وبلا اخطار من ادارة الرى .. وتكون الذرة العويجة عماد خبزهم على وشك النضوج .. يرتفع النيل فجأة .. وتجرى المياه كالثعبان بين الشقوق والنقر .. ثم تندفع لتلتهم كل شىء ولتصل الى منتصف جذوع النخيل والى بعد خطوات من عتبات بعض الدور القريبة منه .. ويعلو الصراخ فى الدور ويجرى الجميع رجالا ونساء والفوانيس



فى ايديهم .. ينتشلون الزرع .. أن تتحول سيقان الذرة الى علف للبهايم وقت « الجفاف » خير من أن يبتلعها النيل .. كان مع الجميع .. يده معهم .. فقد كانت صيحة النساء « يا اللا المروة يا هوه .. » تهزه فيجرى كأن الذرة ذرته .. كان هذا يحدث كل عام .. وكان كل عام معهم .. وقد تغير عبد الرحمن بعد أن تزوج نبوة وأنجب فريدة .. فلقد بدأ يشعر باحساس يغمر قلبه .. أنه يعمل من أجلهما .. من أجل زوجته وابنته .. وبدأ يدرك بشكل مبهم فى البداية ثم بيقين قاطع أن ثمة قيمة حقيقية لعمله .. أن هناك من يعمل لهما .. وأن عمله الذى كان قدرا مكتوبا عليه أصبح من أجل فريدة وأمها .. فمنذ تلك الطفولة البعيدة وهو يعمل عند كل سيد اشتراه حتى استقر أخيرا .. لم يكن أمامه الا العمل ولا يجيد شيئا سوى ذلك حتى لقد كان يشعر بالوهن والتعب يحل عليه لو سكن يوما بلا عمل . أما أهل القرية فلم يكونوا يكفون من تكليفه بأى عمل ولم يكن يمتنع فقد كان فى طبيعته شىء يغرى الاخرين بتكليفه بأى عمل واصدار الاوامر اليه .. لم يكن كغيره من جيرانه سكان العشش يقصرون أذرعتهم على أسيادهم السابقين .. وكان كل عام يراود أهل القرية الامل أن الذرة ستنجو وأن المياه بعد ارتفاعها قليلا سوف تعود لتنحسر .. ولأن ذلك حدث مرة منذ سنين بعيدة لسبب لا يعلموه .. فلقد ظلوا يحلمون أن سيحدث كل مرة .. وكانت الذرة تغرق ويكون معهم كل مرة ينتشلها من الماء .. الرقيب على النيل فى الليل من رجال القرية بالتناوب .. وكان يأخذ دوره بينهم كأنه صاحب أرض .. وكان دائما فى يد الجميع .. فهو يقود حمارا بأكياس الذرة الى الطابونة خدمة لعم « أمين الله » أو ساحبا بقرة « لعثمان بورس » يسقيها له من النيل .. أو يحمل حطبا لدار محمد بشير .

ونجأة لا شىء .. الجميع ينكرونه .. جسده الفارع .. وجهه الاسود المتغضن ذو الفكين القويين عيونهم تخترقه ولاتقف عنده .. كأنه نسمة شفافة بلا عنيف .. انهم لم يعودوا يرونه .. وسقطت عليه وحدته جافة خشنة وموحشة .. لا أب لا أم لا عم لا خال .. لا أحد .. لاأحد .. بنوه وفريده وحتى هؤلاء لا يستطيع أن يتحدث اليهم .. أن ينظر الى عينيهما .. أو أن ترفع احداهن عينيها اليه .. امام بعضهم طول اليوم ولا يرى أحدهم وجه الاخر .. الاقدام .. أطراف الثياب .. الكتف وهو يستدير .. الظهر كله .. أما الوجوه فهى لا ترى بعضها أبدا . هاربة .. طائرة فى انحناءات تتفادى بها النظر المستقيم المباشر وجها لوجه .. وكفيض الدمع من المآقى أتته الصورة النارة أبدا .. وجه أمه فى لمحة سريعة لامعة فى انطفاءتها المبرقة .. عشة من البوص والغاب .. وأشجار خضراء كثيفة داكنة .. وجدول رفيع يترقرق ماؤه ووجه أمه .. الغار أبدا من تبضتى محجرية اللذين يود أن يغلقهما عليها .. فتظل معه ثابتة للحظة ليراها جيدا .. يستعيد ملامحها التى تزداد شحوبا .. ليتمعن فيها .. يتذكرها .. يحفرها فى قاع مخه ويستطيع كلما شاء أن يستعيدها .. ولكن عبدالرحمن كلما سار به الزمن وبعد به من ذلك اليوم .. كلما ازداد وجه أمه شحوبا وفرارا وتبددا .. كانت قريبة اليه واضحة وحاضرة عندما صرخ فزعا مستيقظا على ظهر مركب كبير عند فجر يوم لاسع النسمة .. كان يوما بعيدا غائصا فى أعماقه كما تغوص شوكة السنط البيضاء فى اللحم .. كان نائما ذلك النوم الذى يكون على شطآن الانهار حيث ضربات الموج الوانية على الجرف الطمبى والنسمة التى تنعش الجسد للدرجة التى يمتنع فيها على النوم

بالرغم من وجود الرغبة الملحة والدغدغة الناعسة التى تمتد كخيط رهيف بين اليقظة والنوم ليتمدد الجسد والوعى عليه جالبين نعاسا كالغيبوبة الخفيفة حيث تسكون المرئيات القريبة والبعيدة فى حسالة حضور من خلف ستار يغوص بهم فى الاعماق .. مجهدة الذهن مفتتة تماسك الجسد .

ومع حركة من يده استيقظ على جزّ الحبل الليفى الملتف حول رسغيه .. تحسس بعينيه المغبشتين بالنعاس ليرى اين هو .. واين امه وابوه .. الظلام والنجوم البعيدة والفجر المتثائب وظل خافت للشاطىء النائم وماء النهر الداكن .. مركب كبير .. صاح فزعا أمساه « بلغته القديمة » .. هوى كف بعنف على صدغه وصيحة لم يدرك معناها .. امسك من الصياح مرعوبا .. اقفل فمه ولم ينطق بعدها لشهور .. تلفت فى حذر .. صـبية كثيرون على المركب مربوطين فى حبل ليفى مثله .. كان وجها امه وابيه ماثلين ساعتها بوضوح امامه .. ولم تكف الدموع الصـامتة من عينيه .. ! وفى ليلة مظلمة ادخلوا الى حوش كبير واوصد الباب .. كان وجود الاخرين يخفف من رهبه الذى سرعان ما تجدد بنمو متزايد كلما تناقص عدد اللذين معه .. وكلما توثقت صلته باحدهم اخذوه .. الى اين لا يعرف .. يذهبون ولا يعودون .. واخذوه ذات يوم .. وتنقل كثيرا من يد الى آخر ومن حوش لحوش .. واخيرا استقر عدد الذين معه .. وكلما توثقت صلته الرجل الذى هو سيده [القديم] شاهين تموشى .. وسموه عبد الرحمن .. وضرب كثيرا حتى حفظ اسمه الجديد .. وتعلم اللغة الجديدة .. وظلت لجى ذكرياته تتقاذفه كقشة فى تيار النيـل الجـارف .. اغمض عينيه وهو يرى التسلل المتردد لخيوط الفجر الشاحبة الزاحفة على ظهور اشباح التلال الشرقية الداكنة المقعية فى صمت تحتضن القرية وعششهم بادرعها المتعرجة الممتـدة فى تراخ منساب والتى بدت كخلفية جليلة لمقامى « الشيخ عبد الله » و « سيدى كبير » المحاطين باطار من الضوء الشفيف فى توحـدهما الذى يزيد من حـدته استسلامهما للاحتضانة الفريدة من التلال فى منأى عن دبيب الحياة فى القـرية والعشش وعلى مشارف القبور المتناثرة بشواهدها المنتصبة فى صمت ..ورائحة التحلل والفناء والذى يسربل المقـامين بذلك السكون الذى ينشره حوله والذى ينداح منهما مرة اخرى جليلا ومهيبا .. يعمقه ويغرقه نفحات عطر من بخور قديم غامض عالق بنسيج الكسوتين فيقنت نبض الهالة الدينية العميقة الوقار التى استشعرها عندما كان فى زيارتهما ..

ومع نسمات الفجر الندية والسكون المسترخى حوله انداحت يقظته متلاشية فى اللطمـات الوانية لامواج النعـاس المتتالية التى هاجمته فى هدوء ناعم حتى اغرقته .

انتشلته من النوم مأمأة عنزته العجفاء والنار مشتعلة فيها .. صاح « أماه » بلغته القديمة .. تماما مثلما استيقظ فزعا على ظهر ذلك المركب منذ سنين بعيدة .. كان الامر ملتبسا عليه .. وبدا مضطربا مترددا .. ألسنة اللهب تلحس عشته .. العشة كومة من النار .. جرى للعشة .. نبوه تندفع من بابها المغطى بالدخان الكثيف تجرى خلف فريدة تريد اطفاء النار التى امسكت بذيل ثوبها من الخلف والاثنتان تولولان .. جرى اليهما وتلقى فى لهفة ملتاعة فريدة فى حضنه .. وادارها بسرعة وامسك ذيل الثوب ومزقه ودهسه برجليه على الرمال .. وفجأة شج قلبه وقاع مخه معا خاطر الموت وفريدة .. لم يكن حتى مجرد احتمال موت فريدة موجودا فى قاع مخه .. كان لديه يقين مبهم غامض ان ثمة حلاً .. مخرج .. شىء ما الهى وغير متوقع سيخرج به مما هو فيه .. ففريدة وحيدته وبعيدا عنها كانت توقعاته وآماله فى الخلاص .. وشلت فكرة الموت — لا بل موت فريدة بالتحديد — حركته .. والتفت ناحية القبور فى حركة سريعة كرد الفعل .. واتته الشواهد فى انتصابها الحزين وصمتها المطبق .. واصبح موت فريدة احتمالا بعد ان كان لا يخطر بباله .. بل رغبة وامنية على السنة اللهب التى اتت على عشته .. ولاحظ نفسه مندهشا انه لم ييأس ولم يحزن لم يكن يفكر فى موتها .. ولكن حرق عشته التى بناها منذ ان اعتقه سيده وتزوج فيها نبوه وانجب فيهـا فريدة .. كان حرق العشـة منجـلا حادا أتى على جـذور حياته ووجوده فاقتلعه .. ان القرية رفضته تماما .. واصدرت حكمها عليه .. انه يعرف يقينا ان كل القرى ستطرده .. واحس بطعنة حادة تقصم جذعه .. تهالك على الارض جالسا وعرق غزير يتصبب من جبهته السوداء وشـعره الاكرت الملتف على بعضه كالليف .. ولاول مرة يرى جيرانه ممسكين بسـعف النخيـل يضربون به الشرر الطائر من حريق عشته ليطفئوها خوفا على عششهم .. وكانت القرية كلها مجتمعة فى مجموعات .. تنظـر وتتحدث .. وتشير .. يعلو صوتها .. او تشق الجمع ضـحكة شـامتة .. وبعض الصبية من اين اتوا فى هذا الفجـر المبـكر .. يظيطون ويصفقون بأيديهم .. واسند راسه على مرفقيه اللذين وضعهما على ركبتيه المرفوعتين .. اغمض عينيه يحبس فيهما دموعه التى انسابت فى هدوء مقهور .. سيدى كبير والشيخ عبد الله لم يقبلا نذره .. بل سلبها بتسليط اهل القرية بطرده من الارض التى فى اعماقها جسـديهما الطاهرين .. ولاول مرة يشق اعماقه الاحساس الحـاد والمرير بالاذلال .. والطعنة التى ادمته ان حكم الشيخين هبط عليه كأمر سماوى لا يرد .. ان جرم فريدة عظيم ولابد ان يكون العقاب هكذا تريد السماء .. وانه اصبح طريد كل القرى بلا مأوى .. وحيدا يحوطه الصمت وتتعقبه البصقات .. واصبح قتل فريدة تصميما قاطعا بعد ان كان موتا وامنية .. ورفع رأسه .. ونظر اليهم مواجهة لاول مرة .. وراودته فكرة ان يبصق على الارض ثم تلاشت الفكرة متسحبة فى نكوص .. سرعان ما اندفقت قوة وتصميما على قتل فريدة .. وشعر فجأة ان قتلها هو انتقام منهم .. انتقام نابع من احساسه بأن القتل لا يجرؤ عليه الا من كان مثلهم من الاشراف ..

الدعوات لم تستجب .. واجهاض فريدة كان رفضا لان تحمل من ابن العمدة .. أما العمدة فلم يكن اجهاضها يكفى لمحو العار الذى شعر به من اقتران اسم ابنه بفريدة .. فأمر محمد جعفر وبشير حمدون بحرق عشة عبد الرحمن فى نفس الليلة التى اجهضت فيها فريدة .. لم يكن عبد الرحمن يعرف .. ولم يكن مهما ان يعرف من اشعل الحريق ... فقد كان فى اعتقاده ان القرية كلهـا هى التى اشعلت الحريق . وانه لو بقى بعد ذلك لقتلوه .. انه لن يستطيع النزول بجـوار اية قرية كما يفعـل « البشارية » و «هلبوجوه» الشحاذون .. ولاول مرة منذ ايام نظر الى فريدة والى نبوه واشار لهم صامتا أن يتبعوه .. لم يتبق من عشته شىء .. حطام محترق .. لا غزل شبكة الصيد ولا الفأس ولا العنجريب .. لم يكن معهم شىء سوى ملابسهم التى على اجسادهم .. وساروا خلف بعض تحت وقع نظرات وصيحات اهل القرية حتى اختفوا فى انحدارة اخدود عميق واصل من التلال فى الشرق حتى ربوة عالية تفصله عن شاطىء النيل فى اتجاه الغرب . كان ما يشغل ذهن عبد الرحمن كيف يخدع نبوه ويقتل فريدة او كيف يجبرها على الاستسلام لفكرة قتل فريدة .. فهو يعلم انها ستقاومه حتى الموت .. وهز رأسه ويديه مؤكدا لنفسه تصميمه القاطع على قتل فريدة حتى ولو ادى به الامر الى قتل نبوه ايضا .

●●●

لم يكن عبد الرحمن يعرف ان التيار قد جرف الفلوكة حتى وصلت امام قرية الجنينه والشباك .. فقد كان بجسده ورغبة الخلاص التى تحركه تدفع بيديه ان يعملا بلا كلل .. ونظراته تجوس

فى ظلام النهر بحثت عن مدى بعد تقط الشاطىء من الفلوكة كى يختار لفريدة مقبرتها فى عمق القاع الذى يمور بتيارات ودوامات مائية على السطح لفافة كالاعصار فى الاعماق ..

ولكن فريدة التى كانت عيناها مفتوحتان عن آخرهما .. واذنيها .. ترى وتسمع وتشرب بروحها آخر رؤى الحياة التى تنداح متلاشية للخلف .. كانت تدقق فى كل شىء وتحاول أن تخترق الظلام لترى .. لتحتضن الاشياء .. تبقيها لحظات داخلها .. أدركت فريدة أنهم أمام القرية التى طردتهم وهى تغط فى نومها الثقيل .. النخيل الغارقة فى النيل تحجب بجذوعها الظلال الداكنة لبعض الدور .. مركب « حاكم » مربوط للشاطىء بساريه الممتد المتقاطع مع جذوع النخيل يهتز متأرجحا من صفع موجات صغيرة لجنباته . لم تر فريدة اتصال السارى ببطن المركب فخيل اليها لاول وهلة انه جذع شجرة طويلة عارية الاوراق يهتز مع النخيل .. ولكن ياترى اين هذه الشجرة .. فى « الفركى » أم فى « الشاوشية » .. نباح الكلاب يصل الى اذنيها .. وأمعنت النظر خلف جذوع النخيل فرأت شبح منزل « دازيا » وبجواره شبح منزل توفيق .. وبداية الطريق المتعرج الذى تطعنه الى دهليز « حسن تبد » وأحست بوخزة مفاجئة فى أحشائها فقبضت بكف يدها لحم بطنها تحاول منع الالم من أن يمتد مخترقا جدار رحمها الى ظهرها كأسياخ النار .. الظل القاتم للمدرسة الالزامية يظهر مع تقدم الفلوكة .. نباح كلب ناظر المدرسة ..

واحست مع تلاشى الالم كأن الشمس قد أشرقت فجأة على القرية .. كانت تستعين بالخطوط الشبحية للدور فى رؤية القرية من أعماقها هى .. ومن نبض حنينها الجارف .. حواريها الضيقة زرائبها .. حيشانها .. بيوتها بيتا بيتا بحيطانها المطلية بالطين .. خربشات وعبث الاطفال عليها .. مصاطبها .. كوانينها .. الحمير .. الاطفال .. دكان « ابوراس » .. وابور الطحين .. ان قدميها تعرفان طرقاتها .. حتى الحجارة الناتئة التى كانت تتجنبها فى الظلام .. عششهم على مشارف القبور .. مقامى الشيخ عبد الله وسيدى كبير يطلان على القرية ويحرسانها من كل سوء .. وفى وحدة تقف عششهم بجذوع النخيل المشقوقة الممتدة الى أعلى من سقفها .. ومربط العنزة والرحاية قرب الباب .. وهبطت وسارت الى العشة .. وقبل أن تدخلها رفرفت بعينيها كعصفور تخبط فى كل جنباتها .. تسللت كما تتسلل روح الميت الى بيته بعد أن يوارى التراب فى رجعة حنونة مشتاقة الى كل ركن فيه .. كانت تتحسس كل شىء .. المنجريب .. خن كتاكيتها .. غزل شبكة الصيد معلق فى المكان الذى اعتاد أبوها ان يعلقه عليه .. « الصندوق السحارة » الذى كانت تعشقه منذ صغرها .. وتجرى اليه كلما تفتحه أمها .. تعبث بما فيه .. قطع ملابس حمراء وزرقاء .. مرايا مكسورة زجاجة فارغة لعطر ثقيل .. فلاية شعر ..وجلست على الصندوق المغلق وتناولت من المقطف الذى بجوارها منديلا كانت تطرزه بالترتر والخرز واستأنفت عملها .. وامها بجوارها من الجانب الاخر تطعم الكتاكيت ببعض حبات الذرة العويجة المجروشة على الرحاية .. ودخل أبوها وسلم عليهم وهو ينحنى يضع الفأس بجوار الزير عند عتبة العشة .. ارتقى المنجريب وتمدد عليه .. واخرج علبة دخانه ولف سيجارة واشعلها .. واخذ يدخن .. اشعة الشمس تتسلل من خصاص سعف النخيل فى دوائر صفراء باهتة واخرى قوية مكتملة الاستدارة .

وتطاير رذاذ الماء الى وجهها من ضربات المجداف .. تنبهت الى أبيها فى صمته وحركته الدائبة ولطمتها نظرتها له والقت بها فى طوفان نهر الاحساس اليقينى المترع بالنهاية المحتومة .. وسبحت فوق أمواجه المتدفقة تتقاذفها تلك الامواج مبتعدة بها عن شاطىء الحياة .. وطغى احساس مرير بحزن مفجع سرعان ما انبثق عن صفاء مبرق شمل روحها كله .. صفاء شفاف أحست معه بقدرة كاملة على التسامح حتى مصطفى ابن العمدة تبرؤه من كل ما حدث .. كانت طائرة فوق القرية والناس جميعا .. أحست بهم بعيدين عنها تماما ويتولون عنها ذاهبين .. وحنين لرؤيتهم جميعا عن قرب واحساس بالحزن من أجلها على وجوههم .. ودموع البكاء عليها فى عيونهم .. وتسللت دموعها مالحة على خدها .. زينب وعواضة صديقتاها .. ستبكيان عليها .. ستتذكرانها عندما تجلسان لتلعبا « الطاب » تحت ظلال النخيل بعد انحسار النيل .. وعندما تذهبان « بالصحن كوبية » لملء الماء فى الصباح الباكر وعند أصيل كل يوم .. هل ستتذكرانها حقا بعد كل ذلك أم أنهما ستلعنانها كجميع أهل القرية ! .. لقد كانتا تغبطانها على اهتمام ابن العمدة بها ومطارداته الدائبة لها .. والان هل تغبطانها أيضا ! ..

وتحرك فيها احساس جنينى مفاجىء بالاحتقار والكراهية لرجال ونساء القرية اخذ ينمو حتى اضطرم مصطخبا بالغا حلقومها وقاذفا بدفقات قوة مفاجئة عارمة فى شرايينها مع دفقات الدم الذى يضخه قلبها فى ضربات قوية .. ثم أحست بفرحة مفاجئة غريبة فى أعماقها عميقة كانت الرغبة العميقة فى الخلاص قد ادرعتها .. الخلاص الحقيقى من كل ما فات .. من كل أهل القرية من النساء المتعبات فى دار « حسن تبد » .. من جباية مرسيله .. من مصطفى .. منهم كلهم .. حتى من أبيها الجاثم عليها فى صمته .. الخلاص من توتر انتظار ذلك المجهول الذى يملأ الهواء حولها بحضوره الخفى الغامض الثقيل .

الخلاص .. ورغبتها العارمة فيه حملاها وطارتا بها الى بعيد .. فوق القرية مرة أخرى وفوق كل الناس والدروب والحوارى والحيشان والقبور .. وعادت تحلق من جديد .. ولاول مرة تنظر الى ابيها فى اشفاق وحزن .. حزن كاد أن يدفعها لان تقوم وتحتضنه وتبكى فى حضنه .. واحست به كما لم يحدث لها من قبل .. قريبا جدا وحبيبا جدا .. اكثر قربا وحبا مما كان .. واحست به وحيدا وغلبانا وضعيفا ومهانا .. كانت تريد أن تفديه .. أن تريحه مما يشعر به .. أن تخنق تلك الاحزان التى فى أعماقه والتى زادت فى الايام الاخيرة خطوطا حادة وعميقة على جانبى شفتيه وأضفت على وجهه تعاسة غريبة قابعة فى اعماق عينيه .. لم تعد تبكى نفسها .. كانت تبكى اباها .. واضطرمت فى اعماقها رغبتها فى أن تفديه .. أن توفر عليه آلامه .. أن تلقى بنفسها .. ولم تكتمل الفكرة .. لم تناقشها .. حتى لم يتسن لها أن تدركها تماما .. انتفضت بفعل قوة غامضة ألقت بها فى النيل وهى على وشك اجتياز عتبة ادراك ما تفعل .. ربما وعت ما أقدمت عليه وهى فى الطريق الى الماء .. أو وهى فى جوفه المظلم ..

واهتزت الفلوكة فى عنف .. وارتفعت مقدمتها وغاصت مؤخرتها هابطة بعبد الرحمن الذى سقط منه المجداف وفوجىء بالحركة العنيفة المباغتة .. فقد توازنه فسقط فى الماء وهو يصيح .. فريدة فريدة .. بنتى .. يا « اللال المروة يا هوره » ، كان يخبط بيديه ويبحث بعينيه فى النهر المظلم فى جنون .. طفت فريدة خلفه ثلاث مرات .. ثم غاصت وفقاعات الماء تبقبق حيث ابتلعها النهر ..

جرف التيار الفلوكة المقلوبة وسار بها فى اتجاه قريتى « قتة » و « ابريم » .. وعاد النيل فى جريانه الدائم بلا اضطرابات على صفحته السوداء .. وتعالى نباح قرية « الجنينة والشباك » تطارد اشباحا غامضة .. وتسلق السكون قابعا فوق النخيل الغرقى .. والنهر وأسطح الدور الصامتة العمياء .. والتلال القاتمة الجاثمة كشيوخ القرية الوقورين ..

مجمع الموسيقى العربية الثالث

انعقد في الجزائر المؤتمر الثالث لمجمع الموسيقى العربي ، في الفترة مابين ٢ – ٧ ابريل ، حضره معنيون بشئون الموسيقى يمثلون تسع دول عربية هي المغرب وتونس وليبيا وجمهورية مصر وسوريا والكويت والعراق والسودان والجزائر ، بالاضافة الى ممثلين عن الامانة العامة لجامعة الدول العربية .

وقد سبق ان عقد المؤتمر الاول بمدينة طرابلس – في ليبيا – عام ١٩٧١ وعقد المؤتمر الثاني بالقاهرة في ١٩٧٢ .

وكانت اهم وقائع المؤتمر هي الندوة الخاصة بالتربية الموسيقية صباح الخامس من ابريل ، وقدمت اللجنة التربوية للمعهد التربوي الوطني بالجزائر بحثا حول موضوع التربية الموسيقية تناولت العلاقات بين المكونات الشخصية والتربية ودور الثقافة في التنمية الاقتصادية ، ثم ناقشت الاهداف التي يرمي اليها تعليم الموسيقى ، والتي تتلخص في العمل على تكوين الانسان وانصهاره الثقافي .

وتساءل مندوب الكويت : كيف نسنى للعالم العربي ان يملك تراثا فنيا غنيا لكنه لا يملك الوسائل الناجحة لتعليم هذا التراث ،وأكد ضرورة تغير الاساليب المتبعة في تعليم الموسيقى ، املا في التقاء الطريقة التلقائية ، والطريقة الواعية ، ثم نادى باعادة النظر في تقسيمات السلم الموسيقي .

وأكد مندوب ليبيا المفهوم القومي للموسيقى ، وضرورة انطلاقه على اساس من الاصالة الفنية المتمثلة في التراث ، وحذر من غزو الاغنية والموسيقى الغربية لاجهزة اعلامنا وشعبنا ، وطالب الحاضرين بوضع موسيقى عربي كنموذج تحتذيه الدول العربية في تجربتها الموسيقية .

واقترحت مندوبة مصر « د. سمحة الخولى » حلا تقريبا قد يتصدى لنقص المعلمين المختصين بالموسيقى وذلك بتوظيف اجهزة التليفزيون والاذاعة بشكل خاص على ان يتم ذلك عن طريق خطة ثلاثية تتلخص اولا في اعطاء دروس عن طريق الاذاعة ، وفي وقت واحد ، في جميع عواصم البلاد العربية ، وبحيث يتسنى للطلبة متابعة هذه الدروس في فصولهم الدراسية ، وبمساعدة معلم المادة والكتاب المرافق ، ثانيا : تدريب معلم الفصل ، واعطائه دروسا في العزف على آلة موسيقية معينة ، ثالثا : وهي مرحلة طويلة الاجل تتلخص في اقامة معاهد موسيقية يتخرج منها اساتذة متخصصون .

وقدم الوفد العراقي نموذجا لقاموس موسيقي قد يصلح نواة لانسيكلوبيديا موسيقية عربية ، مضافا اليه تعريفات مختصرة لاهم المصطلحات الموسيقية العالمية .

وبعد الاستماع الى المحاضرات والمناقشات انتهى المؤتمر الى التوصيات التالية :

١ – تأسيس هيئة عربية للتربية الموسيقية ، تشترك فيها جميع المعاهد والمؤسسات المختصة .

٢ – مطالبة هذه الهيئة والمؤسسات بتقديم قائمة المصطلحات والترجمات للعمل على اصدار نشرة مقارنة بينها ، بهدف توحيدها فيما بعد ، ووضع منهج موحد .

٣ – ادخال نشيد ذي طابع مميز من كل بلد عربي في التعليم الابتدائي لكل البلاد العربية .

٤ – ادخال قطعة غنائية من تراث كل بلد عربي في برامج التعليم بالمعاهد المختصة والمعاهد الثانوية لكل بلد عربي .

٥ – تكوين فرق موسيقية للشباب في كل بلد عربي ، وانتخاب عناصر منها تشكل فرقة عربية موحدة ، تجتمع مرة كل سنة في بلد عربي لاعداد برنامج الموسيقى العربية ، باشراف احد الاساتذة البارزين ، وتقوم بجولة عبر البلاد العربية وغيرها لتقديم هذا البرنامج ، وذلك على غرار ماتقوم به الجامعة الدولية للشبيبة الموسيقية مع الاوركسترا العالمي للشباب .

٦ – ترشيح شبان من الممتازين في الفرق الموسيقية للمشاركة في الاوركسترا العالمي للشباب .

٧ – العمل على ايجاد او توسيع صناعة الالات الموسيقية في البلاد العربية

٨ – الاعتماد على الوسائل السمعية والبصرية لتعميم الثقافة الموسيقية على الجماهير الشعبية .

٩ – اقامة دورات تدريبية دورية لمدرسي الموسيقى ، للاطلاع على التجارب الجديدة وطرق تطبيقها على الموسيقى العربية .

١٠ – مناقشة المؤسسات العربية للتربية الموسيقية للاشتراك في المنظمة الدولية للتربية الموسيقية وحضور مؤتمراتها والمشاركة في ندواتها ، كل بحسب ظروفه .

١١ – عقد ندوة سنوية على مستوى خبراء التربية الموسيقية لمقارنة تجاربهم في تركيز الشخصية العربية في التربية الموسيقية .

١٢ – عدم الاعتماد الكلي على استعمال الالات الثابتة الدرجات في التربية الموسيقية .

١٣ – عدم ارسال الشبان الى الخارج لاستكمال الدراسة الموسيقية قبل تمكنهم من الموسيقى الغربية في بلدانهم .

١٤ – العمل على ادخال الموسيقى العربية في المعاهد المتخصصة حاليا بالموسيقى الغربية ..



المؤتمـــر الرابـــع لقيادات الثقـــافة الجماهـــيرية

خلال الشهر الماضى ؟ عقــد المؤتمر الرابع لقيــادات الثقافة الجماهيرية ، وناقش المؤتمر اهم القضايا التى تعترض نشاط هذا الجهاز الهام فى ضوء المرحلة التى يجتازها النضال الوطنى ، وهى مرحلة المواجهة الشاملة .

وانطلاقا من تصور دور قصور وبيوت الثقافة فى مســـتويات العمل الوطنى المختلفة: العسكريةوالاقتصاديةوالسياسية والثقافية ، اصــدر المؤتمر عــددا من التوصيات فى مجالات الانشطة الفنية والثقافية المختلفة . من بين هـــذه التوصيات نختار التوصيات التالية :

فيما يتعلق بثقافة القرية : اوصى المؤتمر بما يلى :

أ ــ تخصيص اخصائى فى كل قصر يكون مسئولا عن العمل فى مجال ثقافة القرية فى نطاق القصر ، واعداد البرامج الثقافية فى هذا المجال .

ب ــ فى مجال محو الامية ، يتحدد دور الثقافة الجماهيرية فى النقاط الاتية :

١ ــ تحريك الجماهير للانضمام الى فصول محو الامية .

٢ ــ القيام بتجارب رائدة فى هذا المجال ، ووضع نتيجة هذه التجارب امام الاجهزة المعنية بمحو الامية .

٣ ــ محو امية العــاملين بالثقافة الجماهيرية .

٤ ــ اعداد البرامج الثقافية لمن تم محو اميتهم حتى لايرتدوا الى الامية .

هذا بالاضافة لتوصيات اخرى تتعلق بنقل الانشطة الثقافية الى القرية ، واعداد البحوث فى هـــذا المجال ، والاهتمام بالصناعات والحرف البيئية فى القرية المصرية .

وفيما يتعلق بالمسرح والموسيقى والفنون الشعبية ، فقد اصدر المؤتمر التوصيات التالية :

أ ــ التركيز على تقديم العروض الفنية الهادفة التى تتناسب مع هذه المرحلة .

ب ــ الاهتمام بتوصيل الاعمال الفنية فى ابسط اطـــــار ممكن مع مراعاة المستويات الثقافية لجماهير الموقع .

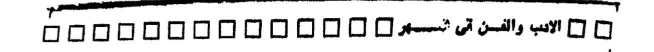
جـ ــ ضرورة انشاء نوادى المسرح فى المواقع التى تحتمل الحركة لاجراء التجارب المسرحية الرائدة .

د ــ استلهام منابع الفن الشعبى الحقيقيـــة ، والاكثار من العـــروض الموسيقية الشعبية حتى يتأصل مفهوم الموسيقى والالحان الشعبية فى اذهان الجماهير .

هـ ــ تدعيم فرق الفنون الشعبية .

وبالنسبة للسينما اوصى المؤتمر بأن تتركز العروض السينمائية بصفة اساسية فى القرى والتجمعات العمـــالية لتعبئة الجماهير وتوعيتها ، وذلك بعرض الافلام الوطنية وافلام المقاومة ، كذلك الافلام الثقافية والروائية التى تعالج موضوعات اجتماعية وقومية ، وانشاء مكتبة للافلام التسجيلية .

واصدر المؤتمر عددا آخر من التوصيات الخاصة ببقية انشطة الثقافة الجماهيرية بمركز اعداد الرواد ، وجمعيات رواد قصـــور وبيوت الثقـــافة ، والشئون الهندســـية ، ومجال ثقافة الطفل ، والثقافة والمكتبات والبرامج ، والاصلاح المالى والادارى .



بلطة سادوفيانو :

رحلة جديدة من رحلات الحب والثأر

من الادب الرومانى المعاصر ــ الذى لا نكاد نعرف عنه شيئا ــ اختار الاستاذ يحيى حقى رواية « البلطة » للكاتب ميخائيل سادوفيانو ، وقدم لها ترجمة كاملة ، نشرت عن دار « الكاتب الجديد » هذا الشهر .

يقول يحيى حقى فى تقديم الرواية : « هذه الرواية من الادب المعاصر ، وموطنها بلاد رومانيا ، وتجرى حوادثها فى منطقة الكربات الجبلية ، وتروى مأساة هبطت على اسرة من الرعاة ، خرج عميدها نيقيفور ليبان ليشترى النعاج من سوق بعيدة ، فقتله اللصوص بالبلطة ، وانقطعت اخباره عن زوجته فيكتوريا ، رات احلاما وسمعت صيحة ديك على باب بيتها ، فأيقنت انها انذار لها بأن شرا قد حاق بزوجها ، وبعد ان استشارت الفأل واودعت بصيص أملها فى السحر ، ادركت أن لا بديل لها من ان تتولى امرها بنفسها . لاتعتمد على احد ، ولا تسترشد الا بعقلها ، فاذا بهذه المراة الجاهلة المسكينة قعيدة البيت تتفجر بقوى لا يملكها اعتى الرجال ارادة وعزما واصرارا ومجابهة للمخاطر بشجاعة ، تركت بنتها الصبية مينودورا فى الدار ، وكان ينقصها بلوغها سن النضج فركبها دلع العذارى وهفت الى الحب والمغازلة ، سرا من وراء ظهور اهلها ، واصطحبت فيكتوريا ابنها الصبى غيورغيتا ــ وهو راع مثل ابيه ــ وركبت معه الزحافة تشق بها دروبا وعرة فى ارض مجهولة ، حجت اولا الى دير للتشفع بالسيدة مريم والقديسين ، ثم مضت فى طريقها تتبع انباء زوجها حتى بلغت مكان مصرعه ، وكشفت سره ، وثأرت له من قتلته ، ليست هذه الحوادث البوليسية ، بل ظل الام هو الذى يطغى على الرواية كلها ، انها تمجيد للمراة ، للام ، وان كانت البطلة امراة مسكينة جاهلة .. »

اما مؤلف الرواية فهو كاتب رومانيا المعاصر ، ميهاييل « ميخائيل » سادوفيانو له عدة روايات ، ومجموعات من قصص قصيرة ، نال كثيرا من الجوائز الادبية فى بلده وفى الاتحاد السوفيتى وترجمت اعماله الى لغات عديدة « انه يميل الى وصف القرية وحياة الرعاة والفلاحين وخصائص الطبيعة فى بلاده ، ويسجل فى بعض رواياته ايضا .. تاريخ شعبها وكفاحه الطويل ضد الغزاة ، وله مشاركة نشيطة فى الحياة السياسية فى رومانيا ، فانت تتعرف فى رواياته ــ بصفة خاصة ــ على ريف رومانيا وعاداته وتقاليده وخرافاته ، وتعد اعماله بحق ملحمة الفلاحين والرعاة فى موطنه »

صدرت رواية البلطة فى العام الذى بلغ فيه كاتبها الخمسين من عمره ، سنة ١٩٣٠ ، فتلقاها القراء والنقاد بحماس كبير ، وبلغ من شهرتها ان مؤلفها عاد بعد سنين الى شواطىء نهر سديا التى جعلها مسرحا لروايته فاخبره الناس هناك ان لم يأت الى ربوعهم زائر غريب الا سأل اين قبر نيقيفور ليبان اصبح عندهم جدثا يزار كما يزور الفرنسيون قبر غادة الكاميليا .

اما اللغة السلسة الطيعة التى نقل بها الاستاذ يحيى حقى هذه الرواية ، فقد اسهمت فى ان تجعل منها عملا متميزا ، ممتعا ، ومفيدا ، انها رحلة جديدة من رحلات الحب والثأر ، مثل رحلة عشتار ، ورحلة ايزيس لتجمع اشلاء زوجها الممزق .

الاسس النفسية للابداع الفنى

نوقشت فى الشهر الماضى رسالة الماجستير التى تقدم بها السيد/ **مصرى عبد الحميد حنورة** الى قسم الدراسات الفلسفية والنفسية بكلية الاداب جامعة القاهرة فى موضوع « **الاسس النفسية للابداع الفنى** » تحت اشراف الدكتور **مصطفى سويف** ، واشترك معه فى مناقشة الرسالة الدكتورة **سمية فهمى والدكتور عبد العزيز الاهوانى** .

تهتم الدراسة اساسا ببحث كيفية قيام كاتب الرواية بابداع عمل روائى ، ومناقشة الخطوات والظروف التى تحكم حركته من البداية للنهاية .

فى الباب الاول قدم الباحث الاطار النظرى لدراسته :

● فتناول العلاقة بين عملية الابداع وباقى نواحى النشاط النفسى بصفةعامة والابداعى بصفة خاصة . فعملية الابداع الفنى لا يمكن دراستها مستقلة وانما تدرس فى ضوء عدد من الابعاد [مثل علاقة المبدع بوسطه الاجتماعى على نحو ما ورد لدى رونالد تايلور وموريس شتاين وتوماس مان ومصطفى سويف وغيرهم] .

● وقدم الباحث فصلا عن «الفعل» و « التعبير » بهدف تحديد أطر ومراحل وديناميات عملية الابداع .

واعتبر ان مدرسة « الجشطلت » هى أكثر مدارس علم النفس احتفالا بعلاقة موضوع الادراك بالفعل [دراسات كوفكا وبول جيوم] .

● ودرس الباحث موضوع الخيال وعلاقته بعملية الابداع : فالخيال عملية ذهنية ذات مستويات وخصائص متعددة وهو ، على نحو ما يرى فيناك ، يرتبط بأحد قطبى المحور الذى ترتد اليه كل العمليات العقلية ، وهذا القطب هو ما يخص الاحتياجات الداخلية للفرد ، ويعالج فيه المتخيل مجرد الصور فحسب. والخيال يبدأ فىالنمو منذ فترة مبكرة من العمر ، ويمكن تمييز القدرة على التخيل من ظاهرتين تبرزان فى الصغر ، هما ظاهرة الرفيق الخيالى التى يعيشها الاطفال ابتداء من نهاية السنة الثالثة من العمر ، وظاهرة «التصور الارتسامى» التى يتمتع بها الاطفال أيضا ، ويمكن أن تستمر مع البعض حتى عمر متقدم على نحو ما يرى ريتشاردسون .

وتعرض الباحث لما ورد لدى عديد من الدارسين عن العلاقة بين التخيل والتنويم الصناعى وتعاطى بعض العقاقير مثل المسكالين وبين عملية الابداع . ولاحظ أن الانتاج الابداعى يتم من خلال جهد مدفوع وهادف ، ذى جذور تمتزج فيها الخبرة الواقعية بالتهويم [كما يلاحظ لدى الشاعرة موريل روكسير ووصفها لقصةابداعها قصيدتها أورفيوس المنتصر] .

ثم تعرض الباحث لنماذج منالدراسات التى تناولت عملية الابداع منها الدراسة التى أجراها ماكس فرتهيمر عن عملية الابداع لدى ألبرت أينشتاين منذ بداية اهتمامه بمشكلته حتى وصل الى نظريته عن النسبية . ويرى أن المشكلة بدات لديه منذ سن مبكرة وواصل اهتمامه بها رغم كل المعوقات والمشتتات مع تسلحه بخيال طيع ، ومرونة عقلية يسرت له تغيير زاوية النظر من وقت لاخر ، مع حب استطلاع ، وقدرة على المواصلة المشغوفة بموضوع بحثه .

كما عرض الباحث للدراسة التىقامت بها كاترين باتريك عن عملية الابداع لدى الشعراء والمصورين . وللدراسة التى أجراها رودلف أرنهيم عن اللوحة التى رسمها الفنان العالمى بيكاسو ،وأطلق عليها اسم « الجرنيكا » فقد حاول ارنهيم متابعة بيكاسو من خلال الاسكتشات والتعديلات والرسوم المبدئية للوحة ، كما التقط عددا من الصور بأشعة اكس للوحة النهائية ليكشف عن الاضافاتالتى تعرضت لها اللوحة . وقد انتهى ارنهايم الى أن المصور لا ينتقل من البسيط الى المركب بل ان حركته لولبية دائرية ، وهو لا يرسم فقط ، بل يبحث ويفكر ويمحص ، كما اكتشف أرنهيم أن الكل سابق على الاجزاء .

● كذلك عرض الباحث للدراسة التى أجراها د. مصطفى سويف للكشف عن ديناميات عملية الابداع لدىالشعراء من خلال مواقف خلق حقيقية ، لجأ د. سويف فى هذه الدراسة الى عدد من الشعراء المصريين والعرب ، ووجه اليهم عددا من الاسئلة ، كما قام بتحليل مضمون بعض اعترافات الشعراء والفنانين ، كذلك حلل مسودات قصائد لبعض الشعراء ، كما أجرى عدة استبارات مع عدد منهم . وقد توصل الى نتائج هامة منها أن العمل الفنى والشعر خاصة يبدأ لدى الشاعر عندما يختل توازنه النفسى فيحاول القضاء على هذا التوتر بكتابة قصيدة .

● منهج الدراسة : استخدم الباحث اسخبارا من ٤٠٠ سؤال وجهه الى عينة الدراسة التى تتكون من ٢٤ كاتبا روائيا والى مجموعة ضابطة من نفس العدد [اى أشخاص لا يمارسون الكتابة] . كما اجرى عدة استبارات مع عدد من الكتاب ، وحلل عددا من المسودات لكاتبين ، كما حلل عددا من اعترافات الروائيين الاجانب [توماس مان ، ود. هـ. لورنس ، توماس وولف ، هنرى جيمس] .

● **نتائج الدراسة :**

■ نتائج خاصة باستعداد الكاتب منذ بداية تكوينه الادبى .

■ ونتائج خاصة بتحضير الكاتب لعمل روائى معين ثم نتائج خاصة بالتنفيذ والتوصيل .

فيما يتعلق بالاستعداد يلاحظ الباحث من خلال نتائج هذه الدراسة ما يلى :

١ ــ بداية التعليق بالادب ، وهى فترة تبدأ مع الشخص من سن مبكرة يرافقها اهتمام الشخص بتنمية قدراته الادبية .

٢ ــ ثم يبدأ الكاتب فى محاكاة النماذج الادبية وتتربى لديه عادة الالفة باستقبال وتسجيل الافكار .

فيما يتعلق بالتحضير لعمل معين : قد يعثر الكاتب على فكرة فى كتاب او فى طريق أو موقف عابر ، أو تبرق فى خياله أو تتداعى الى ذهنه . وتظل الفكرة فى منطقة حية من شعوره تتجمع من حولها الالوان والافكار حتى تسطع أخيرا كالشمس بعد رحلة كان الكاتب فيها ايجابيا معها .

والكاتب لا يكف عن امتحان أفكاره من حين الى حين ، فيسقط ماليس له قيمة وهذه الحركة يمكن أن تحدث حتى بعد الانتهاء من اثبات الافكار على الورق . وهو ما يوحى بأن العملية تتم من خلال حركة دائرية لولبية وليست ذات مراحل مستقلة تماما على نحو ما ذهبت اليه بعض الدراسات [كاترين باتريك ، وجراهام والاس] .

الاختيار : انها حالة من الاسترخاء واجترار الافكار واستمتاع بمعايشتها وحساسية رائدة لكل ما يتعلق بفكرة العمل مع حس نقدى بارز يعاون على انفتاح الامور كمايخدم الهدف الاصلى للقصة

فيما يتعلق بالكتابة الفعلية للرواية وتوصيلها الى الاخرين توصلت الدراسة الى وجود طقوس معينة على نحو مايذكر نرانز كانكا يقصد بها الكاتب الدخول فى جو العمل . ورغم أن هذه الطقوس هى بمثابة قيود الا أنها تعد ايضا الاطار أو الطريق الذى ينبغى على الكاتب أن يسير فيه متحررا .

ويذكر ثورنتون وايلدر أن الاعتماد على قوى هى جزئيا وراء سلطان المبدع يدعو الكاتب الى محاولة استئناس هذه القوى .

وربما كان التخطيط للعمل الروائى مما يميز هذه المرحلة . وقد لاحظ جليرت ارتباطا كبيرا بين عوامل التخطيط والقدرات الابداعية .

وعند تناول الموضوع والمعالجة فان الكاتب لا يستخدم اللغة كمفردات ولا يعالجها كجمل مستقلة وهذا يدعم القول بأسبقية الكل على الجزء . .

وتفترض الدراسةوجود جوانبمزاجية وخيالية ومنطقية ،وفيزيقية وادراكية فى حالة تفاعل وتكامل طوال عملية الابداع

ولاحظ الباحث أن الكتابة لا تتم الا من خلال رحلة طويلة يرتبط فيها القرار بواسطة الاتجاه بالتقييم للافكار الواردة .. وقد يتم التقييم من خلال المبدع أو من خلال الاخرين . والمبدع دائما يستلهم القيم المنشودة والمطالب الملحة للاخرين ويعبر عنها .

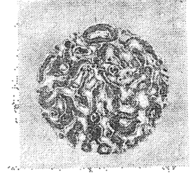
وربما كان توصيل العمل للاخرين من اشق مراحل العملية . فهذا التوصل هو الصدى العائد الى المبدع والدليل على أنه ليس وحده فى هذا العالم .

الفن القومى والجذور الصناعية

فى الوقت الذى اخذت تنحسر فيه من قاعات المعارض فى الخارج موجة التجريد ، وتزحف على اماكنها فوق الجدران لوحات تهتم بمضمون فلسفى او سياسى باساليب جديدة ، نجد صالات المعارض فى مصر — الرسميه وغير الرسمية أو التابعة للمراكزالثقافية الاجنبية — تزدحم بالاعمال التجريدية لفنانين مصريين ذوى اسماء لامعة أو منطفئة فى حركة الفن التشكيلى ، يواصلون عروضهم كل موسم فى همية نادرة .

ولا احد يستطيع الزعم بالمطبع بان المدارس والاتجاهات الفنية تبدأ وتنتهى بشكل محدد وقاطع كموضات الازياء ، فان بوسعنا ان نرى فى قلب لندنوباريس حتى الان قاعات معروفة مازالت تعرض للتأثيريين والتعبيريين والسرياليين والتكعيبيين ، بجانب آخر اعمال موجات خداع البصر والفن الحركى مثلا ، وهذا يمكن ان يقال ايضا بالنسبة لحركة الفن عندنا ، خذ مثلا المعرض السنوى العام للفنون التشكيلية ، تلق كل المدارس والاساليب جنبا الى جنب ، تتهامس بمودة أبناء الاسرة الواحدة ، او تتغامز وتتلامز بالسنة متباينة ، منها المتفرنج والمتحذلق والفهلوى وابن البلد الاصيل !

لا غرابة اذن فى استمرار وجود حركة



محاولة لتلمس فن قومى من خلال الخط العربى — للفنان احمد فؤاد سليم

التجريد فى حياتنا الفنية ، ايا كان موقعها من حركة الفن العالمى ، بل ان وجودها — ضمن بقية الاتجاهات — دليل خصوبة وتجدد ، ومحك لثقافتنا القومية ازاء ما يمور به العالم من تيارات متلاحقة ، فضلا عن ان للتجريد جذورا فى حضارتنا الفنية ، خاصة فى الفن الاسلامى ، الذى قام علىاستخدام العناصر الهندسية والنباتية وحروف الكتابة ، مستعيضا بها عن الاشخاص.

انما الشىء الغريب هو ارتفاع نغمة الاتجاه التجريدى ، الذى لا يقوم على اى فلسفة فضلا عن ان يحملها ،واتساع رقعته بشكل ملحوظ فى السنوات الاخيرة ، صانعا من ناحية منطقة جذب شديد للفنانين الناشئين وطلبة المعاهد الفنية ، مقدما لهم اغراء بنجاح سهل وسريع ، وصانعا من ناحية أخرى منطقة طرد للمتفرج العادى ، تفزعه من ارتياد قاعات المعارض ، التى يقف فيها مرتبكا لا يكاد يفهم شيئا ، شاعرا بالغربة الشديدة والتورط ، فيسارع بالخروج ، زاعما لمن يساله — هذا اذا كان يتمتع بدماثة الخلق — انه جاهل بهذه الامور العويصة !

هذه النغمة التجريدية التى تقوم على سياحة جمالية فى الشكل فقط ، متباينة الاساليب والمستويات ، تبدأ عند البعض من التقليد لاساليب بعض الفنانينالعالميين الذين برزوا فى هذا الاتجاه ، وتصل عند القلة النادرة الى الطموح لخلق تجريد ذى صبغة قومية ، بجهد جاد للمواءمة بين الاصالة والمعاصرة .

وضمن هذه القلة النادرة نستطيع ان نضع المعرض الاخير للفنان احمد فؤاد سليم ، الذى افتتح بقاعة الفنونالجميلة بباب اللوق يوم ١٢ مايو الماضى .

ولست انوى — فى هذه العجالة — ان اقوم بتحليل اعمال الصديق الفنان سليم التى تضمنها المعرض ، بل حسبى

ان احلق فى عالمه الفنى ، محاولا ان اقترب من رؤيته الخاصة ، لاطرح من خلالها قضية اعتقد انه حان الوقت لطرحها ، بعد مرور سنوات طويلة على الحركة التجريدية فى مصر ، اظن انها كافية لتقييمها من منظور موضوعى.

برغم الخصوبة والتنوع اللذين تتميز بهما عناصر سليم التشكيلية : من دفء الالوان وشفافيتها ، وديناميكية الخطوط حيث نجدها احياناغنائية راقصة كتقاسيم على العود ، عميقة غليظة احيانا اخرى كالقرار فى آلة التشيللو ، [هذا باستثناء اللوحات ذاتالتجريد الهندسى] .. ومن احكام فى البناء التشكيلى لمعظم اللوحات ، وحل لمساحة المسطح بعلاقات منطقية بين عناصر الشكل تكاد تكون جبرية ، وبشكل يوحى بثقافته الفنية الواسعة واستيعابه لاعمال كبار الفنانين .

برغم ذلك فقد انتهيت من جولتى بين المعروضات وانا اشعر انها خاطبت بصرى بمهرجان لونى ، لكنها لم تحدث فى تلك الهزة الوجدانية التى يشعر بها المرء امام العمل الفنى المتكامل ، قديما كان ام حديثا ، ايا كان اسلوبه ولو كان تجريديا ، بل ولو كان بيتا وصفيا من الشعر لامرؤ القيس ، او حتى لو كان رسما متساقط الالوان على جدار مقبرة فرعونية .. تلك الهزة الوجدانية التى تنتقل الى المتفرج بعدوى من عاطفة جياشة يبثها الفنان فى عمله عاطفة انسانية وان لم يرسم انسانا فى لوحته ، بغيرها لا يمكن للفنان أن يصل الى روح المتلقى ، ولو ملك كل براعة وخبرة وثقافة العصر وطبقها فى عمله .. لم اشعر بتلك العاطفة او ذلك الحس الانسانى فى اعمال سليم ، بل شعرت بها مصممة بذهن مرتب بارد .

ولعلى استثنى من ذلك بعض اعمال الفنان من المرحلة [ب — ٦٧ — ٦٨] مثل لوحة وثلاثة عشر وجها تاكل شخصا فوق مائدة خضراء » ، ففيها — الىجانب تكامل عناصرها التشكيلية — شحنة تعبيربة تنفذ مباشرة الى القلب ، وكذلك بعض الاعمال من المرحلة [د. ٧٢ — ٧٣ — محاولة فى تلمس فن قومى من خلال الخط العربى] — مثل اللوحة رقم ٣٤ ، التى وصلتنى كما تصل القصيدة الغنائية الرقيقة ، برمادياتها الشفافة وأشكالها المتداخلة الهامسة وسطحها ذى الملمس الفنى المتنوع الايقاع .

ولى وقفة عند تلك المرحلة الاخيرة [د.] التى يعرض فيها سليم محاولته الطموح لتلمس فن قومى من خلال الخط العربى . ان الخط العربى كان عنصرا تشكيليا وتعبيريا هاما فى العمارة الاسلامية ، وليس مجرد زخرف خارجى يمكن الاستغناء عنه . كانت حروفه الشامخة والمرتعشة والمتداخلة فى نفس الوقت هى الابتهالات الدينية التىتتصاعد من الارض الى السماء حاملة الادعية وآيات القرآن الكريم ، وكانت — الى جانب الوحدات الهندسية والنباتية — تصنع بديلا تجريديا لتصوير الاشخاص ، نافذة عبره الى مطلق فلسفى هو وحدة الذات القدسية التى خلقت الوجود ، وفناء هذا الوجود بمخلوقاته فى ذات الخالق. كان الخط العربى ، والفن الاسلامى ككل ، تاملا صوفيا فى فكرة مجردة ، فكان الشكل الذى يناسبها هو التجريد ، لتصل روح الانسانمباشرة — دون وسائط الاجساد الفانية — الى الحقيقة الازلية .

فهل يكفى أن ننتزع هذا العنصر وحده — الخط العربى — من غرضه الفلسفى ، ونستغله فى تصويرنا الحديث كوحدات تجريدية ، بتنويعات وتحويرات مختلفة ، لنعتبر اننا بهذا نخلق فنا قوميا ؟ . أعتقد أننا لا يمكن بالشكل فقط أن نحقق أصالتنا ، وأن نربط حضارتنا الحديثة بجذورنا القديمة . لا أستطيع أن أفهم مثلا فنانا يصور شخصا بالاسلوب الفرعونى — الوجه فى وضع جانبى والجسم يواجه المشاهد — ويظن أنه بذلك يرتبط بأصالة الفن المصرى القديم ، دون أن يكون واعيا بالفكرة الفلسفية الكامنة وراء هذا التقليد الشهير فى الفن المصرى التديم ، وهى استمراربة الحياة من عالم الارض الى العالم الاخر .. اى فكرة الخلود ، فاذا استغل الفنان هذه التقاليد الفنية القديمة لمجرد شكل لا يحتوى اى رؤية فلسفية ، فانه يمتهنها ويمسخها .

فما هى الرؤية الفلسفية الخاصة الكامنة وراء استخدام الفنان سليم لعنصر الخط العربى ؟

اعترف باننى فشلت فى العثور على مثل تلك الرؤية ، فلم تفعل بى لوحاته ما تفعله فى مثلا الحروف العربية فى اعلى جدران جامع السلطان حسن ، او فوق قبة قايتباى ، او الناصر قلاوون .. لم تملأنى بذلك الخشوع الروحى امام هيمنة قوة خفية ، على العكس ، فان التاثير الذى تتركه فى المشاهد هو — فى أحسن الاحوال — تاثير موسيقى خفيفة راقصة ، والقليل جدا منها معزوف على آلات عربية ، فما أن يغادر المرء قاعة المعرض حتى تتبدد من احساسه تلك الانغام ويكاد ينسى كل شىء عنها .

فاذا حاولنا ان نرى كيف عالج الفنان عنصر الخط العربى جماليا ، فسوف نجد انه قد وضع يده فعلا على السمة الغالبة على حروفه ، وهى الانحناءات والاختناقات اللولبية ، والبعد عنالزوايا الحادة والخطوط المستقيمة ، لكنه مع ذلك لم يستطع ان يصل الى روح الجلال والرصانة والصوفية المتوفرة فيه ،لانه استرسل وراء التحويرات المبالغ فيها فى الاختناقات والانحناءات ، بغية نفى الشبهة عن نفسه بانه قلدها تقليدا حرفيا ، فكانت النتيجة حصولنا على اشكال ممسوخة هى اقرب الىالكائنات الميكروسكوبية منها الى الخط العربى .

اننى انحنى احتراما للفنان احمد فؤاد سليم — ولاى فنان آخر — لرغبته الصادقة فى الوصول الى فن قومى ايا كان الوسيط الذى يتوسل به اليه ، فان هذه القضية هى اخطر القضايا التى تواجه فننا الحديث ، وسوف يتوقف على حلها تحديد مكاننا الحقيقى فى حركة الفن العالمى ، لكن حلها لن يتاتى فقط بالنوايا الطيبة ، او باقتباس اشكال سطحية من تراثنا الفنى دون استخلاص الروح الكامنة فيه وشحنها برؤيةمعاصرة وتقدمية ، والا فاننا لا نفعل اكثر من خلق سوق سياحية جديدة تبهر العين الاجنبية كشىء طريف ، سوف ينتهى بريقه فى وقت ما ، حتى ولو حاز الاعجاب فى المعارض الدولية ، وأتى لنا ببعض الميداليات الذهبية وشهادات التقدير .

وان كنت اعتقد — احقاقا للحق — ان الفنان سليم ، الذى اجتاز خلال حوالى عشرة اعوام من تطوره الفنى كل تلك المراحل بجدية ورهافة حس ، حتى هداه احساسه بمسئولية الفنان الى محاولة البحث فى تراثنا الفنى عن ينابيع جديدة بغية الوصول الى فنقومى لكفيل بان يصل فى مراحله القادمة الى تعميق لبحثه من اجل بلوغ تلك الغاية .

لكن تظل القضية الاساسية هى ان الحركة التجريدية عندنا بكل روافدها ومنعطفاتها ، والتى تدق لها الطبول ، تقوم بمعزل عن الجمهور الحقيقى — الذى من المفروض انها تقدم من اجله — وباغتراب كامل عنه وعن روحه وأصالته من قبل الفنانين ، فى الوقت الذى يزعمون أنهم يسعون الى الاقتراب منه ومن جذوره الضاربة فى حضاراتنا العريقة ، بينما هم لا يفعلون اكثر من تركيب جذور صناعية خلابة وقصيرة العمر ، لاتجاه استهلك فى الخارج ، ولم يعد يشبع حاجة الانسان الى فن اصيل ..

.. لقد آن الاوان لان نناقش هذه الحركة مناقشة موضوعية حتى توضع فى مكانها الصحيح ..

عزّ الدين نجيب

مطابع الأهــــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

